

نَفْسُ الْقُرْآنِ

الْحَكِيمِ الْخَافِعِ

فِي

الْإِعْجَازِ الْبَيِّنِيِّ وَاللُّغَوِيِّ وَالْعِلْمِيِّ

إِعْدَادُ وَدِرَاسَةُ

الدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ سَالِحِ

تَحْقِيقُ

تَحْقِيقُ

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الشَّرِيفِ الْجَامِعِ

فِي

الْإِعْجَازِ الْبَيَانِيِّ وَاللُّغَوِيِّ وَالْعَامِيِّ

إِعْدَادُ دِرَاسَةِ

الدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ رَهْمَال

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

تَارِخُ الْمَعْرِجَةِ

تَارِخُ الْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء: (١٢)
عدد الصفحات: (٦٧٠٤)
القياس: ٢٤ × ١٧
التنضيد والإخراج الضوئي: محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

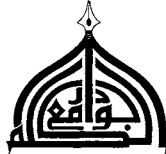


دار المعراج

تلفاكس: +963 11 2247242

ص.ب: 31429 . سورية - دمشق

E-mail: meraj.press@gmail.com



للطباعة والنشر والتوزيع



تنضيد وإخراج ضوئي

دار جامع الكلم



جوال: 963 933 84 60 60

سورية - دمشق - تلفاكس: 963 11 2216555 - ص.ب 13118

www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5



NORTH AMERICAN IMAMS FEDERATION

NAIF

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين ..
وبعد:

فإن القرآن الكريم هو الكتاب المبارك الذي أنزله الله رحمة للعالمين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإئنه ويهديهم إلى صراط مستقيم

صدق الله حيث قال: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ . وكان من دلائل صدق هذه الآية الكريمة أن الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه الكريم إلى يوم الدين أن قبض له من أولي العلم والنهي من بذلوا جهودا مشكورة، وصنّفوا المصنّفات، وألّفوا المؤلفات في العلوم التي «تتصل بهذا الكتاب الكريم وتشكّل سياجا منيعا للحفاظ عليه، تلك التي عرفت بـ «علوم القرآن

وإن العمل في رحاب هذا الكتاب الكريم لهو شرف ما بعده شرف، وإن خدمة هذا النور الإلهي والكتاب الرباني لهو من أجل ما يتشرف به الإنسان ويعتز به حيث شهد له من أنزل عليه هذا الكتاب صلوات الله وتسليماته عليه بالخيرية والأفضلية عند ما قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) رواه البخاري

وكان من توفيق الله سبحانه وتعالى لأخي الدكتور الفاضل محمد الهلال أن شارك بهذا الجهد الطيب في هذا المضمار وهو أخ عرفتة عن قرب من خلال الزيارات الشخصية المتبادلة ومن خلال العلاقة الأكاديمية التي تربطني به كوني عميد الدراسات الإسلامية في الجامعة التي نال منها شهادة الدكتوراه

فأقول وقبل الكلام عن كتابه أنه رجل وداعيه قمه في التواضع والالتب قد خلط بين العلم الشرعي والعلم الأكاديمي وخاصة الطب ويرع فيهما

وقد وهب الرجل قسم كبير من حياته لخدمة كتاب الله تعالى تعلما وتعلما من خلال منابر المساجد وله في هذا المجال باع طويل، واختتم هذه المسيرة المباركة مع كتاب الله تعالى بعمل رائع اضاف من خلال كتابه في التفسير والذي يحمل عنوان

تفسير القرآن الثري الجامع في الاعجاز البياني واللغوي والعلمي

والذي كنت انتشرف بأبداء بعض الملاحظات هنا وهناك حسب رغبة فضيلة الدكتور ومختصر القول بأن هذا التفسير اضافته جميله لكتب التفسير بأسلوب سهل ميسر يفهمه الجميع وهو غني بالمسائل اللغوية والعلمية في قالب جذاب مراعا التقيد بكل ما هو ضروري لمن يكتب في هذا الفن والله أسأل ان يبارك في الكتاب وصاحبه وان ينفع به المسلمين امين وصلى الله على نور الهدى محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

الأستاذ الدكتور عمر شاهين

مؤسس ورئيس اتحاد الائمة بأمريكا الشمالية سابقا

نائب رئيس جامعة مشكاة سابقا

عميد برنامج الدراسات الإسلامية

فينكس اريزونا بتاريخ ١٩/٢٥



بسم الله الرحمن الرحيم
**تقديم من الدكتور/ إسماعيل الشيخ - رئيس المجلس الأعلى للشؤون
الإسلامية بأمريكا الشمالية**

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،
وبعد...

فقد شرفت بالاطلاع على كتاب (تفسير القرآن الفري الجامع في الإعجاز
البياني واللفظي والعلمي) للدكتور الشيخ محمد الهلال، الذي لم أكن أظن أن يكتب
أحد مثله في هذا الزمن، لكن الحقيقة أن القرآن سيظل يلهم من اصطفاه الله من
عباده لينهل من معينه إلى يوم القيامة، وقد اصطفى الله عبده الدكتور محمد الهلال
(الداعية والخطيب) الذي أفنى حياته خادماً لكتاب الله وداعياً إلى سبيله ليكتب
هذا التفسير البديع الجامع الذي رغم كونه حوالي 12 مجلد إلا أنه يتميز بالسهولة
والسلاسة، وقد جمع فيه كثيراً من المسائل العلمية التي أشار إليها القرآن وفسرها
العلم الحديث مستنداً فضيلته إلى خبرته العلمية الطويلة كطبيب جراح حاز أعلى
الدرجات العلمية في تخصصه، وهذا في الحقيقة ما يميز هذا التفسير عن غيره من
التفسيرات القديمة والحديثة، كما أنه جمع صنوفاً من بلاغة وبيان النص القرآني العظيم
في أسلوب بسيط يناسب كل القراء.

لا شك أن هذا التفسير سيكون إضافة وإثراءاً للمكتبة الإسلامية ومرجعاً هاماً
لطلبة العلم ولعموم الأمة على السواء. أسأل الله أن يبارك في هذا العمل وفي مؤلفه
وأن يجعله شقيقاً له يوم القيامة.

دكتور/ إسماعيل الشيخ
رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بأمريكا الشمالية

إسماعيل الشيخ



المقدمة

الحمدُ لله ربَّ العالمين، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على سيِّد المرسلين، وخاتم النبيين، ورحمة العالمين.

تبقى أسرارُ القرآن الكريم حبلَ الله ونوره في السموات والأرض فوق كلِّ تفسير، وأكبرَ من أن يحيط بها علمٌ، أو يصل إلى حقيقتها عقل بشر، أو يعلم منتهاها إلا الذي أنزلها سبحانه؛ فقد حارت عقول علماء الفقه والتفسير، وعلماء اللغة والنحو والبيان، وعلماء الكون في عظمة كلام الله عزَّ وجلَّ وإعجازه.

فالكلُّ يُقرُّ ويعترف بأنهم مهما بلغوا من العلم في تفسير كتاب الله عزَّ وجلَّ ما بلغوا إلا قليلاً، ولم يدركوا من أسرارهِ ومعانيهِ إلا يسيراً، أو ما سواه إلا نقيراً، أو فتيلاً، أو قطميراً، أو حبةً من خردل، أو ذرةً، أو دون ذلك، أو قطرة من بحر يمدُّه من بعده سبعة أبحر.

هذا الكتاب الذي نَزَّله على عبده، ولم يجعل له عوجاً؛ ليكون للعالمين نذيراً، ويبشِّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً.

والكلُّ يعلم أن هذا القرآن لا يزال يُفسَّر طوال (١٤) قرناً، وفي كلِّ زمن تظهر بعض المعاني والأسرار الجديدة، وكما قيل: لا تنقضي عجائبه.

ولقد استغرقت أكثر من (٢٥) عاماً في كتابة هذا التفسير مستنداً إلى مصادر علمية موثوقة تطرَّق إليها الباحثون، وتفسير القرآن بالقرآن، والدراسات في علوم القرآن والأشباه والنظائر، والتفسير الموضوعي، وعلوم اللغة والبيان والنحو والبلاغة.



ولقد قرأت الكثير من التفاسير المشهورة؛ فوجدت أن معظمها متشابهة في المعاني والبيان، ولا تروي غليل المتدبر للقرآن، وتجيب على كل تساؤلاته في الإعجاز البياني، أو الفروق اللغوية، أو الإعجاز العلمي، والدرر البلاغية التي تجعل القارئ لا يمل أبداً من تدبر كتاب الله العزيز، ولذلك حاولت إضافة هذه المعلومات في هذا التفسير الذي هو لوجه الله تعالى - إن شاء الله - وأرجو أن يتقبل ذلك.

وهذا التفسير يشمل عدة أجزاء، ومنهجه كما يلي:

- ١ - قسمتُ الآيات إلى وحدات، كل وحدة تمثل صفحة من القرآن بالرسم العثماني، يليها تفسير لتلك الوحدة.
 - ٢ - ذكرُ أسباب نزول بعض الآيات التي تُعين على البيان.
 - ٣ - محاولة تفسير كل حرف أو كلمة ومعانيها.
 - ٤ - معرفة الفروق اللغوية بين الكلمات المتشابهة أو القريبة في المعنى.
 - ٥ - معرفة أصل كثير من الكلمات التي ترددت في القرآن، وكيف اشتقت.
 - ٦ - مقارنة كثير من الآيات المتشابهة في السور المختلفة أو السورة الواحدة.
 - ٧ - محاولة عدم تكرار التفسير والإشارة بالرجوع إلى الآيات الأخرى السابقة، أو اللاحقة.
 - ٨ - محاولة تبيان جانب من الإعجاز البياني واللغوي، والإعجاز العلمي في كثير من الآيات.
 - ٩ - ذكرُ أكثر من معنى للآية إذا كانت تحتمل ذلك.
- والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

الدكتور محمد الهلال



سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ
 الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ
 نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا
 الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ
 أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ تَبَتُّوا



سورة الفاتحة

ترتيبها في القرآن (١) وترتيبها في النزول (٥).

لها عدة أسماء منها الفاتحة؛ لأنها فاتحة القرآن وتفتح بها الصلوات، وأم الكتاب أو القرآن والسبع المثاني «سبع آيات» تُثنى في كل ركعة؛ أي: تعاد قراءتها، وسورة الحمد، ولها أسماء أخرى، ترتيبها في القرآن «١»، وترتيبها في النزول الخامسة.

قيل: نزل بها الوحي مرتين الأولى في مكة عندما فرضت الصلاة، والثانية في المدينة عندما حولت القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ارجع إلى سورة النحل آية (٩٨) للبيان، والآية (٣٦) من سورة البقرة.

[١] ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾:

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾: الباء للإصاق أو الملازمة.

والاسم: نوعان: جامد ومشتق، والجامد: الذي يدل على اسم ذات، أو اسم معنى.

والمشتق: ما أخذ من غيره مثل عالم من علم، والأسماء المشتقة مثل: اسم الفاعل، واسم المفعول... وغيرها.

بسم الله: تكتب بغير ألف كما في هذه الآية، وقد تكتب بألف كما في قوله

تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فلماذا تكتب بألف أو بدون ألف ذلك ليدلنا على أن رسم القرآن رسم توقيفي كما أنزله الله سبحانه لم يتغير ولن يتغير إلى قيام الساعة.

﴿اللَّهُ﴾: اسم العلم الدال على الذات الإلهية وهو الاسم الأعظم الذي تفرد به الإله المعبود، واجب الوجود، وكامل الصفات والنعوت، ليس كمثله شيء، والاسم الجامع لكل صفات الكمال الإلهية، وقد ذكر اسم الله ﷻ في ألفين وستمئة وتسع وتسعين مرة في القرآن الكريم، كما ورد في المعجم المفهرس (٢٦٩٩).

ومن معاني بسم الله: أي: أقرأ مستعيناً بالله.

وأبدأ بالذي سخر لي هذا.

وأقبلت يا رب على قراءتي لا بقوتي ولا باقتداري، ولكن بقوتك وقدرتك.

وحين تقول: بسم الله، كأنك تدعوه باسمه الذي يشمل (٩٩) صفة منها العليم الحكيم القوي الخبير العزيز الرحيم العلي الكبير القدير...

وقد تكررت هذه الآية (١١٣) مرة في القرآن في بداية كل سورة، إلا سورة التوبة. وذكرت في سورة النمل آية (٣٠).

﴿الزَّيْنِ الرَّحِيمِ﴾. يأتي تفسيرها في الآية (٣) من سورة الفاتحة.

والسؤال هنا: هل البسملة آية من الفاتحة أم لا؟ اختلف الفقهاء في هذه المسألة، وحكم قراءة البسملة في الصلاة.



[٢] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْمَلَائِكَةِ﴾ :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ : الحمد هو الشئ الكامل المطلق باللسان أو بالقلب لله سبحانه على إحسانه وفضله وكرمه وعطاءه؛ حمد إجلال وتكبير على صفاته الذاتية.

والحمد لا يكون إلا لله تعالى وحده، ويتضمن الشكر، والحمد لله تعالى يشمل حمد الألوهية وحمد الربوبية.

فحمد الألوهية: لكونه ﷻ الإله الحق الذي يستوجب الحمد.

فالله سبحانه يستحق الحمد لذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه؛ ولأنه لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدّل، حمداً لوجوده وعدله وحكمه وقضائه وعلمه وحكمته.

وأما حمد الربوبية: فلأنه هو المتكفل بخلق المخلوقات والموجودات وإنشائها القائم على هدايتها وإصلاحها، وكذلك هو الرزاق والمربي والحفيظ والولي والناصر، نحمده على نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد ونعمة التبليغ والتكليف ونعمة التسخير ونعمة الأخرى، والتي لا تعد ولا تحصى.

أليس هو الذي سخر لنا ما في السموات وما في الأرض وأسبغ علينا نعمة ظاهرة وباطنة وأنعم علينا بنعمة الإيمان والإسلام وبنعمة القرآن، وأرسل إلينا خاتم رسله ﷺ.

أليس ذلك يستوجب الحمد؟ نحمده حمداً طيباً مباركاً يليق بعظمته وجلاله، والحمد للعتاء وللمنع فالمنع في حد ذاته عطاء فالحمد لله في السراء والضراء وإذا أعطى أو إذا منع.

الحمد لله، قيل: أصله أحمد الله حمداً أو حمدت الله حمداً، ثم أولاً: حذف الفعل أحمد أو حمدت اكتفاء بدلالة مصدره عليه وهو الحمد، وثانياً: عدل إلى الرفع لقصد الدلالة على الثبوت والدوام حمداً لله؛ أي: حمداً ثابت مستمر منذ الأزل إلى الأبد فهو المحمود قبل حمد الحامدين وهو الغني عن حمد الحامدين الأولين والآخرين.

وثالثاً: جاء بأل التعريف لتدل على كمال الحمد المصحوب بالعبودية له وحده والإخلاص والحب والتعظيم والحمد لله مطلقة لا تختص بفاعل معين أو زمن معين، كما لو قال: أحمد الله أو حمداً لله، فهذه تدل على فاعل وزمن معين.

والحمد لله جملة اسمية تدل على الثبات، واستمرار الحمد، بحيث لا ينقطع ليلاً ونهاراً، كما لو قال: الحمد لله جملة فعلية تدل على التجدد والتكرار، والجملة الاسمية أقوى وأكد من الفعلية والحمد أعم من الشكر فالحمد لا يكون إلا لله وحده، وأما الشكر فقد يقال لمن أسدى إليك معروفاً. ويكون باللسان والجوارح (بالطاعة).

﴿لَهُ﴾: اللام في لفظ الجلالة لام الاختصاص والاستحقاق، الله: هو الاسم الأعظم الذي خص الله به نفسه وقدمه على كل أسمائه الأخرى فهو علم على ذاته العلية، وعلى أنه الإله الحق واجب الوجود والإله المعبود. وهو الاسم الجامع لكل الصفات الإلهية واسم الجلالة لا يشاركه فيه غيره لا يثنى ولا يجمع.

﴿رَبِّ﴾: نعت للفظ الجلالة (الله) أو بديل، اسم الله الدال على كونه الخلاق الرزاق والمربي لعباده والمالك والسيد والمدبر والمحي والمميت والقيوم على شؤون خلقه تدبيراً وتصريفاً.



﴿تَفْلَيْمٍ﴾: جمع عالم، العالم اسم جنس تشمل كل العوالم عالم الجن والإنس والملائكة والحيوان والنبات والجماد والذّر وغيرها، وغلب العقلاء على غيرهم فقال العالمين، وهناك من يطلق على المخلوقات غير العاقلة عوالم. الحمد لله؛ لأنّه رب العالمين يعطي الكل المؤمن والكافر والمطيع والعاصي من عطاء الرّبوبة يعطي كل مخلوق هدايته وحاجته ومعاشه وما يصلحه.

[٣] ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾:

قابل سبحانه الحمد والثناء له؛ لأنّه الرّحمن الرّحيم.

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: اسمان من أسمائه مشتقان من الرّحمة ويجريان مجرى الصفة.

فالرحمن: صيغة مبالغة من الرّحمة كثرة الرّحمة على وزن فعلان التي تدل على التّجدد والتّكرار والرّحمن هو من عمّت رحمته جميع المخلوقات في الدّنيا المؤمن والكافر والمطيع والعاصي فهو رحمن الدّنيا.

هذه الرّحمة التي تتضمن الإيجاد والرّزق والهداية والإنعام والإحسان.

الرّحيم: صيغة مبالغة من الرّحمة على وزن فعيل التي تدل على الثّبوت أي: دائم ثابت الرّحمة الرّحيم بعباده المؤمنين في الدّنيا والآخرة رحمة خاصة فالرحمن صفة عامة تشمل كل مخلوق والرّحيم صفة خاصة للمؤمنين.

فكون الرّحمن الرّحيم فهو جمع الصّفتين معاً؛ أي: رحمة ثابتة دائمة لا تنقطع، وكذلك تتجدد وتكرر لعباده لمن هو في حاجة إليها ويطلبها منه، وقدم الرحمن على الرحيم قدم العام (الرحمن) على الخاص (الرحيم).



[٤] ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾:

لها قراءتان مالك يوم الدين، وملك يوم الدين، والقراءتان صحيحتان.
﴿مَلِكِ﴾: أو ملك: أي الحاكم وحده يوم الدين؛ أي: يوم الحساب والجزاء
فيكافئ ويجازي كلاً على عمله، وملك أي: صاحب الملك من التملك فهو
مالك وملك السموات والأرض وما فيهن ومالك وملك كل الأشياء والأوقات
والزمان والأيام بما فيها يوم الدين.

﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾: أي: يوم الحساب والجزاء والدين له معان كثيرة أيضاً منها
الطاعة والسرعة والخضوع والقهر. والدين في اللغة: الجزاء: أي: يوم الجزاء
والثواب.

فيوم الدين: أعم وأشمل من يوم القيامة ومن يملك يوم الدين، يعني: يملك
ما يجري فيه من الأحداث ويملك الزمان، وبما أنه يوم الجزاء والجزاء لا ينتهي،
ويمتد إلى الآخرة ليشمل الخلود في الجنة أو في النار.

[٥] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾:

﴿إِيَّاكَ﴾: ضمير فصل وتقديم إياك على نعبد يفيد الحصر والاختصاص
أي: لا نعبد إلا أنت.

﴿نَعْبُدُ﴾: العبادة هي طاعة العابد للمعبود فيما أمر أو نهى والعبادة لا تكون
إلا للخالق وتعني الخضوع ولها جزاء، ولا تكون إلا مع المعرفة بالمعبود. ارجع
إلى سورة النحل الآية (٧٣) لمزيد من البيان في معنى العبادة.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: أي: لا نستعين إلا بك وحدك، نستعين نطلب العون
للوصل إلى الغاية، نستعين بك في كل حركة وقول وفعل كل أمر وكل شيء



في العبادة والطاعة والرّزق والهم والغم والعجز والكسل، وفي كل أمر من أمور الدّنيا والآخرة.

وتكرار إياك للتوكيد وفصل كلاً من العبادة عن الاستعانة فقد نعبد الله، ولا نطلب منه الاستعانة أو نستعينه ولا نعبده، ولذلك لم يقل: إياك نعبد ونستعين كيلا تصبح العبادة مشروطة بالاستعانة أو الاستعانة مشروطة بالعبادة، وإياك نعبد تدل على حق الرّب، وإياك نستعين تدل على حق العبد.

وقوله: نعبد: لم يحدد نوع العبادة، بل أطلقها لتشمل كل أنواع العبادات. وقوله: نستعين: لم يحدّد نوع الاستعانة وأطلقها لتشمل كل أنواع الاستعانة المادية والمعنوية، الدنيوية والأخروية، وقرن العبادة بالاستعانة؛ لأن العبد يحتاج إلى الاستعانة بالله لكي يقوم بالعبادة، ولولا عون الله تعالى ما استطاع العبد أن يعمل شيئاً.

ولم يقل: إياك أعبد وإياك أستعين بصيغة الإفراد، وإنما جاءت بصيغة الجمع إشارة إلى أفضلية الدّعاء بصيغة الجمع بدلاً من الدّعاء أو الاستعانة بصيغة الإفراد أو صلاة الفرد، وقدّم العبادة على الاستعانة؛ لأنّ العبادة فرض وحق الله تعالى على العبد، والاستعانة ليست فرض وإنما طلب وحق للعبد فقدّم حق الله على حق العبد والعبادة هي الغاية الأولى لخلق الإنس والجن والاستعانة وسيلة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وملاحظة أخرى: مطلع الآيات في الفاتحة جاءت بصيغة الغائب، ثم تحولت إلى صيغة المخاطب بدءاً من قوله: إياك نعبد وإياك نستعين والسّر في

ذلك أَنَّ الشَّاءَ فِي حَالَةِ الْغِيَةِ أَوْلَى وَأَفْضَلُ وَالِدَعَاءُ فِي حَالَةِ الْحُضُورِ «المخاطب»
أولى وأفضل.

إياك نعبد تدل على الخضوع والتواضع فهي دواء للكبر، وإياك نستعين
دواء للضعف والعجز، واهدنا الصراط المستقيم دواء للجهل.

[٦] ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

﴿أَهْدِنَا﴾: دعاء يتكرر سبع عشرة مرة في اليوم في صلاة الفرض فقط فما
بالك أيضاً بصلاة السنة وغيرها من الصلوات؛ الهداية: تعني الدلالة والإرشاد
والتوفيق والإلهام وتعني أيضاً: وفقنا للاستقامة على الصراط المستقيم، وأقمنا
على ذلك، وتكرار هذا الدعاء يدل على أهمية المطلوب، ويدل على أن الإنسان
بحاجة إلى هداية ربه مهما بلغ من العلم والإيمان؛ لأنه ليس معصوم من الزلل.

واهدنا: بصيغة المخاطب أو الخطاب المباشر من العبد إلى ربه، والدعاء
بصيغة الخطاب أولى وأقوى من الدعاء بصيغة الغائب، واهدنا بصيغة الجمع
مقارنة بالقول اهدني الصراط المستقيم، والدعاء بصيغة الجمع أفضل من الدعاء
بصيغة الأفراد حيث ندعو للمؤمنين كما ندعو لأنفسنا.

﴿الصِّرَاطَ﴾: هو الطريق الواسع، أوسع الطرق أو السبل، المستقيم: الذي لا
عوج فيه وبذلك يكون الأقصر والأسهل وأسلم الطرق الموصلة إلى الغاية وهي
رضوان الله تعالى والجنة، فالصراط ليس هو الغاية وإنما هو الوسيلة الموصلة
للغاية.

والصراط: أفضل من السبيل أو الطريق، والصراط: في هذه الآية جاءت
معرفة بأل التعريف التي تدل على الكمال، وتعني: البين الواضح وفي الآية (٧)
في نفس السورة قال تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ جاءت كلمة صراط مضافة



ومعرفة بصراط الذين أنعمت عليهم، والصراط المستقيم: هو نفسه صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: أي: دين الإسلام الذي الحق الذين القيم الموصل إلى الغاية بأقصر السبل وأيسرها وأسلمها.

قال سبحانه: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ولم يقل: اهدنا إلى الصراط المستقيم أو اهدنا للصراط المستقيم.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: أي: هم على الصراط المستقيم الآن ويسألونه الهداية للسير فيه وتعريفهم عليه والثبات والاستقامة والاستمرار للوصول إلى النهاية والغاية.

أما اهدنا إلى الصراط المستقيم: تعني هم خارج الصراط الآن أو بعدين عنه، ولا يعرفونه ويسألونه لدلالة والمعرفة لكي يسلكوا الصراط المستقيم.

وأما اهدنا للصراط المستقيم: تعني هم وصلوا إلى النهاية والغاية أو أتموا السير على الصراط كالأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين الذين سبقونا.

[٧] ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾:

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: أي: اهدنا صراط الذين عرفوا الحق وعملوا به من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الذين أنعمت عليهم بالهداية والإيمان والاستقامة على الصراط المستقيم حتى وصلوا إلى الغاية والنهاية، وهي رضوان الله عليهم ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وأنعمت عليهم تشمل: الأولين والذين جاءوا من بعدهم؛ أي: صراط الذين أنعمت عليهم من الأولين والآخرين وأنعمت تحمل معنى كثرة: الذين أنعمت عليهم بمرور الزمن.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: غير تفيد المغايرة ذاتاً وصفة. المغضوب عليهم:

أهل المعصية من اليهود والمنافقين والمشركين والكافرين (كما قال الفخر الرازي).

ولم يقل: غير صراط المغضوب عليهم لكفرهم وإفسادهم في الأرض وصدّهم عن سبيل الله كثيراً ومنهم اليهود وغيرهم.

والمغضوب عليهم: جاء باسم المفعول بدلاً من اسم الفاعل غاضب؛ أي: (الغاضب عليهم)، ليجعل الجملة اسمية تدل على ثبوت كفرهم ودوامه والواقع عليهم من غضب الله من كل الجهات من الله ومن الملائكة ومن الناس أجمعين. وغضب الله يعني: الطرد والبعد عن رحمة الله ورضوانه.

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾: السواو عاطفة، لا: لتوكيد النفي وفصل كلاً من المغضوب عليهم عن الضالين أهل الجهل والنجس وغيرهم الذين زعموا أنّ المسيح ابن الله أو ثالث ثلاثة، والضالين: جمع ضال وتعني عن طريق الهدى والصراط المستقيم والضالين تشمل كل ضال في العقيدة والمنهج نتيجة فساد العلم والضالين جملة اسمية تدل على الثبوت واستمرار ضلالهم. ارجع إلى الآية (١٩٨) من سورة البقرة لمزيد من البيان في معنى الضالين.

وقدّم المغضوب عليهم على الضالين لأنّ المغضوب عليهم جاءوا قبل الضالين ولكونهم أشدّ ضلالاً وجراً وعقوبة؛ لأنّهم عرفوا الحق وعدلوا عنه، وأما الضالين جهلوا الحق ولم يعرفوه.





سُورَةُ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ
هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

سورة البقرة [الآيات ١-٥]

ترتيبها في القرآن السورة الثانية، وترتيبها في النزول (٨٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَمْ﴾:

بالنسبة للحروف المقطعة، في أوائل السور، يجب أن نعلم الحقائق التالية:
هناك (٢٩) سورة في القرآن، بدأت بهذه الحروف المقطعة، وسمّيت
مقطعة؛ لأن كل حرف ينطق بمفرده، مثل: ألف، لام، ميم، والحروف المقطعة
عددها (١٤) حرفاً، من حروف الهجاء الـ (٢٩).

هي: الألف، واللام، والميم، والصاد، والراء، والكاف، والهاء، والياء،
والعين، والطاء، والسين، والحاء، والقاف، والنون.

إذا نظرت إلى هذه الأربعة عشر حرفاً، وجدتها مشتملة على أنصاف
أجناس الحروف، يعني ذلك، فيها من المهموسة نصفها: الصاد، والكاف،
والهاء، والسين، والحاء، ومن المجهورة نصفها الألف، واللام، والميم، والراء،
والعين، والطاء، والقاف، والياء، والنون.

ومن الشديدة نصفها: الألف، والكاف، والطاء، والقاف، ومن الرخوة
نصفها: اللام، والميم، والراء، والصاد، والهاء، والعين، والسين، والياء،
والنون، ومن المطبقة؛ نصفها: الصاد، والطاء، ومن المنفتحة نصفها: الألف،



واللام، والميم، والراء، والكاف، والهاء، والعين، والسين، والحاء، والقاف، والياء، والنون.

ومن المستعلية نصفها: القاف، والصاد، والطاء، ومن المنخفضة نصفها: الألف، واللام، والميم، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والسين، والحاء، والنون، ومن حروف القلقلة نصفها: القاف، والطاء.

بعض هذه الحروف؛ وردت كآية، مثل: ﴿الْمَرْءُ﴾ [البقرة: ١]. وبعضها، ورد كجزء من آية، مثل ﴿الْمَرْءُ تِلْكَ أَيْتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١].

تجمع هذه الحروف الأربعة عشر جملة: نصٌ حكيمٌ قاطعٌ له سر، أو نصٌ حكيمٌ له سرٌ قاطع. وهذه السور الـ (٢٩)، بدأت إما بحرف، مثل: ن، ص، ق، وإما بحرفين: مثل: حم، يس، طس؛ وإما بثلاثة أحرف كما في سورة يونس وهود ويوسف وإبراهيم.

ومثل الم، (سورة البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، السجدة، لقمان). وإما بأربعة أحرف: المص (سورة الأعراف)، والممر (سورة الرعد). وإما بخمسة أحرف: كهيعص (سورة مريم)، حم، عسق (سورة الشورى). وتقرأ هذه الحروف بالوقف، فلا تقول: ألم، كما في ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، بل نقول: ألف لام ميم.

عجز المفسرون والعلماء في معرفة معناها، ولم يتطرق رسول الله ﷺ، ولا الصحابة الكرام إلى السؤال عن معناها، ولا يعلمها إلا الله وحده سبحانه. ونلاحظ أنه إذا بدأت بحرف أو حرفين، مثل: ق أو ص، جاء بعدها ذكر

القرآن؛ ﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾، ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾، وبحرفين مثل يس، طه: ﴿يَسَّ﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾، ﴿طه﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾، ﴿حَمَّ﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (كما في سورة الزخرف والدخان).

وإذا بدأت بثلاثة أحرف أو أكثر، يأتي بعدها ذكر الكتاب؛ أمثلة:

﴿الْمَ﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾.

المر (أربعة أحرف)، تلك آيات الكتاب، والذي أنزل إليك، ونلاحظ سبع سور، بدأت حم تلاها ذكر الكتاب، وأما سورة الشورى؛ حم عسق، لم يذكر بعدها الكتاب، ونلاحظ ذكرت كلمة (الكتاب) في (٢٠) سورة من (٢٩) سورة، التي ذكرت فيها الأحرف المقطعة. بينما ذكرت كلمة القرآن في (٦) سور، وفي سورتين ذكر (القرآن والكتاب) معاً في سورتَي الحجر، والنمل.

أما ما قيل بخصوص هذه الأحرف المتقطعة:

١ - إنها نزلت لإثبات عربية القرآن، وإن القرآن نزل بلغة العرب.

فالحروف: الم، ق، ص، وغيرها؛ هي حروف عربية، فهي نزلت لإثبات عربية القرآن.

٢ - قيل: هذه الحروف المقطعة؛ نزلت لتحدي العرب؛ فالقرآن يتألف من هذه الأحرف، التي تتعلمون بها، فأتوا بمثل هذا القرآن أو الآيات.

٣ - قيل: هذه الحروف، تثبت أن القرآن منزل من عند الله سبحانه، وليس من عند الرسول؛ فلو كانت من عند الرسول ﷺ، لفسرها لنا؛ إذ لا الرسول ﷺ ولا الصحابة، سألوا عن معناها.



٤ - هذه الحروف نزلت، ليتعبد الله سبحانه بها وحده، فهو أنزلها، ثم نقرؤها: ألف لام ميم، فثاب ٣٠ حسنة، فعبد الله سبحانه بها، وإن كنا لا ندري ما معناها، ولا الحكمة منها، فإننا نقول: سمعنا وأطعنا، ونؤمن بها، ونقول: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، ولا نقول: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾.

٥ - حروف استأثر الله سبحانه بعلمها، فهي من المتشابه، الذي لا يعلمه إلا الله ﷻ.

٦ - قيل هي حروف، لها دلالة على أسماء الله الحسنى، وصفاته.

٧ - حروف، أقسم الله تبارك وتعالى بها.

٨ - قد يكون لها علاقة بسمات التعبير في السور.

[٢] ﴿ذَلِكَ أَلْكِتَابٌ لَّارِبِّ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: ذا؛ اسم إشارة، واللام؛ للبعد، والكاف؛ للخطاب.

اسم إشارة؛ يُشير إلى بعد منزلة الكتاب، وعلو شأنه.

﴿ذَلِكَ أَلْكِتَابٌ﴾: أي: القرآن المكتوب في اللوح المحفوظ، والكتاب هو جزء من المكتوب في اللوح المحفوظ، ويسمى الكتاب؛ لكونه مكتوباً في السطور، وفي اللوح المحفوظ، والكتاب؛ يسمى القرآن؛ لكونه مقروءاً، ومن القراءة، ولكي يقرأ، يجب أن يكون قريباً، ولذلك نجد أنه يستعمل مع كلمة القرآن اسم الإشارة هذا؛ الذي يدل على القرب، في ١٥ آية في القرآن.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنُ﴾ [الأنعام: ١٩].

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ﴾ [يونس: ٣٧].

﴿ذَلِكَ أَنْ كَتَبَ﴾: جاء بـأل التعريف؛ للدلالة على الكمال؛ أي: الكتاب الكامل، التام. وقد تعني كلمة الكتاب: أحياناً التّوراة، والإنجيل، والزبور؛ أي: الكتب السماوية الأخرى، كقوله سبحانه: ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦].

وكلمة الكتاب؛ لها معانٍ أخرى، سنراها في آيات أخرى، وله أسماء كثيرة؛ منها: الفرقان، الروح، الذكر، النور، البرهان، موعظة وشفاء، بصائر.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا: النّافية للجنس، تنفي كل الأزمنة؛ الماضي والحاضر، والمستقبل، تنفي عن القرآن الريب، في الماضي، والحاضر، والمستقبل. والريب: مصدر راب، يريب، وجاءت نكرة، (ولم يقل الريب) لتشمل نفي كل أنواع الريب، والقليل، والكثير.

وتعريف الريب؛ هو الشك، مع التهمة، والشك؛ تعريفه هو تساوي طرفي النفي، والإثبات، والريب أعم من الشك، فالكفار، والمشركون، كانوا يشكون في القرآن، أنه منزل من عند الله.

وكانوا يتّهمون رسول الله ﷺ، بأنه افتراه، أو أنه إفك، وأساطير الأولين، اكتتبها، فهي تملأ عليه بكرة وأصيلاً.

وانتبه إلى تقديم كلمة الريب على كلمة فيه، للدلالة على التّوكيد، توكيد النفي، نفي الريب عن القرآن، وكذلك نفي الريب، عن سائر الكتب السماوية الأخرى، كونها منزلة من عند الله ﷻ.

﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾: أي: مصدر هداية، أو هو الهدى، والهادي للحق، والهادي إلى الصّراط المستقيم، والغاية، وهي السعادة، والكمال في الدارين.

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: اللام في المتقين، لام الاختصاص، والمتقين؛ جمع متق،



والمتقي اسم فاعل، من اتقى. والتقوى: هي طاعة أوامر الله وتجنب نواهيه التي تقي من النار. ومن سخطه وغضبه.

وكما هو هدى للمتقين، هو هدى للناس، وللمسلمين، وللمؤمنين، وللمحسنين، فهو هدى للجميع، والكل بحاجة إلى هذا، كما قال تعالى في سورة البقرة آية ١٨٥: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾، وفي سورة النحل آية ١٠٢: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ﴾.

وفي سورة النمل الآية (٢): ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وفي سورة لقمان الآية (٣): ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾.

وهل المتقون بحاجة إلى هداية؟

الجواب: نعم. كي يرتقوا لدرجة الإحسان، ومن بعدها لدرجة إسلام الوجه، كقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾: أي: ما جاء به، من أحكام، وتعاليم، وأوامر، ونواهٍ، وقصص، ومواعظ وأمثلة، ووعد، ووعيد، وحلال، وحرام كلها هدى للمتقين، ولهؤلاء المتقين ست صفات:

[٣] ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾:

الصفة الأولى؛ الإيمان بالغيب.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾: يصدقون ﴿بِالْغَيْبِ﴾، والباء للإلصاق، والمصاحبة، والتصديق يكون بالقلب، واللسان، والجوارح.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: جاء بصيغة المضارع؛ ليدل على التجدد، والتكرار، والاستمرار في إيمانهم.

وقمة الإيمان بالغيب؛ الإيمان بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وقدره؛ خيره، وشره.

﴿بِالْغَيْبِ﴾: الغيب؛ تعريفه: ما غاب عن العباد، واستتر؛ أي: ما غاب عن العيون، مثل الجنة، والنار، والملائكة، واليوم الآخر، وحياة البرزخ وعذاب القبر والبعث والحشر والحساب والموازين والصراط، وكل ما أخبر الله تعالى به رسله من علم الغيب.

وجمعه غيوب. والغيب نوعان: المطلق، وهو ما غاب عن كل العباد، والذي ينفرد به الله سبحانه، والغيب النسبي: هو الذي أطلع الله تعالى رسله عليه، والاكتشافات العلمية، لا يطلق عليها غيب.

﴿وَيُؤْمِنُونَ الصَّلَاةَ﴾: هذه؛ هي الصفة الثانية.

﴿وَيُؤْمِنُونَ﴾: الواو؛ عاطفة، ﴿الصَّلَاةَ﴾؛ أي: الصلوات الخمس، ﴿وَيُؤْمِنُونَ﴾ من أقام العود، إذا قومه، إذا أزال عوجه؛ أي: إتمام فعلها على الوجه المأمور به في القرآن والسنة.

والمحافظة على مواقيتها، ووضوئها، وأركانها، وسننها، وآدابها، وخشوعها، والدوام عليها، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾

[المعارج: ٢٣].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩].



والصلاة؛ اسم جنس لفعل (صَلَّى) الرباعي، والألف في الصلاة، منقلبة عن واو (صلوة)، وجمع صلاة صلوات.

وجيء بصيغة الفعل المضارع ﴿يُفِقُونَ﴾؛ للدلالة على التجدد، والاستمرار؛ خمس مرات في اليوم.

﴿وَمَارَقَهُمْ يُفِقُونَ﴾: هذه هي الصفة الثالثة ﴿يُفِقُونَ﴾، من أنفق على وزن أفعّل، والنفقة هي إخراج المال من المُلْك.

﴿وَمَا﴾: من ابتدائه ومن البعضية، وما اسم موصول، بمعنى الذي، (وما) أوسع شمولاً من الذي ﴿يُفِقُونَ﴾، من بعض أموالهم، ولم يبين في هذه الآية المقدار، أو أوجه الإنفاق.

﴿يُفِقُونَ﴾: تشمل: الصدقات، والزكاة، وسائر النفقات، الواجبة شرعاً، وجاء بصيغة المضارع؛ لتجدد، وتكرر الإنفاق، وفي آية أخرى، ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [التوبة: ٧١]، والفرق بين هاتين الآيتين: ﴿وَمَارَقَهُمْ يُفِقُونَ﴾: أوسع وأعم من آية الزكاة، ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾، فالزكاة تنطوي تحت مما رزقناهم ينفقون.

الرزق: هو كل ما ينتفع به، وليس حراماً ولا يكون الرزق إلا حلالاً، وقدم ﴿وَمَارَقَهُمْ﴾ على ﴿يُفِقُونَ﴾، تقديم المفعول على الفاعل للاهتمام والتوكيد على أنه من رزق الله والرزق لا يقتصر على المال، كما يظن البعض، بل يشمل العلم، والصحة، والأولاد، والطعام. وغيرها.

[٤] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو عاطفة، الذين: اسم موصول، وتكرار الذين للتوكيد وفصل كل صفة عن الأخرى.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون، و﴿يُؤْمِنُونَ﴾ من الإيمان؛ وهو التصديق الجازم، في القلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان، وما أقره الشرع.

﴿يَمَّا﴾: الباء للإلصاق، للاهتمام، والتعظيم؛ ما: اسم موصول، بمعنى الذي أنزل إليك؛ أي: القرآن الكريم. أو الوحي.

وآمن به؛ تصديق عقدي، إيمان عقيدة، مثل: الإيمان بالله، وبالملائكة، والكتب، والرسل، وآمن له: أي: صدقه سواء أكان قولاً أم عملاً. وتأتي في سياق التصديق بالرسول... .

الفرق بين أنزل ونزل:

١ - أنزل تعني: جملة واحدة، أو مرة واحدة. من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ونزل تعني: منجماً على دفعات خلال ٢٣ سنة.

٢ - أنزل إليك أو عليك منسوبة إلى الله ﷻ. بينما نزل إليك أو عليك قد تنسب إلى جبريل عليه السلام أيضاً.

٣ - أنزل أقل قوةً وتأكيذاً من نزل. أي: نزل تستخدم في مواطن الاهتمام والتوكيد والشدة، وأنزل تستخدم في سياق الأمور الأقل تأكيداً وشدة واهتماماً.

٤ - وأنزل تأتي في سياق العام، ونزل فيما هو خاص.

أما الفرق بين إليك وعليك: إليك تفيد معنى النهاية والغاية، وتأتي في سياق التبليغ أي: أنزل إليك لينتهي إلى الناس أي: يصل أو لتبلغه للناس.

عليك تفيد العلوية والمشقة وفي الشؤون الخاصة بالرسول أو العامة.

﴿وَمَا أَنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: وما اسم موصول، بمعنى الذي أنزل من قبلك، من الكتب السماوية، كالطوراة والإنجيل، والزبور.



وتكرار ما أنزل لفصل الإيمان بالقرآن عن الإيمان بالكتب السماوية الأخرى، فهناك من يؤمن بالقرآن، ولا يؤمن بالكتب الأخرى، أو يؤمن بالكتب الأخرى، ولا يؤمن بالقرآن، أو لا يؤمن بكلا النوعين: فمن صفات المتقين: الإيمان بالقرآن، والإيمان بالكتب الأخرى، مثل التوراة، والإنجيل، والزبور، فلا يؤمنون ببعض، ويكفرون ببعض.

﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: الباء للإلصاق، (والمصاحبة)، ﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾: سُمِّيت بالآخرة؛ لأنَّ الدُّنيا تسبقها، وتسمى بالأولى. أو العاجلة.

﴿هُمْ﴾ ضمير منفصل، يفيد التوكيد؛ أي: هم أهل اليقين حقاً وغيرهم أدنى درجة منهم.

﴿يُوقِنُونَ﴾: من اليقين؛ واليقين في اللغة يعني: التحقيق والثبات والطمأنينة، وفي الشرع يعني: العلم بالحق، الذي لا يتغير ولا يتبدل والمزيل للشك والرياء مصدق به في عالم الواقع ومصدق به بالقلب بحيث لا يحتاج إلى التفكير به من جديد ليناقدش أو يدرس، وله مراحل المرحلة الأولى علم اليقين والثانية عين اليقين والثالثة حق اليقين، ويوقنون جاءت بصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار، وقد ترد بصيغة اسم الفاعل الموقنون أو يرد بلفظ اليقين.

وفي هذه الآية؛ نرى تقديم الآخرة على هم، بدلاً من: وهم بالآخرة يوقنون؛ لأنَّ الإيمان بالآخرة؛ من أصعب الأمور، والتقديم للاهتمام، وللتوكيد، حتَّى يدرك الذين آمنوا أنَّ إيمانهم غير مقبول، حتَّى يؤمنوا بالآخرة، واليوم الآخر.

وفي سورة لقمان آية ٤: ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾؛ ولمعرفة الفرق، ارجع إلى سورة لقمان.

[٥] ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد، يشير إلى المتقين.

﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾: على تفيد الاستعلاء، والدلالة على ثباتهم، على الهدى، وتمكنهم منه.

﴿هُدًى﴾: نكرة؛ تشمل كل أنواع الهدى؛ أي: كأنهم ركبوا على مركب الهدى، واستقروا على ظهره، وثبتوا عليه، وهو يجري بهم ليلبغوا غايتهم. ففي سياق الهدى يستعمل على، وفي سياق الضلال تستعمل كلمة في ضلال مبين؛ لأن الضال هو ساقط في الضلالة، والمهتدي هو ثابت ومستعلٍ على طريق الهدى.

﴿أُولَئِكَ﴾: تكرار اسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾؛ يفيد التعظيم، ويشير إلى علو منزلتهم. والتوكيد.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل، يفيد التوكيد. أي: هم في أوائل المفلحين أو كأنهم هم وحدهم المفلحون حقاً.

﴿الْمُفْلِحُونَ﴾: جمع مفلح، ومفلح اسم فاعل، من الفعل (أفلح).

والفلاح؛ هو نيل الخير، والنفع الباقي أثره، وأصل الفلاح البقاء، والفوز، والظفر، وإدراك ما يتمناه العبد، وهو الفوز بالجنة، والنجاة من النار، ومشتقة من الفلح؛ بسكون اللام، وهو الشق والقطع، ومنها: فلاحه الأرض؛ أي: حرثها، وبذرها، كي تأتي بالخير الوافر. وقيل: الفلاح هو السلامة من المرهوب والظفر بالمرغوب فالمفلحون؛ هم: الفائزون بالجنة، والناجون من النار.

والمفلحون: جملة اسمية تفيد الثبوت أي: صفة الفلاح أصبحت صفة ثابتة عندهم.





الْبُيُوتِ الْأُولَى

سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْتُمُ الْكَاذِبُونَ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ﴿١٣﴾ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنُوا وَادْخُلُوا إِلَىٰ شِيعَتِنَا قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٥﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٧﴾

سورة البقرة [الآيات ٦ - ١٦]

[٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

بعد ذكر المتقين، وذكر بعض صفاتهم باختصار، يأتي على ذكر الذين، كفروا، وبعض صفاتهم، جزائهم في الآخرة.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: السائرون على درب الكفر.

والكفر في اللغة: هو الستر، وكفر ستر: أي ستر وجود الله، وستر نعم الله تعالى؛ أي: أنكر وجوده؛ أي: الجحود، ويعني: عدم التصديق بالله، وما أنزل. الكفر في الشرع: هو إنكار شيء، جاء به القرآن، أو النبي ﷺ، بطريق يقيني، قاطع.

أنواع الكفر:

١ - الكفر الجحودي: ومن أسبابه؛ الاستكبار، مثل: كفر فرعون، وإبليس، وغيرها.

٢ - الكفر الجهلي: ومن أسبابه الغفلة، والجهل.

٣ - الكفر الحكمي: كالكفر بوحداية الألوهية، أو الربوبية، أو الصفات، والأسماء. وبأركان الإيمان كالإيمان بالملائكة والرسل والكتب والنبين واليوم الآخر، أو تكذيب الغيب، كالجنة، والنار، والصراط، والميزان، أو الاستهزاء بالله، وآياته، ورسله، والدين.



والمكفرات ترجع إلى: مكفرات اعتقادية: كإنكار الخالق سبحانه، أو وحدانيته، وربوبيته، وصفاته، كاتخاذ الزوجة، والولد أو عجزه، أو عدم عدله، أو إنكار صفة له من صفاته، وإنكار الأنبياء، والرسول، ويوم القيامة، أو الكتب السماوية، أو القرآن، ولو آية فيه، والبعث، والحساب، والجنة والنار.

إنكار فرض من فروض الإسلام؛ صلاة، زكاة، صيام، حج، جهاد.
مكفرات قولية؛ كالاستهزاء بالدين، والعقائد، والأحكام، وسب الرسل عليهم السلام.

والشرك الأكبر؛ أن يُعبد مع الله إله آخر؛ ويعتبر ذلك من الكفر.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾: أي: استوى عندهم الإنذار، أو عدمه؛ أي: لم يعد هناك فائدة من إنذارهم، أو عدم إنذارهم، فهم لن يؤمنوا. ولمقارنة سواء عليهم وقوله تعالى وسواء عليهم بزيادة الواو؛ ارجع إلى سورة ياسين آية (١٠) للبيان.

﴿أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾: الإنذار؛ هو الإعلام، المصحوب بالتحذير، والتخويف.

﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾: الهمزة همزة تسوية. أي: استوى أو تساوى عندهم الإنذار أو عدمه.

﴿أَمْ﴾: المتصلة للإضراب الانتقالي، وتفيد الاستفهام، المصحوب بالإنكار، والتوبيخ.

﴿لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾: لم؛ حرف نفي، يفيد استمرار النفي؛ أي: سيستمرون على كفرهم.

﴿لَا﴾: النَّافِيَةُ؛ تنفي كل الأزمنة، نفي الإطلاق، والعموم، تنفي الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يصدقون بالله، وبما أنزل، ويتكرر، ويتجدد عدم إيمانهم، ويستمررون عليه.

[٧] ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: الختم؛ يعني: السد، والإغلاق، والخاتم هو ما سُدَّ به، وأغلق به، والختم على القلب؛ يعني: بأن لا يدخله أي إيمان، ولا يخرج منه أي كفر.

وشبه القلب، هنا؛ بالوعاء، يمكن سده وإغلاقه، فلا يدخله نور الإيمان، ولا يخرج منها كفر، فقلوبهم كالأوعية، التي أبت عن الحق، واستمرت على ذلك، فختم عليها.

وأسند الختم إلى ذاته تعالى على قلوب هؤلاء الكفرة بعد أن تمادوا في كفرهم وبلغوا أقصى غاياته وابتعدوا عن الحق، فلم يعد ينفعهم الإنذار أو عدمه. فهم الذين ختموا على قلوبهم، وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم بأنفسهم، وهم الذين اختاروا ذلك على الإيمان، فتركهم الله سبحانه؛ لما اختاروا، وتخلّى عنهم.

والطبع أشد من الختم، وأقوى، وأشمل، ولا يفك أبداً، والذي يطبع على قلبه، يُفقد الأمل منه في غالب الأحوال، إلا من رحم الله، وأما الذي يختم على قلبه، فقد يختم على قلبه، ولا يختم على سمعه، وبصره، فقد يكون هناك طريق أمل في عودته إلى الإيمان.



وقدّم القلوب على السمع؛ لأنّ السياق في الآيات، يتحدث عن القلوب المريضة ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾.

﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾: الختم على السمع؛ يعني: تعطلت عندهم حاسة السمع، عن سماع الحق، وما ينفعهم لآخرتهم، فهم لا يستمعون لأي آية، ولا لأي موعظة، أو إنذار، رغم أنهم يسمعون الكلام العادي، وأذانهم ليس بها مرض عضوي، هم الذين اختاروا أن يسدّوا أذانهم، وختموا عليها، فأذن الله تعالى لهم ذلك.

﴿وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾: الغشاوة؛ هي الغطاء، والستر، وأبصارهم جمع بصر، والبصر؛ يشمل العين، والبصيرة.

والبصيرة: منطقة بالدماغ، هي التي تدرك، وتفكر، وتقوم بالرؤية القلبية، ﴿وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾؛ جملة اسمية، تفيد الدوام، والثبات؛ أي: على أبصارهم غشاوة منذ البداية؛ فهم لم يسبق أن أبصروا (من البصيرة).

بينما قوله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣]، جملة فعلية، تدل على التجدد، والتكرار، فهذا كان مبصراً قبل تردي حاله.

وإذا قارنا آيات سورة البقرة: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؛ بآيات سورة الجاثية (٢٣)، ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾.

نجد أن آيات البقرة؛ جاءت في سياق من هم أشدّ كفراً وضلالاً؛ من الكفار المذكورين في آيات سورة الجاثية.

وقدّم القلوب في آية البقرة؛ لأنّ السياق في الحديث عن القلوب المريضة، والختم على القلب؛ أهم من الختم على السمع والبصر.

وأما في الجاثية؛ فالسياق في السمع لقوله: ﴿وَيَلْ لَّكُلِّ أَفَّاكِ أَثِيرٍ ۖ﴾ (٧) يَسْمَعُ أَيْدٍ
اللَّهُ تَنَلَى عَلَيْهِ ۖ.

﴿وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غَشْوَةٌ﴾: تمنع وصول الضوء؛ أي: نور الإيمان، والنظر في
آيات الله تعالى، وما أنزل، نظرة تبصر، واتعاض.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: ولهم: اللام لام الاستحقاق، والاختصاص
العذاب العظيم، هو أشد أنواع العذاب على الإطلاق، مقارنة بكل أنواع العذاب،
فهو يشمل الأليم، والمبين والشديد، والمقيم.

وتكرار كلمة ﴿عَلَىٰ﴾ ثلاث مرات: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، و﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾،
و﴿وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ﴾، يفيد التوكيد، وكذلك لفصل واستقلال كل أداة عن الأخرى،
فالختم قد يحدث لواحدة منها، أو أكثر، وهنا الختم أصاب الكل؛ القلب،
والسمع، والأبصار.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ﴾: أفرد السمع، وجمع البصر،
ولم يقل: ختم على أسماعهم، إنما قال: سمعهم.

لأنَّ السمع؛ مصدر جنسي، لا يجمع، ولكن الأذن، تجمع بأذان، آلة السمع.
ولأنَّ أسماعهم تسمع نفس الآيات، والأنباء، وما يخبرهم به رسول الله ﷺ
فالذي يسمعونه، هو نفس الكلام، والذي يختلف هو أبصارهم، وقلوبهم، فكل
فرد يرى، ويبصر، ويفكر، بطريقته الخاصة. ولمعرفة سبب تقديم السمع على
البصر، ولمزيد من البيان، راجع سورة هود آية (٢٠)، وسورة الملك (تبارك) آية
(٢٣).



[٨] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾:

وهؤلاء هم الصنف الثالث من الناس، وهم المنافقون، وصف الله حالهم في ثلاث عشرة آية:

﴿وَمِنَ﴾: الواو عاطفة.

﴿مِنَ﴾: اسم موصول تستعمل للعقلاء، وتشمل المفرد والمثنى والجمع.

﴿النَّاسِ﴾: وكلمة الناس تعني بني آدم، ولمعرفة كيف اشتقت كلمة الناس ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة.

﴿مَن يَقُولُ﴾: من: كالسابقة؛ يقول: مضارع يدل على التجدد والاستمرار، الباء: للإلصاق والتوكيد.

﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمَ الْآخِرِ﴾: أي: من الذين ﴿قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١] أو ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١].

آمنا أي: صدقنا بالله رباً وباليوم الآخر، ويتظاهر بالإيمان ويبطن الكفر. فالإيمان بالله تعالى يعني اليقين بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه الإله الحق الذي يستحق وحده العبادة.

الإيمان الذي يتضمن توحيد الربوبية والإلهية، وتوحيد الصفات والأسماء.

والإيمان باليوم الآخر: أي يوم القيامة، وسمي بذلك؛ لأنه لا يوم بعده، وله أسماء أخرى كثيرة: يوم الدين، يوم الحساب... ويعني الآخرة، أو الدار الآخرة، والجنة والنار.



وإذا قارنا هذه الآيات:

١ - آية التوبة رقم (٩٩): ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.
فهذه جاءت في سياق المؤمن.

٢ - وآية البقرة رقم (٢٦٤): ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. جاءت في سياق الكافر.

٣ - وآية البقرة رقم (٨): ﴿مَنْ يَقُولْ أَمْنًا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ جاءت في سياق المنافق، وبزيادة الباء (وباليوم الآخر) التي تفيد في تأكيد نفي تهم النفاق عن نفسه.

نرى أن الكافر المعلن كفره أو شركه، كما في الآية (٢٦٤) من سورة البقرة، فرغم كونه كافراً ملحداً، لكنه أصدق من المنافق الذي يدعي الإيمان، كما في الآية (٨) من سورة البقرة.

﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾: الواو حالية. وما النافية تنفي الحال وأقوى في النفي من ليس.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل يفيد التوكيد.

﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: الباء تفيد توكيد نفي الإيمان عنهم بكونهم غير مؤمنين.

[٩] ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾: ولم يقل: يخدعون، بل يخادعون؛ أي: بقصد، ونية، وتكرار، وجهد.

والمخادعة: مفاعلة، لا بد من طرفين، يخدع أحدهما الآخر.

والخداع؛ هو أن يظهر الطرف الأول للثاني خلاف ما هي الحقيقة، أو يستر



عنه وجه الصواب، كي يجلب لنفسه منفعة، أو يدفع عنها مضرة، والخداع نوع من الحيلة والمكر، ويعتمد على الذكاء فقد يفشل أحياناً، وسميت خديعة؛ لأنها تدبير في الخفاء، واشتقت من خدع الضب؛ أي: توارى في جحره.

﴿يُخَادِعُونَ﴾: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على تجدد، وتكرار خداعهم، ولم يتوقف، ومستمر.

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: كيف يخادعون الله تعالى، وهو خالقهم؟! نقول: هم في الحقيقة، يخادعون الرسول ﷺ، والذين آمنوا، فنسب خداع المنافقين للرسول ﷺ، كأنه خداع لله سبحانه للنتيجه؛ أولاً، على علو منزلة رسول الله ﷺ ومن يخادع النبي ﷺ، كأنه يخادع الله سبحانه، إضافة إلى كونهم يخادعون الذين آمنوا.

﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾: وما؛ الواو حالية، تفيد التوكيد، ما: النافية للحال.

﴿إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾: إلا أداة حصر؛ أي: ذواتهم.

﴿وَمَا﴾: وما: ما النافية للحال.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: يشعرون: من الشعور وهو العلم الكامل الخفي أن عاقبة، أو وبال خداعهم عائد عليهم، وأنهم لن يحققوا لأنفسهم إلا الخسران المبين.

[١٠] ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾:

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾: مرض نكرة، والمرض عام قد يصيب البدن، أو يصيب النفس، وفي هذه الآية قيل: هو مرض الشك، والنفاق، والتكذيب، والجحود، والريية، وقيل: هو الحسد، والحقد، وغيره من الأمراض النفسية، وقد يكون كل ذلك.

﴿ فِي ﴾: الظرفية، منتشر داخل قلوبهم، من الصعب استئصاله.
 ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾: الفاء؛ للتوكيد.
 ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾: زادهم الله شكاً، ونفاقاً، وكذباً، وريبةً، وجحوداً،
 أو كل أنواع المرض.

﴿وَلَهُمْ﴾: الواو عاطفة، واللام للاختصاص، والاستحقاق.
 ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: شديد الإيلام، لا يستطيع على مقاومته أحد، أليم في
 الكمية والنوعية.

﴿بِمَا﴾: الباء للتعليل، أو باء العوض، أو السببية.
 ﴿كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: الكذب: عدم الصدق، وله أنواع: الإفك والبهتان
 والافتراء... وغيرها، ولم يقل: بما كذبوا؛ بل ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: بصيغة
 المضارع؛ لتدل على حكاية الحال أي: استعمل صيغة المضارع للدلالة على
 بشاعة كذبهم، وكأنه يحدث الآن بدلاً من الماضي.

[١١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية؛ للمستقبل. وتتضمن معنى الشرط.
 ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: للمناققين؛ ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾؛ مبني للمجهول؛ لأن القائل هنا؛ لا
 بهم، وإنما المقولة هي المهم.

﴿لَا﴾: الناهية. ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾: الفساد ضد الإصلاح، وهو
 الخروج عن حد الاعتدال والاستقامة، وأفسد الشيء غيره إلى أسوأ.

واصطلاحاً: هو انفلات الفرد، أو المجتمع عن ضوابط الشرع؛ أي: عن
 منهج الله تعالى، بإهلاك الحرث، والنسل، والسرقة، وقطع الطريق، ونشر الكفر،



والشرك، والبدع، والفتن، والشبهات؛ ارجع إلى الآية (٢٥١) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿قَالُوا إِنَّمَا﴾: للحصر.

﴿نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾: أي: ادعوا لأنفسهم الإصلاح، أو أن وظيفة الإصلاح، لا يقوم بها إلا هم، أو يظنون، ما يقومون به على الأرض، من الفساد، هو الإصلاح بعينه.

[١٢] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿أَلَا﴾: للتنبيه.

﴿إِنَّهُمْ﴾: إن للتوكيد.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل، يدل على المبالغة؛ أي: قصر الفساد عليهم مبالغة؛ أي: هم أولى يطلق عليهم هذا الاسم من غيرهم.

﴿الْمُفْسِدُونَ﴾: جملة اسمية، تفيد الثبوت، ثبوت صفة الفساد لهم، في الأرض.

﴿وَلَكِنْ﴾: حرف إدراك، وتوكيد.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾: يشعرون: ارجع إلى الآية (٩) من نفس السورة؛ نفى عنهم الشعور، والإحساس بالفساد؛ لأن حواسهم معطلة.

[١٣] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية، للمستقبل.

﴿قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾: قيل لهم: القائل هذا؛ مبني للمجهول، ولا يهم من هو! المهم هنا، هي المقولة.

﴿ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾: أي: إذا دعوا إلى الإيمان، أو دعا بعضهم بعضاً إلى الإيمان، أنكروا دعوة الداعي، طاعنين في إيمان أصحاب محمد ﷺ. الناس. راجع الآية (٢١) من نفس السورة لبيان معنى الناس.

﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ﴾: الهمزة استفهام إنكاري.

﴿كَمَا ءَامَنَ﴾: الكاف للتشبيه.

﴿السُّفَهَاءُ﴾: كان المنافقون يصفون أصحاب محمد ﷺ بالسفهاء؛ لكونهم فقراء، ولا يملكون شيئاً.

والسفه: يعني: الاضطراب، والخفة في العقل، وضعف الرأي.

﴿أَلَا﴾: للتنبيه.

﴿وَأَنَّهُمْ﴾: إن: للتوكيد.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل، يدل على المبالغة؛ أي: إذا كان هناك سفهاء، فهم السفهاء حقاً، وضعاف العقل، أو الجهال الخرقى.

﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: بأنهم هم السفهاء.

ما هو الفرق بين: ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؟

الآية (١٢) ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ وردت في سياق الفساد في الأرض، والفساد أمر ظاهر، وليس خفياً، وكان المفروض أن يشعروا بعنادهم وفسادهم، ولكنهم لم يشعروا، فقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

الآية (١٣) ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: وردت في سياق الإيمان، وهو عمل قلبي،



ومن الأمور الباطنة؛ يحتاج إلى علم، وليس إلى شعور علم بما يجري في قلوبهم ولا يقدر على ذلك إلا العليم الخبير.

[١٤] ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية، للمستقبل، ﴿لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: لقوا، واللقاء، والملاقاة؛ المواجهة وجهاً لوجه؛ أي: التقى المنافقون بالمؤمنين، وجهاً لوجه. ﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾: ولم يقولوا: إنا مؤمنون؛ أي: أعلنوا ثبات إيمانهم، وإنما تظاهروا بالإيمان.

﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾: جملة فعلية، تدل على التجدد، والتكرار، وليس الثبات، كما هو الحال في، ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢].

﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾: انصرفوا أو انفردوا، وخلا؛ بمعنى مضى، وذهب، وخلا به، وإليه، أو معه: سأله أن يجتمع به في خلوة.

﴿إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾: أي: إلى رؤسائهم، وإخوانهم وكبرائهم، في الكفر والفساد.

وشياطين؛ جمع شيطان: من شطن، إذا بُعد عن الحق، والشايطن؛ الخبيث. وتعريف الشيطان: هو كل عات، متمرد، من الجن والإنس.

كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾: على دينكم، أو معكم، على النصرة، والولاية، و﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾: جملة اسمية؛ تدل على الثبوت، والدوام، على كونهم إخوان الشياطين.

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾: إنما: كافة مكفوفة، تفيد التوكيد.
 ﴿نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾: جمع مستهزئ: والاستهزاء عام، يكون في الأشخاص،
 وغير الأشخاص.

والاستهزاء: الاستخفاف، والخفة، وتصغير قدر الشخص، أو الشيء كما
 أنَّ الاستهزاء؛ غير السخرية. ارجع إلى سورة الزمر آية (٤٨) للبيان.

[١٥] ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾:

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: هذا؛ من علم الغيب.

وقد يكون المراد به؛ يجازيهم على استهزائهم، فقول اللفظ بمثله لفظاً،
 وإن خالفه في المعنى.

﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾: من المد، وأكثر ما يستعمل المد في المكروه، والإمداد في
 المحبوب.

والمد بمعنى الإمهال، يقال: مدّه في غيه أمهله.

ويقال: مدّ الجيش، وأمدّه؛ أي: زوده بالعدد والعدة ما يقويه.

إذن، يمدّهم؛ له معان عدة:

١ - يمهّلهم؛ ليزدادوا إثماً، أو يُملّي لهم.

٢ - يزيدهم في طغيانهم بأن يفتح لهم أبواب كل شيء.

﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: الطغيان؛ مجاوزة الحد في ضلالهم، وكفرهم، وظلمهم،
 وفسادهم، وكبرهم، وعصيانهم، من طغا الماء؛ أي: ارتفع.

فهو لا يكتفي بكفره، بل يتجاوز الحد، ويطلب ممن آمن أن يرتد عن



إيمانه، أو يمنع غيره، من الدخول، في الإسلام، أو يحاربون الدين، واستعمال (في) الظرفية؛ تدل على كونهم منغمسين، في ضلالهم، وكفرهم، من قبل، ومع ذلك؛ يزداد الانغماس.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحIRON، ويترددون، يعمون عن الرشد أو الحق، مما يؤدي بهم، إلى الخطأ في الرأي يتحIRON، ويترددون، بين إظهار الكفر، وإخفاء الكفر، أو بين ترك الكفر، أو البقاء عليه.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: من عَمِهَ: إذا تردّد، وتحير، والعمه؛ يكون في البصيرة، والعمى يكون في البصر، أو العين، فهم الذين، اختاروا العمه، عمى البصيرة، والحيرة، والتردد.

[١٦] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَّحَتْ بِحَدِّثُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: ﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلى البعد ويشير إلى المفسدين، السفهاء، الذين لا يشعرون، ولا يعلمون، وكذلك إلى المستهزئين.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول، يفيد الذم.

﴿اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾: اشتروا الضلالة؛ اسم مرة ضلالة واحدة، والضلال اسم جنس يشمل الضلالات كلها، ويعني: عدم تبين الحق والهدى والإيمان؛ أي: بدلاً من أن يشتروا الهداية، أو الهدى الضلالة، وإذا قارنا هذه الآية بالآية (٢٠٧) من نفس السورة وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ نجد أن شرى تعني بيع، واشترى بمعنى الشراء، وهو دفع الثمن مقابل السلعة.

اشتروا الضلالة: قد تكون الكفر، أو النفاق والشك، أو الجهل؛ اشتروا الضلالة فكيف دفعوا ثمنها؟ دفعوا ثمنها، بما عندهم، من الفطرة الإيمانية، فكل

ما عندهم، من فطرة إيمانية، أو إيمان، اشتروا به ضلالة واحدة، فهذا يدل على أن إيمانهم ضعيف جداً.

وماذا كانت النتيجة:

﴿فَمَارِجَتْ بَحْرُهُمْ﴾: أي: هم لم يربحوا أي شيء، بل خسروا رأس المال أيضاً.

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: ما النافية. ﴿كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: أي: لا يعرفون كيف يتاجرون، لكسب الآخرة والنجاة من النار فليس عندهم علم، أو هدى، أو خبرة بالتجارة؛ لذلك فهم، قد خسروا كل شيء.





سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢

الْبَقَرَةِ

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ
ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾
بُكُمْ عُمْى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ
ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ
حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّا اللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا
فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا
النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

سورة البقرة [الآيات ١٧-٢٤]

[١٧] ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾:

﴿مَثَلُهُمْ﴾: بعد أن ذكر صفاتهم، أعقبها بضرب مثلهم لنا، زيادة في البيان. المثل هو النظير، والشبيه، الذي يقرب، ويسهل لنا فهم المعنى، ويعطينا الحكمة، و﴿مَثَلُهُمْ﴾، تعود على ﴿الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَّحَتْ بِحَدْرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾، وهم المنافقون.

مثلهم: ﴿كَمَثَلِ﴾: الكاف للتشبيه.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول.

﴿اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾: ولم يقل: أوقد ناراً؛ أي: بنفسه، وإنما استوقد، أي طلب؛ الألف، والسين، والتاء؛ تعني الطلب من غيره، أن يوقد له ناراً، أو حاول أن يوقد ناراً.

استوقد أبلغ من أوقد، وقد تعود على المنافق، أو تعود على رسول الله ﷺ. ﴿نَارًا﴾: تنكير النار هنا للتهويل، وكان العرب قديماً، يوقدون النار في الصحراء؛ لأمرين: لهداية الضال، ودعوة الأضياف.

أو يوقدها حتى يبصر ما حوله، ويستدفع بها، ويشعر بالأمن، من الحيوانات الضارية، ومن اللصوص.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء؛ للتوكيد، لما: ظرف زمني، بمعنى حين.



﴿أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾: الإضاءة أو الضوء: كل إضاءة صادرة عن مصدر مشتل بحد ذاته أي: مضيء كالشمس والنجوم والنار المشتعلة، وهذا الضوء إذا وقع على جسم معتم كالقمر أو العين انعكس وسمي نوراً، فالضوء يمتاز بنور + حرارة (دفع).

والضوء: هو فرط الإنارة، والضوء حالة من حالات النور، والنور أعم من الضوء، وأشمل، وأوسع، والضياء أقوى من النور، أضاءت ما حوله، من المكان، أو انتفع بها، وأبصر بها، أي: بالنار، وإذا ذهب النور ذهب الضياء أيضاً، وأما إذا ذهب الضياء فلا يعني ذهاب النور كاملاً.

﴿ذَهَبَ اللَّهُ نُّورَهُمْ﴾: نور المنافقين؛ أي: حين أطفئت النار، وأصبح في ظلام دامس، هو ومن حوله، لا يبصرون، وكذلك حال المنافقين، ولم يقل: ذهب بضوئهم؛ فذلك يعني لا يزال هناك نور للمنافقين، ينتفعون به، فلكي ينفي عنهم كل أنواع الهداية قال تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ نُّورَهُمْ﴾؛ أي: لم يبق لهم أمل بالعودة، إلى دين الله، وإذا كان الذي استوقد، هو رسول الله ﷺ، فالمثل؛ يعني: أنه رسول الله ﷺ، جاء بالإسلام، وشع نور الإسلام، ورفض هؤلاء المنافقون، الانتفاع بالنور الذي جاء به رسول الله وعادوا إلى ظلمات الكفر والفسق.

﴿ذَهَبَ اللَّهُ نُّورَهُمْ﴾ ولم يقل: أذهب عنهم النور، ذهب؛ تعني: عدم العودة؛ ذهاب من دون رجعة، أما أذهب؛ فقد تعني: زوال، أو غير زوال، وتحتل عودة النور.

﴿وَرَكَّبَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾: جمع ظلمة، ظلمات عديدة، متراكمة، ظلمات الكفر، والجهل، والشرك، والمعاصي، والنفاق. ارجع إلى الآية (٢٥٧) من نفس السورة لمزيد من البيان في معنى النور والظلمات، ولماذا أفرد النور وجمع الظلمات.

﴿لَا﴾: النَّافِيَةُ؛ لكل الأزمنة.

﴿يُبْصِرُونَ﴾: الإبصار: درك الشيء بالعين، أو رؤية الشيء بالعين؛ أي: نور، أو ضوء، يمكن أن يخرجهم من الظلمات إلى الإيمان بالله، ووحدانيته. مرة أخرى، ويختلف النظر؛ النظر: هو مجرد توجه العين أو الالتفات إلى الشيء بدون رؤيته، وإذا رآته يعني تحول إلى بصر.

[١٨] ﴿صُمُّ بَنُكُمُ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾:

﴿صُمُّ﴾: أي: لا يستطيعون السمع، وبكم؛ لا يستطيعون النطق والكلام، عُمَى لا يبصرون، أو يفهمون، عُمَى البصيرة.

﴿صُمُّ بَنُكُمُ عُمَىٰ﴾: في آن واحد؛ أي: يتصفون بهذه الصفات الثلاث معاً؛ أي: تعطلت عندهم هذه الحواس؛ لأنهم في ظلمات، لا يبصرون؛ أي: هم كالصم، البكم، العمي، تشبيه بليغ، فأذأنهم صم، فهي لا تستمع إلى آية، أو موعظة، أو إنذار، أو وعيد، وألسنتهم لا تنطق بالحق، وهم عمى الأبصار، لا يبصرون طريق الهدى.

وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٩٧) من سورة الإسراء: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾، أو الآية (٣٩) في سورة الأنعام وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُتُّوا وَبُكْمًا فِي الظُّلُمَاتِ﴾.

نجد أنه أضاف الواو في آية سورة الإسراء؛ الذي يدل على أن هذه الآية، تحدث عن ٣ فئات مختلفة، من الناس: فئة تحشر عُمِيَائًا، وفئة تحشر بكمًا، وفئة تحشر صُمًّا.



أما آية سورة البقرة؛ فتحدث عن فئة واحدة، اتصفت بثلاث صفات معاً، وفي آن واحد.

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: الفاء؛ تدل على التوكيد، هم: تفيد زيادة التوكيد، لا: النافية؛ لكل الأزمنة.

﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾: عن ضلالتهم، أو عن كفرهم، إلى الإيمان.

وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٧١) من سورة البقرة، ومثل الذين كفروا، كمثل الذي ينعق بما لا يسمع، إلاّ دعاءً ونداءً، صمّ، بكمّ، عمي، فهم لا يعقلون، نجد أن الآية (١٨)، جاءت في سياق الهداية، والضلال، فهم لا يرجعون عن ضلالتهم، أو كفرهم، إلى الإيمان.

أما الآية (١٧١)، فقد جاءت في سياق التقليد، تقليد الآباء، الذين وصفهم بأنهم لا يعقلون، في الآية (١٧٠)، والذين قلدوهم من أبنائهم، أو غيرهم، هم كذلك؛ صمّ بكمّ عمي، فهم لا يعقلون، لا يفكرون ويعقلون من عقل الشيء أي: عرفه بدليله وفهمه حتى يصل إلى حكم أو نتيجة أن الله هو الإله الحق.

[١٩] ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْدِعُهمْ فِيءًا وَإِذَا هُم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾:

﴿أو﴾: لها معانٍ عدّة؛ منها:

١ - للتخيير بين المثل الأول، كالذي استوقد ناراً، أو المثل الثاني، كصيّب من السماء.

٢ - للتقسيم: أي: بعضهم يشبه الذي استوقد ناراً، وبعضهم يشبه أصحاب الصيب، أو مثلهم كأحد هذين المثلين.



٣ - أو تعني بل؛ أي: بل مثلهم، كمثل صيب من السماء.

﴿كَصِيبٍ﴾: الكاف للتشبيه، صَيْبٌ: هو المطر الغزير، من صاب، يصبوب، إذا نزل وانحدر بشدة.

﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: من ابتدائية. ﴿السَّمَاءِ﴾: النازل من السحب الركامية وسميت سماء؛ لأن تعريف السماء هو كل ما علاك يسمى سماءً. ﴿فِيهِ ظُلُمْتُ﴾: جمع ظلمة، ناتجة عن تكاثف السحب، وحجبها لضوء الشمس.

﴿وَرَعْدٌ﴾: هو صوت لانفجار ناتج عن تمدد الغلاف الغازي في منطقة التفريغ الكهربائي بين السحب المختلفة الشحنات الكهربائية، فتحدث أصوات مدوية رهيبة نتيجة تغيرات في الضغط الجوي والتمدد ودرجات الحرارة.

﴿وَبَرْقٌ﴾: الذي ينشأ عن اصطدام السحب، الركامية، المشحونة بالطاقة الكهربائية، فعندما تقترب من بعضها، يحدث التفريغ الكهربائي بينها؛ مما يؤدي إلى البرق، وتختلف شدة هذه الشحن الكهربائية، بحسب أحجام تلك السحب الركامية، وقد تتلاحق هذه التفريغات، حتى تصل إلى ٤٠ تفريغاً بالدقيقة؛ ما يؤدي بالناظر إليها بالعمى المؤقت، وهذا تفسير ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ [النور: ٤٣].

﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾: أي: أصحاب الصيب، أو من ينزل عليهم هذا الصيب، المطر، المنهمر، يضعون أصابعهم في آذانهم؛ أي: جميع أصابعهم، أو عدة أصابع في آذانهم، وهل يستطيع الإنسان أن يدخل أصابعه، ولا حتى إصبع واحد، أو حتى أنملة واحدة، نتيجة شدة الرعد والبرق، وهذا كناية



عن كرههم لسماع آيات الله، وخوفهم، وفزعهم من تسرب، ولو كلمة واحدة إلى آذانهم.

﴿مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾: أي: من شدة صوت الرعد، أو الزلزلة، أو النار المحرقة.

﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾: خوفاً من الموت.

﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾: محيطاً بعلمه، وقدرته بالكافرين، فلا يفوته أحد، ولا يخفى عليه ما يفعلون. وقيل: إن الصيب هو القرآن أو دين الإسلام، الذي تحيا به القلوب، كما تحيا الأرض بالمطر، الذي ينزل كالغيث أما المنافقون؛ حين نزل عليهم هذا القرآن، والدين، فقد جعلوا أصابعهم في آذانهم، من خوفهم، وفزعهم، وظنوا أن الإسلام فيه ظلمات، ورعد، وبرق، سيخطف أبصارهم ويهلكهم.

وكان المنافقون؛ إذا حضروا مجلس النبي ﷺ، أعرضوا، وخافوا أن ينزل فيهم شيء من القرآن، ينبئهم بما في قلوبهم، فيقتلوا أو يكشف الله أمرهم.

[٢٠] ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

سبب النزول:

عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما، وغيرهما، في نزول هذه الآية؛ قالوا: كان رجلا من المنافقين من أهل المدينة، هربا من رسول الله ﷺ إلى المشركين، فأصابهما هذا المطر، الذي ذكر الله، فيه رعد شديد، وصواعق، وبرق، فكان كلما أضاءت لهما الصواعق، جعلاً أصابعهما في آذانهما من الفرق (الخوف)، أن تدخل الصواعق في مسامعهما، فتقتلهما، وإذا لمع البرق مشوا في ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصرا، وقاما مكانهما لا يمشيان، فجعلوا يقولان: ليتنا قد

أصبحنا، فنأتي محمداً، فنضع أيدينا في يده، فأصبحنا، فأتياه، فأسلما ووضعنا أيديهما في يده، وحسن إسلامهما.

﴿يَكَادُ﴾: من أفعال المقارنة.

﴿الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ﴾: أي: يكاد نور القرآن، أو ما نزل عليهم من ربهم، يخطف أبصارهم، من شدة نوره، كما أن البرق يخطف بصر الناظر إليه.

﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَافٍ﴾: كلما؛ ظرفية، زمانية، متضمنة معنى الشرط؛ أي: إذا كان القرآن، أو الدِّين موافقاً لهواهم، ولا يذكرهم بسوء، ويعطيهم، من الغنائم، ولم يفتنوا، ويعصهم من القتل، مشوا فيه، استمروا على إسلامهم.

﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾: وإذا لم يوافق هواهم، وطلب منهم الإنفاق في سبيل الله، والجهاد، أو أصابهم مرض، أو فقر، أو مخمصة في سبيل الله، وقفوا، وضعف إيمانهم، وقالوا: هذا كله بسبب دين محمد، كالذي يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير، اطمأن به، وإن أصابته فتنة، انقلب على وجهه، فخرس الدُّنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾: لو؛ حرف امتناع لامتناع.

﴿لَذَهَبَ﴾: اللام؛ لام التأكيد.

﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾: أي: أزالها بلا عودة، بالرعد والبرق، والصواعق، أو أزالها، أو طمسها من دون سبب، أو عطلها، أو محاهها، أو بدلها، أو شوهها، والباء؛ ﴿بِسَمْعِهِمْ﴾: للإلصاق، ولكنه سبحانه لم يشأ، وأبقى لهم ذلك، لتكون عليهم حجة، وتشهد عليهم يوم القيامة، بما كانوا يعملون، أو لعلمهم يتوبون، ويعودون على رشدهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: إن للتوكيد.



﴿الله﴾: اسم الله الأعظم، الذي تفرد به، واختصه لنفسه. راجع الآية (٢٥٥) من هذه السورة للبيان.

﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: قدير؛ صيغة مبالغة لقادر. وقادر: أي: إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل، والقدير: أي: الفعال، لكل ما يشاء.

﴿شَيْءٍ﴾: نكرة؛ مهما كان نوعه، وشكله، وحجمه، ومكانه، ولونه، وصفته، وعظمته.

﴿قَدِيرٌ﴾: أي؛ القوي، القادر، والقدير؛ العظيم الشأن، فيما يقدر عليه، قادر على خلق الشيء، وجعله؛ أي: تصريفه كما يشاء، والقدرة عليه، والعلم به وقدرته، على مقدار قوته، لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء سبحانه، وفي هذه الآية؛ قدير على الذهاب بسمعهم، وأبصارهم.

[٢١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾:

بعد أن ذكر الله ﷻ، أصناف الناس، الثلاث: المتقين، والكفار، والمنافقين، ينادي على الناس جميعاً في كل زمان ومكان منذ نزول القرآن إلى قيام الساعة.

﴿يَا أَيُّهَا﴾: يا: أداة نداء للبعيد، والهاء: في أيها؛ للتنبيه؛ أي: تنبيه الغافل، والساهي.

﴿النَّاسُ﴾: بشكل عام اسم للجمع من بني آدم واحده إنسان من غير لفظه، وهي من ألفاظ الجموع ليس لها مفرد، وأصلها أناس حذفت الهمزة للتخفيف، وأناس من الإنس، وهو الألفة؛ أي: يأنس بعضهم ببعض، والناس؛ مشتقة من النوس، وهو الحركة، من ناس ينوس؛ أي: تحرك، وكلمة الناس؛ لا تدل على عدد معين.

﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾: العبادة في الأصل، هي الخضوع لله والتذلل له بالطاعة،

طاعة العابد للمعبود، فيما أمر به، وفيما نهى عنه، والعبادة لها منهج؛ افعل ولا تفعل، ولها جزاء، ولا تكون إلا للخالق وحده، ولا تكون إلا مع المعرفة بالمعبود، وطاعة الرسول؛ من طاعة الله. والعبادة مأخوذة من كلمة التعبيد أي: التذليل، ومنه القول: طريق معبد أي: مذل للسالكين. ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣) للبيان المفصل لمعنى العبادة.

﴿رَبِّكُمْ﴾: الرب؛ المتولي أمور الربوبية، فهو الخالق، والهادي، والرازق، والمدير لشؤونكم، وقوله: ﴿رَبِّكُمْ﴾؛ ولم يقل: اعبدوا الرب، فيه تشريف، وتكريم للناس، الذين يعبدون ربهم.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول، يفيد التعظيم.

﴿خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: الخلق، هو الإيجاد، ابتداءً، بتقدير، وتسوية، وحساب، واصل الخلق، التقدير: خلق الثوب؛ أي: قدر أبعاده، والخلق؛ يكون من العدم (لا شيء) أو من شيء، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، والذين قبلكم، من الناس، وفائدة ذكر، ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، أبلغ في التذكير، وأقطع للجحد، وأقوم في الحجة.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لعل للتعليل؛ أي: اعبدوا ربكم، راجين أن تكونوا من المتقين، إذا عبدتم ربكم، وقدّمتم الأسباب الأخرى للتقوى، وسألتم الله العون والقبول، فعسى أن تكونوا عندها، من المتقين.

[٢٢] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَرَشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿الَّذِي﴾ اسم موصول تعود على ربكم، الذي جعل لكم الأرض فراشاً.

﴿جَعَلَ﴾: صير، وهياً، والجعل يأتي بعد الخلق. قال: ﴿جَعَلَ﴾؛ ولم يقل:



جعلنا؛ للدلالة على وحدانيته جل جلاله. ولو قال: جعلنا؛ لكانت دلالة على التعظيم، وكمال قدرته ﷺ.

﴿لَكُمْ الْأَرْضُ﴾: خاصة لكم، أيها الناس خلق الله تعالى الأرض على مراحل متعددة:

- ١ - مرحلة الجرم: كانت الأرض والسماء كجرم متناهي في المادة والطاقة.
- ٢ - فجر الله ذلك الجرم فتحول إلى سحابة من الدخان خلق منها أرضاً واحدة وسماء واحدة تسمى الأرض الابتدائية.
- ٣ - ميز الله تعالى الأرض الابتدائية التي كانت عبارة عن كومة من الرماد بإنزال الحديد (ارجع إلى سورة الحديد) إلى سبع أرضين...
- ٤ - ثم شكل قشرة الأرض.

﴿فَرَشَا﴾ يقصد بالأرض هنا قشرة الأرض، فقد بدأت هذه القشرة بتضاريس معقدة بدأت بالحمم البركانية التي خرجت على ظهر الماء الذي كان يغمر كتلة الأرض بعد تمايزها بالحديد إلى سبع أرضين. فشكلت هذه البراكين ما يسمى بالحافة في وسط المحيط الذي تطور إلى سبع محيطات ثم امتدت هذه الجزر البركانية فشكلت القارة الأم التي تصدعت بشبكة من الصدوع إلى ما يسمى القارات، ثم تباعدت وشكلت لنا القارات السبع الآن، ولا تزال تتحرك، ولكن حركتها بطيئة مقارنة بسرعتها القديمة، وأخرج منها ماءها ومرعاها وألقى فيها الرواسي، وتشكلت الأنهار بعد تشكل الجبال.

وسخر الله تعالى عوامل التعرية من الرياح والمياه الجارية واختلاف الحرارة وتباين الليل والنهار وشكل قشرتها الممهدة في بعض أجزائها، فقد كانت الأرض كتلة ملتهبة من الحمى، وظلت تبرد تدريجياً، بفعل فقدائها بخار



الماء المندفع من بين شقوقها، وفوهات البراكين، وبعد فترة طويلة قدرت بمليار عام، أصبحت حرارتها مناسبة، وتصلبت قشرتها، أمسكت بمائها في بحيرات صغيرة وكبيرة، وغدت الأرض كوكباً، من محيط مائي ذاب من معادنها، ما ذاب، وظهرت عناصر الحياة عليها، التي تسمى اليوم بالطحالب الزرقاء، ثم ظهرت النباتات العشبية، ثم السرخسيات، ثم ظهرت النباتات المزهرة، والثمار، وهكذا. وبفضل قانون الجاذبية استقر الإنسان على ظهرها ومع كونها تدور حول نفسها بسرعة (٢٦ كم/ بالدقيقة)، وتدور حول الشمس في مدار طوله (٩٥٠ مليون كم بسرعة ٣٠ كم/ بالثانية)، فالإنسان لا يشعر بهذا الدوران؛ لأنه يدور مع دوران الأرض، وهذا التفسير جزء من الحقيقة العلمية.

وفي آية أخرى قال سبحانه: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [الزخرف: ١٠]:
﴿مَهْدًا﴾: صالحة للحياة.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾: تعريف السماء لغة: هي كل ما علاك، فأظلك، وتعني: السموات السبع الطباق؛ أي: السبع كرات التي تحيط كل واحدة بالأخرى.

﴿بَنَاءً﴾: أي: مبنية، بناء محكماً، مترابطاً، وليس فراغاً، كما كان يظن الناس، يملؤه غازات مختلفة، وتحكمه قوى الجاذبية، بين مليارات المجرات، والكواكب، والنجوم التي تزيد على (٢٠٠ مليار نجم) في المجرة الأرضية وحدها، فكل كتلة تجذب أختها، وتجعلها مستقرة ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٣]؛ حسب نظام إلهي، عجيب، بناء كالسقف ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]، كما سنرى في سورة الأنبياء.

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾:

﴿وَأَنْزَلَ﴾: للدلالة على التوحيد، مقام توحيد، ولم يقل: (وأُنزلنا)؛ للدلالة



على التعظيم، وأنزل سبحانه ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: أي: من السحب ماء؛ أي: ماء المطر. ويقصد بهذه الآية دورة الماء حول الأرض.

﴿فَأَخْرَجَ بِهِ﴾: الفاء السببية، ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ﴾: بهذه الماء، ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾: من: ابتدائية، وتفيد التبعية؛ أي: من بعض الثمرات، ليكون رزقاً لكم، لم يجعل الرزق كله من الثمرات.

﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾: والرزق؛ هو كل ما يتنفع به، وليس حراماً؛ أي: لا يكون الرزق إلا حلالاً.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء؛ للتوكيد، لا: الناهية.

﴿أَنْدَادًا﴾: جمع ند، والند هو النظير، أو الشبيه المثل، أو الضد، أو الشريك، ونادت الرجل: خالفته، ونافرته، وأصله: من ند البعير؛ أي: نفر، وذهب على وجهه شاردًا، إذن، فيها معنى التشابه، والتضاد، والتنافر، والمراد هنا؛ الشريك لله، في عبادته، فلا تجعلوا لله أمثالاً، ونظراء تعبدونها، وتسمونها آلهة، وتجعلون لها ما لله من حقوق.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أن الله وحده المستحق للعبادة، وأن هذه الأنداد لا تجلب لكم نفعاً ولا ضرراً.

[٢٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: شرطية، تستعمل في حالات الشك، والندرة، الوقوع، بعكس إذا المستعملة في الأمور الواقعة، لا محالة، أو الكثيرة الحدوث.

﴿كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾: الرَّيْبُ؛ هو الشك مع التهمة، تشكون إن القرآن ليس منزل من عند الله، وتتهمون الرسول ﷺ بأنه افتراه، أو أنه أساطير الأولين اكتسبها فأتوا بسورة من مثله.

﴿مِمَّا﴾: من؛ ابتدائية، ما؛ للتوكيد.

﴿نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: من القرآن، على عبدنا محمد ﷺ، و﴿نَزَّلْنَا﴾ تعني: منجماً على دفعات، وليس جملة واحدة.

﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾: لها عدة معان:

١ - ليس له مثيل، ولا وجود لمثله، فأتوا بسورة مثله، وبما أنه لا مثيل له، ولا يفترض وجود مثيل له، إذن هو غير مفترى، ولا يكون مفترى إلا إذا كان له مثيل.

٢ - ﴿مِّن﴾: ابتدائية، استغراقية، تعني: فأتوا بمثل أي سورة، من سور القرآن كلها (١١٤ سورة)، فالتحدي في هذه الآية واقع على جميع سور القرآن من الفاتحة إلى سورة الناس أياً كانت، أو تعني: التحدي على الآيتين بشيء يماثل القرآن؛ أي: أقل مرتبة ممن المماثلة التامة، وبما أن سورة البقرة كانت آخر سور التحدي فهو تحداهم ليس بمثله وإنما من مثله على احتمال أن هناك ما يماثلها، ولو نظرنا إلى سورة يونس آية (٣٨) وهي قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: نجده حذف (من)؛ لأن التحدي كان على سورة مثله، فالتحدي الأول: كان في سورة الإسراء بالآيتين بمثل هذا القرآن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، التحدي الثاني: كان تحدي على الإتيان بسورة مثل سور القرآن، ثم تحداهم التحدي الثالث: بعشر سور كما ورد في سورة هود آية (١٣) فقال تعالى: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ ۚ



مُفَرِّدَتِ ﴿٣﴾، ثم تحداهم التحدي الرابع: بالإتيان من مثله فهم عجزوا عن الإتيان في كل المراحل.

٣ - ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾: هناك من قال: إنه تعني: من مثل محمد ﷺ، الأمي، الذي لا يكتب.

﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: ﴿شُهَدَاءَكُمْ﴾: جمع شهيد، بمعنى حاضر، أو يقوم بالشهادة؛ أي: يشهد لكم، أنكم أتيتم بسورة، ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾؛ أي: من القرآن، ولم يقل: ﴿وَادْعُوا﴾ الشهداء، وإنما قال: ﴿شُهَدَاءَكُمْ﴾؛ أي: ولو كانوا متحيزين لكم، ومن أنصاركم.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله، أو سواه.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: إن شرطية، تفيد الاحتمال، أو القلة، أو الندرة؛ أي: لستم بصادقين، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ أن هذا القرآن منزل، من عند غير الله، أو أن محمداً افتراه، وإذا قارنا هذه الآية، ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾؛ إن كنتم صادقين، مع الآية (٣٨)، من سورة يونس: ﴿وَادْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: ادعوا أيّاً من كان، من الإنس، أو الجن، أو الآلهة، و﴿مِنْ﴾ استغرافية؛ فالتحدي في سورة يونس أشد، وأقوى من سورة البقرة، ادعوا أي رجل، أو فئة، أو طائفة، بينما في سورة البقرة؛ ادعوا من دون الله فئة معينة، خاصة ﴿شُهَدَاءَكُمْ﴾.

[٢٤] ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء؛ للترتيب، والتعقيب، إن؛ شرطية، تفيد الاحتمال، أو القلة.

﴿لَمْ تَفْعَلُوا﴾: لم؛ حرف نفي، لم تفعلوا في الحاضر، على الإتيان بمثل هذا القرآن أو الإتيان بالشهداء.

﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾: لن؛ حرف نفي، أقوى من لا، تنفي المستقبل القريب، والمستقبل البعيد، إذن لم تفعلوا في الحاضر ولن تفعلوا في المستقبل، وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾؛ جملة اعتراضية، تعطينا النتيجة مباشرة، ولا داعي للانتظار للإتيان، ولا تضيعوا وقتكم، وجهدكم؛ لأنكم لن تقدروا.

﴿فَأَنْتَقُوا النَّارَ﴾: أي: قوا أنفسكم النار؛ أي: اجعلوا بينكم وبينها سترًا واقياً، بامثال أوامر الله جلال جلاله، واجتناب نواهيه.

﴿الَّتِي وَقُذِّهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾: ﴿النَّاسُ﴾؛ أي: الكفرة، الذين ماتوا وهم كفار، ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾؛ أي: الأصنام، والآلة التي عبدوها. ارجع إلى الآية (٢٢) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾: هيئت، واللام في الكافرين، لام الاختصاص؛ أي: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ الإعداد لا يقتصر على أمر واحد، وإنما يعني العذاب بأنواعه المختلفة والطعام والشراب والمثوى والسلاسل والأغلال والدركات... وغيرها؛ ارجع إلى الآية (٦) في نفس السورة لمزيد من البيان في معنى الكافرين.





البقرة

سورة البقرة ٢

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ
رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا
وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾
﴿٢٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا
فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ
بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا
وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ
اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٨﴾
كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٩﴾ هُوَ
الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى
السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٠﴾



سورة البقرة [الآيات ٢٥ - ٢٩]

[٢٥] ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝﴾

﴿وَبَشِّرِ﴾: من البشارة، وهي الإخبار بشيء سار، قادم لم يأت بعد.

وسميت بشارة؛ لما يظهر على الوجه، والبشرة، من آثار السرور، بسبب الخبر، السار، المفرح.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: أي: صدقوا بالله، وما أنزل إليهم. وأخلصوا دينهم لله وحده، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أي: صدقوا بإيمانهم بأعمالهم الصالحة، والصالحات جمع صالحة، والصالحة: كل عمل يصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، وعلى رأسها الفرائض والنوافل.

﴿أَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿لَهُمْ﴾: اللام؛ لام الاختصاص.

﴿جَنَّاتٍ﴾: جمع جنة، والجنة؛ هي كل بستان، ذي شجر كثيف، يُظلل ما تحته، ويستتره. فكلمة الجنة والعن والجنون والجنين مأخوذة من فعل جنَّ:



بمعنى ستر؛ منها: جنات الفردوس، وعدن، وجنات النعيم، ودار السلام... وغيرها.

ومنها: جنات الفردوس، وعدن، والنعيم، ودار السلام، وجنة المأوى.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿كُلَّمَا﴾: أداة شرط، تفيد التكرار، مركبة من كل وما.

﴿رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ﴾:

﴿رُزِقُوا﴾: أطعموا من الجنات، من أي طعام، أو شراب، أو فاكهة، أو ثمرة، من أي: ثمرة من ثمراتها، كالتفاح، أو الرمان، أو العنب، ﴿رَزَقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: في الدنيا.

﴿وَأُتُوا بِهِ﴾: تعود على المرزوق، في الدنيا والآخرة جميعاً، به تعود على ﴿رَزَقًا﴾، ﴿وَأُتُوا بِهِ﴾؛ أي: جاءت به الملائكة، أو أحضرته الملائكة.

﴿مُتَشَبِّهًا﴾: يعني: التشابه بوجه واحد سواء أكان باللون أم بالطعم أم بالحجم وغيره، ويختلف في كثير من الوجوه، ولو قال: مشتبهاً كما ورد في سورة الأنعام آية (٩٩): ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِّهِ﴾ فهذا يعني: التشابه في كثير من الوجوه، أما متشابهاً يعني: في الألوان، مختلف في الطعم.

أو ﴿مُتَشَبِّهًا﴾: في الاسم، مختلف في الطعم.

أو ﴿مُتَشَبِّهًا﴾: في الشكل، مختلف في الطعم واللون؛ ارجع إلى سورة الأنعام آية (٩٩) لمزيد من البيان.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

﴿وَلَهُمْ﴾: السلام؛ لام الاختصاص، والضمير يعود على الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، ﴿فِيهَا﴾ في الجنات.

﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾: أزواج؛ جمع زوج، ويطلق على الذكر والأنثى، مطهرة في الخلق والخلق. وأزواج تعني: المماثلة والمجانسة في الأخلاق والعادات.

﴿مُطَهَّرَةٌ﴾؛ من الحيض، والأقذار؛ كالبول، والغائط، مطهرة من الحقد، والكراهية، والحسد، والعيوب، والسوء... وغيرها؛ أي: الطهارة بنوعيتها الحسية والمعنوية كطهارة الملائكة؛ ارجع إلى سورة التوبة آية (١٠٨) لمزيد من البيان.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير منفصل، للتأكيد. ﴿فِيهَا﴾: في الجنات، ظرف مكاني. ﴿خَالِدُونَ﴾: من الخلد؛ وهو البقاء، الدائم، الذي لا انقطاع فيه، ويبدأ من زمن معين محدد، وهو زمن دخولهم الجنة إلى ما لا نهاية.

[٢٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾:

سبب النزول: نزلت هذه الآية؛ بعد أن تكلم بعض المشركين واليهود، وطعنوا في الأمثال التي ضربها الله للناس في القرآن، وأنكروها، وقالوا: ما هذه الأمثال، التي يذكرها الله، عن الذباب، والعنكبوت، وغيرها، وبعضهم قال: الله أجل وأعلى أن يضرب مثل هذه الأمثال، كقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾

[الحج: ٧٣].



﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ

بَيْتًا﴾ [العنكبوت: ٤١].

فنزلت هذه الآية؛ رداً على أقوالهم وافتراءاتهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن؛ للتوكيد.

﴿لَا يَسْتَحْيَ﴾: لا؛ النافية. ﴿يَسْتَحْيَ﴾: من الحياء؛ وهو ما يعتري الإنسان، من تغير، وخجل، وخرج، حين يُعاب على أمر ما، أو يُذم به؛ أي: إن الله لا يخشى أن يضرب مثلاً، أياً كان ذلك المثل.

وليس الحياء بمانع لله تعالى، من ضرب الأمثال، بهذه المخلوقات الصغيرة؛ كالبعوضة، ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾: فوق؛ في اللغة، تجمع أمرين، ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾؛ في الحجم؛ أي: أكبر منها حجماً، أو زيادة في الوصف، زيادة؛ أي: في صفاتها التكوينية والقدرات.

وضرب الأمثال؛ عادة لتوضيح الأحكام، أو تبيان قدرة الله العظيمة، وعجائب خلقه، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]؛ أي: لا يتدبرها إلا الراسخون في العلم.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾:

أما: للتفصيل؛ أياً كان ذلك المثل؛ بعوضة أو غيرها، فالمؤمنون يصدقون به، سواء أدركوا الحكمة، من كبرها، أو صغرها، وصفاته أم لا؛ لأن ذلك هو الحق من ربهم. ارجع إلى الآية (١١٩) في نفس السورة لبيان معنى الحق.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾:

فهم يستهزئون بتلك الأمثال، ويقولون متعجبين: ماذا أراد الله بضرب أمثال هذه الأشياء؛ بعوضة، عنكبوت، ذبابة، فهم في حيرة من أمرهم، لكونهم لم يدرسوا، ويعرفوا دقائق خلقها، وعجائب صنعها بعد، ولو درسوا ذلك لعرفوا الحق، ولما سألوا ذلك.

فالبعوضة تبين من الدراسات العلمية أنّ لها (٣) قلوب وعينين، كل عين مزودة بأكثر من (١٠٠) عدسة، وأسنان تقدّر بـ (٤٧) سنّاً... وغيرها.

﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾: ثم يرد الله على هؤلاء المتسائلين، بأنّ ضرب هذه الأمثال، قد يكون سبباً في زيادة ضلال كثير من الكافرين، أو زيادة هداية الكثير من الناس.

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾: جمع فاسق، الفاسقون؛ أي: الخارجون عن طاعة الله، والفسق؛ لغة: هو الخروج عن طاعة الله، أو الدين. يقال: فسقت الرطبة عن قشرتها، إذا خرجت؛ أي: أصبحت الثمرة غير ملتصقة بالقشرة، والفاسق هو الخارج عن فطرته، والفسوق؛ هو الخروج عن طاعة الله ورسوله إلى المعصية، فالكافر يعد فاسقاً، والمشرک يعد فاسقاً، والتارك لدينه تعالى يعد فاسقاً، وفسق؛ يعني خرج عن أمر ربه؛ أي: منهج الدين، ولا يعني الخروج من الملة، والفسوق؛ عام، يشمل الكثير من الأمور، مثل: ﴿فَلَارَفَتْ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِأَلَّا تَزِلَّ زَلَّتْكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣].



﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١].

ثم ذكر ثلاث صفات للفاسقين:

[٢٧] ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول تفيد الذم؛ ذم هؤلاء الذين ينقضون العهد؛ العهد: هو عبارة عن تكليف، أو وصية، أو أمر، والعهد التزام يلتزم به الإنسان مع الله، أو مع إنسان آخر، أو مع نفسه، والعهد يضم العقود، والوعود، والمعاهدات، والميثاق هو عهد، ويضم الميثاق العادي فالميثاق الغليظ هو عهد مؤكد بيمين، ونقضه؛ أي: فسخه وإبطاله، أو الإعراض عن القيام به، أو حل العهد مشتق من نقض الحبل في اللغة؛ يعني: حل ما كنت أبرمته، ونقض العهد يعتبر نوع من الفساد في الأرض، ويعتبر النقض من بعد توكيده (أي: الميثاق) أعظم وأبلغ من القطع.

﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾: من بعد: تفيد الزمان؛ ميثاقه: تفيد التوكيد.

ولا ننسى العهد الفطري، الذي أخذه الله على عباده، وهو أن يؤمنوا به، ويشهدوا أنه ربهم، ولا يشركوا به، ولا يتخذوا من دونه آلهة، أو أولياء، كما ورد في سورة الأعراف الآية (١٧٢).

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾.

وكذلك عهد الله؛ هو ما أوجبه الله على الناس، في القرآن، على لسان

الرسل، وبما يُلزم المؤمن نفسه، بما ليس في الشرع، كالنذر، فهم نقضوا عهدهم مع الله، ومع الآخرين، ومع أنفسهم، ولم يلتزموا بعقودهم ومعاهداتهم. وجاء بصيغة المضارع ينقضون بدلاً من نقضوا بصيغة الماضي؛ للدلالة على تجدد، وتكرار نقضهم.

ثانياً: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾:

و﴿مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾: هو صلة الرحم، صلة الجار، وموالاتة المؤمنين.

ثالثاً: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: بالسرقة، وقطع الطريق، والقتل، والحراقة، إهلاك الحرث والنسل.

الفساد؛ تعريفه: هو الخروج عن الاعتدال، الاستقامة، ويزاده الصلاح، وأفسد الشيء غيره إلى أسوأ.

وأوجه الفساد في الأرض؛ عديدة؛ نذكر منها: الكفر، والشرك، والنفاق، والفتن، وإثارة الشبهات، والبدع، والمعاصي. ارجع إلى الآية (٢٥١) في نفس السورة لمزيد من البيان في معنى الفساد.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾:

اسم إشارة للبعد تشير إلى الذين ينقضون، ويقطعون، ويفسدون.

خسروا أنفسهم؛ لأنهم باعوا حياة الآخرة، بدنياهم.

﴿هُمُ﴾: تأكيد؛ أي: إذا كان هناك خاسرون، فهم الخاسرون حقاً، لا

غيرهم، وجملة (خاسرون): جملة اسمية، تدل على الثبوت، ثبوت الخسران، فهو خسران أبدي، وليس خسراناً مؤقتاً.



وإذا قارنا ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، مع آية (٢٢) في سورة هود، يقول الله ﷻ: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسِرُونَ﴾، فالأخسرون؛ أشد خسراً من الخاسرون. ارجع إلى سورة النساء آية (١١٩) لمزيد من البيان.

وجاءت هذه؛ في سياق الذين صدوا عن سبيل الله، وصدوا غيرهم، ضلوا، وأضلوا غيرهم.

[٢٨] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿كَيْفَ﴾: استفهام؛ فيه تعجب؛ أي: ما أعجب كفركم بالله!، ألا ترون كيف كنتم أمواتاً، وما هي حالكم الآن، وما سيحدث لكم بعد ذلك. ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة لمعرفة معنى تكفرون.

﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾: أموات: جمع ميّت: بسكون الياء؛ أي: مات وانقضى أجله، وأما ميّت: بكسر الياء وتشديد ها لمن لم يمت بعد ولم تفارقه روحه بعد، كما نرى في مرحلة الوفاة التي تسبق الموت، أو مرحلة الاحتضار، وكنتم أمواتاً: قد تعني: نطفاً في أصلاب الآباء والأمهات، أو تراباً، لأنكم من آدم، وآدم من تراب.

﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾: بنفخ الروح فيكم، وأنتم في أرحام أمهاتكم.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: ثم؛ تفيد الترتيب، والتراخي الزمني، عند انتهاء آجالكم.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: عند البعث، والنفخ في الصور مرة ثانية.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: أي: بعد البعث، ترجعون إليه، للحساب، والجزاء.

وَقَدَّمَ ﴿إِلَيْهِ﴾: للحصر؛ أي: إليه وحده ترجعون، ولم يقل: ثم ترجعون إليه؛ أي: إليه، وإلى غيره ترجعون.

ولو قال: تَرْجَعُونَ بفتح التاء؛ أي: ترجعون إليه بالرضا ومن دون قهر، وجبر. أما تَرْجَعُونَ: بضم التاء فتعني: قهراً وليس بإرادتكم ورضاكم.

[٢٩] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

وكيف تكفرون بالله، الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً.

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل، يفيد الحصر، والتوكيد، الذي: اسم موصول، يفيد التعظيم.

﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾: ﴿خَلَقَ لَكُمْ﴾: اللام للاختصاص.

﴿جَمِيعاً﴾: للتوكيد، الآية تشير إلى الكون بدأ كجرم صغير متناهي في الصغر؛ أي: الحجم، ومتناهي في عظم الطاقة والمادة، ثم فجر الله سبحانه هذا الجرم فتحول إلى سحابة من الدخان، خلق الله سبحانه من هذا الدخان أرضاً واحدة، وسماء واحدة في زمن واحد، لحظة واحدة، ثم شاء الله أن يمايز الأرض إلى سبع أرضين بإنزال الحديد من السماء، فتشكلت الأرضين السبع، ثم للترتيب والتراخي بعد أن تمايزت الأرض استوى إلى السماء التي كانت سماء واحدة ليميزها إلى سبع سموات، إذن ميز السماء بعد أن ميز الأرض فسواهن سبع سموات.



﴿ثُمَّ﴾: قد تعني: الترتيب، والتراخي في الزمن، أو قد تعني: ترتيب الأخبار فقط.

﴿أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾: بمعنى عمد، أو قصد إليها، بإرادته ومشيئته، التسوية: غير الخلق. الخلق: بالنسبة إلى الله الخلق هو الإيجاد من العدم على غير مثال سابق.

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾: أي: السماء كانت موجودة عبارة عن دخان، والتسوية تعني إعادة تشكيل، أو التسوية: مرحلة تالية للخلق، فسواهن سبع سموات؛ أي: ميزهن، صيرهن، أو قسمهن، أو جعل السماء الواحدة التي كانت دخان إلى سبع سموات طباقاً، سبع كرات، يغلف كل منها الآخر، وجعل سبحانه مركز الأرض مركزاً لهذه السموات السبع، فبذلك شكل سبع سموات تحيط بسبع أرضين، فالكون يتشكل من (١٤) كرة، سبع كرات تمثل السموات السبع، فهو ميز السماء إلى سبع سموات بعد أن ميز الأرض إلى سبع أرضين ونحن نعلم كيف ميز الأرض إلى سبع أرضين؛ بإنزال الحديد. ارجع إلى الآية (٢٢) السابقة.

لكن كيف ميز الله السماء إلى سبع سموات؟ لا يدري العلماء، وكل هذا من أنباء الغيب لم يطلع الله عباده عليها، ونحن كبشر لا نعلم إلا الشيء، أو الجزء الضئيل جداً عن السماء الدنيا، التي زينها الله بالنجوم، والكواكب، وباقي السموات غيب لا يعلمه إلا الله سبحانه. ارجع إلى بقية آيات خلق السموات والأرض في القرآن سورة فصلت آية (٩)، وسورة الأعراف آية (٥٤) لمزيد من البيان.

التسوية؛ تعني خلق، وبناء، وتزيين.

﴿وَهُوَ﴾: الواو؛ للتأكيد، هو: ضمير منفصل، يفيد الحصر، ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾
 عَلِيمٌ ﴿﴾: عليم؛ صيغة مبالغة لعالم، على وزن فعيل، كثير العلم.
 ﴿عَلِيمٌ﴾: بما كان، وما هو كائن، وما سيكون، لهذه السموات، والأرض،
 عليم بما خلق؛ أي: أحاط علمه ﷻ، بجميع خلقه، بما فيها السموات والأرض،
 وما فيهن، وما خلق من دابة.





الجنة الأولى

سورة البقرة ٢

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً
 قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ
 نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
 ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ
 فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا
 سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
 ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَادُمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ
 أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
 تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا
 لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ
 ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
 حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾
 فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا
 بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾
 فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

سورة البقرة [الآيات ٣٠ - ٣٧]

[٣٠] ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّیْ جَاعِلٌ فِی الْاَرْضِ خَلِیْفَةًۭ قَالُوْۤا اَتَجْعَلُ فِیْهَا مَنْ یُّفْسِدُ فِیْهَا وَیَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۙ قَالَ اِنِّیْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَۙ﴾

﴿وَإِذْ﴾: الواو استئنافية.

إِذْ: ظرف للزمن الماضي، تعني: واذكر؛ فالمعنى: واذكر حين قال ربك للملائكة.

﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّیْ جَاعِلٌ فِی الْاَرْضِ خَلِیْفَةًۭ﴾: أبلغهم ذلك، قبل خلق آدم وذريته.

﴿لِلْمَلٰٓئِكَةِ﴾: كل الملائكة، أم قسم من الملائكة، المرجح؛ والله أعلم: أنهم قسم من الملائكة، وهم الموكلون ببني آدم.

﴿جَاعِلٌ﴾: بالتنوين، الذي يدل على الحال، والاستقبال، أما (جَاعِلٌ) بالضم: فيدل على الماضي؛ أي: ما جعله حدث في الماضي.

﴿فِی الْاَرْضِ خَلِیْفَةًۭ﴾: في: ظرفية مكانية أو زمانية.

خليفة: أي يخلف غيره ويقوم مقامه، يخلفه زماناً أو يخلفه مكاناً، وقيل: خليفته أصلها خليف، ودخلت الهاء للمبالغة؛ أي: يخلف بعضه بعضاً لكي يعمروا الأرض ويقوموا بما وكل إليهم؛ لأن كل خليفة (كل إنسان) سيموت ويخلفه غيره، وهذه الخلافة قد تكون محدودة أو مقيدة أو مطلقة، وهي خلافة



متفاوتة مختلفة بالتفاضل وهذا أيضاً ابتلاء من الله تعالى، وفي نفس الوقت هي خلافة تكامل كل يكمل الآخر؛ ارجع إلى سورة الأنعام آية (١٦٥) لمزيد من البيان.

وقول الله سبحانه للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: فقط للإعلام، وليس قول استشارة، يستشير فيها الملائكة.

﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾:

﴿أَتَجْعَلُ﴾: الهمزة، همزة استفهام، وتعجب، وليست همزة استفهام إنكاري، أو اعتراضاً على حكم الله سبحانه، وليس استفهاماً عن الجعل نفسه، أو الاستخلاف، وإياك أن تظن أن الملائكة، يعترضون على أمر الله، وقد يكون سؤالهم لمعرفة الحكمة، من وراء خلق هذا الخليفة، وما شأنه، ووظيفته.

﴿فِيهَا﴾: في الأرض، ﴿مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾: من ابتدائية.

﴿يُفْسِدُ فِيهَا﴾: من الفساد، وتعريف الفساد: ارجع إلى الآية (١١) من سورة البقرة.

﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾: السفك؛ هو الصب، والإهراق، الدماء، وسفك الدماء؛ من الإفساد في الأرض، والقتل الجماعي، والمجازر.

﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾: بدلاً من يقتل، للدلالة على بشاعة الفعل.

قد يسأل سائل: كيف علمت الملائكة، بأنه سيفسد في الأرض، ويسفك الدماء، وآدم لم يخلق بعد، ولا ذريته؟

للعلماء أكثر من قول، في الرد على هذا السؤال:

١ - كونهم اطلعوا على ما كتب في اللوح المحفوظ، من أفعال الخلق (البشر)، ولا يعني أنهم يعلمون الغيب.

٢ - رأوا ما يفعله الجن في الأرض، من فساد، وتخريب، فظنوا أَنَّ الإنس ستفعل مثل ما فعله الجن؛ أي: قاسوا أحد الثقليين على الآخر.

٣ - عرفوه بإخبار الله ﷻ لهم.

٤ - ظنوا أنهم وحدهم، هم الخلق المعصومون، وكل خلق سواهم ليسوا معصومين.

﴿سُبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾:

﴿سُبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾: التسبيح؛ هو تنزيه الله، عما لا يليق به، التنزيه الكامل؛ ذاتاً، وصفاتٍ، وأفعالاً، تنزيه من الند، والشبيه، والولد، والصاحب، والشريك، والعجز، والنقص، ومن الأغيار، تسبيحاً، مصاحباً، للحمد؛ أي: نسبحك، ونحمدك، على نعمك علينا.

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: من التقديس، وهو التطهير، مأخوذ من القدس، وهو الدلو، المستعمل لإخراج الماء، الذي كانوا يتطهرون به، وتعني نعظمك ونكبرك. والقدوس: أي: الطاهر، من كل الأحداث والأغيار.

﴿لَكَ﴾: أي: وحدك، ولا نقديس غيرك، وهناك فرق بين التسبيح والتقديس، فالتقديس أعم من التسبيح.

﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: رداً على الملائكة، ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ سُبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، أعلم أن سيكون من ذلك الخليفة أنبياء، ورسل، وصديقين، وشهداء،



وصالحين، ومن سيسبح، ويقدر، ويحمد بإرادتهم، ومشيتهم، وأني أعلم
غيب السموات والأرض، وأعلم ما لا تعلمون.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد، أعلم ما لا تعلمون من الغيب، وما يصلح الأرض، وما
يفسدها، ثم خلق الله سبحانه آدم، بعد ذلك وعلمه الأسماء.

[٣١] ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾: وهل علمه كل الأسماء، منذ تلك الساعة
إلى قيام الساعة.

﴿كُلَّهَا﴾: تفيد التوكيد.

وما هذه الأسماء، التي علمها الله تعالى لآدم، وبأي لغة تعلم آدم.

وكيفية التعليم، أو آلية التعليم، وكيف استغرق الزمن... الله أعلم.

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾: ثم لتباين الدرجة بين التعليم والعرض...

﴿عَرَضَهُمْ﴾: أي: عرض مسميات الأسماء على الملائكة.

ولم يقل: عرضها؛ لأنها؛ أي: الأسماء تحوي العاقل، وغير العاقل،
والتغليب، يبدو هنا للعاقل، أو التغليب، يكون للعاقل عند الإطلاق، فقال
عرضهم.

﴿فَقَالَ﴾: الفاء؛ للتعقيب، والمباشرة.

﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾: ﴿أَنْبِئُونِي﴾: أخبروني. ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾:

هؤلاء؛ أصلها أولاء، ودخلت عليها هاء التنبيه، فأصبحت هؤلاء، وتشمل
العاقل، وغير العاقل، ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾: تعني: مسميات الأسماء.



﴿إِنْ﴾: إن شرطية، تفيد الاحتمال، جوابها محذوف؛ للتعظيم.

﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: كيف يقول للملائكة: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وهل تكذب الملائكة، اعلم أن في مقابل كل صدق هناك كذب، وحاشا لله الملائكة أن تكذب، لكن هناك صدق يقابله خطأ، فهم لم يكذبوا، ولكن أخطؤوا في قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾، أو حين قالوا؛ كما روى ابن عباس رضي الله عنه: لن يخلق الله خلقاً، أكرم عليه منا، فنحن أحق بالخلافة في الأرض، كما ورد في تفسير ابن كثير (١٧/١)، والطبري (١٧٧/١).

[٣٢] ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾:

بعد أن عجزت الملائكة عن معرفة تلك الأسماء، اعترفوا بقصورهم، وسارعوا إلى تنزيه الله تعالى، عن كل نقص، وعيب، اعترفوا بقصورهم، بقولهم: ﴿سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا﴾، نفوا عنهم العلم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ أي: لا نعلم ﴿إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾: ضمير منفصل، تفيد التوكيد.

﴿الْعَلِيمُ﴾: صفة مشتقة مبالغة من علم على وزن فعيل أي كثير العلم؛ أي: أنت، الذي أحاط علمك بكل شيء، بظواهر الأمور، وبواطنها، وأعمال عبادك، خيرها وشرها، ولا يخفى عليك شيء في الأرض، ولا في السماء.

﴿الْحَكِيمُ﴾: بمعنى الحاكم، وبمعنى الحكيم ذي الحكمة، في خلقك، وشرعك، وكونك، لا تخلق شيئاً عبثاً، حكيم من الحكمة المقرونة بالعلم، والقدرة، فأنت أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء. ارجع إلى الآية (١٢٩) من نفس السورة لمزيد من البيان. وفي هذه الآية قدم العليم على الحكيم؛ لأن



السياق في العلم حيث ذكر ما يلي: (أعلم، ما لا تعلمون، وعلم آدم، لا علم لنا، إلا ما علمتنا).

[٣٣] ﴿قَالَ يَتَادُمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾:

نادى الله ﷻ آدم ﷺ: يا آدم، ﴿أَنْبِئُهُمْ﴾؛ مشتقة من نبأ، على وزن فعل، تحتاج إلى وقت أطول من أنبأهم، على وزن أفعل، التي فيها اختصار للزمن؛ أي: أنبأهم بسرعة، ووردت ﴿أَنْبِئُهُمْ﴾، ومشتقاتها في (٤٦) آية. وأنبئهم: النبأ: أعظم من الخبر، والخبر عام، والنبأ خاص. ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء؛ للتعقيب، والترتيب.

﴿أَنْبَأَهُمْ﴾: أي: بسرعة، اختصار للزمن، ووردت في القرآن، في (٤) آيات. ارجع إلى سورة التحريم آية (٣) لمزيد من البيان ومعرفة الفرق بين أنبأك ونبئك.

﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ بأسماء المسميات، ورغم كون هذه المسميات للعاقل، وغير العاقل، فهو قد غلب العاقل على غير العاقل، وقال: بأسمائهم.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: استفهام تقرير.

﴿أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي﴾: إني: للتوكيد.

﴿أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: أعلم ما غاب، واستتر في السموات، والأرض. ارجع إلى الآية (٣) من نفس السورة.

﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾؛ وأعلم على وزن أفعل، صيغة مبالغة، لفعل علم.

﴿يَبْدُونَ﴾: الإبداء: الإظهار؛ تقولون علناً، كقولكم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾.

﴿وَمَا﴾: تكرار ما، يفيد التوكيد، وكذلك استقلال كلا الأمرين؛ الإبداء، والإخفاء؛ من القول.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: الكتمان: السكوت عن ذكر خبر أو أمر ما، والكتمان يختص بالأسرار والأخبار، وهو حالة من حالات الإخفاء الذي هو أعم من الكتمان، والإخفاء يكون بالأشياء الحسية المادية أو المعنوية حين قالت الملائكة: لن يخلق الله خلقاً، أكرم على الله، ولا أعلم منا، فجاء الرد الإلهي على قولهم بأمرين: الأول: لما قالوا: لا أكرم على الله منا، قال: اسجدوا لآدم، بذلك تبين لهم، أنهم ليسوا أكرم عند الله من آدم.

والأمر الثاني: لما قالوا: لا أعلم منا، قال تعالى: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، إذن كانوا خاطئين، في كلا القولين.

وجاء بصيغة المضارع ﴿تَكْتُمُونَ﴾؛ بدلاً من كتمتم؛ لاستحضار فعل الكتمان، كأنه يحدث الآن، لعظم ما قالوا (وهذا ما يسمى حكاية الحال).

[٣٤] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾:

الواو؛ استئنافية، إذ ظرفية للزمن الماضي، وتعني: واذكر إذ، أو اذكر حين. ﴿قُلْنَا﴾: بصيغة التعظيم، صيغة الجمع، إذ أسند القول سبحانه، لنفسه، ويدل ذلك على تكريم آدم ﷺ.

﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾: اللام لام الاختصاص، ﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾: هذا الأمر، جاء ليشمل الملائكة، الموكلين بآدم، وذريته، ولم يشمل حملة العرش، وغيرهم،



من الملائكة غير الموكلين بآدم وذريته، وأطلق عليهم القرآن العالين، كما جاء في قوله ﷻ في سورة ص آية (٧٥): ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِدَيِّ أَتَسْتَكْبِرُ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾.

﴿أَسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: آدم: يمثل أبو البشر. قيل: اسجدوا سجود تكريم، وطاعة، وتعظيم، وليس سجود عبادة، مثل: سجود إخوة يوسف وأبويه له، سجود تحية، ﴿أَسْجُدُوا لِآدَمَ﴾، جاء هذا الأمر، قبل أن يعصي آدم ربه، ويأكل من الشجرة، وأمروا بالسجود لآدم فقط، وليس لذريته، ولتعلم أن السجود كان معروفاً قبل مجيء رسول الله ﷺ، أما بعد بعثته ﷺ، فلا سجود إلا لله تعالى.

﴿فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]؛ فسجد الملائكة الموكلون بآدم وذرية آدم، ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، ﴿إِبْلِيسَ﴾: اسم مشتق من الإبلas، وهو الحزن الناشئ عن شدة اليأس من رحمة الله. والمبلس: الساكت الذي لا حجة له، وهو اسم أعجمي، لا اشتقاق له.

﴿أَبَى﴾: الإباء: شدة الامتناع؛ امتنع عن السجود.

﴿وَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾: جمعت هذه الآية الإباء، والاستكبار، والكفر معاً، وإبليس هو أبو الجن، وكما قال ابن عباس ؓ: كان ذا منزلة عالية، بين الملائكة، ومطيعاً لله، وكان جليس الملائكة، يجلس معهم، وإبليس كان من الجن، وكان مع الملائكة، حين صدر الأمر الإلهي، بالسجود لآدم، وشمله الأمر، والدليل على شمول الأمر، هو قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ، [سورة الأعراف، الآية ١٢]. ارجع إلى تنمة قصة إبليس في السور الأخرى، وانتبه إلى قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، كان؛ هنا، لا تعني الزمن الماضي، وإنما الحاضر، والمستقبل؛ لأنه حتى تلك اللحظة، كان ذا منزلة عالية، وأصبح من الكافرين، بعد أن أبى أن يسجد، واستكبر، ولم

يتب، وجمعت آية البقرة هذه الصفات الثلاث لإبليس، وما جاء بعد سورة البقرة من سور، ذكرت واحدة أو اثنتين من هذه الصفات؛ أي: جاء الإجمال، في سورة البقرة، والتفصيل في السور الأخرى. فقال في سورة ص آية (٧٤) ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنِ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، وفي سورة طه آية (١١٦): ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنِ﴾.

[٣٥] ﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ﴾: وقلنا قولاً، فيه تكريم، وتعظيم لآدم، لإسناد القول إليه ﷺ. ﴿اسْكُنْ﴾: من السكنة، والسكن في اللغة؛ البيت، الذي يكون فيه زوجان، فالزوجة سكن لزوجها، وزوجها سكن لها، وفيها معنى الإقامة والاستقرار. ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾: بما أنه خاطب آدم وحده، فالسكن مطلب، وواجب على الرجل، وكلمة زوجك؛ تطلق على الرجل، أو المرأة، ففي اللغة؛ يقال: المرأة زوج الرجل، والرجل زوج المرأة، والزوجة تعني: المثل للزوج؛ أي: المماثلة لزوجها، وإذا كانت مخالفة تسمى امرأة؛ ارجع إلى سورة التحريم آية (١٠) للبيان، والفرق بين الزوجة والمرأة.

﴿الْجَنَّةَ﴾: تعريفها: كل بستان ذي شجر كثيف، وفيها من الثمرات، والخيرات الوفيرة. ارجع إلى الآية (٢٥) للبيان.

واختلف المفسرون في هذه الجنة، هل هي جنة في الأرض، أم جنة في السماء، ولو نظرنا في القرآن، لوجدنا ذكر الجنة، قد ورد في سياق سورة الكهف، والقلم، وسبأ، وكلها تشير إلى أن الجنة، هي على الأرض، وليس جنة الآخرة، ففي سورة الكهف آية (٣٢): ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ﴾، وفي



سورة القلم، الآية (١٧): ﴿إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾، وفي سورة سبأ، الآية (١٥): ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ﴾، ويميل أكثر المفسرين، أنها جنة في الأرض، جنة أرضية، وليس جنة الخلد، أو جنة الآخرة. ﴿وَكَلَّا﴾: كل واحد يأكل، وهنا ثني الفعل، ولم يقل: فكلًا بالفاء؛ لأنَّ الفاء، تعني: أن يأكل مباشرة، عقب الدخول، والواو أرحب زمنًا من الفاء. ﴿رَعْدًا﴾: الرعد هو الرزق، الواسع، الكثير، ﴿رَعْدًا﴾: أكلاً، هنيئاً، لا عناء فيه، ولا حجر عليه.

﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾: ظرف للسكن، والأكل؛ أي: اسكنا ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، وكلا ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾: لا بالدنو منها، ولا بالأكل من ثمارها، وأما ما نوع هذه الشجرة، فلا يهم، فقد أبهم القرآن تعيينها، والنهي بالقرب منها؛ للمبالغة في النهي عن الأكل منها؛ أي: لم يقل سبحانه: ولا تقربا هذه الشجرة، ولا تأكلاً منها، وإنما اقتصر على الاقتراب؛ لأنَّ الأكل سيحصل بعد الاقتراب، بسبب الشهوة، ولو نهى عن الأكل فقط منها، ولم ينه عن الاقتراب، عندها لن يقاوم شهوته.

﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: الظلم؛ هو الجور، والتعدي، والإنسان، قد يظلم نفسه، مثلاً؛ بفعل المعاصي، والذنوب، أو الخروج عن طاعة الله، أو المنهج، أو قد يظلم غيره، بالتعدي على حقوقه، ولا يعطيه حقه مثلاً، وهو الظلم الاجتماعي يضم ظلم الأموال، وظلم الأعراض، وهناك الظلم العقدي؛ أي: الشرك والكفر والنفاق، وقد ورد الظلم ومشتقاته في القرآن في حوالي (٢٨٩ موضعاً).

وهنا ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: من الذين ظلموا أنفسهم، بمعصية الله، بالأكل من تلك الشجرة.

[٣٦] ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾:

﴿الشَّيْطَانُ﴾: كلمة الشيطان، اشتقت من شطن؛ أي: بُعد عن الحق، والخير، وتمادى في الشر، أو شاط: احترق، ومنه؛ شاط الطعام؛ أي: احترق، أو الشاطن؛ أي: الخبيث.

والرجيم: يعني: المرجوم، بالشهب، والمرجوم؛ الملعون، والرجيم؛ المطرود، أو المبعد، عن رحمة الله تعالى.

﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾: الفاء؛ تدل على المباشرة، والسرعة، يقال: أزلت الشيء عن مكانه، إزالة؛ أي: نحيت، وأذهبته عنها، ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾؛ أي: أبعدهما عن الجنة، أو نحاهما عن الجنة، ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾؛ قد تعني أوقعهما في الخطيئة، أو الزلة، والزلة ليست بالضرورة، تكون إلى محل أدنى، بل يمكن أن تكون في المكان نفسه، بعكس التدلالية كما في قوله: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾، لا تكون إلا من أعلى إلى أسفل.

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾: من الجنة، والنعيم، والكرامة، ونسب الإخراج إلى إبليس، الذي تولى إغواء آدم، من أكل من الشجرة، بعد أن تغلبت عليه وساوس الشيطان.

﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾:

﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾: لم يقل: منها، ولا إلى أين، فهذا يشير إلى هبوط مكانة، وليس هبوطاً من مكان، إلى مكان؛ أي: نزول.

﴿اهْبِطُوا﴾: يشمل هبوط آدم، وزوجته، والشيطان. وقيل: آدم وذريته، وإبليس وذريته، أما قوله تعالى: ﴿اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [طه: ١٢٣] تعني: آدم وإبليس، وآدم تعني: آدم وزوجته؛ ارجع إلى سورة طه آية (١٢٣) للبيان.



﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: أي: شياطين البشر للبشر عدو، شياطين الجن للبشر عدو، وأولياء الله عدو لأولياء الشيطان، ولم يقل: كلكم، وإنما قال ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾: في: ظرفية مكان، استقرار، وإقامة.

﴿وَمَتَّعُ﴾: كل ما يتمتع به، وما يتمتع به القليل، أو الكثير من الطعام، والشراب، واللباس، والسلعة، والأداة، والمال.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى: حرف يستعمل لكل الغايات (البداية، أو النهاية، أو المنتصف...)، بينما حتى حرف يستعمل لنهاية الغاية. إلى حين موتكم، أو انقضاء أجلكم، إلى حين، ولم يقل: حتى حين، وحين تعني: فترة زمنية غير محددة، قد تطول، أو تقصر، سنين، أو شهوراً، أو أياماً، أو ساعات.

حتى: تعني: الوصول إلى نهاية الغاية، نهاية الغاية هي الموت، وهو القيامة الصغرى، سواء أكان الموت العادي، أم الموت بأسباب أخرى...

[٣٧] ﴿فَلَقِيَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَلَبَّ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾:

﴿فَلَقِيَ﴾: الفاء: تدل على التعقيب، والمباشرة.

﴿كَلِمَتٍ﴾؛ قيل: هي كلمات التوبة، والاستغفار، والمأثور أنها: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿فَلَقِيَ آدَمُ﴾؛ لأن آدم، لم يكن يعرف كيف يتوب، حتى علمه الله ﷻ، كيف يتوب، ﴿فَلَقِيَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ﴾؛ فهو النبي، الذي يتلقى، وليس زوجه، فالتبليغ؛ أصلاً كان لآدم ﷻ.

﴿فَلَبَّ عَلَيْهِ﴾؛ أي: تقبل منه توبته، مباشرة، فالفاء؛ تدل على التعقيب،

والسرعة، فتأب عليه؛ لا تعني تأب عليه وحده، وإنما عليه، وعلى زوجه، وأصل التوبة؛ الرجوع عن المعصية، وعدم العودة إليها. ارجع إلى سورة النساء آية (١٧-١٨) للبيان.

﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾: إن: للتوكيد. ﴿هُوَ﴾: للحصر.

﴿التَّوَّابُ﴾: صيغة مبالغة؛ أي: كثير قبول التوبة، من عباده، مهما كثرت، أو تكررت، ومهما تنوعت من صغائر وكبائر، ويقبل توبة عباده التائبين، مهما كان عددهم، وعدد توباتهم.

﴿الرَّحِيمُ﴾: لا يرد توبة التائبين، ولا يعجل لهم بالعقوبة، كي يتوبوا، ويغفر لهم.





سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢

الْبَقَرَةِ

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَبَعَ
هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَبْنَیْ إِسْرَءِیلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِیَ الَّتِیْ أَنْعَمْتُ عَلَیْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِیْ
أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِئْتِیْ قَارِهُبُونَ ﴿٤٠﴾ وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِیْ
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِئْتِیْ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ
وَتَكُنُوا الْحَقَّ وَانْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ
وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ
﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَبْنَیْ إِسْرَءِیلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِیَ الَّتِیْ أَنْعَمْتُ عَلَیْكُمْ وَأَنِّ فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا یَوْمًا لَا تَجْزِیْ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾



سورة البقرة [الآيات ٣٨ - ٤٨]

[٣٨] ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

﴿قُلْنَا﴾: اللفظ، بلفظ التعظيم، ﴿قُلْنَا﴾: لهم، بعد التوبة، وقبولها: ﴿أَهْبِطُوا مِنْهَا﴾؛ هذا هو الهبوط الثاني، وهو هبوط من مكان عال إلى مكان أسفل، والذي يدل على أنه هبوط من مكان عال إلى مكان أسفل، هو استعمال منها، بينما في هبوط المنزل، لم يستعمل منها، وهذا الهبوط كان بعد التوبة، وهو أخف شدة من الهبوط الأول، الذي حدث بعد المعصية، فالهبوط الأول الذي ذكر في الآية (٣٦)، كان هبوط منزلة، ودرجة، وحدث بعد المعصية، وهو أشد، جاءت الواو للأهمية، مصاحبة لقوله: وقُلْنَا، بينما في هذه الآية جاءت قلْنَا، من دون واو.

ومن المفسرين؛ من يقول: إن الهبوط الثاني، هو نفسه الهبوط الأول، وأعيدت كلمة ﴿أَهْبِطُوا﴾؛ للتوكيد.

﴿أَهْبِطُوا مِنْهَا﴾؛ من الجنة، ﴿جَمِيعًا﴾: الخطاب لآدم، وزوجته، وإبليس. ﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد.

﴿فَإِمَّا﴾: للتفصيل، والتوكيد، أصلها: فإن زائد ما والفاء في فإن؛ تفيد التوكيد، إن: شرطية، وما: للتوكيد، وأدغمت النون في ما، فأصبحت؛ ﴿فَإِمَّا﴾.



﴿يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾: رسول أبعثه إليكم، أو كتاب أنزله عليكم.

﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾: الفاء: للتوكيد.

من: شرطية، ﴿تَبِعَ﴾ أوامري، وتجنب نواهي، ولم يتبع هواه، وخطوات الشيطان.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: النافية.

﴿خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: الخوف: هو توقع الضرر المشكوك في وقوعه؛ الحزن: أشد الهم؛ الحزن: يكون لأمر مضى؛ أي: فاتك شيء، تحبه وتتمناه، ولم تحصل عليه.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: هم يخافون الله سبحانه في الدنيا ويوم القيامة؛ لأن الكل يخاف الله يوم القيامة، ولا يصح أن يقال لا يخافون؛ فقد قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧]، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُيْبُوا عَنْكُمْ وَأَفْطَرْنَا فِيهِ مَا كَانُوا عَنكِ﴾ [الإنسان: ١٠] فهم يخافون، ولكن الله وعدهم الأمن يوم القيامة بعد أن تبشرهم الملائكة تطمئن قلوبهم، ويذهب عنهم الخوف، وأما غيرهم فلم ينفي عنهم الخوف.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: وقدَّم ﴿هُمْ﴾ على ﴿يَحْزَنُونَ﴾: لنفي الحزن عنهم خاصة، ولأن غيرهم من الكفرة، سوف يحزنون، وهناك فرق بين الحزن: بفتح الحاء، والحزن بضم الحاء. ارجع إلى سورة فاطر آية (٣٤) للبيان، أو سورة

الأنعام آية (٣٣)، ولا هم يحزنون أما غيرهم من الأبناء والأقارب قد يحزن عليهم بعد موتهم، وجاء بصيغة المضارع يحزنون لنفي الحزن المتجدد عليهم. قَدَّمَ الخوف على الحزن، وقال: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ لأن الخوف أعم وأهم من الحزن.

وتكرار لا، تفيد التوكيد، وفصل الخوف عن الحزن؛ أي: لا هذا، ولا ذاك، ولا كلاهما معاً.

وإذا قارنا هذه الآية: ﴿فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. وقوله في سورة طه الآية (١٢٣): ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾: ففي آية سورة البقرة ﴿تَبَعَ﴾، فيها تخفيف، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وجاءت في سياق الآخرة.

أما في آية سورة طه ﴿اتَّبَعَ﴾، فيها تشديد، ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾، جاءت في سياق الدنيا والآخرة، فيها مبالغة، بالاتباع؛ لأن الضلال؛ لا يحصل إلا في الدنيا، والشقاء؛ يحصل في الدنيا والآخرة.

ولذلك شدد في آية سورة طه؛ لأن الآية تتضمن أمرين: مجاهدة الضلال، والفوز بالآخرة، ولذلك شدد على اتباع هدي الله أكثر في آية سورة طه.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

كان هذه الآية تنمة للآية السابقة، ﴿فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾.

﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو عاطفة، الذين: اسم موصول، يفيد الذم.



﴿كُفِّرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: الكفر؛ هو الستر، إنكار وجود الله سبحانه، واجب الوجود، أو الكفر بآيات الله؛ أي: عدم التصديق بها، وإنكارها، والكفر أعم من التكذيب. ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة لمزيد من البيان في معنى الذين كفروا.

التكذيب: هو حالة جزئية، من الكفر بآياتنا؛ أي: الكونية، أو آيات القرآن، والمعجزات الدالة على النبوة، والكفر أعم من التكذيب، والتكذيب هو عدم التصديق.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد، يشير إلى الذين كفروا وكذبوا بآياتنا. ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾: سماهم أصحاباً لصحبتهم الدائمة للنار، وكأنهم أصبحوا أصحابها؛ أي: مالكوها؛ كما نقول: صاحب الدار.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل، يفيد التوكيد، ﴿فِيهَا﴾: في النار. ﴿خَالِدُونَ﴾: من الخلد، وهو البقاء الدائم، الذي لا انقطاع فيه، ويبدأ من زمن دخولهم النار؛ أي: له زمن بدء، وليس له زمن نهاية.

[٤٠] ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَآرَهُبُون﴾:

﴿يَبْنِي﴾: نداء إلى بني إسرائيل، بيباء النداء للبعد.

﴿إِسْرَءِيلَ﴾: إسرائيل؛ هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وأبنائه، وأحفاده، ينادون ببني إسرائيل؛ في زمن يعقوب، وبعد وفاته. وفي زمن موسى كانوا يسمون ببني إسرائيل، وهكذا حتى توفي موسى،

وُسِّمُوا بِالْيَهُودِ بَعْدَ مَجِيءِ يَهُوذَا، وَلَمْ يَكُنْ فِي مَنْزِلَةِ يَعْقُوبَ ﷺ، وَأُطْلِقَ عَلَيْهِمْ لِقَبِ الْيَهُودِ عِنْدَمَا عَصَوْا وَنَقَضُوا عَهْدَهُمْ. وَسِّمُوا بِالَّذِينَ هَادَوْا؛ أَي: الَّذِينَ تَهَوَّدُوا، دَخَلُوا فِي الْيَهُودِيَّةِ. وَأَفْضَلُ الْأَلْقَابِ لِقَبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَذَكَرَ (٤٠) مَرَّةً فِي الْقُرْآنِ.

وَيُطْلَقُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَتْبَاعِ عِيسَى ﷺ بِأَهْلِ الْكِتَابِ، أَوْ بِالَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ، أَوْ نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ. ارْجِعْ إِلَى هَذِهِ الْآيَاتِ لِلْبَيَانِ.

﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾، اذْكُرُوا مِنَ الذِّكْرِ، وَهُوَ الْحِفْظُ مِنَ النِّسْيَانِ؛ أَي: اذْكُرُوا، وَلَا تَنْسُوا نِعَمِي الْكَثِيرَةَ عَلَيْكُمْ.

﴿نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾: مِنْهَا: إِنْزَالُ التَّوْرَةِ، وَإِنْزَالُ الْمَنِّ، وَالسَّلَوى، فَلَقِ الْبَحْرَ، أَنْجَاؤُكُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ، وَغَيْرَهَا مِنَ النِّعَمِ، وَحِينَ يَخَاطَبُ ﷺ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ يَقُولُ: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾، وَلَكِنْ حِينَ يَخَاطَبُ الْمُسْلِمِينَ؛ يَقُولُ: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ﴾؛ لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ مَعْرُوفٌ عَنْهُمْ حُبُّهُمْ لِلْمَالِ، وَلِلدُّنْيَا.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾: لِتَعْرِيفِ الْعَهْدِ؛ ارْجِعْ إِلَى الْآيَةِ (٢٧) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

أَي: امْتَثِلُوا لِأَوْامِرِي، وَفَرَاثِصِي، وَخُذُوا بِالتَّوْرَةِ، بِقُوَّةٍ، وَتَمَسَّكُوا بِهَا، وَلَا تَكْتُمُوهَا، وَأَوْفُوا بِمَا عَاهَدْتُمُونِي عَلَيْهِ، مِنَ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ.

﴿أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ﴾: بِمَا عَاهَدْتُمْ عَلَيْهِ، مِنْ حَسَنِ الثَّوَابِ، وَالْجَنَّةِ، وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ.

﴿وَلِئَلَّا فَارِهِبُونَ﴾: وَإِيَايَ: تَفِيدُ الْحَصْرَ؛ أَي: الرُّهْبَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ؛ الرُّهْبَةُ:



هي الخوف، والحذر معاً؛ أي: خافوني، واحذروني؛ فارهبون فيها حذف لياء المتكلم، قد يكون ذلك لأن المخاطب فئة أو جماعة من الناس.

[٤١] ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونِ﴾:

﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ﴾: يعني: القرآن، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾: من التوراة الحقيقية، التي لا ريب فيها، وفيها صفة النبي ﷺ.

﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾: لا: الناهية، ولا تكونوا أول كافر به بمحمد، أو بالقرآن؛ لأن قريشاً، قد كفرت بمحمد، قبل أهل الكتاب، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].
ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة لبيان معنى الكفر.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: تكرر لا؛ تفيد التوكيد، ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي﴾: أي: تبيعوا آياتي بأن تبدلوها، أو تحرفوها، أو تحذفوها، أو بالزيادة أو النقص، وتأخذوا ثمنها، مهما كُبر الثمن وعظم فهو ثمن قليل؛ لأن ثمنها أكبر وأعظم عند الله من ذلك بكثير، ولا يقدر ثمنها إلا الله سبحانه.

﴿وَإِنِّي فَاتَّقُونِ﴾: وإياي: تفيد الحصر؛ حصر التقوى لله وحده، ولا تخافوا أحداً إلا أياي ﴿فَاتَّقُونِ﴾: أي: امثلوا أو امري، وتجنبوا نواهي؛ لكي تنجوا من النار، ومن سخطي وغضبي. واتقون: حذفت فيها ياء المتكلم قد يكون ذلك لأن المخاطب فئة من الناس أو جماعة هم بني إسرائيل وليس الكل وقد تعني التقوى ما استطعتم.

[٤٢] ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنْهُمَا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

تلبسوا الحق؛ تخلطوا الحق بالباطل من: لبس عليه الأمر: خلطه، واللبس؛ هو التغطية أو التعمية، والحق في هذه الآية، هو ما جاء في أمر النبي ﷺ، ونعته، أو تحرّفوا التّوراة، والإنجيل ولمزيد من البيان في معنى الحق ارجع إلى الآية (١١٩) في نفس السورة، وتكتموا البشارة بمجيء رسول الله ﷺ، وقمة الإلباس هو عدم الإيمان برسول الله ﷺ، وأنتم تعلمون أنه النبي المرسل المنتظر.

[٤٣] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾:

﴿وَأَقِيمُوا﴾: ارجع إلى آية (٣) من سورة البقرة.

﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾: أدوا الزكاة؛ والزكاة: شرعاً: نصيب مقدر في مال معين، يصرف لطائفة مخصوصة، والزكاة؛ لغةً: مشتقة من الزكاء، وهو النمو، والزيادة، فالزكاة تعني: الزيادة، والنماء، وزكا الزرع: نما، وكثر، وقيل: تزكى؛ أي: تطهر، فالزكاة، تحمل معنيين: تطهير للمال، وتنمية له.

ولنعلم أن الزكاة فرضت في مكة، وأما تقدير نصابها كان في المدينة.

﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾: الركوع: يعني: الصلاة، ذكر الجزء وأراد الكل، كما يُعبر عن الصلاة بالسجود؛ أي: صلوا مع المصلين؛ أي: صلوا مع محمد ﷺ، وأصحابه؛ صلاة الجماعة، وذكر الركوع؛ لأنّ صلاة اليهود، ليس فيها ركوع، ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾؛ ليست خاصة باليهود، وإنما هي لكافة المسلمين، والعبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب. ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾: فيها حث على صلاة الجماعة.



[٤٤] ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

﴿أَتَأْمُرُونَ﴾: الهمزة: همزة استفهام، توبيخ، وتحذير، وتعجب.

﴿النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾: هو الخير، الواصل إلى الغير، مع القصد والنية، إلى ذلك، وضده العقوق؛ ويشمل: العمل الصالح، والطاعة، وكل ما يتقرب به إلى الله من أخلاق ومعاملات واعتقادات. وقيل: نزلت هذه الآية في بعض اليهود، الذين كانوا يقولون لبعض أقاربهم من المسلمين في السر: اثبتوا على ما أنتم عليه، فإنه حق، وهم لا يقومون بذلك.

وقيل: البر؛ هنا، يعني: التمسك بالتوراة، فمنهم من كان يأمر أتباعه باتباع التوراة، وهم أنفسهم لا يقومون بذلك. وقيل: هو الصدقة؛ كانوا يأمرؤن بها غيرهم، وهم لا يتصدقون.

الناس: ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة لمعرفة معنى الناس.

﴿بِالْبِرِّ﴾: الباء؛ للإلصاق.

﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾: تنسون على وزن تفعون فيها مبالغة في النسيان.

تأمرؤن غيركم بالبر، ولا تأمرؤن أنفسكم، بالطاعة وتقديم الأعمال الصالحة، فهذا ليس منهج الدعاة، والقدوة الصالحة.

﴿وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾: أي: التوراة، ﴿نَتْلُونَ﴾؛ فعل مضارع، يدل على تجدد وتكرار تلاوة التوراة التي فيها نعت محمد ﷺ، والأحكام الربانية.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: الهمزة؛ استفهام إنكاري، توبيخ على النسيان، ألا؛ أداة تنبيه، وحض، وتحمل معنى الأمر، والفاء للتوكيد.

﴿تَعْقِلُونَ﴾: تتفكرون، وتعودوا إلى الصواب، والحق، وفيها؛ توبيخ شديد، لكونه ينفي العقل عنهم، والفهم عندما يأمر الناس بالبر، وينسون أنفسهم، والقيام به. تعقلون من عقل الشيء؛ أي: عرفه بدليله، ووصل إلى الحقيقة بعد الموازنة والاستنباط.

[٤٥] ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا الْكَبِيرَةُ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾:

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾: الاستعانة؛ الألف، والسين، والتاء، تعني الطلب؛ اطلبوا العون، بالصبر، والصلاة.

﴿بِالصَّبْرِ﴾: الباء؛ للإلصاق؛ أي: المداومة على الصبر، والأصل في الصبر، الحبس، فالصابر حابس نفسه عن الجزع، ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾، على أداء الفرائض، وترك المعاصي، وأنواع البلاء.

﴿وَالصَّلَاةِ﴾: استعينوا كذلك بالصلاة، فقد كان ﷺ إذا حزبه أمر، فزع إلى الصلاة؛ أي: نزل به هم أو غم، كما ورد في الحديث الذي أخرجه الطبري، وأبو داود، وأحمد.

وقدّم الصبر على الصلاة؛ لأنّ الصّلاة تحتاج إلى صبر، وكل عبادة تحتاج إلى صبر، فذكر أحدهما يكفي، أو متضمن الآخر.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿الْخَاشِعِينَ﴾: جمع خاشع، والخشوع هو الخضوع مع التعظيم والخوف لله وحده، والخشوع في اللغة معناه: الذل، والسكون، والخضوع. قيل: هو اللين، والانقياد.



والخشوع يظهر على الجوارح، أو يخص الجوارح، مثل البصر، ﴿خَشَعَةً أَبْصَرُمْ﴾ [القلم: ٤٣]، والصوت؛ ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ﴾ [طه: ١٠٢]. والخضوع يخص البدن.

[٤٦] ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾؛ أي: يوقنون؛ لأن الظن هنا؛ جاء بمعنى اليقين.

﴿أَنَّهُمْ﴾ أن للتوكيد، وأن في القرآن؛ إذا قرن الظن بها، أفادت اليقين؛ أي: يتبدل الظن إلى علم، ويقين.

اليقين: العلم التام، الذي ليس هناك غيره، وهو العلم بالحق الثابت الذي لا يتغير.

وأما الشك؛ عندما يتساوى طرفا النفي والإثبات.

والظن؛ عندما يكون طرف الإثبات، أو الإدراك يفوق طرف النفي.

﴿مُلْكُوا رَبِّهِمْ﴾: أي: بالبعث؛ أي: يوقنون بالبعث، والعرض على ربهم يوم الحساب.

﴿وَأَنَّهُمْ﴾: للتوكيد، ﴿إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾: إليه وحده لا إلى غيره، راجعون إليه في الآخرة؛ لنيل الثواب والأجر.

[٤٧] ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾:

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾: نداء جديد آخر إلى بني إسرائيل. ارجع إلى الآية (٤٠).

﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾: لم يبين في هذه الآية النعمة، التي أنعمها

عليهم، والنعمة الواحدة تمثل النعم التي لا تعد ولا تحصى، ولكن سبحانه بينها في آيات أخر، فقال: ﴿وَإِذْ بَخَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾

[البقرة: ٤٩].

﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ [البقرة: ٥٧].

وإنزال التوراة، وجعل فيكم أنبياء، وجعلكم ملوكاً، وأتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين، وغيرها من النعم الكثيرة.

﴿نَمَتِي﴾: أضاف الله سبحانه النعمة إليه، فقال: ﴿نَمَتِي﴾؛ للتشريف، وبيان عظمها، وكما قال: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾، وشكر النعمة يكون بذكر النعمة، يكون بذكر المنعم، وطاعته، والحديث عنها، وشكره عليها.

﴿الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾: خاصة بكم، لم أنعمها، على غيركم.

﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: عالمي زمانهم ذاك، ولا يعني تفضيلاً إلى الأبد، والدليل على ذلك؛ قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَلُوطاً وَكَانَ أَفْضَلُنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

فضلهم على عالمين، ذلك الزمان، فكلمة عالمين كلمة لا تشمل كل العالمين في كل زمان، وإنما الموجودون فقط، في زمن واحد معين، ففي لحظة اختيارهم في ذلك الزمن، كانوا هم أفضل الناس، على غيرهم، مقارنة بغيرهم، وليس الآن، وهذا ما يظنه خطأ بعض اليهود أنفسهم أنهم شعب الله المختار، أنهم أفضل الناس.



[٤٨] ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾:

﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا﴾: السواو عاطفة، ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا﴾: عذاب يوم، والتكثير هنا؛ للتهويل، تهويل العذاب، وتهويل اليوم، وهو يوم القيامة، ولم يقل: لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئاً؛ لأنّ الجزاء والحساب ليس منحصرًا في ذلك اليوم، وهو قد يستمر سنين طويلة؛ كقوله: ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

كقوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾؛ لأنّ الرجوع محصور في ذلك اليوم.

﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾: لا: النافية، لا ينفع الإنسان فيه إلا عمله، أو لا تزر وازرة وزر أخرى، وأنّ ليس للإنسان إلا ما سعى.

فالآية هذه؛ تتحدث عن نفسين: النفس الأولى، التي تقدّم الشفاعة لنفس الثانية (المشفوع لها) فلا يقبل منها شفاعة؛ أي: من النفس الأولى الشافعة، وعندها تحاول النفس الأولى، الشافعة، أن تدفع مال، (عدل)، يساوي الفدية، يساوي ما يعادل الذنب والجرم، لتفدي النفس المشفوع لها، أو الأثمة، فلا يؤخذ منها.

ولو قارنا هذه الآية بالآية (١٢٣): ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَعَةٌ﴾.

فالآية (١٢٣): تتحدث عن النفس المشفوع لها، تحاول أن تدفع لتفدي نفسها بنفسها، فلا يقبل منها عدل، ثم حين لا يقبل العدل، تحاول أن تأتي

بالشفيع، أو تبحث عن شفيع، فلا تجد، أو لا تنفعها شفاعته. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: لا: النافية.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل، للتوكيد.

﴿يُنصَرُونَ﴾: أي: لا يستطيع أحد، أن ينصرهم، أو يوقف عنهم العذاب، أو يخففه.

ويمكن تيسر فهم الآية (٤٨) والآية (١٢٣) بالقول أن هناك نفساً أولى شافعة، ونفس ثانية مشفوع لها.

ففي الآية (٤٨) تحاول النفس الأولى الشافعة أن تشفع للنفس الثانية، فلا يسمح لها أن تشفع، بعدها تلجأ إلى دفع فدية (أو عدل)، فلا يسمح لها أيضاً. وأما في الآية (١٢٣): تحاول النفس المشفوع لها أن تدفع فدية، أو عدل بذاتها، فلا يسمح لها بعدها تحاول أن تجد من يشفع لها فلا تجد أحداً.





سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢

الْبَقَرَةِ

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ
وَأَغْرَقْنَا ءَالِ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ إِنِّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ
بِاتِّخَادِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ
﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ
بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا
رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

سورة البقرة [الآيات ٤٩ - ٥٧]

[٤٩] ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي؛ أي: واذكر إذ، أو اذكر حين نجيناكم من آل فرعون.

الفرق بين نجيناكم وأنجيناكم.

﴿نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: نجيناكم، تعني النجاة، تمت ببطء بعد زمن طويل؛ أي: بقوا في العذاب زمناً طويلاً، ثم نجوا بسهولة.

بينما أنجيناكم؛ تعني النجاة تمت بسرعة، وزمن قصير، وقوة عظيمة؛ أي: جهد أكبر، وصعوبة أشد، كما حدث؛ حين أنجاهم من الغرق.

﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: أصل الال؛ أهل الرجل، وأعوانه، وأتباعه.

﴿فِرْعَوْنَ﴾: ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون، أهورمسيس الثاني، أم ابنه منفتح؛ أي: فرعون المربي، أم فرعون الخروج؟ وآل فرعون يعني: آل فرعون الأب، وفرعون الابن.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: يسومونكم من السؤم، وسام السلعة؛ أي: طلبها وابتغاها.

إذن، يسومونكم، ييغونكم.



وقيل: سام خصمه؛ أي: أذله، وأعتته، وأرهقه، وسام الماشية: تركها ترعى، فكلمة يسومونكم، جمعت كل تلك المعاني معاً، ففرعون ابتغى لهم العذاب، وأذلهم، وأعتهم، وتركهم فيه زمناً طويلاً.

﴿سَوْءَ الْعَذَابِ﴾: والسوء؛ هو كل ما يغم الإنسان، من أمر دنيوي، أو أخروي، أو يسوء إلى النفس.

﴿سَوْءَ الْعَذَابِ﴾: أشده، وأفظعه، وأقبحه، وما نوع سوء العذاب؟؟ فقد بينه، ووضح ذلك في قوله: ﴿يَذَّبَحُونَ أَبْنَاءَ كُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُمْ﴾، ولو اكتفى بقوله: ﴿سَوْءَ الْعَذَابِ﴾، لربما يظن ظان، أنه ضرب، أو شتم، أو غيره، لا يصل إلى درجة الذبح، أو الاستحياء، والذبح؛ نوع واحد من أنواع القتل، والأبناء؛ تطلق على الذكور فقط، أما أولادكم؛ فتشمل: الذكور، والإناث، وكان الذبح يصيب الأبناء؛ أي: الذكور فقط، ولا يصيب البنات، وفي سورة إبراهيم آية (٦) قال تعالى: ﴿وَيَذَّبَحُونَ أَبْنَاءَ كُمْ﴾ بإضافة الواو، بينما في هذه الآية حذف الواو. حذف الواو دل على أن التذبيح هو سوء العذاب، وإضافة الواو دل على أن التذبيح غير سوء العذاب، وهذا من كلام موسى الذي كان يعدد على بني إسرائيل المحن، أما آية البقرة (بحذف الواو): هو كلام الله سبحانه، وليس في تعديد المحن، بل كان يعدد لهم النعم. ارجع إلى سورة القصص آية (٤) للبيان المفصل.

يذبحون، جاءت بصيغة المضارع؛ لاستحضار الفعل؛ ليدل على بشاعته.

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُمْ﴾: من استحيا؛ أي: أبقاه على قيد الحياة، أو طلب له البقاء حياً؛ أي: يتركون نساءكم أحياء، للخدمة، وللمتعة، وللذل، ولم يقل: يستحيون بناتكم؛ لأنَّ النساء أقوم للخدمة، والمتعة، والتنكيل. ارجع إلى سورة

الأعراف آية (١١٤) وسورة القصص آية (٤)، وسورة إبراهيم آية (٦) للمقارنة ومزيد من البيان.

﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ﴾: في؛ ظرفية، ذلكم: اسم إشارة للبعد، ويشير إلى ﴿سُوءَ الْعَذَابِ يَذِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾، ولم يقل: وفي ذلك لأن ذلكم؛ تفيد التوكيد، والتعدد، والذبح، والاستحياء، وسوء العذاب إلى أهمية هذه الأمور.

﴿بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: البلاء؛ قيل: هو الاختبار، والفتنة، والابتلاء، يكون في الخير، والشر، وفيه؛ معنى تحمل المشاق والمكاره.

فقد قال تعالى: ﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، والابتلاء غايته إظهار طاعة الله تعالى، أو معصية، أو الاختبار يجري لمعرفة العلم بكنه الشيء المختبر، والابتلاء أصله الاختبار؛ تختبره بالضرر، لكي ترى ما عنده من الصبر، أو بالنعمة، لكي ترى إن كان شاكراً، أو جاحداً، والبلاء لبني إسرائيل، كان بنوعيه الشر، ﴿سُوءَ الْعَذَابِ يَذِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾، وبالخير ﴿نَجِّنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، ومن الغرق في البحر.

﴿عَظِيمٌ﴾: لعظم ما فيه، من الآلام، والعذاب، كما، وكيفاً.

[٥٠] ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾.

﴿وَإِذْ﴾: الواو حرف عطف، إذ، تقدّم شرحها في الآية السابقة، واذكروا

إذ.

﴿فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾: ﴿فَرَقْنَا﴾: بفتح الراء، وليس بسكونها، كما في فرقنا،

والفرق؛ هو الفصل، والتمييز بين شيئين، أو أكثر.



فرق: بسكون الراء تستعمل لتفريق الأشياء المخلوطة غير المتجانسة، مثل: تفاح، وبرتقال، وعنب؛ أي: فصل بين كل شيء على حدة.

فرق: بفتح الراء، تستعمل للأشياء المتداخلة، أو الشيء الواحد، مثل تفريق عصير التفاح، والبرتقال، والعنب، الممزوجة معاً، كلاً على حدة، وهذا صعب، ومستحيل، أحياناً.

وَفَرَّقَ: تستعمل للماء - أو الدِّين، مثال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾. ﴿فَرَّقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]؛ أي: فصلنا البحر، وأصبح كل جزء منه، كالجبل، والبحر، قيل: هو البحر الأحمر.

﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾: من الغرق، ومن فرعون، وجنوده، ﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾، تعني: بسرعة، وزمن قليل، وقوة شديدة.

﴿وَأَغْرَقْنَاهُ الْفِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾: تشاهدونهم، يغرقون جميعاً، حتى لا يدخل الشك في قلوبكم بعد ذلك، أن بعضهم نجى. فرعون هذا هو الابن المسمَّى منفتح (فرعون الخروج) وليس الأب رمسيس الثاني مربي موسى ﷺ. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) للبيان.

[٥١] ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكر، إذ: ظرفية زمانية، للماضي؛ أي: واذكر إذ واعدنا موسى، أو وذكر حين واعدنا، على وزن فاعلنا، وتشير إلى مشاركة (مفاعلة)، من طرفين؛ أي: الله سبحانه، وعد موسى، وموسى قبل الوعد.

﴿مُوسَى﴾: اسم أعجمي، أصله بالعبرانية موشا.

مو: هو الماء، وشا: هو الشجر، وسمي بذلك؛ لأن موسى ﷺ، التقط في مكان، فيه ماء، وشجر (اليم وقصر فرعون).

هو موسى بن عمران، من ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ.

﴿وَعَدْنَا مُوسَى﴾: بعد نجاة موسى، وقومه من آل فرعون، ومن الغرق، ووصلوا سيناء.

﴿وَعَدْنَا﴾: جاءت بصيغة التعظيم، ﴿وَعَدْنَا مُوسَى﴾: لاستلام التوراة، والألواح، وضرب له ميقاناً مكاناً جانب الطور الأيمن.

وزمناً ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: كان الوعد ثلاثين ليلة، ثم أتمها الحق سبحانه بعشر أخرى، كما قال تعالى في سورة الأعراف الآية (١٤٢): ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ففي آية البقرة إجمال للزمان، وفي آية الأعراف تفصيل للزمان، وتفصيل لكثير من الأحداث التي لمت ببني إسرائيل.

قال سبحانه: أربعين ليلة، ولم يقل نهاراً؛ لأن القمر، هو المعتمد عليه في تحديد الشهور.

﴿لَيْلَةً﴾: مؤنث ليل، من مغرب الشمس، إلى طلوع الفجر.

واليوم في القرآن؛ يعني: النهار، وزمنه؛ من طلوع الفجر، إلى مغرب الشمس؛ أي: ما يعادل (١٢ ساعة)، وليس (٢٤ ساعة).

﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾؛ في قول أكثر المفسرين: كانت ثلاثين ليلة، من ذي القعدة، وعشر من ذي الحجة.



﴿ثُمَّ﴾: لمجرد الترتيب، في الذكر.

﴿أَتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾: ﴿أَتَّخَذْتُمُ﴾: صيرتم، أو حولتم العجل إلى إله؛ أي: العجل الذي صنعه لهم السامري، واتخذ من الأفعال التي تأخذ مفعولين؛ أي: اتخذتم العجل إلهاً، فالعجل؛ هو المفعول الأول، وأما المفعول الثاني إلهاً، محذوف في جميع القرآن، وذلك تحقيراً وتوبيخاً؛ لما فعلوه من قمة الفساد، فلا يستحق الذكر.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد ما جاء موسى لميقاتنا.

﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾: أنتم: ضمير منفصل، يفيد التوكيد.

﴿ظَالِمُونَ﴾: من الظلم، وهو الشرك، ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾: بإشراككم، باتخاذكم العجل، ﴿ظَالِمُونَ﴾: جملة اسمية، تدل على الثبوت، بثبوت صفة الظلم لهم، انظر إلى التفاصيل في سورتي الأعراف، آية (١٤٨)، وطه، آية (٨٧) - (٨٨).

[٥٢] ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لمجرد الترتيب في الذكر.

﴿عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾: حين تبتم.

﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: من: ابتدائية، بعد ظرف زماني.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، اللام للبعد، ويشير إلى اتخاذهم العجل.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل: للترجي، أو التعليل، وهنا تفيد التعليل.

﴿تَشْكُرُونَ﴾: تشكرون النعمة؛ الشكر يكون دائماً على النعمة الحاصلة لكم، والنعمة هنا: هي العفو عنكم بعد التوبة؛ انظر الآية (٥٤) من نفس السورة، وارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠) لمزيد من البيان في معنى الشكر.

[٥٣] ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكروا حين ﴿آتَيْنَا﴾: من الإيتاء، وهو العطاء، ولكن الإيتاء ليس فيه تملك، كما في العطاء، فيمكن استرداد الشيء المعطى، والإيتاء أعم من العطاء، يشمل: الأشياء الحسية، والمعنوية، والعطاء لا يكون إلاّ للأمور المادية الحسية.

﴿مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾: التّوراة، والفرقان: إما نعت للتوراة، أو عطف على الكتاب.

فالكتاب: هو التّوراة، والذي يُبين المنهج، والفرقان: الذي يفرق بين الحق والباطل.

﴿وَالْفُرْقَانَ﴾: تطلق على التّوراة، وعلى غيره من الكتب المنزلة كالقرآن، والإنجيل، فالتوراة؛ يجمع بين كونه كتاباً منزلاً، وفرقاناً، يفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام.

وقيل: هذا من قبيل عطف الخاص على العام، الخاص هو الفرقان، والعام هو التّوراة.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل: للتعليل، تهتدون إلى الحق.

[٥٤] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ



فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ
الرَّحِيمُ ﴿٢٤﴾:

﴿وَإِذْ﴾: الواو عاطفة؛ إذ: ظرف للزمن الماضي، وتعني: واذكروا إذ، أو
وذكروا حين قال موسى لقومه.

﴿يَقُومِ﴾: نداء به شعور الحنان، والعطف على قومه.

﴿يَقُومِ﴾: القوم: جماعة كثيرة، وقيل: هم الرجال فقط، أو الرجال،
والنساء معاً.

﴿إِنَّكُمْ﴾: إن: للتوكيد، والكاف: للخطاب.

﴿ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: من معاني ظلم النفس؛ أي: نقصان حقها من
التزكية، بدلاً من تزكيتها، يظلمها، ويدسيها كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾
[الشمس: ١٠]، فيوردها موارد التهلكة والعذاب، ويحرمها من النعيم الأبدي، بالظلم
الذي من معانيه الشرك والصد عن سبيل الله، وظلم الآخرين، وجحد نعم الله.

﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ﴾: الفاء؛ للتوكيد، ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ﴾: التوبة؛ تعني:
الندم على الذنب، والإقلاع عنه، وعدم العودة إليه، والإكثار من العمل الصالح.

﴿بَارِيكُمْ﴾: الباري؛ اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، ذكر مرتين في
القرآن في هذه الآية، وفي سورة الحشر، آية (٢٤).

الباري: اشتق من برأ الخلق؛ أي: خلق الخلق، متميزاً، بعضه عن بعض،
بالأشكال المختلفة، والصور المتباينة، فأعطى لكل مخلوق صورة مختلفة عن
الآخر، وقد تعني يرى المخلوق من الآفات، والأمراض؛ أي: الشافي.

﴿فَأَقْضُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: الفاء: للتوكيد والتعقيب، والتشريع الإلهي كان يقتل كل من اتخذ العجل إلهاً كفارة لذنبه، وهو أقسى أنواع الكفارة، وذلك بأن يقتل الذين اتخذوا العجل بعضهم بعضاً، أو أن يقتل الذين لم يتخذوا العجل الذين اتخذوا العجل، أو أن يقتل من اتخذ العجل نفسه بنفسه.

﴿ذَلِكُمْ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد، والكاف للخطاب، و﴿ذَلِكُمْ﴾: تشير إلى أهمية، وعظم التوبة، والقتل معاً، ولم يستعمل ذلك، بدلاً من ذلكم؛ لهذا السبب.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: لكم خاصة، وليس لغيركم، وهذه التوبة؛ هي أصدق أنواع التوبة، وهي خير لكم؛ لأنها تنجيكم من عذاب الآخرة.

﴿عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾: ارجع إلى مطلع الآية للبيان.

﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾: الفاء؛ للتوكيد، تاب: بصيغة الماضي؛ أي: هداهم كيف يتوبون، فتابوا، فتقبل منهم توبتهم مباشرة، من دون تأخير.

﴿إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾: إنه: للتوكيد، هو: للحصر.

﴿النَّوَابُ﴾: أي: يقبل توبة عباده التائبين، مهما كان عددهم، وعدد توباتهم، ومهما كانت ذنوبهم كبيرة، أو صغيرة.

﴿الرَّحِيمُ﴾: لأنه لا يرد توبة تائب. ارجع إلى الآية (٣٧)، من نفس السورة لمزيد من البيان.



[٥٥] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تُنظَرُونَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكروا إذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك.

القائلون: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾: هم السبعون رجلاً، الذين اختارهم موسى ﷺ ﴿لَمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥]، ممن لم يتخذوا العجل، ذهب بهم موسى إلى جبل الطور، ليعتذروا إلى ربهم ﷻ، من اتخاذ إخوانهم العجل، فلما وصلوا الطور قالوا لموسى: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾؛ أي: لن نصدقك، ولن: حرف نفي للمستقبل القريب، أو البعيد.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية، نهاية الغاية.

﴿نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾: علانية أو عياناً، وجهرة من الجهر، واصل الجهر الظهور؛ أي: رؤية واضحة بالبصر.

﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾: الفاء؛ تدل على الترتيب، والتعقيب؛ أي: بسرعة أخذتهم الصاعقة، وهي الرجفة، التي ذكرها الله سبحانه، في سورة الأعراف آية (١٥٥)، ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾، والصاعقة: قد تكون ناتجة عن الشرر الكهربائي كالبرق التي تحمل في طياتها آلاف الكيلوواتات، فأهلكتهم واحداً تلو الآخر، وهم ينظرون. ارجع إلى سورة فصلت، آية (١٣) لمزيد من البيان.

عندها قال موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتْلُو كُنَّا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن شَاءَ وَتَهْدِي مَن شَاءَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

﴿وَأَنْتُمْ تُنظَرُونَ﴾: أنتم: للتوكيد، ﴿تُنظَرُونَ﴾: ما يحل بكم، من العذاب،

ومن الصعق، وقد تعني: يرى كل منهم الآخر ما يحدث له، من الاختلاجات، وأعراض الصعق.

[٥٦] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب في الذكر، أو الأحداث.

﴿بَعَثْنَاكُمْ﴾: من البعث؛ أي: الأحياء؛ أي: أحييناكم.

﴿مِنْ بَعْدِ﴾: من تعني مباشرة، من دون فاصل زمني، طويل.

﴿مَوْتِكُمْ﴾: أي: موت حقيقي، وليس إغماءً فقط، كما يظن البعض. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٥٥).

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لعل: للتعليل.

﴿تَشْكُرُونَ﴾: الله على بعثكم أحياء من بعد موتكم، وعلى نعمه الأخرى التي لا تعد ولا تحصى. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠) لمزيد من البيان عن الشكر.

[٥٧] ﴿وَوَهَبْنَا لَكُمْ أَلْغَمًا وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلَوى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾:

﴿وَوَهَبْنَا لَكُمْ أَلْغَمًا﴾: في التيه، الغمام؛ سمي غماماً؛ لأنه يغم السماء؛ أي: يسترها، وكان يوصف الغمام بأنه سحب، رقيق، أبيض، للوقاية من حر الشمس المحرقة.

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلَوى﴾: في التيه، والمن؛ هو شيء كالصمغ، أو عصارة سكرية تخرج من سيقان جذوع بعض الأشجار، ثم تجف وهي حلوة



كالعسل، وتمثل الكربوهيدرات، وكانت تخرج من طلوع الفجر إلى بزوع الشمس، وكانت تشاهد على جذوع الشجر، وأوراق الشجر، لها طعم الحلوى المغذية، سهلة الهضم.

﴿وَالسَّلَوَى﴾: طير؛ يقال: إنه السمان، أو يشبه السماني، أو الحجل كان يأتيهم في جماعات كبيرة، ومن الطيور المهاجرة، ويبقى على وجه الأرض، حتى يمسكوا به، ويذبحوه، ويأكلوه، ويمثل البروتينات. فالمن والسلوى غذاء كامل للإنسان.

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: أي: قلنا لهم: ﴿كُلُوا مِنْ﴾: من ابتدائية، وللتبويض.

﴿طَيِّبَاتٍ﴾: جمع طيب، وهو الحلال الطاهر، فكل حلال طيب، وليس كل طيب حلالاً، مثل: المن، والسلوى.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي رزقناكم.

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: الواو: عاطفة، ما: النافية.

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾: حين كفروا بتلك النعم، ولم يشكروا المنعم، والله سبحانه وتعالى أعز أن يظلم، ولا يستطيع أحد أن يظلم الله سبحانه، ولو كفر أهل الأرض جميعاً، ﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: حين جحدوا نعم الله تعالى، وظلم النفس؛ يعني: نقصان حقها، فبدلاً من تركيتها، ظلمها وأنقصها حقها، فأوردها موارد التهلكة، والعذاب، وحرموا أنفسهم من النعيم الأبدي بالظلم.

وقول ﴿أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بدلاً من قوله: ويظلمون أنفسهم؛ إذ قدّم المفعول به على الفاعل؛ للتأكيد على ظلمهم أنفسهم، بما ارتكبوه.

ولا بد من مقارنة قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧].

فقوله: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: جاءت في سياق الحديث عن الأقسام، الماضية، البائدة، واستعمل كلمة ﴿كَانُوا﴾ الدالة على الزمن الماضي.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: جاءت في سياق الحديث عن الزمن الحاضر، أو الحال؛ أي: في الأقسام الذين لا زالوا على قيد الحياة، وليس في الأقسام الماضية.





سورة النمل

سورة النمل ٢

وَإِذْ قُلْنَا أَذْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ
وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا
غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنْ
السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ
أَثْنَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُتُوبًا
وَأَشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسِي لَنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَآئِهَا وَفُومِهَا
وَعَدَسِهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ
بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْطُوا مَصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ اللَّهِ
اللَّهُ ذَالِكُ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَالِكُ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾



سورة البقرة [الآيات ٥٨ - ٦١]

[٥٨] ﴿وَإِذْ قُلْنَا أَذْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾:

قبل البدء بتفسير هذه الآية لنعلم أن هذه الآية جاءت في سياق تعداد النعم على بني إسرائيل لقوله تعالى لما افتتح ذكر بني إسرائيل قال تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧].

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكروا؛ إذ قلنا.

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾: أسند القول إليه سبحانه؛ اهتماماً بهم؛ الخطاب المباشر من اله سبحانه لبني إسرائيل. وفي سورة الأعراف آية (١٦١) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ ارجع إلى سورة الأعراف: آية (١٦١) لبيان الاختلاف.

﴿أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: قيل: هي بيت المقدس، أو أريحا، أو غيرها، أمروا بدخولها، بعد التيه. وفي سورة الأعراف آية (١٦١) قال تعالى: ﴿أَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٦١) لبيان الاختلاف.

﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾: الفاء؛ هنا، للتعقيب، والسرعة؛ أي: كلوا؛ بمجرد دخولكم، وكأن الطعام مهيب لهم، كما نفعل في حالة إقراء الضيف.

﴿حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾: هذه الآية؛ تدل على أن هناك أصناف كثيرة من الطعام، ﴿رَغَدًا﴾: كلوا هنيئاً، لا عناء فيه، وتأخير كلمة ﴿رَغَدًا﴾؛ في هذه الآية بدلاً فكلوا منها رغداً حيث شئتم؛ لكونها في سياق الدنيا، بينما في الحديث، عن الجنة، وآدم، قَدَّمَ ﴿رَغَدًا﴾؛ فقال: ﴿وَكَلَّا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥]. وفي سورة



الأعراف آية (١٦١) حذف رغداً وقال تعالى: (وكلوا حيث شئتم)؛ ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٦١) لبيان الاختلاف.

وهذا التأخير، والتقديم في الرغد؛ لكون الجنة والدنيا، لا تتساويان في لذة العيش، فرغد الجنة مقدّم على رغد الدنيا.

﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾: وادخلوا الباب؛ باب القرية، التي ذكرت في مطلع الآية. وفي سورة الأعراف آية (١٦١) قدم (حطة) وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾؛ ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٦١) لبيان الاختلاف.

﴿سُجَّدًا﴾: ولم يقل سجوداً؛ سجداً: تدل على المبالغة في السجود؛ أي: في منتهى الخضوع، والتواضع، واسجدوا عند الانتهاء، إلى الباب؛ شكراً لله، وتواضعاً، سجود الشكر، وقدم السجود على القول، ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾؛ لأنّ السجود أعظم، وأشرف من الدعاء، (القول)، وأقرب ما يكون العبد من ربه، وهو ساجد.

﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾: حطة؛ من الحط، بمعنى: الوضع، والإنزال، وأصله إنزال الشيء، من علو، واستحطه؛ أي: سأله أن يحطه عنه؛ أي: حط، عنا ذنوبنا يا ربنا، واغفر لنا، (ويمثل الاستغفار).

﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾: الغفر، هو الستر، والمغفرة؛ هي ستر الذنب، وأما العفو؛ فهو ترك العقوبة.

﴿لَكُمْ﴾: أي: تغفر لهؤلاء، الذين قاموا، بما أمروا به.

﴿خَطِيئَتَكُمْ﴾: جمع خطيئة جمع كثرة، مقارنة بخطيئاتكم في الأعراف آية (١٦١) (جمع قلة)، والخطايا تشمل كل الذنوب.

﴿نَفِّرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ﴾: مهما كثرت، أو تنوعت، سواء أكانت في العبادات، أو غيرها، ولم يقل من خطاياكم؛ من: البعضية؛ أي: بعض خطاياكم.

﴿وَسَزَيْدُ الْمُحْسِنِينَ﴾: الواو؛ هنا، تدل على الاهتمام والتأكيد. وفي سورة الأعراف آية (١٦١) قال تعالى: ﴿سَزَيْدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بدون الواو؛ ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٦١) لبيان الاختلاف.

وماذا بعد الغفران؛ قيل لهم: ﴿وَسَزَيْدُ الْمُحْسِنِينَ﴾، ولمعرفة معنى الإحسان، ارجع إلى الآية (٨٢) من سورة البقرة، وارجع إلى سورة الأعراف آية (١٦١) للمقارنة والمزيد من البيان.

[٥٩] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾:

﴿فَبَدَّلَ﴾: أي: الذين ظلموا أو امر الله، ولم يتبعوها، فقد أمروا بالاستغفار، والتوبة، والسجود، فخالفوا ذلك، ولم يفعلوها، وقالوا ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾، وقيل: إنهم بدلوا قول الحطة، بالحنطة، ولم يدخلوا ساجدين، ولم يتمثلوا أوامر الله تبارك وتعالى.

وفي آية سورة الأعراف (١٦٢): ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾، تدل على التخصيص؛ أي: هناك من ظلم نفسه، وهناك من لم يظلم، واتبع أوامر الله، ارجع إلى الآية (١٦٢) من سورة الأعراف، وفي آية سورة البقرة: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾؛ ولم يقل: منهم؛ كأنه لا يريد أن يصرح من هم الظالمون، ولكنه أعاد ذكرهم في آخر الآية؛ فقال: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وفي هذا تقبيح، وتهويل لظلمهم.

﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾:

الرجز: بكسر الراء يعني: العذاب كما روي عن ابن عباس وغيره؛ وأصل



الرجز هو الاضطراب، ومنه ناقة رجزاء، إذا تقارب خطوها، واضطرب؛ لضعف فيها، وسمي العذاب رجزاً؛ لما فيه، من الفزع والاضطراب.

وأما قوله تعالى: ﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥]؛ تعني: الأصنام كما قال ابن عباس، أو المعصية كما قال آخرون، وأما قوله تعالى: ﴿وَيَذْهَبَ عَنْكُمُ رَجَزُ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنفال: ١١]؛ تعني: وسوسته وشك الشيطان.

فالرجز: تعني العذاب، أو الأصنام، أو وسوسة الشيطان وكيد، ووردت الرجز في عشر مواضع بهذه المعاني الثلاثة، وأما الرَّجْزُ: بفتح الراء والتشديد تعني: الذنب أو العذاب وعبادة الأوثان؛ أي: الشرك.

وأما الرجس: فهي أوسع معنى من الرجز؛ تعني: الشيء أو الأمر المستقبح القدر النجس، وتعني العذاب؛ فالرجس أعم من الرجز؛ أي: الرجس تشمل العذاب وغيره من القبيح والقذر من عبادة الأوثان والشرك.

﴿فَأَنْزَلْنَا﴾: الفاء؛ تدل على المباشرة، والتعقيب.

الإنزال؛ يعني: مرة، أو عدة مرات، أما الإرسال؛ فيعني: التواصل، والاستمرار، والشدة في الإنزال كما قال تعالى في الآية (١٦٢) في سورة الأعراف: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ﴾.

أمثلة على آيات الإرسال: في سورة الحجر الآية (٢٢): ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾؛ وتلقيح الأزهار، والثمار، يكون بشكل مستمر.

في سورة طه: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾؛ لأنه؛ أراد لهم الغرق، والطوفان يحتاج إلى استمرار هطول المطر، وكذلك قوله على لسان هود في سورة هود الآية (٥٢): ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾، من هذه الآيات؛ نلاحظ الإنزال، يكون مرة أو مرتين، والإرسال يكون بشكل متواصل، مستمر.

﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا﴾: عذاباً، ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾؛ قيل: هو الطاعون، أو غيره؛ من أنواع العذاب.

﴿يَمَّا﴾: الباء: للإلصاق السببية، أو المقابلة.

﴿كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: لتعريف الفسق؛ ارجع إلى الآية (٥٩) من سورة البقرة، وفي الآية (١٦٢) في سورة الأعراف قال تعالى: ﴿يَمَّا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾. ويجب معرفة أنّ هناك فرقاً بين كلمة ﴿يَظْلِمُونَ﴾ و﴿يَفْسُقُونَ﴾.

فالظلم: أشد من الفسق، والفسق: يسبق الظلم، وكل ظالم فاسق، وليس كل فاسق ظالم، وانظر في آية البقرة كيف جاءت كلمة (يفسقون) مع كلمة (الإنزال)، وفي آية الأعراف كيف جاءت كلمة (يظلمون) مع كلمة (الإرسال)، والإرسال أشد من الإنزال، والظلم أشد من الفسق.

[٦٠] ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُّوا مِن مَّا شَرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَإِذِ﴾: أي: واذكر إذ أوحينا.

﴿اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾: طلب السقيا؛ أي: المطر، وكان ذلك في التيه؛ بعد أن قل الماء وعطشوا عندها طلب موسى السقيا لقومه.

وقوله: ﴿لِقَوْمِهِ﴾: فالله سبحانه يقي أنبياءه، وعباده الصالحين، من الشكوى، أو التذمر في حالة الشدة، بل يصبرون، وكأن موسى ﷺ، هنا؛ لم يكن ظمآن، أو كان صابراً، واستسقى لقومه فقط، ولم يدع موسى لنفسه.

﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾؛ والحق ﷻ كان قادراً على أن ينزل عليهم مطراً من السماء مباشرة، وينتهي الأمر، ولكن الله ﷻ؛ أراد أن يريهم



معجزة أخرى، بأن يضرب موسى بعصاه الحجر، وكلمة الحجر فيها: ألف ولام التعريف، إذن هو حجر مُعين، وليس أيَّ حجر، وإلا فجاء، بصيغة النكرة.

﴿فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾:

أي: فضرب ﴿فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ﴾: الانفجار، هو خروج الماء، بشدة، وغزارة، وصوت، بعكس الانبجاس، الذي يدل على سيلان الماء، بقلّة، وببطء، كما ورد في سورة الأعراف، آية (١٦٠)، وقيل: الماء قل، بسبب ازدياد، وكثرة معاصيهم، وقيل: إن الانفجار حدث أولاً، ثم بعد ذلك الانبجاس ثانياً، وهو السيلان؛ فأصبح الماء يسري كالعيون، كل سبط له مجرى.

﴿اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾: بعدد الأسباط؛ فلكل سبط عين؛ حتّى لا تقع بينهم البغضاء والشحناء.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾؛ ﴿قَدْ﴾: للتحقيق؛ أي: ثبت، ووقع.

كُلُّ أُنَاسٍ؛ أي: كل سبط، ﴿مَشْرِبَهُمْ﴾: عينهم التي يشربون منها.

والمشرب: موضع الشرب. وفي الآية (١٦٠) من سورة الأعراف قال تعالى: ﴿إِذِ اسْتَسْقَيْنَهُ قَوْمُهُ أَنْبَ اضْرَبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾؛ ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٦٠) لمزيد من البيان.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾: كلوا من المن، والسلوى، وغيرها، واشربوا من هذا الماء، فهذا كله من رزق الله، يأتاكم بلا تعب، ولا مشقة.

﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: والعثو: هو أشد الفساد، أو كثرة الفساد.

وانتهوا عن نشر الفساد في الأرض، ولا تتمادوا فيه؛ كي لا يصبح الفساد، من صفاتكم الثابتة. ارجع إلى الآية (٢٥١) من نفس السورة لمزيد من البيان.

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَجِدْ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْثِي

الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ
أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهَيِّطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ
وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَيَعْصِبُ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١﴾

﴿لَنْ﴾: حرف؛ لنفي المستقبل، القريب، والبعيد.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَنْمُوسَىٰ لَنْ نَضِيرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾: نلاحظ في هذه الآية أن
الطعام، وصف بأنه طعام واحد، رغم أنه ذكر سابقاً، أنه صنفان: المن والسلوى،
ويبدو أنهم قد سئموا، وضجروا من أكل المن، والسلوى في التيه طعام واحد:
أرادوا بالواحد ما لا يختلف، ولا يتبدل، ويتكرر كل يوم.

وقيل: إنهم كانوا يأكلون المن بالسلوى.

﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾: لم يقولوا: (ربنا)، ربما لكون موسى أقرب إلى الله منهم.
﴿فَادْعُ﴾: هو الطلب من الأدنى إلى الأعلى، ويسمى دعاء، وإذا كان الطلب من
الأعلى إلى الأدنى؛ يسمى أمراً، ومن مساوٍ إلى مساوٍ قيل: طلب.
وقوله تعالى: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾: يفيد أن الدعاء مطلوب منهم ضروري،
بخلاف قوله: أن تدع لنا ربك؛ فإنه لا يدل على أن الدعاء مطلوب منهم؛ أي:
غير ضروري.

﴿مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾:

يخرج لنا مما تنبت الأرض، ﴿مِنْ بَقْلِهَا﴾، والبقل؛ هو كل نبات لا
ساق له، مثل الخس، والفجل، والكراث، والجرجير، ﴿وقِشَائِهَا﴾: صنف من
الخيار، ﴿وفُومِهَا﴾: والفوم هو القمح، أو الثوم، والحبوب، ﴿وعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾:
والعدس، والبصل؛ معروفان.



﴿قَالَ أَتَشْتَبِدُونَ الَّذِي هُوَ أَدْفَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾: الباء؛ تدخل عادة على المتروك؛ أي: إنهم يريدون استبدال الذي هو خير، وهو المن والسلوى، الذي هو رزق مباشر، من الله بالذي هو أدنى، ولا يقصد هنا الدناءة، فالرزق؛ مهما كان، لا يمكن أن يوصف بذلك، وبالذي هو أدنى هنا قيمة، أو أردأ؛ بالذي هو أفضل وأشرف.

﴿أَهْطُوا مِصْرًا﴾: عندما أصروا على الطلب، قيل لهم: ﴿أَهْطُوا مِصْرًا﴾؛ أي: انزلوا مصرًا، ولم يقل مصر، بل مصرًا بالتثنية؛ تعني: مصرًا من الأمصار؛ أي: بلدًا من البلدان.

ومصر: بغير تنوين؛ تعني: مصر الحقيقية، (جمهورية مصر العربية)، وقد وردت مصر، بالتثنية في آية واحدة، هي هذه الآية، ومصر بغير تنوين، وردت في (٤) آيات في القرآن.

﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَأْسًا لَّئِمًّا﴾: فإن؛ الفاء للتوكيد، وإن لزيادة التوكيد.

﴿سَأَلْتُمُ﴾: من تلك النباتات: البقل، والقثاء، والفوم، والعدس، والبصل.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾: ضربت، أحاطت بهم، لازمتهم الذلة، أو طبعت عليهم.

﴿الذِّلَّةُ﴾: هي المشقة، التي تؤدي إلى الانكسار، والذلة، والذل بمعنى واحد، وتعني كذلك: الهوان، والخضوع. وقيل: ضربت عليهم الذلة زمن موسى، وفي زمن محمد عليهم السلام.

﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾: قيل: الفقر، والفاقة، أو انكسار في الهيئة، وسمي الفقير مسكيناً؛ لأنَّ الفقر أسكنه، وأقعده، وهناك فرق بين الفقير والمسكين، سنراه في سورة الكهف.

والذلة: تبدو على الإنسان من مظهره الخارجي، وأما المسكنة: فشعور داخلي للإنسان يظهر في سلوكه.

وقيل: إن بني إسرائيل؛ كانوا يرتدون الثياب القديمة، الرثة، ويتظاهرون بالمسكنة، والفقر، حتى تخفف عنهم الجزية.

لنقارن الآية (٦١) من سورة البقرة: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبَغَضَ مِنْ اللَّهِ﴾.

وآية (١١٢) من سورة آل عمران: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُلْقُوا إِلَّا يَحْبِلُ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبَغَضَ مِنْ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾.

والاختلاف بين الآيتين؛ يرجع إلى:

١ - آية سورة البقرة؛ جاءت في سياق زمن موسى ﷺ، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾؛ مثل: الهزائم في الحروب دائماً، مع العمالق مثلاً.

وآية سورة آل عمران؛ جاءت في سياق زمن الرسول ﷺ، ضربت عليهم الذلة، بسبب حروب خيبر، وبني قريظة وقينقاع؛ كما جاء في سورة الحشر؛ بينهم وبين المسلمين.

٢ - في آية سورة البقرة؛ الذلة، والمسكنة، ضربت عليهم في آن واحد، في زمن واحد.

بينما في آية سورة آل عمران، ضربت عليهم الذلة في زمن، والمسكنة في زمن آخر؛ أي: في زمنين مختلفين، ارجع إلى آية سورة آل عمران لمزيد من البيان.

﴿وَبَاءَ وَبَغَضَ مِنْ اللَّهِ﴾: رجعوا مستحقين لغضب الله، بسبب عصيانهم.

﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: الغضب والذلة والمسكنة، ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ



الله؛ أي: بالقرآن، والإنجيل مثلاً، وبصفة محمد ﷺ، وآية الرحم، وينكرون نعم الله عليهم. ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: ويقتلون: جاء بالفعل المضارع هنا، بدلاً من: قتلوا النبيين بغير الحق؛ ليدل على بشاعة، وعظم هذا الذنب، وهذا يسمى حكاية الحال، وكأنه يحدث الآن، رغم كونه حدث في القديم: وقتل النبيين أو الأنبياء دائماً، هو بغير حق، فلماذا جاء في هذه الآية بغير الحق، فنحن نعلم أن القتل العادي، لأي فرد يكون بالحق، أو بغير الحق.

بالحق إذا ارتكب جريمة ما، توجب القصاص؛ كالقاتل يُقتل، وبغير الحق إذا قتل بريئاً.

فالأنبياء أو النبيون؛ لم يرتكبوا أي جريمة، لكي يقتلوا بحق، أو بغير حق. ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾؛ أعاد ذكر ﴿ذَلِكَ﴾: للتوكيد، على ما استحقوه من الغضب، والذل، والمسكنة، ﴿بِمَا عَصَوْا﴾؛ الباء السببية للإلصاق؛ أي: ارتكابهم المعاصي، ومخالفة أوامر الله.

﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: حدود الله بظلم الغير، وظلم أنفسهم، إضافة إلى كفرهم بآيات الله، وقتلهم النبيين، والأنبياء، بغير حق، وعصيانهم المتكرر المتجدد.

لنقارن الآيات المتشابهة:

في سورة البقرة، الآية (٦١): ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾.

في سورة آل عمران، الآية (٢١): ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

في سورة آل عمران، الآية (١١٢): ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

في سورة النساء، الآية (١٥٥): ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

يقتلون؛ جاءت بصيغة المضارع، وهي صورة أبشع وأسوأ من قتلهم؛ بصيغة الماضي؛ التي تدل على القتل مرة واحدة، بينما يقتلون؛ تدل على التجدد والتكرار.

الأنبياء؛ أكثر عدداً؛ (جمع كثرة)، من النبيين؛ أقل عدداً، جمع قلة؛ لأنَّ ﴿الْأَنْبِيَاءَ﴾: جمع تكسير، و﴿النَّبِيِّينَ﴾: جمع مذكر سالم.
بغير حق: نكرة، أبشع وأسوأ من القول بغير الحق.
الحق يعني: الذي شرعه الله في القصاص؛ القاتل يُقتل.

ومعنى الآيات: أنهم، إذا وجدوا القليل من النبيين، قتلوهم، وإذا وجدوا الكثير من الأنبياء، قتلوهم، فلم ينجوا منهم، فهم يقتلون النبيين، والأنبياء، بغير حق أصلاً، فليس هناك مبرر، مهما كان يدعو إلى قتل أي نبي بحق، أو بغير حق، أو حتّى إلى إيذاء نبي؛ لأنهم عليهم السلام لم يرتكبوا أي جريمة بالحق، أو بغير الحق.

قتل النبيين بغير حق؛ أبشع، وأشد عقوبة، من قتل النبيين بغير الحق؛ لأنَّ حق؛ نكرة، والحق؛ معرفة، فالسبب أشد وأسوأ.
وقتل الأنبياء بغير حق؛ أبشع وأشد عقوبة من قتل النبيين بغير حق؛ لأنَّ العدد أكثر.





المائدة الأولى

سورة البقرة ٢

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ
مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ
بِقُوَّةٍ وَآذِكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ
بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ أَعْتَدُوا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَلَنَهَا نَكَالًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا
هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا
ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ
وَلَا يَكْرَهُونَ أُبَيِّنْ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا لَوْ نُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾

سورة البقرة [الآيات ٦٢ - ٦٩]

[٦٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مَن ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾
﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: من أمة محمد ﷺ.

﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾: ولم يقل: وبني إسرائيل، أو اليهود، بل قال: ﴿وَالَّذِينَ
هَادُوا﴾: دخلوا في اليهودية، ولم يكونوا من سبط يهوذا، أو بني إسرائيل، أو
الذين قالوا: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاكَ إِلَيْنَا﴾ [الأعراف: ١٥٦] من أتباع موسى ﷺ.

﴿وَالنَّصَارَى﴾: أتباع عيسى ﷺ، وسُمُّوا بالنصارى؛ نسبة لقرية الناصرة،
نزل فيها المسيح ﷺ، أو سُمُّوا نصارى؛ لأنهم نصرّوا المسيح ﷺ؛ حين قال:
﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢].

﴿وَالصَّبِيَّانَ﴾: جمع صابئ، من صبا؛ أي: خرج من ملّة إلى ملّة. قيل:
هم قوم خرجوا من ملّة اليهودية، والنصرانية، وعبدوا الملائكة، ولهم بقايا في
العراق، أو هم قوم، كانوا يعبدون الكواكب، ويزعمون أنهم على ملّة ابن شيث بن
آدم، وقيل: هم قوم، يعبدون النجوم، والكواكب، أو يتبعون النّبي يحيى ﷺ.

﴿مَن ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: آمن بالله: هو الاعتقاد الجازم بوجوده، وأنه
الإله الحق، وبوحدانيته سبحانه وتعالى وربوبيته وإلوهيته وأسمائه وصفاته بدون
تحريف أو تعطيل أو تمثيل أو تكيف. من أمة محمد ﷺ، ولم يشرك بالله ﷻ،



ومن كان على دين موسى ﷺ، ولم يبدلوا ويحرفوا، ويشركوا بالله ﷻ، ومن كان على دين عيسى ﷺ، ولم يشرك بالله. والصابئون زمن استقامتهم.

﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: وأطاع أوامر الله تعالى، وتجنب ما نهى عنه؛ أي: أقام فرائض الله، وتجنب نواهيه. وإذا قارنا قوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ مع قوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ كما في سورة الفرقان آية (٧٠) نجد مع آيات الإيمان يأتي ذكر عمل صالحاً، وفي سياق آيات الأعمال يأتي ذكر عمل عملاً صالحاً.

﴿فَلَهُمْ﴾: الفاء؛ للتوكيد، لهم: اللام؛ لام الاختصاص.

﴿أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: الأجر، مقابل العمل؛ أي: يسبق الأجر عمل وجهد وبذل، ولا يأتي الأجر في القرآن إلا في سياق الخير، والأجر قد يكون في الدنيا أو في الآخرة، والأجر هو من الله تعالى، أو قد يكون من غيره.

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٣٨) من سورة البقرة، وبعض المفسرين؛ قال: هذه الآية تعني: المؤمنين حقاً من كل أمة.

وبعض المفسرين قال: هذه الآية تعني: من انحرف عن دين الله من الذين آمنوا؛ أي: (المنافقين)، والذين هادوا، انحرفوا، وبدلوا التوراة، والنصارى الذين أشركوا بالله، وقالوا: المسيح ابن الله، أو ثالث ثلاثة، والصابئين الذين عبدوا الكواكب، من آمن من هؤلاء بالله، واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. . .

في هذه الآية من سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ﴾: نلاحظ أنه نصب ﴿وَالصَّبِيَّانَ﴾: وأخرهم عن النصارى، وعن

كل الملل، وقدّم النصارى وغيرهم على الصابئين؛ لأنّ النصارى وغيرهم هم أهل كتاب، فالتقديم هنا مبني على التفضيل بالمنزلة، فالكل أفضل من الصابئين. أما في سورة المائدة، الآية (٦٩): ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى﴾.

نلاحظ أنه رفع الصابئين، وقال: ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾، وقدّمهم على النصارى. عطف بالرفع ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾؛ بدلاً من العطف بالنصب، ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ الذي هو القاعدة التي كانت يجب اتباعها.

والعطف بالرفع أقل تأكيداً كما هو العطف بالنصب، فهو مؤكد. عطفهم بالرفع؛ لأنهم أشد المذكورين ضللاً، وقدّمهم على النصارى؛ لأنّ الآيات جاءت في سياق ذم عقيدة النصارى، القائمة على التثليث، وأنّ عيسى ابن الله؛ فإذا كانت هذه هي الحال؛ فعقيدة الصابئين أفضل من عقيدة النصارى، القائمة على الشرك، والتثليث.

وأما في سورة الحج، الآية (١٧): ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾.

في هذه الآية؛ نلاحظ أنه نصب كلمة ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾؛ وقدّمهم على النصارى، والنصب هو القاعدة.

فلماذا قدّمهم؟

التقديم هنا بالزمن، ف(الصابئين) أقدم من النصارى من حيث زمن وجودهم.

وقيل: إنّ الصابئين لم يكونوا على عقيدة واحدة، أو منزلة واحدة، فإذا



فرضنا أنّ بعضهم كان ضالاً، والبعض الآخر أشد ضللاً، رغم أنهم من نفس الملة.

فالصابئين: الضالين.

والصابئون: من هم أشد ضللاً. والله أعلم.

[٦٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكروا إذ، أو: واذكروا حين، إذ: ظرف للزمن الماضي.

واذكروا حين ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾، والميثاق؛ العهد الموثق، أو المؤكد، على العمل بالتوراة، وتطبيق أحكامها، وامثال أوامر الله، وتجنب ما نهى عنه، ثم تقاعستم، وأعرضتم عن الأخذ بها، بجد، واهتمام، وتطبيقها ممّا أدّى بنا إلى رفع الطور فوقكم.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾: الطور؛ هو الجبل، ولكنه أقل حجماً، وشدة في التكوين، ارجع إلى الآية (١٧١) في سورة الأعراف للبيان، والمقارنة وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَفَخْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾، ونلاحظ في آية سورة البقرة، أنه استعمل كلمات: الطور، والرفع، وقدم كلمة ﴿فَوْقَكُمْ﴾، وفي آية سورة الأعراف، أنه استعمل كلمات: الجبل، والتقى، وآخر كلمة ﴿فَوْقَكُمْ﴾، كلمات تشير إلى الشدة، والقوة، والعنف، والسبب في ذلك قد يعود إلى أن السياق في سورة البقرة في تعداد النعم، والتذكير بها، والمخاطبون أكثر إيماناً من المخاطبين في سورة الأعراف، والسياق في سورة الأعراف، جاء بالتهديد والوعيد؛ لبني إسرائيل؛ بسبب كثرة معاصيهم، ولذلك استعمل الكلمات، الأكثر شدة، وعنفًا لتناسب الموقف.

﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾: أي: خذوا تكاليف التوراة، واعملوا بها بجد



واجتهاد، وقوة، ومن دون تخاذل، وإن لم تفعلوا ذلك أسقط عليكم الطور، والباء تفيد الإلصاق.

﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾: احفظوا، وادرسوا ما فيه من الأحكام، ولا تنسوها، وتضيّعوها، واعملوا بها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لعلّ: للتعليل، ﴿تَتَّقُونَ﴾: إسقاط الطور فوقكم، والهلاك، أو تتقون سخط الله، وغضبه، وعذاب الآخرة.
[٦٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، في الذكر، والأحداث.

﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: تولّى: ابتعد، ولم يطع، ولم يستمع؛ أي: لم تطيعوا، وتعملوا بالتوراة.

﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: من بعد رفع الطور فوقكم، أو من بعد ميثاقكم، للعمل بجِد واجتهاد، في طاعة أوامر الله تعالى.

﴿فَلَوْلَا﴾: الفاء؛ للتأكيد، لولا: حرف امتناع لوجود، امتناع خسارتكم؛ لوجود رحمة الله.

﴿فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: الفضل؛ هو ما يتفضل به من غير سبب يوجبه، والفضل هو الزيادة على ما يستحق، وفضل الله عليكم بالإمهال، وتأخير العذاب عنكم، ولم يعاجلكم بالعقوبة.

﴿وَرَحْمَتُهُ﴾: بأن أرسل إليكم رسله، ومنهم: عيسى ﷺ، ورسول الله محمد ﷺ، ورحمته، بأن فتح لكم أبواب التوبة.

﴿لَكُنْتُمْ﴾: اللام؛ لام الاختصاص، أو الاستحقاق.

﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: في الدنيا والآخرة. ارجع إلى سورة النساء، آية (١١٩) للبيان.

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِرِينَ﴾: ﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتأكيد، قد: لزيادة التوكيد.

﴿عَلِمْتُمُ الَّذِينَ﴾: علمتم؛ من العلم، من الآباء، والأجداد، نبأ الذين اعتدوا في السبت، ولقد علمتم، لا تعني: ولقد عرفتم، هناك فرق كبير، بين علم وعرف، علم؛ تستعمل للصفات، وعرف؛ تستعمل للذوات، ولو قال: عرفتم؛ لكان خطأ؛ لأنهم لا يعرفونهم بذواتهم؛ لأن بينهم قروناً طويلة.

﴿اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾: تجاوزوا حدود الله، حين حرم عليهم الصيد يوم السبت، فاصطادوا، وتحايلا على الله تبارك وتعالى.

ارجع إلى قصة هؤلاء، في سورة الأعراف، الآيات (١٦٣-١٦٦).

﴿فَقُلْنَا لَهُمْ﴾: بكلمة؛ كن فيكون؛ أي: بمجرد أن قال لهم: ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾؛ كانوا؛ أي: تحولوا إلى قرود وتمت عملية المسخ وكم عاشوا وكيف انقرضوا وما حل بهم الله أعلم بذلك.

﴿خَاسِرِينَ﴾: جمع خاسئ، والخاسئ هو المبعد، أو المطرود؛ من رحمة الله تعالى.

﴿خَاسِرِينَ﴾: جملة اسمية، تدل على ثبوت صفة الخسء.

[٦٦] ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾: الفاء؛ للترتيب، والمباشرة، جعلناها: من الجعل، التصيير، جعل: صير؛ أي: مسخهم إلى قرود.

﴿نَكَالًا﴾: من النكال، وهو القيد؛ يستعمل للعقوبة، وجمعه: أنكال، ونكل به تنكيلاً؛ صنع به صنيعاً، يُحذر به غيره.

وتعني: عقاباً شديداً، فالعقوبة؛ أي: المسخ قردة، سميت نكالاً؛ لأنها تحذر الآخرين، من الاعتداء، وتجاوز حدود الله، وإلا حل بهم كما حل بأصحاب السبت، أو أصبح عبرة للآخرين، أو منعاً لهم للإقدام على فعل ذلك.

﴿لَمَّا﴾: ظرفية.

﴿بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: لمن عاصرها، أو من الأجيال القادمة.

﴿وَمَا خَلَفَهَا﴾: أي: ما بعدها من الأجيال القادمة، أو ما خلفها، للأجيال الماضية، التي خلت؛ منذ تلك الحادثة. ما: لغير العاقل، وكذلك صفات العاقل.

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: موعظة؛ هنا تعني: تحذير، وتخويف، فلا يقوم بها، أو يُقدم عليها أحد من المتقين. ارجع إلى سورة الشعراء آية (١٣٦) لبيان معنى الوعظ.

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: اللام؛ لام الاختصاص. المتقين: الذين يطيعون أوامر الله، ويجتنبون نواهيه.

[٦٧] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنُخْذُّهَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكر إذ قال موسى لقومه، أو: حين قال موسى لقومه، وإذ؛ ظرف للزمان الماضي.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ﴾: للتوكيد، والقوم: تعني الرجال دون النساء، أو كليهما معاً.

﴿لِقَوْمِهِ﴾: لام الاختصاص، وفيها؛ معنى الحنان، والعطف.

﴿يَأْمُرُكُمْ أَنْ﴾: أن؛ مصدرية للتعليل، والتوكيد.



﴿تَذَبَّحُوا بِقَرَّةٍ﴾: الأمر؛ جاء بذبح بقرة، لماذا؟ لم يُبين السبب هنا، في مطلع القصة، ولكن بيّنه في النهاية؛ كما سنرى.

فكانه ﷺ، يقول: قم، أو نفذ الأمر الإلهي، سواء عرفت العلة، أو السبب، أو الحكمة، أم لم تعرفه، و﴿بَقَرَةً﴾؛ جاءت بصيغة النكرة، تعني: أي: بقرة، من البقر.

﴿قَالُوا أَنَّنَا هُزُؤًا﴾: أي: قومه قالوا: ﴿أَنَّنَا هُزُؤًا﴾، الهمزة؛ همزة استفهام، إنكاري؛ أي: أتَهْزَأُ بنا؛ فنحن نسألك، من قتل القليل، فتأمرنا أن نذبح بقرة.

﴿هُزُؤًا﴾: من الاستهزاء؛ وهو تحقير المستهزأ به، وتصغير قدره، وفيه؛ معنى العبث.

﴿قَالَ﴾: موسى.

﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾: ألتجأ إلى الله، وأعتصم به، ﴿بِاللَّهِ﴾؛ الباء، باء الإلصاق.

﴿أَن أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: أن؛ تفسيرية للتوكيد.

﴿أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: جمع جاهل؛ لأن الهزل، في حادثة كهذه، حادثة قتل، يدل على السفه، وعدم العلم بما يقوم به، وكيف أهزأ بكم، وأنا أبلغكم ما أمرت به، من ربي.

﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَن أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾؛ ولم يقل: من المستهزئين.

﴿الْجَاهِلِينَ﴾: تضم المستهزئين، وغيرهم. ارجع إلى سورة الزمر آية (٦٤)، وسورة الفرقان آية (٦٣) لمزيد من البيان في الجاهلين.

[٦٨] ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما تؤمرون﴾:

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾: ادع: اسأل لنا ربك، ولم يقولوا: ربنا، فهذا يدل على نقص إيمانهم، وأن موسى ﷺ - طبعاً - أقرب إلى الرب، وأنهم ليسوا أهل دعاء.

﴿يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾: يوضح لنا، ما أوصاف هذه البقرة، وكان يكفي أن يذبحوا أي بقرة، وينتهي الأمر.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾: إِنَّهُ للتوكيد.

﴿لَا فَارِضٌ﴾: لا مسنة؛ أي: كبيرة في السن، وفرضت سنّها؛ أي: قطعت سنّها.

﴿وَلَا يَكُرُّ﴾: الصغيرة؛ التي لم تلد، أو الفتية.

﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾: العوان؛ الوسط؛ أي: لا مسنة، ولا فتية.

﴿فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾: أي: يكفي أسئلة، ونفذوا الأمر؛ بالذبح.

[٦٩] ﴿قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْثُهَا تَسْرُ النَّظِيرِينَ﴾:

واستمروا في أسألتهم لموسى ﷺ، عن أوصاف تلك البقرة، فهم يسألون عن اللون، بعد أن سألوا عن سنّها.

﴿بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْثُهَا﴾: أي: بقرة لونها شديد الصفرة، يعني: لا يكفي أن يكون لونها أصفر، بل لا بدّ أن يكون لونها فاقعاً، ولون الصفرة؛ نادر في البقر، والفقوع؛ يعني شديد الصفرة، وأنصعه؛ من أنصع؛ لأنّ اللون الأصفر، له درجات في الصفار.

﴿تَسْرُ النَّظِيرِينَ﴾: أي: كل من ينظر إليها، يُسرّ بحسنها أو تعجبه.





سورة النمل ٢

الحزب الثاني

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا
 إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ
 تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا
 آلَئِن جِئْتَ بِالْحَقِّ فَدَجَّوْهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ
 قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾
 فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ
 آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِن مِّن الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
 مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِن مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِن
 مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
 ﴿٧٤﴾ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
 يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ
 وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذِ الْقَوَّالُ الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا
 وَإِذَا خَلَا بِعَضْبُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذُوا لَهُمْ سَمَافَةً
 اللَّهُ عَلَيْهِمْ لِيَحْجُوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾



سورة البقرة [الآيات ٧٠ - ٧٦]

[٧٠] ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾:

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾: ما هذه البقرة؟ ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾:

أي: اختلط، والتبس علينا، لكثرت؛ أي: جنس البقر.

التشابه: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾: التشابه: يكون في وجه من الوجوه مثل الصورة الخارجية، أو الشكل أو النوع، وأما لو قال: مشتبهاً فذلك يعني: في أكثر من وجه من الوجوه، أو يعني عدة أمور أشكال، ويصعب معه التفريق بين الأشياء المتشابهة.

كقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾. ارجع إلى سورة الأنعام، آية (٩٩).

﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾: يدل هذا على أنهم قد بدؤوا يشعرون بالخوف، من عدم العثور على مثل هذه البقرة، وهم الآن يدعون الله ويطلبون منه الهداية. اللام في ﴿لَمُهْتَدُونَ﴾: لام الاختصاص والتوكيد.

[٧١] ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّدَلُولٍ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَ فِيهَا فَسَأَلُوا أَكِنَّةً جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾:

﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّدَلُولٍ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾: ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾: أي: لم تستخدم في حراثة الأرض، أو فلاحتها.

﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾: أي: لم تستخدم في إدارة السواقي؛ لسقي الزرع، إدارة



النواعير؛ لإخراج الماء، والحرث هو الأرض المهيأة للزراعة، أو الزرع؛ إلقاء البذور في الأرض المقلوبة.

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: أي: خالية من العيوب، والأمراض، مثلاً: لا عرجاء.

﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾: وهي في الأصل مصدر وشى وشياً؛ أي: إذا خلط لون بلون آخر، يخالف لون سائر جلدها؛ أي: يخالف لونها الأصفر الفاقع، فهي صفراء كلها، لا توجد فيها، بقع ألوان أخرى، وقيل: لا شية فيها؛ أي: لا معة من لون آخر، بياض، أو سواد، وغيرهما.

﴿فَالْوَأَلَتْنِ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾: أي: الآن جئت بالبيان، والوصف التام، والذي لا إشكال فيه، وأوضحت لنا الحقيقة.

والباء: للإلصاق، والحق؛ هو الأمر الثابت الذي لا يتغير.

﴿فَذَبَحُوهَا﴾: قيل: لم يجد بنو إسرائيل إلا بقرة واحدة؛ تنطبق عليها كل المواصفات، فاشتروها، فذبحوها، ونفذوا أمر الله.

الفاء؛ تدل على الترتيب، والمباشرة.

﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾: وما كادوا يجدونها، أو ما كادوا يشترونها، لثمنها الباهظ، أو ما كادوا يذبحونها؛ لكونهم كانوا يخافون انكشاف فضيحة من هو القاتل.

كاد: من أفعال المقاربة؛ أي: ذبحوها، قيل: كانت هذه البقرة لرجل صالح من بني إسرائيل، ومات، وترك زوجة، وابناً، وبقرة فتية أصبحت بقرة بتلك الأوصاف، وكان الابن باراً بوالدته، ولما أمرهم الله بذبح بقرة، بتلك الأوصاف، وجدوا تلك البقرة فقط، عند هذا الابن، الذي ورثها عن أبيه، وباعها بملء جلدها ذهباً.

[٧٢] ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾:

الملاحظ تقديم الأمر بذبح البقرة، وتأخير ذكر السبب لذبحها في هذه الآية وذلك لإثارة التشويق لمعرفة السبب.

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكر إذ، أو: اذكر حين، إذ: ظرف للزمن الماضي.

﴿قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾: القاتل؛ كان فرداً، وليس جماعة، فلماذا جاء بصيغة الجمع؛ لأن القبيلة، أو العائلة، أو الجماعة مسؤولة عن أفرادها.

﴿فَادَرَأْتُمْ فِيهَا﴾: أصلها؛ تدارأتم، والدرء هو الدفع بسرعة، ﴿فَادَرَأْتُمْ فِيهَا﴾؛ تدافعتم بسرعة؛ أي: كل واحد يدفع عن نفسه التهمة، ويلصقها بالآخر، أو يلقي كل منكم تهمة القتل على الآخر.

﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: أي: مظهر ما كنتم تكتُمون بينكم، من أمر القاتل، ستراً عليه، ودفعاً للفضيحة. ارجع إلى الآية (٣٣) لبيان معنى تكتُمون.

﴿مَّا﴾: اسم موصول، أو مصدرية، ولم يقل تخفون؛ لأن الإخفاء يكون للشيء الحسي المادي، والكتمان يكون للشيء المعنوي، مثل: كتمان الخبر، أو السر، أو كتمان المعاني.

[٧٣] ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

﴿فَقُلْنَا﴾: للتعظيم.

﴿أَضْرِبُوهُ﴾: أي: اضربوا القاتل (الميت) ببعضها؛ أي: بعض أجزاء البقرة، ولم يحدد الجزء، فيحيا القاتل، ويخبركم من قتله.



﴿كَذَلِكَ﴾: أي: كما يُحيي الله القتيل الميت، كذلك يُحيي الله الموتى بالبعث.

﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾: معجزاته؛ الدالة على كمال قدرته، كيف تضربون ميتاً بأجزاء ميت آخر، فيحيا، ويكلمكم من قتله، فهذا من عجائب قدرة الله ﷻ، وتصلون إلى الحقيقة، وهي أن الله سبحانه قادر على البعث والإحياء.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تعقلون: من عقل الشيء أي: عرفه بدليله. لعل: للتعليل. كيف اتخذتم العجل إلهاً، وها أنا آمركم بأن تذبحوا بقرة، وأمركم أن تضربوا المقتول ببعض أجزائها، فيرجع حياً، وهل هناك أعظم من هذه الآيات، التي تهديكم للحق، والإيمان بالبعث والحساب.

وما هو الفرق بين آياته، وبين لكم الآيات، وآياتي:

الآيات؛ تعني الآيات العامة؛ الشمس، والقمر، والليل، والنهار.

آياته: إضافة هنا الضمير العائد إليه سبحانه تشریف لها، فهي آيات خاصة. آياتي: أعلى الآيات درجة، وأقربها، أو أحبها إلى الله تعالى، وهي أهم، وأشرف، وأكبر من آياته، وآياته أهم، وأكبر من الآيات.

[٧٤] ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتراخي الزمني.

﴿قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: بعد أن أراكم آياته، وكيف يُحيي الموتى.

واختار القلب؛ لأنه منبع اليقين، ومصب الإيمان؛ لأن الإيمان محله القلب.

﴿قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: خلت من الطاعة، والخشوع، والإنابة، ولم تعد تتأثر بالآيات، والنذر، والوعد، والوعيد.

ومن أهم الأسباب الداعية، أو المسيية لقسوة القلب، نسيان ذكر الله، واقتراف المعاصي، والظلم، والطغيان، ونقص الموائيق.

﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: من بعد كل تلك الآيات، والأدلة على قدرة الله على الإحياء، والبعث، وإنزال التوراة عليكم.

﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾: الكاف؛ كاف التشبيه، والحجارة: هي الشيء القاسي، الذي تدركه حواسنا والمألوف لدينا، ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾: من الحجارة، ولم يشبهها بالحديد؛ لأن الحديد يلين بالنار.

وقوله: ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾: أو تعني: بل هي أشد قسوة من الحجارة.

﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية، بعضية. ﴿الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾: كما حدث،

حين ضرب موسى ﷺ بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا.

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾: والتشقق؛ يعني: تدفق الماء

تدرجياً.

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾: كما حدث؛ حين تجلّى الرب للجبل،

فجعله دكاً، وخر موسى صعقاً، وتكرار ﴿وَإِنَّ مِنْهَا﴾؛ يفيد التوكيد.

﴿يَهْبِطُ﴾: يخر؛ ويسقط من أعلى إلى أسفل؛ من خشية الله. وتعريف



الخشية: هي خوف حقيقي مقرون بالعلم والتعظيم والمهابة من الخالق. وليس فقط الخوف كما يظن البعض.

فالحجارة؛ وغيرها من الجمادات، والنباتات؛ تسبح بحمد ربها؛ كما قال سبحانه: ﴿وَأَنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وتنقاد لأمر ربها.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: وما؛ النافية، ﴿بِغَفِلٍ﴾: الباء؛ للإلصاق، غافل: لا يعلم. والغافل: هو الساهي عن الأمر؛ لعدم اليقظة، أو الانتباه، أو عدم التفطن للشيء، أو عدم حضور الشيء في البال، وأما النسيان فهو عبارة عن الغفلة عن الشيء، وانمحاء صورته كاملاً في الذاكرة. ومنهم من قال: الغفلة هي ترك الشيء سهواً، وربما كان عن عمد، وغفل فلان عن الشيء تركه ساهياً، أو أغفلته إذا تركته على ذكر منك له؛ أي: تركه للشيء باختيار الغافل وأما النسيان فقليل ترك بغير اختيار الإنسان، والغفلة أعم من النسيان فكل نسيان غفلة وليس كل غفلة نسيان.

والغفلة كما عرفها الراغب الأصبهاني: هي سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ، والغفلة وردت في القرآن بمعنى الجهل كقوله تعالى: ﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرُوا أَبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَفِلُونَ﴾ [يس: ٦]، وردت بمعنى النسيان والترك لأمر الله تعالى كقوله: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨].

والغافلون: هم المعطلون أسماعهم وأبصارهم وقلوبهم عن التدبر والتأمل بآيات الله.

والغفلة أنواع: الغفلة عن الله تعالى، وهي أعظمها إثماً، والغفلة عن سنن الله في الكون، والغفلة عن الآخرة والحساب والجزاء والعقاب.

﴿عَمَّا﴾: عن تفيد المجاوزة، والابتعاد، ما: اسم موصول، بمعنى: الذي، أو مصدرية بمعنى: عملتم.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: تشمل الأقوال، والأفعال، ولم يقل عما يعملون؛ لأن تعملون فيها تحذير وترهيب أقوى مما يعملون.

[٧٥] ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿أَفَنظَمُونَ﴾: الهمزة؛ همزة استفهام إنكاري، واستبعاد، والخطاب، لرسول الله ﷺ، والمؤمنين، والفاء للتوكيد، والطمع؛ هو رغبة النفس الشديدة في شيء غير حقها لهذا ذم الطمع، ولها الحق أن تطمع في حقها.

﴿أَفَنظَمُونَ﴾؛ وتعني: أن يصدقوكم، ويؤمنوا لكم؛ أي: اليهود، ويؤمنوا بمحمد ﷺ، وما جاء به.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري، يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾: ولم يقل: يؤمنوا بكم، بل ﴿يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾؛ أي: يصدقونكم، والإيمان الذي يتعدى بالباء؛ مثل آمنوا بالله؛ يعني: إيمان العقيدة.

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: من اليهود؛ وفريق: اسم جمع، بمعنى: طائفة، أو جماعة، وليس كل اليهود يسمعون كلام الله؛ أي: التوراة.

﴿يَسْمَعُونَ﴾: فعل مضارع، يدل على التجدد، والتكرار، ولحكاية الحال.

﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾: ثم: للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿يُحَرِّفُونَهُ﴾: فعل مضارع؛ يدل على التجدد والتكرار، وعلى التحريف، وإن تحريفهم مستمر.



والتحريف: يعني: زيادة في الألفاظ، أو النقص، أو تبديل كلمة بكلمة، أو آية، أو تغيير معنى الكلمة، كانوا يقولون: السَّام عليكم، بدلاً من السلام عليكم، فهم قد بدلوا صفة النبي ﷺ، وآية الرجم.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾؛ أي: سمعوه، وفهموا معناه.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير منفصل، يفيد التوكيد.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: أن الذي فعلوه تحريف، مخالف لأمر الله ﷻ، ويعلمون أنهم كاذبون مفترون.

[٧٦] ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية للمستقبل، شرطية؛ تفيد حتمية الحدوث، وتفيد الكثرة.

﴿لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾:

﴿لَقُوا﴾: الضمير؛ يعود على نفر من اليهود، أو منافقي اليهود، إذا لقوا الذين آمنوا من المسلمين، قالوا: آمنا؛ فهم من الذين قالوا: آمنا بألستهم، ولم تؤمن قلوبهم.

﴿وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾: إذا خلا بعضهم إلى بعض: أي: انفرد، أو رجع إليه، أو مضى إليه، وتعني: خلا الذين لم ينافقوا بالمنافقين.

﴿قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾: الهمة للاستفهام، والتوبيخ: أخبروهم.

﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾: الفتح؛ يعني: الحكم والقضاء. ويعني: الكشف، ويعني التوفيق واليسير.

أي: أتخبروهم بما حكم الله عليكم، أو قضى الله لكم، أو علمكم الله في التَّوراة أنَّ محمداً حق... وأنه يجب الإيمان به ونصرته، أو تخبروا المؤمنين من المسلمين بما بيَّن الله لكم في التَّوراة وفتح عليكم؛ (أي: أعلمكم)، أو أنزل عليكم في التَّوراة في صفة محمَّد.

﴿لِيَحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾: اللام لام التعليل والتوكيد.

والمحاجة: تعني: إظهار الحجة أو الدليل.

أي: لا تخبروهم بأسراركم، وبما أخبر الله في التَّوراة في صفة محمَّد فتكون عليكم حُجة يوم القيامة عند ربكم.

﴿أَفَلَا نَعْقِلُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٤٤) لمزيد من البيان.

أفلا تفهمون، وتفكرون، وتدبرون: أنَّ حديثكم مع المؤمنين سيكون عليكم حُجة ودماراً.





سورة النجم

سورة النجم ٢

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ
إِلَّا يُظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَسْكَامًا مَعْدُودَةً قُلْ
أَتَّخِذُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ؕ أَمْ تَقُولُونَ
عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

سورة البقرة [الآيات ٧٧ - ٨٣]

[٧٧] ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾:

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾: الهمزة: استفهام؛ للتقرير، والتوبيخ.

﴿أَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾: ما؛ اسم موصول، بمعنى: الذي، ﴿يُسِرُّونَ﴾: من السر، وهو ما تسره في نفسك، ولا يطلع عليه أحد، ولا تخبر به أحداً.

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: ما: تفيد التوكيد، وفصل كلاً من الإسرار، والإعلان، أو كليهما معاً.

﴿يُعْلِنُونَ﴾: من العلن، وهو ما تجهر به لغيرك، فإذا علمه اثنان أو أكثر؛ فهو العلن.

[٧٨] ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾:

﴿وَمِنْهُمْ﴾: تعود على قسم من اليهود، غير قادرين على قراءة التوراة، والاطلاع على ما فيها.

﴿أُمِّيُونَ﴾: جمع أمي، والأمي هو الذي لا يعرف الكتابة، وبعض المفسرين يُعرّف الأمي: بالذي لا يقرأ، ولا يكتب، وكلمة أمي مشتقة من كلمة الأم، والأمي سمي بذلك؛ لأنه يبقى على حالته، كما ولدته أمه، لا يكتسب شيئاً من العلم، ولا يتغير.

﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾: لا النافية.



﴿يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾: التّوراة؛ أي: ما فيها، من أحكام، وشرائع، أو لا يفهمون ما يقرؤون.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿أَمَانِي﴾: أكاذيب مختلفة، سمعوها من أحبارهم؛ أي: هم لا يعرفون إلا ما قاله لهم أحبارهم، وهي أمني، مستحيلة الحدوث؛ أي: أمني يتمنى الإنسان أن تحدث له، ولكن حدوثها مستحيل؛ أي: أمني كاذبة، ولو كانوا يعلمون التّوراة حقيقةً لعلموا صفات النبي محمد ﷺ؛ ولآمنوا به.

﴿وَأِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: إن النّافية.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿إِلَّا﴾: للحصر. ﴿يَظُنُّونَ﴾: لا يعرفون شيئاً عن التّوراة إلا ظناً، فهم يظنون أنهم أبناء الله وأحباؤه، ويظنون لن تمسهم النار إلا أياماً معدودات، وأنهم سيغفر لهم، ويرحمهم الله تعالى.

والظن: هو الشك؛ الذي ترجّح فيه كفة الإثبات، على كفة النفي.

[٧٩] ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾:

نزلت هذه الآية؛ كما قال ابن عباس ؓ: في الذين حرفوا التّوراة، وغيروا صفة النبي ﷺ؛ فالله ﷻ يتوعدهم بالويل.

﴿فَوَيْلٌ﴾: الفاء للتأكيد. والويل: هو العذاب، والهلاك، وقد تستعمل كلمة الويل؛ للحسرة، والغفلة، والفضيحة.

﴿يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ﴾: أي: يحرفونه؛ بالتغيير، والتبديل، والإضافة والحذف، وتغيير المعنى، فيكتبونه من جديد.

﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾: الباء: جاءت للتوكيد؛ لأنّ من المعلوم أنّ الكتابة؛ تتم باليد.
 ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: ﴿ثُمَّ﴾: لتباين الصفات، بين كونه من عند
 الله، أو مكتوباً بأيديهم، أو أنّ ما يقولونه؛ هو من عند الله؛ أعظم، وأشد، من
 الكتابة بأيديهم.

﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: اللام في ليشتروا؛ للتوكيد.
 أي: هم يحرفونه؛ ليأخذوا ثمناً، على تحريفهم، ومهما أخذوا مالاً؛ كثر
 لتحريفهم، ومهما بلغ هذا الثمن العظيم، فهو قليل مقابل ما خسروا في آخرتهم
 من الجنة والنعيم.

ارجع إلى الآية (٧٧) من سورة آل عمران للبيان.
 ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: تكرار كلمة الويل، ثلاث مرات للتوبيخ،
 والتقريع، على جريمة التحريف.

﴿لَهُمْ﴾: اللام؛ لام الاختصاص؛ لهم خاصة.
 ﴿مِمَّا﴾: مركبة من + ما، من البعضية، وما اسم موصول، بمعنى الذي.
 وتكرار كلمة الكتابة؛ تدل على التوكيد، وعلى وقوع الكتابة، والتحريف،
 بأيديهم.

﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾: من مال ورشوة، وسحت، وحرام، ولم يقل:
 وويل لهم مما يكتسبون؛ لأنّ الكسب يستعمل في الأمر الحلال، واكتسب على
 وزن افتعل. في الأمر الحرام، فلماذا استعمل يكتسبون بدلاً من يكتسبون؟ لأنّ
 كسبهم للمال الحرام أصبح أمراً عادياً لا حرج فيه، واعتادوا عليه، فأصبح أخذه
 سهلاً، كما يأخذوا المال الحلال.



فبدلاً من كلمة يكتسبون استعمل يكسبون.

ارجع إلى الآية (٢٨٦) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

[٨٠] ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۖ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: الواو عاطفة، قالوا؛ أي: اليهود.

﴿لَن﴾: حرف نفي، تنفي المستقبل القريب، والبعيد.

أي: لن تمسنا النار في القريب، أو البعيد، ﴿تَمَسَّنَا﴾: مشتقة من المس؛ وهو: اللمس الخفيف.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾: معدودة؛ بصيغة التذكير، ولم يقل: أياماً معدودات، بصيغة التأنيث، والعدد أحد عشر؛ يعتبر الميزان، فما زاد على إحدى عشر (١١)، يعتبر كثرة، وما نقص عن أحد عشر، يعتبر قلة.

﴿مَّعْدُودَةً﴾: بصيغة التذكير؛ للدلالة على الكثرة، وهي كما زعموا (٤٠) يوماً تعادل مدة عبادتهم العجل.

أما ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: كما سيرد في سورة آل عمران، الآية (٢٤)، للدلالة على القلة؛ وتعني: (٧ أيام) لاعتقادهم أن عمر الدنيا (٧ آلاف سنة)، وأنهم سوف يعذبون مقابل كل (١٠٠ سنة) يوماً واحداً.

و﴿مَّعْدُودَةً﴾: هنا تعادل (٤٠) يوماً؛ قال ذلك ابن عباس؛ أي: مدة اتخاذهم العجل، وهذا كل مبني على أوهام، ولذلك قال ﷺ لرسوله محمد ﷺ.

﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ.



﴿أَتَّخِذْتُمْ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري.

﴿عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾؛ أي: أعهد (العهد وعد موثق. ارجع إلى الآية (٢٧) من سورة البقرة)، الله إليكم في التّوراة، أو على لسان أحد، أو أوحى إليكم أنه لن يعذبكم، إلّا كما زعمتم.

فإذا عهد إليكم ذلك، ﴿فَلَنْ﴾: الفاء (الفاء للتوكيد)، ولن لنفي المستقبل القريب، والبعيد، يخلف الله عهده، للإضراب الانتقالي، وتعني: حقاً، أو بل، والهمزة في أم: للاستفهام الإنكاري.

﴿أَمْ نَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أم: أتفترون على الله الكذب.

[٨١] ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَظَّتْ بِهِ، خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

﴿بَلَىٰ﴾: رداً على قولهم: ﴿لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾؛ ﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب؛ لنفي ما قبله، وما قبله: ﴿لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾؛ أي: بلى تمسكم النار، وليس صحيحاً ما تقولونه، أو أنكم اتخذتم عند الله عهداً.

﴿مَنْ﴾: شرطية.

﴿كَسَبَ سَيِّئَةً﴾: السيئة: الفعل القبيحة بين الإنسان وبين العباد، وقال

ابن عباس ؓ: السيئة هنا تعني: الشرك، أو كبيرة من الكبائر.

قال: ﴿كَسَبَ﴾؛ ولم يقل: اكتسب؛ لأنّ الشرك أصبح أمراً سهلاً، وحرفته

يمارسها بلا جهد، أو حرج، ارجع إلى الآية (٢٨٦) من سورة البقرة للبيان والفرق بين كسب واكتسب.



﴿وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾: الخطيئة: قيل: هي صفائر الذنوب، وقد تكون من غير تعمد، وأما الخطء: فهو الذنب العظيم، والخطيئة من الخطأ مثل: نسيان حكم من أحكام الصلاة، أو الصيام بدون تعمد، وهي ما كان بين الإنسان وربه. والإحاطة؛ تعني: من كل الجهات، استولت عليه من كل جانب، ومات مشركاً.

أو تحيط سيئاته بحسناته، فتحبطها، أو أن المحيط أكثر من المحاط، أو معنى أحاطت به: أهلكته.

﴿فَأُولَئِكَ﴾: الفاء جواب الشرط.

أولئك: اسم إشارة؛ للبعد.

﴿أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: فهم قالوا: ﴿لَنَ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَلَّا أَنْتِ بَعْدَ مَعْدُودَةٍ﴾، والله سبحانه يرد عليهم بأن النار سوف تمسهم، ليس أياماً معدودة فقط - كما زعموا - بل سيصبحون هم أصحاب النار، وهم فيها خالدون.

﴿أَصْحَابُ﴾: أي: كأنهم أصحاب النار، المالكون لها؛ كما نقول: صاحب الدار، أو الملازمون لها.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل، يفيد التوكيد.

﴿فِيهَا﴾: في النار.

﴿خَالِدُونَ﴾: من الخلد، وهو البقاء الدائم، الذي لا انقطاع فيه، ويبدأ من زمن دخولهم إياها؛ أي: بعد بعثتهم يوم القيامة، وحسابهم.

[٨٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

بعد أن ذكر الله تعالى أصحاب النار، يذكر ما يقابل ذلك، وهم الذين آمنوا.
 ﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول، يفيد المدح.
 ﴿آمَنُوا﴾: بالله؛ وما أنزل إليهم من ربهم.
 ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: الفرائض، والنوافل، وما أمرهم الله، ورسوله ﷺ،
 أو حثهم عليه؛ أي: قنوا العمل الصالح بالإيمان.
 ﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد، ويفيد المدح، والعلو، والشرف.
 ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾: الملازمون للجنة، لا يفارقونها، وكأنهم مالكون لها،
 كما يملك صاحب الدار داره.
 ﴿هُمْ﴾: تفيد التوكيد.

﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾: فيها في الجنة خالدون، من الخلود، وهو البقاء المستمر، لا انقطاع فيه، ويبدأ من زمن دخولهم إياها؛ أي: له بداية، وليس لها نهاية.

[٨٣] ﴿وَإِذَا خَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾:
 ﴿وَإِذَا﴾: الواو.

أي: واذكروا ﴿وَإِذَا خَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: أو اذكروا حين أخذنا.



الميثاق: هو العهد الموثق، المؤكد بأدلة، أو شهود، أو بأيمان أو قسم مأخوذ عليهم في التّوراة.

﴿مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: بنو إسرائيل هم الأجداد والآباء، أخذنا الميثاق من الأجداد، والآباء الأولين؛ أي: السلف.

وهذا الميثاق الذي أخذه على بني إسرائيل، جاء على ألسنة أنبيائهم، ورسلمهم، يتضمن ثمانية تكاليف.

١ - ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾: لا: الناهية.

﴿تَعْبُدُونَ﴾: من العبادة، وهي طاعة المعبود فيما أمر، ونهى عنه، ولا تكون إلا للخالق، ولها أجر. وله منهج.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر إلا الله وحده، وهذا قمة الإيمان؛ أي: لا تشركوا به شيئاً.

٢ - ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: ارجع إلى سورة النساء، آية (٣٦)، وسورة الإسراء آية (٢٣)، وسورة الأحقاف لمزيد من البيان، والباء: للإلصاق.

٣ - ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾: والإحسان إلى ذي القربى؛ أي: أن تصلوا أرحامكم، وباقي القربات، ولو قال: بذی القربى كما في سورة النساء آية (٣٦)، لكان ذلك؛ يعني: أولادكم، وأبناء أولادكم، وأبناء بناتكم؛ أي: أقرب الأقرباء، وتعني: التوكيد.

٤ - ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾: والإحسان إلى اليتامى، واليتيم هو الذي فقد والده وهو طفل قبل سن البلوغ.

٥ - ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾: والإحسان إلى المساكين، وتعريف المسكين: الذي لا يملك ما يكفيه لحاجاته.

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾:

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾: ﴿حُسْنًا﴾: من الحسن، و﴿حُسْنًا﴾: مصدر حسن، وهو ما حسنه الشرع؛ أي: كلاماً طيباً، ليناً. ﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص، الناس. ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: ارجع إلى الآية (٤٣) من سورة البقرة.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: ثم: تشير إلى الترتيب، والتراخي في الزمن، حيث هناك زمن طويل، بين الآباء؛ الذين أخذنا منهم الميثاق، وبين الأبناء.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أي: الكل تولي، أو توليتهم، كما تولي آبائكم، ولم يذكر الآباء؛ لأن ذكرهم متضمن في قوله: ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾، والتولي يعني عن الوفاء بالميثاق، ولم تعملوا به، بقصد ونية.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾: إلا أداة استثناء؛ أمثال: عبد الله بن سلام وأصحابه.

﴿وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾: معرضون عن الوفاء بالميثاق، والالتزام بما وصاكم الله به، كما أعرض آبائكم وأنتم معرضون، تدل على أنهم متعمدون الإعراض عن العمل بالميثاق، كما فعل آبائهم.





البقرة الأولى

سورة البقرة ٢

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
 أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
 ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
 مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِلْثَمِ وَالْعُدْوَانِ
 وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تُمْسِكُوهُمْ وَهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
 إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ
 بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ
 وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ
 يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكَتَبَ وَقَفَّيْنَا مِنْ
 بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ
 بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ
 اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا
 قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

سورة البقرة [الآيات ٨٤ - ٨٨]

[٨٤] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾:

الخطاب لا يزال موجَّهاً إلى بني إسرائيل.

﴿وَإِذْ﴾: للزمن الماضي؛ بمعنى: واذكر إذ أخذنا ميثاقكم، وفي الآية السابقة، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.

أي: الميثاق؛ يتضمن جزأين: الجزء الأول؛ الذي ذكر في الآية السابقة: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالُوا لِلَّذِينَ إِحْسَانًا﴾.

والجزء الثاني؛ المذكور في هذه الآية: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾: أو هو ميثاق آخر أخذه الله عليهم.

﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾: لا: الناهية. ﴿تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾: السفك: هو الصب؛ أي: سيل الدماء، أو إهراق الدماء، والقتل الجماعي؛ أي: لا يسفك كل واحد دم أخيه، ولا يسفك بعضكم دم بعض، والخطاب هنا للجماعة، وليس للفرد، وذلك؛ لأنَّ الحكم هو عائد للجماعة الإيمانية؛ التي تمثل الفرد، والفرد يمثل الجماعة؛ لأنَّ المؤمنين كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

فحين يقتلون إخوانهم كأنهم يقتلون أنفسهم، وهذا معنى ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾.



﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾: أي: لا تخرجون إخوانكم من ديارهم، بالجلاء، والحرب، فإذا فعلتم ذلك كأنكم أخرجتم أنفسكم من دياركم.!

﴿ثُمَّ﴾: للتعقيب، والتراخي الزمني؛ أي: أقررتكم بالميثاق، الذي أقره آباؤكم وأجدادكم.

﴿أَقَرَّرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: وأنتم اليوم، تشهدون على ذلك الميثاق، بعدم القتل، وبعدم الإخراج.

فالإقرار على الميثاق، كان من السلف، ثم تم الإقرار، والشهادة، من الخلف، على الميثاق نفسه.

[٨٥] ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُواكُمْ أُسْرَى تَعُدُّوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتراخي الزمني.

فالخطاب موجه إلى اليهود في المدينة، الذين عاصروا رسول الله ﷺ.

﴿أَنْتُمْ﴾: ضمير منفصل، يفيد التوكيد.

﴿هَؤُلَاءِ﴾: الهاء للتنبيه، أولاء: اسم إشارة، يفيد معنى التعجب، من حالهم، والإنكار عليهم.

﴿تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾: إذا قتل غيره، ومن دون حق، فكأنما قتل نفسه (بالحروب).

﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِكرِهِمْ﴾: بالجلء والطرد، ومظاهرة الآخرين، والمظاهرة؛ هي المعاونة، والتظاهر هو التعاون، وأصله؛ الظهر؛ أي: أن يجعل كل واحد من القوم، أو الرجلين الآخر ظهراً له، يتقوى به، ويستند إليه، أو يساعده على الحمل، أو يحمل عنه.

﴿تَظْهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾: الإثم: في اللغة: التقصير، وأثم: أي: قصر، والإثم المعصية؛ كشهادة الزور، وشرب الخمر.

والإثم: الذنب القبيح الذي يستحق فاعله العقاب، ويشمل الصغائر والكبائر.

والعدوان: هو الظلم، والاعتداء على الآخرين.

فقد كان بنو قريظة، وهم من اليهود، حلفاء للأوس.

وكان بنو قينقاع وبنو النضير وهم من اليهود أيضاً حلفاء للخزرج.

وكل قبيلة أو طائفة تقاتل مع حليفها، فكان اليهودي من هذ القبيلة يقاتل مع حليفه، ضد اليهودي من القبيلة الأخرى، فيقتله أو يخرج منه من بيته، وربما وقع أسيراً في يد الفريق الآخر، وإذا أسر أحدهم، حاولوا دفع الفدية؛ ليفكوه من الأسر، طاعة لله تعالى، فوبخهم الله سبحانه، فقال ﷺ: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْدُواهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ﴾؛ وإن: للتوكيد.

﴿وَإِنْ﴾: للتوكيد ﴿يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ﴾: جمع أسير، أو مأسور، وهو من يؤخذ بالغلبة، فيُشد بالإسار، وهو القيد، وأصل الأسر: الشد بالقيد، وأسير؛ تجمع على أسرى، وأسرى تجمع على أسارى (جمع الجمع).

﴿أُسْرَىٰ﴾: جمع أسير. والذين هم في وثاق، أو الذين ليسوا في أيدي الأعداء.



وأَسَارَى: جمع أسرى، إذن أسارى: جمع الجمع، كقوله ﷺ: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتُخِذَ فِي الْأَرْضِ﴾. والأسرى: الذين هم في يد الأعداء.

﴿تَقْدُوهُمْ﴾: المفاداة: إعطاء شيء، وأخذ شيء مكانه؛ أي: تنقذوهم من الأسر بالفداء، بالمال، أو إبدال الأسرى.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل، يفيد التوكيد.

﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾: بالأصل؛ أي: محرم عليكم إخراجهم، أو إجلاؤهم من بيوتهم، ومحاربتهم؛ لكي لا يقعوا أسرى في يد عدوهم.

﴿أَفْتَوْمُنُونَ بَعْضُ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾:

﴿أَفْتَوْمُنُونَ﴾: الهمزة؛ همزة استفهام إنكاري؛ للتوبيخ، وفيه فضيحة لهم.

﴿أَفْتَوْمُنُونَ بَعْضُ الْكُتُبِ﴾: وهو فكاك الأسرى.

﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾: وهو القتل والإخراج، وقال مجاهد: تفديه من يد

غيرك، وتقتله أنت بيدك؟!

﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

﴿فَمَا﴾: الفاء للترتيب، والمباشرة. ما: استفهامية.

﴿مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ﴾: من شرطية.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد، تعود على القتل والإخراج.

﴿مِنْكُمْ﴾: خاصة؛ لأنكم أعطيتم العهد على الطاعة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.



﴿خَزْيٌ﴾: نكرة؛ للتهويل، والتعظيم، وتشمل: الذل، والفضيحة.

﴿خَزْيٌ﴾: ذل مع فضيحة، يقال: الرجل يخزي خزيًا؛ إذا وقع في بلية؛ فذل، وأخزاه الله؛ أي: فضحه. وقيل: الخزي هو الشيء القبيح، الذي تكره أن يراك عليه الناس.

﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أصابهم على يد رسول الله ﷺ، والمؤمنين، فخزي بني قريظة، كان بالقتل والسبي.

وخزي بني النضير وقينقاع كان بالجلاء، والنفي، من منازلهم، وديارهم.
﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾: الواو: استئنافية. وسمي يوم القيامة؛ لقيام أمور ثلاثة: فيه:

١ - قيام الناس من قبورهم لرب العالمين؛ كما قال تعالى: ﴿لَيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾  يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿المطففين: ٥-٦﴾.

٢ - قيام الأشهاد؛ الذين يشهدون للرسول، وعلى الأمم.

٣ - قيام العدل.

﴿يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾: أي: عذاب النار، وجهنم، ويعني: العذاب الأليم الدائم.

أي: ما أصابهم في الدنيا من خزي، لم يكن لهم كحدٍّ؛ أي: لم يكن نتيجة إقامة حدود الله عليهم، ولو كان حدًّا؛ لما ردُّوا يوم القيامة أشد العذاب.

﴿يُرَدُّونَ﴾: من الرد، هو الرجوع بكراهة؛ أي: وأنت مكره مجبر.

وأصل الرد: الذهاب من مكان، وعدم النية في العودة إليه، ثم تجبر على



العودة إلى المكان نفسه، فهذا يسمى ردًّا، وليس رجوعاً. الرجوع يكون بنية؛ أي: قصد، وإرادة، وإلى نفس المكان الذي خرج منه.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة. ما: النافية؛ أشد نفيًا من ليس.

﴿بِغَفِلٍ﴾: الباء للإلصاق، والتوكيد. غافل: غير متنبه، أو مطلع على ما تعملون. ارجع إلى الآية (٧٤) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿عَمَّا﴾: عن + ما. عن: تفيد المجاوزة والمباعدة، وما: اسم موصول؛ بمعنى الذي، أو مصدرية؛ أي: ما عملتم.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: تعني: الأفعال والأقوال، فالعمل يشمل (القول والفعل).

[٨٦] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول، يفيد الذم.

﴿اشْتَرَوْا﴾: استبدلوا؛ أي: اشتروا الحياة الدنيا، وباعوا آخرتهم؛ أي: دفعوا ثمن الحياة الدنيا التي اشتروها بالآخرة.

﴿فَلَا﴾: الفاء السببية، أو الرابطة. لا: النافية، تنفي كل الزمنة.

﴿يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾: لا مقداراً، ولا زمناً، ولا كمًّا، ولا نوعاً.

﴿وَلَا هُمْ﴾: الواو عاطفة.

تكرر لا؛ يفيد التوكيد والنفي، ويفيد فصل، واستقلال تخفيف العذاب عن نصرتهم.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿يُنْصَرُونَ﴾: بيوم القيامة، لا يجدون من يدفع العذاب عنهم، ولا يجدون من ينصرهم بالشفاعة، أو دفع الفدية عنهم، أو تحمل العذاب عنهم، أو رده عنهم، أو تخفيفه.

[٨٧] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أي: ثبت وتحقق.

﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾: الإيتاء: هو العطاء الذي لا يعني التملك؛ أي: يمكن نزع الشيء المعطى؛ كقوله: ﴿تُوْفِّي الْمَلِكُ مِنْ نَشَاءٍ وَتَنْزِعُ الْمَلِكُ مِنْ نَشَاءٍ﴾.

والإيتاء أوسع من العطاء، ويشمل: الأمور المادية والمعنوية.

أما العطاء؛ ففيه تملك، وليس فيه نزع، كقوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ارجع إلى الآية (٢٥١) لمزيد من البيان.

﴿الْكِتَابَ﴾؛ أي: التوراة آتاه إياها جملة واحدة.

﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: أي: أعطيناه التوراة، وقد ننزع التوراة منه.

﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾: ولكي نفهم معنى ﴿وَقَفَّيْنَا﴾؛ لا بد من معرفة معنى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ أَثَرِهِمْ﴾.



﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾: أي: أتبعنا بعضهم بعضاً، مشتقة من قفا، وتقول: قفوت فلاناً؛ أي: سرت خلفه، والقفا؛ قد تعني مؤخر العنق؛ أي: وقفينا من بعده؛ (بعد موسى) بالرسل، أتبعنا بعضهم بعضاً؛ أي: أرسلنا من بعد موسى يوشع، وأشمويل، وشمعون، وداود، وسليمان، وشعياً، وإلياس، واليسع، ويونس، وزكريا، ويحيى، وعيسى ابن مريم عليهم السلام، وهناك رسل أو أنبياء أرسلوا إلى بني إسرائيل، لا نعرفهم، كما قال ﷺ في سورة النساء الآية (١٦٤): ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ﴾.

وهناك فرق بين قفينا، ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾: تعني: أن الزمن بين إنسان، يمشي في الصحراء، وإنسان آخر يمشي خلفه قصير جداً؛ إذ إن آثار قدمي الماشي أولاً، لا يزال يرى آثارهما في الرمل، وذلك يعني أن الزمن بين الرسولين قصير جداً.

وحين يقول: ﴿وَقَفَّيْنَا﴾: من دون على آثارهم؛ يعني: أن الزمن بين الرسولين أطول.

﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾:

﴿وَأَتَيْنَا﴾: ارجع إلى مطلع الآية لمعرفة معنى ﴿وَأَتَيْنَا﴾.

﴿عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾: عيسى رسول الله أرسل إلى بني إسرائيل، ابن مريم ابنة عمران، التي أحصنت فرجها عليها السلام.

﴿الْبَيِّنَاتِ﴾: هي المعجزات، الواضحة، الدالة على صدق نبوته، مثل: إحياء الموتى؛ بإذن الله، وإبراء الأكمه، والأبرص؛ بإذن الله، وخلقه من الطين؛ كهيئة الطير، فينفخ فيه، فيكون طيراً، وإخبار عيسى الناس بما يأكلون، وما يدخرون في بيوتهم، وغير ذلك من المعجزات.

﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: أَيْدِنَاهُ؛ قَوَيْنَاهُ، وَالْأَيْدُ تُعْنِي: الْقُوَّةُ.

أَيْدِنَاهُ؛ مَأْخُوضَةٌ مِنَ الْيَدِ، وَالْيَدُ هِيَ آلَةُ الْقُوَّةِ، وَالِدِفَاعُ عَنِ النَّفْسِ، أَوْ الْآخَرِينَ.

﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: الْبَاءُ؛ لِلْإِلْصَاقِ، وَتُعْنِي: الْمَلَاظِمَةَ، رُوحُ الْقُدُسِ هُوَ جِبْرِيلُ ﷺ، وَالْقُدُسُ: الْمَطْهَرُ.

أَي: أَيْدِنَاهُ بِالرُّوحِ الْمَطْهَرَةِ الْمَقْدَسَةِ مِنْ كُلِّ شَائِبَةٍ؛ أَي: جِبْرِيلُ ﷺ.

وَالرُّوحُ: فِي الْأَصْلِ اسْمٌ؛ لِمَا بِهِ حَيَاةُ النَّفُوسِ، وَسُمِّيَ رُوحًا.

و﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: هُوَ جِبْرِيلُ ﷺ، وَإِضَافَةُ الْقُدُسِ لِلرُّوحِ؛ لِلتَّشْرِيفِ، لَا غَيْرَ.

وَيُطْلَقُ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، الْأَمِينُ عَلَى وَحْيِ اللَّهِ تَعَالَى وَرِسَالَاتِهِ.

وَصَفَهُ اللَّهُ ﷻ: ﴿مُطَاعٌ ثُمَّ آمِينَ﴾ [التكوير: ٢١]؛ مُطَاعٌ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ تَطِيعُهُ الْمَلَائِكَةُ.

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠]؛ أَي: ذُو مَكَانَةٍ رَفِيعَةٍ، وَمَنْزَلَةٍ عَظِيمَةٍ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَمْزِيدٌ مِنَ الْبَيَانِ عَنْ جِبْرِيلَ ﷺ؛ أَرْجِعْ إِلَى الْآيَةِ (٩٧) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

وَقَدْ ذَكَرَ عِيسَى ﷺ، فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ، بِأَنَّهُ مُؤَيَّدٌ بِرُوحِ الْقُدُسِ؛ أَي: جِبْرِيلَ ﷺ، وَلَمْ يَذْكُرْ غَيْرَهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ بَاقِيَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ كَانَ جِبْرِيلُ ﷺ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ.

وَقَدْ يَكُونُ السَّبَبُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ جِبْرِيلَ ﷺ كَانَ لَا يَفَارِقُ عِيسَى ﷺ كَثِيرًا، فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ الَّتِي عَاشَهَا عِيسَى ﷺ عَلَى الْأَرْضِ، قَبْلَ رَفْعِهِ إِلَى السَّمَوَاتِ.



﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾:

﴿أَفَكُلَّمَا﴾: الهمزة؛ همزة استفهام إنكاري تويخي، وللتعجب، الفاء؛ للتوكيد. كلما: ظرفية، حينية، (ظرف زمان)، يفيد التكرار، ويقضي الجواب، وجوابه هنا: ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾.

﴿جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾: ﴿جَاءَكُمْ﴾: فيها؛ معنى المشقة، والصعوبة، (أي: المجيء كان بمشقة وصعوبة)، بينما قوله: أتى؛ تحمل معنى السهولة، واليسر، والمجيء يكون بالحق، ولذلك يكون أصعب، والخطاب موجه إلى بني إسرائيل. ﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ﴾: أي: بما يخالف أهوائكم، مثل مجيء عيسى ﷺ، أو محمد ﷺ، وغيرهم من الرسل عليهم السلام.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق، ما: اسم موصول، أو حرف مصدري.

﴿تَهْوَىٰ﴾: تحب، وتشتهي أنفسكم، ويجب الانتباه إلى كلمة هوى؛ بالفتحة على الواو، بمعنى سقط إلى أسفل، وهوى بالكسرة على الواو؛ بمعنى أحب واشتغل، وجمع هوى أهواء، والهوى غالباً ما يكون مذموماً؛ أي: ما تريده النفس، وغالباً ما يكون بعيداً عن الحق.

ولا بد أن نفرّق بين الهوى، وهو يختص بالأداء؛ أي: بالأفعال، والاعتقادات، وأما الشهوة، فتختص بنيل المستلذات، وهوى بالكسرة (وهو حب الشهوات) قد يهوي بصاحبه إلى الأسفل، والانحدار أي النار.

﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾: عن الإيمان بذلك الرسول، أو النبي، أو بما جاء به من الحق، وأردتم أن تكونوا أنتم المشرعين، من دون الله سبحانه.

﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾: أي: أعطيتم لأنفسكم كبراً لستم أهلاً له، والكبر هو الشعور

بالعظمة. ورفع النفس فوق ما تستحق، أو إظهار عظم الشأن، والكبر أو التكبر أنواع منها:

أولاً: الكبر على الله سبحانه، أو آياته، وهو أعظم وأبشع أنواع الكفر.

ثانياً: الكبر على الرسل والأنبياء كقول قوم ثمود لنبيهم صالح: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ [القمر: ٢٥]، أو قول فرعون وملئه: ﴿أَتُؤْمِنُ لِشَرِّينَ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧].

ثالثاً: الكبر على الناس، والكبر أو التكبر صفة ذميمة، والمتكبر مذموم في الأرض والسماء، ومعظم الآيات جاءت بصيغة استكبروا، استكبر، استكبرتم، تستكبرون، يستكبرون، استكباراً، والقليل بصيغة يتكبرون، متكبرين، متكبر.

والفرق بين المستكبر، والمتكبر: الألف والسين والثاء: تفيد الطلب؛ أي: المستكبر لا يملك وليس عنده مؤهلات الكبر مثل السلطان، والغنى، والجاه، والعلم، والقوة، والحكم؛ أي: هو يظهر من نفسه ما ليس فيه بأن يرفض عبادة الله وطاعته، أو لا يقبل الحق من أحد مثلاً، والاستكبار والتكبر غالباً يكون بغير الحق، وقليلاً ما يكون بالحق مثل التكبر على العدو، أو لنصرة المظلوم، وأما المتكبر: فهو من حاز على بعض الصفات مثل الغنى، والسلطان، والحكم، والجاه؛ فهو في حال الكبر مثل فرعون وقارون، أو غيرهم الذين طغوا في الأرض وأكثروا فيها الفساد وظلموا وبطشوا وتجبروا.

﴿فَفَرِّقَا كَذِّبْتُمْ﴾: مثل عيسى عليه السلام، ومحمد ﷺ.

﴿وَفَرِّقَا نَقَلْتُمْ﴾: أمثال زكريا ويحيى عليهما السلام، وغيرهم.

﴿فَفَرِّقَا كَذِّبْتُمْ وَفَرِّقَا نَقَلْتُمْ﴾: في هذا الجزء من الآية، يجب الانتباه

إلى ثلاثة أمور في البلاغة:



الأول: تقديم المفعول على الفعل، فريقاً وهو المفعول على الفعل كذبتهم للاهتمام، والتشويق، تشويق السامع، بما بعده.

الثاني: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: فلم يقل: فريقاً كذبتهم وفريقاً قتلتم، وإنما جاء بفعل ﴿تَقْتُلُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ لاستحضار فعل القتل في نفوس السامعين، وتصويره أمام أعينهم بصورته البشعة، وهذا ما يسمى حكاية الحالة، وهي أن يعبر عن الحدث في الماضي بفعل مضارع، أو أن ينقل المخاطب إلى الماضي، فيجعله كأنه يعاصر الحدث، ولأن القتل أعظم من التكذيب جاء بصيغة الماضي لفعل التكذيب، وبصيغة الفعل المضارع للقتل.

ثالثاً: وتكرار فريقاً مرتين؛ للتوكيد، وفصل كلاً من الفعلين، عن بعضهما؛ أي: فعلتم كلا الأمرين: القتل، والتكذيب، كلاً على حدة، أو التكذيب والقتل معاً، فالتكذيب أمر مهم، ولكن القتل أعظم وأشد.

[٨٨] ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: الواو استئنافية.

﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: مأخوذة من الغلاف، والتغليف، وغلّف؛ بسكون اللام، كما يقرؤها الجمهور، أو غُلّف؛ كما يقرؤها بعض العلماء.

﴿غُلْفٌ﴾؛ لها معان عدة؛ معاً:

١ - غُلْفٌ: بضم اللام؛ أي: جمع غلاف، أو مغلفة بأغشية، أو أغطية، تمنع وصول الموعظة، والنور إليها، والإيمان والهداية، لا يدخلها شعاع من النور، والهداية، ولا يخرج منها شعاع من الكفر؛ أي: قلوبٌ مطبوع عليها.

٢ - غُلْفٌ: أي: مغلفة، وفيها من العلم، ما يكفيها، ويزيد، وكأنهم يقولون: قلوبنا لا تسع شيئاً آخر، فلسنا بحاجة إلى كلام الرسل، أو الهداية.

٣ - خلقت غلفاً: لا تتدبر، ولا تعتبر، ولا تعي، ولا تفقه، ما يقال لها؛ أي: مخلوقة على الكفر.

فرد الله ﷻ على افتراءاتهم، أن تكون قلوبهم مخلوقة على الكفر، وامتناع قبول الحق.

﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾: بل؛ للإضراب الإبطالي.

﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: أي: طردهم الله تعالى، وأبعدهم عن رحمته.

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾: الباء؛ للإلصاق، باء السببية، أو المقابلة؛ أي: بسبب زعمهم أن قلوبهم غلف، وكفرهم.

﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾: الفاء؛ للتوكيد، وما؛ للتوكيد أيضاً؛ أي: فقليل من يؤمن منهم؛ أي: عدد المؤمنين منهم قليل، والأكثرية لم يؤمنوا، أو أن إيمانهم قليل جداً؛ أي: سطحياً، وبألستهم فقط، وليس في قلوبهم. أو تعني: لا يؤمنون قليلاً، ولا كثيراً، لا هذا وذاك.





سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢

الْبَقَرَةِ

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا
مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ
مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِئْسَمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ
اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ
﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْفَّنَا
أَنْزِلْ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُوا بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ
ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا
مَاءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ
بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

الْحَزْبُ
٢



سورة البقرة [الآيات ٨٩ - ٩٣]

[٨٩] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾:

هذه صورة أخرى من صور كفرهم.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾: الواو عاطفة، لما: ظرفية زمانية بمعنى حين جاءهم؛ أي: اليهود، والمجيء فيه معنى المشقة؛ أي: لم يكن سهلاً مجيء الكتاب.

﴿كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾: أي: القرآن الكريم الذي أنزل على محمد ﷺ.

﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: موافق ولا يخالف ومؤكّد لما معهم وهو التّوراة.

﴿مُصَدِّقٌ﴾: نعت أو صفة للكتاب والكتاب مرفوع فالصفة تتبع الموصوف؛ أي: مرفوعة.

﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ﴾: أي: مجيء القرآن وبعثه محمد ﷺ.

﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾: يستفتحون أي: يطلبون الفتح، الألف والسين والتاء للطلب.

والفتح؛ هو الغلبة، والنصر من دون قتال، أو حرب؛ أي: يطلبون من الله أن ينصرهم على المشركين، بالنبي المبعوث؛ آخر الزمان؛ أي: يقولون: اللهم



انصرنا بالنبي؛ المبعوث على الذين كفروا، وهم الأوس والخزرج؛ قبل ظهور الإسلام. ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة لمزيد من البيان.

وينتظرون مجيء النبي الأمي، المكتوب عندهم، في التوراة والإنجيل.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للتوكيد. لما: ظرفية زمانية، بمعنى حين.

﴿جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا﴾: عرف: بمعنى علم، وهناك فرق بينهما أن المعرفة تستعمل في المعرفة بالذوات، والعلم يستعمل فيما يتعلق بالصفات؛ أي: الحق، أو محمد ﷺ، ﴿مَّا عَرَفُوا﴾: ما: اسم موصول، بمعنى: الذي عرفوا صفته، ونعته، كما في التوراة.

﴿كَفَرُوا بِهِ﴾: أي: بمحمد ﷺ؛ أي: جحدوا به، وبما أنزل عليه من القرآن، ولم يؤمنوا به، ولم يُبين سبب كفرهم به، وبيّنه في آيات أخر، [سورة البقرة، آية ١٠٩].

﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: الفاء للتوكيد، لعنة الله: الطرد من رحمة الله

تعالى. ارجع إلى الآية (١٦٢) من نفس السورة لمزيد من البيان.

[٩٠] ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾:

﴿بِئْسَمَا﴾: بئس من أفعال الذم. ما: نكرة؛ أي: بئس الشيء، الذي اشتروا

به أنفسهم، وبئس الذي اشتروا به أنفسهم؛ أي: باعوا أنفسهم، واشتروا الكفر، بعد أن رفض اليهود الإيمان برسول الله ﷺ، وطردهم الله من رحمته. يُقبح

اللَّهُ ﷻ سلوكهم؛ إذ باعوا أنفسهم رخيصة، باعوها بالكفر، فلم يؤمنوا بالقرآن ونبيه ﷺ.

﴿بَغْيًا﴾: والبغي: هو أخذ حق الغير بقوة، وقهر، وتعسف يعني: التعدي والظلم المؤدي إلى الفساد، والحسد: هو تمني زوال النعمة عن المحسود؛ فهذا ظلم للمحسود وبغياً عليه، والمحسود هو رسول الله ﷺ، أن تنزل عليه الرسالة من بينهم؛ إذ كانوا يظنون أنهم أحق بها؛ لأنهم ورثوا كل الرسالات السابقة. وقد فوجئوا بأنه ليس منهم؛ فملاً الحسد قلوبهم، وأعلنوا مقاومتهم وعصيانهم.

﴿أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾: أي: الوحي، وبالتالي النبوة، والكتاب، فاختيار الرسل فضل من الله سبحانه.

﴿عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾؛ أمثال: محمد ﷺ، أو الأنبياء، والرسل من قبله، حسب ما تقتضيه حكمته سبحانه.

﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ﴾.

﴿فَبَاءُوا﴾: الباء؛ للتوكيد. باؤوا: استحقوا، ورجعوا. ﴿بِغَضَبٍ﴾: الباء: للإلصاق، بمعنى: لزمهم الغضب، ولحق بهم، وهو أشد اللعن، ولم يفارقهم. واستعمال الغضب، في صفات الله؛ مجاز، وحقيقته إيجاب العقاب على المغضوب عليه.

﴿بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾: والتنكير؛ للتعظيم.

فالغضب الأول: هو لأنهم لم ينفذوا ما جاء في التوراة، ولأنهم حرّفوها. وقيل: لعبادتهم العجل. وقيل: بسبب كفرهم بيسى والإنجيل.



والغضب الثاني: بسبب كفرهم بمحمد ﷺ، والقرآن، رغم أنه مذكور عندهم في التوراة، ومطلوب منهم أن يؤمنوا به.

﴿وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: وللكافرين؛ اللام لام الاختصاص، والاستحقاق. (الكافرين)؛ الذين أصبح الكفر صفة ثابتة عندهم، واستمروا عليه. ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: شديد الألم؛ مرفوق بالإهانة، والذل؛ لكونه أمام الناس، أو أمام أتباعهم.

[٩١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ. وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية؛ تدل على حتمية الحدوث، وكثرته.

﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: لا يهم هنا؛ من القائل، وإنما المقولة.

﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: أي: اليهود.

﴿ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: أي: آمنوا بالقرآن، وصدقوا به، وبآياته.

﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾: أي: نؤمن، ونصدق فقط بالتوراة، الذي أنزل علينا.

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾: أي: بما نزل بعده، الواو واو الحال للتأكيد.

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾: وهو القرآن الكريم، وهو الحق، أو الإنجيل.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾: أي: التوراة، وهم لا يدرون، أن من يكفر بالقرآن، يكفر بالتوراة، فهو يكفر بهما معاً؛ لأن القرآن يصدق ما جاء في التوراة، والكفر

هو الستر، ومحمد ﷺ لم يأت ليهدم ما آمنوا به، ولكنه جاء بالحق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾.

﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد: إذا كنتم تؤمنون بالتوراة، الذي أنزل إليكم، هل في التوراة آية تُحل لكم قتل أنبياء الله؟! ﴿فَلِمَ﴾: الفاء للتوكيد.

ما: استفهامية؛ تفيد التعجب، والتوبيخ.

﴿تَقْتُلُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ لاستحضار الفعل الماضي إلى الحاضر (حكاية الحال). ارجع إلى الآية (٨٧)، (ولم يقل: قتلهم أنبياء الله).

﴿أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾: مجيء محمد ﷺ.

وقوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾؛ فيها طمأنينة لرسول الله ﷺ، إلى أن قتلهم الأنبياء انتهى، وما جرى للأنبياء السابقين، من بني إسرائيل، لن يجري على رسول الله ﷺ.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: إن: شرطية، وتفيد الشك، أو الاحتمال ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[٩٢] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو عاطفة، واللام؛ للتوكيد، قد، تفيد الإثبات والتحقق.



﴿جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: جمع بينة، والبينه؛ هنا، تعني: المعجزة،
مثل: العصا، واليد، والنجاة من فرعون، وجنوده ومن الغرق، وخلق البحر.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي.

﴿اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾: عبدتم العجل.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد ذهاب موسى ﷺ إلى الطور، ﴿مِنْ﴾: تعني:
مباشرة، حين واعدناه أربعين ليلة.

فلو كنتم تؤمنون بما أنزل عليكم، كما زعمتم؛ ما اتخذتم العجل من بعده،
وأنتم ظالمون.

﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾: وأنتم ظالمون؛ بشرككم، وظالمون لأنفسكم،
وظالمون: جملة اسمية، تدل على صفة ثبوت الظلم فيهم.

[٩٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ
يَسْكَمَا يَا مَرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:

مطلع هذه الآية يشبه الآية (٦٣) من سورة البقرة، فارجع إليها.

ويبدأ الاختلاف بقوله تعالى: ﴿وَأَسْمِعُوا﴾: سمع طاعة، واستجابة،
وقبولاً؛ لا مجرد سماع بالأذن.

﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾: بأفواههم، أو ألسنتهم.

﴿وَعَصَيْنَا﴾: بأفعالهم؛ أي: لم يتمثلوا بأوامر الله، ويطبقوا أحكامه.

أَوْ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قَوْلِكَ: ﴿وَعَصَيْنَا﴾: أمرك، أَوْ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾، ولكن لا سمع طاعة، وبدلاً من ندمهم على اتخاذهم العجل، تداخلهم حبه، حتى أصبح يسري حبه في دمهم ولحمهم، كما يسري الماء بعد شربه إلى الأوعية الدموية؛ وذلك كله، بسبب كفرهم.

﴿قُلْ﴾: لهم: يا محمد ﷺ.

﴿يَتَسَكَّمَا﴾: من أفعال الذم؛ أي: بئس هذا الإيمان، الذي تدعوه بالتوراة، الذي يأمركم، أو يدعوكم، لمثل هذا الحب.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: إن شرطية، وتدل على الشك في إيمانهم. وإضافة حب العجل إلى إيمانهم هو تهكم بهم، واستنكار لفعلهم.





سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢

الْبَقَرَةِ

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ لَهُ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ كَلَّمَآ عَهْدًا وَعَهْدًا تَبَذَّهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

سورة البقرة [الآيات ٩٤ - ١٠١]

[٩٤] ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم، يا محمد ﷺ.

﴿إِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الشك.

﴿كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾: أي: الجنة.

وقدَّم ﴿لَكُمْ﴾، لكم وحدكم؛ خاصة، اللام لام الاختصاص، والاستحقاق.

كما تزعمون؛ فقد قالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾:

[سورة البقرة، الآية ١١١].

﴿خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ﴾: أي: خاصة بهم، ولا يشاركهم فيها أحد.

﴿النَّاسِ﴾: ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة لمعرفة معنى الناس.

﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾: أي: اطلبوا الموت، الذي يوصلكم إليها.

الفاء؛ في ﴿فَتَمَنَّوْا﴾: الفاء للتوكيد.

﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: لأنَّ تمني الموت، من شأن المقربين

الأبرار، و﴿إِنْ﴾: شرطية، وتفيد الشك؛ أي: الشك بأنهم ﴿صَادِقِينَ﴾: في أنَّ

الجنة هي خالصة لهم، وأنَّ ادعاءهم باطل وزيف، وقوله: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾:



فيها تعجيز لهم، وتحدي؛ لأن ليس من سماتهم تمني الموت، بل بالعكس حب الحياة.

[٩٥] ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَلَنْ﴾: الواو: استئنافية، لن: حرف نفي، يفيد نفي المستقبل القريب، والبعيد.

﴿يَتَمَنَّوْهُ﴾: من التمني، والأمنية، والتمني: هو طلب شيء محبوب، إلا أنه مستحيل الحدوث، أو غير ممكن، أو لا يمكن أن يقع، أما الرجاء فهو طلب شيء محبوب، ممكن الحدوث.

﴿أَبَدًا﴾: أي: في جميع الأزمنة الحاضرة، أو المستقبلية، إلى غير نهاية.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، باء السببية، أو المقابلة، بسبب أو مقابل ما عملته أيديهم، من قتل الأنبياء، وتحريفهم التوراة، وتكذيبهم للرسول، وغيرها من المعاصي، ولماذا اختار الأيدي على سائر الأعضاء؛ لأن أعظم الذنوب، التي ارتكبوها؛ مثل: قتل الأنبياء، وتحريف التوراة، وأخذ الربا، وقد نهوا عنه، كانت بفعل أيديهم، فاليد؛ هي الآلة التي قامت بذلك.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: عليم، صيغة مبالغة.

﴿عَلِيمٌ﴾: من هم، وعددهم، وما يعمله كل واحد منهم، من صغيرة أو كبيرة. ارجع إلى الآية (٥٤) من نفس السورة لمعرفة معنى الظلم.

ولا بد من مقارنة هذه الآية، من سورة البقرة مع الآية (٦-٧) من سورة الجمعة.

في سورة البقرة، آية (٩٤-٩٥): ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

في سورة الجمعة، آية (٦-٧): ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

الاختلاف في ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾ في سورة البقرة ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ﴾؛ في سورة الجمعة.

أولاً: لن: تفيد نفي المستقبل القريب، والبعيد، وأكد، وأقوى في النفي من لا، التي تفيد الإطلاق، والعموم، (عموم الأزمنة).

فاستعمل لن الأقوى في النفي، في سياق زعمهم، أن لهم الدار الآخرة؛ أي: الجنة (خالصة لهم عند الله)، فهذا الزعم الباطل أشد، وأقوى من زعمهم أنهم أولياء الله. الذي استعمل معه لا. فالنفي في آية البقرة أشد من النفي في آية الجمعة.

ثانياً: في آية البقرة يستعمل يتمنوه وتشير إلى قلة العدد، عدد الذين يزعمون أن الجنة خالصة لهم يوم القيامة، بينما في آية الجمعة يتمنونه، وتشير إلى كثرة العدد الذين يزعمون أنهم أولياء لله.

زيادة المبني (الحروف) تدل على زيادة المعنى، أو العدد.



شرح آخر للآيتين:

في آية البقرة: السياق في زعمهم أن الجنة لهم خالصة من دون الناس؛ إذا كان هذا الزعم صحيحاً؛ فتمنوا الموت، لتحقيقوا هذه الأمنية.

الجواب: لن يتمنوه أبداً، لن أقوى حروف نفي، ونفيها مؤكد.

فمن يتمنى الموت؟ لا أحد، ولذلك استعمل (لن)، وإذا وجد من يتمنى الموت، فعددهم قليل، ولذلك استعمل ﴿يَتَمَنَوْنَ﴾؛ الأقل حروفاً من ﴿يَتَمَنَوْنَ﴾.

أما في آية الجمعة: السياق في زعمهم أنهم أولياء لله من دون الناس.

إذا كان هذا الزعم صحيحاً، فتمنوا الموت؛ لتحقيقوا هذه الأمنية.

الجواب: ﴿وَلَا يَتَمَنَوْنَ أَبَداً﴾.

لا: أقل نفيّاً من (لن)، وأقل تأكيداً.

ومن يتمنى أن يكون ولياً لله؟ الكثير؛ ولذلك استعمل (لا)، وبما أن عددهم كثير، استعمل ﴿يَتَمَنَوْنَ﴾؛ الكثيرة الحروف.

زيادة الحروف؛ تدل على زيادة العدد؛ لأن زيادة المبنى؛ تدل على زيادة

المعنى.

[٩٦] ﴿وَلَنَجْذِثَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوتِهِمْ وَمَنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضِيهِمْ مِّنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَنَجْذِثَهُمْ﴾: الواو عاطفة، لتجذبنهم: السلام؛ لام التوكيد، والنون في تجذبنهم، (بدلاً من تجدهم)، تدل على زيادة التوكيد.

﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوتِهِمْ﴾: الناس. ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة

للبيان.

﴿أَحْرَصَ النَّاسُ﴾: الحرص؛ هو شدة الطمع، والحرص؛ طلب الشيء بجشع.

﴿عَلَى حَيَوَةٍ﴾: حياة؛ جاءت نكرة، وغرض التنكير؛ التحقير، والذم. فهم يحرصون على أي نوع من أنواع الحياة، ولو كانت دنيئة، أو رخيصة، أو حياة ذلّ وعبودية، المهم حياة، ويحرصون أن تكون حياة طويلة، ليست قصيرة؛ أي: عمراً طويلاً.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: أي: أن حرصهم على حياة، مهما كان نوعها، يفوق حرص الذين أشركوا، قيل: هم مشركو العرب، أو المجوس.

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: يود: من الود: وهو ميل القلب والتمني؛ أي: يتمنى أحدهم، تعود على اليهود، والذين أشركوا، يتمنى أحدهم. ﴿لَوْ﴾: للتمني، والتمني في هذه الحالة مستحيل أن يحصل.

﴿يُعَمَّرُ﴾: يعيش؛ أي: يبقى في الدنيا، ﴿يُعَمَّرُ﴾: بفتح العين، وتشديد الميم، وتدل على المبني للمجهول؛ لأن العمر ليس ملكاً للإنسان، والعمر كلمة مشتقة من العمار؛ لأن الجسد عمره الحياة.

والعمر كما نعلم هو السن، الذي يقطعه الإنسان بين ميلاده، ووفاته. ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾: أي: يعيش ألف سنة، والعرب كانت تضرب الألف؛ للمبالغة في العدد.

﴿وَمَا﴾: الواو، ما؛ النافية. ﴿هُوَ﴾: للتوكيد. ﴿يُخْرِجُهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾: أي: ليس تعميره في هذه الدنيا؛ أي:



بقاؤه في الحياة الدنيا، وإن طال وبلغ ألف سنة، أو أكثر، فسوف يزحزحه؛ أي: يبعده، ويخلصه من نيل العقاب، أو العذاب، الذي يستحقه.

ولماذا كانوا يتمنون أن يعمرُوا ألف سنة أو أكثر؟

إما لأنهم يخافون من عذاب الآخرة؛ الذي ينتظرهم لسوء أعمالهم، فلا يرون في الآخرة خيراً، وإما لأنهم لا يؤمنون بالبعث والحساب، ويرون أن الموت هو النهاية، فهم يطلبون أن يعيشوا أطول مدة.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: أي: الله سبحانه محيط، ومطلع على أقوالهم، وأفعالهم الظاهرة، والباطنة، ولا يخفى عليه شيء في الأرض، ولا في السماء، وقدم كلمة ﴿بَصِيرٌ﴾ على ﴿يَعْمَلُونَ﴾: لأن السياق في الأعمال الباطنة.

﴿بِمَا﴾: الباء؛ للإلصاق، وما اسم موصول بمعنى الذي، أو مصدرية؛ (أي: عملوا).

﴿يَعْمَلُونَ﴾: تضم الأقوال، والأفعال.

[٩٧] ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾:

اليهود؛ إضافة إلى كفرهم، وعصيانهم، وقتلهم الأنبياء، وتحريفهم للتوراة، كذلك؛ كانوا يعادون جبريل ﷺ، أقرب الملائكة إلى الله سبحانه.

وسبب نزول هذه الآية؛ كما روى الترمذي، أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ليس هناك من نبي من الأنبياء إلا ويأتيه ملك من الملائكة، من عند ربه، بالرسالة، وبالوحي، فمن صاحبك حتى نتبعك، ونصدقك؟ قال ﷺ: جبريل. قالوا: ذلك الذي ينزل بالحرب والقتال، ذلك عدونا، لو قلت: ميكائيل، الذي نزل بالقطر، والرحمة، لاتبعناك، فنزلت هذه الآية.



﴿قُلْ﴾: لهم، يا محمد ﷺ، لليهود.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية استغرافية، تستغرق كلَّ من هو عدوُّ لجبريل.

﴿كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾: واسم جبريل، له عدَّة ألقاب: جبرائيل، جبريل، جبرين، وروح القدس.

﴿فَإِنَّهُ﴾: الفاء للتوكيد، وإن لزيادة التوكيد؛ أي: جبريل ﷺ.

﴿نَزَّلَهُ﴾: أي: القرآن الكريم، نزله: تعني هنا، بالتدرج، منجماً، ولم يقل: (أنزله): التي تعني دفعة واحدة.

﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾: ولم يقل: عليك، وإنما قال: ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾: لأنَّ القلب هو الأصل، فلولاً القلب؛ لما عمل العقل والدماع.

لأنَّ منطقة الوعي، والإدراك والذاكرة، هي في الدماغ، وتسمى جهاز أولمبيك، ولولا القلب، وضخه للدم والأوكسجين، لتعطلت تلك المنطقة، ولما استطاع أن يذكر كلمة واحدة، إذن القلب هو القابل الحقيقي للوحي، ومحل الفهم، والحفظ، مجازاً عن الدماغ. ارجع إلى سورة الحج، آية (٤٦) لمزيد من البيان.

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بإرادة الله، وأمره، ومشئته. ويستعمل بإذن الله للعمل الذي ليس لنا دخل، بل هو تدبير خارج عن إرادتنا.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي: القرآن الكريم ﴿مُصَدِّقًا﴾: لما تقدّمه، من الكتب السماوية؛ كالطورا، والإنجيل.

﴿وَهُدًى﴾: ارجع إلى الآية (٢) من سورة البقرة.

﴿وَبُشْرَى﴾: من البشارة، وهي الخبر السار، الذي يصل إليك لأول مرة،



أو الخبر السار، والسابق لكل خبر سواه، الخبر السار، الذي يؤدي إلى السرور والفرحة، التي تبدو على بشرة الإنسان، وعلى وجهه، وتسمى البشارة والبشر.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: اللام؛ لام الاختصاص. المؤمنين: جمع مؤمن؛ أي: مؤمن بالله، وبما أنزل، فالقرآن هدى، وبشرى لهم خاصة؛ لأنهم هم الذين، ينتفعون، ويعملون به.

[٩٨] ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾:

﴿مَنْ﴾: شرطية.

﴿كَانَ﴾: تشمل جميع الأزمنة؛ الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾: عداؤاً؛ من العداوة، وأصلها: الميل، والبعد، عمن تعادي، وإرادة الضر له، ومحاربته، وقهره، والعمل ضده.

﴿لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾: ﴿لِلَّهِ﴾: اللام لام الاختصاص، ولم يقل: لملائكته، ولرسله، وعطف الملائكة والرسل على الله، فمن يعادي أحداً من الملائكة، أو من الرسل، فكأنما عادي الله، وعادي كل الملائكة، وكل الرسل؛ فالله، وملائكته، ورسله، بما فيهم جبريل، وميكال، وحدة واحدة؛ لا تتجزأ.

﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾: أليس جبريل وميكال من الملائكة؟ نعم، وإعادة ذكرهما؛ للتشريف، وعلو منزلتهما، وتعظيماً لهما، وهذا ما نسميه، عطف الخاص على العام.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء للتوكيد، وإن لزيادة التوكيد.

﴿اللَّهُ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾: ولم يقل: فإن الله عدو له، أو عدو لهم، وإنما قال:

﴿عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾: حكم عليهم بالكفر؛ بسبب عداوتهم للملائكة، أو الرسل، وأثبت لهم صفة الكفر، (الكافرين): جملة اسمية تفيد الثبوت. ومن عادى واحداً من الملائكة، أو الرسل، كأنه عادى الله ﷻ، ودخل في الكفر.

[٩٩] ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية.

لقد: اللام: للتوكيد، قد: أي: تحقق، وثبت الإنزال.

﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾: الإنزال: يعني دفعة واحدة، و﴿إِلَيْكَ﴾: ولم يقل: عليك، تعني: آيات للتبليغ، ولتنتهي إلى الناس كافة، ومن اتبعك خاصة.

﴿بَيِّنَاتٍ﴾: آيات واضحة في الأحكام، والحدود، والحلال، والحرام.

﴿وَمَا يَكْفُرُ﴾: ما: النافية. ﴿يَكْفُرُ بِهَا﴾: أي: يجحد بها، ولا يؤمن بها، أو لا يصدقها، ويكذب بها. ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿الْفَاسِقُونَ﴾: جمع فاسق، وهو الخارج عن طاعة الله ورسوله، أو الخروج عن الدين، أو الملة. ارجع إلى الآية (٢٦) من سورة البقرة لمزيد من البيان عن الفسق.

[١٠٠] ﴿أَوْ كَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿أَوْ كَلِمَا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، والتوبيخ؛ أي: لم يكتفوا بالكفر بالآيات البينات، وأيضاً كلما عاهدوا عهداً نبذوه فريقتهم منهم.

﴿أَوْ كَلِمَا﴾: مركبة من: كل وما المصدرية الظرفية، فهي أداة شرط، تفيد

التكرار.



﴿عَهْدُوا عَهْدًا﴾: تعريف العهد، ارجع إلى الآية (٢٧) من سورة البقرة.
 ﴿عَهْدًا﴾: نكرة، يعني: أي: عهد، مهما كان صغيراً أو كبيراً، وفي أي
 مسألة، أو أمر من الأمور كانوا ينقضونه، ولم يُوفوا به، إشارة إلى العهود، التي
 كانت بين رسول الله ﷺ، وبين اليهود، على عدم نصره المشركين ضد رسول
 الله، تلك العهود أبرمت مع بني قريظة وبني النضير.
 نقضوها: كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ
 مَرَّةٍ﴾ [الأنفال: ٥٦].

﴿بَذَّاهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾: البذ؛ هو طرح الشيء، والاستهانة به، أو الاستغناء
 عنه، واستعمل كلمة البذ أو الطرح؛ لأنّ العهود كانت تكتب في صفائح، وعندما
 كانوا يريدون أن ينقضوها، يطرحون أو يلغون تلك الصفائح أرضاً؛ إشارة إلى
 تخليهم عنها.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بل: للإضراب الانتقالي. ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: تعود على
 اليهود؛ أي: الغالبية، ولم يقل: الكل.

﴿لَا﴾: النافية للجنس. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بمحمد ﷺ، ولا بالقرآن، ولا
 بالتوراة، ولا بالعهود المبرمة.

[١٠١] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: ظرفية زمانية، بمعنى حين.

﴿جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾: ﴿رَسُولٌ﴾: نكرة، وإضافة من عند الله،
 حوله إلى معرفة، ولم يكتف بذلك، بل زاده تشريفاً وتكريماً، بقوله ﴿مِّنْ عِندِ
 اللَّهِ﴾، وهو محمد ﷺ.



﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: موافقٌ ومؤيدٌ؛ لما معهم؛ أي: التّوراة، من حيث التوحيد، والبعث، والإيمان بالله، وطاعته، وغيرها من الأحكام.

ومصدقٌ لما في التّوراة، من أوصاف النبي، المبعوث في آخر الزمان.

﴿بَدَأَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: ﴿بَدَأَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة؛ لمعرفة معنى النبذ.

﴿فَرِيقٌ﴾: جماعة من الذين أوتوا الكتاب، ولم يقل: أهل الكتاب؛ قوله: أهل الكتاب، فيها معنى التكريم، والتفضيل، والمدح، أما قوله: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: فيدل على الذين هم أقل درجة، وفضل من اليهود والنصارى.

وقوله: ﴿فَرِيقٌ﴾: فهناك جماعات أخرى، وفرق أخرى، لم تنبذه، وقبلت به.

﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾: قيل: التّوراة، ومنهم من قال: القرآن.

﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾: عادة النبذ، يكون أمام الشخص، أو عن يمينه، أو يساره، أما كونهم نبذوه وراء ظهورهم، فكأنهم لا يريدون الالتفات، أو الاستماع إليه، وتذكره، أو كأنهم أعرضوا عنه، كاملاً، وكأنهم يريدون نسيانه.

﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: الكاف: للتشبيه، أنهم: للتوكيد، لا: النافية.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: ببشارة محمد ﷺ، وصفاته، وزمن قدومه، أو كأنهم لا يعلمون ما جاء في التّوراة، أنه مطلوب منهم الإيمان بمحمد ﷺ، وتصديقه.





سُورَةُ النِّعَمَةِ ٢

الْبَيْتُ الْاِثْنَانِ

وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ
 سُلَيْمَنَ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ
 السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ
 وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ
 فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ
 وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ
 مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ
 مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ
 أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا
 وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ
 ﴿١٠٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا
 أَنْظِرْنَا وَأَسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾
 مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ
 أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ
 بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

سورة البقرة [الآيات ١٠٢ - ١٠٥]

[١٠٢] ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۚ﴾

هذه الآية تنمة للآية السابقة.

﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۚ﴾

بعد أن نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب (أي: فريق من اليهود) كتاب الله (أي: التوراة)، وراء ظهورهم، كأنهم لا يعلمون.

﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا ۚ﴾: بدلاً من اتباع كتاب الله، اتبعوا ﴿مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ ۚ﴾ جاء بالفعل المضارع، الذي يدل على التجدد، والتكرار؛ لأنهم استمروا على قيامهم، بالسحر، وتصديقه، ولم يقل ما تلت الشياطين، وانتهى الأمر. ما تلتوا: التلاوة؛ أي: القراءة المتتابعة من كتب السحر والشعوذة.

﴿عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۚ﴾: أي: اتبعوا كتب السحر والشعوذة في زمن سليمان وأراد اليهود أن يضلوا الناس ويزعموا أن منهج سليمان مبني على السحر، ومصدره الشياطين.



﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾: فسلیمان لم يتعلم السحر، ولم يعلم السحر لأحد، ولم يكفر، ومنهجه؛ منهج رباني، وليس من منهج الشياطين، الذين يعملون له بإذن ربهم.

وحين أتهمه اليهود بأنه يعلم السحر، أخذ سليمان كل كتب السحر، ودفنها تحت عرشه، وبعد موت سليمان عثرت الشياطين على مخبأ الكتب، فأخرجتها، وأذاعتها بين الناس، وانتشر بين الناس، أن سليمان كان يسيطر على الإنس والجن بسحره، وأنه ليس نبياً، وأن منهجه مبني على السحر، وما تتلوه الشياطين.

﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾: ولكن حرف استدراك، وتوكيد، كفروا؛ لأنهم كانوا يعلمون الناس السحر، واستمروا على ذلك حتى أن أهل المدينة المنورة، كانوا يخافون من سحر اليهود.

﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾:

أما هاروت وماروت؛ اسمان أعجميان، لملكين من الملائكة، أنزلهما الله إلى الأرض؛ ليتعلم الناس منهما علم السحر، والسحر: هو التمويه، وتخيل الشيء، بخلاف حقيقته، فالسحر لا يقلب حقيقة الشيء، بل يظل الشيء على حقيقته، ولكن السحر يقع للرائي، فيرى الأشياء على غير حقيقتها، فهو شيء مؤثر في النفوس، ومن خلال ذلك يستطيع المرء أن يفرق بين السحر والخوارق والمعجزات، التي تؤيد نبوة الرسل، وإزالة الشك من عقول الناس، والتفريق بين السحر الباطل من الخوارق والمعجزات، التي قد تبدو كالسحر، وما هي من السحر، وكان لهما منهج واضح؛ كما يلي:

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾:

﴿وَمَا﴾: النافية.

﴿يُعَلِّمَانِ مِنْ﴾: ابتدائية، استغرافية.



﴿أَحَدٍ حَتَّى﴾: حتى؛ حرف غاية نهاية الغاية.

﴿يَقُولُوا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر، ﴿نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: قد تؤدي إلى الكفر، فلا تكفر.

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾: أي: السحرة، والشياطين، يتعلمون من الملكين هاروت، وماروت.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي.

﴿يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾: أي: بالبغضاء، أو الكره، الذي يؤدي إلى الطلاق، والتفريق بين المرء وزوجه.

﴿وَمَا هُمْ﴾: وما السحرة والشياطين بضارين به بالسحر.

﴿بِضَّارَيْنِ﴾: للتوكيد، والباء للإلصاق، والتوكيد. ﴿بِهِ﴾: بالسحر، ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾: من: للتوكيد.

﴿بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: ولا يحصل الضرر إلا بإذن الله، إلا أداة استثناء، إلا: بمشيئة الله، وإرادته، والسماح بذلك، وإذن الله تستعمل للعمل الذي لا دخل لنا فيه ولا إرادة. بينما يستعمل ما شاء الله، أو شاء الله في الأعمال التي تقوم بها أنفسنا، أو نتدخل بها شخصياً.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾: أي: تعلم السحر يضر، ولا ينفع، ومهما افترى الساحرون، أنه مهارة، وحرفة، أو للتسلية، أو ربح المال، أو فن، كل ذلك أكاذيب.

﴿مَا﴾: اسم موصول، بمعنى الذي يضرهم.

﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾: لها نفس المعنى، لا يضرهم، وتفيد زيادة التوكيد، بعدم النفع، وجلب الضرر. وقدم دفع الضرر على النفع في هذه الآية؛ لأنه أهم وأعظم



من جلب النفع؛ أي: الضرر الناجم عن السحر أعظم من المنافع المادية التي قد تحصل نتيجة السحر.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو؛ عاطفة، لقد: اللام للتوكيد، قد: تحقق وثبت.

﴿عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾: اللام: لام التوكيد، والابتداء، من: بمعنى الذي.

﴿عَلِمُوا﴾: اليهود. ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾: أي: اختار السحر، أو تعلمه.

﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾: الخلاق: من الخلق؛ أي: التقدير، وتعني: النصيب فهي تفيد كلا المعنيين؛ أي: ما له في الآخرة من أي نصيب قُدر له، ومن: استغراقية للتوكيد؛ أي: عمله الصالح حابط، أو باطل.

﴿وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾: الواو عاطفة، واللام لبئس؛ للتوكيد، وبئس؛ فعل من أفعال الذم.

﴿مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾: باعوا به بالسحر أنفسهم؛ أي: اشتروا السحر، وباعوا أنفسهم. ارجع إلى الآية (١٦) من نفس السورة لبيان الفرق بين شري واشترى.

﴿لَوْ﴾: شرطية.

﴿كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: ما ينتظرهم من عقاب.

[١٠٣] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: حرف امتناع لامتناع.

﴿أَنَّهُمْ﴾: أي: اليهود.

﴿ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا﴾: آمنوا بالتوراة، والإيمان الحق، وتركوا السحر، واتقوا الله؛ بامثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، لاستحقوا الثواب العظيم، أو آمنوا برسول الله، أو القرآن.

﴿لَمْثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾: المَثُوبَةُ هي الثواب على العمل الصالح، يقابلهما العقوبة على العمل السيئ، ومشتقة من ثاب: أي: رجع.

وكلمة مثوبة؛ مأخوذة من نفس معنى كلمة ثوب، وجمعه ثياب، والثياب؛ قد تصنع من الصوف، فكانوا قديماً؛ يأخذون أصواف الغنم، فيعطونها لغيرهم لتغزل، وتنسج ثوباً، ثم تعود الأصواف إلى أصحابها كثوب، ولذلك؛ سُمِّيت المَثُوبَةُ؛ لأنَّ الخير يعود على صاحبه بالنفع.

والثواب يقال في الخير والشر، وفي الخير غالباً.

ومثوبة نكرة، ولكن قوله: ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾: تصبح أقرب إلى المعرفة.

وأصل الجملة: ولو أنهم آمنوا واتقوا لأثيبوا، ولكن أبطل لأثيبوا بمثوبة؛ فعبر بالجملة الاسمية، التي تفيد الثبوت والاستقرار بدلاً من الفعلية لأثيبوا.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: أن ثواب الله خير مما تعلموا من السحر وليس عندهم أي علم حقيقي، ولأن ما ادعوا أنه علم (أي: السحر)، سيكون حجة عليهم؛ لأنهم لم ينتفعوا بعلمهم، وخالفوا أمر الله وكتابه، واتبعوا أهواءهم.

[١٠٤] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿يَتَأْتِيهَا﴾: أداة للدعاء البعيد، والهاء للتنبيه.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء للذين آمنوا، الذين هم على طريق الإيمان، بأمر جديد.

﴿لَا﴾: الناهية. ﴿تَقُولُوا رَاعِنَا﴾: أي: راعنا سمعك؛ أي: اسمع لنا، ولا تعجل علينا، أو تأن بنا، حتى نفهم ما تقوله، ونحفظه، وتعني الرعاية؛ أي: تمهل بنا، وارفق بنا.



والسبب في نزول هذه الآية: أَنَّ المسلمين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! اسمع لنا، أو ترفق بنا، أو تمهل بنا.

وكلمة راعنا في اللغة العبرانية تعني: سباً قبيحاً، أو بمعنى اسمع لا سمعت، وقيل: هي من الرعونة؛ أي: الجهل والحمافة.

فلما سمع اليهود هذه الكلمة، أخذوا يخاطبون رسول الله ﷺ بها، قاصدين بها السب، والاستهزاء، يقولون: يا محمد راعنا، ويضحكون.

فجاء الأمر من الله سبحانه، بالنهي عن استعمال كلمة (راعنا)، لكي يحمي رسوله ﷺ، من أي شتم، أو استهزاء، وأبدلها بلفظ آخر، هو ﴿أَنْظُرْنَا﴾.

﴿وَقُولُوا أَنْظُرْنَا﴾: أي: تأن علينا، أو أمهلنا، أو أنظر إلينا، أو انتظرنا.

﴿وَأَسْمَعُوا﴾: إلى ما يأمركم به الله ورسوله، وإلى ما ينهاكم عنه سمع طاعة.

﴿وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: اللام؛ لام الاستحقاق أو الاختصاص.

﴿وَالْكَافِرِينَ﴾، ومنهم: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ لمن أذى رسول الله ﷺ، وأساء إليه، وهذا تهديد ووعد.

[١٠٥] ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾:

﴿مَا﴾: النافية؛ للحال، والمستقبل.

﴿يَوَدُّ﴾: من الود، وهو ميل القلب إلى ما يحبه.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: أي: الذين كفروا من اليهود

والنصارى.

﴿مَنْ﴾: استغراقية، تستغرق كل الذين كفروا.



﴿وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾: لا: لتأكيد النفي.

﴿وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾: من قريش، أو العرب.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري، يفيد التأكيد.

﴿يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: لشدة عداوتهم، ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾: من استغراقية، تستغرق كل شيء، يسمى خيراً، وضد الخير: الشر، وخير نكرة، مهما كان نوعه، وكمه، وشكله، من خير، معناه: في هذه الآية: الوحي، ومنهج الله، ونبوة رسوله محمد ﷺ.

﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾: الإضافة للتشريف، ﴿مِنْ﴾: الابتدائية.

﴿رَبِّكُمْ﴾: لأنه الرب، هو مصدر الخير، والرزق، والمربي، والخلق، والمدير.

وبهذا يكشف الحق سبحانه، لعباده المؤمنين، ما يكنه الذين كفروا، من اليهود، والنصارى، والمشركين، من العداوة لهم، بعد أن رفضوا الإيمان، والاعتراف بمحمد ﷺ، وأنهم لا يريدون لكم أيّ خير.

﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: أي: يعطي النبوة لمن يشاء، ويختار، من البشر حسب ما تقتضيه حكمته. ﴿بِرَحْمَتِهِ﴾: والرحمة تشمل النبوة، والإسلام، والهداية، وغيرها من مظاهر الرحمة، وهي جلب ما يسر، ودفع ما يضر.

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: إشعاراً بأن إيتاء النبوة؛ من الفضل العظيم، كقوله تعالى: ﴿إِنْ فَضْلُهُ كَأَنَّكَ كَيِّدٌ كَبِيرٌ﴾ [الإسراء: ٨٧].





البقرة الأولى

سورة البقرة ٢



﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّدُّونَكُمْ مِّن بَعْدِ إِيْمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا ۚ حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ يَّجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۚ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ ۖ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾



سورة البقرة [الآيات ١٠٦ - ١١٢]

[١٠٦] ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿مَا﴾: شرطية.

﴿نَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾: النسخ: تعريفه: رفع الحكم الشرعي؛ بدليل شرعي آخر، متأخر عنه.

النسخ لغة: الإزالة، يقال: نسخت الشمس الظل؛ أي: أزالته، وذهبت به. إذن النسخ، هو إزالة حكم ما، والمجيء بحكم آخر، أو نزيل آية كانت موجودة، ونأتي بآية أخرى.

﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: من النسيان، تعني: أن الله يجعل الإنسان أو الناس يسهون، أو يغفلون عنها، فلا يذكرونها؛ أي: يمحوها من الذاكرة.

﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾: والسؤال هنا، إذا كان هناك خيرٌ منها، فلماذا لم يأت الله بالخير من البداية؟!

الجواب: المعنى ليس كذلك، وإنما المعنى: أن الآية المنسوخة كانت خيراً في زمانها، وجاءت الآية الثانية، فكانت زيادة في الخير، وكلاهما خير في زمنه وبيئته.

وليس معنى ذلك: أن الله سبحانه قد حكم بشيء، ثم جاء واقع آخر،



أثبت أن الحكم قاصر، فعدل الله سبحانه عن ذلك الحكم؛ هذا غير صحيح، ومرفوض.

لأن الله سبحانه يعلم منذ الأزل أن لهذا الحكم وقتاً محدداً وينتهي، ثم يحل مكانه حكم جديد، أو لا ينتهي أجله، ويبقى إلى يوم القيامة، ولا يجوز مقارنة القوانين الربانية، بالقوانين الوضعية، (التي يضعها البشر).

وهناك من يقول: لا نسخ في القرآن أبداً، وهناك من يقول: هناك نسخ، واختلف السلف عن الخلف في عدد الآيات المنسوخة من (٢٠٠) آية إلى (٧-١٠) آيات، واعلم أن النسخ في بعض الأحكام الشرعية، (وهو قليل جداً)، ولا يقع النسخ في العقيدة، ولا في الأخبار، والنسخ مخصوص بزمان الوحي في حياة الرسول ﷺ، أما بعد وفاته، فقد اكتمل الدين، وانقطع وحي السماء، فلا نسخ بعد، والحكمة من النسخ، قد تكون للتدرج في تربية الأمة، أثناء انتقالها من الجاهلية إلى الإسلام، والتخفيف على المسلمين من الأصعب إلى الأسهل. وهو ابتلاء، واختبار لإيمان المسلمين.

والنسخ كان في آيات معدودات، وقد كان لبيان مجمل، أو تقييد مطلق، أو تخصيصاً لعموم، وخير مثال على ذلك: تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام، وآية الموارث، وعدة المتوفى عنها زوجها.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: الهمزة في ﴿أَلَمْ﴾: همزة استفهام تقريرية، لإقامة الحجة على العبد، فبدلاً من أن تأتي الآية كخبر من الله تعالى، يخبر فيها عن ذاته، أنه على كل شيء قدير، جاءت بشكل استفهام إقراري، وأن يكون الخبر من المخاطب، وليس منه سبحانه.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾: أي: اعلم علماً يقيناً أن الله على كل شيء قدير: المخاطب

النَّبِيِّ ﷺ، وأتمته، ولمعرفة معنى أَنَّ الله على كل شيء قدير، ارجع إلى الآية (٢٠) من سورة البقرة.

[١٠٧] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿أَنَّ﴾: للتوكيد، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: له قصرًا، وحصرًا، وليس لغيره ﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: هو المالك، والحاكم وحده لا شريك له، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ومن فيهن؛ أي: السموات؛ كظرف ومظروف، والأرض؛ كظرف ومظروف.

والإنسان لا يملك حقيقة شيئًا، إنما هو مستخلف وقدرته مقيدة.

﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استنافية. ما: نافية.

﴿دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿مِنْ﴾: استغراقية. ﴿وَلِيٍّ﴾: الولي؛ هو من يواليك ويحبك، ويُعينك حين الحاجة، أو الخوف، وهو القريب والصديق.

﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾: النصير: هو الذي عنده قدرة على أن ينصرك.

والله سبحانه هو الولي؛ أي: المحب، والنصير ﷺ، وكفى بالله ولياً، وكفى بالله نصيراً، والولي يختلف عن النصير.

والفرق بينهما؛ أَنَّ الولي قد يكون ضعيفاً وغير قادر على النصرة؛ أي: ليس نصيراً، والنصير قد يكون أجنبياً؛ أي: ليس قريباً، ولا صديقاً له؛ أي: ليس ولياً.



ولذلك جاء بـ(لا النافية)؛ لتفريق كل من الأمرين على حدة، أو كليهما معاً.
[١٠٨] ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَنْ يَتَّبِدَلِ
الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة؛ همزة استفهام إنكاري.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي.

نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي بن كعب، ورهط من قريش؛ قالوا: يا
محمد اجعل لنا الصفا ذهباً، ووسع لنا أرض مكة، وفجر الأنهار خلالها تفجيراً؛
نؤمن بك.

وقيل: إن اليهود، سألو رسول الله ﷺ، أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، كما
جاء في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا
مُوسَىٰ أَكْبَرَهُمْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣].

فبعد أن سألو رسول الله ﷺ الكثير من الأسئلة، كما ورد في سورة الإسراء
الآيات (٦٣-٩٠)، وسورة الفرقان (٧-٨).

كأن لم يبق لكم إلا أن تسألوه، كما سئل موسى، من قبل: ﴿أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾.
وإذا انتبهنا إلى هذه الآية؛ لتبين لنا أن الله سبحانه، لم يشأ أن يشبه المسلمين
باليهود، فقال: كما سئل موسى من قبل؛ أي: بنى الفعل سئل للمجهول، فقد كان
من الممكن القول: أم تريدون أن تسألوا رسولكم، كما سأل اليهود موسى.
﴿وَمَنْ يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾: ﴿وَمَنْ﴾: شرطية، جوابها: ﴿فَقَدْ ضَلَّ
سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

﴿يَتَّبِدَلِ﴾: ولم يقل: يبدل، ﴿يَتَّبِدَلِ﴾: تعني: كل فرد (قاعدة عامة).
يبدل: تعني فرداً واحداً (قاعدة خاصة).

﴿يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾: يشتري الكفر بالإيمان، فالإيمان يمثل



الدراهم المدفوعة، والكفر هو المادة، والسلعة المشتركة؛ (انتبه إلى أن الباء تدخل على المتروك دائماً). ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أي: ثبت، ووقع، (لزيادة التوكيد).

﴿ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾:

﴿ضَلَّ﴾: أي: أخطأ الطريق، أو عدل عن الحق والهدى.

والسبيل؛ هو الطريق، السهل، القصير، والموصل إلى الغاية.

والسواء: هو الوسط.

أي: ابتعد عن الصراط المستقيم، الموصل إلى الغاية، إذ لم يمش في وسط السبيل، وراح يمشي يسرةً ويمنةً، فضلً عن سبيله، عن الإيمان، أو الحق، والهدى؛ أي: الإسلام.

[١٠٩] ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

سبب النزول؛ كما قال ابن عباس رضي الله عنه: نزلت هذه الآية في نفر من اليهود، بعد وقعة أحد، قالوا لبعض الصحابة: ألم تروا إلى ما أصابكم، فلو كنتم على الحق، ما هزمتهم، فارجعوا إلى ديننا، فهو خير لكم، فأخبر الصحابة رسول الله ﷺ بما قيل لهم.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾:

﴿وَدَّ﴾: أحب أو تمنى، ارجع إلى الآية (١٠٥) من نفس السورة لبيان

معنى الود.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: (اليهود)، من: ابتدائية.



﴿كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: يعني: هناك قلة، لا تود ذلك.

أي: يتمنى كثير من أهل الكتاب، وفي كل زمن، ومناسبة، وبلا مهلة، فوراً، وبسرعة لو يردونكم كفاراً.

﴿لَوْ﴾: مصدرية.

﴿يَرُدُّونَكُمْ﴾: ولم يقل: يردوكم، بل أضاف إليها النون؛ للتوكيد.

﴿مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ﴾: بمحمد ﷺ، ورسالته؛ أي: يردونكم عن دينكم، كفاراً: جمع كافر، بدل من الكافرين كفار؛ لتدل على الكثرة، ومقارنة بكافرين، وكفاراً التي تدل على مبدأ الكفر. والكافرين تدل على عمل الكفر.

﴿كُفَّارًا﴾: غير مصدقين بمحمد ﷺ، وبما أنزل إليه، كما كنتم قبل مجيئه.

﴿حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾: والحسد: هو تمنى زوال النعمة عن المحسود، (عمن تكره)، وأن تصير للحاسد.

﴿مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾: من ذواتهم، من شهواتهم، فالله سبحانه لم يأمرهم بذلك، ولا التوراة، ولا أي كتاب، والحسد: لا يكون إلا من عند النفس.

وقدّم الجار والمجرور؛ من بعد إيمانكم على كفاراً، للاهتمام والحصص؛ أي: الشيء الوحيد، الذي يودونه؛ هو كفركم لا غير.

﴿مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾: أي: من بعد ما تأكدوا في التوراة أن شخصية رسول الله ﷺ حق، وأنه خاتم النبيين، راحوا يحسدونكم على نعمة الإيمان، ويتمنون زوال هذه النعمة عنكم؛ لأن التوراة تأمرهم أن يصدقوا بمحمد ﷺ، ولمعرفة معنى الحق ارجع إلى الآية (١١٩) في نفس السورة.

﴿فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ﴾: العفو: من عفت الريح الأثر؛ أي: مسحت الأثر، وأزالته؛ فالعفو هو ترك العقوبة، والعفو عن المذنب.

﴿وَاصْفَحُواْ﴾: الصفح: أبلغ من العفو، وهو يشمل: العفو، وعدم اللوم،

ولا التّريب، أو المن على من عفوت؛ لأنّ الإنسان قد يعفو عن المذنب، ولكن بعد ذلك يؤنبه، ويمن عليه بعفوه، كأن يقول له: أنت لا تستحق هذا العفو.

﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ﴾: بنصره، ومعونته، بالقتال، والجلاء، كما حدث لبني النضير، وبني قريظة، وقينقاع.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ارجع إلى الآية (٢٠) من سورة البقرة للبيان. [١١٠] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

في الآية السابقة؛ قال تعالى: ﴿وَدَكْثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾.

فلكي لا يردونكم كفاراً، فعليكم التمسك بالإيمان، وذلك بإقامة الصلاة. ارجع إلى الآية (٣) من سورة البقرة للبيان، ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ ارجع إلى الآية ٤٣ من سورة البقرة للبيان، والقيام بالخيرات.

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا﴾: ما: شرطية، مطلقة، لغير العاقل والعاقل.

﴿تُقَدِّمُوا﴾: أي: تفعلوا ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾، (في حياتكم الدّنيا)، من استغرافية، ﴿خَيْرٍ﴾؛ نكرة، تشمل كل خير، من صلاة، أو زكاة، أو صدقة، أو عمل صالح، أو معروف، أو الصّلاح بين النّاس، أو حسنة.

﴿يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: تجدونه عند الله مكتوباً، أو تجدون ثوابه عند الله ثابتاً، ومضاعفاً أضعافاً كثيرة.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: إن: للتوكيد، وقدم ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ على كلمة ﴿بَصِيرٌ﴾؛ لأنّ الآية جاءت في سياق الأعمال الصالحة، ولو كان السياق في عمل قلبي، مثل: التقوى، والسياق في قدرة الله وصفاته، أو صفات الإنسان؛ لقدّم ﴿بَصِيرٌ﴾.



﴿بَصِيرٌ﴾: يراكم، ويرى أفعالكم، وحركاتكم، أحاط بصره بكل المبصرات، في الكون، فلا تخفى عليه خافية في السموات، ولا في الأرض.
[١١١] ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: الواو استثنائية، وتعود لأهل الكتاب من اليهود والنصارى.

﴿لَنْ﴾: حرف نفي، لنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا﴾: أداة حصر، إلا من كان يهودياً أو نصرانياً.

﴿مَنْ كَانَ هُودًا﴾: اليهود: جمع هائد، ارجع إلى الآية (٦٢) من سورة البقرة

للبيان.

﴿أَوْ﴾: للتقسيم.

﴿أَوْ نَصْرَىٰ﴾: أتباع عيسى ﷺ. ارجع إلى الآية (٦٢) من سورة البقرة.

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾: تلك اسم إشارة للبعد.

﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾: جمع أمانة، والتمني؛ قول القائل: ليت كان كذا، وليت لم يكن، والتمني معنى في النفس، ويقع على الماضي والمستقبل، وتلك أمانيتهم الباطلة، التي يتمنوها.

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ﴾: هي أمانة واحدة، فلماذا جاء بعدها؟ وقال تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾: بالجمع؛ لأن هذه واحدة من أمانيتهم، فأمانيتهم كثيرة، مثل: ﴿يُرْذَوْنَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا﴾: أن لا يُنزل عليكم من خير، من ربكم.

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: البرهان: هو الحجة القاطعة على اختصاصكم، بدخول الجنة، ولن يدخلها غيركم.



﴿إِنْ﴾: شرطية، تفيد أو تحمل معنى الشك.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: فيما تفترونه، وتقولونه على الله؛ أي: أنتم كاذبون حين قلتم لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً أو نصرانياً.

[١١٢] ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

﴿بَلَىٰ﴾: للإضراب الإبطالي؛ إبطال ما قالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ﴾.

﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب، لإثبات ما نفوه؛ لن يدخل الجنة إلا من أسلم وجهه لله، وهو محسن.

﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾: من شرطية.

﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾: إسلام الوجه هو أعلى درجات الإيمان، وهي بالتدرج: الإسلام، الإيمان، التقوى، والإحسان، ثم إسلام الوجه.

وإسلام الوجه: يعني: إسلام كل الجوارح، وخصّ بالوجه؛ لكونه أشرف الأعضاء في الإنسان، وإسلام الوجه؛ يعني: الإخلاص لله وحده، وطاعته الكاملة، وقوله: ﴿لِلَّهِ﴾: وليس إلى الله، اللام؛ تعني: الوصول، والاستقامة، وإلى؛ تعني: ما زال سائراً في الدرب للوصول إلى إسلام الوجه، والإخلاص. انظر إلى المقارنة القادمة في نهاية الآية.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: هو ضمير منفصل، يفيد التوكيد.

﴿مُحْسِنٌ﴾: اسم فاعل، من فعل: أحسن؛ الرباعي، والإحسان مصدر.

وتعريف الإحسان: الإحسان لغةً: هو ضد الإساءة، ويقال: أحسنت الشيء؛ أي: جمّلته وزيّنته (كما قال ابن منظور في لسان العرب، وابن فارس في معجم اللغة)، فالإحمال: هو الإحسان الظاهر، وقيل: أحسن أتى بفعل حسن، وأحسن



إلى فلان؛ أي: نفعه؛ أي: هو النفع الحسن، ويشمل الأقوال والأفعال والأحوال، وكما قال تعالى: ﴿وَيَذَرُوكَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ [الرعد: ٢٢].

الإحسان اصطلاحاً وشرعاً: فلا يوجد أجمل وأروع من تعريف رسول الله ﷺ للإحسان حين سأله جبريل ﷺ فقال:

١ - أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك؛ أي: أن تحسن في أداء الأحكام، والعبادات، والفرائض، والنيات، والمقاصد، والأحوال، والمعاملات، والتقرب إلى الله تعالى، والإحسان إلى الوالدين، وذوي القربى، والخلق أجمعين، وإلى النفس، وإلى كل شيء، كما قال ﷺ في صحيح مسلم من حديث شداد بن أوس: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء حتى على الحيوان والنبات والشجر والجمادات والبيئة حتى العدو»؛ يعني: تتقن الأداء إتقاناً جيداً، وتخلص في العبادة المبنية على الحب والذل لله تعالى، والتي تشمل كل أوجه الحياة، ولا تقتصر على العبادات المعروفة، وهذا يسمى: إحسان الكيف.

٢ - وأن يزيد المؤمن في أداء هذه التكاليف، فوق ما فرض الله، مثل: النوافل، والصدقات، وصيام النفل، وكل شعب الإيمان، وهذا يسمى: إحسان الكم.

ووجوه الإحسان كثيرة، مثل: الإنفاق في المال، وتشفع لغيرك، والإحسان بالعلم، وإعانة الضعيف، وتفريج الكرب، وغيرها، والإحسان الأفضل أن تفعله، وأنت محب له، وليس كارهاً أو مجبراً.

وحين تدخل في مقام الإحسان، فأنت تصبح من أولياء الله تعالى، وكما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾: الفاء: للتوكيد. ﴿أَجْرُهُ﴾: ارجع إلى الآية (٦٢) في نفس السورة لبيان معنى الأجر.

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٣٨) من سورة البقرة للبيان.

ولنقارن هذه الآية (١١٢) من سورة البقرة، مع الآية (٢٢) من سورة لقمان، وهي قوله: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾.

وآية سورة النساء (١٢٥): ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾.

في آية لقمان، نجد فيها: ﴿يُسَلِّمَ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾؛ أي: لا يزال بحاجة إلى مزيد من التقوى، والإخلاص، فهو لا يزال في طريقه الموصول إلى درجة الإحسان.

في آية سورة البقرة: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾: هذا وصل إلى درجة الإحسان، وأصبح من المحسنين، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

في آية النساء ليس هناك أفضل منه ديناً. ارجع إلى سورة النساء آية (١٢٥)، وسورة لقمان آية (٢٢) لمزيد من البيان والفرق بين الآيات.



الجزء الأول

سورة البقرة ٢

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى
لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ
اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ
لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ
وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ
فَإِنَّمَا تُوَلُّوْا وُجُوهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ
قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ
قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

سورة البقرة [الآيات ١١٣ - ١١٩]

[١١٣] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۚ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنه: نزلت هذه الآية عندما اختصم فريق من يهود المدينة، وفريق من نصارى أهل نجران عند النبي ﷺ.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: أي: ليست اليهود على شيء، من الدين الحق، والشيء هو أقل القليل، مع العلم أن كليهما من أهل الكتاب. ﴿وَهُمْ﴾: الواو هنا: واو الحالية، تفيد التوكيد، وهم: ضمير منفصل، يفيد زيادة التوكيد.

﴿يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾: أي: كلٌ يتلو كتابه التوراة والإنجيل، ويدّعي أنه يؤمن بكتابيه، ويصدق به، وبما أن التوراة والإنجيل، يصدق كل الآخر، وليس في التوراة ولا في الإنجيل أي شيء مما يزعمونه كلٌ ضد الآخر، فإذا كانوا على مثل هذه الحال، فهم كالذين لا يعلمون.

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾: كذلك؛ تعني: حقاً مثل ما قالت اليهود، وقالت النصارى: ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

السؤال من هؤلاء الذين لا يعلمون؟ قيل: هم كفار قوم نوح، وهود، وصالح، أو مشركو العرب خاصة.

وما الذي ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يعلمون كتاباً، ولا إلهاً، ولا ديناً، أو قالوا: لستم على شيء من الدين.

﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: الفاء؛ للتوكيد، ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: من الحكم بين الأنبياء، وأممهم، وبين الأمم المختلفة، يحكم من هو على الحق، ومن هو على الباطل.

﴿فِيمَا﴾: في ظرفية، ما: اسم موصول، بمعنى الذي، أو مصدرية.

﴿كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: ﴿فِيهِ﴾: من أمور الدين، والحق، والباطل.

[١١٤] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو: استئنافية، من: استغراقية.

﴿أَظْلَمُ﴾: على وزن أفعِل، من ظلم، والهمزة؛ للاستفهام، والإنكار، والنفي؛ أي: لا أظلم من ذلك، الذي يمنع مساجد الله، أن يذكر فيها اسمه، وهذا يطلق عليه الظلم العظيم، وقيل في أسباب نزول هذه الآية عدّة روايات، أولها: نزلت في المشركين، حين صدوا رسول الله ﷺ أن يدخل المسجد الحرام، عام الحديبية.

وقيل: إن النصاري كانوا يطرحون الأذى في بيت المقدس، ويمنعون الناس أن يصلوا إليه، كما يفعل اليهود الآن تماماً.

وقيل: عن ابن عباس ؓ: إن قريشاً منعوا النبي ﷺ من الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام.

وقيل: عن قتادة أَنَّ بختنصر وأصحابه غزو اليهود، وخربوا بيت المقدس، وأعانهم على ذلك النصارى من أهل الروم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ولم يقل: مسجداً بعينه؛ ليكون الوعيد شاملاً، لكل من يخرب، أو يمنع العبادة، في أي مسجد من مساجد الله، والمساجد هي بيوت الله على الأرض، التي تقام فيها الصلاة؛ أي: أماكن العبادة.

﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾: أي: تعطيلها، أو هدمها، أو إزالتها، أو جعلها غير صالحة؛ لأداء العبادة.

﴿أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾: ﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة، يفيد البعد، ويشير إلى من منع مساجد الله مثل الكفرة.

﴿مَا كَانَ﴾: ما لنفي الحال والمستقبل، ما كان يصح، أو يحق لهم أن يدخلوها إلا خائفين؛ أي: لا يدخل أحد منهم مساجد الله آمناً بعد منعها إلا خائفاً. إلا: أداة حصر، وقيل: ما كان لهم أي في حكم الله أي شرعاً، إما بالحكم الكوني فهم يدخلوها.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاستحقاق.

﴿فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: مثل: القتل والجلاء.

وما هو الخزي: ارجع إلى الآية (٨٥) البقرة، وقيل: الخزي: هو الشيء القبيح، الذي تكره أن يراك عليه الناس، ويعني: الذل، والفضيحة، والذل؛ يعني: القتل، والجزية، والعذاب بكل أنواعه.

﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:



في نار جهنم، وعظيم، هو أعظم أنواع العذاب، يشمل: العذاب المهين، والأليم، والمقيم، والكبير، والشديد.

وتكرار لهم، تفيد التوكيد، والاستحقاق، ولن يكفي أحدهما عن الآخر، بل عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة.

[١١٥] ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِيعُ عَلِيمٌ﴾:

هذه الآية تنمة للآية السابقة، إذا حيل بين المسلم وبين دخول مساجد الله، أو أي مسجد ليصلي فيه، أو يذكر اسم الله بسبب تخريبها، أو المنع؛ لأي سبب؛ كالظلم، أو العتو، فله أن يصلي في أي مكان آخر، كما بين ذلك رسول الله في حديث رواه البخاري، ومسلم، وقال: «وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً».

﴿وَلِلَّهِ﴾: الواو؛ استئنافية، لله: اللام لام الاختصاص، والملكية، وتفيد التوكيد، وتقديم الجار والمجرور؛ لفظ الجلالة، يفيد الحصر، والقصر.

﴿الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾: ملكاً، وخلقاً، وشرقاً، وغرباً، وشمالاً، وجنوباً، ولم يذكر كل الجهات؛ لأنها تتحدد بتحدد شروق الشمس وغروبها.

﴿فَأَيْنَمَا﴾: الفاء: للتوكيد.

أينما: أين: ظرف مكان مبهم، وأضيفت لها حرف ما لتزيد الإبهام؛ لتدل على وجود الله سبحانه بعلمه، في أي مكان، مهما كان في السموات أو في الأرض.

[١١٦] ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَدِيرٌ﴾:

وقالت النصارى - افتراءً على الله - المسيح ابن الله، وقالت اليهود: عزيز ابن الله، وقال المشركون: الملائكة بنات الله - تعالى الله علواً -.

﴿وَلَدًا﴾: الولد؛ يطلق على الذكر، والأنثى، والمثنى والجمع.

﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾: هذا أشنع الكفر، وأبشعه، ورغم كونهم كذبوا، وافتروا على الله، لم يرد الله عليهم، ويقول: إنكم كذبتُم، فهو أعظم، وأكبر من أن يردَّ عليهم.

﴿سُبْحَنَهُ﴾: تنزيهاً مطلقاً لله في ذاته، وصفاته، وأفعاله، من أي نقص، أو عيب، وصاحبة، أو ولد، وكل ما لا يليق بكماله، وجلاله، وما كان يصح، وما يتصور في حقه ﷻ. أن يقولوا ذلك.

﴿بَل﴾: حرف إضراب إيطالي؛ أي: يبطل ما قبله؛ أي: اتخذ الله ولداً.

﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾:

﴿لَّهُ﴾: اللام: لام الاختصاص أو الملكية.

﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: له ملك السموات، كظرف وما فيهن؛ أي: ما تحويه، وله ملك الأرض؛ كظرف وما فيها كمظروف.

﴿مَا﴾: للعاقل وغير العاقل، وقدم: ﴿لَّهُ﴾: للحصر.

﴿كُلُّ﴾: يفيد الاستغراق، والإحاطة بكل شيء، والتوكيد.

﴿قَلْبُونٌ﴾: جمع قانت، والقنوت: هو الخضوع والانقياد، والامثال لأوامر الله سبحانه وتعالى والاستقامة على طاعته.

﴿قَلْبُونٌ﴾: جمع مذكر سالم، مختص بالذكر العقلاء، الذين أصبح القنوت سمة ثابتة لهم، ويشمل غير العقلاء أيضاً، وغلب العقلاء على غيرهم للتشريف.

﴿قَلْبُونٌ﴾: إما بإرادتهم واختيارهم، وإما بلا إرادتهم، واختيارهم، كما يحدث حين المرض، والموت، والمصائب، والقنوت لله: إطاعة الله، والإقرار بعبوديته، وقت في صلاته؛ خشع واطمأن، وقد تعني: دعا، وأطال الدعاء.



[١١٧] ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾:

﴿بَدِيعُ﴾: مبدع، والإبداع هو إيجاد أو خلق الشيء من دون أو على غير مثال سابق.

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خالق، أو منشئ السموات والأرض، على غير مثال سابق، أو منشئها بلا اقتداء، وإذا ظرفية شرطية، تفيد الحتمية، وكثرة الحدوث.

﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: ارجع إلى الآية (٣٥) من سورة مريم. [١١٨] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: لا علم عندهم، كعبدة الأصنام من مشركي العرب وغيرهم. ارجع إلى الآية (١١٣)، وهذا الوصف توبيخ عظيم لهم. ﴿لَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود، ومعناها الحض.

﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾: كما كلم موسى ﷺ؛ أي: كلاماً مباشراً من الله، يقول لهم الله، ويخبرهم، أنه أرسل محمداً ﷺ، رسولاً إليهم، وأنزل القرآن عليهم. ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾: أي: معجزة، ولقد أجاب الله عن هذا السؤال، بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١].

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩].

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أي: كفار أهل الكتاب، وكفار الأمم السابقة.

﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾: أي: مثل قولهم: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾، تكبراً، وعتواً، وتعتاً، ولو استجاب الله لطلبهم؛ لظلموا في طغيانهم يعمهون.

﴿تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: أي: تشابهت قلوب الذين لا يعلمون، وقلوب الكفرة، من الأمم السابقة، في التكذيب، والكفر، والعناد، والحجج، والأسئلة، والمطالب....

﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿بَيَّنَّا الْآيَاتِ﴾: أي: أوضحنا الآيات، والدلائل، والبراهين على صدق كل رسول.

﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿يُوقِنُونَ﴾: أي: يتتفع بها الموقنون (الذين عندهم علم اليقين)؛ أي: العلم الثابت، الذي لا يتغير، ولا يكون غيره، أو الإيمان الثابت المستقر في القلب. ارجع إلى الآية (٤) من نفس السورة لمزيد من البيان في اليقين.

[١١٩] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم، ولا بد من التفريق بين الإرسال والبعث.

﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾: الإرسال:

١ - يكون بإرسال شيء جديد؛ أي: برسالة جديدة، أو منهج جديد، أو تغير، أو تعديل في المنهج السابق، حسب الزمان والمكان.

٢ - الإرسال: لا يصاحبه إثارة ولا تهيج، ولا حث كما في البعث.

٣ - الإرسال: من مكان إلى مكان، أو إلى مكان جديد.

٤ - الإرسال: هو أقل شدة، وقوة، ومشقة مقارنة بالبعث.

أما البعث:

١ - فالبعث: هو إحياء منهج كان موجوداً سابقاً، وغفل عنه الناس، فإذا أراد الله ﷻ إحياء نفس المنهج، الذي غفل عنه الناس، بعث الله رسولاً، أو نبياً،



لإحياء معالم ذلك المنهج السابق، الذي اندثر؛ أي: باختصار بعث شيء قديماً، وليس هناك من جديد.

٢ - البعث: يصاحبه إثارة، وحض، وتهيج على القيام بالعمل وحث عليه.

٣ - البعث: يكون إلى نفس المكان، أو القرية، أو المدينة.

٤ - البعث: إرسال، وفيه شدة، ومشقة، وقوة، وعمل؛ أشد من الإرسال.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق؛ أي: ملازماً للحق، والحق هو الشيء الثابت، الذي لا يتغير، ولا يتبدل، والحق لغة: هو المطابقة والموافقة، وهو الصواب والصحيح، وضده الباطل وكلمة الحق جاءت في (٢٨٣) موضع في القرآن الكريم، ولها معان كثيرة نذكر منها قد تعني الله سبحانه أو القرآن الكريم والإسلام والعدل والرسول والصدق والبيان والحاجة والحظ والنصيب والتوحيد والدين وغيره من المعان...، والسياق هو الذي يحدد المعنى، وقيل: ﴿أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: بالقرآن، أو بالإسلام.

﴿بَشِيرًا﴾: من البشارة: هي الإخبار، بخبر سار لأول مرة، سابقاً لكل خبر سواه.

والبشارة مشتقة من البشارة، وهو طبقة ظاهرة الجلد أو الوجه التي تتأثر وتتغير حين سماع الخبر السار.

وإذا استعملت البشارة في خبر غير سار؛ فذلك من باب التهكم والاستهزاء، مثل قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وبشير صيغة مبالغة من بشر. ارجع إلى الآية (٢٥) من نفس السورة لبيان معنى البشارة.

﴿وَنَذِيرًا﴾: الإنذار، إعلام مع تخويف، وتحذير.

الإنذار؛ لا يكون إلا بالزجر عن أمور، منهي عنها؛ أي: سيئة، أو قبيحة، تسيء إلى الفرد أو الجماعة، وكلما كانت المخافة أشد، كان الإنذار أعظم وأشد،



والإنذار إحسان من المنذر للمُنذر، كي يأخذ استعدادَه، فلا يفاجأ بالأمر المحذر منه، وكل الرسل والأنبياء كانوا مبشرين منذرين، وكان رسول الله ﷺ بشيراً ونذيراً معاً. ونذيراً: صيغة مبالغة من أُنذر، وقدم بشيراً على نذيراً؛ لأن الخطاب إلى رسول الله ﷺ فناسب تقديم البشارة.

﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾: ولا: الواو عاطفة. ﴿وَلَا﴾: النافية.

أي: لست بمسؤول عن أعمال أصحاب الجحيم، أو تعني: النهي عن السؤال عن أصحاب الجحيم، ولا تسأل عنهم، فإنهم في أمر عظيم، على وجه التعظيم.

﴿أَصْحَابِ﴾: من المصاحبة الملازمة؛ أي: كأنهم لا ينفكوا عنها وهي ملك لهم.

﴿أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾: مثل أصحاب الدار.

﴿الْجَحِيمِ﴾: مشتقة من جحيم النار؛ أي: أوقدها، وجحمت النار: تأججت، وجحمت العينان: اشتدت حمرةُهما، والجحوم: مصدر جحيم؛ أي: النار المتأججة، فلا تخدم أبداً. وقيل: الجحيم اسم من أسماء النار، أو دركة من دركاتِها.





البقرة الأولى

سورة البقرة ٢

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَادِيَ وَلَنْ أَتَّبِعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۖ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْهِمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذْ أَبَتلىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَتِ فَاتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾



سورة البقرة [الآيات ١٢٠ - ١٢٦]

[١٢٠] ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۚ وَلَئِنَّ آتِیَّتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۚ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝﴾

﴿وَلَنْ﴾: الواو عاطفة، لن: حرف نفی، یبغی المستقبل، القریب، والبغید، ولن؛ من أقوى حروف النفی؛ أي: لن ترضی عنك اليهود، ولا النصارى، لا فی المستقبل القریب، ولا فی المستقبل البغید.
﴿تَرْضَىٰ عَنْكَ﴾: الرضا: القبول.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغایة؛ أي: لن یرضوا عنك، حتّى یبلغوا غایتهم كاملة، وهي؛ اتّباعك ملّتهم.

﴿تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾: الملة: هي جملة الشرائع (الشريعة)، ولا تضاف إلّا إلى النبی، وتسند إليه، وسمّیت بالملة؛ لأنّ الإنسان یمیل إليها، وتختلف عن الدّین، فالدّین أعم من الملة.

الدّین: جملة الشرائع إضافة إلى القرآن، والسنة.

وتكرار لا: اليهود، ولا النصارى، ولم یقل: ولن ترضی عنك، اليهود والنصارى.

تكرار النفی؛ یفید أنّ رضا اليهود غیر رضا النصارى، ودلیل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣].



ولو قال: لن ترضى عنك اليهود والنصارى، لكان ذلك يعني: أن رضاهم واحد، وهذا ليس صحيحاً؛ أي: حتى ولو حضيت برضا النصارى، لن تحضى برضا اليهود، والعكس بالعكس.

﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾: ولم يقل: ملتيهما؛ لأن اليهود، يريدونك أن تتبع ملتهم فقط، ولا يريدونك أن تتبع ملّة النصارى، وكذلك النصارى نفس الشيء، ولو قال: ملتيهما؛ يعني: لن يرضى عنك الجميع حتى تتبع ملتيهما معاً.

﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى﴾:

قل لهم يا محمد ﷺ، إن: للتوكيد.

﴿هُدَى اللَّهُ﴾: أي: الإسلام.

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل، يفيد التوكيد، ويفيد الحصر.

﴿الْهُدَى﴾: الهدى، الكامل، الصحيح، لا هدايتكم، وما أنتم عليه.

(الهدى الحق الصحيح)، وليس وراءه هدى، وما تدعون إليه ليس بهدى.

﴿وَلَنْ أَتَّبَعَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾:

لام التوكيد؛ إن: شرطية، تفيد الشك؛ أي: يشك أن تتبع ملتهم.

﴿أَتَّبَعَ أَهْوَاءَهُمْ﴾: أهواءهم؛ جمع هوى، والهوى؛ ما تميل إليه النفس،

ويقتضيه الرأي من غير أن يستند إلى دليل شرعي.

والهوى: ما تريده النفس باطلاً بعيداً عن الحق.

﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: أي: القرآن. ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول، بالمفرد

المذكر المحدد؛ أي: العلم بالقرآن، والعلم بالإسلام.

﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿مَا لَكَ﴾: ما: النافية. من: استغراقية.

﴿مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: ارجع إلى الآية (١٠٧) من سورة البقرة لبيان معنى الولي والنصير، ولم يذكر في هذه الآية (من دون الله)؛ أي: لم يقل مالك من دون الله من ولي ولا نصير؛ لأن هذه الآية جاءت في سياق الآخرة، فلا داعي لذكر من دون الله؛ لأنه سبحانه هو الولي والنصير فقط في الآخرة، وأما حين يذكر من دون الله فيأتي ذلك في سياق الدنيا؛ لأن هنالك من قد يكون ولياً أو نصيراً، أو قد تعني مالك من الله من ولي ولا نصير؛ أي: لن ينصرك الله أو يكون ولياً لك، ومن دون الله؛ أي: لن ينصرك غير الله سبحانه من البشر أو يكون لك ولياً.

لنقارن هاتين الآيتين من سورة البقرة الآية (١٢٠): ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾.

والآية (١٤٥): ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾.

الآية (١٢٠): جاءت في سياق القرآن؛ لأن كلمة الذي تشير إلى القرآن، والذي اسم موصول، يشير إلى شيء محدد، وهو القرآن أو الدين.

الآية (١٤٥): جاءت في سياق تحويل القبلة، ﴿مِنْ بَعْدِ﴾؛ تعني: مباشرة، ومن دون تأخير، غير اتجاهك من المسجد الأقصى إلى الكعبة.

﴿مَا﴾: اسم موصول، ومطلقة، وأشمل؛ وأعم من (الذي)، وتستعمل للأمور العامة، بينما الذي؛ تستعمل للأمور المهمة، والمحددة. (الذي)؛ أقوى وأكد من ما، ولذلك نرى (الذي)؛ استعملت للقرآن، أو الدين، و(ما) استعملت لتحويل القبلة، وهو أمر مهم؛ ولكن لا يقارن بأهمية القرآن.



[١٢١] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ﴾: قيل: هم المؤمنون، من أهل الكتاب (اليهود والنصارى).
﴿الْكِتَابَ﴾: التوراة والإنجيل. وقد يعني: القرآن، وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب، ولم يقل الذين أوتوا الكتاب، أو أوتوا نصيباً من الكتاب فيه مدح لهم أو لرفع شأنهم.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾: هم المؤمنون بمحمد ﷺ.

يتلونه ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾: التلاوة: تعني قراءة آية تلو الأخرى، ولا تكون إلا من الكتاب (القرآن أو التوراة أو الإنجيل)، ولها أجر، وأما القراءة تختلف عن التلاوة ليس لها أجر، وقد تكون من كتاب أو غيره، وقد تكون كلمة أو عدة كلمات؛ يتلونه حق تلاوته؛ أي: لا يحرفونه، ولا يكتمون منه شيئاً، من صفة محمد ﷺ، أو أي آية.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد؛ أي: لهم المنزلة والدرجة العليا.

﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: يصدقونه، ويعملون به.

﴿وَمَن يَكْفُرْ﴾: من شرطية، ﴿يَكْفُرُ بِهِ﴾: أي: يحرفونه ويكتمون ما جاء فيه من صفات، وأوصاف النبي ﷺ، (من للمفرد والمثنى والجمع).

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء؛ للتوكيد، أولئك: اسم إشارة.

﴿هُمُ﴾: ضمير منفصل، يفيد التوكيد، والمبالغة.

﴿الْخَاسِرُونَ﴾: لأنفسهم يوم القيامة؛ أي: إذا كان هناك خاسرن، فهم في طليعة هؤلاء الخاسرين، وأشدّهم خسارة.

[١٢٢] ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (٤٠، و٤٧) من سورة البقرة.

والسؤال هنا؛ لماذا يكرر قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ مرتين؟
 قيل: كل آية جاءت بعد معصية، تقتضي أو تحتاج إلى تنبيه جديد، وتذكير، وتحذير.

فلاية (٤٧) جاءت بعد: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

وأما الآية (١٢٢)، جاءت بعد: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

والتكرار؛ يفيد التوكيد، لعل إذا فاتتهم الموعدة الأولى، سيستيقظون على الموعدة الثانية.

[١٢٣] ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾:

ارجع إلى الآية (٤٨)، من سورة البقرة للبيان.

[١٢٤] ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: ظرف زمان للماضي، تعني: واذكر إذا ابتلى، أو اذكر حين ﴿ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾.



﴿ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾: ابتلى: اختبره، والابتلاء: الاختبار. ارجع إلى الآية (٤٩) لليان.

ابتلاه ربه: تربيته له، وإعداد له حمل الرسالة، وليظهر استحقاقه للإمامة.
إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن مالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

إبراهيم: معناه في السريانية والعبرية: الأب الرحيم، وإبراهيم في العبرية: إبراهيم، وكلمة إبراهيم كلمة أعجمية الأصل، اسم إبراهيم ورد في (٦) لغات: إبراهيم، إبراهيم، إبراهيم، إبراهيم، أبرهم.

وورد ذكر اسم إبراهيم (٦٩) مرة في القرآن الكريم.

﴿رَبُّهُ﴾: أولاً: فيه تقديم المفعول على الفاعل، فيه تشريف لإبراهيم ﷺ.
﴿بِكَلِمَةٍ﴾: أي: بتكاليف (أوامر ونواه)؛ ولأن التكليف من الله هو مجرد كلمة أفعّل أو لا تفعل، وما هي هذه التكاليف؛ اختلف العلماء فيها؛ نذكر منها:
صبره على إلقائه في النار، الهجرة إلى الشام، الهجرة إلى مصر، وبناء الكعبة، وبذبح ابنه.

وقيل: هي مناسك الحج، وقيل: هي خصال الفطرة، وهي المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقص الشارب، وقص الأظفار، ونف الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء.

وربما كان ابتلاؤه بكل هذه الأمور معاً، والله أعلم.



﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾: الفاء للتوكيد، أتمهن: أداهن تامات، وأخبر عن ذلك ﷺ في قوله: ﴿وَأَبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧].

وبعد أن أتمهن كاملات، وفاز بالابتلاء؛ قال ﷺ له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾:

﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ﴾: اللام في (الناس): لام الاختصاص. الناس: ارجع إلى الآية (٢١).

﴿إِمَامًا﴾: الإمام؛ اسم من يؤتمُّ به، في الدين.

والإمام تعني: القدوة في الدين، أو الرسول.

﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾: استقبل إبراهيم البشري؛ بجعله إماماً، بقوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾.

وقول إبراهيم: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾: من: ابتدائية؛ تعني: بعض ذريتي، فمن يصلح للإمامة. والذرية: هم نسل الرجل؛ أولاده، وأحفاده.

واستجاب له ربه، بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

وذرية مشتقة من: ذرأ الله الخلق؛ أي: أظهرهم بالإيجاد.

﴿قَالَ لَا يَأْتَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾: قال: تعود على الحق سبحانه.

﴿لَا﴾: النافية؛ لكل الأزمنة.

﴿يَأْتَالُ﴾: النيل، الظفر، أو الحصول.

﴿عَهْدِي﴾: الإمامة، وقيل: النبوة بالرسالة.



﴿الظَّالِمِينَ﴾: الكفار، أو العصاة؛ أي: من كان ظالماً لن ينال عندي.

[١٢٥] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَافِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: ظرف زمان، واذكر إذ جعلنا، أو واذكر حين جعلنا.

﴿جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾: البيت الحرام؛ أي: الكعبة.

﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾: مثابة: اسم مكان؛ مأباً ومرجعاً للحجاج والعمار.

﴿مَثَابَةً﴾: من ثاب يثوب مثاباً بمعنى: رجع، وزيدت فيه التاء؛ للمبالغة في كثرة الثيب إليه، يثوبون إليه من كل حذب وصوب، ومن كل فج عميق، المرة تلو الأخرى. ﴿لِّلنَّاسِ﴾: اللام لام الاختصاص. الناس: ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة للبيان.

﴿وَأَمْنًا﴾: مأمنًا، وملجأً آمناً فيه سكون وطمأنينة؛ كقوله: ﴿حَرَمًا آمِنًا وَيُخَفِّفُ النَّاسُ مِن حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَهِيمَ مُصَلًّى﴾:

﴿وَاتَّخِذُوا﴾: وجعلوا. من: لابتداء الغاية.

﴿مَقَامِ إِبْرَهِيمَ﴾: الحجر؛ الذي قام عليه إبراهيم ﷺ، أيام كان بيني الكعبة؛ حيث احتاج إبراهيم إلى حجر ليرقى عليه ليواصل البناء، فالمقام؛ مكان قيامه، أو وقوفه.



﴿مُصَلٍّ﴾: مكان للصلاة، يصلون خلفه ركعتي الطواف.

﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ
السُّجُودِ﴾:

﴿وَعَهْدَنَا﴾: العهد؛ تكليف وأمر، فقد يكون من طرف واحد.

ولم يُسند العهد في القرآن إلَّا لله وحده، والعهد أقوى من الوصية، والعهد موثق.

﴿إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾: إلى إبراهيم ﷺ وإسماعيل بن إبراهيم، وإسماعيل؛ اسم أعجمي، لفظ إسماعيل وإسماعين.

﴿أَن﴾: حرف مصدري، يفيد التوكيد.

﴿طَهَّرَا بَيْتِي﴾: من الأوثان، الرجس ومخلفات الذبح، ومخلفات الهدى؛ هذا في القديم، أما الآن؛ فله دره في نظافته وطهارته.

﴿طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾: السلام لام الاختصاص، الطائفين: جمع طائف، مأخوذة من الطواف، وهو الدوران حول الكعبة سبع مرات.

﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾: جمع عاكف، والاعتكاف (الإقامة) في المسجد، للصلاة والعبادة مدة من الزمن، فالعاكفون هم الملازمون للمسجد الحرام، سواء أكانوا من أهل مكة أو من الزائرين.

﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾: جمع راعع؛ أي: المصلون. والسجود يشمل الظاهر الذي نراه والسجود الباطن الخفي الذي يعني الخشوع والخضوع لله تعالى، وأما



ركعاً سجداً كما في سورة الفتح آية (٢٩) سجداً تعني: كثرة السجود والمداومة عليه.

ولنقارن كلمة ﴿مَقَامٌ﴾: التي وردت في هذه الآية، مع كلمة: مَقَامٌ ومَقَام. مقام: بفتح الميم مع التشديد؛ تعني: مكان القيام، أو الوقوف أو العمل، وزمن البقاء فيه قصيراً، مثال ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

وأما كلمة مُقَام: بضم الميم؛ فهو مكان الإقامة والسكن، وزمن البقاء فيه طويل، مثال: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً﴾ [الفرقان: ٦٦].

مقام: فتح الميم؛ المنزلة والمكانة، مثال: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ، مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤].

وفي هذه الآية؛ قال ﷺ: ﴿طَهَّرَ ابْنَتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾. وفي سورة الحج الآية (٢٦): ﴿وَطَهَّرَ ابْنَتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾، ذكر القائمين بدلاً من العاكفين؛ لأنه سبق ذكر العاكفين.

في الآية (٢٥) حين قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَنَّهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾؛ أي: سواء العاكف: المقيم فيه، من أهل مكة، أو القادم إليه؛ كزائر، ولكونه جاء بذكر العاكفين فلم يكرر، وأبدلها بكلمة القائمين.

﴿وَالْقَائِمِينَ﴾: في الصلاة، أو قيل: المقيمون بمكة.

﴿وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾: ذكرهما؛ لأنهما أهم أركان الصلاة، وفيه عطف الخاص؛ أي: الركع السجود على العام (القائمين)؛ لإظهار أهمية الركوع والسجود. وقال الركع السجود، ولم يقل الركع السجّد؛ لأن السجود يعني:

السجود الظاهري، والسجود الباطني (الخشوع)، وأما السُّجْدُ: فهو يدل على السجود الظاهر فقط، وقوله الركع السجود: تدل على التكثير؛ أي: كثرة الركوع والسجود.

[١٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: ظرف زمان؛ تعني: واذكر إذ قال إبراهيم، أو واذكر حين قال إبراهيم.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ﴾: ﴿رَبِّ﴾: حذف ياء النداء، ولم يقل: يا رب؛ لأن الله سبحانه قريب مجيب، لا يحتاج إلى أداة نداء، فلو كان بعيداً لقلنا: يا رب، فهو أقرب إلينا من جبل الوريد.

﴿اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾: ﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة يفيد القرب، ويشير إلى مكة، ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾: نكرة؛ حيث كان عبارة عن وادٍ غير ذي زرع، وخالياً من الناس، وغير آمن.

وجاءت هنا نكرة؛ لأنّ دعاء إبراهيم هذا، كان قبل بناء الكعبة، عندما جاء بزوجه هاجر وإسماعيل إلى وادٍ غير زرع، وكانت مكة بلداً قفراً، قبل أن تسكنها قبيلة جرهم.

﴿ءَامِنًا﴾: ذا أمن، واستقرار، وكان دعاء إبراهيم؛ هنا، دعاء عاماً قبل بناء البيت وقبل أن تكون مكة بلداً معروفاً.

وإذا رجعنا إلى الآية السابقة (١٢٥)؛ ألم يقل الله ﷻ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ



مَثَابَةُ لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴿، فما جدوى دعوى إبراهيم: ﴿أَجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾؟ أي: يا رب،
داوم واستمر، على جعله آمناً، أو رده آمناً، وآمناً، يعني: الأمن التام، الكامل،
الخالى من الخوف، وللتأكيد على أهمية الأمن، وفي الآية (٣٥) من سورة
إبراهيم قال تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ جاء بال التعريف؛ ارجع إلى
سورة إبراهيم آية (٣٥) للبيان ومعرفة الفرق بين الآيتين.

﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الشَّرْعِ﴾: من: ابتدائية بعضية؛ أي: بعض الثمرات.

من آمن: منهم، تعود على أهل هذا البلد؛ أي: ارزق فقط المؤمنين
وحدهم؛ أي: من آمن بالله واليوم الآخر. من آمن: من: اسم موصول بمعنى
الذي، وشرطية.

ولعل إبراهيم قال ذلك؛ عندما تذكر قول الحق: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾،
فحاول أن يستثني من الرزق من كفر؛ لأنه ربما نسي أن الرزق هو من عطاء
الربوبية، ولا علاقة له بالإيمان؛ لأن الله يرزق الكافر والمؤمن، والعاصي
والمطيع؛ ولذلك خالفه الله في الدعاء ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ
النَّارِ وَيُجْزَىٰ الْمَصِيرُ﴾.

قال الحق سبحانه: سأرزق من آمن بالله واليوم الآخر، وسأرزق من كفر؛
لأن الرزق هو من عطاء الربوبية؛ فهو للمؤمن والكافر معاً.

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾: لأن متاع الدنيا قليل، ولو كثر وعظم، فهو قليل؛
مقارنة بمتاع الآخرة، وقليل لكونه محدداً بأجل معين لكل إنسان، سنين قليلة،
ثم يموت.

والمتاع هو: كل شيء ينتفع به ويتزود به، والتمتع هو شيء يحبه الإنسان، ويتمنى تكراره ودوامه.

والمتاع يتضمن الرزق، بما فيه الطعام، والشراب، والزواج، ويتضمن الأمن.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتراخي في الزمن.

﴿أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾: الاضطرار، الإلجاء، والحمل على الشيء، أو الإكراه.

﴿وَبِئْسَ﴾: بئس؛ من أفعال الذم. ﴿الْمَصِيرُ﴾: مصدر ميمي؛ لفعل صار، يصير، بمعنى: رجع؛ أي: بئس المصير، والمآل. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٤) في سورة لقمان، وهي قوله تعالى: ﴿نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ نجد آية لقمان جاءت بصيغة الجمع فمتعهم؛ لأنها جاءت في سياق الدعوة والتبليغ للناس كافة، وآية البقرة خاصة متعلقة بالرزق، ونجد أيضاً أن عذاب النار وبئس المصير هو أشد وأبلغ من العذاب الغليظ؛ لأن العذاب الغليظ قد لا يكون في النار.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٢

الْبَيْتِ الْأَوَّلِ

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا
إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنِ
مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا
وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ
إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُاتِنَا
وَحَدًّا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

سورة البقرة [الآيات ١٢٧ - ١٣٤]

[١٢٧] ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي، ويعني: واذكر إذ يرفع إبراهيم، أو اذكر حين رفع إبراهيم القواعد؛ أي: انقضت جدرانها، وبقيت قواعده في الأرض، وأول من بناه، كما قيل: الملائكة في زمن آدم، ويرفع جاءت بصيغة المضارع، بدلاً من رفع؛ لاستحضار صورة الرفع، وكأنه يرفع الآن، وهذا ما يسمى: حكاية الحال.

والرفع: من الارتفاع؛ فكل بناء له طول، وعرض، وارتفاع، والارتفاع هو البعد الثالث؛ فما دام الطول، والعرض، محددين من قبل؛ منذ البناء الأول؛ فإبراهيم عليه أن يحدد الارتفاع، ومكان القواعد، أو مكان البيت؛ كان مطموراً، وغطته الرمال والأتربة، فلما أمر إبراهيم بالرفع، أطلع الله سبحانه نبيه إبراهيم ﷺ على مكانه؛ فوجد قواعده.

﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾: ساعد أباه إبراهيم، في الرفع، والبناء، وكان شاباً؛ حينذاك. ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾: يقولان إبراهيم وابنه إسماعيل حين كانا يرفعان القواعد، ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾؛ أي: يسألان الله القبول منهما، والثواب فهما لا ينسيان الدعاء، وذكر الله تعالى في زمن العمل والرفع.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾: أنت: تفيد التوكيد. ﴿السَّمِيعُ﴾: لما نقول، وندعوك،



ونرجوك، ولما يقوله عبادك في السر والعلن، وما يقوله كل من في السموات والأرض، من ملك، وإنس، وجان، ودابة، وطير، وكل شيء.

﴿الْعَلِيمُ﴾: العليم لما نفعل، وما يفعله جميع خلقك من خير وشر، والذي أحاط علمه بكل شيء، وفي أي مكان وزمان، وفي الظاهر، والباطن، والسر، والعلن، فلا يخفى عليه شيء في الأرض، ولا في السماء، والعليم بما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لم يكن.

[١٢٨] ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾:

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾: إسلام الوجه؛ أي: موحدين، مخلصين لك، واقمنا على دينك، وصراطك المستقيم، عابدين؛ خاضعين، وراضين لأمرك ونهيك، وامتد دعاؤهما؛ ليشمل ذريتهما، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً﴾: من؛ للتبعيض، ولم يقل: واجعل ذريتنا أمة مسلمة لك؛ لكان ذلك يعني الكل؛ اليهود، والنصارى، وأمة الإسلام؛ أي: أمة واحدة على ملّة واحدة.

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً﴾: تعريف الأمة: جماعة من الناس، تربطها عقيدة واحدة، أو مبادئ واحدة، هي عقيدة الإسلام، أمة خاصة، وفي تعريف الأمة لا يهم الكم البشري، ولا الحيز الجغرافي.

﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾: أي: بين لنا شرائع ديننا، وأعمال حجّنا.

والمناسك؛ جمع منسك؛ والأصل أن المنسك مكان العبادة، أو زمنها، وقد يكون بمعنى الفعل؛ أي: التعبد؛ أي: أرنا كيف نعبدك، وأين نعبدك، وشاع استعمال المناسك في معالم الحج وأعماله، مثل: الوقوف بعرفات، والإفاضة،

ورمي الجمار، والطواف، والسعي، والنسك؛ كذلك تطلق على الذبيحة. ارجع إلى سورة الحج آية (٣٤) للبيان.

﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾: أي: تقبل توبتنا، سألناه التوبة، والتوبة قد تكون توبة إنابة؛ أي: تقريباً إلى الله، من دون ذنب أو توبة من ذنب، ولها شروط قبول. ارجع إلى سورة النساء، الآيتان [١٧-١٨].

﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾: لا تعني: أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، قد فعلا معصية ما، وأنهما يطلبان التوبة، وقد يكون طلبهما التوبة لذريتهما القادمة.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾: (للتوكيد).

﴿التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾: ارجع إلى الآية (٣٧) من سورة البقرة.

[١٢٩] ﴿رَبَّنَا وَأَنْبِئْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿رَبَّنَا﴾: ولم يقل: يا ربنا؛ لأن إبراهيم عليه السلام، يعلم أن ربه قريب، لا يحتاج إلى (يا) النداء التي هي للبعد.

﴿وَأَنْبِئْ فِيهِمْ﴾: تعود على ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ﴾، وابعث من البعث. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة.

﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾: من العرب، من ذرية إبراهيم وإسماعيل.

﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾: التلاوة؛ هي القراءة ﴿آيَاتِكَ﴾: آيات القرآن، والتلاوة تختلف عن القراءة، والتلاوة لا تكون إلا من القرآن ولها أجر، ويعني: قراءة متتالية، والتلاوة أخص من القراءة، فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة، والقراءة قد تكون بكلمة.



﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾: التعليم؛ يعني: القراءة والأحكام والتبيين، ومعرفة المعنى، و﴿الْكِتَابَ﴾: القرآن الكريم؛ أي: يعلمهم فهم معاني آيات القرآن.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: الفقه في الدين والأحكام، ومقاصد الشريعة، وإصابة الحق.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يطهرهم من الشرك، والمعاصي، ويهديهم إلى أحسن الأخلاق. وإذا قارنا هذه الآية بالآية (١٥١) في نفس السورة: نجد أن التزكية في الآية (١٢٩) جاءت بعد التلاوة ويعلمهم الكتاب والحكمة، وأما في الآية (١٥١) التزكية جاءت بعد التلاوة مباشرة وقبل التعليم والحكمة؛ لأن الآية (١٢٩) هي دعاء إبراهيم ﷺ فأراد لهم التلاوة والتعليم والتزكية، أما الآية (١٥١) هي قوله الله تعالى في سياق المنة عليهم فجاءت قبل التعليم.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾: للتوكيد.

﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي، الذي لا يغلب، ولا يُقهر، ولا يمتنع عليه شيء، له العزة جميعاً، ولا يعجزه شيء، عزة القوة، والقهر، والغلبة، والامتناع، لا يحتاج إلى أحد، ولا ينفعه، أو يضره أحد.

﴿الْحَكِيمُ﴾: في خلقك، وشرعك، وكونك، وحكيم: مشتقة من الحكمة، أحكم الحكماء، واهب الحكمة، لا تخلق شيئاً عبثاً، وأنت أحكم الحاكمين، الحاكم المسيطر على السموات والأرض وما فيهن، ذو الحكمة المقرونة بالعلم والقدرة والعزة.

وحكيم؛ على وزن فعيل؛ أي: دائم الحكمة، حكيم بذاتك لا اكتساباً.

وحكيم؛ مشتقة من الحكم، الحاكم على السموات والأرض، ومن فيهن.

الحاكم بين الناس بالحق، والحاكم في كل أمر، وإليك ترجع كل الأمور.

[١٣٠] ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو؛ استثنائية. من: استفهام إنكاري، بمعنى النفي؛ أي: لا يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ. ﴿يَرْغَبُ﴾:

يرغب في الشيء؛ أي: إذا أحبه، وأراده، يرغب عن الشيء؛ أي: إذا كرهه، وتركه، يعرض عنه، ويرفضه، أو يصد عنه.

﴿مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾: شريعة إبراهيم، والمِلَّة؛ اسم لجملية الشرائع المتبعة في الدين، والشريعة الكاملة؛ تسمى المِلَّة، والمِلَّة لا تضاف إلا لنبي.

أما الدين: فهو أعم من المِلَّة؛ إذ يشمل الشريعة كاملة، وما ورد في القرآن والسنة، وملة إبراهيم؛ هي الإسلام، المِلَّة الحنيفية السمحة، والتي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: ١٦٦]. ارجع إلى الآية (١٣٢) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾: أصل السفه؛ الخفة في العقل، وضعف الرأي والجهل، والسفه؛ نقيض الحكمة، ويقال للجاهل: سفيه. وسفه نفسه قد تعني: استخف بنفسه، وأهان نفسه؛ لأنه رغب عن اتباع الحق، وهو اتباع مِلَّة إبراهيم.

والطيش: خفة مع خطأ في العقل. وإذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل، يقال: في عقله شيء، من السفه أو الجنون.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استثنائية. لقد: اللام للتوكيد، قد حرف تحقيق.



﴿أَصْطَفَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: ﴿أَصْطَفَيْنَهُ﴾: في ذلك الوقت، الذي عاش فيه. كما اصطفى آدم ونوحاً من قبله.

وهو بيان لخطأ من رغب عن ملّة إبراهيم، الذي اصطفيناه في الدّنيا؛ أي: اخترناه من بين النّاس، ليكون إماماً، ونبيّاً.

وخليلاً: في الدّنيا، وهناك فرق بين الاصطفاء والاختيار في ملحوظ الآية، ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ﴾ (إن للتوكيد) في الآخرة، ﴿لَمِنَ﴾: السلام للتوكيد. ﴿الصَّالِحِينَ﴾: أي: إبراهيم عليه السلام من الأنبياء الصالحين.

﴿الصَّالِحِينَ﴾: جمع صالح، والصالحين لغة: من صلح، يصلح، وصلاح أمره أو حاله: صار حسناً، وزال عنه الفساد؛ عَفَّ، فَضُلَّ، من أمن وعمل صالحاً (معجم المعاني الجامع)، والصلاح: الاستقامة والسلامة من العيب، والصالح المستقيم المؤدي لواجباته، وهو الذي قام بحق وحق العباد، والمؤهل لحمل الخلافة الإيمانية، ويمتاز بصفة الصلاح في العقيدة، والأخلاق، والسلوك، والتربية، ويقاوم الفساد الذي هو ضد الصلاح.

الاصطفاء: هو الاختيار من بين الأشياء المتشابهة، مثلاً: تختار من بين النّاس أحداً فيهم نبياً، أو رسولاً.

الاختيار: هو أن تختار من بين الأشياء غير المتشابهة، مثلاً: تختار قلماً من بين ورقة، وكتاب، وقلم، ومحبرة.

[١٣١] ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ﴾: أي: واذكر إذ قال له ربه أسلم، أو واذكر حين قال له ربه أسلم، هنا تعني: إسلام الوجه، أو الذات وهو أعلى درجات الإيمان، وليس الإسلام العادي؛ أي: «الشهادة، والصلاة، والزكاة، والحج»، وإنما إسلام

الذَّات؛ أي: الإخلاص والتوحيد والطاعة والخضوع والانقياد لله وحده حين يكون الله سبحانه سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، كما ورد في صحيح البخاري، عن أبي هريرة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

إذ قال له ربه: أسلم، ولم يقل: أسلم لي؛ لأن الإسلام مفهوم ومعروف فقط لله وحده، ولا حاجة لذكر لي أوله، وأجاب إبراهيم ﷺ أسلمت لرب العالمين، والرَّب تعني: الخالق، والمدير، والمربي، والرَّزاق، والحفيظ.

[١٣٢] ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئَ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

﴿وَوَصَّى بِهَا﴾: من الوصية، والوصية:

ووصى بالتشديد أبلغ من وصى؛ لأنها تكون لمرات كثيرة، ولكل واحد من بنيه، ووصى تستعمل للأمر المعنوية، مثل أمور الدين، أما أوصى فلأمر المادية الملموسة. ارجع إلى سورة النساء آية (١١)، وسورة لقمان آية (١٤) لمزيد من البيان في وصى، والفرق بين وصى وأوصى.

﴿بِهَا إِبْرَاهِيمُ﴾: تقديم الجار والمجرور (بها) التي تعود على الوصية؛ أي: بدلاً من القول، ووصى إبراهيم بها، قال: ووصى بها إبراهيم؛ للدلالة على أهميتها، وعظمتها.

﴿بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾: بنيه: إسحاق وإسماعيل ويعقوب، (ابن ابنه) إسحاق.

﴿يَبْنَئَ﴾: يا: النداء للبعد، قال: بني بدلاً من أبنائي. فيها تصغير يدل على



الرأفة والشفقة عليهم، الوصية: هي إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ﴾: الدين: جاء بأل التعريف؛ أي: الإسلام ديناً (دين التوحيد...) يا بني أن الله: اصطفى لكم الإسلام ديناً؛ لأن الدين عند الله الإسلام. والاصطفاء يكون من بين الشرائع، وليس من بين الأديان؛ لأن ليس هناك إلا دين واحد هو الإسلام. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٤٤) لمزيد من البيان، والفرق بين الاختيار والاصطفاء والاجتباء.

والدين: هو الطاعة والانقياد والشرعية والجزاء والعقيدة، والمنهج، ويسمى الصراط المستقيم، والدين أعم من الملة، والدين يضاف إلى الله تعالى، وإلى الأنبياء، وإلى الأئمة، أما الملة فتضاف إلى الأنبياء، وإلى الأئمة، والدين واحد هو الإسلام، والشرائع مختلفة؛ الشريعة الإسلامية، والشريعة اليهودية، والنصرانية...

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: الفاء: للتوكيد، لا: الناهية.

﴿تَمُوتُنَّ﴾: نون التوكيد.

﴿إِلَّا﴾: حصراً وقصراً.

﴿وَأَنتُم﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿مُّسْلِمُونَ﴾: إسلام الوجه الذي هو أعلى درجات الإيمان، كما بينا في الآية السابقة (١٣١)؛ أي: على التوحيد والإخلاص (مخلصون موحدون).

وإذا كان إبراهيم عليه السلام قد وصّى بنيه بتلك الوصية، فالله ﷻ بذاته وصّى

الَّذِينَ آمَنُوا بِنَفْسِ الْوَصِيَّةِ، بَلْ بِأَحْسَنِ مِنْهَا حِينَ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
اَتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

[١٣٣] ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنِّي
بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءَابَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ﴾:

أسباب النزول: كما روى الواحدي في أسباب النزول. قيل: نزلت هذه
الآية في اليهود الذين قالوا للنبي ﷺ: ألسنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى
بنيه باليهودية، فرد الله عليهم بقوله بهذه الآية: أكنتم شهداء؛ أي: حضوراً لما
حضر يعقوب الموت، فقال:

﴿أَمْ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري بمعنى النفي، والتوبيخ.

﴿شُهَدَاءَ﴾: جمع شاهد، أو شهيد، واصل الشهادة: الرؤية والحضور،
وشاهدت شيئاً؛ أي: رأيته، وكنت حاضراً، وقال بعضهم: الشهادة في الأصل
إدراك الشيء من جهة سمع، أو رؤية الشيء، والإحاطة به، والعلم بالمشهود.
والشاهد: هو الذي يرى الشيء، أو الحادثة فيشهد بما رآه وسمعه إذا دُعي
إلى ذلك، والشاهد قد لا يعلم تفاصيل الحادثة وأسبابها وخفاياها.

أما الشهيد: صيغة مبالغة والله سبحانه سمى نفسه شهيداً، والشهيد أكثر
علماً من الشاهد؛ لأنه يعلم تفاصيل الحادثة، وأسبابها، وخفاياها، ويحيط
بالمسألة إحاطة كاملة.

﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾: حضر فيها معنى القدوم، أو المجيء، مع
المكث والبقاء؛ أي: حضر الموت يعقوب، وكأنه جالس وحاضر معه، ولم يمت



بعد، ولم يستعمل جاء؛ لأنّ ليس فيها معنى المكث، والبقاء، ويفارق الحياة مباشرة، وفي كلمة جاء معنى الصّعوبة؛ أي: إذا جاء الموت والمشقة.

واستعمل حضر حتّى يعطي يعقوب مدّة، وزمن؛ لكي يوصي بنيه، وقَدّم يعقوب على الموت بدلاً من القول؛ إذ حضر الموت يعقوب؛ أي: قَدّم المفعول على الفاعل (والأصل أن يقدّم الفاعل على المفعول)، وهذا التقديم له غرض بياني، فكأنّ الله سبحانه لا يريد أن يفاجئ يعقوب بالموت، فقدّم يعقوب؛ لأن يعقوب وكلّ إنسان يكره الموت، ولذلك أخر ذكر الموت؛ لكي يخفف ويراعي حالة يعقوب النفسية.

﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾: إذ: ظرف زماني بمعنى: حين قال لبنيه.

﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: ما: الاستفهامية، وتعني: أي شيء تعبدون من بعدي، ما تعبدون، ولم يقل من تعبدون من بعدي؛ لأنّ ما تستعمل لغير العاقل، أو صفات العاقل، إذا استعمل ما هنا بدلاً من؛ لأنّه يقصد بالسؤال عن صفة أو صفات المعبود.

﴿مِنْ بَعْدِي﴾: من بعد موتي.

﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾: هنا عطف الشيء على مرادفه بإله آبائه هو إلهه، ولذلك قال: إلهاً واحداً؛ للتوكيد.

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: الواو: تفيد التوكيد، مسلمون: مخلصون موحدون مطيعون، والجملة الاسمية تفيد الثبوت؛ أي: صفة الإسلام ثابتة.

قال أولاد يعقوب لأبيهم يعقوب: نعبد إلهك (أي: الله)، وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق؛ أي: إله إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وهو الله.

وإبراهيم هو جد يعقوب، وإسماعيل هو عم يعقوب، فأطلق عليهم لقب الأب؛ لأن العرب كانت تسمي العم أبا، والجد أبا.

[١٣٤] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد.

﴿أُمَّةٌ﴾: أي: أمة إبراهيم.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿خَلَتْ﴾: مضت وانتهى زمانها، وخلت قد تعني: انفردت، وخلا فلان بفلان؛ أي: انفرد به؛ أي: لها خصائصها وزمانها.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾: اللام: لام الاختصاص، أو الاستحقاق، ما: اسم موصول، أو مصدرية، لها ما كسبت من الإيمان والأعمال الصالحة، والكسب: هو الفعل العائد على فاعله بنفع أو ضرر.

﴿وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾: من الإيمان، والأعمال الصالحة، أو الذنوب والسيئات؛ أي: لا ينفع الأبناء كسب الآباء، أو بالعكس، (الخطاب هنا للنبي ﷺ ولعامة المسلمين)؛ أي: لا تسألون عن أعمالهم، كما لا يسألون عن أعمالكم؛ أي: لا تزر وازرة وزر أخرى. ارجع إلى الآية (١٤١) في نفس السورة للمقارنة والبيان.

الفرق بين كسب واكتسب: كسب في القرآن تدل على فعل الخير، واكتسب على وزن افتعل تدل على فعل الشر، ارجع إلى الآية (٢٨٦) من سورة البقرة.

﴿عَمَّا﴾: ما: مصدرية، أو اسم موصول.



الْبَيْتُ الْاِثْنَانِ

سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
 حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا
 أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ
 مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
 فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
 هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
 ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ
 عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
 وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ
 تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ
 وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
 بِغَفِلٍ غَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
 وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

سورة البقرة [الآيات ١٣٥ - ١٤١]

[١٣٥] ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾: فيه حذف؛ أي: وقالوا: يهود المدينة للمسلمين، كونوا يهوداً تهتدوا؛ لأنّ موسى هو أفضل الأنبياء، والتّوراة أفضل الكتب، ودين اليهود أفضل الشرائع، تهتدوا إلى الطريق الصّحيح.

وقال نصارى نجران للمسلمين: كونوا نصارى تهتدوا؛ لأنّ عيسى أفضل الأنبياء، والإنجيل أفضل الكتب، وشريعتهم أفضل الشرائع، تهتدوا إلى الطريق السّوي الصّحيح كما روى ابن عباس.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا﴾: جمع هائد؛ أي: تائب، ﴿أَوْ نَصَارَى﴾: ارجع إلى الآية (٦٢) من سورة البقرة للبيان.

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمّد ﷺ.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي يبطل ما قبله من الأقوال.

﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾: أي: قل لهم يا محمّد: بل نتبع ملّة إبراهيم الذين تدعون أنكم أتباعه، ﴿حَنِيفًا﴾: أي: المائل عن الأديان كلّها إلى دين الإسلام، وأصل الحنف: هو ميل وعوج في القدم حيث تميل القدم اليمنى إلى اليسار، واليسرى تميل إلى اليمين، إذن الحنف هو اعوجاج في القدم، فكيف يُجعل الحنف رمزاً للصراط المستقيم؛ لأنّ الرّسل حين يبعثهم الله يكون مجتمعهم



معوج، فيحاولون أن يصلحوا هذا الاعوجاج كما يتم تقويم القدم بالاعتدال والاستقامة.

﴿وَمَا كَانَ﴾: الواو: عاطفة، ما: النافية لكل الأزمنة.

﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: من: ابتدائية. استغرافية.

[١٣٦] ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَأَسْمِعِلْ وَأَسْحَقْ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾:

الخطاب للمؤمنين:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾: قولوا آمنا بالله: الباء: للإلصاق؛ بالله: تعني: إيمان العقيدة بالله؛ وحده وبما أنزل إلينا؛ أي: القرآن الكريم، ولمعرفة الفرق بين أنزل، ونزل، وإلينا، وعلينا: أنزل: تعني: جملة واحدة، أو دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.

نزل: تعني منجماً على دفعات، وبالتدرج على مدى (٢٣) سنة من السماء الدنيا على رسول الله ﷺ، وتستعمل للأمور المهمة، والمؤكد، والمبالغ فيها، أو الموقف أشد.

﴿أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾: إلينا: تستعمل في القرآن في سياق الدعوة والتبليغ، إلى: تفيد الانتهاء؛ أي: ليتهاي إلى الناس، أو منتهى الغاية.

أنزل عليك: تستعمل في سياق التشريف بالأمور الخاصة برسول الله، على: تفيد العلو والاستعلاء، وتفيد المشقة والشدة؛ أي: على: تستعمل في سياق ما هو أشق في الموقف، وعلى: أقوى وأكد من إلى، وعلى: تفيد البدائية بينما إلى تفيد النهاية.

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾:
 وإسماعيل، وإسحاق أولاد إبراهيم ﷺ، ويعقوب ابن إسحاق عليهما السلام،
 وأما الأسباط: قيل: هم أبناء يعقوب، وقيل: هم من أحفاد يعقوب، أو ذريته، أو
 من صلبه، وكانوا أنبياء، وهذا هو المرجح؛ لأن أبناء يعقوب إلا يوسف لم يكونوا
 أنبياء، وأما معنى السبط: القبيلة، أو من شجرة واحدة، أو الجماعة الذين يرجعون
 إلى أب واحد، أو أحفاد الرجل، أو ابن البنت.

﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾: موسى (التوراة)، وعيسى (الإنجيل).

﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾: والإيتاء هو العطاء، ولكن الإيتاء ليس
 فيه تملك بعكس العطاء فيه معنى التملك، الإيتاء يمكن أن تسترده أما العطاء
 فلا تستطيع أن تسترده والإيتاء أعم من العطاء، والإيتاء يشمل الأمور المعنوية
 الحسية، بينما العطاء يكون فقط في الأمور الحسية أو المادية.

وتكرار لفظي أنزل: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيَّ إِبْرَاهِيمَ﴾، والإيتاء: ﴿وَمَا
 أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾ دفعاً لمن ظن، أو توهم أن كل الذي أنزل
 على محمد ﷺ هو نفسه الذي أنزل على إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وكذلك
 ما أوتي موسى، وعيسى هو نفسه ما أوتي النبيون من ربهم، فالأحكام، والشرائع
 مختلفة.

﴿لَا نَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾: أي: نحن نؤمن بكلّ رسل ونبي، ونصدق أن
 عقيدتهم واحدة، وهي: لا إله إلا الله، وإن اختلفت الأحكام، والشرائع، باختلاف
 العصور، فنحن لا نؤمن ببعض، ونكفر ببعض.

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: نحن لله مطيعون، مخلصون، موحدون.

لنقارن هذه الآية (١٣٦) من سورة البقرة: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا



وَمَا أُنْزِلَ إِلَّا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾.

مع الآية (٨٤) من سورة آل عمران: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾.

في آية البقرة: ﴿قُولُوا﴾: الخطاب موجه إلى المسلمين.

في آية آل عمران: ﴿قُلْ﴾: الخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ.

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾: ﴿إِلَيْنَا﴾: لأنَّ الإنزال على رسول الله أولاً بأول، ثم انتهى، إلينا أي: إلى المؤمنين، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم.

﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾: علينا: تعني الرسول والمؤمنون، وما أنزل على إبراهيم، وإسماعيل، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم.

تكرار وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم: ما أوتي موسى وعيسى هو غير ما أوتي النبيون من الأحكام والشرائع، وعدم تكرار ما أوتي في آية آل عمران؛ لأنَّ ما أوتي موسى وعيسى والنبيون هو نفسه (مثلاً عقيدة لا إله إلا الله والتوحيد والربوبية).

فالإتياء يقسم إلى قسمين قسم مختلف ذكر في آية البقرة، وقسم نفسه ذكر في آية آل عمران، فنحن نؤمن بكل منهما، وفي آية آل عمران بما أنَّ الخطاب موجه إلى رسول الله فالرسول لا يحتاج إلى تكرار، وما أوتي مرتين للتوكيد.

[١٣٧] ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتْ بِهِءَ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ لَوْلَا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ

فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾:

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتْ بِهِءَ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء للتأكيد. إن: شرطية.

﴿ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتْ بِهِءَ﴾: أي: فإن آمن أهل الكتاب، وغيرهم من

الأمم، ﴿بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتْ بِهِءَ﴾: ما: اسم موصول بمعنى الذي آمتم به؛ أي: أقروا بالوحدانية، وصدقوا بكل الأنبياء والرسل، واتبعوا ملّة إبراهيم حنيفاً.

﴿فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾: أي: إلى الصراط المستقيم، أو الغاية أو الحق، فقد: الفاء

تفيد التوكيد، قد: تفيد التحقيق.

﴿وَإِنْ لَوْلَا﴾: إن: شرطية، تولوا: ابتعدوا عما تدعوهم إليه من أتباع الحق،

والهدى، والإسلام، وفرّقوا بين الله ورسله، وصدقوا ببعض، وكفروا ببعض.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء للتوكيد، إنما: كافة مكفوفة تفيد زيادة التأكيد.

﴿هُم﴾: ضمير منفصل يفيد التوكيد.

﴿فِي شِقَاقٍ﴾: في خلاف معكم، وخلاف مع بعضهم بعضاً، موقف العداوة

والخلاف، والشقاق مشتقة من الشق، وهو الذي يفصل بين الشيئين؛ أي: كل واحد منهم في شق غير شق الآخر، بسبب ما بينهما من العداوة، وقيل: مشتقة من شق العصا؛ أي: أظهر العداوة، وإذا استمروا على موقفهم هذا:

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾: شرهم، وأذاهم، ومكرهم، وينصركم عليهم،

وقد حدث ذلك على سبيل المثال حين قاتل رسول الله بني قريظة، وأجلى بني النضير، والسّين في ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾: للمستقبل القريب.



﴿وَهُوَ﴾: ضمير يفيد التوكيد.

﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: ارجع إلى الآية (١٢٧) من سورة البقرة للبيان.

[١٣٨] ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾:

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾: أي: دين الله (الإسلام)، وشبه الدين (الإيمان) بالصبغة؛ لأن آثاره تظهر على المؤمن، كما يظهر الصبغ في الثوب، والصبغة هي إدخال لون على شيء بحيث يُغير لونه، والصبغ ينفذ في المصبوغ كالقطن، أو الصوف فيصبغه، والصبغة غير الطلاء: لأن الصبغة تتدخل وتتسرب مادتها في مسام القماش، أو الصوف، بينما الطلاء: يبقى كطبقة خارجية لا تتدخل، ولا تتسرب كثيراً في المسام، فكأن الإيمان بالله، والدين صبغة إلهية تغلغل في الجسد البشري بدرجات مختلفة حسب إيمان الفرد، وأحياناً قد تصل هذه الصبغة إلى خلايا القلب، وكأن إيمان غير المسلمين كالطلاء لا ينفذ إلا قليلاً، وإيمان المسلمين إيمان يصل إلى أعماق النفس والقلب.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾: ومن أحسن، ومن: استفهام تقرير، والجواب لا يوجد من هو أحسن من الله ديناً.

﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾: له: لام الاختصاص والاستحقاق، وتقديم له على عابدون تفيد الحصر؛ أي: فقط له عابدون؛ أي: لا نعبد إلا إياه وحده.

﴿عَبِدُونَ﴾: أي: مطيعون لأوامره، مجتنبون نواهيه.

[١٣٩] ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾:

﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾: قل يا محمد لهم: أتحتاجوننا: الهمزة همزة استفهام إنكاري، وتوبيخ، والمحاجة: هي الحوار بين طرفين، أو أكثر؛ لإثبات الحجة،

وإظهار الحق من الباطل؛ كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]،
أتعاجونا في الله: أي: من شأن الله واصطفائه لمحمد كني من العرب، وأنكم
أحق بالنبوة، أو أنكم أولياء الله وأحبابه.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد.

﴿رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: أي: نحن وأنتم الله ربنا، فهو الذي يفصل بيننا وبينكم
بالحق، فنحن:

﴿وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾: ولا حاجة للمحاجة والادعاءات الباطلة.

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾: له: اللام لام الاختصاص، والاستحقاق، وتقديم
له الجار والمجرور على مخلصون بدلاً من القول، ونحن مخلصون له تفيد
الحصر؛ أي: له وحده مخلصون؛ لأن العمل الصالح لا يقبل إلا إذا كان خالصاً
لوجه الله تعالى.

ومخلصون جملة اسمية تفيد الثبات؛ أي: صفة الإخلاص عندنا ثابتة لا
تتغير.

[١٤٠] ﴿أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا
هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا
اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام، والإنكار على قولهم: أن إبراهيم وأولاده كانوا
هوداً ونصارى، أم للإضراب الانتقالي.

﴿نَقُولُونَ﴾: أي: تدعون، أو تزعمون أن هؤلاء الأنبياء إبراهيم وأولاده،
ويعقوب وأولاده كانوا هوداً، أو نصارى، أو للتخيير.



وهم قد جاؤوا قبل موسى، وقبل عيسى، واليهودية، والنصرانية ما حدثتا إلا بعد موسى، وبعد عيسى عليهما السلام.

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد.

﴿ءَأَنْتُمْ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري، وتوبيخ.

﴿أَعْلَمَ أَمِ اللَّهُ﴾: بما كانوا عليه من الدين وهل هم يهود أو نصارى.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾: ومن استفهامية تفيد التعجب، والإنكار، والإقرار.

﴿أَظْلَمُ﴾: على وزن أفعل؛ أي: لا أحد أشد ظلماً من هذا الذي يكتم شهادة.

﴿عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾: أي: يخفيها عن الناس، ومن الثانية هي استغراقية تشمل كل فرد.

والشهادة هي علمهم بأن إبراهيم وبنه كانوا مسلمين، ولم يكونوا هوداً، ولا نصارى، أو قد تكون الشهادة إنكارهم لأوصاف محمد وصفاته ﷺ، وأنه الرسول المنتظر ويجب تصديقه واتباعه.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: ﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما: النافية، وأقوى في النفي من ليس.

﴿اللَّهُ بِغَفِلٍ﴾: الباء: للتوكيد، والإلصاق، غافل: من الغفلة وهي عدم حضور الشيء في البال، عدم التفطن للشيء؛ لعدم اليقظة، أو الانتباه. ارجع إلى الآية (٧٤) من نفس السورة، لمزيد من البيان.

﴿عَمَّا﴾: عن: تفيد المجاورة؛ أي: الابتعاد، ما: اسم موصول، أو حرف مصدري.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: أي: تقولون، أو تفعلون.

[١٤١] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

هذه الآية ليست تكراراً للآية السابقة (١٣٤)، فالآية (١٣٤) الخطاب فيها للنبي ﷺ، ولعامة المسلمين، أما الآية (١٤١) فالخطاب فيها لليهود والنصارى الذين زعموا أن إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب كانوا هوداً ونصارى.

وزعموا لكونهم ينتسبون إلى هؤلاء الأنبياء؛ فإن ذلك سوف يشفع لهم يوم القيامة، فجاء الرد على ذلك تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم؛ أي: أنتم لن تسألوا عما كانوا يعملون، وهم لن يسألوا عما أنتم تعملون، ﴿كُلُّ أُمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]، وهناك من قال: إن الآيتين بخصوص بني إسرائيل والنصارى.

فالآية (١٣٤): تعني: أن نسبكم إلى إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق لن يشفع لكم يوم القيامة بما قد متموه، وحرفتموه، وعصيتموه.

والآية (١٤١): تعني: حجتكم بكونكم هوداً، أو نصارى بالفعل لن يشفع لكم أيضاً، أو من جاؤوا قبلكم من أهل الكتاب لهم ما كسبوا من الأجر ولكم ما كسبتم من الإثم بمخالفتهم.





سورة التوبة ٢

سورة التوبة

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَدَهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا
عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا
جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ
مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ
هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَايِمَنَّاكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ
لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ
فَلْنُؤَلِّسَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ
آيَةٍ مَاتَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ
بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

سورة البقرة [الآيات ١٤٢ - ١٤٥]

[١٤٢] ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾:

سبب النزول: روى البخاري عن البراء قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، فصلّى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يتوجّه نحو الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فقال السفهاء من الناس وهم اليهود: ﴿مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ﴾، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ الآية.

﴿سَيَقُولُ﴾: السّين للاستقبال القريب.

﴿السُّفَهَاءُ﴾: أل: التعريف؛ أي: نعرف من هم السفهاء، السفهاء: جمع سفيه: من السفه، وهو الخفة، وضعف الرّأي، والسّفهاء: هم الجُهلاء.

﴿مِنَ النَّاسِ﴾: من: ابتدائية، الناس: من المشركين (أهل مكة)، والمنافقين، ومن اليهود، ولماذا اقترنت كلمة الناس بالسّفهاء؛ لأنّ السّفهاء تعني حتماً من الناس للدلالة على أنّ السّفه هو سمّتهم، وقد بلغوا أعلى درجات السّفه.

﴿مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ﴾: ما: استفهامية، ولاهم: أي: ما صرفهم (أي: النبي ﷺ والمؤمنين) وحولهم.

﴿عَنْ قِبَلِهِمْ﴾: أي: قبة بيت المقدس، والقبة: اسم للجهة التي يتوجه إليها الإنسان في صلاته، أو الوجهة التي يتوجه إليها بوجهه.



﴿الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾: فإن رسول الله ﷺ والمسلمون كانوا يصلون باتجاه بيت المقدس (باتجاه الشمال) بعد الهجرة إلى المدينة، كما روى البخاري في حديث البراء الذي سبق ذكره في سبب النزول، وكان استقباله إلى بيت المقدس بأمر من الله ووحيه، كما قال ابن عباس.

﴿قُلْ﴾: يا محمد لهؤلاء السفهاء.

﴿لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾: ملكاً، وخلقاً، وشمالاً، وجنوباً، فالكون له وحده، وله الخلق والأمر. لله: اللام لام الاختصاص تدل على الحصر؛ أي: لله حصراً.

﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: من يشاء إلى صراط مستقيم، لم يُبين لنا ما هو الصراط المستقيم، ولكن بينه في سورة الحمد آية (٦-٧)، وقال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾؛ أي: الإسلام. ارجع إلى سورة الفاتحة، آية (٦) لمزيد من البيان.

[١٤٣] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَلَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿وَكَذَلِكَ﴾: الواو: عاطفة، الكاف: للتثبت، ذلك: اسم إشارة للبعد، يفيد بُعد منزلتهم.

كذلك: تعني: مثل، أو كما هديناكم إلى القبلة جعلناكم أمة وسطاً.

﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾: الخطاب للرسول ﷺ ولأُمَّته.



والأمة هي الجماعة التي تجمعها عقيدة واحدة بغض النظر عن الكم البشري، والحيز الجغرافي.

﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾: الوسط في الأصل: هو المتتصف، ووسط الشيء، وله طرفان متساويان القدر. وقيل: الوسط: العدل (قال ابن عباس) والخيار.

﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾: أي: جعلناكم الخيار العدول؛ أي: لا غلو، ولا تقصير في العقيدة والعبادات.

﴿لِتَكُونُوا﴾: اللام: لام التعليل.

﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾: قيل: هؤلاء الشّهداء هم أولو العلم من أمة محمد ﷺ، فقط الذين يسألون أن يشهدوا يوم القيامة، أو يدعون إلى الشهادة للأنبياء على أممهم أنهم قد بلغوا رسالات ربهم بعد أن تكذبهم أممهم، فقد روى البخاري في صحيحه عن أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم؛ فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير؛ فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته؛ فيشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيداً، فذلك قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، والسؤال هنا ما دلالة تقديم الشّهداء على رسول الله ﷺ؛ لأنّ شهادتهم على الأمم والأنبياء هو الهدف العام الأول، وكون الرسول شهيداً عليهم هو الهدف الخاص بهم، وكيف يشهدون على غيرهم من الأمم وعلى الرسل وهم لم يدركوهم؟ يقولون بما معناه: ربنا قرأنا كتابك وقصصت علينا أنهم قد بلغوا فشهدنا بما عهدت إلينا فيقول الرب: صدق نوح (أو الرسل) وصدقت أمة محمد.



وهذه ميزة لأمة محمد ﷺ على سائر الأمم الأخرى. ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة؛ لمعرفة معنى الناس. وارجع إلى سورة الحج آية (٧٨) لمزيد في معنى شهداء على الناس.

﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾: يكون على أمة شهيداً في الآخرة على أنه قد بلغهم (الرسالة)؛ أي: شرع الله، أو يشهد على أعمالكم، ولم يقل لكم شهيداً، أو شهيداً لكم أي: يشهد لمصلحتكم، وإنما قال عليكم؛ أي: على أعمالكم؛ لأنّ على تفيد الاستعلاء؛ لأنّ حياة ومصير المشهود عليه رهن بشهادة الشهيد، وليس الشهيد بمنزلة المشهود له؛ أي: المتهم، أو شهيداً على صدقكم فيما شهدتهم به للرسول.

﴿وَمَا﴾: النافية.

﴿جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾: هذا بيان للحكمة في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة: إنه اختبار إيماني لهم، فالله سبحانه يعلم علم اليقين ماذا سيحدث، وما فعل ذلك إلا ليكون الإنسان شهيداً على نفسه يوم القيامة، ويعلم درجة إيمانه، ومن يتبع الرسول فيما أوحى الله إليه ممن سينقلب على عقبه، والعقب هو مؤخر القدم؛ ويعني: الرجوع إلى الوراء، والمراد به الارتداد عن الإسلام، والعودة إلى اليهودية، أو الشرك، وينقلب على عقبه استعارة تمثيلية للمرتد عن دينه.

﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾: وإن المخففة تفيد التوكيد، لكبيرة: اللام للتوكيد، إلا: للحصر.

وإن كانت هذه العملية تحويل القبلة لكبيرة؛ أي: أمر ثقيل، أو عملية شاقة إلا على الذين هداهم الله، والصادقين في إيمانهم في اتباع الرسول ﷺ.



﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ : ما: النافية، ليضيع: اللام للتوكيد.

ثباتكم على الإيمان والاستقامة. وقيل: نزلت فيمن صلى إلى بيت المقدس، ومات قبل تحويل القبلة فصلاته غير ضائعة وله أجره.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي النَّاسَ لَرْءُوفٌ﴾ : انتبه إلى إن حرف توكيد، واللام في رؤوف حرف تأكيد ثان، بالناس: الباء للإلصاق. الناس: ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة لمزيد من البيان. رؤوف: من الرأفة أشد من الرحمة، والرحمة أعم من الرأفة.

﴿رَجِيمٌ﴾ : لا يضيع أجر، عمل عامل منكم مهما كان.

والصلاة إلى بيت المقدس في البداية كان لها حكم كثيرة لا يعلمها إلا الله إضافة إلى الاختبار الإيماني، قد يكون من بينها دلالاتها على وحدة الرسالات السماوية، ولتهدة الصراع النفسي لهؤلاء الذين خرجوا من مكة، ولنعلم أن الكعبة كانت في ذلك الزمان محاطة بالأصنام، ولم يتم تطهير الكعبة من رجس الوثنية بعد، والعبادة ليس وقفاً على جهة معينة، والتسليم لما أمر الله هو أساس الطاعة.

[١٤٤] ﴿قَدْ زَرَى ثَقَلَبٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ :

﴿قَدْ﴾ : حرف تحقيق توكيد، ويفيد الكثرة.

﴿زَرَى﴾ : تدل على مرات كثيرة، ولم يقل قد رأينا؛ لأن رأينا تدل على مرة

واحدة.



﴿تَقَلَّبْ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ﴾: تردُّ وجهك بالنظر إلى السماء المرة تلو المرة طالباً قبلة غير التي أنت عليها (قبلة بيت المقدس).

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾: الفاء: للتأكيد، والتون في نولينك: للتأكيد.

لنولينك: من التولية، وتولية الوجه المكان؛ أي: اجعله أمامك، أو استقبله بوجهك، فلنولينك؛ تعني: لنوجهك.

﴿قِبْلَةً﴾: أي: الجهة التي يستقبلها الإنسان في الصلاة.

﴿تَرْضَاهَا﴾: الرضا هو اطمئنان القلب إلى أمر فيه نفع، والرضا: هو المحبة الناتجة عن التعقل، والتفكير؛ أي: محبة ممزوجة بالفكر والعقل؛ لأن الحب من دون فكر، وعقل قد لا يدوم، أو لا تحمد عقباه.

﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أي: استقبل بوجهك في الصلاة المسجد الحرام، والمراد بالوجه (الذات؛ أي: جملة البدن) من قبيل المجاز؛ أي: إطلاق الجزء، وإرادة الكل.

شطر المسجد الحرام، وقال المسجد الحرام لم يقل الكعبة تحديداً؛ لإزالة الحرج على المسلمين؛ لأن المسجد الحرام يضم الكعبة حجر إسماعيل، ومقام إبراهيم، وكل ما حوله إلى حدوده.

الشطر: الناحية الجهة؛ أي: جهته وناحيته، ونحوه وتلقاءه، والشطر: هو النصف، فإذا وقفت في وسط دائرة فيكون نصفها أمامك، ونصفها خلفك.

أي: اجعل وجهك جهة المسجد الحرام؛ أي: نحوه، وتلقاءه، وبهذا الأمر الإلهي تحوّلت القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام.

روى البخاري عن البراء قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة فصلّى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً.

وروي عنه ﷺ: أنه كان يصلي في مكة نحو بيت المقدس، وكان يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، فكانه يستقبل القبلتين معاً.

وبعد الهجرة لم يعد يمكنه ذلك، فصار ﷺ يكثر قلب وجهه في السماء، ويدعو الله أن يوجهه نحو المسجد الحرام، وهكذا حتى نزلت هذه الآية.

وروي عنه أنه ﷺ كان يصلي الظهر في مسجد بني سلمة المعروف الآن بمسجد القبلتين، فنزل الوحي (جبريل) بهذه الآية فصلّى ركعتين إلى بيت المقدس، ثم صلّى ركعتين إلى المسجد الحرام، وصلّى وراءه المسلمون.

وقد جاء في صحيح البخاري: أن الصلاة التي وقع فيها التحويل (تحويل القبلة) كانت صلاة الظهر في المسجد النبوي فصلّى ركعتين متجهاً إلى المسجد الأقصى، وركعتين إلى المسجد الحرام.

وخلاصة أقوال المفسرين: أن صلاة الظهر صلاها ﷺ كانت في بني سلمة صلّى فيها ركعتين (من أصل ٤ ركعات) نحو المسجد الأقصى، وصلّى الركعتين الباقيتين من صلاة الظهر نحو المسجد الحرام، وصلّى صلاة العصر في المسجد النبوي كاملة نحو المسجد الحرام.

﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾: وحتى لا يعتقد أحد أن تحويل القبلة خاصاً بأهل المدينة؛ لذلك قال ﷺ: وحيث ما كنتم: في أي بلد، أو مدينة، أو قرية، أو فلاة، أو كهف فولوا وجوهكم شطره.

وحيث: للمكان والزمان والحال، وحيث: اسم مكان مبهم يفسره ما يضاف إليه، وإضافة ما (المطلقة) إلى حيث تزيدها إبهاماً وغموضاً.



﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾: في أي مكان على وجه الأرض، وأي ناحية من النواحي معروفة أو غير معروفة (مبهمة، غامضة).

﴿قُولُوا وُجُوهَكُمْ سَطْرَةٌ﴾: اتجهوا بوجوهكم نحو المسجد الحرام، وقد يتساءل سائل لماذا لم يستعمل وأينما كنتم بدلاً من حيثما كنتم؛ لأنّ أينما أشد غموضاً، وإيهاماً، وأوسع شمولاً وعموماً من حيثما، واستعمل حيثما بدلاً من أينما؛ لأنّ هناك أمكنة لا تصح الصلاة فيها كالمقبرة، وسطح الكعبة مثلاً، وأزمنة: والأزمنة المكروه فيها الصلاة.

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: أي: اليهود والنصارى (أي: علماء اليهود، والنصارى الذين يعلمون التوراة والإنجيل).

﴿لَيَعْلَمُونَ﴾: اللام للتوكيد، أنّه الحق من ربهم؛ لأنّه مكتوب عندهم: أنّ النبي الجديد سوف يحول القبلة إلى البيت الحرام، أو لأنهم يعلمون أنّ المسجد الحرام قبلة إبراهيم، أو في كتابهم الأمر بالتوجه إلى الكعبة، أو أنّ محمداً (النبي المنتظر) الذي لا يأمر إلاّ بالحق.

﴿أَنَّهُ﴾: إن للتوكيد.

﴿الْحَقُّ﴾: بال التعريف: أن تحويل القبلة إلى المسجد الحرام هو الحق، والحق هو ما كان من عند الله، والحق هو الأمر الثابت الذي لا يتغير.

﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾: الرب الخالق، والحاكم، والمالك.

واستعمل الذين أوتوا الكتاب، ولم يقل أهل الكتاب اليهود والنصارى؛ لأنّ استعمال كلمة أهل الكتاب فيها تكريم لهم وأوتوا الكتاب يستعملها في

سياق الذم، أو التّقصير ويناديهم بالذين أوتوا جزءاً من الكتاب؛ لأنّهم نسوا جزءاً منه وحرّفوا كتابهم.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٧٤) من نفس السورة، لمزيد من البيان.

[١٤٥] ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَلَيْنَ﴾: الواو: عاطفة، لئن: اللام للتوكيد، إن: شرطية.

﴿آتَيْتَ﴾: من أتى؛ أي: ولئن جئت.

وأتى فيها سهولة أكثر من جئت (المجيء فيه معنى المشقة والصّعوبة)، والإيتاء في القرآن غالباً ما يستعمل في الكتب السماوية، والرّحمة، والمال، والزّكاة، والأمر الخطيرة، والمعنوية، ويختلف عن العطاء بأنّ الإيتاء ليس فيه تملك. ارجع إلى الآية (١٣٦) من سورة البقرة.

﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (١٤٤).

﴿بِكُلِّ آيَةٍ﴾: الباء: للإلصاق، آية برهان ودليل، أو حجة على أنّ الحق هو تحويل القبلة من ربهام أملاً في اتباع قبلك.

﴿مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾: ما: النافية للحال والاستقبال، تبعوا قبلك: إلى المسجد الحرام عناداً وتكبراً.

﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾: وما أنت بتابع قبلتهم بعد اليوم إلى بيت المقدس، ولا فائدة ترجى من فعل ذلك، ما: النافية، أنت: ضمير فصل للتوكيد والحصر.



﴿يَتَّبِعُ قِبْلَتَهُمْ﴾: الباء: للتوكيد (الإلصاق)، قبله اليهود نحو بيت المقدس، وقبله النَّصارى نحو المشرق مطلع الشمس.

﴿وَمَا بَعْضُهُمْ يَتَّبِعُ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾: وما: للنفي والاستبعاد؛ أي: فلن تترك اليهود قبلتها، وتتجه إلى المشرق (مطلع الشمس)، ولا النَّصارى ستترك قبلتها نحو المشرق (مطلع الشمس)، وتتجه إلى بيت المقدس مهما جاءتهم من الآيات. ﴿وَلَكِنْ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمَنْ الظَّالِمِينَ﴾: ثم جاء التهديد من الله لنبيّه، ويقصد به أمته، ومن خطر مخالفة أوامر الله، ونواهيه، واتباع الأهواء.

﴿وَلَكِنْ﴾: الواو: عاطفة، لئن: اللام للتأكيد، إن شرطية. ﴿اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾: فصلّيت إلى قبلتهم حرصاً على أن يتبعوك، ويؤمنوا لك ويصدقوك بعدما جاءك من الحق إنك إذن لمن الظالمين.

﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾: جمع هوى: والهوى ما يدور في العقل، وما تريده النفس، وتميل إليه باطلاً، أو بما لا ينبغي، ولا دليل عليه، والهوى يغلب عليه صفة الدّم، والهوى بالأداء والاعتقادات، والشهوة تختص بنيل الملذات.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: من: لا ابتداء الغاية؛ أي: تعني: مباشرة من بعد ما: لغير العاقل (تحويل القبلة) جاءك به الوحي، من العلم: علم اليقين من عند الله بأن الكعبة هي القبلة، وليس بيت المقدس إلى يوم القيامة. ارجع إلى الآية السابقة (١٢٠) للمقارنة ومعرفة معنى ﴿بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، وقوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾؛ الذي: تعني: القرآن والإسلام؛ ما: تعني: تحويل القبلة.

﴿إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾: إنك: إن للتوكيد، إذن: حرف جواب، لمن: اللام للتوكيد.

﴿الظَّالِمِينَ﴾: أنفسهم، وهذا في الحقيقة خطاب للمسلمين، بلا أدنى شك، بأن يتبعوا أوامر الله، ويتجنبوا أهواء الظالمين، وظلم النفس من جراء الخروج عن منهج الله وأوامره سبحانه.

الظالمين: جملة اسمية تفيد الثبوت صفة الظلم عندهم ثابتة لا تتغير ارجع إلى الآية (١٥٤) لمزيد من البيان من سورة البقرة. وإذا قارنا هذه الآية (١٤٥) مع الآية (١٢٠) نجد الاختلاف بين قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ﴿إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥] ﴿مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: أشد وأبلغ في التحذير من ﴿إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.





سُورَةُ النِّبَا ٢

الْحَقُّ الْمُبِينُ

الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُومٌ لَهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ، لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

سورة البقرة [الآيات ١٤٦ - ١٥٣]

[١٤٦] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ
الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: أي: أولوا العلم من أهل الكتاب، وليس الأميون
منهم؛ لأنّ الأميين منهم لا يعرفون الكتاب إلّا أمانى.
﴿يَعْرِفُونَهُ﴾: تعود على النبي ﷺ.

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾: الكاف: للتشبيه. ﴿يَعْرِفُونَ﴾: معرفة واضحة كما
يعرفون أبناءهم.

﴿يَعْرِفُونَ﴾: من عرف، والمعرفة تعني العلم بالذوات. وأما العلم: يتعلق
بالصفات؛ أي: يعرفون رسول الله ﷺ بأوصافه وصفاته المذكورة في كتبهم،
وما شاهدوه يفعل ويقول أمامهم قبل بعثته ﷺ.

مثال: فقد جاء في التّوراة: «يا أيها النّبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً
وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سمّيتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ، ولا
سخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو، ويغفر، ولن يقبضه
الله حتّى يُقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلّا الله ويفتح بها أعيناً عمياً
وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً».

﴿وَإِنَّ﴾: الواو: عاطفة، ﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد، ﴿فَرِيقًا مِنْهُمْ﴾: أي: علماؤهم،
ومن درسوا التّوراة والإنجيل، عاندوا وكتموا الحق.



﴿لَيَكْنُمُونَ﴾: السلام: لام التوكيد، ﴿يَكْنُمُونَ﴾: من كتم الشيء؛ أي: سكت عن ذكره، والكتمان يختص بالمعاني، الأسرار والأخبار، أما الإخفاء فيكون للأشياء المادية، (أو الحسية)، فيقول: أخفيت الدراهم، ولا يقول كتمت الدراهم، والإخفاء أعم من الكتم.

﴿لَيَكْنُمُونَ الْحَقَّ﴾: الحق هو الأمر الثابت، الذي لا يتغير، وهو ما جاء في ذكر رسول الله ﷺ، وأوصافه، وأنه النبي المنتظر.

وما أمر الله به في القرآن، وأمر القبلية، وأن عليهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وما جاء به.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنه حق، ويعلمون عاقبة الكتمان، وهم ليس بجاهلين، أو أميين، ويعلمون أن الحق غالب على أمره، وسيظهر في النهاية، ويعلمون أن عليهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويصدقوه.

[١٤٧] ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾:

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: أي: هذا الذي يكتمون هو الحق من ربك (أمر محمد ﷺ، وصفاته، ونبوته، ورسالته، والقبلة، وأتباعه وتصديقه)، وما دام أنه الحق من ربك؛ فلن يستطيع أحد أن يبدله.

والحق بطبيعته لا بد أن يظهر ويبرز ويتشر؛ لأن المعركة بين الحق والباطل لا بد أن تنتهي بهزيمة الباطل.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: فلا: الفاء: للتوكيد؛ تكونن: ولم يقل تكن؛ الزيادة التوكيد (بالنون الثقيلة)؛ الممترين: جمع ممتري، وممتر اسم فاعل من امترى.

المراء: هو الجدل بالباطل بعد ظهور الحق.

إذن الممترى هو من يبقى يجادل بالباطل، بعد أن تبين له الحق، أو أخبر به.
 والمراء: مأخوذة من مرئ الناقة أي: مسح ضرعها؛ أي: حلب الناقة وبقي
 يستحلب الناقة بعد أن أفرغت حليها ظاناً بأنه لا يزال في ضرعها حليب.
 ﴿الْمُتَمَرِّينَ﴾: تعني: الشاكين (من الشك)، أو المتحيرين المترددين.
 حاشا لله أن يكون رسول الله ﷺ من الممترين، والخطاب؛ وإن كان
 لرسول الله ﷺ فهو موجه إلى أمته عامة، ولذلك يجب على المؤمنين أن لا
 يدخلوا في جدال عقيم مع أهل الكتاب بعد ظهور الحق.
 لنقارن هذه الآيات المتشابهة:

سورة البقرة، آية (١٤٧): ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾.
 سورة الأنعام، آية (١١٤): ﴿أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾.
 سورة يونس، آية (٩٤): ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
 الْمُتَمَرِّينَ﴾.

سورة آل عمران، آية (٦٠): ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾.
 في آيات سورة البقرة والأنعام ويونس: أكد بالنون، ففي آية البقرة أكد؛ لأنَّ
 السياق في تحويل القبلة، وما صاحب ذلك من إرجاف وأقاول، وحرب نفسية
 على المسلمين؛ حتى ارتدَّ بعض ضعاف الإيمان.

كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وفي آية الأنعام؛ أكد؛ لأنَّ السياق في تكذيب الرسول ﷺ وعدم الإيمان
 به؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَهُمُ الْمَلَكَيْنَا وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ
 قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١].



وفي آية يونس؛ أكد؛ لأن السياق في الشك مما أنزلنا إليك، فلازالة الشك نحتاج إلى التوكيد، فجاء بالنون. واللام في ﴿لَقَدْ﴾، وقد للتوكيد.

أما آية سورة آل عمران؛ جاءت في سياق خلق عيسى ﷺ، وأن الله خلقه، كما خلق آدم، وليس في ذلك خلاف وإرجاف، كما في الآيات الأخرى، لذلك لم يؤكد بالنون، وقال: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُتَرَيْنِ﴾.

[١٤٨] ﴿وَلِكُلِّ وُجْهٌ هُوَ مَوْلَاهُ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

الواو: استثنائية، ولكل: اللام لام التوكيد؛ أي: لكل أمة، أو لكل أهل ملّة، الإسلام، واليهودية، والنصرانية، في صلاتهم وجهة؛ أي: قبله، ووجهه، هي: اسم للمكان المتوجّه إليه كالكعبة، أو بيت المقدس.

﴿هُوَ مَوْلَاهُ﴾: ﴿هُوَ﴾: إما ترجع إلى الله؛ أي: الله موليا لهم، وإما ترجع إلى المتولي، والمعنى يكون هو موليا نفسه؛ أي: متجه إليها في صلاته، فيكون المعنى أن الله مول كل ذي وجهة، وجهته.

﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: الفاء: للتأكيد، فاء السببية؛ لربط السبب بالمسبب.

﴿فَأَسْتَبِقُوا﴾: من فعل سبق، ولم يقل: فسارعوا في الخيرات، من فعل

سارع.

فما هو الفرق بين: سابقوا وسارعوا؟

﴿سَابِقُوا﴾: السباق يحتاج إلى أكثر من واحد للمسابقة، أما المسارعة؛

فتحتاج إلى واحد فقط، فإن أردت أن تسرع يمكن تسرع لوحده، وإذا أردت أن تسابق تحتاج إلى آخر، أو أكثر، والسباق يحتاج إلى سرعة كذلك.

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: ومنها استقبال القبلة، والفاء: للتأكيد، فاستبقوا من فعل سبق، واسبقوا غيركم من الأمم؛ أي: ليسبق كل منكم الآخر في فعل الخيرات: والطاعات، ويسرع في أدائها، والنوافل، وأعمال الخير، والبر، والإحسان، ولنسلم أن الخير مطلق، حتّى ولو وقع عن سهو.

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾: ﴿أَيْنَ﴾: ظرف مكان مبهم، وإضافة ﴿مَا﴾: تزيدها إبهاماً وشمولاً.

للمقارنة بين ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾، ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾؛ ارجع إلى الآية (١٤٤).

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾: أي: في أي مكان في السماء والأرض.

﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾: يأت من أتى، وأتى تعني: بسهولة، ويسر يوم القيامة؛ للجزاء، والحساب.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، لا تعجزونه، لا يعجزه؛ أي: شيء مهما كان في السموات ولا في الأرض.

﴿قَدِيرٌ﴾: صيغة مبالغة لقادر. ارجع إلى الآية (٢٠) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

[١٤٩] ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ﴾^٥
وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو عاطفة، من استغراقية؛ حيث: ظرف للمكان.

﴿خَرَجْتَ﴾: إلى أي جهة خرجت، ودخل وقت الصلاة.



﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أي: اتجه بوجهك في صلاتك شطر المسجد الحرام، ارجع إلى الآية (١٤٤)، نحو المسجد الحرام.

﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: وإنه: الواو حالية للتوكيد، إن: للتوكيد (لزيادة التوكيد).

﴿لَلْحَقُّ﴾: اللام: لام التوكيد، ﴿لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: ﴿لَلْحَقُّ﴾: أي: الوحي الأمر الثابت، الذي لا يتغير من عند ربك المتولي، والقائم بتدبير أمورك.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٧٤) من نفس السورة لمزيد من البيان.

[١٥٠] ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ إِلَّا يَكُونَنَّ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْنَعِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾:

هذه هي المرة الثالثة التي يكرر سبحانه ذكر هذه الآية؛ فما تعليل ذلك؟

في هذه الآية يبين ﷺ أن تحويل القبلة سيثير بعض الشبهات والأباطيل التي تراود عقول الضعاف والمنافقين والمشركين، وبعض أهل الكتاب والذين ظلموا، سواء وجهت وجهك شطر المسجد الحرام، أم عكفت في التوجه إلى بيت المقدس، ومن هذه الادعاءات الباطلة، أو الحجج؛ لو استمر ﷺ يصلي تجاه بيت المقدس؛ لقالوا:

١ - كيف يدعي محمد ﷺ أنه من ولد إسماعيل، وإبراهيم، وهم الذين بنوا الكعبة، وقبلتهم الكعبة، ويصلي تجاه بيت المقدس، ويطعنون في نبوته.

٢ - أو ظنوا إذا أتجه بصلاته إلى الكعبة، فغداً سيرجع إلى قبلة أبيه، وسيرجع إلى دينهم، ويترك ما جاء به (أي: الإسلام).

وغيرها من الحجج الواهية.

﴿لَيْتَ لَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾: اللام: للتعليل. إن: حرف مصدري.

﴿لِلنَّاسِ﴾: السلام: للاختصاص. الناس: ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾:

﴿إِلَّا﴾: هنا تعني: أي: والذين ظلموا منهم.

فتصبح: لئلا يكون للناس عليكم حجة والذين ظلموا منهم، ولا تعني الاستثناء.

﴿فَلَا﴾: لا: الناهية. ﴿تَخْشَوْهُمْ﴾: من الخشية، وهي الخوف، والرهبة، والتعظيم المقرون بالعلم.

أي: لا تخافوا جدالهم في التولي إلى الكعبة، ولا ترهبوهم.

﴿وَآخِشُونِي﴾: أي: بامثال أمري، والخشية كما ذكرنا: الخوف المقرون بالعلم والتعظيم، واخشوني جاءت بإثبات ياء المتكلم في هذه الآية مقارنة بالآية (٣) في سورة المائدة وهي قوله فلا تخشوهم واخشون بحذف الياء؛ ارجع إلى سورة المائدة آية (٣) للمقارنة والبيان.

﴿وَلَا تِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾: بالهداية إلى معالم دينكم في الدنيا وفي الآخرة بالثواب.



﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: الواو: عاطفة، ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾: للتعليل تهتدون إلى الحق والصراط المستقيم، الذي يوصلكم إلى الغاية. وإذا نظرنا إلى كلمة ﴿وَأَخْشَوْنِي﴾: في هذه الآية، وإلى الآية (٣) من سورة المائدة ﴿وَأَخْشَوْنِي﴾ من دون ياء، ونظرنا في سياق الآيتين نجد أن آية سورة البقرة قد جاءت في سياق تحويل القبلة، الذي أدّى إلى هزة عنيفة في نفوس كثير من الناس، وإلى قيام معركة بين الحق والباطل، ولذلك جاء التحذير أشد وظهرت الياء.

أما في آية المائدة؛ فقد جاءت في سياق الأطعمة المحرمة، وما ذبح على النصب فالتحذير فيها أقل، ولذلك جاء (واخشون) من دون ياء.

أما تكرار الآية: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾: ثلاث مرات، يمكن تفسيره بعدة احتمالات:

الاحتمال الأول: قيل: التكرار يفيد التوكيد، ربما أن تحويل القبلة إلى المسجد الحرام بدلاً من المسجد الأقصى كان حدثاً مهماً وخطيراً في المعركة بين الحق والباطل، فلا بد أن يُذكر هذا الأمر عدّة مرات ليستقر في أذهان وقلوب الناس، ويسمعوا الأمر بالتحويل عدّة مرات حتّى يكون الأمر حاسماً، ولا يبقى شك في نفوس المؤمنين، وليعلم أهل الكتاب أن المسلمين لن يرجعوا عن قبلتهم.

الاحتمال الثاني: الآية الأولى؛ وهي الآية رقم (١٤٤): ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾: جاءت استجابة لتقلب وتردد وجهه ﷺ في السماء، حيث قال سبحانه في مطلع الآية (١٤٤): ﴿قَدْ

نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ أَي: لنسخ القبلة عن المسجد الأقصى.

وأما ذكر الآية في المرة الثانية وهي الآية رقم (١٤٩): جاءت لتبين أن تحويل القبلة هو الحق من ربك، وأضاف حرف (إن)، واللام في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: للتأكيد، فليطمئن المؤمنون، فهذا الأمر ثابت، ولن يتغير إلى يوم القيامة؛ أي: لتبيان السبب.

وأما ذكر الآية للمرة الثالثة، وهي الآية (١٥٠): وجاءت: ﴿لَعَلَّايَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: لتبين أن التحويل هو من النعم، التي أنعمها الله على هذه الأمة؛ أي: لتبيان العلة.

الاحتمال الثالث: أن التكرار في المرة الأولى يشير إلى هؤلاء، الذين هم داخل المسجد الحرام أن يصلوا اتجاه الكعبة لمن يرى الكعبة ولمن لم يرها، وفي المرة الثانية جاءت لتشير إلى هؤلاء، الذين هم خارج المسجد الحرام في مكة، وما حولها والمدينة بالاتجاه إلى المسجد الحرام، وفي المرة الثالثة جاءت لتشير بالتوجه إلى المسجد الحرام لمن هو موجود في أي بقعة من بقاع الأرض.

[١٥١] ﴿كَأَمْ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾:

﴿كَأَمْ﴾: الكاف للتشبيه، وما المصدرية، هذه الآية قيل: متعلقة بقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾؛ أي: اذكروني لأجل إرسالي فيكم رسولاً منكم، أو كما ذكّرتكم بإرسال الرسول فاذكروني.



﴿أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ﴾: الإرسال يكون برسالة أو من دون رسالة، وليس فيه مشقة، وتهيج وإثارة، كما لو قال: ﴿بَعَثْنَا﴾. ارجع للآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان.

﴿أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾: ولم يقل: وأرسلنا إليكم. ﴿فِيكُمْ﴾: أي: هو فيكم من قبل الرسالة، وليس غريباً عنكم من بلد آخر.

﴿رَسُولًا مِّنْكُمْ﴾: من العرب والأميين، ومن أسلم أو لم يسلم، ولو قال: من أنفسكم كما سنرى في آيات أخرى، تعني: الخصوص؛ أي: من أهل مكة من قريش، أو من بني عبد المطلب، من نفس القوم.

﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾: أي: آيات القرآن، وقوله: ﴿آيَاتِنَا﴾: فيها معنى التشريف والتعظيم أكثر مما لو قال: آياته، أو الآيات، والتلاوة القراءة. التلاوة اتباع الشيء الشيء، ويعني القرآن.

والتلاوة أخص من القراءة، فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة، وفي هذه الآية تعني القراءة.

﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾: والتزكية: التطهير من عبادة الأصنام، والشرك، والمعاصي؛ ومنه: وأد البنات، والخمر، والميسر، والزنى.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾: القرآن الكريم.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: السنة والفقه في الدين، ومعرفة الأحكام والشرائع.

﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾: مثل: بعض الأمور الغيبية، وسير الأنبياء، وقصص الأقوام الغابرة، وكذلك العلوم الدنيوية، من طب، وفلك... وغيرها.



[١٥٢] ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾:

﴿فَاذْكُرُونِي﴾: الفاء: تعليلية، أو تفيد للتوكيد. اذكروني: بالطاعة، والعمل الصالح، والفرائض، والنوافل، والذكر من أعظم العبادات القلبية، مثل: الحمد، والتسبيح، والاستغفار، وقول: لا إله إلا الله، والتفكير بآيات الله، وقراءة القرآن، وتدبر آياته، اذكروني بالسر والعلن.

﴿أَذْكُرْكُمْ﴾: بالمغفرة والثواب.

وفي الحديث القدسي: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه» رواه البخاري.

﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾: اشكروا المنعم على إنعامه عليكم شكراً يتعدى لذاته.

أما: ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾؛ يعني: واشكروا له نعمه. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٢) لبيان معنى الحمد والشكر، والفرق بين الحمد والشكر.

والشكر لله؛ كما قال ابن القيم الجوزية: هو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعةً.

وأركان الشكر: الاعتراف بنعم الله تعالى، والتحدث بها، والاستعانة بها على طاعة الله المنعم ﷻ، وكما قال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠) لمزيد من البيان.

﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾: الواو: عاطفة. لا: الناهية.

﴿تَكْفُرُونِ﴾: بالله أو بنعمه، النون (نون الوقاية)؛ تفيد التوكيد. ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة.



[١٥٣] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾:

نداء إلى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: بياء النداء، والهاء: للتنبيه، بالاستعانة بالصبر، والصلاة، وفي الآية السابقة (١٥٢) حضهم على الذكر والشكر؛ لأنه هداهم إلى معالم دينهم وقبلتهم، وهنا يسألهم بالصبر والصلاة، على أذى المشركين، وافتراءاتهم، وحسدهم، ولأنّ معركة الحق والباطل مستمرة، فقال تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾؛ لأنّ الله ﷻ، سيفرض عليكم صيام رمضان، وأنّ معركة بدر على الأبواب.

ففي شهر واحد تحولت القبلة شطر المسجد الحرام، وجاء الأمر الإلهي بفرض الصيام، وكان ذلك في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة، وكانت غزوة بدر يوم الجمعة في السابع عشر من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة، وقيل في تاريخها أقوال أخرى.

فكان صرف القبلة أولاً، ثم فرض صيام رمضان، ثم جاءت غزوة بدر الكبرى.

وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء بتكليف جديد بالاستعانة بالصبر والصلاة.

ولماذا قدّم الصبر على الصلاة؟ ارجع إلى الآية (٤٥) من سورة البقرة للبيان. ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾: فكلمة الصبر ومشتقاتها، وردت في القرآن في حوالي (٩٠) آية.

والصبر كما عرّفه ابن قيم الجوزية: حبس النفس عن الجزع، والسخط،



وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية. وقدم الصبر على الصلاة؛ لأن الصلاة عبادة تحتاج إلى صبر، وكل العبادات تحتاج إلى الصبر، وهذا الصبر يعتبر من أشد أنواع الصبر.

والصبر درجات: صابر، مستصبر، متصبر، صبار، صبور، وهي أعلاها.

والصبر أنواع: صبر بالله، وصبر لله، وصبر مع الله، وصبر على الطاعة، وصبر على المعصية، وصبر على الشدائد والنوازل.

واعلم: أن الله مع الصابرين، وأن الله يحب الصابرين، وهناك الصبر الجميل. انظر: سورة يوسف، آية ١٨.

والصلاة أعظم العبادات، وأفضل القربات، وخير الطاعات، مقرونة بالتوحيد والخشوع، فقد كان ﷺ إذا حَزَبَهُ أمرٌ (أي: جاءه أمر شاقٌّ أو مكروه)، قام إلى الصلاة، رواه الإمام أحمد في مسنده، وأبو داود.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: إن للتوكيد. ﴿مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: بالعون والنصرة. ارجع إلى سورة النحل، آية (١٢٧) لمزيد من البيان.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٢

الْبَيْتِ

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ
لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ
﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الصَّافِيَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ
فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ
بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ
﴿١٦٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ
عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٦٢﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ
﴿١٦٣﴾ وَاللَّهُ كُفَرُ إِلَهٍ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٤﴾



الْحَرْبِ
٣



سورة البقرة [الآيات ١٥٤ - ١٦٣]

[١٥٤] ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾:

المناسبة: نزلت هذه الآية في شهداء بدر من المسلمين، حيث استشهد (١٤) رجلاً من المسلمين، وكان الناس يقولون: مات فلان، فنزلت هذه الآية، ولا: الواو عاطفة، لا: النافية.

﴿تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: ﴿لَمَن﴾: اللام: لام الاختصاص، والتوكيد. ﴿مِن﴾: للجمع والمثنى والمفرد.

﴿لَمَن يُقْتَلُ﴾: بدلاً: لمن قتل؛ لاستحضار القتل في نفس السامع، وتصوره أمام عينيه، كأن يحدث الآن.

﴿أَمُوتٌ﴾: جمع ميت.

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾: حرف إضراب إبطالي؛ أي: ليسوا أمواتاً، بل هم أحياء، وهم عند ربهم يرزقون، ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: كما بين ذلك في سورة آل عمران الآيات (١٦٩-١٧١).

﴿وَلَكِن﴾: حرف استدراك يفيد التوكيد.

﴿لَا﴾: النافية لكل الأزمنة.

﴿لَا تَشْعُرُونَ﴾: لا تدركون، ولا تحسون أنهم أحياء؛ أي: لا تعلمون العلم الكامل الخفي أنهم أحياء؛ لأننا إذا فتحنا قبر الشهيد نجده رفاتاً وعظاماً، فهو في عالم الآخرة، أو عالم البرزخ في عالم الغيب، ونحن في عالم الدنيا.



ولتقريب ذلك إلى الأذهان: لو نظرت إلى إنسان، وهو نائم نوماً عميقاً، وهو يسبح في أحلامه ورؤياه، وأنت تكلمه وهو لا يكلمك، ولا ينظر إليك وأنت واقف بجانبه، فهو في عالم الوفاة، وأنت في عالم اليقظة (الدنيا).

[١٥٥] ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: الواو: استثنائية. لنبلونكم: اللام: للتأكيد، وكذلك النون في (نبلونكم): لزيادة التوكيد.

(نبلونكم): من الابتلاء، ارجع إلى الآية (٤٩) لبيان معنى الابتلاء، وقد يكون بالخير أو بالشر، والابتلاء أشد من الاختبار، والفتنة أشد من الابتلاء، وقمة الابتلاءات الاستشهاد في سبيل الله ﷺ.

﴿بَشِيرِ﴾: الباء: للإلصاق. ﴿بَشِيرِ﴾: نكرة، والتنكير هنا؛ يفيد التقليل، وتعريف الشيء هو أقل القليل، ثم بين هذا الشيء بخمسة أنواع، وهي: الخوف، والجوع، ونقص من الأموال، والأنفس، والثمرات.

﴿مِّنَ الْخَوْفِ﴾: (الابتلاء الأول): من الابتداء ابتداء الخوف، ويمكن أن يقال: التبويض بعض الخوف

﴿الْخَوْفِ﴾: هو اضطراب نفسي، وعدم الشعور بالأمن من توقع شيء ضارٍّ مقبلٍ، لا قدر له على دفعه، والخوف أحياناً خور لا ضرورة له، فإذا أراد الإنسان أن يؤمن نفسه من أمر يخيفه، فما عليه إلا أن يأخذ بالأسباب لمحاربة هذا الخوف، والخوف له أسباب متعددة.

وبشيء من ﴿وَالْجُوعِ﴾: (الابتلاء الثاني): بشيء قليل من الجوع، والجوع: هو خلو المعدة من الطعام؛ أي: الصبر على عدم الطعام، وقدّم الخوف على

الجوع؛ لأن هذه الآيات جاءت في سياق الاستعداد لمعركة بدر الكبرى، وغيرها من المعارك، وخلال القتال قلما يفكر الإنسان بالجوع، وإنما بالخوف، وأما في حالات السلم؛ فإن الخوف أكثر شيوعاً من الجوع، والجوع إذا اشتد في المجتمع قد يؤدي إلى السرقة، ثم إلى القتل، وبالتالي السرقة تؤدي إلى الخوف.

﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ (الابتلاء الثالث): بالهلاك، والضياع، وتعطل حركة التجارة، والإيراد والتصدير، والبيع والشراء.

﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ (الابتلاء الرابع): ونقص من الأنفس، بالقتل، والمرض، والكوارث الطبيعية، والزلازل، والفيضانات، والموت الطبيعي، وموت الأولاد، والأقارب.

﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ (الابتلاء الخامس): ونقص من الثمرات: بفساد الثمار، أو إتلافها بالحشرات، والحرائق، أو إمساك المطر، أو البرد، وغيرها.

﴿وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾: الخطاب لرسول الله ﷺ، أو لكل من يتأتى منه الصبر، وهو محتسب لوجه الله، وراضٍ بقضاء الله وقدره، وبشر الصابرين في كل هذه الابتلاءات.

﴿الَّذِينَ﴾: وصفهم الله بأنهم إذا أصابتهم مصيبة: ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

[١٥٦] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول، يفيد المدح والثناء عليه.

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث وكثرته.

﴿أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾: مصيبة نكرة؛ أي: مصيبة: والمصيبة كل ما يؤدي



الإنسان في نفسه، أو ماله، أو عياله، ومن أعظم المصائب، أو الفتن: المصيبة في الدين.

﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾: ﴿إِنَّا﴾: أي: نحن.

﴿لِلَّهِ﴾: السلام لام الاختصاص الملكية؛ أي: نحن مُلك لله وعبيده، نتقبل ما يحدث لنا، وكل ما يحدث لنا، أو يُصيبنا، يحدث بإذنه، وبحكمة، وصلاح فهو أحكم الحاكمين، وإنا إليه راجعون، وتكرار ﴿إِنَّا﴾: للتوكيد، وفصل كلاً من الملكية عن الرجوع، أو كلاهما معاً.

﴿إِلَيْهِ﴾: تقديم إليه يفيد الحصر؛ أي: إليه حصراً راجعون، بعد الموت، أو بعد البعث.

﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾: أي: نقر بعبوديتنا وملكنا، لله وحده، نؤمن بقضائه وقدره، ونؤمن بالبعث والحساب، وقد علمنا رسول الله ﷺ عند الإصابة بمصيبة أن نقول: ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

كما ورد في الحديث الذي رواه مسلم، عن أم سلمة رضي الله عنها، أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها إلا أجره الله في مصيبتيه، وأخلف له خيراً منها».

[١٥٧] ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد، يشير إلى الصابرين، ذوي المنزلة، والدرجة العالية. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على تفيد الاستعلاء.

﴿صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾: صلوات: جمع صلاة، والصلاة في اللغة: هي الدعاء،

وَالصَّلَاةَ مِنَ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ تَعْنِي الْمَغْفِرَةَ، وَالذِّكْرَ الْحَسَنَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وَالصَّلَاةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ تَعْنِي الْاسْتِغْفَارَ.

﴿وَرَحْمَةً﴾: يَغْفِرُ لَهُمْ، وَلَا يَعْذِبُهُمْ، وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ.

﴿وَأُولَئِكَ﴾: تَكَرَّرَ (أُولَئِكَ): يَفِيدُ التَّوَكِيدَ، وَيَفِيدُ الْمَدْحَ.

﴿هُمْ الْمُهْتَدُونَ﴾: هُمْ: ضَمِيرٌ مُنْفَصِلٌ، يَفِيدُ التَّوَكِيدَ؛ أَي: إِذَا كَانَ هُنَاكَ مُهْتَدُونَ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْأَوَائِلُ، الَّذِينَ سَارُوا عَلَى دَرَجِ الْهُدَايَةِ لِلْوَصُولِ إِلَى الْغَايَةِ، وَاسْتَقَامُوا عَلَيْهَا. فَمَنْ صَبَرَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى وَرَضِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَقَدَّرَهُ، وَاحْتَسَبَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَمْ يَبْدِرْ مِنْهُ سُوءَ عَوْضِهِ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ صَبْرِهِ؛ صَلَوَاتٍ مِنْ رَبِّهِ وَرَحْمَةٍ، وَزَادَهُ هُدًى وَصَلَاحًا، وَسَعَادَةً فِي الدَّارَيْنِ.

[١٥٨] ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾:

سَبَبُ نَزُولِ الْآيَةِ: أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَقَالَ: كُنَّا نَرَى أَنَّهُمَا مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ، أَمْسَكْنَا عَنْهُمَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.

﴿إِنَّ﴾: حَرْفٌ مُشَبِّهٌ بِالْفِعْلِ، يَفِيدُ التَّوَكِيدَ.

﴿الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: مِنْ شَعَائِرِ دِينِ اللَّهِ، جَبَلَانِ (فِي مَكَّةَ)، دَاخِلِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الْآنَ، كَانَتْ هَاجِرَ زَوْجِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، تَسْعَى بَيْنَهُمَا؛ لِلْبَحْثِ عَنِ الْمَاءِ لَوْلَاهَا إِسْمَاعِيلُ، وَظَلَّتْ تَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمَا سَبْعَ أَشْوَاطٍ، ثُمَّ وَجَدَتِ الْمَاءَ يَنْبَعُ تَحْتَ قَدَمِي إِسْمَاعِيلَ عليه السلام.

﴿شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: جَمْعُ شَعِيرَةٍ: وَهِيَ الْعَلَامَةُ؛ أَي: النُّسْكُ؛ أَي: أَعْمَالُ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَالْمَشَاعِرِ: جَمْعُ مَشْعَرٍ وَشَعَائِرِ الْحَجِّ، هِيَ مَعَالِمَةُ الظَّاهِرَةِ لِلْحَوَاسِّ،



ومواضع العبادة، يطلق عليها المشاعر؛ أي: المعالم المكانية، مثل: الصفا والمروة. ومقام إبراهيم والحجر الأسود.

﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾: الفاء استئنافية من شرطية.

﴿حَجَّ الْبَيْتَ﴾: الحج لغة: القصد.

شرعاً: قصد البيت الحرام؛ لأداء مناسك الحج المعروفة، ومنها: لباس ثياب الإحرام، والخروج إلى منى، والوقوف بعرفات، والنزول إلى مزدلفة، ورمي الجمرات، والطواف، والسعي، والحلق.

﴿أَوِ اعْتَمَرَ﴾: أدّى مناسك العمرة، فلا جناح عليه؛ أي: لا إثم عليه من جنح؛ أي: مال عن القصد؛ أي: الإثم: للميل عن الحق، فاعتبر ذلك إثمًا، ولم يقل حرجاً أي: ضيقاً، أو مشقة.

ولم يقل: ليس عليه جناح، والفرق بينهما: لا جناح عليه: جملة اسمية، والجملة الاسمية أقوى من الجملة الفعلية؛ لأنها تدل على الثبوت، ومؤكدة، وأما الجملة الفعلية فتدل على التجدد، ولذلك نجد القرآن، يستعمل ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في العبادات، والحقوق، والواجبات الزوجية، وتنظيم الأسرة، بينما يستعمل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: في الأمور العادية؛ كالطعام والشراب والبيع والشراء، ولذلك النفي في ﴿لَا جُنَاحَ﴾: أقوى من النفي في قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾.

أن: حرف مصدرى؛ للتعليل، والتوكيد: ﴿يَطُوفُ بِهِمَا﴾: أصلها يطوف، أدغمت التاء في الطاء؛ لقرب مخارج الحروف، وقال يطوف بالتشديد، ولم يقل: يطوف بهما؛ لأن يطوف بالتشديد فيها معنى الحث والإكثار من السعي

والطواف، وتكرار ذلك، بينما يطوف، من دون تشديد؛ يعني: السعي بين الصفا والمروة سبع أشواط، وتبدأ بالصفا.

السؤال هنا: لم قال تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ مع أنّ الصفا والمروة من شعائر الله؟

كما روي عنه الطبري: أنّ وثناً كان في الجاهلية على الصفا، يسمى إسافاً، ووثناً على المروة يسمى نائلة، وكان أهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت، مسحوا بالوثنين، فلما جاء الإسلام، وكسرت الأوثان، قال المسلمون: إنّ الصفا والمروة إنما كان يطاف بهما من أجل الوثنين، وليس الطواف بهما من الشعائر، قال: فأنزل الله أنهما من الشعائر؛ أي: فلا حرج على المسلمين في السعي بينهما؛ لأنهما من شعائر الله.

وبما إننا لا ندور حول الصفا والمروة، كما نعمل بالبيت الحرام، فلماذا سماها طواف؟!

سماء (طواف): لأنّ السعي تبدأ من نقطة بداية، وهي الصفا، ثم الذهاب إلى المروة، ثم العودة إلى الصفا، فذهابه، وعودته يشبه الطواف الذي يبدأ بالحجر الأسود، ثم يعود إليه.

﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: ﴿وَمَنْ﴾: شرطية. ﴿تَطَوَّعَ﴾: فعل الطاعة، طوعاً لا كرهاً، والزيادة على الواجب؛ أي: أدّى الحج والعمرة عدّة مرات، فالحج والعمرة لأول مرة، يعتبر فرضاً، وبعد ذلك تعتبر تطوعاً، والتطوع يعني: الإكثار من النوافل، ويعني: طوعاً بحب، وليس كرهاً.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾: الفاء وإن: للتوكيد، ﴿شَاكِرٌ﴾: أي: مثيب العبد على طاعته، يقبل العمل القليل، ويعطي الثواب الجزيل عليه.



﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من عالم، محيط علمه بأعمال عباده، من فرض ونفل، وظاهر وباطن، وسر وعلن، وخير وشر.

لنقارن بين هذه الآية والآية: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ. وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

هنا التطوع في هذه الآية، آية الصيام، هو أن يزيد في الفدية، فيطعم أكثر من مسكين، أو يزيد في المبلغ المصروف له.

بينما في آية الحج والعمرة: آية (١٥٨): التطوع في حج آخر أو عمرة، والدليل على ذلك زيادة الواو في قوله: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ﴾؛ فلذلك في آية الحج، أتبعها بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: يشبه الله ويجازيه على إحسانه، والشكر يعني الثواب، والثواب يكون بقدر الطاعة، والحج والعمرة أشق من الفدية بالطعام.

[١٥٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾:

﴿إِنْ﴾: حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يشير إلى دنو منزلة.

﴿الَّذِينَ﴾: يشمل كل من يكتُم سواء أكانوا من أهل الكتاب، أو الأحبار، أو العلماء، أو الرؤساء، أو علماء المسلمين، أو أي إنسان يكتُم آية أو حديثاً.

﴿يَكْتُمُونَ﴾: من الكتم. وكتُم الشيء: سكت عن ذكره.

والكتمان: ترك إظهار الشيء مع الحاجة إلى الإظهار، وقيل: الكتمان يختص بالمعاني، والأسرار، والأخبار، والإخفاء يختص بالأشياء المادية



الحسبية. قال: ﴿يَكْتُمُونَ﴾، ولم يقل: كتموا، يكتمون: تدل على تجدد، وتكرار كتمانهم، فهم لا يزالون يكتمون، ولم يكفوا عن ذلك.

﴿مَا﴾: اسم موصول، لغير العاقل، والعاقل.

﴿أَنْزَلْنَا مِنْ أَلْبَيْنَتِ﴾: جمع بينة، وهي ما يثبت به الشيء المراد إثباته، والمراد هنا ما يثبت نبوة محمد ﷺ من نعوت وصفات، جاءت في التوراة والإنجيل، وكل ما أنزله الله على الأنبياء من الكتب، والوحي، والبيانات، والآيات، والأحكام، والحلال، والحرام، والحدود، والفرائض، والأحاديث النبوية الصحيحة.

﴿وَأَهْدَى﴾: القرآن، واتباع ما جاء به رسول الله ﷺ من الدين الحق (الإسلام).

﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾: اسم جنس شامل لكل الكتب السماوية، والكتاب هنا يعني: التوراة، والإنجيل، والقرآن، والزبور، والصحف؛ أي: لم ندع موضع شك، أو اشتباه على أحد إلا بيناه لهم فيها، ومع ذلك هم عمدوا إلى ذلك الأمر المبين فكتموه ولبسوا على الناس، وحرفوه، أو بدلوه.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص. الناس: ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾: أولئك: اسم إشارة يفيد التحقير، ودنو منزلتهم يشير إلى الذين يكتمون ما أنزل الله تعالى من الوحي على الأنبياء والرسل أيًا كانت ملتهم.

﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾: اللعنة الطرد والإبعاد من رحمة الله، والمنع من الخير.

﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾: تكرر يلعنهم يفيد التوكيد، واللاعنون: هم الملائكة،



والمؤمنون من الثقلين: الجن والإنس، وقيل: كل من يتأتى منه اللعن، ويشمل الحيوان والنبات.

واللعن: يكون بالدعاء عليهم باللعنة.

وقوله: ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾: جاء بالفعل المضارع (يلعن): ليدل على التجدد، والتكرار، ولم يقل: لعنهم وانتهى الأمر.

فالله يلعنهم، ويلعنهم اللاعنون ما داموا يكتمون ما أنزل الله، وما داموا أحياء، وإذا انتهوا، وأصلحوا، أو بينوا للناس ما كتموه، وتابوا فإن الله يتوب عليهم، كما بينه الله تعالى في الآية (١٦٠)، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار». ارجع إلى الآية (١٦١) في نفس السورة لمقارنة آيات اللعن في القرآن.

[١٦٠] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿الَّذِينَ تَابُوا﴾: على ما فعلوا من بعد الكتمان، واعترفوا بذنبهم، وندموا على ما فعلوا، ولن يعودوا لمثله، وأكثروا من فعل الصالحات.

﴿وَأَصْلَحُوا﴾: بمقدار ما أفسدوا أصلحوا ما أفسدوه بكتمانهم.

﴿وَبَيَّنُّوا﴾: ما كتموه. وما أنزل الله من البينات. وانظر كيف حذف (من) بعد ذلك) كما في الآية (٨٩) في سورة آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾؛ لأنه لو جاء بذلك في آية البقرة لكان المعنى: إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا من بعد أن يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون.



﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء: للتأكيد، أولئك: اسم إشارة يفيد المدح.

﴿أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: أقبل توبتهم.

﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾: ارجع إلى الآية (٣٧) من سورة البقرة.

[١٦١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: يفيد التوكيد.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾: أي: أصروا على عدم التوبة، وماتوا، وهم في حالة الكفر. ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد.

﴿عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ﴾: عليهم خاصة، أو عليهم حصراً؛ لأنه قدّم الجار والمجرور على لعنة الله، ولم يقل أولئك لعنة الله عليهم، ولعنة الملائكة، والناس أجمعين، تعني بالدعاء عليهم باللعن.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: للتوكيد، وهذا اللعن، أو الدعاء عليهم باللعن يكون يوم القيامة حيث يلعن الله الكافر، ثم تلعنه الملائكة، ثم الناس أجمعين.

وإذا قارنا الآية (١٥٩) من سورة البقرة، مع الآية (١٦١) نجد الآية (١٥٩) من سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾: تعني: اللعن عليهم يتم في الحياة الدنيا؛ أي: هم ما زالوا أحياء.

وأما الآية (١٦١) من سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ



عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٢٥﴾: تعني: اللعن عليهم يتم يوم القيامة، أو في الآخرة من قبل الله سبحانه، والملائكة، والناس أجمعين.

وقوله: ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: وبما أن الكافر هو من جملة الناس فهو إذن سيلعن نفسه، أو هو يلعن الظالمين والكافرين، ومن يلعن الظالمين والكافرين، وهو منهم، فقد لعن نفسه، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعْلَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [التكوير: ٢٥].

ولمعرفة معنى الناس، ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة.

[١٦٢] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾:

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: في النار (جهنم) خالدين من الخلود، وهو استمرار البقاء منذ زمن دخولهم إياها، والخلود: البقاء من دون تغيير، أو استحالة.
﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾: لا: النافية.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾: من شدة العذاب، أو من زمنه، ولو يوماً واحداً، أو ساعة واحدة، كما قال سبحانه في سورة النساء، آية (٥٦): ﴿كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَّتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾.

﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾: ولا: النافية، هم: ضمير منفصل يفيد التوكيد في عدم الإنظار.

والإنظار: هو الإمهال؛ أي: لا يؤخرون عن عذابها، أو يمهلون؛ لينظر في حالتهم، بل يبدأ العذاب مباشرة، ولا ينظر إليهم نظرة رحمة، ولا رافة.

لنقارن آيات اللعن في القرآن، وأنواعه:

١ - البقرة (١٥٩): ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾: ﴿يَلْعَنُهُمُ﴾: جاء بالفعل

المضارع؛ مما يدل على أن لعنهم مستمر. ومتجدد، ولا ينقطع لهؤلاء الذين يكتُمون ما أنزل الله من البينات، والهدى من بعد ما بينه الله للناس.

٢ - البقرة (١٦١): ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿لَعْنَةُ اللَّهِ﴾: جاء بالاسم (اللعنة): ليدل على ثبوت اللعنة عليهم، فلا يتغير الحكم لهؤلاء الذين كفروا وماتوا وهم كفار.

٣ - آل عمران (٨٧): ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾:

نفس الحكم ثبوت اللعنة على هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم، وشهدوا أن الرسول حق، وجاءهم البينات، ثم ماتوا، ولم يتوبوا.

٤ - الرعد (٢٥): ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾: لهم خاصة؛ أي: لهؤلاء الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون في الأرض.

٥ - النساء (٥٢): ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾:

﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: جاء بالفعل الماضي، شيء انتهى ومضى لهؤلاء الذين أوتوا نصيباً من الكتاب وآمنوا بالجبت والطاغوت.

٦ - ص (٧٨): ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾:

﴿لَعْنَتِي﴾: أي: اختصه الله وحده، بلعنته مع أن هناك لعنة الملائكة والناس، ولم يقل: لعنة الله، وإنما قال: لعنتي.

(هذا هو أعظم اللعن) عندما ينسب إلى الله ﷻ.

الخلاصة: عندما يقول سبحانه: لعنتي، فهي أشد وأعظم أنواع اللعن، ثم



يأتي أقل منها شدة قوله: لعنة الله، ثم أقل منها شدة قوله: يلعنهم الله، ويلعنهم اللاعنون، وأقل من ذلك شدة قوله: لعنهم الله.

إذن من الأشد إلى الأدنى: لعنتي، لعنة الله، يلعنهم الله، لعنهم الله.

[١٦٣] ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾:

الإله هو الله ﷻ، ولم يرد في القرآن لفظ الإله، وإنما وردت كلمة إله.

في الآية السابقة تحدثت على وجوب بيان ما أنزل الله من البيان والهدى، وعدم كتمانها، وفي هذه الآية يبين أول وأهم هذه الأمور التي يجب تبيانها للناس هو أمر التوحيد، توحيد الألوهية، والربوبية، والأسماء، والصفات، فيقول تعالى:

﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾: الواو: استئنافية.

﴿وَاللَّهُمَّ﴾: تدل على الألوهية، والعبودية.

﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾: لا يتجزأ ولا يصبح اثنين، أو ثلاثة؛ أي: ليس مركب من أجزاء لم يلد ولم يولد، فليس له ولد.

وأما أحد: يعني ليس له شبيه، ولا مثل في ذاته وصفاته؛ أي: ليس كمثله شيء. ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: أي: لا معبود إلا هو، وفي هذه الآية نجد النفي والإثبات في نفس الوقت.

﴿لَا﴾: النافية. ﴿إِلَهٌ﴾: معبود، ﴿إِلَّا﴾: حصر، هو: ضمير فصل يفيد التوكيد، ويعود على الله.

فكلمة: ﴿لَا إِلَهَ﴾: نفيد النفي، نفى سبحانه عن نفسه وجود الشريك، والند،

والمثيل، ﴿الْأَهْوَى﴾: هو: تفيد الإثبات، وأنت واحد في الألوهية، والربوبية، والأسماء، والصفات.

﴿الرَّحْمَنُ﴾: مشتق من الرحمة على وزن فعلان: تفيد التجدد، والتكرار.

رحمن الدنيا: لأن رحمة تشمل المؤمن والكافر معاً.

طط ﴿الرَّحِيمُ﴾: مشتق من الرحمة على وزن فعيل؛ تفيد الثبوت.

رحيم الآخرة: لأن رحمة خاصة بالمؤمنين في الآخرة.

فكلمة ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: تعني: رحمته متجددة، ومتكررة، ومستمرة، وثابتة للمؤمن والكافر في الدنيا، وللمؤمن فقط في الآخرة، ولو اكتفى بكونه الرحمن فقط، ولم يقل: الرحيم، فربما يظن ظاناً أن رحمته قد تزول، ثم تعود، وتتجدد، ولذلك جاء بالرحيم؛ لتدل على ثبوت رحمته، وإن تجددت وتكررت. ارجع إلى سورة الفاتحة، الآية (١).





سُورَةُ النِّعَمِ ٢

النِّعَمِ

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ
النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ
الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾
إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا
لَنَا كَرَةٌ فَنتَّبَرَأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ
أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ
بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾



سورة البقرة [الآيات ١٦٤ - ١٦٩]

[١٦٤] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:

سبب نزول هذه الآية: أنه لما نزلت: ﴿وَاللَّهُ كَزَّالَهُ وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: تعجب المشركون، وقالوا: إله واحد؟ إن كان صادقاً فليأت بآية، فأنزل الله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد.

﴿فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خلق السموات والأرض مرّاً بالمراحل

التالية:

المرحلة الأولى: مرحلة الرق؛ حيث كانت السماء والأرض عبارة عن جرم صغير، مليء بالطاقة والمادة، ثم مرحلة الفتق الانفجار، ثم مرحلة الدخان، ثم تمايزت الأرض إلى سبع أرضين بإنزال الحديد، وتمايزت السماء إلى سبع سموات، ثم مرحلة الإتيان، ثم مرحلة الدحو؛ حيث أخرج الله سبحانه من الأرض غلافها المائي، والغازي، ثم تشكلت الجبال، ثم مرحلة تقدير الأقوات،



ومرحلة الدحو: تعني: مرحلة المد، والبسط، فقد بدأت الأرض من جزيرة بركانية، فلم يكن هناك يابسة، وغُمرت الأرض بالماء.

ثم فجّر الله سبحانه قاع المحيطات بثورة بركانية، وبدأت البراكين تلقي بحممها فوق قاع المحيط، فتكونت سلسلة جبلية في قاع المحيط، ارتفعت تدريجياً، وظهرت فوق سطح الماء، وتشكلت الحياة وسط المحيط، وكانت أرض مكة هي أول جزيرة بركانية.

ثم توالى ثورة البراكين، وكوّنت القارة الأم التي فتتها ربنا بشبكة من الصدوع إلى قارات سبع، وبدأت هذه القارات تتباعد حتّى وصلت إلى مكانها الحالية، وبقيت مكة وسط اليابسة. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٢، ٢٩)، وسورة الأنبياء، آية (٣٠) لمزيد من البيان.

واختلاف الليل والنهار، الدالُّ على كروية الأرض، هذا الاختلاف الناتج عن دوران الأرض حول محورها، وحول الشمس، هذا الاختلاف الضروري لاستقامة الحياة على هذه الأرض.

﴿وَالْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَمَافَعُ النَّاسَ﴾.

الفلك: السفن، والفلك: تستعمل للواحد والجمع. ارجع إلى سورة إبراهيم، آية (٣٢) للبيان.

﴿يَمَافَعُ النَّاسَ﴾: أي: السفر، والنقل، وما تحمله من أمتعة، وبضائع، وطائرات، وصواريخ في السلم، والحرب تذهل العقول. ولمعرفة معنى الناس، ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة.

﴿ مِنْ مَّاءٍ ﴾: ماء المطر، تشير إلى دورة المياه حول الأرض. ارجع إلى سورة النازعات، آية (٣١)، وسورة الحج (٥)، وسورة فصلت، آية (٣٩) لمزيد من البيان.

كقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ [الروم: ٤٨].

﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾:

﴿ فِيهَا ﴾: في الأرض.

﴿ وَبَثَّ ﴾: نشر، وفرق فيها بالتوالد.

﴿ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾: من: استغرافية.

﴿ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾: كل ما يدب على الأرض من حيوان، وإنس، وجن، ويستوي فيه المذكر والمؤنث، والدابة في العُرف الخاص، تعني كل ما يدب على الأرض من حيوان. ارجع إلى سورة العنكبوت آية (٦٠) لمزيد من البيان في معنى دابة، وهل تشمل الإنسان أم لا.

﴿ وَنَصْرِيْفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾:

التصريف: لغة: التغيير؛ أي: تغييرها تارة تأتي بالرحمة، وتارة تأتي بالعذاب، وتارة تؤلف بين السحاب، وتارة تفرق السحاب، وتارة تهب من الغرب، وتارة تهب من الشرق.

﴿ الرِّيحِ ﴾: كلمة الرياح في القرآن تستعمل في سياق الرحمة. وأما كلمة الريح فتأتي في سياق العذاب، كما سنرى في الآيات الأخرى.



﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ﴾: [الحجر: ٢٢].

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [فاطر: ٩].

﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ءَايَتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجنابة: ٥].

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾

[الرعد: ١٢].

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الأعراف: ٥٧].

﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ مَزِجًا سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ [النور: ٤٣].

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [الروم: ٤٨].

لها أوصاف عدّة عقيماً، أو صراً، أو لينة، أو عاصفة، أو مصفرة، وتصريفها شمالاً، وجنوباً، وشرقاً، وغرباً.

﴿لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: السلام: للتوكيد. وآيات: وردت نكرة؛ للتعظيم، والتضخيم؛ أي: آيات عظيمة دالة على القدرة الإلهية.

﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: اللام في كلمة لقوم: تفيد الاختصاص؛ أي: هذه الآيات تحتاج إلى قوم ينظرون في هذه الآيات، ويتأملونها ويقومون بالاستقراء، والتجربة، والاستنتاج؛ حتى يصلوا إلى فهم الحقائق العلمية والتي هي أدلة واضحة على عظمة الخالق، وقدرته، وعلى وحدانيته، ورحمته، وأنه هو الخالق البارئ المصور، وأنه هو الإله الحق، ولا إله إلا هو.

[١٦٥] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا

أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿٢١﴾

﴿وَمِنْ﴾: الواو: عاطفة. من: ابتدائية (بعض) النَّاس. ارجع إلى الآية (٢١) من سورة البقرة للبيان.

وكلمة النَّاس: لا تدل على عدد معين، وليست محدودة، وقد تشمل كل النَّاس، وكلمة النَّاس فيها معنى النوس؛ أي: الحركة، والحركة يتصف بها الجن والإنس.

﴿مَنْ﴾: اسم موصول، يتخذ: من أفعال التحويل والتصيير، اتخذ وتخذ بمعنى واحد، أو أصل واحد، ويختلف معناه عند أخذ اتخذ على وزن افتعل. فيها معنى التكلف، والجهة والمشقة، كما نرى في أفعال الشر تنفذ بمشقة وصعوبة وجهد، مقارنة بأفعال الخير تنفذ بسهولة، واتخذ فيها معنى الاختيار، والاصطفاء، وليس فيها معنى القهر، والجبر، وكذلك فيها معنى الاستمرار.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: بمعنى من غير، أو سوى، وأصلها ظرف مكان بمعنى تحت.

﴿أَنذَادًا﴾: جمع ند، والتناد تعني: التنافر، والتضاد، وقد تعني: المثل (كل من هو مثل)، فكل ند هو مثل، وليس كل مثل ند، وتعني: الشركاء، مثل الأوثان، والأصنام، والطاغوت، والرؤساء. ارجع إلى الآية (٢٢) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾: الحب من الأعمال القلبية؛ أي: تعلق القلب أو



الميل إلى الخير أو الشر، والحب له أنواع، منها حب عبادة، أو حب شهوة، وغريزة، أو حب مصلحة ومنفعة، حب عطف ورحمة.

يحبونهم؛ أي: يحبون آلهتهم، كما يحبون الله؛ أي: يحبون كلاً الأمرين يحبون الله، وفي نفس الوقت يحبون آلهتهم، والكاف للتشبيه، وتعني: يسوون بين الأنداد، وبين الله في المحبة، فيعظمون أندادهم، ويتوسلون إليهم، ويتقربون إليهم بالصدقات، والقرايين، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، أو يقربونا إلى الله زلفى.

وجاء بصيغة المضارع؛ لتدل على تجدد الحب والاستمرار عليه.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾: من حب هؤلاء لأندادهم.

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: شرطية. وجواب الشرط محذوف ليترك لكل ذي عقل أن يتصوره، ويتخيل شدته، وهوله؛ أي: لما أو حين اتخذوا من دون أنداداً، أو لا يعلمون أن القوة لله جميعاً.

﴿يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: يرى من الرؤية، والرؤية في اللغة على ثلاثة أوجه:

١ - الرؤية بمعنى العلم، يرى يعلم، كقوله: ونراه قريباً؛ أي: نعلمه قريباً.

٢ - الرؤية بمعنى الظن إنهم يرونه بعيداً؛ أي: يظنون بعيداً.

٣ - الرؤية بالعين رؤية بصرية.

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي: الذين أشركوا (الظلم هنا الشرك) أن الحب لله: هو حب عبادة، ويجب أن يكون لله وحده، وإلا فهو شرك.

﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾: إذ: ظرف زمان لما يستقبل من الزمان، (وقد يكون للماضي أحياناً)، وتسمى أحياناً إذ الفجائية؛ أي: يفاجئون بالعذاب؛ إذ يرون بعين اليقين يرون حالتهم عند رؤيتهم العذاب يوم القيامة، وقد سبق أن أُنذروا به، وهم بالحياة الدنيا؛ فلم يصدقوا ذلك.

﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: أن: للتوكيد، توكيد القوة لله، وجميعاً لزيادة التوكيد: أن القوة لله جميعاً، وليس لآلهتهم وشركائهم أي قوة، وأنها عاجزة عن دفع العذاب عنهم.

﴿الْقُوَّةَ﴾: القدرة، والمنعة.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾: أن: للتوكيد شديد العذاب.

[١٦٦] ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾:

﴿إِذْ﴾: الفجائية.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾: حالة رؤيتهم العذاب ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾.

التبرأ: البعد، والخلاص، تخلوا عنهم.

﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾: هم القادة والرؤساء المضلين، وأئمة الكفر.

﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾: الأتباع.



﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾: الواو: واو الحال؛ للتأكيد.

﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾: بعين اليقين.

﴿وَرَأَوْا﴾: تعود على المعبودين والعابدين (الرؤساء والقادة والأتباع).

﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾: جاء بالفعل الماضي؛ كأن الأمر حدث وانتهى، رغم أنه لم يحدث بعد، وسيحدث يوم القيامة.

﴿الْأَسْبَابُ﴾: جمع سبب، والسبب في اللغة: الحبل، ثم استعمل في كل ما يربط بين شيئين، وكل ما يتوصل به إلى مقصد أو غرض، والحبل أحد طرفيه بيد المتبوع، والآخر بيد التابع.

﴿الْأَسْبَابُ﴾: القربابات، والصدقات، والصلات، والعلاقات التي كانت بينهم في الدنيا، وتنحل كل الروابط الاجتماعية يوم القيامة من نسب وصدقات. . . ولا تبقى إلا رابطة الإيمان.

[١٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنْتَ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنْتَ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾: أي: الأتباع.

﴿لَوْ﴾: حرف تمنٍّ وشرط.

﴿أَنْتَ﴾: للتوكيد.

﴿كَرَّةٌ﴾: رجعة، وعودة إلى الحياة الدنيا.

﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾: والفاء للتوكيد؛ أي: نتخلّى عنهم، ونبعد.

﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾: ﴿كَذَلِكَ﴾: أي: كما أراهم الله العذاب فرأوه بعين اليقين، يريهم الله أعمالهم القبيحة «مثل الشرك والظلم»، فتكون عليهم حسرات، ويريههم أعمالهم الصالحة التي أوجبها عليهم فتركوها، ولم يفعلوها أيضاً.

﴿حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾: والحسرة: هي أشد الندم، أو الندم الشديد الذي يكاد يحسر صاحبه فيقعده عن الحركة والعمل.

﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾: أي: لن يجدي ندمهم في إخراجهم من النار؛ أي: فهم فيها خالدون.

[١٦٨] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا يَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾:

نزلت هذه الآية في ثقيف، وخزاعة، وغيرهما من القبائل التي حرمت ما لم يحرمه الله، مثل البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، بعدم ذبحها، أو ركوبها، أو الاستفادة منها. والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾: نداء للناس، ارجع إلى الآية (٢١)؛ لمعرفة معنى الناس. والهاء في أيها: للتنبيه، والإصغاء، والاستماع لهذا الأمر المهم.

﴿كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾: مما: من + ما، من: ابتدائية للتبويض؛ لأن كل ما في الأرض ليس بمأكول.

﴿حَلَالًا﴾: الحلال: ما نص الشارع على حله، «والذي لا يتعلّق به حق الغير»، أما المباح: فهو ما لم ينص الشارع على تحريمه في حكم عام، أو خاص.



﴿طَيِّبًا﴾: الطاهر غير النجس، وفيه شيء من اللذة أو تقبله النفس.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة البقرة؛ لمعرفة معنى الشيطان.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾: جمع خطوة، وهي المسافة بين قدمي الماشي.

﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: سبل الشيطان، وساوس الشيطان، وهمزاته، ونزغاته، وتزيينه.

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: إن: للتوكيد، ﴿لَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، لكم: خاصة.

﴿عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: ظاهر العداوة، عداوته لا تخفى على أي إنسان، وهو لا يخفي عداوته، وعداوته ظاهرة وبينة، لا تحتاج إلى من يظهرها.

[١٦٩] ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد الحصر.

﴿يَأْمُرُكُمْ﴾: شبه وساوسه وتزيينه وإغوائه ونزعه وإضلاله بمنزلة الأمر على سبيل الاستعارة، مثال: ﴿وَلَا مَرْئَهُمْ فَلْيُبَيِّتْ كَنَّا أَذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْئَهُمْ فَلْيَغْيِرْ بَنَاسٍ﴾ [النساء، آية ١١٩].

وهو ليس له سلطان؛ كقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ١١ ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠].

﴿يَا سَوْءَ﴾: الباء: للإلصاق، والاستمرار، والسوء: سمي سوءاً؛ لأنه تسوء عواقبه، أو سمي سوءاً يسوء إظهاره، ويسوء إلى النفس مثل الغيبة والنميمة.

﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾: ما يوجب الحد فيه مثل الزنى، واللواط، وشرب الخمر.

﴿وَأَن﴾: أن مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

﴿تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أي: ويوسوس لكم الشيطان أن تقولوا على الله ما لا تعلمون: أن الله حرم البحيرة والسائبة والوصية والحام مثلاً، وهو لم يحرم، وأنعام، وحرث لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم، وأنعام حُرمت ظهورها، وما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكرنا، ومُحرم على أزوجنا، أو حرم هذا، وهو لم يحرمه، أو أحله وهو حرمه. وهكذا. . .





سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢

الْبَقَرَةِ

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
ءَابَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا ابَاءَؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا
يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
﴿١٧١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ
لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِن
الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ
فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ
أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا
أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾



سورة البقرة [آيات ١٧٠ - ١٧٦]

[١٧٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾
﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية للمستقبل.

﴿قِيلَ﴾: مبني للمجهول؛ أي: لا يهم من هو القائل، وإنما المهم المقولة هنا.

﴿لَهُمْ﴾: أي: للناس، ومنهم كفار العرب، واليهود.

﴿اتَّبِعُوا﴾: ما أنزل الله لكم في كتابه من رزق هذا حلال، وهذا حرام، ولا تتركوا به شيئاً.

﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: بل حرف إضراب انتقالي، ما اسم موصول، أو مصدرية.

﴿أَلْفَيْنَا﴾: بمعنى وجدنا، وهناك اختلاف بين ألفينا ووجدنا في القرآن الحكيم:

أما ألفينا: تستعمل للأمور المشاهدة؛ أي: المحسوسة، أو المادية، وتستعمل في سياق الذم، والأمور غير المستحبة.

وأما وجدنا: تستعمل لأفعال القلوب وللأفعال غير المحسوسة، والأمور المحسوسة والمشاهدة، فوجدنا: أعم وأشمل، ولا تستعمل للذم الشديد.

﴿عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: الآباء: تأتي في سياق التربية والرعاية، والوالدان: تستعمل



في سياق الإحسان لهما والمعروف والإنفاق والوصية؛ فهم اختاروا الاستمرار على تقليد آبائهم، والتقليد هو قبول الحكم بلا دليل من القرآن أو السنة؛ أي: سنن آبائهم.

﴿أُولُو﴾: الهمزة: للتعجب، والإنكار، الواو: للحال.

﴿كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾: لا: النافية المطلقة، يعقلون شيئاً: نفى عنهم العقل؛ أي: الفهم والإدراك.

﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: تكرر (لا) تفيد تأكيد النفي، وفصل كل من العقل والهداية على حده، أو كلاهما معاً، ولا يهتدون إلى الحق، أو الفهم الصحيح. انتبه إلى استعمال: ألفينا هنا جاءت في سياق الذم، ولذلك جاء معها ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

وقوله: ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: فيها ذم أكبر، أو أكثر من قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾؛ لأن نفي العقل أشد من نفي العلم.

مثال على ذلك: في هذه الآية (١٧٠) من سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولُو كَانِ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

وفي سورة المائدة، آية (١٠٤): ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولُو كَانِ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

فآية سورة البقرة جاءت في سياق الذين اتخذوا الأنداد والأصنام (في سياق الشرك) وعبادتها، فهؤلاء أشركوا بالله، وحرّموا ما أحلّ الله، واتبعوا خطوات الشيطان، ولذلك وصفهم بأنهم: ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

بينما آية المائدة (١٠٤): جاءت في سياق الذين اتخذوا البحيرة، والوصيلة، والسَّائِبَةَ، والحام، فهؤلاء شرعوا من الأنعام من دون علم، وقلَّدوا آباءهم، ولذلك وصفهم بأنهم: ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾، فكلا الفريقين ضلَّ، ولكن ضلال الفريق الأول أسوأ من الفريق الثاني.

ولذلك وصف الفريق الأول بـ: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ «نفى عنهم العقل». والفريق الثاني: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ «نفى عنهم العلم».

ونفي العقل أسوأ وأشد من نفي العلم، كما سبق، والاعتماد على العقل، أو العلم وحدهما لا يكفي، فلا بد من هداية الرب، فكم من عالم مُلحد ضال، وكم من حكيم يدعي الحكمة والعقل، وهو ضال أيضاً.

[١٧١] ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾: أي: حالهم يشبه الذي ينقع، وهو الراعي الذي يصيح بالماشية التي يرعاها ليزجرها، أو يوجهها إلى طريقها.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿بِمَا لَا﴾: الباء: للإلصاق، ما: لغير العاقل «الماشية»، لا: النافية.

﴿لَا يَسْمَعُ﴾: أي: لا تفهم من الراعي.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿دُعَاءً وَنِدَاءً﴾: وهناك فرق بين الدعاء والنداء:

فالدعاء: يكون بخفض الصوت، ويكون عادة للقريب.

أما النداء: فيكون برفع الصوت، ويكون عادة للبعيد.



﴿دُعَاءٌ وَنِدَاءٌ﴾: بصيغة النكرة؛ أي: مهما كان صيغته وسياقه لا يهم؛ لأنه مجرد دعاء ونداء غير مفهوم للماشية.

فالماشية تسمع الدعاء، والنداء، ولكن لا تفهم ما يقوله الراعي، فهو يمشي أمامها، أو خلفها، وحين تخالف أمره يصيح بها، ومع مرور الزمن تدرك الماشية أن رفع الصوت لزجرها، ومنعها، ولذلك تغير مسيرها هنا، أو هناك، ومع الزمن والتكرار «بالتقليد» تعرف أمكنتها مكان المبيت والرعي والشرب.

فالرسول ﷺ هو الراعي «أي: الداعي»، يدعو الذين كفروا إلى الإيمان «وهم كالماشية والغنم»، فهم لا يسمعون ما أنزل إليهم من ربهم إلا مجرد سماع لا طاعة معه «كما أن الماشية تسمع الراعي ولا تعقل ما يقوله، كأن في آذانهم صمم أو قر»، وهم بكم لا ينطقون بالشهادة، ويصدقون الرسول كما أن الماشية تنطق بكلمات لا يعقلها الراعي، أو من يسمعها.

وهم عمي لا يبصرون آيات الله الكونية، ويؤمنون بالله «كما أن الماشية تبصر وترى طريقها، ولكن لا تعلم أنها تساق أحياناً إلى أماكن ذبحها»، وهكذا حال الذين كفروا صم بكم عمي معاً؛ أي: كل من هؤلاء الكفرة صم بكم عمي في نفس الوقت.

﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: الفاء: للتوكيد، هم: ضمير فصل يفيد التوكيد أيضاً، ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾: لماذا خلقوا وما هو مصيرهم الأبدي.

وفي سورة الأنعام، الآية (٣٩): قال سبحانه: ﴿صُمُّوا وَبُكْمٌ﴾.

وفي سورة الإسراء، الآية (٦٧): ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾.

ففي هاتين الآيتين إضافة الواو تجعل هؤلاء فئات مختلفة فئة صم وفئة

بكم وفئة عمي، أما في آية سورة البقرة فهم فئة واحدة لها ثلاث صفات في نفس الوقت صمُّ بكم عمي.

[١٧٢] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد للذين هم على درب الإيمان؛ إما بتكليف جديد، أو فعل شيء، أو الكف عن شيء، أو أمر، أو بيان حكم، أو تحذير، أو تخيير، وهكذا، والهاء: للتنبيه، والياء: للبعد، والأمر هنا هو.

﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: ﴿مِن﴾: ابتدائية، وتعني بعض.

﴿طَيِّبَاتٍ﴾: الطيبات جمع طيب، والطيب هو الحلال الطاهر.

﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: ما: اسم موصول، ما هنا لغير العاقل.

﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾: واشكروا المنعم على نعمه التي فيها أكل الطيبات، واشكروا لله فيه انتقال من ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب للفت الانتباه.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: ﴿إِن﴾: شرطية تفيد القلة؛ أي: قليلاً ما تشكرون، ولم يقل: إن كنتم إياه تشكرون، بل قال: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: فهذا يدل على أن الشكر عبادة، والعبادة أعم من الشكر، وقدم إياه للاختصاص والحصص، وأن الشكر لله وحده المنعم.

[١٧٣] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة تفيد الحصر والتوكيد.



﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾: وتعريف المحرّم: هو ما طلب الشارع الكف عن فعله طلباً؛ كقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ﴾، أو نهياً؛ كقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾، أو الأمر باجتنابه: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ فاجتنابه، أو أن يترتب على الفعل عقوبة مثل الذين يرمون المحصنات.

﴿الْمَيْتَةُ﴾: أي: ذهبت منها الحياة، وانتهت؛ أي: خرجت روحها، وانتبه إلى كلمة الميت كيف تشكل مَيِّت، بسكون الياء، وهذه تعني: مات بالفعل، أما كلمة مَيِّت بتشديد الياء هذه فمعناها لم تمت بعد لا زالت حية، وستموت فيما بعد.

﴿وَالْدَّمُ﴾: الدّم المسفوح السائل محرم شربه، أو طبخه، أو استعماله كغذاء بأي شكل، ويستثنى من ذلك الدّم المختلط باللحم، أو العروق. ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾: المعروف لدى الناس.

﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾: ما ذُبح ولم يذكر اسم الله عليه، فقدم به على اسم الجلالة (الله)؛ لأن السياق في المأكول (الحلال والحرام)، وقد قيل: نزلت هذه الآية في المدينة على المؤمنين لبيان ما حل لهم وحرم عليهم فقدم به (المأكول). أما قوله: ﴿وَمَا أَهْلَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ﴾ كما ورد في سورة المائدة آية (٣)، والأنعام آية (١٤٥)، والنحل آية (١١٥)، تعني: ما ذبح تقرباً للأصنام، والآلهة، والأولياء، وقدم اسم الجلالة؛ لأن هذه الآيات جاءت في سياق الأمر بطاعة الله وتقواه وتعظيم شعائره، وقيل: نزلت آية النحل والأنعام في مكة، فقدم ذكر الله على ذكر الأصنام على ذبائهم.

﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: ﴿فَمَنْ﴾: الفاء: استئنافية، مَنْ: شرطية، ﴿أَضْطَرَّ﴾: أي: ألجئ، أو أكره بحكم الضرورة، أو الضرر؛ كأن خاف

على نفسه الهلاك بعد أن استنفد الأسباب فيحلُّ عندها الأكل من الميتة، أو الدَّم، أو لحم الخنزير، أو ما أهل به لغير الله على شرطين:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: ﴿غَيْرَبَاغٍ﴾: أي: لا يأكل فوق حاجته، أو فوق ما يسد رمقه.

الشَّرْطُ الثَّانِي: ﴿وَلَا عَادٍ﴾: أي: لا يأكل من هذه المحرمات، وعنده أطعمة أخرى تسد رمقه.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: النافية للجنس.

﴿إِنَّمَا عَلَيْهِ﴾: فلا ذنب عليه، ولا معصية، ولا حرج. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٣٣) للبيان.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: ﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، ﴿غَفُورٌ﴾: كثير المغفرة يغفر الذنوب مهما عظمت، أو كثرت، ولو كانت مثل زبد البحر، والغفر هو الستر، وبالتالي العفو. وإذا قارنا آية البقرة (١٧٣) مع آية المائدة (٣)، وآية الأنعام (١٤٥)، وآية النحل (١١٥): نجد قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وفي آية الأنعام فقط: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ لأن آية الأنعام بدأت بكلمة ﴿قُلْ لَا أَجِدُ﴾ فقال: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وبقية الآيات خطاب من الله تعالى فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿رَحِيمٌ﴾: لا يعجل العقوبة، أو العذاب لعباده، فهو دائم الرحمة، رحيم صيغة مبالغة يمحو السيئات، ويثيب على الحسنات، وللضرورة والحاجة ضوابط شرعية، والذي يقرر الضرورة والحاجة في الأمور المستجدة هم علماء الأمة الموثوق بدينهم، وعلمهم مع أهل الخبرة والاختصاص. ارجع إلى الآية (١١٥) من سورة النحل للبيان المفصل.

[١٧٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا



أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥٩﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: ارجع إلى الآية (١٥٩) من سورة البقرة، والذين: تعود على أحبار اليهود، ورهبان النصارى، وتشمل كل من يكتم ما أنزل الله في التوراة، والإنجيل، والقرآن.

﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: في أوصاف وصفات النبي ﷺ، وضرورة الإيمان به واتباعه؛ حيث كتموا اسم النبي ﷺ، وغيروا صفاته، أو غيروا، أو حرفوا في كتبهم.

﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾: أي: التوراة والإنجيل.

﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: يشترون بما كتموا، وما حرفوا في اسمه وصفاته ﷺ ثمنًا قليلًا. ارجع إلى الآية (٧٩) من سورة البقرة، والآية (٧٧) من سورة آل عمران.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد.

﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾: أي: ما يأخذونه من رشوة، أو منفعة من جراء تغيير شرع الله، أو كتم أحكامه، سوف يتحول يوم القيامة إلى ماء حميم يقطع أمعاءهم، ويصهر به ما في بطونهم، والجلود.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: بسبب ما أنكروه وحرفوه، أو افترائهم الكذب على الله، واشترائهم به ثمنًا قليلًا، وهذا يعتبر بحد ذاته من أشد أنواع الحرمان.

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: ولا يطهرهم من الذنوب، ويعفو عنهم.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: اللام في لهم: للاستحقاق، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: شديد الإيلام، لا يطيقه أحد.

ولننظر إلى هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ أَلْكِتَابٍ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فإذا قارناها بالآية (٧٧) من سورة آل عمران: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

نجد في آية البقرة العقوبات الأربع، وهي:

١ - ما يأكلون في بطونهم إلا النار.

٢ - لا يكلمهم.

٣ - لا يزكيهم.

٤ - ولهم عذاب أليم أشد وأبلغ وأساء من العقوبات في آية آل عمران؛ لأن ذنب أو إثم الذين يكتُمون ما أنزل الله ويشترُون به ثمنًا قليلًا أعظم من ذنب الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلًا؛ لأن ضرر الكتمان لا يقتصر على أنفسهم وإنما يتعدى لغيرهم مقارنة بالذين يشترون؛ ارجع إلى الآية (٧٧) من سورة آل عمران لمزيد من البيان.

[١٧٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾:



﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلى الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب، ويشترون به ثمناً قليلاً، ويشير إلى سوء عملهم؛ لأنهم اشتروا «استبدلوا أو اختاروا»، اشتروا في الدنيا الضلالة بدلاً من الهداية، والعذاب بدلاً من المغفرة؛ أي: فضلوا الضلالة على الهدى.

﴿الضَّلَالَةَ﴾: تعني: أنهم ابتعدوا عن دينهم، وضلوا الصراط، والغاية، وتركوا الهدى والصراط (الدين) وساروا في طرق الغي والضلال والعصيان، والعذاب على المغفرة: أي: أخذوا أو اختاروا العذاب في نار جهنم على المغفرة، ورضوان الله.

﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾: ﴿فَمَا﴾: الفاء: استئنافية، ما: استفهامية، تحمل معنى التعجب، ﴿أَصْبَرَهُمْ﴾: من أصبر على وزنه أفعّل، وهي إحدى صفتي التعجب، والتقدير: أي شيء أصبرهم على النار، أو ما أشد صبرهم على النار؛ لأن ذلك من أعجب الأمور، وهذا إعلام وإنذار لكل من يشتري بآيات الله ثمناً قليلاً، ويفتري على الله الكذب، أو يبذل دين الله، ويحلل، ويحرم من دون علم، ولا دراية.

[١٧٦] ﴿ذَلِكَ يَأْنٍ اللَّهُ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة إلى ما تقدّم من الوعيد بالعذاب الذي ينتظرهم، وهو غاية العدل.

﴿يَأْنٍ﴾: الباء: للإلصاق، أن: للتوكيد.

﴿اللَّهُ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾: أي: «التّوراة، أو الإنجيل، أو القرآن».



﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق، هو الحق الثابت الذي لا يتبدل، ولا يتغير، ولا يغالب، ولا يحاد عنه.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾: في التّوراة، وهم اليهود، والنصارى، اختلفوا في صفة عيسى المذكورة في التّوراة، أو صفة محمد ﷺ في التّوراة، والإنجيل، وهكذا. . . أو آمنوا ببعض وكفروا ببعض، وفي القرآن قالوا: إنه شعر، أو سحر، أو افتراه وأعانه عليه قوم آخرون، أو أنه أساطير الأولين.

﴿لِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: ﴿لِي﴾: اللام: للتوكيد، شقاق: خلاف مع بعضهم البعض، ﴿بَعِيدٍ﴾: بعيد عن الحق ولم يصفه بالكبير أو العظيم، بعيد صفة للشقاق؛ أي: لن يستطيعوا أن يرجعوا عنه؛ أي: يصلحوا فيما بينهم؛ ارجع إلى الآية (١٣٧) من سورة البقرة لمزيد من البيان.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٢

الجزء الثاني



لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ
الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُبٌ
عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدِ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ
بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْهُ
إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ
يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ
إِذَا احْضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ
بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾



سورة البقرة [الآيات ١٧٧ - ١٨١]

[١٧٧] ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَأَيْتَمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾:

المناسبة: أدّى تحويل القبلة إلى المسجد الحرام إلى فتنة كبرى، وخلاف، وبلبله بين أتباع كلّ ملة، وأخرى، وكلّ ملة دعت إلى اتباع قبلتها، سواء كانت المسجد الحرام، أو بيت المقدس، أو المشرق، أو المغرب.

حتى نزلت هذه الآية فأبان الله ﷻ للناس كافة: أن مجرد التوجه إلى أي قبلة ليس في ذاته هو البر الحقيقي المقصود، ثمّ أبان البر الحقيقي فقال: ﴿لَيْسَ﴾: أداة نفي.

﴿الْبِرَّ﴾: قيل: هو الشيء الحسن النافع، والبر: اسم جامع لكلّ خير ولكلّ طاعة، وعمل صالح، يؤدي إلى خلق حميد وقربى إلى الله.

﴿أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ﴾: أي: ليس البر هو مجرد تولية الوجه في الصلاة نحو المسجد الحرام، أو بيت المقدس، أو المشرق، أو المغرب.

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾: لكن: حرف استدراك وتوكيد.



﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾: الإيمان الذي يتضمن توحيده في ألوهيته، وربوبيته، وفي أسمائه وصفاته من دون تشبيه، أو التحريف، أو تعطيل، أو تكيف، وعبادته، وطاعته بإخلاص ومحبة.

﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: أي: الإيمان بكل ما أخبر به الله ﷻ في كتابه، أو أخبر به رسوله ﷺ، الإيمان بأحداثه المروعة، وأهواله، ويشمل البعث، والحشر، والحساب، والعرض، والموازين، وتطابير الصحف، والصراط، والجنة، والنار.

﴿وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾: ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾: بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ولهم وظائف، ولهم صفات وأعمال تؤمن بها من دون زيادة، ولا نقصان، ولا تحريف.

﴿وَالْكِتَابِ﴾: أي: الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه، ورسله، ومنها: القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، والصحف التي أنزلها على إبراهيم، وموسى، والكتب التي أنزلها على سائر الرسل، ولم يخبرنا بها.

﴿وَالنَّبِيِّينَ﴾: ومنهم الرسل فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسول، وقد ورد ذكر أسماء بعضهم في القرآن، والبعض الآخر لم يذكر، فالإيمان بهم يأمرنا أن نؤمن بهم جميعاً، ولا ننكر نبوة أحد منهم، ولا رسالته، ونؤمن أن كلاً منهم أدّى أمانته، وبلغ رسالته... وأن الله أمدهم بالمعجزات، فقد قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧]، ثم ينتقل وصف البر من الأمور العقدية إلى الأمور المادية، ومنها:

﴿وَأَنِّي أَنَالُ الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ﴾: ﴿وَأَنِّي﴾: معناها أعطى المال على حبه، والهاء تعود إلى حب المال، أو تعود إلى حب الإيتاء، فيصبح معناها:

أعطى المال، وهو يحب المال، أو يحب أن يتصدق به، أو كلاهما معاً، والإيتاء غير العطاء.

وأتى المال، ولم يقل يعطي المال؛ لأن العطاء: دليل التملك، دون الإيتاء، وأنت حين تؤتي المال، ولا تقول تعطي؛ لأنك إذا قلت: تعطي؛ أي: يصبح المعطى له مالاً له، وفي الحقيقة هو لا يملك المال، وإن أعطيته؛ لأن المال هو مال الله، والملكية هي ملكية غير حقيقية؛ لأنك سوف تموت، وتتركه لغيرك، أو تدفعه زكاة، أو صدقة، فكلمة تؤتي أحق وأفضل من استعمال تعطي، ثم إن هناك أمراً آخر قال سبحانه: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾: ولم يقل: أتى المال وهو يحبه؛ لأن استعمال على أفادت على تمكّن حب المال في قلبه وشدة التعلق به.

إذن فعلاً هو يحب المال؛ كقوله سبحانه: ﴿لَنْ نَأْثُرَ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ تُنْفِقُوا مِمَّا يُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وقد تأتي بالمعنى الآخر أتى المال على حبه؛ أي: أعطى المال كصدقة، وهو يحب الصدقات؛ لأن حب ما عند الله من ثواب أعلى وأفضل من حبه لفطرة المال وجمعه، والرأي الأول أقوى.

﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾: أول من تؤتي المال ذوي القربى، الأقارب جميعاً الأقرب فالأقرب؛ لأنه كما جاء في حديث سلمان بن عامر: أن رسول الله ﷺ قال: «صدقتك على المسكين صدقة، وعلى ذي رحمك اثنتان؛ لأنها صدقة وصلة رحم» أخرجه النسائي، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، وأحمد.

﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْبَنَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ فِي الرِّقَابِ﴾: ﴿وَالْيَتَامَى﴾: جمع يتيم، وهو من فقد أباه، ولم يبلغ مبلغ الرجال؛ أي: الحلم.



﴿وَالْمَسْكِينُ﴾: جمع مسكين، وهو المحتاج الذي له مال لا يكفيه.

﴿وَابْنُ السَّبِيلِ﴾: السَّبِيل: هو الطريق، وابن السَّبِيل: هو ابن الطريق؛ أي: ليس لديه مكان يأوي إليه؛ إلا الطريق؛ أي: رجل منقطع في سفره، وقد يكون ابن السَّبِيل ذا مال في بلده، إلا أن سفره قطعه عن ماله، وباعد بينه وبين أهله، وقد يشمل هؤلاء الذين يعيشون في الطرقات، والله أعلم.

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾: جمع رقبة، وتعني فك رقبة: فك الأسير، أو العبد؛ لأنَّ العبد يشبه من تملكه من رقبته عتق رقبة، أو فك رقبة: تحرير رقبة. ارجع إلى سورة البلد آية (١٣) للبيان.

﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾: ارجع إلى الآية (٣) من سورة البقرة.

﴿وَأَتَى الزَّكَاةَ﴾: ارجع إلى الآية (٣) من سورة البقرة.

﴿وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾: العهد: وعد مقرون بشرط، والعهد يقتضي الوفاء، وقد يكون بين العبد وربّه، أو يعاهده ربه على لسان رسوله، وأسند الله العهد إلى نفسه في القرآن كله، والعهد قد ينفرد به الفرد، والعهد يتمثل بقوله تعالى: وصينا، أمرنا، أو حيننا، أو عهدنا.

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث. والميثاق: هو عهد موثق مؤكد «موثق بأدلة وشهود، أو وثيقة».

﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾: ومن البر الصبر. ارجع إلى الآية (٤٤) من سورة البقرة.

﴿وَالصَّابِرِينَ﴾: عطف منصوب على مرفوع «الموفون» للاهتمام، والتعظيم إظهاراً لفضل الصبر في جميع الأحوال، والشدائد، والطاعات.

﴿فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾: البأساء: من البؤس، وهو الفقر، والشدة، والبطالة.

﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: الضر، والمرض، والألم، والعواصف، والبراكين، والأمراض، وسواء كانت المصيبة فردية، أو جماعية.

﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾: البأس هنا يعني: الحرب، أو الشدة في الحرب «الشجاعة».

وحين: زمن سواء كان سنة، أو شهوراً، أو أياماً، أو ساعات، زمن غير محدد.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾: ﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد، يدل على بعد مكانتهم، وارتفاع درجاتهم. ﴿الَّذِينَ﴾: آمنوا بالله، واليوم الآخر، وملائكته، والكتاب، والنبين، وآتى المال على حبه، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، والمؤمنون والصابرون بشرط أن يفعلوا ما يقولون، ولا يكونوا من الذين يقولون ما لا يفعلون.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾: وأولئك هم المتقون: جمع متقٍ، وهو من اتقى غضب الله وسخطه، واتقى النار.

جمع لهم صفتين من أعظم الصفات: الصّدق، والتّقوى، وأعاد ذكر أولئك لزيادة التوكيد، وجاء بضمير الفصل هم؛ أي: إذا وجد متقون فهم حقاً المتقون للمبالغة، والمتقون جملة اسمية تدل على الثبوت؛ أي: أصبحت التقوى صفة ثابتة لهم.

[١٧٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنِبْ عَلَيْكُمْ الْفَصَاصُ فِي الْقَنْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى



يَا لَأَنْتُمْ فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَنْبِئْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَّاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٠﴾

﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نداء جديد إلى الذين آمنوا بتكليف جديد «لفعل أمر، أو نهي، أو بيان حكم، أو تحذير، أو تخيير».

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾: كتب عليكم: فرض عليكم، وثبت ولزم، وكتب فيها تأكيد أشد من فرض.

لماذا جاء (كُتِبَ) بصيغة المجهول؛ لأن المشرع هو الله، ومعلوم من الذي كتب، فلا داعي لذكر ذلك؛ لأن كل مؤمن يعلم ذلك، ويعلم من المنادي حين ينادي: يا أيها الذين آمنوا.

وهناك من قال: بنيت للمجهول؛ لأن الأمر التكليفي فيه مشقة، ويحتاج إلى صبر، والأمور التكليفية الصعبة، أو فيها مشقة يبينها الله للمجهول كقاعدة عامة.

﴿عَلَيْكُمْ﴾: جاء بعلی: للاستعلاء فيها، معنى المشقة، والإلزام، وعليكم تعني: تشريع للجميع، وليس لفرد واحد، وحين نستعمل اللام بدلاً من (على) كقوله: كتب لنا تعني لمصلحتنا، لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿الْقِصَاصُ﴾: من قصَّ، وقصَّ أثره؛ أي: تتبعه، والقصُّ: هو القطع؛ كالذي يقص الثوب بالمقص، والقصاص: هي المساواة، والمماثلة «مقابلة الفعل بمثله».

﴿فِي الْقَتْلِ﴾: جمع قتيل؛ بمعنى: مقتول.

﴿الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ﴾: الحر: هو غير المملوك، الحر مقابلة العبد؛ أي: «لا نقص

للحر بعبد، أو بالعكس؛ أي: يقتل الحر بالحر، ولا يقتل مسلم بدمي، أو يقتل مسلم بكافر.

﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾: إذا قُتِلَ عَبْدٌ نَقِصَ لَهُ بَعْدُ.

﴿وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى﴾: إذا قُتِلَتْ أَنْثَى نَقِصَ لَهَا بَأْنْثَى، وليس بذكر.

﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَلْيَبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾: الفاء:

استثنائية، مَنْ: شرطية، فمن تنازل له أخوه، ولي المقتول بالعفو والدية، فعليه أن يقبل، أو قد لا يتنازل، وعندها يطبق عليه حكم القتل، «وهنا يعني القتل العمد».

أما إذا عفا عنه، وصفح؛ انتهى الأمر، أما إذا طلب منه الدية فاتباع بالمعروف، وأداء إليه بإحسان، فعلى ولي المقتول أن لا يطالب بأكثر من حقه، وأن يستعمل الرفق والأدب، وعلى القاتل أن لا يماطل، أو ينقص من الدية.

﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾: ذلك؛ أي: العفو، أو الدية تخفيف؛ أي: تسهيل من ربكم ورحمة «حيث وسع عليكم ولم يفرض عليكم حكماً واحداً، وهو القتل فقط».

﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: إذا عفا عن القاتل، أو أخذ منه الدية انتهى الأمر، أما إذا عاد ولي المقتول وانتقم من القاتل بأي شكل، أو ظلم، فله عذاب أليم، «لمن أخذ الدية، ثم عاد وقتل الجاني».

[١٧٩] ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾:

﴿وَلَكُمْ﴾: خاصة أيها المسلمون في الإسلام ثلاث شرائع: العفو، أو



القصاص، أو الدية، فالدية: غير مشروعة عند اليهود، فعندهم النفس بالنفس، والدية هي المشروعة عند النصارى فقط، أما في الإسلام: فله إحدى الاختيارات. ﴿الْقَصَاصِ﴾: كما قلنا: أن يفعل بالقاتل «أو الجاني» مثل ما فعل بالمقتول «أو المجني عليه»، فالعقوبة في القصاص تكون من جنس الجريمة، أو أن يُعفى عن القاتل، أو أن يدفع الدية، فالقصاص تعتبر عقوبة مقررة لأجل صون حق الآدمي، أو البشر. فالقصاص شُرِعَ للحفاظ على حياة الفرد والمجتمع معاً.

وأما الحدود: فهي تعتبر عقوبة مقررة لأجل صون حق الله بسبب عصيان أمر شرعي، والحدود: هي حد السرقة، والزنى، والقذف، والرّدة، وشرب الخمر، والحراقة، والعقوبة في الحدود لا تكون من نفس الجريمة، فالحدود «ليس لولي الأمر أو لولي القاتل تدخل فيها».

وعقوبة الحدود: هي إقامة الحد، مثل: الجلد، أو الرّجم، أو التعزير، أو قطع اليد، فحين يعلم القاتل «الجاني» أنه سوف يُقتل إذا قام بفعل القتل؛ فقد تمنعه هذه العقوبة «والتي نسميها القصاص»، من أن يقتل غيره، وعندها بهذا الردع يكون قد صان حياتين حياته، وحياة الذي يريد قتله.

وجاء بكلمة حياة نكرة، ولها معانٍ كثيرة، نذكر منها:

أولاً: حياة للمجتمع بتوافر الأمن، والسلام، وعدم فقدان أفراد بالقتل.

ثانياً: حياة في الآخرة للقاتل إذا استسلم لحكم الله، واقتصر منه بقتله في الدنيا؛ أي: سلامته من القصاص في الآخرة.

ثالثاً: حياة؛ أي: القصاص سبب حياة نفسين القاتل والمقتول؛ لأنه لم تتم عملية القتل بسبب الردع بالخوف من القصاص.

رابعاً: حياة سبب دفع الدية لولي القاتل، توفر له معيشة أفضل، وأفضل ما قيل في معنى هذه: (القتل أنفى للقتل)، ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَبِ﴾ [البقرة: ١٧٩]، كلام في غاية البلاغة والإيجاز.

﴿يَتَأُولَى الْأَلْبَبِ﴾: جمع لب، قيل: هو باطن العقل، أو صفوة العقل، أو ما زكى من العقل، فكل صاحب لب له عقل، وليس كل صاحب عقل له لب، والألباب: من اللب، وليس القشرة؛ أي: لب الأشياء وليس ظواهر الأشياء.

فكلمة أولي الألباب تعني: الصفوة من المؤمنين ذوي العقول النيرة، الحكماء، والعلماء؛ الذين هم أبعد نظراً، وأعمق فكراً في الأمور والآيات، فيجدوا الحكمة والفائدة فيما شرع الله، فيزدادوا هدىً وإيماناً وقرباً من الله. ارجع إلى الآية (١٩٧) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لها معاني كثيرة منها: لعلكم: لعل للتعليل؛ أي: تتقون الله؛ أي: عذاب الله وانتقامه، تتقون النار: بتجنبكم المعاصي، والقتل، تصلون إلى منزلة التقوى، أو تعملون عمل أهل التقوى، تتقون الدماء، وقتل الأرواح البريئة.

[١٨٠] ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾: ارجع إلى الآية (١٧٨).

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية متضمنة معنى الشرط، وفيها معنى الحتمية «حتمية الحدوث أو كثرته»؛ لأنها جاءت في سياق الموت، والموت أمر حتمي لكل إنسان؛ لذلك استعمل إذا.

﴿حَضَرَ﴾: فيها معنى شدة القرب، قرب الموت يحضر فجأة، وفيها معنى المجيء مع المكث، والبقاء، ولو فترة قبل أن تخرج الروح «مرحلة الاحتضار». ﴿أَحَدَكُمْ أَلَمَوْتُ﴾: قَدَّمَ أَحَدَكُمْ «أي: المفعول» على الفاعل «وهو الموت» ليراعي شعور الإنسان بكراهية الموت «ولذلك أَّخر الموت»، ولتجنب عنصر المفاجأة، والمكروه للنفس وهو الموت.

﴿إِنْ﴾: شرطية: تستعمل للأمر النادرة، أو المحتملة الحدوث، فقد يترك الإنسان ثروة بعد موته، وقد لا يترك.

﴿تَرَكَ خَيْرًا﴾: أي: مالا بعد موته، أو غير المال.

﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾: الوصية على شرط ألا تتجاوز الثلث، للوالدين والأقربين «اللام لام الاستحقاق»، ومن العلماء من قال: نزلت هذه الآية قبل آية تشريع الميراث التي حدد فيها نصيب الوالدين بالثلث، أو السدس، فقد كان الناس يعطون كل ميراثهم لأولادهم، ويحرمون الوالدين، والأقربين، ولذلك جاءت هذه الآية لتمنعهم من الحرمان، وكذلك فيما لو كان الوالدين من الكفار يحق له يوصي بشيء من المال لهما، وحدود الوصية كما قلنا الثلث، والباقي للورثة، مع العلم بأنه لا وصية لوارث، وقال ابن عباس: المنسوخ هو وجوب الوصية للوارثين منهم «الآباء أو الأقربين»، وبقي الوجوب في حق من لا يرث منهم.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: يعني: بالعدل، وأن لا تتجاوز الوصية الثلث، ولا يوصي لغني، ويترك الفقير من أقاربه.

﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: من باب الفرض، أو الواجب.

[١٨١] ﴿فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنَّهُ إِنَّمَا عَلَى الَّذِينَ يَبْدِلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

كانت الوصية في البداية لا تكتب، بل بالسَّماع، فإذا سمع الوصية أحد من الشُّهود، ثم غير، أو بدل في الوصية؛ فالإثم والذنب يقع عليه، والموصي لا ذنب عليه، وكذلك لا ذنب على الموصي له، والتبديل الذي فيه إثم هو تبديل الهوى، والباطل الذي ليس فيه دليل.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: ﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، لقول الموصين ولقول المبدلين لا تخفى عليه خافية في الأرض، ولا في السماء.

﴿عَلِيمٌ﴾: يعلم بما تكن صدورهم، وما يعلنون إنه عليهم بذات الصدور، وعليم بما يعملون، من أقوال وأفعال، ويعلم ما في السموات وما في الأرض، وعليم: صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم.





سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢

الْبَقَرَةُ

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾



سورة البقرة [الآيات ١٨٢ - ١٨٦]

[١٨٢] ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: عاطفة، من: شرطية.

﴿خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا﴾: ﴿خَافَ﴾: من الخوف، وهو توقع الضرر، خاف: علم، أو توقع من صاحب الوصية ﴿جَنَفًا﴾: ميلاً عن الحق والعدل خطأ من دون تعمد، أو ﴿إِثْمًا﴾: ميلاً عن الحق، والعدل تعمداً بأن زاد عن الثلث، أو أوصى بأمواله إلى أحد أفراد عائلته؛ الذين يرثون، أو أعطى من لا يستحق، وقالوا: الجور محصور في مخالفة النص الشرعي، والجنف: الظلم الناتج عن شهوة، أو حب، والحيف إذا مال الحاكم إلى أحد الطرفين.

﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾: أي: قام بتعديل الوصية التي كانت مخالفة للشرع، أو بدل الباطل بالحق.

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: الفاء للتأكيد، لا: النافية للجنس، ﴿إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: لا ذنب عليه، ولا حرج. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٣٣) للبيان.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: ﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لمن بدل الوصية للإصلاح. ارجع إلى الآية (١٧٣) من سورة البقرة لمزيد من البيان.



[١٨٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَنَقُّونَ﴾:

نداء جديد من الله للذين آمنوا «والهاء لزيادة التنبيه» بأمر تكليفي جديد وهو الصيام.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾: فرض، وكتب فيها تأكيد أشد من فرض، وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة، كتب عليكم؛ أي: شرع لكم أيها الذين آمنوا، فهو لم يشرعه إلا لمن آمن، ولم يكتبه على الكافر، ولم يكتب على الكافر؛ أي: تكاليف؛ لأن التكليف الإيمان لا يكلفه الله إلا لمن آمن، ولذلك قال: كُتِبَ عليكم بالبناء للمجهول، ولم يقل: كتبت عليكم، وعليكم تفيد العلو والمشقة. ارجع إلى الآية (١٧٨) من نفس السورة للبيان.

﴿الصِّيَامُ﴾: لغة: من صام يصوم؛ أي: أمسك؛ كقوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾.

شرعاً: هو التعبد لله سبحانه بالإمساك عن الأكل والشرب والفرج من الفجر حتى الغروب.

﴿الصِّيَامُ﴾: ولم يقل الصَّوم؛ لأن الصَّوم في القرآن؛ يعني: الصَّوم عن الكلام «أي: الصَّمت» كقوله: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ «وهذا من خصائص دقائق لغة القرآن».

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: كما: الكاف للتشبيه؛ أي: كما كتبنا عليكم حكم الصيام في وصفته لا في كيفيته وعدده، كتبنا على الذين من قبلكم: إما من لدن آدم؛ أي: على الأمم السابقة، وإما من قبلكم، تعني اليهود والنصارى.

وقوله: ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: لها معان كثيرة: أي: لكونها عبادة عظيمة فرضت على كل الأمم، أو فيها معنى التّغيب، فالذين من قبلكم صاموا، فأنتم أحق بالصّيام منهم، ونيل الثّواب، والأجر، وكذلك فيها معنى التّطمين؛ أي: لا تقولوا لن نقدر، أو نستطيع الصّيام، فمن جاء قبلكم فعلوا ذلك واستطاعوا.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل للتعليل، لعلكم إن صمتم تصبحوا من بين المتقين الذين يطيعون أوامر الله، ويجتنبون نواهيه، فبذلك تتقوا الله سبحانه «تتقوا غضبه وعقابه»، وتتقوا النار.

[١٨٤] ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: ﴿أَيَّامًا﴾: جمع يوم، واليوم في القرآن يعني: من طلوع الفجر إلى غروب الشّمس، ولا يعني: (٢٤) ساعة.

﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾: جمع قلة، مقارنة بمعدودة جمع كثرة، والمعدودات في اللغة عشرة أو أقل، وأما أياماً معدودة تدل على أكثر من عشرة.

و﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾: هي صفة «في الإعراب» لـ (أياماً)، واتباعاً لهذه القاعدة كان من المفروض القول أياماً معدودة؛ لأنها تعادل (٢٩-٣٠) يوماً، وجاء بصيغة القلة: هذا ضرب من البلاغة كي يهون على الصّائم، ولا يظن أنها شاقة، وكثيرة، بل هي قليلة ويسيرة ويجوز تنزيل القلة منزلة الكثرة، أو بالعكس للبلاغة.

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾: ﴿فَمَنْ﴾: الفاء:



عاطفة، ﴿مَنْ﴾: شرطية؛ أي: فمن كان منكم مريضاً فأفطر، أو على سفر فأفطر فعدة من أيام آخر.

﴿كَانَ مِنْكُمْ﴾: خاصة مريضاً، واختلف في المرض المباح للإفطار منهم من قال: كل مرض، ومنهم من قال: المرض الذي فيه مشقة، ويتضرر المريض، أو على سفر يشق معه الصيام، فيباح له الإفطار.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾: ﴿وَعَلَى﴾: تعني: العلو والمشقة.

﴿الَّذِينَ﴾: تعني: الكبير الهرم، والمريض مرضاً لا يرجئ شفاؤه.

﴿يُطِيقُونَهُ﴾: اختلف العلماء في تفسيرها على ما يلي:

منهم من قال: يطيقونه تعني: يتحملونه من دون مشقة، أو ضررهم مخيرين بين الصيام، أو الإفطار مع دفع الفدية، وهي طعام مسكين إذا أفطروا.

ومنهم من قال: يطيقونه يطيق الصيام بمشقة، وضرر، أو كلفة؛ كالشيخ الكبير، والمريض مرضاً مزمناً، فله حق الإفطار مع دفع الفدية، وهي طعام مسكين.

﴿يُطِيقُونَهُ﴾: مشتقة من الطاقة؛ لأن الطاقة تعني: تحمل الشيء بمشقة، وشدة، وعليه يكون المعنى يتحملونه بجهد شديد، والأرجح: هو القول الثاني.

﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾: الفدية هي إطعام مسكين عن كل يوم أفطر فيه من أوسط ما يطعم أهله «أكلة واحدة».

﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: ﴿فَمَنْ﴾: الفاء: عاطفة، من: شرطية.

﴿تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: التطوع الزيادة على القدر المذكور في الفدية «الزيادة على ما هو مفروض»؛ أي: بدلاً من إطعام مسكين واحد أطعم اثنين، أو أكثر، وهكذا له زيادة في الثواب.

﴿فَهُوَ﴾: الفاء للتوكيد، هو: ضمير منفصل يفيد التوكيد، وأن: مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

﴿تَصُومُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾: أفضل، فيه تأكيد على فوائد الصيام الكثيرة.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد القلة، أو الندرة.

﴿كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أن الصيام خير لكم، وليس فيه ضرر، أو مشقة فصوموا تلك الأيام.

[١٨٥] ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

قبل البدء في تفسير هذه الآية يجب الانتباه: أن هناك من المفسرين من يعتقد أن تشريع الصيام جاء على مرحلتين:

المرحلة الأولى: المرحلة المكية التي تمتد إلى السنة الثانية للهجرة «أو المرحلة المكية + بداية الهجرة»، والتي تتمثل في الآية (١٨٤)، ويعتقدون أن تفسير (أياماً معدودات) هي الأيام الثلاثة من كل شهر (١٣-١٤-١٥)، ويوم عاشوراء، وأن الصيام في تلك المرحلة كان باختيار؛ أي: يحق للمسلم أن يصوم،



أو أن يفطر، ويفدي بإطعام مسكين؛ حتى اعتاد المسلمون على الصيام فجاء قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، كما سنرى.

المرحلة الثانية: كانت بعد فرض الصيام من السنة الثانية للهجرة حتى يومنا هذا، وتتمثل هذه المرحلة في الآية (١٨٥)، وهذا يفسر لماذا تكرر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَنْكَارٍ أُخَرَ﴾ في كلا الآيتين.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾: كلمة رمضان مشتقة من رمض، ورمض الإنسان؛ أي: حر جوفه من شدة العطش، والرمض: هي الحجارة المحماة، والرمض: الاحتراق. ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول فيه معنى المدح والتعظيم.

﴿أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾: أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وفي ليلة القدر لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، ثم نزل منجماً «مفرقاً» على قلب رسول الله ﷺ، على مدى (٢٣) عاماً.

الفرق بين أنزل ونزل: أنزل: تعني: دفعة واحدة، أما نزل فتعني: منجماً على دفعات كثيرة، وأنزل فيه: فيه تعود على الشهر كله رغم أنه أنزل في ليلة القدر، قال فيه تعظيماً لكامل الشهر، وأنزل فيه: قد تعني: أن القرآن ابتدئ بنزوله، فيه ظرفية تعود على رمضان.

﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾: مصدر هداية هادياً للغاية، وهي سعادة الدارين.

﴿هُدًى﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ للتهويل، والتعظيم لكل أنواع الهداية التي يتصورها الإنسان.

﴿النَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص، الناس: ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة للبيان.

﴿وَبَيَّنْتَ مِنَ الْهُدَى﴾: بينات: جمع بينة من بان، وبان الشيء أظهره، واتضح، وقيل: البينة: إظهار المعنى للنفس؛ أي: جملة من البينات؛ أي: الأحكام، فالقرآن نفسه هدى مصدر هداية للناس كافة، ويتضمن بينات آيات، وأحكام لهداية الناس، وفيها عطف الخاص على العام؛ للتوكيد على أهمية الأحكام التي جاءت في القرآن.

﴿وَالْفُرْقَانِ﴾: ما يفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام، والهدى والضلال، وإذا كان القرآن هو الهدى، فالفرقان صفة للقرآن.

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾: ﴿فَمَنْ﴾: الفاء: عاطفة، من: شرطية.

﴿شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾: كان شاهداً؛ «أي: حاضراً مقيماً غير مسافر»، فليصم فيه، ولا يفطر، وكان غير مريض، وكان غير مسافر، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر.

﴿مِنْكُمُ﴾: أي: منكم خاصة؛ أي: من المسلمين، ولو لم يأت بكلمة منكم؛ لكان الخطاب موجه إلى كل إنسان، ويجب عليه الصيام.

﴿الشَّهْرَ﴾: رمضان. ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾: الفاء: للمباشرة والتعقيب.

﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾: انتبه: لم يقل منكم كما في الآية السابقة؛ لأنه سبق وقال: فمن شهد منكم الشهر، فلم يكررها لعدم الحاجة؛ أي: من كان مريضاً، أو على سفر؛ فأفطر بعذر شرعي مقبول فعليه قضاء العدة بعد العودة إلى بلاده، أو الشفاء من ذلك المرض، انتبه إلى حذف



منكم بعد قوله: ومن كان مريضاً، أو على سفر، ولم يقل منكم مرة ثانية... حيث قال: فمن شهد منكم الشهر فليصمه، فاكتفى بذلك.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾: اليسر: السهولة، وعدم التشديد، العسر: المشقة، والضيق.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ﴾: الباء: للإلصاق. ﴿الْيُسْرَ﴾: من يُيسح لكم الإفطار في المرض، والسفر، وتكرار كلمة يُريد مرتين يدل على التوكيد، توكيد الإرادة باليسر، ولنفي الإرادة بالعسر.

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾: الواو: عاطفة، واللام في لتكملوا: لام التعليل، والتوكيد؛ كأنه يقول: يُريد الله بكم اليسر، ويريد بكم أن تكملوا العدة عدة الشهر (٢٩-٣٠) يوماً، ولتكملوا العدة: بقضاء ما أفطرت في مرضكم، أو سفركم.

﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَنَكُمْ﴾: واللام لتكبروا؛ للتعليل، والتوكيد، وتكبروا؛ أي: تقولوا: الله أكبر، الله أكبر، وتبدأ عند إتمام صيام رمضان؛ أي: تبدأ من رؤية هلال العيد إلى القيام إلى صلاة العيد.

﴿عَلَى مَا هَدَنَكُمْ﴾: ما: اسم موصول؛ أي: الذي هداكم، أو مصدرية على هدايته لكم.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾: لعل للتعليل لعلكم تشكروا على التيسير، وإباحة الإفطار في المرض، والسفر، أو تشكروا على مساعدتكم لإتمام صيام شهر رمضان، ونيل ثواب الصيام، أو تشكروا أن هداكم لصيام شهر رمضان، وإنزال القرآن. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠) لمزيد من البيان.

[١٨٦] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾:

المناسبة: انتبه إلى أهمية وقوع هذه الآية في منتصف آيات الصيام:

جاء ليذكر المؤمن بأهمية الدعاء في رمضان، وأثناء الصيام، وبعد الصلوات، وفي صلاة الوتر، وعند الإفطار، ووقت السحر، وعند إكمال العدة، ولأن دعوة الصائم لا ترد.

﴿وَإِذَا﴾: الواو: عاطفة، إذا: ظرفية شرطية تدل على حتمية حدوث الأمر التي جاءت في سياقه كثرة حدوثه، وهو الدعاء، ولم يقل: وإن سألك عبادي، إن: تدل على الاحتمال والندرة.

﴿سَأَلَكَ﴾: يا محمد ﷺ أي: سؤال في شأني، أو حاجة، روي أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ: «أقرب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه» أخرجه الطبري، والدارقطني.

﴿عِبَادِي﴾: الناس ثلاثة أقسام: عبيد، وعبادي، وعباد، كلهم عبيد لله في الدنيا، ومن هؤلاء العبيد من يصبح مؤمناً مطيعاً لله ورسوله، فيرتقي بذلك من درجة العبيد إلى عبادي، ومن هؤلاء العدد الكبير «عبادي»، من يرتقي إلى درجة أعلى من عبادي إلى درجة عباد، وهم قلة وصفوة الناس، أمثلة: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣]، ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧٩].

فكلمة عبيد: تشمل الكافر، والمؤمن. وكلمة عبادي: أفضل وأعلى درجة



من عبيد؛ أي: الذين اختاروا أن يكونوا عباداً لله تعالى، وكلمة عباد: أفضل وأعلى درجة من عبادي هم الصفوة.

أما في الآخرة: فالكل يصبح عباد؛ لأنه ليس هناك تكليف، أو عبادة، فالكل مطيع، ولا يعصي.

﴿عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾: الفاء في فإني تفيد المباشرة، والتعقيب؛ أي: بمجرد رفع صوتهم فإني أسمعهم، فالقرب هنا ليس قرب مكان، ولكن قريب بعلمه، فهذا يدل على سمعه، وكرمه، واستجابته، فهو يعلم أحوالنا، ويسمع أقوالنا، ويرى أعمالنا، فهو قريب، بل أقرب من حبل الوريد، ولم يقل: فقل لهم إني قريب؛ أي: من دون قل، أو: فقل لهم؛ لأنها تبعد، أو تفصل القرب من الرب، فلذلك حذفها؛ لتكون وسيلة الاتصال مباشرة بين العبد وربّه، ومن دون تدخل الرسول ﷺ.

﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾: أجيب، وقيل: بمعنى اسمع دعوة الدّاع، أو دعاء الدّاع، إذا دعان، أجيب: أعطي السّائل سؤاله، وإذا كان الدّعاء؛ يعني: العبادة؛ أي: أقبل عبادة من عبدني، وقدّم الإجابة على الشرط بدلاً من أن يقول: إذا دعان الدّاع أجيبه، أو أستجيب له للاهتمام، والإجابة من الله تعني: القبول، والإجابة من العبد تعني: الطّاعة، والعبادة، والإيمان.

﴿إِذَا﴾: شرطية، تستعمل للأمر الواقعة لا محالة، والكثيرة الحدوث.

﴿دَعَانِ﴾: ولم يقل: دعاني «بالياء»، وحذف الياء؛ ليقصر الكلمة؛ لتدل على مجرد ما يبدأ بالدّعاء أجيبه، أو تبدأ الاستجابة، فليس هناك فاصل زمني، وقد تعني دعان بدعاء واحد لأمر واحد، أو أمور متعددة أدعية مختلفة، أو دعان

لثوان فقط، دعاء قصير جداً، أو أطل الدعاء «ذو دعاء عريض»، أجيب دعوة الدّاع إذا دعان إذا كانت الإجابة خيراً له، وأجيبه إن لم يسأل مُحالاً، وما لم يدع بإثم، أو قطيعة رحم، وما لم يستعجل بالإجابة، وما لم يتغذّ بالحرام، وفي الآية حثٌّ وحضٌّ على الدعاء، خاصة في شهر رمضان الفضيل.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا إِلَىٰ وَلِيّوْمُنُوإِي﴾: الفاء: في فليستجيبوا لي: تدل على المباشرة والتّعقيب؛ أي: ليستجيبوا لي بسرعة، ومن دون تردد مباشرة، واللام: لام التعليل، والأمر فليستجيبوا لي بالطّاعة، والإيمان، والدّعاء، والعبادة.

﴿لِي﴾: لي لوحدي بإخلاص، ﴿وَلِيّوْمُنُوإِي﴾: اللام: لام الأمر، والتعليل؛ أي: يداوموا على الإيمان بي، ويستمروا على ذلك.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: لعل: للتعليل؛ يرشدون: من الرّشد: بفتح الراء، ويعني: الصّلاح في أمور الدين؛ أي: ليرشدوا؛ أي: يهتدوا إلى الصّراط المستقيم، والحق والاستعداد للآخرة، ويرشدون تعني: الاستقامة على الدّين أيضاً، والبعد عن طريق الغي والضلال، وأما الرّشد: بضم الراء يعني: الصّلاح في الأمور الدنيوية والأخروية، والرّشد: أعم من الرّشد. ارجع إلى سورة النّساء، آية (٦).





سورة التوبة ٢

المعنى الثاني

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُمْ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ وَلَا تَبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾





سورة البقرة [الآيات ١٨٧ - ١٩٠]

[١٨٧] ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُمْ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْاِيلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَنْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

سبب نزول هذه الآية: في بداية الإسلام كان الصيام يمتد من وقت العشاء إلى غروب الشمس، من الليلة القادمة، وكان يباح للمسلمين الأكل والشرب والجماع من المغرب إلى وقت العشاء؛ أي: أقل من ساعتين، وكانوا يجدون مشقة كبيرة، وخرج في قصر مدة الإباحة، فكان الناس يشكون إلى رسول الله ﷺ حتى نزلت هذه الآية، فأصبحت فترة الإباحة للطعام والشراب والجماع من وقت المغرب إلى وقت الفجر.

﴿الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾: الرفث في الأصل: الفحش من القول، أو الكلام عن الجماع، واستعمل الرفث كناية عن الجماع من دخول وقت المغرب إلى وقت الفجر.

واستعملت كلمة الرفث في موطني عبادة فقط الصيام والحج، هذه الآية،



والآية (١٩٧) من سورة البقرة: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾.

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِهِنَّ﴾: فيها تشبيه كل واحد من الزوجين باللباس، فالزوج لباس لزوجته، والزوجة لباس لزوجها، فالزوج يستر عورة زوجته، والزوجة تستر عورة زوجها، فكل واحد سائر للآخر عن الحرام، والزنى، وهذا التشبيه مأخوذ من حالة اجتماعهما تحت غطاء واحد، واللباس: هو الثوب الداخلي الذي يستر السوء.

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾: ﴿تَخْتَانُونَ﴾: من الخيانة؛ أي: عدم أداء الأمانة: تخونون أنفسكم بارتكاب ما حرم الله عليكم من الجماع وقت الصيام، والخيانة سببها قصر وقت الإفطار، تختانون أنفسكم، ولم يقل: تختانون نفوسكم: أنفسكم؛ أي: بعض الأنفس قامت بالخيانة، ونفوسكم تعني كل النفوس.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾: ﴿فَتَابَ﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب، تاب عليكم: شرع لكم التوبة أولاً، فتوبوا ثانياً، ثم يقبل منكم توبتكم التوبة ثالثاً، ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾: العفو هو ترك العقوبة عن الذنب؛ أي: لا يعاقبكم على هذه الخيانة.

﴿فَأَنْتَنَ بَشَرُهُنَّ﴾: المباشرة تعني: الجماع.

﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: الآن بعد نزول هذه الآية التمسوا ما كتب لكم: مما يقع دون الجماع بين الزوجين، أو ما كتب الله لكم من الولد، أو

ليلة القدر؛ أي: لا يشغلكم الرّفث عن ابتغاء ما كتب الله لكم من ليلة القدر والاعتكاف، أو أعمال البر، والتّقوى، وقراءة القرآن والتراويح، وما كتب لكم: أي: فرض لكم من الإباحة.

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾: لم يقتصر الترخيص الرباني بالسّماح بالرّفث فقط، بل شمل كذلك الأكل والشّرب حتّى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، لا يعني ذلك أن نأتي بخيط أسود، وأبيض، وننظر إليهما، ومتى يتبين الخيط الأبيض من الأسود فتتوقف عن الأكل والشرب والجماع.

وإنما المقصود بالخيط الأبيض هو علامة ظهور الشفق الأحمر، أو الطيف الأحمر الذي هو أطول ألوان الطيف المرئي المتكون من سبعة ألوان، وهي: الأحمر، والأصفر، والأخضر، والأزرق، والبرتقالي، والنيلي، والبنفسجي، فظهور الشفق الأحمر، أو الطيف الأحمر. هذا يدل على دخول وقت الفجر، ولكن من الصعب تحريه، أو إدراكه فأبدله الله ﷻ بظهور النور الأبيض (الخيط الأبيض) الذي هو ناتج عن وقوع أو امتزاج ألوان الطيف السبعة بالطبقة الغازية المحيطة بالأرض (الطبقة المضئية) مما يعطينا هذا النور الأبيض الدال على دخول الفجر؛ أي: أول ما يتبين من بياض النهار.

والخيط الأسود: ما يبقى من سواد الليل؛ كأنه خيط محدود رقيق يتشرب؛ أي: يتبين لكم بياض النهار من سواد الليل، ثم: لا تفيد التراخي في الزمن، وإنما لتباين الفضل بين الأكل والشرب، وفضل الصّيام.



﴿اتِمُوا الصَّيَامَ إِلَى الْآيِلِ﴾: أي: أتموا الصيام من الفجر ﴿إِلَى الْآيِلِ﴾: أي: غروب الشمس.

﴿وَلَا تَبْشِرُوهُمْ﴾ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ ﴿: ﴿وَلَا﴾: لا: الناهية.

﴿تَبْشِرُوهُمْ﴾: كناية عن الجماع، أو الرفث، وتعني: التقاء البشريتين.

﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾: في زمن الاعتكاف من عكف على الشيء؛ أي: لزم الشيء، وداوم عليه، والاعتكاف: سنة، ويعني: لزوم المسجد للعبادة، وطاعة الله، وخاصة في العشر الأواخر من رمضان.

﴿فِي الْمَسْجِدِ﴾: جمع مسجد، والمسجد المكان الذي تقام فيه الصلوات الخمس، وللاعتكاف أحكامه. ارجع إلى كتب السنة، فالمعتكف لا يحل له أمر الجماع، ولا ما يتصل بالجماع، حتى يخرج من اعتكافه، فالجماع يبطل الاعتكاف.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾: ﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد، وتشير إلى حرمة الأكل والشرب، والجماع وقت الصيام.

﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾: جمع حد، والحد هو الفاصل المانع، والحدود: تشمل المحارم، أو ما أحله الله من الأحكام، فإذا كانت الحدود تعني محارم الله يحذر عندها الله بقوله: ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾، وإذا كانت تعني ما أحله الله يحذر عندها الله سبحانه بقوله: ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾، وقوله: ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾: لا: الناهية، ﴿تَقْرُبُوهَا﴾: أي: اجتنبوها، والنهي عن الاقتراب أشد وأبلغ من النهي عن التحريم.



﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾: أي: كما بين آيات الصَّيام مثل ذلك يبين سائر آياته الأخرى في العبادات، آياته، ولم يقل الآيات، إضافة الآيات إليه تفيد التشريف، والتعظيم لهذه الآيات.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أي: خاصة بالناس. ارجع إلى الآية (٢١) للبيان.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: لعل: للتعليل، ﴿يَتَّقُونَ﴾: ارجع إلى الآية (١٨٣) من سورة البقرة للبيان.

[١٨٨] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِإِثْمٍ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾: الواو: استئنافية، ﴿وَلَا﴾: الناهية، ﴿تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾: أي: لا تأخذوها، والأكل هنا معناه الأخذ والاستيلاء عليها من دون حق، ولماذا استعمل لا تأكلوها بدلاً من لا تأخذوها؛ لأنَّ عملية الأخذ عندهم أصبحت متكررة كعملية الأكل المتكررة ثلاث مرات باليوم، أو أكثر، وعدم الشَّبع الذي يقابله الجشع والطَّمع.

﴿بَيْنَكُمْ﴾: الخطاب موجه إلى الجميع بلا استثناء.

﴿بِالْبَاطِلِ﴾: هو كل ما لم يُبيح الشَّرع أخذه، أو أكله، وإن طابت به النَّفس، والباطل هو الزَّائل الذي لا يدوم كالرِّبَا، والميسر، وثمرن الخمر، والرَّشوة، وشهادة الزَّور، واليمين الكاذبة، والسَّرقة، والخيانة، والغش والغصب، وأكل مال اليتيم، والباء: للإلصاق، باء السَّببية؛ أي: لا يأخذ، أو يأكل بعضكم مال



بعض، وفي قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾: تعني أيضاً: لا تأكلوها أنتم، ولا تدخلوها في بطون من تعولون.

﴿وَتَدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾: تدلوا: مأخوذة من أدلى دلوه ليملاها بالماء من البئر؛ أي: أنزل الدلو، ودلوته تعني: إذا أخرجتها، والحبل الذي يعلق به الدلو يسمى الرشاء، والرشوة مأخوذة من الرشاء: لترشوههم بها؛ لكي يقضوا لكم بالباطل؛ لتأكلوا أموال الناس بالباطل. وقيل: هذه هي آية الرشوة في القرآن.

تدلوا بها: ترجع إلى الأموال والخصومات، وما تدلون به من الحجج الباطلة في المحاكم ودور القضاء، إلى الحكام الذين يشرعون الأحكام الوضيعة، والقوانين المادية، ويتركون شرع الله، والحكام الذين يقبلون أخذ الرشوى مثل القضاء، وولاة الأمور، ومن يعملون في محاكم الدولة، ومديرو الدوائر، تدلوا بها إلى الحكام ليقضوا لكم بالباطل، والظلم، والحيث.

﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: ﴿لِتَأْكُلُوا﴾: اللام: لام التعليل، أو التوكيد؛ أي: ليأخذوا، ﴿فَرِيقًا﴾: قسماً، أو شيئاً من أموال الناس. ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة للبيان.

﴿بِالْإِثْمِ﴾: أي: بالظلم وشهادة الزور، واليمين الكاذبة، والإثم: الجرم كائن ما كان، والإثم (الذنب العظيم)، والباء: للإلصاق؛ تعني: عمداً. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٣٣) للبيان.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنكم آثمون، وهذه مبالغة في الجرأة، والمعصية على

الإثم، وعلى الباطل، أو أنكم تعلمون حرمة هذه الأمور، ومع ذلك تقوموا بها،
انتبه لتأكلوا الأولى بالباطل، والثانية بالإثم، وتفيد التوكيد في الحرمة.

[١٨٩] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا
الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾:

سبب النزول: قال ابن عباس ؓ: نزلت هذه الآية في رجلين من الصحابة
قالا: يا رسول الله! ما بال الهلال يبدو ويطلع دقيقاً مثل الخيط، ثم يزيد حتى
يمتلئ ويستوي ويعظم، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان.

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: بصيغة المبني للمجهول، لا يهم من هم السائلين هنا، المهم
هو السؤال، وجاء بصيغة المضارع كأنهم يسألون الآن؛ لأهمية السؤال. ارجع
إلى الآية (٢١٥) من نفس السورة لمزيد من البيان عن معنى كلمة يسألونك.

﴿عَنِ الْأَهْلِ﴾: جمع هلال: وهو ما يبدو دقيقاً من حجم القمر في بداية
الشهر القمري، وسمي هلالاً؛ لأن الإنسان ساعة يراه يهل؛ أي: يرفع صوته
بالتهليل، بالقول: لا إله إلا الله.

الأهلة تعني: تغيرات حجم القمر خلال الشهر. ارجع إلى سورة ياسين آية
(٣٩) لبيان معنى الأهلة.

﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ: ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾:
جمع ميقات، مشتقة من الوقت؛ أي: الزمن، فبالأهلة يعرف الناس بدء الشهر،



ومتتصفه، وآخره، ورمضان، وموسم الحج، والأشهر الحرم، والهلال ميقات الشهر، والميقات ظرف زمان، أو ظرف مكان.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص، الناس: ارجع إلى الآية (٢١) لمزيد من البيان.

وبالنسبة للحج الميقات الزماني هو: الزمن الذي يُحرم فيه الحاج للحج والعمرة «الحج أشهر معلومات تبدأ من أول يوم عيد الفطر، والجمهور حددها بشهرين وعشرة أيام»، والميقات المكاني: الموقع، أو الأرض التي يحرم فيها الحاج للحج والعمرة، وقد حددها رسول الله ﷺ بخمس مواقيت، وهي مواضع الإحرام، كما في حديث الصحيحين، عن ابن عباس ؓ: «أن رسول الله ﷺ وقت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم، ولمن كان مقيماً بمكة ميقاته الحرم في الحج، أو الجعرانة، أو التنعيم في العمرة.

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾: السؤال هنا ما وجه الصلة في هذا الشطر من الآية وما قبلها، هم يسألون عن الأهلة، وأجابهم إلى ذلك فقال هي مواقيت للناس والحج، انتهى السؤال والجواب، قيل: هذا من باب الاستطراد في القرآن، أراد الله سبحانه أن يسألهم بالمقابل أو بالمناسبة لما تدخلون البيوت من ظهورها أيام الإحرام للحج.

وقال المفسرون: كان الناس في الجاهلية، وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل بستاناً، ولا بيتاً، ولا داراً من بابه، فإن كان

من أهل مكة نقب نقباً في ظهر بيته، منه يدخل ومنه يخرج، أو يتخذ سلماً فيصعد فيه، وإن كان من أهل الخيام خرج من خلف الخيمة والفسطاط، ولا يدخل من الباب، حتى يحل من إحرامه، ويرون ذلك ذمّاً، إلّا أن يكون من الحُمس: وهم قريش، وكنانة، وخزاعة، وثقيف، وخثعم، وبنو عامر بن صعصعة، وبنو النضير بن معاوية، سمّوا حمساً لشدتهم في دينهم.

قالوا: فدخل رسول الله ﷺ ذات يوم بيتاً لبعض الأنصار، فدخل رجل من الأنصار على إثره من الباب وهو محرم، فأنكروا عليه، فقال له رسول الله ﷺ: «لِمَ دخلت من الباب وأنت محرم؟»، فقال: رأيتك دخلت من الباب، فدخلت على إثرك، فقال رسول الله ﷺ: «إني أحمسي»، قال الرجل: إن كنت أحمسياً فإني أحمسي، ديننا واحد، رضيت بهديك وسمتك ودينك، فأنزل الله هذه الآية، رواه ابن أبي حاتم، والحاكم عن جابر.

الحُمس: جمع أحمس من الحماسة، وهي الشدة، والصّلابة؛ لتشدّدهم في الدين، فهم كانوا يظنون أنّ دخول البيوت من ظهورها هو من التقوى والطاعة والبر، وهو في الحقيقة من أعمال الجاهلية، فنزلت هذه الآية لتدلّهم على البر الحقيقي.

فقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرَّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾: ولكن ﴿الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾: أي: أطاع أوامر الله، واجتنب نواهيه، وعاد وأكد عليهم بدخول البيوت من أبوابها، قال: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: أي: أطيعوا الله بما أمر به ونهى عنه،



﴿لَعَلَّكُمْ﴾: للتعليل، ﴿تُفْلِحُوا﴾: أي: لتفلقوا في دنياكم وأخرتكم،
﴿تُفْلِحُوا﴾: ارجع إلى الآية (٥) من سورة البقرة.

ومما يلفت النظر قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾: جاءت كلمة البر مرفوعة
وجاءت مرفوعة؛ لأنها جاءت اسم ليس، أما في قوله: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ
قِيلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾: فالبر هنا خبر (ليس) المقدم المنصوب، وتفسير آخر ليس
البر: جاءت بالرفع؛ لأنهم يظنون أنهم يعرفون ما هو البر، وهم لا يعرفونه، أو
لفت الانتباه إلى أن ما يعملونه من دخول البيوت من ظهورها هو خطأ، والله
أعلم.

[١٩٠] ﴿وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمْ وَلَا تَقْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ﴾:

سبب نزول هذه الآية: قوله تعالى: ﴿وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية قال ابن
عباس ؓ فيما أخرجه الواحدي: نزلت هذه الآيات في صلح الحديبية، وذلك
أن رسول الله ﷺ لما صدَّ عن البيت هو وأصحابه، نحر الهدي بالحديبية، ثم
صالحه المشركون على أن يرجع عامه، ثم يأتي القابل، على أن يخلوا له مكة
ثلاثة أيام، فيطوف بالبيت ويفعل ما شاء، وصالحهم رسول الله ﷺ، فلما كان
العام المقبل، تجهَّز رسول الله ﷺ وأصحابه لعمره القضاء، وخافوا أن لا تفي
لهم قريش بذلك، وأن يصدّوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم، وكره أصحابه
قتالهم في الشهر الحرام في الحرم، فأنزل الله: ﴿وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ
يُقَتِّلُونَكُمْ﴾: يعني قريشاً.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: جاهدوا في سبيل الله لإعلاء كلمته ونصر دينه، من المفسرين من قال: أن هذه الآية هي أول آية نزلت في القتال بالمدينة المنورة، ومنهم من قال: أن أول آية هي قوله تعالى في سورة الحج الآية (٣٩): ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾، ثم نزلت آية: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦].

﴿الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمُ﴾: أي: في الأشهر الحرم، أو المسجد الحرام، أو غيرها، وأكد قتالهم بزيادة النون في كلمة يقاتلونكم فقط، فكان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتل ويكف عمن كف.

﴿وَلَا تَعْدُوا﴾: بابتداء القتال، أو المفاجأة، أو لا تعتدوا بقتال النساء، والشيوخ، والصبيان، والذين بينكم وبينهم عهد.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿لَا يُحِبُّ﴾: لا: النافية، المعتدين. ارجع إلى سورة الحج آية (٣٩) لبيان معنى الجهاد والقتال في سبيل الله والفرق بين الجهاد والقتال.





الْحَجُّ الْمَكِّيُّ

سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَاتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

سورة البقرة [الآيات ١٩١ - ١٩٦]

[١٩١] ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْقَهُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَتِّلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾:

﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْقَهُوهُمْ﴾: حيث ظرف مكان وزمان، واقتلوهم في أي مكان وزمان بشرط أن تفقهوهم: تستعمل في سياق الحرب أو القتال والمعاداة، وتفقهوهم: من ثقف الرجل؛ أي: تمكن منه حيث وجدته؛ أي: تجد العدو، وأنت متمكن على قتله، أو أسره، أو هزيمته فقد تجده وأنت غير قادر عليه، فهناك فرق بين حيث وجدتموهم «مجرد أن تجده سواء كنت قادراً عليه أم لا»، وبين ثقتموهم «تجده وأنت قادر على قتله وهزيمته»؛ إذن ثقتموهم: تستعمل في حال الحرب، أو قتال العدو، أو الخصومة؛ وجدتموهم: تستعمل في غير هذه الحالات. ارجع إلى سورة الحج آية (٣٩) لمعرفة معنى القتال والجهاد.

﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمُ﴾: أي: من مكة، وقد فعل بهم ذلك عام فتح مكة.

﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾: الفتنة: هنا تعني الشرك أي: ارتداد المؤمن إلى الشرك بسبب «الفتنة»؛ أي: اضطهادهم إياه أشد عليه من أن يقتل، وبقاؤهم على الشرك أعظم من قتلهم إياهم، والفتنة أي: الشرك أعظم من القتل في الحرم، والفتنة: لها معان أخرى مثل التشريد، والتزويج من الديار، والاضطهاد أشد من القتل.

﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَتِّلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ



الْكَافِرِينَ: ﴿وَلَا﴾: النَّاهِيَةُ، ﴿وَقَتْلُوهُمْ﴾: أَي: الْمَشْرُكِينَ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لِحَرَمَتِهِ، ﴿حَتَّى﴾: حَرْفُ غَايَةٍ وَنَهَايَةٍ، ﴿يُقَتِّلُوكُمْ فِيهِ﴾: أَي: إِذَا بَدَأُوا بِقِتَالِكُمْ وَاجْتَرَأُوا عَلَيْكُمْ، فَعِنْدَهَا عَلَيْكُمْ بِقِتَالِهِمْ، ﴿فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ كَذَلِكَ؛ أَي: مِثْلَ هَذَا الْقَتْلِ وَالْإِخْرَاجِ هُوَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ.

[١٩٢] ﴿فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الْفَاءُ: عَاطِفَةٌ، وَتَعْنِي: التَّرْتِيبَ وَالتَّعْقِيبَ وَالْمُبَاشَرَةَ، إِنَّ: شَرْطِيَّةٌ تَفِيدُ الْإِحْتِمَالَ، أَوْ الشَّكَّ «أَنْ يَنْتَهَوْا».

﴿أَنْهَوْا﴾: عَنِ الشَّرْكِ، وَالْكَفْرِ، وَالْفِتْنَةِ، وَقِتَالِكُمْ، وَأَسْلَمُوا.

﴿فَإِنْ﴾: الْفَاءُ، وَإِنْ: لِلتَّوَكِيدِ.

﴿اللَّهُ عَفُورٌ﴾: صِيغَةُ مَبَالِغَةٍ يَسْتُرُ ذُنُوبَهُمْ وَلَا يَفْضَحُهُمْ. ارْجِعْ إِلَى الْآيَةِ (١٧٣) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

﴿رَحِيمٌ﴾: لِأَنَّهُ يَعْفُو عَنْهُمْ وَيَغْفِرُ لَهُمْ. ارْجِعْ إِلَى الْآيَةِ (١٧٣) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

[١٩٣] ﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: الْفِتْنَةُ: هُنَا الشَّرْكَ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ، فَهَذِهِ الْآيَةُ تَأْمُرُ الْمُؤْمِنِينَ بِقِتَالِ الْمَشْرُكِينَ «كَفَارِ مَكَّةَ» حَتَّى لَا يَبْقَى فِي مَكَّةَ مَنْ يَضْطَهْدُ فِي دِينِهِ، وَيَتَعَرَّضُ لِلْفِتْنَةِ وَالتَّعْذِيبِ كَي يَرْتَدَّ عَنْ دِينِهِ، أَوْ مَنْ يَصُدُّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ أَي: الْإِسْلَامِ. ارْجِعْ إِلَى سُورَةِ الْحَجِّ آيَةِ (٣٩) لِبَيَانِ مَعْنَى الْقِتَالِ وَالْجِهَادِ.

﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾: فَلَا يُعْبَدُ غَيْرُهُ.

﴿فَإِنْ أَنْتَهُوَ فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: انتهوا عن الشرك، وأسلموا فلا عدوان؛
إلا على من اعتدى عليكم، وبقي على شركه وظلمه.

وإذا نظرنا إلى هذه الآية وقارناها بالآية (٣٩) من سورة الأنفال:
﴿وَقَتْلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوَ فَإِنَّ
اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: ترى الاختلاف هو زيادة كلمة (كلُّهُ) في الأنفال،
وحذفها في آية سورة البقرة، وهذا يعود إلى أن آية الأنفال تشمل قتال كل الكفار
«ولذلك زاد كلُّهُ» بينما آية البقرة محصورة في قتال كفار مكة فقط، وقد نزلت آية
البقرة أولاً في السنة الأولى من الهجرة، وحثت على قتال كفار مكة، ونزلت آية
الأنفال بعد آية البقرة بعد غزوة بدر وقتل كثير من صناديد قريش فحثت الآية على
قتال الكفار جميعاً، أما نهاية آية البقرة، فلا عدوان إلا على الظالمين ردّاً على قوله
سبحانه: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾: إذن فلا عدوان
إلا على الظالمين، أما نهاية آية الأنفال، ﴿فَإِنْ أَنْتَهُوَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ﴾ بعد اقتلاع الفتنة، فإن أسلموا كان خيراً، وإن لم يسلموا: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي
الدِّينِ﴾، ﴿اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[١٩٤] ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا
أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾:

المناسبة: أن النبي ﷺ أقبل هو وأصحابه، ومعهم الهدى معتمرين فصدهم
المشركون فصالحهم الرسول على أن يرجع عنهم، ثم يعودوا في العام القادم،
وهو صلح الحديبية، فلما رجع رسول الله مع أصحابه افتخر المشركون؛ إذ ردّوه
يوم الحديبية، ومنعوه من دخول مكة في ذلك العام، فأقصه الله منهم، وأدخله
مكة في الشهر الذي ردّوه فيه من العام المقبل.



﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾: أي: إذا قاتلوكم في الشهر الحرام «اسم جنس» يعني: الأشهر الحرم فقاتلوهم في الشهر الحرام، أو الأشهر الحرم والباء للإلصاق.

﴿وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ﴾: الحرمات جمع حرمة، والحرمة ما منع الشرع من القيام به، والقصاص بمعنى المساواة. ارجع إلى الآية (١٧٩) من سورة البقرة للبيان، فمن جرح جرح بمثل ما جرح به، ومن قتل قتل بمثل ما قتل به، وإذا صدوكم عن الدخول إلى المسجد الحرام في ذي القعدة من العام الماضي، فأنتم داخلون المسجد الحرام في ذي القعدة من العام المقبل.

﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾: فمن: الفاء: للتأكيد، من: شرطية، اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل «بمقدار وبنفس الطريقة» التي اعتدى بها عليكم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أي: أطيعوا أو امره، وتجنبوا نواهيه.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾: بالعون والنصر.

هذه الآية: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾: تشابه الآية: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦]، وكذلك الآية: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

[١٩٥] ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿وَأَنْفِقُوا﴾: من الإنفاق هو إخراج المال من الملك؛ فإن لم يملكه لا يعد إنفاقاً.



﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة، وإعزاز دينه يحتاج إلى الإعداد له بالمال والنفس، فلا بد من الإنفاق في سبيل الله «لشراء السلاح والعتاد والإنفاق على المحاربين وكل ما تحتاجه الحرب...».

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾: الباء: للإلصاق والتوكيد، بأيديكم أي: بأنفسكم، ذكر الجزء وإرادة الكل.

﴿إِلَى الْهَلَكَةِ﴾: إلى الموت والهلاك، أو العذاب بترك ما فرضه الله عليكم من فرائض مثل ترك الإنفاق في سبيل، أو ترك الجهاد، ضد العدو؛ مما يؤدي إلى نيل العدو منكم وإهلاككم، أو اليأس من رحمة الله، وقتل أنفسكم، ولا تعني عدم الجهر والصدع بالحق في وجه الحاكم الظالم.

﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: أحسنوا من الإحسان في العمل والتفقة كما وكيفاً. ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، ﴿يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: الذين أصبحت صفة الإحسان عندهم ثابتة.

[١٩٦] ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ ۖ فَغَدِيَّةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۖ فَإِذَا أَمِنْتُمْ ۖ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۚ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:

مقدمة: كان الحج معروفاً منذ زمن إبراهيم عليه السلام، وبقي في عهد كل الأنبياء من بعده، وكان الحج مشوباً بأعمال الشرك والبدع، وانتبه إلى أن هذه الآية: ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾: نزلت في السنة السادسة من الهجرة، وفيها معنى الإتمام



إذا شرع في القيام بالحج والعمرة سابقاً، ويحب الإتمام، ولكن هذا الشروع في الحج والعمرة لم يُبين، أو تعني عليكم بأداء الحج والعمرة، والإتيان بالأركان والشروط كاملة والمناسك، كما سنرى.

ولما نزلت الآية: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾: في السنة التاسعة من الهجرة دلت على فرض الحج ووجوبه، ولم يبادر رسول الله ﷺ في الحج في السنة التاسعة «سنة نزول هذه الآية»؛ لأن المشركين كانوا لا يزالون يحجون في ذلك العام، وكانوا يطوفون عراة، كما سنرى في سورة الأنفال الآية (٣٥).

ولذلك أمر رسول الله ﷺ أبا بكر، وعلياً بالذهاب في ذلك العام، وإنذار المشركين بأنهم لن يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا أي: العام التاسع، كما جاء في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٧].

﴿الْحَجَّ﴾: في اللغة القصد، وفي الشرع: التعبد لله ﷻ بأداء المناسك على ما جاء في سنة رسول الله ﷺ.

﴿وَالْعُمْرَةَ﴾: في اللغة: الزيارة، وفي الشرع: التعبد لله بالطواف بالبيت، وبالصفاء والمروة، والحلق، أو التقصير.

والحج فرض بالكتاب والسنة، وإجماع المسلمين، ومنزلته في الدين أنه أحد أركان الإسلام، واجب مرة واحدة في العمر لمن توافرت له شروط الوجوب.

والعمرة: اختلف العلماء هل هي واجبة، أو سنة، والذي يظهر أنها واجبة.

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾: ﴿وَأَتِمُّوا﴾: اختلفوا في معنى إتمامها، فقالوا

الإتمام:

- هو أن يتمهما بمناسكهما، وحدودهما، وسننهما هو قول ابن عباس رضي الله عنهما

وغيره.

- أتموها بإخلاص دون قصد دنيوي من تجارة، أو حاجة أخرى.

- أتموها أي: إذا شرع في أحدهما العمرة والحج لم يفسخه حتى يتم وإذا نسي شعيرة يأتي بها.

- قد يعني إتمامهما التمتع يقوم بالعمرة ويتمها، ويتحلل، ثم يحرم من مكة، ويتم الحج.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق، خالصة لله وحده.

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾: الإحصار: أي: عرض لكم شيء يكون سبباً لفوات الحج، أو مانعاً يمنع من الوصول إلى البيت الحرام، والإحصار بسبب أمر عارض مفاجئ غير متوقع بسبب عدو أو خطر، أو عدم الأمن، أو الإرهاب، أو انتشار مرض معدٍ أو وباء، وأما إذا كان بسبب الحبس يقال عندها حُصِرْتُمْ؛ فالحصر: هو الحبس مع التضييق.

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾: إن: شرطية تفيد الشك في وقوع ذلك. ﴿أُحْصِرْتُمْ﴾: من الإحصار؛ أي: منعتم من إتمام الحج والعمرة عندها تحللوا وعليكم ما استيسر من الهدى.

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، ﴿الْهَدْيِ﴾: ما يتم ذبحه تقرباً من الله، أو كفارة عما حدث من خطأ، والهدي: قد يكون من الإبل، أو البقر، أو الغنم يذبح ويفرّق على الفقراء.



﴿وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾: أي: لا يجوز حلق الرأس، أو التقصير حتّى ينتهي من عرفات، ومزدلفة، وينزل إلى منى يوم العيد، وأما في حالة الإحصار والمنع من الوصول إلى مكة، وإتمام مناسك الحج فعندها ينحر هديه في مكان الإحصار، وهو الرأى الغالب.

﴿فَن كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكِ﴾: أي: من تحلل من الإحرام بسبب مرض، أو أذى من رأسه «أفة أو قمل . . .» عليه فدية وهو مخير بين صيام ثلاثة أيام، أو إطعام (٦) مساكين، أو نسك «هدي؛ أي: ذبيحة»، هذه الثلاثة الأمور مرتبة ترتيباً تصاعدياً حسب الطاقة، والاستطاعة.

فالصيام لا يتعدى النفع فيه إلى الغير، وأما الصدقة فمحدودة بـ (٦) مساكين، أما النسك أو الذبيحة فينتفع بها الجميع، أمّا الذبح فيتم في مكة، وفي أيامنا هذه لا يقوم الحاج بالذبح، بل يكلف الجمعية المخصصة لهذا العمل بالقيام به، وهو فقط يدفع الثمن، وهنا حذف المعطوف، وأصل الآية فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه فحلق ففدية من صيام، أو صدقة، أو نسك.

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ مِّن تَمَنَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾: فإذا: الفاء: للتوكيد، إذا: شرطية تدل على حتمية الحدوث، ﴿أَمِنْتُمْ﴾: من العدو، أو الإحصار «أو انتهى الإحصار»، ﴿فَن تَمَنَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾: أي: وأتم العمرة، وتحلل بعدها «هذا يسمى التمتع»، ويبقى في مكة متمتعاً إلى يوم التروية «اليوم الثامن» بدء أعمال الحج فعليه ذبح هدي يذبحها يوم النحر، «ويتم هذا عن طريق الدفع للجمعيات المسؤولة، كما ذكرنا».

﴿فَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعًا إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾: ﴿فَن﴾: الفاء: عاطفة، من: شرطية، لم يجد هدي «أو ثمنه» عندها يصوم ثلاثة أيام

في الحج قبل يوم التروية «أي: قبل اليوم الثامن»، وسبعة أيام بعد العودة إلى بلاده، وقوله تعالى: تلك عشرة كاملة: إشارة إلى الثلاثة والسبعة، ونحن نعلم أن (١٠=٧+٣) للتأكيد على فعل ذلك، إذن صيام (١٠) أيام يعادل كمن ذبح، والأجر واحد.

﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: ﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة؛ يعني: صيام عشرة أيام (ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجعتهم)، لمن كان من غير أهل مكة «أهله حاضري المسجد الحرام؛ أي: مقيمين بمكة»، أما إن كان من أهل مكة، وتمتع بالعمرة، أو أقرن بالحج فليس عليه هدي، ولا صيام، وحدود المسجد الحرام تقدر بـ (١٢) ميلاً، فمن أقام داخل هذه المسافة لا يلزمه ذبح، ولا صوم؛ لأن المقيمين حول المسجد الحرام «أهل مكة»، طوافهم دائم، وهذا يغنيهم عن العمرة.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أطيعوا أوامر الله، واجتنبوا نواهيه، ﴿وَاعْلَمُوا﴾: علم اليقين، ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد، ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: العقاب من التعقيب، والعقاب هو الجزاء على الجرم، أو المعصية، أو الذنب، والعقاب يحدث بعد الذنب مباشرة يعاقب عليه في الدنيا، أما العذاب فقد يؤخر إلى الآخرة، أو يحدث في الدنيا؛ لماذا هذا التهديد؛ لأن هناك من يتقاعس، أو يحاول التعجل عن إتمام حجه، أو عمرته مستوفياً لكل مطلوبات المشرع في الحج والعمرة.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٢

الجزء الثاني

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَاتِ بِ خَيْرِ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونَ
يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ
تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ
عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ
وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ
لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾
فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنْ النَّاسِ مَنْ
يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾
أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

سورة البقرة [الآيات ١٩٧ - ٢٠٢]

[١٩٧] ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۚ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ۚ﴾

انتبه إلى النسق والترتيب القرآني بعد أن تكلم عن الأهلة «مواقيت للناس إلى الحج»، ثم الصيام، ثم الحج، وذكر خلال ذلك القتال في الأشهر الحرم يتابع ذكر الحج.

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾: ﴿الْحَجُّ﴾: تعريفه، ارجع إلى الآية السابقة.
 ﴿أَشْهُرٌ﴾: جمع قلة وهي: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة؛ أي: الحج أشهر ثلاثة.

﴿مَّعْلُومَةٌ﴾: عند الناس «ومنهم العرب»؛ لأن الحج كان معروفاً عند العرب قبل الإسلام، والحج أشهر معلومات؛ أي: أفعال الحج لا تصلح إلا فيها، فلا تبديل، ولا تأخير، كما كان يفعل أهل الجاهلية، ولم يقل الحج في أشهر معلومات: لكان الحج يمكن أن يصح في كل يوم من هذه الأشهر.

﴿أَشْهُرٌ﴾: جمع شهر، وأقل الحج ثلاثة، فهي ثلاثة أشهر: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة.

﴿مَّعْلُومَةٌ﴾: جمع معلومة «مؤنث معلوم»، اسم مفعول من علم يعلم؛



أي: وأشهر الحج لا تنتهي إلا في ثلاثين من ذي الحجة؛ أي: أن لا يخرج شهر ذو الحجة وعليه شيء من أعمال الحج.

﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ﴾: الفاء: عاطفة للتوكيد، من: شرطية، وجواب الشرط ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾.

﴿فَرَضَ فِيهِنَّ﴾: نوى، ولبى، ولبس ثياب الإحرام.

﴿فَلَا رَفَثَ﴾: الجماع، وقيل: الفحش، والقول القبيح، والحديث عن الوطاء. ارجع إلى الآية (١٨٧) للبيان.

﴿وَلَا فُسُوقَ﴾: الخروج عن طاعة الله، وارتكاب المعاصي «بترك واجب، أو فعل حرام». ارجع إلى الآية (٢٦) من نفس السورة لمزيد من البيان، وإلى سورة المائدة آية (٣) لمعرفة الفرق بين الفسوق والفسق.

والفسوق: ممنوع في كل وقت، وامتناعه أشد في الحج، والبيت الحرام.

﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾: حوار بين طرفين تحصل فيه مشادة كلامية، وخصومة، والتعالي على الخصم، وأحياناً السباب.

وتكرار: ﴿وَلَا﴾ ثلاثة مرات تفيد التوكيد توكيد النهي عن عمل أي واحدة منهن الثلاث، أو كلهن: الرّفث، والفسوق، والجدال.

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: شرطية تفيد الإطلاق، والشمول.

﴿مَنْ﴾: استغراقية تشمل أي خير.

﴿خَيْرٍ﴾: نكرة مهما كان صغيراً، أو كبيراً، والخير: يشمل كل أنواع

الطَّاعَاتِ وَالذِّكْرِ: الصَّدَقَةُ، وَالْعَفْوُ، وَالصَّفْحُ، وَالْكَلَامُ الطَّيِّبُ، وَمُسَاعَدَةُ الْحَاجِّ، وَالصَّبْرُ، وَالنَّظَافَةُ.

﴿يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾: وذكر يعلمه الله للتوكيد، والحث على فعل الخير، وتجنب الدَّفْعِ وَالزَّحَامِ والانتظار، فالله يعلم الشيء قبل أن يقع، ومنذ الأزل، والخير هو الشيء الحسن النافع، يعلمه الله؛ أي: فيجازيكم به.

﴿وَتَكَرَّدُوا فِيَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾:

سبب نزول هذه الآية: كما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان أهل اليمن يحجون بلا زاد؛ أي: قوت، ويقولون نحن متوكلون؛ فإن قديموا مكة سألوا الناس الزاد، والمركب، وأصبحوا عالةً، وكَلَّأَ على الآخرين، فأنزل الله هذه الآية.

والعبرة هنا بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب؛ أي: تزودوا: بالمال، والطعام، ووسيلة النقل، وكل شيء تحتاجونه في سفركم، ولا تسألوا الناس أشياءهم، وتزودوا فيما وراء الزاد الدنيوي بزاد الآخرة وهو التقوى، أو اتخذوا التقوى زادكم، فإنها خير زاد «تشبيه بليغ».

﴿وَاتَّقُونِ﴾: الواو: استئنافية، اتقون: أطيعوا أو امري، واجتنبوا نواهي، أصله اتقوني «الياء محذوفة»؛ أي: اتقون ما استطعتم ومهما كانت لن تكون تقوى كاملة، أو تدل على قلة عدد المتقين مقارنة بعدد الكفار.

﴿يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾: المخلصين الموحِّدين الذين أنابوا إلى الله، والذين يستمعون القول «القرآن»، فيتبعون أحسنه «المحسنين»، انظر في سورة الزمر آية (١٧-١٨)؛ لتعريف أولو الألباب، ﴿يَتَأُولَى﴾ أصحاب، اللَّبُّ باطن العقل،



المؤمنين ذوي العقول النيرة حكماء الأمة. «المخلصين الموحدون» ارجع إلى (١٧٩) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

[١٩٨] ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾:

﴿لَيْسَ﴾: فعل ماض ناقص، نفي للحال، أو غير مقيدة بزمن للماضي، والاستمرار والاستقبال.

﴿عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: أي: إثم، ﴿جُنَاحٌ﴾: من جنح؛ أي: مال عن القصد، وسمي الإثم جناح للميل فيه من الحق إلى الباطل.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري يفيد التوكيد.

﴿تَبْتَغُوا﴾: من الابتغاء هو الطلب والالتماس.

﴿فَضْلًا﴾: عطاء ورزقاً، «بتجارة، أو بيع، أو شراء، أو إجارة، أو تقديم الخدمات، أو شراء الهدايا».

﴿فَضْلًا﴾: جاءت نكرة؛ لتشمل كل أنواع الفضل «الزيادة».

﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أي: أن الفضل والرزق كله من عند الله، وإياكم أن تقولوا: إن تقديم الأسباب وحده كافٍ، فلا بد من التوكل على الله وحده.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: للتأكيد، إذا ظرفية زمانية تتضمن معنى «حين»، وتدل على حتمية الحدوث، أو كثرته؛ أي: الإفاضة.

﴿أَفْضَتْهُ مِنْ عَرَفَتٍ﴾: أصله أفضتم أنفسكم؛ أي: دفعتم من عرفات، فترك ذكر المفعول «أنفسكم».

واستبدلت بأفضتم: من الإفاضة، وهي دفع بكثرة تشبيهاً بفيض الماء الكثير، وفاض الماء إذا سال منصباً، فكأن عرفات إناء قد امتلأ، وكأن الدفع من عرفات سيل فتدفق، وهكذا دوماً تكون الإفاضة من عرفات بعد غروب الشمس من اليوم التاسع من ذي الحجة.

﴿مِنْ عَرَفَتٍ﴾: بعد الوقوف بها، والذي هو فرض، أو ركن من أركان الحج، إلى مزدلفة، وعرفات: اسم علم من ملحقات الجمع المؤنث السالم، واسم المكان الذي يقف فيه الحجاج يوم التاسع من ذي الحجة؛ أي: المكان الفسيح، ولا يعني جبل الرحمة الذي يقف عليه بعض الحجاج فقط.

وقيل في معنى عرفات أقوال مختلفة تنسب إلى مكان لقاء آدم بحواء بعد هبوطهما من الجنة.

﴿فَاذْكُرُوا﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب.

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾: أي: بالتلبية، والتكبير، والتحميد، والصلاة فيه المغرب والعشاء جمعاً، والفجر، والدعاء عند المشعر الحرام في مزدلفة.

وقيل: هو جبل قزح، وقيل: ما بين جبلي المزدلفة من مضيق عرفة ووادي

محسر.



وسمي المشعر الحرام: من الشعار وهو العلامة؛ لأنه من معالم الحج، وصف بالحرام: لحرمة.

﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَنَّاكُمْ﴾: كما الكاف للتشبيه، وما: المصدرية.

وبعضهم قال: للتعليل؛ أي: اذكروه لهدايته إياكم إلى معالم دينه ومناسك حجه، وكيف تحجون، وتكرار واذكروه: للمبالغة عن أهمية الذكر في أيام الحج، وعند تلك المشاعر، وتعني: المواصلة في الذكر.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾: ﴿وَإِنْ﴾: الواو: استثنائية، إن: مخففة تفيد التوكيد، ﴿كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾: «ها الضمير هنا» تعود على الهدى، وهو القرآن، أو الإسلام، أو رسول الله ﷺ، وقد ترجع إلى كل ذلك معاً.

﴿لَمَنِ﴾: اللام: لام الاختصاص، من: ابتدائية. ﴿الضَّالِّينَ﴾: جمع ضال، والضلال هو الانحراف، والبعد عن الهدى، وسواء كان ضلال في الاعتقاد، أو ضلال في العمل، أو غيره.

والضالين: جمع ضال، اسم فاعل من ضل، والضالين: جملة اسمية تدل على ثبوت صفة الضلال عندهم، والضالين الذين جهلوا الحق فضلوا، وقد يضلوا غيرهم.

والضلال سببه الجهل بالحق، وأما الغي: فهو العدول عن الحق بعد معرفته، والضلال له معان شتى: يعني الهلاك، ويعني: الضياع، والنسيان. يقال: ضل عن قومه؛ أي: ضائع لا يعرف منزله، ويعني: الغيوبة والاضمحلال، كما في قوله: ﴿وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠]؛ أي: دفنوا وغابوا فيها، وضل



الشيء: خفي، وغاب، وضل المسافر؛ أي: لم يعرف طريقه. فالضلال في الدين هو العدول عن المنهج، والصواب، والضلال قد يكون مقصوداً وبيئاً؛ أي: يعرف المنهج وينحرف عنه، أو غير مقصود؛ كمن ينسى، أو يسهو، والضلال إما يقتصر على صاحبه، أو يتعدى صاحبه فيضل غيره، وبذلك يكون قد أضلَّ ذاته (إضلال النفس)، كقوله: ﴿وَمَا يَضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ [آل عمران: ٦٩].

[١٩٩] ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: ثم: لتباين المرتبة؛ أي: الأفضل الإفاضة من عرفات.

﴿أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾: الخطاب إلى كل حاج ومنهم أهل مكة وموجه إلى الحُمْس وهم قريش، وكنانة، وخزاعة، وثقيف، وخثعم، وبنو عامر، وبن صعبعة، وبنو النضير بن معاوية «سُمُّوا حمساً؛ لشدتهم في الدين»، وظنهم أنهم أولياء الحرم، ويقومون على حمايته، ولذلك لا يجب عليهم الخروج إلى عرفات، والوقوف فيها؛ فنزلت هذه الآية لتكون أيها الحُمس إفاضة من حيث أفاض الناس؛ أي: من عرفات، ولا تكن من مزدلفة، ويكفي الترفع على الناس، والتعالي عليهم، ولمعرفة معنى الناس؛ ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة للبيان.

فجاءت هذه الآية لتأمر بالعدل والمساواة بين الناس، فالكل يجب أن يقف بعرفة «والحج عرفة»، وبعد ذلك أمرهم بالاستغفار، فقال:

﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾: لمخالفتكم في عدم الوقوف بعرفة في السابق.



﴿إِنْ﴾: حرف مشبه بالفعل يفدي التوكيد، الله تعالى.

﴿عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: ارجع إلى الآية (١٧٣) من نفس السورة.

[٢٠٠] ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: للتعقيب، إذا: ظرفية زمانية للمستقبل، شرطية تفيد حتمية الحدوث، أو كثرته.

﴿قُضِيَتْ﴾: أدبتم وانتهيتم «فرغتم».

﴿مَنَاسِكُكُمْ﴾: أعال الحج هي: الرمي، والذبح، والطواف، والسعي، والحلق.

﴿فَازْكُرُوا﴾ الفاء: للترتيب، والتعقيب، والمباشرة.

﴿فَازْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾: في منى عند الجمرات.

﴿فَازْكُرُوا اللَّهَ﴾: الذكر يشمل الذكر العادي من تسبيح، وتكبير، وتهليل، وتحميد، والذكر يعني: الدعاء، والصلاة، وقراءة القرآن، أو الاستماع إلى حديث رسول الله ﷺ.

﴿كَذِكْرِكُمْ﴾: الكاف: للتشبيه، كما تذكروا آباءكم، بل أشد ذكراً.

﴿أَوْ﴾: تعني: بل.



﴿أَشَدَّ ذِكْرًا﴾: اذكروا الله ﷻ أكثر من ذكركم آباءكم.

فأراد الله سبحانه أن يبطل عادة الجاهلية بالتفاخر بالآباء والأجداد في منى بعد الانتهاء من أعمال الحج، وبدأ أيام التشريق الثلاثة، بعمل أفضل هو ذكر الله سبحانه بدلاً من ذكر الآباء والأجداد.

﴿فَمِنْ النَّكَاسِ﴾: الفاء: للتفضيل، من: ابتدائية، النَّاسُ؛ ارجع إلى الآية (٢١) من سورة البقرة.

﴿مَنْ يَقُولُ﴾: من: للتبعيض، يقول: أي: يدعو ربه.

﴿رَبَّآءِنَا﴾: الإيتاء هو العطاء، ولكن لا تملك في الإيتاء؛ أي: يمكن استرداد ما أعطى، أما العطاء ففيه تملك، ولا يسترد، والإيتاء أعم من العطاء، ويشمل النواحي المعنوية، والحسية «المادية» أما العطاء فيشمل النواحي المادية فقط.

﴿إِنَّا فِي الدُّنْيَا﴾: المال، والجاه، والوالد، والزوجة، والنصر، والغيث، وغيرها، ولا يسأل الله تعالى أي شيء من أمور الآخرة فقط يسأله، ويدعو الله في أمور الدنيا الفانية.

﴿وَمَا لَهُ﴾: الواو: عاطفة، ما: النافية النفي فيها أقوى من النفي بليس.

﴿لَهُ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق، أو الملكية، والهاء ضمير يعود على الداعي.

﴿فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾: ﴿مِنْ﴾: استغراقية، ﴿خَلْقٍ﴾: حظ، أو نصيب قُدر له؛ أي: لا شيء. ارجع إلى نفس السورة آية (١٠٢) لمزيد من البيان.



[٢٠١] ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾:

﴿وَمِنْهُمْ﴾: الواو: عاطفة، منهم: من ابتدائية؛ أي: ومن الناس.

﴿مَّنْ﴾: بعضية.

﴿يَقُولُ﴾: يدعو ربه.

﴿رَبَّنَا إِنَّا﴾: ولم يقل: يا ربنا؛ لأنه يعلم أن الله قريب جداً، ولا يحتاج إلى يا النداء التي تستعمل للبعد.

﴿إِنَّا﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: الحسنة لغة تعني: ما يسر النفس، أو كل ما يستحسنه الإنسان: من صحة، وغنى، وعلم، ومال، وجاه، وولد، وأمن، وزوجة، وخصب، وغيث.

والحسنة شرعاً: تعني: كل ما يستحسنه الشرع، ويورث ثواباً، وبامثال أوامر الله وتجنب نواهيه.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾: مثل المغفرة، والجنة، ورضوان الله تعالى.

﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾: نجنا، وجنبا عذاب النار، وقنا من الوقاية؛ أي: اجعل بيننا وبين النار حاجزاً، وواق، وهذه هي الصيغة الأفضل في الدعاء التي تجمع خيري الدنيا والآخرة معاً، وهذه الآية تعتبر من جوامع الدعاء التي يجب الإكثار منها، فقد كان رسول الله ﷺ يكثر من هذا الدعاء، كما جاء في الصحيحين عن أنس.



[٢٠٢] ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد يدل على بُعد منزلة أولئك الداعون ربهم: ربنا آتينا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة في كل الأوقات، «ولا تنسى السعي والإيمان المقرون بالعمل الصالح»، والدعاء أخيراً، وكذلك تشمل الذين أدوا مناسك الحج.

﴿لَهُمْ نَصِيبٌ﴾: اللام: للاختصاص، والاستحقاق.

﴿نَصِيبٌ﴾: النصيب هو الحظ المعين المحدد من الأجر، أو الجزاء، أو الثواب من جنس ما كسبوا.

﴿مِّمَّا﴾: من + ما: ما قد تكون اسم موصول؛ أي: من الذي كسبوا، أو مصدرية نصيب كسبهم.

﴿كَسَبُوا﴾: الكسب عادة يكون في الخير، والاكْتِسَاب عادة يستعمل في الشر «اكتسب على وزن افتعل»، من خصائص القرآن. ارجع إلى الآية (٢٨٦) من نفس السورة.

﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: ارجع إلى الآية (٤١) من سورة الرعد.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٢

الجزء الثاني

وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي
يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ
النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ
عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ
فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ
بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٦﴾ وَمِنْ
النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا
فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَ تَكُفُّوا أَلَيْسَ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٢٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ
وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٣٠﴾



سورة البقرة [الآيات ٢٠٣-٢١٠]

[٢٠٣] ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾:

هذه هي المرة الرابعة التي ينبه الله سبحانه إلى الذكر:

١ - ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾.

٢ - ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْنَاكُمْ﴾.

٣ - ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾.

٤ - ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾.

فيجب أن نعلم أن ذكر الله يجب أن يكون دائماً أيام الحج، واذكروا الله قيل: تعني التكبير بعد الصلوات حتى عصر اليوم الثالث.

﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾: أيام معدودات: جمع قلة، أما قوله تعالى: أيام معدودة: جمع كثرة، هي أيام التشريق الثلاثة التي تبدأ بعد يوم العيد «يوم النحر»، وسميت أيام التشريق نسبة إلى شروق الشمس، فقد كانوا يضحون، يأخذوا اللحم، ويضعوه لمطلع الشمس كوسيلة لتقديده، ولحفظه، وكان هذا في الزمن القديم، والمعدودات جمع قلة؛ لأنه أقل من عشرة.

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: للتفصيل من ابتدائية.



﴿تَعْجَلْ فِي يَوْمَيْنِ﴾: فمن رمى الجمرات في اليوم الأول، والثاني من أيام التشريق وسافر، فلا إثم عليه.

﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾: رمى الجمرات في الأيام الثلاثة كلها، فلا إثم عليه.

السؤال هنا: لماذا قال: لا إثم على الذي تأخر في يومين بدلاً من الزيادة في أجره؛ لأنه أتم الثلاثة أيام؟

الإثم في هذه الآية، لا علاقة له بالتعجل، أو بالتأخر، وإنما يعود على الإثم الذي ارتكبه المتعجل، أو المتأخر قبل الحج من تقصير، أو خطأ.

فالمتعجل والمتأخر كلاهما زالت آثامهما التي كانت عليهما قبل حجتهما، على شرط الذي تعجل، أو الذي تأخر حج، ولم يرفث، ولم يفسق رجوع كيوم ولدت أمه، وكذلك لا إثم على المتعجل، أو المتأخر بشرط التقوى الذي ذكره: لمن اتقى؛ أي: أتم الحج المبرور، واللام في لمن: للتوكيد، والمسألة ليست مسألة زمن يومين، أو ثلاثة، ولكن المسألة مسألة إخلاص، وتقوى، وإحسان في الحج، وتكرار قوله: فلا إثم عليه، مرتين للتوكيد، والإثم: في الأصل التقصير، ويعني: الذنب. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٣٣) للبيان.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أطيعوا أوامر الله، وتجنبوا نواهيه، واستقيموا على ذلك.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: إليه جار ومجرور والتقديم بدلاً من قوله: أنكم تحشرون إليه يفيد الحصر؛ أي: إليه وحده.

﴿تُحْشَرُونَ﴾: الحشر هو السَّوق والجمع إلى أرض المحشر، إخراج الموتى من القبور، وسوقهم إلى الموقف؛ أي: أرض المحشر، والحشر: لا

يكون إلّا في أمر مكروه، واختيار كلمة تحشرون للتذكير بالزحام في الحج يجب أن يُذكر الحاج بيوم الحشر، للاستعداد له.

[٢٠٤] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾:

بعد ذكر المتقي الذي يرجع من حجه المبرور، لا ذنب عليه كمن ولدته أمه، يذكر مقابل المنافق الذي حجه هو الإفساد في الأرض، وقيل: عن ابن عباس أنّ هذه الآية نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي، ولقب بالأخنس؛ لأنه خنس ورجع يوم بدر، فلم يقاتل المسلمين مع قريش، وكان ساعة يقابل رسول الله ﷺ يظهر إسلامه، وكان لئن الكلام كافر القلب، ويحلف أنه يحب رسول الله ﷺ.

وفي أحد الأيام خرج من عند رسول الله ﷺ فمر بزرع وحُمُرُ لقوم من المسلمين، فأحرق الزرع وقتل الحُمُر.

والآية تشمل كل منافق والعبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب، فيقول سبحانه:

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: الواو: استئنافية، من: ابتدائية اسم موصول للعقلاء تشمل المفرد، والمثنى، والجمع. الناس: ارجع إلى الآية (٢١) من سورة البقرة.

﴿مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: ﴿مَن﴾: ابتدائية، ﴿يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾: تُسرُّ لقوله، حلو اللسان، لئن الكلام. والإعجاب هو: انفعال النفس عند مشاهدة أو رؤية أمر سار غير مألوف.

﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي: إذا تحدث تحدث في أمور الدنيا، مثل التجارة،



والمال، والزَّرع، والأكل، والشَّرب فقط، ولا يتطرق إلى ذكر الآخرة؛ لكونه لا يعلم عنها شيء، أو لا تهمه، أو يخاف أن يظهر على حقيقته.

﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾: أي: يحلف الأيمان الكاذبة حتى يصدقه النَّاسُ، كما كان يفعل الأخنس يحلف لرسول الله ﷺ أنه يُحِبُّه والله يشهد على ما يقوله، وما في قلبه.

﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾: الألد: الشديد الخصومة، وأصل اللدِّد هو الذي لا يمكن صرفه عما يريد؛ أي: أعدى الأعداء؛ لكونه يخدعك، ويبطن خصومته، أما الذي يُظهر عداوته فهو ليس ألد الخصام؛ لأنك تحتاط منه، وتبتعد عنه.

[٢٠٥] ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زمان لما يستقبل من الزَّمن، ويتضمن معنى الشرط، وتفيد حتمية الحدوث، أو كثرته.

﴿تَوَلَّى﴾: لها عدَّة معانٍ:

١ - انصرف أو ذهب بعيداً؛ أي: ابتعد عن النَّاسِ، أو انصرف عن القول الذي قاله؛ أي: إذا وعد أخلف، أو أوَّتمن خان.

٢ - غضب كما قال ابن عباس ؓ.

٣ - صار والياً من الولاية.

﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ﴾: سعي: أحدث، أو السَّعي بالقدم؛ أي: السَّعي، والمشي الحثيث.

﴿لَيُفْسِدَ فِيهَا﴾: اللام للتوكيد؛ أي: بعلم ونية «تعمد»، ويفسد من الفساد، وأعظم الفساد هو الشرك بالله، والكفر، والظلم، ومعاداة الدين، والفساد الفكري، وتعريف الفساد: انفلات الفرد، أو المجتمع عن ضوابط الشرع، والفساد يكون في المعتقد، والسلوك، والسحر، والقتل، وأكل الربا، ومال اليتيم، والكبائر، والزنى، والتلوث البيئي، وقطع الأشجار، وهدم البيوت، وأكل أموال الناس بالباطل، وغيرها.

﴿وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾: أي: بالقتل، أو الإحراق، والتخريب، أو التدمير، أو الظلم والإضلال.

﴿الْحَرْثَ﴾: يعني: الزرع، والحرث: النساء: ﴿فَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

﴿وَالنَّسْلَ﴾: الذرية، والأولاد، قتل الأولاد والنساء في الحروب والغزوات، أو الحيوان.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾: ﴿وَاللَّهُ﴾: لفظ الجلالة: قدم اسم الفاعل الله سبحانه على الفعل؛ للاهتمام والتعظيم.

﴿لَا﴾: النافية لجميع الأزمنة.

﴿يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾: الحب: الميل، ﴿الْفُسَادَ﴾: نقيض الصلاح؛ أي: أن تعمد إلى الصالح فتفسده؛ ارجع إلى الآية (٢٥١) لمزيد من البيان.

[٢٠٦] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية؛ لما يستقبل من الزمان متضمنة معنى الشرط، وتفيد حتمية الحدوث، أو كثرته بعكس إن.



﴿قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾: أي: إذا ظهر من أعماله ما يدل على الفساد في الأرض، وقلت له: اتق الله؛ أي: لا تفعل ذلك، أو خاف الله وعذابه؛ عندها يشعر المنافق، أو يفهم: أن ما في قلبه من نفاق قد ظهر، وانكشف.

﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾: العزة: الحِمْيَّة، خلاف الذل، والانكسار، ظهرت عليه علامات الحِمْيَّة، والغضب؛ أي: حملته الحِمْيَّة على فعل الإثم الذي أمر باجتنابه، أو استمر على فعله، ولم يتب. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٣٣) للبيان.

والسؤال هنا: هل هناك عزة بغير إثم؟

نعم! العزة لله، ولرسوله، وللمؤمنين هي عزة حقيقية، وهناك العزة المذمومة التي نحن بسياقها، ﴿الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾: الباء: للإلصاق، والثبوت.

﴿فَحَسَبُوهُ جَهَنَّمَ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، والسرعة، حسبه: يكفيه جهنم فراشاً مهياً له. جهنم: هذا الاسم مشتق من كونها بعيدة القعر، وشديدة الغضب والكريهة والمستنكرة والمخيفة.

﴿وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾: الواو: للتأكيد، واللام: لزيادة التأكيد في لبس، وبس: من أفعال الذم والتحقير.

﴿الْمِهَادُ﴾: جمع مهد، وهو الفراش المريح الممهد للطفل لينام عليه، وهنا تعني: فراش المنافق النار المهيأة له لكي يستريح فيها، وكما أن الطفل لا يستطيع مغادرة مهده، وهو عاجز، وغير قادر على المغادرة، وكذلك المنافق يفقد القدرة على الخروج من جهنم، وهذا التشبيه من قبيل التهكم.

[٢٠٧] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ
بِالْعَبَادِ﴾:

بعد ذكر صفات المنافق الأخنس بن شريق يذكر لنا هنا صفات الذي يشري نفسه ابتغاء مرضات الله، وهو كما قال أكثر المفسرون أمثال صهيب بن سنان الرّومي.

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: من: ابتدائية، النَّاس: ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة للبيان.

﴿مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ﴾: من: ابتدائية، اسم موصول للعاقل، وتشمل المفرد، والمثنى، والجمع.

﴿يَشْرِي﴾: لها معنيان: باع نفسه ابتغاء مرضات الله، وأخذ عوضها «أي: اشترى» الجنة لنفسه، أو اشترى نفسه؛ أي: النفس الإيمانية «المؤمن» ، وضحّى بالمال في سبيل إبقائها حية.

﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾: ﴿ابْتِغَاءَ﴾: طلباً، ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾: جمع مرضية؛ قلبت الياء ألفاً فأصبحت مرضاة على وزن مفعلة، ومرضاة مصدر ميمي من رضي، وتختلف عن الرضوان، فالرضوان أعظم الرضى، ويخص الله تعالى وحده، وأما المرضاة فقد تكون من الله سبحانه، أو من غيره؛ أي: ليست مختصة بالله وحده؛ أي: طلباً لكل أنواع رضى الله ومحبه.

وسبب نزول هذه الآية: كما قال أكثر المفسرين: أن الصّحابي صهيب بن سنان الرّومي لما أراد الهجرة إلى المدينة؛ ليلحق برسول الله ﷺ منعه قريش،



وعذبه، وكان شيخاً كبيراً، وعنده المال، وقالت له قريش: كيف تخرج من مكة بمالك، ونفسك إلى محمد ﷺ.

عندها قال لهم: خذوا مالي، وخلوا سبيلي، وقبلوا بذلك، وعندها نزل جبريل بهذه الآية على قلب الرسول ﷺ يخبره بما فعل صهيب الرومي، وكان يكنى بأبي يحيى، فعندما أخبر جبريل الرسول بقصته صاح رسول الله ﷺ، وقال: «ربح البيع أبا يحيى ربح البيع أبا يحيى».

﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾: ليت كل مؤمن يكون مثل أبا يحيى «صهيب الرومي»، ويضحى بماله، ونفسه ابتغاء مرضات الله، ولكن قليلاً من هم أمثال أبي يحيى، ورغم ذلك يبقى الله رؤوفاً بعباده، ولا يسألهم أن يكونوا كذلك، والرأفة: أخص من الرحمة، الرحمة: تكون للمؤمن، والكافر، والرأفة: فقط للمؤمن، والرأفة: أشد من الرحمة، الرحمة: أوسع من الرأفة، الرأفة: رفع المكروه «إزالة الضرر»، الرحمة: رفع الضرر، وفعل الإحسان.

﴿بِالْعِبَادِ﴾: الباء: للإلصاق، وبما أن الله سبحانه لا يطلب من كل مسلم، أو مؤمن أن يضحى بماله، ونفسه فهو رؤوف بالعباد، والعبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب، وقال تعالى: والله رؤوف بالعباد، ولم يقل: والله رؤوف رحيم.

[٢٠٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد وهو الدخول في السلم كافة.

﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾: ﴿ادْخُلُوا فِي﴾: في: ظرفية، ﴿السِّلْمِ﴾: دين

الإسلام، الظرف الإسلام، والمظروف هو أحكام الإسلام وشرائعه، ﴿أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾: وبما أن الخطاب موجّه للذين آمنوا، وهو ناداهم بالذين آمنوا فهم قد دخلوا في الإسلام، وعلى طريق الإيمان، فادخلوا في السلم كافة: تعني: أدّوا جميع شرائع الإسلام، وأحكامه كلها دون اختيار، أو تجزئة؛ أي: بترك بعضها، والأخذ بالبعض الآخر؛ أي: لا تؤمنوا ببعض، وتكفروا ببعض، كما يفعل أهل الكتاب، واستقيموا على ذلك.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: سُبُل الشيطان، ومداخله، ومنها الوسوسة، والإغراء، والتزيّن، والنزع.

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: إن يفيد التوكيد، ﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص خاص بكم، وليس لأحد غيركم «فتقديم لكم على عدو مبين» يفيد الخصوص، ﴿عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: ظاهر العداوة عداوته لا تخفى على أحد من الناس؛ أي: مكشوفة، ولا يخفى شيئاً منها، وعداوته كاملة تامّة، مشتملة على كل أنواع العداوة.

وردت كلمة السِّلْم في القرآن في سبع آيات، وبالشّكل التالي:

السِّلْم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، آية واحدة تعني: تطبيق أحكام وشرائع الإسلام كافة من دون تمييز.

السِّلْم: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]، ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ [محمد: ٣٥]، تعني: الميل إلى وقف القتال والصلح.

السِّلْم: ﴿فَأَلْفُوا السَّلَامَ﴾ [النحل: ٢٨]، ﴿وَأَلْفُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ﴾ [النحل: ٨٧]،



﴿وَأَلْفَوْا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ﴾ [النساء: ٩٠]، ﴿وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ [النساء: ٩١]، (٤) آيات السَّلَام؛
يعني: فيها الخضوع والذل.

[٢٠٩] ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ﴾:

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، إن: شرطية، تستعمل للنادر
حدوثه، أو قليل الحدوث، وهو الزلزل في هذه الآية، فالزلزل قد يحدث، وقد لا
يحدث، والزلزل: الزلزل، وهو اضطراب القدم، والتزلزل في الموضوع المراد
إثباتها فيه، والزلزل قد يؤدي إلى الوقوع، أو السقوط.

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾: الزلزل: أخطأتم بغير عمد، وقد يجز فاعله إلى ما هو أكبر
من الزلزل كالذين، والإثم؛ أي: زللتهم بالأخذ بجميع الشرائع، والأحكام؛ فآمتهم،
وأخذتم ببعض، وتركتم بعض.

﴿مِنْ بَعْدِ﴾: من: تفيد المسافة القريبة؛ أي: حدث الزلزل بعد مجيء
البيانات بزمان قصير.

﴿مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾: ﴿مَا﴾: حرف مصدري.

﴿جَاءَتْكُمْ﴾: ولم يقل أأتكم، الفرق بين المجيء والإتيان:

المجيء: تستخدم في سياق الأمور الشاقة، والصعبة، والتي فيها ثقل.
وأتى: تستخدم في سياق الأمور السهلة، والميسورة، أو التي لم تحدث
بعد.

﴿الْبَيِّنَاتُ﴾: جمع بينة؛ أي: الحجج، والبراهين الدالة على أن ما دعيتم
إلى الدخول فيه هو الحق.

الدخول في الإسلام كاملاً، ولمعرفة الفرق بين قوله تعالى: ﴿جَاءَتْكُمْ
الْبَيِّنَاتُ﴾، و﴿جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾: ارجع إلى الآية (٢٥٣) من نفس السورة،
والآية (٨٦) من سورة آل عمران.

﴿فَاعْلَمُوا﴾: علم اليقين.

﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: أن: حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد.

﴿عَزِيزٌ﴾: القوي الذي لا يُغلب، ولا يُقهر، ولا يمتنع عليه شيء له العزة
جميعاً.

﴿حَكِيمٌ﴾: الحكيم في خلقه، وشرعه، وأحكامه. ارجع إلى الآية
(١٢٩) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

[٢١٠] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ
وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾:

﴿هَلْ﴾: أداة استفهام تحمل معنى النفي، والإنكار، وتعني: ما ينظرون.

﴿يَنْظُرُونَ﴾: أي: ينتظرون، ولم يقل ينتظرون، بل قال ينظرون؛ لأن مدة
الانتظار أقل، وكأن قيام الساعة ومجيء الله سبحانه للفصل والقضاء قريباً جداً
«استعمل الكلمة الأقل حروفاً ينظرون لتناسب الزمن القصير»، والفاعل: أي:
الذي ينظرون قد يكون عائد على المنافقين، أو أهل الكتاب الذين لا يريدون
الدخول في الإسلام، أو عائد على كل من يؤمن ببعض، ويكفر ببعض.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿أَنَّ﴾: حرف مصدر يفيده التعليل والتوكيد.



﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾: التحول من صيغة المخاطب ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا﴾ إلى صيغة الغائب يأتيهم يدل على سوء صنيعهم الموجب الإعراض عنهم، ومخاطبتهم بصيغة الغائب تحقيراً لهم، يأتيهم للفصل والقضاء، والحكم بينهم؛ أي: يوم القيامة يوم الحساب، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

﴿فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾: جمع ظلة، ولا يكون ظله إلا إذا كان متراكباً، والغمام جمع غمامة، وهو السحاب الذي لا ماء فيه الأبيض الرقيق، وسمي غماماً؛ لأنه يغم؛ أي: يستر.

﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾: أي: فرغ الله سبحانه من القضاء، والفصل، وأوجب العذاب، وكأن الأمر حدث، وانتهى.

﴿وَالِلَّهِ تُرْجِعُ الْأُمُورُ﴾: للفصل فيها والحساب، وإصدار الحكم، وتقديم إلى الله: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: إليه وحده ترجع الأمور، ولم يقل: ترجع الأمور إليه، وقال: وإلى الله إضافة اسمه؛ للتهديد، والوعيد، فهو المجازي على الأعمال بالثواب.

وقوله: ﴿وَالِلَّهِ تُرْجِعُ الْأُمُورُ﴾: بضم التاء، ولم يقل ترجع بفتح التاء، فالأعمال تُرجع إليه، وكأنها لا تريد أن ترجع إليه بإرادتها؛ لأنها غير صالحة، ولو كانت صالحة لرجعت إليه من دون قهر، وجبر، وتصور إذا كانت الأمور لا تريد الرجوع، فكيف يكون رجوع أصحابها.

لننظر في الآيات المتشابهة:

سورة البقرة، الآية (٢١٠): ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ
وَالْمَلَائِكَةُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعِ الْأُمُورُ﴾.

وسورة الأنعام، الآية (١٥٨): ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ
رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾.

وسورة النحل، الآية (٣٣): ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ
رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

آية البقرة: جاءت في سياق المنافقين والذين يؤمنون ببعض ويكفرون
ببعض، وآية الأنعام: جاءت في سياق الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، وآية
النحل: جاءت في سياق الذين لا يؤمنون بالآخرة ويتكبرون.

والآيتان: ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾، أو يأتي ربك يوم القيامة ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾؛
للقضاء والفصل.

أما قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾؛ أي: بالعقاب، أو العذاب.

وأما قوله تعالى: ﴿تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾؛ أي: لقبض أرواحهم، أو بالعذاب؛
لتدميرهم.





الجزء الثاني

سورة التوبة ٢

سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَهُمْ مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زِينٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

سورة البقرة [الآيات ٢١١ - ٢١٥]

[٢١١] ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَكُمْ ءَاتَيْنَهُمْ مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:

﴿سَلِّ﴾: بغير الهمز بدلاً من اسأل؛ للتخفيف. القاعدة عند أهل الحجاز: إذا بدأت بالفعل تخفّف، وتحذف فتقول: سل، وليس اسأل، وإذا تقدمها شيء أو جملة يؤتى بالهمزة فيقال اسأل؛ أي: يا محمد ﷺ، والخطاب موجّه للنبي، وللمؤمنين معاً.

﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: ارجع إلى الآية (٤٠) للبيان، والسؤال هنا يراد به إحدى أمرين: إما التقرير، والتذكير بنعم الله، وإما التوبيخ على ترك الشكر.

﴿كَمْ ءَاتَيْنَهُمْ﴾: ﴿كَمْ﴾: الاستفهامية؛ للتقرير، يراد به العدد المبهم، أو ﴿كَمْ﴾: الخبرية، وبمعنى الكثير، ﴿ءَاتَيْنَهُمْ﴾: من الإيتاء. ارجع إلى الآية (٨٧)، أو الآية (٢٥١) من سورة البقرة.

﴿مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ﴾: ﴿مِّنْ﴾: الابتدائية، وقد تكون استغراقية؛ تعني كلّ آية بينة؛ أي: معجزة واضحة ظاهرة على أيدي أنبيائهم مثل: العصا، واليد، والطوفان، والسنين، وانفلاق البحر، والمن، والسلوى.

﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ﴾: من: شرطية، ابتدائية، ﴿يُبَدِّلْ﴾: بالتخفيف، ولم يقل: يتبدل، يبدل من الإبدال: وهو جعل شيء مكان شيء آخر، يتبدل من التبديل: وهو تغيير



الشيء عن حاله إلى حالة أخرى؛ أي: تغير، أو تحريف، أو تأويل، أو إخفاء الشيء.

﴿نِعْمَةُ اللَّهِ﴾: النعمة: تعريفها هي ما يهبه الله لعبده من خير يجلب مسرة، أو يدفع عنه مضرة، انظر في ملحق الآية؛ لمعرفة الفرق بين نعمت، ونعمة.

والنعمة هنا قيل: هي الآيات، آيات الهداية، والتّوراة، وجاءت نعمة الله بصيغة النكرة؛ لتشمل كلّ نعمة مهما كانت، ومنها نعمة الإسلام، وتبديل النعمة، أو إبدالها يعني: تغييرها، وتحريفها، أو إخفائها، أو تأويلها عن حقيقتها.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾: من بعد ما تمكن من معرفتها كقوله: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، وإلا كيف يبدلها، وهي غائبة عنه. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾: الفاء، وإن: للتوكيد.

﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: والعقاب: هو الجزاء على فعل الذّنب، أو الجرم عقيب فعله؛ أي: يقع في الدنيا؛ أي: معاقبة فاعل الذّنب، أو الجرم على ذنبه، أو جرمه مباشرة؛ أي: عقيب فعله، والعقاب من التعقيب، ويختص بالدنيا، أما العذاب فيقع في الدنيا، أو الآخرة، والعذاب أوسع من العقاب، والعذاب قد يؤخر إلى مدّة من الزمن قد تطول، أو تقصر، وقد لا يحدث إلّا في يوم القيامة.

ووردت في القرآن: أنّ الله شديد العقاب، أو سريع العقاب.

وقد ذكرت كلمة العقاب في القرآن في (٦٤) موضعاً، بينما كلمة العذاب وردت في (٣٦٠) موضعاً، ووردت في القرآن: أنّ الله شديد العذاب، ولم يرد في كل القرآن عبارة: أنّ الله سريع العذاب.



وردت كلمة نعمة في هذه الآية بالتاء المربوطة.

ووردت نعمة بالتاء المربوطة في (٢٥) آية بينما وردت نعمت بالتاء المفتوحة في (١١) آية.

وتبيّن أنّ التاء المربوطة تأتي في سياق النعمة العامة، أو الظاهرة. والنعمة بالتاء المفتوحة «نعمت»: تأتي في سياق النعمة الخاصة بالمؤمنين، وهي نعمة لا يمكن إحصاؤها، والله أعلم.

[٢١٢] ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾:

﴿زُيِّنَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، وجاء به كفعل ماض كأنه أمر طارئ لا يلبث أن يزول، والتزين أمر قديم، والمزين هنا الشيطان، والتزين يكون بالوساوس، والإغراء، والتّحسين، والشّهوة العاجلة.

﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: اللام: لام الاختصاص، الذين كفروا: أي: من يسير على درب الكفر. ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: ﴿الدُّنْيَا﴾: من الدنوّ؛ أي: القرب، وتسمى العاجلة، مقارنة بالآخرة، أو تعني: الدنيئة، الحياة السفلية، فالشيطان زين للكافرين الحياة الدّنيا حتّى فتنوا بها وأحبوها حباً شديداً، وآثروها على الآخرة، فلا يحسدون عليها.

﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: يسخرون: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على تجدد فعل السّخرية عندهم من الذين آمنوا، وآثمه مستمر ولا ينقطع في الحياة



الدنيا، والسخرية: هي الاحتقار، والذل، والازدراء؛ لضعف، أو عيب، أو نقص، أو جبن، وتكون قولاً، أو فعلاً في وجه المسخور منه، والسخرية: لا تستعمل إلا مع الأشخاص، أو الأعمال، ولا بد من وقوع فعل سابق من المسخور منه؛ أي: لا بد من وجود سبب يدعو إلى السخرية، وتختلف عن الاستهزاء الذي لا يقتضي بوجود سبب له، يسخرون من الذين آمنوا؛ لكونهم فقراء، أو لتصديقهم بالآخرة، أو أتباعهم النبي ﷺ، أو لكونهم قلة، وغيرها. . .

﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾؛ أي: المؤمنين في الجنة في عليين، والكفار في سجين، أو النار، أو فوقهم منزلة ودرجة.

﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: جملة اسمية؛ تدل على الثبوت، والاستعلاء، والديمومة.

﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغير تقدير، ولا حصر، ولا تعداد؛ لأن خزائنه لا تنفذ، ولا تنقص، ولا علاقة لهذا الرزق له بكثرة الطاعة، أو قلتها، أو بكونه مطيعاً، أو عاصياً مؤمناً، أو كافراً، ولا يعني ذلك من دون حكمة، ومن دون ابتلاء، والرزق لا ينحصر في المال فقط، بل كذلك العلم، والخلق، والأهل، والجاه، بغير أن يُسأل سبحانه عما يفعل لماذا ترزق فلان ولا ترزق فلان، والرزق قد يحصل من حيث لا يحتسب العبد.

[٢١٣] ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾:

﴿كَانَ﴾: فعل ماضٍ.



﴿النَّاسُ﴾: ارجع إلى الآية (٢١) من سورة البقرة.

﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: الأمة: جماعة من الناس تربطها عقيدة واحدة «دين واحد»، أو ملة، أو شريعة، أو مبادئ واحدة، ولا يهم الكم البشري، ولا الحيز الجغرافي، وكما روي عن ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون على شريعة من الحق.

﴿وَاحِدَةً﴾: أي: على دين واحد، أو على عقيدة واحدة، دين الإسلام والتوحيد والعبودية لله وحده، ما بين آدم ﷺ، ونوح ﷺ؛ أي: على «عبادة الله وحده».

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾: ﴿فَبَعَثَ﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة، بعث: من البعث: ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة، فبعث الله النبيين بعد أن اختلفوا في التوحيد والعبودية وبعد أن انتشر الضلال، والشرك، وعبادة الأوثان، بعث الله النبيين وعلى رأسهم نوح ﷺ لهدايتهم؛ حيث أصبح أكثر الناس من الضالين، والمشركين فتوالى إرسال النبيين وقبل الاختلاف لم يبعث.

﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾: مبشرين لأهل الإيمان، ومنذرين لأهل الكفر، والعصيان، والمكذبين رسلهم، وما أنزل الله.

﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: أنزل مع النبيين الكتب السماوية، والكتاب: اسم جنس، ويشمل صحف إبراهيم، وموسى، وشيث، والزبور، والتوراة، والإنجيل، والقرآن.



﴿يَأْتِيكَ﴾: الباء: للإلصاق؛ أي: بالشرائع، والأحكام التي تهدي الناس للحق، والصراط المستقيم، وعبادة الله وحده.

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾: اللام في ليحكم: للتوكيد؛ أي: أنزلنا الكتب، والصّحف، والأنبياء، والأحكام، والشرائع؛ لهداية الناس، وليحكم بها الناس فيما اختلفوا بينهم بين الحق والباطل، والحلال والحرام، والشرك والتوحيد، والهداية والضلال؛ فجعلوا تلك الأحكام والشرائع مصدر جديد؛ للاختلاف بينهم، وخلطوا بينها، وقلّدوا آباءهم، واتبعوا أهواءهم، وحاربوا أنبياءهم ورسولهم.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾: ﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: النافية، ﴿اخْتَلَفَ فِيهِ﴾: «تعود على الحق، أو الكتاب»، من أحكام وشرائع، وفيه كلّ ما اختلفوا فيه من عقائد، وبدع، وعادات، وتقاليد، وفيه: قد تعود على محمد ﷺ، وأنه النبي المبعوث الذي ينتظرونه.

﴿إِلَّا﴾: أداة الحصر، ﴿الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾: وهم أهل الكتاب «بنو إسرائيل وأتباع عيسى بن مريم».

﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾: «الآيات والأدلة الصادقة على نبوة محمد، وأنه هو النبي المبعوث»، وما ذكر في التّوراة والإنجيل في نعتة وصفته.

﴿بَغِيًّا بَيْنَهُمْ﴾: أي: سبب هذا الاختلاف هو البغي؛ أي: الحسد، والحرص على الدنيا.

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: فهدى الله تعالى الذين آمنوا؛ أي: أمة محمد ﷺ

إلى الحق بإنزال القرآن، وإرسال محمد ﷺ نبياً ورسولاً، وهدى بعض أهل الكتاب أمثال عبد الله بن سلام من الذين آمنوا كذلك.

﴿لَمَّا اٰخْتَلَفُوْا فِيْهِ مِنَ الْحَقِّ﴾: هداهم بشأن عيسى عليه السلام، وبشأن محمد ﷺ، وبشأن القبلة وغيرها، فهم اختلفوا في الحق، وكان من المفروض عليهم أن لا يختلفوا فيه.

﴿بِاٰذِنِهِ﴾: بأمره، ومشيتته. ارجع إلى الآية (٢٥٥) من نفس السورة.

﴿وَاللّٰهُ يَهْدِيْ مَنْ يَّشَاءُ اِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ﴾: الصراط المستقيم: الدين الحق، دين التوحيد، وعبودية الله دين الإسلام، والله يهدي من شاء، أو طلب الهداية إلى الصراط المستقيم: وهو الطريق المستقيم الموصل إلى الغاية بأقصر زمن، أو مسافة، ومن دون عائق، أو مشقة.

[٢١٤] ﴿اَمْ حَسِبْتُمْ اَنْ تَدْخُلُوْا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَّثَلُ الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَّسَّتْهُمُ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَآءُ وَزُلْزِلُوْا حَتَّى يَقُوْلَ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّٰهِ اَلَا اِنَّ نَصْرَ اللّٰهِ قَرِيْبٌ﴾:

سبب النزول: قال بعض المفسرين: نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الشدة، والفقر، والبرد، وسوء العيش، وبلغت القلوب الحناجر.

المناسبة: في الآية السابقة (٢١٣) قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللّٰهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا مَّبْشِرًا وَمُنْذِرًا﴾: مبشرين بالجنة، ومنذرين بالنار، فجاءت هذه الآية تنمة لها؛ لتخبر هؤلاء المبشرين بالجنة بأن دخولها يحتاج إلى صبر، ومجاهدة، وتحمل الزلزلة.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي، والهمزة: للاستفهام الإنكاري، ينكر على هؤلاء ظنهم بدخولهم الجنة من دون ابتلاءات شديدة.

﴿حَسِبْتُمْ﴾: اعتقدتم به من حسب، والحساب نوعان: حسي «العادي»، وحساب قلبي؛ مبني على النظر، والتجربة، وحسبتم من الحساب القلبي.

﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾: ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري يفيد التوكيد، ﴿تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾.

﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾: لما: للنفي المستمر إلى زمن الحال.

﴿يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾؛ أي: حسبتم أنكم ستدخلون الجنة من دون أن تفتنوا وتبتلوا بمثل ما فتن وابتلي الذين من قبلكم، ﴿مِنْ﴾: ابتدائية، وتفيد الزمن القريب.

﴿مَسَّهُمْ﴾: المس: هو اللمس الخفيف الذي لا يكاد يذكر.

﴿أَلْبَاسًا﴾: الفقر، والشدة، والجوع، والخوف.

﴿وَالضَّرَاءَ﴾: المرض، والألم، ونقص في الأموال، والأنفس والجراحات، والقتال، والعواصف، والكوارث الطبيعية، وسواء كانت فردية، أو جماعية.

﴿وَزُلْزِلُوا﴾؛ أي: أصابتهم المصائب الكبرى والمتكررة، وبأشكال ودرجات متنوعة، كلمة زلزلوا: لها تعبير صوتي خاص، وهذه الكلمة أصلها: زلزلة، وهذه الكلمة لها مقطعان: زل الأولى، وزل الثانية، وزل معناها: سقط عن مكانه، أو وقع من مكانه، والثانية: زل لها نفس المعنى فالكلمة تعطينا معنى الوقوع المتكرر، هناك وقوع أول ووقوع ثان، والوقوع الثاني ليس استمراراً

للموقع الأول، ولكنه في اتجاه معاكس، فكأنَّ الأول في اتجاه اليمين، والثاني في اتجاه الشمال مثلاً.

وكذلك مثل كلمة الخلخلة: حركة في اتجاهين معاكسين، جهة اليمين، وجهة الشمال، وهذا ما يحدث في حادثة الاصطدام، فالجسم في السيارة يتحرك مندفع مع اتجاه السيارة، فعندما يكبح السائق جماع السيارة يندفع جسم الراكب، ويلتطم بالزجاج، وهذا مثال لما يحدث في الزلزلة.

﴿وَزُلْزِلُوا﴾: أصابتهم الفاجعة، والمصائب الكبرى المتكرر الواحدة بعد الأخرى، وهي لا تتكرر على نمط واحد، وإنما يتكرر عددها، وتتكرر الإصابات، والابتلاءات بأشكال مختلفة، حتّى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله. ﴿حَتَّى﴾: حرف غاية نهاية الغاية، وهو حتّى أن يقول الرسول والذين آمنوا معه.

﴿يَقُولُ﴾: انتبه إذا جاء الفعل بعد حتّى منصوب بالفتحة، فهو يدل على أنه لم يقع، ولو جاء الفعل بعد حتّى مرفوع بالضمّة؛ كقوله: حتّى يقول: تدل على الماضي؛ أي: وقع الفعل (بالماضي).

وإذا جاء الفعل بعد حتّى منصوباً يدل على الاستقبال، مثل حتّى يقول؛ يعني: أن رسول الله ﷺ وأصحابه لم يقولوا ذلك، ولم يشكوا في نصر الله.

﴿الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾: ﴿رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وصحابته﴾.

﴿مَتَى﴾: ظرف زمان واستفهام يتضمن معنى الاستبطاء والاستبعاد.

﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾: الفوز، والغلبة. انظر إلى الفرق بين النصر والفتح في سورة



النَّصْر، النصر الغلبة بالقوة، والسَّلاح، والعتاد، والفتح: النصر من دون قتال، أو معركة.

﴿أَلَا﴾: حرف استفتاح تفيد التحقيق؛ أي: أن نصر الله قريب، إن: للتوكيد، والسؤال هنا من قال متى نصر الله، ومن أجاب ألا إن نصر الله قريب

الاحتمال الأول: من قال، أو سأل: هم الصَّحابة أنفسهم، ومن أجاب هم أنفسهم أيضاً؛ أي: تساءلوا أولاً، ثم ثابوا إلى رشدهم، وأجابوا أنفسهم: إن نصر الله قريب فما علينا إلا الصبر والتوكل.

الاحتمال الثاني: ربما هناك قسم منهم قالوا: أو تساءلوا متى نصر الله، وقسم آخر منهم أجابوهم: إن نصر الله قريب.

الاحتمال الثالث: الَّذِينَ تساءلوا، أو قالوا: متى نصر الله؟ هم الصَّحابة، وَالَّذِينَ أجابهم: إن نصر الله قريب: هو الرَسُول ﷺ.

الاحتمال الرابع: الَّذِينَ تساءلوا الصَّحابة، أو غيرهم من النَّاس، وَالَّذِينَ أجابهم هو الله سبحانه عن طريق جبريل ﷺ، أو الإيحاء، والإلهام.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾: وردت في ثلاث آيات مختلفة في السياق، وهي:

سورة البقرة، الآية (٢١٤): ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

سورة آل عمران، الآية (١٤٢): ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ ١٤٢ ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾.

سورة التوبة، الآية (١٦): ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَةً﴾.

إذا نظرنا في سياق آية البقرة: نجد أنها جاءت في سياق النصر، وأن الصحابة يجب أن يصبروا على البأساء والضراء، كما صبر الذين خلوا من قبلهم.

وأما في آية آل عمران: فقد جاءت في سياق الجهاد، وما حصل للمؤمنين يوم أحد من الهزيمة، والقتل، والجراحات، فهي تحثهم على الثبات، والصبر رغم هزيمتهم.

وأما آية التوبة: فقد جاءت في سياق التحذير من النفاق، وإفشاء الأسرار للأقارب، أو الكفار المعاندين لرسول الله ﷺ، وهناك احتمال آخر هو: كل الآيات جاءت في سياق الجهاد.

فآية التوبة: تشير إلى أهمية السرية، وكنم الأخبار، والأنباء قبل المعركة، والاستعداد لها.

وآية البقرة: تشير إلى أهمية الثبات، والصبر في أرض المعركة.

وآية آل عمران: تشير إلى أهمية الصبر، والثبات بعد المعركة، خاصة إذا حصلت هزيمة.

[٢١٥] ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ وَاللَّائِقِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا نَفَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

سبب النزول: كما روى ابن عباس ؓ: هو أن عمر ابن جمحوج الأنصاري



كان شيخاً له مال كثير، فسأل رسول الله ﷺ ماذا ننفق من أموالنا، وأين ننفقه، فنزلت هذه الآية، والعبرة ليست بخصوص السبب، وإنما بعموم اللفظ..

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: يعني: السائل يقف أمام المسؤول ليسأله، بينما ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٥٣]، ليس ضرورياً أن يكون السائل أمام المسؤول ليسأله.

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: السؤال في حكم شرعي، أو غير حكم، أو أمر يهيم الناس، ودائماً يأتي بعد كلمة يسألونك قل إلا في آية واحدة جاءت كلمة فقل، والسبب في ذلك أن السؤال لم يُسأل حتى ذلك الحين، وسوف يُسأل في المستقبل، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥]. ويسألونك جاءت بصيغة المضارع في (١٥) آية، وآية واحدة جاءت بصيغة الماضي: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾.

أما الفرق بين يسألونك، و: ويسألونك «بزيادة الواو» هناك تفسيرات:

التفسير الأول: حين يبدأ بـ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: يبدأ موضوعاً جديداً؛ أي: بداية كلام جديد، وحين يبدأ بـ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ فيها عطف بالواو على ما قبلها؛ أي: تمة لما سبقه.

التفسير الثاني: وهو الأقوى، حين يقول: ويسألونك «بالواو»؛ يعني: أنهم سألوا ذلك السؤال مع أسئلة أخرى في زمن، أو وقت واحد؛ أي: سألوه سؤال تلو الآخر، أما حين يقول: يسألونك فتعني سألوه أسئلة في أزمان مختلفة، وأحوال متفرقة.

﴿مَاذَا﴾: أقوى في الاستفهام من ما لوحدها.



﴿قُلْ﴾: يا مُحَمَّد ﷺ.

﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾: ما: شرطية، ﴿أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾: الخير هو المال وتعريف الخير: هو الشيء الحلال الطيب الحسن النافع، من: استغرافية تستغرق كل خير. أما أين تنفقه:

﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَلِيتِمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، تفيد التوكيد، واللام في اللوالدين: لام الاختصاص والاستحقاق، والأفضل الإنفاق على الوالدين، والأقارب؛ لأنه أعظم ثواباً يجمع صلة الرحم، وثواب الإنفاق؛ لأن الباقي المساكين، وابن السبيل، واليتامى تشملهم آية الزكاة. ﴿وَمَا﴾: ما: هنا شرطية.

﴿تَفْعَلُوا﴾: أي: تنفقوا، أو تخفوا في صدوركم.

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾: من استغرافية تشمل كل خير، والخير كما سبق هو الشيء الحلال الطيب الحسن النافع.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾: الفاء وإن: للتوكيد.

﴿بِهِ عَلِيمٌ﴾: عليم صفة مبالغة؛ أي: كثير العلم، يعلم ما تنفقون، أو أحاط علمه بكل نفقة صغيرة، أو كبيرة، وأحاط علمه بما تخفي الصدور، ارجع إلى الآية (٢٩) للبيان، وهذه الآية تحض على نفقة التطوع.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٢

سُورَةُ التَّوْبَةِ

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ
الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ
عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ
حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ
مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ
هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ
اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا
أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾





سورة البقرة [الآيات ٢١٦ - ٢١٩]

[٢١٦] ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾:

بعد ذكر الإنفاق في الآية السابقة يذكر في هذه الآية الجهاد الذي يحتاج إلى الإنفاق، كذلك، وبذل المال والأنفس.

﴿كُتِبَ﴾: فرض عليكم، قيل: هذه أول آية فرض فيها الجهاد «القتال»، وذلك في السنة الثانية من الهجرة.

﴿عَلَيْكُمْ﴾: على تنفيذ الاستعلاء لما في الجهاد من علو منزلة ورفعة وعليكم خطاب إلى الصحابة، ومن بعدهم جميع المسلمين.

﴿الْقِتَالُ﴾: الجهاد. ارجع إلى سورة الحج آية (٣٩) لمعرفة الفرق بين القتال والجهاد.

﴿وَهُوَ﴾: الواو: للتوكيد، هو: ضمير الزيادة والتوكيد.

﴿كُرْهُ﴾: بضم الكاف؛ أي: الشاق على النفس، والثقيل، ولكنها مشقة مرغوبة بها من قبل صاحبها، ومقرونة بالإرادة والرغبة؛ للقيام بها لما يترتب عليها من ثمار، أو ثواب.

ووردت هذه الكلمة ثلاث مرات في القرآن مرتين في الحمل، ومرة في الجهاد، ويجب أن ننتبه إلى الكلمة الأخرى المشابهة، وهي كره بفتح الكاف، ووردت في خمس مواضع، وهي تعني: الإكراه، والقهر على فعل الشيء مثال:



﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ [النساء: ١٩].

﴿أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [التوبة: ٥٣].

﴿وَعَسَى﴾: من أفعال الرجاء المرجو حصولها في المستقبل.

﴿أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري للتوكيد؛ أي: هذا القتال الذي تكرهوه لما فيه من الآلام والمشقة، وزهق الأرواح: هو في الحقيقة خير لكم؛ لما فيه العزة، وحسن الثواب، والأجر العظيم.

﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾: مثل القعود عن الجهاد، شرٌّ لكم؛ لأنه قد يدفع العدو إلى انتهاك حرمانكم، وقتل أولادكم، ونسائكم، فإله سبحانه لا يشرع، أو يفرض أمراً؛ إلا فيه مصلحتكم، ومقاييس العباد ليست كمقاييس الله سبحانه؛ لأنه سبحانه:

﴿يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: يعلم ما فيه الخير لكم والشر، وما يضركم وما ينفعكم؛ لأنه عالم الغيب والشهادة، وعلام الغيوب.

[٢١٧] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

سبب النزول: حين قتل الصحابة ابن الحضرمي، ولم يدروا يوم قتلوه أنهم دخلوا في الأشهر الحرم كانوا يظنون من جمادى الأخرى، وكان أول يوم من رجب، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام «أي: رجب»، فنزلت

هذه الآية، واختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحرم، فمنهم من قال: أن الحكم باق، ومنهم من قال: إنه منسوخ بسبب هذه الآية.

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: ارجع إلى الآية (١٨٩) من سورة البقرة للبيان.

﴿عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾: الأشهر الحرم: وهي أربعة أشهر في العام، وهي رجب «فرد»، وثلاثة سرد «ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم»، ومعنى الأشهر الحرم: أي: أن القتال محرّم فيها، لقوله تعالى في سورة التوبة آية (٣٦): ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْقَيْتُمْ﴾، والشهر: اسم جنس.

﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾: أي: يسألونك عن القتال في الأشهر الحرم.

﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾: قل يا محمد ﷺ: القتال في الأشهر الحرم ذنب عظيم مستنكر.

﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: ومنع الناس عن سبيل الله «عن دين الله»، أيضاً ذنب عظيم أكبر من القتال في الأشهر الحرم.

﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾: بالله، ذنب عظيم أكبر من القتل في الشهر الحرام.

﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: والصد عن المسجد الحرام بمنع الناس من الحج والعمرة ذنب عظيم.

﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: إخراج الرسول ﷺ، والصّحابة من مكة، أكبر عند الله؛ أي: أكبر على وزن أفعّل؛ أي: أعظم من القتال في الأشهر الحرم.



﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾: الشُّرْكُ، والكُفْرُ، واضطهاد المسلمين ليكفروا ويرتدوا عن دين الله أكبر من القتل؛ أي: أعظم وزناً من القتل.

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية، لا: النافية.

﴿وَالَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمُ﴾؛ أي: لا يزالون مستمرين على قتالكم، وعداوتكم، والنَّوْنُ في يقاتلونكم؛ للتأكيد.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية نهاية الغاية، والغاية هي ﴿رُدُّوكُمُ عَنْ دِينِكُمْ﴾.

﴿رُدُّوكُمُ عَنْ دِينِكُمْ﴾: أي: يعيدوكم إلى الكفر، والشرك بالردة، والإكراه.

﴿إِنْ أَسْطَلْعُوا﴾: إن: شرطية تتضمن معنى الشك في الحدوث، أو النادرة؛ «أي: وكلما يحدث ذلك».

﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ دِينَكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾: ومن: الواو استئنافية، من: شرطية، يرتدد بفك الإدغام، والفك «فك الإدغام» أثقل من الإدغام كقوله: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ دِينَكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾، كما جاء في سورة المائدة، آية (٥٤).

فجاء بالفعل الثقيل يرتدد في سياق الحرب والقتال والفتنة في سورة البقرة؛ أي: ليناسب الحال، وبالإدغام يرتد في سورة المائدة، في سياق الردة من الإسلام إلى الكفر في حالة السلم والصلح.

﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾: الفاء: تدل على الترتيب والتعقيب، يموت: وهو كافر: هو: تفيد الحصر والتوكيد؛ أي: يموت هو في حالة الكفر.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد، أولئك: اسم إشارة، واللام للبعد.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: بطلت وفسدت أعمالهم وذهب ثوابها في الآخرة.



﴿حَطَّتْ﴾: أصلها من مرض الحبط؛ أي: الحبن؛ الذي يصيب الماشية، وهو مرض يصيب الكبد، فينتفخ بطنها بالسوائل، وتصاب بالحبن «انتفاخ البطن بالسوائل»، فيظنها المشاهد سمينه، ويفرح بها لما فيها من اللحم، ولكنه يفاجأ بأنه مرض، وليس شحماً، فلا يستفاد منها بشيء عند ذبحها؛ لفسادها حتى أنه يشمئز من رائحتها، وهكذا أعمال الكفرة.

﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: كما سبق، وإعادة أولئك تفيد التوكيد، ارجع إلى الآية (٣٩) من سورة البقرة.

[٢١٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

نزلت هذه الآية في عبد الله بن جحش، وأصحابه؛ ليطمئنهم الله سبحانه أنهم غير آثمين لما فعلوه بسبب قتالهم في الأشهر الحرم، وقتلهم عمرو بن الحضرمي كما شنع عليهم الناس فهم يرجون رحمة الله، والله غفور لذنوبهم ورحيم بعباده.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل للتوكيد.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: إيماناً خالصاً لوجه الله.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: لنصرة دين الله، وجاهدوا لإعلاء كلمة الله، ودحر الكفر والشرك.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد أي: بعد منزلتهم وعلوها.

﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾: رحمة الله: ثوابه وجنته، يرجون من الرجاء والرجاء: هو الظن بوقوع الخير الذي يعتري صاحبه الشك فيه والخوف، والرجاء هو الأمل بالخير «أو ترقب الخير مع تغليب الظن بحدوثه»؛ لأن الإنسان قد يقوم



بأعمال كثيرة ظاهرها البر، والتقوى، والإصلاح، والخير، وقد تحدثه نفسه بشيء
يفسد عليه عمله؛ كالرياء، والمن، والأذى، فالرحمة غير مؤكدة أحياناً.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: ارجع إلى الآية (١٧٣) من نفس السورة.

[٢١٩] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا
أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾:

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: عن تعاطي الخمر والميسر، ارجع إلى الآية (١٨٩) من
سورة البقرة.

﴿عَنِ الْخَمْرِ﴾: وسميت خمرًا؛ لأنها تخامر العقل؛ أي: تخالطه،
وتستره، وتغطيه، وسواء كان عصير العنب المتخمر، أم الشعير، أم التمر.

﴿وَالْمَيْسِرِ﴾: أي: القمار مثل ضرب الأقداح، والأزلام، والرد، وسميت
بالميسر المأخوذ من اليسر؛ لأن صاحبه ينال المال بيسر وسهولة من غير تعب.

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ.

﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾: ما هو هذا الإثم الكبير لم يبين في هذه الآية، ولكنه
يبينه في آية أخرى، وهو إيقاع العداوة، والبغضاء بين الناس، والصد عن ذكر الله،
وعن الصلاة، كما قال في المائدة، آية (٩١): ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ
الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾.

الإثم: الذنب، والإثم لا يحدث إلا تعمدًا، والإثم لما يجره من فساد العقل
والمخاصمة، وتعطيل الصلوات، الكبير: العظيم. ارجع إلى سورة الأعراف آية
(٣٣) للبيان.



﴿وَمَنْفَعُ النَّاسِ﴾: المنافع المادية، والاقتصادية من ربح، والضرائب المفروضة عليها التي تفوق التصورات البشرية، ومنافع جمع منفعة؛ أي: المال. ﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص، الناس: ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾: عقاب الإثم في تعاطيهما، أكبر من نفعهما: وهو التلذذ بشرب الخمر، أو النفع المادي؛ أي: الربح من صنعتهما، أو بيعهما، والميسر، وما يحققه من الربح من دون أي جهد.

والآن نستعرض الأربع آيات التي وردت في سياق تحريم الخمر الذي تم على مراحل أربع:

- الآية الأولى: من سورة النحل، آية (٦٧):

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَبِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

وهذه المرحلة الأولى كان المسلمون يشربونها، وكانت حلال يومئذ.

- الآية الثانية: من سورة البقرة (٢١٩):

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾.

وهذه المرحلة الثانية بعد نزول هذه الآية تركها قوم لقوله: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، واستمر البعض الآخر في شربها.

- الآية الثالثة: من سورة النساء، آية (٤٣):

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾.



نزلت كما أخرج الترمذي وأبو داود بعد أن صلى أحد الصحابة بالناس في صلاة المغرب بعد أن شرب الخمر فقراً: «قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون»، فكانت هذه المرحلة الثالثة: حُرْم شربها في أوقات الصلاة، واستمر بعضهم في شربها بعد صلاة العشاء وغير أوقات الصلاة.

ـ الآية الرابعة: في سورة المائدة، آية (٩٠-٩١):

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴾.

نزلت هذه الآية بعد غزوة الأحزاب بأيام، فقال الصحابة عند نزولها: انتهينا يا رب.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾: نرى هنا زيادة الواو، وفي الآيات السابقة لم تستعمل الواو، وتعليل ذلك هو أن السؤال في الآية (٢١٥) كان في زمن، والسؤال في الآية (٢١٧) كان في زمن آخر، ولم يستعمل الواو.

أما الأسئلة التي في الآية (٢١٩)، والآية (٢٢٠، ٢٢٢)، فكانت كلها في آن واحد واستعمل فيها الواو.

﴿مَا ذَا يُنْفِقُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٢١٥).

﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾: قالوا العفو: ما يزيد عن الحاجة التي يحتاجها الإنسان، وأهله، وكان ذلك قبل فرض الزكاة، والعفو يقصد بها نفقة التطوع، قل العفو: هذا يدل على المقدار، أو الكم، أو الجزء.

انظر إلى ترابط الآيات التالية:

الآية (٢١٥): ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ (ما نوع الإنفاق)، فجاء الرد:
﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ (أي: مال، أو ما شابه).

وعلى من تنفق؟ فجاء الرد: ﴿فَلِللَّذِينَ وَاللَّذِينَ الْأَقْرَبِينَ وَاللَّتِمَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ
السَّبِيلِ﴾.

والآية (٢١٩): ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْمَعْفَى﴾ (أي: ما مقدار الإنفاق
والكم؟): ﴿قُلِ الْمَعْفَى﴾، ثم بين ذلك بقوله: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ﴾
[المعارج: ٢٥-٢٦]؛ تشمل الزكاة والصدقات.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾: الكاف: للتشبيه، فليس هناك تكرار في
السؤال؛ أي: مثل ما يُبين لكم الآيات السابقة، أو كما فصل لكم هذه الأحكام
وبينها وأوضحها، كذلك يُبين لكم سائر الآيات في الأحكام الأخرى.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾: لعلكم تتفكرون: من التفكير: وهو النظر في
الدلائل، والتأمل والتثبت وإعمال العقل في المقارنات والمعطيات للوصول
إلى الحكم أو الحكمة؛ أي: لتتفكروا في أمور دنياكم، وآخرتكم، فتؤثرون
الأنفع والأصلح لكم على الفاني والداني، في النجاة من النار، وجنات النعيم
على عذاب الخلد، ورضوان الله تعالى على سخطه وغضبه، وثواب ترك الخمر
والميسر على تعاطيهما.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٢

الجزء الثاني

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي مَنَىٰ قُلُوبُ إِصْلَاحٍ لَهُمْ
خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ
الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾
وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَا أُمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ
مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ
يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ
يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يُدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ
وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ
وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾
نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ
﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا
وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾



سورة البقرة [الآيات ٢٢٠ - ٢٢٤]

[٢٢٠] ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُواهُمْ فَأَخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمُ إِنَّا اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة، وما يصلح الدارين، ويسعدكم فتكونون من المفلحين.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ﴾: نزلت هذه الآية بعد أن نزلت الآية (١٥٢) من سورة الأنعام ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، والآية (١٠) من سورة النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾: عندها خاف المؤمنون من هذا الوعيد، فاعتزلوا اليتامى، وعزلوا أموال اليتامى عن أموالهم، وتركوا مخالطتهم، والقيام بأموالهم، والاهتمام بمصالح اليتامى، فشق ذلك عليهم، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه عن اليتامى، فنزلت هذه الآية كما روي عن ابن عباس.

﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾: أي: مخالطتهم على قصد الإصلاح لهم، ولأموالهم خير من اعتزالهم، إصلاح نكرة تشمل أي إصلاح، إصلاح يشمل الرعاية التامة بما فيها الرعاية الصحية، والعقيدة، والخلق، والمال، وكل أمر يتعلق بالإصلاح، وقدم لهم على خير: اللام في لهم تفيد الاختصاص.

﴿وَإِنْ﴾: شرطية، وتدل على قلة الحدوث.

﴿تُخَاطَبُواهُمْ فَأَخْوَانُكُمْ﴾: أي: تخلصوا أموالكم بأموالهم في النفقة، أو المعيشة، أو المصاهرة، وكل الأمور الحياتية، فإخوانكم في الدين.



﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾: الفاء: للتوكيد، تخالطوهم بسبب كونهم إخوة لكم.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾: واللّه يعلم ما في صدوركم، من هو المسيء من المحسن فيجازه حسب عمله، ومن يخون ويغدر أو يأكل مال أخيه ظلماً وهضمًا.

وفي هذا تحذير وحماية لمال اليتيم، ثم زاد الله منته عليهم برفع الحرج في المخالط.

فقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ﴾: العنت: الشدة، والمشقة، والضيق، والحرج، ﴿لَأَغْنَتْكُمْ﴾: اللام: للتوكيد، أصلها: ولو شاء أغنتكم؛ أي: ضيق عليكم، وما أباح مخالطتهم.

وهذا على سبيل التحذير؛ لأنّ العنت لا ينسب إلى الله تعالى؛ لأنّ الله عزيز حكيم.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: ﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، ﴿عَزِيزٌ﴾: القوي الذي لا يُغلب، ولا يقهر، والممتنع، وله العزة جميعاً، ﴿حَكِيمٌ﴾: فما شرع لخلقه وكونه الحكيم في صنعه، وتدبيره، وما يحكم، ولا يخلق عبثاً، وحكيم مشتقة من الحكم؛ فهو أحكم الحاكمين، ومشتقة من الحكمة؛ فهو أحكم الحكماء. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة.

[٢٢١] ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَبَيِّنُ ۖ آيَاتِهِ ۖ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية، لا: الناهية.



﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾: أولئك: اسم إشارة، للبعد يفيد دنو منزلتهم، وتحقيرهم، وتشير إلى أهل الشرك، المشركات والمشركين يدعون إلى الكفر، فحقهم أن لا يوالوا، ولا يصاهروا، والتون في يدعون للتوكيد.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾: يعني: المؤمنون أولياء الله يدعون إلى الجنة، أو الله يدعو على لسان رسوله إلى الجنة.

﴿وَالْمَغْفِرَةِ﴾: أي: التوبة، والتوبة تؤدي إلى المغفرة.

﴿يَاذُنِهِ﴾: بإرادته، وتوفيقه للعمل الذي يستحق به الجنة والمغفرة. ارجع إلى الآية (٢٥٥) لمزيد من البيان.

﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ﴾: يوضح آياته، وأحكامه.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاستحقاق.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: للتعليل.

﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: أي: ليتذكروا أوامر الله ونواهيه.

[٢٢٢] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْرِضُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

هذا هو السؤال الثالث الذي سئل عنه رسول الله ﷺ في زمن واحد. سئل ماذا ينفقون، وسئل عن اليتامى، وعن المحيض.

وإضافة الواو إلى كلمة يسألونك: تدل على أنهم يسألون رسول الله عدة أسئلة، وهم أمامه، وفي آن واحد.



﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾: ارجع إلى الآية (٢١٥) للبيان.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾: أي: يسألونك عن الجماع أثناء المحيض.

والمحيض: يطلق على سيلان الدم، ويراد به مكان الحيض، ويراد به زمن الحيض.

﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾: تعريف الأذى: هو الضرر، أو ما يكره من كل شيء.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد، يعود على الجماع.

﴿أَذَى﴾: بصيغة التعميم بأن الأذى يصيب الرجل والمرأة.

إذن: أذى هنا لا تعود إلى الحيض بذاته، وإنما تعود على الجماع أثناء الحيض.

حيث يتساقط الغشاء المخاطي للرحم؛ مما يؤدي إلى سيلان الدم. وبالتالي يصبح الرحم كالجرح.

﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾: الفاء: للتأكيد، ﴿فَاعْتَزِلُوا﴾: أي: تجنبوا الجماع، أو الوطء في المحيض.

﴿فِي الْمَحِيضِ﴾: في: ظرفية (زمانية ومكانية)، زمن الحيض، ومكان الحيض.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية؛ لزيادة التوكيد.

﴿تَقَرَّبُوهُنَّ﴾: تفيد التوكيد على عدم الجماع في المحيض، والأهم من ذلك لا تقربوهن، فالاعتزال لا يكفي، بل لا تقربوهن.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية نهاية الغاية؛ أي: حتى ينقطع دم الحيض، وتغتسل المرأة.



﴿يَطْهَرْنَ﴾: ينقطع دم الحيض (أو النفاس).

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: استئنافية، إذا: شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾: ﴿تَطَهَّرْنَ﴾: اغتسلن (الاغتسال من الحيض).

إذن: يطهرن أولاً، ويتطهرن ثانياً؛ أي: ينقطع دم الحيض أولاً (فذاك طهر)،
وثانياً يتطهرن بالاغتسال بالماء (فذلك تطهر)، فإذا انقطع الحيض لا تحل حتى
تغتسل، إذن الشرطان معاً.

﴿فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، والمباشرة.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية، ﴿حَيْثُ﴾: ظرف مكان.

﴿أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾: أي: بالقبل (الفرج)، وليس في الدبر.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿يُحِبُّ التَّوْبِينَ﴾: جمع تائب: التوابين من الذنوب، والتوابين جملة اسمية
تدل على أن التوبة أصبحت سمة ثابتة في فيهم، ووطء المرأة في الحيض لا
كفارة له إلا التوبة، والاستغفار، وعدم العودة إليه.

﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾: بالغسل بالماء، ومن الحدث الأصغر والأكبر.

وتكرار كلمة يحب؛ للتوكيد، وللفصل التوابين عن المتطهرين، فالله يحب
التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب كليهما معاً.

والحكمة من اعتزال النساء في المحيض إضافة إلى الناحية الطبية، وتجنب
الالتهابات والآلام التي تصيب الأنثى، والذكر هناك مراعاة للحالة النفسية للمرأة
في هذه الفترة.

ولا حرج في الإحسان إلى الزوجة في هذه الفترة ورعايتها، والعطف عليها،



ولا بد من طاعة الله فيما أمر، فاعتزال النساء أمر تعبدي - والصبر، والتحكم في النفس والشهوة، أمر مهم في تربية النفوس التربية الإيجابية - ولا يعتبر الحيض عقاباً للمرأة، بل هو في الحقيقة إكرام لها. . . فتبارك الله أحسن الحاكمين.

ولا بد في هذه المناسبة من المقارنة بين ﴿وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾، و﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]:

المطهرين: تعني: (الطهارة البدنية بالوضوء والغسل)؛ أي: يكتسب الطهارة بالوضوء والغسل.

المطهرين: تعني: (الطهارة القلبية من النفاق، وأمراض القلب، وقد تشمل معنى الطهارة البدنية).

وعندما يتطهر الإنسان الطهارة البدنية والقلبية قد يصبح في هذه الصفة كالملائكة المطهرين الذين وصفهم الله في سورة الواقعة آية (٧٩): ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾؛ أي: الملائكة، والله أعلم.

[٢٢٣] ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِنَفْسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ﴿نِسَاؤُكُمْ﴾: أزواجكم.

﴿حَرْثٌ لَكُمْ﴾: موضع حرثكم كالأرض التي تُسْتَنْبَت، وهذا هو منتهى الأدب الرباني؛ حيث شبه النساء بالأرض التي تُحْرَثُ لتنبت الزرع، والمرأة منبت الولد.

﴿لَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ﴾: أي: جامعوا في القبل، أو مكان الإنبات، والنسل.



﴿أَنِّي شِئْتُكُمْ﴾: كيف شئتم، من أين شئتم.

﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾: كالتسمية قبل الجماع، وبالقول كما علمنا رسول الله ﷺ: «اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني» كما جاء في البخاري عن ابن عباس؛ أي: اجعلوا غاية الجماع إنجاب الأولاد الصالحين؛ الذين يدعون لكم في ظهر الغيب بعد انقطاع عملكم، وبعد الموت.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أطيعوا الله، ورسوله فيما أمر، ولا تقربوا ما نهى عنه، وتجنبوا غضبه وعصيانه.

﴿وَأَعْلَمُوا﴾: علم اليقين، ﴿أَنَّكُمْ﴾: أن: للتوكيد، ﴿مُلْقُوهُ﴾: بعد البعث في يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم، وتزودوا بالتقوى، واحذروه. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بالجنة، وحسن الثواب.

﴿وَبَشِّرِ﴾: من البشارة، ارجع إلى الآية (٢٥) من سورة البقرة للبيان. [٢٢٤] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

المناسبة: في الآية السابقة، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: ومن التقوى ألا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا﴾: الواو: استئنافية، لا: الناهية، ﴿تَجْعَلُوا﴾: من الجعل، والجعل من أفعال القلوب، وتعني التصيير.

﴿عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾: العرضة: المانع والحاجب، ﴿لِأَيْمَانِكُمْ﴾: الأيمان: جمع يمين، وهو الحلف بالله؛ أي: لا تجعلوا الحلف بالله، أو اليمين بالله مانعاً لفعل الخير، أو تقولوا؛ لأنني حلفت بالله، أو أقسمت بالله لن أساعده،



أو أنفق عليه؛ لأنه فعل كذا، وكذا، أو لا يستحق، كما فعل أبو بكر رضي الله عنه حين حلف ألا ينفق على ابن خاله مسطح؛ لأنه خاض في حديث الإفك؛ أي: لا تجعلوا اليمين حاجباً، أو مانعاً من فعل الخير، والبر، والتقوى.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدر ي يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿تَبَرُّوا﴾: من البر، والبر: هو الخير الواصل إلى الغير مع القصد، والبر: اسم جامع لكل خير.

﴿وَتَتَّقُوا﴾: أي: تزدادوا تقوى، والتقوى: هي طاعة الله فيما أمر به، أو نهى عنه.

﴿وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾: إصلاح ذات البين بحل الشقاق، والخلاف بين الناس. ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: سميع لأقوالكم، وأيمانكم، وما تقولونه في السر والعلن، وما يقوله كل ما في السموات والأرض.

﴿عَلِيمٌ﴾: بأفعالكم، وأحوالكم، وشؤونكم، لا تخفى عليه خافية.

فهذه الآية تنهى عن كثرة الحلف بالله حقاً، وتجنب الحلف بالله باطلاً، ارجع إلى سورة المائدة، آية (٨٩) لمزيد من البيان.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٢

النِّسَاءِ

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعَوِّلُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَاِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾



سورة البقرة [الآيات ٢٢٥ - ٢٣٠]

[٢٢٥] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ
حَلِيمٌ﴾:

المناسبة: الآية السابقة لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم فجاءت هذه الآية؛
لتبين أنواع الأيمان، منها اللغو في الأيمان، ومنها الأيمان المتعمدة؛ أي: بنية
وقصد.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ﴾: لا يعاقبكم الله بالكفارة على اللغو في أيمانكم.

﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿يُؤَاخِذُكُمْ﴾: يعاقبكم بالكفارة، أو يلزمكم الكفارة.

﴿بِمَا﴾: بما: الباء: للإلصاق، ما: اسم موصول بمعنى الذي، أو مصدرية.

﴿كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: كسبت: الكسب هو جلب النفع أو دفع ضرر. ارجع إلى

سورة البقرة الآية (٢٨٦) للبيان المفصل؛ أي: بما نوت قلوبكم، وتعمدت من
الأيمان؛ لأنه لم يعد مجرد لغو، وفي الآية (٨٩) من سورة المائدة: ﴿بِمَا عَقَّدْتُمُ
الْأَيْمَانَ﴾، مثل اليمين الغموس، أو أن يحلف العبد متعمداً الكذب؛ لغاية ما،
وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: قد تشمل بما عقدتم الأيمان.



﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾: حيث لم يؤاخذكم باللغو في أيمانكم، وغفور: صيغة مبالغة تعني كثير المغفرة، وهي ستر الذنوب، والعفو عنها.

﴿حَلِيمٌ﴾: لأنه لا يعاقبكم مباشرة، بل يؤخر العقوبة؛ لكي يتوب العبد، ويعفو عنه.

لم يبين الحق سبحانه في هذه الآية ما هي الكفارة (كفارة اليمين)، ولكنه بيّنه في سورة المائدة، آية (٨٩) فقال تعالى: ﴿فَكَفَّرْنَاهُ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرُهُ أَيْمَانُكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾.

[٢٢٦] ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

المناسبة: هذه الآية تتحدث عن نوع من الأيمان خاص بالذين يؤلون من نسائهم.

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أي: خاص بالذين يؤلون من نسائهم.

﴿يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾: يؤلون من ألى؛ أي: حلف، أو أقسم، والإيلاء: يعني الابتعاد؛ أي: لهؤلاء الذين يحلفون أن لا يقربوا نساءهم بالوطء؛ أي: الجماع.

﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾: التربُّص هو التلبث في الانتظار، وفيه معنى المتابعة، والملاحظة؛ أي: حدد الله المدة القصوى للإيلاء أربعة أشهر (مقارنة بإيلاء أهل الجاهلية السنة، والسنتين، أو أكثر من ذلك، والسبب في الإيلاء الطويل الزمن هو أن الرجل لا يريد زوجته، ولا يحب أن يطلقها فيتزوجها غيره، ويتركها هكذا

لا أَيْمًا، ولا ذات بعل، فجاء الله سبحانه بهذا الحكم النهائي أربعة أشهر، فإما الفيء، وإما الطلاق.

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب، إن: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿فَأَوْ﴾: رجعوا في هذه المدة عما حلفوا عليه، فأؤوا: من فاء؛ أي: رجع. رجعوا إلى نسائهم بالوطء؛ أي: الجماع، وإن كان الزوج مريضاً، أو مسافراً، أو مسجوناً. قال جمهور العلماء: الفيء يكون باللسان، أو القلب.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾: الفاء: للتوكيد، وإن لزيادة التوكيد.

﴿غَفُورٌ﴾: غفور لهم على ما حلفوا عليه، وغفور لهم على ظلمهم، والضرر الذي ألحقه بأزواجهم.

﴿رَّحِيمٌ﴾: بهم بأن حدد لهم الزمن، أو الكفارة، والفيء.

[٢٢٧] ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو: عاطفة، إن: شرطية تفيد الشك، أو الاحتمال، أو قلة الحدوث؛ أي: إن حدث ذلك.

﴿عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾: العزم: الإرادة على فعل الشيء مع وجود القوة، والقدرة على ذلك؛ أي: تنفيذ الطلاق.

والعزم يكون في القلب، أو أن يؤمر الزوج بأن يطلق زوجته؛ فإن لم يطلقها طلقها الحاكم، واختلف الفقهاء في نوع الطلاق هنا، هل هو طلاق رجعي، أم طلاق بائن.



﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: سميع لأقوالهم، وشهيد على أيمانهم، يعني: عليم بنياتهم، وبغزهم، وما يدور في عقولهم، أو تحدثهم به أنفسهم. ارجع إلى الآية (٢٤٠) لمزيد من البيان.

انتبه: إذا كان الهجر من دون حلف، فليس ذلك إيلاء، وليس عليه كفارة.

[٢٢٨] ﴿وَالْمُطَلَّقَتُ يَتَرَبَّصُّ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبَعُولَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

﴿وَالْمُطَلَّقَتُ﴾: الواو: استثنائية، المطلقات: جمع مطلقة، والطلاق مأخوذ من الإطلاق، وهو الترك، أو الإرسال.

والطلاق في الشرع: حل عقدة النكاح (حل رابطة الزواج).

والطلاق: لا يقع إلا على المرأة إذا كانت مُحللاً له.

﴿يَتَرَبَّصُّ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾: التربص: هو التلبث، والانتظار، ارجع إلى الآية (٢٢٦).

﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾: الباء: باء الإلصاق.

﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾: القرء: هو الحيض، وأصل القرء هو اجتماع الدم في الرحم ثلاث حيضات لمعرفة براءة الرحم، وهناك من يطلق القرء على الطهر الذي بين الحيضتين؛ أي: ثلاثة أطهار.

وحیضة واحدة تكفي لمعرفة براءة الرحم، ولكن الله سبحانه أراد ثلاث حیضات لحكمة قد تكون لإعطاء الزوجين زمناً كافياً؛ لكي يتراجعا.

﴿وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾:

﴿لَا﴾: النّاهية، ﴿هُنَّ﴾: اللام: لام الاختصاص، ﴿أَنْ﴾: للتعليل، والتوكيد.

﴿يَكْتُمْنَ﴾: إذا كنّ ذوات حمل، أو حیض؛ لأنّ كلا الأمرين الحیض والحمل مسائل خفية، لا تعلمها إلا المرأة نفسها، والتصريح بها يعود إلى إيمان المرأة.

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾: سواء أكان الحمل، أم دم الحیض، فهو نوع من الخلق.

﴿إِنْ كُنَّ﴾: إن شرطية تحمل معنى الاحتمال، أو الشك، أو القلة.

﴿يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: لأنّ من يؤمن بالله، واليوم الآخر لا يجترئ على مثل هذا الإثم؛ أي: تقول: أنها حامل، وهي غير حامل، أو بالعكس، أو تتلاعب بزمن العدة.

﴿وَيُعَوِّلُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾: البعل: هو الزوج، والسيد، والمالك.

﴿وَيُعَوِّلُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: في أثناء فترة التربص (ثلاثة قروء)؛ أي: زمن العدة قبل انقضاء الثلاثة قروء.

أي: الزوج أحق برّد زوجته إلى عصمته إذا عدل عن رأيه وشعر بالمحبة بعد المفارقة، وليس الحق لولي الزوجة كالأب، أو الأخ بعدم الرد.



﴿وَيُؤَلِّهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: على شرط عدم الإضرار بها، أو الظلم.

﴿فِي ذَلِكَ﴾: في: ظرفية زمانية، ﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة تشير إلى ثلاث حيضات (أو العدة).

﴿إِنْ﴾: شرطية، ﴿أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾: بالعودة كلٌّ للآخر، وحسن المعاشرة، وعدم الإضرار، وإرادة الخير، وتقويم العوج.

﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾: ولهن اللام لام الاختصاص، والاستحقاق؛ أي: لهن من الحقوق والواجبات على الزوج كما للزوج عليهن من الواجبات والحقوق، والكل يجب أن يتحمل مسؤوليته بما في ذلك المعاشرة الحسنة.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: شرعاً. والمعروف: كل ما كان فعله جميلاً مستحسناً غير مستقبح.

﴿وَالرِّجَالُ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ﴾: هي درجة القوام، والقوام لا تعني الظلم، والتسلط، بل هي مسؤولية التكليف في الإنفاق.

﴿وَالرِّجَالُ﴾: اللام: لام الاستحقاق، وأيهما أفضل الزوج، أم الزوجة؟ إنما يعود ذلك إلى درجة التقوى عند كل منهما.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: القوي الغالب الذي يجب أن يطاع فيما أمر، أو نهى عنه، والذي لا يقهر، والممتنع.

﴿حَكِيمٌ﴾: فيما شرعه لخلقه، وحكيم من الحكمة فهو أحكم الحكماء،

وحكيم؛ لأنه هو الحاكم، والمالك، فهو أحكم الحاكمين. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

فعدة المطلقة عن زوجها: ثلاثة قروء.

وعدة المطلقة الحامل: أن تضع حملها.

وعدة المطلقة اليائسة: ثلاثة أشهر.

[٢٢٩] ﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمِمَّا آتَتْكُمْوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾:

الطلاق: هو حل عقدة النكاح؛ التي جعلها الله سبحانه ميثاقاً غليظاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١].

﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ﴾: قيل: مرتان تعني: الطلاق الرجعي مرتان (الذي فيه الرجعة)؛ أي: الطلقة الأولى، والثانية؛ إذ لا رجعة بعد الثالثة، وبعضهم أطلق على الطلاق الرجعي أسماء أخرى يُفيد معرفتها، فالطلاق المشروع مرتان، أو الطلاق المسنون.

ومرتان: تعني يطلقها، ثم يردّها، ثم يطلقها، ثم يردّها؛ أي: يملك الزوج الإرجاع في مرتين.

كيف يكون الطلاق مرتين، والكل يعلم أنه ثلاثة؟ فالطلاق الرجعي مرتان،



والثالثة هي قوله: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ (كما في الآية ٢٣٩)؛ أي: المرة الثالثة: ﴿فَلَا يَحِلُّ لِمَنْ بَعْدُ﴾.

﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنِ﴾: الفاء: تفيد الترتيب، والتعقيب.

أي: من طلق للمرة الثانية فهو أمام خيارين:

الأول: ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ﴾: بعد المراجعة الثانية. بمعروف: من أداء الحقوق، وحسن الصحبة، والمعروف: هو كل ما كان فعله جميلاً مستحسناً غير مستقبح. فإمساك وتسريح مصادر مرفوعة ورفعها يدل على العموم والثبوت كما جاء في (معاني القرآن)؛ أي: هذه ليست أحكام موقوتة، وإنما أحكام دائمة.

الثاني: ﴿أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنِ﴾: هو أن يتركها بعد الطلاق الثاني حتى تنقضي عدتها، ويسرحها آنذاك بإحسان، والإحسان: واجب؛ أي: يحسن إليها، ولا يظلمها، أو يجبرها إلى المحاكم، وغيرها.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾:

لا يحل لكم أن تأخذوا شيئاً من المهور، أو الهدايا، وغيره إذا تم الطلاق.

﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: حقوق النكاح، وحسن المعاشرة، وعدم

النشوز، أو البغض، والإحصان.

فإذا خاف الزوج أنه لن يقيم حدود الله، وعلم أن النشوز سيكون من قبله،

وهو السبب، أو أنه سوف يعتدي عليها، ويسيء معاملتها فعندها يسرحها، ولا يأخذ شيئاً مما آتاها.

وإذا خافت الزوجة أنها لن تقيم حدود الله، وأن النشوز سوف يكون من قبلها، أو هي تبغضه، وهو يحبها، وهو قائم بحقوق الزوجية، ولكنها هي السبب، وأنها لا تستطيع إصلاح ذلك عندها تطلب الخلع.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾.

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: للتأكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو الشك، ولو استعمل إذا لكان حتماً سيقع ذلك.

﴿خِفْتُمْ﴾: الخطاب موجه إلى الأولياء، والحكام لغير الزوجين؛ الخوف: هو توقع الضرر المشكوك في وقوعه ولم يقل فإن خافا.

﴿أَلَّا﴾: تضم أن المصدرية: للتعليل، والتوكيد، ولا: النافية.

﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: تكرار كلمة حدود الله؛ للتأكيد على إقامة حدود الله، وهي أحكامه، وشرائعه؛ أي: يعتدي أحدهما على الآخر بالنشوز وغيره.

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: فلا إثم، ارجع إلى الآية (١٩٨) للبيان. واستعمل لا جناح بدلاً من ليس عليكم جناح؛ لأنها أشد، وأقوى، وأثبت في النفي من ليس عليهما.

﴿عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾: لا إثم على الزوجة أن تطلب الخلع، ولا إثم عليه أن يخلعها.

وقيل: إن عليهما؛ تعني: الزوج؛ أي: فلا جناح عليه أن يأخذ من الزوجة ما أعطاه إياه كمهر، أو هدايا، أو غيرها - وبما افتدت به - (به تعود على الخلع)، وقال بعض الفقهاء: ويجوز للزوج أن يأخذ زيادة عما أعطاه إياه، ولكنه مكروه.



﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾: تلك أوامر وأحكام الله في الطلاق، والخلع التي أمركم بها، أو نهاكم عنها فالتزموا بها قولاً وفعلاً، ولا تخالفوها، ولا تتجاوزوها. ارجع إلى الآية (١٨٧) لبيان تلك حدود الله فلا تقربوها (التي تستعمل في المحرمات)، وتلك حدود الله فلا تعتدوها (التي تستعمل في سياق أحكام الحل والحرام).

﴿وَمَنْ يَعْصِ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: شرطية، ﴿يَعْصِ﴾: يتجاوز ما أحله الله إلى ما حرمه، أو بالعكس، أو ما أمر به إلى ما نهى عنه.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد، ودنوا منزلة الذين يتعدون حدود الله.

﴿هُمُ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿الظَّالِمُونَ﴾: إذا كان هناك ظالمون فهم في طليعة الظالمين (للمبالغة): لأنفسهم ولغيرهم. ارجع إلى الآية (٥٤) من سورة البقرة.

[٢٣٠] ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۖ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: عاطفة، إن: شرطية تفيد الندرة، أو القلة.

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾: للمرة الثالثة فعل ماض، وجاء به؛ لأنه لا يتكرر، ولم يقل: إن يطلقها، فلا تحل له بعد حتى تتزوج بزواج آخر يدخل بها؛ أي: يتزوجها؛ لأنَّ الطلاق بعد ثالث مرة لا يتكرر.



﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾: أي: الزوج الآخر، فإن شرطية تفيد الندرة، أو الاحتمال.
 ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾؛ أي: لا إثم عليهما؛ أي: الزوج الأول، والمرأة (زوجته
 السابقة) التي طلقها ثلاثاً سابقاً، وبعد ذلك تزوجت من زوج آخر، ثم طلقها
 الزوج الآخر:

﴿أَنْ يَرْجَعَا﴾: يرجع كل واحد منهما لصاحبه، ويجب عليهما عقد زواج
 جديد، ومهر جديد.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال، والشك.
 ﴿ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: أن يؤديا حدود الله؛ أي: أحكامه وشرائعه في
 الزواج الجديد.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: وتلك أحكام وشرائع الله بينها.
 ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: اللام: لام الاختصاص.
 ﴿يَعْلَمُونَ﴾: أهميتها وقدرها، ويعلمون أن مصلحتهم في تطبيقها وإقامتها،
 والعمل بما جاء بها.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٢

النِّسَاءِ

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُغْنِ أَجَلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْدِي اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ
يَعْظُمُ بِهِ ءَاتِقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾
وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُغْنِ أَجَلُهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ
أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ
مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَُمُ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۝ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ
حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ
وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ۗ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ۗ
فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ
أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا
ءَاتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾



سورة البقرة [الآيات ٢٣١ - ٢٣٣]

[٢٣١] ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: الواو: استئنافية، إذا: ظرفية للمستقبل شرطية تفيد حتمية الحدوث؛ أي: انتهاء العدة.

﴿طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجَلَهُنَّ﴾: الأجل هنا: زمان العدة، وهو ثلاثة قروء.

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾: أي: مرتان، كما قال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾: وهذا يسمى الطلاق الرجعي.

﴿فَلْيُنَّ أَجَلَهُنَّ﴾: أي: قرب الأجل؛ أي: انتهاء مدة العدة، ولا زال هناك زمن قليل، والعدة لم تنته بعد.

في هذه الآية يعود رب العالمين ليذكر الزوج الذي طلق زوجته، وهو ينتظر انتهاء العدة (ثلاثة قروء) يذكره إما إمساك بمعروف، أو تسريح بمعروف.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: أرجعوهن قبل انقضاء عدتهن بمعروف؛ أي:



هذه هي آخر فرصة لك فكأن الله الحق يريد من الزوج التمسك بزوجه، والعودة إليها، وإبقاء الحياة الزوجية.

﴿مَعْرُوفٍ﴾: الباء: للتأكيد، ومعروف: جاءت نكرة؛ أي: معروف من حسن المعاشرة، والصحبة الصالحة، أو أي: معروف، والمعروف قد تفعله وأنت محب أن تفعله، وهذا يرتقي إلى درجة الإحسان، أو قد تفعله وأنت غير محب له أو بشكل عادي، وهذا يسمى معروفاً.

﴿أَوْ سَرِحُوهُنَّ مِعْرُوفٍ﴾: خلوا سبيلهن، ولا تطيلوا عليهن العدة بقصد الظلم.

﴿وَلَا تُسْكِرُوهُنَّ﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية، ﴿وَلَا تُسْكِرُوهُنَّ﴾: لا ترجعوهن زوجات لكم.

﴿ضِرَارًا﴾: لكي تضاروهن بالانتقام منهن، والضرار يعني: أن تصنع شيئاً في ظاهره الخير، وتبطن الشر، مثل: إذلال المرأة، والانتقام منها.

﴿لِنَعْنَدُوا﴾: اللام: للتعليل، والتوكيد، تعتدوا: لكي يؤدي ذلك إلى طلب المرأة الخلع، والافتداء بعد الإمساك.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: شرطية، ﴿يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾: يعتدي بالإمساك، ثم يطلب الخلع،

﴿ذَلِكَ﴾: اسم: إشارة يفيد البعد والدم.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد، وقد: للتحقيق، وزيادة التوكيد.

﴿ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾: بالإثم الذي قد يوجب العقاب، وسخط الله، فقبل أن يظلم زوجته؛ فقد ظلم نفسه.

﴿وَلَا تَنۡخِذُواْ ءَايَتِ اللّٰهِ هُزُوًا﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية، لا: الناهية.

﴿تَنۡخِذُواْ﴾: اتخذ من أفعال التحويل، والتصيير.

﴿ءَايَتِ اللّٰهِ هُزُوًا﴾: أي: بما أنزل الله في الكتاب، فمرة تُطلق، ومرة تُراجع من دون مراعاة ما شرع الله، وتطبيق أحكامه.

﴿هُزُوًا﴾: عبثاً، أو تعني: الاستخفاف بآيات الله ﷻ.

﴿وَأَذۡكُرُوا۟ نِعۡمَتَ اللّٰهِ عَلَيۡكُمۡ﴾: بالإسلام، والقرآن، والإيمان، والفقه في الدين، والهداية بعد ما كنتم في الجاهلية تسبحون في الضلالات، وكنتم تطلقون المرأة مرات عديدة، وتتركونها كالمعلقة، وتظلمونها.

﴿وَمَا أَنۡزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ الْكِتَٰبِ وَالْحِكۡمَةِ﴾: من الآيات، والأحكام الشرعية المذكورة في القرآن، والحكمة (الفقه في السنة الشريفة).

﴿يَعِظُكُمۡ بِهِ﴾: يوصيكم به، وينصحكم بالطاعة، ويحذركم منه.

﴿وَأَتَّقُوا اللّٰهَ﴾: أطيعوا أو امره، واجتنبوا نواهيه، واحذروه.

﴿وَأَعْلَمُوا۟﴾: علم اليقين.

﴿أَنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: ﴿أَنَّ﴾: للتوكيد، ﴿اللّٰهُ بِكُلِّ﴾: الباء: للإلصاق،

﴿شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة كثير العلم.



عليم بما تعملون من أقوال، وأفعال، وعليم بالذين يستهزئون بآيات الله، وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة، وعليم بنواياكم الحسنة، والسيئة، وما تكن صدور من خير وشر.

[٢٣٢] ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أي: بلغن الأجل الحقيقي (انتهت العدة)؛ أي: طلق الزوج، وانتهت العدة بينما في الآية السابقة، كما ذكرنا: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: طلق الزوج، ولكن العدة لم تنته بعد، ولكن قاربت على الانتهاء.

﴿فَلَبِغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أي: انتهت العدة بعد الطلقة الثانية، ولم يستنفذ الزوج مرات الطلاق (الثلاثة).

فليس للزوج حق أن يراجع، أو يعود إلى زوجته التي طلقها مرتين؛ إلا بعد عقد، ومهر جديدين؛ أي: إذا طلق الزوج زوجته مرتين، وانتهت العدة، ولنفرض أن الزوج يريد أن يعيد زوجته إلى عصمته مرة أخرى، فلا يجب على الأهل أن يتدخلوا، ويمنعوا ذلك بالعضل.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: الناهية.

﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾: العضل: المنع مع التضييق والشدة؛ أي: لا تمنعوهن أن

يرجعن إلى عصمة أزواجهن باستخدام أساليب الترهيب والشدة والتهديد والوعيد إذا أردن الرجوع إلى أزواجهن.

والخطاب موجه إلى الأهل والأقارب بعدم العضل.

وأصل العضل: من قولهم عضلت الناقة؛ أي: احتبس ولدها، وهي تحاول الولادة، وعضلت الدجاجة: نشب بيضها فلم يخرج بسهولة، والداء العضال الذي لا يرجى شفاؤه، أو صعب المعالجة.

شبه التقلصات العضلية المؤلمة بمحاولات منع الأهل والأقارب الزوجة من العودة إلى زوجها.

﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾: أي: تراضى الزوجان بالنكاح الصحيح (عقد جديد، ومهر جديد).

﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة للبعد يشير إلى نهى الولي، أو الأقارب عن العضل؛ أي: المنع، ولم يقل ذلكم، وقال ذلك؛ لأنّ النهي للجماعة؛ كالنهي الواحد يحمل نفس المعنى. مقارنة بقوله تعالى في سورة المجادلة آية (٣) في سياق الظهار ﴿ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فالله سبحانه أكد الوعظ وشدد على منع الظهار، بينما في آية البقرة: جاءت في سياق العدول عن الطلاق والتراضي بين الأزواج.

﴿يُوعِظُ بِهِ﴾: أي: يوصى به، وينصح به بعدم المنع.



﴿مَنْ﴾: استغراقية.

﴿كَانَ مِنْكُمْ﴾: الخطاب موجه إلى النبي ﷺ وأمته.

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

﴿ذَلِكَ أَرْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: بدلاً من ذلك؛ للتعظيم، والتوكيد، ذلكم: اسم إشارة؛ يعني: رد النساء إلى أزواجهن أفضل من التفريق، والطلاق.

﴿أَرْكَى لَكُمْ﴾: أفضل وأطيب.

﴿وَأَطْهَرُ﴾: لقلوبكم من الريبة، والوقوف في وجه المرأة التي تريد العودة إلى زوجها، فربما لا زال هناك حنان ومودة بين الزوجين.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: يعلم ما في قلوب وعقول العباد، ويعلم نواياهم، وما فيها من حب ومودة، ويعلم ما تخفي الصدور.

ويعلم ما ينفعكم، وما يضركم عاجلاً، أو آجلاً.

يعلم الغيب، وأنتم لا تعلمون، وما دام سبحانه عالم بالغيب والشهادة؛ فيجب التسليم له، وقبول شرعه وموعظته.

لنقارن هذه الآية (٢٣٢) من سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ذَلِكَ أَرْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ.

مع الآية (٢) من سورة الطلاق: ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

الخطاب في آية البقرة: موجه إلى أهل، وأقارب المطلقة بعدم العضل؛ أي: المنع.

أما في آية الطلاق: الخطاب معلوم، ومفهوم من بداية سورة الطلاق أنه موجه إلى النبي والمؤمنين؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾، فلا داعي لذكر منكم في آية الطلاق.

واستعمل (ذلك) في آية البقرة؛ لأن الحديث عن المنع هو أمر واحد. بينما في آية الطلاق الحديث عن الطلاق فاستعمل ذلكم؛ للأهمية، والتوكيد، ولكون الآية في سياق عدّة أمور، وليس أمراً واحداً؛ مثل: الطلاق، وإحصاء العدّة، وعدم إخراجهن من بيوتهن

[٢٣٣] ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾: بعد الطلاق؛ لأن الطلاق يورث الشقاق بين الرجل والمرأة.

اختلف الفقهاء في معنى الوالدات في هذه الآية.

فمنهم من قال: الوالدات المطلقات.



ومنهم من قال: الوالدات المتزوجات في الحالات العادية.

ومنهم من قال: تشمل كل الوالدات؛ سواء كنَّ متزوجات، أم مطلقات.

وأحكام المطلقة الحامل سيأتي ذكرها في سورة الطلاق.

﴿رُضِعَ أَوْلَدَهُنَّ﴾: أصلها ليرضعن أولادهن، وأخرج الأمر في صورة الخبر.

لأنَّ إرضاع الولد من حليب الأم أصلح للولد، وللأم، وقد بينت الدراسات الطبية: أنَّ حليب الأم فيه عوامل مناعية أفضل للطفل، وكذلك العلاقات والروابط بين الأم والطفل تكون أقوى، والإرضاع له فائدة عظيمة للأم؛ لأنه يقلل من حوادث سرطان الثدي، ولم يقل على الوالدات أن يرضعن أولادهن حولين كاملين؛ لأن الوالدات لسن مكلفات شرعاً بالإرضاع.

﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾: الحول هو السنة، ولماذا استعمل كلمة الحول بدلاً من السنة، أو العام.

لأنَّ كلمة الحول من حال، يحول؛ أي: يمنع، تستعمل للحدث المستمر بلا انقطاع؛ كما يحدث في الطلاق، والموت يحولان بين الزوج وزوجته بشكل مستمر، والإرضاع يكون بلا انقطاع؛ لذلك يستعمل القرآن كلمة الحول في هذه الحالات فقط؛ أي: الطلاق، والموت، والإرضاع لتناسب الكلمة المعنى؛ لأنَّ الإرضاع يستمر بعد العام الأول إلى العام الثاني، والمتاع مستمر من دون انقطاع.

﴿كَامِلَيْنِ﴾: للتوكيد.

﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾: جاء بهذه الآية بعد الحولين للتيسير والتخفيف قائلاً: إرضاع الحولين ليس حتماً، ويجوز الإرضاع أقل من الحولين، إذا تم الاتفاق بين والدي الطفل الرضيع.

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾: على: تفيد العلوية والمشقة.
 ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾: لم يقل على الوالد ليُعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم؛ لأنّ الأولاد للأباء، ولذلك ينسبون إلى آبائهم، وكذلك المولود له قد يكون له أكثر من زوجة فلكي يعلم من هي الزوجة التي ولدت.
 ﴿لَهُ﴾: اللام: لام الاستحقاق.

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾: أي: مسؤولية الإنفاق على الوالد، وليست على الأم، وللدلالة على الزوجة التي ولدت له إذا كان للمولود له عدّة زوجات.

﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾: رزق الأم التي ترضع، وكسوتها، وكذلك رزق، وكسوة المولود؛ أي: الطعام، واللباس، والسكن.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بما تعارف عليه الشرع من غير تفريط، ولا إفراط، وتفسير بالمعروف مذكور في الآيات التالية.

﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ أي: قدر الميسرة؛ أي: الإنفاق قد يكون على قدر غنى الزوج.

الوسع: أعلى درجات القدرة.



ومن الطبيعي أن تكون نفقة المولود (الطعام، واللباس، وما يحتاجه) على المولود له.

أما بالنسبة للإرضاع: هل يجب على الأم إرضاع ولدها؟

قال الإمام مالك: يجب، والرضاع واجب على الأم في حالة الزوجية، أما المطلقة: فلا رضاع عليها، والرضاع على الزوج، ولكنها هي أحق بإرضاع ولدها إذا أرادت، ولها أجر على ذلك (دنيوي مادي من قبل المولود له، وأخروي).

أما الجمهور: فالإرضاع ليس بواجب على المرأة المطلقة، وإنما هو مندوب، وإذا لم يقبل غير ثديها في هذه الحالة، فيجب على الأم أن ترضع ولدها، أو إذا كان الوالد عاجزاً عن استئجار ظئر مرضعة، أو كان قادراً على الإنفاق، وعنده المال، ولكن لم يجد مرضعة.

﴿لَا تُضَارُّ وَلَدَةً يُؤَلِّدُهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ، يُولَدُ لَهُ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾:

﴿لَا تُضَارُّ﴾: لا: النافية، أو النافية، ﴿تُضَارُّ﴾: لها عدة احتمالات من حيث البناء للمعلوم، والمجهول، والإعراب. والنتيجة: هي أن كلمة لا تضار: تشمل ثلاثة معانٍ لا تضار الوالدة بولدها، ولا يضار الوالد بولده، ولا يضار الولد الطفل الرضيع أيضاً.

والخطاب موجه إلى الوالد (المولود له)، والوالدة المطلقة التي لها ولد.

فلا يُضار أحدهما الآخر، لا تُضر ولا تُضر، ولا يُضر المولود أيضاً.

١ - ﴿لَا تُضَارُّ وَلَدَةً يُؤَلِّدُهَا﴾: الباء: باء السببية، أو البدل؛ أي: لا تُضار والدة

بسبب ولدها؛ كأن يمنعها ما تستحقه من الرزق والكسوة، والإنفاق عليها، وعلى المولود، فلا يتركها تسأل الناس من أجل رزقه وكسوته.

٢ - ولا يأخذ الطفل، وهي تريد إرضاعه (لحبها إياه).

٣ - ولا يكرهها على الإرضاع بأي شكل.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ، بَوْلَدِهِ﴾: بأن تلقى إليه بولده، ولا يجد مرضعاً له، أو أن تطلب منه نفقة لا يستطيع عليها، أو لا ترضعه نكايَةً وانتقاماً من الزوج، أو تفضحه أمام الناس.

﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾: أي: في حالة موت والد المولود يصبح الذي يتولى رعاية المولود والإنفاق عليه هو الوارث الذي يرث الوالد الذي توفي. والرضيع هنا يُعتبر يتيماً، ورعايته واجبة على من يرث الوالد المتوفى، وعلى الوارث أيضاً النفقة، والأجرة للأم المرضع، أو غيرها.

وقيل: الوارث هو أحد والدي الصبي الذي بقي حياً (أمه، أو أبوه).

وقيل: الوارث هو الصبي نفسه، فتجب النفقة عليه، وعلى إرضاعه من ماله الذي ورثه إن كان له مال.

﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾: تجنب الإضرار.

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: تفيد الترتيب الذكري، إن: شرطية تحمل معنى الاحتمال،

أو الندرة.



﴿أَرَادَا﴾: الوالدان، ﴿فَصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾:

وهذا دليل على الحث على تشاور الوالدين فيما يؤدي إلى إصلاح الصغير،
وتربيته.

﴿فَصَالًا﴾: الفصام: الفطام، هو عندها ينفصل الرضيع عن أمه، ويصبح
قادراً على أكل الطعام غير حليب الأم.

أي: إن أرادا فطام ولدهما قبل الحولين، فلا مانع إذا اتفقا على ذلك، أو
رضيت الأم المطلقة، والمولود له على جلب مريض آخر.

﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾: اتفاق بينهما، ﴿وَتَشَاوُرٍ﴾: بينهما فيما يحقق مصلحة الولد.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: أي: لا إثم عليهما.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرَضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو: عاطفة، إن: شرطية تفيد الاحتمال والشك والقلّة.

﴿أَرَدْتُمْ أَنْ﴾: حرف مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

﴿تَسْرَضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾: أي: أن تأتوا للطفل بمرضعة، فلا إثم عليكم إذا لم

ترض الأم بإرضاعه؛ لامتناع المولود له (أي: زوجها الذي طلقها) عن دفع ما
تطلبه الوالدة المطلقة، أو لأسباب أخرى.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: لا إثم عليكم. ارجع إلى الآية (١٩٨) من نفس السورة

لمزيد من البيان.

﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ مَاءً آتَيْتُمْ﴾: أي: إذا دفعتم للأمهات أجور ما أرضعن لكم قبل الامتناع، أو سلمتم إلى الظئر أجرها.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بلا مماثلة، أو نقص بالذي أمركم به الشرع، ومن دون ظلم، ومخالفة للشرع.

﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾: أطيعوا الله فيما أمركم به من الأحكام في الطلاق، والإرضاع.

﴿وَأَعْلَمُوا﴾: علم اليقين.

﴿أَنَّ﴾ للتوكيد.

﴿اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: بما تقولون، وتفعلون.

﴿بَصِيرٌ﴾: أي: يراكم ويرى أعمالكم، وحركاتكم، ولا تخفى عليه خافية

في السموات، ولا في الأرض، فليحذر الذين يخالفون عن أمره وقدم ﴿تَعْمَلُونَ﴾ على ﴿بَصِيرٌ﴾؛ لأن سياق الآيات في أعمال العباد.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٢

النِّسَاءِ

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
(٢٣٤) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ
أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا
وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٣٥) لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ
مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ
قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ
(٢٣٦) وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا
الَّذِي بَيْنَهُمَا عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى
وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧)

سورة البقرة: [الآيات ٢٣٤ - ٢٣٧]

[٢٣٤] ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾: تقبض أرواحهم بالموت؛ أي: يموتون، أو تتوفاهم ملائكة الموت، وحذف الفاعل، وهو الله سبحانه.

﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾: أي: يتركون أزواجاً، جمع زوج، أو زوجة؛ أي: زوجات، والزوج يطلق على الذكر والأنثى، ويسمى كل من الرجل والمرأة زوجاً؛ لأن كلا منهما مكانه يشبه الآخر، وهنا تعني: الزوجة.

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾: التربص: هو الانتظار، والتربص: هو الانتظار الذي يشعر فيه المنتظر بطول الزمن، أو طول الانتظار، ارجع إلى الآية (٢٢٦) من سورة البقرة.

﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: أي: ليتربصن: لام التوكيد (الأمر). والباء: للإلصاق، والتأكيد.

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾: وهي عدة المتوفى زوجها، هذا إن لم تكن حاملاً؛ فإن كانت حاملاً فعدتها أن تضع حملها، كما جاء في الكتاب والسنة: ﴿وَأُولَئِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤].



إذن: عدّة المتوفّي زوجها (٤) أشهر وعشرأً، وعليها التبرص حتّى انقضاء العدّة، وتتضمن العدّة: عدم التزين، والخروج إلى الأسواق؛ إلّا للضرورة، وعدم التعرض لأنظار الخطاب، والبقاء في بيت الزوجية.

والسؤال الأول: لماذا قال: عشرأً، ولم يقل: عشرة؟

لأنّ العرب تقول: عشر ليالٍ، وعشرة أيام؛ فإذا أبهمت العدد غلبوا الليالي. إذن هنا العدّة أربعة أشهر وعشر ليالٍ.

السؤال الثاني: لماذا العدّة هنا أربعة أشهر وعشرأً، أما عدّة المطلقة (٣) قروء - أو عدّة من غير ذوات الحيض لصغر سنّها، أو كبرها ثلاثة أشهر - مع العلم أن براءة الرحم تكون بثلاثة قروء، أو ثلاثة أشهر؟

الجواب: لأنّ المتوفّي عنها زوجها تحتاج إلى وقت أطول لكي تهمد العاطفة الزوجية التي كانت بينها وبين زوجها المتوفّي - من حب وإخلاص - بعكس المطلقة التي عادة تكره زوجها، بل هذا اعترافٌ له بالفضل، واحترامٌ له، ولأهل الزوج، وقدسية الأسرة - خاصة إذا كان له أولاد -.

السؤال الثالث: هل هذه الآية ناسخة لآية الحول البقرة (٢٤٠)، ولماذا سبقت هذه الآية آية الحول في القرآن: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ؟﴾

ذهب جمهور العلماء: أنّ هذه الآية ناسخة لقوله سبحانه: ﴿وَصِيَّةٌ لِّأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ إذن العدّة كانت حولا كاملا، ثم نسخ ذلك،

وأصبحت أربعة أشهر وعشراً، ولنعلم أنّ هذه الآية، وإن كانت متقدمة في القرآن، أو التلاوة على آية الاعتداد بالحول؛ إلا أنها نزلت بعد آية الاعتداد بالحول، فهذا يدل على أنّ ترتيب القرآن كما عليه الحال قد يخالف ترتيب النّزول.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب.

﴿بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أي: أتممن عدتهن وانتهت مدة التربّص.

الأجل: هو المدة المضروبة (أي: المحددة)؛ لانقضاء الشيء، وكل أجل مدة، وليس كل مدة أجلاً، والمراد به هنا: انقضاء العدة.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: فلا إثم عليكم، ولا جناح جملة اسمية أقوى بالنفي من الجملة الفعلية، وليس عليكم جناح.

﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾: من التزّين، والتعرّض للخطاب بعد انقضاء العدة.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: المعروف هنا جاء على شكل معرفة بـ(أل): وهو الزواج، أو بالوجه الذي يقرّه الشرع؛ أي: بعد انقضاء العدة (٤) أشهر وعشراً لا جناح عليكم فيما إذا تزوّجن، والباء بالمعروف بـ(أل)؛ أي: الزواج.

إذن بالمعروف: بالزواج.

﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾: ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: أي: تقولون، أو تفعلون:

﴿خَيْرٌ﴾: ببواطن الأمور وظواهرها، وقدم تعملون على خير؛ لأن سياق الآية



في العمل (التربص والعدة)؛ ارجع إلى الآية (٢٤٠) من نفس السورة للمقارنة والبيان.

ثم يذكر الله سبحانه بعد عدة المتوفى عنها زوجها كيف تتم الخطبة.

[٢٣٥] ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ. وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: نافية للجنس.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: لا إثم عليكم، ولا جناح عليكم: جملة اسمية تدل على الثبوت، وهي أقوى من الجملة الفعلية ليس عليكم جناح؛ لأنها تدل على التجدد، والتكرار، ولم يقل: وليس عليكم جناح؛ ارجع إلى الآية (١٥٨) من نفس السورة للبيان.

﴿فِيمَا﴾: في: ظرفية زمانية ومكانية، ما: اسم موصول، أو حرف مصدري.

﴿عَرَّضْتُمْ﴾: التعريض في خطبة المعتدة المتوفى زوجها.

أي: المرأة لا زالت في عدتها (٤ أشهر وعشراً) بعد أن توفي زوجها عنها.

ما يباح هنا التعريض؛ أي: التلويح من دون تصريح.

كأن يقول: أنا أبحث عن زوجة، أنا رجل أعزب، أنا لا أحب الوحدة، وأحب أن أتزوج، هل تعلمين من يصلح لي، مهنتي كذا، وكذا.



﴿مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ﴾: خُطْبَةٌ بِكُسْرِ الخاء، وأصل الكلمة مشتقة من الخطب، والخطب هو الأمر العظيم، والخطبة أمر عظيم؛ لأنها ستؤدي إلى عقد الزواج (الميثاق الغليظ).

﴿وَأَوْكَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: أي: لا إثم عليكم فيما أكنتم في أنفسكم، الإكنان: الإضمار في النفس من الرغبة في الزواج بها، أو العزم على إتمام عقد النكاح بعد انقضاء عدتها.

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ﴾: للتوكيد، ﴿سَتَذْكُرُوهُنَّ﴾: أي: علم أنكم لا محالة ستبقون تتكلمون في رغبتكم بالزواج بهن، ولا يجوز إعلان ذلك للملأ حتى تنتهي العدة.

إذن يسمح لكم بالتعريض، ويسمح لكم أن تفكروا بهن وبذكرهن، والذي لا يسمح لكم أن تواعدوهن سراً.

﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾: السر: لا يعلم به أحداً إلا صاحبه فقط والله سبحانه؛ فالتواعد سراً هذا غير مسموح به، أو تواعدوهن بالزواج، وهي لا زالت في زمن العدة، فلا لقاء سري، ولا خلوة بينكما، أو تقولوا لبعضكم بعضاً: هل تتزوجيني بعد انقضاء العدة، أو تقول: أنا أحبك، أو تأخذوا منهن وعداً، أو عهداً بالزواج منكم.

أو ينتهي الشيطان بكم إلى أسوأ من ذلك إلى المداعبة، أو التقبيل، وأخيراً الزنى.



﴿لَا﴾: أداة استثناء، ﴿أَنْ﴾: أن مصدرية بعد التعليل والتوكيد.

﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: أي: ما شرع لكم، وسمح لكم بالتعريض فقط.

﴿وَلَا تَعَزِّمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: ناهية.

﴿تَعَزِّمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾: العزم: التصميم على تنفيذ الأمر، أو القيام به

مع القدرة والقوة على فعل ذلك؛ أي: ولا يسمح لكم بالقيام بعقد النكاح، ولا حتى بالعزم على القيام به.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾: أي: تنقضي العدة.

والكتاب: المدة التي كتبها الله، وهي (٤) أشهر وعشرًا.

إذن نفهم مما سبق: أن هناك ثلاث مراحل:

١ - مرحلة التعريض.

٢ - مرحلة العزم.

٣ - مرحلة العقد.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾:

﴿وَأَعْلَمُوا﴾: علم اليقين.



﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد، ﴿يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: من العزم، والحب، وعدم الصبر.

﴿فَأَحْذَرُوهُ﴾: أي: احذروا القيام بأي شيء يخالف شرع الله.

﴿وَأَعْلَمُوا﴾: التكرار: للتوكيد، والتحذير، واعلموا أَنَّ الله يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور.

﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد، ﴿عَفُورٌ﴾: لمن يحذره، ويخافه، ويتقيه.

﴿حَلِيمٌ﴾: لأنه يمهل، ويؤخر العقوبة؛ لكي تتوبوا، ويغفر لكم. ارجع إلى الآية (٢٢٥) من سورة البقرة.

[٢٣٦] ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَّعَاءً بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: لا إثم عليكم، ارجع للآية (٢٣٥) لمزيد من البيان.

﴿إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو الشك والقلّة، ﴿طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾: الطلاق: هو حل عقدة النكاح.

﴿مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾: ما: شرطية (إن لم تمسوهن)، أو ظرفية زمانية (مدة لم تمسوهن).

﴿تَمْسُوهُنَّ﴾: كنى بالمس عن الجماع، والمس: هو أخفّ اللمس، وهو



مجرد لمس شيء بشيء، ولو لأقل جزء من الثانية بحيث لا يتأثر بالممسوس، أو يدرك طبيعته.

أما اللمس: فهو التصاق شيء بشيء مع إدراك طبيعته، هل هو خشن، أو ناعم، أو حار، أو بارد.

﴿أَوْ تَقْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: أي: تذكروا، أو تقدروا لهن مهراً.

﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾: أي: أعطوهن شيئاً إكراماً لهن من مال، أو هدية.

والمتعة: هي ما يعطيه الزوج من مال، أو كسوة، أو حلية للزوجة إكراماً لها، وتخفيفاً؛ لحدث الطلاق.

﴿عَلَى الْوُسْعِ قَدْرُهُ﴾: على الغني قدره: أي: المبلغ الذي يُطيقه، أو يقدر عليه.

والموسع من أوسع، ويقال: أوسع الرجل: إذا كثر ماله وغناه.

﴿وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدْرُهُ﴾: على الفقير قدره؛ أي: المبلغ الذي يُطيقه، أو يقدر

عليه.

المقتر: من أقتر، يقال: أقتر الرجل إذا افتقر؛ أي: هو في ضيق من النفقة.

﴿مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾: هذا المتاع هو ما تعارف عليه الناس، أو المستحسن،

وهو كل ما عرف حسنه في الشرع، والباء بالمعروف: للإلصاق، ارجع إلى الآية

(٢٢٨) من سورة البقرة.

﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾: حقاً من باب الإحسان، والتطوع، وليس بواجب، أو فرض.

بينما لو قال: حقاً على المتقين؛ يعني: واجب، أو فرض على المتقين؛ أي: من باب التقوى والفرض.

[٢٣٧] ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والندرة.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾: من قبل أن تدخلوا بهن (ويحدث الجماع) والمباشرة. أن: حرف مصدري يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿وَقَدْ﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: أي: سَمَّيْتُمُ المهر، وتحدثتم عن المهر، أو ذكرتم لهنَّ المهر، وكم هو من المال.

﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾: الفاء: للتوكيد، نصف ما فرضتم من المهر: أي: لهن نصف الفرض.

﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾: إلا أداة حصر، أو استثناء، أن: حرف مصدري يفيد التعليل، والتوكيد.



﴿يَعْفُونَ﴾: أي: الزوجة المطلقة التي لم تمس تسقط، أو ترك حقها؛ أي: تتنازل عن النصف المفروض لها.

﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاحِ﴾: الذي بيده عقدة النكاح. قيل: هو الزوج؛ أي: يعفو، ويعطيها المهر كاملاً؛ أي: يتنازل لها عن النصف الآخر الذي ليس مفروضاً لها.

وقيل: الذي بيده عقدة النكاح هو الولي، والحقيقة: أن المهر من حق الزوجة، والولي لا دخل له.

﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾: وأن: للتعليل، والتوكيد.

﴿تَعْفُوا﴾: من عفا يعفو، وهو الأقرب للتقوى؛ أي: الأكثر تقوى هو الذي يعفو للآخر، سواء كان الرجل، أو المرأة، وليس العفو فقط بالمال، بل أن تعفو عن الأخطاء، أو النميمة، والغيبة، وربما الشتم، والإهانة التي قد تحدث بين الطرفين، وعليكم بالصبر والاحتساب، والذي يدعي التقوى عليه أن يظهرها في هذه المواقف.

﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: ﴿وَلَا﴾: لا الناهية، ﴿تَنْسُوا الْفَضْلَ﴾: هو المودة بالإحسان، ولا تنسوا الصلة التي كانت قائمة، والروابط.

ولا تنسوا الإحسان في مقام الخلاف، والبغضاء، والرضا بما قدر الله.

أو تنازل أحدهما للآخر عن حقه، وإنهاء الخلاف.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد، ﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، ﴿تَعْمَلُونَ﴾: من الأعمال
تضم الأقوال، والأفعال.

﴿بَصِيرٌ﴾: يراكم، ويطلع على أعمالكم؛ أي: أفعالكم، وأقوالكم، ولا
تخفى عليه خافية في السموات، والأرض.

وقدَّم تعملون على بصير بدلاً من قوله: والله بصير بما تعملون؛ لأنَّ سياق
الآيات في أعمال العباد الظاهرة.

يمكن تلخيص ما سبق:

المطلقات:

* مدخول بها:

- مفروض لها مهر، لها المهر كاملاً، وعدتها ثلاثة قروء، ولها متعة.

- غير مفروض لها مهر، لها مهر المثل، وعدتها ثلاثة قروء، ولها متعة.

* غير مدخول بها:

- مفروض لها مهر، لها نصف المهر، وليس عليها عدَّة، ولها متعة.

- غير مفروض لها مهر، ليس لها مهر، وليس عليها عدَّة، ولها متعة.





سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢

الْبَقَرَةِ ٢

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ
قَانِتِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجًا لَا أَوْرُكِبًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ
فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ
﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً
لَا زَوْجَهُمْ مَتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ
مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَلَمَّا طَلَّقَتِ مَتْعُ
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ
إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ
فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
النَّاسِ وَلَئِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٤٣﴾
وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٤﴾
مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا
كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٥﴾





سورة البقرة [الآيات ٢٣٨ - ٢٤٥]

[٢٣٨] ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾:

المناسبة: في خضم آيات الطلاق، وسياقها تأتي آية حافظوا على الصلوات، والصلاة الوسطى؛ لتذكرنا أن نلجأ إلى الصلاة في أيام وساعات الطلاق، والفراق الصعبة، فالصلاة تبعث على الاطمئنان، وعدم الظلم، والجور، وتحث على الصبر، والعفو، وعدم اليأس، وتهدي القلوب المتأججة.

كما رأينا آية الدعاء، آية (١٨٦) من سورة البقرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ تشق آيات الصيام لتذكرنا بأهمية الدعاء أثناء الصيام، وفي أيام رمضان، فسبحان الذي نزل الذكر.

﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾: حافظوا من الحفظ، والحفظ: هو عدم النسيان، والمحافظة على الصلوات؛ تعني: المداومة عليها، وعدم تضييعها، والتمسك بها في أوقاتها، وسننها، وأركانها، وخشوعها.

﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾: للدلالة على أهميتها، ومكانتها، فهذا يطلق عليه ذكر الخاص (وهو الصلاة الوسطى) بعد ذكر العام (الصلوات)، ويسمى عطف الخاص على العام، وله قيمة بلاغية؛ للتأكيد على أهمية الصلاة الوسطى.

والصلاة الوسطى لم يحددها سبحانه، والوسطى: هي من الوسط، وهو العدل، والخيار؛ أي: الفضلى، والله سبحانه أخفى الصلاة الوسطى، كما أخفى



ليلة القدر، وساعة الاستجابة يوم الجمعة، كما أخفى اسمه الأعظم؛ ليكون العبد على اتصال دائم مع ربه، وذهب كثير من المفسرين، والفقهاء إلى أنها صلاة العصر؛ لأنها تقع بين صلاة الفجر، وصلاة الظهر من طرف، وصلاة المغرب والعشاء من طرف آخر.

وهناك من قال: إنها صلاة الظهر؛ لأنها تقع في وسط النهار، أو صلاة المغرب؛ لأنها تقع بين الليل والنهار، أو صلاة الفجر.

وقد تنتقل الصلاة الوسطى من العصر إلى الظهر إلى الفجر، كما تنتقل ليلة القدر من (٢١) إلى (٢٣) إلى (٢٥) إلى (٢٧).

﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾: قفوا على أرجلكم للصلاة.

﴿قَنِينَ﴾: جمع قانت، والقنوت: هو الطاعة؛ طاعة أوامر ونواهي الله تعالى، والاستقامة عليها؛ أي: الدوام على طاعة الله. وقيل: طول القيام في الصلاة، وقيل: الخشوع والسكوت، وقيل: الدعاء، والصلاة والقنوت في الشرع الدعاء في صلاة معينة مثل الوتر، أو بصفة معينة، أو الركعة الأخيرة.

[٢٣٩] ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: للترتيب الذكري، إن: شرطية تفيد الاحتمال، والشك، أو قلة الحدوث.

﴿خِفْتُمْ﴾: من عدوكم، أو من أي شيء يدعو إلى الخوف، وعدم الاطمئنان.

﴿فَرَجَا لَا﴾: أي: صلُّوا، وأنتم سائرون على الأقدام مستقبلي الكعبة، أو صلُّوا بأي اتجاه.

﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾: أو صلُّوا وأنتم راكبون على خيولكم، أو في سياراتكم، أو غيرها قياماً، أو قعوداً.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: للترتيب الذكري، إذا: شرطية تفيد الحتمية، والإلزام، وكثرة الحدوث.

﴿أَمِنْتُمْ﴾: زالت أسباب الخوف، وأصبحتم في أمان؛ فصلُّوا مستقبلي القبلة، وبخشوع، وقنوت.

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾: فاشكروا الله تعالى على الأمن بالذكر (التسبيح، والحمد، والتهليل)، والصلاة من الذكر، والشكر من الذكر.

﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾: ﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾: كما للتشبيه، علمكم من الأحكام، والشرائع، والعبادات، ﴿مَّا لَمْ﴾: ما: اسم موصول بمعنى: الذي، لم: للنفي، ﴿تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾: قبل مجيء الرسول ﷺ، وإنزال القرآن. [٢٤٠] ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

هذه الآية نزلت في بدء الإسلام، ثم نسخت، كما ذكر أكثر الفقهاء بآية (٢٣٤) من سورة البقرة: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾.



وقيل: لم تنسخ، وإنما خفف الله على هذه الأمة من العام (أو الحول) إلى أربعة أشهر وعشرًا، وأصبحت النكرة (من معروف) معرفة بـ(أل) التعريف (بالمعروف): وهو الزواج.

في بداية الإسلام كانت عدّة المتوفّي عنها زوجها متاعاً إلى الحول، ثم تحولت وأصبحت أربعة أشهر وعشرًا.

وأما الفروق بين الآيتين (٢٣٤) و(٢٤٠) من سورة البقرة فهي:

في الآية (٢٣٤): ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: (الباء للإلصاق)، والمعروف هو الزواج.

أما من معروف في الآية (٢٤٠): فيشمل الزينة، والخروج من المنزل، والتعريض للخطاب.

في الآية (٢٣٤): الخطاب إلى المتوفّي عنها زوجها.

أما في الآية (٢٤٠): فالمخاطب أهل الميت.

في الآية (٢٣٤): ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

أما في الآية (٢٤٠): ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. فارجع إلى الآية (١٢٩) من

نفس السورة للبيان.

[٢٤١] ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾:

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾: اللام: لام الاختصاص، أو الاستحقاق.

كل المطلقات جميع المطلقات لهن متعة، كما قال مالك: المتعة مستحبة



لجميع المطلقات، وذهب الحنفية، والشافعية، والحنابلة إلى أنها واجبة للمطلقة التي لم يفرض لها مهر، وأما التي فرض لها مهر فتكون المتعة لها مستحبة.

﴿مَتَّعٌ﴾: من المتعة: وهو ما يعطيه الزوج من مال، أو كسوة، أو حلية، أو غيرها لزوجته المطلقة إكراماً لها، وتخفيفاً.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: أي: متعة لا مبالغة فيها، ولا تقصير على الموسع قدره، وعلى المقتر قدره.

﴿حَقًّا﴾: أحقّه الله للمرأة المطلقة، فلا تقول: لا أريده، بل تأخذه، وتتصدق به إذا لم تكن لها حاجة به، وسواء أكان واجباً، أم مستحباً.

﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: واجباً، أو مستحباً على الأتقياء، وإذا لم يدفع لها المتعة عليه ذنب، وعقاب، ولو قال: حقاً على المحسنين؛ لكان من باب التطوع، والإحسان، وليس عليه عقوبة وذنب. وهناك فرق بين (حقاً على المتقين)، و(حقاً على المحسنين)؛ على المتقين: أي: وجباً أو مستحباً، أما على المحسنين: أي: في صورة الإحسان وليس بواجب أو فرض كما هو حقاً على المتقين.

[٢٤٢] ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

﴿كَذَٰلِكَ﴾: تعني في مثل هذه الآيات، والآيات التي سبقتها.

﴿يُبَيِّنُ﴾: يوضح الله لكم الأحكام، والحدود في الطلاق، والرضاع، والعدّة، والمتاع.

﴿ءَايَتِهِ﴾: إضافة هاء الضمير للآيات تشریفٌ لها؛ لكونها آياتٍ خاصة مهمة مقارنة بقوله: آيات.



﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لعلكم: للتعليل؛ أي: لتعقلوا لتفهموا ما عليكم من واجبات. ارجع إلى الآية (٤٤)، والآية (٧٣) من نفس السورة للبيان.

[٢٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة استفهام تعجب، وتشويق إلى ما سيذكر.

﴿تَرَ﴾: الرؤية هنا رؤية قلبية بمعنى: العلم؛ أي: ألم تسمع، أو يصل إلى علمك خبر هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم.

﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾: تركوا وهجروا ديارهم، وقيل: هم من بني إسرائيل.

﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾: ألوف جمع كثرة، خرجوا وهم ألوف (أكثر من العشرة يقال له جمع كثرة، وأقل من العشرة يقال له جمع قلة) مثل: ﴿ثَلَاثَةَ آلِ لُوطٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ [آل عمران: ١٢٤].

﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾: أي: لتوقي وتجنب الموت.

والحذر: هو توقي الضرر، سواء كان مظنوناً، أو متيقناً، والحذر يدفع الضرر، والخوف لا يدفع الضرر.

﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾: بيان للعلة، ولم يخبرنا ما هو سبب الموت؛ لكونه لا يهم في هذه القصة.

﴿قَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾: أي: فأماتهم الله سبحانه ميتة رجل واحد بكلمة كن فيكون.

إذن هم خرجوا حذراً من الموت، وها هو الموت حل بهم.
أو هم هربوا من قدر الله إلى قدر الله، فما فائدة خروجهم، لو لم يخرجوا
لماتوا وهم في عقر ديارهم، وها هم خرجوا فماتوا بعيداً عن ديارهم، إذن ما هي
العبرة؟

وقيل: السبب في خروجهم كان وباء الطاعون.
وقيل: هم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد، والدفاع عن
بلادهم، فهربوا حذراً من الموت والقتل في سبيل الله.

﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾: سبحانه، وكان قادراً على تركهم أمواتاً حتى يوم يبعثون.
أحياهم ليعظهم، ويبيّن لهم، ولغيرهم: أن أمر الموت والحياة بيده سبحانه،
ومرهون بمشيئته تعالى، وليس بمرض، أو جهاد، أو قتال.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾: إن: للتوكيد، ﴿لَذُو﴾: اللام للتوكيد.
ولو مات هؤلاء في ديارهم ولم يهربوا، ماتوا من طاعون أو بسبب الجهاد،
وقتل العدو؛ لكن لهم أجر الشهيد؛ أي: لماتوا شهداء، ووجبت لهم الجنة،
وهذا فضل من الله تعالى، والموت إذا كان في سبيل الله، وإعلاء كلمته (كلمة
الحق) فهو من أفضل النعم.

﴿عَلَى النَّاسِ﴾: ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾: ﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف استدراك.



﴿أَكْثَرُ النَّاسِ﴾: أي: هناك القليل منهم يشكرون؛ كقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣].

أكثر الناس لا يعلمون أن هذه الابتلاءات بالخير والشر كلها نعم، وليس نقم، ومن فضل الله أنه يتلي عباده؛ ليزيدهم أجراً، وفضلاً، ومن أكبر هذه النعم الجهاد في سبيل الله، ولأنهم لا يعلمون أنها كلها خير، ولذلك لا يشكرون الله عليها، وبذلك تكون عاقبة ابتلائهم خُسرًا.

فأكثر الناس لا يشكرون: إما العدد، عدد من يشكرون قليل.

أو كمية الشكر (مقدار الشكر) قليل؛ أي: عددهم كبير، وشكرهم قليل.

[٢٤٤] ﴿وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم؛ لإعلاء كلمة الله، ودينه، وإظهار الحق، ودحر الباطل.

﴿وَأَعْلَمُوا﴾: علم اليقين واذكروا.

﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: أن: للتوكيد.

﴿سَمِيعٌ﴾: لما تقولونه بالسر، والعلن خيراً، أو شراً.

﴿عَلِيمٌ﴾: بأقوالكم، وأفعالكم، لا تخفى عليه خافية، وعليم بنواياكم، وظاهر الأمور وبواطنها، وعليم بذات الصدور.

[٢٤٥] ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كثيرة﴾ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

في الآية السابقة حث الله سبحانه على الجهاد بالأنفس، وفي هذه الآية يحث على الجهاد بالمال، والإنفاق في سبيله، وعبر عن ذلك بالقرض الحسن فقال:

﴿مَنْ ذَا﴾: من: اسم استفهام؛ للتشويق والترغيب.

﴿يُقْرِضُ﴾: القرض: دفع المال لمن ينتفع به، ويرد بدله، أو يُعيده إلى صاحبه.

﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾: القرض الحسن: هو القرض الذي يُعطى ابتغاء وجه الله، ويعطى من دون منٍّ ولا أذى، وبحب لا كراهية عن طيب نفس، ومن مال طيب، وأن يتحرى الجهات الأشد حاجة إليه.

وقد وصف القرض بالقرض الحسن في كل القرآن، وجاء ذلك في (٦) آيات.

﴿فَيُضْعِفُهُ لَهُ﴾: الهاء: تعود إلى المنفق أضعافاً كثيرة لحثه على الإنفاق.

والقرض ثوابه أعظم من ثواب الصدقة. القرض يضاعف إلى (١٨) ضعف، وأما الصدقة بعشر أضعافها.

﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ﴾: والله يُضيق على بعض في الرزق، ويوسع على بعض حسبما تقتضيه حكمته، ومشيئته. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: إليه تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر.



﴿تَرْجِعُونَ﴾: من دون إرادتكم؛ أي: قسراً ومن دون خيار يوم القيامة.

١ - ولنقارن هذه الآية مع آية البقرة (٢٤٧)، وآية الأعراف (٦٩)، مع الانتباه إلى كيفية كتابة ولفظ الكلمات: يبسط، يبسط، ببطة.

آية البقرة (٢٤٥): ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

آية البقرة (٢٤٧): ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾.

آية الأعراف (٦٩): ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾.

وللمقارنة يجب أن نعلم: أن حرف الصاد يمتاز بالاستعلاء، أما حرف السين فيمتاز بالرخاوة، وإذا قارنا يبسط، ويبسط:

يبسط: أقوى وأشد تأكيداً من يبسط.

وببطة: أقوى وأكد من بسطة.

ببطة: مطلقة عامة، وبسطة: مقيدة، والمطلقة أقوى من المقيدة.

وإذا نظرنا في سياق الآيات:

بسطة: جاءت في سياق طالوت: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾

[البقرة: ٢٤٧].

وببطة: جاءت في سياق قوم هود: ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ [الأعراف:

٦٩].

فآية البقرة: جاءت في سياق فرد واحد، وهو طالوت، ومقيدة في العلم والجسم.

أما آية الأعراف: جاءت في سياق قوم هود أكثر من فرد، ومطلقة في الخلق.
إذن: آية الأعراف أقوى وأشد ومطلقة استعمل الصاد فيها بينما آية البقرة
أضعف، ومقيدة، واستعمل السين.

٢ - وكذلك لا بد من مقارنة هذه الآية مع الآية (٢٦١) من سورة البقرة،
والآية (١١) من سورة الحديد:

آية البقرة (٢٤٥): ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا
كَثِيرَةً وَاللَّهُ﴾: لم يحدد هذه الأضعاف الكثيرة في هذه الآية، ولكنه حددها
في قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي
كُلِّ سَبِيلَةٍ مِائَةً حَبَّةً وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

التحديد بسبعمئة ضعف، أو أكثر.

أما آية الحديد (١١): ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ
كَرِيمٌ﴾.

في البقرة: ذكر أضعافاً كثيرة، ذكر الكم، ولم يحددها، وتركها مطلقة.
في الحديد: ذكر فيضاعفه له، وله أجر كريم: ذكر الكم (يضاعفه فقط)،
والكيف أجر كريم (ذكر الكم والكيف).

ولو نظرنا إلى السياق نجد: أن آية البقرة جاءت في سياق القتال، وأما
السياق في آية الحديد هو في الإنفاق بشكل عام، فالسياق مختلف.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٢

الجزء الثاني

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِإِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا
لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ
هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا
قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ
لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا
قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ
مِنْهُ وَلَمْ يُوْتِ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ
عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ
يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا
تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

سورة البقرة [الآيات ٢٤٦ - ٢٤٨]

[٢٤٦] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَّهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِذَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: الهمزة: استفهام فيه معنى التعجب، وتشويق إلى ما سيرد في الآيات التالية.

﴿تَرَ﴾: الرؤية قلبية بمعنى العلم؛ أي: ألم ينته علمك، أو يصل إلى علمك خبر الملائ من بني إسرائيل.

﴿الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: الملاء: الأعيان، وممثلو القوم، أو وجهاء القوم، كلمة الملاء مشتقة من الذين يملأون العيون هيبة ورهبة، أو يراهم الناس دائماً. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٧٥، ٨٨) للبيان.

﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾: ﴿مِنْ﴾: ابتدائية، ﴿بَعْدِ مُوسَى﴾: بعد موت موسى ﷺ.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمان للماضي؛ يعني: حين قالوا.

﴿قَالُوا لَنَبِيِّ لَّهُمْ﴾: لم يذكر الله سبحانه اسمه، وقيل: هو شمويل على قول أكثر المفسرين.

﴿أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: نصّب، أو عين لنا ملكاً.

والبعث: هو الإرسال مع الحث، والتهيج، والإثارة، والشدة.



إِذْ هُمْ مِنْ بَدُونٍ مَلِكٍ، وَلَهُمْ نَبِيٌّ وَيُرِيدُونَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ لَأَنْهُمْ
أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ، وَشَرَّدُوا وَتَرَكُوا أَبْنَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ وَدِيَارَهُمْ.

﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا؟﴾

قال نبيهم لهم: ﴿هَلْ﴾: استفهام للتقرير.

﴿عَسَيْتُمْ﴾: من عسى، فعل توقع وترجّ.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال والشك.

﴿كُتِبَ﴾: فرض عليكم الجهاد.

﴿أَلَّا تُقَاتِلُوا؟﴾: أي: أن لا تقاتلوا. أن: حرف مصدري للتعليل، لا: نافية.

وكأنه يشك فيهم أنهم سيقاتلون، وذلك لعلمه بهم، ومعرفة لهم، وجبنهم
من قبل، أو سابقاً.

﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟﴾

﴿قَالُوا وَمَا لَنَا؟﴾: ما: اسم استفهام، لنا أن لا نقاتل في سبيل الله؛ أي: ليس
لنا عذر، أو مبرر ألا نقاتل في سبيل الله.

﴿وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا؟﴾

﴿وَقَدْ﴾: حرف تحقيق وتوكيد، والواو: حالية (للتوكيد).

﴿أَخْرَجْنَا﴾: أخرجونا بالقوة، وليس برغبتنا؛ أي: مكرهين.

﴿أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا؟﴾: أي: إن لم نقاتل في سبيل الله نقاتل؛ لأننا شردنا من
ديارنا وأبنائنا.

﴿وَأَبْنَاءِنَا؟﴾: أخذوا سبائنا، أو تركناهم وراءنا.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب، لما: ظرفية، حينية، متضمنة معنى الشرط.

﴿كُتِبَ﴾: فرض عليهم الجهاد، وشرع عليهم الجهاد، كما طلبوا.

﴿تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا، ورفضوا أن يجاهدوا في سبيل الله، ولووا ظهورهم، وبذلك يتبين لماذا قال لهم نبيهم سابقاً: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: أي: هناك القليل الذين لم يتولوا، والتزموا بعهدهم على القتال، وقيل: كانوا (٣١٣) بعدد أهل بدر.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: الذين تولوا، وأعرضوا، ونقضوا عهدهم، وقعدوا عن الجهاد، والقتال، وبذلك ظلموا أنفسهم، ويعتبر هذا وعيداً لهم. ارجع إلى الآية (٥٣) من سورة البقرة للبيان.

[٢٤٧] ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾: للتوكيد، توكيد البعث.

﴿لَهُمُ﴾: تقديم لهم على نبيهم؛ (أي: الجار والمجرور): يدل على أنه نبي خاص بهم، وليس نبياً لغيرهم.

﴿قَدْ﴾: للتحقيق، والتوكيد.



﴿بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾: إن: للتوكيد. الله: اختار لكم أو نصب،
أو عين لكم طالوت ملكاً.

﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ﴾: ﴿أَنَّى﴾: تعني: كيف، ومن أين يكون له
الملك؟! للتعجب والاستفهام.

وفي هذا إنكار سريع لبعثه ملكاً عليهم، واستبعاداً، فهو ليس من سبط النبوة
(وهم بنو لاوي)، ولا من سبط الملوك (وهم بنو يهوذا).

﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾: أي: أنه لا يستحق الملك؛ لوجود من هو أحق
بالملك منه.

﴿وَلَمْ يَوُثِّ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾: أي: أنه فقير كذلك، ولم يؤت من المال ما
يستعين به على إقامة الملك.

﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾:

﴿قَالَ إِنَّ﴾: قال: لهم نبيهم إن للتوكيد.

﴿اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾: اختاره ملكاً عليكم، وهو أعلم منكم، ولا اعتراض
على حكم الله.

والاصطفاء: هو الاختيار من أشياء متشابهة؛ أي: اختاره من بينكم.

﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾: بسطة تعني: سعة في العلم (كان

من أعلم بني إسرائيل...) بعلم الحروب، أو القتال، والجسم: طويل، عظيم
القامة، يثير هيبة في القلوب. ارجع إلى الآية (٢٤٥) من نفس السورة لمقارنة
أنواع البسطة ويبسط.

انتبه: هم أرادوا ملكاً ذا مال ونسب، والله سبحانه اصطفى لهم من هو ذو علم وقوة في القتال.

﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ﴾: من الإيتاء، وهو أعم من العطاء، ليس فيه تملك يمكن استرداده، والإيتاء يكون للأمور المعنوية، والمادية، والإيتاء يستعلم للأمور العظيمة، والمهمة.

﴿يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾: من يجده صالحاً لملكه، من: ابتدائية.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: الفضل، والعطاء يوسع على من ليس له سعة، ويرزق بغير حساب.

﴿عَلِيمٌ﴾: بمن يصطفيه للملك، ومن هو أحق بالملك من غيره، وعليم بأقوالكم، وأحوالكم، وما يصلحكم.

[٢٤٨] ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٢٤٧).

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿آيَةَ مُلْكِهِ﴾: علامة ملكه، أو دليل أن الله اصطفاه عليكم ملكاً.

﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾: حرف مصدري للتوكيد.

﴿التَّابُوتُ﴾: الصندوق من الخشب أو الحجر توضع فيه جثة الميت، والتابوت هنا يعني صندوق خشبي مستطيل، وورد ذكر التابوت في القرآن في



هذه الآية، وفي سورة طه آية (٣٩) (أن اقذفه في التابوت)، وجاء بأل التعريف في كلا الآيتين فليل هو نفسه صندوق التوراة صندوق الوصايا العشر (الألواح)، فقد اغتصب منهم، وسرق، ولا يعلمون أين هو.

﴿يَأْيَيْكُمْ﴾: يرجع إليكم؛ أي: يؤتى به إليكم من قبل الملائكة كدليل على أن طالوت هو الملك عليكم.

﴿فِيهِ﴾: أي: في التابوت، فيه: ظرفية؛ كظرف ومظروف.

﴿سَكِينَةً مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: عودة التابوت تبعث فيكم السكينة من السكون؛ أي: الأمان، والاطمئنان، والراحة النفسية، والحلم، وهذه الآية تشير إلى ما بقي من آثار الرسل والأنبياء أن يتخذ أو يُعتبر وسيلة مصدر سكينة للناس وأمن للنفوس وأن يرهاها ويحتفظ بها الناس على شرط أن لا تتخذ ضرباً من الشرك أو تبعث على الشرك.

﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ﴾: قيل: بعض الآثار التي تركها موسى، بعض الألواح، وفيه عصي موسى. والآل: هم الأهل، والأقارب، والأعوان، والأتباع، واستعمل الآل؛ لأن فيها معنى الإكرام، والثناء؛ لأنهم حافظوا على البقية بعد موت موسى، وهارون.

ولو نظرنا إلى كيف كتبت بقية بالتاء المربوطة مقارنة بقوله تعالى في الآية (٨٦) في سورة هود ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ بالتاء المفتوحة (أو المبسوطة)، وفي الآية (١١٦) في سورة هود ﴿أُولَٰئِكَ﴾ بالتاء المربوطة نجد أن التاء المفتوحة أو المبسوطة جاءت في سياق الكثرة؛ أي: تشير إلى الكثرة وأما التاء المربوطة

جاءت في سياق القلة أو تشير إلى القلة. ارجع إلى سورة هود آية (٨٦) لمزيد من البيان.

﴿وَأَلْهَكُونِ﴾: قيل: عمامة هارون (أخ موسى).

﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾: تحمل الملائكة، وتأتيكم به، ويوضع أمامكم.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد، ويشير إلى رجوع التابوت إليهم.

﴿لَايَةً﴾: اللام: للتوكيد.

﴿لَكُمْ﴾: خاصة، وليس لغيركم.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الشك، أو الندرة؛ أي: الشك في إيمانهم.

﴿كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: أي: في ذلك لمعجزة وحُجَّة كافية؛ لكي تؤمنوا بأن

الله قد بعث لكم طالوت ملكاً، ويبدو أنهم بعد عودة التابوت إليهم قبلوا؛ أي: رضوا بطالوت ملكاً، وبعدها راح طالوت يستعد للجهاد.





سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢

الْبَقَرَةِ

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ
بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ
مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا
مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا
لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ
يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمَ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾
وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ
عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ
دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

سورة البقرة [الآيات ٢٤٩ - ٢٥٢]

[٢٤٩] ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّنْ فَتَكٍ فَعَلَا فَلَئِنْ لَّمْ يَكُفِّرْ بَكُم مِّنْ فَتَكٍ لَّيَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: تدل على التعقيب، والمباشرة، وتدل أن طالوت لم يتأخر في الخروج للجهاد، ومعه جنوده.

لما: ظرفية، حينية، تتضمن معنى الشرط.

﴿فَصَلَ﴾: خرج، وغادر، وكلمة فصل من الفصل، وهو العزل أن تزل شيئاً عن شيء آخر، ومثلها: فلما فصلت العير؛ أي: غادرت.

﴿طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾: أي: غادر بلده بالجنود جمع جندي، وجنود: فئة من الناس تدربوا للقتال، ومفروض فيهم القوة، والغلظة، والصبر، ولم يذكر عددهم؛ لعدم الأهمية، وهناك فرق بين جند وجنود؛ ارجع إلى سورة ياسين آية (٢٨) لمزيد من البيان.

﴿قَالَ إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿اللَّهُ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾: قال ابن عباس ؓ وكثير من المفسرين: هو نهر الأردن المسمى بالشرية.



﴿مُبْتَلِيكُمْ﴾: مختبركم، والابتلاء: هو الاختبار، والامتحان، والابتلاء: قد يكون في الخير، والشر.

وقال: إن الله مبتليكم ولست أنا؛ أي: إنه هو الله الذي سيجري عليكم الابتلاء؛ لمعرفة مدى طاعتكم لأمره، وقوله: إن الله مبتليكم، ولم يقل: أنا مبتليكم أقوى حافزاً على خوض الابتلاء من أن لو كان ابتلاءً من عند طالوت. وما هو هذا الابتلاء: كونهم عطشى، وأمامهم الماء، ويجب أن يمتنعوا عن الشرب منه إلا كما يوصيهم طالوت.

﴿بَنَاهُ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾:

فمن شرب من النهر فهو عاص لأمر الله (إذا شرب كما يريد، ولم يطع الأمر).

ومن لم يشرب فهو مطيع لأمر الله، وإن شرب غرفة بيده هذا مباح، وهو مؤمن ومؤهل للجهاد في سبيل الله، فهو خارج في سبيل الله، والطعام، أو الشراب ليس هذا نيته، بل نيته حمل راية الجهاد.

ونرى هنا: أنه سبحانه استبدل كلمة يشرب بقوله: يطعمه، ويطعمه من الطعام، والطعام يشمل الغذاء، والشراب، والشراب يتناول لوحده، أو مع الغذاء. ويبدو أن الشراب (وهو الماء) كانوا بحاجة ماسة له، فهو قد قام مقام الطعام، والشراب معاً؛ فهو رخص لهم الماء الممزوج بالطعام؛ أي: الماء القليل. وكذلك رخص لهم الغرفة بالإضافة إلى يطعمه؛ ليزيل عنهم العامل النفسي في حبّ الشرب.



﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾:

هذه كانت هي النتيجة: فشل الكثير في الامتحان، الكثير شرب من النهر، كما يشاء، ولم يسمع إلى قول الله تعالى، ويفوز بالابتلاء.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾: والقليل لم يشرب، ولم يعص، وفاز بالابتلاء، وهم الذين آمنوا معه.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: تدل على المباشرة، والتعقيب؛ أي: استمر طالوت، والذين آمنوا معه في سيرهم.

﴿جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾: أي: عبر طالوت، والبقية الذين آمنوا النهر.

﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾: أي: مجرد أن رأى الذين آمنوا جالوت وجنوده وعددهم وعدتهم قال قسم منهم، وهم ضعاف الإيمان، ومن خاف: لا طاقة لنا (لا مقدرة لنا)، والطاقة: أقصى المقدرة، وتختلف عن القدرة، أو القوة التي يتمكن بها المرء من أداء الأمور؛ لا طاقة لنا اليوم على جالوت وجنوده، وأما القسم الآخر الذين آمنوا بالإيمان الصادق، ولم يخافوا قالوا:

﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةَ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾:



﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ﴾: أن مصدرية، تفيد التوكيد، وانتبه إلى هذه القاعدة في القرآن: إذا قرن الظن بأن أفادت اليقين؛ أي: أصبح الظن بمعنى العلم، واليقين.

قالوا للذين خافوا وقالوا لا طاقة لنا بجالوت وجنوده: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة، أو قالوا ذلك محدثين أنفسهم لييثوا روح الجهاد والشجاعة بينهم فلا يخافوا.

﴿كَمْ﴾: هنا الخبرية، وتفيد الكثير، فقد روي عن ابن عباس ؓ: أن الذين آمنوا مع طالوت وظنوا أنهم ملاقوا ربهم، وقالوا: ﴿كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً﴾ كان عددهم يقارب عدد أهل معركة بدر (٣١٤) مؤمناً.

﴿مِّنْ﴾: ابتدائية.

﴿فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ﴾: العدد، والعدّة انتصرت.

﴿غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً﴾: العدد والعدّة، وفئة جاءت بصيغة التنكير الذي فائدته، أو غرضه التكثير، والتعظيم، ولمعرفة تعريف الفئة؛ ارجع إلى الآية (١٣) من سورة آل عمران.

﴿يَا ذَنِّ اللَّهَ﴾: الإذن: اسم للكلام الذي يفيد إباحة فعل أو قول، وبإذن الله تستعمل للعمل الذي ليس لنا فيه تدخل، أو إرادة، أما لو قال: إن شاء الله: فهي تستعمل للأمور التي لنا تدخل فيها، وصادرة على إرادتنا.

﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: يمدّهم بعونه وينصرهم على عدوهم.

[٢٥٠] ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبِّنَا أَمْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو: عاطفة، لما: ظرفية زمانية بمعنى: حين برزوا.

﴿بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾: ﴿بَرَزُوا﴾؛ أي: انكشفوا، وظهروا في ميدان المعركة على أرض مستوية متسعة، ورأوا جالوت وجنوده قالوا:

﴿رَبِّنَا أَمْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: دعوا ربهم من دون استعمال ياء النداء التي تعني البعد، ولم يقولوا: يا الله؛ لأنه موقف عطاء، وطلب، وليس موقف عبادة، أو صلاة، ولم يقولوا: يا ربنا، فليس الرب بعيداً عنهم، وليس هناك زمن لاستعمال الياء، فهو زمن قتال وحرب.

﴿أَمْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: أي: اصيب علينا الصبر صبراً؛ حتى تمتلئ منه القلوب.

﴿وَتَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا﴾: في أرض المعركة، فلا ننهزم أمام عدونا.

﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: ﴿وَأَنْصُرْنَا﴾: النصر بالقوة، والسلاح، والعدة على القوم الكافرين، وعلى: تعني العلو والمشقة.

[٢٥١] ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾:

﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب، والمباشرة؛ أي: هزموا جالوت وجنوده في أرض المعركة.

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: ارجع إلى الآية (٢٤٩) للبيان.

﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾: كيف قتل داود جالوت لم يذكره الله تعالى



لنا؛ لعدم فائدته المهم انتصر طالوت وجنوده على جالوت وجنوده، وانتهت المعركة.

وظهر اسم داود لأول مرة في هذه المعركة.

﴿وَأَتَيْنَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾: ﴿وَأَتَيْنَاهُ﴾: أي: أتى الله داود
﴿الْمُلْكَ﴾: أي: أنعم عليه بالملك؛ أي: الحكم بعد موت طالوت.
﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: قيل: النبوة، والزبور.

الفرق بين الإيتاء والعطاء:

- الإيتاء: ليس فيه تملك يمكن أن ينزع، أو يُسترد.

- العطاء: فيه تملك لا ينزع.

- الإيتاء: يكون في الأمور العامة المعنوية، أو الحسية المادية، والمهمة،
ويكون في الرحمة، والنبوة، والكتاب، والحكمة، وغيرها.

- العطاء: يكون في الأمور المادية، والحسية، والمالية.

- الإيتاء: أعم من العطاء (فهو يشمل العطاء وغيره).

- العطاء: أخص من الإيتاء.

﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾: قيل: صناعة الدروع كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، وعلمه الزبور: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخُطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ﴾: الواو: استثنائية، لولا: حرف امتناع لوجود.

الدفع: معناه الرد؛ يدفع الله أناساً بأناس، ومنه سُنَّة التدافع، يدفع بالقلة

المؤمنة الكثرة الفاسدة، ولولا مشروعية الجهاد والدفاع لاستولى أهل الكفر والفساد على الأرض بالظلم والشرك.

ولكن الله يدفع المؤمنين ليقاتلوا الكافرين، ويعذب الكافرين بأيدي المؤمنين.

فالذي يعمر الكون هو أن توجد فيه قوى متكافئة، أو فئة ضد فئة، أو حزب ضد حزب.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ﴾؛ أي: الله يدفع، ولكن بأيدي خلقه بعضهم بعضاً المؤمن بالكافر، والقوي بالضعيف، والعاقل بالظالم، والمصلح بالمفسد، والغني بالفقير، وأهل المعروف بأهل المنكر. الناس: ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة للبيان.

﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾: اللام: لام التوكيد، فسدت الأرض؛ أي: انتشر الفساد، وعمّ فيها.

والفساد لغة: هو الخروج عن حد الاعتدال، والاستقامة، والفساد: نقيض الصلاح، وهو الاستقامة على ما تدعو إليه الشريعة والحكمة.

اصطلاحاً: انفلات الفرد، أو المجتمع عن ضوابط الشرع؛ أي: عن منهج الله تعالى، والفساد يكون في التشريع، والشرك، والكفر، والبدع، أو التوجيه، والتربية، والأخلاق، والقتل، والسرقة، والحراقة، وإهلاك الحرث والنسل، والعتو: هو كثرة الفساد، أو أشد الفساد، وأما الغي: يكون عادة في فساد الاعتقاد، والمذهب.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ﴾: لكن: حرف استدراك وتوكيد.

﴿ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: ذو فضل تكمراً منه، ومنة على العالمين



بأن حد من الفساد، وأتاح لعباده المؤمنين أن يقيموا شعائر دينهم ويعبدوا ربهم ويتقوا شر المفسدين.

لنقارن آية البقرة: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

مع الآية (٤٠) من سورة الحج: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهْجَمَتْ صَوْمِعُ وَبَيْعٌ وَصُلُوتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.

آية البقرة: تتحدث عن حفظ الأمن في الأرض بحيث لا تستبد قوة حاكم طاغية بكل الدول الأخرى، وتسيطر على العالم كله، أو يسيطر الكفار على المؤمنين.

أما آية الحج: تتحدث عن حفظ دور العبادة، والصلاة؛ بحيث لا تهدم، أو تدمر بقوة ما...

[٢٥٢] ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾: ﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد، ويشير إلى الآيات السابقة، الألف الذين خرجوا من ديارهم فأماهم الله، ثم أحياهم، آيات بني إسرائيل وطالوت وجالوت وداود.

﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾: نقرأها عليك (أي: يتلوها جبريل عليك). والتلاوة تكون فقط من الكتب المنزلة، والتلاوة أخص من القراءة، ولها أجر، والتلاوة تكون لكلمتين أو أكثر، والقراءة قد تكون لكلمة واحدة وليس لها أجر، وأصل التلاوة اتباع الشيء بالشيء.

﴿بِالْحَقِّ﴾: بالصدق بلا تحريف أو تبديل. ارجع إلى الآية (١١٩) في نفس السورة لمزيد من البيان في معنى الحق.



﴿وَإِنَّكَ﴾: إن: للتوكيد، واللام في ﴿لَمِنْ﴾: زيادة التوكيد.

﴿لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾: من رُسل الله فعلمك لهذه الآيات دليل كاف على أنك من المرسلين، وهذا يكفي رداً على قول الذين كفروا ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣].

وإذا نظرنا في القرآن نجد: أن هذه الآية ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾: تكررت ثلاث مرات، وإذا أردنا معرفة ترتيب نزول هذه الآيات، وليس حسب ترتيب السور في القرآن نجدها:

أول مرة نزل في سورة الجاثية، آية (٦): ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾.

ثاني مرة نزلت في سورة البقرة (٢٥٢): ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

ثالث مرة نزلت في سورة آل عمران (١٠٨): ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٢

الجزء الثالث

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ
وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ
مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا
فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا
مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا
شَفَعَةٌ ۖ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ ۚ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا
شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ
مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

سورة البقرة [الآيات ٢٥٣ - ٢٥٦]

[٢٥٣] ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلِ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾:

قال تعالى في الآية السابقة: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، ثم أتبعها بقوله:
﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾: تلك: اسم إشارة للبعد.

إشارة إلى الرسل الذين بعثهم الله سبحانه إلى الناس كافة.

الرسل تشمل كل من اختيار وكلف، وأرسل من قبل الله سبحانه؛ لحمل رسالة معينة، وتبليغها، ومتابعتها.

فكلمة الرسل: قد تعني كل الأنبياء، وكل رسول، فالكل مرسل من قبل الله تعالى.

وقد تعني: الرسل وعددهم (٣١٥) رسولاً، وقيل في عدد الأنبياء: مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، كما روى الإمام أحمد في مسنده حين سأل أبو ذر رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن عدد الأنبياء، قال ﷺ: مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمئة وخمسة عشر.

وأفضل ما قيل في تعريف الرسول: من أوحى إليه بشرع جديد، وأمر بتبليغه.



والنبي: هو المبعوث لتقرير شرع من قبله وتبليغه. ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٤) لمزيد من البيان.

وذكر الله سبحانه في كتابه (٢٥) نبياً ورسولاً، من هؤلاء أربعة من العرب هم: هود عليه السلام، وصالح عليه السلام، وشعيب عليه السلام، ومحمد عليه السلام.

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: الفضل لغة: الزيادة في الأجر، واصطلاحاً: الزيادة في الدرجات في الجنة، وكذلك القرب من الله تعالى في المنزلة كما قال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣]، ﴿هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: ٤]، ونا الجمع تدل على التشريف، وأفضل الرسل والأنبياء هم خمسة: محمد عليه السلام، وإبراهيم عليه السلام، وموسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام، ونوح عليه السلام، وهم أولوا العزم من الرسل، وأجمعت الأمة على أن الرسل أفضل من الأنبياء.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَتٍ﴾: في المنزلة، والفضل بالقرب من الله عليه السلام، ودرجات في الجنة: ﴿هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾، ﴿هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

فالرسل محمد عليه السلام: هو خاتم النبيين، وأرسل كافة للناس بشيراً ونذيراً. وأمثال إبراهيم عليه السلام: كان أمة، واتخذه الله خليلاً.

وأمثال عيسى عليه السلام: آتياه البينات وأيدناه بروح القدس، ارجع إلى الآية (٨٧) للبيان.

﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾: أي: قوَّيناه بروح القدس جبريل عليه السلام، فكان في صحبة لا يفارقه في كل أمر من أمور الدين.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَحَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾:

﴿أَقْتُلْ الَّذِينَ مَنَ بَعْدِهِمْ﴾: من بعد الرسل، والذين اقتتلوا هم الأمم التي جاءت من بعد الرسل.

فاليهود اختلفوا في دينهم، وتفرقوا شيعاً، والنصارى اختلفوا وانقسموا شيعاً، وكذلك أمة محمد ﷺ صاروا شيعاً.

﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾: أي: المعجزات، والدلائل على صدق نبوة الرسل: محمد ﷺ، وعيسى ﷺ، وموسى ﷺ، وغيرهم، وأنهم رسل الله، ويجب الإيمان بهم جميعاً.

وهناك فرق بين جاءتهم البيّنات (تاء التأنيث)، وجاءهم (بالتذكير). البيّنات، والتذكير: فيه معنى القوة، ويستعمل جاءهم البيّنات: في سياق الأوامر، والأحكام، والآيات، ويستعمل جاءتهم البيّنات: في سياق الأدلة، والمعجزات الدالة على صدق نبوة الرسل؛ أي: الأقل شأنًا.

إذن: البيّنات يمكن أن تذكر، أو تؤنث، وانتبه إلى ذلك في الحفظ.

﴿اِخْتَلَفُوا﴾: في المذاهب، والعقائد، والآيات، والأحكام، والتحريف، والتبديل، والنسيان، واختلفوا بسبب الأهواء، والحسد، وحب السيطرة، وحب الدنيا.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ﴾: بالرسول وبما أنزل الله، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾: وتكرار منهم: يفيد التوكيد، كفروا بالله ورسوله وفرقوا بين الله ورسوله، وقالوا: نؤمن ببعض ونكفر ببعض.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا﴾: لو: شرطية؛ أي: الذين آمنوا، والذين كفروا، ولكن اقتتلوا؛ لكي لا يحدث فساد في الأرض، وليحق الحق، ويبطل الباطل، ولو كره المجرمون.



﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: تكرر (ولو شاء الله ما اقتتلوا): يفيد زيادة التوكيد على أهمية القتال، والجهد في سبيل الله، وعلى مشيئة الله تعالى، فلو شاء لما حدث الخلاف، ولو شاء لما حدث القتال، ولكن ليمحص الله المؤمنين ويمحق الكافرين.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾:

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ﴾: للاستدراك، والتوكيد، ﴿يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾: ولم يقل: يفعل ما يشاء، فما هو الفرق؟

المشيئة: تكون أولاً، ثم الإرادة ثانياً، فالمشيئة تسبق الإرادة.

فالمشيئة: هي ابتداء العزم على الفعل، والإرادة هي العزم على الفعل، أو ترك الفعل.

فقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾؛ أي: إذا صدر الحكم منه بكن فيكون.

[٢٥٤] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد للذين آمنوا بأمر تكليفي جديد: هو الإنفاق.

﴿أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾: الإنفاق: هو إخراج المال من الملك، فلا يعد يملكه، بينما الإعطاء: يمكن أن تعطي زيدا ثوباً ليخيطه لك ويعيده إليك، فلا يخرج من ملكك.

والنفقة الواجبة: هي الزكاة.

والنفقة المستحبة: هي نفقة التطوع، فالآية لم تحدد نوع الإنفاق فهي تحت على الإنفاق بكل أنواعه.

وغاية الإنفاق هو التقرب إلى الله تعالى، وطاعة أوامره.

﴿مِمَّا رَزَقْنَكُمْ﴾: مما؛ أي: من ابتدائية بعض ما رزقناكم (من البعضية)، وليس كل ما رزقناكم؛ أي: أنفقوا من رزقي عليكم.
وفي آيات أخرى قال:

١ - ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

٢ - ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧].

٣ - ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

٤ - ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾:

﴿مِنْ﴾: للابتداء، ﴿قَبْلٍ﴾: ظرف زمان، ﴿أَنْ﴾: للتوكيد.

﴿يَأْتِي﴾: ولم يقل: يجيء، المجيء: فيه معنى الصعوبة، والمشقة، ويأتي: فيه معنى السهولة؛ لأنه لم يأت بعد.

﴿يَوْمٌ﴾: نكرة، ويعني: يوم القيامة، وجاء نكرة لما فيه من الأحداث، والأحوال العظام.

﴿لَا﴾: النافية، وهي أقوى في النفي من ليس.

﴿بَيْعٌ﴾: البيع: أصله الكسب، والنتائج عن تبادل أثمان السلع، لا بيع فيه؛



أي: لا فداء فيه؛ لأن البيع يوم القيامة يعني الفداء، أو لا إنفاق فيه؛ لتدارك ما فاتكم من الإنفاق، فكل مصارف البيع، والإنفاق معطلة في ذلك اليوم.

﴿فِيهِ﴾: ظرف زماني ومكاني؛ يعني: للظرف والمظروف اليوم.

﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾: تكرار لا النافية؛ ليزيد التوكيد وللفصل كل منهما على حدة، لا بيع لوحده، ولا خلة لوحدها، ولا كلاهما معاً، وجاءت نكرة: لتشكل كل خلة. والخلة: تعني المودة، والصدقة، والتكريم، وسميت المودة خلة؛ لتخللها في النفس، وجمعها خلال. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٢٥).

﴿وَلَا شَفَعَةٌ﴾: لا وساطة، وجاءت نكرة؛ لتشمل كل شفاعاة غير مقبولة مهما كان نوعها، مثل: شفاعاة إبراهيم ؑ في آزر، أو شفاعاة الذين آمنوا في المشركين.

وهناك استثناء في باب الشفاعاة؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]، فهناك الشفاعاة المقبولة، مثل شفاعاة الرسول ﷺ، وشفاعة أهل التقوى والإحسان.

هذا من باب الإطلاق المقيد.

﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: الكافرون: جمع كافر ويعني الكفر بالدين وتدل على أن صفة الكفر عندهم ثابت وتدل على العمل وهو الكفر.

﴿هُمُ﴾: ضمير فصل يفيد القصر المبالغ فيه؛ أي: هم المختصون بصفتي الكفر، والظلم دون غيرهم، ولو قال: والظالمون هم الكافرون؛ لشملت هذه كثيراً من الناس، والله سبحانه لا يظلم مثقال ذرة. ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة لبيان معنى الكفر.

[٢٥٥] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾:

﴿اللَّهُ﴾: هو الاسم الأعظم الذي تفرد به الحق سبحانه، واختصه لنفسه، وقدمه على سائر أسمائه.

هو الاسم الجامع لجميع صفات الكمال الإلهية، وكل اسم من أسمائه نعت له، فهو يدل على المعبود، ولا معبود إلا هو.

وورد ذكر اسم الله سبحانه في حوالي (٢٦٩٩) مرة في القرآن، وأكثر سورة ورد فيها ذكر اسم الله تعالى سورة البقرة، فقد ورد فيها (٢٨٢) مرة.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا﴾: لا: النافية للجنس.

﴿إِلَهَ﴾: معبود بمعنى مألوه على وزن مفعول: لا معبود بحق في الوجود إلا هو.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر وقصر.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

وانظر إلى قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: فهي تفيد النفي، وتفيد الإثبات، فقوله:

﴿لَا إِلَهَ﴾: تفيد النفي، ﴿إِلَّا هُوَ﴾: تفيد الإثبات، أو تؤكد النفي.

﴿الْحَيُّ﴾: أي: الحي الذي لا يموت، والذي لا تأخذه سنة ولا نوم كامل

الحياة، ويتضمن ذلك ذاته، وعلمه، وعزته، وقدرته، وعظمته، وكبريائه. الحي



الذي لا يموت، الواجب الوجود، الباقي الدائم من أزل الأزل إلى أبد الأبد، والأزل هو دوام الوجود في الماضي، والأبد: هو دوام الوجود في المستقبل.

﴿الْقَيُّومُ﴾: قائم الوجود، القائم بذاته، وعظمته على الإطلاق، والمستغني عن خلقه، وعن غيره، القائم بتدبير خلقه، وحفظهم، والقائم على كل نفس بما كسبت.

دائم القيام، وكامل القيومية، ولا يقوم شيء إلا به، وهو سبب وقوام لكل ما عده، قامت به السموات السبع، والأرض، وما فيهن؛ من مخلوقات، فهو الذي أوجدها، وأمدّها، وأعدّها؛ لكل ما فيه بقاؤها، وصلاحها، وقيامها. والقيوم: صفة مبالغة لقائم؛ أي: كثير القيام.

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾:

﴿لَا﴾: النافية لكل زمن (الماضي والحاضر والمستقبل)، والنافية للجنس، وتكرار (لا): لزيادة تأكيد النفي.

﴿تَأْخُذُهُ﴾: لا تعتريه، الأخذ: الغلبة، والاستيلاء؛ أي: لا يعتريه نوم، ولا يغلبه نعاس.

﴿سِنَّةٌ﴾: أول ما يأتي من النعاس، كما في أول النوم، النوم الخفيف، ويبدو في العين والجفن.

﴿وَلَا نَوْمٌ﴾: السبات العميق، وعادة تسبق السنة النعاس، وافتقاد السنة أبلغ في التنزيه من النوم؛ لأنه سبحانه إذا لم تأخذه سنة فلن يأخذه نوم.

أي: لا يغفل عن تدبر أمر خلقه أبداً؛ لأنه لا تأخذه سنة، ولا نوم؛ لأن

النحاس، والنوم من صفات النقص، والله تعالى ذو الكمال المطلق، وكيف يكون قيوماً على السموات والأرض وتأخذه سنة ونوم.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾:

﴿لَهُ﴾: السلام: لام الاختصاص، والملكية، تقديم الجار والمجرور يفدي الحصر له وحده لا لأحد غيره.

﴿مَا﴾: تشمل العاقل، وغير العاقل، ما: المطلقة ما في السموات وما في الأرض عبيده، وفي ملكه خاضعون لمشيئته، وتحت قهره وسلطانه.

﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾: في: ظرفية زمانية ومكانية، ما في السموات: كظرف ومظروف السموات، وما فيهن من خزائن.

﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: وله الأرض وما فيها من كنوز، ومخلوقات وخيرات.

له ما في السموات، وما في خلقاً، وملكاً، وتصرفاً، وحكماً لا يشاركه أحد، ولا شريك له، فهو مالك الملك يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾:

﴿مَنْ﴾: ابتدائية.

﴿ذَا﴾: اسم استفهام.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول.

﴿يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾: بإذنه: الإذن اسم للكلام الذي يفيد إباحة فعل أو قول، والإذن يكون أو يستعمل لفعل أو قول ليس لنا أي تدخل فيه كالشفاعة. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥١)، والنساء آية (٨٥).

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾:



يعلم ما وراءهم، وما أمامهم، وما قدموا، وما آخروا؛ من عمل يعلم كل نفس ما قدمت وأخرت سبحانه هو الرقيب المحيط بخلقه، فهو الخبير البصير المحصي المبدئ المعيد السميع العليم، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات، ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك، ولا أكبر، لا تخفى عليه خافية، عليم بذات الصدور.

يعلم ظواهر الأمور وبواطنها.

يعلم ما كان وما هو كائن، وما سيكون، وهو بكل شيء عليم. وعنده مفاتيح الغيب، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب، ولا يابس إلا يعلمه.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية، لا: النافية، ﴿يُحِيطُونَ﴾: من الإحاطة، والإحاطة تعني: معرفة الشيء من جميع جوانبه.

﴿شَيْءٍ﴾: الشيء هو أقل القليل، شيء: نكرة؛ أي: مهما كان حجمه، وشكله، ولونه، ووزنه، وتكوينه، وبما أن علومنا قابلة للتغير، والتبديل، فلن نستطيع أن نحيط بأي شيء، ولو كان واحداً مهما بلغنا من العلم، كما يحيط به الله ﷻ.

﴿وَلَا بِمَا شَاءَ﴾: إلا: أداة استثناء؛ أي: لا يعلمون إلا ما شاء الله أن يعلمهم إياه.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾:

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾: الكرسي قيل: هو السلطان، والقهر، والقدرة، والملكية.



وقيل: الكرسي العلم علمه ذاته.

وقيل: الكرسي: هو ما دون العرش، والكرسي: أوسع من السموات السبع والأرضين، وما السموات السبع بالنسبة للكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة، وما السموات السبع والكرسي للعرش إلا كحلقة مرماة في فلاة. أخرجه الإمام أحمد في المسند.

﴿وَلَا يَتُودُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: النافية.

﴿يَتُودُّهُ حِفْظُهُمَا﴾: يشق عليه، أو يثقله، أو يصعب عليه، حفظ السموات والأرض؛ أي: تدبيرهما، فالسماء الأولى تحوي مليارات المجرات داخلها مليارات المجموعات الشمسية ومجرتنا فقط تحتوي على (٢٠٠ مليار نجم).

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد.

﴿الْعَلِيُّ﴾: علو الجلال والكمال، وعلو الذات، والصفات، والأسماء فوق مخلوقاته، أو ليس له مثل في العلو في كل أمر، العلي عن خلقه علو القدر، والمنزلة، العلي عن الأشباه والأمثال، لا يعلوه شيء، ولا أحد له العلو المطلق من كل الوجوه.

﴿الْعَظِيمُ﴾: صيغة مبالغة من العظم في العز، والمجد، والكبرياء، والكمال، العظيم لا شيء أعظم منه، العظيم؛ لأنه مالك أمور خلقه يعظمه خلقه، وله صفة العظمة في كل الأحوال.

لقد تضمنت آية الكرسي مختصر العقيدة الإيمانية، وتطرق إلى الذات الإلهية.



فقد تَضَمَّنَت الكثير من أسماء الله الحسنى، والكثير من صفاته العلى، والضمائر التي تعود على ذاته.

فمن أسمائه فيها: الله، لا إله إلا هو، الحي القيوم، العلي، العظيم، وهي ستة أسماء.

ونجد الكثير من الضمائر في هذه الآية، مثل: هو، لا تأخذه، بما شاء، كرسیه، ولا يؤده، وحفظهما، وهو، وهذه الضمائر تقرب من (١٢) ضميراً كلها تعود إلى ذاته سبحانه، وأنه الإله الواحد الحق الذي يستحق أن يعبد، وتوحيد الربوبية، يعني: هو الخالق وحده.

فهي أعظم آية في القرآن الكريم، أو سيدة آي القرآن، كما ورد في الأحاديث عن رسول الله ﷺ، وفي حديث رواه النسائي، وابن حبان في صحيحه، عن أبي أمامة، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»، وذلك لأنها تَضَمَّنَت كما قلنا توحيد الألوهية، والربوبية، والأسماء، والصفات.

[٢٥٦] ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قيل: نزلت هذه الآية في السنة الرابعة من الهجرة، وكان المسلمون أقوىاء أعزاء.

﴿لَا﴾: النافية للجنس.

﴿إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾: الإكراه: هو أن تحمل الغير على فعل من الأفعال، وهو كاره له، سواء أكان خيراً، أو شراً.

لم يجبر الله ﷻ، ولم يُكْرِه أحداً من خلقه على الدخول في دينه، وطاعته،

إِلَّا بِالْإِخْتِيَارِ، والتمكين. ارجع إلى الآية (١٣٢) من نفس السورة؛ لمعرفة معنى الدين.

فقد قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩].

أي: لو شاء الله سبحانه لقصرهم على الإيمان، ولكنه لم يفعل، وبني الأمر على الاختيار فقال:

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿تَبَيَّنَ﴾: تميز.

﴿الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾: ﴿الرُّشْدُ﴾: بضم الراء؛ أي: كيف يتم أو يحصل الصلاح في الأمور الدنيوية والأخروية، وقد تبين الطريق الموصل للنجاة، وسعادة الدارين، والهدى، والإيمان، والصلاح، والرُّشد: أعم من الرُّشد بفتح الراء: الذي يعني: الصلاح فقط في أمور الدين والآخرة؛ ارجع إلى سورة النساء آية (٦) لمزيد من البيان.

﴿الْغَيِّ﴾: الفساد: فساد الرأي والعقيدة والمذهب الباطل، والجهل، والضلال، والهلاك، والكفر، والطاغوت، والأصنام. ارجع إلى سورة الحجر آية (٤٢) لمزيد من البيان.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾: من: شرطية، تفيد الاحتمال، والشك، والندرة، يكفر بالطاغوت.

والطاغوت: صيغة مبالغة مشتقة من طغى، والطغيان هو تجاوز حدود الله.

الطاغوت: تطلق على كل معتد، وكل معبود من دون الله، وتستعمل في الواحد والجمع.



ويشمل كبراء الظلمة من شياطين الإنس والجن.

وكل ما عبد من دون الله من البشر، وهو راض بهذه العبادة.

وسمي الساحر، والكاهن، والمارد من الجن، والصارف عن الحق طاغوتاً.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾: يكفر بصيغة المضارع؛ لتدل على الاستمرار، والتجدد، ولم يقل كفر، بالطاغوت: الباء للإلصاق، والمداومة على الكفر.

﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: إيماناً يتضمن توحيده في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه، وصفاته، وعبادته، وكذلك يؤمن بالملائكة، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء خيره وشره.

﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ﴾: ﴿فَقَدْ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، قد: للتحقيق، والتوكيد؛ أي: تأكد استمساكه بالعروة الوثقى.

استمسك، ولم يقل أمسك: لأن استمسك أشد استمساكاً، وفيها معنى الحرص على الإمساك بالمجاهدة والصبر على دينه، والدعوة إلى الله ومجاهدة أهواء النفس، والشيطان، والفتن.

﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾: الباء: للإلصاق، والمصاحبة، ﴿الْوُثْقَى﴾: تأنيث الأوثق، والوثيق الثابت المحكم.

والعروة: وهي التي نراها في طرف الجبل على هيئة الحلقة، والعروة في الثوب المكان الذي يدخل به الزر، والمقبض الذي يمسك به الدلو.

فالعروة الوثقى: تحتاج إلى الجبل، وهو القرآن، أو دين الإسلام؛ أي: من تمسك بالقرآن والسنة؛ فقد استمسك بالعروة الوثقى.

﴿لَا انفِصَامَ لَهَا﴾: لا انفصام؛ أي: لن تنفك، أو تنحل ناهيك عن الانقطاع؛

أي: لا يخاف السقوط في النار، ولا الهلاك، وسوف ينجو، ويصل إلى غايته، وهي الجنة العالية.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لما يقوله من يؤمن بالله، ويكفر بالطاغوت، سميع لأقوال عباده في السر والعلن.

﴿عَلِيمٌ﴾: ببواطن وظواهر ما يخفونه، وما يبدونه؛ من أقوال، وأفعال. وبما تخفي الصدور من تصديق بالإيمان، أو تكذيب، وعليم بمعتقداتهم، وأفعالهم، وبإيمانهم، ونواياهم، وغاياتهم. وهذه الآية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾: دليل واضح على بطلان من زعم أن الإسلام انتشر بالقوة والسيف.

لنقارن هذه الآية مع الآية (٢٢) من سورة لقمان: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

في آية لقمان: لا يذكر لا انفصام لها، ويذكر وإلى الله عاقبة الأمور. أما في آية البقرة: يذكر لا انفصام لها، والله سميع عليم، وهذا الاختلاف يرجع إلى السياق في البقرة في اتباع الطاغوت.

وفي لقمان: السياق في اتباع الآباء، وهو أقل شدة من اتباع الطاغوت، فلا يحتاج إلى تأكيد بالقول لا انفصام لها، ولا التهديد بالقول، والله سميع عليم.





سُورَةُ النَّازِعَاتِ ٢

الجزء الثالث

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآءُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ
أَنَآءَاتَهُ اللَّهُ الْمَلَكُ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ
عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ
بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ
قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ
فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى
حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى
الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

سورة البقرة [الآيات ٢٥٧ - ٢٥٩]

[٢٥٧] ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: الولي: القريب المحب المعين. ارجع إلى الآية (١٠٧) من سورة البقرة للبيان.

الذي يتولَّى أمور الذين آمنوا وشؤونهم، مثل الوالي الذي تولَّى أمر الرعية. ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾: الظلمات: جمع ظلمة؛ لأن ظلمات الجهل، والكفر، والشرك، والضلال متعددة، ومصادرها منها: الشيطان، والهوى، والنفس، والشهوة... وغيرها، والظلمات: جمع ظلمة.

﴿إِلَى النُّورِ﴾: أفرد النور؛ لأن النور هو الدين، والدين واحد وهو الإسلام، والنور قد يعني: القرآن والإسلام (الحق)، أو الطريق المستقيم، والهدى، والصلاح، وكلها تصب في مصب واحد، والنور: هو من الله تعالى، وهو واحد سواء أكان القرآن، أم الإسلام، أم الدين.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ارجع إلى الآية (٦) لمزيد من البيان، أولياء: جمع وليّ.



الطاغوت: تستعمل للمفرد والجمع؛ أي: أولياؤهم الشياطين، وعلى رأسهم إبليس، أو أئمة الكفر والإلحاد. ارجع إلى الآية السابقة لمزيد من البيان. ﴿يُخْرِجُونَهُمْ﴾: ولم يقل: يخرجهم، وإنما أضاف النون، فقال: يخرجونهم للتأكيد على إضلالهم، وإخراجهم من النور إلى الظلمات.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد.

﴿أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٣٩) من سورة البقرة للبيان.

[٢٥٨] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله سبحانه ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ جاء بهذه الآية؛ ليضرب لنا مثلاً لهذا الطاغوت، فاختر النمرود بن كنعان، كما قال أكثر المفسرين، وكان ملكاً على العراق، فقد ادَّعى الربوبية، كما سنرى.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: الهمزة في ألم همزة استفهام، وتعجب، وإنكار إلى الذي حاجَّ إبراهيم.

أي: ألم ينته إليك أو يصل إليك خبر، أو نبأ الذي حاجَّ إبراهيم في ربه.

﴿تَرَ﴾: هذه رؤية قلبية، وليس رؤية بصرية؛ لأنَّ الرّسول ﷺ لم يكن حاضراً تلك المحاجة.

ولنعلم أنَّ الله سبحانه حين يخبرنا عن شيء كان، أو يقص علينا قصة فذاك الخبر، أو القصة، أو النبأ هو من عين اليقين، وأفضل مما لو رأيناه بأَم أعيننا.

﴿إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾:

وحاجَّ: من المحاجة، وهي نوع من الحوار، وكل من المتحاورين يأتي بحجته التي تؤيد رأيه، ويكون أحدهما على حقٍّ، والآخر على باطل، وإلا لما جرت المحاجة؛ لأنَّ المحاجة لا داعي لأن تجري بين حقٍّ وحقٍّ، أو باطل وباطل.

﴿أَنَّهُ أَتَاهُ اللَّهُ الْمَلَكُ﴾: ﴿أَنَّ﴾: تعليل، ﴿أَنَّهُ﴾: من الإيتاء، ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة.

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾: إذ: ظرف زمان (للماضي)، بمعنى: حين قال إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: أي: الإحياء، والإماتة بيد الله لا ينكرها أحد حتّى الكافرون.

﴿قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾: أي: أجابه الطاغوت أنا أحيي وأميت، فقد كان يظن هذا الطاغوت لكونه ملكاً أنه قادر على قتل أي أحد، أو تركه حيّاً، وهكذا فسر الإحياء والإماتة.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾.



﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾: البهت؛ يعني: الدهشة، والحيرة، والسكوت، وعدم معرفة ما يقول، أو يرد به على السائل على سؤاله المثير للدهشة، ويدل ذلك على خسارته للحوار، أو المحاجة، والوصول إلى النتيجة، وهي حجة إبراهيم هي الحق، وحجة الآخر هي الباطل.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: أي: الله سبحانه لا يهدي القوم الظالمين إلى دليل، أو سلطان؛ لأنه ليس وليهم، وإنما أولياؤهم الشياطين والطاغوت. فجاءت هذه المحاجة دليلاً، وبرهاناً ساطعاً على وجود الله سبحانه وعظمته، وقدرته، وأنه هو الإله الحق؛ الذي يجب أن يُعبد، ثم جاء بعد ذلك بدليل وبرهان على قدرته على البعث والإحياء بعد الموت والفناء بذكر الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها.

[٢٥٩] ﴿أَوَكَلَّيْكَ مَرْءًا عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ. قَالَ كَمْ لَيْتَ قَالَ لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَيْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿أَوْ﴾: حرف عطف، أو للتخيير؛ أي: ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه، أو الذي مر على قرية، وهي خاوية على عروشها.



﴿كَالَّذِي﴾: الكاف: للتشبيه، الذي: اسم موصول يفيد المدح هنا، ولم يُبين اسمه.

﴿مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾: القرية: تعني البنيان، أو العمران، والأهل معاً؛ لأن أهل القرية جزء منها.

قرية، ولم يقل القرية: نكرة؛ لأنها كانت خاوية على عروشها، ولم تعد قرية.

وبما أنها خاوية على عروشها، وهو ليس من سكانها الأوائل، فهو يمر بها في طريقه إلى جهة ما.

من هو المار، ومن هذه القرية أبهم الله سبحانه ذلك؛ لكون الأسماء لا تهم في هذه الحالة، وقال أكثر المفسرين: إنه عزير (نبي من أنبياء بني إسرائيل).

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾: وصف للقرية الخالية من السكان، والتي سقطت أسقفها، وجدرانها، وأبنيتها مهدمة، والعروش هي السقوف، فكأنها سقطت أولاً، ثم تراكت الجدران فوق بعضها البعض.

قال الذي مرَّ على قرية: ﴿قَالَ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾:

قدَّم هذه (الهاء للتنبيه) ذه: اسم إشارة، على اسم الله؛ لتدل على الحصر والقصر، هذه القرية لا غيرها لشدة خرابها والإحياء هنا يكون لأهل القرية خاصة، وليس المهم هو إعادة البنيان والعمران.

و﴿أَنِّي﴾: هنا للاستفهام، وتحمل معنى كيف (الكيفية)، وتحمل من أين،



وكذلك تحمل معنى التعجب لشدة خرابها وفنائها كيف سيحيي الله هذه القرية بعد موتها؛ يعني: إحياء أهلها بعد موتهم، فهو لا يشك بقدرة الله تعالى، وإنما يريد أن يطلع على عملية الإحياء، وكيف تجري، أو تتم؛ لأنه هو مؤمن بالله تعالى، وهو من الأنبياء، وكما فعل إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴿: فاستجاب له سبحانه، وأراد أن يجعل السائل عن الكيفية هو نفسه موضع التجربة، وليس غيره، وتمت التجربة كما يلي:

﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة، أماته الله مباشرة مائة عام، واستعمل كلمة عام بدلاً من السنة؛ لأن القرآن يستعمل السنة للشدة، والمشقة، والعام يستخدم للخير والبركة، وهذا من خصائص القرآن، ولكون السائل لم يلاق أي مشقة، أو تعب في هذه المائة عام حيث كان نائماً.

﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾: البعث فيه معنى الإحياء، والتهيج، والإثارة، والشدة. واستعمال (ثم) تدل على التراخي في الزمن، فقد مرَّ (١٠٠) عام على موته.

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُ﴾: ﴿كَمْ﴾: استفهامية لتعيين العدد، وتحتاج إلى جواب، والسائل كم لبث هو الله ﷻ، والله أعلم؛ أي: كم أقمت في مكانك أو نومك، ولم يقل كم مكثت. المكث: الاستقرار الغير محدد بزمن، بينما اللبث: استقرار أو إقامة أو بقاء محدد بزمن معين.

﴿قَالَ لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: قال الرجل: لبثت يوماً أو بعض يوم: هذه الإجابة فيها معنى التردد والشك، واليوم يعني: النهار في القرآن (١٢) ساعة فقط، وليس (٢٤) ساعة، كما يظن البعض؛ أي: من الفجر إلى غروب الشمس، وقد قال المفسرون: لعله وجد النهار قد قارب على الزوال، فقال: لبثت يوماً أو بعض يوم (بعض ساعات من اليوم).

ويبدو أن الرجل قد نظر في حاله، وما حوله، فأجاب على السؤال حسب تقديره، فهو يشعر بأنه لم يتغير في قوته، ونشاطه، فيبدو أن إجابته صادقة. ﴿قَالَ بَلْ لَيْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾: قال الله الحق رداً على جواب عزيز: بل لبثت مئة عام.

﴿بَلْ﴾: حرف إضراب انتقالي.

﴿لَيْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾: لبثت في موتك (١٠٠ عام)، أو منذ سألت سؤالك (١٠٠) عام، ولم يقل: مئة سنة.

السنة: تستعمل في سياق المشقة والبؤس، ولأن مكثه في تلك الحالة كان أمراً سهلاً، لم يعتره مشقة، أو صعوبة؛ حيث كان نائماً فاستعمل العام. ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: فانظر الفاء تدل على المباشرة والتعقيب.

﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾: الذي كان معك، وقيل: كان من التين والعنب، وعصيراً، أو لبناً.



﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: لم يتغير؛ أي: لم تمر عليه السنون، أو الزمن الطويل؛ حتى يتغير طعامه، أو لونه، أو يفسد.

فنظر الرجل إلى طعامه وشرابه فوجد أنه لم يتغير لونه، ورائحته وكميته. وكون طعامه وشرابه لم يتسنه: يدل على أنه لبث يوماً، أو بعض يوم، ويبدو أن الرجل كان صادقاً في زعمه، وسأل الله سبحانه الرجل: أن ينظر إلى حماره؛ لكي يريه أنه لبث مئة عام، فنظر فوجد عظام الحمار قد تبعثرت على الأرض، ولم تعد مكسوة باللحم، والحمار قد تحول إلى هيكل عظمي، ملقى على الأرض. وهذا مستحيل أن يحدث في يوم واحد، فنحن أمام حادثة، أو معجزة بعض مظاهرها يؤيد أنه لبث يوماً أو بعض يوم، وبعض مظاهرها يؤيد أنه لبث مئة عام، وكلاهما حق وصدق، فالنظر إلى ما حدث للحمار دليل على صدق مرور مئة عام.

والنظر إلى الطعام دليل على صدق مرور يوم أو بعض يوم، فالله سبحانه قادر على أن يقبض الزمن، أو يبسطه، وهذا من مظاهر القدرة الإلهية المطلقة، أن يقبض الزمن، أو يبسطه فيجعل اليوم كسنة، ويجعل السنة كيوم، أو يقبض الزمن لشيء، ويبسطه لشيء آخر في الوقت نفسه، فالله سبحانه خالق الأضداد، فهو القادر على الجمع بين ضدين كهذين.

﴿وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾: الواو: عاطفة، اللام للتوكيد، نجعلك آية للناس: أي: علامة على قدرة، وعظمة الله على البعث والإحياء إضافة إلى العلامات الأخرى.

وقدّم كلمة آية بدلاً من القول: ولنجعلك للناس آية. ارجع إلى سورة مريم، آية (٢١) لمعرفة السبب.

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا﴾:

ثم طلب الله سبحانه من السائل أن ينظر إلى عظام الحمار ليريه كيف يحيي الموتى فنظر فرأى كيف ﴿نُنْشِزُهَا﴾: نرفعها من الأرض، ونردها إلى أماكنها في الجسم، الإنشاز: هو الرفع، وكذلك له، معنى آخر هو نحييها، إذن ننشزها نحييها، ونردها إلى أماكنها.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب العددي.

﴿نَكْسُوها لَحْمًا﴾: نلصق العضلات والأعصاب، والعروق الشرايين والأوردة بها، ونربطها ربطاً محكماً.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾: الفاء: للتوكيد، ﴿تَبَيَّنَ لَهُ﴾: فلما رأى عملية الإحياء.

﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: قال العزير: أعلم أن، أن: للتوكيد.

﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ارجع إلى الآية (٢٠) من نفس السورة للبيان.





البقرة

سورة البقرة ٢

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِكَ
تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ
الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا
ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾
مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ
لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٢٨﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا
أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَا تَبْطُلُوا
صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ
وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ
تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ
شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٠﴾





سورة البقرة [الآيات ٢٦٠ - ٢٦٤]

[٢٦٠] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنَ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝﴾

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكر؛ إذ قال، أو اذكر حين قال إبراهيم؛ إذ: ظرف زمانى.
 ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي﴾: إذ دعا إبراهيم ربه قال: رب. ولم يقل: يا رب. لم يستعمل ياء النداء؛ للبعد؛ لأنه يعلم أن ربه قريب منه.
 ﴿ارْنِي﴾: رؤية بصرية عينية كيف يحيى الموتى، كيف تجري عملية إحياء الموتى.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام عن الحال.

﴿تُحْيِي الْمَوْتَى﴾: الموتى: جمع ميت؛ أي: لمن فارقت روحه ومات.
 وإياك أن تظن أن إبراهيم يشك في سؤاله هذا في قدرة الله سبحانه على إحياء الموتى، والبعث وإنما إبراهيم يريد معرفة الكيفية، وليس القدرة، فهو يعلم أن الله على كل شيء قدير، والدليل على ذلك المحاجة مع الكافر في الآية (٢٥٨).

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ﴾.



﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِن﴾: الهمزة في أولم هي همزة استفهام، وتقرير؛ أي: ليقول بلى.

﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لَّيَطْمِئَنَّ قَلْبِي﴾: ﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب تختص بوقوعها بعد النفي فتجعله إثباتاً.

﴿وَلَٰكِنْ﴾: حرف استدراك يفيد التوكيد.

﴿لَّيَطْمِئَنَّ قَلْبِي﴾: اللام: في ليطمئن لزيادة التوكيد، يطمئن قلبي: أن يسكن، ولا يستمر في التطلع، والتشوق إلى معرفة الكيفية (حب الاستطلاع) في إحياء الموتى.

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾: ﴿فَخُذْ﴾: الفاء: للمباشرة، والتعقيب؛ أي: خذ الآن، أو بسرعة أربعة من الطير، ﴿مِّنْ﴾: تدل على المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر والمؤنث، وتنزل منزل العاقل أو غير العاقل.

﴿الطَّيْرِ﴾: أي: أربعة أنواع من الطير، ولم يقل أربعة طيور؛ لأن أربعة طيور قد تكون من صنف واحد.

أما أربعة من الطير: أربعة أنواع مختلفة من الطير، الطير اسم جنس، والطير جمع طائر.

والطير جاء بـ(ال) التعريف طيور معروفة لديك، أو يعرفها الناس، مختلفة؛ لأن هناك كثيراً من الطيور لا يعرفها الناس تطير في السماء، مثال: خذ حمامة، وغراب، وهدمد، وعصفور.

﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾: الفاء: تدل على المباشرة، والتعقيب. صرهن إليك: إما

تعني: اضممهن إليك؛ للتأكد من النوع، واللون، والشكل، أو تعني: أملهن إليك: من أملته فمال.

أو تعني: قطعهن؛ أي: اذبحهن، ثم قطعهن، وقيل: فصرهن مشتقة من الصور: القطع؛ أي: واخلط الأجزاء بعضها.

﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾: ﴿ثُمَّ﴾: للتراخي في الزمن حيث إبراهيم بحاجة إلى زمن ليصعد على كل جبل، وينزل، ثم يصعد إلى آخر، وهكذا ليضع جزءاً من لحم الطير المختلط هنا وهناك على كل جبل.

أربعة جبال، والجبل، ولم يقل: الطور؛ أي: التل، الجبل: أعظم من الطور حجماً وارتفاعاً، ولمعرفة الفرق بين الجبل والطور؛ ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٧١) للبيان.

﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾: ﴿ثُمَّ﴾: تعني: الواحد تلو الآخر بفواصل زمني.

﴿ادْعُهُنَّ﴾: اسألهن، أو اطلب منهن، ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾: السعي: هو المشي بسرعة، ولم يقل: يأتينك طيراناً، كما تطير الطيور؛ لأنها لو طارت أمامه؛ لما تحقق من أنها هي نفس الطير من حيث الشكل، واللون، وإنما: ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾: تمشي أمامك، وتؤكد منها، وتعلم أنها نفس الطير.

﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: ﴿وَأَعْلَمَ﴾: علم اليقين، ﴿أَنَّ﴾: للتوكيد، ﴿اللَّهُ عَزِيزٌ﴾: قوي قادر غالب على أمره، لا يُقهر، ولا يُعجزه شيء في الأرض، أو السموات، ﴿حَكِيمٌ﴾: في تدبيره لشؤون خلقه، وحكيم مشتقة من الحكمة،



لا يخلق شيئاً عبثاً، وحكيم؛ لأنه هو الحاكم، فهو أحكم الحكماء، وأحكم الحاكمين. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

[٢٦١] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾: مثل نفقتهم كمثل حبة؛ أي: كل صدقة يتصدقون بها، أو نفقة ينفقونها كمثل حبة.

الإنفاق: هو إخراج المال من الملك، فلا يعد يملكه.

﴿يُنْفِقُونَ﴾: جاء بالفعل المضارع؛ لأنّ الإنفاق يجب أن يتجدد، ويتكرر، ولا يكون مرة واحدة، وإلا لقال: مثل الذين أنفقوا أموالهم.

وجاءت مرة واحدة المنفقين بالأسحار: المنفقين: أصبح الإنفاق سمة، وصفة ثابتة لهم، والجملة جملة اسمية تدل على الثبوت.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الجهاد، أو جميع مصارف الصدقات، وكل ما يؤدي إلى مرضاته، وإعلاء كلمته.

﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾:

﴿كَمَثَلِ﴾: الكاف: كاف التشبيه، ﴿حَبَّةٍ﴾: من القمح، أو الشعير، أو غيرها.

﴿أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾: أي: شبه الصدقة التي تنفق في سبيل الله بحبة زُرعت، فأنبَت سبع سنابل ﴿فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾: فأصبحت (٧٠٠) حبة.

﴿أَنْبَتَتْ﴾: أسند الإنبات إلى الحبة مع العلم أن الله هو المنبت.

﴿سَبْعَ سَنَابِلَ﴾: ولم يقل: سبع سنبلات، سبع سنبلات: جمع قلة، وسبع سنابل: جمع كثرة، وما دنا في ذكر الصدقات فهو مقام المضاعفة، والتكثير، وليس مقام التضعيف والقلة.

أي: صدقة، أو نفقة واحدة لها ثواب، أو أجر (٧٠٠) صدقة درهم واحد له أجر، أو ثواب (٧٠٠) درهم، أو أكثر.

﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: أي: ليس لكل منفق هذه المضاعفة، يضاعف لمن يشاء أكثر من (٧٠٠)، وهذه المضاعفة تعود إلى أحوال المنفقين أهم فقراء وينفقون، أم أغنياء وينفقون، وما هي نياتهم، وما يتبع الصدقة من المن والأذى، وهل كانت في السر، أم العلن، وغيرها.

واللام في ﴿لِمَنْ﴾: للاختصاص، والاستحقاق.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾: واسع الكرم، والفضل، والإحسان، وواسع الغنى، وواسع الملك.

﴿عَلِيمٌ﴾: بالمنفقين، وأحوالهم، ونياتهم، وما تكن صدورهم عليهم بما يملكون من أموال وقدرات.

[٢٦٢] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: ارجع إلى الآية السابقة للبيان.

﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ﴾: ﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتراخي في الزمن، فالمنفق، أو المعطي صدقة قد لا يمن على صاحبها ساعة العطاء، أو في الأيام، أو الأسابيع



التالية، وإنما قد يتأخر شهوراً، أو سنة، أو سنتين، ثم يعود ليمن، أو ليذكر من أنفق عليه، أو تصدق عليه بصدقته.

﴿مَنَا وَلَا أَذَى﴾: لا في الزمن القريب، ولا البعيد.

المن: هو أن يُذكر من أحسن إليه؛ أي: تصدق عليه بإحسانه، أو بصدقته، أو أنه صاحب فضل عليه.

والأذى: أعم من المن، فهو يتضمن المن، كالمس بكرامة من تصدق عليه، أو إذلاله بين الناس، أو أن يفضح المتصدق عليه، وهذا نوع من ذكر العام بعد الخاص؛ للتوكيد على العام.

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

﴿أَجْرُهُمْ﴾: ثوابهم عند ربهم.

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٣٨) من سورة البقرة

للبيان.

[٢٦٣] ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾:

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾: كلام طيب للفقير، أو المتصدق عليه، إذا لم يجد ما

يتصدق به.

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: الستر على المحتاج بعدم إظهار فقره، أو فضحه بين الناس،

والعفو عن سوء تصرفه إذا ألح بالسؤال، أو أزعج المسؤول، فهذا الكلام الطيب

والمغفرة ﴿خَيْرٌ﴾: وأنفع من الصدقة التي ﴿يَتْبَعُهَا أَذَىٰ﴾.

﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾: يرزق العاصي والمطيع، والغني عن عباده، وعن صدقاتهم، وعبادتهم، غني؛ لأن له ما في السموات، وما في الأرض.

﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعجل بالعقوبة، بل يصفح، ويعفو عمن يمن، ويؤذي بالصدقة أحياناً، فلما ذكر الأذى جاء بذكر الحليم؛ لأنه لا يعجل بالعقوبة على الأذى، حليم بمن يبخل ويشح لعله ينفق ويتصدق.

[٢٦٤] ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا، وتحذير، ونهي.

﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾: إبطال الصدقات؛ أي: إفساد ثوابها، وذهاب أجرها بالمن والأذى.

وفي الآية السابقة ذكر ثواب من لا يتبع الصدقة بالمن والأذى، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾: إعادة ذكر المن والأذى: هو للتأكيد على تجنب ذلك، وشبه من يتبع صدقته بالمن والأذى: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ﴾: أي: لا تبطلوها مشابهين الذين ينفقون مالهم رياء الناس.

﴿رِثَاءَ النَّاسِ﴾: الرياء: أن يظهر جميل الفعل رغبة في حمد الناس لا في ثواب الله تعالى، ويسمى الشرك الخفي؛ أي: لا ينفقها ابتغاء مرضاة الله، بل



مرضاة الناس، ينفقها مرثياً؛ لينال حمدهم، وثناءهم عليه، وليقال: إنه كريم، وذو سمعة طيبة. الناس: ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة لمزيد من البيان. والرياء: نوع من الشرك، وهو الشرك الخفي، وهو ينافي الإخلاص. وهذا المنفق رياءً له خصلة أخرى هي أنه:

﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: ولا يؤمن بالله، واليوم الآخر، فعدم الإيمان بأحدهما يكفي؛ لأن يكفر، والباء: باء الإلصاق، ولا يؤمن بالله إيمان عقيدة. ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾: والصفوان: هو الحجر الأملس، ويسمى المروة، وهو الذي لا مسام له يمكن أن تشاهدها بالعين المجردة؛ أي: مثل المرآئي في الإنفاق كمثل حجر أملس صلب.

﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾: أي: تراكم عليه التراب.

﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾: المطر الشديد الغزير، الفاء للتعقيب والسرعة.

﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾: فأصبح أجرد ليس عليه تراب، والرأس الأصلد الذي لا ينبت عليه شعر.

أي: نفقات المرآئين يبطل ثوابها، وتذهب هباءً كما تذهب ذرات التراب التي تراكت على الحجر الأملس بعد أن أصابه مطر غزير، وشديد، فالرياء جرف حسناته، ولم يبقَ منها أثر.

﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾:

﴿لَا﴾: النافية.



﴿يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾: أي: لا يقدر المنان، والمرائي، والمؤذي على الانتفاع بأي شيء (مما أنفقوا) مما كسبوا من أجر، أو حسنة لما أنفق، والإنفاق: هو أحد الأعمال الصالحة التي خسر ثوابها بسبب ما فعله.

بينما الأعمال الأخرى من صلاة، وحج، وغيرها يبقى ثوابها.

ولو قال: ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ كما جاء في سورة إبراهيم، آية (١٨)، فذلك يعني: كل أعمالهم الحسنة خسروها؛ لقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾: أي: شيء من الصلاة، والزكاة، والعبادات، كلها بطلت، بينما في آية البقرة (٢٦٤) فقط الصدقة يبطل ثوابها.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: واللّه لا يهدي من اختار طريق الضلال، والكفر، وعدم الإيمان بالله، واليوم الآخر، وأنفق ماله رياء الناس، ولم يرجع عن غيه، وضلاله، فهو لاء الكافرين الذين أصبحت سمة الكفر عندهم ثابتة الله لا يهديهم، ويتركهم في طغيانهم يعمهون.

فائدة ضرب المثل: فمثله كمثل صفوان عليه تراب بعد تقرير الحكم لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى؛ ليثبت الحكم في النفس، فلا ينسأه المستمع. وضرب المثل فائدته: إزالة غموض الإجمال.





الجزء الثالث

سورة البقرة ٢

وَمِثْلَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمِثْلِ جَنَّةٍ بَرْبَوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَعَاتَتْ أَكْطُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ
لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ
فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفَاءُ
فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا
لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ
بِاخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ
﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ
وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾
يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾



سورة البقرة [الآيات ٢٦٥ - ٢٦٩]

[٢٦٥] ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَثَاءٌ أَكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿وَمَثَلُ﴾: المثل: أن الشيء يشبه بشيء آخر، من وجه واحد، ولا يكون مثله في الحقيقة، إلا إذا أشبه من جميع الوجوه، وقولك هذا مثل هذا؛ أي: في الصفة.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿يُنْفِقُونَ﴾: الإنفاق: هو إخراج المال من الملك، وصيغة المضارع تدل على التجدد، والتكرار.

﴿أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾: أي: طلباً لرضوان الله خالصة لوجه الله بإخلاص ومن دون رياء.

﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: أي: احتساباً، وتصديقاً من أنفسهم، ويدعون الله أن يتقبل نفقاتهم، فلا يطلون ثواب أعمالهم بالمن، والأذى، أو يتأكدون، ويتحققون حين الإنفاق أنها ستصل إلى الله تعالى، فكان أحدهم إذا هم بالصدقة يثبت، فإن كانت لله أمضى، ومنهم من قال: التثبيت يعني مجاهدة النفس على البذل، ونبذ البخل، وتدريبها على الإنفاق.

﴿مِّنْ﴾: للابتداء.



﴿كَمْثَلِ جَنَّةٍ بَرْبَوَةٍ﴾: الكاف: كاف التشبيه مثل جنة بربوة: الجنة البستان الكثير الأشجار والثمار.

﴿بَرْبَوَةٍ﴾: الربوة: ما ارتفع من الأرض ارتفاعاً يسيراً.

﴿أَصَابَهَا وَاِبِلٌ﴾: الوابل المطر الشديد الغزير عظيم القطر.

﴿فَنَأْتِ أَكْثَلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة، أتت أكلها ضعفين: أي: ثمارها.

والضعف: ما يساوي الشيء مرتين؛ أي: مثلي ما كانت تثمر.

﴿فَإِنْ لَّمْ يُصِبْهَا وَاِبِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: إن: شرطية.

﴿لَّمْ﴾: حرف نفى.

﴿يُصِبْهَا وَاِبِلٌ فَطَلٌّ﴾: الطل: المطر الخفيف، الرذاذ.

﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: ارجع إلى الآية (٢٣٧) لمزيد من البيان.

﴿يَمَّا﴾: الباء: للإلصاق.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: (تضم الأقوال والأفعال) في الإنفاق والصدقات.

ففي هذه الآية يشبه لنا الله سبحانه من ينفق ماله ابتغاء مرضات الله، وتشبيهاً من أنفسهم كجنة بربوة إن نزل عليها وابل من المطر أخذت منه حاجتها، وأتت أكلها ضعفين، وباقي المطر يذهب في مصارفه، وإن نزل عليها طل أيضاً أتت أكلها ضعفين، ومن المفسرين من قال: ضعفين؛ يعني: أربع مرات.

[٢٦٦] ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

لَهُ، فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾

﴿أَيُّودٌ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري؛ أي: لا يود أحد ذلك.

الود: حب الشيء مع تمنيه، وكل مودة محبة، وليس كل محبة مودة، والمودة: هي حصيلة المحبة التي يرافقها الإخلاص.

﴿لَهُ﴾: اللام: لام الاختصاص، والملك.

﴿جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾: بستان من نخيل، وأعناب تجري من تحتها الأنهار.

﴿لَهُ، فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: له فيها من كل الثمرات، هذا ذكر العام بعد الخاص، (وهو النخيل والأعناب)، وذكر النخيل والأعناب؛ لأنهما من أكرم الشجر، ومن أنفعها، وذكر الشيء مرتين مرة بخصوصه، ومرة بعمومه؛ يدل على أهميته.

﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: من: ابتدائية، وقد تكون استغرافية؛ أي: فيها من كل ثمرة من دون استثناء.

﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾: الواو: للحال؛ أي: أن تكون له جنة، وقد أصابه الكبر التقدم في العمر، وتقديره: أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر؛ أي: أصابه العجز، ولم يعد له طاقة على العمل، أو اقترب من أجله.

﴿وَلَهُ، ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾: ﴿١﴾

﴿وَلَهُ، ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾: الذرية: هم النسل أو الأولاد؛ أي: نسل الإنسان،



والذرية: النساء والصغار، وله قد تعني من ذريته، أو من غير ذريته (كالأيتام وأولاد الفقراء) صغار غير قادرين على العمل مثل أولاد الفقراء، واليتامى؛ الذين حياتهم قائمة على هذه الجنة، ضِعْفَاء: بضم الضاد يعني ضعف البنية والجسم مقارنة بقوله تعالى في سورة النساء الآية (٩) ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا﴾؛ أي: فقراء؛ أي: ضعف مادي، أما الضعفاء في آية البقرة: هو ضعف بنية؛ أي: صغار. ارجع إلى سورة إبراهيم آية (٢١) لمعرفة الفرق بين ﴿ضِعَفًا﴾ و﴿الضُّعَفَاءُ﴾. ارجع إلى سورة النساء آية (٩) لمزيد من البيان.

﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾: الإعصار: ريح شديدة، عاصفة تنعكس من الأرض إلى السماء، مستديرة كالعمود، وتسمى زوبعة شديدة، وسميت إعصار؛ لأنها تعصر ما تمر به من أي شيء، أو تلتفه، أو تلتف كما يلتف الثوب المعصور.

أي: يا أيها المنفق رياء، وليس ابتغاء وجه الله، أو تتبع ما تنفق بالمن والأذى، أتود أن تذهب نفقاتك وصدقاتك يوم القيامة هباءً منبثاً، وتخسر كل شيء، وتكون عليك حسرة كالذي له جنة من نخيل وأعنان، وتجري من تحتها الأنهار، وله فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر، فهو لا يقدر على الكسب، وليس له إلا هذه الجنة، وله ذرية ضعفاء لا مورد لهم إلا هذه الجنة، فأصابها إعصار فيه نار؛ فاحترقت فأصبحت كالصريم.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾: (خاصة) ﴿الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ﴾: لعل: للتعليل، ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾: أي: لتفكروا في هذه الأمثال، وتظنوا في هذه البدائل، وتختاروا ما هو الأفضل لكم، والباقي الدائم من الفاني الزائل.

انتبه إلى قوله: ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعَفَاءُ﴾: يرجع أن هؤلاء الذرية هم ليسوا أولاده أو من نسله؛ لأن من النادر أن نرى شيخاً مسناً أصابه الكبر، وله أولاد صغار؛ لأن

أولاده يجب أن يكونوا قد كبروا، وبلغوا مرحلة الشباب، والقوة، وقادرين على كسب معاشهم.

إذن: من هؤلاء الذرية؟ هم أولاد الفقراء، والمحتاجين، والذين هم بحاجة إلى من ينفق عليهم، فهم كذريته.

[٢٦٧] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نداء جديد بتوصية جديدة، والهاء: للتنبيه.

﴿أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾: قلنا: الإنفاق: هو إخراج المال من الملك، فلا يعد ملكه. ما: أوسع شمولاً من الذي؛ كسبتم: من الكسب الذي يأتي في سياق الحسنات أو الخير، واكتسب: تأتي في سياق الشر والمعاصي، وعلى وزن افتعل الذي يدل على بذل الجهد.

أنفقوا من الكسب الحلال الطيب، وليس من الخبيث الحرام؛ لأن الله طيب، ولا يقبل إلا طيباً (رواه مسلم عن أبي هريرة)، وأنفقوا: تشمل الزكاة، والتطوع.

﴿طَيِّبَاتِ مَا﴾: اسم: موصول؛ بمعنى: الذي، ولكنها أوسع شمولاً للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث وللعاقل وغير العاقل.

﴿كَسَبْتُمْ﴾: من المال، والتجارة، والزراعة، والصناعة، وغيرها.

الكسب: قد يكون لنفسه، ولغيره، ويأتي في سياق الحلال.

أما الاكتساب: فهو لنفسه وحده، ويأتي في سياق الحرام.



﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾:

﴿وَمِمَّا﴾: أي: من البعضية، ما: اسم موصول كالسابقة، أو حرف مصدري، وتشمل الحبوب، والثمار، والمعادن، والبترو، والذهب، والفضة. ولم يقل: ما أخرجتم؛ لأن ما يخرج الله سبحانه يفوق الأضعاف الكثيرة مما يخرج الإنسان، أو ما يخرج الإنسان لا يكون إلا بإذن الله، وتوفيقه، وهو من ملك الله.

﴿وَلَا تَتِمَّمُوا الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾: ﴿وَلَا﴾: النّاهية، ﴿تَتِمَّمُوا﴾: أصلها تَتِمَّمُوا، تاء ان أدغمت أحدهما في الأخرى، والتيمم في اللغة: القصد؛ أي: لا تقصدوا.

﴿الْخَيْثَ﴾: الرديء، السيئ، غير الصالح، وقد يعني الحرام.

أي: لا تقصدوا وتختاروا الرديء غير الجيد، أو غير الصالح، أو الحرام؛ لتنفقوا منه، فهذا لا يليق بالمؤمن، ولا يقبله الله سبحانه.

﴿وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾:

﴿وَلَسْتُمْ﴾: الواو: للتأكيد، لستم: للنفي.

﴿بِأَخْذِيهِ﴾: الباء: للإلصاق، أخذه لأنفسكم: أي: لا يرضى الواحد منكم أن يأخذه لنفسه، أو لعياله؛ لكونه سيئاً، وردئاً، وغير صالح، فكيف يرضى أن يعطيه لغيره.

﴿إِلَّا أَنْ﴾: إلا: للحصر، وأن: للتوكيد. ﴿تُغْمِضُوا فِيهِ﴾: الإغماض: هو

الأصل إطباق الجفن على الجفن، واستعير للتساهل، وللتغافل.

فيكون المعنى: لا تأخذوه إلا أن تغضوا أبصاركم عن النظر إلى رداءته؛

أي: تنظروا إليه بشكل سريع، ولا تدققوا في جودته، ونقائه، أو تفحصوه في باطنه وأسفله، ويعني ذلك: تتجاوزوا، وتتغافلوا عن عيبه، فتأخذوه، أو تأخذوا بعضه.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾:

﴿أَنَّ﴾: تأكيد؛ لكون الله غنياً حميداً:

١ - أي: إذا أردت أن تنفق من الخبيث، والرديء، والسيئ، والحرام؛ فالله غني عن إنفاقك، وليس لك ثواب عليه، فالله طيب، ولا يقبل إلا طيباً.

٢ - حميد: المحمود من جميع صفات الحمد كلها؛ أي: محمود في الأرض والسماء؛ لما أنعم من النعم على خلقه، وحميد؛ لكونه أخبركم ونبهكم إلى أخطائكم، فيجب أن تحمدوه على ذلك، والحمد لله.

ولم يقل في هذه الآية: غني حلیم، كما في الآية (٢٦٣)؛ لأنه ليس فيها ذكر الأذى، ولكن ذكر الخبيث والرديء والسيئ، فالله غني عن ذلك، ويستحق الحمد على شرعه، وأحكامه.

[٢٦٨] ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿الشَّيْطَانُ﴾: ارجع إلى الآية (٣٦)؛ لمعرفة اشتقاق كلمة الشيطان.

﴿يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾: ولم يقل: يعدكم الشيطان فقراً، وإنما قدّم الفاعل على الفعل؛ للتحذير، والانتباه من الشيطان.

﴿يَعِدُكُمُ﴾: يوسوس لكم: أنّ الإنفاق سيجركم، أو يسبب لكم الفقر، أو يخوفكم من الفقر، أو أن تصدقوا بالخبيث، أو الرديء.



يعدكم: من الوعد، والوعد يكون في الخير، أو الشر، إذا قيد، وإذا أطلق:
اختص بالخير، وأما الوعيد: لا يكون إلا في سياق الشر.

﴿الْفَقْرُ﴾: هو سوء الحال، وقلة اليد، وأصله مشتق من كسر فقار الظهر،
يقال: رجل فقر وفقير إذا كان مكسور الفقار.

﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾: أي: يُغريكم من إغراء الأمر للمأمر؛ أي:
التزين.

الفحشاء: ما عظم قبحه، أو خبئه من الأفعال، والأقوال؛ أي: شديد القبح،
أو الخبث، فهو فاحش، والفاحشة قد تعني عبادة الأصنام، والزنى، واللواط،
والقذف، والإفك، ومعصية الرسول، والافتراء على الله، وشرب الخمر، ومنهم
من قال: الفحشاء الذنوب التي فيها حد، أو المعاصي (القيح من القول والفعل)،
وفي هذه الآية تعني: يعدكم الفقر، ويأمركم بالإنفاق من الخبيث الرديء السيئ.
﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ﴾: الوعد هنا مقيّد ومختص بالخير.

﴿يَعِدُكُمْ﴾: وفيها تقديم الفاعل على الفعل؛ للتأكيد، والتنبيه، وأصلها
يعدكم الله مغفرة منه على إنفاقكم في سبيله.

والمغفرة: تعني: ستر الذنب؛ أي: يغطي الذنب، يستر عليه ذنبه، أو جرمه،
ولا يفضحه، وإذا ستر عليه يعني لا يعاقبه عليه؛ أي: يغفره؛ أي: يمحوه (يمحو
سيئاته)، ويعطيه ثواب أعماله الصالحة.

فالمغفرة = العفو + الثواب؛ أي: ستر الذنب، ومحوه، والثواب على
الأعمال الصالحة، فلا يطرح سيئة من حسنة، والعفو: إسقاط الذنب، وترك
العقوبة، ولا يقتضي الثواب.

ومغفرة جاءت بصيغة النكرة؛ للتعظيم والتهويل؛ أي: تشمل كل مغفرة على كل ذنب؛ إِلَّا الشَّرْكَ الَّذِي لَا يَعْقِبُهُ تَوْبَةٌ.

﴿وَفَضْلًا﴾: الفضل: هو الزيادة على ما يستحق العبد؛ أي: الزيادة على الأجر.

﴿وَفَضْلًا﴾: نكرة، فهناك أنواع كثيرة متنوعة من الفضل، وعدّها الله سبحانه عباده الصالحين، ارجع إلى سورة الجمعة، آية (٤) لمزيد من البيان.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾: واسع المغفرة، والرحمة، والعفو، واسع الفضل، والعطاء، والإحسان، والرزق، يرزق من يشاء بغير حساب، واسع الملك، والعلم والمقدرة.

﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمال عباده، والأعمال تضم الأقوال، والأفعال، لا تخفى عليه خافية، ويعلم ما يسرون، وما يعلنون، وما تخفي الصدور، وهنا تعني: عليم بما تنفقون.

[٢٦٩] ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾: الإيتاء تعريفه، ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة.

﴿الْحِكْمَةَ﴾: لها معان متعددة في القرآن، وحسب السياق منها: النبوة، والرسالة.

الفقه في الدين، أو العلم بأصول الفقه، أو العلم والمعرفة بأحكام الله.

المعرفة بالقرآن، وفهمه، وفقهه، ومحكمه، ومتشابهه.



إصابة الحق في القول والعمل؛ أي: السداد في القول، والعمل، والعلم.
والحكمة: وضع الأشياء في موضعها النافع، مع العلم والمعرفة بأحكام
الشرع.

وآلة الحكمة: هي العقل، ورأس الحكمة مخافة الله تعالى.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾: أي: كل ما أمركم به من الإنفاق، أو الأوامر،
والنواهي، والوعظ، والتذكير: هو من الحكمة، فافعلوه، ومن يفعل ذلك فقد
أوتي الحكمة، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

﴿وَمَنْ﴾: شرطية للعاقل، ابتدائية.

﴿يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾: ارجع إلى مطلق الآية لمعرفة معنى يؤت.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أي: زيادة التوكيد.

﴿أُوتِيَ﴾: مبني للمجهول.

﴿خَيْرًا كَثِيرًا﴾: خيراً: نكرة؛ للتعظيم، والشمول، تشمل كل خير يتصوره
الإنسان.

والخير: هو الشيء الحلال الطيب الحسن النافع.

أي: من يؤت العلم بالقرآن، من حفظ، وفقه، وفهم، والفقه في الدين؛ فقد
أوتي خيراً كثيراً، وأوتي الحكمة.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾:

﴿وَمَا﴾: النافية، ﴿يَذَّكَّرُ﴾: أصلها: وما يتذكر، ويتذكر: تستغرق وقتاً
طويلاً، أما يذكر: فتستغرق وقتاً قصيراً، وفيها مبالغة في التذكير، وقوة، وعمق،
وفيه حث وإيقاظ للقلب، والعقل على الإسراع إلى العلم بمعرفة ما شرع الله،

وما أمر به ونهى عنه، والعمل به، والخلوص إلى مواطن الحكمة، والاتعاظ بسرعة؛ لأنَّ الأجل قصير، ولا يتعظ ويفعل ذلك إلَّا أولوا الألباب.

﴿إِلَّا~﴾: أداة حصر.

﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾: أولوا العقول النيرة الصافية الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، الذين أحسنوا، والذين أنابوا إلى ربهم، وأسلموا له وجوههم وقلوبهم.

﴿أَلَّا~﴾: جمع لب: وهو باطن العقل، ويعني في لغة الطب: منطقة الإدراك، والوعي، والفهم في الدماغ. ارجع إلى الآية (١٧٩)، والآية (١٩٧) من سورة البقرة لمزيد من البيان.





سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢

الْبَقَرَةُ

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تَبَدُّوا
الْصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُوتُوهَا الْفُقَرَاءَ
فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ * لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا لِأَبْتِغَاءِ وَجْهِ اللَّهِ
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ
﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ
لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
فَأِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
بِالْئِيلِ وَالْتَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾



سورة البقرة [الآيات ٢٧٠ - ٢٧٤]

[٢٧٠] ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ. وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: شرطية.

﴿أَنْفَقْتُمْ﴾: الإنفاق: هو إخراج المال من الملك، فلا يعد يملكه.

﴿مِنْ﴾: استغراقية تستغرق كل نفقة.

﴿نَفَقَةٍ﴾: زكاة، أو صدقة تطوع قليلة، أو كثيرة.

﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾: ﴿أَوْ﴾: للتخيير، وعاطفة، ﴿مِنْ﴾: ابتدائية.

﴿نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾: النذر لغة: هو العزم على الالتزام بشيء خاص به.

وشرعاً: أن يلزم العبد نفسه بشيء لم يلزمه الله عليه من جنس ما شرع الله زيادة على الفريضة، أو الطاعات، وقد يكون مقيداً؛ أي: مشروطاً؛ كأن تقول: إذا نجحت أتصدق بمبلغ من المال، وقد يكون مطلقاً غير مشروط.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، والمباشرة، إن: للتوكيد على

علم الله به، والفاء تدل على سرعة علم الله به حتى قبل أن ينطق به.

﴿يَعْلَمُهُ﴾: سبقتها كلمة نفقة، ونذر، نفقة مؤنثة، ونذر مذكر، فغلب النذر

على النفقة.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾: ما: نافية، ﴿الظَّالِمِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص.



﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾: من: استغراقية تشمل أي نصير. وأنصار: جمع نصير، بينما ناصرين: جمع ناصر، ونصير: أبلغ وأكد من ناصر، ويدل على ثبوت الصفة، وتأتي في سياق الأمور الهامة.

والظالمين هنا تعني: هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بأن نذروا لله، ثم لم يوفوا بما عاهدوا الله عليه، أو نذروا لغير الله أو أنفقوا رياءً وسمعة أو لم يزكوا أموالهم أو الإنفاق في المعاصي وغيرها، فهؤلاء لا يجدون لهم ولياً، ولا نصيراً يوم القيامة، وهذا وعيد شديد لمن يظلم نفسه، وإذا قارنا هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [الحج: ٧١]، أنصار: أكثر من نصير، وأنصار في كل زمان، والنصير أقوى من الناصر. والظالمين في آية البقرة تعني: في الظلم بشكل عام، وأما الظلم في آية الحج تعني: الشرك، فالظالمين في آية الحج أسوأ وأشد من الظالمين في أمور الإنفاق والنذور والأموال كما في آية البقرة.

[٢٧١] ﴿إِنْ بُدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾:

قيل: نزلت هذه الآية بعد الآية السابقة: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾، فقد سأل الصحابة رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! صدقة السر أفضل، أم صدقة العلانية، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال والندرة، ولكن سبحانه أعقبها بفعل مضارع (تبدوا الصدقات)، والفعل المضارع يدل على التجدد، والتكرار، والإنفاق.

﴿بُدُّوا الصَّدَقَاتِ﴾: أي: تظهروها، أو تعلنوها كم هي ونوعها.

والصدقات جمع صدقة، والصدقة: قد تكون فرضاً كالزكاة، أو نفلاً؛ أي: تطوعاً لزيادة على الزكاة، ويرجى بها الثواب والأجر.

والتصدق: مطلق العطاء، والنفقة: إخراج المال من الملك فلا يعد يملكه.

وكلمة الصدقات في القرآن تعني: الزكاة، أو صدقات التطوع.

﴿فَنِعْمَ آهَى﴾: نعماً أصلها نعم + ما، نعم: فعل مضارع مخصص للمدح، ما: اسم معرفة بمعنى الشيء، فيصبح تقديرها: نعم الشيء إبداءها.

﴿وَلِإِنْ تَخَفَوْهَا وَتَوْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾:

﴿وَلِإِنْ﴾: الواو: عاطفة، إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو ندرة الحدوث.

﴿تَخَفُوهَا﴾: أي: تعطوها سرّاً للفقراء أفضل من إعطائها جهراً، أو إظهارها للناس؛ لتجنب الرياء، وأذى الفقير، وبطلان ثوابها.

﴿وَتَوْتَوْهَا﴾: مباشرة، وسراً للفقراء.

﴿فَهُوَ﴾: الفاء: للتوكيد، هو: يفيد التوكيد أيضاً.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أفضل لكم خاصة.

﴿وَيُكْفِرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾: ﴿وَيُكْفِرُ﴾: التكفير: هو الستر؛

أي: ويستتر عليكم ﴿سَيِّئَاتِكُمْ﴾: قيل: هي صفائر الذنوب، ﴿مِّنْ﴾: ابتدائية، وقد تعني بعض سيئاتكم؟

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: خبير تعني: عليم ببواطن الأمور؛ أي: عليم بما

تخفونه، أو تظهرونه من الصدقات، والنوايا، وبما تقولونه، أو تفعلونه من الرياء، والمن، والأذى.

وأجمع المفسرون: أن هذه الآية (٢٧١) نزلت في سياق صدقة التطوع، وأنَّ

إخفاءها أفضل من إظهارها؛ لتجنب الرياء، ويؤيد ذلك ما جاء في الصحيحين

في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم: رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

[٢٧٢] ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَفْسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾:

سبب النزول: قيل: نزلت هذه الآية في أنصار المدينة المنورة؛ لما أسلموا كرهوا أن يتصدقوا على بعض أقاربهم من المشركين، وغيرهم، فنزلت هذه الآية هذا قول الجمهور، تدعوهم إلى الاستمرار في التصديق عليهم، ولا يكون عدم دخولهم في الإسلام سبباً لعدم التصديق عليهم؛ لأن الله هو الهادي وحده يهدي من يشاء، وليس المال، أو الصدقة، ولذلك قالوا: صدقة التطوع يجوز صرفها على غير المسلم.

﴿لَيْسَ﴾: نافية، ﴿عَلَيْكَ﴾: يا محمد ﷺ الخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ، وكذلك أمته ﷺ.

﴿هُدَاهُمْ﴾: أي: لست مكلفاً بهدايتهم، ودخولهم في الإسلام، ولا أنتم مكلفون أيضاً على هدايتهم، وإنما عليك وعلى أمتك البلاغ فقط.

﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾:

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿اللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾: من عباده؛ أي: من اختار طريق الهداية، وسار عليه، وطلب من الله الزيادة، والتوفيق للهداية، وسعى لها بنفسه؛ فالله سبحانه يُعينه، ويزيده هدىً وتقوى.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ﴾: الواو: عاطفة، ما: شرطية مطلقة، من أي شيء.

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾: من: استغراقية تستغرق كل خير، والخير جاء نكرة؛ ليشمل كل شيء مال، وطعام، أو غيره. والخير هو الحلال الطيب الحسن النافع.

﴿فَلَا تُنْفِسْكُمْ﴾: الفاء: رابطة للجواب، أنفسكم: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق؛ أي: ثوابه يرجع إليكم، ولا يتنفع به غيركم.

﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾:

﴿وَمَا تُنْفِقُونَ﴾: تفيد النفي؛ أي: ولا تنفقون (قيل: خبر أريد به الأمر).
﴿إِلَّا﴾: حصراً.

﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾: في سبيل الله وحده، وابتغاء مرضاته، فلا شرك، ولا رياء.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾:

﴿وَمَا تُنْفِقُوا﴾: ليس فيها تكرار؛ لأن الأولى: فيها إعلام بالثواب، والثانية: فيها إعلام بأن يكون الإنفاق في سبيل الله وحده، والثالثة: إعلام بأن الثواب يضاعف، ولن تظلموا.

والتكرار يفيد التوكيد، والحث على الإنفاق والتذكير.

وما تنفقوا من خير سيوفى لكم أضعافاً مضاعفة.

﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: ﴿وَأَنْتُمْ﴾: تفيد التوكيد.

﴿لَا﴾: النافية.



﴿تُظْلَمُونَ﴾: ينقص من أجوركم شيئاً.

[٢٧٣] ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾:

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ الفقراء: جمع فقير: وهو ذو الحاجة، وسوء الحال؛ الجار والمجرور هنا متعلقان إما بالصدقات؛ أي: الصدقات للفقراء الذين أحصروا، أو متعلقة بقوله: وما تنفقوا من خير للفقراء الذين أحصروا.

﴿الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الإحصار: وهو المنع والتضييق، وهو غير الحصر الذي يعني الحبس مع التضييق؛ لأن الكافرين منعوهم، وضيقوا عليهم، فلا يستطيعون ضرباً في الأرض، أو لأنه هم أنفسهم يريدون أن يجاهدوا في سبيل الله، أو يتعلموا أمور دينهم، فلا يشتغلون في الزراعة، ولا التجارة، أمثال أصحاب الصفة، فهم أشد الناس حاجة للصدقة من غيرهم من الفقراء.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾: لا يسافرون للتجارة، ولا يخرجون طلباً للرزق، والتجارة، أو العمل لاشتغالهم بالجهاد، وتعلم القرآن، وسمي السير في الأرض ضرباً من ضرب الأرض بالأرجل.

﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾: أي: الجاهل لحالتهم، والذي لا يعرفهم لا يحسبهم فقراء، وإنما أغنياء، وسبب هذا الحسبان هو تعففهم.

والتعفف: هو ترك سؤال الناس، وإظهار العفة عدم الحاجة.

﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾: تعرفهم يا محمد ﷺ بسيماهم: بعلامتهم، وأثارهم، هي السمة، أو العلامة التي يعرف بها الشيء، والباء: للإلصاق.

وفيها ثلاث لغات: سيما (مقصورة)، أو سيماء (ممدودة)، أو سيمياء (بزيادة ياء أخرى مثل كبرياء).

﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾: وهي سيما الفقر، والحاجة، والخشوع، وورثاة الهيئة، واللباس البسيط.

﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾: ﴿إِلْحَافًا﴾: أي: إلحاحاً، يقال: ألحف في المسألة؛ أي: ألح عليه، فهو ملحف؛ أي: لا يسألون الناس بإلحاح، ولا من دونه؛ أي: لا ملحفين، ولا غير ملحفين. الناس: ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾: ارجع إلى الآية (٢٧٢).

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: للتوكيد، إن: لزيادة التوكيد.

﴿عَلِيمٌ﴾: خبير مطلع عليه، وسوف يثيبكم عليه.

فهذه الآية تحث على الإنفاق على هؤلاء، فهم أشد الناس حاجة إلى الصدقة من غيرهم من الفقراء، والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب؛ أي: الإنفاق الأفضل أن يكون لمن هم أشد حاجة من الناس.

نعود إلى آيات الإنفاق، وما تنطوي عليه، وليس فيها تكرار، كما يظن البعض.

فيقول سبحانه: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾: الآية تتحدث عن مادة الإنفاق، المال وغيره، والطعام، والخير المال وغيره.



﴿فَلَا تَنْفُسُكُمْ﴾: أي: ثواب الإنفاق، وفائدته عائدة أو راجع لكم، فالآية تتحدث عن الثواب.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾: الآية تتحدث عن الإنفاق يجب أن يكون خالصاً لوجه الله؛ لتكتمل شروطه.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: الآية تتحدث عن الإنفاق، وأنه ليس خسارة، أو ضياعاً للمال، بل ستستردونه أضعافاً مضاعفة، والله لن يظلمكم.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾: المحصي، والمطلع على مقدار ما تنفقونه هو الله.

فكل جزء من الآية يتحدث عن شيء مختلف عن الآخر، وليس هناك تكرار.

[٢٧٤] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتْمَانِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:
في هذه الآية يبين الله زمن الإنفاق وكيفيته.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتْمَانِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: ولم يقل: بالليل أو النهار، وذلك لحرصهم على الخير، ولم يتقيدوا بوقت، ولا حال، ولا ليل، ولا بنهار، بل أنفقوا ليلاً، وأنفقوا نهاراً؛ أي: أنفقوا في كل الأوقات.

﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: وأنفقوا سرّاً، وأنفقوا علانيةً، فلا تحديد للكيفية بحال أو بهيئة.

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: زيادة الفاء هنا تدل على التوكيد، تدل على توكيد الأجر والثواب.

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٣٨) من سورة البقرة.

انتبه إلى أن الإنفاق بالليل والنهار استخدم له الباء، ولم يقل: في الليل والنهار، وجاء بأل التعريف في كلمتي الليل والنهار؛ للدلالة على دوام الإنفاق في أي وقت ولم يحدد.

بينما الجمع في الأموال، والتكاثر استخدم (في) للتحديد مثال: ﴿وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرُ فِي الْأَمْوَالِ﴾ [الحديد: ٢٠].





فهرس تفسير القرآن الكريم الجزء الأول

الصفحة	السورة ورقمها
٧	المقدمة
١٠	سورة الفاتحة
٢١	سورة البقرة [الآيات ١ - ٥]
٣٣	سورة البقرة [الآيات ٦ - ١٦]
٤٩	سورة البقرة [الآيات ١٧ - ٢٤]
٦٥	سورة البقرة [الآيات ٢٥ - ٢٩]
٧٧	سورة البقرة [الآيات ٣٠ - ٣٧]
٩١	سورة البقرة [الآيات ٣٨ - ٤٨]
١٠٥	سورة البقرة [الآيات ٤٩ - ٥٧]
١١٩	سورة البقرة [الآيات ٥٨ - ٦١]
١٣١	سورة البقرة [الآيات ٦٢ - ٦٩]
١٤١	سورة البقرة [الآيات ٧٠ - ٧٦]
١٥١	سورة البقرة [الآيات ٧٧ - ٨٣]
١٦١	سورة البقرة [الآيات ٨٤ - ٨٨]
١٧٥	سورة البقرة [الآيات ٨٩ - ٩٣]
١٨٣	سورة البقرة [الآيات ٩٤ - ١٠١]
١٩٥	سورة البقرة [الآيات ١٠٢ - ١٠٥]
٢٠٣	سورة البقرة [الآيات ١٠٦ - ١١٢]
٢١٥	سورة البقرة [الآيات ١١٣ - ١١٩]



السورة ورقمها	الصفحة
سورة البقرة [الآيات ١٢٠ - ١٢٦].....	٢٢٥
سورة البقرة [الآيات ١٢٧ - ١٣٤].....	٢٣٩
سورة البقرة [الآيات ١٣٥ - ١٤١].....	٢٥١
سورة البقرة [الآيات ١٤٢ - ١٤٥].....	٢٦١
سورة البقرة [الآيات ١٤٦ - ١٥٣].....	٢٧٣
سورة البقرة [الآيات ١٥٤ - ١٦٣].....	٢٨٧
سورة البقرة [الآيات ١٦٤ - ١٦٩].....	٣٠٣
سورة البقرة [الآيات ١٧٠ - ١٧٦].....	٣١٥
سورة البقرة [الآيات ١٧٧ - ١٨١].....	٣٢٧
سورة البقرة [الآيات ١٨٢ - ١٨٦].....	٣٣٩
سورة البقرة [الآيات ١٨٧ - ١٩٠].....	٣٥١
سورة البقرة [الآيات ١٩١ - ١٩٦].....	٣٦٣
سورة البقرة [الآيات ١٩٧ - ٢٠٢].....	٣٧٣
سورة البقرة [الآيات ٢٠٣ - ٢١٠].....	٣٨٥
سورة البقرة [الآيات ٢١١ - ٢١٥].....	٣٩٩
سورة البقرة [الآيات ٢١٦ - ٢١٩].....	٤١٣
سورة البقرة [الآيات ٢٢٠ - ٢٢٤].....	٤٢٣
سورة البقرة [الآيات ٢٢٥ - ٢٣٠].....	٤٣٣
سورة البقرة [الآيات ٢٣١ - ٢٣٣].....	٤٤٥
سورة البقرة: [الآيات ٢٣٤ - ٢٣٧].....	٤٥٩
سورة البقرة [الآيات ٢٣٨ - ٢٤٥].....	٤٧١
سورة البقرة [الآيات ٢٤٦ - ٢٤٨].....	٤٨٣
سورة البقرة [الآيات ٢٤٩ - ٢٥٢].....	٤٩١



الصفحة	السورة ورقمها
٥٠١.....	سورة البقرة [الآيات ٢٥٣ - ٢٥٦]
٥١٧.....	سورة البقرة [الآيات ٢٥٧ - ٢٥٩]
٥٢٧.....	سورة البقرة [الآيات ٢٦٠ - ٢٦٤]
٥٣٧.....	سورة البقرة [الآيات ٢٦٥ - ٢٦٩]
٥٤٩.....	سورة البقرة [الآيات ٢٧٠ - ٢٧٤]
٥٥٨.....	فهرس تفسير القرآن الكريم الجزء الأول



نَفْسُ الْقُرْآنِ

الْحَكِيمِ الْخَافِعِ

فِي

الْإِعْجَازِ الْبَيِّنِ وَاللُّغَوِيِّ وَالْعِلْمِيِّ

إِعْدَادُ وَدِرَاسَةُ

الدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ الْحَمِيدِ

تَحْقِيقُ

تَحْقِيقُ

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الشَّرِيفِ الْجَامِعِ

فِي

الْإِعْجَازِ الْبَيَانِيِّ وَاللُّغَوِيِّ وَالْعَامِيِّ

إِعْدَادُ وَدِرَاسَةُ

الدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ الْهَلَالِ

الْجُزْءُ الثَّانِي

مَدَارِ الْمَعْرِجَةِ

مَدَارِ الْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء: (١٢)
عدد الصفحات: (٦٧٠٤)
القياس: ٢٤ × ١٧
التنضيد والإخراج الضوئي: محمود الجمبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م



دار المرآة

تلفاكس: +963 11 2247242

ص.ب: 31429 - سورية - دمشق

E-mail: meraj.press@gmail.com



للطباعة والنشر والتوزيع

دار الجامع الكلام



تنضيد وإخراج ضوئي



جوال: +963 933 84 60 60

سورية - دمشق - تلفاكس: +963 11 2216555 - ص.ب 13118

www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5



الْمِثْقَالِ الثَّلَاثِ

سُورَةُ النِّمَةِ ٢

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
 يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ
 مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ
 مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ
 فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ
 اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾
 إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
 وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
 وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا
 فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
 أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِنْ كَانَتْ
 ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ
 إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
 اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾



سورة البقرة [الآيات ٢٧٥ - ٢٨١]

[٢٧٥] ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: الذين اسم موصول.

﴿يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾: أي: يأخذون الربوا، والربا في اللغة: الزيادة على رأس المال.

والربا نوعان: ربا النسيئة: وهو الزيادة المشروطة التي يأخذها الدائن من المدين نظير التأجيل، وربا الفضل: وهو بيع النقود بالنقود، أو الشيء بالشيء مع الزيادة. ارجع إلى سورة الروم آية (٣٩) لمزيد من البيان.

وعبر عن الأخذ بالأكل، أو شبهه من يأخذ الربا بالذي يأكل الطعام؛ لأن الذي يأخذ الربا هو شره جشع يأخذ باستمرار، أو بشكل متكرر؛ كالذي يأكل عدّة مرات باليوم، أو لأننا حين نأكل الطعام الذي يُشترى بـمال ربوي كأننا نأكل الربا؛ لأنّ الطعام يُشترى بالمال الربوي.

انتبه إلى كلمة الربوا بالواو، كتبت بهذا الشكل في سبع آيات، وكتبت الربا بالألف بهذا الشكل في آية واحدة فقط في سورة الروم، آية (٣٩).

والاختلاف يعود إلى أن الربوا بهذه الهيئة جاءت في سياق الربوا الكثير المتكرر، والربا بهذه الهيئة جاءت في سياق ذكر الربا القليل، أو غير المتكرر.

﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾:
﴿لَا﴾: النافية.

﴿يَقُومُونَ﴾: من قبورهم يوم البعث؛ أي: يخرجون من الأجداث.
﴿إِلَّا﴾: حصراً وقصراً.

﴿كَمَا﴾: الكاف: كاف التشبيه.

﴿يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾: المس: الصرع؛ أي: لا يقوم من قبره إلا كما يقوم المصروع من صرعه، أو المجنون من جنونه، أو نوبة جنونه.
والممسوس: المجنون؛ الذي اختلط عقله.

كيف يقوم؟ يقوم على غير استواء، واتساق، ويسقط كلما نهض، ويتأرجح يمينه ويسرة، ثم يقع على الأرض، فيحاول الوقوف فيسقط وهكذا.
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة؛ للبعد، إشارة إلى ما يحدث لهم يوم القيامة بسبب أكلهم الربا، وقد نُهوا عنه.

وقولهم: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾: أي: اعتقدوا بأن الزيادة الربوية عند حلول أجل الدين مثل أصل الثمن في العقد؛ أي: شبهوا الربا بالبيع؛ فاستحلوه.

وقالوا: إنما البيع مثل الربا، والأصل أن يقولوا: إنما الربا مثل البيع.



فهؤلاء ظهرت أعراض مرضهم، وهو المس الجنون، أو الخبل قبل مجيء يوم القيامة؛ حيث جعلوا المشبه مكان المشبه به، وهم لا زالوا في الدنيا.

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَاَ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾:

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَاَ﴾: إنكار على بطلان قياسهم: أن البيع مثل الربا، وأنه غير صحيح؛ لأن البيع أمر حلال، والربا أمر حرام، فلا يستويان.

﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: من: شرطية؛ أي: من بلغه أمر التحريم؛ أي: بُلِّغَ فانتَهَى.

﴿فَانْتَهَى﴾: أي: ترك أخذ الربا، وتوقف، الفاء: تدل على جواب الشرط.

﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾: فلا يؤخذ على ما أكل من الربا قبل نزول التحريم.

﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾: يوم القيامة يحكم في شأنه إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه على فعله، وليس أمره موكولاً إليكم لتحاسبوه على ما فعل.

﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

﴿وَمَنْ عَادَ﴾: وأما من بُلِّغَ ولم يتبه، ويحرم ما حرم الله، وعاد إلى أكل الربا ﴿فَأُولَئِكَ﴾: الفاء: للتأكيد، أولئك: اسم إشارة للبعد.

﴿أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٣٩) من سورة البقرة للبيان.

[٢٧٦] ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَاَ وَيُرِي الصَّدَقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾:

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَاَ﴾: المحق: هو النقصان وزوال بر يخالطه الربا.

فالربا، وإن كان ظاهره الزيادة في المال، ولكن باطنه النقصان وزوال البركة

منه.

﴿وَيُرِي الصَّدَقَتِ﴾: جمع صدقة، سواء كانت زكاة، أو صدقة تطوع؛ أي: يزيد ثوابها ويضاعفها أضعافاً كثيرة، فتنموا وتزداد بركتها بعكس الربا.

﴿وَاللَّهُ لَا يُجِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾: تقديم الفاعل على الفعل؛ للتعظيم والتحذير. ﴿كُلُّ﴾: للتوكيد.

﴿كَفَّارٍ﴾: اسم فاعل، وكفار صيغة مبالغة لكافر؛ لأنه كرر فعله وهو الكفر، واستمر عليه؛ أي: الكفر بالدين وعدم الإيمان.

﴿أَثِيمٍ﴾: على وزن فاعيل من فعل أثم، وتدل على المبالغة في الإثم؛ أي: في أكل الربا، والإصرار على التعامل بالربا، وقيل: نزلت هذه الآية في ثقيف الذين كفروا بالله تعالى، وأصروا على التعامل بالربا، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب.

[٢٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

المناسبة: بعد ذكر آكلي الربا، وذكر الكفار، والأثيم، بشر الله سبحانه الذين آمنوا، وعملوا الصالحات بقوله:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿ءَامَنُوا﴾: بالله، وبما أنزل ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أي: استقاموا على فعلها.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: ارجع إلى الآية (٣) من سورة البقرة.



﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾: ارجع إلى الآية (٤٣) من سورة البقرة.

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٣٨) من سورة البقرة للبيان.

[٢٧٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نداء جديد إلى الذين آمنوا، وهو نداء أخير أيضاً لمن يتعاطى الربا منهم، والياء: للنداء للبعد، والهاء: للتنبيه.

﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: أطيعوا أوامر الله، وتجنبوا نواهيه، فذلك تتقون غضبه وعقابه.

﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾: اتركوا، ودعوا، وتجنبوا التعامل بالربا حالاً، وألغوا، وتخلوا عما عندكم من المعاملات الربوية.

﴿إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: ﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال والندرة.

﴿كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: إن كنتم تدعون أنكم مؤمنون، وصفة الإيمان عندكم ثابتة.

[٢٧٩] ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾:

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾: الفاء: للتوكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال، والندرة؛ أي: لم تفعلوا وتركوا التعاطي بالربا، والمعاملات الربوية.

﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: فاعلموا ﴿فَأْذَنُوا﴾: من أذن، وأذن بالشيء علم به، أو أعلمه؛ أي: أنتم في حرب من الله ورسوله. الباء: للإلصاق، والدوام؛ أي: دخلتم في حرب من الله ورسوله دائمة.

﴿يَحْرَبُ﴾: نكرة؛ للتهويل تشمل كل نوع يتصوره العقل من أنواع المحاربة، أو الحروب، والحرب تعني: كذلك المعادة، والغضب، والعقاب.
 ﴿مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: من: ابتدائية، بحرب من الله بغضب من الله، ومعادة رسوله.

﴿وَإِنْ تُبْتِغُوا فَالْكُمُ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾:
 ﴿وَإِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال، احتمال حدوث التوبة.
 ﴿تُبْتِغُوا﴾: أي: تركتم الربا، ولم تعودوا إليه، وندمتم على ما فعلتم، وسألتم الله المغفرة، ارجع إلى سورة النساء، آية (١٧-١٨) لمزيد من البيان.
 ﴿فَالْكُمُ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ تفيد التوكيد، لكم: اللام: لام الاختصاص.

﴿رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾: التي أقرضتموها (من دون فائدة).
 ﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾: ﴿لَا﴾: النافية، ﴿تَظْلِمُونَ﴾: غيركم فتأخذون زيادة منهم.
 ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾: بأخذ أقل من رؤوس أموالكم.
 وتكرار (لا): يفيد لا هذه، ولا تلك، ولا كلاهما معاً.
 [٢٨٠] ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال.
 ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾: وإن كان الذي عليه الدين مُعسراً؛ أي: ليس عنده القدرة على سداد الدين.

﴿فَنَظَرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾: أمر في صيغة الخبر؛ أي: عليكم بانتظاره حتى يتيسر له القدرة على الدفع، وزوال عذره، والنظرة تعني: التأخير؛ أي: أمهلوه، واصبروا عليه.

﴿مَيْسَرَةٍ﴾: أي: إنظاره حتى يتيسر له (ميسرة: وقت اليسر والرخاء).

﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَأَن﴾: مصدرية تفيد التوكيد.

﴿تَصَدَّقُوا﴾: على المعسر بالتنازل عن الدين تطهيراً لأموالكم، وتزكية لأنفسكم (أي: الصدقة عليه أفضل من استرجاع الدين)، وهذا من باب الندب.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أفضل لكم من استرجاع رأس المال، أو الدين.

﴿إِن﴾: شرطية، ﴿كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنه خير لكم فافعلوه.

[٢٨١] ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾:

قال ابن عباس رضي الله عنه، وغيره من العلماء: أن هذه الآية هي آخر آية نزلت من القرآن الكريم؛ أي: نزلت من السماء، وآخر موعظة تلقتها البشرية من خالقها.

قال ابن عباس رضي الله عنه: توفي الرسول بعدها بـ (٨١) يوماً، وقيل: (٣١) يوماً، أو أقل من ذلك.

﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا﴾: أي: اجعلوا بينكم وبين ما يقع في ذلك اليوم من أحداث عظيمة وقاية وحاجزاً.

أي: احذروا ذلك اليوم وتجنبوا وقائعه بطاعة الله بامتثال أوامره، وتجنب نواهيه.

﴿يَوْمًا﴾: بصيغة التنكير؛ للتعظيم، والتهويل لما يحدث في يوم القيامة من الأحوال.

﴿تَرْجَعُونَ﴾: ولم يقل: تَرْجِعُونَ، تُرْجَعُونَ بضم التاء؛ لأنّ هذا الرجوع في ذلك اليوم يكون قسراً، وجبراً، وليس بإرادتكم.

﴿فِيهِ﴾: قدّم فيه؛ أي: في ذلك اليوم حصراً، وقصراً ترجعون فيه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾: وحده.

﴿ثُمَّ﴾: لترتيب الأخبار، وليس التراخي في الزمن.

﴿تُؤْتَى﴾: تجزئ.

﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾: مؤمنة، أو كافرة، مطيعة، أو عاصية.

﴿مَا كَسَبَتْ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي (ولكنها أوسع شمولاً) كسبت من خير وشر، أو حسنات وسيئات، ولم يقل: ما عملت؛ لأنّ الآية في سياق الأموال والكسب، والكسب: هو بشكل عام جلب النفع أو دفع الضرر. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٨٦) للبيان المفصل في الكسب.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾: لا: النافية.

﴿يُظْلَمُونَ﴾: من الظلم، وهو نقصان الحق؛ أي: يعطون أجورهم كاملة، ولا ينقصون حسنة، ولا يزداد في سيئاتهم سيئة.



البقرة الثالثة

سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ
كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا
فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ
أَنْ يُمْلَلَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ
مِنْ رِّجَالِكُمْ فَإِنْ لَّمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ
مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ
إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمُوا
أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ
عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ
تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٨٢﴾



سورة البقرة [الآية ٢٨٢]

[٢٨٢] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُكُمْ وَاللَّهُ يُكُلِّ شَيْءً عَلَيْهِ ۖ﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء إلى الذين آمنوا بتكليف جديد.

﴿إِذَا﴾: ظرفية متضمنة معنى الشرط، وتدل على أن الأمر واقع لا محالة،

أو كثير الوقوع، وهو التداين.

﴿تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ﴾: الدَّيْن هو الاقتراض إلى موعد يسدّد فيه القرض.

﴿تَدَايَنْتُمْ﴾؛ أي: دايين بعضكم بعضاً في شراء، أو بيع، أو قرض.



وهناك كلمة تشابه الدّين هي الدّين: هو يوم الجزاء، والدّين هو دين الإسلام.

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أي: وقت محدد بالأيام، أو الشهور، أو الأعوام؛ لأن هناك أجل مجهول مثل إلى يوم الحصاد، أو يوم رجوع الحجاج، أو يوم ترجع من الحج، فربما مات الرجل، ولم يرجع، أو تأخرت به الطائرة، أو حدث حادث، فهذا غير مقبول.

﴿فَاكْتُبُوهُ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، وتفيد التوكيد.

اكتبوه: فعل أمر؛ أي: للندب، وقيل: للوجوب، وهو تشريع سماوي، فقد يموت أحدكم، والهاء: تعود إلى الدّين (فاكتبوا الدّين).

ولا تقل: نحن أصحاب ويثق بعضنا ببعض، ولا داعي للكتابة، فهذا مخالف للآية.

﴿وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾:

﴿وَلْيَكْتُبَ﴾: اللام: لام الأمر، أو التوكيد.

والكتابة: هي لحماية الدائن (الذي أعطى القرض)، كذلك، فلو لا الكتابة فقد يتقاعس المدين (الذي تسلم القرض)، ويماطل، ويمدد الوقت، وتحدث خلافات بين الطرفين.

﴿وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾: أي: لا الدائن، ولا المدين لهما حق الكتابة، فلا بد من رجل ثالث يسمى كاتب العدل، ليس له مصلحة في القضية.



﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾:

﴿وَلَا يَأْبَ﴾: لا: النّاهية، ﴿كَاتِبٌ﴾: نكرة؛ أي: أيُّ إنسان يعرف الكتابة والقراءة عليه ألا يمتنع إذا طُلب منه الكتابة، ﴿أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾: بالعدل، أو كتابة العقود، كما أمره الله.

﴿فَلْيَكْتُبْ﴾: هذا حُصُّ له على التطوع للكتابة إذا لم يوجد غيره، أو لم يُطلب منه؛ لكونهم لا يعرفون أنه قادر على الكتابة فعليه أن يتطوع، ويتقدّم للكتابة.

﴿وَلِيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا﴾:

أي: الذي عليه الدّين هو الذي يملّي الصيغة، والكتابة تكون حُجّة عليه، ولذلك الدائن لا يمل، ﴿وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾: ذكر الله والرب معاً؛ لإدخال الخوف والردع في ضمير السامع، فيكون حذراً.

﴿اللَّهُ﴾: اسم العلم؛ أي: الإله المعبود، ﴿رَبَّهُ﴾: الذي خلقه ورباه، وتولّى أمره، ورزقه.

وقوله: الله ربه فيها تذكير بالعبودية والربوبية معاً، فذكر كليهما معاً يحمل على الخشية، والخوف أكثر.

﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾: والبخس: النقص بالظلم؛ أي: لا ينقص منه شيئاً ظلماً، وقدّم الجار والمجرور للتوكيد ليعني: ولا ينقص من الحق الذي عليه شيئاً.

أما النقصان فيكون بظلم، أو بغير ظلم، وبخفاء وغفلة عن صاحب الحق.



﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمِلْ وَلِئْتَهُ بِالْعَدْلِ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الشرطية؛ للدلالة على قلة حدوث هذا الأمر؛ أي: أن يكون الذي عليه الحق سفيهاً.

﴿سَفِيهًا﴾: الذي لا يحسن التصرفات المالية؛ كأن يكون مبذراً؛ أي: سيئ التصرف.

﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾: كالشيخ الكبير، أو الصبي، ضَعِيفًا: بفتح الضاد مقارنة بقوله تعالى في الآية (٢٦٦) في نفس السورة ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ بضم الضاد؛ فأما ضَعِيفًا بفتح الضاد تعني: الضَّعْف قد يكون في الجسم والرأي والعقل، وأما الضَّعْف: بالضم يكون في الجسم خاص.

﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾: كالأخرس، أو المريض، ﴿فَلْيُمِلْ وَلِئْتَهُ بِالْعَدْلِ﴾: عندها يقوم الولي، أو الوصي بالإملاء.

ولا تكفي الكتابة، ولا بد من أمر ثانٍ وهو إحضار شهيدين، فقال:

﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾: ولم يقل: وأشهدوا، إنما قال: واستشهدوا، اطلبوا إحضار شهيدين، ولم يقل: شاهدين، فالألف والسين والتاء؛ للطلب، وتفيد المبالغة في إحضار شهيدين.

وشهيدين غير شاهدين: الشَّهيد صيغة مبالغة من الشاهد، والشَّهيد يعلم بواطن الأمور وظواهرها، ويدرك كل صغيرة وكبيرة، وليس كالشاهد؛ أي:

الحاضر فقط، شاهد معروف بين الناس بعدالته، وصدقه، وأمانته، وليس مجرد شاهد؛ أي: له القدرة والعلم بالشهادة، وتكررت شهادته، واستشهدوا أقوى وأبلغ من وأشهدوا. ارجع إلى الآية (١٣٣) من سورة البقرة؛ لمعرفة الفرق بين الشاهد والشَّهيد.

﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: عاطفة، إن: الشرطية تفيد الاحتمال، ﴿لَّمْ﴾: نافية، ﴿يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾.

﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾: الفاء: جواب الشرط.

﴿مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾: ممن كان معروفاً بصدقه، وأمانته، ودينه، من الشهداء: جمع شاهد، أو شهيد، وهنا تعني جمع شهيد.

﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾:

الضَّلال هنا: يعني النسيان، أو الخطأ، أو السهو، أو الضياع، أن تنسى إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى إن نسيت، والنسيان قد يطرأ لأي منهما، فلا تظن إحداهما أنها هي المذكرة للأخرى، ولذلك كرر كلمة إحداهما مرتين.

وقال: أن تضل، أن: شرطية تستعمل في الاحتمال، أو قلة الحدوث، أو الشك؛ أي: خشية أن تضل إحداهما، وقد لا يحدث ذلك.

﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: ناهية.



﴿يَابْ﴾: يرفض، ويمتنع إذا طلب من الشهداء أن يشهدوا.

والشهادة لها مرحلتان: مرحلة التحمُّل، ومرحلة الأداء.

وسماهم الشهداء: قبل التحمُّل (تحمُّل الشهادة)؛ لرفع منزلتهم.

واستعمال (إذا ما) بدلاً من (إن) دعوا: تدل على حتمية الحدوث؛ أي: يجب ألا يأبوا.

واستعمال (ما) للتوكيد، وكان يكفي أن يقول: إذا دعوا، وذلك لأنَّ الشهيد قد يتباطأ، أو يتقاعس عن الشهادة؛ لأنه ليس له مصلحة فيها، أو قد يلحقه ضرر، ولذلك أكد بـ(ما).

﴿وَلَا تَسْمَوْا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿تَسْمَوْا﴾: أي: تكسلوا، وعبر عن الكسل بالسأم، أو لا تضجروا أو تملوا
﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾: سواء كان ديناً ﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾: فلعل الكاتب ملَّ الكتابة من كثرة الكتابة، وكثرة الدعاوى.

﴿إِلَى أَجَلِهِ﴾: إلى الوقت المسمى، والمحدد الذي اتفق عليه الدائن والمدين بالأيام، والأشهر، أو الأعوام.

﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: ﴿ذَلِكُمْ﴾: تشير إلى الكتابة والشهادة.

﴿أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أقسط؛ أي: أعدل وأحفظ، وأقسط: على وزن أفعَل؛

أي: أفضل؛ أي: فيه مبالغة في العدل، وأقسط تعني: العدل مع تنفيذه وعدم الجور والظلم.

وقال: عند الله؛ لأنه هو أمر بذلك.

﴿وَأَقُومُوا لِلشَّهَادَةِ﴾: ﴿وَأَقُومُوا﴾: من الإقامة؛ أي: أن تؤدوا الشهادة على التمام، والكمال من دون نقص، أو زيادة، وأقوم: على وزن أفعّل، وفيه مبالغة على الإقامة.

﴿وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾: ﴿وَأَدْنَىٰ﴾: أقرب؛ لتجنب أي ريبة.

﴿أَلَّا﴾: أن + لا، أن: حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد، وأدنى على وزن أفعّل للمبالغة.

﴿تَرْتَابُوا﴾: الريبة: هي الشك، والتهمة في قلوب أحدكم، سواء كان الدائن والمدين والشهداء.

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكُنُوهَا﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، ﴿أَنْ﴾: مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

﴿تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾: أي: إذا كانت التجارة البيع والشراء يداً بيد، وليس فيها أجل مسمى، أو دين، وتأخير في المداولة.

﴿فَلَيْسَ﴾: الفاء: للتوكيد، وليس: للنفي، ﴿عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: لا إثم من عدم



الكتابة، ولكن أشهدوا، وجناح: مشتقة من الميل عن الحق. ارجع إلى الآية (١٥٨) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا﴾: إذا: شرطية تفيد الحتمية، أو الكثرة، ﴿تَبَايَعْتُمْ﴾: اشتريتم، أو بعتم؛ أي: الإشهاد؛ أي: الشهادة كافية دون الحاجة إلى كاتب العدل، أو الكتابة، أو الإشهاد واجب، أو مندوب، وقال بعض المفسرين: إن شاء أشهد، وإن شاء لم يشهد.

﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: الواو: عاطفة، لا: النافية، ﴿يُضَارَّ﴾: بالإدغام.

﴿يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: لها معنيان، الأول: لا الكاتب، ولا الشَّهيد يضر المدَّعي، أو المدَّعى عليه بالتحريف، أو الكتم، أو التغير، أو رفض الكتابة، أو الامتناع عن الأداء.

والمعنى الثاني: لا الكاتب، ولا الشَّهيد يُضر بضم الياء؛ أي: بالأذى في ماله، أو بدنه، أو تعطيل عمله؛ أي: لا يؤذيان، ويهددان إذا شهدوا لأي طرف بالقول، أو الفعل.

وتكرار لا: للتوكيد، فلا يضارَّ أيُّ منهما أو كلاهما معاً.

﴿وَإِنْ تَفَعَّلُوا فإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾:

﴿وَإِنْ تَفَعَّلُوا﴾: إن: الشرطية تدل على الشك في وقوع ذلك الضرر، وهذا تزكية لهم؛ أي: أنهم عدول، ولن يفعلوا ذلك، وأما إن ضر أحدكم الآخر سواء

كان الدائن، أو المدين، أو الكاتب، أو الشهوداء، فهو فاسق: أي: عاص، وخارج عن أمر الله.

﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾: أي: خروج من طاعة الله، وعليكم إثم، وتبعته.
 ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أطيعوا أو امره تعالى، وتجنبوا نواهيه، وذلكم وقاية لكم من غضبه، وعقابه، وناره.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾: كل ما تحتاجونه في دنياكم، ويعلمكم دينكم الحق.
 ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: ﴿بِكُلِّ﴾: الباء: للإلصاق، ﴿شَيْءٍ﴾: نكرة مهما كان هذا الشيء، والشيء هو أقل القليل، مهما كان نوعه، وشكله، وحجمه، ولونه، وقول أو فعل، سرّاً أو علناً، حسناً أو سيئاً.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من عالم على وزن فعيل؛ أي: كثير العلم.
 عليم بكل ما تقولونه من صدق وكذب وحق وباطل، وبكل ما تفعلونه من خير وشر، وتكتبونه، وبما تشهدون عليه، وما تملونه، وما تديرونه بينكم، وليم بنواياكم، وما تخفيه صدوركم.





سُورَةُ النَّازِعَاتِ

سُورَةُ النَّازِعَاتِ ٢



وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً
 فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فليُؤَدِّ الَّذِي أُوتِمِنَ أَمْنَتَهُ، وَلِيَتَّقِ
 اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ
 عِندَ اللَّهِ قَابِظٌ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٣٨٣﴾
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ
 يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ
 وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٨٤﴾
 إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكِتَابِهِ
 وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا
 وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٣٨٥﴾
 اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ
 رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
 عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا
 تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
 أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٣٨٦﴾



سورة البقرة [الآيات ٢٨٣ - ٢٨٦]

[٢٨٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ فِي نَفْسِهِ قُلُوبَةٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً﴾:

﴿وَإِنْ﴾: شرطية تدل على الاحتمال، وقلة الحدوث؛ أي: أن تكونوا على سفر ولم تجدوا كاتباً.

﴿كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾: سفر لا يقصد فيه المعصية؛ أي: سفر البر والصلاح.

﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾: أي: من يكتب لكم الدين.

﴿فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً﴾: أي: عوضاً عن الكتابة فرهان مقبوضة هدفها حماية الدائن؛ أي: أن يضع المدين رهناً لدى الدائن؛ أي: دائنه عوضاً عن الكتابة، هذا في حال الخوف منه، أو عدم معرفته بشكل يبعث على الطمأنينة والأمان.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: عاطفة، إن: شرطية.

﴿أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾: أي: إذا كان المدين؛ أي: الذي يحتاج إلى القرض أميناً وعدلاً وذا أمانة وسمعة طيبة بين الناس، فلا حاجة لدائنه أن يطلب منه رهناً.

﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾:

﴿فَلْيُؤَدِّ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، والمباشرة، أو التوكيد.

﴿الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ﴾: ﴿الَّذِي أُؤْتِمِنَ﴾: هو (المدين)؛ أي: جاء الموعد



فعليه إيفاء الدين (وسمى ذلك أمانة)، والذي أوّتمن يعني: أو يشمل الذي تسلم الرهان المقبوضة.

فواحد مأمون على الرهن، والآخر مأمون على الدين.
لأنه ليس هناك كتابة، ولا شهود، فعلى المدين إيفاء الدين، وعلى الدائن إعادة الرهن.

﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾: كل واحد منهما ربه؛ أي: يخاف عقابه إن راودته نفسه بالمماطلة، والتأخير، أو الإنكار، أو التغيير، أو التحريف في تلك الأمانة.
﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية، لا: النّاهية، والخطاب موجه إلى الشهود.
﴿تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾: الشهادة: مصدر شهد من الشهود؛ بمعنى: الحضور، وهي الخبر بالشيء الواقع الذي شهدته؛ أي: القاطع الذي لا يتغير.

﴿تَكْتُمُوا﴾: من الكتمان، وهو السكوت عن ذكر الشيء للعلن، والكتمان يختص بالأسرار والأخبار (أي: بالمعاني)، وأما الإخفاء فهو أعم، وغالباً ما يكون في الأشياء المادية الحسية والمعنوية.

وكتّم الشهادة هو عقد النية؛ لترك أدائها؛ أي: إياكم أن تكتموا الشهادة إذا دعيتم إلى إقامتها.

﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا﴾: من: شرطية استغراقية.

﴿فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾.

﴿فَإِنَّهُ﴾: الفاء: للتوكيد، إنّه: لزيادة التوكيد.

﴿آثِمٌ قَلْبُهُ﴾: خصّ القلب بالذكر؛ لأنّ الكتمان من عمل القلب،

والجوارح كلها خاضعة للقلب، وتتبع القلب؛ لذلك نسب الإثم إلى القلب، وليس إلى النفس، أو الذات، أو العبد.

أي: كاتم الشهادة سوف يعاقب على الذنب العظيم، وفيه تهديد ووعد لمن يكتُم الشهادة، أو يقول الزور.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾: ﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، ما: اسم موصول بمعنى الذي تعملون، أو مصدرية (وما أوسع شمولاً من الذي).

﴿تَعْمَلُونَ﴾: تضم الأفعال والأقوال، وقدّم تعملون على عليم، ولم يقل: الله عليم بما تعملون؛ لأنّ السياق في الأعمال، وكتابة الدين، وأداء الأمانة.

﴿عَلِيمٌ﴾: ارجع إلى الآية (٢٨٢) من سورة البقرة للبيان.

[٢٨٤] ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: ملكاً، وخلقاً، وحكماً، وتديراً.

فهو مالك لهنّ، وما فيهنّ، الكل ملكه، وتقديم الجار والمجرور.

لفظ الجلالة للحصر، والقصر، فلا مالك إلا هو، وهو المالك الحق، (ولم يقل: ما في السموات وما في الأرض لله).

﴿مَا فِي﴾: ما: اسم موصول، وهي مطلقة تشمل العاقل، وغير العاقل، ما في السموات السبع وما فيها من كواكب ومجرات ونجوم وغيرها، وما في الأرض وما فيها؛ أي: أنّ الله سبحانه هو الخالق، والمالك، والحاكم، والغني.

وتكرار (ما) في السموات، و(ما) في الأرض: يفيد التوكيد، وفصل كل عن الآخر، أو كلاهما معاً.

لأنّ هناك أشياء موجودة في السماء، وليست في الأرض، أو أشياء موجودة في الأرض، وليست في السماء.



والظرف السموات، وما فيهنَّ هو المظروف.

والظرف الأرض، وما فيها هو المظروف.

﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحْسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو: عاطفة، إن: شرطية.

﴿تُبَدُّوا﴾: من الإبداء، وإبداء ما في النفس هو إظهار ما يضمره العبد، سواء بالنطق، أو العمل به.

﴿مَا﴾: اسم موصول تفيد الشمول (كل شيء تبدونه من خير، أو شر صغير، أو كبير تنطقون به، أو تفعلونه في كل زمان، وفي كل مكان).

﴿فِي﴾: ظرفية زمانية ومكانية.

﴿أَوْ﴾: للتقسيم.

﴿تُخَفُّوهُ﴾: من الإخفاء، ويشمل الكتمان، والسر، والكتمان يكون للمعنى، أو الأشياء المعنوية مثل كتم السر، أو الخبر، والإخفاء يكون للأشياء الحسية خاصة، والمعنوية أحياناً.

﴿مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: ولم يقل: ما في نفوسكم؛ لأنَّ الأنفس أقل من النفوس (النفوس تعني: كل نفس).

فيصبح المعنى: إن الله سيحاسب أنفساً، وليس كلَّ النفوس؛ لما تبديده، ولما تخفيه؛ أي: يعفو، ويفغر لمن يشاء، وسيحاسب من يشاء.

وهل يعني: سيحاسب الله كلَّ نفس على نوازعها الكثيرة التي تضم الهواجس (والخواطر، وأحاديث النفس، والوساوس، والهـم؛ أي: النية والقصد، والعزم؟) الجواب: لا.

وما قاله الفقهاء في هذا: أنَّ الوسـاوس، وأحاديث النفس، والخواطر لا

تدخل فيما ستحاسب عليه النفس، ولكن الذي سيحاسب عليه الله سبحانه هو العزم، أو ما يُبدي الإنسان، وليس ما يُخفي؛ أي: حين يبدأ بفعل المعصية أو السيئة ولا رجعة بعدها.

﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾: يستر من أراد مغفرته، (والسلام في لمن: للتوكيد)، يستره بفضله.

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾: يعاقب من أراد تعذيبه.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: على محاسبتكم، وجزائكم، ومغفرتكم، وعذابكم.

وفي هذه الآية قَدَمُ الإبداء (الإظهار) على الإخفاء، فقال: ﴿وَإِن تُبَدُّوْا مَآفِيَ أَنْفُسِكُمْ أَوْتُخَفُّوْهُ﴾: للاهتمام، والمفروض من المؤمن أن يكون سره كجهره، وليس كالمنافق الذي يختلف ظاهره عن باطنه.

عن أبي هريرة قال: لما نزل على رسول الله ﷺ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبَدُّوْا مَآفِيَ أَنْفُسِكُمْ أَوْتُخَفُّوْهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾: اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ، ثم جثوا على الركب، فقالوا: أي: رسول الله! كلفنا من الأعمال ما نطبق: الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، وقد أنزل الله هذه الآية، ولا نطبقها، فقال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

فلما قرأها القوم وذلت (لانت) بها ألسنتهم، أنزل الله في إثرها: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا». رواه مسلم، وأحمد، وابن حبان.

[٢٨٥] ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ



وَرُسُلِهِ لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ :

﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ : أولاً ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ : آمنوا ثانياً بعد أن بلغهم الرسالة.

﴿كُلُّ﴾ : للتوكيد؛ أي: الرسول ﷺ، والمؤمنون.

﴿ءَاَمَنَ بِاللَّهِ﴾ : (بأركان الإيمان). آمن بالله: هو الاعتقاد الجازم واليقين بوجوده وأنه الإله الحق وبوحدانيته سبحانه وتعالى وربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته بدون تحريف أو تعطيل أو تمثيل أو تكيف.

﴿وَمَلَكَيْهِ وَكُنْهِهِ وَرُسُلِهِ﴾ : ارجع إلى الآية (١٧٧) من نفس السورة.

﴿بِمَا﴾ : الباء: للإلصاق، والملازمة.

﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ : من الوحي والقرآن، إيمان عقيدة، وتصديق معاً، والمؤمنون كذلك آمنوا بكل أركان الإيمان.

﴿لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ :

﴿لَا﴾ : النافية، ﴿تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ : أي: نحن نؤمن بكل رسول ونبي، ونصدق أن كلاً منهم قد بلغ رسالته، وأن عقيدتهم واحدة (لا إله إلا الله)، والإسلام، وإن اختلفت الأحكام باختلاف العصور، ولا نؤمن ببعض الرسل، ونكفر ببعض، فالإيمان لا يتجزأ.

﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ :

﴿وَقَالُوا﴾ : الرسول والمؤمنون.

﴿سَمِعْنَا﴾ : ما أنزل إلينا من الوحي (القرآن)، وما شرعت لنا، واستجبنا.

﴿وَأَطَعْنَا﴾: ما أمرنا الله سبحانه به، وما نهانا عنه، وما أحلَّ لنا وحرَّم علينا، وما أمرتنا أنت به وما نهيتنا عنه، وما أحللت لنا وحرَّمت علينا.

﴿غُفْرَانُكَ رَبَّنَا﴾: تعني طلب المغفرة من الله فقط، ولا تستعمل إلا مع الله سبحانه؛ أي: اغفر لنا ربنا، أو نستغفركَ ربنا، أو نسألك المغفرة، والمغفرة تشمل الستر مع العفو، والثواب على الأعمال الصالحة.

﴿وَالْيَاكُوفُ الْمَصِيرُ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: إليك وحدك المصير (المنتهى)، المرجع؛ للمحاسبة والثواب.

[٢٨٦] ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ شِئْنَا أَوْ آخِطَانَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾:

في الآية السابقة قال سبحانه ما معناه: لن يحاسبكم على الوسواس، أو الخواطر، وأحاديث النفس، وفي هذه الآية: ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

﴿لَا﴾: النافية؛ أي: ينفي الله سبحانه أن يكلف نفساً إلا وسعها.

﴿يُكَلِّفُ﴾: لا يلزم، ﴿اللَّهُ نَفْسًا﴾: بأمر، أو عبادة، أو فرض، أو يأمرها بأي أمر تكليفي فوق قدرتها.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، ﴿وُسْعَهَا﴾: والوسع: هو القدرة + ما يستطيع القيام به من الزيادة (التطوع).

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾: الكسب: فديكون في الخير والشر؛ أي: ما أصابت من الخير، والكسب: هو جلب نفع أو دفع ضرر، اللام تفيد الاختصاص، والاستحقاق، ﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي وهي أعم شمولاً من الذي، أو مصدرية. الكسب: سواء لنفسه، أو لغيره، والكسب يتم من دون تكلف،



ويستعمل في الخير عادة؛ أي: لها ثواب ما عملت، أو كسبت من الخير، وقد يستخدم في الشر أحياناً من باب التهلكم أو السخرية.

﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبْتَ﴾: اجتهدت في تحصيله من المعاصي على فيها معنى المشقة والعلوية، ﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنى الذي، أو مصدرية، ﴿اَكْتَسَبْتَ﴾: على وزن افْتَعَلَ، والاكتساب يكون على نفسه فقط، وفيه جهد، وافتعال، ومشقة، وتكلف، وتستعمل في الشر، وارتكاب المعاصي؛ أي: عليها وزر ما اكتسبت من الشر واجتهدت في تحصيله، وكل اكتساب كسب، وليس كل كسب اكتساباً، وقد وردت كلمة كسب أو اكتسب ومشتقاتها في (٦٧) في القرآن ووردت بصيغة الماضي والمضارع، وجاءت بمعان عدة منها: العمل، والجمع، والرشوة، وغيرها....، ومنها كسب الصالحات، والسيئات، والأموال، ومنها: الخبيث، والطيب.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾:

﴿رَبَّنَا﴾: لا تعاقبنا، ﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال، والندرة، ﴿نَسِينَا﴾: من النسيان: هو ترك بغير اختيار الإنسان، ويختلف عن الغفلة التي هي ترك باختيار الغافل، والغفلة: اسم عام فكل نسيان غفلة، وليس كل غفلة نسيان؛ أي: الغفلة أعم من النسيان، وقيل: النسيان الغفلة عن الشيء مع انمحاء صورة أو معناه عن العقل أو الخيال بالكلية، وأما الغفلة عن الشيء فهي عدم حضور الشيء في الذاكرة أو الخيال؛ أي: انمحاء صورة أو معناه بشكل كامل أو مؤقت، والنسيان هنا يكون عن عمد أو يعني كذلك الترك العمد.

﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾: من الفعل الرباعي أخطأ؛ أي: ارتكب الخطأ بغير عمد واسم الفاعل المخطئ فهو المرتكب الخطأ من دون قصد وتعمد، فالخاطئ يعلم الصواب ويتعداه، أما المخطئ فلا يعلم الصواب، وأما الفعل الثلاثي خطئ بكسر الطاء: وهو الذي يتعمد الخطأ، أو يقع في الذنب وهو يعلمه كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ



كُنْتُ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿يوسف: ٢٩﴾، وفاعل خطيئ مخطئ، فقالوا الفعل الثلاثي خطيئ (خاطئ) في العمد، والرباعي أخطأ (مخطئ) في غير العمد، وهناك من العلماء من قال كلاهما يستعمل في العمد وغير العمد، أو في غير العمد، وهناك من قال الخاطئ من أراد فعلاً لا يحسنه ففعله، والمخطئ من أراد فعلاً يحسنه فوقع منه غيره.

لأن النسيان، أو الخطأ الناتج عن السهو، ومن دون عمد، أو قصد: لا إثم عليه أصلاً.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾:

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا﴾: من التحميل، والتحميل: لا يكون إلا لما يستثقل من التكاليف الشاقة والقيود، أما التكليف فقد يكون لما لا ثقل له من التكاليف مثل: الاستغفار، والتسبيح، والذكر، فكل ذلك تكليف وليس تحميلاً.

﴿عَلَيْنَا﴾: تفيد الاستعلاء والمشقة.

﴿إِصْرًا﴾: الإصر: الأمر الغليظ الصعب؛ أي: التكاليف الشاقة، والقيود، والإصر: يطلق على العهد الثقيل، وما كان ناتج عن يمين موثق.

﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾: الكاف: كاف التشبيه، ﴿حَمَلْتَهُ﴾: فرضته، وحملته ﴿عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾: أمثال بني إسرائيل، وغيرهم مثل الزكاة بربع المال، والتوبة لا تقبل، والطهارة إلا بقطع مكان النجس، وإحراق الغنائم، وتحريم شحوم الأغنام، والبقر، وغيرها من الأحكام.

ما الفرق بين الإصر والوزر: الإصر: هو التكاليف الشاقة والقيود في العبادات، والطاعات، أو العهد، أو اليمين المؤكد مثال: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران: ٨١].



والوزر: الذنب، أو الإثم، وأصل الوزر: الحمل الثقيل على الظهر، واستعير للذنب؛ لأن الذنب له ثقل مثال: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]، ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ٢].

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا﴾: من العقوبات، والمصائب، والكوارث، والصواعق، والابتلاءات ﴿مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾.

فهم دعوا ربهم الإغفاء من التكاليف الشاقة في العبادات، والإغفاء من الكوارث الكونية، والمصائب والبلايا.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، لا: نافية للجنس.

﴿طَاقَةٌ لَنَا بِهِ﴾: الطاقة: هي الوسع + المقدرة (غاية مقدرة القادر).

﴿مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾: من العبادات، أو الأعمال الشاقة.

﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾:

﴿وَأَعْفُ عَنَّا﴾: العفو: هو ترك العقوبة على الذنب؛ أي: لا تعاقبنا على ذنوبنا.

﴿وَأَعْفِرْ لَنَا﴾: استر ذنوبنا، ولا تفضحنا، واتنا ثواب أعمالنا الصالحة.

وستر الذنب يعني: إسقاط العقوبة؛ أي: العفو، فالمغفرة = العفو + استحقاق الثواب (إيجاب الثواب)، وتعني: لا تطرح سيئاتنا من حسناتنا، وأعطنا الثواب كاملاً.

﴿وَارْحَمْنَا﴾: جنبنا وأبعدنا عن الذنوب، وارحمنا مشتقة من الرحمة: وهي جلب ما يسر ودفع ما يضر، والرحمة تعني: إيصال النعمة؛ أي: أنعم علينا.

﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾: ﴿أَنْتَ﴾: تفيد التوكيد، أنت وحدك ﴿مَوْلَانَا﴾: مالكننا، ومتولي أمورنا، وناصرنا.



﴿فَأَنصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: للحدِّ من فسادهم وعبثهم في الأرض، أو حتّى يتبيّن لهم الحق، والهدى، والنصر: لا يعني النصر بالقوة، والسلاح فقط، بل بالحجّة، والسلطان، وإظهار أمر الله (الإسلام) ولو كره الكافرون.

لو عكسنا الآية تكون كما يلي: ارحمنا (أبعدنا عن الذنوب)، واغفر لنا (استر ذنوبنا، ولا تفضحنا إذا ارتكبناها)، واعف عنا (لا تعاقبنا عليها).

فضل هاتين الآيتين:

روى البخاري، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه».

واختلف في معنى كفتاه: قيل: أجزأته عن قيام الليل، أو قيل: كفتاه أجراً وفضلاً، وقيل: كفتاه من كل شيطان، أو من كل آفة.

وما رواه الإمام أحمد، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهنّ نبيّ قبلي».

وما رواه مسلم، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله ﷺ وعنده جبريل؛ إذ سمع نقيضاً فوقه، فرفع جبريل بصره إلى السماء، فقال: هذا باب قد فتح من السماء، ما فتح قط، قال: فنزل منه ملك، فأتى النبي ﷺ، فقال له: أبشر بنورين قد أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفاً منهما إلّا أوتيته».





سُورَةُ الرَّحْمَنِ ٣

البقرة الثالثة

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَمْ ۝ (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝ (٤) إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ (٥) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ (٦) هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلُ الْأَلْبَابِ ۝ (٧) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝ (٩)



سورة آل عمران [الآيات ١ - ٩]

ترتيبها في القرآن (٣) وترتيبها في النزول (٨٩) نزلت بعد سورة الأنفال.

وتسمى سورة البقرة، وآل عمران بالزُّهْرَاوَيْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿اَلَمْ﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة؛ للبيان.

[٢] ﴿لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾:

﴿الله﴾: هو الاسم الأعظم الذي تفرد به الحق سبحانه، واختصه لنفسه، وقَدَّمه على سائر أسمائه الجامع لجميع صفات الكمال الإلهية، فهو يدل على المعبود، ولا معبود إلا هو، وكل اسم من أسمائه جل وعلا نعت له (أي: صفة له). ارجع إلى سورة الفاتحة آية (١) لمزيد من البيان.

﴿لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ﴾: ﴿لَا﴾: النافية للجنس. ﴿اِلٰه﴾: معبود بمعنى مألوه على وزن مفعول؛ أي: لا معبود ﴿اِلَّا﴾: أداة حصر، ﴿هُوَ﴾: ضمير متصل يفيد التوكيد والحصر.

﴿الْحَيُّ﴾: الواجب الوجود، الباقي الدائم من أزل الأزل إلى أبد الأبد؛ أي: الباقي أولاً وأبداً، والأزل: هو دوام الوجود في الماضي، والأبد: هو دوام الوجود في المستقبل.

﴿الْحَيُّ﴾: واهب الحياة، والحي اسم جامع لصفات الذات؛ كالسميع، والبصير، والعليم، وغيرها.



الحي الذي لا ينام ولا يموت: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٢٨]، ولا يزول، ولا يحول.

﴿الْقَيُّومُ﴾: دائم القيام بتدبير خلقه، وكونه، وملكه، وعرشه، القائم بذاته، وعظمته، وصفاته، والغني عن خلقه، لا يقوم شيء إلا به، السيد المدبر الحافظ للعالم بكل الأحوال، والأمور، وهو سبب وقوام لكل ما سواه.

والقيوم تعني: كامل التدبير، والقيوم اسم جامع لكثير من أفعال الله سبحانه؛ كالخالق، والبارئ، والمصور، والرزاق.

وقيل: الحي القيوم: اسم الله الأعظم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥٥)؛ لمزيد من البيان.

[٣] ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾:

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: نزل على وزن فَعَّل، وتدل على كثرة التنزيل، وإنه منزل منجماً (مفرقاً) في ثلاث وعشرين عاماً.

﴿عَلَيْكَ﴾: يا محمد ﷺ.

﴿الْكِتَابَ﴾: يقصد به القرآن في هذه الآية، يسمى الكتاب؛ لكونه مكتوباً في السطور، وفي اللوح المحفوظ، وجاء بـ(ال) التعريف؛ للدالة على الكمال؛ أي: الكتاب الكامل التام.

والكتاب (القرآن) له نزولان:

نزول أول: أنزل جملة واحدة (دفعة واحدة، أو مرة واحدة) من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، أنزل في ليلة القدر في شهر رمضان ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

نزل ثان: منجماً؛ أي: مفرقاً؛ كقوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَازِلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦].

نزل به جبريل ﷺ في ثلاث وعشرين سنة حسب الأحداث والوقائع والحاجة على رسول الله ﷺ منذ بعثته إلى وفاته.

فعندما يقول: أنزل؛ أي: جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وعندما يقول: نزل منجماً متفرقاً (أي: بالتدرج) نزل على رسول الله ﷺ خلال (٢٣) سنة.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾؛ أي: أنزله الله سبحانه، وأنزل مقصورة على الله سبحانه، وتعني: مصدر الإنزال من الله سبحانه؛ أي: هو المنزل.

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾؛ أي: جبريل ﷺ.

﴿نَزَلَ بِهِ﴾: به: تعود على الكتاب؛ يقصد به القرآن في هذه الآية، فكلمة نزل: قد تنسب إلى جبريل ﷺ، وتعني: آية النزول، وطريقته. ارجع إلى الآية (٤) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿نَزَلَ عَلَيْكَ﴾: كلمة عليك يستعملها بمعنى التشريف، وفي سياق الأمور الخاصة، والعبادة، وعلى: تعني: العلو، والمشقة، فالقرآن نزل على الرسول ﷺ من أعلى؛ أي: من جهة واحدة، هي السماء العليا.

وأما كلمة نزل إليك: إليك: يستعملها في سياق الدعوة، والتبليغ، والتعميم، وإلى تقييد الانتهاء؛ أي: انتهاءه إلى عامة الناس، والغاية من الإنزال: هو أن ينتهي إلى أيدي الناس ليقرؤوه.

وإلى: لا تعني جهة معينة، فالكتب تنزل على الرسل أولاً، وتنتهي إلى أممهم، عليك: تشير إلى البداية، وإليك: تشير إلى النهاية.

والخلاصة: إذا كان القصد، أو السياق، والنهاية إلى الناس يستعمل إليك.



﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق، والملازمة؛ أي: ملازمة للحق، فالكتاب: هو الحق، والحق هو الكتاب.

والحق: هو الأمر الإلهي الثابت الذي لا يتغير.

﴿مُصَدِّقًا﴾: موافقاً. اسم فاعل من صدق؛ أي: موافقاً لما سبقه من الكتب السماوية، لا يخالفها في القضايا العقدية، والإيمانية، والنبوة.

﴿لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيْهِ﴾: من الكتب السماوية؛ كالطورا، والإنجيل.

﴿لَمَّا﴾: (اللام - ما) اللام: للتوكيد، ما: اسم موصول يستعمل في المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث.

﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ﴾: أنزل الطورا جملة واحدة على موسى ﷺ، وأنزل الإنجيل جملة واحدة على عيسى ﷺ.

﴿التَّوْرَةَ﴾: الكتاب الذي أنزل على موسى، والطورا كلمة عبرية؛ تعني: الشريعة، والطورا: تشتمل على خمسة أسفار: هي سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر تثنية الاشتراع، ويظن اليهود أن موسى هو الذي كتبها، ويسمونها النصارى العهد القديم.

﴿وَالْإِنجِيلَ﴾: الكتاب الذي أنزل على عيسى، والإنجيل كلمة يونانية، معناها: البشارة، وهو ما أوحاه الله تعالى إلى عيسى عليه السلام، ويسمى العهد الجديد.

ويشمل أربعة أناجيل: هي إنجيل متى، ويوحنا، ومرقس، ولوقا.

ويشمل على تعاليم المسيح عيسى ابن مريم ﷺ، وأعمال الحواريين.

وهي أناجيل كتبت بعد زمن طويل من وفاة المسيح ﷺ.

[٤] ﴿مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾:

﴿مِنْ قَبْلِ﴾: إنزال القرآن؛ أي: أنزل الله سبحانه التوراة، والإنجيل من قبل نزول القرآن هدى للناس.

﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾: السلام: في كلمة الناس للاختصاص؛ أي: أنزلنا التوراة، والإنجيل، والقرآن من أجل هدايتهم.

﴿هُدًى﴾: نكرة تشمل كل أنواع الهداية التي يحتاجونها في حياتهم الدنيا، هدى لهم للخروج من الظلمات إلى النور، وهدى للوصول إلى الصراط المستقيم، أو الصراط الحق الموصل إلى الغاية.

﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾: وأنزل ما يفرق بين الحق، والباطل، والحلال، والحرام، والهدى، والضلال بالدلائل، والآيات والبراهين في هذه الكتب جميعها.

فالقرآن، والتوراة، والإنجيل وصفها الله سبحانه وتعالى بأنها الفرقان؛ لأنها كلها نور من الله تفرق به، وتميز بين الحق والباطل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾:

المناسبة: بعد ذكر إنزال الكتب السماوية هدى للناس، وما فيها من الفرقان فما مصير الذين كفروا بآيات الله؟ إن لهم عذاباً شديداً.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: ﴿كَفَرُوا﴾: جحدوا، ولم يصدقوا بآيات الله. الآيات المنزل في كتبه، والآيات الكونية، والمعجزات التي أنزلها على رسله. الباء: للإلصاق، والملازمة.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: في الدنيا والآخرة. عذاب: نكرة يشمل كل أنواع العذاب،



وهو عبارة عن عقوبة قد تكون في الدنيا أو الآخرة، والعذاب أوسع من العقاب، ولم يرد في القرآن أن الله سريع العذاب.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: قوي لا يُغلب، ولا يُقهر، ولا يضره، ولا يناله أحدٌ بسوء، فله العزة جميعاً عزة الامتناع، والقوة، والغلبة، والقهر.

﴿ذَوُنِيقَامٍ﴾: ذو انتقام من أهل الكفر، والانتقام: يعني: العقوبة والجزاء على أعمالهم؛ أي: يعاقب ويجازي الناس على أعمالهم.

﴿ذُو﴾: أشرف وأبلغ في الثناء، والمعنى من صاحب. ارجع إلى سورة الأنبياء، آية (٨٧)؛ لمزيد من البيان.

[٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿اللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾: ﴿لَا﴾: النافية للجنس، ﴿يَخْفَى﴾: عليه شيء: لا يعزب، ولا يغيب عنه مثقال ذرة في السموات، ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك، ولا أكبر، ولا تخفى عليه خافية في الكون من أقوال، أو أفعال خلقه، أو مخلوقاته.

﴿شَيْءٌ﴾: أقل القليل، شيء نكرة؛ أي شيء مهما صغر، ودق، أو كبير حجمه، وأي نوع.

﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: ظرفية تعني: الأرض ذاتها، وما فيها؛ وتعني: كل زمان، وتكرار لا تفيد التوكيد، وتفيد كلاً على حدة، السماء لوحدها والأرض لوحدها، وكليةما معاً.

والسما: تعريفها كل ما علاك، وتشمل السموات السبع وما فيهن.

وفي هذه الآية تحذير لكل كافر بآيات الله سبحانه وتعالى.



[٦] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول.

﴿يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾: أي: يخلق الناس في صور مختلفة متميز بعضها عن بعض في الصفات والأشكال والألوان، وكل ذلك ناتج الصفات الوراثية التي تقدر (٢٥-٣٠) ألف صفة وراثية، ويتم ذلك عند خلق الجنين، فقله: ﴿يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾؛ يعني: يختار لكم الصفات الوراثية بحيث لا تجدوا إنساناً يشبه إنساناً آخر، منذ آدم إلى قيام الساعة، وهذا دلالة على طلاقة قدرته الخلقية الدالة على عظمته.

﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾: بتغيير الصبغيات، والجينات والمحفظة الوراثية.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: ﴿لَا﴾: النافية، ﴿إِلَهَ﴾: معبود، ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد، ﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي الذي لا يغلب، ولا يقهر، ولا يناله أحد بسوء، وعزيز المنعة، والغلبة، والقوة، ﴿الْحَكِيمُ﴾: في تدبير خلقه، وكونه، وتشريع، وصنعه، وأحكامه القدريّة، والشرعية، والجزائية، أحكم الحكماء، يؤتي الحكمة من يشاء، لا يخلق شيئاً عبثاً، والحكيم مشتقة من الحكم؛ فهو الحاكم، ومشتقة من الحكمة؛ فهو أحكم الحكماء، وأحكم الحاكمين.

[٧] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: ارجع إلى الآية (٣).

﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾: آيات الفرائض، والحدود، وآيات الأحكام كلها، والأسرة، والطلاق، والزواج، والعبادات، وآيات الأمر، والنهي، والحلال، والحرام.

﴿آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾: واضحة المعنى، ظاهرة الدلالة، لا تحتمل التأويل والاشتباه، ولا يختلف فيها الناس، ولا تتغير ولا تبدل، ولا تحتمل إلا معنى واحداً، وهي عماد الدين، أو أصول علم الفقه، ارجع إلى سورة هود، آية (١)؛ لمزيد من البيان.

أمثلة على الآيات المحكمة: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ﴾، ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ﴾، ومعنى هذه الآيات واضح وجلي. ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: أم الكتاب؛ أي: الأصل؛ لأن أم كل شيء أصله. ومما ذكر، أو كتب في أم الكتاب لا يتغير، ولا يتحول، ولا يقع فيه محو، أو تغير.

وأما ما ذكر في اللوح المحفوظ يمكن أن يتغير، ويتبدل؛ لقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.

﴿وَأُخْرُ مُمْتَشِبِهَتْ﴾: لها معانٍ كثيرة متشابهة، أو متعددة، خفية وظاهرة.

مثل أمور الغيب، وفواتح السور: وهي آيات الاعتقاد، والقدر. وتتعلق بصفات الله تعالى.

نسلم بها كما جاءت، وغير مسؤولين عن تأويلها.

وأفضل ما نقول فيها ما قاله الله تعالى ونسكت.

أمثلة: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، ﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.

والقرآن وصف كله بالتشابه، ووصف كله بالإحكام، فقال تعالى: ﴿كَتَبَ
أَحْكَمَتْ أَيْنَهُ﴾ [هود: ١]، ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾ [الزمر: ٢٣].
﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾:
﴿فَأَمَّا﴾: الفاء: استئنافية، أما: حرف شرط وتفصيل.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: الزيغ: هو الميل عن الحق، بسبب الأهواء، والشهوة، أو
الشبهة، أو الفتنة، والزيغ: مشتقة من تزيغ الأسنان؛ أي: اختلاف منابقتها، فتظهر
خارجها، أو داخله.

في قلوبهم مرض الزيغ.

والزيغ: مرض يطرأ على القلوب التي تخلق لا زيغ فيها؛ لأنها تخلق على
الفطرة السليمة، وما يجعلها تزيغ هي الأهواء، والشهوات.

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾: يتخذون الآيات
المتشابهات وسيلة للطعن، أو يعطلون صفات الله، أو يحرفونها؛ ليعلموا
شهواتهم، وأهواءهم.

﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾: أي: يتبعون الزيغ طلباً لفتنة المؤمنين في دينهم،
ومعتقداتهم، وليضلوا عقول الذين يضلونهم، وإثارة للشبهة، والتناقض،
وتشكيك المؤمنين بدينهم، والتلبس عليهم.

والفتنة: هي أشد الابتلاء، والاختبار، وتكون في الخير والشر، وأصلها
مشتق من فتنة (عرض) الذهب على النار ليميز الجيد من الرديء، ولها معانٍ
كثيرة، ومختلفة؛ منها: الكفر، والشرك، والأذية (أذى الناس)، والقتل، والأسر،
والضلالة، والزيغ، والعدول عن الحق والصراط، وتعني: الحجة، والمعذرة،



والتعذيب في النار، أو غيره، والوقوع في المعاصي، والنفاق، والعذاب، والصد
عن سبيل الله، وغيرها.

﴿وَأَتَعَاةَ تَأْوِيلِهِ﴾: طلباً للتأويل، وهو التحريف؛ ليوافق معتقداتهم
الفاسدة، كما في تأويلهم خاتم النبيين: يقولون: إنه الخاتم الحقيقي الذي في
الإصبع، وليس هو آخر النبيين، فهناك أنبياء سيأتون من بعده.

والتأويل: هو نقل ظاهر اللفظ إلى دلالة أخرى، أو معنى آخر، ولا يجوز
التأويل كيف نشاء وله شروطه.

أما التفسير: فهو كشف المراد من اللفظ، أو المعنى، أو الآية.

﴿وَمَا﴾: الواو: حالية؛ تفيد التوكيد، ما: نافية؛ لنفي الاستمرار، نفي مستمر.
﴿يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾: أداة حصر؛ أي: الله وحده سبحانه هو الذي يعلم
تأويل المتشابه.

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾: جمع راسخ، وراسوخ الشيء في الشيء ثبوته؛
أي: أتقنوا علمهم بلا شك ولا لبس، والقادرون على تأويله يعلمون المحكم
والمتشابه، ويعلمون الشيء بدلائل كثيرة، ويعرفون أصل الشيء، ومن المفسرين
من يقف على قوله إلا الله: ويفسرون المتشابه لا يعلمه إلا الله وحده ويبتدئ
والراسخون في العلم يقولون، ومن المفسرين من عطف الراسخين في العلم
على الله تعالى؛ أي: الله سبحانه، والراسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابه،
ونتيجة علمهم يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ (نؤمن به جميعاً).

وفي كلا الحالتين: إن علموا تأويله وحكمته، قالوا: آمنا به كل من عند ربنا
(نؤمن بالمحكم والمتشابه جميعاً)، وإن لم يعلموا تأويله، وحكمته قالوا: آمنا به
كل من عند ربنا، النهاية نفسها.

وهناك من المفسرين من قال: إن من المتشابه في القرآن ما هو حقيقي، لا

يعلمه إلا الله سبحانه؛ كقوله: ﴿أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾، أو كيف ينزل إلى السماء الدنيا، ومن المتشابه ما هو نسبي، والراسخون في العلم قادرون على تأويله، وإرجاعه إلى ما جاء في المحكم.

وقيل: الراسخ: هو الثابت المتمكن في العلم.

﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾؛ (أي: المحكم والمتشابه)، ﴿كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾: المحكم من عنده، والمتشابه من عنده، لا يتناقض كلامه، ولا يختلف كتابه.

﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ﴾: ما: النافية، يذكر: أصلها يتذكر؛ أي: لا يغفل، ولا ينسى ذلك، أولو العقول النيرة الذين أسلموا وجوههم لله.

أولو التفكير، والتدبير، والحكمة، أو الصفوة من المؤمنين.

واللب: منطقة التفكير، والتدبر في العقل (وسموها قديماً باطن العقل).

وجاء تعريفهم في القرآن في سورة الزمر، آية (١٨): ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾ (القرآن والسنة) ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (المحسنين) ﴿الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾. ارجع إلى الآية (١٧٩)، والآية (١٩٧) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[٨] ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾:

﴿رَبَّنَا﴾: منادئ محذوف منه ياء النداء، وهي الياء التي تفيد البعد، ولم يقولوا: يا ربنا؛ لأن الرب قريب جداً، ولا يحتاج إلى ياء النداء، فهو أقرب إلينا من حبل الوريد بعلمه سبحانه وتعالى.

﴿لَا﴾: الناهية، وحاشا لله أن يُنْهَى.

﴿تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾: تزغ من الزيع، وهو الميل عن الحق (ارجع إلى الآية: ٧)، والفرق بين الميل والزيع: أن الميل عام في الحق والباطل، والمحبوب والمكروه، أما الزيع: خاص بالحق.

﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان.



﴿إِذْ﴾: ظرف زمان، بمعنى حين، وللتعليل.

﴿هَدَيْنَا﴾: أرشدتنا لدينك، وهديتنا للإسلام الحق.

ثم ذكر تتمه دعاء هؤلاء الراسخين في العلم:

﴿وَهَبْ﴾: من الهبة: والهبة: كل عطاء بلا مقابل، ومقتضى التملك فيه تملك؛ (أي: إذا وهبته ملكته)، وكل عطاء من الله هبة، والهبة عطاء من وراء الأسباب، وعطاء ليس حقاً للعبد، والهبة: قد تكون هبة في العطاء، أو هبة في المنع.

﴿لَنَأْمِنَ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾: فيها تقديم من لدنك على رحمة بدلاً من قوله: رحمة من لدنك، فيها تقديم لذات الله على الرحمة.

﴿رَحْمَةً﴾: نكرة تشمل كل رحمة مثل الغنى والصحة.

ولم يقل: منك، فمن لدنك خاصة بالمؤمنين فقط، أما لو قال: رحمة منك فهي رحمة عامة تشمل المؤمن والكافر.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾: إنك: للتوكيد، أنت: ضمير فصل يفيد زيادة التوكيد، الوهاب: المنعم على العباد، والذي يهب بلا عوض، ولا حساب، واهب النعم الظاهرة والباطنة، وكثير النعم، دائم العطاء، شمل بره وكرمه سائر مخلوقاته.

الوهاب: صفة مشتقة فيها مبالغة لاسم الفاعل من فعل وهب.

[٩] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾:

﴿رَبَّنَا﴾: ارجع إلى الآية (٨).

﴿إِنَّكَ﴾: إن للتوكيد.

﴿جَامِعُ النَّاسِ﴾: الأولين والآخرين، الإنس والجن، وأهل السماء وأهل الأرض، والظالم والمظلوم، وكل نبي وأمة، جامع الناس للحساب والجزاء.

﴿لِيَوْمٍ﴾: اللام: لام التوقيت (الدخول)، وهذا يدل على الاستقبال، يوم:

يوم القيامة، يوم الجمع، يوم التغابن، يوم الحشر، وقد تكون اللام في كلمة (ليوم): لام التعليل؛ أي: لأجل ذلك اليوم؛ للدلة على تهويله وعظمته.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا: النافية، ريب: يعني: الشك والتهمة، فيه: ظرفية في زمن حدوثه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾: إن: تأكيد، الميعاد: يطلق على الزمان (وهو يوم القيامة)، والمكان (أرض المحشر)، إنك لا تخلف الزمان، ولا المكان، إنك جامع: اسم الله الجامع؛ أي: الذي جمع الكمالات كلها في ذاته، وصفاته، وأسمائه، وأفعاله، والذي يجمع الأولين والآخرين، جامع الخلائق يوم الحشر. انتبه:

أولاً: هم يخاطبون الله إنك، ثم قالوا: إن الله لا يخلف الميعاد، بدلاً من إنك لا تخلف الميعاد كما ورد في الآية (١٩٤) في نفس السورة، الانتقال من صيغة الخطاب إلى الغيبة؛ للفت الانتباه، وكذلك إن الله لا يخلف الميعاد: خبر من الله تعالى، بينما إنك لا تخلف الميعاد في سياق الدعاء، وقوله إنك بصيغة المخاطب أقوى وأبلغ من صيغة الخبر.

ثانياً: إلى الفرق بين الميعاد، والمعاد: معاد: من الوعد، وقت الوعد؛ أي: زمنه ومكانه.

أما المعاد: من عاد يعود، اسم مكان، ومعاد الرجل: عودة الرجل إلى مكانه، يذهب إلى البلاد الأخرى، ثم يعود إلى بلده.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]؛ أي: إلى مكة. ارجع إلى سورة القصص آية (٨٥) لمزيد من البيان.





سُورَةُ الْعَنْكَابِ ٣

الجزء الثالث

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُم وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَّابِ
فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ
وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ
وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ
لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَهُمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ
يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي
الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ
وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَٰئِ ﴿١٤﴾ قُلْ
أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ
تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ
وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾





سورة آل عمران [الآيات ١٠ - ١٥]

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ﴾: لنفي المستقبل القريب، والمستقبل البعيد.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٦).

﴿تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾: لن: تقيهم أموالهم من عذاب الله، أو تنفعهم يوم القيامة، ولا أولادهم، وتكرار لا: (أداة النفي) تفيد: توكيد النفي، وتكرار (لا) تفيد لا أموالهم لوحدها، ولا أولادهم لوحدها، ولا كلاهما معاً تغني عنهم.

وقدم الأموال على الأولاد؛ لأن الكل يملك المال، وليس الكل يملكون أولاداً.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية، استغرافية.

﴿مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: أي: من عذاب الله.

﴿شَيْئًا﴾: نكرة، والشيء: أقل القليل، والشيء كل ما يعلم ويخبر عنه سواء أكان حسياً أم معنوياً.

﴿وَأُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد.



﴿هُم﴾: ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد. ولو قال تعالى: وأولئك وقود النار لثم المعنى، وجاء بالضمير للتوكيد والقصر.

﴿وَقُودُ النَّارِ﴾: أي: يصورهم كالخطب حطب جهنم الذي تسعر به، وقود النار جملة اسمية تفيد الثبوت. وتشير إلى شدة العذاب والإهانة.

[١١] ﴿كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:

دأب هؤلاء الذين كفروا: ﴿كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أمثال قوم نوح، وعاد، وثمود، ولوط.

الدأب: أي: الحال، والشأن، والدأب يعني: السعي المتواصل حتى يصبح كالعادة، ولكن هناك فرق بين العادة والدأب، فالعادة: تكون على ضربين: اختيار، أو اضطرار، بينما الدأب: لا يكون إلا اختياراً.

إذن: حال وشأن وتظاهر هؤلاء الكفرة (كفرة قريش، وبنو قريظة، وبنو النضير) على محمد ﷺ كحال وشأن وتظاهر آل فرعون على موسى ﷺ، وغيرهم من الأقوام على رسلهم.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: جحدوا بها، ولم يؤمنوا بها، ويصدقوها، والكفر أشد من التكذيب (كذبوا بآياتنا التسع)، والذين من قبلهم مثل قوم صالح (كذبوا بالناقة) وغيرها من الآيات.

﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: أهلكهم الله تعالى، بذنوبهم: الباء: للإلصاق، والتعليل، أو البدلية، أو السببية، والأخذ: يكون بقوة وشدة، ويأتي بمعنى: العقاب والعذاب والهلاك.

﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: والعقاب من التعقيب، والمعاقبة التي تتلو الجرم،



أو الذنب، وسمي بالعقاب؛ لأن الفاعل يستحق العقاب عقب إجرامه، أو ذنبه. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢١١) لمزيد من البيان في العقاب والعذاب، وارجع إلى سورة الأنفال آية (٥٢)، والآية (٥٤) للمقارنة بين آيات آل عمران والأنفال. [١٢] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: اللام لام الاختصاص، الذين كفروا عامة كفار قريش بما فيهم يهود المدينة أمثال: بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٦)؛ لمزيد من البيان.

﴿سَتُغْلَبُونَ﴾: السين: للاستقبال القريب؛ أي: ستغلبون عما قريب، (وكان ذلك) في بدر، وفي غيرها من الغزوات.

﴿وَتُحْشَرُونَ﴾: من الحشر: وهو الجمع مع السوق بعد البعث، والخروج من القبور.

﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: جهنم: اسم من أسماء النار، وسميت بذلك؛ لكونها كريهة المنظر، الشيء المرعب المخوف مشتقة من الجهومة، أو لكونها بعيدة القعر. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) للبيان المفصل. وبئس: فعل لإنشاء الدم، بئس المهاد: ارجع إلى الآية (٢٠٦) من سورة البقرة؛ للبيان. المهاد: كالفراش، أو الموضع الذي يمهد للصبي، وجمعه: مُهد.

[١٣] ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَهُمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾:

﴿قَدْ﴾: حرف للتحقيق، والتوكيد.

﴿كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾: خاصة، اللام: لام الاختصاص، والكاف كاف



الخطاب موجهة إلى المؤمنين (أصحاب رسول الله ﷺ) خاصة، والمؤمنين عامة، وكذلك موجهة إلى الكفار، واليهود، ولم يقل: قد كانت. الجواب: كل ما ليس بمؤنث حقيقي، يجوز تذكيره، أو تأنيثه. وأما تنكير آية فهو للتفخيم والتهويل.

الآية: العلامة الثابتة، أو الدلالة على صدق ما يقول رسول الله ﷺ، وتذكير الآية بدلاً من تأنيثها؛ يدل على قوة الآية والتوكيد.

﴿فِي﴾: ظرفية زمانية ومكانية.

﴿فَتَتَيْنِ﴾: الفئة: وهي الجماعة التي يحمي وينصر أفرادهم بعضهم بعضاً وقت الحرب، أو الشدة، والفئة من الفيء وهو الرجوع.

فكل فرد من هؤلاء الجماعة لا يستطيع، أو يظن أنه قادر على يحمي نفسه إلا إذا فاء؛ (أي: رجع) إلى فئة كي تحميه.

فتتين: ﴿فَتَّةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الفئة المؤمنة).

﴿وَأُخْرَى كَافَّةٌ﴾: الفئة الكافرة التي تقاتل في سبيل الطاغوت والشیطان.

﴿الَّتَقَتَا﴾: يوم بدر (غزوة بدر الكبرى).

﴿يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ﴾؛ أي: يرونهم ومثليهم؛ أي: إذا كان عددهم ألفاً؛ فإنهم يرونهم ألفين.

ويرونهم مثليهم؛ أي: الفئة الكافرة ترى الفئة المؤمنة مثليهم في العدد وذلك حين بدأت المعركة، ومثليهم تعني مثلي عدد المؤمنين. ارجع إلى سورة الأنفال، آية (٤٣-٤٤)؛ لمزيد من البيان.

رأى العين: رؤية ظاهرة مكشوفة بالعين (رؤية معاينة)؛ أي: ليست رؤية
قلبية.

﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ﴾: يؤيد: يقوي من أيده، بدون الأسباب العادية،
ويعين بنصره من يشاء، كما أيد المؤمنين على عدوهم.

﴿إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن يَعْلَمُ﴾: إن للتوكيد، في ذلك: اسم إشارة للبعد، وفيه معنى
العلو إشارة إلى النصر في معركة بدر.

﴿لَعِبْرَةً﴾: الدلالة الموصلة، أو المؤدية إلى العلم: والعبرة الآية التي يعبر
منها من منزلة الجهل إلى منزلة العلم، ومشقة من العبور عبر الوادي؛ أي: قطعة
من شاطئ إلى شاطئ.

وسمي الاتعاظ عبرة؛ لأن المتعظ يعبر من الجهل إلى العلم، ومن الهلاك
إلى النجاة.

الموعظة: ما يُنصح، أو يُذكر به من قول، أو فعل ففيها نصيح، وتذكير
بالعواقب، أو إرشاد.

﴿لَأُولَى الْأَبْصَارِ﴾: ولم يقل: أولي البصائر.

الآبصار: جمع بصر؛ أي: من له عينان عليه أن يبصر بهما، ويرى المشهد؛
لأن الأمر أمر مشاهد ومحسوس.

والبصائر ذوي البصيرة؛ أي: العقول كيف نصر الله الأقلية المسلمة، وهزم
الأكثرية الكافرة، وأنزل جنوداً لم تروها.

ولا ننسى ما ورد في هذه الآية من البلاغة المسمى فن الاحتباك حيث حذف



القول فئة (مؤمنة) تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت أو الشيطان.

[١٤] ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾:

﴿زَيْنَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، المزين قد يكون هو الله سبحانه للابتلاء، والاختبار، والتزيين من الله هنا يقصد به الحض على الشهوات المنصوص عليها شرعاً؛ كالنكاح، والأبناء، فالله سبحانه زين لكل أمة عملها، وجعل على الأرض زينة ليلوهم أيهم أحسن عملاً، وتزينه سبحانه لا يكون إلا لخير العبد أبداً.

أو المزين هو الشيطان بوسوسته؛ ليقود الإنسان إلى المعاصي، والآثام فهو يزين الشهوات المحظورة، والله سبحانه يزين للشهوات المباحة، وتزيين الشيطان لا يكون إلا في الشر، وليس لمصلحة العبد.

﴿لِلنَّاسِ﴾: تشمل الرجال والنساء، وعادة حين نقرأ هذه الآية نظن أن هذه الآية تخص الرجال فقط دون النساء؛ لأنه لم يذكر فيها اسم النساء؛ ولكنه سبحانه شمل ذلك في المعنى، فالآية تشير إلى الرجال، والنساء.

﴿حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾: حُبُّ: الحب هو قيل القلب الدائم، والإقبال على أمر أو شيء في الخير أو الشر؛ الشهوات: جمع شهوة، وهي توقان النفس والميل إلى المشتبه، وليست من قبيل الإرادة، والشهوة تتعلق بما يلذ من المدركات بالحواس، وقد عددها الله سبحانه في الآية منها: النساء والبنين والمال والذهب والفضة والخيول المسمومة والأنعام والحراث.

﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾: من البعضية ابتدائية، النساء: ابتداءً بالنساء؛ لأن الشهوة إلى النساء تفوق الشهوة إلى البنين والمال.

﴿وَالْبَنِينَ﴾: ولم يقل الأولاد؛ أي: الذكور والإناث، أما البنين: الذكران، ولم يقل البنات؛ لأن حب الذكور مقدم على حب الإناث كما كان سائداً في الجاهلية، ومنهم من قال: البنين يشمل البنات، والبنين وكيف يأتون إلا عن حب الرجال للنساء، والنساء للرجال، ولم يصرح باسم النساء في هذه الآية، ولكنه ضمنها في كلمة الناس، والبنين، ومراعاة لشعور المرأة وحياتها.

﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾: القنطار هو (١٠٠ رطل)، وقيل: (١٠٠ ألف دينار).

قناطير مقنطرة: قناطير جمع قنطار المال الكثير، والمنضدة بعضها فوق بعض كالقنطرة.

والمقنطرة: صفة، أو نعت للقناطير.

والذهب والفضة ليس خاصاً بالرجال؛ فالنساء: هي التي تشتري الذهب والفضة؛ كزينة، وتشتهي الزينة، ولو كان لها من الزينة أكثر وأكثر.

﴿وَالْخَيْلِ﴾: جمع مفردا فرس، وسميت خيلاً؛ لاختيالها في مشيتها، وطول أذناها. والخييل يقابلها في زمننا الحاضر وسائل النقل السيارات الفاخرة، والقوارب، وغيرها من وسائل النقل.

﴿الْمُسَوَّمَةِ﴾: تسويمها؛ أي: حسننها، أو المعلمة، من السيماء، وهي العلامة، أو مروضة، أو فيها علامات كالغرة، والتحجيل، وهذا حصان أغر، أو أدهم، أو أشقر، وكذلك المسومة ترعى حيث تشاء، وتأكل كما تشاء.

﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: ثمانية أزواج من الضأن اثنين، ومن الماعز اثنين، والإبل



اثنين، ومن البقر اثنين، وتمثل في وقتنا الحاضر الأسهم التجارية، والعقارية، وغيرها.

﴿وَالْحَرْثُ﴾: الزرع، أو المزروعات، والثمار، والفاكهة، والنخيل، والأعشاب، وتمثل الأراضي، والبساتين، والعقارات.

﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: ذلك اسم إشارة للمذكور سابقاً، أو المتقدم ذكره من النساء والبنين والمال والخيول والحرث وغيره من متاع الحياة الدنيا: ما يتمتع به في الدنيا، ثم يفنى ومنه الطعام، وأثاث البيت، والسلعة، والأداة، والمال، والتمتع: هو كل ما ينتفع به، ويرغب في اقتنائه، والمتاع يطلق على القليل والكثير.

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾: عنده: ظرف مكان، أو زمان، حسن المتآب؛ أي: المرجع، وهو الجنة، فيه إشارة إلى التزهيد في الدنيا، والترغيب في الآخرة والجنة. المتآب: من آب؛ أي: رجع، حسن المتآب؛ يعني: ما أعده الله تعالى لأوليائه من النعيم.

[١٥] ﴿قُلْ أُوْنِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذٰلِكُمْ لِلَّذِيْنَ اٰتَقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرٰى مِنْ تَحْتِهَا اَلْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا وَاَزَوْجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنْ اَللّٰهِ وَاللّٰهُ بَصِيْرٌ بِالْعٰبَادِ﴾:

﴿قُلْ أُوْنِيْكُمْ﴾: الهمزة للاستفهام، والتشويق، وحين تسمع أنبيئكم؛ تعني: من النبأ، والنبأ: هو الخبر الذي له شأن عظيم، أو الخبر ذو الفائدة العظيمة يحصل به العلم.

﴿بِخَيْرٍ مِّنْ ذٰلِكُمْ﴾: ذلك: اسم إشارة للبعيد إشارة إلى (النساء والبنين والقناطر المقنطرة) من الذهب والفضة، وغيرها. بخير من ذلكم: أي أفضل وأحسن.

﴿لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ﴾: الفردوس، النعيم، جنات عدن، جنات المأوى، للذين: اللام: لام الاستحقاق، اتقوا: أي: امثلوا أوامر الله، وأطاعوه، وتجنبوا نواهيه.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: تنبع من تحتها الأنهار، أو تجري الأنهار من أمامها.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: خلوداً بلا موت، والخلود: اللزوم المستمر، أو استمرار البقاء من وقت مبتدأ.

﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾: خُلُقاً وَخُلُقاً لا حيض مطهرة من كل عيب يصيب نساء الدنيا.

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾: على وزن فعلان فيه مبالغة من الرضا، الكثير من الرضا، أعظم الرضا، ورضوان الله هو أفضل النعيم وما يعطى العبد يوم القيامة، ولنقارن هذه الآية بآية التوبة (٧٢): ﴿وَمَسْكَنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: الرضوان هنا أكبر من الجنة، والمساكين الطيبة، فهناك الأعمال الصالحة التي تؤدي إلى الجنة، وهناك من الأعمال الصالحة التي تؤدي إلى رضوان الله، وهو أكبر من الجنة.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾: مطلع، ومحيط علمه وبصره، وسمعه بجميع الكائنات في أقطار الأرض، والسماوات، ويعلم مقدار ما يستحق كل عبد من ثواب.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٣

الجزء الثالث

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ
وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ
اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ
اللَّهِ أَلْسِنَةٌ سَلَامَةٌ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِثَايِتٍ
اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ
وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ
أَسَلَمْتُ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِثَايِتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾



سورة آل عمران [الآيات ١٦ - ٢٢]

[١٦] ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾:

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾: تعود على الذين اتقوا ربهم، فهو قد بين لهم الجزاء والثواب أولاً، ثم عاد ليبيّن لهم ما هو مطلوب منهم؛ لنيل تلك الجنات الذين يقولون: جاءت بصيغة المضارع؛ ليدل على التجدد والاستمرار.

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا﴾: ربنا: لم يقولوا يا ربنا؛ لأنه سميع قريب، لا يحتاج إلى أداة نداء. إننا: تأكيد، آمنا: بك إلهاً، ورباً، وآمنا بوحدايتك، وربوبيتك، وبأسمائك، وصفاتك، وملائكتك، وكتبك، ورسلك، واليوم الآخر، والقضاء، والقدر خيره وشره.

ونعلم: أن الإيمان يحتاج إلى العمل الصالح، ونحن لنا شهوات وعدونا الشيطان، وقد نخطئ فنجرك أن تغفر لنا ذنوبنا.

﴿فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: أي: استرها لنا وجاء بالفاء ليدل على المباشرة، والتعقيب بدون انتظار مجرد ما شعروا بأنهم أذنبوا استغفروا ربهم، والذنوب: هي الجرم الذي يترتب عليه عقاب، وإذا سهوا عن الاستغفار سألوا الله الوقاية من عذاب النار.

﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾: والوقاية تعني: أن اجعل بيننا وبين النار حاجزاً ومانعاً.

وإذا نظرنا إلى هذه الآية نرى أن طلب الغفران جاء بعد الإيمان، والتوبة شرعها لنا؛ لأنه سبحانه علم أننا سنخطئ، ونتكاسل، وربما ننحرف، ونخرج



عن طاعته، ولا بد من العودة، والرجوع إليه، فترك باب التوبة مفتوحاً دائماً ليلاً ونهاراً؛ ليتوب مسيء الليل بالنهار، ومسيء النهار بالليل.

[١٧] ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾:

في هذه الآية يبين لنا سبحانه صفات المتقين بعد أن ذكر لنا بالآية (١٥) ما هو الثواب والجزاء، وفي الآية (١٧) ذكر لنا شيئاً عن إيمانهم، وتوبتهم، وهنا يبين لنا بعضاً من صفاتهم.

﴿الصَّابِرِينَ﴾: على التكاليف الشرعية؛ أي: صابرون على الطاعة، والعبادات، وما أمروا به، وصابرون عن المعاصي، وصابرون على الأحداث القدرية.

﴿وَالصَّادِقِينَ﴾: أي: صدقوا الله ما عاهدوه عليه، وصدقوا في أقوالهم وأفعالهم، وصدقوا الله في لا إله إلا الله، ويفعلون ما يقولون.

﴿وَالْقَنِيتِينَ﴾: جمع قانت: وهو المطيع العابد بخشوع، وخضوع، ولزوم.

﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾: مما رزقهم الله ابتغاء مرضات الله بالصدقة والزكاة.

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾: يعود، ومرة ثانية ليؤكد على أهمية الاستغفار، فقد ذكرها سابقاً بقوله: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: فهم رغم صبرهم، وصدقهم، وقنوتهم، وإنفاقهم لا يزالون بحاجة إلى التوبة والاستغفار؛ لأنهم معرضون للأغيار.

ويذكر سبحانه في هذه الآية الزمن المفضل للاستغفار، وهو وقت السحر، وهو الثلث الأخير من الليل إلى طلوع الفجر، وهو زمن سكون الليل، وبعد النوم والراحة.

الواو العاطفة بين الصفات؛ للدلالة على كمالهم في كل صفة ذُكرت من الصفات الخمسة.

[١٨] ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾: أي: أقر الله، بيّن وأعلم الله تعالى لخلقه جميعاً بالدلائل، والآيات، والبراهين الحسية والمعنوية: أنه لا إله إلا هو، والشاهد هو الذي يبيّن ما علمه وشاهده، والشاهد هنا هو الله سبحانه، والمشهود له هو الله سبحانه.

شهد الله سبحانه شهادة الذات للذات، وكفى بالله شهيداً.

شهد الله سبحانه أعظم شهادة، وهي لا إله إلا هو من أعظم الشهود وهو الله لأعظم مشهود له وهو الله سبحانه.

شهادة لا حاجة بعدها لشهادة أحد من خلقه، ولا ملائكة، ولا إنس، ولا جن.

شهد الله سبحانه، ماذا شهد؟

﴿أَنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿لَا﴾: النافية للجنس.

﴿إِلَهَ﴾: لا معبود.

﴿إِلَّا﴾: حصراً وقصراً.

﴿هُوَ﴾: للتوكيد والحصر.

أي: لا معبود في الوجود إلا هو حصراً وقصراً. ارجع إلى الآية (٢٥٥) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.



﴿وَأَمَلَيْتِكُمْ﴾: شهدوا بأنه لا إله إلا هو بعد أن أخبرهم بشهادته.

﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾: سرعان ما شهدوا أنه لا إله إلا الله بعد أن أخبرهم، وبيّن لهم آياته ودلائله.

وأولو العلم: هم الأنبياء، والمرسلون، والصديقون، والشهداء، والصالحون، وحملة العلم، والفقهاء في الدين، وعلماء الأمة الموحدون المخلصون؛ الذين علموا التوحيد، وعلموه لغيرهم.

وعطف شهادة أولي العلم على الملائكة يدل على شرف ومنزلة أولي العلم.

﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾: أي: الله سبحانه وتعالى، وملائكته، وأولو العلم شهدوا أولاً أنه لا إله إلا هو، وشهدوا ثانياً أنه سبحانه قائمٌ بالقسط.

قائماً: بتدبير خلقه، وكونه وحده.

بالقسط: بالعدل، مع التنفيذ والتطبيق، والقسط يعني: الحصّة والنصيب، وتعني: العدل في الميزان أيضاً.

فتصبح قائماً بالقسط: قائماً بتدبير خلقه بالقسط (بالعدل) من حيث الرزق، والعلم، والموت، والحياة، والصحة، والمرض.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: الشهادة الأولى جرت مجرى الشهادة وهذه تعتبر الشهادة الثانية بعد لا إله إلا هو الأولى التي جرت مجرى الشهادة، وأما الشهادة الثانية فهي تجري مجرى الحكم الدائم بوحداية الله تعالى.

﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: العزيز الغني عن خلقه، وعن شهادتهم، القوي الذي

لا يُغلب، ولا يُقهر، والممتنع على خلقه؛ الذي تفرد بعزة الوحدانية، والقوة، والغلبة.

الحكيم: في تدبير خلقه، وكونه، وأفعالهم، الحكيم في شرعه وقضائه وعدله، واهب الحكم، أحكم الحكماء. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة. [١٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَإِيسْلَمُوا وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا إِلَّا مِمَّا بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾:

شهد الله أنه لا إله إلا هو، وشهد الله أنه لا إله إلا هو قائماً بالقسط، لا إله إلا هو العزيز الحكيم، وشهد أن الدين عند الله الإسلام، وكذلك شهد الملائكة، وأولوا العلم نفس الشهادة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: إن: للتوكيد؛ أي: لا دين عند الله إلا الإسلام، وهذا الدين هو الحق، وهو الدين القيم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٢)؛ لمعرفة معنى كلمة الدين والملة.

﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: جاءت للتوكيد؛ لتؤكد حصراً، وقصراً: أن الدين عند الله هو الإسلام: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وأما اليهودية، والنصرانية: فهي ديانات، وليستا ديناً، أو أدياناً، بل رسالات سماوية؛ لقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، والإسلام يعتبر ديناً، ويمكن أن يطلق عليه ديانة أحياناً.

الدين: من دان؛ أي: أطاع، ودان له؛ أي: أطاعه.

ودان: اعتقد، ودان به؛ أي: اعتقده.

والدين: هو الشرع الذي أنزل الله سبحانه من آدم ﷺ إلى محمد ﷺ، فهو



دين الرسل جميعاً، وهو يشمل الملة، والشريعة، والأحكام، والكتاب، والسنة،
فموسى عليه السلام دينه الإسلام، وشريعته، أو ديانه اليهودية.

وعيسى عليه السلام دينه الإسلام، وشريعته، أو ديانه النصرانية.

ومحمد عليه السلام دينه الإسلام، وشريعته، أو ديانه الإسلام.

والإسلام بالنسبة للرسالات السابقة كان وصفاً، وأما بالنسبة لأمة محمد عليه السلام فهو وصفٌ واسمٌ ودينٌ كاملٌ، والإسلام لغة يعني: الاستسلام، والخضوع لأوامر الله تعالى وطاعته، ويعني: السلام، والأمن، وجوهره التوحيد: توحيد الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات، وتهذيب وإصلاح الفرد، والمجتمع بالعمل الصالح.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ﴾:

وما: الراو: عاطفة، ما نافية.

﴿اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ﴾: اليهود والنصارى.

اختلف: الخلاف عدم الاتفاق في الشرع، وهو مذموم، وهو من مظاهر الهوى.

١ - أوجه الاختلاف في مسألة التوحيد، والعقيدة في لا إله إلا الله، أو اختلفوا، قالت اليهود: ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء.

أو اختلفوا في عيسى فقالوا: ابن الله، ثالث ثلاثة، أو هو الله.

أو اختلفوا في عزيز، أو اختلفوا في نبوة محمد عليه السلام، وأن الدين هو الإسلام.

٢ - ومتى حدث الاختلاف: من بعد ما جاءهم العلم؛ أي: الحق؛ أي: القرآن بأن الله واحد، وعيسى عبده ورسوله، ومحمد عبده ورسوله.

٣ - سبب الخلاف: الحسد بغياً بينهم، وطلباً للسلطة، والقوة، والمال، والاستعلاء.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: ومن: شرطية، يكفر؛ أي: يستر آيات الله، (وسمي ذلك كفراً) بسبب الاختلاف، أو البغي.

بآيات الله: الباء: للإلصاق؛ أي: يسترها، أو يجحد بها، ولا يؤمن بالآيات الحاملة لشرائعه ودينه.

فإن: الفاء: رابطة لجواب الشرط، إن الله: للتوكيد. سريع الحساب: في الدنيا إذا شاء، وقد يؤجله سبحانه إلى الآخرة، وهو سريع الحساب في الآخرة أيضاً.

[٢٠] ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾: ﴿فَإِنْ﴾: الفاء: عاطفة، إن: شرطية.

﴿حَاجُّوكَ﴾: من المحاجة: وهو أن يدلي كل خصم من الخصمين بحجته، وعادة يكون لإظهار الحق، ودحر الباطل، أو لمعرفة الصدق من الكذب. ارجع إلى الآية (٢٥٨) من سورة البقرة؛ للبيان.

فإن حاجوك: أي: وفد نجران النصراني حاجوك في شأن وأمر عيسى ﷺ.

﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾: أي: داعياً إياهم إلى الإسلام، وإلى التوحيد، وإسلام الوجه لله، والإخلاص له.



أو حاجوك الكفار في الدين ولم يؤمنوا، فقل: الفاء: رابطة للجواب.

أسلمت وجهي لله: والوجه يراد به الذات (مجاز مرسل) إطلاق الجزء، وإرادة الكل؛ أي: أخلصت له وانقذت وخضعت لله. أسلمت ذاتي لله، وإسلام الوجه وهو أعلى درجات الإسلام، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٢) في سورة لقان وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يسلم إلى الله تعني: يتوكل على الله، أو يفوض أمره إلى الله، أما يسلم لله؛ أي: يخلص لله وينقاد له ويستسلم له.

﴿وَمَنْ أَتَّبَعِ﴾: ومن: ابتدائية، اتبعن: من المسلمين، أو من البشر؛ أي: كذلك هؤلاء أسلموا وجوههم لله كما أسلمت أنا (أي: محمد ﷺ) لله سبحانه، وأسلموا وجوههم لله، تعني: أخلصوا عبادتهم لله، والإخلاص لله هو أعلى درجات العبودية.

وبما أن المخلصين لله، والذين لا يراؤون في عبادتهم والاتباع هم قلة جداً، ولذلك جاء بكلمة ومن اتبعن بدون ياء مقارنة بكلمة اتبعني، فالياء تدل على الكثرة (زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى)، ولذلك قال: ومن اتبعن، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٠٨) من سورة يوسف رأينا كلمة اتبعني جاءت في سياق الدعوة، فهناك الكثير من الدعوة، ولذلك قال: من اتبعني، ومنهم من هو مخلص، أو غير مخلص، أما المخلصون لله (إسلام الوجه) فهم القلة، ولذلك استعمل اتبعن.

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلَّمْتُمْ﴾: وقل يا محمد ﷺ، للذين اللام: لام الاختصاص. قل للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى.

والأُمِّيِّينَ: جمع أُمِّي، وسموا أُمِّيِّينَ نسبة إلى الأم؛ لكونهم غير قادرين على

الكتابة والقراءة، وقيل: الأمي من لا يكتب. ارجع إلى الآية (١٥٧) من سورة الأعراف؛ للبيان، أو نسبة لقلّة من يقرأ، أو يكتب منهم.

أُسلمتم: الهمزة للاستفهام، وتحمل معنى الأمر؛ أي: أسلموا خير لكم.

﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا﴾: الفاء: استئنافية، إن أسلموا: إن: شرطية تفيد الشك؛ أي: استجابوا لك، ودخلوا في الإسلام.

﴿فَقَدْ أَهْتَكَدُوا﴾: ظفروا بالهداية، فقد: الفاء: رابطة لجواب الشرط، قد: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: وإن: شرطية، تولوا: أعرضوا رفضوا الإيمان أو الدخول في الإسلام، أو رفضوا التوحيد، وعدم الشرك بالله، فلا يضرّك أمرهم المهم تبليغهم كلام الله تعالى.

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾: فإنما: الفاء: رابطة لجواب الشرط، إنما: كافة مكفوفة تفيد التوكيد، البلاغ: تبليغ الرسالة؛ أي: الإعلام؛ أي: الإيصال والإفهام.

﴿وَاللَّهُ بِصِيرُكُمْ إِلْعَابٍ﴾: ارجع إلى الآية (١٥) من سورة آل عمران.

[٢١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾: يكفرون، ويقتلون جاءت بالفعل المضارع؛ ليدل على قباحة ما فعلوه (وهذا يسمى حكاية الحال). ارجع إلى الآية (٦١) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق، الآيات: وتشمل آيات الكتاب، أو



المعجزات، أو الآيات الكونية، أو البينات، والكفر بآيات الله يعني: إنكارها، وعدم التصديق بها.

﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيْنَ﴾: ولم يقل: الرسل؛ لأنه لم يقتل رسول أبداً، ولكنهم قتلوا بعض الأنبياء الذين أرسلوا إليهم. ويقتلون: جاءت بصيغة المضارع (الحال) لتدل على بشاعة القتل وكأنه يحدث الآن.

﴿بَغَيْرِ حَقٍّ﴾: بغير سبب، وقتل أي نبي من أكبر الذنوب؛ أي: ليس لهم أي حق في قتله، فهو لم يقتل لهم قريب، أو بعيد، أو يتعدى عليهم حتى يراد القصاص منه. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٦١)؛ لمقارنة هذه الآية مع الآيات الأخرى مثل: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١]، ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١١٢]، ﴿وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء: ١٥٥].

﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾: ويقتلون بصيغة الحاضر؛ لاستحضار مشهد قتلهم؛ لبشاعته، والتذكير به (حكاية الحال) الذين يأمرُونَ بالقسط: هم من يأمرُونَ بالعدل، وبالمعروف، وينهون عن المنكر، ورفع الجور والظلم عن الناس، أو أهل الدعوة، ومن يدافعون عن الأنبياء والدين.

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: استعمل البشارة بدلاً من وأنذرهم بعذاب؛ للتهكم عليهم، والفاء: رابطة لجواب الشرط؛ أي: فبشرهم الآن بعذاب أليم، شديد الإيلام.

[٢٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد إشارة للذين كفروا بآيات الله، وقتلوا النبيين بغير حق.

وقتلوا الذين يأمرون بالقسط لم يبق لحسناتهم أثر، أو فائدة في الدنيا والآخرة (بطلت).

﴿حَاطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: من مرض الحبط الذي يصيب الماشية حين تتورم وتصاب بمرض الكبد، ويسمى الحبن، بسبب احتباس الماء، فيظن الناس أنها غنية باللحم، والشحم، فإذا دُبِحت لتؤكل وجدوها مليئة بالأورام والأمراض، والسوائل، فلا يُستفاد منها.

وهكذا أعمال هؤلاء الكفرة من صدقة، أو صلاة، أو خير سوف تبطل، وليس لها أي ثواب في الآخرة.

﴿فِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: وسيحل بهم الخزي والبلاء في الحياة الدنيا، وفي الآخرة لهم عذاب النار.

﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾: جمع ناصر في الدنيا والآخرة يدفعون عنهم العذاب، أو ينقذونهم منه، فالآية تنفي النصرة عن الظالمين، ولم يقل: من أنصار جمع نصير: صيغة مبالغة وأقوى من ناصر (أقوى من ناصرين)؛ أنصار: تمثل الذين نصرروا الرسل وجاهدوا معهم كما في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ الآية (٥٢) من نفس السورة، أو تعني النصر المؤكد في سياق الآية التي ذكرت.

من: استغرافية، لا أحد ينصرهم، ولا أحد يستطيع أن ينصرهم؛ حتى ولو استطاع نصرهم.



الجزء الثالث

سُورَةُ الرِّدَّاءِ ٣

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ
 اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمْسَسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ
 فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ
 لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ
 مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ
 مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُوَلِّجُ اللَّيْلَ
 فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
 وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرَزُّقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾
 لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن
 يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ
 تُقْلَةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلِ
 إِن تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُّوا يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

سورة آل عمران [الآيات ٢٣ - ٢٩]

[٢٣] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ تَوَلَّوْا فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾:

﴿الزَّيْ﴾: الهمزة: همزة استفهام، وفيها معنى التعجب والإنكار معاً. لم: حرف نفي.

﴿تَرَ﴾: تعلم؛ أي: ألم يصلك خبر، أو قصة، أو ترى هنا رؤية فكرية قلبية. ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾: أوتوا: أعطوا، والإيتاء: أعم من العطاء، وليس فيه تملك، ويستعمل للأمور المهمة. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة؛ للبيان.

نصيياً: هو الحظ المنسوب (المعين)، ويكون في المحبوب والمكروه، أما الحظ يكون غالباً في الخير.

من الكتاب: من التوراة، من: ابتدائية، وتفيد البعضية.

أي: اليهود الذين لم يصلهم إلا جزءاً من التوراة (نصيياً) نكرة، والتنكير: للتقليل، نصيياً من التوراة بسبب الكتمان والتحريف، والتغيير، والنسيان، ولأن التوراة نسخت، أو كُتبت بعد موسى بأعوام كثيرة، وقيل: أن كتبه التوراة كانوا خمسة، وكانت عبارة عن مخطوطات في المعابد، وحدث لها تغيرات كثيرة على مر السنين.

واستعمال أوتوا نصيياً من الكتاب بدلاً من أهل الكتاب تدل على الذم، والتقريع، وأما استعمال أهل الكتاب يأتي في سياق المدح.



﴿يَدْعُونَ﴾: بصيغة المضارع بدلاً من دعوا في الماضي؛ لاستحضار حكاية الحال، ولتدل على استمرارهم في عدم الإذعان للحق وإعراضهم.

﴿إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنه: نزلت هذه الآية بعد أن دخل رسول الله ﷺ على يهود في بيت المدراس، فدعاهم إلى الإسلام، فقالوا له: على أي دين أنت؟ فقال: على ملة إبراهيم، فقالوا: إن إبراهيم كان يهودياً، فقال النبي ﷺ: هلموا بالتوراة فهي بيننا وبينكم، فأبوا فنزلت هذه الآية.

يدعون إلى كتاب الله: قيل: هو التوراة، وقيل: هو القرآن، والأرجح: هو التوراة.

ليحكم بينهم: السلام: للتعليل، يحكم بينهم في ادعائهم أن إبراهيم كان يهودياً، أو نصرانياً، أو في إقامة حد الزنى على الرجل والمرأة الذين كرهوا رجمهما؛ لشرفهما، فحكم النبي بالرجم، وهذا الحكم ورد في التوراة، فأبوا حكم الرسول ﷺ، أو في صحة نبوة محمد ﷺ؛ حيث اختلفوا في صفاته وشأنه.

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: ثم لمجرد الترتيب، يتولى فريق منهم عن الإجابة إلى ما دعوا إليه مع علمهم بالحق، بينما فريق منهم آخر أمثال عبد الله بن سلام تمسكوا بالحق، ويتولى: من التولي؛ يعني: الابتعاد، والتولي أشد من الإعراض. ﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿مُعْرِضُونَ﴾: جمع معرض، والإعراض يعني: البعد والترك، ويأتي في سياق الشر؛ أي: معرضون عن قبول الحكم الصادر عن رسول الله ﷺ، أو في التوراة في إقامة حد الزنى على أشرفهم، أو ما ورد في نعت رسول الله ﷺ ونبوته.

[٢٤] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد يشير إلى الإعراض والتولي عن الإجابة، والقبول بحكم رسول الله ﷺ.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء: للإلصاق، أو التعليل. أنهم: للتوكيد.

﴿قَالُوا لَن﴾: لن للنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿تَمَسَّنَا النَّارُ﴾: من المس (الإصابة الطفيفة الخفيفة)، والمس، يعني: إصابتهم بالنار ستكون خفيفة طفيفة مجرد أيام معدودات.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ أي: حصراً.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: معدودات جمع قلة وأياماً معدودة جمع كثرة؛ أي: أياماً قليلة (معدودات جمع قلة، أو قيل: سبعة أيام لكل (١٠٠٠) سنة يعيشونها في الدنيا يوم في النار، وقيل: (٤٠) يوماً مدة عبادتهم العجل، وقيل: كانوا فريقين: فريق يقول: سبعة أيام، وفريق ثان يقول: (٤٠) يوماً، وذلك لاعتقادهم بأنهم أبناء الله وأحباءه. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٠) للمقارنة.

﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ﴾: الغرر: الطمع فيما لا يصح، ولا يحصل إلا عن غفلة؛ أي: وغرهم الشيطان بأن وسوس لهم، وزين لهم ظنهم، والشيطان سمي بالغرور. وهكذا ذهب بعضهم إلى الطمع في الدين، فافتروا على الله (الكذب المتعمد والاختلاق)؛ كقولهم: لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات.

وللفرق بين أيام معدودة: (جمع كثرة)، وأيام معدودات: (جملة قلة). ارجع إلى الآية (٨٠) من سورة البقرة؛ للبيان.



[٢٥] ﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾:

﴿فَكَيْفَ﴾: الفاء: استثنائية، كيف: استفهام فيه معنى الإبطال، إبطال ما غرهم، وتهويل، وتعظيم ما سيحقيق بهم من الأهوال، وما سيحل بهم.
﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية.

﴿جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ﴾: السلام في ليوم: للاختصاص؛ أي: لأجل ذلك اليوم؛ للدلالة على تهويله وتعظيمه، ولام الميقات؛ أي: للجزاء والحساب في ذلك اليوم. وتنكير اليوم: للتهويل والتعظيم أيضاً.

﴿لَا رَيْبَ﴾: لا: النافية، الريب: الشك والتهمة.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: تعطى كل نفس حقها وأجرها تاماً. كسبت: اجتهدت في الخير أو الشر. ارجع إلى سورة البقرة الآية (٢٨٦) للبيان المفصل في الكسب، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١١١) من سورة النحل وهي قوله تعالى: ﴿وَتُوفِّيَ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ نجد القرآن يستعمل ما كسبت في سياق آيات الأموال والإنفاق والربح والخسارة ويستعمل ما عملت في سياق الأعمال الأخرى.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: هم ضمير فصل يفيد القصر، والتوكيد، لا: النافية، يظلمون: بنقص حسناتهم، ولا بحسنة واحدة، ولا بزيادة سيئاتهم ولو بسيطة.

[٢٦] ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿قُلِ﴾: ادع.

﴿اللَّهُمَّ﴾: أصلها: يا الله، فحين تقول: اللهم؛ كأنك تقول: يا الله.

والفرق بين الله، واللهم: الله: اسم الجلالة، واللهم: نداء المراد به: يا الله.

كيف اشتقت اللهم: الكلمة أصلها: يا الله حذفت منها الياء، وعوض عنها



بالميم المشددة في آخر الكلمة، وهذا خاص لصاحب الخصوصية سبحانه وتعالى، ولا يختص بها وحده إلا هو.

﴿مَلِكُ الْمُلْكِ﴾: صاحب الملك، المُلْك: بضم الميم، وهو الحكم؛ أي: صاحب الحكم، أما ملك: بكسر الميم تعني: التملك.

وجمع كليهما بقوله: مالك الملك؛ أي: له ما في السموات وما في الأرض، والحاكم معاً، فهو الحاكم ويده ملكوت كل شيء.

﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾: فما دام هو مالك الملك فإنه يهب أو يعطي شيئاً من ملكه لمن يشاء من عباده، أو ينزع الملك ممن يشاء من عباده، تؤتي من الإيتاء، وهو العطاء الذي ليس فيه تملك، ويمكن استرداد ذلك العطاء، والإيتاء يكون للأمور العظيمة الحسية، والمعنوية، والإيتاء أعم من العطاء. من: ابتدائية، استغرافية في كل الآية.

﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾: النزع هو الأخذ بشدة، (أو القلع)؛ أي: يحتاج إلى شدة؛ لأن صاحب الملك يكون متمسكاً بملكه، أو كرسيه، أو بالحكم، ولا يريد أن يسلب منه، أو يؤخذ منه بأي شكل، أو وسيلة، ولكن الله سبحانه قادر أن ينزع الملك ممن أعطاه الملك؛ لأن الله صاحب الملك الحقيقي.

﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: العزة: تعني القوة، والقهر، والغلبة، والمنعة. فله العزة جميعاً، والله مع كرمه، وفضله يُعز من يشاء من عباده بالنصر، والغنى، والطاعة، والهداية؛ فهو يُعز رسله، ويعز المؤمنين به تعالى.

﴿وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: بالقهر، والفقر، والمرض، والغلبة، والهزيمة.

﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾: بقدرتك الخير، الخير مثل النصر، والعزة، والجاه، والمال، والملك، وغيرها من مظاهر الخير، وذكر الخير، ولم يذكر الشر رغم أن كلاهما عند الله، ولأن كل أفعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة، ومصلحة العباد فهي خير كلها، ولأن الشر، أو السوء يبدؤهما العبد نفسه، أو اكتفى بذكر الخير؛ لدلالته على الآخر.



﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: إنك صاحب القدرة المطلقة على كل شيء مادي، أو معنوي نافع، أو ضار، خير أو شر، وشيء: نكرة تشمل كل شيء مهما كان نوعه، وحجمه، وشكله في السموات، أو في الأرض.

ثم يبين الله سبحانه بعض مظاهر القدرة الإلهية في الآيتين الكونيتين الليل والنهار، الموت والحياة، فيقول:

[٢٧] ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾:

﴿تُولِجُ﴾: من الولوج وهو الدخول.

﴿الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: من الناحية العلمية: الولوج: إشارة إلى كروية الأرض، وإلى دورانها حول محورها، وحول الشمس، وإلى تبادل الليل والنهار؛ الذي هو من ضروريات استقامة الحياة على الأرض، ومن الناحية اللغوية: الولوج: هو تداخل الليل في النهار بحيث إذا قصر أحدهما طال الآخر، كما نرى في فصل الصيف والشتاء.

﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾:

لم يعد تفسير هذه الآية في ضوء الاكتشافات العلمية مطابقاً لما قيل قديماً؛ حيث اكتشف العلماء: أن لكل شيء في الوجود حياة مناسبة له، فكل الجمادات والنباتات لها حياتها، فمثلاً: البذرة، أو الببضة، أو الحبة: فيها أجنة في حالة همود، أو سكون، أو لا تتحرك ومجرد ما توفرت له الأسباب الحياتية، أو الظروف البيئية الخاصة من تروية، أو غذاء ينمو ويتحرك، فالبذرة لها نقيير؛ أي: فتحة يحيط بها غلاف من المواد الغذائية، فإذا دخل الماء إليه يذيب المواد الغذائية، وتبدأ البذرة بالتغذي بهذه المواد، فتتنمو، ويخرج لها جذور تربطها بالتربة فتغذي من التربة، ويصبح لها ساق وأوراق تحمل مواد التربة إليها، وتصبح تتغذى بذلك، وتحول تلك المواد إلى ثمار.

إذن: هذه المواد الكيماوية المشكلة لعناصر التربة، أو المواد الغذائية



المحيطة بهذه البذرة التي تمثل الجنين تتحول إلى خلايا حية تنمو، وتثمر، ثم يموت هذا النبات، ويعود إلى تراب الأرض، فبذلك تحول من حي إلى ميت، وبعد ذلك يتحول تراب الأرض إلى غذاء مرة أخرى، فيخرج منه بذرة أخرى، أو جنين آخر، وهكذا وكذلك الإنسان يخلق من تراب ويعود إلى تراب. وإذا نظرنا إلى الآيتين (٢٦-٢٧) تؤتي الملك، تنزع الملك، تعز وتذل، تولج الليل في النهار، وتولج النهار في الليل، وتخرج الحي من الميت، والميت من الحي: كلها تشير إلى تغيرات لا يقدر عليها إلا الله سبحانه، وهي تدل على عظمة قدرته سبحانه، وتشير أنه الخالق الذي يجب أن يُعبد ويطاع.

[٢٨] ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّهُ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾:

المناسبة: بعد ذكر أن الله هو المعز والمذل نبه المؤمنين بعدم التماس العزة، والقوة عند الكافرين، فقال:

﴿لَا﴾: الناهية.

﴿يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾: نهى لطيف رقيق من الله للمؤمنين بموالاته الكافرين بمحبتهم، وتأيدهم، ونصرهم، والاستعانة بهم، وإطلاعهم على أسرار المؤمنين، أو نقل الأخبار لهم.

وسبب هذه الموالاته؛ لكونهم أقرباء لهم، أو تربطهم صداقات، أو جوار، وغيرها من الأسباب.

أولياء: جمع ولي، الله ولي المؤمنين: أي: يرعاهم ويكلؤهم ويمدهم وينصرهم، والولي: هو من يليك؛ أي: القريب الذي يهتم بك، والمعين، والولاء: هو الحب والنصرة.

﴿وَمَنْ﴾: شرطية.

﴿يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾: ذلك: اسم إشارة يفيد البعد، ويشير إلى موالاته الكافرين.

﴿فَلَيْسَ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، ليس نافية.

﴿مِنْ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾: من: استغراقية، الله في شيء: أي: فليس من ولاية الله في شيء لا تقع عليه الولاية؛ أي: إن الله بريء منه، أو منسلخ من ولاية الله له، وقد خرج عن منهج الله.

﴿إِلَّا أَنْ﴾: إلا: أداة استثناء، أن: حرف مصدري يفيد التوكيد.

﴿تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾: أي: مباح لكم موالاتهم إذا ضاقت بكم السبل، ووجدتم أنفسكم ضعفاء، ولا تستطيعون أن تتقوا منهم ضرراً في النفس، أو المال، فيجوز في هذه الحالة التقية، وهي الموالاة باللسان دون القلب، والتقية تكون من عدو في الدين لا تقدر على، أو عداوة في المال والمتاع.

وغاية التقية: المحافظة على النفس، أو العرض، أو المال من شر الأعداء، وهي تقية مؤقتة حتى يزول السبب والاضطرار.

﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾: أي: ذاته ولم يقل غضبه أو جبروته ليدل على شدة الحذر من مخالفة أوامره، ويحذركم الله أن تتخذوا أعداءه أولياء، ويحذركم الله غضبه وعقابه إن عصيتم، وهذا التهديد من باب الرحمة بكم. ويحذركم من الحذر: وهو توقّي الضرر بكل أشكاله، سواء حدث الضرر أم لم يحدث، والحذر يختلف عن الخوف، فالخوف هو توقع الضرر الذي يُظن أنه سيقع.

﴿وَالِىَ اللَّهُ الْمَصِيرُ﴾: تذكير بأن إلى الله المنتهى، والمرجع، فإذا كانت هناك مبررات لاتخاذ الكافرين أولياء لأي سبب من الأسباب، فلا بد أن يتذكر هؤلاء الذين يستعملون التقية حُجة لهم في الدنيا أن الله يعلم سرهم ونجواهم، ومصيرهم إلى الله؛ ليحكم فيهم إما إلى الجنة، أو إلى النار.

[٢٩] ﴿ قُلْ إِنْ تَحْقُقُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَتُبْنِدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.



﴿إِنْ﴾: شرطية.

﴿تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوْهُ﴾: من الموالاة للكفار، أو مودتهم، قولاً، أو فعلاً، أو محبة.

ما: لغير العاقل، ولصفات العاقل، ومطلقة تشمل كل شيء، تخفوه في قلوبكم، أو تبدوه (تظهروه) بألستكم يعلمه الله سبحانه.

وبدأ بالإخفاء، ويشمل الأشياء الحسية والمعنوية، ولا يقتصر علمه على ما في صدوركم، بل هو: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب، ولا يابس إلا يعلمها، ويعلم ما يجري في السموات والأرض من طاعة ومعصية بسر وعلن.

وذكر يعلم ما في السموات، وما في الأرض بعد ذكر ما في صدوركم يمثل ذكر العام بعد الخاص.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ارجع إلى الآية (٢٦) من نفس السورة؛ للبيان. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٨٤) من سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾: نجد أن آية البقرة جاءت في سياق الحساب يوم القيامة، وقدم الإبداء على الإخفاء، وآية آل عمران جاءت في سياق العلم، وقدم الإخفاء على الإبداء.





سُورَةُ الرَّحْمٰنِ ٣

الْبَقَرَةُ الثَّالِثَةُ

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ
مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ
اللَّهُ نَفْسَهُ ۖ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ
وآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا
وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ
وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ
وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَ هَارِزُفًا قَالِ يَمْرُؤُا أَنَّىٰ لَكَ هَٰذَا
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾





سورة آل عمران [الآيات ٣٠ - ٣٧]

[٣٠] ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾:

المناسبة: ذكر في الآيات السابقة، ويحذركم الله نفسه، وإلى الله المصير، يقول سبحانه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً.

﴿يَوْمَ﴾: القيامة: نكرة للتحويل والتعظيم.

﴿تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾: ما: اسم موصول، أو مصدرية ما لغير العاقل، والعاقل.

﴿مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾: عملت في الدنيا، من: استغرافية، خير: نكرة تشمل كل خير مهما كان نوعه، ومهما صغر، أو كبر. محضراً: أي: تجد عملها ينتظرها مكتوباً في الصحف، محضراً مهياً؛ ليقرأها بنفسه.

﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾: تكرار ما عملت؛ للتوكيد، لفصل الخير عن السوء؛ أي: ما عملت من خير على حدة، وما عملت من سوء على حدة، أو كلاهما معاً.

من سوء: من شر، أو سيئات (صغائر أو كبائر).

﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ﴾: تود آنذاك: تتمنى، لو أن: حرف شرط (امتناع لامتناع). أن: للتوكيد.

﴿بَيْنَهَا﴾: تعود على النفس، ﴿وَبَيْنَهُ﴾: وبين السوء.



﴿أَمَدًا بَعِيدًا﴾: الأمد: إما أن يكون ظرفاً للزمان أو ظرفاً للمكان، وهنا بمعنى: ظرف مكان؛ أي: تود أن يكون بينها وبين عملها بعداً طويلاً، مسافة طويلة كبعد المشرقين.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾: ويحذركم الله عقابه، وسخطه من ارتكاب المعاصي، والمخالفات، أو ما نهاكم عنه، وفي هذا تهديد عظيم، وتحذير صادر من ذات الله تعالى. ارجع إلى الآية السابقة (٢٩)؛ لمعرفة معنى الحذر.

﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾: جاء بآل التعريف بالعباد التي تدل على الاستغراق؛ أي: رؤوف بكل الناس مسلمهم وكافرهم ولو قال رؤوف بعباده كما في قوله تعالى ﴿يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ٨٨]؛ فالهداية تكون خاصة بهؤلاء فقط من العباد. رؤوف من الرأفة، والرأفة أبلغ وأشد من الرحمة، والرحمة أعم من الرأفة. ارجع إلى الآية (٢٠٧) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

وإذا نظرنا إلى الآية (٢٨)، والآية (٣٠) ليس هناك تكرار؛ لأن:

الآية (٢٨): ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾: جاءت في سياق التحذير من اتخاذ الكفار أولياء من دون الله.

والآية (٣٠): ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾: جاءت في سياق الحث على الأعمال الصالحة، والحذر من الأعمال السيئة.

وقد يسأل سائل، لماذا لم يقل سبحانه: والله رؤوف رحيم، بدلاً من: والله رؤوف بالعباد.

الجواب: لم يذكر الرحمة؛ لأن المقام مقام تحذير، ومع التحذير لا يناسب ذكر الرحمة؛ خشية التواكل.

[٣١] ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾: المحبة: ميل النفس إلى الشيء؛ لكمال أدركته فيه عن قصد، وأعظم المحبة هي محبة الله لذاته العلية، ومحبة الله تتجلى برضاه، وعدم سخطه، ومحبة الله تتضمن محبة رسوله، ومحبة كل ما أمر به تعالى، ورسوله، أو تجنب كل ما نهى عنه سبحانه، ورسوله.

﴿فَاتَّبِعُونِي﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، ومن يطع الرسول؛ فقط أطاع الله، فطاعة الله وطاعة رسوله واحدة، وليست منفصلة.

اتبعوني: اتبعوا سنتي، امثلوا أوامري، واجتنبوا ما نهيتكم عنه.

﴿يُحِبِّبْكُمُ اللَّهُ﴾: أي: يشيكم على أعمالكم، ويرضى عنكم، ويشي عليكم في ملائكته، ومن ثم تحبكم الملائكة، وأهل الأرض.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾؛ أي: جميع ذنوبكم، ولم يقل: ويغفر لكم من ذنوبكم (أي: بعض ذنوبكم)، وحين يخاطب الله غير المؤمنين على لسان رسله يخاطبهم بالقول يغفر لكم من ذنوبكم: من: البعضية؛ أي: بعض ذنوبكم كما في قوله تعالى: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠].

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾: غفور: صيغة مبالغة كثير الغفران؛ لمن أطاعه، وأطاع رسوله، واتبع دينه، كثير الغفر، يغفر الذنوب مهما كثرت؛ أي: تعددت، ومهما عظمت؛ أي: كبرت (كمًّا وكيفًا).

﴿رَحِيمٌ﴾: في الدنيا والآخرة. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (١).

[٣٢] ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ، قل لأهل مكة والأعراب، ومن اتبعك من الناس أجمعين.

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾: ولم يقل: أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، فذلك يعني: طاعة الله سبحانه، وطاعة رسوله ﷺ في أمر ما واحدة؛ كقوله ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، فطاعة الرسول من طاعة الله، ولا يمكن فصلهما.

مثال: الله سبحانه أمر بالصلاة، والرسول أمر بالصلاة، والصلاة أمر واحد، أو مسألة واحدة، لا يختلف حكم الله فيها عن حكم رسوله، فيقول: أطيعوا الله ورسوله.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: هنا تعني: أطيعوا الله في أمر الصلاة (بشكل مجمل) فيما بينه لكم.

وأطيعوا الرسول فيما بينه لكم من عدد ركعاتها، وأركانها، وسننها، وأوقاتها، وكيف تُصلى.

أي: أطيعوا الله تعالى فيما أمر، أو فرض، وأطيعوا الرسول ﷺ فيما فصل لكم ما فرض الله عليكم، وما أمر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وأما قوله في سورة النساء، آية (٥٩): ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾: هنا طاعة أولي الأمر غير منفصلة عن طاعة الرسول ﷺ، فلم يقل سبحانه: وأطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، وأطيعوا أولي الأمر منكم؛ أي: أطيعوا أولي الأمر منكم إذا أطاعوا الله وأطاعوا رسوله، فطاعة أولي الأمر ليست كيئناً بحد ذاتها، وإنما تابعة لطاعة الرسول ﷺ، وطاعة الله، فإذا أمرنا أولو الأمر

بأمر يخالف الله، أو يخالف الرسول نرفضه، وبالعكس نطيعهم إذا أطاعوا الله سبحانه ورسوله ﷺ.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: الفاء: للتوكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال والشك، تولوا: أعرضوا عن طاعة الله، والرسول، ورفضوا، أو جحدوا ذلك، وابتعدوا عنها.

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، إن: حرف مشبه بالفعل؛ للتوكيد.

﴿اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾: لا: النافية، ولا تفيد النفي المؤبد (المطلق)؛ لأن الكافر قد يتوب، ويرجع عن كفره، وطغيانه، ويؤمن بالله تعالى فيما بعد.

لا يحب الكافرين: الكافرين: جملة اسمية تفيد الثبوت؛ أي: الذين أصبحت سمة الكفر عندهم ثابتة لا تتغير، لا يحب الكافرين إذا استمروا في كفرهم وإعراضهم ولم يتوبوا.

أما إذا تابوا إلى الله واستغفروا لذنوبهم؛ فإن الله كان غفوراً رحيماً، أو كان عزيزاً حكيماً.

وانتبه إلى الانتقال من صيغة المخاطب إلى صيغة الغائب؛ فإن تولوا، ولم يقل: فإن توليتم؛ للتحذير، والتنبيه، أو لفت الانتباه.

والفرق بين الكافرين، والكفار: الكافرين: يستعملها للدلالة على العمل، الحدث (الكفر) بكثرة، والكفار: يستعمل هذه الكلمة للدلالة على الاسم، الكثرة والعدد، والكفار أعم من الكافرين.

[٣٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله سبحانه: أن محبته تتمثل في محبة الرسول ﷺ، وطاعة الله تعالى: تتمثل في طاعة الرسول ﷺ، ناسب أن يذكر من أحبه الله تعالى، واصطفاهم من الرسل؛ كي نطيعهم ونصدقهم.



﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل؛ للتوكيد.

﴿اللَّهُ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ اصطفاى: اختارهما، والاصطفاء: هو أن تختار من بين الأشياء المتشابهة المتناظرة مثل الناس، أو الجن، أما الاختيار: هو أن تختار من غير المتشابهات مثلاً أن تختار من بين الناس والجن والملائكة.

والاصطفاء هنا: قد يعني: التميز؛ أي: ميّزهم، أو اصطفاهم بالنبوة، أو اختارهم كصفوة خلقه.

اصطفى آدم حتى يكون أباً للبشر؛ حيث خلقه، ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها، وأسجد له الملائكة.

وكيف قال سبحانه: اصطفاه، ولم يكن قبله أحد، أو معه أحد؟

الجواب: اصطفاه أن يكون أول الخلق، وأبا البشر.

واصطفى نوحاً ﷺ أباً للبشر بعد الطوفان، وآدم أباً للبشر قبل الطوفان.

ونوحاً هو: بن لامك بن متوشلخ بن إدريس، وإدريس من ذرية شيث بن آدم.

اصطفى آدم ونوحاً على المؤمنين، وهل اصطفاهم بعد أن رأهم طائعين، أم علم الحق أولاً أنهم سيكونون طائعين فاصطفاهم؟ ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٤٤) لمزيد من البيان ومعرفة الفرق بين الاختيار والاصطفاء والاجتباء.

الجواب: علم الله سبحانه أولاً أنهم سيكونون طائعين فاصطفاهم.

﴿وَأَلَّٰ إِبْرَاهِيمَ وَأَلَّٰ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: الآل: هم الذرية، والأقارب، والأتباع.

وآل إبراهيم تشمل: إبراهيم، وذرية إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب،

والأسباط، ومن اتبع إبراهيم ؑ، ومحمد ﷺ من إسماعيل، وإسماعيل من إبراهيم.

وآل عمران: وعمران: هو والد مريم ؑ، ومنها عيسى ؑ، وآل عمران يشمل مريم، وعيسى، وزكريا، ويحيى.

وامرأة عمران: هي حنة من بني إسرائيل، وهناك عمران آخر هو أبو موسى ؑ وهارون.

وقيل: الزمن بين عمران زوج حنة أم مريم، وعمران أبو موسى وهارون هو (١٨٠٠ سنة)، وبين إبراهيم وموسى (١٠٠٠ سنة)، وبين موسى وعيسى ؑ (٢٠٠٠ سنة).

على العالمين: اختارهما على عالمي زمانهم، وخص هؤلاء بالذكر؛ لأن الأنبياء والرسل كلهم من نسلهم.

[٣٤] ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿ذُرِّيَّةٌ﴾: الذرية في الأصل: الأولاد، ولفظ الذرية يطلق على الواحد، وعلى الجميع، ويطلق على الولد، والوالد.

وذرية: مأخوذة من ذرأ، والذراء؛ يعني: التفريق.

﴿بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾: لها عدة معان:

١ - بعضها من بعض: في توارثها الدين والقيم، آل عمران ذرية من آل إبراهيم، ولا يعني أنساب بالدم، والمسألة ليست مسألة وراثة بالدم، وإنما بالفضل، والقيم، والدين.

٢ - بعضها من بعض: أي: سلالة واحدة، جعل النبوة والرسالة فيهم مثلاً:



آل إبراهيم (هم: إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب)، هم من نسل إبراهيم ﷺ، وإبراهيم من نسل نوح ﷺ، ونوح من آدم ﷺ.

٣ - وذرية بعضها من بعض: قد تعني: الأبناء ذرية الآباء، والآباء ذرية للأبناء، فالولد للوالد ذرية؛ لأنه ذُرِّيُّ منه، وكذلك يجوز أن يقال للأب ذرية الابن؛ لأن ابنه ذُرِّيُّ منه.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: سميع لمن يدعون حقاً، أو باطلاً، أنهم من ذرية هذا النبي، أو ذاك، أو من سلالة هذا، أو ذاك.

عليم: صيغة مبالغة من عالم كثير العلم يعلم من يصلح للاصطفاء، وعليم بالخلق، وعليم بمن هو ذرية من، عليم من هو من ذرية إبراهيم حقاً، وهل اليهود والنصارى من ذرية إبراهيم أم لا.

[٣٥] ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾:

﴿إِذْ قَالَتِ﴾: ظرف زمان، واذكر إذ قالت، أو حين قالت.

﴿امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾: هي أم مريم ﷺ، زوجة عمران كانت عاقراً، لا تلد، ولماذا قال سبحانه امرأت عمران ولم يقل زوجه؟ ارجع إلى سورة القصص آية (٩) للبيان ومعرفة الفرق بين الزوجة والمرأة في القرآن، وهناك ملاحظة أخرى هي كيف تكتب كلمة امرأت أو امرأة بالتاء المفتوحة أو المبسوطة أو المربوطة نجد في هذه الآية كتبت بالتاء المفتوحة (المبسوطة) بينما في الآية (١٢) في سورة النساء كتبت بالتاء المربوطة فقد تبين أنها حين تكتب بالتاء المفتوحة أو المبسوطة تكون مرتبطة بزوجة (أي: لها زوج) وحين تأتي مكتوبة بالتاء المربوطة لا يكون لها زوج أو تنسب إلى زوج. وامرأت عمران قد اشتاقت للولد، فنذرت إن رزقها الله ولداً أن تتصدق به لخدمة بيت المقدس.

﴿رَبِّ﴾: لأن الرب هو المتولي التربية والولادة، والأمور الحاجية، ولم تقل: يا الله؛ لأن هذا النداء نداء من العابد إلى المعبود، فيما يخص التكليف والأوامر التعبدية.

﴿إِنِّي نَذَرْتُ﴾: إنني: للتوكيد، نذرت: النذر هو أمر أريد به الطاعة فوق التكليف؛ أي: يلزم العبد نفسه بشيء زائد عن التكليف المفروضة.

﴿لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾: لك: اللام لام الاختصاص، لك وحدك. ما في بطني: أي: ما أحمله في رحمي من ولد، والمحرر هو العتيق، وأعتقت الغلام حرته؛ ليصبح متفرغاً لعبادتك وحدك، وخدمة بيتك المقدس، غير مملوك لأحد خالصاً لوجهك، ولداً ليقوم على خدمة بيتك وسدنته.

﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي﴾: ودعت الله أن يتقبل هذا النذر، والتقبل أخذ الشيء برضا؛ لأنك قد تأخذ الشيء بكره، أو تأخذه على مضض.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: تؤكد أنه يسمع نذرها، وما قالته.

والسميع: صيغة مبالغة تعني: يسمع كل ما يقال في السر والعلن.

العليم: يعلم نواياها، وما تكن؛ أي: إخلاصها وعزمها على فعل ذلك.

العليم: صيغة مبالغة من العلم، عليم بظواهر وبواطن الأمور.

[٣٦] ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمِيتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للتعقيب، ويدل على النذر كان قريباً من زمن الوضع، ولم يكن في بداية الحمل.

﴿وَضَعْتُهَا﴾: أي: ولدتها، فلماذا لم يقل: ولدت، أو وضعت، وقال:



وضعتها؟ لأنه سبحانه كان يعلم أنها أنثى قبل ولادتها، وكذلك قيل: وضعتها الهاء: تعود إلى امرأة عمران، لا إلى ما ولدت.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ﴾: وكأنها تتعجب، أو تعتذر إلى الله، وتقول ذلك قسراً؛ لأنها كانت ترجو أن ترزق مولوداً ذكراً؛ للقيام على خدمة بيت المقدس، والأنثى في العرف لا تصلح لخدمة البيت.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾: والله أعلم بما وضعت: أمر بديهي، والسؤال لماذا قال ذلك؟ قيل: تعظيماً لمريم عليها السلام، وأنها ستكون أمّاً لعيسى ﷺ، أو لعل هذه الأنثى خير من الذكر الذي تريده.

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾: في هذه الآية: إشارة من رب العالمين إلى أن بنية الأنثى ليست كبنية الذكر، سواء هناك اختلافات تشريعية، وفيزيولوجية، وهرمونية تناسب مهمتها كأم وزوجة، وتغلب الجانب العاطفي فيها غالباً على الجانب العقلي، وكذلك لا تصلح الأنثى لما يصلح له الذكر من ناحية دخول بيت المقدس، والإقامة فيه؛ لما يلحق بالأنثى من الحيض، والنفاس، والولادة، والاختلاط بالناس وغيرها من أمور الفطرة، ولا يعني ذلك بأي حال تقليل من قيمة الأنثى، ودورها الاجتماعي.

وليس: للنفي (غير مقيدة بزم).

﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾: أي: العابدة، وقيل: قد اختارت هذا الاسم؛ للتقرب من الله.

﴿وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾: وإني: للتوكيد، أعيدها بك: أصل التعوذ والاستعاذة بالله الالتجاء إليه، والاستجارة به من وساوس الشيطان ونزغاته، فهي تدعو الله أن يحفظ مريم، ويمنع الشيطان منها، وكذلك ذريتها، والذرية هنا النسل؛ أي: نسلها، والذي سيكون عيسى ﷺ.



ولتذكر حديث أبو هريرة رضي الله عنه الذي رواه البخاري ومسلم: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها»، وفي رواية ثانية: «ما من مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد».

فمن هذه الآية ندرك أهمية الإسراع بهذا الدعاء عند ولادة المرأة، والاستعاذة من الشيطان، كما فعلت امرأة عمران خوفاً من الشيطان، ولقد أدركت امرأة عمران: أن الشيطان هو الذي بوساوسه ونزغاته وتزيينه قد يقف حائلاً، أو عائقاً أحياناً لبعض الناس من القيام بالطاعة والعبودية.

أعيذها: فعل مضارع؛ للدلالة على الاستمرار، والتجدد في الاستعاذة، واللجوء إلى الله تعالى.

﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾: كلمة الشيطان اشتقت من شطن؛ أي: بعد عن الحق، وتمادي في الشر، ومن شاط: احترق، ومن شاطن؛ أي: خبيث.

الرجيم: المرحوم بالشهب، والمرحوم الملعون، والمرحوم المطرود المبعد من رحمة الله تعالى.

[٣٧] ﴿فَنَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾:

﴿فَنَقَبَلَهَا رَبُّهَا﴾: رضي بمریم (كأنثى) في النذر بدلاً من الذكر (الولد)؛ أي: قبل الله مريم برضاً بدلاً من المحرر.

وقبل تسلمها من أمها، وذلك أن أمها جاءت بها بيت المقدس، ووضعها عند الأحبار، وقالت لهم: دونكم هذه النذيرة، فتنافسوا فيها، فقال زكريا: أنا أحق بها عندي خالتها، فقالوا: لا لكننا نقترح عليها، فتكون عند من خرج سهمه، فألقوا أقلامهم فخرج قلم زكريا فوق الماء، ورست أقلامهم، فتكفلها زكريا حينذاك.



القبول: هو أخذ الشيء برضاً؛ أي: بعث لها من يتكفل بتربيتها التربية الحسنة، وهو زكريا.

﴿يَقْبُولُ حَسَنًا﴾: برضاً حسن؛ أي: رضاً زائداً.

﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: رباها ربها تربية حسنة، ونشأت نشوءاً حسناً، وذلك على يدي زكريا. وقال تعالى: (نباتاً) ولم يقل (إنباتاً): لكي يظهر لنا أنها كانت أهلاً لهذا الإنبات لطهارتها وطاعتها لربها، ولو قال إنباتاً: لما كان لها فضل أو مشاركة في الإنبات.

﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾: بوحي من الله؛ للقيام بذلك، وكان زكريا متزوجاً من أخت مريم، فهو زوج خالتها، وكفلها؛ أي: تولى أمر تربيتها، ورعاية شؤونها، وقيل: ضم زكريا مريم إلى خالتها، واسترضع لها حتى إذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محراباً في المسجد لا يرقى إليها إلا بالسلم؛ أي: لا يصعد إليها غيره.

﴿كَلَّمَادَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾: كلما: تدل على كثرة الدخول؛ أي: المرات المتعددة؛ حتى يأتيها بالطعام، والشراب، وقيل: كان يغلق عليها الأبواب.

كلما: مركبة من (كل): ظرف شرطي، و(ما): مصدرية ظرفية؛ أي: هي أداة شرط تفيد التكرار.

المحراب: هو مقدم كل مصلى؛ حيث يقف الإمام، وقيل: المحراب غرفة، أو مقصورة في مقدم المعبد، يُصعد إليها بسلم، واشتقت كلمة المحراب من الحراية، وتعني: محاربة الشيطان، ومحاربة وساوسه التي تكون على أشدها في هذا المكان، مكان الإمام.

﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾: في كل مرة يدخل يجد عندها رزقاً، ورزقاً: نكرة لم

يحدد ما هو الرزق؛ لكثرتة، فهو أجناس متعددة، قيل: من ثمار الجنة فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف.

﴿قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا﴾: أنى؛ أي: من أين لك هذا الرزق؛ أي: مصدره، لا يشبه أرزاق الدنيا؛ لكونه في غير حينه (زمنه)، والأبواب مغلقة عليك، ولا يدخل عليك أحد.

انتبه:

(أنى) هذه تحمل معنى كيف، ومعنى أين، وللاستفهام (فلاستفهام بها أقوى من كيف)، وتحمل معنى التعجب.

﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: أجابت بهذه الإجابة، وهي طفلة صغيرة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: إن: للتوكيد، يرزق من: من استغراقية، من يشاء بغير حساب؛ أي:

- ١ - بغير عد (أي: بغير إحصاء لكثرتة).
- ٢ - بغير حساب أن تنفذ خزائنه سبحانه.
- ٣ - بغير استحقاق للمرزوق (مقابل الإيمان، أو عمل صالح).
- ٤ - من حيث لا يحتسب المرزوق.
- ٥ - يرزقه ولا يُسأل لماذا ترزقه الكثير، أو أكثر من غيره.
- ٦ - وبغير تقتير وتضييق.





الْبَيْتُ الثَّلَاثُ

سُورَةُ الرِّقَةِ ٣

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً
طَيِّبَةً ۚ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ
يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ
اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ
أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ
كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً
قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَآذُكَ
رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ
الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ
عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرَيْمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي
وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ
إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ
مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ
الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾



سورة آل عمران [الآيات ٣٨ - ٤٥]

[٣٨] ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝﴾

﴿هُنَالِكَ﴾: هنا ظرف للزمان، والمكان، الالام: للتأكيد، والكاف: للخطاب؛ أي: في ذلك المكان (المحراب)، والزمان.

﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾: بعد أن رأى رزق الله تعالى لمريم أن يرزقه الذرية الطيبة. دعا ربه: طلب من ربه، والدعاء يكون برفع الصوت وخفضه.

حيث بلغه الكبر وامراته عاقر، وهو بحاجة ماسة إلى ولد صالح يرثه، ويرث من آل يعقوب فلعل الله يستجيب دعاءه.

﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي﴾: الهبة تكون عند السؤال، وتعطى لمن يستحق، أو لا يستحق، والواهب هو الله، ولا ينتظر الرد من الموهوب إليه شيء، فالهبة عطاء بلا مقابل، وليس حقاً على الواهب؛ أي: يهب لمن سأل. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٨٤) لمزيد من البيان في معنى: الهبة.

﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾: وليس منك، من لدنك: خاصة بالمؤمنين والمقربين، أما منك: عامة لكل الناس (المؤمن والكافر).

﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾: والذرية: قد تكون ولداً واحداً، أو أكثر، وليس معناها الكثيرة دائماً، كما يظنون. الطيبة: المباركة الصالحة، ولداً صالحاً مباركاً.



﴿إِنَّكَ سَمِعُ الدُّعَاءِ﴾: قيل: مجيب الدعاء، وقابله، فهو كان يطلب ولدًا يرث منه النبوة، كما بينت ذلك سورة مريم، كما سنرى.

[٣٩] ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾:

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾: الفاء: تدل على التعقيب والمباشرة بعد الدعاء ردت عليه الملائكة.

- هل كل الملائكة نادته، أم عدد منهم، أم جبريل وحده؟ قيل: المراد هنا جبريل ﷺ، والعرب أحياناً تخبر عن الواحد (أو المفرد) بلفظ الجمع؛ للتفخيم، أو نادته جماعة من الملائكة، ونلاحظ في هذه الآية نادته الملائكة جاء بصيغة التانيث، وفي أغلب الآيات يأتي بصيغة التذكير حين يذكر الملائكة، ويجوز التذكير والتانيث من ناحية اللغة، والملائكة لا يعلمهم إلا الله سبحانه الذي خلقهم، ولكن لوحظ من سياق الآيات في القرآن: أن صيغة التذكير تأتي في سياق الأمر، وما يقع منهم من أفعال، أو حين وصفهم وعبادتهم والعذاب، والتانيث في سياق الموت والبشرى والنزول.

- زكريا ﷺ دعا ربه أولاً، ثم قام إلى الصلاة فنادته الملائكة وهو قائم يصلي، ولم تنتظر إلى أن ينتهي من صلاته.

﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ﴾: أشرف الأماكن، وأشرف ما في المسجد مقام الإمام المحراب. ارجع إلى الآية (٣٧)؛ للبيان.

﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿يُبَشِّرُكَ﴾: من البشارة، وهي الإخبار بأمر سار، أو خير قادم زمنه لم يأت بعد، ولأول مرة.

﴿يَحْيَى﴾: بشارة بيحيى، يحيى: اسم أعجمي أو مشتق من الفعل المضارع يحيأ؛ أي: بسلام، فالله سبحانه حدد البشارة.

﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: كلمة من الله هو عيسى ﷺ مصدقاً مؤمناً بعيسى ابن مريم، وقيل: هو أول من آمن بعيسى ﷺ، وسمي عيسى (كلمة من الله)؛ لأنه خلق بكلمة الله تعالى (كن)؛ فيكون.

﴿وَسَيِّدًا﴾: من ساد يسود سيد قومه: أشرفهم، وأصلحهم في الدين، والخلق، والعلم، والعبادة؛ أي: يفوق قومه في جميع خصال الخير.

﴿وَحَصُورًا﴾: الحصر: هو الحبس مع التضييق، وقالوا: الإحصار في اللغة: هو المنع بغير الحبس، والحصر المنع بالحبس وأحصر؛ أي: بسبب مرض أو نفقة أو غيره من الأسباب، وأما الحصر: هو منع وتضييق؛ أي: يحبس نفسه عن شهواتها، أو معصوم من الفواحش، ولا رغبة له في النساء، مع كونه سليماً وصالحاً أن يتزوج إذا أراد.

﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾: من الصالحين؛ لأنه كان من أصلاب الأنبياء، من: ابتدائية، أو من جملة الأنبياء الصالحين.

[٤٠] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾:

قال زكريا: ﴿أَنَّى﴾: تعني: كيف يكون لي غلام، وقد بلغني الكبر، وامراتي عاقرة.

أو من أين؛ أي: هل ستلد زوجتي، أم هل سأزوج امرأة أخرى يأتيها منها الولد، وفيها تعجب، واستفهام، والاستفهام لا يعني أن زكريا يشك في قدرة الله تعالى أبداً، ولكن هو يسأل عن الكيفية.



﴿وَقَدْ﴾: الواو: عاطفة، قد: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿بَلَّغْنِي الْكِبَرُ﴾: أدركني، وأضعفني الكبر، وفي سورة مريم، آية (٨) صرح قائلاً: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾، ويشبه الكبر بأنه إنسان يلاحقه، ويطارده.

﴿وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾: عاقر: من العقر؛ أي: القطع (قطع الرحم لعدم القدرة على الحمل)، والعاقر من الرجال والنساء: الذي لا يأتيه ولد.

وامرأتي عاقر؛ أي: غير قادرة على الإنجاب (سواء أكان السبب الكبر، أو بسبب طبي)، وقد تكون ولدت من قبل، وأصبحت عاقراً، والعاقر يمكن علاجها أحياناً، وتصبح قادرة على الإنجاب.

أما المرأة العقيم، وهذا ما حدث لامرأة إبراهيم ﷺ حين وصفت نفسها بالعجوز العقيم؛ أي: هي لم تلد أبداً، أو عندها عيب خلقي لا يمكن علاجه.

وانتبه إلى قوله: وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر: ولم يقل: وامرأتي عاقر فقط، ولم ينسب إلى نفسه القدرة والصلاح؛ لأن في هذا إساءة إلى شعور المرأة، والأمر هو من قضاء الله وقدره.

وإذا جمعنا هذه الآية مع الآية رقم (٨) من سورة مريم؛ حيث يقول تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾: فهذا يدلنا على أن امرأته كانت عاقراً (في شبابها)، وقوله: وامرأتي عاقر (في آية آل عمران): تعني الآن؛ أي: كانت ولا زالت عاقراً؛ فيدل ذلك على أنها هي السبب في العقم، وفي آية آل عمران قدم نفسه أولاً، ثم امرأته ثانياً: ﴿بَلَّغْنِي الْكِبَرُ وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾، وأما في آية سورة مريم قدم امرأته أولاً ونفسه ثانياً: ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾: هذا التقديم

والتأخير المتعاكس في هاتين الآيتين إن دلَّ فإنما يدل على أدب معاملة الزوجة، وإن كانت عاقراً، فهذا قدر وقضاء رباني يجب عدم اتخاذه وسيلة لإيذاء شعور الزوجة العاقر.

﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يُفَعِّلُ مَا يَشَاءُ﴾: أجابه الله تعالى على لسان الملائكة. كذلك: مثل ذلك (جعلها قادرة على الإنجاب) يفعل الله الكثير من الأفعال؛ أي: سبحانه قادر على أن يصلح له زوجه، كما ورد في الآية (٩٠) من سورة الأنبياء: ﴿وَأَصْلَحَ خَالَهُ زَوْجَهُ﴾، ويفعل ما يشاء، ولا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء.

فلم التعجب، والاستفهام على فعل ذلك.

ولا بد من مقارنة هذه الآية: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يُفَعِّلُ مَا يَشَاءُ﴾؛ التي جاءت في خلق يحيى مع قوله سبحانه: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾؛ التي جاءت في سياق خلق عيسى عليه السلام، ففي شأن يحيى قال تعالى: يفعل الله ما يشاء، وفي شأن عيسى عليه السلام قال تعالى: يخلق الله ما يشاء، فما الفرق؟

الجواب: خلق يحيى عليه السلام يختلف عن خلق عيسى عليه السلام، فالفعل (يفعل ما يشاء) أيسر من الخلق (يخلق ما يشاء)، وجاء ذلك في سياق يحيى عليه السلام (من زكريا وزوجته)، واستعمل الخلق مع عيسى عليه السلام؛ لأن مريم لم يمسهما بشر، وجاء عيسى من مريم بدون زوج.

[٤١] ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَادَّكُرَ رَبُّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾:

﴿قَالَ﴾: زكريا ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾: أي: علامة ستدلني على أن امرأتي



أصبحت حاملاً يستعجل زكريا من شدة فرحته بالبشارة، فيريد أن يعلم الزمن، ويؤكد على أن الوعد بالبشارة يحيى قد أصبح فعلاً.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلا تَكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا﴾: قال: لم يطلعنا من هو القائل، قد يكون جبريل، أو أحداً من الملائكة.

ألا: مركبة من (أن ولا)، أن: التعليلية، لا: النافية.

ألا تكلم الناس: أي: تُمنع من كلامهم إلا رمزاً؛ أي: بالإشارة بيد، أو رأس، أو غيرها، وهذا يسمى فن الإشارة؛ فهو يدل على ما في النفس من معان؛ أي: يحبس لسانك عن الكلام، رغم كونك صحيحاً سوي الجسم ومعافى.

ثلاثة أيام: أي: يدوم ذلك الحبس من الكلام ثلاثة أيام، واليوم في القرآن لا يعني (٢٤) ساعة، وإنما اليوم يعني من طلوع الشمس إلى غروبها؛ أي: حوالي (١٢) ساعة.

وماذا يحدث من الليل قد بينه سبحانه في سورة مريم، آية (١٠) بقوله: ﴿أَلَا تَكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾، فإذا جمعنا الآيتين؛ فالحبس من الكلام سيكون ثلاثة أيام بلياليها.

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾: ورغم كونك غير قادر على الكلام، فلا يمنعك ذلك من الاستمرار في الذكر، والتسبيح الكثير، فذاك عبادة قلبية.

واذكر ربك كثيراً: يعني: الصلاة، والذكر المطلق هو ذكر الله بآلائه، وعظمته، والذكر يتضمن الشكر.

والتسبيح: هو التنزيه لله تعالى عما لا يليق بذاته، وأسمائه وصفاته من كل عيب، أو شرك، أو نقص أو عجز.

بالعشي والإبكار: العشي من زوال الشمس إلى المغيب، والإبكار من طلوع الفجر إلى شروق الشمس.

والتعريف بـ(ال) التعريف في كلمتي العشي والإبكار؛ تفيد في الدلالة على الدوام على الذكر، والشكر، والتسبيح؛ ليتناسب عظم الذكر والشكر والتسبيح مع عظم البشارة بالغلام (يحيى ﷺ)، وكأنه يقول: لا تشغلك النعمة (نعمة الولد) عن ذكر المنعم سبحانه وتعالى، ولا بد من مقارنة هذه الآيات التي وردت في سورة آل عمران مع الآيات التي وردت في سورة مريم؛ ارجع إلى سورة مريم للبيان.

[٤٢] ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾:

هذه الآية تتحدث عن اصطفاءين: اصطفاء أول، واصطفاء ثانٍ، ونرى في الاصطفاء الثاني أتبعه بـ(على) أما الاصطفاء الأول لم يرد فيه (على)، فهو اصطفاء مبهم، على ماذا؟ لم يذكر، فتعال لنرى مفهوم هذه الآية.

﴿وَإِذْ﴾: تعني: واذكر إذ قالت الملائكة، أو حين قالت الملائكة.

﴿قَالَتِ الْمَلَكَةُ﴾: المراد بالملائكة هو جبريل ﷺ. ارجع إلى الآية (٢٩) من نفس السورة؛ للبيان، وقد يكون ذلك على سبيل المجاز (إطلاق الكل؛ أي: الملائكة)، وإرادة البعض؛ أي: «جبريل».

﴿يَمْرَيْمُ﴾: يا: أداة نداء للبعد.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: للتوكيد، الله: اسم الله الجامع لصفاته وأسمائه. ارجع إلى الآية (٢٥٥) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.



﴿أَصْطَفَاكَ﴾: اختارك، أو اجتباك على ماذا؟ لم يذكر سبحانه، ومعنى اصطفاك. ارجع إلى الآية (٣٣) من نفس السورة.

﴿وَطَهَّرَكَ﴾: من الكفر، والفاحشة، والإثم، وطهرتك من مس الرجال.

﴿وَأَصْطَفَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾: بكونك المرأة الوحيدة التي ستلد بدون زوج، وستحمل بدون أن يمسه بشر، وبكلمة كن فيكون.
إذن: الاصطفاء الأول يختلف عن الاصطفاء الثاني.

فالاصطفاء الأول: قال تعالى عنه: ﴿أَصْطَفَاكَ وَطَهَّرَكَ﴾: ولم يقل: على، فقال المفسرون: اصطفاها على إيمانها، وصلاحها من بين النساء.

بينما الاصطفاء الثاني: قال تعالى عنه: ﴿وَأَصْطَفَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾: جاء بعلي؛ أي: حدد فقال على نساء العالمين.

فالاصطفاء الأول يبدو أنه اصطفاء مطلق، ومبهم، وليس خاصاً بها، فقد يشاركها في هذا الاصطفاء غيرها من النساء، أو الرجال في الخلق، والصلاح، والإيمان، وجاء هذا الاصطفاء قبل الحمل بعيسى ﷺ.

إذن: تكرار اصطفاك مرتين؛ لأن كل اصطفاء له ميزاته وهناك من قال أنه كرر ذلك؛ للتأكيد، والله سبحانه أعلم.

[٤٣] ﴿يَمْرِيْمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾:

﴿يَمْرِيْمُ﴾: يا: النداء للبعد، نداء من جبريل ﷺ إلى مريم عليها السلام.

﴿أَقْنِي لِرَبِّكِ﴾: من القنوت، وهو لزوم الطاعة مع الخضوع، وأديمي له الطاعة والخضوع.

لربك: ابتغاء ربك: أخلصي له وحده العبادة، واللام: لام الاختصاص، وتدل على أنها على طريق القنوت، وعليها الاستقامة في السير عليه.

الرب: هو الخلاق، والمربي، والمطعم، والرزاق، والمدير لشؤون خلقه وكونه.

﴿وَأَسْجُدْ﴾: من السجود في الصلاة؛ أي: صلى (من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل)، ويضم سجود الشكر والتلاوة.

﴿وَأَرْكَعْ مَعَ الرُّكْعَيْنِ﴾: صلي مع المصلين، ورغم أن الصلاة للمرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد، ولكن مريم لم يكن لها بيت، أو منزل سوى بيت المقدس، والأصل أن يقول: واركعي مع الراكعات.

أولاً: جاء بصيغة الذكورة؛ لأن الراكعين تشمل الذكور والإناث، وفيه تغلب للذكور على الإناث، ورفع لمنزلة مريم على النساء بأن جعلها في درجة الرجال في قنوتها وصلاتها.

فالقنوت يشمل كل العبادات، فهو أكثر من السجود (الذي هو مرتين في الركعة الواحدة)، والسجود أكثر من الركوع (الركوع مرة واحدة في الركعة الواحدة)، فالتدرج هنا من الكثرة إلى القلة: القنوت - السجود - الركوع.

ثانياً: قدّم السجود على الركوع رغم أن الركوع يسبق السجود؛ لأن السجود أفضل أركان الصلاة؛ لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، والسجود له منزلة عظيمة عند الله تعالى.

وإذا قارنا هذه الآية: ﴿أَفَتُنْفِي لِلرَّيْبِ وَأَسْجُدْ وَارْكَعْ مَعَ الرُّكْعَيْنِ﴾، مع الآية (٧٧) من سورة الحج: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: نجد التدرج في هذه الآية بعكس



ما هو عليه في آية آل عمران فهو تدرج من القلة إلى الكثرة. الركوع-السجود-العبادة - فعل الخيرات.

[٤٤] ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة للبعد وهو إشارة إلى حديث زكريا وامرأة عمران، وما حدث لمريم حين ولادتها.

ذلك يا محمد: ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ من: ابتدائية، أنباء: جمع نبأ؛ أي: أخبار الغيب العظيمة (النبأ هو الخبر العظيم).

﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ الوحي: هو إعلام بخفاء؛ أي: لا أحد يسمع الله سبحانه حين يوحى إلى المرسل إليه، أو إلى بشر، أو إلى الأرض، أو النحل، أو الملائكة. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لمزيد من البيان.

ووسيلة العلم بالنبأ تكون بثلاثة وسائل هي: المشاهدة، أو السماع، أو القراءة.

فالنبأ الذي أخبر الله سبحانه رسوله عن حديث زكريا ومريم وامرأة عمران كان قبل بعثة الرسول ﷺ بعدة قرون طويلة إذن الحدث لم تشاهده.

وأما بوسيلة القراءة فالرسول لم تكن لديه كتب يقرأها، إذن: رسول الله سمع هذه الأنباء من جبريل عليه السلام.

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما: النافية.

﴿كُنْتَ﴾: يا محمد ﷺ.

﴿لَدَيْهِمْ﴾: ظرف مكاني؛ أي: حاضراً عندهم. (ارجع إلى الآية (٣٧)

من نفس السورة؛ للبيان) في قصة كفالة زكريا مريم. لديهم: لدى أحبارهم، أو
أشراف القوم حين تنافسوا على رعاية مريم وتربيتها.

﴿إِذْ ظَفَرُ زَمَانِي لِلْمَاضِي.

﴿يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ﴾: أي: يرمونها يطرحونها للاقتراع (فجاءت القرعة
لزكريا) والقلم هو ما نكتب به.

﴿أَيُّهُمْ﴾: أي: للاستفهام.

﴿يَكْفُلُ مَرِيَمَ﴾: يرعاها ويربها.

﴿وَمَا كُنْتَ﴾: التكرار؛ للتوكيد.

﴿لَدَيْهِمْ﴾: كالسابقة.

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾: يتنازعون في كفالتها مما يدل على حرارة الحب إلى كفالتها
الأمر الذي أدّى إلى إثارة الخصومة والاقتراع بالأقلام، والاقتراع في الإسلام
مباح، وله شروطه.

[٤٥] ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾:

﴿إِذْ﴾: واذكر إذ أو حين قالت الملائكة: ظرفية.

﴿قَالَتِ الْمَلَكَةُ﴾: أي: جبريل ﷺ.

﴿يَمْرَيْمُ﴾: يا: النداء؛ للبعد.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾: البشارة لا تكون إلا بخبر عظيم مفرح، ولأول مرة،



(وإذا استعملت في غير ذلك الغرض؛ تعني: التهكم، والتحقير، مثل قوله: وبشر المنافقين).

﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾: المراد بهذه الكلمة عيسى، وسمي بالكلمة؛ لأنه خلقه بكلمة كن فيكون كما حدث لآدم ﷺ.

﴿أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾: إنها ثلاثة أسماء تتركب من: اللقب والاسم والكنية.

المسيح: هو اللقب، أو صفة، وتعني ما مسح ذا عاهة، إلا برأ منها، أو لأنه كان يسبح في الأرض، ولا يقيم في مكان، أو الممسوح من الذنوب، أو المسيح المبارك، وفي اللغة العربية يستعمل اللقب؛ للمدح، أو الذم.

عيسى: هو الاسم، ويستعمل الاسم في حالة التكليف، أو النداء، أو الشاء، وعيسى قيل: مأخوذة من العيس، وهو: بياض تعلوه حمرة.

ابن مريم: هو الكنية لم يرد ابن مريم لوحده أبداً في القرآن، وفي مقام تصحيح العقيدة يستعمل غالباً المسيح عيسى ابن مريم، أو المسيح ابن مريم، أو عيسى ابن مريم، ولا يمكن أن ينسب الطفل للأم مع وجود الأب.

﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾: وجيهاً: من وجهاء القوم؛ أي: ذا جاه، وقدر، وكرامة، إذا سأل يستحيي الناس أن يردوه خائباً.

وجيهاً في الدنيا: بالنبوة، وذا جاه، وكرامة في الدارين.

والآخرة: بالشفاعة، والمنزلة العالية في الجنة.

ومن المقربين: من: ابتدائية المقربين عند الله سبحانه، رفعه الله إليه.

ورد اسم مريم (٣٤) مرة في القرآن.

ورد اسم عيسى في القرآن حوالي (٢٥) مرة، وكان اسمه كما يلي عيسى ابن مريم (١٤) مرة، المسيح عيسى ابن مريم (٣) مرات، وورد اسم المسيح ابن مريم (٦) مرات، وذكر فقط المسيح (٢).

وسواء المسيح عيسى ابن مريم، أو عيسى ابن مريم، جملة اسمية تفيد الثبوت؛ ليظل هذا الوصف ابن مريم ثابتاً مقررأ في الأذهان إلى يوم القيامة، رداً على من ادعى بالوهمية عيسى ابن مريم، واسم عيسى يأتي في سياق النداء، والتكليف، وفي سياق تعداد الرسل وبشكل عام، بينما يأتي اللقب المسيح في سياق الشاء والعقيدة، (والمسيح معناها المبارك)، ويأتي ابن مريم في سياق الوجدانية، أو الشرك، أو الإلوهية، أو الولد، أو تصحيح العقيدة.





البقرة الثالثة

سورة البقرة الآية ٣

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ
أَلَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾
وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ
فِي بُيُوتِكُمْ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ
بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ
الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾



سورة آل عمران [الآيات ٤٦ - ٥٢]

[٤٦] ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾: في المهد: مضجع الصبي، وهو رضيع.

في: ظرفية مكانية وزمانية في زمن الرضاع، وهو في مهده.

يكلم الناس: لتبرئة أمه مما قُذفت به، ولإيد بدون أب؟ فقد اتهمها المفترون بعرضها، وكرامتها، وعفتها، ولم يُبين في هذه الآية ما كلمهم به في المهد، ولكنه بيّنه في سورة مريم (٣٠-٣٣) فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ﴾.

وعيسى عليه السلام كان واحداً من بين عدة أطفال تكلموا قبل أوان الكلام، كآية أو معجزة، من آيات الله الدالة على قدرته سبحانه وعظمته.

﴿وَكَهْلًا﴾: الكهولة المرحلة بين الشباب والشيخوخة، وقيل: بعد سن الثلاثين، وقيل: الكهل من تجاوز سن (٣٠)، والبعض قال: سن الأربعين؛ أي: حال كونه كهلاً يكلمهم بالوحي، ويدعو الناس إلى الإيمان.

وسمي الكهل كهلاً: لاجتماع قوته، وكمال شبابه، واشتقت من: اكتهل النبات، أو حين تبدأ شعرات الشيب تظهر لأول مرة في الرجل العادي الصحيح. وكهلاً كما قال ابن عباس عليه السلام؛ أي: يكلم الناس بعد نزوله من السماء، وعودته بعد أن رفعه الله عز وجل إليه يكلم الناس يدعوهم إلى الإسلام، ويخبرهم بالحق، وأنه لم يصلب، وأنه رسول الله سبحانه.

﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: في أعمالهم، والمخلصين في دينهم، والصلاح، يعني:



الاستقامة في جلب الخير ونشره، والتخلص من الشر والفساد في الأرض،
والالتزام بما أنزل الله ورسوله ﷺ.

[٤٧] ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾:

﴿قَالَتْ﴾: مريم ﴿رَبِّ﴾: حذفت ياء النداء؛ لكونها تعلم أن الله قريب
بعلمه منها، وهو أقرب إلينا من جبل الوريد.

﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾: أنى: من أين وكيف، وللاستفهام
والتعجب من أن يكون لها ولد.

﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾: لم: حرف نفي، يمسسني: أي: لم يقربني زوج،
والمس هو الجماع.

﴿بَشَرٌ﴾: سمي الإنسان بشراً؛ لظهورهم بعكس الجن، ومشتقة من البشرة
ظاهر جلد الإنسان. ارجع إلى الآية (٧٩) من نفس السورة؛ للبيان.

﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾: تأكيداً لما قالت عن إنجاب عيسى دون أن يمسسها بشر،
كذلك هو الأمر، أو كما قلت.

﴿اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾: ولم يقل: يفعل الله ما يشاء، كما في سياق زكريا،
ويحيى. ارجع إلى الآية (٤٠) من نفس السورة؛ أي: الحق سبحانه قادر على
أن يخلق ما يشاء، والخلق أصعب من الفعل؛ الفعل أيسر من الخلق، وهذا في
ميزان البشر، أما بالنسبة لله سبحانه ليس في ميزانه صعب وسهل، فالكل سهل لا
يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

- من تراب.

- أو من ذكر وأنثى.

- أو من أنثى بدون ذكر.



- أو من ذكر بدون أنثى.

﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة مريم؛ للبيان.

ومن الجدير بالذكر: أن الملائكة لم تخبرها أنها ستلد ولداً بآب، أو غير أب، ويبدو أنها هي بذكائها استخلصت ذلك من تبشير الملائكة لها، وقيل: إن الذي خاطبها هو جبريل ﷺ.

ولنقارن هذه الآية (٤٧) مع الآية (٢٠) من سورة مريم:

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾: ففي الآية (٤٧) قالت: ولد، وفي الآية (٢٠) من سورة مريم) قالت: غلام، والغلام يطلق على الذكر، وأما بالنسبة للعمر اختلف فيه؛ قيل: على الغالب المرحلة قبل سن البلوغ، وقد سميت إلى سن البلوغ.

فما هو الفرق بين الآيتين، آية آل عمران، قيل: جاءت في سياق البشارة، وقبل الحمل بزمان غير معلوم، فهي لا تعلم هل هو ذكر أم أنثى، فقالت ولد، والولد يحتمل أن يكون ذكراً أو أنثى.

أما في سورة مريم جاءت في سياق بدء الحمل جاءها جبريل ليخبرها أن الحمل سيبدأ، وقال لها جبريل: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾: عندها أجابت بنفس الكلمة ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾، غلام يعني: ولد.

[٤٨] ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾:

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾: أي: الكتابة والخط.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: الفقه بالأحكام الشرعية، والدين، وحسن التدبير، وقد تعني: النبوة.

﴿وَالتَّوْرَةَ﴾: كتاب موسى ﷺ.



﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾: الكتاب الذي سينزل عليه، وقد تلقى الإنجيل من جبريل حين كان عمره (٣٠ سنة)، وقيل: تلقاه على جبل يسمى جبل الزيتون، والإنجيل معناه: البشارة.

[٤٩] ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُم مِّنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: أي: أبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل ودائماً كقاعدة عامة حين يأتي من يدعي أنه رسول، أو يقول: أنا رسول من عند الله سبحانه لا بد من أن يقدم بين يدي دعواه معجزة، أو آية تثبت أنه رسول من الله، كما فعل موسى بالعصا، واليد، وغيرها، وصالح جاء بالناقة، فلا بد من آية يأتي بها؛ للدلالة على صدقه ونبوته.

﴿أَنِّي﴾: أن جاءت للتوكيد.

﴿قَدْ﴾: للتحقيق، وزيادة التوكيد.

﴿جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: الآية هنا معجزة من ربكم، وقال ربكم ليجلب قلوبهم فيؤمنوا مع العلم أنه ﷺ جاءهم بكثير من الآيات (إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص)، وغيرها، ولكنه جمعها بآية واحدة؛ لأنها من جنس واحد كلها تدل على نبوته فمن يؤمن بآية يؤمن ببقية الآيات؛ للدلالة على نبوته، والذي لا يؤمن بآية لا يؤمن بغيرها.

﴿أَنِّي﴾: للتكرار والتوكيد.

﴿أَخْلَقْتُ لَكُم مِّنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾: أولاً: يجب الانتباه إلى أن هذا كلام عيسى عليه السلام؛ فيه: جاء بصيغة التذكير، والضمير يعود على الطين قبل أن يكون طيراً، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١١٠) في سورة المائدة قال تعالى:

﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا﴾ جاء بصيغة التأنيث، فهذا الكلام جاء في سياق يوم القيامة، وسياق تعدد نعمه على عيسى ﷺ، وهو كلام الله سبحانه، وليس كلام عيسى ﷺ، وقد سبق حين كان في الدنيا أن صنع من الطين طيراً، والطير قد يكون مفرداً أو جمعاً، ففيه إخبار عن وقوع الفعل سابقاً، والضمير فيها يعود على الطير التي سبق أن نفخ فيها.

﴿فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: أي: بأمر من الله تعالى، ومشيئته، وقوله بإذن الله: حتى لا يظن أحد أن الله سبحانه هو عيسى ابن مريم ﷺ، ففي هذه الآية عيسى ﷺ يخاطب قومه عن معجزاته، فيقول: بإذن الله، ولا يجوز أن يقول: بإذني.

- وقال: بإذني في آية (١١٠) في سورة المائدة؛ لنفي الألوهية عن عيسى ﷺ.

والنفخ في كلا الحالتين ليس هو بحد ذاته المعجزة، وإنما المعجزة الحقيقية هي تحول الطير الجامد إلى طير يتحرك، ويطير بجناحيه.

وفي كلا الآيتين تم الأمر بإذن الله، أو بإذني (التي تعود إلى الله).

﴿وَأُتْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾: البرء: هو الشفاء؛ أي: أشفى.

الأكمه: هو الذي يولد أعمى؛ أي: العمى الجنيني الذي يحدث زمن الحمل، وتشكل الجنين فهو أكثر صعوبة في الشفاء من العمى المكتسب الذي يحدث بعد زمن الولادة.

والأبرص: وهو فقدان الجلد للون البشرة، فيصبح الجلد مصاباً ببقع بيضاء متناثرة، وهذا مرض سببه نقص في هرمون الميلانين، وهو مرض يصيب قسماً من الغدة النخامية؛ فيؤدّي إلى فقدان لون البشرة، وخص الله تعالى هذه الأمراض؛ لأنها كانت شائعة عندهم وجاء ذكر البرص في التوراة.



﴿وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ يَٰذَا ذِي الْقُرْآنِ﴾: وإحياء الموتى معجزة خارقة لم يتطرق إليها أحد منذ عيسى، ولم يدق بابها عالم حتى الآن.

﴿وَأَنْبِئْكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾: الأمور الثلاثة السابقة كانت عامة للكل، أما الإنباء بألوان الطعام، وما يدخر كل إنسان في بيته، وما يأكل هذه أمور خاصة جداً لا يعلمها إلا علام الغيوب.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾: ما ذكر سابقاً عدد من الآيات وليس آية واحدة، فكيف جمعها في آية واحدة، فقال: إن في ذلك لآية؛ لأن من يؤمن بآية يؤمن بكل الآيات الأخرى، والذي لا يؤمن بآية لا يؤمن بكل الآيات، والآيات (المعجزات) السابقة كلها تدل على نبوة عيسى ﷺ.

إن: للتوكيد، لآية: اللام: لام لزيادة التوكيد، إن: شرطية، كنتم مؤمنين: مصدقين بآيات الله الباهرة، ودليلاً قاطعاً على صدق رسالتي ونبوتي.

[٥٠] ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾:

﴿وَمُصَدِّقًا﴾: موافقاً، أو مطابقاً لما جاء في التوراة.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾: جئت مصدقاً لما نزل قبلي من التوراة.

﴿وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾: وجئت لأحل (اللام: لام التعليل) أحل لكم (خاصة) بعض الذي حرم عليكم من الطيبات. فقد حرم الله سبحانه سابقاً على بني إسرائيل ما جاء في سورة الأنعام، الآية (١٤٦) حيث قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾.

وذلك بسبب ظلمهم كما ورد في سورة النساء، آية (١٦٠): ﴿فَظَلَمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾.

﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: الباء: للإلصاق، تعني: وجئتكم بآية بعد آية من ربكم شاهدة على صدقي؛ أي: بآيات كثيرة، ولكنه وحَّد الكل؛ لأن الكل من جنس واحد.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾: الفاء: للتوكيد، اتقوا الله: أطيعوا أوامرهم، وتجنبوا نواهيه، وأطيعون (فيها حث على التقوى والطاعة)؛ أي: طاعة عيسى ﷺ أيضاً.

[٥١] ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾:

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد، فهذا عيسى ﷺ يثبت الربوبية والألوهية والعبودية لله سبحانه، وفي آية الزخرف (٦٤) يزيد بكلمة: هو ربي وربكم؛ لزيادة التوكيد، والسبب في زيادة هو في آية الزخرف؛ لأن سياق الآيات في الحديث عن ألوهية عيسى ﷺ. ارجع إلى سورة الزخرف، آية (٦٤)؛ لمزيد من البيان.

[٥٢] ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: تدل على التعقيب والمباشرة. لما: ظرف للزمان الماضي بمعنى: حين.

﴿أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾: الحس: هو أول العلم؛ أي: علم من أول وهلة كُفر بني إسرائيل، وأحس؛ أي: علم علماً لا شبهة فيه علم إدراك؛ أي: علم يقيناً، أو بكل تأكيد.

فلما أحس عيسى كُفر بني إسرائيل، واستمرارهم في الضلال عندها:

﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي﴾: من اسم استفهام؛ أنصار: جمع نصير فيه مبالغة وتأكيد يدل على الثبوت، وفي سياق نصره الرسول عيسى، ونصرة الله سبحانه، وأضاف إليها ياء المتكلم؛ أي: نصر حقيقي تام وليس جزئي.



﴿قَالَ الْخَوَارِثُوتُ﴾: قيل: كانوا اثني عشر رجلاً، وسموا الخواريين:

١ - أي: الخواص الأصفياء؛ أي: أصفياء عيسى، أو خاصة عيسى، والخواريون في اللغة؛ أي: الذين أخلصوا، ونقوا من كل عيب.

٢ - أو سموا بذلك: لبيض ثيابهم.

٣ - أو لأنهم كانوا يحورون ثيابهم؛ أي: يبيضونها، ويقال لهم: القصارون بسبب ذلك.

٤ - وقيل: الخواريون المجاهدون.

٥ - والخواريون الصيادون، قيل: كانوا يصطادون السمك.

٦ - وقيل: كلمة الخواريين مأخوذة من الحور شدة بياض العين، وشدة سوادها، وهم جماعة أشرقت وجوههم بنور الإيمان.

﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾: أي: أعوان دينه، فهم أول من آمن بعيسى ﷺ.

﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾: فقد أعلنوا إيمانهم لله أولاً بعد أن أبلغهم عيسى ﷺ الرسالة.

﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: ثم جاء من بعد ذلك طلبهم الشهادة، وطلبوا من عيسى ﷺ بأن يكون شاهداً على شهادتهم، بأنهم مسلمون؛ أي: موحدون ومخلصون، والشهادة ليست مجرد قول، بل عقيدة، وعملاً، وأحكاماً.

ولم يقولوا: نحن أنصارك إلى الله؛ لأن هذا يعني: نحن أنصارك، ومتى مُتْ تنتهي النصر، وينتهي الأمر، ولذلك قالوا: نحن أنصار الله سواء كنت معنا أم لم تكن، وهكذا تكون عقيدة المسلم.

لنقارن هذه الآية من سورة آل عمران: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُوتُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، مع الآية (١١١) من سورة المائدة: ﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْخَوَارِثِوتِ أَنَّ ءَامِنُوا بِرِسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾:

لماذا قالوا في آل عمران: (بأننا مسلمون)، وفي المائدة: (بأننا مسلمون)؟
أكدوا بنون التوكيد بقولهم: بأننا.

الجواب: أولاً: آية آل عمران جاءت رداً لعيسى ﷺ على سؤاله من أنصاري
إلى الله.

أما آية المائدة: فجاءت رداً لله تعالى على أن يؤمنوا به، وبرسوله،
والمخاطب هو الله سبحانه؛ لذلك جاء التأكيد بنون النسوة في كلمة بأننا، أما في
آية آل عمران: فالمخاطب هو عيسى ﷺ، وليس الله سبحانه، ولذلك قالوا: بأننا؛
أي: أكدوا لله تعالى على إسلامهم أكثر مما أكدوا لعيسى ﷺ.

ثانياً: آية آل عمران: جاء في آخر دعوته التي قيل: دامت ثلاث سنين قبل
رفع عيسى إليه تعالى.

وآية المائدة: جاءت في سياق بدء الدعوة، وإذا أوحيت إلى الحواريين أن
آمنوا بي وبرسولي فهم أكدوا إسلامهم في بدء الدعوة، أما في آخر الدعوة لا
يحتاج إلى توكيد، فهم مسلمون منذ زمن طويل.

ثالثاً: آية آل عمران: جاءت في سياق الدعوة إلى الانضمام إلى أنصار الله.

آية المائدة: جاءت في سياق تعداد النعم للحواريين.





سُورَةُ الرَّعَدِ ٣

سُورَةُ الرَّعَدِ

رَبَّنَا أَمَّا بِنَا أُنْزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكُرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ
الْمَكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ كَفَرُوا
إِلَيَّ وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ
فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ
فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ
كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا
لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾
ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ
مِثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ
لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾
فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ
ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾

سورة آل عمران [الآيات ٥٣ - ٦١]

[٥٣] ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾:

هذا تتمّة قول الحواريين: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ﴾: الباء: للإلصاق، ما: اسم موصول، آمنا بما أنزلت على عيسى ﷺ؛ أي: الإنجيل، وما فيه من عقائد وتشريعات وأحكام.

﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾: عيسى ابن مريم.

﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾: الفاء: للتوكيد، الشاهدين لك بالوحدانية، والشاهدين على رسولك بالصدق، والشاهدين لرسولهم بأنهم بلغوا الرسالة.

[٥٤] ﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾:

﴿وَمَكْرُؤًا﴾: من المكر، وكلمة مكر: مأخوذة من الشجر الملتف أغصانه على بعضها البعض، فلا يستطيع الإنسان أن يعرف أي ورقة من أي فرع. فالمكر هو: تدبير خفي؛ لإيقاع الضرر بالغير، ويحتاج إلى خبرة، وحنكة، وهو علامة على الضعف؛ لأن القوي لا يمكر، ولكن يواجه الأمر. ارجع إلى الآية (٤٦) من سورة إبراهيم؛ لمزيد من البيان.

والمكر غير الخداع، فالخداع: هو إظهار للشخص خلاف ما هو الحقيقة؛ كي يستر عنه وجه الصواب، أو الحقيقة؛ لجلب منفعة، أو دفع مضرة.



ومكروا: تعود على كفار بني إسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر،
ومكروا ليقتلوا عيسى ﷺ.

﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾: بأن رفع الله سبحانه عيسى إلى السماء، وألقى شبه عيسى
على الذي مكر بعيسى، فأخذوا الذي ألقى عليه شبه عيسى؛ فقتلوه، وصلبوه،
وظنوا أنهم قتلوا وصلبوا عيسى.

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾: سبحانه الغني عن أن يوصف بهذا الوصف؛ فالله
سبحانه لا يمكر ولا يحتاج إلى المكر، وإنما ذكر ذلك عن طريق المشاكلة
في بديع اللغة، والمكر من الله: هو المجازاة؛ أي: هو أحسن المجازين؛ أي:
المحاسبين للماكرين، أو أحسن المدبرين لإنقاذ أوليائه، وإهلاك أعدائه.

[٥٥] ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا مَنَاحُكَ وَرَأَيْكَ وَإِنَّكَ مِنَ الْكَافِرِينَ كَفَرُوا
وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾:

﴿إِذْ﴾؛ أي: اذكر إذ: ظرف زمان؛ أي: اذكر إذ قال، أو حين قال.

﴿قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى﴾: حين ينادي الأعلى الأدنى باسمه المجرد: يا عيسى
(ولم يقل: يا عيسى ابن مريم) هذا النداء فيه نوع من التحجب، والقربى، وحين
يكون النداء من الأدنى إلى الأعلى باسمه المجرد يعتبر غير لائق.

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: إني: للتأكيد.

متوفيك: من الوفاة، والوفاة لها معانٍ متعددة.

١ - منها المرحلة التي تسبق الموت، وقبض الروح، الموت: كقوله تعالى: ﴿قُلْ

يَنفُكُكُمْ مِّلْكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

٢ - ومنها النوم: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾

[الزمر: ٤٢]؛ أي: منيمك ورافعك إليّ.

٣ - ومنها أخذ الشيء وافيأ؛ أي: قبضه، أو مثل استوفى دينه؛ أي: استرد دينه

وافيأ؛ أي: مستردك يا عيسى ورافعك إلي وافيأ تاماً من غير أن ينال منك

عدوك شيئاً.

﴿وَرَافِعَكَ إِلَيْنَا﴾: الرفع الصعود، أو العروج، والواو: تدل على الترتيب،

فالوفاة أولاً، والرفع ثانياً، وإذا كانت لا تدل على الترتيب ربما حدث الرفع أولاً،

ثم الوفاة ثانياً.

﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: مُبْعِدُكَ، ومبرئك من أقوال وأفعال

الذين كفروا.

﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: اتبعوك: تشمل كل

من صدق بك وبرسالتك، اتبعوا المنهج الحق.

فوق الذين كفروا: الفوقية هنا بالحجة، والبرهان، أو القوة والغلبة إلى أن

يأتي يوم القيامة. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٦)؛ لبيان معنى الذين كفروا.

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلَفُونَ﴾: ثم: للترتيب

والتراخي، إليّ مرجعكم يوم القيامة فأحكم بينكم في أمر عيسى ﷺ، أو فيما

اختلفتم فيه من الأحكام في دنياكم، ومن هو على الحق، ومن هو على الباطل.



فأحكم بينكم وما هو الحكم؟

أخبر عنه في الآيتين القادمتين (٥٦، ٥٧).

[٥٦] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾:

فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا (بالقتل والذل والبأساء والضراء)، والآخرة (بالنار)، وما لهم من ناصرين: جمع ناصر أقل مبالغة وتأکید من أنصار، وجاء لنفي النصرة عن الكافرين؛ أي: ناصرين يشفعوا لهم، أو يمنعوا عنهم العذاب في الدنيا والآخرة.

قدّم جزاء الذين كفروا على الذين آمنوا؛ لأنه سبقها الكلام عن الذين مكروا وكفروا وآخر الذين آمنوا وذكرهم في الآية (٥٧).

وأسند التعذيب إلى نفسه سبحانه (استعمل ضمير المتكلم) فأعذبهم؛ للدلالة على التحذير، وشدة العذاب، فهو سيعذبهم بنفسه.

[٥٧] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: بعيسى وصدقوا به، وآمنوا بالله وحده، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

﴿فَيُوَفِّيهِمْ﴾: تتناسب مع متوفيك، واستعمل ضمير الغائب فيوفيههم ﴿أُجُورَهُمْ﴾: كاملة غير منقوصة.

وفي قراءة أخرى: فنوفيههم أجورهم.

الأجر: يكون مقابل العمل، ولا يستخدم الأجر إلا في النفع (يأتي بمعنى النفع).

وفي هذه الآية لم يذكر ما أعمال هؤلاء الذين آمنوا، وإنما ذكر فقط صلاحهم وإيمانهم، ولذلك أعقبها بقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: هنا عاد وأكد أنه سبحانه لا يحب الذين ظلموا وكفروا والذين أصبح الظلم صفة ثابتة عندهم. [٥٨] ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة، والكاف: للخطاب، اسم إشارة يشير إلى المذكور من أمر عيسى والحواريين.

﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾: نتلوه عليك يا محمد ﷺ عن طريق تلاوة جبريل عليك. ونتلوه: النون: نون الجمع أو العظمة، وتدل التلاوة على التشريف، وكذلك آية من آيات صدق نبوتك.

﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾: آيات القرآن والدالة على صدق نبوتك ورسالتك.

﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾: أي: القرآن، والذكر في اللغة: يعني عدم النسيان، والحفظ، ويحمل معنى الشرف؛ أي: ذي شرف، فهو كتاب الله العزيز ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢]؛ أي: محفوظاً أعظم القدر؛ فيه تذكير بما تضمن من أحكام ومواظ وقصص وترغيب وترهيب.

الحكيم: صفة للقرآن مشتقة على وزن فعيل؛ لكثرة حكمه، وحكيم معناها: المحكم؛ أي: هو محكم وكثير الحكمة. ارجع إلى الآية (١) من سورة هود؛ لمزيد من البيان.



[٥٩] ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾: نزلت هذه الآية في وفد نجران حيث قالوا لرسول الله ﷺ: أتقول أن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً من غير أب؟

فأنزل الله تعالى هذه الآية؛ أي: كون عيسى خلق من غير أب، كمثل آدم خلقه من غير أب، ولا أم.

﴿ثُمَّ﴾: للتراخي والمهلة، أو تباين صفة الخلق من تراب، والخلق من أم بدون أب.

﴿قَالَ﴾: الله سبحانه وتعالى: ﴿لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: ﴿كُنْ﴾: فعل أمر، الفاعل ضمير مستتر تعود على الله، فالهاء تعود على آدم، أو عيسى. فيكون: الفاء عاطفة نسبية، يكون: فعل مضارع لم يقل فكان قال فيكون، جاء بصيغة المضارع؛ للدلالة على حكاية الحال.

استحضاراً للصورة تكونه. ارجع إلى سورة مريم، آية (٣٥).

[٦٠] ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾:

﴿الْحَقُّ﴾: خبر مبتدأ محذوف تقدير هذا الحق من ربك، أو هو الحق من ربك.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتأكيد، لا: ناهية.

﴿تَكُنْ﴾: ولم يقل: فلا تكونن، أو فلا تك من الممترين.

﴿الْمُتَرِّينَ﴾: والامتراء: هو الجدال بالباطل بعد تبين الحق؛ أي: لا تجادل وفد نجران أو غيرهم بشأن عيسى بعد أن تبين لك الحق من ربك. ولنقارن آية البقرة (١٤٧)، وآية آل عمران (٦٠)، وآية الأنعام (١١٤)، وآية يونس (٩٤)، (٣) آيات: فلا تكونن، وآية واحدة تكن.

آية البقرة (١٤٧): ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَرِّينَ﴾.

آية آل عمران (٦٠): ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَرِّينَ﴾.

آية الأنعام (١١٤): ﴿أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَرِّينَ﴾.

آية يونس (٩٤): ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَرِّينَ﴾.

في آية البقرة: جاءت في سياق تحويل القبلة وما صاحب ذلك من ارتجاف شديد في قلوب المؤمنين حتى أن ضعاف الإيمان ارتدوا، وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله، فالأمر هذا يحتاج إلى تأكيد، فأكد بالنون الثقيلة، فقال: فلا تكونن.

وفي آل عمران: جاءت في سياق عيسى وخلقه، وليس هناك فيه خلاف أنه خلق من غير أب، وبكلمة كن فيكون، وإرجاف كما هو الحال في تحويل القبلة، فقال: فلا تكن بدون نون.

وفي الأنعام: جاءت في سياق التكذيب بالرسول، وعدم الإيمان، فلا بد من التوكيد، فجاء فلا تكونن.

وفي يونس: جاءت لإزالة الشك مما أنزلنا إليك، فلا بد من التوكيد بالنون، وأضيف إلى ذلك اللام وقد.



[٦١] ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: عاطفة، من: شرطية.

﴿حَاجَّكَ﴾: من المحاجة: الحوار بالحجة؛ أي: كل طرف يأتي بما لديه من الحجج والبراهين التي تؤيد رأيه لمحاولة الوصول إلى الحق، والمحاجة تكون عادة بين حق وباطل، ولا يمكن أن تكون بين حق وحق، أو باطل وباطل.

﴿فِيهِ﴾: في شأن عيسى عليه السلام.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية.

﴿مَا﴾: للتوكيد.

﴿جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: عن طريق الوحي، ولم يؤمنوا (وفد نجران، أو غيرهم من الكافرين)، بما جاءك من العلم بأمر عيسى عليه السلام، وأن عيسى ليس إلهاً، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة، وغيرها...

﴿فَقُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿تَعَالَوْا﴾: هلموا أقبلوا.

﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾؛ أي: كلا الفريقين يدعوا أعزة الأهل من الأبناء والنساء، وأنفسنا وأنفسكم.

ولماذا أعزة الأهل من الأبناء والنساء كان يكفي أنفسهم؟ لأن هؤلاء أهم الأقارب الذين يصعب أن يُضحى بهم أي إنسان، ويزرع في قلوبهم الخوف؛ لأنهم ظهرت عليهم علامات الاستكبار والغلو.



﴿ثُمَّ نَبَيِّتُ﴾: من المباهلة: تختلف عن الدعاء؛ تعني: اجتماع فريقين من الناس يدعون على الظالم، أو الكاذب من بينهما أن تنزل عليه اللعنة، ويتضرعون ويبالغون في الدعاء (وتسمى الملاعنة)؛ لاستئصال اللعنة على الكاذب، مثل: يا رب أنزل لعنتك على الكاذب منا، أو التداعي باللعن، ويقال: بُهله الله عليه؛ أي: لعنه الله عليه.

يقف كل طرف في موقف واحد، وكل طرف يدعو الله أن يلعن الطرف الآخر، فالله هو القوة الظاهرة التي تنهي الخلاف.

وقد دعا رسول الله ﷺ وفد نجران إلى المباهلة، فخافوا على أنفسهم، ولم يجرؤوا على المباهلة، ورفضوا المباهلة، ولو باهلوا لهلكوا جميعاً.





الجزء الثالث

سورة النحل

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾
قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي
إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ إِلَّا نَجِيلٌ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حُجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ
عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ
حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنْ أَوَّلَى النَّاسِ
بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ
وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰ أَهْلَ
الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾



سورة آل عمران [الآيات ٦٢ - ٧٠]

[٦٢] ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَبِئْسَ اللَّهُ لِهَوِّ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾:

﴿إِنَّ هَذَا﴾: للتوكيد، هذا: الهاء: للتنبيه، وذا: اسم إشارة يفيد القرب.

﴿لَهُوَ﴾: اللام: للتوكيد، وهو: للحصر والقصر.

﴿الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾: مصدر قص يقص، وما يرويه الله سبحانه يسمى القصص

لا خيال فيه ولا كذب. ارجع إلى سورة يوسف، آية (٣)؛ لمزيد من البيان.

والحق: الثابت الذي لا يتغير بأن خلق عيسى ﷺ كخلق آدم ﷺ، وعيسى

ليس إلهاً، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة، وأن الله رفعه إليه.

﴿وَمَا مِنْ﴾: من: الاستغراقية التي تستغرق كل إله مهما كان نوعه، فلا

المسيح، ولا أمه، ولا الملائكة، ولا عزيز، ولا جبريل آلهة.

﴿إِلَهٍ﴾: معبود.

﴿إِلَّا اللَّهُ﴾: إلا الله حصراً وقصراً.

﴿وَبِئْسَ اللَّهُ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لَهُوَ﴾: اللام: لزيادة التوكيد، هو: ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد.

﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي الذي لا يُغلب ولا يُقهر، ولا يناله أحد بضر، أو سوء،

عزيز المنعة والقوة.



﴿الْحَكِيمُ﴾: في تدبير خلقه، وشأنه، وتشريعه، ذو الحكمة البالغة. ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان، والآية (١٢٩) من سورة البقرة. [٦٣] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: عاطفة، إن: شرطية تفيد الشك، أو احتمال الحدوث. ﴿تَوَلَّوْا﴾: التولي: الابتعاد، وهو أشد من الإعراض؛ أي: لم يقبلوا المباهلة، ولم يقرأوا بالوحدانية.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، إن: للتوكيد. ﴿اللَّهُ عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من علم (كثير العلم) مطلع ومحيط، وخبير، وبصير بالمفسدين.

﴿بِالْمُفْسِدِينَ﴾: الباء: للإلصاق، المفسدين: تشمل المشركين الكافرين، والظالمين والمجرمين وغيرهم؛ لأن الشرك والكفر هو أعظم الفساد في الأرض، ولم يقل: عليم بالمعرضين؛ لأن المعرضين عن الإيمان بوحدانية الله من المفسدين. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥١)؛ لمزيد من البيان.

[٦٤] ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِلَّا نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ، أو الخطاب موجه إلى الدعاة. ﴿يَتَاهَلِ الْكِتَابُ﴾: يا: أداة النداء للبعيد، أهل الكتاب: أي: اليهود والنصارى (والكتاب: التوراة والإنجيل)، يا أهل التوراة والإنجيل، ونداؤهم بأهل الكتاب فيه شيء من المدح مقارنة بقوله: يا أيها الذين أوتوا نصيباً من الكتاب.



﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾: هلمُّوا وتعالوا معنا إلى كلمة سواء فيها دعوة إلى العلو والسمو للنطق بكلمة التوحيد لا إله إلا الله؛ أي: ذات عدل وإنصاف نأخذ بها، وأنتم تأخذون بها؛ أي: نتبعها جميعاً، وهي لا إله إلا الله وحده، ولا نعبد إلا الله وحده.

﴿أَلَا﴾: أن: مصدرية تفيد التعليل، لا: النافية.

﴿نَعْبُدُ﴾: نؤمن ونطيع.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿اللَّهُ﴾: وحده.

﴿وَلَا﴾: الواو عاطفة، لا: النافية، وتكرار لا: يفيد زيادة التوكيد.

﴿شُرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾: به: تعود على الله سبحانه، شيئاً: جاءت بصيغة نكرة؛ أي: لا نتخذ معه من لا يستحق أن يكون رباً، وليس عنده مقومات الألوهية أو الربوبية؛ كعيسى عليه السلام، أو أحد من خلقه، أو أيّ وثن، أو صنم، أو شمس، أو قمر، أو ملك، أو ولي، أو أي شيء مهما كان.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: النافية.

﴿يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾: يتخذ: الاتخاذ هنا تفيد، أو تستعمل في الشيء الذي لا أصل له، ولا صحة.

يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً: أي: أن نجعل أحبارنا ورهباننا أرباباً؛ أي: ننزلهم منزلة الرب، فنقبل تحريمهم، أو تحليلهم لما لم يحرمه الله، أو لما لم يحلله.

أرباباً: جمع رب، وهو السيد المربي المطاع فيما يأمر وينهى.



﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله، أو سواه، فلا نشرك بالله شيئاً، ولا نتخذ بعضنا بعضاً أرباباً، لا هذه ولا تلك، ولا كليهما معاً.

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: عاطفة، إن: شرطية.

﴿تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا، ورفضوا الكلمة، كلمة التوحيد.

﴿فَقُولُوا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط.

﴿أَشْهَدُوا﴾: اعلموا.

﴿يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ﴾: يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ مخلصون لله وحده، وبأنه لا إله إلا الله وحده.

[٦٥] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

نداء آخر إلى أهل الكتاب. ارجع إلى الآية السابقة (٦٤).

﴿لِمَ﴾: استفهامية، وفيها معنى الإنكار، والتعجب.

﴿تُحَاجُّونَ﴾: تأتون بحجج باطلة، والحجاج كل من الخصمين يحضر الدليل والبرهان للوصول إلى الحق أو الصواب.

﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾: قال ابن عباس ؓ اجتمع عند النبي ﷺ نصارى نجران، وأخبار اليهود، فقال الأخبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقال وفد نجران: ما كان إلا نصرانياً فنزلت هذه الآية.

وقد بين الله تعالى في آية أخرى محاجتهم في إبراهيم أنه يهودي، أو أنه نصراني، كما جاء في سورة البقرة، آية (١٤٠): ﴿أَمَرْنَا نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾.



﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾: أي: لا يمكن أن يكون إبراهيم يهودياً، كما يدّعي اليهود؛ لأن التوراة أنزلت من بعده، فاليهودية إذن جاءت من بعده بأزمة طويلة، فقد روي عن ابن عباس ؓ أنه كان بين إبراهيم وموسى (٥٧٥ سنة)، وابن إسحاق قال: (٥٦٥ سنة)، وكذلك الإنجيل أنزل بعد مجيء إبراهيم، وبالتالي فالنصرانية كذلك جاءت من بعد إبراهيم بمئات السنين، فقد كان بين موسى وعيسى (١٦٣٢ سنة)، كما قال ابن عباس، وابن إسحاق قال (١٩٢٥ سنة).

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، وتعجب على المحاجة الباطلة، وألا: أداة حض، وتنبيه على التفكير والتعقل.

تعقلون: تدركون بطلان ما تقولونه في إبراهيم، أو تدركون الحقيقة من الدلائل والمعطيات بشأن إبراهيم.

[٦٦] ﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءَ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهٖ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهٖ عِلْمٌ وَآللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾:

﴿هَآأَنْتُمْ﴾: الهاء: للتنبيه، أنتم: الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والتعجب من بطلان ما يقولونه.

﴿هَآؤَآءَ﴾: الهاء: للتنبيه، أوءاء: اسم إشارة للقريب.

﴿حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهٖ عِلْمٌ﴾: أي: أنكم أتباع موسى ؑ، وأنكم على شريعته، أو أتباع التوراة، أو أنكم أتباع عيسى ؑ، وأنكم على شريعته، أو ما في الإنجيل، أو حاججتم في أمر محمد ﷺ ونعته وصفاته.

﴿فَلِمَ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، لم: استغراقية.

﴿تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهٖ عِلْمٌ﴾: أي: أمر إبراهيم ؑ.



﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: في هذا توبيخ لهم على زعمهم الباطل، وتكذيب لهم في أنهم يعلمون من هو إبراهيم عليه السلام.

[٦٧] ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿مَا﴾: النافية، تنفي الحال والماضي والمستقبل، تنفي جميع الأزمنة.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا﴾: في الماضي، ولا في الحال، ولا في المستقبل.

﴿وَلَا﴾: تفيد التوكيد.

﴿نَصْرَانِيًّا﴾: ما كان نصرانياً في الماضي، والحال، والمستقبل.

﴿وَلَكِنْ﴾: استدراك وتوكيد.

﴿كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾: ارجع إلى الآية (١٣٥) من سورة البقرة.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: تكرار وما كان: يفيد التوكيد، من المشركين: أي: من قريش الذين قد يدعون أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام. إذا إبراهيم عليه السلام ما كان من اليهود، وما كان من النصارى، وما كان من المشركين (قريش).

ولنقارن هذه الآية مع آية سورة النحل: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾:

لم يك من المشركين: يك، ولم يقل: يكن، يك: تعني: ولو شيئاً قليلاً، والشيء هو أقل من القليل؛ أي: لم يك البتة مشركاً، وهذا ينفي الشرك عن إبراهيم نفيّاً تاماً، وتنفي عنه كل أنواع الشرك ومقداره.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: تنفي الزمان في الحال، أو الماضي، فنفي عنه الشرك نفيّاً تاماً مهماً كان صغره ونوعه، وفي كل الأزمنة والأحوال.

[٦٨] ﴿إِنِّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِنِّ﴾: للتوكيد.

﴿أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾: أي: أحق وأقرب الناس، أولى من الولي، أو القريب. بإبراهيم: الباء: للإلصاق؛ أي: التمسك به.

﴿لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾: أي: اتبعوه في زمانه، وعلى التوحيد، ولم يقل نسله، أو ذريته، بل الذين اتبعوه؛ أي: آمنوا به، وصدقوه، وعلى التوحيد، واللام في للذين: تدل على الاختصاص، فلا ولاية لإبراهيم بمن جاء من ذريته، أو نسله ممن حرفوا ملته.

﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾: هذا: اسم إشارة للقرب، والتعظيم، والهاء: للتنبيه.

فهو أقرب الناس لإبراهيم فهو من ذريته، وعلى ملة، أو شريعة إبراهيم؛ لأنه يطبق منهجه.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: من أمة محمد ﷺ هم أولى باتباع إبراهيم عليه السلام من غيره.

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: متولي المؤمنين؛ أي: مدبر أمورهم، ومعينهم، وقريبهم، وناصرهم، ومصلح شؤونهم.

[٦٩] ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾:

سبب النزول: نزلت هذه الآية في معاذ بن جبل، وعمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان حين دعاهم اليهود للرجوع عن دينهم الإسلام.



﴿وَدَّتْ﴾: من الود، وهو التمني، وحب القلب لشيء ما، وما يتبعه من الود، فالمحبة تسبق المودة، فكل مودة محبة، وليس كل محبة مودة.

﴿طَائِفَةٌ﴾: جماعة، وهم الأخبار والرؤساء، طائفة: مشتقة من طاف يطوف، جماعة تطوف حول عقيدة، أو فكرة ما.

﴿مَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾: من اليهود والنصارى (أهل التوراة والإنجيل).

﴿لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾: لو: حرف مصدري يفيد التمني، يوقعونكم في الضلال؛ أي: بالرجوع عن دين الإسلام إلى الكفر، والشرك، وجاء بنون التوكيد بدلاً من لو يضلوكم فقال: لو يضلونكم.

﴿وَمَا يُضِلُّونَ﴾: الواو: حالية تفيد التوكيد. ما: نافية للحال والمستقبل؛ يضلون: من الضلال: وهو الضياع والنسيان والهلاك والعدول عن الحق والطريق المستقيم، وجاء بالمضارع للدلالة على بشاعة ما يودون، ويسمى ذلك (حكاية الحال)، وتدل على التجدد، والتكرار، والاستمرار في تمني ردكم إلى الكفر.

﴿إِلَّا﴾: حصر.

﴿أَنْفُسَهُمْ﴾: لأن إثم إضلالهم على أنفسهم؛ لأن المؤمنين لن يطيعوهم.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: الشعور: هو العلم الكامل الخفي، وما: ما: لزيادة، أو تأكيد النفي، يشعرون: أن وبال إثمهم وإضلالهم عائد عليهم.

ولماذا ودَّت هذه الطائفة لو يضلون المؤمنين؟

كما بين ذلك سبحانه في آية (١٠٩) من سورة البقرة: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾.



[٧٠] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ﴾:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: ارجع إلى الآية (٦٥).

﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: لم: اللام: حرف، ما: استفهامية، استفهام إنكاري.

تكفرون: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على دوام كفرهم وجحدهم، وعدم إيمانهم وتصديقهم بآيات التوراة والإنجيل.

تكفرون: من الكفر، والكفر هنا يعني: الستر، والإخفاء، والإعراض، والتكذيب.

﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق، آيات الله: الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ في التوراة والإنجيل، والمشتمة على صفاته، أو لا تؤمنون بآيات الله تعالى عامة.

﴿وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ﴾: أنتم: ضمير فصل يفيد التوكيد، تشهدون: محمد ﷺ بأعينكم، وترون صفاته ومعجزاته، ثم تنكرونها، أو ترون آيات الله تعالى بأعينكم.





الجزء الثالث

سورة النمل ٣

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا
بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَتُومِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ
الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكمُ
عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ
يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن إِنْ تَأْمَنَهُ بدينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا
مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّنَ
سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾
بَلَىٰ مَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا
خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾





سورة آل عمران [الآيات ٧١ - ٧٧]

[٧١] ﴿يَتَّاهِلَ الْكَتَبِ لِمَ تَلْسُونِ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْنُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿يَتَّاهِلَ الْكَتَبِ﴾: تكرار النداء؛ لإيقاظهم من سباتهم، وتوبيخهم لما يقومون من الكفر والستر لآيات الله الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ.

﴿لَمَ﴾: استفهام استنكاري.

﴿تَلْسُونِ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾: من اللبس، وهو الخلط، يقال: لبس عليه الأمر؛ أي: اختلط عليه حتى لا يعرف صحته من باطله، واشتقت من اللبس إدخال شيء في شيء.

تلبسون الحق (نعت النبي وصفاته) بالباطل (بالتحريف والتزوير في التوراة والإنجيل).

﴿وَتَكْنُمُونَ الْحَقَّ﴾: (وهو نبوة محمد ﷺ) وصفاته، والكتمان: هو السكوت عن ذكر خبر، أو أمر ما، والكتمان: يختص بالأسرار والأخبار، وهو حالة من حالات الخفاء.

﴿وَأَنْتُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿تَعْلَمُونَ﴾: أنه الحق من عند الله.

[٧٢] ﴿وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾:

﴿وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: ارجع إلى الآية (٦٩).



﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: من أحبارهم ورؤسائهم، قالت لأتباعهم من اليهود والنصارى: أظهروا إسلامكم وإيمانكم بما أنزل على المسلمين ﴿وَجَهَ النَّهَارِ﴾: أول النهار؛ أي: ساعات الصباح، واكفروا آخره، أي: في ساعات المساء.

﴿وَاكْفُرُوا آخِرَهُ﴾: قد تعني: ارتدوا عن الإسلام، أو قولوا: قرأنا الكتب السماوية وشاورنا علماءنا، فوجدنا أن محمداً ليس هو النبي المبعوث، وظهر لنا كذبه، أو صلّوا إلى قبله الذين (آمنوا) أول النهار، واكفروا بقبلتهم آخر النهار لعلهم يرجعون عن قبلتهم.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعل: للتعليل.

أو أدخلوا الشك والريبة في قلوب أصحاب محمد ﷺ.

﴿يَرْجِعُونَ﴾: لعلهم يرتدون عن دينهم، ويرجعون عنه.

[٧٣] ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنِ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنِ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾: تنمة للآية (٧٢) السابقة، وقالت الطائفة نفسها: آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار، واكفروا آخره لعلهم يرجعون، وهذه الآية تحمل عدة تفسيرات:

١ - الاحتمال الأول: هو أن نعتبر جملة قل: إن الهدى هدى الله جملة اعتراضية، وما تبقى من الآية هو قول أهل الكتاب.

٢ - الاحتمال الثاني: أن يعتبر أن كلام أهل الكتاب قد انتهى بقوله: ولا تؤمنوا إلا لمن يتبع دينكم قل: إن الهدى جملة جديدة، وما بعدها تنمة لقوله: إن الهدى هدى الله.



التفسير على ضوء الاحتمال الأول:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿تُؤْمِنُوا﴾: أي: لا تصدقوا، أو تتولوا من الموالاة، وثقفوا بأحد إذا لم يكن يهودياً، أو نصرانياً.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ أي: لا تؤمنوا حصراً وقصراً إلا.

﴿لِمَنْ﴾: اللام: للتوكيد، من: ابتدائية.

﴿تَبِعَ دِينَكُمْ﴾: ملتكم، وشريعتكم.

﴿قُلْ إِنَّا لَهْدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾: جملة اعتراضية كما قلنا سابقاً جاءت في منتصف كلام أهل الكتاب.

إن: للتوكيد، قل: لا ينفع مكركم، وما تبيتونه؛ لأن الهدى هدى الله، الهدى: المراد به الدين؛ أي: الإسلام، هدى الله: دين الله، الهدى الموصول إلى الغاية وهي رضوان الله وحده، وهو الهدى الكامل التام، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٢٠) في سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّا لَهْدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ المراد بهدى الله في هذه الآية: تحويل القبلة.

﴿أَنْ يُؤْفَكَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾: أي: لا تقرُّوا لأحد من أتباع محمد أنهم قد أوتوا من العلم شيئاً، مثل ما أوتيتم، أو لا تخبروا بأنهم على الحق، أو أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم، أو لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين فيتعلموه منكم، ويساووكم فيه، أو يتخذوه حُجَّةً ضدكم، واحجبوا أسراركم عن المؤمنين.



والخلاصة: لا تؤمنوا لأتباع محمد من المسلمين، ولا تطلعوهم على ما عندكم من العلم، إلا إذا ارتدوا وتبعوا دينكم.

ولا تصدقوا أن يؤتى أحد مثلما أوتيتم من العلم، والآيات والنعيم، ولا تصدقوا أن يجادلوكم يوم القيامة عند ربكم؛ لأنكم أصبح ديناً منهم، قل إن دين الإسلام هو دين الله.

التفسير على ضوء الاحتمال الثاني وهو:

أن قول الطائفة قد تم عند قولهم: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم. وانتهى كلامهم.

وما بعده هو قول الله سبحانه؛ أي: قل: أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، المخاطب هنا أمة محمد ﷺ.

﴿أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾: أن: تفسيرية، أو نافية؛ (أي: لم يؤت أحد مثلما أوتيتم)؛ أي: أعطيتم يا أمة محمد ﷺ من الدين والقرآن والحجة ما لم يُعط أحد من الناس، ولا تصدقوا أن أهل الكتاب، أو غيرهم سيحاجونكم عند ربكم؛ لأنهم لا حجة لهم.

﴿قُلْ إِنْ أَلْفُضِّلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا محمد.

﴿إِنْ﴾: للتوكيد.

﴿أَلْفُضِّلَ﴾: هو القرآن (الكتاب)، كما قال تعالى في سورة فاطر، آية (٣٢): ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

﴿بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: من عباده.



﴿وَاللَّهُ وَسِعُ﴾: ارجع إلى الآية (٢٦٨) من سورة البقرة.

﴿عَلِيمٌ﴾: بمن يستحق الفضل، ومن لا يستحقه.

[٧٤] ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾:

﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ﴾: يعطي فقط الرحمة: النبوة، رداً على اليهود الذين زعموا أن النبوة لا تكون إلا فيهم.

﴿مَنْ يَشَاءُ﴾: من عباده.

﴿وَاللَّهُ ذُو﴾: صاحب، وذو: أشرف وأبلغ من صاحب. ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٨٧)، أو غافر آية (٢)؛ للبيان.

﴿الْفَضْلِ﴾: الزيادة عن الأجر والثواب.

﴿الْعَظِيمِ﴾: كماً وكيفاً.

[٧٥] ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقَنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُتِينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَمِنْ﴾: الواو: استئنافية، من: ابتدائية.

﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: اليهود والنصارى.

تشير هذه الآية على العدل الإلهي أن يخبرنا أن بعض أهل الكتاب ذوو أمانة، فلو أمنتهم على قنطار من الذهب (والقنطار = ١٠٠ رطل) والرطل يعادل (٢،٥ كغ) يؤده إليك، واستعمل القنطار للمبالغة.

﴿مَنْ إِنْ﴾: من: اسم موصول، إن: شرطية.

﴿بِقَنْطَارٍ﴾ الباء: للإلصاق، أو تعني: على، ولكن لماذا استعمل الباء بدلاً



من (على)؛ لأن الأمانة في هذه الآية هي الوديعة (المال) أو الأمانة بالمعاملة وأنت غير متمكن من الذي تأمنه هل يرد الأمانة أم لا بقوله تعالى على لسان يعقوب ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [يوسف: ٦٤] على تدل على التمكن.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ﴾: واحد لا يؤده إليك، وهذه تدل على قلة أمانتهم.

﴿لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾: لا: النافية، يؤده إليك: لا يرجعه إليك، إلا: أداة حصر، ما دمت عليه قائماً، أي: تلح في طلب الدينار، وتكون دائم السؤال عنه، أو مطالباً له ليلاً ونهاراً، فالقيام عليه تعني المطالبة به، والقاعد عنه تعني: غير المطالب به.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمْنِ سَبِيلٌ﴾: ذلك: اسم إشارة للبعد، ويشير إلى ترك الأداء الذي دل عليه لم يؤده؛ أي: تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم، ليس علينا في الأمين سبيل: الأمين؛ أي: العرب (وتعني: المؤمنين)، والتسمية مشتقة من الأم، والأمي من لا يكتب، والأمين: من لا كتاب لهم. سبيل؛ أي: إثم أو حرج، أو مؤاخذه، أو تبعة.

أي: قالوا ليس علينا إثم إذا أكلنا أموال الأمين العرب؛ لأنهم كانوا أنفسهم يعتقدون أنهم أبناء الله وأحباؤه، ولأن الأمين ليسوا على دينهم، والخلق عبيد لهم؛ مما يدل على تعصبهم الديني، وأنهم استحلوا أموال الناس ظلماً وباطلاً.

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: بادعائهم الباطل ليس علينا في الأمين سبيل قد جاء في كتابهم فهم بذلك يفترون على الله الكذب، وهم: ضمير فصل تفيد التوكيد (أنفسهم)، يعلمون: أنهم كاذبون، ويعلمون أن الخيانة محرمة في شرع الله.



[٧٦] ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾:

﴿بَلَىٰ﴾: أي: عليهم إثم وذنب وتبعة في أكل أموال الأمين.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية شرطية.

﴿أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ﴾: التزم بالوفاء بعهد، واتقى الله في ترك الخيانة، وأطاع الله.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، إن: للتوكيد.

﴿اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾: الذين يوفون بعهد الله، ويؤدون الأمانات إلى أهلها، ويطيعون الله ورسوله.

[٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

روى الشيخان وغيرهما: أن الأشعث قال: «كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجددني، فقدمته إلى النبي ﷺ فقال: «ألك بينة؟» قلت: لا، فقال لليهودي: «احلف»، فقلت: يا رسول الله! إذن يحلف، فيذهب مالي، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

وأخرج البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى: أن رجلاً أقام سلعة له في السوق، فحلف بالله، لقد أعطي بها ما لم يعطه؛ ليقع فيها رجلاً من المسلمين، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وأخرج ابن جرير عن عكرمة: أن الآية نزلت في حبي بن الأخطب، وكعب بن الأشرف، وغيرهما من اليهود الذين كتموا ما أنزل الله في التوراة وبدلوه،



وحلفوا أنه من عند الله، وقيل: نزلت في أبي رافع ولبابة بنت أبي الحقيق، وحيي بن أخطب: حَرَّفُوا التوراة، وبَدَّلُوا صفة رسول الله ﷺ، وأخذوا الرشوة على ذلك.

﴿إِنْ﴾: للتوكيد.

﴿يَسْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: العهد هنا: هو العهد الذي أخذه الله على أهل الكتاب بأنهم إن أدركوا بعثة رسول الله محمد ﷺ ليؤمنوا به ويصدقوه ويتبعوه، وهو العهد الذي جاء في قوله تعالى في سورة آل عمران، آية (٨١): ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

فعندما جاءهم ما عرفوا كفروا به أنكروا ما عاهدوا عليه من الإيمان، والتصديق بمحمد، وأتباعه مقابل الثمن والمال الذي أخذوه كرشوة.

أيمانهم: جمع يمين؛ أي: أيمانهم الكاذبة بالله، جعلوا الأيمان الكاذبة مقابل الثمن الذي وعدوه.

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: ووصف الثمن بالقليل؛ حتى ولو كان ثمنًا كبيراً وعظيماً؛ لأنه مهما كان الثمن (كثيراً عظيماً) فهو قليل، أو سماه قليلاً؛ لأن من يشتري بآيات الله، أو عهد الله المال فهو قد باع آخرته بدينه، فأى ثمن يقبضه سيكون قليلاً مهما كانت صفته.

وكلمة (ثمناً) وردت في القرآن في (١٠) آيات في تسع آيات منها توافقت كلمة (ثمناً) بكلمة (قليلاً)، إلا آية (١٠٦) من سورة المائدة جاءت كلمة (ثمناً) بدون ذكر (قليلاً)، ووردت بـ (ثمن بخس) في الآية (٢٠) من سورة يوسف فقال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، إشارة إلى الذين يشترون بعهد

الله.

﴿لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾: لا نصيب لهم في الآخرة، ولا حظ لهم من نعيم

الآخرة، أو خيرها. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٠٢)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾: لغضبه عليهم، لا يسمح لهم بالتكلم، أو الاعتذار،

لا يؤذن لهم.

﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾: استهانة بهم، والسخط عليهم؛ أي: ولا يهتم بهم،

ويهملهم.

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: لا يطهرهم من ذنوبهم، والتزكية الشفاء، أو النماء والثناء.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: اللام: الاستحقاق، عذاب شديد الإيلام

ودائم، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٧٤) في سورة البقرة وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا

يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: نجد أن الذنب في آية البقرة وهو الكتمان، وإضلال الغير: هو

أشد من الذنب في آية آل عمران وهو: يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً،

ولذلك كان العقاب أشد في آية البقرة ما يأكلون في بطونهم إلا النار مقارنة بلا

خلاف لهم؛ أي: لاحظ ولا نصيب لهم يوم القيامة.



الحزب الثالث

سورة العنكبوت

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ
 مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ
 مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
 وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ
 وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ
 وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ
 وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾
 وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ
 وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ
 بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي
 قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾
 فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾
 أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سورة آل عمران [الآيات ٧٨ - ٨٣]

[٧٨] ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: الواو: استئنافية، إن: حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد.

﴿مِنْهُمْ﴾: جار ومجرور، وتقديم الجار والمجرور؛ للاختصاص والحصر، منهم: (من اليهود).

﴿لَفَرِيقًا﴾: اللام: لام الاختصاص. فريقاً: الفريق هم: كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف، وحبي بن أخطب، وغيرهم.

﴿يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾: اللّٰي: هو الفتل؛ أي: يفتلون ألسنتهم يميلون ألسنتهم عن القراءة الصحيحة المنزلة إلى القراءة المحرفة والمبدلة بالزيادة في كلام الله، أو النقص، أو تغيير المعنى، أو قراءته بنغمة توهم الناس أنه من التوراة. ومن الأمثلة على تحريفهم قولهم إذا سلموا على رسول الله ﷺ قالوا: السام عليكم بدلاً من السلام عليكم، والسام: هو الموت، وكلمة راعنا من الرعونة والحماقة، وقولوا: حطة.

﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾: السلام: لام التعليل، والهاء في تحسبوه تعود على الكلام المحرف.



تحسبوه: من حسب؛ أي: ظن الظن الراجح القائم على حساب قلبي، وتجربة، وحساب.

﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾: تظنوه ظناً مرجحاً: كبيراً أنه من التوراة؛ للتدليس والتليس.

﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾: الواو: عاطفة، ما: نافية، هو: ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد، من الكتاب: من التوراة.

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: ويقولون: ولم يقل: وقالوا، بل جاء بالفعل المضارع بدلاً من الماضي؛ لنقل صورة كذبهم إلى الحال الزمن الحاضر؛ للدلالة على بشاعة ما قالوه، وهذا يسمى حكاية الحال، وليدل على استمرارهم في قولهم وتحريفهم. وتكرار كلمة الكتاب ومن عند الله للتوكيد لكي يصدقهم الناس أن ما يفترون من الكذب أنه من الكتاب (التوراة) وهو من عند الله وإنما هو تحريف وباطل.

هو: ضمير منفصل يفيد التوكيد والحصر، من عند الله: فهم لا يكتفون بالليّ وقتل ألسنتهم، بل يزعمون كذباً أنه من الله، وأنه مكتوب في التوراة، ويدل ذلك على جرأتهم على الله، وعدم خوفهم من الجبار القهار.

﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: يرد الله سبحانه بنفسه عليهم، وما هو من عند الله؛ لأنه سبحانه يعلم ما أنزل في التوراة.

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: يقولون: هو من عند الله أولاً، ويقولون على الله الكذب ثانياً بالتحريف، والتزوير، ويحاولون تأكيد كذبهم.



﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنه كذب وافتراء وليس من عند الله.

[٧٩] ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّنَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾:

﴿مَا﴾: النافية؛ لنفي الحال خاصة وقد تنفي المستقبل والماضي، وأقوى أو أكد من ليس في النفي، والنفي بـ(لم) أقوى وأكد من النفي بـ(ما).

﴿كَانَ﴾: في الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ أي: كان ينبغي، أو يحق، أو يستقيم لبشر.

﴿لِبَشَرٍ﴾: اللام: لام الاختصاص، لبشر: أي: من نبي، ولا رسول. والبشر: مشتقة من البشارة، ومن معانيها: حسن الهيئة، يقال: رجل بشير، وبشر؛ أي: حسن الهيئة، ولفظ البشر يعني: الظهور، وسموا بشراً؛ لظهورهم على وجه الأرض بعكس الجن، وظهور شأنهم، وعبر عن الإنسان بالبشر؛ بسبب الطبقة الظاهرة من الجلد، والتي تسمى البشرة، وهي غير مغطاة بالشعر، وخاصة بالإنسان.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري يفيد التوكيد.

﴿يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾: أي: ينزل عليه الكتاب، تشمل الكتب السماوية والصحف وغيرها. يؤتيه: من الإيتاء لمعرفة معنى الإيتاء ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة.

الكتاب: اسم جنس (القرآن، التوراة، الإنجيل، أو الزبور). ارجع إلى الآية (٣) من سورة آل عمران.



﴿وَالْحُكْمَ﴾: الفقه، والعلم في الدين (الشريعة)، ومعرفة الأحكام، والفتاوى.

﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾: الرسالة.

﴿ثُمَّ يَقُولُ﴾: ثم: تفيد الترتيب الذكري، وليس التراخي في الزمن.

يقول، ولم يقل: يقول، ما هو الفرق؟

يقول: بالنصب يدل على الاستقبال.

يقول: بالضم يدل على الحال الماضي.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص. الناس: ارجع إلى الآية (٨) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿كُونُوا عِبَادًا لِّمَنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: اتخذوني إلهاً أو رباً. من دون الله: أي: من غير الله. لي: اللام: للاختصاص، والياء: ياء المتكلم.

﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِمُونَ الْكَتَبَ﴾: ولكن: حرف استدراك وتوكيد؛ أي: فلا يقول للناس: كونوا عباداً لي من دون الله، ولكن يقول للناس: كونوا ربانيين.

﴿كُونُوا رَبَّكُمْ رَبَّكُمْ﴾: بدلاً من القول كونوا عباداً لله كونوا ربانيين جمع رباني منسوب إلى الرب ليكون المعنى أشد إخلاصاً للرب، ورباني، وهو العالم الفقيه بالدين، المتصف بالعبادة، والطاعة، والحكمة، والحلم، والعمل الصالح وغيرها، ورباني: مشتقة من مرب: وهو الذي يعلم الناس أمور دينهم، ويعلمهم الخير، والصلاح، فيصبح كالمرابي.



وكلمة رباني: فيها نسب؛ أي: منسوب إلى الرب؛ لكثرة عبادته، ووسع علمه، وفقهه في الدين، فالرباني: هو المتمسك بطاعة الله تعالى عن علم ودراسة، وعظيم الخلق، ومربي للناس.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، ما: مصدرية.

﴿كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾: تعلمون الناس أمور دينهم وتعلمونهم الكتاب المنزل عليهم، وتكونون قدوة لهم في الطاعة والاستقامة، والعمل الصالح.

﴿وَبِمَا﴾: وتكرار بما تفيد التوكيد، وفصل كل من الأمرين على حدة تعليم الناس (لفائدة الناس) تدرسون (لتعليم أنفسكم).

﴿تَدْرُسُونَ﴾: تدبرون، وتقرؤون، وتفهمون الكتاب ومعانيه، وتدرسون الأحكام، والفقه، وتعليم الكتاب للناس، ودراسته توجب الطاعة التامة، والقدوة الحسنة؛ كي تنالوا درجة الربانية.

وهذه الآية تشير إلى أهمية تعلم كتاب الله ودراسته، ودراسة الفقه والشريعة والعمل بها، وأنه لا بد من تعليم الناس أمور دينهم، ونشر الدين والدعوة إلى الله؛ للتقرب منه سبحانه وتعالى.

[٨٠] ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: النافية، جاءت بعد ما (ما كان لبشر.... ولا...); لزيادة النفي وتوكيده.

﴿يَأْمُرُكُمْ﴾: بالنصب عطفًا على يقول.



﴿أَنْ﴾: حرف مصدري يفيد التوكيد.

﴿تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا﴾: تجعلوا الملائكة، ولا الرسل والأنبياء.

أرباباً: جمع رب بمعنى الرازق، والخالق، والمدير.

كما حدث في أمر قريش حين عبدوا الملائكة واليهود، والنصارى حيث اتخذوا عزيزاً، والمسيح أرباباً من دون الله.

﴿أَيُّكُمْ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري وفيه معنى التعجب.

﴿بِالْكَفْرِ﴾: الباء: للإلصاق، بالشرك بالله، أو الردة عن الإسلام إلى الكفر.

﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان.

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني.

﴿أَنْتُمْ﴾: ضمير منفصل يفيد التوكيد والحصر.

﴿مُسْلِمُونَ﴾: مخلصون لله موحدون له.

وهذا تبرئة لعيسى ﷺ وعزير، ولغيره من الأنبياء والرسل والملائكة؛ أي:

من المستحيل أن يبعث الله سبحانه نبياً ولا رسولاً، ثم يدعو هذا النبي أو الرسول الناس إلى عبادة أحدٍ إلا الله.

[٨١] ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءَ آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ



رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ۖ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۚ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٠﴾

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾: أي: واذكر إذ، أو حين أخذ الله ميثاق جميع الأنبياء والرسل.

والميثاق: هو العهد المؤكد باليمين. ارجع إلى الآية (٨٣) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

والميثاق هنا: أن يصدق بعضهم بعضاً، ويؤمن كل نبي بمن يأتي بعده، أو من يعاصره من الأنبياء، ومن أتى قبله، وينصره إن أدركه؛ فإن لم يدركه يأمر قومه بنصرة ذلك النبي، أو الرسول إن أدركوه، واكتفى بذكر الأنبياء عن ذكر الأمم؛ لأن في أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذه على التابع.

﴿لَمَّا﴾: اللام: لام الاختصاص، أو التعليل؛ أي: لأجل ما آتيتكم. ما: إما شرطية، أو موصول بمعنى: الذي، آتيتكم، أو الذي آتيتكموه.

﴿ءَاتَيْتُكُمْ مِّنْ كِتَابٍ﴾: كتاب: نكرة تشمل الكتب السماوية والصحف، والإيتاء غير الإعطاء. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥١)؛ للبيان.

﴿وَحِكْمَةٍ﴾: أي: النبوة.

﴿ثُمَّ﴾: تفيد الترتيب، والتراخي في الزمن.

﴿جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾: هو محمد ﷺ، أو غيره من الرسل السابقين مرسل من عند الله.

﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾: اللام والنون في تؤمنن: للتوكيد، به: أي: لتصدقنّه.



﴿وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾: اللام والنون: للتوكيد بالقول والفعل، ومعونته بشتى الوسائل.

﴿قَالَ أَقَرَّرْتُمْ﴾: الهمزة للاستفهام، والإقرار (استفهام تقرير)، مأخوذة من قر الشيء؛ إذ ثبت في مكانه. أقررتم: أي: اعترفتم (كل اعتراف إقرار)، ونقيض الإقرار الإنكار. انظر في كلمة أقررنا.

﴿وَأَخَذْتُمْ﴾: أي: قبلتم.

﴿عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾: الإصر: هو العهد الشديد أو الميثاق، وكذلك التكاليف الشاقة تسمى إصراً.

واشتقت كلمة الإصار: وهي الأوتاد التي يشد بها البيت، والعهد الموثق إصر؛ لأنه يُشد ويُعقد، وهو إذا أرسل الله سبحانه رسولا أن يصدقوه وينصروه، والعهد المؤكد يحمل صاحبه على الوفاء بما التزمه.

واستعمل ذلكم بدلاً من ذلك؛ لأن ذلكم تستعمل لما هو أكد وأشد من ذلك، وللأمور المتعددة مثل: الإقرار والأخذ.

وقال سبحانه: إصري؛ أي: عهدي، نسب العهد إليه سبحانه؛ للدلالة على شدة أهميته.

﴿قَالُوا أَقَرَّرْنَا﴾: من الإقرار عادة وهو التكلم بالحق، والاعتراف اللازم على النفس، مع توطين النفس على الانقياد والإذعان، وقد يقر إنسان بالباطل.

والإقرار: قد يكون باللسان، أو بغيره من القرائن، وهو سيد الأدلة.

الإقرار: اعتراف، كل اعتراف إقرار، وليس كل إقرار اعترافاً.



فلا اعتراف: هو التكلم بالإقرار. وقيل: الإقرار: هو تحصيل ما لم يصرح به القول، والإقرار كان من الرسل والأنبياء وأممهم؛ لما جاءهم من كتاب وحكمة ورسول.

﴿قَالَ فَاشْهَدُوا﴾: أي: فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار. فالشهادة دائماً تقتضي شاهداً، ومشهوداً عليه، ومشهوداً به.

بأن يشهد كل نبي على الأنبياء الآخرين أنه صدق النبي الذي جاء من بعده، أو عاصره، ونصره، وبلغ أمته ونصره وأيده، وتشهد كل أمة على رسولها، ويشهد أولوا العلم من الأمة الإسلامية على غيرها.

﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾: تعود على العزيز الحكيم على إقراركم وشهادة بعضكم على بعض من الشاهدين.

[٨٢] ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾:

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: للترتيب والتعقيب. من: شرطية تستعمل للمفرد، والمثنى، والجمع.

﴿تَوَلَّى﴾: أعرض، أو رجع عما أقره واعترف به، أو نقض عهده.

﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: أخذ الميثاق، والإقرار، والشهادة. ذلك: اسم إشارة للبعد يشير إلى الميثاق والإقرار.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، أولئك: اسم إشارة يفيد البعد.

﴿هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: هم: ضمير منفصل يفيد المبالغة والقصر. الفاسقون: أي: إذا كان هناك فاسقون فهم الفاسقون حقاً.



والفاسق: هو الخارج عن طاعة الله، أو دينه، والتولي عن طاعة الله هو فسق، والتولي والفسق مستحيل في حق الأنبياء والرسل، والمقصود بالفاسقين هنا: هم أتباع الرسل والأنبياء من الأمم. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٦) لمزيد من البيان في معنى فاسقين.

[٨٣] ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾:

انتهت الآية السابقة بقوله: فأولئك هم الفاسقون، وبدأت هذه الآية: أفغير دين الله ييغون.

﴿أَفَغَيْرَ﴾: الهمزة: للاستفهام، والتوبيخ، والإنكار.

﴿دِينِ اللَّهِ﴾: دين الإسلام. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٢)؛ لمعرفة معنى الدين، والملة.

﴿يَبْغُونَ﴾: يريدون، ويطلبون، وقدم هنا المفعول به الذي هو غير دين الله على الفعل ييغون؛ لشدة الإنكار على عبادة غير الله؛ (أي: غير دين الله)، وجاءت النون في كلمة ييغون؛ لتوكيد شدة الإنكار.

وقيل سبب نزول هذه الآية كما قال ابن عباس: اختصم أهل الكتابين: اليهود، والنصارى إلى رسول الله ﷺ فقالوا: أينما أحق بدين إبراهيم؟ فقال النبي: «كلا الفريقين بريء من دينه»، فقالوا: ما نرضى بقضائك، ولا نأخذ بدينك؛ فنزلت هذه الآية.

﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾: وله تعالى أسلم له خضع وانقاد سواء.

﴿مَنْ﴾: للعاقل. أهل السموات والأرض (الملائكة، الإنس، والجن).

﴿فِي﴾: ظرفية زمانية ومكانية.

﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: الملائكة في السموات، وكل المخلوقات.

﴿طَوْعًا﴾: اختياراً، والطوع: الانقياد بسهولة.

﴿وَكُرْهًا﴾: أي: بالقهر، والقوة لا بالإرادة والاختيار، فالكل تحت سلطانته سبحانه. ارجع إلى سورة البقرة لمزيد من البيان في معنى كرهاً، والفرق بين كرهاً: بفتح الكاف، وكُرْهًا: بضم الكاف.

﴿وَإِلَيْهِ﴾: تقديم الجار والمجرور إليه تفيد الحصر إليه حصراً، لا إلى غيره.

﴿يُرْجَعُونَ﴾: بضم الراء بدون اختيار أو إرادة، الكل يرجع إليه سبحانه الطائع، والكاره للحساب والجزاء رغماً عن أنوفهم؛ أما يرجعون: بفتح الياء تدل على الرجوع بالإرادة والاختيار.





الجزء الثالث

سورة العنكبوت ٣

قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ
دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾
كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا
أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
عَنَّهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِّلٌ إِلَّا أَرْضٌ ذَهَبًا وَلَوْ
أَفْتَدَىٰ بِهِ ؕ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾

سورة آل عمران [الآيات ٨٤ - ٩١]

[٨٤] ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾:

المناسبة: ذكر في الآيات السابقة أخذ الله الميثاق من النبيين على أن ينصر بعضهم بعضاً، ويؤمن بعضهم ببعض؛ أي: يصدقوا بعضهم بعضاً، سواء عاشوا في زمن واحد، أو أزمنة مختلفة، على كل رسول أن يبلغ أمته أن يؤمنوا بكل الرسل، وعدم التعصب؛ لأن العقيدة واحدة، ولكن هؤلاء الأتباع هم الذين ضلوا الطريق، فجعلوا رسلهم آلهة تُعبد، وأشركوا، وحرفوا كتبهم، ورفضوا الإيمان بغير رسلهم؛ فظهر الاختلاف بين الرسل وأممهم؛ أي: أتباعهم، والكل يدعي الصلاح، وأنه على الدين القيم، وغيره على الباطل.

فجاءت هذه الآية؛ لتوضح لنا الحل لإزالة الاختلاف.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ﴾: كلمة قل هي خطاب للنبي وحده ﷺ بدل من قولوا آمنا كما في الآية (١٣٦) في سورة البقرة، وجاءت آمنا بدلاً من آمنت؛ لتدلنا وتوضح لنا أن هذا النبي ﷺ وأمته شيء واحد؛ أي: وحدة إيمانية واحدة، سواء تخاطب رسولها، أو تخاطبها، فرسولها واحد من أفرادها، وتحمل في طياتها أن أمة محمد ﷺ طائعة لرسولها.

فإذا جاء الأمر إلى الرسول ﷺ فالتنفيذ يكون من جميع أفراد هذه الأمة، كما قال تعالى في سورة البقرة، آية (٢٨٥): ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ



وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾

﴿وَمَا أُنْزِلَ﴾: أنزل، ولم يقل ما نزل؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) للبيان؛
أنزل علينا، وفي آيات أخرى: أنزل إلينا.

فالإنزال يأتي مرة متعدياً بـ (على)، ومرة أخرى متعدياً بـ (إلى).

﴿عَلَيْنَا﴾: وما: اسم موصول، وتعني الذي، علينا: على الرسول، وعلى
أمته معاً، والذي أنزل على الرسول هو الذي أنزل على أمته.

استعمال على يفيد العلو والسمو والتشريف، فحين يقصد الإنزال وجهته
يأتي بعلى، وحين يقصد الغاية، أو النهاية، أو يقصد التبليغ والدعوة يأتي بإلى؛
أي: إلينا: تفيد الانتهاء، وعلينا: تفيد الجهة، ومختصة بالأنبياء والرسل. ارجع
إلى الآية (٤) من سورة البقرة للبيان.

﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾:
وما أنزل على إبراهيم من الصحف، وعلى إسماعيل، وإسحاق من الوحي،
والأسباط: المرجح هم من أحفاد أو ذرية يعقوب ﷺ، وليسوا أولاده (أخوة
يوسف) كما ظن الكثير؛ لأن أبناء يعقوب ﷺ لم يكونوا أنبياء إلا يوسف ﷺ،
والسبط يعني: القبيلة أو الجماعة الذي يرجعون إلى أب واحد، أو أحفاد الرجل
(ابن البنت).

﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ﴾: وهنا نلاحظ عطف العام على الخاص، وصدقنا بما أوتي موسى
من التوراة، وعيسى من الإنجيل، وما أوتي سائر الرسل والأنبياء من ربهم من
الآيات والمعجزات، لا نفرق بين أحد منهم؛ أي: لا نؤمن ببعض الرسل والأنبياء،

ونكفر ببعض، بل نؤمن بالكل، ونحن له مسلمون؛ أي: مخلصون في التوحيد، والعبادة، والطاعة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) لبيان معنى الإيتاء، والفرق بين الإيتاء والعطاء.

[٨٥] ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: شرطية، مَنْ: للمفرد، والمثنى، والجمع.

﴿يَبْتَغِ﴾: يُرد، أو يطلب ﴿غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾: فلن: الفاء: للتأكيد، ولن: للنفي، وهي أقوى أدوات النفي؛ لنفي المستقبل القريب والبعيد معاً. غير الإسلام: الإسلام دين الله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، وليس هناك دين آخر غير الإسلام، وإنما هناك شرائع، أو ديانات، والإسلام دين التوحيد، (وهو ملة إبراهيم حنيفاً)، وأي شريعة لا تنادي بالتوحيد؛ فلن تقبل من العبد. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٢)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر.

﴿فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: الخاسرين لأنفسهم، أو أنفسهم وأهلهم.

[٨٦] ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾:

سبب النزول:

١ - قيل: رهط من قريش كانوا (١٢) رجلاً ارتدوا عن الإسلام، وعادوا إلى مكة؛ فنزلت هذه الآية بحقهم.

٢ - أو قيل: إن رجلاً من الأنصار أسلم، ثم ارتد، ولحق بالمشركين، ثم أراد التوبة، وسأل قومه أن يسألوا رسول الله ﷺ؛ فنزلت هذه الآية.



٣ - وقيل: فريق من أهل الكتاب عندهم علم بالتوراة، والإنجيل كانوا يجدون نعت النبي ووصفه مكتوباً في كتبهم قبل أن يُبعث، وكانوا ينتظرون قدومه، فلما بُعث رسول الله ﷺ كفروا به.

والعبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام، والنفي، والاستبعاد لهدايتهم (أي: لا يهدي).

﴿يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾: أي: أسلموا، ثم ارتدوا.

﴿وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ﴾: آمنوا بصدق نبوة محمد ﷺ، وآمنوا بأنه ﷺ الرسول المنتظر، وأنه حق.

﴿وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: البينات: جمع بينة، الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ، وذكر البينات فقال: وجاءهم البينات بدلاً من: جاءتهم البينات.

البينات: في اللغة: يجوز تأنيثها ويجوز تذكيرها؛ لأنها ليست مؤنث حقيقي، ولكن في القرآن لها سياق خاص حين يذكرها تدل على الآيات في القرآن، والتوراة، والإنجيل، أو الأحكام بما فيها الأوامر والنواهي، وحين يؤنث البينات؛ تعني: المعجزات، والعلامات، والبينات الدالة على النبوة كما في قوله تعالى: ﴿جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] لمزيد من البيان.

وإذا قارنا في هذه السورة الآية (٨٦): ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٦) ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٧) ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (٨٨) ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾: في هذه الآية عندنا تائبين وتوبتهم تقبل.

والآية (٩٠): ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ

تَوْبَتُهُمْ ﴿١٧﴾: في هذه الآية هؤلاء ارتدوا، وكانوا سبباً في ارتداد آخرين؛ لن تقبل توبتهم عند الموت؛ أي: حضور الموت تطبيقاً لقوله سبحانه في آية (١٨) من سورة النساء: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾، واستمروا في ذلك: ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: الله لا يهدي: من اختار طريق الضلال لنفسه، والشرك، وأصبح من القوم الظالمين (الظلم من الشرك)؛ أي: أسرف في الظلم، أو ارتد، أو ابتعد كثيراً عن طريق الهداية، فكانت هدايته مستبعدة، أو مستحيلة، فهذا أصبح من الظالمين لأنفسهم؛ لأنه أورد نفسه مورد التهلكة. ارجع إلى الآية (٥٤) من سورة البقرة؛ لمعرفة المزيد عن الظلم.

[٨٧] ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد، وتشير إلى الظالمين، والمرتدين، والكافرين.

﴿جَزَاءُهُمْ﴾: أي: أجرهم.

﴿لَعْنَةُ اللَّهِ﴾: من اللعن: وهو الطرد، والإبعاد عن رحمة الله مع المنع من الخير.

واللعنة: اسم، والاسم يدل على الثبوت، وهؤلاء عليهم اللعنة الثابتة ما داموا على شركهم، وضلالهم ولم يتوبوا.

وتقديم الجار والمجرور (عليهم)؛ أي: خاصة بهم حصراً وقصراً.

﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾: أي: لعنة الملائكة بالدعاء عليهم باللعن.



﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: الإنس والجن، والمؤمن والكافر، وهذا يكون يوم القيامة؛ حيث يلعن الله الكافر، ثم تلعه الملائكة، ثم يلعه الناس أجمعون.

وأجمعين: تأكيد لجميع الناس، والكافر سيلعن نفسه لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥]، فمثلاً حين يلعن الظالمين والكافرين فهو منهم؛ فقد لعن نفسه.

[٨٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾:

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: جمع خالد، والخلود: هو الدوام المستمر، واستمرار البقاء من بدء وقت معين، وكذلك الخلود، يعني: البقاء بدون تغير، أو تلف.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾: شدة، أو زمناً لا يخفف عنهم شدته، أو لا ساعة، ولا يوماً.

﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾: ولا: الواو: عاطفة؛ لا: الناهية؛ هم: ضمير فصل يفيد التوكيد؛ ينظرون: من الإنظار: هو الإمهال؛ أي: لا يؤخرون عن تقديمهم للعذاب، أو يمهلون يوماً، أو ساعة؛ أي: يبدأ عذابهم مباشرة، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٦٢) في سورة البقرة نجدها متشابهتين في قوله ينظرون، وإذا نظرنا إلى الآية (٨٦) في سورة البقرة نجدها ينصرون، والاختلاف عائد أن آية البقرة (٨٦) جاءت في سياق القتال، ولذلك جاءت ينصرون، وأما الآية (٨٨) في آل عمران والآية (١٦٢) في البقرة جاءت في سياق اللعن، والطرده من رحمة الله تعالى، ولذلك انتهت بقوله ينظرون.

[٨٩] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿إِلَّا الَّذِينَ﴾: أداة استثناء. الذين: اسم موصول.

﴿تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: التوبة تعني: عدم العودة إلى ارتكاب الذنب، والندم

على ما فعلوا، والإكثار من الأعمال الصالحة. ارجع إلى الآية (١٧-١٨) من سورة النساء.

ذلك: اسم إشارة؛ للبعد، يشير إلى الضلال، والشرك، والردة.

﴿وَأَصْلَحُوا﴾: ما أفسدوا، وأرجعوا الحقوق إلى أصحابها، وأصلحوا باطنهم وظاهرهم.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: الفاء: للتوكيد. إن: للتوكيد. غفور: كثير الغفران يغفر الذنوب جميعاً مهما كثرت وعظمت. رحيم: يؤخر عنهم العذاب؛ أي: يمهلهم، فلا يعجل لهم العقاب، أو العذاب؛ لعلهم يتوبون.

[٩٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تَقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾: وكانوا اثني عشر رجلاً، ومنهم: الحارث بن سويد، كفروا بعد إيمانهم: ارتدوا عن الإسلام، وعادوا إلى مكة، ثم تاب الحارث، وحسن إسلامه، ولم يتب البقية، وسواء كانوا هؤلاء، أو غيرهم من الكفرة، أو من المرتدين.

﴿ثُمَّ﴾: ثم نتباين الصفات.

﴿أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾: نشروا الكفر، والضلال، ومنعوا غيرهم من الدخول في الإسلام، وأضلوا غيرهم، وتمادوا في كفرهم، ولم يتوبوا إلى الله، ولا زالوا على قيد الحياة.

﴿لَّنْ تَقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾: لن: لنفي المستقبل القريب والبعيد. لن تقبل توبتهم في المستقبل إذا لم يتوبوا إلى الله تعالى وماتوا وهم على حالتهم هذه لن تقبل



توبتهم حين يحضرهم الموت، أو بعد الموت، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية التالية (٩١) نجد استعمال (فلن) بدلاً من (لن)؛ ارجع إلى الآية (٩١) للبيان.

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾: أولئك: اسم إشارة للبعد؛ يفيد التحقير، وبعد ضلالهم. هم: ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر. الضالون: هم الضالون حقاً، فهم أبعد الضالين عن طريق الهدى، أو الصراط المستقيم، وأصبحت سمة الضلال ثابتة فيهم، ولن تجد من هو أضل منهم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٩٨)؛ لمزيد من البيان.

[٩١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾: أي: بدون أن يتوبوا إلى الله، ويرجعوا عن كفرهم قبل موتهم، وهم: ضمير فصل يفيد التوكيد. كفار: ولم يقل: كافرون؛ لأن كفار صيغة مبالغة؛ تدل على كثرة القيام بالكفر، وتدل على الذوات، وتشمل عموم الكافرين، ولم يقل: وهم كافرون: كافرون: تدل على الحدث (أو الفعل)، وإن صفة الكفر عندهم ثابتة.

﴿فَلَن﴾: الفاء: للتوكيد، لن: حرف نفي؛ تنفي المستقبل القريب والبعيد، والتوكيد بالفاء؛ لأنهم ماتوا وهم كفار وانتهى الأمل، بينما في الآية السابقة (٩٠): (كفروا ثم ازدادوا كفراً) لا زالوا أحياء، لا زال أمامهم بريق أمل إذا تابوا إلى الله توبة نصوحاً.

﴿يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾: يوم القيامة.

﴿وَلَوْ﴾: الواو: حالية تفيد التوكيد، لو: حرف امتناع لامتناع شرطية؛ أي: على افتراض أن له ملء الأرض ذهباً، وهذا مستحيل.

﴿أَفْتَدَى بِهِ﴾: أي: لن يقبل منه فداء إذا أراد أن يفدي نفسه أن يخلصها من العذاب.

﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾: لو أنفقه في أي خير في الدنيا؛ لأنه لا ثواب له، وحبط عمله؛ لكونه مات على الكفر، ولن يقبل منه ملء الأرض ذهباً، وأنى له ذلك؛ لأنه في الآخرة لم يعد يملك مقدار ذرة.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أولئك: اسم إشارة للبعد؛ يدل على سوء عاقبتهم، لهم: اللام: لام الاستحقاق، عذاب أليم: شديد الإيلام، ودائم.

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾: ما: النافية، ناصرين: جمع ناصر، وما لهم من يدرأ عنهم العذاب، أو يشفع لهم، أو يخفف عنهم العذاب، من: استغراقية؛ أي: ما لهم من أي ناصر مهما كان حاله، وغناه، وقوته. ارجع إلى الآية (٢٢) من نفس السورة.





البقرة

سورة البقرة



لَن نَّالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ
فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي
إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ
التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ
إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ
مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ
﴿٩٧﴾ قُلْ يَتَاهِلُ الْكِتَابُ لَمْ تَكْفُرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَتَاهِلُ الْكِتَابُ لَمْ تَصُدُّوا عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَطِيعُوا
فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾

سورة آل عمران [الآيات ٩٢ - ١٠٠]

[٩٢] ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۝﴾:

﴿لَنْ﴾: حرف نفى؛ لنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿نَنَالُوا﴾: من نال؛ أي: أصاب، أو حصل.

﴿الْبِرِّ﴾: اسم جامع لكل خير، وهنا تعني: الجنة، وقيل: البر يشمل التقوى، والطاعة، والخير، والقرب من الله تعالى، والفضل. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٧٧).

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾: الإنفاق: هو إخراج المال من الملك، فلا يُعد من ملكه سواء كان زكاة أو صدقة تطوع. مما تحبون: حتى تنفقوا من أحب أموالكم إليكم، أو الثمار، أو الأنعام. مما: (من، وما)، من: الابتدائية، وما: اسم موصول؛ أي: الذي تحبون.

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: شرطية.

﴿تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾: من: استغراقية، شيء: نكرة؛ أي: شيء قليل، أو كثير، ومهما كان نوعه.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾: الفاء: للتوكيد. إن: لزيادة التوكيد. الله به عليم: محيط، ومطلع عليه يعلمه ويجازي به.



[٩٣] ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَآتُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾:

المناسبة: قال النبي ﷺ: إنه على ملة إبراهيم، فقالت اليهود: كيف تأكل لحوم الإبل، وألبانها، وإبراهيم حرم ذلك، فقال النبي ﷺ: كان ذلك حلالاً لإبراهيم، فنحن نحله، فقالت اليهود: لا إنه محرم على إبراهيم، فأنزل الله عز وجل هذه الآية تكذيباً لهم.

لم يحرم الله سبحانه على بني إسرائيل بما فيهم نبيهم إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام؛ أي: طعام، فكل الطعام كان حلالاً لهم من قبل إنزال التوراة على موسى.

ولكن ما حدث: هو أن يعقوب (إسرائيل) أصيب بمرض شديد، قيل: هو عرق النساء، ألم شديد بسبب الضغط على العصب الوركي، فنذر يعقوب لله إذا شافاه الله وعافاه؛ ليحرّم من على نفسه أحب الطعام والشراب (لحم الإبل وألبانها)، وحدث ذلك، وأراد الوفاء بالنذر، وهذا التحريم على نفسه لم يكن أمراً إلهياً على يعقوب، ولا على بني إسرائيل قبل تنزيل التوراة.

أما بعد تنزيل التوراة فقد حرم الله على بني إسرائيل ما جاء في الآية (١٤٦) من سورة الأنعام، قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا كُلُّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمًا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾: وسبب هذا التحريم هو بسبب نقض بني إسرائيل المواثيق، والعصيان، وعدم الأخذ بالتوراة، والعمل بها، والظلم، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه، وهذا ما جاء في الآية (١٦٠-١٦١) من سورة النساء، قوله تعالى: ﴿فِظْلُمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٌ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

فأطلع الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً ﷺ على الحقيقة، وسأله أن يسأل اليهود بأن يأتوا بالتوراة ويقرؤوها أمامه إن كانوا صادقين بأن الله حرم عليهم أي طعام قبل تنزيل التوراة، فلم يأتوا بها، وعلموا أن الله سبحانه قد أطلع نبيه محمداً ﷺ على كذبهم، وهذا تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الندرة، أو الشك. ﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أي: لستم صادقين.

[٩٤] ﴿فَمَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾:

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: عاطفة. من: شرطية للمفرد والجمع.

﴿أَفْتَرَىٰ﴾: الافتراء: اختلاق الكذب المتعمد.

﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: الكذب جاء بـ(ال) التعريف؛ لأن الكذب هنا محدد هو بمسألة الطعام، ولو قال: فمن افتري على الله كذباً، كذباً: هنا نكرة، وتشمل كل أنواع الكذب.

﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: مباشرة من بعد ظهور الحق، ونزول هذه الآية: أن الله لم يحرم على بني إسرائيل أي طعام قبل أن تنزل التوراة.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد جواب الشرط، أولئك: اسم إشارة للبعد، ويشير للذين يفترون على الله الكذب.

﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: هم: ضمير منفصل يفيد التوكيد والقصر.

الظالمون: حقاً بما افتروا على الله، ويفيد المبالغة في الظلم، وأن صفة الظلم أصبحت ثابتة لا تفارقهم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٤)؛ لبيان معنى الظلم.



[٩٥] ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ: ﴿صَدَقَ اللَّهُ﴾: تعالى في كل ما يخبر به، وفيما يقوله في الطعام، وفي إبراهيم ما كان يهودياً، ولا نصرانياً.

﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾: الحنيفية السمحة، والملة هي الشريعة، والمعتقدات العامة وتضاف إلى النبي. أما الدين: فهو الأحكام، والآيات، والشريعة، والعقيدة تضاف إلى الله.

﴿حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: المائل عن الضلال، أو المستقيم، والحنف: هو الميل في القدمين والساقين، فحين يعم الضلال؛ فالذي يميل منحرفاً عن الضلال هو الذي اهتدى إلى الصراط المستقيم. ارجع إلى الآية (١٣٥) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[٩٦] ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾:
﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾: أول بيت وضع، والواضع هو الله، أمر الملائكة ببنائه، فقد كان مكان الحرم ومكة أول جزء تشكل من اليابسة (الأرض)، وهو يتوسط كل القارات. للناس: لا يعني كل الناس، وإنما المؤمنون بالله، فاللام لام الاختصاص.

أي: أول ما بني للعبادة على الأرض هو الكعبة.

﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾: أي: البيت الذي ببكة، واللام: للتوكيد؛ ببكة: بكة قيل: هو الاسم القديم لمكة المكرمة، ثم أبدلت الباء ميماً فأصبح اسمها الجديد مكة، وأم القرى، والبلد الأمين، وقيل: مكة البلد.

وبكة: ما حول البيت موضع المسجد، أو مكان الطواف والازدحام.

وبكة مشتقة من البك. قيل: هو دفع الناس بعضهم بعضاً (الازدحام).

وقيل: سميت بكة: لازدحام الناس فيها أيام الحج ورمضان.
وقيل: بكة هي مكة، أبدلت الباء بدلاً من الميم، كما ورد في بعض لغات القبائل.

وبكة: لأنها تبك أعناق الجبابرة، فلم يقصدها جبار بسوء إلا قصمه الله عز وجل، كما حدث لأبرهة الحبشي.

ومن الأسماء التي ذكرت في القرآن الكريم: البيت العتيق، البيت الحرام، المسجد الحرام، أم القرى، البلد الأمين.

﴿مُبَارَكًا﴾: من البركة، والزيادة، والنماء؛ لمضاعفة الثواب والأجر، فكل صلاة في المسجد الحرام تعادل (١٠٠,٠٠٠) صلاة، وهذا يشمل صلاة الفرض، والتطوع، مقارنة بالصلاة من غيره من حديث عبد الله بن الزبير، وحديث جابر رضي الله عنهم، وهذه البركة قد تكون معنوية أو حسية، والحسية: ما يلاحظ الحاج وأهل مكة في زمن الحج من المنافع والخيرات التي تشمل الكل، والبركة جاءت كذلك من حرمة يوم خلق الله السموات والأرض.

﴿وَهَدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾: مصدر هداية للعالمين، أو ذا هدى؛ لكونه قبلة للمسلمين في صلاتهم، والهدى: هو الطريق الموصل إلى الجنة، أو الموصل إلى الغاية، فمن يحج بلا رفث، ولا فسوق، ولا جدال؛ يرجع كيوم ولدته أمه.

[٩٧] ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ يُبَيِّنُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ۚ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿فِيهِ﴾: يعود إلى أول بيت.

﴿ءَايَاتٌ يُبَيِّنُ﴾: دلائل واضحة منها مقام إبراهيم، والصفاء، والمروة، والحجر الأسود، وزمزم، وأمن من دخله.

﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾: مقام للمكان الذي كان يقوم (يقف) عليه إبراهيم؛ ليرفع



القواعد من البيت؛ أي: هو الحجر الذي قام عليه إبراهيم، وفيه أثر قدميه، وقد قيل: إن إبراهيم ﷺ نحت مكان قدميه حتى تثبت قدماه، ولا تزال.

وذهب بعض المفسرين: أن المراد من مقام إبراهيم: هو موضع قيامه للصلاة، والعبادة؛ أي: الموضع الذي اختاره للصلاة.

وقال آخرون: مقام إبراهيم الحرم كله؛ أي: المسجد الحرام كله.

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾: هذا إخبار تكليفي، أو طلباً تشريعياً، والتكليف، أو التشريع قد يطاع من البعض، أو الكل، أو بعض أحياناً.

فالله سبحانه يقول: من دخله كان آمناً.

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ﴾: من: شرطية.

﴿كَانَ آمِنًا﴾: على نفسه، وماله من أي: اعتداء، أو إيذاء، عصمة الدخول إلى الحرم، فلا يقتص منه حتى يخرج من الحرم، وفي داخل الحرم لا يجالس، ولا يبايع، ولا يكلم حتى يضطر إلى الخروج، هذا مذهب الحنفية والحنابلة.

أما مذهب المالكية والشافعية: إذا جنى جناية تستوجب القصاص، أو الحد خارج الحرم، ولجأ إلى الحرم يقتص منه أينما وجد، وسواء كان داخل الحرم، أو خارجه قصاص في النفس، أو غيرها، والمرجح هو مذهب المالكية والشافعية، وإلا لاختل الأمن، وانتشرت الجرائم والمفاسد.

أما بالنسبة لمن ارتكب جناية في الحرم، أو انتهك حرمة الحرم؛ فقد اتفق الفقهاء على أن يقبض عليه مباشرة، ويقدم إلى العدالة للحكم فيه. ارجع إلى مصادر الفقه الأخرى.

﴿وَلِلَّهِ﴾: اللام: لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿عَلَى النَّاسِ﴾: على: تفيد العلو، والمشقة، والاستعلاء.

﴿حُجَّ الْبَيْتِ﴾؛ أي: الحج لله يكافئ به، ولله على الناس حج البيت؛ أي:

فرض على الناس أن يحجوا لله عز وجل. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٩٦)؛ للبيان.

﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾: من: اسم موصول من للمفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، ما عدا الصغار؛ فإنهم غير مكلفين.

الاستطاعة: كما قيل تشمل ملك الزاد والراحلة (تكاليف السفر والإقامة والطعام)، المال الفائض عن حاجاته الأساسية ونفقة عياله، وتشمل أيضاً: الأمن، والإسلام، والبلوغ، وصحة البدن من الأمراض المعدية.

وقد اختلف العلماء في تحديد الاستطاعة، ولا شك أنها تختلف من زمن إلى آخر.

﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾: من: شرطية. كفر: قد تعني الكفر بالله عز وجل، أو كفر بالحج، فالكفر بالله سبحانه معروف، أما الكفر بالحج فهو نوعان: كفر في الاعتقاد بأن الله فرض على الناس حج البيت؛ أي: لا يؤمن بالحج إطلاقاً كفریضة، فلا يحج جاحداً لوجوبه، وينكر أن الحج هو ركن من أركان الإسلام. قال العلماء: وهذا كفر حقيقي.

وهناك من يؤمن بالحج أنه فرض، وعنده الاستطاعة، ولكنه يستخدم المبررات والأعذار أنه مشغول، أو غير قادر هذا العام، وهكذا، فهذا يعتبر عاصياً.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾: الفاء: جواب الشرط. إن: للتوكيد. غني عن العالمين: ولم يقل: غني عنه، بل قال: غني عن العالمين؛ لأن الله سبحانه في الحقيقة غني الذي أدّى الحج والذي لم يؤده؛ لأن الحج فائدته ترجع إلى الحاج، وليس إلى الله تعالى، فالله سبحانه غني عن كليهما، وعن كل العالمين كافة، سواء أحجوا أم لم يحجوا.



[٩٨] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ، وجاء بقل؛ لأن المخاطبين ليسوا أهلاً أن يخاطبوا مباشرة من قبل الله بفعل أمر ليدل على الاهتمام بالمقول.
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أصحاب التوراة (اليهود) وأصحاب الإنجيل (النصارى).

﴿لَمْ﴾: اللام: حرف جر، ما: استفهامية استفهام إنكاري إنكاراً لكفرهم بآيات الله، وحذفت ألفها لدخول حرف الجر عليها.

﴿تَكْفُرُونَ بِآيَٰتِ ٱللَّهِ﴾: الكفر هنا يعمي الستر (لم تخفون وتسترون) آيات الله في التوراة، والإنجيل التي تدل على صفات ونعت محمد ﷺ، وصدق نبوته، والداعية إلى اتباعه وتصديقه.

﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾: الواو: للحال والتوكيد. شهيد: صيغة مبالغة من شاهد؛ أي: المطلع، والمحيط علمه بكل شيء من سرٍّ، ونجوى، وجهر، وما تخفي الصدور، وشهيد على كل عمل من قول، أو فعل، ويعلم ما في السرائر، والعقول، وما يجري في الكون، وما يقوم به كل مخلوق من خلقه.

﴿عَلَىٰ﴾: للاستعلاء والشدة.

﴿مَا﴾: اسم موصول.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: العمل يشمل القول، والفعل من الكفر، والفساد.

[٩٩] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۢ ءَٰمَنَ تَبَعُونَهَا عَوْجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍۭ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿لَمْ﴾: استفهامية.

﴿تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: تمنعون الناس من الدخول في دين الله. سبيل الله: هو دين الحق، وهو الإسلام بالتضليل، والتحريف، والفتنة.
﴿مَنْ أَمِنَ﴾: من ابتدائية، آمن بالله.

﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: العوج: من الاعوجاج ما كان يميل إلى جهة، ثم يميل إلى الأخرى. وعوجاً: بكسر العين تستعمل للأمر المعنوية، أما المفتوحة بفتح العين: تستعمل للأمر الحسية المادية مثل عوج في الجدار. تبغونها عوجاً: لا تريدون ديناً قيماً، بل ديناً معوجاً مائلاً عن الحق في المعاني، والقيم، وتريدون الميل عن الاستقامة، والصراط.

أو تلبسون على الناس: الحق بالباطل.

أو تخفون الحق، وتغيرون صفة رسول الله ﷺ؛ كي تحدثوا اعوجاجاً في هذا الدين المستقيم. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٨٦) في الأعراف وهي قوله تعالى على لسان شعيب: ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ أَمِنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: نجد في آية الأعراف حذف به، وأضاف الواو (على كلمة وتبغونها)؛ لأن تبغونها معطوفة على تصدون، وأما آية آل عمران (تبغونها): جملة في محل نصب حال، والحال لا يدخل عليه واو، أو لأن تبغونها قد تكون استثنائية، وفي آية الأعراف قيد الإيمان بالله وحده، وفي آية آل عمران لم يقيد فأطلق الإيمان ليشمل كل أنواعه.

﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾: على أن ما جاء في التوراة في نعت محمد ﷺ هو الحق، وأنتم تعرفونه، كما تعرفون أبناءكم. وأنتم شهداء؛ أي: رأيتم محمد ﷺ، وصفاته، وأفعاله، وأقواله، وإضافة إلى ما سمعتموه في التوراة، والإنجيل فيما جاء بشأنه (نعت، أو ذكر).

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: وما: الواو: عاطفة. ما: النافية. الله بغافل: الباء:



للإصاق. عما تعملون: من الصد، والمنع، والتحريف، والفتنة، والزيف بالقول، والفعل. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان.

[١٠٠] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء إلى الذين آمنوا بعد أن وبَّخ أهل الكتاب على كفرهم، وصدّهم الناس عن دين الله، نداء بالحنز من إطاعة فريق من الذين أوتوا الكتاب. فقال:

﴿إِن تُطِيعُوا﴾: إن: شرطية، تفيد القلة، أو الاحتمال.

﴿فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: فريقاً، وليس كل الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين؛ أوتوا الكتاب (ولم يقل: أتيناكم الكتاب، أو أهل الكتاب)؛ لأن أوتوا الكتاب، أو أوتوا نصيباً من الكتاب: تأتي في سياق الذم، وأتيناكم الكتاب، أو أهل الكتاب: تأتي في سياق المدح.

سبب نزول هذه الآية: أن شماس اليهودي، وكان شديد الكفر وأصحابه أرادوا الفتنة بين الأوس والخزرج بعد أن رأوا بينهما الوئام، فذكروا الأوس والخزرج بحرب بُعثت، فثار الأوس على الخزرج، فعلم بذلك رسول الله ﷺ، وخرج إليهم، وقال: أبدوئى الجاهلية، وأنا بين أظهركم، فخدمت الفتنة وتصلح الطرفان.

﴿يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾: الارتداد يكون بالإقناع، والحجة الباطلة؛ حتى يردوا عن دينهم، ويرجعوا إلى الكفر شيئاً فشيئاً، أما الصد: فهو المنع بالقوة والقهر؛ أي: (يصدوكم): يمنعوكم من الدخول في الإسلام بالحجة والبيان، أو القوة.

والرد: هو الرجوع، أو العودة إلى المكان، (أو الحالة) الذي خرج منها، وفيه إجبار، أو إكراه على العودة، بينما الرجوع العودة إلى المكان الذي خرج منه، وفيه معنى الرغبة؛ أي: يرجع وهو راغبٌ غير مكره، أو مضطر.

ولنقارن هذه الآية: ﴿إِنْ تُطِيعُوا أَفْرِقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ مع الآية (١٠٩) من سورة البقرة: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ﴾: نجد أن هناك ثلاثة فروق هي:

- ١ - أوتوا الكتاب مقابل أهل الكتاب.
 - ٢ - بعد إيمانكم مقابل من بعد إيمانكم.
 - ٣ - كافرين مقابل كفاراً.
- ١ - أوتوا الكتاب: أقل تكريماً، وتشريفاً، مقارنة بمناداتهم أهل الكتاب، أهل الكتاب أفضل درجة من أوتوا الكتاب.
 - ٢ - بعد إيمانكم: محاولة الرد إلى الكفر فيها فسحة وتراخ في الزمن، وليست مباشرة، بينما قوله: من بعد إيمانكم: الرد إلى الكفر يعني مباشرة بدون تأخير فوراً وبسرعة.
 - ٣ - كافرين: تدل على الفعل على الحدث، فعل الكفر ونوعه، بينما كفاراً: صيغة مبالغة تدل على ذوات المبالغين في الكفر، وكثرة القيام به.





سُورَةُ الرَّحْمَةِ ٣

الجزء الرابع

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ
رَسُولُهُ، وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ
فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا
تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ
وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ
اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾

سورة آل عمران [الآيات ١٠١ - ١٠٨]

[١٠١] ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

﴿وَكَيْفَ﴾: الواو: عاطفة، كيف: اسم استفهام، وتعجب واستبعاد وقوع الكفر فيهم، والقرآن يُتلى عليهم ورسول الله ﷺ بينهم.

﴿تَكْفُرُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ ليدل على تجدد، وتكرار الكفر منهم.

﴿وَأَنْتُمْ﴾: الواو: حالية تفيد التوكيد. أنتم: ضمير منفصل يفيد التوكيد.

﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ﴾: تُقرأ عليكم آيات الله على لسان رسوله ليلاً ونهاراً.

﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾: أي: بين أظهركم رسول الله، والذي ظهرت على يديه المعجزات الكثيرة.

﴿وَمَنْ﴾: الواو: استئنافية. من: شرطية.

﴿يَعْتَصِم بِاللَّهِ﴾: يتمسك بالله عزَّ وجلَّ، وكتابه، ودينه. يعتصم: مشتقة من العصم: وهو المنع، والعصمة: المناعة؛ كالذي يأخذ تلقيحاً ضد مرض ما؛ كي لا يصاب به.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للترتيب والمباشرة. قد: حرف تحقيق يفيد التوكيد.

﴿هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: فقد اهتدى إلى صراطٍ مستقيم إلى الإسلام، وسار على الصراط الموصل إلى الغاية.



وكيف تكفرون ليس معناها أنه وقع منهم الكفر، ولو حصل ذلك لما ناداهم
ب: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

[١٠٢] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد إلى الذين آمنوا بالتقوى، وإسلام الوجه
لله، استعمل فيها يا النداء: للبعد، والها: للتنبيه.

﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾: اتقوا الله: أطيعوا أوامر الله، واجتنبوا نواهيه.
حق: من الحق: وهو الوجوب، والثبوت، والحق: هو الصدق هو كل أمر ثابت
لا يتغير. حق تقاته؛ أي: اتقوه اتقاءً حقاً، أو اتقوه التقوى الواجبة؛ أي: ابذلوا
جهدكم، أو أقصى استطاعتكم في طاعة الله، وذكره، وشكره، وعبادته، والإيمان
النام الكامل، فلا تؤمنوا ببعض، وتكفروا ببعض، والإحسان، والرضا، والصبر،
والشكر.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة. لا: الناهية.

﴿تَمُوتُنَّ﴾: النون في تموتن؛ للتوكيد.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿وَأَنتُمْ﴾: ضمير منفصل يفيد التوكيد.

﴿مُسْلِمُونَ﴾: أي: مخلصون، موحدون بالاستسلام لله تعالى، وقضائه،
وقدره في تلك اللحظات الحرجة، أو الساعة الرهيبة، وقوله: وأنتم مسلمون:
تدخل في سياق: اتقوا الله حق تقاته، وكأنه خص التوحيد، والإخلاص؛ أي: ذكر
الخاص بعد العام؛ للتوكيد على أهمية لا إله إلا الله، واليقين برحمة الله تعالى
وعدله، وتجنب الشيطان، أو الشك، وعدم الزيع، والدعاء: ربنا لا تزغ قلوبنا بعد
إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة.

فالإيمان درجات تبدأ بالإسلام، ثم ترتفع إلى درجة الإيمان، ثم ترتفع إلى درجة التقوى، ثم ترتفع إلى درجة الإحسان، ثم الإسلام، وهو إسلام الوجه، ويعني: الإخلاص التام، وأن يعبد الله كأنه يراه.

ومن معاني حق تقاته: طاعة صادقة مخلصة مستمرة حتى الموت.

ويجب العلم أنه لا يوجد بشر يستطيع أن يتقي الله التقوى التي تليق بجلاله وعظمته، ولو سجد وصلى وصام وأطاع الله وعبده في كل ثانية ولحظة في حياته حتى مماته.

وأما قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]: معناها نفس معنى الآية: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾؛ لأن قوله: ما استطعتم؛ أي: ما في وسعكم، وجهدكم، وطاقتكم، فلا يظن أحد كما ظن البعض: أن الاستطاعة في هذه الآية هي أقل درجة من حق تقاته في الآية الأولى، ولا شك أن لكل إنسان طاقة وسعة محددة.

والذي يحدد الاستطاعة هو الله؛ أي: المشرع؛ فلا يصح للعبد أن يحدد الاستطاعة بنفسه، أو القدرة، ولا ينسى أن الله سبحانه رخص للمريض والمسافر وللمرأة في حالة حيضها ونفاسها وحملها برخص؛ لأنه عليم حكيم، وغفور رحيم، وأكثر العلماء متفق على أن الآية: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾: لم تنسخ بالآية: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾؛ كما ظن البعض الآخر.

[١٠٣] ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾: الاعتصام: الاستمسك والمنعة، والتمسك عادة يكون بشيء ما؛ لتجنب الوقوع، فكأن هناك شيئاً إذا تمسك به



جنبه الوقوع، وارتفع به إلى الأعلى، ومنع نفسه من السقوط، وهذا الشيء هو حبل الله؛ أي: كتاب الله سبحانه، وسنة رسوله ﷺ، وهذا يسمى في البيان استعارة تمثيلية بليغة.

بحبل الله: الباء: للإلصاق، حبل الله: هو القرآن، وسنة الرسول ﷺ، أو الدين، ويشمل: الإيمان، والعمل الصالح، وحبل الله: هو الأمان في الدنيا والآخرة، وعدم الخوف، والحزن، والنجاة، وهو الموصل إلى البغية والغاية. جميعاً: للتوكيد، الكل يجب أن يعتصم بحبل الله.

﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية، تفرقوا: شيعاً وطوائف وأحزاباً، كما تفرقت اليهود والنصارى.

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: قيل: الخطاب موجّه إلى الأوس والخزرج حين كان بينهم حروب وعداوة كثيرة في الجاهلية امتدت أكثر من (١٢٠) سنة، فلما جاء الإسلام وحّد بينهم بنعمة الألفة والوحدة، والاجتماع على القرآن، والإيمان، وطاعة الله.

والعبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب.

فما أحوجنا نحن في هذا العصر إلى الأخذ بهذه الآية أكثر مما أخذ بها الأوس والخزرج.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمان للماضي؛ أي: حين ﴿كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾: في الجاهلية، فألف بين قلوبكم.

أعداء: إذا كانت العداوات بينهم مختلفة يصفهم بأنهم أعداء، وإذا كانت العداوة بينهم واحدة، أو سببها واحد مثال: عداوة في الدين قال عنهم عدو.

﴿فَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾: أي: وَّحَّدَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ، وجمع بين الأوس والخزرج، وجمع بين قلوبكم بالأخوة، والإسلام، والإيمان.

﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾: أصبحتُم متراحمين، ومجتمعين على أمر واحد: إخواناً في الدين.

﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا﴾: أي: مشرفين. شفا الحفرة: حافتها، ومن كان يقف على الحافة يوشك أن يقع، وأشفى على الشيء: أشرف عليه.

أي: مشرفين على الوقوع في نار جهنم؛ لما كنتم عليه من الكفر.

﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾: فَأَنْقَذَكُمُ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ والوحدة والصلح، وأنجاكم من الوقوع في نار جهنم. منها: تعود للحفرة، أو النار، أو الشفا.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾: أي: كما نبين لكم ما ذكر في الآيات السابقة يبين لكم آياته؛ لتهتدوا هداية تامة، ولا تعودوا إلى أوضاع الجاهلية من التفرقة، والاختلاف، والعدوان.

﴿إِنِّي﴾: أضاف الهاء لها تعظيماً، ولم يقل الآيات.

فحين يقول: آياته، أهم من قوله: الآيات، وقوله: آياتي أهم في المعنى من الآيات، أو آياته، وأحب وأقرب من الآيات.

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لعل: للتعليل؛ أي: لتهتدوا.

[١٠٤] ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾:

﴿وَلَتَكُنْ﴾: الواو: عاطفة، واللام: لام التوكيد، أو لام الأمر، أو الاختصاص.



﴿مِنْكُمْ﴾: من: ابتدائية للتبعض؛ لأن الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فرض كفاية لا يلزم كل الأمة، وليس كل فرد مؤهل للقيام بذلك.

ومن المفسرين من قال: من: للبيان؛ أي: منكم من أمة محمد ﷺ منكم خاصة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم ومسلمة.

﴿أُمَّةٌ﴾: هي الجماعة التي تجمعها عقيدة واحدة بغض النظر عن الكم البشري، والحيز الجغرافي.

﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾: الخير كل ما فيه منفعة وصلاح الناس في الدين والدنيا، والخير ضد الشر، أو كل ما ينفع الإنسان في حياته الدنيا والآخرة من الإيمان، والعمل الصالح.

﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾: المعروف: كل ما عرفه الشرع فأمر به لنفعه وصلاحه للفرد أو الجماعة.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: المنكر: وهو كل ما نهى عنه الشرع؛ لضرر وفساد للفرد، أو الجماعة، أو ما أنكره الله ورأوه قبيحاً. وقيل: المنكر هو فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: أولئك: اسم إشارة للبعد يفيد علو منزلتهم.

﴿هُمْ﴾: ضمير يفيد التوكيد.

﴿الْمُفْلِحُونَ﴾: الكاملون في الفلاح، أو إذا كان هناك مفلحون فهم في طليعة المفلحين. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥) للبيان.

[١٠٥] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾: الخطاب إلى أمة محمد ﷺ، وهم جزء من الأمة الإسلامية التي امتدت من نوح إلى إبراهيم إلى موسى وعيسى إلى محمد ﷺ. كالذين: الكاف: كاف التشبيه. الذين: اسم موصول.

﴿تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾: تفرقوا: من التفرق، وهو الاختلاف الشديد الذي أدى إلى الابتعاد؛ أي: فارق بعضهم بعضاً فلم يكونوا يداً واحدة، وأما تتفرقوا كما في الآية (١٣) في سورة الشورى ولا تتفرقوا بدلاً من تفرقوا تأتي في سياق تفرق الأمم المختلفة، وتفرقوا تأتي في سياق تفرق أفراد الأمة الواحدة مثل أمة محمد ﷺ؛ أي: اليهود والنصارى على رأي أكثر المفسرين.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: من: ابتدائية، مباشرة من بعد ما جاءهم البينات. الأدلة الواضحة، والآيات، والأوامر، والنواهي بعدم الاختلاف، والتفرق، والتشيع. ارجع إلى سورة البقرة (٢٠٩)؛ لمزيد من البيان، والفرق بين جاءكم البينات، وجاءتكم البينات.

﴿وَأُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، أو الاستحقاق.

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: من أشد أنواع العذاب (يجمع بين كونه عذاباً أليماً ومهيناً ومقيماً).

قال تعالى في هذه الآية: ولا تفرقوا، بينما في سورة الشورى (١٣): ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾: ففي آية آل عمران قال: تفرقوا، حذف إحدى التاءين؛



لأن الخطاب فيها للأمة الإسلامية فقط، بينما تتفرقوا (جاء بتاءين)؛ لأن الخطاب في الآية موجّه إلى أمم مختلفة من آدم إلى نوح إلى إبراهيم وموسى وعيسى؛ أي: أمم مختلفة، فزيادة التاء تناسب زيادة الأمم.

والتفرُّق في آية آل عمران يختلف عن التفرق في آية الشورى، ففي آل عمران تحذير ونهي عن التفرق مهما كان نوعه، ومهما قل أو صغر، وأما النهي في آية الشورى فهو تحذير أوسع وأشمل.

وانتبه إلى تقديم التفرقة على الاختلاف والأصل هو الاختلاف، وهو الذي يؤدّي إلى التفرقة، فقدّم التفرقة على الاختلاف؛ لأنه أحياناً التفرقة هي التي تسبب الخلاف، أو بالعكس الخلاف يؤدّي إلى التفرقة.

والاختلاف المنهي عنه هو في أصول الدّين، وتحكيم الأهواء والمصالح، ولا يقصد به الاختلاف في الفروع والاجتهادات في تفاصيل العبادات والمعاملات، فما هو الفرق بين الخلاف والاختلاف؟

فالاختلاف: لغة يعني: عدم الاتفاق، وفي الاصطلاح: أن يذهب كل عالم إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر، والاختلاف منه المحمود، ومنه المذموم.

ويكون الاختلاف أمراً مشروعاً إذا توافر فيه أمران:

الأول: أن لكل من المختلفين دليلاً يصح الاحتجاج به، وإذا لم يكن له دليل سقط، ولم يؤخذ به.

الأمر الثاني: ألا يؤدّي الأخذ بالمذهب المخالف إلى باطل، أو شيء محال؛ فإذا كان كذلك بطل، ولم يؤخذ به.

أما الخلاف: هو الذي يفقد الأمرين، أو الشرطين، أو أحدهما، والخلاف منبوذ، وهو مظهر من مظاهر الهوى.

[١٠٦] ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: يوم القيامة.

﴿تَبْيَضُّ﴾: البياض يعني النور، نور في وجوه المؤمنين المتقين، وكناية عن السرور والبهجة سببه الإيمان والوضوء والتقوى.

﴿وَتَسْوَدُّ﴾: السواد من الظلمة، ظلمة في وجوه الكافرين كناية عن الخوف، والكآبة، وسببه الكفر، والشرك، والمعاصي، وقدم الذين ابيضت وجوههم للتشريف والتعظيم على الذين اسودت وجوههم.

والسواد والبياض في الآخرة لا يمدان بصلة إلى الاسوداد والايضااض الذي نراه في الدنيا، واللون ليس دليلاً على حب أو كره الله لعبده.

فاللون الأسود في الدنيا قد يصبح لوناً أبيض في الآخرة، واللون الأبيض في الدنيا قد يصبح أسود في الآخرة.

فلون البشرة في الدنيا أسبابه تختلف عن لون البشرة في الآخرة.

فاللون في الآخرة يعود إلى الإيمان والكفر، وفي الدنيا يعود إلى الهرمونات والجينات والبيئة، وسوف تزول عوامل البيئة؛ لأن السموات والأرض سوف تتبدل آنذاك.

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء: استئنافية، أما: حرف شرط وتفصيل.

﴿الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾: بسبب تفرقهم واختلافهم، ومن سوء ما عاينوه من أهوال يوم القيامة.



والسواد نتيجة الغبرة التي ترهقها قتره، والفترة من القطار: وهو الهواء الممتلئ بدخان أسود يشبه دخان الدهن المحروق.

﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾: أكفرتهم: الهمزة همزة استفهام وتوبيخ، والخطاب موجه إلى أهل الكتاب الذين كفروا بمحمد ﷺ.

أكفرتهم بمحمد ﷺ بغياً وتكبراً وحسداً بعد أن عرفتموه، كما تعرفون أبناءكم، ولم تؤمنوا به، أو الخطاب إلى المرتدين، أو المنافقين، والمبتدعين، والكفار بشكل عام.

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: فذوقوا: الفاء: رابطة لجواب الشرط.

أصل الذوق يكون باللسان (الفم)، وشبه العذاب بشيء مما يؤكل أو يذاق.

﴿الْعَذَابَ بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، أو السببية، ما: حرف مصدري.

﴿كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: بسبب كفركم في الدنيا، وجاء بصيغة المضارع (لحكاية الحال)، وتجدد كفرهم وعدم توبتهم.

[١٠٧] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَيْضًا أُجُوهَرُوا فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَيْضًا أُجُوهَرُوا﴾: بعد الحديث عن الذين اسودت وجوههم يتحدث عن القسم الآخر وهم الذين أبيضت وجوههم، بسبب نور الإيمان والتقوى، والوضوء، وقيام الليل، وقدم حين فصل الذين اسودت وجوههم على الذين أبيضت وجوههم للكثرة، أو بدأ بالتفصيل بما انتهى إليه الإجمال، والله أعلم.

﴿فِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾: الرحمة: قيل: الجنة وزيادة، والرحمة صفة ثابتة باقية ببقاء الله، فالرحمة أعظم من الجنة.

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: هم: ضمير منفصل يدل على الحصر.

خالدون: صفة ثابتة لا تتغير، لا يموتون، ولا يتغيرون، والخلود استمرار البقاء يبدأ من وقت محدّد هو دخولهم الجنة.

وقيل: ففي: الفاء الأولى للدخول في الرحمة، والفاء الثانية للخلود.

[١٠٨] ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾:

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد يشير إلى الآيات الواردة في الوعد والوعيد.

﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾: عن طريق جبريل ﷺ، ولكنه أسند التلاوة إليه سبحانه؛ لأن جبريل إنما يتلو بإذن الله، وأمره، وكما علمه سبحانه. نتلوها: جاء بنون العظمة؛ للدلالة على أهمية الآيات وأهمية المتلو عليه.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق، فهي ملتبسة بالحق (والحق هو الأمر الثابت الذي لا يتغيّر؛ لأنه من الله تعالى).

والحق ملزق بها، لا يمكن فصله عنها، ولا فصلها عنه.

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية، ما: النافية؛ لنفي الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾: فهو سبحانه ينفي عن نفسه أن يظلم (يفعل الظلم)، ويذهب إلى أبعد من ذلك وينفي عن ذاته إرادة الظلم، ونفي الإرادة أبلغ من نفي الفعل نفسه، فهو ينفي الإرادة، وينفي الفعل معاً.

ويؤيد ذلك قوله سبحانه في الآية (٤٦) من سورة فصلت: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.





سُورَةُ الرَّحْمٰنِ ٣

الجزء الرابع

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
 (١٠٩) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
 وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ
 أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ
 وَأَكْثَرُهُمُ الْفٰسِقُونَ (١١٠) لَن يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى
 وَإِن يُقْتَلُوا يَكُونُوا يُولُوكُمْ أَلَدً بَارِئًا لَّيُصْرُوكَ (١١١) ضَرِبَتْ
 عَلَيْهِمُ الدَّلَةُ أَيْنَ مَا ثَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ
 وَبَآءٌ وَبَغْضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضَرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ
 بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ
 حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢) * لَيْسُوا سَوَآءٌ
 مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ
 وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ
 فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّٰلِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا
 مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥)



سورة آل عمران [الآيات ١٠٩ - ١١٥]

[١٠٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾:

﴿وَلِلَّهِ﴾: الواو: عاطفة، لله: اللام: لام الاختصاص، وتقديم الجار والمجرور لله على ما في السموات، وما في الأرض؛ تفيد الحصر، والقصر؛ أي: له وحده سبحانه.

﴿مَا﴾: لغير العاقل، والعاقل، وهي أعم وأشمل من (من).

﴿فِي﴾: ظرفية مكانية وزمانية.

﴿السَّمٰوٰتِ﴾: السبع ذاتها وما تحوي.

﴿وَمَا فِي الْاَرْضِ﴾: ذاتها وما تحوي.

وتكرار ما (في يفيد) التوكيد، وحين يعيد عبارة (ما في) قد يتبع ذلك ذكر شيء عن أهل الأرض، أو تكرار ما في يفيد الفصل بين السموات والأرض، فهناك أشياء ومخلوقات توجد في السموات ولا توجد على الأرض أو بالعكس، فله سبحانه كل شيء.

﴿وَإِلَى اللَّهِ﴾: حصراً، وقصراً له وحده، ﴿تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: للفصل، والحساب وإصدار الحكم.

[١١٠] ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفٰسِقُونَ﴾:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ﴾: يعني: وجدتم خير أمة، أو خلقتهم.



أو تعني: كنتم في علم الله خير أمة.

أو كنتم منذ آمنتم خير أمة.

أو كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة.

أو معنى كنتم؛ أي: أنتم خير أمة أخرجت للناس.

أو كنتم في اللوح المحفوظ خير أمة.

وهذه الخيرية مشتركة ما بين أول الأمة وآخر الأمة.

﴿أَخْرَجَتِ لِلنَّاسِ﴾: أخرجت: ولم يقل: خرجت؛ أي: خرجت بنفسها بدون مخرج؛ أي: خرجت بنفسها بدون رسالة، أو قوانين ربانية، وإنما أخرجت؛ أي: أخرجها الله سبحانه للناس بمنهج الإسلام، ولم تخرج مجرد إخراج لا فائدة فيه ولا نفع، وإنما أخرجت لهداية الناس كافة. للناس: اللام: لام الاختصاص.

﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾: تأمرون الناس بالإيمان بالله بتطبيق شرع الله، واتباع سنة رسوله ﷺ في الحياة اليومية، وتعليم الناس أمور دينهم.

وتعريف المعروف: ارجع إلى الآية (١٠٤) من نفس السورة.

﴿وَنَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: المنكر، والشرك، وكبائر الإثم والفواحش، والفساد باليد واللسان، أو بالقلب، وذلك أضعف الإيمان.

وتعريف المنكر: ارجع إلى الآية (١٠٤) من نفس السورة.

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾: والإيمان بالله يتضمن: الإيمان بكل ما أمر الله به من الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسول، واليوم الآخر، والقضاء والقدر خيره وشره.

وقدّم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر على الإيمان بالله؛ لأن الأمر السابقة لم تكن مكلفة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما هذه الأمة فلها

ميزة على غيرها من الأمم كونها مكلفة بهذا الأمر، ولذلك قدّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان؛ لأن الإيمان عامل مشترك بين الأمم، فالكل مطلوب منه الإيمان، ويؤكد ذلك ما قاله الله سبحانه في سورة المائدة، آية (٧٨) - (٧٩): ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا لم يصاحبه إيمان بالله فلن يُقبل من صاحبه، وهو في الآخرة من الخاسرين، وقد يجازي عليه في الدنيا، وقدمه للحث على القيام به، وبيان أهميته.

﴿وَلَوْ﴾: الواو: استئنافية، لو: شرطية.

﴿ءَاَمَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: أي: لو آمنوا بمحمد ﷺ، وبما أنزل على محمد ﷺ، أو آمنوا كإيمان المسلمين بالله، وملائكته، ورسله، وكتبه، وآمنوا برسلمهم، واتبعوا ما أنزل الله تعالى.

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾: إذ كانوا يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض، يؤمنون بموسى، وعيسى، ويكفرون بمحمد ﷺ.

﴿مِنْهُمْ﴾: أي: من أهل الكتاب.

﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾: أمثال عبد الله بن سلام، وأصحابه (وهم قلة).

﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾: الخارجون عن طاعة الله عز وجل بعدم اتباع النبي الأمي المبعوث رحمة للعالمين، والذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٦) لمزيد من البيان في فاسقين، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٦) من سورة الحديد وهي قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أكثرهم: تعني العدد، أو النسبة أكثر من كثير؛ أي: كثير أقل من أكثر، وأكثر تأتي أيضاً في سياق أسوأ الصفات مقارنة بكثير.



[١١١] ﴿لَنْ يَضُرَّوْكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتَلُواْكُمْ يُولُوكُمُ الْآدِبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾:

﴿لَنْ﴾: حرف لنفي الضرر عنكم في المستقبل القريب والبعيد.

﴿يَضُرُّوْكُمْ إِلَّا أَذًى﴾: إلا: أداة حصر؛ أي: لا تظنوا هذه الأثرية الفاسقة قادرة على إلحاق الضرر بكم، وإنما قد يؤذوكم بالقول، أو الاستهزاء، أو السخرية، والطعن، والكذب.

يضروكم إلا أذى: لن يضروكم: ما معنى الضرر: الحدث المؤلم الذي له آثار تمتد على زمن طويل كما يحدث في الحروب والسلب والنهب.

أما الأذى: هو الحدث المؤلم ساعة وقوعه، وينتهي سريعاً بعد فترة من الزمن، والضرر أشد من الأذى، والأذى يحدث أولاً، وإذا استمر قد يصبح ضرراً.

﴿وَإِنْ يُقْتَلُواْكُمْ﴾: الواو: عاطفة، إن: شرطية جازمة، تفيد معنى الاحتمال، وتستعمل للأمر النادرة الوقوع.

يقاتلوكم: أصلها يقاتلونكم حذف منها النون؛ تعني: عدم توكيد قتالهم لخوفهم منكم.

﴿يُولُوكُمُ الْآدِبَارُ﴾: أي: ينهزموا أمامكم (تولية الأدبار تدل على الهزيمة والخذلان).

حذف النون من يولونكم فقال: يولوكم (وهي جواب الشرط، وحذف منها النون) لتعني يولوكم الأدبار بسرعة.

والأدبار جمع دبر، والدبر يقابله القبل، وتعني الظهر، واستعمل الدبر بدلاً من الظهر، أو العقب (عقب القدم) لبشاعة الانهزام أمام العدو.

ولا بد من الانتباه إلى أمر هام: هو أن القرآن العظيم يستعمل غالباً الدبر في الانهزام أمام العدو، وفي القتال والانسحاب من أرض المعركة، ويستعمل العقب غالباً في الارتداد عن دين الله، والكفر، والضلال بعد الإيمان.

أمثلة: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥]؛ أي: الفرار من أرض المعركة.

﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَدْبَارَ﴾ [الفتح: ٢٢]؛ أي: فروا من أرض المعركة.
﴿أَفَايُنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؛ أي: عدتم إلى الكفر والشرك والعصيان أو الردة.

﴿إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُزِدُواكُمْ عَلَىٰ أَغْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٩].
لأن الفرار أمام العدو يمكن العدو من ظهورنا، أو أدبارنا، فهذا أمر عظيم مستهجن، وحين يفر المسلم من أرض المعركة، أو التولي يوم الزحف من الكبائر.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾: بدلاً من قوله: ثم لا ينصروا، فهنا عطف بالرفع بدلاً من أن يعطف بالجزم.

وهذا له أهمية بلاغية هامة؛ لأنه لو جزم الفعل فقال: ثم لا ينصروا؛ لكان النصر مقيداً بتلك المعركة فقط؛ أي: تنصروا مرة واحدة، أو مرتين على الأكثر.
ولكن حين رفع الفعل، وقال: ثم لا تنصرون: كأنه وعدٌ مطلقٌ بالنصر المتكرر مرات عديدة، وليس مرة واحدة فقط؛ ليطمئن المؤمنين.

وانظر إلى كلمة (ثم) التي تدل على التراخي في الزمن؛ أي: في الزمن القادم البعيد، وهذا يدل على حكم الله تعالى على أهل الفسق، والكفر أنهم لا ينصرون أبداً، سواء بقتال أو غيره، وإن انتصروا مرة أو مرتين فلن يطول ذلك، ويعود النصر إليكم، وهذا إشارة ووعد من الله للمؤمنين يبعث في روح المؤمن التفاؤل ويحثه على التوكل على الله، واليقين بنصر الله تعالى.

يؤيد ذلك قوله تعالى في الآية (١٢٦) من سورة آل عمران: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.



[١١٢] ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَنْ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾:

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ﴾: أحاطت بهم الذلة، أو ألصقت بهم المذلة بحيث لا يستطيعون الانفكاك عنها، كما تحيط الخيمة بما فيها (استعارة مكنية).

وكلمة ضربت مشتقة من صهر المعادن في قالب تصهر النقود الفضية فيه، تصهر وتوضع في قالب، فتخرج مطبوعة بطباعة لا تنفك عنها.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور، وتقديم عليهم على الفاعل تفيد الحصر، وعلى تفيد الاستعلاء والمشقة.

﴿الذَّلَّةُ﴾: الدليل: هو من لا منعة له، ولا قوة (ضعفاء لا منعة لهم ولا قوة)، وحدث ذلك بعد أن تأمروا على قتل رسول الله ﷺ، وبسبب الحروب ضد المسلمين مثل حروب خيبر، وبني قريظة، وبني قينقاع.

﴿أَنْ مَا ثُقِفُوا﴾: أين: ظرف مكان تفيد الإبهام والغموض، وأوسع شمولاً وعموماً من حيثما. ما: شرطية، ثقفوا: أينما وجدوا، ولكن هناك فرق بين ثقفوا ووجدوا.

ثقفوا: إذا ثقفت عدوك؛ أي: وجدته وأنت في حالة من القوة، والتمكن من النيل منه.

وجدوا: تعني إذا وجدت عدوك؛ أي: وجدته وأنت في حالة غير تأهب، واستعداد لقتاله، والنيل منه، وهنا يجب عدم التعرض له ومواجهته.

أي: ضربت عليهم الذلة أينما أدركوا، وأقاموا، فالذلة محيطة بهم.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، إلا في حالتين يكونون فيها غير أذلاء:

الأولى: ﴿بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ﴾: الحبل هو العهد من الله.



والحبل هو المعاهدة كالمعاهدة التي تربط بين دولة ودولة أخرى.

والحبل يعني الأمان؛ لأنه يوصل إلى البغية، ويحول به الخوف.

إلا بحبل من الله؛ أي: ضربت عليهم الذلة في كل الأحوال إلا في حال اعتصامهم بحبل الله، وحبل من الناس، وحبل الله يعني: الكتاب (القرآن، أو التوراة)، أو الدين.

أي: إذا تمسكوا بكتابهم كالتوراة (وعملوا بما فيه)، أو الذين طبقوا ما فيه فهم في مأمن.

أو إذا أعطاهم الرسول ﷺ العهد، كما حصل في المدينة، فكانوا آمنين غير خائفين.

وبعد أن تخلّى عنهم الله بسبب ما فعلوه لجؤوا إلى غيرهم كالدول وغيرها لتحميهم.

الثانية: ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾: أو هم غير أذلاء حين عقدوا المعاهدات مع الدول الأخرى؛ فأصبحوا تحت حماية دولة قوية تدافع عنهم.

﴿وَبَاءٌ وَيَغْضَبُ مِّنَ اللَّهِ﴾: رجعوا أو استحقوا غضب الله، والباء في كلمة بغضب للإلصاق؛ أي: غضب الله لا يفارقهم (ملتصق بهم).

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾: المسكنة أمر ذاتي نفسي داخلي، هو شعورهم بأنهم مظلومون مساكين أمام العالم كله، بينما الذلة أمر خارجي (مثل الهزائم في الحروب، والانكسار، والجبن، والخوف).

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة إلى ضرب الذلة والمسكنة، وبأوا بغضب الله.



كل ذلك سببه كفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء، وبسبب عصيانهم لله، واعتدائهم على حدوده.

﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: يكفرون ولم يقل: كفروا؛ لأنهم استمروا على كفرهم، وكفرهم يتكرر، ويتجدد، ولم يتوقف.

أمثلة على كفرهم بآيات الله، مثل: النجاة من فرعون، وفلق البحر، وإنزال المن والسلوى، ورفع الطور فوقهم كأنه ظلة، وضرب الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً.

﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: ارجع إلى الآية (٦١) من سورة البقرة لمقارنة آيات قتل النبيين والأنبياء بحق وبغير حق.

يقتلون الأنبياء: جاءت بالفعل كفعل مضارع (لحكاية الحال)؛ ليحضر صورة القتل أمام أعيننا رغم أنه حدث في الماضي، وينقله من الماضي إلى الحاضر؛ لبشاعته.

والأنبياء: تدل على جمع كثرة (جمع تكسير) مقارنة بالنبيين جمع سالم يفيد القلة.

بغير حق: حق: نكرة، والنكرة تدل على البشاعة والذم، ولا يوجد حق أصلاً، أو سبب سواء كان معرفة، أو نكرة يدعو إلى قتل أي نبي.

﴿ذَلِكَ﴾: تفيد التوكيد والتكرار لما حدث لهم من الذلة والمسكنة والغضب.

﴿بِمَا عَصَوْا﴾: الباء: باء السببية، أو البدلية.

أي: بسبب عصيانهم أوامر الله، ونواهيهِ، وكانوا يعتدون، أمثلة: أخذهم الربا وقد نهوا عنه، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وصدهم عن سبيل الله كثيراً.
لنقارن هاتين الآيتين سورة البقرة، آية (٦١): ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾.

والآية (١١٢) من سورة آل عمران: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا لِمَحَلٍّ مِّنَ اللَّهِ وَحَبِلَ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾.

ففي آية البقرة: الذلة والمسكنة ضربت عليهم في آن واحد (في زمن موسى ﷺ)، وتجلت الذلة والمسكنة في هزائمهم في الحروب مع العمالق (القوم الجبارين) الذين كانوا دائماً يهزمونهم، وسرقوا التابوت الذي فيه بقية من آل موسى وآل هارون.

وأما في آية آل عمران: ضربت عليهم الذلة في زمن أول، وضربت عليهم المسكنة في زمن آخر، أو ثانٍ، وضربت عليهم الذلة حين تأمروا على قتل رسول الله ﷺ، وضربت عليهم المسكنة في حروب خيبر وبني قريظة وبني قينقاع. ومقارنة هاتين الآيتين يشير إلى استعمال التنكير في آية آل عمران، وذكر الأنبياء في آل عمران الذي يدل على جمع الكثرة مقارنة بقتل النبيين جمع قلة في البقرة، واستعمال صيغة التعريف يدل على أن آية آل عمران أشد وأبلغ ذمًا وتشنيعًا من آية البقرة، ولا ننسى أن آية البقرة أيضاً جاءت في سياق تعداد النعم على بني إسرائيل.

[١١٣] ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانًا أَلِيلًا وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾:

﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾: أي: ليس أهل الكتاب متساوين في درجة الإيمان والتقوى.



﴿مَنْ﴾: ابتدائية، أو بعضية من ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾.

﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾: جماعة قائمة ثابتة على الإيمان، والعمل الصالح، مثل: عبد الله بن سلام، وجماعة معه من اليهود، وقائمة مستقيمة على طاعة الله عز وجل، وقائمة بالأمانة والفرائض.

﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾: آيات القرآن في صلاة التهجد، والتلاوة تعني: القراءة المتتالية.

﴿ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾: ساعات الليل.

﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾: أي: يصلون (عبر عن الصلاة بالسجود)، عبر بالجزء وأراد به الكل، السجود جزء من الصلاة.

[١١٤] ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾:

من أهل الكتاب، من: للمفرد، والمثنى، والجمع.

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: أي: لهم نفس صفات خير أمة أخرجت للناس.

﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾: ارجع إلى الآية (١١٠) من نفس السورة بصيغة المضارع؛ للتجدد، والاستمرار.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: ارجع إلى الآية (١١٠) من نفس السورة بصيغة المضارع؛ للتجدد، والاستمرار.

﴿وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: ولم يقل: إلى الخيرات؛ أي: هم سارعوا في فعل الخيرات سابقاً، ومستمرون عليها، ويسارعون في زيادتها.

﴿وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّٰلِحِينَ﴾: وأولئك: اسم إشارة، واللام: للبعد يفيد علو درجتهم، وعلو منزلتهم. من الصالحين: من جملة الصالحين الذين أصلحوا أعمالهم عند ربهم، ورضي عنهم، واستحقوا ثناءه، وأصلحوا استعمار الأرض، وكانوا قدوة لإصلاح غيرهم.

[١١٥] ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: شرطية، ﴿يَفْعَلُوا﴾: يقوموا به من قولٍ أو عمل.

﴿مِنْ﴾: استغراقية تشمل الصغير، أو الكبير، أو القليل، أو الكثير، أو مهما كان نوعه.

﴿خَيْرٍ﴾: ما فيه نفع وصلاح الدين والدنيا.

﴿فَلَنْ﴾: الفاء: للتوكيد، لن: لنفي المستقبل القريب والبعيد، لن يكفروه قريباً أو بعيداً.

﴿يُكْفَرُوهُ﴾: مشتقة من الكفر، وهو الستر، والهاء: تعود على الخير؛ أي: لن يُستر عنهم، أو لن يحجب عنهم ثوابه؛ أي: سينالون ثوابه وافياً.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بصيغة المبالغة على وزن فعيل، كثير العلم، لا تخفى عليه خافية، عليم بما يفعلونه ويقولونه.

﴿بِالْمُتَّقِينَ﴾: جمع متقٍ، عليم بما يعملونه، ومن هم وليجازيهم على تقواهم. ارجع للآية (٢) من سورة البقرة.





سُورَةُ الرَّحْمٰنِ ٣

الجزء الرابع

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا
ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾
هَٰأَنتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ
وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ
مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
إِن تَمَسَّسْكُمُ حَسَنَةٌ تَسُوءُهُمْ وَإِن تَصِبْكُمُ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا
بِهَا وَإِن تَصِبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا
إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدَ الْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

سورة آل عمران [الآيات ١١٦ - ١٢١]

[١١٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ﴾: ارجع إلى الآية (١٠) من نفس السورة.
 ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٣٩) من سورة البقرة.

[١١٧] ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾:

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: مثل ما ينفق الذين كفروا في هذه الدنيا رياءً، وبدون إخلاص، وابتغاء السمعة، والمدح من الناس، وليس ابتغاء وجه الله؛ حتى ولو تكرر إنفاقهم، وتجدد لن ينفعهم، ولن يقبل منهم، وشبهه الله كمثل ريح فيها صرٌّ.

﴿كَمَثَلِ﴾: الكاف: للتشبيه؛ أي: يشبه.

﴿رِيحٍ﴾: الريح في القرآن تحمل معنى الشر والدمار، والعذاب بعكس الرياح التي تحمل الخير والبركة.

﴿فِيهَا صِرٌّ﴾: الصرُّ: هو البرد الشديد الزمهرير (ريح صرصر عاتية).

﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾: الحرث: الزرع؛ أي: رزق قوم (جماعة من الناس).

﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بالشرك، والكفر، والرياء، والمعاصي.



﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾: الفاء: للمباشرة، والتعقيب، أهلكته: قضت عليه، أو دمرته، أو جعلته حطاماً لا نفع منه.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾: بإهلاك حرثهم، أو بعدم قبول نفقاتهم؛ لأنهم كفروا بالله ورسوله، ولم يتوبوا إلى الله عز وجل، فكان ذلك سبب إحباط ثواب نفقاتهم.

﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك وتحقيق.

﴿أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بحبوط ثواب أعمالهم في الآخرة، أما في الدنيا فالله سبحانه يثيبهم، فما يقومون به من مشاريع خيرية مثلاً، أو إنشاء المدارس، أو التبرعات، فالله سبحانه يعطيهم أكثر منها في الدنيا، وتخلد أسماؤهم، وتقام لهم الذكريات والأعياد.

وفي هذه الآية قال سبحانه: ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، وفي آيات أخرى قال سبحانه: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧، الأعراف: ١٦٠].

يستعمل كانوا في سياق الأقوام الذين ماتوا، وانقرضوا، أو سياق الآخرة. أما أنفسهم يظلمون: هم الآن في الدنيا، ولا زالوا على قيد الحياة (في سياق الدنيا)، فالسؤال هنا: عندما تهب ريح صرصر هل تهب على هؤلاء القوم الكافرين وحدهم، أم تهب على الجميع الذين ظلموا أنفسهم، والذين لم يظلموا؟!

تهب على الجميع، فالذين ظلموا أنفسهم خسروا أموالهم وأنفسهم، وفي النار هم فيها خالدون، وأما الذين آمنوا، ولم يظلموا أنفسهم فعليهم الصبر والاحتساب، والإنابة، ولهم الثواب والأجر عند الله.

[١١٨] ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد إلى الذين آمنوا، استعمل فيها الهاء؛ للتنبيه.

﴿لَا﴾: الناهية.

﴿تَتَّخِذُوا﴾: الاتخاذ يعني: الجعل، أو التصيير؛ أي: لا تجعلوا.

﴿بَطَانَةً﴾: بطانة الرجل؛ أي: خاصته، وأصحابه المقربين الذين يسر إليهم أسرارهم، ويسمون كذلك وليجة، وبطانة: مشتقة من بطانة الثوب، وهي القماش الرقيق الذي يطن به الثوب الداخلي، ويلتصق بجسم الإنسان، وشبه خاصة الرجل والمقربين إليه ببطانة الثوب؛ لأنهم قريبون منه يعرفون أسرارهم، وأعماله كقرب الثوب الباطن من صاحبه.

﴿مِّن دُونِكُمْ﴾: من غيركم؛ أي: لا تتخذوا بطانة لكم من غير المؤمنين؛ كاليهود والمنافقين تسرون إليهم أخباركم، أو تطلعوهم على أسراركم.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يَأْلُونَكُمْ﴾: أصل الألو: التقصير، يقال: ألا في الأمر؛ أي: قصر فيه.

الخبال: هو الشر، والفساد، وبث الأكاذيب، والنميمة، (وقيل: اختلال العقل).

﴿يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾: أي: لا يقصرون في أن يفعلوا كل ما يقدرون عليه ليقعوا فيكم البلبلة، والفساد، والشر، وخلق الاضطراب، والاختلاف بينكم.



﴿وَدُّوا﴾: من الود، وهو الحب الذي تمليه طباعهم، وقلوبهم.

﴿مَا عَنِتُّمْ﴾: ما: مصدرية، وتقديره: ودوا عنتكم بأي وسيلة، وأي نوع من العنت، وإلحاق الضرر، والمشقة بكم، عنتم: مشتقة من العنت: وهو الوقوع في أمر شاق، أو الضرر بكم.

إذن ودوا ما عنتم: أحبوا إلحاق الضرر بكم والمشقة، وإهلاككم.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يفيد التوكيد.

﴿بَدَتْ﴾: ظهرت.

﴿الْبَغْضَاءُ﴾: شدة الكراهية، وإذا اشتدت البغضاء تحولت إلى شنان، أو قلى.

﴿مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: حيث تزل ألسنتهم بالخطأ من الشتم، والكذب، والمخالفة.

﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾: من الكراهية، والحقد، والعداوة.

﴿أَكْبَرُ﴾: أعظم مما يقولونه بألسنتهم بطريق الخطأ.

﴿قَدْ بَيَّنَّا﴾: قد: للتوكيد، بينا: أوضحنا وأظهرنا.

﴿لَكُمْ الْآيَاتِ﴾: الدلائل التي تهديكم إلى سواء السبيل من عدم اتخاذهم بطانة لكم خاصة.

﴿إِنْ﴾: شرطية، وتفيد الشك، أو الندرة في الحدوث.

﴿كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: أي: إذا كنتم ذوي عقول نيرة تفهم الآيات. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٤٤) والآية (٧٣)؛ للبيان.





هاء التنبيه على الضمير، وعلى اسم الإشارة في آن واحد مما يدل على أن التنبيه والتحذير وشدة اللوم هو أشد وأكبر في هذه الآية التي جاءت في سياق أهل الكتاب الذين يزعمون أن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً مقارنة بالذين اتخذوا بطانة من دون المؤمنين.

ولنقارن أربع آيات:

الآية (١١٩) من سورة آل عمران: ﴿هَآأَنَآ أَؤُلَآءِ﴾: نجد تقديم هاء التنبيه على الضمير، وتأخير اسم الإشارة.

والآية (٨٥) من سورة البقرة: ﴿ثُمَّ أَنَآ هَؤُلَآءِ﴾: نجد دخول هاء التنبيه على اسم الإشارة مع تقديم الضمير أنتم.

والآية (٦٦) من سورة آل عمران: ﴿هَآَنَآ أَؤُلَآءِ﴾: نجد دخول هاء التنبيه على الضمير، وعلى اسم الإشارة في آن واحد.

والآية (٨٤) من سورة طه: ﴿هُمُ أَؤُلَآءِ﴾: لا نجد بها هاء داخلية على الضمير، ولا اسم الإشارة.

فلكل آية من هذه الآيات سياق مختلف من حيث شدة التحذير، والتنبيه؛ سنعود إليه حين دراستها.

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِآلِ كَتَبٍ كُلِّهِ﴾: وتصدقون بالكتاب. الباء: للإلصاق، وتعني: التمسك به. الكتاب: اسم جنس؛ أي: بكل الكتب السماوية المنزلة.

كله: تأكيد للإيمان بكل الكتب، والدليل قوله سبحانه: ﴿كُلُّ ءَامَنَ بِآللَّهِ وَمَلَآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وحذف وهم لا يؤمنون؛ حيث كان الأصل في الآية: وتؤمنون بالكتاب كله، وهم لا يؤمنون.

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية للزمن المستقبل، وتتضمن معنى الشرط، وتفيد حتمية الحدوث.

﴿لَقَوْكُمْ﴾: من اللقاء، وهو المواجهة، والتحدث، والفرق بين اللقاء والاجتماع: الاجتماع قد يكون في مكان ما، والكل موجود، ولا يجري اتصال، أو حديث بينهم. أما اللقاء: فهو اجتماع وحديث معاً.

﴿قَالُوا أَمَنَّا﴾: أي: صدقنا بما جاء به محمد ﷺ، قالوا آمنا حذراً على أنفسهم، وهذه حال المنافقين.

﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾: أي: خلا بعضهم ببعض، أو خلوا إلى رؤسائهم؛ بحيث لا يراهم المؤمنون، خلا به، وخلا إليه، وخلا معه، وخلا: سأله أن يجتمع به في خلوة ففعل (خلا معه)، وخلا قد تعني: مضى وذهب.

﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾: الأنامل: جمع أنملة رأس الأصابع كلها. وعض الأنامل: عادة يعض على رأس الأنملة، ولا يعض الأنامل كلها، بل أنملة واحدة.

ولكنه استعمل الأنامل بدلاً من الأنملة (مجازاً) دليلاً على شدة الغيظ، والحق، والندم.

وعضوا عليكم الأنامل: لأنهم لم يستطيعوا إلحاق الضرر والأذى بكم.

أو عضوا من شدة الغضب لما يرون من ائتلافكم، ووحدتكم.

﴿الْغَيْظِ﴾: قيل هو أشد من الغضب، والغيط: هو الهيجان، وثورة النفس؛



لعدم القدرة على الشففي، والانتقام، والثأر بسبب سوء لحقه من الغير. ارجع إلى سورة التوبة، آية (١٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾: قل استمروا على غيظكم حتى الممات، أو موتوا وأنتم فيما أنتم عليه من الغيظ؛ لأن الله سبحانه متم نوره، ومظهر دينه. والباء تفيد الإلصاق، موتوا والغیظ ملتصق بكم، أو ملازم لكم لا ينفك عنكم.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: إن: للتوكيد، عليم: مطلع ورقيب على كل نفس، ويعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور.

بذات الصدور: تعني القلوب (القلب في الصدر).

ذات الصدور تعني: كل المعتقدات، والحقائق، والأحاسيس، والخواطر من نفاق، وإيمان، وحسد، ومكر، وكراهية، وحب، فهذه الأمور التي تعيش وتصاحب الإنسان تصبح كالصاحب الذي لا يفارق صاحبه، فلكونها ملازمة، أو مصاحبة لصدر الإنسان؛ أي: قلبه (تجول وتعيش فيه) تسمى ذات الصدور، وإن لم تخرج بعد إلى الناس.

[١٢٠] ﴿إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً سَوْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾:

﴿إِنْ﴾: شرطية تدل على الاحتمال، أو ندرة الحدوث.

﴿تَمَسَّكْتُمْ﴾: تمسستم من المس: وهو اللمس الخفيف، مجرد التقاء الماس بالممسوس، والمس يكون في الخير، أو الشر.

﴿حَسَنَةٌ﴾: نكرة؛ أي: حسنة، والحسنة: ما يسر النفس، وكل ما يستحسنه الإنسان من فوز، أو غنيمة، أو نصر، أو رزق، أو الدخول في الإسلام، ومهما كانت صغيرة، أو كبيرة، ومهما كان نوعها. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٠١)؛ لمزيد من البيان.

﴿تَسْوُهُمْ﴾: تحزنهم، وتزعجهم؛ أي: مجرد أن تمسكم، ولو كان مساً طفيفاً تحزنهم، وتزعجهم.

﴿وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ﴾: وإن: شرطية تدل على الاحتمال، أو ندرة الحدوث. تصيبكم: ولم يقل: تمسكم، كما قال في شأن الحسنة، وإنما قال تصيبكم، والإصابة أشد، وأسوأ من المس، فهم يبغون لكم الإصابة بالسيئة؛ لأن المس في نظرهم لا يكفي، بل لا بد من أن يكون شديداً إلى درجة الإصابة الشديدة حتى ﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾: يفرحوا بذلك، أما إن كان مجرد المس الخفيف لما فرحوا والسيئة قد تكون الفقر، أو الهزيمة، أو الجوع، أو الخوف، أو الكل معاً.

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾: الواو: عاطفة، إن: شرطية تفيد الاحتمال، تصبروا: على أذاهم وحقدهم، وغيظهم، وعلى ما أصابكم في سبيل الله، وتصبروا على طاعتكم. ﴿وَتَتَّقُوا﴾: الله في موالاتهم، وتتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

﴿لَا﴾: النافية، والكيد اسم لفعل المكروه بالغير.

﴿يَضْرِبُكُمْ كَيْدُهُمْ﴾: يضركم: بضم الكاف، وفي قراءة أخرى لا يضركم بفتح الكاف، والأكثر شيوعاً هي القراءة بفتح الكاف؛ لأن الفتحة أخف الحركات، والضممة أثقل الحركات، فعند القول بالفتح معنى انظر لا يذكر قليل جداً، وأما بالضم يضركم كما في هذه الآية تعني هناك ضرر، أو أذى سوى يصيبكم، ولكن لا



يضركم كثيراً، ومجيئها بالفتح، أو الضم؛ للدلالة على أن هناك حالات شديدة من الضر وحالات أخف، وليس ما يعانیه الأفراد بمستوى واحد، أو من نوع واحد، والكيد هو التدبير الخفي للضرر بالغير، وهو احتيال على إيقاع الضرر بالغير؛ بحيث يبدو أنه غير مدبر، والضرر: ما يصيب البدن من السقم، أو الأمراض، أو الجوع، والضرر: بفتح الصاد: ضد النفع.

﴿شَيْئًا﴾: للتوكيد على عدم ضر الكيد، والشيء هو أقل القليل، وشيئاً نكرة؛ أي شيء مهما كان نوعه، أو شدته، والشيء: كل ما يعلم ويخبر عنه سواء أكان حسياً أم معنوياً.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: إن: للتوكيد، بما: الباء: للإلصاق، ما: اسم موصول، أو حرف مصدري.

إن الله عالم بكل شيء، ومحيط به إحاطة تامة من كل الجوانب، محيط به بقدرته، وعلمه، وقادر على إحباطه إن شاء، فالله سبحانه محيط بما يعمل الكافرون، وهو أيضاً محيط بالكافرين أنفسهم، ومحيط بأقوالهم وأفعالهم.

وهذه الآية تحث المؤمنين على الصبر، والتقوى على أذى الكافرين، والمشركين حتى يأتي الله بأمره بالنصر، أو الفتح من عنده.

[١٢١] ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

يجب الانتباه أن في سورة آل عمران (٦٠) آية تتحدث عن غزوة أحد تبدأ بهذه الآية: وإذ غدوت من أهلك إلى الآية (١٨٠).

﴿وَإِذْ﴾: واذكر إذ ظرف زمني للماضي، أو تعني: واذكر حين.

﴿غَدَوْتَ﴾: الغدوة: هي أول النهار (ما بين طلوع الفجر، وطلوع الشمس).

﴿مِنْ﴾: لا ابتداء الغاية.

﴿أَهْلِكَ﴾: الأهل هم الزوجة، والأولاد (غدوت من حجرة عائشة).

﴿تَبَوَّءُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: تبوؤ: توطن المؤمنون في أماكن القتال، أو تنزل المجاهدين في أماكن قتالهم يقال: بوأت له منزلاً؛ أي: أنزلته فيه.

﴿مَقْلَعَدَ الْقِتَالِ﴾: أماكن يقفون فيها للقتال يوم أحد، وهم يومئذ خمسون رجلاً هم الرماة وأميرهم هو عبد الله بن جبير.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: سميع لما قاله بعض المؤمنين حين شاورتهم في الخروج خارج المدينة للقتال، فقالوا: لا تخرج إليهم، وابق في المدينة حتى يدخلوها علينا، والذين قالوا: لنخرج عليهم حتى نلقاهم خارج المدينة المنورة، والله سبحانه عليم وسميع بكل قول، ونية، وفعل، ومن أخطأ، أو أصاب، ومن أخلص، ومن نافق.





الْبَيْتُ الرَّابِعُ

سُورَةُ الرِّبَا ٣

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى
 اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ
 أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
 أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
 مُنْزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ
 هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ
 ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِنُطْمِئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا
 النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا
 مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُ غَلَبًا فَتُقَبِّلَهُمْ فَمَا يَكْفُرُونَ
 أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ
 ﴿١٢٨﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ
 وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ
 لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ
 ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾



سورة آل عمران [الآيات ١٢٢ - ١٣٢]

[١٢٢] ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني بمعنى: واذكر حين، أو متعلق بالآية السابقة سميع عليم؛ أي: عليم إذ همت.

﴿هَمَّتْ﴾: من الهم: وهو حديث النفس نحو عملٍ ما، أو الخاطر الذي يجول في عقل الإنسان، وقد يتحول أخيراً إلى قصيدٍ وعزم.

﴿طَّائِفَتَانِ﴾: الطائفة: جماعة من الناس تؤمن بنفس الأفكار، أو تطوف حول أفكار واحدة، أو عقيدة واحدة.

والفرق بين الطائفة والفئة:

الطائفة: جماعة تؤمن بنفس الأفكار، أفكارها موحدة.

الفئة: جماعة من الناس لا تستطيع أن تحمي نفسها إلا إذا فاءت إلى فئة أخرى؛ لتحميها، والفئة تحمل معنى الحماية، أو النصرة، أو القتال.

طائفتان: هما بنو حارثة من الأوس، وبنو سلمة من الخزرج في طريقهما إلى معركة أحد؛ إذ هموا بالانسحاب، والعودة إلى المدينة عندما رأوا اتخاذ عبد الله بن أبي رأس المنافقين مع أصحابه، وكانوا حوالي ثلاثمئة رجل، فقالوا: علام نقتل أنفسنا وأولادنا؛ مما أدّى ببني سلمة، وبني حارثة على التفكير بالانسحاب، ولكن لم يحدث ذلك حيث عصمهما الله تعالى.



﴿أَنْ﴾: حرف مصدر يفيد التوكيد.

﴿تَفْشَلًا﴾: من الفشل هو الخور والانسحاب، ولكنهم ثبتوا وساروا إلى أرض المعركة.

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: والله متولي أمورهما وناصرهما.

الولي: هو الذي يواليك، ويُعينك حين الحاجة، أو الخوف، وينصرك إذا كان قادراً على ذلك، ولذا عصمهما من عدم الرجوع، وترك النبي مع القليل من أصحابه في أرض المعركة.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: وعلى الله تقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة يدل على الحصر، حصر التوكل على الله وحده لا غيره.

التوكل: الاعتماد على الله في كافة الأمور الدنيوية والدنيوية، وهو عمل قلبي.

والتوكل: يعني تفويض الأمر لصاحب الأمر، وهو الله تعالى، والاستعانة به بعد تقديم الأسباب. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٩) لمزيد من البيان.

وفي هؤلاء المنافقين الذين رجعوا عن رسول الله ﷺ يوم أحد نزل قول الله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

ونزل أيضاً قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

[١٢٣] ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

يتنقل الله تعالى في هذه الآية ليذكر بفضلته على المؤمنين بالنصر يوم بدر

الذي حدث في السابع عشر من رمضان، وكان جيش العدو عددهم يقرب من الألف، وجيش المسلمين (٣١٤ رجلاً).

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ﴾: الواو: استئنافية، لقد: اللام: للتوكيد، وقد: للتحقيق.

﴿وَبَدْرٍ﴾: الباء: باء الإلصاق؛ أي: وأنتم موجودون في بدر، وبدر: اسم مكان بين مكة والمدينة، وكان فيه بئر بدر، ويبعد عن المدينة بنحو (١٥٠ كيلومتراً).

﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾: أذلة: جمع ذليل، وأنتم تعني: المؤمنين قبل المعركة، معركة بدر أنتم أذلة. والذليل: وهو من لا منعة له، ولا قوة (كناية عن قلة عددهم، وعدتهم، وضعف حالهم).

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: اثمروا بطاعة الله، وتجنبوا محارمه، وكذلك أطيعوا الرسول، واصبروا واثبتوا معه، ولا تخالفوا أمره.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أي: لتكونوا من الشاكرين، والشكر يكون عادة على النعمة، أو العطاء الواصل للعبد، ويكون باللسان والجوارح كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، لعل: هنا للتعليل، فالطاعة، والصبر، والثبات من مظاهر الشكر على النعمة. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠)؛ لمزيد من البيان.

[١٢٤] ﴿إِذْ نَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾:

﴿إِذْ﴾: واذكر إذ قلت، وأبدلها بفعل مضارع: ﴿تَقُولُ﴾: ليدل على حكاية الحال.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والمؤمنون: هم الصحابة.



﴿أَلَنْ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري، إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة، وجاء بلن الذي هو لتأكيد النفي.

﴿يَكْفِيكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ﴾: من السماء.

اختلف المفسرون في قوله: إذ تقول للمؤمنين ﴿يَكْفِيكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ﴾: هل هذا كان يوم بدر، أم يوم أحد على قولين:

فالذين قالوا كان هذا يوم أحد: قالوا كان هذا وعد لهم بالمدد المذكور من الملائكة على شرط الصبر، والتقوى، فلما لم يصبروا ولم يتقوا وخالفوا ما أمرهم به رسول الله ﷺ، فلم يمددهم الله لا بثلاثة، ولا بخمسة، ولم تنزل الملائكة، ولو نزلت الملائكة لما انهزموا في أحد.

والذين قالوا: كان هذا يوم بدر أمدهم بألف من الملائكة يوم بدر، ثم زادهم إلى (٣ آلاف)، ثم خمسة آلاف؛ لأنهم صبروا واتقوا، كما ذكره تعالى في سورة الأنفال آية (٩).

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾.

فهذه الألف نزلت فعلاً، وقاتلت مع المؤمنين، وشوهد ذلك يقيناً.

خلاصة القول - والله سبحانه أعلم - : ومن المحتمل أن هذه الآيات (١٢٢-١٢٧) من آل عمران نزلت في سياق معركة بدر؛ لتذكر المسلمين بنصرهم يوم بدر.

وكذلك الآيات في سورة الأنفال تتحدث عن بدر؛ أي: هناك مشهدين لمعركة بدر، ولا شك باقي الآيات في سورة آل عمران تتحدث عن معركة أحد،

كما سنرى. ارجع إلى سورة الأنفال آية (٩) لمزيد من البيان المفصل عن جمع بين الآيات في سورة آل عمران والأنفال والفرق بين المد والإمداد.

[١٢٥] ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾:

﴿بَلَىٰ﴾: إذا وقعت عند النفي تفيد إثبات ما بعدها؛ أي: يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة.

﴿إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾: إن: شرطية، تصبروا: على لقاء العدو، وتقوا: ربكم تأتمروا بأوامره، وتجنبوا نواهيه، وتقوا المعاصي، ومخالفة النبي ﷺ، وتثبتوا مع رسوله.

﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ﴾: أي: ويأتيكم المشركون من ساعتهم هذه (أي: الآن) لقتالكم.

﴿هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾: يمدكم بخمسة آلاف من الملائكة المسومين، ويمدكم من الإمداد، وأكثر ما يستعمل في المحبوب، والمد أكثر ما يستعمل في المكروه.

مسومين: معلمين أنفسهم، أو خيلهم. عليهم عمائم بيض، أو صفر، وخيلهم معلمة في أذنانها ونواصيها.

[١٢٦] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۖ وَمَا لَنُصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: نافية.



﴿جَعَلَهُ اللَّهُ﴾: الهاء تعود على الإمداد، والله سبحانه قادر على النصر بدون الإمداد بالملائكة، أو أي شيء.

﴿إِلَّا﴾: حصراً.

﴿بُشِّرْ لَكُمْ﴾: أي: هذا الإمداد فيه بشرى لكم، والبشارة هو أول ما يصل إليك من الخبر السار، وفي الآية (١٠) في سورة الأنفال قال تعالى: ﴿إِلَّا بُشِّرْ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ حذف لكم؛ لأن الآية في الأنفال تقدمها قوله لكم في الآية (٧) مرتين.

إذن: من هذه الآية نعلم أن حضور الملائكة المعركة، وعددهم سواء كثر، أو قل هو مجرد بشرى؛ لأن النصر الحقيقي هو من عند الله العزيز الحكيم.

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾: السلام للتأكيد، لتسكن وتهذا قلوبكم به؛ أي: بالإمداد، وفي الآية (١٠) في سورة الأنفال قال تعالى: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ قدم به على قلوبكم بعكس آية آل عمران.

﴿وَمَا لَتَصْرُ إِلَّا﴾: الواو: عاطفة، ما: النافية، إلا: حصراً ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

﴿الْعَزِيزِ﴾: القوي الذي لا يغلب، ولا يُقهر، والممتنع لا يضره أحد.

﴿الْحَكِيمِ﴾: الذي ينصر من يشاء، ويمنع النصر عن من يشاء حسب ما تراه

حكيمته.

وفي هذه الآية التي نزلت بخصوص غزوة أحد قدّم القلوب على الإمداد للاهتمام؛ لأن القلوب في غزوة أحد كانت حزينة مجروحة وخائفة.

وأما في آية الأنفال (١٠) التي نزلت بخصوص غزوة بدر قدّم الإمداد على

القلوب في غزوة بدر، فقال: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾؛ لأن الإمداد كان هو المهم والمنتظر.

ولنقارن بين هاتين الآيتين، الآية (١٢٦) من سورة آل عمران، والآية (١٠) من سورة الأنفال:

آل عمران آية (١٢٦): ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ الآية نزلت في غزوة أحد، وآية الأنفال نزلت في غزوة بدر، وغزوة بدر وقعت قبل أحد فبين في بدر (آية الأنفال) أن النصر إلا (حصراً) من عند الله إن الله عزيز حكيم أكد بـ(إن)؛ أي: ليس النصر بالعدد والعدة، وإنما هو من عند الله وحده سبحانه، وعلل النصر بعزته وحكمته، وفي آية آل عمران في وقعة أحد قال إلا من عند الله العزيز الحكيم بأل التعريف؛ أي: الذي تعرفونه سابقاً من غزوة بدر.

الأنفال آية (١٠): ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

الخلاصة: في آل عمران (غزوة أحد)، ولتطمئن قلوبكم به (يعني به الإمداد) قدّم القلوب في أحد؛ لأن القلوب حزينة مجروحة، وخائفة، والقلوب أهم من الإمداد.

في الأنفال (غزوة بدر): ولتطمئن به قلوبكم (هنا قدّم الإمداد على القلوب؛ لأن القلوب مطمئنة بالنصر الذي وعدوه وهم ينتظرون الإمداد الإلهي).

في آل عمران: لم يؤكد، وقال: إلا من عند الله العزيز الحكيم، أما في الأنفال أكد وقال: إن الله عزيز حكيم.



في آل عمران: قال: بشرى لكم، وفي الأنفال: لم يأت بذكر لكم؛ لأن سبقها ذكر لكم مرتين:

الأولى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧].

والثانية: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

وحذف لكم؛ لأنه مفهوم من الآيات السابقة.

[١٢٧] ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتُمُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾:

﴿لَيَقْطَعَ﴾: اللام: لام التعليل؛ ليقطع بالقتل والأسر.

﴿طَرَفًا﴾: طائفة من الذين كفروا، وهو ما كان يوم بدر من قتل (٧٠) وأسر (٧٠) من رؤساء قريش، ومن هنا: ابتدائية.

﴿أَوْ يَكْتُمُهُمْ﴾: من الكبت: أصل الكبت هو الخزي والإذلال؛ أي: يخزيهم ويذلهم بالهزيمة والخيبة والأسر.

﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾: جمع خائب، والخائب الذي لم ينل ما أمل، والخيبة لا تكون إلا بعد أمل، واليأس قد يكون بغير أمل.

فينقلبوا خائبين: يرجعوا إلى ديارهم مهزومين، لم ينالوا ما كانوا يأملون من النصر والعزة.

[١٢٨] ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾:

﴿لَيْسَ لَكَ﴾: للنفي. لك: اللام: لام الاختصاص، والكاف: للمخاطب، وهو محمد ﷺ؛ أي: ليس لك يا محمد من الأمر شيء.

﴿مِنْ﴾: استغراقية، تستغرق كل شيء.

﴿الْأَمْرَ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ﴾: الأمر؛ يعني: هزيمة، أو نصر؛ أي: الله مالك أمرهم، إما يهلكهم أو يعذبهم، أو يتوب عليهم إن أسلموا ليس عليك إلا البلاغ والإنذار، وليس موكلاً إليك قبول توبتهم، أو تعذيبهم.

شيء: نكرة، أي شيء مهما قل، أو كثر، ومهما كان نوعه، وإنما أنت مبعوث لإنذارهم فقط، فالله هو الذي يتوب، ويعذب، وينصر، ويغلب.

وليس لك شيء، ولا تدع عليهم، ولا تتألم لقرارك بالخروج خارج المدينة إلى أحد لقتالهم وهو ليس السبب في الهزيمة في أحد، وأنت لست مسؤولاً عما حدث في أحد، فهو تدبير العزيز الحكيم.

﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾: حين خرجوا لقتالك، أو للدفاع عن الشرك والباطل. فإنهم: الفاء: للتوكيد، وإن: للتوكيد كذلك، ظالمون: لأنفسهم، وظالمون لغيرهم، ومشركون، وصفة الظلم ثابتة عندهم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٤) لبيان معنى الظلم.

[١٢٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿وَلِلَّهِ﴾: الواو: عاطفة، لله: لام الاختصاص، وتقدير الجار والمجرور لفظ الجلالة يفيد الحصر؛ أي: ما في السموات وما في الأرض حصراً له وحده، لا يشاركه أحد في ملكه وحكمه.

﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: ملكاً، وخلقاً، وحكماً، وتديراً لله وحده.



ما في السموات: كظرف وما فيها كمظروف.

وما في الأرض كظرف وما فيها كمظروف.

وما في السموات لوحدها، وما في الأرض لوحدها، وما في كليهما معاً له وحده.

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾: يحكم في السموات والأرض بما يشاء، فيغفر: يمحو ويستتر ذنوب من يشاء من عباده، ويصفح ويعفو بالتوبة.

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾: بحكمه وعدله، ففي هذه الآية قدم المغفرة على العذاب للترغيب والبشارة، وأما في آية (٤٠) في سورة المائدة وهي قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ قدم العذاب على المغفرة؛ لأن السياق في السرقة، وقدم العذاب للترهيب والحذر من السرقة.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من غفر؛ أي: كثير الغفران يغفر الذنوب جميعاً إلا الشرك مهما كانت وتنوع وكثرت.

رحيم: على وزن فعيل؛ أي: يؤخر العذاب والعقاب، ورحيم بعباده المؤمنين دائماً وأبداً في الدنيا والآخرة.

[١٣٠] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾:

المناسبة: نجد أن الله سبحانه وتعالى يتوقف عن الحديث عن الغزوة، وينتقل إلى الحديث عن الربا، فهل هناك علاقة بين معركة أحد والنهي عن الربا؟

لقد كان من أسباب الهزيمة في أحد هو ترك الرماة مواطنهم في جبل أحد رغم أن رسول الله ﷺ حذرهم وأوصاهم بعدم فعل ذلك مهما كان الأمر.

ولكن الصحابة (الرماة) عصفت بهم شهوة الغنائم حين ظنوا أن المسلمين قد انتصروا في بداية المعركة، وطمعوا في المال والغنائم، فتركوا مواقعهم إلا العدد القليل الذين استجابوا لدعوة الرسول، وبقوا في أماكنهم؛ مما أدى إلى هزيمتهم، وقتل الكثير منهم، وتعرضهم للهلاك، فطمعهم في الغنيمة، والغنيمة مال زائد، والربا كذلك، ولذلك ذكر الربا.

أو يذكرنا الله تعالى بترك الربا، وبذل المال الحلال في سبيل الله، فهذه الغزوات تحتاج إلى تضحية ومال طيب حلال.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نداء إلى الذين آمنوا بتكليف جديد وأمر جديد.

﴿لَا﴾: الناهية.

﴿تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾: تأخذوا وشبه أخذ الربا بالأكل. ارجع إلى الآية (٢٧٥)

من سورة البقرة؛ للبيان. وهذا يسمى المجاز المرسل، والربا ربا الفضل، وربا النسيئة.

﴿أَضْعَفَاءُ مَضْعَفَةٍ﴾: لا تأخذوا؛ أي: تأكلوا الفائدة المركبة مع مرور

الزمن. وما كان عليه الحال في الجاهلية كانوا يؤخرون الدين ويزيدون مقابل التأخير الفائدة حتى تتضاعف الفوائد.

١ - في الجاهلية كان إذا حل أجل الدين يسألون الذي عليه الدين إما أن



تقضي، وإما أن تُربي؛ فإن لم يقضِ زاد عليه الفائدة، وهكذا عام بعد عام يتضاعف مبلغ الربا، ويصبح أضعافاً مضاعفة.

٢ - أضعافاً مضاعفة إذا قارنته برأس المال، مثال: إذا أودعت مبلغاً من المال مثل (١٠٠٠ درهم) بفائدة (١٠٪) بعد سنة يصبح المبلغ (١١٠٠ درهم)، ثم تترك (١١٠٠ درهم) سنة أخرى تصبح (١٢١٠) وهكذا أي: تأخذ فائدة على رأس المال، وعلى الفائدة، وهذا يسمى بالربح المركب، فالأضعاف تتضاعف، ويصبح رأس المال الذي بدأت به شيء قليل لا يذكر ضعيف أمام المضاعفة التي حصلت من جراء تراكم الفائدة واستثمارها.

ومال الربا قل أو كثر هو حرام، ولا يقصد هنا أن الربا المضاعف أضعافاً كثيرة هو الحرام فقط، والربا القليل أو البسيط ليس حراماً، فالكل حرام.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أطيعوا أوامر الله، وتجنبوا ما نهاكم عنه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾: لعلكم: للتعليل، تفلحون: أي: اتقوا الله لتفحلوا في دنياكم وآخرتكم، ومعنى الفلاح. ارجع إلى الآية (٥) من سورة البقرة.

في الدنيا وفي الآخرة بالفوز برضوان الله وجنته.

[١٣١] ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾:

وهنا زاد التأكيد والتحذير من الربا الذي يؤدي إلى النار.

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ﴾: أي: اجعلوا بينكم وبين النار وقاية (حاجزاً)، وذلك بالالتزام بطاعة الله فيما أمر، أو نهى عنه.

﴿الَّتِي﴾: اسم إشارة.

﴿أَعَدَّتْ﴾: أعدت: تعني بعدد من أنواع العذاب؛ أي: هيئت للمرايين الذين يأكلون الربا، وهذا دليل على النار مخلوقة الآن ولغيرهم من الكفار والمشركين والمنافقين والمجرمين والعاصين.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾: ولم يقل: أعدت للذين يأكلون الربا؛ لأن هؤلاء من زمرة الكافرين.

[١٣٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾: في كل أمر ونهي وتحذير، ولم يقل: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ كما في آية النساء (٥٩)؛ ارجع إلى سورة النساء آية (٥٩) للبيان. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: رجاء رحمة الله، ولترحمون: يجب الأخذ بالأسباب الموصلة إلى الرحمة، وطلب الرحمة من الله؛ أي: رجاء رحمة الله، والدعاء ترحمون في الماضي، والمستقبل، والحاضر، رحمة تتجدد وتكرر.

ارجع إلى الآية (٣٢) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان. أطيعوا الله والرسول. ارجع إلى سورة الإسراء، آية (٨)؛ لمزيد من البيان لعلكم ترحمون، وعسى ربكم أن يرحمكم.





سُورَةُ الرَّحْمٰنِ ٣

الرَّحْمٰنِ



وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ
عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا
فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
لذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوْا عَلَى
مَافَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ
مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ
فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ
﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾
وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ
﴿١٣٩﴾ إِن يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ
وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمُ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾



سورة آل عمران [الآيات ١٣٣ - ١٤٠]

[١٣٣] ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿وَسَارِعُوا﴾: الواو: عاطفة، فهذه الآية معطوفة على ما قبلها من الآيات،
واتقوا، وأطيعوا، وسارعوا.

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: بترك الربا حالاً، والسرعة هي الجري
بسرعة إلى طلب المغفرة.

والسرعة لا تعني العجلة؛ لأن العجلة مذمومة في معظم الأحوال؛ إلا في
دفن الميت، والتوبة، والزواج للبكر، وأداء الأمانة مثلاً، والسرعة مطلوبة من كل
إنسان في الإنابة، والتوبة، والاستغفار (طلب المغفرة).
وهناك فرق بين المسارعة والمسابقة (أو السباق).

المسابقة تحتاج إلى أكثر من فاعل، فلا بد من اثنين، أو أكثر لتتم المسابقة،
أما المسارعة فقد تتم بواحد.

وسارعوا إلى: إلى: حرف غاية، والغاية هي المغفرة.

والمغفرة: مشتقة من الغفر، والغفران؛ أي: الستر ستر الذنوب، وبالتالي
العفو عنها.

سارعوا إلى مغفرة من ربكم: ومغفرة نكرة؛ أي: مغفرة صغيرة وكبيرة؛ أي:



سارعوا إلى موجبات المغفرة وأولها هي الإسراع بالتوبة، والإنابة إلى الله، وترك الذنب، وكثرة الاستغفار، والإكثار من العمل الصالح، وفعل الخير.

من ربكم: الرب المربي المتولي بتدبير أموركم الذي خلقكم، ورزقكم، ورباكم.

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾: وسارعوا إلى جنة: نكرة؛ لأن هناك جنات كثيرة: جنات عدن، جنات الفردوس، جنات النعيم وغيرها. سارعوا إلى أي جنة من هذه الجنات، والإسراع يعني إلى موجبات الدخول في الجنة؛ كالقيام بالعمل الصالح، والإيمان وطاعة الله ورسوله.

جنة عرضها السموات والأرض: عرضها السموات السبع والأرض، فما طولها؟ لا يعلمه إلا الله.

﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق (الملكية). أعدت: هيئت وأحضرت، فهي الآن موجودة ومخلوقة، وتنتظر أهلها.

المتقين: جمع متقٍ، والمتقي هو من أطاع أوامر الله، وتجنب ما نهى الله عنه.

ولا بد من مقارنة هذه الآية (١٣٣) من آل عمران مع الآية (٢١) من سورة الحديد؛ لنرى الكثير من الفروق:

آل عمران (١٣٣): ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

الحديد (٢١): ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾.

الاختلاف الأول: آية سورة آل عمران: تخاطب المتقين، وتحثهم بأن يسارعوا إلى مغفرة من ربهم وجنة.

بعد أن طلب منهم التقوى: ﴿فَاتَّقُوا﴾، وطاعة الله ورسوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

وبدأ بواو العاطفة.

آية سورة الحديد: تخاطب الذين آمنوا بالله ورسله، وهم أقل درجة من المتقين في الإيمان.

ولكن الذين آمنوا بالله ورسله أكثر عدداً من المتقين، وتحثهم على المسابقة إلى مغفرة من ربهم وجنة بعد أن بين لهم أن الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة.

الاختلاف الثاني: في آية سورة آل عمران: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

في آية سورة الحديد: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾.

الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض أوسع، أو أكبر من الجنة التي عرضها السموات والأرض؛ لأن السماء أوسع وأكبر من السموات، فالسماء تشمل السموات السبع وغيرها.

وبما أن عدد الذين آمنوا بالله ورسله أكثر من المتقين فهم يحتاجون إلى مكان أوسع، ولذلك ناسبهم قوله تعالى: كعرض السماء والأرض.

والمثقون أقل عدداً ناسبهم جنة عرضها السموات والأرض (أقل مساحة من السماء والأرض).



[١٣٤] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾:

أعدت للمتقين الذين من صفاتهم الإنفاق، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، والإحسان.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾: جاء بالفعل المضارع الذي يدل على التجدد، والاستمرار في الإنفاق.

الذين: اسم موصول يفيد المدح والتعظيم.

﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾: في الغنى واليسر، والضرراء: هو البلاء الذي يصيب البدن خاصة مثل المرض والسقم والفقر؛ ينفقون بكثرة في السراء والضرراء.

﴿وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ﴾: الكاظمين: جمع كاظم، والكظم: هو حبس الغيظ في الصدر مع القدرة على إمضائه؛ أي: إخراجه وإظهاره للغير.

والغيظ: هو غم أو هيجان النفس بسبب سوء لحق بها من الغير؛ أي: هو ألم شديد يحدث في النفس عند الاعتداء عليها بسبب مادي حسي أو معنوي. ارجع إلى سورة التوبة، آية (١٥)؛ لمزيد من البيان.

وأصل الكظم مشتق أن تملأ القربة (وعاء لنقل الماء عند العرب قديماً)، وهو جلد مدبوغ فإذا ملئت بالماء شد على رأسها، أي: رُبط على فتحتها ربطاً محكماً بحيث لا يخرج من الماء شيء، ويقال عن هذا الفعل كظم القربة؛ أي: ملأها وربطها، ومن ليونة القربة يحاول الماء أن يخرج منها دائماً، وكذلك الغيظ: فهو يشبه الماء في القربة، والقربة هي النفس البشرية.

يريد الله منا أن نحكم ونربط ونكظم النفس البشرية؛ كي لا يخرج منها الغيظ، كما نربط ونكظم القربة.



﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾: العفو: ترك العقوبة على الذنب.

العفو: ترك عقوبة من أذنب، وعدم مؤاخذته مع القدرة على الأخذ بالعقوبة، أو عدم العفو، ولا يقتضي إيجاب الثواب.

أما الغفران: فهو ترك العقوبة (يسقط عنه العقاب)، ويعطيه ثواباً على أعماله الصالحة (أي: الغفران = العفو + الثواب).

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: الله يحب كل محسن بما فيهم هؤلاء المتقين الكاظمين، والعافين عن الناس، فهؤلاء وصلوا مرحلة الإحسان.

وللمزيد عن الإحسان ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة.

[١٣٥] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا﴾: إذا: ظرفية شرطية.

﴿فَفَحِشَةً﴾: أي: المعاصي والذنوب وتشمل الكبائر؛ (أي: كل كبيرة)، وقيل: الفاحشة الأمر القبيح المنكر من الأفعال والأقوال، وكثيراً ما استعملت في الزنى، أو اللواط، وعبادة الأصنام، ومعصية الرسول، وتعني: القذف، والإفك، وغيرها، والفاحشة قد يكون لها حد كحد الزنى، واللواط.

﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بعمل الصغائر من الذنوب، أو فعلوا ذنباً دون الفاحشة، وظلم النفس هو الذنب الذي يقتصر أثره على الفاعل، وظلم النفس بأن يوردها العذاب، أو العقاب، أو موارد التهلكة.

﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾: بالسنتهم وقلوبهم؛ أي: تذكروا نهى الله للقيام بتلك الأعمال، أو تذكروا وعيده فخافوا الله ولا موا أنفسهم.



﴿فَاسْتَغْفِرُوا الذُّنُوبَ﴾: الفاء: تدل على سرعة الاستغفار والتوبة، والندم، وعدم العودة إلى ما فعلوه، واستغفروا الله لذنوبهم.

﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾: ومن: استفهام يقصد منه النفي؛ أي: لا يغفر الذنوب إلا الله، وهذا من فضله وإحسانه، وكرمه أنه يغفر الذنوب جميعاً؛ إلا الشرك والكفر. إلا: أداة حصر؛ أي: فقط الله سبحانه هو الذي يغفر الذنوب. الذنوب: جمع ذنب، والذنب: هو الخطيئة، والذنوب: هي الخطايا، وتشمل السوء، والفحشاء، وقيل: السوء: الذنوب التي لا يوجد لها حد، والفحشاء: ذنوب لها حد.

﴿وَلَمْ يُصِرُّوا﴾: ولم: الواو: عاطفة، لم: حرف نفي، والإصرار: هو الثبات على الشيء، والمداومة، والإقامة عليه؛ أي: لم يستمروا، أو يداوموا على فعل القبيح، والذنوب.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنهم قد أذنبوا وخالفوا ما أمر الله به، ويعلمون أن لهم رباً يغفر الذنوب، ويقبل التوبة عن عباده.

[١٣٦] ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهم وَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد؛ للدلالة على علو منزلتهم.

﴿جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهم﴾: الجزاء: فيه معنى المقابلة شيء بشيء جزاء سيئة سيئة مثلها، وفيه معنى المماثلة، والجزاء إما العقاب، وإما الثواب، والجزاء أعم من الأجر فيه الصالح والطالح، وأما إذا أراد النفع يستخدم الأجر.

أي: جزاؤهم مغفرة من ربهم: أي: يمحو عنهم ذنوبهم، ولن يعاقبهم، ولهم ثواب آخر هو:

﴿وَجَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: قيل: تنبع من تحتها الأنهار.
﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: الخلود: اللزوم المستمر؛ أي: البقاء المستمر من وقد
مبتدأ هو دخولهم الجنة.

﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾: الأجر: هو جزاء العمل، سواء كان دنيوياً، أم
أخروياً؛ أي: الأجر مقابل العمل، ويأتي دائماً بالنفع. أما الجزاء فقد يأتي بالنفع،
أو الضرر. نعم: فعل ماض لإنشاء المدح، نعم هذا الأجر وهو الجنة، أو نعم أجر
العاملين الجنة.

لنقارن ثلاث آيات وردت فيها نعم أجر العاملين:

١ - آل عمران (١٣٦): ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾: زيادة الواو.

٢ - العنكبوت (٥٨): ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾: بدون الواو.

٣ - الزمر (٧٤): ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾: بالفاء.

الواو: أوسع من الفاء، وتفيد مطلق الجمع، وتدل على السعة في الاختيار،
وأرحب زمناً، ولا تفيد الترتيب، والتعقيب.

١ - في آل عمران: زاد الواو، فقال: ونعم أجر، الواو: تفيد التعدد،
والتفخيم؛ لأنه ذكر المتقين الذين ينفقون، الكاظمين الغيظ، العافين عن الناس،
والذين إذا فعلوا فاحشة ولم يصروا والمحسنين جزاءهم مغفرة، وجنات كلها
أوصاف معطوفة ناسبها: ونعم أجر العاملين.

٢ - بينما في العنكبوت: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ
الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾: (لم يذكر لهم أوصافاً)، وهؤلاء لا يزالون في الدنيا، وهم آمنوا
وعملوا الصالحات فدرجتهم: ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾.



٣ - أما في آية الزمر: جاءت في سياق هؤلاء الذين دخلوا الجنة، وسلمت عليهم الملائكة وهم يتبوءون من الجنة حيث يشاؤون، فهؤلاء يناسبهم فنعم أجر العاملين.

إذن الفاء أقوى، أو أعلى درجة من الواو، والواو أعلى درجة من غير الواو. فالموصوفون في آية الزمر أعظم درجة من الموصوفين في آية آل عمران، والموصوفون في آية آل عمران أعظم درجة من الموصوفين في آية العنكبوت. ارجع إلى الآية (٧٤) من سورة الزمر، والآية (٥٨) من العنكبوت للمقارنة، ولمزيد من البيان.

[١٣٧] ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾:

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق؛ أي: الواقع المذكور في هذه الآية قد حدث.
﴿خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: مضت؛ أي: حصلت في أزمان سبقت هذا الكلام.
﴿سُنَنٌ﴾: جمع سنة، وهي الطرق التي يصرف الله بها كونه بما يحقق مصلحة ذلك الكون، وسنن الله في خلقه وقوانينه، من هذه السنن: أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

سنة التولية: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا مِمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].
سنة التدافع: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

سنة التداول: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

سنة الابتلاء: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾
[العنكبوت: ٢٠]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ
تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢] .

سنة التسخير: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] .

﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾: الفاء: للتعقيب
والمباشرة؛ أي: سافروا للسياحة سفر للعبرة غايته الاتعاظ، والاطلاع على
آثار وديار الهالكين من القرون الأولى، السير: يعني السفر، فانظروا: فاعتبروا
بالوقوف على ديار الهالكين المكذبين، وما حل بهم من دمار، مثل: قوم نوح،
وعاد، وشمود، ولوط.

ولنقارن هذه الآية بآية (١١) من سورة الأنعام: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ .

استعمل فيها (ثم) بدلاً من (الفاء)، ثم: فيها تراخ، ومهلة؛ أي: سيروا في
الأرض لطلب العلم مثلاً، أو للتجارة، أو الرزق، وخلال أو بعد ذلك قوموا بزيارة
ديار الهالكين، والمكذبين، والآثار التي تركوها.

أما سيروا فانظروا: الفاء: تعني السفر الذي غايته الأساسية: السباحة
والعبرة، ورؤية ديار الهالكين، والمكذبين مباشرة بعد الخروج.

[١٣٨] ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿هَذَا﴾: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة؛ للقرب تشير إلى القرآن الكريم.

﴿بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾: البيان: هو القول الحق، الذي يُبين المطلوب منكم، ويبيِّن
لكم الحق من الباطل، والحلال من الحرام، وافعلوا، ولا تفعلوا.



للناس: اللام: لام الاختصاص، للناس: عامة الإنس، والجن (الثقلين).
﴿وَهْدَى﴾: مصدر للهداية، أو الهادي إلى الصراط المستقيم، والرشد.
ارجع إلى الآية (٢) من سورة البقرة.
﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾: أي: وصية، ونصيحة، وتحذير بفعل الخير، والبعد عن الشر. ارجع إلى سورة النحل آية (١٢٥).
﴿الْمُتَّقِينَ﴾: إذن القرآن بيان للناس عامة، وهدي، وموعظة للمتقين.
اللام: لام الاختصاص، للمتقين فقط، أو خاصة.
[١٣٩] ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:
﴿وَلَا﴾: الواو: استثنائية، لا: الناهية، ﴿تَهِنُوا﴾: من الوهن: وهو الضعف، وهو أن يفعل الإنسان المعافى في بدنه وعقله فعل الضعيف. وقيل: الوهن الجبن، وتعني كذلك: ولا تقعدوا عن الجهاد في سبيل الله بعد معركة أحد.
﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾: الواو: استثنائية، لا: الناهية.
تحزنوا: من الحزن، بضم الزاي يكون على شيء مضى، وهو ضيق مؤقت محدود، وينتهي عاجلاً أو آجلاً.
أما الحزن: بفتح الزاي، فلا ينتهي أبداً، ويستمر، ويموت مع الإنسان.
وسبب الحزن: هو قتل (٧٠) من الأنصار و(٥) من المهاجرين يوم أحد، ومنهم حمزة، ولما أصاب رسول الله ﷺ من شج وكسر، وما أصاب المسلمين من هزيمة، والغنائم التي فاتتهم. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٣٣).
﴿وَأَنْتُمْ﴾: الواو: حالية للتوكيد، أنتم: ضمير منفصل يفيد التوكيد.
﴿الْأَعْلَوْنَ﴾: الغالبون في نهاية الأمر؛ بشرط أن تكونوا من المؤمنين،

وتطيعوا الرسول ﷺ فيما يأمركم به، وينهاكم عنه، الغالبون في الآخرة: ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلَفُونَ﴾.

[١٤٠] ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: ﴿إِنْ﴾: شرطية جازمة تدل على احتمال الحدوث، أو ندرته.

﴿يَمْسَسْكُمْ﴾: من المس، وهو الإصابة الخفيفة، والمس هو مجرد اللمس.

﴿قَرْحٌ﴾: نكرة؛ أي قرح، والقرح: الجرح في البدن نتيجة أثر السلاح، وأدوات الحرب كما حدث في أحد. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾: فقد أصاب القوم (قريش، أو الكفار) قرح مثل (يوم بدر). انظر كيف استخدم يمسسكم (فعل مضارع) لما حدث يوم أحد، أو لقرب يوم أحد من زمن نزول الآية، واستخدم مس (فعل ماضٍ) لما حدث يوم بدر.

﴿وَتِلْكَ﴾: الواو: استئنافية، تلك: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف: للخطاب.

﴿الْأَيَّامُ﴾: أيام الغلبة، والنصرة، والفوز، والظفر.

﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾: من المداولة، وهي دوال الشيء؛ أي: نقل الشيء



من واحد إلى آخر؛ أي: نصرّفها يومٌ لك ويومٌ عليك، أو تارةً لهؤلاء، وتارةً لهؤلاء.

ولم يقل الحق: نداولها بين المؤمنين، والكافرين؛ لأن ما حدث في أحد هو مخالفة لأوامر رسول الله ﷺ، وعصيان، وخروج عن المنهج، وعندما فعلوا ذلك أصبحوا مجرد ناس عاديين مثل غيرهم؛ لأنهم خسروا ميزة الإيمان، وميزة الطاعة، وعندها فإن النصر يكون لكم يوماً، ولهم يوماً؛ لأنكم متساوون معهم في عدم الإيمان، وطلب الدنيا.

وأما لو ظلوا مؤمنين، ولم يعصوا رسول الله ﷺ لما انتقل النصر إلى غيرهم من الكفار، والدليل على ذلك أنهم كانوا منتصرين في بداية معركة أحد. والمقصود بالأيام: ليس الليل والنهار، أو (٢٤) ساعة، بل أيام النصر أوقات الغلبة؛ لأن الله سبحانه قد وعد المؤمنين بأن لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً.

ومن هذه الآية نعلم: أن المسلمين إذا تخلوا عن نهج الله ودينه، وعصوا رسوله صاروا مجرد بشر كغيرهم من البشر، فإذا اشتركوا في أي معركة، وهم مجرد بشر، والإيمان ليس ميزة لهم، فالنصر يكون لمن فاق عدده، وعدته؛ لأنهم أصبحوا سواسية (الكل بدون إيمان).

أي: تلك الأيام نداولها بينكم، وبين عدوكم.

﴿وَلْيَعْلَمَ﴾: الواو: عاطفة.

﴿وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: ليُري الله الذين آمنوا صدقهم في إيمانهم، أم ادعاءهم، وكذبهم؛ ليقم عليهم الحجة؛ لأن الله سبحانه يعلم ما هم عليه من إيمان، وإخلاص، ويعلم نواياهم منذ الأزل، ومن هو الفائز، والمنتصر قبل أن تبدأ المعركة.

والغاية من هذا الابتلاء كي يُبين للذي آمن مدى صدقه حتى لا يدعي أنه كان سيفعل كذا، وكذا، أو يجاهد ولم تتسنَّ له الفرصة، أو أنه لو دُعي للجهاد لجاهد، وصمد، وقاتل في سبيل الله، ولكن ما إن يتليه الله تعالى وتحدث المعركة ينسحب ويفر.

﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾: يوم أحد أو غيره من الأيام؛ أي: ليكرم أناساً منكم بالشهادة؛ لصدق إيمانهم، والشهداء جمع شهيد، وهو من يُقتل في سبيل الله تعالى.

ويجب الانتباه إلى قوله: (وليعلم) و(يتخذ): أضاف اللام في كلمة (ليعلم)، ولم يضيفها في (يتخذ)، ولم يقل: وليتخذ منكم شهداء.

لأن الأهمية في كلمة (ليعلم) أشد، وأهم من كلمة (يتخذ منكم شهداء)؛ أي: إقامة الحجة، وابتلاء الذين آمنوا عند الله أهم من اتخاذ الشهداء.

وإذا كان الأمران متساويين في الأهمية، كما في آية (١٢) من سورة الإسراء: ﴿لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾: الأهمية كما في لتبتغوا، ولتعلموا متساوية، جاء باللام في كلا الأمرين.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: أي: المنافقين الذين انصرفوا راجعين يوم أحد مع ابن أبي ابن سلول.

أو هؤلاء الذين عصوا رسول الله ﷺ، ولم يثبتوا في مقاعد القتال، بل غرّتهم الغنائم والدنيا؛ مما أدّى إلى الهزيمة، والفشل.





سُورَةُ الرَّحْمٰنِ ٣

البقرة المكية

وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ
حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا
مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن
قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ
إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ
أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ
اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ
لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبَ مُوَجَّلًا وَمَن يَرِدْ
ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَن يَرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ
مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ
رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا
وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ
إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ
أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ
ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾



سورة آل عمران [الآيات ١٤١ - ١٤٨]

[١٤١] ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِيْنَ﴾:

﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾: الواو: عاطفة، واللام: للتوكيد.

﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾: يمحّص: مشتقة من المحّص، يقال: محّص الذهب: أي: أزال عنه ما يشوبه من الخَبث، والعناصر غير المرغوب بها؛ أي: طهره ويكون ذلك باستعمال النار.

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: أي: يطهرهم كما يُطهر الذهب، ويخلصهم من ذنوبهم، وذلك بالابتلاء، والاختبار، كما حدث في يوم أحد، أو بالجهاد، أو غيره.

﴿وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِيْنَ﴾: المحق: هو النقص، ومحو الشيء، ويكون ذلك شيئاً فشيئاً؛ حتى يفنى، ويزول؛ أي: يستأصل الكافرين بالقتل وغيرها فينقص عددهم

إذن مداولة الأيام: ﴿وَتِلْكَ الْاَيَّامُ نُدَاوِلُهَا يَبَيِّنَ النَّاسُ﴾: للتمحيص والاختبار والتطهير من الذنوب، والتصفية للمؤمنين، وفي نفس الوقت هو استئصال للكافرين، ومحو لآثارهم.

وأضيفت اللام في ليمحّص، ولم تضاف إلى كلمة يمحّص؛ لأن المهم والتأكيد هو التمحّيص في عملية المداولة، وأما محق الكافرين فليس له نفس أهمية التمحّيص.



[١٤٢] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الْقَصِيرِينَ﴾:

الخطاب في هذه الآية إلى صحابة رسول الله ﷺ خاصة الذين عصوا أمره يوم أحد، ولم يثبتوا في مواقعهم على جبل أحد، والمؤمنين بشكل عام في كل زمان ومكان.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾: ارجع إلى الآية (٢١٤) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾: لما: للنفي المستمر إلى زمن الحال، أو التكلم، وهي بمعنى: لم، وفيها معنى التوقع.

﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾: أي: الذين جاهدوا منكم حقيقة، وقتلوا في سبيل الله، والذين لم يجاهدوا وتركوا مواقعهم على جبل أحد طمعاً في الغنيمة فهؤلاء نفى عنهم الجهاد يوم أحد، مع توقع الجهاد منكم في المستقبل؛ أي: لم تجاهدوا حقيقة يوم أحد.

﴿وَيَعْلَمَ الْقَصِيرِينَ﴾: بل حسبتم أن تدخلوا الجنة يوم أحد، وتناولوا الرضا والقرب من الله، وأنتم لم تجاهدوا في سبيل الله جهاد المخلصين، بل عصيتم رسول الله ﷺ، وما ظهر، أو بدا منكم خيراً يوم أحد؛ حتى يعلمه الله، ولم تجاهدوا، ولم تصبروا، كما كان مطلوباً منكم؛ لكي تستحقوا الجنة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢١٤) لمقارنة الآيات المتشابهة في سورة البقرة وسورة التوبة آية (١٦).

[١٤٣] ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ﴾:

سبب النزول: عن ابن عباس ؓ: أن رجالاً من الصحابة كانوا يقولون:

ليتنا نقتل كما قتل أصحاب بدر، أو ليت لنا يوماً كيوم بدر بعد أن أخبرهم رسول الله ﷺ بما حصل للشهداء من كرامة يوم بدر، فتمنوا أن يستشهدوا، ويلحقوا بإخوانهم، فأراهم الله يوم أحد، فلم يلبثوا إلا عصوا رسول الله ﷺ، وانهزموا؛ إلا من شاء الله منهم فنزلت هذه الآية.

﴿وَلَقَدْ﴾: قد: للتحقيق، اللام: للتوكيد.

﴿كُنْتُمْ تَمْنُونَ الْمَوْتَ﴾: أي: الجهاد، والشهادة في سبيل الله مع النصر على الأعداء. والسؤال لما عدل عن ذكر الشهادة أو في سبيل الله فذكر الموت كالقول: ولقد كنتم تمنون الشهادة أو الموت في سبيل الله قد يكون السبب؛ لأنهم خالفوا أوامر رسول الله ﷺ في معركة أحد، أو لأنهم لم يبقوا في المدينة كما أشار رسول الله، وخرجوا إلى أحد تمنون الموت: ولم يقل: تتمنون الموت، حذف إحدى التاءين قد يعني تمنى الموت الذي يقصد به القتل (الشهادة) مع النصر، أو القتل (الشهادة) ولو كان مع الهزيمة، وحذف أحد التاءين؛ لأنه تحقق القتل (الشهادة) فقط بدون النصر وما حدث الشهادة مع الهزيمة، ولو حدثت الشهادة في سبيل الله مع النصر؛ لقال: تتمنون الموت، والله أعلم.

﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾: من قبل أن تشاهدوا الموت، وتعرفوا شدته، وويلاته.

﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوَهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾: الرؤية أنواع قد تكون:

١ - بمعنى العلم.

٢ - وقد تعني الظن.

٣ - والرؤيا بالعين.

وهنا كانت رؤية باليقين رؤية يقينية.



فقد: الفاء: للتوكيد، وقد: كذلك للتوكيد.

فقد رأيتموه: أي: الموت، وأنتم تنظرون: جاءت لتحديد وتؤكد نوع الرؤيا، فهي رؤيا حقيقية بأم العين (عين اليقين).

والموت بذاته لا يُرى، ولكن آثار الموت هي التي تُرى.

[١٤٤] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استثنائية. ما: النافية.

﴿مُحَمَّدٌ﴾: رسول الله ﷺ.

ورد اسمه ﷺ (محمد) في القرآن في أربع آيات فقط هي:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾

[محمد: ٢].

وورد اسمه ﷺ أحمد مرة واحدة في سورة الصف، آية (٦).

وخطوب بـ(يا أيها النبي) و(يا أيها الرسول) في بقية الآيات. ارجع إلى سورة المائدة، آية (٤١)؛ للبيان.

وكلمة محمد، أو أحمد من مشتقات الحمد؛ أي: فعل حمد.

فقالوا: أحمد وقع الحمد منه لغيره، فأحمد هو أحمدُ خلقِ الله لله، أو أحمدُ البشرِ لله، وأكثر حمداً مما لو قال اسمه حامد مثلاً.

ومحمد: ذات يقع عليها الحمد من غيرها؛ أي: يحمدُه الكثير من الخلق، أكثر مما لو قال اسمه محمود مثلاً.

ولرسول الله ﷺ أسماء أخرى بالإضافة إلى محمد وأحمد؛ الحاشر، والمُقَفَّى، والمأحي، ونبي الرحمة وطه.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، إذن: رسول يعني: نبي كذلك. قد: للتحقيق والتوكيد.

وما: للنفي، محمد إلا: للحصر، رسول: حتى لا يظن أحداً أن رسول الله ﷺ لا يموت، ولا يُقتل، أو يصبه ما يُصيب غيره من الجراح.

﴿خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: أي: مضت من قبله الرسل.

﴿أَفَايُن مَاتَ﴾: قيل: نزلت هذه الآية يوم أحد حين قال قوم من المنافقين: قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول. وقال آخرون: لو كان نبياً ما قُتل.

﴿أَفَايُن﴾: الهمزة استفهام فيها معنى التحذير من الانقلاب على الأعقاب، وكلمة ﴿أَفَايُن مَاتَ﴾ وردت في موت الرسول ﷺ فقط، فالله خصه بهذه الكلمة؛ ليلفت النظر إلى أن رسول الله ﷺ بشر وسيموت، كما مات سائر الرسل من قبله؛ أي: سيخلو كما خلوا؛ لأنهم اعتقدوا أنه ليس كسائر الرسل ولن يخلو كما خلوا، وهذا في اللغة يسمى فن القصر، قصر قلبي.

﴿مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾: كلاهما يؤدي إلى فقدان الحياة.



ولكن الموت، والذهاب بالحياة في القتل يكون بنقض البنية؛ أي: البدن الذي يصبح غير ملائم لسكن الروح؛ مما يؤدي إلى خروج الروح؛ فالقتل: هو إرغام الروح على الخروج من البدن الذي تغير.

وأما في الموت الطبيعي هو الذهاب بالروح أولاً؛ أي: خروج الروح أولاً، والبدن سليم حين خروجها، وبعد خروجها يموت البدن.

ففي الموت العادي: فالروح تخرج أولاً؛ مما يؤدي إلى موت البدن. وأما في القتل: البدن يموت أولاً، أو يتغير (يصبح غير صالح كسكن للروح) مما يرغم الروح على الخروج.

كان موته ﷺ يوم الإثنين، وهو كذلك يوم دخوله ﷺ المدينة.

﴿أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾: الانقلاب: العودة، أو الرجوع إلى حالة غير الحالة التي كانوا عليها سابقاً. ولو عادوا إلى ما كانوا عليه من قبل؛ لقال: رجعتهم فالانقلاب هو غير الرجوع.

فالانقلاب: هو الرجوع، ولكن إلى غير الحالة السابقة التي كانوا عليها. مثال: انقلب الطين خزفاً، ولا تقل رجع الطين خزفاً؛ لأنه لم يكن قبل ذلك خزفاً. وشبه سبحانه من ارتد عن دينه بالرجوع على الأعقاب (جمع عقب: وهو مؤخر القدم)، وهذا يسمى استعارة في علوم الجمال اللغوي.

أعقابكم: جمع عقب: وهو مؤخر القدم.

انقلبتم على أعقابكم؛ أي: رجعتكم كفاراً بعد الردة (ارتددتم إلى الكفر)، وكذلك قد تعني: رجعة القهقري من أرض المعركة؛ أي: فررتهم من أرض المعركة خوفاً من القتل، أو فررتهم من أرض المعركة؛ لكونكم سمعتم أن محمداً ﷺ قُتل.

﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ﴾: ومن: الواو: استثنائية، من: شرطية، ينقلب

على عقبيه؛ أي: يرتد عن دينه، أو يترك أرض المعركة، وينقلب إلى المدينة، فلن يضر الله شيئاً.

﴿فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾: شيئاً بكل تأكيد، وشيئاً: نكرة؛ أي: لن يضر الله تعالى شيئاً قليلاً، أو كثيراً، والشيء هو أقل القليل، وإنما ضره يعود على نفسه.

﴿فَلَنْ﴾: الفاء: للتوكيد، ولن: حرف نفي للمستقبل القريب، أو البعيد؛ لأن الله سبحانه أزلاً، وقبل أن يخلق شيئاً له صفات الكمال، فخلق الخلق، وعبادتهم أو عدمه لا يُغيّر في صفات كماله سبحانه.

﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾: الواو: استئنافية، والسين: للمستقبل القريب. الشاكرين: هم الذين لم ينقلبوا (بالإدبار من أرض المعركة، أو الارتداد عن الإسلام، أو استشهدوا في سبيل الله يوم أحد). وإذا نظرنا إلى الآية التالية (١٤٥) وهي قوله تعالى وسنجزى الشاكرين: نجد أن الآية (١٤٤) صرح بالفاعل، والآية (١٤٥) أخفى الفاعل؛ لأنه تقدم ذكره في الآية السابقة (١١٤).

وسماهم شاكرين: لأنه اعتبر ثباتهم شكراً لله، وكذلك قتلهم في سبيل الله تعالى شكراً، والثبات والصبر في أرض المعركة، أو الاستشهاد يستوجب الجزاء؛ أي: الثواب من الله تعالى بأعظم الأجور، وأحسن المثوبات في الدنيا والآخرة.

[١٤٥] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يُرِدُّ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدُّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: النافية؛ لنفي الحال، والمستقبل، والماضي، والحاضر (كل الأزمنة).

﴿كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ﴾: أي: ما تستطيع، أو تقدر؛ أي: نفس أن تموت؛ إلا بإذن الله بأمر من الله؛ حتى وإن حاولت الانتحار المرات العديدة، بأخذ مادة



سامة أو غيرها من الوسائل وإن تظن أنها قادرة فهي غير قادرة إلا إذا شاء الله سبحانه؛ لأن الموت بيد الله تعالى وحده.

لنفس: اللام: لام الاستحقاق. أن: للتوكيد.

﴿تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بأمر من الله تعالى إلى ملك الموت الموكل بقبض الروح.

﴿كُتِبَ﴾: أي: كتب الله لكل نفس أجلاً، وتقديره: كتب كتاباً.

﴿مُؤَجَّلًا﴾: كتاباً إذا أجل لا يتقدّم ولا يتأخّر، والأجل: المدة المضروبة لانقضاء الشيء، وأجل الإنسان هو الوقت لانقضاء عمره.

وفي هذه الآية حثٌ وتحريض على الجهاد في سبيل الله، ولن يموت أحدٌ قبل أجله، ولو بثانية واحدة سواء جاهد أو مات على فراشه.

﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾: من: الشرطية، يُرد: أي: بعمله؛ أي: يطلب بعمله ثواباً. وإذا قارنا يرد، وأراد: يرد فيها تجدد وتكرار؛ لأنها بصيغة المضارع؛ أي: يرد مرات عديدة، وإرادة الثواب يتجدد ويتكرر؛ ارجع إلى سورة الإسراء آية (١٩)، وآية (١٨) للمقارنة والبيان.

﴿ثَوَابَ﴾: في اللغة هو الجزاء على العمل، ويكون في الخير والشر، وعادة يشمل الأعمال الصالحة والعقائد.

﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾: مثل النصر، والغنيمة، والعزة، والشهرة، والمال، والرزق، وفيه تعريض، أو إشارة بالذين شغلّتهم الغنائم يوم أحد.

﴿ثَوَابَ الْآخِرَةِ﴾: هو نعيم الجنة عادة، وفيه إشارة لمن ثبت يوم أحد.

﴿نُؤْتِيهِ﴾: أصلها نُؤَاتُهُ حذف فيه الهمزة، أو نُؤْتِيهِ؛ أي: ما نشاء؛ أي: ما قدر له، وليس ما يشاء العبد.

أو من قصد بجهاده، أو بعمله الدنيا أُعطي منها، ومن قصد بجهاده، وعمله الآخرة أُعطي منها، ومن الدنيا معاً.

﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾: فيه إعادة، وتكرار للتأكيد على الشاكرين حيث قال سبحانه في الآية (١٤٤): وسيجزي الله الشاكرين.

وإذا انتبهنا إلى الآية نجد هناك مؤتي ﴿نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ و﴿نُؤْتِيهِمْ مِنْهَا﴾ و﴿نُؤْتِيهِمْ مِنْهَا﴾ و﴿نُؤْتِيهِمْ مِنْهَا﴾ و﴿نُؤْتِيهِمْ مِنْهَا﴾.

والمؤتي: هو الله سبحانه، والمجزي: هو الله سبحانه، إذن المؤتي والمجزي واحد، وهو الله سبحانه وتعالى.

لنقارن هذه الآية مع الآية (٢٠) من سورة الشورى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾.

في آية آل عمران: من يريد ثواب الدنيا نُؤْتِهِ مِنْهَا، وفي آية الشورى: من كان يريد حَرْثَ الدنيا نُؤْتِهِ مِنْهَا بلا زيادة، (وما له في الآخرة من خلاق)، فالحَرْث يعني: الزرع، والنتيجة هي الثواب.

فمن يحَرْث ويسعى للدنيا، ويرجو ثوابها؛ نُؤْتِهِ مِنْهَا؛ من مال، ومتاع، وشهرة، أو غير ذلك من حظوظ الدنيا.

ومن يحَرْث للآخرة، ويسعى لها، ويرجو ثوابها؛ نضاعف له ذلك الحسنة بعشر أمثالها، أو أكثر، ويؤت الدنيا والآخرة معاً.

[١٤٦] ﴿وَكَايْنٍ مَنِ نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيَّتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾:

المناسبة: هذه الآية فيها تذكير لصحابة رسول الله ﷺ الذين قاتلوا يوم



أحد، لماذا لا يكونوا كهؤلاء الربيين الذين قاتلوا مع أنبيائهم في السابق، أو في غيرها من المعارك والغزوات.

﴿وَكَايْنٍ﴾: مركبة من كأن التشبيه، وأي المنونة، فصارت كلمة واحدة: كآين عند أكثر النحاة، وهناك من قال اسم غير مركب، ووردت في القرآن في (٧) آيات هي: آل عمران (١٤٦)، يوسف (١٠٥)، الحج، (٤٥، ٤٩)، العنكبوت (٦٠)، محمد (١٣) الطلاق (٨)، ولم ترد في القرآن إلا مقرونة مع (من)، ومعناها بمعنى كم الخبرة التي تفيد التكثير وتفيد التفخيم وربما الاستفهام، ولمقارنة كآين، ويكأن: ارجع إلى سورة الحج، آية (٤٥).

﴿مِّنْ﴾: ابتدائية.

﴿نَّبِيٍّ﴾: أي: كثير من الأنبياء، ﴿قَتَلَ مَعَهُ﴾: ربيون؛ أي: جاهدوا معهم، ونصروهم في الدنيا.

﴿رَبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾: أي: ناس ذو خبرة عسكرية قتالية، وسياسية بالمفهوم الحديث، أو بالمعنى القديم (يفهمون سبل الحرب)، وهم عادة أتقياء، وعباد صالحون مؤمنون برسالة أنبيائهم. كثير: (جماعة كثيرة).

وما هو الفرق بين (ربيون، وربانيون) كما ورد في قوله تعالى في آية (٧٩) من سورة آل عمران: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمِينَ كَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَكَمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ﴾.

الربانيون: تطلق على العلماء الراسخين في علوم الدين، والفقه، الأتقياء الصالحين. ارجع إلى الآية (٧٩) من آل عمران؛ لمزيد من البيان.

ربيون: خبراء، أو ذوي خبرة في علوم الدنيا، ومنها الخبرة العسكرية، والقتالية، الأتقياء الصالحين، كما قلنا سابقاً.



﴿فَمَا﴾: الفاء: للتوكيد، ما: نافية.

﴿وَهَنُوا﴾: من الوهن، وهو الجبن، وخور القوى مع كون الجسم قوياً، ولا علة فيه، ومحله القلب، ومنه الخوف الشديد الذي يصيب الإنسان؛ فيؤدّي إلى عدم الرغبة في الجهاد في سبيل الله، أو للعود عن الجهاد.

﴿لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: ما: بمعنى الذي، وما أعم وأشمل من الذي أصابهم في سبيل الله من الجراحات والقتل والأسر وغيرها لم يؤدّبهم إلى الوهن، ولا الضعف، ولا إلى الاستكانة.

﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾: تكرار (ما) يفيد زيادة التوكيد. وفصل كلاً على حدة، الوهن والضعف، ولا كلاهما.

والضعف: بفتح الضاد يكون في الجسم والرأي، أو العقل.

والضُّعْف: بضم الضاد يكون فقط في الجسم (مرض عضوي).

﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾: ما: النافية. الاستكانة: من السكون: وهو عدم الحركة؛ لأن الذي يحارب يحتاج إلى فرّ وكرٍّ، وتعني هنا: استسلموا، وخضعوا، وذلوا لأعدائهم.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾: أي: هؤلاء الربيون يجب عليهم الصبر في سبيل الله، والثبات في أرض المعركة؛ لأن الله يحب الصابرين.

[١٤٧] ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: النافية.

﴿كَانَ قَوْلُهُمْ﴾: دعاءهم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.



﴿أَنْ﴾: للتوكيد.

﴿قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: أي: هم الوحيدون الذين قالوا مثل هذا القول: (ربنا اغفر لنا ذنوبنا...) فيها مدح للقائل.

وهناك من قرأ هذه الآية بضم اللام؛ أي: وما كان قولهم إلا أن قالوا؛ أي: هم لم يقولوا غير هذا القول (ربنا اغفر لنا ذنوبنا...)؛ أي: فقط قالوا هذا القول، ولم يقولوا غيره من الكلام في أثناء المعركة، والقتال، وفيها مدح للمقول.

فصار لها معنيان: هم الوحيدون الذين قالوا هذا القول، وتلك المقولة كانت المقولة الوحيدة التي قالوها أثناء الحرب والقتال، إذن نعم القائل ونعم المقولة.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: وهم في أرض المعركة يذكرون الله تعالى، ويتوبون إليه، ويسألونه أن يستر ويعفو عن ذنوبهم السابقة، وقد يستشهدون في سبيل الله بعد ثوان، أو دقائق، أو ساعات.

﴿وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾: الإسراف: مجاوزة الحد؛ أي: إذا ارتكبنا كبيرة قالوا ذلك خشية وتقرباً إلى الله.

﴿وَتَبَّتْ أَقْدَامُنَا﴾: في مواطن القتال، وأرض المعارك، وثبتت أقدامنا على دينك، ولا تنزع قلوبنا.

﴿وَانصُرْنَا﴾: أي: حقق فوزنا.

﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: لأن النصر لا يكون إلا من عندك أيها العزيز الحكيم.

[١٤٨] ﴿فَكَانَتْهُمْ أَلْفًا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿فَكَانَتْهُمْ﴾: الفاء: تدل على المباشرة، والتعقيب؛ أي: استجاب لهم ربهم بسرعة مجرد أن دعوا.

آثامهم: من الإيتاء، وهم أعم من العطاء، ويشمل النواحي المادية والمعنوية (الجنة والرضوان والمغفرة). ارجع إل الآية (٢٥١) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿ثَوَابِ الْدُّنْيَا﴾: من نصر، وفوز، وغنيمة.

﴿وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾: وانتبه إلى قوله: وحسن ثواب الآخرة، ولم يقل ذلك عن الدنيا (حسن ثواب الدنيا)؛ لأن الدنيا متاع الغرور، وزائلة، وثوابها زائل، وليس جديراً أن يوصف بالحسن، وأما ثواب الآخرة الذي يتضمن الجنة، وأعظم من ذلك درجاتها، وأعظم منها رضوان الله تعالى، وأعظم من ذلك رؤية وجهه الكريم، فإيا له من ثواب يدل على كرمه، وفضله، وإحسانه.

والثواب مشتقة من الثوب. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٠٣)؛ للبيان.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: فهو لاء الربيون، وهؤلاء الذين قاتلوا مع رسلهم؛ لإعلاء كلمة الله، وأحسنوا في دنياهم إحسان الكم والكيف هم مع المحسنين الذين يحبهم الله تعالى. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٢)؛ لمزيد من البيان.





سُورَةُ الرَّحْمٰنِ ٣

الْبَيْتُ الرَّابِعُ

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا
يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾
بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ
مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ
مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ
وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ
مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ
مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ
وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٥٢﴾ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ
وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَأَتْبَعَكُمْ
غَمًّا بَغِيًّا لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ
وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾





سورة آل عمران [الآيات ١٤٩ - ١٥٣]

[١٤٩] ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُم عَلَىٰ
أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾:

﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء إلى الذين آمنوا بتكليف جديد، أو أمرٍ
جديد، أو تحذير.

﴿إِن تَطِيعُوا﴾: إن: شرطية، تستعمل للحالات النادرة الحدوث، أو
حالات الاحتمال، والشك.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: سواء كانوا من أهل الكتاب، أو غيرهم من أهل
الملل الأخرى تطيعوهم في أمور الدين.

﴿يَرُدُّوكُم عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾: أي: يرجعوكم إلى الكفر بعد الإيمان،
والردُّ يختلف عن الرجوع. ارجع إلى الآية (٧) من سورة القصص.

﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾: الانقلاب هو الرجوع إلى غير الحالة التي كانوا
عليها؛ أي: تنقلبوا كفاراً بعد إذ أنتم مؤمنون.

خاسرين: تنقلبوا خاسرين لأنفسكم، وربما أهليكم يوم القيامة.

قال علي عليه السلام: نزلت هذه الآية في بعض المنافقين، أو الكفار الذين قالوا
لبعض المؤمنين بعد هزيمة أحد، وحين شاع أن رسول الله ﷺ قد قُتل: ارجعوا
إلى دينكم، أو قالوا: لو كان محمد نبياً لما قُتل، ومنهم من قال: نذهب إلى ابن
أبي، ونطلب منه أن يتوسط لنا عند أبي سفيان؛ ليأخذ لنا الأمان.

فنزلت هذه الآية بتحذير المؤمنين من طاعة هؤلاء الكفار، وعدم الظن أن



أبا سفيان، أو غيره هو الناصر والمعين؛ لأن الله سبحانه وحده هو المولي، وهو النصير.

[١٥٠] ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾:

﴿بَلِ﴾: حرف إضراب إبطالي تفيد التقرير والتعيين (أي: لا تطيعوا الذين كفروا)، بل أطيعوا الله ﴿اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾: أي: المتولي أموركم؛ أي: المعين، والناصر الحقيقي الذي يوصلكم إلى غايتكم.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل يفيد الحصر والتوكيد.

﴿خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾: جمع ناصر؛ أي: فقد ينصركم أحد من البشر نصراً مهما كان نوعه مؤقتاً وزائفاً، ولكن الناصر الحقيقي هو الله وحده، ولا يأتي النصر الحقيقي إلا من عند العزيز الحكيم؛ ناصرين: جملة اسمية تدل على ثبات الصفة؛ ارجع إلى الآية (٩١) في نفس السورة لبيان الفرق بين ناصرين وأنصار.

[١٥١] ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾:

سبب النزول: كما قال السدي بعد معركة أحد ارتحل أبو سفيان، ومعه المشركون من معركة أحد متوجهين إلى مكة، وبعد أن ساروا عائدين قالوا: بئس ما صنعنا، قتلناهم حتى إذا لم يبق إلا الشردمة تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم، فلما عزموا على ذلك ألقى الله سبحانه الرعب في قلوبهم، وعدلوا عن ذلك حيث شاع بينهم أن محمداً قادمٌ بجيش قوي جداً من المدينة؛ حيث انضم إليه مقاتلون جدد، وهو قادم في حمراء الأسد.

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: السين: للاستقبال القريب. سنلقي: من الإلقاء لا يكون إلا للأمور المادية، فكأنه حول الرعب الذي هو أمر معنوي نفسي إلى أمر مادي وأفرغه في قلوب الذين كفروا؛ حتى تمكن الرعب في قلوبهم، ولم يجرؤوا على الرجوع إلى قتال المؤمنين ورسوله ﷺ بعد أحد.

ولم يقل: سألقي، بل قال سبحانه: سنلقي استخدم نون العظمة (نون الجمع)؛ التي تجمع كل صفات الكمال، والقدرة، والقوة، والقهر، والمنعة، وتعني: أن الإلقاء سيُشمل ويعم كل هذه القلوب الكافرة، وسبب هذا الإلقاء: هو لأنهم أشركوا، وكل قلب به كفر سيلقي الله فيه الرعب، فالإشراك جاء لهم بالرعب؛ لأنهم لا مولى لهم.

﴿بِمَا أَشْرَكُوا يَا اللَّهُ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾: الباء: للإلصاق، والتمسك، أو السببية، أو التعليل. ما: نكرة لغير العاقل، والعاقل.

بما أشركوا به: أي بسبب إشراكهم.

﴿مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾: من آلهة، وأصنام.

سلطاناً: أي: حُجَّة، أو برهان، أو دليل على الشرك بالله يقهرهم على فعل ذلك، أو أي دليل وبرهان يبيح لهم ذلك.

والسلطان: هو الحجة القوية التي لا تدحض لقوة دلالتها، مأخوذة من مادة السين، واللام، والطاء: سلط.

والسلطان نوعان: سلطان القوة، والقهر؛ أي: قوة تقهرهم على فعل المعصية (أو الشرك).

أو سلطان البرهان والدليل القادر على إقناعهم بفعل الشرك، أو المعصية.

﴿وَمَا أَوْثَنُ النَّارُ﴾: المأوى: اسم المكان الذي يأوي إليه؛ للإقامة والاستقرار. يجب أن نفرق بين المأوى والمثوى:

المأوى: هو المسكن، أو مكان الاستقرار، وجاءت مأوى في وصف الجنة والنار كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤١]. والمأوى قد يكون حسناً أو سيئاً، وإذا كان سيئاً يعني مثوى، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا أَوْثَنُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾،



والمأوى بالنسبة لأصحاب النار قد يعني السخرية منهم يظنون مكانهم إلى الجنة، ثم يفاجؤون بأنه إلى النار، والمأوى لا يصل إليه أو يحل به إلا بعد سعي وتخطيط وتدبير.

﴿وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾: بئس: فعل ذم، مَثْوَى الظالمين: مَثْوَى: اسم مكان من المَثْوَى؛ أي: الإقامة، والمَثْوَى: المستقر، وكلمة مَثْوَى استعملها القرآن فقط لأهل النار، وأما مشتقات المَثْوَى كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ رَفِيعُ أَحْسَنَ مَثْوًى﴾ [يوسف: ٢٣]، وقوله: ﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوِئَكُمْ﴾ [محمد: ١٩]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٤٥]، هذه المشتقات تشير إلى أن المَثْوَى فيها كان حسناً. إذن: يجب أن نفرق بين مَثْوَى، والتي تعني المكان السيء والضيق والمقيد لا يسمح بالحركة وأساء من السجن والدائم. وكلمة ثاويًا، مَثَاكِم، مَثَوَاه، مَثَاي: كلها تشير إلى المَثْوَى الحسن والجيد، والمَثْوَى ومشتقات المَثْوَى؛ أي: المكان الذي حل به أو وصل إليه بدون تخطيط أو تدبير.

﴿الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين المشركين.

[١٥٢] ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، لقد: اللام: للتوكيد بصدق الوعد، وقد: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: في بداية المعركة (معركة أحد)، ولقد صدقكم الله وعده بالنصر، قيل: كان جواباً على ما قاله بعض أصحاب رسول الله ﷺ بعد رجوعهم من أحد، فقد قال قوم منهم: من أين أصابنا هذا،

وقد وعدنا الله بالنصر؛ فنزلت هذه الآية، والنصر دام أو استمر حتى خالفوا أمر النبي ﷺ، وترك معظم الرماة مواقعهم على جبل أحد قبل انتهاء المعركة طمعاً في الغنائم.

﴿إِذَا﴾: ظرف زمني للماضي.

﴿تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾: الحس هنا: هو القتل، يقال: حسه؛ أي: قتله، بإذنه: بإرادته، وأمره تعالى، وتحسونهم: تعني تقتلونهم قتلاً ذريعاً، وهذا ما حدث في بداية المعركة؛ حيث قُتل أحد عشر رجلاً من حملة لواء المشركين، ولم يبق منهم أحد يحمله حتى أصبح حمل لواء المشركين شؤماً عليهم ما يدنو منه أحد إلا قُتل؛ فتركوه على الأرض، واستبسل المسلمون في القتال.

وقُتل عدد قليل من المسلمين في بداية المعركة، ومنهم حمزة رضي الله عنه، وظل المسلمون مسيطرين على أرض المعركة، وبدأ المشركون ينهزمون من أرضها أمام المسلمون، ورأى الرماة هزيمة المشركين، ورأوا أصحابهم يظفرون بغنائم العدو عندها ترك الرماة أماكنهم إلا عشرة منهم فقد ثبتوا في أماكنهم.

﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: حتى: حرف غاية، وجر، وتحمل معنى إلى نهاية الغاية.

فتكون الآية: ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه إلى أن فشلتم وتنازعتم في الأمر.

﴿إِذَا﴾: ظرفية تحمل معنى الشرط.

﴿فَشِلْتُمْ﴾: قال بعض المفسرين: هناك تقديم وتأخير في هذه الآية، وأصلها حتى إذا تنازعتم في الأرض وفشلتم وعصيتهم، وبعض المفسرين قالوا جاء ترتيبها كما حصلت وليس هناك تقديم أو تأخير أي حتى إذا فشلتم: جبتم، وضعفتم أمام عدوكم، والفشل يعني كذلك الخسارة، وتقديم النتيجة على ذكر



السبب وهو الاختلاف والعصيان الذي حدث أولاً لكي يشعرهم بعظمة الذنب الذي ارتكبه.

﴿وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: التنازع: يعني الاختلاف في الرأي الذي يؤدي إلى الخصومة، والأمر هو أمر رسول الله ﷺ إياهم بعدم ترك مواقعهم مهما حدث، فالأكثرية قالوا: ننسحب ونذهب إلى الغنائم، وجماعة قالوا: نثبت مكاننا، كما أمرنا رسول الله ﷺ، ولم يقل اختلفتم وإنما سمي المخالفة عصياناً؛ لأن المقام مقام جهاد وليس اجتهد فلا بد من الطاعة المطلقة للرسول دون تأويل.

﴿وَعَصَيْتُمْ﴾: أمر الرسول ﷺ بترك مكان الرمي في الجبل.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَاتُحِبُّونَ﴾: من النصر في بداية المعركة.

﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾: منكم: الخطاب إلى الصحابة الذين شاركوا في أحد وعصوا الرسول ﷺ؛ منكم من يريد الغنائم؛ فانسحب، وترك مكانه في الجبل عارياً، ونزل إلى الميدان.

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾: وبعضكم ثبت في مكانه، ولم ينسحب، ويركض وراء الغنائم، وهم أقل من (١٠) استشهدوا، ومنهم عبد الله بن جبير.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: والله ما كنت أعلم أن أحداً من صحابة رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى نزلت فينا يوم أحد هذه الآية.

﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: ثم: للترتيب العددي، وليس للتراخي.

﴿صَرَفَكُمْ﴾: الصرف: هو التحويل؛ أي: حفظكم من المشركين، وأبقاكم أحياء حتى حين؛ ليبتليكم: أي: ليختبركم فيما بعد، واللام: للتعليل، أو صرفكم عنهم من بعد أن كنتم مشغولين بقتالهم، وقبل أن تنظروا إلى الغنائم. وقيل: عفا عنكم: أي: لو شاء لسلط عليكم المشركين فقتلوكم أجمعين.

﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: لأنه عفا عنهم لتركهم مواقعهم في الجبل،

وركضهم وراء الغنيمة، وكذلك لم يستأصلوكم، ويقتلوكم جميعاً؛ لأنه سبحانه ذو فضل: صاحب الفضل، والجود على المؤمنين.

[١٥٣] ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَكُونُ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ فَأَتَيْتُكُمْ غَمًّا يَغْمِرُ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي، أو: واذكروا إذ تُصعدون: تفرون هاربين. ﴿تُصْعِدُونَ﴾: لها ثلاثة تفسيرات:

١ - تُصعدون: بضم التاء، وكسر العين: هذا ما قاله أكثر القراء، وتعني: ابتدأ السفر (أي: الانهزام من أرض المعركة) أضعدنا من بغداد إلى خراسان؛ أي: ابتدأنا المسير.

٢ - أو تُصعدون: من أضعد؛ أي: ذهب باتجاه الصعيد؛ أي: في الأرض المستوية حتى ينجو بسرعة، ويستطيع الهرب.

٣ - وَتُصْعِدُونَ: بفتح التاء والعين من صعد؛ أي: سار من أسفل إلى أعلى؛ أي: صعد على الجبل، والمرجح أنهم هربوا إلى الأرض السهلة؛ للفرار. ﴿وَلَا تَكُونُ عَلَى أَحَدٍ﴾: أي: لا تلتفتون إلى أحد، أو لا تلتفتون برؤوسكم يمنة ولا يسرة، ولا إلى خلفكم. من لوى: بمعنى عطف.

﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ﴾: أي: والرسول ﷺ يناديكم من مؤخرتكم؛ أي: من خلفكم قائلاً: إليّ عباد الله. ارجعوا إليّ عباد الله.

﴿فَأَتَيْتُكُمْ غَمًّا يَغْمِرُ﴾: الباء في كلمة بغم: باء الإلصاق؛ أي: غم مع غم، غم بعد غم، غم على غم.

والغم: هو ضيق في الصدر من أمر مكروه، أو حزن شديد، والغم، والنعاس جند من جنود الله.



فأثابكم غمّاً بغم: فعندنا في هذه الآية غمّان، واحتمالات هذين الغمين:
 الاحتمال الأول: الغم الأول: غم الهزيمة والقتل.
 الغم الثاني: قدوم خالد بن الوليد بخيل المشركين.
 الاحتمال الثاني: الغم الأول: الفرار، والهزيمة، أو ما فاتهم من الغنيمة.
 والغم الثاني: الغم حين سمعوا بقتل محمد ﷺ.
 الاحتمال الثالث: إذا كانت الباء بمعنى الجزاء يصبح المعنى:
 غمّاً: أي: ما حدث للصحابه من هزيمة، وقتل، وجراح، وقدوم خالد بن
 الوليد بخيل المشركين وإشاعة قتل الرسول ﷺ.
 بغم: الباء: سببيه، أو بدلية.
 بغم: جزاؤكم؛ لأنكم خالفتم أمر رسول الله ﷺ.
 أي: حين خالفتم أمر رسول الله ﷺ سببتم للرسول الغم، فجازاكم الله
 بغم الهزيمة، والقتل.
 وقوله تعالى: ﴿فَأَثَبَكُمْ﴾: الفاء: للمباشرة والتعقيب.
 وسمي ذلك ثواباً؛ أي: ما حدث لكم من قتل وهزيمة وفرار هو لإزالة
 ومحو خطأ معصية رسول الله ﷺ.
 لكيلا: اللام للتوكيد. كي: للتعليل، وبيان الغرض الحقيقي من الغم، وهو
 لتجنب الحزن على ما فاتكم من النصر، والغنيمة.
 ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾: من القتل، والهزيمة، والفرار، والرعب الذي
 حدث لكم عند سماعكم بمقتل رسول الله ﷺ.
 ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾: من الغنيمة، والنصر؛ جاءت
 (لكيلا) في هذه موصولة، وفي الآية (٧) في سورة الحشر جاءت مفصولة

(كي+لا)، ويجوز كناية لكي لا موصولة أو مفصولة، وهذا يدل أولاً: على أن ما نقرأه في القرآن هو كما نزل على قلب محمد ﷺ بدون تحريف؛ ثانياً: لعدم فصل بين الحزن على ما فاتكم من الغنمة وبين ما أصابكم من الجراح والهزيمة؛ لأن الأول هو سبب الثاني.

﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾: من الهزيمة، والقتل، أو الجراح، والرعب بمقتل رسول الله ﷺ.

أي: ما حدث لكم من غم، وهزيمة، وجراحات: هو جزاء لما حدث منكم من معصية، ومخالفة لأمر رسول الله ﷺ؛ حيث تركتم مواقعكم ركضاً وراء الغنمة، ومع ذلك سوف يثيبكم الله عليها، ويعفو عنكم، ويظهركم من ذنوبكم، ولتكون عبرة، وموعظة للأيام القادمة، ودرساً لعدم مخالفة رسول الله ﷺ فيما آتاكم، ونهاكم عنه.

﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: فالله سبحانه خير؛ أي: عليم ببواطن أموركم، وبكل ما حصل من معصية، وتنازع، وفرار، وقتل، وترك النبي ﷺ في أرض المعركة وحده، والله مطلع على نواياكم، وعقولكم، وما تخفي الصدور.





سُورَةُ الرَّحْمٰنِ ٢

الجزء الرابع

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً
 مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ
 الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ
 إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْضِفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ
 يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قَتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ
 فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ
 وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ
 وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ
 يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا
 كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَتَّيَّهَاتُ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا
 ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانَوْا عُزَّىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا
 قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمِيتُ
 وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

سورة آل عمران [الآيات ١٥٤ - ١٥٧]

[١٥٤] ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

﴿ثُمَّ﴾: لتباين فضل النعاس على الغم.

﴿أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ﴾: كلمة أنزل عليكم تدل على أن النعاس عطاء علوي، ورحمة من الله، وآية من آياته؛ لأن صاحب الغم، والهَم لا ينام أبداً، وهنا يُنزل الحق سبحانه فضله عليهم بالنوم من بعد الغم، من تعني: مباشرة من بعد الغم أمانة نعاساً.

وقال أمنة: ولم يقل الأمن، فما هو الفرق بينهما؟

الأمن: هو الطمأنينة مع زوال السبب، أو الأسباب؛ أي: زوال الخوف كاملاً.

الأمنة: الطمأنينة إلى حد ما؛ أي: عدم زوال الخوف كاملاً، فلا يزال هناك بعض الخوف مخيم على الناس، ولا يزال هناك بعض الخوف، لعدم زوال الأسباب كاملة، فالأمن أفضل من الأمنة.



﴿يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: يغشى: يغطي ويستتر، أو يلبس كالغشاء.

﴿طَائِفَةً مِّنْكُمْ﴾: وهم المؤمنون المخلصون الذين ثبتوا في أماكنهم، أو الذين أخطؤوا، وعصوا الرسول ﷺ بدون قصد ونية ومعرفة عاقبة أمرهم.

وتعريف الطائفة: جماعة تطوف حول فكرة واحدة، أو أفكار معينة؛ أي: لهم سياسة واحدة، أو عقائد واحدة.

﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: هم المنافقون خرجوا فقط طمعاً في الغنيمة لم يصبهم أي نعاس، وأهمهم خلاص أنفسهم، ونجاة أنفسهم.

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾: يظنون بالله غير الحق: الباء: للإلصاق، والحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتغير.

ظن الجاهلية: الظن: هو التردد الراجح، وهو ظن السفه مثل:

١ - أن الله أخلف وعده لنا بالنصر، ونسوا أنهم عصوا رسول الله ﷺ.

٢ - لو كان محمد نبياً حقاً ما أصابنا هذا.

٣ - بأن محمداً غير نبي، وأمره باطل، وأن الله لن ينصره.

﴿يَقُولُونَ هَلْ لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾: يقولون لأنفسهم سرّاً: هل لنا: هل: للاستفهام، وفيها معنى الجحود، والنفي.

لنا من الأمر: من: استغراقية. الأمر: النصر، أو الهزيمة، أو الغنيمة، أو الخروج إلى أحد لم يكن لنا فيه رأي.

من شيء: من نصيب؛ أي: لم نصب لا نصراً، ولا غنيمة، ولا حظاً من خروجنا إلى غزوة أُحُد.

أو: لو كان الأمر لنا ما خرجنا من المدينة إلى أحدٍ (أصلاً كان رأينا ألا نخرج، وما أصابنا ما أصابنا)، وإنما خرجنا كرهاً.

﴿قُلْ إِنَّ﴾: أي: النصر، والظفر، والخروج، وسواء خرجتم أم لم تخرجوا، والدخول، والقدر، والقضاء، والموت، والقتل كله لله.

﴿يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾: يخفون في أنفسهم من الكفر، والعداوة، والحقد، أو النفاق، أو الندم على الخروج؛ أي: يبتنون الإنكار، والتكذيب، والنفاق.

﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قَتَلْنَا هَهُنَا﴾: أي: لو كان الأمر كما قال محمد أن الأمر كله لله ولأوليائه؛ لما غلبنا أيضاً قط، ولما قتل كثير من المسلمين في هذه المعركة.

لو كان لنا شيء من النصر، أو الظفر الذي وعدنا به محمد وأصحابه ما قتلنا هاهنا.

فهم يظنون أن خروجهم إلى أرض المعركة هو سبب لموتهم فهم لا يؤمنون بأن الموت والحياة بيد الله.

﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾: هذا كان رداً على سؤالهم لو ما خرجنا ما أصابنا ما أصابنا، قل يا محمد لهم: لو تخلفتم، ولم تخرجوا؛ لخرج منكم من كتب عليه القتل، أو الموت، وظهر وانكشف أو بان بشدة (أي: برز)، وماتوا بدون جهاد، أو قتال بالمكان الذي حدد له. مضاجعهم: (مصارعهم)؛ أي: لو لم تخرجوا وبقيتم في المدينة لما نجا من القتل منكم أحد.

فالجهد ليس سبباً لقتلكم، فهناك من يجاهد، ولا يقتل، وهناك من لا يجاهد ويُقتل، ويموت، فالأمر بيد الله، ويأذن الله.



﴿وَلِيَبْتَلِ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾: من الإخلاص، أو النفاق، والشك، والريبة، ووساوس الشيطان.

وليبتلي الله: اللام: للتوكيد؛ ليبتلي: من الابتلاء. ارجع إلى الآية (٣١) من سورة محمد؛ لمزيد من البيان.

﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾: يطهر، ويخلص قلوبكم من الذنوب، والتمحيص؛ يعني: التخلص من الذنوب، والسيئات، ويقال: محص الذهب بالنار؛ أي: أزال عنه ما يشوبه من الخبث. بالابتلاء؛ أي: أبان ما في قلوبكم من الاعتقاد، والشرك.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: ارجع إلى الآية (١١٩) من نفس السورة؛ للبيان.

[١٥٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ اتَّبَعُوا الشَّيْطَانَ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: ﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾: أي: انهزموا يوم أُحُدٍ منكم، وتولوا عن القتال، ولم يقاتلوا منكم يا معشر المسلمين.

﴿يَوْمَ اتَّبَعَ الْجُمُعَانِ﴾: يوم أُحُدٍ يوم التقى جمع المسلمين، وجمع الكافرين؛ فقد تولَّى أكثر المسلمين، ولم يبق مع النبي ﷺ إلا ثلاثة عشر رجلاً، كما ذكرت الروايات.

﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾: إنما: كافة مكفوفة تفيد التوكيد. استزلهم: بمعنى أزلهم ولكن أكثر تأكيداً ومبالغة في الزل؛ فقد كانت أحد أعظم الزلات.

استزلهم الشيطان: بالوسوسة، والتزيين، الألف والسين والتاء؛ تعني: الطلب؛ أي: طلب منهم الشيطان أن يزكُّوا؛ لأنه علم فيهم ضعف الإيمان، والشيطان لا يستزل إلا الضعيف، والزَّلْ: هو العثرة، والهفوة، مثل انزلاق القدم، وسقوط صاحبها، والسقوط، أو الوقوع في الخطأ الذي قد يؤدي إلى ما هو أعظم غير متوقع، والإثم هو توليهم عن القتال، وانسحابهم من أرض المعركة، وترك مواقعهم في جبل أُحُدٍ، ومخالفة أمر رسول الله ﷺ.

الشيطان: ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿بَعْضٌ مَا كَسَبُوا﴾: أوقعهم الشيطان ببعض الذنوب؛ كالطمع في الغنيمة، وكره القتال، أو الجهاد في سبيل الله، ومعصية الرسول ﷺ.

﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: الواو: عاطفة، لقد: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق والتوكيد، عفا الله عنهم: لتوبتهم، واستغفارهم ربهم.

والعفو هو: ترك العقوبة على الذنب. ذنب معصية الرسول ﷺ.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿غَفُورٌ﴾: صيغة مبالغة كثير الغفر مهما كثرت أو عظمت الذنوب؛ فالله يغفرها؛ إلا الشرك. صيغة مبالغة.

﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعجل العقوبة لعباده؛ لعلهم يتوبون، وينيبون إليه، ذو الصفح، والأناة، حلیم لمن عصاه مع القدرة على العقوبة.



[١٥٦] ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَاقُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد للذين آمنوا، والهاء: للتنبيه، بتكليف جديد، أو تحذير، أو تنبيه.

﴿لَا﴾: الناهية، ﴿تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾: في الكفر، والنفاق.

﴿إِذَا﴾: ظرفية للماضي والاستمرار فهم قالوا في الماضي، وإذا تدل على شأنهم وللاستمرار في قولهم وأنه لن يتوقف.

﴿ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾: خرجوا للتجارة، أو السفر في الأرض، وليس على الأرض؛ لأن الطبقة الغازية المحيطة بالأرض هي تابعة للأرض.

وأصل الضرب: إيقاع شيء على شيء، ويعني: ضرب الأرض بالأرجل، ويعني: السير عليها.

﴿أَوْ كَانُوا غُزًى﴾: أي: غزاة، جمع غازي، والغزو: هو الخروج لمحاربة العدو، وأصل الغزو: قصد الشيء، والمغزى: أي: المقصد.

﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَاقُتِلُوا﴾: لو كانوا عندنا: لو: شرطية.

كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا: أي: لو بقيتم عندنا، ولم تخرجوا للسفر، أو القتال (الغزو) لما مُتّم، ولما قتلتم.

وهو اعتقاد خاطئ؛ لأن الموت العادي، أو الموت بالقتل هو بأمر الله تعالى وقضائه.

هو كتابٌ مؤجلٌ سيقع سواء كنتم في سفر، أو في غزو، أو في قعر بيوتكم، أو بروج مشيدة، وليس السبب في موتكم، أو قتلكم هو الخروج، أو عدمه. ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾: ليجعل: اللام: لام التعليل، أو الاختصاص.

الله ذلك: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف: للخطاب. ذلك: يشير إلى القول الذي قالوه: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾.

يجعل الله سبحانه قولهم حسرة في قلوبهم، والحسرة: تعني الحزن الشديد، والشعور بالندم، وظهور ذلك على الفرد؛ أي: يشعروا بأشد الندم، والأسف على ما قالوا.

انتبه: أسند الله الفعل إليه؛ أي: هذا الاعتقاد الفاسد في أذهانهم بالنسبة للموت، والقتل أن سببه الضرب في الأرض، أو الغزو سيكون لهم سبباً في زيادة الغم، والحسرة، وضيق الصدر إذا ماتوا، أو قتلوا حقيقة، وفي هذا تحذير للمؤمنين أن يفعلوا كما فعل الذين كفروا، ويتحسروا على من مات أو قتل بناءً على اعتقادهم الفاسد الخاطيء: أن موت هؤلاء، أو قتلهم ليس بسبب من الله، وإنما بسبب خروجهم.

﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: من يشاء ومتى شاء، وأين شاء، وكيف شاء في السفر، أو الغزو، أو قعر بيوتكم، ولا يموت أحد إلا بأمره، وقدره. ولا تستقدمون ساعة ولا تستأخرون.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: العمل يشمل القول، والفعل؛ أي: بصير بما تقولونه، أو تفعلونه، فلا تخفى عليه خافية في الأرض، ولا في السماء.

حتى أن اعتقادهم الفاسد بأن موتهم، أو قتلهم ليس بأمر من الله، وإنما



بسبب خروجهم للجهاد أصبح معلوماً، ولم يعد يخفى على أحد، فأصبح مكشوفاً للكل، ولذلك قال سبحانه: بما تعملون بصير، ولو أخفوه لقال تعالى: والله بما تعملون خبير.

[١٥٧] ﴿وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾:

﴿وَلَيْنَ﴾: الواو: استئنافية، واللام في لئن: للتوكيد، وإن: شرطية تفيد الاحتمال، وقلة الحدوث.

﴿قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في الجهاد في سبيل الله.

﴿أَوْ مُتُّمْ﴾: في سفر، أو في إقامتكم.

انتبه إلى ضم الميم في كلمة مُتْم. انظر في ملحق هذه الآية؛ لمعرفة الفرق بين مُتْم، ومُتْم.

﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: لمغفرة من الله ورحمة: اللام في لمغفرة: جواب الشرط؛ أي: إن قُتِلْتُمْ في سبيل الله، أو مُتْم في سبيل الله كلاهما وسيلة لنيل المغفرة من الله التي تمحو الذنب عنكم.

ورحمة: التي ترفع الدرجات، ورحمة: نكرة؛ أي: رحمة من الله مُرَحَّب بها.

هذه المغفرة والرحمة خير وأفضل من البقاء في الدنيا، وجمع المال والعرض.

﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: يجمع المنافقون من حطام الدنيا، والمال والمتاع، مما: (من وما): من البعضية، ما: اسم موصول، أو مصدرية.

وفي هذا حث على الجهاد في سبيل الله، والموت لنيل الرحمة والمغفرة.
ومن الناحية البيانية: لا بد من معرفة لماذا ضم الميم في مُتَمِّم في هذه الآية.
بينما في الآية (٣٥) من سورة المؤمنون كسر الميم، فقال: ﴿أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا
مُتُّم وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ﴾.

لأن حركة الضم هي أثقل الحركات المستعملة في اللغة العربية، والموت في سبيل الله بسبب الحروب والجهاد والشدة هو أثقل وأشد أنواع الموت، فجاء بأثقل الحركات؛ لتناسب أشد الأفعال (الموت في سبيل الله والقتل)، وبما أن حركة الكسر هي أخف الحركات المستعملة في اللغة العربية، والموت الطبيعي على فراش الموت أو العادي هو أخف من الموت في سبيل الله، فجاء بأخف الحركات؛ لتناسب أخف أنواع الموت شدة.





الجزء الرابع

سورة العنكبوت ٣

وَلَيْنَ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِيَّ اللَّهُ تَحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ
 اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأُنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ
 فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ
 فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ
 فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ
 بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ
 يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ
 نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ
 اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَدَّ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
 ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾
 لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ
 يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
 وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾
 أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا
 قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

سورة آل عمران [الآيات ١٥٨ - ١٦٥]

[١٥٨] ﴿وَلَيْنَ مُتَمَّ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾:

﴿وَلَيْنَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

وإن: شرطية، مُتَمَّ، أو قتلتم: تدل على احتمال الحدوث.

مُتَمَّ: الموت العادي، أو قتلتم في سبيل الله.

أي: سواء ﴿مُتَمَّ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾: بأي سبب مصيركم إلى الله عزَّ وجلَّ وحده قطعاً وحصرأ. ارجع إلى الآية السابقة؛ لمزيد من البيان.

﴿تُحْشَرُونَ﴾: الحشر: هو الجمع + السوق؛ أي: تساقون إليه، وتُجمعون، ويكون يوم القيامة.

هناك فرق بين القتل، والموت:

الموت العادي: تخرج فيه الروح أولاً مما يؤدي إلى موت البدن (نقض البنية) ثانياً.

أما القتل: يحدث فيه نقض البنية أولاً، فترغم الروح بالخروج، وترك البدن الذي لم يعد صالحاً لبقائها فيه.

وبالنسبة للتقديم والتأخير:

نرى في الآية (١٥٦) تقديم الموت على القتل، فقال تعالى: ﴿مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾.

وفي الآية (١٥٧) تقديم القتل على الموت، فقال تعالى: ﴿وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾.



وفي الآية (١٥٨) تقديم الموت على القتل، فقال تعالى: ﴿وَلَيْنَ مُتَمِّمٌ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾.

فما سبب التقديم تارة، والتأخير تارة أخرى؟

ففي الآية (١٥٦): قَدَّمَ الموت على القتل؛ لأن الآية في سياق الضرب في الأرض، أو كانوا غزى، قَدَّمَ الأكثر، وهو الضرب في الأرض للسفر والتجارة وغيرها على الغزو (غزاً)؛ أي: الأقل.

أما في الآية (١٥٧): قَدَّمَ القتل على الموت؛ لأن القتل أشرف من الموت، وأعظم درجة.

وفي الآية (١٥٨): قَدَّمَ الموت على القتل؛ لأن السياق عن يوم الحشر، وعدد الموتى في يوم الحشر أكثر وأعظم من عدد الشهداء، فقَدَّمَ الموت على القتل، والله أعلم.

[١٥٩] ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ لَوَكُنْتَ فُظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾:

﴿فِيمَا﴾: الفاء: استئنافية، والميم: للتوكيد.

﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾: أصلها برحمة من الله لنت لهم، أو لنت لهم برحمة من الله.

رحمة: هي جلب ما يسر، ودفع ما يضر، وتعني: الإنعام على المحتاج، ورحمة هنا: جاءت نكرة؛ للتعظيم.

﴿لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ﴾: اللين: الرفق، واللفظ؛ أي: رقيقاً بهم تعاملهم بالرفق، واللفظ. فبرحمة من الله تعالى، وتوفيقه لك جعلك لين المعاملة، ورقيق المعاشرة لهم.

نزلت هذه الآية في أعقاب أحداث أُحُدٍ، حيث لم يعنف ﷺ الذين تولوا

يوم أُحْدٍ من المسلمين، بل رفق بهم، فأخبر تعالى أن ذلك كان بتوفيق منه عز وجل.

﴿وَلَوْ﴾: حرف امتناع لامتناع.

﴿كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾: قاسياً جافاً، قاسي القلب، غليظاً، خشن القول، صعب الخلق.

وأصل كلمة فظاً: هو ماء الكرش (الماء الموجود في الأمعاء الغليظة في الإبل).

فالإبل حين تشرب كميات كبيرة من الماء تخزنها في الأمعاء الغليظة، ثم لا تجد ماء تجتر من الماء المخزون، وهذا الماء كرهه غير مستساغ الرائحة، وسموا خشونة القول: فظاظه، والفظ: القول الخشن.

﴿لَا تَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾: أي: تفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: فاعف عنهم أولاً، لما كان بينك وبينهم اعف عنهم لما فعلوه فيك يوم أُحْدٍ؛ حيث عصوا أمرك، وما أصابك من جراح، وبسبب طمعهم في الغنائم.

ثانياً: استغفر الله لهم؛ لأنهم أذنبوا، وعصوا الله ورسوله، فهذا يتطلب منك الاستغفار لهم.

ثالثاً: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: بعد العفو عنهم، والاستغفار لهم، أصبحوا أهلاً للمشورة، فشاورهم في أمور السلم، والحرب؛ أي: شاوِر ذوي الرأي، والعلم منهم، والشورى من قواعد الشريعة، وعزائم الأحكام.

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾: فإذا: الفاء: عاطفة، إذا: ظرف للزمن المستقبل.

﴿عَزَمْتَ﴾: العزم: هو الهم بالقيام، وهو القصد الإمضاء فيما جزم عقب المشاورة، أو عزم ما تريد.



﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: استعن بالله بعد اتخاذ الأسباب الضرورية (التوكل عمل قلبي). ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لبيان معنى التوكل.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾: إن: للتوكيد، يحب المتوكلين: جمع متوكل، وهو الذي يهيم الأسباب، ثم يدعو الله لمساعدته، ويعتمد عليه سبحانه في شؤونه. [١٦٠] ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾:

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد القلة، والاحتمال.

﴿يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾: كما نصركم يوم بدر، فلا أحد يغلبكم، فلا: الفاء: رابطة لجواب الشرط.

وفي آية أخرى في سورة محمد ﷺ آية (٧): ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

ونصر الله يكون بإعلاء كلمته، وإعلاء دينه.

والله سبحانه لا يحتاج إلى نصره؛ فهو القوي العزيز.

﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ﴾: كما خذلكم في أحد، الخذل، أو الخذلان، لا يمد لكم يد العون في النصر على أعدائكم.

﴿فَمَنْ ذَا﴾: من: للعاقل، استفهامية تفيد النفي؛ أي: لا ناصر لكم إلا الله، وذا: اسم إشارة للقريب.

﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾: الهاء: تعود على الله سبحانه، والجواب: لا أحد يستطيع نصركم إلا الله.

﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: على الله وحده يتوكل المؤمنون.

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: الفاء: للتوكيد، واللام: في ليتوكل: للتعليل، يتوكل المؤمنون: يعتمدون على ربهم في قضاء حوائجهم. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لمزيد من البيان.

[١٦١] ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية، ما: النافية.

﴿كَانَ لِنَبِيِّ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أي: ما يصح لنبي أن يغل.

﴿أَنْ﴾: للتوكيد، ﴿يَغُلْ﴾: الغلول الأخذ بالخفاء بمعنى السرقة من الغنائم قبل قسمتها. شرعاً: هو الخيانة في الغنائم؛ كقوله تعالى في سورة المائدة، آية (٦٤): ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾.

﴿وَمَنْ﴾: شرطية، ﴿يَغُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: قيل: يأتي يوم القيامة حاملاً لما غلّ أمام الناس، ويُفصح أمام الخلائق.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي.

﴿تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: من خير، أو شر، فينال الغال، وغيره جزاء فعله تاماً كاملاً يوم القيامة، وفي الآية (١١١) في سورة النحل قال تعالى: ﴿وَتَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾؛ لأن الأعمال كسب فالعمل أعم من الكسب، ولأن السياق في أمر خاص هو الجهاد جاء بالكسب.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: هم ضمير منفصل للتوكيد، لا: النافية، يُظلمون: بنقص حسنة واحدة، أو زيادة سيئة واحدة.

[١٦٢] ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا أَوْلَهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾:

﴿أَفَمَنْ﴾: الهمزة همزة استفهام، وإنكار، ونفي؛ أي: (ليس من اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله). والفاء: استئنافية للتوكيد. من: اسم موصول.



﴿اتَّبِعْ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾: أطاع الله عز وجل فيما أمر ونهى، ولم يغفل في الغنيمة، ولم يخن في الأمانة، وأطاع رسول الله ﷺ، وخرج لجهاد العدو، ولم يعص رسوله ﷺ، وثبت في أرض المعركة.

﴿كَمَنْ﴾: الكاف: للتشبيه، من: اسم موصول؛ أي: كالذي.

﴿بَاءَ يَسْخَطُ مِنَ اللَّهِ﴾: باء: رجع واستحق غضب الله لمعصيته، وغلوله، وتخلف عن رسول الله ﷺ (كجماعة المنافقين) في الخروج للجهاد. السخط: الكراهية: عدم الرضا بما قدر الله، وقسم، وإظهار القبيح من القول والفعل، ويعني: التقيح والسخط قد لا يكفي وحده، وفيما بعده جهنم وبئس المصير.

﴿وَمَا أَوْلَهُ جَهَنَّمَ﴾: مكان استقراره جهنم. ارجع إلى الآية (١٢) من نفس السورة؛ للبيان، وسورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: بئس: فعل ذم، وهنا يعني: الذم العام. المصير: المرجع والتمتهى؛ لأن إظهار السخط قد لا يؤثر في بعض الناس، ولا تنفع فيهم اللعنة، ولذلك جاء بقوله: وماواه جهنم وبئس المصير.

[١٦٣] ﴿هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ لِّمَا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل يعود على الذين اتبعوا رضوان الله، والذين باؤوا بسخط الله.

أو تعود على الذين اتبعوا رضوان الله فقط، فهؤلاء يتفاوتون في درجاتهم بالنسبة للقرب من الله، أو في رضوانه عليهم في كون بعضهم أفضل من بعض، كما قال تعالى: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥].

﴿هُمْ دَرَجَتٌ﴾: أي: بعضهم أفضل من بعض بالقرب من الله تعالى.

ولهم درجات: لهم درجات تعني: درجات الجنة التي قيل: إنها مئة درجة. إذن هم درجات؛ أي: بعضهم أفضل من بعض بالنسبة للقرب من الله،

ولهم درجات مختلفة؛ أي: درجات الجنة، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: ٤].

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾: يبصر كل شيء، أحاط بصره بعباده، فهو يرى أفعالهم، ويسمع أقوالهم، ولا تخفى عليه خافية.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإصاق، ما: اسم موصول، أو مصدرية .

﴿يَعْمَلُونَ﴾: العمل يعني القول + الفعل بما يعملون؛ أي: أقوالهم وأفعالهم، وقدم بصير على يعملون؛ لأن الآيات في سياق الأعمال القلبية.

[١٦٤] ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: ﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: من: أي: أنعم وتفضل (والمن هو العطاء بلا مقابل).

وهناك المن المذموم: وهو الذي يتبع الصدقة المن، والأذى.

﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: رغم أن رسول الله ﷺ رحمة للعالمين، ورسول إلى الناس جميعاً، ولماذا المن على المؤمنين فقط؛ لأنهم هم الذين انتفعوا به خاصة من دون الناس؛ لأن بقية الناس لم يصدقوا به.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمني، وتعني حين، أي: حين بعث فيهم.

﴿بَعَثَ فِيهِمْ﴾: أي: أرسل فيهم والبعث فيه قوة وحض ومشقة أكثر من أرسل. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: جاءت هذه الآية في سياق تعداد النعم على المؤمنين؛ أي: من المؤمنين، ومن أنفسهم؛ قد تعني: من قريش، بينما في آيات أخرى يقول:



رسولاً منهم؛ أي: من عامة العرب، أو الناس، ومنهم: جاءت في سياق دعاء إبراهيم أثناء بناء البيت مع إسماعيل.

﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾: آيات القرآن، والهاء في آياته تعود إلى الله سبحانه تشریفاً لهذه الآيات.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: التزكية: هي التطهير، والنماء، تطهير من الشرك، والكفر، والأوثان.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾: الكتاب القرآن العظيم؛ أي: يعلمهم القراءة، والمعنى، والأحكام؛ أي: يتلو عليهم أولاً، وبعد ذلك يزيكهم، وبعد ذلك يعلمهم ما جاء في القرآن من أحكام وشرائع.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: أي: السنة النبوية.

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: وإن: الواو: للتوكيد، إن: المخففة؛ للتوكيد كذلك.

لفي: اللام للتوكيد، في: ظرفية زمانية قبل مجيء أو بعث محمد ﷺ رسولاً فيهم.

ضلال مبين: ضلال: بعد عن الحق. ضلال: نكرة تشمل كل أنواع الضلال. ضلال مبين: ظاهر، واضح لكل إنسان، وبين أنه ضلال لا يخفي نفسه. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٩٨)؛ لمزيد من البيان.

[١٦٥] ﴿أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّنَا هَذَا أَقْلُ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿أَوَلَمَّْا﴾: الهمزة: استفهام للتعجب، والإنكار؛ لقولهم أنى هذا. والواو: العاطفة، لما: ظرف بمعنى حين تتضمن معنى الشرط.

﴿أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾: أي: ما أصابكم يوم أُحُدٍ من هزيمة، وفاجعة، وقتل (٧٠) منكم.

﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد، أصبتم مثلها: أي: يوم بدر فقد قتلتم (٧٠) من الكفار، وأسرتهم (٧٠)؛ جعل المثلين في اليومين (يوم بدر ويوم أحد)، وجعل الأسر كالقتل.

﴿قُلْتُمْ﴾: متعجبين يوم أُحُدٍ.

﴿أَنَّى﴾: للتعجب، والاستفهام تعجبتم وسألتم: كيف يحدث لنا هذا، ونحن مسلمون، أو من أين حدث لنا هذا الخذلان، ورسول الله ﷺ فينا، فكان من الأفضل ألا تسألوا هذا السؤال.

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ:

﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾: أي: السبب بين وواضح هو عصيانكم لرسول الله ﷺ، ومخالفة أوامره طمعاً في الغنيمة، وحب الدنيا، والفرار من أرض المعركة، وعدم الثبوت، والقتال مع رسول الله ﷺ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: إن: للتوكيد، الله على كل شيء قدير: قدير على أن يخذلكم، ويهزمكم، وقدير على أن ينصركم، القادر على كل شيء، فلا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء مهما كبر، أو صغر، كامل القدرة.





سورة النجم ٣

الجزء الرابع

وَمَا أَصْبَكُمْ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ فَيَا ذِي اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَكُمُ هُمْ لِلْكَفْرِ
 يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ
 فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِ
 وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ
 الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ
 بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا
 بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾
 * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا
 أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾
 الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
 فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾





سورة آل عمران [الآيات ١٦٦ - ١٧٣]

[١٦٦] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجَمْعَانِ فَيَا ذُنَّ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ﴾: الواو: استئنافية، ما: اسم موصول، أصابكم: حدث لكم وحل بكم.

﴿يَوْمَ التَّلَاقِ الْجَمْعَانِ﴾: يوم أُحُدٍ (يوم التقى جمع المؤمنين وجمع الكافرين).

﴿فَيَا ذُنَّ اللَّهِ﴾: بعلم الله، وأمره، وإرادته، وقضائه. الفاء: للتوكيد، والباء: للإلصاق.

﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: عاطفة. ليعلم: اللام: لام التوكيد (وقيل: التعليل).

هناك إشكال في فهم هذه الآية من قبل البعض.

فقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾: أي: ما حدث وجرى يعلمه الله سبحانه منذ الأزل أنه سيحدث، وسيقتل منكم (٧٠)، ويعلم نتيجة المعركة قبل أن تحدث.

وما جرى يوم أُحُدٍ من الأحداث؛ لكي يعلم المؤمنون أنفسهم، والذين نافقوا أنفسهم، وغيرهم بتلك الحوادث.

فلا يستطيعون إنكارها، وتقام عليهم الحجة، فكيف تقام عليهم الحجة، فقد يقول قائل: أنا مستحيل أن أعصي رسول الله ﷺ، أو أخالف أمره، ولن أترك



مقعدي على أحد هذا مجرد تصريح منه، فإذا اختبرناه وامتحناه فعلاً، وقام بذلك فقد أقام لنفسه الحجة، وفاز، وأما إذا خالف، وعصى، وترك مقعده راكضاً وراء الغنيمة، ثم انهزم من أرض المعركة عندها تقام عليه الحجة، فلا يستطيع إنكار ذلك، وتظهر له نتيجة عمله، فلا يستطيع إنكارها.

﴿وَلَيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ولم يقل: الذين آمنوا؛ لأن هناك فرقاً بين الذين آمنوا، والمؤمنين:

فأما المؤمنون: فهم الذين أصبحت صفة الإيمان ثابتة لهم، وصلوا إلى درجة الإيمان، ونالوا ذلك.

وأما الذين آمنوا: لا زالوا في طريقهم إلى الوصول إلى درجة الإيمان الثابت التي وصل إليها المؤمنون، فالذين آمنوا يتجدد، ويتكرر إيمانهم، أما المؤمنون إيمانهم ثابت، ومستمر لا يتغير.

[١٦٧] ﴿وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾:

﴿وَلَيَعْلَمَ﴾: الواو: عاطفة، ليعلم: اللام: للتوكيد (لها نفس معنى: وليعلم المؤمنون).

﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾: وهم جماعة عبد الله أبي حيث خرجوا للقتال مع رسول الله ﷺ يوم أُحُد، ولكن بعد مسيرهم بعض الطريق تخاذلوا رجعوا،

وكان عددهم ثلث المقاتلين، ولما اتخذ هؤلاء المنافقون القرار بالانسحاب،
والرجوع، وعدم القتال قيل لهم:

﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنَلِّكُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: كما يقاتل المؤمنون. ﴿أَوْ ادْفَعُوا﴾: أي:
دافعوا عن أموالكم، وأنفسكم، وأهلكم على الأقل إذا كنتم لا تريدون الجهاد
في سبيل الله.

قال المنافقون للمؤمنين:

﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَّاكُمْ﴾: أي: ما خرجتم إليه يوم أُحُدٍ هو ليس قتالاً،
ولا دفاعاً، بل هو إلقاء بأنفسكم إلى التهلكة (لأن رأي عبد الله بن أُبَيٍّ كان
الإقامة في المدينة، وعدم الخروج والتصدي لقتال المشركين في المدينة، وليس
في خارج المدينة)؛ حيث كان لهم سابق خبرة أن القتال خارج المدينة سيورث
الهزيمة، والقتل؛ لذلك رفض هؤلاء المنافقون، واحتجوا بتلك الذريعة، وقالوا:
لن نتبعكم؛ لأن هذا ليس قتالاً، وإنما هو انتحار.

﴿هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾: أي: يوم تخاذلوا، ورجعوا،
وقالوا: لن نتبعكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان؛ أي: ابتعدوا كثيراً عن
الإيمان إلى الكفر.

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾: ينطقون بالإيمان بألسنتهم فقط،
وليس في قلوبهم إلا الكفر (النفاق)، أو يقولون: نحن أنصاركم، وأعوانكم،
وهم أعداء يريدون السوء للمؤمنين.



﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾: من النفاق، والعداوة. والكتمان: هو الإخفاء الذي يختص بالأُمور المعنوية؛ كالإسرار، والإخبار.

[١٦٨] ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: تعود على المنافقين الذين قعدوا عن القتال.

﴿قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾: الذين مضوا بالخروج إلى أُحُدٍ ولم يترجعوا، ثم هُزموا، وقُتل منهم (٧٠) رجلاً.

﴿لَوْ﴾: شرطية تفيد التمني.

﴿أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾: أي: أطاعونا بعدم الخروج إلى أُحُدٍ، ما: النافية، قُتلوا: ما أصابهم ما أصابهم يوم أُحُدٍ.

﴿قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾: الدرع: هو الدفع بشدة. ادفعوا عن أنفسكم الموت إذا حضر؛ أي: إذا حضر أجلكم، أو ارفضوا الموت إذا جاءكم بشكل مفاجئ أو شديد فيها معنى التحدي حتى ولو كان الموت شيء مرئي لا يمكن للإنسان حماية نفسه.

﴿إِنْ﴾: شرطية.

﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أن الفرار من الموت، والحذر، أو القعود عن الجهاد يُنجي من الموت، وجواب إن محذوف؛ للتعظيم، والتهويل.

[١٦٩] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾: الواو: استثنائية، لا: الناهية، تحسبن: من الحساب، أو الحساب، والنون في تحسبن: للتوكيد.

تحسبن: من حسب؛ أي: اعتقد، حسبتهم؛ أي: اعتقدتم اعتقاداً راجحاً، أو حسب تعني: الظن الراجح المبني على حساب حسي، وحساب قلبي قائم على النظر، والتجربة، والحساب.

﴿الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: سواء شهداء بدر، أو شهداء أُحُد، أو غيرهم من الذين استشهدوا في سبيل الله، وهم يقاتلون لإعلاء كلمة الله تعالى ودينه.

﴿أَمْوَاتًا﴾: جمع ميّت: بالتشديد؛ أي: خرجت روحه، وفقد عنصر الحياة، فهم ليسوا كذلك.

﴿بَلْ﴾: حرف إضراب إبطالي؛ أي: ليسوا بأموات كما يحسبهم الناس.

﴿بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: حياة برزخية حقيقية، لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى، ونؤمن بها كما أخبرنا عنها القرآن الكريم، ورسول الله ﷺ.

﴿يُرْزَقُونَ﴾: يتنعمون بطيب الرزق، ولذيذ العيش، ويرزقون تأكيد لكلمة أحياء.

﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: هذه العندية عند ربهم لا تشبه العندية عندنا في الدنيا فهي عندية خاصة، عندية تكريم وتشريف.

وعندما نفتح القبر ونجدهم تراباً وعظاماً، ونحكم عليهم بأنهم تراب وعظام نحكم عليهم بقانون الدنيا، أو عنديتنا، أما في قانون الله، وقانون الآخرة



فهم أحياء يرزقون، فهم في حياة جديدة، وعالم جديد، ونحن في عالم الدنيا، وحياتنا تختلف عن حياتهم، وليس لنا القدرة على سماعهم، ورؤيتهم، ويكفي أن رسول الله ﷺ قد سمع اللذين يعذبان في قبرهما، وأنه خاطب قتلى بدر.

[١٧٠] ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

﴿فَرِحِينَ﴾: الفرح في القرآن أنواع: الفرح المحمود، والفرح المذموم، والفرح المباح، وسياق الآيات يحدد نوع الفرح المطلق والمقيد، وأنواع الفرح: المحمود، والمذموم، والمباح، والفرح: انفعال طبيعي يتمثل بانسراح الصدر بلذة عاجلة، وقد يتمثل بالبطر والفرح المطلق، والفرح النسبي لشكر الله، وزخارف الدنيا، وأكثر ما ورد في الذم، وأما الفرح المحمود: فهو المقيد بأمر الدين والآخرة والخير؛ سواء أكان حسياً أم معنوياً، والفرح في هذه الآية من الفرح المحمود، ويعود على الذين قتلوا في سبيل الله، بما: الباء: للإلصاق، ما: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: بما آتاهم من نعيم ورزق وكرامة.

من فضله: من: ابتدائية، فضله: الفضل هو الزيادة عن الاستحقاق، أو الأجر. والفضل ليس بواجب على أحد.

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾: من البشري: وهي الخبر السار الذي يصل لأول مرة، والبشر والبشارة، فالبشارة تؤدّي إلى تغير لون الوجه؛ ليصبح الوجه متلألئاً، وله بريق ولمعان من السرور.

﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾: أي: يسرون بإخوانهم الذين تركوهم

يجاهدون على الأرض، وأنهم سيأتون من بعدهم بالشهادة في سبيل الله؛ ليشاركوهم في النعيم الدائم، ولنعلم أن دخول الجنة لا يكون إلا برحمة من الله، وفضل حتى الشهداء.

﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: ألا: أصلها أن + لا. أن: المخففة، ولا: النافية. وأن: تفيد التوكيد. ارجع إلى الآية (٣٨) من سورة البقرة؛ للبيان.

[١٧١] ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: من البشارة، كما ورد في الآية السابقة. فهذه البشارة لهم أنفسهم، أما البشارة السابقة فكانت لإخوانهم الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، وجاء بصيغة المضارع؛ ليدل على تجدد استبشارهم واستمراره.

﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: هي الجنة.

﴿وَفَضْلٍ﴾: وكل شيء يمنحونه في الجنة هو فضل من الله، والفضل: هو كل زيادة على أجرهم، ورضوان الله سبحانه، ورؤية وجهه الكريم أكبر فضل.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾: أن: للتوكيد.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٧٢] ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقْبَلُوا الرِّسَالَاتِ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ

أجابوا دعوة الرسول ﷺ، فقد رُوي عن رسول الله ﷺ أنه بلغه أن أبا سفيان من بعد غزوة أُحُدٍ وهزيمة المسلمين يريد الرجوع بقريش إلى المدينة؛



ليستأصلوا مَنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ حَيْثُ قَالَ أَبُو سَفْيَانَ بَعْدَ رَجُوعِهِمْ إِلَى مَكَّةَ: لَا مُحَمَّدَ قَتَلْتُمْ، وَلَا الْكَوَاكِبَ أَرَدْتُمْ، شَرًّا مَا صَنَعْتُمْ، فَحِينَ عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ لِلخُرُوجِ طَلَبًا لِأَبِي سَفْيَانَ إِرْهَابًا لَهُ، وَأَنَّهُ ﷺ لَا يَزَالُ عِنْدَهُ جَيْشٌ وَقُوَّةٌ، فَخَرَجَ ﷺ مَعَ عَدَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَهُمْ لَا يَزَالُونَ فِي جُروحِهِمْ فَخَرَجَ مَعَهُمْ إِلَى حِمْرَاءِ الْأَسَدِ، وَبَقُوا هُنَاكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ صَرَفَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ أَبَا سَفْيَانَ، وَمَنْ مَعَهُ، وَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ.

﴿الَّذِينَ﴾: تَعُودُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

﴿اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾: أَجَابُوا دَعْوَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالخُرُوجِ لِقِتَالِ، أَوْ مَلَا حَقَّةَ أَبِي سَفْيَانَ، وَجَيْشِ قُرَيْشٍ بَعْدَ رَجُوعِهِمْ مِنْ أُحُدٍ. اسْتَجَابُوا وَهُمْ مَرَهُقُونَ مُتَأَلِّمُونَ، وَمُتَخَنُونَ بِالْجِرَاحِ.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾: مَنْ: ابْتِدَائِيَّةٌ؛ تَعْنِي: مُبَاشِرَةٌ بِدُونِ فَاصِلٍ زَمَنِي.

أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ: الْجِرَاحُ، وَالْأَلَمُ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾: لِلَّذِينَ: اللَّامُ: لَامُ الْاسْتِحْقَاقِ، أَحْسَنُوا: طَاعَةُ الرَّسُولِ، وَالِاسْتِجَابَةُ لَهُ ﷺ، وَأَحْسَنُوا مِنَ الْإِحْسَانِ كَمَا وَكَيْفًا.

﴿مِنْهُمْ﴾: قَدَّمَ الْجَارَ وَالْمَجْرُورَ خَاصَّةً، وَلَيْسَ مِنْ غَيْرِهِمْ؛ (أَيُّ: حَصْرًا وَقَصْرًا).

﴿وَاتَّقُوا﴾: مُخَالَفَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَطَاعُوا أَوَامِرَ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَجَنَّبُوا مُحَارِمَهُ.

﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: هُوَ الْجَنَّةُ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْأَجُورِ.

[١٧٣] ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: تعود على الرسول وصحابته.

﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾: وهم نفر من عبد القيس مروا بأبي سفيان، وهو عازم على العودة إلى المدينة بعد غزوة أُحُدٍ؛ لتصفية المؤمنين، فقال له أبو سفيان أخبر محمداً ﷺ وأصحابه أن أبا سفيان قادم بجيشه، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك زادهم إيماناً، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾: إن: للتوكيد، الناس قد جمعوا لكم: أبو سفيان، وأصحابه قد جمعوا لكم ليقاتلوكم.

﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾: لا تأتوهم، أو خافوهم، واهربوا منهم، ولا تحاربوهم.

﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾: تصديقاً بالله، ويقيناً بنصر الله لرسوله، وعباده المؤمنين.

﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾: يكفينا الله أمرهم وشرهم.

ونعم الوكيل: نعم من أفعال المدح، نعم المتولي أمورنا، والمدبر أحوالنا؛ أي: نفوض أمرنا إلى الله الحفيظ.





سُورَةُ الرَّحْمٰنِ ٣

البقرة

فَأَنقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهْمُ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا
رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ
يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۖ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾
وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنِ يُضْرُوا بِاللَّهِ
شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ إِلَّا يَجْعَلْ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنِ يُضْرُوا
بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيْزِدَافُوا إِثْمًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا
أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ
عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيْ مِنْ رُّسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ ۚ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا
يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنفُسِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ هُوَ خَيْرٌ
لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

سورة آل عمران [الآيات ١٧٤ - ١٨٠]

[١٧٤] ﴿فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾:

﴿فَأَنْقَلِبُوا﴾: الفاء: للمباشرة والتعقيب. انقلبوا: أي: رجع النبي ﷺ وأصحابه من حمراء الأسد بعد عودة أبي سفيان بجيشه إلى مكة، والانقلاب هو الرجوع إلى غير الحالة السابقة التي كانوا عليها، رجعوا مطمئين سالمين لم يمسسهم سوء بعد أن كانوا خائفين غير آمنين من عدوهم.

﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق، نعمة من الله: النعمة ما يهبه الله لعبده من خير يجلب له المسرة، ويدفع عنه المضرة.

ولوحظ في القرآن أن نعمة تكتب بالتاء المربوطة أو بالتاء المفتوحة (نعمت).

إجمالاً يمكن القول: وردت بالتاء المربوطة (٢٥) مرة، و(١١) مرة بالتاء المفتوحة.

١ - نعمة: بالتاء المربوطة: غالباً تأتي في سياق نعم الله الظاهرة للعيان، أو سياق النعم العامة، وتعني نعمة واحدة.

٢ - نعمت: بالتاء المفتوحة: تأتي في سياق النعم الخاصة بالمؤمنين، وهي نعم كثيرة جداً.

وفضل: الفضل: الزيادة على الأجر، فرغم أنهم لم يقاتلوا أبا سفيان أثابهم ثواب غزوة في سبيل الله.



﴿لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾: لم: نافية، يمسسهم سوء: من قتل، أو أذى حين
خرجوا إلى حمراء الأسد.

﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾: بالاستجابة لما دعاهم رسول الله ﷺ، وهو
الخروج أو التصدي لأبي سفيان وجيشه بعد معركة أُحُد.

﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾: والله صاحب الفضل المطلق على المؤمنين بما
فضل عليهم، أو بما منّ عليهم بدفع المشركين عنهم، ولمعرفة معنى (ذو):
ارجع إلى سورة الأنبياء، آية (٨٧)، وغافر، آية (٣)، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية
(٧٤) في نفس السورة وهي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ التعريف بآل
التعريف يأتي في سياق الأمور العامة والأكثر شمولاً والأهم.

[١٧٥] ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة؛ للحصر والتوكيد.

﴿ذَلِكُمْ﴾: ذا: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف: للخطاب، وتشير إلى
الشیطان.

﴿الشَّيْطَانُ﴾: ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة البقرة؛ للبيان لمعرفة معنى
الشیطان.

﴿ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾: قيل: هو إبليس، أو قيل: هو نعيم بن مسعود الأشجعي،
أو كلاهما، وذلكم: اسم إشارة يدل على وأحد بعينه، والغالب: هو نعيم بن
مسعود الأشجعي.

فإذا كان هو إبليس فكيف نفسر يخوف أوليائه، وإذا كان غير إبليس؛ أي:
نعيم بن مسعود الأشجعي كيف نفسّر يخوف أوليائه؟

أولاً: الشيطان (إبليس) قيل: يخوف أوليائه تقديره: يخوفكم بأوليائه، أو
يخوفكم من أوليائه.

يخوفكم: أنتم المؤمنين حتى لا تخرجوا إلى ملاقات أبي سفيان وجيشه عند حمراء الأسد، أو يخوفكم من أوليائه: وأولياؤه هم أبو سفيان وجماعته، أو كفار قريش، أو المنافقون.

ثانياً: الشيطان (هو نعيم بن مسعود الأشجعي): وهو يعتبر من شياطين الإنس.

يخوف أوليائه: لنفهم معنى أوليائه يجب أن نعلم بعد رجوع أبي سفيان منتصراً إلى مكة ألقى الله سبحانه الرعب في قلبه حتى لا يرجع إلى مكة؛ ليستأصل محمداً وصحابته، كما كان ينوي.

يخوف أوليائه: أي: الأشجعي يخوف أوليائه حتى لا يخرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد، حين طلب منهم رسول الله ﷺ الجهاد، وملاقات أبي سفيان وجنوده.

فالذين يستمعون له ويستجيبون له من الناس هم (أولياؤه)، فلا تخافوهم، وخافون (الله).

علاقة أبي سفيان بالأشجعي: التقى أبو سفيان بنعيم الأشجعي حين قدم مكة معتمراً، فقال له: ارجع إلى المدينة فبسط محمداً وأصحابه بعدم الخروج للقتال.

فرجع فقال لرسول الله ﷺ وصحابته: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم؛ أي: فلا تخرجوا لقتال أبي سفيان وقريش، ورغم التحذير خرج رسول الله ﷺ مع صحابته إلى حمراء الأسد.

مَن استمع إلى قول نعيم الأشجعي، واستجاب له يعدُّ من أوليائه (أولياء الشيطان نعيم الأشجعي).

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾: لا: الناهية، والخطاب لرسول الله ﷺ والمؤمنين: أي: لا



تخافوا من أولياء الشيطان أبي سفيان وجماعته، أو غيره من المشركين. اخرجوا إليهم، ولا تخافوهم.

﴿وَخَافُونَ﴾: إن قعدتم ولم تخرجوا إليهم لقتالهم، أو التصدي لهم.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: إن: شرطية، كنتم مؤمنين: لأن الإيمان يقتضي أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس، وكذلك إن الله ناصر عباده المؤمنين.

والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

فالشيطان سواء كان إبليس أو غيره (من شياطين الجن)، أو من شياطين الإنس أمثال نعيم بن مسعود الأشجعي.

يخوف أولياءه: أولياؤه هو الذين يستجيبون لوساوس الشيطان، ويخافون أن يخرجوا للجهاد.

وكما بين الله سبحانه وتعالى ذلك في سورة الأنعام، آية (١٢١) فقال: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَهُمْ دِينَهُمْ وَيُؤْمِنُوا بِالْوَحْيِ، وَالْوَحْيِ فِي اللِّغَةِ: هو الإعلام الخفي بالوسوسة، والإغراء، والتزيين؛ يحث بعضهم بعضاً، سواء كانوا من الجن، أو الإنس، فبعد أن يكفروا أو يشركوا، ويعصوا الله ورسوله يطلق عليهم أولياء الشيطان، أو حزب الشيطان.

[١٧٦] ﴿وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزْبًا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية، لا: الناهية.

﴿يَحْزَنُكَ﴾: من الحزن، وهو غم يصب النفس لرؤية، أو سماع ما يسوءه ويكرهه، وهناك فرق بين الحزن بضم الزاي، والحزن بفتح الزاي. ارجع إلى سورة الأنعام، آية (٣٣)؛ للبيان.

فقد كان رسول الله ﷺ يحزن فعلاً حين يرى بعض الناس يسارعون في

الكفر، وكان ﷺ يحرص على إيمان كل إنسان، وهذا الحرص هو الذي دفعه إلى الحزن، ولا غريب في ذلك؛ لأنه رحمة للعالمين.

﴿يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾: ولم يقل: يسارعون إلى الكفر؛ لأنهم أصلاً، أو سابقاً كانوا منغمسين في الكفر، ولم يكونوا مؤمنين، أو كانوا غير كافرين، وهم يسارعون إلى الكفر الآن، وقيل: هم المنافقون، وكفار قريش، وأبو سفيان، أو اليهود يسارعون في الكفر، أو يسارعون في الكفر؛ أي: يزدادون كفرًا؛ بارتكاب أنواع جديدة من المحرمات، أو المعاصي والفساد. ويسارعون فيها معنى شدة الحرص على المسارعة وكثرتها وتكرارها بدلاً من يسرعون.

أو كانوا يخفون كفرهم، وهم الآن يظهرون كفرهم على العلن، وليس مسارعتهم في الكفر تقصيراً منك يا محمد ﷺ في إبلاغهم، أو دعوتهم.

﴿إِنَّهُمْ لَنُيْضِرُّوْا اللَّهَ شَيْئًا﴾: إنهم: للتوكيد، لن: حرف نفي تنفي المستقبل القريب، والمستقبل البعيد.

يضرّوا الله شيئاً: شيئاً: نكرة؛ أي شيء مهما كان نوعه صغيراً، أو كبيراً، لا في ذاته، ولا ملكه، ولا رسوله، والتنكير يدل على قلة وحقارة ما يفعلونه من الإسراع، أو محاولة الضرر.

انتبه إلى قوله: لن يضرّوا الله شيئاً: المفروض أن يقول: لن يضرّوك شيئاً، أو: لن يضرّوكم شيئاً؛ لأن المعركة هي بين الذين كفروا ورسول الله ﷺ، والمؤمنين، ولكن الله سبحانه وضع ذاته طرفاً في المعركة بدلاً من رسول الله ﷺ والمؤمنين؛ لأن عدااء الرسول والمؤمنين هو عدااء لله تعالى عز وجل.

فكان المعركة هي معركة بين الله سبحانه القوي العزيز، وبين الكافرين، فلا يهمكم أمرهم، ولا تحزنوا عليهم.

فهم لا يضرّون إلا أنفسهم وسيدوقون وبال أمرهم.



ثم بين الله سبحانه كذلك ما ينتظرهم من جزاء.

﴿رِيدُ اللَّهِ أَلَّا﴾: أصلها أن + لا، أن: للتوكيد، لا: للنفي؛ أي: توكيد النفي.
 ﴿يَجْعَلْ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾: الحظ هو النصيب؛ أي: نصيباً من الثواب؛
 أي: الأجر في الآخرة، والحظ: يأتي في سياق الخير فقط (في القرآن)، والنصيب:
 يأتي في سياق الخير والشر، وتدل الآية أن لا: ليس هناك أمل، ولا رجاء في أي
 حظ (ثواب) في الآخرة.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: السلام في لهم للاختصاص، عذاب عظيم: في ألمه،
 وكميته، وقدره، ومدته، ونوعه؛ فهو أعظم أنواع العذاب، وأشد من العذاب
 المهين والأليم.

[١٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا﴾: إن: للتوكيد، اشتروا: الاشتراء عملية تبادل الثمن هو
 الإيمان، والمشتري هو الكفر إذن هم اشتروا (أخذوا) الكفر، ودفَعوا إيمانهم
 ثمناً له.

والسؤال هنا: هل كان عندهم إيمان ليدفعوه كثرمن؟

والجواب قد يكون ذلك إيمان الفطرة.

﴿لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾: ارجع إلى الآية السابقة؛ لتبيان ذلك.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: شديد الإيلام، لا يطاق.

وقال بعض المفسرين: إن هذه الآية جاءت في سياق الذين ارتدوا عن

دينهم.

[١٧٨] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية، لا: الناهية.

﴿يَحْسَبَنَّ﴾: ارجع إلى الآية (١٦٩)؛ لمزيد من البيان.

﴿يَحْسَبَنَّ﴾: من الحساب، أو الحسابان وهو الاعتقاد الراجح المبني على حساب قلبي، أو عقلي، المبني على حساب حسي سابق (ناتج عن مراقبة وخبرة).
﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا﴾: أنما: أصلها أن: (حرف مشبه بالفعل)، وما: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿نُمَلِّ لَهُمْ﴾: الإملاء: هو إطالة الوقت؛ يعني: نطيل لهم في العمر، ورغد العيش، وبما يصبوا إليه من نصر وظفر ورزق وغيره.

لهم: اللام: لام الاختصاص، لهم خاصة، وليس لغيرهم.

﴿خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾: الخير هو الشيء الحسن النافع؛ أي: الإملاء: هو ليس شيئاً حسناً، ونافعاً لهم، بل هو شرٌ لهم.

﴿إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ﴾: كافة مكفوفة للحصر؛ أي: فقط نملي لهم؛ ليزدادوا إثماً.

﴿لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾: اللام: للتوكيد. ليزدادوا إثماً: أي: ذنباً، وأشد المعاصي.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: الواو: عاطفة، لهم: اللام: لام الاستحقاق.

عذاب: نكرة؛ أي: أشد ما تتصوره العقول.

مهين: لا يكفي كونه أليماً وعظيماً، بل مهيناً؛ أي: أمام الناس، وعلى مرأى منهم وفضيحة لهم.

[١٧٩] ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ



اللَّهُ يُطْلِعُكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣١﴾

﴿مَا﴾: النافية للحال.

﴿كَانَ اللَّهُ﴾: ما كان الله في الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿لِيَذَرَ﴾: اللام: لام التوكيد، توكيد النفي السابق، ليزر: لترك، أو يدع.

﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾: أي: من اختلاط المنافقين بالمؤمنين، وعدم معرفة المنافقين من المؤمنين.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية (نهاية الغاية).

﴿يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: يميز: يظهر ويفرق بين الخبيث (المنافق المشرك، أو العاصي الفاجر) من الطيب (المؤمن الطاهر المخلص).

أي: أنه سبحانه لا بد من أن يمتحن ويبتلي الناس بشيء من المحنة، أو الشدة، ولن يترك الناس على حالتهم حتى يظهر المؤمن الطيب من المنافق الخبيث الفاجر.

وكما قال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ﴾ [محمد: ٣١].
ارجع إلى تلك الآية لمزيد من البيان.

وما حدث في أحدٍ كان اختباراً للمؤمنين، وفَصَحَ فيه المنافقين، والذين تخلفوا عن الخروج، ومن خالف أمر رسول الله ﷺ، ومن انهزم في المعركة.
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ﴾: التكرار يفيد النفي.

﴿يُطْلِعُكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾: فتعرفوا المنافق من غيره، أو ينزل عليكم الوحي ويطلعكم على ما في قلوب العباد من تقوى، أو كفر. يطلعكم على الغيب (من الإطلاع)، أما قوله: فلا يظهر على غيبه أحداً (من الإظهار)، فما هو الفرق بين الإطلاع، والإظهار:

الإطلاع: يكون مرة، أو مرتين (عدد قليل).

الإظهار: يعني: مرات كثيرة، أو يظهره على كثير من الغيب.

فليس من شأنه سبحانه أن يطلع الناس على الغيب، ولكن خلق لهم عقولاً، وفطرة، وهداهم، وترك لهم أن يميزوا بأنفسهم المؤمن من الكافر بما هو ظاهر لهم من الأسباب.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: لكن: حرف استدراك.

ومع ذلك لا ننسى أن الله يجتبي ويصطفى من رسله من يشاء، ويطلع على بعض الغيب، كما قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

أي: يطلع رسوله على من هو منافق، ومن هو مخلص.

﴿فَتَأْمُرُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾: الفاء: للتوكيد، فعليكم الإيمان بالله، ورسله، ومنهم محمد ﷺ.

﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا﴾: إن: شرطية، تؤمنوا: تستمروا، وتحافظوا على إيمانكم، وتستقيموا عليه، وتطيعوا الله سبحانه ورسوله فيما أمر، وتؤمنوا بما جاء به الرسل من أخبار الغيب.

﴿فَلَكُمْ﴾: الفاء: للتوكيد، لكم: اللام: لام الاستحقاق.

﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: ثواب عظيم، وهو الجنة، لا يفوقه أجر، ولا يعلمه، ولا يحدده أحد إلا الله.

[١٨٠] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنْهَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ بَلْ هُوَ سَرٌّ لَهُمْ سِطْرٌ قُوتٌ مَا يَخْلُؤُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾: ارجع إلى الآية (١٧٨).



﴿يَبْخُلُونَ﴾: يمنعون الحق الواجب عليهم من زكاة، أو صدقة، أو إطعام جائع، أو ستر عارٍ.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: الباء في بما: للإلصاق، الإيتاء: هو الإعطاء مع إمكانية أخذه منه مرة أخرى، الإيتاء: أعم من الإعطاء، ويشمل الأمور المادية والمعنوية. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة.

وآتاهم الله من فضله: هنا يعني: المال، والعلم، وغيره، ولا ينفقون منه الواجب.

الذين يبخلون: بصيغة المضارع؛ لتفيد التجدد، والاستمرار.
﴿هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ﴾: هو: إشارة إلى البخل، هو: ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد.

﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾: حرف إضراب إبطالي؛ أي: ليس بخلمهم خيراً لهم، بل هو شرٌّ لهم.

والخير كما قلنا: الشيء الحسن النافع.
والشر: هو الشيء الضار، وضده الخير، وتكرار هو: يفيد الحصر، والتأكيد.
﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾: السين: للاستقبال القريب.

﴿مَا يَخْلُوا بِهِ﴾: اسم موصول يعني: الذي. سيكلفون ويحملون إثم الذي بخلوا به: إثم عدم دفع زكاة أموالهم، أو سيلزمون إثم ما بخلوا به إلزام الطوق للعنق، وقيل: طوق من النار.

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: يوم يقوم الناس لرب العالمين للحساب والجزاء.
روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك».

﴿وَلِلَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور هنا يفيد الحصر؛ أي: لله وحده ميراث السموات والأرض.

﴿مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: الله سبحانه وتعالى له ما في السموات، وما في الأرض، وهو مالك الملك الحقيقي وحده لا شريك له من الأزل إلى الأبد، وكل ما في الكون في السماء والأرض هو ملكه وحده، وما يملكه أي إنسان فقط مستخلف فيه، وبعد نفخه الصعق (النفخة الأولى)، وموت الخلائق جميعاً تبقى أموالهم، وأملاكهم لا أحد يطالب بها، ويدّعي أنها ملكه ولا قيمة لها.

والله سبحانه يستردُّ من الخلائق ما جعلهم مستخلفين فيه، وهو ليس في الحقيقة وراثته؛ لأن الوارث يرث شيئاً لم يكن ملكه من قبل، والله سبحانه له ما في السموات، وما في الأرض، وما بينهما من قبل أن يخلقهم.

﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾: خير أحاط علمه ببواطن الأمور وظواهرها. وقدّم بما تعملون على خير؛ لأن سياق الآيات جاء في أعمال الكافرين، والمنافقين. والانتقال من صيغة المخاطب (كقوله: سيطوقون) إلى صيغة (المخاطب) مباشرة (بما تعملون) بدلاً من قوله: بما يعملون؛ للمبالغة في الوعيد، وشدة الإثم.





سُورَةُ الرَّحْمٰنِ ٢

الجزء الرابع

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ
وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ
اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقُرْبَآنٍ
تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ
وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾
فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ
وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحِرَ
عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ * لَتَبْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ
وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا
وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾



سورة آل عمران [الآيات ١٨١ - ١٨٦]

[١٨١] ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾:

أسباب النزول: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: دخل أبو بكر بيت المدراس فوجد يهوداً قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له منخاص، فقال له أبو بكر: اتق الله، وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله، فقال منخاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا الفقير، ولو كان غنياً ما استقرض منا فغضب أبو بكر فضرب وجه منخاص، وقال: والله لولا العهد الذي بيننا لضربت عنقك، فذهب منخاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد! انظر ما صنع صاحبك بي، وأخبره بما قال منخاص فجحد؛ أي: أنكر ما قاله لأبي بكر رضي الله عنه؛ فنزلت هذه الآية.

وقيل عن ابن عباس رضي الله عنه كذلك: أن اليهود أتت رسول الله ﷺ بعد نزول الآية: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، فقالوا: يا محمد! أفقر ربك يسأل عباده القرض، فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق والتوكيد.

﴿سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾: إن: للتوكيد؛ أي: أكد اليهود نسبة الفقر إلى الله على سبيل المبالغة.



ونحن أغنياء: وصفوا أنفسهم بالأغنياء، وأن الغنى صفة ثابتة لهم، ونسوا أن الله هو الذي جعلهم أغنياء، وأنه هو المنعم عليهم.

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾: الله سبحانه لا يكتب، وإنما يأمر الملائكة الموكلين بالإنسان أن يكتبوا من الكفر والافتراء على الله والاستخفاف بالرسول والقرآن، وكتابة كل ما يقال.

وأسند الكتابة إليه سبحانه؛ لبشاعة هذا الافتراء على الله بأنه فقير، وهم أغنياء، وفي الآية تهديد ووعيد.

﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: أي: وسنكتب قتلهم الأنبياء بغير حق. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٦١)؛ لبيان الآيات المشابهة مثل: قتلهم النبيين بغير حق، أو قتلهم النبيين بغير الحق.

﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: أي: سنعاقبهم على قولهم: إن الله فقير، ونحن أغنياء، وعلى قتلهم الأنبياء بغير حق، ونقول ذوقوا: أصل الذوق باللسان، ثم استعمل في عذاب الحريق، وعذاب الحريق: المحرق المؤلم، عذاب بالنار الملتهبة.

[١٨٢] ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد، والكاف: للخطاب يشير إلى عذاب الحريق.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، أو السببية، أو التعليلية.

﴿قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾: بسبب ما قدمت أيديكم من أعمال، وذكر الأيدي بالذات؛ لكثرة تداول الأعمال، والمعاصي بالأيدي من قبيل المجاز.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾: ظلام: صيغة مبالغة من الظلم، تقول: فلان ظالم، وإذا أردت المبالغة تقول: ظلام؛ أي: كثير الظلم، وعندما نقول: فلان ظلام؛ يعني: أنه ظالم أيضاً.

ولكن عندما تقول: فلان ليس ظلاماً (ليس كثير الظلم)، فقد يكون ظالماً فقط، إذن تنفي عنه ظلاماً، ولا تنفي عنه كونه ظالماً، فالله سبحانه في هذه الآية نفى عن نفسه ظلاماً، فهل يعني ذلك أنه ظالم؟ حاشا لله أن يكون ظالماً، ولكي ينفي عنه كونه ظالماً، قوله في سورة النساء، آية (٤٠): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، وفي سورة يونس، آية (٤٤): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾، فبذلك نفى عن ذاته الظلم بكل أشكاله، وموازينه؛ لأنه سبحانه يبين للناس الحلال والحرام، والواجب والمباح، والمكروه، وكل ما يحتاجونه في دنياهم. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٨٦)، وسورة الزمر آية (١٦) لبيان معنى عبيد عبادي.

[١٨٣] ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا آلَا تَوٰمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾: هم جماعة من اليهود، وقيل: منهم كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف، وغيره.

قالوا لرسول الله ﷺ:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿اللَّهُ عٰهَدَ إِلَيْنَا﴾: أي: أعلمنا، وأوصانا في التوراة.

﴿آلَا تَوٰمِنَ﴾: أصلها: أن: للتوكيد، ولا: النافية؛ لتوكيد النفي.



﴿تُؤْمِنُ﴾: نصدّق. لرسول: يزعم أنه رسول ﴿حَتَّى﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾: القربان: هو ما يتقرّب به إلى الله تعالى من ذبح أو غيره.

أي: إياكم أن تؤمنوا برسول حتى يأتيكم بمعجزة ترونها بأمر أعينكم، وهي أن يقدم الرسول نفسه قرباناً فتنزل نار من السماء فتأكله؛ لأن هذا كان من سنن الأنبياء السابقين أن تنزل نارٌ فتأخذ القربان، وقبول القربان هو سرٌّ من أسرار الله، وذلك بعد أن يدعو ذلك النبي، ويناجي ربه حتى يتقبله، ورسول الله ﷺ جاء بمعجزات محسوسة كثيرة، ومنها القرآن، إذن هم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يقوم بذلك العمل، فنزلت هذه الآية ردّاً عليهم.

وتأكله النار: النار لا تأكل، فهذا نوع من الاستعارة اللغوية، والذي يأكل هو الإنسان، أو الحيوان.

﴿قُلْ قَدْ﴾: قل لهم يا محمد: قد: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجزات، والباء: للتوكيد، والإلصاق. وقوله تعالى: (جاءكم رسل) بالتذكير بدلاً من (جاءتكم رسل) بالتأنيث يدل على القلة كما في الآية (١٤) في سورة فصلت وهي قوله تعالى: ﴿جَاءَهُمُ الرُّسُلُ﴾؛ لأن التأنيث في القرآن يدل على الكثرة، والتذكير يدل على القلة.

﴿وَالَّذِي قُلْتُمْ﴾: الذي سألتهم من القربان، أو القرايين، والباء: للتوكيد.

﴿فَلِمَ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، لم: استفهام فيه معنى الاستنكار، والتعجب.

﴿قَتَلْتُمُوهُمْ﴾: بدلاً من تصديقهم، فالإتيان بالقربان، وإن تأكله النار هذا مجرد كذب وافتراء، ولو كان كلامكم صحيحاً لآمنتكم بالرسول الذين جاؤوكم بالقرايين.

﴿إِنْ﴾: شرطية.

﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: في طلبكم هذا.

[١٨٤] ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: عاطفة، إن: شرطية تدل على قلة الحدوث، أو ندرته.

﴿كَذَّبُوكَ﴾: بعد مجيئهم بكل هذه البينات والمعجزات والآيات.

﴿فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾: هذا نوع من التخفيف عن رسول الله ﷺ.

كذبوك: فعل ماضٍ، ولم يقل: فإن يكذبوك بالمضارع التي تدل على الاستمرار، والتجدد، أو تعدد حالات التكذيب. كذبوك في الماضي في حادثة ما وانتهى الأمر.

فقد: الفاء: رابطة لجواب الشرط، قد: للتحقيق والتوكيد.

كُذِّبَ رَسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ؛ أي: جاؤوا من قبلك وكذبهم أقوامهم.

﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات، والدلائل، والبراهين على نبوتهم وصدقهم.

﴿وَالزُّبُرِ﴾: جمع زبور، وهو كل كتاب ذو حكمة، وسمي زبوراً؛ لأنه

يزبر؛ أي: يزجر عن الباطل، يدعو إلى الحق (الزبر: الزجر). ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لمزيد من البيان.



﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: الواضح الجلي بالأحكام والشرائع مثل التوراة، والإنجيل، والقرآن.

١ - لنقارن هذه الآية من سورة آل عمران: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ مع الآية (٣٣) من سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾، أو كيف نجتمع بين الآيتين؛ فإن كذبوك، فإنهم لا يكذبونك؟

فإن كذبوك: بصيغة الماضي تدل على المشركين كذبوا رسول الله في حادثة ما، وانتهى الأمر. أو كذبوا بآية من آيات الله تعالى.

فإن كذبوك في الظاهر والعلن أمام الناس ليصدوا الناس عن اتباعك والدخول في الإسلام.

فإنهم لا يكذبونك: أي: في باطن أنفسهم (لا يكذبونك لأنك في أعينهم الصادق الأمين) أما في العلن، وأمام الناس؛ فإنهم يكذبونك.

وإن تكذبيهم لك في العلن، وأمام الناس سوف يتجدد، ويتكرر، ولن ينتهي، ولذلك جاء بصيغة المضارع، وفي نفس الوقت سوف يتجدد ويتكرر شعورهم بأنك الصادق الأمين.

٢ - لنقارن هذه الآية من سورة آل عمران، مع آية (٢٥) من سورة فاطر:

آية آل عمران: ﴿جَاءُوا بِالْبَيْنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾.

آية فاطر: ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾.

في آية فاطر جاء بـ (٣) باءات في آل عمران بباء واحدة.

تكرار الباء يفيد التوكيد؛ فهو أكد ثلاث مرات في فاطر؛ لأن المقام، أو السياق في فاطر هو في مقام الإنذار، والتبليغ، والدعوة، واستمرار تكذبيهم،

(كما رأينا في قوله: يكذبوك)، وعظم الإنذار بينما السياق في آل عمران جاء في سياق اليهود الذين يمارون في الباطل، ويطلبون من الرسول أن يأتيهم بقربان تأكله النار، فالمقام أقل شدة.

٣ - لنقارن هذه الآية من آل عمران بالآية (٤٢) من سورة الحج:

آية آل عمران: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾.

آية الحج: ﴿وَلَنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾.

في آل عمران: فقد كذب رسل من قبلك؛ أي: واحداً واحداً كل رسول في زمانه كُذِّبَ، أو ناس كذبوا به، وناس لم يكذبوا.

أما آية سورة الحج: فقوم نوح، أو عاد، أو ثمود؛ فإنهم كذبوا مجموعة من الرسل الذين جاؤوا قبلهم دفعة واحدة كذبوا بجميع الرسل.

٤ - ما هو الفرق بين كُذِّبَ وكذبت:

كُذِّبَ: تدل على القلة.

كذبت: تدل على الكثرة؛ أي: كثرة الرسل الذين كُذِّبوا.

[١٨٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾:

المناسبة: في الآية السابقة قال سبحانه: فإن كذبوك بسبب عنادهم، ولم يؤمنوا بك، فاعلم أن كل نفس ذائقة الموت، وهذا تهديد للمكذبين بالرسول، والبيئات، والكتب.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾: الذوق: هو إدراك الطعم، والذوق في القرآن قد يأتي في سياق العذاب والرحمة؛ أي: الخير والشر. هذا إخبار عام من الله



سبحانه إلى جميع الخلائق بما فيها الجن، والإنس والملائكة، كل نفس، ونفس نكرة تشمل كل نفس ستذوق الموت، والسؤال هنا: هل الموت يذاق كالطعام، أو الشراب، والجواب: لا، وإنما استعمله في هذه الآية من باب المجاز. أي: كما أن حقيقة الأكل للإنسان، والحيوان؛ أي: لا بد من الأكل، وكذلك حقيقة الموت.

وللموت سكرات، وهذه السكرات لا بد أن يشعر بها كل إنسان قبل موته. ﴿وَأَنَّمَا تُوفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: الواو: عاطفة، إنما: كافة مكفوفة تفيد التوكيد، توفون: من التوفية كل إنسان يأخذ أجره كاملاً، أو يوفيه أجره يعطيه أجره كاملاً، وكمال الأجر يكون يوم القيامة، وهذا يعني أنكم ستوفون بعض أجوركم في الدنيا، وفي القبر، وكمال، أو إتمام الأجر يكون يوم القيامة. الأجر: هو الجزاء على العمل سواء كان دنيوياً، أو آخروياً؛ أي: هو مقابل العمل.

وقد ذكرت هذه الآية ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ثلاث مرات في القرآن الكريم في هذه الآية من سورة آل عمران، وفي سورة الأنبياء، آية (٣٥): ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، وفي سورة العنكبوت، آية (٥٧): ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

يوم القيامة: سمي بذلك الاسم؛ لأنه يوم يقوم فيه الناس لرب العالمين يقومون من قبورهم للحساب والجزاء.

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: عاطفة، من: شرطية.

﴿رُحِّحَ عَنِ النَّارِ﴾: أي: أبعد عن النار، ونجا منها، والرحضة: هي الإبعاد والتنحية.

وَزُحْزِحَ: فعل ماض مبني للمجهول؛ فالذي زحزحه هو الله سبحانه بكرمه وفضله.

عن: تفيد المجاورة؛ أي: الابتعاد.

﴿وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ﴾: برحمة الله وفضله، وليس بعمله، دخول خلود.

﴿فَقَدْ فَازَ﴾: الفاء: تفيد التعقيب والمباشرة. وقد: للتحقيق والتوكيد (توكيد الفوز).

والفوز: هو النجاة من الكرب، والحصول على الغاية ما تحب، والفوز أعم وأهم من النجاة يشمل النجاة، أما النجاة فتعني النجاة فقط؛ أي: الخلاص من المكروه، أو الكرب. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٣) لمزيد من البيان وأنواع الفوز ودرجاته والمقارنة.

﴿وَمَا﴾: الواو: استثنائية، ما: النافية.

﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَتَّعُ﴾: هو كل ما ينتفع به، ويرغب في اقتنائه، أو يتمتع به كالطعام، وأثاث البيت، والسلعة، والأداة، والمال، ويطلق على القليل والكثير، ويجمع على أمتعة.

﴿الْغُرُورِ﴾: بضم الغين: ما يُغتر به، وهو خلاف ما هو الحقيقة؛ أي: الخداع؛ لكونه متاعاً زائلاً، باطلاً، وفانياً بعكس متاع الآخرة الدائم الباقي.

أما الغرور: بفتح العين فهي تعني الشيطان (اسمه الغرور).

والغرور مصدر أضيف إليه المتاع، وكونه للغرور زاد في التحذير منه.



أي: الحياة الدنيا تشبه المتاع الخادع الغار لصاحبه؛ لأنه سيضمحل، ويزول والدنيا متاع متروك، أو متاع زائل مهما كان جميلاً ومبهراً.

[١٨٦] ﴿تُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

﴿تُبْلَوْنَ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون الثقيلة في تبلون تفيد التوكيد؛ أي: زيادة التوكيد في الابتلاء.

تبلون: من الابتلاء، وهو الاختبار، ولكن لا يكون ابتلاءً إلا بتحمل المكاره والمشقة، ويكون بالخير، والشر، والبلاء يكون في الأموال (بالإنفاق، أو النقص بسبب الآفات أو غيرها)، أو الأنفس بالقتل، والجهد، والجراح، والألم، والمخاوف، والمصائب، والعبادات، والأمراض، وفقد الأحبة.

وقد يكون الاختبار بالخير؛ أي: بالإنعام على الفرد، ولا يقال: يُبتلى الإنسان بالنعمة.

﴿فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾: وقدم في أموالكم؛ لأنها الأكثر ابتلاءً على أنفسكم.

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ﴾: الواو: عاطفة، واللام للتوكيد، والنون في لتسمعن: لزيادة التوكيد على السماع ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ (اليهود والنصارى)، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (مشركي العرب).

﴿أَذًى كَثِيراً﴾: الأذى هو الحدث الذي يؤلم لفترة ما، ثم ينتهي أما الضرر فيكون له آثار طويلة بعد وقوعه.

والأذى مثل الطعن في دينكم، وصد الناس عن الدخول في الإسلام،
والاتهامات الباطلة، وغيرها.

﴿وَإِنْ﴾: الواو: استئنافية، إن: شرطية.

﴿تَصَبَّرُوا﴾: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد والاستمرار.

وإن تصبروا على الابتلاء في المال، وفي النفس، وغيرها، وتصبروا على
أذى الذين أوتوا الكتاب، وأذى الذين أشركوا.

﴿وَتَتَّقُوا﴾: تستقيموا على تقواكم، وتستمروا بامثال أوامر الله وتجنب
نواهيه.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، وتفيد التوكيد.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف، للخطاب، ذلك الصبر،
والتقوى، وهو من باب الندب.

﴿مِنْ عَزْمٍ الْأُمُورِ﴾: العزم: هو القوة، والقدرة على إنجاز الفعل، ويعين
على القيام به أن تجمع له القوة، والصبر، والتقوى، وهذه الأمور بحد ذاتها؛ أي:
التقوى، والصبر، والقوة من الأمور التي تحتاج إلى عزم.



الجزء الرابع

سورة العنكبوت ٣

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ
بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ
بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنْ فِي
خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا
وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾
رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ
ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا
عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

سورة آل عمران [الآيات ١٨٧ - ١٩٤]

[١٨٧] ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ، ثُمَّ قَلِيلًا فَيُسَّ مَا يَشْتُرُونَ﴾
 ﴿وَإِذْ﴾: واذكر، أو: واذكر حين.

﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ﴾: الميثاق هو العهد المؤكد باليمين. ارجع إلى الآية (٦٣) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: أي: المقصود هو علماءهم من اليهود والنصارى.
 ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾: لتبيننه؛ أي: لتبين أمر محمد ﷺ، كما هو موجود عندكم بدون تغيير، وتحريف لتبين أوصافه ونعوته... أو لتبين ما جاء في التوراة، والإنجيل في صفات ونعت رسول الله ﷺ.

للناس: اللام: لام الاختصاص، والناس: تعني: الثقليين الإنس والجن.

﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾: والكتمان: هو ما جاء في الكتاب في نعوت النبي ﷺ، وأن يؤمنوا به، وبالإسلام والكتمان: هو كتم الشيء ظاهر الوضوح؛ للعيان، ولكن صاحبه يحاول كتمه وغالباً ما يكون شيئاً معنوياً، والكتمان غير الإخفاء. ارجع إلى الآية (١٥٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

أما الإخفاء: هو ما يدور في الخواطر، ويخفيه الإنسان، ومع مرور الزمن لا بد أن يُعلم، ويشمل الأشياء الحسية، والمعنوية (مثل النفاق).



﴿فَبَدُّوهُ﴾: الهاء: تعود على الكتاب، أو الميثاق.

الفاء: تدل على التعقيب، أو الترتيب، والنبد: هو الطرح مع الكراهية، ويعني طرح الشيء بقوة، وذلك دليل على كراهيته، والنبد له جهات يمين شمال أمام وراء، فهم نبذوه: ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾: ويعني ذلك دليل على الكراهية، فهم لا يريدون رؤيته، أو تذكره، فلو رماه أمامه، أو على يمينه، أو شماله، فقد يراه في المستقبل، أو يتذكره فهم نبذوه، ولم يكثرثوا بما جاء في نعت النبي والإيمان به.

﴿وَأَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: أي: استبدلوا متاع الدنيا بما كتموا:

١ - أي: أخفوا وكتموا وتركوا ما أمروا به، وأخذوا بدله شيئاً تافهاً حقيراً من حطام الدنيا من المال، أو السلطة والجاه.

٢ - بما جاء في الكتاب من أحكام ونعوت النبي وصفاته.

﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾: بئس: من أفعال الذم، وما: مصدرية؛ أي: بئس شراء كهذا الشراء، أو موصولة بئس الذين يشترون. ارجع إلى الآية (٧٧) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.

[١٨٨] ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾: لا: الناهية، تحسبن: ارجع إلى الآية (١٧٨) من نفس السورة.

﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾: ارجع إلى الآية

(١٧٠) في نفس السورة لبيان معنى الفرح؛ هذه الآية لها معانٍ كثيرة مختلفة نذكر منها:

١ - تَخَلَّفُوا عن الخروج إلى غزوة أُحُدٍ، ورجعوا بعد أن ساروا مسافة، ثم فرحوا بعدم خروجهم حيث لم تنلهم هزيمة، أو قتل، ويحسبون أنهم يحمدون على ما فعلوه؛ لكونهم أشاروا على النبي والمسلمين بعدم الخروج خارج المدينة؛ لقتال المشركين.

٢ - قد تعني من أتى المعصية أياً كانت، ثم يفرح ويجاهر بها، ثم يُحب أن يُحمد على فعلها.

٣ - يفرحون بما أوتوا من علم التوراة، أو يفرحون بما كتموه من صفات، ونعت النبي، ويحبون أن يحمدوا على ذلك الكتمان، أو بما لم يفعلوا من اتباع دين إبراهيم والإسلام، وهذا الفرح من الفرح المذموم. ارجع إلى الآية (١٧٠) من نفس السورة لبيان معنى الفرح وأنواعه.

٤ - وروى البخاري: أن رجالاً من المنافقين في زمن الرسول كانوا إذا خرج إلى الغزو تَخَلَّفُوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلفه؛ فإذا رجع رسول الله ﷺ إليهم اعتذروا منه، وأن المصلحة كانت في التخلف، وأحبوا أن يحمدوا على ذلك.

﴿فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ﴾: تكرر فلا تحسبنهم تفيد التوكيد.

﴿بِمَفَازَةٍ﴾: أي: بمنجاة من العذاب، ولهم عذاب أليم.

والمفازة: هي المكان الذي يظن الإنسان أن فيه نجاته.



والمفازة: هي الصحراء، وهي مهلكة، ويطلق عليها مفازة تفاعلاً بأن الذي يسلكها يفوز.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: لهم: اللام: لام الاستحقاق، عذاب أليم: شديد الإيلام، ودائم. ارجع إلى الآية (٦١) من سورة الزمر؛ لمزيد من البيان.

[١٨٩] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

بعد ذكر فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب جاء ليبين أنه هو الحاكم وحده، وله ملك السموات والأرض.

﴿وَلِلَّهِ﴾: جار ومجرور تدل على الحصر والقصر.

﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: حكمُ وملْكُ السموات والأرض، وما بينهما تكديماً لمن قال: إن الله فقير، ونحن أغنياء.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي: لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء مهما كان، فهو كامل القدرة.

يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء يعجل، أو يؤخر العقوبة لمن يشاء، ويعزُّ ويذلُّ، يحيي ويميت، وبكلمة كن فيكون.

[١٩٠] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: الخلق: هو الإيجاد ابتداءً، وأصل الخلق التقدير؛ أي: خلق السموات، والأرض، بهذا التقدير الذي أوجبه حكمته.

﴿وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾: الدال على كروية الأرض، ودورانها حول نفسها، وحول الشمس، والذي ينتج عنه الليل والنهار من أعظم الآيات الدالة على قدرة الخالق. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٦٤) للبيان المفصل.

﴿لَا يَنْتَرِ﴾: اللام: للتوكيد، آيات: دلائل واضحة على وجوده سبحانه، وقدرته، وعلمه، وحكمته، ورحمته، ووحدانيته.

﴿لَا أُولَى الْأَلْبَابِ﴾: اللام: لام الاختصاص، أولي: ذوي الأبواب الذين وصفهم في الآيات التالية (١٩١-١٩٤).

السؤال هنا: ما الفرق بين: ﴿وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾، وقوله: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ﴾؟

الاختلاف بعضه مذموم، وبعضه غير مذموم، أما التفاوت فكله مذموم، والاختلاف يدل على علم فاعله، والتفاوت يدل على جهل فاعله.

[١٩١] ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾: ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿يَذْكُرُونَ﴾: الذكر هنا يعني: الصلاة، أو الذكر العادي، والشكر وغيره. ﴿قِيَمًا﴾: أي: يصلون قياماً في حالة العافية، وقدم القيام على غيره؛ لأنه هو الأساس في الصلاة.

﴿وَقُعُودًا﴾: أي: يصلون وهم قعود، والقعود: هو الانتقال من العلو إلى الأسفل؛ أي: يكون واقفاً، ثم يقعد (إذا لم يستطع القيام).



﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾: أي: يصلون وهم على جنوبهم؛ أي: في حالة الاضطجاع (إذا كان مريضاً، أو به ضررٌ، ولا يستطيع القيام، أو القعود).

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: في رفع السموات والمجرات، والأجرام، والنجوم، ومواقعها، والكواكب، والنشأة، والقوانين التي تحكم النظام الكوني، والسماء كسقف محفوظ، والأرض قراراً، والشمس، والقمر، والجبال، والغازات المحيطة بالأرض، والرياح، والسحب، والفلك، والليل، والنهار، وغيرها من الآيات الكثيرة.

﴿رَبَّنَا﴾: نداء يدل على القرب بحذف أداة النداء الياء.

﴿مَا﴾: النافية.

﴿خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾: عبثاً، وبدون حكمة، وغاية، وقدرة، وعلم، وتقدير.

﴿سُبْحَنَكَ﴾: أي: يا رب أصفك بكل كمال، وأنزهك عن كل ما لا يليق بك من نقص، أو سوء، أو شرك، أو عجز، أو مكروه. ارجع إلى سورة الإسراء، آية (١)؛ لمزيد من البيان.

﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾: الفاء: تدل على الترتيب، والمباشرة، والتوكيد، اجعل بيننا وبين النار وقاية؛ أي: حاجزاً، وابعدنا عنها، وجنبنا عذابها.

[١٩٢] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾:

﴿رَبَّنَا﴾: نداء يدل على القرب بحذف أداة النداء الياء (بدلاً من قوله: يا ربنا).

﴿مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ﴾: من: استغراقية، تدخل النار: ولو ثواني فقط.



﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿أَخْرَيْتُهُ﴾: من الخزي، وهو الفضيحة أمام الخلّاق، والخزي فيه معنى: الذل، والعار.

﴿وَمَا﴾: الواو: استثنائية، ما: النافية.

﴿لِلظَّالِمِينَ﴾: اللام: لام الاستحقاق، الظالمين: جمع ظالم مشرك، أو ظالم لنفسه، أو غيره. واستعمل الظالمين بدلاً من وما للداخلين من أنصار؛ لأن الداخلين جزء من الظالمين.

﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾: جمع نصير معين، أو مساعد، أو شفيع يمنع عنهم العذاب، أو يخففه. ارجع إلى سورة الروم آية (٢٩) لمقارنته ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ مع قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّاصِرٍ﴾ [الحج: ٧١]. وارجع إلى الآية (٥٦) في نفس السورة لبيان الفرق بين: وما للظالمين من أنصار، وقوله تعالى: وما لهم من ناصرين.

[١٩٣] ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾:

﴿رَبَّنَا﴾: مثل الآية السابقة.

﴿إِنَّا﴾: إضافة النون للتوكيد.

﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾: أي: محمداً ﷺ، كما قال أكثر المفسرين، وقيل: هو القرآن، أو كلاهما.

﴿أَنَّ﴾: حرف مصدري يفيد التوكيد.



﴿ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾: صدقوا بربكم، والباء: للإلصاق، وأطيعوا أوامره،
وتجنبوا نواهيه، واستقيموا على صراطه.

﴿فَتَأْمَنَّا﴾: أي: صدقنا، وأطعنا.

﴿فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: الذنوب قيل: هي الكبائر تحتاج إلى توبة تليها مغفرة؛
أي: المحو (استرها وامحها) من فضلك.

﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾: السيئات قيل: هي الصغائر، واللمم، والتكفير هو
الستر؛ أي: استر سيئاتنا، وامحها أيضاً، والتكفير يكون بفعل الحسنات اللاتي
يذهبن السيئات.

﴿وَتَوْفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾: الأبرار: تأتي في سياق وصف البشر، وهي جمع
قلة، والأبرار: جمع بار، وبرّ، قيل: هم الأنبياء، والصالحون، والمطيعون
المستمسكون بدين الله تعالى؛ أما بررة: تأتي في سياق وصف الملائكة الكرام،
والبررة: جمع كثرة؛ ارجع إلى سورة عبس آية (١٦) لمزيد من البيان، وارجع إلى
سورة الإنسان، آية (٥)؛ لمزيد من البيان.

[١٩٤] ﴿رَبَّنَا وَءَاثَرِ مَا وَعَدْنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾:

﴿وَأَنَا مَا وَعَدْنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾: على السنة رسلك من الرحمة، والفضل،
والفوز بالجنة، والنجاة من النار، والنصر، والغلبة في الحياة الدنيا، والتمكين في
الأرض، والاستخلاف.

﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: لا: الناهية، لا تفضحنا، ولا تهنّا يوم القيامة، يوم
يقوم الناس لرب العالمين.

﴿إِنَّكَ﴾: للتوكيد.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾: إنك صادق الوعد ومنجزه، الميعاد: الوعد بالبعث، والجزاء، والثواب، والميعاد يشمل الزمان، والمكان (زمن التواعد، ومكان التواعد).

أما المعاد: يراد به المكان (فقط) الذي تعود إليه بعد مغادرته، معاد تعني: مكة في آية (٨٥) من سورة القصص: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾. ارجع إلى الآية (٩) في نفس السورة لمعرفة الاختلاف بين هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

انتبه إلى تكرار كلمة ربنا خمس مرات: مبالغة في التضرع، ويسمى هذا في بديع اللغة الإطناب.





سُورَةُ الرَّحْمَنِ ٣

البقرة

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ
ذِكْرٍ أَوْ أُنثِيَ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا
مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفِّرَنَّ
عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخِلَتْهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾
لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ
ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا
رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنْ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا
أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا
وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النَّبَا ٢١

البقرة

٧٦



سورة آل عمران [الآيات ١٩٥ - ٢٠٠]

[١٩٥] ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلَّزَيْنَ هَاجِرُوا وَأَخْرَجُوا مِن دِينِهِمْ وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخِلْنَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾

﴿فَاسْتَجَابَ﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة، ومعنى ذلك: أجابهم ربهم مباشرة.

﴿لَهُمْ﴾: السلام: لام الاختصاص؛ أي: لأولي الألباب الذين دعوا ربهم بتلك الأدعية السابقة.

﴿رَبُّهُمْ﴾: هو المربي؛ أي: الخالق الرازق المدبر وشرفهم بإضافتهم إليه بقوله: ربهم.

﴿أَنِّي﴾: أن: للتوكيد، والياء: ياء المتكلم.

﴿لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ﴾: لا: النافية؛ أي: لا أضيع، ولا أنسى ثواب أي عمل من الأعمال الحسنة التي عملتموها.

﴿مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ﴾: أي: عامل منكم ذكراً كان أم أنثى في المجازاة، أو تضييعها.

﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾: كل واحد منكم من الآخر؛ أي: من أصله؛ أي:



الذكور من الإناث، والإناث من الذكور، فكل الجنسين من أصل واحد هو آدم وحواء، وذكوركم مثل إناثكم في الطاعة، فلا تفرقة.

﴿فَالَّذِينَ﴾: الفاء: للتفصيل.

﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: إلى الحبشة، أو إلى المدينة، أو إلى غيرها.

هاجروا استجابة لله تعالى، ولرسوله ﷺ هاجروا في سبيل الله من ذكر، أو أنثى.

﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾: بغير حقٍّ مرغمين، أخرجهم المشركون من مكة، أو غيرها.

﴿وَأُودُوا فِي سَبِيلِي﴾: بالعذاب، وخسران أموالهم، وديارهم، والاضطهاد، أو القهر، والكبت، والتشريد، وأودوا بسبب إسلامهم، وأن يقولوا: ربنا الله.

﴿وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا﴾: قاتلوا الكفار والمشركين أعداء الدين، واستشهدوا.

﴿لَا كُفْرَنَ﴾: اللام: لام التوكيد، وكذلك النون في أكفرن؛ لزيادة التوكيد في التكفير.

﴿عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: التكفير يعني: الستر، والمحو، والسيئات سواء كانت الكبائر، أو الصغائر.

﴿وَلَا دُخْلَنَّهُمْ﴾: الواو: عاطفة، واللام: للتوكيد، وكذلك النون في أدخلنهم لزيادة التوكيد.

﴿جَنَّتْ بَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا لَا تَهْدُرُ﴾: قيل: تنبع من تحتها.

﴿ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: الثواب: هو الجزاء على العمل الصالح قد يكون في

الدنيا، أو في الآخرة، وقد يأتي في الخير أو الشر، ولا يكون إلا من الله تعالى.
ارجع إلى الآية (١٠٣) من سورة البقرة؛ لمعرفة اشتقاق الكلمة.

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾: وهو الجنة، ونعيمها.

[١٩٦] ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾:

﴿لَا﴾: الناهية.

﴿يَغُرُّكَ﴾: الخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ، وإلى كل مسلم ومؤمن.

يغرنك: مشتقة من الغرور: بضم الغين: وهو الخداع، ونون النسوة في
يغرنك: للتوكيد، ولم يقل: لا يغرك تقلب الذين كفروا؛ أي: لا يخدعك.
والغرور: إظهار الأمر الضار في صورة النافع؛ أي: الخداع.

﴿تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾: تجارة، وصناعة، ومكاسب الذين كفروا
في البلاد، وما هم عليه من الرخاء، والسعة، والبسط. والتقلب في الأصل:
الخروج من أرض إلى أرض طلباً للتجارة، والرزق، واستتيعار القلب بدلاً عن
الضرب في الأرض؛ لأن تقلبهم في البلاد ليس له خلاق في الآخرة، إنما خلاقه
منحصر في الدنيا، والدنيا كلها متاع الغرور.

وإذا قارنا هذه الآية من آل عمران: ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، مع
الآية (٤) من سورة غافر: ﴿مَا يَجْدِلُ فِي إِيمَانِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي
الْبِلَادِ﴾:

في آل عمران: ﴿لَا يَغُرُّكَ﴾: أكد الاغترار بنون النسوة الثقيلة، بينما في
غافر لم يؤكد فلا يغرك؛ لأن السياق في آل عمران جاء في الابتلاء في الأموال،
والأنفس، والإيذاء في سبيل الله والهجرة، بينما في سورة غافر: جاء في سياق
الجدال في آيات الله.



فتقلب الذين كفروا: هو الأشد مقارنة بتقلب الذين يجادلون في آيات الله، ولكونه الأشد أكد بقوله: لا يغرنك، وأما في تقلب الذين يجادلون، قال: لا يغرنك؛ لم يؤكد.

[١٩٧] ﴿مَتَّعْ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَهَادُ﴾:

﴿مَتَّعْ قَلِيلٌ﴾: أي: ذلك التقلب، والكسب، والربح، والأموال، والسعة: متاع زائل، قليل، مضمحل.

ومعنى متاع: ارجع إلى الآية (١٨٥) من نفس السورة؛ للبيان.

قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعة في اليم، فلينظر بم يرجع» أخرجه مسلم.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتراخي في الزمن.

﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾: في الآخرة مأواهم جهنم؛ أي: مستقرهم المكان الذي يأوون إليه هو جهنم. ارجع إلى الآية (١٢) من نفس السورة؛ لبيان معنى جهنم. ﴿وَيُسَّ﴾: فعل ذم؛ أي: ساء وقبح.

﴿الْمَهَادُ﴾: مشتقة من مهد الطفل، أو فراشه المريح الذي أعد له، وسميت مهاد: للتهكم، والتوبيخ.

في هذه الآية (١٩٧) قال تعالى: ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَهَادُ﴾، وفي سورة الرعد، آية (١٨): ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَهَادُ﴾، وسورة التوبة، آية (٧٣)، وآية (٩٥)، والتحريم، آية (٩)، وغيرها.

الفرق بين الآيتين: هو (ثم) في آل عمران: الواو في سورة الرعد، وبقيّة

السور؛ لأن آية آل عمران جاءت في سياق الذين كفروا، وتقلبهم في البلاد، فهم في الدنيا الآن، وجهنم في الآخرة؛ فناسب (ثم): للتراخي في الزمن.

أما آية الرعد، وبقية السور: جاءت في سياق الآخرة؛ أي: هم الآن في الآخرة وجهنم في الآخرة، فناسب ذكر (و)، ومأواهم العطف بالواو.

[١٩٨] ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾:

بعد ذكر الذين كفروا وتقلبهم في البلاد، ومأواهم جهنم وبئس المهاد، يذكر بالمقابل الذين اتقوا ربهم.

﴿لَكِنَّ﴾: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾: أطاعوا أو امره، وتجنبوا نواهي.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: تنبع من تحتها الأنهار، أنهار الجنة.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: الخلود يعني: استمرار البقاء من وقت مبتدأ؛ أي: الخلود

له بداية، وهو يوم دخولهم الجنة، وليس له نهاية.

﴿نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾: النزل: ما يهيا ويعد لإكرام الضيف من مأكل،

ومشرب، ومبيت؛ أي: إكراماً من عند الله.

﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾: وما هيا الله سبحانه، وأعد لضيوفه المتقين هو

خير للأبرار.

ولم يبين في هذه الآية ما نوع ما عند الله للأبرار، ولكن بيّنه في آيات أخرى،

مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةً



النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾، وكذلك اللحم، والفواكه، والهور العين، والسرر، والذهب، والفضة، وما عند الله خير للأبرار مقارنة بما يكسبه هؤلاء الكفار في تقلبهم في البلاد من تجارة، وسعة، ورغد العيش فقط في الدنيا، وليس لهم في الآخرة من خلاق.

وإذا قارنا هذه الآية (١٩٨)، مع الآية (١٩٥) من نفس السورة:

فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتَلُوا لَا كُفْرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخِلْنَاهُمْ جَنَّتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾.

والآية (١٩٨): ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾.

نجد أولاً: أن الذين هاجروا، وأخرجوا هم جزء من المتقين المذكورين في الآية (١٩٨)، فالآية (١٩٨): أعم وأشمل من الآية (١٩٥).

ثانياً: الآية (١٩٨) قال تعالى: ﴿لَهُمْ جَنَّتٌ﴾: فيها تملك اللام: لام الاختصاص، والتمليك مقارنة بالإدخال: ﴿وَلَا دُخِلْنَاهُمْ جَنَّتٍ﴾ في الآية (١٩٥).

وخالدين فيها، ولم يذكر خالدين فيها في الآية (١٩٥).

ونزلاً من عند الله، أفضل من ثواباً من الله، كما في الآية (١٩٥).

فالأبرار المذكورون في الآية (١٩٨) أعلى درجة ومكانة من المذكورين في الآية (١٩٥).

[١٩٩] ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَلَّعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝﴾

اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية، بعضهم قال: في النجاشي، وأصحابه، وبعضهم قال: في مؤمني أهل الكتاب؛ أمثال: عبد الله بن سلام، وبعضهم ذكر غير هؤلاء.

﴿وَإِنَّ ۝﴾: الواو: استئنافية، إِنَّ: للتوكيد.

﴿مِنْ ۝﴾: ابتدائية (للتبويض).

﴿أَهْلِ الْكِتَابِ ۝﴾: قوله تعالى: أهل الكتاب: فيها مدح لهم مقارنة بالذين أوتوا الكتاب، أو أوتوا نصيباً من الكتاب، وهم: اليهود، والنصارى.

﴿لَمَنْ ۝﴾: اللام: للتوكيد، مَنْ: ابتدائية.

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ۝﴾: بوحدانيته، وصفاته، وأسمائه، ويؤمن بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء خيره وشره.

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ۝﴾: ما: اسم موصول؛ أي: الذي أنزل إليكم، وهو القرآن المنزل على محمد ﷺ.

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ ۝﴾: أنزل إليهم؛ أي: دفعة واحدة مثل التوراة، والإنجيل، ولم يقل نزل إليهم (يعني منجماً على دفعات).

﴿خَلَّعِينَ لِلَّهِ ۝﴾: خاضعين لله، وتعني طائعين.

﴿لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۝﴾: لا: النافية، يشترون بآيات الله: الباء:



بدلية، ثمناً قليلاً، ولا كثيراً، لا يشترطون بالآيات التي فيها البشارة بمحمد ﷺ، ونعته، وصفته، ثمناً قليلاً. ارجع إلى الآية (٧٧) من نفس السورة؛ للبيان.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف: للخطاب، تفيد التعظيم، والعلو، والشرف.

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق، لهم أجرهم: ثوابهم عند ربهم.

﴿إِنْ﴾: للتوكيد.

﴿اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: إشارة إلى كمال علمه بأعمال عباده، أو ما عملت كل نفس، وما يستحقون من الأجر والجزاء، أو الثواب، ولإزالة الظن أن كثرة الخلق تعني: طول الانتظار، وسيعجل لهم أجرهم؛ أي: حسابهم فليطمئنوا أن الله قادر على أن يحاسب الناس إذا شاء سبحانه بما تقتضيه الحكمة الربانية بوقت قصير؛ أي: ساعات قليلة، أو بكن فيكون.

[٢٠٠] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد إلى المؤمنين بالالتزام بأنواع مختلفة من الصبر والتقوى. ﴿أَصْبِرُوا﴾: من الصبر، الصبر العادي.

﴿وَصَابِرُوا﴾: أبلغ من اصبروا؛ أي: كونوا أكثر صبراً؛ أعداء الله؛ أي: غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب، ولا تكونوا أقل صبراً منهم وثباتاً؛ أي: صبراً أكثر؛ أي: اسبقوا الكفار في الصبر على شدائد الحرب، أو غيرها من الأمور.

﴿وَرَابِطُوا﴾: أي: أقيموا في الثغور، وعلى الحدود مترصدين لعدو الله وعدوكم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: ختم الآية بالتقوى، وهي امتثال أوامر الله، وطاعته، وتجنب ما نهى الله عنه، وآخر ما أمرهم به التقوى؛ أي: اصبر، وصابر، ورابط، واتق الله؛ لعلك تفلح.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: أي: لتفلحوا في دنياكم وآخرتكم.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: تعني: الرجاء، أو التعليل.

﴿تُفْلِحُونَ﴾: في الدنيا والآخرة وتدركون كل ما تأملون؛ ارجع إلى الآية (٥) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.
واعلم: أن مراتب الصبر خمس:

١ - صابر.

٢ - ومصطبر (أي: مليء بالصبر).

٣ - متصبر (متكلف بالصبر؛ أي: حامل نفسه على الصبر).

٤ - صبور (عظيم الصبر في الوصف والكيف).

٥ - صَبَّار (أصبح الصبر صفة له)، وقيل: كثير الصبر في العدد، والكم.





سُورَةُ النِّسَاءِ

الْبَيْتُ الرَّابِعُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ
بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ
وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْطِّيبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ
كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا
مَاطَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا نَعْدِلُوا
فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَءَاتُوا
النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ مِنْ خِلْعَةٍ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ
هَنِيئًا مَرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ
فِيهَا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا
الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا
إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ
غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِرْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا
دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

سورة النساء [الآيات ١ - ٦]

ترتيبها في القرآن السورة (٤)، وترتيبها في النزول (٩٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: نداء إلى الناس كافة، وكلمة الناس: مشتقة من النوس؛ أي: الحركة، وهذا ما يوصف به الناس؛ لكثرة حركتهم، وكلمة الناس تشمل الإنس والجن (الثقلين)، وكلمة الناس: لا تدل على عدد معين، وكلمة الناس: أوسع من الإنس.

﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾: اتقوا عذابه، أو عقابه؛ بإطاعة أو امره، واجتناب نواهيه؛ من الوقاية: وهي أن تجعل بينك وبين عقابه مانعاً ووقاية، أو سخطه وغضبه.

ولم يقل: اتقوا الله؛ لأن المقام مقام خلق، والرب هو الخالق، والمربي، والرازق، وفي مقام العبادة، والتشريع يأتي بكلمة الله، سبحانه، أو إلهكم.

﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾: الذي: اسم موصول، والخلق: بالنسبة إلى الله سبحانه هو الإيجاد من العدم، والخلق لغة: هو التقدير، والتسوية؛ أي: كافة البشر بما فيهم آدم وحواء، وكل إنسان خلق من نفس الجنس البشري، أو من أصل واحد، من نفس واحدة خلقت منها كل النفوس، وأما الجعل كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]؛ الجعل: يكون أو يتم بعد الخلق؛ أي: الخلق أولاً كمرحلة ابتدائية ثم الجعل مرحلة ثانية بعد الخلق.



وخلق منها زوجها: تشير إلى أن النفوس في الأصل من طبيعة متشابهة، أو متجانسة في الخلق؛ أي: كل نفس زوج (مثيل) للأخرى.

فالخلاصة: كل النفوس خلقت من نفس واحدة، وكلها متشابهة في الأصل أو متماثلة في الخلق، وليس في الخلق. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٨٩)؛ لمزيد من البيان، والمقارنة، وارجع إلى سورة الزمر، آية (٤٢).

﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾.

﴿وَبَثَّ﴾: الواو: عاطفة.

والبث: قيل: النشر، وهو التكاثر بالتناسل والتوالد.

﴿مِنْهُمَا﴾: من الرجال والنساء (الذكور والإناث).

﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾: لم يقل: ونساءً كثيرات، بل اقتصر قوله: ﴿رِجَالًا كَثِيرًا﴾؛ لأن المفروض إذا كان هناك رجال كثير أن يكون هناك نساءً كثيرات؛ حتى يتم الزواج، أو أكثر من كثيرات؛ وهذه من سنن الله سبحانه أن يكون عدد النساء أكثر من عدد الذكور.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أطيعوا الله فيما أمر به، وتجنبوا فيما نهى عنه، أو تجنبوا سخطه وغضبه.

﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾: أصلها تتساءلون به؛ حذفت التاء للتخفيف.

﴿تَسَاءَلُونَ﴾: أي: يسأل بعضكم بعضاً بالله؛ أي: تحلفون به الأيمان، مثل القول: أسألك بالله، أو اتقوا الله الذي تحلفون به الأيمان؛ أي: احفظوا أيمانكم، وإذا حلفتكم عليكم بالبر بها، والوفاء.

﴿وَلَا تُزَاحِمُوا﴾: أي: اتقوا أرحامكم؛ أي: صلوا أرحامكم، ولا تقطعوها، فسوف تسألون عنها.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾: إن للتوكيد. ﴿كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾: كان، وما زال، وسيظل عليكم رقيباً؛ أي: لا يحذه زمان، ولا مكان، فهو خالق الزمان، والمكان. المراقب لأحوالكم، الحافظ لأفعالكم، وأقوالكم.

والرقيب: هو البصير الذي يرصد كل قول، وكل فعل تقومون به، ويحفظه لكم.

[٢] ﴿وَأَتُوا الَّذِينَ آمَوَاهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْحَيْثُ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾:

﴿وَأَتُوا الَّذِينَ آمَوَاهُمْ﴾: أتوا: هي من الإيتاء، والإيتاء أعم من العطاء فهو يشمل العطاء وغيره؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) لمزيد من البيان والفرق بين الإيتاء والعطاء.

بعد أن أوصى الله سبحانه بصلة الأرحام، وحرم قطعها، وبعد أن تكلم سبحانه عن بثّ منهما رجالاً ونساءً؛ مضى ليقول: إن هذا المبتوث؛ أي: الخلق، قسم اكتملت قوته، ولا يحتاج إلى مساعدة، وقسم ضعيف: وهو ما يسمّى اليتيم، أو اليتامى، ويحتاج إلى مساعدة.

- واليتيم تعريفه: هو الإنسان الذي فقد أباه، ولم يبلغ الحلم، ذكراً أو أنثى.

- فهذا هو ذا يوصي أوصياء اليتامى أن يعطوهم أموالهم؛ فقال: ﴿وَأَتُوا الَّذِينَ آمَوَاهُمْ﴾ كاملة.

ومتى يكون ذلك؟ متى بلغوا النكاح، وأنستم منهم رشداً.

ولا: الواو عاطفة.



لا: الناهية.

﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ﴾: ﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة؛ لا: الناهية.

﴿تَبَدَّلُوا﴾: من بدل الشيء بغيره؛ أي: أخذ غيره أو مكانه، والخيث: هو الحرام، أو السيئ الرديء؛ كأن يأخذ الوصي الثمين الجيد، ويعطي اليتيم الرديء الرخيص، ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا﴾: ولم يقل: ولا تبدلوا.

تبدلوا: الخطاب موجّه إلى الكثير من الناس، وليس فئة، أو فرداً واحداً، ومهما طال الزمن.

أما تبدلوا: فالخطاب موجّه إلى قلة عدد قليل من الناس، وزمن التبادل قصير محدد، كما ورد حين خاطب الله سبحانه رسوله ﷺ في سورة الأحزاب الآية (٥٢): ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾: نهى الله سبحانه عن أخذ أموال اليتامى بالقول لا تأكلوا أموالهم؛ لأن الأكل أشد دلالة وأقوى من الأخذ، ولأن الأخذ قد يعاد إلى صاحبه، أما الأكل فقد تم أكله وهضم؛ شبه الأموال بالطعام الذي يؤكل؛ ليفيد المبالغة في النهي، والأكل يعني: أي: لا تنفقوها، أو: ولا تضموا أموالهم إلى أموالكم وتخلطوها معاً، فتأكلوا هذه مع تلك، بل فرقوا بين أكل أموالكم، والحفاظ على أموالهم؛ لأن ذلك يعد حُوباً كبيراً.

﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾: إن: للتوكيد، والهاء: تعود إلى أكل أموال اليتامى.

﴿كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة؛ أي: في الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿حُوبًا﴾: إثماً، وذنباً عظيماً، والحبوب: هو الهلاك والبلاء، والحبوب أصله

في العربية: الزجر.

[٣] ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَنْبَىٰ فَانكِسُوا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَىٰ وَثُلَاثٌ وَرُبْعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذْفَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو استئنافية.

إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو الشك، أو الندرة.

﴿خِفْتُمْ﴾: من الخوف، وهو توقع الضرر المشكوك في وقوعه.

﴿أَلَّا﴾: أصلها: أن: المصدرية، لا: النافية. إن: المصدرية تفيد التعليل.

﴿تُقْسِطُوا فِي الْيَنْبَىٰ﴾: القسط: بكسر القاف: هو عدم الظلم، والجور؛ والقسط: يعني النصيب والحصّة، فالقسط هو الحصّة العادلة مأخوذة من: أقسط: أزال الظلم والجور؛ أي: عدل، والقسط: اسم للعدل في القسمة، وتعني: العدل في الميزان.

أما قَسَطَ: بفتح القاف فمعناها ظلم وجَارَ.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَنْبَىٰ﴾: وإن خفتُم: أن تميلوا عن العدل إلى الجور، والظلم.

والقسط: هو العدل مع التنفيذ؛ أي: إن خفتُم ألا تقسطوا إلى اليتيمة، وتعطوها ما تستحق من المهر، ومالها؛ اتركوها، واذهبوا وتزوجوا بغيرها من النساء.

معنى الآية: إن كان الرجل يكفل اليتيمة، ويكون وصياً عليها، ويريد أن يتزوجها لمالها، أو جمالها، أو غيره من الأسباب، وكان لا يقسط لها في مهرها، فلا يعطيها ما تستحق من المهر، فيظلمها. فجاءت الآية تطلب من الوصي، أو الكفيل: أن يعدل، ويزيل عن اليتيمة الظلم، والجور، ولا يأكل أموالها، ويدعها وشأنها، ويتزوج بغيرها. مثنى وثلاث ورباع.



إذن المبدأ هو العدل في معاملة اليتيمات.

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَتِلْكَ وَرُبْعَ﴾:

﴿فَانكِحُوا﴾: الفاء: جواب الشرط. ﴿فَانكِحُوا﴾: تزوجوا.

﴿مَا﴾: اسم موصول، وما: للعاقل، وغير العاقل، واستعملت ما بدلاً من؛ لأنها تشير إلى النوع الذي طاب لكم.

﴿مَا طَابَ لَكُمْ﴾: ما استحسنتم من النساء من هُنَّ حلٌ لكم من غير يتيماكنكم. ﴿مَثْنَى وَتِلْكَ وَرُبْعَ﴾: والواو: للتخيير. والسؤال هنا: لو قال: فانكحوا ما طاب لكم من النساء اثنين بدلاً من مثنى (أي: اثنين اثنين)؟ لا يصح؛ لأنه يعني: الكل يشترك في نكاح أو الزواج باثنتين كالقول كلوا رغيفين من الخبز تعني: الكل يشارك ويأكل من هذين الرغيفين، أما حين يقال كلوا ثلاثة ثلاثة يعني: كل واحد يأكل ثلاثة أرغفة؛ أي: مثنى تعني: اثنين اثنين، ومعناها واحد يمكن أن ينكح اثنين، وثلاث معناها: ثلاث ثلاث؛ أي: وآخر يمكن أن ينكح ثلاث نساء، ورباع معناها أربع أربع، وليس معناها أربعة؛ أي: وثالث يمكن أن ينكح أربع نساء.

ولا يصح القول فانكحوا ما طاب لكم من النساء اثنتين وثلاثة وأربعة، فأقصى حد هو أربعة نساء وليس تسعة (٢+٣+٤=٩).

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: عاطفة، شرطية تدل على الاحتمال، والشك، أو الندرة.

﴿خِفْتُمْ أَلَّا﴾: خفتم: من الخوف: وهو توقع الضرر المشكوك في وقوعه؛

أن لا، أن: المصدرية للتعليل. لا: النافية.

﴿تَعْدِلُوا﴾: بين الزوجات؛ لسبب من الأسباب مثل: الضعف الجنسي، أو

غيره في الأمور المتعارف عليها، فتزوجوا واحدة فقط.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: لم يعد هناك مصدر لملك اليمين في هذا الزمن.
 ﴿ذَلِكَ أَذَىٰ لَا تَعُولُوا﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، إشارة الزواج بواحدة فقط.
 ﴿أَذَىٰ﴾: أقرب، ﴿أَلَا﴾: أن: المصدرية تفيد التعليل. لا: النافية.
 ﴿لَا تَعُولُوا﴾: لهما معاني عدة:

١ - ألا تجوروا، تميلوا عن العدل إلى الجور والظلم (خوفاً من الجور والظلم).
 من عال يعول؛ أي: جار.

٢ - عال، يعول؛ يعني: افتقر ذلك أدنى أن تفتقروا؛ أي: تصبحوا فقراء بالزواج
 بأكثر من واحدة.

٣ - عال يعول؛ يعني: كثرت عياله، ألا تكثر عيالكم؛ أي: خوفاً من كثرة العيال
 (الأولاد).

إذن أدنى ألا تعولوا: ألا تجوروا، وتظلموا، وألا تفتقروا، وألا يكثُر عدد
 عيالكم؛ فالواحدة تكفي.

[٤] ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَرِيئًا﴾:

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ﴾: الواو: عاطفة؛ عطف أتوا النساء على أتوا اليتامى، وأتوا:
 من الإيتاء، ويعني: العطاء وغيره؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) للمزيد في
 معنى الإيتاء والعطاء والفرق بينهما.

أي: وأعطوا النساء: الأزواج بعد أن تم عقد القران.

﴿صَدُقَتِهِنَّ﴾: المخاطب هم الأزواج (الناكحين) حيث كان الرجل يتزوج
 بلا مهر فيقول أرثك وترثني، ثم تقول المرأة: نعم فنزلت هذه الآية، وقيل:



المخاطب أيضاً الأولياء؛ مهورهنّ فريضة من الله تعالى فرضها على الرجل؛ فلا يحل له، ولا لولي الأمر أن يأخذ من المهر شيئاً إلا برضا الزوجة، وعطف آتوا النساء صدقتهن على آتوا اليتامى أموالهم ذلك لأن حق المرأة وحق اليتيم يجب الإيفاء بهما؛ لأن المرأة واليتيم مستضعفان من المجتمع.

﴿نَحْلَةً﴾: أي: العطية، أو ما يعطيه الإنسان عن طيب نفس، ورضاً بلا مقابل، أو عوض.

﴿فَإِنْ طَبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾: فإن: الفاء: استئنافية. إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو الندرة.

﴿طَبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ﴾: أي: تنازلت المرأة عن شيء من المهر، أو حقها وبدون إكراه أو ضغط؛ فكلوه: ولم يقل فخذوه، وإنما قال تعالى ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾.

والشرع يقول: مهر الزوجة لها، وفي هذه الآية فتح لها باباً للفضل؛ فإن تنازلت الزوجة عن شيء من المهر إلى الأب، أو الأقارب، أو الزوج، وهو المقصود في هذه الآية، فلا مانع؛ على شرط أن يكون طيب نفس. فما معنى (هنيئاً مريئاً)؟

الهنيء: هو الذي تجد فيه لذة حين أكله، أو شربه (تقول: الطعام طيب). المريء: سهل الهضم، لا يسبب متاعب هضمية مثل حرقة، أو تخمة، أو مغص؛ أي: ألم؛ لأنك قد تجد شيئاً تأكله، وتستلذ به، ثم يسبب لك متاعب هضمية، فهو هنيء، ولكن غير مريء. فكل طعام قد يكون هنيئاً، ولكن غير مريء، أو بالعكس.

فهو شبه أخذ شيء من مهر الزوجة بالأكل الذي يجب أن يكون هنيئاً مريئاً

عن طيب نفس من دون ضرر لها، أو كره، أو خديعة، أو ظلم، أو مDAHنة، أو بسبب حياء، أو غيره.

[٥] ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة. لا: الناهية.

﴿تُؤْتُوا﴾: أي: تعطوا: من الإيتاء: وهو أعم من العطاء؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) للمزيد من البيان، والفرق بين الإيتاء والعطاء.

﴿السُّفَهَاءَ﴾: جمع سفيه: هو المصاب بقصور عقلي، والسفيه: من لا يحسن التصرف بماله بحكمة مما يؤدي إلى ضياع ماله، كأن يكون مبذراً، أو ينفق أمواله على الحرام وغيرها، والسفيه قد يكون ذكراً، أو أنثى، وحين يكون المرء سفيهاً يجب الحجر على هذا السفيه (من قواعد الفقه)، فتنتقل إدارة أمواله، أو الملكية إلى أحد أقاربه مثل عمه؛ ليصبح وصياً عليه، فيعطيه كل شهر ما يحتاجه. ولذلك قال سبحانه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾، وفي الحقيقة هي أموال السفهاء.

وقوله: ﴿أَمْوَالَكُمُ﴾: ليهتم كل وصي بالمحافظة على مال وصيه؛ وكأن المال ماله (وهو في الحقيقة مال اليتامى، والسفهاء، والمحجور عليهم).

وقالوا: إن الله جعل مال الفرد مالاً للمجتمع كله، فهو يملكه، ولكن ينتفع به الفقير، والتاجر، والمجتمع.

﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾: أي: الأموال قوام الحياة، وسبب إصلاح الأمور؛ لأنهم إذا ضيعوها بالإسراف؛ أصبحوا عالة على غيرهم، وعلى المجتمع، ولذلك يقتضي تمييزها، وتنميتها، وإدارتها بحكمة.

﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾: ولم يقل: منها.



أي: على الوصي أن يشتغل ويتاجر بأموال السفيه، ولا يتركها على حالها، ويعطي السفيه من الأرباح، وهذا معنى: ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾، ولو قال: منها؛ أي: من رأس المال، وليس من الأرباح؛ أي: من عين المال في كل مرة من دون استثمارها لوجدناها نفذت، ولم يبق له شيء، وهذا يدل على الموصي أن ينمي أموال السفيه بالوسائل المباحة، وفي التجارة، وغيرها من المشاريع المباحة.

﴿وَأَكْسُوهُمْ﴾: الكسوة هي: اللباس؛ أي: من أرباحها، وثمرتها، لا من أصل المال.

﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: القول الطيب اللين اللطيف.

كأن يقولوا لهم: حين ترشدون سندفع لكم أموالكم كاملة؛ أي: في سن الرشد، أو اعذرونا، أو سامحونا؛ لكون المبلغ قليلاً، وإن شاء الله سيكون أكثر في المستقبل، وهكذا.

[٦] ﴿وَابْتَلُوا الَّذِينَ يَزْنُونَ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾:

﴿وَابْتَلُوا الَّذِينَ يَزْنُونَ﴾: وابتلوا: من الابتلاء، وهو أشد من الاختبار، ويكون بالخير أو الشر لاستخراج ما عند المبتلى من الطاعة أو المعصية؛ أي: اختبروا عقولهم، هل يستطيعون أن يقوموا بمصالحهم، ويحسنون التصرف بأموالهم، ودربوهم على ذلك، واختبروا أخلاقهم، وحسن تصرفهم بأن يدفع إليه شيء من المال، ويطلب منه أن يتصرف به، ثم يسأله كيف أنفقه، ومقدار ما أنفق على كل سبب، وهذا الابتلاء يكون قبل سن البلوغ، فإذا بلغ سن النكاح يكون جاهزاً لاستلام أمواله.

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾:

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية؛ أي: نهاية الغاية النكاح (سن البلوغ)، أو النكاح؛ أي: حين يصبح الذكر قادراً على الإنجاب، والأنثى قادرة على الحمل والحيض.

﴿فَإِنْ أَسْتَمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: عاطفة، إن: شرطية تفيد الاحتمال والندرة.

﴿أَسْتَمْتُمْ﴾: رأيتهم وشعرتهم رُشداً منهم بسلامة العقل، وحسن التصرف في المال والقدرة على الاستثمار والصلاح، وعدم التبذير وغيرها، ويعرف ذلك بالاختبار كما قلنا سابقاً.

﴿رُشْدًا﴾: انتبه إلى الفرق بين الرُّشد: بضم الراء، والرَّشد: بفتح الراء.

فالرُّشد: هو الصلاح، والاستقامة في أمور الدنيا والدِّين في الأمور الدنيوية والأخروية، والقدرة على الاهتداء إلى الأفضل والأصلح؛ أي: زيادة الوعي والعقل وصلاح الدين.

وأما الرَّشد: فخاصة بأمور الدِّين، مثل: اتباع الحق، والاستقامة، والتقوى، والتوفيق؛ فالرُّشد أعم من الرَّشد، والرَّشاد: هو الصلاح بشكل عام.

وأما سن الرُّشد: من الفقهاء من قال هو سن البلوغ، وقيل: بلغ أشده؛ أي: بلغ القدرة على الإنجاب، والقدرة على اختيار الأفضل في الخير. وقيل الرُّشد: سن التكليف؛ فقد اتفق الفقهاء على أن البالغ يصبح مكلفاً بجميع التكاليف الشرعية، وأما سن الرُّشد ليس له سن معينة عند جمهور الفقهاء، فالرُّشد قد يأتي مع البلوغ أو يتأخر عنه قليلاً أو كثيراً، وعكس الرُّشد: السفه.

﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، فإذا بلغوا سن النكاح، وبعد إيناس الرشد منهم؛ ادفخوا إليهم أموالهم.



﴿وَلَا تَأْكُلُوهُمَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿تَأْكُلُوهُمَا﴾: الأكل يعني: الأخذ؛ ارجع إلى الآية (٢) من نفس السورة لبيان معنى الأكل؛ أي: لا يصح أن يأخذ الوصي مال اليتيم إسرافاً وبدراً، والإسراف: هو الزيادة عن الحد؛ لأنه ليس ماله، وإنما مال اليتيم.

﴿وَبِدَارًا﴾: أي: المبادرة، والمسارة قبل البلوغ والرشد تسليمه المال قبل أن يبلغ الرشد وهو حسن التصرف.

وهذا الإسراف والبدار (المبادرة) الذي يتم قبل مرحلة الرشد، فحين ينفق الولي بإسراف شيئاً فشيئاً من مال اليتيم قبل أن يكبر ويرشد؛ مما يؤدي إلى إنفاق كل مال اليتيم قبل مرحلة الرشد، وعندها لا يجد اليتيم شيئاً عند كبره ورشده؛ فقد سمي ذلك أكلاً رغم أن وصي اليتيم لم يأكل وإنما أنفق على اليتيم.

والإسراف: قد يعني: أن ينفق على اليتيم ببذخ، وإسراف يعطيه أكثر مما يحتاج إليه، مثلاً: أخذ ألفين بدلاً من ألف، ويقول له: خذ وأنفق، وهو بذلك يشجع اليتيم على الإسراف من جهة، ويهلك مال اليتيم.

أو يسلم له ماله مبكراً؛ مما يؤدي كذلك إلى هلاك ماله، ويعتبر ذلك كله أكلاً لمال اليتيم، وهذا التصرف من وصي اليتيم لا يراه إلا الله سبحانه، واعتبره أكلاً، وحذر منه في الآية (١٠) من نفس السورة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.

﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: شرطية. ومن: للعاقل المفرد والمثنى والجمع.

﴿وَمَنْ كَانَ﴾: أي: إن كان الوصي غنياً فليستعفف؛ أي: لا يأخذ أجراً على

وصايته على مال اليتيم، ويجعل عمله احتساباً لوجه الله تعالى، وأجره على الله سبحانه.

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: استئنافية، إذا: شرطية تفيد حتمية الحدوث.

أنهم قبضوها منكم؛ لدفع التهم عنكم، وتأمّنوا عاقبة الدعاوى الصادرة منهم.

﴿فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾: الفاء: للتوكيد. ﴿فَأَشْهَدُوا﴾: عليهم شهيد، أو شهيدين عليهم، ولم يقل: فاستشهدوا عليهم؛ استشهدوا: الألف والسين والتاء تعني: الطلب، وتفيد المبالغة في الشهادة، وفيها تحديد بالعدد عدد الشهداء، أما اشهدوا: ليس فيها تحديد، ونوع الشهداء.

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾: وكفى: أي: يكفي، ﴿حَسِيبًا﴾: أي: الكافي لعباده بفضلته، أو الكافي لعبده؛ كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

وحسبياً: قد تعني المحاسب لعباده على أعمالهم؛ فهو الكافي لعباده في جميع أمورهم وحوائجهم في الدنيا والآخرة؛ أي: يحفظ أعمال عباده من خير وشر، ويحاسبهم عليها.

﴿بِاللَّهِ﴾: الباء: للتوكيد. ﴿وَكَفَىٰ﴾: تفيد الدوام، والاستمرار على كونه حسبياً.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

البقرة المكية

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا
مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا
﴿٨﴾ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا
خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي
بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ
فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً
فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا
النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ
كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ
فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي
بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ
نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

سورة النساء [الآيات ٧ - ١١]

[٧] ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾:

﴿لِّلرِّجَالِ﴾: اللام: لام الاستحقاق؛ يعني: الأولاد، والأقرباء، كباراً، أو صغاراً.

﴿نَصِيبٌ﴾: هو القسم المنسوب المعين؛ الذي أوجبه الله للورثة، والنصيب يكون في المحبوب، والمكروه، ويختلف عن الحظ الذي لا يكون إلا في الخير؛ أي: لا يأتي إلا في سياق الخير، والنصيب قد يكون عادلاً أو جائراً؛ أي: زائداً أو ناقصاً عما يستحقه العبد، وهو الفرض، وسيأتي تفصيله في الآيات (١١-١٢) القادمة.

﴿مِمَّا﴾: من: بعضية، ما: اسم موصول؛ أي: الذي ترك الوالدان: الوالد، والوالدة بعد الوفاة. وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿وَالْأَقْرَبُونَ﴾: جمع قريب، المتوفون.

﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾: السلام: لام الاستحقاق (الاختصاص). النساء: تشمل الإناث صغاراً كانوا أو كباراً. لو نظرنا إلى شطر هذه الآية نجده نفس الشطر السابق، وكان بالإمكان تبديل كلمة الرجال والنساء بقول واحد، وهو للمؤمنين نصيب مما ترك الوالدان والأقربون، وانتهى الأمر.

ولعلَّ الحكمة من وراء ذكر النساء خاصّة؛ وتشمل: (البنات)؛ لأنهم كانوا



في الجاهلية يحرمون المرأة من الميراث، فدرءاً لهذه الشبهة جاءت هذه الآية موضحة أن ذلك قد انتهى، ومؤكدة نصيبهن.

﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾: أي: من الميراث، سواء أكان قليلاً، أم كثيراً.

فلكل من الذكور، والإناث نصيب من الميراث، ومهما كان المقدار.

﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: قدرًا مفروضاً فرضه الله، كما نرى في الآيات القادمة، والمفروض الذي فرضه الله هو أهم من الواجب.

[٨] ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾:

الخطاب للوارثين ﴿وَإِذَا حَضَرَ﴾: إذا: ظرفية شرطية تفيد الحتمية: الحدوث والكثرة.

﴿الْقِسْمَةَ﴾: قسمة الميراث بعد موت المورث، أو تعني: وصية الميت قبل موته، والقسمة مفعول به، و﴿أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾: فاعل، فقدّم هنا المفعول به، وهو القسمة؛ لأنها هي الأهم، ولولا القسمة لما حضر أولو القربى، واليتامى، والمساكين.

إذا حضرها أولو القربى: أي: المحجوبون الذين لا يرثون من الأقارب.

﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾: جمع يتيم، من لا أب له، و﴿وَالْمَسْكِينُ﴾: جمع مسكين الذي له مال لا يكفيه.

﴿فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾: أي: أعطوهم منه؛ أي: مما ترك الوالدان والأقربون.

واختلف العلماء في هذه الآية، في إعطاء هؤلاء هل هو واجب، أو غير

واجب، أو مندوب، فالمال هو للورثة أصلاً، وليس لأولي القربى، واليتامى،
والمساكين، وإعطاؤهم هو من باب الفضل حين توزيع الإرث.

ولعلَّ الحكمة هي تجنب الحسد، والحقْد، للوارث، أو الضغن على
المورث؛ حتى تشيع الألفة والمحبة بين الجميع.

﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: يحذّر الله سبحانه في هذه الآية من دفع، أو
صدٍّ؛ أي: منع الفقير، أو اليتيم، أو إيذائه بالمن والأذى.

والقول المعروف يعني: اختيار الكلام الطيب الرقيق، والإحسان؛ مثل
القول: اعذرنا، أو لا تؤاخذنا، وهذا ما يسره الله، بارك الله لك.

[٩] ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ
وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾:

هذه الآية هي وعظ للأوصياء على اليتامى بأن يراعوا ويتواصوا باليتامى
الذين في جحورهم، كما لو كان هؤلاء اليتامى هم أولادهم، ويخافون عليهم،
كما يخافون على أولادهم.

ويتصورون أنهم لو كانوا أولادهم من خلفهم، ويعاملونهم بالمعروف،
والإحسان، كما يحبون أن يعامل أولادهم من بعد موتهم؛ لكونهم فقدوا آباءهم
فهم ضعفاء.

﴿وَلْيَخْشَ﴾: اللام: لام الأمر، أو الندب.

والخشية: هي الخوف مع التعظيم، والعلم بالذي تخشاه؛ أي: ليخشوا
الجور في الوصية.

﴿لَوْ﴾: شرطية.



﴿تَرْكُوا﴾: أي: شارفوا، أو قاربوا على أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافاً.

﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾: أي: من بعدهم (بعد موتهم).

﴿ذُرِّيَّةٌ ضَعَفَاءُ﴾: من ذكور وإناث؛ ضعافاً: بكسر الضاد، وأما ضُعفاء: بضم الضاد كما قال تعالى في الآية (٢٦٦) في سورة البقرة: ﴿ذُرِّيَّةٌ ضَعَفَاءُ﴾، وإذا قارنا الآيتين نجد أن ضِعافاً بكسر الضاد تعني: الضعف المادي؛ أي: محتاجين إلى المال، وأما الضُعفاء في آية البقرة هم ضُعفاء ضعف معنوي بدليل أن أباهم ترك لهم جنة فيها من كل الثمرات فهم بحاجة من يرعاهم ويقوم بأمرهم حتى يكبروا، وكلا الضُعف والضّعف يشتركان في ضعف البنية؛ أي: أطفال صغار منهم من يحتاج إلى المال، ومنهم من يحتاج إلى رعاية فقط وعندهم مال.

﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾: في أمر اليتامى. اللام: للتوكيد؛ أي: يتبعوا ما أمر الله، ونهى عنه وأن يخافوا معصية الله سبحانه.

﴿وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾: اللام: للتوكيد، يقولوا قولاً موافقاً للدين؛ هذا حرام، هذا حلال، هذا مستحب، أو مكروه، كلام ليس فيه مجاملة؛ أي: قولاً عدلاً، وهناك فرق بين القول السديد والقول الصواب؛ القول السديد: قد يعتريه بعض الخطأ بدون تعمد، أما القول الصواب: لا يعتريه أي خطأ.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾: أي: يأخذونها ظلماً، والظلم: هو أخذ حق الغير من دون قهر، أو تعسف، وأما إذا أخذ حق الغير بقهر وقوة وتعسف؛

فإن ذلك يسمَّى البغي، ويشبه أخذ أموال اليتامى بالذي يأكل النار، وكأن أموال اليتامى ستقلب في الآخرة إلى نار تُصهر بها بطونهم وأحشائهم.

وقال سبحانه: ﴿يَا كُلُّونَ﴾: بصيغة المضارع بدلاً من أكلوا بالماضي (حكاية الحال)؛ لبشاعة أخذهم أموال اليتامى، فجاء به بصيغة المضارع؛ لتراه أمام عينيك، وكأنه يحدث الآن، وترى بشاعته. ارجع إلى الآية (٢) في نفس السورة لمزيد من البيان.

والمضارع يدل على استمرار أكلهم، وتجده كذلك.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة تفيد التوكيد، والحصص.

﴿يَا كُلُّونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾: وكأنهم يأكلون النار في بطونهم. وكيف يأكلون النار وهم ما زالوا في الدنيا؛ أي: تصيبهم المصائب أو الأمراض سواء في الأرض أو في أنفسهم.

﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾: السين للاستقبال القريب والتوكيد.

﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾: سيقرون في تلك النار المستعرة.

﴿سَعِيرًا﴾: ناراً مستعرة مشتعلة، وسعر النار؛ أي: أوقدها.

وفي هذه الآية تهديد ووعد لمن يأكل أموال اليتامى ظلماً، أو يتلف أموالهم، أو يسرفها، ولا يعطيهم حقهم، وهذا يسمَّى: النهي بلفظ الوعد. لمقارنة هذه الآية مع الآية (٣٠) من نفس السورة ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ ارجع إلى الآية (٣٠).

[١١] ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِمَتُ لِمِثْلِ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ



مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ
السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ
نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَلَّهَ إِنْ أَلَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾: يعهد إليكم - يلزمكم - يأمركم، وقيل: الوصية من الله فيها
معنى الفرض والإلزام، وفيها معنى الإشفاق للموصى لهم واهتمام به. يُوصِيكُمُ:
من أوصى، وهناك فرق بين أوصى وكلمة وصى، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى
بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ [البقرة: ١٣٢]، فالقرآن يستعمل وصى للأمر المعنوية،
وأمر الدين، ولما هو أبلغ وأهم من أوصى التي إذا أطلقت تعني الأمور المادية،
وإذا قيدت قد تعني المادية والمعنوية.

﴿فِي أَوَّلِدِ كُفٍّ﴾: الولد يقع على الذكر والأنثى، والمولود فعلاً، والجنين
في بطن أمه، والولد يقتضي الولادة، والابن لا يقتضي.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوَّلِدِ كُفٍّ﴾: ولم يقل: بأولادكم (كما قال تعالى في
كثير من الآيات: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾).

هناك فرق بين استعمال كلمة في، والباء، والباء: تفيد التوكيد.

فحينما يوصي الله الآباء بالأولاد يقول: في أولادكم؛ لأن الآباء ليسوا
بحاجة إلى من يؤكد لهم العناية ورعاية أولادهم، ولأن هذه الوصية بتوزيع
الميراث هي عبارة عن استمرار لرعاية الأولاد، والخوف عليهم من الحاجة
والفقر، قبل الموت وبعد الموت، فليس الآباء بحاجة إلى تأكيد باستعمال الباء.

وحينما يوصي الأولاد بالآباء يقول: بوالديه، يستعمل الباء، والباء:
للإلصاق، والتأكيد؛ لأن من الأولاد من هم بحاجة إلى تذكير وتوكيد برعاية
الآباء، والعناية بهم.

أولاً: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾: اللام: لام الاستحقاق أو الاختصاص، والحظ: يعني القسم المعين، والحظ في القرآن قد يأتي في سياق الخير، وأما النصيب قد يأتي في سياق الخير أو الشر؛ لماذا لم يقل: للأنثيين مثل حظ الذكر، أو للأنثى نصف حظ الذكر؟

السبب: ربما هو أنه سبحانه أراد أن يكون المقياس، أو المكيال هو حظ الأنثى، ويكون حظ الذكر منسوباً، ولكنه فضل الأنثى؛ أي: حقها، أو نصيبها يعطى، أو يوفى قبل حق أو نصيب الذكر؛ أي: حقها مقدم على حق الذكر وهو الأهم؛ لأن حق المرأة مغبون عادة، ولذلك جعل حظها هو المقياس.

ثانياً: لماذا للذكر مثل حظ الأنثيين؛ أي: لماذا فرض الله للأنثى نصف نصيب الذكر؟ أليس هذا ظلماً للأنثى، كما يرى البعض؟

الجواب: لأن الأنثى مسؤوليتها على والدها حتى تتزوج؛ أي: الإنفاق عليها في كل ما تحتاجه يقع على والدها؛ فإذا تزوجت؛ فزوجها مطلوب منه أن ينفق عليها شرعاً، ونصفها الذي أخذته من الميراث يبقى لها، وليس عليها أن تنفقه، أو تعطيه إلى زوجها؛ إلا إذا أرادت، ورغبت؛ أي: هو نصف خالص لها. وإذا لم تتزوج ومات أبوها عنها، فالنصف يكفي لها؛ لأنها من دون أولاد وعائلة.

وأما الذكر: فقلما يبقى من دون زواج وأولاد، فهو مسؤول عن نفسه، وعن عائلته، وبغض النظر عن المبررات، والحكمة لماذا فرض الله ذلك، فيكفي أنه أمر من الله سبحانه، والله لا يسأل عما يفعل، أو يأمر به.

﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: عاطفة، أو استئنافية، إن: شرطية تفيد الاحتمال.



﴿كَانَ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾: أي: مات المورث، ولم ينجب ذكراً، وإنما أنجب ثلاث بنات، أو أكثر.

﴿فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ﴾: والثلث الباقي يوزع على الآخرين المستحقين من الورثة.

﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو: عاطفة.

﴿وَإِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿كَانَتْ وَاحِدَةً﴾: أي: مات المورث، وترك بنتاً واحدة، ولم ينجب غيرها فلها نصف ما ترك، والنصف الآخر يوزع على الآخرين المستحقين من الورثة.

وأهم نقطة هنا يجب أن نقف عند النصف. انتهت الوصية لهذه البنت.

وأما قوله: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾: فهذه وصية جديدة؛ أي: إن مات المورث، وترك ولداً ذكراً، أو أنثى، وله أبوان أحياء يأخذ كل أب منهما السدس، ويوزع الباقي على الأولاد.

ولم يذكر الحق سبحانه: فيما إذا ترك المورث الذي مات بنتين فقط، أجمع العلماء على أن لهنّ ثلثي ما ترك؛ كل واحدة تأخذ الثلث مما ترك، والباقي يوزع على الآخرين من المستحقين من الورثة.

إذن نُعيد الشرح، ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد.

﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾: أي: أبوي الميت؛ أي: إذا كان الميت قد ترك أولاداً ذكوراً،

أو إنثاءً، وترك أبويه (تطلق على الأب والأم)، يأخذ الأب السدس، والأم تأخذ السدس، والباقي يوزع على الأولاد.

والسبب في تساوي نصيب الوالدين (السدس) مع وجود الأولاد: هو توقيرهما، واحترامهما على السواء.

وأما كون نصيب الوالدين أقل من الأولاد؛ فلكبرهما، وعدم حاجتهما، والله أعلم.

﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: عاطفة، إن: شرطية احتمالية. مات الميت وترك مالا، ولم يكن له ولد (ذكراً، أو أنثى)، وورثه أبواه؛ فلأُمِّهِ الثلث، والثلثان الباقيان للأب والزوجة، ولو لم يقل: لأُمِّهِ الثلث فقد يظن ظان أن المال يوزع بينهما؛ أي: الأم نصف والأب نصف، فلما خصَّها بالثلث؛ دلَّ على أن الأب له ما تبقى.

﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾:

أي: مات الميت وليس له ولد، وله إخوة وأم.

وجود الإخوة (ذكور وإنثاء) مع الأم يحجب الأم من الثلث إلى السدس؛ أي: تعطى الأم السدس، والباقي من التركة يوزع على المستحقين من الورثة: الزوجة، والأب إذا كان حياً، والإخوة (ذكوراً وإنثاءً).

﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾:

أي: تكون قسمة التركة بعد قضاء دين الميت، وإخراج ما وصلى به المورث الميت (الثلث، أو أقل من الثلث).

ولماذا قدَّم الوصية على الدين مع أن الدين حق عليه، والوصية حق له،



والدين واجب، والوصية تطوع؟ فقد تكون الحكمة حثاً على تنفيذ الوصية، والاهتمام والترغيب في فعلها، والدين معلوم يجب سداداه، وليست هي أفضل من الدين، وكى لا يتغافل عنها الناس في ساعة سدادهم للدين.

وقوله: ﴿يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾: أو: هنا لا تعني الترتيب، وإنما تدل على الاختيار، ويجب ملاحظة أن الوصية قُدمت في التلاوة (القراءة)، بينما الدين يقدم عليها في الأداء.

﴿أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: آباؤكم: تعني الأب، والأم؛ أما الوالدان: هم الوالد والوالدة.

﴿لَا تَدْرُونَ﴾: لا: النافية.

﴿أَيُّهُمْ﴾: أي الاستفهامية.

﴿أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾: في الدنيا والآخرة؛ أي: لأنكم ﴿لَا تَدْرُونَ﴾: أي: تعلمون من الدراية من درى. قيل: بمعنى علم، وهل هناك فرق بين درى، وعلم؟ قيل: الدراية: أخص من العلم، وعلم: أعم، وتكون بمنزلة الإخبار.

وقيل: إن درى: يكون فيما سبقه شك، والدراية: تكون بعد الجهل بالشيء.

أي: لكونكم لا تدرون آباءكم وأبناءكم أيهم أقرب لكم نفعاً في الدنيا والآخرة، فعليكم أن تنفذوا هذه الوصية المفروضة، كما علمكم الله، ولا تفضلوا أحداً على أحد؛ لأنكم لا تدرون، فالله هو المشرع وحده، وتشريعہ بعلم وحكمة، ولا يعلم الغيب إلا هو، فلا تتلاعبوا، ولا تقسموا الميراث حسب أهوائكم، فتعطي زوجتك التي تحبها أكثر مما فرض لها، أو تعطي هذا الابن أكثر من ذلك، أو تحرم هذا، وتعطي ذاك، وهكذا.

﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾: أي: فرض الله ذلك فرضاً عليكم فريضة، وليست على سبيل الاستحباب.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾:

﴿إِنْ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل. كان عليمًا حكيمًا. قبل أن يشرع لكم أي شرع أو حكم وكذلك كان عليمًا بأنكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعًا.

﴿عَلِيمًا﴾: بمصالح خلقه منذ الأزل، ويعلم الأمر قبل وقوعه، ويعلم حقيقة البشر كلهم جميعاً في أيِّ زمانٍ ومكانٍ.

﴿حَكِيمًا﴾: في كل ما فرض وقسم من الموارد. حكيم في تدبير شؤون خلقه وكونه؛ فهو أحكم الحاكمين سبحانه، وهو أحكم الحكماء.





سُورَةُ النِّسَاءِ

الْبَقَرَةُ



وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُنْ
لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا
تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ
وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِن لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ
فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ
مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ
رَجُلٌ يُّورِثُ كَلَّةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ
وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ
فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا
أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ
(١٢) تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣)
وَمَن يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ
نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٤)

سورة النساء [الآيات ١٢ - ١٤]

[١٢] ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِن بَعْدٍ وَصِيَّةً يُوْصِيْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٌ وَلَهُنَّ مِمَّا تَرَكَنَّ مِمَّا تَرَكَنَّ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِن بَعْدٍ وَصِيَّةً يُوْصَوْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٌ وَإِن كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدٍ وَصِيَّةً يُوْصَى بِهَا أَوْ دَيْنٌ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾:

﴿وَلَكُمْ﴾: الواو: استئنافية.

﴿وَلَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾: من الميراث.

﴿إِن﴾: شرطية، ﴿لَمْ﴾: نافية.

﴿لَمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾: منكم، أو من غيركم ولد ذكر أو أنثى (ابن، أو بنت).

﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِن بَعْدٍ وَصِيَّةً يُوْصِيْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٌ﴾:

﴿فَإِن﴾: الفاء: عاطفة، إن: شرطية.

﴿كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾: منكم، أو من غيركم.

﴿فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِن بَعْدٍ وَصِيَّةً يُوْصِيْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٌ﴾:



من بعد سداد الدين، ومن بعد إخراج الوصية التي تعادل الثلث، أو أقل إن كان لها وصية.

﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ لهن الربع من الميراث. إن: شرطية، لم يكن لكم ولد سواء من الزوجة الوارثة، أو غيرها من الزوجات.

ويشترك في هذا الربع الزوجة الواحدة، أو أكثر من زوجة، وبقية الميراث يوزع على الأولاد، والأب، والأم، كما ورد في الفروض.

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي تَوْصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾

انظر إلى الآيات السابقة؛ للبيان.

﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾

﴿وَإِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً﴾:

الكلالة: اتفق المفسرون على تعريف الكلالة: الميت الذي لا ولد له (ذكر أو أنثى)، ولا والد (أب أو أم)، واشتقت كلمة الكلالة من الكلال، أو الإكليل؛ أي: التاج، والكلالة صفة للمورث، أو اسمٌ للقربة.

صفة للمورث: الكلال: فهو ذهاب القوة من الإعياء والضعف والتعب؛ لأن من لا ولد له (ذكر أو أنثى)، وليس له أب أو أم؛ كأنه ضعيف من دون هؤلاء الذين عادة هم يرعونهم، ويعينونه حين كبره، فهو من دونهم مرهق متعب ضعيف.

اسمٌ للقربة: تشبه الإكليل: وهو التاج الذي يُحيط بالرأس من كل الجوانب، والمقصود بالإكليل: الأقارب المحيطون بالإنسان، وليس لهم به صلة كصلة الأبناء والآباء.

فهم يتكفلون الميت من جوانبه ووسط الرأس خال (من الأولاد والآباء)، فإذا لم يكن للميت (ولد ولا بنت) (أب أو أم).

﴿أَوْ أَمْرًا﴾ ارجع إلى سورة آل عمران آية (٣٥) لمعرفة الفرق بين امرأت بالتاء المفتوحة، وامرأة بالتاء المربوطة.

عندها يرثه أخوه، أو أخته، أو إخوته، وأخواته، وأقاربه.

وفي هذه الآية اتفق العلماء أن معنى ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ أي: له أخ، أو أخت من نفس الأم؛ (أي: يرثه إخوته، أو أخواته لأمه)، فلكل واحد منهما السدس.

فهذه الآية خاصة بالإخوة والأخوات من نفس الأم فقط، وليس من نفس الأم والأب، فهذا ما تبيّنه الآية (١٧٦) من نفس السورة، أو من الأب فقط.

﴿فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلَثِ﴾: وإذا قارنا كيف كتبت ﴿شُرَكَاءُ﴾ في هذه الآية وكيف كتبت ﴿شُرَكَؤُا﴾ في سورة الأنعام؛ فهذا الاختلاف كما تبين أنه راجع إلى أن شركاء في آية النساء تمثل شراكة حقيقة وليست وهمية، والشراكة في آية الأنعام شراكة وهمية غير حقيقية من زعمهم الباطلة؛ أي: شراكة باطلة..

﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾: يسدّد الدين، وتُدفع الوصية، وما تبقى هو الميراث؛ أي: غير ضرر بأحد من الورثة، أو الموصي لهم بأن يزيد، أو ينقص عما شرعه الله لهم. غير مضار: بأن يوصي أكثر من الثلث مثلاً، أو يدعي عليه دين، وليس عليه دين، أو يحرم أحداً من الورثة؛ لكونه مبغضاً له، أو لا يحبه؛ فإن تبين ذلك فلا تنفذ الوصية الباطلة، ولا يسدّد الدين الباطل، وتقسم التركة على الوجه السديد الموافق للشريعة، كما أمر الله سبحانه.

﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ﴾: أي: ألا تضروا أحداً بأي وجه من الوجوه؛ لأنها توصية من الله، والوصية فيها معنى إلزام وعهد، وتحمل معنى الفرض عند بعض المفسرين.



وكلمة الوصية فيها معنى: أن الموصي يحب الموصى، ولذلك يوصيه.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بمن جار، وظلم، أو عدل في وصيته، عليم بنواياكم وما تكنه صدوركم، وعليم بما وصى به خلقه.

﴿حَلِيمٌ﴾: غير جائر؛ لأنه لا يعاجل المذنب، أو العاصي بالعذاب؛ لعلّه يتوب، وينيب إلى الله تعالى؛ أي: الصبور الذي يمهّل، ولا يهمل، ويستتر الذنوب، ويؤخر العقوبة، ويرزق العاصي، كما يرزق المطيع، ذو الصفح والأناة. [١٣] ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:

إشارة إلى الأحكام التي تقدّمت في شأن اليتامى والموارث. ويسمّيها سبحانه حدوداً، وحين يضع حدوداً؛ فعلينا ألا نتعدها إذا كانت في الأوامر، أو تقرب منها إذا كانت في النواهي.

أي: يستعمل ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾: في الأوامر، مثل: الزواج، والطلاق، واليتامى، والموارث.

ويستعمل: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾: في النواهي، مثل: الخمر، والميسر، والأنصاب.

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: تدل على الواحد، أو المثنى، أو الجمع. من: الاستغراقية.

﴿يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: في الأحكام، والأوامر، والنواهي، والموارث وغيرها.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: ولم يقل: تحتها، وإنما من تحتها الأنهار؛ أي: تنبع من تحتها الأنهار؛ أنهار الجنة.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: ولم يقل: خالداً فيها؟ لأن الوحدة فيها وحشة، وعذاب، وغير مستحبة للنفس.

وقيل: إن الإنسان يأنس بأهله في الجنة، ولذلك يذكر: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: بصيغة الجمع حين يذكر الجنة في غالب الأحوال، وخالداً فيها حين يذكر النار؛ لأن الوحدة والعزلة أشد وأقسى على العبد.

﴿وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: صيغة مبالغة، والأعظم أشد مبالغة من العظيم، والواو في ذلك تفيد التوكيد. ارجع إلى الآية (٧٣) من نفس السورة للبيان في معنى الفوز وأنواعه.

[١٤] ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾:

﴿وَمَنْ يَعْصِ﴾: من: للابتداء، وشرطية.

﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ﴾: فيما أمر به، أو نهاه عنه.

﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾: تهديد ووعد لمن يتعدى حدود الله تعالى بتغيير الأحكام بزيادة، أو نقص، أو ترك العمل بها.

﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾: ولم يقل: خالدين فيها؛ لأن الأفراد والعزلة لأهل النار فيه نوع من العذاب، والوحشة بالإضافة إلى النار نفسها.

﴿وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: فيه خزي وإذلال، وألم؛ أي: يجمع الألم والإهانة، والإهانة تعني: العذاب على مرأى الناس، والفضيحة بأن تذكر سيئاته وما كان يفعله.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

الْبَيْتُ الرَّابِعُ

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا
مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا
﴿٨﴾ وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَو تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا
خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَكُونُونَ فِي
بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ
فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً
فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا
النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ
كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ
فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي
بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ
نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

سورة النساء [الآيات ١٥ - ١٩]

[١٥] ﴿وَالَّتِي يَأْتِيكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى الحدود في اليتامى والميراث، وحذّرنا من تعدي تلك الحدود، يخبرنا عن الحدود الأخرى، ومنها: حد الفاحشة (الزنى)، فقال:

﴿وَالَّتِي﴾: الواو: استئنافية. اللاتي: اسم موصول للجمع المؤنث.

﴿يَأْتِيكَ الْفَاحِشَةُ﴾: يفعلن الفاحشة؛ (أي: الزنى).

و﴿الْفَاحِشَةُ﴾: هي ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال. وغالباً تعني: الزنى واللواط.

﴿مِنْ نِسَائِكُمْ﴾: من أزواجكم.

﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾: ولم يقل: فأشهدوا، وإنما زاد السين والتاء، ويعني ذلك: الطلب؛ أي: اطلبوا إحضار أربعة شهداء. واستشهدوا: أقوى وأبلغ من فأشهدوا.

﴿مِنْكُمْ﴾: من المسلمين العدول، ولماذا أربعة؟ لأن هناك زانياً وزانية، فكل منهما يحتاج إلى شهيدين؛ فالمجموع أربعة.

وتغليظاً على المدّعي، ولحماية الأعراس، والتأكد من جريمة الزنى.

وبيّن الله سبحانه في سورة النور، آية (٤) عقوبة الذي لا يأتي بأربعة شهداء بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُنَّ مِائَتًا جُلْدَةً﴾.



﴿فَإِنْ﴾: إن: شرطية.

﴿شَهِدُوا﴾: بأنهم رأوا عملية الزنى؛ الزاني والزانية معاً في الفراش، ورأوا الفرج في الفرج.

﴿فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ﴾: فأمسكوهن في البيوت؛ أي: احبسوهن في البيوت؛ امنعهن من مخالطة الناس إلى أن يتوفاهن الموت؛ وكان ذلك في بداية الإسلام، ثم نسخ الحكم بحكم آخر، وهو حد الزنى الرجم، أو الجلد.

﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾: أي: مخرجاً من هذه العقوبة، وقد جعل الله لهن سبيلاً عندما شرع حد الزنى.

وكان ذلك هو الحكم في بداية الإسلام إذا زنت المرأة، وثبت زناها بالشهود الأربعة، حبست في بيتها حتى تموت، وظل ذلك الحكم سارياً حتى نسخه الله سبحانه، كما قال بعض المفسرين بالجلد مئة جلدة للأبكار، والرجم للمحصنين والمحصنات.

[١٦] ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾:

﴿وَالَّذَانِ﴾: اسم موصول للمثنى المذكر (الذان لم يُحصنا) بالزواج. ﴿يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ﴾: يفعلان الفاحشة. منكم: (من المسلمين). (قيل: هي الزنى، وقال بعضهم أيضاً: اللواط).

فإذا كانت الفاحشة هي الزنى تعني الزاني والزانية لم يُحصنا.

﴿فَأَذُوهُمَا﴾: الفاء: للتوكيد، آذوهما: قيل: بالكلام، والضرب بالنعال والجلد.

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: استئنافية. إن: شرطية.

﴿تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾: تابا من الفاحشة، وأصلحها؛ أي: قاما بالعمل الصالح.

﴿فَأَعْرِضُوا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشر تفيد التوكيد.

﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾: أي: عن إيدائهما؛ وقيل: كان هذا كله قبل نزول آية الحد، حد الزنى.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا﴾: إن: للتوكيد، وكان تشمل كل الأزمنة، كان ولا زال وإلى الأبد، تواباً: صيغة مبالغة كثير التوب؛ أي: قبول التوبة كما ونوعاً، ومهما كثرت، وتعددت، ويغفر الذنوب جميعاً إلا الشرك، والكفر إذا لم يتب العبد قبل موته.

﴿رَحِيمًا﴾: لأنه لا يردُّ توبة التائب، ولا يعجل لكم العقوبة.

[١٧] ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة تفيد الحصر والتوكيد.

﴿التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾: أي: قبول التوبة مترتب على فضل الله؛ أي: إذا تابوا يقبل توبتهم بفضله، وليس وجوباً عليه أن يقبل التوبة.

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾: يعملون: بصيغة المضارع التي تدل حكاية الحال، أو على التجدد، والتكرار، ولم يقل: عملوا السوء.

﴿السُّوءَ﴾: الإثم، والذنب، والمعاصي، وسُمِّيَ سوءاً لسوء عاقبته.

﴿بِجَهَالَةٍ﴾: قيل ولم يقل بجهل، وإنما بجهالة: وهي عدم الرؤية؛ الجهالة: السفه، والطيش، وعدم التدبر في النتائج عن ثورة الشهوة، أو لم يقدر قيمة ما سيلحقه من إثم، ويفوته من ثواب.



والجهالة: هي حمق يصيب الشخص ساعة الشهوة، وقد تكون مرة واحدة، أو أكثر، ولم يقل: بجهل؛ لأن الجهل هو عدم العلم بالعقوبة، أو عاقبة المعصية. إذن: جهلهم ليس ناتجاً عن عدم العلم، وإنما ناتج عن الجهالة، وهي السفه، والطيش، والحماقة.

﴿ثُمَّ﴾: ليست للتراخي في الزمن؛ لأنه قال بعدها: يتوبون من قريب، وإنما هي تعني: التباين بين عمل السوء، والتوبة من قريب (بالدرجة والفضل).

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾: يتوبون بعد وقوع المعصية، أو الذنب، ولا ينتظرون الزمن الطويل، والسؤال: لو أحرَّ التوبة ألا تقبل منه؟ نعم تقبل منه، ولكن ماذا يحدث إذا مات؛ لأنه لا يدري أجله، ولا يضمن أن يعيش ثواني قليلة. ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد. أولئك: اسم إشارة، واللام: للبعد.

﴿يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: أي: يقبل الله توبتهم.

﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾: كان تشمل كل الأزمنة: الماضي، والمضارع، والحاضر، والمستقبل.

﴿عَلِيمًا﴾: بأحوالهم، وأقوالهم، وأفعالهم، وتوبتهم.

﴿حَكِيمًا﴾: في تدبير شؤون خلقه وكونه، وفي أوامره ونواهيه.

إذن شروط التوبة في هذه الآية:

أولاً: فعل الذنب بجهالة.

ثانياً: التوبة من قريب.

والتوبة وردت بصيغ مختلفة، منها: التوبة من الله، التوبة على الله، التوبة إلى الله، التوبة عن عباده؛ فما هي أوجه الاختلاف؟

التوبة من الله؛ كقوله: ﴿فَنَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾.



فآدم سأل ربه كيف أتوب؛ فعلمه جل جلاله كيف يتوب.
 إذن التوبة من الله؛ تعني: تشريعاً؛ لأنه هو الذي شرع التوبة.
 وانتبه إلى أنه لم يأت، أو يُذكر في القرآن كله؛ أي آية تقول: يقبل التوبة من عباده، وإنما فقط ورد التوبة من الله.
 ﴿التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾: قبولاً بفضلته؛ أي: يقبل التوبة، وليس وجوباً عليه أن يقبل التوبة.

﴿التَّوْبَةُ عَنْ عِبَادِهِ﴾: كما ورد في سورة الشورى، آية (٢٥)؛ لأنه سبحانه علّم آدم التوبة، وهداه إليها، ثم قبلها منه، فيقال: التوبة عن عباده؛ يقصد بها التوبة نفسها (السياق في التوبة).

والتوبة من عباده: لم يأت في القرآن مثل هذه، وتعني: الجهة الصادرة منها التوبة.

[١٨] ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

فأركان التوبة هي:

- ١ - الإقلاع عن الذنب، والمعصية، وعدم العودة إليها.
 - ٢ - الندم على فعلها.
 - ٣ - إرجاع الحقوق إلى أهلها.
 - ٤ - الإكثار من النوافل، والأعمال الصالحة، مثل: الصلاة، والصدقات.
- وليست (للنفي نفي الحال)، التوبة للذين (اللام لام الاختصاص).
 ﴿يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: أي: مستمرّون، ومصرفون على عمل السيئات،



والعودة على ارتكابها، أو مستمرّون على الشرك، والكفر، والنفاق حتى يحضرهم الموت، وعندها يحاولون التوبة، فلا تقبل منهم.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث، حضر أحدكم الموت، ولم يقل: جاء؛ لأن جاء فيها معنى الفجأة، والشدة، وقبض الروح، وحضر فيها معنى التائي حيث يدخل العبد في مرحلة الوفاة التي تسبق المجيء، ولم تقبض روحه بعد.

﴿حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾: قدّم المفعول على الفاعل؛ للاهتمام. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٣)؛ للبيان. وحضر تختلف عن جاء أحدهم الموت؛ حضر: تعني في المستقبل، وتستعمل في الوصايا والأحكام التي تخص الموت، أما المجيء تأتي في سياق الكلام عن الموت، وأحوال الناس حين يدرّكهم الموت.

﴿قَالَ إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿تُبْتُ أَلَنْ﴾: بحيث يعلم أنه ميت لا محالة، ولم يبق له في الحياة رجاء، فيحاول التوبة؛ لينقذ نفسه كما حدث لفرعون حين أدركه الغرق قال: ﴿ءَاَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

﴿وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: النافية.

﴿الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾: فهو لاء لا توبة لهم أيضاً بعد موتهم، ولو تابوا قبل موتهم، ربما يقبل الله تعالى توبتهم.

﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾: وهم: ضمير فصل يدل على التوكيد.

﴿كُفَّارٌ﴾: جمع كافر، تشير إلى الحدث أكثر منها إلى عملهم الكفر، وصيغة مبالغة، وتشمل عموم الغافرين (بما فيهم المشركون مثلاً).

﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، اللام: لام البعد.

﴿أَعْتَدْنَا﴾: هيأنا وجهزنا لهم عذاب النار، وأعدنا: أعم وأشمل من أعدنا؛ أعدنا: تعني أشياء كثيرة، وأعدنا: قد تكون شيئاً واحداً وهو عذاب النار.

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: هو عذاب جهنم، شديد الإيلام، والدوام.

[١٩] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَقْضُوا لَهُنَّ إِنْ تَزَاجَرُوا بَعْضُ مَا أَتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾:

نداء إلى الذين آمنوا بأمر جدير هو: لا يحل لكم أن ترثوا النساء؛ أي: تتوارثوهن كما يتوارث المال، تأخذوهن كالإرث، والخطاب موجه خاصة لأقارب الميت، وكان هذا من أفعال الجاهلية، فكان عندما يموت الميت؛ وله زوجة، كان أقرباؤه يرثونها عنه، فإن شاؤوا تزوجوها بلا صداق، وإن شاؤوا زوجوها لغيرهم، وأخذوا صداقهن. وكانوا يفعلون ذلك قهراً وجبراً من دون حرمة.

﴿أَنْ﴾: مصدرية تفيد التوكيد.

﴿تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾: بفتح الكاف؛ تعني: الإيجاب والقسر، والكره، وردت:

﴿كَرِهًا﴾: في خمس آيات:

كَرِهًا:

١ - ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَنْتِ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١].

٢ - ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرِهًا﴾ [آل عمران: ٨٣].

٣ - ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرِهًا وَظِلُّهُمْ﴾ [الرعد: ١٥].



٤ - ﴿أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّنْ يُّقْبَلَ مِنْكُمْ﴾ [التوبة: ٥٣].

٥ - ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩].

أما ﴿كَرْهًا﴾: بضم الكاف فوردت في ثلاث آيات، وتشير إلى الكره المستحب؛ أي: الناتج عن تعب، أو مشقة مرغوب فيها، أو محب لها رغم كونها مؤلمة.

- مثل: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]؛ أي: الحمل والولادة.

- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]؛ أي: الجهاد في سبيل الله. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢١٦)، وسورة الأحقاف آية (١٥) لمزيد من البيان، والفرق بين كرهاً وكُرْهًا.

﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لَتَذْهَبُنَّ بِبَعْضِ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾: من العضل: هو المنع، أو الحبس، أو التضييق، والعضل مأخوذ من عضلت المرأة بولدها؛ أي: تعسرت في الولادة، وانقبضت عضلاتها، ولم تبسط حتى يخرج الوليد.

﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾: الخطاب موجّه للأزواج، كان الزوج إذا كره صحبة امرأته، ولها عليه مهر يحبسها، ويضربها؛ لتفتدي به، أو كانوا في الجاهلية بعد الطلاق يعضلون المطلقات بقصد الإضرار بهنّ حتى تفتدي بمهرها، أو مالها، أو الخطاب موجّه إلى الأولياء، كانوا يمنعون النساء من الزواج؛ ليرثوهنّ، أو كانوا يمنعون النساء من الزواج إلا بإذنهم حتى يأخذوا صدقاتهنّ.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿يَأْتَيْنَ بِفَحِشَةٍ﴾: يفعلن فاحشة (كالزنى).

﴿مُبَيَّنَةً﴾: واضحة من دون شك، ولا شهود، أو لا تنكرها هي، أو إذا أظهرن نشوزاً وسوء معاملة للعيان؛ عندها يجوز خلعها، ويقبل منها أن تفتدي.

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾: الباء: للإلصاق، والاستمرار.

عاشروهنَّ: بما يقره الشرع والعرف، وتألفه الطباع السليمة.

عاشروهنَّ بالمعروف: في القول، والنفقة، والمعاملة السمحة، والصبر.

﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾: فَإِنْ: الفاء: استئنافية. إِنْ: شرطية، وتفيد الاحتمال، والندرة في الوقوع، ولم يستعمل (إذا)؛ لأن (إذا): تدل على حتمية الحدوث به.

﴿كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾: لأسباب حقيقية، أو عيب خلقي، أو تقصير في المعاشرة، أو نشوز.

﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾:

﴿فَعَسَىٰ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة، عسى: من أفعال الرجال أن تستقيم الأمور.

﴿أَنْ﴾: شرطية، ﴿تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾: نكرة؛ أي شيء، ﴿شَيْئًا﴾: مهما كان نوعه.

﴿وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾: أي: اصبروا، ولا تتعجلوا بالطلاق، أو الخلع؛ عسى الله أن يصلح أحوالهنَّ، وتستقيم الأمور، ولا تتمزق الأسرة، ويصاب الأولاد بأمراض نفسية؛ نتيجة الطلاق، والكراهية بين الزوج والزوجة.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

الجزء الرابع

وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ
بُهْتَنَا وَإِنَّمَا مَبِينَا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى
بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا
غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنْ
النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا
وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ
وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ
الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ
وَرَبِّبَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ
الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ
مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾

سورة النساء [الآيات ٢٠ - ٢٣]

[٢٠] ﴿وَلِإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَاتٍ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنًا وَإِنَّمَا مَثَرُ مُبْدَنَةٍ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو: استثنائية. إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو ندرة الحدوث.

﴿اسْتِبْدَالَ﴾: الألف والسين والتاء: للطلب. استبدال: الاستبدال هنا يعني: الطلاق؛ أي: طلقتموهن، وأردتم الزواج بزوجة أخرى بداعي الشهوة والرغبة.

﴿زَوْجٍ مَّكَاتٍ زَوْجٍ﴾: تعني: الزواج بزوجة أخرى، ولم يكن هناك سبب هي قامت به، مثل: الفاحشة، أو النشوز.

﴿وَأَتَيْتُمْ﴾: أعطيتم، وأتيتم: أعطيتم: ﴿إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا﴾: من المهر (ولو كان قنطاراً) من المال الكثير؛ كصداق، أو مهر أو نحلة. وقيل: القنطار: مئة رطل من الذهب؛ لأن المهر إذا كان قنطاراً أو كثيراً قد تسول للإنسان نفسه فلا يحق لكم أن تأخذوا منه شيئاً.

﴿فَلَا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط.

﴿تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾: لا: الناهية، فلا تأخذوا منه (الصداق، أو المهر) شيئاً مهما قل أو كثر.

﴿أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنًا وَإِنَّمَا مَثَرُ مُبْدَنَةٍ﴾: الهمة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي. تأخذونه بالبهتان: البهتان: الكذب المتعمد الذي يبهت سامعه، ويدهشه؛ لشناعة الكذب، وأنواع الكذب تشمل: الإفك، والبهتان، والافتراء، والخرص، وغيرها، والإثم: يعني القبيح، ويعني الصغائر والكبائر.



﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: حراماً وظلماً واضحاً، والمبين: هو الظاهر الواضح، ومظهر لنفسه ظاهر للعيان إنه إثم غير مستور، وكل من يعلمه يعتبره إثماً.

[٢١] ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾:

﴿وَكَيْفَ﴾: الواو: استئنافية، كيف: اسم استفهام، فيه معنى النفي، وهو استفهام إنكاري، وسبقه الهمزة: أتأخذونه وكيف تأخذونه إنكار بعد إنكار، وفيه كذلك تعجب.

﴿وَقَدْ﴾: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾: أفضى من الإفضاء: كناية عن الجماع والخلوة. قيل: من الفضاء المكان الواسع الذي لا حدود له؛ أي: دخلت في فضاءها، ودخلت في فضاءك؛ أي: دخولاً واسعاً حين حدث كشف العورة، ولا يوجد إفضاء أكبر من ذلك، ودخلنا معاً في الأنفاس، والمعاشرة، والملازمة.

يعني: دخلتم معاً أوسع المداخل، وقمة المداخل، وهي أن يرى كل منكم عورة الآخر، عورتها التي تسترها من كل مخلوق حتى أمها وأختها، وتراها أنت، فلا يوجد فضاء أكثر من ذلك.

﴿وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾:

﴿وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ﴾: من الزوج والزوجة، أو (ولي أمرها) ميثاقاً، الميثاق: هو العهد الموثق بأدلة مثل: الشهود، والعقد، ويوقع عليه الزوج، والزوجة، وعاهد النكاح، والسلطة المختصة من الدولة، ويجب احترامه.

﴿مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾: أي: عهد موثق غليظ عظيم لا ينحل بسهولة.

وذكر الميثاق الغليظ في القرآن في ثلاث آيات فقط:

الأول: في هذه الآية (٢١) من سورة النساء، وهو ميثاق الزواج.

الثاني: في الآية (١٥٤) من سورة النساء، وهو ميثاق بني إسرائيل.

الثالث: في الآية (٧) من سورة الأحزاب، وهو ميثاق النبين.

[٢٢] ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية. لا: الناهية، النهي للحاضر، والمستقبل.

﴿تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾: حيث كانوا في الجاهلية يتزوجون بزوجات آبائهم بعد طلاقهن، أو موت الآباء، فجاءت هذه الآية تنهاهم عن ذلك وتحرمه.

﴿مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾: ما هنا: للعاقل؛ أي: زوجات الآباء.

إلا: أداة حصر.

﴿مَا قَدْ﴾: ما: اسم موصول بمعنى: الذي. قد: للتحقيق والتوكيد.

﴿سَلَفَ﴾: بمعنى: مضى (للماضي).

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد. ﴿كَانَ فَحِشَةً﴾: قبيحاً (زنى من أقبح الزنى، وهو أن ينكح ما نكح الأب).

﴿وَمَقْتًا﴾: المقت: هو أشد البغض بغض الممقوت، ولكل ذي فطرة سليمة.

﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾: ساء طريقاً أن يسلك.

[٢٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهُنَّ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ



أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ
سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٢﴾

يذكر الحق في هذه الآية محرمات النكاح من النسب والرضاع والمصاهرة.
فذكر سابقاً تحريم نكاح امرأة الأب، ثم حرم في هذه الآية الأمهات؛ أي:
الوالدات، والأم تعني: الوالدة والمرضعة، وتستعمل كلمة الوالدة في سياق
الأحكام الشرعية، والبنات، والأخوات، والعمات، والخالات، وبنات الأخ،
وبنات الأخت (سبعة محرمات من النسب). فقال (حرمت عليكم)؛ أي: هذا
التحريم كان مقرراً سابقاً، وجاء القرآن ليؤكداه فقال (حرمت عليكم)، ولم يقل
ولا تنكحوا، كما ورد في الآية السابقة (٢٢)؛ حيث كان سابقاً نكاح زوجات
الأب شائعاً عند العرب، ثم حرمه الإسلام، وكذلك الجمع بين الأختين، ولذلك
قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾.

﴿وَأُمّهْتِكُمْ أَلَّتِي رَضَعْتَكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ﴾: (أي:
المحرمات بالرضاعة). قيل: خمس رضعات، وقيل: أقل من ذلك، وهو في سن
الحولين، وقال الإمام مالك: «ولو مصّة واحدة»، مع أن الرسول قال: «لا تحرم
المصّة ولا المصتان» [رواه مسلم]؛ ارجع إلى كتب الأحكام الشرعية والمذاهب
الأربعة لمزيد من البيان.

ويلحق بالتحريم بأمهات الرضاعة بناتها وأخواتها، وغيرها. ارجع إلى
كتب الفقه.

﴿وَأُمّهْتِكُنَّ نِسَائِكُمْ﴾: من المصاهرة، فأمر زوجته محرّمة عليه بمجرد أن
يعقد على بنتها؛ أي: لا يحل له أن يتزوج الأم.

﴿وَرَبَائِبُكُمُ﴾: جمع ربيبة؛ أي: الأنثى بنت الزوجة من غيره، إذا
حصل الدخول بالزوجة ﴿الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾: كناية عن الجماع.

﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: فلا: الفاء:

للتوكيد؛ لا: النافية؛ جناح عليكم: لا إثم عليكم من جنح؛ أي: مال عن القصد، والإثم؛ أي: الميل عن الحق؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (١٥٨) لمزيد من البيان، والفرق بين: لا جناح عليكم، وليس عليكم جناح.

﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾: وحلائل: جمع حليلة، وهي زوجة الابن من الصلب؛ أي: أولادكم (الذكور)، وليس زوجة الابن من التبني، فهذا أصبح حلاً بعد ظهور الإسلام.

﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾: وأن: حرف مصدري يفيد التوكيد.

يحرم زواج الأختين معاً؛ لأن الجمع بين الأختين قد يؤدي إلى انقطاع صلة الرحم بين الأختين، والله سبحانه أمر بصلة الرحم.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿كَانَ غَفُورًا﴾: لما سلف منكم، ولمن تاب وأصلح.

﴿رَحِيمًا﴾: لا يعاقبكم على سيئاتكم إذا تبتتم، وأصلحتهم، وتعني: كثير

المغفرة والرحمة.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

الْمُحْصَنَاتُ

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
كُتِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا
بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ
مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ
الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ
فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ
بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخَذَاتِ
أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ
مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ
الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

سورة النساء [الآيات ٢٤ - ٢٦]

[٢٤] ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ ۖ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإُحْلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ۖ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ۖ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا رَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝﴾

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾: معطوفة على أمهاتكم؛ أي: حرمت عليكم أمهاتكم، والمحصنات من النساء.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾: الواو: عاطفة. المحصنات: جمع محصنة، والمحصنة المراد بها المتزوجة العفيفة.

والإحصان: أصله الحصن، وهو المكان المنيع، وهو العفة، ويعني: تحصين النفس من الوقوع في الزنى، والبنت: إذا تزوجت أحصنها زوجها (أي: أعفها زوجها فهي محصن).

والمرأة إذا أعفت فهي حاصن.

والإحصان في القرآن له معانٍ أربع:

١ - الزواج: يقال: أحصن الرجل؛ أي: إذا تزوج.

٢ - العفة: يقال: أحصن؛ أي: أعف.

٣ - الإسلام: أحصن الرجل؛ أي: أسلم.

٤ - الحرية: أحصن صار حراً.



﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾: إلا: أداة استثناء. ما: للعاقل، وغير العاقل، اسم موصول تعني: التي.

﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾: بالأسر والسبي من أرض المعركة؛ لأنه لا يجوز قتال النساء إلا إذا حاربت مع الكفار، هذه الآية حكمها معطل في وقتنا الحاضر، ولا بد من إسلام المشركة، واستبراء الرحم، ولا تريد المكاتبه أو الزواج، واختلف الفقهاء في شروط ما ملكت اليمين؛ يجب الرجوع إليها لمزيد من البيان.

﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: أي: هذا ما فرضه الله عليكم، أو حرمه عليكم، ولا ننسى أن هناك تحريمات أقرها رسول الله ﷺ مثل: زواج المرأة على عمتها، أو خالتها.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ: «نهى أن يجمع الرجل بين المرأة وعمتها، وبين المرأة خالتها».

﴿وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾: أي: أحل ما سوى المحرمات المذكورات في الآيات السابقة.

﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾:

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري يفيد التعليل.

﴿تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ﴾: أي: أبيع لكم أن تتزوجوا (تطلبوا الزواج).

﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾: الباء: للإلصاق (السيبية)؛ أي: بدفع الصداق، أو المهر، والأموال هنا تعني: المهور.

﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾:

﴿مُحْصِنِينَ﴾: من الإحصان: هو الزواج، والعفة؛ أي: متزوجين متعففين.

﴿غَيْرُ مُسْفَحِينَ﴾: غير تفيّد المغايرة بالذات، أو الصفة، وهنا المغايرة بالصفة.

﴿مُسْفَحِينَ﴾: السفاح قيل: هو الزنى، ومشتقة من السفح، وهو هطول الماء وسيلانه من سفح الجبل، ولم يذكر ولا متخذي أخدان؛ لأن هذه الآية جاءت في سياق المسلمين فلا داعي؛ لأنهم حرم عليهم أن يقربوا من الزنى. وسُمّي به الزّنى؛ لأن الزاني يصب نطفته فقط من دون إرادة النسل في فروج الكثير من النساء.

أما تعريف الزّنى، والسفاح، والبغاء فهو التالي:

الزّنى: الجماع من غير عقد شرعي، أو الوطء من غير عقد شرعي. السفاح: هو تكرار فعل الزّنى، مع الإقامة والعيش معاً من غير زواج شرعي، وهو أشد من الزّنى والفجور.

والفجور: هو البغاء، والبغاء وصف للمرأة إذا فجرت وزنت عدة مرات.

﴿فَمَا اسْتَمْتَعُ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء: استئنافية. ما: شرطية.

﴿اسْتَمْتَعُ بِهِ مِنْهُنَّ﴾: الاستمتاع المباح الذي يحصل بالزواج الشرعي المستوفي شروطه، أو الاستمتاع المباح الذي يحصل بعد العقد، أو الخطبة وقبل الدخول، فلا بُد من دفع المهر كاملاً حين طلب الزواج، أو دفع نصف ما فرضتم إذا لم يتم.

﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: فيه استعارة: استعار لفظ الأجور للمهور، والأجر يكون بعد العمل، ولا يأتي في القرآن إلا في سياق الخير.



﴿فَرِيضَةً﴾: فرض من الله تعالى عليكم بدفع المهور.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾:

﴿وَلَا﴾: لا: النافية، لا جناح؛ أي: لا إثم. ارجع إلى الآية (١٥٨) من سورة

البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ﴾: من بعد الفريضة من زيادة، أو نقصان

في المهر إذا اتفقتم أنتم وهنَّ على ذلك، أو حدث فسخ لعقد القران، أو فرقة.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ أي: كان،

ولا زال، وسيظل عليمًا حكيماً.

﴿عَلِيمًا﴾: بأقوالكم، وأفعالكم، ونواياكم، وما يصلح أموركم.

﴿حَكِيمًا﴾: فيما يفرضه عليكم، ويوصيكم به؛ لتصلح أموركم، حكيماً

في حكمه؛ فهو أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء. ارجع إلى الآية (١٢٩) من

سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[٢٥] ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ

مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَيِّتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ

فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفَّحَاتٍ وَلَا

مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَى بِنَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ

مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَن خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٨﴾

﴿وَمَنْ﴾: الواو: استئنافية. من: شرطية.

﴿لَمْ﴾: للنفي.

﴿يَسْتَطِيعَ﴾: يقدر (القدرة المالية).

﴿مِنْكُمْ طَوُّلاً﴾: الطول: هو الغنى والسعة؛ أي: ليس عنده القدرة (المالية على دفع المهر) للزواج بالمحصنات المؤمنات؛ أي: الحرائر المؤمنات (الإحصان هنا يعني: الحرية).

﴿فَمِنْ﴾: من: ابتدائية للعاقل، والفاء: رابطة لجواب الشرط.

﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: من فتياتكم المؤمنات؛ أي: الإماء، جمع أمة، وهي المملوكة الرقيقة، وكان ذلك في القديم حين كان الرُّق قائماً.

وأطلق عليهنَّ اسم ﴿فَنَيْتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ (كلمة فتاة هنا تطلق على الأمة في القرآن) بدلاً من الإماء.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾: أعلم بدرجة إيمانكم، ويعلم ما تخفي الصدور من العقائد والسرائر.

﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾: وكلكم ولد آدم، ومن نسل آدم وحواء، من أصل واحد، الذكور من الإناث، والإناث من المذكور، والناس سواسية إلا بالتقوى. ارجع إلى الآية (١٩٨) من سورة آل عمران.

﴿وَأَن تَوْهَّجَ أَجُورُهُنَّ﴾: أعطوهنَّ مهورهنَّ.



﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالمتعارف عليه بين الناس، وما يقره العرف من مقدار المهر من دون نقص أو تلاعب، والباء: للإلصاق، والتوكيد.

﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفِّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾:

﴿مُحْصَنَاتٍ﴾: عفاف. ﴿غَيْرَ مُسَفِّحَاتٍ﴾: زانيات جهراً، ومقيمات مع أخدانهن من دون زواج.

﴿وَلَا﴾: الناهية، ﴿مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾: ولا متخذات أخدان أصحاب يقمن معهم في مسكن واحد، والأخدان: جمع خدن: وهو الصاحب، ويطلق على الذكر والأنثى، المقيمات معاً من دون عقد زواج.

﴿فَإِذَا أَحْصَيْنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَحْشَةٍ فَعَلَيْنَّ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: استئنافية.

﴿فَإِذَا﴾: شرطية تدل على حتمية الحدوث وكثرته.

﴿أَحْصَيْنَ﴾: أسلمن، وتزوجن.

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ تدل على الندرة، واحتمال الحدوث.

﴿أَتَيْنَ بِفَحْشَةٍ﴾: بفاحشة الزنى.

﴿فَعَلَيْنَّ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾: العذاب لم يُبين في هذه الآية، وإنما بيّنه في سورة النور، آية (٢): ﴿فَأَجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾: إذن العذاب يساوي خمسين جلدة.

﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، وتشير إلى إباحة النكاح بالفتيات المؤمنات لمن لم يجد طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات؛ أي: القدرة المالية. ﴿لَمَنْ﴾: اللام: لام الاختصاص. ﴿خَشِيَ﴾: خاف من الوقوع في العنت؛ أي: المشقة، والجهد؛ أي: الزنى. ﴿أَلْعَنَتْ﴾: وهو المشقة، والأمراض النفسية، وما يترتب عليها من عواقب.

﴿مِنْكُمْ﴾: خاصّة من المسلمين. إذن كانت شروط الفقهاء لصحة نكاح الأمة هي: أن تكون مسلمة، وأن يخاف الوقوع في الإثم والزنى، وعدم الاستطاعة (أي: القدرة المالية).

﴿وَأَنْ﴾: أن: مصدرية تفيد التوكيد. ﴿تَصِيرُوا خَيْرَ لَكُمْ﴾: عن نكاح الإماء خير لكم. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾: يغفر الذنوب إذا تبتم مما قد يبدر منكم من الآثام والذنوب. ﴿رَحِيمٌ﴾: لا يعجل لكم العقوبة، دائم الرحمة على صيغة مبالغة على وزن فعيل. رحيم بعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة. ارجع إلى سورة الفاتحة، الآية (٢)؛ لمزيد من البيان.

[٢٦] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ﴾: اللام: للتوكيد.



﴿لُبِّينَ لَكُمْ﴾: بإنزال هذه الآيات والتكاليف، والأحكام الشرعية، والحلال والحرام، والحسن والقبيح، والحق والباطل، وما يجب فعله، وما لا يجب فعله.

﴿وَيَهْدِيكُمْ﴾: أي: يبين لكم طريق الرشده؛ لتسلوكه، وتصلوا إلى الغاية، ولم يقل: وليهديكم، كما قال: ﴿لُبِّينَ لَكُمْ﴾: إضافة اللام في ﴿لُبِّينَ لَكُمْ﴾: لتدل على التوكيد؛ يعني: أن البيان أهم من الهداية، فلو كانا بنفس الأهمية لأضاف اللام لكليهما؛ لأن البيان هو إظهار المعنى للنفس بحيث لم يعد هناك شك، أو حُجَّة لها، ثم بعد البيان تصبح الهداية أسهل، وأهون على النفس، يهديها إلى صراطها فتسير عليه إلى الغاية.

﴿سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: سنن جمع سُنَّة؛ أي: طريقة، فهناك السُنن الكونية، وسُنن الله في خلقه، وسُنن الأنبياء والصالحين الذين جاؤوا من قبلكم؛ لتقتدوا بها، وتسلكوها. وإنما وضعت هذه السُنن؛ لتحقيق مصالح الإنسان، كما أرادها الله له. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (١٣٧)؛ لمزيد من البيان في معنى السُنن.

﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: أي: يتقبل توبتكم بفضلله إذا تبتم إليه من ذنوبكم، ورجعتم إليه، ولكي يسود الحق والثبات في الكون.

وأركان التوبة:

١ - الإقلاع عن الذنب، والمعصية، وعدم العودة إليها.

٢ - الندم على فعلها.

٣ - إرجاع الحقوق إلى أهلها.

٤ - الإكثار من النوافل والأعمال الصالحة.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: أحاط علمه بكل شيء بجمع خلقه، وكونه، والأشياء
ظاهرها وباطنها، العليم بما شرع لكم، وما هي مصلحتكم، وما ينفعكم، وما
يضركم، علم بما كان، وما هو كائن، وما سيكون، لا تخفى عليه خافية، العليم
بالغيب، ومفاته.

﴿حَكِيمٌ﴾: فيما شرعه لكم، وقدره، وأفعاله، وأقواله، وكونه، فهو أحكم
الحاكمين.

﴿حَكِيمٌ﴾: مشتقة من الحكمة، وحكيم: بمعنى الحاكم.

وانتبه إلى هذا الترتيب: البيان ليبين لكم، ثم الهداية ويهديكم بالتوبة
(ويتوب عليكم)، فالتوبة تكون لما حدث من التقصير في الاتِّباع، أو خلل في
الهداية، وقدم العليم على الحكيم؛ لأن السياق في العلم (ليبان الهداية والتوبة)
كلها تحتاج إلى علم بينه العليم الحكيم.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

الْبُرْجُ الْمُنْتَكَلُ

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ
عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ
تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا
وِظْلَمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ
عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾
وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ
وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتَوْهُمْ
نَصِيبُهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

سورة النساء [الآيات ٢٧ - ٣٣]

[٢٧] ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾:

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: لكي نفهم هذه الآية يجب أن نعلم مراحل التوبة:

- التوبة شرعت أولاً من الله (مرحلة التشريع): فقد علّمنا الله سبحانه على يدي آدم كيف نتوب من المعصية، كما قال تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧].

- ثم تأتي مرحلة إقامة التوبة، أو الأداء؛ أي: كيف تتوب إلى الله كعبادة (نطبق أركان التوبة). الإقلاع عن الذنب، والكف عن المعصية، والرجوع إلى الله، والندم، والإكثار من العمل الصالح، والنوافل.

- ثم تأتي مرحلة القبول: وهي إما أن يتقبل الله سبحانه بفضلله ورحمته توبة عبده، أو لا يقبل توبته.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: قدّم لفظ الجلالة على الفعل يريد للاهتمام والتوكيد والمبالغة في قبول الله تعالى توبة عبده، ويفيد الحصر، فإن التوبة مختصة بالله حصراً، فلا يتوب العبد إلا لله جل جلاله، ولا أحد يقبل التوبة إلا الله عز وجل.

﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾: وهم الفسقة، والمنهمكون في الآثام،



والفواحش، والمعاصي، والكفار، والمشركون، وغيرهم أن تتبعوا أهواءكم، ونزعاتكم، وتنحرفوا عن شرع الله، وتميلوا عن الحق إلى الباطل.
﴿أَنْ﴾: للتوكيد.

﴿تَمِيلُوا﴾: تنحرفوا وتضلوا.

﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾: عن طاعة الله إلى المعصية، وطاعة الشيطان، فتكثروا من الذنوب والمعاصي، ولا يكفيهم أن تميلوا ميلاً خفيفاً، فهذا لا يُعجبهم، ولا يكفيهم، بل الميل العظيم فقط هو الذي يريدونه ويطمعون فيه.
[٢٨] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾: يريد الله أن: حرف مصدري يفيد التوكيد.
﴿أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾: أي: يُيسر عليكم، ويسهل عليكم التكليف، والأحكام، ولا يجعل عليكم من حرج.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾: بالتوبة، والتكاليف الشرعية.

﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾: ضعيفاً: من الضَّعْف: بفتح الضاد: وهو الضعف المعنوي الذي يكون عادة في الرأي والعقل، بينما الضَّعْف: بضم الضاد: هو الضعف المادي الذي يكون في الجسم بسبب المرض أو الجوع أو الهزال، ونقص الغذاء؛ فالله سبحانه لم يخلقه ضعيفاً من الأصل، كما يظن البعض، وإنما الإنسان نفسه حين أعطاه الله حرية الاختيار اختار الضعف، اختار شهواته العاجلة بدلاً من الفوز برضا الله وطاقته؛ فهو ضعيف لا يصبر، ولا يقاوم شهواته الجنسية، وحب المال، والنسل، والربا، وشرب الخمر، وكسب الحرام، ومن رحمة الله بهذا الإنسان أن شرع له التوبة، والتوبة نوع من التخفيف.

والتوبة: نوعان: توبة إنابة؛ توبة من المعصية، أو الذنب، وتوبة استجابة: توبة من دون معصية؛ للتقرب من الله، توبة حب، توبة خوف، فالله سبحانه يريد ليعين لكم، ويهديكم، ويتوب عليكم، ويغفر لكم، ويخفف عنكم، ويسر عليكم رحمةً بكم.

[٢٩] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونُ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾:

نداء إلى الذين آمنوا جديداً، والهاء: للتنبيه.

﴿لَا﴾: الناهية.

﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾: تأخذوا، وعبر بالأكـل عن الأخذ؛ لكثرة حدوث الأخذ، كما تكون الحاجة إلى الأكل المتكرر في كل يوم. والأخذ قد يأخذه ثم يعيده إلى صاحبه، أما الأكل فقد تم هضمه وقرر عدم إرجاعه إلى أهله.

وقال: ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾: ولم يقل: أموالهم كيف يأكل الإنسان ماله؟

إشارة إلى أن مال الفرد فيه حق الزكاة، وفيه حقوق أخرى للآخرين؛ كالصدقات، والضرائب، ولأن الكل عرضة للأكل، فمرة يكون الإنسان أكلاً لمال غيره، ومرة أخرى يكون غيره أكلاً لماله؛ أي: أنا أكل مال غيري، وغيري يأكل مالي.

﴿بِالْبَاطِلِ﴾: الباء: للإلصاق. الباطل: الحرام؛ أي: تأخذ، أو تأكل مال الغير بغير حق، مثل: الربا، والغش، والسرقه، والرشوة، والميسر، واحتكار السلع وغيرها.

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونُ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾: إلا: أداة استثناء.



﴿أَنْ تَكُونَ﴾: أن: للتوكيد.

﴿تَجَرَّةً عَنْ رَاضٍ مِّنْكُمْ﴾: التجارة: هي البيع والشراء بقصد الاسترباح؛ أي: إعطاء شيء في مقابل شيء، والبيع: هو إخراج السلعة من ملك البائع، والشراء: هو إدخال السلعة في ملك المشتري مقابل ثمن متفق عليه.

﴿رَاضٍ مِّنْكُمْ﴾: إذن التراضي هو: شرط، ولم يوجب الشرع لفظاً معيناً، والتراضي قد يقوم على الفعل، لا القول، مثل: بيع المعاطاة؛ أي: يعطي البائع السلعة للمشتري، والمشتري يعطي البائع الثمن من غير صيغة، وذكر التجارة خاصة للترغيب فيها.

وذكر الباطل: ليدل على أن كثيراً من التجارات مشتملة على التعامل بالباطل، ولذلك جاء التحذير من ذلك.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية. لا: الناهية.

﴿تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: بعد التوصية، والنهي عن أكل المال بالباطل؛ جاءت التوصية الثانية بالحفاظ على النفس، فقد تؤدّي بعض المعاملات المادية إلى الغضب، والقتل، والسرقة، والانتحار؛ بسبب الطمع، والجشع، وغيرها.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: أي: لا يقتل بعضكم بعضاً؛ لأن قتل النفس من دون حق، أو عدل: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾، ويدخل في الانتحار والتدخين، واستعمال المخدرات. وقيل: من يقتل أخاه كأنه قتل نفسه وذلك لأن المؤمنين كالجسد الواحد، وكذلك حكم على نفسه بالقتل قصاصاً.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وكما قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]: بارتكاب المعاصي، والإدمان، والميسر، والجرائم الأخلاقية، والمخدرات، والتدخين وغيرها.
﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: لأن المؤمنين إخوة، وأنهم نفس واحد، مبالغة في النهي والزجر.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿اللَّهُ كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿بِكُمْ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿رَحِيمًا﴾: بأن منعكم، ونهاكم، وحذركم من فعل تلك الأفعال السيئة، ونهاكم عن قتل النفس، وأكل أموال الناس بالباطل.

[٣٠] ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو: عاطفة. الخطاب للرسول، والمقصود به المؤمنين.

﴿وَمَنْ﴾: شرطية (ابتدائية)، من: للمفرد، والمثنى، أو الجمع، ومن: للعاقل.

﴿يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد.

﴿يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾: تعود إلى قتل النفس، وأكل أموال الناس بالباطل.

﴿عُدْوَانًا﴾: بالتعدي على الغير عمداً، وظلماً بالقتل، أو أكل الأموال (والتعدي قد يكون من دون عمد ونسياناً).

﴿وُظْلَمًا﴾: الظلم: هو أخذ حق الغير عمداً، أو نقصان حقهم في الأجر،



أو الحقوق؛ فالظلم، والاعتداء على المال يورث العداوة، والعداوة قد تؤدّي إلى القتل.

ومن يفعل ذلك متعدياً، وظالماً؛ فسوف نصليه ناراً.

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: للتوكيد، سوف: للاستقبال البعيد، وفيها تهديد، وإنذار قوي أقوى من السين؛ كقوله: ﴿وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]؛ فقد جاء بسوف، ونسب الإصلاء إلى نفسه فقال: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ في عقوبة قتل النفس عدواناً وظلماً، بينما جاء بالسين: ﴿وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ في عقوبة أكل أموال اليتامى، ونسب الإصلاء إلى غيره (الملائكة).

﴿نُصْلِيهِ نَارًا﴾: ندخله ونحرقه بها.

﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾: أي: الإدخال والإحراق هو هينٌ على الله سبحانه، وجاء بلفظ الجلالة سبحانه؛ لأنه كان يكفي أن يقول: وكان ذلك يسيراً. والمجيء بلفظ الجلالة؛ للدلالة على شدة الإنذار، والوعيد والعقوبة، وقدم كلمة الله للحصر، والقصر.

[٣١] ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا﴾:

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال والندرة.

﴿تَجْتَنِبُوا﴾: الاجتناب: هو الميل عن الشيء المحرم جانباً، ومعناه: تركه والابتعاد عنه.

والاجتناب: أشد، وأبلغ من النهي والتحريم، وتعني: إياكم أن تكونوا مع المنهي عنه في مكان واحد، مثل: اجتناب الخمر، لا يعني فقط شربها، بل إياك أن تكون في مكان تُشرب فيه الخمر.

﴿كَبَّارٌ﴾: جمع كبيرة، وقيل: الكبيرة كل معصية فيها حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، وزاد بعضهم إلى ذلك، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية: حد، أو وعيد، أو لعن، أو تبرؤ، أو ليس منا، أو نفى إيمان، غضب، أو تهديد، واختلفوا في عدد الكبار، فمنهم من قال: سبع، ومنهم من قال: أكثر من سبع، ومنهم من قال: إنها السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات.

﴿مَا﴾: ما: اسم موصول بمعنى: الذي.

﴿نُهَوْنَ عَنْهُ﴾: أي: ما نهى عنه الله سبحانه ورسوله في الكتاب والسنة.

﴿نَكْفَر عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾: نكفر: نستر، والكفر: وهو الستر؛ أي: نمحوها؛ أي: لا نعاقبكم عليها.

والسيئات، قيل: الصغائر، جمع سيئة؛ أي: تسوء إلى صاحبها.

وندخلكم مدخلاً كريماً: المدخل الكريم: هو الجنة، أو الصدق.

﴿كَرِيماً﴾: طيباً شريفاً مباركاً.

[٣٢] ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾:

سبب نزول هذه الآية: ثلاثة أقوال: أحدها: أن أم سلمة قالت: يا رسول الله: «يغزو الرجال، ولا نغزو، وإنما لنا نصف الميراث» [رواه الحاكم والترمذي]، فنزلت هذه الآية.



الثاني: عن عكرمة: أن النساء قلن: وددنا أن الله جعل لنا الغزو، فنصيب من الأجر ما يصيب الرجال، فنزلت هذه الآية.

والثالث: قال قتادة والسدي: لما نزلت آية ﴿لِلَّذَرِمِثْلِ حَظٌّ الْأُنثَيَيْنِ﴾: قال الرجال: إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا، كما فضلنا عليهن في الميراث.

وقال النساء: إنا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال، كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا.

وقيل التمني: هو طلب الحصول على شيء أقرب ما يكون من المستحيل أو النادر ونهى الله عن مثل هذا التمني؛ كأن يتمنى الرجل مال غيره، أو تتمنى النساء أن يكن رجالاً.

والتمني أنواع: أولاً: أن يتمنى الإنسان أن يحصل له مال غيره، ويزول عن الغير؛ فهذا هو الحسد.

ثانياً: أن يتمنى مثل ما لغيره، ولا يحب زوال المال عن الغير؛ فهذا هو الغبطة.

والحقيقة: أن الله يعلم ما يصلح العبد، وهو أعلم بمصالح عباده، فليرض كل بما قدر الله له وقسم؛ فهو صادر عن حكمة وتدبر.

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية، لا: الناهية.

﴿مَا﴾: ما: اسم موصول تعني الذي؛ أي: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾: الذي فضل الله به بعضكم على بعض.

﴿فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: سواء أكان في الرزق، أو المال، أو

العافية، أو الجاه، أو الدين؛ لأن ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة، وتدبر، وعلم بأحوال العباد، وبما يصلح العبد.

كمثال قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧].

وكفوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢].

وفي ذلك نهى عن الحسد إلا في اثنتين، كما ورد في حديث البخاري: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار».

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾:

﴿لِّلرِّجَالِ﴾: اللام: لام الاختصاص، أو الاستحقاق.

﴿نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾: حظ، النصيب: يكون في الشيء المحبوب، أو المكروه. نصيب من النعيم، أو العذاب، ويمكن أن يكون عادلاً، أو جائراً، بينما الحظ يكون إجمالاً في سياق الخير.

﴿مِّمَّا﴾: أصلها: من + ما، من: ابتدائية.

﴿مِّمَّا﴾: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿اكْتَسَبُوا﴾: تعني: الثواب والعقاب بحسب الطاعة والمعصية. وقيل: الميراث. واكتسبوا من الاكتساب على وزن افتعل، أي: اكتساب خالطه جهد ومشقة.

﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾: نفس تفسير للرجال نصيب.

﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾: التمني: نهى الله سبحانه عنه، وأباح الله



سبحانه السؤال أو الطلب من فضله؛ الفضل: الزيادة عما يستحق العبد من كرمه وإحسانه، سواء في الرزق، أو العلم، أو الفقه في أمور الدين والجنة، والدرجات العلى.

واسألوا الله وحده، ولا تسألوا غيره، اسألوه ما تتمونه من النعم والأمانى.
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾: إن للتوكيد كان تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾: ارجع إلى الآية (٢٦).

[٣٣] ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾:

﴿وَلِكُلِّ﴾: ولكل إنسان متوفى ورثه (موالٍ)، وموالٍ: جمع مولى، وهم الورثة، أو يقصد بها التركة (الميراث)، ويكون التقدير: لكل تركة (ميراث) مما ترك الوالدان والأقربون، ومما ترك الوالدان والأقربون: هنا نحن أمام احتماليين: الاحتمال الأول: الوالدان والأقربون: هم الورثة؛ الوالدان والأقارب هم الذين يرثون الإنسان المتوفى؛ أي: الوارثون.

الاحتمال الثاني: الوالدان، والأقربون هم المورثون، هم الذين ماتوا.

﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾:

﴿عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾: أي: التوارث بالحلف، والمؤاخاة؛ حيث كان الرجل يحالف الرجل، فأيهما مات ورثه الآخر، أو كان المهاجر يرث الأنصاري

دون قرابة بينهما بعد أن آخى بينهم رسول الله ﷺ، أو الرجل يورث تابعه الرجل، أو أبناء الذين يتبنونهم (التبني) .

﴿فَأُولَٰئِكَ نَصِيبُهُمْ﴾: من الوصية إذا كانوا من الذين لا حق لهم في الميراث.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: مطلقاً، رقيباً، لا يخفى عليه شيء، حفيظاً، فهو المطلع، والمحيط علمه بكل شيء من سرٍّ، ونجوى، وجهر، وما تخفي الصدور، وما تقوله الألسن، ويعلم كل عمل من قول، أو فعل، ويعلم ما يجري في كونه، وما يقوم به خلقه.

﴿شَهِيدٌ﴾: صيغة مبالغة من شاهد على أعمالكم، ونواياكم في الميراث.

والشاهد يعلم كل الخفايا الباطنة، ويعلم ظواهر الأمور المختصة بما يشهد. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٣)؛ لمزيد من البيان في معنى الشهيد.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

الجزء الثاني

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ
 عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقَ اللَّهُ
 قَلْبَهُنَّ لِحِفْظَاتِ اللَّغِيبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّتِي تَخَافُونَ
 نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ
 وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ
 بَيْنِهِمَا فَاْبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ
 يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا
 ﴿٣٥﴾ * وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْعًا وَالْوَالِدَيْنِ
 إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ
 ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ
 وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ
 كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ
 النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ
 مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾



سورة النساء [الآيات ٣٤ - ٣٧]

[٣٤] ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَإِذَا ضَلَّحْتُ فَتِنْتُ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ۝

﴿الرِّجَالُ﴾: ولم يقل: الأزواج؛ لأن الرجال تعني: الأزواج، وتعني الأب، والأخ؛ فالزوج قوام على زوجته، والأب قوام على بناته، والأخ قوام على أخواته، والنساء: تعني الزوجات، والبنات، والأمهات، والأخوات.

﴿قَوَّامُونَ﴾: مشتقة من القيام، وتعني: الرعاية، والحماية، والإصلاح.

والقوامة تحتاج إلى تعب، وجهد، وسعي، وهذه هي مهمة الرجل.

وقوام صيغة مبالغة للقيام؛ تعني: الكثرة، والتعب، فالقائم قد يؤدي مهمة لمرة واحدة، أو عدة مرات، أما القوام؛ فتعني: الاستمرار، والديمومة على القيام، وليس القوامة كما يظنها البعض السيطرة، وكنم الأنفاس، والأفضلية، وهذه القوامة لها سببان، كما قال سبحانه وتعالى:

الأولى: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۝

انتبه إلى قوله سبحانه: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۝

وهذا يعني: أن الرجل له أوجه تفضل تفوق المرأة في الكدح، والجهد، والتعب، وتحمل المشقة والطاقة، فهو المكلف بالسعي، وكسب الرزق، والمرأة لها أوجه تفضل تفوق الرجل في الرعاية، والحنان، والأمومة، والتربية.



هذا التفضيل عائد إلى المقومات الخلقية والجسدية، التي يختلف فيها بناء الرجل عن بناء المرأة.

والثاني: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾: مثل: إعطاء المهر، والنفقة عليهن، وعلى المسكن، والعيال. كل ذلك من واجبات الرجل للزوجة، والأب للبنت والأخت.

ثم بين الله تعالى: فالصالحات قانتات، حفظ الله، فالصالحات: جمع صالحة، وهي المؤدبة لحقوق الله سبحانه وتعالى، وحقوق زوجها وغيره.

قانتات: من القنوت: الطاعة، طاعات لله وأزواجهن؛ أي: قائمات بواجبهن تجاه الله تعالى؛ أي: حقوق الله تعالى، وحقوق أزواجهن.

﴿حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ﴾: حافظات لفروجهن؛ أي: لغيب أزواجهن؛ أي: صيانة أنفسهن من الفاحشة، أو المنكر، وأموال أزواجهن، وغيرها.

﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾: أي: بالمنهج الذي وضعه الله للحفظ، والالتزام به، ويشمل غض البصر، وعدم الخضوع بالقول، فيطمع الذي في قلبه مرض ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، وعدم التبرج، والإسراف، والتبذير.

كما قال سبحانه: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١-٣٠].

﴿وَاللَّيْ خَافُونَ نَشْوَاهُ﴾: أي: لا زلتم في مرحلة الخوف، فلا تتركوا المسألة حتى يحدث النشوز، أو النشوز أمر متوقع.

﴿وَاللَّي خَافُونَ﴾: أي: لا زلتم في مرحلة الخوف، فلا تتركوا المسألة حتى يحدث النشوز، أو النشوز أمر متوقع.

﴿نَشْوَاهُ﴾: يعني: التكبر على الزوج، والترفع عنه، وعدم طاعته، وعصيانته، والخروج متبرجة عارية مثلاً.



وأصل النشوز في اللغة: الارتفاع. النشز: المكان المرتفع.

واصطلاحاً: هو الخروج عن طاعة الزوج، وقد يحدث كذلك من الرجل هو الذي ينشز.

﴿فَعِظُوهُنَّ﴾: من الوعظ: وهو التذكير بالخير، والنصيحة، والإرشاد برفق، وحكمة باللسان، والتحذير من عواقب الأمور، والموعظة تكون بالقول والفعل.

﴿وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾: والهجر في المضجع؛ يعني: ترك الجماع، أو ترك الكلام، أو فقط هجر الفراش، أو استعمال كل ذلك معاً، والهجر يكون عند ظهور النشوز، ولا يعني ذلك ترك منزل الزوج، والذهاب إلى بيت أهلها.

﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾: هذه هي المرحلة الثالثة، ويعني الضرب غير المبرح الذي لا يؤدي إلى الإيذاء، والنفور، وزيادة العداوة، وتدخل الشرطة والأهل.

وبعض أهل العلم قالوا: الوعظ عند خوف النشوز، والهجر عند ظهور النشوز، والضرب عند تكرار النشوز والحاجة إليه.

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾: وتركن النشوز؛ فإن: الفاء عاطفة. إن: الشرطية، وفيها معنى الاحتمال والشك، أو القلة بعكس لو قال: فإذا أطعتمكم التي تعني: الكثرة والحتمية؛ لأنه سبحانه يعلم أحوال عباده.

﴿فَلَا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط.

﴿تَبَغُّوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾: تبغوا: من البغي؛ عليهن: على تعني: العلو والمشقة؛ أي: بعد انتهاء النشوز، فلا تؤذيها وتعالى عليها بأي طريقة، أو سبيل، والبغي: هو الظلم باستعمال القهر، والقوة، والتعسف.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾: إن: للتوكيد، كان: تشمل كل الأزمنة.

العلي: هو الأعلى، لا يعلوه أحد بصفاته، وذاته عن مشابهة خلقه، ولا



يحيط به وصف، علو الشأن، والقدر، والذات، والصفات، والمنزلة. اسم العلي ذكر في القرآن ثمانين مرات: العلي العظيم، العلي الكبير، علي حكيم...

﴿كَبِيرًا﴾: العظيم الشأن، الجليل ذو الكبرياء في ذاته، وصفاته، وأفعاله. الكبير في عظمته، وكل شيء يصغر أمام عظمته، وأكبر وأعظم من خلقه، ومن كل شيء، الكبير الذي كل شيء دونه، وذكر اسمه الكبير خمس مرات في القرآن.

في هذه الآية تهديد من الله عز وجل للرجل بعدم التعالي على الزوجة، والتكبر، والرافة، والرحمة بها، وليعلم أن الله أعلى منه، وأكبر منه إذا بغى واعتدى.

[٣٥] ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو: استئنافية. إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو ندرة الحدوث. ﴿خِفْتُمْ﴾: خفتم: من الخوف: وهو توقع الضرر المحتمل وقوعه؛ أي: إن علمتم أن الشقاق على وشك الحدوث، أو حدث الشقاق فعلاً، والشقاق؛ أي: الخلاف، وكأن كلا منهما في شق وجانب بعد أن التحما بالزواج، وصارا شيئاً واحداً.

﴿فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾: تختار كل أسرة حكماً من أهل الزوج، وحكماً من أهل الزوجة، ويفوض إليهما الأمر؛ أمر الشقاق؛ للنظر فيه، والحكم، والمصالحة تنتقل إلى هذين الحكمين اللذين ليس في صدرهما أي حكم مسبق؛ فإذا صدر منهما حكم يجب أن ينفذ ويطبّق من كلا الزوجين، سواء بالإصلاح، أو الطلاق.

﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾: إن يريد الحكمان إصلاحاً بين الزوجين، يوفق الله بينهما؛ أي: بين الزوجين.

انتبه إلى كون الله سبحانه احتفظ لنفسه بالتوفيق، فهو له الحكم والأمر، والفعل، وليس للحكمين.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿اللَّهُ كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة؛ أي: كان، ولا يزال، وسيظل عليمًا خبيرًا.

﴿عَلِيمًا﴾: صيغة مبالغة من عالم: المحيط علمه بكل شيء، العليم بأحوال الزوجين، وما يحدث بينهما، وعلیم بأحوال الحكام، وأفراد الأسرتين، وهو عليم بذوات الصدور، وما تخفي الأعين.

﴿خَبِيرًا﴾: وهو عليم بيوطن الأمور، ولا تخفى عليه خافية.

[٣٦] ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾:

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾: والعبادة تشمل العبادات: العبادات الحسية كالصلاة والزكاة والصيام والحج، والعبادات القلبية: مثل الشكر، والذكر، والتفكير في خلق السموات والأرض وغيرها؛ التي هي أركان الإسلام من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج.

وتشمل العبادة كل عمل يؤدي إلى الإصلاح، وكذلك التفكير في خلق السموات والأرض، والمعاملات، والتوحيد.

والعبادة: هي طاعة العابد للمعبود، والخضوع له، والاستسلام له، والإخلاص له في كل حال وزمان، وفيما شرع.

﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾: من ولد، أو شريك، أو ولي، أو صنم، أو ند، أو

مثيل.



والشرك الخفي: هو الرياء، ويشمل: توحيد الإلهية، والربوبية، والصفات، والأسماء.

﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾: أي: لا تشركوا بالله شيئاً، ولو كان مقدار ذرة من الشرك ﴿شَيْئًا﴾، الشيء: هو أقل القليل، و(شيئاً) نكرة تشمل كل شرك مهما كان نوعه وشكله.

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾: أي: البر بهما من خدمة، والإنفاق عليهما، وطاعتهما، وتنفيذ أوامرهما بلين ورحمة، وخفض جناح، وأصل الجملة (وأحسنوا إحساناً بالوالدين)، والإحسان قد يتعدى بـ(إلى)؛ أي: أحسن إلى الوالدين أو بالباء وفي هذه الآية وغيرها من الآيات تعدى بالباء التي تفيد الإلصاق؛ أي: الدوام على الإحسان، والإحسان يجب أن يكون مباشراً لذاتهما خاصاً بهما وليس كالإحسان العام إلى الآخرين كما ورد في سورة القصص آية (٧٧) ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، ولكن كالإحسان الذي ورد على لسان يوسف ﷺ حين قال: ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقرن الإحسان بالوالدين بعبادته سبحانه، وجعله كأنه ميثاقاً. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٢) لمزيد من البيان في معنى الإحسان، ويوسع الله سبحانه دائرة الإحسان؛ لتشمل ثمانية أصناف أخرى هي: ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾: أي: الإحسان إلى ذي القربى إضافة الباء: للتوكيد، والاهتمام بالقربى.

وقيل: إضافة الباء، وقوله بذى القربى، ولم يقل: وذى القربى كما في الآية (٨٣) في سورة البقرة وبالوالدين إحساناً وذى القربى وبذى القربى تعني: الإحسان إلى أقرب الأقرباء؛ أي: ذريته؛ كالولد، والبنات، والأخ، والأخت، والعم، والعمة، والخال، والخالة...

﴿وَأَيَّتَمَّى﴾: أي: الإحسان إلى اليتامى جمع يتيم: وهو من فقد أباه ولم يبلغ الحلم، وذلك بالكفالة، والملاطفة، والتواضع معهم.

﴿وَالْمَسْكِينِ﴾: والإحسان إلى المساكين جمع مسكين: وهو المحتاج الذي له مال لا يكفيه؛ بالعطاء، والقول المعروف، والإحسان إليه، والمسكين أحسن حالاً من الفقير.

﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾: وكذلك الإحسان للجار القريب، فله حق الجوار، وحق الإسلام، وحق الرحم.

﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾: الجار البعيد؛ فإذا كان مشركاً؛ فله حق الجوار، وإن كان مسلماً فله حق الجوار، وحق الإسلام.

﴿الْجُنُبِ﴾: البعيد في النسب؛ أي: الذي لا قرابة بينه وبين جاره.

﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ﴾: أي: المرافق، أو المرافقة، قالوا: هي الزوجة، أو رفيق السفر، أو التجارة، ويدخل في ذلك الخادم، وقد تعني: الصديق، أو كل أولئك.

﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾: أي: ابن الطريق؛ أي: الغريب الذي انقطعت به الأسباب، ونسب إلى كونه ابن الطريق؛ لأنه ليس له أب، ولا أم، ولا قبيلة حين تنقطع به السبل في بلاد غريبة، وقيل: هو الضيف. وقيل: من لا مأوى له ويفترش الطرقات.

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: مثل: الأسرى، والعبيد، والإماء، أو العمال، وفك أسرهم، أو السجناء المظلومين.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.



﴿لَا﴾: النافية. ﴿يُحِبُّ﴾: من كان ﴿مُخْتَالًا﴾: الخال: هو الكبر، مختال: متكبر.

﴿فَخُورًا﴾: هو الذي يتفاخر على الناس، ويعدد محاسنه ومناقبه تعالىاً، وسمعة على الناس؛ أي: المعجب بنفسه، أو ينكر ما كان عليه حاله قبل غناه مختال على أهله، وقومه، وعشيرته، وأهله.

﴿مَنْ كَانَ﴾: تعني: قليلون من يتصفون بذلك.

[٣٧] ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَاءً آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾:

بعد أن ذكر الإحسان إلى الأقارب، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، والتصدق عليهم؛ يذم الله سبحانه في هذه الآية الذين يبخلون، أو يأمرون الناس بالبخل، فالبخل: هو الذي يضيق صدره بالإعطاء، ويجد فيه مشقة، وهو يبخل على نفسه أولاً قبل أن يبخل على الناس، والشح هو البخل مع الحرص.

وجاء بالفعل المضارع؛ ليدل على استمرار البخل فيهم، ولم يقل: الذين بخلوا.

﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾: كأن يقولوا للآخرين: لا تنفقوا، نخشى عليكم الفقر، أو الدوائر، أو لا تنفقوا على من عند رسول الله؛ حتى ينفضوا عنه، أو يصدون الناس عن التبرعات بالصدقات بإثارة الشبهات والتحذير وغيرها من وسائل تثبيط عزائم الناس عن الإنفاق في سبيل الله وطرق الخير.

﴿وَيَكْتُمُونَ مَاءً آتَاهُمُ اللَّهُ﴾: الكتمان: هو ستر النعمة، وجحود النعمة، فلا يتصدق، ولا تظهر عليه آثار نعم الله عليه في المأكل، والملبس، أو العطاء.

ما هو الفرق بين البخل، والشح؟

الشح: البخل مع الحرص، وهو أسوأ من البخل.

والبخل منع الحق: أي: لا يؤدّي حقوق الله الواجبة.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾:

بما أن البخل هو ستر النعمة، أو الجحود بها، فالبخل قد يجعل صاحبه كافراً؛ أي: ساتراً لنعم الله عليه، وبدل من أن يقول: وأعتدنا للذين يبخلون عذاباً مهيناً، قال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾: أي: الذين يسترون نعم الله، أو يجحدونها هم من الكافرين.

﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: أي: هيأنا، وأعدنا. وأعتدنا: حالة خاصة من أعددنا؛ أي: أعددنا عامة تشمل الكثير من طرق وسائل الإعداد، وأعتدنا تعني: طريقة أو وسيلة واحدة هي العذاب المهين.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾: العذاب المخزي الذي يتم بمראئ من الناس، ويحمل في طياته الذل والإهانة، بالإضافة إلى الألم، والديمومة، والخلد.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

النِّسَاءِ

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَانْفَقُوا
مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَذُودُ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَعَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ
وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي
سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَايِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ
الْكُتُبِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾



سورة النساء [الآيات ٣٨ - ٤٤]

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾:

بعد ذكر الذين ييخلون في الآية السابقة، يذكر بعدهم الذين ينفقون أموالهم رياء الناس؛ للمدح والسمعة، لا ابتغاء وجه الله، وينفقون المرات العديدة بتجدد وتكرار. وقيل: نزلت هذه الآية في المنافقين الذين لا يؤمنون بالله، ولا باليوم الآخر.

كما جاء في سورة التوبة، آية (٥٣-٥٤): ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

﴿يُنْفِقُونَ﴾: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على تجدد، وتكرار إنفاقهم؛ للمراءاة، والخيلة، وليس لوجه الله تعالى.

﴿وَمَنْ﴾: الواو: استئنافية. من: شرطية.

﴿يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾: القرين: الملازم للإنسان، ولا يقال له صاحب؛ لأن الصحبة تعني: انتفاع الصاحبين كل بالآخر، أما القرين فتطلق على صاحب السوء.

ولكل إنسان قرين: وهو عادة قرين سوء، وقرين جمعها: قرناء.



﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾: ساء: من أفعال الذم؛ أي: بئس القرين، ساء قرينًا؛ حيث حملهم على الرياء، أو البخل.

[٣٩] ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾:

﴿وَمَاذَا﴾: الواو: استئنافية، ما: اسم: استفهام إنكاري، وفيه توبيخ، وتعجب، وضم، وذا اسم موصول، أو ماذا كلمة واحدة استفهام.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: على المنافقين، أو الكافرين، والمرئين.

﴿لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: لو: مصدرية، ومعناها: وأي ضرر، أو أذى يلحقهم لو آمنوا بالله؛ أي: صدقوا بالله، ورسوله حقيقة، وأخلصوا إيمانهم، وأنفقوا مما (من + ما) من بعض ما رزقهم الله، أو من (اسم موصول)؛ أي: من الذي رزقهم الله تعالى، فالله يصفهم بالجهل، والغفلة بما ينفعهم.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾: بنياتهم، سواء كانت صالحة، أو فاسدة.

﴿عَلِيمًا﴾: بما يقولون، ويفعلون، وهذا تهديد لهم، إذا استمروا على ما هم عليه. ارجع إلى الآية (٣٥) من نفس السورة؛ كمزيد من البيان.

[٤٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾:

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لَا﴾: النافية، نافية للجنس، وتنفي كل الأزمنة؛ أي: ما كان ظالمًا في الماضي، والحاضر، أو المستقبل.

﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: الذرة: هي أصغر جزء من العنصر الكيميائي، وهي مركبة من الإلكترون، والبروتون، والنيوترون، والنيوترونات: تتكون بدورها من الكواركات التي تعد أصغر جزء من الذرة، فهناك ما هو أصغر من الذرة: (وهي الإلكترونات، والبروتونات، والنيوترونات).

وهناك ما هو أصغر من الذرة: وهي الكواركات (جمع الكوارك).

فالله سبحانه لا يظلم مثقال ذرة (وهي أصغر جزء متعارف عليه).

والله سبحانه ذكر الذرة، وذكر ما هو أصغر من الذرة في سورة سبأ، آية (٢٢) قال تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢]. وقال: ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

وقد وردت كلمة ذرة في ست آيات في القرآن.

﴿وَإِنْ﴾: شرطية. ﴿تَكُ﴾: أصلها تكون (أي: وإن تكون الحسنة بمقدار ذرة، وحذفت الواو من تكون)؛ لالتقاء الساكنين، فأصبحت (تكن)، ثم حذفت النون؛ للتخفيف، فأصبحت تك. وتك: إذن كلمة أصغر من تكن. وجاء بكلمة تك؛ لتناسب حجم الذرة التي هي أصغر جزء من المادة. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٠١)؛ لبيان معنى الحسنة.

﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا﴾: لم يُبين الكم المضاعف، ولكن بين ذلك في آيات أخرى، فقال في سورة الأنعام، آية (١٦٠): ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ



أَمْثَالَهَا ﴿: أو أكثر من ذلك قد تصل إلى (٧٠٠) ضعف، أو أكثر؛ كقوله: ﴿كَمْثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وانتبه إلى قوله: ﴿يُضَعِفُهَا﴾؛ أي: أضعافاً كثيرة، ولم يقل: يضعفها بالتشديد؛ لكانت تعني: ضعفين.

﴿وَيُؤْتِي مِنَ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: أي: ثواباً عظيماً من فضله، وإحسانه.

﴿مِن لَّدُنْهُ﴾: من عنده، وتقديم من لدنه يدل على الحصر، ومن لدنه، ولم يقل: من عنده. من عنده: تدل على شيء عام، ومن لدنه تدل على إيتاء شيء خاص لنبي، أو عبد صالح، أو مُقرب إلى الله. والأجر يعطى مقابل، أو جزاء العمل.

وهناك ما هو أعظم من الأجر العظيم هو الفضل العظيم.

[٤١] ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾:

﴿فَكَيْفَ﴾: الفاء: استئنافية، كيف: اسم استفهام تحمل معنى التعجب والحال، وتقديره فكيف تكون حالهم (حال الكافرين والعصاة) في يوم الحساب. إذا: ظرف للزمن المستقبل، وتحمل معنى الحتمية، والكثرة لحدوث ذلك الأمر؛ أي: المجيء من كل أمة بشهيد.

﴿جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾: أي: برسولها الذي بلغ ما أرسل به؛ ليشهد على أمة أنه بلغهم الرسالة.

﴿مِنْ﴾: تعني الشمولية، أو الاستغراق؛ كل الأمم.

﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾: وجئنا بك يا محمد على هؤلاء على أمة

محمد ﷺ شهيداً، على أقوالهم، وأفعالهم، شهادة حضور، ولم يقل: شاهداً، وإنما شهيد؛ صيغة مبالغة، وأبلغ من الشاهد.

انتبه إلى تقديم ﴿هَؤُلَاءِ﴾ على ﴿شَهِيدًا﴾، بينما في سورة النحل، آية (٨٩) قال سبحانه فيها: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾.

والسبب في تقديم ﴿هَؤُلَاءِ﴾ في آية النساء؛ ليدل على مدى كفر هؤلاء وإجرامهم، بينما في سورة النحل، آية (٨٩) قَدَّمَ ﴿شَهِيدًا﴾ على ﴿هَؤُلَاءِ﴾: لبيان عظمة النبي ﷺ، ومكانته، وشفاعته يوم القيامة. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٣)؛ لبيان معنى الشهيد.

[٤٢] ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَدِّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾:

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يومئذٍ: أصلها: يوم + إذ: ظرف أضيف إلى ظرف، إذ: هنا للاستقبال؛ إشارة إلى يوم القيامة يوم الحساب يوم يؤتى من كل أمة بشهيد، وجئنا بك على هؤلاء شهيداً، في ذلك اليوم يودُّ الذين كفروا، وعصوا الرسول ﷺ في الدنيا. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٦)؛ لمعرفة معنى الكفر.

﴿لَوْ﴾: حرف مصدرى؛ للتمني، أو حرف امتناع لامتناع، وجوابه محذوف؛ أي: تصويره كما تشاء.

﴿تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾: تسوى أصلها تتسوى بهم الأرض، أدغمت التاء في السين؛ لقرب مخارجهما؛ أي: ودوا لو كانوا هم والأرض سواء؛ أي: ودوا لو



جعلوا تراباً؛ فهم لا يتمنون الموت، بل أشد من ذلك تسوى بهم الأرض مما يدل على شعورهم النفسي باليأس والحزن والخزي.

وهذا ما أشارت إليه الآية (٤٠) من سورة النبأ.

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيِّنَنِي كُنْتُ رَبًّا﴾.

﴿وَلَا يَكْنُؤُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾.

الواو: عاطفة، ﴿وَلَا﴾: النافية. ﴿يَكْنُؤُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾: يكتمون من الكتمان: وهو السكوت عن ذكر شيء كأنه على وشك الخروج من الفم، فيحاول لجمه، وعدم الإخبار به، والكتمان يختص بالمعاني والأسرار، أما الإخفاء فيهتم بالأشياء المادية، فهم لا يستطيعون أن يكتموا، أو يخفوا؛ أي: حديث من الله، أو قولاً مما قالوه، أو أخفوه؛ لأن جوارحهم تشهد عليهم يوم القيامة بعد أن يختتم على أفواههم، أو يودون أن لا يطلب منهم أن يتفوهوا بأي حديث، ويبقوا صامتين على الإطلاق.

﴿حَدِيثًا﴾: نكرة؛ تعني: أي حديث، أو قول مهما كان نوعه وزمنه: تشمل كل أنواع الحديث.

[٤٣] ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْغَبًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

نداء جديد من الله سبحانه إلى الذين آمنوا بعدم الاقتراب من الصلاة، أو

المجيء إلى الصلاة، أو الإتيان إلى المساجد، وهم في حالة السكر، سكارى: جمع سكران، والسكران مَنْ شرب مسكراً فستر عقله وغطّاه، ونزلت هذه الآية في مرحلة من مراحل التدرج في تحريم الخمر. ارجع إلى سورة المائدة، آية (٩١)؛ للبيان.

﴿لَا﴾: الناهية.

﴿تَقَرَّبُوا﴾: أي: لا تأتوا الصلاة، وأنتم سكارى، عبر عن الصلاة كأنها مكان يقصد إليه، ولم يقل لا تصلوا للإشارة إلى الابتعاد عن المسجد ناهيكم عن عدم جواز صلاتكم، أو لا تدخلوا في الصلاة.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية نهاية الغاية، تعلموا ما تقولون، فلا تخطئوا في الترتيل.

﴿مَا﴾: إما اسم موصول؛ أي: حتى تعلموا الذي تقولون. أو: مصدرية؛ أي: تعلموا ما قلتم.

﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة. لا: الناهية.

﴿جُنُبًا﴾: معطوفة على جملة حتى تعلموا؛ أي: لا تصلوا، وأنتم جنب، أو لا تأتوا إلى الصلاة، وأنتم جنب، وكلمة جُنُب لا تُثنى، ولا تؤنث، ولا تجمع؛ فيقال: هو جنب، وهي جُنُب، وهم جنب، وهنَّ جنب.

والجنب: من به جنابة، وللجنابة سببان: الجماع، أو الاحتلام.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، أو حصر ﴿عَابِرِ سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾: ولا تقربوا الصلاة، أو مكان الصلاة، وهو المسجد، أو المساجد، وأنتم جنب.



إلا عابري سبيل؛ أي: مجتازين غير قاعدين في المسجد؛ أي: غير ماكثين فيه.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية (نهاية الغاية).

﴿تَغْتَسِلُوا﴾: من الجنابة.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَجَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال، أو ندرة الحدوث.

﴿مَرَجَىٰ﴾: غير قادرين على الحركة، أو الوصول إلى الماء، أو لا يستطيعون استعمال الماء بسبب الجروح.

﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: ولم تجدوا الماء لبعده.

﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾: الحدث الأصغر.

﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾: كناية عن الجماع، كما قال ابن عباس، أو قيل: ملاسة فيها شهوة مثل التقبيل، عليكم بالوضوء أو التيمم لعدم وجود الماء.

﴿فَلَمْ﴾: الفاء: للتأكيد، لم نافية تنفي المضارع. ﴿تَجِدُوا﴾: ماءً للغسل، أو الوضوء.

﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: أي: امسحوا وجوهكم وأيديكم بالصعيد (وجه الأرض أي: تراب) ارجع إلى كتب الفقه لمعرفة آراء الفقهاء في التيمم. ارجع إلى سورة المائدة، آية (٦) لمعرفة الحكمة من التيمم بالتراب، كما ورد في الإعجاز العلمي.

﴿طَيِّبًا﴾: طاهراً، فالماء والتراب يجعل المرء صالحاً لاستقبال ربه،
والطهارة تصلح بالماء والتراب.

﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾:

﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾: ولم يقل: منه، كما في المائدة، آية (٦)
وهي قوله تعالى: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ حيث أضاف منه
وحذفها في آية النساء؛ لأن آية المائدة آية عامة تشمل الوضوء والتيمم، وتشمل
ذوي الأعدار والجنب وغيرهم، أما آية النساء جاءت في سياق ذوي الأعدار
فقط، وشاربي الخمر، وجاءت في سياق مرحلة من مراحل تحريم الخمر؛ ارجع
إلى المائدة؛ لمزيد من البيان.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة، الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ أي: بأن الله
كان، ولا يزال، وسيظل عفواً غفوراً.

﴿عَفُوًّا﴾: يعفو عن الخطئين الذين شربوا الخمر قبل العلم بهذا الحكم،
وعن الذين خالفوا إذا تابوا إليه، وأنابوا إليه بعد التبليغ.

﴿غَفُورًا﴾: ويغفر ذنوبهم غفوراً (صيغة مبالغة) يغفر لهم ذنوبهم مهما
كثرت، أو عظمت. ارجع إلى سورة المائدة؛ آية (٩١)؛ لبيان كيف تدرج، تحريم
الخمر على أربع مراحل.



[٤٤] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: الهمزة همزة استفهام، وإنكار، وتعجب، ألم تر: الرؤية هنا رؤية قلبية؛ أي: ألم يتتبع علمك إليهم، أو يصل خبرهم، أو قصتهم، أو العلم بهم، أو ألم تنظر إليهم.

﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾: الذين أوتوا: من الإيتاء: وهو أعم من العطاء، والإيتاء يشمل الأشياء المادية والمعنوية، ويمكن استرداده، وليس فيه تملك بعكس العطاء الذي فيه تملك؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) للبيان المفصل والفرق بين الإيتاء والعطاء.

﴿نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾: ولم يقل: آتيناهم الكتاب، أو أهل الكتاب التي فيها معنى المدح، أما الذين أوتوا نصيباً من الكتاب تدل على الذم؛ أي: حظاً، قسماً من الكتاب، وهو التوراة، أو علم بنبوته محمد ﷺ، أو تعني التعجب والتوبيخ على قلة علمهم، أو علمهم المحدود، أو تعني قلة تأثير التوراة في أنفسهم والعمل به. وهم جماعة من اليهود أعطوا حظاً من القراءة، فعرفوا صحة الدين الإسلامي وصدق النبي ﷺ. ارجع إلى الآية، (٣٢) من نفس السورة لمزيد في معنى نصيباً من الكتاب.

﴿يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ﴾: يشترون الضلالة بالهدى: وهي البقاء على اليهودية بعد وضوح الحجة على نبوة محمد ﷺ.

- أو تعني: جحدوا بصفات محمد ﷺ، ونعوته في التوراة؛ للإبقاء على مركزهم بين قومهم ورياستهم.

- أو أعطوا رشاوى، وأموالاً كي يكذبوا بمحمد، وما جاءت به كتبهم بالإيمان به.

- كذبوا بالنبي ﷺ بعد ظهوره بإيمانهم به قبل ظهوره:

﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾: يريدون منكم أن تكفروا بما أنزل إليكم، ﴿أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾: أي: الصراط المستقيم، وهو الإسلام.

والضلال: يعني: الابتعاد، وعدم الاهتداء، كما ضلوا عنه أنفسهم، فآمنوا ببعض الكتاب، وكفروا ببعض، وحرفوا كتابهم، واشتروا به ثمناً قليلاً. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٩٨)؛ لمزيد من البيان.

﴿أَنْ تَضِلُّوا﴾: أن: حرف مصدري يفيد التوكيد.

وقوله: ﴿يَشْتَرُونَ﴾: أو يريدون أفعال جاءت بصيغة المضارع، ولم يقل: اشتروا، أو أرادوا، وانتهى الأمر، بل جاء بصيغة المضارع؛ للدلالة على التكرار، والتجدد، والاستمرار في أفعالهم هذه التي هي ناجمة عن حسدهم لكم من بعد ما تبين لهم الحق، أو تدل على بشاعة أفعالهم؛ كأنها تحدث الآن (بصيغة المضارع)، وهذا ما يسمّى حكاية الحال.





سُورَةُ النَّازِعَاتِ ٤

الْبَيْتُ الْخَامِسُ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾
مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ
سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيًّا بِأَلْسِنِهِمْ
وَطَعَنَّا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَانْظُرْنَا
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا
مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا
عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ
اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا
﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ
وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ اُنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا
مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّولًا ۖ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾

سورة النساء [الآيات ٤٥ - ٥١]

[٤٥] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾:

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾: أي: الله أعلم منكم بأعدائكم، فهو العليم الخبير عالم الغيب، وها هو يخبركم بعداوة هؤلاء لكم، ويطلعكم على أحوالهم؛ فاحذروهم، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾: ولم يقل: عدوكم؛ لأن الأعداء عدة أعداء، وليس عدواً واحداً، أو لأن أسباب عداوتهم لكم أسباب عدة، ومختلفة، فلو كان عدوكم واحداً، أو أسباب العداء واحدة لقال: عدوكم، بدلاً من أعدائكم.

﴿وَكَفَى﴾: أي: يكفيك وحسبك.

﴿بِاللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

﴿وَلِيًّا﴾: الولي هو الذي يليك من الأقارب، ويرعاك ويُعينك، ويُكِنُّ لك

المحبة، والمودة.

﴿نَصِيرًا﴾: النصير هو القادر على نصرتك بقوته وعدته.

وتكرار: ﴿وَكَفَى﴾: مرتين: للتوكيد، وللتفريق بين الولاية والنصرة؛ فقد

يكون هناك من يواليك، وليس له القدرة على نصرتك، أو بالعكس ينصرك، ولا

يواليك، ولذلك فرق بين الأمرين، أو كليهما معاً.



[٤٦] ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَأَنْظِرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

هذه الآية: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾: إما متصلة بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾: من الذين هادوا، وإما ابتدائية من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه:

﴿مِنَ﴾: وليس كل الذين هادوا، ومن: للعاقل، وقد تكون للمفرد، والجمع.
﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾: ارجع إلى الآية (٦٢) من سورة البقرة.

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِۦ﴾: الكلم: هو كلام الله تعالى للذكر فقط في التوراة. جمع: كلمة، وهو جمع كثرة مقارنة بكلمات الله كما في الآية (١٠٩) من سورة الكهف: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾، وكلمات: جمع قلة، والعلم: جمع كثرة، فالبحر ينفد، وكلمات الله لا تنفد، فما بالك بالكلم؟! لا تنفد، فما بالك بالكلم؟! لا تنفد، فما بالك بالكلم؟!

﴿يُحَرِّفُونَ﴾: التحريف: الميل بالكلام عن معناه الحقيقي إلى معنى الباطل للتضليل، أو يبدلونه بكلام آخر، أو يضعون هذا مكان هذا، أو يعدلون عن النطق به والعمل به؛ بحمل الألفاظ على غير ما وصفت له مثل حطة؛ حنطة من أجل السخرية والاستهزاء، ولا بد من مقارنة هذه الآية مع الآية (٤١) في سورة المائدة وهي قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ نجد التحريف الأول كان بعد موت موسى قام به اليهود الأوائل (يحرفون الكلم عن مواضعه)، وحدث تحريف ثانٍ في زمن الرسول ﷺ حين علموا به كرسول فقال تعالى:

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ من: تدل على القرب؛ أي: حرفوه مباشرة بعد سماعهم برسول الله ﷺ؛ (بعد): تدل على الزمن بين التحريف الأول، والتحريف الثاني.

﴿عَنْ﴾: تفيد المجاوزة.

﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾: يقولون بأفواههم وألسنتهم سمعنا، أو قولاً مسموعاً، سماع الأذان، وعصينا، وفي أنفسهم نية العصيان، أو يضمرون العصيان. ﴿وَأَسْمَعَ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾: اسمع لا سمعت، أو لا أسمعك الله.

﴿وَرَدَعْنَا﴾: وهي كلمة ظاهرها المراعاة، وباطنها الطعن في رسول الله ﷺ؛ إذ اليهود يعدونها من الرعونة، يقولونها لرسول الله سباً وشتماً، والرعونة تعني: الشر، والطيش، والحمق، وأصلها: أرقبنا وانتظرنا.

﴿لَيَأْ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾: لياً: فتلاً، وتحريفاً؛ كأن يقول: السأم عليكم بدلاً من السلام عليكم، وطعناً في الدين: ذمّاً بالإسلام، وتعني: الشتم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعَ وَأَنْظَرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿وَلَوْ﴾: حرف امتناع لامتناع.

﴿أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: قالوا: سمعنا قولك، وأطعنا أمرك. واسمع: ما نقول.

﴿وَأَنْظَرْنَا﴾: بدلاً من قولهم راعنا، أو تمهل علينا حتى نفهم ما تقول، أو انتظرنا.



﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾: لكان أكثر أدباً وأصوب، لكان خيراً لهم مما قالوه، وأقوم، وأعدل.

﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾:

﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك.

واللعن: هو الطرد، والإبعاد عن رحمة الله تعالى؛ بسبب كفرهم. الباء: باء السببية، أو البدلية.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد. لا: النافية.

﴿يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: أي: لا يؤمن منهم إلا القليل؛ أي: العدد القليل، أو أكثرهم يؤمنون بالإيمان الناقص.

[٤٧] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَرْذَٰهَا عَلَىٰ آذَانِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾:

﴿يَتَأْتِيهَا﴾: نداء استعمل فيها يا النداء؛ للبعد. والهاء: للتنبيه.

﴿أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: المقصود بهم اليهود هنا، وأوتوا الكتاب عادة هم اليهود والنصارى، وناداهم بالذين أوتوا الكتاب للترغيب أو إثارة اهتمامهم أو همهم، ولم ينادهم بأهل الكتاب؛ لأن النداء بأهل الكتاب فيه تكريم أكثر من الذين أوتوا الكتاب، فهم لا يستحقون النداء بأهل الكتاب، وفيه تهديد وذم أيضاً لقوله تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَرْذَٰهَا عَلَىٰ آذَانِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ﴾.

﴿آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾:

﴿آمِنُوا﴾: أي: صدقوا.



﴿يَمَّا﴾: الباء: للإلصاق. ما: اسم موصول؛ تعني: الذي.

﴿نَزَّلْنَا﴾: وهو القرآن، نزلنا: تعني: منجماً على دفعات على زمن (٢٣) عاماً، ولم يقل: أنزلنا؛ التي تعني: جملة واحدة؛ أي: دفعة واحدة.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾: أي: القرآن مصدقاً للتوراة الذي أنزل عليكم، أو للتوراة والإنجيل.

﴿مُصَدِّقًا﴾: أي: موافقاً ومطابقاً. ﴿قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾: الطمس قد يعني: المحو التام، أو التحويل والتشويه.

﴿فَرَزَدَهَا عَلَىٰ أَذْبَارِهَا﴾: لها معانٍ عدة؛ منها: نزيل العين والأنف، وحباب العين، وهذا مسخ للوجه، أو نذهب الحدقة العينية، أو نغلق الأفواه، أو نجعل الوجه في الخلف بدلاً من الأمام، أو نطمس عليها ونردها؛ تعني: نصرفها عن الهدى بعدما تبين لها؛ أي: نردها على أدبارها في الضلال، كما كانت سابقاً. ارجع إلى سورة ياسين آية (٦٦)؛ لمزيد من البيان.

﴿فَرَزَدَهَا﴾: الفاء: في فنردها تفيد التعقيب والمباشرة؛ أي: بعد الطمس نقوم بالرد على الأدبار.

﴿أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾:

﴿أَوْ﴾: للتخيير، ﴿نَلْعَنُهُمْ﴾: من اللعن، واللعن لغة: هو الطرد والإبعاد، ورجل لعين: منبوذ مطرود من قومه، واللعن قد يعني: الإهلاك، أو المسخ، ويعني: عامة الطرد، والإبعاد عن رحمة الله تعالى، أو نمسخهم قردة وخنازير، أو

نهلكم كما فعلنا بأصحاب السبت. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٦٣-١٦٦)؛ لمزيد من البيان في أصحاب السبت.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾: نافذ لا محالة، ولا راد لحكمه. انظر كيف تغيرت صيغة الكلام من صيغة المتكلم إلى صيغة الغائب حين قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ بدلاً: وكان أمرنا مفعولاً؛ التغيير يحدث لإثارة التفات السامع، ويدل على الوحداية بعد ذكر الآيات السابقة التي تدل على الجمع والتعظيم.

والله سبحانه يملك الزمن، والقدرة على الفعل والفاعل، وكل مقومات الحدث بكلمة: كن فيكون.

[٤٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾:

سبب النزول: قيل: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] قام رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: والشرك بالله؟ فسكت رسول الله ﷺ، ثم أعاد الرجل سؤاله مرتين، أو ثلاثة، فنزلت هذه الآية، كما أخرج ابن المنذر.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: تفيد التوكيد بأن الله لا يغفر الشرك.

﴿لَا﴾: النافية؛ تنفي كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل، وأوسع في النفي من (لن). لا: تفيد الإطلاق والعموم في النفي.

﴿يَغْفِرُ﴾: المغفرة: هو ستر الذنب؛ أي: محوه.

﴿أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾: أن: حرف مصدري. الشرك: هو الشرك في الألوهية:

يشركون معه غيره في العبادة، أو الربوبية، يشركون بأنه هو النافع الضار، والمعطي المانع، وأنه هو الخالق وحده، أو الصفات والأسماء بالتشبيه والتعطيل، والتحريف والتكليف؛ أي: لا يغفر لمن أشرك وكفر ومات على كفره وشركه، ولم يتب منه، وأما من مات وهو غير كافر، أو مشرك فأمره إلى الله؛ إما يغفر له، وإما أن يعذبه.

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾: أي: ما دون الشرك، والكفر من سائر الذنوب.

﴿ذَلِكَ﴾: تشير إلى الشرك، والكفر.

﴿لَمَنْ يَشَاءُ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿وَمَنْ﴾: استغراقية: يشاء من عباده.

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو: عاطفة. من: شرطية.

﴿يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾: في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه، وصفاته.

﴿بِاللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق: الأوثان، والأصنام، والجبت، والطاغوت،

وعيسى وعزير.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط. قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿افْتَرَىٰ﴾: الافتراء: هو اختلاق الكذب المتعمد، وللكذاب أنواع؛ منها:

الافتراء، والإفك، والبهتان، والظن، والخرص...



﴿إِثْمًا عَظِيمًا﴾: ذنباً عظيماً قبيحاً يُعد من الكبائر (والإثم قد يعني الصغائر والكبائر).

لنقارن هذه الآية (٤٨): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾، مع الآية (١١٦) في سورة النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾:

الآية (٤٨): جاءت في سياق الذين أوتوا الكتاب، الذين أشركوا بالله، وحرفوا الكتاب، وافتروا على الله الكذب، فهؤلاء عندهم علم، ورفضوا اتباع الحق، فقد افتروا إثماً عظيماً.

بينما الآية (١١٦): جاءت في سياق كفار قريش الغافلين الضالين، فهؤلاء ضلوا ضلالاً بعيداً عن اتباع الحق.

فهؤلاء إثمهم أقل من الذين افتروا إثماً عظيماً.

[٤٩] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري وتعجب، سؤال فيه إعلام.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: رؤية قلبية؛ تعني: ألم ينته علمك إلى هؤلاء الذين يزكون أنفسهم، أو ألم تنظر إلى حال هؤلاء الذين يزكون أنفسهم.

﴿إِلَى الَّذِينَ﴾: قيل: رجال من اليهود. وقيل: اليهود، والنصارى الذين قالوا:

﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا إِلَهُهُ﴾ [المائدة: ١٨].

أَوِ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ [البقرة: ١١١]، أَوْ:
تعود على كل من يزكي نفسه؛ فيدخل في زمرة هؤلاء.

﴿يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾: من التزكية، وهي تبرئة النفس من الذنوب، والآثام،
والعيوب، وادعاء الفضيلة، والصلاح، والطهارة من المعاصي.

﴿بَلِ اللَّهِ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾: بل إضراب إبطالي، إضراب عن تزكيتهم أنفسهم
بأنه باطل.

﴿اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾: الله سبحانه وحده من يطهر ويبرئ من الذنوب تزكية
ناشئة عن علم ودراية، ومن الحق أن يزكي الإنسان نفسه، فقد قال تعالى: ﴿فَلَا
تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: الفتيل: هنا يقصد به الخيط في شق نواة التمرة.
وأما النقرة: فهي في ظهر النواة. وأما القطمير: فهي القشرة تلف النواة. إذن
﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة. لا: النافية.

﴿يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: ولن ينقص من أجورهم مقدار الفتيل (الخيط في شق
نواة الثمرة)؛ أي: أقل القليل.

[٥٠] ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾:

﴿أَنْظُرْ﴾: يا محمد ﷺ، وكل خطاب إلى الرسول ﷺ هو خطاب لأُمته.
انظر كيف، ولم يقل: اسمع؛ جعل الله سبحانه الافتراء والكذب الذي تسمعه
الأذن كأنه أمر مرئي يراه الناس بأعينهم؛ للدلالة والتوكيد على ما سمعتهم أذانهم
من الكذب والافتراء.



﴿كَيْفَ﴾: استفهام للتعجب، والاستنكار.

﴿يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: الافتراء: هو الكذب المتعمد المختلق الذي لا أصل له.

﴿الْكَذِبَ﴾: جاء معرف بآل التعريف، وهو قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبَّتُهُ﴾ [المائدة: ١٨].

أو: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ [البقرة: ١١١].

أو: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤].

أو: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَنَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥].

﴿وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾: وكفى بالكذب والافتراء والتزكية إثماً، ذنباً ظاهراً من بين سائر آثامهم، مبيناً: أي: إثماً ظاهراً لكل إنسان، وإثماً: مظهر لنفسه لا يحتاج إلى أحد ليظهره.

[٥١] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ارجع إلى الآية (٤٩)؛ للبيان لمعرفة ألم تر.

﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾: اليهود والنصارى الذي أعطوا نصيباً من الكتاب (وصف فيه معنى الذم)؛ أي: الذين لم يأخذوا بكل الكتاب (التوراة، أو الإنجيل)؛ لأنهم نسوا حظاً مما ذكروا به، أو حرفوه، أو كتموه. والنصيب يعني: قسماً معيناً قد يكون في الخير أو الشر.

أو: لم يؤمنوا بكل الكتاب (نؤمن ببعض ونكفر ببعض).



أو: ليس عندهم العلم الكامل بالتوراة، والإنجيل.

﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ﴾: العجت: الأصنام. وقيل: السحر.

﴿وَالطَّاغُوتِ﴾: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥٦) للبيان المفصل في

معنى الطاغوت.

﴿وَيَقُولُونَ﴾: أي: أحبار اليهود ورؤسائهم الذين كفروا من مشركي قريش

أمثال أبي سفيان وأصحابه؛ أي: يقول اليهود للذين كفروا (من قريش) هؤلاء: أبو

سفيان وأصحابه أهدى من الذين آمنوا (أتباع محمد ﷺ).

﴿سَبِيلًا﴾: أرشد، وأهدى في الدين من المسلمين. سبيلاً: السبيل: الطريق

المستقيم الواسع الموصل إلى الغاية.





سُورَةُ النِّبَا ٤

الجزء الثاني

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
 أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ
 يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا
 آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
 فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ
 جُلُودُهُمْ بِدَلْنِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ
 كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
 لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا ظِلِيلًا ﴿٥٧﴾ * إِنَّ
 اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمْنَتَ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ
 النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
 بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
 الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ
 تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾



سورة النساء [الآيات ٥٢ - ٥٩]

[٥٢] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد. وتشير إلى كل من اليهود ﴿الَّذِينَ﴾
أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴿﴾، ومشركي مكة، والكفار عامة.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذم.

﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: أي: طردهم وأبعدهم من رحمته، ومنعهم من الخير، وتعني
الهلاك أيضاً. ارجع إلى الآية (٤٧) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.

﴿وَمَن﴾: الواو: عاطفة؛ من: شرطية للعاقل، وقد تعني: المفرد والمثنى
والجمع.

﴿يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن﴾: الفاء: للتوكيد (جواب الشرط). لن: لنفي المستقبل
القريب والبعيد؛ أي: لن تجد له نصيراً في المستقبل القريب، أو البعيد؛ أي: في
الدنيا والآخرة. ارجع إلى سورة البقرة الآيات (١٥٩-١٦٢) لمقارنة آيات اللعن
 وأنواعه.

﴿تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾: من ينصره من عذاب الله، أو يمنع عنه العذاب، فقد جاء
هؤلاء الذين لعنهم الله (اليهود) ليتآمروا مع قريش على رسول الله ﷺ.

[٥٣] ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾:

﴿أَمْ﴾: أم: للإضراب الانتقالي، والهمزة: للاستفهام، والإنكار، والنفي،
والإنكار: أي: رغم أن لهم نصيب من الملك، ورغم كونهم أصحاب أموال



وبساتين وقصور مشيدة، ومع ذلك لا يؤتون الناس نقيراً؛ أي: بخلاء، فهم لا يتنفعون بملكهم، ومالهم؛ لكونهم لا يتصدقون، أو يزكون أموالهم.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: للاختصاص، أو الاستحقاق.

إذن: حرف جواب، ولو كان لهم الملك لا يؤتون؛ أي: لا يعطون أحداً مقدار النقير؛ لفرط بخلهم، وشحهم. انظر إلى الآية (٤٩) من نفس السورة؛ لمعرفة معنى النقير.

[٥٤] ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي، والهمزة: للاستفهام الإنكاري، والتعجب. وقيل: ﴿أَمْ﴾: تعني: بل؛ أي: بل يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾: من الحسد: هو تمنى زوال النعمة عن أحد ما، والحصول عليها.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾: أي: النبي ﷺ، ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: مثل النبوة، والعلم، والكرامة في الدين والدنيا.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد. قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ﴾: التوراة، والإنجيل، والزبور، كل هذه الكتب كانت لآل إبراهيم.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: أي: النبوة، أو الفقه في الأحكام، والدين.

﴿وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾: مثل ملك سليمان، وداود، ويوسف.

فلماذا الحسد؟ أو هم يظنون أن فضل الله سبحانه ورحمته يجب أن يكون مقصوراً عليهم فقط؟

[٥٥] ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِءٍ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾:

﴿فَمِنْهُمْ﴾: الفاء عاطفة. منهم: قد تعود لليهود الذين كانوا في زمن النبي ﷺ، أو لآل إبراهيم.

﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِءٍ﴾: تعود إلى إبراهيم، أو إلى النبي ﷺ، أو كليهما، أو: به تعود إلى الكتاب، أو الكل معاً.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ﴾: صد عنه: تركه وابتعد عنه، أو صرف غيره عنه، أو منعه، وتعني: كفر به، وأعرض عنه (عن النبي، أو إبراهيم، أو الكتاب)، أو الكل، وقدم الإيمان على الكفر (الصد)؛ لأن السياق في إبراهيم ﷺ ومن آمن به.

الصد: هو المنع مع القصد، والنية؛ أي: الإعراض الشديد بقصد وتعمد.

﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾:

﴿وَكَفَىٰ﴾: أي: يكفي، وحسبهم جهنم.

﴿بِجَهَنَّمَ﴾: الباء للإلصاق والتوكيد. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) للبيان المفصل.

﴿سَعِيرًا﴾: نار مستعرة مشتعلة.

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾: جحدوا، ولم يؤمنوا بآياتنا (الآيات تشمل الآيات



القرآنية، أو ما جاء في الكتب المنزلة)، وكذلك الآيات الكونية، والمعجزات. وقوله سبحانه: ﴿بَيِّنَاتٌ﴾: تدل على شرف هذه الآيات؛ حيث أضافها إليه سبحانه.

﴿سَوْفَ﴾: للاستقبال البعيد؛ (أي: فيها تراخ زمني)، وفيها معنى التوكيد. ﴿نُصْلِهِمْ نَارًا كَمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾: نصليهم: ندخلهم ناراً، ونحرقهم بها؛ مما يؤدي إلى حرق جلودهم؛ كلما: بدلاً من إذا؛ لأن كلما: تدل على التكرار والتجدد، وإذا: تدل على الحتمية بدون التكرار. تحرق جلودهم حتى تصل إلى الدرجة الثالثة؛ أي: تصبح متفحمة ببدلها بجلود جديدة حية فيها الأعصاب التي تؤدي إلى الشعور بالألم.

ولقد تبين من الأبحاث العلمية: أن الألم الناتج عن الحروق هو نتيجة إصابة نهايات الأعصاب التي تحمل الإحساس بالألم، والتي تمتد إلى طبقات الجلد السطحية، وأن الحروق التي تمتد إلى الطبقات العميقة من الجلد لا تسبب أي ألم؛ لأنها لا تحتوي على نهايات الأعصاب، فالحروق من الدرجة الأولى، والثانية تسبب ألماً شديداً لا تطاق، أما الحروق من الدرجة الثالثة فلا تسبب ألماً؛ لأن الحرق أمات، أو قضى على النهايات العصبية كاملاً.

وفي هذه الآية شرح لآلية الألم الناتج عن الحروق التي سيعاني منها هؤلاء الكفرة في نار جهنم، وما إن تصل الحروق إلى الدرجة الثالثة من الجلد؛ تعني نضجت جلودهم، عندها تبدل هذه الجلود بجلود أخرى جديدة تحتوي على نهايات الأعصاب التي تسبب الآلام.

﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد.



﴿كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿عَزِيزًا﴾: القوي الذي لا يُغلب، ولا يُقهر، والممتنع بعزة المنع على عباده لا يضره أحد.

﴿حَكِيمًا﴾: الحكيم في تدبير شأنه، وكونه، وخلقه، وشرعه، حكيماً مشتقة من الحكمة، فهو أحكم الحكماء، أو مشتقة من الحكم؛ فهو أحكم الحاكمين.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾:

في مقابل الذين كفروا بآياتنا هناك الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

فهؤلاء: ﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾: السين: للاستقبال، وتدل على القرب (الحدوث).

﴿جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي: تنبع الأنهار من تحتها، أنهار الجنة.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾: الخلود: استمرار البقاء من وقت مبتدأ (من بداية) إلى ما لا نهاية له.

﴿لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾: ولم يقل: أزواج مطهرات؛ أي: كل واحدة لها صورتها وطهارتها التي تختلف عن الأخرى.

بل قال: ﴿أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾: أي: كلهن سيكن أزواجاً على صورة واحدة من الطهر، مطهرة من البول، والغائط، ودم الحيض وغيره.

﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾: وندخلهم ظلاً ظليلاً؛ أي: الظل الظليل: الظل الكثيف الذي يقيهم الحر، والبرد، صيغة مبالغة، وتأكيد مثل ليل وأليل.

وفي آية أخرى: ﴿وَزَلَّيَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠].

وفي آية أخرى: ﴿أَكُلُوا دَايِمًا وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].



﴿ظِلًّا ظَلِيلًا﴾: أي: ممدود لقوله: وظل ممدود ليس ظلًّا واحداً فحسب، بل ظلال؛ لقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١].

إذن الظل الظليل: الممدود، والدائم، والعديد المتنوع.

أما ظل النار؛ فقد وصف بأنه ظل ذو ثلاث شعب: ﴿لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ [المرسلات: ٣٠-٣١].

وفي آية أخرى وصفه: ﴿وَوَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٣-٤٤]. ارجع إلى سورة يس آية (٥٦) لمزيد من البيان في معنى الظل.

[٥٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾:

سبب النزول: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة دعا عثمان بن أبي طلحة، وكان سادناً للكعبة (خادم للبيت)، فطلب منه مفتاح الكعبة، فدخل البيت فصلّى ركعتين، ثم خرج، فقال العباس: «أعطني المفتاح يا رسول الله؛ لنجمع بين السقاية والسدانة، فأنزل الله سبحانه هذه الآية إلى رسوله، فقرأها، ثم دعا عثمان بن أبي طلحة، وأعطاه المفتاح، والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿اللَّهُ﴾: الاسم الدال على ذاته والجامع لجميع صفات الكمال الإلهية، والذي تفرد به سبحانه.

﴿يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾: يأمركم: لفظ دال على الإلزام والوجوب.

﴿إِنَّ﴾: حرف مصدر يفيد التوكيد.



﴿تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾: من التأدية؛ أي: إيصال الشيء إلى صاحبه.
 ﴿الْأَمَانَاتِ﴾: جمع أمانة؛ أي: جميع الأمانات، والأمانة لغة: هي ما يكون لغيرك عندك من مال، أو متاع، أو حق، أو ودیعة إلى أهلها، سواء كانوا مؤمنين، أو كفاراً من أيّ ملّة.

﴿وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾: إذا: ظرفية شرطية تدل على الحكم بالعدل، وتشمل هذه الآية كل الناس مسلمين، أو غير مسلمين، وهذا يدل على عدالة الرب.

﴿بِالْعَدْلِ﴾: هو الإنصاف والقسط، وإعطاء كل ذي حق حقه.

﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿نِعْمًا﴾: من نِعَمَ فعل لإنشاء المدح أصلها نِعَمَ مَا أَدَغَمَتِ المِيمان، فأصبحت ميماً مشددة، وما هنا قد تكون اسماً موصولاً؛ بمعنى: الذي يعظكم به، وإما أن تكون معرفة تامة بمعنى الشيء؛ أي: نِعَمَ الشيء يعظكم به، وإما أن تكون نكرة؛ تقديرها نِعَمَ شيئاً يعظكم به؛ أي: أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها.

﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾: يعظكم من الوعظ؛ أي: الأمر والنهي بأسلوب الترغيب والترهيب، والوعظ: الكلام الذي تليّن له القلوب، والوعظ يحمل معنى التخويف، والترغيب، والتحذير، والنهي. والموعظة حين تسمعها إما أن تقوم بها، أو ترفضها. ارجع إلى الآية (٣٤) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾: إن: للتوكيد.

﴿كَانَ﴾: تستغرق الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿سَمِيعًا﴾: لمن حكم بالعدل، أو بغير العدل، فيحاسبكم ويجازيكم عليه.



﴿بَصِيرًا﴾: يبصر إذا أدبتم الأمانات إلى أهلها، أم ختمت الأمانة. سميعاً لما تقولون، وبصيراً بما تعملون في الحكم بالعدل، وأداء الأمانات وغيرها.

[٥٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾:

بعد أن أمر الله بأداء الأمانات إلى أهلها وبالحكم بين الناس بالعدل يأمر الله سبحانه بطاعة الله سبحانه وطاعة رسوله ﷺ، فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء إلى الذين هم على درب الإيمان بأمر، أو حكم جديد، وهو: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، والهاء: للتنبيه.

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾: فيما أمر به، ونهى عنه، وفيما شرع لكم.

﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: فيما أمر به ونهى عنه، وما فصل لكم من الأحكام والشرائع؛ فقد قال تعالى: ﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَحِذُّوهُ وَمَاتَكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

﴿وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾: انتبه إلى قوله سبحانه: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم، وإنما حذف كلمة وأطيعوا، وعطف طاعة أولي الأمر على طاعة الله وطاعة الرسول، فطاعة أولي الأمر ليست مستقلة، أو منفصلة عن طاعة الله، وطاعة الرسول، وما يأمركم به أولي الأمر منكم يجب أن لا يخالف ما أمركم الله ورسوله، أو نهاكم الله ورسوله؛ فإذا كان الأمر كذلك أطيعوا أولي الأمر منكم؛ مثل: القادة، والحكام، والمتولين أموركم، وإذا أمروكم بشيء مخالف لله، وللرسول فلا طاعة لهم أبداً؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إنما الطاعة في المعروف، حديث صحيح رواه البخاري. ارجع إلى الآية (٣٢) من سورة آل عمران؛ للمزيد.

﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾:



﴿فَإِنْ﴾: الفاء: استئنافية. إن: شرطية تدل على الاحتمال، أو الندرة.

﴿نَنْزَعُكُمْ فِي شَيْءٍ﴾: أي: حدث خلاف بينكم في أمر من أمور الدين، أو الدنيا؛ فإن تنازعتم بعضهم مع بعض، أو مع ولاية الأمور، والتنازع يكون بين طرفين.

﴿فِي شَيْءٍ﴾: في: ظرفية. شيء: نكرة؛ أي شيء سواء أكان حكماً، أم فتوى، أم سؤالاً.

﴿فَرُدُّوهُ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط. ردوه: ارجعوه إلى الله تعالى ورسوله، وانظروا إلى ما جاء في الكتاب والسنة، وما قاله أولو العلم، والفقهاء، والصحابة، ومصادر التشريع، والفقه، والقياس، وغيرها.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال والقلّة.

﴿كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: أي: إن كنتم تصدقون بالله، وبيوم القيامة، ومن يؤمن بالله واليوم الآخر يؤمن كذلك بالملائكة، والنبين، والكتاب، وهذا وعيد لمن حاد عن طاعة الله ورسوله.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، وتشير إلى طاعة الله ورسوله، والرد إليهما عند التنازع.

﴿حَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: مآلاً وعاقبة، أحسن: على وزن أفعّل؛ أي: أفضل، والتأويل: ما يؤول إليه الشيء في آخر الأمر، ويقال: آل الأمر إلى كذا؛ أي: صار إليه، والتأويل: قد يعني التفسير والبيان.





سُورَةُ الشُّرَاةِ ٤

الْبُرْجِ الْمَسْكُونِ

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ
وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ
ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنْفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ
صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا
إِحْسَنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا
فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي
أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ
لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا
فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

سورة النساء [الآيات ٦٠ - ٦٥]

[٦٠] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: الهمزة استفهام إنكاري، وفيه تعجب.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ألم يتت علمك إلى الذين يزعمون.

﴿تَرَ﴾: هنا رؤية قلبية، وليس بصرية، وتعني: ألم تنظر إلى حال هؤلاء الذين يزعمون.

﴿يَزْعُمُونَ﴾: من الزعم: وهو القول الأقرب إلى الباطل؛ أي: ادعوا كذباً، والزعم: قد يكون حقاً أحياناً، ولكن كثر استعماله في الباطل، والكذب.

﴿أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾: أنهم للتوكيد. والباء: للإلصاق. ما: اسم موصول؛ بمعنى الذي. أنزل إليك: أي: القرآن الكريم.

﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: التوراة والإنجيل؛ أنزل: تعني جملة واحدة، أما نزل: تعني منجماً أو على دفعات.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾: الطاغوت: كلمة الطاغوت مشتقة من الطغيان، وتستعمل كلمة الطاغوت للمذكر والمؤنث، وللمفرد والجمع، وتطلق كلمة الطاغوت على كل معبود من دون الله وكل متعبد، وكل من يصرف عن الحق، وسمي الساحر والكاهن والمارد من الجن طاغوتاً؛ ارجع إلى سورة البقرة



آية (٢٥٦) لمزيد من البيان، والطاغوت في هذه هو كعب بن الأشرف، سماه الله طاغوتاً؛ لإفراطه في الطغيان، وعداوة رسول الله ﷺ.

أسباب النزول: عن ابن عباس ؓ: نزلت هذه الآية في رجل من المنافقين كان بينه وبين يهودي خصومة، فقال اليهودي: انطلق بنا إلى محمد، وقال المنافق: بل نأتي كعب بن الأشرف، وهو الذي سماه الله تعالى الطاغوت، فأبى اليهودي إلا أن يخاصمه إلى رسول الله ﷺ، فلما رأى المنافق ذلك، أتى معه إلى رسول الله ﷺ، فاختصما إليه، فقضى رسول الله ﷺ لليهودي، فلما خرجا من عنده؛ لزمه المنافق، وقال: نطلق إلى عمر بن الخطاب، فأقبلا إلى عمر، فقال اليهودي: اختصمنا أنا وهذا إلى محمد، فقضى عليه، فلم يرخص بقضائه، وزعم أنه مخاصم إليك، وتعلق بي، فجئت إليك معه، فقال عمر للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم، فقال لهما: رويداً حتى أخرج إليكما، فدخل عمر وأخذ السيف فاشتمل عليه، ثم خرج إليهما، وضرب به المنافق حتى برد (مات)، وقال: هكذا أقضي لمن لم يرخص بقضاء الله وقضاء رسوله، وهرب اليهودي، ونزلت هذه الآية.

﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾: وقد: للتحقيق والتوكيد.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري؛ لزيادة التوكيد.

﴿أُمِرُوا﴾: في كتبهم السماوية؛ مثل: التوراة، أن يكفروا بكل طاغوت، وبكل من لا يحكم بما أنزل الله، وقد أمروا ذلك أيضاً في القرآن الكريم.

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فهم أرادوا أن يذهبوا إلى كعب بن الأشرف، وجاءت الآية لتحذره من الذهاب؛ لأنهم لو ذهبوا وتحاكموا عنده لقضى لهم بالباطل؛ مما يؤدي إلى انتشار الظلم والفساد.

﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾: يريد الشيطان أن يغيوهم، ويوسوس لهم حتى يضلهم، ويبعدهم عن الحق.

وكان المفروض أن يقول: ويريد الشيطان أن يضلهم إضلالاً بعيداً، ولكن قال ضلالاً بدل إضلالاً؛ لأن مصدر أضل الإضلال، أما الضلال فهو مصدر ضل، فقد جمع بهذا القول الإضلال والضلال في آن واحد، والمعنى: أن الشيطان يريد أن يضلهم، ثم يريد بعد ذلك أن يضلوا بأنفسهم، فهو يبدأ بالإضلال، ثم يريد منهم المشاركة في العملية، وإضلال الغير، ويصبحون أنفسهم شياطين، أو أولياء له، وهم يقومون بعمله، وعندها يصبح لا أمل في عودتهم إلى الهدى، وطريق الحق، أو تصبح العودة غير مرجوة.

[٦١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني.

﴿قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾: تعالوا إلى ما أنزل الله إلى الرسول، لهم خاصة: تعالوا مأخوذة من العلو؛ أي: ارتفعوا عن الشك والنفاق وعن معتقداتكم الباطلة، وتحكيم الطاغوت، تعالوا نتحاكم لما أنزل الله في القرآن، أو إلى الرسول فيما شرع لكم، أو كليهما.

رأيت المنافقين معرضين عنك يا محمد، ويرغبون عن حكمك.

وهذه الآية تؤيد ما قبلها من لجوئهم إلى التحاكم إلى الطاغوت، والإعراض عن رسول الله ﷺ.

﴿يَصُدُّونَ﴾: يعرضون إعراضاً متعمداً، وقصداً، ويمنعون الناس عن القدوم إليك؛ لتحكم بينهم، ويهربون منك غير راضين بالتحاكم إليك.



[٦٢] ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَبْتَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾:

﴿ فَكَيْفَ ﴾: الفاء: عاطفة للتعقيب والسرعة.

﴿ فَكَيْفَ ﴾: للتعجب، فكيف يكون حالهم، وكيف يصنعون.

﴿ إِذَا ﴾: ظرف زماني يدل على حتمية الوقوع وبكثرة.

﴿ أَصَبْتَهُمْ مُصِيبَةٌ ﴾: المصيبة: أي أمر طارئ يسبب الضرر لهم، أو عقوبة كفقر، أو وباء، أو صاعقة.

﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾: بسبب إعراضهم عنك، والذهاب إلى الطاغوت، والتحاكم إلى غيرك، واتهامهم لك بالحكم بالباطل، أو بسبب ذنوبهم. والباء في بما: باء السببية.

﴿ ثُمَّ ﴾: تدل على التعقيب والتراخي في الزمن، وأخيراً سيأتون إليك، يحلفون بالله؛ لأنهم يعلمون ما يقولونه كذباً، فيريدون أن يؤكدوا قولهم فيحلفون بالله لك.

﴿ إِنْ أَرَدْنَا ﴾: ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك.

﴿ إِلَّا ﴾: إلا حصراً وقصراً.

﴿ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾: أي: ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا الإحسان، لا الإساءة إليك، والتوفيق بين الخصمين، والصلح بينهم، وليس القصد مخالفة أمرك.



[٦٣] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد.

﴿الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي في قلوبهم من النفاق من الكفر والزيف والحق.

﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: لا تقبل اعتذارهم، واهجرهم هجراً جميلاً؛ أي: تجنبهم إلى حدٍّ ما، ولكن اترك لهم نافذة تطل عليهم؛ كي تعظمهم في المستقبل. ﴿وَعِظْهُمْ﴾: في خلوة؛ لأن ذلك له أثر طيب، وذكرهم بالخير؛ لترقُّ قلوبهم، وحذِّرهم وانصحهم في الوقت المناسب، والمكان المناسب. ارجع إلى الآية (٣٤) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.

﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾: أي: لا تفضحهم على مرأى من الناس، بل بشكل سري، والقول البليغ: القول المؤثر في القلوب، فيحركها ويذهب عنها غفلتها.

[٦٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية، وما: نافية.

﴿أَرْسَلْنَا﴾: بمعنى الإرسال برسالة، وليس فيه مشقة وشدة، كما في البعث، وهناك فرق بين الإرسال والبعث، البعث: يكون لإحياء من كان موجوداً، ولم يعد يُذكر، فالله سبحانه يبعث رسولاً لإحياء من جاء قبله من



الرسول، ولا يأتي بشيء جديد، والبعث فيه إثارة وتهيج، وفيه مشقة وصعوبة.
ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٩)؛ لمعرفة الفرق بين الإرسال والبعث.

﴿مِنْ رَّسُولٍ﴾: من: الاستغراقية، والتقدير: وما أرسلنا رسولا إلا ليطاع.

﴿مِنْ﴾: تستعمل للمفرد والجمع.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿لِيُطَاعَ﴾: اللام: لام التعليل والتوكيد؛ لأن طاعة الرسول هي طاعة
لله، ومعصية الرسول هي معصية لله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]،
(ومن يعص الرسول فقد عصى الله)، فالله سبحانه سيهيئ لهذا الرسول من
يصدق من البشر، ويتبعه، ولا يحدث ذلك إلا بإذن الله، بأمر من الله، والإذن:
يبدأ، أو يُعلم بإنزال الوحي.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ
الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: عاطفة. لو: شرطية تحمل معنى التمني.

﴿أَنَّهُمْ﴾: للتوكيد، وتشير إلى المتحاكمين الذين سبق ذكرهما، أو تعني:
كل من يظلم نفسه، وظلم النفس يأتي من اتباع الهوى، والرغبة في الشهوة
العاجلة.

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي بمعنى: حين.

﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بالخروج عن المنهج الرباني.

١ - بالتحاكم إلى الطاغوت، والإعراض عن التحاكم إلى رسول الله ﷺ.

٢ - أو رفضهم لما قضى الرسول ﷺ به وترك طاعتك.

٣ - أو اتباع الهوى، وارتكاب المعاصي، أو الفاحشة، والرغبة في تحقيق الشهرة العاجلة، وظلم النفس من أشقى أنواع الظلم.

﴿جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾:

﴿جَاءُوكَ﴾: (المرحلة الأولى) كلمة ﴿جَاءُوكَ﴾: تحمل معنى المشقة والصعوبة؛ لأنهم يرغمون أنفسهم على المجيء، لم يقل: أتوك؛ لأنها تحمل معنى الارتياح للمجيء.

﴿فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾: (هذه هي المرحلة الثانية)، الفاء: تدل على السرعة والمباشرة، بأن يقولوا: اللهم اغفر لنا، أو نستغفر الله، والاستغفار يدل على وقوع الذنب ويطلب من الله أن يغفره، ويمحوه، فلا عقاب عليه؛ أي: يستغفرون الله عند رسول الله؛ أي: أمامه، ثم يسألون رسول الله ﷺ أن يستغفر لهم.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾: (هذه هي المرحلة الثالثة)، عندها تقبل توبتهم، والاستغفار يكون قبل التوبة، أو يسبق التوبة.

﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾: أي: لتاب الله عليهم.

﴿تَوَّابًا﴾: صيغة مبالغة، كثير التوبة؛ أي: يقبل التوبة عن عباده بشكل مستمر ودائم، ومهما كانت ذنوبهم، أو عددها، أو عدد المستغفرين.

﴿رَحِيمًا﴾: لا يعذبهم ويعفو عنهم، أو يعجل بهم العذاب.

وهذه الآية تشير لمن عاصر رسول الله ﷺ، فما بال الذين لم يعاصروه، والرسول ﷺ جاء للناس جميعاً، فقد قال رسول الله ﷺ: «تُعَرِّضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ فَإِنْ رَأَيْتُمْ خَيْرًا حَمَدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَإِنْ رَأَيْتُمْ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ» [الراوي عبد الله بن مسعود، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد: ٢٧/٩].



إذن: فاستغفار رسول الله ﷺ لنا الآن موجود، ودائم، فما علينا إلا أن نستغفر الله دائماً، وكيف نفسر كلمة جاؤوك لمن جاء من بعد موته ﷺ؟

هؤلاء يجيئون لسُنَّتِكَ، والعمل بها، فإنها تعادل المجيء إلى رسول الله ﷺ آنذاك، وما علينا إلا أن نتقبل ما جاء به نبينا محمد ﷺ، ونَتَّبِعَ هُذَاهُ آنذاك. [٦٥] ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾:

سبب النزول: قيل: نزلت هذه الآية في خصومة الزبير مع رجل من الأنصار في قضية السقي (سقي أرضهما)، فحين اختلفا أتيا رسول الله ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ»، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَرَأَيْكَ تُحَابِي ابْنَ عَمَّتِكَ، فَتَلَوْنَ وَجْهَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «يَا زُبَيْرُ اسْقِ، ثُمَّ احْسِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ» [الحديث في صحيح البخاري ومسلم]. ﴿فَلَا﴾: الفاء: استئنافية. لا:

١ - نافية لكلام سبق تقديره، ليس الأمر كما يزعمون ممن آمنوا بما أنزل إليك، وأنزل من قبلك.

٢ - للتوكيد (تقديره: وربك لا يؤمنون).

٣ - تقدم لا على القسم. ارجع إلى الآية (١) من سورة القيامة.

﴿وَرَبِّكَ﴾: الواو: واو القسم، يقسم الحق سبحانه برب رسول الله ﷺ؛ أي: يقسم بربوبيته لرسوله، وهذا من أعظم أنواع القسم. ﴿لَا﴾: نافية: مطلقة تشمل كل الأزمنة.

﴿يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: لا يؤمنون إيماناً كاملاً

حقاً، حتى: تعني انتهاء الغاية؛ أي: حتى يحققوا ثلاثة أمور، (أو ثلاث صفات) هي:

- ١ - ﴿يُحْكَمُونَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ (من نزاع، أو خلاف، أو التباس)، وشجر مأخوذة من التداخل، والاختلاط، كما يحدث للشجر من اختلاط، وتداخل.
- ٢ - ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾: أي: لا يشعرون بأي ضيق، أو شكوى لقضائك؛ أي: حكمك؛ أي: يرضون الرضا التام، والقبول المطلق من دون إضمار في أنفسهم خلاف ذلك.

﴿حَرَجًا﴾: ضيقاً، والخرج: قد يعني الشك والريبة.

﴿وَيَسْلَمُوا سَلِيمًا﴾: ويسلموا: من التسليم: وهو الانقياد، والإذعان، والرضا بحكم الله، ورد الأمر إلى الله؛ أي: من دون معارضة، أو لا مخالفة في باطنهم، وظاهرهم.

﴿سَلِيمًا﴾: توكيد للتسليم.

وهذا الحكم ليس مخصوصاً بخصوص السبب، فالحكم باق إلى يوم القيامة.



سُورَةُ التَّوْبَةِ

الْمَسْكُونَةِ

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٦٦﴾ وَإِذْ آلَا تَيْنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عِلِمًا ﴿٧٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَن لِّيَبْطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِثَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾



سورة النساء [الآيات ٦٦ - ٧٤]

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: عاطفة. لو: حرف امتناع لامتناع؛ إذ امتنع القتل لامتناع الكتب.

﴿كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾: فرضنا عليهم؛ أي: على قريش.

﴿أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: كما كتبنا على بني إسرائيل.

أن اقتلوا أنفسكم، كما حدث حين قال موسى لقومه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِلَهُكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ الْعِجَلَ فَتَوَبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

أن: تفيد التوكيد.

﴿أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾: كما فعلنا بقوم موسى يوم أخرجوا، وذهبوا إلى التيه؛ فكانت محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض.

كان هذان الحكمان قد سبقا في قوم موسى، فجاء الحق سبحانه بهما هنا؛ ليذكر قريش أنه سبحانه لو فرض عليهم كما فرض على بني إسرائيل القتل، أو الإخراج من الديار، (وهما من أصعب، أو أشق التكاليف الربانية، والتي تسمى إصرًا).



﴿ مَا فَعَلُوهُ ﴾ : ما: نافية للاستقبال (في المستقبل).

﴿ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ : إلا: أداة استثناء وحصر، لو كتبنا عليهم ذلك لم يفعله إلا قلة منهم، وهذا من لطف الله بهم، لم نكلفهم بذلك.

فالإسلام لم يأت بمثل هذه الشرائع الثقيلة التي حدثت زمن موسى، كما تبين هذه الآية: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ :

﴿ وَلَوْ ﴾ : الواو: عاطفة. لو: شرطية.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ ﴾ : من الأوامر، والنواهي، أو اتباع الرسول ﷺ، والانقياد إلى حكمه؛ لأنه لا ينطق عن الهوى، وهي تكاليف لا تضاهي تكاليف بني إسرائيل.

﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ : في دنياهم وآخرتهم.

﴿ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ : أشد تثبيتاً للإنسان في قلوبهم وتصديقاً.

[٦٧] ﴿ وَإِذَا لَا تَأْتِيَنَّهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ :

﴿ وَإِذَا ﴾ : حرف جواب.

الأجر العظيم: هو الجنة للذين استشهدوا، والذين آمنوا وعملوا الصالحات واتبعوا الرسول ﷺ وما أنزل إليهم من ربهم.



[٦٨] ﴿وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾:

﴿وَلَهَدَيْنَهُمْ﴾: الواو: عاطفة. لهديناهم: اللام: للتأكيد، والاستحقاق.

﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾: هو الإسلام الموصل إلى الغاية العظمى.

﴿وَلَهَدَيْنَهُمْ﴾: انتبه! هم هنا؛ تعني: الذين لم يقتلوا، وإنما الذين أخرجوا من ديارهم؛ لأنهم ما زالوا على قيد الحياة، فأما الذين استشهدوا؛ فقد آتيناهم أجراً عظيماً.

[٦٩] ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾:

سبب النزول: روى ابن عباس، وذكره الواحدي في أسباب النزول، نزلت هذه الآية عندما سأل بعض الصحابة الذي يحبون رسول الله ﷺ حباً شديداً؛ ومنهم: ثوبان كيف سيرون رسول الله ﷺ في الآخرة؟ فنزلت هذه الآية، والتي هي: بشرى لكل مؤمن يحب الله ورسوله.

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو: استئنافية. من: شرطية.

﴿يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾: طاعة الرسول من طاعة الله، وطاعتهما واحدة، والطاعة تعني: العمل بما أمر الله سبحانه به ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط تفيد التوكيد.



أولئك: اسم إشارة للبعد تحمل معنى التعظيم والعلو.

﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: من: ابتدائية.

الذين أنعم الله عليهم: من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: جمع نبي.

﴿وَالصَّادِقِينَ﴾: جمع صديق أمثال: أبي بكرؓ وغيره، وتعني: الذين آمنوا بالله ورسوله، وصدقوا بكل ما جاء به الوحي، والذين يقولون الصدق والحق رضي الله عنهم.

﴿وَالشُّهَدَاءَ﴾: جمع شهيد؛ وهم الذين قتلوا في سبيل الله.

﴿وَالصَّالِحِينَ﴾: جمع صالح؛ وهو المؤهل لحمل الخلافة الإيمانية في الأرض، والإصلاح في الأرض. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٠)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾: ثناء من الله سبحانه على هؤلاء الأصناف الأربعة، وحسن يعني: الحسن على وجه الدوام، والاستمرار الذي لا ينقطع.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد تدل على علو مكانتهم وتعظيمهم. والرفيق: هو المرافق المصاحب لك، خاصة في السفر؛ ومأخوذة من الرفق، وهو اليسر والأنس، فهم رفقاء في الجنة يزور بعضهم بعضاً، وإن اختلفت درجاتهم.



[٧٠] ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد. ذلك: أي: يكون المطيع لله، ورسوله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، هو من فضل الله وليست حسناته هي السبب، وتفسير ذلك:

الحقيقة الأولى: هم درجات عند ربهم.

والحقيقة الثانية: لا تزر وازرة وزر أخرى، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى.

ولكن الفضل الإلهي: الحسنة بعشرة أمثالها، والسيئة تبقى بمثلها.

فالعدل الإلهي: الحسنة بمثلها، والسيئة بمثلها، والفضل الزيادة التي تعطى إليك من الله سبحانه زيادة على حَقِّك أو أجرِك.

الحقيقة الثالثة: فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين، هذا من الكرم الإلهي؛ حين يضاعف الحسنة بـ (٧٠، أو ٧٠٠) ضعف، أو أكثر ضعفاً.

والعدل الإلهي: أن أعمالنا مهما كانت لا توصلنا إلى الجنة، ولكن الفضل الإلهي هو الذي يوصلنا إلى ذلك، وطاعة المؤمن لله ورسوله لا يقابلها ربنا بالعدل فقط، بل بالفضل والإحسان.

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾: فهو يعلم من يستحق أو لا يستحق فضله، وهو أعلم بمن اتقى، عليمًا بالمقاصد والنيات، وعليمًا: صيغة مبالغة عالم، وعليم يعلم الأمر قبل أن يقع.



[٧١] ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد للسائرين على درب الإيمان بالحذر من

العدو.

﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾: ولم يقل: احذروا، والحذر: هو اليقظة، والحذر من العدو: هو توقي الضرر، سواء كان المحذور منه؛ أي: الضرر ظناً (مظنوناً)، أم متيقن حدوثه، القول خذوا حذرکم: يدل على شدة الحذر وملازمته، وعدم النسيان والغفلة.

﴿فَانْفِرُوا﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب بعد الحذر.

والنفر: الفرع؛ أي: الخروج إلى قتال العدو، أو الجهاد بسرعة، وشجاعة، وحماس. والسؤال: لماذا قال: بينكم وبينه مودة، ولم يقل عداوة؟ لأن المخاطب في هذه الآية المؤمنين، وليس المتخلفين عن الجهاد، فلا يصح أو يصلح أن تكون بين المؤمنين عداوة في أي وقت، ولا يعلم ما في القلوب إلا الله وحده.

﴿ثُبَاتٍ﴾: متفرقين واحداً ثُبَّةً؛ وهي الجماعة؛ أي: اخرجوا جماعة تلو جماعة، أو سرية بعد سرية.

﴿أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾: كل السرايا، أو الجيش كاملاً.

[٧٢] ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَّيَبْطُلَنَّ فَإِنْ أَصَبَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: الواو: استئنافية. إن: للتوكيد.



﴿مِنْكُمْ﴾: أي: من المنافقين، أو المسلمين من هو ضعيف الإيمان، أو منافق، أو لا يقدر على الخروج.

﴿لَمَنْ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿لَيَبْطِئَنَّ﴾: اللام: للتوكيد، يبطئن: من أبطأ؛ أي: يتأخر، ويتخاذل، يتشاقل لا يريد الخروج للجهاد في سبيل الله هو نفسه، أو يبطئن غيره، أو كلاهما.

﴿فَإِنْ أَصَبْتُمْ مِصْبِيَةً قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: للتفصيل. إن: شرطية تحمل معنى الاحتمال.

﴿مِصْبِيَةً﴾: من قتل، أو هزيمة، أو جراحات يقول لنفسه، أو يحدث نفسه.

﴿قَدْ﴾: للتحقيق، والتوكيد.

﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: بالعودة.

﴿إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾: أي: حاضراً معهم في تلك الغزوة، وشهيداً: لا

يعني موت الشهادة في سبيل الله؛ لأنه لم يخرج في سبيل الله تعالى ليقاتل ونيته صادقة، إنما حاضراً معهم كما قلنا.

[٧٣] ﴿وَلَيْنَ أَصَبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾:

﴿وَلَيْنَ﴾: الواو: عاطفة، اللام: للتوكيد. إن: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿أَصَبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾: فتح، أو نصر، أو غنيمة.

﴿لَيَقُولَنَّ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون في يقولَنَّ: لزيادة التوكيد.



﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِسَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾:

يتمنى المنافق إذا انتصر المؤمنون لو كان معهم في القتال، ويأسف لتخلفه عنهم لا لمودة حقيقية؛ أي: حب حقيقي دائم للجهاد، والخروج في سبيل الله، وأنه تخلف هذه المرة، بل لمجرد حرمانه من حظه من الغنيمة.

﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: الفوز: هو الخلاص من المكروه، وقيل: المرغوب؛ أي: النجاة من النار، ونيل الجنة.

والفوز: أعم من النجاة (النجاة الخلاص من المكروه فقط).

والفوز في القرآن ثلاثة أنواع، أو درجات:

١ - الفوز العظيم: وهو أعلى درجات الفوز (الدرجة الأولى).

٢ - الفوز الكبير: وهو درجة أقل من الفوز العظيم (الدرجة الثانية).

٣ - الفوز المبين: الدرجة الثالثة.

وقد ورد الفوز الكبير في آية واحدة (سورة البروج آية: ١١)، والفوز المبين في آيتين (سورة الأنعام آية: ١٦، وسورة الجاثية آية: ١٣٠)، وجاء الفوز العظيم في بقية الآيات.

٧٤ - ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾:

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الفاء: استئنافية؛ ليقاتل: اللام: لام الأمر والتوكيد؛ يقاتل في سبيل الله (الجهاد أعم وأوسع من القتال)، فالجهاد له أكثر

من (١٣) مرتبة؛ منها واحدة تتعلق بقتال الكفار والمشركين؛ ارجع إلى سورة العنكبوت آية (٦) لمزيد في معنى الجهاد.

﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾: شَرَى في القرآن تعني: باع، ويشترى تعني: الشراء الحقيقي يدفع الثمن مقابل السلعة.

﴿الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾: أي: يبيعون الدنيا ليفوزوا بالآخرة، والباء: تدخل على الأهم.

﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: من: شرطية، وتشمل المفرد والمثنى والجمع؛ في سبيل الله: أي: مخلصاً لوجه الله، وطلب الآخرة.
﴿فَيُقْتَلْ﴾: أي: يستشهد في سبيل الله.

﴿أَوْ يُغْلَبْ﴾: أي: ينتصر على العدو، أو بمعنى التقسيم وليس التسوية.
﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: للتأكيد؛ سوف: للاستقبال البعيد، وأما السين: للاستقبال القريب.

﴿نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: نُؤْتِيهِ: من الإيتاء؛ أي: العطاء، والإيتاء: أعم من العطاء؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) لمعرفة الفرق بينهما؛ أجراً عظيماً: هو النجاة من النار، والفوز بالجنة؛ ونُؤْتِيهِ: للتعظيم والوعد الصدق.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

النِّسَاءِ

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ
الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ
نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الْطَّاغُوتِ فَفَقَتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ
الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ
وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ
مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ
كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْ لَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَعَ الدُّنْيَا
قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا
تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ
حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا
هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ
سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾



سورة النساء [الآيات ٧٥ - ٧٩]

[٧٥] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾:

﴿وَمَا لَكُمْ﴾: الواو: عاطفة. ما: اسم استفهام إنكاري ينكر عليهم قعودهم عن الجهاد، ويحثهم عليه؛ لإنقاذ المستضعفين من الرجال، والولدان، والنساء من الكفر.

﴿لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: لا: النافية لنفي الأعذار على عدم القتال في سبيل الله، وإعلاء كلمة الله، وإنقاذ المستضعفين.

﴿مِنَ﴾: ابتدائية بعضية؛ تعني: بعض الرجال.

﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ﴾: الذين يعذبون من أجل دينهم، ويمنعون من الهجرة، والحركة.

ولماذا وصفهم بالرجال المستضعفين، وقال: من الرجال؛ أي: بعض الرجال، وليس كل الرجال، والرجال مفروض فيهم القوة، ولكن وصفهم بالضعف؛ لأنهم في ظرف خاص (كونهم محاصرين، وقلة، وفقراء، ولا يسمح لهم بالهجرة)، أو الشيوخ.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾: أي: يجأرون بالدعاء: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ



أَهْلَهَا ﴿: أَي: لكونهم عاجزين عن الهجرة، وفقدوا الناصر والمعين، والذين يقولون من شدة العذاب والحصار: ربنا أخرجنا من هذه القرية (أي: مكة).

﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾: أي: التي أشرك أهلها وظلموا العباد.

﴿وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾: اجعل لنا من يتولى أمورنا، ويقدم لنا المساعدة المادية والمعنوية، واجعل لنا من لدنك نصيراً؛ يحمينا وينصرنا على هؤلاء المشركين، وتكرار: ﴿وَأَجْعَلْ لَنَا﴾: للتوكيد، وفصل الولاية عن النصر، أو كليهما معاً.

وهذه الآية تشير إلى وجوب تخليص الأسرى من المؤمنين بالقتال، أو الفدية؛ أي: الفداء، والدفاع عنهم ونصرتهم.

[٧٦] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾:

يخبر الله سبحانه المؤمنين: أن يستمروا في القتال في سبيل الله وحده، والله سبحانه سيقى وليهم وناصراً لهم، وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الطاغوت (الشیطان، أو غيره من الجن والإنس الكفرة الظلمة في الأرض).

والطاغوت: كل ما عبد من دون الله، ويطلق على كل من دعا إلى غير عبادة الله؛ كالشیطان، أو غيره من الجن والإنس؛ من الكفرة الظلمة المستكبرين في الأرض.

﴿فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾: تشمل قتال طاغوت الطائفة، والأحزاب، والباطل، أو الإفساد في الأرض، وتدمير البيوت، وترويع الأولاد والنساء. ارجع إلى الآية (٢٥٧) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾: أولياء: أتباع، وأعوان، وأنصار الشيطان، أولياء:



جمع ولي، والولي: هو الذي يليك أول ما تلجأ إليه عند الفزع؛ للمساعدة، والعون.

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد. والكيد: هو إيقاع المكروه، أو المشقة بالغير قهراً، سواء أعلم، أم لم يعلم، والكيد: أقوى وأشد من المكر، وكيد الشيطان: يتم من خلال وساوسه، وتزيينه، وإغوائه.

وكيد الشيطان للمؤمنين مقارنة بكيد الله للكافرين ضعيف، ولا يقارن، والشيطان نفسه يقول يوم القيامة: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢].

[٧٧] ﴿الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾:

﴿الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾: الهمزة: استفهام تعجبي.

﴿الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾: أي: ألم تعلم وتنظر في أمر الذين قيل لهم: كفوا أيديكم، وهم جماعة من الصحابة كانوا من مكة، وفي بداية الإسلام، والرؤية هنا: رؤية قلبية، فكرية.

﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾: أي: لا تقاتلوا، وكانوا يودون القتال في سبيل الله، وإعلاء كلمته، ولكنهم كانوا قلة وضعفاء، فأمرهم الله تعالى بعدم القتال، والالتزام بالعبادات.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: أدوا الصلاة بأركانها وخشوعها، والزكاة؛



أي: انشغلوا بإقامة شعائر الدين أولاً، وتعلموا دينكم والتزموا بالسلم، وعدم الحرب.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، ولما: ظرفية زمانية (أي: بعد الهجرة إلى المدينة)، و﴿كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾: أي: فرض عليهم الجهاد، وكان ذلك في السنة الثانية من الهجرة.

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: إذا: الفجائية.

﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: من: هنا ابتدائية (منهم: من المسلمين ضعاف الإيمان، والمنافقين). هذا يدلنا على أنهم كانوا فريقين: فريقاً يريد الجهاد في سبيل الله، وفريقاً أصابهم لخوف، والخور، والضعف. وقيل: هذا الفريق هو فريق المنافقين، أو ضعاف الإيمان، أو كلاهما.

﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾: يخشون الكفار، والمشركين، ويعظمونهم، ويخافونهم (كفار مكة)، والخشية مركبة من ثلاث أمور: الخوف + التعظيم لمن تخشاه + العلم بالذي تخشاه؛ فهو ليس مجهول، أو ظني.

﴿كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾: الكاف: للتشبيه، (يخشون الكفار، ويخافونهم كما يخشون الله ويخافونه).

﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾: أي: يخشون الناس أكثر مما يخشون الله، وهذا يدل على شركهم، وضعف إيمانهم.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾:



﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ﴾: اللام: حرف جر، وما: الاستفهامية التعجبية.

﴿كُنَبَتْ﴾: فرضت علينا القتال، أو ابتليتنا بالقتال.

﴿لَوْ لَا﴾: للطلب، والتمني.

﴿أَخْرَجْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: أي: زد في مدة الكف عن القتال، وأخّر القتال عنا

الآن.

لماذا طلبوا التمديد؟ لكي يعيشوا فترة أطول، ويستمتعوا بالحياة الدنيا، ويموتوا موت البعير، ولا يلقوا عدواً (خوراً، وخوفاً).

فردّ الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ: ﴿مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾: غير دائم، وزائل، وقيل: مهما كثر مقارنة بنعيم الآخرة.

والمناجاة تعريفه: ارجع إلى الآية (١٩٧) من سورة آل عمران؛ للبيان.

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ﴾: الجنة خير. لمن: اللام: لام الاختصاص، والتوكيد. من: بمعنى الذي.

﴿اتَّقَىٰ﴾: أطاع الله سبحانه فيما أمر به ونهى عنه، خيرٌ من متاع الدنيا.

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فِتْنًا﴾: ولا: النافية، لا بنقص حسنة، ولا زيادة سيئة.

﴿فِتْنًا﴾: الفتيل: هو الخيط في شق نواة التمرة.

هذه الآية تشمل زمنين:

الزمن الأول: الزمن المكي: (بداية الإسلام)؛ حيث أمر الله عز وجل الصحابة بالتزام السلم، وعدم القتال، حيث أراد بعض الصحابة القتال، فجاء الأمر الإلهي بالرفض.



الزمن الثاني: الزمن المدني بعد الهجرة إلى المدينة، وحين حان الزمن للتصدي للمشركين والكفار جاء الأمر الإلهي بالإذن لهم بالجهاد.

[٧٨] ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾:

﴿أَيْنَمَا﴾: مركبة من أين + ما، وأين: ظرف مكان مبهم، وإضافة ما: لتزيدها إبهاماً، وغموضاً، وشمولاً.

وأيضا: أكثر إبهاماً، وغموضاً، وشمولاً من حيثما.

﴿تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾: يدرككم الموت: يلحق بكم الموت؛ أي: كأن الموت يركض وراءكم ليدرككم، ومتى أدرككم الموت سلبت أرواحكم، وانتهى أجلكم.

﴿وَلَوْ﴾: شرطية.

﴿كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾: البروج: جمع برج، وقيل: هو الحصن، أو القلعة.

﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾: ليس برجاً واحداً، بل عدد كبير من البروج، وكل برج داخل برج، حصن داخل حصن.

مشيدة: تم بناؤها بإحكام؛ أي: لو كنتم في بروج مشيدة تتوارون عن الموت، فالموت لا بُدَّ أن يخترق كل تلك البروج، ويصل إليكم، ولو كان عن طريق جرثومة، أو فيروس، أو بعوضة، وبسبب أو بلا سبب سيصل إليكم، فلم الخوف من الجهاد في سبيل الله، والموت في سبيله بدلاً من الموت، كما يموت البعير.

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾:



﴿وَإِنْ﴾: الواو: استئنافية. إن: شرطية فيها معنى الاحتمال.

﴿تُصِبُّهُمْ حَسَنَةٌ﴾: أي: تصيب المنافقين، أو ضعاف الإيمان، أو غيرهم من اليهود.

الحسنة: النعمة، والحسنة؛ أي: غنيمة، أو خير، أو خصب، أو رزق.

والحسنة لغوياً: هي كل ما يسر النفس، ويستحسنه الإنسان. وشرعاً: الحسنة هي كل عمل من قول، أو فعل خير يورث ثواباً.

﴿يَقُولُوا هَذِهِ﴾: اسم إشارة للقريب، هذه الحسنة من عند الله، وليس من عندك يا محمد، لا يريدون أن ينسبوا إلى رسول الله شيئاً من خير، أو بركة، أو فضل.

﴿وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾:

﴿تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: من فقر، وهزيمة، أو مرض، أو بلاء، يقولوا: هذه المصيبة، أو السيئة.

﴿هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾: من عندك يا محمد ﷺ، فهم ينسبون ذلك إلى محمد، أو أنت السبب، أما الحسنة، أو الخير فينسبونه إلى الله تعالى، وكل هذا بسبب التطيّر والتشاؤم، واتهام رسول الله ﷺ بما يلحق بهم من شر، وهو بريء من ذلك؛ حتى يفرّقوا بين الله ورسوله ﷺ. والسيئة هنا لا تعني المعصية أو الإثم أو الذنب، وإنما المصيبة، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾؛ إذن ما يصيب الإنسان من السوء أو الشر بسبب ذنوبه أو تقصير منه أو هو ابتلاء من الله تعالى فما عليه إلا الصبر.

﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.



﴿كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾: الحسنة، أو السيئة التي تصبكم كل من عند الله، وما يحدث من حسنة، أو سيئة هو بقضاء الله وقدره، وكل ما يصيب المؤمن من حسنة، أو سيئة هو خير، وهو ابتلاء من عند الله تعالى أيصبر، أم يشكر.

﴿فَالْهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾:

فما: الفاء: استئنافية، ما: اسم استفهام يراد به التعجب من فرط جهلهم.

﴿هَؤُلَاءِ﴾: الهاء: للتنبيه؛ تنبيه المستمع، أو الهاء: اسم إشارة.

﴿الْقَوْمِ﴾: كفار مكة؛ أي: المشركون.

﴿لَا﴾: النافية المطلقة.

﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾: أي: ماذا أصاب هؤلاء القوم في عقولهم، فهم لا يكادون يفقهون حقيقة ما يقال لهم من حديث، أو كلام، أو قرآن.

لا يفقهون حديثاً: الفقه في اللغة: الفهم، والفقه اصطلاحاً أو في الشريعة: هو معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، مثل العلم بأفعال المكلفين، وتشمل التحليل والتحریم والإباحة والصحة والفساد والإطلاق والنهي والإيجاب وغيرها، والقول لا يكاد يفقه حديثاً هو أسوأ من القول إنه لا يفهم، ولا هو قريب من الفهم.

والحديث قد يعني القرآن، فهم لا يفقهون معانيه، وآياته، ولا هم قريبون من فهمه، أو الأحكام الشرعية أو ليس عندهم أي علم.

[٧٩] ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾:

﴿مَا﴾: نكرة لغير العاقل وشرطية.

﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾:



أولاً: قال: ما أصابك، ولم يقل: ما أصبت.

﴿مَا أَصَابَكَ﴾: أي: ما يأتي به الله لك من الابتلاء بالحسنات، ويوفئك على فعله، والصبر عليه، وشكره كله من فضل الله تعالى. ارجع إلى الآية السابقة (٧٨)؛ لمعرفة معنى الحسنة.

وما أصابك من الابتلاء بالسيئات: فهو من عند الله تعالى، وكذلك بسبب ما قدّمت يداك، وهو كذلك خير إن صبرت واحتسبت لله، وتكرار ما أصابك مرتين للفصل بين الإصابة بالحسنات، والإصابة بالسيئات، أو كلاهما معاً.

فما يصيبنا من سيئة: قحط، أو مرض، أو مكروه، أو فقر، أو ألم، أو هزيمة؛ فذلك بما قدّمت أيدينا، وهو بإذن من الله، وهو قضاء وقدر؛ ليرفع به درجاتنا في الآخرة، ويمحو عنا سيئاتنا، أو هو ابتلاء، واختبار؛ لرفع الدرجات.

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾: يا محمد للناس: اللام: لام الاختصاص.

﴿رَسُولًا﴾: أي: لتبلغهم رسالات ربك، وبشيراً، ونذيراً لهم.

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: يكفي بالله: الباء: للإلصاق والتوكيد؛ أن يكون شهيداً لك بأنك رسوله، وأن ما يصيبهم من سيئة لست لك بها دخل، ولست أنت السبب، كما يظن بعضهم ظناً باطلاً، ولمعرفة معنى (شهيداً): ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٣).





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

الجزء الثاني

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَنْ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيمًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾



سورة النساء [الآيات ٨٠ - ٨٦]

[٨٠] ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾:

﴿مَنْ﴾: شرطية.

﴿يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾: لأنه ﷺ لا يأمر إلا بما أمر الله به، ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه، والله سبحانه هو الأمر والنهي، والرسول ﷺ هو المبلغ عما أرسله به، فطاعة الرسول ﷺ هي امتثال لطاعة الله.

وقد: للتحقيق، والتوكيد، قد أطاع الله.

﴿وَمَنْ تَوَلَّى﴾: ومن: شرطية؛ تولى؛ أي: ترك وابتعد، والتولي: أشد من الإعراض؛ أي: ورفض طاعة الرسول ﷺ، فدعه وأعرض عنه، ولا يهْمُك أمره.

﴿فَمَا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، وما: النافية.

﴿أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾: فما أرسلناك لتحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها؛ إن أنت إلا نذير.

﴿حَفِظًا﴾: تعني كذلك: وما أرسلناك لتمنعهم، وتعصمهم من التولي، ومن مكائد الشيطان، أو تصرف عنهم وتحفظهم من المكاره والشدائد، فلا يهلكوا.



[٨١] ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾:

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾: أي: إذا كانوا عندك يقول المنافقون: سمعاً وطاعة، أو أمرك مطاع.

﴿وَيَقُولُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ للدلالة على التجدد والتكرار، وحكاية الحال بدلاً من قالوا.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة؛ أي: مجرد خروجهم من عندك. إذا ظرفية زمانية تعني: وحين يخرجون.

﴿بَرَزُوا﴾: خرجوا من عندك، ويقال للمقاتل: برز للقتال؛ أي: خرج.

﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾: الطائفة: جماعة من الناس تطوف على حول عقيدة، أو آراء حقّة، أو باطلة.

قال: بَيَّتَ بدل من بيتت طائفة، ذكر الفعل، ولم يؤنثه، ويجوز تذكير، أو تأنيث الفعل من الناحية اللغوية، وأما من الناحية البيانية: فالتذكير يدل على القلّة؛ أي: الطائفة التي بيتت هي عدد قليل. وبيت: قيل مشتق من البيت، والبيتوتة ليلاً، ويعني: الاستخفاء عن أعين الناس. إذن بيت جمعت معنيين: هم قلّة، وقاموا بذلك ليلاً.

قاموا بالتدبير ليلاً؛ أي: غيروا، وبدلوا ليلاً، وتشاوروا على العصيان، وغيروا الذي قالوه لك.



﴿طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾: من المنافقين الذين قالوا آمنا بأفواههم، ولم تؤمن قلوبهم؛ ليأمنوا على دماءهم وأموالهم، والمنافقون طائفتان: قسم بيت، وقسم لم يُبيت.

﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾: واللّه يعلم ما يبيتون، ويتآمرون عليه، ويأمر حفظته الموكلين بالعباد بكتابة ما يقولون، وفي هذا تهديد ووعد لهم بما يسرونه، ويتفقون عليه بالخفاء؛ لمخالفة الرسول ﷺ وعصيانه.

﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾: دعهم وشأنهم، والإعراض يعني: ابتعد عنهم واتركهم، وهذا الإعراض ليس فيه معنى السوء.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: فوَضْ أمرُك إلى الله؛ أي: اطلب منه العون، والنصر بعد أن اتخذت الأسباب؛ أي: أسباب الحيطة والحذر.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: التوكل: يعني: رد الأمر إلى الله فهو حسبك، يكفيك مما يبيئونه من المنكر والشر، ولا تحتاج إلى أحد غيره سبحانه القوي العزيز. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لمزيد من البيان عن التوكل.

[٨٢] ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾:

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: همزة استفهام، وإنكار.

﴿يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾: يتدبرون من التدبر، وهو طول النظر في عاقبة الأمر، أو الأمور، والتدبر: هو التدبر العقلي والقلبي والفهم، والتفكر، والتأمل في المعاني، والآيات. ارجع إلى سورة محمد آية (٢٤) للمزيد من البيان ومعرفة الفرق بين يتدبرون ويدبروا.

﴿وَلَوْ﴾: لو: شرطية.



﴿كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: أي: لو افترضوا على سبيل الشك أن القرآن كان من عند غير الله سبحانه؛ لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً؛ أي: فيه الكثير من التناقض، والاختلاف، والشبهات في آياته، ونظمه، وأخباره، وعجزه.

وقد يظن القارئ، أو المستمع لهذه الآية الظن الباطل: أن في القرآن اختلافاً قليلاً مقارنة فيما إذا كان من عند غير الله تعالى؛ لوجد ما فيه اختلافاً كثيراً، والجواب على التساؤل: لا أصلاً، ولا حتى افتراضاً أن يكون هناك قرآن غير القرآن المنزل على محمد ﷺ.

ولا أصلاً، ولا حتى افتراضاً أن يكون في القرآن الكريم اختلافاً كثيراً، ولا حتى قليلاً، أو يسيراً.

[٨٣] ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

سبب النزول: كان المنافقون، وضعاف الإيمان في زمن رسول الله ﷺ إذا جاءهم خبر، أو نبأ أن النبي ﷺ سيخرج في سرية إلى مكان كذا، أو في زمن كذا، أو هناك من يريد أن ينظم إلى حلف النبي ﷺ، أو يأتيهم خبر صادق، أو كذب؛ كهزيمة، أو قتل أحد المسلمين، أو حتى ما يتعلق بما يحدث في بيت النبي ﷺ من شائعات يسارع هؤلاء الناس إلى إفشاء الخبر، وإشاعته من دون التريث، والصبر، والاطلاع على حقيقة الأمر، وترك الأمر إلى الرسول ﷺ، وأولي الأمر حتى يدرسوه، وينظروا فيه، ويتخذوا القرار الإعلامي المناسب الذي يحفظ

أسرار المؤمنين ووحدهم، ويتجنب بذلك تسرب أخبار المسلمين إلى أعدائهم، فنزلت هذه الآية تبين لهم السبيل الأفضل لاتخاذ القرار.

﴿وَإِذَا﴾: ظرف للزمان فيه معنى حتمية الحدوث وكثرته.

جاءهم أي: المنافقون أو ضعاف المسلمين أو غيرهم.

﴿جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ﴾: خبر يتعلق بالأمن؛ الأمن يعني: الاستقرار والطمأنينة مثل خروج النبي والصحابة إلى غزوة ما، ومكان كذا، أو أمر يعزم عليه النبي ﷺ، أو بنتيجة الغزوة، أو المعركة من نصر وغنيمة، وفتح، وما حدث من نكبة، وهزيمة، وجراح، أو أي شيء غيره.

﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾: أي: أفشوه، وأعلموا به الناس.

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾: أي: أرجعوا الخبر إلى الرسول، وأولي الأمر منهم، وانتظروا ولم يذيعوا الخبر حتى يُعرض على الرسول، وأولياء الأمر منهم، والسلطة، ويدرسوه.

﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾: أي: لنظروا في الخبر ودرسوه، وعرفوا سرّه، وما يترتب عليه؛ فإن كانت هناك فائدة في إذاعته قاموا بذلك، وإن كان ضاراً بهم وبمصلحتهم أخفوه، ولم يذيعوه.

﴿لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾: السلام: لام الابتداء، وتفيد التوكيد، والاستنباط: من النبط؛ وهو ظهور الشيء بعد خفائه، وقيل: النبط هو الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفره. وقيل: الاستنباط: الاستخراج؛ أي: ما يستخرجه أولو الأمر والقادة للجيش والسرايا بفضل علمهم وتفكيرهم في الأمر، وخبرتهم،



والوصول إلى إصدار الحكم بإذاعة الخبر أم لا، حسب ما تقتضيه المصلحة العامة، والمفوض إليهم الأمر لكي يستنبطونه، وليس لكل فرد الحق في الإدلاء بدلوه.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿وَلَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود شرط.

﴿فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: وهو إرسال الرسول ﷺ، وأن هداكم للهدى، وهو الإسلام والإيمان.

﴿وَرَحْمَتُهُ﴾: القرآن: جاءت رحمته وفضله بصيغة النكرة؛ لتشمل كل فضل ورحمة؛ لأن رحمته لا تُعد، ولا تحصى.

﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: اللام: لام التوكيد؛ أي: اتبعتم الشيطان:

١ - في قبول تلك الإشاعات، ونشر الفساد والكذب.

٢ - وفيما يأمركم به من الفواحش إلا قليلاً منكم.

٣ - ولضللتكم إلا قليلاً منكم.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: إلا: أداة استثناء، منكم: من ذوي العقول النيرة، وأولي الألباب الذين لم يذيعوا، ولم يفشوا تلك الأخبار، أو الأسرار، ولم يتبعوا الشيطان، ولم يضلوا بفضل الله ورحمته، ولم يتأثروا بالإشاعات، والدعايات الكاذبة.



[٨٤] ﴿فَقِنْلٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾:

﴿فَقِنْلٍ﴾: الفاء: للتوكيد، أو فاء السببية ما قبلها سبب ما بعدها:

١ - قيل: نزلت لما دعا رسول الله ﷺ الناس للخروج إلى أبي سفيان إلى بدر الصغرى بعد غزوة أُحُدٍ، كما روى ابن عباس.

٢ - أو متصلة بقوله سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: فقاتل في سبيل الله.

٣ - أو: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾: فقاتل في سبيل الله.

﴿فَقِنْلٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾: أي: لا يكلفك ربك إلا نفسك وحدها؛ فلا تهتم بتخلفهم عنك، وقاتل ولو وحدك، وابتغاء وجه الله وحده. ﴿إِلَّا نَفْسَكَ﴾: أداة حصر، وقصر.

﴿وَحَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: حثهم على الجهاد، ورغبهم في الثواب. ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾:

﴿عَسَى اللَّهُ﴾: فعل لرجاء حصول الفعل في المستقبل.

﴿أَنْ﴾: للدلالة على الاستقبال.

﴿يَكُفُّ﴾: يمنع أو يصد.



﴿بَأْسٌ﴾: البأس هو: الشدة، والقوة في الحرب والمكيدة، ويطلق على العدة والسلاح أيضاً.

أن يكف بأس قتال الذين كفروا وشرهم وكيدهم.

﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾:

﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾: قوة من قريش.

﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾: أشد عقوبة وعذاباً؛ ليكونوا عبرة لغيرهم.

والتنكيل: التعذيب بالنكل، وهو القيد، ثم استعمل في كل تعذيب، وجمعه أنكال.

[٨٥] ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيبًا﴾:

﴿مَنْ﴾: شرطية للعاقل:

﴿يَشْفَعْ شَفَعَةً﴾: الشفاعة: هي التوسط بالقول، أو الفعل (شفاعة إنسان لإنسان) في الوصول إلى منفعة دنيوية، أو أخروية، أو إلى الخلاص من مضرة ومن دون أجر، أو عوض على القيام بالشفاعة، وُسِّمَتْ شفاعة؛ لأن الشفيع يصير مع المشفوع له شفعا؛ أي: زوجاً.

﴿شَفَعَةً حَسَنَةً﴾: الوساطة في الخير، والإصلاح، والدعاء له، والحسنة: كل ما يسرُّ النفس، أو تستحسنه النفس. ارجع إلى الآية السابقة (٧٨)؛ لمزيد من البيان.

﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّمَّا﴾: يكون للشافع نصيبٌ (قسطٌ)، أو حظٌ جيدٌ من الأجر والثواب.

﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾:

شفاعة سيئة وساطة في فعل الشر أو بأن يؤيد باطلاً، أو يترك معروفاً، أو تكن في معصية الله، أو ظلم وجور، أو الوقوع في حدٍّ من حدود الله.

﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾: أي: أن يكون للشافع شفاعة سيئة كفلاً منها؛ أي: يكن له جزءٌ من جزء المشفع له على شفاعته السيئة.

ما هو الفرق بين النصيب والكفل؟

النصيب: هو الحظ الجيد من الأجر، ويستعمل النصيب مع الشفاعة الحسنة للترغيب، وهو يضاعف، بينما الكفل: لا يزيد، ولا ينقص، وإنما هو مساوٍ لها، والشفاعة الحسنة لا تكفيك للوصول إلى الغاية، فلا بُدَّ من القيام بنفسك بالأعمال الصالحة الأخرى بالإضافة إلى تلك الشفاعة الحسنة.

وهناك أنصبة (جمع نصيب) في العبادات القلبية، واللسانية، والبدنية، فكل عبادة تعطيك نصيب من الأجر.

الكفل: أكثر ما يستعمل في الشر، وقد يستعمل في الخير؛ كقوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَّحْمَتِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]، فإذا استعمل في الشر: كفل الشيء؛ أي: مثله تماماً، لا يزيد ولا ينقص، وجزاء السيئة سيئة مثلها، ولا نقول بعشر أمثالها مثلاً.

وهذه الشفاعة السيئة وحدها تكفي، وتكفل للشافع دخول جهنم، ولا يحتاج إلى شيء آخر، وهذا هو الفرق.



﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا﴾: كان تشمل كل الأزمنة، مقيتاً: مشتقة من قاته؛ أعطاه القوت، وهو الطعام، ولماذا أعطاه القوت؟ لكي يحافظ على حياته، إذن الله سبحانه يعطيهم ما يحفظ لهم حياتهم (فهو الحفيظ).

وإذا كان يعطي القوت؛ فهو (الرزاق)، والمطعم لمخلوقاته جميعاً.

إذن: مقيتاً قد تعني: الرزاق، والحفيظ.

[٨٦] ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾:

﴿وَإِذَا﴾: الواو: استئنافية. إذا: شرطية تدل على حتمية الحدوث وبكثرة.

﴿حُيِّتُمْ بِنَحِيَةٍ﴾: التحية: السلام؛ كأن يقول أحد لكم: السلام عليكم.

﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾: بأن تقولوا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾: نفسها؛ كأن تقولوا مثل الذي قال لكم: السلام عليكم،

وعليكم السلام.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿كُلِّ﴾: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

الحسيب: الكافي للعباد، كان، ولا يزال، وسيظل من الأزل إلى أبد الأبد حسيباً، الذي يحاسب عباده على أعمالهم؛ أي: يجازيهم عليها، وهو سريع الحساب.



ولنعلم: أن ابتداء السلام (التحية) سنة؛ لقوله ﷺ: «أفشوا السلام بينكم»
رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، عن أبي هريرة.
ورُدَّ السلام فرض عين، ومنهم من قال: فرض كفاية بناءً على هذه الآية:
وإذا حييتم بتحية...



الْبَيْتُ الْخَمْسُونَ

سُورَةُ النَّبَاِ ٤٦

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ
وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾

92

الحزب
١٠

۱۰۰



سورة النساء [الآيات ٨٧ - ٩١]

[٨٧] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ﴾ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥٥).

﴿لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون في يجمعنكم للتوكيد.

الجمع: يجمع الأولين والآخرين، والجمع: في مكان واحد.

﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾: إلى: حرف غاية، تستعمل لعموم الغايات؛ أي: لكل الأوقات بدء الوقت، منتصفه، آخره.

﴿يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾: سُمِّيَ بيوم القيامة لقيام الناس لرب العالمين، ولما يقوم فيه من أمور عظام، والتأنيث للمبالغة، مصدر قام.

﴿لَا رَيْبَ﴾: لا: النافية للجنس، الريب: الشك زائد التهمة.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك فيه، ولا اتهام.

﴿وَمَنْ﴾: الواو: استئنافية. من: ابتدائية استفهامية.

﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾: الحديث: يعني هناك محدث ومستمع وجهاً لوجه (متكلم وسامع).



والحديث قد يعني الأخبار كما هو الحال هنا، فالله سبحانه يخبر عما سيحدث للناس يوم الجمع.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾: الجواب محذوف، تقديره: لا أحد أصدق من الله سبحانه حديثاً، أما الفرق بين قوله: ومن أصدق من الله قيلاً، وقوله تعالى: ومن أصدق من الله حديثاً الآية (١٢٢) من نفس السورة.

١ - فقد تقول شيئاً، ولا يوجد مستمع، أو يوجد مستمع، ولا يشترط عليه الإجابة، بينما الحديث هناك محدث ومستمع.

٢ - والقول أوسع وأعم من الحديث، والحديث أكثر من خبر واحد.

[٨٨] ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾:

سبب النزول: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ﴾: روى الشيخان وغيرهما عن زيد بن ثابت: أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد، فرجع ناس من المنافقين، خرجوا معه، فانقسم أصحاب رسول الله ﷺ إلى فئتين: فئة تقول: نقاتلهم، وفرقة تقول: لا، فأنزل الله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ﴾.

وقيل: إنها نزلت في قوم أظهروا الإسلام، وكانوا يُعينون المشركين على المسلمين، فاختلف المسلمون في شأن قتالهم، أو عدمه، والمهم هو عموم اللفظ، وليس خصوص السبب.

فما: الفاء: استئنافية، ما: اسم استفهام، فيه معنى الإنكار، والتوبيخ.



﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ﴾: لماذا انقسمتم أيها المؤمنون في شأن أمر المنافقين إلى فئتين، ولا داعي لهذا الانقسام، ولا مبرر له.

فئة تدعوا إلى قتالهم ودفعهم إلى ذلك الشعور بحمية الإيمان.

وفئة تدعو إلى عدم قتالهم ودفعهم إلى ذلك قرابتهم وصلتهم العائلية.

﴿وَاللَّهُ أَرْكَسُهُمْ﴾: أي: ردّهم، أو نكسهم.

الركس: هو قيء الطعام المختزن في المعدة بعد هضمه.

فالله يصف المنافقين الذين ارتدوا، أو رجعوا إلى الكفر، أو لم يقاتلوا مع رسول الله ﷺ كالقيء الذي يخرج من المعدة، وارتدوا إلى ما كانوا عليه من الكفر، ولم يجبرهم أحد على الدخول في الإسلام، وهم اختاروا ذلك.

﴿أَتُرِيدُونَ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري.

﴿أَنْ تَهْدُوا﴾: أن: للتوكيد، تهدوا من أضل الله: تهدوا هؤلاء الذين انحرفوا، وتركوا سبل الهداية، وضلوا، وارتدوا إلى الكفر.

فالله لم يضلّهم إلا من بعد ما أرادوا هم أنفسهم الضلال، واختاروه طريقاً لهم، فهؤلاء لن تهدوهم، أو حتى تستطيعوا هدايتهم إلى الإسلام مرة أخرى.

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: شرطية.

﴿يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾: ومن يريد أن يكون ضالاً عن طريق الحق، وبعيداً عنه، ولا يريد الهداية نفسه.



﴿فَلَن﴾: الفاء: للتوكيد.

لن: تفيد نفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿تَجِدْ لَهُ سَبِيلًا﴾: طريقاً، أو وسيلة، فلن تجد أي سبيل لهدايته. سبيلاً:

نكرة تعني؛ أي وسيلة، أو طريقة لهدايته.

[٨٩] ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾:

﴿وَدُّوا﴾: تمنوا لو تكفرون: ولم يقل: تكفروا، بل قال تكفرون جاء بنون

التوكيد.

﴿لَوْ﴾: حرف مصدري للتمني، لو تكفرون كما كفروا، لو تضلون كما

ضلوا. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٦)؛ لبيان معنى الكفر.

﴿فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾: أي: متساوون معهم في الكفر، والضلال بسبب حسدهم

وغيضهم، ولذلك فاحذروهم، فلا تتخذوا منهم أولياء.

﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد.

لا: الناهية. ﴿تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾: جمع ولي، ونصير.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: يهاجروا إلى المدينة، ويقطعوا صلتهم بالكفار،



وليس الأمر مجرد الهجرة، فلا بُدَّ من الإخلاص في إيمانهم، وهجرتهم، ولا يهاجروا لأغراض دنيوية.

والهجرة في سبيل الله تدل على صدق إيمانهم.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعُدُّوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَنْخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾:

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: فإن أعرضوا عن الهجرة، أو هاجروا، ثم ارتدوا عن الإيمان إلى النفاق، والكفر، أو استمروا على كفرهم ونفاقهم.

﴿فَعُدُّوهُمْ﴾: من الأخذ، ويعني: الأسر.

﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾: أينما وجدتموهم، سواء في الحرب أو غير الحرب، أو من حالة الأمن أو غير الأمن، أو السلم أو غير السلم؛ لأنكم قادرون عليهم، وأقوى منهم.

﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾: أي: في أية فرصة تجدونهم فيها، وفي أي مكان وزمان في الحل والحرم.

﴿وَلَا تَنْخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: لا: الناهية؛ أي: لا تطلبوا من أي واحد منهم، (من هنا استغراقية)؛ أي: تشمل كل واحد أن يكون لكم ولي؛ أي: معين ومساعد، ولا نصير. ولا تسألوا أيًا منهم أن يقاتلوا معكم، أو ينصروكم بالقوة ما داموا على ذلك، ثم استثنى من أخذهم أسرى، وقتلهم بعض الأشخاص، كما ورد في الآية (٩٠).

[٩٠] ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ



يُقَتِّلُوكُمْ أَوْ يُقَتِّلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَنَلُوكُمْ فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَتِّلُوكُمْ
وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٥٠﴾

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء؛ أي: لا تأسروا، ولا تقتلوا منهم: الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق، أو الذين حصرت صدورهم.

الصنف الأول: الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق: هو العهد الموثق بالأيمان، أو القسم، وهو أشد من العقد والعهد؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٧) لمزيد من البيان، هم:

- الذين التحقوا، أو انضموا إلى صف القوم الذين بينكم وبينهم ميثاق، أو عهد، أو صلح مثل صلح الحديبية، كما ورد في صحيح البخاري، فهو لاء أصبحوا معهم على عهدهم، من أحب أن يدخل في صلح قريش وعهدهم دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في صلح محمد وأصحابه، وعهدهم دخل فيه بحكم استجارتهم بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق وطلبهم الأمان منهم، فأمنوهم أنتم حتى لا تنقضوا عهدكم معهم.

الصنف الثاني: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصَرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَتِّلُوكُمْ﴾:

الصنف الثاني هم المحايدون الذي حصرت صدورهم؛ أي: ضاقت صدورهم، ولا يرغبون في قتالكم، ولا يرغبون أن يقاتلوا قومهم معكم، بل هم لا لكم، ولا عليكم.

فاصبروا عليهم، ولا تأسروهم، أو تقتلوهم.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَنَلُوكُمْ﴾: ولكن من رحمته ورأفته بكم أن



اعتزلوكم، وكيف بأس هذين الفريقين عنكم، ولذلك: ﴿فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾.

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: عاطفة. إن: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾: أي: الصلح والهدنة، اعتزلوكم بمعنى: كفوا أيديهم عنكم، ولم يتعرضوا لكم، ولم يقتلوكم، وألقوا إليكم السلم؛ أي: الصلح، والهدنة، ولمعرفة الفرق بين السُّلَم، والسَّلَم، والسَّلَم؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٠٨) للبيان المفصل.

﴿فَمَا﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة، ما: النافية.

أي: ما ﴿جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾: أي: أن تأسروهم، أو تقتلوهم (كما شاء الله لم يسلطهم عليكم).

[٩١] ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾:

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ﴾: ستعثرون على قوم آخرين صنف ثالث من المنافقين والمشركين، كانوا يأتون إلى المدينة المنورة، فإذا دخلوها أظهروا إسلامهم وولاءهم للمسلمين كي يأمنوا بطش المسلمين، وأذاهم، وأموالهم، وذرائعهم (النساء والصبيان).

وإذا عادوا إلى مكة أظهروا ولاءهم ومودتهم وشركهم للمشركين؛ كي يأمنوا شر المشركين، وبطشهم، كذلك كلما ردوا؛ أي: دعوا إلى الفتنة، إلى



الشرك والكفر؛ أي: عادوا إلى مكة، فدخلوا في الشرك والكفر، وإذا كانوا معكم عبدوا الله، وإذا كانوا مع قومهم عبدوا الأصنام، فهؤلاء يعتبرون مع الكفار، فالحكم في هؤلاء هو كالتالي: إن لم يعتزلوكم؛ أي: يتركوا قتالكم، ولا يحالفوا عليكم، أو يلقوا إليكم السلم (الصلح والهدنة)؛ أي: الانقياد بالاستسلام.

﴿وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَاخْذُوهُمْ وَأَقْلُبُوهُمْ حَيْثُ تَفْقَتُمُوهُمْ﴾: ثقفتموهم من الثقف: ثقف الرجل؛ أي: تمكن منه وظفر به؛ أي: في سياق الحرب، وليس مجرد أن وجده حاول أسره، أو قتله، بل لا بُدَّ من أن تكون له قدرة واستطاعة على فعل ذلك؛ مثلاً: أن يصبر حتى يعود إلى المدينة، فلا يلاحقه في مكة، أو ينتظر الزمن، والمكان المناسب للقيام بذلك، وهناك فرق بين ثقفتموهم، ووجدتموهم كما سيلي.

﴿وَأُولَئِكَمُ﴾: الواو: عاطفة. أولاء: اسم إشارة، والكف: للخطاب. ﴿جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾: جعلنا لكم: اللام في لكم الاستحقاق، أو الاختصاص.

﴿سُلْطَانًا﴾: السلطان نوعان: سلطان القوة القتالية، وسلطان الحجة والمنطق والأداء الذي يقنع الآخرين.

﴿مُبِينًا﴾: سلطاناً واضحاً، وحجته على قتلهم وسيبهم.

ما هو الفرق بين: حيث وجدتموهم، وحيث ثقفتموهم.

﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾: أي: أنتم في موقف القوة، والسلطة لكم، والحكم، فعندها خذوهم أينما وجدتموهم، واؤسروهم، واقتلوهم.



حيث ثقفتموهم: أي: إذا جاؤوا إليكم، وتمكنتم منهم في الحرب هذا هو الشرط؛ عندها خذوهم وأسروهم واقتلوهم.

وإذا وجدتموهم في أيِّ مكانٍ، أو زمانٍ، وأنتم غير قادرين، ليس عندكم القوة والعدة لأسرهم، أو قتلهم؛ فلا تقتربوا منهم، وانتظروا الفرصة، ولو قال: حيث وجدتموهم بدلاً من حيث ثقفتموهم؛ لكان على المسلمين أن يذهبوا، ويبحثوا عنهم في مكة، أو أينما كانوا، وهذا أمر صعب إذا لم يكن المسلمون في حالة القوة، ومن الصعب القيام بذلك، فلا يجوز تفسير: ثقفتموهم: وجدتموهم، كما في كثير من كتب التفسير.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

الْحُرُورُ وَالْجَنَاحُ

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ
مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى
أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ
مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ
إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ
اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا
مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ
اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَأَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا
لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ
عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ
كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

سورة النساء [الآيات ٩٢ - ٩٤]

[٩٢] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية، ما: النافية.

﴿لِمُؤْمِنٍ﴾: لمؤمن: لام الاختصاص، أو الاستحقاق.

﴿أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾: أن: حرف مصدري يفيد التعليل.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿خَطَأً﴾: الخطأ: هو الفعل غير الاختياري يكون بغير عمد، أو قصد.

﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: شرطية.

﴿قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً﴾: جاء بالفعل الماضي؛ لأن قتل الخطأ لا يتكرر يحصل مرة وانتهى، أم القتل العمد فقد يتكرر، ولذلك جاء بصيغة المضارع، حين قال:



﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣]، فكفارة القتل الخطأ: تحرير رقبة مؤمنة + دية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا.

﴿فَتَحْرِيرُ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط.

لماذا تحرير رقبة مؤمنة، ولماذا الدية؟

قالوا: حين يُقتل مؤمنٌ خطأ يحدث اختلال في توازن المجتمع؛ لأن المجتمع خسر فرداً من أفرادهِ، وأصبح اختلال في عائلة المقتول، وبالتالي في المجتمع؛ لأن المجتمع مكون من عائلات، فلكي نعيد التوازن الاجتماعي يجب تحرير رقبة مؤمنة تقوم مقام المؤمن الذي قُتل؛ أي: من تسبب في موت نفس مؤمنة عليه بإحياء نفس ميتة وأين يجد هذه النفس؟ يجدها بين النفوس الكثيرة المستعبدة فالرق والعبودية قتل للنفوس.

ولكي نعيد التوازن في عائلة المقتول لا بُدَّ من دفع دية مسلمة إلى أهله، جبراً لخطرهم حتى لا تقع عداوة بعدها، إلا أن يعفو عنها ولي وأهل المقتول، وسمى الله تعالى العفو عن أخذ الدية تصدقاً، أو صدقة؛ للترغيب بالقيام بذلك، فقال: إلا أن يصدقوا، أو يمكن أخذ الدية والتصدق بها، وهذا أفضل.

ما هو الفرق بين تحرير رقبة، وفك رقبة؟

تحرير رقبة جاء في (٦) آيات، وفك رقبة ذكر في آية واحدة في سورة البلد، الآية (١٣).

تحرير رقبة: التحرير يكون من الرق، وهذا لم نعد نراه في عصرنا هذا، والتحرير بالعق، أو التخليص، ويقوم بها الذي عليه الكفارة.

فك رقبة: فكها من الأسر، وهذه باقية إلى يوم القيامة، أو فكها من السجن، وفك رقبة تعني أن تعين على تخليصها من الأسر، أو السجن، وإما أن يقوم بها واحد، أو يشترك معه آخرون.

﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾:

﴿فَإِنْ﴾ الفاء: للتفصيل.

إن: شرطية تفيد الندرة، أو الاحتمال.

هو: ضمير منفصل يفدي الحصر والتوكيد.

فإن كان المقتول من قوم عدو لكم، والمقتول هو مؤمن؛ أي: هو مؤمن، ولكن من قوم كفار، فالكفارة هنا تحرير رقبة مؤمنة فقط.

وليس عليه دية لأهل المقتول؛ لأنهم كفار. والدية غايتها جبر لخاطر أولياء المقتول، ولما كان هؤلاء كفار سقط هذا الحق.

وقال سبحانه: عدو لكم، ولم يقل: أعداء لكم: لأن عداوتهم متشابهة، فهي كعداوة الواحد، وليس لها أشكال مختلفة عداوة لها سبب واحد، وهو الدين، وعندما يتحد مصدر العداة، فهم عدو واحد.

﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ، وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾:

﴿وَإِنْ﴾ الواو: عاطفة.

إن: شرطية تفيد الاحتمال.



كان: المقتول مؤمناً من أهل الذمة، أو من قوم غير مسلمين، وبينكم وبينهم ميثاق على السلم، أو معاهدة: فكفارة قتله الدية، وتحرير رقبة مؤمنة؛ لأن هؤلاء لهم ما للمسلمين من حقوق، فلا بُدَّ من الوفاء بالميثاق.

والدية تؤخذ من مال القاتل الجاني، وإذا لم يكن له مال تؤخذ من العاقلة (عائلة الجاني).

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾:

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: عاطفة. من: شرطية.

﴿لَمْ يَجِدْ﴾: الرقبة، أو لم يتسع ماله لشرائها؛ أي: تحريرها، فصيام شهرين متتابعين بكل أيامها من دون فاصل؛ إلا بعذر كالمرض، أو السفر، وبمجرد أن ينتهي المرض أو السفر؛ عليه استكمال ذلك، والتتابع هو شرط في هذه الحالة إلا بعذر.

﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾: لماذا قال سبحانه: توبة من الله، ولم يقل: توبة من القاتل الجاني، توبة من الله؛ أي: تشريعاً من الله للعبد، توبة من الله تعني: توبة شرعها الله للقاتل غير العمد، والتوبة هي الدية، وتحرير رقبة توبة ماحية للذنوب. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: كان تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾: بما يصلح خلقه من تكاليف، وعليم بأعمالهم (أقوالهم وأفعالهم) ونواياهم.

﴿حَكِيمًا﴾: في تدبير خلقه، وفيما يقضي بينهم، أو يشرعه لهم من الأحكام، وحكماً مشتقة من الحكمة، أو الحكم، أو كليهما معاً.

وهو أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[٩٣] ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو: عاطفة. من: شرطية.

﴿يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾: وقتل العمد يجب أن تتوافر فيه الشروط التالية:

١ - كون القاتل، أو الجاني عاقلاً غير مجنون، بالغاً (سن البلوغ).

٢ - متعمداً قاصداً القتل مع سبق إصرار وتخطيط.

٣ - استعمال أداة القتل مما يقتل بها غالباً.

ويجب تفريق القتل العمد من شبه العمد؛ مثل: وكزه بيده؛ ففضلي عليه، وعقوبة القتل العمد الدنيوية: أن يُقتل القاتل، ويسمَّى هذا القصاص، ولا يرث القاتل، لا هو، ولا ورثته من المقتول إذا كان قريباً له.

أما العقوبة الأخروية: فجزاؤه جهنم خالداً فيها، وغضب الله عليه ولعنه (طرد من رحمة الله وإبعاد)، وله عذاب عظيم مهياً له، وينتظره.

هل للقاتل عمداً توبة؟ الجمهور قالوا: إن له توبةً إذا حدث القتل وانتهى، وأما من جاء يسأل عن فتوى، وهو يريد الإقدام على القتل؛ فقالوا: نقول له لا توبة له.

كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، وجماعة من العلماء، والصحابه، والتابعين: أنه لا توبة له، والجمهور: يرى أن تقبل توبته إذا حدث القتل وانتهى وتاب؛ لقوله



سبحانه: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

﴿فَجَزَاءُ﴾: الجزاء مقابل العمل، ويعني: العقاب، أو الثواب، وفيه معنى المماثلة.

﴿جَهَنَّمَ﴾: ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) للبيان المفصل.

﴿خَلِدًا فِيهَا﴾: البقاء الدائم المستمر يبدأ من زمن دخولها.

﴿وَعَصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾: الغضب يقتضي العقاب، ويعني: السخط، والغضب الذي توجهه الحكمة.

﴿وَلَعَنَهُ﴾: اللعن: الطرد من رحمة الله تعالى والإبعاد.

﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾: هيا له أشد أنواع العذاب؛ العذاب العظيم، وهو أشد من العذاب المهين، والعذاب الأليم، والعذاب الكبير.

[٩٤] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرِئْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ كُنتُمْ عَلَيْهِمْ فَتَبَيَّنُوا وَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾:

سبب النزول: روى البزار، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد بن الأسود، فلم أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا، وبقي رجل له مال كثير لم يبرح، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فعمد إليه المقداد فقتله، فقال له رجل من أصحابه: أقتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله؟ والله لأذكرن ذلك للنبي ﷺ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله: إن رجلاً شهد أن لا إله إلا الله؛ فقتله المقداد، فقال: ادعوا لي المقداد، فدعوه، فقال ﷺ: يا مقداد

أَقْتَلْتُ رَجُلًا يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ فَكَيْفَ لَكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَدًا؟ قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى
إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، و﴿أَلْقَى
إِلَيْكُمْ السَّلَامَ﴾: يعني: جاءكم مستسلماً، أو قال الشهادة، أو كلمة التوحيد،
فليس من حق أحد أن يلقي إليه الاتهام بعدم الإيمان، والإسلام، ويقول له: لست
مؤمناً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء إلى الذين آمنوا؛ أي: الذين هم على درب
الإيمان بأمر جديد، أو حكم، أو وصية، أو موعظة.

والهاء: للتنبيه.

﴿إِذَا﴾: شرطية، ظرفية للزمن المستقبل، وتدل على حتمية الحدوث.

ضربتم في سبيل الله: أي: خرجتم للجهاد، أو إعلاء كلمة الله، ونشر
الدِّين، أما الضرب في الأرض، فيكون للتجارة، أو العلم، أو غيره.

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط (إذا). تبينوا: تثبتوا، وتحققوا، ولا
تسرعوا، والتبين: هو الثبوت، والتبين يحتاج إلى ذكاء وفطنة، تأكدوا من صحة
الأمر بكل الوسائل.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية، تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست
مؤمناً.

﴿لِمَنْ﴾: اللام: لام الاختصاص.



﴿الْفَقَّ إِلَيْكُمْ السَّلَامُ﴾: أي: قال: السلام عليكم، أو أسلم، وأعلن إسلامه، أو استسلم، أو نطق بالشهادة.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾: ترفضوا شهادته، أو تكذبونه بما في قلبه، ويكفيكم الظاهر، والله أعلم بما في القلوب.

﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾:

﴿عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾: العرض: كل ما يعرض، ويزول، وليس له دوام، أو ثبات، من منفعة، أو لذة عاجلة، أو مال، أو جاه، وغيره.

ويسمى متاع الدنيا عرضاً: لأنه عرض زائل، وقيل: العرض بفتح الراء: هو المال، والعرض بإسكان الراء: يدل على المتاع من أثاث، وما ينتفع به، ولذلك كل عرض بإسكان الراء عرض بفتحها، وهناك معنى آخر: هو العرض على الله تعالى.

أي: إياكم أن يكون سبب إيذائه، أو قتله هو ابتغاء أخذ الغنيمة منه، أو المال، أو الانتقام، أو الحمية، أو أي عرض من الأعراض الدنيوية الفانية، فلا بُدَّ من إخلاص النية والتبيين.

﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾: أرزاق، ونعم كثيرة لا تعد، ولا تحصى تغنيكم عما في أيدي الناس.

﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بَكَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: هكذا كانت حالتكم قبل دخولكم الإسلام؛ إذ كنتم تخفون إسلامكم، وإيمانكم خوفاً من أذى المشركين والقتل إلى أن منَّ الله عليكم سبحانه، وأيدكم بنصره، فدخلتم الإسلام فصرتم آمينين، لا تخافون، وتظهرون إسلامكم، وتدعون الآخرين للدخول فيه، فتبينوا أيها الدعاة، ويا من تحملون راية الإسلام، فتثبتوا، وتأكدوا

من استباحة دماء إخوانكم من المسلمين، أو ممن ألقوا إليكم السلام، وكفوا أيديهم عنكم.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: للتأكيد؛ أي: تأكدوا أن الله يعلم بواطن الأمور، ونياتكم، وذوات الصدور، وما تفعلون من صغيرة وكبيرة في الماضي، والحاضر، والمستقبل، ومن يعلم بواطن الأمور يعلم ظواهرها، ولا داعي لذكر ذلك.

كان سبحانه منذ الأزل، ولا يزال، وسيبقى مطلعاً، ويدرك أحوالكم. وقدّم كلمة تعملون على خير؛ لأن سياق الآيات في الجهاد، والقتل. و﴿بِمَا﴾: الباء: فيها للإلصاق.

انتبه إلى قوله جل جلاله: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾: ذكرت مرتين؛ للتوكيد على التثبت من صحة الأخبار، والأدلة، وعدم التسرع في الحكم، والإقدام على أي فعلٍ من دون تمحيصه، والتأكد منه.





سُورَةُ النَّبَا ٤

الْبَقَرَةُ

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ
الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً
وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ
قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ
جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٩﴾
وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا وَسَعَةً
وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ
فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ
فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

سورة النساء [الآيات ٩٥ - ١٠١]

[٩٥] ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾:

﴿لَا﴾: النافية المطلقة تنفي كل الأزمنة، وأوسع في النفي من (لن).

﴿يَسْتَوِي﴾: في المنزلة، والأجر عند الله في الدنيا والآخرة.

﴿الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾: القاعدون: جمع قاعد؛ أي: لم يخرج للجهاد، والقاعد: قد تجمع على قعود، فالقعود: تدل على الاسم، أو المعنى، والقاعدون: تدل على الحدث، والضرر: يعني: فيهم علة مزمنة؛ أي: مرض مزمن كالسكر، أو أمراض الكلاوي والكبد... وغيرها؛ أي: غير الأصحاء عن الجهاد مع المؤمنين، وهم قسمان:

القسم الأول: غير أولي الضرر، وهم الأصحاء غير المصابين بأي مرض، وليس لهم عذر، أو عجز للخروج للجهاد بأموالهم وبأنفسهم.

والقسم الثاني: أولو الضرر: وهم المرضى والمصابون بعلة مثل: العمى، والعرج، والأمراض المزمنة، مثل: السكري، وبعض الأمراض الدموية، وغيرها.

﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾:



هنا أضاف الله سبحانه القسم الثالث من المؤمنين: وهم المجاهدون بأموالهم، وأنفسهم، فأصبحت ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المؤمنون القاعدون عن الجهاد من دون عذر، أو عجز.

القسم الثاني: المؤمنون القاعدون عن الجهاد بعذر، أو عجز؛ مثل: العمى، والعرج، أو مريض مزمن، هؤلاء هم أولو الضرر، هؤلاء أجبرهم قد يكون كأجر المجاهدين.

القسم الثالث: المؤمنون المجاهدون بأموالهم وأنفسهم.

إذن فضّل الله القسم الثالث، وهم المجاهدون (بأموالهم وأنفسهم) على القاعدين من المؤمنين غير أولي الضرر؛ أي: القسم الأول درجة في الفضل، والفضل: يعني الزيادة في الخير والأجر، وفضل: تعني رفع، وقدم الأعلى الأكثر درجة على الأدنى الأقل درجة.

﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾: وكلاً: تعني: المجاهدين بأموالهم وأنفسهم (القسم الثالث)، والقاعدين عن الجهاد بعذر، أو عجز (أولي الضرر)، والقسم الثاني، وقد تعني: المؤمنين بشكل عام (الأصناف الثلاثة)، ولكن درجاتهم في الجنة مختلفة، والحسنى: الجنة، والحسنى: اسم مشتق، مؤنث الأحسن.

﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾:

﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ﴾: بأموالهم وأنفسهم (القسم الثالث) على القاعدين من دون عذر، أو عجز (القسم الأول) أجراً عظيماً.

وما هو الأجر العظيم؟



فسرته الآية (٩٦): ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةٌ وَرَحْمَةٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. الأجر العظيم: هو الدرجات العالية، والمنازل الرفيعة في الجنان العالية؛ كالفردوس الأعلى، والأجر يتضمن مغفرة الذنوب والسيئات، ورحمة، وتعريفها: هي جلب كل ما يسر، ودفع ما يضر، وتعني: الإنعام على المؤمن بشتى أنواع النعم.

[٩٦] ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةٌ وَرَحْمَةٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

أي: الدرجات العالية في الجنة، والجنة كما نعلم (١٠٠ درجة)، كل درجة وأخرى كما بين السماء والأرض. والسؤال هنا: كيف نفسر منزلة المجاهدين درجات بعد أن ذكره الله تعالى (درجة) في الآية السابقة (٩٥) ذكر درجات ليبين معنى درجة ليس درجة واحدة، وإنما هي درجات حتى لا يظن أحد أنهم كغيرهم، وهذا يسمى التفصيل بعد الإجمال، وهناك تفسيرات أخرى:

تفسير أول: أعطى لأولي الضرر (القسم الثاني) درجة واحدة منزلة واحدة، وأعطى الله المجاهدين في سبيل الله بأموالهم، أو أنفسهم (القسم الثالث) درجات: منازل ومراتب في الآخرة.

تفسير ثانٍ: عندما قال سبحانه: درجة، فقد أجمل القول، ثم عاد وفسر ذلك بقوله: درجات منه ومغفرة.

تفسير ثالث: الدرجة تدل على درجة في الدنيا، وتعني: المدح، والتعظيم، والثناء، والذكر الحسن، ودرجات منه ومغفرة في الآخرة (تعني: درجات الجنة).

﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾: كان تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل، كان، وما زال، وسيظل سبحانه.



﴿غُفُورًا﴾: صيغة مبالغة؛ أي: كثير المغفرة كمًّا، ونوعاً، وأصل المغفرة الستر، فهو يغفر الذنوب العظام، ويغفر الذنوب، ولا يعاقب عليها.

﴿رَحِيمًا﴾: صيغة مبالغة رحيم كثير الرحمة لعباده المؤمنين في الدارين.

[٩٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾:

سبب النزول: كما روى ابن عباس؛ قيل: نزلت هذه الآية في ناس من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة، وادعوا أنهم مستضعفون، عاجزون عن الهجرة، وعاجزون عن إقامة شعائر الدين، وإذا هاجروا تسلب أموالهم، وحين خرج المشركون إلى بدر، خرج هؤلاء معهم، وقتلوا مع المشركين، فقتلوا وهم كفار، فبذلك أصبحوا ظالمين لأنفسهم.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: أي: توفتهم الملائكة بعد أن قتلوا في بدر.

توفاهم الملائكة، وفي آيات أخرى، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

وفي آية أخرى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، فالوفاة قد تنسب إلى الله، وإلى ملك الموت، وإلى الملائكة، فالأمر من الله ينزل إلى ملك الموت، ثم ملك الموت يأمر الملائكة الموكلين بوفاة العبد بالحضور لاستلام روحه بعد أن يقبضها ملك الموت؛ كي يصعدوا بها إلى عليين، أو سجين.



قال سبحانه: ﴿تَوَفَّهُمْ﴾: الوفاة: قد تعني الموت؛ أي: خروج الروح من الجسم، وقد تعني: المرحلة التي تسبق نزع الروح من الجسم، ولم يقل: تتوفاهم الملائكة، كما ورد في سورة النحل، آية (٢٨): ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾.

توفاهم في سورة النساء؛ تعني: قسماً من الظالمين الذين ادعوا بأنهم مستضعفون؛ فلما كان عددهم قليل قال تعالى: (توفاهم الملائكة).

أما تتوفاهم في سورة النحل تشمل كل الظالمين، وبما فيهم الظالمون المذكورون في سورة النساء.

فعدد الظالمين في آية النحل أكبر بكثير من عدد الظالمين في آية النساء، ولذلك زاد التاء التي تدل على الكثرة في آية النحل.

﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾: بسبب عدم الهجرة في سبيل الله رغم أنهم كانوا قادرين على الهجرة، وعدم طاعة الرسول ﷺ.

﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾: أي: سألتهم ملائكة الموت قبيل نزع أرواحهم فيما كنتم.

فيم: في ظرفية، وما: للاستفهام التوبيخي.

﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾: أي: في أيِّ الفريقين كنتم، أفي المسلمين، أم في المشركين، أو ما فعلتم بدينكم، وظلمتم أنفسكم بعدم الطاعة والهجرة.

﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: كنا مستذللين، ومقهورين في مكة، أو عاجزين في الأرض، ولم نتمكن من إقامة الدين.

﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا﴾:



﴿قَالُوا﴾: أي: الملائكة قالوا لهم.

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري، وتوبيخي.

﴿تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾: أي: ألم تكن أرض الله واسعة، وكنتم قادرين على الخروج من مكة إلى مكان آخر؛ مثل المدينة المنورة؛ لممارسة دينكم.

﴿فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾: وليس عليها؛ لأن الأرض تشمل الطبقة الغازية المحيطة بالأرض.

﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾:

﴿فَأُولَئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد.

أولئك: اسم إشارة، واللام: للبعد، وتفيد التحقير.

﴿مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ﴾: المأوى: اسم مكان، ويعني: منزلهم، أو المكان من أوى يأوي؛ أي: مكان إقامتهم واستقرارهم.

﴿جَهَنَّمُ﴾: مشتقة من الجهومة: الشيء المخوف، أو الكريه المنظر، والباعث على الكراهية، وجهنم تعني: بعيدة القعر. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) للبيان.

﴿وَسَاءَتْ﴾: من ساء؛ أي: قبح؛ أي: قبحت.

﴿مَصِيرًا﴾: المرجع، أو المال، والمتهى.

[٩٨] ﴿إِلَّا الْمُسْتَضَعْفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء للقعود عن الهجرة.

﴿الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ﴾: بالعلل، والأمراض المزمنة، والعجز، والفقر، وغيرها من الأسباب.

﴿وَالْوِلْدَانَ﴾: غير مكلفين، ولا يستطيعون حماية أنفسهم.

﴿وَالنِّسَاءَ﴾: لا تستطيع أن تحمي نفسها، وتحتاج إلى زوج، أو محرم.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾: لا قوة لهم على الهجرة، ولا النفقة، أو حماية أنفسهم إذا هاجروا.

﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾: السبيل: هو الطريق الموصل إلى الغاية.

لا يعرفون طريقاً يسلكونه، أو السبل المؤدية إلى المدينة المنورة للهجرة، أو غيرها من المدن.

[٩٩] ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾:

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة إلى من جاء ذكرهم في الآية السابقة من المستضعفين، أو الوالدين، والنساء.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾: ولم يقل: فأولئك عفا الله عنهم؛ لأن عسى: تحمل معنى الترجي والطمع؛ أي: ليحتملهم على الرجاء، والطمع في عفو الله سبحانه، ويدل كذلك على أن أمر الهجرة أمر لا توسعة فيه، ولا بُدَّ منه.

﴿أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾: أن: حرف مصدري يفيد التوكيد؛ أي: لا يؤاخذهم، ويغفر لهم ما قصرُوا فيه لضعفهم.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾: كان أزلاً وأبداً، كان: للماضي، والحاضر، والمستقبل.

العفو: ترك العقاب على الذنب ومحوه، وهو أبلغ من الستر، وقيل: هو إسقاط اللوم، والذم.



الغفران: يعبر عن الستر.

الغفور: من الغفر؛ أي: غفر الذنب ستره، وقيل: الغفران: إسقاط العقاب، وإيجاب الثواب. ارجع إلى الآية (٩٦) من نفس السورة.

[١٠٠] ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو: استئنافية. من: شرطية.

﴿يَهَاجِرْ﴾: من الهجرة، وهي الانتقال من بلد إلى بلد.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: لإعلاء كلمة، أو دين الله، أو لطلب العلم.

﴿يَجِدْ﴾: جواب للشرط.

﴿فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا﴾: أماكن للهجرة، أو أماكن يُهاجر إليها، وتسمى مهاجر.

وَسُمِّيَتْ مراغم: من الرغام، وأصله: هو التراب.

أو سُمِّيَتْ مراغم؛ لأن المهاجر الذي يفارق قومه الذين يعذبونه، ويضطهدونه، وهم يودون لو بقي تحت سيطرتهم، وعذابهم، ولم يهاجر؛ كأنه ألصق أنوفهم بالتراب وأذلهم حين تركهم، وهاجر، ولم يقدرُوا على منعه من الهجرة.

ويقال: راغمت الرجل: إذا فارقت؛ وهو كاره، وهو يكره مفارقتك؛ لمذلة تلحقه بعد تركك له.

ومراغم: اسم مفعول، وتعني: مكاناً متى ما وصلت إليه أرغمت أنف خصمك الذي كان يذلُّك؛ لكونك خرجت من تحت سيطرته، فكأنك جعلت أنفه ملتصق بالتراب.

﴿وَسَعَةً﴾: في الرزق، وسعة في التمكن من إظهار شعائر الدين من دون خوف، بالإضافة إلى النجاة من الاضطهاد، والعذاب.

﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾:

أسباب النزول: كما روى ابن عباس؛ قيل: نزلت هذه الآية في جندب بن ضمرة، فقد خرج مهاجراً من مكة إلى المدينة، ومات وهو في طريقه، ولم يصل إلى المدينة، وكان رجلاً مسنناً، خرج لاحقاً برسول الله ﷺ، وقالوا: لو مات بالمدينة؛ لكان أتم أجراً، وقالوا: ما أدرك ما طلب! فنزلت هذه الآية رداً عليهم.

﴿وَمَنْ﴾: من: للعاقل، وقد تعني: الواحد، أو أكثر من الواحد، ومن: شرطية ابتدائية.

﴿يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا﴾: المهاجر: هو الذي أرغم على الهجرة، وترك بيته بسبب من الأسباب؛ للفرار بدينه، أو لكسب لقمة العيش، أو اضطهاد وتعذيب، فقد يهاجر الإنسان بإرادته، ورغبته، ومن دون سبب، أو إرغام من أحد؛ لغرض شخصي؛ للمتعة، أو الزواج، أو غيره.

﴿مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: هجرة للفرار بدينه من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام وطاعة لله ورسوله، ومن التضييق، أو الموت، أو العذاب من قبل الكفار، أو المشركين، أو من أجل ابتغاء الرزق، أو طلب علم، أو جهاد في سبيل الله.

﴿ثُمَّ﴾: حرف تعقيب، وتراخ؛ أي: ولو بعد فترة.

﴿ثُمَّ يُدْرِكُهُ﴾: يلحق به الموت، أو يموت قبل أن يصل إلى مكان هجرته، أو مراغمه.

﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾:



﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد، وقد: لزيادة التوكيد؛ أي: ثوابه على الله، كما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾.

﴿وَقَعَ أَجْرُهُ﴾: وقع: من الوقوع: وهو من أعلى إلى أسفل وبسرعة، ووقع أجره؛ أي: ثبت أجره؛ أي: إذا مات، أو قتل، فجزاؤه الذي هو من عند الله تعالى ينزل عليه بسرعة، كأنه يقع عليه من السماء؛ كأنه يعرفه معرفة كاملة.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: ارجع إلى سورة التحريم، آية (١)؛ للبيان.

[١٠١] ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْنِيَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زمان للاستقبال، متضمن معنى الشرط، ويدل على حتمية الوقوع، وكثرته، الضرب في الأرض؛ أي: السفر.

﴿ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: سافرتهم، والضرب في الأرض قيل: هو الإبعاد فيها سيراً (السفر البعيد).

والضرب: إيقاع شيء على شيء؛ أي: ضرب الأرض بالأرجل المشي بصلافة، وعزم، وقوة بعكس الانتشار، يكون من دون جهد، ومشقة.

﴿فَلَيْسَ﴾: الفاء: للتوكيد، وهي رابطة لجواب الشرط.

ليس: من أدوات النفي، تنفي الحال، والمستقبل أحياناً، وأقل قوة في النفي من (لا) النافية.

﴿عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: جناح من جنح؛ أي: مال عن القصد؛ أي: الإثم للميل عن الحق.

فما الفرق بين: لا جناح عليكم، وليس عليكم جناح.

لا جناح عليكم: جملة اسمية، وليس عليكم جملة فعلية.

والقاعدة اللغوية تقول: الجملة الاسمية أقوى من الجملة الفعلية؛ حيث الجملة الاسمية تدل على الثبوت، والجملة الفعلية تدل على التجدد والتحول، فلا جناح عليكم أقوى في النفي من: ليس عليكم جناح؛ لأن النفي درجات، ولذلك تستعمل: لا جناح في القضايا الهامة مثل العبادات، والحقوق الزوجية والعقيدة، وتستعمل ليس في القضايا الأقل أهمية ونادرة، مثل: آيات الأكل والشرب، ودخول البيوت، وصلاة الخوف (النادرة).

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: أي: ليس عليكم إثم أن تقصروا من الصلاة بأن تصلوا الصلاة الرباعية ركعتين؛ على شرط: وهو الخوف من الذين كفروا.

﴿أَنْ يَفْنَكُمْ﴾: بالقتل، أو الهجوم، أو الاعتداء عليكم، والفتنة: هي الأذى، أو القتل، والتعرض لكم، والكفر، والشرك، وغيرها، وقد وردت صلاة الخوف عند رسول الله ﷺ بعدة أوجه. ارجع إلى صلاة الخوف في كتب الفقه.

﴿إِنَّ الْكُفْرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الْكُفْرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾: عدوًّا، ولم يقل: أعداء؛ لأن عداوتهم واحدة؛ أي: لها سبب واحد هو الدين، ولو كان لها أسباب كثيرة؛ لقال: كانوا لكم أعداء.

﴿مُّبِينًا﴾: عداوة واضحة، وظاهرة لكل إنسان، وعداوة ظاهرة بينة، لا تحتاج إلى برهان، أو دليل.





سُورَةُ النَّبَا ٤

الجزء الثاني

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةً
مِّنْهُمْ مَّعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا
مِنَ وَرَآئِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا
فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ
عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ
أَذَى مِّنْ مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ
وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾
فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَى
جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ
كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا
فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا
تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ
النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

سورة النساء [الآيات ١٠٢ - ١٠٥]

[١٠٢] ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًىٰ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝﴾

كيفية صلاة الخوف التي ذكرت في هذه الآية: هي أن يقسم الجيش إلى طائفتين:

طائفة تصلي مع قائد الجيش، وطائفة تقف أمام العدو؛ لتمنعه من الهجوم، أو يتقدم نحوها، وهي صلاة قصر ركعتين، فيصلّي القائد بالطائفة الأولى ركعة، ثم إذا قام إلى الثانية وقاموا معه نوا الانفراد، وأتموا لأنفسهم، والإمام لا يزال قائماً، ثم إذا أتموا الصلاة بأنفسهم الركعة الثانية؛ ذهبوا ووقفوا مكان الطائفة الأولى أمام العدو، وجاءت الطائفة الثانية ودخلت مع الإمام في الركعة الثانية، وهو في هذه الحالة يطيل الركعة الثانية أكثر من الأولى؛ لتدركه الطائفة الثانية، فيصلون الركعة الثانية معاً، ثم يجلس القائد، أو الإمام للتشهد، عندها تقوم الطائفة من دون القائد، أو الإمام؛ فيصلون الركعة الثانية، ويجلسون للتشهد، والإمام ينتظرهم، ثم يسلم الإمام، ويسلمون معه.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ ۝﴾: إذا: ظرفية شرطية.



﴿كُنْتَ فِيهِمْ﴾: أي: معهم، وبينهم، ولا تعني: إذا لم يكن فينا رسول الله ﷺ لا نصلي صلاة الخوف، كما ظن البعض.

﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾: أي: تقول: قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، وصليت فيهم إماماً، يقسم الجنود إلى طائفتين: طائفة أولى، وطائفة ثانية.

﴿فَلَنَقُومَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ﴾: الفاء: للمباشرة، والتعقيب؛ لتقم طائفة منهم معك؛ أي: الطائفة الأولى تقف للصلاة مع الرسول ﷺ، أو الإمام.

﴿وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾: اللام: للتوكيد؛ أي: تقف الطائفة الأولى لتصلي مع الرسول، أو الإمام، وهم يحملون أسلحتهم معهم.

﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾: أي: سجدت الطائفة الأولى في الركعة الأولى مع الإمام.

﴿فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ﴾: أي: الطائفة الثانية تقف من ورائهم تحرسهم؛ لأن المصلين لا يرون العدو حين السجود.

﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾: أي: تقف، أو يقف الإمام مع الطائفة الأولى، فيتموا الصلاة بأنفسهم (أي: الركعة الثانية) من دونك، أو من دون الإمام؛ لأنك ستقف تنتظر في الركعة الثانية حتى تنتهي الطائفة الأولى.

ثم تأتي الطائفة الثانية، وتنضم إلى الإمام الذي ينتظرها ليصلوا معاً، ثم تسجد الطائفة الثانية مع الإمام، ثم تقف لصلاة الركعة الثانية، أما الإمام فيبقى ينتظر الطائفة الثانية؛ لتسجد سجود الركعة الثانية، ثم تلحق بالإمام، وهو ساجد ينتظرها، ثم يسلم الإمام، والطائفة الثانية معاً، وبهذا تنتهي الصلاة.

﴿وَلِيَأْخُذُوا جُدْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾: أي: بعد انتهاء الطائفة الأولى من الصلاة

تقوم هذه الطائفة بنفس الدور الذي قامت به الطائفة الثانية التي بدأت تصلي مع الإمام.

﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾: لماذا أضاف حذرهم؛ لأن العدو قد يكون انتبه إلى أن الجيش قد انقسم قسمين، فيكون جيش العدو يريد أن ينقض في هذا الزمن، فلذلك أمر بالحذر، وحمل السلاح معاً، وهكذا تحظى الطائفة الأولى بتكبير الإحرام مع الإمام، والطائفة الثانية بالتسليم معه.

﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُوا عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾:

ثم يبين سبحانه وتعالى علّة حمل السلاح، والحذر في الصلاة؛ لكون العدو يودّ، أو يتمنى لو تغفلون.

﴿لَوْ﴾: حرف تمني.

﴿تَغْفُلُوا﴾: ولم يقل: تغفلوا، وقال: تغفلون: أضاف نون التوكيد.

﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾: بالانشغال بالصلاة؛ كي ينقضوا عليكم، ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾: بالقتل والنهب.

ثم بين الأعداء التي يشق معها حمل السلاح فقال:

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾:

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: ولا إثم عليكم، ارجع إلى الآية (١٥٨) من سورة البقرة؛ لبيان معنى جناح عليكم.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال، أو الشك.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا



أَسْلِحَتْكُمْ ﴿١٠٢﴾: وصلوا من دونها، ولكن مع الحذر، ولا تغفلوا عن عدوكم، واستمروا راقبوه، وراقبوا تحركاته.

﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾:

﴿إِنْ﴾: للتوكيد.

﴿أَعَدَّ﴾: هيا، وجهز.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾: اللام: لام الاستحقاق.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾: الذين أصبحت صفة الكفر عندهم صفة ثابتة.

﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾: العذاب المهين الذي فيه إهانة وذل، وفضيحة أمام الناس، أو الخلاق، سواء في الدنيا، أو الآخرة إضافة إلى كونه شديداً، وأليماً، ودائماً.

[١٠٣] ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وُقِعْدَا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: على التعقيب والمباشرة ومن دون تأخير. إذا: ظرفية شرطية تدل على حتمية الحدوث.

﴿قُضِيَتْ الصَّلَاةُ﴾: أديتم الصلاة؛ صلاة الخوف.

﴿فَإِذَا كُورُوا اللَّهَ﴾: فبعد انتهاء صلاة الخوف، وعدتم إلى القتال، أو حالة الخوف، عليكم بالتكبير، والتحميد، والدعاء، وذكر الله.

ولا إله إلا الله، والدعاء، فذكر الله سبحانه يقوي القلب ويشد الهمة، ويعين على الصبر والنصر.

وهذا ما أشارت إليه آية أخرى من سورة الأنفال، آية (٤٥): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.



﴿قِيَمًا﴾: وقوفاً؛ أي: اذكروا الله وقوفاً.

﴿وَقُعُودًا﴾: واذكروه حين الجلوس.

﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾: وحين الاستراحة، والقيولة، وأنتم منبطحون على الأرض، أو أي حالٍ رجلاً، أو ركباناً، وجاء ذلك في سياق آية أخرى في سورة البقرة (٢٣٩).

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾:

والذكر يشمل الصلاة، والذكر العادي، من تسبيح، وتكبير، وتحميد، وتهليل؛ لأن هذا ما يميز المسلم المؤمن من عدوه: هو إيمانه، وذكره لله تعالى. ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: اطمأننتم: انتهت الحرب، فأقيموا الصلاة تامة بأركانها وشروطها، والفاء في إذا: تدل على عدم التأخير، وإذا: شرطية ظرفية تدل على حتمية الحدوث.

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿كِتَابًا﴾: فرضاً، موقوتاً، محدد بأوقات لا يجوز تجاوزها.

كان: تحمل معنى منذ القدم، والمعنى في الحكم.

﴿كَانَتْ﴾: أي: فرضت عليهم منذ القدم، ولا زالت كذلك (في الحال، والمستقبل)، فهي تشمل كل الأزمنة.



[١٠٤] ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾:

أسباب نزول هذه الآية: قيل: إنها نزلت في أعقاب غزوة أُحُد؛ حيث طلب النبي ﷺ من أصحابه الخروج للقاء أبي سفيان وأعوانه.

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية، لا: الناهية.

﴿تَهِنُوا﴾: من الوهن، والوهن: هو أن يفعل الإنسان فعل الضعيف، أو يخاف؛ أي: لا تفعلون أفعال الضعفاء، وأنتم أقوياء، أو تخافون.

والوهن: يشمل كذلك الجبن، والخوف، والضعف من دون سبب حقيقي.

﴿فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾: في طلب القوم؛ أي: الأعداء الذين ييغون قتالكم، وكلمة ابتغاء لا تعني فقط الدفاع، بل الردع والحذر.

﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾: من الألم، بسبب الجراح، أو المشقة والألم: يشمل كل ما يلحقه بك غيرك، أما الوجد: فهو ما يلحقك من قبل نفسك، ومن قبل غيرك.

﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾: أي: أنتم متساوون معهم في الألم، والمشقة، ولكن هناك أمر تمتازون به عليهم: وهو إيمانكم.

﴿وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾:

إنكم: إن: للتوكيد.

﴿وَتَرْجُونَ﴾: الرجاء: هو توقع الخير الذي يشاركه الخوف؛ أي: ترجون من الله مساعدتكم، وعونكم، ونصركم؛ لإعلاء كلمته ودينه.

وترجون: قد تعني إحدى الحسنين، أو ثواب الآخرة، والحسنين: إما

النصر، وإما الشهادة في سبيل الله، وهم لا يرجون إلا الدنيا. كما جاء في الآية (٥٢) من سورة التوبة.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: ارجع إلى الآية (٩٢) من نفس السورة؛ للبيان.
[١٠٥] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾:

سبب النزول: كما روى ابن عباس؛ روي أن هذه الآيات نزلت في طعمة بن أبيرق؛ فقد سرق درعاً من دار جاري له، ووضعها في جراب من دقيق، ثم خبأها عند يهودي اسمه زيد بن السمين، فالتمسوا الدرع عند طعمة، فلم يجدوها، وأنكر أنه سرقها، وعندما وجدوها عند اليهودي أخبرهم أن طعمة قد أودعها عنده، ولكن طعمة أنكر ذلك، فجاؤوا إلى الرسول ﷺ، وحلف قوم طعمة على براءته، فصدقهم رسول الله ﷺ، وراح رسول الله ﷺ يجادل عن طعمة، وهم في معاقبة اليهودي، فنزلت هذه الآيات تفضح طعمة أنه هو السارق، فهرب طعمة إلى مكة، وارتد، وعاد إلى السرقة، فسقط عليه حائط فمات مرتداً كافراً.

﴿إِنَّا﴾: يتكلم الله عن ذاته، فيستعمل صيغة التعظيم، والجمع: إنا.
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: أنزلنا تدل على الإنزال دفعة واحدة، وأما نزلنا فتدل على مراحل متعددة، ونزل أقوى وأكد من أنزل. ارجع إلى الآية (٤) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

أما بالنسبة إليك وأحياناً يقول: أنزلنا عليك، فعلى، أو إلى تفيدان إنزال الكتاب؛ أي: المنهج الذي نزل على رسول الله ﷺ، و(على) تفيد العلو، والسمو، فحين يستعملها يعني: الحديث موجه إلى رسول الله ﷺ، وفيما يخصه بشكل عام.



وحين يستعمل (إليك): تأتي في سياق التبليغ والتكليف، وإيصال المنهج إلى الناس. ارجع إلى الآية (٤) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿الْكَتَبَ﴾: القرآن الكريم بالحق، والباء: للإلصاق.

﴿بِالْحَقِّ﴾: بالحق: (هو الشيء الثابت الذي لا يتغير)، سواء في خبره، وحكمه، وبيانه.

﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾: اللام: لام التعليل، والتوكيد.

﴿بِمَا أَرْكَأَ اللَّهُ﴾: الباء: للإلصاق والتوكيد. أراك الله: أي: بما أوحى إليك وعلمك الله تعالى من الأحكام، وأطلعك عليه من الأخبار، والرؤية هنا تعني: هذا العلم الذي يعتبر كأنه رؤية يقينية، وليست ظنية، لا ريب فيها، ولا شك، وهي خاصة به ﷺ.

﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية.

لا: الناهية.

﴿تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿لِلْخَائِنِينَ﴾: جمع خائن، والخائن: الذي ائتمن؛ فأخذ؛ فخان.

والخائن: هو الذي تصدر عنه الخيانة مرة واحدة، أو تصدر منه الخيانة أمر صغير.

أما الخوان: فهو الذي تصدر عنه الخيانة مرات عديدة، أو تصدر منه الخيانة في أمر عظيم.

﴿خَصِيمًا﴾: مدافعاً عن البائنين، ومعيناً لهم، أو تقف لصالح الخائنين.



ولم يقل الحق سبحانه: ولا تكن عن الخائنين خصيماً، بل قال: للخائنين: الغاية من الدفاع عن الخائن أن ترجح كفته، وتكون له لا عليه، والسؤال هل خاصم ﷺ أم لا؟

الجواب على ذلك: هم أن يخاصم، وكان مجرد خاطر أن ينصر طعمة، ولم يحدث ذلك.

هم ﷺ؛ لأنه ظن أن طعمة، وقومه لا يكذبون.

ولم عبر بقوله: للخائنين مع أن الخائن، أو السارق هو طعمة فقط؟

الجواب على ذلك: أن بني ظفر (قوم طعمة وإخوته) شهدوا له بالبراءة، ونصروه، فكانوا شركاء له في الإثم.

للخائنين: تشمل طعمة، وكل من خان خيائته؛ أي: لا تجادلوا عنهم، وإن كان الخطاب موجه إلى الرسول ﷺ؛ فهو يشمل أمته.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

الجزء الثاني

وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ
اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَتَأْتُمْ هَتُوءَ لَا جِدَلْتُمْ
عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ أَمْ مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ
سُوءًا أَوْ يَطْلَمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ، عَلَى نَفْسِهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا
ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْ لَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ، لَهَمَّت طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن
يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن
شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾



سورة النساء [الآيات ١٠٦ - ١١٣]

[١٠٦] ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾:

﴿وَاسْتَغْفِرِ﴾: السواو: عاطفة، استغفر الله: ممّا همت به، أو تردد في خاطرك فيما حدث في هذه القضية، ونزلت هذه الآيات قبل الحكم في هذه القضية، وبين الله سبحانه لرسوله حقيقة الأمر.

والاستغفار لا يقدح في عصمة الأنبياء، والموعظة في هذه القصة إرشاد الله عزّ وجلّ لرسوله وإرشاد الأمة، إلى وجوب التثبت والتحقيق قبل إصدار أيّ حكم، أو قضاء.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد. كان: تشمل، أو تستغرق كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿غَفُورًا﴾: كثير الغفران: صيغة مبالغة، والغفر: هو الستر، يغفر الذنوب مهما عظمت إلا الكفر، والشرك به.

﴿رَحِيمًا﴾: كثير الرحمة بعباده وخلقه؛ فهو أرحم الراحمين. ارجع إلى الآية (٩٦) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.



[١٠٧] ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾:

﴿وَلَا تُجَادِلْ﴾: الواو: عاطفة.

﴿وَلَا﴾: الناهية.

﴿تُجَادِلْ﴾: من الجدل، وأصله الفتل، والجدال: هو الحوار الذي يقع بين طرفين، أو أطراف؛ لإثبات حق، أو إظهار حجة، أو دفع شبهة، والجدال أشد من الحوار.

﴿وَلَا تُجَادِلْ﴾: تعني هنا: لا تدافع، أو تجادل عن طعمة بن أبيرق وقومه.

﴿يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾: كيف يختان الإنسان نفسه، ولم يقل: يخونون أنفسهم؟ عادة يخون الإنسان غيره: بعدم إتمام العهد، أو إرجاع الأمانة، أو السرقة، ويخون غيره من أجل مصلحة، أو ارتكاب معصية، أو سيئة، ثم يرمي بها بريئاً، وعندما يخون الإنسان نفسه؛ فهذا أمر غريب، ويحتاج إلى جهد أكبر من خيانة الغير.

ولذلك جاء بفعل يختان، وجاء بفعل يختانون (بصيغة المضارع)؛ للدلالة على بشاعة الفعل، وفيها معنى: التجدد، والاستمرار، فمن خان مرة قد يعود ويخون مرات كثيرة.

فهم حين يرتكبون المعصية؛ فهم يختانون أنفسهم؛ أي: المعصية خيانة منهم لأنفسهم.

والذي يخون غيره كأنه يخون نفسه؛ لأن إثم الخيانة الحاصل من جراء ذلك يعود على الخائن.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾:

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: للتوكيد. لا يحب: النافية تشمل كل الأزمنة.

﴿خَوَّانًا﴾: كثير الخيانة؛ أي: تصدر منه الخيانة مراراً أمثال طعمة بن أبيرق.

﴿أَثِيمًا﴾: كثير الإثم، والإثم يشمل الصغائر والكبائر.

والفرق بين الخائن، والخَوَّان؛ الخائن: قد تصدر منه الخيانة مرة، أو خيانة في أمر صغير. والخَوَّان: تصدر منه الخيانة مراراً، أو في أمر كبير.

[١٠٨] ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾:

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾: أي: يستترون من الناس؛ كي لا يروههم، سواء كان خوفاً، أو حياءً؛ أي: يستتر بنو أبيرق، قوم طعمة من الناس.

﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾: ولا يخافون الله، ولا يستخفون منه بما فعلوه من الخيانة.

﴿وَهُمْ مَعَهُمْ﴾: هو ضمير متصل تفيد التوكيد؛ أي: والله مطلع عليهم، وعلى ما يفعلونه، ولا يخفى عليه خافية.

﴿إِذْ﴾: ظرفية زمانية بمعنى: حين.

﴿يُبَيِّتُونَ﴾: من التَّيَّت، أو التدبير الخفي الذي يتم ليلاً، وليس في وضح



النهار؛ لكون فاعل التبيُّت خائفاً وجباناً. ارجع إلى الآية (٨١) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.

﴿مَا لَا يَرْضَى﴾: أي: ما لا يرضاه الله، ولا يقره.

﴿مِنَ الْقَوْلِ﴾: أي: كيف يلصقون التهمة باليهودي البريء، ويحلفون على براءة أخيه طعمة.

وهذا القول، أو التبيُّت لا يرضاه الله، ولا يقره، ويترتب عليه أثم عظيم.
﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾: (كان) تستغرق كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.
﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق.

﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: من التبيُّت، والمكر، ويعملون تشمل الأقوال والأفعال.
﴿مُحِيطًا﴾: بعلمه، ولا تخفى عليه خافية، ومحيط بكل شيء، فلا يخرج، أو يفلت أحد منه؛ لكونه محيطاً بعلمه، وقدرته كل شيء.

[١٠٩] ﴿هَاتَيْنِمْ هَتُؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾:

﴿هَاتَيْنِمْ﴾: ضمير منفصل للمخاطبين، والهاء: للتنبيه.

﴿هَتُؤُلَاءِ﴾: والهاء: لتكرار التنبيه؛ لأن الموقف يحتاج إلى زيادة في التنبيه والحذر من الوقوف إلى جانب أهل طعمة، وزيادة الوعظ واللوم مقارنة بقوله تعالى: ﴿هَاتَيْنِمْ أُولَآءِ﴾ [آل عمران: ١١٩]. أولاء: اسم إشارة يشير إلى المجادلين أهل طعمة وقبيلة بنو أبيرق، ها أنتم الذين جادلتم عنهم في الحياة الدنيا.



﴿جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: جادلتم: خاصمتم عنهم؛ أي: جادلتم عن طعمة بن أبيرق؛ لتبرئوه من الخيانة (خيانة السرقة).

واستعمل صيغة الجمع عنهم بدلاً من صيغة المفرد جادلتم عنه؛ لأنهم كانوا شركاء في الإثم، ويدافعون عنه وينصرونه.

﴿جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: جادلتم رسول الله ﷺ والصحابة؛ لكي تبرئوا طعمة.

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: للتوكيد. من: استفهامية؛ للإنكار، والتوبيخ.

ومن: للعاقل تشمل المفرد، والجمع.

﴿يُجَادِلُ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: أي: من يتولَّى الدفاع عنهم يوم القيامة، أو الدفاع عن طعمة بن أبيرق.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿مَنْ﴾: للاستفهام الإنكاري، والتوبيخ.

﴿يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾: كفيلاً، أو قائماً بأمورهم، يدافع عنهم يوم القيامة أمام الله تعالى.

إذن: لا يجوز الوقوف إلى جانب الخونة، أو الظالمين، ولا يجوز الحكم بغير ما أنزل الله في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ.

[١١٠] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَحْدِثِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو: استئنافية، من: شرطية.



السوء: الأمر المنهي عنه من الله سبحانه ورسوله، ويعني: الإثم والذنب،
وسُمِّيَ بالسوء؛ لأنه يسيء إلى النفس، وإلى الغير، مثل السارق، يسيء إلى نفسه
وإلى غيره.

وأسوأ الذي عملوا؛ يعني: الكفر، والشرك، والقتل.

﴿أَوْ يَظْلِمَ نَفْسَهُ﴾: هنا الإساءة، أو الظلم مقتصر على نفسه وحدها، ولا
يصيب الآخرين بظلمه، مثال: الذي يشرب الخمر في بيته، وفي عزلة من الناس.
﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾: ثم لا تفيد الترتيب والتراخي، وإنما التباين في الدرجة
بين ظلم النفس وعمل السوء والاستغفار، وإذا دلت على الترتيب والتراخي؛
فهي تدل على رحمة الله بعبده حيث يعطيه الزمن الكافي، والوسع ليتوب من
ذنبه وإثمه، والاستغفار يسبق التوبة.

﴿يَجِدِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: الفرق بين يجد الله ويغفر الله القول يجد
المستغفر المغفرة والرحمة من باب التوكيد ليكون المؤمن واثقاً من رحمة الله
تعالى ومغفرته بدلاً من الوعد والانتظار يجد أمامه أبوابه سبحانه مفتوحة للتوبة،
والاستغفار والإنابة إليه. ارجع إلى الآية ١٠٠ من نفس السورة.

[١١١] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو: عاطفة، ومن: شرطية.

﴿يَكْسِبْ إِثْمًا﴾: الإثم هو الذنب المتعمد (المنهي عنه، والمسمى
بالسوء) ويشمل الصغائر والكبائر، ويكسب من كسب، وكسب تستعمل لكسب
الخير عادة، واكتسب تستعمل للشر، أو الحرام على وزن افتعل، تحتاج إلى

جهد ومشقة، وكسب تستعمل للحصول على الحرام بدلاً من اكتسب إذا أصبح الإنسان مدمناً على فعل الحرام، ومهنته تلك، عندها يسهل عليه فعل الحرام.

﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾: أي: ضرر، وعقوبة، أو ما قام به يعود عليه، ويرجع وبال ما كسب عليه وحده.

على تفيد الاستعلاء، والمشقة.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾: (كان) تستغرق كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل، عليماً بما يقوله خلقه ويفعلونه عليماً بكل شيء، بنواياهم، وأقوالهم، وأفعالهم، وذوات صدورهم.

﴿حَكِيماً﴾: في تدبير خلقه، وكونه، وحكياً تعني: الحكمة، والحكم فهو أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[١١٢] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾:

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿خَطِيئَةً﴾: أي: صفائر الذنوب، أو الأمر غير المتعمد.

﴿إِثْمًا﴾: الذنب المتعمد (المنهي عنه).

﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾: (مثل ما فعل طعمة بن أبيرق)؛ أي: يتهم، أو يقذف بما جناه من الإثم بريئاً.

﴿فَقَدِ احْتَمَلَ﴾: أي: حمل الإثم، أو الخطيئة على ظهره، وبذل جهداً؛



لكي يحملها كما يُرفع الحمل من الأسفل إلى الأعلى. إذن احتمل تعني حمل وفيه جهد، ومشقة.

﴿بَهْتَنَّا﴾: الكذب المتعمد المفترى الذي يبهت السامع من شدته، فهو قد كذب؛ لكي ينفي الإثم عن نفسه.

أولاً: ثم أكبر من ذلك بأن ألصق الإثم، أو الخطيئة بشخص بريء.

﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: إثماً ظاهراً لمن سمع به، أو اطلع عليه، وكل إنسان يعلم أنه إثم، والإثم نفسه لا يبقى خافياً، بل يُظهر نفسه.

والبهتان هو أمر معنوي، ولكن في هذه الآية (لقوله: احتمل)، فقد حوِّله من أمر معنوي إلى أمر حسي مادي، كي يشعر به صاحبه كأنه يحمله على كتفه وظهره.

[١١٣] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾:

﴿وَلَوْلَا﴾: الواو: استئنافية.

لولا: حرف شرط يدل على امتناع شيء لوجود غيره؛ أي: حرف امتناع لوجود (وجود رحمة الله وفضله منعت إضلالك).

﴿فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾: القرآن والإسلام.

﴿وَرَحْمَتُهُ﴾: النبوة والعصمة.

﴿لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾: الطائفة: هم بنو أبيرق.

الهم: هو ما دون العزم، والعزم أعلى درجة في الهم وبدء التنفيذ، واللام: في لَهْمَتْ: للتأكيد.

﴿أَنْ يُضِلُّوكَ﴾: أن: للتوكيد، والتعليل.

﴿يُضِلُّوكَ﴾: بالتزيين، والقول، والتدبير (التبیت)، ويضلوك هنا: تعني: يصرفونك عن الحكم العادل، والحق، ولا يعني: ضلال العقيدة، والدين.

ويضلونك: بألستهم، وبجد الهم للباطل.

﴿وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾:

﴿وَمَا﴾: النافية.

﴿وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾: أي: الضلال الذي جادلوك به يرجع وزره ووباله عليهم أنفسهم.

﴿إِلَّا﴾: تفيد الحصر؛ أي: حصراً على أنفسهم وحدهم.

﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾: ما: النافية. يضررونك: بالتهمة، والافتراء.

بالقول: انظروا كيف يعاقب محمد بريئاً، أو هو غير عادل، أو يتعصب محمد لأصحابه، ولم يقل: يضررك، بل قال: يضررونك؛ لتأكيد النفي بالنون. وكذلك المجيء بـ(ما) مرة ثانية؛ لتأكيد نفي الضرر، والضلال عنك.

﴿مِنْ﴾: استغراقية تشمل كل شيء.

﴿شَيْءٍ﴾: نكرة.

﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: شيء مهم، مهما كان نوعه، أو صغره، وكبره.



والشيء: هو أقل القليل.

﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾: الكتاب: القرآن، والحكمة قيل: هي النبوة، أو مقاصد الشريعة، وفهم الأحكام، والدين.

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾: من أمور الدين، والشريعة، والكتاب، والغيبات، والعلوم، والمعارف، ما لم تكن تعلم: أي: تعرف.

﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾: الفضل: تعريفه: هو الزيادة على الأجر؛ أي: كرمه وإحسانه، كرّر كلمة فضل الله مرتين؛ للتأكيد.

الفضل الأول: صرفك عن القضاء، أو الحكم غير العادل بما أوحى إليك من الاطلاع على سرهم، وأعمالهم الضالة.

والفضل الثاني: إنزال القرآن عليك، والنبوة، وعلمك ما لم تكن تعلم من أمور الدين والشريعة.

وكذلك العصمة، وكونك خاتم النبيين، وكونك أرسلت للناس كافة بشيراً، ونذيراً، وشهيداً عليهم يوم القيامة، وغيرها من النعم العظيمة التي لا تعد، ولا تحصى.





فهرس تفسير القرآن الثري الجزء الثاني

الصفحة	السورة ورقمها
٦.....	سورة البقرة [الآيات ٢٧٥ - ٢٨١]
١٥.....	سورة البقرة [الآية ٢٨٢]
٢٥.....	سورة البقرة [الآيات ٢٨٣ - ٢٨٦]
٣٧.....	سورة آل عمران [الآيات ١ - ٩]
٥١.....	سورة آل عمران [الآيات ١٠ - ١٥]
٦١.....	سورة آل عمران [الآيات ١٦ - ٢٢]
٧٣.....	سورة آل عمران [الآيات ٢٣ - ٢٩]
٨٣.....	سورة آل عمران [الآيات ٣٠ - ٣٧]
٩٧.....	سورة آل عمران [الآيات ٣٨ - ٤٥]
١١١.....	سورة آل عمران [الآيات ٤٦ - ٥٢]
١٢١.....	سورة آل عمران [الآيات ٥٣ - ٦١]
١٣١.....	سورة آل عمران [الآيات ٦٢ - ٧٠]
١٤١.....	سورة آل عمران [الآيات ٧١ - ٧٧]
١٥١.....	سورة آل عمران [الآيات ٧٨ - ٨٣]
١٦٣.....	سورة آل عمران [الآيات ٨٤ - ٩١]
١٧٣.....	سورة آل عمران [الآيات ٩٢ - ١٠٠]
١٨٥.....	سورة آل عمران [الآيات ١٠١ - ١٠٨]
١٩٧.....	سورة آل عمران [الآيات ١٠٩ - ١١٥]
٢٠٩.....	سورة آل عمران [الآيات ١١٦ - ١٢١]



الصفحة	السورة ورقمها
٢٢١.....	سورة آل عمران [الآيات ١٢٢ - ١٣٢]
٢٣٥.....	سورة آل عمران [الآيات ١٣٣ - ١٤٠]
٢٤٩.....	سورة آل عمران [الآيات ١٤١ - ١٤٨]
٢٦٣.....	سورة آل عمران [الآيات ١٤٩ - ١٥٣]
٢٧٣.....	سورة آل عمران [الآيات ١٥٤ - ١٥٧]
٢٨٣.....	سورة آل عمران [الآيات ١٥٨ - ١٦٥]
٢٩٣.....	سورة آل عمران [الآيات ١٦٦ - ١٧٣]
٣٠٣.....	سورة آل عمران [الآيات ١٧٤ - ١٨٠]
٣١٥.....	سورة آل عمران [الآيات ١٨١ - ١٨٦]
٣٢٧.....	سورة آل عمران [الآيات ١٨٧ - ١٩٤]
٣٣٧.....	سورة آل عمران [الآيات ١٩٥ - ٢٠٠]
٣٤٧.....	سورة النساء [الآيات ١ - ٦]
٣٦١.....	سورة النساء [الآيات ٧ - ١١]
٣٧٣.....	سورة النساء [الآيات ١٢ - ١٤]
٣٧٩.....	سورة النساء [الآيات ١٥ - ١٩]
٣٨٩.....	سورة النساء [الآيات ٢٠ - ٢٣]
٣٩٥.....	سورة النساء [الآيات ٢٤ - ٢٦]
٤٠٥.....	سورة النساء [الآيات ٢٧ - ٣٣]
٤١٧.....	سورة النساء [الآيات ٣٤ - ٣٧]
٤٢٧.....	سورة النساء [الآيات ٣٨ - ٤٤]
٤٣٩.....	سورة النساء [الآيات ٤٥ - ٥١]



الصفحة	السورة ورقمها
٤٥١.....	سورة النساء [الآيات ٥٢ - ٥٩]
٤٦١.....	سورة النساء [الآيات ٦٠ - ٦٥]
٤٧١.....	سورة النساء [الآيات ٦٦ - ٧٤]
٤٨١.....	سورة النساء [الآيات ٧٥ - ٧٩]
٤٩١.....	سورة النساء [الآيات ٨٠ - ٨٦]
٥٠٣.....	سورة النساء [الآيات ٨٧ - ٩١]
٥١٣.....	سورة النساء [الآيات ٩٢ - ٩٤]
٥٢٣.....	سورة النساء [الآيات ٩٥ - ١٠١]
٥٣٥.....	سورة النساء [الآيات ١٠٢ - ١٠٥]
٥٤٥.....	سورة النساء [الآيات ١٠٦ - ١١٣]
٥٥٥.....	فهرس تفسير القرآن الثري الجزء الثاني



نَفْسُ الْقُرْآنِ

الْحَكِيمِ الْخَافِعِ

فِي

الْإِعْجَازِ الْبَيِّنِيِّ وَاللُّغَوِيِّ وَالْعِلْمِيِّ

إِعْدَادُ وَدِرَاسَةُ

الدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ هَيْدَالِ

تَحْقِيقُ د. هَيْدَالِ

تَحْقِيقُ د. هَيْدَالِ

تفسير القرآن الكريم

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

الجزء الثالث

كتاب المعراج

كتاب خلائع الكلام



تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء : (١٢)
عدد الصفحات : (٦٧٠٤)
القياس : ٢٤ × ١٧
التنضيد والإخراج الضوئي : محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م



مرآة المعراج

تلفاكس : +963 11 2247242

ص.ب: 31429 . سورية . دمشق

E-mail: meraj.press@gmail.com



للطباعة والنشر والتوزيع

دار الجوامع والكلام



تنضيد وإخراج ضوئي



جوال : +963 933 84 60 60

سورية - دمشق - تلفاكس : +963 11 2216555 - ص . ب 13118

www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5



سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

الجزء الثاني



* لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ
 أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ
 ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن
 يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا نُبَيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ
 سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ
 مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
 ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا
 ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِن يَدْعُونَ
 إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تُخْذَنَّ
 مِن عِبَادِكِ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضِلَّةٌ لَهُمْ وَلَا يُنَبِّئُهُمُ
 وَلَا مَرْتَبَهُمْ فليُبَيِّنَنَّ عَذَابَ الْآلَاءِ وَلَا مَرْتَبَهُمْ
 فليُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانُ وَلِيًّا
 مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾
 يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾
 أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَجْذُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾



سورة النساء [الآيات ١١٤ - ١٢١]

[١١٤] ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ
بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾:

النجوى: هي الكلام الخفي الذي تناحي به صاحبك، وهناك شخص ثالث؛
لا يسمع ما تقولانه، والنجوى لا تكون أدنى من ثلاثة: اثنان يتناحيان، والثالث
لا يشارك في النجوى، وتتم النجوى عادة بخفض الصوت حتى يصعب على
القريب سماعه.

والنجوى قد تكون بين أكثر من اثنين (ثلاثة، أو أربعة...)، والآخرين
الحاضرون في المجلس لا يسمعون ما يتناجى به إخوانهم.

والنجوى مشتقة من: نجوة من الأرض، وهي المكان المرتفع في الجبل،
وحين تناجي أحداً، فكأنك ترفع من تناجي عن غيره من الحاضرين في المجلس.
ارجع إلى سورة المجادلة، آية (٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾:

﴿لَا﴾: النافية للجنس.

﴿خَيْرَ﴾: لا فائدة، ولا نفع.

﴿فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾: أي: كثير من النجوى، لا فائدة منها، ولا نفع،
وهناك نجوى قليلة، فيها خير، وتعين على الحق، مستثناة من النجوى السابقة،

وهي التي تدور حول صدقة، أو معروف، أو إصلاح بين الناس، وهي ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء من النجوى المحرمة النجوى التي تدور حول صدقة، أو إصلاح، أو معروف. أمر بصدقة: أي: حث على صدقة.

﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾: المعروف تعريفه: هو كل ما أمر به الشرع، واستحسنه العقل والعرف الصحيح.

﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾: الإصلاح: يشمل العقيدة، والأخلاق، وعمارة الأرض، وتربية النفوس، والأعمال الصالحة، والإصلاح ضد الفساد.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو عاطفة. من: شرطية للعاقل، وتشمل الواحد، أو الاثنين، أو الجماعة.

﴿يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾: ذلك: اسم إشارة، يشير إلى الصدقة، والمعروف، والإصلاح بين الناس.

﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾: سوف: تدل على التراخي في الزمن، وتدل على الأجر العظيم، وهو جنات النعيم؛ أي: سيكون في الآخرة، ولو قال سنؤتيه: السين تدل على الاستقبال القريب؛ أي: سنؤتيه في الدنيا الأجر العظيم.

[١١٥] ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو: استئنافية. من: شرطية.

﴿يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾: أي: يخالف الرسول ﷺ، ويعاديه؛ أي: يخالف سنته



في التوحيد، أو الحدود، وما أمر به، ونهى عنه ﷺ، وهناك فرق بين يشاقق ويشاق؛ انظر في نهاية الآية للبيان.

﴿مَنْ بَعْدَ مَا نَبَّأَ لَهُ الْهُدَى﴾: الإسلام، والحق.

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: الكتاب، والسنة، وهما السبيل الوحيد. والواو في ويتبع: واو العطف انظر كيف عطف اتباع غير سبيل المؤمنين على مشاققة الرسول ﷺ، وللدلالة على أهمية الوحدة الإسلامية.

﴿تَوَلَّاهُ مَا تَوَلَّى﴾: تركه لكفره، وضلاله، ونخلي بينه وبين ما اختاره لنفسه من الضلال.

﴿وَنُصِّلَهِ﴾: ندخل، ونحرقه بجحهم، يقال: صليت اللحم؛ أي: شويته، وأصليته: حرقته.

﴿جَهَنَّمَ﴾: ارجع إلى سورة آل عمران، آية (١٢)؛ للبيان.

﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾: ساء فعل ذم، ساءت مرجعاً يُصار إليه.

ونعود إلى كلمة يشاقق الرسول: فيها فك للإدغام، بينما يشاقق الرسول فيه إدغام، وفك الإدغام هو الأصل، ولكن يجوز كلا الأمرين: فك الإدغام، أو الإدغام، وقد لوحظ في القرآن أنه سبحانه إذا فك الإدغام يصاحبه بذكر الله، وذكر الرسول ﷺ، وإذا لم يفك الإدغام: (كقوله: يشاقق): يأتي بذكر الله جل جلاله وحده فقط.

[١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾:

سبب النزول: قيل: نزلت في حق طعمة بن أبيرق؛ لما هرب إلى مكة، ومات على الشرك وهذا قول الجمهور.

وقيل: كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه: أن شيخاً من الأعراب جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني منهمك في الذنوب إلا أنني لم أشرك بالله منذ عرفته، وإني لنادم مستغفر، فما حالي؟ فنزلت هذه الآية.

وقيل: نزلت هذه الآية بعد نزول الآية: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

ولا بد من مقارنة هذه الآية (١١٦) في سورة النساء مع الآية (٤٨) في نفس السورة لنجد تشابه الآيتين والاختلاف في نهاية كل آية؛ فالآية (١١٦) يقول الله تعالى: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾، وأما الآية (٤٨) يقول الله تعالى: ﴿فَقَدْ أَفْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾؛ فالآية (٤٨): نزلت في سياق اليهود وتحريفهم للتوراة، وافتراءهم على الله فكانت خاتمة الآية: ﴿فَقَدْ أَفْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾، وأما الآية (١١٦): نزلت في سياق كفار مكة وضلالهم، وعبادة الأصنام فكانت خاتمة الآية: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

وتختلف نهاية هذه الآية عن الآية (٤٨) بقوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

﴿فَقَدْ﴾: فالفاء: رابطة لجواب الشرط. قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾: ابتعد عن طريق الحق إلى غاية الابتعاد قليلاً ما يرجى لصاحبه الاهتداء، والرجوع من الضلال. وضل: مصدرها الضلال، وأضل: مصدرها الإضلال، وضلالاً: جمعت المعنيين الإضلال والضلال، ومعنى ذلك: أن الشيطان يريد أن يضلهم، وأن يشاركواهم بأنفسهم في الضلال، وأن يسلكوا سبل الضلال المختلفة.

[١١٧] ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾:

إن: حرف نفي بمعنى ما، والنفي بـ(إن) أقوى من النفي بما.



النفي بـ(إن): تفيد زيادة في توكيد النفي، وتنفي كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿يَدْعُونَ﴾: ما يعبدون، أو ما يدعون.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿إِنثًا﴾: جمع أنثى؛ أي: أصناماً آلهة، سمّوها إناثاً (مثل اللات، والعزى، ومناة الثالثة الأخرى)، فكان لكل قبيلة صنم يمثلها، أو إناثاً تعني الملائكة كانوا يسمونها إناثاً، وفي قراءة أخرى: إن يدعون إلا أوثاناً: جمع وثن.

﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾: أي: وما يدعون من دون الله إلا شيطاناً مريداً؛ من مرد، والمتمرد لها معانٍ عدة:

الخارج عن طاعة الله عز وجل.

البالغ الغاية في الشر والفساد.

أو عتا، وتجبر.

أو الأملس الذي يتملّص من أتباعه.

[١١٨] ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾:

﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾: اللعن: هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله.

﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون في كلمة اتخذن: لزيادة التوكيد.

﴿مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: حظاً معيناً؛ أي: حصة معلومة؛ أي: حظاً

افترضته لنفسه فيهم، والفرض هنا تعني القطع الذي قطعه إبليس على نفسه، وهو لا يعني الفرض الذي فرض الله على عباده، وقد قيل: في حديث مسلم: «وكان نصيبه من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعون».

[١١٩] ﴿وَلَا ضَلَّٰلَتُهُمْ وَلَا مُنِيبَتُهُمْ وَلَا مُرْتَهَنٌ فَلْيَبْتَكَنْ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مُرْتَهَنَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾:

﴿وَلَا ضَلَّٰلَتُهُمْ﴾: الواو واللام والنون: للتوكيد؛ ثلاثة توكيدات.

﴿وَلَا ضَلَّٰلَتُهُمْ﴾: يعني: لأضلنهم عن سبيل الهدى، أو عن الحق، أو لأغوينهم بالوساوس والتزيين، والتزغ.

﴿وَلَا مُنِيبَتُهُمْ﴾: فيها ثلاث توكيدات كما في لأضلنهم.

﴿وَلَا مُنِيبَتُهُمْ﴾: الأمانى الباطلة التي لن تحصل؛ مثل: افعل ما تشاء سيُغفر لك وطول العمر، وليس هناك بعث، ولا حساب، ولا جنة ولا نار، وآخر التوبة، وركوب المعاصي.

﴿وَلَا مُرْتَهَنٌ فَلْيَبْتَكَنْ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ﴾: البتك: هو القطع، وقيل: الشق؛ أي: قطع، أو شق الأذان، آذان الأنعام: وهي الإبل، والبقر، والغنم، والماعز، كالبحيرة والسائبة والوصيلة، والبتك: يعني: أصبحت مندورة للأصنام، فلا تركب، أو تذبح.

﴿وَلَا مُرْتَهَنَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾: ليغيرن دين الله بالكفر، وتحريم ما أحل الله، وإحلال ما حرم الله، أو تغيير خلق الله؛ يعني: بالوشم، والاستساخ البشري، وتزيينه في عقول العاملين في علو الجنين والوراثة.

﴿فَلْيَغْيِرْ﴾: والفاء والنون: للتوكيد.



﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: شرطية. من: للعاقل، وتشمل الفرد والجماعة.
﴿تَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾: الشيطان: كلمة الشيطان مشتقة من شطن.
ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿وَلِيًّا﴾: عوناً: يقتدي به، ويتبع خطواته، ويطيعه.
﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد. قد: للتحقيق، وزيادة التوكيد.
﴿خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾: ظاهراً في الدنيا والآخرة، وهو دخول النار؛
أي: خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

﴿مُبِينًا﴾: ظاهراً لكل إنسان، وخسران مظهر لنفسه لا يخفى.
وهناك فرق بين الخُسْر، والخسارة، والخسران:

الخُسْر: مطلق الخسارة، سواء كانت خسارة صغيرة، أو كبيرة.
أما الخسارة: فما زاد عنه الخُسْر خسارة، أو خسار؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: ٣٩].

أما الخسران: فهو أعظم الخسارة، أو أشدها. ارجع إلى الآية (٢٢، ٦٣) من سورة هود لمزيد من البيان، ومعرفة معنى الأخسرون، وتخسير.

[١٢٠] ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾:
﴿يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ﴾: يعد أوليائه، بالباطل، وبالفقر، والفحشاء، ويعدهم:
بالمعونة، والنصرة يوم القيامة.

﴿وَيُحَنِّمُهُمْ﴾: التمني: معنى في النفس قد يقع على المستقبل، أو الماضي، ويتعلق هذا التمني بالأمني الباطلة الكاذبة لا دليل عليها؛ بأنهم هم الفائزون، وطول العمر، وأن الله سيغفر لهم ويرحمهم مهما عملوا من الآثام والكبائر.

﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾: وما: الواو: حالية، وما: نافية.

﴿يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾: تكرر يعدهم: للتوكيد.

﴿إِلَّا﴾: للحصر.

﴿غُرُورًا﴾: الغرور بضم الغين؛ يعني: الخداع، والباطل، أو هو إظهار خلاف ما يُبطن، يظهر لهم النفع وهو في الحقيقة ضرر. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (١٨٥)، وسورة فاطر، آية (٥).

[١٢١] ﴿أُولَئِكَ مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَحِذُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، يشير إلى الذين يتخذون الشياطين أولياء.

﴿مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمُ﴾: مقرهم، ومكان إقامتهم، واستقرارهم جهنم. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (١٢).

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: النافية.

﴿يَحِذُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ المحيص: اسم مكان، وهو المفر والمهرب؛ أي: لا يجدون مكاناً يفرون، أو يهربون إليه مما حاق بهم ونزل.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

البقرة الممتدة

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ
اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ
وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ
وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ
أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا
فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
مُحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ
فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ
الَّتِي لَا تَوْتُوهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ
وَالْمُسْتَضَعَّفِينَ مِنَ الْوُلَدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى
بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

سورة النساء [الآيات ١٢٢ - ١٢٧]

[١٢٢] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۖ﴾
 ﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾: السين للاستقبال القريب.

﴿جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾: الخلود الاستمرار، والبقاء إلى ما لا نهاية، والخلود يبدأ من زمن، وهو زمن دخولهم الجنة بعد الحساب، ويوم القيامة.

﴿أَبَدًا﴾: المستقبل الذي ليس له نهاية، وقد تعني دخولهم الجنة من دون حساب، ولا انتظار، يدخلون الجنة بعد البعث مباشرة.

﴿وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾: الوعد: يحمل معنى الخبر، والشيء السار غالباً، وإذا جاء في معنى الشر يعني: التوبيخ والتقريع.

أما الوعيد: فيحمل معنى الشر دائماً.

﴿حَقًّا﴾: الحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتغير؛ أي: وعداً من الله تعالى لا يتغير، ولا يتبدل، وعد الصدق.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو: استئنافية. من: استفهام تقرير.



﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾: معناه: أيوجد أصدق من الله تعالى؟ والإجابة: لا يوجد حاشا لله.

﴿قِيلَا﴾: مصدر سماعي لفعل قال يقول قِيلاً؛ أي: قولاً؛ أي: ومن أصدق (على وزن أفعل) من الله قولاً، وللتفريق بين: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلَا﴾، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾: ارجع إلى الآية (٨٧) من نفس السورة.

[١٢٣] ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾:

المناسبة: بعد قوله تعالى: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾: يأتي قوله: ليس بأمانيكُم متعلق بقوله: ويُمْنِيهِمْ.

والتقدير: ليس الفوز بالجنة، أو النجاة من النار أمراً متعلقاً بأمانيكُم، أو أمانِي الشَّيْطَانِ، أو أمانِي أَهْلِ الْكِتَابِ، أو أيٍّ أَحَدٍ، وإنما الأمر متعلق بالإيمان، والعمل الصالح، فلا تغرَّكُم الأمانِي الكاذبة.

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾:

﴿لَيْسَ﴾: للنفي؛ تنفي الحال، وغير الحال.

﴿وَأَمَانِيكُمْ﴾: الباء: للإلصاق، والخطاب موجه إلى المؤمنين.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة. لا: النافية؛ لتأكيد النفي السابق.

﴿أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: اليهود والنصارى الذين يقولون: ﴿لَنْ يَدْخُلَ

الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ [البقرة: ١١١].

وكذلك قولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤].

ولم يذكر أمانى الكفار؛ كالذي يقول: ﴿وَلَيْنَ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦].

﴿مَنْ﴾: شرطية استغراقية تشمل الإنس والجن.

﴿يَعْمَلُ سُوءًا﴾: جاءت كلمة سوء نكرة؛ لتشمل كل أنواع السوء: الظلم، والشرك، وكل أمر منهي عنه، والذنوب، والقيح، والمعصية، والسيئات.

وقيل: السوء: هو كل ما يسيء إلى النفس، وإلى الغير، أو يسوء إظهاره.

﴿يُجْزَى بِهِ﴾: في الدنيا، أو في الآخرة.

الجزاء: وهو مقابل العمل، فالجزاء منوط بالعمل؛ أي: يعاقب عليه.

﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾:

﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ﴾: الواو: عاطفة.

﴿وَلَا﴾: نافية؛ أي: من يعمل سوءاً لا يجد له من دون الله، من غير الله

تعالى.

﴿وَلِيًّا﴾: الولي: القريب المعين.

﴿وَلَا﴾: تكرر لا: يفيد تأكيد النفي، وفصل الولي عن النصير.

﴿وَلَا نَصِيرًا﴾: يدافع عنه وينصره، أو يدفع عنه عذاب الله سبحانه.

والولي غير النصير، فلو وجدت ولياً قد لا يكون قادراً على نصره، أو

وجدت نصيراً قد لا يكون قادراً على ولايتك، أو قد لا تجد لا هذا، ولا ذاك.



[١٢٤] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو: عاطفة. ومن: شرطية ابتدائية للعاقل، وقد تعني المفرد أو الجمع.

﴿مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾: ولم يقل: يعمل الصالحات، وإنما قال: من؛ التي تدل على التبعض؛ أي: بعض الصالحات؛ لأنه لا يوجد إنسان يستطيع أن يعمل كل الصالحات.

والصالحات: قيل تشمل كل الفروض، والأركان، والنوافل، وغيرها من العبادات بما فيها العبادات القلبية.

﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ﴾: من: استغرافية؛ تشمل كل ذكر، وأنثى، وهو مؤمن، لا فرق بين ذكر، أو أنثى ما دام مؤمناً.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء: للتأكيد. أولئك: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف: للخطاب؛ تشير إلى الذين يعملون الصالحات.

﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾: لا يظلم، ولا ينقص من حقه مقدار النقيير.

والنقيير: نقرة في ظهر نواة التمر.

وأما الفتيل: فهو الخيط في بطن النواة.

وأما القطمير: فهو غلاف النواة الرقيق.

أي: لا يظلمون حسنة، ولا سيئة.

[١٢٥] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو: استئنافية. من: استفهام تقريرى.

الجواب: لا أحد أحسن ممن أسلم وجهه لله، واتخذ الإسلام ديناً، وهو محسن، واتبع ملة إبراهيم حنيفاً؛ فليس ثمة أحسن ديناً ممن أخلص وجهه لله، وآمن بتوحيد الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات.

لنقارن قوله تعالى: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾، وهناك آية: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [لقمان: ٢٢].

أسلم وجهه لله: أي: وصل مرحلة من الإيمان، والتقوى هي القمة والغاية. بينما أسلم وجهه إلى الله: لا زال في طريقه إلى الغاية، وهي إسلام الوجه، فهو ما زال بحاجة إلى عمل، وتقوى، وإخلاص.

فالذي أسلم وجهه لله أفضل من الذي أسلم وجهه إلى الله.

وإسلام الوجه عملية شاقة تحتاج إلى جهد كبير، وسيطرة على الشهوات، ومحاربة الشيطان؛ أي: أخلص نفسه، وتوجه بعبادته لله وحده.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: وهو ضمير منفصل يفيد الحصر، والتوكيد، والإحسان: يتضمن إحسان الكيف، وإحسان الكم. ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة.

﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾: ملة إبراهيم: شريعة إبراهيم الحنيفية.

﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً عن سائر الأديان الباطلة إلى الحق.

﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾: خليلاً من الخلّة، والخلّة: هي الصداقة، والمودة مع التكريم، المودة التي لا مشاركة فيها.



وقيل: الخلة من الخِل، وهو طريق في الصحراء، أو طريق ضيقة في الرمل حين يسير فيه اثنان يتكاتفان، هذا التكاتف القريب جداً يمثل مقدار الود بينهما، فكلاهما متخلل للآخر بالحب والإسرار له.

[١٢٦] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾:

﴿وَلِلَّهِ﴾: الواو: عاطفة.

لله: جار ومجرور، لفظ الجلالة، وتقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: ما في السموات وما في الأرض لله وحده لا شريك له في الملك والحكم. ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾: نفسها كظرف، وما فيها كمظروف: ملكاً، وخلقاً، وملائكة.

وله ما في الأرض: نفسها كظرف، وما فيها كمظروف: ملكاً، وخلقاً، وعبيداً.

﴿وَمَا فِي﴾: للعاقل، وغير العاقل.

فهو المالك مالك الملك، والحاكم معاً.

وبما أنه سبحانه له ما في السموات، وما في الأرض؛ فطاعته واجبة؛ لأنه جل وعلا هو المعبود الحق، والخالق الحق.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾: (كان) تستغرق كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل، كان ولا زال، وسيظل منذ الأزل إلى الأبد.

بكل شيء: الباء: للإلصاق. شيء: نكرة مهما صغر، أو كبر، وكان نوعه وشكله: هو ملكه سبحانه.

﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾: علماً، وقدرة، وتديراً، وسيطرة، وعالماً بأعمال عباده، فهو مجازيهم على خيرها، وشرها، لا يفوته شيء مهما كان.

[١٢٧] ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغْبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾:

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾: الواو: استئنافية؛ أي: ما زالوا يطلبون منك الفتيا في شأن النساء، ما يحل لهن، أو ما يحرم عليهن.

والفتيا: هي الإخبار بحكم الله عن دليل لمن سأل عنه في أمر نازل، وإذا نظرنا إلى الآية (١٧٦) في نفس السورة يقول تعالى: (يستفتونك) بدون الواو، وذلك لأن يستفتونك هذه عامة؛ أي: فيما يخطر على بالهم من الأمور من الكلالة وغير الكلالة.

﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾: قل لهم أيها الرسول: الله يفتيكم فيهن مباشرة، ومن دون تأخير، أو تأجيل؛ لاستنباط الحكم، أو قل لهم يا رسول الله: الله يفتيكم من جديد، فربما أخبروا بالفتوى سابقاً، وما يتلى عليكم في الكتاب في القرآن من الأحكام، كذلك يُعد فتوى لكم.

﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ﴾: انتبه إلى ما طلبوا؛ هم طلبوا الفتوى في النساء عامة؛ أي: عامة النساء: صغيرات، أو كبيرات، يتيمات، غير يتيمات، فجاء الرد خاصاً في اليتامى من النساء، والمستضعفين من الوالدين فقط، لماذا؟

لأن الله سبحانه قد أفتاهم في النساء بما فيه الكفاية سابقاً؛ بما بين لهم من الأحكام في كتابه الكريم (القرآن).

فقد ذكر لهم أحكام الميراث، والطلاق، والزواج، والخطبة، والرضاعة.



فجاء الرد في هذه المرة في يتامى النساء؛ لأن اليتيمة ضعيفة، وتحتاج إلى عون.

أما النساء الأخريات؛ فلهن القدرة على الوصول إلى الفتوى الخاصة بهن.
﴿الَّتِي﴾: اسم إشارة تعود على يتامى النساء.

﴿لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾: ما كتب لهن؛ أي: ما فرض لهن من الميراث، أو المهر.

﴿وَرَرَّغِبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾: ترغبون: من الرغبة وهي الطلب بحرص، والرغبة قد تكون (في) أو (عن)؛ في: تعني الطلب بحرص، وعن: تعني عدم الطلب وتركه، وهنا عندنا احتمالين: الأول: ترغبون عن أن تنكحوهن؛ لأنهن غير جميلات مثلاً، فلا تعضلوهن أن ينكحن؛ أي: يتزوجن بغيركم؛ (فقد كان لا يسمح لها بالزواج من غيره؛ كي لا يخسر مالها، ويصبح زوجها أولى بمالها). الاحتمال الثاني: ترغبون في أن تنكحوهن؛ لأنهن جميلات، وذوات مال (فالوصي كان ينكحها، ويستمتع بمالها، ويستولي على مالها، ولا يعطيها حتى مهرها)، فالله يفتيكم ألا تفعلوا ذلك.

﴿وَالْمُسْتَضَعْفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾: وهذا هو الصنف الثاني: المستضعف، وهو اليتيم الذي لم يبلغ الحلم بعد، والذي فقد (مات) أباه؛ حيث كانوا لا يورثون الصغير من الغلمان، فنهاهم الله عن ذلك، وبين لكل ذي سهم سهمه، وللذكر مثل حظ الأنثيين.

﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾: وأن: للتوكيد.

﴿تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل؛ أي: تعاملوا اليتامى بالعدل، كما ذكر في أول السورة.

والْقِسْطُ: هو الحكم بالعدل، وتنفيذ الحكم، وليس مجرد الحكم.

﴿بِالْقِسْطِ﴾: بكسر القاف.

أما الْقِسْطُ بفتح القاف؛ فيعني: الجور والظلم؛ ارجع إلى الآية (٣) في نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة. ما: شرطية.

﴿تَفْعَلُوا﴾: تقوموا به.

﴿مِنْ﴾: استغراقية تستغرق كل خير.

﴿خَيْرٍ﴾: نكرة تشمل كل خير، والخير: هو الشيء الحسن النافع؛ مثل:

الإحسان، والعدل إلى المرأة، واليتيم، ومراعاة حقوقهما.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: للتوكيد.

إن: لزيادة التوكيد.

﴿كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾: (كان) تستغرق كل الأزمنة: الماضي، والحاضر،

والمستقبل. يعلم النيات، والأعمال، والخفايا، وما يفعل بهؤلاء الضعفاء من

خير، أو غدر، أو مكر، والله يعلم ذلك حتى قبل وقوعه، وفي كل زمان ومكان،

فلا يخفى عليه شيء في الأرض، ولا في السماء.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

الجزء الميسر

وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

سورة النساء [الآيات ١٢٨ - ١٣٤]

[١٢٨] ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو: استثنائية.

إن: شرطية تدل على قلة الحدوث، أو الاحتمال مقارنة بـ(إذا) التي تدل على كثرة الحدوث.

﴿أَمْرَأَةٌ﴾: نكرة؛ أي امرأة، ولم يقل: زوجة؛ لأن هناك اختلافاً في المعنى بين امرأة وزوجة. الزوجة: تعني هناك توافق بين الزوجين؛ أي: متكافئين في العقيدة، والدين، إذا حدث بينهما شيء من الاختلاف يزول.

امرأة: كلمة امرأة تستعمل حين يوجد ما يخل بالحياة الزوجية مثل هناك اختلاف مثل: عدم الاستقرار الأسري والنشوز والإعراض أو اختلاف في العقيدة؛ كقوله: امرأة فرعون، امرأة نوح، وامرأة لوط، بين الزوجين، أو قد تكون عاقراً، أو فيها مرض ما يطلق عليها القرآن امرأة. ارجع إلى سورة القصص آية (٩) لمزيد من البيان.

﴿خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾:

والخوف: هو توقع الضرر المشكوك في وقوعه، وهو خلاف الطمأنينة.



وهناك فرق بين الخوف والحذر؛ فالحذر: هو توقي الضرر المتوقع، سواء كان ظناً، أو يقيناً، والحذر: لدفع الضرر، والحذر: لا يدفع الخوف. وأما الخشية: فهي خوف حقيقي؛ أي: الشيء الذي تخافه هو حقيقة، مع الشعور بعظمة الذي تخافه، مع العلم به.

والخوف: إذا اشتد أصبح خشية، وإذا اشتد أكثر أصبح وجلًا.

﴿مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾: البعل: وهو الزوج، والسيد، والقائم عليها (والمنفق عليها)، والمباعدة تعني: في طياتها المحبة، والمعاشرة الزوجية. وقوله تعالى بعلها، ولم يقل زوجها؛ لوجود الاختلاف بين الزوجين بسبب النشوز وعدم الاستقرار الأسري، وكذلك ليذكرها بكلمة البعل الحامل لمعنى المعاشرة الزوجية لعلها تحن وترجع عن النشوز وتصبح زوجة.

نشوزاً: مصدر سماعي لفعل نشز ينشز، وهو مأخوذ من النشز، وهو ما ارتفع وظهر من الأرض.

والمفروض: أن الأرض أن تكون مبسوطة؛ فإن وجد فيها ارتفاعاً فهذا يسمى نشوزاً، ويعني: تكبر وارتفاع من الزوج عن زوجته؛ أي: التباعد، والكراهية، وترك مضاجعتها، والتقصير في نفقتها، والرغبة في تركها، وفراقها، وحب غيرها، سواء لكبر سنها، أو مرضها.

أو إعراضاً: أي: عدم الكلام إليها وتجنبها؛ كأن يكون إعراضاً بالوجه، أو إعراضاً بالبدن، ومنعها نفسه والكراهية لها.

والنشوز: قد يحصل من الزوجة، وليس من الزوج، كما قال تعالى في نفس السورة، آية (٣٤): ﴿وَالَّذِينَ يَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ وَاهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ

وَأَصْرِيْهُنَّ ﴿١٠﴾: بأن تتكبر عليه، وتهمل واجباتها، فلا بُدَّ من علاج النشوز بمجرد وقوعه، وعدم الانتظار حتى يصعب علاجه.

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: الفاء: للتوكيد.

لا جناح؛ أي: لا أثم.

وجناح من جنح؛ أي: مال عن القصد، وسُمِّيَ الجناح إثم؛ لأنه ميل عن الحق. عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً: الزوج والزوجة. ارجع إلى الآية (١٠١) من سورة النساء؛ للبيان.

﴿أَنْ يُصْلِحَا﴾: أصلها يتصلحا، ثم أدغمت التاء في الصاد، وقد تعني: يصلحا من أصلح، والإصلاح: يبدأ بمجرد ما تشعر الزوجة بنشوز زوجها، تبحث عن الأسباب؛ فإذا كانت هذه الأسباب تعود إليها مثل: تقصيرها في حق زوجها، أو معاملتها السيئة، أو غيره تحاول أن تتجنب ذلك، وإن كانت أسباب قاهرة، مثل: كبرها، أو مرضها، أو جمالها؛ فيمكن أن تتنازل عن شيء من حقوقها من قبيل الإحسان، مثلاً: تتنازل له عن حقها في الفراش، أو النفقة، أو غيرها، أو تسمح له بالزواج، وتبقى كزوجة له، ولها حق النفقة والصحة مثلاً، بدلاً من الطلاق، أو الفضيحة.

﴿صُلِحَا﴾: تقديره فيصلح الأمر صلحاً، بأي نوع من أنواع الصلح يمكن القيام به، أو التوصل إليه خير من الدوام على العشرة بالنشوز؛ أي: الإعراض.

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾:

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾: خير من الفرقة، والطلاق، أو استمرار النشوز والإعراض، وسوء المعاشرة والخصومة.

﴿الشُّحُّ﴾: هو أشد البخل مع شدة الحرص على منع الخير.

﴿وَأَحْضَرْتَ الْأَنْفُسَ الشَّحَّ﴾: يعني: الشح كان في الأنفس، ولم يقل: النفوس. النفوس تعني: كل نفس، أما الأنفس: فلا تعني كل نفس قبل أن تحضر، أو تجيء للصالح، أو قبل النشوز، أو هي مطبوعة عليه، أو جُبلت عليه لا يغيب عنها، أو هو يسيطر عليها.

وكلمة الأنفس: تدل على أن الشح يشمل الجنس البشري من: رجال، ونساء، وأطفال، وشيوخ.

وموجود في معظم الأنفس البشرية: فالمرأة تشح على زوجها، والزوج يشح على زوجته، وكلاهما بخيل على الآخر.

وهذا ليس فرضاً من الله، أو هو خلقها سبحانه كذلك، وإنما هي اختارت أن تكون شحيحة، وهو سبحانه شاء لها ذلك أيضاً، فهناك نفوس كريمة تعفو وتصفح، ونفوس شحيحة، فالشح يؤدّي إلى عدم تنازل أحد الزوجين للآخر عن أي شيء من الحقوق، والكل يطمع أكثر فأكثر، فيؤدّي ذلك إلى الطلاق، وتفكك الأسرة، وإهانتها.

﴿وَإِنْ﴾: إن: شرطية؛ تدل على الاحتمال، والندرة في الحدوث.

﴿تُحْسِنُوا﴾: معاشرتهن وتصبروا، وتحسنوا إلى بعضكم بعضاً، كما أوصاكم الله سبحانه، وتركوا النشوز وعدم نسيان الفضل بينكم وكيف أفضى بعضكم إلى بعض.

﴿وَتَتَّقُوا﴾: الظلم، والجور من كلا الطرفين.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾:

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: للتوكيد. إن: لزيادة التوكيد.

﴿كَانَ﴾: تفيد الماضي، والحاضر، والمستقبل، وكون ذاته خبيراً: فهي صفة ملازمة لذاته من الأزل.

﴿يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: تشمل الأفعال، والأقوال، وقَدِّم كلمة تعملون على كلمة (خبيراً)؛ لأن السياق في أعمال العباد.

وما: مصدرية، أو اسم موصول بمعنى الذي.

﴿خَبِيرًا﴾: يعلم نواياكم وبواطن أموركم، وخبير بذات الصدور، وأحاط علمه بكل شيء، وبخلقه وكونه.

[١٢٩] ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُواهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾:

﴿وَلَنْ﴾: الواو: استئنافية. ولن: حرف نفي، ينفي المستقبل القريب والبعيد، وليس النفي المؤبد.

﴿تَسْتَطِيعُوا﴾: الاستطاعة: تعني القدرة، ولكن الاستطاعة أخص من القدرة، فكل مستطيع قادر، وليس كل قادر بمستطيع، والقدرة من الاستطاعة، والاستطاعة هنا هي الاستطاعة المعنوية القلبية، وليست الاستطاعة المادية (كالنفقة، والمأكل، والمشرب، والكسوة، وقضاء الوقت عند هذه، أو تلك).

﴿أَنْ﴾: للتوكيد.

﴿تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾: من العدل، ويقصد بالعدل هنا: العدل العاطفي القلبي؛ أي: الحب، فهذا الأمر صعب، أو مستحيل، ولذلك لا يطالب

به الشرع، أمّا العدل في النفقة، والموانسة، والملبس، والمعاملة الحسنة، فهذا ما يطالب به الشرع.

﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾: فلا: الفاء: للتوكيد.
لا: النافية للحال، والاستمرار والاستقبال.

﴿فَلَا تَمِيلُوا﴾: ميلاً عاطفياً قليلاً، لا تستطيعون السيطرة عليه، رغم أن الميل العاطفي مباح لكم، ولكن لا ينبغي أن يكون الميل العاطفي القلبي سبباً إلى الإخلال بالنفقة، أو سبباً للمعاملة السيئة، أو الظلم للزوجة الأخرى.

﴿فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾: أي: كالعازبة من دون زوج، فتزوج أو المتزوجة لها زوج، ولكن لا يُحسب زوجاً لها؛ لأنه لا يعاملها كزوجة له.

﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: وإن: الواو عاطفة.
إن: شرطية.

﴿تُصْلِحُوا﴾: معاشرتهن وتعاملوهن بالعدل، ورفع الظلم، وتجنبوا الأسباب التي أدت بها إلى كونها كالمعلقة؛ فتصلحوها.

﴿وَتَتَّقُوا﴾: الله سبحانه، وتطيعوا أوامره بالمعاملة بالمعروف والإحسان، وتجنبوا نواهيه من الظلم، والجور.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾: فإن: الفاء: للتوكيد، إن: لزيادة التوكيد.

﴿كَانَ﴾: تفيد الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿غَفُورًا رَحِيمًا﴾: أي: يغفر لكم ميل القلب، وما ليس باستطاعتكم؛ لأنه سبحانه غفوراً رحيمًا؛ ارجع إلى الآية (٢٥) في سورة النساء لمزيد من البيان.

[١٣٠] ﴿وَإِنْ يَنْفَرَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ۝﴾

﴿وَإِنْ﴾: الواو: عاطفة، إن: شرطية تدل على احتمال الحدوث، أو قلة.

﴿يَنْفَرَا﴾: من الفرق خلاف الجمع؛ أي: يتفرقا الزوجان بالطلاق بعد فشل الصلح، وكل المحاولات.

﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾: من رزقه وفضله، يرزق كليهما، ويغني أحدهما عن الآخر، بحيث لم يعد يحتاج أحدهما إلى الآخر، ويذهب كل في سبيله، ويعوض الله الزوجة بما هو خير لها منه، ويعوض الله الزوج بما هو خير له منها.

﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾: و(كان): تستغرق كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

الواسع: الذي وسع كل شيء علماً، ووسع خلقه برزقه، وعفوه، ورحمته؛ كرمًا، وحلمًا، واسع الملك، والفضل، والإحسان، عظيم الجود، والكرم.

﴿حَكِيمًا﴾: في تدبير خلقه، وكونه، وكل شيء، ذو الحكمة البالغة، فهو الحاكم، والحكيم، وهو أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء. ارجع إلى الآية (٢٩) من سورة البقرة؛ للبيان.

[١٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ۝﴾

﴿وَلِلَّهِ﴾: الواو: استئنافية. لله: جار ومجرور اسم الجلالة، يدل التقديم عليه قصرًا، وحصرًا، وتوكيدًا، له: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: واللام: في لله: تفيد الملكية.



﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: ما: اسم موصول؛ أي: الذي في السموات، والذي في الأرض؛ للعاقل، ولغير العاقل، فهو المالك، والحاكم، والملك الحق؛ أي: له (السموات)، (وما في السموات) خلقاً، وملكاً، وجنداً. وله: الأرض، وما في الأرض، فالظرف والمظروف؛ ملكه سبحانه، لا يشاركه فيه أحد.

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا﴾: لم يقل شرّعنا، أو فرضنا، وصينا فيها إشعار بقرب الموصي للموصى إليه؛ أي: عهدنا. ارجع إلى الآية (١١) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.

﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: أي: أهل التوراة، والإنجيل (اليهود، والنصارى)، وسائر الكتب، والكتاب: اسم للجنس يشمل كل الكتب السماوية من قبلكم؛ أي: وسائر الأمم المتقدمة.

﴿وَإِيَّاكُمْ﴾: ضمير منفصل معطوف على: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾.

﴿إِنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾: أن: مصدرية، تفيد التوكيد.

﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: أي: أطيعوا أو امر ربكم، واجتنبوا نواهيه، وقيل: ﴿إِنْ﴾: هي المفسرة للوحي، والتي هي اتقوا ربكم ووحدوه بما أوصاكم به، وإن تكفروا نعمة وإحسانه، وأن تعرضوا عن طاعته، وتجنبوا نواهيه، فإن لله ما في السموات، وما في الأرض.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾: عنكم، وعن عبادتكم، وطاعتكم، ولا تضروه شيئاً، فهو ذو الغنى والحمد؛ لأن له كل ما في السموات والأرض.

﴿حَمِيدًا﴾: المحمود: من جميع صفات الحمد كلها، ومحموداً في صنعه

سواء حمدتموه، أم لم تحمدوه، فهو صاحب الحمد، ومستحقه في كل الأحوال، حميداً من الأزل إلى الأبد.

[١٣٢] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾:

في هذه الآية كرر تعالى فيها الإعلان عن استحقاقه الحمد، والغنى، وأنه المعبود الحق؛ لأنه مالك كل شيء، ما في السموات، وما في الأرض، ولقيوميته عليها، وهو في الحقيقة ليس تكرر، كما سيأتي بعد قليل.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: بالله: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

الوكيل: هو الكافي يفوض إليه الأمر كله، والمتولي تدبير خلقه بعلمه، وكمال قدرته، وحكمته الذي يكفيكم، ويغنيكم عن كل ما سواه؛ أي: هو المعين على كل شيء، والقادر المقتدر على فعل ذلك وحده؛ لأنه مالك كل شيء، والقائم عليه، وهو الحفيظ. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لمزيد من البيان.

وتكرر هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ في الآية (١٢٦)، والآية (١٣٠)، والآية (١٣١)، والآية (١٣٢): له دلالات بيانية مختلفة:

ففي الآية (١٢٦): فيها تحذير وإنذار بأن تعلموا بأن: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾: محيطاً بما تقولون، وتفعلون.

وفي الآية (١٣٠): ﴿وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُعِنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾؛ لأن لله ما في السموات وما في الأرض، فهو قادر على إغناء الزوج والزوجة من سعته إذا حدث الطلاق، ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾.

وفي الآية (١٣١): فهي استجابة أو رداً على قوله تعالى: أن اتقوا ربكم



وإن تكفروا فإن الله غني عنكم وعن إيمانكم؛ لأن: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾.

وفي الآية: (١٣٢): هي استجابة، أو رداً على قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ أفضل منكم؛ لأنه سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

[١٣٣] ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا:

﴿إِنْ﴾: شرطية.

﴿يَشَأْ﴾: من المشيئة، وهي المرحلة التي تسبق الإرادة. ارجع إلى سورة إبراهيم، آية (٢٧)؛ للبيان.

﴿يُذْهِبْكُمْ﴾: يهلككم، أو يمتيتكم، أو يقضي عليكم.

﴿وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾: أفضل منكم، أو خلق جديد مغاير لخلقكم.

﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾: (كان) تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿عَلَى ذَلِكَ﴾: ذلك: اسم إشارة للبعيد، تشير إلى الذهاب بكم، وإلى فنائكم.

﴿قَدِيرًا﴾: صيغة مبالغة من قادر؛ الذي لا يعجزه شيء، كامل القدرة.

القادر: ﴿يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٩) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿[إبراهيم: ١٩-٢٠].

[١٣٤] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾:

﴿مَنْ﴾: شرطية، وجواب الشرط جملة: ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

﴿كَانَ يُرِيدُ﴾: للتأكيد.

﴿رَبِّدْ﴾: جاء بفعل مضارع، ولم يقل: أراد، من أراد ثواب الدنيا؛ ليدل على استمراره في إرادة الدنيا وطلبها، فهو لا يشبع منها.

﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾: الثواب: المكافأة على عمل معين في الخير، أو الشر، وكلمة الثواب تشير غالباً إلى الخير والثواب، قد يأتي بمعنى العقاب، ولا ثواب من دون عمل. ارجع إلى الآية (١٠٣) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾: أي: نعيمها بالمال، والجاه، والزينة، والشهرة، وغيرها.

﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: يُبين الله سبحانه لمن يرجو فقط ثواب الدنيا، أنه يمكن له أن يحصل على ذلك، وعلى ثواب أعظم من ذلك، وهو ثواب الدنيا والآخرة معاً.

وهذا من عظمته سبحانه وتعالى، وفضله، ورحمته: أن جعل ثواب الدنيا جائزة لمن يعمل للآخرة، وأما من أراد أن يكتفي بثواب الدنيا فله ذلك، ولكنه من الحماقة أن يُعطى له ثوابين، ثم يُقصر جهده، وعمله على جزاء واحد، أو ثواب واحد، وهو أدنى الثوابين، وهذا ما يقوم به عادة الكافر، والمشرک، والمنافق.

﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾: (كان) تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿سَمِيعاً﴾: لكل ما يقوله عباده وخلقه، ويسمع ما في الكون من سر وعلن.

﴿بَصِيراً﴾: يبصر كل شيء مهما دق، أو صغر، أو كبر، أحاط بصره بجميع

المبصرات، وبصير بما تعملون.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

الْبَقَرَةُ

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ
وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا
أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ
تَلَوْا أَوْ نَعَضْتُمُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَتَأَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَاكُتِبِ الَّذِينَ نَزَلَ
عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَاكُتِبِ الَّذِينَ نَزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَايَوْمَ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا
ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنَعُوكَ
عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي
الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَةَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ءَإِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ
إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾



سورة النساء [الآيات ١٣٥ - ١٤٠]

[١٣٥] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُونًا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أَوَّلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ نَعَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء من الله للذين آمنوا بتكليف جديد، وهو:
﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾.

﴿قَوَّامِينَ﴾: جمع قَوَّام (وليس قائم)؛ قَوَّام: صيغة مبالغة لقائم، فلم يقل: كونوا قائمين، بل ﴿قَوَّامِينَ﴾: ومن قام بالشيء فعله، وقوامين: تدل على كثرة القيام؛ أي: كونوا: ﴿قَوَّامِينَ﴾: بالقسط؛ بكثرة، واستمروا على ذلك، وابدلوا جهدكم.

﴿بِالْقِسْطِ﴾: لغة: هو الحظ والنصيب، ويستعمل في سياق الموازين، وكذلك القسط: هو الحكم بالعدل، وإزالة ورفع الظلم عن المظلوم. ارجع إلى الآية (٣) في نفس السورة.

أما العدل: فهو الحكم بالحق، والمساواة في الأحكام: إعطاء كل ذي حق حقه؛ فلا يكفي الحكم، بل لا بُدَّ من تطبيق الحكم، وهذا يعني: بالقسط.

فهناك فرق بين العدل، والقسط: كلاهما يعني: المساواة والإنصاف، ولكن العدل: هو الحكم بالعدل، والقسط: هو إظهار العدل؛ أي: تطبيق العدل، وتنفيذه باستعمال الميزان وغيره من الوسائل، وعدم الاكتفاء بإصدار الحكم.

﴿شُهَدَاءَ لِلّٰهِ﴾: جمع شاهد، شهداء بالحق، دون تحريف، أو زيغ ابتغاء



مرضاة الله. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٣)؛ لمزيد من البيان في معنى شهداء، وقدم في هذه الآية قوامين بالقسط على شهداء لله، بينما في الآية (٨) في سورة المائدة قدم قوامين لله على شهداء لله؛ انظر في نهاية تفسير الآية إلى الفرق بين الآيتين.

﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾: الواو: عاطفة، لو: حرف شرط.

﴿وَلَوْ﴾: تفيد البعد؛ لأن الإنسان أبعد شيئاً أن يشهد على نفسه، وانته إلى قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾: ولم يقل: لأنفسكم؛ تعني: لمصلحة أنفسكم، فقوله: ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾: أي: وإن كانت الشهادة ضدكم، ولغير مصلحتكم.

﴿أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾: أي: حتى لو كانت الشهادة؛ أي: شهادتكم ضد أبويكم، أو ضد أقاربكم، أو أقرب الخلق إليكم؛ فإياكم أن تشهدوا مودةً، أو تعصباً.

﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾:

﴿إِنْ﴾: شرطية.

﴿يَكُنْ﴾: المشهود عليه، أو المشهود له.

﴿غَنِيًّا﴾: فلا يراعى لأجل غناه، أو طمعاً في ماله، أو استجلاباً لمنفعة، أو دفعاً لمضرة، فيترك الشهادة عليه.

﴿أَوْ فَقِيرًا﴾: كذلك لا يراعى لأجل فقره، أو رأفة به، وإشفاقاً عليه، فلا

تشهد عليه.

﴿فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾: أي: أنت أيها العبد، لم تخلق أحدهما، فالله أحق بهما؛

أي: بالنظر إليهما من ناحية الغنى والفقر؛ أي: هذه إرادة الله في أن يكون غنياً،



أو فقيراً، فلا تتأثر بحالهما، بل اشهد بالحق، وأما بالنسبة للصدقة؛ فهذا موضوع آخر.

﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ﴾: فتنحازوا إلى الغني، أو إلى الفقير، فلا دخل للشهادة بالغني، أو الفقر، والهوى تعريفه: هو:

﴿الْهَوَىَّ﴾: هو ميل النفس إلى شيء تحبه وتهواه، بغض النظر عما أمر الله تعالى، أو نهى عنه، والهوى يختلف من شخص إلى آخر، فالأهواء مختلفة، والهوى غالباً ما يكون مذموماً، أو باطلاً؛ أي: بعيداً عن الحق، وبلا دليل.

﴿أَنْ تَعْدِلُوا﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد؛ أي: تقيموا الشهادة بحق وإخلاص، وتجنبوا الزيف والهوى.

﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾: أو: تفيد في تصريف المعنى على أربعة أوجه:

الأول: الخصم الأول: غني، والخصم الثاني: غني.

الثاني: الخصم الأول: فقير، والخصم الثاني: فقير.

الثالث: الخصم الأول: فقير، والخصم الثاني: غني.

الرابع: الخصم الأول: غني، والخصم الثاني: فقير.

وتصريف آخر:

الأول: الله أولى بغنى الغني، وفقر الفقير، مهما كانت درجة غناه، ومهما كانت درجة فقره.

الثاني: أي غني، أو أي فقير (نكرة)، فالله كذلك أولى بهما.

﴿وَأِنْ تَلَوْاْ أَوْ تَعْرِضُواْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾:

﴿وَأِنْ﴾: الواو: استئنافية. إن: شرطية.

﴿تَلَوْا﴾: في الشهادة، والتي هي التحريف؛ أي: وإن تحرّفوا الشهادة، أو تعمدوا إلى الكذب.

﴿أَوْعُرِّضُوا﴾: من الإعراض؛ أي: الامتناع عن أداء الشهادة؛ لكونه يخاف من المشهود عليه، أو يمتنع عنها؛ ضرراً بالمشهود له، والإعراض يعني: كذلك الكتمان، أو يعرض عن الشهادة؛ لكون الشهادة ترجح الطرف الذي يعاديه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة: ٨].

﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾: الفاء: للتوكيد، وإن: لزيادة التوكيد.

﴿كَانَ﴾: كان، وما زال، وسيظل تشمل كل الأزمنة.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، ما: اسم موصول، أو حرف مصدرى.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: تشمل الأفعال، والأقوال.

﴿خَيْرًا﴾: عليمًا بكل شيء، ببواطن الأمور وظواهرها، يعلم ما تسرونه، وتقولونه، وتفعلونه.

وقدّم كلمة: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ على كلمة: ﴿خَيْرًا﴾: لأن السياق في الشهادة والأعمال.

لنقارن آية سورة النساء، آية (١٣٥): ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ءَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾.

مع الآية (٨) من سورة المائدة: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ لِلّٰهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾:

في النساء قدّم: ﴿قَوَّامِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ على ﴿شُهَدَآءَ لِلّٰهِ﴾.

وفي المائدة قدّم: ﴿قَوَّامِينَ لِلّٰهِ﴾ على ﴿شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾.

لأن الآية في سورة النساء جاءت في سياق نشوز الرجال، والإصلاح بين الزوجين، ومعاملة اليتيم، والمستضعفين من ولدان، وقوله: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾: إذن السياق والحديث هنا عن القسط، والعدل، فناسب ذلك تقديم القسط؛ أي: كونوا قوامين بالقسط بين الأزواج، واليتيم، والمستضعفين من ولدان، وعند الصلح.

أما الآية في سورة المائدة: فسبقها ذكر ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، والعهود، والدين، والمحرمات.

وقوله: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾.

إذن جاءت في سياق العقود، والعهود، والمواثيق؛ فناسب ذلك الوفاء بما أمركم الله تعالى، وتجنب ما نهاكم عنه، ولذلك قدّم قوامين لله؛ أي: بالوفاء بالعهود، والعقود، والمواثيق أولاً، وهو الأهم، وآخر القيام بالقسط.

وهناك فرق بين ﴿قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾، و: ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾: هناك فرق بين أن تكون أنت المتهم، أو الجاني؛ أي: المشهود عليه، كما في سورة النساء، وبين أن تكون أنت الشاهد، كما في سورة المائدة.

[١٣٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكُنَّ بِالَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالِكُنَّ بِالَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء للذين هم على درب الإيمان بأمر جديد، أو تكليف، أو حكم، والهاء: للتنبيه.

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: انتبه هنا! ناداهم بـ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، ثم يقول لهم: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: لا تعني هنا: الإيمان الأول، وإنما تعني: استقيموا على إيمانكم، وارتقوا في درجاته، والثبات عليه.

والباء: ﴿بِاللَّهِ﴾: للإلصاق. آمنوا بوحدايته، وألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته.

﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾: أي: القرآن الكريم نزل على رسوله ﷺ؛ أي: منجماً على دفعات استمرت ٢٣ عاماً.

﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ﴾: الكتاب: اسم جنس، يشمل كل الكتب السماوية الأخرى التي نزلت قبل القرآن، مثل: التوراة، والإنجيل، والزرور، والصحف.

وقوله سبحانه: ﴿وَالْكِتَابِ﴾: بدلاً من الكتاب؛ إشارة إلى أن الكتب كلها تعتبر واحدة، وتمثل كتاباً واحداً، ورسالة واحدة.

﴿أَنْزَلَ﴾: تعني: جملة واحدة، دفعة واحدة، وفي هذه الآية كذلك دعوة لأهل الكتاب بالإيمان الصحيح؛ أي: آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ، والقرآن. ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو: عاطفة. من: شرطية.

﴿يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾: جاء بالفعل المضارع، ولم يقل: ومن كفر بالماضي؛ لأن الذي كفر ربما تاب من كفره وانتهى، وأما من يكفر؛ فإنه يستمر في كفره، أو يكفر من جديد، أو يعود إلى الكفر.

﴿وَاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: أركان الإيمان الخمسة. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٧٧)؛ للبيان.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد. قد: للتحقيق، وزيادة التوكيد.

﴿صَلَّ ضَلَكًا بَعِيدًا﴾: ارجع إلى الآية (١١٦) في نفس السورة؛ للبيان.

[١٣٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾:

اختلفوا فيمن نزلت: قالوا نزلت في اليهود الذين آمنوا بالتوراة، وبموسى، ثم كفروا بالإنجيل، وبعيسى، ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد ﷺ، وبالقرآن، وقيل: هم المنافقون الذين آمنوا، ثم ارتدوا، ثم ماتوا وهم كفار.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾: لم تبين الآية من هؤلاء الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا، وذلك سواء أكانوا من المسلمين أم المنافقين أم اليهود أم النصارى، ويعني: آمنوا بهذا وكفروا بذلك؛ أي: آمنوا بموسى أو بعيسى وكفروا بمحمد، أو آمنوا بالتوراة أو الإنجيل وكفروا بالقرآن، وآمنوا ثم ارتدوا عن دينهم، أو أظهروا الإيمان وأخفوا الكفر، أو آمنوا ببعض وكفروا ببعض ولم يستقيموا على الهدى؛ ثم ازدادوا كفراً: وكانت هذه محصلة حياتهم وماتوا وهم على الكفر.

﴿لَّمْ يَكُنِ﴾: لم: حرف نفي، ينفي عنهم الغفران، ولم: تنفي الحال، والمستقبل، وثم: تفيد الترتيب العددي.

﴿اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾: اللام: في ﴿لِيَغْفِرَ﴾: تفيد توكيد النفي؛ ليغفر لهم، ويمحو عنهم سيئاتهم.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة. لا: نافية أقوى بالنفي من (لم)، وتنفي الماضي، والحاضر، والمستقبل.



﴿لِيَهْدِيَهُمْ﴾: اللام: للتوكيد، سبيلاً وطريقاً إلى الهداية.

ويبدو أن هؤلاء ماتوا وهم كفار، فلن يغفر الله لهم، ولا يهديهم سبيلاً إلا طريق جهنم، أو هم من الذين ضرب الكفر على قلوبهم، وارتدوا عن الإسلام أكثر من مرة، ولم يستحقوا المغفرة، وتمادوا في كفرهم، أو من طبقة المنافقين الذين أعلنوا الإيمان، وأبطنوا الكفر حتى ماتوا، وهم على هذه الحالة من النفاق. وقوله: ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾: بدلاً من: ولا يهديهم طريقاً، كما ورد في الآية (٦٩) من نفس السورة.

فكيف استعمل كلمة ﴿سَبِيلًا﴾: التي تحمل معنى الخير غالباً بدلاً من (طريقاً) التي تحمل معنى الشر في القرآن؛ لأن هؤلاء عرفوا السبيل مرتين، آمنوا ثم كفروا، ثم آمنوا ثم كفروا.

فالله سبحانه لن يهديهم مرة أخرى إلى سبيل مثل السبيل الذي عرفوه سابقاً، حين عادوا إلى الإيمان، ثم عادوا إلى الكفر، أو تحمل معنى: التفرع، والتوبيخ، أو السياق في الآيات حيث ذكرت كلمة سبيلاً في هذه السورة حوالى (١١) آية، وسبيل حوالى (١٦) آية.

[١٣٨] ﴿بَشِّرِ الْمُتَفَقِينَ بِأَنَّهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

﴿بَشِّرِ الْمُتَفَقِينَ﴾: بشر: البشارة عادةً تحمل أو تأتي بخير، أو خبر يُسر، ولأول مرة، واستعملت مع المنافقين في أسلوب تهكمي. وكان يمكن القول: أنذر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً.

المنافقين: جمع منافق: وهو الذي يتظاهر للناس بالإيمان، ولكنه يطن الكفر، ويخشى أن يكشفه الناس، فهو يقول بلسانه ما لا يعتقد قلبه، وهو أشد كفراً وشرّاً من الكافر نفسه.



كلمة المنافق: مشتقة من نافقاء اليربوع، وهو حيوان يشبه الفأر، ويسكن في الصحراء، يحفر لنفسه نفقاً في الأرض، له بابان لا تدري من أي باب يخرج؛ كالمنافق له وجهان، يظهر الإيمان، ويبطن الكفر.

﴿بَآنَ﴾ الباء: للتوكيد، وأن: لزيادة التوكيد.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: اللام: لام الاستحقاق. عذاباً أليماً: في نار جهنم، شديد الإيلام، لن يقدرُوا على طاقته.

[١٣٩] ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُغُوتَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم إشارة، نصب يفيد الذم، ويجوز أن يرفع بمعنى هم الذين.

﴿يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾: يتخذون: من اتخذ، والاتخاذ: هو الجعل، والتصيير، وفيها معنى الاستمرار؛ أي: هم يستمرون في اتخاذ الكافرين أولياء، وكذلك فيها معنى الاختيار والاصطفاء؛ أي: هم يجعلون الكافرين أولياء بمحض إرادتهم، واختيارهم، ولا أحد يجبرهم على ذلك.

﴿أَوْلِيَاءَ﴾: جمع ولي: وهو الذي يليك؛ أي: المعين.

﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: من غير المؤمنين، أو بدلاً من اتخاذ المؤمنين أولياء؛ اتخذوا الكافرين.

﴿أَيْبَنُغُوتَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾:

﴿أَيْبَنُغُوتَ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري.

﴿أَيْبَنُغُوتَ عَنْهُمْ﴾: يَلْتَمِسُونَ عندهم؛ أي: عند الكافرين.

﴿الْعِزَّةَ﴾: ولها أنواع: القوة (الغلبة والنصر)، والحماية، والمنع، والقهر.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: تعليلية. إن: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد.

﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: عزة القوة، وعزة القهر، والغلبة، والمنعة، كلها لله وحده سبحانه، وجميعاً: تفيد التوكيد.

في هذه الآية قال تعالى: ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

وفي سورة المنافقون، آية (٨): ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

فلا تعارض بين هذه الآية، وبين الآية في سورة النساء.

﴿الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: لأنه هو مالكها، ولله سبحانه وحده العزة جميعاً، حصراً، وقصراً، لكنه سبحانه وتعالى يُؤتي العزة لعباده بفضله عليهم، أو تفضلاً عليهم، ولمن يشاء منهم، ولكن عزتهم عزة زائلة، ومحدودة تنتهي بانقضاء آجالهم، وليس كعزة الله سبحانه الدائمة.

[١٤٠] ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.

﴿وَقَدْ﴾: الواو: استئنافية. قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾: أي: في القرآن الكريم.

﴿أَنْ﴾: للتوكيد.

﴿إِذَا﴾: ظرفية بمعنى: حين، وتحمل معنى الحتمية، وكثرة الحدوث.

﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ﴾: آيات القرآن.

﴿يُكْفَرُ بِهَا﴾: يجحدون بها، أو ينكرونها.

﴿وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾: أي: يحقرونها ويستخفونها.



﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد. لا: الناهية.

﴿نَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾: فلا تجلسوا معهم.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية نهاية الغاية؛ أي: حتى يخوضوا في حديث آخر.

﴿يَخْوَضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾: حتى يتحدثوا بحديث آخر؛ لأنكم إذا لم تنكروا عليهم كنتم كالراضين عنهم، و﴿يَخْوَضُوا﴾: مشتقة من الخوض في الماء، وحين تخوض في الماء لا تعلم إن كانت هناك حفرة، أو تنزل قدمك، والخوض قد يكون في الباطل.

﴿إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾:

﴿إِنَّكُمْ﴾: للتوكيد.

﴿إِذَا﴾: حرف جواب يفيد التوكيد، جالستموهم على ما هم عليه، ولم تنكروا عليهم أقوالهم وأفعالهم، وقعدتم معهم؛ فأنتم مثلهم.

﴿إِذَا﴾: تعني: أي: مثلهم.

فأنتم ﴿مَثَلُهُمْ﴾: والمماثلة: في العصيان، والنفاق، والكفر.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿اللَّهُ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ﴾: في جهنم: اسم من أسماء النار.

ارجع إلى الآية (٩٧) من هذه السورة؛ للبيان.

وقدّم المنافقين؛ لأنهم أشد كفراً، وسوءاً من الكافرين.



سُورَةُ النَّبَا ٤

سُورَةُ النَّبَا

الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ
 نَكُنْ مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ
 عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ
 الْقِيَمَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾
 إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى
 الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا
 قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مَذْذَبَيْنَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ
 وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 لَانْتَحِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءُ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ
 أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
 فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُم نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾
 إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا
 دِينَهُمَ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ
 الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ
 إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

سورة النساء [الآيات ١٤١ - ١٤٧]

[١٤١] ﴿الَّذِينَ يَرَبُّونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: تعود على المنافقين.

﴿يَرَبُّونَ بِكُمْ﴾: التربُّص: هو الانتظار (طول الانتظار)، مع المراقبة، والرصد؛ لما يحدث لكم، أو يحل بكم من مكروه، أو فتح.

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: للتوكيد، إن: شرطية.

﴿كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ﴾: لكم: الخطاب للمؤمنين؛ نصر (من دون قتال) وغنيمة؛ لأن النصر من عند الله مهما كانت العدة والعدد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

﴿قَالُوا أَلَمْ﴾: الهمزة: استفهام، وتعجب.

﴿نَكُنْ مَعَكُمْ﴾: مظاهرين لكم، مؤيدين، فأسهموا لنا في الغنيمة؛ أي: أعطونا من الغنيمة.

﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ﴾: اللام: لام الاستحقاق، والاختصاص.

﴿نَصِيبٌ﴾: قسم من الغنيمة، والنصيب يكون في الخير أو الشرع، ويعني:

قسم من الغنيمة، أو الظفر، أو مجرد غلبة مؤقتة.



ويجب الانتباه هنا! كيف عبّر الله سبحانه عن انتصار المؤمنين بالفتح، وعن انتصار الكافرين بأنه نصيب وحظٌّ لن يدوم طويلاً.

﴿قَالُوا﴾: أي: المنافقون؛ قالوا للكافرين.

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام، فيه تعجب، لم: نافية.

﴿سَتَحْذَرُكُمْ﴾: من استحوذ على الشيء؛ أي: حازه، أو جعله في حيزه، وملكّه، ألم تتمكن من قتلكم، فأبقينا عليكم؛ أي: كان باستطاعتنا أن نخرج ونحارب مع المؤمنين، ونتمكن من قتلكم، والقضاء عليكم، ولكننا لم نفعل ذلك، حفظاً لأرواحكم.

﴿وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أن يظفروا بكم، أو يقتلوكم بعدم مظاهرتهم، أو تشبيطهم من الخروج إليكم وقتالكم.

﴿قَالَ اللَّهُ يَتْلُكُم بِإِنكُم يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: أي: بين المؤمنين والمنافقين؛ فيجازي كلاً على عمله.

﴿وَلَنَجْجِلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾:

﴿وَلَن﴾: الواو: عاطفة. لن: لنفي المستقبل القريب، والمستقبل البعيد.

﴿يَجْجِلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾: بالظهور، أو الحُجَّة، أو الاستيلاء، أو الاستئصال.

وإذا حصل للكافرين ظفر، أو نصر، فهو مؤقت، وعلى شرط أن يتمسك المؤمنون بدينهم، وكتابهم، وستتهم.

يجب الانتباه إلى أن كلمة ﴿سَبِيلٍ﴾: تكررت في سورة النساء (١٦) مرة، وكلمة ﴿سَبِيلًا﴾: تكررت في سورة النساء (١١) مرة.

[١٤٢] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾: الخداع: هو نوع من الحيلة والمكر، بحيث تظهر للآخر خلاف الحقيقة، أو تستر عنه الصواب؛ لكي يجلب لنفسه منفعة، ويدفع مضرة، وتكون عادة في الخفاء.

كيف يخادعون الله تعالى، وهم في الحقيقة يخادعون المؤمنين؟

لأن خداعهم للمؤمنين يعتبر خداعاً لله، فهم في تصورهم يخادعون المؤمنين بإظهار إيمانهم، والجلوس مع المسلمين، والذهاب إلى المساجد، واستماعهم للقرآن، والحديث.

وكلمة يخادعون: مشتقة من يخادع، بوزن يفاعل؛ تدل على شدة المخادعة، والمفاعلة، وكثرتها، والعزم على تكرارها، ولم يقل: يخدعون، وإنما يخادعون. ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾: جملة فعلية، تدل على التجدد، والتكرار بعكس يخدعون التي قد تدل على عدم القصد، وعدم التكرار.

﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾: أي: مجازيهم على خداعهم، وهو خادعهم جملة اسمية تدل على الثبوت، وعدم التغير، والجملة الاسمية أقوى من الجملة الفعلية، فالله سبحانه أقوى منهم.

والسؤال هنا: هل الله سبحانه يخدع؟ أو يحتاج إلى ذلك؟

والجواب: حاشا لله أن يخدع، وليست من صفاته الخداع، ولا حاجة له به. إذن فكيف ينسب الخداع، أو المكر له، كما في قوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]؟



الجواب: هذا الأداء البياني يسمّى المشاكلة في اللفظ، والله سبحانه لا يضُرُّه كيدهم شيئاً، بل بالعكس، ويؤخر عنهم العقوبة؛ ليزدادوا إثماً، ومأواهم الدرك الأسفل من النار.

﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾: إذا: شرطية زمانية؛ تدل على كثرة الحدوث.

﴿كُسَالَى﴾: من الكسل: هو التراخي في أداء المهمة، فهم يُصلُّون بتشاقل ورياء، وكراهية.

﴿رَأَوْنَ النَّاسَ﴾: يصلُّون لكي يراهم الناس، وللسمعة فقط، وليس لوجه الله، ولكي يحمدهم، ويشنوا عليهم.

﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: فهم لا يصلُّون، ولا يذكرون الله إلا أمام الناس فقط، أما إذا كانوا غائبين عن أعين الناس فهم نادراً ما يصلُّون، أو يسبحون الله، أو يحمده، أو يذكرونه.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿وَلَا يَذْكُرُونَ﴾: لا: النافية.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: أي: العدد القليل منهم من يذكر الله له، أو أن كمية ذكرهم لله تعالى قليلة جداً.

[١٤٣] ﴿مُذَبِّحِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾:

﴿مُذَبِّحِينَ﴾: مترددين بين المؤمنين، وبين الكافرين؛ أي: الجانبيين أقوى؛ لكي يميلون إليه.



﴿مُذَبَّذِبِينَ﴾: المذبذب: كالمعلق في خيط متدل غير ثابت، تقذفه الريح من ناحية إلى أخرى.

أي: كالبندول: وهو رقاص الساعة (الذي نراه في الساعات القديمة).
وتدل الكلمة على التحرك والاضطراب، وعدم الاستقرار، وهذه هي حالة المنافق المضطرب نفسياً، لا يستقر على الكفر، أو على الإيمان.
أو المذبذب: مشتقة من ذب، ومذبة الذباب.

والمذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين؛ فيحرك يده أمام وجهه يمنة ويسرة؛ كي يمنع عودة الذباب، وهذه حالة المنافق لا ينسب إلى المؤمنين، ولا ينسب إلى الكفار.

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ﴾: ومن: الواو: استثنائية.

﴿وَمَنْ﴾: اسم شرط جوابه: فلن تجد له سبيلاً.

﴿يُضِلِلِ اللَّهُ﴾: الله سبحانه، لا يضل عبداً أبداً، بل يرسل الرسل والكتب، ويبين له طريق الهدى، وطريق الضلال، ويميزه بالعقل، وترك له الخيرة، فمن يصر على عدم الإيمان يتركه على ضلاله وعماه، والله قادر على أن يجبره على الإيمان قهراً، ولكنه ﷻ لم يشأ ذلك، وترك له حرية الاختيار؛ فإن اختار طريق الإيمان أعانه على ذلك؛ لقوله: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ نَفَوْهُمْ﴾ [محمد: ١٧]. وأما إذا اختار طريق الضلال فتركه في تيه الضلال، وسيطرة الشيطان والهوى.

﴿فَلَنْ﴾: الفاء: للتوكيد. لن: حرف نفي، ونصب، واستقبال؛ لنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿فَلَنْ نَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾: أي: لا تجد له دليلاً، وعودته إلى الإيمان ﴿سَبِيلًا﴾: أي: طريقاً.

هذه الآية: ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾:

ترسم صورة فنية رائعة للمنافقين الذين هم في اهتزاز، وعدم استقرار دائم في الدنيا، وأما في الآخرة فسوف يستقر بهم الحال في الدرك الأسفل من النار!! [١٤٤] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾:

نداء إلى الذين آمنوا بأمر، وتكليف آخر.

﴿لَا﴾: الناهية؛ أي: لا تكونوا كالمنافقين.

﴿نَتَّخِذُوا﴾: أي: لا تجعلوا، و﴿نَتَّخِذُوا﴾: فعل مضارع فيه معنى الاستمرار، وكذلك التعب، والمشقة بموالاتة الكافرين، مقارنة بلا تأخذوا. ارجع إلى الآية (١٣٩) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.

﴿الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾: جمع ولي، والولي: هو الذي يليك؛ أي: القريب؛ أي: خلفك بجانبك، تلجأ إليه وتفزع إليه فيعينك (من العون)، ويسمع منك وينصحك، وينصرك إذا كان قادراً على ذلك.

﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: من غير المؤمنين، وقد حدّد القرآن هؤلاء الذين نهى الله ﷻ عن موالاتهم من الكافرين في آية أخرى من سورة الممتحنة، آية (٩)، فقال عزّ من قائل: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿أُرِيدُونَ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري.



﴿أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: بموالاتهم ويطانتهم.

﴿سُلْطَنًا مُّبِينًا﴾: حُجَّةٌ بينة في عدم الطاعة، فيما نهاكم الله عنه، والسلطان نوعان: سلطان حُجَّة وإقناع، أو سلطان قوة وقهر.

الولاء والبراء: من لوازم العقيدة، وهي جزء من الشهادة، والآيات التي جاءت في الولاء والبراء كثيرة، وهي قضية سيء فهمها من قبل الكثير، فمنهم من فرط، فأطلق لنفسه العنان، ومنهم من غالى فيها، ونسي كلا الطرفين الوسطية التي ميّزنا الله سبحانه بهما؛ لحمل الرسالة إلى الأجيال، فلا بُدَّ من الفهم الكامل للولاء والبراء؛ فلا يفتي كلُّ بما يراه.

[١٤٥] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبّه بالفعل؛ يفيد التوكيد.

﴿فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾: الدرك، أو الدرك بفتح الراء، أو تسكين الراء، قيل: النزول إلى أسفل: هو الدرك، والصعود إلى أعلى: هو صعود التدرُّج، ومستوى البحر هو المقياس.

قال المفسرون: النار دركات، كما أن الجنة درجات.

وقالوا: إن النار سبع دركات، وهي: جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية، وهي قعرها، أو هي سبع أسماء للنار. وكلمة جهنم؛ قد تطلق على أيٍّ من هذه الدركات السبع.

﴿وَلَنْ﴾: الواو: استئنافية. لن: نافية مؤكدة، تنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾: ولن يجدوا يوم القيامة من ينقذهم، أو يمنع عنهم العذاب، أو حتى من يخفف عنهم العذاب، ولننظر إلى من هم أشدُّ الناس



عذاباً يوم القيامة هم عدة منهم المنافقون؛ لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾، وآل فرعون: ﴿الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧]، أو: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣]، و: ﴿الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [البقرة: ١٧٤].

[١٤٦] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾:

في هذه الآية يفتح الله باب التوبة، حتى لهؤلاء المنافقين الذين كان مصيرهم الدرك الأسفل من النار؛ ليكونوا مع المؤمنين، فهل هناك رحمة أوسع من هذه الرحمة؟!

وحدد الله سبحانه أربعة شروط للنجاة: أن يتوب، ويصلح، ويعتصم بالله، ويخلص دينه لله.

أولاً: ﴿تَابُوا﴾: التوبة بأركانها الأربع: الإقلاع عن النفاق، والندم، وعدم العودة إليه، والإكثار من العمل الصالح.

ثانياً: ﴿وَأَصْلَحُوا﴾: أي: صلحوا ما أفسدوا بنفاقهم في الأرض، أو بين الناس.

ثالثاً: ﴿وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾: أي: ليكن اعتصامهم بالله وحده، وابتغاءهم العزة عند الله، وليس عند الكافرين، والاعتصام بحبل الله ودينه.

رابعاً: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾: مقارنة بالقول: وأخلصوا لله دينهم: تقديم دينهم؛ أي: تقديم الأهم لهم، وهو دينهم، وانظر إلى سياق الآية فرغم توبتهم وإصلاحهم واعتصامهم بالله فكل ذلك لا يكفي؛ فلا بد من إخلاص الدين لله أيضاً حتى تقبل توبتهم وأعمالهم الصالحة، والالتجاء إلى الله، وذلك لأن

المنافق قلبه منغمس في النفاق، فيحتاج إلى مقدار أعظم من الإخلاص لغسل قلبه وتطهيره وشفائه، والإكثار من الأعمال الصالحة التي تدل على إخلاص النية، والإنابة إلى الله وحده.

﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: الفاء: للتوكيد. أولئك: اسم إشارة يفيد البعد، ويحمل معنى المدح.

﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ﴾: سوف: حرف استقبال للبعد، أو التراخي، وفيه معنى التوكيد.

﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: وهو الجنة ونعيمها.

لنقارن هذه الآية بالآية (٧٤) من سورة التوبة، يقول سبحانه: ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعْذِبْهُمُ اللَّهُ﴾: فهذه الآية تتحدث فقط عن أول شرط للعودة إلى صف المؤمنين، أما في الآية (١٤٦) من سورة النساء: فقد حددت شروطاً أربعة.

[١٤٧] ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾:

﴿مَا﴾: للاستفهام، والتقرير؛ أي: أنتم أجبوا عن هذا السؤال.

﴿إِنْ﴾: شرطية جواب الشرط محذوف، والباء: للإلصاق.

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾: أيها الناس؛ أي: منفعة يحققها سبحانه بعذابكم بسبب عصيانكم، أو عدم طاعتكم، أو نفاقكم، أو كنتم على أفجر قلب رجل منكم؟



الجواب: هو لا شيء، أو: أيُّ فائدةٍ يحققها إن أنتم آمنتُمْ وشكرتم وتبتم، وكنتم على أتقى قلب رجل منكم: لا شيء.

ولا نقص من ملكه من شيء، ولا زاد في ملكه شيء.

فتعذيبه لعباده لا يزيد في ملكه شيئاً، وترك تعذيبهم لا ينقص من سلطانه شيئاً؛ لأنه سبحانه متصف بصفات الكمال قبل أن يخلق خلقه.

﴿إِنْ شَكَرْتُمْ﴾: إن: شرطية؛ تدل على قلة الحدوث، أو الاحتمال.

ولم يقل: إذا شكرتم التي تدل على حتمية الحدوث وكثرته.

﴿شَكَرْتُمْ﴾: من الشكر: وهو إسداء الثناء إلى المنعم باللسان والقلب، وذكر نعمه عليك، وطاعته، والإكثار من العمل الصالح، وسجود الشكر له، والصدقة، وغيرها من مظاهر الشكر. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَأَمْنْتُمْ﴾: بالله وحده، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

والسؤال لماذا قَدَّمَ الشكر على الإيمان؟

لأن الشكر متعلقٌ بالنعمة، والإيمان متعلقٌ بالذات التي وهبت النعم؛ فهو سبحانه أعطاك النعمة أولاً لتسأل من أين جاءت هذه النعمة، ومن أعطاك إياها، ثم تدرك أنها منه ﷻ؛ فتشكره أولاً، ثم تؤمن به ثانياً، وقيل: إن العبد لن يوفق للإيمان إلا بالشكر.

﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾: (كان) تستغرق كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

كان سبحانه منذ الأزل، والآن، وإلى الأبد شاكراً عليماً، فهذه من صفات ذاته العلية.

﴿شَاكِرًا﴾: أي: راضياً عنهم، والرضا يؤدّي إلى الثواب، فشكره لعباده يعني يشيهم على طاعتهم، ومعنى يشيب العبد على طاعته؛ يجعل الحسنه بعشرة أمثالها إلى (٧٠٠) ضعف، أو أكثر.

يقبل العمل القليل، ويعطي الثواب الكبير، فهذا من مظاهره، وشكره، وهذا الثواب هو من فضله، وإحسانه على خلقه؛ لأنه ليس للعباد حق واجب على الله تعالى مهما كان، أو يكن عملهم.

وهو لا يضيع أجر من أحسن عملاً، فكل هذه من مظاهر شكره.

﴿عَلِيمًا﴾: يحيط بعلمه كل شيء، وكل مخلوق، ويعلم القول في السموات والأرض، وما يفعله كل مخلوق، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب، ولا يابس إلا يعلمها، ولا يخفى عليه خافية.





سُورَةُ النَّازِعَاتِ ٤

الْبَيْتُ السَّابِعُ

لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ
 اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ خَفَوْهُ أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ
 سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوقًا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
 بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ
 وَيَقُولُوا نُوْمُنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ
 أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ
 حَقًّا وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ
 يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْأَلُكَ
 أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنِزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا
 مُوسَىٰ أَكْبَرَهُمْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ
 الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
 الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾
 وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا
 وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

سورة النساء [الآيات ١٤٨ - ١٥٤]

[١٤٨] ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾:

﴿لَا﴾: الناهية.

﴿يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ﴾: هو رفع الصوت، والجهر هو عموم الإظهار والإشاعة.

﴿بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾: أي: إشاعة عيوب الناس، مثلاً: فلان يشرب الخمر، فلان يزني، فلان منافق، أو كافر، واللعن، والطعن، والسب، والشتيم، والغيبة، والنميمة.

والسوء: هو كل ما يسيء إلى صاحبه، أو إلى الناس، وهو القبيح من القول الذي يؤدي إلى إثارة البغضاء، والعداوة، والكراهية، وانتشار الفساد، والحققد، والحسد، وعدم الجهر، والصبر، والتريث، والكتمان أفضل عند الله تعالى.

﴿إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية، أو استغراقية، تستغرق كل من ظلم؛ أي: يباح للمظلوم أن يجهر بما في ظالمه من سوء؛ ليدفع عن نفسه الشر، أو أن يجهر لظالمه بالسوء؛ أي: يدعو عليه، أو أن يخبر الآخرين بما يفعله الظالم، أو بما يحدث له من شر، ويجوز أن يشتكي على الظالم، إذا ضاقت به السبل.

﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾: (كان) تستغرق كل الأزمنة: الماضي، والحاضر،

والمستقبل.



﴿سَمِيعًا﴾: ما يقال من الجهر من القول، وكل ما يقال خيراً، أو شراً، وفي السر والعلن، علماً بظواهر الأمور وبواطنها، بما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وعلماً صيغة مبالغة؛ تعني: كثير العلم، أحاط علمه بجميع خلقه، وبكل شيء. وانتبه إلى الربط بين الآية (١٤٨)، والآية (١٤٩)، كما سيلي في نهاية الآية (١٤٩).

[١٤٩] ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعَفُّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾:

﴿إِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو القلة.

﴿تُبْدُوا خَيْرًا﴾: أي: تظهروا، أو تخبروا، أو تعلنوا خيراً من قول، أو فعل، مثل: أعمال البر، والإصلاح بين الناس، وصيام النفل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغيرها.

﴿أَوْ تُخَفُّوهُ﴾: فلا يعلم به إلا الله سبحانه، أو القليل من الناس.

﴿أَوْ تُعَفُّوْا عَنْ سُوءٍ﴾: العفو: هو ترك العقوبة على الذنب، والسيئات.

والسوء: يشمل القول، والفعل، مثل: الشتم، والتفقيح، والغيبة، والنميمة، والعفو هنا مقرون بالقدرة؛ أي: قادرين على أن تعفوا، أو لا تعفوا، وتعاقبوا المسيء.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿اللَّهُ كَانَ﴾: كان ولا يزال، وسيظل عفواً قديراً، فهذه هي صفات ذاته منذ الأزل لا تتغير.

﴿عَفُوًّا﴾: ذكر ﷻ هذا الاسم (العفو) خمس مرات في القرآن؛ أربع مرات مع الاسم الغفور، والخامسة والوحيدة مع الاسم (القدير)؛ أي: ليمحو الذنوب،

ويتجاوز عن السيئات، يعفو عن الجاني مع قدرته على الانتقام منه، فعليكم أن تقتدوا بسنة الله وتعفوا.

﴿قَدِيرًا﴾: لا يعجزه شيءٌ في السموات، ولا في الأرض، ذو القدرة العظيمة على مخلوقاته إذا أراد شيئاً؛ فإنما يقول له: كن؛ فيكون، وهو على كل شيء قدير، وتعني: أن يعفو عن مقدرة، وليس عن عجز، فهو عفوٌ، ويقدر أن يعاقب، ولكن قدرته اقترنت مع العفو، فهو قادرٌ على العفو، وقادرٌ على العقاب. ﴿قَدِيرًا﴾ على أن يعفو، ﴿قَدِيرًا﴾: على ألا يعفو.

وهذه الآية تحث الناس أن يتخلّقوا بهذا الخلق الحسن؛ وهو العفو عن مقدرة، لا عن عجز، ولا ضعف، ولا احتياج.

لو نظرنا إلى الآية (١٤٩): لوجدناها مرتبطة بالآية (١٤٨)، أو تنمة لها، كما يلي:

الربط الأول: في الآية (١٤٨) قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾؛ أي: استثنى المظلوم.

وفي الآية (١٤٩) قال تعالى: ﴿أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ﴾: فالربط يكون: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول، ويحب أن تعفو عن السوء.

الربط الثاني: لا تجهر بالسوء الآية (١٤٨)، واعفوا عنه الآية (١٤٩).

وأما الخير فأبدوه، أو أخفوه فلكم الخيار، آية (١٤٩).

الربط الثالث: في الآية (١٤٨): ذكر السوء، وفي الآية (١٤٩): ذكر الخير.

ولنقارن هذه الآية مع آية (٥٤) من سورة الأحزاب:



في سورة النساء، الآية (١٤٩) قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾.

في سورة الأحزاب، آية (٥٤) قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

في سورة النساء قال: ﴿تُبْدُوا خَيْرًا﴾، وفي سورة الأحزاب: ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا﴾.

وفي الأحزاب: شيئاً (نكرة)، شيئاً من الخير، أو شيئاً من الشر، وفي النساء ذكر السوء في الآية (١٤٨)، وذكر الخير في الآية (١٤٩).

إذن كلمة شيئاً عامة تشمل الخير والشر.

لننظر في السياق في سورة الأحزاب في نساء النبي، ودخول المنازل، والسؤال من وراء الحجاب، وعدم إيذاء النبي؛ فالآية تخاطب عامة الناس. الجميع: المؤمنين، والكفار، والمنافقين، واستعملت كلمة شيئاً كلمة عامة تشمل: الخير، والشر، وانتهت بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، بينما سورة النساء جاءت في سياق الخطاب للمؤمنين وحدهم، فهي تتحدث عن جانب الخير غالباً، وانتهت بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

[١٥٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾:

المناسبة: بعد ذكر المنافقين، وصفاتهم، ومنزلتهم، ومن تاب منهم، يذكر بعض صفات الكفار حقاً فيقول:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾: يكفرون (جاءت بالمضارع): ليدل على التجدد، والاستمرار في كفرهم، ويشمل: الكفر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، واقتصر الله الكفر بالله ورسوله في هذه الآية: الكفر بالله؛ بأن لا يؤمن، ويصدق أن الله رب كل شيء، ومليكه، وخالقه، وأنه هو المعبود وحده، ولا يؤمن بوحديته في الألوهية، والربوبية، والصفات، والكمال، والتمتزه عن كل نقص.

﴿يَاللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿وَرُسُلِهِ﴾: ورسله تشمل الأنبياء والرسل، والكفر برسول واحد يعني الكفر بهم جميعاً، وتصديق رسالاتهم فرض من فروض الإيمان.

﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾: أي: أن يؤمنوا بالله، ويكفروا برسله، وكفرهم بالرسل: هو كفر بالله تعالى.

﴿وَيَقُولُونَ نُوْمَنُ بَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾: أي: نؤمن ببعض الرسل، ونكفر ببعضهم، أو نؤمن برسول واحد، ونكفر بالآخرين؛ أي: لا نصدقهم، كما فعل اليهود؛ إذ آمنوا بموسى ﷺ، وكفروا بعبسى، وبمحمد عليهم الصلاة والسلام، وكذلك النصارى آمنوا بعبسى، وكفروا بمحمد ﷺ، أو يؤمنوا ببعض الفرائض، ويكفروا ببعضها، أو يؤمنوا بالقرآن، ولا يؤمنوا بالسنة.

﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾:

ويريدون أن يتخذوا بين الإيمان والكفر طريقاً وسطاً؛ أي: يأخذون من الدين ما يشاؤون، وتهوى أنفسهم، فيؤمنون ببعض الأحكام، والأوامر، ويرفضون الأخرى.



﴿وَيُرِيدُونَ﴾: بصيغة المضارع: تدل على استمرار إرادتهم، وقيامهم بذلك، فهم لم ينتهوا بعد.

[١٥١] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد.

﴿هُمُ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التأكيد على أنهم الكافرون حقاً.

﴿حَقًّا﴾: أي: يقيناً لا شك فيه. حقاً: تفيد التأكيد.

﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: لهم: هيأنا وأعددنا، واستعمل ضمير الشأن (نا): للدلالة على سوء عاقبتهم، والتحذير مما يفعلون.

﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾: جهنم، والعذاب المهين يعني: الألم، مع الإهانة؛ لكونه أمام الآخرين، وعدم الاستجابة لهم، وهم يصرخون فيها: ربنا أخرجنا نعمل غير الذي كنا نعمل، أو مخاطبتهم مثل: ﴿قَالَ أَخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، وغيرها من أنواع الإهانة.

[١٥٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾: أي: صدقوا، وآمنوا بالله سبحانه، وأقرؤا بجميع الرسل والأنبياء، وآمنوا بهم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٨)؛ للبيان.

﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: أي: لم يؤمنوا ببعض الرسل، ويكفروا ببعضهم كما يفعل الكافرون.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد، يشير إلى الذين آمنوا بالله ورسله، وارتفاع منزلتهم.

﴿سَوْفَ﴾: حرف للاستقبال، وتدل على البعد، أو التراخي، والتوكيد؛ لإيتائهم أجورهم.

﴿أَجُورُهُمْ﴾: الأجر يكون مقابل العمل، وتعني هنا: ثواب أعمالهم.
﴿وَكَانَ﴾: ولا يزال، وسيظل غفوراً رحيماً؛ لأن هذه صفة ذاتية لا تزول أو تتغير.

﴿غَفُورًا﴾: يغفر الذنوب جميعاً، كثير الغفر، يستر الذنوب، ويغفر الذنوب مهما كبرت أو كثرت.

﴿رَحِيمًا﴾: اسم الرحيم ذكر (١١٤) مرة في القرآن، الرحيم: على وزن فعيل؛ أي: راحم، وفعل للمبالغة، وكون رحيماً صفة ثابتة فيه، رحيم بعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة. ارجع إلى سورة الفاتحة، آية (٢)؛ لمزيد من البيان.
[١٥٣] ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَمُوسَىٰ سُلْطٰنًا مُّبِينًا﴾:

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾: أي: اليهود.

﴿يَسْأَلُكَ﴾: ولم يقل: يسألونك. يسألك السائل، وليس بالضروري أن يكون السائل أمامك ويسألك، ولو قال: يسألونك، السائل يقف أمامك ويسألك، هذا هو الفرق بين يسألك ويسألونك، وجاءت يسئلك بصيغة المضارع للدلالة



على تكرار السؤال المرة بعد الأخرى بقصد التحدي والإعجاز، وكذلك لحكاية الحال؛ أي: استحضار الماضي حتى يصبح كأن السؤال يحدث الآن لبشاعة السؤال أو كونه غريب أو مستحيل.

﴿أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾:

١ - ﴿أَنْ﴾: للتوكيد، تؤكد حرصهم على هذا السؤال.

٢ - أَنْ تُنَزَّلَ أَنْتَ (يا محمد)، وليس الله سبحانه؛ أي: يسألون محمد ﷺ بدلاً من سؤالهم الله سبحانه، وهذا يدل على جهلهم وغباءهم.

٣ - ﴿أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾: ولم يقولوا: يُنزل عليك؛ لأنك أنت الرسول، بل عليهم مباشرة.

﴿أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾: أي: أنت، وليس الله سبحانه، وكيف يمكن أن تنزل عليهم، والنزول يعني: من أعلى إلى أسفل، وأنت لست في السماء، وإنما معهم على الأرض؛ أي: هم يريدون كتاباً يُنزل عليهم مباشرة منك، وليس من الله سبحانه، وقد تعني: أن تسأل الله أن ينزل عليهم كتاباً، وقد ردَّ الله سبحانه عليهم حين سألوهم سؤالاً آخر بأن ينزل عليهم آية بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١].

٤ - ﴿كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾: كتاباً تاماً دفعةً واحدةً، جملةً واحدةً، ومن السماء.

وسؤالهم هذا سؤال من قبيل التعجيز، وليس سؤال استرشاد وهداية، وإنما سؤال جدل وعناد؛ أي: لا تتعجب من سؤالهم.

﴿فَقَدْ﴾: قد: للتحقيق.

﴿سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾: أي: أرنا الله بأعيننا،
وتمادوا في طغيانهم حتى أرادوا رؤية الله جميعاً، الكل يريد أن يرى الله سبحانه.
﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّعِقَةَ يُظْلِمُهُم﴾:

﴿فَأَخَذْتَهُمُ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة بعد سؤالهم.

﴿فَأَخَذْتَهُمُ﴾: أهلكتهم، وقضت عليهم.

﴿الصَّعِقَةَ﴾: مثل رعد، وبرق فيه نار (تيار كهربائي) قضى عليهم. ارجع
إلى سورة فصلت، آية (١٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿يُظْلِمُهُم﴾: الباء: للإلصاق، وقيل: باء السببية؛ أي: بسبب ظلمهم، أو
بدل ظلمهم، الظلم: هو الخروج عن المنهج الرباني.

﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَى
سُلْطَانًا مُبِينًا﴾:

كان يكفي ذلك الظلم، حين طلبوا رؤية الله له، وكان يكفي أنهم اتخذوا
العجل الذي صنعه السامري لهم، وثم: هنا لا تدل على الترتيب والتراخي، وإنما
فقط على التعداد الذكري.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾: من: الابتدائية لابتداء الغاية والمباشرة.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾: اتخذوا العجل، فلم يكن هناك زمن طويل
يدعو إلى النسيان، والبيّنات مثل: فلق البحر، ونجاتهم من فرعون وجنوده،
وغيره من الآيات، ولمقارنة جاءتهم البيّنات وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾
[آل عمران: ٨٦]؛ ارجع إلى سورة آل عمران آية (٨٦) للبيان والفرق بين الآيتين.



﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقب.

﴿فَعَفَوْنَا﴾: عن عبادتهم العجل بعد توبتهم، وقتل أولئك الذين عبدوا العجل.

﴿ذَلِكَ﴾: أي: اتخاذهم العجل، وطلبهم رؤية الله جهرَةً وغيرها.

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾: وآتيناه موسى ﷺ، والإيتاء: هو أعم من العطاء وأوسع، وليس فيه تملك؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) لمزيد من البيان في الإيتاء والعطاء.

﴿سُلْطَانًا مُبِينًا﴾: هو التوراة و﴿سُلْطَانًا مُبِينًا﴾: الحُجَّةُ القوية الواضحة.

﴿مُبِينًا﴾: الواضح البين لكل من قرأ التوراة، والذي لا يحتاج إلى تبين من أحد، فهو واضح بنفسه؛ لما فيه من الأحكام، والأوامر الربانية.

[١٥٤] ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا أَبْوَابَ سِجْدٍ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾:

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ﴾: فوق بني إسرائيل.

﴿الطُّورَ﴾: أقل من الجبل حجماً وارتفاعاً وطولاً.

﴿وَرَفَعْنَا﴾: وفي آية أخرى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَقَّضْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ

وَضَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧١].

والتق: يكون أولاً، ثم الرفع ثانياً، والتق: يعني: القلع من جذره. وذكر الجبل والتق في سياق التهديد الأشد، وذكر الطور والرفع في سياق التهديد الأقل شدة.

حدث هذا التتق، ثم الرفع بعد أن امتنعوا من الأخذ والالتزام بتطبيق أحكام التوراة، وأعرضوا عن طاعة الله، وما جاء به موسى ﷺ، والاستجابة له بعد أن أخذ عليهم الميثاق من قبل أن يعملوا على تطبيق ما أمرهم الله به، ونهاهم عنه، فلما رفع فوقهم الطور وأيقنوا أنه واقع بهم، عاهدوا الله عهداً مؤكداً جديداً للعمل بما في التوراة، فقبل الله منهم عهدهم.

﴿وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾: ادخلوا باب بيت المقدس سجداً؛ أي: خاضعين خاشعين لله، فرفضوا.

﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾: عدم اصطيد الحيتان (السماك) في يوم السبت؛ فخالفوا واصطادوا. ارجع إلى سورة الأعراف، الآيات (١٦٣-١٦٦).

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾: عهداً، موثقاً مؤكداً جديداً بالإيمان، والأخذ بالتوراة، بقوة وجد، والعمل بها، وذكر الميثاق الغليظ في ثلاث آيات. ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٤

الْبَيْتُ السَّابِعُ

فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ
بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ
اخْتَفَوْا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ
الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبُظْلِمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا
حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحْلَتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ
بِالْبَطْلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَكِنَّ
الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا
أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

سورة النساء [الآيات ١٥٥ - ١٦٢]

[١٥٥] ﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَقَهُمْ وَكَفَرَهُم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿فِيمَا﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب، والمباشرة؛ أي: لم يمض وقتاً طويلاً عليهم حتى عادوا إلى نقض الميثاق من جديد.

والباء: للإلصاق، والتوكيد (باب السببية)، وما: للتوكيد.

﴿نَقَضَهُمْ مِيثَقَهُمْ﴾: أي: بسبب نقضهم ميثاقهم (العهد المؤكد الذي أخذوه على أنفسهم بالالتزام بأوامر الله ﷻ).

ونقض الميثاق: يعني: حله؛ أي: رفض العمل به، أو التخلي عنه.

وما فع له الله بهم، لم يبينه في هذه الآية، بل بيّنه في سورة المائدة، آية (١٣): ﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَقَهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَدْسِيَّةً﴾.

﴿وَكُفَرَهُم بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: كفروا بآيات التوراة، والآيات الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ، وأنبياء الله ورسوله؛ الذين أرسلوا إليهم، أو المعجزات التي كانوا يشاهدونها بين الحين والآخر.

﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: كزكريا ؑ، ويحيى ؑ، وغيرهما من الأنبياء بغير ذنب. ارجع إلى سورة البقرة آية (٦١) للبيان المفصل بين الآيات المتشابهة في قتلهم الأنبياء، أو النبيين بغير حق، وبغير الحق.

﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: أي: ادعوا أن قلوبهم غلف، ذوات غلف؛ أي:



مغشاة بأغطية تمنع وصول أي شيء مما يدعو إليه من الإيمان والموعظة، أو لا تعي، ولا تفقه ما يقال لها من كلام الرسل والأنبياء، أو لسنا بحاجة إلى العلم، عندنا ما يكفيننا من الهدى والرشاد الذي تركه آباؤنا، بسبب هذه الأمور الأربع؛ طبع الله على قلوبهم.

بل: للإضراب الانتقالي.

والحقيقة: أن الله هو الذي طبع على قلوبهم، ولعنهم بكفرهم؛ لأنهم تمادوا في كفرهم وطغيانهم.

والطبع أشد من الختم، والذي يطبع على قلبه يفقد الأمل منه في غالب الأحوال، إلا ما رحم الله، فلا يدخل قلبه ذرة أو شعاع إيمان، ولا يخرج من قلبه ذرة كفر.

﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: النافية.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: بالله ورسله، وما أنزل الله على رسله.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿قَلِيلًا﴾: أي: فلا يؤمن منهم إلا القليل؛ (أمثال: عبد الله بن سلام وأصحابه)؛ أي: العدد القليل، أو إذا آمنوا يكون إيمانهم قليلاً كيفاً أو كمّاً. ولمقارنة هذه الآية بالآية (٨٨) في سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾؛ ارجع إلى الآية (٨٨) في سورة البقرة للبيان.

[١٥٦] ﴿وَيَكْفُرْهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾:

﴿وَيَكْفُرْهُمْ﴾: الواو: عاطفة. بكفرهم: الباء: باء السببية؛ أي: سبب كفرهم. انتبه: ﴿وَيَكْفُرْهُمْ﴾: هذه ليس تكراراً لكفرهم الأول، وإنما يدل على نوع آخر من الكفر، فالكفر الأول بآيات الله والتوراة، والكفر الثاني بعيسى ابن مريم ﷺ، والبهتان على مريم عليها السلام.

﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾:

﴿بُهْتَنًا﴾: البهتان: هو الكذب المتعمد الذي يبهت سامعه ويدهشه، والبهتان: نوع من أنواع الكذب المذكورة في القرآن، ومنها: الإفك، والاختلاق، والافتراء، والظن، والخرص...

﴿بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾: والبهتان العظيم: هو قذفهم مريم عليها السلام بالزنى.

﴿عَظِيمًا﴾: العظيم: صفة للبهتان، يمثل أعلى درجات البهتان.

[١٥٧] ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾:

﴿وَقَوْلِهِمْ﴾: أي: اليهود؛ قالوا: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، هم لم يؤمنوا بعيسى أصلاً، فكيف قالوا: رسول الله؟

له ثلاثة احتمالات:

الأول: قالوا: رسول الله على سبيل التهكم، والاستهزاء، مثل قول فرعون لموسى على سبيل التهكم: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧].

الثاني: أو اعترفوا بأنه رسول الله بعد قتله، تبين لهم ذلك.



الثالث: أنه من قول الله سبحانه، وليس من قولهم، وهذا يدل على بشاعة ما فعلوه بعيسى ﷺ.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾: الواو: استئنافية، وما: النافية؛ تنفي قتل عيسى ﷺ.

﴿وَمَا صَلَّبُوهُ﴾: وما: للتأكيد، وللنفي بعدم القتل والصلب؛ أي: ما قتلوا عيسى، ولا صلبوه.

﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾: أي: قتلوا، وصلبوا من ألقى عليه شبهه، أو شبه لهم أنهم قتلوه، وفيمن ألقى عليه شبهه قولان:

أحدهما: أنه كان رجلاً منافقاً من أصحاب عيسى ﷺ، خرج ليدل عليه، فألقى الله شبه عيسى عليه، فأخذ وصلب.

والثاني: أنه كان رجلاً من أصحاب عيسى ﷺ؛ لما علم عيسى أنه سيرفع إلى السماء، سأل حواريه: أيكم يلقي عليه شبيهي فيقتل مكاني، ويكون معي في درجتي، فقام شاب، وقال: أنا، ثم أعاد عيسى القول ثلاث مرات، وكل مرة كان يقوم الشاب، فتم ذلك.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾:

﴿الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ﴾: أي: اليهود، أو النصارى.

فاليهود: اختلفوا في الذي ألقوا عليه القبض، هل كان هو عيسى حقيقة أم غيره، والنصارى اختلفوا فيه، هل هو إله أم هو ثالث ثلاثة، أم هو ابن الله ﷺ.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ﴾: أي: اليهود والنصارى الذين اختلفوا في عيسى؛ لفي: اللام: للتوكيد؛ في: ظرفية؛ شك: التردد بين الشئيين استوى طرفاه.

﴿مِّنْهُ﴾: أي: عيسى ﷺ.

وقد اختلفت الروايات في هذه النهاية العجيبة لعيسى ﷺ، كما كانت ولادته أمراً عجبياً، والقرآن يخبرنا بحقائق ثابتة هي أنهم ما قتلوه، وما صلبوه، بل رفعه الله إليه.

وقوله: ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾: شبه: أي: في الكيفية؛ أي: شبهه الله لهم بأنه عيسى، ولم يكن عيسى، وإنهم: ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءُ الظَّنِّ﴾: فتدل على اضطراب حالتهم الفكرية حينذاك، واختلاط الأمور عليهم؛ الظن: هو رجحان طرف الثبات على طرف النفي.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾: إعادة النفي، وتكرار كلمة ما قتلوه، تؤكد عدم قتلهم له، وهم أنفسهم كانوا غير متيقنين من قتله، بل شاكين بمن قتلوا، وكان كل علمهم به ظناً.

[١٥٨] ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي؛ أي: إبطال الكلام السابق أنهم قتلوه، أو صلبوه.

﴿رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾: وقد ذكر الله سبحانه في آية (٥٥) من سورة آل عمران كيف تمت عملية الرفع والوفاة معاً، أو الوفاة والرفع.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا مَنَئِيكَ وَارْفَعْكَ إِلَى﴾:

ورفع عيسى ﷺ ليس أمراً عجبياً، بل أعجب من ذلك حادثة المعراج التي قام بها رسول الله ﷺ.

﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾: كان، وما يزال، وسيظل عزيزاً حكيمًا، فالعزة، والحكمة: صفات لذاته، لا تنفك عنه، ولا تزول.



﴿عَزِيزًا﴾: الذي لا يُغلب، ولا يقهر، وغالب على أمره إذا أرادوا قتل عيسى عليه السلام.

﴿حَكِيمًا﴾: حكيم فيما يدبره، ويقدره، وفيما يفعله من الأمور سبحانه، لا يُسأل عما يفعل، وهم يسألون، حكيم من الحكمة، وحكيم من الحكم، فهو أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

وهناك احتمال آخر: حينما ذهبوا لقتله؛ رأى بعض هؤلاء الذين دخلوا على عيسى عليه السلام، وهو يُرفع إلى السماء، وخافوا أن يعلم الناس بذلك، فيؤمنوا به، ويفضح أمرهم، فأخذوا الذي دلّهم عليه مكانه وصلبوه، وسواء أكان انتقاماً منه، أو خوفاً من أن يخبر الناس بحقيقة عيسى عليه السلام، الله أعلم.

والبحث هذا لا يهمننا، المهم أن الله رفعه إليه، وكفيينا أنه يقول الحق لنا: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ هُمْ﴾: إذن نؤمن بذلك، وأنه سوف يكون من علامات الساعة.

لقد وردت في الآية ثلاث كلمات معاً:

الشك، والظن، واليقين، ولكل منها معنى يختلف عن الآخر.

الشك: هو التردد بين أمرين، أو طرفين على حد سواء.

أو تتساوى فيه كفة النفسي، وكفة الإثبات؛ أي: النسبتين كما نقول: (٥٠٪، ٥٠٪)، وهو اضطراب نفسي.

أما الظن: التردد الراجح؛ أي: إذا رجحت كفة الإثبات، وأصبحت أكثر من (٥٠٪).

واليقين: هو الأمر الثابت المعقود في الواقع، والقلب بحيث لا يطفو إلى
الذهن؛ ليناقد من جديد، أو يتغير، أو هو العلم بالحق، مع العلم أنه لا يكون
غيره.

[١٥٩] ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا﴾:

﴿وَإِنْ﴾: تفسيرية؛ تفيد التوكيد.

﴿مَنْ﴾: استغراقية تشمل كل ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾.

﴿إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ﴾: اللام: لام التوكيد، وكذلك النون في يؤمنن به، أو من
بعضية، بعض أهل الكتاب، وليس الكل إلا ليؤمنن به قبل موته، أقل احتمالاً من
الاستغراقية.

﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾: الهاء قبل موته: تعود إلى عيسى ﷺ بعد عودته إلى الأرض،
وموته الحقيقي قبيل حدوث الساعة، وهناك من قال: الهاء تعود على من يموت
من أهل الكتاب.

﴿لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون: لزيادة التوكيد؛ أي: ليصدقنه،
ويؤمنن به رسولاً، وبشراً، وعبدًا، وليس إلهًا، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة.

﴿بِهِ﴾: تعود على عيسى ﷺ.

﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾: الهاء: تعود على عيسى ﷺ، أو إلى الميت من أهل الكتاب،
وهناك عدة احتمالات في التفسير:

الاحتمال الأول: لا تخرج روح أو نفس أي نصراني من ملّة عيسى ﷺ
حتى يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله، وليس إلهًا، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة.

الاحتمال الثاني: قالوا: بعد موت عيسى ﷺ الموتة الحقيقية؛ أي: بعد نزوله قبل الساعة، فكل نصراني في ذلك الزمن سيؤمن ويصدق بعيسى ﷺ: أنه رسول الله، وعبد، وليس ثالث ثلاثة، أو إله، أو ابن إله.

الاحتمال الثالث: بعد نزول عيسى ﷺ، وكسره الصليب، والحكم بالإسلام؛ عندها كل واحد من أهل الكتاب عند موته يشهد أن محمداً حق، والإسلام حق، ويؤمن بمحمد ﷺ، ويشهد أن عيسى هو رسول، وعبد، وليس إلهاً، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾:

أي: يكون عيسى ﷺ شهيداً على أهل الكتاب.

أنه بلغ رسالات ربه، ويشهد على الذين ادّعوا له بالألوهية وكفرهم، وعلى الذين كذبوه من اليهود وغيرهم، ودين الإسلام هو الدين الحق، وتميل الأدلة وأقوال المفسرين إلى القول: ما من أحد من أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى ﷺ في آخر الزمان؛ إلا ليؤمنن بأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وقبل موته، الهاء: تعود هنا إلى كل كتابي؛ أي: قبل أن يموت إلا ليؤمنن بأن عيسى رسول، وعبد، وليس إلهاً، أو ابن إله.

وقد تحمل الآية معنى الإيمان بمحمد ﷺ؛ لأن عيسى ﷺ سوف يكسر الصليب أمام أهل الكتاب، ويدين بالإسلام، ويصلي وراء أحد المسلمين.

[١٦٠] ﴿فِيُظَاهِرُ مِن الدِّينِ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾:

بعض أسباب تحريم الطيبات على الذين هادوا:

السبب الأول: ﴿فِظْلَمِ مَنْ أَلْزَمَ هَادُوًا﴾: الفاء: للتوكيد؛ أي: بسبب ظلمهم بسبب ما ارتكبه اليهود من ذنوب، مثل نقضهم الميثاق، وكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق.

حَرَّمَ اللهُ طِيبَاتٍ أَحَلَّتْ لَهُمْ سَابِقًا، وَقَدْ ذَكَرَهَا اللهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ، الْآيَةُ (١٤٦)، فَقَالَ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾.

وحدث هذا في زمن موسى ﷺ، ثم جاء عيسى ﷺ، فأحلَّ لهم بعض الذي حَرَّمَ عليهم.

السبب الثاني: ﴿وَبَصَدَّ هُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾:

فالتحريم كان سببه الظلم من جهة، وصدَّ الناس كثيراً عن سبيل الله، من جهة أخرى.

الباء: باء السببية، أي: بسبب.

﴿وَبَصَدَّ هُمْ﴾: الصد: المنع والصرف؛ أي: منع الناس من الدخول في دين الله، واتباع الحق، وقيل: عن سبيل الله؛ أي: الإسلام، وذلك بسبب كتمانهم البشارة بالنبي محمد ﷺ.

﴿كَثِيرًا﴾: تعني: الكثير من الناس، أو تعني: القيام بالصد المتكرر، والمتجدد، والمستمر، أو تعني: الوقت، يصرفون الوقت الطويل في القيام بالصد عن سبيل الله، أو تعني: الكل.

[١٦١] ﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

وهذا هو السبب الثالث للتحريم؛ فهو: ﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: أخذهم الربا، وقد نهوا عنه؛ أي: التعامل بينهم بالربا والفائدة، وأكلهم له وهو محرم عليهم. وقد: تفيد التحقيق والتوكيد، نهوا عنه في التوراة.

وأما السبب الرابع: ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾: فمثل الرشوة، السرقة، الغش.

﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: هيأنا وأعدنا للكافرين، وأعدنا: حالة خاصة من أعدنا؛ أعدنا: أعم وتشمل كثير من الإعدادات، وأعدنا: غالباً ما يكون في العذاب. ﴿لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ﴾: من البعضية منهم، وليس كلهم؛ لأن هناك فئة مؤمنة، سيأتي ذكرها بعد قليل.

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: عذاباً شديداً بالإيلام ودائماً.

[١٦٢] ﴿لَنْ كُنَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾:

﴿لَنْ كُنَ﴾: حرف استدراك.

تعريف الراسخ في العلم: هو الثابت على إيمانه، لا يتزعزع عنه، ولا تأخذه الأهواء، أو النزوات، وهو صاحب يقين. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿مِنْهُمْ﴾: من أهل الكتاب.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾: أي: ليس كل أهل الكتاب نقضوا الميثاق، وكفروا بآيات الله، وقتلوا الأنبياء، وأكلوا أموال الناس، هناك فئة منهم.

﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾: وهو القرآن، أمثال: عبد الله بن سلام، وأصحابه.

﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: من سائر الكتب الأخرى.

﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾: بدل من المقيمون الصلاة؛ لكونها معطوفة على مرفوع (المؤمنون)، فعطف بالنصب على المرفوع؛ أي: كسر الحق إعراب هذه الكلمة؛ ليلفتنا إلى (أهمية الصلاة).

وإثارة الانتباه إليها وفضلها، وهناك في الشعر ما يقال له: كسر الإعراب بقصد المدح، فهي منصوبة على الاختصاص.

لأن إقامة الصلاة فيها دوام وإعلان الولاء لله، حيث لا ينقطع الولاء في أي حال من أحوال المسلم، ولا في أي زمن ما دام فيه العقل.

﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: عاد إلى الرفع، فقال: المؤتون، المؤمنون.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: قَمَّة وبتداية الإيمان، الإيمان بالله تعالى، والإلهية، والربوبية، والصفات، والأسماء، والتنزيه، والإيمان باليوم الآخر.

ارجع إلى سورة البقرة آية (٨) لمزيد من البيان.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، يدل على بعد المنزلة، وارتفاع مكانتهم.

﴿سَنُؤْتِيهِمْ﴾: السين حرف استقبال لاستقبال القريب.

﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: هو الجنة ونعيمها، وتنكير الأجر؛ للتفخيم والتعظيم.





سُورَةُ النَّبَا ٤

الجزء الثاني

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ
وَعَاثَيْنَا دَاوُدَ دَازُبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ
مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٦٥﴾ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ
وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا
﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا
لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ
الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا
فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

سورة النساء [الآيات ١٦٣ - ١٧٠]

[١٦٣] ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾:

﴿إِنَّا﴾: ضمير متصل بصيغة الجمع؛ للتعظيم.

﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: الوحي لغة: هو إعلام بخفاء؛ أي: كلام خفي، لا يعلمه أحد سوى الموحى إليه، والوحي بالمعنى الشرعي هو ما يُلقى الله تعالى إلى أنبيائه ورسله من آيات، ومن تكاليف، وتعاليم دينية، ووعد ووعد.

والوحي قد يكون بإرسال رسول؛ أي: ملك من الملائكة، كما هو الحال في جبريل، إلى رسول من الرسل، أو التكليم من وراء حجاب.

والوحي قد يكون بالإلهام؛ أي: القذف بمعاني تلقى في القلب في حالة اليقظة، أو المنام، كما حدث لإبراهيم حين رأى في المنام أن يذبح ابنه، وكما حدث لأم موسى بإلقاء موسى في التابوت.

والوحي: أصله الإشارة السريعة، كما فعل زكريا حين أوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا، وكان الوحي يأتي رسول الله ﷺ بشكل خفي، ويبدأ مثل صلصلة الجرس، يبدأ بعدها الوحي، أو بشكل رجل، وكانت بعض علامات الوحي تظهر على رسول الله ﷺ مثل: يتفصد جبينه بالعرق، أو يشعر بالثقل في الحركة، والله سبحانه قادر أن يوحى السماء، أو الأرض، أو الجبال، أو الطير، أو الحيوان، أو غيرها بطرق غريزية، أو غيرها.



والخلاصة: الوحي بالمعنى الشرعي: يطلق على الإعلام بخفاء من الله تعالى لرسله، وبقية الإحياءات تأخذها بالمعنى اللغوي. ارجع إلى سورة الشورى، آية (٥١).

﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: والخطاب هنا إلى رسول الله ﷺ.

﴿كَمَا﴾: الكاف للتشبيه، ما: مصدرية؛ أي: أوحينا إليك، كما أوحينا، كما؛ أي: مثل ما أوحينا إلى نوح، والنبين من بعده.

وبدأ بنوح، ولم يبدأ بآدم؛ لأنه أبو البشر، وأقدم الأنبياء، وأول أولي العزم من الرسل.

﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾: أمثال هود، وصالح، وشعيب: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ ذِكْرًا﴾: وأوحينا: هذا يسمّى عطف الخاص على العام؛ لزيادة التنبيه على شرف هؤلاء الرسل، والنبين الذين ذكر أسماءهم، ومنهم: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط؛ ارجع إلى سورة آل عمران آية (٨٤) للبيان.

﴿وَعِيسَى﴾: ارجع إلى الآيات (٤٥-٦٢) من سورة آل عمران.

﴿وَأَيُّوبَ﴾: ارجع إلى الآية (٨٣-٨٤) من سورة الأنبياء.

﴿وَيُوسُفَ﴾: ارجع إلى الآيات (٨٧-٨٨) من سورة الأنبياء، والآيات (١٣٩-١٤٧) من سورة الصافات.

﴿وَهَارُونَ﴾.

﴿وَسُلِّمْنَ﴾: ارجع إلى الآيات (٣٤-٣٥) من سورة (ص)، والآيات (١٥-٤٤) من سورة النمل.

﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾: الزبور: بفتح الزاي؛ يعني: الكتاب الذي أنزل على داود. وجمع الزبور: الزُّبُر: بضم الزاي، إذن: الزُّبُور كتاباً، والزُّبُر: الكتب، والزُّبُور: يمتاز بالحمد والثناء على الله سبحانه، وليس فيه أحكام، إنما أمثال وحكم (جمع حكمة)، والزُّبُور: مشتقة من زبر البئر؛ أي: أصلحها بحيث لا ينهال التراب من أطرافها فتطمس، ويكون ذلك بالبنيان بالحجارة، وغيرها.

وَزُبُرًا: قد يعني العقل، وكما يسيطر العقل على أفعال الفرد، والحجارة على تراب البئر، وكما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]، وقوله تعالى: ﴿جَاءُوا بِالْبَيْنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤].

[١٦٤] ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾:

﴿وَرُسُلًا﴾: جمع رسول، والرسل تشمل الرسل والأنبياء، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، وهناك فرق بين الرسول والنبي؛ فقد ذكر رسول الله ﷺ في حديث صحيح رواه الإمام أحمد في «مسنده»: أن عدّة الأنبياء مئة وأربعة وعشرون ألف نبي، وعدّة الرسل: ثلاثمئة وبضعة عشر رسولاً (٣١٤).

والتعريف العام، أو المختار: أن الرسول من أوحى إليه بشرع جديد، والنبي: هو المبعوث لتقرير شرع من قبله، والكل مأمورون بالتبليغ....

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد، وتقريب؛ أي: قصصناهم عليك منذ زمن قريب.



﴿فَصَصْنَهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾: أي: قصصنا عليك أخبارهم في القرآن، وعددهم (٢٥) رسولا.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: إنزال سورة النساء؛ أي: في السور الأخرى التي أنزلت قبل سورة النساء، وسورة النساء من أواخر السور ترتيبها في النزول (٩٢).

﴿وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾: أي: رسلا آخرين لا تعرفهم، وعليك الإيمان بهم جميعا: ﴿لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا﴾ [النحل: ٣٦].

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾: أي: من وراء حجاب، حين نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة من جانب الطور الأيمن.

﴿تَكْلِيمًا﴾: للتأكيد أنه تكليم مباشر ومن وراء حجاب، وليس عبر جبريل ﷺ.

[١٦٥] ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾:

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ﴾: من البشارة؛ وهي الأخبار بما يسر به المخبر به، ولأول مرة، والسرور يؤدي إلى تغير، يبدو على وجه الإنسان وبشرته.

﴿مُبَشِّرِينَ﴾: المؤمنين الذين يعملون الصالحات، مبشرين بالجنة، والنجاة من النار.

﴿وَمُنْذِرِينَ﴾: من الإنذار، وهو: الإعلام المصاحب بالتخويف، والزجر عن القبيح.

﴿وَمُنْذِرِينَ﴾: الكافرين، والمنافقين، والمكذبيين، والعاصين، وغيرهم منذرین بالنار، والحميم، وشجر الزقوم، وغيرها.

﴿لَيْتَ﴾: اللام: لام التعليل. أن: حرف مصدر يفيد التوكيد، لا: النافية.

﴿يَكُونُ لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾: الحُجَّة: البينة، أو الدلالة، والحُجَّة: مشتقة من معنى الاستقامة في القصد.

﴿وَكَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾: ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة.

[١٦٦] ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ، يَعْلَمُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾:

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ﴾: أي: إذا كان المشركون، وأهل الكتاب لا يشهدون بنبوتك، وطلبوا بمن يشهد لك، فالله سبحانه يشهد لك بالنبوة، وإنزال الكتاب إليك؛ أي: القرآن العظيم.

﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾: الباء: للإلصاق، ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، ﴿أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾: هو القرآن يشهد على نبوتك.

﴿أَنْزَلَهُ، يَعْلَمُهُ﴾: فيها تأكيد للشهادة، والهاء في أنزله: تعود على القرآن العظيم، و﴿يَعْلَمُهُ﴾: تعني: بأنك رسوله إلى الناس كافة، ويعلمه الذي أراد أن يطلع عليه عباده.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾: على نبوتك.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: أي: حتى شهادة الملائكة لا يحتاج إليها.



ويكفي أن يكون الله شهيداً لك.

وحرف الباء بـ: ﴿بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: تفيد التوكيد؛ أي: ولا تحتاج بعد شهادته إلى أيّ شهيد. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٣)؛ لمزيد من البيان.

[١٦٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بالله، وبما أنزل، ووجدوا بنبوة محمد ﷺ، وكتبه ورسله.

﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الصد: المنع وصرف الغير؛ أي: صرفوا، أو منعوا الناس عند الدخول في الإسلام، واتباع الرسول ﷺ بشتى الوسائل.

﴿قَدْ ضَلُّوا﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿ضَلُّوا﴾: ابتعدوا بعيداً عن طريق الهداية والحق، ويصعب عليهم العودة إليه مرة أخرى.

﴿ضَلَالًا بَعِيدًا﴾: أي: تعدّوا الضلال (ضلال أنفسهم) إلى الضلال البعيد؛ حيث أضلوا غيرهم، وامتدّ ضلالهم حتى بعد موتهم إلى إضلال الأجيال القادمة، ولم يقتصر ضلالهم على زمنهم، بل امتدّ أزماناً طويلة. ارجع إلى الآية (٦٠) من سورة النساء؛ لمزيد من البيان.

[١٦٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾:

هذه الآية ليست تكراراً للآية السابقة؛ فهي آية يبيّن الله فيها حكمه في ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: الذين ذكرهم الله في الآية (١٦٧).

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول فيه معنى التحقيق.

﴿كَفَرُوا﴾: ارجع إلى الآية (١٦٧)، من نفس السورة.

﴿وَزَلَمُوا﴾: أي: أشركوا، وظلموا بارتكاب المعاصي، والآثام، والمحرمات، وظلموا بكتمان نبوة محمد ﷺ، وظلموا بصدد الناس عن دين الإسلام، أو ظلموا أنفسهم بالخروج عن طاعة الله ورسوله، وغيرهم وبأوجه الظلم الأخرى.

﴿لَمْ﴾: حرف نفي.

﴿يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾: السلام في كلمة ليغفر: للتوكيد (لام النفي)؛ أي: لم يكن الله ليغفر لهم إذا ماتوا وهم على الكفر والظلم، ولم يتوبوا إلى الله، ويكفوا عن ظلمهم.

﴿وَلَا﴾: لا: نافية مؤكدة لحرف لم؛ لنفي المغفرة لهم، ولنفي الهداية، ونفي كل منهما وحده، أو معاً.

﴿لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾: طريقاً نكرة؛ تعني: أي طريق يوصل إلى الهدى.

وكلمة طريق ذكرت في القرآن في أربع آيات في سورة النساء الآية (١٦٨) - (١٦٩)، وفي سورة الأحقاف الآية (٣٠)، وهي قوله تعالى: ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وفي سورة طه الآية (٧٧)، وهي قوله تعالى: ﴿فَأَضْرَبَ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾، والطريق عادة يكون صعباً غير سهلاً أو وعراً إلا إذا اقترن بالمستقيم.

[١٦٩] ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَلِيدٍ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر وقصر؛ أي: لا طريق أمامهم يوم القيامة سوى طريق جهنم.

﴿طَرِيقَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (١٦٨) للبيان.



﴿جَهَنَّمَ﴾: قيل: اسم من أسماء دركات النار، ارجع إلى الآية (١٢) من سورة آل عمران؛ لمزيد من البيان.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾: الخلود: المكث، الذي لا نهاية له، ويبدأ من زمن دخولهم فيها، ولا خروج بعده منها أبدًا؛ لأن هناك من يدخل جهنم، ويخرج منها، وهؤلاء يقال لهم: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ من دون ﴿أَبَدًا﴾، وهم أصحاب الكبائر من المسلمين، فهؤلاء يمشون فيها مدة، قد تقصر، أو تطول حسب مشيئة الله، ثم يخرجون منها.

﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد، ويشير إلى أن إدخالهم في جهنم أمر سهل هين على الله، وفي الحقيقة ليس هناك أي أمر يصعب على الله سبحانه، فهو لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء، وقوله: ﴿يَسِيرًا﴾: هو فقط لتقريبه من الأذهان.

[١٧٠] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾:

﴿يَأْتِيهَا﴾ يا: أداة نداء، والهاء: للتنبيه، نداء إلى الناس كافة، ويراد به المشركون، كما قال ابن عباس ؓ.

﴿النَّاسُ﴾: مشتقة من النوس؛ أي: الحركة. ارجع إلى سورة البقرة، الآية (٢١)؛ لمزيد من البيان.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿الرَّسُولُ﴾: محمد ﷺ.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء: للتوكيد والإلصاق، الحق: وهو القرآن الكريم، أو الدين

الحق، والحق: هو الشيء الثابت؛ الذي لا يتغير، مهما تغيرت الأحوال والأزمان، ويعني الوحي.

﴿مَنْ رَبِّكُمْ﴾.

﴿فَأَمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾: فأمنوا بما جاءكم به؛ أي: صدقوه واتبعوه، وهو القرآن، خير لكم، وفي قوله إنذار.

﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾:

﴿وَإِنْ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال.

﴿تَكْفُرُوا﴾: بكفر محمد ﷺ، وبما أنزل الله، وكتبه، ورسله، وملائكته، واليوم الآخر.

﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ارجع إلى الآية (١٢٦) من سورة النساء.

﴿وَكَانَ﴾: تستغرق كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿اللَّهُ عَلِيمًا﴾: بخلقه، وبمن يستحق الثواب، أو العقاب، بالمسيء، والمحسن، وبأفعال، وأقوال خلقه.

﴿حَكِيمًا﴾: في تدبير خلقه، وكونه، وشرعه، وأقواله، وأفعاله. ارجع إلى الآية (١٧) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.

فهو أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء.

ووردت كلمة ﴿حَكِيمًا﴾: في هذه السورة سبع مرات.

وفي هذه الآية: تهديد ووعد للكافرين.





سُورَةُ النَّبَا ٤

الْبُرْجُ السَّادِسُ

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا
عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ
اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ
وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ
الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ
وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ
إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُوفِيهِمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ
اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ
قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾
فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ
فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾

سورة النساء [الآيات ١٧١ - ١٧٥]

[١٧١] ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾:

﴿يَتَأْهَلُ﴾: يا: أداة نداء، والهاء: للتنبيه.

﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ﴾: النصاري، واليهود، وناداهم بأهل الكتاب (أهل التوراة، والإنجيل)؛ فيه مدح لهم، وناداهم مباشرة، ولم يناديهم بالذين أوتوا نصيباً من الكتاب.

﴿لَا﴾: الناهية.

﴿تَقُولُوا﴾: الغلو: مجاوزة الحد، والغلو: إما إفراط، أو تفريط.

إفراط: كما فعلت النصاري بعيسى ابن مريم ﷺ؛ إذ قالوا: هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة.

تفريط: كما فعل اليهود حين اتهموا مريم عليها السلام بالزنى، ولم يؤمنوا بعيسى ﷺ.

وقيل: الغلو: هو التشدد في الدين، والتنطع، والافتراء على الله.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية، وتكرار لا: تفيد التوكيد.

﴿تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾: لا تقولوا عيسى ابن الله، أو له صاحبة، وإن الملائكة بنات الله، وغيرها من الافتراءات، أو له شريك (ثالث ثلاثة).

﴿إِلَّا الْحَقَّ﴾: أداة حصر، وقصر، فقط قولوا الحق، وهو الأمر الثابت الذي لا يتغير. وإذا قارنا هذه الآية بالآية (٧٧) في سورة المائدة وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾:

١ - نجد آية النساء جاءت في سياق القول: (لا تقولوا على الله إلا الحق)، ونجد آية المائدة جاءت في سياق اتباع أهواء قوم.

٢ - وإلا تفيد الاستثناء وغير تفيد المغايرة، فالآية: (لا تغلوا في دينكم غير الحق): تشمل معنى لا تقولوا على الله إلا الحق، وقد تكون لمعنى آخر هو عدم اتباع أهواء قوم؛ أي: لها مثال لا تعبد إلا الله؛ أي: الأمر بعبادة الله فقط، وقولك: لا تعبد غير الله: فيها نهى عن عبادة غير الله ومتضمنة الأمر بعبادة الله تعالى وحده.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾: انتبه إلى قوله: عيسى ابن من!! ابن مريم.

﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾: ردُّ على اليهود الذين أنكروا نبوة عيسى، وردُّ على النصارى الذين قالوا: إن المسيح هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة.

﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾:

أطلق عليه كلمته؛ لأنه خلق بالكلمة، بكلمة كن فيكون ﷻ، فعيسى ليس كلمة بمعنى الكلمة التي تقال، بل يأكل ويشرب، وهو بشر، وإنسان ككلُّ البشر.

وكما قال تعالى: ﴿إِنَّمَثَلِ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٩٥].

وعيسى هو نفس، أو ذات كأي نفس، أو ذات خلقها الله، وأضاف إلى الكلمة الهاء: فقال: ﴿وَكَلِمَتُهُ﴾: تشریفاً لعيسى ﷺ، كقوله ﷺ: ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾، ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾، وعيسى ذات بائنة وميته.

﴿أَلْقَنَهَا إِلَى مَرِيَمَ﴾: أي: أعلمها، وأخبرها بها، وهي: كن؛ فكان بشراً من غير أب، أو أوصلها الله إلى مريم عليها السلام عن طريق جبريل ﷺ.

ولنعلم: أن الله سبحانه لم يذكر في القرآن امرأة باسمها العلم سوى مريم؛ فقد ذكرت في نحو ثلاثين موضعاً، مع أن العرب من عاداتهم لا يذكرون اسم الزوجة، أو المرأة، ومع ذلك ذكرها الله ثلاثين مرة؛ لكونها مطهرة ومصطفاة، وأم عيسى ﷺ، فلو كان لعيسى أبٌ لما ذكر اسمها عليها السلام؛ لأنه سيقول آنذاك: ابن فلان.

﴿وَرُوحٌ﴾: أي: صار جسده ﷺ بالكلمة، فنفخت فيه الروح بعدئذٍ، كما يحدث لأي جنين، حينما يتشكل في رحم أمه.

والروح خلق من مخلوقات الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾: هذه العبارة هي التي أضلت الكثير؛ فضللوا، وأضلوا، ولذلك علينا الانتباه إلى ما يلي:

أولاً: من: لا تعني: بعضاً؛ أي: جزءاً من الله سبحانه.



وإنما هي للابتداء؛ أي: ابتدائية؛ كقوله ﴿: وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [البقرة: ١٣].

ثانياً: روح عيسى: هي روح من الأرواح التي خلقها الله سبحانه لا أكثر، ولا أقل.

ثالثاً: كونه سبحانه أضافها إليه، فقال: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾: من باب التشريف، وذلك بإضافة المخلوقة إلى خالقها؛ كقوله: ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾، ﴿إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ﴾، ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾، وهكذا، هذه الإضافة لا تعني أنها ناقة الله، فهي ناقة كغيرها من النوق، وشرفها الله بأن قال: ناقة الله، فقد كانت معجزة عظيمة لقوم صالح ﴿: فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ۚ إِنَّتَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾: ارجع إلى الآية (١٥٢) من سورة النساء، وسورة البقرة، آية (٢٨٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾: الأب، والابن، وروح القدس، بل قولوا: إلهاً واحداً.

﴿إِنَّتَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أي: كفوا عن كلمات الباطل خيراً لكم، وأفضل لديناكم وآخرتكم.

﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكشوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾: الله: مبتدأ، إله: خبر، واحد: نعت لإله، مرفوع مثله.



﴿وَحِدٌ﴾: ولم يقل: أحد.

فالواحد يعني: لا يتجزأ، ولا يكون منه ولد، أو جاء من أب.

أما الأحد: فلا مثيل له أبداً. ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿سُبْحَنَهُ﴾: تنزيه لله عما لا يليق به من كل نقصٍ.

وسبحانه: اسم مصدر سماعي، تقديره: أصبح سبحانه أن هذا لا يكون (له ولد)، وأن الله منزّه عن ذلك. ارجع إلى سورة الإسراء، آية (١)؛ لمزيد من البيان في التسبيح، وسورة الحديد، آية (١).

والقاعدة: في القرآن إذا جاءت بعد كلمة ولد سبحانه، الأفضل الوقوف على ولد في التلاوة، ثم البدء بسبحانه.

﴿أَنْ يَكُونُ﴾: أن حرف مصدر ي؛ يفيد التوكيد.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: له ما: اسم موصول؛ أي: الذي في السموات، والذي في الأرض ملكاً، وخلقاً، وعبيداً.

ولنتنبه: إلى أنه سبحانه حين يريد أن يتكلّم عن أهل الأرض بشيء ما يخصصهم، يكرّر كلمة (ما في) فيقول: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بدلاً من قوله: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: هذا يدل على غناه، فلا حاجة له بالولد، أو الشريك، وكل ما في السموات وكل ما في الأرض ملكه وحده لا يشاركه فيه أحد، ويشمل ذلك الظرف (السموات والأرض)، والمظروف؛ أي: (ما فيهنّ من شيء).



﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: كفى بالله قيماً على خلقه، ومدبراً لهم، وتقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة: ﴿بِاللَّهِ﴾: تدل على الحصر والقصر؛ كفى به وكيلاً، ولا تحتاج إلى سواه. ارجع إلى الآية (١٣٢) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان، وسورة الأعراف، آية (٨٩).

[١٧٢] ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَهِ جَمِيعًا﴾: ﴿لَنْ﴾: لنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿يَسْتَنْكِفَ﴾: الاستنكاف: هو التكبر والامتناع؛ فهو أشد من الاستكبار من يأنف، وأصله في اللغة: النكف، ونكف الدمع، النكف: عملية حسية، تتمثل في مسح الدمع بأصبعه من خدّه مخافة أن يراه الناس باكياً؛ لأن البكاء من الرجل يُعدُّ ضعفاً، أو عيباً، فيحاول عدم إظهار دمه للناس، وقيل: الاستنكاف: عدم الإقرار بالعبودية، والاستكبار؛ أي: عدم القيام بالطاعة تكبراً.

فالمسيح ﷺ لا يرى في نفسه عيباً أن يكون عبداً لله، أو يأنف، أو يترفع عن عبوديته، وطاعته لله تعالى. وعبداً لله: من جملة العبيد، أو العباد، ولم يقل: عبد الله؛ لدل ذلك على التشريف والتخصيص، كما قال تعالى في سورة الجن آية (١٩): ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾؛ أي: رسول الله محمد ﷺ.

﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾: لا يستنكفون، ولا يستكبرون أن يكونوا عباداً لله.

وهم: حملة العرش، أو الحافون حول العرش، ويطلق عليهم العالون، أو الكريون.

وتكرار (لا) النافية: تفيد التوكيد في عدم الاستنكاف، والتكبر.

﴿وَمَنْ﴾: من: شرطية تشمل الواحد، أو الجمع، وللعاقل.

﴿سَيَسْتَنكِفُ﴾: أي: يظن أنه من العيب أن يعبد الله، أو لا يقر بعبودية الله في قلبه.

﴿وَيَسْتَكْبِرُ﴾: يطلب الكبر، ولا يملك مؤهلاته، مثل كونه غنياً، أو ذا جاه، أو من عائلة كبيرة، ولا يجب عليه أن يعبد الله، أو يطيعه.

﴿فَسَيَحْشُرُهُمُ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة، والتوكيد، والسين في سيحشرهم: للاستقبال القريب؛ أي: سيحشرهم قريباً.

﴿فَسَيَحْشُرُهُمُ﴾: الحشر: هو السوق والجمع، والضمير يعود على الكل الذين لم يستنكفوا ويستكبروا، والذين استنكفوا واستكبروا.

﴿إِلَيْهِ﴾: تقديم الجار والمجرور، يفيد الحصر، سيحشرهم إليه وحده، حصراً لا إلى غيره.

﴿جَمِيعًا﴾: تفيد التوكيد.

[١٧٣] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة. أما: حرف شرط وتفصيل.

انتبه! إلى ما طرأ هنا: هو أن الله سبحانه لم يواصل الحديث عن الذين استنكفوا، واستكبروا، وما هو مصيرهم، بل قدّم الذين آمنوا وعملوا



الصالحات، وذكر ثوابهم، وهذا يُعد تقديم تفضيل لهؤلاء المؤمنين على غيرهم من المستنكفين، والمستكبرين؛ فيوفيههم أجورهم، ويعطيهم ثواب أعمالهم الصالحة كاملة غير منقوصة، ولا يقف عند ذلك، بل يزيدهم على أجورهم من فضله وإحسانه.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: الواو: عاطفة. أما: حرف شرط، وتفصيل، وتوكيد.

﴿الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾: سبق توضيح المعنى في الآية السابقة؛ أي: لم يُقرُّوا بعبادة الله، وامتنعوا عن طاعة الله وعبادته؛ بسبب استنكافهم، وتكبرهم. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لبيان معنى الاستكبار.

﴿فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: في الآخرة؛ أي: عذاباً شديداً إيلاًماً والدوام.

﴿وَلَا يَجِدُونَ﴾: لا: النافية. يجدون: لهم من دون الله من سواه؛ أي: من

غيره.

﴿وَلِيًّا﴾: الولي القريب، الذي يليك، المعين، ويحفظك، ويتولى أمرك حين تكون عاجزاً، أو الحليف القائم بأمرك الذي يتوكل أمرك، وتحمل معنى المودة والشفاعة.

وتكرار حرف لا: يفيد التوكيد، وفصل الولاء عن النصر؛ فقد يكون هناك ولي، ولا يستطيع تقديم المساعدة والنصرة لك، ولياً في الدنيا.

﴿نَصِيرًا﴾: في الدنيا، أو الآخرة ينصرك حتى لا تدخل النار، أو يدافع عنك، أو يخفف عنك العذاب، أو يشفع لك، أو ينصرك في الدنيا. ارجع إلى



سورة العنكبوت، آية (٢٢)؛ لمعرفة الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

[١٧٤] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾:

﴿يَتَأْتِيهَا﴾: الياء: أداة نداء للناس، الهاء: للتنبيه؛ لكافة الناس، وليس للمؤمنين فحسب. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢١)؛ لبيان معنى الناس.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: البرهان: هو الحُجَّة، والبينة، والبرهان كما قال أكد المفسرون هو النبي ﷺ، والذي يشير إلى ذلك قوله في الآية من سورة البينة: ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾: إليكم خاصة، أيها المؤمنون، وإلى الناس عامة.

﴿نُورًا مُّبِينًا﴾: وهو القرآن، وسُمِّيَ نوراً؛ لأنه يهدي من ظلمات الضلال إلى النور؛ أي: هادياً.

﴿مُبِينًا﴾: جلياً، واضحاً؛ أي: كل من يطلع عليه يراه نوراً، وهو بنفسه نورٌ واضحٌ، لا يحتاج لأي برهان، أو دليل أن يشهد بذلك، فهو يشهد لنفسه أنه نورٌ.

[١٧٥] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ، فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء: استئنافية. أما: حرف شرط وتفصيل.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ﴾: ارجع إلى الآية (٨) من سورة البقرة للبيان.

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِهِ﴾: به: تعود إما على الله سبحانه، وإما تعود على النور؛ أي: القرآن، أو كلاهما.

كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فالاعتصام بالله: هو الاستمسك به، واللجوء إليه، دائماً وأبداً في الشدائد، وغيرها. والعصم: هو المنع؛ أي: المناعة، والمناعة من المرض تكون بأخذ اللقاح.

والاعتصام بالله: يعني: تجنب الوقوع في المعصية والآثام.

ويتم ذلك بتطبيق شرعه، وعدم مخالفة أوامره.

والاعتصام بالنور (بالقرآن): هو العمل به، أو تطبيق ما جاء فيه، وكذلك من يعتصم بالقرآن، يمتنع، يصبح عنده مناعة من الوقوع في المعاصي، ومخالفة أوامر الله؛ فهو شفاء ورحمة.

﴿فَسَيَدْخُلُهُمُ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة.

﴿فَسَيَدْخُلُهُمُ﴾: السين: للاستقبال القريب؛ أي: عن قريب سيدخلهم ربهم في رحمته.

﴿فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾: وهل الرحمة مكان يحل به المؤمن الذي توافرت فيه الشروط السابقة؟

نعم! الرحمة منه؛ أي: الجنة.

﴿فَسَيَدْخُلُهُمُ﴾: في رحمة منه؛ أي: في الدنيا. رحمة: جاءت بصيغة

النكرة، تشمل الكثير، وتعني: الرزق، والعافية، والأمن، والطمأنينة، وغيرها، وفي الآخرة يدخلهم في الجنة برحمة منه وليس بأعمالهم؛ أي: رحمة خاصة بهم وليس رحمة عامة رحمة تغمرهم ولم يقل فسيدخلهم في رحمته كما قال تعالى في سورة الجاثية آية (٣٠) ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ (رحمته العامة)، وأما آية النساء تشير إلى الذين آمنوا واعتصموا أي زيادة الاعتصام بالله أدخلتهم في رحمته الخاصة.

﴿وَفَضَّلَ﴾: تعريفه: الزيادة على الأجر، قد يكون رضوان الله ﷻ في الجنة، أو المنزلة العالية، أو الدرجات العالية في الجنة.

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾: ويهديهم إليه حصراً.

﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾: هو الإسلام الذي يوصلهم للغاية، وهي سعادة الدارين.





سُورَةُ الْمَائِدَةِ

الجزء الثاني

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرًا أُهْلَكَ
لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا
إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الشُّلْثَانِ مِمَّا تَرَكَ
وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَى
يُيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦)

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ
الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ
يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ
وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَئِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ
الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾



سورة النساء [الآية ١٧٦]

[١٧٦] ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أُمِرُوا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أُتْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾: يطلبون منك الفتيا في حكم شرعي، وهو وراثة الكلاله. ارجع إلى الآية (١٢٧) من سورة النساء؛ لبيان كلمة: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ وعدم ذكر الواو كقوله تعالى: (ويستفتونك).

﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾: ارجع إلى الآية (١٢)؛ لبيان معنى الكلاله.

والكلاله: هنا في ميراث الإخوة، والأخوات من الميت الكلاله.

﴿إِنْ أُمِرُوا هَلَكَ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، وندرة الحدوث.

﴿أُمِرُوا هَلَكَ﴾: أي: مات، ليس له ولد، ولا والد له؛ لأن الكلاله تعني: ليس له ولد، ولا والد له.

﴿وَلَهُ أُخْتٌ﴾: من أبيه وأمه؛ الإخوة الأشقاء الذين هم من نفس الأم والأب، أو إخوته من الأب، أو أخت من أبيه، فلها نصف ما ترك، والنصف



الآخر يذهب إلى الزوجة، أو الجد، أو غير ذلك. ارجع إلى الآية (١٢) من نفس السورة؛ لمعرفة الفروق.

وهو يرثها إن لم يكن لها ولد؛ أي: هو يرث أخته: إن لم يكن لها ولد، ولا والد (أب وأم).

إذن: هذه الآية تخص الإخوة والأخوات من نفس الأم والأب؛ الإخوة الأشقاء، أو من الأب فقط.

﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾: كانتا بالثنائية تشير إلى اثنتين، واثنين تشير إلى كانتا.

فلماذا كرر ذكر اثنتين؟ كانتا: جاءت للوصف.

(وصف الاثنتين): صغيرتان، أو كبيرتان، أو صالحتان، أو طالحتان، فلهما الثلثان من تركه أخيهما الميت.

﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾: أي: إذا ورث الميت في الكلالة إخوته، وكانوا ذكوراً وإناثاً، فللذكر مثل حظ نصيب الأنثيين.

﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿يَبَيِّنُ﴾: يوضح، ويفصل لكم الأحكام، والآيات، وما أنزل إليكم.

﴿لَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، أيها المسلمون.

﴿أَنْ﴾: مصدرية؛ تفيد التعليل، والتوكيد، وتعني: لئلا تضلوا؛ كما قال

بعض المفسرين.



﴿تَضِلُّوا﴾: عن طريق الهدى، والصراط المستقيم، وتسيروا في طريق الضلال.

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

﴿شَيْءٍ﴾: نكرة تفيد التعظيم، والتفخيم؛ أي شيء مهمما كان نوعه، وشكله، ومكانه.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من عالم؛ أي: كثير العلم. العليم: يحيط علمه بكل شيء، وبما تفعلونه في الميراث، والقسمة، والوصية.





سُورَةُ الْمَائِدَةِ ٥

الجزء الثاني

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ
لِیْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا
إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الشُّلْثَانِ مِمَّا تَرَكَ
وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ
الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ
يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ
وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَاحِيْدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ
الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾



سورة المائدة [الآيات ١ - ٢]

ترتيبها في القرآن السورة (٥)، وترتيبها في النزول السورة (١١٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحْلَتْ لَكُمْ بِهِمَّةُ الْآنَعَامِ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلٍ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا﴾: أداة نداء إلى الذين آمنوا بتكليف جديد: هو الإيفاء بالعقود، والهاء في (أيها): للتنبيه.

﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾: العقد: ما يتعاقد عليه اثنان؛ أي: دائماً يكون بين طرفين، والعقد: هو الربط، وعلى كل طرف أن يلتزم بما عليه.

وقد يكون العقد بين العبد وربّه، أو بين العبد وعبد آخر، أو بين العبد ونفسه، ويسمّى ذلك: بالنذر.

والعقود لها أنواع كثيرة، مثل: عقود البيع، والشراء، والنكاح، والشراكة، ثمّ بين الله بعض ما أحله، وبعض ما حرّمه.

﴿أُحْلَتْ لَكُمْ بِهِمَّةُ الْآنَعَامِ﴾: أي: أحلّ لكم أكل لحم بهيمة الأنعام بعد الذبح.

﴿الْآنَعَامِ﴾: هي ثمانية أزواج: من البقر اثنان، ومن الغنم اثنان، ومن المعز اثنان، ومن الإبل اثنان.



أما بهيمة الأنعام: تشمل الأنعام وكل ما يماثل الأنعام، مثل الغزلان، والضباء، وبقر الوحشي، وكل حيوان مجتر. قيل: من بهيمة الأنعام. وبهيمة الأنعام أعم، والأنعام أخص، وسميت بهيمة الأنعام؛ لأن أسرارها، وأمورها لا زالت مجهولة، ويصعب إدارتها، أو لا نعرف الكثير عنها. ولم تسمى بهيمة؛ لأنها لا تفهم؛ كما كان يعتقد الأقدمون.

﴿إِلَّا مَا يَتَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: إلا: أداة استثناء.

﴿إِلَّا مَا يَتَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: في القرآن، أو في السنة النبوية، مثل: الميتة، وكل ذي ناب، مثل: السباع، والكلاب، وكل ذي مخلب من الطير.

﴿غَيْرِ مُحِلِّ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾: أي: وحرم عليكم الصيد، وأنتم حرم؛ أي: في زمن الإحرام، وفي الحرم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾: إن للتوكيد، يحكم ما يريد.

الإرادة: هي العزم على القيام بأمر ما أو تركه، ولم يقل: إن الله يحكم ما يشاء؛ لأن الإرادة: تكون بعد المشيئة؛ أي: المشيئة تسبق الإرادة، والمشيئة. قيل: هي ابتداء العزم على الفعل، ومتى حصلت الإرادة صدر الفعل لا محالة، والإرادة من الله، كذلك تعني: أنه يقع منه الفعل، أو الحكم، حسب ما يريد (على وجه دون وجه).

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهَرِ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدَىٰ وَلَا الْفَلَكِيدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ

قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْرِ وَالنَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْرِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٥٨﴾:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد إلى الذين آمنوا بتكليف جديد.

﴿لَا تَحِلُّوا﴾: لا: الناهية.

﴿تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: لا تستيحيوا، أو تحلوا شعائر الله (سائر ما فرض وأوجب) من الفرائض، والحرمات، لا تستحلوا بترك واجب، ولا بفعل محرم، ومنها: مناسك الحج، والشعائر غالباً ما تطلق على ما نسميه: مناسك الحج، ومن الشعائر؛ أي: العبادات: الطواف، والسعي، والوقوف بعرفة، ورمي الحجرات؛ كل هذه تعد من شعائر الله.

والشعائر: جمع شعيرة، وقيل: العلامة، والإشعار: هو الإيعاز، وشعائر الحج: هي معالمه الظاهرة للحواس؛ أي: مواضع النسك، أو العبادة، ونسميها المشاعر؛ أي: المعالم المكانية، فنقول هنا: مطاف، وهذا مسعى، مقام إبراهيم، الحجر الأسود، والمشعر الحرام، وغيرها.

مثال: قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٥٨)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾: أي: ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه، أو تبدلوا بغيرها، وتأخير حرمة شهر إلى غيره؛ أي: تقوموا بعملية النسيء.

وقال: الشهر الحرام، ولم يقل: الأشهر الحرم، وهي كما نعلم أربعة: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب.

﴿الشَّهْرَ﴾: اسم جنس، والمفرد يطلق على الجنس.



وحرمة أيّ شهر تمثل حرمة الأشهر كلها، ولا يختلف عنها.

﴿وَلَا أَلْهَدَى﴾: أي: لا تحلوا الهدى؛ أي: لا تتعرضوا للهدى بالسرقة، أو الحبس، ومنعه من الوصول إلى محلها؛ أي: المواضع الذي يحل فيه إراقة دمه، أو تأكلونه في الطريق إلى مكة.

﴿أَلْهَدَى﴾: ما يهدى إلى البيت الحرام؛ تقريباً إلى الله تعالى.

والهدى: جمع هدية، فالحرم المكي كان قديماً بواد غير ذي زرع، ولم تكن به حيوانات كثيرة، أو أطعمة متوافرة، فكانوا يأتون بالهدى؛ للطعام، وإطعام الآخرين، ويدبحون في منى.

﴿وَلَا أَلْقَلَيْدَ﴾: أي: الأنعام المقلدة بالقلائد عند إهدائها للبيت.

والقلائد: جمع قلادة، وهو ما يعلق بالرقبة؛ رقبة الهدى؛ ليُعلم أنها مهداة للبيت؛ إذ كانوا قديماً يضعون هذه القلادة في رقبة الهدى؛ حتى يعلم أنه مهدى إلى الحرم، فلا يتعرضون له بالأذى، والسرقة.

لا تحلوها: أي: لا تأخذوها غصباً، أو تزيلوا القلادة من رقبتها.

﴿وَلَا أَمِينَ أَلْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾:

﴿وَلَا أَمِينَ أَلْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾: أي: تمنعون القاصدين، والقادمين إلى البيت الحرام للحج، والعمرة من الوصول إليه للعبادة، ولم يذكر مكة أو بكة؛ لأن قاصدين مكة قد يكون للتجارة أو غيرها، ولنعلم أن هذه الآية نزلت قبل نزول آية: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

إذن يستثنى من ذلك أي مشرك، أو غير مسلم؛ فهو لاء يمنعون من أن يقربوا المسجد الحرام، كما بين رسول الله ﷺ.

﴿وَلَا أَتَيْنَ آلَيْتَ الْحَرَامِ﴾: يعني: الحجاج، والعمار المسلمين، لا تمنعوهم من الحج، والزيارة، والعمرة.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾: قال: فضلاً من ربهم، ولم يقل: فضلاً من الله؛ لأن عطاء الربوبية يتمثل في الرزق، والأرباح، والتجارة، ويشمل الكافر، والمؤمن. وعطاء الألوهية يتمثل في: افعل، أو لا تفعل، ولا يشمل إلا المؤمن.

﴿وَرِضْوَانًا﴾: أي: يلتمسون نيل رضوان ربهم بقيامهم بأعمال الحج، والعمرة في سبيل الله، إضافة للسماح لهم بالتجارة، وطلب الرزق في أيام الحج. ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾: إذا: شرطية؛ تفيد الحتمية.

وإذا أتممت أعمال الحج، وتحللتم من إحرامكم، فاصطادوا، كما تشاءون، ولكن في غير أرض الحرم، والإجماع هنا للإباحة بالصيد، وليس للوجوب، وهناك قاعدة أصولية مفادها: كل أمر بعد حظر؛ فهو للإباحة.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية. لا: الناهية.

﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: من جرم؛ كسب، ويعني: غالباً كسب مالاً، لا خير فيه؛ أي: لا يكسبنكم شنان قوم.

وقيل: جرمه: حمله على فعل شرٍّ، أو إثم؛ أي: لا يحملنكم شنان، ومنه الجريمة، والجرم: قطع الثمرة من الشجر.

والشنان: هو البغض الشديد الذي يسبب التباعد وربما العداوة.

يقال: شناه؛ إذا أبغضه، اشناه؛ أي: أبغضه.

فمعنى الآية: لا يحملنكم، أو لا يكسبنكم بغض قوم، أو عداوة قوم أن



صدوكم، أن: مصدرية؛ للتعليل؛ لأجل أن صدوكم عن المسجد الحرام، كما حدث يوم الحديبية: أن تعتدوا عليهم، والخطاب كان موجَّهاً للرسول والصحابة؛ إذ صدّهم المشركون عن الدخول إلى مكة للعمرة، وتم صلح الحديبية، فجاء الأمر بالنهي عن قتال هؤلاء، أو الاعتداء عليهم، وإياكم والعواطف أن تكون هي السبب للاعتداء عليهم.

ولنعلم ما هي مراحل البغض: تبدأ بالبغض، ثم القلى، ثم الشنآن، ثم المقت.
﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالنُّفُورِ﴾:

﴿الْإِثْمِ﴾: هو الإيمان الحقيقي الكامل لأصول الاعتقاد، وما يتقرب به إلى الله من إيمان، وعمل صالح، واعتقاد، وأخلاق، ومعاملات، وباختصار: هو فعل الخير والتقوى؛ أي: تعاونوا على فعل الطاعات، واجتناب المنكرات والمنهيات.
﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾:

﴿الْإِثْمِ﴾: في اللغة: التقصير، وشرعاً: هو فعل الحرام، أو ترك واجب، وقيل: فعل القبيح الذي عليه تبعة. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٣٣)؛ لمزيد من البيان.

والعدوان: هو الظلم، والاعتداء، ويشمل: التعدي على حدود الله، وتعريف العدوان: إرادة السوء، أو الشر لمن تعاديه، والبعد عنه.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: قيل: هي كف النفس عما نهى الشارع عنه، سواء حراماً كان، أم مكروهاً.

والطاعة: قيل: هي القيام بما أمر الشارع به، سواء أكان واجباً، أم مستحباً. وباختصار: التقوى: الالتزام بأوامر الله تعالى، وتجنب نواهيه.

والتقوى: مأخوذة من الوقاية من عذاب الله وسخطه، وبالتالي الوقاية من النار.

﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: إن: تفيد التوكيد على ﴿اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

كلمة العقاب وردت في (٦٤) موضعاً من القرآن.

ولتعلم: أن العذاب نوع من العقاب، ولتعلم: أن العذاب أوسع من العقاب؛ لأنه يقع في الدنيا والآخرة، بينما العقاب يقع فقط في الدنيا.

﴿الْعِقَابِ﴾: وسمي العقاب؛ لأنه يقع بعد الفعل، أو الذنب، والفاعل يستحق العقاب عقب فعله، وقد وردت الآيات الكثيرة في أن الله سريع العقاب، شديد العقاب، ولم ترد في القرآن أي آية بأن الله سريع العذاب.

الفرق بين العقاب والعذاب:

العقاب: نوع من العذاب.

١ - يكون فقط في الدنيا.

٢ - لا يؤخر.

العذاب: أعم من العقاب.

١ - يكون في الدنيا وفي الآخرة.

٢ - يؤخر.

﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: صفة ثابتة وعامة.

وورد أن الله شديد العقاب (١٤) مرة في القرآن.





سُورَةُ التَّوْبَةِ

الْبَيْتُ السَّابِعُ

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى التُّصْبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَ كُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِلَا إِلَهِنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾

سورة المائدة [الآيات ٣ - ٥]

[٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّيتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾:

﴿حُرِّمَتْ﴾: مبني للمجهول، مع العلم أن الله هو الذي حرّمها؛ لأن الله هو المحلل، والمحرم وحده، وما حلل وحرم رسول الله ﷺ، يدخل فيما حلل وحرم الله .

الميتة: بسكون الياء التي ذهبت منها الحياة؛ أي: خرجت روحها منها وماتت، وانتهت، يستثنى من ذلك السمك والجراد، والميتة بتشديد الياء التي لم تخرج منها الروح؛ أي: لا زالت حية وعلى وشك الموت بعد فترة من الزمن.

﴿وَالْدَّمُ﴾: أي: الدم المسفوح، الجاري من الأوردة والشرايين، عند الذبح، أو غير الذبح؛ أي: شربه، وغليه، واستعماله في الأكل، ويستثنى من ذلك الكبد والطحال.

﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾:

﴿وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: ما: اسم موصول؛ أي: الذي لم يذكر اسم الله عليه، أو ذكر اسم غير الله عليه؛ مثل: الصنم، أو الولي، أو الوثن؛ ففي هذه الآية قدم



اسم الله؛ لأن الآيات في سياق تعظيم شعائر الله، وفي آية البقرة (١٧٣) قدم به؛ لأنها في سياق الذبائح المحرمة؛ أي: الطعام. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٧٣)؛ للمقارنة بين ما أُهلَّ به لغير الله، وما أُهلَّ لغير الله به.

﴿وَالْمُنْحَقَّةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْنَقُوا بِهَا لَأَزْلَوْنَ﴾:

وحرمت عليكم: ﴿وَالْمُنْحَقَّةُ﴾: أي: التي ماتت خنقاً.

﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾: التي ماتت ضرباً.

﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾: التي وقعت من ارتفاع، ثم ماتت.

﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾: التي نطحها حيوان، ثم ماتت.

﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾: وما بقي من الحيوان بعد أكل السبع منه؛ أي: ما افترسه ذو ناب؛ كالأسد، والذئب، والضبع، والكلب.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، تعود على المنخقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، ولا يشمل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أُهلَّ به لغير الله؛ لأن ذلك محرم تحريماً عقدياً (بالعقيدة).

﴿مَا ذَكَّيْتُمْ﴾: ما: اسم موصول؛ أي: الذي ذكَّيْتُمْ.

التذكية: هي الإتمام، يقال: ذكَّيت النار إذا أتممت إشعالها، فهذه الحيوانات إذا ذكَّيتموها، ولا زال فيها حياة، ثم أتممت ذبحها وسال منها دم، وصدر عنها حركة، أو صوت، تدلُّ على حياة، فيجوز أكلها.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾: النُّصُب: هي حجارة، كانت منصوبة حول الكعبة، يذبح عليها المشركون الذبائح تقرباً للآلهة، والأصنام.

﴿وَأَنْ تَسَنَّقِسُوا بِالْأَزْلَمِ﴾: الاستقسام: طلب القسم، والنصب: طلب معرفة ما قسم له؛ أي: نصيبه مما يقسم له بالأزلام.

والأزلام: أقداح مكتوب عليها: افعل، أو لا تفعل، أو أمرني ربي، أو نهاني ربي، يحرك هذه الأقداح، ويختار قدحاً، فيقرأ ما فيه، وهي عشرة أقداح، أو أقل، قدح يقول: خذ نصيباً، وآخر يقول: خذ نصيبين، وهكذا ثلاثة، أربعة...

﴿ذَلِكُمْ فَسَقُ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ﴾:

﴿ذَلِكُمْ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف: للخطاب.

﴿ذَلِكُمْ﴾: تشير إلى جميع ما حرم الله سبحانه.

واستعمل ﴿ذَلِكُمْ﴾، ولم يستعمل ذلك؛ لأن ﴿ذَلِكُمْ﴾: تستعمل لكثرة الأمور المذكورة، وتستعمل في التوكيد، أو الحكم العام المستمر، وذلك تستعمل للقلّة، أو الأمر الواحد، والأقل توكيداً.

﴿فَسَقُ﴾: خروج عن طاعة الله إلى معصية، أو خروج عن شرع الله، ومن يفعل ذلك؛ يسمّى فاسقاً، واشتُقت الكلمة من فسقت الرطبة عن قشرتها؛ أي: خرجت عن قشرتها، وللفسوق درجات قد تصل إلى الكفر، والفسق شيء عام، أعم من الظلم، وكل ظالم، أو كافر هو فاسق، وليس كل فاسق ظالماً، أو كافراً، وفي سورة الحجرات آية (٧) يقول تعالى: ﴿وَكُرْهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾، فما هو الفرق بين الفسق والفسوق؟ الفسوق: عام وهو الخروج عن طاعة الله أو الدين. أما الفسق: أمر خاص بالأطعمة والذبائح.

﴿الْيَوْمَ﴾: ظرف زمني في علم الفلك، يقدر (٢٤ ساعة).

وفي القرآن يقدر بـ: (١٢ ساعة) من شروق الشمس إلى غروبها.

ويُراد به اليوم الذي نزلت به تلك الآية، وكان يوم عرفة، يوم الجمعة،



وحج الوداع، حيث نزلت اليوم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وله معانٍ أخرى، سنوردها في آيات أخر.

﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ﴾:

﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾: اليأس: هو انقطاع الرجاء في شيء.

﴿يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾: أي: يئس الذين كفروا أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه قبل الإسلام؛ أي: ترددوا؛ أي: ترجعوا عن دينكم الإسلام إلى الكفر؛ لما رأوه من قوته، ودخول الناس فيه أفواجا.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ﴾: الخشية: هي الخوف؛ المقرون بالعلم، والمهابة، والتعظيم، ولا: الناهية.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: أي: لا تخشوا الكفار، أو المشركين؛ أي: تخافونهم وتهابونهم.

﴿وَاخْشَوْنَ﴾: ولم يقل: (واخشوني) بزيادة الياء، زيادة الياء (زيادة المبنى يدل على زيادة المعنى)، فزيادة الياء؛ تدل على زيادة التوكيد، فجاءت من دون زيادة في هذه الآية؛ لأنها جاءت في سياق الأطعمة المحرمة، بينما جاءت (واخشوني) بزيادة الياء في سياق تحويل القبلة: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ﴾ [البقرة: ١٥٠]؛ الذي أثار عقول المشركين واليهود، وضعاف الإيمان، وأدّى إلى فتنة وإرجاف في المدينة، وارتداد بعض ضعاف الإيمان، فهذا الحدث لا يقارن بالحديث عن الأطعمة المحرمة؛ لذلك زاد الياء؛ للدلالة على عظم الحدث. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٥٠)؛ للبيان.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿الْيَوْمَ﴾: ظرف زمان، يعني: اليوم، يوم الجمعة، يوم عرفة من حَجَّةِ الوداع، معرف بأل تعريف؛ لتدل على عظمتها، وكان ﷺ قد صَلَّى رَاكِبًا عَلَى ناقته؛ حين نزول هذه الآية.

والسؤال هنا: ما مناسبة ذكر هذا اليوم في سياق آيات تحريم الأطعمة، وذكر الأطعمة المحرمة في سياق هذا اليوم؟ وما هو الفرق بين ﴿أَكَلْتُ﴾ و﴿وَأَتَمَّمْتُ﴾؟

قيل في الرد على هذا السؤال: إن تحريم هذه الأطعمة والخبائث من خصائص هذا الدين الكامل، ومن النعم التامة، ومما ارتضاه الله سبحانه للمؤمنين، فجاء ذكرها مع ذكر اليوم العظيم.

والفرق بين: ﴿الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾:

أكملت: والكمال لا يزداد عليه؛ لأنه الحالة المثلى، وأكملت جاءت في سياق الدين قد اكتمل، والكمال يتجلى في أن أحكامه صالحة لكل زمان ومكان، وفيه كل ما تحتاجون من الأحكام، والشرائع، والحلال والحرام، والحق والباطل، إلى يوم القيامة؛ فهو الدين الخالد ختم الله به الشرع ونسخ ما قبله.

بينما: ﴿وَأَتَمَّمْتُ﴾: من التمام، وجاءت في سياق النعم، والنعم يمكن أن يزداد عليها، ومن النعم: نصر الله تعالى عباده المؤمنين على الكفار، وفتح لهم البلاد، وأيدهم، ومكن لهم الدين.

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾: أي: اخترته لكم، كدين خاص بكم إلى يوم القيامة، وليس هناك غير الإسلام ديناً أصلاً. أما بقية الشرائع (اليهودية، والنصرانية): فهي ديانات، وليست ديناً؛ أي: شرائع مختلفة تناسب كل أمة.

﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:



﴿فَمَنْ﴾: الفاء: استئنافية. من: شرطية.

﴿أَصْطَرَّ فِي مَخْصَةٍ﴾: المخرصة: هي خلاء البطن من الطعام، وأصله ضمور البطن من الجوع، يقال: رجل خامص؛ أي: ضامر، والمخرصة: جوع فردي، بينما المسغبة: مجاعة عامة، والسغب: هو الجوع.

ومراتب الجوع: السغب، ثم الفرث، ثم الطوى، ثم المخرصة، ثم الضرم، ثم السعار.

ومراتب العطش: العطش، ثم الظمأ، ثم الصدى.

﴿فَمَنْ أَصْطَرَّ فِي مَخْصَةٍ﴾: أي: من أُلجئ وأُكره - بحكم الضرر - على أكل الميتة، أو الدم المسفوح، أو لحم الخنزير، واستنفذ الأسباب كلها، وأخذ بها، وخاف على نفسه الهلاك، فلا مانع أن يأكل فقط ليسد جوعه.

﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾: أي: غير مائل بأن يكون باغياً، ولا عادياً، غير مائل عن الحق، والجنف: هو الميل عن الحق، والباغي: هو الذي يأكل فوق حاجته، والعاد: هو الذي يأكل من المحرمات، وعنده أطعمة أخرى، تسدُّ رمقه. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٣٣) للبيان.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: الفاء: للتوكيد، وإن: لزيادة التوكيد.

﴿غَفُورٌ﴾: صيغة مبالغة؛ من غفر؛ أي: كثير الغفران، لا يعاقب على الأكل إذا كان الإنسان مضطراً، يغفر الذنوب جميعاً إلا الشرك، والكفر.

﴿رَحِيمٌ﴾: حيث أباح له أكل المحرمات، وإلا هلك العبد.

رحيم: صفة ثابتة لذاته العليا، رحيم بالمؤمنين في الدنيا والآخرة. ارجع إلى سورة الحمد، آية (٢)، وارجع إلى الآية (١١٥) من سورة النحل للبيان المفصل.

[٤] ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ

تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَقْنُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢١٥﴾

المناسبة: بعد أن ذكر عشر محرمات؛ يسألونك ماذا أحل لهم، ولم يقولوا: ماذا أحل لنا.

﴿سَأَلُونَكَ﴾: بلفظ الغيبة، وفي السؤال معنى القول؛ فإنهم يقولون: ماذا أحل لهم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢١٥)؛ لمزيد من البيان عن معنى كلمة يسألونك.

﴿مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ﴾: استفهام حقيقي، ماذا: فيها مبالغة في الاستفهام، وهي أقوى من (ما).

﴿قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ﴾: لتذكر أنه كلما جاءت كلمة: ﴿سَأَلُونَكَ﴾: جاء بعدها الجواب: ﴿قُلْ﴾ في كل القرآن؛ إلا مرة واحدة في سورة طه، قال تعالى: فقل؛ لأنهم لم يسألوا حينذاك السؤال بعد، وربما يسألوه في المستقبل.

﴿الطَّيِّبَاتُ﴾: جمع طيب، وهو الحلال الطاهر؛ أي: أحل لكم الطيبات. ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْنَ الْجَوَارِحَ﴾: المقصود بها الحيوانات التي نعلمها؛ أي: ندرّبها، كيف تصطاد لنا من كلاب، وصقور، وغيرها، وسمّيت جوارح: جمع جارحة؛ لأنها تجرح ما تصيد؛ أي: تكسب.

﴿مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾: مكليبين: جمع مكلب: هو الذي يحترف حرفة تدريب الكلاب للصيد، مكليبين؛ أي: مدربو الكلاب.

﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾: آداب الصيد؛ أي: يأتي بالصيد سليماً لم يأكل منه، إذا أكل منه يصبح غير معلم.

﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾: فكلوا مما أحضرن لكم (من خلال عملية الصيد)، لماذا قال: ﴿أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾؛ لأن الجوارح (الكلاب، والصقور المعلمة)



حين تمسك بالصيد لا تأكله، وتمنع الصيد عن نفسها، ولا تمسكه عن صاحبها؛ أي: لا تمنع صاحبها من أكل الصيد، وهي تمنع نفسها من أكله، رغم قدرتها على أكله.

﴿مِمَّا﴾: من ما، من: للتوكيد. ما: زائدة.

﴿وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: قولوا: بسم الله الرحمن الرحيم عند إرسالها وإطلاقها للصيد، حتى لا يقع في دائرة مما لم يذكر اسم الله عليه، وإذا لم يقل: باسم الله وأطلقها للصيد، وعاد الكلب بالصيد، وهو ميت عندها، لا يأكل منه، ويرميه، وأما إذا زال فيه حياة مثل: حركة، أو صوت؛ فعندها يقول: باسم الله ويذبح الصيد، ويأكل منه.

﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾:

﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾: أي: أطيعوا أوامرهم، واحذروا مخالفة أوامرهم، واتخذوا لكم وقاية من عذابه، وسخطه، وعقابه، واتقوا ناره.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: قيل: إنه قادر على أن يحاسب الناس جميعاً في لمحة بصر، أو في مقدار نصف يوم، أو أقل فقط؛ لتقريب ذلك من الأذهان، والحساب يعني في اللغة: العد، أو إطلاع الناس على أعمالهم، وما لهم، وما عليهم من الثواب والعقاب.

[٥] ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفَحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾:

﴿الْيَوْمَ﴾: ارجع إلى الآية (٣).

﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، لكم خاصة.

﴿الطَّيِّبَاتُ﴾: جمع طيب، وهو الحلال الطاهر، وما يستطاب ويشتهى، وتشمل الطعام، والشراب، وغيرها من المتاع، وقيل: هي كل ما لم يحرمه الكتاب والسنة، أو القياس، أو غيرها من مصادر الشريعة.

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾:

كلمة الطعام: كلمة عامة، وهنا في هذه الآية؛ تعني: الذبائح، أو اللحم فقط، وهل كل طعام أهل الكتاب حل لنا؟

الجواب: لا؛ لأنهم يأكلون الخنزير، وبعض أطعمتهم تدخلها الخمور، أو لحم الخنزير، أو لا يذكرون اسم الله عليها.

إذن الذي يحل للمسلمين من طعام أهل الكتاب ما هو حلالاً في دين الإسلام، وبما أن الطعام وسيلة لاستبقاء الحياة والتناسل، ووسيلة لاستبقاء النوع البشري، انتقل إلى ذكر الزواج: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾:

أحل لكم الزواج من المحصنات من المؤمنات.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾: أي: العفيفات الحرائر. ارجع إلى الآية (٢٤)

من سورة النساء؛ لمعرفة معنى الإحصان. إذن المحصنة هنا تعني: التي تحصن فرجها، فلا تزني؛ أي: العفيفات الحرائر من المؤمنات، وإذا قارنا هذه بالآية (٢٥) في سورة النساء وهي قوله تعالى: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَفِّحَاتٍ وَلَا مَتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ فقد جاءت هذه الآية في سياق نكاح ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات (الإماء).

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾:

أي: العفيفات الحرائر (جمع حرّة).



﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: اليهود والنصارى، الذين أوتوا التوراة والإنجيل من قبلكم.

﴿إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مَتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾:

﴿إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾:

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية، تفيد الحتمية؛ أي: لا بُدَّ من إعطائهنَّ مهورهنَّ.

﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾: الإيتاء: هو العطاء؛ أي: تعطي المهر، أو الصداق قبل

الزواج.

﴿أَجُورَهُنَّ﴾: مهورهنَّ.

﴿مُحْصِنِينَ﴾: من الإحصان؛ أي: الزواج الشرعي، والإحصان له أربعة معانٍ: الزواج، والعفة، والإسلام، والحرية.

﴿غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾: غير زناة، والسفح: هو صبُّ المني الملازم للجماع، وخصَّ به الزنى، وقد يكون لمرة واحدة بأيِّ زانية، وإذا قارنا هذه الآية بالآية (٢٥) في سورة النساء نجد أن آية المائدة جاءت في وصف الرجال بالإحصان؛ فكلا الطرفين مطالب بالإحصان (أي العفة).

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿مَتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾: الخدن: الصديق، ذكراً أو أنثى، يزني بها سراً، وهي تزني به باستمرار. ارجع إلى الآية (٢٤) من سورة النساء؛ لمزيد من البيان.

وتقديم المحصنات من المؤمنات على المحصنات الكتابيات؛ يدل على تفضيل الزواج بالمسلمات المؤمنات على المحصنات الكتابيات.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾:

﴿وَمَن﴾: شرطية.

﴿يَكْفُرُ بِالْإِيْنِ﴾: أي: يُحل ما حرم الله، أو يُحرم ما أحله الله، أو يكفر بشرائع الإسلام؛ أي: يجحد بها، وبالتوحيد، وبالشهادة، أو يؤمن ببعض، ويكفر ببعض.

﴿يَكْفُرُ﴾: يتجدد كفره، ويستمر، ولم يقل: من كفر.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد. قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿حِطَّ عَمَلُهُ﴾: بطل ثوابه، أو جزاء عمله.

﴿حِطَّ﴾: اشتتت من حبطت الماشية؛ أي: أصابها مرض الحبن؛ أي: انتفاخ البطن، ويظن أنها نمت، وزادت شحماً ولحماً، وإنما هي في الحقيقة مريضة ومتورمة، ثم تموت، وكذلك أعمال الكافر؛ يظن أنها أعمال ضخمة، وحسنة (كانتفاخ البطن في الماشية)، ولحمها تنتن، لا يباع، ولا يؤكل، ولا فائدة منه؛ كأعمال الكفرة.

وقد شبه الله عمل الكفار والمشركين في آيات أخرى بالسراب، والرماد الذي اشتدت به الريح، والهباء المنتور.

﴿وَهُوَ﴾: الواو: عاطفة، هو: ضمير منفصل، يفيد التوكيد.

﴿فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: الخاسرين لنفسه؛ لأنه أدخلها النار، وقد تعني: الخاسرين لأهلهم كذلك. ارجع إلى سورة الزمر، آية (١٥)؛ لمزيد من البيان.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٥

الجزء الثاني

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا
وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ
أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا
فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾
وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ
بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ
شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى
أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾



سورة المائدة [الآيات ٦ - ٩]

[٦] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء إلى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بتكليف جديد، استعمل فيها ياء النداء: للبعد، والهاء: للتنبيه.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية؛ تعني: حين، وتفيد حتمية الوقوع وكثرتة؛ يعني: القيام إلى الصلاة والوضوء.

﴿قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾: أردتم ونويتم القيام إلى الصلاة، وأنتم على غير وضوء.

﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾: غسل الوجه يشمل: غسل الجبهة، والذقن، وما بين الأذنين، والفاء: للترتيب، والتعقيب، والمباشرة.

﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾: يشمل غسل الكفين، والذراعين، والمرفقين.

﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾: الباء: باء الإلصاق، وتعني: اللصق، والمسح



برؤوسكم، أو قيل: الباء تعني: امسحوا جميع الرأس، من مقدم الرأس إلى الخلف، ومن الخلف إلى الإمام.

ومنهم من قال: الباء تعني: التبويض؛ أي: امسحوا بعض الرأس.

ومنهم من قال: الباء: للتوكيد، وغيرها من التفسيرات.

﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾:

﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾: قيل: معطوفة على أيديكم واللغة تسمح العطف على الأبعد أي: أيديكم؛ أي: اغسلوا أيديكم إلى المرافق، واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾:

﴿وَإِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال.

﴿كُنْتُمْ جُنُبًا﴾: بجماع، أو احتلام إنزال المنى، في نوم، أو يقظة.

﴿فَاطَّهَّرُوا﴾: أي: فاغتسلوا بالماء، ويسمى غسل الجنابة (التطهر يكون بالوضوء، وغسل الجنابة).

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ﴾: ويخاف الضرر، أو الأذى باستعمال الماء.

﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: مسافرين.

﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾:

﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾: كناية عن الجماع.

﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾: للوضوء، أو الغسل؛ فتيّموا.

﴿فَتَيْمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾:

﴿فَتَيْمَّمُوا صَعِيدًا﴾: الصعيد: وجه الأرض؛ أي: التراب. لماذا التراب؟ أو

الحكمة من التيمم بالتراب؟

فقد ثبت علمياً: أن التراب مادة معقمة تحوي على كثير من الكائنات الحية التي لها القدرة على إنتاج بعض المضادات الحيوية التي تعجز المضادات الحيوية المستعملة أن تقضي على مسببات الأمراض من الجراثيم، أو البكتيريا، أو الحُمَمَ الراشحة، وتعادل الماء في التطهير، وهناك من يعالج بالطين، فعلينا أن لا ننظر أن التيمم عملية رمزية معنوية، بل هي معجزة إلهية حقيقية.

﴿طَيِّبًا﴾: أي: طاهراً من النجاسة (تراباً طاهراً).

﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾: منه: تعود على الصعيد،

فيضرب بكفيه وجه الأرض (الصعيد الطيب)، فيمسح بهما وجهه، وكفيه، طاهراً وباطناً مرة واحدة.

وبعض المفسرين قالوا: منه: تعني: التراب وحده، وليس الحجارة، أو الرمل، أو الخشب، ومنهم من قالوا: منه تعني: ابتداء الغاية، وغيرها من الأقوال، فالوضوء فرضاً، ويعني: طهارة أربعة أعضاء: الوجه، واليدين إلى المرفقين، والرأس، والرجلين إلى الكعبين.

والتيمم: يعني: طهارة عضوين (الوجه واليدين).

والغسل: طهارة كل البدن. ارجع إلى الكتب الفقهية الأخرى؛ لمزيد من البيان، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤٣) في سورة النساء نجد في آية النساء حذف منها كلمة (منه) وهناك اختلاف بين الآيتين فأية المائدة جاءت عامة في



سياق الوضوء وفي سياق غير الجنب والجنب ذوي الأعذار، وأما آية النساء جاءت في سياق الجنب وذوي الأعذار فقط.

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَئِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

﴿مَا﴾: النافية.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ﴾: جاء بالفعل المضارع يريد، ولم يقل: أراد الله؛ ليدل على التجدد والتكرار في التيسير، ورفع الحرج، وتكرار الثواب والأجر، وإتمام النعمة، ولو قال: أراد الله؛ تعني: مرة واحدة، لا تتكرر.

﴿لِيَجْعَلَ﴾: اللام: لام التوكيد.

﴿عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾: الحرج: هو الضيق، والمشقة، وكلمة حرج؛ مشتقة من الحرج، وهي الشجر الملتف؛ الذي لا يمكن الدخول فيه، ولا الخروج منه.

﴿وَلَئِنْ﴾: حرف استدراك؛ يفيد التوكيد.

﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾: اللام: لام التوكيد. يطهركم: طهارة حسية، وكذلك معنوية، يطهركم من الذنوب والآثام ومن الشرك.

﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾: اللام: لام التوكيد، يتم نعمته عليكم: بالترخيص في التيمم، والواو في وليتم؛ تعني: إضافة إلى النعم الأخرى التي أنعمها الله عليكم، وبالثواب على ما شرعه لكم، وعلى طاعتكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لعل: تفيد التعليل. تشكرون: تؤدّون الشكر

الواجب عليكم، على هذه الرخص في العبادات، ولا تنسوا المنعم هو الله، والدوام على الشكر. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠)؛ لمزيد من البيان.

[٧] ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا^ط وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾:

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: نعمة الإسلام، والإيمان.

وتعني: النعم كلها، وفي هذا حثٌّ على الشكر.

﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾: وميثاقه: فيه عدة تفسيرات: واثقكم به؛ أي:

عاهدكم به.

١ - الميثاق الذي أخذه من بني آدم، حين أخرجهم من ظهر آدم (ميثاق الذر). كما جاء في الآية (١٧٢) من سورة الأعراف.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾.

٢ - ميثاقه؛ عندما دخلتم في الإسلام، وأعلنتم الشهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً ﷺ رسول الله.

٣ - وقيل: ما أخذ عليكم من عهود، ومواثيق على لسان رسوله ﷺ؛ بالوفاء، كما في الآية (١٠) من سورة الفتح: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.

﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: إذ: ظرفية زمانية؛ تعني: حين قلتم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: بايعتموه على السمع والطاعة، في السرَّاء والضَّرَّاء، وفي المنشط والمكروه.



﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: بامتنال أو امره وطاعته، فيما أمر به، وما نهى عنه، سواء لتتقوا سخطه، وغضبه، وناره.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿عَلَيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة آل عمران.

[٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

نداء للذين آمنوا بتكليف جديد، استعمل فيها ياء النداء: للبعد، والهاء: للتنبيه.

﴿كُونُوا قَوَّامِينَ﴾: قَوَّامِينَ لله: جمع قَوَّام، تدل على كثرة القيام؛ لأن قَوَّام صيغة مبالغة لقائم، ولم يقل: كونوا قائمين، بل قَوَّامِينَ.

﴿قَوَّامِينَ﴾: لله، بحقوقه، وواجباته، وطاعته، وبالإيفاء بالعقود، والعهود، والمواثيق، وما عاهدتم عليه الله، ورسوله ﷺ.

﴿لِلَّهِ﴾: لأجل مرضاة الله وحده، والإخلاص له، وليس لأجل السمعة والرياء.

﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾: شهداء: جمع شاهد، أو شهيد. شهداء بالقسط: تعني: الحكم بالعدل أولاً، وتنفيذ ذلك الحكم ثانياً وقدم قوامين لله على شهداء بالقسط؛ لأن الآية جاءت في سياق الوفاء بالعقود وشعائر الله والحل والحرام. ارجع إلى سورة النساء آية (١٣٥) للمقارنة؛ حيث قدم القسط على شهداء لله؛ لأن الآية جاءت في سياق العدل والقسط لليتامى والمستضعفين، والإصلاح بين الأزواج.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾: ارجع إلى الآية (٢) من نفس السورة للبيان.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ﴾: أي: لا يحملنكم شَنَاٰنُ قوم؛ أي: بغضكم الشديد لقوم: أن يحملكم ذلك على الجور والظلم، وعدم تحرّي العدل، واحترام العهود والمواثيق، وعدم الاعتداء على الآخرين؛ لأن المسلم يجب أن يكون قدوة للآخرين، مهما كانت عقيدتهم، وأن يكون عمله خالصاً لوجه الله تعالى.

والشَنَاٰنُ: هو البغض الذي يسبب العداوة.

ولا يحملنكم بغض قوم ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا﴾: على أن: حرف مصدري؛ يفيد التعليل والتوكيد، وإذا نظرنا في هذه نجد أنه أضاف (على) مقارنة بالآية (٢) حيث قال أن تعتدوا بدون (على)، وعلى: نفي المشقة والعلو والمقارنة تشير إلى أن الآية (٢) نزلت في صلح الحديبية حين صدوا رسول الله ﷺ والصحابة عنه العمرة وانتهى الأمر، أما الآية الثانية (٨) فهي عامة ومحكمة؛ أي: وهي الأمر بالعدل إلى يوم القيامة فهي أبلغ وأكد من الآية (٢).

﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾: اعدلوا في القريب والبعيد، والغني والفقير، والقوي والضعيف، ومهما كانت ملته.

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل، يفيد التوكيد والحصر.

﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾: أي: إقامة العدل والقسط يقربكم للتقوى؛ أي: أقرب إلى أن تكونوا من المتقين.

﴿أَعْدِلُوا﴾: هو تكرار لقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾: والتكرار يفيد التوكيد على أهمية العدل، وعدم الجور.



﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: تكرر، واتقوا الله: لا يدل على التكرار؛ لأن اتقوا الله في الآية (٧) جاءت في سياق إن الله عليم بذات الصدور نوايا الناس والآية (٨) اتقوا الله جاءت في سياق (بواطن الأمور).

﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿اللَّهُ خَبِيرٌ﴾: ببواطن الأمور وخفايا الصدور. خبير: بما تقومون به من عدل، أو جور.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: أي: تقولون وتفعلون.

وقدّم كلمة ﴿خَبِيرٌ﴾: على كلمة: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾؛ لأن السياق في الغيب، وخفايا الأمور، وليس أعمال العباد، ثم أوضح الله جزاء الفريقين: الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، والذين كفروا، أو كذبوا.

[٩] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾: الوعد غالباً يأتي في سياق الخير، والوعيد: في سياق الشر دائماً.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: قرن الإيمان بالعمل الصالح، فلا بُدَّ منهما، كلاهما معاً، فلا يقبل إيمان من دون عمل صالح، ولا عمل صالح من دون إيمان.

﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ﴾: لهم: اللام لام الاختصاص، المغفرة تعني: التجاوز عن الذنب، وإسقاط العقاب، والأجر العظيم أو الثواب هو الفوز بالجنة والنجاة من النار.

لنقارن هذه الآية من سورة المائدة، وهي: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، مع الآية (٢٩) من سورة الفتح: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾:

الآية (٩) من سورة المائدة: تتحدث عن المؤمنين عامة، ولذلك قال: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، بينما آية سورة الفتح: تتحدث عن الصحابة رضي الله عنهم، والذين كانوا مع رسول الله ﷺ في صلح الحديبية (في بيعة الرضوان)، ولذلك قال: ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي منهم (خاصة بأصحاب رسول الله ﷺ المخلصين)؛ لأن من أصحاب رسول الله ﷺ من لم يكن حاضراً للصلح، ومنهم منافقين أيضاً؛ فلذلك قال: ﴿مِنْهُمْ﴾: تميزاً، وتفضيلاً، ونصاً.





سُورَةُ التَّائِيَةِ ٥

سُورَةُ التَّائِيَةِ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي
إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ
إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ
وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ
ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا
نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا
ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَرَأُلْ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾



سورة المائدة [الآيات ١٠ - ١٣]

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿كَفَرُوا﴾: أي: ساءتروا على درب الكفر، والكفر: هو الستر، والجحود، وإنكار وجود واجب الوجود، والكفر يشمل: الكفر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٦)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: الكفر أعم من التكذيب، والكذب حالة جزئية من الكفر؛ أي: جحدوا بها، أو أنكروها.

﴿بِآيَاتِنَا﴾: آيات القرآن، والآيات الكونية، والمعجزات، أو البينات.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، ويعني: سوء منزلتهم.

﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: سمّوا أصحاب؛ لمصاحبتهم الجحيم، (وهي النار)، صحبة ناشئة عن كونهم لا يفارقونها، وهي لا تفارقهم؛ أي: صحبة دائمة، لا تنقطع.

وكلمة الجحيم؛ مأخوذة من الجحوم (من جحم)، ومعناها النار شديدة التأجج، والتي لا تخمد.



[١١] ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝﴾

نداء جديد للذين آمنوا، وتذكير لهم بنعمة خاصة، حصلت لهم.

أسباب النزول: القوم قيل: هم بنو النضير، همّوا بإلقاء رحي عظيمة من سطح أحد منازلهم على رسول الله ﷺ، عندما تأمروا على قتله، فجاء جبريل، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فانصرف ﷺ، وباءت مؤامرتهم بالفشل.

وهناك من قال: إن هؤلاء القوم هم بنو ثعلبة، وبنو محارب، حينما حاولوا قتل رسول الله ﷺ ببطن نخلة، حين قام ﷺ لصلاة العصر، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك.

وقيل: نزلت هذه الآية عندما حاول رجل من بني محارب قتل رسول الله ﷺ، وهو نائم تحت الشجرة، وفشل في ذلك، والعبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب.

﴿إِذْ﴾: ظرفية زمانية؛ بمعنى: حينئذٍ.

﴿هَمَّ﴾: الهم: هو حديث النفس؛ الذي يطرأ على فكر الإنسان، ولم يصل إلى درجة العزم.

﴿قَوْمٌ﴾: يعني: بنو النضير، أو بنو ثعلبة، أو بنو محارب، والقوم يعني: الرجال دون النساء أحياناً.

﴿أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: أن: للتوكيد، والبسط: هو مد اليد بالبطش، والفتك، أو الأذى.



﴿إِلَيْكُمْ﴾: ولم يقل: إليه ﷺ؛ لأنَّ بسط اليد لإيذاء رسول الله ﷺ، هو بسط اليد إلى المؤمنين كافة.

﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾: أي: منع أيديهم أن تصل إليكم (كناية عن عدم القتل)، وتشمل رسول الله ﷺ والصحابة.

وعصم رسول الله ﷺ، وعصمكم من الأذى والقتل، وهذه نعمة من نعمه عليكم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: ارجع إلى الآية (٢) من نفس السورة.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: تقديم الجار والمجرور: ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾: تفيد الحصر؛ أي: التوكل، لا يكون إلا على الله وحده؛ لأنه هو الوكيل؛ أي: الكفيل بالخلق القائم بأمورهم، والكافي. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لمزيد من البيان.

[١٢] ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾:

المناسبة في نزول هذه الآية: تذكير للمؤمنين بأن لا تكون عهودهم ومواثيقهم؛ كمواثيق بني إسرائيل، ويسيرون على سيرهم:



﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية. لقد: اللام: للتوكيد. قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: الميثاق: هو العهد المؤكد. ارجع إلى الآية (٨٣) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

بعد نجاة موسى، وبني إسرائيل من فرعون وجنوده ومن الغرق، أمر الله موسى بالسير إلى الأرض المقدسة، التي كان يسكنها الكنعانيون (القوم الجبارون).

وقبل التوجه لقتال الكنعانيين، أمر الله موسى بأن يختار (١٢) نقيباً من كل سبط، ويأخذ عليهم الميثاق، ووعدهم الله بأن يدخلوا الأرض المقدسة، وأخذ منهم الميثاق على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان بالرسول، والتعزير، والقرض الحسن.

ولكن هؤلاء النقباء حين دنوا من أرض كنعان، ورأوا القوم الجبارين، رفضوا القتال، ونقضوا الميثاق، وقالوا لموسى: ﴿فَأَذْهَبَ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾.

والنقيب: هو كبير القوم، القائم بأمورهم، ينقب عنها، ويرعاها؛ أي: المندوب عن قومه، والممثل لهم، مشتقة من التنقيب: وهو البحث عن مصالح القوم، وتحمل معنى: أنه لا يكتفي بظواهر الأمور، بل يكشف بواطن الأمور، ويعلم الكثير عن قومه.

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾: يتنقل الله سبحانه من التكلم بصيغة الغيبة إلى صيغة المخاطب؛ للفت أسماعهم، والاهتمام بما سيقول لهم.



﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾: بالعون، والنصرة؛ أي: ناصركم، ومعينكم، وحافظكم.
 ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾: اللام: للتوكيد، إن شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو
 الندرة؛ أي: إقامتها بفروضها، وأركانها، وشروطها.

﴿وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾: دفعتم زكاة أموالكم.
 ﴿وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾: أي: صدقتموهم بما جاؤوكم به من الوحي؛ أي:
 أطعتموهم.

﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: أنفقتم في سبيل مرضاته؛ أي: إضافة إلى
 الزكاة، والقرض الحسن. ارجع إلى الآية (٢٤٥) من سورة البقرة؛ لمعرفة معنى
 القرض الحسن.

﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ﴾:

أي: لئن أطعتم ما أمرتكم؛ لأنصركم على عدوكم.
 ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾: اللام: للتوكيد، والنون: لزيادة
 التوكيد.

﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ﴾: التكفير؛ يعني: الستر، والمحو.

﴿سَيِّئَاتِكُمْ﴾: الصغائر، والكبائر.

﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ﴾: اللام: للتوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي: تنبع من تحتها الأنهار.



﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾:

﴿فَمَنْ كَفَرَ﴾: الفاء: استئنافية، فمن كفر؛ أي: نقض الميثاق، وترك العمل بما فيه، ولم يطع الله فيما أمر ونهى عنه.

﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بعد الميثاق.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط. قد: للتوكيد، والتحقيق.

﴿ضَلَّ﴾: تاه، وأخطأ، وابتعد عن الحق والهدى.

﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: السواء: هو الوسط، ومن يمش في الوسط يصعب عليه أن يتيه ويضل.

﴿السَّبِيلِ﴾: الطريق السهل، الواضح، الموصل إلى الغاية، وهي رضوان الله تعالى وجنته، والنجاة من النار.

[١٣] ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿فِيمَا﴾: الفاء: استئنافية، الباء: سببية؛ أي: بسبب نقضهم الميثاق: ﴿لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾، وما: للتوكيد.

﴿نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ﴾: النقض ضد الإبرام، والنقض؛ يعني: عدم العمل بالميثاق؛ أي العمل بالتوراة.

والميثاق: هو العهد المؤكد، ورفضوا تطبيق بنوده، فماذا حل بهم؟

﴿لَعَنَهُمْ﴾: أبعدناهم، وطردناهم عن رحمة الله.

﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾: أي: صلبة قاسية؛ كالحجارة، والصلابة مذمومة حين تصيب القلوب؛ أي: لا تتأثر بموعظة، ولا تقبل الحق، ولذلك هم اعترفوا حين قالوا: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨].

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾:

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾:

التحريف: يكون بتغيير المعنى؛ أي: تحميل الألفاظ على غير ما وضعت له، والتحريف يكون بالتغيير، والتقديم، والتأخير، والزيادة، والنقص، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤١) في نفس السورة، وهي قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ نجد أن الآية (١٣) جاءت في سياق التحريف الأول الذي حدث من اليهود بعد موسى، وأما الآية (٤١) جاءت في سياق التحريف الثاني الذي حدث من اليهود في زمن رسول الله ﷺ.

﴿الْكَلِمَ﴾: جمع كلمة: وهو كلام الله تعالى في التوراة. ارجع إلى سورة النساء آية (٤٦) لمزيد من البيان في معنى الكلم.

﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: نسوا، من النسيان: وهو الترك عن عمد، وعدم الاهتمام بما هو مكتوب في التوراة، أو نسوا حظاً مما ذكروا به بسبب عدم قدرة عقولهم على استيعاب ما يوعظون به، وبسبب عدم الكتابة والنسخ،



ويختلف النسيان عن السهو؛ لأن النسيان يكون عما كان، والسهو يكون عما لم يكن.

﴿حَظًّا﴾: نصيباً جزءاً، ممّا ذكر وابه في التوراة، والحظ: يكون في المحبوب أو يستعمل في الخير أو الفضل، فكل ما جاء في التوراة كان خيراً.

﴿وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾: الخطاب إلى النبي ﷺ، وأمته؛ أي: لا تزال تظهر خيانة منهم لك وللمؤمنين، وخيانتهم لك ولغيرك لن تتوقف، سوف تتوالى، فهذا دأبهم.

﴿عَلَى خَائِنَةٍ﴾: خيانة، واختار كلمة خائنة؛ لأنها مستوعبة لكل مصادر الخيانة.

خائنة: إما اسم فاعل خائن، والتاء: للمبالغة؛ أي: شخص، أو أشخاص خائنين، أو تعني: طائفة خائنة، أو نفس خائنة، أو مصدر، وتقرأ بدلاً من خائنة: خيانة، فخائنة: تشمل كل تلك المعاني.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾: إلا: أداة استثناء؛ أي: هناك القليل منهم، لا تبدر منهم خيانة، ويلتزمون بمواثيقهم وعهودهم.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾: العفو: هو ترك العقوبة على الذنب.

﴿وَأَصْفَحْ﴾: الصفح: أبلغ من العفو، فالصفح: ترك العقوبة، وترك اللوم، والمن، وعدم التذكير بما حدث (ترك التثريب).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن

تراه؛ فهو يراك. ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان عن الإحسان.

والذي يعفو، ويصفح يصل إلى درجة الإحسان.

فهذه مراحل الترقى من العفو إلى الصفح إلى الإحسان.

لنقارن هذه الآية (١٣) من سورة المائدة، مع الآية (٤١) من السورة نفسها:

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

وقال في الآية (٤١) من سورة المائدة: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾:

ما هو الفرق: لنعلم أن هناك تحريفين للتوراة: الأول: حدث بعد نزول التوراة، وهي قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾: قام به اليهود الأوائل من بعد موت موسى، وتحريف ثانٍ: حدث في زمن الرسول ﷺ، وهو يمثل قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾.





سُورَةُ الْمَائِدَةِ

الجزء الثاني

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ
فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ
قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا
كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ
كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ
سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ
ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ
أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

سورة المائدة [الآيات ١٤ - ١٧]

[١٤] ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾:

بعد أن ذكر كيف نقض اليهود ميثاقهم، وماذا كانت عاقبة أمرهم.

يذكر الآن النصارى، وميثاقهم، وماذا كانت عاقبة أمرهم.

﴿وَمِنَ﴾: ابتدائية.

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾: نسبة إلى قرية الناصرة في فلسطين، كان عيسى ينزلها.

﴿أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ﴾: ميثاقهم: الإيمان بالله، والرسول، وطاعة الله، فيما أمر، والتوحيد، والعمل بما أمر الله على لسان عيسى .

﴿فَنَسُوا﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب، والمباشرة.

﴿فَنَسُوا حَظًّا﴾: عمداً، ارجع للآية السابقة (١٣)؛ لبيان معنى الآية.

مما ذكروا به في الإنجيل، ومن الإيمان، وتركوا العمل به، ونقضوا العهد، ومما ذكروا به: هو اتباع محمد ﷺ.

﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾:



﴿فَاغْرَيْنَا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

﴿فَاغْرَيْنَا﴾: أصلها من الغراء: وهو المادة الصمغية المستعملة للصق الخشب على بعضه. والإغراء هنا يعني: الحث على فعل ما، وتحسينه في نظر الذي يراد إغراؤه واستخدم أغرينا ليدلنا على عظم العداوة والبغضاء التي انتشرت بينهم.

﴿بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾: أي: أوقعنا بين طوائف، وفرق النصارى العداوة والبغضاء، بسبب اعتقاداتهم الفاسدة؛ مثل: كون عيسى إلهاً، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة، وتحريفهم الإنجيل، وكفرهم بمحمد ﷺ وبالقرآن، فأصبحت كل فرقة منهم تكفر الأخرى، وتعادي الأخرى.

﴿وَسَوْفَ﴾: سوف للتراخي، والاستقبال؛ أي: في الآخرة.

﴿يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾: ينبئهم في الآخرة، بما: الباء: للإلصاق.

﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾: في الدنيا، واختار كلمة ﴿يَصْنَعُونَ﴾: بدلاً من يعملون، أو يفعلون؛ لأنهم امتازوا بصناعة التحريف، والنسيان، والكتم، وأصبحوا ذوي خبرة، وترك ما أمروا بالعمل به؛ فتحول من فعل عادي إلى صناعة (تعني: الجودة، في التحريف والكتم).

هذه الآية (١٤) لا بُدَّ من مقارنتها بآية أخرى، وهي الآية رقم (٦٤) من نفس السورة، وهي قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدْعِي اللَّهُ مَغْلُوبَةً عَلَيْنَا أَدْبَاهُمْ وَلُعُوبًا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفْقِ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا أَلَيْسَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾.

فمع النصارى استعمل كلمة: ﴿فَأَعَرَيْنَا﴾، ومع اليهود استعمل كلمة ﴿وَأَلَقَيْنَا﴾: ﴿فَأَعَرَيْنَا﴾: أشد قوة وتأكيذاً من ﴿وَأَلَقَيْنَا﴾.

أي: أغرينا بين طوائف و فرق النصارى العداوة والبغضاء؛ أي: جعلنا عداوتهم وبغض بعضهم لبعض أشد بكثير مما جعلناه بين فرق وطوائف اليهود؛ والسبب في ذلك: أن الحروب، والخلافات بين طوائف النصارى أشد من الخلافات والحروب بين طوائف اليهود، وكلاهما اختلفوا وتفرقوا من بعد ما جاءتهم البينات؛ والسبب في ذلك اعتقاد النصارى أن عيسى إلهاً، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة وغيرها، هي اعتقادات باطلة وفاسدة، إضافة إلى تحريفهم الإنجيل، وأما اليهود؛ وإن كانوا قد حرفوا التوراة مرتين، لكن اعتقاداتهم لا ترقى إلى اعتقادات النصارى من جهة الوجدانية.

[١٥] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: (نداء إلى اليهود والنصارى)، نداء مباشر، والياء: للبعد، وهذا النداء أفضل من النداء بالذين أوتوا الكتاب أو أوتوا نصيباً من الكتاب.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾: محمد ﷺ، وقوله: ﴿رَسُولُنَا﴾: هنا؛ للترفيف، والتعظيم.

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾: يُبَيِّنُ؛ أي: يُظهر الكتاب؛ أي: التوراة والإنجيل، وما كنتم تخفون في صفات ونعت



محمد ﷺ، وبعض الأحكام؛ مثلك آية الرجم، وذكر وصفة الرسول ﷺ، وقصة أصحاب السبب، وأخذهم الربا، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وبشارة عيسى بمجيء محمد ﷺ كما في الآية (٦) في سورة الصف وهي قوله تعالى على لسان عيسى: ﴿وَبَشِّرِ رَسُولَ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾.

﴿وَيَعْقُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾: أي: يُعرض، ولا يذكر الكثير ممّا تكتُمونه.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾:

﴿نُورٌ﴾: محمد ﷺ، أو الإسلام، أو المنهج، أو الإيمان.

﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾: القرآن الكريم، مبين ظاهر، ومظهر لنفسه، يُبين

لكم الحق من الباطل، ظاهر لكل إنسان يقرؤه.

[١٦] ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾:

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾: بالقرآن.

﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾: من: اسم موصول للعاقل؛ بمعنى: الذي اتبع

رضوانه (أي: شرعه ودينه).

أي: يهدي بالقرآن أي إنسان يريد الحصول على رضا الله، بأن يتبع سبل

السلام؛ أي: الطرق المؤدية للنجاة من النار.

﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾: سُبُل: جمع سبيل، سُبُلُ السلام؛ أي: السبل المؤدية

إلى السلامة والنجاة من عذاب الله، طرق الخير، وطرق العبادة، والذكر،

والتقرب من الله تعالى.

وسبل السلام متعددة: مع الله، ومع النفس، ومع الجماعة، ومع العالم،

ومع الكون، ويقابلها: سبل الضلال. ارجع إلى سورة الأنعام، آية (١٥٣)، وسورة يوسف، آية (١٠٨)؛ لمزيد من البيان؛ لمعرفة الفرق بين سبل السلام، وأن هذا صراطي مستقيماً، قل هذه سبيلي.

﴿وَيُخْرِجُهُمْ﴾: إما أن تعود على الله، أو على رسوله، أو على القرآن، أو على الكل.

﴿وَيُخْرِجُهُمْ﴾: أي: المتبعين رضوان الله.

﴿مَنْ أَظْلَمَ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾: من ظلمات الكفر، والشرك، والجهل، والشك، إلى نور الإيمان بإذنه، فالظلمات متعددة، والنور واحد.

﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾: ويهديهم تعود على الله، أو الرسول، أو القرآن، أو الكل معاً.

﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: الدين القيم: وهو الإسلام (دين الحق)، والصراط المستقيم: هو أسهل، وأقصر، وأسرع، وأوسع السبل المؤدية إلى الغاية.

[١٧] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق (للتوكيد).

﴿كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾:

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾: قيل: هم فرقة من فرق



النصارى؛ تسمّى اليعقوبية، وساد مذهبهم هذا بعدئذٍ بين جميع المسيحيين، وهو: أن الله سبحانه هو المسيح ابن مريم.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد. ﴿اللَّهُ﴾: ، ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل، يفيد الحصر، والتوكيد.

﴿الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾: ارجع إلى الآية (٤٥) من سورة آل عمران. ﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: للتوكيد، من: استفهامية؛ تفيد الإنكار، والتوبيخ. ﴿يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: من: استغراقية.

﴿شَيْئًا﴾: نكرة؛ للتهويل، والشيء: هو أقل القليل؛ أي شيء مهما كان نوعه، وشكله، وحجمه.

﴿يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: أي: يدفع، ويمنع من عذاب الله شيئاً، إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم عليهما السلام، وجواب الاستفهام: لا أحد يملك ذلك.

﴿وَأَمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: استغراقية.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد.

واستعمل ﴿أَرَادَ أَنْ﴾: أن: شرطية؛ تفيد الاحتمال والندرة.

﴿أَرَادَ﴾: ولم يقل: يريد؛ لأن الإهلاك لا يحصل إلا مرة واحدة.

وفي هذه الآية: دليل على أن عيسى ليس إلهاً، ولا ابن إله، ولا ثالث ثلاثة.

وفي هذه الآية: إنذار لمن قالوا: إن الله هو المسيح عيسى ابن مريم.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

فالألوهية إذن لمن!! الجواب: لمن له ملك السموات والأرض، وما بينهما؛ أي: المُلْك والحكم، حصر الله وحده، وتقديم ﴿وَلِلَّهِ﴾: الجار والمجرور ولفظ الجلالة: يفيد الحصر.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾: قادر أن يخلق آدم من تراب، وعيسى من أم، وحواء من آدم، وأنتم من أب وأم، فإذا أراد شيئاً: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾. يخلق من الخلق، وهو الإيجاد من لا شيء، أو من شيء، والخلق هو التقدير.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر، يعود على الله سبحانه وحده، وقادر على عقاب العاصي، وثواب المطيع، وقادر على نصر نبيه، ودينه، وإعلاء كلمته. ارجع إلى سورة البقرة؛ آية (٢٠)؛ لمزيد من البيان.

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾: وقارناً هذه بقوله تعالى في سورة الفتح، الآية (١١): ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، أضاف كلمة: ﴿لَكُمْ﴾.

﴿لَكُمْ﴾: تعني: هؤلاء المذكورين خصوصاً وليس غيرهم؛ أي: الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ حين دعاهم للخروج إلى العمرة، وحدث صلح الحديبية.

وفي هذه الآية من سورة المائدة، لم يضاف: ﴿لَكُمْ﴾؛ لأن الخطاب عام لكل الناس، وليس إلى فئة خاصة معينة.





سُورَةُ التَّوْبَةِ

الْبَيْتِ السَّابِعِ

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوْهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَتَأَهَّلُ لِكِتَابٍ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ ادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَتَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدَخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُم غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

سورة المائدة [الآيات ١٨ - ٢٣]

[١٨] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ ۖ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۖ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝﴾

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ ۖ﴾

قالوا ذلك افتراء، أو ظننا أنهم أبناء ذرية إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام؛ أي: أنهم أبناء الرسل، وقيل: إنهم وجدوا في التوراة آية يا أبناء أحمباري، فظنوا أو ادعوا أنهم بذلك أصبحوا أبناء الله، وأحبائه، أو حين ظنوا ظن الباطل: أن المسيح ابن الله، قالوا: معنا ابن الله، فنحن أبناء الله؛ أي: هو كالأب لنا في الحنو والعطف، أو نحن أشياع وأتباع ابني الله، المسيح وعزير، فرد الله عليهم عن طريق نبيه، وليس مباشرة.

قل لهم يا محمد: إذا كان الأمر كما زعمتم أنكم أبناء الله وأعزته، فلم يعذبكم الله بذنوبكم؟! لأن الأب لا يعذب ابنه، والحييب لا يعذب حبيبه، فلستم أبناء الله، ولا أحبائه.

﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۖ﴾: من جملة ما خلق، أو من عامة خلقه.

﴿بَلْ ۖ﴾: للإضراب الإبطالي، ﴿أَنْتُمْ ۖ﴾: للتوكيد.

﴿أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۖ﴾: فلو صحَّ أنكم أبناء الله؛ لما عصيتموه، ولما عاقبكم، بل أنتم بشر: أي: خلقاً ممن خلق، وبشر قد تأتي للمفرد أو الجمع كقوله تعالى في سورة القمر آية (٢٤): ﴿أَبْشَرًا مَّا وَحِدًا نَّتَّبِعُهُ ۖ﴾.

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝﴾



﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾: لمن يستحق المغفرة، وهم أهل الطاعة.

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾: من يستحق العذاب، وهم العصاة، ومن يفترون على الله الكذب، أو يكفرون بالله تعالى.

وقدّم المغفرة على العذاب في هذه الآية، وكما هو الحال في جميع القرآن، إلا في آيتين اثنتين فقط، قدّم العذاب على المغفرة، وهما الآية: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ من سورة المائدة، الآية (٣٨)، وجاءت في سياق التحذير من السرقة، والآية (٢١) من سورة العنكبوت في قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾؛ التي جاءت في سياق الإنذار، إنذار إبراهيم لأبيه وقومه على عبادة الأصنام، والشرك بالله، وهي أمور توجب العذاب؛ فقدّم العذاب أولاً، وأخر المغفرة.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾: إليه المنتهى والعودة، وحسراً وقصراً، لا إلى أحد غيره للمحاسبة والجزاء، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

[١٩] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: نداء مباشر إلى أهل الكتاب (أهل التوراة، والإنجيل، و(يا): للبعد. ارجع إلى الآية (١٥) في نفس السورة للبيان، وهذه الآية ليست تكرار للآية (١٥) لكل منهما سياق مختلف عن الأخرى انظر في الشرح.

﴿قَدْ﴾: للتحقيق.

﴿جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾: أي: محمد ﷺ، وقوله: رسولنا: للتشريف، والتعظيم.

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾: يُبَيِّنُ: يُظْهِرُ لَكُمْ على حين فترة من إرسال الرسل.

الفترة: هي من فتر الشيء: سكنت حدثه؛ أي: السكون والفتور؛ يعني: الضعف؛ أي: انقطاع من الوحي، وهي الفترة ما بين عيسى، ومجيء الرسول محمد ﷺ حوالي (٥٦٩ عام).

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾: كثيراً من الشرائع التي أنزلت إليكم، ويظهر لكم ما أنزل إليكم من ربكم، وما تحتاجون إليه من أمور العقيدة والتوحيد.

وقيل: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، والقرن مئة سنة، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون، وبين إبراهيم وموسى عشرة قرون، وبين موسى وعيسى (١٧٠٠ سنة)، وبين عيسى ومحمد ﷺ حوالي (٥٦٩ سنة) خمسة إلى ستة قرون.

﴿أَنْ تَقُولُوا﴾: أن: مصدرية للتعليل؛ تعني: لكيلا تقولوا.

﴿مَا جَاءَنَا﴾: ما: النافية. جاءنا: أتانا من بشير.

﴿مِنْ﴾: الاستغرافية.

﴿وَلَا نَذِيرٌ﴾: أي: ما جاءنا أحد من جنس الرسل.

﴿بَشِيرٍ﴾: الذي يجيء بأخبار سارة، أو بما يسر، ولأول مرة.

﴿نَذِيرٍ﴾: من الإنذار، وهو الإعلام مع التخويف والتحذير. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٩)؛ لمزيد من البيان.

﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد. قد: للتحقيق، وزيادة التوكيد.

﴿جَاءَكُمْ﴾: المجيء عادةً يكون بمشقة، وتعب، والمجيء؛ يعني: وصل إليكم رسولنا محمد ﷺ.

﴿بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾: البشير والنذير معاً؛ فقد أرسل إلى الثقلين بشيراً ونذيراً.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: لا يعجزه شيء في السموات، ولا في الأرض. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٠)؛ للبيان.



[٢٠] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أي: (واذكر إذ قال موسى لقومه)، أو (اذكر حين قال موسى لقومه).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾: هم بنو إسرائيل، بعد نجاتهم من فرعون، وجنوده، وقلق البحر.

﴿يَنْقُومِ﴾: يا: النداء، فيه نوع من التحبب واللين، وأبلغ وأفضل من القول لقومه اذكروا نعمة الله عليكم بدون يا قوم.

﴿أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: اسم جنس، وتعني: النعم الكثيرة؛ اذكروا النعم الكثيرة، التي أنعمها الله عليكم.

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي.

﴿جَعَلَ فِيكُمْ﴾: أي: بعث فيكم.

﴿أَنْبِيَاءَ﴾: فيكم: ظرفية زمانية؛ أي: الماضي، والحاضر.

﴿فِيكُمْ﴾: أنبياء من لدن إبراهيم إلى زمن موسى وهارون؛ أي: أصبح من ذرية إبراهيم وإسرائيل أنبياء.

﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾: أحراراً بعد أن كنتم عبيداً، مملوكين، مستعبدين من فرعون وملئه؛ أي: كالمملوك في التمكين، ورغد العيش، والحرية، والأمان، أو مملوكاً في حرية التصرف بأنفسكم كما تشاؤون.

﴿وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾: أي: عالمي زمانهم؛ من النعم مثل المن، والسلوى، وقلق البحر، وغيرها.

[٢١] ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾:

﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: جاء هذا الأمر الإلهي بدخول الأرض المقدسة، بعد نزول التوراة على موسى، وعبادتهم العجل، ورفع الطور.

﴿الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾: الأرض المباركة المطهرة، قيل: هي بيت المقدس، أرض الشام، وفلسطين، والأردن.

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: أي: فرض الله عليكم دخولها.

﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: فسرت هذه الكتابة:

كتابة مؤقتة، كتابة موقوتة بزمان محدد، حينما كانوا مؤمنين؛ فإن الله قد كتب لهم الأرض المقدسة؛ لكنها ليست كتابة دائمة حتى قيام الساعة، وإنما كتابة موقوتة، كتبها لهم عندما كانوا مؤمنين موحددين، وكان غيرهم في ذلك الزمن كافرين ووثنيين، ولكنهم حينما ارتكبوا المعاصي، وغضب الله عليهم، ولعنهم؛ فقد فقدوا حق تملك تلك الأرض المقدسة.

أو كتبها كتابة تشريعية؛ أي: أن يكون للمريد أو المدعو اختيار في أن يفعل أو لا يفعل؛ أي: يدخلها فينال الثواب والأجر، أو لا يدخلها؛ فيعاقب على ذلك. أو كتابة كونية؛ أي: إن الدخول لا اختيار فيه، أو إرادة، يجب أن يحدث رغم أنف الإنسان.

ویرْجَح أنها كتابة تشريعية؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾؛ أي: لهم الخيار بالدخول، أو الارتداد، وعدم الدخول.

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾: تتراجعون، أو تنهزمون، ولا ترجعوا عن أمر الله إلى معصيته.

﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾: في دنياكم وآخرتكم.



[٢٢] ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾: الكنعانيون: (جبارين): جمع جبار، والجبار: الرجل القوي، عظيم الجسم، الذي يُجبر ويكره الناس؛ لقوته، وقهره لهم (رجل عملاق).

﴿وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا﴾: لن: لنفي المستقبل القريب والبعيد، نفوا دخولها نفيًا مؤقتًا؛ حتى يخرج منها القوم الجبارون.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية، نهاية الغاية.

﴿فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾: الفاء: للتوكيد، إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال والندرة.

﴿فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾: الفاء: للتوكيد، والتعقيب مباشرة.

داخلون: جملة اسمية تدل على الثبوت، وعلى شرط أن يخرج منها القوم الجبارين.

[٢٣] ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِنَّ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾: أغلب الروايات ترجح أنهما: يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف، وكالب بن يوقنه، وهو من سبط يهوذا، وقيل: كانا ابني يوسف، وقيل: هما من القوم الجبارين، أسلما مع بني إسرائيل.

﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾: يخافون الله وحده، يخافون معصية الله، ومخالفة أمره تعالى، قيل: يخافون الجبارين، ولم يمنعهم خوفهم من قول الحق.

﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾: وقيل: بالإسلام، أو الصلاح، والفضل، واليقين؛ بالخوف من الله، وبنعمة الإيمان، والصدق.

﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾: لاحظ تقديم الجار والمجرور ﴿عَلَيْهِمْ﴾، بدلاً من قولهم: ادخلوا الباب عليهم؛ لأن الدخول على القوم الجبارين أهم من دخول الباب؛ فالباب ليس له أهمية، بينما المهم هو ملاقة القوم الجبارين.

﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾: الفاء: للترتيب المباشر، إذا: ظرفية، ظرف زمني، متضمنة معنى الشرط؛ تفيد الحتمية.

﴿فَإِنَّكُمْ﴾: الفاء: للتوكيد، والتعقيب؛ أي: ما دام الله قد كتب عليكم الدخول؛ فهو سوف يكون عوناً لكم؛ إذ لا يطلب منكم إلا الجهاد، وبالرعب قد ينصركم؛ لأن الله منجز وعده.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾: تقدّم الجار والمجرور، ولفظ الجلالة: يدل على الحصر؛ أي: على الله وحده، ولا غيره.

﴿فَتَوَكَّلُوا﴾: الفاء: عاطفة؛ تفيد التوكيد.

بعد تقديم الأسباب المطلوبة منكم؛ لأن الله سبحانه قد جعل لكل شيء سبباً.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: إن: شرطية.

أين جواب الشرط؟ جواب الشرط: محذوف؛ دلّ عليه ما قبله، وهو قوله: فتوكلوا على الله.

فيصبح تقديرها: أي: إن كنتم مؤمنين؛ فتوكلوا على الله. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لمزيد من البيان في التوكل.





سُورَةُ التَّوْبَةِ

الجزء الثاني

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَادَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ
 أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ
 إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ
 الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
 يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
 ﴿٢٦﴾ * وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا
 فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ
 قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ
 لَتَفْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
 رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمَكَ فَتَكُونَ
 مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ
 لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾
 فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي
 سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوَيَّلَتِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا
 الْغُرَابِ فَأُورِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾

الجزء
١٢



سورة المائدة [الآيات ٢٤ - ٣١]

[٢٤] ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ لَنَا نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: بنو إسرائيل.

﴿لَنَا نَدْخُلَهَا أَبَدًا﴾: لن: حرف نفي للاستقبال القريب والبعيد.

﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمان للتوكيد، وللنفي بعدم دخولها، ما داموا فيها.

﴿مَا﴾: حرف مصدري.

﴿مَا دَامُوا فِيهَا﴾: مقيمين؛ أي: القوم الجبارين.

﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾: الواو: عاطفة، تدل على التعقيب والمباشرة.

﴿أَنْتَ﴾: ضمير منفصل للتوكيد.

﴿وَرَبُّكَ فَقَتِلَا﴾: لم يقولوا: (ربنا)، بل قالوا: ﴿وَرَبُّكَ﴾: وهذا يدل

على مدى استهانتهم بالله تعالى ورسوله، وجهلهم، وقلة احترامهم، وعدم المبالاة، بل الاستهزاء، وليس هذا بغريب أن يصدر مثل هذا عن أفواههم؛ فقد قالوا من قبل: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، وعبدوا العجل، وسألوا رؤية الله سبحانه جهرة.

﴿إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾: قاعدون: جمع قاعد، وقاعد تجمع على قعود،

والفرق بينهما؛ قاعدون: تدل على الحدث، وقعود: تدل على الاسم مثل كافرون،



وكفار، وقولهم قاعدون يدل على مدى جنهم، وخورهم، وحبهم للدنيا، ويدل على تمردهم، وعصيانهم لأوامر الله ورسوله.

﴿إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾: نتظركم، ولن نبرح هذا المكان بانتظار النتيجة.
[٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾:

قال موسى: ﴿إِنِّي﴾: إني: أكثر تأكيداً من (أنا) بالنون المشددة.
﴿لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾: لا: النافية للحال، ﴿أَمْلِكُ إِلَّا﴾: إلا: أداة حصر، ﴿نَفْسِي وَأَخِي﴾: أي: هارون، وقد تعني: لا أملك إلا نفسي، وأخي لا يملك إلا نفسه؛ أي: ليسا بقادرين على سؤال أحد آخر لنصرتنا.

في هذه الآية معنى الأسى، والحزن؛ لعدم استجابة قومه له بالدخول.
وفيها معنى الاعتذار.

﴿فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾: أي: احكم، أو افصل، أو افض بيننا وبين هؤلاء الفاسقين؛ أي: الخارجين عن الطاعة، والإيمان، وكأنه يقول: إني بريء من هؤلاء القوم الفاسقين الذين عصوا أمرك.

[٢٦] ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾:

قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا﴾: أي: الأرض المقدسة.

﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾: لا يدخلونها، هذا هو الحكم الأول.

والحكم الثاني هو: ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: فلان تاه؛ أي: سار على غير هدى، لا يعرف لنفسه مدخلاً ولا مخرجاً.

أي: محرمة عليهم (٤٠ سنة) لا يدخلونها، وخلال ذلك الزمن (٤٠ سنة) يتيهون في الأرض، وقيل: تاهوا (٤٠ سنة)، يصبحون حيث أمسوا، ويمسون حيث أصبحوا، وبعد (٤٠ سنة) دخلوها على يد يوشع بن نون، وإذا وقف القارئ عند كلمة: ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ وبدأ ب: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: عندها تعني: ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾: إلى الأبد، والتهيه يكون أربعين سنة.

﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾:

﴿فَلَا تَأْسَ﴾: لا: الناهية. ﴿تَأْسَ﴾: من الأسى: هو أشد ألم من الحزن؛ أي: حزن شديد، يخالطه جذع، وأطول فترة من الحزن، بينما الحزن أقل ألم من الأسى، ومؤقت.

لماذا قال تبارك وتعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾:

يبدو أن موسى شعر بالأسى والحزن، فدعا على بني إسرائيل، بعد أن أعلنوا عصيانهم وتمردهم على الدخول، ولم يدع لهم بالهداية، أو لم يمهلهم ربهم زمناً أطول للدخول؛ فجاءت الاستجابة مباشرة بقوله: ﴿فَإِنَّهَا﴾: الفاء: للتعقيب والسرعة، وتشبه حالتهم في التيه؛ كحالة السجين، وكما لا بُدَّ للسجين من أن يُطعم ويُسقى؛ فقد أمدهم الله بالطعام باليمن والسلوى، وفجر لهم الحجر اثنتي عشرة عيناً: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠].



[٢٧] ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَا قُتِلْتُمْ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾:

المناسبة: بعد ذكر عصيان بني إسرائيل بعدم دخول الأرض المقدسة، على لسان موسى، ونقضهم المواثيق يأتي مثل آخر؛ عصيان ابن آدم لأمر الله بالزواج من أخته من الحمل الآخر، على لسان آدم، وقتله لأخيه، فيقول تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ﴾، واتل؛ أي: اقرأ، كلمة بعد كلمة، بالترتيب والتتابع، والتلاوة لا تكون إلا من كتاب الله، ولها أجر الحرف بعشر حسنات.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: يا محمد، على قومك.

﴿نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ﴾: النبأ: هو الخبر العظيم، أو الخبر المهم، وهو أخص من الخبر؛ أي: الخبر أعم من النبأ، والنبأ فيه فائدة للمستمع.

﴿ابْنَيْ آدَمَ﴾: قابيل وهابيل.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء: باء الإلصاق، بالحق: والحق: هو الشيء الثابت، الذي لا يتغير، فكل شيء منزل من عند الله تبارك وتعالى هو الحق، والله هو الحق؛ أي: منزل من الحق؛ أي: بالصدق، لا تغيير فيه، ولا تبديل؛ لأن هناك أنباء غير صادقة تصدر من البشر فيها شك، وليست حقاً، وطالما هناك حق، هناك غير حق؛ أي: باطل.

ما هو النبأ؟ أوحى الله إلى آدم أن يزوج كل واحد من أولاده توءمة الآخر؛ فرفض قابيل الزواج من الأنثى من البطن الثاني؛ حيث كانت حواء تلد ذكراً وأنثى في كل حمل، فقال لهما آدم: قُرْبًا قُرْبَانًا، فمن أيكما تُقبل؛ تزوجها، ففعلاً ذلك،

فَتَقَبَّلَ قَرْبَانَ هَابِيلَ؛ فَازْدَادَ قَابِيلُ حَسِداً وَسَخَطاً، فَانْتَهَى الْأَمْرُ بِأَنْ قَتَلَ أَخَاهُ هَابِيلَ.

ارجع إلى الآية (١٨٣) من سورة آل عمران؛ لبيان معنى القربان.

﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾: بمعنى حينما قربا قرباناً، أو اذكر إذ قربا قرباناً.

والقربان: هو ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى، على وزن فعلان.

قيل: إن قربان هابيل كان من أجود غنمه (إذ كان صاحب غنم).

وقربان قابيل حزمة من سنبل، ومن أردأ زرعه (إذ كان صاحب زرع).

فَتَقَبَّلَ قَرْبَانَ هَابِيلَ، قيل: نزلت ناراً فأكلته، أو رفع إلى السماء، وأما قربان

قابيل؛ فبقي مكانه، ولم يُتَقَبَّل. فقال: قابيل لهابيل؛ لأقتلنك.

﴿قَالَ لَا قُتِلْتَنَّا﴾: تهديد من قابيل لأخيه بالقتل، والتأكيد جاء في اللام،

وكذلك بزيادة النون، النون الثقيلة في كلمة: أقتلنك، بدلاً من قتلنك.

قال هابيل: إنما: كافة ومكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾: جواباً على قوله: ﴿لَا قُتِلْتَنَّا﴾.

عزا تقوى الله سبحانه كونها هي السبب في تقبل القربان، فأيهما أتقى؛

يُتَقَبَّلُ منه.

[٢٨] ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ

الْعَالَمِينَ﴾:

﴿لَئِنْ﴾: اللام: لام التوكيد، إن: شرطية؛ تفيد معنى الاحتمال، أو الندرة.



﴿بَسَطَ﴾: أي: مددت إليّ يدك لتقتلني، بسط اليد بالسوء، وبسطت: جملة فعلية تدل على التجدد والتكرار.

﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ﴾: ما: النافية. بباسط: الباء: للإلصاق، والتوكيد، وما أنا بباسط: جملة اسمية تدل على الثبوت؛ أي: لن أحاول قتلك مهما فعلت بي؛ لأنني أخاف الله رب العالمين.

﴿يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾: يد واحدة.

انتبه إلى بسط إليّ؛ تعني: بالشر، أما بسط له؛ فتعني: الخير، أو النفع، وعلل عدم الرد على أخيه بالسوء: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿إِنِّي﴾: إن: للتوكيد.

﴿أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾: أضاف كلمة الله إلى الرب؛ للترهيب، وعدم ارتكاب جريمة القتل، أو تدل عظمة الخوف، والرهبة المستقرة في قلبه، وكان بإمكانه الرد عليه قوة بقوة، فيقول: لا أريد أن أقتلك.

[٢٩] ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿إِنِّي﴾: النون: للتوكيد.

﴿تَبُوءَ﴾: ترجع يوم القيامة حاملاً إثمين: إثمي، وإثمك. ارجع إلى سورة يونس، آية (٨٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿بِإِثْمِي﴾: أي: إثم قتلك إياي، أو (إثم قتلي).

﴿وَإِثْمَكَ﴾: إثم معاصيك في الدنيا غير القتل، والإثم: هو فعل الحرام؛ أي: القتل، وحده القصاص. ارجع إلى سورة النساء، آية (٩٢-٩٣)؛ لمزيد من البيان.

أو الإثم الأول: رفضك قبول الحكم، بما أمر الله سبحانه.

والإثم الثاني: هو قتلك إياي؛ أي: جريمة القتل.

﴿فَتَكُونَنَّ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾: أصحاب: الملازمون للنار، لا يفارقونها، وهي لا تفارقهم.

﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾: الواو: للتأكيد، وذلك: اسم إشارة، واللام: للبعد، وتشير إلى كونهم من أصحاب النار.

﴿جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾: دخول النار: هو جزاء الظالمين.

ويتبين من هذه الآيات: أن هابيل حذر قابيل بثلاث مواعظ:

الخوف من الله، وبأنه سيحمل إثمين: إثم قتله، وإثم نفسه، وأنه سيكون من أصحاب النار، ومن الظالمين.

[٣٠] ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾:

﴿فَطَوَّعَتْ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة. فطوعت: تشجعت نفسه، أو زينت له نفسه أخيراً على قتل أخيه، فكل نفس لها ملكتان: ملكة الخير، وملكة الشر، وملكة الشر: خاضعة لوسوسة الشيطان والهوى؛ فطوعت: يدل على تردد طويل واستعداد نفسي، ثم الإقدام على القتل؛ تردد في نفس قابيل على قتل هابيل بين دافع الحسد من أخيه ودافع الخوف.



فحينما تتغلب ملكة الشر على ملكة الخير يحدث الإثم.

﴿فَقُلْهُ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، وعدم التردد. وقيل: كانت هذه أول جريمة قتل تحدث على الأرض.

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: الفاء: للتوكيد أصبح قابيل من الخاسرين في الدنيا والآخرة؛ أي: الخاسرين لأنفسهم؛ بإدخالها النار وإهلاكها.

[٣١] ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ، كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُنَوِّلَتِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِيَ سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾:

بعد أن قتل أخاه، لم يدر ما يصنع به، فحمله على ظهره؛ كما قيل زمناً.

﴿فَبَعَثَ﴾: أي: أرسل غراباً، وهناك فرق بين بعث وأرسل؛ البعث: تنبيه وإثارة. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩) لمزيد من البيان.

﴿يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾: ينبش الأرض، ويحفرها بمنقاره ورجليه؛ ليدفن؛ أي: ليوارى غراباً آخر كان قد قتله.

﴿لِيُرِيَهُ﴾: ليعلمه كيف يوارى: يستر ويخفي.

﴿سَوْءَ أَخِيهِ﴾: جثة أخيه، والسوءة: ما يسوء ظهوره؛ أي: جثة أخيه، والسوءة عادة هي القبل والدبر، أمّا العورة: فهي ما بين السرّة والركبة.

﴿قَالَ يُنَوِّلَتِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾:

﴿قَالَ يُنَوِّلَتِي﴾: من الويل: وهو الهلاك، والفناء، والياء: ياء النداء؛ أي:

كأنك تنادي: يا هلاكي، احضر وخلصني ممّا أنا فيه من الغمّ والهَمّ، والويلة:

الفضيحة، والعار، والبليّة؛ أي: وافضيحتاه! وكأنه يطلب حضورها، وأمّا يا ويلتي، فيا عذابي.

﴿أَعَجَزْتُ﴾: الهزمة: استفهام تعجّبي.

﴿أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التعليل.

﴿فَأَوْرِي سَوْءَ أَخِي﴾: أي: كيف فاتني؟!، ولم أعرف أن أدفن جثة أخي، وأواربها في التراب، كما فعل هذا الغراب، والغراب: من أذكى الطيور، حاد الذاكرة، شديد الحذر، والغراب يدفن موته، وهذا هو السر من ذكر الغراب هنا، وللغربان نظم اجتماعية، ومحاكم، وأحكام تنظم حياتها، كما أن للناس نظاماً اجتماعية، وأحكاماً تنظم حياتهم.

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾: الفاء: تدل على التعقيب، سرعة ندمه.

الندم: هو الأسف وهو من أفعال القلوب، وله درجات وعندما يشتد يتحول إلى حسرة؛ فالحسرة هي أشد الندم، والندم ناتج فقط عن فعل العبد، والأسف قد يكون ناتجاً عن فعل العبد، أو فعل غيره.

﴿النَّادِمِينَ﴾: على قتله أخيه، أو على خيبتته؛ لأنه لم يعرف ما عرفه الغراب، ومجرد الندم لا يُعد توبة للقاتل العمد.





سُورَةُ التَّائِيَةِ ٥

الْبَيْتِ السَّامِي

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ
 نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
 النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ
 جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا
 مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا
 جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ
 فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
 وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ
 لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
 ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ
 لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ أَنَّهُمْ
 لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ
 عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

سورة المائدة [الآيات ٣٢ - ٣٦]

[٣٢] ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَ تَهُم رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾

﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ﴾: من لا ابتداء الغاية.

﴿مَنْ أَجَلِ﴾: أي: بسبب ذلك.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة؛ يشير إلى قتل قابيل لأخيه هابيل ظلماً، وما حصل من فساد.

﴿كَتَبْنَا﴾: حكمنا، أو شرعنا.

﴿عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: في التوراة، والكتابة جاءت في قوله: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمُ﴾ فيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ ﴿[المائدة: ٤٥]﴾، والسؤال هنا نربط بين قتل قابيل لهابيل، وتحذير بني إسرائيل من قتل أي نفس مع أن هناك أقواماً جاءوا قبل بني إسرائيل قد يكون السبب لكونهم ممن فضلهم الله على العالمين في ذلك الزمان وأنزلت على موسى التوراة وكانوا يقتلون أنبياءهم بغير حق ويُعد ذلك من أبشع القتل فجاء يحذرهم في هذه الآيات ويذكرهم بما حصل لابني آدم، ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: أن: للتوكيد، من: شرطية.

﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: أي: قتل نفساً ظلماً، وعدواناً، أو بغير سبب موجب للقصاص، الذي شرّعه الله تعالى.

﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾: والفساد: هو إهلاك الحرث، والنسل، والكفر،



والشرك، وقتل الأبرياء، وتشريدهم، وإثارة الفتن. ارجع إلى الآية (٢٠٥) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿فَكَأَنَّمَا﴾: الفاء: جواب الشرط.

﴿فَكَأَنَّمَا﴾: الكاف: للتشبيه، ولم يقل: كأنه، وإنما قال: كأنما بزيادة ما؛ لتوسع دائرة التشبيه، وبيان شناعة فعل القتل.

﴿قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾: جميعاً: تأكيد.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾: ومن: الواو: استئنافية، من: شرطية ابتدائية.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾: تعود على النفس. أحياها: أنقذها من أسباب الهلكة؛ أي: أبقاها حية، أنقذها من الموت؛ كالغرق، والحريق، والقتل.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾: كالسابقة.

إذن لا فرق بين قتل الواحد، وقتل الجميع، ولماذا ذلك؟ لتعظيم أمر قتل النفس البشرية، ولا فرق بين إحياء الواحد، وإحياء الجميع.

ولو عقل كل قادم على قتل نفس بريئة معنى هذه الآية؛ لربما كفَّ عن قتله وفساده، تجنباً ودرءاً لغضب الله عليه، ولعنة الله، والعذاب العظيم في جهنم.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ تَهُمَّ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، لقد: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق، وزيادة التوكيد.

﴿جَاءَ تَهُمَّ رُسُلُنَا﴾: ولم يقل: رسلهم، وذلك لأهمية الأحكام التي جاءت بها الرسل، نسب الرسل إليه تعالى، وشرفها بنون العظمة، ولكون الآيات لم تأتي في سياق الأقوام وتكذيبهم وجدالهم مع رسلهم.



﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾: كثيراً من الناس، أو تعود على بني إسرائيل، بعد مجيء الرسل إليهم، وبعدهما كتبنا لهم وبيننا لهم الآيات.

﴿فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾: اللام: لام التوكيد، مسرفون: جمع مسرف، مسرفون في القتل، أو مسرفون في ظلمهم وطغيانهم، وارتكاب المعاصي.

ومسرفون: جملة اسمية تدل على الثبوت على الإسراف في القتل والظلم. وقدم في الأرض بدلاً من القول لمسرفون في الأرض للفت الأنظار إلى عظم فسادهم في الأرض التي يعيشوا عليها.

[٣٣] ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: أي: يحاربون دينه ورسله، ويحاربون المؤمنين؛ كأنهم يحاربون الله ورسوله.

﴿يُحَارِبُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ لتدل على التكرار، والتجدد، والاستمرار، يحاربون الله ورسوله؛ أي: يحاربون شرعه ويعتدون على أحكامه ويحاربون بالقول، أو الاعتداء على المؤمنين.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾: بالقتل، وإهلاك الحرث، والنسل، ونشر الكفر، والشرك، وإرهاب الناس، والاعتداء على حرمتهم، وأموالهم، وأعراضهم، وتهديم بيوتهم، وتشريدهم.

﴿أَنْ يُقَتَّلُوا﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد والتعليل.



﴿يَقْتُلُوا﴾: ولم يقل: يقتلوا. يقتلوا: فيها مبالغة في القتل؛ أي: من دون أن تأخذكم بهم رافة، أو رحمة، ومهما كان عددهم، أن يقتلوا على مرأى من الناس واحداً تلو الآخر.

﴿أَوْ يُصَلِّبُوا﴾: أو: تعني: إما البيان، أو التخيير في الحكم.

﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ﴾: اليد اليمنى، والرجل اليسرى مثلاً، أو بالعكس.

﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾: وينوب عن ذلك الحبس؛ أي: السجن؛ حتى ينجو الناس من شرهم وأذاهم.

﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة؛ يعني: ذلك الجزاء المذكور من القتل، والصلب، والنفي.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاستحقاق، والاختصاص.

﴿خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾: الخزي: الذل، أو الفضيحة، وهو نزول العقوبة بهم في الدنيا من القتل، والصلب، والنفي، هو خزي لهم في الدنيا.

﴿وَلَهُمْ﴾: اللام: لام الاستحقاق ﴿فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: وهو عذاب النار، المؤلم، الدائم، المهين، المقيم، والعذاب العظيم: هو أشد أنواع العذاب في الآخرة.

[٣٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقَدُّوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، يستثنى من هؤلاء الذين يحاربون الله ورسوله، ويسعون في الأرض فساداً.

﴿الَّذِينَ تَابُوا﴾: جاؤوا تائبين، قبل أن تلقوا القبض عليهم، وتنفذوا حكم الله فيهم، كانوا خلال تلك الفترة في منعة، ولم يتمكنوا من القبض عليهم.

﴿تَابُوا﴾: أي: تابوا توبة، صادقة، خالصة لوجه الله، لا تحايلاً، وهرباً من العقوبة، وكفوا عن المحاربة، والإفساد، وندموا على ما فعلوه، وأصلحوا ما أفسدوه، وأكثروا من الأعمال الصالحة، والنوافل، والتوبة تسقط حقَّ الله تعالى، وأما حقوق العباد فلا بُدَّ من إرجاعها إلى أصحابها، وردَّ الأموال المسلوقة، ومعاقتهم على أعمالهم.

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ﴾: أن: للتوكيد.

﴿غَفُورٌ﴾: غفور لذنوبهم، صيغة مبالغة من غفر يغفر الذنوب مهما كانت، أو عظمت وتعددت؛ إلا الكفر والشرك، ولا يعاقب على الذنب مهما عظم، أو كثر.

﴿رَحِيمٌ﴾: بإسقاط العقوبة عنهم، وقبول التوبة، وصفة الرحمة ثابتة لذاته، ومن تاب بعد القدرة عليه إلقاء القبض عليه والسجن، فالتوبة عندها لا تنفع، ويقام عليه الحد. ارجع إلى كتب الأحكام؛ لمزيد من البيان.

[٣٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد للذين هم على درب الإيمان، والهاء: للتنبيه.

﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: أي: اتقوا عذاب الله تعالى، وغضبه، وجبروته، باتباع أوامره، وتجنب نواهيه بالكف عن المحارم، وترك المنهيات.

﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾: اطلبوا أو التمسوا إليه الوسيلة.

﴿الْوَسِيلَةَ﴾: القرب أو الشيء الذي يتقرب به إلى الله تعالى؛ للحصول على مرضاته ونيل جنته، وقيل: الوسيلة أعلى درجة في الجنة، وهي منزلة رسول الله ﷺ، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش، والله أعلم.



كما ورد في الحديث الشريف الذي رواه أحمد، ومسلم من حديث عبد الله بن عمر: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن؛ فقولوا مثل ما يقول، ثم صلّوا عليّ؛ فإنه من صلّى عليّ صلاة؛ صلّى الله عليه عشراً، ثم سلّوا لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة».

﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾: جاهدوا في سبيل إعلاء دينه.

ويشمل جهاد النفس عن شهواتها، وأهوائها، وجهاد الشيطان، بفعل الحسنات، وترك السيئات.

﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾: لعل: أداة رجاء؛ تستعمل في الأمور المرجو تحقيقها. لعلكم تفلحون: بتقديم الأسباب الأخرى كذلك المؤدية إلى الفلاح إضافة إلى الجهاد في سبيله؛ أي: لتفلقوا، والفلاح: هو الفوز بسعادة الدارين. ارجع إلى الآية (٥) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

وبعد أن أمر الله المؤمنين بالتقوى، والجهاد في سبيله، أخبر بما أعده لأعدائه.

[٣٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: جحدوا بالله، وآياته، ورسله، ووحدانيته، وماتوا وهم كفار، ولم يتوبوا.

﴿لَوْ أَن﴾: لو: شرطية. أن: للتوكيد.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، أو الاستحقاق.

﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: لهم يوم القيامة على سبيل الفرض، ما في الأرض:

من مال، وذهب، وفضة، ومتاع، وحرث، وأنعام، وغيرها من وسائل رغد العيش والملك.

﴿جَمِيعًا﴾: تأكيد.

﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾: أي: مثله، أو ضعفه معه.

ولو جاء أحدهم؛ أي: الكفار به يوم القيامة؛ ليفتدي به من عذاب الله، أو من كفره ما تُقبل منه.

﴿لِيفْتَدُوا﴾: السلام: لام التعليل، والفداء: هو ما يُعطى، أو يجعل بدل الشيء؛ ليعود إلى حاله التي كان عليها بالمثل، أو أقل.

ولم يقل: لا فتدوا به: ليفتدوا به؛ لأنهم ما زالوا على قيد الحياة الآن، ليفتدوا به في المستقبل؛ أي: يوم القيامة، بينما (لا فتدوا به): تشير إلى أنهم في الآخرة؛ أي: تأتي في سياق الآخرة، كما ورد في سورة الرعد الآية (١٨)، وسورة الزمر الآية (٤٧)، وسورة يونس الآية (٥٤). وانظر إلى قوله تعالى: (ليفتدوا به) ولم يقل: بهما، مع أن الهاء في (به) تعود على أمرين ما في الأرض ومثله معه، والسبب في ذلك إذا لم يجدي الافتداء بما في الأرض فلم يبقى جدوى للافتداء بمثله معه.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: شديد الإيلام، بالكيفية، والمقدار، والديمومة.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٥

النِّسَاءِ

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا
أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ
عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ * يَأْتِيهَا الرِّسُولُ
لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ
قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ
هَادُوا وَاسْمَعُونَ لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ
آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا
وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾



سورة المائدة [الآيات ٣٧ - ٤١]

[٣٧] ﴿رِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾:

﴿رِيدُونَ﴾: أي: الذين كفروا، والنون: للتوكيد.

﴿أَن﴾: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد، يخرجوا من النار.

﴿وَمَا﴾: ما: النافية؛ تنفي الحال، والمستقبل.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد والحصر.

﴿بِمُخْرِجِينَ﴾: الباء: للتوكيد.

فقد استعمل ثلاثة توكيدات لعدم خروجهم من النار: النون، وهم، والباء.

﴿وَلَهُمْ﴾: اللام: للاستحقاق، هم: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: عذاب دائم، لا يتغير، ولا يزول، ولا يحول، ولا يبدل.

[٣٨] ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾: قَدَّم السارق على السارقة؛ لأن الرجل أجرة على

السرقه غالباً من المرأة.

بعكس الزنى؛ فقد قَدَّم المرأة على الرجل؛ لأن المرأة أجرة على الزنى من

الرجل.

وتعريف السرقه في الشرع: أخذ العاقل البالغ مقداراً مخصوصاً من المال



خفية، من حرز (دار أو خيمة)، دون حق، واختلف في المقدار بين الفقهاء، وفي الشروط التي تتوافر في السارق والمال المسروق. ارجع إلى كتب الفقه؛ لمزيد من البيان.

﴿فَاقْطِعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾: القطع يكون من الرسغ، كما قال الجمهور، واليد اليمنى. انظر كيف جمع اليد فقال أيدي، ثم ثنى الجمع فصارت أيديهما لتشمل الذكر والأنثى.

وقد روي عن النبي ﷺ قوله: «ادروا الحدود بالشبهات ما استطعتم» رواه الترمذي.

﴿جَزَاءُ يَمَّا كَسَبَا﴾: مجازاة على ظلمهما؛ أي: السرقة.

﴿نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾: أي: عقوبة من الله للسارق، والسارقة، قد تجعل غيرهما لا يُقدِّم على السرقة؛ أي: عبرة؛ فالنكال تعني: العقوبة والعبرة التي تصد المعاقب عن العودة إلى ما ارتكبه من الإثم أو الجرم.

وسُمِّيت العقوبة: نكالا، والنكل: هو القيد الشديد، أو حديدة اللجام، التي تمنع الفرس من القيام بعمل غير مستحب.

فاقطعوا أيديهما: فهو عبرة مانعة من وقوع الجرم (السرقة)، سواء لمن ارتكب السرقة، أو لمن يشاهد كيف يقام الحدُّ على السارق.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: القوي؛ الذي لا يُقهر، ولا يُغلب، المنيع لا يضره شيء.

﴿حَكِيمٌ﴾: في تدبر شؤون خلقه، وكونه، وفي تشريعه، وأحكامه، فهو أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة.

[٣٩] ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿فَمَنْ تَابَ﴾: الفاء: عاطفة، من: شرطية.

﴿تَابَ﴾: استوفى أركان التوبة: الندم، وعدم العودة إلى السرقة، والإصلاح، والإكثار من العمل الصالح، وإرجاع الحقوق إلى أهلها.

﴿مَنْ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾: سَمِّي السارق ظالماً؛ لأنه أخذ حق غيره. من: تفيد القرب في الزمن.

﴿وَأَصْلَحَ﴾: أي: أصلح ما أفسد.

يُعيد الشيء المسروق إلى صاحبه، ويطلب العفو من صاحب الشيء المسروق، إن كان يعرفه، أو يعرف عنوانه، وإن لم يعرفه، ويعرف عنوانه، ثم تاب، عندها يتصدق بما سرق، ولا يعتبر صدقة له، بل لصاحب المال المسروق، ويقول: يارب! ثواب ذلك لصاحب الشيء المسروق، وليعلم أن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة، وليس من الضروري أن يذكر عنوان السارق، بل يقول: هو من مجهول إذا أرجع الشيء المسروق إلى صاحبه.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: للتوكيد، إن: لزيادة التوكيد.

﴿اللَّهُ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾: أي: يتقبل توبته.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: توكيد.

﴿غَفُورٌ﴾: غفور للسارق إذا تاب وأصلح، غفور: المغفرة تسبق الرحمة، غفور؛ كثير الغفر (صفة مبالغة)، مهما عظمت، وتعددت الذنوب والآثام.

﴿رَحِيمٌ﴾: صفة ثابتة في ذاته، مشتقة من الرحمة، رحيم لمن تاب من بعد السرقة ﴿وَأَصْلَحَ﴾: وعاد إلى درب الإيمان، واستقام عليه.



[٤٠] ﴿الَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿الَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾:

لم يقل: الله له ملك السموات، بل قال: ﴿الَمْ تَعْلَمْ﴾؛ لأنه: يريد أن يكون الخبر قادماً من المخاطب، وليس منه، ويكون إقراراً من العبد، ولو قال الله: له ملك السموات والأرض؛ لكان الخبر منه سبحانه، وهذا يكفي، ولكن قوله ألم تعلم: بصيغة الاستفهام بدلاً من الإخبار؛ أشد، وأقوى تأثيراً في نفس العبد، وتعني: ألم تعلم علماً يقينياً، أو أعلم علماً يقينياً ما أخبرك الله به هو الحق الثابت.

﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ﴾: أن: للتوكيد، له: اللام: لام الملكية والاستحقاق.

﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: الحكم، فهو الحاكم، والمالك.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾: فهو الغالب على أمره، ويغفر لمن يشاء.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: يعذب، أو يقطع، أو يغفر لمن تاب، وأصلح، كامل القدرة، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

وقدّم العذاب على المغفرة في هذه الآية: للتحذير، وعدم الطمع في رحمة الله عند السرقة أو ارتكاب الأعمال المحرمة. ارجع إلى الآية (١٨) من سورة المائدة.

[٤١] ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِلْقَوْمِ الْآخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِتُوبَةٍ بَعْدَ مَا وَضَعُوا يَدَهُمْ يُقُولُونَ إِنَّا أَوْتِينَا هَذَا فَخَذُّوهُ وَإِنَّا لَنُؤْتِيهِ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنُتَمَلِّكْ لَهُ مِنْ

اللَّهُ شَيْئًا أَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٤﴾

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾: الياء: ياء النداء، والهاء: للتنبيه.

وحيثما ينادي أشرف أنبيائه ورسوله؛ فهو تبارك وتعالى يناديهم بأسمائهم.

فيقول: ﴿يَا بَرَاهِيمُ﴾ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا ﴿١٠٥﴾، ﴿يَنْحُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾، ﴿يَا مُوسَى
إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾، ﴿يَا عِيسَى﴾.

ولكن حين ينادي رسوله محمد ﷺ، لا يناديه باسمه أبداً، بل يناديه:
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾: تعظيماً، وتكريماً له؛ إلا في حالات أربعة
خاصّة؛ فقد استعمل اسمه (محمد)؛ كقوله: ﴿تَحْمَدُ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿مَا كَانَ
مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
﴿وَأَمَّا أَنُؤْمِنُ بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ [محمد: ٢]، وورد اسم أحمد مرة واحدة في القرآن ﴿وَمُبَشِّرًا
رَّسُولٍ يَأْتِي مِّن بَعْدِي أَسْمُهُ أَحَدٌ﴾ [الصف: ٦].

أما متى يستعمل: يا أيها الرسول، أو يا أيها النبي؟

في سياق التبليغ والدعوة: يستعمل يا أيها الرسول، وفي سياق الأحكام،
وافعل، ولا تفعل: يستعمل يا أيها النبي.

وقد وردت يا أيها النبي (١٣) مرّة، وأمّا يا أيها الرسول؛ فمرّتين فقط،
وكلاهما في سورة المائدة، الآية (٤١)، والآية (٦٧).

وكلمة النبي أعمّ من كلمة الرسول.

﴿لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ﴾: لا: الناهية.

﴿يَحْزَنُكَ﴾: الحزن: هو غمّ، يصيب النفس لرؤية، أو سماع ما يسوء إليها،



وتكرهه، ولم لا يحزن رسول الله ﷺ؛ فقد جاء مبلغاً للرسالة، حريصاً على إيمان كل فرد، فهذا الحرص كان يدفع قلبه للشعور بذلك، وخاصة لما بُعث رحمة للعالمين، وهناك فرق بين الحُزن، والحَزن. ارجع إلى الآية (١٣٩) من سورة آل عمران؛ للبيان.

انتبه إلى قوله: ﴿يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾: الإسراع: هو الجري أو العدو في الكفر، ولم يقل: يسارعون إلى الكفر، بل قال تعالى: ﴿يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ هم من المنافقين ومن الذين هادوا.

وقوله (في الكفر): تدل على أنهم كانوا في الكفر، (كانوا منذ البداية، ويريدون أن ينتقلوا إلى كفر أعمق أو أشد)، أو في ازدياد. والمسارة في الكفر تعني أيضاً: إظهار كفرهم عند أي أدنى مناسبة.

وأما (إلى)؛ فإنها تدل على أنهم كانوا خارج دائرة الكفر، والآن يريدون أن يكفروا، ويصبحوا كفاراً. ويسارعون فيها معنى شدة الحرص على المسارعة، وكثرتها، وتكرارها، وبذل قصارى جهدهم بدلاً من القول يسرعون.

﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾:

هذا التعريف ينطبق تماماً على المنافقين. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٣٨)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾: أي: دخلوا في اليهودية، ولم يقل: من بني إسرائيل؛ لأن هؤلاء جاؤوا بعد بني إسرائيل، وهم طبقة أقل صلاحاً، وإيماناً من بني إسرائيل.

﴿سَمِعُوا لِلْكَذِبِ﴾: أي: لما وقع في التوراة من تحريف وتبديل، أو الكذب الذي يقولونه بأفواههم بشأن الرسول والمؤمنين.

قال: ﴿سَمَّعُونَ﴾: وليس (سامعون)؛ لأن ﴿سَمَّعُونَ﴾: فيها مبالغة، وتدل على احترافهم المهنة لمدة طويلة، فهم أهل خبرة، وحرفة في الاستماع إلى الكذب، وليسوا طلاباً (سامعين)، فأذاً سمعوا السماع للكذب، وأصبح ذلك من صفاتهم الثابتة، سماعون للكذب من رؤسائهم، وكذلك سماعون لقوم آخرين.

﴿لَمْ يَأْتُواكَ﴾: لا يأتون إلى مجالسك؛ تكبراً، حتى لا يضعف مركزهم أمام أتباعهم، إذن هؤلاء هم المتكبرون من الرؤساء وغيرهم.

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾: الكلم: هو جمع كلمة؛ أي: كلام الله؛ أي: التوراة؛ ارجع إلى سورة النساء آية (٤٦) لمزيد من البيان في معنى الكلم؛ أي: يحرفون التوراة مرة ثانية، أو أخرى في زمن الرسول، وأما المرة الأولى: فقد كانت بعد موت موسى، وقال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

فهناك فرق بين قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾.

والتحريف: يعني: تغيير المعنى، وتحميل الألفاظ غير ما وُضعت له، مثل قولهم: ﴿رَاعِنَا﴾، ﴿وَأَسْمَعَ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾. ارجع إلى الآية (١٣) من سورة المائدة، وسورة النساء، آية (٤٦)؛ لمعرفة الفرق بين الآيتين.

﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾: إن شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الندرة.

يقولون: إن طابق ما حَرَّفناه على ما جاء به محمد ﷺ؛ فخذوه؛ أي: اقبلوه،



وإن لم يطابق ما حرفناه على ما جاءكم به محمد؛ أي: جاءكم بغيره؛ أي: احذروا قبوله، والسماع إليه، وتطبيقه.

﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو: استئنافية، من: شرطية.

﴿يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾: أي: إضلاله، أو اختباره، وابتلاءه بالتعذيب بالنار، أو عدم هدايته؛ لأنه اقترف الذنوب، والآثام، والكبائر، والله سبحانه لا يفضل أحداً، وأما إذا أراد أحد أن يضل بنفسه وغيره عن منهج الله سبحانه، ويتعد كثيراً؛ فلن تستطيع مساعدته.

﴿فَلَنْ﴾: الفاء: للتوكيد، لن: لنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾: لن تستطيع تغيير ذلك، ولا يحزنك مسارعه في الكفر، فمحاولة هدايته، أو منعه من العذاب مستحيلة، ولا تفيد أبداً.

﴿لَهُ﴾: تفيد الحصر، من: استغراقية، شيئاً: نكرة: هو أقل القليل؛ أي شيء مهما كان من الهداية، أو النصح.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد؛ غرضه التحقير.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول؛ يفيد التوكيد على عدم طهارة قلوبهم من المنافقين واليهود.

﴿لَمْ يُرِدِ اللَّهُ﴾: لم: حرف نفي وجزم، لم يشأ الله سبحانه، والإرادة تكون بعد المشيئة، ولا تتغير، وتعني: العزم على القيام بالفعل.

﴿يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾: من دنس الكفر، والشرك، والنفاق، والحسد، بطهارة الإيمان والإسلام.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاستحقاق والاختصاص.

﴿فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: الخزي: هو الذل مع الافتضاح، وقيل: هو الشيء القبيح الذي تكره أن يراك الناس عليه، ويشمل الهزيمة، والخسارة، والقتل، والجلاء، والسبي.

﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: يجمع كل أنواع العذاب (الألم، والمهين، والمقيم، والثابت)، وهو أشد أنواع العذاب على الإطلاق.
وتكرار ﴿وَلَهُمْ﴾: مرتين؛ يدلُّ على التوكيد، وفعل كل منهما على حدة، أو معاً.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٥

الجزء الثاني

سَمِعُوا لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ
فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ
يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٣﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُكَ اللَّهُ
إِنْ تَوَلَّيْتُمْ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ تَتَوَلَّوْا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا
هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ
هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ
اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ
وَأَخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ
فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ
بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ
قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ لَهُ وَمَنْ
لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

سورة المائدة [الآيات ٤٢ - ٤٥]

[٤٢] ﴿سَمْعُوتَ لِلْكَذِبِ أَكْثَلُونَ لِلْسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾:

﴿سَمْعُوتَ لِلْكَذِبِ﴾: سَمَاعُونَ: صفة مبالغة للسمع؛ أي: كثير السمع للكذب.

﴿أَكْثَلُونَ لِلْسُّحْتِ﴾: أَكْثَالُونَ: صيغة مبالغة للأكل، واللام في كلمة للسحت: للتوكيد، والسحت: هو أشد، أو أبلغ الحرام.

﴿أَكْثَلُونَ﴾: أي: بشراهة، وبكثرة الأكل.

﴿أَكْثَلُونَ لِلْسُّحْتِ﴾: آخِذُونَ الْمَالَ غَيْرَ الْحَلَالِ؛ مثل: الرشوة في الحكم، أو الدِّين، والرِّبَا، والسَّرَقَة، والميسر، بكثرة. ارجع إلى الآية (٦٣) من سورة المائدة؛ لمزيد من البيان.

وأصل السحت: الهلاك، والزوال؛ كقوله سبحانه: ﴿فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ﴾؛ أي: يهلكهم بعذاب، والسحت يسحت البركة؛ أي: يزيلها إذا اختلط بأي مال يسحت؛ أي: يزيل بركته، ولا يدوم طويلاً.



﴿فَإِنْ جَاءُوكَ﴾: الفاء: استئنافية. إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، وقلة
المجيء.

﴿جَاءُوكَ﴾: المجيء فيه نوع من المشقة والجهد، ولم يقل: فإن أتوك،
الإيتاء فيه سهولة وراحة، جاؤوك لحاجة لهم، أو لتحكم بينهم، جاؤوك وهم
مترددون.

﴿فَأَحْكَمَ بَيْنَهُمْ﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب، احكم بينهم: ﴿أَوْ أَعْرِضْ
عَنْهُمْ﴾، لك الخيار بأحد الأمرين؛ أي: إنك لست ملزماً بالحكم، أو أعرض
عنهم لا تلقاهم، ولا تجتمع بهم.

﴿وَإِنْ تُعْرِضْ﴾: الواو: عاطفة، إن: شرطية، تعرض عنهم: أي: لا تحكم
بينهم، وتراهم.

﴿فَلَنْ يَضُرَّوكَ شَيْئًا﴾: لن: النافية للمستقبل القريب والبعيد.
﴿يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾: شيئاً: نكرة، أي شيء، والشيء: هو أقل القليل، صغيراً،
أو كبيراً، ومهما كان نوع الضرر.

﴿وَإِنْ حَكَمْتَ﴾: إن: شرطية تدل على الاحتمال والندرة.

﴿فَأَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، احكم: افصل
بينهم بالقسط، الباء: للإلصاق والتوكيد، أو اقض بينهم، ولم يقل: فاحكم بينهم
بالعدل، وإنما قال بالقسط؛ لأن القسط: هو الحكم بالعدل مع تنفيذ الحكم،
وعدم الجور، فالقسط: أعم وأشمل من العدل، والعدل يكون في الأشياء
المعنوية، والمادية.



﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: جمع مقسط، من أقسط: أي: عدل، ولم يُجر، ويظلم. ارجع إلى سورة النساء آية (٣) لمزيد من البيان في القسط.

[٤٣] ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَكَيْفَ﴾: الواو: استئنافية.

﴿وَكَيْفَ﴾: اسم استفهام، فيه معنى التعجب من اليهود على تحكيم رسول الله ﷺ، وعندهم التوراة.

﴿يُحْكِمُونَكَ﴾: ولم يقل: يحكموك، بل يحكمونك؛ بزيادة النون: للتوكيد؛ لتوكيد التحكيم؛ أي: مصرّون على تحكيمك، وعندهم التوراة فيها حكم الله، فالسؤال هنا: لماذا يحكمونك، ويتركون حكم التوراة التي يعتقدون بصحتها؟!

أهم يبحثون عن حكم آخر؛ لأن حكم التوراة لا يوافق رغباتهم؟!

أم يريدون حكماً أيسر، أو أخف مثل الجلد بدلاً من رجم المحصن؟!

وأيضاً كيف يحكمونك، وهم لا يقرون أنك نبي، ويجحدون نبوتك، ولا يؤمنون بالقرآن؟!

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: من بعد تحكيمك، ويرفضون حكمك بالرجم الموافق لحكم التوراة.

﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: من بعد تحكيمك.



﴿تَوَلَّوْا﴾: ولم يقل: تولوا: تدل على أنهم مستمرون في التولي والإعراض، ولن ينتهوا، ويكفوا عن ذلك.
﴿وَمَا﴾: الواو: حالية؛ تفيد التوكيد.
﴿وَمَا﴾: النافية.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد؛ ينفي عنهم الإيمان.
﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾: الباء: للإلصاق، وما أولئك بالمؤمنين؛ أي: المصدقين بك، ولا بحكمك، ولا بحكم التوراة، أو بالمؤمنين الإيمان الحقيقي.
[٤٤] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَسْتَرُوا بِعَائِنِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾:
﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿أَنْزَلْنَا﴾: جملة واحدة، دفعة واحدة، أنزلنا التوراة على موسى .
﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾: مصدر للهداية، أو هادياً للحق وللغاية.
﴿وَنُورٌ﴾: يُبَيِّن الأحكام ليخرج به الذين هادوا من الظلمات.

١ - ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾: يحكم بها النبيون؛ من بني إسرائيل؛ الذين أسلموا لله تعالى؛ أي: انقادوا لأوامر الله، وأخلصوا لله تعالى، واستجابوا له.

والسؤال هنا: لم قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾؟ أليس جميع الأنبياء من المسلمين؟

٢ - أو ﴿أَسْلَمُوا﴾: معناه: أخلصوا إسلامهم (إسلام الوجه)، وهو أعلى درجات الإسلام، والتوحيد، أو تعني ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾: أمثال الذين جاؤوا من بعد موسى من أنبياء بني إسرائيل، وعيسى .

يحكم بالرجم على المحصن، وغيرها من الأحكام.

﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾: اللام: لام الاختصاص، هادوا: دخلوا في اليهودية.

﴿وَالرَّبَّانِيُونَ﴾: جمع ربّاني، والربّاني: منسوب إلى الربّ؛ الذي يربي الناس؛ أي: المربي الذي يمتاز بالعلم بأمور الدين، والدنيا، والفقه، والحكيم، التقى، والتدبير بأمور الرعية، يعلم الناس ما يصلحهم في دنياهم ودينهم.

والربانيون: هم فوق الأحرار، وقيل: هم العباد من اليهود.

﴿وَالْأَحْبَارُ﴾: هم العلماء من أهل الكتاب؛ أي: علماء اليهود، واحدهم الحبر؛ الذي يتمثل فيه الجمال والبهاء.

﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿اسْتَحْفَظُوا﴾: تعود على الربانيين والأحرار.

﴿اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾: الألف والسين والتاء: تعني: الطلب؛ أي: طلب منهم أن يحفظوا التوراة من التحريف، والتغيير، والتبديل، أو طلب منهم أن يحفظوا التوراة في صدورهم، وأن لا يضيعوا أحكامها وينسوها.



٣ - ﴿بِمَا أَسْخَفْتُمْ مَنِ كَتَبَ اللَّهُ﴾: من حفظ الشيء؛ أي: داوم على حراسته، والمحافظة عليه والمراقبة.

أي: وكلهم الله على حفظه، وهذا أمر تكليفي، ولكن ما حدث هو أن بعضهم نسوا حظاً مما ذكروا به، وكنتموا شيئاً منه، وحرّفوا قسماً منه، ولو ألسنتهم به، وأضافوا كلمات، وبدّلوا كلمات.

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾:

ومقارنة بالقرآن الكريم: فقد تولّى الله سبحانه حفظه بنفسه، ولم يترك لأحد أن يقوم بذلك، كما حصل للتوراة والإنجيل.

﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾: كانوا على ما في التوراة من الرجم شهداء، كما قال ابن عباس، أو كانوا شهداء لمحمد ﷺ بما قاله من الحق، وفي الحكم؛ أي: أوصاهم الله بأن يكونوا على التوراة شهداء؛ لئلا يُبدل أو يُحرّف بالزيادة والنقصان.

﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: الناهية.

﴿تَخْشَوْا النَّكَاسَ﴾: الخشية: هي الخوف، المصحوب بتعظيم من تخافه، والعلم بالذي تخافه.

﴿تَخْشَوْا النَّكَاسَ﴾: يعني: الرؤساء، أو الحكام، أو أي أحد؛ أي: تخافون الناس من أي ضرر، أو أذية، قد تلحق بكم من جراء قول الحق، أو فيما

جاء في نعت الرسول ﷺ، مثلاً، أو تبيان حكم جاء في كتاب الله، مثل: الحكم بالرجم للمحصن.

﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ﴾: واخشوا الله تعالى، إذا كنتم ما جاء فيها، أو حرّفت آياتها، أو بدّلت أي حكم، من أجل منفعة مادية، أو منصب، أو رشوة.

﴿وَأَخْشَوْنَ﴾: ولم يقل واخشوني؛ لأن هذه الآية جاءت في سياق التوراة والتي أنزلت فيها هدى ونور يحكم بها النبيون والربانيون والأخبار ليس في ذلك إرجاف ولا فتنة أو إثارة، كما هو الحال في تغير القبلة التي أدت إلى فتنة كبيرة وإرجاف وارتداد البعض. ارجع إلى الآية (٣) في نفس السورة.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: أي: إياكم وتحريف ما أنزل الله؛ ابتغاء أي ثمن، فمهما كان الثمن كثيراً؛ فهو ثمن قليل وبخس، مقارنة بما عند الله من الثواب، والجزاء. ارجع إلى الآية (٤١) من سورة البقرة.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾:

﴿وَمَنْ لَّمْ﴾: شرطية، لم للنفي.

﴿بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾: الباء للإلصاق، والتوكيد.

﴿بِمَا﴾: اسم موصول، بمعنى الذي؛ أي: الذي أنزل الله؛ وهو التوراة.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد. أولئك: اسم إشارة للبعد.

﴿هُمُ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر، والتوكيد، والمبالغة.



﴿الْكَافِرُونَ﴾: أي: إذا كان هناك كفار، فهم في طليعة هؤلاء الكفار، وأسوأهم، وهم أولى أن يسمّون بهذا الاسم، وصفة الكفر أصبحت ثابتة فيهم.

[٤٥] ﴿وَكُنَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾:

﴿وَكُنَبْنَا﴾: فرضنا، أو حكمنا، وسمّي ذلك كتابة؛ دلالة للضبط، والحفظ، والإلزام، وكتبنا فيها تأكيد أشد من فرضنا.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: الذين هادوا.

﴿فِيهَا﴾: في التوراة.

﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾: أي: النفس؛ تقتل بالنفس.

﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾: العين: تفقأ بالعين؛ أي: تقلع.

﴿وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ﴾: يجدع الأنف بالأنف.

﴿وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ﴾: تقطع بالأذن.

﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾: أي: يكسر السن بالسن، أو يقلع به إن قلع.

﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾: يكون بمثله، مساوياً له.

﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾:



﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾: بالقصاص؛ فهو كفارة له.

أي: عفا المجروح عن الجارح، أو وليه، فهو كفارة له عن ذنبه، فهذه كفارة للجارح، على شرط التوبة، أما إذا بقي مصرأً؛ فالعقوبة باقية.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة، التفسير نفسه.

أما ﴿الظَّالِمُونَ﴾: سماهم ظالمون؛ كونهم قد بالغوا في ظلمهم.

وذلك إذا قتل غير القاتل، أو قتل بالواحد اثنين، أو فقأ بالعين عينيْن، وهكذا، ولماذا سمَّاهم ﴿الظَّالِمُونَ﴾: إمَّا لكونهم لم يطبقوا الحكم؛ لسبب ما، أو لكون القصاص فيه ظلم؛ كأن يقتص بقتل اثنين بدلاً من قتل واحد، وهكذا. والظلم بشكل عام هو نقصان حق الغير، وقد يظلم الإنسان نفسه: بأن يخرج عن منهج الله سبحانه، ويتبع هواه والشيطان.

لا بُدَّ من الانتباه إلى هذا الحكم الوارد في الآية (٤٥) لبني إسرائيل، والذي ينص: إمَّا القصاص، وإمَّا العفو، وليس هناك ذكر للدية. في النفس، أو الجروح، ما يدل على أن الله خفف على الأمة المحمدية؛ بدفع الدية، إضافة إلى القصاص، والعفو.



الجزء الثاني

سورة المائدة

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
 التَّوْرَةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
 يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ
 أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۖ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ
 اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
 بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا
 عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
 عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا
 ءَاتَكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَن أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا
 أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ
 بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
 بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ
 الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

سورة المائدة [الآيات ٤٦ - ٥٠]

[٤٦] ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾

﴿وَقَفَّيْنَا﴾: ارجع إلى الآية (٨٧) من سورة البقرة.

﴿عَلَىٰ آثَرِهِم﴾: أي: اتبعنا بعيسى (بعثنا عيسى) مباشرة، من دون فاصل زمني خلف النبيين؛ الذين أرسلوا إلى بني إسرائيل، وقد أرسل عيسى على آثار زكريا .

﴿عَلَىٰ آثَرِهِم﴾: أي: كأن آثار أقدامهم لا تزال على الأرض، لم تُمحَ بعد؛ (دلالة على قصر الزمن) بين الرسل وعيسى عليهم السلام.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾: مقراً ومطبّقاً شريعة التوراة، وما جاء به موسى قولاً، وعملاً.

﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾: أي: أنزلنا على عيسى الإنجيل، جملة واحدة (دفعة واحدة)؛ للهدى، والموعظة.

﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾: في الإنجيل هدى من الضلال؛ أي: مصدر هداية، أو هادياً، ونور يُبين الحق من الباطل، والحلال من الحرام.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾: أي: الإنجيل، مصدّقاً للتوراة لا يخالف التوراة.

﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾: الإنجيل؛ هدى من الظلمات إلى النور، وموعظة؛ أي: نصيح، وتذكير، وترغيب، وترهيب، وتخدير.



أي: هادياً وواعظاً ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: السلام: لام الاختصاص، ونلاحظ تكرار ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾: مرتين؛ المرة الأولى: تتعلق بعيسى، والثانية بالإنجيل.

فليس هناك تكرار؛ فمنهج عيسى، ومنهج الإنجيل، كلاهما مطابق لمنهج التوراة.

وفي الآية (٤٤) قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾.

وفي الآية (٤٦) قال تعالى: ﴿الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

فكلاهما هدى ونور، ولكن الإنجيل فيه زيادة هدى، وموعظة للمتقين، فهو يدل على كونه يتضمن شحنة روحية جديدة، وفيه مواعظ أكثر من التوراة. [٤٧] ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾:

﴿وَلِيَحْكُمُ﴾: الواو: استئنافية.

﴿وَلِيَحْكُمُ﴾: اللام: لام التوكيد، أو لام الأمر.

﴿أَهْلُ الْإِنْجِيلِ﴾: أتباع عيسى؛ النصاري.

﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾: فيه: للتوكيد؛ للتوكيد على العمل بأحكام الإنجيل، وعدم ترك أحكامه، والأخذ بأحكام التوراة فقط، والباء في كلمة ﴿بِمَا﴾: تفيد الإلصاق.

﴿وَمَنْ﴾: الواو استئنافية، ومن: شرطية.

﴿لَمْ يَحْكَمْ﴾: لم النافية.

﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: في التوراة، أو الإنجيل.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد، أولئك: اسم إشارة؛ يفيد التحقيق، ويشير إلى الذين لم يحكموا بما أنزل الله بأنهم: ﴿الْفَاسِقُونَ﴾ حقاً، الخارجون عن طاعة الله تعالى.

وإذا نظرنا إلى الآيات السابقة، الآية (٤٤): ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

والآية (٤٥): ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

والآية (٤٧): ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

الكافر: هو ظالم، وفاسق، وليس كل ظالم، أو فاسق كافراً.

الظالم: أسوأ من الفاسق، وقد يترقى بظلمه؛ ليصبح كافراً، والظلم قد يعني: الشرك.

والفاسق: أهون من الكافر والظالم، وقد يترقى بفسقه ليصبح ظالماً، أو كافراً.

فالكافرون: أي: الذين جحدوا، وأنكروا وجود الله سبحانه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، أو لم يؤمنوا بما أنزل الله في الآيات والأحكام..

أما الظالمون: هم آمنوا، ولم ينكروا أن هذه الآيات والأحكام منزلة من رب العالمين، ولكنهم أشركوا بالله، أو رفضوا تطبيق تلك الأحكام والعمل بها، أو غيروا تلك الأحكام.

أما الفاسقون: هم آمنوا بتلك الآيات والأحكام، ولم يشركوا بالله، ولكنهم خرجوا عن طاعة الله بشهوة، أو هوى، أو شيطان، وقيل: هذه الآيات الثلاث تعني أهل الكتاب فمنهم الكافرون، ومنهم الظالمون، ومنهم الفاسقون، فهم درجات حسب تطبيقهم لشرع الله تعالى الذي أنزل إليهم في التوراة والإنجيل.

[٤٨] ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا



مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١٠﴾

المناسبة: بعد أن ذكر التوراة والإنجيل، يذكر الآن القرآن الكريم، ومنزلته من الكتب السابقة.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾: وأنزلنا: تعني: دفعة واحدة (من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا)، لم يقل: ونزلنا.

﴿إِلَيْكَ﴾: ولم يقل: عليك؛ إليك: تأتي في سياق التبليغ، والرسالة. ارجع إلى الآية (٣) من سورة آل عمران؛ للبيان.

﴿الْكِتَابَ﴾: أي: القرآن.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الحق: هو الأمر الثابت، الذي لا يتغير، منزل من الله سبحانه.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق، ملازمٌ للحق؛ أي: هو الحق، فلم يصبه تحريف، ولا تغيير.

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾: مُقَرَّراً لا معارضاً لما سبقه من الكتب: (التوراة، والإنجيل، والزبور).

والكتاب: اسم جنس، يشمل كل الكتب السابقة.

﴿وَمُهِيمِنًا عَلَيْهِ﴾: أي: قائماً (حاكماً، رقيباً، شهيداً)، على كل ما سبقه من الكتب، يُقر الحق، ويبطل الباطل، وشهيد عليها، إذا أصابها تغيير، أو تحريف، وما يحكم به أهل الكتاب إن كان في القرآن ما يصدقه فصدقوه، وإلا فكذبوه فالقرآن هو: الحاكم.

﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: احكم بينهم؛ أي: بين اليهود، أو أهل الكتاب، أو كل من تحاكم إليك.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، ما: اسم موصول بمعنى: الذي.



﴿أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: وهو القرآن الكريم.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾:

﴿وَلَا تَتَّبِعْ﴾: لا: الناهية.

﴿تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ﴾: أي تترك ما جاء به القرآن من حكم، أو أحكام.

و ﴿تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ﴾: جمع هوى، والهوى: هو ما تميل إليه النفس؛ أي: تحبه وتهواه، بغض النظر عما أمر الله تعالى، أو نهى عنه، والهوى غالباً باطلاً، أو بعيداً عن الحق، وبلا دليل، والهوى يختلف من شخص إلى آخر.

﴿عَمَّا جَاءَكَ﴾: عما = عن + ما، عن: حرف جر؛ يفيد المجاوزة، والابتعاد، وما: اسم موصول بمعنى: الذي.

﴿جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾: أي: القرآن الكريم، فهو الحق، وهو الأمر الثابت الذي لا يتغير أبداً.

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾: أي: لكل أمة ﴿جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، واللام: لام الاختصاص.

الشرعة: جملة الشرائع التي تشمل: العقائد، والعبادات، والأحكام، والتي تُعد أو تعتبر الأصل والمرجع لموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام.

والشرعة: تختلف عن: الشريعة، شريعة محمد ﷺ، شريعة موسى، شريعة عيسى، وتعني: الطريقة الموصلة للغاية، والدين: هو جملة الشرائع بما فيها الأحكام، والآيات، والمواظ، والوصايا، والأوامر، والنواهي، والدين هو واحد، هو الإسلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٢)؛ لبيان معنى الدين.

وهذه الشرعة تختلف باختلاف الأمم، وجاءت في الكتب المنزلة.

وأصل كلمة الشريعة: الطريقة إلى الماء، أو النهر الذي ترده الإبل حتى



تشرب، والبشر بحاجة إلى الشريعة، كما هم بحاجة إلى الماء، أو يشربون من هذا الدِّين (النهر) كي يبقوا أحياء.

﴿وَمِنْهَا جَا﴾: الطريقة الواضحة هي: ما جاء في القرآن، والسنة، وبقية المصادر الفقهية الموثوقة الموصلة إلى الغاية، الطريق المستقيم، الموصول إلى الغاية، أو المنهاج الذي يجب أن نسير عليه، والشرعة، والمنهاج مصدرهما واحد: هو الله سبحانه ورسوله ﷺ.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَاءِ آتِنَكُمْ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: لو: شرطية.

﴿شَاءَ اللَّهُ﴾: أراد الله، والمشئة تسبق الإرادة.

﴿لَجَعَلَكُمْ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: أي: على شريعة واحدة.

﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَاءِ آتِنَكُمْ﴾: اللام: في ليلوكم: للتوكيد، ويبلوكم: تفيد الاختبار بالخير، أو الشر، والابتلاء: أشد من الاختبار.

﴿فِي مَاءِ آتِنَكُمْ﴾: فيما أنزل عليكم من الشرائع، الأحكام، العبادات، والأوامر، والنواهي، جعل لكل نبي شريعة مختلفة، وأما المنهاج فهو واحد؛ فهو طاعة الله سبحانه ولا إله إلا الله.

﴿فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾:

﴿فَاسْتَيْقُوا﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: أي: ليسابق كل واحد منكم الآخر، في الإسراع بالقيام بالأعمال الصالحة: الفرائض، والنوافل، وأعمال الخير.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: إلى الله: تقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة؛ يدلُّ على الحصر؛ أي: إلى الله وحده حصراً، مرجعكم: مصيركم، وعودتكم.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد، والرجوع إليه.

﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾: الفاء: تفيد المباشرة، والتعقيب.

﴿فَيُنَبِّئُكُمْ﴾: يخبركم.

﴿بِمَا﴾: الباء: للتوكيد، والإلصاق. ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

﴿كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾: كنتم في الدنيا، فيه تخلفون: من الشرائع، والحق، والباطل في العقائد، والمذاهب.

[٤٩] ﴿وَأَن أٰحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَم أَنَّهُ يَرِيدُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾:

﴿وَأَن أٰحْكُم﴾: وأن حرف مصدري، أو حرف تفسير؛ تفيد التوكيد، والتعليل.

﴿أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾: تكرار لما سبق، يفيد التوكيد بالحكم بما أنزل الله، وعدم اتباع أهواءهم.

﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾: الحذر: هو التوقي من الضرر، واتخاذ الاحتياطات، والانتباه لأمر ما.

﴿أَن يَفْتِنُوكَ﴾: أن حرف مصدري؛ يفيد التوكيد.

﴿يَفْتِنُوكَ﴾: يصرفوك. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (٧)؛ لمزيد من البيان عن الفتنة.

﴿عَن﴾: حرف جر، فيه معنى المجاوزة والابتعاد.



﴿بَعْضَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾: من الأحكام، كالرجم، وشأن القصاص، والدماء.
 ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلَّمَ أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾:
 ﴿فَإِنْ﴾: الفاء: استثنائية. إن: شرطية.

﴿تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا، ورفضوا حكمك، أو أعرضوا عن الإيمان.
 ﴿فَعَلَّمَ أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾: فاعلم أن إعراضهم من أجل أن
 الله يريد أن يعذبهم، أو يعاقبهم ببعض ذنوبهم، والفاء في ﴿فَعَلَّمَ﴾: للتوكيد.
 ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾: الباء: للإلصاق؛ أي: بسبب بعض، والبعض تعني: الكل،
 أو بعض ما يستحقونه على إعراضهم، وأما أعمالهم الأخرى، فيجازيهم عليها
 سواء أخيراً كانت، أم شراً.
 ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾: إن للتوكيد.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾: اللام: لام الاختصاص، أو الاستحقاق.
 ﴿لَفَاسِقُونَ﴾: خارجون عن طاعة الله، أو الدين، والقليل من الناس غير
 فاسق، ملتزم بدين الله وطاعته، ولمعرفة معنى الفسق؛ ارجع إلى سورة البقرة،
 آية (٢٦).

[٥٠] ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾:

﴿أَفَحُكْمَ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، وتعجبي، وتوبيخي.
 ﴿أَفَحُكْمَ﴾: مفعول به مقدّم الأصل (أيبغون حكم الجاهلية)، وقدّم
 المفعول؛ للاهتمام، والتأكيد، والمعنى: أفلا يبغون إلّا حكم الجاهلية.
 ﴿يَبْغُونَ﴾: يلتمسون، يطلبون، وتدلل على الاستمرار في طلبهم؛ (أي: أهل
 الكتاب، أو غيرهم).

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾: تحتمل معنيين:

المعنى الأول: حكم أهل الجاهلية؛ الذين جاؤوا قبل الإسلام، أفهم

يريدون أن يعودوا إلى أحكام الجاهلية؛ التي يسودها الشرك، وعبادة الأصنام، وواد البنات، والربا والفواحش.

والمعنى الثاني: الجاهلية مشتقة من الجهل، وهو أسوأ من الأمية؛ أي: أفحكم الجهل والباطل يريدون أن يتبعوا.

وإضافة (الحكم) إلى كلمة الجاهلية؛ يقتضي التقبيح، والتنفير، وأنه مبني على الجهل والضلال.

﴿وَمَنْ﴾: الواو: عاطفة، من: اسم استفهام؛ بمعنى: النفي، والتقرير؛ أي: لا أحد أحسن وأفضل من الله حكماً، أو من المستحيل أن يكون هناك حكم أفضل، أو أحسن من حكم الله.

﴿حُكْمًا﴾: يشمل الحكم الكوني، والشرعي.

﴿لَقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أي: هذا الحسن، والحكمة في الحكم ليس ظاهراً، أو واضحاً لكل واحد، وإنما واضح وظاهر للقوم الموقنين. ﴿يُوقِنُونَ﴾: من اليقين: وهو العلم بالحق، وهو العلم بالشيء استدلالاً، وبأن ليس هناك غيره.

درجات اليقين: علم اليقين، ثم عين اليقين، ثم حق اليقين، وهو أعلى درجات اليقين، واليقين يعني: الإيمان الثابت المستقر في القلب، ولا يطفو إلى العقل ليناقش من جديد.

وكلما ازداد الإنسان إيماناً ازداد معرفة، وتبين له عدل أحكام الله تعالى، وازداد يقيناً به سبحانه؛ فهو أحكم الحاكمين. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لمزيد من البيان في اليقين.





البقرة السابعة

سورة البقرة

ضم
الجزء
١٢

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ
 أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ
 يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ
 مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِمِينَ ﴿٥٢﴾
 وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ
 أَنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
 وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ
 وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنهَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ
 يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

سورة المائدة [الآيات ٥١ - ٥٧]

[٥١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾:

نداء بتكليف جديد للذين آمنوا؛ أي: السائرون على درب الإيمان، والهاء: للتنبيه.

﴿لَا﴾: الناهية.

﴿تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾: الموالاتة: تعني: المودة والنصرة.

المودة: المحبة، واتخاذهم بطانة، والتآمر معهم، والتجسس لأجلهم، على حساب المؤمنين، وكشف الأسرار إليهم.

النصرة: اتخاذهم أعواناً وحلفاء، ومدّهم بالعدة والعدد.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: يوالي بعضهم بعضاً، وهذا قد يكون السبب في عدم موالاتهم، أو اتخاذهم أولياء.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾: ومن: شرطية.

﴿يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾: ينصرهم، ويعينهم، ويفشي لهم أسرار المؤمنين.

﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾: أي: مثلهم، وليس من المؤمنين، وهذا تهديد ووعد لمن يخالف أمر الله، وهو حرمة موالاتهم.

وقد بين الله سبحانه حقيقة الموالاتة في سورة الممتحنة، الآية (٩).



﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ ﴾:

ارجع إلى سورة الممتحنة، آية (٩)؛ لمزيد من البيان.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: أي: من يواليهم، وينصرهم، ويخالف أمر الله، فهو ظالم لنفسه ولغيره، ويصبح من الظالمين؛ لكونه خرج عن منهاج الله سبحانه، وما وصَّى به.

[٥٢] ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا ﴾:

﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾: أي: فتري المنافقين أو ضعاف الإيمان.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: النفاق، وضعف الإيمان، والشرك.

﴿يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾: يسارعون في موالاتهم، (موالاة اليهود، والنصارى)، يسارعون فيهم، ولم يقل: يسارعون إليهم.

﴿يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾: يدل على أنهم كانوا مع هؤلاء اليهود، والنصارى منذ البداية، أو سابقاً في الموالاة والنصرة، والآن ازدادت موالاتهم، ونصرتهم.

بينما (يسارعون إليهم): تعني: لم يكونوا معهم سابقاً، والآن فقط انضموا إليهم، وأصبحوا في حلفهم، وتدل على الاستمرار والتجدد في المسارعة.

﴿ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾:

﴿يَقُولُونَ﴾: أي: يبررون موالاتهم لهم، ويعلمون ذلك بقولهم: ﴿نَخْشَىٰ

﴿أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾: نخاف أن تصيبنا دائرة. مصيبة، والخشية فيها معنى الرهبة، والتعظيم، والعلم بالذي تخشاه.

﴿دَائِرَةٌ﴾: اسم فاعل، والدائرة تعني: تغير الحال من خير إلى شر.

دوائر الدهر، نوائب الدهر؛ مثل: المجاعة، والقحط، أو الهزيمة؛ أي: ترى المنافقين الذين في قلوبهم مرض يتخذون اليهود والنصارى والكفار أولياء؛ خشية أن يجدوا أنفسهم في المعسكر الضعيف؛ لذلك يحاولون دائماً أن يميلوا إلى المعسكر القوي؛ حفظاً على أنفسهم، وأموالهم، ومتاعهم.

﴿فَعَسَىٰ﴾: الفاء: استئنافية. عسى: للترجي.

﴿اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾: الفتح: النصر من دون قتال؛ أي: نصر المؤمنين على الكافرين.

والفتح قد يعني: الحكم؛ كقوله: ﴿أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩].

﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾: بإظهار أمر المنافقين، ومعرفة أسمائهم، وفضيحتهم، أو يدبر الله لهم شيئاً خفياً؛ كالخوف، والرعب، أو الجلاء.

﴿فَيُضَيِّحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ﴾: فيصبح (الموالون من المؤمنين لليهود نادمين)، نادمين على ما أسروا في أنفسهم، من النفاق، وموالاتهم لليهود والنصارى، وكراهيتهم لمحمد ﷺ، وللإسلام.

[٥٣] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْتَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: عندما يأتي الله بالفتح، أو أمر من عنده، عندها يقول:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: مخاطبين اليهود:



﴿أَهْوَلَاءٌ﴾: الهمزة: استفهام توبيخي وتعجبي، أولاء: اسم إشارة للقرب،
والهاء: للتنبيه، وتشير إلى المنافقين.

هؤلاء المنافقون الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم؛ أقسموا وأكدوا أيمانهم
بالأيمان المغلظة بأقصى ما في وسعهم: إنهم مع المؤمنين.

﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾: أي: معكم على عدوكم.

﴿حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: لأنها لم تكن خالصة لوجه الله، بطلت وضاعت،
فأصبحوا خاسرين دنياهم وآخرتهم معاً في الدنيا: بالفضيحة، والعار، والعقاب،
وفي الآخرة: بالعذاب في النار. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢١٧)؛ لمزيد من
البيان عن حبطت أعمالهم.

[٥٤] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۖ أَذِلَّةٌ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ
يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا؛ أي: على درب الإيمان، نداء فيه تحذير، والهاء:
للتنبيه.

﴿مَنْ﴾: شرطية؛ لا ابتداء الغاية، ومن: تشمل: المفرد، والمثنى، والجمع،
وتستعمل للعاقل.

﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾: يرجع عن الإسلام إلى الكفر، ومنها الردة، وهو
رجوع المسلم، العاقل، البالغ عن الإسلام إلى دين آخر باختياره، دون إكراه من
أحد، وينشر صدره بالكفر.

بعد أن يُبين له عواقب الردة ويستتاب، سواء أكان ذكراً، أو أنثى، ويقام عليه
حد الردة إذا توافرت فيه الشروط.

ويستثنى من ذلك: الصبي، والمجنون، والمكره.

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: للتوكيد، سوف: للاستقبال البعيد، والتراخي.

﴿يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾: فسوف يأتي الله بخير منهم، مَن يحبون الله، ويحبهم الله تعالى. قدم حبه على حبهم؛ لأن حبه سبحانه وتعالى هو الغاية. والحب هو: الميل القلبي، والإقبال على الشيء، والدوام على ذلك، وقد ينقص، أو يزيد، أو يزول.

قال تعالى: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ﴾: يرتد: يرجع عن دينه (الإسلام) إلى الكفر، ولم يقل: يرتدد؛ بفك الإدغام، فما هو الفرق بين يرتد ويرتدد؟
﴿يَرْتَدَّ﴾: جاءت في سياق الارتداد، في زمن السلم، والعافية ومن دون سبب يبرر الارتداد.

بينما يرتدد: جاءت في سياق الارتداد في زمن الحرب، أو الفتنة، أو القتل (الموقف أشد وأخطر)، ولذلك زيدت الدال؛ لشدة وخطورة الحال. ارجع إلى الآية (٢١٧) من سورة البقرة؛ للبيان.

وقيل: حدثت هذه الردة التي تحدث عنها القرآن على مرحلتين:

١ - في زمن الرسول، والذين ارتدوا هم: بنو مدلج، وبنو حنيفة (قوم مسيلمة الكذاب)، وبنو أسد.

٢ - ردة في زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ارتدت قبائل غطفان، ومرارة، وبنو سليم، وبنو يربوع، وغيرهم.



﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾:

﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: رحماء بينهم، متواذون، متعاطفون، متواضعون، يغلب عليهم طابع الرحمة والرافة على المؤمنين.

﴿عَلَى﴾: تفيد العلو والمدح، وعلى: تعني: الذلة المستعلية؛ أي: عاطفين على المؤمنين من وجه التواضع والتذلل.

ولو قال: أذلة للمؤمنين؛ لكان ذمًّا لهم لا مدحاً، وأذلة للمؤمنين؛ تعني: الخنوع، والاستكانة.

﴿أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: أي: أشداء على الكافرين (على عدوهم).

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾:

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: يجاهدون؛ لمعرفة معنى الجهاد ارجع إلى الآية (٦) في سورة العنكبوت، لإعلاء كلمة الله تعالى، وإعلاء دينه: ﴿وَلَا يَخَافُونَ﴾: لا: النافية؛ للحال، والمستقبل.

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾: الواو: للتوكيد، لا يخافون قول قائل، ولا اعتراض معترض، ولا لوم لائم، واللوم: هو توبيخ، أو تقرير الفاعل على فعله، وتهجين طريقته.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة. ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾: يشير إلى الجهاد في سبيل الله، وكونهم أعزة على الكافرين.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: واسع الفضل، والملك، والإحسان، والجود، والغنى، والعلم، واسع الملك.

﴿عَلِيمٌ﴾: بمن يستحق فضله، وعليم بذات الصدور، عليم ببواطن وظواهر الأمور، صيغة مبالغة: كثير العلم.

[٥٥] ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد الحصر.

﴿وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾: القائم، المتكفل بأموركم، والمناصر لأوليائه الصالحين، يتولاهم بالرعاية، والنصر، والحفظ، والمعونة، والتوفيق. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾:

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾: يقيمون الصلاة: بخشوع، وخضوع لرَبِّهم؛ لأن الصلاة هي الصفة الغالبة في وصف الذين يؤمنون بالله، وتعني: إعلان الولاء الدائم لله خمس مرات، كلَّ يوم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: من دون تكبر على الفقراء، وبخضوع، والزكاة هي الركن الثاني.

﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾: الركوع هنا معناه: الخشوع، والخضوع، وعدم التكبر، وليس الركوع العادي. يقال: فلان راكع لفلان؛ أي: خاضع له.

[٥٦] ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو: عاطفة، من شرطية.

﴿يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: يجعل الله وليه: فَإِنَّ اللَّهَ يَعِينُهُ، وينصره، ورسوله، والذين آمنوا يعينونه وينصرونه.



الولاية من الله ، هي ولاية عامة وخاصّة، العامة تشمل كل العباد، والولاية الخاصّة خاصّة بالمؤمنين؛ لقوله سبحانه الله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨].

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط. إِنَّ: للتوكيد.

﴿حِزْبَ﴾: اسم جمع لا مفرد له، جمعه: أحزاب، والحزب: الجماعة: التفّ بعضهم مع بعض، على أمر، أو اتجاه، أو فكر، أو مبادئ، أو قيم خاصّة، وكلمة الحزب مشتقة من حزب الأمر عليه؛ معناه: أمر أتبعه، وأرهبه، وفكر به كثيراً؛ كأن المتحزبين التفوا على أمر أتبعهم، وأرهبهم، كأنهم أهل نائبة.

﴿هُمُ الْغَالِبُونَ﴾: هم: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد؛ أي: هم الغالبون حقاً؛ أي: هم في طليعة الغالبين.

[٥٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:

أسباب النزول: روي عن ابن عباس : أن قوماً من اليهود والمشركين، ضحكوا من المسلمين، وقت سجودهم، فنزلت هذه الآية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا﴾: نداء إلى الذين آمنوا بعدم اتّخاذ الذين يتخذون الدّين مادةً للّهزء واللّعب، أولياء من الذين أوتوا الكتاب (اليهود والنصارى)، والكفار، بمن فيهم (المنافقون).

وهُزُوءًا: من الاستهزاء، وهو التحقير والاستخفاف والتصغير. والاستهزاء

عام يشمل الأشخاص، والآيات، والأعمال، ويختلف عن السخرية التي تكون في الأشخاص فقط.

أو العيب بدينكم، وهُزُواً: مشتقة من فعل: هزأ، يهزأ، لعباً: يعني: عبثاً. أي: لا يصح أن يقابل من اتخذ دينكم هزواً ولعباً، بأن تتخذوه ولياً، بل يقابل بالبغضاء والشنآن.

﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارُ أَوْلِيَاءُ﴾ الذين أوتوا الكتاب: فيها ذم مقارنة بقوله تعالى: بأهل الكتاب؛ أولياء: جمع ولي، والموالاة تعني: الإخلاص، والمودة، والقربى، والبطانة.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في موالاة الكفار، والذين أوتوا الكتاب؛ أي: أطيعوا أوامر الله تعالى، وتجنبوا نواهيه في مسألة الولاية.

﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال.

﴿مُؤْمِنِينَ﴾: حقاً؛ لأن الإيمان الحق يأبى موالاة أعداء الدين، أو إن كنتم مؤمنين؛ للحث والإثارة على عدم اتخاذ الذين أوتوا الكتاب والكفار أولياء. ارجع إلى الآية (٥٨) من سورة المائدة؛ لمزيد من البيان.





سُورَةُ الْكَافِرَاتِ ٥

البقرة السابعة

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْأَثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعِنَا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾



سورة المائدة [الآيات ٥٨ - ٦٤]

[٥٨] ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زمني للمستقبل؛ متضمن معنى الشرط، ويدل على حتمية وكثرة الوقوع؛ أي: النداء للصلاة، والنداء إلى الصلاة؛ أي: الأذان..

﴿نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾: أي: أذن المؤذن إلى الصلاة.

﴿اتَّخَذُوهَا هُزُوًا﴾: هزواً: من الهزاء، وهو تحقير المستهزأ به، والاستهزاء عام؛ يشمل: الأشخاص، وغير الأشخاص؛ كالصلاة، أو الآيات، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزَؤْا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ ٦٤ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٤-٦٥]؛ أي: اتخذوا من الأذان والصلاة مجالاً للحط من أهميتهما، وللفكاهة، والتحقير من شأنهما.

أما السخرية: فتتحصّر في الأشخاص تحديداً، ولم ترد في القرآن إلا في الأشخاص حصراً.

﴿وَلَعِبًا﴾: ظنوا أن الصلاة حركات عبثية، لا قيمة لها، ولا هدفاً.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة؛ يشير إلى اتخاذهم الصلاة هزواً ولعباً.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء: سببية؛ أي: بسبب، أنهم: أن للتوكيد.



﴿قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾: لا: النافية؛ تنفي عنهم العقل والفهم، وهو أسوأ وأشد من نفي العلم.

[٥٩] ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: الكتاب: أي: التوراة، والإنجيل، اليهود والنصارى.

﴿هَلْ﴾: استفهام؛ فيه تبكيت، وتوبيخ.

﴿تَنقِمُونَ مِنَّا﴾: من نقم ينقم منه؛ أي: عاقبه، أو كره منه أن يفعل أمراً ما؛ مما أدى إلى الكراهية، والمعاداة، والكيد، والعقاب؛ أي: كيف تكونون أهل توراة، وإنجيل، وتنكرون علينا الإيمان بالله، وما أنزل إلينا، وتتخذون ذلك سبباً للمعاداة، والانتقام، والكراهية.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ أي: فقط؛ لأننا آمنّا بالله .

﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾؛ أي: القرآن، وما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾: من التوراة، والإنجيل، ومن الصحف.

﴿وَأَنَّ﴾: يفيد التوكيد، والتعليل.

﴿أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾: أي: كونكم تنقمون منا؛ لأننا آمنّا بالله، وما أنزل إلينا؛ هذا يعدّ فسقاً منكم، ويفعله الأكثرون، وإذا قارنا هذه مع الآية (٨١) في نفس السورة، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: نجد أن أكثر تأتي

في سياق الأكثر عدداً أو إذا كان السياق في تعداد أسوأ الصفات والأفعال مقارنة بكثير.

﴿فَسِفُونْ﴾: خارجون عن الدين؛ أي: طاعة الله تعالى. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٦)؛ لمزيد من البيان في معنى فاسقون.

[٦٠] ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾:

أسباب النزول: حينما ذكر رسول الله ﷺ لليهود: أنه يؤمن بـعيسى، وهم لا يؤمنون بـعيسى؛ جحدوا بنبوّة رسول الله ﷺ، ونبوّة عيسى .

وقالوا: لا نعلم ديناً شراً من دينكم، ولا أهل دين أقل خطأ منكم، في الدنيا والآخرة، فرد الله عليهم بهذه الآية.

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ: ﴿هَلْ﴾: للاستفهام، والتعليم، وهل: أداة للاستفهام أقوى من الهمزة؛ كقوله أُنَبِّئُكُمْ.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾: الهمزة: للاستفهام والتبكي.

﴿بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾: وأصلها: هل أخبركم بشراً من ذلك، ذلك: اسم إشارة يشير إلى الذي تنقمون به منا، هو من لعنة الله.

﴿مِنْ ذَلِكَ﴾: للتفضيل، ولا يعني ذلك: أن المؤمنين في شرٍّ، ولكنها مجارة لما قاله اليهود، ولمقارنة هذه الآية ﴿مِنْ ذَلِكَ﴾ مع الآية (٧٢) في سورة الحج، وهي قوله تعالى: ﴿بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾؛ ارجع إلى سورة الحج الآية (٧٢).

﴿مَثُوبَةً﴾: جزاء من تاب يثوب، وتطلق على الجزاء، والثواب، واستعمال



كلمة ثواب في سياق الشر؛ فيها معنى التهكم، والتوبيخ. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٠٣) لمزيد من البيان. والثواب الذي وعدهم الله تعالى لعنته والغضب عليهم والمسح.

﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: عند: ظرفية زمانية (يوم القيامة)، ومكانية.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية.

﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾: أي: طرده وأبعده عن رحمته.

﴿وَعَصِبَ عَلَيْهِ﴾: والغضب: هو عدم الرضا، والقبول منه، ويقضي العقاب والانتقام.

﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ﴾: الجعل: يكون بعد الخلق؛ أي: الخلق يتم أولاً ثم يجعل من الخلق ما يشاء؛ أي: هو مرحلة تالية للخلق فهو سبحانه خلقهم كبشر، ثم جعل منهم القردة والخنازير؛ ارجع إلى سورة البقرة الآية (٦٥)، وسورة الأعراف الآيات (١٦٣-١٦٦) للبيان؛ أي: مسخهم قردة، وهو الحيوان المعروف لدى الناس.

﴿وَالْخَنَازِيرَ﴾: جمع خنزير؛ الذي حرمه الله ووصفه بأنه رجس.

﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾: وفيها قراءتان: عبُد بضم الباء (جمع عبد)، والثانية: بفتح الباء عبَد، ولمعرفة معنى الطاغوت، والشيطان، والكهنة، ورؤسائهم الضالين: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥٦)؛ للبيان.

﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، وتشير إلى اليهود.



﴿شَرُّ مَكَانًا﴾: أسوأ مكاناً، ومنزلة يوم القيامة، من غيرهم.

﴿وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾: وأكثر ضلالاً من غيرهم عن سواء السبيل، طريق الحق، أو الصراط المستقيم الموصل إلى الغاية، والسواء: هو الوسط.

[٦١] ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾:

نزلت هذه الآية في بعض اليهود، الذين كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ، فيجلسون معه ﷺ، وهم متلبسون بالكفر، فلم ينفعهم جلوسهم مع رسول الله، ولم يهتدوا، أو يتعظوا.

﴿وَإِذَا﴾: إذا: شرطية، وتنفيذ حتمية الحدوث.

﴿جَاءُوكُمْ﴾: جاؤوا الرسول، أو جاؤوا المؤمنين.

﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾: أي: أظهروا إيمانهم بأفواههم فقط، ولم تؤمن قلوبهم.

﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾: أي: لم تتغير حالتهم، فهذا يدل: أن الدخول عليهم كان نفاقاً. قد: حرف تأكيد وتحقيق.

﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ﴾: الباء: تفيد الإلصاق؛ أي: المصاحبة.

﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾: هم: ضمير منفصل؛ يدل على تأكيد هويتهم الكافرة، وقلوبهم القاسية، ويدل ليس في قلوبهم ذرة إيمان، وأن الله طبع عليها، وهم يدعون أنهم يؤمنون ويسمعون قول الرسول ﷺ.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾: أعلم: على وزن أفعّل؛ للمبالغة.



﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾: بما كانوا يكتُمون من الكفر، والنفاق.

﴿يَكْتُمُونَ﴾: من الكتم، وهو عملية قسرية، يحاول فيها الفرد أن لا يظهر وفي هذه الآية تعني: نفاقه، وكفره؛ خوفاً من أن تنكشف حقيقته للناس، ورغم كتمانها، فكفره ونفاقه، لا بُدَّ أن يظهر عاجلاً أم آجلاً.

[٦٢] ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَتَرَى﴾: الرؤية هنا قلبية وبصرية.

﴿كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾: أي: من اليهود، ولم يقل: الكل؛ إذ من المحتمل أن يكون هناك من سيؤمن في المستقبل، ويرجع عن إثمه وعدوانه.

﴿يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾: يسارعون: ولم يقل يسرعون، يسارعون؛ أي: يبذلون الجهد والطاقة للمسارعة، وبدلاً من يسارعون في الخيرات هم يسارعون في الإثم؛ أي: الكسب المزيد من الإثم (فعل القبيح، ويشمل الصغائر والكبائر، والإثم يعني: الجرم والذنب)، قولاً وفعلًا، مهما كان نوعه، والإثم يعود على الإنسان نفسه، ولا يتعداه إلى غيره. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٣٣)؛ لمزيد من البيان عن الإثم.

﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: هو مجاوزة الحد؛ أي: تعد لحدود الله وإرادة السوء، أو الشر لمن تعاديه، وأصل العدوان: الميل، والبعد عمن تعاديه والظلم.

﴿يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾: ولم يقل: يسارعون إلى الإثم، قوله: ﴿يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾: يعني: أنهم قبل المسارعة كانوا منغمسين في ارتكاب الإثم، والعدوان،

وهم يحاولون كسب المزيد من الإثم والعدوان. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٣٣) للبيان.

والمسارعة عادة تكون في الخيرات، واستعيرت في فعل المنكرات؛ لكثرة حدوثها، أو لأنهم يحسبون هذه المنكرات خيرات! ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٧٦) لمزيد من البيان في يسارعون.

﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾: أي: وهم يسارعون في أكلهم السحت، والسحت: هو الحرام القبيح، المبالغ في حرامه، مثل: الرشوة، والاعتصاب، والربا، والسحت قد يعني: لا بركة فيه، أو المسحوت الذي لا يبقى للحسنات أثراً، والسحت: من محبطات الأعمال الحسنة، وشبه أخذ المال الحرام، القبيح، بالأكل؛ للدلالة على كثرة أخذه؛ حيث يحتاج إلى الكل أكثر من مرة في اليوم، وربما مرات عدة، وكذلك أكلهم السحت، يتكرر مرات، أو أخذهم المال السحت الذي يشترون به الطعام الذي يأكلونه؛ فكأنهم يأكلون السحت بدلاً من الطعام.

﴿لَيْتَسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: السلام: للتوكيد، بئس: من أفعال الذم، ويعملون: تشمل القول والفعل معاً؛ أي: بئس ما يقولونه، أو يفعلونه في ارتكاب الإثم والعدوان.

[٦٣] ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَلِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾:

﴿لَوْلَا﴾: أداة حَضٍّ وطلب، وفيها معنى التوبيخ، وتعني: لم لا ينهاهم، وفيها معنى المشاركة بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.



﴿الرَّبَّيْنِیُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾: ارجع إلى الآية (٤٤) من سورة المائدة؛ للبيان.

﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة؛ للبيان.

﴿لَيْسَ﴾: اللام: التوكيد، وبئس: فعل ذم، وتوبيخ؛ لسكوت الأحبار، والربانيين، وترك النهي؛ لأن تارك الإنكار، وهو قادر على فعل ذلك يشارك فاعل المنكر في الإثم.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ أي: الذين يصنعون.

﴿يَصْنَعُونَ﴾: أي: هؤلاء الربانيون والأحبار، وأكلي السحت، ومرتكبي الإثم والعدوان: يصنعون بدلاً من يفعلون، أو يعملون؛ لأن أعمالهم السيئة والقبیحة؛ أصبحت مهنتهم، وعملهم الدؤوب اليومي، يمارسونه بأحسن الطرق والوسائل؛ كأنه أصبح صناعة فاخرة.

[٦٤] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾:

أسباب النزول: روي عن ابن عباس: أن هذه الآية بعد أن بسط الله على اليهود؛ حتى كانوا أكثر الناس أموالاً، فلما عصوا الله، ومحمداً ﷺ، وكذبوا به؛ كف عنهم ما بسط عليهم من السعة، فعند ذلك قال فنخاص (رأس يهود بني قينقاع): ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: يعني: محبوسة، مقبوضة عن الرزق، وعندما لم ينهه

بقية اليهود، وينكروا عليه ما قاله، وروضوا بقوله؛ أشركهم الله سبحانه في هذه المقالة، فقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾: بدلاً من القول، وقال: قائل منهم.

﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: حينما كفّ الله عنهم ما بسط لهم من الرزق؛ عقوبة على عصيانهم، قالوا ذلك على الله: بأن يد الله بخيلة العطاء، مغلولة؛ كأنما وضعت فيها الأغلال، كناية عن البخل، كما يعني: بسط اليد بالكرم، وحاشا الله تعالى أن يكون كذلك.

﴿مَغْلُولَةٌ﴾: معنى الغل: وهو ما يُقيد به الأعضاء والأطراف، وجمعة: أغلال، وهم الذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾: دعاء عليهم بالبخل، وقيل: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾: في جهنم، أو أمسكت عن الإنفاق في الخير.

﴿وَلَعَنُوا بِمَا قَالُوا﴾: طردوا، وأبعدوا من رحمة الله.

﴿بِمَا﴾: الباء: السببية، أو البدلية؛ بسبب، أو عوض ما قالوا في ذات الله تعالى.

﴿بِمَا﴾: اسم موصول؛ أي: الذي قالوه.

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: بل: للإضراب الإبطالي، بل ما نسبوه كذباً على الله .

﴿مَبْسُوطَتَانِ﴾: كناية عن أنه كريم جواد، كثير العطاء.

هم قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، فردّ الله عليهم: بل يدها الاثنتان مبسوطتان، تعطيان؛ كناية عن جوده وكرمه .

﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾: بالعطاء، أو المنع، فالمنع هو عين الإنفاق، وهذا يسمّى



عطاء السلب، فيمنع عنه؛ لكي لا يرتكب الفواحش؛ مثلاً، أو يصبح من المسرفين المبذرين، إخوان الشياطين، وقد برر منعه بقوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٢٧] إن شاء وسع، وإن شاء أمسك.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾:

﴿وَلَيَزِيدَنَّ﴾: الواو: استثنائية. اللام: للتوكيد، والنون: كذلك لزيادة التوكيد.

﴿كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾: أي: اليهود والنصارى.

﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: ما أنزل إليك من القرآن الكريم وآياته، التي تبين خبثهم، وتفضح أفعالهم القبيحة؛ من أكلهم السحت، وارتكابهم الإثم والعدوان. ﴿طُغْيَانًا﴾: الطغيان: هو المبالغة، وتجاوز الحد في الغلو، والكفر، والحسد.

﴿وَكُفْرًا﴾: يزداد كفرهم؛ أي: عدم تصديقهم لك ولأمتك.

﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَقْدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾:

﴿وَالْقَيْنَا﴾: من ألقى، والإلقاء: هو طرح الشيء؛ حيث تجده؛ أي: تراه.

﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾: بين طوائف اليهود، بعضها ببعض، أو طوائف النصارى بعضها ببعض، أو بين طوائف اليهود والنصارى معاً العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة. ارجع إلى الآية (١٤) من نفس السورة لمعرفة الفرق بين ألقينا وأغرينا.

﴿الْعَدَاةَ﴾: كراهية تصدر عن صاحبها، والكراهية: أذى محسوس يتجلى بالجفاء، والقطيعة، والضرر، والعداوة: مشتقة من العدو، وهو التجاوز والتباعد.

﴿وَالْبَغْضَاءُ﴾: شدة الكراهية، وتكون مضمرة في الصدر غالباً، وقد تظهر على الوجه، والبغض: ضد الحب؛ أي: نفور النفس عن شيء لا ترغب فيه، والعداوة والبغضاء غالباً نراهما مترادفتين الواحدة بعد الأخرى؛ لأن إحداهما تؤدي إلى الأخرى.

﴿كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾: كلما: أداة شرط تفيد التكرار، إيقاد النار: كناية عن إرادة الحرب، فقد كانت العرب إذا تواعدت للقتال؛ جعلوا علامتهم إيقاد النار على جبل أو ربوة، يسمونها: نار الحرب، وإطفائها عبارة عن دفع شرهم؛ أي: كلما أرادوا شراً بالمؤمنين؛ صرفه الله عنهم، من دون حرب، أو بحرب يغلبون فيها.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ﴾: من السعي، والمضي، والجري، أو العمل يسعي؛ أي: يعمل بجهد ونشاط.

﴿فَسَادًا﴾: الفساد: يشمل الكفر، والظلم، والمعاصي، وإهلاك الحرث والنسل؛ بالقتل، والإحراق، والإفساد، وتدمير البناء، وقطع الأشجار.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾: في الأرض الذين يقومون بأعمال الفساد، وأصبحت صفة الفساد عندهم ثابتة، ولا يتوبون إلى الله، ويستغفرونه، وإنما يستمرون في فسادهم. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٥

الجزء الثاني

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَلَآدْخُلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا
التَّوْبَةَ وَالْإِحْسَانَ مَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِن
فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ
سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
مِّن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ
مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَأْهَلِ
الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْبَةَ وَالْإِحْسَانَ
وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلِيُزِيدَكُمْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ مِّن رَّبِّكَ طُغِيَْنَا وَكُفَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ
﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَى
مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي
إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كَمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا
لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾



سورة المائدة [الآيات ٦٥ - ٧٠]

[٦٥] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: استثنائية. لو: حرف شرط.

﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: اليهود والنصارى.

﴿ءَامَنُوا﴾: بالله ورسله، وبما جاء به محمد ﷺ.

﴿وَاتَّقَوْا﴾: أطاعوا وأوامر الله، وتجنبوا محارمه؛ أي: المحارم؛ مثل: أخذهم الربا، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وقولهم الإثم، وكفرهم بآيات الله، والشرك بالله، وقولهم المسيح ابن الله، أو ثالث ثلاثة، وغيرها من المحرمات.

﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: اللام: لام التوكيد. كفرنا سترنا عليهم سيئاتهم، ولم نفضحهم، ومحوناها عنهم.

﴿عَنْهُمْ﴾: تقديم الجار والمجرور؛ يدل على الأهمية، عنهم خاصة، ولم يقل: لكفرنا سيئاتهم عنهم.

﴿وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ﴾: اللام: للاختصاص، والنون في أدخلناهم: للتوكيد.

﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾: نوع من أنواع الجنات، فهناك جنات: الفردوس، وجنات عدن، وجنات النعيم، وغيرها...



[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾: مثل نظيرتها المتقدمة في الآية السابقة؛ أي: أطاعوا الله، ورسله، واتقوا.

﴿أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾: الإقامة: العمل بما في التوراة والإنجيل على أتم وجه، وعدم الإيمان ببعض، والكفر ببعض، وإقامة أحكامها وحدودها، والأخذ بالعقائد الصحيحة.

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾: ما: اسم موصول، بمعنى: الذي؛ أي: القرآن الكريم، ومن الوحي على أنبيائهم.

﴿لَأَكَلُوا﴾: اللام: للتوكيد والابتداء.

﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾: من: ابتدائية؛ فوقهم: أي: كان الرزق ينتظر أن ينزل عليهم، أكلوا: تعني: لو سَعَّ عليهم، ويسر عليهم الأرزاق، وأنزل عليهم بركات من السماء والأرض، من مطر، ورزق، وخير، ومن تحت أرجلهم: من: ابتدائية؛ تحت أرجلهم: من نبات الأرض، والحبوب... وغيرها.

﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾: من: البعضية؛ تفيد القلة.

﴿أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾: أي: معتدلة في القول والفعل، من غير غلو، ولا تقصير، ولم تقل: إن عيسى ابن الله، ولا العزيز ابن الله، أمثال عبد الله بن سلام وأصحابه.

﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾: كثير منهم بئس ما يعملون، قولاً وفعلاً. ساء: من أفعال الذم؛ أي قبحاً لما يعملون.

[٦٧] ﴿يَتَأْتِيَهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾:

نداء من الله تعالى إلى رسوله محمد ﷺ، فيه التعظيم والتكريم؛ لأنه لم يناده، مثلما نادى الرسل الآخرين بأسمائهم: يا إبراهيم، يا عيسى، يا يحيى، وإنما قال: يا أيها الرسول.

وحينما ينادي: ﴿يَتَأْتِيَهَا الرَّسُولُ﴾: يأتي ذلك في سياق الدعوة، والتبليغ. ارجع إلى الآية (٤١) في نفس السورة لمزيد من البيان في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الرَّسُولُ﴾، ﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ﴾.

﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: ما: اسم موصول؛ يعني: الذي ﴿أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، ﴿بَلِّغْ﴾: كل من تستطيع من الوحي، أو المنهج كاملاً.

﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾: الواو: عاطفة، إن: حرف شرط.

﴿لَمْ﴾: حرف نفي.

﴿تَفْعَلْ﴾: أي: تقم بالتبليغ والدعوة.

﴿فَمَا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، ما: حرف نفي.

﴿بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾: رسالة الإسلام، والإبلاغ؛ يعني: الإعلام.



﴿وَاللَّهُ يَعَصُّكَ مِنَ النَّاسِ﴾: يعصمك: يحفظك، يمنعك، ويصونك من أعدائك؛ أي: من القتل، أو الأسر.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: أي: بلغ ما أنزل إليك من ربك، والله هو الذي يهدي من يشاء، وليس عليك هداهم، إنما عليك البلاغ.
﴿إِنَّ﴾: للتأكيد. لا: نافية.

﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: الذين جحدوا بالله ورسله، وما أنزل الله، لا يهديهم؛ لأنهم اختاروا طريق الكفر، والضلال؛ لأنفسهم، فالله ليس بحاجة إلى إيمانهم.

[٦٨] ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾:

﴿لَسْتُمْ﴾: ليس: تنفي الحال، والمستقبل، والماضي؛ فهي غير مقيدة بزمن معين.

﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: شيء: نكرة، تشمل كل شيء، والشيء هو أقل القليل، أو لستم على شيء من الإيمان، حتى تقيموا التوراة والإنجيل، وما أنزل إليكم من ربكم.

﴿حَتَّىٰ﴾: تفيد انتهاء الغاية؛ أي: إلى أن تقيموا التوراة والإنجيل، وما أنزل إليكم من ربكم، والعمل بها كاملاً.



﴿تَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾: ارجع إلى الآية (٦٦) من السورة نفسها.

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: من الآيات، بما فيها آيات القرآن الكريم، أو

الوحي.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾: ارجع إلى الآية

(٦٤) من السورة نفسها.

﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: الفاء: للتوكيد، لا: ناهية.

﴿تَأْسَ﴾: من الأسى: وهو أشد ألمًا من الحُزن أو الحزن الشديد، وأطول

زمنًا من الحُزن، ويصحبه جزع أحياناً وعدم رضا.

﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: أي: الذين كفروا بالله، ورسله، وكتبه، ويريدون أن

يؤمنوا ببعض، ويكفروا ببعض. القوم الذين أصبح الكفر سمة وصفة ثابتة لهم،

واستمروا على ذلك.

[٦٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰدِقِينَ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ ءَٰمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

ارجع إلى الآية (٦٢) من سورة البقرة؛ للبيان، وسورة الحج الآية (١٧).

إذا نظرنا إلى هذه الآية، سنلاحظ أمرين:

الأول: هو العطف بالرفع، رفع (الصائبون)، والعطف بالرفع عادة غير

مؤكد؛ أي: معطوف من دون إرادة التوكيد، بينما العطف بالنصب مؤكد.



ورفع (الصابئون) هنا؛ لكونهم أبعد المذكورين ضلالاً، فجاء توكيدهم أقل.

الثاني: هو تقديم (الصابئون) على النصاري؛ لأن البعض يرى أن عقيدتهم لا إله إلا الله، أفضل من عقيدة النصاري التي تقوم على الشرك بالله، والتثليث. والتقديم قد يكون بالزمن؛ فالصابئين أقدم من النصاري من حيث المعجىء بالزمن، ولا بدّ من الانتباه إلى سياق هذه الآيات في سورة البقرة: ذكرت هذه الآية في سياق اليهود، وفي سورة الحج: جاءت الآية في سياق الفصل بينهم يوم القيامة، وفي سورة المائدة: جاءت في سياق الدعوة إلى الله، وفي سياق الحديث عن أهل الكتاب.

[٧٠] ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد. قد: للتحقيق، وزيادة التوكيد.

﴿مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: أي: العهد المؤكد باليمين.

أخذنا ميثاق بني إسرائيل في التوراة، بالسمع، والطاعة، والتوحيد، وأن يعملوا بما فيها، وأن يؤمنوا برسله، وعيسى، ومحمد ﷺ.

﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾: مثل: موسى، وهارون، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وعيسى عليهم السلام.

﴿كُمَا﴾: مركبة من: كل وما المصدرية الظرفية؛ فهي أداة شرط تفيد

التكرار.

﴿جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ﴾: الباء: حرف جر، ما: اسم موصول؛

بمعنى: الذي؛ أي: بالذي لا تهوى أنفسهم من الحق.

وتعريف الهوى: هو ما تميل إليه النفس، بما لا ينبغي بعيداً عن الحق، وبلا

دليل. ارجع إلى الآية (٥٦) من سورة الأنعام.

﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾: فريقاً من الرسل كذبوا، وفريقاً من

الرسل يقتلون، ولم يقل: فريقاً كذبوا (فعل ماضي)، وفريقاً قتلوا، وإنما جاء

بصيغة المضارع ﴿يَقْتُلُونَ﴾، جاء بالفعل المضارع في كلمة ﴿يَقْتُلُونَ﴾: حتى

يشعرنا بعظم وبشاعة الجرم هذا، وهو ما نسميه حكاية الحال، رغم أنه حدث في

الماضي.

ويجب أن ننتبه إلى أن بني إسرائيل لم يقتلوا أي رسول، وإنما قتلوا بعض

الأنبياء؛ لأن الرسل معصومون من القتل، والأنبياء غير معصومين، وجاء هنا

بكلمة الرسل؛ لأن الرسل تطلق على الأنبياء والرسل معاً؛ لأن كلاهما مرسل

من الله تعالى.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٥

الْبُرْجُ النِّبَاتِيُّ

وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا
يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ عِبُدُوا
اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّا مِنْ
إِلَهِ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ
إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾
مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ
ۖ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى
يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

سورة المائدة [الآيات ٧١ - ٧٦]

[٧١] ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَحَسِبُوا﴾: اعتقدوا وظنوا: ظنوا ظناً راجحاً من الحساب القلبي، والحسي؛ القائم على النظر والتجربة.

﴿أَلَّا﴾: أن لا، أن: للتوكيد، لا: النافية.

﴿تَكُونَ فِتْنَةً﴾: أي: لا يعذبون بذنوبهم، وأنهم لا يفتنون، ولا يُبتلون بالشدائد، والمحن في الدنيا.

﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾: الفاء: للترتيب والمباشرة.

عطلوا أدوات الإدراك عندهم: الأعين، والأذان، فلم يبصروا الحق، ورفضوا الاستماع إلى أي آية أو موعظة، فلم يتدبروا آيات الله؛ حتى إنهم ظنوا أنهم أبناء الله وأحباؤه، فكذبوا الرسل، وقتلوا أنبياءهم، وعصوا ما في التوراة، وعبدوا العجل، وطلبوا رؤية الله.

﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: بعد عبادتهم العجل، وطلبهم رؤية الله، وبعد قتل الذين عبدوا العجل.

﴿ثُمَّ﴾: لبيان البعد بين التوبة، والعمى، والصم.

﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾: ثم: هنا للحال، وللتوكيد.

﴿عَمُوا وَصَمُوا﴾: مرة ثانية بنقضهم ميثاقهم، وكفرهم بآيات الله قولهم ﴿قُلُونَا غُلْفٌ﴾، وقيل: ﴿عَمُوا وَصَمُوا﴾: بعد بيان الحق، ومجيء محمد ﷺ برسالته.



﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾: أي: حَضَّ بعضهم بعضاً على المعصية، وعدم الاستجابة؛ لما أمر به الله تعالى، وقيل: ﴿عَمُوا وَصَمُوا﴾: الأولي: بعد رفع الجبل فوقهم، وظنوا أنه واقع بهم، و ﴿عَمُوا وَصَمُوا﴾: الثانية بعد إرسال محمد ﷺ.
﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾: الله مطلع، و رقيب، وشاهد.

﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: يعملون: تعني: الأقوال، والأفعال، وقَدَّمَ ﴿بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: لأنَّ العمى، والصم أعمال قلبية، لا يعلمها إلا الله، ولم يقل: والله بما يعملون بصير.

[٧٢] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِيْٓ إِسْرَءِيلَ ۖ اْعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد، وقد: للتحقيق، وتوكيد كفر ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

﴿كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد، والكفر هنا؛ كفر العقيدة، والإيمان؛ أي: الشرك بالله.

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يدلُّ على التوكيد والحصَر، أن الله هو المسيح عيسى ابن مريم؛ هذا ما قالته بعض طوائفهم.

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِيْٓ إِسْرَءِيلَ﴾: وقال ذلك، وهو بين أظهرهم، قبل أن يرفعه الله إلى السماء.

﴿اْعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾: أي: اعبد الله وحده الذي هو ربِّي وربكم.
﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾:

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.



﴿مَنْ﴾: استغراقية.

﴿شَرِكَ بِاللَّهِ﴾: يتخذ مع الله شريكاً، أو ندّاً، أو ولدّاً.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ تفيد التوكيد.

﴿حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾: حَرَّمَ عليه دخولها؛ أي: منعه من دخولها، ولم يكف ذلك، بل لا بُدَّ من دخول النار.

﴿وَمَا وَهُهُ النَّارُ﴾: مقرُّه ومستقرُّه النار.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾: وما: النافية. للظالمين: السلام: لام الاختصاص، والاستحقاق، الظالمين: جمع ظالم، وكل من يخرج عن منهج الله؛ فهو ظالم، والظالمين قد تعني: المشركين؛ لأن الظلم هو الشرك.

﴿مَنْ﴾: استغراقية.

﴿أَنْصَارٍ﴾: جمع نصير؛ أي: لا يجد من ينصره، ويمنع أو يدفع عنه العذاب، أو يخلصه منه. بينما ناصرين، جمع ناصر، ونصير أبلغ وأقوى من ناصر؛ ارجع إلى سورة الروم آية (٢٩) لمقارنة ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ مع قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّاصِرٍ﴾ [الحج: ٧١].

وفي هذه الآية دليل على تحذير عيسى لهؤلاء الذين يقولون: إن الله سبحانه هو عيسى .

[٧٣] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ وَكَانَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾: الذين: اسم موصول؛ يعود على فئات النصارى مثل الملكية؛ التي قالت ذلك.



﴿ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ﴾: الأب: هو الله، والابن: هو المسيح، وروح القدس.

أو الآلهة ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس، أو أن الثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس، هو عين الآخر، لا فرق بين واحد منهم والآخر، أي واحد منهم يمثل الإله.

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، وما: النافية، وهي للرد على قولهم غير الصحيح، والكذب.

﴿مَنْ﴾: استغراقية.

﴿إِلَهُ﴾: معبود.

﴿إِلَا﴾: أداة حصر. ﴿إِلَهُ﴾: معبود (هو الله سبحانه وتعالى).

﴿وَاحِدٌ﴾: صفة (نعت) واحد؛ أي: لا يتجزأ، ويكون ثلاثة. ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿وَإِنْ لَّمْ يَنْتَهُوا﴾: إن: شرطية.

﴿لَّمْ﴾: حرف نفي.

﴿يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾: إنذار ووعد لهم: بأن يتركوا ما يقولون أو يفترون، والافتراء: الكذب على الله، سواء أكان قولهم الله هو المسيح، أم عقيدة التثليث. ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾: عن الذين يقولون، وكلمة يقولون: تدل على التكرار، والاستمرار في قولهم الباطل.

﴿لَيَمَسَنَّ﴾: اللام: للتوكيد، وكذلك نون النسوة في ليمسن: لزيادة التوكيد، ليمسن: أي: يصيبن.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾: منهم خاصة، فربما هناك منهم من يؤمن بالله وحده.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الدنيا والآخرة، شديد الإيلام، وعذاب: نكرة؛ ليدل على شدته ونوعه.

[٧٤] ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ، وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: استفهام توبيخي، وفيه معنى الأمر، والفاء: للتوكيد. لا: النافية.

﴿يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾: التوبة تعني: الإقلاع عن تلك العقائد الباطلة، وعدم العودة إلى أقوالهم الباطلة، والندم عليها.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾: أي: يستغفرون الله؛ مما نسبوه إليه من كونه ثالث ثلاثة، أو أن المسيح هو الله، ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، أو ابن الله سبحانه.

والاستغفار: أي: يطلبون من الله أن يمحو عنهم ذنوبهم وسيئاتهم ولا يعاقبهم عليها، ويرجعون إليه، ولا يعودون لما قالوا، وقدم التوبة على الاستغفار؛ لأنه لا بد من التوبة أولاً ثم الاستغفار.

﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: غفور: صيغة مبالغة غفور للمذنبين التائبين، يغفر الذنوب جميعاً؛ إلا الشرك.

﴿رَحِيمٌ﴾: بعباده المؤمنين الموحدين في الدنيا والآخرة، رحيم: صيغة تدل على ثبوت صفة الرحمة لذاته. ارجع إلى سورة الفاتحة، آية (٢)؛ لمزيد من البيان.

[٧٥] ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾:

﴿مَا﴾: النافية.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر على كونه رسولاً فقط.

﴿قَدْ﴾: للتأكيد، والتحقيق، والتوكيد.



﴿خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: أي: مضت.

﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾: مريم عليها السلام؛ أي: ليست إلهاً، صديقة: صفة مبالغة في الصدق، و﴿صِدِّيقَةٌ﴾: مؤمنة بالله، ومصدقة بالأنبياء؛ أعطيت درجة الصديقين.

﴿كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾: عيسى وأمه عليهما السلام؛ كسائر البشر؛ لأنهما كانا يأكلان الطعام؛ للحفاظ على حياتهما، ومن يأكل، ويشرب ليس بإله، أو لا يمكن أن يكون إلهاً؛ فهذا نفى مطلق؛ لكونه وأمه عليهما السلام إلهين.

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ بُيِّنْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾: التبيين: التوضيح؛ أي: الآيات: الحقائق، والدلائل، والعلامات على وحدانية الله تعالى.

ثم انظر ﴿كَيْفَ﴾: أنَّى، ومن أين، وللاستفهام والتعجب.

﴿يُؤَفِّكُونَ﴾: من الإفك: وهو الصرف والتحويل باستخدام وسيلة الكذب؛ أي: يصرفون الناس عن الحق إلى الباطل، ويعدلون.

والإفك: وهو الكذب المفترى على الله، والمتعمد بأن الله هو المسيح، أو ثالث ثلاثة، أو ابن الله سبحانه وتعالى عما يشركون.

[٧٦] ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ، قل لأهل الكتاب، أو المشركين، وعبداء الأوثان، أو غيرهم.

﴿أَتَعْبُدُونَ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، والنون: للتوكيد.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله؛ أمثال عيسى، وأمه، والملائكة.

﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ﴾: ما: تشمل العاقل، وغير العاقل، وقد تعني: اسماً موصولاً؛ أي: الذي لا يملك، أو ما النافية، أو تعني: الكل.

﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: الضَّر: البلاء، والضَّر: ما يصيب الفرد من المرض، والفقر، والعاهات في بدنه؛ ما لا يقدر على دفع الضر عنكم: من مرض، وقحط، وزلازل، وأوبئة، ولا يقدر على جلب النفع لكم: من رزق، وصحة؛ أي: ما لا يضر، وما لا ينفع.

وقدَّم الضر على النفع لأن دفع الضر أهم من جلب النفع؛ لأن عبادة الأصنام، أو عبادة عيسى، أو الشرك والكفر كلها ضر، وليس فيها نفع، ولأن النفوس أشد حرصاً على دفع الضر أولاً قبل أن تتطلع إلى جلب النفع، والآيات في سياق الكفر والشرك بالله.

﴿لَكُمْ﴾: اللام: للاختصاص، لكم أنتم خاصّة.

﴿وَاللَّهُ هُوَ﴾: هو تفيد الحصر والتوكيد.

﴿السَّمِيعُ﴾: لأقوالكم في السرّ، والعلن.

﴿الْعَلِيمُ﴾: بأحوالكم، وبما تعبدون، وتشركون، وبما تعتقدون، ويعلم كل معلوم، والعليم: صيغة مبالغة من علم، والعليم: كثير العلم، والعليم بنواياكم، وعالم الغيب والشهادة وحده، وعلام الغيوب، لا يشاركه أحد في ذلك.



البقرة السابعة

سورة البقرة

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا
كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى
ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾
كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ
مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ
يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ
أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾
وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ
مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾
لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيكَ ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ
قَسِيصِينَ وَرَهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾



سورة المائدة [الآيات ٧٧ - ٨٢]

[٧٧] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ؛ لهؤلاء أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

﴿لَا﴾ الناهية.

﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾: الغلو: هو الإفراط، وتجاوز الحد، وهو نقیض التقصير، والغلو هنا يعني: نسب الألوهية إلى عيسى، أو القول هو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، ﴿لَا تَغْلُوا﴾: وتجعلوا عيسى إلهاً، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة.

﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾: غير: تفيد المغايرة، ذاتاً، أو صفةً، والحق: هو الشيء الثابت؛ الذي لا يتغير، أو يتبدل، أو يتعارض.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية، وتكرار لا: تفيد التوكيد، وفصل كلاً من الغلو واتباع الأهواء على حدة، أو كليهما معاً.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا﴾: أهواء جمع هوى، وهو ما تميل إليه النفس بعيداً عن الحق، ومن دون أي دليل، أو برهان؛ أي: آراء قوم، مبعثها الأهواء والشهوة، ومن دون دليل وبرهان. ارجع إلى سورة الأنعام، آية (١١٩)؛ لمزيد من البيان.

آراء قوم: هم رؤوس اليهود والنصارى (رؤوس الضلال)، أو أئمة النصارى، مثل: الأقباط، والرهبان، والقسيسين.



﴿قَدْ ضَلُّوا﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد؛ أي: هم أنفسهم قد ضلُّوا منذ القديم.

﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾: وأضلُّوا كثيراً من الخلق عن عبادة الله وحده، وعن طريق الحق.

﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾: هم وأتباعهم ضلُّوا عن سواء السبيل: دين الله، منهج الله، بالشرك، والسواء: هو الوسط.

والسبيل: هو الطريق الموصل إلى الغاية بأقصر زمن، أو مسافة، وبسهولة. وأما الصراط: فهو أوسع وأسهل من السبيل، والموصل إلى الغاية بأقصر زمن ومسافة وبسهولة، وإذا وصف بالصراط المستقيم: فهو دين الله؛ أي: الإسلام. الدِّين القيم، ولمقارنة هذه الآية مع الآية (١٧١) في سورة النساء، والاختلاف بين الآيتين؛ ارجع إلى سورة النساء الآية (١٧١).

[٧٨] ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾:

﴿لُعِنَ﴾: اللعن: الطرد من الرحمة، رحمة الله، والإبعاد عن الخير، في الدنيا والآخرة.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: الذين كفروا من بني يعقوب وذريته. ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: كانوا يسمّون بني إسرائيل في زمن يعقوب، وكذلك في زمن موسى، فلما تغيروا وعصوا؛ دعاهم اليهود، وكلمة بني إسرائيل أفضل من كلمة اليهود تعريفاً ومعنىً.

﴿عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾: أي: لعن داود الذين اعتدوا يوم

السبت من أصحاب القرية التي كانت حاضرة البحر، وعصوا الله؛ أي: دعا عليهم بالعذاب، والطرده من رحمة الله، وكذلك لعن عيسى الذين كفروا وعصوا من بني إسرائيل، ومن خالف من أصحاب المائدة.

وقيل: لعنوا في التوراة، والإنجيل، والزبور.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، ويعني: اللعن، والطرده من رحمة الله تعالى.

﴿بِمَا عَصَوْا﴾: الباء: باء السببية، أو البدلية، عصوا: أوامر الله ورسله، ولم يأمروا بالمعروف، وبنهوا عن المنكر، وبسبب بغيهم، وظلمهم، وفسادهم في الأرض.

﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: يعتدون بصيغة المضارع التي تدل على تجدد والتكرار الاعتداء منهم وأنه مستمر.

[٧٩] ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾:

﴿لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾: لا: الناهية.

﴿يَتَنَاهَوْنَ﴾: ينهون بعضهم بعضاً عن ارتكاب المنكر، والفواحش.

﴿عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾: جاء بالمنكر؛ كنكرة؛ ليدل على الإطلاق، قولاً، أو فعلاً، مثل: صيد البحر يوم السبت، أو أخذ الرشوة، والربا، أو يشمل كل ذلك، وغيره من أنواع المنكر. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (١٠٤)؛ للبيان.

﴿لَبِئْسَ﴾: اللام: للتوكيد، بئس: فعل من أفعال الذم.

﴿مَا﴾: بمعنى الذي، أو مصدرية.



﴿يَفْعَلُونَ﴾: ما يفعلون من المنكر، ويقومون به.

[٨٠] ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾:

﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾: من اليهود، كثيراً منهم؛ أي: الغالبية، يتولون الذين كفروا، ونفى عن القليل منهم ولاية الذين كفروا.

﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾: من الولاية؛ أي: تقديم النصرة، والمعونة، والمحبة، بانضمامهم إلى معسكر الكفر، أو تحالفوا معهم.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: مشركو قريش والمنافقون، ضد رسول الله ﷺ، والمسلمين؛ لأن رسول الله ﷺ قد حذَّ من سلطتهم، وجاههم، وفضح مكرهم، وخذاعهم.

﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾: بصيغ المضارع؛ ليدلَّ على تجدد هذه الولاية للكفار، وتكررها، واستمرارها، وكذلك يعلمون أن موالاة الكفار محرم عليهم في دينهم، ومع ذلك يعصون ما أمرهم الله به.

﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾: لبئس: اللام: للتوكيد، بئس: من أفعال الذم، والتحقير.

﴿قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾: أي: زينت لهم أنفسهم، أو حملتهم أنفسهم، أو لبئس ما قدَّموا لأنفسهم في الآخرة.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري؛ للتعليل والتوكيد.

﴿سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: السخط: هو شدة الكراهية وعدم الرضا، والسخط

يؤدي إلى غضب الله عليهم، وعقابه، وعدم رضاه، والسخط: خلاف الرضا، والسخط: الغضب المؤدي للعقاب.

﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾: من الخلود؛ أي: الإقامة الأبدية في النار، من نقطة بداية تبدأ بعد حسابهم ودخولهم فيها.

[٨١] ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: عاطفة، لو: شرطية.

﴿كَانُوا﴾: هؤلاء الذين كفروا من اليهود.

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾: محمد ﷺ، وما أنزل إليه: ما: اسم موصول بمعنى الذي أنزل إليه: أي القرآن.

﴿مَا﴾: حرف نفي.

﴿اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾: جمع ولي، والاتخاذ: فيه معنى الشدة، والقوة. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٣٩).

أي: حلفاء، وأنصار، وتعاونوا معهم؛ أي: ما تعاون أهل الكتاب مع كفار قريش. ارجع إلى الآية (٥١) من نفس السورة؛ لبيان معنى الولاية.

﴿وَلَكِنَّ﴾: للاستدراك.

﴿كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾: تعود على أهل الكتاب.

﴿فَسِقُونَ﴾: خارجون عن طاعة الله، متمردون في كفرهم، ونفاقهم، وعاصون لما أمرهم الله، وينقض مواعيقهم، وعدم الوفاء بها، وأما الأقلية؛ فنفي عنهم الولاية والفسق.



[٨٢] ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيكَ ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾:

﴿لَتَجِدَنَّ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً﴾: أشدَّ على وزن أفعَل؛ للمبالغة في العداوة، فعداوة اليهود للذين آمنوا أشد العداوات وأظهرها.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿الْيَهُودَ﴾ قيل: هم الذين جاؤوا من بعد بني إسرائيل، ومن دخل في اليهودية، وقدم اليهود على المشركين؛ لأنهم أشد عداوة منهم للمؤمنين.

﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: ولم يقل: المشركين؛ لأن المشركين؛ تعني: الشرك عندهم أصبح سمة وصفة ثابتة، أما ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: أي: من قد يؤمن منهم، ويرجع عن عداوته، وشركه.

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيكَ﴾:

﴿وَلَتَجِدَنَّ﴾: مثل الأولى.

﴿أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾: هي المحبة التي تتجلى آثارها بالمودة، فالمحبة تسبق المودة، فهي سبب المودة، فكل مودة محبة، وليس كل محبة مودة، فالمودة = محبة + إخلاص، ووفاء وغيرها.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: مثل السابقة.

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيكَ﴾: قيل: هم النجاشي، وأصحابه، أو غيرهم من النصاري، حينما هاجر إليهم المؤمنون، الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة.

﴿ذَلِكَ﴾: أي: قرب مودتهم من المؤمنين، إشارة إلى أقربهم مودة.



﴿بَانَ مِنْهُمْ﴾: الباء: للإلصاق، أو السببية.

﴿قَسِيصِينَ﴾: علماء النصارى.

﴿وَرُهْبَانًا﴾: العُباد من النصارى.

﴿وَأَنَّهُمْ لَا﴾: أن: للتوكيد، لا: النافية.

﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: أي: فيهم تواضع، ولا يتكبرون عن الحق.

﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: الألف والسين والتاء: للطلب، ولم يقل: يتكبرون، فهناك فرق بين المتكبر والمستكبر، المتكبر: قد يتكبر لا متلاكه بعض مؤهلات التكبر، مثل الغنى، أو الجاه، أو السلطة، أما المستكبر: فهو لا يملك مؤهلات التكبر؛ لكنه يطلب الكبر، وهو ليس كُفْؤاً له، ومعظم آيات القرآن جاءت في سياق المستكبرين، أو الذين استكبروا في الدنيا.

والمستكبر: هو أسوأ من المتكبر، في ميزان التقوى والإيمان، وكلاهما ممن يكرههم الله .

أما أسباب هذه المودة؛ فقد بيّتها الآيات (٨٢، ٨٣، ٨٤):

- ١ - عدم التكبر (وأنهم لا يستكبرون).
- ٢ - وإذا سمعوا ما أنزل على الرسول ﷺ؛ ترى أعينهم تفيض من الدمع.
- ٣ - مما عرفوا من الحق؛ أي: القرآن من عند الله.
- ٤ - وما لنا لا نؤمن بالله؛ أي: أقرؤا بالإيمان بالله تعالى.
- ٥ - واكتبنا من الشاهدين، وأشهدوا على إيمانهم.





سُورَةُ الْكَافِرَةِ ٥

الْبَيْتُ السَّادِسُ

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ
الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ
وَنَطْمَعُ أَنْ يَدْخُلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثْبَهُمْ
اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ
بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ
فَكَفَرْتُمْ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ
أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا
أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

سورة المائدة [الآيات ٨٣ - ٨٩]

[٨٣] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني، متضمن معنى الشرط.

﴿سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ﴾: إلى الرسول ﷺ من الآيات والقرآن.

﴿تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾: أدنى التأثير الشديد لسماعهم لآيات الله إلى الخشية والوجل الذي يؤدي إلى تحريض منطقة في الدفاع تسمى منطقة تحت السرير البصري، ثم هذه بدورها مرتبطة بالغدة الدرقية بالأعصاب، ما يؤدي إلى إفراز الدمع؛ دلالة على الخشية، والوجل، والخشوع، والإخلاص. ﴿تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾: تفيض: أي: تمتلئ بالدمع، ثم تسيل بالدمع، من: لا ابتداء الغاية.

﴿مِنَ الْحَقِّ﴾: من: للتبعيض؛ أي: بعضاً من الحق؛ لأنه لم يسمعوا القرآن كله.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾:

﴿يَقُولُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ التي تدل على التجدد والاستمرار، ولم يقل: قالوا؛ لأنهم استمروا في إيمانهم.

﴿رَبَّنَا﴾: ولم يقولوا: يا ربنا؛ لأنهم يشعرون: أن الله قريب؛ فهو مطلع عليهم، فلم يستعملوا ياء النداء؛ التي تدل على البعد.



﴿ءَامَنَّا فَآكُتُبْنَا﴾: آمنا: صدقنا بما أنزلت، الفاء: عاطفة رابطة؛ أي: السبب بالمسبب.

﴿فَاكُتُبْنَا﴾: اجعلنا: ﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾: لم يقولوا: من الشاهدين؛ لأن من: تعني: الأنبياء والرسل، وهم ليسوا من الأنبياء والرسل.

﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾: جمع شاهد؛ أي: الذين يشهدون بألوهيتك، وبربوبيتك، ووحدانيتك، ونبوة رسولك.

[٨٤] ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾:

﴿وَمَا لَنَا﴾: الواو: عاطفة.

﴿وَمَا﴾: للاستفهام، والتعظيم، ورداً على لوم قومهم لهم بالإيمان؛ كما قال ابن عباس .

﴿لَا﴾: نافية.

﴿نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق، بألوهيته، وربوبيته، وأسمائه، وصفاته، إيمان العقيدة، والإيمان بالله؛ يقتضي الإيمان بالملائكة، وكتبه، والرسل، واليوم الآخر. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨) لمزيد من البيان.

﴿وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾: الواو: عاطفة.

﴿وَمَا﴾: بمعنى: الذي.

﴿مِنَ الْحَقِّ﴾: من: استغرافية، الحق: الآيات، أو القرآن، أو الوحي.

﴿وَنَطْمَعُ﴾: الطمع: الرغبة في توقع الخير في المستقبل، مع عدم تقديم الأسباب الكافية.

﴿أَنْ يَدْخُلَنَا رَبَّنَا﴾: أي: الجنة، أن: حرف مصدري؛ يفيد الاستقبال؛ أي: أن يدخلنا ربنا الجنة في المستقبل.

﴿مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾: جمع صالح؛ أي: من صلح إيمانه، وصلاح عمله، (قوله وفعله)، واستقام حاله، والصلاح تعريفه بشكل عام: كل ما يتمكن به من الخير، أو يتخلص به من الشر، وهو ما يفعله العبد لنفسه. ارجع إلى الآية (١٣٠) في سورة البقرة؛ لبيان معنى الصالحين.

[٨٥] ﴿فَأَنْتَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿فَأَنْتَبَهُمُ﴾: الفاء: للتأكيد، أثابهم: مشتقة من ثوب، وثياب؛ إذ كان الناس قديماً يأخذون أصواف أغنامهم؛ ليصنعوا منها ملابسهم، فبعد جزّها يعطونها الغازل؛ لكي تغزل، فيصنع لهم ثياباً، فهم يرسلونه صوفاً، ثم يتسلمونه ثوباً.

﴿فَأَنْتَبَهُمُ﴾: معناها: أعطاهم جزاء طاعتهم، وجزاء ما قالوا.

﴿بِمَا قَالُوا﴾: الباء: سببية، ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي؛ أي: الذي قالوا؛ أي: بسبب الإيمان؛ لأن الإيمان قول وعمل.

﴿جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: الخلود، والاستمرار، والبقاء إلى الأزل من نقطة البدء، يبدأ لحظة دخولهم الجنة.

﴿وَذَلِكَ﴾: اسم إشارة للبعد، يشير إلى الثواب العظيم.

﴿جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾: هؤلاء الذين آمنوا بالله وبالقرآن، أمثال: النجاشي، وأصحابه، وغيرهم، وقد وصلوا إلى درجة الإحسان، وأصبح الإحسان صفة



ثابتة لهم، ولذلك سمّاهم ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: أي: أحسنوا إحسان الكم، وإحسان
الكيف. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٢)؛ لمزيد من البيان.
[٨٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾:
﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: استئنافية.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا﴾: أي: جحدوا، وأنكروا، ولم يؤمنوا بوجود
الخالق، وصفاته ووحدانيته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.
﴿بِآيَاتِنَا﴾: القرآنية منها، والكونية، والمعجزات.
﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة يدل على البعد، وسوء منزلتهم.

﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: جمع صاحب، والصاحب: هو الذي يألف صاحبه،
ويلازمه، ملازمة دائمة، وفيه دلالة على عشق النار لهم، وأنها لا تفارقهم أبداً،
وهم لا يفارقونها.

﴿الْجَحِيمِ﴾: مأخوذة من الجحوم، يقال: جحمت النار: اضطربت،
وتأججت، فلا تخمد.

[٨٧] ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا
يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾:

أخرج البخاري رحمه الله في «صحيحه»: حدثنا سعيد بن أبي مريم،
أخبرنا محمد بن جعفر، أخبرنا حميد بن أبي حميد الطويل: أنه سمع أنس بن
مالك رضي الله عنه يقول: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون
عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؛
قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا؛ فإني أصلي الليل أبداً،
وقال آخر: أنا أصوم الدهر، ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء؛ فلا أتزوج

أبدأ، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله! إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكنني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني"، فنزلت هذه الآية؛ لتبين لهم الصواب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نداء إلى الذين هم على درب الإيمان، والهاء: للتنبيه.

﴿لَا﴾: الناهية.

﴿تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾: الطيبات: جمع طيب، والطيب الطاهر اللذيذ الطعم المستساغ للنفس هو والحلال ما أحله الشرع وأباحه، وتشمل: الأطعمة، والأشربة، والنساء، أما التحريم والتحليل؛ فإنما موكول إلى الخالق، وليس لكم أن تحرموا، أو تحللوا، كما تريدون. ارجع إلى الآية التالية (٨٨) في نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾: لا: الناهية.

وتكرار (لا): لتوكيد النفي؛ أي: لا تتعدوا حدود الله فيما أحله الله لكم إلى ما حرّمه، ولا تسرفوا في تناول الطيبات.

والاعتداء: هو تجاوز الحد، فيما حرّم الله، أو فيما حلّله، مثل: أكل لحم الميتة، أو الخنزير من دون اضطرار وشدة، أو تحرّموا الزواج، أو تصوموا صيام الوصال؛ أي: كل يوم من أيام السنة، أو تحرّموا أكل اللحوم؛ للزهد.

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿اللَّهُ لَا﴾: النافية.

﴿لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾: المتجاوزين لحدود الله، الذين يحرمون ما أحلّ الله تعالى؛ كالبحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، أو يحلون ما حرّم الله تعالى. ارجع إلى الآية (١١٣) من نفس السورة.



[٨٨] ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَكُلُوا مِمَّا﴾: أي: من ما؛ أي: من بعض ما رزقكم الله؛ لأننا غير قادرين أن نأكل كل ما رزقنا الله، والرزق: هو كل ما انتفع به؛ من مأكّل، ومشرب، وملبس، وعلم، وأولاد، وأخلاق، فما يتغذى به الإنسان يجوز أن يكون حلالاً أو حراماً. وليس كل ما يتغذى به الإنسان يُعد رزقاً؛ فالذي يتغذى بما جاء به عن طريق السرقة، والظلم، والرشوة، والبغي: لا يعد رزقاً. الحلال: ما نص الشارع على حله، وكذلك ما لم ينص الشارع على تحريمه في حكم عام، أو خاص يعتبر مباحاً، ويحلّ أكله. الطيب: الطاهر غير النجس.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أطيعوا ما يأمركم الله به، واجتنبوا ما ينهاكم عنه، فهذا يقيكم من عقابه وعذابه.

﴿الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾: إيماناً ثابتاً، لا يتغير، ودائم، ومستمر.

﴿بِهِ﴾: جار ومجرور، فيه تقديم؛ أي: لم يقل: الذي أنتم مؤمنون به، وذلك للحصر؛ أي: فقط به وحده مؤمنون.

ولو أّخر به، فقال: الذي أنتم مؤمنون به؛ لكان يعني: تؤمنون بغيره، وهذا غير مباح.

[٨٩] ﴿لَا يُؤْخَذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُم بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهٖٓ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

نزلت في الصحابة الذين أقسموا بأن:



١ - أحدهم: سيصوم الدهر كله، ولا يفطر.

٢ - وأحدهم: أنه لن يتزوج.

٣ - وآخر: سيصلي الليل والنهار.

وبعد أن نزلت آية: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرُّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾.

سأل الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ: ماذا نصنع بأيماننا التي حلفنا؛ فنزلت هذه الآية.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يُؤَاخِذُكُمْ﴾: لا يعاقبكم، وليس عليكم إثم، أو ذنب في اللغو في أيمانكم.

﴿بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: اللغو: ما يجري على اللسان، بلا قصد، أو عزيمة؛ فهو مجرد قول، من دون تفكير، أو وعي؛ أي: أن تمر الكلمة على اللسان دون أن تمر على القلب، وعدم المؤاخذه يكون على هذا النوع من الأيمان.

اللغو: ما لا يُعتدّ به من كلام وغيره، ولا يُحصل منه على فائدة، ولا نفع، كأن تقول: لا والله، والله أن تأتي للغداء معنا؛ هذا هو اللغو بعينه.

كلام دون أن يكون للقلب فيه تصميم، أو نية؛ أي: كلمات تجري على ألسنتنا، لا نعينها، مثال: حينما تدعو الأم على ابنها بالموت، أو الألم، لكنها مستعدة أن تفديه بنفسها إذا احتاج الأمر.

﴿عَقَّدْتُمْ﴾: هي دليل على أنها عملية جزم قلبية؛ أي: إن القسم انعقد باللسان والقلب.

﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك وتوكيد؛ أي: إثبات ما يتوهم نفيه، أو نفي ما يتوهم ثبوته.



﴿يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾: عليكم كفارة، بما: الباء: للإلصاق.

﴿عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾: أي: الأيمان التي أكدتموها، باليمين أو الحلف، وبالعزم أو الترك؛ فهذه الأيمان كلها لها كفارة، حددت بثلاثة أنواع، إذا حنثتم باليمين، أما إذا لم تحنثوا؛ فليس عليكم كفارة.

١ - إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم على المسلم أن يقدر ذلك حسب البلد، وحسب الزمان، وأوسط من حيث الجودة أو الثمن، والكفارة: مشتقة من الكفر، والكفر: هو الستر والتغطية، ثم استعملت في الشرع؛ لما يزيل، أو يمحو الذنب المنعقد بيمين.

٢ - أو كسوتهم: كسوة عشرة مساكين.

٣ - أو تحرير رقبة: عتق رقبة، واختلف الفقهاء في كونها رقبة مسلمة، أو غير مسلمة.

٤ - فمن لم يجد؛ فصيام ثلاثة أيام، سواء صام الثلاثة أيام بشكل متتابع، أم بشكل متفرق.

﴿ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، تشير إلى الكفارة عن اليمين: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، أو صيام ثلاثة أيام: إن حنث في القسم، ولو تأملت سترى أن تحرير رقبة قد جاءت في الوسط، فالحق لم يرتب لنا الكفارة، وإنما علينا نحن أن نختار الكفارة الملائمة في هذه الآية.

وانتبه! إلى مجيء (أو) هنا التي تعني: التخيير، وليس الترتيب في الكفارة، وعلى المفتي أن يختار الكفارة التي تناسب الشخص الذي حنث في يمينه، فإن كان غنياً يختار له الصيام، ولا يختار له المال، أو الطعام، أو الكسوة؛ لأن ذلك كله لا قيمة عنده، وإن كان فقيراً يختار له الصيام فوق الأخرى.

ويأتي الحق سبحانه ليقول بعد ذلك: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾: أي: علينا ألا نحلف هذه الأيمان الجارية على ألسنتنا، ونحذر ثانياً من الحنث في الأيمان.

[٨٩] ﴿كَذَلِكَ يبينُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

﴿كَذَلِكَ﴾: أي: كما بين لكم ما ذكر في مسألة اليمين، واللغو، والكفارة.

﴿يبينُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ﴾:

﴿يبينُ﴾: يوضح، ويفصل، ويصرف، التبين قد يكون عن طريق التفصيل والتصريف.

﴿لَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أي: لكم خاصة.

﴿ءَايَتِهِ﴾: آيات الأحكام، والفرائض، والأوامر، والنواهي، وغيرها، وقال: آياته، ولم يقل: الآيات: نسب الآيات إليه تشريفاً؛ فهي آيات مهمة وخاصة.

﴿ءَايَتِهِ﴾: آيات القرآن.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل: أداة رجاء، تستعمل للأمور الميسورة تحقيقها.

﴿تَشْكُرُونَ﴾: الشكر: هو الثناء على المنعم، وهو الله، بالنعمة؛ لأن هذه التشريعات تستحق منا الشكر؛ إذ جعلت اللغو غير مؤاخذ عليه، كما جعلت اليمين الذي نعهده له كفارة، وفي كل الأمور تيسير، فالحق سبحانه يستحق الشكر الدائم. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠)؛ لمزيد من البيان عن الشكر.





سُورَةُ الْمَائِدَةِ

الْبَلَاغُ الْمُبِينُ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ
مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ
الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا
اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى
رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا ءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بَشْيَءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ
أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ
ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ
وَأَنتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِّنْكُمْ مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ
يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ
مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكِ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا
سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

سورة المائدة [الآيات ٩٠ - ٩٥]

[٩٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا؛ بتكليف جديد، أو حكم، واستعمل فيها ياء النداء، والهاء: للتنبيه.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿الْخَمْرُ﴾: اسم لكل ما خامر العقل؛ أي: خالطه، أو غطاه، أو ستره.

﴿وَالْمَيْسِرُ﴾: القمار، مشتقة من اليسر: وهو كسب المال بلا جهد.

﴿وَالْأَنْصَابُ﴾: قيل: هي النصب: حجارة كانت حول الكعبة في الزمن القديم، كانوا يذبحون عليها؛ تقريباً للآلهة، وقيل: هي الأصنام، والتمائيل.

﴿وَالْأَزْلَمُ﴾: أقداح كان يكتب عليها: أمرني ربي، أو نهاني ربي، أو افعل، أو لا تفعل، وهي سبعة أقداح، أو أكثر.

﴿رِجْسٌ﴾: عمل قذر، قبيح، خبيث، مستقذر، حساً، أو معنئاً؛ لأن النفس الحكيمة، والعقل الحكيم يعافه (يستقبحه).

منها ما هو مستقذر حساً: مثل الخمر، والميتة، والدم المسفوح.

ومنها ما هو مستقذر معنئاً: الأزلام، الأنصاب، الميسر، وتسمي الأوثان.

بينما الرجز: هو العذاب، والرجس: يطلق على الأصنام، والأوثان، والآثام،



والمعاصي، والرجس: أعم من الرجز؛ فهي تشمل الشيء أو القبيح والمستقذر وأيضاً العذاب. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٩) لمزيد من البيان.

﴿مَنْ عَمِلَ الشَّيْطَانَ﴾: من تزيين الشيطان، ووساوسه، وإضلاله. وكما قال تعالى في سورة النساء، آية (١١٩-١٢٠): ﴿وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ وَلَا مِئْنِينَهُمْ وَلَا مَبْثُورَهُمْ﴾، ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾: كونه رجساً من عمل الشيطان؛ فلذلك يقتضي اجتنابه؛ أي: ابتعدوا عنه، ولا تقربوه.

﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾: من الاجتناب: وهو أن يعطي الإنسان الشيء المتجنب جانبه، ويعني: عدم الاقتراب منه، فلا يكفي عدم القيام به، بل عدم الاقتراب منه، وقالوا: الاجتناب: أقوى من التحريم، والهاء: في ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾: تعود على عمل الشيطان والرجس.

والرجس: يعني: الأربعة المذكورة، وهي: الخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام، ولم يترك هذا الأمر؛ للاستحسان العقلي، والاستنباط؛ لكي يُفْتِي فيه، بل صرّح به، فقال: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل هنا: للتعليل.

﴿تُقْلِحُونَ﴾: أي: تفوزون في الآخرة بالجنة، ورضا الله. وليبيان مزيد من معنى (تقْلِحُونَ)؛ ارجع إلى الآية (٥) من سورة البقرة.

[٩١] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة، تفيد التوكيد.

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾: الخطاب موجّه إلى الذين آمنوا.

وهل الشيطان قادر على إنفاذ ما يريد؟

الجواب: نعم إذا أطاعه الإنسان، واتبع خطواته، وأمرته نفسه الأمانة بالسوء، وضعف إيمانه، ولا يستطيع الشيطان أن يقهر أو يكره إنساناً على فعل شيء، ولكنه يُزين له الفعل، ويوسوس له، وليس له سلطة، أو قدرة على الإكراه، أو الإقناع: ﴿لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (١١) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ [النحل: ٩٩-١٠٠].

فحين يُزين للإنسان شرب الخمر، ولعب الميسر: هذا بدوره يؤدّي إلى العداوة والبغضاء.

﴿الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾: البغضاء: شدة الكراهية وعدم الرضا؛ ارجع إلى الآية (٦٤) من نفس السورة؛ للبيان.

والعداوة: تؤدّي إلى البغضاء، أو بالعكس، وكثيراً ما نرى حوادث القتل والإجرام تحدث في أماكن شرب الخمر والقمار.

﴿فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾: ولم يذكر الأنصاب والأزلام، واكتفى بالخمر والميسر، ونسب وقوع العداوة والبغضاء إلى الشيطان؛ لأنه هو المُزين لهما، والموسوس بفعلها.

﴿فِي﴾: هنا تفيد السببية؛ أي: بسبب الخمر، والميسر، أو ظرفية؛ تعني: في فعلها العداوة والبغضاء.

﴿وَيَصُدُّكُمْ﴾: أي: يصرفكم عن ذكر الله، وعن الصلاة.



ونلاحظ تكرار (عن)؛ لأن الشيطان قد يصدّ عن ذكر الله وحده، أو عن الصلاة وحدها، أو كليهما معاً، فكلٌّ من الذكر والصلاة منفرد بذاته.

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾: الفاء: للتوكيد، هل: للاستفهام بمعنى: الأمر، والنهي؛ أي: انتهوا.

وكان تحريم الخمر تدريجياً على أربع مراحل:

المرحلة الأولى: قيل: إن أول آية جاءت في سياق التحريم هي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ٦٧].

المرحلة الثانية: ثم نزلت الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]. بعد أن سُئِلَ رسول الله ﷺ عن الخمر والميسر.

المرحلة الثالثة: ثم نزلت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

المرحلة الرابعة: ثم نزلت الآية الأخيرة، وهي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠].

بالتحريم المطلق في الدنيا.

وهكذا كان تدرّج الأحكام، خطوة خطوة، حتى تألف النفوس، وتربّيت على التقوى، وتبتعد عن الإثم، والمعصية بحكمة، وتفكير، فلا تعود إليها بعد تركها.

وهذه المراحل تتناسب، أو تطابق ترتيب نزول السور، فسورة النحل ترتيب

نزولها (٧٠)، أما سورة البقرة فترتيب نزولها (٨٧)، وأما سورة النساء فترتيب نزولها (٩٢)، وأما سورة المائدة فترتيب نزولها (١١٢).

[٩٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: وفي الآية (٣٢) من سورة آل عمران قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾، ولمعرفة الفرق بين هاتين الآيتين: ارجع إلى الآية (٥٩) من سورة النساء.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: فيما أمركم به، أو نهاكم عنه، وأطيعوا الرسول فيما فصل لكم من الأحكام، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق.

فالله أمر بالصلاة بشكل مجمل، ولم يفصل كيفية الصلاة، وعدد الركعات، وماذا نقول في كل ركعة، فجاء الرسول ﷺ ليفصل لنا ما أمرنا الله به، فهنا علينا أن نطيع الله ونطيع رسوله.

﴿وَأَحْذَرُوا﴾: من الحذر: وهو توقي الضرر سواء أكان ظناً أم يقيناً، هذه هي الآية الوحيدة التي ذكر فيها واحذروا، جاء التحذير هنا؛ لأن هذه الآية جاءت في سياق ذكر الخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام، وكلها رجس من عمل الشيطان، فناسب ذلك ذكر التحذير من الوقوع فيها.

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: عاطفة للتوكيد، إن: الشرطية؛ تفيد أو تحمل معنى الاحتمال، والقلّة.

﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: التولي: وهو أشد الأغراض؛ أي: الابتعاد؛ أي: أعرضتم، ورفضتم الإذعان لما أمركم الله به؛ من الاجتناب، والطاعة.



﴿فَاعْلَمُوا﴾: جواب الشرط لجملة ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾.

فاعلموا أنكم لن تضرّوا الله تعالى، ولا رسوله ﷺ شيئاً؛ لأن وظيفة رسول الله ﷺ هي التبليغ فقط.

﴿أَنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿عَلَى رَسُولِنَا﴾: على: تفيد العلو، والمشقة على رسولنا محمد ﷺ، وتقديم على: تفيد الحصر.

﴿الْبَلَّغُ﴾: الإيصال، إيصال ما أنزل الله تعالى من الآيات، والأحكام، وأيضاً تبيان ما نُزل إليكم.

و﴿الْمُبِينُ﴾: تعني: إيصال البلاغ، أو تبليغ كل فرد بصورة مباشرة، أو غير مباشرة المنهج بشكل كامل دون أي نقص.

[٩٣] ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾:

سبب النزول: بعد نزول الآية السابقة؛ بتحريم الخمر والميسر، سأل أناس رسول الله ﷺ عن مصير إخوانهم الذين أسلموا، وكانوا يشربون الخمر، ويتعاطون الميسر، وماتوا، أو قتلوا في سبيل الله قبل نزول هذه الآية؛ فجاء الرد الإلهي على سؤالهم.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾: أي: إثم، أو ذنب، أو جرم.

﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾: طعموا هنا: تشمل الطعام، والشراب (أي: الخمر).

واستعمل ﴿لَيْسَ﴾: للنفي بدلاً من (لا)؛ فقال: ليس عليهم جناح، بدلاً من: لا جناح عليهم؛ لأن لا جناح عليهم: لا نافية للجنس أقوى تأكيداً في النفي من ليس؛ لأن (لا جناح عليهم) جملة اسمية، بينما ليس عليهم جناح جملة فعلية، والجملة الاسمية أقوى من الفعلية، ولذلك نجد القرآن يستعمل (لا جناح عليهم) في العبادات، والأمور الأسرية، والحقوق الزوجية؛ أي: الأمور الأكثر أهمية، ويستعمل (ليس عليهم جناح) في أمور الطعام، والشراب، ودخول البيوت، واللباس؛ أي: الأمور الأقل أهمية من السابقة.

ثم صَنَّفَ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: وشربوا الخمر، وتعاطوا الميسر، وماتوا أو قتلوا قبل نزول هذه الآية: ليس عليهم جناح (إثم) على شرط أنهم ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أي: ماتوا، أو قتلوا؛ وهم في حالة التقوى، والإيمان، والأعمال الصالحة.

الصنف الثاني: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: وشربوا الخمر، أو تعاطوا الميسر، ولا زالوا أحياء؛ ليس عليهم إثم أو حرج قبل نزول هذه الآية على شرط أن يتجنبوا شربها بعد نزول الآية، وأن لا يتعاطوا الميسر، ويستمروا على إيمانهم وتقواهم.

الصنف الثالث: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: ولم يشربوا الخمر، أو يتعاطوا الميسر قبل نزول هذه الآية، أو بعد نزولها؛ أي: هؤلاء الذين ﴿اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾: أي: استمروا في تقواهم، وإحسانهم؛ فهؤلاء لهم أعظم الدرجات.



وانتبه! إلى مجيء ﴿ثُمَّ﴾، وتكرارها مرتين: لا تفيد الترتيب والتراخي في الزمن، وإنما تفيد في تباين الدرجات بين هؤلاء الأصناف، فالصنف الثالث: أعظم درجة، وأفضل من الصنف الثاني، والصنف الثاني: أعظم درجة، وأفضل من الصنف الأول.

لننظر مرة أخرى إلى الآية: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾:

هنا ثلاث تقوات، وآمنوا مرتين، وعملوا الصالحات مرة، وأحسنوا مرة، فما تفسير كل ذلك؟

﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾: إذا: شرطية، ما: للتوكيد زائدة، اتقوا: شرب الخمر، والمعاصي، والشرك، اتقوا: أي: أطاعوا أوامر الله سبحانه، وتجنبوا نواهيه.

﴿وَأَمَنُوا﴾: بالله، ورسله، وملائكته، وكتبه، واليوم الآخر.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أقاموا الفرائض، والنوافل، وذكر الله.

﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾: اتقوا شرب الخمر، بعد تحريمها، وآمنوا بالله، ورسله، وملائكته، وكتبه، واليوم الآخر.

ثم اتقوا: استقاموا على تقواهم بامثال أوامر الله، وتجنب نواهيه بما فيها شرب الخمر، والميسر.

﴿وَأَحْسَنُوا﴾: وأحسنوا العمل الصالح، (كمًّا وكيفًا)، وأحسنوا الإيمان بعد ترك شرب الخمر، والتقوى.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة؛ لمزيد من

البيان.

﴿وَالْمُحْسِنِينَ﴾: جمع محسن، وهو من أحسن في إيمانه، وتقواه، وعبادته،

كَمَّا وكيفاً؛ فهو لاء مع الذين يحبهم الله تعالى.

فالتقوى الأولى: في الآية تعني: امتثال ما أمر الله به، ونهى عنه.

والتقوى الثانية: تعني: عدم شرب الخمر، والميسر، والأزلام.

التقوى الثالثة: الاستقامة على طاعة الله، وامتثال أوامر الله.

[٩٤] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَبَّوْا كُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن

يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

المناسبة: بعد ذكر المحرمات الدائمة في كل زمان ومكان في مطلع

السورة؛ كالهيئة، والدم، ولحم الخنزير، وذكر الخمر وغيره من المحرمات في

الآية (٩٠).

يذكر في هذه الآية محرمات من نوع خاص؛ أي: في أزمنة خاصّة، وأمكنة

خاصّة؛ مثل: الصيد المحرم فقط، في زمن الإحرام، وفي مكان خاص، هو الحرم

وقت الحج، على نحو ما، ابتلى الله به بني إسرائيل في تحريم الصيد عليهم يوم

السبت. ارجع إلى سورة الأعراف، الآيتان (١٦٣-١٦٤).

ابتلى الله المؤمنين في زمن الإحرام، وداخل الحرم بعدم الصيد، فينادي



الله تعالى الذين آمنوا بأمر جديد، فيقول تعالى: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون في (يبلونكم): لزيادة التوكيد.

وقيل: حدث هذا الابتلاء في عام الحديبية، عندما كان رسول الله ﷺ وصحابته في طريقهم إلى العمرة، فكان الطير والصيد تأتيهم من كل مكان، ونزلت هذه الآية؛ تنهاهم عن الصيد، وهم في حالة الإحرام للعمرة، فكان ذلك ابتلاءً وامتحاناً؛ لمعرفة صدق إيمانهم، وطاعتهم.

﴿بَشَىٰ مِّنَ الصَّيْدِ﴾: الباء: للإلصاق، من: للتبعية؛ أي: بعض الصيد، وهو صيد البر، أما صيد البحر؛ فقد كان حلاً لهم.

﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾: تلتقطه أيديكم من دون جهد؛ أي: سهلة الصيد، أو باستعمال أدوات الصيد من الجوارح والكلاب؛ التي تستعمل لصيد الغزلان، وغيرها.

﴿لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾: اللام: لالتعليل، ليس المقصود هنا ليعلم الله من يخافه بالغيب، كما هو الظاهر في الآية، فالله يعلم ذلك منذ الأزل، يعلم ما سيحدث لكم؛ من الطاعة، أو المعصية قبل خلقكم، وليعلم هنا؛ أي: لكي يقيم عليكم الحُجَّة؛ أي: تعلموا أنفسكم من أطاع ممن عصى، فلا يدعي أحد أنه لو ابتلي لفعل كذا، وكذا، والابتلاء هنا؛ ليرى هو نفسه نتيجة ابتلائه.

﴿مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾: الخوف من الله بالغيب، أشد من الخوف منه بالعلن. ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ﴾: الفاء: عاطفة، من: شرطية.

﴿اعْتَدَىٰ﴾: تجاوز حدود الله، واصطاد، وعصى، وأخلَّ بإحرامه.

﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بعد هذا الأمر بالنهي.

﴿فَلَهُ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، فله: اللام: لام الاستحقاق.

﴿عَذَابُ أَلِيمٌ﴾: في الدنيا والآخرة.

[٩٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ اللَّهِ عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفٌ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقُصْ اللَّهَ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾:

يخاطب الله سبحانه الذين آمنوا بأمر تكليفي جديد، وينبههم باستعمال هاء التنبيه في كلمة يا أيها، فيقول: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾: لا: الناهية؛ أي: لا تصطادوا وأنتم حرم؛ أي: وأنتم مُحرمون، زمن الإحرام للحج، أو العمرة، أو كليهما معاً، وداخل الحرم؛ أي: ممنوع أن يصطاد المحرم شيئاً، منذ بلوغه الميقات.

﴿وَمَنْ﴾: شرطية.

﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ﴾: بعد النهي قتله؛ أي: أخطأ حين قتله، سواء لم يعلم بالحكم، أو نسي الحكم، أو تعمد الصيد؛ الحكم واحد.

كلمة ﴿مُتَعَمِّدًا﴾: اعتبر الخطأ هنا عمداً؛ لأن الحكم واحد (أي: الجزء واحد)، وذلك لكي ينتبه المسلم، وليكون في منتهى اليقظة الإيمانية والحذر.

﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾: الفاء: جواب للشرط؛ أي: عليه جزاء مماثل لما قتل، من النعم، والإبل، والبقر، والغنم، والماعز.



﴿مَثَلٌ﴾: تعني: المثلية بالقيمة، والشكل، مثال: قتل نعاماً؛ عليه بعير.

إذا قتل ضبعاً؛ فعليه كبش، ضباً؛ عليه شاة، غزالاً؛ عليه عنزة، وهكذا.

﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾: أي: الذي يحكم، ويقرر ذلك اثنان: ﴿ذَوَا عَدْلٍ

مِّنْكُمْ﴾: أي: رجلان، معروفان بالإيمان والعدل، ممن تثقون بهم.

﴿ذَوَا﴾: ذو؛ بمعنى: صاحب؛ أي: يتصفان بالعدل.

﴿هَدِيًّا بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾: هدياً ما يهدى من الذبائح ابتغاء وجه الله؛ أي: يصل

إلى الحرم، ويذبح بالحرم، وخصت الكعبة للتعظيم.

﴿أَوْ كَفَرَةً طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾: هذا هو الخيار الثاني، للذي اصطاد خطأ، ولا

يملك القدرة على أن يقدم الهدى، فعليه إطعام مساكين، يحدّد عددهم الاثنان ذوا العدل.

﴿أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا﴾: وإذا كان المخطئ لا يستطيع الإطعام فعليه أن

يصوم أياماً بعدد الفقراء الذين كان يستحقون الطعام.

﴿لَيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾: اللام: لام التعليل، أو الاستحقاق؛ أي: ليذوق جزاء

ذنبه، سوء عاقبة قتله للصيد، والوبال مأخوذة من الثقل، والشدة، والوخامة، كما قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾: أي: شديداً.

انتبه! إلى أن الله شبه الإنسان الذي هتك حرمة الإحرام بالإنسان الذي

يذوق طعاماً وخيماً. ارجع إلى سورة الحشر، آية (١٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾: عفا الله بذلك الإطعام، أو الصيام، أو الهدى عن الصيد في حال الإحرام، قبل نزول هذه الآية، وصدور الحكم.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾: إلى قتل الصيد، وهو محرم، بعد نزول النهي.

﴿وَمَنْ﴾: ابتدائية، استغرافية.

﴿فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾: والانتقام: أو الثأر، سلب النعمة منه أولاً، ثم تعذيبه ثانياً؛ لأن الانتقام نقيض الإنعام، وهناك فرق بين الانتقام والعقاب؛ فالعقاب: هو الجزاء الذي يعقب الجرم.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾: والله عزيز، لا يُغلب، ولا يُقهر، ذو انتقام؛ أي: قادر على الانتقام، لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض.

وقوله: ﴿هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةً طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾.

انتبه! ﴿أَوْ﴾: في هذه الآية؛ تعني: التخيير، وليس الترتيب.

وعلى ذوي العدل تقرير، أو اختيار؛ أي: الكفارات التي تناسب المخطئ، الذي قتل الصيد.



سورة التوبة

سورة التوبة



أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ، مَتَّعَالِكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَّمَ
 عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ
 تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ
 قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
 شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
 تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
 وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِ أُولَى الْأَلْبَابِ
 لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا
 عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلْ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
 الْقُرْآنُ أَنْ تُبَدِّلْ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ
 سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾
 مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

سورة المائدة [الآيات ٩٦ - ١٠٣]

[٩٦] ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾:

﴿أَحِلَّ لَكُمْ﴾: أَيْحَ لَكُمْ.

﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾: سواء أكنتم محرمين أم غير محرمين، وصيد البحر يشمل كل الحيوانات البحرية، واللؤلؤة والمرجان.

﴿وَطَعَامُهُ﴾: ما يؤكل من صيده، فهناك حيوانات بحرية، لا تؤكل.

﴿مَتَاعًا﴾: أي: ما ينتفع منه، والمتاع. ارجع إلى الآية (١٤) من سورة آل عمران؛ لمزيد من البيان.

﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: اللام: لام الاختصاص، السيارة؛ أي: المسافرون.

﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾: يعيد تأكيد تحريم صيد البر أثناء الإحرام، بعكس صيد البحر فهو مباح للمقيم والمسافر.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: امثلوا أوامره، وتجنبوا محارمه، واجعلوا بينكم وبين عذابه حاجزاً وافياً.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول؛ يفيد التعظيم والإجلال.

﴿إِلَيْهِ﴾: جار ومجرور، وتقديمها؛ ليدل على الحصر والقصر، أنه إليه فقط



لا إلى غيره سوف ﴿تُحْشَرُونَ﴾: يوم القيامة يوم الحشر، والحشر؛ يعني: إخراج الموتى من قبورهم، وسوقهم إلى أرض المحشر والجمع؛ للحساب والجزاء.

الاختلاف بين نهاية هذه الآية: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، ونهاية الآية (٨٨) من السورة نفسها: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: يعني: في الآخرة الآية في سياق الآخرة.

﴿الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾: يعني: في الدنيا، الآية جاءت في سياق الدنيا.

[٩٧] ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلِيدَ ذَلِكَ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾: الجعل؛ أي: التصيير؛ أي: صير الله الكعبة البيت الحرام، قياماً للناس، والجعل؛ يستعمل في الأشياء الحسية.

﴿الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾: البيت الحرام، بدل من الكعبة.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾: أي: قواماً لحياتهم؛ أي: الكعبة شيء، يحفظ لهم قيام حياتهم، كما أن الطعام والشراب، واستبقاء النسل، أشياء تقوم عليها الحياة، وكذلك الكعبة شيء ضروري، يحفظ قيام الحياة الدنيوية والأخروية، فقوله تعالى: ﴿قِيَمًا﴾ لها عدة معانٍ:

فالكعبة ﴿قِيَمًا﴾: تحفظ للناس (للمسلمين) بقاء دينهم وقبلتهم.

و﴿قِيَمًا﴾: لإتمام فريضة الحج والعمرة.

و﴿قِيَمًا﴾: لحفظ حياتهم؛ إذ هي مثابة وأمن، ومكان لكل خائف وملجأ،

و﴿قِيَمًا﴾: لما يحصل في الحج من تبادل المنافع، والمصالح، والتعايش، والتجارة الضرورية؛ لحفظ حياة القائمين عليها.

﴿الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾: البيت من البيتوة، المكان الذي تأوي إليه، وتستريح فيه.

﴿الْحَرَامِ﴾: مشتقة من حرمة وقدسيتها، فلا قتال فيه. ارجع إلى سورة الحج، آية (٢٥)؛ لبيان معنى البيت الحرام، الكعبة المسجد الحرام. ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾: اسم جنس؛ يعني: الأشهر الحرم الأربعة. والحرمه في كلمة الشهر الحرام، جاءت من حرمة القتال فيه. ﴿وَالْهَدْيَ﴾: ما يُهدى إلى الكعبة، وإلى البيت، حيث أقيمت بوايد غير ذي زرع.

﴿وَالْقَلْبِيدَ﴾: جمع قلادة، والقلادة ما يقلد به الهدى؛ علامة له، وإشعاراً أنه مهداة إلى البيت الحرام، فلا يؤذى، أو يتعرض له. ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعيد، يشير إلى جعل الكعبة، قياماً للناس، وما ذكر من حرمة الصيد في الإحرام، وحرمة الأشهر الحرم.

﴿لِيَعْلَمُوا﴾: اللام: لام التعليل؛ أي: جعل كل ذلك، وحقق ذلك، ليدلکم علی: ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: أن: للتوكيد ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: كل ما يجري في كونه من أفعال وأقوال حلال، أو حرام.

﴿مَا﴾: للعاقل، وغير العاقل. ارجع إلى الآية (٢٩) من سورة آل عمران.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: عليم بما يصلح لكم قوام حياتكم، وأمور دينكم، ودنياكم، وآخرتكم، ولذلك أمركم بها، وكلفكم بالقيام بها لحكمة ما، وليس عبثاً.



[٩٨] ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿أَعْلَمُوا أَنَّ﴾: علم اليقين؛ للتوكيد.

﴿اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: لمن انتهك محارمه وخالفه.

﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: صفة من صفات الجلال، يقابلها صفتان من صفات الجمال، هي الغفور الرحيم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢١١)؛ لبيان معنى العقاب.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾: أن: للتوكيد.

﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لمن أطاعه، وأمن به، ولم يشرك به.

﴿غَفُورٌ﴾: صفة مبالغة، لغافر، كثير الغفر؛ أي: الستر، بمعنى محو الخطايا، مهما عظمت وتعددت إلا الكفر والشرك.

﴿رَحِيمٌ﴾: صفة مبالغة، من الرحمة، لا يعجل العقوبة؛ لمن أذنب، لعلَّه يتوب ويرجع؛ أي: رحيم بعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، رحيم على وزن فعيل؛ أي: صفة ثابتة لذاته.

[٩٩] ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾:

﴿مَا﴾: النافية.

﴿عَلَى﴾: تفيد العلو والمشقة.

﴿الرَّسُولِ﴾: محمد ﷺ، أو غيره من الرسل.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر فقط.

﴿أَلْبَلُغُ﴾: البلاغ؛ أي: التبليغ، وليس عليه الهداية، إيصال ما أنزل الله من الآيات، والأحكام، والذكر الحكيم، إلى الناس، وتبيان ما أنزل إليهم من ربهم.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: ما: اسم موصول بمعنى الذي ﴿تُبْدُونَ﴾، أو مصدرية: ما أبديتم.

﴿مَا تُبْدُونَ﴾: تظهرون للعلن.

﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: تكرار ما؛ يفيد التوكيد، وفصل كل من الإبداء والكتمان، على حدة، أو كليهما معاً؛ أي: ما تسرون، أو تخفون.

والإخفاء أعم من الكتمان، والكتمان غالباً ما يكون بالمعاني.

والإخفاء يكون في الأشياء الحسية والمعاني معاً.

[١٠٠] ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَىٰ أَلَا لَبِيبٌ لِّعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ﴾:

أسباب النزول: عن جابر أن رجلاً، قال للنبي ﷺ: إن الخمر كانت تجارتي، فأخرجت من بيع الخمر مالاً، فهل ينفعني ذلك المال، إن عملت فيه بطاعة الله؟ فقال له النبي ﷺ: «إن الله لا يقبل إلا الطيب». انظر في أسباب النزول للواحد.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾: أي: لا يساوي الخبيث الطيب؛ أي: الحلال والحرام، أو الجيد والخبيث مقداراً، ولا إنفاقاً، ولا مصيراً، ولا درجة.

﴿الْخَبِيثُ﴾: الحرام، الشُّحْت، الرَّجْس.

﴿وَالطَّيِّبُ﴾: الحلال الطاهر.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾: لو: هنا شرطية.

والعجب هو السرور؛ أي: لا تفرح بـ ﴿الْخَبِيثِ﴾: لأنه زائل وممحقو البركة، وفائده باطلة، أو ليس له ثواب، فالطيب القليل، هو أربى، وأفضل من



الخبيث الكثير. وفي الآية حث على التأمل في كل شيء لتمييز خبيثه من طيبه، والعبرة ليست بالكثرة أو الجم أو الكم، وإنما بالكيف والنوع والجودة؛ الطيب والطهارة.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أي: التزاموا بالطيب الحلال، واجتنبوا الخبيث الحرام.

﴿يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: يا أصحاب العقول النيرة، الصفوة؛ الذين هداهم الله الذين يستمعون القول، فيتبعون أحسنه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾: بالعمل، بالطيب، وتجنب الحنث، واتخاذكم الأسباب الأخرى؛ للفلاح، وتدعون الله، راجين القبول، والنجاة من النار، والفوز بالجنة. ارجع إلى الآية ٥ من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[١٠١] ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ قَسَّوْا عَلَيْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ ابْدَلْ لَكُمْ عَفَا اللَّهِ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾:

سبب النزول: قيل: نزلت هذه الآية حينما فرض الله الحج، فقال أحد الصحابة: أكلّ عام يا رسول الله، فلم يجبه رسول الله ﷺ، حتى كرّر السؤال ثلاث مرات، فقال عندها رسول الله ﷺ للسائل: ويحك ما يؤمنك أن أقول نعم؟ والله، لو قلت: نعم، لوجب، ولو وجبت، ثم تركتم؛ لضللتهم، اسكتوا عني ما سكّت عنكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، هذا ما رواه مسلم عن أبي هريرة.

وقيل: نزلت في رجل سأل رسول الله ﷺ عن أبيه: أفي الجنة أم في النار؟ رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك.

وقيل: نزلت حينما سألوا رسول الله ﷺ عن البهيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نداء إلى الذين آمنوا، بتكليف جديد، والهاء في أيها: للتنبيه.

﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾: لا: الناهية.

﴿تَسْأَلُوا﴾: أسئلة اللغو؛ أي: لا حاجة، ولا داعي للسؤال عنها، لا تسألوا الرسول ﷺ.

﴿عَنْ أَشْيَاءَ﴾: سكت عنها القرآن.

﴿إِنْ بُدِّلَ لَكُمْ دَسُوكُمْ﴾: إن شرطية، تفيد الاحتمال والقلّة.

﴿تُبَدَّلَ لَكُمْ﴾: أي: تظهر لكم الإجابة عنها.

﴿تَسْأَلُكُمْ﴾: تحزنكم، أو تسيء إليكم، أو لا تعجبكم.

﴿وَإِنْ﴾: شرطية.

﴿تَسْأَلُوا عَنْهَا﴾: حين ينزل القرآن، فإن أجيب عنها بفرض، أو إيجاب، أو نهى، أو حكم؛ كان بها؛ أي: إن سألتكم عن أشياء ضرورية، عندها انتظروا نزول الوحي بالجواب، مثل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾، أو المحيض، أو اليتامى، ولا تقولوا: أن الرسول ﷺ لا يعلم.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾: أي: أمسك الله عن ذكرها، فلم يوجب فيها حكماً، رحمة بكم، أو لحكمة ما، ولا تقولوا: إن الرسول لا يعلم الإجابة عنها، أو هو ليس نبياً. وقد تعني: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾: لم يحاسب السائل عليها، أو يؤاخذها على سؤاله، ويفرض عليه كفارة أو عقوبة.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: غفور: كثير الغفر، أو المغفرة، صيغة مبالغة، يغفر الذنوب جميعاً، مهما كانت كبيرة، أو صغيرة، أو كماً أو نوعاً؛ إلا الشرك، حتى يتوب العبد.



﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعجل لكم العقوبة؛ مع قدرته على ذلك.
 حلیم لمن عصاه؛ ينعم على خلقه، كثير الصفح، والأناة.
 [١٠٢] ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾:
 ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق؛ يفيد التوكيد.

﴿سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾: مثل قوم صالح، حينما سألوا عن الناقة؛ كآية،
 أو معجزة، أو بني إسرائيل حين سألوا عن أوصاف البقرة التي أمروا أن يذبحوها،
 أو عيسى حينما سألوه أن ينزل عليهم مائدة من السماء.
 ﴿ثُمَّ﴾: للحال، والتوكيد.

﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾: أي: كانوا يسألون رسلهم، فإذا أخبروهم، أو
 تحقق ما طلبوه، أصبحوا بسبب عدم تصديقها كافرين، وصفة الكفر ثابتة لهم.
 [١٠٣] ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى
 اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾:

﴿مَا جَعَلَ﴾: ما شرع، ما أوجب، ما أمر، ما صير.
 والجعل: الجعل: يكون بعد الخلق؛ أي: مرحلة تالية للخلف، وقد يعني:
 توجيه المخلوق إلى مهمته في الحياة.

فالخلق والجعل لله تعالى وحده، وعلينا أن لا نتدخل في ذلك، فالله
 سبحانه خلق الخنزير؛ ليأكل القاذورات، فعلى الإنسان ألا يُغير هذا الجعل، فلا
 يحوله إلى غير مهمته، فيذبحه ويأكل لحمه.

مثال آخر: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ وما جعل أزواجكم التي
 تظهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم: التبني هو إفساد في الجعل.
 ﴿مَا﴾: النافية؛ للعاقل، ولغير العاقل.



﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾: من: الاستغراقية.

﴿بَحِيرَةٍ﴾: إذا ولدت الناقة خمسة بطون؛ آخرها: أنثى شقوا أذنّها شقاً واسعاً؛ يعني: بحروا الناقة، وتركوها، فلا تنحر، ولا يُحمل عليها، ولا تطرد من الماء، أو أي مرعى؛ أي: تأكل، وترعى أينما تشاء.

﴿وَلَا سَائِبَةٍ﴾: الناقة: التي تُسبب بنذرها للآلهة، ولا يحمل عليها، وترعى حيث تشاء.

﴿وَصِيْلَةٍ﴾: إذا ولدت ذكراً وأنثى في بطن واحد، فلا يذبحونها، ويقال: وصلت أخاها.

﴿حَامٍ﴾: الفحل؛ الذي لقح عشرة أجيال من الإناث، فيقولون: حمى ظهره، فلا يُحمل عليه، ولا يُمنع الماء، والمرعى.

﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: الافتراء: هو اختلاف الكذب، والكذب في هذه الآية معرف بأل التعريف مقارنة بـ يفترون على الله كذباً: نكره فالكذب في هذه الآية يتعلق بالبحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام.

وكل هذه: البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام: هي اختراعات أهل الجاهلية والكفر؛ الذين يفترون على الله الكذب؛ أي: يختلقون الكذب، وينسبونه إلى الله، مع أنها مُسخَّرة لخدمة الإنسان؛ ليأكل من لبنها، ويسخّر لها لما يريد، وكيف يشاء، وليس كما زعم الكفار.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: أكثرهم تعود على الذين كفروا.

﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾: لا: النافية، يعقلون: يفهمون؛ لأنهم يحللون ويحرّمون كما يشاؤون من دون علم، ولأنهم يفترون على الله الكذب.





سُورَةُ الْكَافِرَاتِ ٥

الْبَيْتُ السَّادِسُ

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا
حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ
لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فِي نَبِيِّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ
بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا
عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ
فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ
فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أُرْتَبِتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى
وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُرِضَ عَلَى
أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ
اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتْنَا أَحَقُّ
مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ
أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهَيْهَا أَوْ يَخْفَؤُا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ
أَيْمَنِهِمْ وَأَنْتَقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

سورة المائدة [الآيات ١٠٤ - ١٠٨]

[١٠٤] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: الواو: عاطفة، إذا: ظرف زمان، متضمن معنى الشرط، يدل على حتمية الحدث.

﴿قِيلَ لَهُمُ﴾: أي: للذين أشركوا، ومن هو القائل لا يهم معرفته، والمهم المقولة.

﴿قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾:

﴿تَعَالَوْا﴾: تعني: ارتفعوا؛ أي: التزموا أو اتبعوا ما أنزل الله وإلى الرسول؛ كأنهم انحطوا وانحدروا بقولهم: ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾: وتعني: دعونا نبين لكم ما أحل الله تعالى، وما حرم، وما أحل الرسول ﷺ، وما حرم عليكم بدلاً من تقليد آبائكم.

﴿إِلَى مَا﴾: ما: اسم موصول؛ أي: الذي أنزل الله في القرآن، من تحليل وتحريم.

﴿وَإِلَى الرَّسُولِ﴾: فيما آتاكم به، ونهاكم عنه؛ أي: ما حل وحرم.

أي: تعالوا النبيين لكم كذبكم وباطلكم.

قالوا: حسبنا، يكفيها، ولسنا بحاجة إلى غير ما وجدنا عليه آباءنا.

﴿مَا وَجَدْنَا﴾: ما: اسم موصول؛ يعني: الذي ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾،



ولمقارنة هذه الآية مع الآية (١٧٠) في سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آيَةً﴾. ارجع إلى سورة البقرة الآية (١٧٠) للبيان.

﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، توبيخي، والواو: استئنافية، وتقديره: أي كفيكم ذلك، ولو كان آباؤكم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون. ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: انتبه! إلى أنه وصفهم في الآية السابقة (١٠٣) بلا يعقلون، وأما آباؤهم؛ فقد وصفهم بلا يعلمون، ولا يهتدون؛ أي: لا علم، ولا هداية.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: من الدين، وما حكم الله تعالى؛ أي: جميعهم جهلة، و﴿شَيْئًا﴾: نكرة؛ لتشمل أي شيء مهما كان، والشيء: هو أقل القليل. ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: إلى ما شرع الله، وإلى الحق، لا هم، ولا آباؤهم.

فهم وآباؤهم: لا يعقلون، ولا يعلمون، ولا يهتدون، ثلاث صفات تدل على الجهل، وعدم الفهم، والضلال.

[١٠٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

نداء جديد إلى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: بتوجيه آخر، ووصية أخرى.

﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: أي: حافظوا على أنفسكم، أو احفظوا أنفسكم، من الوقوع في المعاصي، والشرك.

وألزموا أنفسكم هدايتها، وإصلاحها؛ أي: أصلحوا أنفسكم أولاً، وذلك بطاعة الله، وأداء الواجبات، والفرائض، وتطبيق الإسلام.

كذلك احذروا التقليد الأعمى؛ الذي وقع به هؤلاء الذين جاء ذكرهم في الآية السابقة، حينما قلّدوا آباءهم.

﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾:

﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾: إذا: شرطية، تعني: الحتمية؛ يعني: يجب أن تهتدوا أولاً، ثم يبقى عليكم واجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لأن الهداية لا تتم حتى تهتدوا غيركم إلى ما اهتديتم إليه.

فإذا قمتم بذلك وبيّنتم لهم طريق الخير، والهدى، والصلاح، وبعدها ضلّ هؤلاء، فلا يضرّكم بعد ذلك ضلالهم، وقال أبو بكر رضي الله عنه في تفسير هذه الآية، حينما قام خطيباً، أَنَّهُ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرُؤُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ». رواه الإمام أحمد في المسند، وأصحاب السنن، وابن حبان.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: إلى الله: تقديم الجار والمجرور، لفظ الجلالة؛ يدل على الحصر؛ أي: إلى الله وحده مرجعكم.

﴿جَمِيعًا﴾: تأكيد.

﴿فَيُنَبِّئُكُمْ﴾: الفاء: استئنافية. ينبئكم: يخبركم في يوم القيامة، أو يطلعكم على صحيفة أعمالكم في الدنيا.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: في الدنيا من خير وشر، وتعملون: تشمل الأقوال، والأعمال.



[١٠٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدُوا بَيْنَكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَشَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِن أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ﴾:

أسباب النزول: روى البخاري وغيره: «خرج بديل السهمي، مولى عمرو بن العاص مع عدي بن زيد، وتميم بن أوس، وكانا نصرانيين، تجاراً إلى الشام، حتى إذا كانوا ببعض الطريق مرض بديل، فكتب وصية بيده، ثم دسها في متاعه، وأوصى تميماً وعدياً أن يدفعا متاعه إلى أهله، فلما مات فتحا متاعه، وأخذا إناءً من فضة منقوشاً بالذهب، وقديما المدينة على أهله، فدفعا متاعه، ففتح أهله متاعه، فوجدا فيها الوصية، ولم يجد أهله إناء الفضة، فسألوهما؛ فأنكرا سرقتهما للإناء، فترافعا إلى النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية مشيرةً إلى ما يجب فعله في هذه الحالة».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدُوا بَيْنَكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾: نداء جديد بوصية أخرى: لا تنسوا في لحظة مواجهة الموت الوصية، إن كان مديناً لأحد، أو كان له دين على أحد، وكذلك إن سافر أحدكم في الأرض؛ فعليه أن يوصي (يكتب وصيته حتى لا يضيع على ورثته حق لهم، ويسدد ما عليه من دين ويبرئ ذمته).

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾: إذا: شرطية تفيد الحتمية والكثرة؛ حضر أحدكم الموت: من خصائص القرآن استعمال حضر في سياق الأحكام، والوصايا المتعلقة بالموت، وحضر تعني: شهد أو قارب على الموت، ويستعمل القرآن جاء أو المجيء للأجل، ويستعمل الموت حين نتكلم عن الموت.



﴿اثنان ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾: وأن يشهد على الوصية اثنان من المسلمين، يتصفان بالعدل، والإيمان، والأخلاق لحسنة.

﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أو آخران من غيركم: أي: من غير المسلمين.

أي: إذا كان مسافراً مع غير أناس مسلمين فأصابته مصيبة الموت؛ فعليه أيضاً أن يشهدهم على الوصية، فلا عذر، ولا بُدَّ من شهادة اثنين مسلمين، أو غير مسلمين، والأفضل أن يكونا ذوي عدل.

﴿فَأَصْبَبْتُمْ مِصْبِئَةَ الْمَوْتِ﴾: أي: حضر أحدكم الموت: عندها اكتبوا الوصية، وأشهدوا ذوي عدل.

﴿تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ﴾: أي: بعد موت الموصي، وترك الوصية: إن حدث شك في صدق الشاهدين؛ أي: في شهادتهما أنهما لا يقولان الحقيقة، أو شك في أمانتهما.

﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ﴾: تستدعونهما للقسم بعد الصلاة (أي صلاة)، والقسم في القرآن: يقترن بالصدق، وأما اليمين فينطلق على القسم مقارنة بالخلق الذي يأتي في سياق الكذب أو إضمار الكذب.

﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾: نص القسم هو: أقسم بالله ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾. وانظر كيف أضاف الله الشهادة إليه فقال: (ولا نكتم شهادة الله)؛ لتعظيم خطر الشهادة حين القسم بها.

﴿إِنَّا إِذًا لَمِنَ﴾: اللام: للتوكيد.



﴿الْأَشْيَاءِ﴾: جمع أتم: ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٣٣)؛ لبيان معنى الإثم.

[١٠٧] ﴿فَإِنْ عُرِيَ عَنْهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَيْنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿فَإِنْ عُرِيَ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، ظهر كذب الشاهدين، أو ظهر خيانتهم، أو شك يُستدعى للشهادة اثنان ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾: يُدعى آخران.

﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَيْنِ﴾: أي: من أقارب الميت، فيقسمان بالله أن شهادتهما أحق من شهادة الآخرين؛ أي: أصدق.

ونص الشهادة: ﴿لَشَهِدُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

[١٠٨] ﴿ذَلِكَ أَذَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ أَوْ يَخَافُونَ أَنْ تُردَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ وَأَنْتُمْ أَلَّهِ وَأَسْمَعُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة؛ يشير إلى الحكم، أو الذي تم فيه ردُّ اليمين على الورثة.

﴿أَذَىٰ﴾: أقرب.

﴿أَنْ﴾: للتوكيد.

﴿يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ﴾: من دون تحريف، أو خيانة. ويقال جاء بالشيء

الفلاني على وجهه؛ أي: أحسنه أو أكمله، واستفيد اسم الوجه ليدل على كمال الشيء؛ أي: كمال الشهادة تشبيهاً بوجه الإنسان الذي يعرف به.

﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ آيَمَانِهِمْ﴾:

﴿أَوْ يَخَافُوا﴾: تعود على ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾؛ أي: عليهما أن يعلما أن أولياء الميت يمكن أن ترد أيمانهم؛ أي: لا تقبل فيخافوا أن ترد أيمانهم، وتنكشف، أو تظهر فضيحتهم إذا خانوا، أو كذبوا.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: بعدم الخيانة، والكذب، وإياكم واليمين الغموس، وأطيعوا أوامر الله، وتجنبوا نواهيه.

﴿وَأَسْمِعُوا﴾: لأوامره، ونواهيه، وما يوصي به إياكم.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: والله لا يهدي هؤلاء الذين خرجوا عن طاعة الله، وساروا على طريق الفسق، واستمروا عليه؛ حتى أصبحوا من الفاسقين (جملة اسمية)؛ تفيد ثبوت صفة الفسق عندهم، ولم يقل: الذين فسقوا (جملة فعلية)؛ تدل على التجدد، أو التكرار، وليس الثبوت.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٥

الجزء السابع



يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ
لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ
الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ
مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا
بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ
الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ
جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ
مُبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي
وَبِرِسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ
الْخَوَارِجُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ
يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

سورة المائدة [الآيات ١٠٩ - ١١٣]

[١٠٩] ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾:

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾: يوم الحساب، يوم القيامة، والرسول هم الأنبياء والرسول.

﴿فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾: أي: ماذا كانت إجابة أممكم لكم؟

﴿مَاذَا﴾: استفهام للتقرير، أكثر تأكيداً مما لو قال: ما أجبتكم. وانظر إلى قوله تعالى (يوم الجمع) فيقول ماذا أجبتكم بصيغة المضارع، وهذا سيكون يوم القيامة، ثم جاء بصيغة الماضي بقولهم (لا علم لنا) رغم أنه لم يقع بعد ليدلنا على تأكيد وقوعه وكأنه حصل أو وقع، والله سبحانه خالق الزمان فالكل متساوي عنده الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾: يا لها من إجابة دقيقة! لا علم لنا! على الرغم من أنهم يعلمون أن هناك قسماً من الناس، استجابوا لدعوتهم، أو كثيراً لم يستجب، ولكون الرسل غير مطلعين على نوايا القلوب والسرائر، وإن كانوا يعلمون ظواهر الأمور، ولكنهم لا يعلمون ماذا حدث لمن آمن أو كفر من هؤلاء الذين استجابوا لهم، بعد موت الرسل.

ولذلك أجابوا: إنك أنت علام الغيوب، وهذا يعتبر قمة الأدب، والحكمة، والأمانة؛ لأنهم لا علم لهم بما حدث بعد موتهم.



﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾:

﴿إِنَّكَ﴾: تفيد التوكيد.

﴿أَنْتَ﴾: تفيد الحصر.

لأنك أنت وحدك: ﴿عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾: علام: صيغة مبالغة، علام ما غاب عن العباد، ما غاب عن عيونهم وحواسهم، الغيب: مصدر غاب يغيب، ويشمل علم الآخرة، وعلم البرزخ، والجنة والنار، وردت علام الغيوب في أربع آيات في سورة المائدة، آية (١٠٩)، وآية (١١٦)، وسورة سبأ، آية (٤٨)، وسورة التوبة، آية (٧٨). ارجع إلى سورة التوبة، آية (٧٨)؛ لمزيد من البيان.

[١١٠] ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾:

المناسبة: بعد سؤال الرسل: ﴿مَاذَا أُجِئْتُمْ﴾، وردهم: ﴿لَا عَلَمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾.

ينتقل ليسأل عيسى ابن مريم من بين الرسل كافة، سؤالاً خاصاً به وبأمه، وهذا الحدث، والأسئلة يوم القيامة، وفي أرض المحشر، وإذا انتبهنا إلى كلام الله سبحانه؛ سنجد بصيغة الماضي، ويوم القيامة في المستقبل!

لأن الزمن بالنسبة إليه واحد، سواء أكان في الماضي، أم الحاضر، أم المستقبل؛ فهو خالق الزمن، وله الخيرة في اختيار أي زمن، أو جاء بصيغة الماضي؛ كأنه حدث وانتهى.

قبل السؤال الخاص عن: كيف اتخذوا عيسى وأمه إلهين، يبدأ يسرد بعض النعم الخاصة بعيسى وأمه .

ويبدأ بذكر تأييده بروح القدس؛ أي: بجبريل .

والتأييد؛ يعني: (قوّيناك)، والتأييد: مأخوذ من اليد، وبما أن اليد هي آلة القوة، والدفاع عن النفس ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: اسم لجبريل ؛ لطهارته، والقدس: هو الله سبحانه، وإضافة القدس للروح هي للتشريف فقط، مثل القول: ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾، وسمّي (روحاً): لأن المنهج الذي حمل للرسول هو حياة للنفوس، فقد سمّي جبريل بالروح، كما سمّي القرآن روحاً؛ كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] .

﴿تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا﴾: تكلم الناس في المهد؛ كمعجزة خارقة حين قلت للناس: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ؕ آتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠-٣١] .

﴿وَكَهَلًا﴾: تدعوهم إلى الإيمان حين تكون كهلاً. ارجع إلى سورة آل عمران، الآية (٤٦)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾: وإذ، تعني: واذكر.

﴿الْكِتَابَ﴾: الكتابة، والخط.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: فقه الأحكام، والشرعة، والدين.

﴿وَالتَّوْرَةَ﴾: كتاب موسى .

﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾: الكتاب الذي أنزل عليك.



﴿وَإِذْ: واذكر: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾: ارجع إلى سورة آل عمران، الآية (٤٩)؛ للمقارنة بين فتنفخ فيه وتنفخ فيها.

النفخ: في آية المائدة هنا يعود إلى الهيئة، ولذلك أنث، وجاء بكلمة ﴿فِيهَا﴾.

والمعجزة: ليست في تشكيل الطير؛ كطير، وكهيئة، وإنما في تحول الطير الجامد إلى طير يطير بجناحيه.

وذكر كلمة ﴿بِإِذْنِي﴾ أربع مرات؛ للتأكيد أنه: هو الذي قام بذلك، وليس عسى.

﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾: تشفي الأكمه: وهو الذي يولد أعمى؛ العمى الجنيني، والأبرص: وهو مرض فقدان الجلد للون البشرية، فيصبح مصاباً ببقع بيضاء متناثرة؛ بسبب نقص هرمون الميلانين.

﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾:

واذكر: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ﴾: أي: تحيي الموتى بإذني (بإذن الله).

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُؤُنَا﴾.

﴿وَإِذْ: واذكر ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ﴾: منعت وصرفت.

﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ﴾: حينما هموا بقتلك برفعك إلي.

﴿إِذْ: ظرف زمان للماضي.

﴿جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات التي ذكرت سابقاً.

﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: الفاء: استئنافية؛ الذين كفروا من بني إسرائيل .
 ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: إن: حرف نفي؛ أي: ما هذا، والنفي: بـ(إن)
 أقوى من النفي: بـ(ما).
 ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: سحر واضح، لا يخفى على أيِّ إنسانٍ، والسحر نفسه واضح وبيّن، وفي قراءة أخرى قالوا: (إن هذا إلا ساحر مبين)؛ أي: عيسى ، ساحر، وما جاء به السحر؛ لتعريف السحر: ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٠٢)، وسورة طه، آية (٥٨). ووصف ما جاء به عيسى بالسحر يعني أن عيسى ساحر وحكم الساحر في شريعة بني إسرائيل أن يقتل؛ إذ أن السحر عندهم كفر.

وأنهموه بالسحر لما رأوا من تأثيره القوي في النفوس، وكانوا يظنون أن كل فعل غريب خارق للعادة سحراً، والحقيقة: هو ليس سحراً، بل هو حقيقة.
 [١١١] ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّنَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾:

واذكر ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّنَ﴾: الوحي: هو إعلام بخفاء؛ أي: ألهمتهم أن يؤمنوا بي وبرسولي ؛ أي: ألقى في قلوبهم خواطر الإيمان؛ أي: إلهام قلبي. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ للبيان.

﴿بِرَسُولِي﴾: الباء: للإلصاق، والتأكيد.

﴿قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: قالوا؛ أي: الحواريون، آمنا: بالوحيّتك، وربوبيّتك، ووحدانيّتك، بأننا: فيها تأكيد بنون النسوة.

ولنلاحظ الاختلاف بين قولهم.



﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: في هذه الآية، وقولهم في سورة آل عمران الآية (٥٢): ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٥٢) من سورة آل عمران؛ لمعرفة التباين.

[١١٢] ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِذْ﴾: أي: واذكر إذ قال الخواريون، أو حين قال الخواريون.
﴿الْخَوَارِثُ﴾: ارجع إلى سورة آل عمران، الآية (٥٢)؛ لبيان معنى الخواريين.

﴿يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾: يا: النداء للبعد.

﴿يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾: نادوه باسمه، ولم يقولوا: يا رسول الله، أو: يا نبي الله، نداء خال من التوقير والاحترام؛ لأن القاعدة هي حين ينادي الأدنى الأعلى باسمه؛ هذا يدل على قلة احترام.

﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾: هل: للاستفهام، أقوى وأكد من الاستفهام بالهمزة.

انتبه! إلى قولهم: قالوا: ربك، ولم يقولوا: ربنا، فهذا يدل على أنهم يعتبرون عيسى أقرب إلى الله منهم.

﴿أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾: الخواريون آمنوا سابقاً، وقالوا: ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، وأشهدوا الله كذلك بقولهم: أننا مسلمون؛ أي: موحدون.

فهم لا يشكون بأن الله قادر على إنزال مائدة، ولكن السؤال هنا معناه: هل يستجيب لنا ربك؟ هم يسألون كما سأل إبراهيم؛ إذ قال: ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾؛ أي: أراد رؤية الكيفية، وعملية إحياء الموتى، وهو لا يشك بقدرة الله أبداً على الإحياء.

﴿قَالَ أَتَقُؤْا اللَّهَ﴾: قال عيسى للحواريين: ﴿أَتَقُؤْا اللَّهَ﴾: أطيعوا الله، وامتثلوا أوامره، وتجنبوا نواهيه؛ أفضل لكم.

﴿إِنْ﴾: شرطية.

أو ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: بقدرة الله؛ فاتقوا الله؛ أي: لا تسألوا مثل هذا السؤال.

[١١٣] ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: معللين سؤالهم.

﴿نُرِيدُ أَنْ﴾: حرف مصدري؛ تفيد التعليل؛ للأكل منها، فنحن بحاجة إلى الطعام.

﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾: تزداد قلوبنا يقيناً.

﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾: بأنك رسول الله، علم اليقين نشهد أنها نزلت من السماء.

﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾: نخبر بني إسرائيل؛ الذين لم يشهدوا نزول المائدة من السماء إذا رجعنا إليهم، أو شاهدين لك بالنبوة، وشاهدين لله بالوحدانية والقدرة، وشاهدين: تدل على الثبوت، وفيها مبالغة مقارنة بقوله: من الشهداء؛ لأنها جملة اسمية.



الْبَيْتُ السَّادِسُ

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ
 تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ
 خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ
 مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾
 وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
 وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ
 أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي
 نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا
 قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ
 عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ
 عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ
 وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ
 يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾
 لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

سورة المائدة [الآيات ١١٤ - ١٢٠]

[١١٤] ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾:

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا﴾: ولم يقل: اللهم ربي، ولم يستعمل ياء النداء؛ يا ربنا؛ للدلالة عن شعوره بقربه من الله، بل قال: اللهم ربنا؛ أي: راح يصحّح ما قاله الحواريون؛ إذ قالوا: هل يستطيع ربك، فقد دعا بالألوهية، والربوبية معاً، بقوله: اللهم ربنا؛ أي: جمع بين الإلهية والربوبية استعطافاً لله ليجيب دعاءهم.

وهذا يدل على كمال الإيمان في قلب عيسى، مقارنة بإيمان هؤلاء الحواريين الناقص.

﴿أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾: قدّم الجار والمجرور؛ أي: علينا خاصة؛ للقصر والحصر.

﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾: أي: يكون اليوم الذي أنزلت فيه المائدة عيداً لنا نعظمه، نحن ومن بعدنا، وقيل: نزلت يوم الأحد، ثم اتخذته النصارى عيداً؛ أي: مجمعاً لهم؛ كيوم الجمعة بالنسبة للمسلمين، وكلمة العيد؛ أي: الذي يعود ويتكرر.

﴿لَأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾: أي: أولنا من جاء أولاً، وآخرنا لمن جاء بعدنا.

﴿وَآيَةً مِنْكَ﴾: معجزة منك؛ دالة على عظمتك وقدرتك.

﴿وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: استعمل عيسى بدلاً من الطعام الرزق؛ لأن الرزق كلمة عامة، تشمل: الطعام، والشراب، والمال، والعلم، والأخلاق، وكل شيء، ينتفع به هو رزق.



﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾: أنت: ضمير منفصل؛ يدل على القصر والتأكيد.
[١١٥] ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي﴾: نون الإفراد؛ للدلالة على الوجدانية.
﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ﴾: من: شرطية للعاقل، وتشمل: المفرد، والجمع، يكفر بعد: أي: من بعد نزول المائدة.

﴿مِنْكُمْ﴾: أنتم خاصة، وليس غيركم؛ لأنهم هم الذي سألوا ذلك.
﴿فَإِنِّي﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، وهي للتوكيد.
﴿أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾:
ففي هذه الآية تهديد ووعد، بأشد العذاب؛ لأهل المائدة إن كفروا بعد نزولها.

وبسبب هذا التهديد قال بعض المفسرين: لم تنزل، وبعضهم قالوا: نزلت، والروايات ترجح أنها نزلت.

[١١٦] ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِثْلَ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: واذكر حين قال الله: يا عيسى ابن مريم، هذا المشهد مشهد يوم القيامة، وبدلاً من سيقول، ﴿قَالَ﴾؛ لأن الزمن عند الله الماضي، أو الحاضر، أو المستقبل كله واحد؛ لأنه سبحانه خالق الزمان، والمكان، وقوله: ﴿قَالَ﴾ بالماضي: يدل كأنه حدث.

﴿ءَأَنْتَ﴾: الهمزة: همزة استفهام تقريرية.



﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ﴾: والله سبحانه يعلم أن عيسى لم يقل ذلك، وإنما قال ذلك أتباعه، قالوا: اتخذوا عيسى وأمه إلهين، ونسبوه إلى عيسى؛ افتراءً على عيسى، فالله سبحانه يريد أن يبري عيسى يوم القيامة من كذبهم.

﴿قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾: ﴿قَالَ﴾: عيسى: ﴿سُبْحَنَكَ﴾: انظر كيف نزه عيسى ربه أولاً قائلاً سبحانه فهو لا يطيق سماع الشرك بالله قبل أن ينزه نفسه مما قالوا. ثانياً: قوله سبحانه تنزيه الله أولاً أهم من تنزيه عيسى لنفسه تنزيهاً لك؛ أي: أنزهك تنزيهاً عما لا يليق بك؛ من الشريك، والولد، والتد، والمثيل.

﴿مَا﴾: النافية.

﴿يَكُونُ لِي﴾: يحق لي، أو ينبغي لي.

﴿أَنْ﴾: للتوكيد.

﴿أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾: أي: اتخذوني إلهاً، وأمي.

﴿وَإِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال.

﴿كُنْتُ﴾: قلته؛ فقد علمته.

﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾: أي: تعلم ما في نفسي؛ أي: تعلم ما أخفيه، وتعلم قولي، وعملي، والنفس تعني: الذات.

﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾: ذاتك المنزهة عن كل تشبيه، وتعطيل، وأن تكون نفساً كنفس البشر.

﴿وَإِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾:

﴿عَلَّمُ﴾: صيغة مبالغة: من علم، تعلم غيب خلقك، وغيب كونك، وكل



ما يغيب عن العيون، والحواس. ارجع إلى الآية (١٠٩) من نفس السورة، والآية (٧٨) من سورة التوبة لمزيد من البيان.

[١١٧] ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عَابِدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

﴿ مَا ﴾: النافية.

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ ﴾: إلا حصراً ﴿ مَا ﴾: الذي أمرتني به.

﴿ أَنْ ﴾: للتوكيد.

﴿ عَابِدُوا اللَّهَ رَبِّي ﴾: وربكم؛ أي: وحدوا ربي وربكم، وأخلصوا له العبادة.

﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾:

﴿ شَهِيدًا ﴾: من شهد، أو شاهد، أو علم، أو عاين، الشهيد: من شاهد وعاین؛ لفترة معينة ومحدودة، والشهيد: لا يمتد علمه وشهادته إلى الذات الداخلية والنية، كما هي شهادة الله سبحانه؛ الذي يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور.

أما البشر، أو عيسى حين يكون شهيداً عليهم؛ فشهادته محدودة مدّة بقائه بينهم، والإنسان يكون شهيداً لحادثة معينة، أو فترة ما، بينما الله سبحانه شهادته ليلاً ونهاراً في كل ثانية، ورقابته مطلقة غير محدودة بفترة معينة؛ من خلق آدم إلى آخر فرد يُخلق، وتمتد شهادته إلى يوم القيامة.

﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾:

﴿ فَلَمَّا ﴾: الفاء: عاطفة. لما: ظرفية زمانية؛ أي: حين.

﴿ تَوَفَّيْتَنِي ﴾: رفعتني إلى السماء، والتوفي: هو أخذ الشيء وافيّاً كاملاً:

بالجسد، والروح، والنفس.

وجاء ذلك في قوله: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَىٰ وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥].

﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: المراقب لأعمالهم، الشاهد عليهم، والحفيظ، والرقابة مطلقة، وأقوى من الشهادة.

الرقيب: من رقب، والمراقب الحارس، والناظر عن قصد، ولا تفوته حركة من الحركات.

و﴿أَنْتَ﴾: تفيد تأكيد القصر الحقيقي، على أن الله سبحانه هو الرقيب الحقيقي، وليس غيره.

﴿وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: تكرار ﴿وَأَنْتَ﴾: للتوكيد، والقصر الحقيقي، أن الشهيد الحقيقي هو الله، وليس غيره؛ لأن شهادته لا تنتهي على مر العصور، ومطلقة، وسواء أكان الله سبحانه رقيباً، أو شهيداً، فشهادته ورقابته مطلقة، وتمتد إلى كل ذات، وكل نفس. ارجع إلى سورة البقرة الآية (١٣٣) لمزيد من البيان في معنى الشهيد والشاهد.

[١١٨] ﴿إِنْ تَعِدُّهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

﴿إِنْ﴾: شرطية.

﴿فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ﴾: فهذا حقك؛ لأنهم أخطؤوا؛ أشركوا.

﴿عَبْدُكَ﴾: الكل في الآخرة عباد، لم يعد هناك طاعات؛ ليقول: عباد وعبيد، ولم يقل: إنك أنت الغفور الرحيم؛ لأنهم أشركوا، فعيسى لا يضمن لهم المغفرة، أو الشفاعة.

﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، تغفر لهم: تستر وتمحو خطاياهم، وذنوبهم، ولا تعاقبهم عليها.



﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: أنت: ضمير منفصل، وتوكيد، وحصر، على أن الله وحده: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿الْعَزِيزُ﴾: الذي لا يغلب، ولا يُقهر، والممتنع ليس بحاجة إلى أحدٍ من خلقه.

﴿الْحَكِيمُ﴾: المدبر لشؤون خلقه؛ بالحكمة المطلقة، لا يثيب، ولا يعاقب؛ إلا عن حكمة، والحكيم من الحكم، أو الحكمة، فهو أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٢٩)؛ لمزيد من البيان.

لنقارن قول إبراهيم، وقول عيسى:

في سورة إبراهيم، الآية (٣٦) قال: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: جاءت هذه الآية في سياق الفتنة بالأصنام.

وفي سورة المائدة، الآية (١١٨): ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

جاءت هذه الآية في سياق فتنة عيسى وأمه، اتخذوني وأمي إلهين.

والفتنة بالأصنام أقل فتنة بعيسى وأمه، ولذلك اختلفت نهاية الآيات.

[١١٩] ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا﴾: هذا: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقريب؛ أي: هذا يوم القيامة.

﴿يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾: صدقهم في الدنيا، ينفعهم في يوم الجزاء.

﴿الصَّادِقِينَ﴾: كعيسى ابن مريم، وأمه الصديقة، والذين صدقوا الله بإيمانهم، فعبدوه، ولم يشركوا به.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: جناتٌ مثل جنات عدن، أو الخلد، أو جنات النعيم، أو الفردوس.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾: الخلود: استمرار البقاء من وقت مبتدأ؛ من بداية دخولهم إلى ما لا نهاية له، أبدًا: تفييد التوكيد على الخلود.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾: بطاعتهم، وإيمانهم.

﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾: بثوابه، وجزائه، وإحسانه.

﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: ذلك: اسم إشارة، واللام: للبعد.

﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: هو أعظم أنواع الفوز، ويعني: الفوز بالجنة، ورضوان الله، والنجاة من النار. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٣) لبيان أنواع الفوز ودرجاته.

[١٢٠] ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾: لله: السلام: لام الاختصاص، الملك: الحكم، والقضاء في السموات والأرض، وما بينهما لله وحده سبحانه.

﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور، اسم الجلالة، تقديمه يدل على الحصر، فقط لله سبحانه؛ فهو الحاكم، والمالك، والمدبر، والمصرف.

﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾: ما: تشمل الأجناس كلها: الملائكة، والإنس، والجن. ما: للعاقل، وغير العاقل.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: وهو: ضمير منفصل؛ يدل على التوكيد، والحصر. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٠)؛ للبيان.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦

الجزء الثاني

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

آياتها
١٦٥

رقبتها
٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ
تَمُوتُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ
آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ
نُمْكِنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ
تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ كُلِّ قَرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾



سورة الأنعام [الآيات ١ - ٨]

ترتيبها في القرآن (٦)، وفي النزول (٥٥)، نزلت بعد سورة الحجر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

رُوِيَ عن ابن عباس : أن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة ليلاً بمكة، وحولها (٧٠) ألف ملك يجأرون بالتسبيح.

وقيل : بعض آياتها القليلة مدنية.

تهتم بأصول العقيدة، والإيمان، والبعث، والجزاء، وإثبات الألوهية، والوحدانية له تعالى، والوحي، ومحااجة إبراهيم لقومه، ومفتاح الغيب، والوصايا العشر، وغيرها.

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾

بدأت هذه السورة بالحمد لله، ولتعلم أن هناك خمس سور في القرآن؛

بدأت بالحمد لله، وهي:

١ - سورة الفاتحة.

٢ - سورة الأنعام.



٣ - سورة الكهف.

٤ - سورة سبأ.

٥ - سورة فاطر.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: اللام: في لله: لام الاستحقاق. له الثناء والجلال على نعمه علينا وعلى الناس باللسان وبالطاعة.

(ال) التعريف في الحمد: تفيد الاستغراق لكل المحامد.

المحمود على وجه الإطلاق حمداً مستمراً، غير مقيد بزمن، وسواء أنعم أم لم ينعم .

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: جملة اسمية؛ تدل على ثبات الحمد لله، واستمراره، منذ الأزل. ارجع إلى سورة الفاتحة، آية (٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿الَّذِي خَلَقَ﴾: الذي اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿خَلَقَ﴾: الخلق: هو الإيجاد ابتداءً، ويعني: التقدير، والتسوية، والحساب.

والخلق: إذا نسب إلى الله هو الإيجاد من العدم على مثال غير سابق.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: خلق السموات والأرض؛ من أعظم المخلوقات بعد خلق العرش، وأعظم من خلق الإنسان، كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٢)، والآية (٢٩)، والأعراف، آية (٥٤)، وسورة فصلت (٩-١٢)؛ للبيان العلمي المفصل لخلق السموات والأرض.



﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾: الجعل: يأتي بعد الخلق، أو يلي الخلق.

والجعل: إيجاد شيء من شيء، والخلق: أعم من الجعل، أو الجعل قد يحمل معاني كثيرة؛ منها: الصنع، والتبديل، والاعتقاد، والظن، والتغيير.

الخلق: لا يتعلق بشيء آخر، أما الجعل فيكون متعلق بشيء آخر، فالله سبحانه خلق السموات والأرض، وبعد ذلك جعل الظلمات والنور.

﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ﴾: الظلمات: جمع ظلمة ويقصد بها في هذه الآية الظلمات الحسية، والأصل في الكون هو الظلمة، وهي أسبق في الوجود من النور، والظلمات: جمع؛ تشمل ظلمات الكون، والبر، وظلمات البحر، وظلمة الليل، وظلمة القبر، وهناك الظلمات الفكرية والاعتقادية كظلمة الكفر والشرك والجهل والنفاق... وغيرها.

﴿وَالنُّورَ﴾: النور الحسي واحد، وهو الذي يمحو الظلام. ارجع إلى سورة يونس، آية (٦٧) للبيان، وهناك فرق بين النور والضياء؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (١٧) للبيان، وهناك النور الذي يمثل نور الإيمان والقرآن والإسلام وهو نور واحد.

﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: ثم: تفيد الاستبعاد؛ أي: من المستبعد بعد كل هذا الخلق، والجعل من الله؛ ينحرف، وينصرف الذين كفروا؛ أي: يشركون به إلى عبادة غيره، ويجعلون له عدلاً مساوياً له في العبادة والدعاء.

﴿بِرَبِّهِمْ﴾: الباء: للإلصاق، والرب: يعني: المربي، والرزاق، والمدبر، والخالق، والمقيت.

﴿يَعْدِلُونَ﴾: من الفعل عدل، ويعني: الميل عن الحق والصواب، والانحراف مع الهوى، والعدل يعني: المساواة والحكم بالعدل، فهذا الفعل عدل من أفعال التضاد، ويفهم المعنى من سياق الآيات؛ أي: يميلون عن عبادة الإله الحق إلى غيره.

وذكر كلمة بربهم رغم كونهم لا يستحقون إضافة كلمة الرب إليهم؛ فهو ما زال خالقهم، ومربيهم، ورازقهم.

وكلمة ﴿يَعْدِلُونَ﴾ ذكرت في القرآن في خمسة مواضع:

١ - سورة الأنعام، آية (١): ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

٢ - سورة الأنعام، آية (١٥٠): ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

٣ - سورة الأعراف، الآية (١٥٩): ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.

٤ - سورة الأعراف، آية (١٨١): ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.

٥ - سورة النمل، آية (٦٠): ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آلِهَةٌ مَعَهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ۖ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾:

﴿هُوَ﴾: هو ضمير منفصل؛ يفيد معنى الحصر.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول؛ يفيد التوكيد؛ أي: هو الوحيد القادر على أن يخلقكم من طين، ولا يوجد غيره يخلق مثل هذا الخلق.



﴿مِّنْ﴾: للابتداء.

﴿طِينٍ﴾: أي: خلق آدم من طين، وخلقكم من آدم، والسؤال هنا: كيف تحول الطين إلى بشر، فالجنين يتغذى من دم الأم، والدم مستمد من الغذاء الطعام والشراب، وغذائها وشرابها مستمد من تراب الأرض، فكل هذه الخضار والثمار واللحوم والألبان تستمد غذائها من الأرض وتربتها، فجسم الإنسان فيه أكثر من (١٧) معدن من معادن الأرض، فالإنسان خلق من تراب، وبعد الموت يفنى يتحول إلى تراب مرة أخرى. ارجع إلى سورة الروم، آية (٢٠)؛ لمزيد من البيان، وسورة الحجر آية (٢٦) لبيان مراحل خلق آدم.

﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾: ثم: للتراخي في الزمن، بين الخلق والموت.

﴿قَضَىٰ﴾: حكم، وحدد لكم ﴿أَجَلًا﴾: تموتون عند انتهائه، والأجل هو الوقت المحدد، أو المضروب؛ لانقضاء الشيء، وأجل الإنسان هو الوقت؛ لانقضاء عمره.

﴿وَأَجَلَ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾: يوم القيامة.

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُّونَ﴾: ثم: حرف عطف؛ تفيد الاستبعاد؛ أي: إنكم تشكون في البعث، بعد هذه الدلائل، والخلق من طين والموت، وتمتروا: من المرية، وهي التردد في الأمر، والمرية: مأخوذة من مري الناقة، يمرّيا، إذا مسح ضرعها للدرّ؛ لاستخراج اللبن بعد أن انتهى من حلبها؛ لأنه يشك لا زال فيها لبن يمكن استخراجه.

أي: أنتم تمترون بالبعث والحساب، والمراء: هو الجدال بالباطل بعد



ظهور وتبين الحق من هذه الآيات، والدلائل على أنه سبحانه الخالق، وأنه الإله الواحد الذي يجب أن يُعبد ويطاع أمره.

[٣] ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾:

﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾: هو: للتوكيد، الإله المعبود، والمدبر، والحاكم، والمالك للسموات، والأرض، والمسيطر عليهن.

﴿اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾: في: ظرفية؛ السموات وفي الأرض: تكرار (في) تفيد فصل السموات عن الأرض؛ أي: كل على حده، وكلاهما معاً في السموات، وفي الأرض بعلمه وقدرته.

﴿اللَّهُ﴾: الاسم الدال على ذات الله العليا. ارجع إلى سورة الفاتحة، آية (١).

﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ﴾: السر: هو إخفاء الشيء في النفس فلا يطلع عليه أحد ويعلم نواياكم، وما يدور في خواطركم، وما تخفونه، وتكتُمونه، وتسرونه؛ من أفعال، وأقوال.

﴿وَجَهْرَكُمْ﴾: ما تقولونه في العلن، والجهر: يعني: رفع الصوت.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾: إعادة، وتكرار، يعلم: للتوكيد.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ أي: الذي تكسبون من حسنات، وسيئات، ورزق، وأموال، وذنوب، وخطايا.

[٤] ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾:

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ﴾: الواو: استئنافية، وما: نافية. تأتِيهم: أي: كفار قريش.



﴿مَنْ﴾: للابتداء، والاستغراق.

﴿آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: آية من آيات القرآن، أو معجزة، أو آية كونية.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: معرضين: جمع معرض: والمعرض هو التارك والمبتعد. أي: كانوا مبتعدين عنها، وغير مهتمين، غير مصدِّقين بها، والتولي أشد من الإعراض.

[٥] ﴿فَقَدْ كَذَبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾:

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتحقيق، والتوكيد.

﴿كَذَبُوا بِالْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق، والتأكيد، الحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل، والذي لا يكون غيره، ويتمثل بالوحي (القرآن) والإسلام.

﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾: لما: ظرفية زمانية.

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: للتوكيد. سوف: أداة للاستقبال، وتدل على التراخي في الزمن؛ أي: حينما ﴿يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

إذن: هناك ثلاث مراحل:

١ - الإعراض عن الدين الصراط المستقيم.

٢ - التكذيب بمحمد ﷺ، والقرآن، والآيات.

٣ - الاستهزاء بالله، وآياته، ورسوله، والاستهزاء: هو التصغير، والتحقير، والعيب من الشيء، أو الآخر.



والغاية واحدة، وهي رفضهم للدخول، أو قبول الإسلام.

لنقارن بين الآيتين:

سورة الأنعام، الآية (٥): ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتْؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

سورة الشعراء، الآية (٦): ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَتْؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

في آية سورة الأنعام: استعمل (سوف)؛ كونها أبعد في الاستقبال من السين؛ أي: سوف تؤخر عنهم العذاب ليوم القيامة، وهذه الآية جاءت في سياق عموم الكافرين.

أما الآية من سورة الشعراء؛ فاستعمل السين مبنية على تعجيل العقوبة لقريش؛ فهؤلاء سنعجل لهم العقوبة في الدنيا؛ بسبب إعراضهم، وتكذيبهم.

﴿أَنْبَتْؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: أي: سوف يعلمون عاقبة استهزائهم يوم القيامة، وليبان معنى الاستهزاء؛ ارجع إلى الآية (١٠) في نفس السورة.

[٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام، والتعجب، ألم مقارنة بـ(أولم) ألم: تدل على القلة، وأولم: تدل على الكثرة، كذلك زيادة الواو في أولم تدل على شدة الإنكار؛ أي: الآية فيها تأكيد وإنكار أشد من (ألم).

﴿كَمْ﴾: خبرية؛ تفيد العدد الكثير، أو الكبير من القرون المهلكة.

﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من: الابتدائية، الاستغرافية، وتدلل على القرب، وتعني: الذين جاؤوا مباشرة من القرون قبل قريش.

﴿مِنْ قَرْنٍ﴾: القرن: اسم أهل كل عصر، فهو بمعنى جماعة من الناس يعيشون معاً في مدة من الزمن؛ لا قترانهم في زمن معين، أو القرن؛ وهو مئة سنة. ﴿مَكَثَتْهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: أعطيناهم القوة، والسلطان، والسعة، والمال، وكل مستويات التمكين، ويشمل الأمن، والرخاء، ورغد العيش، والقدرة على إقامة شعائر الدين، والحرية.

﴿مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾: ما لم نعطيكم، ونمدكم به، أو نزودكم به. ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾:

﴿وَأَرْسَلْنَا﴾: أي: أنزلنا المطر عليهم، وأرسلنا: تعني باستمرار وكثرة، وأنزلنا: تعني القلة.

وعبر عن المطر بالسماء، وتعريف السماء: كل ما علاك، ومنها: السحاب. ﴿مِدْرَارًا﴾: يدل على الكثرة، ويدل على الرحمة، وليس العذاب، ومدراراً: من الدر؛ أي: سيلان اللبن بكثرة، ثم استعير للمطر الغزير، المتتابع.

﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾: دلالة على كثرة الأنهار، وبناء الجسور، فتجري الأنهار من تحتهم، وتعني: سعة العيش، والرفاهية.

﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب، أهلكناهم، الهلاك يعني: العذاب والموت بكفرهم، ومعاصيهم، وتكذيبهم لرسولنا، وما جاؤوهم به من



الآيات. ارجع إلى سورة الحج، آية (٤٥)؛ لبيان معنى الهلاك، وسورة الأعراف آية (٤).

﴿وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾: الإنشاء؛ يعني: إحداث جيل بعد جيل، أو نخلق قوماً غيرهم، فلا يكونوا أمثالهم.

﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: من: تعني: مباشرة بعدهم، من دون فاصل زمني.

﴿قَرْنًا آخَرِينَ﴾: جماعة من الناس غيرهم، يعيشون معاً في مئة عام.

[٧] ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: استئنافية، لو: شرطية.

﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾: كما اقترح مشركو مكة أن يُنزل عليهم كتاباً؛ من عند الله حتى يؤمنوا بأنك رسوله، والقرآن حق؛ أي: ولو استجبنا لطلبهم، ونزلنا عليك كتاباً في قِرطاس؛ أي: مكتوب في صحائف الورق، نزلنا مقارنة بأنزلنا؛ نزلنا: تعني منجماً على دفعات؛ أنزلنا: أي: جملة واحدة، ونزلنا: تأتي في سياق التوكيد والاهتمام، وفي سياق الخاص، وأنزل: في سياق العام.

﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: رأوه بأعينهم، وشعروا به بأيديهم أنه حق. اللام: في كلمة لقال: لام التوكيد.

قال: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من أهل مكة.

﴿إِنْ﴾: حرف نفى، وتوكيد.

﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾: أي: ما هذا إلا سحر مبين، سحر واضح بنفسه، وكل

واحد يقرؤه، يعلم أنه سحر، وهو سحر، لا يحتاج إلى برهان. (إن): أقوى في النفي من (ما).

ووصفوه بالسحر؛ لأنهم رأوا تأثيره القوي في النفوس، والقلوب، وكانوا يظنون أن كل فعل غريب خارق للعادة سحراً، أو يشبه السحر، ولتعريف السحر: ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٠٢)؛ لمزيد من البيان.

[٨] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: أي: الذين كفروا.

﴿لَوْلَا﴾: أداة حُضٍّ وتمنٍّ، أنزل عليه على محمد ﷺ، ملك من الملائكة؛ ليصدق، أو يكون معه نذيراً.

ولو استجاب الله سبحانه ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾: أي: لأهلكناهم إذا لم يؤمنوا بعدها.

﴿ثُمَّ﴾: للتوكيد.

﴿لَا يُنْظَرُونَ﴾: أي: لا يمهلون، أو يؤخرون، ويكون هذا هو عاقبة كبرهم وعنادهم.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦

الْبَقَرَةُ السَّادِسَةُ

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلُوبٌ فَهُوَ أَتَعْبَهُ ۚ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَ كُمُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخِيذًا وَلِيًّا فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ قُلُوبُ الَّذِينَ آمَنُوا أَن أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِن عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ وَمَن يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَ مِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۚ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ ۖ إِلَّا هُوَ ۚ وَإِن يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾





سورة الأنعام [الآيات ٩ - ١٨]

[٩] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: شرطية.

﴿جَعَلْنَاهُ﴾: ملكاً، ﴿لَجَعَلْنَاهُ﴾: بصورة رجل؛ لأنهم ليس عندهم القدرة على رؤية أي ملك من الملائكة، ولألبس الأمر عليهم.

ولقالوا: كيف نعرف أنه ملك، ونحن بشر؟ إذا لا بُدَّ من إنزال ملك بصورة بشر، عندها سيلتبس الأمر عليهم أكثر فأكثر، وسيصبحون في ربهم يترددون، كما التبس عليهم أمر نبوتك، ونزول القرآن عليك.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ أَسْنَهَزَيْ بَرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية. لقد: اللام: للام التوكيد. قد: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿أَسْنَهَزَيْ بَرُسُلٍ﴾: الاستهزاء: هو التحقير، والتصغير، والعيب والاستخفاف، والتهكم بالرسول، والضحك أحياناً بدون سبب يدعو إليه، والاستهزاء أعم من السخرية.

﴿مِّن قَبْلِكَ﴾: من: تدل على القرب الزمني.

﴿بَرُسُلٍ﴾: الباء: للإلصاق، رسل: نكرة؛ للتكثير، والتفخيم.

﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾: الفاء: عاطفة؛ لربط السبب بالمسبب.

حاق: أحاط، ونزل، ووقع العذاب بهؤلاء الذين سخروا من رسلهم بسبب



استهزائهم بهم، وتكذيبهم لهم، والحق: هو ما يلحق بالإنسان من مكروه. ارجع إلى سورة غافر آية (٤٥) لمزيد من البيان في حاق، والفرق بين حاق ونزل.

﴿بِالَّذِينَ﴾: الباء: للإلصاق؛ أي: ملازمة العذاب لهم.

﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: ما: بمعنى: الذي، وفي هذه الآية حث لرسول الله ﷺ على الصبر على ما يلاقه من سخرية، واستهزاء.

[١١] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ، سافروا في الأرض للرزق والتجارة، أو العلم.

﴿ثُمَّ﴾: للتراخي في الزمن؛ أي: خلال سفركم أو بعد قضاء حوائجكم انظروا، أو زوروا آثار من قبلكم؛ لتعرفوا ما حلَّ بهم من العقوبات. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (١٣٧)؛ للبيان، والفرق بين فسروا، ثم سيروا.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام عن الحال، والتعجب والتحذير.

﴿كَانَ عَاقِبَةُ﴾: تذكير العاقبة في القرآن دائماً يأتي في سياق العذاب، أما تأنيث العاقبة؛ أي: لو قال: كيف كانت عاقبة؛ لدلَّ ذلك على العاقبة الحسنة.

﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾: جمع مكذب بالرسول؛ أي: غير المصدقين بهم، وما حلَّ بهم من العذاب، والمكذبين: جملة اسمية تفيد ثبات صفة الكذب عندهم.

[١٢] ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿قُلْ لِمَنْ﴾: اللام: لام الاستحقاق، أو الاختصاص. ﴿لِمَنْ﴾: اسم استفهام تقرير.

﴿مَا﴾: للعموم، والشمول، العاقل وغير العاقل.

﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ما في السموات السبع نفسها، وما فيها من خلق

الملائكة، والكواكب، والأقمار، والنجوم، والأرض نفسها بالطبقات السبع، وما فيها من خلق (جن وإنس)، ونباتات، وحيوانات، ومعادن، وكنوز.

﴿قُلْ لِلَّهِ﴾: وحده حكماً وملكاً، واللام في لله: لام الملكية، أو الاختصاص.
﴿كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾: قضى، وحكم على نفسه، تفضلاً منه وإحساناً، ليُعلم ويطمئن عباده، أنه هو أرحم الراحمين، وكتب فيها تأكيد أكثر من حكم.

﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾: اللام: للتوكيد، وكذلك النون في يجمعنكم: لزيادة التوكيد، إلى يوم القيامة، للحساب والجزاء، وقيل: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾: في قبوركم إلى يوم القيامة.

﴿إِلَى﴾: تعني: الانتهاء.

أو ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾: تعني: في يوم القيامة؛ ليجازيكم على أعمالكم.
﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: تعني: الريب: أقوى من الشك، والريب: هو الشك، والاتهام، لا ريب فيه: في قدومه.

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: الذين: اسم موصول.

﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بالكفر، والشرك، والمعاصي؛ مما أدّى إلى دخولها النار، وبذلك خسروا أنفسهم في كل زمان، ومكان، ولا تعني في الماضي فقط، وإذا نظرنا إلى الآية (٢٠) في نفس السورة نجد تشابه نهاية الآية (١٢) والآية (٢٠) وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وهذا ليس بتكرار، ولكن الآية (١٢) جاءت في سياق المشركين والكفار الذين لا يؤمنون بالبعث والحساب، والآية (٢٠) في سياق أهل الكتاب الذين يعرفون الرسول ولا يؤمنون به.

﴿فَهُمْ﴾: الفاء: سببية، هم ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.



﴿لَا﴾: نافية.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يصدّقون بيوم القيامة، أو بالجزاء، والحساب، والبعث، ولا يؤمنون برسولهم، وما أنزل الله عليهم؛ أي: أن سبب الخسارة لأنفسهم أنهم: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾:

وكان هذه الآية تنمة للآية السابقة (١٢).

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾: وله أيضاً ما سكن في الليل والنهار.

سبب نزول هذه الآية: عن ابن عباس حين سألت قريش رسول الله ﷺ أن يرجع إلى دين آبائه، ويجعلوا له نصيباً من الأموال؛ حتى يكون أغناهم؛ فنزلت هذه الآية، وتعني: وله كل ما سكن في السموات والأرض، وكل ما تحرك. ﴿مَا﴾: للعاقل، وغير العاقل؛ له في كل زمان ومكان؛ لأنه سبحانه خالق الزمان والمكان.

﴿وَلَهُ﴾: اللام: لام الملكية؛ له وحده، أو الاختصاص، له الكمال وحده، ما سكن وما تحرك في الكون كله؛ من كوكب، أو نجم، أو مجرة، أو طير، أو شيء مهما كان من كنوز، وأموال، وثروات.

﴿وَلَهُ﴾: قدّم الجار والمجرور. له: للحصر.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: تأكيد للكمال، ومن صفاته: السميع، يسمع ما في الكون، من سر وعلن، ويسمع كل ما يقوله الثقلان من الجن والإنس، وهي صيغة مبالغة من السمع.

﴿الْعَلِيمُ﴾: صيغة مبالغة؛ كثير العلم، أحاط علمه بجميع خلقه، وكونه، وكل شيء، عليم بخفايا الصدور، عليم بما كان، وما هو كائن، وما سيكون.



ونلاحظ أنه ذكر ﴿مَاسَكْنَ﴾، ولم يذكر ما تحرك؛ للاختصار، ويسمى ذلك الاكتفاء بأحد الضدين، فهنا اكتفى بالسكون، دون ذكر الحركة؛ لأن السكون هو الأغلب، وعاقبة كل متحرك السكون، ولأن السكون راحة، والراحة نعمة.

[١٤] ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذْ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾:

سبب نزول هذه الآية: حين سألت قريش رسول الله ﷺ، أن يرجع إلى دين آبائه.

﴿قُلْ أَغَيْرَ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري.

﴿اللَّهُ اتَّخِذْ وَلِيًّا﴾: أي: لا أتخذ ولياً غير الله، معيناً وكيلاً حفيظاً، والولي المعين، والذي يتولى أمري، والحليف، أو القريب، أو الحفيظ.

﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: الذي أخرج وأظهر الخلق للوجود لأول مرة على غير سابق مثال، وسواء أكانت السموات، أم الأرض، أم خلق الإنسان، وغيره من المخلوقات عامة.

﴿فَاطِرٍ﴾: اسم فاعل، من فعل: فطر؛ كأنه شق عنه فظهر، قيل: تفطر الشجر؛ إذا تشقق بالورق.

وفطر الله السموات والأرض؛ أي: أوجدها وأظهرها، ولا يقال: فاطر، إلا لله وحده.

﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾: أي: هو يرزق، ولا يرزق، وهو يُطْعِمُ ولا يأكل؛ كقوله: ﴿مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ [الذاريات: ٥٧].

وجاء بضمير الفصل (هو): للتوكيد؛ ليدل هو وحده، هو الذي يرزق، وإن كان هناك من يُطْعِمُ، أو يرزق، فهو الرزاق الحقيقي، وغيره ممن يُطْعِمُ أو يرزق هو من المرزوقين الذين أغناهم الله سبحانه.



﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿أَمَرْتُ أَنْ أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾: أن أكون: حرف مصدرى؛ يفيد التوكيد؛ أي: أول من أسلم من هذه الأمة، أو أول من أسلم درجة، أول الموحدين، والمخلصين لله تعالى، ومعنى قل: إني أمرت أن أكون أول من أسلم، ولا تكونن من المشركين: أمرت بالإسلام، ونهيت عن الشرك.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: ولا: الناهية.

﴿تَكُونَنَّ﴾: والنون: للتوكيد، توكيد النهي بدلاً من (ولا تكون).

وإن كان هذا الخطاب للنبي ﷺ؛ فهو خطاب لأُمَّته بعدم الشرك.

﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: بالله تعالى، أيًا كان نوع الشرك.

[١٥] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

﴿قُلْ﴾: قل يا محمد ﷺ.

﴿إِنِّي﴾: يفيد التوكيد.

﴿أَخَافُ﴾: الخوف: هو توقُّع الضرر المشكوك في وقوعه، والخوف خلاف الطمأنينة.

﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾: إن شرطية؛ تفيد الندرة، أو الاحتمال، العصيان: عدم امتثال أوامر الله وتجنب نواهيه.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: يعني: يوم القيامة، وجاء بصيغة النكرة؛ للتهويل، والتعظيم.

﴿عَذَابَ﴾: قد تعني اليوم، أو العظيم، أو العذاب العظيم في ذلك اليوم، أو كلاهما معاً.



[١٦] ﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾:

﴿مَنْ﴾: شرطية.

﴿يُصْرِفْ﴾: يبعد عنه، أو يمنع عنه العذاب.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: أي: يوم القيامة.

﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ تفيد التوكيد، وقد حرف تحقيق؛ لزيادة التوكيد.

﴿رَحِمَهُ﴾: نجاه من العذاب، ومن أهوال ذلك اليوم.

﴿وَذَلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، يشير إلى الفوز برحمة الله تعالى.

﴿الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾: الفوز، الظاهر الواضح، لكل إنسان، والفوز البين، لا يحتاج إلى برهان. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٣) لمزيد من البيان في المعنى ومعرفة أنواع أو درجات الفوز في القرآن والفروق.

[١٧] ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو: استئنافية.

﴿وَإِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والندرة.

﴿يَمْسَسْكَ اللَّهُ﴾: من المس: أقلّ اللمس، أو اللمس الخفيف؛ الذي لا يكاد يُذكر، ويمسك: تعني: المس الشديد، أو المتكرر.

﴿بِضُرٍّ﴾: الباء: للإلصاق. ضرٌّ: اسم جامع لكل ما يسوء الإنسان في نفسه، أو بدنه، أو عرضه، أو ماله، من فقر، ومرض، وحزن، وألم.

﴿فَلَا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، لا: النافية للجنس.



﴿كَاشَفَ لَهُ^ط إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسُكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ﴾: حصراً، لا كاشف؛ أي: لا صارف له، ولا مزيل له، أو منج منه؛ إلا هو سبحانه وحده.

﴿وَإِنْ يَمْسُكَ بِخَيْرٍ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، يمسك: ولم يقل يمسك؛ يمسك: تعني المس المتكرر، والمس يأتي في سياق الضر وغير الضر الشديد.

﴿بِخَيْرٍ﴾: الباء: للإلصاق. خير: أي خير، والخير هو الشيء الحسن النافع. ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: الفاء: جواب الشرط. هو: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء، كامل القدرة.

لنقارن الآن بين الآية رقم (١٧) من سورة الأنعام، والآية (١٠٧) من سورة يونس.

الآية (١٧) من سورة الأنعام: ﴿وَإِنْ يَمْسُكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ^ط إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسُكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

الآية (١٠٧) من سورة يونس: ﴿وَإِنْ يَمْسُكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ^ط إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

مطلع كلا الآيتين متشابه، ويتحدث عن الضر الذي لا يكشفه إلا الله، إذا وقع، والضر لا يتمناه أحد أن يقع، أما الخير؛ فالكل يتمناه أن يقع، بعكس الضر، والخير: إما أن يكون واقعاً الآن فعلاً، أو سيقع في المستقبل.

فالآية في سورة الأنعام: ﴿وَإِنْ يَمْسُكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: تدل على كونه واقعاً الآن، وعبر عنه: بالمس الشديد.

وأما في سورة يونس: ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ

مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ فتدل الآية على أن الخير لم يقع بعد، أو يحصل،
ويتمناه الإنسان أن يحدث، ونفهم ذلك من قوله سبحانه: ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ
بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: الذي يدل على المستقبل.

[١٨] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾:

﴿الْقَاهِرُ﴾: الغالب، والقهر: الغلبة والقدرة، والقاهر: اسم فاعل من قهر؛
أي: غلب.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾: وهو: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد والقصر، أن الله هو
القاهر الحقيقي، القاهر الذي خضعت له الرقاب، وعنت له الوجوه، وقهر كل
شيء.

﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾: فوق: من الفوقية؛ فهو فوقهم بقهره، وبتذليله إياهم.

﴿وَهُوَ﴾: الواو: عاطفة، هو: ضمير منفصل؛ يفيد القصر والتوكيد.

﴿الْحَكِيمُ﴾: في خلقه وشرعه؛ أي: المدبر لشؤون خلقه، وشرعه، وكونه،
بحكمه، فهو أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء. ارجع إلى الآية (١٢٩) من
سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿الْخَبِيرُ﴾: ببواطن الأمور، والأسرار، والخفايا، وذوات الصدور.





الجزء الثاني

سورة الأعراف ٦

قُلْ أَىُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا
الْقُرْآنُ أَنْ لَا تَذَرُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْتَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنْتَ مَعَ اللَّهِ
إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِئٌ مِمَّا
تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ
﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمْ
الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا لِلَّهِ
رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى
قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَاءً آيَةً
لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا
إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ
يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ
فَقَالُوا بَلِيتْنَا نَرُدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

سورة الأنعام [الآيات ١٩ - ٢٧]

[١٩] ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾:

سبب النزول: رُوِيَ عن ابن عباس : أن رؤساء مكة من المشركين، أتوا رسول الله ﷺ؛ فقالوا: يا محمد! ما نرى أحداً يصدقك بما تقول، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى؛ فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر، ولا صفة، فأرنا من يشهد أنك رسول الله؛ فنزلت هذه الآية.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾:

﴿قُلْ﴾: أي: اسأل يا محمد المشركين.

﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾: ما هي أعظم شهادة تبغونها، أي رسول الله إليكم، والشهادة عظمتها؛ تدل على عظم الشهيد؛ أي: المُدلي بالشهادة؛ فإن أجابوك: الله؛ كان بها، وإن لم يجيبوك عندها قل: الله سبحانه وتعالى.

﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: فشهادة الله هي أكبر، وأعظم شهادة؛ على نبوتك، ولا تحتاج إلى شيء آخر، أو شهادة أخرى.

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ﴾، وقل: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ﴾: لأنذرکم به من عذاب الله؛ معنى الإنذار هنا: الإعلام، والتخويف، أو التحذير.



﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾: أي: هو نذير كذلك؛ لكل من بلغه القرآن من العرب، أو العجم؛ أي: وصل إليه، وتبين ما فيه، وفهمه بلغته الخاصة؛ لأن الكثير يصل إليه القرآن، لكن لا يفهمون منه حرفاً، ولا آية.

﴿وَمَنْ﴾: استغراقية، ويؤيد ذلك قوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وهذا يعني: ومن بلغه إلى يوم القيامة.

﴿أَيِّنْكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ﴾: بعد إنذارهم؛ يوبخهم وينكر عليهم ما يقومون به من الشرك، فيقول:

﴿أَيِّنْكُمْ﴾: الهمزة: استفهام تقريرى إنكارى، وتوبيخ.

﴿لَتَشْهَدُونَ﴾: اللام: للتوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد أيضاً.

﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ﴾: مثل اللات، والعزى، ومناة.

﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾: معكم: بأن مع الله آلهة أخرى.

﴿إِنَّمَا﴾: للحصر. قل: إنما هو إله واحد.

﴿هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾: هو: ضمير منفصل؛ للتوكيد. إله واحد: لا يلد ولا يولد.

ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿وَإِنِّي﴾: النون: للتوكيد.

﴿بَرِيءٌ﴾: من برى؛ أي: تخلّى، وابتعد.

﴿مَّمَّا﴾: هي مركبة من + ما. من: ابتدائية، وما: اسم موصول، أو مصدرية؛ أي: بريء من الذين تشركون به، ومن شرككم.

﴿تُشْرِكُونَ﴾: تجعلون مع الله إلهاً آخر. تشركون: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على تجدد، وتكرار شركهم، وعدم إقلاعهم عنه.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

في الآية السابقة: علمنا أن رؤساء مكة من المشركين سألوا اليهود والنصارى: أن يشهدوا الرسول الله ﷺ، بما ذكر عندهم في كتبهم ووصفه، فأنكروا ذلك، وزعموا أنه ليس له ذكر عندهم في كتبهم، فجاء الرد المباشر من الله ؛ ليفضح كذبهم.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ﴾: أي: اليهود والنصارى، الكتاب: التوراة والإنجيل.

﴿يَعْرِفُونَهُ﴾: أي: رسول الله ﷺ.

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمُ﴾: بما عندهم من الأخبار في كتبهم؛ فإن وصفه ونعته، واسم بلده، وصفة أمته ﷺ، كل ذلك موجود عندهم في التوراة والإنجيل.

﴿يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمُ﴾: تشبيه مرسل، في علم الجمال اللغوي، يعرفون صفات محمد ﷺ؛ كما يعرفون آبائهم.

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: ارجع إلى الآية (١٢) من سورة الأنعام للمقارنة، وهذه الآية ليس تكراراً للآية (١٢) هذه الآية جاءت في سياق الذين



أتيناهم الكتاب (اليهود والنصارى)، والآية (١٢) جاءت في سياق المشركين والكفار الذين لا يؤمنون بالبعث والحساب.

والفاء في فهم: تفيد التوكيد، هذا يدل على أن إنكار نبوة محمد ﷺ خسارة للنفس، وافتراء على الله تعالى.

[٢١] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾:

استفهام على سبيل السؤال؛ كي يشارك المخاطب بالإجابة، فيقول: لا أحد حتى تقام عليه الحجة، أما لو قال: ولا أظلم؛ فهو كلام إنشائي، على سياق الخبر. ﴿وَمَنْ﴾: الواو: استئنافية، من استفهام؛ يفيد النفي، والتوبيخ، والمعنى: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، والافتراء: هو الكذب المتعمد، مثل من قال: أوحى إليّ، ولم يوح إليه، أو نسبوا له الولد، والبنات، والشريك. ومن: تفيد المفرد، أو الجمع، والعاقل.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: أي: آيات القرآن، ودلائله الكونية، والمعجزات، والآيات التي جاءت في التوراة والإنجيل التي تدل على صدق نبوة محمد ﷺ، وجاءت كذباً بصيغة النكرة؛ لتشمل كل أنواع الكذب، ولو جاءت بصيغة المعرفة بأل؛ أي: الكذب؛ لدلت على كذب محدد بعينه.

﴿إِنَّهُ لَا﴾: إن: تفيد التوكيد. لا: النافية.

﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: سواء أكانوا من الذين ظلموا أنفسهم بالشرك، أم من ظلموا الناس، وضلوا عن سواء السبيل، والظالم: هو كل من يخرج عن منهج الله تعالى، والفلاح: هو الفوز بالجنة، والنجاة من النار، فهو لاء الظالمون: لن يكونوا



من المفليحين في الآخرة؛ أي: الفائزين بالجنة، والناجين من النار. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥) لبيان معنى الفلاح، وإذا قارنا هذه الآية ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ مع الآية (١٧) في سورة يونس وهي قوله تعالى: ﴿لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾؛ المجرمون: أعم من الظالمين، والإجرام: أوسع معنى من الظلم، الظلم: جزء من الإجرام، وكذلك سبق آية يونس قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [آية: ١٣]، وآية يونس استعمل فيها (فمن)، وآية الأنعام (ومن أظلم)؛ الفاء في آية يونس تدل أن ما قبلها سبب ما بعدها.

[٢٢] ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا سُرَّكَاؤُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾:

﴿وَيَوْمَ﴾: يوم الحشر، يوم القيامة، وجاء بصيغة النكرة؛ للتهويل، والتعظيم.

﴿نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾: المشركين، وآلهتهم بمن فيهم الذين كفروا من أهل

الكتاب، وغيرهم، والأصنام، والأنداد، والرؤساء.

﴿جَمِيعًا﴾: توكيد.

﴿نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾: لها معانٍ ثلاث:

١ - ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾: كلهم.

٢ - ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾: مجتمعين.

٣ - أو يُراد كلا المعنيين؛ أي: نحشرهم كلهم مجتمعين.

﴿ثُمَّ نَقُولُ﴾: ثم: تفيد التوغل في التوكيد.

﴿لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا سُرَّكَاؤُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾:



﴿أَيْنَ﴾: استفهام، أو سؤال توبيخ.

﴿شُرَكَاءُكُمْ﴾: الأوثان، والأصنام، وعيسى، وعزير، أو الملائكة.

﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: أنهم شركاء لله، وأنداد، أو سيقربونكم إلى الله زلفى، وتزعمون: من الزعم: وهو القول غير المستند إلى دليل، وأكثر ما يقع في الباطل، أو هو: ادعاء العلم غير الصحيح.

[٢٣] ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف للترتيب الذكري (العددي).

﴿لَمْ تَكُنْ﴾: لم: حرف جزم.

﴿فِتْنَتُهُمْ﴾: الفتنة في هذه الآية تعني: القول، والكلام، والكذب، اعتبر فتنة، أو القول: هو فتنة في المعنى، أو المَعْدرة، أو فضيحتهم، أو بليتهم، أو عاقبة كفرهم. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (٧٠)؛ لبيان معنى الفتنة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ أي: لم تكن فتنتهم إلا مقاتلتهم فقط: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

﴿أَنْ قَالُوا﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد.

﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾: فهم يبادرون إلى إنكار الشرك، والقسم بالله (واو القسم): للتأكيد.

ويقسمون بالله يوم القيامة: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾؛ كي يصدقهم الله، وهم يعلمون أنهم كاذبون.



﴿مَا﴾: للنفي تنفي الماضي والحال وخاصة وقد تنفي المستقبل.

﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾: جواب القسم؛ فهم يحاولون الكذب في الآخرة، كما كذبوا في الدنيا مشركين بالله جمع مشرك.

[٢٤] ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾:

﴿أَنْظُرْ﴾: نظرة تعجب، نظرة قلبية.

﴿كَيْفَ﴾: استفهام للسؤال عن الحال، وتفيد التعجب، والتوبيخ، والإنكار.

﴿كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾: بقولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾؛ أي: بنفي الشرك عن أنفسهم.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: غاب عنهم، ولم يعد يتذكرون، ما كانوا يفترون في الدنيا؛ أي: يكذبون الكذب المتعمد، بقولهم: إن الأصنام ستشفع لهم، أو تقربهم عند الله زلفى، أو تمنع عنهم العذاب.

﴿مَا﴾: اسم موصول، أو مصدرية؛ أي: غاب عنهم: لم يحضر، هؤلاء الشركاء الذين كانوا يفترون سيشفعون لهم يوم القيامة، أو أنكروا أنهم كانوا لهم أتباعاً.

[٢٥] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَاءً آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَا يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ﴾: عن قصد، وعمد، أما لو قال: يسمع إليك؛ فقد يكون سمعه عرضاً، من دون قصد.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: لا لكي يتبين له الحق والهداية، ولكن للاستمرار



في الكفر، والتكذيب، والعناد، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤٢) في سورة يونس وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: جاءت في سياق قلة المستمعون، وأما يستمعون إليك جاءت في سياق الكثرة.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾: أغطية، وحُجُب أن يفقهوه.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري؛ يفيد التعليل، والتوكيد؛ أي: لئلا يفقهوه؛ أي: القرآن.

﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: صمم، وثقل، فلا يسمعون سماع قبول.

ولم نجعل على قلوبهم أكنة، وفي آذانهم وقراً، قهراً عنهم، بل هم الذين اختاروا الكفر سبيلاً، واستمروا فيه. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٨٨)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَلِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾: وإن يروا كل آية قرآنية، أو كونية، أو معجزة، لا يؤمنوا بها، لا يصدقوها، وكل آية دالة على صدق الرسول، يجحدون بها، وينكرونها.

لنقارن هذه الآية من سورة الأنعام، مع الآية (٤٢) من سورة يونس.

في سورة الأنعام؛ يقول: ﴿يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾، وفي سورة يونس: ﴿يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾، والفرق بين الآيتين: ﴿يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: تدل على قلة عدد المستمعين، قيل: كانوا (٥-٧)، وأما ﴿يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: فتدل على كثرة عدد المستمعين.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية، نهاية الغاية.



﴿إِذَا﴾: ظرف للمستقبل، وشرطية.

﴿جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾: حضروا عندك. يجادلونك: الجدل هو الحوار بين طرفين أو أكثر؛ لإثبات حق أو حقيقة، أو إظهار حجة، أو دفع شبهة، وقد يحدث فيه مشادة ومخاصمة.

﴿يُجَادِلُونَكَ﴾: ولم يقل: جادلوك، بصيغة الماضي، بل بصيغة المضارع؛ لتدل على استمرار جدالهم، وأن جدالهم لم يتوقف بعد، وإضافة النون في كلمة: ﴿يُجَادِلُونَكَ﴾: ولم يقل: يجادلوك، تدل على التوكيد.

﴿يَقُولُ﴾: جاء بالفعل المضارع؛ ليدل على تجدد قولهم، والاستمرار فيه، ولم يقل: قالوا.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا﴾: إن: حرف نفي؛ أي: ما هذا؟ وإن: أشد نفياً من (ما).

﴿هَذَا﴾: الهاء: للتنبيه، وذا: اسم إشارة، ويدل على القرب، ويشير إلى القرآن الكريم.

﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: إلا: أداة حصر؛ أي: القرآن ما هو إلا أساطير الأولين؛ أي: جمع أسطورة، وأكاذيب، وخرافات، أمليت عليه، أو طلب كتابتها، وتعني كله، جميع ما فيه، كل آية وكلمة من أساطير الأولين؛ الذين جاؤوا من قبل، وانقرضوا، وماتوا.

[٢٦] ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿وَهُمْ﴾: يعني: كفار مكة.

﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾: ينهون من النهي، والهاء في ﴿عَنْهُ﴾: تعود إما إلى القرآن، أو



إلى محمد ﷺ؛ أي: كفار قریش ينهون الناس عن اتباع القرآن، واتباع محمد ﷺ،
أو كليهما، أو الاستماع لهما.

﴿وَيَتَوَنَّ عَنْهُ﴾: من النأي: وهو الابتعاد عنه ﷺ، عن محمد ﷺ، أو
القرآن، أو كليهما.

﴿وَإِنْ﴾: حرف نفى، بمعنى: ما، ﴿وَإِنْ﴾: أقوى نفياً من ما.
﴿يُهْلِكُونَ﴾: من الهلاك. ارجع إلى سورة الحج، آية (٤٥)؛ للبيان، أو
الأعراف آية (٤).

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: ما: النافية، وما يشعرون أنهم يهلكون، ويخسرون
أنفسهم، بعملهم هذا، ولو شعروا؛ لربما كفوا عن النهي، والنأي.

[٢٧] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقُفُّوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا لَإِلَيْنَا نُزِدُ وَلَا نَكْذِبُ بَيَّاتٍ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾: شرطية، وجوابها محذوف، تقديره: (لرأيت عجباً، أو شيئاً
عظيماً).

﴿تَرَىٰ﴾: للتعجب، رؤية قلبية، أو رؤية حقيقية بصرية.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمان، للمستقبل؛ لأنه في حكم المحقق.

﴿وَقُفُّوا﴾: فعل ماضٍ؛ فالماضي، أو الحاضر، أو المستقبل كله متساوٍ عند
الله، والضمير يعود على الذين كفروا، وأشركوا بالله تعالى.

﴿وَقُفُّوا عَلَى النَّارِ﴾: عرضوا على النار، أو عاينوها؛ لأنهم انكروها وانكروا

عذابها كما قال تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [الرحمن: ٤٣]، فهي تعرض عليهم كقوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف: ١٠٠]، وهم يعرضون كقوله: ﴿وَتَرْنَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ [الشورى: ٤٥].

﴿فَقَالُوا﴾: الفاء: عاطفة، وللتوكيد.

﴿يَلَيِّنَانَا﴾: يا: للنداء، ليت: حرف مشبه بالفعل؛ للتمني، وتستعمل: لتمني المستحيل، ووقوعه.

﴿نُرْدُ﴾: إلى الحياة الدنيا.

﴿وَلَا تُكْذِبُ بآيَاتِ رَبِّنَا﴾: لا: النافية.

﴿تُكْذِبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بآيات ربنا: القرآنية، أو الكونية، أو المعجزات.





البقرة السابعة

سورة البقرة

بَلْ بَدَّ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا
بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ
﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا أَيْ حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ
عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَسَاءَ مَا يَرْزُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
لَعِبٌ وَلَهُوَ الْوَلَدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ
وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ
رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا
وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ
﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كِبُرُ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْتَطِعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَأْيَةٌ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾



سورة الأنعام [الآيات ٢٨ - ٣٥]

[٢٨] ﴿بَلْ بَدَاهُمْ مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي.

﴿بَدَاهُمْ مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾: ظهرت لهم أعمالهم الخفية التي عملوها في الدنيا في صحائف أعمالهم من النفاق، والسيئات، والشرك، وغيرها من المعاصي.

﴿مَّا كَانُوا﴾: يخفونه في قلوبهم؛ من صدق محمد ﷺ، ونعته، وراحوا يتمنون لو عادوا إلى الدنيا.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: أي: حين كانوا أحياء.

﴿وَلَوْ﴾: شرطية، ردوا إلى الدنيا، كما سألوا الله في سورة فاطر، آية (٣٧): ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾.

﴿لَعَادُوا﴾: اللام: لام التوكيد.

لعادوا إلى ارتكاب ما نهوا عنه؛ أي: سيفعلون مثلما فعلوا من قبل؛ من الشرك، وسيئ الأعمال.

﴿وَإِنَّهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿لَكَاذِبُونَ﴾: اللام: للتوكيد، للإيغال في التوكيد، في وعدهم: بأن يكونوا

مؤمنين.



﴿لَكَذِبُونَ﴾: جملة اسمية تدل على الثبوت؛ أي: صفة الكذب عندهم صفة ثابتة، ومستمرة.

[٢٩] ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: الواو: عاطفة.

﴿وَقَالُوا﴾: هم الآن في الآخرة، وقالوا حينما كانوا في الدنيا: إن هي إلا حياتنا الدنيا، وما نحن بمبعوثين.

﴿إِنْ﴾: حرف نفي، أقوى من (ما) في النفي.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ أي: قالوا: ما هي إلا حياتنا الدنيا فقط حصراً، وما نحن بمبعوثين، ليس هناك آخرة.

لننظر إلى قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾، وقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧]، فما هو الفرق؟

في الآية (٣٧) سورة المؤمنون: أضاف: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾، بينما في الآية (٢٩) من سورة الأنعام: لم يرد ذكر: نموت ونحيا.

السبب: هو أن آية سورة المؤمنون: جاءت في سياق الحياة الدنيا، قالوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾، وهم لا زالوا أحياء.

بينما آية سورة الأنعام: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾: من دون نموت ونحيا، قالوا ذلك وهم في الآخرة.

[٣٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: استئنافية. لو: شرطية، حذف جواب الشرط؛ للإيهام، والمبالغة، وتقديره: لرأيت العجب، والأمور العظام.

﴿تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا﴾: ارجع إلى الآية (٢٧) من نفس السورة؛ للبيان.

﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: أي: عرضوا على ربهم؛ لأنهم انكروا لقاء ربهم فقال ربهم أليس هذا بالحق، وكما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم: ٨].

﴿قَالَ أَلَيْسَ﴾: استفهام توبيخي.

﴿هَذَا﴾: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة، ويفيد القرب، ويشير إلى الوقوف أمام الرب، والبعث، والجزاء.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾: بلى وربنا: الواو: واو القسم؛ أي: أقسموا بربهم أن كل ما وعده حق (البعث، والحشر، ويوم القيامة).

﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾: الفاء: للتوكيد، قال فذوقوا العذاب: أي: عذاب النار.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: الباء: السببية، أو البدلية؛ أي: بسبب كفركم، أو بدل كفركم.



[٣١] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَسَاءَ مَا يَرْزُونَ﴾:

﴿قَدْ﴾: للتأكيد، والتوكيد.

﴿خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: يوم القيامة، والباء: للإلصاق، والتوكيد، كذبوا بقاء الله: أي: بالبعث، والحساب، والجزاء.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية، انتهاء الغاية.

﴿جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾: جاءتهم: المجيء فيه معنى الصعوبة؛ أي: جاءتهم بصعوبة، وجاءتهم فجأة. الساعة: لحظة تهدم النظام الكوني الحالي، أو ساعة احتضارهم، والقيامة الصغرى.

﴿قَالُوا يَحْسِرُنَا﴾: الحسرة أشد درجات الندم.

﴿عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا﴾: من التفريط: الإهمال والتقصير، ما: اسم موصول بمعنى: الذي، أو مصدرية؛ أي: يا حسرة على تفريطنا في جنب الله تعالى.

﴿وَهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾: الأوزار: أي: الذنوب، والوزر: أصله هو الحمل على الظهر، وأطلق على الذنب لثقله. ارجع إلى سورة العنكبوت، آية (١٣) للمقارنة.

﴿أَلَا﴾: أداة حُضُّ على الندم.

﴿سَاءَ﴾: فعل ماضٍ؛ لإنشاء الذم؛ أي: بئس.

﴿مَا﴾: نكرة.

﴿يَرْزُونَ﴾: ساء ما يحملون على ظهورهم؛ من الذنوب، والآثام، والخطايا.



لنقارن بين هذه الآية (٣١) من سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا أَيْحَسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾، مع الآية (٤٠) من سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

استعمل: ﴿جَاءَهُمُ السَّاعَةُ﴾ في الآية (٣١)؛ لأن السياق في الآخرة (تحدث عن الآخرة)، استعمل جاء؛ أي: فيها معنى الشدة والصعوبة؛ لأن الساعة جاءت وحصلت، واستعمل: ﴿أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾ في الآية (٤٠)؛ لأن السياق في الدنيا، استعمل: أتى؛ لأن الساعة لم تحدث، وتقوم بعد، إذن استعمل: (أتى) قبل حدوث الساعة، و(جاء) بعد حدوث الساعة، وجاء تعني: وصل المكان وبصعوبة، وأتى: لا زال في طريقه ولم يصل بعد.

[٣٢] ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَنْقُوتُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية. ما: نافية.

﴿الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا﴾: إلا: أداة حصر، وسَمَّاها الحياة الدنيا؛ لأن حقيقتها دنيا، وهناك حياة تقابل الحياة الدنيا؛ هي حياة عُلْيَا، حياة الآخرة.

﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾: ما هو اللعب، وما هو اللهو. ﴿لَعِبٌ﴾: هو شغل، لا يلهي عن واجب، واللعب يسمَّى لهواً، إذا صرفك عن عمل واجب؛ مثل: الصلاة، واللعب للأطفال دون سن (١٥) أمر طبيعي، وأما البالغ، أو الكبير إن كان يلعب لعبة وأتى وقت الصلاة، ولم يصل فباللعب حينها يصبح لهواً بحقه، وإذا كان اللعب مفيداً له؛ كالرياضة، والسباحة، فلا حرج في ذلك، إذا لم يُشغله عن واجباته، أما إذا كان اللعب تضييع للوقت يذمُّ عليه، ويعتبر عبثاً.

﴿وَلَهْوٌ﴾: هو كل ما يلهي عن واجب، واللهو أسوأ من اللعب.



وإذا تأملنا آيات القرآن (الأنعام آية: ٣٢)، (محمد آية: ٣٦)، (الحديد آية: ٢٠): نجد أن الله سبحانه قدم اللعب على اللهو، وفقط في آية واحدة (العنكبوت آية: ٦٤) قدم اللهو على اللعب، فتقديم اللعب على اللهو في الأنعام، ومحمد، والحديد يتماشى مع مرحلة الطفولة (اللعب)، ومرحلة الشباب والكهولة (مرحلة اللهو)، وهذا هو الأصل والأصل لا يسئل عنه، وهذا هو حقيقة الحياة الدنيا، وأما في آية العنكبوت تقديم اللهو على اللعب هو كون الآية جاءت في سياق المكلفين ولا يسئل هذا السؤال، والإجابة عليه إلا من جاوز سن اللعب واضح في سن التكليف ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [العنكبوت: ٦١].

حين يلعب الكبير بأي شيء يلقيه عن واجب؛ يسمّى هذا لهواً. أما إذا مارس الكبير لعب الرياضة؛ كالسباحة، والتمارين، ولم يلّفه ذلك عن واجب؛ فيسمّى ذلك لعباً، واللهو: أعم من اللعب، ويحدث في كل زمن. ﴿الْذِينَ لَا لَعِبَ وَلَهُوٌ﴾: لأنها مليئة بالشهوات التي تلهي الإنسان عن طاعة الله.

وتقديم اللهو على اللعب أسوأ من تقديم اللعب على اللهو. ﴿وَلَلْآرَارُ الْآخِرَةُ﴾: اللام: لام التوكيد. ﴿وَلَلْآرَارُ الْآخِرَةُ﴾: هي الجنة. ﴿خَيْرٌ﴾: أفضل.

﴿لَلَّذِينَ يَنْقُونَ﴾: اللام: لام الاختصاص. اتقوا: أطاعوا وأوامر الله، واجتنبوا محارمه.

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: استفهام، يحمل معنى الحث على الفعل، والتفكير،



والتعجب، وإنكار ذلك الترك، ويحمل معنى الأمر بفعله؛ أي: فكروا، استنبطوا، وزنوا الأشياء والمعطيات.

﴿تَعْقِلُونَ﴾: من العقل: وهو الأداة التي تؤدي مهمة الاختيار ما بين البدائل، وللموازنة بين الدلائل واستنباط النتائج للوصول إلى الحقائق.

[٣٣] ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾:

﴿قَدْ﴾: حرف للتحقيق والتوكيد؛ أي: نعلم.

﴿نَعْلَمُ إِنَّهُ﴾: إنه: لزيادة التوكيد؛ أي: إننا نعلم بكل توكيد.

﴿لَيَحْزَنُكَ﴾: اللام: لام الاختصاص، وتفيد أيضاً التوكيد، والحزن: بضم الزاي: هو ألم النفس؛ أي: ضيق في الصدر على شيء قد مضى، ضيق مؤقت، له مدة من الزمن، قد تطول، أو تقصر، ثم ينتهي.

أما الحزن: بفتح الزاي: فهو ضيق في الصدر، ولكنه دائم، وليس مؤقتاً، كما هو الحال في الحزن الذي يستمر إلى زمن الموت؛ أي: يموت ومعه حزنه؛ كالمحكوم عليه بالإعدام، أو الموت بالسرطان؛ فالحزن لا ينقضي ويزول.

﴿الَّذِي يَقُولُونَ﴾: يقولون: جاءت بصيغة المضارع، ولم يقل: (الذي قالوا)؛ بصيغة الماضي؛ ليدل على استمرار ما يقولون، وأنه لم يتوقف، أو حكاية الحال، بدل الذي قالوا؛ لبشاعة ما قالوا.

والذي يقولون: إنك ساحر، أو مجنون، أو كذاب، أو لست مرسلًا، وغيره، أو ما يقولونه في عدم إيمانهم، وكفرهم، أو تمشي في الأسواق، أو ليس لك جنة من نخيل، وعنب، ولولا أنزل إليك ملك.



﴿فَإِنَّهُمْ﴾: الفاء: للتعليل، إنهم للتوكيد.

﴿لَا يَكْذِبُونَكَ﴾: لا تفيد النفي، ﴿يَكْذِبُونَكَ﴾: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على استمرار عدم تكذيبهم لك في نفوسهم وفي السر.

وإضافة النون تفيد التوكيد، ولم يقل: يكذبوك؛ كما جاء في سورة الحج، الآية (٤٢): ﴿وَلَا يَكْذِبُونَكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَثَمُودُ﴾، لم يصف نون التوكيد؛ لأنه لا حاجة لتوكيد تكذيبهم.

ولا ننسى أنه في الآية (١٤٧) من سورة الأنعام، قال: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسَعَةٍ﴾.

وفي سورة آل عمران، الآية (١٨٤)، قال: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾.

فنحن أمام آيات مختلفة:

١ - لا يكذبونك.

٢ - وإن يكذبوك (الفرق بزيادة نون التوكيد).

٣ - فإن كذبوك.

فكيف نجمع بين لا يكذبوك، وبين فإن كذبوك؟

لا يكذبونك: في باطن أنفسهم، وفي نجواهم وسرهم؛ لأنك أنت الصادق الأمين، في أعينهم؛ إذ يعرفونك منذ سن الصغر، أنك لا تكذب، وأطلقوا عليك اسم الصادق الأمين.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال؛ أي: كذبوك أمام الناس؛ ليصدوا الناس عن الدخول في دينك، واتباعك.

﴿كَذَّبُوكَ﴾: جاءت بصيغة الماضي؛ لتدل على حادثة ما، وانتهت، أو زمن معين وانتهى؛ حين قالوا: ساحر، أو مجنون، أو يعلمه بشر، وغيرها؛ ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٨٤) لمزيد من البيان.

﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾:

﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف استدراك.

﴿الظَّالِمِينَ﴾: وصفوا بالظالمين، وأن الظلم عندهم صفة ثابتة؛ لكونها جملة اسمية، تدل على الثبوت، والظلم: قد يعني الشرك؛ أي: المشركون بآيات الله، يجحدون، أو الظالمون؛ لكونهم يجحدون بآيات الله، سواء أكانت الآيات القرآنية، أم الكونية والمعجزات.

﴿يَجْحَدُونَ﴾: من الجحود؛ أي: ينكرون آيات الله، ولا يؤمنون بها، والباء بآيات: تدل على الإلصاق، والاستمرار.

وهناك فرق بين الإنكار والجحود:

الجحود: هو إنكار الشيء الظاهر؛ أي: هم ينكرون آيات الله كلها، الظاهرة، والمعلومة، مع العلم بها؛ فالجحود أخص من الإنكار، وقد يكون أمراً لسانياً قولياً، أي: ينكره بلسانه فقط، للعناد، ولكنه في نفسه يُقرُّ ذلك.

الإنكار: هو إنكار الشيء الخفي غالباً، وقد يشمل الشيء الظاهر.

أو الإنكار للشيء مع العلم به، أو غير العلم به، مثل إنكار النعمة؛ لأنها تكون خفية، كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣].



[٣٤] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَآوَدُوا حَتَّىٰ أَنهَم نَصْرًا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾:

هذه الآية تشير إلى سنة تكذيب الرسل كان أمراً شائعاً في الأمم السابقة، فما يحدث لك؛ إنما حدث لرسل من قبلك.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: عاطفة. لقد: اللام: للتوكيد، قد: لزيادة التوكيد.

﴿كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾: كذبت: التاء: تاء التأنيث، تدل على الكثرة؛ أي: كثرة الرسل الذين كذبوا من قبل مجيئك؛ أي: هناك الكثير من الرسل الذين جاؤوا من قبلك، قد كذبوا، ولو قال: كذب رسل من قبلك؛ لدل ذلك على القلة؛ لأن مجيء الفعل بصيغة التذكير يدل على القلة، ومجيء الفعل بصيغة التأنيث يدل على الكثرة، كما قال تعالى في سورة يوسف، آية (٣٠): ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾.

﴿فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا﴾: الفاء: تفيد التوكيد.

﴿فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا﴾: ما: اسم موصول، أو مصدرية؛ أي: صبروا على الذي كذبوا، أو على تكذيب أممهم لهم، ولم يصبروا فقط، بل أيضاً آوَدوا.

﴿وَآوَدُوا﴾: من قبل الكافرين، والمستكبرين، من الملأ من أقوامهم.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية؛ تعني: نهاية الغاية، ويعني: استمرار تكذيبهم وإيذائهم، حتى النهاية، وهي: ﴿أَنهَم نَصْرًا﴾.

﴿أَنهَم نَصْرًا﴾: سواء كان بالنصر والغلبة، أو الفتح، ونجاة الرسل وأتباعهم الذين آمنوا بالله.

﴿أَنهَم نَصْرًا﴾: أتاهاهم: تدل على السهولة، واليسر، وجاءهم: تدل على



الصعوبة، والعسر، والمشقة وأتاهم؛ أي: نصرناهم بسهولة، ويسر، فكانوا هم الغالبين، والنصر: يكون بالعدة والعتاد، والقوة، والقتال، أما الفتح: فيكون من دون قتال غالباً، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١١٠) في سورة يوسف وهي قوله تعالى: ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾: نجد أن جاءهم جاءت في سياق استئس الرسل وهي حالة أشد وأصعب بكثير في حالة الصبر على تكذيب الرسل ﴿فَصَبْرُوْا عَلَى مَا كَذَبُوا﴾ التي وردت في آية الأنعام.

﴿وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: لا: نافية للجنس؛ أي: لا تغيير، ولا تبديل في وعد الله لرسله، ولعباده المؤمنين بالنصر، كما جاء في آيات كثيرة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾

[غافر: ٥١].

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: [الحج: ٤٠].

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿جَاءَكَ﴾: أخبرناك، وقصصنا عليك، واستعمل جاء بدلاً من أتاك؛ لأن أنباءهم كانت شديدة ومرعبة.

﴿مِنْ نَّبَائِ﴾: من: ابتدائية، أو بعضية، من بعض أنباء: والنبأ: هو الخبر العظيم، المهم؛ أي: أخبرناك، أو أطلعناك على أنباء الرسل المهمة في هذا القرآن كيف نصرناهم، ونجيناهم، وكيف دمرنا الذين كذبوا برسلمهم.

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: تشمل الأنبياء والرسل.



[٣٥] ﴿وَإِنْ كَانَ كِبَرُ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾
 ﴿وَإِنْ كَانَ﴾: الواو: عاطفة، إن: شرطية؛ تفيد الندرة، أو الاحتمال.
 ﴿كَانَ﴾: للتوكيد.

﴿كِبَرُ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾: أي: شق وعظيم ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾.
 ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾: الإعراض: هو التولي، والانصراف عن الإيمان، وعدم استجابتهم لك، وتكذيبهم، وكفرهم بآيات الله، والإعراض عن الدخول في الإسلام، والحقيقة: أن إعراضهم قد كبر على رسول الله ﷺ، وشق عليه ذلك، ودل على ذلك قوله سبحانه: ﴿لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣].
 وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: ٨].
 ﴿فَإِنْ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الندرة.

﴿اسْتَطَعْتَ أَنْ﴾: أن حرف مصدري؛ يفيد التعليل، والتوكيد.
 ﴿تَبْنِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: أن تلتمس، أو تبحث عن نفق في أعماق الأرض، فتسير فيه، حتى تعثر على آية؛ أي: معجزة فتأتيهم بها.
 ﴿أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ﴾: أو تلتمس سلماً في السماء؛ فترقى فيها؛ حتى تأتيهم بآية، كما اقترحوا؛ تدل على نبوتك، فأتت بها إن استطعت، وما طلبوه منك ليس أمراً جديداً، فكثير من الأقوام طلبوا من رسلهم آية أو آيات؛ أي: معجزات تدل على نبوتهم.

والحقيقة: حتى ولو جئتهم بما طلبوا، وليست آية واحدة، بل آيات عدة؛

فهم لن يؤمنوا، كما فعل من سبقهم، وهذه ليس مهمتك إن أنت إلا نذير وبشير،
فما عليك إلا بالصبر.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: لو: شرطية. شاء الله: المشيئة: تأتي قبل الإرادة.

﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾: على الإيمان، والدين الواحد؛ حيث هو قادر على
هدايتهم، أو إذا لم يهتدوا قهرهم، وحملهم على الإيمان، بإنزال آية من الآيات
فوق رؤوسهم، وعندها يكون إيمانهم ليس اختياراً، بل قسراً، والله لا يريد ذلك،
أو غني عن ذلك.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: الناهية.

﴿تَكُونَنَّ﴾: النون: لزيادة التوكيد.

﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: والرسول ﷺ معصوم من الجهل: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾
﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾.

فالخطاب موجه إليه ﷺ، لكن المقصود أمته المسلمة.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: لسنن الله وحكمه، وليس عليك هداهم، وإنما
عليك البلاغ المبين، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى، وعلى دين واحد، أو لو
شاء لهداهم أجمعين. ارجع إلى سورة الزمر آية (٦٤)، وسورة الفرقان آية (٦٣)
ليبان معنى الجاهلين.





سُورَةُ النِّعَمِ ٦

الجزء الثاني

﴿٣٦﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ
قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا
مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ
مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٩﴾
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّوْهُمْ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ
يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٠﴾ قُلْ
أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ
تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا
تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ
﴿٤٣﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾ فَلَمَّا
نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ
حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٥﴾



سورة الأنعام [الآيات ٣٦ - ٤٤]

[٣٦] ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾:

المناسبة: لا يكبر عليك إعراض هؤلاء الجاحدين المعرضين، وعدم الاستجابة لك؛ فإنه لا يستجيب لك إلا الذين يسمعون ﴿يَسْتَجِيبُ﴾، ولم يقل: إنما يُجيب، فهناك فرق بين استجاب، وأجاب.

استجاب: يعني لبّي بما دعاه إليه، وحقق ما طلب منه، فإذا طلب منه أن يؤمن تراه حريصاً على التعلم، وتنفيذ ما يطلب منه، استجابة بالقول، والعمل.
أما أجاب: فقد يجيبك بالرفض، أو القبول.

﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾: سماع تفهم وطاعة، إذن الذي يستجيب لدعائك إلى الإيمان فقط الذين يسمعون سماع فهم، وتدبر، وطاعة؛ أي: الذين آمنوا.

والموتى؛ أي: الذين كفروا فهم كالموتى؛ لكونهم لا يسمعون سماع فهم، وطاعة، ولا يستجيبون لأي دعوة للإيمان، فهم في عداد الموتى، رغم أنهم أحياء.

﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾: يوم القيامة من قبورهم، كيف يتم ذلك. ارجع إلى سورة الروم، آية (١٩)؛ للبيان.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾: ثم: تفيد الترتيب والتراخي، إليه: حصراً وقصراً، لا لأحد غيره، يرجعون: للجزاء، والحساب.



[٣٧] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

تستمر مواصلتهم للجدال.

﴿وَقَالُوا﴾: الواو: استئنافية. قالوا: أي: كفار مكة.

﴿لَوْلَا﴾: أداة حُض.

﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: معجزة.

وكانهم لا يريدون أن يعترفوا بالقرآن كمعجزة، رغم أنهم طلبوا طلباً آخر، حين قالوا: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾: إن: تفيد التوكيد، قادر: على أن ينزل آية، أو أكثر من آية، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٠) في سورة يونس وهي قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: نجد في آية الأنعام نزل التي هي أكد وأبلغ من أنزل، ويرجع ذلك أن آية الأنعام جاءت في سياق: ﴿أَنْ تَبْنِيَّ نَفَقَاتٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾، وآية يونس جاءت في سياق: ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَنْتِ بِشُرَاءٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ﴾: نجد أن آية الأنعام أشد وأصعب من آية يونس.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك.

﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: ولم يقل: كلهم لا يعلمون.

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن الله إذا استجاب لهم، وأنزلها عليهم، ولم يؤمنوا؛ لكانوا من المهلكين.

[٣٨] ﴿وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَقْنَاهُ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية، ما: النافية.

﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾: من: استغراقية؛ تعني: الشمول؛ أي دابة، مهما كانت. دابة: مشتقة من الدب، وهو المشي، وبعضهم يطلق كلمة الدابة على كل ما يدب على الأرض: من إنسان، أو حيوان، أو جن، وبعضهم يطلقها على الحيوان فقط. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٦٤)؛ لمزيد من البيان، وسورة العنكبوت آية (٦٠) لبيان معنى دابة.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾: ولم يقل: على الأرض؛ لأن ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: تعطي معنى على الأرض، وفي داخل الأرض معاً، ولأن الأرض تشمل الطبقة الغازية المحيطة بالأرض، والتي هي تخص الأرض.

ولو قال: على الأرض؛ لما شملت الدواب الكثيرة التي تعيش تحت الأرض.

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية، لا: النافية؛ لتوكيد النفي.

﴿طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾: من المعلوم أن معظم الطيور تحتاج إلى أجنحة لتطير بها، وذكر ﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾: للتوكيد.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾: الأمة هنا معناها: جماعة معينة لها صفات معينة، وعمل، وزمان.

﴿مَا فَرَقْنَاهُ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾: ما: نافية.



﴿فَرَطْنَا﴾: من التفريط، وهو التقصير والتضييع؛ أي: لم نترك شيئاً إلا بيناه لكم مما تحتاجون إليه من أمور الدنيا والدين.

﴿فِي الْكِتَابِ﴾: مثل اللوح المحفوظ، أو القرآن.

﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: من: استغراقية، وشيء: نكرة.

يشتمل كل شيء صغير، وكبير، مهما كان نوعه وجنسه، والشيء: أقل القليل؛ إلا وذكر في اللوح المحفوظ، أو القرآن.

﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾: ثم: للترتيب، والتراخي.

﴿إِلَى رَبِّهِمْ﴾: جار ومجرور، اسم الجلالة، وتقديم الجار والمجرور: يفيد الحصر، والقصر، بدلاً من القول: ثم يحشرون إلى ربهم.

﴿يُحْشَرُونَ﴾: إليه، وحده يحشرون.

والحشر: يتم بعد البعث من القبور، ويشمل السوق إلى أرض المحشر، والجمع.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا صُمُّوا وَبُكِّمُوا فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: الذين: اسم موصول.

﴿كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾: أي: آيات القرآن، شبههم ربهم بالصُّم؛ الذين لا يسمعون أبداً، والبكم؛ الذين لا ينطقون رغم أنهم يسمعون، ويتكلمون، والباء: للإلصاق.

﴿صُمُّوا وَبُكِّمُوا﴾: صم؛ لأنهم أصموا أذانهم عن سماع الحق وتلقي القرآن؛



لا يسمعون القرآن وآياته، وما أنزل إليهم من ربهم، وبكم؛ لأنهم لا ينطقون،
ويقرؤون القرآن؛ أي: سماع تدبر، وهداية، أو نطق بالحق.

في الظلمات: وصفهم بالصمم والبكم التائه في الظلمات (لتعدد الظلمات)
ومنها ظلمة الشرك، والكفر، والضلالة، والمعاصي.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية، تضم المفرد، أو الجمع، وتعني العاقل.

﴿يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلَّهُ﴾: أي: من اختار، واستحب الضلالة على الهدى، ولا
يريد الخروج منها يتركه وشأنه؛ فيموت على الكفر، والشرك، ومن يشاء يجعله
على صراط مستقيم، ومن اختار الهداية يساعده كي يبقى، ويستقيم على الصراط
المستقيم: وهو الإسلام.

وجاء بالصمم، قبل النطق؛ لأن الإنسان لا يتكلم إلا إذا سمع، أو كون
جهاز السمع يخلق قبل جهاز النطق.

وقوله: ﴿صُمُّوْكُمْ﴾: إضافة الواو يدل على أنهم جماعات مختلفة،
منهم: الأصم، ومنهم الأبكم.

ولو قال: صم بكم، من دون الواو؛ لدل ذلك أنهم جماعة واحدة، أصابها
الصمم والبكم معاً؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (١٨) للمقارنة وهي قوله تعالى:
﴿صُمُّوْكُمْ عُمْيٌ﴾.

﴿يَشَاءُ﴾: من المشيئة، والمشيئة تأتي قبل الإرادة، والمشيئة أو غريزة
الإيمان موجودة عند كل عبد، وما عليه إلا أن يبعثها ويوقظها في قلبه، وكما
قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ
وَالْعَصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧].



[٤٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أي: أخبروني إخباراً من له علم ودراية، أخبروني بشيء من التأكيد.

والهمزة في ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: للاستفهام، والتقرير، والتعجب، والرؤية هنا رؤية بصرية، ورؤية قلبية، فكرية؛ بمعنى: العلم.

وزيادة الكاف كلمة ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: مقارنة بقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: لزيادة التنبيه، والتوكيد، فكأن المخاطب غافل، والأمر يستوجب التنبيه؛ لأن الآية التي قبلها تحدثت عن الذين في الظلمات، والصم والبكم، فمثل هؤلاء يحتاجون إلى تنبيه شديد، ولذلك أعقبها بقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾، بدلاً من أرايتم، مبالغة في الإخبار؛ لأن هناك عذاباً، وهلاكاً قادمًا عليهم.

﴿إِنْ أَتَاكُمْ﴾: إن شرطية، وتفيد القلة في الحدوث؛ لأن هذا الحدث؛ أي: وقوع العذاب، أو مجيء الساعة يحدث مرة واحدة فقط.

﴿عَذَابُ اللَّهِ﴾: الذي كان يأتي الأمم السابقة؛ كالريح الحاصبة، والعقيم، والصيحة، والرجفة.

﴿أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ﴾: أي: ساعة تهدم النظام الكوني الحالي، أو ساعة الاحتضار، أو ساعة الكرب والهلاك.

﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾: الهمزة: للاستفهام التوبيخي، أتدعون عندها حجراً، أو وثناً، أو صنماً؛ لمساعدتكم، وإنقاذكم من العذاب.



﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: المعنى: إن كنتم حقاً صادقين أخبروني من تدعون، وتستغيثون حين نزول البلاء بكم؛ لكشف الضر عنكم، آله سبحانه، أم غيره.
إذن: ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾: فيها تنبيه أشد وأكثر من أرأيتم، وكذلك مبالغة في الإخبار، وذلك كله ناتج عن زيادة الكاف.

ومثال آخر: هو كلمة ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢] مقارنة بكلمة: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣].

﴿أَرَأَيْتَكَ﴾: فيها تعجب، وإخبار أشد؛ أي: أعلمني، وأخبرني بكل تأكيد مقارنة بكلمة ﴿أَرَأَيْتَ﴾.

[٤١] ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي.

﴿إِيَّاهُ﴾: ضمير منفصل؛ يدل على القصر الحقيقي، والتوكيد فقط.

﴿إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾: أي: فقط إياه وحده تدعون لإنقاذكم.

﴿تَدْعُونَ﴾: عند الشدائد.

﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾: أي: يرفع عنكم العذاب، أو يزيله، أو يكشف

الضر، أو البأس.

﴿وَإِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الندرة إن شاء أن يستجيب لكم، فله

الخير.

﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾: في تلك الفترة، فترة الإنقاذ، وكشف الضر، تنسون



ما كنتم تشركون به من قبل؛ لأنكم حينئذ تعلمون حق اليقين: أن الله هو الذي بيده الملك، والحاكم، والقادر على إنقاذكم.

[٤٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: ارجع إلى الآية (٣٤)؛ للبيان.

﴿أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: قال: ﴿أَرْسَلْنَا﴾: ولم يقل: بعثنا؛ إذ هناك فرق بينهما؛ ارجع إلى الآية (٦٤) من سورة النساء؛ للبيان، أو البقرة، آية (١١٩).

﴿فَآخَذْنَاهُمْ﴾: أي: بعد أن كذبوا رسلهم، عاقبناهم، والأخذ يعني: بشدة، وقوة.

﴿بِالْبَأْسَاءِ﴾: القحط، والفقر، والجوع، والخوف، والعواصف، والبراكين، والأوبئة، والكوارث الجوية تصيب الجميع.

﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: المرض، والألم، والفقر، والجوع، يصيب الفرد وحده.

فالبأساء؛ تعني: الإصابة عامة تشمل الجميع، والضراء: خاصة تصيب الفرد.

﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾: التضرع: هو التذلل، والاستكانة، والخضوع؛ لعلهم يرجعون إلى طريق الإيمان، والتضرع: قد يُقبل، أو لا يُقبل.

لنقارن هذه الآية مع الآية (٩٤) من سورة الأعراف.

في سورة الأنعام، الآية (٤٢): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾.



وسورة الأعراف، الآية (٩٤): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾.

الاختلاف الأول بكلمة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾: اللام: للتوكيد. قد: للتحقيق.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾: ما: للنفي؛ أي: آية الأنعام: تؤكد، وآية الأعراف: تنفي.

الاختلاف الثاني: ﴿أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ﴾، ﴿أَرْسَلْنَا فِي﴾: إلى: تفيد الانتهاء، أرسلنا إلى الإرسال، لا يقتضي المكث، وإنما يقتضي التبليغ والعودة.

أما أرسلنا في: فتفيد الظرفية، أرسلنا في: الإرسال؛ يعني: المكث، والدخول فيهم، مع التبليغ، والانتظار.

الاختلاف الثالث: أمم مقابل قرية، الأمم أكثر عدداً من القرية.

الاختلاف الرابع: ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾: أطول بعدد الحروف، وفيها تشديد واحد، عدد المتضرعين أكثر بكثير، من القرية، فزيادة البناء في كلمة ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾: لتناسب زيادة عدد السكان، وتضرعهم أقل شدة من تضرع أهل القرية.

﴿يَضَّرَّعُونَ﴾: الكلمة أقصر، وفيها تشديدان؛ لأن عدد المتضرعين في القرية أقل من عدد المتضرعين من الأمم، ولكن تضرع أهل القرية رغم عددهم القليل هو أشد تضرعاً من تضرع الأمم.

[٤٣] ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿فَلَوْلَا﴾: الفاء: استثنائية. لولا: حرف توبيخ، وندم؛ لأنها دخلت على فعل ماضٍ، ولو دخلت على المضارع؛ فهي للحضّ والحثّ.



﴿إِذْ﴾: ظرف زمني للماضي.

﴿بِأَسُنَا﴾: عذابنا.

﴿تَضَرَّعُوا﴾: أظهروا الخضوع، والتذلل لله تعالى، وأنابوا إلى ربهم وتابوا.

﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك.

﴿فَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: بدلاً من أن تليسن، وتوب، وتندم على العكس قست قلوبهم، وأقاموا على كفرهم، ولم يرتدعوا.

﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: قبل مجيئهم بأسنا.

وقال: ما يعملون: ولم يقل: ما عملوا؛ لأن عملهم استمر، وتكرّر، وتجدّد.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي كانوا يعملون، أو مصدرية؛ أي: زين لهم الشيطان أعمالهم.

[٤٤] ﴿فَلَمَّا سَأَوْا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: عاطفة، وتدل على التعقيب والمباشرة.

﴿نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي ذكروا به؛ أي: ما وعظوا، أو تضرعوا.

﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: أبواب: ولم يقل: باب ليصور لك كثرة الخيرات والرخاء، والسرور، والرزق، والنعيم؛ حتى يظنوا ظناً باطلاً، ما نزل بهم، وحلّ بهم، ليس انتقاماً، أو أمراً سيئاً، وما يحدث لهم الآن من فتح



وخيرات؛ لكونهم يستحقونها، وعندئذ يفرحون، وعندما يبلغ فرحهم وسرورهم أقصاه: ﴿أَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً﴾: أي: أطبقتنا عليهم العذاب فجأة.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا﴾: حرف لنهاية الغاية؛ إذا: ظرفية زمانية للمستقبل؛ فرحوا: بطروا؛ أي: بلغ فرحهم أقصى درجاته، وهو الفرح المذموم. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٧٠) لبيان معنى الفرح وأنواعه.

﴿فَإِذَا﴾: للمفاجأة.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل، يفيد التوكيد على كونهم ﴿مُبْلِسُونَ﴾.

﴿مُبْلِسُونَ﴾: مرة أخرى، يائسون من رحمة الله، ومنقطع رجائهم، وساكتون، منقطع حجبهم، ليس عندهم ما يقولونه؛ من كلام في اكتئاب، وكسوف، وحزن، وحسرة، وندم، ولكون هذه المرة ليست المرة الأولى التي تمر بهم فهم قد كذبوا ما عاهدوا الله عليه.

وهذه إحدى السنن الكونية في الاستدراج في العذاب. ارجع إلى سورة المؤمنون، آية (٧٧)؛ لمزيد من البيان في معنى مبلسون.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦

طَبَقُ السَّائِحِ

فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ
 مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ
 ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ
 بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
 نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ
 فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 يَمَسُّهُمْ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ
 عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ
 إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ
 أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا
 إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
 ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
 وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
 عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾



سورة الأنعام [الآيات ٤٥ - ٥٢]

[٤٥] ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿فَقُطِعَ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب.

﴿دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي: آخرهم، والدابر: التابع من الخلف؛ أي: هلكوا واستؤصلوا جميعاً.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: السؤال هنا: كيف نفسر قوله تعالى: والحمد لله رب العالمين، ولم يقل: وهو العزيز الحكيم كما في الآيات الأخرى.

الحمد لله هنا قد يكون لسببين:

الأول: لأنه انتهى أمر الذين ظلموا، بكونهم هلكوا عن بكرة أبيهم، وانتهى أمر فسادهم، وظلمهم في الأرض، فهذا يستحق الحمد.

والثاني: الحمد لله على نعمته على المؤمنين بأن أنجاهم ونصر رسله وأوليائه.

[٤٦] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَبَصَرَكُمْ وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ ۚ أَنْظَرُ كَيْفَ نَصْرَفُ الْأَيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: الهمزة: همزة استفهام، والتقرير.

والرؤية هنا: رؤية قلبية، ورؤية بصرية، وتعني: أخبروني بشكل مؤكد، أو من له علم ودراية. ارجع إلى الآية (٤٠)، من نفس السورة؛ لمعرفة الفرق بين رأيتم، وأرأيتمكم.



﴿إِنْ﴾: شرطية؛ تدل على الاحتمال.

﴿أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ﴾: الأخذ يعني بقوة وشدة والأخذ هنا قد يكون الأخذ الحقيقي بالطمس أو بالتعطيل، بمرض ما، ﴿وَحَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾: على عقولكم، فتصبح لا تعي ولا تفهم، أو لا يدخلها إيمان، أو يخرج منها كفر، والطبع أشد من الختم؛ لأن الختم لا زال فيه بريق أمل أما الطبع انتهى الأمر.

﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾: من: استفهامية، إله: غير الله يأتيكم به: يُعيد إليكم سمعكم وأبصاركم؛ أي: يشفيكم، وتعني: يهديكم للإيمان.

﴿أَنْظُرْ﴾: أي: فكر وتمعن.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام والسؤال عن الحال والتعجب، والإنكار.

﴿نُصْرِفُ الْآيَاتِ﴾: الآيات: جمع آية، أي: نكرر، ونوضح الآية الواحدة، أو المسألة الواحدة بأساليب متعددة، مختلفة، وصور شتى؛ حتى يتبين، وينكشف المعنى الحق، والخفي. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٦٤).

﴿ثُمَّ﴾: للإيغال في التوكيد.

﴿هُمْ﴾: يفيد التوكيد.

﴿يَصْدِفُونَ﴾: من صدف؛ أي: أعرض إعراضاً شديداً، وقيل: أيضاً صرف غيره عنها؛ أي: أضل غيره، وصدف عنه: مال، وأعرض عنه، ميلاً شديداً، والإعراض، أو الميل قد يكون خفيفاً، فتبقى بجانب الشخص الذي تعرض عنه، ولكن إذا صدف تذهب إلى الجانب البعيد الآخر.

إذن الصدف: الإعراض عن الشيء، إضافة للذهاب إلى الجانب البعيد، إلى ناحية بعيدة، وذكرت هذه الكلمة في سورة الأنعام أربع مرات.



[٤٧] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٤٠) للبيان.

﴿إِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الندرة.

﴿أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً﴾: بشكل مفاجئ، دون أي إنذار، أو علامة سابقة، أو ليلاً، هل تستطيعون دفع العذاب عن أنفسكم، وأهلكم، أو تنصركم ألهتكم التي تدعون من دون الله.

﴿أَوْ جَهْرَةً﴾: أي: أتاكم عذاب الله ظاهراً، عياناً، بإنذار، ومقدمات، أو نهاراً، وذكر ﴿جَهْرَةً﴾: هنا لكيلا يقولوا: لو جاءنا جهرة؛ لكننا قادرين على رده، أو دفعه؛ أي: أنتم عاجزون عن دفع العذاب في كلا الحالين: إن أتاكم بغتة، أو جهرة.

﴿هَلْ يُهْلِكُ﴾: استفهام تقرير، أو إنكاري؛ بمعنى النفي؛ أي: ما يهلك بالعذاب، إلا القوم الظالمون، وفي الآية تهديد ووعد للظالمين.

﴿إِلَّا﴾: تفيد الحصر، والقصر على القوم الظالمين.

﴿الظَّالِمُونَ﴾: جمع ظالم؛ لنفسه، أو لغيره، أو معاً. والظالمون، والظلم: هو الخروج عن دين الله، أو المنهج.

قد تعني المشركون؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٤) لمعرفة معنى الظلم.



[٤٨] ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية، ما: نفي للتوكيد.

﴿نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا﴾: للحصر.

﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾: ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ للبيان، فهذه مهمتهم، الإبلاغ، الإنذار، والتبشير.

﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾: مهمة الناس الإيمان، والإصلاح، والاستجابة، أو بالعكس: رفض الاستجابة للمرسلين، كما سنرى في الآية (٤٩)، والإيمان محلّه القلب، والإصلاح، والطاعة من عمل الجوارح، مثل اليد، واللسان، وغيرها؛ لأن الفساد الذي يحدث في الأرض هو من عمل الإنسان.

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: عاطفة، من: شرطية تشمل الفرد، والجمع.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، ولا: نافية تعمل عمل ليس والخوف: هو توقع الضرر والمشكوك في وقوعه؛ ارجع إلى الآية (٣٨) من سورة البقرة؛ لبيان معنى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

[٤٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾:

في الآية السابقة ذكر ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

أما القسم الآخر: فهم الذين كذبوا بآيات الله، سواء أكانت القرآنية منها، أم الكونية، أم المعجزات، فهو لاء يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون.

﴿يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾: يمسهم: يصيبهم العذاب، وشبه العذاب بأنه كائن

حي؛ لأن المسّ من صفات الأحياء.



﴿يَمَّا﴾: الباء: للإلصاق. وما: مصدرية.

﴿يَمَسُّهُمْ الْعَذَابُ﴾: في الدنيا، أو في الآخرة.

﴿يَفْسُقُونَ﴾: أي: خروجهم عن طاعة الله، وعن الدين. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٦)؛ للبيان. يفسقون: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على استمرار فسقهم، وتجدده.

[٥٠] ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر مهمة الرسل؛ مبشرين، ومنذرين، وبعد أن ذكر قول كفار مكة: ﴿أَوُيْلَقَ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفرقان: ٨]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقولهم: ﴿لَوْ لَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨].

فأنزل الله رداً على بعض أسئلتهم.

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ، ثلاثة أنباء:

أولاً: لا أقول لكم عندي خزائن الله، وهذه الخزائن مذكورة في سورة الحجر الآية (٢١)، وهي قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾. ارجع إلى سورة الحجر، هي: النجوم السماوية التي يقدر عددها بالترليونات في كل مجرة من المجرات التي يتراوح عددها بين (٢٠٠,٠٠٠) مليون مجرة، و(٥٠٠,٠٠٠) مليون مجرة، وكل نجم من هذه النجوم هو فرن ذري جاهز لإنتاج ما يريده رب العالمين من معادن: كالذهب، والفضة، والحديد، والألماس، وغيرها من المعادن بكميات أكبر من الأرض، وفي هذه النجوم تتشكل كل المواد التي يحتاجها البشر فهي لا تنفذ ولا تنقص.



ثانياً: ولا أعلم الغيب: الغيب: هو كل ما غاب عن البصر، والحواس، أو المدركات.

ثالثاً: ولا أقول لكم إني ملك؛ أي: من الملائكة.
وتكرار (لا) ثلاث مرات يفيد التوكيد، وفصل كل أمر عن الآخر، أو الكل معاً.

﴿إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾:
﴿إِنْ﴾: نافية، وأقوى من النفي من (ما)؛ أي: ما أتبع إلا ما يوحى إليّ.
﴿إِلَّا﴾: تفيد الاختصاص والحصر.

﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾: الوحي: هو الإعلام بالخفاء، ﴿إِلَيَّ﴾: من ربي؛ أي: كل ما يلقى إليّ الله من تكاليف، وتعاليم دينية، وآيات. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ للبيان.

وهو بذلك ينفي عن نفسه أي صفة من صفات الألوهية، وهي ملكية الخزائن، وعلم الغيب، وكونه من الملائكة؛ أي: له طاقة، وقدرة تفوق القدرة البشرية.

﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾: هل: استفهام توبيخي، يستوي الأعمى: الضال، الكافر، أو المكذب بآيات الله تعالى، والبصير، المهتدي، المؤمن، والمصلح.

﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري على عدم تفكرهم، وتوبخ على عدم استعمال عقولهم؛ أي: النظر فيما يوعظون به.

﴿أَفَلَا﴾: الفاء: فاء السببية؛ أي: ما قبلها سبب لما بعدها، ألا: أداة تنبيه،



وحُضٌّ، وتحمل معنى الأمر؛ أي: لم لا تتدبرون في هذه البراهين، والدلائل الدالة على وحدانية الله، وصدق رسوله ﷺ، وإن الله هو الإله الحق؛ الذي يستحق العبادة.

لنقارن هذه الآية مع الآية (٣١) من سورة هود.

في سورة الأنعام، الآية (٥٠): ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾.

وفي سورة هود، الآية (٣١): ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾؛ حذف لكم في سورة هود.
الاختلاف يعود أولاً:

١ - آية سورة الأنعام: هي قول رسول الله محمد ﷺ، وآية سورة هود هي ما قاله نوح .

٢ - زيادة لكم في آية سورة الأنعام؛ كانت رداً من رسول الله ﷺ على قومه؛ الذين كانوا يسألونه عن كثير من المعجزات، ولذلك أضاف لكم؛ فيها توكيد، ولكم خاصة.

بينما نوح : لم يسأله قومه عن المعجزات التي سألتها قريش رسول الله ﷺ.

[٥١] ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا سَفِيحٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾:

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾: الواو: عاطفة.

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾: أي: بالقرآن؛ لقوله في سورة الأنبياء، الآية (٤٥): ﴿قُلْ



إِنَّمَا أَنْذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ ﴿١﴾ بِالْقُرْآنِ، وقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأَنْذَرُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١١٩].

﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: يخافون: من الخوف وهو توقع الضرر المشكوك في وقوعه، السؤال: وهل يخاف المؤمن أن يحشر إلى ربه؟ الجواب: لا.

إذن من هم هؤلاء الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم؟ هم الذين كذبوا بآياتنا، ولم يؤمنوا، أو فسقوا، وقيل: هم المؤمنون العاصون، الفاسقون. وهذا الإنذار مُوجَّه إلى كل فرد، والإنذار هو إعلام مع تخويف، أو زجر، أو تحذير، ولعلهم إن جاءهم الإنذار أن يؤمنوا ويصلحوا. ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾: أي: في الدنيا، ﴿لَيْسَ﴾: نافية. ﴿لَهُمْ﴾: من غير الله من ولي.

﴿مَنْ دُونِهِ وَلِيٌّ﴾: من: استغراقية؛ تشمل أي ولي. ارجع إلى سورة العنكبوت، آية (٢٢) لمعرفة الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

الولي: هو المعين، والحفيظ؛ يحفظ المؤمن، ويتولى شؤونه، ويكن له المودة.

﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾: ولا: نافية. و(لا): في النفي أقوى من: (ليس).

إذن نفى الشفيع أقوى من نفى الولي. ارجع إلى الآية (٧٠) من نفس السورة للبيان.

وتعني: أي شفيع، مهما كان من الإنس، أو الجن، أو الملائكة.



والشفيع: صيغة مبالغة من شافع: وهو الذي يطلب العفو لشخص آخر؛ لكي يدفع عنه العذاب لذنب، أو جرم فعله المشفوع له، ولا تتم الشفاعة إلا بإذنٍ ورضا من الله تعالى.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: لعل: أداة رجاء، أو تعليل، لعل هذا الإنذار يعيدهم إلى طاعة الله، والإيمان، والإصلاح، وكذلك اتخذوا الأسباب الأخرى للتقوى، وطلبوا من الله القبول أن يصبحوا من المتقين.

[٥٢] ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾:

سبب النزول: عدة روايات منها: أن رؤساء المشركين من قريش قالوا لرسول الله ﷺ: لو طردت عنك فقراء المسلمين، أمثال: عمار، وصهيب، وبلال، وخباب، وسلمان، وغيرهم؛ لجلسنا معك، وحادثناك، فقال ﷺ: ما أنا بطارد المؤمنين، فقالوا: فأقمهم عنا، إذا جئنا، فإذا أقمنا فأقعدهم معك إن شئت، ويبدو أن رسول الله ﷺ قبل هذا الاقتراح طمعاً في إيمانهم؛ فنزلت هذه الآية. رواه مسلم.

وفي رواية أخرى: رواها الطبري عن عكرمة: أنهم طلبوا من أبي طالب أن يكلم ابن أخيه رسول الله ﷺ، فكلم أبو طالب رسول الله ﷺ في المسألة السابقة، فقال عمر بن الخطاب: لو فعلنا ذلك حتى ننتظر ماذا يريدون؛ فنزلت هذه الآية. والمهم عموم اللفظ وليس بخصوص السبب.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: ناهية.

﴿تَطْرُدِ﴾: الطرد: هو الإبعاد، والإقصاء.

﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾: قائمون على طاعة، وعبادة ربهم،



بالغداة والعشي؛ أي: الدائمون، والغداة: أول النهار، والعشي: آخر النهار؛ أي: الدائمون في العبادة.

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾: عبر عن الذات بالوجه، ذكر الجزء، ويراد به الكل؛ أي: ليس عبادتهم رياءً، وإنما سَمَتُهُم الإخلاص لله تعالى وحده ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. ﴿مَا﴾: النافية.

﴿عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي: حساب هؤلاء على ربهم فقط، وليس عليك يا محمد ﷺ.

﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: من: استغراقية، تستغرق كل شيء؛ والشيء هو كل ما يُعلم ويخبر عنه سواء أكان حسيّاً أم معنوياً، ويعني: أقل القليل، وسواء أكان صغيراً، أم كبيراً، مهما كان نوعه، وفي هذا دليل على كرامتهم عند ربهم، وصدقهم، وإخلاصهم، ولا يجوز طرد هؤلاء، أو إشعارهم بذلك.

وذكر المفسرون شيئاً آخر، أراد الله أن يكرمهم به، فكان لا يقوم رسول الله ﷺ من مجلسه مع هؤلاء المستضعفين حتى يقوموا هم أولاً، ونزلت في حق هؤلاء الآية.

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾. [الكهف: ٢٨].

﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: اتباعاً لقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾؛ أي: لا يؤاخذون بحسابك، ولا أنت بحسابهم.

﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾: الفاء: السببية.

﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿الظَّالِمِينَ﴾: الذين ظلموا أنفسهم، أو ظلموا غيرهم. ارجع إلى الآية (٤٧) من نفس السورة؛ لبيان معنى الظلم.

وهذا الخطاب، وإن كان مُوجَّهاً لرسول الله ﷺ؛ فالمقصود به الدعاة إلى الإسلام، ففيه إرشاد لمنهج الدعوة.

وإن الهداية لا تكون إلاّ بمشيئة الله، وأن مهمة الرسول ﷺ، أو الدعاة فقط التبليغ، والتبشير، والإنذار.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٦

النِّسَاءِ

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْأَيَّاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِبِعُ أَهْوَاءَ كُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾



سورة الأنعام [الآيات ٥٣ - ٥٩]

[٥٣] ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾:

﴿وَكَذَلِكَ﴾: أي: كما فتنا المستكبرين من زعماء قريش بعدم الجلوس مع رسول الله ﷺ حتى يطرد الفقراء الضعفاء من حوله ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا﴾: الفقير بالغني، والغني بالفقير، والقوي بالضعيف، والعالم بالجاهل، والفتنة: هي الابتلاء والاختبار، وقد تكون خيراً، أو شراً. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿لِّيَقُولُوا﴾: اللام: لام التوكيد. ليقولوا: تعود على المستكبرين من زعماء قريش، والأغنياء منهم.

﴿أَهَؤُلَاءِ﴾: الهمزة: للاستفهام، والاستخفاف، والتهكم، والاستبعاد، والهاء: للتنبيه. أولاء: اسم إشارة؛ يشير إلى الفقراء من صحابة رسول الله ﷺ؛ الذين أسلموا معه.

﴿مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾: أي: فضّلهم الله علينا، أو أنعم الله عليهم؛ بالهداية، والتوفيق.

﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾: أي: من دوننا.

﴿أَلَيْسَ﴾: الهمزة: للاستفهام، والتقرير.

﴿اللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

﴿بِالشَّاكِرِينَ﴾: ممن يقع منهم الإيمان والشكر، فيهديهم، ويوفقهم، بالشاكرين لأنعم الله، فأكبر نعمة هي نعمة الإسلام والإيمان لله وحده. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠)؛ لبيان معنى الشاكرين.



[٥٤] ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: الواو: عاطفة، وإذا: ظرفية للمستقبل، وتتضمن معنى الشرط.

﴿جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾: أي: جاءك الذين يصدقون، ويؤمنون بآياتنا من هؤلاء الذين يريدون وجهه، ويدعون ربهم بالغداة والعشي، ونهيناك عن طردهم إذا جاؤوك هم، أو غيرهم من المؤمنين.

والمعني فيه معنى المشقة، والصعوبة؛ لكونهم كانوا يخفون إيمانهم خوفاً من كفار قريش.

﴿فَقُلْ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ تفيد التوكيد؛ أي: يا رسول الله ﷺ.

﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: الفاء: للمباشرة والتعقيب؛ قل لهم يا محمد ﷺ لهم؛ أي: للذين يؤمنون: سلام عليكم؛ أي: ألقى عليهم تحية الإسلام، وهي السلام عليكم مع أن المتعارف عليه أن يلقي من يدخل السلام؛ فهذا يدل على كرامتهم عند الله تعالى بأن يوصي نبيه ﷺ أن يبدأهم بالسلام حين دخولهم، وسلام جاءت بالرفع: لتدل على السلام الثابت الدائم، وفي هذا بشرى للمؤمنين؛ سلام أمان من الله لكم؛ من ذنوبكم، و﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: جملة اسمية تدل على الثبوت، وكذلك نكرة تشمل سلام التحية، وسلام الأمان، وعدم الخوف، وسلام من كل مكروه، وغير مستحب.

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾:

﴿كَتَبَ﴾: وعدكم ربكم من ذاته العلية الرحيمة، وتفضلاً منه، وإحساناً، ومنّة. وقيل: كتب في اللوح المحفوظ على نفسه الرحمة، وأن يتقبل توبتكم.

﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُم سُوًّا﴾:

﴿أَنَّهُ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والعلة.

﴿مَن﴾: ابتدائية، استغراقية.

انتبه إلى قوله: من عمل، ولم يقل: كسب، كسب: تستعمل عادة في الخير، وليس في السوء.

﴿سُوًّا﴾: السوء: كلُّ إثم وقبح، يسوء إظهاره، أو سيِّئ العاقبة، مثل: المعاصي، والزَّنى، والسيئات: الصغائر، والكبائر.

﴿سُوًّا﴾: نكرة؛ تشمل كلَّ سوء.

﴿سُوًّا إِبْهَكَلَةً﴾: الباء: السببية، سبب جهالة؛ أي: سفه وطيش، والطيش: هو عدم تدبر نتائج أفعاله، والسفه؛ لكونه لا يُقدَّر قيمة ما يفوته من الثواب والأجر، وما يلحقه من العذاب. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٧) لمعرفة الفرق بين جهل وجهالة.

﴿ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ﴾: ثم: هنا للبعد؛ أي: التباين بين عمل السوء، والتوبة، وهي ليست للتراخي في الزمن.

وأركان التوبة: الكف عن المعصية، وعدم العودة إليها، والندم، والإكثار من النوافل، وإصلاح ما أخذه.

﴿بَعْدِهِ﴾: من بعد عمل السوء.

﴿وَأَصْلَحَ﴾: ردَّ المظالم إلى أهلها، وأصلح ما أفسده بالمعصية.

﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: الفاء: جواب الشرط (أنه). أن: تفيد التوكيد.

﴿غَفُورٌ﴾: صيغة مبالغة؛ أي: كثير المغفرة، ويغفر الذنوب العظام، ولو كانت مثل زبد البحر، ولا يفصح خلقه، ويستر ذنوبهم، ويمحوها، ويعفو عنها.



﴿رَحِيمٌ﴾: صيغة مبالغة، كثير الرحمة، لا يعجل العقاب، أو العذاب لعباده؛ حتى يتوبوا، ودائم الرحمة، يمحو السيئات، ويشب على الحسنات، فهو رحيم بعباده المؤمنين في الآخرة.

[٥٥] ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾:

﴿وَكَذَلِكَ﴾: كما فصلنا لك في الآيات السابقة، كيف تتعامل مع الذين يؤمنون بآياتنا؛ من الفقراء والمستضعفين، والذين يستكبرون، وما هو مصيرهم. ﴿نَفْصَلُ﴾: نبين لك الآيات الأخرى.

﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾: اللام: للتوكيد؛ أي: ليتضح لك، ولغيرك، وينكشف لك.

﴿سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾: المجرمين: جمع مجرم؛ لغة: جرم؛ أي: أذنب وارتكب ذنباً، وجرم تعني: قطع؛ أي: قطع جميع صلاته بالله تعالى، واصطلاحاً: كل من تمرد على أوامر الله ونواهيه ورفض الخضوع إليها؛ أي: ما يفعله المجرمون؛ أي: الكفار، المعاندون، المصرون على المعاصي، وارتكاب المخالفات الشرعية، وما سيكون مصيرهم.

وسبيل المجرمين: الطريق الذي يسلكه المجرمون، أو ما يقومون به؛ أي: فصل ونبين أمر كل فئة حتى يظهر لك طريق سلوك المجرمين من المنافقين والمشركين، وكيف تتعامل مع كل فئة.

[٥٦] ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ ﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿نُهَيْتُ﴾: من النهي: وهو المنع؛ أي: منعت.

﴿أَنْ﴾: مصدرية؛ تفيد التعليل، والتوكيد.

﴿أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: أعبد الذين تعبدون من غير الله،

مثل: هذه الأصنام، والآلهة، أو أدعوها للمساعدة، أو أطلب منها أي شيء مثل: العون، والنصرة.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿قُلْ﴾: تكرر قل؛ يفيد التوكيد.

﴿لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾: لا: النافية. أتبع أهواءكم ولم يقل لا أتبعكم، وإنما قال لا أتبع أهواءكم؛ جمع هوئ: وهو ما تميل إليه النفس باطلاً، بما لا ينبغي، ولا دليل، وبعيد عن الحق، والهوئ: يغلب عليه الذم، ويختص بالأداء والاعتقادات. وقيل: الهوئ هو المحبة المفرطة التي تعمي عن الحق؛ أي: لا أتبع دينكم، أو كقوله تعالى ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، وهذا يدل على جهلهم واتباع شهواتهم.

﴿قَدْ ضَلَلْتُ﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد، توكيد الضلالة، باتباع أهوائهم.

﴿قَدْ ضَلَلْتُ﴾: إذا دعوتها، أو عبدتها.

﴿وَمَا أَنَا﴾: الواو: عاطفة، ما: النافية، أنا: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾: من: ابتدائية، المهتدين: السائرين على الصراط

المستقيم، والمهتدين إلى الحق إذا اتبعت أهواءكم.

[٥٧] ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَّا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾:

﴿قُلْ إِنِّي﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿بَيِّنَةٍ﴾: والبينة: كل ما يُبين به الحق، من الحجج العقلية، أو الأدلة

الحسية، أو الدلالة التي يتبين بها الحق من الباطل؛ أي: القرآن.

﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾: به: ترجع إلى الرب، أو ترجع إلى المنهج؛ أي: القرآن.



﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾: ما: الأولى: نافية، عندي؛ أي: بيدي، ما: الثانية: اسم موصول؛ بمعنى: الذي؛ أي: ما بيدي الأمر الذي تستعجلون به، والاستعجال: هو طلب الحدث قبل زمنه أو وقته، وهو: مذموم غالباً ونقيض العجلة الأناة، وهي محمودة.

﴿بِهِ﴾: تعود إلى العذاب؛ إذ كانوا يشكّون في حدوثه، وأنه سينالهم؛ لأنهم كذبوا به، ولذلك كانوا يقولون: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِّنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾:

﴿إِن﴾: نافية، أشد نفيًا من ما؛ تفيد التوكيد.

﴿الْحُكْمُ﴾: الفصل، والقضاء؛ أي: متى سيحل عليكم العذاب.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر وقصر، الحكم بيد الله فقط؛ فهو يُصدر الحكم، أو يقضي القضاء متى شاء.

﴿لِلَّهِ﴾: لام الاختصاص.

﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾: أي: وكل ما يخبر به، ويقص علينا، هو الحق، وقص: ذكر الخبر، أو تتبع الأثر، وهو خير الفاصلين.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾: خير من يحكم بالعدل، والفصل: هو القضاء، والحكم بين الحق والباطل، ومن يُدخل الجنة، ومن يُدخل النار.

[٥٨] ﴿قُلْ لَّوْ أَنِّي عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفَقَضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ.



﴿لَوْ﴾: حرف شرط.

﴿أَنَّ﴾: يفيد التوكيد.

﴿عِنْدِي مَا﴾: ما: الذي اسم موصول.

﴿تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾: أي: العذاب.

﴿لَقَضَى الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: لقضي: السلام: للتوكيد، إما الإيمان والتصديق، وإما الهلاك، وما أمهلكم دقيقة.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾: لكن الأمر ليس لي، إنه يرجع إلى الله العليم الحكيم، إن شاء عجل لكم العذاب، أو إن شاء أخر.

فهو ﴿أَعْلَمُ﴾: على وزن أفعل، صيغة مبالغة بما يعمله الظالمون؛ فقد يؤمن بعضهم، أو لا يؤمن، وما يؤول إليه أمرهم؛ لأنه عالم الغيب والشهادة.

﴿بِالظَّالِمِينَ﴾: والباء: للإلصاق، الظالمين: المشركين، الظالمين لأنفسهم وغيرهم، وظلم النفس يكون بالخروج عن منهج الله تعالى. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٤)؛ لمزيد من البيان.

[٥٩] ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا رَظِي وَلَا يَاسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾:

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ﴾: وعنده: الواو: عاطفة؛ عنده: ظرف مكان، وتقديم عنده على مفاتيح الغيب: يدل على الاختصاص والحصر؛ مفاتيح جمع لـ (مفتاح): بكسر الميم، وهو آلة الفتح، وتسمى المفاتيح، وتجمع أيضاً على مفاتيح؛ أي: إنه سبحانه يملك المفاتيح التي تفتح الغيب، أو مشتقة من مفتاح: بفتح الميم؛ يعني: عنده خزائن الغيب.

والغيب: ما استأثر الله بعلمه، والغيب هنا يعني: الغيب المطلق؛ الذي لا يعلمه إلا الله، والغيب: هو كل ما غاب عنك، فهناك بعض الأمور الغيبية التي



أطلعها الله لرسله، وغيرها، وهذا النفي من الغيب غير المقصود هنا في هذه الآية، ومفاتيح الغيب هي: خمسة جاء ذكرها في سورة لقمان آية (٣٤)، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.

﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾: لا: النافية. إلا: أداة حصر، وهو: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد؛ أي: فيها نفي واستثناء يفيد الاختصاص والإثبات.

وقيل أقوال كثيرة في مفاتيح الغيب منها:

الساعة، والأرحام، ما تفيض وما تزداد، والغيث، متى ينزل، وأين، ومقداره، والموت، متى، وبأي أرض، وبأي سبب، والرزق، ماذا نكسب غداً، ومقداره، ومن أين.

وقيل: مفاتيح الغيب هي خزائنه؛ لقوله: ﴿وَلَا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾، فالمفاتيح لتلك الخزائن.

فعلينا أن نؤمن: بأنه لا يعلمها إلا هو سبحانه، حصراً وقصراً، ويعلم كذلك: ﴿مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾:

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: من مخلوقات، وأرزاق، وجمادات، ونباتات.

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾: انتبه إلى تكرار ما الأولي: اسم موصول؛ أي: الذي في البر والبحر.

وما الثانية: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾: نافية.

﴿لَا يَعْلَمُهَا﴾: إلا أداة حصر.



ولم يقل: إلا هو يعلمها؛ لأن هذا الأمر، لا يمكن أن يشاركه في علمه أحد، فلا حاجة لذكر (هو)، وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ فيه إجمال، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾ تفصيل واستخدام النفي والاستثناء مرة أخرى يدل على الإثبات والتوكيد.

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾: من أوراق الشجر والنباتات، يعلم زمن سقوطها، وأين تسقط، وما يطرأ عليها من تغيرات، ومصيرها. ﴿وَلَا حَبَّةٌ﴾: ولا حبة، مهما كان نوعها.

﴿فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ﴾: في طبقات الأرض، وباطنها، ولا حبة فيها إجمال. ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾: تكرر ﴿وَلَا﴾: يفيد التوكيد، والنفي، وفيها تفصيل. الرطب؛ قيل: هو الحي، أو ما يُنبِت بالماء، أو الطري، أو الذي يتحرك (يربو وينمو).

اليابس؛ قيل: هو الميت، أو ما لا ينبت، أو لا حركة له؛ أي: الهامد. إذن: لاحظ سعة علم الله، ثم عليك أن تؤمن بأن الله يعلم كل شيء، جملةً وتفصيلاً؛ إذ يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون، وبعد علمه، جاءت الكتابة. وانظر إلى تتابع الإجمال ثم التفصيل ثم الإجمال ثم التفصيل ثلاث مرات في آية واحدة.

﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: هو مكتوب في اللوح المحفوظ.





سُورَةُ النِّسَاءِ

سُورَةُ النِّسَاءِ ٦

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيِّنًا أَنجِنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي أَيْتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾

سورة الأنعام [الآيات ٦٠ - ٦٨]

[٦٠] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: الواو: عاطفة، هو: ضمير منفصل؛ يفيد الاختصاص، والقصر.

﴿يَتَوَفَّاكُم﴾: أي: يتوفى أنفسكم؛ لقوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

﴿بِاللَّيْلِ﴾: الباء: للإلصاق، وتفيد الظرف؛ أي: بالنوم الوفاة الصغرى؛ كي تراح الجوارح، وتنشط بهذا النوم، وهو آية من آيات الله الدالة على قدرته على البعث. ارجع إلى سورة الزمر، آية (٤٢)؛ للبيان.

﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾: أي: كسبتم من الخير، والشر، والحسنات، والسيئات، بجوارحكم.

والاجتراح: هو الاكتساب باليد، أو القدم، أو الفم، واللسان، والعين، والأذن، وغيرها، وغالباً ما يكون في النهار.

﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾: فيه: أي: يوقظكم بالنهار، الباء: ظرفية؛ أي: في النهار، البعث يعني: اليقظة، والنهوض من النوم، كما سيقوم الميت، ويبعث من قبره، والنوم يشبه الموت.

﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: اللام: لام التعليل، أجل مسمى: لتبلغوا الأجل، الزمن الذي كتب وقدر لكم؛ لانقطاع حياتكم؛ أي: الموت.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:



﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: ثم: تفيد الترتيب والتراخي في الزمن.

﴿إِلَيْهِ﴾: تقديم الجار والمجرور هنا يفيد الحصر والقصر؛ أي: فقط إليه وحده مرجعكم، لا إلى أحد غيره بعد حياة البرزخ.
﴿ثُمَّ﴾: للتوكيد.

﴿سَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: ينبئكم في يوم القيامة، بما كنتم تعملون في الدنيا من خير، أو شر، والعمل يشمل: القول، والفعل؛ أي: ما كنتم تقولونه، وتفعلونه في دنياكم.

[٦١] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾:

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾: جاء بضمير الفصل هو؛ ليدل على أنه هو وحده القاهر.
﴿الْقَاهِرُ﴾: الغالب، المسيطر، القوي، المقتدر، المتحكم، لا يعجزه شيء، ولا يخرج أحد من تحت سيطرته.

﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾: أي: هو فوقهم بقهره، وهم تحته بذلهم، فهو قاهر استعلاء، فهم المقهورون بلا اختيار، والمنقادون لحكمه، فيما لهم فيه اختيار، أو غير اختيار، يقهر بالمرض، وبالفقر، وبالموت، والأذى، والضرر، والعذاب، وبالبأساء، والضراء.

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾: يحفظون أعمال العباد، ويكتبونها؛ لقوله: ﴿إِذْ يَنْفُلُ الْمُتَلَقَّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧].

وهم الكرام الكاتبون، ومنهم المعقبات: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، وأما الكرام الكاتبون فهم أربعة: ملكان بالليل، وملكان بالنهار، وأما الحفظة: جمع حافظ، موكلون بالعباد، يحفظونه من بين يديه، ومن خلفه، فإذا جاء أمر الله؛ أي: الذي قدره؛ خلّوا بينه، وبين أمر الله؛ ليقع قضاء الله وقدره على عبده.



﴿حَتَّى﴾: حرف غاية، نهاية الغاية.

﴿إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾: قَدَّمَ المفعول به على الفاعل؛ للاهتمام، ولأن الموت شيء مكروه للإنسان؛ فهو قد أخره، ولم يقل: «حتى إذا جاء الموت أحدكم»، ومجيء الموت صعب جداً، واستخدم جاء: المناسبة للصعوبة، والمشقة، وسكراته بدلاً من أتى التي تدل على السهولة.

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾: نزعَت ملائكة الموت روحه، بأمر من ملك الموت.

فالموت: ينسب إلى الله لقوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

وينسب إلى ملك الموت لقوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ﴾

[السجدة: ١١].

وينسب إلى الرسل: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

انتبه ﴿رُسُلُنَا﴾: هنا تعني: ملك الموت، إضافة إلى الملائكة الذين يحملون الروح، ويصعدون بها إلى عليين، أو سجين.

فقبض الروح بالنسبة إلى الله سبحانه أمرٌ، وإلى ملك الموت واسطة الذي يأمر الرسل بقبض الروح؛ لقوله: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرَقًا﴾ ١ ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ [النازعات: ١-٢].

﴿وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ﴾: فرط: أهمل، لا يهتملون، ولا يقصرون، ولا يتجاوزون الحد؛ أي: لا يستأخرون ساعة، ولا يستقدمون؛ حين يطلب منهم قبض الروح.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد، والقصر الحقيقي على عدم

تفريطهم.

[٦٢] ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: تدل على التعقيب، والتراخي.



﴿رُدُّوْا﴾: يعني: العباد، والردّ يكون بعد الموت، بعد البعث، بعد النفخة الثانية، والرد: هو الرجوع المجبر عليه من دون إرادته، أو رغبته.

﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ الْحَقُّ﴾: المولى: المالك، ردوا إلى مالكم وحاكمهم.
﴿الْحَقُّ﴾: صفة للمولى؛ أي: الذي لا يتغير، أو يتبدل؛ مهما طال الزمن، أو تغير.

﴿أَلَا﴾: أداة تنبيه.

﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾: الحكم يشمل القضاء، والفصل، وهناك فرق بين الحكم والقضاء والفصل، فالحكم والقضاء كقوله: يحكم بينهم، أو يقضي بينهم، يستعملها القرآن بين أفراد الملة الواحدة، أو الأمة الواحدة، ويفصل بينهم: للفصل بين الأمم، أو الأنبياء، وأمهم، أو للفصل بين الحق والباطل، أو أهل الجنة والنار، والمؤمنين والمشركين، وقيل: الفصل أشد من الحكم، والفصل من الحكم، فهو سبحانه يحكم بينهم، ثم يفصل بينهم؛ فهو سبحانه يحكم أو يقضي بين أفراد الأمة الواحدة، ثم يفصل بينهم؛ فريق إلى الجنة، وفريق إلى السعير.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يدل على التوكيد، والحصر.

﴿أَسْرَعُ الْحَسِبِينَ﴾: يحاسب الخلق، بوقت قصير، لا يعلمه إلا هو، أو بكلمة: كن، فيكون، أو لمحة البصر؛ لأنه لا تخفى عليه خافية.

سُئِلَ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: كيف يحاسب ربنا الناس جميعاً في وقت واحد؟ فقال: كما يرزقهم في وقت واحد.

[٦٣] ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ نَدْعُوهُ تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَتَجَنَّبُنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾:

﴿قُلْ مَنْ﴾: استفهام تقرير.

﴿يُنَجِّكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: من الشدائد؛ كالعواصف، والأعاصير،

والكوارث الجوية: من زلازل، ورعد، وبرق، والعرب تقول لليوم الذي تلقى فيه الشدة: يوم مظلم.

كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ﴾ [الإسراء: ٦٧].

حينئذٍ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴿لَا تَجِدُونَ مُلْجَأً إِلَّا إِلَٰهَهُ، تدعونه علانية وسراً، وبخشوع، وذلل، وخوف.

﴿تَضَرُّعًا﴾: قد تكون بالعلن، مظهرين الضراعة، وهي شدة الفقر إليه، والحاجة إليه، والذل، والانكسار.

﴿وَخُفْيَةً﴾: في الخفاء: أي التستر؛ أي: في أنفسكم، دعاء الصمت بالخفاء. ﴿لَئِنْ أُنْجَيْنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾:

﴿لَئِنْ﴾: اللام: لام التوكيد، إن: حرف شرط؛ تفيد الاحتمال، أو الندرة. ﴿أُنْجَيْنَا﴾: من أنجى، وأنجيتنا.

﴿أُنْجَيْنَا﴾: تفيد السرعة، وقصر الزمن، ولم يقل: لئن نجانا؛ تفيد البطء، والزمن الطويل؛ لأن الزمن قصير جداً في تلك الشدائد، والصبر قليل، والنجاة يلزمها وقت قصير.

﴿مِنْ هَٰذِهِ﴾: من: ابتدائية. ﴿هَٰذِهِ﴾: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة؛ يفيد القرب، وتشير إلى الشدة والمحنة.

﴿لَنَكُونَنَّ﴾: اللام: للتوكيد، وكذلك نون النسوة: لزيادة التوكيد.

﴿مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾: لله سبحانه، الشاكرين على نعمة النجاة. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠)؛ لمزيد من البيان على الشاكرين.

[٦٤] ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾:

﴿قُلِ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا﴾: الله ينقذكم من هذه الكارثة، أو المصيبة، وكذلك



﴿وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾: من: استغراقية؛ تشمل ﴿كُلِّ كَرْبٍ﴾: كرب: نكرة؛ أيَّ كرب مهما كانت شدته وحجمه.

الكرب: هو كلُّ غمٍّ شديد الذي يصحب الشدائد، ويصيب النفس، ويصاحبه ضيق في الصدر، ولا يستطيع أحد دفعه، أو رده في أغلب الأحوال إلا الله وحده سبحانه.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتراخي، أو لتباين الصفات من التضرع، والشرك.
﴿أَنْتُمْ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿تُشْرِكُونَ﴾: بالله تعالى، وتجعلون له أنداداً بعد إذ أنجاكم منها.

[٦٥] ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلِيَسَّكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرِفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ﴾: هو: ضمير منفصل؛ يدلّ على الحصر، والتوكيد، ويعود على الله؛ إذ هناك من البشر من هو قادر أن يبعث عليكم عذاباً، ولكن القادر الحقيقي هو الله وحده.

﴿عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾: كالصواعق والرعد والبرق والصيحة والرياح المدمرة والمطر الغزير.

﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: الزلازل، والغرق، والفيضانات، والرجفة والخسف... وغيرها، من أنواع العذاب.

﴿أَوْ يَلِيَسَّكُمْ شَيْعًا﴾: شيعاً: جمع شيعة: وهم الأتباع والأنصار؛ الذين اجتمعوا على أمر ما، ولو كان باطلاً؛ أي: يجعلكم طوائف، ومذاهب متفرقة، متضاربة في الآراء، والعقيدة، والغايات.

﴿يَلِيَسَّكُمْ﴾: أي: يخلط أمركم، خلط اضطراب، ويقال: لبست عليه الأمر؛ أي: لم أبينه له.

﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾: البأس: هو العذاب، أو الحرب، أو القتل،

والتدمير، والنهب، والسلب؛ أي: يطغى بعضكم على بعض بالقتل، والفساد، والسوء، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ [الأنعام: ١٢٩].

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾:

انظر كيف نوضح، ونبين الآية بأساليب مختلفة، وصور شتى؛ حتى يتبين معناها الحقيقي، والخفي، والغاية من وراء ذلك؛ لعلهم يفقهون.

﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾: الفقه لغة: الفهم، واصطلاحاً: هو معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية مثل القرآن والسنة والإجماع والقياس وغيرها، وهو الفهم للشيء؛ بدليله وعلته، يؤدي إلى الاعتبار، والاتعاظ، والعمل الأفضل، والوصول إلى الحق. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٨) لمزيد من البيان.

[٦٦] ﴿وَكَذَبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾:

﴿وَكَذَبَ بِهِ﴾: القرآن.

﴿قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾: والحق: هو القرآن، أو الوحي، وهو الأمر الثابت؛ الذي لا يتغير، ولا يتبدل.

فالقرآن: حق ثابت، لا شك فيه، ولا ريب فيه، ولا يتغير، ولا يتبدل: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ؛ أي: لا سبيل لإجباركم على الإيمان. ﴿لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾: أي: حفيظ، ولا موكل إليّ أموركم، ولا حسابكم، ولا كافيتكم، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٠٨) في سورة يونس وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾: نجد أن (ما) في النفي أقوى من (ليس)، وكذلك الجملة الاسمية ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾: تدل على الثبوت، وأقوى من الجملة الفعلية لست؛ فقله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾: أشد نفيًا وأكد؛ فقد جاءت ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ في سياق الضلال والهداية، ولست في سياق التكذيب بالقرآن.



وكلمة ﴿قَوْمُكَ﴾: فيها تقرير لهم؛ لأنه شملهم جميعاً.

[٦٧] ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿لِكُلِّ﴾: اللام: لام التوكيد.

﴿نَبِيٍّ﴾: خبر عظيم، يخبر به الله تعالى.

﴿مُسْتَقَرٌّ﴾: أي: وقت يقع فيه؛ من غير تقديم، ولا تأخير، ومكان يذاع فيه النبأ.

﴿وَسَوْفَ﴾: حرف استقبال؛ يدل على البعد الزمني، والتراخي.

﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: صدق ما جاء به القرآن، أو الوحي، ومحمد ﷺ من خبر، ووعد، ووعد، ووقوع، وما أخبر به من عذاب وجزاء، عاجلاً، كما وقع في بدر، أو أجلاً يوم القيامة.

[٦٨] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءَ آيِنِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾:

سبب النزول: كما قال ابن عباس: نزلت في أهل الأهواء، والبدع من المسلمين الذين يؤولون الآيات بالباطل.

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية متضمنة معنى الشرط، وتدل على حتمية الحدوث.

﴿رَأَيْتَ﴾: رؤية بصرية، أو فكرية، قلبية.

﴿يَخُوضُونَ﴾: الخوض: أصله الدخول في الماء الكثير الذي يستر القدمين، وعندها لا يدري إلى أي موقع تقع أو تنزل قدميه في هوة، أو حفرة، والخوض يكون من دون اهتداء.

﴿يَخُوضُونَ فِيءَ آيِنِنَا﴾: ومعنى الخوض في آياتنا: لم تبينه هذه الآية، وإنما بيّنته آية أخرى، في سورة النساء، الآية (١٤٠)، فقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ

فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ ﴿٥٤﴾.

إِذْنُ الْحَوْضِ؛ يَعْنِي: الْكُفْرَ، أَوْ الْاسْتَهْزَاءَ بِآيَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ الْحُكْمَ فِيمَا إِذَا اسْتَمَرَ الصَّحَابَةُ فِي الْجُلُوسِ مَعَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي الْآيَاتِ، وَالْحُكْمُ هُوَ أَنَّكُمْ إِذْنُ مِثْلَهُمْ؛ أَيُّ: فِي الذَّنْبِ، وَالْإِثْمِ، وَبِدْعِهِمْ، وَمَعْتَقَدَاتِهِمُ الْبَاطِلَةَ، ﴿فَاعْرِضْ﴾: الْفَاءُ: لِلتَّوَكِيدِ.

﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: انصرف عنهم، وَلَا تَجَالِسْهُمْ، وَلَا تَسْمَعْ لَهُمْ، ﴿حَتَّى﴾: حَرْفُ غَايَةٍ، نِهَايَةِ الْغَايَةِ.

﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾: وَعِنْدَهَا لَا مَانِعَ مِنْ مَجَالَسَتِهِمْ، وَالتَّحَدُّثِ مَعَهُمْ، إِذَا غَيَّرُوا الْحَدِيثَ، أَوْ تَوَقَّفُوا عَنِ الْخَوْضِ.

﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: وَإِمَّا: الْوَائِدُ: عَاطِفَةٌ، إِمَّا: أَصْلُهَا (إِنْ + مَا)، إِنْ: شَرْطِيَّةٌ، مَا: لِلتَّوَكِيدِ.

وَإِذَا حَدَّثَ أَنَّكَ نَسِيتَ أَمْرَ النَّهْيِ، وَالْمَنْعِ، وَوَجَدْتَ نَفْسَكَ تَجْلِسُ مَعَهُمْ؛ فَمَجْرَدُ مَا تَتَذَكَّرُ الْمَنْعَ، وَعَدَمُ مَخَالَطَتِهِمْ أَتْرَكَ، وَانصرفت عنهم، إِذْنُ يُمْكِنُ أَنْ تَنْسَى، وَالنِّسْيَانُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ الَّذِي يُزَيِّنُ وَيَشْغَلُ الْإِنْسَانَ فَلَا يَتَذَكَّرُ، وَلَكِنْ بَعْدَ الذِّكْرِى لَا تَجْلِسُ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

﴿الذِّكْرِى﴾: تَذَكُّرُ النَّهْيِ.

﴿الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: الْمُشْرِكِينَ، أَوِ الظَّالِمِينَ، وَالظَّالِمُ: هُوَ كُلُّ مَنْ يَخْرُجُ عَنْ مَنِهْجِ اللَّهِ تَعَالَى يُعَدُّ ظَالِمًا لِنَفْسِهِ. ارْجِعْ إِلَى سُورَةِ الْبَقَرَةِ، آيَةِ (٥٤)؛ لِمَزِيدٍ مِنَ الْبَيَانِ.





الجزء الثاني

سورة النجم ٦

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ
ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا
دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ رَبَّهُمْ
أَنْ يُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ
وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ
الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ
كَالَّذِي أُسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ
يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ ائْتِنَا قُلْ إِنِّي هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ
وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ
فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ
عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

سورة الأنعام [الآيات ٦٩ - ٧٣]

[٦٩] ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْقُوتُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ
يَنْقُوتُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: نافية.

﴿عَلَى﴾: تفيد الاستعلاء، والمشقة.

﴿الَّذِينَ﴾: أي: رسول الله ﷺ، وأصحابه.

﴿يَنْقُوتُونَ﴾: أي: يطيعون أوامر الله، ويتجنبون محارمه.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية.

﴿حِسَابِهِمْ﴾: أي: حساب الذين يخوضون في آيات الله، لستم مسؤولين
عنهم في أي شيء.

﴿وَلَكِنْ ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ﴾: أي: قيامكم، وترككم لهم، هو
استنكار، وعدم رضا؛ لما يخوضون فيه.

ولعلّ هذا القيام، وتركهم يؤثر فيهم، ويكون لهم تذكيرة، ويتعظون به،
ويتوقفون عن الخوض في آيات الله، وينأون بأنفسهم عن الباطل، فيكون ذلك
وقاية لهم من عذاب الله وسخطه، وإذا قارنا ذكرًا مع ذكرى التي تعني التذكر نجد
ذكر أقوى من ذكرى، ويأتي في سياق الدعوة والتبليغ؛ ارجع إلى سورة يوسف
آية (١٠٤) للبيان.



﴿لَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُ﴾: لعل: للتعليل، ولا بُدَّ من الأخذ بالأسباب الأخرى؛
للتقوى، بعد توقفهم عن الخوض، والتوبة؛ لعلهم يصبِحوا من المتقين.

[٧٠] ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ﴾ وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ
أَن تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ
لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
يَكْفُرُونَ﴾:

﴿وَذَرِ الَّذِينَ﴾: أي: اتركهم، أو أعرض عنهم.

﴿اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ﴾: اللعب: هو كل فعل لا يُلْهي عن واجب
ويسمى اللعب لهواً إذا شغل الإنسان عن واجب اتخذا دِينَهُمْ لعباً ولهواً
بالسخرية، والاستهزاء، وعبادة الأصنام، وتحريم البحيرة، والسائبة، والوصيلة،
والحام؛ لعباً ولهواً: ارجع إلى الآية (٣٢) من سورة الأنعام؛ للبيان، وإذا قارنا
هذه الآية مع الآية (٥١) في سورة الأعراف نجد أن في هذه الآية قدم اللعب على
اللهو، وفي آية الأعراف قدم اللهو على اللعب، وذلك لأن آية الأنعام جاءت في
سياق الحياة الدنيا وسياق الخوض في آيات الله الذي يعتبر لعباً أكثر مما هو
لهواً، وأما آية الأعراف جاءت في سياق الآخرة وقدم اللهو على اللعب؛ ارجع
إلى سورة الأعراف للمقارنة.

﴿وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾: وغرتهم: من الغرور، الخداع، الباطل، الفاني،
أو الغفلة، أو إظهار ما هو خلاف الحقيقة، خدعتهم الحياة الدنيا، وألهتهم
بمتاعها، الفاني، الزائل، حتى ضيعوا آخرتهم.

﴿وَذَكَرَ بِهِ﴾: بالقرآن، وقد تعني بالعذاب، أو الحساب، وبعبارة
المخالفة لمنهج الله.



﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾: البسل: هو القهر، والمنع بالحبس، أو تسليمه إلى الهلاك.

﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾: أن: مصدرية؛ للتعليل، والتوكيد.

فالمعنى: وذكر بالقرآن؛ لثلاث تهلك نفس، أو تحبس في النار، بما: الباء: للإلصاق، والسببية؛ أي: بما كسبت من الذنوب والآثام. وبيان معنى كسبت ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٨٦) للبيان المفصل.

﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾: ارجع إلى الآية (٥١) من نفس السورة؛ للبيان.

ونفي العثور على الشفيع في الآخرة أشد من العثور على الولي في الدنيا؛ لأن هذه الآية جاءت في سياق الدنيا، وفي الدنيا قد يجد الظالم من ينصره، ويعينه، ويشفع له إلى حد ما.

ولا أحد يستطيع الشفاعة ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]؛ لأنه لا يعلم أنه مؤهل، أو غير مؤهل، وهل يسمح له؟ وإن سمح له هل تقبل منه شفاعته، أم لا؟

﴿وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدَلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا﴾: العدل: هو الفدية، وعادة ما يكون بالمال. ارجع إلى سورة المائدة، آية (٣٦)؛ للبيان.

﴿وَإِنْ﴾: الواو: عاطفة. إن: شرطية؛ تدل على القلة، أو الندرة، إن تعدل كل عدل؛ أي: تقدّم كل فداء، مهما كان، لن يؤخذ منها.



﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا﴾: أولئك: اسم إشارة، تحمل معنى التحقير، أبسلوا: أي: هلكوا، أو حبسوا في الجحيم.

﴿بِمَا كَسَبُوا﴾: الباء: السببية، وللاصاق، بما كسبوا: بسبب كفرهم، وذنوبهم، أو بسبب ما كسبت جوارحهم من الآثام والمعاصي.

﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: لهم: اللام: للاختصاص، شراب من حميم: ماء: حار، بالغ نهاية الحرارة.

﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: شديد الإيلام، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾: بكفرهم، وعصيانهم، الباء: باء السببية، وما: مصدرية، أو اسم موصول، ولم يقل: بما كفروا، وإنما: يكفرون: بصيغة المضارع؛ الدالة على تجدد كفرهم، واستمراره؛ فهو لم يتوقف بعد.

[٧١] ﴿قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا قُلًّا إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِّلسُّلَمِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿قُلْ أَدْعُوا﴾: الهمزة: استفهام إنكاري.

﴿قُلْ أَدْعُوا﴾: أي: نعبد من دون الله من غير الله أصناماً، أو آلهة.

﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾: من: ابتدائية.

﴿مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾: ما: نافية، لا ينفعنا، ولا يضرنا، تكرار لا: النافية؛ تفيد زيادة التوكيد، لا ينفعنا وحده، ولا يضرنا وحده، أو معاً، والمنفعة قد تكون حسنة، أو قبيحة، والمتعة منفعة، والمضرة قد تكون حسنة، أو قبيحة.

﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾: العقب: هو مؤخر القدم، ويقال نكص على عقبه؛

أي: رجع إلى المكان الذي جاء منه، ويعني هنا: نرجع إلى الشرك، والضلال. وهذه الآية تمثل حال المرتد إلى الكفر أو الشرك بعد أن أسلم، أو رجع إلى الكفر بعد الإيمان.

﴿بَعْدَ إِذْ﴾: إذ: ظرف للزمن الماضي.

﴿هَدَيْنَا اللَّهَ﴾: بعد إذ أنقذنا الله، وهدانا للإسلام، ودين الحق.

﴿كَأَلَيْكَ اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أَعْتِنَا﴾:

﴿كَأَلَيْكَ﴾: الكاف: للتشبيه، الذي: اسم موصول.

أولاً: ﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾: استهوته: على وزن استفعل، وتأتي للطلب؛ أي: جعلته الشياطين يتبع هواه، ويتبع خطوات الشياطين، ويتقبل ما تمليه عليه، والشياطين: هم كفرة الجن، أو شياطين الإنس الذين يفتنون المرء عن دينه.

ثانياً: وهوى قد تعني: السقوط من الأعلى إلى الأسفل، أو تعني استهوته: أيقظت فيه هوى النفس، وزينت له؛ فهو لا يهتدي إلى طريق الحق، أو هوت به بعيداً؛ كأنما ألقته في الصحراء؛ ليصبح ضالاً، لا يهتدي، وهذه الآية تتعلق بأسطورة قديمة: هي أن العرب كانت تزعم أن مرض الجنون سببه الجن.

وبما أن الجن تعيش في الصحاري، والقفار، وهؤلاء الجن المردة الكفار لهم القدرة على التلون بألوان مختلفة، تذهب بالعقل، فيهمم على وجهه من سحر هذه الشياطين، وفي الصحراء؛ حتى يهلك، ويصبح الإنسان هائماً حيراناً، لا يهتدي، ولا يعرف إلى أين يذهب.



﴿فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ﴾: بعد أن هجر دينه وأصحابه وفسد عقله فجئن وهام في الأرض لا يدري أين يذهب، وماذا يفعل.

﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا﴾: أي: مع كونه له أصحاب، والصاحب؛ أي: الرفيق، الملازم، والذي يحصل منه نفع، أما القرين: فهو الصاحب الذي يحصل منه ضرر.

يدعونه أن يؤمن، ويدعونه إلى الهداية، أو ارجع إلى الهدى، فلا يستجيب لهم.

قل يا محمد ﷺ: ﴿إِن﴾: للتوكيد، ﴿هُدَىٰ اللَّهُ﴾: أي: هداة، ودينه؛ الذي ارتضاه لعباده المؤمنين.

﴿هُوَ الْهُدَىٰ﴾: الإسلام، ودين الحق.

وهذا ردع، وزجر؛ لمن دعا إلى عبادة الأوثان، وكأنه قيل له: لا تفعل ذلك؛ لأن دين الإسلام هو الهدى.

﴿وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أن نسلم: أي: نخلص عبادتنا لرب العالمين: بالتوحيد، والإخلاص. السلام: لام التوكيد، ومثل الذي استهوته الشياطين في الأرض، حيران: هو من يرتد عن دينه.

[٧٢] ﴿وَأَنۢ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا زَكَاةً وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾:

﴿وَأَن﴾: الواو: عاطفة؛ أي: وأمرنا لنسلم لرب العالمين، وأن نقيم الصلاة، وأن نتقي ربنا.

﴿وَأَن﴾: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد.



﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: بأركانها، وشروطها، والمحافظة عليها، والدوام،
والصلاة لأوقاتها.

﴿وَاتَّقُوا﴾: التقوى: هي أداء الأوامر، وتجنب النواهي؛ للوقاية من النار،
ومن غضب الله تعالى.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل يفيد التوكيد، والحصر.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول للمفرد المذكر العاقل وأكثر تحديدًا من (ما)
و(من).

﴿إِلَيْهِ﴾: تقديم الجار والمجرور؛ يفيد الحصر، والقصر في الحشر.

﴿تُحْشَرُونَ﴾: بعد البعث، والخروج من القبور، والحشر: هو السوق
والجمع إلى أرض المحشر.

[٧٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ
قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ
الْخَبِيرُ﴾:

كيف ندعو من دون الله ما لا ينفعنا، ولا يضرنا؛ وهو الذي خلق السموات
والأرض بالحق.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر، والتوكيد.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول؛ يفيد التعظيم.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق؛ تعني: بالشيء
الثابت الذي لا يتغير، فالسموات، والأرض، والكواكب، والأفلاك على نظام
ثابت لا تتغير قوانينه؛ ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.



﴿بِالْحَقِّ﴾: تعني: لم يخلقها عبثاً، أو لهواً، بغير حكمة؛ أي: خلقهما بحكمة. ارجع إلى سورة إبراهيم آية (١٩) لمزيد من البيان في معنى: بالحق.
﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾:

ويوم يقول ليوم القيامة: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾.

﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾:

﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾: أي: الصدق الكائن، لا محالة، قوله في كل شيء، أو أمر، وحكم، أو إيجاد، أو بدء، أو نهاية، أو قضاء: هو الحق.

﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾: وله الملك، تقديم الجار والمجرور؛ يفيد الحصر، له وحده .

﴿الْمُلْكُ﴾: ملك السموات والأرض، وما فيهن، والملك يعني: الحكم، وكذلك يعني الملك.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾: نفخة الصعق، الموت، والفناء، فلا يبقى إلا هو وحده سبحانه؛ كقوله: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

﴿عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: عالم اسم فاعل: من علم؛ أي: الاتصاف بالعلم ما غاب، واستتر عنه العيون: من الكون، والخلق، والسر، والنجوى، عالم الغيب، والأسرار، وعالم ما يُشاهد، ويُرى بالمدركات العيون والآذان، وغيرها، يعلم السر، والعلن، ويعلم السر، وما أخفى، الرقيب، المحيط بكل شيء علماً، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات، ولا في الأرض، ولنعلم أن كلمة عالم في كل القرآن جاءت مقترنة بعالم الغيب أو عالم الغيب والشهادة، وكلمة علام



في كل القرآن جاءت مقترنة بالغيوب؛ أي: علام الغيوب، وكلام صيغة مبالغة، وكلمة عليم تفيد المبالغة في العلم؛ أي: المحيط علمه بظواهر الأمور وبواطنها. ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾: في تدبير خلقه، وكونه، وشرعه، والحكيم مشتقة من الحكم، أو الحكمة، فهو أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿الْخَيْرُ﴾: العليم ببواطن الأمور، وخفايا الصدور.





سورة النازعات

سورة النازعات ٦



* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرَأْتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءِلَٰهَةً إِنِّي
 أَرُكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ
 مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾
 فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ
 لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا
 رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ
 الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا
 أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾
 إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ
 أَتُحِبُّونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ
 إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا
 تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا
 تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ
 سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾



سورة الأنعام [الآيات ٧٤ - ٨١]

[٧٤] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ اتَّخِذْ أُصْنَامًا ءِلَٰهَةً إِنِّيَ أَرَأَيْتَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: واذكر، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾: وإذ: ظرف؛ بمعنى: حين.

﴿لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾: هناك من المفسرين من قال: إن آزر هو عمه، وهناك من قال: إن آزر أبوه، وقيل: إن اسم والد إبراهيم هو تارخ، وقيل: كان له اسمان، آزر، وتارخ.

والأدلة تشير إلى أن آزر هو عم إبراهيم، وليس والده.

والقرآن يطلق على العم اسم الأب، وكذلك يطلق اسم الأب على الجد، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

فالجد والعم يطلق عليهم لقب الأب، ولأن العرب كانت تسمي العم أباً، والجد أباً.

ويعقوب أطلق على إسماعيل كلمة أباه، مع أنه عمه، وبهذا نفهم أن أبوة إسماعيل ليعقوب هي أبوة عمومة، ويعقوب أبوه إسحاق، وإسحاق أخو إسماعيل.

إذن أطلق على آزر كلمة الأب، وأريد بها العم.

﴿اتَّخِذْ أُصْنَامًا ءِلَٰهَةً﴾: استفهام إنكاري؛ للتوبيخ؛ أي: أتجعلها آلهة لك تعبدها.



﴿أَصْنَامًا﴾: جمع صنم: وهو التمثال، أو الوثن والصنم: يطلق على ما يُعبد من دون الله وهو عبارة هيكل تمثال مصنوع من النحاس أو الفضة أو الذهب أو الخشب، والوثن: هو عبارة عن حجر لا صورة له. ارجع إلى سورة العنكبوت، آية (١٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿إِنِّ﴾: للتأكيد.

﴿أَرَبَّكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: ضلال، واضح، مبين؛ لكل إنسان، وواضح بنفسه، لا يحتاج إلى دليل، أو برهان.

[٧٥] ﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَكَذَلِكَ﴾: أي: كما أريناه البصيرة في الدين، وضلال أبيه وقومه، وبطلان عبادتهم للأصنام.

﴿نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾: الرؤية: إدراك الشيء بالبصر ويُعد من اليقين نريه مظاهر قدرتنا؛ أي: ملكوت السموات والأرض.

﴿مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: بعض الملكوت، وليس كل الملكوت.

وكلمة ﴿مَلَكُوتَ﴾: وردت في القرآن أربع سور، وإضافة التاء للملك؛ تدل على المبالغة، فالمُلك هو ما تراه، وتحسه، وتشاهده أمامك.

أما ﴿مَلَكُوتَ﴾: فهو ما وراء هذا الملك، ملك الله الخاص، لم يعطه لأحد، أو يريه لأحد إلا إبراهيم .

والسموات والأرض، وما فيهما، فهو داخل في كلمة الملكوت.

والملكوت تشمل المجموعات الشمسية، والمجرات كلها، والكون كله، بأقماره، وشموسه، وكواكبه، ونجومه، وغيرها.

والرؤية هنا رؤيا بصرية، رأى إبراهيم ما لا تراه المراصد الفضائية، أو الفلكية.

﴿وَلْيَكُونِ مِنَ الْمُؤَقِّنِينَ﴾: اللام: للتعليل، من المؤقنين جمع: موقن بالرؤية، وليس بالعلم فقط؛ أي: عين اليقين؛ أي: ليستدل من هذه الرؤية، ويصبح من المؤقنين؛ الذين صفة اليقين ثابتة عندهم، لا تتبدل، ولا تتغير. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لبيان معنى اليقين وأنواعه.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: عاطفة، لما ظرف بمعنى حين يتضمن معنى الشرط.

﴿جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾: أي: أظلم، وستر، واشتد ظلامه، وأصبح كل واحد لا يرى الآخر؛ بسبب الظلام.

﴿رَأَى الْكَوْكَبَ﴾: والكوكب: كالقمر، هو الذي يأخذ ضوءه من مصدر آخر، مثل الشمس، فالكوكب ليس مضيئاً بذاته.

﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾: والسؤال هنا: كيف يقول إبراهيم هذا القول الذي يدل في ظاهر الأمر على الشرك؟، ولكن الحقيقة وفي باطن الأمر: هو استفهام إنكاري وتهكم على قومه، وتقدير كلامه أهذا ربي أو هل هذا ربي؟.

فإبراهيم هو الذي حاج النمرود قبل القدوم إلى الشام (سورة البقرة، آية ٢٥٨).

وإبراهيم الذي راغ إلى الآلهة؛ فقال ألا تأكلون، ما لكم لا تنطقون، فراغ عليهم ضرباً باليمين (سورة الصافات، آية ٩١-٩٣).

فقوله تعالى: ﴿رَأَى الْكَوْكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي﴾: قال ذلك في مقام الحجاج والجدال مع هؤلاء الذين يعبدون النجوم، والكواكب؛ ليثبت لهم زيف وبطلان عبادتهم، وكانوا يسكنون قرية من قرى بلاد الشام تسمى حرّان؛ التي هاجر إليها إبراهيم، بعد أن ترك أباه وقومه في أرض العراق، بسبب شركهم وضلالتهم، وهذا قد يشبه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ [فصلت: ٤٧]؛ فإله سبحانه يعلم أنه لا شركاء له.



قال ذلك إبراهيم؛ ليقيم الحجة على هؤلاء القوم، تمهيداً للإنكار عليهم، وإثبات الوجدانية لله تعالى.

﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾: أي: حين اختفى؛ أي: غاب.

قال إبراهيم: ﴿لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ﴾: أي: لا أحب أن يختفي ربي؛ لأن الرب الحقيقي لا يغيب أبداً؛ إذن هذا الكوكب ليس إلهاً، ولا يستحق أن يُعبد، وهذا من لطف أساليب الدعوة إلى الله تعالى بدلاً من القول إنني أكره ما تعبدون أو أن يسب ألهمتهم.

[٧٧] ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: استئنافية، لما؛ أي: حين.

﴿رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا﴾: البزوغ: هو أول الظهور.

﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾: على سبيل المحاجة والجدال.

﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾: غاب، واختفى عن العيون.

﴿قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾: اللام: للتوكيد. إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والندرة.

﴿يَهْدِنِي﴾ (جاء بياء المتكلم) مقارنة بيهدين في سورة الكهف آية (٢٤) لأن هذه في سورة الأنعام هداية عامة، وظرف معين لأمناع من حوله للكف عن عبادة الأصنام.

﴿لَمْ﴾: نافية، يهديني ربي إلى الحق.

﴿لَأَكُونَنَّ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون في كلمة (أكوننَّ): كذلك لزيادة التوكيد.

﴿مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾: هذا كلامٌ مُوجَّهٌ إلى هؤلاء عبدة الكواكب؛ لعلَّهم يتنبهون إلى خطئهم، فهم القوم الضالُّون، وليس إبراهيم هو الضالُّ.
 [٧٨] ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِلَيَّ بَرِيءٌ مِّمَّا قُشِرْ كُونُ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً﴾: أي: أشرقت بنورها.

﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾: ولم يقل: هذه ربي، أراد أن يُنزه الرب؛ بأن تلحق به علامة التأنيث، وكذلك الشمس ليست مؤنثاً حقيقاً، وإنما مؤنث مجازي.

﴿هَذَا أَكْبَرُ﴾: ممَّا تقدَّم (القمر، أو الكوكب).

﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾: أي: حين غابت، واختفت بعد غروبها.

﴿قَالَ يَنْقُومُ إِلَيَّ﴾: إن: للتوكيد.

﴿بَرِيءٌ﴾: من البراءة، وهي قطع الموالاة، والتخلي، والابتعاد.

﴿مِمَّا﴾: من + ما، من: ابتدائية، استغرافية، ما: اسم موصول بمعنى: الذي،

أو مصدرية.

﴿قُشِرْ كُونُ﴾: بالله من الأصنام، والكواكب، والملائكة، وغيرها.

لنقارن هذه الآية مع الآية (٢٦) من سورة الزخرف:

في سورة الأنعام، الآية (٧٨): ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا قُشِرْ كُونُ﴾.

في سورة الزخرف، الآية (٢٦): ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا نَعْبُدُونَ﴾.

في سورة الزخرف: زاد النون في ﴿إِنِّي﴾، وبديل كلمة ﴿بَرِيءٌ﴾ بـ: ﴿بَرَاءٌ﴾؛

أي: كلاهما يفيد التوكيد؛ أي: يوغل في التوكيد، في آية الزخرف. أما آية الأنعام تمثل بداية الدعوة، وآية الزخرف تمثل المرحلة المتأخرة في دعوة إبراهيم؛ لوحداية الله؛ لذلك كان التأكيد أبلغ.



وأما في سورة الممتحنة، آية (٤) فقال: ﴿إِنَّا بُرَءٌ وَأَنْتُمْ بُرَاءٌ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ بُرَاءٌ: جمع بريء، مثل شريف وشرفاء.

[٧٩] ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾: الوجه هنا يعني: الذات، إطلاق الجزء وإرادة به الكل، من قبيل المجاز المرسل.

﴿لِلَّذِي﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: شق وأوجد السموات والأرض؛ أي: أظهر للوجود السموات والأرض على مثال غير سابق.

واستعمل ﴿فَطَرَ﴾: وليس خلق؛ لأن كلمة ﴿فَطَرَ﴾: لا يشاركه فيها أحد، فلا يقال لأي أحد غير الله: فطر السموات والأرض، أو فطر أي شيء.

﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً عن الضلال والشرك إلى الدين القيم (الحق). ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٥)؛ لمعرفة معنى الحنف.

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة. ما: النافية.

﴿أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: بالله من شيء.

[٨٠] ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَكِّمُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾:

بعد أن برهن وبين إبراهيم لهؤلاء الذين يعبدون الكواكب والنجوم من دون الله أن عبادتهم باطلة، ولا تضر، ولا تنفع، وأقام عليهم الحجة، لم يقتنع هؤلاء بما قاله إبراهيم، وبدلاً من الإذعان والصمت واتباعه؛ راحوا يجادلونه في عبادتهم لغير الله، وحاولوا أن يخوفوه بها، ومن انتقامها، لكن إبراهيم لم يخف، وثبت أمامهم.



﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾: أي: في العبادة، والتوحيد، وعبادة الأصنام، وغيرها،
والحجاج: هو أن يقول كل طرف حجته، والطرف الآخر يرد عليه؛ ليبطل حجته.
﴿وَقَدْ هَدَيْنِ﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد، ﴿هَدَيْنِ﴾: إلى توحيد عبادته.
وحذف الياء من هدان، ولم يقل: هداني؛ لأن الهداية عند إبراهيم تمت منذ
زمن طويل، ولم تحتاج إلى زمن طويل، أو تمت بالقليل من العلم، أو الآيات.
﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استثنائية. لا: النافية.

﴿أَخَافُ﴾: أخاف من الخوف.

الخوف: هو توقع أمرٍ مكروه، أو شرٍّ مقبل، لم يقع بعد ومشكوك في
وقوعه، قد لا يكون لك القدرة على دفعه.

﴿مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾: ما: للعاقل، وغير العاقل، تشركون بالله: من أوثان،
وأصنام وغيرها.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري؛ يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾: شيئاً من الضرر، أو الخوف، و﴿شَيْئًا﴾: نكرة، أي
شيء مهما كان نوعه وشدته.

فإن أصابني شيء من الضرر، أو الخوف، فهذه من مشيئة الله تعالى.

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: أي: أحاط علمه سبحانه بكل شيء، علماً
تاماً، بما تشركون وبحالي.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: أفلا: الهمزة تفيد الاستفهام، والإنكار عليهم
وتوبيخهم على عدم تذكّرهم، والتعجب منه، وتحضّهم على ذلك التذكّر، وفيها
معنى الأمر.



﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾: تستعمل للبحث الأطول الذي يحتاج إلى طول تأمل ونظر وتبصر، بينما تذكرون تستعمل للحدث الأقصر الذي يحتاج إلى زمن أقصر للتأمل والتبصر الذي فطركم، وفطر السموات والأرض، أفلا تتذكرون الميثاق الذي أخذه عليكم، ميثاق الذرّ.

ولكن بدلاً من استعمال أفلا تذكرون، قال: ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ بزيادة التاء؛ لأن قوم إبراهيم أبطلوا عقولهم، ويحتاجون إلى هزّة عنيفة، وزمن أطول، وتذكر عميق؛ لكي يرجعوا عن عبادتهم الكواكب، والشمس، والقمر إلى زمن أطول؛ للتذكر؛ حتى يرجعوا إلى صوابهم، وعبادتهم لله سبحانه.

[٨١] ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَكَيْفَ﴾: الواو: عاطفة.

﴿وَكَيْفَ﴾: للاستفهام عن الحال؛ يفيد النفي والاستبعاد؛ أي: يستبعد إبراهيم أن يخاف في المستقبل.

﴿أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾: أي: كيف أخاف هذه الأصنام، على أي حال؛ لأنها لا تضر، ولا تنفع، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله، ﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾.

﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق، الذي بيده النفع، والضرر، والأمن، والخوف، ﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾: أي: حجة ودليل.

والسلطان نوعان: سلطان قوة، وقهر، أو سلطان حجة، وبرهان، أو آية، أو دليل.

انتبه إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾: جاء بلفظ ﴿عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: هو أمر خاص بهم (بقوم إبراهيم)، وأهل زمانه، أما قوله:

﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾: من دون عليكم؛ فالخطاب هنا عام، وشامل لكل الناس، وليس محدوداً بجماعة معينة، أو قوم كما ورد في سورة آل عمران، الآية (١٥١)، وسورة الأعراف، الآية (٣٣).

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَأَيُّ﴾: الفاء: للتوكيد؛ أي: أداة استفهام.

﴿الْفَرِيقَيْنِ﴾: الذين آمنوا، ووحدوا ربهم الذين لم يلبسوا إيمانهم بشرك؛ أي: بظلم، أم الذين ظلموا؟

﴿أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾: أي: أحق بأن يأمن العذاب، عذاب ربه، أو بالأمن؛ أي: عدم الخوف.

انتبه إلى الفرق بين الأمن في هذه الآية، والأمنة كقوله: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَفَاسًا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

الأمن: هو الطمأنينة، مع زوال الخوف، والسبب كاملاً؛ أي: سبب الخوف من دون بقاء أي أثر لهما.

الأمنة: تعني الطمأنينة إلى حد ما، فالخوف لا يزول تماماً، ولا يزال الشخص خائفاً غير مطمئن إلى حد ما، فالأمن أفضل من الأمنة.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: ولم يقل: إذا كنتم تعلمون؛ لأن: ﴿إِنْ﴾: شرطية، تفيد الاحتمال، أو الندرة بعكس (إذا) التي تفيد الحتمية والكثرة.

واحتمال كونهم يعلمون: هو احتمال نادر، أو قليل، ولذلك استعمل: إن.

﴿كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: من هو أحق بالأمن.





البقرة السابعة

سورة البقرة ٦

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ
وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى
قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾
وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا
هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ
وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾
وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِلْيَاسَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ
وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي
بِهِ مَن يَشَاءُ مِّن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ
فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ
﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْ لَهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾



سورة الأنعام [الآيات ٨٢ - ٩٠]

[٨٢] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وأخلصوا في إيمانهم، وتوحيدهم.

﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾: لم يخلطوا إيمانهم بظلم؛ أي: بشرك؛ لقوله في سورة لقمان: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد، غرضه التعظيم، أو علو مكانهم، لهم الأمن في الدنيا، وفي الآخرة. ارجع إلى الآية (٨١) من نفس السورة؛ لبيان معنى الأمن. ﴿وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾: هم: ضمير منفصل، غرضه المبالغة، والتوكيد، على أنهم مهتدون؛ أي: أكثر الناس هداية.

والهداية هي الطريق الذي يوصل للغاية، وهي رضوان الله تعالى.

و﴿مُّهْتَدُونَ﴾: جملة اسمية؛ تدل على صفة الهداية ثابتة لهم، ولا ينحرفون عنها.

[٨٣] ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَتِلْكَ﴾: الواو: استئنافية، تلك: اسم إشارة، يشير إلى الحجة التي احتج بها إبراهيم، على وحدانية الله، من غياب القمر والشمس.

﴿حُجَّتُنَا﴾: الحجة هي البرهان والدليل على ثبات أحد النقيضين أو



الخصمين، وهنا تعني: الحجة الدالة: على التوحيد، ﴿ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾: أي: علمناها إبراهيم، فغلب بها قومه.

﴿نَزَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ ذَٰلِكَ﴾: بالهداية، والإرشاد، والعلم، والحكمة، والفهم، والمعرفة، وبالاصطفاء للرسالة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾: قَدَّمَ الحكمة على العلم، ﴿حَكِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من الحكمة، كثير الحكمة؛ فهو أحكم الحاكمين، وواهب الحكمة لمن يشاء من عباده. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة في العلم، أحاط علمه بكل شيء، بما يقوله خلقه، أو يفعلونه، وما قاله إبراهيم لقومه.

عليم بما يجري في كونه؛ من تغيرات، وأحداث، و﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ [سبا: ٣].

ولنقارن هذه الآية، بآية أخرى في سورة يوسف، رقم (٦): ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

قَدَّمَ العلم على الحكمة؛ لأن آية يوسف جاءت في سياقه تعلم الأحاديث، ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، فالعلم يحتاج إليه أولاً، والحكمة ثانياً، ولذلك قَدَّمَ العلم على الحكمة.

أما آية سورة الأنعام (٨٣): فقد جاءت في سياق الحجة والسلطان ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾.

وإقامة الحجة تحتاج إلى حكمة أولاً، وعلم ثانياً، ولذلك قَدَّمَ حكيم على عليم؛ أي: حسب السياق.

[٨٤] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿وَوَهَبْنَا﴾: الهبة في اللغة: العطية الخالية من العوض، وشرعاً: تمليك في الحياة بلا عوض، ومن الله هي: عطاء تفضل، تعطى لمن يستحق أو لا يستحق، ولا تكون واجبة.

ولنعلم أنه لا يوجد أيُّ إنسان له حق عند الله؛ إلا ما جعله الله حقاً له، وكل شيء من الله هو هبة، والهبة قد تكون هبة في العطاء، أو هبة في المنع. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (٣٨)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَوَهَبْنَا﴾: أي: لإبراهيم إسحاق، ويعقوب هو ابن إسحاق.

﴿إِسْحَاقَ﴾: ابن إبراهيم، أمه سارة، ويعقوب: هو ابن إسحاق؛ أي: وهبنا لإبراهيم إسحاق أولاً، ويعقوب (ابن الابن) نافلة.

﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾: كلاً؛ أي: إسحاق، ويعقوب كلاً كان من أهل الهداية والنبوة.

وتقديم الواو على ﴿كُلًّا﴾: تدل على هداية غيرهم من الأنبياء والرسل؛ كقوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾؛ أي: وعدهم الله الحسنَى، ووعد غيرهم.

﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾: أي: أن الهداية لم تبدأ بإسحاق ويعقوب، بل بنوح، هذا من باب المدح والثناء، وليس من باب الحصر والتخصيص.

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾: الهاء: تعود على نوح، ولا يجوز أن تعود على إبراهيم؛ لأنه ذكر لوطاً؛ وهو ليس من ذرية إبراهيم؛ لأن لوطاً كان عمه إبراهيم؛ أي: لوط ابن أخي إبراهيم.



داود (وابنه) سليمان، وأيوب ويوسف بن يعقوب، وموسى (وأخاه) هارون.

﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾: جمع لهم الملك مع النبوة وسليمان بن داود.

﴿وَأَيُّوبَ﴾: الابتلاء، والصبر (العبد الصابر).

﴿وَيُوسُفَ﴾: الابتلاء، والصبر مع الحكم، ثم الملك، والسلطان في النهاية.

[٨٥] ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾:

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ﴾: وابنه يحيى قُتِلَا.

﴿وَعِيسَى﴾ ابن مريم عليهما السلام رفعه الله سبحانه.

﴿وَالْيَاسَ﴾: ارجع إلى سورة الصافات، آية (١٢٣-١٢٧).

﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾: لأنهم امتازوا بالفقر، والزهد في الدنيا، فوصفهم بالصالحين.

[٨٦] ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكَوْنًا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾:

إسماعيل: ابن إبراهيم، واليسع قيل كان بعد إيلياس، واتبع منهج إيلياس؛ يونس الذي التقمه الحوت، ولوطاً: ابن عم إبراهيم.

﴿وَكَوْنًا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: فضلنا: ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥٣)

ليبين معنى الفضل والكيفية: من باب المدح والثناء، وليس من باب الحصر والتخصيص، لم يكونوا ملوكاً، ولا فقراء، واستعمال الواو في كلاً تشير إلى ليسوا هم فقط المفضلين، بل هناك غيرهم.

﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: أي: عالمي زمانهم، لا على الإطلاق؛ لأن محمداً ﷺ،



هو أفضل الأنبياء، ثم إبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح عليهم السلام، وبذلك ذكر في هذه الآيات (١٨) نبياً، ورسولاً، من أصل (٢٥) من الأنبياء، والرسل المذكورين في القرآن.

[٨٧] ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْنِبَتُهُمْ وَهَدَيْتُهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾:

﴿وَمِنْ﴾: ابتدائية بعضية؛ أي: بعض ﴿آبَائِهِمْ﴾، ﴿وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾.

﴿وَأَجْنِبَتُهُمْ﴾: أي: اصطفيناهم، واخترناهم للنبوّة، وحمل الرسالة، واجتبتيناهم؛ مشتقة من الاجتباء، من جبال الماء في الحوض؛ أي: جمعه، فالاجتباء؛ اختيار الشخص وضمه إلى أمثاله؛ أي: زمرة خاصة.

﴿وَهَدَيْتُهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: هو الدين الحق، وهو الإسلام.

[٨٨] ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، إلى ما تقدّم ذكره من الهداية إلى صراط مستقيم.

﴿هُدَى اللَّهِ﴾: الخاص، يهدي إليه من أحب من عباده؛ وهو الإيمان، والاستقامة، أو دين الله؛ أي: الإسلام.

﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: هداية خاصة، وليست عامة.

﴿وَلَوْ﴾: حرف امتناع لامتناع؛ أي: هم لم يشركوا، ولذلك لم يحبط عملهم.

﴿أَشْرَكُوا﴾: جعلوا لله شركاء.

﴿لَحِطَ﴾: اللام: للتوكيد. حبط: بطل ثواب أعمالهم، وأصبحت أعمالهم هباءً منثوراً.



﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: يعملون: يقولون، ويفعلون في الدنيا. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢١٧)؛ لمزيد من البيان عن الحبط.

[٨٩] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة؛ للبعد.

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾: اسم جنس؛ يشمل القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور.

﴿وَالْحُكْمَ﴾: الفقه في الدين، والعلم، ومعرفة الأحكام، والفتاوى.

﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾: الرسالة.

﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ﴾: قريش، أو كفار مكة.

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: عاطفة، إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الندرة، أو أمة محمد ﷺ، بها.

﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا﴾: فقد: الفاء: رابطة لجواب الشرط، قد: حرف تحقيق، وتوكيد، وكلنا بها الأنبياء، والرسل المذكورين، أو المؤمنون من أمة محمد ﷺ، أو غيرهم من المؤمنين من الأمم الأخرى.

﴿قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا﴾: الباء: هنا للإلصاق.

﴿بِكَافِرِينَ﴾: الباء: هنا للتأكيد، تأكيد النفي، وأصلها: ليسوا بها كافرين.

[٩٠] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّاهِهِمْ أَقْدَهُ قُلْ لَا أَشْتَكُمُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد؛ يفيد التعظيم، ويشير إلى الأنبياء، والرسل

المذكورين، وأتباعهم من الموحدين، المخلصين، وأولوا العلم من كل الأقوام السابقة، والأمم المختلفة.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿هَدَى اللَّهُ﴾: إلى دينه الإسلام.

﴿فِيهِدَهُمْ أَقْتَدَ﴾: اقتد؛ أي: اتبع هداهم في الدعوة إلى توحيد الله، وفيما لم يرد فيه نص.

والفاء تدل على التوكيد، والباء: للإلصاق، والملازمة.

﴿أَقْتَدَ﴾: فعل أمر، وقيل: الهاء هاء السكت؛ أي: لا تنطق الهاء إلا في الوقف، وإذا جاءت في الوصل لا ينطق بها، ولكن هناك من القراء من يشبها وقفاً ووصلاً ومنهم من يشبها وقفاً فقط.

وإذا قارنا آية سورة الأنعام، مع آية سورة الزمر (١٨)، نجد أن:

في سورة الأنعام، الآية (٩٠): ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَهُمْ أَقْتَدَ قُلْ لَا اسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، يشير إلى أقوام كثر، وأنبياء مختلفين، ورسل وشرائع مختلفة، من إبراهيم، وإسماعيل، ويعقوب، ويوسف، وغيرهم.

أما سورة الزمر، الآية (١٨): ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُؤْتُوا الْأَلْبَابِ﴾.

فـ ﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة؛ يشير فقط إلى رسول الله ﷺ، والصحابة، والمؤمنين، وهم فئة واحدة، وقوم واحد، وليست مجموعة من الرسل، أو الأقوام.



وقوله: ﴿هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾: أكد، وأقوى من هدى الله؛ لوجود ضمير الفصل (هم) في هداهم.

و﴿هَدَى اللَّهُ﴾ عددهم أكثر وأكبر من الذين: ﴿هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فِيهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾: أي: اتبعهم رغم كثرة عددهم، وشرائعهم المختلفة، فكيف يقتدي بها رسول الله ﷺ جميعاً؛ أي: في منهاج الدعوة، والتبليغ، وتوحيد الله، والأخلاق الحميدة؛ أي: فيما هو عام وليس خاصاً.

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿لَا﴾: النافية؛ تنفي كل الأزمنة.

﴿أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: أي: على القرآن.

﴿أَجْرًا﴾: ولم يقل: (من أجر)، حذف (من): التي تفيد الاستغراق، والتوكيد؛ لأن سياق هذه الآية في الاقتداء بالرسول السابقين، ولو كان السياق في الدعوة والتبليغ، كما في سورة يوسف، آية (١٠٤)؛ لاستخدم حرف من، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

﴿إِنْ﴾ حرف نفي أشد نفياً من (ما).

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد، ويعود على القرآن الكريم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ أي: القرآن الكريم، موعظة، وتذكير للعالمين، الخلق كافة.

وما هو الفرق بين ذكرى وذكر؟



كما في ورد في سورة الأنعام، الآية (٩٠): ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.
وفي سورة يوسف، الآية (١٠٤): ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْعَالَمِينَ﴾.

﴿ذِكْرٌ﴾: أقوى من ﴿ذِكْرٌ﴾، ذكر فيه معنى: الشرف، والرفعة،
والاختلاف بين الآيتين يعود الاختلاف في السياق.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾: جاءت في سياق قوله
تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

﴿ذِكْرٌ﴾: جاءت في سياق الدعوة والتبليغ، وتحتاج إلى الجهد،
والمشقة، والتضحية.

و﴿ذِكْرٌ﴾: جاءت في سياق ذكر الأنبياء، أو القرآن، أو تذكرة للناس؛
فقوله تعالى: ذِكْرٌ، أقوى وأكد، وأبلغ من ذكرى.



الْبَيْتُ السَّادِسُ

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ
قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ
تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا
أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾
وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ
أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ
وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى
اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ
مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ
وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ
تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ
وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى
كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ
وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ
لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

سورة الأنعام [الآيات ٩١ - ٩٤]

[٩١] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَوهُ فِرَاطِيْسَ بُدُونَهَا وَتُخَفُّونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾:

سبب النزول: اختلف في سبب نزول هذه الآية، وفيمن نزلت، فمنهم من يرجح؛ كما ذكر ابن عباس: أنها نزلت في مشركي قريش، ومنهم من يرجح أنها نزلت في اليهود، والعبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: وما: الواو: استئنافية. ما: النافية.

﴿قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: الضمير يعود على اليهود، أو على مشركي قريش.

أي: ما عرفوا قدر الله وحقه، وما عظموه حق عظمته.

﴿إِذْ قَالُوا﴾: ظرفية؛ تعني: حين قالوا للنبي ﷺ. ما: النافية.

﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾: حين أنكروا بعثة الرسل، والوحي إليهم.

﴿مِّن﴾: استغراقية، تستغرق أي شيء.

﴿شَيْءٍ﴾: نكرة، لا كتاب، ولا وحي، ولا صحيفة، ولا أي شيء، ومبالغة

في الإنكار.

﴿عَلَى بَشَرٍ﴾: رسول، أو نبي، أو أي بشر.

قل يا محمد لليهود، أو مشركي قريش، من: للاستفهام، والتوبيخ ﴿أَنزَلَ﴾:



ولم يقل (نزل)؛ لأن التوراة أنزلت دفعة واحدة، و(نزل) تعني: منجماً على دفعات كثيرة، الكتاب الذي جاء به موسى هو التوراة؛ أي: من أنزل على موسى التوراة. ﴿تُورًا﴾: النور الكاشف للشبهات؛ والكاشف للحق من الباطل، ويبيِّن الأحكام للناس، والحلال من الحرام.

﴿وَهَدَى النَّاسَ﴾: أي: مصدر هداية، أو سبب لهداية الناس؛ للوصول إلى الحق، والصراط المستقيم، والغاية. للناس: اللام: لام الاختصاص.

﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾: أي: تجعلون التوراة قراطيس؛ أي: تكتبونه في أوراق (قراطيس)، أوراق، أو دفاتر، والغاية من جعلها قراطيس؛ ليتمكنوا من إظهار ما يريدون إظهاره، وإخفاء ما يريدون إخفاءه، ولو جعلوه في كتاب؛ لكان متعذراً فعل ذلك.

﴿تُبْدُونَهَا﴾: تظهرونها لناس متى تشاؤون، أو كيف تشاؤون.

﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾: تخفون كثيراً من هذه القراطيس؛ التي فيها نعت محمد ﷺ مثلاً، وصفاته، وآية الرجم، وغيرها.

﴿كَثِيرًا﴾: للتوكيد.

﴿وَعَلَّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾:

﴿وَعَلَّمْتُمْ﴾: الخطاب إلى مشركي قريش، أو اليهود.

﴿وَعَلَّمْتُمْ مَّا لَمْ تَعْلَمُوا﴾: على لسان محمد ﷺ، مما أوحى إليه في القرآن، وأخبركم به، وما جاء في التوراة، أو كان في التوراة، ولم تعلموه، ولا حتى آبائكم، لم يعلموه؛ الذين كانوا أعلم منكم.



﴿أَنْتُمْ﴾: للتوكيد.

﴿وَلَا أَبَاؤُكُمْ﴾: لا: النافية المطلقة.

وأكد ذلك في آيات أخرى؛ منها: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥].

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

قل الله: هذا جواب للسؤال؛ من أنزل الكتاب.

فإن أجابوك الله كان بها، وإلا فقل لهم: الله الذي أنزل الكتاب.

﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾: ثم: للتوكيد.

﴿ذَرَهُمْ﴾: اتركهم، أو أعرض عنهم، أو دعهم.

﴿فِي خَوْضِهِمْ﴾: في باطلهم، وجهلهم، وضلالهم يخوضون. ارجع إلى

الآية (٦٨) من نفس السورة؛ للبيان.

﴿يَلْعَبُونَ﴾: من اللعب: وهو العبث، وإضاعة الزمن، والاستهزاء، والخوض

في آيات الله، أو حتى يأتيهم اليقين، وفي الآية تحذير ووعد للكافرين.

[٩٢] ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾:

وهذه الآية رد على سؤالهم: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾، وهذا القرآن أليس

هو كتاب أنزل على محمد ﷺ؟!

﴿وَهَذَا﴾: الواو: عاطفة، هذا: اسم إشارة للقريب؛ يفيد التعظيم.

﴿كِتَابٌ﴾: أي: القرآن العظيم.



﴿أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾: أنزلناه في ليلة القدر، أنزلناه دفعة واحدة.

﴿مُبَارَكٌ﴾: نعت؛ أي: صفة للقرآن، ومبارك؛ أي: كثير البركة، كثير الفوائد، والمنافع، بما فيه من الأحكام، والهدى، والشفاء، والذكرى، والموعظة، والرحمة.

﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب الأخرى، مثل: التوراة، والإنجيل، والزبور، وغيرها. ارجع إلى الآية (٤٨) من سورة المائدة؛ للبيان.

﴿وَلِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾: الواو: عاطفة، اللام: لام التعليل، أو التأكيد؛ أي: ﴿أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾، وكذلك ﴿وَلِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾.

﴿أُمَّ الْقُرَى﴾: هي مكة؛ سُمِّيَتْ أُمَّ الْقُرَى؛ لأنها أعظم القرى شأنًا؛ لوجود البيت الحرام فيها، فهي أم؛ أي: أصل كل القرى، وهي قبة المسلمين أجمعين، يؤمها المسلمون من كل مكان، وكذلك تعني: أقدم القرى؛ فقد كانت أرض مكة أول وأقدم جزيرة ظهرت على اليابسة، وتشكلت من ثورة البراكين التي ألقت بحممها على الأرض التي كانت مغمورة بالماء، ثم تراكت هذه الحمم تدريجياً، وامتدت من مكة إلى غيرها من البقاع؛ لتشكل القارة الأم. ارجع إلى سورة الشورى، آية (٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: من القرى؛ أي: المدن كلها؛ تعني: الأرض كلها، كما قال ابن عباس: وتعني: كل مدينة وقرية في العالم؛ حيث أصبحت الكرة الأرضية اليوم؛ كأنها قرية واحدة؛ لسهولة الاتصالات.

﴿وَمَنْ﴾: استغراقية؛ أي: كل ما حولها من القرى والمدن.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِمْ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾:



﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: به: يعود على القرآن، الكتاب المبارك.
أي: والذين يؤمنون بالقرآن؛ يؤمنون بالآخرة، وهذا يشير إلى أهمية الإيمان
بالآخرة، وبالقرآن.

﴿وَهُمْ﴾: هم ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد، وهم: أي: المؤمنون بالآخرة،
وبالقرآن.

﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: واختار الصلاة؛ لأنها عماد الدين، وتشمل في
معناها: الزكاة، والصيام، والحج، فهي تمثل كل العبادات.
﴿يُحَافِظُونَ﴾: يؤدونها في أوقاتها، ويحافظون على أركانها، وخشوعها،
وأحكامها، ويحافظون؛ تفيد الاستمرار والتجدد.

[٩٣] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ
مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ
أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ
عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو: استئنافية. من: اسم استفهام؛ فيه معنى الإنكار والتعجب.
وتعني: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً.

﴿أَظْلَمُ﴾: أسوأ، أو أقبح، والظلم تتفاوت درجاته بين صغائر الذنوب
وكبائر الذنوب.

﴿مِمَّنْ﴾: أصلها: (مَنْ + مَنْ): أدغمت الأولى في الثانية؛ فأصبحت مِمَّنْ.
ومن الأولى: ابتدائية، ومن الثانية: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.



﴿اَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: افترى: اختلق على الله الكذب المتعمد.

﴿كَذِبًا﴾: ولم يقل: الكذب.

﴿كَذِبًا﴾: نكرة؛ يشمل كل أنواع الكذب.

أما قوله: الكذب المعروف بآل التعريف: فهو يخص مسألة معينة؛ مثل قوله في سورة يونس (٦٨-٦٩): ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ﴾، ﴿قُلْ إِنَّا الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

الكذب هنا: محدد بقولهم: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾.

﴿اَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: باتخاذ الشركاء، والأنداد، أو له ولد، أو بنت يشمل الكل؛ لأنه نكرة ولم يحدد.

﴿أَوْ قَالَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾: أي: ادعى النبوة باطلاً؛ مثل مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي كما روي عن ابن عباس، ولمعرفة معنى الوحي. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣).

﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾:

قيل: كما روي عن ابن عباس: هو عبد الله ابن أبي سرح، كان أخاً لعثمان بن عفان من الرضاعة، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، كان إذا أُملي عليه رسول الله ﷺ أن اكتب سميعاً عليماً، كتب عليماً حكيماً، وكان يحاول الافتراء على الله، ولما نزلت آية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾، تعجب عبد الله بن سرح، فسارع بالقول: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال رسول الله ﷺ:

اكتبها هكذا نزلت، ونزل في نفسه الغرور، فقال: لئن كان محمداً صادقاً؛ فلقد أوحى إليّ مثل ما أوحى إليه.

وهذا تفسير ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، ثم ارتدّ عن الإسلام، ثم عاد، ورجع إلى الإسلام قبل فتح مكة، وجاء به عثمان يطلب له العفو من رسول الله ﷺ.

وقيل: غيره من البشر؛ الذين قال الله سبحانه في حقهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١].

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ﴾: رؤية قلبية، وبصرية.

ولو: هنا شرطية، وتحتاج إلى جواب، والجواب محذوف؛ لرأيت أمراً عجباً.

﴿الظَّالِمُونَ﴾: الذين افتروا على الله كذباً، وقالوا أوحى إلينا، ولم يوح إليهم، أو سأنزل مثل ما أنزل الله، والظالمون: جمع ظالم، وهو كل من خرج عن منهج الله.

﴿فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾: سكرات الموت، وغمرات: جمع غمرة، وغمرات الموت؛ استعارة من غمر الماء؛ أي: أن تغمرهم سكرات الموت، وشدائده، كما تغمر مياه الفيضان المكان، أو الأرض. وهذا المشهد يدل على شدة الألم، أو الظالم المغمور بذنوبه فلا منجى ولا ملجأ له، ولم يقل في غمرة الموت، بل غمرات للتهويل لما سيصيبهم قبل نزع أرواحهم.



﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ﴾: باسطوا: من البسط وهو مد اليد بالسوء؛ أي: بالضرب والعذاب؛ أي: مدوا أيديهم؛ لقبض وإخراج أرواح الظالمين.
يقولون: أخرجوا أنفسكم؛ أي: تقول لهم الملائكة ذلك؛ توبيخاً لهم؛ أي: خلصوا أنفسكم من العذاب، وسكرات الموت؛ إن استطعتم.

ففي هذه الآية؛ لم يصرح بالشيء الذي بسطوا إليه الأيدي، ولكن أشار إلى ذلك في آية أخرى في سورة الأنفال، الآية (٥٠).

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾.
والسؤال هنا هل ملائكة العذاب هم أنفسهم ملائكة قبض الأرواح أن هناك نوعين من الملائكة منهم للعذاب أولاً ومنهم لقبض الأرواح يحضرون بعد انتهاء العذاب؟

﴿أَيُّومٌ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾: عذاب الذل، والهوان، العذاب المؤلم الذي يخالطه الذلة، والإهانة، وعلى مرأى من الناس الحاضرين موته أو أهل الميت.
﴿يَمَّا﴾: الباء: السببية؛ أي: بسبب.

الذي ﴿كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾: بادعاء النبوة، أو الإيحاء، أو أن الله لم ينزل على بشر من شيء، وأن له ولد، وله شريك، وغيرها.
﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: وكنتم في الدنيا تكرار كنتم: تفيد التوكيد، عن: للتعليل.

﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾: التاء، والسين: للطلب؛ أي: ليس عندكم مؤهلات الكبر، ومع ذلك كنتم تستكبرون.



[٩٤] ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ زَعُمُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية. لقد: اللام: لام التوكيد، قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾: جئتمونا يوم القيامة يوم البعث أو يوم القيامة الصغرى (الموت)، أو عند سكرات الموت وهم ما زالوا على الأرض.

﴿فُرَادَىٰ﴾: قيل: جمع واختلف في مفرده قيل: فرد أو فريد أو فردان على وزن فعالى بضم الفاء مثل سُكَارَى مفردها: سكران فرداً فرداً، والواحد تلو الآخر، من دون أهل، ولا ولي، ولا نصير، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤٨) في سورة الكهف وهي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ هذه الآية جاءت في سياق يوم البعث أو عند الموت وتحدث عن الكيفية: كيفية المجيء، وآية الأنعام تحدث عن العدد، وآية الكهف أعم من آية الأنعام وآية الأنعام عن القيامة الصغرى.

وبين ذلك في آية أخرى من سورة مريم، (٩٥): ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾، بينما السوق إلى الجنة: زمراً و زمراً، أو إلى النار زمراً و زمراً؛ كقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣].

مع الأهل، وممن يماثلهم في الحسنات والسيئات.

﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾: من خوله الشيء؛ أي: ملكه الشيء؛ خول يخول؛



أي: صار ذا خول؛ أي: خدم؛ أي: تركتم ما أعطيناكم: تفضلاً من ملك، ومال، وأهل، والخول: ما أعطاه الله من النعم.

والخول: تضم الخدم، والاتباع؛ أي: تركتم أولادكم، وأموالكم، وخدمكم.

﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾:

الذين زعمتم أنهم شركاء لله في عبادتكم.

﴿وَمَا نَرَىٰ﴾: وما: الواو: عاطفة، ما: نافية.

﴿مَعَكُمْ﴾: مع: ظرف مكان.

﴿شُفَعَاءَ كُمْ﴾: الأصنام، والآلهة، والأولياء، والذين عبدتموهم؛ ليقربوكم

إلى الله زلفى؛ الذين زعمتم أنهم سيسفعون لكم، أو يستحقون عبادتكم.

﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾: فيكم؛ أي: زعمتم أنهم لي شركاء في

خلقي.

الزعم: هو القول غير المستند إلى دليل، أو ادّعاء العلم، وأكثر ما يقع في

الباطل، ولمقارنة كيف كتبت ﴿شُرَكَاءُ﴾ في هذه الآية مع كيف كتبت ﴿شُرَكَاءُ﴾

في الآية (١٢) في سورة النساء. ارجع إلى سورة النساء آية (١٢) للبيان.

﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام: لام التوكيد، قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿تَقَطَّعَ﴾: وسائل الاتصال، والصلة، والروابط، والمودة بينكم، والقربى.



﴿بَيْنَكُمْ﴾: وبين الأصنام والأوثان، والآلهة والأولياء، وما عبدتم من دون الله.

والبين: هو ما يفصل، أو يصل بين شيئين، أو اثنين، فإذا كان واصلاً يمكن أن تقطعه، وإذا كان فاصلاً يمكن أن تصله.

﴿وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: وضل: تاه، وغاب اليوم عنكم، الشركاء، وما تبحثون عنهم؛ للشفاعة.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ أي: الذين (الأصنام، والآلهة، وما عبدتم).

﴿كُنْتُمْ﴾: في الدنيا.

﴿تَزْعُمُونَ﴾: تقولون قولاً باطلاً، إنهم سيشفعون لكم، وينصروكم في الآخرة.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦

الجزء السابع

﴿٩٥﴾ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٦﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٩﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠١﴾ بَدِيعُ السَّمَنَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾

سورة الأنعام [الآيات ٩٥ - ١٠١]

[٩٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ ۚ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۚ﴾

المناسبة: بعد أن ذكر الله : أن عنده مفاتيح الغيب، وأنه العليم، بما يجري في كونه، وهو الذي يتوفاكم، وهو القاهر، والمنجي، والقادر، وأنه الواحد الأحد، كما ورد في قصة إبراهيم ، وما سيحدث حين الموت والبعث، يذكر بعض الآيات، والأدلة على قدرته في الخلق والإيجاد، ويبدأ بمثال فلق الحب والنوى، ثم ينتقل إلى مثال آخر، هو فالق الإصباح فيقول:

﴿إِنَّ ۙ﴾: حرف مشبّه بالفعل، يفيد التوكيد.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ﴾: فالق: أي: شاق الحب والنوى، ويعني ذلك: خالق الحب والنوى، فنبت به الزرع على اختلاف أصنافه، من الحبوب والثمار على اختلاف أشكالها.

﴿الْحَبِّ ۖ﴾: مثل القمح، والشعير، والأرز الذي ليس له نوى.

﴿وَالنَّوَىٰ ۖ﴾: له نواة؛ مثل: البلح، والخوخ، وقسم نجد له نواة، وداخل النواة شيء آخر، مثل: بذرة البطيخ.

﴿فَالِقُ ۖ﴾: صفة لذات الله ثابتة؛ أي: قبل أن يوجد الحب والنوى؛ الذي يفلقه كان فالقاً، وبعد أن وجد الحب والنوى؛ كذلك يفلقه.



وكذلك مخرج: صفة لذات الله، مثل: الرزق؛ أي: رزاق، قبل أن يوجد أي مخلوق يرزقه، وبعد أن خلقه يرزقه.

إذن: مثل هذه الأسماء والصفات؛ تدل على الثبوت.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾: قبل تفسير هذا الجزء من الآية؛ يجب أن نعلم: أن كل شيء خلقه الله فيه حياة؛ حتى الجمادات، مثل: الحجارة، والحديد، والمعادن؛ كل له حياته الخاصة به حتى تقوم الساعة، وكل شيء يسبح بحمد؛ لقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، وما دام كل شيء هالك؛ فكل شيء فيه حياة، فلا يعني أن الشيء إذا لم يتحرك أماننا، ويحس ليس فيه حياة، كما كان يعتقد القدماء؛ فالله يخاطب الأكثرية من الناس بمقدار علمهم على كون الشيء حياً أو ميتاً، وليس علمه بالأشياء، أو علم القلة من العلماء.

فالله سبحانه حين يقول: ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾، الميت الذي لا حس فيه، ولا حركة، فهو يخاطبنا، كما نفهم الأشياء، بشكل ظاهري.

وبمفهوم الإعجاز العلمي اليوم: لا يوجد شيء ميت، وإن كان لا حس له ولا حركة، مشاهدة بالعين، وبمفهوم الإعجاز العلمي اليوم: نستطيع أن نفسر ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: أي: يخرج الحي من الحي، ويخرج الميت (الحي) من الحي، فكل شيء فيه حياة. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (٢٧)؛ لمزيد من البيان.

مثال: نجد في كثير من كتب التفسير؛ تفسير هذه الآية بأنه يخرج الحي (الدجاجة) من الميت (البيضة)، البيضة في نظر الكثير تعتبر شيئاً ميتاً، وهذا غير صحيح بمفهوم العلم الحديث.



وإذا نظرنا إلى هذه الآية: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾: نجد كلمة يخرج ومخرج؛ فكلمة ﴿يُخْرِجُ﴾: فعل مضارع، والفعل يدل على التجدد، والتكرار، والاستمرار.

وكلمة ﴿وَيُخْرِجُ﴾: اسم (صفة): تدل على الثبوت، صفة ثابتة لذات الله، فبذلك جمع صفات الكمال التي تشمل التجدد والثبات معاً.

انتبه إلى قوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: جاء بالفعل ﴿يُخْرِجُ﴾: ثم قال: ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾: فجاء بالاسم (مخرج).

جاء بالفعل ﴿يُخْرِجُ﴾: مع الحي؛ لأن من أبرز صفات الحي: الحركة والتجدد، وجاء بالاسم ﴿وَيُخْرِجُ﴾: مع الميت؛ لأن أبرز صفات الميت السكون، وعدم الحركة؛ لأن من صفات الاسم: الثبوت؛ فهو يماشي السكون وحده (الموت).

﴿فَأَنِّي﴾: أنى: استفهام إنكاري، وفيها معنى الذم التعجب؛ أي: لا مبرر لكم؛ لعدم إيمانكم، وعبادتكم إياه وحده، و(أنى): تعني كيف، ومن أين لكم؟ ﴿تُؤْفَكُونَ﴾: من أفكه عن الشيء: صرفه عنه وقلبه، باستخدام الكذب كوسيلة.

فكيف تصرفون عن الإيمان به، وعبادته إلى عبادة غيره، أو تصرفون عن خالقكم، إلى غيره، فكيف حدث ذلك، أو من أين لكم هذا؟

[٩٦] ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾:

﴿فَالِقُ﴾: شاق، أو شاقق: ظلمة الليل؛ ليخرج النور.



﴿الْإِصْبَاحُ﴾: هو الضوء، أو النور؛ الذي نراه قبل شروق الشمس، هذا يسمى الإصباح، ويعني: الصبح.

وجاء بالاسم؛ فالق: ليدل على أن ذلك صفة ثابتة؛ لذاته، منذ الأزل، قبل أن يخلق الليل والنهار، والشمس والقمر.

﴿وَجَعَلَ آيَل سَكَنًا﴾: الجعل: يكون مرحلة تالية للخلق.

﴿آيَل سَكَنًا﴾: يسكن فيه الناس عن الحركة؛ للراحة والهدوء، وهذا من رحمة الله بالإنسان؛ لكي يرتاح ويعود نشيطاً في الصباح، ويزاول عمله مرة أخرى.

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْيَل لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧].

﴿جَعَلَ لَكُمُ الْيَل لِبَاسًا﴾ [الفرقان: ٤٧]، لباساً؛ أي: يستركم بظلامه، كما يستركم اللباس.

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾: حساباً؛ أي: لحساب الزمن بالساعة، والدقائق، والثواني، حساباً دقيقاً، لا يتغير، ولا يضطرب.

والشمس: تستعمل لحساب اليوم، والسنة.

والقمر: يستعمل لحساب الليلة، والشهر.

فدورة الأرض حول محورها (نفسها) دورة كاملة تحدد لنا اليوم.

ودورة القمر حول الأرض دورة كاملة تحدد لنا الشهر.

ودورة الأرض حول الشمس دورة كاملة تحدد لنا السنة.

وتختلف السنة القمرية عن السنة الشمسية بـ (١١) يوماً، وتوالي الليل



والنهار، وحركة الشمس والظل يحدد لنا الزمن، واليوم، والساعة. ارجع إلى سورة الإسراء آية (١٢) وسورة يونس، آية (٥) وسورة إبراهيم، آية (٣٣) وسورة الرحمن آية (٥)؛ لمزيد من البيان.

أما قوله: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ﴾ [الرحمن: ٥]، بحسبان هنا تعني: مخلوقتين بحساب دقيق من حيث الدوران، والحجم، والبعد عن الكواكب الأخرى والمجرات.

﴿ذَلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة، واللام: للبعد، ويشير إلى الحساب، أو الحسبان، من تقدير.

﴿تَقْدِيرٌ﴾: من قدرة، أو تقدير؛ أي: حساب.

﴿الْعَزِيزِ﴾: أي: القاهر، والغالب، والممتنع، والذي سخرهما: الشمس والقمر، وقهرهما.

وقوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْخَيْبِ وَالنَّوَى﴾، ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾: جمل اسمية؛ تدل على الثبوت.

﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾: جاء بالصيغة الفعلية التي تدل على التجدد، والتكرار.

﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ﴾: أي: سخر الليل والنهار، أو آية الليل والنهار إشارة إلى كروية الأرض، فالقسم المواجه للشمس يضيء بفضل وجود الطبقة الغازية المحيطة بالأرض، والتي سُمكها (٢٠٠ كم)، هذه الطبقة الغازية التي إذا وقع عليها ألوان الطيف، أو حزمة الشمس المضيء أخرجت لنا نور الشمس الأبيض، وأما القسم من الأرض، أو النصف غير المقابل للشمس فيكون فيه الليل.



[٩٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر الحقيقي، والتوكيد.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول.

﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾: الجعل يأتي بعد الخلق، والجعل يعني: التصيير، وجعل؛ تعني: صير، واللام: لام الاختصاص؛ أي: لكم خاصة.

﴿النُّجُومُ﴾: جمع نجم، والنجم هو: كتلة مشتعلة تضيء ما حولها؛ كالشمس، ويقدر علماء الفلك: أن في مجرتنا سَكَّةَ التَّبَانَةِ نحو تريليون نجم.

﴿لِتَهْتَدُوا﴾: اللام: لام التعليل، والتوكيد للهداية، ومعرفة الاتجاهات والسير، سواء كان في البر، أم في البحر.

﴿بِهَا﴾: الباء: للإلصاق.

﴿فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾: في الأماكن النائية، والمظلمة؛ حيث لا يعرف شمالها من جنوبها، وشرقها من غربها، كما هي الحال في الصحارى والبحار.

﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿فَضَّلْنَا الْآيَاتِ﴾: بَيَّنَّاها بأساليب متعددة، الآيات الكونية، مثل: الشمس، والقمر، والليل، والنهار، والنجوم، ارجع إلى آية (٥٥) من نفس السورة؛ للبيان.

﴿لِقَوْمٍ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يعلمون: كون الشمس والقمر حُسباناً وجعل الليل سكناً والشمس يدل على كروية الأرض؛ فهذه الأمور لا يعلمها حقيقة إلا نخبة من



العلماء ولذلك قال تعالى: ﴿لَقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: فصلناها؛ كي يدركها، وينظر إليها الذين درسوا العلم الفلكي، والعلوم الكونية، ثم يستدلون بها على وحدانية الله، وقدرته العظيمة.

بعد ذكر الآيات الكونية ينتقل إلى ذكر آيات الخلق.

[٩٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَوْعٌ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر، والتوكيد؛ أي: هو وحده ﴿الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول.

﴿أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: الإنشاء: هو الإيجاد، والخلق، والإحداث؛ أي: أنشأكم خلقاً من بعد خلق.

﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: أي: من نفس واحدة؛ أي: ذات واحدة، هي التي خلق منها آدم، وحواء، فالكل خلق من نفس واحدة. ارجع إلى سورة النساء، آية (١)؛ للبيان.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية.

﴿فَمُسْتَوْعٌ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾: فمستقر: الفاء: عاطفة؛ أي: أودع الله كل ذرية آدم في صلب آدم، فآدم هو المستقر، وحواء هي المستودع، أو بالعكس؛ أي: مستقر في أصلاب الرجال (الآباء)، ومستودع في أرحام الإناث (الأزواج)، أو مستقر في الأرض، على ظاهر الأرض، ومستودع في القبور؛ باطن الأرض. مستقر لها حين تكون حية، ومستودع لها بعد الموت.



﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾: أي: لم نأت بها مجملة، ارجع إلى الآية السابقة (٥٥)؛ للبيان.

﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾: الفقه لغةً: هو الفهم، اصطلاحاً: هو معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية مثل القرآن والسنة والإجماع والقياس وغيرها، ويعني: الفهم الناجم عن التأمل، والنظر، والفهم مرحلة تسبق مرحلة العلم؛ فهذه الآيات تحتاج إلى: فهم وتدبر وتفكر لذلك قال تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾، ولا يفقهه الكل يفقهون قدرة وعظمة الخالق، وأنه الإله الحق الذي يجب أن يُعبد ويطاع بينما الآيات في الآية (٩٧) تحتاج أو ينتفع بها قوم يعلمون (فئة خاصة من العلماء بعلم الفلك والنجوم)، وإما الآيات في الآية (٩٩) ينتفع بها أو خاصة بالقوم المؤمنين. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٨) لمزيد من البيان.

[٩٩] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَهُوَ الَّذِي﴾: وهو: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر والتوكيد؛ أي: هو وحده الذي أنزل.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول؛ يفيد التعظيم.

﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: أي: أنزل من السحب ماءً؛ أي: المطر، والسحاب يسمّى السماء؛ لأن تعريف السماء: هو كل ما يعلو الإنسان يسمّى سماء، وهذا الإنزال نتيجة دورة الماء حول الأرض، يبدأ ببخار الماء، تحمله الرياح، تشكل السحب المنبسطة، ثم الركامية؛ التي تنزل المطر بعد تلقيحها برياح تحمل هباءات الغبار.



﴿فَأَخْرَجْنَا﴾: السياق كان يقتضي أن يقول: فأخرج، ولكن جاء بصيغة الجمع: فأخرجنا؛ للتعظيم، أو لأنه سبحانه لا ينسى من حرث الأرض، وبذرهما، وسقاها، وهياها، وحصدها.

وهذه الأعمال كلها: من الأخذ بالأسباب؛ للوصول إلى الغاية والهدف، فلا بُدَّ للإنسان من القيام بها، ومن فضله أن أشرك الإنسان بعملية الإخراج.

﴿رَبِّهِ﴾: الضمير يعود على الماء؛ أي: أخرجنا بالماء.

﴿نَبَاتٌ كُلُّ شَيْءٍ﴾: فكل نبات لا بُدَّ له من الماء؛ ليخرج وينبت، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

والنبات لا ساق له.

﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾: فأخرجنا من النبات.

﴿خَضِرًا﴾: لا تعني اللون الأخضر، كما يظن الكثير من الناس، فلو أراد بها اللون الأخضر لقال: فأخرجنا منه نبات أخضر، وخُضر، وإنما تعني: مادة اليخضور التي أعطاها الله القدرة على امتصاص الطاقة من أشعة الشمس، ثم تمتص الماء من الأرض، فتحلله بالطاقة إلى ذرتين من الهيدروجين، وذرة من الأوكسجين، وتحفظ بذرتي الهيدروجين، وتطلق الأوكسجين إلى الجو؛ ليتنفسه الإنسان، والحيوان، وتأخذ ثاني أوكسيد الكربون من الجو، وتحلله بطاقة الشمس إلى كربون، وذرتي أوكسجين؛ تطلق ذرتي الأوكسجين إلى الجو؛ ليتنفسها الإنسان والحيوان، وتحفظ بذرة الكربون، ثم تربط بين ذرتي الهيدروجين والكربون، وتشكل السلاسل الغذائية من المواد السكرية، والدهنية، والسلولوز، وغيرها، فمادة اليخضور: هي المادة التي يصنع لنا ربنا منها الثمرات.

﴿تُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾: كما في سنابل القمح والشعير.



﴿مُتَرَاكِبًا﴾: مرصوص، بعضه على بعض.

﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قَنَوانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾:

﴿مِن طَلْعِهَا﴾: هو الثمرة الأولى للنخلة، قبل أن تنشق، ويخرج منها القنوان.

﴿قَنَوانٌ دَانِيَةٌ﴾: مفردها: قنو، أو العرجون الذي يحمل المشاريخ التي تحمل البلح (التمر)، كعنقود العنب.

﴿دَانِيَةٌ﴾: قريبة، يمكن قطفها باليد مباشرة، وهناك قنوان بعيدة، لا يمكن أن تصل إليها اليد أو محاطة بالشوك صعب الوصول إليها.

وفي سورة (ق) الآية (١٠): ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّهَاطِلٍ مُّضِيَّاتٍ﴾.

﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾: واختار من بين الثمار: الزيتون والرمان.

فالزيتون: الذي يستخرج منه زيت الزيتون؛ لكونه يحتوي على نسبة عالية من الحموض الدهنية غير المشبعة التي تقي من تصلب الشرايين، وأمراض القلب، وارتفاع الضغط، ومقاومة السرطانات، وأمراض المفاصل، ومقاومة ضعف الذاكرة... وغيرها.

وأما الرمان: فثمرته تحتوي على تركيز عالٍ مضادة للأكسدة، وهو يستعمل في علاج قرحات المعدة، ومقاومة السرطانات، وأمراض ضعف الذاكرة.

ما هو الفرق بين مشتبهاً ومتشابهاً؟

مشتبهاً: التشابه بأوجه كثيرة: (طول، وعرض، ولون، وطعم، وحجم)، أو على الأقل وجهان، أو أمران.

فلوجود هذه الأوجه من التشابه يلتبس الأمر على الإنسان.



وأما متشابه: فالتشابه بوجه واحد فقط، أو معنى واحد، إما الطول، أو العرض، أو اللون، أو الطعم، فقط.

فالتشابه: ينقسم إلى نوعين: تشابه في أمر، أو وجه من الوجوه، ويسمى ذلك متشابه.

أو تشابه في أكثر من وجه (وجهين أو أكثر)؛ يسمى مُشْتَبِهًا.

وأما غير المتشابه: فليس فيه أيُّ أمر، أو وجه من التشابه.

﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانُ﴾: بأكثر من أمرين، أو جهين على الأقل بعدة أوجه، أو أمور.

﴿مُشْتَبِهًا﴾: في ورقه، وأغصانه، ولكن يختلف في ثمره، هذا زيتون، وهذا رمان، ونلاحظ قدم الحب على أربعة أنواع من الأشجار: النخيل، والعنب، والزيتون، والرمان؛ لأن الزرع هو: الغذاء العام، وقدم التمر على الفواكه والعنب حسب الأهم.

﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

﴿وَيَنْعِهِ﴾: أكثر نضجاً، والينع: النضج، انظروا إلى ثمره إذا أثمر، وإلى نضجه، مرحلة التطور، ثم مرحلة النضج، وهي الينع.

﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾: بتدبر، وتأمل، وقدرة الله سبحانه، وعظمته على الخلق، ولم يذكر الأكل هنا في الآية.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: ﴿١٢﴾

﴿فِي ذَلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة، لم يقل: ذلك؛ لأن ﴿ذَلِكَ﴾: أكد من ذلك، و﴿ذَلِكَ﴾: للأكثر، والجمع، والتوكيد.



﴿لَا يَنْتِ﴾: اللام: لام الاختصاص، والتوكيد، جمع آية، فيها آيات كثيرة خاصة بالقوم المؤمنين.

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: لقوم: اللام لام الاختصاص؛ أي: هذه الآيات، هي دلائل على وحدانية الخالق، وقدرته، وعظمته؛ تفيد أو يقر بها المؤمنون فهي من نوع النعم.

ولا بُدَّ من مقارنة هذه الآية (٩٩) مع الآية (١٤١) من سورة الأنعام.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

الآية (١٤١): تذكر متشابهاً، وغير متشابه؛ أي: متشابه بوجه من الوجوه، أو أمر من الأمور فقط.

وغير متشابه؛ أي: بلا أي وجه، أو أمر من التشابه.

في هذه الآية: يذكر الأكل، فيقول: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾، فالآية (٩٩): جاءت في قدرة الله وعظمته لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ يُخْرِجُ الْحَى مِنَ الْمَيِّتِ ﴿السياق والتدبر، والإيمان، والعقيدة، والوحدانية، والآية (١٤١): جاءت في سياق الأكل، وعدم الإسراف، والانتفاع بها، وبما أن الإيمان والعقيدة أهم من الأكل والشرب، ولذلك كل آية لها غاية وهدف يختلف عن الآخر، فالآية (٩٩) هدفها التدبر والإيمان والآية (١٤١) هدفها عدم الإسراف ودفع الزكاة.



[١٠٠] ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾:

﴿وَجَعَلُوا﴾: الواو: استئنافية، جعلوا: من الجعل، من أفعال القلوب؛ أي: تعني: التصيير، والتحويل.

وجعلوا: يعود على المشركين؛ فهم: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾: الجن، وهم الشياطين كفره الجن.

فالشياطين (كفرة الجن)، زينوا للمشركين عبادة الأوثان، والأصنام، فأطاعوا الشياطين؛ فعبدوا الأصنام، والأوثان، وعظموها؛ كما عظموا الله.

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾: أي: هؤلاء المشركون، يعلمون أن الله خلقهم، وخلق الجن، وخلق الملائكة، ومع ذلك عبدوهم، وجعلوهم شركاء لله، فكيف يكون المخلوق شريكاً للخالق؟

وهناك من العلماء من يظن أن في هذه الآية تقديماً، أو تأخيراً، له فائدة في التوسُّع في المعنى.

فلو قال: وجعلوا الجن شركاء لله؛ لنقص المعنى.

إذن: لماذا التأخير والتقديم؟ هنا يفيد التوسُّع في المعنى.

فالآية تعني: إنكار أن يكون لله شريك: من الجن، أو غير الجن.

ولو قال: جعلوا الجن شركاء لله؛ تعني: أنكر الجن أن يكونوا شركاء لله، وأما غير الجن، فلا يستبعد ويستنكر أن يكونوا شركاء لله، وقد يظن أنه يجوز، أو مباح، ولذلك جاءت بهذه الصيغة؛ لتحمل المعنيين معاً.

﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾:



﴿وَحَرْقُوا﴾: من الخرق: الذي يعني الشق والقطع أو الخرق: هو عمل فجوة في شيء طبيعي سليم؛ أي: سبحانه لم يلد ولم يولد اختلقوا له بشيئين وبنات وكان من المفروض عليهم أن يعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو أشركوا به لبث الفساد من غير تعقل وتدبر وفهم وقد تعني: اختلقوا؛ أي: الكذب، ومن دون علم؛ أي: افتروا الكذب، واختلقوه، وأخرق؛ تعني: أحقق، يخلق الأشياء.

﴿لَهُ بَيْنٌ﴾: المسيح ابن مريم، أو العزيز عليهما السلام.

﴿وَبَنَاتٍ﴾: أي: الملائكة كما افترى مشركو العرب، كانوا يقولون: الملائكة بنات الله سبحانه.

﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾:

﴿سُبْحَنَهُ﴾: تنزيه لله عن الشرك، والنقص، وعما يصفونه به، مما لا يليق بكماله؛ من الولد، والبنات، والند، والمثيل. ارجع إلى سورة الإسراء، آية (١)؛ لمزيد من البيان.

وتنزيه ثابت قبل أن يوجد من ينزهه، أو يسبحه .

﴿وَتَعَالَى﴾: عن الشريك، والولد، والند، والنظير، تعالى على كل شيء؛ بقدرته، علو الذات، والقدرة، والقهر، علو الكبرياء، والعظمة، والجلال الأعلى؛ الذي لا يعلوه أحد.

﴿عَمَّا﴾: عن: حرف جر، ما: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿يُصِفُونَ﴾: من الشريك، والولد، وغيره.



[١٠١] ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: خالق السموات والأرض، على غير مثال سابق.

والإبداع: هو إنشاء الشيء ابتداءً، وعلى غير مثال سابق.

﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾: أنى للاستفهام، وأنى: تعني كيف، ومن أين، ومتى، وللتعجب، واستعمال (أنى): للدلالة على التوسع في المعنى؛ أي: كيف كان له ولد، ومن أين، ومتى كان ذلك؟

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾: أي: زوجة، (لم): تفيد نفي المستمر؛ الذي لم ينقطع، ولن ينقطع.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: الخلق يعني: التقدير، والإيجاد.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر، والتوكيد.

﴿بِكُلِّ﴾: الباء: للإلصاق، والاختصاص.

﴿شَيْءٍ﴾: أي شيء (نكرة)، مهما كان نوعه، وحجمه، وشكله، ولونه.

﴿عَلِيمٌ﴾: أحاط علمه بجميع خلقه، ويعلم ما يقولون، ويفعلون، وما يسرون، وما يعلنون، وما يشركون ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ [سبأ: ٣].





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦

الْبَقَرَةُ السَّادَّةُ

ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١﴾ لَا تَدْرِكُهُ
الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿٢﴾
قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ
فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ ﴿٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ
الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾
اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٥﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
حَفِظًا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا
لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ
لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا
جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٩﴾



سورة الأنعام [الآيات ١٠٢ - ١١٠]

[١٠٢] ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾:

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: اسم إشارة؛ يفيد الجمع؛ لأنه سبقها قوله خالق كل شيء، والتوكيد، والتعظيم مقارنة بقوله ذلك.

﴿اللَّهُ رَبُّكُمُ﴾: جمع للألوهية، وللربوبية معاً.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا: النافية؛ أي: لا إله إلا هو؛ حصراً، وقصراً، لا معبود إلا إياه. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥٥)؛ للبيان.

﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾: الشيء: كل ما يعلم ويخبر عنه سواء أكان حسياً أم معنوياً، ويعني أقل القليل، وشيء نكرة؛ تشمل كل شيء، مهما كان نوعه، وشكله، وحجمه. ارجع إلى الآية (١) من نفس السورة؛ لبيان معنى الخلق.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يدل على التوكيد.

﴿وَكَيلٌ﴾: أي: هو الوكيل على كل شيء؛ أي: الكافي المتولي، والقائم، والمدير لكل شيء، والمعين عليه، سواء اختار المخلوق، أم لم يختار.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: أي: الله وكيل عليك، وليس وكيلاً لك؛ لأن الوكيل لك: ينفذ أوامرك، وقيل: فلان وكيل لفلان.

أي: ينفذ ما يريد، أما الحق؛ فإنه وكيل على كل شيء؛ أي: أعلم بما



يناسب كل إنسان، فيستجيب له، أو لا يستجيب له حسب ما تقتضيه إرادته ، ومشيتته وحكمته تعالى.

وفي هذه الآية: نجده قدّم ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ على ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾. بينما في سورة غافر، آية (٦٢) قدّم ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ على ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، وذلك لأن آية الأنعام جاءت في سياق التوحيد، ونفي الشرك، والصاحبة، والولد، فقدّم كلمة التوحيد لا إله إلا هو، بينما في آية سورة غافر؛ فقد جاءت في سياق الخلق، وتعداد النعم؛ كقوله: ﴿لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٦٢]، ولذلك قدّم خالق على لا إله إلا هو.

[١٠٣] ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾:

﴿لَا﴾: النافية.

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾: أي: لا تحيط به الأبصار أي إحاطة؛ لأن إذا أحاطت به الأبصار؛ صار مقدوراً عليه.

وهناك فرق بين الرؤية والإدراك؛ الإدراك: أقوى من الرؤية؛ فقد ترى شيئاً ما، ولكن لا تدركه؛ أي: تحيط به علماً، ورؤية كاملة.

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾: سواء أكانت العيون، أم العقول، لن يدركه عقل، أو بصر أبداً، لا في الدنيا، ولا في الآخرة.

أما رؤية الله في الآخرة: فهي حق، ولكن ليست رؤية إدراك، بل رؤية عن بعد، والله أعلم كيف تكون.

﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾: يدرك سبحانه أبصار خلقه، وعقولهم؛ لأنه يحيط بخلقهم إحاطة تامة.

﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾: اللطيف: يعلم بمخفيات الأمور، ودقائق الأشياء، والوصول إليها بدقة ولطف.

واللطيف: من لطف، والشيء حين يدق ويصغر؛ يقال له: لطف؛ أي: كلما دق؛ أي: لطف، فهو يعلم كل شيء؛ مهما دق وصغر في الحجم، أو الاختفاء، واللطيف تعني كذلك: حسن المعشر، يرفق بعباده.

﴿الْحَيُّرُ﴾: العليم ببواطن الأمور، وذات الصدور، وكل الجوانب.

وأما الرؤية التي أخبر الله عنها عباده، فقال: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]؛ رؤية لا يعلم حقيقتها إلا الله وحده.

[١٠٤] ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ۖ﴾

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: بصائر: جمع بصيرة، والبصائر: البينات، تشمل آيات القرآن، والأصح: الحجج، والمعجزات، والبراهين التي تهدي إلى الحق. ارجع إلى سورة الجاثية آية (٢٠) لمزيد في معنى بصائر.

وقيل: البصيرة: هي النور الذي يبصر به القلب، كما أن البصر هو النور الذي تبصر فيه العين، وهي البرهان القاطع الذي لا يترك في الحق لبساً.

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: للتوكيد، من: شرطية.

﴿أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾: أي: نفع نفسه من اهتدئ بهذه البصائر؛ أي: الآيات، فلنفسه أفاد نفسه.

﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾: ضرّ نفسه؛ أي: من أعرض عن الحق، وضلّ؛ فإنما يضل على نفسه؛ أي: عاقبة ضلاله، ووبال أمره يعود عليه وحده.

كقوله: ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: ١٥]؛ لأن الله سبحانه غني عن خلقه، وعن طاعتهم.

﴿وَمَا أَنَا﴾: الواو: عاطفة، وما: النافية، أنا: تعود على رسول الله ﷺ.



﴿حَفِظْ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد، حفيظ؛ أحصي لكم أعمالكم، وأجازيكم عليها، أو رقيب عليكم، أو قادر على أن أحرسكم، أو أحفظكم من المهالك، ومكائد الشيطان، ومصارع السوء، أو أحميكم من الوقوع في الذنوب. [١٠٥] ﴿وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾:

أي: كما بيّنا في الآيات السابقة؛ أي: صرفناها؛ كذلك نصرّف الآيات الأخرى، ونبيّنُها بأساليب مختلفة، وهكذا يتبيّن لكم الحق.

﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾: اللام: لام التعليل، أو التوكيد، ليقولوا: الذين كفروا، أو المشركون، إذا سمعوا هذا البيان والتصريف: أنك درست على أهل الكتاب اليهود، وتعلمت منهم، وتعني: كثرة القراءة، أو تعلمت على بشر، أو قرأت، أو تعلمت من غيرك، أو دارست غيرك، ولم يوح إليك، وأصل درست: من درس الكتاب إذا أكثر من قراءته، أو من درس الحنطة يدرسها مرات عديدة؛ أي: داسها لكي يفصل القشر عن الحب.

﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾: اللام: لام التوكيد، نبينه: فعل مضارع؛ يعني: القرآن الكريم: نوضحه.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: اللام: لام الاختصاص، هذا التصريف يفيد الذين يعلمون، أهل العلم، فيتبعون أحسن ما أنزل إليهم، من ربهم، أما الجاهلون، فلا ينتفعون به، ولا يريدون سماعه.

[١٠٦] ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَعَرِّضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: أي: القرآن، واعمل به، واستمر على رسالتك به، فإن ما أوحى إليك: هو الحق؛ لأنه لا إله إلا هو. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥٥)؛ للبيان.

﴿وَعَرِّضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾: أي: لا تعتد بأقوالهم الباطلة، ولا تبال بها، مثل



قولهم: درست، أو تعلمت، أو قولهم: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، ولمعرفة معنى أوحى إليك؛ ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣).

[١٠٧] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: عاطفة، لو: شرطية.

﴿مَا أَشْرَكُوا﴾: أي: جعلهم مؤمنين، أو أنزل عليهم آية، اضطرتهم إلى الإيمان قهراً، ولكن الله ترك لهم الخيار.

﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾: وما: الواو عاطفة، ما: نافية.

﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾: أي: رقيباً عليهم، أو تحفظ أعمالهم، وأقوالهم، أو تحفظ لهم حياتهم، موكل إليك رزقهم، وحسابهم. ارجع إلى الآية السابقة (١٠٤)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾: وما تكررهما يفيد تأكيد النفي.

﴿بِوَكِيلٍ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد، والوكيل؛ أي: موكل بتدبير شؤونهم، أو قيم على شؤونهم، أو نفوض إليك أمرهم؛ كي ترغمهم على الإيمان.

إذن: ما أنت عليهم بحفيظ، ولا بوكيل، ولا كليهما، وما عليك إلا البلاغ المبين.

[١٠٨] ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَلَا تَسُبُّوا﴾: أي: ولا تسبوا، لا: الناهية، لا تسبوا الذين يعبدون، أو يدعون من دون الله، أو تسبوا آلهتهم؛ فيكون ذلك سبباً لهم لسب الله سبحانه، والسب: يشمل الكلام القبيح، أو الشتم، والذم، والهجاء، والعيب.

﴿عَدَوًّا﴾: أي: ظلماً، ظلماً بجهل، أو تسرعاً، والعَدُو: الاعتداء، والتجاوز، وعداء؛ أي: ظلم.



﴿بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾: جهلاً منهم؛ بما لله سبحانه: من حق، وتقديس، وقدر.

وفي هذه الآية: يتبين الأدب القرآني في عدم السب؛ لأنه قد يكون سبباً في بعدهم عن الإسلام أكثر فأكثر، ويكون وراء ذلك مفسدة، وهذا يعلمنا اللطف في منهج الدعوة؛ لأن الوسيلة هي أن تستميل القلوب للإسلام.

﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿كَذَلِكَ﴾: أي: كما زينا لهؤلاء القوم، حب آلهتهم، والانتصار لها، والدفاع عنها، وعدم الرضا بسبها.

﴿زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾: من الأمم عملهم: من خير أو شر، أو الإيمان والكفر، أو التوحيد والشرك، والمزين هنا هو الشيطان، أو الله سبحانه. انظر إلى الملحق.

وتعريف الأمة: جماعة من الناس، تجمعهم عقيدة واحدة، أو دين واحد، أو مبادئ وأسس اجتماعية غير ربانية.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: تقديم الجار والمجرور؛ يفيد الحصر، حصراً إلى الله مرجعهم.

﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق.

﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: في الدنيا بإخراج صحائف أعمالهم التي تشمل الأقوال والأفعال.

والسؤال في هذه الآية؛ من هو المزين؟

التزين يأتي من الله سبحانه، أو من الشيطان، أو أحياناً يكون فعل التزين مبنياً للمجهول، فالله: هو المزين للأعمال الحسنة، أعمال البر، والتقوى، والخير، والإحسان التي تزيد في هداية المؤمن، وتقواه، وأما الشيطان وأتباعه:



فهو المزين لأعمال السوء، أعمال الشرك، أو الضلال، والغواية، والمعصية، والعدوان، والشر، والظلم.

[١٠٩] ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

سبب النزول: كما جاء في الطبري: كلّم رسول الله قريشاً، فقالوا: يا محمد! تخبرنا أن موسى كان معه عصاً يضرب بها الحجر، وأن عيسى كان يحيي الموتى، وأن ثمود لهم الناقة، فأتتنا من الآيات حتى نصدقك؛ فقال رسول الله ﷺ: أي شيء تحبون أن آتيكم به؟

قالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً، قال فإن فعلت؛ تصدقوني؟ قالوا: نعم والله، فقام رسول الله يدعو، فجاءه جبريل فقال له: إن شئت أصبح ذهباً؛ فإن لم يصدقوا عند ذلك لنعذبَنهم؛ أي: عذاب الاستئصال، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم، فقال ﷺ: أتركهم حتى يتوب تائبهم؛ فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾: أي: مشركو قريش.

﴿بِاللَّهِ﴾: الباء: باء الإلصاق.

ومن خصائص القرآن: أنه يستعمل القسم في سياق الصادقين في أيمانهم، والقسم؛ حتى ولو كانوا غير مؤمنين، أو يوهمون الناس: بأنهم صادقون، ويستعمل الحلف: (ليحلفن) في سياق المنافقين، والكاذبين في أيمانهم؛ أي: ظاهرهم الإخلاص والبر في القسم وباطنهم غير ذلك. ارجع إلى سورة التوبة، آية (٥٦)؛ لمزيد من البيان والفرق بين القسم والحلف.

﴿جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾: أي: أقسموا بالله، أبلغ الأيمان، وأغلظها، وأجهدوا أنفسهم في صيغة القسم؛ لكي تصدقوهم.

﴿لَئِنْ﴾: اللام: للتوكيد، وإن: شرطية، تفيد الاحتمال، أو الندرة.



﴿جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾: معجزة، كما طلبوا؛ كتحويل جبل الصفا إلى ذهب، أو كما سألوا: أن تفجر لهم من الأرض ينبوعاً، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب، أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً.

﴿لَيُؤْمِنَنَّ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿بِهَا﴾: ليؤمننَّ بها؛ أي: بالآية (بالمعجزة)، ولم يقولوا: ليؤمننَّ بك؛ مما يدل على نيتهم السيئة.

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد الحصر والتوكيد.

﴿الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: المعجزات بيد الله، عند الله، وليست عندي؛ فهو القادر على أن ينزل آية، أو آيات.

﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: للاستفهام، والنفي، والسؤال مُوجَّه إلى المؤمنين، ورسول الله ﷺ؛ الذين كانوا يطمعون في إسلام هؤلاء الكفار.

﴿يُشْعِرُكُمْ﴾: الإشعار: يعني: الإعلام، أشعره أعلمه.

﴿أَنَّهَا﴾: أن: للتوكيد؛ أي: ما يعلمكم أو يدريكم ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: أنزلها الله سبحانه عليهم ولم يؤمنوا؛ فالله سبحانه وحده يعلم الغيب، وأنتم لا تعلمون؛ فهو يعلم أنهم لا يؤمنون؛ حتى ولو نزل عليهم ما طلبوه، ولذلك لن ينزل عليهم ما طلبوه.

[١١٠] ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾:

﴿وَنُقَلِّبُ﴾: من التقليب: هو التحول من حالة إلى حالة أخرى، فتصبح لا تعي، ولا تفهم.



﴿أَفْتَدَتْهُمْ﴾: الأفتدة: جمع فؤاد، والفؤاد؛ قيل: هو القلب؛ أي: قلوبهم. ارجع إلى سورة الحج، آية (٤٦)؛ للبيان العلمي، وارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٧٩).
 ﴿وَأَبْصَرَهُمْ﴾: جمع بصر، فلا تبصر، ولا ترى؛ ما ينفعها، أو البصيرة: منطقة البصيرة في الدماغ.

أي: لو أنزلنا عليهم آية كما سألوا، وكما تتمنون أنتم أيها المؤمنون؛ طمعاً في إسلامهم، فنحن قادرون على أن نقلب أفئدتهم، وأبصارهم عن الإيمان، فلا يؤمنوا بالله، ولا بالقرآن، ولا بمحمد ﷺ؛ أي: قادرون أن نحول بينهم، وبين الهدى، فلا يؤمنوا، كما لم يؤمنوا سابقاً قبل نزول الآية؛ أي: أول مرة، أو نقلب أفئدتهم، وأبصارهم عن الإيمان بالآيات كما لم يؤمنوا أولهم من الأمم الخالية حين أنزلنا عليهم الآيات أول مرة، الكاف: للتشبيه.

﴿لَوْ﴾: نافية، به تعود إلى القرآن، أو محمد ﷺ، أو بالآيات.

﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: أي: نتركهم، أو ندعهم.

﴿فِي﴾: ظرفية، تدل على كونهم منغمسين في الضلال، والكفر من قبل، ومن بعد ما سألوا، ومع ذلك فهم يزدادون كفراً، وضلالاً.

﴿طُغْيَانِهِمْ﴾: الطغيان: مجاوزة الحد في الضلال، والكفر، والظلم، والعصيان، ومنع غيرهم من الدخول في الإسلام.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: من العمه، والعمه هنا يكون في البصيرة، يقابل العمى؛ الذي يكون في البصر، أو العين، فهم الذين اختاروا العمه، عمى البصيرة، والحيرة، والتردد.





الجزء الثاني

سورة الأعراف ٦

﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ (١١١) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِنَصْغِي إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَكُمْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾



سورة الأنعام [الآيات ١١١ - ١١٨]

[١١١] ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَيْنَا وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْقِنَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾:

سبب النزول: رُوِيَ عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ أتاه جماعة من كفار مكة وزعمائها؛ فقالوا له: أرنا الملائكة يشهدون بأنك رسول الله، أو ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم: أحقاً ما تقول أم باطلاً؟ أو اثنتا بالله، والملائكة قبيلاً؛ فنزلت الآية.

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَيْنَا﴾: ولو: الواو: استئنافية، لو: شرطية.

﴿أَنَّا﴾: بدل أنا؛ للتوكيد، والتعظيم.

ولو استجبنا لمطالب هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها.

﴿وَنَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَيْنَا﴾: ورأوهم بأعينهم، وسمعوا شهادتهم لك بالرسالة والنبوة.

﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْقِنَ﴾: الذين يعرفونهم بعد إحياء الله لهم من جديد.

﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾: حشرنا: جمعنا؛ أي: أحضرنا لهم الآيات، والحجج، يُزاحم بعضها بعضاً، كما يطلبونها.

﴿قُبُلًا﴾: مواجهة، ومعاينة، ومقابلة؛ أي: وضعنا أمام أعينهم كل آية أو كل ما طلبوه من الآيات من القبل الذي هو أمامك، والدبر: هو الذي خلفك.



﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾: شيء: نكرة، تضم كل شيء طلبوه من الآيات، والدلائل.

﴿مَا﴾: نافية.

﴿كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: أي: لن يصدقوك، ويؤمنوا بما جئت بإرادتهم، ورغبتهم.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: أن يهديهم إذا اختاروا الإيمان لأنفسهم (الإيمان الاختياري)، أو يجبرهم على الإيمان قسراً، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١١٢) التالية من نفس السورة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾: نجد أن اسم الجلالة الله جاء في سياق الإيمان ونفي الشركاء، واسم الرب جاء في سياق الحفظ لرعاية.

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾: يجهلون: أن الهداية بيد الله وحده، وليست بأيديهم، كما زعموا إذا رأوا آية؛ ليؤمننَّ، وإذا لم يروا آية: لا يؤمنون؛ فالله سبحانه قادر على أن يريهم آية، أو أكثر، ولا يؤمنون.

أو هو سبحانه قادر على أن يجعلهم يؤمنون من دون رؤية أي آية، لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء.

وهناك القلة الذين لم يصفهم بالجهل؛ لأنهم سوف يؤمنون حين يرون الآيات، أو غيرها، ولكن بمشيئة الله. ارجع إلى سورة الزمر آية (٦٤) لمزيد في معنى يجهلون، وسورة الفرقان آية (٦٣).

[١١٢] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾:

﴿وَكَذَلِكَ﴾: الواو: استئنافية، كذلك؛ أي: كما جعلنا لك عدوًّا، أو أعداءً يخالفونك، ويعادونك؛ جعلنا للأنبياء من قبلك عدوًّا، أو أعداءً.

والسؤال هنا: كيف نفهم هذه الآية بأن يجعل الله لكل نبي عدوًّا، شياطين الإنس والجن؟ وفي سورة الفرقان، الآية (٣١) قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

وكذلك قوله في سورة غافر، الآية (٥١): ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾، والجعل هنا لا يعني أن الله جعلهم بطبيعتهم أعداء، أو الله سبحانه فرض عليهم، أو ألزمهم، أو صيرهم، بأن يكونوا أعداء.

ولكن الله أودع فيهم، وأعطاهم العقل، وحرية الاختيار، فاختاروا هم أنفسهم أن يكونوا أعداء، ومجرمين للأنبياء والرسل، وهناك بشر أمثالهم؛ اختاروا أن ينصروا الرسل، ويؤمنوا بهم، ويصدقوهم، بدلاً من أن يكونوا أعداء، وإذا سألت: لماذا تركهم يختارون أن يكونوا أعداء، وكان باستطاعته منعهم؟ لأن له القدرة المطلقة.

الجواب: لكان منعهم، سيكون قسراً وقهراً، والله لا يريد أن يقهر عاقلاً؛ فقد قال تعالى في سورة البقرة، آية (٢٥٦): ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، فلا يحدث شيء في الكون إلا بحكمة؛ فهو أحكم الحاكمين، قد يتداخل سبحانه حين يشاء، وكيف يشاء؛ لينصر رسولاً، أو نبياً، أو مظلوماً.



﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا﴾:

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾: الوحي: هو إعلام بخفاء، ويعني: يوحى بعضهم إلى بعض، شيطان من الإنس يوحى إلى إنسي، أو شيطان من الجن يوحى إلى الإنس.

والوحي هنا يعني: الوسوسة، والتزيين، والإغراء؛ أي: يزينون لهم فعل الأعمال القبيحة، والمعاصي، والفواحش، والمنكر، والقتل. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لبيان معنى الوحي.

﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾: الزخرف: هو أصله الذهب، والزخرف: يطلق كذلك على الزينة، وزخرف القول غروراً: هو الباطل والخداع.

زخرف القول: الكلام المزين، والأوهام، والذي يحمل الأمانى الباطلة. ﴿غَرُورًا﴾: خداعاً، وباطلاً. ارجع إلى سورة فاطر، آية (٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: عاطفة، لو: شرطية.

﴿شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾: أي: ما فعلوا الإيحاء بزخرف القول غروراً، والتزيين، والوسوسة بالباطل، والخداع، وإنما كان ذلك للابتلاء والفتنة، وربط المشيئة بالربوبية، ولم يربطها بالألوهية، كما ربطها بالألوهية في الآية السابقة.

وربط المشيئة بالألوهية في سياق آيات التوحيد، والعبادة، والإيمان، وربط المشيئة بالربوبية في سياق المعاصي، والوسوسة، والإغراء.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾: إضافة الرب إلى الضمير العائد إلى النبي ﷺ؛

لتشريف مقامه ﷺ؛ ارجع إلى الآية السابقة (١١٢) للمقارنة بين قوله تعالى: (ولو شاء ربك)، وقوله تعالى: (ولو شاء الله).

﴿فَذَرَهُمْ﴾: أي: اتركهم، ودعهم؛ تعود على كفار مكة.

﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: الافتراء: هو الكذب المتعمد، المختلق.

أي: اتركهم يا محمد ﷺ، و(ما): اسم موصول، أو مصدرية؛ يفترون من أساليب التزيين، والوسوسة، والكذب، والباطل.

[١١٣] ﴿وَلِنَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْعِدُهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرِضُوهُ وَلَيَقْرَرُوا مَا هُمْ مُقَرَّرُونَ﴾:

﴿وَلِنَصْغَىٰ﴾: الإصغاء: هنا يعني الميل؛ أي: تميل إليهم قلوبهم إلى الاستماع إلى زخرف القول وتميل إلى الاستماع إليه؛ أي: تحب الاستماع إليه. أما السمع: فأن تسمع إلى من يتكلم، وأنت لا تريد، أو ليس هناك رغبة ولا نية في السماع إليه.

﴿وَلِنَصْغَىٰ إِلَيْهِ﴾: الهاء: تعود على زخرف القول غروراً.

﴿وَلِنَصْغَىٰ إِلَيْهِ﴾: أي: تميل إلى السماع إليه؛ أي: زخرف القول غروراً، قلوب الكفرة الذين لا يؤمنون بالآخرة.

﴿أَفْعِدُهُ﴾: قيل: هي القلوب، أو العقول؛ أي: منطقة الإدراك بالعقل. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٧٩)؛ للبيان، والحج، آية (٤٦).

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

﴿وَلَيَرِضُوهُ﴾: أي: يقبلون بالباطل، والتزيين، والذنوب، والعمل به، واللام؛ لام الاختصاص، والتوكيد.



﴿وَلِيقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾: من القرف، والاقتراف، وأصل القرف: اقتلاع قشرة الشجرة، أو اللحاء من الشجرة، والجلدة عن الجرح.

إذن ليقترفوا: ليكتسبوا ما هم مكتسبون من الإثم، والمعاصي، والذنوب.
إذن هناك ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: الإصغاء، والإدراك.

المرحلة الثانية: القبول.

المرحلة الثالثة: التطبيق، وارتكاب الإثم، والذنب.

وتتم المرحلة الأولى: بالسمع، والبصر، والمرحلة الثانية: بالفؤاد، والمرحلة الثالثة: بالنزغ، وارتكاب الإثم، والذنب.

[١١٤] ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾:

أسباب النزول: كما ذكر الماوردي: أن مشركي قريش قالوا للنبي ﷺ: اجعل بيننا وبينك حكماً؛ إن شئت من أحبار اليهود، وإن شئت من أحبار النصارى؛ ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك؛ فنزلت هذه الآية:

﴿أَفَغَيْرَ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري.

﴿اللَّهُ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾: اطلب، أو التمس.

﴿حَكَمًا﴾: قاضياً، أو حكماً بمعنى: الحاكم المتخصص؛ أي: أخص من الحاكم والذي لا ينقض حكمه، وهو الحكم العدل بيني وبينكم، ومن أسمائه الحسنَى الحكم وليس الحاكم.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر والتوكيد.



﴿الَّذِي﴾: اسم موصول.

﴿أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ﴾: أنزل: القرآن العظيم. إليكم: خاصة لهدايتكم.

﴿مُفَضَّلًا﴾: المفصل المبين؛ أي: الذي بان فيه الحق من الباطل، والحلال من الحرام، فلا داعي لغير الله حكماً.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾: أي: علماء اليهود والنصارى.

﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾: أي: القرآن.

﴿أَنَّهُ﴾: للتوكيد، منزل من ربك بالحق، يعلمون: أن القرآن منزل عليك من ربك، بالحق: الباء: للإلصاق؛ إذ أشارت كتبهم إلى ذلك.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: الناهية.

﴿تَكُونَنَّ﴾: النون هنا: لزيادة النفي: لا تكوننَّ من الممترين؛ الخطاب لرسول الله ﷺ، والمقصود به أمته عليه الصلاة والسلام.

﴿مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: أي: الشاكين، والمترددين، وحاشا للنبي ﷺ أن يكون من هؤلاء، ولكن الخطاب مُوجَّه إلى الذين آتيناهم الكتاب، والمشركين من عامة الناس، مع أن بعض أهل الكتاب أمثال عبد الله بن سلام يعلمون: أن القرآن منزل عليك من عند ربك بالحق.

والامتراء: هو الجدل بالباطل، بعد ظهور الحق: أنه منزل عليك من ربك بالحق؛ أي: لا تجادلوهم في هذا الأمر بعد أن تبين الحق.

[١١٥] ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ﴾: تعني: كل كلمة في القرآن، وصلت إليك، كما أنزلت.



﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: يعني: القرآن: وهو كلام الله، وكلام الله يطلق عليه كلمة من باب المجاز.

﴿صِدْقًا﴾: في أخباره، وفي وعده، ووعدته، وغيبه.

﴿وَعَدَلًا﴾: عدلاً في أحكامه، وفيما قضى، وقدر، وأمر، ونهى، صدقاً، وعدلاً في آن واحد.

﴿لَا﴾: النافية للجنس.

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾: لا مغير لكلماته: بتحريف، و تبديل، أو نقص، أو زيادة.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر، والتوكيد، والسميع والعليم: صفتان من صفات الذات العليم.

﴿السَّمِيعُ﴾: لكل ما يقال في الملاء الأعلى، وفي الأرض، ومن سر وعلن، وقريب وبعيد.

﴿الْعَلِيمُ﴾: المحيط علمه بكل شيء، وبجميع مخلوقات، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبا: ٣].

والعليم: صيغة مبالغة كثير العلم، عالم، عليم، علامة.

[١١٦] ﴿وَأَن تَطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَأَن هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾:

﴿وَأَن﴾: الواو: عاطفة، إن: شرطية، وتفيد القلة، أو الندرة؛ إنك تستطيع أن تطع أكثر من في الأرض.

﴿وَأِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: لم تبيّن هذه الآية من هم أكثر من في الأرض، والخطاب مُوجّه إلى أفراد أمة رسول الله ﷺ، فالرسول حاشا أن يطيع الضالين، والمكذبين.

ولكن بيّنته آيات أخرى؛ كقوله: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين، إذن أكثر من في الأرض من غير المؤمنين بالله؛ أي: الكفار.

﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: سبيل الله: هو دينه الإسلام.

كيف يضلّون عن سبيل الله؟ لأنهم يتبعون أهواءهم، أو الظن؛ لكونهم يقلّدون آباءهم.

والظنُّ: هو التردد الراجح؛ أي: الشك إذا رجحت إحدى كفتيه بالإثبات.

﴿وَأِنْ﴾: نافية أقوى أدوات النفي.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿يَخْرُصُونَ﴾: الخرص: هو الظن، والتخمين؛ أي: الحزر، ثم تجوز به إلى الكذب؛ أي: يكذبون.

﴿يَخْرُصُونَ﴾: يكذبون، يقولون بالظن.

﴿يَخْرُصُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ لتدل على التكرار، والتجدد، فهم مستمرّون على الخرص؛ القول بالظن والكذب.

وقوله: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: هو توكيد لما قبله؛ أي: الظن، والظن،



والخرص: من أنواع الكذب المذكورة في القرآن، ومنها: الإفك، والبهتان، والاختلاق، والافتراء.

[١١٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد، والحصص.

﴿أَعْلَمُ﴾: صيغة مبالغة؛ تدل على كثرة العلم على وزن أفعل.

﴿مَنْ يَضِلُّ﴾: من اسم موصول، أو استفهامية، وهي للعاقل المفرد، والجمع.

﴿يَضِلُّ﴾: جاء بفعل مضارع؛ ليدل على التجدد، والحدوث، ولم يقل: من ضل على سبيله، كما ورد في كثير من الآيات؛ لمعرفة معنى الضلال: ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٩٨).

﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾: عن دينه.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾: وهو أعلم بالمهتدين السالكين سبيل الاستقامة، والصراط المستقيم، وتكرار: وهو أعلم يفيد التوكيد.

وهذه هي الآية الوحيدة في القرآن التي ذكر فيها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، وباقي الآيات ذكرت: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، في سورة النحل، والنجم، والقلم.

فما هو الفرق بين الآيتين؟

ضل: فعل ماضٍ، وانتهى؛ أي: خرج ذلك الإنسان عن الدين، والمنهج،

أيام، أو أسابيع، أو أشهر، أو سنين، ثم في النهاية عاد؛ أي: ضل في الماضي وعاد، أو ضل ولم يعد من ضلاله.

أما قوله تعالى: ﴿مَنْ يَضِلُّ﴾: فيدل على التجدد والتكرار في المستقبل، ولم يتوقف، ومن المفسرين من قال: جيء بكلمة ﴿يَضِلُّ﴾ بدلاً من ضل؛ لأنها جاءت في سياق الآيات التي سبقتها، والتي جاءت بصيغة المضارع، مثل ﴿يُضِلُّوكَ﴾، ﴿وَأَنْ تَطْعَ﴾.

[١١٨] ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾:

سبب النزول: رُوِيَ عن ابن عباس: أن الله تعالى لما حرم الميتة؛ أتى أناس إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! أناكل ما نقتل، ولا نأكل ما يقتل الله؛ يريدون الميتة؛ فنزلت هذه الآية، وجاءت في سياق: ﴿وَأَنْ تَطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الْأَظْنَ﴾.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: اسم الله؛ أي: القول بسم الله، والله أكبر.

ذكر اسم الله عليه: باللسان، أو القلب عند ذبحه، أو صيده.

﴿فَكُلُوا﴾: الفاء: للتوكيد، والمباشرة؛ أي: لا تتبعوا أهواء المضلين الذين يحلون الحرام، ويحرمون الحلال، تبعاً لأهوائهم، أو ما وجدوا عليه آباءهم، وليس لما أنزل الله .

﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾: فكلوا إن كنتم مصدقين بآيات الله التي أنزلها إليكم، وأحكامه من الأوامر، والنواهي التي وردت في القرآن والسنة.





الْبَيْتُ الْفَصْلُ

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾
وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَهُمْ لُحْمًا وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾
أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

سورة الأنعام [الآيات ١١٩ - ١٢٤]

[١١٩] ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾
﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: أداة استفهام.

﴿أَلَّا تَأْكُلُوا﴾: ألا: أداة حُضٍّ، وتعجب، وإنكار؛ حُضٍّ للأكل، وتعجب لعدم الأكل، يحمل معنى الأمر، أو: أي سبب يمنعكم من أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، مثل باسم الله، والله أكبر.

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾: الذي ورد في آية سورة الأنعام (١٤٥)، قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾... إلخ.
أو سورة المائدة، الآية (٣)، أو غيرها من الآيات.

﴿إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾: ارجع إلى آية المائدة (٣)؛ للبيان، ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخَبَصَةٍ﴾.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾
﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾: أي: يفتون بغير علم، يحرمون، ويحللون بما لم يشرع به الله تعالى ورسوله ﷺ، حسب ما تميل أنفسهم إلى الباطل، أو بعيد عن الحق، مثل تحريم البحيرة، والوصيلة، والسائبة، والحام.



﴿يَاهَوَّاءِ﴾: جمع هوى، والهوى: هو ما تميل إليه النفس، بما لا ينبغي باطلاً، أو بعيداً عن الحق، ولا دليل له في الشرع، ويغلب عليه الذم، ويختص بالأداء، والاعتقادات.

﴿بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾: بما شرعه الله، ورسوله ﷺ.

﴿إِنْ رَبِّكَ﴾: إن: للتوكيد، ﴿رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾: هو للتوكيد، والحصر.

﴿أَعْلَمُ﴾: صيغة مبالغة؛ من علم، عليم، أعلم.

﴿يَا الْمُعْتَدِينَ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿إِنْ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ يَا الْمُعْتَدِينَ﴾: ولم يقل إن ربك هو أعلم بالضالين، وإنما سماهم بالمعتدين؛ المعتدين على أنفسهم وعلى غيرهم وأنهم ضلوا وضلوا غيرهم؛ المعتدين: الذين يضلون بأهوائهم، ولكن الله أعلم منهم بكثير، يعلم مدى ودرجة ضلالهم، وكم ضلوا من الناس ومصيرهم.

والمعتدين، المتجاوزين الحلال إلى الحرام، والحق إلى الباطل، أو حدود الله.

[١٢٠] ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾:

﴿وَذَرُوا﴾: الواو: استئنافية.

﴿وَذَرُوا﴾: اتركوا فعل المعاصي، مهما كان نوعها، الظاهر، والباطن منها.

﴿الْإِثْمِ﴾: وهو القبيح، والإثم: الظاهر هو ما حرمه الله شرعاً، وما حرمه رسوله ﷺ، مثل: أفعال الجوارح؛ كالزنى، ثم القول به أمام الناس، وشرب الخمر، ثم الإعلان به، وشربه علناً، والسرقة، وأكل ما حرم الله من الميتة، والدم، والخنزير، وما لم يذكر اسم الله عليه.

وأما باطن الإثم: فهي آثام القلوب: كالحسد، وكتمان الشهادة، والغيبة.
ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٣٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتَسِبُونَ الْإِثْمَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿يَكْتَسِبُونَ﴾: ولم يقل: يكتسبون؛ لأن ممارستهم للمعاصي، والآثام أصبحت أمراً سهلاً عادياً، لا تحتاج إلى جهد، ولو احتاجت إلى جهد أو مشقة لقال: يكتسبون.

﴿سَيُجْرَوْنَ﴾: السين: للاستقبال القريب.

﴿بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾: أي: بما كانوا يكتسبون، الباء: للإلصاق، إذا ماتوا، ولم يتوبوا. يقترفون: ارجع إلى الآية (١١٣) من نفس السورة؛ للبيان.

[١٢١] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: مثل الميتة، وما ذبح، أو أهل به لغير الله، أو أهل لغير الله به، وما ذبح عن النصب، أما ما ذبحه المسلم، ولم يسم عليه عمداً، أو سهواً؛ فقد اختلف الفقهاء في حكم ذلك.

﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾: وإنه: للتوكيد، لفسق: اللام: لام التوكيد.

﴿لَفِسْقٌ﴾: أي: الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه: هو فسق؛ أي: خروج عن طاعة الله، والدين.

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد.



﴿الشَّيَاطِينُ﴾: شياطين الإنس (كفرة الإنس)، والجن المردة، أو الكفرة من الجن.

﴿يُوحُونَ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

والإيحاء: هنا يعني: الوسوسة، والإغراء، والتزيين، أو الوقوع في الشبه، ولمعرفة معنى الوحي ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣).

﴿إِلَىٰ أَوْلِيَآيِهِمْ﴾: إلى أتباعهم: من الإنس.

﴿لِيُجَدِّدُواكُمْ﴾: السلام: للتوكيد، الجدال: في الأكل، أو عدم الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه، بالوسوسة، والتزيين، وإصدار الحكم، والأمر والنهي، مثال: كيف لا تأكلون ما قتل الله من الميتة، وتأكلون ما قتلتم أنتم من الصيد.

﴿وَإِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الندرة.

أطعموهم في استحلال ما حرم عليكم، أو تحريم ما أحل الله لكم، أو أطعموهم فيما أمروكم به، أو نهوكم عنه.

﴿إِنَّكُمْ﴾: إن: للتوكيد، والكاف: للخطاب.

﴿لَشُرْكُوكَ﴾: اللام: للتوكيد، مشركون مثلهم، ومشركون: جملة اسمية؛ تعني: ثبات صفة الشرك عندكم.

[١٢٢] ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿أَوْ مَن﴾: الهمزة للاستفهام، وتحمل معنى النفي، والإنكار، والتعجب.

﴿كَانَ مَيِّتًا﴾: كان كافراً، أو ميتاً بالكفر، فالكافر يشبه الميت، والمؤمن يشبه الحي؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]. ارجع إلى سورة الفرقان آية (٤٩) لمعرفة الفرق بين مَيِّتًا وَمَيِّتًا.

﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾: الفاء: عاطفة، أحييناه بالإيمان والإسلام؛ أي: أصبح حياً.
 ﴿وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾: نوراً يمشي: هو نور الإيمان،
 والقرآن، والهدى.

﴿يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾: على بصيرة، ولم يقل: يمشي به بين الأشياء،
 وإنما اختار الناس؛ لأن الأعمى قد يستطيع أن يمشي بين الأشياء بحذر، وحيطه،
 ولكن المشي بين الناس مستحيل؛ لأنه سيصطدم بهذا، أو ذاك؛ فيشعر بالذنب،
 ويتوقف عن المشي ويتبعد عنه الناس، ولا يعني فقط المشي، وإنما عيشته،
 وسمعته، وسلوكه.

﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾: الكاف: للتشبيه، من: بمعنى: الذي.
 ﴿فِي الْأَظْلَمَاتِ﴾: في: ظرفية، الظلمات: الكفر، والضلال، والشرك،
 والمعاصي، والفسق؛ أي: كمن يمشي في ظلمات الجهل، والليل، والظلام،
 والتيه.

﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾: ليس: أداة نفي، وهو مستمر، ومستقيم عليها.
 ﴿كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:
 أي: كما زين للمؤمنين إيمانهم، زين للكافرين ما كانوا يعملون: من
 المعاصي، والكفر، والأقوال، والأفعال.

وزين: حُسن؛ أي: رأى المؤمنون إيمانهم حسناً، وجميلاً، ورأى الكافرون
 كفرهم شيئاً جميلاً، والمزين: لهم هو: الشيطان، وأهواؤهم، والمزين للمؤمنين:
 هو الله. ارجع إلى الآية السابقة (١٠٨)؛ لمزيد من البيان في معنى زين.

[١٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا
 يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾:

أي: وكما جعلنا في قريتك مكة، أكابر: جمع كبير وهم رؤساء أو زعماء



القوم أو سادتهم من المجرمين، ودعاة الكفر، وشياطين الإنس والجن؛ كذلك جعلنا في كل قرية من قرى الرسل من قبلك رؤساء من المجرمين، أمثال هؤلاء؛ ليمكروا فيها.

﴿لَيَمَكُرُوا﴾: اللام: لام الاختصاص (التعليل).

والمكر: هو عمل يقوم به الماكر؛ ليحقق شيئاً عن طريق ملتو؛ لأنه ضعيف، لا يستطيع المواجهة.

والمكر يتضمن: الحيلة، والخديعة، والغدر، والخلاف؛ ليصرف الناس عن الحق، والإيمان، والطاعة إلى الكفر، والشرك، والصد عن سبيل الله، والباطل. ﴿وَمَا يَمَكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: وما: نافية، إلّا: أداة حصر، وقصر، أي: وبال مكرهم، عائد عليهم.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: إن وبال المكر السيئ عائد عليهم؛ أي: يحق ويحل، ويحيط بأهله. ارجع إلى سورة الرعد، آية (٣٣)؛ لمزيد من البيان.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمَكُرُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: الواو: عاطفة، إذا: ظرفية زمانية؛ تدل على حتمية الحدوث.

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾: جاء هؤلاء أكابر المجرمين، من أهل مكة، آية؛ أي: دليل، أو حجة على صدق النبي ﷺ، لم يستجيبوا لها، ولم ينتفعوا بها.

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ﴾: لن: نافية لكل الأزمنة، في المستقبل القريب، أو البعيد.

﴿حَتَّى﴾: حرف لانتهااء الغاية.

﴿نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ﴾: من المعجزات، أو الآيات، أو تنزل علينا الملائكة، أو يوحي إلينا ربنا، ثم يجيب الله سبحانه عليهم:

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾: أي: أعلم من يختار لرسالته: من نبي، أو رسول، ومن هو أحق بحمل الرسالة، وكفاء لها، وليس كما قالوا: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾:

﴿سَيُصِيبُ﴾: السين: للاستقبال القريب.

﴿الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾: أي: أكابر المجرمين والرؤساء؛ من كفار مكة، والمشركين، والعاصين. ارجع إلى الآية (٥٥) من نفس السورة لبيان معنى أجرموا.

﴿صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ﴾: أي: ذل، وهوان وخضوع في الدنيا؛ مثل: الأسر، والقتل، والمرض، والأوبئة، والمصائب... وغيرها، والصغار قد يكون ناشئ عن عوامل داخلية نفسية تؤدي إلى شعور الفرد بالهوان والذل.

﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: في الآخرة عذاب النار.

﴿بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾: أي: بسبب، أو بديل ما كانوا يمكرون بالناس: بالقيام بالحيل، والخداع، والغدر؛ لصددهم عن الإيمان، وصرْفهم عنه، وإبقائهم في حالة الكفر، والشرك.



الجزء الثاني

سورة النمل ٦

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ * لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَمْعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ الْمَيِّتَاتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾



سورة الأنعام [الآيات ١٢٥ - ١٣٠]

[١٢٥] ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُغْلِقْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعُدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: استثنائية، ومن: شرطية.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾: فقد يسأل سائل: إذا كانت الهداية، أو الضلالة من إرادة الله، فما ذنب الذي يُضله الله؟! وما معنى يشرح صدره للإسلام، أو يجعل صدره ضيقاً حرجاً؟

للردِّ على هذا السؤال؛ لا بُدَّ من العلم اليقيني: أن الله سبحانه زود كل عبد بالعقل؛ أي: الفهم، ومقومات الإدراك، والإحساس، وبين له طريق الهداية، وطريق الضلال بواسطة رسله، وأنبيائه، وكتبه، وآياته، وغيرها من الوسائل، وترك له حرية الاختيار للسير، إما على طريق الهداية، والحق، والصراط المستقيم، والنجاة، أو السير على طريق الضلال، والباطل، والهلاك.

فمن اختار طريق الهداية، وسار عليها؛ أي: آمن، واتبع أوامر الله، واجتنب نواهيه، ثم طلب المزيد من الهداية، والعون من الله أعانه الله، ووفقه للوصول إلى غايته، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

ومعنى: ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾: يعني: أن العبد يُقبل على دينه، وعلى

طاعة الله، وعبادته بعشق، وحب، وجد، بنفس مطمئنة، ويؤدّي الفرائض، والتكاليف بخشوع، وكمال، ويكثر من النوافل، والذكر، وتلاوة القرآن، ويستقيم على ذلك، ويرتقي في سلم التقوى، والإحسان، وإسلام الوجه حتى يلقي ربه.

﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾: ومن اختار طريق الضلال، والباطل، والهلاك، ورفض الإيمان بالرسول، والكتب، وما أنزل الله، ولم يتب، وسار في ضلاله، وغيه؛ تركه الله سبحانه وشأنه، ووقفه إلى غايته ومبتغاه، فهذا العبد سيجد صدره ضيقاً غير واسع وضيقاً يدل على ضيق ثابت وليس ضائقاً (الذي يدل على أنه ضيق عارض غير دائم) حرجاً، لا يتسع لسماع موعظة، أو آية، أو حديث، بل ويعطل سمعه وبصره عن كل ما ينفعه، ويتبع هواه وخطوات الشيطان، ويخلد إلى الأرض؛ حتى يلقي ربه.

وشبه الله هذا العبد الذي يشعر بضيق في صدره، ويعرض عن سبيل الله بالذي يصعد إلى المرتفعات العالية، الأمر الذي يؤدّي به إلى الشعور بضيق الصدر، وصعوبة في التنفس، والشعور بالهلاك من نقص الأوكسجين، وانخفاض الضغط الجوي، وتراكم مادة ثاني أوكسيد الكربون في دمه؛ بالتالي إلى زيادة عدد أنفاسه، ونبضات قلبه، وربما يفقد وعيه، وتكون نهايته.

﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿الرِّجْسَ﴾: أصل الرجس: هو كل ما يستقذر؛ حساً، أو شرعاً، أو عقلاً؛ مثل: الخمر، والميتة، والخنزير، أو التنن، والخبيث من الأقوال، والاعتقادات، وأما الرجز: فهو العذاب الشديد، ففعل هذه المحرمات والمنكرات يؤدي إلى الرجز؛ أي: العذاب، فالرجس: أعم وأشمل من الرجز؛ أي: الرجس يعني كل

ما مستقذر، ويعني: العذاب. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٩) لمزيد من البيان، فالرجس قد يعني العذاب. ارجع إلى سورة المدثر آية (٤) لمزيد من البيان.

﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الْرَّجْسَ﴾:

أي: كما يجعل صدر الذي أراد الضلال، وعدم الإيمان ضيقاً حرجاً، كذلك يجعل الله العذاب على الذين لا يؤمنون (أي: الكافرين).

[١٢٦] ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾:

﴿وَهَذَا﴾: الواو: استئنافية، والهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة.

﴿صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾: دين الإسلام، الصراط المستقيم الذي يوصلك إلى غايتك بأقصر مسافة، وأسهل وسيلة، صراط ربك، نسبه إليه تشريفاً.

﴿قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِ﴾: قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿فَصَّلْنَا آيَاتِ﴾: بيّناها، بأشكال متعددة، ومواضيع مختلفة.

﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾: قد فصلنا الآيات لقوم وليس لواحد، أو اثنين؛ لأنه إذا فصلها لواحد أو اثنين قد ينسون ويغفلون ما فصل لهم.

وأما حين يكون هناك قوم، أو عدد كبير؛ فإن هذا التكافل، والتذكير يعصم المؤمن، من الخطأ والنسيان.

﴿يَذَّكَّرُونَ﴾: أي: إذا نسوا ما فصل لهم يذكرونه، ويستعيدون تذكره بوقت

قصير، ولم يقل: لقوم يتذكرون؛ إذ (يتذكرون): تحتاج إلى وقت طويل.



[١٢٧] ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، ولهم تعود إلى قوم يذكرون.

﴿دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: الجنة، ومن أسمائها: دار السلام، ولم يقل: دار الله، بل أتى بوصف، أو اسم آخر: هو السلام؛ اسم من أسماء الله الحسنی، ونسب إليه سبحانه الدار، فسمّاها دار السلام؛ أي: دار الأمن، والاطمئنان، والسلامة.

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾: هو: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر والتوكيد.

﴿وَلِيُّهُمْ﴾: المتولي أمرهم، المعين، والكافي، كافيهم لكل ما يحتاجونه.

﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: الباء: للتعليل، أو الإلصاق، ما: اسم موصول، أو

مصدرية.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: في الدنيا؛ من الأعمال الحسنة التي تضم: الأقوال، والأفعال

الطيبة الحسنة.

[١٢٨] ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشِرَ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ

مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوٍ لَكُمْ خَالِدِينَ

فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾: ويوم القيامة يحشرهم في أرض المحشر، والحشر هو

السوق والجمع.

﴿جَمِيعًا﴾: الجن، والإنس؛ أي: الثقلان، وغيرهم.

وانتبه إلى كلمة ﴿وَيَوْمَ﴾: التي جاءت منصوبة بالفتحة؛ أي: منصوبة

بمحذوف تقديره: واذكر يوم يحشرهم جميعاً، أو يوم يحشرهم يقول: ﴿لَمَعَشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْرَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾.

﴿لَمَعَشَرَ الْجِنِّ﴾: يا: أداة نداء، المعشر: تعني: الجماعة المختلطة، اختلاط تعايش، ومعاشرة، والمعشر: قد تطلق على أصحاب حرفة معينة، يا معشر العلماء، يا معشر التجار.

﴿لَمَعَشَرَ الْجِنِّ﴾: هنا معشر الجن: هم الشياطين، وغيرهم من الجن.
﴿قَدْ اسْتَكْرَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾: أي: أخذتم الكثير من الإنس؛ لكي يصبحوا أتباعاً لكم، وأولياء، استكثروا: أخذ الكثرة.

﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الْإِنْسِ﴾: أي: أتباع الجن من الإنس.
﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾: أي: انتفع بعضنا ببعض، والاستمتاع: هو النفع، والخدمة الذي تصاحبه اللذة.

أي: انتفع الإنس بالشياطين من الجن؛ إذ دلّوهم على الشهوات، والمعاصي، وتلدّزوا بها، أو لعبوا دور الكهنة، والعرافين، وانتفع الجن بالإنس؛ إذ جعلوهم أتباعاً لهم وأولياء، وهو استمتاع مخالف لمنهج الله تعالى.

﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾:

أي: استمر استمتاع بعضنا ببعض؛ حتى جاء أجلنا (الموت)؛ فإنهم يعتذرون إلى ربهم.

﴿قَالَ النَّارُ مَثْوٍ لَّكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿قَالَ النَّارُ مَثْوٍ لَّكُمْ﴾: والمشوى؛ يعني: مكان إقامتكم الدائمة، والإقامة



القسرية الجبرية؛ كالسجن في مكان ضيق، مطبق عليهم، لا يستطيعون الحركة، أو القيام بأي شيء.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: إلا: أداة استثناء.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: قد يعني: قسم من هؤلاء من أصحاب النار، بعد أن يعذبوا فيها زمناً حسب ذنوبهم وآثامهم، يخرجون منها بعد تطهيرهم من ذنوبهم؛ كهؤلاء الذين في قلوبهم شيء من الإيمان، والتوحيد، ولا إله إلا الله من الإنس، ولم يغفر الله لهم، فلا بُدَّ لهم من الدخول في النار.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿رَبِّكَ حَكِيمٌ﴾: بتدبير شؤون خلقه، وحكيم في قضائه، وحكمه، لا يفعل شيئاً إلا بحكمة، فهو أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء.

﴿عَلِيمٌ﴾: بالكفار، وأعمالهم، وعباده عامة، وبمن يستحق هذا العذاب، ونراه هنا قدّم ﴿حَكِيمٌ﴾ على ﴿عَلِيمٌ﴾؛ لأن السياق في الجزاء، والعمل؛ فقدّم ﴿حَكِيمٌ﴾ في الجزاء، لا يظلم أحداً مثقال ذرة، ولو كان السياق في العلم، والمعرفة؛ لقدّم العليم على الحكيم، كما سنرى في سورة يوسف آية (٦، ٨٣، ١٠٠).

[١٢٩] ﴿وَكَذَلِكَ نُولِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾:

﴿وَكَذَلِكَ﴾: أي: كما ولينا شياطين الجن، عصاة الإنس، بعضهم بعضاً، كذلك نولي بعض الظالمين بعضاً.

وهذه سنة من سنن الله في أهل الظلم.

أي: يجعل بعضهم أولياء بعض بالمودعة، والنصرة؛ ليزدادوا ظلماً، وإثماً، ثم يبعث الله لكل ظالم من هو أشد ظلماً منه، أو قوة، فيقتص الواحد منهم من الآخر، بأنواع مختلفة من العقاب.

﴿يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: الباء: للتعليل، أو السببية، ظالم يتقم من ظالم، أو يؤدب ظالماً بظالم.

﴿كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: من الآثام، والذنوب في الدنيا، واستعمل فعل (كسب) بدلاً من (اكتسب). ارجع إلى الآية (٢٨٦) من سورة البقرة؛ للبيان.

[١٣٠] ﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُزِيدُونَكُمْ إِفْئَاءً يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾:

أي: يوم يحشرهم يناديهم: ﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ﴾: ألم: الهمزة: للاستفهام، والتقرير، والتوبيخ.

﴿يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾: أي: من جنسكم، وليس من الملائكة.

قيل في تفسير هذه الآية: الجن لهم رسل، والإنس لهم رسل، أو أن الجن ليس لهم رسل، ورسولهم كانوا من الإنس، أو أن الجن كانوا يأخذون تعاليمهم من الإنس؛ لأنهم قادرون على الاستماع لكل ما يقوله الإنس بالخفاء.

والرسول محمد ﷺ بعث للإنس والجن معاً.

﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾: ولم يقل: يتلون عليكم آياتي، كما جاء في



الآية (٧١) من سورة الزمر: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾،
فما هو الفرق بين يقصون ويتلون؟

قص: أعم من تلا، ﴿يَقْصُونَ﴾: تشمل الأنبياء والرسل، ﴿يَقْصُونَ﴾: يبلغونكم الرسالة من دون كتاب معين.

﴿يَقْصُونَ﴾: من كتاب، أو من غير كتاب، غير مقيدة، ويقصون تعني: بدقة
وتفصيل، وقص أعم من تلا.

أما يتلون: فالتلاوة مقيدة من كتاب، أو صحيفة.

وعدد الذين يقصون أكثر من عدد الذين يتلون، يتلون هم فقط من أنزل
عليهم الكتب والصحف. ارجع إلى سورة الزمر آية (٧١) لمزيد من البيان.

﴿يَقْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾: يقصون من قص، وقص؛ مأخوذة من قص
الأثر؛ أي: تتبع آثار القدم، من دون أي انحراف؛ أي: بدقة وتفصيل.

﴿وَيُنذِرُونَكُمْ﴾: ولم يقل: ينذروكم، وإنما أضاف لها النون؛ للتوكيد،
الإنذار: هو إعلام تحذير، أو تخويف.

﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾: يخبرونكم عن هذا اليوم، يوم القيامة
والبعث، ويحذرونكم للاستعداد له.

﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾: قالوا: إجابة للسؤال ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾.

﴿قَالُوا شَهِدْنَا﴾: أي: أقرنا، بأن الرسل قد بلغونا، وأنذرونا، ولم يقولوا:
شهدنا لأنفسنا؛ لأن الشهادة للنفس تعني: شهادة خير ومنفعة.

وإنما قالوا: شهدنا على أنفسنا؛ تعني: شهادة ضد أنفسنا؛ أي: شهادة سوء.

﴿وَعَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: من القائل هنا؟ مبني للمجهول، لا يهم وقيل: الملائكة؛ أي: خدعتهم الحياة الدنيا بزخارفها، وزينتها، ومتاعها، وشهواتها؛ ففرطوا فيها، ولم يستجيبوا للرسول، ولا لما أُنذروا به.

﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾: كانوا كافرين في الدنيا، وهذه تعتبر شهادة ثانية بعد الشهادة الأولى، أو تأكيد للأولى. وهي جملة اسمية تفيد الثبوت، ثبوت الكفر في أنفسهم.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦

الْبَقَرَةُ

وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا
يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ
يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا
أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنْ مَا
تُوعَدُونَ لَأْتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَقَوْمِ
اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ
﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ
نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا
فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ
وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ
لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ
شُرَكَائِهِمْ لِيُرْذَوْهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

سورة الأنعام [الآيات ١٣١ - ١٣٧]

[١٣١] ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة؛ يفيد البعد، ويشير إلى إرسال الرسل، حتى لا يكون لأحد حُجَّة بعد الرسل.

﴿أَنْ﴾: للتعليل، والتوكيد.

﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾: الباء: للإلصاق، ولم: النافية.

﴿بِظُلْمٍ﴾: أي: لم يأتهم رسول، ولا نبي، ولا إنذار، ولا كتاب، ولا تحذير عمَّا جاء به الرسل والأنبياء.

﴿غَافِلُونَ﴾: عن الإيمان لا يعرفون ما الإيمان ولا الكتاب، صفة ثابتة لهم؛ أي: لم يُنذروا قط، والغفلة ملازمة لهم.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾: بالصيغة الاسمية؛ التي تدلُّ على أمر ثابت، ولا يتغيَّر، هو كون الله سبحانه لن يهلك القرى بظلم، وأهلها غافلون، وكذلك لن يهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾، كما ورد في الآية (١١٧) من سورة هود ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾، كما ورد في الآية (٥٩) من سورة القصص، ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من



البيان في معنى غافلون. ارجع إلى سورة القصص آية (٥٩) للمقارنة بين الآيات الثلاث.

[١٣٢] ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَلِكُلِّ﴾: أي: لكل من الجن والإنس.

﴿دَرَجَتٌ﴾: منازل في الآخرة متفاوتة في الجنة، أو في النار، درجات الجنة؛ قيل: (١٠٠ درجة)، ودركات النار قيل: (٧ دركات). فالمؤمن كلما ازداد عمله من الصالحات صعد درجة من درجات الجنة، والكافر أو الظالم كلما ازداد ظلماً لنفسه أو للآخرين نزل دركة من دركات النار.

﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾: بحسب أعمالهم في الدنيا، التفاوت في الدرجات ينشأ بكثرة العمل، والكم، والكيف، والإخلاص، والتوحيد، واتباع القرآن، والسنة.

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: نافية.

﴿رَبُّكَ﴾: من الربوبية، وتعني: الخلق، والتدبير والرزق.

﴿بِغَفِلٍ﴾: الباء: للإلصاق، غافل: لا يغفل عن عمل أي عبد، ظاهراً، أو باطناً: من قول، أو فعل، ولا تخفى عليه خافية في الملاء الأعلى، أو في الأرض. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان.

﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾: يملون: تضم الأفعال، والأفعال في الدنيا.

[١٣٣] ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾:

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾: عن عباده، ولا يحتاج إليهم، ولا لعبادتهم، ولا يضره

كفرهم، ومع كل ذلك هو: ﴿ذُو الرِّحْمَةِ﴾: ولم يقل الغني الرحيم، وإنما قال ذو الرحمة: من كمال الغنى، وذو: تعني: صاحب رحمة، وكلمة (ذو): أشرف، وأبلغ من كلمة صاحب. وذو رحمة تعني: كثير الرحمة، وذو رحمة؛ لأنه يمهّل ولم يذهب بهؤلاء الكافرين.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ﴾: إن: شرطية.

﴿يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: أيها العصاة، ويستأصلكم بالعذاب.

﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ﴾: ويستخلف بعد إهلاككم من هو أفضل

منكم.

﴿مَا يَشَأْ﴾: من خلقه، ممّن هو أطوع منكم.

﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾: الإنشاء: الإحداث حالاً بعد

حال، أو الإيجاد من غير الاحتذاء على مثال سابق؛ قيل: هم أهل سفينة نوح، أو ذريات أخرى على مدى العصور.

ما هو الفرق بين الاستخلاف والاستبدال؛ كما في سورة هود، الآية (٥٧):

﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَضِيَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ﴾، وسورة التوبة،

الآية (٣٩): ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ﴾.

الاستخلاف: يأتي بجيل، تلو الجيل، من دون انقطاع.

الاستبدال: يأتي بجيل بعد جيل، ولو مرت قرون طويلة، ولا يعني تلو

الآخر؛ أي: هناك انقطاع في الزمن بين الجيل المهلك، والجيل الجديد.



والاستخلاف: أفضل من الاستبدال، فالاستبدال: يحصل لأقوام أعرضوا عن تطبيق الشريعة، ودين الله، أما الاستخلاف: فيحصل لأقوام لم يعرضوا، ولكنهم قصرُوا، أو لم ينالوا رضا الله التام.

[١٣٤] ﴿إِنْ مَّا تَوْعَدُونَ لَأَتِيَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾:

أي: أخبرهم يا محمد:

﴿إِنْ﴾: تفيد التوكيد.

﴿مَا﴾: بمعنى: الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي، ونلاحظ أنه فصل بين **إِنْ** وما، وإذا قارنا (**إِنْ**) (ما) في هذه الآية مع الآية (٥) في سورة الذاريات وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَوْعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾: نجد آية الأنعام جاءت كتحذير في الدنيا وفيها فصل (**إِنْ**) عن (ما)، ونجد آية الذاريات وصل (**إِنْ**) مع (ما) وجاءت في سياق القسم بأمور في الدنيا تخص الآخرة فوصل بين (**إِنْ** وما)؛ أي: فك الإدغام عندما تحدث عن الدنيا، وجاء بالإدغام عندما تحدث عن الدنيا والآخرة.

﴿تَوْعَدُونَ﴾: لم يقل: وعدتكم، أو وعدكم، وجاء بصيغة المضارع؛ ليدل على التجدد، والاستمرار، والوعد غالباً ما يكون في الخير، والوعيد في الشر.

﴿لَأَتِيَنَّكُمْ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿لَأَتِيَنَّكُمْ﴾: أي: البعث، والحساب، والجزاء الأخروي.

﴿وَمَا﴾: ما: النافية.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد.



﴿بِمُعْجِزَاتِكَ﴾: من أعجز، تقول العرب: أعجزني فلان؛ أي: هرب فلم أستطيع اللحاق به؛ أي: هرب، وفلت من العقاب، أو العذاب.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: أي: فائتين من عذاب الله، والله قادر غير عاجز عن اللحاق بكم، ولن تستطيعوا الفرار من عذابه.

[١٣٥] ﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ لهم:

﴿يَقَوْمِ﴾: يا قوم: نداء ممزوج بشيء من المحبة، والعطف، والمودة، والقوم: هم الجماعة، وعادة ما يطلق على الرجال، وهنا القوم: قومه الذين لم يصدقوا نبوته.

﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: المكانة؛ تعني: مكان، ومكانة مثل منزل، ومنزلة، والمنزلة: الدرجة الاجتماعية، أو الطريقة، والمكان: هو الحيز، الذي يأخذه جسم الإنسان إن كان واقفاً، أو جالساً على الأرض، أو الموضع، اعملوا قدر استطاعتكم من التمكن، اعملوا ما بوسعكم، أو استمروا على حالكم التي أنتم عليها من الكفر، والعداوة، أو الطريقة التي أنتم عليها.

﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾: وأنا سأعمل ما بوسعي على الثبات على هذا الدين، وتبليغه.

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: للتأكيد، وسوف: حرف استقبال يدل على التراخي في

الزمن، الزمن البعيد.

﴿تَعْلَمُونَ﴾: علم اليقين.



﴿مَنْ﴾: ابتدائية، وقد تعني: الواحد، أو الاثنين، أو الجمع.

﴿تَكُونُ لَهُ عَنقَبَةُ الدَّارِ﴾: أي: الجنة، أو الحسنى.

انتبه في القرآن إذا أنث العاقبة، كما ورد في هذه الآية، فالعاقبة؛ تعني: الجنة، وإذا لم يؤنث العاقبة؛ أي: جاءت بصيغة مذكر، فقال مثلاً: ﴿كَيْفَ كَانَ عَنقَبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾: فالعاقبة؛ تعني: العذاب، والهلاك.

وقوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: فيه تهديد، ووعيد؛ لما يقومون به من كفر، وعدوان، ومن الملاحظ في القرآن الكريم حين يستعمل كلمة: ﴿قُلْ يَوْمَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ﴾: يأتي دائماً بفاء التعقيب، فيقول: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

وحين لا يستعمل قل؛ يأتي بكلمة سوف من دون الفاء، وكذلك نجد أنه حين يأتي بالفاء في (فسوف) فيها تأكيد وإنذار شديد أكثر من (سوف) كما نرى في سورة هود؛ ارجع إلى سورة هود آية (٩٣)، وسورة الزمر آية (٣٩) للمقارنة ولمزيد من البيان.

﴿إِنَّهُ﴾: يفيد التوكيد.

﴿لَا﴾: النافية للجنس.

﴿يُفْلِحُ﴾: من الفلاح؛ يعني: الفوز بالجنة، والنصرة، والسعادة، أو حسن العاقبة. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿الظَّالِمُونَ﴾: الكافرون، أو المشركون الذين أصبحت صفة الظلم ثابتة لهم، والظالم لنفسه: هو كل من يخرج عن منهج الله تعالى يعتبر ظالماً. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٤)؛ لمزيد من البيان.

[١٣٦] ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾:

﴿وَجَعَلُوا﴾: الجعل: هو التصيير، والتحويل، هذا الجعل غايته التقرب من الله، والآلهة معاً، وهذا التقرب إلى الآلهة: هو عين الشرك الذي حرمه الله؛ أي: جعل كفار قريش لله ﴿مِمَّا﴾ من البعضية؛ أي: الذي ذرأ الله من الحرث والأنعام؛ أي: جعل كفار قريش لله من بعض الذي ذرأ الله تعالى خلق، والذرة: هو الخلق الذي يتكاثر بذاته؛ أي: من بعض الحرث (الزراع)، والأنعام: هي الإبل، والغنم، والماعز، والبقر.

﴿نَصِيبًا﴾: قسماً، أو حظاً.

﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ﴾: هذا نصيباً، أو حظاً لله بزعمهم؛ أي: باعتقادهم الباطل الذي لا يستند إلى أي دليل، وهذا نصيباً لآلهتهم؛ أي: أصنامهم التي يعبدونها، لتنفق على خدمتها، وسدنتها.

ولم يكتفوا بذلك، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك بأن حاولوا الاحتيال، بالأخذ من حصة الله، وإعطائها لأوثانهم، وآلهتهم إذا ما حدث نقص في الحصاد، أو الثمر، أو نتاج الأنعام، وييقون على حصة الأوثان، والآلهة ثابتة كاملة، ولا يمسوها بنقص، ويررون ذلك بأن الله غني عن حصته، وأما آلهتهم فهي بحاجة إلى من يخدمها، ويقوم على سدانتها، فحصة الآلهة لا يمكن أن يعطوا بعضها إلى الله، وأما حصة أو نصيب الله تعالى فيمكن أن يعطوه لشركائهم.



﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: ساء: فعل ذم، يعني: بش ما يحكمون، وبش ما تهوى أنفسهم، أو ما يشتهون. ارجع إلى سورة المائدة، آية (١٠٣-١٠٤).

[١٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ لِيُرْذُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾:

﴿وَكَذَلِكَ﴾: أي: كما زين للمشركين القسمة غير العادلة بين الله سبحانه، والآلهة؛ التي يعبدونها، رغم أن الله وحده هو الذي ذرأها، زين لكثير من مشركي قريش قتل أولادهم، ووأد بناتهم؛ مخافة الفقر، أو عار الرزني، أو السبي، أو التقليد الأعمى.

والذي قام بالتزيين: هم شركاؤهم من شياطين الإنس والجن.

﴿لِيُرْذُوهُمْ﴾: اللام: لام التعليل.

﴿لِيُرْذُوهُمْ﴾: من الرذئ؛ أي: الهلاك؛ أي: يهلكونهم.

﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾: الواو: عاطفة، ليلبسوا: اللام: للتعليل.

﴿وَلِيَلْبِسُوا﴾: أصل اللبس: هو الستر بالثوب، ومن اللباس: يلبس الحق بالباطل؛ أي: يستره.

ومعنى: ﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾: ليدخلوا الشك في دينهم، وكانوا على دين إسماعيل، دين الحنيفية، فرجعوا عنه، وليخلطوا عليهم الحق والباطل، فيزينوا لهم الباطل، ويتركوا الحق؛ حتى يصلوا إلى درجة اللبس، وهو الخلط، ثم تأتي مرحلة الشرك، بعد اللبس.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: عاطفة. لو: شرطية.

﴿شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾: أي: لو شاء الله لقسرهم، وأجبرهم على ترك ذلك، ومنعهم، ولكن لم يشأ، وتركهم في ضلالهم وكذبهم المفترى؛ أي: المختلق العمد، وهذا تهديد، ووعد لهم، وابتلاء وفتنة لهم، واختار اسم الجلالة (الله) (ولم يقل ربك)؛ لأن الآيات في سياق العبادة والتوحيد وتقليد الآباء.

﴿فَذَرَّهُمْ﴾: أي: اتركهم يا محمد ﷺ ودعهم.

﴿وَمَا﴾: أي: الذي يفترون، فذرهم على كذبهم المتعمد المختلق في الخلق، والجعل.

﴿يُفْتَرُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ ليدل على تجدد، وتكرار افتراءهم، وأنه مستمر، ولم يتوقف، والافتراء: هو نوع من الكذب المتعمد.





سورة النحل ٦

الحزب الثاني

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرَّتْ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ
 نَشَاءُ بَرَعِمِهِمْ وَأَنْعَمُ حَرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ
 أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا
 يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ
 خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ
 مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ
 حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ
 سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ
 قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ * وَهُوَ الَّذِي
 أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ
 مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ
 مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ
 حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾
 وَمِنَ الْأَنْعَمِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا مِنَّمَا رَزَقَكُمُ
 اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

نصف
الحزب
١٥



سورة الأنعام [الآيات ١٣٨ - ١٤٢]

[١٣٨] ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرَّتْ حَجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرَعْمِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾:

تمادى مشركو قريش في شركهم، ولم يكتفوا بما زعموه في الآيات السابقة، بل قالوا: ﴿هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرَّتْ حَجْرٌ﴾: أي: محرمة، إلا على الآلهة؛ أي: خاصة بالأصنام والأوثان، لا تذبح، ولا تستخدم، ولا يؤخذ لبنها؛ لكونها مخصصة لضيوف الآلهة، الرجال منهم، دون النساء، والعاملين عليها.

﴿وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾: مثل: الحام، والبحيرة، والسائبة.

حرمت ظهورها: أي: الركوب عليها، أو حمل الأثقال، أو المتاع على ظهورها.

﴿وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾: عند ذبحها؛ لأنها قربان للآلهة؛ إذ لا يقولون: الله أكبر، أو بسم الله عند ذبحها.

﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾: لا يذكرون اسم الله عليها؛ افتراء عليه؛ أي: على الله باختلاقهم الكذب: أن الله قد أوصاهم بفعل ذلك، أو وجدوا آباءهم كذلك يفعلون، والافتراء: هو الكذب المتعمد المخلوق.

﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: السين: للاستقبال، والقرب في الزمن؛ أي: سينالون عقابهم قريباً.

﴿يَمَّا﴾: الباء: للإلصاق، ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، بسبب كذبهم على الله، وبأنه أوصاهم بذلك، وحلّل لهم ما يفعلونه من الحرام، أو الباطل.

[١٣٩] ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ﴾: أي: الأجنة، والأنعام يقصدون بها: السائبة، والبحيرة، والوصيلة.

﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾: أي: ما خلص حياً؛ أي: ولد حياً من الأجنة؛ فهو حلال للرجال، ومحرم على أزواجنا؛ أي: النساء، الذكور: جمع كثرة، والذكران: جمع قلة.

﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾: وإن ولد ميتاً؛ فيشترك فيه الرجال والنساء في أكل لحومها، وكل ذلك؛ نوع من جهالاتهم، وكذبهم، وضلالهم.

﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفُهُمْ﴾: السين: للاستقبال القريب؛ أي: سينالون جزاء كذبهم، بالتحليل، والتحريم، حسب أهوائهم عن قريب.

﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: إنه: للتوكيد.

﴿حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، وأقواله، وتدبير شؤون خلقه، وكونه، وما شرعه.

﴿وَعَلِيمٌ﴾: بما يفترون، ويفعلون من خير وشر، وحلال وحرام، ولا تخفى عليه خافية في السماء، ولا في الأرض.

﴿حَكِيمٌ﴾ على ﴿عَلِيمٌ﴾: لأن السياق في الجزاء، سيجزيهم وصفهم، والجزاء يتطلب حكمة، ولذلك قدّم ذلك.

[١٤٠] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾:

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق وتوكيد، خسر الذين قتلوا أولادهم: خسروا الدنيا والآخرة.

﴿الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾: سواء الإناث، أو الذكور؛ بالوَاد، أو أيّ وسيلة. ومثل الإجهاض في زمننا الحاضر، فلا تظنن أن قتل الأولاد انتهى زمنه. ﴿سَفَهًا﴾: أي: طيشاً، وقصوراً عقلياً، أو الخفة في العقل، خوفاً من الفقر؛ لأن الفقر قد يكون فقراً مؤقتاً، وأمرأ موهوماً، والقتل أعظم من الفقر، وبذلك لا يحل لأحد الاعتقاد، أو القول، أو العمل من دون علم شرعي.

﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾: حرّموا على أنفسهم الطيبات، والمنافع من الحرث، والأنعام: البحيرة، والسائبة، والوصيلة، سواء أكانت أطعمة، أم أشربة، أم أولادها.

﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾: الافتراء: هو الكذب المتعمد، المختلق.

وافترأ الكذب على الله حينما قالوا: الله حرّم هذا، وهو لم يحرم شيئاً، أو أحلّ الله شيئاً، وهو لم يحلّله.

فهذا الافتراء عليه من أعظم الذنوب والكبائر.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿ضَلُّوا﴾: عن طريق الحق، والهدى، وقد ضلوا عن تعاليم الدين، والشريعة، وذهبوا إلى طريق الضلال والشرك.

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: الواو: عاطفة، ما: النافية.



من الذين هداهم الله، أو يستحقون الهداية.

و﴿مُهْتَدِينَ﴾: جملة اسمية؛ تدل على الثبوت؛ أي: ما كانوا مهتدين دائماً وأبداً.

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: تعني: قد ضلوا، جاءت لتؤكد عدم اهتدائهم. من ذلك يتبين لنا: أن الله سبحانه قد حكم الله على هؤلاء الذين يقتلون أولادهم بسبع أمور:

١ - الخسران، خسروا أنفسهم: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾.

٢ - السفه: ﴿سَفَهًا﴾.

٣ - الجهل: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

٤ - ﴿وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾.

٥ - ﴿أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ﴾.

٦ - الضلال: ﴿قَدْ ضَلُّوا﴾.

٧ - عدم الهداية: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

وأكد على خسارتهم بحرف قد، وأكد كذلك على ضلالهم.

[١٤١] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ، وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر والتوكيد.

﴿وَهُوَ﴾: اسم موصول.

﴿أَنْشَأَ﴾: خلق، وأوجد بالتدريج، والإنشاء فيها معنى التطور، والنمو، والإبداع.

﴿جَنَّتٍ﴾: بساتين، وحدائق كثيفة بالأشجار المثمرة.

﴿مَعْرُوشَتٍ﴾: أي: تقوم على دعائم خشبية، يصنعها الإنسان، والأصل: أن تكون منبسطة على الأرض، فنأتي بالقوائم الخشبية؛ لكي تعلو عليها هذه الأغصان.

﴿مَعْرُوشَتٍ﴾: مشتقة من العرش؛ الذي يدل على العلو، أو العرش: هو السرير المرتفع عن الأرض.

﴿وَعَيْرَ مَعْرُوشَتٍ﴾: وهو ما قام على ساق، وغني عن التعريش، وبناء الدعائم الخشبية؛ مثل: شجر النخل والأعناب.

﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ﴾: وأنشأ النخل، والزروع.

﴿مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ﴾: أي: ثمره مختلف في الطعم، والشكل، والجودة؛ أي: التمر، والزروع يشمل: الحب، والقمح، والشعير، والذرة.

﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا﴾: في الشجر والورق، ومختلف في الثمر. ارجع إلى الآية (٩٩) من سورة الأنعام؛ للبيان.

﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾:

﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾: الهاء في ثمره: تعود على الله سبحانه، وتعود على ثمر النخل، والزروع، والزيتون، والرمان.

وقوله: ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾: تعني: إذا اقترب نضجه؛ أي: قبل أن ينضج يسمح لكم بأكله، وكذلك مفهوم يؤكل بعد نضجه.



﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: وهذا يدل على الترخيص للمالك، بالأكل منه، قبل أداء حقه.

﴿حَقَّهُ﴾: حق الله تعالى، زكاته، أو الصدقة على المساكين، والفقراء.

﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: يوم قطفه، وجنيه؛ أي: جذاده، أو بعد الانتهاء من تحضيره، ووزنه، وبيعه.

﴿وَلَا تَسْرِفُوا﴾: في الأكل، أو التصديق، وهنا؛ يعني: عدم ترك شيء للأهل من المال، أو الطعام، والثمر؛ أي: الإسراف في الصدقة.

والإسراف يعني: صرف المال زيادة على ما ينبغي، أو تجاوز الحد في صرف المال، أو غير المال.

﴿إِنَّكَ﴾: للتوكيد، وتعود على الله سبحانه.

﴿لَا يُحِبُّ﴾: لا النافية.

﴿الْمُسْرِفِينَ﴾: الذين أصبح الإسراف صفة ثابتة ملازمة لهم. ارجع إلى الآية (٩٩) من نفس السورة لمقارنة الآيتين (٩٩، و١٤١)، وإلى سورة الإسراء، آية (٢٦-٣٠).

[١٤٢] ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءُ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾:

وأنشأ لكم أيها الناس.

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ﴾: وهي الإبل، والغنم، والبقر، والماعز، من: البعضية الابتدائية؛ أي: لكل نوع من الأنعام ميزاته من ناحية الركوب، والأكل، أو الاستفادة منها، وهذه الأنعام بأنواعها هي من آيات الله الدالة الشاهدة على طلاقة قدرته، وإبداعه في خلقه.



﴿حَمُولَةً﴾: أي: ما يحمل على ظهورها مثل: الإبل، والبقر، ومنها: من لا يحمل عليها: كالغنم، والماعز، وصغار الإبل، والبقر.

﴿وَفَرَشًا﴾: أي: منها ما يستفاد من أوبارها، وأشعارها، وأصوافها، وجلودها، تستعمل لصناعة الفرش، وما تجلسون عليه من الحصر، والسجاد، أو تفرشونه مثل: الفراش؛ أي: تنامون عليه.

﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: تكرار وتوكيد للأكل ممّا ذكره سابقاً؛ من رزق الله، كلوا واشكروا الله المنعم على ما رزقكم.

﴿مِمَّا﴾: (من + ما)؛ أي: من بعض، ما: اسم موصول؛ تعني: الذي رزقكم الله.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: بتحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله لكم، وبالإسراف، وبعدم ذكر اسم الله عليه، وبعدم شكر الله المنعم، والإشراك به، وغيرها، وخطوات جمع خطوة، والخطوة: المسافة بين القدمين؛ أي: وساوس الشيطان وما يأمر به من الفحشاء والمنكر.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد، والهاء: تعود على الشيطان.

﴿لَكُمْ﴾: خاصة يا بني آدم.

﴿عَدُوِّكُمْ﴾: عدو ظاهر العداوة، عداوته ظاهرة لكل فرد، ولا تحتاج إلى شرح وبيان.





سورة النحل ٦

البقرة النحل

ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ
قُلْ ءَلَذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾
وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَلَذَّكَرَيْنِ
حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ
أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمُ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا أَجِدُ
فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ
فِسْقًا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ؕ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا
كُلَّ ذِي ظُفْرٍ مِّنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ
شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا
اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾



سورة الأنعام [الآيات ١٤٣ - ١٤٦]

[١٤٣] ﴿ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:
وقد أنشأ الله لكم من الأنعام ثمانية أزواج.

﴿مِّنَ الضَّأْنِ﴾: من: ابتدائية.

﴿الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾: أي: من الغنم، اثنين: الذكر والأنثى؛ أي: الكبش والنعجة ذوات الأصواف.

﴿وَمِنَ الْمَعَزِ﴾: اثنين (زوجين): التيس والعنزة، السخلة، والجدي، ذوات أشعار.

﴿قُلْ﴾: أي: اسألهم يا محمد ﷺ.

﴿آلذَّكَرَيْنِ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، ﴿آلذَّكَرَيْنِ﴾: من الضأن (الكبش)، والمعز (الجدي، أو التيس)، حرم الله عليكم، أم حرم عليكم الأنثيين من الضأن والمعز؛ أي: النعجة والسخلة، والعنزة.

﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾: من الأجنة وذكر ما في الأرحام للمبالغة في الرد على إنكارهم؛ أي: إذا كنتم تزعمون أن الله حرم البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام نبئوني بعلم: أخبروني بخبر موثق، كيف حرم الله هذه الأنعام، ومن أين جاء التحريم، ومتى صدر، ومن بلغه إليكم، أين الدليل؟

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: إن: شرطية، إن: تفيد الاحتمال، والشك؛ أي: تكونوا صادقين.

[١٤٤] ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَّذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْإُنثَيَيْنِ أَمْ أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾:

وأنشأ لكم من الإبل اثنتين (الذكر والأنثى): الجمل والناقة، ومن البقر اثنتين (الثور والبقرة).

﴿قُلْ﴾: أي: اسألهم يا محمد ﷺ: ﴿الَّذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْإُنثَيَيْنِ﴾: نفس التفسير السابق.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهِذَا﴾: شهداء؛ أي: حضور؛ ففي الآية السابقة؛ طلب منهم: البرهان، والدليل على التحريم.

وفي هذه الآية؛ كأنه يقول لهم: إذا عجزتم عن إحضار الدليل، والبيّنة على التحريم، هل كنتم حاضرين حينما وصّى الله سبحانه أحداً منكم بهذا، أو كنتم حين وصّى الله أنبيائه، أو وصّاكم الله بهذا، بل أنتم كاذبون، أو تفترون الكذب على الله.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: استئنافية، من: شرطية.

﴿أَظْلَمُ﴾: على وزن أفعل، مبالغة في الظلم؛ أي: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً.

﴿افْتَرَى﴾: الافتراء: هو الكذب المتعمّد، المختلق.

﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: كذباً: نكرة؛ تشمل كل أنواع الكذب المفترى، والخرص، والإفك، والكثير، والقليل، المتعمّد، أو غير المتعمّد.

﴿لِيُضِلَّ﴾: اللام: لام التعليل، والتوكيد.

﴿النَّاسِ بغيرِ علمٍ﴾: ليضل الناس عن اتباع الحلال وتجنب الحرام.

﴿بغيرِ علمٍ﴾: دليل من الله، أو بغير حُجَّة، وبرهان، أو من دون علم شرعي.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: الذين شرعوا ما لم يشرع الله تعالى، ولا رسوله به، افتروا على الله الكذب.

وقد يسأل سائل: هو أضل الناس بغير علم، ولم تكن نية إضلال الناس بعلم؟

نقول له: إذا هو أضل الناس بغير علم؛ أي: هو أضل الناس بأهوائه، فهذا يعتبر افتراء على الله .

[١٤٥] ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا



مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٣﴾

تشير هذه الآية إلى أن التحريم، أو التحليل يكون بالوحي، أو يثبت بالوحي فقط، والوحي: هو القرآن، والرسول ﷺ: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَحِيُّ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤]، ولمعرفة معنى أوحى إلي؛ ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣).

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ: لا أجد من المحرمات التي ذكرتموها شيئاً محرماً في القرآن؛ إلا ثلاثة أشياء على أي أكل، هي: الميتة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير.

وكذلك ما ذكر في سورة المائدة، الآية (٣): ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾.

﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ﴾:

﴿فَإِنَّهُ﴾: إن: للتوكيد؛ أي: هذه المحرمات: الميتة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير.

﴿رِجْسٌ﴾: لحمها قدر، وقبيح، ومحرم؛ أي: أكلها عمل قدر قبيح محرم.

﴿أَوْ فِسْقًا﴾: خروجاً عن الدين، وعن طاعة الله .

﴿أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: أي: ذبح، ولم يذكر اسم الله عليها، وإنما ذكر اسم الأصنام عليها، والإهلال: رفع الصوت باسم المذبح له.

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:



﴿فَمَنْ﴾: الفاء: عاطفة، من: شرطية.

﴿فَمَنْ أَضْطُرَّ﴾: أي: ألجئ بحكم الضرر؛ المخمصة، واستنفذ كل الأسباب، وخاف على نفسه الهلاك؛ فله أن يأكل، لكن على شرط:

﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: أي: لا يأكل فوق حاجته.

﴿وَلَا عَادٍ﴾: أي: لا يأكل من هذه المحرمات وعنده أطعمة أخرى، قد تسد

رقمه.

﴿وَلَا﴾: تفيد التوكيد، توكيد النفي.

وفي الآية (٣) من سورة المائدة أضاف: ﴿غَيْرَ مُتَجَافٍ لِإِثْمٍ﴾: أي: مائل، أو راغب لارتكاب الإثم.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، وتفيد التوكيد.

﴿رَبِّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: غفور: كثير الغفران، صيغة مبالغة؛ أي: يغفر الذنوب جميعاً إلا الشرك به، يغفر لمن اضطر لأكل المحرم، غير باغٍ، ولا عاد.
﴿رَحِيمٌ﴾: أباح الأكل من المحرمات في حالة الاضطرار، وهذه صفة ثابتة لذاته، رحيم: بعباده المؤمنين.

وتكرار لا: ﴿وَلَا عَادٍ﴾: لنفي كل منهما على حدة، وكلاهما معاً، لا يجوز له أن يكون باغياً، ولا يجوز له أن يكون عادياً، ولا كليهما معاً. ارجع إلى الآية (١١٥) من سورة النحل للبيان المفصل، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٣) في سورة المائدة، والآية (١١٥) في سورة النحل وهي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: نجد أن آية الأنعام جاءت في سياق الشرك، وقول الرسول ﷺ قل لا



أجد في ما أوحى إلي، وآية المائدة والنحل في سياق قول الله تعالى أو مخاطبة الله تعالى للناس في (الأطعمة) فيما أحل وحرم الله عليهم، وفيما أهل لغير الله بـ(الشرك).

[١٤٦] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾:

ويذكر الله تعالى لنا في هذه الآية: بتحريم خاص؛ حرّمه على الذين هادوا؛ بسبب ظلمهم، وعدم الأخذ بما أنزل الله إليهم في التوراة.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾: تقديم (على): لتفيد الحصر، والقصر.

﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾: تهّدوا، هم أتباع بني إسرائيل؛ الذين جاؤوا بعد موسى، ودخلوا في اليهودية.

﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾: بسبب ظلمهم، وصدهم عن سبيل الله كثيراً، وأخذهم الربا، وقد نهو عنه، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وغيرها.

﴿كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾: أي: كلّ ذي مخلب، وناب أيضاً.

﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾: من الشحم؛ فهو مباح.

﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾: الأمعاء، الشحم المختلط بالأمعاء.

﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾: أو الشحم المختلط بعظم.



﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة؛ يفيد البعد، يشير إلى التحريم بعدم أكل الشحوم.
 ﴿جَزَيْنَهُمْ بِغَيْرِهِمْ﴾: الباء: للإبدال، أو السببية، بسبب بغيرهم؛ أي: ظلمهم،
 وقتلهم الأنبياء بغير حق، واتخاذهم العجل، وأكلهم الربا؛ وقد نُهوا عنه، وأكلهم
 أموال الناس بالباطل، والاصطياد يوم السبت.

﴿وَأِنَّا لَصَادِقُونَ﴾: وإنا: للتعظيم. لصادقون: اللام: لام التوكيد
 صادقون: فيما وعدناه للعصاة الظالمين، وما وعدناه للمطيعين.
 وصادقون: جملة اسمية؛ تفيد الثبوت.



.....



البقرة القصص

سورة القصص ٦

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ
بِأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا
لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ
كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا
قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا
الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ
فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلَمْ شَهِدَآ كُمْ الَّذِينَ
يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ
مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ
تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ
إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

١٤٨

سورة الأنعام [الآيات ١٤٧ - ١٥١]

[١٤٧] ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: عاطفة، إن: شرطية تفيد الاحتمال، والندرة؛ أي: من النادر أن يكذبوك؛ لأنهم يعلمون أنك الصادق الأمين.

﴿كَذَّبُوكَ﴾: أي: المشركون، أو اليهود، في مسألة التحريم، والتحليل، وزعموا أن الله ذو رحمة واسعة.

﴿فَقُلْ﴾: الفاء: جواب الشرط، قل لهم يا محمد ﷺ: نعم ﴿رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾.

ولكن لأهل الطاعة، والمؤمنين، ولأنه لا يعجل لكم بالعقوبة؛ لعلكم تتوبون، ولا يعني تأجيل بأسه؛ أي: عذابه عنكم أنكم ناجون من العذاب، أو أنه غفر لكم.

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾: أي: لا أحد يستطيع منع عذابه، أو دفعه، إذا حلَّ، أو نزل بالقوم المجرمين، الكافرين، والمشركين، العصيين، والذين إذا قيل لهم: لا إله إلا الله يستكبرون.

وفي هذه الآية قال سبحانه: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾: بصيغة الماضي؛ لأن



التكذيب لأمر محدد، وهو مسألة التحريم، ولم يقل: (يكذبوك). ارجع إلى الآية (٣٣) من سورة الأنعام؛ للبيان، والآية (١٨٤) من سورة آل عمران؛ للمقارنة.

[١٤٨] ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾:

﴿سَيَقُولُ﴾: السين: للاستقبال القريب.

﴿الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: من قريش، وغيرهم.

﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: لو: شرطية.

﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾: الشرك: هنا جاء في سياق الأطعمة، وما هو بزعمهم لله، وما هو لشركائهم.

أي: في سياق التحليل والتحريم: في البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام؛ فهم يدعون، أو يزعمون: أن شركهم في الأطعمة، والتحليل، والتحريم؛ لو كان باطلاً، أو هم على غير حق؛ لأرسل إلى آبائهم، أو إليهم رسلاً يخبرونهم أو يأمرهم بترك الشرك، أو التحريم؛ فرد الله عليهم ﴿كَذَلِكَ﴾: أي: بمثل كذبهم هذا؛ كذب الذين من قبلهم، وقالوا لرسولهم هذا القول نفسه.

ولو قارنا هذه الآية مع الآية (٣٥) في سورة النحل وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾؛ ففي آية الأنعام قال: ما أشركنا، وفي آية النحل: ما عبدنا؛ فأية الأنعام جاءت في سياق

المحرمات من الأطعمة والحدث، وآية النحل جاءت في سياق الرد على الشرك وعبادة غير الله سبحانه، وآية الأنعام ولا آباؤنا، وآية النحل ولا آباؤنا: زاد نحن تدل على شدة التوكيد في النحل؛ لأن السياق في العبادة والتوحيد وهي أهم من الأطعمة، وفي الأنعام قال: ﴿كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ لأن السياق في الأنعام في الكذب، والسياق في النحل الشرك وعبادة غير الله.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية، نهاية الغاية.

﴿ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾: عذابنا.

﴿قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ، هل: للاستفهام؛ يحمل معنى: الإنكار، والإلزام. ﴿عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ﴾: أي: هل عندكم من كتاب، أو دليل يدل أن الله حَرَّمَ عليكم ما تزعمون من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، أو هو راض عنكم، أن تشركوا به.

﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾: أي: تظهرونه لنا؛ عبر عنه بالإخراج؛ لأن سبب إظهاره سيكون حجة عليكم.

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: إن: حرف نفي، أشد نفياً من ما.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: الظن: هو التردد الراجح، وهو رجحان ظرف الإثبات على النفي، دون بلوغ درجة العلم، أو الإثبات، ويعني: الشك.



﴿وَإِنْ﴾: لزيادة تأكيد النفي.

﴿أَنْتُمْ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿تَحْرُصُونَ﴾: الخرص: هو الحزر، والتخمين، واستعمل موضع الكذب؛ لأن الخرص لا يستند على علم، أو دليل؛ فهو نوع من أنواع الكذب، مثل: الإفك، والبهتان، والاختلاق.

[١٤٩] ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾: الفاء: للتوكيد، والسلام: للاختصاص؛ أي: عند الله وحده سبحانه الحجة: الدليل، والحجة: أخص من الدليل، وتستعمل الحجة في سياق الدعوى، والحجة البالغة التامة؛ أي: إذا لم يكن معكم دليل وبرهان أن الله حرم ذلك؛ فعند الله الحجة البالغة؛ أي: والدليل التام، البالغة: مؤنث البالغ: اسم فاعل من فعل بلغ، والتاء: للمبالغة.

﴿فَلَوْ﴾: الفاء: للتوكيد، لو: شرطية.

﴿شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ﴾: اللام: لام التوكيد.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد آخر، وأحياناً يسبقها كلمة كلكم.

الفرق بين شاء، وأراد: المشيئة: المرحلة السابقة للإرادة؛ أي: لو شاء الله تعالى؛ لأكرهكم، وأجبركم على الهداية، ولكن لم يشأ، وترك لكم حرية الاختيار، بين سلوك طريق الهداية والإيمان، أو طريق الضلال، والانحراف.

[١٥٠] ﴿قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا إِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ لهؤلاء المشركين: إذا كنتم لا تملكون العلم؛ فتخرجوه لنا، وليس لديكم دليل، ولا برهان على التحريم؛ فربما عندكم شهداء يشهدون لكم أن الله حرم هذا، أو ذاك؛ مما تخرصون.
إِذْنُ فَأَحْضَرُوا هَؤُلَاءِ الشُّهَدَاءِ.

﴿هَلَمْ﴾: تستعمل للجماعة، والمفرد، والمثنى، سواء كان ذكراً، أم أنثى، وتعني: أحضر، أو ائت، أحضروا أي شهداء حتى وإن كانوا شهداء الزور.
﴿إِنْ شَهِدُوا﴾: إن: شرطية؛ تفيد الشك، والاحتمال على أن يشهدوا بمثل هذه الشهادة.

﴿إِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾: لأن الله لم يشهدهم، أو يخبرهم أنه حرم ذلك، فلا تشهد معهم.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، فهم كاذبون إن شهدوا، ويخاطب الله رسوله ﷺ، وبالتالي أمته، ويحذرهم من اتباع أهواء الذين كذبوا.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا﴾: وتكرار لا؛ يفيد التوكيد، وفصل الشهادة معهم عن اتباع أهوائهم؛ أي: لا تفعل هذه، ولا تلك، ولا كليهما.

﴿أَهْوَاءَ﴾: جمع هوى، والهوى: ما تميل إليه النفس، بما لا ينبغي، باطلاً، أو بعيداً عن الحق، والهوى؛ يغلب عليه الدم، ويختص بالأداء، والاعتقادات.



﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: آيات القرآن، أو المعجزات، أو الآيات الكونية، والأدلة.

﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: والذين لا يؤمنون بالآخرة، لا يصدقون بالبعث، والجزاء، والحساب، والجنة، والنار.
﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: وهم ضمير منفصل، يفيد التوكيد.
﴿بِرَبِّهِمْ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿يَعْدِلُونَ﴾: ارجع إلى الآية (١) من سورة الأنعام؛ لبيان المعنى.
[١٥١] ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ أُولَٰئِكَ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ؛ لهؤلاء المشركين: حسبكم هذا الخرص.
﴿تَعَالَوْا﴾: أقبلوا عليّ، أو اتوا إليّ، وتعالوا فيها معنى ترفعوا عن الكذب، والظن.

﴿أَتْلُ﴾: اقرأ عليكم ما حرم ربكم عليكم بدلاً من خرصكم، وتشبه الوصايا العشر التي وصّاها الله تعالى لموسى .

١ - ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾: ألا مركبة من: أن ولا: النافية، أن لا تشركوا: أو لا تشركوا؛ تعني: العرض والتحضيض، و﴿شَيْئًا﴾: هو أقل الشيء، وشيئاً: نكرة؛ أي: مهما كان نوع الشرك.

٢ - ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: الإحسان إلى الوالدين؛ إحسان مطلق، ولا يكفي عدم الإساءة إليهما؛ لأن الإساءة إلى الوالدين محرّم. ارجع إلى سورة النساء آية (٣٦) لمزيد من البيان، وارجع إلى سورة البقرة آية (١١٢)، وعدم الإحسان يدخل فيه عدم الإساءة إليهما.

٣ - ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ مَلَاقِي تَحْنُ نَزُّقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾: ولا تقتلوا أولادكم: ذكوراً، أو إناثاً؛ بالوآد أو غيره من وسائل القتل؛ كالأجهاز مثلاً.
﴿مِمَّنْ مَلَاقِي﴾: من الفقر، وقيل: الفقر بعد الغنى، أو الإسراف، والتبذير الذي حدث زمن الغي، وأدّى إلى الإملاق؛ أي: الفقر.

ولتقارن هذه الآية من سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ مَلَاقِي تَحْنُ نَزُّقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ مع الآية (٣٨) من سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقِي تَحْنُ نَزُّقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾.

في آية سورة الأنعام؛ قال: ﴿مِمَّنْ مَلَاقِي﴾: تعني: الآباء، هم فقراء الآن في حالة فقر، فيقدمون على قتل أولادهم من الفقر الواقع بهم بسبب الأولاد الذكور أو الإناث.

ولذلك؛ سارع رب العالمين، وطمأنهم، وقال: ﴿تَحْنُ نَزُّقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾: قدّم رزق الآباء على رزق الأولاد.

في آية الإسراء قال: ﴿خَشْيَةً إِمْلَاقِي﴾: تعني: الآباء ليسوا فقراء الآن، ولكنهم يخشون الفقر في المستقبل، فيقدمون على قتل أولادهم؛ خشية الفقر؛ خوفاً من



الفقر الذي قد يحدث، ولذلك سارع ربُّ العالمين، وطمأنهم، وقال: ﴿تَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾: فقدّم رزق الأولاد على رزق الآباء.

﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ﴾: جمع فاحشة، وتطلق عادة على الزنى، أو اللواط، والقذف، وعبادة الأصنام، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا﴾: أي: لا تفعلوا؛ أي: المقدمات التي قد تؤدّي إلى ارتكاب الفواحش، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا﴾: أشدُّ وأكدُّ من قوله: ولا تفعلوا الفواحش.

وقيل في تعريف الفاحشة: هي كل ما عظم جرمه، وإثمه من الأقوال، والأفعال.

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: ما ارتكب في العلن، وعلى مرأى ومسمع الناس، أو ما بطن: ما ارتكب سرّاً، وفي الخفاء؛ حتى لا يراه الناس، أو يسمعوا به.

﴿تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾: حصراً.

﴿بِالْحَقِّ﴾: بالقصاص، والردة، وزنى المحصن، إذا توافرت الشروط والشهود.

﴿ذَلِكَ وَمَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: ذلكم: بدلاً من ذلك؛ لأن (ذلكم): تستعمل للأمور المتعددة والمهمة التي يُراد التوكيد عليها، مثل: الإشراف بالله،



والوالدين إحساناً، وقتل الأولاد، وقتل الأنفس؛ إلا بالحق، أو الفواحش، وذلكم بدلاً من ذلك التي تستعمل للأمر المفرد، والعادي، غير المهم.

﴿وَصَّيْنَكُمْ بِهِ﴾: من الوصية، والوصية: أن تعهد إلى شخص بعمل خير، أو ترك شر، والوصية: تدل على محبة الموصي للموصى له.

وقال: ﴿وَصَّيْنَكُمْ بِهِ﴾: ولم يقل: وصاكم بها؛ لأن أوامر الله ونواهيه كأنها تمثل أمراً واحداً، فلا نأخذ بعضها، ونترك بعضها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لا يعقل أن تشركوا بالله، وتعقوا الوالدين، وتقربوا الفواحش، وتقتلوا أولادكم، أو تقتلوا النفس التي حرم الله بالحق؛ أي: هذه التكاليف التي يقرها العقل، ولا يعقل أن تقوموا بها.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل: للتعليل، لعل هذه الوصايا تحملكم على الكف، وعدم ارتكاب تلك المحرمات، وإذا قارنا هذه الآية بالآيات التالية (١٥٢) (١٥٣) وهي قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: نجد يمكن القول لعلمكم تعقلون جاءت في سياق أشد الأحكام (الكبائر) التي تحتاج إلى العقل ليكبحها ويمنعها؛ (ولعلمكم تذكرون): في سياق الأحكام التي ينساها، وتحتاج إلى تذكرة دائمة للقيام بها، (ولعلمكم تتقون): في سياق الاستقامة على التقوى.





الْبَيْتُ الْفَصْلُ

سُورَةُ النِّعَمِ ٦

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكِلِفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ
اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ
رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ
وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ
عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ
﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ
فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ
يَصْدِفُونَ عَنَّا آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

سورة الأنعام [الآيات ١٥٢ - ١٥٧]

[١٥٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ. وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ. لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: ولا تقربوا: أبلغ في النهي عن الأخذ، ولم يقل لا تأخذوا مال اليتيم؛ فمن لم يقرب لا يرى، ولا يطمع، أو تسول له نفسه؛ إلا: استثناء بالتي هي أحسن؛ أي: بما فيه صلاحه الذي يتضمن حفظ ماله، وتنميته، ومصالحته، ومصالحته، وعدم الأخذ من مال اليتيم إلا لضرورة، أو حاجة، وعدم تبذيره، أو إضاعته حتى يبلغ أشده.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية، معناها: انتهاء الغاية.

﴿يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: قيل: أشده تعني: صار قادراً على إنجاب طفل، (ما بين ١٥-١٨ سنة)، وهو سن الرشد، عندها ادفعوا إليه ماله. ارجع إلى الآية (٢)، والآية (٦) من سورة النساء؛ للبيان.

﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ﴾: أي: أتموا الكيل إذا كلتم للناس، والكيل، أو المكيال: يستعمل لما يكال حجماً.

والميزان: يستعمل لما يكال كثافة، أو وزناً، ويستعمل الكيلوغرام وأجزاءه، والغرام، وأجزاءه.



وتختلف الموازين بحسب الأشياء؛ فالذهب، والمواد الكيميائية؛ لها معايير، وموازين دقيقة جداً، وحساسة.

﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل؛ أي: تحروا العدل، وقيل: القسط: هو تطبيق أمر العدل وتنفيذه.

﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: أي: عليكم أن تبذلوا أشد وسعكم، وطاقتكم؛ لتحقيق القسط؛ أي: إقامة العدل، وتنفيذه، وإذا فعلتم ذلك، وحدث خطأ غير متعمد، أو نقص، أو زيادة: لا يؤاخذكم الله به.

ومن المهم جداً: أن تعلم لماذا وردت هذه الآية: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ لأن الوزن بالقسط صعب تحقيقه أحياناً، فالوزن حين يكون بالميلigram، أو النوانو غرام؛ من الصعب جداً التأكد منها.

فالله يعلم أن ذلك متعذر؛ فيغفر ذلك إذا لم يكن الخطأ متعمداً، وتوعد الله سبحانه هؤلاء الذين يتعمدون التلاعب بالمكيال، والميزان؛ بقوله: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ١-٥].

والفرق بين قوله في هذه الآية: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾، وقوله تعالى في الآية (٣٥) من سورة الإسراء: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾: في آية الأنعام ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ تعني: في المستقبل إذا كلمتم، أو وزنتم، فأوفوا الكيل، والميزان بالقسط.

في آية سورة الإسراء: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾؛ تعني:

الآن، وأنتم تكيلون، أو تزنون؛ أوفوا الكيل، والميزان في حال كيلكم، أو وزنكم، وإياكم والتأخير؛ حتى لا يقول أحد: سأوفيه حقه لاحقاً، إذا كلتم: للتوكيد، إذا: شرطية، ظرفية.

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية؛ تتضمن معنى الشرط.

﴿قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾: أي: إذا حكمتم، أو شهدتم في أمر ما؛ أي: دعيتم للشهادة بعد أن شهدتهم ما حدث؛ فاعدلوا؛ أي: قولوا: الحق، وأعطوا كل ذي حق حقه، وتحروا العدل.

واحذروا الهوى واعدلوا، والعدل: هو القول الحق، وفعل الحق، فالعدل لا يقتصر على القول، بل يشمل الفعل أيضاً.

وهناك عدل في الأمور المادية الحسية، والأمر المعنوية، (والميل القلبي)، فاعدلوا.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾: ذا القربى؛ كالأب، أو الأخ، أو قرابة، فتميلوا بالهوى، فتحكموا عليهم أولهم من دون عدل، وخص ذا القربى؛ لأنه من أصعب الأمور أن تحكم على أبيك، أو أخيك، أو قرابتك.

ولكن هذا هو الإسلام، يأمرك بذلك.

وهذا الأمر جاء في آية أخرى، وهي الآية (١٣٥) من سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾.



﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾: العهد: يضم العقود، والمواثيق، والوعود، ويضم التكليف، والوصية، والأمر، والنهي، ومن قوله: ﴿عَهْدَنَا﴾، و﴿وَصَيْنَا﴾.

﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾: الباء: تفيد الإلصاق، والتوكيد بالوفاء.

وقدّم الجار والمجرور؛ للاهتمام.

﴿أَوْفُوا﴾: أتموا، ونفذوا العهد.

ما هو الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: ٩١].

ففي آية سورة الأنعام: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾: العهد هنا ما عهده الله إلى عباده من ميثاق، أو عهد؛ كقوله: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾.

ويضم العهد هنا: عقود البيع، والشراء، والزواج.

وأضاف العهد إليه سبحانه؛ أهمية، وتفخيماً.

وقدّم الجار والمجرور؛ للعناية، والاهتمام، والحصر، والقصر، والتوكيد.

أما في آية سورة الإسراء: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾: فهذا العهد: هو الذي يعقده الشخص باختياره؛ أي: النذر الذي هو عهد يلزمه الإنسان على نفسه باختياره؛ لقوله: ﴿إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾.

﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: ذلكم: ارجع إلى الآية (١٥١).

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: لعل: تفيد التعليل أو الترجي أو الإشفاق؛ لأن هذه

الأمر الأربعة: من عدم أكل مال اليتيم، والوفاء بالكيل، والميزان بالقسط، وقول العدل، والوفاء بالعهد أمور قابلة للنسيان، فذكرها لكم المرة بعد الأخرى لعلكم لا تنسوها؛ أي: تذكروها.

أو كأنهم يبدو أنهم نسوا أنهم كانوا يعملون تلك الأعمال في السابق؛ فهو يذكرهم بها مرة أخرى.

فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، ولم يقل: لعلكم تتذكرون؛ لأنهم لا يحتاجون إلى زمن طويل، لتذكر القيام بتلك الأعمال، وكأنها حاضرة لديهم. ارجع إلى الآية (١٥١) في نفس السورة للمقارنة والبيان.

[١٥٣] ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: ﴿وَأَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿هَذَا﴾: الهاء: للتنبيه. ذا: اسم إشارة للقريب، يشير إلى كون الصراط المستقيم قريباً.

﴿صِرَاطِي﴾: أي: دين الإسلام.

﴿مُسْتَقِيمًا﴾: لا اعوجاج فيه، والصراط المستقيم؛ يعني: الطريق المعبد المستقيم الذي يوصلك إلى غايتك بأقرب مسافة، أو أقصر زمن، ومن دون مشقة، أو عوائق.

ونسبه الله إليه؛ فقال: ﴿صِرَاطِي﴾: تشريفاً لهذا الدين؛ فهو دين الله .

﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾: الفاء: للتوكيد.



﴿وَلَا تَنبِعُوا السُّبُلَ﴾: أي: الطرق الضالة المنحرفة، كما قال ﷺ: «وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»، رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿فَنَفَرَقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾: أي: فتضلحكم عن دينه.

﴿ذَلِكَ كُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: ارجع إلى الآية (١٥١) من نفس السورة.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لعل: للتعليل. تتقون: بامثال أوامر الله تعالى، وتجنب نواهيه. ارجع إلى الآية (١٥١) في نفس السورة للمقارنة والبيان.

[١٥٤] ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: هذه شغلت عقول المفسرين؛ فمنهم من قال: (ثم): للترتيب، ترتيب الأخبار، فبعد ذكر الوصايا التي جاءت في الألواح، ثم آتينا موسى الكتاب (التوراة) تماماً على الذي أحسن؛ حيث الألواح نزلت قبل نزول التوراة.

ومنهم من قال: (ثم): حرف عطف على ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفٌّ عَنْكُمْ﴾، والتقدير عندها يكون: تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم، ثم أتل عليكم، ما آتى الله موسى .

ومنهم من قال: (ثم): للترقي في الأخبار؛ حيث كان إيتاء موسى الكتاب قبل مجيء رسول الله ﷺ، وتلاوته؛ لما أنزل عليه ربه ، ثم لتباين الصفات،

وتعني: أعظم مما تلوته عليكم، هو ما آتينا موسى الكتاب، وأنزلنا هذا الكتاب المبارك (أي: القرآن).

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: أي: التوراة.

﴿تَمَامًا﴾: تاماً كاملاً؛ أي: دفعة واحدة.

﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾: الذي أحسن، قيل: هو موسى، أحسن في الطاعة، والتبليغ، والعبادة.

﴿وَتَقْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾: لكل شيء تحتاج إليه بنو إسرائيل من الأحكام، والشرائع، والعبادات، والمعاملات.

﴿وَهَدَى﴾: مصدر للهدى، يهدي للحق، أو سبب للهدى، يهدي إلى الوصول إلى الغاية، وهي رضوان الله تعالى، وسعادة الدارين.

﴿وَرَحْمَةً﴾: نعمة لمن عمل به، وامثل أوامره، وتجنب نواهيه، والرحمة تعني: وقاية لكم من الضرر، وجلب ما يسر.

﴿لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾: لعلهم: لعل: للتعليل، لعل بني إسرائيل.

﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾: لعلهم يؤمنون بالبعث، والجزاء، ولقاء ربهم، وما يترتب عليه من الاستعداد.

قيل: كانوا قليلاً ما يؤمنون بالآخرة.

[١٥٥] ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾:

﴿وَهَذَا﴾: الواو: استئنافية، هذا: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة؛ للقريب.



﴿كَذَّبْ﴾: أي: القرآن.

﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: أي: جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.

﴿مُبَارَكٌ﴾: كثير الخير، والبركة، والنفع الديني، والأخروي.

﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾: الفاء: للتأكيد، اتبعوه؛ أي: العمل بما فيه، والأخذ بما جاء به؛

من الشرائع، والأحكام، والعبادات، والعقائد، والإيمان به كاملاً، وعدم الأخذ ببعضه، والكفر ببعضه.

﴿وَاتَّقُوا﴾: امثلوا لأوامره، وتجنبوا نواهيه، واتقوا مخالفة ما جاء به،

واتقوا تحريفه، أو تبديله، كما فعل الآخرون بالتوراة والإنجيل.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: لعل؛ للتعليل، ترحمون باتباع هذا القرآن، والأخذ

بالأسباب الأخرى المطلوبة لنيل الرحمة، كالجنة، ورضوان الله، مثل: الدعاء،

والتضرع، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: في الدنيا والآخرة. ارجع إلى سورة الإسراء، آية

(٨)؛ لمزيد من البيان، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٥٠) في سورة الأنبياء وهي

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾: نجد أن آية الأنبياء جاءت

على الأصل تقديم الصفة مبارك على أنزلناه، أما في آية الأنعام قدمت أنزلناه

أولاً؛ لأن الآية جاءت رداً على زعم اليهود أن الله ما أنزل على البشر من شيء

فقدم الإنزال للاهتمام والرد عليهم مباشر.



[١٥٦] ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾:

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري؛ للتعليل، ومنهم من قال: ﴿أَنْ﴾: تعني: لثلاثا تقولوا.

﴿تَقُولُوا إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد الحصر.

﴿أُنْزِلَ الْكِتَابُ﴾: أي: التوراة والإنجيل. أنزل: تعني: دفعة واحدة.

﴿عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾: اليهود، والنصارى، ومن: تفيد القرب في الزمان؛ أي: منذ زمن غير بعيد.

﴿وَإِنْ﴾: الواو: عاطفة، إن: المخففة: تفيد التوكيد.

﴿كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾: الدراسة؛ تعني: القراءة، والتعلم، وعلم ما فيهما.

﴿لَغَافِلِينَ﴾: اللام: لام التوكيد، غافلين؛ أي: لم يصل إلينا علم ما في التوراة، والإنجيل؛ أي: لا نعلم ما فيها؛ أي: لثلاثا يكون لكم حُجَّةٌ أَنْ تقولوا: لم ينزل علينا أيُّ كتاب، مثل: التوراة، والإنجيل، ولم ندرس ما في التوراة والإنجيل؛ لأنهما ليستا بلغتنا، فأنزل الله القرآن العظيم بلغتكُم، ولتنقطع حججتكم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان عن غافلين.

[١٥٧] ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾:

﴿أَوْ﴾: للتخيير.



﴿تَقُولُوا لَوْ أَنَّا﴾: لو حرف شرط وتمنٍّ، أنا: ضمير الشأن.

﴿لَوْ أَنَّا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْكِتَابُ﴾: لو أنزلنا علينا القرآن جملة واحدة.

﴿الْكِتَابُ﴾: قد يعني: القرآن، أو التوراة.

كما أنزل على الطائفتين من قبلنا؛ أي: اليهود، والنصارى.

﴿لَكِنَّا﴾: اللام: تفيد الاختصاص، والتوكيد.

﴿أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾: أهدى من اليهود، والنصارى.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد، قد: للتحقيق، وزيادة التوكيد.

﴿جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: بيّنة: هي القرآن، والقرآن: هو المعجزة

الخالدة الباقية على مدى العصور؛ فهو منزل من ربكم، وقال: ﴿جَاءَكُمْ

بَيِّنَةٌ﴾، ولم يقل: (جاءتكم بيّنة)؛ فالتأنيث؛ يعني: أن البيّنة هي معجزة، من

المعجزات التي أنزلت على أقوام، وزالت وانطمرت، ولم يبق لها أي أثر يذكر،

وتذكير البيّنة كما في هذه الآية: يدل على أهمية وقوة هذه البيّنة.

﴿وَهَدَىٰ﴾: مصدر للهدى، أو سبب للهدى، والوصول إلى الغاية.

﴿وَرَحْمَةً﴾: مصدر رحمة، لمن عمل به، وأخذ به، وأطاع أوامره، وتجنب

نواهيه، تجلب لكم الخير، وتدفع عنكم الضرر، ووقاية لكم من الوقوع في

المعاصي.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾:

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: استئنافية، من: شرطية.



﴿أَظْلَمُ﴾: على وزن أفعل، مبالغة في الظلم؛ أي: لا أحد أظلم منه.

﴿كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: بآيات القرآن العظيم، والباء: للإلصاق.

﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾: الصدف: النفور الشديد عن آيات الله، ولم يؤمن بها، وأصل الصدف: هو ترك المكان، والذهاب إلى الجانب البعيد؛ حتى لا يسمع شيئاً مما يقال.

﴿سَنَجْزِي﴾: السين؛ للاستقبال القريب.

﴿الَّذِينَ يَصْدِفُونَ﴾: ينفروا عن آيات ربهم بشدة، أو يصرفون الناس عن الإيمان، والقرآن.

﴿عَنْ آيَاتِنَا سَوَاءَ الْعَذَابِ﴾: سوء العذاب؛ أي: أشده.

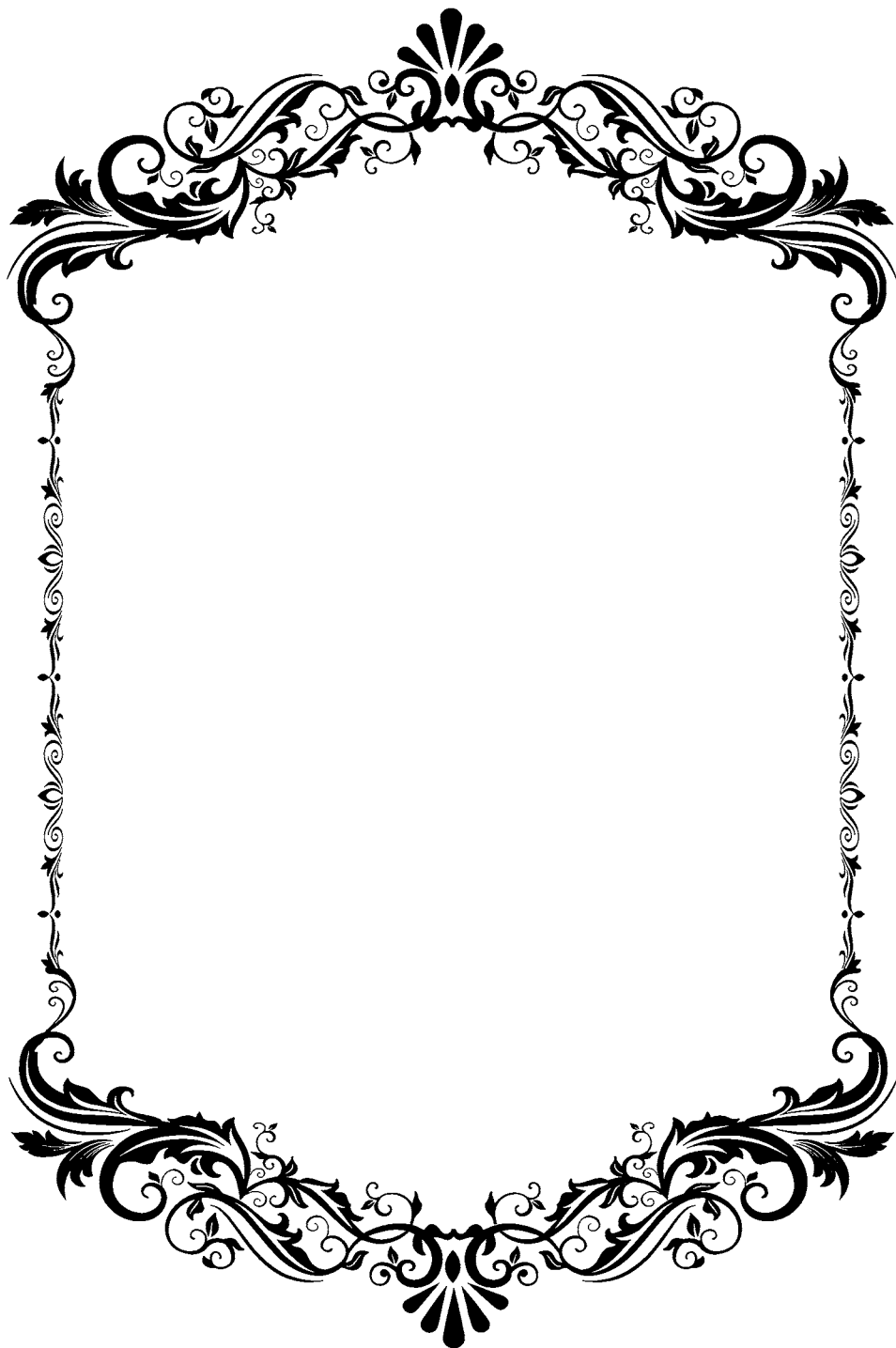
﴿بِمَا﴾: الباء: باء السببية، أو البدلية.

﴿بِمَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي، أو مصدرية.

﴿كَانُوا﴾: في الدنيا.

﴿يَصْدِفُونَ﴾: يعرضون عن آيات الله، ولا يطيقون سماعها، أو الالتفات إليها، أو يكذبونها، أو يستهزئون بها.







فهرس تفسير القرآن الثري الجزء الثالث

السورة ورقمها	الصفحة
سورة النساء [الآيات ١١٤ - ١٢١]	٦
سورة النساء [الآيات ١٢٢ - ١٢٧]	١٥
سورة النساء [الآيات ١٢٨ - ١٣٤]	٢٥
سورة النساء [الآيات ١٣٥ - ١٤٠]	٣٧
سورة النساء [الآيات ١٤١ - ١٤٧]	٤٩
سورة النساء [الآيات ١٤٨ - ١٥٤]	٦١
سورة النساء [الآيات ١٥٥ - ١٦٢]	٧٣
سورة النساء [الآيات ١٦٣ - ١٧٠]	٨٥
سورة النساء [الآيات ١٧١ - ١٧٥]	٩٥
سورة النساء [الآية ١٧٦]	١٠٧
سورة المائدة [الآيات ١ - ٢]	١١١
سورة المائدة [الآيات ٣ - ٥]	١١٩
سورة المائدة [الآيات ٦ - ٩]	١٣١
سورة المائدة [الآيات ١٠ - ١٣]	١٤١
سورة المائدة [الآيات ١٤ - ١٧]	١٥١
سورة المائدة [الآيات ١٨ - ٢٣]	١٥٩
سورة المائدة [الآيات ٢٤ - ٣١]	١٦٧
سورة المائدة [الآيات ٣٢ - ٣٦]	١٧٧



السورة ورقمها	الصفحة
سورة المائدة [الآيات ٣٧ - ٤١].....	١٨٥
سورة المائدة [الآيات ٤٢ - ٤٥].....	١٩٥
سورة المائدة [الآيات ٤٦ - ٥٠].....	٢٠٥
سورة المائدة [الآيات ٥١ - ٥٧].....	٢١٥
سورة المائدة [الآيات ٥٨ - ٦٤].....	٢٢٥
سورة المائدة [الآيات ٦٥ - ٧٠].....	٢٣٧
سورة المائدة [الآيات ٧١ - ٧٦].....	٢٤٥
سورة المائدة [الآيات ٧٧ - ٨٢].....	٢٥٣
سورة المائدة [الآيات ٨٣ - ٨٩].....	٢٦١
سورة المائدة [الآيات ٩٠ - ٩٥].....	٢٧١
سورة المائدة [الآيات ٩٦ - ١٠٣].....	٢٨٥
سورة المائدة [الآيات ١٠٤ - ١٠٨].....	٢٩٥
سورة المائدة [الآيات ١٠٩ - ١١٣].....	٣٠٣
سورة المائدة [الآيات ١١٤ - ١٢٠].....	٣١١
سورة الأنعام [الآيات ١ - ٨].....	٣١٩
سورة الأنعام [الآيات ٩ - ١٨].....	٣٣١
سورة الأنعام [الآيات ١٩ - ٢٧].....	٣٤١
سورة الأنعام [الآيات ٢٨ - ٣٥].....	٣٥٣
سورة الأنعام [الآيات ٣٦ - ٤٤].....	٣٦٧
سورة الأنعام [الآيات ٤٥ - ٥٢].....	٣٧٩
سورة الأنعام [الآيات ٥٣ - ٥٩].....	٣٩١



الصفحة	السورة ورقمها
٤٠١.....	سورة الأنعام [الآيات ٦٠ - ٦٨]
٤١١.....	سورة الأنعام [الآيات ٦٩ - ٧٣]
٤٢١.....	سورة الأنعام [الآيات ٧٤ - ٨١]
٤٣١.....	سورة الأنعام [الآيات ٨٢ - ٩٠]
٤٤١.....	سورة الأنعام [الآيات ٩١ - ٩٤]
٤٥٣.....	سورة الأنعام [الآيات ٩٥ - ١٠١]
٤٦٩.....	سورة الأنعام [الآيات ١٠٢ - ١١٠]
٤٧٩.....	سورة الأنعام [الآيات ١١١ - ١١٨]
٤٩١.....	سورة الأنعام [الآيات ١١٩ - ١٢٤]
٤٩٩.....	سورة الأنعام [الآيات ١٢٥ - ١٣٠]
٥٠٩.....	سورة الأنعام [الآيات ١٣١ - ١٣٧]
٥١٩.....	سورة الأنعام [الآيات ١٣٨ - ١٤٢]
٥٢٧.....	سورة الأنعام [الآيات ١٤٣ - ١٤٦]
٥٣٥.....	سورة الأنعام [الآيات ١٤٧ - ١٥١]
٥٤٥.....	سورة الأنعام [الآيات ١٥٢ - ١٥٧]
٥٥٧.....	فهرس تفسير القرآن الثري الجزء الثالث



نَفْسُ الْقُرْآنِ

الْحَكِيمِ الْخَافِعِ

فِي

الْإِعْجَازِ الْبَيِّنِيِّ وَاللُّغَوِيِّ وَالْعِلْمِيِّ

إِعْدَادُ وَدِرَاسَةُ

الدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ سَالِحِ

تَحْقِيقُ

تَحْقِيقُ

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الشَّرِيفِ الْجَامِعِ

فِي

الْإِعْجَازِ الْبَيَّانِيِّ وَاللُّغُويِّ وَالْعَالِمِيِّ

إِعْدَادُ وَدِرَاسَةُ

الدَّكْتُورِ مُحَمَّدٍ الرَّهْمَلِيِّ

الْجُزْءُ الرَّابِعُ

تَكْوِينُ الْإِعْجَازِ

تَحْقِيقُ الْجَامِعِ الْكَلَامِ



تفسير القرآن الشري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء : (١٢)
عدد الصفحات : (٦٧٠٤)
القياس : ٢٤ × ١٧
التنضيد والإخراج الضوئي : محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

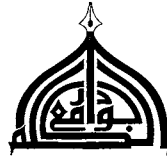


دار المراج

تلفاكس : +963 11 2247242

ص.ب: 31429، سورية، دمشق

E-mail: meraj.press@gmail.com



للطباعة والنشر والتوزيع

دار الجامع الكلام



تنضيد وإخراج ضوئي



جوال : +963 933 84 60 60

سورية - دمشق - تلفاكس : +963 11 2216555 - ص.ب 13118

www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5



الْحَجَّةُ الْبَاطِلَةُ

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ
 بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا
 لَمْ تَكُنْ ءَامِنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضَرُوا
 إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ
 مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ
 ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ
 فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَمْثَالُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلِ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلِ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ
 ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ
 نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزِرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ
 خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ
 فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾



سورة الأنعام [الآيات ١٥٨ - ١٦٥]

[١٥٨] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا أَنَا مُنْتَظِرُونَ﴾

المناسبة: بعد أن بيَّن : أنه أنزل الكتاب (القرآن)؛ كبيّنة، وهدى، ورحمة، فلم يعد لهم عذر لعدم الإيمان، ولذلك يذرههم بسوء العذاب.

﴿هَلْ﴾ : استفهام؛ تتضمن معنى النفي، والاستنكار؛ أي: ما ينظرون إلا أن تأتيتهم الملائكة.

﴿يَنْظُرُونَ﴾ : ولم يقل: ينتظرون؛ لأنهم لم يصدقوا أنه سيقع.

ينتظرون: انتظار معه ترقب؛ أي: توقع ما سيحدث، وطول في وقت الانتظار.

أما ينظرون: فانتظار؛ من دون ترقب، بل يأتي فجأة بغتة، ويقع بسرعة؛ أي: ليس هناك طول انتظار.

﴿إِلَّا أَنْ﴾ : إلا: للحصر، أن: مصدرية؛ للتعليل.

﴿يَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ : ملائكة الموت؛ لقبض أرواحهم، أو تأتي الملائكة يوم القيامة؛ لقوله : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ : يوم القيامة؛ لقوله : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠].



وقيل: ﴿يَأْتِي رَبُّكَ﴾: تعني: يأتي أمر ربك؛ أي: العذاب، والهلاك.

﴿أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾: قيل: هي علامات الساعة الكبرى، أو أشرار الساعة مثل طلوع الشمس من المغرب، أو ظهور الدابة، أو يأجوج ومأجوج، والدجال، ونزول عيسى .

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾:

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾: أي: إذا ظهرت الآيات الكبرى، للساعة، أو أشرار الساعة.

﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾: أي: لا توبة، ولا إيمان بعد ذلك، لا: النافية للجنس؛ أي: إن جاءت هذه الآيات فلن يعد هناك تكليف، أو عبادة تقبل من العبد بعد ظهور هذه الآيات.

﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾: أي: آمنت، عملت الصالحات قبل علمها بمجيء الساعة، ومعنى كسبت في إيمانها خيراً، ليس كإيمان فرعون: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ﴾.

﴿ءَالْكَفَرِ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠-٩١]. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٨٦) لبيان معنى الكسب.

﴿قُلْ أَنْتَظِرُونَ أَنَا مُنْتَظِرُونَ﴾: فيها تهديد، ووعيد لمن يرجئ توبته، وإيمانه حتى حدوث هذه الأمور؛ أي: أشرار الساعة، قل لهم يا محمد: انتظروا مثل أيام الذين خلوا من قبلكم، أو يأتي بعض آيات ربكم، ونحن منتظرون وعد ربنا، بالنصر والنجاة؛ لمن آمن، والهلاك والعذاب، لمن أعرض وكفر بآيات ربّه.



﴿مُنْتَظِرُونَ﴾: جملة اسمية؛ تدل على الثبوت؛ أي: سوف ننتظر، ولن نكفَّ عن الانتظار حتى النهاية.

[١٥٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَّسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، الذين: اسم موصول؛ يفيد الذم، والذي: قد تعني: اليهود، والنصارى، وأهل الضلالة من هذه الأمة.

﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: وهم أهل البدع، والضلالة، والشبهات، فرَّقوا دينهم: تعني: آمنوا ببعض، وكفروا ببعض.

﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾: فرقاً، وجماعات، ومذاهب شتى، والشيعة: جماعة تتبع أمراً، سواء أكان خيراً، أم شراً.

وفي قراءة أخرى: إن الذين فارقوا دينهم؛ أي: تركوا دينهم؛ أي: ارتدوا، أو ابتدعوا.

﴿لَّسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾: أي: أنت بريء منهم، وهم منك براء.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد الحصر.

﴿أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾: مصيرهم، جزاؤهم، عقابهم موكل إلى الله تعالى.

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ﴾: ثم: تفيد الترتيب، والتراخي؛ أي: يوم القيامة ينبئهم.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد، ما: اسم موصول بمعنى الذي، وما أوسع شمولاً من الذي.

﴿كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾: يفعلون: العمل يشمل الفعل والقول؛ فالفعل جزء من العمل؛ أي: العمل أشمل في الدنيا من خير، أو شر، أو تفريق، وابتداع في الدين.

[١٦٠] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾:

﴿مَنْ﴾: ابتدائية شرطية.

﴿جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ الحسنة: هي كل عمل من قول، أو فعل خير، يورث ثواباً. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٠١)؛ لمزيد من البيان.

وحسنة: جاءت من حسن، والتاء تسمى تاء المبالغة، كقولك: فلان علامة، وثواب الحسنة بعشر أمثالها جمع مِثْل: المِثْل هنا يعني حسنة وعشر أمثالها أي عشر حسنات، وعشر (مذكر) حسنات (مؤنث) والعدد من (٣-١٠) يخالف المعدود في التذكير والتأنيث ولذلك جاءت عشر ولم يقل عشرة، وقد يضاعف ذلك إلى سبعة ضعف، وهذا من رحمته، وفضله.

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ تفيد التوكيد، لا: النافية.

﴿يُجْزَى﴾: من الجزاء.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مِثْلُهَا﴾: أي: ﴿وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]. وهذا من رحمته سبحانه وتعالى.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: وهم: ضمير منفصل؛ يفيد توكيد عدم ظلمهم، ولو كان مثقال ذرة، فلا تنقص من حسناتهم حسنة، ولا تزد سيئاتهم سيئة.

[١٦١] ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ.



﴿قُلْ إِنِّي﴾: زيادة النون؛ تفيد التوكيد على الهداية، أو أنه هدايني؛ أي: دلّني.

﴿رَبِّي﴾: من الربوبية.

﴿وَالِي صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: دين الإسلام، دين الحق.

﴿وَيَنَاقِظًا﴾: قِيَمًا. وليس ديناً قِيَمًا؛ أي: مستقيم، أو قائماً على سائر الكتب كما جاء في سورة الكهف في آية (٢) وإنما قال ديناً قِيَمًا الاستقامة؛ أي: لا تقوم الحياة إلا به، مستقيماً لا عوج فيه.

و ﴿قِيَمًا﴾: صيغة مبالغة في الاستقامة ليس فقط مستقيم وإنما أبلغ أو كامل الاستقامة ليس هناك أفضل من الاستقامة؛ أي: أبلغ من القائم، وإنما قيم على مصالح العباد.

﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾: شريعة إبراهيم .

﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً عن الأديان الباطلة إلى دين الحق. ارجع إلى الآية (١٣٥) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: ما: النافية لكل الأزمنة؛ من المشركين: من: المفرد والمثنى والجمع للعاقل، والمشركين: جمع مشرك.

[١٦٢] ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ: ﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾: نسكي؛ أي: عبادتي، والنسك: تطلق على أفعال الحج خاصة، والنسك: يدخل فيها النحر؛ لأن الكفار كانوا يتقربون إلى آلهتهم بالنحر، وكل ما يتقرب به إلى الله يُعَدُّ نُسْكَاً؛ فالنسك تطلق على كل عبادة بما فيها أعمال الحج؛ فالطواف نسك، والسعي نسك، والرمي والوقوف بعرفة.



﴿وَمَحْيَا وَمَمَاتٍ﴾: ومحياي: كل ما أعمله في حياتي، وما أموت عليه: من الإيمان، والعمل الصالح، كله لله رب العالمين، أو حياتي؛ أي: طاعتي لله. ﴿وَمَمَاتٍ﴾: أي: رجوعي إلى الله رب العالمين؛ فصلاتي وعبادتي ومحياي ومماتي كلها خالصة لله رب العالمين من الشرك، والرياء.

[١٦٣] ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾:

﴿لَا شَرِيكَ لَّهُ﴾: لا: النافية، لا شريك له في ذاته، ولا في ألوهيته، ولا في ربوبيته، ولا في صفاته وأسمائه.

﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾: أي: أمرني ربي.

﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾: لها عدة معان منها: أول المسلمين من أمته ﷺ، والرسول ﷺ؛ أي أمة محمد ﷺ، وأول المسلمين قد لا تعني الترتيب الزمني، وإنما تعني أشد المسلمين إسلاماً، أو من أمة الإسلام من آدم إلى أمة محمد ﷺ، أول المسلمين تطبيقاً للإسلام؛ أي: في شدة الأداء.

﴿١٦٤﴾ قُلْ أَغْنَى اللَّهُ أَبْنَى رِبَاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١٦٥﴾

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ؛ رداً على دعواهم لك على عبادة آلهتهم، وترك أمر الدين، والرجوع عنه.

﴿قُلْ أَعِزَّ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري، وغير: تفيد المغايرة بالذات في هذه الآية.

﴿أَتَبٰى رَبَّآ﴾: أَلْتَمَسَ، أَوْ أَطْلَبَ رَبَّآ خَالِقًا، وَمَرْبِيًا، وَرَازِقًا؛ أَي: لَا أَبْغِي رَبَّآ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَه؛ فَهُوَ يَكْفِي: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٣٢].

﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾: مالک، وخالقہ، ومدبّرہ۔



﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾: قال: ﴿عَلَيْهَا﴾: وليس: لها؛ لقوله في آية أخرى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾: لها ما كسبت من الحسنات، وعليها ما اكتسبته من السيئات. ارجع إلى الآية (٢٨٦) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿وَلَا نُزِرُ وَأَرْزُ وَزَرُ أُخْرَى﴾: ولا تتحمل نفس وازرة؛ أي: إثم أو ذنب نفس أخرى، فكل إنسان مجزي بعمله، سواء أكان صالحاً، أم سيئاً؛ كقوله تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾: ثم: للترتيب، والتراخي، ثم يوم القيامة إلى ربكم مرجعكم للحساب، والجزاء.

تقديم الجار والمجرور ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: يدل على الحصر؛ أي: فقط إليه مرجعكم، لا إلى غيره .

﴿فَيَنْتَعِمُ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

﴿كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾: كنتم: في الدنيا. فيه تخلصون: من أمور الدُّنْيَا، والحق، والباطل، والآيات، والأحكام.

[١٦٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّبَلِّغُكُمْ فِي مَاءِ انْتِكُرُ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

الخطاب إلى أمة محمد ﷺ.

﴿وَهُوَ﴾: الواو: استئنافية، هو: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد، والحصر، تعود على الله .

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول؛ يفيد التعظيم.

﴿جَعَلَ لَكُمُ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾: خلائف جمع خليفة (ارجع إلى سورة البقرة

آية (٣٠) للبيان) وردت كلمة ﴿خَلَتِ الْأَرْضُ﴾ مرتين في القرآن، وخلائف في الأرض مرتين، ووردت كلمة خلفاء الأرض ثلاث مرات.

فنحن أمام ثلاثة فروق:

١ - خلائف الأرض: أعم وأشمل من قوله خلائف في الأرض، وتعني: العباد الصالحون المسلمون؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

٢ - خلائف في الأرض: تأتي في سياق الأقوام الكافرة الفاسدة؛ التي أهلكت بسبب أعمالها السيئة.

٣ - خلفاء في الأرض: أي: الحاكمون، أو الحكام، جمع خليفة: (ملوك، ورؤساء، وحكام للدول)؛ خلفاء على كرسي الحكم، أو العرش.

والآيات التي وردت فيها كلمة ﴿خَلَتِ الْأَرْضُ﴾ هي: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي آفَاقِكُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [يونس: ٧٣].

وأما الآيات التي وردت فيها كلمة: ﴿خَلَتِ الْأَرْضُ﴾ فهي: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤٢].

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣٩].

وأما الآيات التي وردت فيها كلمة خلفاء؛ فهي: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: ٦٩].

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ [الأعراف: ٧٤].



﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾

[النمل: ٦٢].

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾:

﴿دَرَجَاتٍ﴾: قيل: في الرزق، والعلم، والقوة، والصحة، والخلق، وغيرها، وقيل: درجات في الجنة، وقيل: درجات في التقوى، والإيمان. وقد تشمل الكل؛ أي: كل ما سبق.

ولماذا الرفع؟ الرفع ﴿لِيَبْلُوكُمْ فِي مَاءِ آتَانَكُمْ﴾: أو كما بين في سورة الزخرف: ﴿لِيَسْتَخَذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُرَرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢].

ويجب أن لا نظن: أن البعض مرفوع، والبعض الآخر مرفوع عليه، فهذا ظنٌ خاطئ، فما دام قد جاءت كلمة ﴿بَعْضُهُمْ﴾: مبهمة؛ فإن كل واحد منا مرفوع، ومرفوع عليه؛ أي: كل منا محتاج إلى الآخر في حياته، والآخر محتاج إلينا في حياته.

﴿لِيَبْلُوكُمْ فِي مَاءِ آتَانَكُمْ﴾: ليلوكم: اللام: للتأكيد، والتعليل، فيما: في: ظرفية، ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، أو مصدرية من الرزق، بالغنى، والفقر، بالشكر، أو الصبر، ومن الصحة، أو المرض، والعلم، والجهل، والقوة، والضعف، وغيرها.

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾: والعقاب: هو الجزاء على الفعل؛ فالعقاب: يقع بعد، أو عقيب العمل.

﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: أكد هنا بأن، واللام في كلمة ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

غفور: صيغة مبالغة من غفر؛ أي: ستر، ورحيم: صيغة مبالغة. ارجع إلى سورة الفاتحة، الآية (٣)؛ لمزيد من البيان.

فهنا جاء التأكيد على كونه غفور رحيم؛ أشد وأقوى من التوكيد على كونه سريع العقاب؛ ليث الأمل في النفوس.

ولو قارئاً هذه الآية (١٦٥) من سورة الأنعام: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: إذ تتحدث عن العقوبات في الآخرة، وأكد رحمته في الآخرة لعباده الصالحين بالقول: وإنه لغفور رحيم.

أما الآية (١٦٧) من سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: فتتحدث عن العقوبات العاجلة في الدنيا لبني إسرائيل؛ إذ اتخذوا العجل، وقتلوا الأنبياء، واعتدوا في السبت؛ فناسب التأكيد بتعجيل العقوبات؛ فقال: ﴿لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾: أكد باللام، وإن.

وقال: ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: أكد على كونه سريع العقاب، وأنه غفور رحيم؛ أي: كلاهما بنفس الدرجة.





سُورَةُ الْأَعْرَافِ ٧

الجزء الثاني

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَص (١) كَتَبْنَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ
لِتُنذِرَ بِهِ. وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم
مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٣)
وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ
(٤) فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَاهُ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا
ظَالِمِينَ (٥) فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ
الْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (٧)
وَالْوِزْنُ يُوَمِّدُ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (٩) وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ
فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (١٠)
وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١)





سورة الأعراف [الآيات ١ - ١١]

ترتيبها في القرآن (٧)، وترتيبها في النزول (٣٩)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْمَصَّ﴾:

﴿الْمَصَّ﴾: ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة؛ للبيان.

[٢] ﴿كَتَبُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُنْذِرَ بِهِ، وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿كَتَبُ﴾: أي: هذا كتاب، أو هو كتاب، وجاء بصيغة النكرة؛ للتعظيم؛
أي: هذا كتاب عظيم، أو هو كتاب عظيم؛ أي: القرآن.

﴿أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾: أنزل: تعني: جملة واحدة، أو دفعة واحدة، من اللوح
المحفوظ إلى السماء الدنيا، ولم يقل: نزل إليك التي تدل على إنزاله منجماً،
وعلى دفعات؛ أي: أنزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم نُزِّلَ
على دفعات خلال (٢٣ عاماً).

﴿إِلَيْكَ﴾: ولم يقل: عليك، إليك: تفيد الانتهاء، وتستعمل في سياق التبليغ،
والانتهاء إلى عامة الناس.

عليك: تفيد العلو، والجهة المنزلة، وتستخدم في سياق التشريع، وعليك:
من على؛ تفيد الاستعلاء، والمشقة. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٤)؛ لمزيد من
البيان.



والقول أنزل عليك لا يتناسب مع السياق؛ لأن الآية جاءت في سياق تخفيف الحرج؛ فاستعمال على في معناها الحرج.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: الناهية.

﴿يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾: حرج: ضيق في الصدر، لا مخرج منه، والحرج يطلق على المكان الضيق بسبب كثرة الأشجار كما نرى في الغابات أحياناً يصعب تجاوزه، والخطاب هنا موجه إلى رسول الله ﷺ وأمه، فالرسول ﷺ فرد من هذه الأمة، ويمثل هذه الأمة.

وقيل: النهي هنا للحرج: أن يدخل صدر رسول الله ﷺ.

﴿حَرَجٌ مِّنْهُ﴾: من تبليغه، أو الإنذار به، أو عدم تصديق الكفار به.

﴿لِنُنْذِرَ بِهِ﴾: اللام: لام التعليل، والهاء في ﴿بِهِ﴾: تعود على الكتاب، والإنذار يكون للناس كافة وقومك، ومن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة، وخاصة أم القرى، ومن حولها، وتندر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك.

﴿وَذَكَّرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: اللام: في كلمة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: تفيد الاختصاص، ذكرى: أي: تذكرة للمؤمنين خاصة؛ لكي ينتفعوا بها إذا غفلوا؛ كقوله: ﴿إِنَّمَا نُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [فاطر: ١٨]، ﴿إِنَّمَا نُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ [يس: ١١].

[٣] ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾:

في هذه الآية: انتقل الخطاب إلى أمة محمد ﷺ، وتشمل رسول الله ﷺ، وفي الآية السابقة كان الخطاب إلى رسول الله ﷺ، وأمه أيضاً؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام، وأمه شيء واحد.



﴿اتَّبِعُوا﴾: بامثال أوامر ربكم، واجتناب ما نهى عنه.

واتباع الرسول ﷺ داخل في اتباعوا؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكُمْ فَخُذُوا مِن نِّهَاكُم مِّنْهُ فَانتهوا﴾ [الحشر: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٦٩].

﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: ما: اسم موصول بمعنى: الذي.

﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أي: القرآن، الوحي وما أنزل إليكم من ربكم، لا

يعني: القرآن فقط، بل كل ما آتاكم الرسول ﷺ، ونهاكم عنه؛ لأنه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٣-٥].

﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾: من: ابتدائية، ربكم: الخالق، والمربي.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾: من دون الله؛ أي: غيره، أو سواه.

﴿أَوْلِيَاءَ﴾: جمع ولي، والولي؛ سواء أكان من البشر، أم من الشياطين، أم

الأصنام، أم الآلهة، والولي: هو القريب المعين الذي تلجأ إليه حين الضرورة.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾: ما: للتوكيد.

﴿قَلِيلًا﴾: قد تعني: العدد؛ أي: عدد الذين يتذكرون قلة، أو ﴿قَلِيلًا مَّا

تَذَكَّرُونَ﴾: تعني: الكمية من الوصايا، والشرائع، وما أنزل إليكم من ربكم لا تتذكرون إلا القلة منها.

﴿تَذَكَّرُونَ﴾: ولم يقل: تتذكرون؛ لأن اتباع القرآن والسنة، وما أنزل الله

سبحانه لا يحتاج إلى وقت طويل؛ لكي يتذكرها الإنسان؛ لأنكم علمتم بها من قبل.



وأما تتذكرون: فتستعمل في الأمور، أو المسائل التي تحتاج إلى طول تأمل ونظر، مثل: مسألة الهداية، وترك عبادة الأصنام، وغيرها.
[٤] ﴿وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَابَيْتٍ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾:

يتنقل في هذه الآية، والآيات القادمة؛ للتحذير من عدم اتباع ما أنزل الله، واتباع رسله بالهلاك.

﴿وَكَمْ﴾: الواو: استئنافية، كم: الخبرية، وتفيد الكثرة؛ أي: عدد القرى المهلكة كثيرة جداً.
﴿مِّن﴾: ابتدائية.

﴿قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾: ذكر القرية، والمراد بها أهلها، والقرية؛ تعني: المنازل، وساكنيها معاً.

﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾: الهلاك؛ يعني: الموت بشكل عام، وتستعمل للإنسان، وغير الإنسان؛ الحرث، والحيوان، والنسل، والأموال، والبنیان.

والهلاك ليس بالضرورة عقوبة؛ فالهلاك: كلمة عامة قد يعني: زوال النعمة، أو فقدان المال كقوله: ﴿أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ﴾ [البعد: ٦]، وكقوله: ﴿هَلَكَ عَنِ سُلْطَانِيَّةٍ﴾ [الحاقة: ٢٩].

وهناك فرق بين الهلاك، والدمار. ارجع إلى سورة الإسراء، آية (١٦)؛ للبيان.

ولم يقل: كانت ظالمة، كما وصفها في سورة الحج، آية (٤٥)؛ لأنه سبحانه أشار إلى ذلك حين اعترف أهلها وقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، آية (٥) من نفس السورة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَنْذِرُ
عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩].

﴿فَجَاءَهَا بِأُسْنًا﴾: فجاءها: الفاء: للترتيب الذكري؛ لعطف المفصل على
المجمل، البأس: العذاب، ونسب العذاب إليه؛ بقوله: ﴿بِأُسْنًا﴾: للتخويف،
والحذر، والإنذار.

وكلمة: ﴿فَجَاءَهَا﴾: المجيء فيه معنى الصعوبة، والمشقة؛ مقارنة بكلمة
أتاها: التي تدل على السهولة، واليسر.

﴿بَيْنَتًا﴾: سواء أكانوا نائمين، أم غير نائمين؛ لأن معنى بات فلان: أظله
المبيت، وأجته الليل، سواء أنام، أم لم ينم.

﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾: أي: في زمن القيلولة، والاستراحة، والنوم، ويكون
ذلك بعد الظهر عادة، وهنا لا بُدَّ من سؤالين: الأول: لماذا قال: ﴿فَجَاءَهَا بِأُسْنًا﴾،
بعد أن قال: ﴿أَهْلَكَنَّهَا﴾؛ لأن البأس (العذاب): يأتي عادة قبل الإهلاك، الجواب
هذا يسمّى: التفصيل بعد الإجمال.

السؤال الثاني: لماذا اختار وقت الراحة، أو النوم؟

الجواب: كي يكون الحدث مرعباً، ومفجعاً، وهم على غير استعداد،
وحيطه، والله قادر على أن يأخذهم في أي زمن، ومكان، وحال سواء في
قلوبهم، أم هم على حيطه، وحذر، كما قال تعالى في سورة النحل، آية (٤٥) -
(٤٧): ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ
حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ
رَبَّكَم لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.



[٥] ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء: عاطفة، ما: للنفي.

﴿كَانَ دَعْوَانَهُمْ﴾: من دعوى؛ مصدر لفعل دعا، ومنها: الدعاء، وأقام الدعوى ضد فلان؛ أي: أقام البينة.

إذن: لم تكن لهم بينة، أو دعوى يردون عليها على مجيء البأس؛ إلا اعترافهم بالظلم، أو دعاؤهم: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

﴿أَن﴾: يفيد التوكيد.

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: ظالمين: جملة اسمية؛ تدل على الثبوت؛ أي: الظلم صفة ثابتة لهم.

وماذا حدث بعد اعترافهم بظلمهم: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [تبارك: ١١]، وفي سورة الأنبياء: ﴿قَالُوا يَنْوِلُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَانَهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خِلْمِينَ﴾.

وبأس الله إذا وقع؛ لا يرد، أو يتبدل، أو يتحول؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧].

وإذا أوقع بأسه؛ لا ينفع عند وقوعه الإيمان؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥] إلا في قوم يونس. ارجع إلى سورة يونس آية (٩٨).

[٦] ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ﴾: الفاء: للتعقيب بالترتيب.

﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون: لزيادة التوكيد، والسؤال يكون يوم القيامة.

﴿ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾: هم أقوام الرسل، أو أمم الرسل، يسألون: هل بلغوكم رسلي؛ كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٦٥].
﴿ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾: أي: الرسل، والأنبياء؛ لأن الأنبياء، والرسل كلهم مرسلون من الله، مع العلم أن هناك فرقاً بين الرسول والنبي. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٤).

سوف يسألهم الله تعالى: هل بلغتكم عبادي ما أرسلتم به؟
والله سبحانه يعلم جواب المرسلين، هل بلغوا، أم لم يبلغوا، فلماذا يسألهم؟

الجواب: هذا سؤال للإقرار: أن يجيبوا عن هذا السؤال بأنفسهم؛ فهو للإقرار، والتفريع، ولإقامة الحجة على أقوامهم.
[٧] ﴿ فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾:

﴿ فَلَنَقْصُصَنَّ ﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب، السلام: للتوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿ عَلَيْهِمْ ﴾: على الرسل، والأنبياء، وأقوامهم، أو أممهم عليهم جميعاً.
﴿ بِعِلْمٍ ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد، فلنقصن عليهم ﴿ فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ ﴾:
أي: نخبرهم بما فعلوه؛ فالله سبحانه: هو الشهيد، والريب على جميع خلقه، وأحاط علمه بكل حدث، أو قول، أو فعل.



﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: النافية.

﴿كُنَّا غَائِبِينَ﴾: غائبين عنهم، سواء في الزمان، أم المكان، أو أي حدث، فنحن أقرب إليهم من حبل الوريد، أو كانوا رسلي لديهم يكتبون ما فعلوه.

[٨] ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾:

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾: أي: وزن الأعمال يوم القيامة الحق، والميزان الحق، لا جور فيه، ولا ظلم؛ حتى ولو كان بمقدار حسنة، أو سيئة، أو مثقال حبة من خردل، وما يوزن: هو أعمال العباد.

كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

والسؤال: لماذا الوزن ما دام الله سبحانه يعلم أعمال العباد، ويعلم مقدار حسناتهم وسيئاتهم؟

الجواب: لإقامة الحُجَّة عليهم بعد سؤالهم عن الرسل.

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: استئنافية، من: ابتدائية شرطية.

﴿ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: أي: رجحت حسناته على سيئاته.

﴿فَأُولَئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد، أولئك: اسم إشارة للبعد.

﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: هم: ضمير منفصل؛ يفيد المبالغة في الفلاح؛ أي: إذا كان هناك مفلحون فهم المفلحون حقاً، أو في طليعة المفلحين الذين نجوا من النار، وفازوا بالجنة. ارجع إلى الآية (٥) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.



[٩] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: من: ابتدائية شرطية.

﴿خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾: أي: رجحت سيئاته على حسناته. ارجع إلى سورة

القارعة، آية (٦)؛ لمزيد من البيان.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد، أولئك: اسم إشارة للبعد.

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بإدخالها في النار.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، أو السببية، أو البدلية، بسبب ظلمهم بآياتنا.

﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾: الظلم: هو الخروج عن منهج الله سبحانه بكل

أشكاله، والظلم: يشمل الشرك، والإنكار، والتكذيب، والاستهزاء، والصد عنها... وغيرها.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق والتوكيد.

﴿مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: بالاستخلاف في الأرض، والقدرة على إقامة

الدِّين، ولا يعني التمكين: السيطرة، أو الهيمنة.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ﴾: وجعلنا لكم خاصّة في الأرض، معاش جمع

معيشة، ومعيشة اسم لما يعيش به الإنسان من مطعم، ومشرب، وملبس، أو هيأنا لكم أسباب العيش، من مطعم، ومشرب، وملبس، وهواء، وشمس، وقمر، ومعاش: جاءت بصيغة النكرة، ولو كانت بصيغة المعرفة؛ أي: المعاش؛ لاستوى الفقير، والغني في المعيشة؛ أي: الكل استوى، فلا نجد فقراء وأغنياء.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾: ما: للتوكيد.

﴿قَلِيلًا﴾: أي: قليل منكم شاكرون؛ أي: عدد الشاكرين قليل، أو شكركم قليل، أو كلاهما معاً، وكما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣].

والشكر: من أعلى منازل العبودية، هذه العبودية التي تتجلى بظهور نعمة الله سبحانه على لسان عبده بالحمد، والشكر، والثناء، والاعتراف بالمنعم، وتتجلى على قلبه بمحبة بالمنعم، وعلى جوارحه خضوعاً وطاعة للمنعم.

وتحت مقام الشكر يندرج مقام المحبة، والرضا، ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه، ولا ننسى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

والشكر على المصائب؛ مثل: البأساء، والضراء، أشد وأصعب من الشكر على السراء، ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. ارجع إلى سورة الفاتحة؛ لمعرفة الفرق بين الحمد، والشكر، آية (٢).

[١١] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾: يعني: الخلق، تعني: التقدير، والحساب، والخلق بالنسبة لله من العدم، ويعني من تراب، أو من ذكر، أو أنثى، أو من آدم.

﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾: التصوير: يعني حينما خلق الله سبحانه آدم وحواء؛ وضع في أصلاهما الصفات الوراثية لكل نسلهما إلى قيام الساعة، من بداية الخلق إلى آخر مخلوق، وهناك (٢٥-٣٠) ألف شفرة وراثية تعطي البشر ملامحهم،



وأشكالهم، وألوانهم، هذه الشفرة الوراثية التي توجد في نواة الخلية البشرية التناسلية للحيوان المنوي، والبويضة، فاختيار الصفات الوراثية لكل مخلوق؛ تعني: التصوير، والخطاب إلى جميع البشر، وليس إلى آدم؛ فالذي يعطي صورة كل فرد هو صفاته الوراثية، فالقدرة الإلهية: أن الله قد وضع في صلب آدم وحواء كل صفات ذريتهما إلى قيام الساعة، وتنتقل هذه الصفات إلى كل أب، وأم، ثم تنتقل إلى ذريتهما بطريق التناسل. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (٦)؛ لمزيد من البيان.

﴿ثُمَّ﴾: تفيد الترتيب، والتراخي في الزمن، أو الترقى في الصفات.

﴿فَلَنَّا لِلْمَلَائِكَةِ أَسْجُدُوا﴾: سجود تحية، وتكريم، وليس سجود عبادة، والملائكة الذين أمروا بالسجود هم الموكلون بآدم، وذريته، وليس جميع الملائكة، وسجودهم لآدم لا يعني الخضوع، بل هو طاعة لأمر الله .

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿لَهُ﴾: للنفي.

﴿يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾: لم يكن من الملائكة الساجدين؛ لأن إبليس كان من الجن، وليس من الملائكة، وكذلك لم يكن مع الساجدين؛ لأنه لم يسجد مع الملائكة.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

الْبَقَرَةُ

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَنْهَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ يَتَّبِعْ مِنْهُمْ لَا مَلَائِنَ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَتَّعَدُّمْ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ
لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ
مَا نَهَاكُمْ رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَيْنِ أَوْ تَكُونَا
مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تَيْهَمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا
عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾

سورة الأعراف [الآيات ١٢ - ٢٢]

[١٢] ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾:

﴿قَالَ﴾: تعالى: ﴿مَا مَنَّكَ﴾: ما: في هذه الآية ليس غايتها الاستفهام، كما هو العادة، وإنما غايتها الإظهار؛ لأن الله سبحانه قبل أن يأمر إبليس بالسجود؛ يعلم أن إبليس لن يسجد، ويعلم سبب عدم سجوده لآدم، فسؤاله إبليس ليس على سبيل الاستفهام، أو المعرفة - حاشا لله - ولكن للإظهار؛ ليظهر للبشر، ما حدث، وما لدى إبليس من الكبر، وليقيم الحجة على إبليس، وليحذر الناس من الكبر.

﴿الَّتِي تَسْجُدُ﴾: ألا: أصلها: أن: حرف مصدرى، لا: للتوكيد.

﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾: إذ: ظرفية زمانية؛ تفيد الماضي، بمعنى: حين أمرتك.

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾: أي: الكبرُ منعه، وكان بإمكان إبليس أن يقول: أنا لست من الملائكة؛ لأن إبليس من الجن؛ لأن الأمر الإلهي كان للملائكة: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (الآية السابقة)، وقول إبليس: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾: يعني: أن إبليس أدرك أن الأمر الإلهي بالسجود كان يشملهم، والمانع للسجود، أو القيام بأمر ما، إما أن يكون عاملاً داخلياً؛ أي: صادراً من نفس العبد، أو يكون عاملاً خارجياً؛ أي: العبد مجبر أو مكره على القيام به.



وقوله ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾: تشير إلى العامل الداخلي؛ أي: القوة التي منعتها هي نفسه المتكبرة، قالت له، أو زينت له: لا تسجد.

أما قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]، فهذه الآية على أن العامل الخارجي، أو قوة خارجية منعت، أو أكرهته على عدم السجود، وكان الأفضل لإبليس أن يكتفي بقوله: (أنا خير منه)، وينتهي الإجابة، ولكنه أراد أن يخبر: أن النار أفضل من الطين؛ أي: لأنه خلقه من نار، وآدم خلق من طين؛ فهو أفضل من آدم، ويسمى هذا في اللغة: الحشو.

[١٣] ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾:

﴿قَالَ فَاهْبِطْ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، اهبط: الهبوط نوعان: هبوط من منزلة عالية إلى منزلة أدنى، أو هبوط مكاني من أعلى إلى أسفل؛ أي: لم تعد أهلاً أن تكون مع الملائكة الكرام البررة، ولا في الجنة هبوط طرد، وذلة، وليس كهبوط نوح بسلام منا وبركات؛ أي: هبوطاً مباركاً.

﴿مِنْهَا﴾: من الجنة.

﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾: أي: ما ينبغي لك أن تتكبر فيها.

﴿فَمَا﴾: الفاء: تعليلية. ما: نافية، وأن: مصدرية؛ تفيد التوكيد.

﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ﴾: الفاء: للتوكيد؛ تدل على التعقيب، والمباشرة: اخرج من

الجنة الآن؛ من: للعاقل وتشمل المفرد والمثنى والجمع.

﴿الصَّاغِرِينَ﴾: جمع صاغر، مقابل الاستكبار؛ أي: ذليل، والصغار: هو

الذل، والهوان، والخضوع؛ أي: من الأذلاء الدنيئين.

[١٤] ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾:

﴿أَنْظِرْنِي﴾: أي: أمهلني.

﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: انتبه إلى إبليس يطلب الإمهال إلى يوم البعث؛ أي: زمن النفخة الثانية، ويريد أن ينجو من الصعق، والموت، والنفخة الأولى، ويضمن الخلود إلى نفخة البعث، فلا يموت أبداً.

[١٥] ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾:

ولم يحدد في هذه الآية الزمن، بل حددها في آية أخرى، ذكرت في سورة الحجر، الآية (٣٨): ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ: وهو النفخة الأولى، نفخة الصعق، والموت، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٨٠) في سورة ص، والآية (٣٧) في سورة الحجر: نجد أنه حذف الفاء، فقال: (إنك) وفي ص والحجر جاء (بالفاء). قيل: إن الفاء جاءت مقترنة بجواب الشرط، أو ما قبلها سبب ما بعدها، وجملة انظرني جملة مستأنفة، وقيل: لما كان السؤال فأنظرني إلى يوم يبعثون جاء الجواب مقترناً بالفاء، ولما خلا السؤال من الفاء (انظرني إلى يوم يبعثون) جاء الجواب: إنك من المنتظرين.

[١٦] ﴿قَالَ فِيمَا آغَاوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

﴿فِيمَا﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، والمباشرة، والباء: باء القسم؛ أي: أقسم بإغوائك إياي. وقيل: باء السببية.

﴿آغَاوَيْتَنِي﴾: الإغواء، وله معنيان: الإضلال، والإهلاك، وأصل الغي: الفساد، وغواه؛ أي: أضله، انتبه إلى قوله: ﴿فِيمَا آغَاوَيْتَنِي﴾: أي: نسب الإغواء



لرب العالمين، والله يهدي، ولا يغوي أحداً من الإنس، أو الجن، وكلا الجن والإنس له القدرة على اختيار الطاعة، أو المعصية.

فالله سبحانه يريد ابتلاء إبليس بالسجود لآدم، واعتبر إبليس هذا الابتلاء إغواءً له.

وفشل إبليس في الابتلاء، والامتحان؛ لأنه رفض السجود؛ ممّا أدّى إلى طرده من الجنة والرحمة، وفي آية أخرى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾؛ هنا: يعترف بالربوبية لله .

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: لأقعدن: السلام: لام التوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿لَهُمْ﴾: أي: لعبادك المؤمنين.

﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: الصراط المستقيم: هو الإسلام، دين الحق، ونسب إبليس الصراط إلى الله؛ فهو يعلم أنه الحق، والله سبحانه نسب الصراط إليه؛ فقال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٢٦].

وهو كما وصف في سورة الفاتحة: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وهم: النبيون، والصديقون، والشهداء، والصالحون.

والصراط: هو السبيل الموصل إلى الغاية، وهي الجنة بأقصر، وأسهل، وأسرع السبل، المستقيم: الواضح الذي لا اعوجاج فيه.

﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾: أي: لأجلسنّ لهم، يجب أن نذكر أن هناك قياماً، وعوداً، واضطجاعاً، وحركات عدّة، لم يقل: لأفسنّ؛ لأن الوقوف بعد فترة، يؤدّي إلى

تعب، أما القعود، أو الجلوس: فهو أفضل، ويمكن أن تجلس لوقت طويل، ومن دون تعب؛ فإبليس اختار أفضل الحركات، وهي القعود.

﴿صِرْطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: هو الإسلام، ويعني ذلك: لأقعدنَّ لهم على طرق المساجد، وأبوابها، وأبواب الطاعات: من صلاة، وزكاة، وصيام.

[١٧] ﴿ثُمَّ لَا تَنبَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: تدل على التراخي، والإمهال في الزمن؛ لأنناهم من بين أيديهم؛ أي: من أمامهم، ومن خلفهم، وعن أيمنهم، وعن شمائلهم، استعمل: (من)، واستعمل (عن)، من: تفيد المباشرة، والإلصاق، والقرب، وعن: تفيد المجاوزة، والابتعاد.

﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: من أمامهم؛ أي: في أمر الدنيا، أرغبهم في الدنيا وشهواتها. من: تفيد القرب، أقعد قريباً، من أمامهم.

﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: من ورائهم؛ أي: في أمر الآخرة في التكذيب بالبعث والحساب، أقعد قريباً من خلفهم بالوسوسة، والتكذيب.

﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾: أقعد لهم مبتعداً عنهم من جهة اليمين، وقد تعني: أوسوس لهم من جهة اليمين: جهة الحسنات، من جهة حسناتهم؛ بالوسوسة بالمعاصي.

﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾: من جهة سيئاتهم؛ بالتزيين، والإغواء؛ أي: أقعد لهم مبتعداً من جهة الشمال: اليسار، وذكر الجهات الأربع التي ذكرت من ضرب المجاز التمثيلي؛ لأننا نعلم ليس للشيطان مسلك إلا، بالوسوسة والإغراء والتزيين عن



طريق العقل والنفس، وذكر الجهات الأربع، والعدو الذي يحيط بالإنسان من كل جهة، ولأقعدن لهم صراطك المستقيم فلا بد من الحذر منه وتجنبه.

وقوله: ﴿وَعَنْ أَيْمَنِهمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾: ولم يقل: عن اليمين، أو عن الشمال، عن أيماهم، وشمائلهم؛ تعني: يأتيهم بانحراف، أو بشكل منحرف من جهة اليمين، والشمال؛ لأن جلس يمينه؛ أي: في جهة اليمين جلس عن يمينه؛ أي: منحرفاً عن جهة اليمين، وبعيداً عنه، وكذلك عن شمائلهم؛ لأنه يخشى الملكين عن اليمين، وعن الشمال قعيد (رقيب عتيد).

﴿مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: من: تعني: مباشرة من دون انحراف.

ولم يذكر من فوقهم، أو من تحتهم وهذا من رحمة الله بعبده؛ لأن الفوقية قيل: تخصّ الله سبحانه؛ حيث تنزل رحمته، أو تصعد عبادة العبد، والتحتية؛ فهي محروسة بالسجود، والركوع، ومن الصعب، أو نادراً ما يأتي الشيطان للعبد، وهو ساجد، أو راکع.

﴿وَلَا تَحِدُوا كَثْرَهُمْ شَكْرِكُمْ﴾: كيف علم إبليس هذا؟ أن أكثر الناس لن يكونوا من الشاكرين؟

قيل: لأنه من الجن، والجن لها شهوات مثل شهوات الإنس، وبما أن الجن قليلاً ما تشكر؛ فظن الإنس كالجن.

[١٨] ﴿قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿مَذْمُوماً﴾: من الذام: هو أشد الذم أو المبالغة في الذم وذأمه عابه، وحقّره، محقّراً ممقوتاً.

﴿مَدْحُوراً﴾: أي: المبعد، والمطرود، والمقصى عن رحمة الله، دحره؛ أي:

طرده؛ أي: مبعداً مطروداً من رحمة الله؛ جاء رد الله سبحانه وتعالى على إبليس رداً مناسباً بعد أن هدد بالقول ولا تجد أكثرهم شاكرين بالطرد من رحمة الله تعالى وهي أشد من القتل.

﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: لمن: اللام: لام الاستحقاق، أو الاختصاص، من: شرطية.

لمن تبعك منهم: أولاد آدم المخالفين، أولياء الشيطان.
﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾: لأملأَنَّ: اللام: لام التوكيد، وفيها إنذار من الله سبحانه، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿جَهَنَّمَ﴾: ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) للبيان المفصل.
﴿وَمِنْكُمْ﴾: خاصةً أجمعين؛ للتوكيد.

[١٩] ﴿وَيَتَادَمُ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَيَتَادَمُ﴾: الياء: ياء النداء؛ للبعد، ينادي الله آدم بعد طرد إبليس من الجنة، وأقصاه من رحمته.

﴿وَيَتَادَمُ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾: كلمة اسكن: لها معانٍ عدة منها: اسكن؛ من السكنة، والرجل يسكن إلى زوجته، والزوجة تسكن إلى زوجها، فالسكن يحمل معنى: الراحة، والهدوء.

والسكن في اللغة: يقال: للبيت الذي فيه زوجان.



وانتبه إلى قول الله : ﴿أَسْكُنْ﴾ : ولم يقل : اسكننا؛ لأن السكن، والأكل، والشرب، والملبس، واجب على الزوج.

الجنة: هنا تعني جنة أرضية، وليس كما يظن البعض أنها جنة الخلد التي وعد المتقون. ارجع إلى سورة البقرة آية (٣٥) للبيان.

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ : ولم يقل : ولا تأكلا من هذه الشجرة، بل قال : ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ ؛ أي : لا تذهبا قربها.

﴿هَذِهِ﴾ : الهاء : للتنبيه، ذا : اسم إشارة، يستعمل للقريب.

﴿الشَّجَرَةَ﴾ : أبهم ما نوع هذه الشجرة، ولم يبيّنه.

﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ : الظالمين لأنفسهم؛ لعدم طاعة الله تعالى، فيما أمركما. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٤)؛ لمزيد من البيان.

[٢٠] ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ :

﴿فَوَسَّوَسَ﴾ : الفاء : تدل على المباشرة؛ أي : حدثت الوسوسة لهما بعد التحريم بزمن قصير.

والوسوسة نوع من الحديث الخفي الذي يلقيه الشيطان في قلب الإنسان؛ أي : عقله ليفعل المعصية، وهي الأكل من الشجرة في هذه الآية، والغاية من الوسوسة؛ كي تظهر لهما سوءاتهما المخفية.

وكيف تمت الوسوسة، وأين كان إبليس، قيل : تمت الوسوسة عن بُعد،

ولم يكن إبليس بقرب آدم، قيل: كان إبليس على الأرض بعد أن طرد منها، وآدم في الجنة (جنة أرضية).

﴿هُمَا﴾: لآدم وزوجته.

﴿لَبِئْسَ﴾: اللام: لام التعليل، والتوكيد.

﴿لَبِئْسَ﴾: يُظهر لهما ما وُوري عنهما من سوءاتهما.

﴿هُمَا﴾: لام: الاختصاص.

﴿مَا وَرَى عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا﴾: أي: ما ستر، وغطّي عنهما من سوءاتهما.

قيل: كان آدم وزوجه عليهما السلام لا تُرى سوءاتهما؛ بسبب النور الساطع، نور الجنة.

والسوءة: تعريفها: ما يساء النظر إليه، وهي القُبل، والدُبر، والفطرة السليمة لا تحب رؤية سوءة الإنسان لنفسه، أو غيره.

أما العورة: فهي ما بين السرة والركبة.

﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، أن: حرف مصدري للتعليل، وفيه معنى: لئلا.

﴿أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ﴾: أي: من الملائكة، ولهم خصائص القوة، والبقاء.

﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾: تكرار (تكونا): تفيد التوكيد، أو هنا للتخيير.

﴿الْخَالِدِينَ﴾: من الخلود: وهو البقاء من دون موت.



[٢١] ﴿وَقَاسَمُهُمَا إِيَّيْكُمْ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِمَا﴾:

﴿وَقَاسَمُهُمَا﴾: أقسم لهم بالله.

﴿وَقَاسَمُهُمَا﴾: أي: دخل معهما في القسم، والمقاسم: أن تقسم لصاحبك، ويقسم لك، وتقاسما تحالفا، مثال: قال: إبليس أقسم بالله ﴿إِيَّيْكُمْ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِمَا﴾، ورضيا بقسم إبليس.

﴿وَقَاسَمُهُمَا﴾: أي: اجتهد في القسم، أو بالغ فيه، وعبر عن ذلك بصيغة المفاعلة، المقاسمة؛ حتى يخدعهما.

﴿لَئِنْ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿النَّاصِحِينَ﴾: بأن تأكلا من الشجرة لتكونا ملكين، أو تكونا من الخالدين، ناصحين: جمع ناصح: الذي يقدم النصيحة، ولو كان صحيحاً هذا لماذا لم يأكل منها إبليس نفسه؟

[٢٢] ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفَفَا نَخِيفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ أَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾:

﴿فَدَلَّاهُمَا﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب من دون فترة للحوار، أو المشاورة، التولية، أو الإدلاء: هو إنزال الدلو، أو إرساله من الأعلى إلى الأسفل.

﴿فَدَلَّاهُمَا﴾: أي: أنزلهما من مكان عالٍ إلى مكان أسفل، أو من درجة الطاعة إلى درجة المعصية.

﴿بِغُرُورٍ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد، غرور: بالخداع، والقسم الكاذب.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾: الفاء: عاطفة؛ تدل على الترتيب، والتعقيب، مجرد أن ذاقا الشجرة.

﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾: ظهرت لهما سوء اتهمهما.

﴿وَطُفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾: طفق: شرع، طفقاً؛ أي: شرعاً.

﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾: الخصف: الخرز، ومنه الإلصاق؛ يلزقان عليهما من ورق الجنة على سوء اتهمهما، والخصف: أن تأتي بشيء تلزقه على شيء آخر؛ لتواري العيب، وقديماً كانوا يستعملون هذه الكلمة في ترقيع الحذاء. ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ﴾: استفهام؛ للتقرير.

﴿أَنَّهُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾: أنهكما عن الاقتراب من تلك الشجرة، وبالتالي الأكل منها.

وقال: ﴿عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾: ولم يقل: تلك الشجرة؛ لأن المخاطب هنا: آدم وحواء عليهما السلام، وليست الشجرة، و(تلكما): تشير إلى البعد، بينما هذه الشجرة تشير إلى القرب.

﴿وَأَقْلَلْ لَكُمَا﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أي: لكما خاصةً من دون الآخرين. ﴿إِنْ﴾: للتوكيد.

﴿الشَّيْطَانُ لَكُمْ أَعْدُوٌّ مُبِينٌ﴾: ظاهر العداوة، عداوته ظاهرة لكل فرد، وهذه العداوة لا تحتاج إلى من يظهرها فهي ظاهره بنفسها، لا تحتاج إلى دليل، أو برهان.





سُورَةُ الْأَنْكَافِ ٧

الجزء الثاني

قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي
الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِيَّاءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا
يُؤَرِّى سَوْءَ تَكُمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ
ءَايَتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيَّاءَ آدَمَ لَا يَفْتَنَنَّكُمْ
الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا
لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهِمَا إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ
إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا
فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلِ ابْتَغَى اللَّهُ
لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلِ
أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا
هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

سورة الأعراف [الآيات ٢٣ - ٣٠]

[٢٣] ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾:

﴿أَنْفُسَنَا﴾: بصيغة الجمع، ولم يقل: (نفسينا) بصيغة التثنية؟ اعتذرا معاً، والدعاء بصيغة الجمع أفضل من الدعاء بصيغة المفرد.

﴿ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾: بمخالفة أمرك، وطاعة الشيطان بالاقتراب من الشجرة، والأكل منها.

﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾: إن: شرطية، لم: نافية.

﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾: قدّم المغفرة على الرحمة، والمغفرة: من غفر؛ أي: ستر؛ أي: استر ذنوبنا، وتقبل توبتنا.

﴿لَنَكُونَنَّ﴾: اللام: التوكيد، و(نكونن): النون: لزيادة التوكيد؛ أي: استعظما ذنبهما.

﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: الذين خسروا الدنيا والآخرة، خسروا أنفسهم.

لنقارن ثلاث دعوات وردت في القرآن متشابهة إلى حد ما، وهي: في سورة هود الآيات (٤٦-٤٧): ﴿قَالَ يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّخِذْ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

الدعاء هنا على لسان نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا أَتَغْفِرُ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وفي سورة الأعراف، الآية (٢٣): ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَفَادَهُمَا رَبُّهُمَا الْوَرَقَ أَنَّهُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾.

الدعاء هنا على لسان آدم وزوجه: ﴿قَالَ رَبِّنا ظَلَمَنا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمَنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾.

وفي سورة الأعراف، الآية (١٤٩): ﴿لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنا رَبُّنا وَيَغْفِرْ لَنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾.

الدعاء هنا على لسان بني إسرائيل، نجده استعمل كلمات، أكن، لنكوننَّ. بما أن معصية نوح هي أقل شدة من معصية آدم، ومعصية بني إسرائيل؛ لذلك لم يؤكد نوح في دعائه بأي حرف، فقال: ﴿أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾. وبما أن معصية آدم هي أشد من معصية نوح؛ لذلك استعمل التوكيد باللام، في (لنكوننَّ)، والنون؛ فقال: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾.

وبما أن معصية بني إسرائيل أشد من معصية آدم، ومعصية نوح؛ وهي الإشراك بالله، وعبادة العجل؛ لذلك استعمل: ﴿لَئِنْ﴾ + ﴿لَنَكُونَنَّ﴾؛ أي: (اللام، والنون).

ثم في دعاء نوح، ودعاء آدم: قدَّم المغفرة على الرحمة، وفي دعاء بني إسرائيل: قدَّم الرحمة على المغفرة؛ لأن الرحمة أعم، وأوسع من المغفرة، فالرحمة لعموم الخلق؛ لذلك طلب بنو إسرائيل الرحمة أولاً؛ لأنه يناسب عظم المعصية، وهي الشرك، فإذا طرد الإنسان من رحمة الله، فلا مطمع له بعد في المغفرة، فالمغفرة تأتي بعد الرحمة، والمغفرة خاصَّة بالمؤمنين، فمن لا يرحمه ربه، لا يغفر له، ومن غفر له كان مرحوماً.

[٢٤] ﴿قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَّعٌ إِلَى حِينٍ﴾:

﴿قَالَ أَهْبِطُوا﴾: اهبطوا هبوط مكانة، ومنزلة؛ إذ كانت جنة آدم على الأرض، وليست هي جنة الخلد، كما قال بعض المفسرين.

والهبوط نوعان: هبوط مكانة ومنزلة، أو هبوط مكاني من أعلى إلى أسفل.

انتبه! لم يقل: منها في هذه الآية فقط: ﴿أَهْطُوا﴾؛ لأنه قد يكون هبوط مكانة، ومنزلة، وليس هبوطاً من مكان عالٍ إلى مكان أسفل.

﴿أَهْطُوا﴾: تشمل آدم، وزوجه، وإبليس، وقيل: آدم وإبليس؛ خوطبا بصيغة الجمع؛ لأنهما أصل الإنس والجن.

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: لم يقل: (أعداء)، بل قال: ﴿عَدُوٌّ﴾؛ لأن العداوة واحدة في سببها، وفي نوعها، وهي عدم طاعة الله وعصيانه، ويقول: أعداء: إذا كانت العداوات مختلفة الأسباب، والعداوة: هي بين آدم ونسله، والشيطان.

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾: أي: إلى انقضاء الأجل: وهو الموت.

﴿مُسْتَقَرٌّ﴾: مكان استقرار، وإقامة مؤقت.

﴿وَمَتَعٌ﴾: ومكان تمتع، والمتاع: ما يتنفع به: من مشرب، وملبس، ومسكن، وأداة، وآنية.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: ولتعريف المتاع: ارجع إلى الآية (١٤) من سورة آل عمران. إلى: حرف يستعمل لكل الغايات الزمنية؛ البداية، أو النهاية، أو المنتصف. بينما حتى: تستعمل لنهاية الغاية الزمنية.

وحين: زمن غير محدد قد يطول، أو يقصر يقدر سنين، أو شهور، أو أياماً، أو ساعات، والحين: يطلق على اللحظة الآن، والحين: هو الوقت الذي يحين فيه المقدور.

استعمل إلى، ولم يستعمل حتى؛ لأن الاستقرار، والتمتع قد يطول، أو يقصر؛ بحسب عمر الشخص.

ولم يستعمل حتى؛ لأن حتى: حرف نهاية الغاية؛ أي: التمتع والاستقرار



يجب أن يدوم حتى نهاية العمر، وهذا أمر غير مؤكد؛ لما يصيب الإنسان من تغيرات في كل مرحلة، أو زمن.

[٢٥] ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾:

﴿فِيهَا﴾: تعني: الأرض، وليس عليها؛ لأن الأرض تشمل طبقة الغازية المحيطة بالأرض، إذن نحن نسير في الأرض، وتعني الأرض الحالية.

﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾: حين تنقضي آجالكم، وتعني الأرض الحالية.

﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾: يوم البعث، أو القيامة من قبوركم، الأرض المستقبلية الأرض الجديدة.

[٢٦] ﴿يَبْنِيْٓءَآدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكْمُ وَرِدِشًا وَلِبَاسَ الثَّقَوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾:

نداء إلى بني آدم، وحين ينادي الله خلقه: يا بني آدم! نرى هذا النداء يأتي في سياق خلق آدم، أو بعد ذكر آدم أبو البشر، فينادينا الحق: يا بني آدم، يا أولاد آدم، وهو نداء فيه تكريم لآدم له، والتذكير بالنعم التي أنعمها على بني آدم، ومن هذه النعم: اللباس.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا﴾: واللباس: يطلق على ما يستر العورة عادة يُصنع في الأرض، فما معنى ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾: الإنزال: هو عادة يعني: المطر، والذي ينبت به القطن، والكتان، والذي يخرج به الزرع، والذي تأكل منه الأنعام، والتي هي مصدر الأصواف، والأوبار، والأشعار، والحريز، والريش.

وهذا يسمّى في المجال اللغوي: المجاز المرسل، وهو الانتقال من المعنى الأصلي إلى معنى آخر بلاغي، مع وجود قرينة لفظية، أو مقامية، وهي الإنزال.

﴿يُؤَرِّى سَوَاءَ تَكْم﴾: يستر، ويغطي سوء أتكُم، والسوءة: هي القبل، والدبر. والعورة: ما بين السرة والركبة، فالعورة تشمل السوءة.

﴿وَرِيْشًا﴾: والريش هنا يمثل: لباس الزينة.

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾: تشبيه التقوى باللباس: وهو تشبيه بليغ، وهو لباس معنوي، فالتقوى: لتواري السوءات الباطنة، وتشمل الإيمان، والعمل الصالح، والباقيات الصالحات.

واللباس العادي: ليواري السوءات الظاهرة، وهو لباس حسي.

وقيل: لباس التقوى: هو لباس الجهاد، والحرب.

﴿ذَلِكَ﴾: الإنزال، أو اللباس خير؛ أي: نعمة من الله، وخاصةً: لباس التقوى.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾: لعل: للتعليل نعمة خلق اللباس، ونعمة ستر العورة؛ لأنهم سرعان ما ينسون هذه النعم، ونعمة سهولة ستر العورة، الآن مقارنة بما فعل آدم وحواء بالخصف، والزاق أوراق الشجر وغيرها.

[٢٧] ﴿يَبْقَىٰ آدَمَ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتَهُمَا إِنَّهُ يَرَئَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مَن حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

نداء جديد آخر؛ يحذر الله سبحانه في هذه الآية ذرية آدم، من فتنة الشيطان لهم، كما فعل لأبيهم آدم.

﴿لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ﴾: لا: الناهية، يفتنكم الشيطان: من الفتنة، وهي تشمل: الوسوسة، والإغراء، والتزيين، والإضلال، والتمني والشرك، والكفر... وغيرها. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ﴾: وتعني: لا يخرجكم الشيطان عن طاعة الله، أو



يزين لكم كشف عوراتكم، والمعاصي، وينزع عنكم لباس التقوى، ويحرمكم من دخول الجنة.

﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾: حين أوقعهما في المعصية بالأكل من الشجرة؛ التي أدت إلى ظهور سوءاتهما.

﴿إِنَّمُيِرْكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾: أي: الشيطان، وأكد ذلك بأنه يراكم، ويرى غيركم، وكذلك قبيله: ذريته، وأعوانه، أو جنوده، يرونكم من حيث لا ترونهم؛ أي: أنتم أمام عدو غير مرئي لكم، يراكم، ولا ترونه.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أولياء؛ أي: أعواناً، وأنصاراً للكفار؛ الذين لا يؤمنون.

أي: خلّى الله سبحانه بين الشياطين، وبين الذين يريدون أن يكونوا أولياء للشيطان، أو أولياء لذرية الشيطان.

ولو أراد الله لمنعهم من ذلك؛ إنه على كل شيء قدير.

[٢٨] ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنِّي أَمَرْتُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

الفاحشة: هي ما فيه عقوبة الحد، أو: هي الكبائر، أو: ما اشتد قبحه من الأفعال، والأقوال، والفاحشة: هي الزنى، بشكل خاص، والآيتان السابقتان تتحدثان عن اللباس، وستر العورة، والسوءة.

وهذه الآية: تتحدث عن الذين كانوا يطوفون بالبيت الحرام عُرّة، والفاحشة هنا كانت كشف العورة، والزنى، واللواط، وكذلك الشرك، والسائبة، والوصيلة، والحام، وقد تعني: القذف، وغيرها.

وهؤلاء المشركون: كانوا إذا قيل لهم: ما تفعلون هو من الفواحش، قالوا: هذا ما وجدنا عليه آبائنا؛ أي: نحن مقلدون لأبائنا، وكأنهم يعتقدون أن التقليد هو

حكم تكليفي، والله أمرهم باتباع آبائهم، أو يقولون: الله قَدَّرَها، وكتبها عليهم؛ أي: الفاحشة من قدر الله، وقضائه، والله أراد لنا أن نكفر، أو حكم علينا بالكفر، والشرك، والضلال، أو هم لا يعتقدون أن التعري فاحشة، بل جمال الأجسام، ولا حرج، فكان الرجال يطوفون نهاراً، والنساء يطفن ليلاً.

وكانوا يدعون أنهم لا يريدون الطواف بثياب عصوا الله فيها، ويعتبرون هذا من قبيل الورع.

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾: بل ينهي عن الفحشاء، والذي أمركم بالفحشاء: هو الشيطان، وليس الله سبحانه.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبّه بالفعل؛ يفيد التوكيد؛ بأن الله لا يأمر بالفحشاء، أو متى أمركم الله بالفحشاء، أو كلمكم عنها، أو جاءكم الوحي، أو رسول، أو نبي يصدق ما تقولون.

﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري، أتفترون على الله الكذب، والافتراء: هو الكذب المتعمد، وفي الآية إنذار ووعد للمشركين، وهذه سمة العاصين؛ يسندون كفرهم، وضلالهم إلى أمر الله، ومشيئته، وأن الله قَدَّرَ عليهم ذلك، أو أنهم يقلّدون آباءهم.

[٢٩] ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ: إن الله لا يأمر بالفحشاء.

بل يأمر بالقسط، بالحق، والعدل، وعدم الشرك، والاعتدال في الطاعات، والعبادات دون إفراط، ولا تفريط.

والقسط: يعني: العدل مع تنفيذ، أو تطبيق الحكم بالعدل.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: كقوله: ﴿فَأَقِمْ



وَجَهَكَ لِلدِّينِ خَنِيفًا ﴿الرُّومُ: ٣٠﴾: في كل مكان وزمان، نقيم فيه الصلاة، إقامة الوجه: تعني: منيبين إليه، واتقوه، وأقيموا الصلاة، ولا تكونوا من المشركين، وإقامة الوجوه تعني أيضاً: كمال الإقبال على الله كأنه نراه أمامنا، وعدم الالتفات لا يمنة ولا يسرى.

﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: المسجد: هو كل موضع في الأرض، يمكن إقامة الصلاة فيه، يعتبر مسجداً؛ فالأرض كلها مسجد، كما جاء في حديث رسول الله ﷺ المتفق عليه: «وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً».

أو المسجد: وهو ما يطلق عليه: بيت الله، الذي تقام فيه خمس صلوات، وتقام فيه الجمعة، ويجتمع فيه الناس للصلوات، ويختلف عن المصلى.
﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: وادعوه الدعاء: هو العبادة، وكذلك الدعاء المعروف؛ مخلصين له الدين: موحدين غير مشركين.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾: كما خلقكم أول مرة يعيدكم إليه أحياء؛ بالبعث يوم القيامة للحساب، والجزاء مرة أخرى.

[٣٠] ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾:

أي: تعودون إليه فريقين فقط يوم القيامة.

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾: استجاب لأوامر الله، وطاعته، وطلبوا الهداية، فهداهم الله، ونجوا من العذاب.

﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾: أي: العذاب؛ لأنهم ضلوا في الدنيا، ولأنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون؛ أي: بدلاً من الله سبحانه، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾؛ أي: يظنون أنهم مهتدون، وأن صفة الهدى ثابتة لهم.

ما هو الفرق بين حسب، وظن؟



الظنُّ: هو رجحان كفة الإثبات على كفة النفي.

والحسبان: هو الظن القائم على حساب حسي، وقلبي، أو الاعتقاد القائم على النظر والتجربة، ويسمى الظنَّ حسباناً من كثرة الاستعمال.

﴿وَيَحْسَبُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ تدل على تجدد، وتكرار ظنهم.

ولا بُدَّ من مقارنة هذه الآية مع الآية (٣٦) من سورة النحل؛ لمعرفة معنى الضلالة في الآيتين:

في آية سورة الأعراف (٣٠) يقول تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾.

وفي آية سورة النحل (٣٦) يقول تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَىٰ اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾.

إذا نظرنا في آية سورة النحل: نجده أنث الضلالة، فقال: ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾، وأما في آية سورة الأعراف؛ فذكر الضلالة، فقال: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾؛ لأن معنى الضلالة في سورة الأعراف: العذاب؛ لأن سياق الآية في الآخرة، والآخرة ليس فيها عبادة، وتكليف، وليس فيها هداية، وضلالة، انتهى الأمر حين الموت، ومعنى الضلالة في سورة النحل: الضلالة فعلاً، وعدم الاهتداء؛ لأن سياق هذه الآية في الدنيا.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٧

النِّسَاءِ

يَبْنِيءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا
وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ
الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
بَطَنٌ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ
سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ
فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾
يَبْنِيءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ
اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ
بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَإِنَّا لَمَّا كُنْتُمْ تَدْعُونَنَا مِنْ دُونِ اللَّهِ
قَالُوا أَضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

سورة الأعراف [الآيات ٣١ - ٣٧]

[٣١] ﴿يَبْنَیْ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾:

أسباب النزول: كما روى مسلم وغيره: كانت العرب تطوف بالبيت الحرام عراة، إلا الحمس؛ أي: قريش وأحلافها، فمن جاء يحج وضع ثيابه، واستعار ثياب من أهل مكة كي يطوف بها، فإن لم يجد ثياباً طاف عرياناً، وكانوا في أيام الحج يحرمون على أنفسهم الطيبات، واللحوم؛ تقرباً من الله؛ فنزلت هذه الآية تأمرهم بستر عوراتهم، ولبس الثياب الطاهرة، وأكل الطيبات، واللحوم، وعدم الإسراف.

﴿يَبْنَیْ﴾: ارجع إلى الآية (٢٦) من نفس السورة؛ للبيان.

﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾: الزينة: لفظ عام يشمل الزينة الخارجية والثياب والريش؛ أي: استروا عوراتكم، والبسوا الثياب الحسنة الطاهرة حين الطواف بالبيت والصلاة.

﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: ارجع إلى الآية (٢٩) من نفس السورة.

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾: أي: كلوا الطيبات، والحلال، واللحم، والشحم، وما تيسر على شرط عدم الإسراف، والإسراف: هو تجاوز الحد في كل شيء في المال، والطعام، واللباس، والإنفاق.

﴿إِنَّهُ﴾: إن: للتوكيد.



﴿لَا﴾: النافية.

﴿يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾: جمع مسرف، والإسراف: مجاوزة الحد، أو تعدي الحد الذي أباحه الله في الإنفاق، وما وراء الحاجة، أما التبذير؛ فهو الإنفاق في الأمور المحرمة غير المباحة، أو الحرام.

[٣٢] ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿مَنْ﴾: استفهام إنكاري، وتشمل: المفرد، والجمع.

﴿حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾: الزينة: ما يتزين به الإنسان: من الثياب، والجواهر، والحلي المباحة على شرطين: عدم الإسراف، وما لم يحرمه الله، ورسوله ﷺ. ونسب الزينة إلى الله تعالى؛ لأنه سبحانه أخرجها لعباده.

﴿الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾: أي: أوجدها لعباده، وأحلها لعباده، اللام: لام الاختصاص.

﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾: الحلال من المطاعم، والمشارب، والطاهرة؛ أي: لا يحرمها إلا جاهل بدين الله تعالى.

﴿مِنْ﴾: بعضية.

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي: هي ضمير يفيد التوكيد للذين آمنوا، اللام: لام الاستحقاق، وإن شاركهم فيها غيرهم؛ أي: هي خلقت أصلاً للذين آمنوا، وهي من عطاء الربوبية الذي يشترك فيه المؤمن والكافر.

﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: أي: خالصة للذين آمنوا يوم القيامة، لا يشاركونهم فيها أحد.

﴿كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: أي: كما فصلنا لكم الحلال، والحرام، والزينة، والطيبات، والأكل، والمشرَب، وعدم الإسراف، ﴿نُقَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: بصور شتى، ومختلفة، نأتي بها بأشكال مختلفة؛ حتى يدركوا غايتها، ويصلوا إلى الحقيقة والعلم الثابت.

﴿لِقَوْمٍ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: ما ينفعهم، وما يضرهم، أولو بصيرة.

[٣٣] ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: ارجع إلى الآية (١٥١) من سورة الأنعام.

والفواحش: تضم الزنى، واللواط، وعبادة الأصنام، والقذف، ومعصية الرسول، والأقوال المنكرة، وشرب الخمر، وغيرها من الفواحش؛ السرية، والعلنية.

﴿وَالْإِثْمَ﴾: الإثم في اللغة: التقصير، الإثم شرعاً: هو فعل الحرام، أو ترك الواجب، وقيل: هو القبيح الذي عليه تبعة، أما ترك المباح، أو المكروه، والمستحب، والمندوب فليس عليه إثم.

مراتب الإثم: الصغائر، والكبائر.



أنواع الإثم:

- ١ - آثام الجوارح، ويسمى ظاهر الإثم.
 - ٢ - آثام القلوب: وهي الآثام الباطنة: كالحسد، وكتمان الشهادة... وغيرها.
- أما شروط تحقق الإثم: فأن يكون مكلفاً، بالغاً، عاقلاً، والقدرة، والاختيار.
- ما يترتب على الإثم: التوبة، إرجاع الحق إلى أهله، الكفارة، أو الفدية، أو القضاء (ما ترك)، وإقامة الحد إذا كان عليه حدٌ.
- ﴿وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: هو الظلم، وأخذ حق الغير بقهر، وتعسف، ومجاوزة الحد في الفساد.
- ﴿وَأَن﴾: مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.
- ﴿تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾: أي: الإشراف بالله، باتخاذهم إلهاً آخر، أو صنماً، أو طاغوتاً.
- ﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾: أي: حُجَّة، أو برهاناً، وهل يُعقل أن ينزل الله سبحانه برهاناً يسمح بأن يشرك به غيره.
- والسلطان: الحُجَّة التي لا تدحض؛ لقوة دلالتها، أو سلطان قوة، وقهر.
- ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾: أي: أن القول على الله كذباً، أو من دون علم، تقولوا: حرم الله هذا، ولم يحرمه، أو تحرموا ما أحل الله، أو تحلوا ما حرم الله، وتنسبون ذلك إلى الله، أو تفتروا على الله كذباً بأن تقولوا المسيح ابن الله، أو الملائكة إناثاً، كل ذلك نوع من أنواع الشرك.
- وانتبه إلى تقديم الفاحشة على الشرك، مع أن الشرك أعظم ذنباً من

الفاحشة، التقديم هنا لا يقصد به الأهمية؛ أي: من الأهم؛ لأن السياق هو في التحريم، والحلال، والحرام، وإنما أدرج الشرك في سياق الفواحش؛ لأنه من أهمها، والتقديم والتأخير قد يكون بحسب السياق، كما هو الحال هنا، وليس بحسب الأهمية.

[٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر تحريم الفواحش، والإثم، والبغي، والشرك، جاء بهذه الآية؛ ليذكر كل من يرتكب تلك المحرمات أن له أجلاً محدداً؛ أي: سيموت، ويحاسب على ما اكتسبه.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: لكل أمة جماعة من الناس بغض النظر عن العدد، أجل؛ أي: زمن محدد معين يموتون فيه، ففي كل ساعة، أو دقيقة نرى جماعة من الناس تموت، أو تقتل.

والأجل: هو وقت محدد، أو مدة معلومة في علم الله؛ لانقضاء عمر الإنسان؛ أي: موته.

وأجل الإنسان: زمن موته، أو الوقت المحدد المعلوم الذي يموت فيه الإنسان، وأجل الدين: هو وقت حلوله؛ أي: دفعه، والأجل المسمى: يوم القيامة.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾: الفاء: تفيد التوكيد، وإذا: ظرفية زمانية للمستقبل، جاء أجل تلك الجماعة مثلاً: بسقوط طائرة، أو غرق سفينة، أو إلقاء قبلة.

﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾: لا: النافية. يستأخرون: ساعة، ولا أقل من ساعة؛ أي: ولا دقيقة، أو ثانية، أو أقل؛ نفي الأكثر يعني: نفي الأقل.

﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: وإذا لم يجرى أجلهم، ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾؛ لأنه إذا



جاء أجلهم انتهى الأمر، فكيف يستقدمون، فجملة لا يستقدمون ليست تتمّة، أو مرتبطة بجملة لا يستأخرون، كما يظن الكثير.

[٣٥] ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِيْ فَمَنْ أَتَقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٦) من نفس السورة.

﴿إِمَّا﴾: أصلها: (إن + ما)، إن: الشرطية، ما: للتوكيد، ثم أدغمت إن في ما، وأصبحت إمّا، ومعناها: إن يأتينكم رسل منكم.

﴿يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾: يأتينكم: النون للتوكيد، ولم يقل: يأتينكم.

﴿رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾: تشمل الأنبياء، والرسل؛ فكل نبي هو أيضاً مرسل من الله. للتفريق بين النبي والرسول ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٤)؛ للبيان.

﴿مِّنْكُمْ﴾: من البشر، وليس من الملائكة، أو الجن.

﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾: ارجع إلى الآية (١٣٠) من سورة الأنعام؛ لمزيد من البيان؛ لمعرفة معنى ﴿يَقُصُّونَ﴾.

أي: يخبرونكم بآياتي؛ أي: بما شرعته لهم: من افعل، أو لا تفعل، ولم يقل: (يتلون عليكم آياتي)؛ إذ هناك فرق بين يقصون ويتلون. ارجع إلى الآيات في سورة الأنعام، الآية (١٣٠)؛ والزمر، آية (٧١)؛ لمزيد من البيان.

﴿فَمَنْ أَتَقَىٰ وَأَصْلَحَ﴾: من: ابتدائية، والفاء: للتوكيد، ومن: تعني: المفرد، أو

الجمع.

﴿اتَّقَى﴾: حرمات الله، واتقى المعاصي، اتقى الله؛ أي: أطاع، وامثل أوامر الله، وتجنب محارمه.

﴿وَأَصْلَحَ﴾: أصلح نفسه، وشأنه، أو قام بالأعمال الصالحة، وأصلح ما بينه، وبين العباد، وأصلح في الأرض، ولم يفسد فيها.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٣٨) من سورة البقرة للبيان المفصل.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

هذه الآية: هي تنمة للآية السابقة؛ أي: فمن اتقى وأصلح، فلا خوف عليهم، ولا هم يحزنون، والذين كذبوا بآياتنا.

﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: عاطفة، الذين: اسم موصول؛ يفيد التحقيق.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: أي: لم يؤمنوا بها، ويصدقوها، بعد أن قصتها رسلهم عليهم، (يقصون عليكم آياتي).

﴿وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾: الاستكبار: أشد الكبر صيغة مبالغة؛ أي: طلب الكبر، وهو غير مؤهل له؛ أي: لا يملك أسباب الكبر، مثل: الغنى، والحكم، والعلم، وغيرها. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان في الكبر.

واستكبر: أي: أظهر عظم شأنه، فوق ما يستحق، والاستكبار يتضمن الإعراض عن آيات الله، والعمل بها، ورفض الإذعان لها. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان.



﴿عَنَّا﴾: عن: تعني: المجاوزة، والابتعاد؛ أي: عن آيات الله .

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد، ويفيد معنى الدم والتحقيق.

﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾: أي: الملازمون للنار، لا يفارقونها، ولا تفارقهم؛
كالصاحب الذي لا يفارق صاحبه، أو أصحابها؛ أي: المالكون لها، مثل: صاحب
المنزل الذي يملك منزله، ولا يتخلى عنه.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿فَبَاخِلِدُونَ﴾: الخلود: هو استمرار البقاء من وقت مبتدأ له بداية إلى ما
لا نهاية له، أو يبدأ خلودهم في النار بعد دخولهم فيها.

[٣٧] ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۖ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۚ
حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا
وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ۖ﴾

﴿فَمَنْ﴾: استفهام تقرير، والجواب: لا أحد أظلم ممن افتري على الله
كذباً.

﴿أَظْلَمُ﴾: على وزن أفعل، والظلم في لغة العرب: وضع الشيء في غير
موضعه، والظلم ثلاثة أنواع:

ظلم بين الإنسان، وبين الخالق، وأعظمه: الكفر، والشرك، والنفاق؛ لأن
وضع العبادة في غير من خلق، ورزق؛ أشنع أنواع الظلم، وكما قال تعالى:
﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وظلم بين الإنسان، وبين الناس؛ كقوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ [الشورى: ٤٢]، ويعني: أخذ حق الغير.

وظلم الإنسان لنفسه: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

ويعني: الخروج عن منهج الله سبحانه هو ظلم للنفس. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٤)؛ لمزيد من البيان.

﴿أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: افتري: من الافتراء، وهو: اختلاق الكذب؛ أي: اختراعه، وهو الكذب المتعمد.

﴿كَذِبًا﴾: نكرة؛ تشمل كل أنواع الكذب على الله بأن له شريكاً، أو أن له ولداً، أو أحل الله، أو حرم الله، وأنزل الله.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: أي: آيات القرآن، أو الآيات الكونية، أو المعجزات التي جاء بها الرسل.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة؛ للبعد.

﴿يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِّنَ الْكَثْبِ﴾: نصيبهم: حظهم، والنصيب يأتي في الأجر، والجزاء، والثواب، ويكون في المحبوب، والمكروه، والنعيم، أو العذاب، والحظ؛ لا يقال في العذاب، أو المكروه عادةً يأتي في سياق الخير.

﴿مِّنَ الْكَثْبِ﴾: مما قدره لهم من الكتاب، مما كتب لهم في اللوح المحفوظ لهم من الرزق، والخير، والشر، والسعادة، والشقاء، والأعمار، والأعمال، وبذلك يكون المعنى: ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ﴾ نصيبهم، أو ما قدر لهم في الحياة الدنيا



من الكتاب؛ مما كتب لهم في اللوح المحفوظ، أو أم الكتاب، وما يحدث لهم بعد ذلك هو: ﴿إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾.

﴿حَتَّى﴾: حرف لنهاية الغاية، والغاية هنا: مجيء رسل ملائكة الموت.

﴿إِذَا﴾: ظرف زمني للمستقبل، ويعني: الحتمية؛ أي: حتماً ستجيئهم رسلنا.

﴿جَاءَهُمْ رُسُلُنَا﴾: المجيء: فيه معنى الصعوبة، والمشقة.

﴿رُسُلُنَا﴾: أي: ملك الموت، وأعوانه، ولم يقل: رسلهم، وإنما قال رسلنا؛ تشريفاً لهم.

﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾: الوفاة: هي المرحلة التي تسبق الموت، مرحلة الاحتضار، عندما تعطل حواس المحتضر، ويدخل في غيبوبة، ولا يفهم ما يقول، والمحتضر يرى الملائكة، وتظهر عليه علامات الفرح، أو الحزن، ولا يمكن أن يعود إلى الدنيا.

ارجع إلى الآية (٦١) من سورة الأنعام، والآية (٩٧) من سورة النساء؛ لمزيد من البيان.

﴿قَالُوا أَإِنَّ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: تسألهم ملائكة الموت، سؤال توبيخ وتقريع.

﴿إِنَّ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾: أي: تعبدون، أو تدعونهم؛ لينصروكم، أو يمنعوكم من العذاب، أو يشفعوا لكم، أو يقربوكم زلفى عند الله؟!

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله.



﴿مَا﴾: اسم موصول؛ تعني: الذين كنتم تعبدون.

﴿قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا﴾: غابوا عنا، أو اختفوا، ولم نعد نراهم، أو نجدهم، أو لا ندري أين هم.

﴿وَشَهِدُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ﴾: أي: أقرؤا، واعترفوا بكفرهم لملائكة الموت.

وقيل: هذا الاعتراف، والإقرار يكون يوم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾.

عندها يقال لهم: ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن، والإنس في النار.

﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾: أنهم: للتوكيد كانوا: في الدنيا، كافرين: جملة اسمية؛ تدل على أن صفة الكفر كانت ثابتة لهم.

ولم يقل: كفار، بل ﴿كَافِرِينَ﴾: تدل غالباً على العمل، وهو الكفر.

كفار: تدل على الحدث، وتدل على المبالغة، وأكثر من الكافرين.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

الْبَيْتُ الذِّكْرُ

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ
فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا دَارَكُوا فِيهَا
جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِبْهُمْ وَلَا أُولَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ
عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأَخْرِبْهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا
بَيَاتِنًا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَخِرْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاحِظَ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ أَنْ يَرَوْا الْكَلْبَ الَّذِي هَدَيْنَا لِهَذَا
وَمَا كُنَّا لِنَهْدِيَ لَوَلَاءِ أَنْ هَدَيْنَا اللَّهَ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ
وَنُودُوا أَنْ تَتْلُوا الْجَنَّةَ أَوْ رِثْمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

سورة الأعراف [الآيات ٣٨ - ٤٣]

[٣٨] ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آدَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِبْنَهُمْ لِأُولِنَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِنَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: القائل هو الله ، أو مالك خازن النار.

﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾:

﴿ادْخُلُوا فِي﴾: ولم يقل: ادخلوا مع.

﴿ادْخُلُوا فِي﴾: أي: أصبحوا مثلهم من دون أي ميزة، أو اختلطوا بهم، أما

ادخلوا مع؛ فيعني: المصاحبة، من دون اختلاط، وابقوا بعزلة عنهم.

﴿ادْخُلُوا فِي﴾: في: ظرفية؛ أي: الحقوا.

﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: أمم سابقة، أو جاؤوا قبلكم، مثل أمة نوح، أو

لوط من حيث الزمن، أو القدم.

﴿مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾: من كلا الثقليين، وقدم الجن؛ لأنهم أقدم وجوداً.

﴿كُلَّمَا﴾: أداة شرط تفيد التكرار.

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾: أي: لعنت التي سبقتها؛ لأن بعضهم أضل

بعضاً، واللعن: هو الدعاء بالبعد، والطرده عن رحمة الله.



﴿حَتَّىٰ إِذَا﴾: حتى: حرف لنهاية الغاية، إذا: ظرفية زمانية للمستقبل، وشرطية؛ تفيد معنى الحتمية.

﴿أَدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾: أصلها: تداركوا فيها، على وزن تفاعلوا؛ أي: لحق بعضهم بعضاً، أو أدرك بعضهم بعضاً؛ أي: اجتمعوا فيها في النار.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد، يحدث بينهم حوار، هو التالي:

﴿قَالَتْ أُخْرِنَهُمْ لَأُولِيهِمْ﴾: أي: الأتباع يقولون: ربنا هؤلاء الذين أضلونا؛ أي: القادة، والرؤساء، والزعماء الذين أضلونا في الدنيا.

﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾: الذين أضلونا في الدنيا؛ عن الصراط المستقيم، أو سبيلك، ودينك، ولم يقولوا للقادة، والزعماء مباشرة، أنتم أضللتُمونا، بل قالوا: ربنا هؤلاء أضلونا؛ لأن الحكم، والقضاء بيد الله .

﴿فَنَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾: الضعف: شيء مساوٍ لمثله.

أو ﴿ضِعْفًا﴾: عذاباً مضاعفاً على مثله مرات؛ بسبب إضلالهم لهم.

قال: أي: أجابهم الله سبحانه: ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ﴾: لكل منكم، ومنهم عذاب مضاعف، أو لكلا الطرفين، أولهم، وآخرهم عذاباً مضاعفاً؛ أي: القادة، والأتباع؛ لأن كلا منهم كانوا ضالين مضلين.

﴿وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾: أن هذه ستكون النتيجة، أو أن هذا سيكون الجزاء.

[٣٩] ﴿وَقَالَتْ أُولِيَهُمْ لَأُخْرِنَهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾:

﴿وَقَالَتْ أُولِيَهُمْ﴾: طائفة القادة، ورؤساء الكفر (المتبوعين).



﴿لَا تُخْزِيهِمْ﴾: الاتباع.

﴿فَمَا﴾: الفاء: للتوكيد، ما: النافية.

﴿كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾: من: استغراقية؛ تستغرق كل فضل صغير، أو

كبير.

أي: نحن وأنتم متساوون في العذاب، لا أحد أفضل من الآخر، أو أنتم لستم أفضل منا، أو إنا كلُّ فيها؛ أي: في نار جهنم.

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة.

﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾: بدلاً من، بما كنتم تكفرون؛ لأن الكسب يشمل الكفر، وغيره من المعاصي أو بما كنتم تكسبون في إضلال غيركم، الباء: السببية، أو البدلية، أو التعليل، ما: مصدرية، حرف مصدرية.

[٤٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاحَظَ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: آيات القرآن، أو الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله سبحانه، والبعث، والحساب.

﴿وَيَايُنَا﴾: الباء: للإلصاق، إلصاق الكذب بالآيات.

﴿وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾: أعرضوا عنها، ورفضوا العمل بها، عناداً، واستكباراً، استكبروا: طلبوا الكبر، وهم ليس أهلاً له؛ أي: لا يملكون مؤهلاته، والألف، والسين، والتاء: تفيد الطلب. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان.



﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾: لا: النافية، أبواب السماء: كناية عن عدم قبول أعمالهم الصالحة، لا تفتح لأعمالهم، ولا لعباداتهم، ولا لدعائهم أبواب السماء، أو لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء، أو لا تفتح لهم أبواب السماء بالخيرات الإلهية كناية عنه الحرمان.

﴿السَّمَاءِ﴾: أي: السماء المعروفة، وتشمل السموات السبع، أو قيل: السماء هي كل ما على الإنسان يسمى سماء.

﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾: وهذا يشير إلى الجنة في السماء.

﴿يَلِجُ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾: يلج يدخل: الولوج: هو الدخول بصعوبة من شدة التماس، أو الضيق، والجمل له ثلاثة معانٍ كلها تدل على استحالة دخولهم الجنة:

١ - الجمل الغليظ، المفتول، المستعمل من ألياف الحصر المفتولة.

٢ - الجمل العادي؛ أي: الذكر من الإبل، مقابل الناقة.

٣ - اسم لجنس سمك معين، يسمى سمك الجمل.

﴿فِي سَمِّ﴾: ثقب الإبرة؛ أي: سم الخياط: ثقب الإبرة، وهذا مستحيل؛ أي: يدخل الجمل في سم الخياط.

وكذلك: دخول الذين كذبوا بآياتنا، واستكبروا عنها في الجنة، مستحيل.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾: وكذلك؛ أي: مثل هذا الجزاء دخول المجرمين الجنة مستحيل؛ أو كما هو مستحيل أن يلج الجمل في سم الخياط، كذلك مستحيل لهؤلاء الذين كذبوا بآياتنا، واستكبروا عنها أن يدخلوا الجنة،

وكذلك نجزي المجرمين الكافرين؛ أي: لا ندخلهم الجنة. ولييان معنى المجرمين ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥).

[٤١] ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾:

﴿لَهُمْ﴾: لام: الاستحقاق.

﴿مِنْ جَهَنَّمَ﴾: من: الابتداء: المهد: هو فراش الطفل، الرضيع، المهاد:

جمع مهد؛ أي: لهم فرش من النار. جهنم: ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨).

﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾: لهم أغطية من النار؛ أي: لحف من نار؛ أي: لهم

فرش وأغطية من نار، وشبه ما تحتهم بالمهاد، وما فوقهم بالغواشي كناية عن حرمانهم من الراحة والعذاب المقيم الذي يحل بهم، وتدل الآية على الوعيد وما يخفى لهم من العذاب، كقوله تعالى: ﴿وَلِإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ٥٤ ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المنكوت: ٥٤-٥٥].

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾: أي: مثل ذلك الجزاء لهم، من جهنم مهاده، ومن

فوقهم غواش؛ جزاء الظالمين، المشركين، الكافرين.

﴿غَوَاشٍ﴾: أصلها غواشي؛ دخل التنوين عوضاً عن الياء المحذوفة،

ويسمى هذا: تنوين العوض.

[٤٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا تَكُنْ فِتْنًا أَلَّا تُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ

الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

بعد أن ذكر الله وعيده للكافرين، والظالمين، والمجرمين.



يتبعه في هذه الآية وعده للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، بأن لهم الجنة خالدين فيها.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: الإيمان عمل قلبي، وعملوا الصالحات، هذا عمل الجوارح، فلا بُدَّ من كلا العاملين معاً.

﴿لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: جملة اعتراضية؛ للتنبيه لبذل قصارى السعة؛ أي: الجهد للفوز بالجنة، وأنها ليست سلعة رخيصة.

﴿لَا﴾: حرف نفي.

﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾: إلا الحصر، وسعها: الوسع = القدرة + المخزون الاحتياطي؛ فالإنسان قادر على أن يصلي الصلوات الخمس، والسنن، والتهجد، وغيرها من صلاة النفل.

الوسع: القيام بكل الأوامر التكليفية، مع الزيادة، مثل: عمل النوافل، أما في حالات الضيق، والشدة؛ فعندها يلتزم بالرخص الشرعية.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، والكاف للبعد.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾: الملازمون للجنة، لا يفارقونها، ولا تفارقهم، وفيها معنى الملكية للجنة، مثل صاحب الدار؛ أي: المالك لها.

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: هم: تفيد التوكيد، خالدون: من الخلود: وهو البقاء، والاستمرار من وقت له بداية؛ أي: زمن دخولهم الجنة إلى ما لا نهاية.

[٤٣] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَنَزَعْنَا﴾: من النزع: وهو قلع الشيء من قعره بشدة، وكأن الحقد شيئاً دفيناً في صدورهم، يحتاج إلى نزع بشدة.

﴿مَا فِي﴾: ما: اسم موصول؛ أي: الذي في صدورهم. وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ﴾: أي: ما في قلوبهم، والقلب: جزء من الصدر، وهو ما يسمّى إطلاق الكل، وإرادة الجزء، فالكل هو الصدر، والجزء هو القلب. ﴿مِّنْ غَلٍ﴾: الغل: الحقد، أو العداوة، أو الحسد والبغضاء، وجمع غل: أغلال؛ أي: قيود حديدية.

﴿تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾: تنبع من تحت قصورهم الأنهار؛ أي: جناتهم. ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾: الذي: اسم موصول، هداًنا للإيمان، وللعمل الصالح، ووفقنا للفوز بالجنة، ونعيمها، وهذا اسم إشارة؛ يدل على القرب.

﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما: نافية.

﴿لِنَهْتَدِيَ﴾: اللام: لام التوكيد، توكيد النفي.



﴿لَوْلَا﴾: حرف امتناع؛ لوجود؛ أي: لولا أن هدانا الله لامتنتع الهداية عنا، أو ما عرفنا الهداية.

﴿أَنَّ﴾: حرف مصدرى؛ يفيد التوكيد.

﴿هَدَيْنَا اللَّهَ﴾: هداية: الدلالة والإرشاد والتوفيق؛ أي: دلنا وأرشدنا ووفقنا إلى الصراط المستقيم: وهو دين الإسلام.

﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ﴾: لقد: اللام: لام التوكيد، قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿جَاءَتْ﴾: ولم يقل: جاء، أنت؛ للدلالة على كثرة الرسل؛ الذين جاؤوا بالحق.

﴿رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾: ربنا: الباء: للإلصاق، والتوكيد، بالحق: بالبعث، والحساب، والجزاء، والجنة، والنار.

بالحق: بالوحي، والصدق.

والحق تعريفه: الشيء الثابت؛ الذي لا يتغير، وكذلك تعني: الحكم المطابق للواقع، والحق: هو كل ما أخبر به الله تعالى رسوله.

﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَنُودُوا﴾: من قبل الملائكة.

﴿أَنَّ﴾: للتوكيد، مخففة من أن الثقيلة.

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ﴾: اسم إشارة، والكاف: للبعد.

﴿الْجَنَّةُ أَوْ رِثْمُوهَا﴾: يقال: ورث فلان غيره، إذا ناله شيء من الإرث، أو

التركة.

﴿بِمَا﴾: الباء: للتعليل.

﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: في الدنيا: من أقوال، وأفعال.

وكلمة ﴿أَوْ رِثْمُوهَا﴾: تدل على أن هناك شيئاً ورثه من غيره.

ونعلم أن الله أعد لكل واحد من خلقه مكانة في الجنة، أو مقعداً في

الجنة، ومقعداً في النار.

إذن: هناك جنات بعدد الخلق، أو أماكن في الجنات بعدد الخلق، وأماكن

في النار بعدد الخلق؛ فإن آمن كل الخلق؛ فلهم كلهم أماكن، أو مقاعد في الجنة،

وإن كفروا؛ فلهم مقاعد في النار.

وبما أن لكل واحد مقعداً في الجنة، ومقعداً في النار؛ فإذا ذهب هذا

الواحد إلى النار، ترك مقعده في الجنة فارغاً، فسوف يُورث مقعده لشخص آخر،

وبالعكس إذا دخل إلى الجنة، وله مقعد في النار؛ فسوف يورث هذا المقعد إلى

شخص آخر.

إذن: في النهاية يصبح لكل واحد مقعدان: مقعده الأصلي في الجنة، ومقعد

يرثه عن غيره من الذين ذهبوا إلى النار، وتركوا مقاعدهم في الجنة فارغة.





الجنة والنار

سورة الأعراف ٧

وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَعَلَّكُمْ لَرِيدٌ خَلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾



نصبت
الحزب
١٦



سورة الأعراف [الآيات ٤٤ - ٥١]

[٤٤] ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾

﴿وَنَادَىٰ﴾: النداء: هو رفع الصوت.

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾: ليس بالضرورة كون أصحاب الجنة مجاورين لأصحاب النار؛ حتى يتم النداء. وعبر عن الخطاب بين أصحاب الجنة وأصحاب النار بالنداء، ولم يقل: وقال؛ لأن النداء أكثر دلالة على بلوغه أسماع أصحاب النار، وقد يستل سائل فيقول سيكون البعد شاسع بينهما؛ فالآن الواحد منا يستطيع أن ينادي، ويتحدث عبر الأقمار الاصطناعية، والهواتف، والإنترنت مع أي رجل في أية بقعة من العالم، المهم أن نفهم من الآيات: أن هناك حواراً بين أصحاب الجنة، وأصحاب النار، وأصحاب الأعراف، ورؤية، فأصحاب الجنة قادرون على رؤية أصحاب النار، وليس العكس صحيحاً؛ أي: لا يرى أصحاب النار أصحاب الجنة.

﴿أَن﴾: المخففة؛ للتوكيد، وتعني: أي: قد وجدنا، قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾: أي: ما وعدنا ربنا حقاً؛ أي: لم يتغير، أو يتبدل، أو ينقص؛ أي: تماماً كما وعدنا.

﴿فَهَلْ﴾: الفاء: للتوكيد، هل: للاستفهام، والتوبيخ.

﴿وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾: ما وعد ربكم من العذاب حقاً.



انتبه! إلى الاختلاف بين: فهل وجدتم ما وعد ربكم، ولم يقل: ما وعدكم ربكم.

أصحاب الجنة: كانوا ينتظرون وعد الله لهم؛ لأنهم كانوا يصدقون بما وعدهم ربهم بالجنات والنعيم، وما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين.

ولذلك قالوا: ﴿وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾: أي: الوعد كان من الله، وهم قبلوا بالوعد، والوعد يكون من الطرفين، بينما أصحاب النار كانوا مكذبين بكل ما وعد الله من البعث، والحساب، والثواب، والعقاب، مكذبين للوعد، وللوعيد؛ أي: لم يقبلوا بوعد الله تعالى، ولذلك كان وعداً من طرف واحد؛ هو الله، وهم رفضوا قبوله، ولذلك قال: ﴿وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾، ولم يقل: ما وعدكم ربكم. ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾: أي: قال أصحاب النار: نعم.

﴿فَإِذْ مَوْذَنٌ بَيْنَهُمْ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، أذن مؤذن: نادى منادٍ، والأذان: هو رفع الصوت بالإعلام بشيء، نادى منادٍ من الملائكة.

﴿بَيْنَهُمْ﴾: بين أصحاب الجنة، وأصحاب النار.

﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: أن: للتوكيد، واللعنة: من اللعن: هو الطرد، والإبعاد عن رحمة الله، والخزي، والإهانة.

﴿عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: كل الظالمين، ولم يقل: ألا لعنة الله على أصحاب النار؛ لكانت اللغة خاصة بهم، فقط.

وبما أن أصحاب النار جزء من الظالمين؛ فهو لعن كل الظالمين.

[٤٥] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿يُضْذَوْنَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: يصرفون الناس عن دين الله؛ فهم صرفوا أنفسهم، وصرفوا غيرهم، ويمنعون الناس من الدخول في الإسلام.
 ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: عن: تفيد المجاوزة، والإبعاد عن سبيل الله؛ أي: دين الله الإسلام.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: الهاء: في ييغونها: تعود إلى ملة الإسلام، ملة الحنيفية، ويريدونها. عوجاً: أي: ملة زائفة، منحرفة عن الحق، معوجة، ذات عوج؛ حتى يبقى الناس حولهم، وتبقى لهم القوة.

﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾: هم: ضمير منفصل يفيد التوكيد، والباء: للإلصاق.
 ﴿كَافِرُونَ﴾: مكذبون، جاحدون، لا يصدقون بالآخرة، والبعث، والجزاء، وبلقاء الله، ولذلك لا يهتمهم وعد الله تعالى، أو وعيده، ولا يخافون عذاباً، أو عقاباً في الآخرة.

[٤٦] ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾:

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾: بين أصحاب الجنة، وأصحاب النار حاجز، وهو السور الذي ذكره الله تعالى في سورة الحديد، الآية (١٣) ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُرُوجًا مَبْنِيًّا عَلَيْهِ سُلُوفٌ مِنْهُمْ يَخُصِمُونَ﴾. فيه الرحمة وظاهرة من قبل العذاب.

﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾: جمع عُرف: وهو أعلى الشيء، ولكل عالٍ عرف، مأخوذ من عرف الفرس، أو كل مرتفع من الأرض، ولأنه بسبب ارتفاعه يسير أعرف مما انخفض عنه؛ أي: على أعالي السور (الحجاب)، يقف أصحاب الأعراف، وهم الذين استوت حسناتهم، وسيئاتهم؛ فحبسوا على أعالي السور؛ حتى يقضي الله فيهم حكمه، وفي النهاية: يدخلون الجنة برحمة الله تعالى.



﴿رَجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَنَّهُمْ﴾: رجال: أي: أصحاب الأعراف يعرفون كلاً بسيماهم، يعرفون كلاً من أصحاب الجنة، وأصحاب النار بسيماهم.

﴿بِسِيمَنَّهُمْ﴾: السيماء: العلامة؛ أي: بعلاماتهم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٧٣)؛ لمزيد من البيان.

فأصحاب الجنة يعرفون ببياض الوجه؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، ونضرة النعيم: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]، وأما أصحاب النار: فيعرفون بسواد الوجه، وزرقة العيون.

﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا﴾: أن: المخففة؛ تفيد التوكيد، أو قيل: تفسيرية.

﴿سَلِّمُوا عَلَيْنَا﴾: ولم يقولوا: السلام عليكم، جاء السلام بصيغة النكرة؛ ليدل على العموم، والشمول، فهو سلام التحية، والأمان، ودوام السلامة، ولتعلم: أن السلام في كل القرآن جاء بصيغة النكرة؛ إلا آية واحدة هي قول عيسى في سورة مريم، آية (٣٣): ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾.

و﴿سَلِّمُوا عَلَيْنَا﴾: جملة اسمية؛ تدل على الثبات، والدوام، وأقوى من لو قالوا: (سلاماً عليكم): جملة فعلية؛ تدل على التجدد، والتكرار، وليس الدوام والثبات، وأما السلام عليكم معرفة؛ فتعني: سلام التحية، المعروف في الإسلام فقط.

﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾: لم يدخل أصحاب الأعراف، لم يدخلوا الجنة مباشرة، وهم يطمعون بدخولها مباشرة، ولكنه لم يحصل ذلك، وهم كانوا يطمعون في دخولها، ولكن حُبسوا على السور (الأعراف).

أو هذا إخبار من الله تعالى عن أصحاب الأعراف، إذا رأوا زمرة تدخل



الجنة، يقولون: أن هؤلاء الداخلين لم يدخلوها، وهم يطمعون، ولكن هذه الزمرة دخلت الجنة برحمة الله تعالى، ولم تكن تطمع أن تدخلها، وفي الحقيقة: الكل لا يدخل الجنة إلا برحمة الله، وليس بعمله، والكل يطمع في ذلك.

حتى إبراهيم قال: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨].

[٤٧] ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني للمستقبل، ومتضمن معنى الشرط، وتدل على حتمية الحدوث.

﴿صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾: تحولت أبصارهم؛ أي: أبصار أصحاب الأعراف.

﴿تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾: أي: جهة أصحاب النار، وتلقاء: ظرف مكان، بمعنى: جهة اللقاء، والمقابلة.

﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: أي: ربنا، ولم يقولوا: يا ربنا؛ لأنهم يعلمون: أن الله تعالى قريب إلى العبد، ولم يستعملوا ياء النداء التي تدل على البعد، ربنا جنبنا، أو أبعدنا، ولا تصيرنا أن نكون مع هؤلاء الظالمين؛ أي: أصحاب النار.

[٤٨] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجَا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسْمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾:

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجَا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسْمَتِهِمْ﴾: من أصحاب النار، القادة، ورؤساء الكفر.

قالوا لهؤلاء الكفار: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾: ما: النافية للحال.

﴿أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾: أغنى عنكم من النار.



﴿جَمَعُكُمْ﴾: نكرة؛ تشمل العدد؛ أي: كثرتم، كثرة عددكم، أو جموعكم، ولا كثرة مالكم، ولا أهلكم، ولا اجتماعكم؛ أي: اجتماعاتكم على الضلال؛ للصدّ عن سبيل الله.

﴿وَمَا كُنْتُمْ﴾: وما: النافية، وتكرارها؛ لتوكيد النفي، وفصل جمعكم؛ من الاستكبار؛ أي: ما أغنى عنكم، لا هذا ولا ذاك، لا جمعكم ولا استكباركم.

﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن الإيمان، والطاعة، تستكبرون: ارجع إلى الآية (٤٠) من نفس السورة؛ للبيان.

[٤٩] ﴿أَهْتُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾:

﴿أَهْتُولَاءِ﴾: الهمزة: همزة استفهام، وتوبيخ، والهاء: للتنبيه، أولاء: اسم إشارة، يشير إلى ضعفاء المسلمين؛ أي: يقول أصحاب الأعراف لأصحاب النار: ﴿أَهْتُولَاءِ﴾ مشيرين إلى ضعفاء المسلمين.

وهناك من المفسرين من قال: إن الله، أو بعض الملائكة يقولون لأصحاب النار: ﴿أَهْتُولَاءِ﴾؛ مشيرين إلى ضعفاء المسلمين، وأصحاب الأعراف معاً.

﴿الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾: أي: حلفتهم، والقسم في القرآن يستعمل في سياق الصدق؛ حتى ولو كان الذي يقسم ليس صادقاً، أما الحلف فيأتي في سياق القسم الكاذب، فهم ما كانوا يعتقدون اعتقاداً صحيحاً، ويقسمون على أن الله لن ينال الضعفاء، وفقراء المسلمين برحمة.

﴿لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾: الرحمة هنا؛ تعني: الجنة، والباء: للإلصاق.

ورحمة: جاءت بصيغة النكرة؛ لتشمل كل أنواع الرحمة، الجنة، ورضوان الله، والطعام، والشراب، والأمن، والخلود، وغيرها.

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾: هذا هو خطاب من الله سبحانه، أو الحكم الصادر من الله لأصحاب الأعراف، بدخول الجنة.

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٣٨) من سورة البقرة؛ للبيان.

[٥٠] ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾:

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾: ارجع إلى الآية (٤٤) من نفس السورة.

﴿أَنَّ﴾: المخففة؛ تفيد التوكيد، أو تفسيرية.

﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: أفيضوا: من أفاض الماء؛ أي: صبه، وتعني: أعطونا شيئاً من الماء الكثير؛ الذي أفاضه الله عليكم، أو ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: أي: من الطعام الكثير، وذلك؛ لما يعانيه أهل النار: من الجوع، والعطش، وأنواع العذاب الأخرى، مثل: السعير، والزمهرير، وغيرها.

﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: قالوا؛ أي: أصحاب الجنة لأصحاب النار.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿حَرَّمَهُمَا﴾: أي: الطعام، والشراب على الكافرين.

[٥١] ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِتَائِبِينَ يَجْعَدُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.



﴿اتَّخَذُوا﴾: من اتخذ، من أفعال التحويل، والتصيير، والاتخاذ: فيه معنى الاستمرار، والتعب، والمشقة.

﴿دِينَهُمْ﴾: الدين: هو ما يطاع به المعبود، ويشمل الشريعة، والعقيدة، والمنهج، والجزاء.

﴿لَهُوَ وَلَعِبًا﴾: اللهو: هو كل شغل يُلهي عن واجب؛ يعني: أهملوا واجباتهم وعطلوها: بالأغاني، والموسيقا، والأفلام، واللهو، والعبث: هو الذي يشغل الإنسان عن تطبيق شرائع الله؛ مثل: الصلاة، والزكاة، والصيام.

﴿وَلَعِبًا﴾: اللعب: شغل لا يُلهي عن واجب، وقد يتحول اللعب إلى لهو إذا شُغل العبد عن واجب، تلاعبوا بدينهم الذي شرع الله لهم، فأحلوا، أو حرموا حسب أهوائهم؛ فجعلوا البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، واستهزؤوا بالله، وآياته، ورسله، أو انتحلوا العقائد الباطلة. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٣٢)، وسورة العنكبوت آية (٦٤) للمقارنة ومزيد من البيان.

﴿وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: أي: خدعتهم شهواتها، وكثرة المال، والعرض، والمتاع، والقوة، وطول العمر، وحسن العيش، والمكانة، أو الجاه... وغيرها.

﴿فَالْيَوْمَ﴾: الفاء: للتوكيد، اليوم: أي: يوم القيامة دل على ذلك معنى التشبيه.

﴿نَنَسْنَاهُمْ﴾: أي: نتركهم في النار، ولا نذكرهم، والنسيان؛ يعني: الإهمال والترك.

وحاشا لله أن ينسى، أو يتصف بالنسيان، وإنما هو على قبيل المشاكلة في اللفظ.



﴿كَمَا﴾: الكاف: للتشبيه، أو التعليل، وما: مصدرية.

﴿نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾: نسوا لقاء ربهم في هذا اليوم، ولم يستعدوا له.

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: للتوكيد. ويدل ذلك على حرمانهم من رحمة الله؛ لأنهم كانوا بآياتنا يجحدون.

﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾: الجحود: هو أخص من الإنكار، وهو إنكار الشيء الظاهر، أو الشيء المعلوم؛ مثل: إنكار الآيات الواضحة، والظاهرة للعيان، أو إنكار الشيء مع العلم به؛ أي: لا يصدقون.

وأما الإنكار: فهو إنكار الشيء الخفي غالباً، وأحياناً الشيء الظاهر، والإنكار أعم من الجحود، مثل: إنكار النعمة، ويكون مع العلم، وغير العلم بالشيء، أو النعمة؛ كقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣].





سورة الأعراف ٧

الجزء الثاني

وَلَقَدْ جِئْنَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ
الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا
مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾
إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ
وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا
وُخْفِيَّةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ
اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ
الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا
ثَقُلَا سَقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ
الشَّجَرِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾



رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

﴿هَلْ﴾: للاستفهام؛ تفيد النفي؛ أي: ما ينظرون.

﴿يَنْظُرُونَ﴾: أي: ينتظرون، وكيف ينظرون وفي الآية (٥١) كانوا يجحدون به فهذا الانتظار ليس انتظار لقدمه، وإنما انتظار لما سينتج عنه من عاقبة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿تَأْوِيلُهُ﴾: التأويل: هو ما يؤول إليه الشيء؛ أي: العاقبة، أو النتيجة، أو صدق ما أخبر به: من الوعد، والوعيد؛ أي: ما ينظرون عاقبة ما أذكروا به، أو بُشّروا به؛ إلا أن أتتهم فجأة وبغته.

﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾: أي: يوم القيامة، تتبين لهم الحقيقة، وينكشف لهم الغطاء عن صدق ما أذكروا به.

﴿يَقُولُ الَّذِي كُنَّ يَنْسَوْنَ مِنْ قَبْلُ﴾: نسوه: الهاء: تعود إلى الكتاب (القرآن)، ونسوه؛ بمعنى: تركوه، وأهملوه، ولم يؤمنوا به، من قبل: أي: في الدنيا.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا﴾: ولم يقل: قد جاء رسل ربنا.

﴿جَاءَتْ﴾: بالتأنيث؛ للدلالة على كثرة الرسل؛ الذين جاؤوهم، ومجيء رسول واحد كمجيء كل الرسل؛ لأنهم أصحاب رسالة واحدة.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿بِالْحَقِّ﴾: بالوحي، والصدق، والحق: هو الأمر الثابت؛ الذي لا يتغير، أو يتبدل، ويعني: البعث، والحساب، والجزاء، والجنة، والنار.

﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾: الفاء: للتوكيد، هل: استفهام؛ للتمني.



﴿شَفَعَاءَ﴾: جمع: شافع، و شفيع.

﴿فَيَشْفَعُوا﴾: الفاء: للتوكيد، يشفعوا لنا عند الله تعالى؛ للنجاة من عذاب النار. ارجع إلى سورة النساء، آية (٨٥).

﴿أَوْ نُردُّ فَنَعْمَلْ﴾: أي: نعود نرجع إلى الدنيا، والرد يختلف عن الرجوع، فالرد فيه معنى الإجبار على الرجوع، أو الإكراه، وفيه سهولة مقارنة بالرجوع الذي فيه الاختيار والصعوبة، والعودة إلى نفس المكان، أو الحالة التي انطلق منها.

﴿فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ﴾: فنعمل: الفاء: للتعقيب والمباشرة، غير الذي كنا نعمل: أي: سابقاً من المعاصي، والشرك، والفساد، فهم يتمنون الخلاص بأي وسيلة، بالشفاعة، أو العودة إلى الدنيا.

وقد بين الله سبحانه: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُمْ بِعَانِفُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد، خسروا أنفسهم: خسروها بأن أدخلوها النار، وأهلكوها في جهنم.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَآكَأُ يُفْتَرُونَ﴾: غاب وتاه عنهم، ولم يحضر شفعاؤهم، أو أولياؤهم؛ لنصرتهم، ومساعدتهم، كما كانوا يفترون في الدنيا: بأن الآلهة ستقربهم عند الله زلفى، أو تشفع لهم.
﴿مَا﴾: أي: الذي، أو مصدرية.

﴿يُفْتَرُونَ﴾: الافتراء: هو الكذب؛ المتعمد، المختلق. وجاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد، والتكرار في الافتراء، وكذبهم.

[٥٤] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد.

﴿رَبِّكُمْ اللَّهُ﴾: أي: إن إلهكم وربكم جمع الألوهية والربوبية معاً؛ الذي خلق السموات والأرض، أو حينما يقول: إن ربكم الله ما سيأتي بعد ذلك سيشهد على ألوهية الله، وربوبيته، ووحدانيته، وأنه هو الإله الحق؛ الذي يستحق أن يعبد؛ فهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام، هذه الستة أيام لا تعني مثل أيامنا الحالية، وإنما هي أيام لا يعلم طولها إلا الله تعالى، قد يكون طول كل دقيقة ملايين الأيام، أو تعني: ست مراحل، قد يكون طول كل مرحلة مئات الملايين من السنين؛ فالله سبحانه بدأ خلق السماء والأرض معاً في لحظة واحدة، ثم أتى الخلق في ستة أيام أو ستة مراحل، وهي:

١ - مرحلة الرق.

٢ - مرحلة الفتق (الانفجار، والدخان).

٣ - مرحلة التمييز أو التسوية: فسواهن سبع أرضين وسبع سموات في نفس الزمن.

٤ - مرحلة الدحو، وتكون الغلاف المائي، والغازي للأرض.

٥ - مرحلة خلق الجبال، وتكوين الأنهار.

٦ - مرحلة تقدير الأقوات. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٢، ٢٩)، وسورة الأنبياء، آية (٣٠)؛ لمزيد من البيان.

﴿يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ﴾: يُغْشَى: يغطي، ويستتر بأن يتداخل كل بالآخر، يذهب نور النهار، فيحل مكانه ظلام الليل، ثم يحل محل الظلام النور.

﴿حَيْثُ﴾: مسرعاً، أو بسرعة، وهذا ما حدث عندما كانت سرعة دوران الأرض حول محورها ستة أضعاف سرعتها الحالية، وكان طول الليل والنهار معاً يقدر بـ (٤ ساعات) فقط، وكان عدد أيام السنة (٢٢٠٠ يوم)، وكان ذلك في بدء الخلق، ثم تباطأ دوران الأرض حول محورها؛ بسبب المد، والجزر، وظهور الرياح الشرقية المعارضة لدوران الأرض، وأصبح الليل والنهار (٢٤ ساعة)،



ودلت على ذلك الدراسات على الأشجار، وجذوعها؛ فوجدوا أنه كلما تقادم الزمن؛ ازدادت الأيام، وقصر الليل والنهار، وتبين ذلك من دراسة حلقات النمو في جذوع الأشجار، والصخور... وغيرها.

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّكَ: التسخير؛ يعني: التذليل؛ أي: خاضعات لأمر الله، ومذلات؛ للانتفاع بها.

فسخر الشمس؛ لمعرفة الزمن، ولتطينا حزمة الطيف المرئي الذي يشكل لنا نور النهار، ولتزودنا بالطاقة، والدفع... وغيرها من الفوائد.

وأما القمر: فينير لنا الأرض؛ لكونه يعكس لنا أشعة الشمس، ويفيدنا في عملية المد والجزر المهمة في إبطاء دورة الأرض حول محورها، وفي تفتيت الصخور، وتلطيف المناخ، وحركة الرياح... وغيرها.

وأما النجوم: فللاقتداء بها، والاهتداء بها، وزينة، ورجوماً للشياطين.

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ: ﴿

﴿أَلَا: أداة تنبيه؛ ليلفت انتباه السامع ويُنصت.

﴿لَهُ: تقديم الجار والمجرور؛ يفيد الحصر، والقصر.

﴿الْخَلْقُ: الكون، وجميع ما خلق خاضع لأمره، وحكمه؛ أي: لا يأمر في ذلك اليوم إلا الله؛ فهو الحاكم والأمر.

﴿وَالْأَمْرُ: وله الشأن كله، يعني: التدبير، والتصرف حسب إرادته، وحكمته.

﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ: تعاظم، وتنزه عن كل نقص، وكثر إحسانه، وعظمت قدرته. ارجع إلى سورة الملك آية (١) لمزيد من البيان.

[٥٥] ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ: ﴿

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ: سلوا ربكم حوائجكم.



﴿تَضَرَّعًا﴾: بتذلل؛ أي: إظهار ذل النفس، وخضوعها له، والضراعة: هي الذلة.

﴿وَحُفِيَّةً﴾: بضم الخاء سرًا، أو بالخفاء؛ لتجنب الرياء، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٠٥) في نفس السورة وهي قوله تعالى: ﴿تَضَرَّعًا وَحُفِيَّةً﴾ خيفة: بكسر الخاء من الخوف، نجد أن الآية (٥٥) تعني: ادعوا ربكم في الخفاء، والآية (٢٠٥) ادعوا ربكم بشيء من الخشية (الخوف والتعظيم والعلم)، وإذا نظرنا إلى الآية (٥٦) في نفس السورة فهي تحت أيضاً على دعائه ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾: أي: لا تعدوا في دعائكم؛ لأنه لا يحب المعتدين في الدعاء؛ أي: بالصياح، ورفع الصوت، أو الدعاء بأشياء مستحيلة؛ كأنه يدعوه أن يصبح نبياً، أو رسولاً، أو يخلد في الدنيا.

[٥٦] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾: الفساد في الأرض: بالقتل، والظلم، والتخريب، وإهلاك الحرث والنسل، وتكذيب الرسل، والمعاصي، والشرك، والكفر بعد إصلاحها.

﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا﴾: خوفاً من صفات جبروته، وقهره، وغضبه وسخطه.

﴿وَطَمَعًا﴾: الطمع: هو الرغبة الشديدة في توقع الخير في غفرانه، ورحمته، وفضله، وطمعاً في الاستجابة لدعائكم، وخوفاً من أن يردَّ دعاءكم.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: إن: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد.

﴿رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾: ولم يقل: قريبة بصيغة المؤنث، وإنما قريب بصيغة



المذكر، ويجوز في اللغة تذكير أو تأنيث قريب إذا لم يكن القرب في سياق النسب عندها لا بد من القول قريبة، ولو قال: رحمة الله قريبة؛ لدل على ذلك على أن رحمته فقط هي القريبة من المحسنين.

ولكن قال: ﴿قَرِيبٌ﴾: تعود على ذات الله سبحانه؛ أي: إنه هو قريب بذاته، وبالتالي رحمته؛ التي هي جزء من ذاته، قريبة كذلك، وبذلك يكون المعنى: أن الله سبحانه بذاته المشتملة على الرحمة قريب من المحسنين، جمع بين قربه وقرب رحمته معاً، بدلاً من أن يقول: إن رحمة الله قريبة، والله قريب، جمع ذلك، وأوجز.

[٥٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾:

هذه الآية: تنمة للآية السابقة، ومن رحمته يرسل الرياح؛ لتحمل السحب، وتقوم على تلقيحها، والسحاب الثقال: هي التي تبشر بالمطر؛ أي: السحب الركامية.

﴿وَهُوَ﴾: الواو: عاطفة، هو: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر، والتوكيد، والقصر على الله سبحانه وحده الذي يرسل الرياح.

﴿يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾: يرسل: بلفظ المستقبل؛ لأنه سبق ذلك قوله: ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، والدعاء والطمع يكون في المستقبل؛ أي: ليناسب ما قبله بشراً؛ أي: تبشر بالمطر. ارجع إلى سورة النحل آية (٨٩) لمزيد من البيان في معنى بشراً.

﴿رَحْمَتِهِ﴾: هنا: هو المطر؛ ولنعلم أن كلمة الرياح في القرآن أينما ذكرت؛ فإنها تحمل معنى الخير، والنعمة، بعكس كلمة الريح في القرآن؛ التي تحمل معنى الشر، والنقمة.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ﴾: حتى: حرف نهاية الغاية.



﴿أَقَلَّتْ﴾: أي: الرياح، لها معنيان: الأول: أقلت: من القلة ضد الكثرة، أقل وزناً، والثاني: حملت، فالرياح تحمل السحاب بأنواعه المختلفة، ورغم أن الرياح أقل وزناً من السحب؛ فهي قادرة على حمل السحب الركامية؛ حتى ولو كان وزن السحب آلاف وملايين الأطنان، وهذه آية من آيات قدرة الله تعالى يجعل الأقل وزناً يحمل أكثر وزناً؛ كمثال الإنسان الذي يحمل الأثقال وزنه (١٥٠-٢٠٠ كغ) يرفع (٤٠٠-٥٠٠ كغ).

﴿سَحَابًا﴾: اسم جنس، والسحب، أو السحاب: جمع سحابة. ولذلك قال: ﴿سُقْنَتْهُ﴾، يعود على ﴿سَحَابَاتٍ لَا﴾، ولم يقل: سقناها: تعود على الرياح.

﴿لَبَدْرٍ مَّيِّتٍ﴾: لبلد: واللام: لام التعليل، ميّت: بتشديد الياء مُجْدِب، ليس فيه نبات؛ أي: ما زالت على قيد الحياة، وستموت إذا لم يصلها الماء. ارجع إلى سورة الفرقان آية (٤٩) لمزيد من البيان، والفرق بين ميّت وميّت.

﴿فَأَنْزَلْنَاهُ أَمْاءً﴾: الفاء: تدل على التعقيب، والترتيب، والمباشرة.

في هذه الآية: يتحدث سبحانه عن دورة الماء على الأرض، فأشعة الشمس تبخر الماء من البحار، والمحيطات، والأنهار... وغيرها، ويرسل الله رياحاً؛ لتحمل هذا البخار، وتشكل السحب التي لا تمطر؛ حتى يرسل إليها رياحاً أخرى تحمل هباءات الغبار التي تلقح السحاب؛ أي: بخار الماء الذي تبخر من الأرض، ويبدأ بخار الماء بالتكثف؛ فتتكون قطرات الماء؛ فينزل المطر بالقدر الذي يشاء الله، وفي المكان، والزمن الذي يشاء الله.

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: أخرجنا بالماء، أو المطر، من كل الثمرات: من: استغراقية، فحين يدخل الماء في البذرة، أو الحبة؛ تبدأ البذرة تنمو، وتتغذى بالجذر من عناصر، أو مركبات التربة، وكل بذرة قادرة على اختيار ما يلائمها من العناصر، ومركبات الأرض، والشفرة الوراثية الموجودة داخل البذرة تختار هذه العناصر؛ لتشكل الثمار المختلف ألوانها، وشكلها، وطعمها.

﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: أي: كما أحيينا هذا البلد الميت بالمطر، أو الماء؛ نحیی الموتى بالبعث، بإرسال عليهم مطراً؛ فینبت به أعجاز الذنب، وبالتالي الناس یرجون من قبورهم. ارجع إلى سورة الروم، آية (١٩)؛ للبيان المفصل.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: لعلّ: أداة تعليل.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: قدرة الله سبحانه هذه، ورحمته مرة أخرى، ولا تنسوها؛ إنه قادر على بعثكم، وحسابكم، لنقارن هذه الآية (٥٧) من سورة الأعراف، والتي يقول فيها: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾: جاءت بصيغة المضارع، مع الآيات الأخرى في سورة الروم، آية (٤٨)، وفي سورة الفرقان، آية (٤٨)، وسورة فاطر، آية (٩): فكلها جاءت بصيغة الماضي أرسل الرياح.

فالسباق هو الذي يحدد، فحينما يستعمل صيغة المضارع (يرسل): نجد الآيات السابقة لتلك الآية تتحدث بصيغة المضارع.

وحينما يستعمل صيغة الماضي (أرسل): نجد الآيات الأخرى، أو السابقة تتحدث عن الماضي.

إذن السياق هو السبب في الاختلاف بين الآيات أحياناً.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

الْبَلَدُ الطَّيِّبُ

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، بِإِذْنِ رَبِّهِ، وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ
إِلَّا نَكِدًا ۖ كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾
قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ
يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ
﴿٦١﴾ أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِمَّنِ اللَّهُ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۖ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ
هُودًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ
﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنِكَ فِي
سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ
لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾





سورة الأعراف [الآيات ٥٨ - ٦٧]

[٥٨] ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾:

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾: السواو: عاطفة، أي: البلد، طيب التربة، البلد ذو التربة الخصبة.

﴿يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾: وذلك بعد إنزال المطر على تربته الخصبة، يخرج زرعاً بإذن ربه، وهذا مثل العبد الذي هو يمثل التربة الطيبة بعد إنزال الماء عليها؛ أي: بعد سماع آيات ربه، يزداد إيمانه، وتكثر أعماله الصالحة.

﴿وَالَّذِي خَبثَ﴾: أي: والبلد الذي خبث؛ تربته خبيثة، غير صالحة للزراعة، فمهما نزل عليها الماء؛ فلا تستفيد من المطر، ولا يخرج نباته إلا نكداً، وهذا يمثل العبد الخبيث الذي لا يتعظ بسماع آيات الله، أو بأي موعظة إيمانية.

﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾: أي: لا يخرج إلا بصعوبة، ومشقة، وعُسْر، وإذا خرج؛ خرج قليلاً، لا يتنفع منه، ويقال: إنسان نكد؛ أي: طباعه عسيرة، يصعب الحديث معه، وهو شؤم.

ويقال: نكدت البئر: أي: قلَّ ماؤها، والأرض الخبيثة، والجذباء، تشبه الكافر؛ الذي لا يتنفع بآيات ربه، ولا بالقرآن، ولا بالموعظة الحسنة، فيكون



عمله بالتالي غير صالح، وخبيثاً يضر، ولا ينفع، وعمله قليل على كل حال؛
كالبئر المنكدرة.

﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾: كذلك نبين الآيات جمع آية؛ يصرفها؛ أي:
يغيرها ويأتي بها بصور مختلفة وأساليب مختلفة، ويكررها بصور شتى؛ لكي
يتبين لكم المعنى الحقيقي، والخفي، والوصول إلى الحقيقة مثال تصريح
الرياح.

﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾: السلام: لام لاختصاص؛ لعل المؤمنين يتذكرون نعم
الله عليهم؛ فيشكرونها عليها. ارجع إلى الآية (١٠) من نفس السورة؛ لمزيد من
البيان في معنى يشكرون.

[٥٩] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

﴿لَقَدْ﴾ اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أي: قد تحقق ما سيخبر الله تعالى
به، ونجد لقد جاءت في هذه الآية بدون الواو كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾
كما في سورة هود آية (٢٥)، وسورة المؤمنون آية (٢٣)؛ لأن الآية (٥٩) في
الأعراف لم يسبق أي حديث، أو ذكر عن الأنبياء، أو الرسل، وأما بقية الآيات
سبقها ذكر أو دعوة للأنبياء أو الرسل.

﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾: ذكر اسم نوح في ثلاث وأربعين آية في القرآن الكريم،
وذكرت قصته في كثير من السور؛ مثل: سورة هود، ونوح، والأعراف،
والمؤمنون، والشعراء، والقمر... وغيرها، فلا يظن القارئ أنها تكرر، وإنما

تبرز كل سورة ناحية، أو جانباً من جوانب سيرته، ودعوته لقومه، وموقف قومه، وصناعته للفلك، والطوفان، ونجاة من آمن معه.

﴿أَرْسَلْنَا﴾: الإرسال يكون برسالة، والبعث يكون برسالة، أو بغير رسالة، والإرسال: ليس فيه إثارة، وتهيج، كما هو الحال في البعث: الذي فيه إثارة، وتهيج، والإرسال: أقل قوة، وشدة من البعث. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٩)؛ لبيان الفرق.

﴿فَقَالَ﴾: الفاء: تدل على الترتيب، والتعقيب، والفاء: تدل على الاستمرار في الدعوة، والإلحاح، والمتابعة.

﴿يَقْوِمُ﴾: يا: أداة نداء، يا قوم: نداء فيه تحبيب.

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾: إذ كان قومه يعبدون أصناماً كثيرة ذكرت في سورة نوح، مثل: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا.

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: يدل هذا القول على أن نوحاً؛ كان عنده علم بالعذاب الذي سينزل على قومه، إذ لم يؤمنوا، ويظهر حرصه، وإشفاقه عليهم، وعلم ذلك؛ لأنه طلب منه أن يصنع الفلك بأعيننا.

﴿إِنِّي﴾: إن: يفيد التوكيد.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: يوم الطوفان، أو يوم القيامة.

[٦٠] ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾:

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾: الملأ: هم أشراف القوم، وسادتهم، ولم يقل: الملأ الذين كفروا من قومه؛ لأن قول: الملأ هذا كان في بداية الدعوة، ولم يكن هناك



أي مؤمن بنوح ، حتى ذلك الزمن ، وأما لو قال الملائكة كفروا من قومه : يعني أن هناك أشراف أو ملائمة من قومه آمن وقال الذين كفروا .

﴿ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ : إنا : للجمع ، والتعظيم ، لنراك : اللام : لام التوكيد ، نراك : نجدك ؛ أي : نعتقد ، رؤية قلبية ، وبصرية .

﴿ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ : الضلال : الانحراف عن الحق ؛ أي : تائه ، وبعيد عن الصواب ؛ أي : أنت مجرد تائه ، ضال ، والضلال : اسم جنس يشمل الضلالات كلها ، ويعني الضلال الكثير ، أو القليل أما الضلالة تفيد (اسم مرة) ؛ أي : شيء قليل من الضلال .

﴿ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ : واضح ، ومكشف لكل واحد ، ولا يحتاج أن تبينه ؛ فهو بائن ، وظاهر ، ولا يحتاج إلى برهان ؛ لأنه كان يدعوا إلى عبادة الله وحده .

﴿ فِي ﴾ : تفيد الطرفين ؛ كأن الضلال محيط بنوح من كل جانب ، ومنغمس فيه من قبل .

[٦١] ﴿ قَالَ يَتَقَوَّمُ لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ :

﴿ قَالَ ﴾ : نوح مدافعاً عن نفسه .

﴿ لَيْسَ فِي ﴾ : ليس : حرف نفي .

﴿ فِي ﴾ : الباء : للإلصاق ولم يقل ليس في ؛ في : ظرفية تفيد الإحاطة به من كل جانب أو الانغماس في الضلال ؛ حتى ضلالة واحدة ، رداً على قولهم : ﴿ لَنَرَنَّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ : منغمساً في الضلال والبعد عن الصواب والحق ؛ لأن

نوحاً يعلم ما جاء به هو من عند الله سبحانه؛ فهو ينفي من كون الضلال لاصق به.

فقال : ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ : ضلالة : اسم مرة، بينما في ضلال مبين : ضلال اسم مصدر؛ أي : ليس بي أي ضلالة . استبدال المصدر باسم المرة (ضلالة) للمبالغة في نفي الضلال عنه؛ أي : ليس بي أقل ضلالة .
﴿وَلَكِنِّي﴾ : لكن : حرف استدراك، وتوكيد .

﴿رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ : رسول مرسل من رب العالمين؛ أي : الرب الذي خلقكم، ورزقكم، وتولى تربيبتكم .

[٦٢] ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ :

﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ : من البلاغ، والبلاغ : هو إيصال ما أوحى إليّ ربي من الأوامر، والنواهي، والبشائر، والنذر .

﴿رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ : رسالات : جمع رسالة فهي ليست رسالة واحدة كما قال تعالى على لسان صالح في الآية (٧٩) في نفس السورة وهي قوله تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَاكَ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ ورسالات تعني : في التوحيد، والعبادات، والأوامر، والنواهي، والعقيدة، وأمور الدين .

﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ : النصح : هو إخلاص القول، والعمل من كل شائبة؛ أي : أرشدكم، وأدلكم على مصلحتكم، أو ما فيه الخير لكم .
﴿لَكُمْ﴾ : اللام : مبالغة في النصح، ولكم خاصة .



﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾: جملة فعلية؛ تدل على التجدد، والاستمرار، وتكرار النصيحة، والإرشاد.

﴿وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾: بما أخبرني الله عن طريق الوحي، من تفاصيل في أمور الدين، والوحدانية، والأحكام، والشرائع، والنجاة، والهلاك.

[٦٣] ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾:

﴿أَوْ عَجِبْتُمْ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري، والواو: للتقرير.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد.

﴿جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: ذكر بيان، أو موعظة، أو رسالة، أو تعاليم.

﴿عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾: على لسان رجل منكم، تعرفونه، ويعرفكم، وليس غريباً عنكم.

﴿لِيُنْذِرَكُمْ﴾: السلام: للتوكيد، أو للتعليل، والإنذار فيه إعلام، وتحذير من العذاب إن لم تؤمنوا.

﴿وَلِتَتَّقُوا﴾: اللام: للتعليل، تتقوا: أي: تطيعوا أوامر الله، وتتجنبوا ما نهى عنه؛ كي تتقوا النار، وتتقوا غضب ربكم وجبروته.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: لعلكم: لعل: للتعليل، رجاء رحمة ربكم، وذلك بإطاعة أوامره، والأخذ بالأسباب الأخرى؛ للرحمة، وطلب العون منه، لعلكم ترحمون بعدها. ارجع إلى سورة الإسراء، آية (٨)؛ لمزيد من البيان.

[٦٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، كذبوه: بمجرد ما بدأ يدعوهم؛ لم يصدقوه، ولم يؤمنوا بما جاء به.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، وأنجيناه: تدل على السرعة في النجاة، والشدة، وقدم فأنجيناه على أغرقنا للاهتمام بإنجاء المؤمنين وتعجيلاً لمسرة السامعين مع أن الإغراق بدأ أولاً.

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾: الفلك: السفينة. والذين معه: ولم يقل: ومن معه؛ لأن (الذين): تدل على الكثرة، أكثر من كلمة معه؛ لوحدها التي تدل على القلة. وقيل: كانوا حوالي (٧٠)، أو أقل من ذلك.

﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾: أي: قوم نوح الذين ذهب بصيرتهم؛ لأن عمى البصيرة أشد وأبلغ من عمى البصر.

﴿عَمِينَ﴾: جمع عم صفة مشبهة من عمى يعمى، أصله عمى حذف الياء؛ لأنه اسم منقوص، وعمين أصله عميين بياءين؛ حذف إحداهما؛ لالتقاء الساكنين، وعمين: يدل على أنه عمى ثابت.

[٦٥] ﴿وَالِإِنِّي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُومِ اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْقُونَ﴾

﴿وَالِإِنِّي عَادِ﴾: أي: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾، وكذلك أرسلنا ﴿وَالِإِنِّي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾.



كلمة أخاهم: تشعر بأنه من جنسهم، وليس أجنبياً عنهم، وتعطي الشعور بالأنس.

﴿قَالَ يَنْقُومِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَنْقُونَ﴾: كان هود على علم بما حدث بقوم نوح؛ فقوم عاد: هم بقية من قوم نوح الذين عادوا إلى مكة بعد الطوفان، وبعد أن تكاثروا؛ نزحوا إلى جنوب الجزيرة العربية، وسكنوا الأحقاف.

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري. ألا: أداة حُضْ، وتعريض، يحضُّهم على التقوى، وكذلك: ﴿أَفَلَا تَنْقُونَ﴾: من العذاب، وما حل بقوم نوح، ولم يقل: فقال؛ لأن دعوته لهم كانت ليست بإلحاح، واستمرار، كما في دعوة نوح.

[٦٦] ﴿قَالَ أَلَمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ۖ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾:

﴿قَالَ أَلَمَلَأُ﴾: أشرف القوم الذين كفروا، وهناك المملأ الذين لم يكفروا.

﴿إِنَّا﴾: للجمع والتعظيم.

﴿لَنَرْنَكَ﴾: اللام: لام التوكيد.

﴿فِي سَفَاهَةٍ﴾: طيش، وسخافة، وقلة عقل، وجهالة؛ إذ تركت دين آبائك إلى دين آخر.

﴿وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾: وتكرار (إننا): للتوكيد، واللام في لنظنك: لام التوكيد. الظن: هو رجحان كفة الإثبات على كفة النفي؛ أي: نتصور أو نعتقد: إنك من الكاذبين.



[٦٧] ﴿قَالَ يَنْقُومُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

قوله: ﴿يَنْقُومُ﴾: بعد أن اتهموه بالسفاهة، والكذب جاء رده عليهم بأدب، وخلق حسن، بنفي السفاهة عنه، وأنه رسول مرسل من رب العالمين.

لنقارن هذه الآية من سورة الأعراف: ﴿وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

بآية أخرى، وهي الآية (١٨٦) من سورة الشعراء: ﴿وَإِن تَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

نجد أن التكذيب في آية سورة الأعراف أشد من التكذيب في آية سورة الشعراء، ولذلك أكد بزيادة اللام في كلمة ﴿لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾؛ لأن الكاذبين في آية الأعراف قوم غير القوم الكاذبين في سورة الشعراء.

فالكاذبون في آية الأعراف: هم الملأ الذين كفروا من قوم عاد.

أما الكاذبون، أو المكذبون في آية الشعراء: فهم الذين كفروا من قوم شعيب.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

الْبَيْتُ الْخَامِسُ

أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ
 أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ
 وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
 فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَأَذْكُرُوا لِلَّهِ الْآلَاءَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ
 ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ
 يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاتَّبِعْنَاهُ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ
 ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعِزَابٌ
 أَتَجِدُونَنِي فِي سَمَاءٍ سَمِيَّتُمْوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ
 مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ
 الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
 وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ
 ﴿٧٢﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
 مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ، قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن
 رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ
 فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾

سورة الأعراف [الآيات ٦٨ - ٧٣]

[٦٨] ﴿أَتْلِفْكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾:

﴿أَتْلِفْكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي﴾: ارجع إلى الآية السابقة (٦٢).

﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾: ناصح أمين: جملة اسمية؛ تدل على الثبوت، بينما قوله: ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾: جملة فعلية؛ تدل على التجدد، والاستمرار، والتكرار؛ لأن هوداً كان أسلوب دعوته غير أسلوب دعوة نوح، فدعوة هود كانت أقصر من دعوة نوح، وثابتة مستمرة، بينما دعوة نوح كانت دعوة طويلة، ومتجددة، استمرت (٩٥٠ سنة).

﴿لَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص. لكم: وحدكم خاصةً.

﴿نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾: ناصح فيما أدعوكم إليه إلى الخير، والنفع، وأريد لكم الفوز والنجاة.

﴿أَمِينٌ﴾: على ما أقول لكم، ولا أكذب عليكم.

[٦٩] ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأَذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾:

ارجع إلى الآية السابقة (٦٣): لم يقل: ولتتقوا ولعلكم ترحمون؛ إذ تجاوز عن ذلك، وانتقل إلى التذكير، فقال: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ﴾: إذ: ظرفية زمانية للماضي؛ بمعنى: حين، وتقديرها أيضاً: واذكروا نعمة ربكم؛ إذ جعلكم خلفاء.

﴿خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾: خلفاء: جمع خليفة، والخليفة: من خلف غيره، وقام مقامه، أو استخلف في الأمر مكان من كان قبله.



﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصَاطَةً﴾: أي: قوة، وعظمة، ولتقارن هذه الآية مع الآية (٢٤٧) من سورة البقرة: ﴿وَزَادَهُ بَسَاطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾: أي: طالوت.

انتبه إلى: كيفية كتابة كلمة ﴿بَصَاطَةً﴾ في آية سورة الأعراف، وإلى كلمة ﴿بَسَاطَةً﴾ في آية سورة البقرة، فكلمة ﴿بَصَاطَةً﴾ في آية سورة الأعراف بالصاد وكلمة ﴿بَسَاطَةً﴾ في آية سورة البقرة بالسين، والصاد: أقوى من السين في اللغة، وتعليل ذلك: أن آية الأعراف: جاءت في سياق قوم عاد، وآية البقرة: جاءت في سياق طالوت وحده، والقوم أقوى من الفرد الذي هو طالوت؛ فاستخدم الصاد للقوم، والسين للفرد (طالوت) وحده.

وكذلك في آية سورة الأعراف ﴿بَصَاطَةً﴾: مطلقة في الغنى، والسعة، والقوة، والعلم... وغيرها. ﴿بَصَاطَةً﴾: تشمل كل شيء، بينما في آية سورة البقرة؛ التي تخص طالوت قيدها؛ فهي ﴿بَسَاطَةً﴾ فقط بالعلم، والجسم.

﴿فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: فاذكروا: الفاء: للتعقيب، والترتيب، والمباشرة. فاذكروا: فاشكروا.

﴿ءَالَآءَ﴾: مفردها: ألو، وإلى، وألى: نِعَمٌ كثيرة؛ أي: اذكروا نعم الله الكثيرة عليكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: بشكر آلاء الله، واتخاذ الأسباب الأخرى المؤدية إلى الفلاح، والدعاء إلى الله.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل: للتعليل، والترجي.

﴿تُفْلِحُونَ﴾: الفلاح: هو الفوز بالجنة، والنجاة من النار، ارجع إلى الآية (٥) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[٧٠] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَيْنَا بِمَا نَعْبُدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾:

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا﴾: الهمزة: استفهام إنكاري.

﴿لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾: اللام: لام التعليل.

﴿لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾: أي: نترك، ونهجر ما يعبد آباؤنا، ونعبد الله وحده؛ أي: أأمرنا بالتوحيد، فنحن نقلد آباءنا، ولا يمكن أن نترك ما كان يعبد آباؤنا، وإن كان ربك يُنذرننا بالعذاب، وتدل هذه الآية أن عبادتهم الأصنام أمر قديم ومتكرر ومتجدد منهم.

﴿فَأَيْنَا﴾: الفاء: تدل على المباشرة؛ فأتينا الآن.

﴿فَأَيْنَا بِمَا نَعْبُدُنَا﴾: بما: الباء: للإلصاق، وما: اسم موصول؛ بمعنى:

الذي نعبدنا.

﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾: إن: شرطية تدل على الاحتمال؛ احتمال أنك من الصادقين، أو لا نصدق أنك من الصادقين؛ أي: نشك في صدقك، أو صدق ما تقول.

[٧١] ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَدِّلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾:

﴿قَالَ قَدْ﴾: هود لقومه. قد: حرف تحقيق، وتوكيد، وتفيد في تقريب

الزمن الماضي من الحال.

﴿وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾: قال: هذا بعد أن يؤس من إيمان

قومه، وبعد أن تحدوه، وقالوا: فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين؛ فجاءه الوحي من ربه: أن أبلغهم قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب.



انتبه! إلى قوله: ﴿قَدْ وَقَعَ﴾: ولم يقل: سيقع في المستقبل، وقع: فعل ماضي، وهود لا يزال يُعلمُهُمْ، وينذرهم؛ لأن كلام الله سبحانه لا يحده زمان، ولا مكان، سواء ماضياً كان، أم حاضراً، أم مستقبلاً؛ أي: سيقع لا محالة، عاجلاً أم آجلاً؛ أي: اعتبروا أن وقوعه قد حدث فعلاً.

﴿عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: تقديم عليكم: يفيد الحصر، من ربكم وحده، وليس من غيره.

﴿رَجَسٌ﴾: عذاب من الارتجاس، وهو الاضطراب، ويعني: العذاب، كما ذكر في الآيات الأخرى: بالريح العقيم (الذاريات آية ٤١)، أو الريح الصرصر العاتية (الحاقة آية ٦)؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٩) للبيان المفصل في الرجز والرجس.

﴿وَعَصَبٌ﴾: هو انتقاض أو تغير الطبع الذي يظهر على الجوارح ويختلف عن السخط الذي هو شدة الكراهية وعدم الرضا. انظر كيف أخرج الغضب وقدم الرجز للتهديد والوعيد ولعلمهم يتوبون إلى الله.

﴿أَتُجَدِّلُونَنِي﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري. تجادلونني: المجادلة: الجدل؛ يعني: الحوار، والمخاصمة، لإظهار الحُجَّة، ودفع الشبهة.

﴿أَتُجَدِّلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾: أتجادلونني: الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والنون: لزيادة التوكيد، في هذه الأصنام التي سميتوها أنتم وآباؤكم آلهة، وهي في الحقيقة مجرد أسماء لا غير.

﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾: قيل: الحُجَّة القوية الواضحة وكلمة سلطان: مشتقة من السليط، وعند العرب السليط؛ يعني: الزيت، أو دهن السمسم، وكانوا يستعملون الزيت في القديم؛ لإضاءة الشرج؛ أي: السلطان نور، أو حُجَّة تنير طريق الحق.

والسلطان: يقسم إلى: سلطان قوة، وقهر، أو سلطان حُجَّة، وبرهان؛ أي: ماذا نزل عليكم من حُجَّة، أو برهان، أو قوة تثبت أنها تستحق العبادة، أو هي آلهة كما تزعمون.

وقوله: ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾: فيها تأكيد أشد، وأبلغ من قوله: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾. [يوسف: ٤٠].

﴿فَانْظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾: ثم هددهم بقوله: ﴿فَانْظُرُوا﴾: نزول العذاب من الله، والفاء: للتوكيد، ﴿إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾. [٧٢] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَّعْنَا دَايِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾:

﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، أنجيناها: تعني: بسرعة، وقوة، وشدة، ولم يقل: نجيناها التي تدل على البطء، والزمن الطويل، أنجيناها من الريح المدمرة العقيم.

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾: الذين: تعني: العدد أكبر، مقارنة بقوله: ومن معه، من معه: تعني: الواحد، أو الاثنين، أو أكثر.

﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾: الباء: للإلصاق، ولم يقل: برحمة من عندنا، بل: ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾؛ تعني: رحمة عامة للناس، رحمة من عندنا: تعني رحمة خاصة بالمؤمنين، أو رحمة من لدنا، وهي أفضل وأقرب الرحمات خاصة بأولياء الله.

﴿وَقَطَّعْنَا دَايِرَ﴾: وقطع: القطع؛ يعني: الاستئصال التام، دابر القوم: الدابر التابع من الخلف، دابر القوم، آخرهم بالمجيء، المراد بذلك: استؤصلوا بالعذاب استئصالاً عن بكرة أبيهم، لم ينبج منهم أحد.

﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾: الذين لم يصدقوا بها، وجحدوا بها.

﴿وَمَا﴾: النافية.



﴿كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾: تأكيد لتكذيبهم، وعدم إيمانهم، ولم يبين كيف حدث الاستتصال في هذه الآية، وإنما بيّنه في آية أخرى، فقال: ﴿بَلْ هُمْ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٤) تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴿[الأحقاف: ٢٤-٢٥].

[٧٣] ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾:

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾: أي: ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً.

﴿ثَمُودَ﴾: قبيلة عربية، كانت تسكن الحجر، بين الحجاز والشام، وهم من بقايا قوم عاد، ويسمون عاداً الثانية.

وقوله: ﴿أَخَاهُمْ﴾: تدل على أن صالحاً كان منهم، وكان معروفًا، ومألوفًا عند قوم ثمود، وأطلق عليهم قوم ثمود باسم جدهم، ثمود بن عامر بن إرم بن سام بن نوح.

﴿قَالَ يَنْقُورِ﴾: يا: النداء، وتدل على التحجب لقومه.

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أطيعوا الله، ولا تعصوه، وامثلوا أوامره. ارجع إلى سورة الأنبياء، آية (١٠٦)؛ لبيان معنى العبادة.

﴿مَا لَكُمْ﴾: ما: النافية. لكم: خاصّة، اللام: للاختصاص.

﴿مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾: أي: لا إله إلا الله.

﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾: هذه: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقريب؛ يشير إلى ناقة الله. لكم: اللام: لام الاختصاص، لكم خاصّة.

﴿آيَةٌ﴾: معجزة تدل على قدرة الله سبحانه، وتوحيده.

فقد سألوا صالحاً: أن يخرج لهم من إحدى الصخور ناقة عشراء، وبراء؛

أي: كثيرة الوبر، يتحرك جنينها بين جنبها، ثم تلد فصيلاً، وجاءتهم الناقة كما سألوا.

﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾: سماها ناقة الله؛ تشریفها لها.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءً﴾:

﴿فَذَرُوهَا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة. ذروها: أي: اتركوها تسرح أينما تشاء.

﴿تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾: فقد سَمِيَ صالح الناقة؛ بناقة الله، وسمَّى الأرض أرض الله، وهذه هي الحقيقة، فكل مخلوق، أو أرض، أو سماء من خلق الله، وملكه.

﴿وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءً﴾: لا: الناهية. تمسوها: المس: هو مجرد اللمس، أو أقل للمس.

﴿إِسْوَاءً﴾: الباء: للإلصاق، السوء: أعم من القتل، أو العقرب أي سوء مهما كان، مثل: الضرب، أو الطرد، أو منعها من الشرب، ولم يقل: ولا تعقروها، أو تقتلوها، بل لا تمسوها بسوء؛ أي: أدنى المس، أو الأذى.

﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: الفاء: للتوكيد، يأخذكم: يصيبكم عذاب أليم، وكان هذا الإنذار في بداية الدعوة والتبليغ، أما حين عقروا الناقة، وعتوا عن أمر ربهم فأنذرهم إنذاراً آخر في نهاية الدعوة فقال: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [مرد: ٦٥]، فقال: ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [مرد: ٦٤]. وفي الشعراء آية (١٥٦) قال تعالى: ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ فهذا وصف لليوم (يوم عظيم) وقد ترجع إلى العذاب أيضاً، فيكون قد وصف العذاب بالأليم القريب العظيم.





سُورَةُ الْأَنْكَافِ ٧

الْبَيْتُ الْوَاحِدُ

وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ
فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ
الْجِبَالَ بِيُوتًا فَاذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ
قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ
أَنْتَ صَلِحًا مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ءَقَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ
مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي
ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَثْنَانَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جَاشِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ
﴿٧٩﴾ وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ءَاتَاؤُنَ الْفَجِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

سورة الأعراف [الآيات ٧٤ - ٨١]

[٧٤] ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾: ارجع إلى الآية (٦٩).

﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: بَوَّأَهُ مَنْزَلاً: أنزله، وهباً له، مباءة؛ أي: بيوت، أو قصور، بوأكم: مشتقة من باء؛ أي: رجع؛ لأن الإنسان يخرج من بيته، ثم يعود إليه.

﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: هباً لكم، وأنزلكم منازل في الأرض، أرض الحجر بين الحجاز والشام، في الأردن (وادي القرى).

﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾: تبون في بعض سهولها قصوراً.

﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾: وكان الجبال كلها تنحتونها بيوتاً من كثرة البيوت التي نحتوها في الجبال؛ فكان الجبال تحولت إلى بيوت (في المرحلة الثانية).

بينما في آية (٨٢) من سورة الحجر: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾: أي: ينحتون من بعض الجبال بيوتاً (من: هنا بعضية).

في المرحلة الأولى: بدؤوا بنحت بعض الجبال بيوتاً، ثم ازداد النحت، وصار الكل يريد أن ينحت له بيتاً في الجبال (المرحلة الثانية).

﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ﴾: الآلاء: النعم المتتالية، النعمة تلو الأخرى، أو النعم العظيمة، مفردها: ألى، أو إلى.



﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: العثو: هو أشد الفساد؛ أي: لا تتمادوا في الفساد بالقتل، والشرك، والظلم، في إهلاك الحرث والنسل. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥١)؛ لمزيد من البيان.

[٧٥] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صُلَيْحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾:

﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾: هم السادة، والرؤساء الذين يمثلون القبائل، أو الشعب، أو الأحزاب، وسموا بالملأ؛ لأنهم يملؤون العيون؛ أي: تراهم عيون الناس دائماً، سواء في الاجتماعات، أو في أجهزة الإذاعة، أو دوائر الحكومة.

﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: السين، والتاء: تدلان على الطلب؛ أي: هم ليسوا أهلاً؛ لكي يتكبروا؛ لأنهم لا يملكون أسباب الكبر، أو مؤهلات الكبر. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾: هذا يدل على أن المستضعفين قسمان: قسم آمن، وقسم استمر في الكفر.

فهناك الذين استكبروا، وهناك الذين استضعفوا، منهم من آمن، ومنهم من بقي على حاله من الكفر، واللام: لام الاختصاص.

﴿أَتَعْلَمُونَ﴾: الهمزة: همزة استفهام، وإنكار.

﴿أَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿صُلَيْحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: قالوا ذلك؛ للاستهزاء، والسخرية منه.

﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: المستضعفون الذين آمنوا بصالح.

﴿إِنَّا﴾: للجمع، والتفخيم.

﴿بِكَ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد، ما: اسم موصول؛ يعني: الذي أرسل به من ربه (أي: برسالته).

﴿بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾: جملة اسمية؛ تدل على صفة الثبوت؛ أي: صفة الإيمان، أصبحت عندهم ثابتة.

أي: آمننا به كرَسُول، وآمننا بما أرسل به.

[٧٦] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾:

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا﴾: إنا: للجمع، والتفخيم.

﴿بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾: أي: إنا برسولكم صالح، وما جاء به؛ كافرون؛ أي: جاحدون، لا نؤمن به كرَسُول، أو بما جاء به، وكافرون: تدل على الثبوت، والاستمرار؛ أي: لن نتراجع عن الكفر به، وعدم تصديقه.

[٧٧] ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَثْنَانَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، والعقر: هو الذبح، والعقر: هو الجرح، أو قطع عضو من أعضاء الناقة.

والذي يعقر عادة هو فرد واحد، وقال: ﴿فَعَقَرُوا﴾: لأنهم اشتركوا في المؤامرة، والجرم على عقرها؛ فهم شركاء في الإثم رغم أن الذي عقرها واحد، قيل: هو قدار بن سالف.

وجاءت تفاصيل ذلك في سورة النمل: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨-٥٠].

وجاء ذلك في سورة القمر: ﴿فَادَّأَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾؛ كونهم نادوا؛ فهم اشتركوا في الجريمة، [القمر: ٢٩].



﴿وَقَالُوا يَصْلِحُ أَمْنُنَا يَمَّا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: هنا بدأت مرحلة التحدي، بعد مرحلة الكفر ﴿أَتَيْنَا يَمَّا تَعِدُنَا﴾، وما وعدهم صالح؛ إذ عقروا الناقة: ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: ٦٤]، ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَذْ غَيْرُ مَكْدُوبٍ﴾ [هود: ٦٥].

[٧٨] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينَ﴾:

﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، أخذتهم الرجفة، وفي سورة هود آية (٦٦) قال سبحانه: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾، فهناك صيحة، تبعها رجفة أرضية؛ فالصيحة أشد من الرجفة وأكثر دماراً، والرجفة أشد وأعظم من الزلزلة إذن أصابتهم صيحة، ثم رجفة (زلزلة شديدة) فأصبحوا في ديارهم جائمين؛ فالصيحة: حينما تصل شدة الصوت إلى أكثر من (٧٠ ديسبل) تبدأ الأذن بالانزعاج، وإذا استمرت لفترة طويلة، أو زادت عن (١٠٠ ديسبل)، واستمرت لفترة قد يصاب الإنسان بالصمم، والانفجارات الشديدة التي أعلى من (١٤٠ ديسبل) قد تؤذي إلى اضطرابات في القلب وتوقفه، وأتبع الصيحة الرجفة التي حدثت من تردد الموجات الصوتية بين صخور الجبال؛ فكان صدئ الصوت، وموجاته الشديدة؛ أدت إلى أنهم أصبحوا جائمين في ديارهم؛ بسبب إصابة الجهاز السمعي والعصبي.

﴿فَأَصْبَحُوا﴾: الفاء: للمباشرة، والتعقيب.

﴿فِي دَارِهِمْ جَنِينَ﴾: جمع جائم: هو من لزم مكانه؛ أي: تجمد على ما هو عليه، أو لصق بالأرض، وقيل: إن كان واقفاً ظل واقفاً، وإن كان قاعداً مات وهو قاعد، وإن كان نائماً مات وهو نائم؛ أي: على هيئته التي كان عليها قبل الصيحة، أو الرجفة.

وهناك فرق بين الجائي، والجائم:



فالجائي: البارك على ركبته، من دون القدرة على القيام.

وأما الجائم: فالميت الذي لا يتحرك، وهو على حالته، كما كان قبل الموت.

﴿فِي دَارِهِمْ﴾: دارهم؛ أي: بلادهم، أو بلدهم، وإذا قارنا هذه مع الآية (٦٧) في سورة هود وهي قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جُثَثًا﴾ ديارهم في هذه الآية تعني: منازلهم، وأما دارهم تعني: بلدهم.

﴿جُثَثًا﴾: ميتين، هامدين، لا يتحركون.

[٧٩] ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْفَوِرُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ﴾:

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

ترك أرضهم، مولياً لهم ظهره، وقال لهم: وهو يخاطبهم، وهم أموات جاثمين؛ من أسفه عليهم، وتحسره عليهم؛ لعدم إيمانهم، وموتهم وهم كفار.

﴿وَقَالَ يَنْفَوِرُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾: ولم يقل: رسالات ربي، كما قال نوح، وهود عليهما السلام؛ لأن ما جاء به نوح وهود عليهما السلام أكثر من رسالة، أو تبليغ، أو أمر، بينما نبي الله صالح كانت رسالته واحدة، عبادة الله وحده، وهي رسالة التوحيد.

﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾: أرشدتكم إلى ما فيه الخير والنجاة.

﴿وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ﴾: ولكن: استدراك، لا: نافية؛ بمعنى: لا تحبون النصيحة، مضارع تدل على حكاية الحال.

[٨٠] ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾:

نبي الله لوط: هو ابن أخي إبراهيم، وكان قد هاجر مع إبراهيم من بابل



إلى الشام، وُبُعْثَ إلى أهل سدوم، وعمورة، وما حولها من القرى في منطقة البحر الميت، وسُمِّيت باسم آخر: هو المؤتفكات.

﴿وَلَوْطًا إِذْ﴾: لوطاً في اللغة تعني: المصلح. إذ: ظرف زمني، زمن إرساله، أو اذكر لوطاً، أو اذكر حين قال لوط لقومه: ﴿آتَاؤُنَ الْفَاحِشَةَ﴾: الهمزة: همزة الاستفهام استفهام توبيخ وإنكار؛ أي: أنفعلون الفاحشة، وهي ما كان يقوم به قوم لوط، وتسمية الفاحشة باللواط، أو نسبة الفاحشة إلى لوط هو خطأ؛ أي: أن نسميها لوطاً، وعلينا أن نسميها كما سماها الله تعالى عمل قوم لوط، وأيضاً هو خطأ من حيث اللغة؛ لأن اللواط في اللغة: الإصلاح من لا ط يلوط لوطاً؛ أي: أصلح الشيء، واسم لوط يعني المصلح، واللوطي يعني في اللغة المصلح، وخطأ من حيث الشرع؛ لأن نسبته إلى النبي لوط، وهو بريء من هذه الفعلة، فكيف تنسب إليه، ويرفض الكثير أن يوصف بأنه لوطي، ولذلك الأفضل أن نسميها عمل قوم لوط. والهمزة: للاستفهام الإنكاري، والتوبيخ.

﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا﴾: ما: النافية، ما فعلها، أو تجرأ، أو أقدم عليها أحد من قبلكم.

﴿مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: من: استغراقية؛ تفيد التوكيد؛ أي: توكيد النفي.

﴿الْعَالَمِينَ﴾: الجن، والإنس.

[٨١] ﴿إِنَّكُمْ لَأَتَاؤُنَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾:

﴿إِنَّكُمْ لَأَتَاؤُنَ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿لَأَتَاؤُنَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾: تفعلون الفاحشة، بالرجال شهوة.

﴿بَلْ﴾: حرف إضراب انتقالي.

﴿أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: أنتم قوم: تجاوزتم حدود ما أحل الله لكم.



لنقارن هذه الآية (٨٠-٨١) من سورة الأعراف: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَأَتَأُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۖ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝٨١﴾.

مع الآية (٥٤-٥٥) من سورة النمل: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٥٤﴾ أَيْنَكُمْ لَأَتَأُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۖ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝٥٥﴾.

الاختلاف الأول: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: في الأعراف.

﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: في النمل.

الاختلاف الثاني: ﴿إِنَّكُمْ﴾: في الأعراف.

﴿أَيْنَكُمْ﴾: في النمل بزيادة همزة الاستفهام؛ للدلالة على شدة الإنكار،

والتوبيخ.

الاختلاف الثالث: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: في الأعراف.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: في النمل، وصفهم بالجهل فيه: توبيخ، وتقريع

أسوأ من وصفهم بالإسراف.

والاختلافات ترجع إلى كونها مواقف متعددة للوط مع قومه، خلال

زمن تبليغ الرسالة لهم، فالمواقف في سورة النمل فيها تقريع، وتوبيخ أشد من

المواقف في سورة الأعراف.





سُورَةُ الْأَنْكَافِ ٧

الجزء الثاني

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْثِيرُهُ بَيْنَكُمْ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنۢ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَّاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَاَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

سورة الأعراف [الآيات ٨٢ - ٨٧]

[٨٢] ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنْطَهُرُونَ﴾ :

﴿وَمَا﴾ : الواو استئنافية، ما: النافية.

﴿كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا﴾ : إلا: أداة حصر.

﴿أَخْرِجُوهُمْ﴾ : أي: لوط، والذين آمنوا معه، ولم يقل ارجمهم؛ لأن لوط جاء مهاجراً إليهم، وهو ليس من قوم لوط، فالأفضل طرده وإخراجه.

﴿مِّنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ : وهي القرى الخمس، تسمى المؤتفكات، سدوم، وما حولها من القرى، والقرية الأم، أو العاصمة تمثل القرى الأخرى.

﴿أَنَاسٌ يَّنْطَهُرُونَ﴾ : يقولون ذلك سخريه بهم وتهكم.

﴿يَّنْطَهُرُونَ﴾ : من الفاحشة: وهي إتيان الرجال وغيرها من أعمال المنكر في نواديهم. ولكونهم تمردوا على الفسوق كانوا يسخرون من لوط من كمال خلقه. يتطهرون: بصيغة المضارع تدل على التجدد، ولم يقولوا إنهم أناس طاهرون تدل على الثبات والدوام.

في هذه الآية قال : ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ : بينما في سورة النمل، الآية (٥٦): ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ ، الفرق في حرف الفاء؛ التي تدل على السرعة، والترتيب، والتعقيب، فقوم لوط انقسموا طائفتين: طائفة كان جوابها مباشرة، وبسرعة: أخرجوهم من قريتك الآن، وبسرعة، وهذا ما أشارت إليه الآية (٥٦) من سورة النمل، وطائفة أخرى لم تتسرع بالطلب بإخراجهم، وهذا ما أشارت إليه الآية (٨٢) في سورة الأعراف، وما كان جواب قومه، أو كانت آية



الأعراف في بداية الدعوة، وآية النمل كانت في نهاية الدعوة؛ ففي بداية الدعوة وصفهم بالمسرفين، وفي نهاية الدعوة وصفهم بالجاهلين؛ أي: حين وبخهم بشدة وأثار غضبهم الشديد، كما في آية النمل جاء الرد السريع بالفاء (فما كان جواب قومه) التي تدل على سرعة الإخراج والطرده من القرية، ويؤيد ذلك نزول سورة الأعراف قبل نزول سورة النمل، والله أعلم.

[٨٣] ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِينَ ﴾:

﴿ فَأَنجَيْنَاهُ ﴾: الفاء: للتعقيب، والسرعة؛ تدل على السرعة، وشدة النجاة.

﴿ وَأَهْلَهُ ﴾: ابتية .

﴿ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ ﴾: إلا: حرف استثناء. امرأته: لم تنج.

﴿ كَانَتْ مِنَ الْغَايِينَ ﴾: الباقيين في العذاب، والغابر الباقي.

وما دامت قد بقيت في قريتها، في المكان الذي سينزل فيه العذاب؛ فهي من الباقيين الهالكين.

[٨٤] ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾:

انتبه! من خصائص القرآن: أن يستعمل كلمة المطر في سياق الانتقام، والعذاب، والغيث في سياق الرحمة.

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ﴾: لم تبين هذه الآية نوع المطر، وبيّنته آية أخرى في سورة هود، الآية (٨٢): ﴿ حِجَابًا مِّن سِجَالٍ مَّنْضُودٍ ﴾.

﴿ عَلَيْهِمْ ﴾: قيل: كان عددهم (٤٠٠٠) أربعة آلاف، وفي سورة هود، آية (٨٢) قال تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا ﴾: فالمطر شمل القرية (عليها)، وشمل قوم لوط (عليهم).

وهناك فرق بين مطر وأمطر: مطر: فعل ثلاثي، وأمطر: فعل رباعي، وأمطر؛

يعني: أرسل عليهم الحجارة من سجيل؛ بإرسال المطر؛ أي: مطراً عجبياً ليس كأى مطر.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾: عجبياً؛ وهو الحجارة بدلاً من الماء ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِيلٍ مَّنْضُودٍ﴾. ارجع إلى سورة هود، آية (٨٢)؛ لمزيد من البيان.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾: المفسدين. انظر نظرة تفكر، وتعجب كيف كانت نهاية هؤلاء العصاة المفسدين. المجرمين: مشتقة من الجرم: وهو الذنب القبيح، وأصله القطع. ارجع إلى سورة الجاثية، آية (٣١)؛ لمزيد من البيان في معنى المجرمين.

[٨٥] ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ كُم خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾:

وأرسلنا ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ﴾: مدين: هو ابن من أبناء إبراهيم، ومدين: اسم لقبيلته التي سُميت على اسمه، ومدين: اسم للمدينة التي بناها وعاش فيها. وقيل: إن مدين هذا تزوج من رثيا ابنة سيدنا لوط، وشكلوا قبيلة مدين، وتقع مدين في الجهة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية في تبوك، وتقع على الساحل الغربي للبحر الأحمر، وخليج العقبة يكون شمالها.

﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: أخاهم؛ لأنه من قومهم، وعاش بينهم، فأصبح كالأخ لهم. اختاره الله نبياً لهم. قيل: إن اسمه بالسريانية: يثرون، وهو أحد الأنبياء العرب الأربعة: وهم هود، وصالح، وشعيب، ومحمد ﷺ.

﴿قَالَ يَبْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾:

﴿قَالَ يَبْقَوْمِ﴾: نداء لطيف، استعمل فيه ياء النداء؛ التي تدل على البعد.



﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾: أطيعوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، وامثلوا أوامره، وتجنبوا نواهيه.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿جَاءَ تَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: معجزة، شاهدة، على صدق نبوتي.

والسؤال: ما هي هذه البيّنة أو المعجزة؟ حتماً كانت هناك معجزة بيّنة، ولم يذكرها الله سبحانه في القرآن، وقد تكون حالة السعة، والغنى التي كانوا فيها.

﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:

﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾: الفاء: للتوكيد، أوفوا الكيل: أريد به آلة الكيل؛ أي: المكيال، أو سُمِّي ما يكال به بالكيل، ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾.

وكان الإخلال في الكيل، والميزان هو الأمر الشائع فيهم، وكانوا يبخسون الكيل، والميزان حينما يبيعون، ويشترون.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: البخس: النقص، ويقال: بخسته حقه: إذا أنقصته حقه؛ بالمخادعة، والاحتيايل في البيع، والشراء، أو إخفاء العيب، والغش؛ أي: لا تنقصوهم حقهم بالتلاعب بالكيل والميزان.

﴿وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾: والواو عاطفة، لا الناهية.

﴿وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾: بالسرقة، والغصب، والرشوة، والاختلاس، وإهلاك الحرث والنسل، ومقومات الحياة، وارتكاب الفواحش. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٠٥)؛ لمزيد من البيان في معنى الفساد.

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: إشارة إلى ما ذكر من عبادة الله وحده، والوفاء بالكيل، والميزان، وترك البخس، والإفساد في الأرض، والعمل بما أمر الله، وتجنب ما نهى عليه.

قال: ﴿ذَلِكَ﴾: ولم يقل: ذلك؛ لتعدد الأوامر، والنواهي، وللتأكيد والأهمية يستعمل: ﴿ذَلِكَ﴾.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: إن كنتم مصدقين قولي، ومؤمنين بما أرسلت به.

﴿إِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشك.

﴿مُؤْمِنِينَ﴾: جملة اسمية؛ تفيد الإثبات.

[٨٦] ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾: الصراط: الطريق، تتوعدون الناس بالقتل إن لم يعطوكم أموالهم، أو تصدون الناس؛ أي: تصرفون الناس عن الإيمان، والدخول في دين الله، واتباع ما جئت به، وكيف يقول: ﴿بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾، ونحن نعلم أن الصراط واحد، هو الصراط المستقيم؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

الجواب: نعم، الصراط واحد، ولكن يتشعب إلى حدود، وأحكام، وعقائد؛ أي: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾: أي: بكل باب، من أبواب الطاعة، أو الخير. ﴿تُوعِدُونَ﴾: توعدون من آمن (بشعيب)، بالشر، وتخوفون الناس بالعذاب، والقتل إن آمنوا.



﴿وَتَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الناس عن دين الله، والهداية.

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾: به؛ أي: بالله، وبدينه.

﴿وَتَبْعُونَهَا عِوَجًا﴾: الواو عاطفة (عطف تبناها على تصدون)؛ أي: تريدون ديناً، معوجاً، مائلاً عن الحق في القيم، والمعايير، أو تريدون الميل عن الاستقامة، وذلك بإثارة الفتن، والأكاذيب، والشبهات، وإباحة التلاعب بالميزان والمكيال.

إذن نهاهم شعيب عن قطع الطريق الحسي، والمعنوي بسلب أموال الناس، وسلب أمتعتهم، وطعامهم، وشرابهم.

ونهاهم عن الصّدّ عن دين الله، ومنع الناس من حقوقهم في الكيل والميزان، وتجنب الفساد في الأرض. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٩٩) في سورة آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ تَبْعُونَهَا عِوَجًا﴾ بدون الواو وبدون به؛ لأن تبغون حال، والحال لا يدخله الواو (قاعدة نحوية).

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ﴾: أي: حين كنتم ﴿قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ﴾: حين كنتم قليلاً في العدد، فكثرتم بالزيادة؛ فأصبحتم أكثر عدداً.

وتذكيرهم بالنعم يوجب الشكر، والإصلاح، وترك الفساد، والإيمان.

﴿وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: وانظروا نظرة تدبر، واتعاض، نظرة قلبية بتفكر، وتمعن.

﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾: حين يذكر العاقبة؛ فيقول: كيف كان بدلاً من كيف كانت؛ فهذا يعني: العذاب، وهذا من خصائص القرآن الكريم، كما هي الحال في هذه الآية، وحين يؤنث العاقبة، ويقول: كيف كانت عاقبة؛ يعني: الجنة.

﴿الْمُفْسِدِينَ﴾: أي: ماذا حلّ بالذين جاؤوا من قبلكم، من المفسدين في الأرض؛ الذين كذبوا رسلهم؛ كيف أهلكهم الله سبحانه؛ بسبب ذنوبهم؛ أمثال: قوم لوط، ونوح، وعاد، وثمود. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٠٥)؛ لمزيد من البيان.

[٨٧] ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَخْضَعُوا لَلَّهِ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو: استئنافية. إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال والشك.

﴿طَائِفَةٌ﴾: جماعة منكم، وسُمِّيت طائفة: جماعة تطوف؛ أي: تؤمن بعقيدة، أو فكرة ما، أو مبادئ، وقيم واحدة.

﴿مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ﴾: من التكاليف، والتوحيد، والطاعة.

﴿وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا﴾: استمروا في تكذيبهم، وعنادهم.

﴿فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ﴾: حتى: حرف نهاية الغاية، فكلا الطائفتين عليهم التحلي بالصبر.

﴿يَخْضَعُوا لَلَّهِ بَيْنَنَا﴾: بأن يظهر الحق؛ فينجي الذين آمنوا، ويعذب الكافرين بكفرهم.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾: أفضل القضاة، وأفضل الحكماء، خير الحاكمين من الحكم؛ أي: القضاء أو الحكام، أو مشتقة من الحكمة؛ أي: أحكم الحكماء.

وقيل: الحكم تعني: الاسم والمراد بالحاكمين تعني الوصف وفي هذه الآية: حض للمؤمنين بالصبر على أذى الكفار، وأن نصره الله آتية لا محالة.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٧

النِّسَاءِ

﴿٨٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولُو
كُنَا كَرِهِينَ ﴿٨٩﴾ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ
بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٩٠﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا الْخَاسِرُونَ
﴿٩١﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمٍ ﴿٩٢﴾
الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا يَمُوتُونَ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا
كَانُوا هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ
أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى
عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا
أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٩٥﴾ ثُمَّ
بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ
ءَابَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٦﴾

سورة الأعراف [الآيات ٨٨ - ٩٥]

[٨٨] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَٰئِكَ أَكْرِهِينَ﴾:

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾: الملأ: وجهاء القوم، وسادة القوم.

وكلمة الملأ مشتقة من ملأ؛ أي: البارزون، والظاهرون في كل مجلس، والمتحدثون باسم القوم الذين استكبروا. ارجع إلى الآية (٧٥) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان، وسورة البقرة آية (٨٧).

﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا﴾: لنخرجنك: اللام: لام التوكيد، والنون: لزيادة التوكيد على إخراجها.

﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾: الملة في هذه الآية تعني: الطريقة التي استمروا عليها، وسلكوها، وتعني: الشعور بالانتماء إلى جماعة مذهبها، أو عقيدتها واحدة، أو متقاربة.

﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾: اللام: والنون: للتوكيد. ولتعودنَّ: أي: أنت والذين آمنوا معك، والسؤال: وهل كان شعيب، والذين آمنوا معه على ملتهم سابقاً؛ ليقول: لتعودنَّ إلى ملتنا، وانظر إلى الجواب في ملحق الآية.

﴿قَالَ أُولَٰئِكَ أَكْرِهِينَ﴾: قال شعيب: أولو: الهمزة: للاستفهام، والاستبعاد، والتعجب؛ أي: أخرجوننا، أو تعيدوننا، ونحن كارهون لملتكم.

من هذه الآية: نفهم أن شعيباً كان أمام أحد الخيارين: إما الإخراج مع



الذين آمنوا معه، أو العودة إلى ملة الكفر، والشرك، والسؤال هنا: هل كان شعيب على ملة الكفر قبل بعثه؛ لكي يقولوا له: ﴿أَوَلْتَعُودَنَّ﴾؟ في ملتنا، وليس إلى ملتنا؟

الجواب: لا شعيب، ولا أي نبي مرسل كان قبل بعثته في ملة الكفر، أو الشرك.

﴿لَتَعُودَنَّ﴾: الخطاب كان موجهاً إلى أتباع شعيب؛ خاصة الذين آمنوا معه، وبما أن شعيباً واحداً منهم؛ فهم قد غلبوا لفظهم؛ لكثرتهم، أو هو ضم نفسه إلى جملتهم، وهذا ما يسمّى إجراء الكلام على حكم التغليب.

[٨٩] ﴿قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَعْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾:

فردّ شعيب على إنذارهم له قائلاً:

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: الافتراء: هو الكذب المتعمّد، المختلق.

﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: بصيغة النكرة؛ ليشمل كل أنواع الكذب؛ مهما كان صغيراً، أو كبيراً.

﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾: إن: شرطية؛ تفيد المستحيل، أو الندرة؛ أي: من المستحيل أن نعود في ملتكم: ملة الكفر، والشرك؛ لأن الشرك هو افتراء على الله، والعودة فيها، أو كيف يأمرهم شعيب بالإيمان بالله وحده، وطاعة الله سبحانه، والإيفاء بالكيل، والميزان، ثم يأمرهم مرة أخرى بالكفر، والشرك؛ فهذا يعتبر كذباً على الله.



﴿بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهَ مِنْهَا﴾: منها: أي: من ملة الكفر، والشرك.

﴿بُجِّنَا﴾: ولم يقل: أنجانا: نجى: للتلبث، والتمهل في النجاة.

وأنجى: للإسراع في النجاة؛ أي: الزمن أقصر؛ مقارنة بـ: ﴿بُجِّنَا﴾: تحتاج زمن أطول.

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا﴾: أي: أنه مستحيل أن نعود إلى الشرك، أو الكفر.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿أَنْ﴾: شرطية؛ تفيد القلة، أو المستحيل، ولم يحدث قط أن شاء الله لعباده الكفر، أو الشرك.

﴿يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا﴾: جمع الألوهية، والربوبية معاً؛ بقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾.

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: أي: أحاط علمه بكل شيء: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، ويعلم ما في الصدور، وما يجول في العقول.

﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾: تقديم الجار والمجرور؛ يفيد الحصر؛ أي: لا نتوكل إلا عليه وحده، على الله وحده نتوكل أن يدبر، ويتولى أمرنا في منع الملائكة الذين استكبروا من إخراجنا، أو إكراهنا على الردة إلى الكفر.

والتوكل في اللغة معناه: تفويض، وثقة، واعتماد، واصطلاحاً: هو الاعتماد على الله تعالى والثقة به، والالتجاء إليه في السراء والضراء، وفي كل حركة وسعي، ويعني: تفويض الأمر؛ أي: رده إلى الله سبحانه؛ أي: الاستعانة به في جميع الأمور والرجوع إليه في كل الأحوال؛ لأنه يملك تدبير كل الأمور، والقادر



على جلب النفع، ودفع الضر؛ راجياً عونهُ، وتيسيره، وتوفيقه للوصول إلى الغاية بعد تقديم كل الأسباب الضرورية من قبل العبد، وأعظم التوكل على الله يكون في الهداية والإيمان والتوحيد، والتوكل قد يكون توكل اضطرار، أو توكل اختيار، وعلينا أن نتوكل عليه في كلا الحالين، والرضا ثمرة التوكل. والوكيل: المدبر القائم بأمور العباد، والموكل إليه تدبير أمر كل شيء، والثقة به، والاعتماد عليه في قضاء الحوائج والمصائب، ودفع المكروه، والوصول إلى ما يحبه الله تعالى ورضاه، والله يحب المتوكلين.

﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾: ربنا: ولم يقل: يا ربنا؛ لأنه يعلم أن الله قريب، ولا يحتاج إلى ياء النداء.

﴿أَفْتَحْ﴾: من الفتح؛ أي: الفصل؛ ويعني: الكشف؛ أي: افصل بيننا وبين قومنا. قوله: قومنا: تدلُّ على الحنان والرأفة، ولم يقل: (أعدائنا).

والفتح قد يعني: النصر من دون قتال، أو حرب، والفتح: أصله إزالة الإغلاق، واستعمل في الحكم، أو القضاء الذي يزيل الإشكال، أو الاختلاف في الأمر.

﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾: الحق: الشيء الثابت الذي لا يتغير؛ أي: احكم بنصر الحق على الباطل، والإيمان على الكفر.

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾: خير الفاتحين يشمل خير الناصرين، والمظهرين للحق، والفاصلين.

[٩٠] ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَبًا مِنْكُمْ إِذَا الْخَيْرُونَ﴾:

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾: بعضهم لبعض، أو للذين آمنوا من قومه، أو لمن ينوي اتباع شعيب.

﴿لَئِنْ﴾: اللام: لام التوكيد، إن: شرطية، وجواب الشرط: هو قوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا لَخِيسِرُونَ﴾.

﴿اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾: آمنتُم به، وصدقتموه فيما يقوله لكم.

﴿إِنَّكُمْ﴾: إن: للتوكيد.

﴿إِذَا﴾: تفيد التوكيد.

﴿لَخِيسِرُونَ﴾: اللام: لزيادة توكيد الخسارة. والسؤال: لماذا سيخسرون؟ أي: إنهم إن اتبعوا شعيباً؛ سيخسرون ما كان سيأخذونه من أموال الناس بالباطل من جراء التلاعب بالكيل، والميزان، ومن جراء بخس الناس أشياءهم، أو لن ننصركم، أو نساعدكم.

[٩١] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمٌ﴾:

الفاء: للتعقيب، والمباشرة، أو السرعة.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: دمرتهم، أو أهلكتهم الزلزلة الشديدة.

﴿فَأَصْبَحُوا﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿فِي دَارِهِمْ﴾: في بلدهم، أو موطنهم، والدار: أي: المسكن.

﴿جِثِيمٌ﴾: ارجع إلى الآية (٧٨) من نفس السورة.

[٩٢] ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾:

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾:

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾: هم في الحقيقة قد غنوا أثناء إقامتهم، وعاشوا في



رغد العيش، وطال مقامهم، ولكن ما حدث لهم حين أخذتهم الرجفة؛ فأصبحوا في دارهم جاثمين؛ كأنهم لم يغنوا فيها، ويعمروا تلك الديار، ويقيموا فيها.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

تكرار ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا﴾: يفيد في أمرين: يثبت لهم أنهم قد غنوا فيها؛ أي: في الدنيا، وعاشوا رغداً، ويثبت لهم الخسران: ﴿كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾.

ولو حذف ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا﴾: الثانية؛ لأثبت لهم الغنى، ورغد العيش، ونفى عنهم الخسران؛ بحيث يكون السياق: الذين كذبوا شعياً كأن لم يغنوا فيها، وكأنهم كانوا هم الخاسرين.

وقد تعني: كأن لم يغنوا فيها؛ أي: في الدنيا؛ لأنه كان غنى ومتاع زائل غير دائم، وقصير مهما طال مقارنة بمتاع، وغنى الآخرة.

﴿كَانُوا هُمُ﴾: هم: تفيد التوكيد.

﴿الْخَاسِرِينَ﴾: لأنفسهم ولأهلهم.

[٩٣] ﴿فَنَوَّلُوا عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورُ لَقَدْ أَبْلَغْتُمْ رَسَلَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾:

﴿فَنَوَّلُوا﴾: الفاء: تدل على التعقيب، والسرعة؛ أي: لما رأى شعيب نزول العذاب بهم؛ تولى عنهم، وتركهم وولى ظهره إليهم، هو والذين آمنوا معه.

﴿وَقَالَ يَنْقُورُ﴾: قول فيه حزن، وأسى على قومه.

﴿لَقَدْ﴾: اللام: لام التوكيد، قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿أَبْلَغْتُمْ رَسَلَتِ رَبِّي﴾: أبلغتكم، وأخبرتكم بكل ما أوحى إلي، وأنزل عليّ من ربي، والبلاغ: هو إيصال الخبر مع البيان، والفهم.

﴿رَسَلْنَا رَبِّيَ﴾: جمع رسالة، أو مجموعة رسالات: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، رسالة التوحيد، رسالة الإصلاح، رسالة الشكر على نعمه.

﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾: النصيح: هو الإلحاح على الشخص، أو القوم؛ ليشوب إلى رشد، وأن يتبع منهج الحق.

﴿فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾:

﴿فَكَيْفَ﴾: استفهام، واستبعاد، وحسرة.

﴿آسَى﴾: الأسى: شدة الحزن؛ فقد اشتدَّ حزنه على قومه بعد أن أخذتهم الرجفة؛ فأصبحوا جائمين ميتين، بلا حراك.

ثم أنكر على نفسه، فقال: كيف يشتد حزني ﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾، ماتوا وهم كفار، وكانوا مصرين على الكفر، وثبتوا عليه.

[٩٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية، ما: النافية.

﴿أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ﴾: القرية: تمثل المدينة، أو العاصمة في زمننا الحاضر.

﴿مِنْ نَبِيٍّ﴾: من: الابتدائية، استغرافية. في الآية إضمار: أي: فكذب أهلها النبي، ولم يصدقوه، ويؤمنوا به.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.



﴿أَخَذْنَا﴾: عاقبنا، أو أصبنا أهلها.

﴿أَهْلَهَا بِالْبَاسَاءِ﴾: أي: البؤس، والفقر، والجذب، والقحط، والشدة، والمشقة؛ كالحرب، والدمار، والزلازل، والبراكين، والمجاعة العامة، والأوبئة والكوارث الجوية.

﴿وَالضَّرَاءَ﴾: المرض، ونقص في الأموال، والثمرات، والأنفس. وقيل: الضراء: مصيبة تصيب الإنسان نفسه مثل المرض، ونقص في الأموال، والأنفس، والثمرات، والبأساء: تصيب الجميع.

﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾: لعل: للتعليل، ولم يقل: يتضرعون. يضرعون: تدل على المبالغة في التضرع والكثرة، ويتضرعون طول التضرع، وكثرة العدد.

﴿يَضُرَّعُونَ﴾: إظهار الضراعة؛ أي: الخضوع، والتذلل لله تعالى؛ بالدعاء، والطاعة، ويبدلوا ما بأنفسهم من استكبار وتكذيب، والبأساء، والضراء: وسيلتين لتنبيه الإنسان من غفلته، ويعود إلى منهج الله تعالى، ويصلح شأنه، أو وسيلتين للابتلاء، أيصبر، أم يشكر، وإذا استمر على كفره وشركه، ولم يتب، عندها يبدل الله مكان السيئة الحسنة، ويتركه وشأنه، ثم إذا ازداد بطره؛ أخذه أخذ عزيز مقتدر. ولمعرفة المزيد في الفرق بين ﴿يَضُرَّعُونَ﴾ و﴿يَضُرَّعُونَ﴾: فارجع إلى الآية (٤٢) من سورة الأنعام؛ للبيان.

[٩٥] ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتراخي، ثم إذا لم يتعظوا بعد بالبأساء والضراء، ويرجعوا عن حالتهم، ويتضرعوا.

﴿بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾: السيئة: كل ما يسوء النفس؛ مثل: الفقر،



والخوف، والمرض. الحسنة: الغنى، والصحة، والأمن، والرخاء. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٠١)؛ لمزيد من البيان.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية انتهاء الغاية.

﴿عَفَوْا﴾: كثروا، ونموا في أنفسهم، وأموالهم، وكثرت خيراتهم، وحسنت حالتهم المعاشية من كل النواحي.

﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾: أي: أبطرتهم النعم، ونسوا البأساء والضراء التي مستهم، وفسروا ذلك بأنها مجرد سنن كونية، قد مَسَّتْ آبَاءَهُمْ مِنْ قَبْلُ، ثُمَّ تَحَوَّلَتْ الضَّرَّاءُ إِلَى سَرَاءٍ.

وحين لم يعد هناك أمل في إيمانهم، وعودتهم إلى طريق الهداية.

﴿فَأَخَذْنَهُمْ﴾: الفاء: للترتيب والتعقيب دون إمهال.

﴿فَأَخَذْنَهُمْ﴾: بالعذاب.

﴿بَغْنَةً﴾: على حين غرة، أو فجأة.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾: أن هناك شراً يحيق بهم، وهم على غير استعداد، وحيطة

للنجاة، ولا يشعرون أن أجلهم قد اقترب ودنا.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

الْبَقَرَةُ

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ
 مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيِّنَاتًا
 وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا
 ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ
 مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ
 يَرْتُوبُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْنَشَاءُ أَصْبَنَهُم
 بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾
 تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
 بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ
 كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا
 لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾
 ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
 فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾
 وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

سورة الأعراف [الآيات ٩٦ - ١٠٤]

[٩٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: عاطفة، لو: شرطية.

﴿أَنَّ﴾: تفيد التوكيد.

﴿أَهْلَ الْقُرَىٰءِ﴾: عامة، أينما كانوا.

﴿ءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾: آمنوا بالله ورسوله، وما أنزل عليهم من ربهم، وأطاعوا وابتغوا: بامتنال أوامر الله، واجتناب نواهيه.

﴿لَفَتَحْنَا﴾: اللام: لام التوكيد.

﴿لَفَتَحْنَا﴾: من الفتح؛ يعني: التيسير.

﴿عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾: بركات: جمع بركة، وهي الزيادة، والنمو، ودوام النعم، والخير الإلهي، واشتقت من البروك، وهو اللزوم، والثبوت؛ ثبوت في البركة، أو دوام الخير الإلهي، والبركة لا تسند إلا لله.

﴿بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾: خيرات السماء من المطر، والطاقة الشمسية، والنجوم: هي أفران نووية شديدة يخلق لنا فيها ربنا من غاز الهيدروجين كل العناصر؛ مثل: الحديد، والذهب، والنحاس، والبلاطين من عمليات الاندماج



النووي داخل النجوم، النجوم حين تبلغ مرحلة الكهولة تنفجر، وتتناثر العناصر المركبة منها على الأرض، كما حدث للحديد.

﴿وَالْأَرْضِ﴾: النبات، والزرع، وكنوز الأرض من الذهب، والفضة، والمعادن الأخرى، والبترو، والغاز.

﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾: ولكن: حرف استدراك، كذبوا: بالآيات، والرسل، وبما أنزل إليهم من ربهم.

﴿فَأَخَذْنَهُمْ بِمَا﴾: الفاء: للتعقيب، والسرعة، أخذناهم: بالعذاب، أو العقاب، أو الإهلاك.

﴿بِمَا﴾: الباء: للتعليل، أو باء السببية. ما: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: من الشرك، ومن المعاصي، والفساد.

[٩٧] ﴿أَفَأَمِنْ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾:

﴿أَفَأَمِنْ﴾: الهمزة: للاستفهام، والإنكار، والتعجب، والفاء: للتعقيب، والمباشرة، وفاء السببية ما قبلها سبب ما بعدها لقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَهُمْ﴾، ولذلك فلا يأمنوا أن يأتيتهم العذاب، بسرعة، أو بغتة.

﴿أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾: أي: أفأمن أهل القرى أن ينزل بهم عذابنا.

﴿يَبْتَئُونَ﴾: أي: ليلاً.

﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾: أكد على كونهم نياماً، وليلاً (بياتاً)، ولا يعني حتماً أنهم

نائمون، وإنما أكثرهم نائمون.

[٩٨] ﴿أَوَامِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾:

﴿أَوَامِنَ﴾: الهمزة: للاستفهام، والإنكار، والتعجب، والواو للعطف أو التخيير.

﴿أَهْلَ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾: ارجع إلى الآية السابقة، وتكرار ﴿أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ مرتين: للإنذار، والتوكيد.

﴿ضُحًى﴾: نهاراً، وأصل الضحى: أول النهار.

﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: لماذا ذكر: ﴿يَلْعَبُونَ﴾: بدلاً من يشتغلون، أو يعملون؛ لأن أعمالهم مهما عظمت إذا كانت تلهيهم عن طاعة الله؛ فهي لعب ولهو؛ مقارنة بالأجر العظيم الذي فاتهم.

[٩٩] ﴿فَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾:

﴿فَأَمِنُوا﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكار، وتعجب؛ أي: أغرهم تأخير بأسه عنهم، وبعدم مجيئه يياتاً، فأمنوا مكر الله سبحانه.

﴿مَكْرَ اللَّهِ﴾: المكر: هو التدبير الخفي، الذي يبيته الإنسان لخصمه، وخصمه لا ينتبه إليه، وهل يمكر الله سبحانه، أو يحتاج إلى أن يمكر بالعبد، أو بأهل القرى؛ أبداً - حاشا لله -؛ لأن المكر يدل على ضعف الذي يقوم به، ولكونه ضعيفاً فهو يمكر، ولو كان قوياً؛ لما فعل ذلك، واستعمال هذه الكلمات في الأداء البياني؛ هو فقط للمشكلة في اللفظ.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا﴾: إلا: أداة حصر.



﴿الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾: لأنفسهم، وأهلهم.

[١٠٠] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام، والتوبيخ.

﴿يَهْدِ﴾: يبين، أو يتضح.

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾: أي: ورثوها عن غيرهم، ولم تكن ملكاً لهم سابقاً.

﴿أَنْ﴾: المخففة؛ تفيد التوكيد.

﴿لَوْ نَشَاءُ﴾: لو: شرطية، أصابهم بذنوبهم.

﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾: الباء: للتعليل؛ أي: عذبناهم بسبب ذنوبهم، كما عذبنا الذين من قبلهم.

﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: أي: لو نشاء كذلك؛ لطبعنا على قلوبهم، فلا يدخلها إيمان، ولا يخرج منها كفر، والطبع على القلب أشد من الختم.

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: ما يتلى عليهم من الآيات، والمواعظ، والنذر؛ أي: لا يفهمون ما يوعظون به، أو يطلب منهم؛ حتى يهلكوا، كما حدث للذين من قبلهم.

[١٠١] ﴿تِلْكَ الْأَقْرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾:

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة؛ يفيد البعد، إشارة إلى قرى نوح، وعاد، وthumb، ولوط، وشعيب عليهم السلام.

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾: أخبارها المهمة. من: بعضية، بعض أنبائها، وهناك أنباء أخرى لم نقصها عليك.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: عاطفة، لقد: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجزات، والدلائل على نبوة الرسل، وبالآيات، وبالتوحيد، وقدرة، وعظمة الله، وأنه الإله الحق، واجب الوجود الذي يجب أن يُعبد، وإذا قارنا جاءتهم رُسُلهم وقوله تعالى: ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ [المائدة: ٣٢]: نجد أن رسلنا تأتي في سياق عما جاء به الرسل عن الله تعالى ورسلهم تأتي في سياق موقف القوم من الرسل، وسياق الدعوة والإعراض والتحدي والنفعة وفائدة الرسل.

﴿فَمَا﴾: الفاء: للتوكيد، ما: النافية.

﴿كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾: ليؤمنوا: اللام: للتوكيد؛ أي: استمروا على التكذيب، وعدم الإيمان، من بعد إرسال الرسل إليهم، كما كذبوا، ولم يؤمنوا من قبل إرسال الرسل إليهم، ومجيئهم بالمعجزات، والآيات، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٧٤) في سورة يونس وهي قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ إضافة به تجعل التكذيب مقيداً، أما حذفها كما في آية الأعراف تجعل التكذيب مقيداً من نوع المطلق؛ أي: الأقوام كذبوا بما جاء به



الرسول تكذيب عام، أو تكذيب مقيد بأمر ما، وعندما أطلق قال تعالى: ﴿يَطْعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ ولما قيد قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَطْعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾؛ أي: قوم فرعون.

﴿كَذَلِكَ يَطْعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾: أي: مثل ذلك الطبع؛ الذي طبع الله به على قلوب كفار الأمم السابقة، فلم يؤمنوا برسولهم، يطبع الله على قلوب كفار مكة، والذين من بعدهم إذا لم يؤمنوا بعد بالرسول ﷺ، والقرآن، وما نزل به الوحي.

[١٠٢] ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: حرف نفي.

﴿وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾: أي: وما وجدنا للكفار، من عهد، فأكثرهم ينقضون عهودهم، ولا يوفون بها، والقليل منهم من يحافظ على عهده، ويوفي به.

﴿لَأَكْثَرِهِمْ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿مِنْ﴾: استغراقية، تشمل كل عهد على السمع، والطاعة، وعدم الشرك. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٧)؛ لبيان معنى العهد، والميثاق.

﴿وَإِنْ﴾: للتوكيد.

﴿وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾: لفاسقين: اللام: للتوكيد؛ أي: وجدنا أكثرهم فاسقين، خارجين عن طاعة الله، ولا يوفون بعهودهم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٦)؛ لمزيد من البيان في معنى فاسقين.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتراخي في الزمن.

﴿بَعَثْنَا﴾: ولم يقل: أرسلنا. البعث؛ يعني: أن يبعث الله تعالى رسولاً، أو نبياً؛ لإحياء منهج رباني سابق اندثر، زالت معالمه، بينما الإرسال؛ يعني: يرسل الله تعالى رسولاً بشيء جديد لم يعلمه الناس، برسالة جديدة، أو تغيير، أو تعديل حسب الزمان، والمكان، والبعث أشد من الإرسال؛ أي: يحتاج إلى عمل أقوى، وجهد أشد، ومشقة، والبعث فيه معنى الإثارة، والتهيج، وهو أعم من الإرسال. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٩)؛ لمزيد من البيان.

﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: من: الابتدائية؛ تعني: بزمان قصير، أو مباشرة من بعدهم؛ تعني: الرسل؛ الذين ذكروا سابقاً، وهم: نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط عليهم السلام.

﴿مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾: موسى بآياتنا: التسع؛ مثل: العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنون، والطوفان، والطمس على أموالهم، وقدم الآيات على فرعون، ولم يقل: بعثنا موسى إلى فرعون وملئه بآياتنا؛ للاهتمام بها.

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾: فرعون: لقب لمن كان يحكم مصر قديماً، والفراعنة شكلوا أو كانوا (١٩) أسرة، آخرهم الأسرة التاسعة عشر، وموسى أدرك فرعون المسمى رمسيس الثاني، ويطلق عليه رمسيس الأكبر، وهو الذي ربى موسى، والذي أطلق عليه فرعون الاضطهاد الذي اضطهد بني إسرائيل وحكم مصر (٦٧ سنة)، وكان



له أولاد منهم منفتح الأول، وهو الابن الثالث عشر لرمسيس الثاني (الأكبر) شارك أباه في الحكم وتولى الحكم بعد وفاة أبيه، وحكم حوالي (١٠ سنوات)، فموسى أدرك الأب (رمسيس الثاني) وأدرك الابن (منفتح) الذي أطلق عليه فرعون الخروج فحين يذكر اسم فرعون قد يكون الأب أو الابن أو كلاهما، ولذلك يجب الانتباه إلى السياق في الآيات.

﴿وَمَلَأُوا﴾: ولم يقل: إلى فرعون وقومه، وملئه: أي: وجهاء القوم، وسادة القوم، وكلمة الملاء مشتقة من ملأ العيون؛ أي: المتحدثون باسم القوم، أو الشعب، والظاهرون للعيون؛ أي: ممثلو الشعب، والوزراء، والنواب.

﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾: كذبوا بها، أو جحدوا بها، وإذا قارنا هذه الآية (٧٥) في سورة يونس: نجد أنه في آية الأعراف قدم الآيات على فرعون وملئه، وفي يونس قدم فرعون وملئه على الآيات، والتقديم أو التأخير عادة يكون للأهم أو الأفضل، فالآيات في آية الأعراف الأهم؛ لأنها كانت محور الجدل بين موسى وفرعون، وفي يونس لم يذكر أي تفاصيل عن الآيات، كما ذكر في الأعراف لذلك قدم فرعون وملئه.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿فَانْظُرْ﴾: نظرة اعتبار، وتدبر، نظرة: قلبية، فكرية.

﴿كَيْفَ﴾: استفهام فيه تعجب.

﴿كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: عاقبة: أي: عقاب، وعذاب المفسدين. ارجع

إلى الآية (٨٦) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان في معنى عاقبة.

﴿الْمُفْسِدِينَ﴾: جمع مفسد، والمفسد: هو الذي يخرج عن حد الاستقامة،

والاعتدال، والفساد لغةً: ضد الصلاح، والفساد اصطلاحاً: هو انفلات الفرد، أو المجتمع بالخروج عن منهج الله تعالى. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٠٥)؛ لمزيد من البيان في معنى المفسدين، وإذا قارنا المفسدين بقوله تعالى: (المجرمين) كما في الآية (٨٤) في نفس السورة: نجد أن المجرمين أشد وأعم من المفسدين؛ المفسدين: قسم من المجرمين.

[١٠٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

تصوّر لنا هذه الآية أول لقاء بين موسى ، وفرعون بعد رجوع موسى من مدين (فرعون الابن). ارجع إلى الآية (١٠٣) في نفس السورة لبيان من هو فرعون، وبعد أن كلمه ربه ، فقال له: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾: فهذا موسى يقدم نفسه لفرعون على أنه أصبح رسولاً مرسلًا من رب العالمين، وتعني أيضاً: إنك يا فرعون لست الرب، كما تزعم، وتقول: أنا ربكم الأعلى.

﴿إِنِّي﴾: ولم يقل: أنا رسول من رب العالمين، إني: أكثر تأكيداً.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: رب الجن، والإنس، والملائكة، ورب كل شيء. ارجع إلى سورة الفاتحة، آية (٢)؛ لمزيد من البيان.





الجزء الثاني

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ
بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ
جِئْتَ بِثَآئِفَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَى
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِّلنَّظَرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ
عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾
قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تُوكُ
بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ
تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا
أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْثَرَهُمْ وَجَاءُ وَبِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
﴿١١٧﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا
يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا
هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢٠﴾



سورة الأعراف [الآيات ١٠٥ - ١٢٠]

[١٠٥] ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾:

﴿حَقِيقٌ﴾: واجب، أو حريص، أو جدير.

﴿عَلَيَّ أَنْ لَا﴾: على: تفيد العلو، أن: حرف مصدري؛ تفيد التعليل، والتوكيد.

﴿لَا﴾: الناهية.

﴿أَقُولَ عَلَى اللَّهِ﴾: أي: لا أخبر على الله بأي شيء من عندي، وفي قراءة أخرى: حقيقة عليّ: بتشديد الياء، وفتحها.

﴿إِلَّا﴾: للحصر، حصراً هو الحق من عند ربكم.

﴿الْحَقُّ﴾: الصدق، والشيء الثابت الذي لا يتغير، ولا يتبدل؛ أي: ما نزل به الوحي إليّ من ربي.

﴿قَدْ﴾: للتحقيق، والتوكيد.

﴿جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: حُجَّةٌ من ربكم، وبرهان ساطع، أو معجزة من ربكم، وهي العصا، واليد.

﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: الفاء: للتوكيد؛ أي: اترك بني إسرائيل يخرجون معي إلى الأرض المقدسة؛ أي: أطلق سراحهم؛ إذ كانوا ممنوعين من الخروج من مصر، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤٧) في سورة طه وهي قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ



مَعْنَابِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٦﴾، وفي آية الأعراف: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾؛ في سورة طه السياق كان في موسى وهارون، وفي الأعراف السياق معظمه في موسى وحده .

[١٠٦] ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِثَايَةٍ فَأَتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾:

﴿قَالَ﴾: فرعون لموسى: ﴿إِنْ كُنْتَ﴾: إن: شرطية؛ تدل على الاحتمال.

﴿جِئْتَ بِثَايَةٍ﴾: بمعجزة، أو دليل، أو برهان.

﴿فَأَتِ بِهَا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ تفيد التوكيد، أرنا إياها، أو أخرجها لنا، أو أحضرها إلينا.

﴿إِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الشك بأن تكون من الصادقين؛ أي: إنك من الكاذبين.

﴿كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: فيما قلت، أو زعمت.

[١٠٧] ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾:

﴿فَأَلْقَى﴾: الفاء: تدل على الترتيب، والتعقيب، والمباشرة.

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ﴾: أي: ألقى موسى عصاه على الأرض، طرحها على الأرض، هذا هو الإلقاء الثاني للعصا، فهناك الإلقاء الأول: كان بعد رجوع موسى من مدين، وعند الطور الأيمن، أمام رب العالمين.

وهذا هو الإلقاء الثاني: أمام فرعون.

وأما الإلقاء الثالث: فسيكون أمام السحرة، والناس في يوم الزينة.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: للتوكيد، إذ: الفجائية؛ ظرف للزمان، أو المكان.

﴿هِيَ﴾: تفيد الحصر، والتوكيد.

﴿ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾: حية عظيمة، ضخمة، مخيفة، من أعظم الحيات، والثعبان هو الذكر، ففي هذه الآية وصف العصاة بأنها ثعبان مبين فهي ليس حية أو كأنها

جان، وإنما ثعبان مبين ليراه فرعون في كل مرة لعله يخاف ويرتدع، وأما لموسى فقد تظهر كحية أو كأنها جان، ولم يذكر الخوف، ولم يعقب؛ لأن موسى الآن في موقف التحدي وبعد أن علم حقيقة العصا، كما رأينا في سورة طه آية (٢٠)، وسورة النمل آية (١٠).

وفي سورة طه، الآية (٢٠)، وصفها بأنها حية تسعى، فقال: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾؛ لأن موسى كان وحده بعد رجوعه من مدين. ارجع إلى سورة طه لمزيد من البيان.

وفي سورة النمل، الآية (١٠): وصفها بأنها: جان وكان موسى لوحده، فهذه العصا بقدرة الله قادرة على أن تأخذ شكل ثعبان، أو حية، أو جان. ارجع إلى سورة النمل لمزيد من البيان.

﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهر لكل إنسان يراه، وليس من نوع السحر، وملاحظه وشكله المخيف لا تدعو إلى الشك.

[١٠٨] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِ﴾:

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾: من جيبه؛ أي: أخرج يده بعنف، وعسر.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة. إذا: تفيد الفجائية.

﴿هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِ﴾: من غير سوء؛ أي: أدخل يده في جيبه، والجيب في الأصل: هو مكان دخول الرأس في الثوب، ثم أخرجها فإذا هي تشع كالشمس من غير سوء، ليس فيها أي عيب؛ كالبرص، أو غيره؛ أي: هذا البياض ليس مرضاً، وبين ذلك في آية أخرى قال سبحانه: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [النمل: ١٢].

أي: أدخل يدك في جيبك، ثم أخرجها (انزعها): تخرج ﴿بَيْضَاءً لِلنَّظَرِ﴾ من غير سوء.



[١٠٩] ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿الْمَلَأُ﴾: هم سادة القوم، ممثلو القوم (أو الشعب) من قوم فرعون. ارجع إلى الآية (٧٥) وآية (١٠٣) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.

﴿قَالُوا﴾: لما شاهدوا تحوّل العصا إلى ثعبان مبین.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿هَذَا﴾: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة؛ يفيد القرب.

﴿لَسِحْرٌ﴾: اللام: لام التوكيد.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم في علم السحر، وفي سورة الشعراء آية (١٣٧) قال تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحَرٍ عَلِيمٍ﴾ كان هذا رد الملاء على سؤال فرعون لهم فماذا تأمرون للمبالغة؛ فقد تأثروا بما حدثهم فرعون عن تربية موسى في قصره. ارجع إلى سورة الشعراء للبيان.

[١١٠] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾:

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ﴾: أن: للتوكيد.

﴿يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾: أرضكم: مصر، وفي آية أخرى، قال: ﴿يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾ [الشعراء: ٣٥]. آية الشعراء من قول فرعون فهو يؤكد لهم أن ما جاء به موسى هو السحر كي لا يؤمنوا بموسى.

﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة. ماذا: استفهام؛ يفيد توكيد، أشد، وأقوى من: ما تأمرون.

فماذا تأمرون. قيل: هذا كلام فرعون.

يسأل الملاء من حوله: ما رأيهم؟ مما شاهدوه من السحر، فكيف يشاورهم،

وهو الذي ادّعى أنه ربهم الأعلى، فهذا يدل على ضعفه، أو يحاول أن يستميل قلوب قومه.

وقيل: هذا كلام الملائ، يسأل بعضهم بعضاً.

[١١١] ﴿قَالُوا أَزِجُّهُ وَآخَاهُ وَارْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: الملائ من قوم فرعون.

﴿أَزِجُّهُ وَآخَاهُ﴾: أخره، أخر هذه المسألة، أو أجّل، أو اطلب الإرجاء في الحكم، في هذه المسألة.

﴿وَارْسِلْ﴾: وأرسل جنودك في كل مدينة، يبحثوا عن السحرة؛ كي يحضروهم إليك، وفي سورة الشعراء آية (٣٦) ﴿قَالُوا أَزِجُّهُ وَآخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾؛ البعث: معناه الإرسال، وفيه تحريض وإثارة أشد من الإرسال.

﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾: في كل مدينة من مدن مصر المدائن، جمع مدينة، وهي القرية الكبيرة.

﴿حَاشِرِينَ﴾: أي: يجمعون إليك سحرة كل مدينة، ويسوقونهم إليك.

[١١٢] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَرٍ عَلِيمٍ﴾:

﴿يَأْتُوكَ﴾: من الإتيان: وهو المجيء بسهولة.

﴿بِكُلِّ سَحَرٍ عَلِيمٍ﴾: بكل: الباء: للإلصاق، بكل ساحرٍ عليم. كل: تفيد الاستغراق والشمول، وتعني كل من هو ماهر بفنون السحر، أو صيغة مبالغة؛ أي: عليم بعلم السحر.

وفي آية أخرى، قال: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٣٧]: سحار: أقوى وأعظم سحراً من ساحر؛ أي: خبير، أو أستاذ في فن السحر، يُعَلِّمُ السحر للآخرين، وفيها مبالغة أشد من ساحر عليم.



ونفسر القولين: بأن قسم من الملأ من قوم فرعون قالوا: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ
وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَرٍ عَلِيمٍ ﴿٣٤﴾.

وقسم آخر قالوا: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَحَرٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾.

[١١٣] ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾:

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾: أي: جاؤوا بصعوبة من كل المدائن، أحضروا
بالقوة. فرعون الابن. ارجع إلى الآية (١٠٣) للبيان.

﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾: أي: لا بُدَّ أن نؤتى أجراً على حضورنا وقيامنا
بالسحر.

﴿إِنَّ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال.

﴿نَحْنُ﴾: للتوكيد.

﴿الْغَالِبِينَ﴾: على موسى وسحره.

لنقارن هذه الآية من سورة الأعراف، مع الآية (٤١) من سورة الشعراء:
﴿قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾.

ففي آية سورة الشعراء: قسم من السحرة، قالوا: ﴿أَيْنَ لَنَا لَأَجْرًا﴾؛ أي:
يستفهمون.

وفي آية سورة الأعراف: قسم من السحرة، قالوا: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾: قد
حكموا بضرورة وجود الأجر، جاء بصيغة الخبر.

فالقرآن ينقل لنا الصورة كاملة، ما قاله كل طرف، طرف يستفهم، وطرف
واثق بأن لهم أجراً، وليس في القرآن تعارض، كما يظن البعض خطأً.

[١١٤] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾:

قال فرعون للسحرة: ﴿نَعَمْ﴾: أي: لكم أجر، وأضاف أيضاً، ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

وفي سورة الشعراء، الآية (٤٢): ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾، وأضاف إذن: للتوكيد على الوفاء بوعده أن لهم أجراً، وإنهم من المقربين، وأكد على كونهم من المقربين بإضافة لام التوكيد حين قال: لمن المقربين إليّ إذا انتصرتم على موسى.

[١١٥] ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: السحرة: ﴿يَمُوسَىٰ إِمَّا﴾: للتخيير، ﴿أَنْ تُلْقَى﴾: أن حرف: مصدر ي؛ يفيد التوكيد.

﴿وَإِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾: إما أن تلقي عصاك أولاً، أو نحن نلقي أولاً.

و﴿نَحْنُ﴾: يفيد التوكيد.

عند هذا السؤال أوحى الله إلى موسى: بأن يطلب منهم أن يلقوا أولاً؛ حتى تلقف عصاه ما يافكون.

[١١٦] ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾:

﴿قَالَ﴾: موسى للسحرة: ألقوا ما أنتم ملقون.

﴿فَلَمَّا﴾: ظرفية زمانية؛ بمعنى: حين.

﴿أَلْقَوْا﴾: حبالهم، وعصيتهم.

﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾: أي: حبالهم، وعصيتهم، لم تتغير، والذي تغير هو أعين الناس، بسبب السحر؛ فالسحر لا يقلب الحقيقة، والحقيقة تظل كما



هي، ويرأها الساحر على حقيقتها، والناس يرون الحقيقة مختلفة. ارجع إلى سورة طه، آية (٥٨) وسورة البقرة، آية (١٠٢)؛ لبيان معنى السحر.

﴿وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ﴾: أي: أدخلوا الرهبة في نفوس الناس الحاضرين، المشاهدين، والرهبة: اضطراب النفس والخوف والشعور بالضعف والهرب.

﴿وَجَاءَ وَسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾: أعظم ما عندهم من فنون السحر.

[١١٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾: الوحي: هو إعلام بالخفاء. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا﴾: أن: مصدرية؛ تفيد التوكيد، أو تفسيرية. فإذا: إذا فجائية.

﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾: أي: العصا؛ تتحول إلى ثعبان عظيم، تبتلع ما ألقوه.

﴿تَلْقَفُ﴾: بالضم؛ تعني: الأمر واقع الآن، أما حين يقول: تلقف بالسكون: فيعني: السحر لم يقع بعد، وسيقع في المستقبل.

﴿مَا﴾: موصولة، أو مصدرية؛ بمعنى: الذي.

﴿يَأْفِكُونَ﴾: من الإفك، وهو الكذب المتعمد، المخلوق؛ أي: ما كان السحر الذي جاء به سحرة فرعون إلا كذب مخلوق لا يصل إلى الحقيقة بشيء، بل هو أوهام، وتخيلات.

[١١٨] ﴿فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿فَوَقَّعَ﴾: الفاء: للتعقيب، والسرعة.

﴿الْحَقُّ﴾: تبيين الحق، وظهر، وثبت بشكل حسي، وتبين ما جاء به موسى، هو الحق؛ أي: الصدق.

﴿وَبَطَلَ﴾: اندحر، وتبين بطلان سحر السحرة.



﴿مَا كَانُوا﴾: ما: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: أي: يقولون، أو يفعلون.

[١١٩] ﴿فَقُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ﴾:

﴿فَقُلِبُوا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

﴿فَقُلِبُوا﴾: أي: السحرة؛ أي: انهزموا أمام موسى.

﴿هُنَالِكَ﴾: وأمام الناس، وفي مكان الاجتماع، اجتماع السحرة، والناس، وموسى، وفرعون.

﴿وَانْقَلَبُوا﴾: انقلب فرعون وقومه، والانقلاب: هو الرجوع إلى حالة غير التي كانوا عليها قبل إلقاء موسى لعصاه.

﴿صَغِيرِينَ﴾: جمع صاغر، والصغار: الاعتراف بالذل والإقرار به بما لحقهم من الهزيمة والخيبة، أما السحرة؛ فأمّنوا عندما رأوا المعجزة، وخرّوا لله ساجدين.

[١٢٠] ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ﴾:

﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ﴾: أي: خرّ السحرة ساجدين لله سبحانه؛ حين رأوا الحق، وعلموا أن ما جاء به موسى ليس سحراً، وتيقنوا أن عصا موسى حق؛ عندها لم يتمالكوا أنفسهم. وكلمة ألقى: تدل على سرعة الهوي إلى الأرض.

﴿سَجْدِينَ﴾: وكلمة ألقى: تدل على أنهم خروا سجداً تلقائياً، من دون تردد، وظهرت فطرتهم الإيمانية، وزال عنها الحجاب، وأسرعوا بالعودة إلى فطرتهم الإيمانية، ولم يبالوا بأيّ تهديد ووعيد من فرعون.





الجزء الثاني

سورة الأعراف ٧

قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ
فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ
فِي الْمَدِينَةِ لَتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾
قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نَنقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا
بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَ تَنَارُ رَبِّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ
﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا
فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي
نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا بِاللَّهِ لَيُورِثُهُا مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أَوِذِنَا
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ
أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلَفَكُمْ فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ
بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٣٠﴾

سورة الأعراف [الآيات ١٢١ - ١٣٠]

[١٢١] ﴿قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: السحرة: آمنا برب العالمين.

أما في سورة طه، فقالوا: ﴿أَمَّا رَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠].

السؤال: ماذا قال السحرة؟ هل قالوا: ﴿قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَرُونَ؟ أم قالوا: ﴿أَمَّا رَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾؟

الجواب: كان هناك أكثر من سبعين ساحراً، فهناك من: ﴿قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَرُونَ، وهناك من قال: ﴿أَمَّا رَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾.

السؤال الثاني: لماذا قالوا: ﴿أَمَّا رَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾؟ وقدّموا هارون على موسى؟

الجواب: لأنهم لو قالوا: رب موسى وهارون؛ فقد يظن أحداً ما أن رب موسى هو فرعون الذي رباه حين كان وليداً، ولذلك أصر موسى، وقدّم هارون؛ لأن هارون لم يرّه فرعون، وأتبع موسى بهارون.

[١٢٢] ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَرُونَ﴾:

وحين يقدّم موسى على هارون يسبقه دائماً بالقول: رب العالمين، رب موسى وهارون، فلم يعد هناك شبهة لغوية، أو بيانية.



فهم قد آمنوا: أن رب هارون هو رب العالمين، ورب موسى وهارون هو رب العالمين.

[١٢٣] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾: ارجع إلى الآية (١٠٣). للبيان.

﴿ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾: به: تعود إلى الله سبحانه، وقد تعود إلى موسى، أما قوله في سورة الشعراء، الآية (٤٩): ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾: أي: صدقتم بموسى، وأطعتموه.

﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾: أن: للتوكيد.

﴿ءَاذَنَ لَكُمْ﴾: أسمح لكم.

﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾:

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد.

﴿هَذَا﴾: الهاء: للتنبيه، وذا: اسم إشارة.

﴿لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ﴾: المكر: هو التدبير الخفي؛ الذي تبينه لتتال من خصمك من دون أن يعلم بما تفعله؛ أي: هذه حيلة، أو خديعة تواطأتم مع موسى في المدينة سابقاً، قبل أن تخرجوا إلى هذا المكان.

﴿لِيُخْرِجُوا﴾: اللام: لام التعليل.

﴿لَنُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾: أي: القبط، وتسكنون فيها، أنتم فيها؛ يعني: بني إسرائيل.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: وعيد، أجمله، ثم فصله في الآية التالية (١٢٤). وسوف: للمستقبل البعيد. فسوف: الفاء: للتوكيد؛ سوف تعلمون: لإدخال الرعب في قلوبهم، ولتدل على جبروته وظلمه.

﴿تَعْلَمُونَ﴾: عاقبة أمركم هذا بالتأمر مع موسى.

[١٢٤] ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضِلَّ لَكُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿لَأَقْطَعَنَّ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾: من كل شق طرفاً؛ أي: اليد اليمنى، والرجل اليسرى، أو اليد اليسرى، والرجل اليمنى.

﴿ثُمَّ لَأَضِلَّ لَكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: ثم: تفيد التباين، بين القطع والصلب، وتفيد الترتيب، والتراخي بعد القطع تأتي مرحلة الصلب.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد، ولم يذكر في هذه الآية كيف سيصلبهم، ولكن شرح ذلك في الآية (٧١) من سورة طه.

فقال: ﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾: ارجع إلى سورة طه؛ للبيان.

وإذا نظرنا في سورة الشعراء، الآية (٤٩): نجده يقول: ﴿ءَامَنَّا لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

أضاف اللام في كلمة ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ بدلاً من فسوف تعلمون، واللام:



تفيد التوكيد؛ أي: تهديده في آية سورة الشعراء أشد وأقوى من تهديده في آية سورة الأعراف.

[١٢٥] ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾:

وكانهم يقولون: إنا لا نبالي بالموت؛ لأننا على أي حال ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾: راجعون، وإنا: إنَّ حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد، وفي سورة الشعراء، الآية (٥٠): ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ لَنَا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾.

لنقارن هذه الآية (١٢٥) من سورة الأعراف، مع الآية (٥٠) من سورة الشعراء: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ لَنَا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾:

إضافة ﴿لَا ضَيْرَ﴾ في سورة الشعراء؛ لأن الوعيد في الشعراء أشد، فجاء الرد من السحرة مناسباً للوعيد بقولهم: ﴿لَا ضَيْرَ لَنَا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾.

أي: هناك من السحرة من قال هذا، وهناك من قال: ﴿لَا ضَيْرَ لَنَا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾.

[١٢٦] ﴿وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْتَ أَمَّا نِيَّاتُ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَ تَنَارَبْنَا أَفْرَغَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: حرف نفي.

﴿نُنْقِمُ مِنْهَا﴾: تعاقبنا، أو تثار منا.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، أن: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد.

﴿أَمَّا نِيَّاتُ رَبِّنَا﴾: صدقنا بالعصا، وغيرها من المعجزات التسع.



﴿لَمَّا جَاءَ تَنَّا﴾: لما: ظرف حين (أو زمن).

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾:

ثم اتجهوا إلى خالقهم، فقالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: ولم ينادوا: يا ربنا؛ لأنهم يعلمون أنه قريب منهم، ولا يحتاجون إلى أداة نداء.

﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: أي: صب علينا الصبر صباً؛ حتى يفيض ويغمرنا؛ أي: هب لنا كل الصبر، الصبر الكثير التام؛ حيث سمعوا ما توعدهم فرعون به: من تقطيع الأيدي، والأرجل، والصلب، وكان قادراً على فعل ذلك.

﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾: ثابتين على الإسلام، والتوحيد، مخلصين لك.

ولم يرد في القرآن ما يدل على أن فرعون نفذ وعيده في السحرة، أم لا؟ وما حدث لهم، وقد قال ابن عباس عنهم: (كانوا في أول النهار سحرة، فصاروا في آخره شهداء بررة).

[١٢٧] ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾:

وينتقل القرآن بنا إلى ما قاله الملأ من قوم فرعون، ويبدو أن موسى وهارون تركا المكان، ولم يقبض عليهما.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾: ارجع إلى الآية (١٠٣) من نفس السورة.

﴿أَتَنْذَرُ﴾: أترك، والهمزة: همزة استفهام إنكار، وتعجب، موسى وقومه (بني إسرائيل) ﴿لِيُفْسِدُوا﴾: اللام: لام التوكيد، ﴿لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾: بدعوة الناس إلى عبادة الله، وترك عبادة فرعون، ومخالفة أوامرك، وإثارة الفتن.



﴿وَيَذَرَكْ﴾: أي: لا يطيعك موسى، ولا يطيع آلهتك، فكيف تتركه يفعل ذلك.

﴿وَأَلِهَتِكَ﴾: قيل: كان فرعون يعتقد أن هناك آلهة في السماء، وآلهة في الأرض، وهو الرب الأعلى في الأرض، كما قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾. وقيل: إنه كان لقومه أصنام حجارة يعبدونها، وفرعون لا يبالي بذلك؛ لأنه يظن أنه هو الرب الأعلى.

﴿قَالَ سَنُقْلِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾: انتبه! الملاء يسألونه عما سيفعله بموسى، وجوابه لم يتطرق إلى موسى، وإنما تطرق إلى قوم موسى الضعفاء؛ فهو يخاف من موسى باطنياً، ويخاف الاتصال بموسى، ولا يريد مفاجأة أخرى، كما حدث أمام الناس يوم الزينة. ﴿سَنُقْلِلُ﴾: السين: للاستقبال القريب.

﴿أَبْنَاءَهُمْ﴾: أي: الأطفال الذكور من بني إسرائيل، ويؤكد على قتل الأبناء، كما فعل سابقاً.

﴿وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾: نبقى نساءهم على قيد الحياة؛ للخدمة، والسخرة.

﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾: وإن حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد.

﴿قَاهِرُونَ﴾: أي: غالبون؛ أي: هم تحت سيطرتنا، ونفعل بهم ما نشاء، فالملك، والسلطان لنا، وهم شرذمة قليلون، وقولهم قاهرون: تدل على الاستكبار والعلو، وتدل على تمكنهم من بني إسرائيل.

[١٢٨] ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾: هم بنو إسرائيل.

﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا﴾: اطلبوا العون من الله، واصبروا على أذى فرعون وقومه، وما حل بكم، فما لكم إلا الصبر.

﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾:

﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ﴾: إنَّ: تفيد التوكيد، الأرض لله؛ أي: وهو الحاكم، والمالك الحق، وهو يورثها من يشاء من عباده، متى يشاء، وكيف يشاء.

﴿اللَّهُ﴾: اللام: لام الاختصاص، والملكية.

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: بشارة من موسى لقومه، والعاقبة: الخاتمة للمتقين في الدنيا والآخرة، فما عليكم إلا الصبر، والصلاة، والتقوى؛ هذا هو سلاحكم.

[١٢٩] ﴿قَالُوا أَوْزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿أَوْزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾: كرسول، ونبي: بالقتل، والاستحياء، والتسخير؛ أي: الخدمة، أو أوزينا قبل مجيئك، وقبل ولادتك.

﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾: كرسول، ونبي، وأن الله لم يخلصنا، أو يكشف عنا العذاب، وينجيننا من فرعون؛ أي: لم يتغير شيء، ويبدو أنهم في حالة يأس، وانهزام نفسي، ولم يحددوا ما جاء به موسى.

انتبه! إلى الفرق بين أتى وجاء: الإتيان: هو أيسر من المجيء، والمجيء:



يستعمل لما هو أشق، وأصعب، وأشد، ولم يستعمل حرف به بعد كلمة تأتينا، أو بعد كلمة ما جئتنا؛ لأنه لا يريد سبحانه تحديد ما أتاهم، أو ما جاءهم.

ولو استعمل به وقال: من قبل أن تأتينا به، أو ما جئتنا به؛ لحدد المعنى، ولكن لم يحدد؛ لكي تشمل كل المعاني.

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ﴾: عسى: فعل ترجي؛ لحصول الفعل في المستقبل؛ أي: أرجو من الله، وأطمع أن يهلك عدوكم (فرعون وملئه).
﴿وَيَسْتَخْلَفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: يمكن لكم في الأرض دينكم، والسيادة، والملك، والنجاة من فرعون، وقومه.

﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام، والتعجب، والتخدير.

﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: هل تشكرونه، ويزداد إيمانكم، أو تكفرون، وتجدوا نعمه عليكم.

﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: سبحانه! هو ينظر لا ليعلم - حاشا لله - فهو يعلم بكل شيء قبل أن يقع، ولكن لا يريد أن يحكم بعلمه على خلقه، ولكن يريد أن يحكم على خلقه؛ بفعل خلقه؛ حيث ترك لهم الإرادة، والاختيار، وليكون ذلك حجة عليهم، وإقراراً منهم.

[١٣٠] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، لقد: اللام: لام التوكيد، قد: تحقيق وتوكيد.

﴿أَخَذْنَا﴾: الأخذ يكون باليد، أو اللسان، ويعني: بالعذاب، بقوة وشدة؛ أي: بالسنين.

﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: أتباع فرعون، وأعوانه.

﴿بِالسِّنِينَ﴾: أي: بالقحط، والفقر، والمجاعة.

﴿بِالسِّنِينَ﴾: جمع سنة، وتعني: العام، وكلمة السنة في القرآن: تحمل معنى البؤس، والشدة، والقحط، والشر؛ بينما كلمة العام: تحمل معنى الخير، والبركة، والرزق، وهذا من خصائص القرآن.

﴿بِالسِّنِينَ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

﴿وَنَقَصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾: ثمرات النخيل، والأعناب، والثمار، والفواكه؛ أي: بنقص الزراعة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾: لعل: أداة للتعليل، والترجي، تستعمل في الأمور الممكنة تحقيقها.

﴿يَذْكُرُونَ﴾: تدل على المبالغة في التذكر؛ أي: أخذناهم بالسنين، بالقحط، والجذب، ونقص من الثمرات؛ لعل ذلك يحدث لهم هزة قلبية، فيرتدعون، ويتعظون، ويعودون إلى رشدهم بعد طول نسيان، وضلال، وكفر.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

الْبَقَرَةُ

فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ
يَطَّيِّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۖ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ
لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ
الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ۚ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ
فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ
الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيُنْزِلَ
كَشْفَتَ عَنَّا الرِّجْزَ لِنُؤْمِنَ لَكَ وَلِنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي
إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ
هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ
فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾
وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ
الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ
يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

سورة الأعراف [الآيات ١٣١ - ١٣٧]

[١٣١] ﴿فَإِذَا جَاءَ تَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۖ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب. إذا: ظرفية زمانية للمستقبل، وفيها معنى الشرط، وتدل على حتمية الحدوث.

﴿جَاءَ تَهُمُ الْحَسَنَةُ﴾: من الله، والحسنة: هي كل ما يسر النفس، أو تستحسنه؛ مثل: الغنى، والأمن، وكثرة الرزق، والعافية، والسلامة من الأوبئة.

﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾: أي: نحن نستحقها؛ لأننا كذا وكذا، أو أوتيناها على علم، وخبرة، وقدرة.

﴿وَإِنْ﴾: الواو: حرف عطف، إن: شرطية؛ تدل على قلة الحدوث.

﴿تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: مثل: بلاء، أو شدة، أو مجاعة، أو وباء عام، أو قارعة، والسيئة: كل ما يسوء النفس، وجاءت بصيغة النكرة؛ لتشمل كل سيئة مهما كانت.

﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾: يطيروا: أدغمت التاء في الطاء؛ لأنهما من مخرج واحد، والطيْر، والتطيْر: مشتقة من كيف يطير الطائر؛ حيث كان صاحب الطير في قديم الزمان يزجره، ثم يتركه يطير؛ فإذا طار عن يمينه: أصابه الفأل الحسن، وإن طار يساراً: دل على فأل سيئ، فالتطيْر، أو الطيرة: هي التشاؤم، وضده التفاؤل.



إذن: إذا أصابتهم سيئة تشاءموا بموسى، ويقولون: كل ما حدث من أشياء سيئة هو والذين آمنوا معه سببها.

﴿أَلَا إِنَّمَا طَلَيْهِمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾: ألا: أداة استفهام، وتنبية.

﴿وَأِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿طَلَيْهِمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: سبب شرهم، أو خيرهم هو من عند الله، هو الذي قدره لهم، ومن حكمته ومشيتته، وليس من موسى، أو غير موسى.

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: ما هو التطير في الحقيقة؛ هو وهم، ومرض نفسي، وسببه ضعف الشخص، وبدلاً من أن يتهم نفسه بالعجز، والكسل، والجهل، يتهم غيره ليبرر لنفسه تقصيره.

[١٣٢] ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: أي: آل فرعون.

﴿مَهْمَا﴾: قيل: إنها مكونة من مه: بمعنى اكفف، وما: اسم للشرط، مثل ما يفتح الله للناس من رحمة.

وقيل: إنها مكونة من ما: الشرطية، زيدت عليها ما: للتوكيد، مثل: إما يأتينكم، ثم أبدلت الألف الأولى هاء؛ لثلاث توالي كلمتان من لفظ واحد.

وقيل: مهما: إنها كلمة واحدة، أو قيل: هي ما: المضاعفة؛ بغرض الإبهام.

﴿تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾: مثل العصا، وغيرها؛ لتسحرنا بها؛ لتصرفنا عما نحن

عليه، فلن نؤمن بك، ونصدقك، فهم لم يميزوا بين المعجزة التي هي حق، وبين السحر الذي هو باطل.

وقولهم: مهما: يدل ذلك على تمادي فرعون في العناد، والضلال، والتحدي، وأنهم لن يقبلوا بأي آية (معجزة)، مهما كانت.

فيكون معنى الآية (مه): كف عن أن تأتينا بآية؛ فلن نصدقك، أو نؤمن لك. [١٣٣] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة؛ أرسلنا على قوم فرعون؛ أي: استجاب الله لدعاء موسى عليهم، وأرسلنا: نون الجمع أو العظمة للدلالة على عظم وهول هذه الآيات، وعليهم: تدل على الشدة والمشقة؛ أي: تمكن هذه الأمراض منهم.

﴿الطُّوفَانَ﴾: المطر الشديد؛ المسبب للغرق، المدمر لمساكنهم، وزرعوهم. ارجع إلى سورة العنكبوت، آية (١٤).

﴿وَالْجَرَادَ﴾: أرسله الله؛ لإتلاف الزرع، والثمرات.

﴿وَالْقُمَّلَ﴾: حشرات صغيرة؛ مثل: حشرة السوس؛ تؤذي الزرع، أو الحنطة، وقيل: أولاد الجراد، قبل أن تنبت الأجنحة، والمهم: هو ليس قمل الرأس المعروف.

﴿وَالضَّفَادِعَ﴾: بأعداد كبيرة، تلقي أنفسها في الطعام، أو القدور؛ فتفسد الطعام، وتشمئز منها النفوس.



﴿وَالْدَّمَ﴾: كان يُرى في الماء العذب، ويرون الدم في الأنهار، حتى إن ماء نهر النيل؛ اختلط بالدم، وقيل: هو الرعاف.

﴿ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾: مفصلات: تعني: لا توجد آية مع آية أخرى في زمن واحد، بل بين الآية والآية فاصل زمني، أو مشتقة من نفصل الآيات؛ أي: مبيّنات، ظاهرات، أنها من آيات الله سبحانه، وفيها عبر ومواعظ.

﴿ءَايَاتٍ﴾: وهي الآيات التسعة، وهي: العصا، واليد، والأخذ بالسنين، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

وروي عن ابن عباس قال: مكث موسى في آل فرعون بعدما غلب السحرة (٢٠ سنة) يريهم الآيات (المعجزات).

﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾: عن الإيمان بالله، والتصديق بموسى . ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان.

﴿وَكَاوُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾: أي: مستمرين على ارتكاب الذنوب القبيحة، والشرك، والكفر، والعصيان. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥) لبيان معنى المجرمين.

[١٣٤] ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو: استئنافية، لما: ظرف بمعنى حين، وفيها معنى الشرط.

﴿الرِّجْزُ﴾: العذاب، وأصل الرجز: من رجز الجمل؛ أي: ارتعشت قوائمه عند القيام أو ناقة، وجزاء؛ أي: تقارب خطوها واضطرب لضعف فيها، ووردت

هذه الكلمة في عشر مواضع من القرآن، وللبیان ومعرفة الفرق بين الرجز والرجز ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٩).

﴿وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾: وحين وقع عليهم العذاب، مثل: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾:

إذن: هذا السؤال يدل على أنهم أدركوا، أو آمنوا بأن موسى مرسل من ربه، وقالوا: ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾: ولم يقولوا: ربنا.

و﴿رَبَّكَ﴾: يدل على أن موسى هو أقرب إلى الرب منهم، فهم لم يؤمنوا بعد، وكذلك هم أيقنوا أن العذاب منزل من الله، ولن يرتفع إلا بسؤال موسى، وإذا كانوا يعتقدون أن فرعون هو الرب، فلماذا لم يطلبوا من فرعون بدلاً من موسى أن يكشف عنهم الرجز.

﴿بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾: بما أوصاك، أن تدعوه فيجيبك، أو ﴿بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ في كشف العذاب.

﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾: لئن: اللام: لام التوكيد، إن: شرطية؛ تدل على الندرة، والاحتمال.

﴿لَئِنْ كَشَفْتَ﴾: رفعت عنا العذاب، أو لئن كشفت، والكشف؛ يعني: الزوال؛ أي: إزالته بعد نزوله، وأما دفع البلاء منعه قبل نزوله.

﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾: السلام: لام التوكيد، نؤمنن: نون التوكيد الثقيلة؛ أي: لنصدقنك، أو نصدقن ما جئت به.



﴿وَلَنُرْسِلَنَّ﴾: مثل: ولنؤمننَّ: لنخرجن معك بني إسرائيل؛ أي: نطلق سراح بني إسرائيل من مصر، ونتركهم يخرجون معك، واللام في لنرسلنَّ، والنون تفيدان التوكيد.

[١٣٥] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجَإَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: ظرف؛ بمعنى: حين، تتضمن معنى الشرط. فلما: عاطفة تدل على الترتيب، والتعقيب، فلما كشفنا: أزلنا، أو رفعنا عنهم العذاب، عن آل فرعون: ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِّغُوهُ﴾: الأجل هنا هو إغراقهم في اليم؛ أي: إلى حين أوحينا أن موسى اضرب بعصاك البحر، أو كلما كشفنا عنهم العذاب إلى أجل؛ أي: بعد رفع العذاب عنهم في كل مرة، يمشكون زمناً، ثم يطالبهم موسى بالإيمان، أو إرسال بني إسرائيل؛ إذا هم يمشكون عهدهم في كل مرة.

إذا: ظرف زمان فيه معنى الفجأة، ينقضون العهد الذي عاهدوه، والنكث في الأصل: مشتق من فك، وخيوط الصوف المغزول؛ أي: نقضها وحلها، ثم استعير لنقض العهد، كما قال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ [النحل: ٩٢]. أنكاثاً: جمع نكث؛ أي: ما حلَّ فتله من الغزل.

[١٣٦] ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾:

﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، فبعد أن نكثوا عهدهم في كل

مرة.

﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾: في البحر، الانتقام: هو العذاب بسلب

النَّعْمَة.



﴿يَأْتِهِمْ﴾: الباء: للإلصاق، والتعليل.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: لم يؤمنوا بالآيات؛ أي: المعجزات، أو الآيات التسعة.

﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾: وكانوا عنها معرضين، فالغفلة: تعني: تجاهل

الأمر، ولم يلتفتوا إليها، لا يفكرون فيها ونسوها. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان.

وبهذا الخبر ينتهي خبر آل فرعون، وأما عملية إغراق فرعون، وكيف هلك، فذكر ذلك في آيات سورة يونس (٩٠-٩١)، ونهاية مصيرهم ذكر، أو جاء في آيات القصص، وهود، وغافر.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾

[القصص: ٤١].

﴿وَخَافَ بَالُ فِرْعَوْنَ سُوءَ الْعَذَابِ ۖ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ

تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].

﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾

[القصص: ٤٢].

[١٣٧] ﴿وَأَوْثَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا

الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾:

﴿وَأَوْثَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعَفُونَ﴾:

أي: بني إسرائيل؛ لقوله في سورة الشعراء، الآية (٥٩) كذلك: ﴿كَذَلِكَ



وَأَوْزَنْنَهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧٤﴾، ﴿كَانُوا يُسْتَزْعَفُونَ﴾: كان يستضعفهم فرعون، وآل فرعون؛ أي: يذلهم، ويسخرهم لخدمته، وخدمة قومه، ويقتل أبناءهم، ويستحيي نساءهم.

﴿مَشْرُوقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا﴾: المراد بها جميع نواحيها، أو جهاتها، ويعني: أرض مصر، والشام، ملكها وحكمها بنو إسرائيل بعد الفراعنة، والعمالقة. ﴿الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾: بالماء الخصب، وسعة الأرزاق. باركنا فيها: تعود على الأرض؛ أرض الشام، ومصر.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: وعد ربك بني إسرائيل؛ بإهلاك عدوهم، واستخلافهم في الأرض، والتمكين في الأرض، وإقامة شعائر الدين والحرية، كما قال تعالى: ﴿وَنَجْعَلُهُمْ أُيُمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ٥ ﴿وَنُتِمِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

[القصص: ٥-٦].

﴿الْحُسْنَىٰ﴾: صفة ونعت لكلمة ﴿رَبِّكَ﴾ على بني إسرائيل.

﴿بِمَا صَبَرُوا﴾: الباء: للإلصاق، والتعليل؛ أي: بسبب صبرهم على فرعون وملئه؛ إذ كانوا يسوموهم بسوء العذاب، يذبحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم.

﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾:

﴿وَدَمَّرْنَا﴾: الدمار: هو دائماً يأتي كعقوبة، ويشمل كل شيء بلا استثناء؛ أي: أهلكنا، خربنا ما كان يصنع فرعون. ارجع إلى سورة الإسراء آية (١٦) لبيان معنى دمرنا.

﴿مَا﴾: اسم موصول أو مصدرية؛ أي: دمرنا الذي كان مصنوعاً من
 فرعون وقومه، مثل: الأهرامات، والأبنية، والتماثيل، والصروح العالية، والأبنية
 المشيدة؛ كصرح هامان، وما: أوسع شمولاً من الذي.
 ﴿كَانَ﴾: زائدة؛ تفيد التوكيد.

﴿يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ﴾: فرعون الأب (رمسيس الثاني)، والابن منفتح.
 ارجع إلى الآية (١٠٣) من نفس السورة للبيان.

﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾: أي: دمرنا جناتهم، وحدائقهم المعروشات،
 وغير المعروشات، وتكرار (كان)؛ لإثبات تدمير ما كان يصنع فرعون، وقومه
 من البنين، وإثبات تدمير ما كانوا يعرشون من الجنات.





سُورَةُ الْأَنْكَافِ ٧

الجزء السابع

وَجَنُوزَنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى
أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يُمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ
قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هَدَوْا
وَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا
وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ
مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ
أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ
رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ * وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً
وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ مِّمَّتْ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ
مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ
سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ
رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَنِي وَلَٰكِن أَنْظُرْ
إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَبَحَّى
رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ
قَالَ سُبْحَنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾



سورة الأعراف [الآيات ١٣٨ - ١٤٣]

[١٣٨] ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾:

﴿وَجَوَزْنَا﴾: أي: مكناهم من عبور البحر الأحمر، وساروا مسافة بعدها.

جاوز الشيء إلى غيره: قطعه، وخلفه وراءه.

﴿فَأَتَوْا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾: قدموا ومروا على قوم يعكفون؛ أي: يقيمون على أصنام لهم. من عكف: يقيم إقامة لازمة، أو عكف على الشيء: واظب على الشيء، ولم يتركه.

﴿عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾: أي: يعبدون أصناماً، ويقيمون، أو يواظبون على عبادتها، والأصنام: هي أجسام لها صورة الإنسان أو الحيوان مصنوعة من خشب أو معادن فالذهب أو الفضة أو النحاس أو حجارة تمثل أشخاصاً، أو أشياء خيالية. ارجع إلى سورة العنكبوت آية (١٧) للبيان.

﴿لَهُمْ﴾: أصنام خاصة لهم، وليس لغيرهم؛ أي: ليست أصنام معروفة، أو مشهورة (عامة)، وتكثير هذه الأصنام للحط من شأنها، ولا قيمة لها.

﴿قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾: قالوا ذلك بعد رؤيتهم كيف أنجاهم الله من فرعون وجنوده، وقلق البحر، وعبوره؛ قالوا هذا القول؛ الذي يعتبر قمة الغباء، وعمى البصيرة، والشرك.

﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾: أي: صنماً نعبده، كما: الكاف: للتشبيه، ما: اسم موصول؛ أي: كالذي لهم من آلهة.



﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: قال موسى لهم: إنكم قوم جهلاء، وهي كلمة ذم؛ تعني: ليس عندكم؛ أي: علم في الدين: وأن العبادة لا تكون إلا لله وحده. ارجع إلى سورة الفرقان آية (٦٣)، وسورة الزمر آية (٦٤) لبيان تجهلون.

وجاء بالفعل المضارع: تجهلون: ليدل على تجدد جهلهم، واستمرار عملي بصيرتهم، فهم قد شاهدوا قوم فرعون من قبل، قبل أن يعبدوا الأصنام، ويعبدوا فرعون؛ فهم يريدون تقليدهم.

ولنقارن ثلاث آيات متشابهة تصف ثلاثة أقوام؛ وصفوا بالجهل:

أولاً: قوم نوح، الآية (٢٩) من سورة هود: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَلِكِنِّي أَرْكُكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾.

ثانياً: قوم لوط، الآية (٥٥) من سورة النمل: ﴿أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

ثالثاً: قوم موسى؛ بنو إسرائيل، الآية (١٣٨) من سورة الأعراف: ﴿أَجْعَلْ لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءِلَٰهَةٌ قَالِ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

فآية قوم نوح: جاءت في سياق طرد الذين آمنوا، والدعوة إلى الله .

وآية قوم لوط: جاءت في سياق الفاحشة.

وآية بني إسرائيل، جاءت في سياق الشرك، وعبادة الأصنام، وبما الشرك والارتداد الذي يطلبه بنو إسرائيل من أعظم الذنوب، وأعظم من الفاحشة؛ لذلك أكد بقسوة: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، وأما قوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: ففيها تأكيد أقل من التوكيد في: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، والتوكيد في: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، أقوى من: ﴿وَلِكِنِّي أَرْكُكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾.

إذن: مقابل الشرك (أعظم الذنوب): قال: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

مقابل الفاحشة (من الكبائر): قال: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

ومقابل طرد الذين آمنوا (بسبب السيئات): قال: ﴿وَلَا تَكْفُرُوا بِمَا كُنتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾.

[١٣٩] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُوا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿هَؤُلَاءِ﴾: الهاء: للتنبيه، أو لاء: اسم إشارة، يحمل معنى الذم، ويشير إلى القوم؛ الذين يعكفون على أصنام لهم.

﴿مُتَّبِعُوا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: التتبع: هو الهلاك.

﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: من عبادة الأصنام؛ أي: هؤلاء الذين يعكفون على أصنام لهم، هم وأصنامهم هالكون، خاسرون.

﴿وَنَظِلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: باطل زائل، لا يفيدهم، أو ينفعهم ذلك، لا في الدنيا، ولا في الآخرة، ويحبط شركهم هذا ما كانوا يعملون في الدنيا من الأعمال الصالحة ثواب لهم.

﴿مَا﴾: اسم موصول، أو حرف مصدري؛ أي: الذي كانوا يعملون، أو عملهم هذا باطل.

وإضافة ﴿كَانُوا﴾: بدلاً من قوله: (وباطل ما يعملون): تفيد التوكيد، وتفيد الدلالة على بطلان الذي يعملونه، سواء أكان في الماضي، أم الحاضر، أم المستقبل، (كان) هنا تشمل: الأزمنة الثلاثة.

[١٤٠] ﴿قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾:

﴿قَالَ﴾: موسى لبي إسرائيل.

﴿أَغَيَّرَ اللَّهُ﴾: الهمزة في أغير: همزة استفهام، وتعجب، وتوبيخ، واستغفار.

﴿أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾: ألتمس، أو أطلب لكم؛ أي: أأبغي لكم إلهاً غير الله؟!



فيها تهويل، وتعجب، واستنكار شديد، وقَدَم كلمة غير المفعول به؛ للاهتمام بدلاً من القول: (أبغىكم غير الله إلهاً).

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد، تعود على الله .

﴿فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: عالمي زمانهم ذاك؛ أي: على الأمم، أو الأقوام التي كانت تعيش في ذلك الزمن، ثم أراد أن يذكرهم ببعض نعمه عليهم، ومن أفضلها؛ نجاتهم من آل فرعون.

[١٤١] ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: ظرف زمان للماضي؛ أي: واذكروا إذ أنجيناكم، أو حين أنجيناكم.

﴿أَنْجَيْنَاكُمْ﴾: ولم يقل: نجيناكم، أو نجاكم؛ لأن أنجيناكم: تدل على السرعة في النجاة، والقوة، والشدة في عملية النجاة، من الغرق، وعبور البحر، أما نجيناكم، أو نجاكم؛ فتدل على طول الزمن، والبطء في عملية النجاة، كما في يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم.

﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: من أتباع وأعوان فرعون.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: يسومونكم: ييغونكم. ارجع إلى الآية (٤٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان، وسورة القصص آية (٤)، وسورة إبراهيم آية (٦١). ويسومونكم؛ تعني: يذيقونكم.

واختيرت هذه الكلمة؛ لأنها تجمع كل المعاني، وفرعون ابتغى لهم العذاب، وأذلهم وأعتهم، وآل فرعون أذاقوهم ونفذوا فيهم سوء العذاب، وسوء العذاب: أشده وأفظعه.

والسوء: هو كل ما يغم الإنسان من أمور الدنيا والآخرة، أو يسيء إلى النفس،

وسوء العذاب؛ يعني: الضرب، والشتم، والعنت إضافةً إلى ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾: ولم يقل: (يذبحون أبناءكم)؛ لأن الذبح نوع من أنواع القتل، ويقتلون: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على حكاية الحال؛ أي: لإظهار بشاعة القتل، وكأنك تراه أمام عينيك.

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾: من استحيا؛ أي: أبقاه على قيد الحياة؛ أي: يتركونهن أحياء؛ للخدمة، وللمتعة، وللذل.

﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: ذلكم: اسم إشارة، يشير إلى البعد؛ أي: إلى سوء العذاب، والقتل، والاستحياء، وكذلك النجاة من الغرق، وقوله: ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ﴾: ولم يقل: في ذلك، فذلكم: تفيد التوكيد، والتعدد.

﴿بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: البلاء: امتحان من ربكم، والبلاء، والابتلاء: يكون في الخير، والشر؛ لكي يرى أتشكرون، أم تكفرون؟ ولإقامة الحجة، والإقرار عليكم.

﴿عَظِيمٌ﴾: لشدة، وفظاعته، ليس فوقه بلاء؛ لما فيه من العذاب، والألم، وطول الزمن.

[١٤٢] ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِّمَّقَتٍ رَبِّهِ أَزْبَعِيكَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾: انتبه إلى واعدنا، غير وعدنا، الوعد: إذا كان بين طرفين، وقبل به كلا الطرفين، يقال: واعدنا.

وإذا كان الوعد من طرف واحد، يقال: وعدنا.

وهنا في هذه الآية؛ كانت المواعدة بين الله سبحانه، وموسى: أن الله سبحانه سينزل الألواح عليه بعد تمام ثلاثين ليلة، وأمره بصومها؛ فصامها، وقيل: كانت شهر ذي القعدة.



فلما أتم موسى الصيام؛ أنكر موسى رائحة فمه؛ فاستاك؛ فكان ذلك سبباً لزيادة العشر، وهذا تفسير قوله سبحانه: ﴿وَأَتَمَمْنَهَا عِشْرَ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾، وكانت هذه العشرة هي العشر الأوائل من شهر ذي الحجة.

ونحن نذكر في سورة البقرة الآية (٥١)، قال: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَلُ مِنْ بَعْدِهِ﴾، ولا تعارض بين الآيتين، فأية البقرة جاءت بالأسلوب الإجمالي، وآية الأعراف جاءت بالأسلوب التفصيلي.

وانتبه! إلى قوله: ﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾، أو ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾، ولم يقل: ثلاثين، أو أربعين يوماً؛ لأن العرب تحسب بالليالي، فأول الشهر يبدأ بليلة أول الشهر؛ لكونهم يعتمدون على الأهلة؛ فصارت الأيام تبعاً لليالي.

﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾: عندما عزم على الذهاب للطور؛ لتلقي الألواح، قال موسى لأخيه هارون: ﴿أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي﴾: أي: كن خليفتي في قومي؛ أي: راعياً لبني إسرائيل.

﴿وَأَصْلِحْ﴾: تفقد أحوالهم، وارفق بهم، وارعاهم، وحل خلافاتهم.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾: كيف يقول موسى لأخيه هارون النبي؛ الذي بعثه الله لمؤازرته هذا الكلام؟! وهو نبي، وكيف يتبع سبيل (طريق) المفسدين (بالشرك، والضلال، والباطل). ارجع إلى الآية (١٠٣) من نفس السورة؛ لبيان معنى المفسدين.

هذا يدل على أن موسى كان خائفاً أن تحدث فتنة، وخاصةً بعد أن رأى ما حدث من بني إسرائيل حين طلبوا منه أن يجعل لهم إلهاً، كما لهم آلهة بعد

نجاتهم من آل فرعون، ونجاتهم من الغرق؛ فكانه قد توقع حدوث فتنة بعد ذهابه، ويريد أن يحذر أخاه هارون؛ الذي يمتاز برأفة، ورحمة على بني إسرائيل. [١٤٣] ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿

﴿وَلَمَّا﴾: الواو: عاطفة، لما: ظرف زمان؛ بمعنى: حين.

﴿لِمِيقَاتِنَا﴾: اللام: الاختصاص. الميقات المكان: جانب الطور الأيمن، والزمان: (٤٠ ليلة).

﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾: عن قتادة قال: لما سمع موسى كلام الله له، طمع في الرؤيا؛ أي: اشتياقاً، والله أعلم بما دفعه للسؤال بذلك.

قال الحق سبحانه: ﴿لَنْ تَرَنِي﴾: لن: هذه تفيد نفي المستقبل، ولكن لا تفيد النفي المؤبد، كما قال بعض المفسرين سابقاً؛ أي: لن تراني في الحياة الدنيا، أما في الآخرة؛ فقد يرى الإنسان ربه، كما دلت على ذلك الآيات، والأحاديث، مثل قوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦].

ولو قال سبحانه: لن أرى؛ فهذا قد يعني في الدنيا، والآخرة.

وكذلك انتبه إلى قول موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾: فيها معنى: إن أريتني؛ فهذا من مشيئتكَ؛ أي: وهبت لي الطاقة على رؤيتك، وجاء جواب الله سبحانه لموسى بلطف وكرم، قال له: ﴿لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾: أي: إنه أراد أن يبين لموسى لِمَ لا يستطيع أن يراه، ويجب عليه أن ينتظر إلى الآخرة؛ كي يرى ربه، ولم يقل: لن تراني، وانتهى الكلام، ولا تسألني عن شيء بعدها، لكنه قال: ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾، ولكن: حرف استدراك.



﴿فَإِنْ أَسْتَقَرَّ مَكَانُهُ، فَسَوْفَ تَرَنِّي﴾: فإن: الفاء: للتعقيب، والمباشرة. إن: شرطية.

﴿أَسْتَقَرَّ مَكَانُهُ﴾: ثبت، ولم يتزلزل، أو يصبح مستوياً بالأرض.

﴿فَسَوْفَ تَرَنِّي﴾: الفاء: للتعقيب، سوف للمستقبل مع التراخي، ولماذا، جاء بسوف بدلاً من السين التي تدل على القرب في الزمان، وذلك لأن وقوع هذه الرؤية بعيدة المنال، ومستحيلة الحصول الآن.

وسوف: أكثر تأكيداً من السين.

سوف: للتراخي في الزمن، أو للبعد الزمني، والاستبعاد المعنوي؛ أي: أن يحدث ذلك الأمر قريباً.

﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾: فلما: الفاء: للتعقيب، والمباشرة. لَمَّا: ظرف زمني؛ بمعنى: حين.

﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾: ظهر وانكشف، بدء ظهور نوره، والجبل: أعظم من الطور حجماً وارتفاعاً وعرضاً.

﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾: صار الجبل مدكوكاً: مسحوقاً كالتراب، ومستوياً مع وجه الأرض، لم يعد له أثر ارتفاع على الأرض.

ومعنى دكه: جعله مساوياً، أو مستوياً مع الأرض.

يقال ناقة دكاء: أي: ذاهبة السنام، مستوية ظهرها؛ كأن سنامها دك.

وأصل دككت: أي: دقت.

﴿وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾: مغشياً عليه، أو مغمى عليه؛ أي: فاقداً لوعيه.

إذن: من رحمة الله بموسى: أنه لم يتمكن من رؤيته، ولو أصر موسى لحدث له مثل ما حدث للجبل، وعدم استطاعته رؤية ربه؛ لأصبح عقاباً له،

وليس رحمة له، وبمجرد أن تجلّى ربه للجبل؛ أصبح الجبل دكاً، وخرّ موسى صعقاً.

﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ﴾: الفاء: للتعقيب؛ لما: ظرفية زمانية؛ أي: حين: ﴿أَفَاقَ﴾: من غيوبته، وارتد إليه وعيه، وأفاق من صعقته.

﴿قَالَ سُبْحَنَكَ﴾: أي: أنزهك تنزيهاً من كل عيب، ونقص، وأنزهك عن الذي تصورته؛ أي: تصورت أنني أستطيع رؤيتك، وهذا لا يليق بذاتك سبحانه؛ أي: لا تشبه خلقك.

﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: وكان موسى شعر بالذنب بطلب الرؤية، وقد أخطأ، وشعر أنه قد دخل في زمرة الذين ما قدروا الله حق قدره.

وشعر أن ربه قد يبتعد عنه؛ فهو يريد العودة إلى ما كان عليه، وباب العودة معروف: هو التوبة أولاً؛ فلذلك نزه ربه وقال: تبّت إليك.

﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: أول المؤمنين بأن لن يراك أحدٌ من خلقك في الحياة الدنيا، أو أول المؤمنين من بني إسرائيل، أو أول المؤمنين في الإيمان، ودرجة الطاعة، وأول المؤمنين: لا تعني ترتيباً زمنياً؛ لأن هناك الكثير ممن آمن قبل موسى؛ مثل: آدم، ونوح، وإبراهيم عليهم السلام.

وانتبه! إلى قوله: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾، ولم يقل: إني تبّت إليك؛ لتدل على السرعة في التوبة.

وانتبه! إلى قوله: ﴿سُبْحَنَكَ﴾ أولاً؛ أي: نزه ربه أولاً؛ أي: أصلح ما قاله، ثم قال: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: أي: تاب ثانياً، ثم قال: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: عاد، وأعلن إيمانه.





سورة الأعراف ٧

الحجرات

قَالَ يَمْوَسِيَّ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي
 فَخُذْ مَاءً أَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا
 لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ
 شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ
 دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
 فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا
 بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا
 سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ
 الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ
 عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَيَرُوا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ
 سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ
 فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا
 رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

سورة الأعراف [الآيات ١٤٤ - ١٤٩]

[١٤٤] ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَاءً اتَّيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾:

﴿إِنِّي﴾: إن: للتوكيد.

﴿اصْطَفَيْتُكَ﴾: الاصطفاء: الاختيار من بين أشياء متشابهة؛ كأن تختار قلماً من بين مجموعة أقلام.

أما الاختيار يكون من بين أشياء غير متشابهة؛ كأن تختار قلماً من بين ورقة، وكتاب، وقلم، فالاصطفاء عملية أشد وأصعب من مجرد الاختيار، والاصطفاء يحدث بعد الاختيار، والاصطفاء يكون لأمر، أو فعل متميز فريد في نوعه ربما لم يحدث قبل مثل تكليم الله رب العالمين لموسى لأول مرة. فالاصطفاء أعلى درجة من الاختيار، والاجتماع يشبه الاصطفاء، ولكن يأتي في سياق الأفراد وليس في الأفعال كما هو الحال في الاصطفاء.

﴿عَلَى النَّاسِ﴾: أي: برسالاتي، جمع رسالة في العقيدة، والعبادات، والمعاملات؛ أي: الشرائع، والشرعة: هي المنهج، أو الرسالة، ومجموعها رسالات أو رسائل، والباء: تدل على الإلصاق، والتوكيد، وتقدير الجار والمجرور ﴿عَلَى النَّاسِ﴾: يفيد الحصر ﴿عَلَى النَّاسِ﴾؛ أي: اخترتك على الناس لتكون رسولاً إلى بني إسرائيل، برسالاتي: جمع رسالة؛ رسالة: التوحيد، والإيمان، والطاعة، والأخذ بالأوامر، وتجنب النواهي، والإيمان بالآخرة، ودعوة فرعون وقومه.

﴿وَبِكَلِمِي﴾: أي: تكليمي إياك من وراء حجاب؛ يعتبر اصطفاءً أيضاً.

﴿فَخُذْ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

﴿مَاءَ آتَيْتُكَ﴾: ما: اسم موصول، أو مصدرية؛ بمعنى: الذي آتيتك.

﴿مَاءَ آتَيْتُكَ﴾: من الألواح والرسالة، ولم يقل: ما أعطيتك. الإيتاء: ليس فيه تملك، كما هو الحال في العطاء، والإيتاء: أعم من العطاء؛ يشمل النواحي المادية، والحسية. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥١)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾: لله؛ لهذا الاصطفاء، والتكليم، والإكرام، وبيان معنى الشكر؛ ارجع إلى آية (١٠) في نفس السورة.

[١٤٥] ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾:

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ﴾: ولبني إسرائيل في الألواح، ولم يبين سبحانه عددها، والألواح قيل: هي غير التوراة، وغير الصحف التي أنزلت على موسى.

﴿مِنْ﴾: الاستغراقية، كل ما يحتاجه بنو إسرائيل في دينهم، ودنياهم.

﴿كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً﴾: الوعظ: هو النصيح بالترغيب، أو التهيب، أو كلاهما، والوعظ: هو القول الصدق الذي يؤثر في النفوس المؤمنة، وغير المؤمنة.

﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾: أي: تبياناً لكل شيء، بيان للأحكام المفصلة للحلال، والحرام، والأمر، والنهي، والحدود.

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة. بقوة: بجهد، وعزيمة؛ عزم على الطاعة، والعمل بالأوامر، وتجنب النواهي، وتدبر المواعظ، والأمثال.

﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾: أحسنها: هناك حسن وأحسن؛ أي: مبالغة في الحسن، على وزن أفعل، وكلها تعتبر حسنة، وأحسنها؛ أي: الأكثر ثواباً؛ مثال: القصاص النفس بالنفس، والعين بالعين، وأحسن من القصاص: العفو.

﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾: سأوريكم: السين: للاستقبال القريب.

﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾: وهي النار، ونحن نعلم: أن كل مخلوق سيرد

على النار؛ ليراها، وهي دار الفاسقين؛ لقوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].

وقد تعني: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾: في الدنيا، دار الفاسقين، مساكن الذين كفروا، وعصوا الرسل، أمثال: فرعون وأتباعه، وقوم عاد، وثمود، ولوط؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ يُؤْتِيهِمْ حَاوِيَةً يُبَاطِلُوهَا﴾ [النمل: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ مَسْكَنُهُمْ لَا تُسْكِنُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [القصص: ٥٨]، ولمعرفة معنى الفاسقين: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٦).

[١٤٦] ﴿سَاصْرِفْ عَنْ عَائِنِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّاءَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعُغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بَعَايِنَتَنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾: ﴿سَاصْرِفْ﴾: سأبعد، والسين: للاستقبال القريب.

﴿سَاصْرِفْ عَنْ عَائِنِي﴾: أي: أصرفهم عنها، فلا يتأملونها، ولا يعتبرون بها، ولا يصدقونها، أو يعملون بها، والصرف يكون بالغفلة، أو الطبع أو المنع.

﴿عَائِنِي﴾: تشمل الآيات القرآنية، أو الكونية، أو المعجزات.

وإضافة الآيات إليه بقوله: ﴿عَائِنِي﴾: تدل على أهمية، وشرف هذه الآيات ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: يتكبرون عن طاعتي، ويتكبرون على الناس بغير حق، وعن الإيمان، والتصديق برسلي.

والمتكبر: هو من أظهر عظم شأنه فوق ما يستحق، ولا يملك من مقومات الكبر: الغنى، والقوة، والسلطة، والجاه شيئاً.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: والسؤال هنا: هل هناك تكبر بحق؟ نعم، التكبر بالحق، لله وحده فقط، وكل من دون الله تعالى؛ فهو يتكبر بغير حق، أو حين يستكبر إنسان؛ لحماية الضعيف، أو يفعل ذلك لكف ظالم عن ظلمه.



﴿وَإِنْ﴾: شرطية؛ تفيد القلة أو الاحتمال.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾: مع كثرة الآيات لا يؤمنون بأي آية منها.

﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾: سبيل الرشـد: طريق الهدى، والسداد، والصواب، والاستقامة في أمور الدنيا والدين؛ أي: في الأمور الدنيوية والأخروية والاهتداء لا يسلكونه. ارجع إلى سورة النساء، آية (٦)؛ لمزيد من البيان عن الرشـد.

﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾: سبيل الغي، طريق الضلال
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾: ذلك الصرف عن آيات الله أولاً؛ بسبب تكذيبهم بآيات الله المنزلة في التوراة، والآيات الكونية، أو المعجزات. وثانياً: ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾: غير عاملين بها، أو مبالين بها، ونسوها، ولم يعدوا يذكرونها؛ بسبب الطبع على قلوبهم، أو بسبب الكبر، والتكذيب؛ فالذين يصرفون عن آيات الله هم الذين يتكبرون في الأرض بغير حق. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان عن معنى غافلين.

قد يظن قارئ أنه يكفي قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾؛ أنه سيسلك سبيل الغي إذا لم يسلك سبيل الرشـد، والحقيقة: أن ذلك لا يكفي؛ لأن من يعرض، ويتعد عن سبيل الرشـد؛ قد لا يسلك سبيل الغي حتماً، فهو قد لا يسلك لا سبيل الرشـد، ولا سبيل الغي، بل يقف على الحياد. ولكي يؤكّد على كونه لم يقف على الحياد، ويلغي ذلك الظن صرح بأنه سلك سبيل الغي.

[١٤٧] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الـذم.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: المنزلة على رسلنا، ولم يؤمنوا بها؛ أي: الآيات المنزلة في الكتب السماوية، أو المعجزات، أو الآيات الكونية الدالة على عظمة الخالق، ووحدانيته.

﴿وَلَفَكَاءَ الْأَخِرَةِ﴾: ولم يصدّقوا بالبعث، والحساب، والجزاء.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: بطلت أعمالهم التي عملوها في الدنيا. أعمالهم الحسنة: كالصدقات، والإحسان، وذهبت سدى؛ لفقدان شرط القبول: وهو الإيمان؛ أي: بسبب كفرهم، أو شركهم، أو عدم الإيمان. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢١٧)؛ لبيان معنى حبطت.

﴿هَلْ﴾: للاستفهام، والنفي.

﴿يُجْزَوْنَ﴾: الجزاء يكون مطابقاً للعمل، والعمل يشمل القول والفعل معاً.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ولن يظلمهم الله مثقال ذرة.

[١٤٨] ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلاً جَسَداً لَّهُمْ خُوراً أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾
﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾: اتخذ: من أفعال التصيير.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد أن تركهم؛ ذاهباً إلى جبل الطور؛ لتلقي الألواح.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلاً جَسَداً لَّهُمْ خُوراً أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾:

﴿وَاتَّخَذَ﴾: أي: صيروا، أو صنعوا من حليهم. الحلي هنا هي: الذهب، والفضة، وقال: ﴿حُلِيِّهِمْ﴾: حلي بني إسرائيل، وحلي القبط التي استعاروها منهم، وبقيت عندهم بعد عيدهم، والذي اتخذ من حليهم عجلاً: هو السامري،



وعبر بالقوم بدلاً من السامري؛ لأنهم شاركوا في الجريمة بإعطائهم الحلي له، ولم يعيدوها إلى أصحابها.

واتخذ: من الأفعال المتعدية؛ أي: لها مفعولان؛ فالمفعول الأول: هو ﴿عَجَلًا﴾، والثاني: محذوف تقديره: إلهًا، وفي جميع القرآن يحذف المفعول الثاني، وهو إلهًا؛ لأن هذا الإله لا يستحق أن يذكر اسمه لكونه عجلًا، أو صنمًا، أو وثناً.

﴿عَجَلًا جَسَدًا﴾: أي: مجرد تمثال على هيئة العجل. جسدًا: يعني: لا روح فيه.

﴿لَمْخَوَارُ﴾: الخوار: هو صوت البقر.

واختار السامري العجل بدلاً من غيره؛ لأن قوم موسى رأوا المصريين القدامى، وغيرهم يعبدون العجل.

﴿الَّذِينَ يَرَوْنَ﴾: ألم: الهمزة للاستفهام، والإنكار، والتعجب.

﴿يَرَوْنَ﴾: الرؤية هنا: رؤية بصرية، أو عينية حقيقية.

﴿أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ﴾: أنه: للتوكيد، لا: النافية، يكلمهم: ولو بكلمة واحدة، فكيف يعقل أن يكون إلهًا لا يتكلم، وكيف يهديهم إلى أي: سبيل، وهو لا يتكلم؟!

﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ﴾: تكرار لا: لزيادة النفي.

﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾: إذا ضلوا، وانحرفوا عن الهدى، والصواب. سبيلًا: نكرة تشمل أي سبيل. لا يهديهم؛ أي: سبيل يمكن أن ينقذهم من ضلالهم، وغيرهم.

﴿اتَّخَذُوهُ﴾: صيروه، وجعلوه إلهًا من جهلهم.

﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾: أي: كانوا مشركين؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ولمعرفة معنى الظلم: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٤).

وكانوا ظالمين لأنفسهم ولغيرهم؛ لأنهم أوردوها مورد الهلاك.



والظلم: الخروج عن منهج الله؛ فكل من يخرج عن منهج الله تعالى يُعدُّ ظالماً لنفسه.

[١٤٩] ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

﴿وَلَمَّا سَقَطَ﴾: لما: ظرفية زمانية؛ بمعنى: وحين بعد رجوع موسى إليهم.

﴿سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾: لها تفسيران: يقال للنادم: سقط في يده؛ أي: سقط الندم في يده؛ أي: في قلبه؛ فالسقوط هو الندم، والسقوط بمعنى الوقوع، والسقوط أعم من الوقوع؛ أي: وقعت بهم الشدائد والمصائب.

التفسير الأول: ولما سقط (الندم) في أيديهم؛ أي: في أنفسهم؛ أي: بعد أن تبينوا جريمتهم؛ باتخاذ العجل؛ ندموا ندماً شديداً على شركهم، وكان ذلك بعد رجوع موسى، والسقوط يدل على السرعة، وشعروا بالندم بسرعة على ما فعلته أيديهم، وقالوا: ﴿لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

التفسير الثاني: النادم أحياناً يعرض على يده من شدة الندم، ويقال للرجل النادم على ما فرط: قد سقط في يده؛ أي: في نفسه؛ لأن اليد كانت هي السبب في الفعل السيئ.

﴿لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٣) من سورة الأعراف؛ للبيان، ولمعرفة الفرق بين دعاء بني إسرائيل هذا ودعاء نوح وآدم، وقدّموا الرحمة على المغفرة؛ لأن الرحمة أعم وأوسع من المغفرة، والمغفرة تأتي بعد الرحمة، فمن لا يرحمه ربه لا يغفر له، وأكّدوا خسارتهم في الدنيا والآخرة باستعمال لام التوكيد في كلمة (لئن)، والنون في (نكونن).





سُورَةُ الْأَنْكَافِ ٧

الجزء التاسع

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ بَلِّسَمَا خَلَفْتُمُونِي
مِنْ بَعْدِي ۖ أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَالْقَىٰ الْأَلْوَا حَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ
أَخِيهِ يَمْرُؤَهُ ۖ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا
يَقْتُلُونَنِي فَلَا تَشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي
رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا
الْعِجْلَ سَيْنًا لَهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ
تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَا حَ وَفِي
نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَاخْتَارَ
مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ
قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتَّهِلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي
مَن تَشَاءُ ۖ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾

سورة الأعراف [الآيات ١٥٠ - ١٥٥]

[١٥٠] ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسِفًا قَالَ إِنَّ سَمًا خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو: عاطفة. لما: ظرف زماني؛ بمعنى: حين.

﴿رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ﴾: من بعد استلام الألواح، والميقات. غضبان: على وزن فعلان ملآن غضباً، صيغة مبالغة؛ أي: شديد الغضب؛ لما فعله السامري وقومه من بعده.

﴿أَسِفًا﴾: الأسف: هو الحزن، والغضب معاً.

وأسفًا: صيغة مبالغة؛ تدل على الحزن الشديد، مع الغضب الشديد.

حين تقول: أنا آسف: يعني آسف عادي، وأنا آسف: صيغة مبالغة، أو أسفًا شديداً.

﴿قَالَ إِنَّ سَمًا خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾: بئس: من أفعال الذم؛ أي: بئس الخلافة، والخليفة: هو من استخلف في أمر مكان من كان قبله، أو بئس شيئاً خلفتموني من بعدي؛ إذ عبدتم العجل، أو بئس الشيء خلفتموني من بعدي. كان يكفي خلفتموني، وإضافة من بعدي؛ أي: من بعد ذهابي إلى الطور، أو من بعد حذرتكم منه، وتدل على فظاعة وسوء ما فعلوا بعد غيابه من الضلال واتخاذ العجل، واستعمال (من) بدلاً من (الذي): لزيادة الإبهام على السامع، بينما الذي تستعمل للشيء المحدد على السامع، والخطاب موجه إلى من التقى بهم بعد رجوعه بمن فيهم أخوه هارون.



﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري، وعجل الأمر؛ أي: لم يتممه، وتركه ناقصاً.

﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾: قال ابن عباس: أعجلتم ميعاد ربكم، فلم تصبروا (٤٠ ليلة) على عودتي، أو تحافظوا على وصيتي لكم (٤٠ ليلة)؛ فعبدت العجل، أو لم تنتظروا أمر ربكم؛ حتى آتيكم بالتوراة، أو استبطأتموني، وظننتم أن لن أرجع إليكم.

﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ﴾:

﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ﴾: من شدة غضبه، وأسفه، ودهشته، وتكسر بعضها.

﴿قَالَ ابْنَ أُمِّ﴾: ولم يقل: ابن الأب؛ لأن أبا موسى وهارون ليس له خبر، أو ذكر في قصة موسى، وكل الآيات تتعلق بأم موسى، بعكس قصة يوسف: الأب هو المحور، وجاء ذكره في كل الآيات، ولم تذكر أم يوسف في أي آية.

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾، وفي سورة طه، آية (٩٤) قال: ﴿يَبْنُوهُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾: ذوائبه.

﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾: أي: بشعري؛ أي: برأس أخيه، ولحيته يجره إليه؛ حيث ظن موسى أن أخاه هارون عصي الله؛ لبقائه معهم، ولم يلحق به، وبين هذا في سورة طه، الآيتان (٩٢-٩٣)، قال: ﴿قَالَ يَنْهَرُونَ مِمَّنْ مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾.

﴿قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِالْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾:

قال هارون لموسى: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي﴾: أي: استذلوني، ولم يطيعوني.

﴿وَكَادُوا﴾: من أفعال المقاربة.

﴿يَقُولُونَ﴾: هذا يدل على أنه قد قاومهم، وخاصمهم، ولم يكن راضياً عما فعلوه.

﴿فَإِلَّا﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب. لا: الناهية.

﴿كُتِبَتْ لِي الْأَعْدَاءُ﴾: الشماتة هي إظهار الفرح بمصيبة تقع بخصم، والأعداء هم القوم الذين اتخذوا العجل.

﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: ولم يقل: في القوم الظالمين؛ لأنه لم يكن في السابق، ولا في الحال، ولم يكن قط في زمرة الظالمين؛ أي: المشركين، أو الذين ظلموا أنفسهم بعبادة العجل؛ أي: لا تجعلني مع زمرة الظالمين، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٩٤) في سورة طه وهي قوله تعالى على لسان هارون: ﴿يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذُ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾: نجد في آية طه جاءت بالسبب؛ سبب عدم تدخل هارون بشكل صارم بعدا اتخاذهم العجل، وفي آية الانحراف: يحذر هارون موسى؛ النتيجة: نتيجة جره من لحيته أمام الناس، وعدم الظن السيء به.

[١٥١] ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾:

بعد أن سمع اعتذار أخيه، وأنه حاول صدّهم عن اتخاذ العجل؛ راح موسى يستغفر الله لنفسه ما قاله، وفعله بأخيه هارون، ويستغفر لأخيه كذلك عما حدث منه من تقصير في صدّ قومه عن عبادتهم للعجل، ويسأل ربه أن يدخلهما في رحمته، ويقول: ﴿فِي﴾: الظرفية، ﴿رَحْمَتِكَ﴾: أي: هو وأخوه، كان سابقاً في رحمة الله؛ أي: وأدخلنا في رحمة أخرى، أو رحمة جديدة.

﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾: الراحمين: جمع راحم، فهناك من البشر من يرحم، ولكن الله سبحانه هو أعظم الراحمين، أو أفضلهم.

﴿أَرْحَمُ﴾: على وزن أفعل، ومن يرحم الناس يسمّى: رحيماً، وراحماً، فالله سبحانه أوصى خلقه بالتراحم، كما كتب على نفسه الرحمة، وكما ورد في



الحديث الذي رواه أبو هريرة، قال رسول الله ﷺ: «من لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ» [متفق عليه]، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٥٥) في نفس السورة وهي قوله تعالى على لسان موسى: ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾: نجد أن في آية الاعراف (١٥١) قال موسى: (رب اغفر لي ولأخي، وفي الآية (١٥٥) قال موسى: (فاغفر لنا) إذن طلب المغفرة في كلا الآيتين، والمغفرة تدل على ذنب كبير، أو صغير، وطلب الرحمة في كلا الآيتين، وفي الآية (١٥٥) ذكر خير الغافرين؛ لأن ذنب الذين اتخذوا العجل كان أعظم مما حدث بين هارون وموسى.

[١٥٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾: اتخذوا: من أفعال التحويل، والتصيير؛ أي: اتخذوا العجل إلهاً.

﴿سَيَنَالُهُمْ﴾: السين: للمستقبل القريب؛ أي: في الدنيا.

﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾: عذاب من ربهم، وهو ما أمرهم به، من قتل الذين اتخذوا العجل.

﴿وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: خروجهم من ديارهم، وتشردهم: بالقتل، والجلاء، والجزية ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١].

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾: جمع مفتر: وهو الذي يخلق الكذب المتعمد؛ أي: كما جزيناهم بالغضب، والذلة؛ نجزي المفتريين على الله الكذب، والمشركين بالله، والفرية مثل ما عمل السامري نجزي المفتريين؛ أمثال: السامري... وغيره.

[١٥٣] ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

هذه الآية تشير إلى حكم عام، أما من اتخذوا العجل فكانت توبتهم قتل أنفسهم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٤).

وَأما ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾: فقليل: الصغائر والكبائر.

﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا﴾: من بعدها؛ أي: السيئات، وندموا على ما فعلوا، وعزموا على ألا يعودوا إليها، وأصلحوا ما أفسدوا، وأكثروا من النوافل. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦-١٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَأَمَنُوا﴾: أخلصوا إيمانهم لله، ولم يشركوا به شيئاً.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾: بعد تلك السيئات ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. إن: للتوكيد.

أو ﴿بَعْدِهَا﴾: من بعد التوبة، وتطبيق شروطها.

﴿لَغَفُورٌ﴾: اللام: تدل على التوكيد.

﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: ارجع إلى الآية (٥٤) من سورة الأنعام؛ للبيان.

ولم يقل: لغفور رحيم لهم، بل جعل صفة الرحمة والمغفرة عامة، وشاملة، ولم يقيد بها بهم فقط.

[١٥٤] ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ ۖ وَفِي نُحُوتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِأَرْبِهِمْ يَرْهَبُونَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو: استثنائية. لما: ظرف زماني؛ يعني: حين.

﴿سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾: شبه الغضب بشيء يثير موسى، ويهيجه؛

فلما سكت عن موسى الغضب؛ أي: زال وانتهى، أو سكن؛ فالغضب جعله يلقي



الألواح، يأخذ برأس أخيه، ثم جاءت مرحلة الاستغفار، والألواح ما زالت ملقاة على الأرض، أخذ الألواح التي ألقاها.

﴿وَفِي نُصْحَتِهَا هُدًى﴾: أي: ما كتب فيها هدى، مصدر هدى، أو هو هدى يهدي للحق، والخير، ويهدي للغاية الموصلة إلى السعادة، والكمال في الدارين. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: الرحمة: جلب ما ينفع، ودفع ما يضر، وتعني النعم، أو الأنعام على المحتاج.

﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ﴾: للذين: اللام: لام الاختصاص، والتوكيد. هم: لزيادة التوكيد، والمبالغة.

﴿يَزْهَبُونَ﴾: يخافون، والرغبة: هي الخوف الذي يمتد طويلاً، مع توقع العقوبة بعلم؛ أي: من دون شك؛ الخوف الذي يصاحبه ازدياد في نبضات القلب، واللجوء إلى الهرب؛ لتجنب وقوع العقوبة.

[١٥٥] ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتْلُو أَسْمَاءَهُمْ إِنِّي بِمَا فَعَلَ الْأَسْفَهَاءُ مِنَّا إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾: ولم يقل: من قومه؛ لأن من اختارهم موسى هم خيرة القوم، أو هم مختارون سابقاً من القوم، ولم يختَر غيرهم؛ أي: ممثلو القوم وسادتهم، وربما اختار موسى عدة؛ أي: عدد قليل جداً لم يغيروا المشهد.

﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾: يمثلون قومه؛ للاعتذار عن عبادة العجل، واتخاذها إلهاً.

﴿لِّمِيقَاتِنَا﴾: اللام: لام الاختصاص، ميقاتنا: الميقات الزماني، والمكاني للحضور، ويعني: لميقاتنا الثاني. الميقات الأول: حين استلم الألواح، وهذا الميقات: للاعتذار للرب.

﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، لما: ظرفية، زمانية؛

تعني: حين. أخذتهم الرجفة: أصابتهم الزلزلة الشديدة المرعبة حين سألوا موسى، وقالوا: أرنا الله جهرة..

﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي﴾: قال موسى: رب لو: حرف امتناع لامتناع، ولم يقل: يا رب؛ لأنه يعلم أن ربه قريب منه، ولم يستعمل ياء النداء.

﴿أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي﴾: من قبل مجيئنا للميقات، وإذا قارنا هذه الآية بالآية (٩) من سورة النحل: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ نرى أنه سبحانه أكد على الهداية، ولم يؤكد على الهلاك؛ لأن الهداية أهم أو أصعب من الهلاك.

﴿أَهْلَكْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾: أهلكنا: الهمزة: للاستفهام، والاستعطاف.

﴿بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾: الذين طلبوا رؤية الله سفهاً وجهلاً، أو قيل: الذين عبدوا العجل؛ أمثال: السامري، وأصحابه، أو كلاهما، وتشمل كل السفهاء.

﴿بِمَا﴾: الباء: للتعليل، أو الإلصاق، وما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾:

﴿إِنْ﴾: حرف نفي؛ أي: ما هي إلا فتنتك.

﴿هِيَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿إِلَّا﴾: للحصر، والتوكيد.

﴿فِتْنَتُكَ﴾: ابتلاؤك، واختبارك. ارجع إلى سورة العنكبوت، آية (٢)؛

لمزيد من البيان عن الفتنة.

﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾: تضل بهذه الفتنة من أرادوا الضلال منهم، واختار

لنفسه طريق الضلال؛ فهم أعطوا حق الاختيار؛ فاختروا اتخاذ العجل بأنفسهم.



﴿وَتَهْدِي مَنْ شَاءَ﴾: تهدي من أراد، أو طلب الهداية؛ أي: من رفض اتخاذ العجل إلهاً، وآمن بالله، ولم يشرك به.

﴿أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾:

﴿أَنْتَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿وَلِيْنَا﴾: المتولي لأمرنا، والمدبر لها، وحافظنا، والمعين لنا.

﴿فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾: الفاء: للتوكيد، والترتيب، والتعقيب.

﴿فَاعْفِرْ لَنَا﴾: الغفر: هو الستر؛ أي: استر ذنوبنا، وامحها.

﴿وَارْحَمْنَا﴾: طلب الرحمة بعد الغفران، وتعني: أنعم علينا من نعمك، وقنا السيئات، والرحمة تعني: جلب ما يسر، ودفع ما يضر.

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾: جمع غافر، من فعل غفر؛ أي: ستر، والمغفرة معناها: ستر الذنب، الغفور الذي يستر الذنوب والمعاصي، ولا يفضح صاحبها، ولا يعاقبه عليها، ويجازيه على ما قام به من أعمال صالحة (حسناته)، فلا يطرح السيئات من الحسنات.

وأما العفو: فهو الذي يسقط الذنب (يترك العقوبة)، ولا يقتضي إيجاب الثواب، وقد تمنى عليه بعفوك له، وتذكره به؛ لأنه ربما كان لا يستحق العفو.

وأما الصفح: فهو العفو مع ترك المن، وعدم ذكر الزلة لصاحبها؛ أي: ترك العقوبة، والمن، وعدم ذكر ذلك له.

أما بالنسبة للتدرج فكما يلي:

العفو: إسقاط الذنب، أو ترك العقوبة، ولا يقتضي الثواب.

الغفران: العفو مع إعطائه ثواب أعماله الحسنة.

الصفح: العفو مع عدم المن عليه بالعفو (ترك اللوم)، والصفح أبلغ من العفو.

والغفار: صيغة مبالغة؛ أي: كثير المغفرة كمّا؛ أي: يغفر الذنوب الكثيرة مهما كثرت وتعدّدت، أو تجددت.

الغفور: صيغة مبالغة كثير الغفر. قيل: يغفر الذنوب العظام؛ (صيغة مبالغة)؛ أي: يغفر الذنوب مهما كان نوعها إلا الكفر والشرك إذا لم يتب قبل موته، وتعني دوام المغفرة.

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾: أنت: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾: أفضل الغافرين، والغافرين: جمع غافر، وغافر يعني: الساتر للذنوب، ولا يعاقبه عليه، إضافةً إلى ذلك يعطي لمن غفر له؛ ثواب أعماله الحسنة.

﴿خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾: معنى ذلك: أن هناك من الخلق من يغفر لغيره من الناس، ولا يعاقبه على ذنبه بأسباب، أو بغير أسباب؛ كأن يغفر له خوفاً منه، أو سمعة، أو رياء، أو صدقاً، وابتغاء وجه الله تعالى.

فكيف يدخل الله سبحانه ذاته مع خلقه في صفة الغفر، أو الخلق: خير الخالقين، أو الرزق: خير الرازقين، والوارثين، والحاكمين؟

والجواب على هذا: هو أولاً: إعطاؤهم هذه الصفات هي من فضله وإحسانه، أو وصفهم بهذه الصفات هي من فيض إحسانه، وفضله.

ثانياً: وإن أعطوا هذه الصفات فهم عرضة للأغيار؛ فهي صفات غير دائمة؛ أي: زائلة بمجرد موتهم، وهي محدودة غير مطلقة، بينما صفات الخالق مثل الغفر والرحمة والرزق: صفات لا تتغير، أو تتبدل مطلقة غير محدودة، ودائمة غير زائلة منذ الأزل إلى الأبد.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧

الْأَنْعَامِ

وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا نَالِيكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

سورة الأعراف [الآيات ١٥٦ - ١٥٩]

[١٥٦] ﴿وَكَتُبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَكَتُبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: واكتب: أي: آتينا، وشرع لنا في هذه الدنيا حسنة. لنا: خاصّة في هذه الدنيا. حسنة: لمعرفة معنى حسنة ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٠١).

﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾: الجنة، والرضوان، والنعيم المقيم.

﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾: هاد؛ أي: رجع، وهدنا إلي: رجعنا إليك؛ أي: تبنا إليك، هذا كلام يعبر به موسى عن نفسه، وأخيه، وقومه، وخاصّة الذين عبدوا العجل؛ أي: تبنا إليك؛ فأنت أكرم من أن تردّنا خائبين.

﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾: أي: إذا أذنب العبد ذنباً؛ فأنا أعذبه، أو أغفر له، وقوله تعالى: ﴿عَذَابِي﴾: فيه تحذير شديد حيث نسب العذاب له تعالى.

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾: ورحمتي؛ أي: في الدنيا وسعت كلّ شيء؛ أي: تشمل الطائع، والعاصي، والمؤمن، والكافر، وكل شيء خلقه، ووسعت الذنوب جميعاً؛ إذا تاب العبد، وأناب إلى ربه.

﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾:



﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾: الفاء: للتوكيد، والسين: للاستقبال القريب، والكتابة؛ تعني: رحمتي أمنحها أو أوتيها، والكتابة تحصل قبل، أو قيد العطاء، أو العقد المحقق حصوله وفيها معنى العهد، والله لا يخلف عهده.

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق؛ أي: رحمتي وسعت كل شيء في الدنيا، ولكن هذه الرحمة سوف تنتهي بالنسبة للكافرين متى توفتهم رسلنا، ولكنها رحمة مستمرة للمؤمنين، فسأكتبها في الآخرة: ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: (أي: الشرك والمعاصي) بامثال أوامر الله تعالى، وتجنب نواهيه.

﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ﴾: هم: ضمير منفصل؛ يفيد: التوكيد.

﴿يَتَّبِعُنَا﴾: التشريعية، والكونية، والمعجزات.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون.

وجاءت: ﴿يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ يَتَّبِعُنَا يُؤْمِنُونَ﴾: بصيغة المضارع: للدلالة على الاستمرار، والتجدد.

[١٥٧] ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

المناسبة: بعد أن ذكر الله مستحقي رحمته الذين يتقون، ويؤتون الزكاة، والذين هم بآياته يؤمنون.

روى عن ابن عباس: اليهود قالوا: نحن مستحقو هذه الرحمة، فجاء الرد:



لو كنتم مستحقّي هذه الرحمة؛ لأمنتُم بمحمد ﷺ؛ لأن من تعاليم التوراة: أن تتبعوا الرسول النبي الأمي؛ الذي تجدونه مكتوباً عندكم.

﴿فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾: اسمه، ووصفه؛ النبي الأمي؛ أي: الذي لا يكتب.

والأمي: كما في لسان العرب لابن منظور: هو الذي لا يكتب، وليس كما هو متداول بين الناس: أن الأمي الذي لا يقرأ، ما يتلى عليه؛ أي: يتلو عن سماع، وأحسن من قرأ القرآن هم الأميون.

وكما وصفه ربه بأنه يأمرهم المعروف؛ أي: الموافق لما أمر به الشرع، وتعارفت عليه الأمة، أو تعني ما يجدونه في التوراة، والإنجيل يأمرهم باتباع محمد ﷺ، وكذلك يأمرهم بالمعروف.

﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: مثل الشرك، والباطل، وما تنكر صحته العقول السليمة، والشرع.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾: جمع طيب، والطيب: هو الحلال الطاهر.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾: جمع خبيثة؛ مثل: الميتة، والسدوم، ولحم الخنزير، والربا، والرشوة، والمال الحرام.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾: الإصر: الثقل الذي يأصر صاحبه؛ أي: يحبسه من الحركة أو يحمله على ظهره؛ ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٨٦)؛ لمزيد من البيان في معنى الإصر.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ﴾: أي: يحطها عنهم؛ أي: يخفف عنهم؛ كقوله تعالى:



﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

والإصر؛ قد يعني: العهد المؤكد بيمين، أو قسم.

﴿وَالْأَغْلَلَ أَلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾: القيود، أو التكاليف الشاقة في الشريعة؛ مثل: الزكاة (٢.٥٪)، تحريم العمل في السبت، القصاص بالقتل فقط، وليس بالدية، أو التسامح، إزالة النجاسة: بقطع طرف أو جزء من الثوب النجس، والأغلال: جمع غل: هو القيد الذي تربط به يد الجاني إلى عنقه، والمراد بها التكاليف الشاقة في الشريعة.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾: به: تعود على محمد ﷺ.

﴿وَعَزَّزُوهُ﴾: أيّدوه، وعظّموه؛ أي: منعوه؛ حتى لا يقوى عليه عدوه؛ أي: حاموا عنه: دافعوا عنه.

﴿وَنَصَرُوهُ﴾: من النصرة على أعدائه.

﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾: أي: القرآن أنزل معه.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: أولئك: اسم إشارة للبعد؛ يفيد التعظيم؛ أي: إذا كان هناك مفلحون؛ فهم حقاً المفلحون.

﴿هُمُ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد القصر، والتوكيد، والمبالغة.

﴿الْمُفْلِحُونَ﴾: الفلاح: الفوز، الظفر بالمرغوب، والدخول إلى الجنة.

ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥)؛ لمزيد من البيان.

[١٥٨] ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٢٠٨﴾

﴿قُلْ﴾: خطاب للنبي ﷺ.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾: أداة نداء، والهاء: للتنبيه، والناس: كافة الإنس والجن.

﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾: للتوكيد، رسول الله تعالى.

﴿إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾: إلى الناس جميعاً: للتوكيد كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبا: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، والسؤال هنا: لماذا جاءت (١٥٨-١٥٧) التي تخص رسول الله ﷺ في خضم آيات بني إسرائيل؟ لأن اليهود جحدوا بنبوة محمد ﷺ فذكرهم الله سبحانه بأنه مالك السموات والأرض، وأنه أعلم حيث يجعل رسالته، وهو الذي يحيي ويميت.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: الذي: اسم موصول؛ يفيد المدح، والتعظيم له.

﴿لَهُ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: له وحده حكم السموات والأرض.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا: نافية.

إله: اسم بمعنى: مألوه؛ أي: معبود، ولا معبود إلا هو، فما دام الوجود كله، السموات والأرض لله؛ فهو الأولي، والأحق: أن يعبد، وقمة العبادة: هي أن تشهد أن لا إله إلا الله، وما دام كونه إلهاً، فلا بُدَّ أن يطاع، ولا يطاع إلا بما شرعه؛



أي: بمنهجه، وأول المنهج وقمته التوحيد، ولا أحد غيره يحيي ويميت. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿إِلَهَ﴾: اسم بمعنى: مألوه؛ أي: معبود، ولا معبود إلا هو.

﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: هو الذي يحيي، ويميت: صفة لا يشاركه فيها أحد من خلقه؛ أي: ماذا بعد الإقرار بوحداية الله، وعبوديته؛ إلا الإيمان.

﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾: دعوة إلى الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ، النبي، الأمي. ارجع إلى الآية (١٥٧) من نفس السورة، والآية (٨) من سورة البقرة.

﴿الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ﴾: أي: آمنوا بمحمد ﷺ النبي الأمي؛ الذي يؤمن بوحداية الله، وبكل أركان الإيمان وفروعه.

﴿وَكَلِمَتِهِ﴾: أي: ما تضمنته كتبه: القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، ورسائله.

﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾: اتبعوا هديه، وسنته، اتبعوا الإسلام.

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لعل أداة ترجح، أو للتعليل.

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لعلكم: لعل: للتعليل؛ أي: إذا اتبعتم أسباب الهداية الخاصة، والعامة، وآمنتم بالله، ورسوله، النبي، الأمي، وسألتم الله العون، فستهدون.

[١٥٩] ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾:

﴿وَمِنْ﴾: من للابتداء، والتبعض، وتعني: ليس كل قوم موسى من بني إسرائيل.

﴿قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾: يرشدون الناس، ويهدونهم إلى الإيمان الصحيح، وطاعة الله، وعبادته، والعمل بالتوراة، وما أنزل الله فيها.

﴿بِالْحَقِّ﴾: بالوحي، أو التوراة، أو ما أنزل الله عليهم.

﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾: به: تعود على التوراة، أو ما أنزل إليهم من ربهم، وبالحق يحكمون بين الناس؛ أي: يعدلون في الحكم.

﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾: ولم يقل: بالحق يعدلون، بل قال: ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾؛ لأن الحديث عن بني إسرائيل، وضلالهم، وعنادهم، ومعلوم: أن إعادة الاسم الظاهر أقوى وأبلغ من الضمير، فقله: ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ وبالحق يعدلون: أبلغ، وأقوى في النفس من قوله: ﴿بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.

﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾: وذلك؛ لأن الخطاب إلى بني إسرائيل، وكذلك كرر هذه حين قال في الآية (١٨١): ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.





سورة النمل ٧

سورة النمل

وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى
إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ وَآتٍ أَضْرِبُ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ
فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ
وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا
ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ
قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ
شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ
لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾
فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ
فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ
حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ
حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ
لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

سورة الأعراف [الآيات ١٦٠ - ١٦٣]

[١٦٠] ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أَثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ﴾: القطع: الفصل بينهم بشكل ظاهر؛ أي: صيرناهم اثنتي عشرة أسباطاً؛ أي: اثنتي عشرة قبيلة.

السبط في بني إسرائيل يعادل قبيلة عند العرب.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أَثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾:

﴿وَأَوْحَيْنَا﴾: الوحي: هو إعلام بخفاء، أعلمنا موسى بطريق الوحي. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لبيان معنى (أوحينا)، وتم هذا الإيحاء إلى موسى، وهم في التيه.

﴿وَإِذِ﴾: ظرفية، زمانية؛ بمعنى: حين.

﴿اسْتَسْقَاهُ﴾: الألف، والسين، والتاء؛ تعني: الطلب؛ أي: حين طلب قوم موسى من موسى الماء للسقيا للشرب.

وهذا الطلب يعد المرحلة الأولى، وبعدها جاءت الآية (٦٠) في سورة



البقرة: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ ﴿٦٠﴾ موسى طلب السقيا من الله تعالى؛ فأوحى إليه أن اضرب بعصاك الحجر.

﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾: أن حرف مصدر يفيد التوكيد، والتعليل.

﴿فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾: الانبجاس؛ قيل: هو خروج الماء، وتدفقه بقلّة، أو ضعف، وليس كالانفجار الذي ورد في آية البقرة (٦٠).

﴿اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾: عدد أسباط بني إسرائيل، أولاد يعقوب الاثني عشر، بما فيهم يوسف وأخوه.

السؤال هنا: ما هي الفروق بين هذه الآية، والآية (٦٠) من سورة البقرة: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾؟

ففي آية سورة البقرة: الذي استسقى، أو طلب السقيا الماء: هو موسى ، طلب من الله السقيا، وموسى أقرب إلى الله تعالى من بني إسرائيل، بينما في آية سورة الأعراف الذي طلب السقيا هم بنو إسرائيل، طلبوا السقيا من موسى .

الفرق الثاني: هو في آية سورة البقرة: ﴿فَأَنْفَجَرَتْ﴾، وفي آية سورة الأعراف: ﴿فَأَنْبَجَسَتْ﴾، والانفجار؛ يعني: بقوة، وسعة، وكثرة في تدفق الماء، وغزارة، مقارنة بقوله: فانبجست: التي تدل على تدفق الماء بقلّة، وضيق، وبعض العلماء فسروا ذلك: بأن الانفجار حدث أولاً؛ لكثرة حاجتهم إلى الماء في البداية

وعطشهم، وبعد ذلك خفت الحاجة إلى الماء؛ فقل الماء؛ فأصبح يتدفق بقلّة حسب الحاجة بعد أن كان يتدفق بشدة؛ إذن حدث الانفجار، ثم الانبجاس.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ﴾: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٦٠).

﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلَوى﴾: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٧).

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٧).

[١٦١] ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾:

قبل البدء بتفسير هذه الآية ومقارنتها بآية (٥٨) من سورة البقرة لنعلم أن آية الأعراف (١٦١) جاءت في سياق آيات التوبيخ والذم لبني إسرائيل التي افتتحت بقوله تعالى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وكذلك لا بد من الرجوع إلى سورة البقرة لمقارنة هذه الآية لبيان لفروق بينهما.

﴿وَإِذْ﴾: واذكر إذ، أو واذكر حين.

﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: قيل لهم: بصيغة المبني للمجهول مقارنة بقوله تعالى في سورة البقرة آية (٥٨) قلنا، قيل لهم تدل على قلة الاهتمام.

﴿اَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: مقارنة بقوله تعالى في سورة البقرة آية (٥٨) ادخلوا فلا تعارض بين الآيتين الدخول ثم السكن.



﴿هَذِهِ الْقَرْيَةُ﴾: الهاء: للتنبيه، ذه: اسم إشارة؛ للقريب، وقيل: هي بيت المقدس، أو ريحاً أو غيرها أمروا بدخولها بعد التيه.

﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾: مقارنة بقوله تعالى: فكلوا منها حيث شئتم رغداً في سورة البقرة آية (٥٨) حيث أضاف الفاء ورغداً.

﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾: أي: اغفر لنا، أو حط عنا أوزارنا، وخطايانا.

﴿وَادْخُلُوا أَلْبَابَ سُجَّدًا﴾: باب القرية، سجداً بتواضع، وخضوع لله، واسجدوا لله عند دخولكم الباب، سجود شكر، ونجد تقديم وتأخير معاكس في كلا الآيتين آية البقرة وآية الأعراف يناسب سياق الآيات؛ في سورة البقرة: الاهتمام والتكريم، وفي سورة الأعراف: التوبيخ والذم.

﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾: الغفر: هو الستر، والمغفرة هي ستر الذنب. لكم: أي نغفر لهؤلاء؛ الذين قاموا بما أمروا به. خطيئاتكم: الخطايا: هي الذنوب، وخطيئاتكم: جمع قلة. وسواء كان خطاياكم أو خطأكم: جمع خطيئة. خطاياكم: جمع كثرة (في مقام التكريم والاهتمام)، وخطأكم: جمع قلة (في مقام التوبيخ والذم).

﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾: السين: للاستقبال القريب. من النعم، والخيرات، والرضى، والثواب، والإحسان؛ هنا مستقل عن المغفرة؛ أي: نغفر لكم وأيضاً نزيد المحسنين.

انتبه إلى أن الواو في (وكلوا)، و(قولوا)، و(حطة): لا تدل على الترتيب،

فسواء دعوا، أو دخلوا، أو أكلوا، أو أكلوا، أو دخلوا، أو دعوا؛ كلها مقبولة،
والترتيب لا يهم.

في آية الأعراف قال: ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾: الإحسان: مستقل عن
المغفرة، فبعد الغفران سنزيد المحسنين.

أما في آية البقرة؛ فقال: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾: الإحسان: المغفرة شيء
واحد، وهذا أفضل من سنزيد المحسنين، الواو: تدل على الاهتمام.

[١٦٢] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾:

هذه الآية تنمة للآية التي جاءت بعد أن قل إيمان بني إسرائيل.

﴿فَبَدَّلَ﴾: الفاء: تدل على التعقيب، والمباشرة على التبديل.

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾: فقالوا: بدلاً من حط عنا
خطايانا قالوا: حطة.

ودخلوا الباب من دون خضوع، وخشوع.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾: خاصة؛ تفيد التوكيد.

﴿فَأَرْسَلْنَا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، والإرسال: فيه معنى الكثرة؛ أي:

مرات عديدة، بعكس: أنزلنا؛ تعني: مرة، أو عدداً قليلاً.

﴿رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾: عذاباً من السماء.

أما الفرق بين الرجز والرجس:



فالرجس: المعاصي، والمآثم، والأصنام، والأوثان، وكل ما يستقبحه الشرع؛ فالرجس: يؤدّي إلى الرجز: وهو العذاب؛ أي: الرجس أعم من الرجز، فالرجس يشمل الرجز (العذاب) وكل أمر، أو شيء مستقبح قدر مثل الأصنام والمعاصي. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٩) لمزيد من البيان في معنى الرجز والرجس.

﴿يَمَّا﴾: الباء: باء البدلية، أو السببية، ما: بمعنى: الذي.

﴿كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾: من الظلم، وهو الشرك، وعدم الطاعة، والخروج عن منهج الله. ارجع إلى الآية (٥٤) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان عن الظلم. ولنقارن هذه الآية (١٦٢) من سورة الأعراف: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَّا كَانَ يَظْلِمُونَ﴾.

مع الآية (٥٩) من سورة البقرة: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَّا كَانَ يَفْسُقُونَ﴾.

آية سورة الأعراف في سياق الذين أقل إيماناً، وآية سورة البقرة في سياق الأكثر إيماناً، وإذا قارنا هاتين الآيتين نجد الاختلافات التالية:

ففي آية الأعراف قال: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾: تدل على التوكيد من بني إسرائيل.

أما في آية سورة البقرة: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾: فلم يذكر (منهم).

في آية الأعراف قال: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾: تعني: مرات كثيرة، فيها شدة أكثر من ﴿أَنْزَلْنَا﴾ التي وردت في سورة البقرة، فأرسلنا؛ أي: العذاب المرسل، إرسالاً متتابعاً، ومتكرراً، ﴿أَنْزَلْنَا﴾: يعني: مرة أو مرتين.

في آية الأعراف قال: ﴿عَلَيْهِمْ﴾: أعم من (على) التي وردت في سورة البقرة؛ لأن عليهم: تشمل الذين ظلموا وغيرهم.

في آية الأعراف قال: ﴿يُظْلِمُونَ﴾، وفي سورة البقرة ﴿يَفْسُقُونَ﴾، والظلم أشد من الفسق، وأعلى درجة، والفسق يسبق الظلم، وهو أقل إثماً من الظلم، ويعني: الخروج عن طاعة الله، أو الدين.

[١٦٣] ﴿وَسَأَلْتُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾:

﴿وَسَأَلْتُهُمْ﴾: ولم يقل أخبرهم عن قصة القرية التي كانت حاضرة البحر، بل لأن هذه القصة لها أهمية وشأن، والسؤال موجه إلى رسول الله ﷺ، أن يسأل اليهود من بني إسرائيل عن قصة القرية التي كانت حاضرة البحر، وهذا السؤال له غايات عدة منها: أن هذه القصة ليست كما وردت في التوراة فهم حرفوها وغيرها، وكانوا يكتُمونها، وأن الله سبحانه أطلع رسوله ﷺ على الحقيقة فهي علامة على صدق نبوته، ولتكون أيضاً عبرة لمن يحاول الاحتيال على ما حرم الله سبحانه، وعاقبة أمره الخسران والهلاك وجدوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.



﴿عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾: القرية: المدينة، وقيل: هي مدينة العقبة على البحر الأحمر، أو مدين.

﴿حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾: قرية، أو مجاورة للبحر؛ البحر الأحمر على شاطئه.
﴿إِذْ﴾: ظرف زمان؛ بمعنى: حين.

﴿يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾: فقد أمروا أن يعظموا السبت؛ بترك العمل فيه، والتفرغ لعبادة الله، ونهوا عن الاصطياد في ذلك اليوم، ولكنهم خالفوا أمر الله، وتجاهلوه، وتجاوزوا الحد.

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾: السمك، والعرب تستعمل كلمة الحوت، وتعني السمكة.

﴿يَوْمَ سَكَبَتْهُمْ شُرْعًا﴾: أي: ظاهرة على وجه الماء، شرعاً: جمع شارع من شرع عليه؛ أي: اقترب وأشرف، وتطلق على إتيان الإبل والنعم نحو الماء لتشرب إذا شرعها الرعاة تسابقت واكتظت مع الماء فهو تشبيه بديع؛ شارعاً ظاهرة على وجه الماء في كل ناحية؛ فقد كان السمك يأتيهم بكثرة، ويطفو على سطح الماء، ويسهل صيده، ومن دون عناء يوم السبت فقط، وبأعداد كبيرة.

﴿وَيَوْمَ لَا يَسِيْرُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾: في باقي الأيام من النادر أن ترى سمكة في الماء.

﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: أي: مثل ذلك البلاء الشديد.

﴿نَبْلُوهُمْ﴾: نختبرهم، والابتلاء قد يكون في الخير، أو الشر. نبلوهم هل يطيعون ما أمرهم الله به بعدم الاصطياد.

﴿بِمَا﴾: الباء: للتعليل، أو بسبب ما كانوا يفسقون؛ لأن من سنة الله سبحانه: أن من عصاه يبتليه بأنواع كثيرة من المحن، والمصائب؛ لتزداد ذنوبه، وآثامه، أو يتوب ويعود إلى طريق الإيمان، ومن يطع الله كذلك يبتليه؛ لزيادة ثوابه في الآخرة، أو يرتد عن الإيمان، ولا يصبر.

ولكن حاولوا الاحتيال على ما حرم الله، فكانوا يرمون بشباكهم في البحر في غير يوم السبت؛ مثل يوم الجمعة مثلاً، وتبقى شباك الصيد في الماء؛ فإذا جاء يوم السبت دخلت الأسماك في الشباك، ولم تستطع الخروج، وفي يوم الأحد مثلاً يخرجون شباك الصيد الممتلئة بالأسماك، وهكذا زين لهم الشيطان أعمالهم، وظنوا أن الله راضٍ عنهم.

﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: من الاصطیاد يوم السبت، والفسق: وهو الخروج عن طاعة الله ومعصيته. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٦)؛ لبيان معنى الفسق.





البقرة السبع

سورة البقرة ٧

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾
فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ
وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ
﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ
يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ
لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ
الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ
وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ
وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا
وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّمَّنْ قَالُوا
أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَىٰ
خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ
بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

سورة الأعراف [الآيات ١٦٤ - ١٧٠]

[١٦٤] ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكَزُ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: واذكر إذ قالت، أو حين قالت. إذ: ظرفية زمانية؛ للزمن الماضي.
 ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾: أمة: جماعة، أو فئة منهم من أهل القرية التي كانت حاضرة البحر؛ إذ انقسمت القرية، كما قيل إلى ثلاث جماعات، أو فئات.
 الفئة الواعظة؛ أي: الأمرة بالمعروف، والناهية عن المنكر.

الفئة الموعوطة؛ أي: العاصية التي تحتال، وتصطاد يوم السبت.
 الفئة الثالثة: المتبقية من أهل القرية، ليس هم من الفئة الواعظة، أو الموعوطة، ويمكن تسميتهم الفئة الحيادية المتفرجة.

﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾:

﴿لِمَ﴾: استفهامية.

﴿تَعِظُونَ﴾: من الوعظ، ويعني: النصيح، والتحذير، والأمر، والنهي، والإرشاد بأسلوب الترغيب، والترهيب. ارجع إلى آية (٤٥) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.

﴿إِذْ﴾: بمعنى: حين قالت أمة منهم (الفئة الثالثة الحيادية) تسأل الفئة الواعظة (الأمرة بالمعروف، والناهية عن المنكر)؛ لما تعظون الفئة العاصية التي تصطاد (الفئة الثانية).

﴿اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا﴾: لما تعظون الفئة العاصية التي تحتال،



وتصطاد في يوم السبت ما دام اختاروا أن يهلكهم الله، أو يعذبهم عذاباً شديداً؛ أي: مصيرهم إلى الهلاك.

﴿قَالُوا مَعْدِرَةً إِلَى رَبِّكُم﴾: قالت الفئة الواعظة: نعظهم؛ ليكون لنا عذراً عند ربنا؛ لأننا لم نستطع هدايتهم، أو منعهم من ارتكاب المعصية، وهي الصيد يوم السبت.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: أي: والسبب الثاني: لعلهم يتقون.

لعل: تفيد التعليل.

﴿يَتَّقُونَ﴾: يطيعون أو امر الله، ويتجنبون الاصطياد يوم السبت، ويعودون إلى رشدهم؛ لأننا لم نأس بعد من هدايتهم.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: إذا قاموا بأعمال التقوى الأخرى، وسألوا الله العون؛ لعل الله يجعلهم من المتقين.

[١٦٥] ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: أنجينَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَاسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب؛ أي: مباشرة، لما: ظرفية، زمانية، وشرطية؛ بمعنى: حين.

﴿نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: أي: لما لم تعد الفئة العاصية تستمع إلى أي نصح، أو تحذير، وأصبحت مهملة وغير مبالية بوعظ الفئة الواعظة ﴿نَسُوا مَا﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، ومصدرية.

﴿ذُكِّرُوا بِهِ﴾: من قبل الفئة الواعظة بعدم الاصطياد.

﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾: أنجينَا: تدل على السرعة، والقوة، ولم يقل: نجينا التي تدل على البطء وطول الزمن.

﴿الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾: هم الفئة الواعظة، الأمرة بالمعروف، والناهية عن المنكر.

﴿عَنِ السُّوءِ﴾: العمل الذي تسوء عاقبته، وهنا؛ يعني: الاصطياذ يوم السبت.
﴿يَنْهَوْنَ﴾: جاء بصيغة المضارع؛ لتدل على أنهم لا يزالون يأمرون بالمعروف، وأن عملهم هذا لم يتوقف، ولم يقل: أنجينا الذين نهوا عن السوء.
﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي: الفئة العاصية الموعوطة.

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بعدم طاعة الله، والإصرار على المعصية، وظلموا أنفسهم.

﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾: الباء: للإلصاق، بئس: من البأس: وهو الشدة؛ أي: عذاب ذي بأس، أو ذي شدة.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، أو السببية، أو التعليلية.

ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

﴿كَأَنَّهُمْ يَفْسُقُونَ﴾: من الفسق: وهو الخروج عن طاعة الله، وعصيانه.

[١٦٦] ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: ارجع إلى الآية السابقة (١٦٥).

﴿عَتَوْا﴾: طغوا، وتجاوزوا الحد في المعصية، وتمردوا وتكبروا، وازدادوا فساداً، ولم يعد فيهم أمل في العودة إلى طاعة الله، والكف عن عصيانه.

﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾:

﴿قُلْنَا لَهُمْ﴾: صيّرناهم، أو حولناهم إلى قرود خاسئين: صاغرين، أذلاء،

حقيرين.

﴿خَاسِئِينَ﴾: مطرودين، مبعدين عن رحمة الله تعالى.



من الخسوء: وهو الطرد، والإبعاد، خسأت الكلب من باب منعته، وطردته، وزجرته.

قيل: عذبوا عذاباً شديداً، ثم مسخوا قرده، وعاشوا ثلاثة أيام، أو عدة أيام، ثم انقرضوا، وبعض المفسرين قالوا: كان المسخ مسخاً معنوياً، والله أعلم.

وأما مصير الفئة الثالثة: فقد قيل: إنها نجت برحمة الله، وعفوه.

[١٦٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

واذكر ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾: أعلم من الأذان، وهو الإعلام، والكلام عن بني إسرائيل.

﴿لِيَبْعَثَنَّ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾: يسلطن عليهم إلى يوم القيامة من يذلهم ويضطهدهم، مثل: البابليين، المجوس، والألمان، وغيرهم.

﴿مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: من يذيقهم، من سام؛ أي: طلب. ارجع إلى الآية (٤٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من المعنى.

يعني ذلك: أن الله سيسلط، ويبعث عليهم من يقوم بتعذيبهم سوء العذاب، ويستمر ذلك إلى يوم القيامة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾: إن حرف مشبّه بالفعل؛ يفيد: التوكيد. لسريع: اللام: لام التوكيد، سريع العقاب للظالمين، والمفسدين، والعاصين، وسرعة عقابه هي رحمة منه للمظلومين؛ لكي يتخلصوا من ظلم الظالمين، وبالمقابل: إن ربك لغفور رحيم لمن تاب، وآمن، وعمل صالحاً.

لنقارن هذه الآية مع آية سورة الأنعام (١٦٥): ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

الاختلاف في الآيتين: يرجع فقط إلى زيادة اللام في كلمة ﴿لَسَرِيعٌ﴾: والتي تفيد التوكيد على أنه سريع العقاب.

والعقاب: هو الجزاء على الفعل؛ أي: يدل على المعاقب يستحق العقاب، عَقِيب فعله، أو إجرامه، من دون تأخير.

والسبب في التوكيد: أن آية الأعراف: جاءت في سياق بني إسرائيل، وعدم التزامهم بأوامر الله، كما ورد في أصحاب السبت، وعبادة العجل، ونتاج الجبل، ولذلك أكد الله أنهم يستحقون العقاب في الدنيا؛ لأنهم يستمرون على فعل المعاصي، ويظنون أنهم سيغفر لهم، وأما آية سورة الأنعام: فجاءت في سياق العقوبات في الآخرة.

[١٦٨] ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾:

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾: أي: بني إسرائيل، فرقناهم في الأرض طوائف، فلا يكاد يخلو بلد منهم، وأممًا: جمع أمة، أو جماعة من الناس، تجمعهم عقيدة، أو شريعة واحدة؛ بغض النظر عن العدد، أو الحيز الجغرافي.

﴿مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾: أي: منهم المؤمنون بالله، وبموسى، وبالتوراة.

﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾: أي: الأقل صلاحاً، وإيماناً.

﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾: بالنعم، والغنى، والجاه، والأمن، والصحة، والشدائد، وقلة الأمن، والخوف، والتشردم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: عن فسادهم، وطغيانهم، ويتوبون إلى الله.

[١٦٩] ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ



سَيَغْفِرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ، يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالْذَّارُ الْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْتَفُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٢٢٨﴾

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: الخلف: بفتح اللام تستعمل لمن يأتي بعد من السلف؛ فإن حققوا مثالية السلف؛ يُطلق عليهم خلفٌ، وإن ابتدعوا، وغيروا، وخالفوا السلف يعتبروا خلفاً (بتسكين اللام).

فالعرب تستعمل خلفاً: في المدح، والخير، أو الصالح.

وتستعمل خلفاً: بتسكين اللام في الذم، والسوء، أو الطالح.

وفي هذه الآية: نجد خلفاً بسكون اللام؛ أي: فَخَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ: ذرية سوء، أو ذرية غير صالحة.

﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾: أي: التوراة.

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾: العرض: هو المتاع، والمال؛ كالرشوة، والربا، والسحت، أو الحرام.

الأدنى: من الدنو، أو الدناءة؛ أي: عرض هذه الدنيا.

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾: السين: للاستقبال القريب؛ أي: يقولون بعد أن يأخذوه: سَيُغْفَرُ لَنَا أفعالنا السيئة عن قريب؛ لأنهم يظنون أنهم أبناء الله، وأحباؤه، أو فضّلهم الله على العالمين. وسيغفر لنا: بناء الفعل للمجهول؛ لأنهم يظنون باطلاً أن ذنوبهم كلها مغفورة حتى بدون توبة واستغفار.

﴿وَيَقُولُونَ﴾: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على استمرار، وتجدد أفعالهم، وأخذهم الحرام، وأنهم مصرّون على الحرام، والآثام.

﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ، يَأْخُذُوهُ﴾: أي: من المفروض، بعد الاستغفار، والتوبة، أن يكفوا عن العودة إلى أخذ العرض الأدنى، أخذ المال الحرام، وغيره من الخبائث، ولكنهم سرعان ما يعودون إلى فعل ذلك، المرة تلو المرة.

﴿لَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾:

﴿الْم﴾: الهمزة: همزة استفهام تقرير، وتوبيخي.

﴿يُؤْخَذُ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾: الكتاب: هو التوراة، والميثاق: هو العهد، المؤكد، الموثق، وقيل: الميثاق في التوراة: هو من ارتكب ذنباً عظيماً، لا يغفر له إلا بالتوبة، والتوبة: تعني عدم الرجوع إلى ارتكاب الذنب مرة أخرى.

﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾: أي: الصدق، وما ورد في التوراة من دون تحريف، أو تبديل.

﴿أَنْ لَا﴾: هذه، أن لا: تجمع معاني كثيرة منها:

بألا يقولوا على الله إلا الحق.

في ألا يقولوا على الله إلا الحق.

على ألا يقولوا على الله إلا الحق.

لثلاث يقولوا على الله إلا الحق.

﴿أَنْ﴾: مصدرية، أو مفسرة.

﴿لَا﴾: قيل: إنها نافية، وقيل: إنها ناهية.

﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾: قرءوا التوراة، وفهموا معناها جيداً، ويعرفون أحكامها، ويذكرونها، فلم يذكروها، فقالوا: إن الله سيغفر لهم، وكيف يغفر لهم، وهم مصرّون على العودة إلى المعاصي، وقول الباطل.

﴿وَالَّذَارُ الْآخِرَةُ﴾: أي: الجنة.

﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: للذين: اللام: لام الاختصاص، يتقون: المعاصي، والحرام، ويتقون غضب الله، والنار؛ أي: يطيعون أوامر الله، ويجتنبون نواهيه.



﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: استفهام إنكاري، وتعجب، وتوبيخ، وأداة حُضٍّ وتحمل معنى الأمر على التقوى، وعدم القول على الله إلا الحق.

﴿تَعْقُلُونَ﴾: تفهمون أن الجنة، (الدار الآخرة) أفضل من الدنيا، وحطامها. تعقلون: مشتقة من عقل الشيء؛ أي: عرفه بدليله، وفهمه بأسبابه، ونتائجه، ويعني: الموازنة بين الأشياء؛ للوصول إلى الحقيقة.

[١٧٠] ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾:

بعد أن ذكر الخلف: الطالح من اليهود؛ يذكر في هذه الآية الخلف: بفتح اللام؛ أي: الصالح من اليهود؛ الذين يعملون بالتوراة، وقد تشمل كل الأمم التي تتمسك بكتابها، سواء أكان التوراة، أم الإنجيل، أم القرآن.

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول؛ يفيد المدح.

﴿يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾: يُمْسِكُونَ؛ يعني: أن الماسك تمكن مما يمسك؛ أي: فيه مبالغة في المسك؛ أي: يعملون بالكتاب، سواء كان التوراة، أو الإنجيل، أو القرآن، ويطبقون أحكامه، وحلاله، وحرامه، وما أمروا به.

﴿بِالْكِتَابِ﴾: بالباء: للإلصاق (بكل الكتاب).

﴿يُمَسِّكُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ تدل على التجدد، والتكرار، والاستمرار، وليس بزم من ما وانتهى، بل هو زمن مطلق، ولأن التمسك يكون دائماً، ولا ينقطع بكتاب الله.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: بأركانها، وشروطها، وأوقاتها، وخشوعها، واختيرت الصلاة من بين العبادات؛ لأنها أهم أركان العبادة، وتمثل العبادات الأخرى.

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾: ولم يقل: إنا لا نضيع أجر الذين يمسكون



بالكتاب، أو لا نضيع أجرهم، وإنما جاء بكلمة: ﴿أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾: لأن الأجر لا يختص بهؤلاء الذين يمسون بالكتاب، وإنما يشمل كل المصلحين، وهؤلاء الذين يمسون: هم من زمرة المصلحين.

انتبه! إلى التغير في الصيغ: ﴿يُمَسِّكُونَ﴾: جاءت بصيغة المضارع، و ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: جاءت بصيغة الماضي، ولم يقل: يقيمون الصلاة، لماذا هذا التغير؟

الجواب: لأن إقامة الصلاة لها أوقات محدودة، ولذلك جاءت بصيغة الماضي.

أما التمسك بالكتاب (بالقرآن)، أو غيره من الكتب؛ فهو مطلق، كما ذكرنا سابقاً غير محدد بوقت، وكذلك الإصلاح؛ مثل: التمسك غير محدد بزمن.

والفرق بين استمسك، ومسك؛ كقوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ [الزخرف: ٤٣]؛ أي: يأمرنا أن نستمسك بالقرآن، والألف، والسين، والتاء: للطلب، وبعد مرحلة الطلب استمسك؛ تأتي مرحلة التمكن من المسك؛ يعني: الماسك تمكن من المسك؛ أي: يُمَسِّكون بشدة، واستمرار، ويعتصمون به، ويلتزمون بالعمل بما فيه.





الْبَيْتُ الْخَامِسُ

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧



وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ
خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ
الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ
آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿١٧٤﴾ وَآتِلْ عَلَيْهِم نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا
فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ
كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهٗ
يَلْهَثَ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ
الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ مِّن يَّهْدِي اللَّهُ
فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَن يُضِلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

سورة الأعراف [الآيات ١٧١ - ١٧٨]

[١٧١] ﴿وَإِذْ نَفَقْنَا الْجِبْلَ فَوْقَهُمْ كَانَهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ
وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكر حين، أو اذكر إذ نتقنا.

﴿نَفَقْنَا﴾: التَّق: هو قلع الشيء من جذره، أو نزع، أو خلعه من الأرض؛
بتحريكه يمناً ويسرة، وهزاً وجذباً.

﴿الْجِبْلَ﴾: ولم يقل: الطور؛ الجبل أعظم حجماً، وبناءً من الطور.

﴿فَوْقَهُمْ﴾: ظرف مكاني، وقَدَّمَ الجبل على الظرف فوقهم: جرياً على
الأصل، فهذا هو الأصل.

وفي آية (٦٣) من سورة البقرة، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾.

فإذا قارنا هاتين الآيتين: نجد في سورة البقرة، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا﴾، ولم
يقُل: ﴿نَفَقْنَا﴾: التَّق: هو أشد، وأقوى من الرفع؛ لأن التَّق: هو اقتلاع الشيء
بشدة، فيه جذبٌ مع تحريك، والتَّق يسبق الرفع.

وقال تعالى: ﴿الطُّورَ﴾: وليس الجبل، وقَدَّمَ فوقهم، لماذا هذا الاختلاف؟
لأن سورة الأعراف: جاءت في سياق الأقل إيماناً من بني إسرائيل، وفي سياق
التقريع، والتهديد لهؤلاء الخلف، ولذلك استعمل في الأعراف لفظ الجبل بدلاً
من الطور، وكلمة التَّق بدلاً من الرفع، وقَدَّمَ لفظ الجبل عليهم.

بينما في سورة البقرة: جاءت في سياق الأكثر إيماناً من بني إسرائيل،



وسياق التكريم، وسياق ذكر نعم الله عليهم، فاستعمل كلمة الرفع، والطور، وقدمهم على كلمة الطور.

﴿كَانَهُ ظِلُّهُ﴾: سحابة تظللهم.

﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾: أيقنوا أنه ساقط، أو سيقع عليهم، إنذار لهم بوقوعه، والظن هنا: هو الظن الراجح؛ الذي تغلب، أو ترجح فيه كفة الإثبات على كفة النفي.

﴿خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ﴾: بجِدٍّ، وقوة، وعزيمة؛ أي: نفذوا أحكام التوراة، أو خذوا التوراة بجِدٍّ، وعزيمة، واعملوا بها، ولا تؤمنوا ببعض، وتكفروا ببعض. ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾: من الأوامر، والنواهي، والأحكام، ولا تنسوها، وبيئوها للناس.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لعل: للتعليل، تتقون وقوع الجبل فوقكم، والقضاء عليكم، وتتقون عذاب النار، وسخط الله تعالى، وغضبه عليكم.

[١٧٢] ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكر إذ، أو اذكر حين أخذ ربك من بني آدم.

﴿مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: الذرية: هم النسل، الأولاد، والبنات، والذرية تكون جمعاً، وتكون واحداً.

وبنو آدم: هم أولاد آدم، من لدنه إلى أن تقوم الساعة.

لفهم وتفسير هذه الآية تحتاج إلى الاستعانة بالإعجاز العلمي للقرآن.

فكيف يأخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم؟ بالتزاوج، والإخصاب،



والتناسل الذي يتم بالإلقاح، الحيوان المنوي الخارج من الخصية، والبويضة الخارجة من المبيض، وما يتلو ذلك من تطورات في عالم الجنين، ودلت اكتشافات العلم الحديث: أن الخصية التي هي مصدر الحيوان المنوي، والمبيض الذي هو مصدر البويضة كلاهما ينشأ من الخلايا الوريقة المتوسطة التي هي واقعة في المنطقة التي هي ظهر الجنين، إضافةً إلى خلايا الوريقة الخارجية، والداخلية التي تشكل الجنين، وبدلاً من القول: الخصية، أو الحيوان المنوي، والمبيض، والبويضة، أو أعضاء التناسل، قال: الظهر؛ لأن الوريقة الوسطى التي نشأت في الظهر؛ شكلت الأعضاء التناسلية، فاختصر كل ذلك بقوله: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾، وقال: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾، ولم يقل: (من ظهر آدم)؛ لأن الكل أخرجوا من ظهره، فاستغني عن ذكر آدم؛ لأن الكل يفهم أن آدم هو الأصل، وكل إنسان يعلم أنه خلق من ظهر أبيه، وأمه، وأبوه وأمه كانوا في ظهور آبائهم، وأمهاتهم، وهكذا حتى آدم، فكل إنسان في الحقيقة يحمل ذرة، أو ذرات من آدم، وهذه الذرات تسمى: الجينات، والمحفظة الوراثية، والحمض النووي المسمى (دي، ن، أي).

وهذه الجينات، والمورثات التي عندنا؛ انتقلت إلينا بطريقة الوراثة؛ فهي قد تشكلت في العهد الأول حين خلق الله تعالى آدم، وشهدت بأن الله ربها، وخالقها، وأنه لا إله إلا هو لا شريك له، حين عرض الله تعالى على آدم الأمانة؛ فقبل أن يحملها، وهذا يسمى عهد الذر، أو العهد الذري.

فكل ذرة أو خلية في جسم الإنسان (المؤمن، والكافر، والصالح، والطالح) تؤمن بالله، ولكن الله سبحانه أعطى الإنسان القدرة على التحكم بهذه الخلايا، أو الذرات، أو الجزيئات حتى يأتي يوم القيامة، وتشهد له، أو تشهد عليه، فالمؤمن الصالح ذرات جسمه متوازنة مطمئنة منسجمة؛ لأنها تعمل حسب الفطرة التي خلقت عليها، بينما ذرات الكافر، أو المشرك غير متوازنة، تعمل بما يأمرها



صاحبها، وهي كارهة للقيام بذلك، فتراه غير مطمئن، وغير متوازن، ويخاف أن تسأله عن الله سبحانه، أو دينه.

﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾: أقرهم ألسنت بربكم: استفهام تقرير.

والله سبحانه قادر أن يخاطب أي شيء من خلقه، وقادر أن يخاطب الذر، ويخاطب كل ذرة خلقها؛ لتشكيل آدم، وتكون كالأم، أو المحفظة الوراثية بلغة العلم الجيني، وبالتالي تنتقل بالوراثة إلى ذرية آدم، فرداً فرداً إلى أن تقوم الساعة، وتتمثل هذه كذلك في الفطرة البشرية، السليمة، المسلمة لربها.

الفطرة التي تقر بأن لها رباً خالقاً، وكما ورد في الحديث الشريف: «كل مولود يولد على الفطرة».

﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾: فهذه الذرات، وبالتالي الجينات الوراثية شهدت أن خالقها هو الله؛ بقولها: بلى شهدنا أنك إلهنا، وأنه لا إله إلا أنت؛ فكانت هذه شهادة الوحداية في العهد الفطري، أو عهد الذر.

﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾:

﴿أَن تَقُولُوا﴾: أن: مصدرية (أو مفسرة)؛ للتعليل والتوكيد. ارجع إلى آية

(١٦٩).

﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾: أي: أخذنا عليكم هذا العهد حتى لا يكون لكم علينا حجة يوم القيامة بأنكم لم تبْلغوا بأنه إله واحد أحد، أو ليس لكم إله، أو رب. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان في معنى غافلين.

[١٧٣] ﴿أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾:

ولئلا تقولوا، أو حتى لا يقولنَّ أحد منكم يوم القيامة.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: أي: نحن نقلد آباءنا، أو كنا عن هذا غافلين؛ أي: الغفلة عن عهد الذر، والتقليد هي أَعذار الكافرين.

﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾: أفهلكننا: الهمزة همزة استفهام، وتعجب، ولمعرفة معنى الهلاك: ارجع إلى الآية (٤) من نفس السورة.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، أو السببية، ما: مصدرية، أو اسم موصول؛ بمعنى: الذي، وهي أوسع شمولاً.

﴿فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾: المبطلون: جمع مبطل؛ اسم فاعل من أبطل؛ يعني: آباءهم؛ لأنهم أبطلوا منهج الله تعالى، ولم يرغبوا إلى سماعه، ولا إلى تبليغه، فهم يدعون أنهم لا ذنب عليهم؛ لأنهم قلّدوا آباءهم، والباطل: هو الزائل (الذاهب)، أو ما لا وجود له. ارجع إلى سورة الأنبياء، آية (١٨)؛ لمزيد من البيان.

إذن: ليس لهم عذر في التقليد، والإشراك، كما لم يكن لأبائهم عذر في الإشراك، أو الغفلة.

[١٧٤] ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾:

مثل هذا البيان لعهد الذر؛ نبيّن لهم الآيات؛ ليتدبروها.

ولعلّ الغافل يصحوا من غفلته، ويرجع عن كفره، أو شركه.



ولعلَّ المقلد لآبائه؛ يرجع عن تقليد الآباء، واتباع الباطل إلى اتباع الحق، والإيمان بوحداية الله تعالى، وربوبيته، وأسمائه، وصفاته.

[١٧٥] ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْفَاوِيسِ﴾:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾: يا محمد ﷺ.

﴿نَبَأاً﴾: أي: الخبر العظيم عن الذي.

﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾: أي: علمناه آياتنا التشريعية؛ أي: التي وردت في الكتب المنزلة؛ مثل: التوراة، والإنجيل، والقرآن. وقيل: هو ابن باعوراء، أو عامر الراهب. وقيل: أمية بن أبي الصلت، واسمه غير مهم.

عالم من علماء بني إسرائيل، أو أحداً من علماء السوء.

﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾: من الآيات، كفر بها، ونبذها وراء ظهره؛ طمعاً في حطام الدنيا، ومتاعها؛ أي: المال، والجاه؛ أي: باع آخرته.

والأصل في السلخ: هو إزالة الجلد عن الشاة، أو الحية من ثوبها؛ أي: تركها، وخرج منها، كما تخرج الحية من ثوبها، أو ينسلخ الجلد عن الشاة المذبوحة؛ أي: بعد أن تعلم آيات ربه، ودينه، وأصبح عالماً؛ تخلص عن كل ذلك، وباع دينه لعرض من دنياه، وجحد، وأنكر آيات ربه.

﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾: أي: لحق به، وصار ملازماً له، يجري وراءه خطوة خطوة مخافة أن يعود إلى الإيمان.

﴿فَكَانَ مِنَ الْفَاوِيسِ﴾: فصار من الضالين عن منهج الله بعد أن كان من المهتدين. ارجع إلى سورة الحجر آية (٤٢) للبيان.

[١٧٦] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ



الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثٌ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثٌ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا
بَيِّنَاتٍ فَأَقْصِ الْقَصَصَ لَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١٩﴾

هذه الآية من أشد الآيات على أهل العلم إذا تهاونوا في دينهم، ولم ينكروا
المنكر؛ ابتغاء عرض من الدنيا مثل: المال، والجاه، أو مالوا إلى الهوى، واشتروا
الدنيا، وباعوا آخرتهم.

﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾: شرطية.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾: أكرمناه، ورفعناه منزلة وقدراً، واللام في كلمة
لرفعناه: للتوكيد، الباء: للتعليل.

﴿بِهَا﴾: أي: الآيات.

﴿وَلَكِنَّهُ﴾: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾: مال إلى الدنيا، واختارها، ورغب فيها عن الآخرة،
أو باع آخرته من أجل المال، والجاه، والشهوات.

﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾: الهوى: ارجع إلى الآية (١١٩)، من سورة الأنعام؛ للبيان.

﴿فَمِثْلُهُ كَمِثْلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثٌ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثٌ ذَلِكَ
مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتٍ فَأَقْصِ الْقَصَصَ لَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾:

فأصبح مثله كمثل الكلب: إن تحمل عليه؛ أي: تطرده؛ يلهث، أو تتركه
مرتاحاً يلهث، واللهث: هو التنفس الشديد، السريع، مع إخراج اللسان.

ويلهث؛ لأن جسم الكلب لا توجد فيه غدد عرقية إلا في قدميه؛ فهو يلهث
ليتخلص من العرق الذي تجمع في جسمه؛ كي ينظم حرارة جسمه، فمثل الذي
يعرض عن الإيمان، ويحرص على دنياه؛ أي: يصبح جائعاً للدنيا؛ إن تعطه لا
يشبع، وإن لم تعطه لا يشبع، يريد أكثر فأكثر، لا يهمه إلا دنياه؛ إن حملت عليه



كما تحمل على الكلب؛ أي: إن وعظته هو ضال، ومتبع هواه، وإن تركته، ولم تعظه ضال، وتمثيله بالكلب؛ يدل على خسة حاله، وذلة نفسه وهوانها؛ ذلك المثل الذي ضربناه لك للذي آتيناه آياتنا، فانسلك منها، واتبع هواه، هو مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا في كل زمان، ومكان، وباعوا آخرتهم بدنياهم.

﴿فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ﴾: فاقصص: الفاء: للترتيب والمباشرة؛ أي: قص عليهم قصة الذي انسلك عن آياتنا؛ لعلهم يحذرون، أو يتفكرون، ويرجعون إلى الحق.

[١٧٧] ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا ظَالِمُونَ﴾:

﴿سَاءَ﴾: فعل ماضٍ؛ لإنشاء الذم، مثل: بئس.

﴿سَاءَ مَثَلًا﴾: أي: بئس ذلك المثل الذي ضربناه للذي انسلك عن آياتنا، وشبهناه بالكلب، وهو مثل ينطبق على كل الذين كذبوا بآياتنا، ولم يؤمنوا بها، ويصدقونها، وأضاف الآيات إليه سبحانه؛ فقال: ﴿بَيَّيْنَا﴾: ولم يقل: الآيات؛ لعظمة تلك الآيات.

﴿وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا ظَالِمُونَ﴾: بتدنيها بالشرك، والمعاصي، والتكذيب؛ فهم لن يضرروا إلا أنفسهم، وقدم كلمة أنفسهم على يظلمون، بدلاً من القول: وكانوا يظلمون أنفسهم؛ للاهتمام، وأن الإساءة مقصورة عليها خاصة.

والظلم: هو الخروج عن منهج الله تعالى في أي زمان، ومكان. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٤)؛ لمزيد من البيان.

[١٧٨] ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾:

﴿مَنْ﴾: شرطية.

﴿يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ﴾: الفاء: تفيد التوكيد.

﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد زيادة التوكيد.

﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾: بزيادة الياء، ولم يقل: فهو المهتد.

والسبب في زيادة الياء؛ لأن هذا الذي كذب بآيات ربه، وانسلخ منها، وأتبع هواه، واتبعه الشيطان، وأخلد إلى الأرض؛ يحتاج إلى زمن طويل؛ لكي يهتدي، فهدايته شاقة، وتحتاج زمن طويل، ولو كانت غير شاقة، ويمكن أن يهتدي بزمن قصير؛ لقال: فهو المهتد.

كما ورد في سورة الإسراء، الآية (٩٧): ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾.

وفي سورة الكهف، الآية (١٧): ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾.

وفي سورة الحديد، الآية (٢٦): ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾.

فهذه الآيات جاءت في سياق الذي، أو الذين هدايتهم تحتاج إلى زمن أقصر، وأقل مشقة، وشدة.

﴿وَمَنْ يَضِلَّ﴾: الله سبحانه لا يضل أحداً، وأما إذا أراد العبد الضلال، وسار في طريق الضلال، وابتعد عن الحق، وعن الصواب، والصراط؛ فعندها يتركه الله تعالى وشأنه.

﴿فَأُولَئِكَ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، أولئك: اسم إشارة، ويفيد البعد، ويحمل معنى الذم، والتحقير، وعدم الأمل في التوبة.

﴿هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾: هم: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد، والمبالغة في الخسارة؛ أي: إذا كان هناك خاسرون؛ فهؤلاء هم في مقدمة الخاسرين. ارجع إلى سورة النساء، آية (١١٩)؛ لمزيد من البيان.





سورة النجم

سورة النجم ٧

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ
لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ
بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً
يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ
كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ
هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ
أَجَلُهُمْ فِي آيٍ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُوْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا
هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ
أَيَّانَ مَرُّ سَنَاقِلٍ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ
عَنِهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾



سورة الأعراف [الآيات ١٧٩ - ١٨٧]

[١٧٩] ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية.

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد، قد للتوكيد أيضاً، والتحقيق.

﴿ذَرَأْنَا﴾: ذرأ: بث، ونشر، والبث في الأرض معناه: نشرهم في الأرض بالتكاثر بالتزاوج.

﴿ذَرَأْنَا﴾: يعني: خلقنا خلقاً؛ يتكاثر بذاته.

﴿لِجَهَنَّمَ﴾: اللام: لام التعليل، لام العاقبة، أو الصيرورة، جهنم: مشتقة من الجهومة: وهي الشيء المخوف الكريه المنظر، وقيل: بعيدة القعر. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) للبيان المفصل.

﴿كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾: خلقنا لجهنم كثيراً من الجن، والإنس.

والسؤال هنا: إذا كان الله سبحانه ذراً لجهنم كثيراً من الجن، والإنس، فما هو ذنبهم، أو مصيبتهم؛ ليعذبهم فيها؟

الجواب: ما هي علّة خلقهم: هي قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

إذن علّة الخلق: هي عبادة الله تعالى وطاعته، وليس دخولهم جهنم.



فبعد الذرة، فمن الجن والإنس من استجاب، وعبد الله، وأطاعه؛ فهؤلاء مصيرهم إلى الجنة؛ لأنهم اختاروا لأنفسهم طريق الحق، والنجاة، ومن الجن والإنس من رفض، وانكر وجود الخالق، وطاعته، وعبادته؛ فهؤلاء مصيرهم إلى جهنم؛ لأنهم اختاروا لأنفسهم طريق الهلاك، وانتبه إلى قوله سبحانه: ﴿كَثِيرًا﴾، ولم يقل: قليلاً، فيا ويلناه! ويا حسرة على العباد!

وقد وصف هؤلاء الذين اختاروا طريق جهنم من الجن والإنس بثلاث صفات، وقدّم الجن على الإنس؛ للترتيب الزمني؛ فالجن كانوا أسبق خلقاً.

﴿هَمْ: اللام: لام الاختصاص، ثم وصفهم بثلاث صفات:

الأولى: ﴿هَمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾: الفقه: هو الفهم، واصطلاحاً: هو معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية القرآن والسنة والإجماع والقياس وغيرها؛ ارجع إلى سورة النساء آية (٧٨) لمزيد من البيان، ولنعلم أن القلب ليس القلب هو مضخة للدم فقط، بل وجدوا في القلب خلايا عصبية تحمل صفات الخلايا العصبية في الدماغ المختصة بوظيفة الذاكرة، والعاطفة، والإدراك، وهذا يؤكد على القلب هو مركز للأحاسيس، والمشاعر، والإيمان، والكفر، والحب، والكره... وغيرها.

وهذا يفسر لنا كيف يكتسب الذي زُرِعَ له قلب بعض صفات المتبرّع من الحب، أو الكراهية لبعض الأشياء، أو يحدث تغيّر في بعض أخلاق الذي زُرِعَ له القلب ومعاملاته.

﴿هَمْ قُلُوبٌ﴾: والقلب له علاقة بالدماغ محل الإدراك، فمن دون القلب لا يعمل الدماغ، وعقول، أو مناطق الإدراك، والفهم عندهم معطلة، فهي لا تستجيب، ولا تنتفع بآيات الله تعالى وبما جاء على السنة رسله من الحق.

والثانية: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾: أعين: جمع عين، وعين تجمع على أعين وعيون؛ أعين: تعني التي نبصر بها، أو قد تعني البصيرة، أما عيون: فلا تعني إلا عيون الماء مثل عيون الجنة، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات: ١٥] أي: لا ينظرون نظر البصيرة، نظرة تبصر، واعتبار؛ فهم لا ينتفعون بأعينهم ولا يرون الحق.

والثالثة: ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾: وكذلك لا يسمعون سماع تدبر، وإصغاء، ولا ينتفعون بسمعهم، أو آذانهم.

﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، ويفيد الذم.

﴿كَالْأَنْعَامِ﴾: الكاف: كاف التشبيه؛ كالأنعام: وهي البقر، والغنم، والإبل، والمعز، إذا لم يستخدموا عقولهم، وسمعهم، وأبصارهم، ويتجنبوا الكفر، والشرك، ويختاروا طريق النجاة، والهدى؛ فهم كالأنعام حين لا ينظرون في عواقب الأمور، وما يعملون في دنياهم، ثم يستمرون في غفلتهم.

ولنعلم: أن الأنعام، والنباتات، والجمادات كلها تسجد، وتسبح لله بطريقتها الخاصة، وأن الأنعام غير مكلفة، ولم تحمل الأمانة، وأدوات إدراكها؛ مثل: العقل، والعين، والأذن معدة لما خلقت له من وظيفة (التسخير).

وهي من آيات الله سبحانه تعمل بما أودع الله سبحانه فيها من أجهزة خاصة؛ كي تكون مسخرة لبني آدم.

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾: بل: للإضراب الإبطالي؛ أي: ليسوا كالأنعام، بل هم أضل

من الأنعام؛ لأن الأنعام تقوم بما أمرها الله به، ومحكومة بالغريزة، ولا اختيار لها في شيء، والأنعام تعرف ربها، وتسجد له، ولا يبلغ مواقع بها الضلال أن تقع في



الهلاك أو الموت كما هم يفعلون، وهم لا يعرفون ربهم، وينكرونه؛ فهم أضل من الأنعام؛ أي: أسوأ.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد المبالغة؛ أي: إن كان هناك غافلون على الأرض؛ فهم أغفلهم حقاً.

﴿الْغَافِلُونَ﴾: جمع غافل: وهو الذي لا يحضر في باله الشيء، أو انمحى عن ذاكرته الشيء، فلم يعد يذكرون آخرتهم، ويستعدون لها.

﴿الْغَافِلُونَ﴾: لما نسوا ذكر ربهم، وتركوا الإيمان، والتدبر في كتاب الله، كانوا بمنزلة الغافلين. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان.

[١٨٠] ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَلِلَّهِ﴾: الواو: استئنافية.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾: تقديم الجار والمجرور، لفظ الجلالة، يدل على الحصر؛ أي: الأسماء الحسنى، هي قصراً، وحصر الله وحده، ولا يسمّى بها أحد من خلقه.

﴿الْحُسْنَىٰ﴾: مؤنث الأحسن، ومعنى الحسنى: البالغة في الحسن والتفضيل هنا مطلق، وليس مقيداً.

مثال المطلق: الله الأفضل، بينما المقيد: الله أفضل من الآلهة، وهذه الأسماء الحسنى (٩٩) اسماً، كما جاء في الصحيحين، عن أبي هريرة، قال رسول الله: «إن لله تسعاً وتسعين اسماً».

﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾: الدعاء: هو السؤال؛ أي: تجعلها وسيلة لك عند الدعاء؛ فتقول مثلاً: يا حي، يا قوم، يا ذا الجلال والإكرام.

﴿فَادْعُوهُ﴾: الدعاء بها يتضمن معرفتها، والدعاء: دعاء عبادة تتعبد الله بها، مثلاً: الرحيم: مشتق من الرحمة، فتقوم بالأسباب التي تؤدي إلى الرحمة، أو دعاء المسألة؛ أي: التوسل بها.

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: اتركوا.

والإلحاد: من اللحد، وهو الميل، والإلحاد بها يشمل إنكار أي شيء من أسماء الله، أو التغيير، أو التعطيل، والتكذيب، أو أن يسمي أحد نفسه بها، أو زيادة اسم، أو حذف اسم، أو أن نشق منها أسماء للآلهة، والأصنام؛ كتسمية اللات من الله، والعزى من العزيز.

﴿سَيُجْزَوْنَ﴾: السين للاستقبال القريب؛ أي: سيلقون جزاء هذا الإلحاد قريباً، وهذا تهديد ثانٍ، ووعد لهؤلاء الذين يلحدون في أسماء الله، والتهديد الأول: هو قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾.

﴿مَا كَانُوا﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، وما أوسع شمولاً.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: يقولون، ويفعلون في الدنيا؛ لأن العمل يشمل: القول، والفعل.

[١٨١] ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾:

المناسبة: بعد قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾، ولم يقل: كل من خلقنا، بل قال: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا﴾؛ يعني: القليل من الجن، والإنس.



﴿وَمَنْ﴾: الواو: استئنافية، ممن: تضم من زائد من، أدغمت الثانية في الأولى، ومن الأولى: ابتدائية، ومن الثانية: بعضية.

﴿خَلَقْنَا﴾: في أي زمان، ومكان.

﴿أُمَّةٌ﴾: جماعة من الناس بغض النظر عن العدد، والحيز الجغرافي جماعة تجمعهم عقيدة، أو مبادئ واحدة.

﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾: ستجد أمة قائمة بشرع الله، وحاملة لمنهج الله، وداعية له، وسائرة على الطريق المستقيم.

﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾: أي: هداة مهديون، هم اختاروا طريق الهداية، فهداهم الله، ثم أصبحوا هداة لغيرهم، ودعاة إلى الحق، يرشدون الناس إلى الإيمان، والدين الصحيح، وطاعة الله، وعبادته.

﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾: الحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتغير، وكل شيء من عند الله، هو الحق، والحق هو القرآن، أو الوحي، وسنة رسوله.

﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾: وبالحق يحكمون بين الناس؛ أي: بالعدل، ولا يجورون على احد.

﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾: وبه: بالحق يحكمون، أو يعملون به؛ مثل: الأنبياء، والعلماء، وكل من تمسك بشرع الله تعالى، وولي أمر الناس.

ومن قبل ذكر: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾: ارجع إلى الآية (١٥٩) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.



[١٨٢] ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

ومقابل الذين يهدون بالحق وبه يعدلون الذين كذبوا بآياتنا، لم يؤمنوا بها، وجحدوا بها، بآياتنا: تشمل القرآنية، أو الشرعية، والكونية، والمعجزات.

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾: السنين: للاستقبال القريب، الاستدراج: على وزن استفعال، واستدرجه؛ بمعنى: أدناه منه بالتدرج.

والاستدراج: من الدرج: وهو السلم، وسيلة للانتقال للصعود، أو النزول درجة درجة.

مثال على الاستدراج: تُملي عليهم النعم، النعمة تلو الأخرى، حتى يصلوا إلى أعلى درجات البطر، والعصيان، والإثم، والبعد عن الله، وعدم الشكر؛ ظانين أن تواتر النعم عليهم بسبب قربهم من الله، أو عدم مؤاخذتهم، وأن الله غفور رحيم، ولا يعلمون أنما هي خذلان لهم، وتباعد عنه، ثم يأخذهم بالعذاب بغتة، أو على غفلة؛ فإذا هم مبلسون، أو خامدون.

﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: بما يُدبر لهم من الهلاك، والعذاب، والكيد.

﴿مِّنْ﴾: لا ابتداء الغاية.

﴿حَيْثُ﴾: ظرف زمان، أو مكان.

من حيث لا يعلمون الزمان، والمكان، ولن يفلت منهم أحد.

[١٨٣] ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾:

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: من الإملاء: وهو التأخير؛ أي: تأخير العقوبة، أو العذاب، ولا يعني: الإهمال، مع طول، أو قصر الزمن.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.



﴿كَيْدِي﴾: أخذي، وتديري، والكيد: هو التدبير الخفي، والكيد: أقوى من المكر. ارجع إلى سورة يوسف، آية (٥)؛ لبيان معنى الكيد.

﴿مَتِينٌ﴾: شديد؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

وقوله: كيدي: فيه تحذير، وتهديد شديد؛ فهو كيد رب العالمين.

[١٨٤] ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّهُ لَا يَذِيرُ مِثِينَ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري.

﴿أَوَلَمْ﴾: ولم يقل: ألم، وما هو الفرق بينهما؟

الواو في ﴿أَوَلَمْ﴾: تدل على شيء مرئي، مشاهد، وتنكره، والواو: تدل على شدة الإنكار لذلك الشيء الذي تراه، ثم تنكره، وغيرك لا ينكره؛ أي: إنهم إذا تفكروا في شأن محمد ﷺ، وتجردوا من عصبيتهم، وأهوائهم؛ لأدركوا صدقه، وأنه ليس مجنوناً؛ كما يزعمون.

﴿مَا﴾: النافية.

﴿بِصَاحِبِهِمْ﴾: الباء: للإلصاق، والتعليل؛ يعني: محمداً ﷺ.

﴿مِنْ جَنَّةٍ﴾: من استغراقية؛ أي: جنون؛ لأنهم كانوا يقولون: شاعر، مجنون، والباء: تدل على الإلصاق، وأنهم يعرفونه منذ بدء نشأته، وأنه الصادق، الأمين، وليس المجنون.

﴿إِنْ﴾: للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: نذير من الإنذار: وهو الإعلام مع التحذير، أو التخويف، نذير للمكذابين بآيات ربهم، ومنذر من عذاب يوم القيامة، أو الآخرة، مبين؛ أي: إنذاره واضح، وبين لكل فرد، ولا يخفى على أحد، وإنذار لا يحتاج معه إلى برهان، أو دليل.

وانتبه! كيف يستعمل في القرآن: ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، يستعملها دائماً في سياق، أو مقام الدعوة، الهادئة المبينة بالحجة.

﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾: يستعملها في سياق، أو مقام المجادلة، والمخاصمة، والجهاد في القول.

[١٨٥] ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَهُمْ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾:

إذا لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة، لماذا لا ينظرون في ملكوت السموات والأرض؛ نظرة مشاهد، ومعتبر؛ ليروا عظيم ملكه، وقدرته، وبديع صنعه.

﴿مَلَكُوتٍ﴾: اسم لما يملكه الله من كل شيء، ولا نراه، وهو خاص بالله تعالى وحده، وهو صيغة مبالغة للملك.

والمُلك: هو كل ما تشاهده، وتراه، وتدركه، وتحسه أمامك، أما الملكوت: فهو كل ما غاب عنك، وراء الملك. ارجع إلى سورة الأنعام، آية (٧٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾: من: استغرافية؛ أي: تشمل كل شيء.

وكلمة شيء: نكرة؛ تشمل كل شيء، ومن: تشمل كل شيء، والشئ: هو أقل القليل، فلا يوجد شيء مهما كان شكله، أو نوعه، أو حجمه، أو لونه، أو صفاته؛ إلا ويعتبر آية من آيات الله سبحانه؛ الدالة على عظمة قدرته، وأنه واجب



الوجود، وأنه الإله الحق، خالق كل شيء، والذي يجب أن يعبد، ويسبح، ولا يشرك به.

﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾:

﴿وَأَنْ﴾: تفيد التوكيد.

﴿عَسَى﴾: أداة رجاء؛ أي: ما بعدها، يرجى حدوثه.

﴿وَأَنْ عَسَى﴾: أصلها: وأنه عسى أن يكون قد اقترب أجلهم، وهم لا يعلمون متى سيكون.

﴿قَدِ﴾: للتوكيد، والتحقيق.

فلما لا يسارعون في النظر، أو المبادرة إلى الإيمان، بالرسول وبالقرآن، قبل فوات الأوان، فربما يموتون عن قريب، أو لعل أجلهم قد اقترب.

﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿فِي أَيِّ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ أي: استفهام، والباء: للتوكيد، والإلصاق.

﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ﴾: أي: بعد القرآن يصدقون؛ أي: وإذا لم يؤمنوا بمحمد أولاً، وبما جاء به، وأنذر به، ولم يصدقوا بالقرآن، فهم لن يصدقوا، ويؤمنوا بأي حديث آخر، أو كلام آخر، وفي الكلام تحذير، وترهيب شديد.

[١٨٦] ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَنَّهُ هَادٍ لَهُ، وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾:

﴿مَنْ﴾: شرطية.

﴿يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَنَّهُ هَادٍ لَهُ﴾: والسؤال هنا: هل الله سبحانه يضل أحداً؟



الجواب: لا؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

فالله دعا الناس جميعاً للإيمان، والهداية، فأنزل كتبه، وأرسل رسله، وآياته الكونية، والمعجزات، وكل ذلك؛ لكي يؤمنوا.

فمعنى: ﴿مَنْ يُضِلِلْ﴾: أي: من يختار طريق الضلال، والكفر، ولم يؤمن بالله، ولا بكتبه، ولا برسله، فليذهب إلى ضلاله، وكفره، كما يشاء، ولن تجد له هادياً غير الله؛ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠].

﴿وَيَذَرُهُمْ﴾: ويتركهم في طغيانهم، وترددهم، وحيرتهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾: والعمه: هو فقدان البصيرة، والعمى: هو فقدان البصر (النظر). ارجع إلى سورة الأنعام، آية (١١٠)؛ للبيان.

[١٨٧] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ نُفِذَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: أي: السائل يقف أمام رسول الله ﷺ، وجهاً لوجه.

﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾: الساعة؛ تعني: ساعة تهدم النظام الكوني الحالي، وأما القيامة؛ فيعني: البعث، والخروج من القبور.

﴿أَيَّانَ مُرْسِنُهَا﴾: أيان: للاستفهام، وأيان: تستعمل للأمر العظام، الجسام، وللتفخيم، والتعظيم، وجاءت في (٦) آيات، كلها في سياق البعث: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ﴾، و﴿السَّاعَةِ﴾، و﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.

أيان: تعني: متى، ولكن هناك فرق بين متى، وأيان؛ أيان: تختص فقط بالمستقبل، وتستعمل للأمر العظام؛ كما قلنا، أما متى: فتستعمل للماضي، والمستقبل، والأمر العادية.

﴿مُرْسَنَهَا﴾: حدوثها، أو متى وقوعها.

﴿مُرْسَنَهَا﴾: مشتقة من مرسى السفينة؛ حيث تنتهي، أو قيل: بثوتها، ويقال: رسا في الأرض؛ أي: ثبت، أو استقرَّ بعد الإبحار. فالساعة شبهها بالسفينة التي تقترب كل يوم حتى تبلغ مرساها في الشط؛ أي: منتهاها.

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾: أي: قد استأثر ربي بعلمها، ولم يطلع عليها أحد.

﴿لَا يُجْلِيهَا لَوْفَهَا﴾: أي: لا يظهرها إلا هو. لوقتها: اللام: لام التوقيت، أو التعليل عند وقتها؛ أي: لا يكشف خفاء علمها إلا هو سبحانه، وهذا يعني عند دنو أجل الساعة يكشف لنا ربنا أشراف الساعة، أو علاماتها الكبرى.

﴿نُقِلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ثقل وقوعها على أهل السموات والأرض، أو عظم شأنها على أهل السموات والأرض، أو الكل يخافونها: الملائكة في السموات، والناس، الجن، والإنس على الأرض.

﴿نُقِلَتْ﴾: الثقل: قد يكون فكرياً، نفسياً، أو مادياً؛ فالخوف يعتبر ثقلاً نفسياً، وفكرياً. ثقلت على أهل السموات: الملائكة، وعلى أهل الأرض، الإنس والجن، وثقلت؛ تعني: لا يستطيعون تحملها من شدتها.

والثقل: يكون كذلك من عدم معرفة آيات مرساها، وكونها تأتي بغتة.

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾: لا تأتيكم إلا فجأة على غفلة منكم، إلا: أداة حصر.

﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾: الحفيُّ لها عدَّة معانٍ؛ منها:

١ - هو المُلِحُّ في طلب الشيء؛ أي: بكثرة محاولاً الوصول إلى معرفتها،

ومن كثرة ذلك يصبح عالماً بها أكثر؛ أي: كأنك دائب السؤال عنها، والعناية بها؛ كأنك عالم بها، أو كأنك معني بطلب علمها.

٢ - وحفي: قد تعني: يسألونك عنها كأنك صديق لهم (من كثرة السؤال)؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِحَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧].

أو حفي: حافي القدمين من كثرة الذهاب، والمجيء للسؤال عنها؛ أي: تمزق نعليك من كثرة المشي؛ للوصول إلى معرفتها، وأصبحت حافي القدمين. ﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: تكرر قل: للتأكيد، إنما: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

علمها عند الله؛ علم وقوعها، وحدوثها فقط عنده، وما يحدث فيها. ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن الله أخفاها؛ لتجزئ كل نفس بما تسعى، أو لا يعلمون أن الله العالم بها، واختص بها وحده، أو تعني: هناك القلة من العلماء من يعلم شيئاً عن أشراط الساعة، وأهوالها.





الجزء التاسع

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٧



قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ
 أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَتَكُنْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ
 أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ
 مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا
 تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَاَمَرَتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا
 اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَاهُ صَاحِدًا نَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾
 فَلَمَّا آتَاهُمَا صَاحِدًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَلَّى
 اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيْشُرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
 ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
 وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ
 أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 عِبَادُ أَثَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ
 يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ
 يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٩٥﴾



سورة الأعراف [الآيات ١٨٨ - ١٩٥]

[١٨٨] ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْنَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
 المناسبة: في الآية السابقة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾.

وفي هذه الآية قل أيضاً: ﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: أي: الأمور كلها بيد الله وحده: الساعة، وعلم الغيب، والنفع، والضرر.
 ﴿لَا﴾: النافية.

﴿أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أي: لا أستطيع جلب أي نفع، أو دفع أي ضرر عن نفسي، ولا عن غيري، والضرر: بضم الضاد ما يصيب البدن من مرض أو طارئ، والضرر: بفتح الضاد ضد النفع، وقدم النفع على الضرر في هذه الآية؛ لأن السياق في ذكر الساعة والهداية فقدم النفع الذي هو ثواب الآخرة (الساعة)، أو الهداية هي (نفع) على الضرر الذي هو عقاب الآخرة، أو الضلال والنفع أحب إلى الإنسان من الضرر.
 ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، وهي أوسع شمولاً من الذي؛ للعاقل وغير العاقل.

﴿شَاءَ اللَّهُ﴾: أي: إلا ما أراد الله، والمشئنة تأتي قبل الإرادة؛ إلا ما أراد الله أن أملكه.



﴿وَلَوْ﴾: لو شرطية.

﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾: الغيب: هو كل ما غاب عنا، فلا تراه العيون، ولا يدرك بالحواس، ومعناه محصل في الصدور، والغيب أنواع: منه المطلق: لا يعلمه إلا الله، والنسبي: الغيب الذي يطلعه الله على رسله.

﴿لَأَسْتَكَثِّرْتُ مِنْ الْخَيْرِ﴾: اللام: للتوكيد.

استكثرت: الألف، والسين، والتاء: تعني الطلب؛ أي: لطلبت، أو لجلبت الكثير من الخير لنفسي، والخير: هو كل شيء حسن، ونافع، وحلال، وطيب.

﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾: ما: النافية، السوء: كل ما يسيء، أو يسوء إلى النفس، أو القبيح، والمكروه، والضرر، مثال: الفقر، والهزيمة في الغزوات، والموت؛ أي: من هو حاله كحالي كيف يعلم الغيب، أو علم الساعة.

﴿إِن أَنَا﴾: حرف نفي؛ بمعنى: ما أنا، وهي أشد نفياً من ما. والتقدير: ما أنا إلا: أداة حصر.

﴿نَذِيرٌ﴾: من الإنذار: وهو الإعلام مع التخويف، أو الزجر. وقدم نذير على بشير؛ لأن الآيات جاءت في سياق المشركين لذلك قدم الإنذار على البشارة.

﴿وَبَشِيرٌ﴾: من البشارة: الإخبار بما يسر، الإعلام بما يسر، ولأول مرة؛ أي: أرسلت بشيراً، ونذيراً، خاصةً.

﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: لقوم: اللام: لام الاختصاص، وأرسلت إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وخاصةً لقوم يؤمنون؛ أي: من ينتفع من إنذاري، وتبشيري خاصةً، هم القوم الذين يؤمنون.

[١٨٩] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا

تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْنَا صَبَاحًا
لِنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦﴾:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: هو: تعود على الله سبحانه وتعالى،
وهو ضمير منفصل؛ يفيد الحصر، والتوكيد.

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: الخلق: هو التقدير، والإيجاد.

﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: أي: من نفس الجنس البشري؛ أي: كل النفوس خلقت
من نفس واحدة (مثل جرم واحد).

﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: الجعل: يكون بعد الخلق؛ أي: مرحلة تلي الخلق؛
أي: بعد خلق النفوس من نفس واحدة جعل بعضها أنثوية، وبعضها ذكورية؛
ليسكن إليها، ويغشاها، وتحمل، وتلد.

ولا بُدَّ من مقارنة ثلاث آيات متشابهة في القرآن؛ هي:

آية سورة النساء، رقم (١): ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾.

آية سورة الأعراف، رقم (١٨٩): ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا
زَوْجَهَا﴾.

آية سورة الزمر، رقم (٦): ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾.

أولاً: الآيات الثلاث مطلعها واحد هو قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ
وَاحِدَةٍ﴾؛ أي: كافة البشر بما فيهم آدم وحواء، وكل نفس أخرى؛ ذكراً وأنثى،
الكل خلق من نفس واحدة هي الأصل.

أما بالنسبة لآية النساء، فقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: يؤكد أن نفس
الذكر، ونفس الأنثى نفوس متشابهة (من حيث البناء) أو التشريح.



أما بالنسبة لآية الأعراف، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: فالجعل يكون عادة بعد الخلق، فبعد أن خلق الله النفوس من نفس واحدة ميزها؛ جعل بعضها ذكورية، وأنثوية؛ ليتم التزاوج والتناسل، وهكذا ما تؤكد الآية؛ ليسكن إليها، ويتغشاها، وتحمل، وتلد.

أما بالنسبة لآية الزمر، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: ف(ثم) هنا ليست للترتيب، والتراخي، وإنما للتباين، والاختلاف رغم كونها خلقت من نفس واحدة، فنفس الرجل (الزوج) غير نفس الأنثى (الزوجة) من حيث: اتخاذ القرار، والعواطف، والمشاعر، والرحمة، والأمومة، والحمل، والإرضاع، ومن حيث تحمل الأعباء، والمشاق، فلكل نفس طابع خاص مصور في المحفظة الوراثية.

﴿لَيْسَ كُنْ إِيَّاهَا﴾: اللام: لام التعليل؛ من السكينة، فالزوجة سكن لزوجها، والزوج سكن لزوجته؛ أي: لتأنس به ويأنس بها، ويأوي إليها، وتؤوي إليه، وفيها معنى الاستقرار، والإقامة؛ سكون مودة، ورحمة؛ أي: حب، وتراحم.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب. لما: ظرف زمني؛ بمعنى: حين.

﴿تَغَشَّاهَا﴾: كناية عن الجماع، أو لامسها، أو الوطء، وتغشاها: مشتقة من الغشاء؛ أي: الغطاء؛ أي: الستر؛ أي: هو يسترها، وهي تستره كالغطاء كل للآخر.

﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾: أي: ابتداء الحمل في أسابيعه الأولى، كانت لا تشعر بأنها حامل، ولا تشكو من أي أعراض الحمل من تعب أو إعياء.

﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾: فلما تجاوزت الأسابيع الأولى، واستمرت في حملها.

﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾: أي: بلغت مراحل الحمل الأخيرة زاد وزنها، وأصبحت تعاني من أعراض الحمل من التعب، والإعياء، وغيرها من الأعراض.

﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾: أي: الزوج، والزوجة؛ دعوا الله ربهما دعاء التوحيد، توحيد الألوهية، والربوبية معاً.

﴿لَيْنَ﴾: اللام: للتوكيد، إن: شرطية.

﴿ءَاتَيْنَا صَالِحًا﴾: أي: رزقنا ولدًا سويًا من العيوب، والأمراض، وقد تعني صالحًا: صلاح الدين، أو كلاهما.

﴿لَنَكُونَنَّ﴾: اللام، والنون: تفيد التوكيد.

﴿مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾: من: ابتدائية. الشاكرين: لنعمك علينا، والشاكرين على المولود. ارجع إلى الآية (١٠) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.

[١٩٠] ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للتعقيب. لما: ظرفية؛ بمعنى: حين.

﴿ءَاتَاهُمَا صَالِحًا﴾: حصل المطلوب، ولكن النتيجة كانت بالعكس، فلم يحصل منهما الشكر الذي وعدا الله به، بل جعلا له شركاء، فيما آتاهما؛ أي: هذا الولد الذي آتاهما الله سبحانه؛ كان صالحاً، معافى، صحيح الجسم، فكيف جعلاه؛ أي: لله شركاء، فيما آتاهما؟ هناك عدة تفاسير:

١ - أن هذه الآية نزلت في قصي، وهو جد من أجداد الرسول ﷺ؛ فقد طلب، أو دعا قصي هو وزوجته من الله أن يعطيه ذرية صالحة، فلما أعطاهما الذرية الصالحة سمّاها بأسماء الآلهة؛ مثل: عبد مناف، عبد العزى، وجعل لله شركاء في التسمية، والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

٢ - أو أن هذه الآية تعود إلى ذرية آدم حين تصبح الزوجة عاقراً، أو عقيمة غير قادرة على الإنجاب، ثم يشاء الله تعالى أن تحمل بالولد، ويظن أو يعتقد الأب والأم أن الولد الصالح الذي رزقاه كان بسبب أنهما ذهبا إلى قبر الولي



فلان، ودعا عند قبره بأن يرزقهما الولد؛ فظناً أن الولي، أو الشيخ هو السبب فتعالى الله عما يشركون.

٣ - يجب الانتباه أن هذه الآية لا تتعلق بآدم وحواء، كما جاء في بعض كتب التفسير؛ فآدم وحواء لم يشركا بربهما، ولم يذكر اسم آدم أو زوجته في الآية أبداً.

﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾: والذي جعل له شركاء فيما آتاها هما الزوجان الكافران، أو المشركان بالله تعالى؛ لكونهما أبداً لا شكر الله على الولد المعافى (صالحاً) بالكفر والجحود.

﴿فَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: ترفع، وتقدس الله عما يشركون به من الأولياء، والأصنام، والمخلوقات.

[١٩١] ﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾:

﴿أَيْشْرِكُونَ﴾: الهمزة: همزة استفهام تعجبي، وإنكاري، أيشركون في عبادة الله الأصنام، أو غيرها من الأشياء التي لا تخلق أي شيء مهما كان، وهي نفسها مخلوقة، فكيف يحق لها أن تكون آلهة تعبد، وهي عاجزة عن خلق أي شيء.

﴿مَا﴾: اسم موصول، وتستعمل للمفرد، والجمع، ولا النافية.

﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: هم ضمير فصل لا يطلق إلا على العاقل؛ أي: العقلاء، فكيف أطلق ضمير العاقل على الأصنام التي لا تعقل؟ أطلقها على الأصنام بناء على اعتقاد الذين يعبدونها أنها تنفع وتضر.

فالأصنام، والذين يعبدونها الكلُّ عجزة.

وإضافةً إلى عجزهم عن خلق أي شيء هم لا يستطيعون لهم نصراً، وهذا عجز آخر، ولا أنفسهم ينصرون عجز ثالث؛ كما ورد في الآية التالية.



[١٩٢] ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهَا نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرِفُونَ﴾:

أي: هذه الأصنام لا تستطيع أن تنصرهم، ولا هي قادرة على نصر أنفسها، ولا هم قادرون على نصر هذه الأصنام أيضاً، والكلُّ عجزه، وتكرار لا يفيد تأكيد النفي، وفصل نصر عابديها عن نصر أنفسها؛ أي: لا هذا، ولا ذاك، ولا كلاهما.

وإضافةً إلى هذا العجز هناك عجز آخر هو:

[١٩٣] ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال؛ أي: إن تدعوا هذه الأصنام إلى الهدى لا يتبعوكم؛ لا تستجيب لكم.

﴿تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾: وإن تدعو هذه الآلهة الأصنام إلى الهدى، أو الاستجابة لكم فهي لا تستجيب؛ فهي لا تصلح أن تكون متبوعة، ولا تبعاً لغيرها.

فهي لا تجلب لكم نفعاً، ولا تستطيع أن تضركم، ولا تهديكم، ولا تهدوها. ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾: الهمزة في أدعوتموهم: همزة التسوية؛ أي: يتساوى عندكم دعاؤهم، أو عدمه؛ أي: لا يسمعونكم إذا دعوتموهم، أو لم تدعوه؛ أي: أنتم صامتون، والصمت يعني: عدم التفوه بأي كلمة.

[١٩٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.



﴿تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: تعبدون من غير الله، أو تدعوهم؛ أي: تطلبوا منهم العون والنصرة.

﴿عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ﴾: كيف تجعلون الأصنام عباداً أمثالكم، أو تشبهونها بكم؛ فهذا استهزاء بكم، وسخرية بكم، أو كيف تعبدونهم وتسمونهم آلهة. وتسميتهم عباداً أمثالكم: هو استهزاء بكم، وتقريع، وتوبيخ لكم. وما دمتم اتخذتموهم آلهة هيّا ادعوهم بأيّ دعاء، أو طلب، وانظروا هل يستجيبون لكم.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الشك أن تكونوا صادقين، أو إن كنتم صادقين في عبادتكم لها، أو دعائكم لها، أو تعني: إنكم كاذبون. [١٩٥] ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ﴾: هذه تنمة للآية السابقة.

﴿أَلَهُمْ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري وتعجبي؛ أي: هل هذه الأصنام التي صنعتموها بأرجل، وأيدي، وأعين، وآذان؛ هل يمشون بهذه الأرجل التي صنعتموها، أم هل يبطشون بهذه الأيدي، أم هل يبصرون بهذه الأعين أي شيء، أم هل يسمعون بهذه الآذان أيّ دعاء، كلا، بل هي أعضاء معطّلة لا حياة فيها، ولا حركة، ولا حسّ.

ثم تحداهم، ولا داعي أصلاً للتحدّي، ولكن ليقيم عليهم الحُجّة، ويطلعهم على غباوة أمرهم، وأنه لا يخاف هذه الأصنام.

﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا﴾: أي: نادوا آلهتكم، وأصنامكم، ثم بعد ذلك ﴿كِيدُوا﴾: أي: أجمِعُوا أمركم، وتعاونوا على إلحاق الضرر بي إن استطعتم.

﴿فَلَا تُنْظِرُونَ﴾: الفاء: للمباشرة، والتعقيب؛ أي: من دون انتظار؛ أي: كيدون الآن.

﴿تُنْظِرُونَ﴾: تمهلون.

انظر إلى المقارنة مع آية هود.

ولنقارن هذه الآية (١٩٥) من سورة الأعراف: ﴿قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونَ﴾.

مع قوله في الآية (٥٥) من سورة هود: ﴿مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ﴾.

آية الأعراف: جاء في سياق تحدي رسول الله ﷺ لمشركي قريش، والفاء في كلمة: ﴿فَلَا تُنْظِرُونَ﴾: تدل على المباشرة؛ أي: كيدون الآن، ولا تنظرون، و﴿كِيدُونِ﴾ من دون ياء: تدل على قصر التحدي، وأنه تحدٍّ عادي.

آية هود: جاءت في سياق تحدي هود لقومه، و﴿ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ﴾: تدل على التراخي في الزمن؛ أي: كيدوني متى تشاؤون في المستقبل، و﴿فَكِيدُونِي﴾ بالياء: تدل على شدة التحدي، وكونه أطول في الزمن، فليس ضرورياً أن يكون تحدياً قصيراً الأمد.

ففي آية الأعراف: التحدي مباشرة، وتحدي عادي قصير.

أما في آية هود: فالتحدي شديد، وبالغ، وتحدي طويل الأمد ليس بقصير.





سورة النازعات

سورة النازعات ٧

إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ وَلَا
أَنْفُسَهُمْ يَصْرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا
وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ
بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ
الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ
الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا
فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ
لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا
قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
فَأَسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَادْكُرْ رَبَّكَ
فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ
وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾



سورة الأعراف [الآيات ١٩٦ - ٢٠٦]

[١٩٦] ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾:

المناسبة: بعد قوله تعالى لرسوله ﷺ: قل لمشركي قريش أنتم ادعوا شركاءكم؛ فليستجيبوا لكم، ثم كيدون فلا تنظرون، وأنا أدعو وليي الله الذي نزل الكتاب.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾: الولي: هو الذي يليك بالقرب؛ أي: القريب، والمعين، والناصر.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول.

﴿نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾: نزل القرآن، ونزل تعني: على دفعات، وليس جملة واحدة، وخلال (٢٣ عاماً).

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد.

﴿يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾: بدلاً من أن يقول: وهو يتولى رسوله ﷺ قال: يتولى الصالحين؛ أي: رسول الله ﷺ، واتباعه؛ فهي ولاية عامة للصالحين، وهذه تعتبر بشارة له.

والصالحين: جمع صالح، والصالح: ضد المفسد، والصالح الذي قام بحق الله تعالى، وحق العباد.



﴿تَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾: أي: يحفظهم، وينصرهم؛ لعمارة الأرض، ولمقاومة الفساد. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٠)؛ لبيان معنى الصالحين.

[١٩٧] ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾:

هذه الآية تنتم للآية السابقة: الله ولي الصالحين ينصرهم ويعينهم في الدنيا والآخرة.

﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: عاطفة. الذين: اسم موصول.

﴿تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾: تعبدون، وتدعون من غيره من أولياء، أو شركاء أصنام، أو غير أصنام، بشر، أو ملائكة.

﴿مِنْ﴾: استغراقية.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾: لأنهم غير قادرين، ولو كانوا قادرين فهو غير مسموح لهم، ولا يملكون كشف الضر عنكم، ولا تحويلاً.

﴿وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾: ولا قادرين على نصر أنفسهم، فكيف ينصرونكم، لا في الدنيا، ولا في الآخرة.

وتكرار (لا): يفيد توكيد النفي؛ نفي نصركم، ونصر أنفسهم كلاً على حدة، أو معاً.

[١٩٨] ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرْدُهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والواو: عاطفة.

﴿تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا﴾: أي: إن تدعوهم إلى الهدى بدلاً من أن

يدعوكم هم أنفسهم إلى الهدى؛ لأن هذا هو المفروض، لا يسمعون، وسواء أنتم دعوتهم أم هم دعوكم، لا يسمعون في كلا الحالين.

﴿وَتَرَنَّهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ﴾: النظر: هو الالتفات إلى الشيء؛ أي: توجه العين إلى الشيء دون رؤيته؛ لأن هذه الأصنام بأعينهم الاصطناعية؛ التي لا تبصر، ولا تدرك، ويشبهون من ينظر إليكم، واستعمل هم التي تستعمل للعقلاء؛ استهزاء بالأصنام التي شبهوه بها.

﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾: البصر: رؤية الشيء بوضوح لا يدركون ما يبصرون، أو لا يبصرون أصلاً رغم أنه واضح يمكن رؤيته.

وقد تنطبق هذه الآية على المشركين، والمنافقين؛ الذين ينظرون بأعينهم، وهم لا يبصرون بقلوبهم، أو لا يدركون ما يبصرون، أو يسمعون، ولا يفهمون شيئاً من دينهم.

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

[١٩٩] ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾:

قال العلماء: جمع الله في هذه الآية مكارم الأخلاق.

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾: العفو له معانٍ عدة:

١ - الصفح.

٢ - ما زاد عن الحاجة؛ لقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكَبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ﴾ [البقرة: ٢١٩].



٣ - الأمر السهل اليسير.

وهذه المعاني الثلاثة تتضمن: اعفُ، واصفح عمن ظلمك، ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]. وأقبل ما تيسر من أخلاق الناس، ولا تتبع عورتهم، وما زاد عن الحاجة؛ يعني: ما زاد من المال؛ مثل: الزكاة، والصدقة، خذ إذا كنت أنت الفقير المحتاج، أو أعط إذا كنت أنت الغني الكريم. خذ الأيسر من التكاليف الشرعية، ويسّر، ولا تعسر على الناس.

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾: العرف شرعاً: هو ما تعارف عليه الناس، واطمأنوا إليه من قول، أو فعل، ولا يحتاج إلى إثبات، أو ما تعرفه العقول السليمة، ويوافق الشرع. ﴿بِالْعُرْفِ﴾: الباء: للإلصاق، والعرف: قيل: المعروف، والمعروف: اسم جامع لكل خير، وما تعارف عليه الناس في عبادتهم، ومعاملاتهم.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾: الجهل له معانٍ؛ منها: عدم العلم بشرع الله، والجهل ضد الحلم؛ أي: السفاهة، والجاهل؛ تعني: غير العالم، والسفيه. ارجع إلى سورة الزمر آية (٦٤)، وسورة الفرقان آية (٦٣) لمزيد من البيان في معنى الجاهلين.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾: بعد العفو، والصبر على سوء أخلاقهم، وسفاههم، والحلم عنهم، والدفع بالتي هي أحسن، ودعوتهم إلى الحق؛ فإن لم يستجيبوا، واستمروا في شرهم؛ عندها: أعرض عنهم، ولا تجادلهم، وهذا الخطاب موجه إلى الرسول ﷺ، وإلى الصالحين.



[٢٠٠] ﴿وَمَا يَزَعْنَاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

هذه الآية تنمة للآية السابقة، والتقدير هو: خذ العفو، وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلية.

﴿وَمَا يَزَعْنَاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية. إن: الشرطية زائدة. ما: للتوكيد.

إن: الشرطية تفيد الاحتمال، أو الندرة في الحدوث.

﴿يَزَعْنَاكَ﴾: فيها نون التوكيد، والكاف: للخطاب، والنزع: أي: النخس، أو الغرز، أو النغز: والنزع: مشتق، أو مأخوذ من إدخال الإبرة، أو طرف العصا في الجلد، أو وضع شيء بارز في الحذاء؛ مثل: حديدة كي تحت الحيوان على السير بسرعة.

والنزع في اللغة: الإفساد بين الناس، كما قال يوسف: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠].

والنزع قيل: هو الإهاجة التي تثير الغضب، ونهاية النزغ: هي البغضاء.

﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾: من: لابتداء الغاية. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٣٦)؛ للبيان.

﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾: اطلب العون من الله؛ أي: استعن بالله، والجا إليه؛ فهو الحفيظ، والملجأ، فالشيطان قوي، وخفي، فلا تستعين إلا بمن هو الأقوى، وهو الله سبحانه؛ فهو القادر على تعطيل عمل الشيطان.

﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوال الجاهلين.



﴿عَلِيمٌ﴾: عليم بأحوالهم، لا يخفى عليه شيء من أفعالهم، ونواياهم.

ولا بُدَّ من مقارنة هذه الآية، مع الآية رقم (٣٦) من سورة فصلت.

في سورة الأعراف، الآية (٢٠٠): ﴿وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وفي سورة فصلت، الآية (٣٦): ﴿وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: نجد في آية الأعراف قال تعالى: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وفي فصلت قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أضاف هو + آل التعريف هناك عدة تفسيرات منها: آية الأعراف نزلت أولاً، أو فصلت نزلت ثانياً.

التفسير الثاني: في آية سورة الأعراف لم يؤكد بضمير الفصل (هو)؛ لأن الإعراض عن الجاهلين أسهل من مقابلة السيئة بالحسنة، والإحسان إلى من أساء إليك، أو المسيء.

التفسير الثالث: في آية سورة فصلت أكد بضمير الفصل (هو)، وعرف بالسميع العليم؛ جاءت الصفتان معرفتان؛ لأن مقابلة السيئة بالحسنة أصعب على النفس.

في آية سورة الأعراف: وصف نفسه سبحانه بأنه سميع عليم، بعد ذكر الآيات التي تصف الأصنام التي يعبدونها؛ بأنها لا تسمع، ولا تبصر، ولا تقدر على الخلق، ووصف سبحانه نفسه بأن سميع عليم من دون آل التعريف، وضمير الفصل مقابل تلك الآلهة التي لا تسمع، ولا تعقل، ولا تعلم، فلا داعي للتعريف، والتوكيد.

بينما في آية سورة فصلت: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: آيات فصلت: جاءت

في سياق الذين ظنوا أن الله لا يعلم كثيراً مما يعلمون؛ أي: نفوا عن الله كثيراً من العلم، فبيّن لهم الحق، وأكد لهم أنه هو السميع العليم، المختص بالعلم الكامل، والسمع الكامل، ولو قال: (الله السميع العليم)؛ لكان ذلك يعني: أنه هو فقط السميع العليم، وغيره لا يسمع، ولا يعلم، وهذا نفي للإنس، والجن، والملائكة الذين وصفهم بالسمع والعلم.

[٢٠١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول؛ يفيد المدح.

﴿اتَّقَوْا﴾: أطاعوا أوامر الله تعالى، وتجنبوا نواهيه.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية؛ للمستقبل؛ تفيد حتمية الحدوث، وكثرته.

﴿مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾: المسُّ: هو أخف اللمس؛ أي: الإصابة الخفيفة، والمسُّ: يحدث بعد الوسوسة، والنزغ، والتزيين، والمسُّ يعني: أن المتقي بدأ بالعزم على فعل المعصية.

﴿طَائِفٌ﴾ اسم فاعل من طاف، وطاف الشيء إذا دار حوله، والطائف؛ يعني: الخيال، أو الوسوسة، أو الفكرة.

﴿تَذَكَّرُوا﴾: أي: تذكروا أنهم مخطئون، تذكروا الله خالقهم، وربهم، تذكروا عقاب الله.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد، أو المبالغة في البصر.



﴿مُبْصِرُونَ﴾: الحق، والحرام من الحلال، مبصرون للخطأ، أو الذي هموا من أجله، أو عزموا عليه.

﴿مُبْصِرُونَ﴾: جملة اسمية؛ تفيد الثبوت؛ لأن البصر يجب أن يكون صفة ملازمة للمتقي، ولم يقل: (يبصرون): الذي يدل على التجدد، والتكرار؛ يعني: الوقوع في المعصية مرة أخرى، فهذا ليس من صفات المتقي، أن يعود بعد التوبة إلى تكرار المعصية.

[٢٠٢]. ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾:

﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾: إما أن تعود على الجاهلين؛ أي: وإخوان الجاهلين، وهم الشياطين، وإما أن تعود على الشياطين؛ شياطين الجن، وشياطين الإنس، أو تعود على شياطين الإنس من أهل الشرك، والضلال، والمعاصي؛ أي شياطين الجن يمدونهم شياطين الإنس في الغي؛ أي: يمدون الفجار بالضلال، والغى، أو يمدون الجاهلين بالغى.

﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾: من فعل مد، الثلاثي، ويستعمل فعل مد الثلاثي في الخير، والشر. بينما أمد الفعل الرباعي: يستعمل في الشر خاصة، ويمدهم؛ تعني: يزيدهم، يمكن لهم، يملئ لهم، يمهلهم.

﴿فِي﴾: أي: هم أصلاً في الغي، ويمدونهم في غي جديد؛ إضافةً إلى غيهم السابق. ارجع إلى سورة الحجر، آية (٤٢)؛ لمزيد من البيان.

﴿الْغَيِّ﴾: ضد الرشيد، وأصل الغي: الفساد، وغوى: ضل عن الحقيقة، أغواه: أفسده، وأضله بالوسوسة، والتزيين، وكذلك تعني: المعاصي، والضلال، والجهل، والباطل من قول، وعمل.

﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾: ثم: لا تدل على الترتيب، والتراخي هنا، وإنما تدل على التباين، بين الإمداد، والتقصير، والتقصير: أعظم من الإمداد.
 ﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾: من التقصير، لا يكفون، أو يتوقفون، أو لا ينتهون، أو لا يمسكون عن إغوائهم؛ خوفاً من أن يعودوا إلى رشدهم، ودينهم.
 ولا بُدَّ من مقارنة هذه الآية، مع الآية (١٥) من سورة البقرة.
 سورة الأعراف، الآية (٢٠٢): ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾.

سورة البقرة، الآية (١٥): ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.
 في آية سورة البقرة: أسند الله سبحانه المد إلى ذاته، فالله يمدهم في طغيانهم؛ الذي هم بدؤوا به، وأرادوه لأنفسهم، ولم يمدَّهم في طغيان جديد، لم يفعلوه.
 في آية سورة الأعراف: أسند المد إلى الشياطين؛ فهم يمدونهم في غيٍّ جديد؛ إضافة إلى الغي الذي هم بدؤوا به.
 [٢٠٣] ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: الواو: عاطفة. إذا: للمستقبل، شرطية، وتفيد الحتمية.
 ﴿لَمْ تَأْتِهِمْ﴾: لم: نافية للحال؛ أي: لم تأتِهم الآن؛ أي: لم تأتِ أهل مكة، أو المشركين، أو قريش، كما اقترحوا لك من الآيات تعتأ؛ مثل: أن تفجر لهم من الأرض ينبوعاً، أو لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً، أو تنزل عليهم كتاباً من السماء، أو غيرها.



﴿تَايَةً﴾: الباء: للإلصاق. آية: معجزة، أو آية من آيات القرآن.

﴿قَالُوا لَوْلَا﴾: أداة حُضٍّ، وطلب؛ أي: هلاً.

﴿اجْتَبَيْتَهَا﴾: مشتقة من جبيت الماء في الحوض؛ أي: جمعته؛ أي:

جمعت لنا آية، أو أتيت، أو اختلقت من عندك.

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد، والحصص.

﴿أَتَبِعَ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾: أي: لست بمخترق؛ لأي آية، وليس الأمر بيدي،

ولا حتى مؤيد لهذا الطلب، أو الاقتراح. ولمعرفة معنى الوحي: ارجع إلى سورة

النساء، آية (١٦٣).

﴿هَذَا﴾: الهاء: للتنبيه. ذا: اسم إشارة للقرب، ويشير إلى القرآن.

﴿بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أي: هذا القرآن بصائر، أو كالبصائر.

والبصائر: جمع بصيرة، والبصيرة: هي البرهان القاطع؛ الذي ليس فيه

شك. البصائر: تشمل الحجج، والبراهين، والبيانات، والآيات التي لا لبس فيها؛

فهو أكبر آية لكم؛ أي: معجزة خالدة إلى يوم الساعة. ارجع إلى سورة الجاثية آية

(٢٠) لمزيد من البيان في معنى بصائر.

﴿وَهْدًى﴾: مصدر للهداية، أو هدى يهدي للحق، ويهدي للصراط المستقيم

الموصل إلى السعادة، والكمال في الدارين، ويهدي للغاية، وبيان الحق من

الباطل، والخير من الشر.

﴿وَرَحْمَةً﴾: يجلب ما ينفع، ويدفع ما يضر، أو مصدر إنعام في الدنيا والآخرة، وشفاء ووقاية.

﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: السلام: لام الاختصاص؛ أي: ينتفع به الذين يؤمنون بربهم، وبما أن هذا القرآن بصائر، وهدى، ورحمة لقوم يؤمنون؛ فإذا قرئ عليهم يجب عليهم أن ينصتوا له، ويستمعوا إليه. ارجع إلى الآية (٦٣) من نفس السورة.

[٢٠٤] ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زمان للمستقبل، شرطية؛ تفيد الحتمية، والكثرة.

﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا﴾: الاستماع: الإصغاء إلى تلاوته؛ بقصد وبنية.

﴿وَأَنْصِتُوا﴾: الإنصات: السكوت، وعدم الكلام مع الاهتمام.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل: للتعليل.

﴿تُرْحَمُونَ﴾: أي: إذا استمعتم إلى القرآن، وأنصتتم، واتخذتم الأسباب الأخرى للرحمة، وطلبتم العون من الله؛ فقد ترحمون.

﴿تُرْحَمُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد، والتكرار. ارجع إلى سورة الإسراء، آية (٨)؛ لمزيد من البيان.

[٢٠٥] ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾:

وبعد الاستماع إلى القرآن، والإنصات إليه؛ عليكم بذكر ربكم؛ تضرعاً، وخيفةً.

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ﴾: والذكر: هو حضور الشيء للفكر، أو العقل، والذكر



يكون باللسان، ويكون في النفس؛ أي: يتذكر الشيء في عقله، ويفكر به، والذكر يشمل الصلاة، والتسبيح، والتهليل، والحمد، والثناء، والدعاء، وقراءة القرآن، كلها من وسائل الذكر.

﴿تَضَرَّعًا﴾: بذل، وخشوع.

﴿وَخِيفَةً﴾: خوفاً، وخشية، وخاصةً حين تلاوة آيات الوعيد، والإنذار. ارجع إلى الآية (٥٥) في نفس السورة للمقارنة.

﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾: من دون صوت مرتفع؛ كأن تسمع نفسك فقط، دون الغير، وفوق السر.

﴿الْجَهْرِ﴾: نوحان: جهر مقبول، وهو دون الجهر، وجهر غير مقبول: حين يتحول الذكر إلى إزعاج الآخرين.

﴿بِالْفُجْرِ﴾: من الفجر إلى طلوع الشمس، والإبكار من طلوع الشمس إلى الضحى، والأصال: من العصر إلى غروب الشمس.

﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾: لا: الناهية.

﴿مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾: عن ذكر ربهم، أو عن صلاتهم. الغافلين: جملة اسمية؛ تدل على الثبوت؛ أي: باستمرار، ودوام على الفعلة؛ لأن المؤمن قد يغفل إلى فترة، ثم يعود إلى ذكر الله. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان.

[٢٠٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾: الذين: اسم موصول.

﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾: أي: الملائكة؛ لأن الملائكة في السموات العلوى، والعندية هذه ليست عندية مكان؛ لأن ربنا لا يحده مكان، ولكنها عندية الفضل، والرحمة، وقيل: هم الملائكة المقربون.

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾: لا: النافية. يستكبرون: لا يشعرون بالكبر، والعلو، والعظمة؛ مهما بلغوا من المنزلة، والرفعة، ويفعلون ما يأمرهم دون تكبر. ﴿وَيَسْجُدُونَ﴾: بالليل، والنهار، لا يفترون؛ أي: ينزهونه عن كل عيب، ونقص، ذاتاً، وصفات، وأسماء.

﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾: تقديم الجار، والمجرور. له: يفيد الحصر بدلاً من القول، ويسجدون له، قال: ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾.

أي: السجود لا يكون إلا لله وحده.

﴿يَسْجُدُونَ﴾: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد، والتكرار؛ سجود طاعة، وعبادة، سجود شكر، وتعظيم، سجود تلاوة؛ حيث يكون العبد أقرب إلى الله سبحانه من بقية الأوضاع.





سُورَةُ الْأَنْفَالِ ٨

الْأَنْفَالِ

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

آياتها ٧٥

ترتيبها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ
وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿٥﴾
يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ
وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا
لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ
وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ
﴿٧﴾ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾



سورة الأنفال [الآيات ١ - ٨]

ترتيبها في القرآن (٨)، وترتيبها في النزول (٨٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢١٥)؛ لبيان المعنى.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾: يسألونك: جاءت بصيغة المضارع، ولم يقل سألوكم للدلالة على تكرار وتجدد السؤال، فالسؤال عن الأنفال سوف يتكرر في المستقبل، أو يدل على كثرة السائلين عن الأنفال، وقال تعالى: يسألونك، ولم يبدأ بالواو، ولم يقل: ويسألونك، ذكر الواو يدل على أنه سؤال من عدة أسئلة، وعدم ذكر الواو يدل على أنه سؤال وحيد لم ترافقه أسئلة أخرى، والأنفال: هي الغنائم الحربية التي تؤخذ من العدو بقتال، وهي جمع نفل، والنفل: هنا يعني: الغنيمة، أما ما يؤخذ من العدو من دون قتال فيسمى: الفبيء، والذين يسألون: هم الصحابة الذين حضروا معركة، أو غزوة بدر الكبرى، يسألون رسول الله ﷺ عن حكم الغنائم؛ أي: كيف توزع؛ لأنهم اختلفوا في كيفية قسمتها؛ أي: توزيعها؛ فجاء الرد.

﴿الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾: أي: حكمها لله والرسول، وقد بينت الآية (٤١)



من سورة الأنفال كيف توزع؛ حيث قال سبحانه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَلِيتَمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾: لله: اللام: لام الاختصاص، أو الاستحقاق، وأضاف الرسول، ولم يقل: وللرسول؛ لأن ما لله تعالى هو ما لرسوله ﷺ.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾: التقوى: هو امتثال أوامر الله، وطاعته، وتجنب نواهيه؛ كي تتقوا سخطه، وغضبه، وناره، وأصلحوا ذات بينكم: بترك، أو حل الشقاق، والتزاع، والخلاف في مسألة الغنائم، وغيرها من المسائل الاجتماعية، والدينية.

﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾: البين: هو ما بين شيئين، أو يربط بين شيئين، وتُسَمَّى الصلة، أو البين، وذات تعني: صاحبة؛ أي: أزيلوا الخلاف، أو الفاصل، أو الخصام الذي ينشأ بينكم؛ لأي سبب.

والصلاح: فعل كل ما يتمكن به من الخير، أو يتخلص به من الشر.

والإصلاح: يتم بتربية النفوس على الفضائل، والأخلاق، والأعمال الصالحة.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: في كل ما يأمرانكم به، أو ينهيانكم عنه، وطاعة الرسول هي طاعة لله سبحانه. ارجع إلى الآية (٣٢) من سورة آل عمران؛ لمزيد من البيان.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: إن: شرطية، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قاله؛ أي: إن كنتم مؤمنين؛ فاتقوا الله، وأصلحوا ذات بينكم، وأطيعوا الله ورسوله.

[٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾: ولم يقل: الذين آمنوا، المؤمنون: الذين أصبحت صفة الإيمان عندهم ثابتة؛ أي: استقاموا على الإيمان، وأما الذين آمنوا: فهم السائرون على درب الإيمان.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني يدل على الاستقبال، فيه معنى: الشرط.

﴿ذُكِرَ اللَّهُ﴾: ذكرت عظمته، وصفاته، وأسمائه الحسنى، وقدرته، وجبروته، ووعده، ووعيده.

﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: الوجل: مزيج من الشعور بالخوف، والمهابة من الله ﷻ، والقلق، أو عدم الشعور بالطمأنينة؛ قد يرافقه البكاء، مع تغيرات في نبضات القلب، وقشعريرة في الجلد؛ بسبب التقصير في حق الله تعالى، وما قدّموا لأنفسهم.

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية؛ للاستقبال، متضمنة معنى: الشرط.

﴿تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ﴾: أي: تليت عليهم آيات القرآن؛ أي: قرأت عليهم، والتلاوة لا تكون إلا لكلمتين، أو أكثر، أما القراءة: فقد تكون لكلمة واحدة، والتلاوة: أصلها إتياع الشيء للشيء، وتلاه يعني: تبعه؛ أي: تلاوة الآية بعد الآية، وكل تلاوة قراءة، وإذا تليت: ولم يقل: تتلى، تليت: فعل ماضٍ، تليت عليهم ولو مرة واحدة؛ زادتهم إيماناً، أما تتلى: فعل مضارع؛ يدل على التجدد، والتكرار؛ أي: باستمرار.



﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾: تصديقاً و يقيناً زادتهم إيماناً على إيمانهم؛ أي: قوي إيمانهم؛ فهم في إقبال على الله ﷻ.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: وعلى: تقديم الجار والمجرور؛ يفيد الحصر؛ أي: لا يتوكلون إلا على ربهم وحده، يتوكلون: تعني: يقدمون الأسباب أولاً، ثم يطلبون منه العون؛ لتحقيق ما يرجون، فلا يطلبون إلا منه، ولا يرجون إلا إياه. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لمزيد من البيان.

لا بُدَّ من مقارنة ثلاث آيات متشابهة، هي:

الآية (٣) من سورة الأنفال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

والآية (٢٨) من سورة الرعد: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

والآية (٢٣) من سورة الزمر: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَدِّدًا مِّثْقَالِي نَقْشِِرُهُ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

ففي آية الأنفال: ذُكِرَ الله أدَّى إلى وجل القلوب، وفي آية الرعد: ذكر الله أدَّى إلى اطمئنان القلوب، فكيف نفسر ذلك؟

أولاً: لا تعارض بين الآيتين؛ لأنَّ الإنسان المسرف على نفسه، أو الظالم لنفسه، والذي يرتكب السيئات يصبح يرجف ويخاف ربه حين يُذكر الله ووعيده؛ لأنَّه خالف منهج الله فيصاب بالوجل مخافة منه، ومهابة الله وعقابه، أمَّا الإنسان الذي هو سابق بالخيرات، ولا يرتكب السيئات؛ فحين يُذكر الله، أو آياته يصاب بالاطمئنان؛ فالمؤمن يمر بمراحل متعددة حسب إيمانه، قد يصاب قلبه بالوجل تارة؛ لشعوره بالتقصير، والخوف، والمهابة من الله، أو تارة أخرى

بالاطمئنان؛ لعلمه بأن الله أرحم الراحمين، ويغفر الذنوب جميعاً، أو تارة أخرى يشعر بالوجل، والاطمئنان معاً.

كما في آية الزمر: فقد جمعت الوجل والاطمئنان معاً، الوجل أولاً، ويتمثل في قوله: ﴿نَقْشَعُرُهُمْ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، ثم الاطمئنان يتمثل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَلِيْنُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

[٣] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾:

﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾: ومن صفاتهم الأخرى: يقيمون الصلاة، وإقامة الصلاة؛ تعني: أدائها، والقيام بها كاملة؛ أي: القيام بأركانها من تكبير، ومن ركوع، وسجود، وتلاوة، وسننها وشروطها، وفي أفضل أوقاتها، والمحافظة عليها، والدوام.

﴿وَمِمَّا﴾: تعني: من بعض. ما: اسم موصول؛ تعني: الذي.

﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾: أي: أعطيناهم، أو آتيناهم من المال، والعلم، والحرث، والمتاع.

﴿يُنْفِقُونَ﴾: ينفقون بصيغة المضارع؛ لتدل على تكرار الإنفاق، وتجدد، واستمراره. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٣)؛ لمزيد من البيان.

[٤] ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة؛ يفيد إلى البعد؛ بعد منزلتهم.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل؛ يفيد المبالغة؛ أي: إذا كان هناك مؤمنون فهم أفضلهم، وأحسنهم إيماناً.

﴿الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: المؤمنون: ارجع إلى الآية (٢).



﴿حَقًّا﴾: الحق الصدق: وهو الأمر، أو الشيء الثابت الذي لا يتغير، ولا يتبدل.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: درجات في الجنة، منازل في الجنة حسب أعمالهم، وقيل: الجنة (١٠٠ درجة)، بين كل درجة ودرجة ما بين السماء والأرض. عند ربهم: تدل على عندية الشرف.

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: من الغفران، والغفر: ستر الذنب؛ أي: العفو عنه، والثواب على العمل الصالح؛ أي: مغفرة كاملة لذنوبهم، وسيئاتهم.

﴿وَرَزَقٌ كَرِيمٌ﴾: رزق: نكرة؛ ليشمل كل أنواع الرزق في الجنة، رزق واسع لا ينفد، ولا ينقص، رزق طيب مبارك، وبما أنه رزق من الكريم، وهو الله سبحانه؛ فهو رزق كريم.

ولا بُدَّ من مقارنة هذه الآية: ﴿لَهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، وقوله تعالى في سورة آل عمران، آية (١٦٣): ﴿هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾: ارجع إلى سورة آل عمران، آية (١٦٣)؛ لمعرفة الفرق.

[٥] ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ﴾:

﴿كَمَا﴾: الكاف: كاف التشبيه؛ تدل على تشبيه حالة بحالة أخرى.

﴿أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾: الخطاب إلى رسول الله ﷺ.

﴿أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾: رغم أن الخروج من بيته ﷺ في المدينة كان باختيار رسول الله من نفسه أضاف الله سبحانه الخروج إليه؛ فقال: أخرجك ربك، ولم

يقول: كما خرجت من بيتك؛ ليدل على أن الله هو المدبر، ولا يتم شيئاً إلا بإذنه، ومشيتته.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق؛ أي: الخروج كان حقاً لا بُدَّ منه.

﴿وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾: كما كان فريق من الصحابة كارهين لقسمة الأنفال؛ أي: كارهين لحكم الأنفال؛ كانوا كارهين للخروج إلى غزوة بدر، وكانت العاقبة في كلا الحالتين خيراً، أو: وإن كان فريق من المؤمنين كارهين للخروج لقتال المشركين في بدر كان خروجك من بيتك بالحق لا بُدَّ منه.

[٦] ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾:

﴿يُجَادِلُونَكَ﴾: من الجدال: وهو الحوار بين طرفين أو أكثر؛ لإظهار حجة أو لدفع شبهة، أو إثبات حق، والنون في يجادلونك: بدلاً من يجادلوك؛ تفيد التوكيد.

يجادلونك: فريق من الصحابة يجادلونك بعدما اتضح أن العير «غير ذات الشوك» التي يقودها أبو سفيان نجت، وأمرتهم بالتصدي، وقاتل الطائفة ذات الشوك؛ أي: السلاح.

أو يجادلونك: قبل بدء المعركة: بأنهم قلة في العدد، والعدة، ولم يخرجوا للقتال، وغير مستعدين له.

﴿فِي الْحَقِّ﴾: في قتال المشركين «النفير» الذين جاؤوا من مكة؛ لنصرة الباطل.

﴿بَعْدَ مَا بَيَّنَّ﴾: بعد إعلام الرسول ﷺ لهم: بأن الله سينصرهم.

﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾: كأنما: الكاف: للتشبيه، كأن



فزعهم، وخوفهم، وهم سائرون إلى غزوة بدر لملاقاة العدو «التفير» يشبه حال الذين يساقون إلى الموت.

﴿يُسَاقُونَ﴾: من دون إرادتهم؛ أي: قسراً عنهم. ويساقون: تعني يكونون أمام السائق كي لا يتخلفوا أو ينكصوا على أعقابهم ويدل ذلك القسر والإكراه في السوق.

﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾: أي: كأنهم يرون الموت أمام أعينهم، وهم قادمون عليه عالمون بأن مصيرهم الموت.

[٧] ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكر.

﴿يَعِدُكُمُ﴾: حين وعدكم الله.

﴿إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾: الطائفة الأولى: أبو سفيان، وما معه من العير والمال، وفيها (٤٠ فارساً)، وسميت غير ذات الشوكة، الطائفة الثانية: أبو جهل، وجيشه القادم من مكة، ولم يحدد أي الطائفتين سيظفرون بها.

ولما نجا أبو سفيان بالعير والتجارة أخبر أبو سفيان أبو جهل أنه نجا بالعير، ولكن أبو جهل كره أن يعود أدراجه إلى مكة من دون قتال الرسول ﷺ وصحابته؛ فمضى قادماً إلى أرض بدر، ولما علم بذلك أصحاب رسول الله ﷺ ودُّوا لو أنهم ظفروا بالطائفة غير ذات الشوكة «العير والأموال»؛ لأنهم اعتبروا ذلك مغنماً من دون قتال.

﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن﴾: أن: للتوكيد، الإرادة: العزم على فعل ما يريد.



﴿أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ﴾: أي: أن يفي الله بوعده الذي وعده لرسول الله ﷺ بنصر المؤمنين، أو إنَّ إحدى الطائفتين أنها لكم، وإن تظفروا بالنصر، وعلى ذات الشوكة «السلاح».

﴿وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾: أي: يستأصل الكافرين عن بكرة أبيهم بقتالكم إياهم، وقتال الملائكة معكم.

[٨] ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾:

﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ﴾: ليحقق: اللام: للتوكيد، يحق الحق: «هذا هو الحق الثاني»؛ ليظهر الإسلام، ويعزه.

﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾: أي: يمحى الكفر، والشرك، ويزيل الباطل، والباطل ما لا وجود له في الأصل، أو لا دليل، وهو الزائل، ويطلق على الشرك، والكفر، والظلم، والكذب... وغيره.

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾: لو: شرطية، ولو كره المجرمون؛ أي: الكفار، والمشركون.

والمجرمون: جمع مجرم، وأجرم؛ أي: أذنب، أو ارتكب ذنباً، وعصى ربه، وجرم؛ تعني: قطع؛ أي: قطع صلته بربه، أو جحد به.

واصطلاحاً: المجرم: هو من تمرد على أوامر ربه وعصى ربه، ولم يتجنب نواهيه، ورفض الخضوع إليها.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٨

الْجُزْءُ الثَّانِي

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ
مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ
الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا
سَأَلِقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ
الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ كُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُيِّمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تَوَلُّوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ
دُبْرُهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ
بِغَضِبِ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَدَّ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾



سورة الأنفال [الآيات ٩ - ١٦]

[٩] ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾:

﴿إِذْ﴾: أي: واذكر إذ، أو واذكر حين؛ إذ: ظرف زمان للماضي.

﴿تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾: تطلبون الغوث، من استغاث؛ أي: طلب الغوث من القادر على الإغاثة؛ أي: تستنصرون الله، وتطلبون منه أن ينصركم عليهم، وأصلها من الغيث: وهو المطر الذي يحمل الرحمة.

وجاء بصيغة الجمع تستغيثون: كأن كل واحد كان يطلب الغوث؛ أي: النصر من الله، وإذا كان المستغيث هو رسول الله ﷺ؛ فهو يمثل كل الصحابة ودعاؤه يكفي، أو كان ﷺ يدعو الله تعالى أن ينصر عباده المؤمنين، وهم يقولون: آمين. ﴿فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾: فاستجاب: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ أي: استجاب لدعائكم مباشرة.

﴿لَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أي: لكم خاصة، وليس لغيركم.

﴿أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾: مُرْدِفِينَ: أي: يتبع بعضهم بعضاً، أو يلحق بعضهم بعضاً، وفي قراءة نافع مُرْدِفِينَ بفتح الدال على صيغة اسم المفعول، وتعني: متبوعين بغيرهم من الملائكة؛ يعني: إذا وعدهم الله بألف من الملائكة إذا أوردفوا بغيرهم صاروا ثلاثة آلاف، ثم بعد ذلك يصيرون



خمسة آلاف وهذا ما ذكر في سورة آل عمران آية (١٢٤-١٢٥) كما قال تعالى:

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدَدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (أي: لهم علامات خاصة). إذن: كان الوعد بألف، ثم صارت ثلاثة آلاف، ثم صارت خمسة آلاف، والآيات الثلاثة في الأنفال وآل عمران تتحدث عن معركة بدر حيث لم يذكر نزول ملائكة في معركة أحد. الإمداد: أكثر ما يستعمل في المحبوب، والمد: أكثر ما يستعمل في المكروه؛ كقوله: ﴿وَيُنذِرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، وكقوله تعالى: ﴿وَنَمُدُّهُمِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩]، والإمداد هنا يعني: الزيادة في العدد؛ أي: في عدد الملائكة والسلاح. والإمداد بالجيش أو غيره، وما كان على جهة القوة والإعانة، والمد يكون من جهة الزيادة في العدد أو في بشر.

﴿بِأَلْفٍ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾: من ردفه؛ أي: تبعه؛ أي: متتابعين يتبع بعضهم بعضاً، بعضهم ردف بعض؛ يلحق بعضهم بعضاً.

[١٠] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية. ما: النافية.

﴿جَعَلَهُ﴾: الهاء: تعود على الإمداد بالملائكة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿بُشْرَى﴾: جعل الإمداد بالملائكة بشرى حصراً وقصراً؛ بشارة لكم بالنصر، والبشرى: الإخبار بما يُسر به المخبر؛ أي: خبر يُسرکم، ولأول مرة.

وانتبه لحذف لكم؛ لم يقل: بشرى لكم، وإنما قال فقط: بشرى؛ لأنه تقدّم قوله سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، وكذلك قال: ﴿إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهُمَا لَكُمْ﴾، فلا حاجة لإعادة ذكر لكم للمرة الثالثة.

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾: جاء باللام: للتوكيد، وقدم به على قلوبكم، ولم يقل: ولتطمئن قلوبكم به (كما ورد في آية آل عمران ١٢٦)، هذا التقديم يفيد الاختصاص؛ أي: لتطمئن به قلوبكم لا بغيره لكي تثبت بعدما أصابها من الخوف الشديد من المشركين، وقدم به التي تعود على الإمداد بالملائكة مباشرة قبل أن تهلع قلوبهم، وترتعد أمام جيش الأعداء؛ الذي يفوق بالعدد والعدة.

فجاء بذكر الإمداد أولاً قبل القلوب؛ لأن الإمداد بالملائكة هو الأهم؛ لأنه يُطمئن قلوبهم؛ فتبقى صامدة.

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية. ما: نافية للتوكيد.

﴿النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: إلا أداة حصر؛ أي: من عند الله، ولا تحسبوه من عند الملائكة؛ فالناصر هو الله وحده، وليس الملائكة، ولا أي أحد.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: إن: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد. العزيز: الغالب الذي لا يقهر، القوي الممتنع لا يحتاج إلى أحد، ولا يناله أحد؛ أي: لا يُغلب، ولا يُقهر، الحكيم من الحكمة؛ أي: الحكيم في تدبيره لخلقه، وكونه، والحكيم من الحكم: الحاكم؛ فهو أحكم الحكماء، وهو أحكم الحاكمين.



[١١] ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾:

﴿إِذْ﴾: تعني: واذكر بمعني: حين، وظرف للزمن الماضي.

﴿يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾: أي: يحل بكم النعاس كأنه غشاء، أو غطاء؛ أي: يتسرب إلى الدماغ، أو جزء من الدماغ، بينما لو قال: يغشاكم؛ يعني: يبقى محيطاً بكم من كل الجوانب، ولا يتسرب إلى داخلكم.

﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾: أمنة: تعني: زوال الخوف الكافي الذي مكنهم من النوم، والأمنة: من الأمن (بعض الطمأنينة)، والفرق بين الأمن، والأمنة: الأمن: يعني: الأمن التام، الكامل. أما الأمنة؛ فتعني: بعض الأمن.

﴿مِّنْهُ﴾: من الله عز وجل رحمة ربانية وسكينة ليزيل الخوف عن قلوبكم. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٥٤) لمزيد من البيان.

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: ماء المطر.

﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾: اللام: للتعليل، والتوكيد، يطهركم به: لكي تستعملونه في الوضوء، والغسل.

﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ الشَّيْطَانِ﴾: رجز الشيطان: أي: وسوسته لكم، وتخويفه إياكم من العطش، والهزيمة، والظنون السيئة.

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾: ويربط: الواو: عاطفة، ليربط: اللام: للتوكيد، يربط على قلوبكم: أي: يجعلها صابرة ثابتة باليقين، والصبر، وعدم الفرار من أرض المعركة، وانتظار النصر.



﴿وَيُثَبِّتُ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾: أي: المطر إذا نزل على الأرض الرملية جعلها متماسكة؛ «أي: يجعل الرمل متماسك»، فلا تغوص الأقدام، والمطر كذلك يمنع هبوب الرمل والغبار؛ مما يساعد على الرؤية، ولم ينزل المطر على عدوهم، أو النعاس.

فبذلك وفر الله سبحانه لرسوله ﷺ، والصحابة كل عناصر النصر؛ مثل: النعاس، وإنزال المطر، الماء للشرب والطهارة، ويثبت به الأقدام، وإنزال الملائكة، وإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم؛ فما عليهم إلا الصبر، واليقين بنصر الله القادم.

[١٢] ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ مَعَكُمْ فَتَيَتْوُا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾: ﴿إِذْ﴾: انظر إلى الآيات السابقة.

﴿يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾: الوحي: هو الإعلام بالخفاء لغة. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لمزيد من البيان. والوحي كان للرسول ﷺ وحده، وليس للصحابة، ولذلك قال: (يوحى ربك)، ولم يقل: (يوحى ربكم).

﴿أَنْ مَعَكُمْ﴾: أي: إني مُعينكم (بالعون) على التثبيت، وغيره من الوسائل. ﴿فَتَيَتْوُا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: عن طريق الإلهام بالصبر، والشجاعة، وعدم الفرار؛ إذ للملائكة قدرة على الإلهام، كما للشياطين قدرة على الوسوسة، وقيل: كان الملائكة يتشبهون بصور رجال من المؤمنين، يقاتلوا في الطليعة؛ كي يمدوهم بالشجاعة، والعزيمة، وتقوى شوكتهم على عدوهم.



﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾: وهو سلاح فتاك، وجند من جنود الله. أسند إلقاء الرعب إلى نفسه سبحانه بينما الضرب للملائكة والمؤمنين.

﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾: أي: الرؤوس، أو أعالي الأعناق.

﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾: البنان: الأصابع؛ لأنَّ الأصابع إذا قطعت تعطلت وسائل الضرب، والأيدي من دون الأصابع لا قيمة لها، وتصبح معطلة، منهم خاصة؛ أي: عدوكم اقطعوا أصابعهم، وتكرار كلمة فاضربوا، واضربوا: للتوكيد، وتعني: من دون رحمة، ولا رأفة.

[١٣] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم: إشارة؛ يفيد البعد، ويشير إلى الضرب فوق الأعناق، وضرب البنان.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء: للإلصاق، والتعليل، أو السببية.

﴿شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: شاقوا من المشاقة المشتقة من الشق، هذا في شق، وهذا في شق؛ أي: خالفوا وعادوا الله ورسوله.

﴿وَمَنْ﴾: شرطية، استغرافية.

﴿يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: يعادي، ويخالف، ويشاقق من المشاقة؛ أي: العداوة، ومن يشاقق الله ورسوله؛ يشاقق: ولم يقل: يشاق؛ فهو فك الإدغام، ودائماً في القرآن متى يفك الإدغام، ويقول: يشاقق: يأتي معها ذكر الرسول ﷺ. ارجع إلى الآية (١١٥) من سورة النساء؛ لمزيد من البيان.



﴿فَكَرَّ اللَّهُ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة. إن: للتوكيد.

﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: العقاب: هو الجزاء على العمل، وعادة يعقب العمل،
والعقاب: هنا القتل، والهزيمة في معركة بدر.

[١٤] ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾:

﴿ذَلِكُمْ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، ذلکم: بدل من ذلك؛ لأن ذلكم
تفيد التوكيد، وأقوى من ذلك، وتستعمل للأمور الكثيرة، أو تشير إلى عدة أمور
مهمة بدلاً من أمر واحد، كما هو الحال في ذلك، ذلکم العقاب، والضرب فوق
الأعناق، وضرب البنان، والرعب، والقتل، والأسر.

﴿فَذُوقُوهُ﴾: الخطاب موجّه إلى الكفار. الفاء: للمباشرة؛ أي: الآن ذوقوه
في الحياة الدنيا، فذوقوه: من الذوق: وهو الإحساس بالمطعم، ذوقوا الآن فقط
ما سيحل بكم من عذاب النار في الآخرة.

﴿وَأَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿عَذَابَ النَّارِ﴾: في الآخرة.

[١٥] ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفَافًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾:

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد للذين آمنوا بتكليف، أو أمر جديد،
واستعمل الهاء: للتنبيه.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية للمستقبل، شرطية.



﴿لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: للقتال.

﴿زَحَفًا﴾: زاحفين نحوكم؛ أي: رأيتموهم يزحفون زحفاً لقتالكم، أو تعني: أريد منكم أن تزحفوا نحوهم ككتلة واحدة، أو جسم متماسك يدب الرعب في صفوف الأعداء، والزحف: جاءت من زحف الصبي قبل المشي؛ أي: الحبو، والانتقال من مكان إلى مكان، والزحف جاءت من الجيش الكثير العدد الذي يَري لكثرتة كأنه كتلة واحدة متحركة تزحف ببطء.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتأكيد، لا: الناهية.

﴿تَوَلَّوْهُمْ الْأَدْبَارَ﴾: جمع: دبر، خلاف القبل، ولم يقل: ظهوركم، أو أعقابكم، وذكر الدبر: وهو أبشع المفردات لأبشع الكبائر، وهي الفرار، والتولي يوم الزحف، وهذا تحذير شديد، وكأنه يعني: كيف تولي دبرك للعدو، أو تمكّن العدو من نفسك؛ أي: لا يسمح لكم أن تولوهم الأدبار.

[١٦] ﴿وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقُنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: شرطية؛ للعاقل، وتشمل: المفرد، أو الجمع.

﴿يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾: يومئذ: يوم القتال، ويومئذ: يوم: ظرف زمان أضيف إلى ظرف آخر إذ.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء؛ أي: لا يسمح لكم أن تولوهم الأدبار؛ إلا في حالتين:

﴿مُتَحَرِّفًا لِّقُنَالٍ﴾: يسمح لكم إذا كنتم ستقاتلون طائفة أخرى أهم، أو انسحاب خدعة، ثم تعاودون الكرّ والقتال في مكان أفضل، أو المفاجأة. متحرفاً

لقتال: أي: حريف: لا يغلبه أحد؛ لكونه مدرباً وخبيراً في القتال، أو القتال حرفته؛ أي: مهنته.

﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾: أي: الانضمام إلى فئة أخرى تحتاج إلى مساعدة، أو إمداد. ارجع إلى الآية (١٣) من سورة آل عمران؛ لتعريف الفئة.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد، قد: لزيادة التوكيد.

﴿بَاءَ﴾: رجع مصحوباً.

﴿يَغْضِبُ مِنْ اللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق، والملازمة، مطروداً من رحمة الله.

﴿وَمَا أَوْنَهُ﴾: المأوى: المستقر، ومكان الإقامة، والراحة الدائمة.

﴿جَهَنَّمَ وَيَبْسُ الْمَصِيرُ﴾: بئس: من أفعال الذم؛ أي: ساء المصير، والمصير: المنتهى، أو النهاية، والمستقر الأخير، وهي جهنم.

جهنم: اسم من أسماء النار، أو دركة من دركاتها السبع، وهذا الاسم: مشتق من كونها كريهة المنظر، أو بعيدة القعر.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٨

النِّسَاءِ

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ
الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَ كُفْرُ الْفَتْحِ
وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ
فَتْحُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَأَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَاتُّمَّ
تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ
الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ
وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْكُمْ خَاصَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾





سورة الأنفال [الآيات ١٧ - ٢٥]

[١٧] ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

المناسبة: لما رأى رسول الله ﷺ جيش قريش؛ قال رسول الله ﷺ داعياً الله سبحانه: «هذه قريش قد جاءت بخيلائها، وفخرها؛ يكذبون رسولك؛ اللهم إني أسألك ما وعدتني؛ فأتاه جبريل ﷺ فقال له: خذ قبضة من التراب فارمهم بها، فقال: لما التقى الجمعان لعلِّي ﷺ: أعطني قبضة من رمل الوادي؛ فرمى بها وجوههم، وقال: شأهت الوجوه، فلم يبقَ مشترك إلا شغل بعينه؛ فانهزموا، فلحق بهم المؤمنون يقتلونهم، ويأسرونهم، وبعد المعركة معركة بدر، أخذ الصحابة يتفاخرون بأنهم قتلوا، وأسروا وفعلوا كذا، وكذا فترلت هذه الآية». [رواه الطبري، والقرطبي، وابن كثير].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾: الخطاب للمؤمنين؛ الفاء: جواب شرط محذوف تقديره: لا تقولوا، ولا تفتخروا، ولا تظنوا أنكم قتلتموهم في معركة بدر، ولكن الله قتلهم.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾: لكن: حرف استدراك؛ للتوكيد، ولكن الله قتلهم: بأيديكم، وأيدي الملائكة الكرام.

﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾: يا محمد أعين الأعداء بالحصى؛ لأن كفاً من الحصى لا يملأ عيون جيش يزيد عن الألف، ولكن الله القوي العزيز هو الذي رمى.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾: أوصل ذرات الرمل تلك، أو التراب إلى عيونهم، وقذف في قلوبهم الرعب.



﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾: ليلبي: اللام: لام التوكيد، والتعليل، وليلي: من البلاء، والبلاء: يكون في الخير، أو الشر، وهنا كان بلاءً حسنًا؛ أي: اختباراً حسنًا. منه: من الله في خوض المعركة، والقتال، وبالتالي بالنصر، والغنيمة؛ لكي يُطْلَعَ المؤمنون على صدق إيمانهم، ونواياهم؛ فيكون حُجَّةً لهم، أو حُجَّةً عليهم.

﴿إِن﴾: للتوكيد.

﴿اللَّهُ سَمِيعٌ﴾: أحاط سمعه بجميع أقوال عباده في السر، والعلن، وأدعيتهم، وتضرع رسول الله ﷺ، وأقوال أعدائهم، وما قاله الكفار، والمشركون.

﴿عَلِيمٌ﴾: بأحوال المؤمنين، وأحوال المشركين، وعليهم بنواياهم، وظواهرهم، وبواطنهم.

[١٨] ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾:

﴿ذَلِكُمْ﴾: اسم إشارة، يشير إلى القتل، والرّمي، والبلاء الحسن، والنّصر.

استعمل ذلكم بدلاً من ذلك؛ للمبالغة، والتعظيم، والأهمية، ولأنّه يشير إلى عدة أمور.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾: أن: للتوكيد، وتقديره: ذلكم، واعلموا أنّ الله موهن كيد الكافرين.

﴿مُوهِنٌ﴾: مضعف، والوهن: هو الضعف.

﴿كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾: الكيد: هو التدبير الخفي الذي يقوم به الفرد، أو الجماعة؛ لينال من عدوه من دون علمه، وهو أشد من المكر؛ أي: حين أراد مشركو قريش استئصال محمد ﷺ، وأتباعه؛ رد الله كيدهم في نحورهم.

[١٩] ﴿إِنْ تَسْتَفِئِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

الخطاب في هذه الآية موجّه لكفار مكة: «أبو جهل، وجيشه»؛ على سبيل التهكم.

﴿إِنْ تَسْتَفِئِحُوا﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، تستفتحوا: الألف، والسّين، والتّاء؛ تعني: الطّلب؛ أي: إن تطلبوا الفتح، والفتح: هو النّصر، والغلبة من دون قتال؛ فقد جاءكم الفتح؛ أي: النّصر على سبيل التهكم، والاستهزاء، وقد قيل: إن المستفتح كان أبا جهل قبل معركة بدر، أو قيل: إنّ المشركين حين خرجوا للقاء محمّد ﷺ، وأصحابه أخذوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين، وأهدئ الفتين، وأكرم الحزبين، أو قالوا: اللهم انصر أقرانا للضيف، وأوصلنا للرحم، وأفكنا للعاني؛ قاله السدي.

﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾: أي: أن تطلبوا الفتح: النّصر، والظفر من دون قتال، أو حرب في حرب رسول الله ﷺ، وأصحابه.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ أي: جاءكم الفتح بسرعة. قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾: أي: الهلاك، والقتل، والأسر على سبيل التّقريع، والتهكم.

﴿وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: إن: شرطية؛ كالسّابقة.

﴿تَنْهَوْا﴾: عن الكفر، ومحاربة رسول الله ﷺ، وعداوته.

﴿فَهُوَ﴾: الفاء: للتوكيد، هو: لزيادة التّوكيد.

﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾: أي: أسلم لكم من القتل، والهلاك، والأسر.



﴿وَإِنْ تَعُدُّوْا نَعْدَ﴾، وَإِنْ تَعُدُّوْا لِمَحَارِبَتِهِ وَقِتَالِهِ؛ نَعْدُ إِلَى هَزِيمَتِكُمْ، أَوْ تَعُدُّوْا إِلَى الْاِسْتِفْتَاَحِ نَعْدُ إِلَى الْفَتْحِ عَلَى رِسْوَلِ اللَّهِ ﷺ.

﴿وَلَنْ﴾: حَرْفُ نَفْيٍ لِلْمُسْتَقْبَلِ الْقَرِيبِ، وَالْبَعِيدِ.

﴿تُغْنِي عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾: الْفِتَّةُ: الْجَمَاعَةُ. ارجع إِلَى الْآيَةِ (١٣) مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ؛ لِتَعْرِيفِ الْفِتَّةِ.

﴿وَلَوْ﴾: شَرْطِيَّةٌ.

﴿كَثُرَتْ﴾: فِي الْعَدَدِ، وَالْعِدَّةِ.

﴿وَأَنَّ﴾: لِلتَّوَكِيدِ.

﴿اللَّهُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: إِذَا اسْتَقَامُوا عَلَى طَاعَتِهِ، وَكَانُوا أَنْصَارَ اللَّهِ؛ فَلَنْ يَتَخَلَّى عَنْهُمْ.

لِنَقَارِنَ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ، وَالْآيَةِ (٨) مِنْ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ:

الْأَنْفَالِ، آيَةُ (١٩): ﴿وَإِنْ تَعُدُّوْا نَعْدَ﴾.

الْإِسْرَاءِ، آيَةُ (٨): ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُنَا﴾.

آيَةُ الْإِسْرَاءِ: نَزَلَتْ فِي كِفَارِ مَكَّةَ، وَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّهُمْ سَيَعُودُونَ إِلَى عِدَاوَةِ رِسْوَلِ اللَّهِ ﷺ، وَالذَّلِيلُ جَاءَتْ بِصِيغَةِ الْمَضَارِعِ، وَإِنْ تَعُدُّوْا نَعْدُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى التَّكَرَّارِ، وَالتَّجَدُّدِ.

آيَةُ الْإِسْرَاءِ: نَزَلَتْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْيَهُودِ، وَإِنْ عُدْتُمْ: عُدْتُمْ؛ عَدْنَا بِصِيغَةِ الْمَاضِي، وَالَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْعُودَةِ مَرَّةً فَقَطْ، وَيُنْتَهِي الْأَمْرُ.

[٢٠] ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾:

الْمُنَاسِبَةُ: لِمَا خَاطَبَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ الْكُفَّارَ، وَالْمُشْرِكِينَ، وَحَذَرَهُمْ بِقَوْلِهِ:

وإن تنتهوا فهو خير لكم، وإن تعودوا نعد؛ ينتقل في هذه الآية إلى خطاب المؤمنين، ويأمرهم بطاعة الله ورسوله، ويحذرهم من مخالفته؛ فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: الهاء: للتنبيه، وياء النداء: للبعد، وهو نداء جديد.

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: فيما يأمرانكم به، أو ينهاكما عنه، ولم يقل: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول؛ لأن طاعة الله تعالى وطاعة الرسول ﷺ واحدة، فطاعة الرسول هي طاعة لله تعالى، وإذا فصل بين الطاعتين إنما يشير إلى طاعة الرسول فيما يبين وما يشرح من الأمور المجملة أو غير المذكورة، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ فَاتَّقِ اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا مِّنْهُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الحشر: ٧]. ارجع إلى الآية (٣١) من سورة آل عمران لمزيد من البيان.

﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ﴾: لا: الناهية، تولوا عنه؛ أي: تتولوا عنه؛ أدغمت إحدى التاءين بالأخرى، ولا تولوا عنه؛ أي: لا تعرضوا عنه، وتخالفوا أو امره ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾: الآيات، والمواعظ، وما أنزل إليكم من ربكم.

ولنقارن هذه الآية، مع الآية (٥٢) من سورة هود.

الأنفال، آية (٢٠): ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾.

هود، آية (٥٢): ﴿وَلَا تَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾.

آية الأنفال: استعمل تولوا بدلاً من تتولوا؛ لأن تولي المؤمنين عن رسول الله ﷺ لا يتكرر، أو أقل عدداً، أو أقصر زمناً إذا حدث من تولي الكافرين، أو المجرمين؛ الذي هو تولي كثير وعام، فالزيادة في فعل التولي وطوله يقابله زيادة في بناء الفعل، وحروفه؛ زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

مع العلم: أن المخاطبين في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾: هم قوم عاد. ارجع إلى سورة هود، آية (٥٢).

بينما المخاطبون في آية الأنفال: الصحابة الكرام.



[٢١] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾:

﴿وَلَا﴾: الناهية.

﴿تَكُونُوا كَالَّذِينَ﴾: الذين: اسم موصول؛ كالكافرين، والمشركين.

﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾: ما تقول من الآيات، والوعيد، والإنذار.

﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: وهم: للتوكيد، لا يسمعون؛ أي: لا يتفعلون بما يسمعون، أو يقولون: سمعنا وعصينا، أو لا يستجيبوا لما تأمرهم به، أو تنهاهم عنه؛ كالصم، وعندها يكونون شراً من الذين لم يسمعوا على الإطلاق، أو البتة.

[٢٢] ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿شَرَّ الدَّوَابِّ﴾: جمع: دابة: وهي ما تدب على الأرض، وتشمل: الإنس، والجن.

أصل الكلام: إن أشر الدواب عند الله على وزن أفعل، ولكثرة الاستعمال، وأخف على اللسان قال: شر الدواب؛ أي: شر الخلق.

﴿عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: أي: الكافرين، والمشركين.

﴿الصُّمُّ﴾: جمع أصم؛ أي: الذين لا يسمعون الحق، وما أنزل الله من الآيات والذكر الحكيم.

﴿الْبُكْمُ﴾: جمع أبكم: وهو الأخرس عن قول الحق، وكلمة التوحيد.

﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: من عقل الشيء عرفه بدليله، وفهم أسبابه، ونتائجه.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿لَا﴾: النافية للجنس؛ أي: الذين لا يعقلون، لا يتدبرون، ولا يفهمون

الحق، والصواب، ولا يهتدون للخير، ويتجنبون الهدى، والرشاد.



[٢٣] ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: عاطفة، لو: شرطية.

﴿عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾: أي: لو علم في هؤلاء شر الدواب الصم البكم؛ الذين لا يعقلون خيراً أي خيراً؛ يعني: أي نفع، أو صلاح، قليلاً أو كثيراً، أو مهما كان.

﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾: لأسمعهم آياته، وأحكامه، السماع الحقيقي: وهو سماع الحق، والهدى، سماع الاستجابة، والفهم، والبصيرة، وهو الإيمان بآيات الله، ورسوله، واللام: للتوكيد، وهداهم الهداية الخاصة.

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾: لو: شرطية غير امتناعية؛ أي: لا تقول: لو أسمعهم على سبيل الافتراض؛ لما حدث التولي، أو امتنع التولي لا امتناع الاستماع؛ لأنهم هم متولون أصلاً، سواء أسمعهم، أو لم يسمعهم.

﴿لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾: لتولوا: اللام: للتوكيد، وهم: لزيادة التوكيد؛ مؤكداً جحودهم، وإعراضهم عن الحق، والإيمان، وطاعة الله ورسوله.

﴿مُعْرِضُونَ﴾: جملة اسمية: تدل على الثبوت، والاستمرار؛ أي: قد علم الله سبحانه منذ الأزل أن هؤلاء ليس فيهم أي خيراً، فلم يسمعهم السماع الحقيقي الذي يفيدهم، مع العلم أن آلات السمع عندهم موجودة، وتسمع اللغو، والباطل، ولكنها معطلة عن سماع الحق.

[٢٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهِ تَحْشُرُونَ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد أو أمر جديد والهاء للتنبيه.



﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ﴾: استجيبوا: الألف، والسّين، والتّاء: للطلب؛ أي: أجبوا؛
أطيعوا الله فيما أمر به، أو نهى عنه؛ أي: شرع لكم.

﴿اللَّهُ﴾: اللام: للاختصاص.

﴿وَلِلرَّسُولِ﴾: أي: واستجيبوا للرّسول أيضاً: اتبعوا الرّسول، وسنته،
وأطيعوه فيما أمركم به، أو نهاكم عنه، وتكرار اللام، وللرسول: يفيد التّوكيد.
﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية للمستقبل، وشرطية.

﴿دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: دعاكم لما فيه حياتكم، أو لما هو سبب حياتكم
في الدّنيا، والآخرة حياتكم الأبدية إذا دعاكم للقرآن، والإسلام، وأمور دينكم،
ودنياكم.

قال سبحانه: إذا دعاكم، ولم يقل: إذا دعاكم بالثّنية؛ أي: الله ورسوله؛
لأنّ دعوتهما دعوة واحدة.

﴿لِمَا﴾: اللام: هنا للتعليل، وما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي يُحييكم.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾: أي: يستطيع الله أن يقف
حائلاً، أو حاجزاً، أو مانعاً بين الإنسان، وما يتمناه، وقلبه وما يريده، من الحول
بين الشّيء والشّيء؛ بمعنى: الحجز، والفصل بينهما، أو يحول بينه، وبين قربه
تعالى من عبده: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]، والله يصرف القلوب كما
يشاء؛ فالإنسان على سبيل الافتراض يريد أن يستدرك ما فاته من الإيمان؛ فيحول
بينه وبين ذلك الموت، أو الإنسان يريد أن يُوفق للاستجابة، والطّاعة، ويعبد الله،
فلا يوفقه الله؛ لسبب ما في العبد، وما دام الله سبحانه يستطيع أن يفعل ذلك؛
فما علينا إلا أن نُسرّع، ونستجيب لله سبحانه قبل أن ينتهي الأجل، ويحول الله
بيننا، وبين التّوفيق.

﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: قدّم إليه الجار والمجرور: للحصر؛ أي: إليه

وحده تحشرون؛ أي: تجتمعون في أرض المحشر. الحشر: هو السوق، والجمع معاً.

[٢٥] ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:

﴿وَاتَّقُوا﴾: أي: تجنبوا واحذروا.

﴿فِتْنَةً﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتشمل كل أنواع الفتن؛ مهما كانت صغيرة، أو كبيرة، وما نوعها، والفتنة أشد من الاختبار، وأهمها فتنة الكفر، والشرك، والمعصية، والقتل، والبدع، وفتنة العذاب، والبأساء، والضراء؛ كالفقر، والمرض، والغلاء، وتسلط الظلم، وفتنة انتشار الزنى، واللواط، والفاحشة، وفتنة السكوت عن إنكار المنكر، والأمر بالمعروف. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (٧)، والعنكبوت، آية (٢-٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾: لا تصيبن: لا تهلك، أو لا تضر، أو لا تؤذي الذين ظلموا منكم فقط؛ «أي: الذين قاموا بعمل المنكر، أو إظهار البدع، ونشرها، والكفر، والقتل... وغيرها»، وإنما تصيب كذلك، وتتعدى الذين ظلموا؛ لتصيب الصالح أيضاً؛ لأن الصالح لم يقم بواجبه برده الظالم، والحد من ظلمه، وبتغيير المنكر، لا باليد، ولا باللسان، ولا بالقلب.

﴿مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾: أي: ستعم الفتنة، وتشمل الكل؛ فلا ينجو منها إلا من رحم ربك.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: تأكيد للتحذير السابق؛ أي: إذا عاقب سبحانه؛ فإن عقابه أليم شديد.



البقرة

سورة البقرة

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ
 أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَءَاوَيْتَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى السَّمْعِ وَرَزَقَكُمْ
 مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
 ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ
 عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا
 اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ
 لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ
 اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ أُتِّلَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا
 قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا
 أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ
 هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ
 أَوْ آتِنَا بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
 وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٢﴾

سورة الأنفال [الآيات ٢٦ - ٣٣]

[٢٦] ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخطفَكُمُ النَّاسُ فَعَاوَنَكُمُ وَأَيْدِيكُمْ بِصُرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
 ﴿وَاذْكُرُوا﴾: فضل الله عليكم.

﴿إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: إذ: بمعنى: حين. أنتم: للتوكيد. قليل: أي: قلة؛ أي: عددكم قليل في مكة، أو المدينة خائفين فقراء، مستضعفون بسبب الإذلال، والاضطهاد من الكافرين، والمشركين.

﴿يَخطفَكُمُ النَّاسُ﴾: من الخطف: وهو الأخذ بسرعة؛ أي: يأخذكم أعداؤكم من الكفار، والمشركين، وغيرهم بسرعة بالتعذيب، أو القتل، والسلب دون أن يدافع عنكم أحد، أو ينصركم أحد.

﴿فَعَاوَنَكُمُ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، أو اكتم: جعل لكم مأوى تأوون إليه: وهو المدينة المنورة، ورَّحَّبَ بكم الأنصار.

﴿وَأَيْدِيكُمْ بِصُرِهِ﴾: أي: أمدكم بيد العون في كثير من الغزوات؛ بإنزال الملائكة، وبالرعب، وبكف أيدي الناس عنكم... وغيرها.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: الحلال المبارك الطاهر؛ من مطعم، ومشرب، وملبس، ومركب.



﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لعل: للتعليل، تشكرون: المنعم: وهو الله على ما رزقكم، وذلك بطاعته، والاعتراف بفضله عليكم، وتكرار الشكر، والاستمرار على ذلك. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠)؛ لمزيد من البيان.

[٢٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد إلى الذين آمنوا بأمر، وتكليف جديد بعدم الخيانة.

﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾: لا: الناهية، تخونوا الله والرسول: الخيانة: الغدر، أو نقض العهد، أو إخفاء الشيء؛ أي: الأمانة.

والأمانة: تعريفها: كل حق يجب أدائه إلى الغير من دون شهود، أو وثيقة، والأمر متروك إلى من عنده الأمانة إن شاء أقر بها، أو إن شاء أنكرها، وخيانة الله: تكون في تعطيل ما شرعه من الدين، وتعدّي حدوده، ومحارمه، وعصيانه؛ أي: عدم أداء حق الله؛ مثل: الفرائض، وعدم تجنب المحرمات، وإخفاء الكفر، والنفاق، وخيانة الرسول: بعدم اتباع سنته، أو معصيته.

﴿وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ﴾: المالية، أو العهد، والمواثيق، والمعاهدات.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: تخونون بنية، وقصد، ولستم ساهين ناسين، وأنتم تعلمون وبال عاقبة الخيانة.

[٢٨] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿أَنْمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: أي: ابتلاء، واختبار، والفتنة: أشد من الابتلاء، وفتنة الأموال: تكون كيف كسبها، وكيف أنفقها، وهل أدى زكاتها، وهل شغلته عن طاعة الله، وذكره، والأولاد فتنة: لكونها تشغلكم عن طاعة الله، وسبب للوقوع في الإثم، والذنوب.

وقدّم الأموال على الأولاد: تقديم الأكثر على الأقل؛ فالكلّ عنده مال، وليس عند الكلّ أولاد.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: وأنّ: للتوكيد، عنده أجر عظيم: خير من الأموال والأولاد، وهو النجاة من النار، والفوز بالجنة.

[٢٩] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد للذين آمنوا بتكليف، أو أمر جديد، أو حكم.

﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ﴾: إن: شرطية، تتقوا الله: أي: تطيعوا أوامرهم، وتجنبوا نواهيه في القول، والعمل.

﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾: هذا هو جواب الشرط، والفرقان: هو ما يفرق بين الحق والباطل؛ أي: ندلكم كيف تعرفون الحق من الباطل، والنّافع من الضّار، والصّالح من المفسد، والهدى من الضّلال؛ مما يحقق لكم النّجاة، والنصر.

﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾: أي: يستر سيئاتكم؛ فلا يعاقبكم عليها،



والسيئات، قيل: الصغائر من الذنوب. وقيل: السيئة الشيء الذي يسيء إليك،
وتختلف عن الذنب؛ السيئات تحتاج إلى تكفير، والذنوب تحتاج إلى توبة
وغفران، والغفران أشد من التكفير.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: الذنوب، والكبائر.

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: والله ذو؛ أي: صاحب. ولفظ (ذو): أشرف
وأفضل من لفظ: صاحب. ارجع إلى سورة الأنبياء، آية (٨٧).
والفضل: الزيادة التي تعطى زيادة عن الأجر، أو الثواب.

[٣٠] ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ
وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: ظرف زمانى، واذكر إذ يمكرك، أو اذكر حين مكرك،
والمخاطب هنا رسول الله ﷺ.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يمكر: جاءت بصيغة المضارع للدلالة على
التجدد والاستمرار، واذكر إذ اجتمع الذين كفروا في دار الندوة؛ ليتشاوروا في
أمرك، ويمكروا بك، والمكر: هو التدبير الخفي؛ لإلحاق الضرر بالآخر؛ من
حيث لا يعلم، أو يشعر، وفيه نوع من الخداع والسوء، ولا يقوم به إلا ضعيف أو
مهزوم، وتمخض اجتماعهم في دار الندوة عن ثلاثة مقترحات: هي الحبس، أو
القتل، أو النفي خارجاً، كما روي عن ابن عباس ؓ.

﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾: اللام: لام التعليل، يثبتوك: أي: يحبسوك، ويقيدوك بال قيد؛ حتى لا تقدر على الهروب.

﴿أَوْ﴾: للتخيير.

﴿يَقْتُلُوكَ﴾: بحيث يختار من كل قبيلة غلاماً، فيضربون رسول الله ﷺ ضربة رجل واحد؛ فيفترق دمه بين القبائل؛ فلا يستطيع بنو هاشم على حربهم، وإذا طلبوا الدية تدفع لهم.

وكان القرار النهائي: الاتفاق على قتل رسول الله ﷺ.

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾: أي: هم يمكرون ليقتلوك، والله يمكر، وهو أعظم منهم مكرًا، قادر على إحباط مكرهم، ومعاقتهم على ذلك؛ لأنه هو القوي العزيز، وهو خير الماكرين.

والسؤال: كيف يمكر الله سبحانه، أو ينسب المكر إلى نفسه؟

الجواب: هو مجرد مشاكلة باللفظ، والمكر من الله؛ يعني: الانتقام منهم، ومجازاتهم على ما يقومون به من مكر، وغدر، وكيد.

وجاء جبريل ﷺ فأخبر رسول الله ﷺ، وأمره أن لا يبيت في مضجعه، وأذن له بالهجرة إلى المدينة، وأمر رسول الله ﷺ؛ فنام في فراشه، وأبطل الله مكرهم، كما روي عن ابن عباس ؓ.



[٣١] ﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾:

أسباب النزول: كما ذكر الواحدي في أسباب النزول، وروى الطبري. قيل: نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث، كان تاجراً، ويسافر بين البلاد، ويشتري كتب الأعاجم، ويحدث بها أهل مكة، ولما سمع ما يُتلى من القرآن، وقصصه قال لأهل مكة: أنا أخبركم بمثل هذا.

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زمانى للمستقبل.

﴿تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾: على كفار قريش، أو أهل مكة، تلى عليهم آيات القرآن، وقصص القرآن، وذكر الأقوام الخالية، وتلى: تدل على تكرار التلاوة، وتجده.

﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا﴾: مثل هذه القصص، والأقوال، والأمثال من قبل أن نخبرونا.

﴿قَدْ﴾: للتحقيق، والتوكيد.

﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾: لو حرف شرط، وتمن.

﴿لَقُلْنَا﴾: اللام: لام التوكيد.

﴿لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾: أي: مثل الذي تقوله يا محمد، أو تلوه علينا.

﴿إِنْ﴾: حرف نفي أشد نفياً من ما؛ أي: ما هذا إلا أساطير الأولين.



﴿هَذَا﴾: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقريب.

﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: جمع أسطورة، والأسطورة: هي القصة التي سطرت في الكتب القديمة الأولى من أخبار السابقين، والأسطورة: قد تكون قصة خيالية، أو أكذوبة.

[٣٢] ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذَاهُ الْحَقُّ مِن عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكر إذ قالوا، أو حين قالوا.

﴿قَالُوا﴾: القائل هنا قيل: أبو جهل، أو النضر بن الحارث، وهو المرجع، أو غيره، والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

﴿إِن﴾: شرطية.

﴿كَانَ هَذَا﴾: الذي يقرؤه محمد علينا؛ أي: القرآن هو الحق المنزل من عندك.

﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

﴿حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾: كما حدث لأصحاب الفيل، أو قوم لوط من قبل.

﴿وَأَتَيْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: كما حدث لقوم عاد، وثمود، ومدين، والإتيان:

أسهل من المجيء، والمجيء فيه معنى الصعوبة والشدة.

قالوا ذلك استهزاءً وجحوداً، وقيل: جواب هذا السؤال، أو الدعاء جاء في



سورة المعارج: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾. وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾.

[٣٣] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: النافية.

﴿كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾: السلام: لام التعليل، والتوكيد؛ توكيد النفي، ومنهم من يسميها لام الجحود. ليعذبهم: يعذبهم فعل مضارع؛ يدل على التجدد، والتكرار. وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾: جملة خبرها؛ أي: (خبر كان) محذوف تقديره قاصداً أو ناوياً أو مقدراً أن يعذبهم وأنت فيهم.

﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾: أي: وأنت يا رسول الله حيٌّ، وما زلت بينهم، أو معهم؛ فلن يعذبهم حتى تخرج من عندهم، أو يتوفاك الموت.

أي: العذاب مرفوع عنهم مؤقتاً ما دمت يا رسول الله بين ظهرانيهم؛ فإذا مت قد ينزل بهم العذاب، وبما أن بقاء رسول الله ﷺ بينهم مؤقت لذلك استعمل الجملة الفعلية، ولم يقل: معذبهم.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾: معذبهم: اسم يدل على الثبوت؛ أي: الله من صفاته الثابتة الرحمة بعباده المؤمنين.

﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: يستغفرون: أولاً: فعل مضارع؛ يدل على التجدد، أو التكرار؛ أي: الاستغفار، ولو كان متكرراً، أو متقطعاً، أو مؤقت غير ثابت يرفع، أو

يمنع عنهم العذاب؛ حتّى تقوم الساعة، وهذا من رحمة الله سبحانه بهذه الأمة:
أن عوّض عليهم بعدم بقاء الرسول ﷺ بينهم بالاستغفار المتجدّد والمتكرر.

وثانياً: لم يقل: وما كان الله معذبهم وهم مستغفرون؛ لكان ذلك يعني:
يجب أن تكون صفة الاستغفار عندهم ثابتة مستمرة، وهذا من المستحيل،
أو الصعب جداً، واكتفى بالاستغفار المتجدّد، أو المؤقت؛ بقوله: ﴿وَهُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: فيه نفي
للفعل؛ أي: التعذيب مقارنة بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾: فيه نفي
القصد أو النية للقيام بالفعل (التعذيب)، أو هناك فرق بين نفي القصد (النية)،
ونفي الفعل ذاته؛ لأن نفي القصد أو النية أبلغ وأشد من نفي القيام بالفعل، وفي
هذا دليل على مكانة وشرف النبي ﷺ عند ربه.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٨

الجزء التاسع

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ هَٰذَا إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ
بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ
عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يَغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ
الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ
فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا إِن يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَآ قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ
أَنْتَهُوَ أَقَاتُ اللَّهِ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٤٠﴾



سورة الأنفال [الآيات ٣٤ - ٤٠]

[٣٤] ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ هَؤُلَاءِ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَمَا لَهُمْ﴾: وما: الواو: استئنافية. ما: اسم استفهام؛ للحث، وتقديره: ولم لا يعذبهم الله.

﴿أَلَا﴾: أن لا؛ أن: حرف مصدري، لا: نافية للتوكيد.

ومعنى ذلك؛ أي: شيء يمنعهم من أن يعذبهم الله، إن يعذبهم الله عدل؛ لأنهم فعلوا، وما زالوا يفعلوا ما يستحق العذاب؛ فهم لا زالوا يصدون - فعل مضارع يدل على التجدد، والتكرار - يصدون الناس عن المسجد الحرام؛ أي: يمنعون الناس عن الطواف بالمسجد الحرام، والعمرة؛ فهم منعوا رسول الله، والمؤمنين عام الحديبية من زيارته، والعمرة.

﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ هَؤُلَاءِ﴾: وما: النافية، كانوا أولياءه: حيث كانوا يدعون أنهم أولياء المسجد الحرام باطلاً؛ فنفى الله سبحانه عنهم ذلك، وكيف يكونون أولياءه وهم المشركون بالله، ويعادون دينه، ويصدون عن المسجد الحرام؛ فمن أعطاهم الولاية عليه؟

﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ هَؤُلَاءِ﴾: إن: نافية تفيد النفي أكثر من: ما؛ أي: أولياؤه المتقون.

﴿إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾: إلا: أداة حصر؛ أي: حصراً، وقصراً، أولياؤه: هم المتقون

لا غيرهم.



﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾: لكن: حرف استدراك، أكثر أهل مكة لا يعلمون.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنهم ليسوا أولياءه؛ إما لجهل، وإما لعنادهم، أو أنهم لا يستحقون أن يكونوا أولياءه.

[٣٥] ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية، ما: النافية؛ للتوكيد.

﴿كَانَ صَلَاتُهُمْ﴾: ولم يقل: كانت صلاتهم؛ لأن صلاتهم كانت صغيراً (من التصغير) وتصفيقاً، وكلاهما مذكر فجاء بالفعل المطابق لنوع صلاتهم.

﴿عِنْدَ الْبَيْتِ﴾: أي: المسجد الحرام.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مُكَاءً﴾: من فعل مكأ، يمكو؛ أي: صفر.

﴿وَتَصْدِيَةً﴾: تصفيقاً؛ فقد كان الرجال كذلك يطوفون بالبيت عراة، وهم يصفرون، ويصفقون، وكان ذلك في بداية الإسلام، وكان هذا من الجهل، والضلال.

﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: الباء: للتعليل، أو السببية، وما: مصدرية؛ أي: بسبب كفرهم.

[٣٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾:

لا زالت الآيات تتحدث عن غزوة بدر، ونزلت هذه الآية كما قال مقاتل والكلبي تتحدث عما أنفقه الكافرون من أهل مكة من الأموال والأنعام يوم

بدر؛ مثال: المطعمين يوم بدر كانوا (١٢) رجلاً من كبار قريش يطعم كل واحد (١٠) من الجزور يومياً، وقيل: نزلت في أبي سفيان؛ فقد استأجر يوم أُحُد ألفين من الأحابيش، وأنفق عليهم (٤٠) أوقية من الذهب؛ ليقاتلوا رسول الله ﷺ، وأصحابه، والعبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد.

﴿كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾: ينفقون، ولم يقل: أنفقوا، بل يستمرون في الإنفاق، والتجدد، وتكرار فعل الإنفاق في حرب رسول الله ﷺ، والمؤمنين. ﴿لِيَصُدُّوا﴾: السلام: لام التوكيد، والتعليل، يصدوا؛ أي: يمنعوا الناس عن اتباع محمد ﷺ، وعن سبيل الله، وهو دين الإسلام، والإيمان.

﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، والسين: للاستقبال القريب؛ أي: سينفقونها قريباً.

﴿ثُمَّ﴾: للاستقبال، والتراخي في الزمن.

﴿تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾: أي: في الآخرة؛ أي: عاقبة إنفاقها نداماً، وحسرة، أو المال نفسه يتحول إلى حسرة.

﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾: في الدنيا، والآخرة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾: يحشرون: يجمعون، وعلة هذا الجمع: هو ليميز الله الخبيث من الطيب، «والحشر: هو السَّوق + الجمع». إلى: حرف يستعمل لكل الغايات، وهنا يفيد الانتهاء.



[٣٧] ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَيْثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾:

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ﴾: اللام: لام التعليل، والتوكيد، يميز الله: يكشف، يفصل، يفرق.

﴿الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: أي: العمل الخييث «الإنفاق في سبيل الصد عن سبيل الله» من الطيب الإنفاق في سبيل الله، وإعلاء كلمته، أو يميز الخييث «الكافر» من الطيب «المؤمن»، أو يميز أهل النار من أهل الجنة، وقدم الخييث على الطيب؛ لأن الحديث عن الذين كفروا.

﴿وَيَجْعَلَ الْخَيْثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ﴾: أي: يجمع الخييث بعضه فوق بعض.

﴿فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾: الركم: أن يجعل بعض الشيء على بعض؛ أي: يجمع الكفار بعضهم على بعض، أو يركمه: يُلقِي بعضهم على بعض إلى جهنم، أو تجمع أموالهم بعضها فوق بعض؛ أي: تضم، ثم يُلقى بها في جهنم لتكوى بها جباههم، وجنوبهم، وظهورهم، جميعاً: للتوكيد.

﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ﴾: الفاء: ظرفية، جهنم: اسم من أسماء النار، أو دركة من دركات النار، مشتق من كونها بعيدة القعر، أو الجهومة: الشيء المخوف الكريه المنظر.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد.

﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: هم: يفيد التوكيد، الخاسرون: للمبالغة؛ أي: إذا كان هناك خاسرون؛ فهم في الطليعة، أو الخاسرون حقاً أعظم الخاسرين.

[٣٨] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَآ قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾:

سبب النزول: قيل: نزلت هذه الآية في أبي سفيان وأصحابه في مكة قبل فتحها، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه.

﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال. إن ينتهوا عما هم عليه من الكفر، والشرك، ويدخلوا في الإسلام، ويتوبوا يغفر لهم.

﴿مَآ قَدْ سَلَفَ﴾: قد: حرف تحقيق، وتوكيد، قد سلف: ما قد مضى من سيئات أعمالهم؛ «لأن الإسلام يَجِبُ ما قبله، والتوبة تَجِبُ ما قبلها»، كما ورد في الصحاح.

﴿وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾: وإن: شرطية، يعودوا إلى حرب الرسول، والكفر؛ فقد مضت سنة الأولين؛ أي: أخذهم بالعذاب، والعقوبة بعد الإنذار، وانتهاء المهلة.

انتبه إلى قوله: إن ينتهوا، ولم يقل: إن تنتهوا؛ أي: ليس المراد أن تخاطبهم نفسك؛ أي إنسان يمكن أن يبلغهم ذلك.

[٣٩] ﴿وَقَتْلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كُفُّوا لِلَّهِ فَإِنْ أُنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿وَقَتْلُهُمْ﴾: ولم يقل: اقتلوههم، قاتلوههم؛ أي: هناك مفاعلة قتال طرفين كل يحاول قتل الآخر، أما اقتلوههم: فتعني: من طرف واحد؛ أي: من دون أن يتصدوا لكم، أو يخرجوا لقتالكم.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية؛ أي: حتى النهاية (نهاية الغاية).



﴿لَا تَكُونُ فِتْنَةً﴾: لا: النّاهية، تكون فتنة: فتنة هنا؛ تعني: الشّرك، والكفر، أو الظّلم، أو أي فتنة، أو الفتنة في الدّين؛ أي: اضطهاد؛ أي: المؤمن، أو المؤمنة من أجل دينه. ارجع إلى الآية (٢٥) من نفس السّورة؛ للبيان.

﴿وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾: أي: لا شرك، فلا يعبد مع الله أحد سواه.

﴿فَإِنْ أَنْتَهُوَ﴾: الفاء: للتفصيل، إن: للتوكيد، انتهوا: استجابوا، وأطاعوا، ودخلوا في الإسلام.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾: الفاء، وإن: للتوكيد.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، أو مصدرية.

﴿يَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾: يعملون: تضم الأفعال، والأفعال، بصير: يرى، ويراقب أعمالهم، ويحيط علمه بكلّ شيء.

ولنقارن سورة الأنفال، الآية (٣٩): ﴿وَقَتْلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونُ فِتْنَةً وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

مع سورة البقرة، الآية (١٩٣): ﴿وَقَتْلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونُ فِتْنَةً وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوَ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

الاختلاف: آية الأنفال: ويكون الدّين كلّ له، والنّهاية: فإنّ الله بما يعملون بصير.

آية البقرة: ويكون الدّين لله، والنّهاية: فلا عدوان إلا على الظّالمين.

الاختلاف: سببه أنّ آية الأنفال: جاءت في سياق قتال الكفار كافة، والآية تفيد العموم، والشّمول، ولذلك قال: كلّ لله؛ أي: قاتلوا الكفار كافة؛ ليكون الدّين كله لله.



أَمَّا آيَةُ الْبَقَرَةِ: فجاءت في سياق قتال كفار مكة؛ فحسب، وحول المسجد الحرام قتال لصد عدوانهم، وحتى يكون الدين لله.

أَمَّا نِهَايَةُ الْآيَتَيْنِ: فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ؛ لِأَنَّ مِنَ الْكُفَّارِ بَعْدَ قِتَالِهِمْ مِنْهُمْ مَنْ سَيَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَنْ يَدْخُلَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ؛ لِأَنَّهُ سَبَقَهَا قَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، فَلِذَلِكَ خَتَمَهَا بِقَوْلِهِ: فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ «كفار قريش وغيرهم».

[٤٠] ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ نَعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرُ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال.

﴿تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا أو نكثوا العهد، وعادوا إلى حربكم.

﴿فَعَلِمُوا﴾: الفاء: تعليلية، وللتوكيد.

﴿أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ﴾: أَنْ: تفيد التوكيد أيضاً، مولاكم: متولي أموركم بالنصر، والتأييد، والمعونة.

﴿نِعَمَ الْمَوْلَى﴾: نعم: من أفعال المدح، المولى: المتولي بأمر عباده، المتعهد لأوليائه بالأمن، والهداية، والمحافظة على أوليائه، والقيّم على أمورهم.

﴿وَنِعَمَ النَّصِيرُ﴾: على وزن فاعيل؛ صيغة مبالغة، النصير: كثير النصرة لعباده المؤمنين، ولأوليائه على أعدائهم.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٨

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن
كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ
يَوْمَ الْفَتْحِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ
أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ
أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خُتِلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ
وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَن
هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَن حَىٰ عَن بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ
لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا
وَلَوْ أَرَادَكَ كَثِيرًا لَّفَشَلْتُمْ وَلَتَنزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ
وَلَكِن اللَّهُ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ
يُرِيكُمْوَهُمْ إِذْ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ
فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ
تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً
فَأَثْبِتُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

سورة الأنفال [الآيات ٤١ - ٤٥]

[٤١] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ أَمْنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْفَتْحِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا﴾: أيها المسلمون: أنما: أن: للتوكيد، ما: شرطية، أو اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

﴿غَنِمْتُمْ﴾: من الغنيمة؛ أي: أخذتم من أموال الكفار بالقتال، والقهر، والحرب «هذا يُسَمَّى الأنفال»، وما غنمتم من أموال الكفار من دون قتال «هذا يُسَمَّى الفية»؛ فالغنيمة قد تكون نفلاً، أو فيثاً.

﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: من: استغراقية؛ تشمل كل شيء غنمتموه قليلاً، أو كثيراً مهما كان نوعه، أو قيمته.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: جواب الشرط؛ تفيد التوكيد.

﴿لِلَّهِ خُمُسُهُ﴾: اللام: لام الاختصاص، والتعليل. خمسه: والسؤال كيف يكون لله خمسه مع العلم أن لله ما في السموات، وما في الأرض، وهو مالك الملك؟ قيل: ذكر اسم الله هنا؛ للتشريف، والبركة.

﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: الواو: في كل هؤلاء عاطفة. إذن $(\frac{11}{55})$ لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، كما أجمع أكثر المفسرين، فالغنيمة، أو الأنفال تقسم إلى خمسة أخماس: أربعة أخماسها توزع على المقاتلين، والخمس الباقي لهؤلاء الخمسة



بما فيهم رسول الله ﷺ، وبعد وفاته نصيبه هو لصالح المسلمين، والثابت: أن الغنائم لم تكن تحل لأحد من الأنبياء قبل رسول الله ﷺ.

﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾: أي: سهماً من خُمس الخُمس لذوي القربى: وهم أقارب النبي ﷺ: بنو هاشم، وبنو المطلب، حسب قول الإمام الشافعي مستنداً إلى حديث في صحيح البخاري.

﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾: وهم الأطفال الصغار من المسلمين من لا أب له.

﴿وَالْمَسْكِينِ﴾: أهل الفقر، والحاجة من المسلمين.

﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾: المسافر البعيد عن ماله، أو الذي فقد ماله، ولم يبق معه شيئاً، ويُسمَّى ابن السبيل؛ أي: ابن الطريق؛ فهو بحاجة للمساعدة، وكما قلنا أربعة أخماس الغنيمة الباقية توزع على المقاتلين: للفرس مثلاً: سهمان، أو ثلاثة أسهم، وللراجل: سهم واحد، هذا هو قول أكثر أهل العلم، وهذا تغير في عصرنا الحديث؛ فالدولة هي المسؤولة عن كل ذلك، والجنود هم موظفون عند الدولة، ولهم أجرهم.

﴿إِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الندرة.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُم بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: فاعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خُمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، والأربعة أخماس الباقية توزع على المقاتلين.

﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُم بِاللَّهِ﴾: بالله: الباء: للإلصاق، إيمان العقيدة.

﴿وَمَا أُنْزِلْنَا﴾: الواو: عاطفة، ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: محمد ﷺ، وهو ألف من الملائكة المردفين، والمطر، والنَّعاس، والإيحاء بالضرب فوق الأعناق، والبنان.

﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾: يوم بدر، وسُمِّي يوم الفرقان؛ لأنه فرق بين أهل الحق، وأهل الباطل؛ معسكر الإيمان، ومعسكر الكفر، والشرك.

﴿يَوْمَ النِّقْيِ الْجَمْعَانِ﴾: تكرار يوم؛ يفيد التوكيد، توكيد عظمة ذلك اليوم، يوم التقى: جمع المسلمين بجمع الكافرين من قريش على ماء بدر.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: قادر على الجمع بينهما، وقادر على أن يجعل فئة قليلة تغلب فئة كثيرة؛ أي: لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السموات.

[٤٢] ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾: إذ: ظرف للزمن الماضي؛ أي: واذكروا إذ أنتم بالعدوة الدنيا، بالعدوة الدنيا: العدو ظرفية تعني شط الوادي، والدنيا؛ أي: شط الوادي الأقرب إلى المدينة المنورة، والدنيا: مؤنث الأدنى؛ أي: الأقرب.

﴿وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾: كفار قريش بالعدوة القصوى: شط الوادي الأبعد عن الوادي؛ أي: العدو القصوى وهي أفضل من العدو الدنيا؛ لأن الماء كان فيها، وكانت أرض صلبة، والعدوة الدنيا ليس فيها ماء، وأرض رملية يصعب المشي عليها.

﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾: أي: أبو سفيان، والأربعون رجلاً، والغير أسفل منكم؛ أي: بالساحل، وبمكان أسفل من مكانكم حيث غير أبو سفيان مسير القافلة، واتجه إلى ساحل البحر، وساحل البحر هو أسفل من الأرض اليابسة، وذكر كل هذه التفاصيل؛ للتذكير بأهمية موقع القتال، وقلة عدد المسلمين وعدتهم حينذاك، وعدم خبرتهم في القتال، وحالتهم الصعبة، وهم لا يريدون القتال، ولم يخرجوا له.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: عاطفة، لو: شرطية.

﴿تَوَاعَدْتُمْ﴾: أي: وجعلتم بينكم وبين المشركين موعداً لزمّن القتال والمكان على سبيل الافتراض.

﴿لَاخْتَلَفْتُمْ﴾: اللام: للتوكيد؛ أي: اختلفتم في المكان، والزمان؛ فجاء بعضكم متأخراً عن الموعد، أو منحرفاً عن المكان، ولم يحصل اللقاء بينكم، أو وليتم مدبرين بعد أن رأيتم عددهم، وعدتهم؛ خوفاً من القتل، ولم يحدث اللقاء كما حدث في بدر في الزمان والمكان المحدد.

﴿وَلَكِنْ لِّيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا﴾:

﴿وَلَكِنْ﴾: للاستدراك، والتوكيد.

﴿لِّيَقْضَىٰ﴾: اللام: للتوكيد، والتعليل.

﴿لِّيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا﴾: أي: يتم الله سبحانه أمراً مقدراً: وهو نصر الله لأوليائه، وجمعكم بغير ميعاد، وليحق الحق بكلماته، ويقطع دابر الكافرين دلالة على عظمة ذلك الأمر أو النصر.

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾:

﴿لِيَهْلِكَ﴾: اللام: لام التعليل، والتوكيد؛ ليهلك في معركة بدر ﴿مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾: ليموت من مات من الكفار، أو المؤمنين عن بينة.

﴿عَنْ بَيِّنَةٍ﴾: أي: ليتبين لكل منهما حقيقة نفسه، ويعلم حاله التي هو عليها من الكفر، أو الإيمان من دون لبس، ولا شك، هذا مات على الإسلام، وهذا مات على الكفر.

﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾: ويعيش من عاش بعد معركة بدر، سواء من الكفار، أو المؤمنين.

﴿عَنْ بَيِّنَةٍ﴾: ومن دون شبهة أنه يعيش كمسلم، أو أنه يعيش ككافراً.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد.

لسميع: اللام: لزيادة التوكيد، سميع: لكل ما يقوله عباده في السر، والعلن، والقريب، والبعيد من الأصوات.

﴿عَلِيمٌ﴾: بكل ما يفعلوه في الخفاء، وفي الظاهر؛ أحاط علمه بكل شيء؛ فلا تخفى عليه خافية في الأرض، ولا في السماء.

[٤٣] ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَنَكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأُمُورِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾:

في هذه الآية، والتي تليها: يخبرنا الله سبحانه بما حدث من الأحداث، والأمور الغيبية التي أصابت قلوب، وعيون كل من الطرفين يوم بدر.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرفية؛ أي: في ليلة معركة بدر رأى رسول الله ﷺ رؤيا في المنام: أن عدد جيش الكفار قليل؛ «فكانت هذه المعجزة الأولى»، وفي الصباح أخبر رسول الله ﷺ أصحابه بهذه الرؤيا؛ ففرحوا بذلك، وسرت فيهم روح العزيمة، والجرأة، والشجاعة على القتال، والمضي إلى أرض المعركة.

﴿وَلَوْ أَرَنَكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأُمُورِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: شرطية؛ أي: لو كانت الرؤيا أن عدد جيش الكفار كثير؛ لحدث

العكس.

﴿أَرَنَكَهُمْ كَثِيرًا﴾: في منامك.

﴿لَفَشَلْتُمْ﴾: الفشل: أي: الإحباط، والوهن، وعدم الجرأة على القتال، واللجوء إلى الفرار، واللام في لفشلتهم، واللام في لتنازعتم: تدلان على التوكيد.



﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾: فلم يحدث مثل ذلك الفشل، والتنازع في أمر القتال.
﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة آل عمران؛
للبيان.

[٤٤] ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْفَتْحِمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أُمُورًا كَانَتْ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾:

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْفَتْحِمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾: وفي يوم المعركة «معركة بدر»، وقبل بدء القتال حدثت معجزة ثانية؛ فقد أصبح يرى المؤمنون عدد أعدائهم قليلاً؛ حتى ييث الله في المؤمنين الشجاعة، والشعور بالعزة، والنصر.

﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾: وفي نفس الوقت أصبح المشركون «جيش أبي جهل»: يرون عدد المؤمنين «صحابه رسول الله ﷺ» قليلاً أيضاً؛ حتى ييث في أنفسهم الإقدام على المعركة، ولا يتراجعون؛ حتى قال أبو جهل: إنهم أكلة جزور خذوهم أخذاً، واربطوهم بالحبال؛ فالله سبحانه يريد أن تبدأ المعركة.

وما إن بدأت المعركة حتى حدثت معجزة ثالثة: أصبح المشركون يرون عدد المؤمنين ضعفين، وذكر هذا في الآية (١٣) من سورة آل عمران: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ﴾؛ مما أدَّى إلى انسحاب المشركين من أرض المعركة، وهزيمتهم، وقُتل (٧٠) منهم، وأُسِرَ (٧٠). ارجع إلى الآية (١٣) من سورة آل عمران؛ لمزيد من البيان.

﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أُمُورًا كَانَتْ مَفْعُولًا﴾: هذا تكرار للآية (٤٢)؛ للتأكيد أن وعده بنصر المؤمنين، وإعلاء كلمة الحق سيتم لا محالة.

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: تقديم الجار والمجرور: وإلى الله: يفيد الحصر؛ أي: وإلى الله حصراً وقصراً كل الأمور ترجع إليه؛ للفصل، والحساب، وإصدار الحكم بعد ذلك إلى الجنة، أو إلى السعير.

[٤٥] ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء إلى الذين آمنوا بأوامر جديدة، بكيفية قتال العدو:

الأمر الأول: كان في الآية (١٥-١٦) من نفس السورة: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ۝١٥ وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾.

الأمر الثاني: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾: إذا: ظرف زماني للمستقبل.

﴿لَقِيتُمْ فِئَةً﴾: أي: حاربتم. فئة: جماعة من الناس. ارجع إلى الآية (١٣) من سورة آل عمران؛ للبيان.

﴿فَاثْبُتُوا﴾: أي: لا تفروا، أو تنسحبوا من أرض المعركة؛ اصمدوا أمام عدوكم.

الأمر الثالث: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾: أي: في مواطن الحرب لا تنسوا ذكر الله بالتكبير، والتحميد، والتسبيح، والصلاة، والدعاء باللسان؛ تضرعاً وخفية، والتوكل على الله.

﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لعل: للتعليل، والترجي؛ أي: لعلكم إذا ثبتتم في أرض المعركة، وذاكرتم الله، وأخذتم بالأسباب الأخرى الموصلة إلى الفلاح، والنصر؛ لعلكم تفلحون: لعل النصر، والفوز يتحقق لكم. ارجع إلى الآية (٥) من سورة البقرة؛ لبيان معنى الفلاح.





سُورَةُ الْغَاثِ ٨

الجزء العاشر

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ
عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّهُ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾
وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ
بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسَ بَظْلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾
كَذَّابٌ أَلْ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

سورة الأنفال [الآيات ٤٦ - ٥٢]

[٤٦] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾:

الأمر الرابع: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: اتبعوا ما أمر الله تعالى، ورسوله في أحكام القتال؛ مثل: عدم الخيانة، والأمانة، وتوزيع الغنائم، وطاعة أولي الأمر منكم.

﴿وَلَا تَنَازَعُوا﴾: لا: الناهية، ولا تنازعوا: أي: إياكم والخلاف.

﴿فَتَفْشَلُوا﴾: فإنه مدعاة للفشل، والهزيمة، وعليكم بوحدة الصف، والكلمة.

﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: أي: قوتكم، وقيل: الريح الدولة؛ أي: تذهب دولتكم، واستعمل الريح؛ لأن الريح القوية العاصفة قد تقلع الأشجار والبيوت، فالريح تحمل في معانيها وتمثل القوة، واستخدام الريح بدلاً من القوة.

﴿وَاصْبِرُوا﴾: على الشدائد، والمحن، والجراح، وتحمل البأس.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: يمدهم بالعون، والقوة، والصبر.

[٤٧] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية، لا: الناهية.



﴿تَكُونُوا﴾: أي: لا تشبهوا بالكفار، والنهي عن التشبه أبلغ من النهي عن الفعل كما لو قال: ولا تخرجوا كالذين خرجوا من ديارهم.

﴿كَالَّذِينَ﴾: الكاف: للتشبيه. الَّذِينَ: اسم موصول؛ يفيد الذم.

﴿خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾: أي: كفار مكة، وعلى رأسهم أبو جهل، وأصحابه، خرجوا من مكة لحماية العير «القافلة التي يقودها أبو سفيان» بالدفوف والمعازف، ولما نجا أبو سفيان بالعر أبي أبو جهل العودة إلى مكة، وقال: لا نرجع حتى نرد بدرًا، ونشرب بها الخمر، وتعزف لنا القيان، ونطعم الطعام، وتسمع بنا العرب؛ فذلك كان بطرًا، ورئاء الناس؛ أي: تكبرًا، وخيلاء، ورئاء الناس: بإطعامهم الطعام؛ أي: يريدون الحرب، والخروج إلى بدر للسمعة، وحتى تصبح لهم الهيبة، والسمعة بين العرب.

﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: يمنعون الناس من الدخول في الإسلام؛ فقد ظنوا أنهم بقتالهم رسول الله ﷺ، وأصحابه يخوفون الناس، ويصدونهم عن الدخول في الإسلام، والإيمان بالله ورسوله.

﴿وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: بما: الباء: للإلصاق، ما: حرف مصدري.

﴿مُحِيطٌ﴾: عالم بكل شيء يعملونه؛ أي: بما يقولون، ويفعلون محيط به إحاطة تامة.

[٤٨] ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكر إذ زين، أو: اذكر حين زين الشيطان، وإذ ظرف للزمن الماضي.



﴿زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾: الشيطان: هو إبليس.

﴿زَيْنَ لَهُمْ﴾: بالوسوسة، والتزئ لكَفار مكة أبي جهل، وأتباعه من قريش بالخروج للقاء الرسول ﷺ، وصحابته الذين تصدوا للغير القادمة من الشام يقودها أبو سفيان، زَيْنَ لَهُمُ بالوسوسة، وشجعهم على الخروج من مكة؛ لأن قريشاً قتلت رجلاً من كنانة، وكانت تخاف من بني بكر أن يأتوهم من ورائهم إذا خرجوا، وكان سراقه بن مالك سيد بني بكر بن كنان، وقيل: إن إبليس تمثل بصورة سراقه، وقدم إلى قريش، ومعه جند من الشياطين، وقال لقريش: اخرجوا، وإنا معكم، ولا تخافوا أحداً؛ فلا غالب لكم اليوم من الناس؛ هذا ما روي عن ابن عباس ؓ.

﴿وَإِنِّي جَارٌّ لَّكُمْ﴾: أي: مجيركم، وحاميكم من بني بكر، أو من أيّ عدو.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب، لما: ظرفية زمانية؛ بمعنى: حين.

﴿تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ﴾: الفئة المؤمنة، والفئة الكافرة.

﴿تَرَاءَتِ﴾: اقتربت الفئتان من بعضهما، وبدأت المعركة.

﴿نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾: أي: رأى إبليس الذي لا زال متمثلاً بصورة سراقه بن مالك الملائكة تنزل إلى أرض المعركة، معركة بدر، ولَّى هارباً تاركاً أرض المعركة، وقال:

﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾: أي: لا دخل لي فيكم، وأنا متخلّ عنكم.

﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾: أي: الملائكة تنزل إلى أرض المعركة.

﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾: أن يهلكني.



﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: ولما عادت قريش إلى مكة منهزمة، قالوا: إن سارقة هو سبب هزيمتهم في بدر؛ فبلغ هذا الخبر سارقة بن مالك؛ فتعجب، وقال: ما علمت بخروجكم حتى بلغني هزيمتكم، فلما أسلم بعضهم علموا: أن إبليس تمثل في صورة سارقة.

[٤٩] ﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿إِذْ﴾: واذكر إذ يقول المنافقون، أو حين قال المنافقون.

﴿يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ﴾: المنافقون: جمع منافق: وهو الذي يظهر الإسلام، ويبطن الكفر، وكلمة منافق مأخوذة من حيوان يشبه الفأر يُسمَّى اليربوع يحفر لنفسه نفقاً في الأرض له بابان، أو أكثر؛ فإذا حاولت صيده خرج من الباب الآخر. ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾: ضعف الإيمان، أو مرض الحسد، أو الحقد، أو الشبهات؛ يقولون بعد أن خرج رسول الله ﷺ وأصحابه إلى بدر، وكان عددهم (٣١٣) رجلاً:

﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾: قالوا ذلك سراً؛ أي: اغتر هؤلاء المسلمون بدِينهم، فكيف يخرجون للتصدي لقريش القادمة بأكثر من (١٠٠٠) مقاتل، غرّ: من الغرور: هو خداع، أو إيهام يحمل الإنسان على فعل ما يضره؛ أي: الوقوع في مضرة مع الإيهام بمنفعة، والمغرور: هو الذي يرى نفسه، أو يشعر بأنه أعظم من غيره بما يملكه من خصلة، أو خصال، فقال المنافقون: غرّ هؤلاء؛ أي: أحس المسلمون بقوتهم رغم أنهم قلة، أو بوعد الله لهم بالنصر فهذا غرور في ظنهم. ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: يطلب العون من الله، وبعد أن يقدم الأسباب؛ فهو حسبه، وكافيه، وينصره على عدوه، ولو كان ضعيفاً.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: العزيز: الذي لا يقهر، ولا يُغلب، الممتنع. والفاء، وإن: للتوكيد.

﴿حَكِيمٌ﴾: والحكيم: في تدبير شؤون خلقه، وكونه؛ فهو الحاكم المالك، وهو ذو الحكمة؛ لأنه أحكم الحكماء، وأحكم الحاكمين. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٢٩)؛ لمزيد من البيان.

[٥٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾:

لا زالت الآيات تتحدث عن كفار قريش الذين خرجوا من ديارهم بطراً، ورثاء الناس، فلو ترى هؤلاء حين يتوفاهم ملائكة الموت:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى﴾.

﴿وَلَوْ﴾: لو: شرطية، وجواب لو محذوف للتعجب والتهويل والتعظيم.

﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾: إذ: ظرف زمني؛ أي: حين يتوفى الذين كفروا ملائكة الموت بما فيهم ملك الموت يتوفى؛ أي: في مرحلة الوفاة، وهي المرحلة السابقة لقبض الروح؛ ففي هذه المرحلة يبدأ عذاب البرزخ، ويظن الناس أن المريض متألم، ومتوجع، فلو أتيح لأعينهم رؤية الحقيقة؛ لرأوا الملائكة يضربون وجوه هؤلاء الكفار، وأدبارهم، والعياذ بالله، وترى على وجه المريض الهلع، والذعر، والخوف، وتقول لهم الملائكة: ذوقوا عذاب الحريق الذي ينتظركم.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: المشركين قد يكونوا قتلوا بدر، وغيرهم من الكفار.

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾: أي: وجوههم وظهورهم إذا جاؤوهم من بين أيديهم ومن خلفهم، أو إذا لقوهم يضربون وجوههم وإذا ساقوهم يضربون أدبارهم، وهذا الضرب قبل قبض أرواحهم؛ أي: قبل الموت، وسواء أكان في يوم بدر، أو يوم القيامة، أو يوم تتوفاهم الملائكة.

﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: في القبر (البرزخ)، وفي الآخرة (عذاب الحريق في جهنم).



[٥١] ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة؛ يفيد البعد، ويشير إلى الضرب، وعذاب الحريق.

﴿بِمَا﴾: الباء: باء السببية، أو التعليل؛ أي: بسبب، ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، أو مصدرية.

﴿قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ﴾: أي: بما قدَّمتم من الأعمال السيئة، والمنكرات، والكفر، والظلم، ونسب ارتكاب المعاصي إلى الأيدي؛ لأنَّ معظم الأعمال السيئة يزاولها، أو يكسبها الإنسان بيده، وهناك طبعاً اللسان، والأعين، والأرجل، وغيرها من الحواس، والأعضاء.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾: وأنَّ: للتوكيد.

﴿لَيْسَ﴾: للنفي المستمر.

﴿بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾: الباء: للتوكيد، والإلصاق، ظلام: صيغة مبالغة لظالم؛ فكان يمكن أن ينفي الأدنى أي: ظالماً، ويقول: ليس ظالماً للعبيد، أو يقول: ليس بظلام للعبد، ولكنه عدل عن ذلك فهو ليس بظالم، وليس بظلام، لا للعبد، ولا للعبيد. ارجع إلى الآية (١٨٢) من سورة آل عمران؛ لمزيد من البيان.

[٥٢] ﴿كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ^١ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ^٢ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:

﴿كَذَّابٍ﴾: الكاف: للتشبيه، الذَّاب: هو الشَّان، والحال، والذَّاب؛ يعني: الدَّوام على فعل أمر ما، والإدمان عليه لطول الزَّمن.

﴿كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ^١ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أي: حال كفار مكة، وشأنهم، وأفعالهم، ودأبهم كحال، وشأن، وأفعال آل فرعون، ومن سبقهم من الأمم؛ مثل: قوم نوح، وعاد، وثمود.

﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: كما كفر هؤلاء مشركي مكة، كفروا: أي: جحدوا بآيات ربهم، ولم يؤمنوا بها.

﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: الأخذ: يعني الانتقام والعذاب، والهلاك، والأخذ: يكون بطرق متعددة: بالصيحة، والرجفة، أو الطوفان، أو بالسنين، ونقص الثمرات... وغيرها.

﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾: الباء: للإلصاق، والتعليل، والذنوب: الآثام، والمعاصي، والكبائر.

﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل؛ للتوكيد.

﴿قَوِيٌّ﴾: لا يُغلب، ولا يُقهر، وممتنع.

﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: مشتق من عقب؛ لأنَّ فاعل الذنب يستحق عقوبته عقيب فعل ذنبه؛ يعني: في الدنيا، وعادة العقاب يكون في الدنيا، والعذاب في الآخرة.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٨

الجزء العاشر

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا
مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَّابٌ ءَالِ
فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ
بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَاهُ آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَاذِبٍ لَظَلِيمٌ ﴿٥٤﴾
إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾
الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ
وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَاِمَّا تَشَقِّقُهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ
مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَاِمَّا تَخَافُ مِنْ
قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ
﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾
وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَنَحُوا
لِلْسَّلَامِ فَأَجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

سورة الأنفال [الآيات ٥٣ - ٦١]

[٥٣] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة للبعد، ويشير إلى الأخذ والعقاب الذي حدث لكفار مكة، وآل فرعون، ومن سبقهم من الأمم لم يحدث إلا بسبب كفرهم، وجحدهم بنعم الله؛ فهم بدّلوا نعمة الإيمان بالكفر، ولم يشكروا الله تعالى المنعم عليها، فمن سنّنه الكونية هذه السنّة: سنّة تغير النعمة.

﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾: الباء: للتوكيد، والإلصاق، والاستمرار، أن: لزيادة التوكيد.

﴿لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: لم يك: ولم يقل: لم يكن؛ حذف النون؛ لأنّ يك: أقل من يكن؛ أي: لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم أدنى، أو أقل تغيراً بأن منعها عنهم، أو أنقصها، أو بدّلها؛

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: أي: حتّى هم يغيروا ما بأنفسهم؛ حتّى يكونوا هم البادئين بالتغيير، وهذا من رحمته سبحانه: أنّه شاء أن يكون الإنسان هو البادئ بالتغيير، بالكفر، وترك الشكر، والإعراض.

﴿وَأَنَّ﴾: أن: للتوكيد، الله سميع لكل ما يقوله الكافرون، ومكذبوا الرّسل، وعليم بما يفعلون..

﴿اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: ارجع إلى الآية (٤٢) من نفس السّورة.



[٥٤] ﴿كَذَابَ آلِ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ۖ وَكُلُّ كَاثِرٍ ظَلِيمٍ ۖ﴾

هذا هو الذأب الثاني، وأما الذأب الأول: فقد جاء في الآية (٥٢)، وهذا الذأب الثاني غير الذأب الأول.

الذأب الأول: كان في العقيدة: الكفر، والشرك، وعدم الاستجابة للرسول، والإيمان؛ فكان ذأب كفار قريش؛ كذأب آل فرعون، ومن سبقهم من الأمم، مثل: قوم نوح، وعاد، وثمود في الكفر، والشرك.

وأما الذأب الثاني: فجاء في الكفر بالنعم، والجحود بها؛ فكان كفار قريش أيضاً يشبهون آل فرعون، ومن سبقهم من الأمم في الكفر بأنعم الله، وعدم شكر المنعم على نعمه.

وأما الفروق بين الآيتين:

فالأية (٥٢): ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ﴾.

والآية (٥٤): ﴿كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ۖ وَكُلُّ كَاثِرٍ ظَلِيمٍ ۖ﴾.

الفرق الأول: ﴿كَفَرُوا﴾ (آية ٥٢)، ﴿كَذَبُوا﴾ (آية ٥٤): الكفر: هو أعم من التكذيب، والكفر أشد من التكذيب، والتكذيب: قد يكون جزئياً، أما الكفر: فهو عام.

الفرق الثاني: ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ (آية ٥٢)، ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ (آية ٥٤):

﴿بَيَّاتِ اللَّهُ﴾: آيات الألوهية؛ أي: العبودية، والتقوى، والطاعة، وآيات التوحيد؛ توحيد الصفات، والأسماء، والتكاليف، والمنهج.

﴿بَيَّاتِ رَبِّهِمْ﴾: آيات الخلق، والرزق؛ أي: آيات الربوبية، والحلال، والحرام، والنعم.

الفرق الثالث: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ (آية ٥٢)، ﴿فَأَهْلَكْنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ (آية ٥٤).

الأخذ: يكون بالعذاب، وأنواعه، والأخذ: قد يكون أليماً شديداً.

والهلاك: قد يعني: الموت أولاً. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٥).

﴿فَأَهْلَكْنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾: الفاء: للتوكيد، بذنوبهم: الباء: للتعليل، أو السببية.

وهناك فرق بين قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٤]، وقوله تعالى:

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [آل عمران: ١١] إضافة التكذيب بآيات ربهم الخاصة يشير إلى بشاعة وشدة كذبهم والاجترأ على الله تعالى مقارنة بقوله بآياتنا (عامة).

﴿وَأَغْرَقْنَاهُ آلَ فِرْعَوْنَ﴾: وبين كيف تم ذلك في سورة طه، آية (٧٨).

﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾، وأيضاً في سورة يونس،

آية (٩٠-٩٢).

﴿حَتَّىٰ إِذَا دَرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَاْمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاْمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا

مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾: مشركو قريش، وآل فرعون، والذين من قبلهم كانوا

ظالمين: بالشرك، والكفر، والمعاصي، وظالمين لأنفسهم بالصد عن سبيل الله، وبإدخال أنفسهم في النار، وبجحدهم نعم الله تعالى.



[٥٥] ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

أسباب النزول: قيل: نزلت هذه الآية في بني قريظة حين نقضوا عهد رسول الله ﷺ، وأعانوا مشركي قريش بالسلاح في معركة بدر، كما روي عن ابن عباس ؓ. والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿شَرَّ الدَّوَابِّ﴾: أصلها: أشر الدواب، والدواب جمع دابة، والدابة: هي كل ما يدب على الأرض، مثل: الحيوان، والإنسان، والعن.

ومنهم من قال: الإنسان مستثنى من هذا التعريف، ويقصد بالشر الإصرار على الكفر، ونقض العهد، فهم لا يؤمنون، كما جاء في الآيتين (٥٥-٥٦).

﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: العندية: عندية منزلة، أو درجة.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٦)؛ لبيان معنى الذين كفروا.

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: فهم: الفاء: للتوكيد، هم: لزيادة التوكيد.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا: النافية، يؤمنون: تدل على إصرارهم على الكفر، وعدم الإيمان بالله تعالى، وبآياته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر، والبعث، والحساب، والجزاء.

[٥٦] ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾: أخذت منهم العهد على عدم التدخل والانحياز، ونصرة الأعداء، أو إعانة مشركي قريش.

﴿مِنْهُمْ﴾: من الذين كفروا؛ أمثال: بنو قريظة.



﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الزمني، والتراخي.

﴿يَنْقُضُونَ﴾: أي: لا يوفون بالعهد، أو ينكثون العهد، وينقضون بصيغة المضارع: لتدل على استمرار نقضهم، وتجددته، ولم يتوقف. ارجع إلى سورة النحل آية (٩٢) لمزيد من البيان.

﴿فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾: للتوكيد.

﴿وَهُمْ لَا يَنْقُوتُ﴾:

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد.

﴿لَا يَنْقُوتُ﴾: لا: النافية، يتقون: لا يطيعوا أوامر الله، ولا يتجنبوا محارمه، ولا يخافون عاقبة الغدر، والنقض.

[٥٧] ﴿فَإِمَّا تَثَقَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ﴾:

﴿فَإِمَّا﴾: الفاء: عاطفة، إن: شرطية، وما: تفيد التوكيد، وأصلها: للتفصيل.

﴿تَثَقَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾: تجددنهم، وتظفر بهم، وتقدر عليهم في الحرب.

﴿تَثَقَّفْنَهُمْ﴾: من الثقف: وثقف الرجل؛ أي: تمكن منه، وظفر به، وليس مجرد أن وجده حاول قتله، أو أسره، بل لا بُدَّ من أن يكون قادراً على فعل ذلك، وإلا يصبر زمناً، أو مكاناً آخر.

﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ﴾: أرغمهم على ترك منازلهم بالقوة؛ فيصحبوا لا منزل لهم؛ إلا العراء، أو الخيام؛ فيؤدِّي ذلك إلى خوف الذين من خلفهم من أعداء الذين يتربصون بكم؛ فيخافون أن يتشردوا، كما حصل ذلك لغيرهم؛ مما يؤدِّي إلى الكف عن محاربتك، والكيد منك.



﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾: لعل: للتعليل. يذكرون: لا ينسون ما حدث لإخوانهم، أو يتعظون. يذكرون: أصلها يتذكرون، ويذكرون: فيها مبالغة في التذكر، أو شدة تذكر تجعلهم يستيقظون من سباتهم، وتهتز مشاعرهم أو قلوبهم لما حدث، وأما يتذكرون تستعمل لما يحتاج إلى طول وقت للتذكر العقلي.

[٥٨] ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾:

﴿وَأِمَّا﴾: أصلها: (وإن ما) أدغمتا. إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، ما: للتوكيد، وإما أصلها للتفصيل.

﴿تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾: أي: إذا ظهرت لك بوادر خيانة، أو نقض للعهد من الذين بينك وبينهم عهد.

﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾: الفاء: للتوكيد، انبذ: من النبذ: وهو إلقاء الشيء وطرحه؛ استهانة به، وإظهاراً بعدم الاهتمام به؛ أي: اطرَحِ العهد الذي بينك وبينهم؛ أي: تخلّ عنهُ، أو تحلّل منه لمجرد الخوف من الخيانة وتوقعها؛ لأن الانتظار لكي تحدث فيه خطر كبير للأمة ولمصالحها، وأخبرهم: بأنك نقضت العهد معهم؛ لكي يعلم الكل ذلك.

﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾: أي: هم وأنت على سواء في العلم، لا خداع، ولا خيانة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾: إن: للتوكيد، لا يحب: لا: النافية.

﴿الْخَائِنِينَ﴾: جمع خائن، والخائن: هو الذي تصدر منه الخيانة مرة واحدة، أو تصدر منه خيانة في أمر غير عظيم.

أما الخوان: فهو الذي تصدر منه الخيانة مرات عديدة، أو مراراً، وتكراراً، وفي أمور عظيمة؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].



[٥٩] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾: الواو: استثنائية، لا: النافية، يحسبن: من حسب؛ أي: اعتقد، أو هو الظن الراجح، وحسب: تقوم على حساب حسي، وحساب قلبي قائم على النظر، والتجربة، والحساب.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾: سبقوا: من سبق؛ أي: الذين فرّوا من معركة بدر من المشركين خوفاً من القتل، أو الأسر: بأنهم خلصوا، أو فلتوا من العذاب، والآية عامة؛ تعني: كل الكفار، وأصل السبق: هو الفوت، والتّجاة من العذاب.

﴿لَهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾: إن: حرف توكيد، لا: النافية، يعجزون: أي: سوف ندرّكهم في الدنيا، ونأخذهم بالعذاب، لا يحسبن الذين كفروا أنا غير قادرين عليهم.

[٦٠] ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ﴾:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾: من الإعداد، والتهيئة؛ لقتال العدو.

﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾: قدر استطاعتكم؛ أي: كل ما تقدرّون عليه، كل ما بوسعكم، ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾: من: استغرافية؛ تشمل كل قوة. قوة: جاءت نكرة؛ لتشمل أي قوة مهما كانت من السلاح، والصّواريخ، والطائرات، والقنابل. والإعداد: يشمل الإعداد العسكري، والمالي، والمعنوي «النّفسي»؛ لبث روح الشّجاعة، والإقدام، والتّضحية.

﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾: ومن: استغرافية، رباط الخيل: كان هذا في القديم،

والآن قد يتمثل رباط الخيل: بالطائرات، والصواريخ، والقذائف، وراجمات الصواريخ، والأسلحة الخفيفة، والثقيلة، ولنعلم أن الخيل كانت رمز القوة في الزمن القديم.

﴿تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾: من الرهبة: وهي الخوف المقترن بالعلم من الذي تخافه، وطول مدة الخوف المصحوب باضطراب نفسي، وقلق؛ أي: ترهبونهم حتى لا يقاتلوكم، أو يجروا على محاربتكم. وتكرار ﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ ولو قال عدو الله لكان يكفي أو عدوكم يكفي، ولكن قوله تعالى: ﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾: فيها حث على وجوب القتال والجهد أكثر؛ لأن الجهاد في سبيل الله فيه مكاسب دنيوية وأخروية.

﴿وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾: أي: إرهاب العدو الموالي لهؤلاء، أو إرهاب الآخرين من غيرهم «غير كفار قريش»، واليهود لا تعلمونهم الله يعلمهم، أمثال: الفرس، والروم، وغيرهم من الأمم.

﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾: ما: شرطية، من شيء: من: استغراقية. شيء: مهما كان صغيراً، أو كبيراً: من مال، أو غير مال، طعام، أو مسكن.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الجهاد، وغيره، وإعلاء كلمة الله تعالى.

﴿يُوفِّ إِلَيْكُمْ﴾: أضعافاً كثيرة عشرة أضعاف أو (٧٠) ضعفاً، أو أكثر من ذلك.

﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾: أنتم: تفيد التوكيد، لا: النافية، تظلمون: لا تنقصون حسنة، ولا تظلمون سيئة؛ أي: لا تظلمون من الثواب، والأجر شيئاً، والشيء: هو أقل القليل.



[٦١] ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: شرطية تدل على احتمال الحدوث.

﴿جَنَحُوا لِلسَّلَامِ﴾: مالوا إلى الصِّلح، والسَّلَم، وعدم القتال، ودعوك إليه بنية حسنة ورغبة صادقة فاجنح لها.

﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾: أي: وافق على الصِّلح، والسَّلَم أيضاً.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: استعن بالله، وفوض أمرك إلى الله بعد الأخذ بالأسباب، والحيطة، والحذر.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد في كمال السَّمع، والعلم.

﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: ارجع إلى الآية (٤٢).





سُورَةُ الْاَنْفَالِ ٨

الجزء العاشر

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ
بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ
اللَّهَ أَلْفَ بَيْنِهِمْ إِنَّهُ غَزِيرٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ
اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِضُ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ
يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ أَلَنْ خَفَّفَ
اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلَّمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ
صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ
بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ
لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَشْخَبَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا
وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ غَزِيرٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كَتَبَ مِنَّا
اللَّهُ سَبَقَ لِمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا
غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

سورة الأنفال [الآيات ٦٢ - ٦٩]

[٦٢] ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿وَإِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، يريد بنو قريظة أن يخدعوك، أو غيرهم.
 ﴿يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التعليل، والتوكيد، يخدعوك حين يدعوك إلى السلم، أو الصلح، أو لتكف عنهم حتى يستعدوا، أو يفاجئوك بغدر، أو مكر، والخداع: هو محاولة ستر وجه الصواب عن الآخر؛ لكي يوقعه في مكروه.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: جواب الشرط. إن: للتوكيد.

﴿حَسْبَكَ اللَّهُ﴾: الحسب: الكافي، وحسبك: أي: كافيك، أو يكفيك الله؛ أي: لن يستطيعوا خداعك.

﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ﴾: هو ضمير فصل للتوكيد، أيدك بنصره: يوم بدر، والباء: للإلصاق، أيدك: من التأيد، وهو التمكن بالقوة، وإنزال الملائكة، والمطر، والنعاس، والرعب... وغيرها من وسائل النصر، وأضاف سبحانه النصر إلى نفسه؛ لأنه نصر خارق للعادة بإنزال الملائكة والمطر وما حدث في بدر لينصر رسوله ﷺ خاصة، ولذلك قال أيدك بنصره.

﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾: وليس معنى ذلك أنهم حسبه، وإنما يؤيدونك، أو قواك بنصرتهم لك.



[٦٣] ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ﴾: أي: أحدث بينهم الموافقة في الآراء، والتحاب، والتواد، والصفاء، وأبعد عنهم التباغض؛ بعد أن كانوا أعداء تسيطر عليهم الحمية، والعصبية، مثال: ألف بين الأوس والخزرج (بين المهاجرين والأنصار)، ألف بينهم بالإسلام، وأخوة الدين، ويختلف التألف عن الجمع؛ فقد تجمع بين أفراد القوم، ويبقى بينهم عدم التحاب، والتواد.

﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: شرطية، أنفقت ما في الأرض: من مال، أو غيره، جميعاً تأكيد.

﴿مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾: ما: النافية، ألفت بين قلوبهم: ولكن الله ألف، ولكن: للاستدراك، والتوكيد.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿عَزِيزٌ﴾: القوي الذي لا يقهر، ولا يغلب، والممتنع؛ أي: لا يضره أحد من خلقه.

﴿حَكِيمٌ﴾: في تدبير شؤون خلقه، وكونه، حكيم فهو الحاكم، وحكيم من الحكمة؛ فهو أحكم الحكماء، وأحكم الحاكمين. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[٦٤] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾: نداء للنبي ﷺ استعمل فيها يا النداء؛ للبعد، والهاء: للتنبيه، وهو نداء تكريم، وتعظيم، ولم يقل: يا محمد، أو: يا أيها الرسول.

إذا نظرنا في القرآن الكريم: نجد أن الله سبحانه حين ينادي على رسله ناداهم بأسمائهم، أمثلة: ﴿يَا زَيْدُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ﴾ [الصافات: ١٠٤]، ﴿يُنُوحُ أَهْطِ بِسَلَمٍ مِّنَّا﴾ [هود: ٤٨]، ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٦].

أما حين نادى الله ﷻ نبيه محمداً؛ فقد ناداه بيا أيها النبي، وذلك في (١٣) آية في القرآن، وناداه بيا أيها الرسول مرتين في آيتين.

هذا في النداء، أما في الإخبار، وهو غير النداء؛ فقد ذكر اسمه محمد في (٤) آيات، وورد اسم أحمد في آية واحدة، وسنرى سبب ذلك حين بيان تلك الآيات، وهي:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿وَمَا آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَبِّهِمْ﴾ [محمد: ٧].

والنداء بـ(يا أيها الرسول): يأتي في سياق الدعوة والتبليغ والرسالة: مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١].

وباقى النداءات جاء بيا أيها النبي، وهو نداء تشريف، وعام، ويأتي في سياق الأمور، والشؤون الخاصة به ﷺ، وعلى كونه الأسوة، والقدوة للناس، أو في سياق الأحكام الخاصة به ﷺ، وشؤون أسرته، وأزواجه، وأحكام الأسرة المسلمة بشكل عام.



﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾: الحسب الكافي، وحسبك؛ أي: يكفيك أو كافيك.

﴿وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: لا تعني - كما يظن بعض الناس - : حسبك الله، وحسبك من اتبعك من المؤمنين، وإنما تفسرها حسبك الله وحده، ومن اتبعك من المؤمنين حسبهم الله، أو: يا أيها النبي حسبك الله، وأيها المؤمنون حسبكم الله؛ «أي: يكفيكم الله وحده»، أو: يا أيها النبي حسبك الله، وحسب من اتبعك من المؤمنين أيضاً هو الله، والواو في كلمة ومن تبعك؛ تعني: مع، أي: حسبك الله مع من تبعك من المؤمنين، الكل حسبكم الله ﷻ، في كل ما تدعونه، أو تحتاجونه في أمور دنياكم، وآخرتكم من النصر، والرزق، والتوكل.

[٦٥] ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ حَرِصٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَكْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾:

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ﴾: نداء إلى النبي. ارجع إلى الآية السابقة؛ للبيان.

﴿حَرِصٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾: التحريض: هو الحث، والتشجيع على فعل الشيء، ويكون ذلك بإلقاء الخطب، أو تبيان الحكمة، والموعظة، والتزيين، وبكونك الأسوة الحسنة، والقُدوة الصالحة.

﴿عَلَى الْقِتَالِ﴾: أي: حثهم على الجهاد، والقتال في سبيل الله.

﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَكْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال، والقلة.

﴿يَكُنْ﴾: يوجد.

﴿مِنْكُمْ﴾: خَاصَّةً؛ أَي: من صحابة رسول الله ﷺ، أو منكم من أتباع رسول الله، وأنصاره من المؤمنين.

﴿عَشْرُونَ صَبِيرُونَ﴾: أَي: أصبح الصَّبر عندهم صفة ثابتة.

﴿يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾: أَي: كل مؤمن إذا صبر، وتوكل على الله قادر على أن يقاوم، ويجاهد عشرة رجال من الأعداء.

﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ﴾: أَي: مئة صابرة أيضاً.

﴿يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أَي: الرَّجُل يَغْلِبُ (١٠) رجال من الذين كفروا، فالمعيار الإيماني، أو القوة الإيمانية الواحد يساوي أو يعادل عشرة.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾: الباء: للإلصاق والتوكيد؛ ما هو الفرق بين بأنهم قوم لا يفقهون، والقول: لا يفقهون؟ إضافة كلمة قوم تدل على عدم الفقه، والفهم عندهم منذ القديم متمكن فيهم؛ أي: أسوء من قوله: بأنهم لا يفقهون؛ لا يفقهون: لا: النافية، يفقهون: الفقه لغة: الفهم، واصطلاحاً: هو معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية مثل القرآن والسنة والإجماع والقياس وغيرها؛ أي: لا يفهمون حكمة الجهاد في سبيل الله، وإعلاء كلمته، وما هو جزاء الذين يحاربون الله، ورسوله، والذين يسعون في الأرض فساداً، فالمؤمن يقاتل بشجاعة، ولا يخاف الشهادة في سبيل الله، وأما الكافر: فهو يقاتل للحفاظ على حياته، ودنياه، ولا يؤمن بالآخرة، وما فيها.

[٦٦] ﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾:

﴿أَلَنْ﴾: ظرف زمني، الآن وقد كثر عدد المسلمين، والمجاهدين في



سبيل الله، وتغيرت وسائل القتال، والحرب من السيف إلى الصاروخ، ومن الركوب على الجياد إلى الطائرات... وغيرها.

﴿خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾: الحكم السابق، أو المعادلة الإيمانية السابقة الواحد يعادل عشرة إلى معادلة جديدة الواحد يعادل اثنين.

﴿وَعَلِمَ أَنَّ﴾: تدل على التوكيد؛ أي: أنه علم علماً مؤكداً أن فيكم ضعفاً.

﴿فِيكُمْ ضَعْفًا﴾: لم يُبين ما هو هذا الضعف؛ فقد يكون في الاستقامة على الدين، وقد يكون في العدة، والعتاد، والقوة العسكرية، ويشمل كل ضعف؛ لأنه نكرة، و(ضعفاً) قد تكون جمع ضعيف.

فمع مرور الزمن تكثر الفتن، ويضعف الإيمان ويُقبل الناس على الدنيا، ومع مرور الزمن تتغير وسائل الحرب، فتظهر الصواريخ العابرة للقارات، والطائرات، ووسائل القتل، والدمار.

﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ﴾: فكل نصر، أو هزيمة يكون بإرادة الله.

﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: يمدهم بقوته، وينصره، وبالصبر، والشهادة.

ويجب أن لا ننظر أن الآية الثانية (٦٦) نسخت الآية الأولى (٦٥): فكلا الحكمين قائمين، فالحكم الأول: هو الحد الأعلى، وتمثل المسلمين الأوائل، والحكم الثاني: هو الحد الأدنى، وتمثل باقي المسلمين والمؤمنين.

[٦٧] ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَشْخِزَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

أسباب النزول: نزلت هذه الآية في أسرى بدر.

﴿مَا كَانَتْ﴾: ما: النافية. كان: تعني: «ينبغي»؛ أي: ما كان ينبغي أو يصح.

﴿لَنَبِيِّ﴾: اللام: لام الاختصاص، والتوكيد، نبي: نكرة، ومعنى ذلك: ما صح لأي نبي من الأنبياء بما فيهم أنت يا محمد ﷺ: أن يكون له أسرى حتى يشخن في الأرض، وأما لو قال: يا أيها النبي، أو ما كان للنبي؛ لدل ذلك على المعرفة، ولكانت الآية خاصة به ﷺ.

﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾: أن: حرف مصدرى؛ يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿أُسْرَى﴾: جمع أسير: وهو الذي يقبض عليه من العدو، ويشد عليه بإسار: وهو القيد من الجلد، أو الحديد، هناك فرق بين أسرى، أو أسارى: ﴿وَأِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَفْذُوهُمْ﴾ [البقرة: ٨٥]. ارجع إلى الآية (٨٥) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

أسرى: جميع أسير، وأسارى: جمع أسرى، فأسارى: جمع الجمع. وقيل: الأسرى: الذين في اليد، وأسارى: الذين هم في القيود.

﴿حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾: حتى: حرف غاية، وتشير إلى نهاية الغاية، وهي يشخن في الأرض؛ أي: تصبح له شوكة، وقوة عظيمة عندها يصح أن يأخذ أسرى بدلاً من قتلهم؛ أي: كان الأصح، والصواب هو قتل المشركين الكفار يوم بدر بدلاً من أسر السبعين رجلاً، ثخن الشيء: غلظ وصلب، فهو ثخين؛ كقوله تعالى: ﴿كَرَّرَ أَخْرَجَ شَطْطَهُ، فَفَازَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾: تريدون المال، أو متاع الدنيا الزائل الفاني، ويعني هنا: الفداء فداء أسرى بدر بالمال.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾: والله يريد لكم الجنة، والنعيم المقيم، فلا تبدلوا



الأعلى بالأدنى، ولم يقل تعالى: والله يريد عرض الآخرة؛ لأن العرض يزول والآخرة متاعها خالد لا يزول.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: قوي، عزيز، لا يُغلب، ولا يُقهر، ممتنع لا يضره أحد من خلقه، حكيم في تدبير شؤون خلقه، وكونه، وحكيم فيما يشرعه لكم؛ لأنه هو الحاكم، وهو أحكم الحكماء، وأحكم الحاكمين. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[٦٨] ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿لَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود.

﴿كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾: حكم منه تعالى سبق في اللوح المحفوظ، وهو ألا يعذب أحداً قبل أن يُبين لهم أمراً، أو نهياً ما يفعلون.

﴿لَمَسَّكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص (التعليل)، والتوكيد.

﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾: أي: من الفدية؛ أي: المال يوم بدر؛ لإطلاق سراح الأسرى.

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: وهو أشد أنواع العذاب على الإطلاق، والذي يتضمن الألم الشديد، والمهين؛ فهذا الكتاب يعني: أن الله غفر لأهل بدر ذنوبهم، وأخطاءهم.

[٦٩] ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

بعد نزول الآية السابقة: امتنع الصحابة عما أخذوه من الفدية، أو المال، والغنائم، وأصبحوا في حيرة من أمرهم؛ فنزلت هذه الآية.

﴿فَكُلُوا﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، والمباشرة، والتوكيد.

﴿مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾: من الفدية، والغنائم، مما: من: بعضية، من بعض ما غنمتم،
ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾: الحلال: ما نصَّ الشارع على حله، والذي لا يتعلَّق به حقُّ
الغير، والطيب الطاهر المستحسن غير النجس، أو الخبيث، وسواء أكان طيباً في
الواقع، أم لا.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: بطاعة أو امره، وطاعة رسوله، وتجنُّب محارمه.

﴿إِنْ﴾: للتوكيد.

﴿اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لما أخطأتم من الأسر، وأخذ الفدية، غفور رحيم:
صيغة مبالغة.

﴿عَفُورٌ﴾: كثير المغفرة، يغفر الذنوب جميعاً؛ إلا الشرك، والكفر، ويغفر
الذنوب مهما كثرت، وعظمت.

﴿رَحِيمٌ﴾: بكم وعباده المؤمنين، ومن آثار رحمته: الإمهال، فلا يعجل
لهم العقوبة، أو العذاب؛ لعلَّهم يتوبون.



الْبَيْتُ الْعِشْرُونَ

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٨

يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ
 فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَعْفِرَ لَكُمْ
 وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا
 اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنْ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجَرُوا
 وَإِنْ أَسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ
 بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي
 الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا
 وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ هُمْ
 الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ
 بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ
 بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

سورة الأنفال [الآيات ٧٠ - ٧٥]

[٧٠] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُومًا مِّنْ أَيْدِيكُمْ مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيَكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

أسباب النزول: كما روى الطبراني، والكلبي، قيل: نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب عليه السلام الذي خرج إلى بدر قبل إسلامه مع مشركي مكة، وكان معه كمية من الذهب التي كان ينوي إنفاقها على إطعام العرب أيام بدر، وبعد أن أسر دفعها فدية لنفسه، وأخذها رسول الله ﷺ، وبعد أن أسلم، وحسن إسلامه طلب من الرسول أن يرد عليه ما أخذ منه من فدية؛ فنزلت هذه الآية.

﴿قُلُومًا مِّنْ أَيْدِيكُمْ مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن﴾: شرطية، وتفيد الاحتمال، أو الندرة.
 ﴿يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾: أي: فيه الدخول في الإسلام والإيمان والإخلاص.

﴿يُؤْتِيَكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾: من الفدية؛ أي: يخلفكم خيراً، مما أخذ منكم أضعافاً مضاعفة في الدنيا والآخرة.
 ﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾: ذنوبكم وسيئاتكم.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: ارجع إلى الآية (٦٩) من نفس السورة.

[٧١] ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

قيل: هذه الآية نزلت في أسرى بدر حين طلب بعض الأسرى من



رسول الله ﷺ أن يسمح لهم بالذهاب إلى مكة؛ لكي يحضروا له الفداء، وخشي رسول الله ﷺ أن تكون هذه خدعةً، واحتياطاً؛ لكي يطلق سراحهم حتى يحضروا الفدية، أم هذه حيلة وخيانة للنجاة، أو يراد بهم الأسرى الذين أخذ منهم الفداء وأظهروا إسلامهم إذا عادوا إلى مكة خانوك وعادوا إلى الكفر.

﴿وإن يُريدُوا خِيَانَتَكَ﴾: وإن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الشك، وقيل: معنى إن يريدوا خيانتك: بالكفر بعد الإسلام؛ أي: الردة بعد أن نطقوا بالشهادة، وعادوا إلى ديارهم، وعادوا إلى الكفر، فلا تبال بهم.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، قد: تحقيق، وتوكيد.

﴿خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾: أي: إن عادوا إلى الخيانة فسيمكنك الله منهم: بقتلهم، أو أسرهم، كما فعل بيدر، خانوا الله: بكفرهم، ونقضهم عهدهم، وعدم إيمانهم.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: عليم: بأيّ خيانة يمكن أن يقوموا بها، أو عليم بنواياهم، وما تخفي صدورهم، وعليم: كثير العلم؛ صيغة مبالغة لعالم.

﴿حَكِيمٌ﴾: في تدبيره لخلقه، وما يأمرهم، ويفرض عليهم ويجازيهم عليه.

وحكيم مشتقة من الحكم؛ فهو أحكم الحاكمين، أو مشتقة من الحكمة؛ فهو أحكم الحكماء في تشريعه، وما يفرض من الأحكام.

[٧٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنَ

شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦٧﴾

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

هناك ملاحظة يجب الإشارة إليها، وهي إذا جاءت إن في مطلع آية الجهاد، كما في هذه الآية نرى تأخير جملة في سبيل الله إلى ما بعد ذكر أموالهم وأنفسهم، وإذا لم تجيء إن، أو تذكر في مطلع آية الجهاد؛ فإن ذلك يصاحبه تقديم كلمة في سبيل الله على الأموال والأنفس، وهذه الملاحظة قد تساعد حافظ القرآن.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: آمنوا بالله، ورسوله، وما أنزل الله، وكتبه، وملائكته، واليوم الآخر.

﴿وَهَاجِرُوا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: من دار الحرب، والكفر إلى دار الإسلام إلى المدينة، وإلى الحبشة، أو غيرها، وهم المهاجرون، وتركوا أموالهم، وديارهم استجابة لله ورسوله.

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿ءَأْوَأ﴾: أسكنوا المهاجرين ديارهم.

﴿وَنَصَرُوا﴾: المهاجرين على أعدائهم، آووا ونصروا: هم الأنصار.

﴿أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: أي: المهاجرين، والأنصار بعضهم أولياء بعض في الموالاة؛ أي: المودة، والمحبة، والمعونة، والنصرة، وتبادل الأسرار، والنصرة: ينصر بعضهم بعضاً.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾:



﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾: خوفاً على أموالهم، وديارهم، وبقوا في مكة، لا ولاية لهم؛ أي: لا تولوهم حتى يهاجروا.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية «نهاية الغاية»؛ أي: متى هاجروا؛ ارجعوا إلى ولايتهم.

﴿وَإِنْ أَسْتَضَرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والنذرة.

﴿أَسْتَضَرُّوكُمْ فِي الدِّينِ﴾: أي: طلبوا منكم أن تنصروهم في الدين على المشركين؛ فعليكم واجب نصرتهم، ولكن بشرط:

﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾: عهد مؤكد. إلا: أداة استثناء؛ أي: لا تنصروا الذين طلبوا منكم النصرة في الدين على هؤلاء الذين عاهدتم، ولا يجوز نقض العهد معهم.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: بصير بطواهر الأمور وبواطنها، بصير بما تقولون، وتفعلون.

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: ويجب الانتباه إلى أمر مهم: هو أن موالة المؤمنين بعضهم لبعض أمر تشريعي شرعه الله تعالى، وكذلك عدم موالة الكفار؛ بينما موالة الكافرين بعضهم لبعض أمر كوني فرضته الحال، والحاجة، والمصالح الاجتماعية، وليس أمراً تشريعياً؛ أي: هو أمر وضعي من وضع البشر.



﴿إِلَّا﴾: إلا: أصلها: إن: الشرطية؛ تفيد الاحتمال، لا: النافية.

﴿تَفْعَلُوهُ﴾: ما شرع لكم من موالاة المسلمين ونصرتهم؛ أي: ولاية بعضهم لبعض.

﴿تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ﴾: ابتلاء في الأرض، وشرٌّ، والابتلاء أشدُّ من الفتنة.

﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾: أي: انتشار للفساد في الأرض، وانتشار الشرك والكفر، والقتل، والتشرد، وانتصار للباطل على الحق، وفساد في الدين، وإهلاك للحرث، والنسل، وسفك الدماء.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَّهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾:

هذه الآية ليست تكراراً للآية السابقة (٧٢)، فهذه الآية تتحدث عن ثواب، ومنزلة الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا، وجاهدوا في سبيل الله «المهاجرين»، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا «الأنصار» إذا أطاعوا أمر الله، ووالى بعضهم بعضاً، وطبقوا شرع الله.

﴿وَجَّهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: ولم يذكر بالمال، أو بالنفس ليكون شاملاً لكل من يريد أن يجاهد في سبيل الله تعالى بأي شيء كان.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، يشير إلى علو المنزلة.

﴿هُمْ﴾: تفيد التوكيد.

﴿الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: أي: حقاً في كمال الإيمان؛ فهم في طليعة المؤمنين مقارنة بالمؤمنين الذين لم يهاجروا.



﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾: لهم خاصّة، مغفرة: تُمحى عنهم سيئاتهم وذنوبهم.

﴿وَرَزَقَ كَرِيمٌ﴾: لا ينقطع في الجنة، رزق مبارك من دون تعب، ولا جهد،

ولا مشقة.

[٧٥] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ﴾: انظر كيف لم يحدد (من بعد) فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ﴾، ولم يقل: من بعد ذلك؛ لتدل على الإطلاق والعموم، وتشمل كل مؤمن آمن من بعد، ومنهم من فسر من بعد صلح الحديبية، وتأخرت هجرتهم عن الهجرة الأولى، وهؤلاء الذين آمنوا قيل هم الذين وصفهم الله تعالى في سورة الحشر، الآية (١٠): ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾.

﴿وَهَاجَرُوا﴾: إلى المدينة، والسؤال: هل كانت هناك هجرة أخرى؟

الجواب: لا، وقيل: هجرة إلى الله في سبيل مرضاة الله؛ للجهاد في سبيله، وإعلاء كلمته، والانضمام إلى صفوف المؤمنين.

﴿فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ﴾: الفاء: للتأكيد، أولئك: اسم إشارة؛ يفيد المدح، منكم: أيها المهاجرون والأنصار، أو أيها المؤمنون.

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾: أي: ذوو الأرحام الذين تربطهم رابطة الرحم؛ أي: النسب والدم.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾: في حق الميراث؛ أي: في الإرث من التوارث

بالهجرة، أو الموالاة بالإيمان. ارجع إلى سورة الأحزاب، آية (٦)؛ لمزيد من البيان.

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: في اللوح المحفوظ، وفي القرآن، أو في حكم الله.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إنَّ: للتوكيد.

﴿بِكُلِّ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

﴿شَيْءٍ عَلِيمٍ﴾: بكل ما شرعه لكم من الأحكام في علم الموارث، وعليم بما تفعلونه في قسمة الميراث، وما تحلُّونه، وما تحرِّمونه في التَّوارث. وعليم بالهجرة، أو الجهاد، والموالاة، وكلُّ ما تقومون به من قولٍ أو فعلٍ.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

البقرة العشرة

سُورَةُ التَّوْبَةِ

تَبَارَكَ

تَبَارَكَ

نصف
الجزء
١٩

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ
فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي
اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۖ وَأَذِنُ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ
شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى
مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۖ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ
فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۖ
وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ
كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا مَنَّهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۖ



[١] ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: أي: هذه براءة من الله ورسوله.

أو ﴿بَرَاءَةٌ﴾: بالتثنية: مصدر لفعل برأ يبرأ، والتثنية، أو المجيء، أو البدء بالمصدر: للتفخيم.

﴿مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: لزيادة التفخيم، والتحويل؛ من الله ورسوله، ولم يقل: من الله، ومن رسوله؛ لأن براءة الله، وبراءة رسوله هي واحدة، نفس البراءة.

و﴿بَرَاءَةٌ﴾ من برئ؛ أي: سلّم، أو تخلى، أو قطع من العيب، أو الدين، أو الحماية، أو العهد، أو لم يبق ثمة علاقة، أو صلة، أو عهد مع المشركين؛ أي: هذا أمر من الله ورسوله بقطع، ونبذ عهود الموالاة للمشركين؛ الذين عاهدتم منهم. والخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ، وأصحابه بالتخلي عن كلّ العهود المبرمة مع المشركين؛ مثل: قبائل خزاعة، وبني مدلج، وبني خزيمة، وغيرهم. وسبب هذه البراءة؛ لأنّ المشركين لم يوفوا بما عاهدوا عليه المؤمنين، فجاء الأمر الربّاني بنقض العهد معهم.

و﴿عَاهَدْتُم﴾: من العهد، والمعاهدة: عقد العهد بين طرفين التزم كلّ منهما بقبول شروط العقد، وكانت العهود توثق بوضع كلّ طرف يده اليمنى بيمين الآخر، ولذلك سمّيت أيماناً. ارجع إلى الآية (٢٧) من سورة البقرة؛ للبيان.

[٢] ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَإِنَّ اللَّهَ مُحْزِي الكَافِرِينَ﴾:

﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾: فسيحوا: الفاء: للترتيب، والتعقيب، سيحوا في الأرض أربعة أشهر: أي: سيروا في الأرض بحرية آمنين أربعة أشهر دون قتال؛ فمن كان له عهد أقل من أربعة أشهر؛ فأجله إلى مدته، ومن كان له عهد أكثر من أربعة أشهر فأجله أربعة أشهر، ولا أمان، ولا حرية بعدها.

﴿فَسِيحُوا﴾: من السَّيَاحَةِ، والسَّيَاحَةُ في الأصل: جريان الماء، كما تمليه الطبيعة، ثم استعملت في السَّير، وسبب هذه الأربعة أشهر حتى لا يُنسب إلى المسلمين الغدر، أو نبذ العهد دون إعلان، أو إنذار.

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾: تبدأ من قراءة علي لهم هذا الإنذار في منى من السنة التاسعة للهجرة، وكان معه أبو بكر.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾: أنكم: تفيد التوكيد. غير معجزي الله: بالهرب، أو التحصن، أو الخفاء بعد هذه المهلة؛ أي: لا تفوتونه.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾: وأن: للتوكيد، مخزي: من الخزي: وهو الذل، والفضيحة في الدنيا، والآخرة، سواء أكان ذلك بالقتل، والتشريد، أم العذاب بالبأساء، والضراء في الدنيا، وفي الآخرة بعذاب النار.

[٣] ﴿وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ، فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾:

﴿وَأَذِّنْ﴾: أي: إعلام، أو بلاغ من الله، ورسوله: وهو ما قرأه علي عليهم في منى، وأذان: مصدر أذن.

﴿إِلَى النَّاسِ﴾: جميعاً من عاهد، أو لم يعاهد، ومن نكث، أو لم ينكث بعده.

﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾: وسمي الحج الأكبر؛ لأنه الحج الوحيد الذي اجتمع فيه الكفار، والمؤمنون معاً، وبعدها لم يسمح لهم بالاقتراب من المسجد الحرام، وقد يكون لتسمية الحج الأكبر أسباب أخرى؛ منها: كون يوم عرفة كان يوم الجمعة، أو الحج الأكبر؛ لأنه كان حج قران (عمره، وحج معاً).



﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾: أَنْ: للتوكيد، الله بريء من المشركين ورسوله: هذا هو نص الأذان، وهنا يجب الانتباه إلى أمرين:

الأول: قوله: ورسوله: بالضم، ولو جاءت بالفتح: ورسوله: لكان ذلك يعني: أَنَّ الله بريء من المشركين، وبريء من رسوله، وهذا خطأ فاحش.

والأمر الثاني: لو عطف بالرفع، وقال: أَنَّ الله بريء من المشركين، ورسوله: لكانت براءة الرسول بمنزلة براءة الله، وهذا غير صحيح؛ لأنَّ براءة الرسول ﷺ تابعة لبراءة الله، ولذلك عطف بالرفع على منصوب؛ ليفيد كلا المعنيين.

فإن: الفاء: للتوكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿تُبْتَمُ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: رغم الإعلام بالبراءة، وإمهاله أربعة أشهر لا يغلق الله سبحانه باب رحمته أبداً بالتوبة؛ فإن تبتم من الكفر، والغدر، ونقض العهود؛ فهو أفضل لكم وخير.

﴿وإن تَوَلَّيْتُمْ﴾: وإن: شرطية؛ تفيد الندرة، والقلّة.

﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: عن التوبة، أو الوفاء، بالعهود، وامتنال أوامر الله ورسوله.

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾: اعلموا علم اليقين.

﴿غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾: فائتين (ناجين) من عقابه، وعذابه.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: البشارة عادة هي الإعلام بخبر سار لأول مرة، ولكن استعملت هنا: للتهكم، والتقريع بهم، بدلاً من القول، وأنذر؛ قال وبشر بعذاب أليم، لا يستطيع أحد على تحمله.

[٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء؛ أي: يستثنى من هذا الإنذار، والإعلام الأربعة أشهر.

﴿الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾: أي: الذين لم ينقضوا عهدهم معكم، أو لم ينقضوا من بنود العهد شيئاً.

﴿شَيْئًا﴾: نكرة؛ أي: لم يقتلوا منكم أحداً، ولم ينقصوكم من الممتلكات شيئاً؛ بالاستيلاء على أموالكم، أو التعرض لتجارتكم، ولم تبدر منهم أي خيانة أمثال بني بكر، وبني ضمرة.

﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾: أي: لم يُعينوا عليكم أحداً، يظاهروا: اشتقت من رفع الحمل على الظهر، ولكي ترفعه على الظهر تحتاج إلى من يساعد على رفعه.

﴿فَاتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾: أي: أتموا العهد إلى مدته مهما طالت، والوفاء بالعهد من فرائض الإسلام، والفاء: للمباشرة، والتوكيد.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾: جاء بكلمة المتقين؛ لأن من يوفي بالعهد هو من المتقين، والمتقين الذين امثلوا لأوامر الله تعالى، وقالوا: سمعنا، وأطعنا، وتجنبوا نواهيه.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد، يحب المتقين، وجاءت كجمللة اسمية؛ لتدل على ثبوت صفة الوفاء بالعهد، والتقوى.

[٥] ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: عاطفة، إذا: شرطية؛ تفيد حتمية الحدوث.

﴿أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ﴾: أنسلخ: انقضت وانتهت، وخرجت الأشهر الحرم؛ أي: أشهر الأمان الأربعة التي أبيح فيها للمشركين الذين نقضوا عهدهم أن يسيحوا في الأرض بأمان، وشبه انقضاء الأشهر الأربعة بما يقوم به الجزار بسلخ



الجلد عن الحيوان المذبوح، وقال تعالى: انسلخ، ولم يقل: انسلخت؛ ذكر الفعل، والتذكير يدل على جمع القلّة.

﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾: فاقتلوا المشركين الذين نكثوا عهدهم.

﴿حَيْثُ﴾: ظرف مكان، وجدتموهم؛ أي: في أيّ مكان في الحلّ، والحرم. ﴿وَحَذُّوهُمْ﴾: أي: أسرى إذا تعدّر قتلهم.

﴿وَاحْضَرُوهُمْ﴾: أي: احبسوهم، والحصر؛ يعني: قيّدوا حركاتهم، (ويكون بالسجن).

﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾: أي: ارسدوا حركاتهم؛ أي: راقبوا حتى تأمنوا مكرهم، وأفعالهم، وأقوالهم. كلّ: تفيد التوكيد؛ أي: لا يغيبوا عن أعينكم، والمرصد: هو الموضع الذي يراقب فيه العدو.

﴿إِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: ثم بعد الأخذ، والحصر، والرصد لا زال باب التوبة مفتوح لهم؛ لأن الله سبحانه غفور رحيم بعباده.

﴿إِنْ تَابُوا﴾: الفاء: للتعقيب، تابوا من الكفر، ومعاداة المسلمين، ودخلوا الإسلام، وأعلنوا الشّهادة.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أدوا الصّلاة التي هي عماد الدين، بجميع أركانها، وشروطها، وأوقاتها، والمحافظة عليها، ودوامها.

﴿وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾: التي تحقق التكافل الاجتماعي. ارجع إلى الآية (٤٣) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾: أطلقوا سراحهم، واتركوهم وشأنهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: إن: تفيد التوكيد بغفور رحيم.

﴿عَفُورٌ﴾: صيغة مبالغة كثير المغفرة، وتعني: ستر الذنب، وترك العقاب، يغفر الذنوب مهما كثرت، وعظمت؛ إلا الشرك، والكفر.

﴿رَحِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من الرحمة؛ رحيم بعباده المؤمنين، لا يعجل لهم العقاب؛ لعلهم يتوبون.

[٦] ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو: استئنافية، إن: شرطية؛ تفيد قلة الحدوث، أو النادرة.
﴿اسْتَجَارَكَ﴾: طلب الحماية من أجاره تكفل بحمايته، استجارك: الألف، والسين، والتاء؛ تعني: الطلب، طلب جوارك؛ أي: حمايتك، واستأمنك من القتل فأجره.

﴿فَأَجِرْهُ﴾: أي: أزل عنه الجور، وأمنه، واحميه.

﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾: حتى: حرف غاية، ويفيد منتهى الغاية؛ حتى يسمع كلام الله؛ أي: القرآن، ويطلع عليه، ويفكر فيه، ويتدبره، أو حتى يتوب، أو يعلن الشهادة: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتراخي، أبلغه مأمنه، وبما أنه طلب منك الحماية؛ فخذ به إلى مكان آمن، أو مسكنه، أو دار قومه، أو أين ما يطلب منك.

﴿ذَلِكَ﴾: التكفل بحمايته، وأمنه.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾: الباء: للتعليل، وللتوكيد، أو للسببية؛ بسبب أنهم لا يعلمون، قوم جهلة لا يعلمون ما الإسلام، ولا ما أنزل الله على رسوله ﷺ.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

الجزء العاشر

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ
رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا
أَسْتَقِمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ
﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا
وَلَا ذِمَّةً يَرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا
عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ
فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾
فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ
فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا
أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتِلُوا
أَيُّمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ
﴿١٢﴾ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَّذَرُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا
بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
أَتَخْشَوْنَهُمْ فَأَلَّهِ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

سورة التوبة [الآيات ٧ - ١٣]

[٧] ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾:

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام، والاستبعاد، والتعجب، استبعاد ثبات المشركين على أيّ عهد يصدر عنهم، والعهد: تعريفه كما بينا في الآية (١) من سورة التوبة، وآية (٢٧) من سورة البقرة.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾: كيف يكون؟ الجواب: لا يكون، أو لا عهد لهم.

وعهد جاءت بصيغة النكرة للتعظيم؛ أي: مهما كان نوعه صغيراً، أو كبيراً، أو مع أي طرف.

﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: ظرف زمان، ومكان؛ أي: لا عهد لهم عند الله، ولا عند رسوله، وتكرار عند: للتوكيد، وكلاً على حدة؛ أي: لا عهد لهم عند الله، ولا عند رسوله، ولا كلاهما معاً.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: إلا: أداة استثناء، عاهدتم عند المسجد الحرام. قيل: هم بنو بكر، وبنو ضمرة، وهم المستثنون من قبل في الآية (٤) من سورة التوبة.

﴿عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أي: قرب المسجد الحرام.

﴿فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾: ما: شرطية، أو مصدرية.



﴿أَسْتَقِمُوا لَكُمْ﴾: أي: حافظوا على عهدهم، ولم ينقضوه.

﴿فَأَسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾: أي: وأنتم حافظوا على عهدكم إليهم، ولا تنقضوه،
والفاء: للمباشرة والتوكيد.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾: الذين يوفون بعهدهم إذا عاهدوا؛ الذين أطاعوا
أوامر الله، وتجنبوا نواهيه، وتكرار إن الله يحب المتقين: يؤكد حبه للمتقين
الذين من بين صفاتهم الثابتة: الوفاء بالعهد، والتقوى، المتقين: جملة اسمية تدل
على الثبوت، بثبوتهم على التقوى، والاستقامة.

[٨] ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً يَرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ
وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾:

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام، والاستبعاد، والتعجب من أن يكون لهم عهد،
وحذف الفعل، ولم يكرره مرة أخرى؛ لأنه أصبح معلوماً.

﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: إن: شرطية.

﴿يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: أي: يتمكنوا منكم، أو تكون لهم قوة، أو يجدوا من
يظاهروهم عليكم فعندها:

﴿لَا يَرْقُبُوا﴾: لا: النافية، يرقبوا: من الرقيب، الرقابة: تعني: الحراسة،
والمراقب الحارس؛ أي: لا يحافظوا على عهد، ولا قرابة، ولا جوار، ولا حلف،
ولا قسم، ولا أمانة.

﴿فِيكُمْ﴾: في: ظرفية زمانية ومكانية؛ أي: لا يرقبوا في أي زمان، ولا
مكان.

﴿إِلَّا﴾: الإل: الحلف، أو اليمين، أو العهد، أو القرابة، والجوار.

﴿وَلَا ذِمَّةَ﴾: الذِّمَّة: الأمانة، أو حقاً؛ أي: الوفاء بالأمانة التي ليس عليها شهود، أو كتابة، أو يؤدِّي حقاً لأهله.

﴿يَرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: أي: يظهرون لكم الكلام الحسن الجميل، والنون في يرضونكم: بدلاً من يرضوكم للتوكيد؛ أي: مجرد كلام، أو لغو لا قيمة لما يقولون.

﴿وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾: الإيفاء بالعهد، أو تأبى قلوبهم إلا الغدر، ونكث العهد، والخيانة.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾: وأكثرهم خارجون عن طاعة الله، ورسوله، وعن دين الإسلام، كاذبون، وناقضون للعهد، والميثاق.

[٩] ﴿أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: اشترى: أخذ المادة المشتراة، ودفع الثمن؛ أي: أخذوا الثمن القليل (المال، أو الجاه)، ودفعوا الثمن آيات الله (أي: إيمانهم)؛ لأنهم امتنعوا عن الاستماع إلى آيات الله (آيات القرآن)، ولذلك لم يؤمنوا فخسروا إيمانهم، ولو استمعوا؛ لآمنوا.

أسباب نزول هذه الآية: روي أنّ أبا سفيان كان يجمع الأعراب بين الحين والآخر على طعامه؛ ليكونوا في حلفه.

في هذه الآية يقول الحق سبحانه: ﴿أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

وفي الآية (٧٧) من سورة آل عمران يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

وفي الآية (١٧٧) من سورة آل عمران: ﴿أَشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾.



إذن: هم اشتروا المال، والكفر، ودفعوا آيات الله، أو عهد الله وأيمانهم ثمناً لذلك.

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: وصف الثمن بالقليل؛ لأن ليس هناك ما يساوي، أو أفضل من ثمن النجاة من النار، والفوز بالجنة؛ فمهما أخذوا من أموال طائلة؛ تبقى قليلة مقابل ما خسروا.

﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾: صدوا أنفسهم عن دين الإسلام، والإيمان، وصدوا غيرهم؛ أي: منعوهم من الدخول في دين الإسلام، أو منعوا غيرهم من الوفاء بالعهد، أو منعوهم من طاعة الله، والتقرب إليه بشتى الوسائل: بالتعذيب، والاضطهاد، أو الرشوة، ومنعهم من الاستماع إلى القرآن، واللغو حين تلاوته؛ حتى لا يفهم منه شيئاً، أو يمنعون الناس من الاتصال برسول الله ﷺ.

﴿إِنَّهُمْ سَاءَ﴾: للتوكيد، ساء: قبح، وساء من أفعال الذم، وتعني: كذلك بئس.

﴿مَا﴾: اسم موصول، أو مصدرية؛ أي: بئس وقبح الذي، أو بئس العمل عملهم.

﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: يعملون: تضم الأقوال، والأفعال؛ أي: ساء، أو بئس ما يقولون، أو يفعلون.

[١٠] ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَاذِمَةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾:

﴿لَا يَرْقُبُونَ﴾: لا: النافية، يرقبون: من راقب؛ أي: حافظ، والمراقب الحارس الذي يحرس الأشياء، لا يرقبون: لا يحافظون، ولا يراعون عهداً، أو أمانة مع أي مؤمن، والفاعل هنا كفار مكة، ومن حولهم من الأعراب، والمنافقين، واليهود.

﴿فِي﴾: ظرفية زمانية ومكانية.



﴿مُؤْمِنٍ﴾: أي مؤمن.

﴿إِلَّا﴾: الإل العهد، وقيل: القرابة، أو الجوار، أو اليمين، والقسم.

﴿وَلَا ذِمَّةَ﴾: ولا حق، ولا أمانة، وتكرار (لا) تفيد التوكيد، وفصل كل من الإل والذمة؛ فهم لا يرقبون لا الإل لوحده، أو الذمة لوحدها، أو كلاهما.

﴿وَأُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد؛ يفيد الذم.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد.

﴿الْمُعْتَدُونَ﴾: جمع معتد؛ أي: هم المعتدون. المعتدي: هو من تجاوز الحد في الظلم، ظلم الغير، حقاً من بين كل الأعداء؛ أي: هم في طليعة الأعداء، والمعتدون: جملة اسمية؛ تعني: أن صفة الاعتداء أصبحت عندهم ثابتة، لا تتغير. [١١] ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾:

هذه الآية تؤكد لنا: أن الإسلام يَجِبُ ما قبله، وأن باب التوبة مفتوح.

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب. إن: شرطية، ولم يقل: فإذا تابوا؛ استعمال (إن): يدل على الاحتمال، والشك، وقلة الحدوث، ولو استعمل فإذا تابوا: لدلّ على حتمية الحدوث، وأن توبتهم مؤكدة.

﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ تفيد التوكيد.

﴿فِي﴾: ظرفية ﴿الدِّينِ﴾، الإخوة نوعين: إخوة النسب والدم، وهناك الإخوة في الدين والعقيدة، وشاء الله أن يرفع الإيمان إلى مرتبة النسب؛ فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، فما دام قد دخلوا معنا في الإيمان؛ فأصبح لهم حق إخوة النسب في التواد، والتراحم، بل جعل إخوة الدين أهم من إخوة الدم، والنسب.

﴿وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: نفصل؛ أي: نأتي بالآيات بأشكال وألوان متعددة، ومواضيع مختلفة؛ لكي يتعلم الناس، ويفقهوا أمور دينهم، واللام في



لقوم: لام الاختصاص؛ أي: نفصل هذه الآيات لقوم يعلمون؛ أي: يتفكرون أولاً، ثم يتدبرون، ثم يفقهون، ثم يعلمون ما في الآيات من أحكام ومواظ وأسرار.

[١٢] ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَبِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو: عاطفة، إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال.

﴿نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ﴾: نقضوا أيمانهم، وعهدهم، وإن نكثوا أيمانهم: هذا القول يثبت أن لهم أيمان، ولكن حين قال بعدها لا أيمان لهم؛ نفى عنهم الأيمان أصلاً.

﴿مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾: للتوكيد، ومن: تعني بعد الزمن القصير مما يدل على أيمانهم لا تطول.

﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾: الطعن في الدين: أن يعاب، ويعني: السب، والشتم، والإساءة بالقول، والفعل، وأن الدين ناقص، وغير كامل، وأصل الطعن: طعن الجسم بالآلة الحادة؛ كالسكين، أو الرمح؛ لإفساده، أو طعنوا الرسول ﷺ، أو الصحابة بسبب إيمانهم.

﴿فَقَبِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾: فقاتلوا: الفاء: للترتيب، والتعقيب، والتوكيد، أئمة الكفر: زعماء الكفر، وقادته؛ أي: رؤساء المشركين، وقادتهم.

﴿إِنَّهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾: لا: النافية للجنس، أيمان: عهود لهم صادقة، وقيل: لا أمان لهم؛ أي: بطل أمانهم؛ لأنهم نقضوا عهدهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ﴾: لعل: للتعليل، ينتهون؛ أي: لينتهوا بأنفسهم عن نقضهم الأيمان، والطعن في الدين، ومحاربة الإسلام، أو لعل قتالكم لهم يُنهي كل ذلك.

[١٣] ﴿أَلَا تَقْنَلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَٰئِكَ مَرَّةً كَانُوا فِيهَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾
﴿أَلَا﴾: أداة حُضٍّ، وحثٌّ على القتال.

﴿تَقْنَلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾: نقضوا عهودهم؛ مثل: نقض عهد الحديبية... وغيره.

﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾: هموا: عقدوا، وعزموا النية على إخراجهم من مكة؛ حين اجتمعوا في دار الندوة.

﴿وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَٰئِكَ مَرَّةً﴾: بدؤوا بالعداوة، ومحاربتكم، والصد عن الإسلام من أول ما بدأ ﷺ يدعو الناس إليه، أو بدؤوكم بنقض العهود بالقتال يوم بدر، أو في غيره من المواقع.

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري، وتفيد النفي؛ أي: لا تخشوهم؛ أي: لا يصح أن تخشوهم، أو تخافوهم، أو ما الذي يمنعكم من قتالهم؛ إلا أن تكونوا خائفين منهم، أو تخافون أن يغلبوكم، أو ينالكم منهم مكروه، وهنا أنتم أمام حالين: إما أن تخشوهم، أو تخشوا الله سبحانه، والله سبحانه هو أحق بالخشية؛ لأنه هو الأشد، والأعظم، والمؤمن لا يخشى إلا ربه وحده.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾: بالله حقاً؛ فعليكم بقتالهم، إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشك؛ فإما الشهادة في سبيل الله، وإما النصر.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

الْبُيُوتِ الْعَشْرُ

قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّكُمْ
عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبِ
غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا
مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ
وَلِجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ
أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ
أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى
أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ
الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾



سورة التوبة [الآيات ١٤ - ٢٠]

[١٤] ﴿قَتَلُوهُمْ يَعْذِبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجَهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾

﴿قَتَلُوهُمْ﴾: تكرر؛ للحض، والترغيب، والتوكيد، وأن القتال مطلوب منكم، ولو قال: إن تقاتلوهم؛ فيدل على أن القتال غير مؤكد عليكم، ثم بيّن الله الحكمة من الأمر بالقتال؛ فيقول:

﴿يَعْذِبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾: والسؤال: لماذا اختار أن يعذب المشركين، وكفار مكة بأيدي المؤمنين، وليس بعذاب من عنده: بأن ينزل عليهم آية، وينتهي الأمر؟! ولا داعي للقتال، لو حدث ذلك، وأنزل الله عليهم آية من السماء؛ لما تغيرت نظرة كفار مكة بالنسبة للمؤمنين - ولكونهم لا يؤمنون بالله - إذن: لن تتغير حالتهم الإيمانية، ولو كانوا آمنوا من قبل؛ لانتهد المسألة، وما قالوا؛ هذا حدث كوني قد مسّ آباءنا البأساء والضراء مثل هذا من قبل، فأراد الله سبحانه أن يري الكفار بأس الفئة القليلة التي غلبت فئة كثيرة، ولعل ذلك يردعهم؛ فلا تحدثهم أنفسهم بقتال المؤمنين في المستقبل.

﴿وَيُخْرِجُهُمْ﴾: يذلهم، ويفضحهم، والخزي فيه عذاب نفسي، وفضيحة أمام الناس.

﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾: بالقوة، والعدة، والسلاح.

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾: قيل: هؤلاء القوم: هم خزاعة؛ قدموا من اليمن، وسبأ إلى مكة؛ فأسلموا، وكانوا حلفاء رسول الله ﷺ، وواجهوا،



ولقوا من أهل مكة أذىً شديداً، وأخبروا رسول الله ﷺ بذلك؛ فبشرهم بالفرج القريب، وكان ذلك في بدر.

[١٥] ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾:

﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ ﴾: الغم والهيجان الذي أصاب قلوب المؤمنين أمثال: خزاعة وغيرهم من أفعال المشركين من قريش، وبني بكر من الظلم، والإيذاء، والغدر بخزاعة.

والغيظ: هو غضب كامن في نفس العاجز عن الثأر، والانتقام، أو التشفي، وهو نوع من الغم، أو مرحلة من مراحل الغضب، وهو أشد من الغضب، وقيل: مراحل الغضب هي: السخط، ثم الغضب، ثم الغيظ، ثم الحرد، ثم الحنق، ثم الاختلاط.

﴿ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾: هذا إخبار من الله بأن بعض أهل مكة سيتوبون من بعد كفرهم، وقد كان ذلك حين أسلم بعض منهم، وحسن إسلامهم؛ مثل: أبي سفيان، وعكرمة... وغيرهم.

﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾: بنيات كل فرد، وما يقولون، وما يفعلون، وما يدبرون، وما كان، وما سيكون من توبة بعض المشركين.

﴿ حَكِيمٌ ﴾: الحاكم، وذو الحكمة: وهي تدبير أمر خلقه، وكونه بحكمته.

حكيم: مشتقة من الحكمة؛ فهو أحكم الحكماء، وحكيم: مشتقة من الحكم؛ فهو أحكم الحاكمين.

لنقارن الآيتين (١٥، و٢٧) من سورة التوبة.

الآية (١٥) من التوبة، يقول تعالى: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

جاءت في سياق كفار مكة، وما فعلوه برسول الله من التضييق، والعمل على إخراجهم من مكة، فأمر الله بقتالهم، وخزيهم، ثم يتوب الله على من يشاء؛ أي: من أسلم منهم بعد ما فعل ما فعل من العدوان، والصّد عن سبيل الله؛ فقال: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؛ عليم: بما جرى، وحكيم: فيما يقدر.

أما الآية (٢٧) من التوبة: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: فجاءت في سياق ما جرى يوم حنين من تولّي المسلمين، والهزيمة في بداية معركة حنين؛ حيث أعجبته كثرتهم، وفاجأهم العدو رغم أنهم كانوا (١٢) ألفاً، والعدو (٤) آلاف؛ فهؤلاء فروا، ثم عادوا، وقاتلوا مع رسول الله ﷺ، وما وقع منهم من خطأ فالله غفره لهم، ولذلك قال: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[١٦] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي؛ «أم المنقطعة»، والهمزة: للاستفهام الإنكاري.

﴿حَسِبْتُمْ﴾: من الحساب: وهو الظن الرجح؛ أي: اعتقدتم، وهو حساب حسي وحساب قلبي قائم على النظر، والتجربة والحساب، والمخاطب: هم المؤمنون.

﴿أَنْ﴾: أن حرف مصدري؛ يفيد التعليل، والتوكيد.



﴿تَتَرَكُوا﴾: من دون ابتلاء، وتمحيص، أو لا تصيبكم فتنة، والابتلاء: يكون في الخير، أو الشر، وهذا الابتلاء، والاختبار فائدتان:

١ - معرفة الذين جاهدوا منكم، وصدق نواياهم للجهاد، أم فقط كذب، وادّعاء، وبطر، ورياء.

٢ - معرفة من يتخذ وليجة من دون الله، ولا رسوله، ولا المؤمنين، ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾: لما: حرف نفى.

سبحانه يقوم بهذا الابتلاء، أو الاختبار لهؤلاء، لا ليعلم نفسه سبحانه صدق جهادهم، أو تجسسهم؛ فهو يعلم منذ الأزل ذلك، ولكن قيامه بالابتلاء والاختبار هو ليبين لهم صدقهم، أو كذبهم يوم القيامة، ويقيم الحجج عليهم، أو لهم؛ فهو اختبار للعبد؛ لكي يعرف نفسه فيما إذا كان صادقاً، أم كاذباً؛ فقد يأتي يوم القيامة فيقول: لولا اختبرتني بكذا الفعل؛ فهو اختبار للعبد نفسه.

﴿وَلِيجَةً﴾: بطانة من الكفار؛ ليفشوا إليهم أسرار المؤمنين؛ أي: يتخذوهم أصدقاء يتدخلون فيهم، أو معهم؛ ليعرفوا أسرارهم.

وليجة: من الولوج؛ دخول شيء بشيء من ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾: أي: هناك من اتخذوا من غير الله، وغير رسوله، وغير المؤمنين أصدقاء يسرون إليهم بالمودة، وبأخبار المؤمنين.

﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾: خير عليم ببواطن الأمور، وبأعمال العباد، ودقائقها. وقدم خير؛ لأن السياق في النوايا، والأسرار، وهذه أفعال لا يعلمها إلا الله تعالى.

[١٧] ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾:

﴿مَا﴾: النافية.

﴿كَانَ﴾: أي: ما كان ينبغي، وليس معقولاً، أو مقبولاً، أو يصح للمشركين.
اللام: لام الاختصاص، والتوكيد؛ أن يعمرُوا مساجد الله.

﴿يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾: العمارة نوعين: حسية؛ تعني: التشييد، والبناء،
والترميم والإعداد.

والعمارة المعنوية: القدوم إلى المسجد، والصلاة، والذكر، والاعتكاف،
والعبادة.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري؛ يعني: التوكيد للمشرك.

إذن لا يعقل، أو يصح أن يبنّي المشركون مسجداً لله، أو يأتوا إليه، ويعمره
بالعبادة؛ لأن ذلك يصبح شاهداً عليهم بالكفر؛ إضافة إلى الشهود الآخرين.

أو ﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾: بما يقولونه؛ أي: بكلامهم الذي لا
يطابق أفعالهم.

﴿مَسْجِدَ اللَّهِ﴾: جمع مسجد، ومسجد اسم جنس، ومساجد الله تشمل
كل مسجد بما فيها المسجد الحرام.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: بطلت وزهبت أجورها بلا فائدة؛ بسبب شركهم،
وكفرهم.

﴿حَبِطَتْ﴾: مشتقة من مرض الحبط الذي يصيب الماشية؛ فتصاب بانتفاخ



البطن، أو الحبن، ويُظن أنها سمينة، أو نمت وهي في الحقيقة مريضة، ومتورمة، وما نراه هو ليس لحماً، أو شحمًا، وإنما تورم مرضي، ثم تموت الماشية، ولا يستفاد منها بشيء. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢١٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾: قدّم الجار والمجرور للحصر والقصر.

﴿هُمْ﴾: ضمير يفيد التوكيد.

﴿خَالِدُونَ﴾: من الخلود، وهو استمرار البقاء من وقت له بداية، وليس له نهاية.

[١٨] ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾: بالبناء، والتشييد، والصيانة، والإعداد، وبالعبادة، والذكر، والقدوم إليها، وإقامة العلم. ارجع إلى سورة الجن آية (١٨) لبيان معنى: (مساجد الله).

﴿مِنْ﴾: ابتدائية.

﴿ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: ارجع إلى سورة البقرة آية (٨) للبيان.

﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾: وهي عماد الدين إقامتها بأركانها، وشروطها، وأوقاتها، والمحافظة عليها.

﴿وَأَتَى الزَّكَاةَ﴾: ارجع إلى الآية (٤٣) من سورة البقرة.

﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾: للنفي.

﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾: والخشية: هي الخوف مع شعور بعظمة الخالق، والعلم به (معرفة).

﴿وَلَمْ﴾: أداة حصر، وقصد.

﴿فَعَسَىٰ أَوْلَىٰكَ﴾: الفاء: للتوكيد. أولئك: اسم إشارة، واللام: للبعد، والمدح.

عسى: من أفعال الرجاء.

﴿أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾: أن: تدل على الاستقبال. من المهتدين إلى طريق الحق، والصواب، والإسلام، والطريق المستقيم المؤدي إلى الجنة.

[١٩] ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾:

سبب النزول: كما روي عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في أسرى بدر، ومنهم: العباس بن عبد المطلب؛ فبعد الأسر تحدث إليهم بعض الصحابة، ودعواهم للإسلام، والجهاد في سبيل الله، فأجابوهم أنا كنا نسقي الحجيج، ونعمر المسجد الحرام، ونفك العاني، وكذلك كانوا يفتخرون بأنهم أهل الحرم، ويقومون على السقاية، وسدنة البيت، ويعتبرون ذلك أفضل من الإيمان، والجهاد؛ فنزلت هذه الآية. ذكره الواحدي في أسباب النزول.

﴿أَجَعَلْتُمْ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والتعجبي.

﴿سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾: سقي الحجيج بالماء.

والسقاية في اللغة: موضع السقي المكان الذي يشرب منه الناس؛ مثل: السبيل، والسقاية: هي إناء السقي، أو المهنة مهنة السقي.



﴿وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: بنائه، وصيانته وسدانة البيت.

﴿كَمَنْ﴾: الكاف: للتشبيه.

﴿ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: ارجع إلى الآية (٨) من سورة البقرة؛ للبيان، والجهاد في سبيل الله. ارجع إلى سورة الحج آية (٣٩) للبيان المفصل.

﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾: لا: النافية، لا يستوون في الدرجة، والفضل.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: الظالمين: جمع ظالم: وهو الذي اختار لنفسه طريق الضلال، والغواية، واتبع هواه، والشيطان، وازداد ظلماً، وبعداً عن خالقه، ولم يتب، ولم يطلب من الله العون، ولم يقدم الأسباب للهداية؛ فالله سبحانه لا يهديه، ويتركه لنفسه، وهواه.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾:

هذا التصنيف إذا قابلناه بالتصنيف في سورة الأنفال، الآية (٧٤).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾:

نجد أن تصنيف آية الأنفال كان تصنيفاً بعد الهجرة مباشرة، أما التصنيف في آية التوبة فجاء بعد سنوات من الهجرة.

﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾: من الذين افتخروا بسقاية الحج، وعمارة المسجد الحرام.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ﴾: أولئك: اسم إشارة للبعيد؛ يفيد المدح، والتعظيم، وهم: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿الْفَائِزُونَ﴾: تفيد كمال فوزهم؛ أي: الفائزون حقاً، وإن كان غيرهم من بين الفائزين.

وإذا قارنا هذه الآية من سورة التوبة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾.

مع الآية (٧٢) من سورة الأنفال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

في آية التوبة: قَدَّم في سبيل الله على أموالهم وأنفسهم؛ لأنَّ السياق سياق الآيات في الجهاد، وأهم شيء في الجهاد أن يكون في سبيل الله.

وفي آية الأنفال: قَدَّم الأموال والأنفس على سبيل الله؛ لأنَّ السَّيَاق كان في الغنائم؛ أي: الأنفال، ولذلك قَدَّم الأموال على سبيل الله.

وهناك ملاحظة أخرى:

مجيء إنَّ: فإذا ذكرت إنَّ في بداية آية الجهاد: نرى دائماً تقديم أموالهم، وأنفسهم على جملة في سبيل الله. ارجع إلى سورة الأنفال، آية (٧٢)؛ للمقارنة. للنظر:

آية الأنفال (٧٢): ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

آية التوبة (٢٠): ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

الْبَقَرَةُ

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا
 نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ
 عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِِبَاءَ كُمْ
 وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ
 وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
 كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
 وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ
 تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ
 فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۖ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ
 كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ
 تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ
 بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
 عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا
 وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

سورة التَّوْبَةِ [الآيات ٢١ - ٢٦]

[٢١] ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾:

الَّذِينَ آمَنُوا، وَهَاجَرُوا، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ يَبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ. ﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾: من البشارة؛ يخبرهم ربهم بخبر سار. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ لبيان معنى البشارة.

﴿بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾: الباء: للإلصاق، والاهتمام، والرحمة: هنا تعني النجاة من النار، والفوز بالجنة، وهي أكبر رحمة.

﴿مِّنْهُ﴾: تعني: رحمة عامة، ولم يقل من لدنه؛ فهذا يدل على رحمة خاصة، والرحمة تعريفها: تعني جلب ما يسر، ودفع ما يضر.

﴿وَرِضْوَانٍ﴾: من الرضا: وهو سرور واطمئنان القلب إلى أمر فيه نفع، صيغة مبالغة، على وزن فعلان؛ أي: كثير الرضا، ورضوان مشتقة من رضا الله عن العبد، وهو أكبر من الجنة، وما فيها، وهو أفضل الجزاء.

فالجنة: هي الجزاء المادي، ورضوان الله هو الجزاء الروحي المعنوي، ومن ثمراته الزيادة، وهي رؤية الله؛ لقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

﴿وَجَنَّتٍ لَّهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق، جنات الفردوس، والنَّعِيم، وجنات عدن، وجنات المأوى، ودار السَّلام.



﴿فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم لا يزول، ولا يحول.

[٢٢] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾: الخلود: هو البقاء، والاستمرار من بداية؛ أي: له بداية، وليس له نهاية، يبدأ من زمن دخولهم الجنات.

﴿أَبَدًا﴾: للمبالغة في الخلود؛ أي: الخلود في المستقبل إلى غير نهاية، وقد تعني: للتوكيد.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: الأجر: يكون مقابل العمل؛ أي: الأجر لا يُستحق إلا بعد العمل، والأجر يكون في الطاعات للأعمال البدنية، أو هو الجزاء على العمل، سواء أكان عملاً دنيوياً، أم آخروياً، والأجر يأتي دائماً بمعنى: النفع.

﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: أي: أعظم الأجور على الإطلاق.

[٢٣] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْكُمْ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾:

المناسبة: قيل: نزلت هذه الآية لما أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالهجرة إلى المدينة؛ فعزَّ على بعض المسلمين ترك آبائهم، وإخوانهم في مكة، ولم يهاجروا، وتركوا الهجرة، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه.

وقيل: نزلت في تسعة نفر ارتدوا عن الإسلام، ولحقوا بأهلهم بمكة؛ فنهى الله عن ولايتهم، كما روي عن مقاتل، والمهم: هو عموم اللفظ، وليس خصوص السبب.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد للذين هم على درب الإيمان بأمر أو بتكليف هو:

﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾: لا: النّاهية، تتخذوا: من اتخذ، وبمعنى: جعل، أو صير.

﴿ءِآبَاءَكُمْ﴾: الآباء، والأمهات، والأجداد، والأعمام.

﴿وَإِخْوَانَكُمْ﴾: أي: الأصدقاء والإخوة.

﴿أَوْلِيَاءَ﴾: جمع ولي، والولي: المعين، وتعني: المودة، والمحبة؛ أي:

لا تتخذوهم بظانة تحبّوهم، وتودوهم، وتفشوا إليهم بأسرار المسلمين، أو تؤثروهم على الهجرة إلى المدينة، أو تنصروهم.

﴿لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا﴾: إن: شرطية؛ يفيد

الاحتمال، والشك، أو الندرة.

﴿إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾: ولم يقل: إن أحبوا الكفر على

الإيمان؛ لأن القول: إن أحبوا؛ تعني: هذا الحب، هو حب الفطرة؛ أي: أمر فطري، وهذا غير معقول، وإنما قال استحبوا وهذا الحب هو حب مستفعل؛ أي: هو حبّ هم صنعوه، واختاروه بأنفسهم، وهو حبّ يعارض حب الفطرة؛ الذي هو حب الإيمان، وللمزيد في بيان الولي: ارجع إلى الآية (١٠٧) من سورة البقرة.

﴿وَمَنْ﴾: شرطية.

﴿يَتَوَلَّاهُمْ﴾: يتخذهم أولياء، ويلقي إليهم بالمودة، ويطلعهم على أسرار

المسلمين، ويتجسس لهم، وينصروهم.

﴿مَنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: منكم خاصّة.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء: للتأكيد، أولئك: اسم إشارة للبعد.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿الظَّالِمُونَ﴾: الظالمون حقاً، وإن كان يوجد غيرهم من الظالمين؛ فهم

أظلمهم. جمع ظالم، والظالم: الذي لا يتبع منهج الله سبحانه؛ فيظلم نفسه بأن يوردها في النار. ارجع إلى الآية (٥٤) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان في معنى الظلم.

﴿وَالظَّالِمُونَ﴾: جملة اسمية تفيد الثبوت، صفة الظلم أصبحت ثابتة عندهم.

[٢٤] ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ آلِهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

هذه الآية تنمة للآية السابقة؛ نزلت في هؤلاء الذين تخلفوا عن الهجرة بسبب أهليهم، وعيالهم، وأموالهم، وديارهم.

وقد قيل: إنه لما نزلت الآية السابقة قال بعض الصحابة: يا رسول الله! إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين؛ قطعنا آباءنا، وعشيرتنا، وذهبت تجارتنا، وخربت ديارنا؛ فنزلت هذه الآية، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ:

﴿إِنْ﴾: شرطية.

﴿كَانَ﴾: كان آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ: عشيرتكم؛ جمعها عشائر، والعشيرة: تضم كل الأقارب، والعائلة.

﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: أي: حصلتم عليها بجهد ومشقة، وتعب، وليست من المال الموروث؛ أي: من وراء تجارة، أو حرفة. اقترفتموها: من الاقتراف، أو القرف. ارجع إلى سورة الأنعام، آية (١١٣)؛ للبيان.

﴿وَتَجَرَّةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾: بوارها؛ لتركها وراءكم في مكة بعد الهجرة، وعدم رواجها، وخاصة إذا كانت له شراكة مع المشركين، أو غير المسلمين؛ فستضيع حصتهم.

﴿وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا﴾: مسرورين بها، أو فرحين بها.

﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: من الهجرة، ومن محبة الله ورسوله، والامثال لأوامرهما، وطاعتهما.

﴿فَتَرَبَّصُوا﴾: التربص: هو الانتظار، ولو طال، والانتظار مع التحفز؛ أي: الانتباه، والترقب لوقوع شيء بكم.

﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾: بقضائه، أو عقابه، وقيل: فتح مكة، وهذا وعيد لهؤلاء الذين لا يريدون الهجرة.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: جمع فاسق: وهو الخارج عن طاعة الله، والدين - باختياره طريق الفسق والضلال - وابتعاده عن طريق الهدى؛ فالله لا يوفقه، ولا يرشده إذا كان الفاسق يريد أن يفسق؛ يتركه الله سبحانه لما يحب من الفسق، والعصيان. ارجع إلى الآية (٢٦) من سورة البقرة؛ لبيان الفسق، والفاسقين.

[٢٥] ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أي: قد ثبت، وتحقق ذلك النصر.

﴿نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾: مواطن: جمع موطن: اسم مكان

لفعل وطن، يطن، والموطن: هو مكان التوطن؛ أي: الإقامة، ويطلق على موقع المعركة.



﴿مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾: مثل: بدر، والحديبية، وخيبر، وفتح مكة.

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾: غزوة، أو موقعة حنين، وحنين: وادي بين مكة، والطائف.

خرج رسول الله ﷺ، ومعه عشرة آلاف مقاتل من المدينة، مع ألفين من أهل مكة؛ لمحاربة هوزان، وثقيف بعد فتح مكة، وكانوا أربعة آلاف، فأعجب المؤمنون بكثرتهم، وقالوا عندها: لن نغلب بعد اليوم من قلة، ولكن سرعان ما انهزموا في بداية المعركة، ولم تغن عنهم كثرتهم شيئاً، وضاعت عليهم الأرض بما رحبت، ثم لما عدلوا عن غرورهم، وتضرعوا إلى الله؛ نصرهم الله في نهاية المعركة، وأنزل جنوداً (ملائكة، ولكنها لم تقاتل).

﴿إِذْ﴾: ظرفية زمانية؛ تفيد الفجأة.

﴿أَعَجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ﴾: أي: غرتكم كثرة عددكم، ولم تتوكلوا

على الله.

﴿فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾: تُغن: ولم يقل تغني، حذف الياء؛ للدلالة على

أن هذا كان غنى مؤقت في بداية المعركة وزال، أما يغني: بزيادة الياء يعني: غنى كامل ودائم؛ أي: لم تنفعكم شيئاً، وفررتم في أول المعركة، ولم يبق مع النبي إلا مئة رجل. شيئاً: نكرة، وتعني: أي شيء، والشيء: هو أقل القليل.

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: أي: ضاقت عليكم رغم

سعتها، ورحابها.

﴿ثُمَّ وَلِيْتُم مَّدِيرِينَ﴾: ثم: لتباين موقف الغرور، والشعور بالنصر، مع

الشعور بالهزيمة.

﴿مُدِيرِينَ﴾: جمع مدبر: اسم فاعل من أدبر، انهزمتم راجعين من أرض

المعركة على أذاركم؛ إلا رسول الله ﷺ، ومعه العباس، وأبو سفيان، وقلة من الصحابة.

[٢٦] ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، ترتيب الأحداث، وليس للتراخي في الزمن.

﴿أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: لو تأملنا في القرآن: لوجدنا أن الله سبحانه يأتي بذكر سكينته، وهاء الضمير في سكينته: يعود على الله تعالى.

وقد لوحظ: أنه سبحانه حين يذكر الرسول يذكر سكينته؛ تعظيماً للسكينة، وتشريفاً لرسول الله ﷺ، وحين لا يذكر الرسول في سياق الآيات يأتي بذكر السكينة بدلاً من سكينته، فهذه سكينة عامة بالمؤمنين، وتلك سكينة خاصة برسول الله ﷺ.

﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾: أي ملائكة لم تقا تل كما قاتلت في بدر، وإنما كانت فائدتها: أنها ثبتت قلوب المؤمنين، وألقت الرعب في قلوب الكافرين.

﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بالقتل، والسبي، والأسر، وخسارة الأموال، والأنعام يومها، وتكرار على رسول الله، وعلى المؤمنين: يفيد التوكيد، وفصل كل منهما على حدة.

﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾: ذلك: اسم إشارة؛ للبعد، يشير إلى العذاب؛ جزاء الكافرين على كفرهم في الدنيا: بالهزيمة، والقتل، والسبي، وخسارة الأموال.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

الْبُرْجُ الْعَشْرُ

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ
 رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ
 نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا
 وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ
 شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَتَلُوا الَّذِينَ
 لَا يُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ
 اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ
 ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى
 الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ
 يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ
 اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ
 وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ
 مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾



سورة التَّوْبَةِ [الآيات ٢٧ - ٣١]

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: يفتح الله باب التَّوْبَةِ. ثم: للترتيب والتراخي في الزمن، أو للتباين بين مرتبة التولي مدبرين والتوبة.

﴿يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: من بعد ذلك من بعد الهزيمة، والخزي، والخسارة.

﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾: أي: يقبل الله توبة من يشاء أن يتوب.

وقيل: بعد موقعة حنين بـ (٢٠) يوماً؛ لحق قوم هوازن برسول الله ﷺ قرب الجعرانة (٧) أميال من مكة، وأسلموا، وتابوا إلى الله، وأعاد الله لهم ما أخذ منهم.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: كثير المغفرة، غفور لمن تاب، وآمن، وعمل صالحاً. صيغة مبالغة من غفر؛ أي: ستر ومحا الذنب.

﴿رَحِيمٌ﴾: لم يعجل لهم العقوبة؛ ليتوبوا، وتعاد إليهم أموالهم؛ وسيبهم.

[٢٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ



بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠٨﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد للذين آمنوا بأمر جديد، أو تكليف، أو بيان، أو حكم: وهو المشركون نجس. يقال لكل شيء مستقذر نجس. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾: جمع مشرك، فكل مشرك نجس، والنجاسة تقسم إلى نجاسة حسية؛ مثل: البول، والميتة، ولحم الخنزير، ونجاسة حكمية معنوية: كالشرك، والخمر، والميسر، بسبب اعتقاداتهم الفاسدة، وشركهم، وقوله: إنما المشركون نجس: تشبيه بليغ.

﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾: لا: الناهية، يقربوا المسجد الحرام: أي: ألا يكونوا قريبين من حدود الحرم، من جهة المدينة المنورة عند التنعيم (٣ أميال) من الكعبة، ومن جهة اليمن (٧ أميال)، ومن جهة جدة (١٠ أميال)، ومن جهة الجعرانة (٩ أميال)، ومن جهة العراق (٧ أميال).

وهل النهي يشمل كل مسجد، أم المسجد الحرام فقط؟ وكل مسجد غيره؛ لأنهم قالوا بالقياس؛ اختلف العلماء في هذا. ارجع إلى المصادر الفقهية.

﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾: بعد هذا العام التاسع من الهجرة؛ أي: المنع يبدأ في السنة العاشرة.

﴿هَذَا﴾: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة؛ للقرب، وهو العام الذي حج فيه أبو بكر، وقرأ علي الناس وثيقة البراءة من المشركين.

ولما نزلت هذه الآية خاف، وتوهم بعض المسلمين من أهل مكة: أن تنقطع تجارتهم، أو لقمة عيشهم بسبب هذا المنع؛ فرد الله على ظنهم بقوله:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾: وإن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الشك.

﴿عَيْلَةً﴾: مصدر عال، يعيل؛ لها معانٍ عدة: العيلة: الفقر، عال يعيل عيلة: إذا افتقر، والعيلة: من أعال إعالة؛ فهو يعيل؛ أي: أصبح صاحب عيال، أو كثر عياله، وتعني: وإن خفتم ألا تجدوا ما تنفقوا على عيالكُم. ارجع إلى سورة النساء، آية (٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: للتأكيد، سوف: حرف للاستقبال؛ تفيد البعد، والتراخي؛ أي: سوف يرزقكم الله تعالى بإنزال المطر، وإخراج الزرع، والثمار.

﴿نُعْنِيَكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: بإنزال مطر، أو إسلام الكثير من الناس، والقدوم إلى الحج، والعمرة، وازدياد حركة التجارة.

الفضل: هو الزيادة على ما يستحق.

﴿إِنْ شَاءَ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿عَلِيمٌ﴾: عليم بأقوالكم، وأفعالكم، ونواياكم، وعليم بما يصلح أحوالكم: الغنى، أم الفقر.

﴿حَكِيمٌ﴾: حكيم من الحكم؛ فهو الحاكم، وحكيم من الحكمة؛ فهو أحكم الحكماء في العطاء، أو المنع، حكيم بتدبير شؤون خلقه، وكونه، وشرعه؛



فهو أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٢٩)؛
لمزيد من البيان.

[٢٩] ﴿قَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ
عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾:

أسباب النزول: روى ابن المنذر، عن الزهري، قال: أنزلت هذه الآية في
قتال كفار مكة من قريش، والعرب. وقيل: هم الكفار من الذين أوتوا الكتاب،
وسبب قتالهم: هو عدم دفعهم الجزية.

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق؛ أي: إيمان عقيدة، وتوحيد،
إيمان يشمل إيمان الألوهية، والرَّبوبية، والصفات، والأسماء، والملائكة،
والرسل، والكتب... وغيره.

﴿وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: تكرار لا: للتوكيد؛ توكيد النفسي، والباء: للتوكيد.
واليوم الآخر؛ أي: يوم البعث والحساب، والجزاء، وتعني: الكفر بأحدهما، أو
كلاهما معاً. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨) لمزيد من البيان.

﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: من الشرك، والكفر، والقتل، والفساد،
ونقض العهود.

﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾؛ أي: دين التوحيد.

﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: أي: اليهود، والنصارى.

﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾: والجزية: هي المقدار من المال، أو الضريبة التي يجب أن يدفعها كل من يعيش في ديار المسلمين من غير المسلمين مقابل تقديم الحماية له، والخدمات الاجتماعية، لكن لا يشارك في الجيش، أو الدفاع، أو حماية الوطن، وكان يطلق على هذه الضريبة: الجزية، وهو قادر على دفع ذلك، أما من تبين أنه غير قادر؛ فتسقط عنه.

﴿عَنْ يَدٍ﴾: عن سعة وقدرة، وقيل: عن طوع وانقياد، وقيل: قهر وذل، وإذا أسلم تسقط عنه.

﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾: هم: للتوكيد. صاغرون: تعني: الالتزام، والخضوع لهذا الحكم؛ صاغرون: جمع صاغر: وهو الذليل.

[٣٠] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾: وقالت بعض الطوائف من اليهود: عزير ابن الله؛ عزير بالتثنية، وعند اليهود يسمي: عزرا، ويقرأ بالتثنية، أو بالضم: عزير، وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل، ضرب الله به مثلاً؛ لإحياء الموتى حين قال تعالى: ﴿أَوَكَلِّدِي مَرَّةً عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾.

وقيل: قد حفظ التوراة عن ظهر قلب. وقيل: إنه كتب التوراة لبني إسرائيل بعد أن فقدوا بنو إسرائيل إلى العمالقة.

﴿وَقَالَتِ الْتَصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾: لكونه وُلِدَ بلا أب، وجرت على يديه الكثير من المعجزات؛ مثل: إحياء الموتى، والتكلم في المهد، وخلق الطير من الطين، ومعالجة الأكمه، والأبرص.

﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: ذلك: اسم إشارة للبعد، ويشير إلى قولهم: عزيز ابن الله، والمسيح ابن الله.

﴿قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: أي: مجرد قول بالفم، لا سند له، ولا برهان، كلام لغو، وعبث، والباء: للإلصاق.

﴿يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يضاهئون: يشابهون، أو يماثلون، والمضاهاة: هي المشابهة، والمماثلة، وقيل: مشتقة من امرأة ضهياء: هي المرأة التي لا يظهر لها ثدي، أو قيل: لا تحيض، وأنها تشبه الرجل.

﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: الوثنيين، وقدماء الفرس، والعرب المشركين؛ الذين قالوا: الملائكة بنات الله.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من الأمم الذين جاؤوا من قبلهم.
من قبل: بالضم حين تضم: تدل على مدة معينة من الزمن، سواء أكانت قريبة، أم بعيدة.

من قبل: وحين تكسر تدل على مدة غير معينة قريبة، أو بعيدة
﴿قَالَهُمْ اللَّهُ﴾: لعنهم الله، وطردهم من رحمته، أو أبعدهم عن رحمته، وهو دعاء عليهم بالهلاك.

﴿أَنْتَ يُؤْفَكُونَ﴾: أي: كيف يصرفون عن الحق، والدليل: وهو توحيد الله، وتنزيهه عن الشرك، والولد إلى عبادة مخلوقاته؛ مثل: المسيح ابن مريم، والعزير، والأوثان.

﴿يُؤْفَكُونَ﴾: مشتقة من الإفك، وهو الكذب المفترى المتعمد. ارجع إلى سورة العنكبوت، آية (٦١)؛ للبيان.

[٣١] ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

﴿اتَّخِذُوا﴾: جعلوا، أو صيروا.

﴿أَحْبَارَهُمْ﴾: جمع حبر: وهو العالم عند اليهود.

﴿وَرُهَبَنَهُمْ﴾: جمع: راهب، وهو العابد عند النصارى، المنقطع لعبادة الرب؛ أي: عبادهم، والعالم عند النصارى يسمّى قسيساً، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهِمْ مِنْهُمْ قَتِيسِينَ وَرُهَبَانًا﴾ [المائدة: ٨٢].

﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَنَهُمْ أَرْبَابًا﴾: أرباباً: جمع رب، واتخذوا: لا يعني أنهم يقولون لكل حبر وراهب رب، ولكن المعنى هنا: أطاعوهم، كما أطاعوا الرب الإله الخالق في التحليل، والتّحريم، والتّعظيم؛ أي: عظموهم، كما يعظمون الرب بالدعاء، والذكر، والثناء.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله، أو سواه.



﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾: أي: اتخذوا المسيح ابن مريم رباً؛ حين قالوا: المسيح ابن الله، أو ثالث ثلاثة.

﴿وَمَا أُمِرُوا﴾: الواو: حالية؛ تفيد التوكيد، أمروا: في كتبهم في التوراة، والإنجيل، وما جاءت به رسلهم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿لِيَعْبُدُوا﴾: اللام: لام التوكيد، العبادة: لا تكون إلا للخالق، وهي الخضوع، والطاعة مع المعرفة بالمعبود. ارجع إلى سورة النحل، آية (٧٣)؛ لبيان معنى العبادة.

﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾: الإله: المعبود، واحداً: توكيد، والواحد؛ تعني: المتفرّد بالذات، والذي لا يتجزأ، فلا شريك له، ولا يصبح اثنين، أو ثلاثة، أما الأحد: فهو الذي لا شبيهه، ولا نظير، ولا مثيل، ولا ثاني له.

﴿لَا﴾: النافية للجنس.

﴿إِلَهَ﴾: معبود بمعنى: مألوه على وزن مفعول؛ لا معبود بحق في الوجود إلا هو.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

قوله: ﴿لَا إِلَهَ﴾: للنفي. إلا هو: للإثبات، أو توكيد النفي.

فقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: جمعت النفي، والإثبات معاً. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿سُبْحَنَهُ﴾: أي: أصفه بكل كمال، وأنزهه عن كل نقص، وشرك، وعجز، وما لا يليق به؛ تنزيهاً لذاته، وصفاته، وأفعاله؛ فلا ذات مثل ذاته، ولا صفة مثل صفاته، ولا فعلاً مثل أفعاله. ارجع إلى سورة الإسراء، آية (١)؛ لمزيد من البيان.

﴿عَمَّا﴾: عن: تفيد المجاوزة، والابتعاد، ما: مطلقة للعاقل، وغير العاقل، ما: حرف مصدري.

﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالله، يشركون بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد، والتكرار، وأنهم مستمرّون في شركهم بقولهم المسيح ابن الله، أو عزيز ابن الله، أو الملائكة بنات الله، أو يتخذون من دونه أولياء، أو يتخذون الأصنام، والأوثان آلهة يُعبدون.





سورة التوبة ٩

البقرة العنبر

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ * يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾





سورة التوبة [الآيات ٣٢ - ٣٦]

[٣٢] ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

﴿يُرِيدُونَ﴾: أي: اليهود، والنصارى... وغيرهم.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري؛ تفيد التوكيد.

﴿يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: نور الله: دين الله، دين الإسلام، شبه الدين بالنور. بأفواههم: الباء: للإلصاق، والتوكيد، والاختصاص، بأفواههم؛ أي: بأقوالهم، وأقوالهم فارغة لا تستند إلى برهان، ولا دليل.

﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ﴾: يأبى من الإباء: شدة الامتناع؛ أي: لا بد أن يتم الله نوره، ولو في المستقبل؛ إلا: أداة حصر. أن: للتوكيد، يتم نوره: جاء بجملة فعلية فيها تجديد واستمرار.

﴿نُورُهُ﴾: أي: دينه وهو الإسلام؛ أي: ينشر، ويظهر دينه، والإظهار يكون بالحجة، والسلطان، ومنها آيات الإعجاز العلمي، ولا يعني بالقوة، والجبروت، ولو شاء الله لفعل هذا أيضاً.

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾: ولو: بمعنى: وإن كره الكافرون. لو: شرطية.

ولا بد من مقارنة هذه الآية بآية الصف (٨)، والتي يقول فيها سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

ففي هذه الآية، آية الصف: أضاف اللام: لام التوكيد، والتعليل في كلمة (ليطفئوا)، وبدل أن يتم الله نوره، قال: والله متم نوره، جاء بالجملة الاسمية



بدلاً من الفعلية، وتفسير الاختلاف يعود إلى أن آية التوبة جاءت في سياق اتخاذ الأحرار، والرهبان أرباباً من دون الله، والمسيح ابن مريم.

أما آية الصف: فجاءت في سياق إنكار نبوة رسول الله ﷺ؛ فجاء الرد أشد بالتوكيد بلام (ليطفئوا)، وكذلك جاء بالجملة الاسمية، والله متم نوره؛ للدلالة على الثبات، وعدم التغير، والإتمام حاصل لا محالة.

بينما في التوبة: جاء بالجملة الفعلية؛ أي: تدل على التجدد، والاستمرار، والجملة الاسمية أقوى من الفعلية، وأكد؛ فيكون المعنى بالتجديد، والاستمرار، والثبات معاً على إتمام الله سبحانه لنوره (دينه). ارجع إلى سورة الصف، آية (٨)؛ لمزيد من البيان، والمقارنة.

[٣٣] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل يفيد الاختصاص والقصر والتوكيد على الله سبحانه.

﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾: محمد ﷺ.

﴿بِالْهُدَىٰ﴾: بالقرآن، والباء: للتوكيد.

﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾: دين الإسلام.

﴿لِيُظْهِرَهُ﴾: اللام: للتعليل، والتوكيد، والهاء: تعود إلى الدين.

﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: ليظهر هذا الدين على سائر الملل، سواء حدث هذا

عاجلاً، أم آجلاً، كما قيل بعد نزول عيسى عليه السلام، أو ليظهره إظهار حجة، وبرهان ليعليه؛ أي: يجعله مهيمناً هيمنة برهان، وحجة، وليس معناه: يمحو الديانات الأخرى، ولا ظهور أتباع بحيث يصبح كل واحد مسلم.



﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: كلة: توكيد.

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾: ولو: حرف شرط؛ بمعنى: وإن كره المشركون.

[٣٤] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقونها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد.

﴿كَثِيرًا﴾: ولم يقل كل، بل قال: كثيراً؛ أي: هناك القلة من الأخبار وهم علماء اليهود لا يأكلون أموال الناس بالباطل، والكثير يأكل.

﴿وَالرُّهْبَانِ﴾: عباد النصارى. ارجع إلى الآية (٣١) من نفس السورة؛ للبيان.

﴿لَيَأْكُلُونَ﴾: اللام: للتعليل، والتأكيد. يأكلون: جاء بالفعل المضارع؛ ليدل أنهم أكلوا، ولا زالوا يأكلون، وتدل على التجدد، والاستمرار في الأكل؛ أي: أخذ أموال الناس بالباطل، وشبه الأخذ بالأكل؛ لكثرة حدوثه؛ لأن الناس تأكل المرات العديدة في اليوم، أو لأنهم يشترون بالمال الباطل الطعام فينتهي في بطونهم.

﴿أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾: بالباطل: الباء: للإلصاق، والتوكيد؛ بغير الحق؛ أي: بالرشوة، والغش، والكذب، والخداع، والحرام.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: يمنعون الناس عن الدخول في دينه، واتباع رسوله محمد ﷺ، ويحاربون الإسلام بأقوالهم، وأفعالهم.



﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾: الذين: اسم موصول يفيد الذم.

﴿يَكْنِزُونَ﴾: الكنز؛ بمعنى: الجمع، والخزن. يكنزون: جاء بصيغة المضارع؛ للتجدد، والتكرار، وبصيغة الجمع؛ لأن المخاطبين كثرة؛ هذا عنده ذهب، وهذا عنده فضة، أو كلاهما.

﴿الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾: هما أساس التعامل التجاري، والعملة. ﴿وَلَا يَنْفِقُونَهَا﴾: لا: النافية.

﴿يَنْفِقُونَهَا﴾: لا يؤدّون حق زكاتها، أو ينفقون بعضها في سبيل الله، ومساعدة الفقراء، والمساكين، ولم يقل ينفقونها؛ لأن الصيغة هي الجمع؛ إذن: هم يقومون بأربعة أفعال: الأكل بالباطل، والصد عن سبيل الله، وكنز الذهب والفضة، ولا ينفقونها في سبيل الله.

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: الفاء: للتوكيد، بشرهم: من البشارة، والبشارة هي الإخبار بأمر سار عادة، واستعملت هنا بقصد التهكم، والاستهزاء.

﴿بِعَذَابٍ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد، والاستمرار.

﴿أَلِيمٍ﴾: شديد الإيلام لا يطيقه أو يقدر عليه أحد.

[٣٥] ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتَكُوتُ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾

﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان منصوب؛ تقديره: واذكر يوم يحمى عليها، أو تنمة للآية السابقة: فبشرهم بعذاب أليم يحمى عليها. قال: يحمى عليها في نار جهنم، ولم يقل: تحمى عليها؛ لأن تحمى عليها قد تعني: النار أن توقد وتُسعر، ولكن قوله: يحمى عليها؛ تعني: الأموال الذهب والفضة.

﴿فَتَكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾: لماذا اختيرت هذه الأعضاء من بين سائر أعضاء الجسم.

نحن لو نظرنا إلى ما يفعله الغني البخيل في وجه الفقير لكي لا ينفق عليه شيئاً:

أولاً: العبوس، ويظهر ذلك على الجباه؛ لذلك تكوى أولاً جباههم.

ثم يدير له جانبه في المجلس؛ جنوبهم تكوى ثانياً.

ثم يولي له ظهره؛ ظهورهم تكوى ثالثاً.

﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾: هذا: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة؛ يفيد القرب والذم.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي كنزتم.

أو مصدرية ﴿كَنَزْتُمْ﴾: وبال كونكم كانزين لأنفسكم؛ أي: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزِبُونَ﴾: ذوقوا وبال ما كنزتم، أو كونكم كانزين.

[٣٦] ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾:

نزلت هذه الآية بشأن النسيء الذي كانت العرب تفعله؛ كي يستحلوا فيه المحرمات.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.



﴿عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ﴾: عند الله؛ أي: في علمه تعالى، وحكمه، والشُّهُور: جمع شهر، وهي الأشهر القمرية؛ لأنَّ الحساب كان يتم بها، ويعتمد على رؤية القمر، وعدة الشهور، وثباتها يعتمد على ثبات بُعد الأرض عن الشمس، وهو (١٥٠ مليون كم)، فلو كانت الأرض أقرب إلى الشمس؛ لقل عدد الشهور، ولو كانت أبعد؛ لكان عدد الشهور أكثر. إذن: ثبات عدد الأشهر باثني عشر شهراً؛ يدل على ثبات بُعد الشمس عن الأرض.

﴿اِثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾:

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: في اللوح المحفوظ، أو المدوّن في كتابه؛ أي: في شرع الله يوم خلق السموات والأرض؛ أي: يوم حدّد بُعد الأرض عن الشمس، وعن القمر، وعن غيرها من الأجرام، وثبته على ذلك، وهو البُعد المثالي للعيش على هذه الأرض.

﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾: ثلاثة أشهر متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرّم، ورجب. حُرُم: لا قتال فيها؛ هنّ فرصة للسلام، والأمان.

قال تعالى: منها، ولم يقل: منهنّ أربعة حرم؛ لأنّ منهنّ: جمع قلة (أقل من عشرة)، أما اثنا عشر؛ فهي جمع كثرة، ولذلك استعمل منها.

﴿ذَلِكَ﴾: أي: تحريمها من الدّين القيم؛ الدّين الذي تستقيم به أمور الحياة، وهو دين إبراهيم، دين الإسلام؛ فمن دون الدّين لا حياة حقيقة أصلاً، بل يعم الفساد، والضلال، وأمّا إذا اعتدوا عليكم، واستحلوا حرمة هذه الشُّهور؛ فقاتلوهم، وذلك جزاء الكافرين.

﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ﴾: الفاء: للتوكيد، لا: النافية.

﴿تَظْلِمُوا﴾: من ظلم النَّفس؛ أي: إنقاصها حقها من فعل الخيرات، وتركيتها في هذه الأشهر الحرم؛ أي: أكثروا، وبادروا إلى القيام بالأعمال الصالحة؛ لأن



أجرها عظيم، ولا تجعلوا الحرام حلالاً، والحلال حراماً، وبفعل المعصية، وترك الطاعات، والقتل، والسلب، وقال فيهنّ: ولم يقل فيها؛ لأنّ الأربعة أشهر جمع قلة، وفيهنّ: لجمع القلّة. انتبه إلى الفرق بين قوله تعالى: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ﴾.

﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾: يجب الانتباه إلى معنى كافة في هذه الآية؛ كافة هنا: تعود على المؤمنين؛ تعني: يا أيها الذين آمنوا إذا قاتلتم المشركين فكونوا جميعاً؛ أي: يداً واحدة، أو قاتلوهم كافة الكل يشارك في قتالهم، كما يقاتلونكم كافة، ولا تفرقوا. أمّا إذا عادت إلى المشركين فكيف نقاتلهم كافة ونحن قلة؟

وانتبه إلى قوله: ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾: الكاف: للتنبيه؛ أي: قوى الباطل تجتمع عادة مع بعضها، فلا داعي لدعوتها إلى الاجتماع أصلاً؛ فهم لا يقاتلونكم إلا كافة من شدة خوفهم منكم، ولا تعني: قاتلوا المشركين كافة، وأنتم قلة، أو لا تقدرُوا عليهم.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾: علم اليقين. أن: للتوكيد، مع المتقين: يمدّهم بالعون، والنصر. معهم بعلمه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات، ولا في الأرض.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

الجزء العاشر

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُحِلُّونَهُ، عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ، عَامًا لِّيُؤَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
فِيحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُرِينُ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ
إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ
فَمَا مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾
إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَنْصُرُوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ
الَّذِينَ كَفَرُوا أَتَانِي أَشْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ إِذْ
يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا فَاَنْزَلِ
اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا
وَجَعَلَ كُلَّ كَلِمَةٍ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى
وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

سورة التوبة [الآيات ٣٧ - ٤٠]

[٣٧] ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُكْرِمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطَعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَلِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد الحصر، والتوكيد.

﴿النَّسِيءُ﴾: تأخير الشيء، من نسا؛ أي: أخر، وتعني: تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر؛ أي: التلاعب بتغير موضع الشهر عن موقعه الحقيقي؛ حتى يبيحوا لأنفسهم ما حرم الله فيها من القتال، أو فعل المحرمات.

فكان معلوماً عند العرب حرمة الأربعة أشهر: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم؛ أي: لا قتال فيها فكانوا إذا احتاجوا إلى تحليل الشهر المحرم للحرب عندها يؤخرون مثلاً تحريم شهر محرم إلى صفر، وهكذا تصبح الأشهر مختلطة، أو إلى زيادة، أو إنقاص يوم من الشهر.

﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾: فأخبرهم الله سبحانه: أن هذا زيادة في الكفر؛ إضافة إلى كفرهم بالله، وكتبه ورسله (الكفر العادي)؛ لأنهم أحلوا الحرام، وحرّموا الحلال.

﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: به تعود على النسيء. يُضَلُّ به الفاعل مجهول (مبني للمجهول)؛ قد يكون الشيطان، أو من جاء من قبلهم، أو هم أنفسهم من يقوم بإضلال.



وهناك فرق بين الضلال، والإضلال؛ فالضلال: يقتصر على الذات، أو النفس، أما الإضلال: فيتعدى إلى الغير.

﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾: بإبدال شهر من الأشهر الحرم، بشهر من الشهور الحل، أو إبدال شهر حل بشهر محرم، أو يحرمونه عامًا، ويحافظون على حرمة، فلا يحلونه أبدًا، أو يحلونه هذا العام، ويحرمونه العام القادم.

﴿لِيُؤْطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾: اللام: لام التعليل، والتوكيد.

المواطأة: هي الموافقة في العدد؛ فهم لا يحلوا شهرًا من الأشهر الحرم؛ إلا حرموا مكانه شهرًا من الحلال، ولم يحرموا شهرًا من الحلال؛ إلا أحلوا مكانه شهرًا من الحرام؛ لثلاث تكون الأشهر الحرم أكثر من أربعة؛ أي: لتوافق عدة الأربعة أشهر الحرم التي حرم الله؛ أي: العدد في النهاية متساو.

﴿فِيحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: فيحلوا القتال في الأشهر الحرم.

﴿زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ﴾: زين لهم الشيطان سوء أعمالهم، أو قادتهم ورؤسائهم.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: والله لا يهدي القوم الذين اختاروا طريق الكفر على الإيمان، وساروا فيه، ولا يريدون العودة إلى طريق الهدى، والتوبة؛ فالله سبحانه لا يهديهم كلما ابتعدوا عن طريق الهداية، ويتركهم وشأنهم.

[٣٨] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾:

المناسبة: قيل: نزلت هذه الآية لما أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالخروج

إلى غزوة تبوك، والاستعداد لها، وكان ذلك في زمن عسرة، وجذب، وحر شديد، وقد طابت الثمار؛ فعظم على الناس هذا الأمر؛ أي: الجهاد، والخروج، وبعضهم فضل البقاء؛ فنزلت هذه الآية، كما روى الطبري عن مجاهد.

نداء جديد إلى الذين آمنوا، والهاء: للتنبيه للجهاد في سبيل الله، وحين يقول في سبيل الله: تعني: غالباً الجهاد في سبيل الله، والاستعداد للخروج؛ فهو يشكل الخطوة الأولى في الجهاد، وقتال العدو.

﴿مَالِكُ﴾: ما: الاستفهامية فيها معنى التوبيخ، والتعجب، لكم: خاصّة.
﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ﴾: إذا: بمعنى حين ظرف زمني، قيل لكم: من قبل الرسول، أو إخوانكم.

﴿انْفِرُوا﴾: اخرجوا من النفرة: الأصل في النفرة: التباعد بين إنسان وصديقه كان بينهما مودة، ومحبة، ثم حدث من هذا الصديق فعل، أو قول أذى إلى أن يبتعد عنه، أو ينفر منه، انفروا فيها حث للناس، ودعوتهم للخروج إلى أمر ما بسرعة؛ مثل: الجهاد، أو إنقاذ غريق، أو حريق، ومنه إعلان النفي العام هبوا إلى القتال.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: ابتغاء مرضاة الله؛ لإعلاء كلمة الله، أو الجهاد غالباً.
﴿أَنَّا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾: أصلها ثناقلتم إلى الأرض؛ أدغمت التاء في التاء؛ أي: أخلدتم إلى الأرض؛ غرتكم شهوات الدنيا؛ حيث طابت الثمار؛ أي: أينعت، وكون الجو حاراً، أو اطمأنتم إلى الدنيا، وأردتم البقاء في الديار، وعدم الخروج، والتثاقل: معناه لك المقدرة على الفعل المطلوب منك، ولكنك تتصنع أنك غير قادر؛ أي: تتكاسل.

﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري،



وتوبخي، الرضا: القبول، والسرور، وحب القلب، أرضيتم بنعيم الدنيا بدل نعيم الآخرة، وبالحياة: بالباء: للإلصاق، والتوكيد.

﴿فَمَا مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: فما: الفاء: عاطفة، ما: النافية، متاع الدنيا: الفاني، والزائل، والقليل، والمتاع: هو كل ما ينتفع به، ويرغب في اقتنائه؛ كالطعام، والأثاث، والسلعة، والأداة به، وما يستمتع به من لذائذ لا يقارن بمتاع الآخرة الدائم، والأكبر، والذي لا ينفد.

[٣٩] ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أصلها: إن: الشرطية، لا: النافية، وتقديرها: إن لا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً.

﴿تَنْفَرُوا﴾: إن لم تخرجوا للجهاد مع النبي ﷺ إلى تبوك. ارجع إلى الآية (٣٨)؛ لمزيد من البيان.

﴿يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: يندركم بالعذاب الأليم في الدارين، وبالقحط، أو الأوبئة، أو الهلاك.

﴿وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: يستبدلكم بجيل آخر، أو قوماً آخرين، ويستبدل قوماً غيركم: من الاستبدال، والاستبدال لا يعني الاستخلاف.

الاستبدال: يأتي بقوم غير القوم، ولو بعد مرور قرون، والاستبدال يحصل لأقوام أعرضوا عن دين الله، وتطبيق شريعته، ولذلك قضى عليهم، وأهلكهم، وجاء بقوم آخرين.

والاستخلاف: يأتي بجيل، أو قوم بعد جيل، أو تلو الآخر من دون انقطاع.

والاستخلاف: يحصل لأقوام قصروا في دينهم، وإيمانهم؛ فأبدلهم بقوم آخرين، وانقضى أجلهم؛ أي: ماتوا، وجاء بقوم آخرين.

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾: ولا: النافية، تضرّوه: الهاء: تعود على رسول الله ﷺ؛ أي: لا تضرّوا رسول الله ﷺ شيئاً؛ لأنّ الله وعده بالعصمة، والنصر.

﴿شَيْئًا﴾: أقل القليل. شيئاً: نكرة مهما كان نوعه؛ بالقول، أو بالفعل، والضّر: هنا كلّ ما يحصل من عواقب وخيمة من ترك الجهاد.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: قادر على هزم الأعداء وحده، وقادر على أن يهلككم، ويأتي بقوم آخرين أفضل منكم؛ لرفضكم الاستجابة إلى الخروج في سبيل الله ﷻ.

﴿قَدِيرٌ﴾: صيغة مبالغة كثير القدرة؛ قادر على أن يفعل أي شيء، أو يقهر أي شيء.

[٤٠] ﴿إِلَّا تَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَسْفَلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿إِلَّا﴾: ارجع إلى الآية السابقة؛ للبيان.

﴿نَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾: إن لم تنصروه، وتؤيّدوه بالنفير، والخروج إلى تبوك.

﴿فَقَدْ نَصَرَهُ﴾: الفاء: للتوكيد، قد: لزيادة التوكيد، والتّحقيق، ولم



يقول: فسينصره الله؛ لأن قوله تعالى: فقد نصره الله (بصيغة الماضي)؛ أي: قد حدث وانتهى.

﴿نَصَرَهُ اللَّهُ﴾: قبل ذلك أي: أعانه على أعدائه، أو تكفل الله بنصره.

أي: إن تخاذلتم، ولم تنصروه الآن؛ فقد نصره الله من قبل؛ إذ أخرجه الذين كفروا من مكة.

﴿ثَاثُ أَثْنَيْنِ﴾: أي: هو وأبو بكر فقط، وأسند الإخراج إلى الكفار، والحقيقة: أن الله هو الذي أذن له بالخروج عن طريق جبريل ﷺ حين هموا بقتله، وحين اجتمعوا في دار الندوة، وعزموا على قتله، ولكنهم لم ينالوه بأذى، وترك علياً في فراشه ﷺ، وخرج من بينهم، ولم يروه إلى الغار (غار جبل ثور) في مكة.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمان بمعنى: واذكر إذ، أو واذكر حين.

﴿هُمَا فِي الْغَارِ﴾: هذه هي مرة أخرى التي نصره الله فيها، بإرسال العنكبوت؛ لينسج خيوطه على باب الغار، وجاء بالحمام؛ لينبي عشه كذلك، ولم ير، أو يعثر الكافرون على رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وهما داخل الغار، وهم على بابه.

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾: إذ؛ أي: حين قال رسول الله ﷺ لصاحبه أبي بكر: لا تحزن إن الله معنا: وأبو بكر لم يحزن عن ضعف إيمان، أو لخروجه مع رسول الله ﷺ، وإنما كان حزنه خوفاً على رسول الله ﷺ أن يمس بمكره.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾: إن: للتوكيد، الله معنا: بعونه، ونصره؛ معنا: يرانا، ويراقبنا، ويحفظنا؛ معنا: بعلمه، وقدرته.

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾: فأنزل: الفاء: للترتيب، والتعقيب؛ أي: مباشرة أنزل الله سكينته، أنزل الله سكينته على رسوله ﷺ، أو كلاهما. ارجع إلى الآية (٢٦) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿وَأَيْدِيَهُمْ يُجْزَوْنَ لَمْ تَرَوْهَا﴾: مثل: العنكبوت، والحمام، والطمس على قلوب الذين كفروا، وعدم الدخول في الغار، وأيد رسوله ﷺ بجنود؛ تعني: الملائكة في الغار، أو في بدر.

﴿لَمْ تَرَوْهَا﴾: ﴿وَمَا يَغُرُّ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾: كلمة الكفر، والشرك. السفلى: أي: المغلوبة، أو الباطلة.

﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾: هي: ضمير فصل؛ تفيد التوكيد، كلمة الإيمان والتوحيد: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.
﴿الْعُلْيَا﴾: كلمة الحق.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: عزيز: القوي الذي لا يغلب، ولا يقهر، والممتنع له العزة جميعاً.

﴿حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، وتدبير شؤون خلقه، وكونه حكيم هو الحاكم؛ إليه يرجع الأمر كله، وحكيم من الحكمة؛ فهو أحكم الحكماء، وأحكم الحاكمين، في هجرة نبيه إلى المدينة. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

الجزء العاشر

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾
لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ
عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ أُسْتَطْعِنَا الْخُرْجَانَا
مَعَكُمْ يَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾
عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ
فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ
لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ
وَقِيلَ أَقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ
مَازَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَوُا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ
الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾



الجزء
٢٠

سورة التوبة [الآيات ٤١ - ٤٧]

[٤١] ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿أَنْفِرُوا﴾: اخرجوا للقتال من دون ترذد، أو تناقل. ارجع إلى الآية (٣٨)؛ للبيان.

﴿خِفَافًا﴾: من دون سلاح، أو بالسلاح الخفيف.

﴿وَتِقَالًا﴾: حاملين السلاح، مدججين بالسلاح؛ شباناً أو كهولاً.

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾: وجاهدوا: من الجهاد؛ أي: قتال العدو؛ لإعلاء كلمة الله تعالى، أو الدفاع عن الأنفس، وجاهدوا فيها حت على الجهاد، وليس مجرد أن تخرج، فلا بد من الخروج من بذل أكبر الجهد.

﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾: الباء: للإلصاق، والاهتمام، والأموال مهمة للاستعداد للجهاد، وشراء المؤونة، والعدة، والإنفاق على الجنود، ورعاية أهليهم حين الخروج.

﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾: بالتضحية بالأنفس؛ ضحوا بأنفسكم في سبيل الله.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: ابتغاء مرضات الله، لا لرياء، أو سمعة، أو غنيمة، أو حمية، أو عصبية.

﴿ذَلِكُمْ﴾: ذلكم: اسم إشارة للبعيد، واستعمل ذلكم، وليس ذلك؛ لأن الخطب عظيم، وهو الجهاد، ولكونه يشمل: الأموال، والأنفس... وغيرها؛ أي: يشير إلى عدة أمور.



﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من القعود عن الجهاد، والموت؛ موت البعير، وخير لكم من البخل، والسَّح. خير لكم عند ربكم، خير: نكرة تشمل: كل أنواع الخير.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: إن: شرطية. تعلمون: أن الشهادة في سبيل الله، أو النصر، وإعلاء كلمة الله، ونصر دينه خير لكم من الدنيا، ونعيمها الزائل الفاني. [٤٢] ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾:

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾: لو: شرطية، كان عرضاً قريباً: الخروج إلى تبوك للجهاد.

﴿عَرَضًا﴾: أي: متاعاً، أو غنيمة، أو منفعة دنيوية، وسمي ذلك عرضاً؛ لأنه يزول، ويتغير، وكل ما يتغير يسمى عرضاً، والدنيا عرض، والصحة والمرض عرض.

﴿قَرِيبًا﴾: سهل الوصول إليه، أو التناول، أو ليس فيه تعب، ومشقة، وسفر. ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾: سفرًا وسطاً غير بعيد معتدلاً، والقاصد، ومنه المقتصد الذي هو الوسط.

﴿لَاتَّبَعُوكَ﴾: اللام: لام التعليل، والتوكيد. لاتبعوك: طلباً للغنيمة، أو المنفعة الدنيوية.

﴿وَلَكِنْ﴾: حرف: استدراك، وتوكيد.

﴿بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾: أي: المسافة التي تحتاج إلى تعب، ومشقة، ولذلك لم يخرجوا معك.

﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾: السين: للاستقبال القريب؛ أي: سيحلفون

بالله: عندما ترجعون من غزوة تبوك؛ سيحلفون بالله لكم كذباً (وهذا ما حدث فعلاً): لو استطعنا لخرجنا معكم، فهم كانوا يستطيعون الخروج، ولديهم المال، والقدرة، ولكنهم حلفوا كذباً، لم يستطيعوا.

﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾: لأنهم لم يخرجوا معك في سبيل الله، ويحلفون بالله كذباً أنهم غير قادرين على الخروج؛ فهم زجّوا بأنفسهم في دائرة الهلاك، يُهلكون أنفسهم بصيغة المضارع بدلاً من أهلكوا أنفسهم بصيغة الحال، وبشاعة الحلف.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: للتوكيد، لكاذبون: اللام: لام التعليل، والتوكيد؛ كاذبون: جمع كاذب، وجاء بالجملة الاسمية بدلاً من يكذبون للدلالة على أن سمة الكذب أصبحت ثابتة عندهم، ولم يقل: والله يشهد إنهم لكاذبون: لأن الكذب عمل قلبي، أو سر أو غيبي لا يعلمه إلا الله، ولم يشاهده الناس، أو الصحابة، أو يعلموا به.

[٤٣] ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾: من العفو: وهو محو الخطأ، أو الذنب، ولا عقاب عليه.

﴿لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾: لم: اللام: للتعليل. ما: للاستفهام. أذنت لبعض المنافقين بعدم الخروج إلى تبوك، أو التخلف عنك.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾: أي: لو تمهلت لتبين لك الحق؛ أي: تعلم الذين صدقوا، وتعلم الكاذبين، تعلم الذين صدقوا في أعدارهم، هل هي صدق أم كذب، وقال الذين صدقوا: ولم يقل: الصادقين؛ لأن



صفة الصَّدق غير ثابتة عندهم، والَّذين صدقوا: صدقوا؛ أي: صفة الصدق عندهم غير ثابتة، مرة يصدقون، ومرة يكذبون.

أما الصَّادقون: فصفة الصَّدق عندهم ثابتة؛ أي: يصدقون دائماً.

وسنرى في الآية (٤٧): أَنَّ ما فعله رسول الله ﷺ بالإذن لهم بالقعود كان فيه حكمة: هي لو أَنَّهُم خرجوا فيهم ما زادوهم إلا خبالاً، ولأَوْضَعُوا خِلالَهُمْ، وربما كانوا سبباً لهزيمة المسلمين.

[٤٤] ﴿لَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ﴾:

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: أي: من طلب منك الإذن بالقعود، وعدم الخروج: هم الَّذِينَ لا يؤمنون بالله، واليوم الآخر، وأما من آمن بالله، واليوم الآخر. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨). فلم يطلبوا منك ذلك، وخرجوا ليجاهدوا في سبيل الله بأموالهم، وأنفسهم.

﴿أَنْ يُجَاهِدُوا﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ﴾: صيغة مبالغة من علم، علم ما في قلوبهم من إيمان وتقوى. عليهم: صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم.

﴿بِالْمُتَّقِينَ﴾: الباء: للإلصاق، المتقين: الَّذِينَ أطاعوا أوامر الله، وتجنبوا نواهيه، والباء: للإلصاق؛ أي: أصبحت صفة، أو سمة التقوى عندهم ثابتة لا تتغير.

[٤٥] ﴿ إِنَّمَا يَسْتَعِذُّنَاكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآزَنَاتٌ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾:

﴿ إِنَّمَا ﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿ يَسْتَعِذُّنَاكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾: أي: المنافقون، بعدم الخروج.

﴿ وَآزَنَاتٌ قُلُوبُهُمْ ﴾: لا زالت الريبة تساور قلوبهم، والريبة: هي الشك، والتهمة معاً.

﴿ فَهُمْ ﴾: الفاء: للتوكيد، هم: لزيادة التوكيد.

﴿ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾: التردد: هو الذهاب، والمجيء، وعدم الاستقرار في مكان واحد؛ أي: لا مع المؤمنين، ولا مع الكفار.

يترددون بين الخروج معك، أو البقاء في ديارهم مع الكفار.

[٤٦] ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾:

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ ﴾: الواو: استئنافية، لو: شرطية، أرادوا الخروج: معك.

﴿ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾: اللام: رابطة لجواب الشرط، تعليلية، والعدة: ما يعدّه الإنسان ويهيئه؛ أي: للخروج في سبيل الله؛ أي: لو كانوا عازمين على الخروج في سبيل الله؛ لأعدوا، وأحضروا ما يلزمهم للحرب من الزاد، والراحلة، والسلاح؛ فهم ليس عندهم حتى النية في الخروج، فكيف الاستعداد.

وسبب ذكر ذلك؛ لأنهم لو استعدوا للخروج، وأحضروا عدتهم، ثم حدث طارئ ما يمنعهم عن الخروج، لكن ذلك مقبول، أو أهون درجة.



﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾: لكن: حرف للاستدراك، والتوكيد، كره الله انبعاثهم: ارجع إلى الآية (١٩) من سورة النساء؛ لمعرفة الفرق بين الكره، والكره؛ بضم الكاف، أو فتح الكاف. انبعاثهم: انطلاقهم، أو قيامهم للخروج.

﴿فَتَبَطَّوهُمْ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة. تبطهم: منعهم، وأقعدهم عن الخروج؛ جعلهم يشعرون بالجبن، والكسل؛ فلم يخرجوا، أو شغلهم عن الخروج.

﴿وَقِيلَ﴾: القائل هنا رسول الله ﷺ؛ لما طلبوا منه ذلك.

﴿أَقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾: الذين لا يجب عليهم الجهاد من النساء، والأطفال، والشيوخ، أو ربما المعذورين أولو الضرر، أو القواعد من النساء. [٤٧] ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾:

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ﴾: لو: شرطية. خرجوا فيكم: ولم يقل: خرجوا معكم؛ لأن فيكم: في: ظرفية؛ تعني: مختلط فيهم، أو أصبح منهم؛ بينما خرجوا معكم: قد يخرجوا معهم، ويبقوا منغلين عنهم غير مختلطين بهم.

﴿مَا زَادُوكُمْ﴾: ما: النافية، زادوكم بخروجهم.

﴿إِلَّا خَبَالًا﴾: إلا: أداة حصر، خبالاً: شراً، وفساداً، وبلبلة في الأفكار، والخبال: مرض عقلي، واضطراب في الرأي؛ فلا تستطيعون اتخاذ قرار حاسم. ﴿وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ﴾: من الإيضاع؛ يقال: أوضعت الناقة: إذا أسرع في سيرها؛ أي: يسرعوا بينكم بالفتنة، والفساد.

﴿خَلَلَكُمْ﴾: جمع خلل، والخلل: هو الفرجة بين الشيئين؛ أي: أحدثوا
الفرقة بين صفوفكم بسرعة.

أو لَسَعُوا بينكم وأسرعوا في نشر وبث التَّمِيمَةِ، والتَّحْرِيشِ، والإفساد،
والتَّفْرِقَةِ، وإثارة الفتن، والكذب، والرَّعب.

﴿يَبْغُونَكُمْ أَلْفَنَّةً﴾: يَبْغُونَ: يلتمسون لكم الفتنة في الدين، وبغى:
طلب، أو التمس، وأضاف التَّوْنُ في يَبْغُونَكُمْ: للتوكيد.

﴿أَلْفَنَّةً﴾: إيقاع الخلاف بينكم، والشك في الخروج، والجهاد، وتهويل
الأمْرِ، والهزيمة.

﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾: أي: بينكم أناس ضعاف يسمعون لحديثهم،
ويتأثرون بأقوالهم، وأخبارهم، وينقلونها إلى غيرهم.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: عَلِيمٌ: صيغة مبالغة من عالم؛ كثير العلم بأحوال
الظَّالِمِينَ الظَّاهِرَةِ، والباطنة، ونواياهم، وأقوالهم، وأفعالهم.

﴿بِالظَّالِمِينَ﴾: الباء: للإلصاق؛ الظَّالِمِينَ: الذين لم يخرجوا معكم،
وقعدوا.

﴿بِالظَّالِمِينَ﴾: ارجع إلى الآية (٥٤) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

والظَّالِمِينَ: جملة اسمية؛ تدل على ثبوت صفة الظلم فيهم.

والظَّالِمِينَ: جمع ظالم، وهو كل من خرج على منهج الله، أو لم يطعه.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

الجزء العاشر

لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى
جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَشْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ
سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ
﴿٤٩﴾ إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكَ
مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَسْتَوَلُّوا
وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ
اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ وَنَحْنُ
نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ
أَوْ بَأْيَدِنَا فَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ
أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُمْ كُنْتُمْ
قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ
إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ
إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾

سورة التَّوْبَةِ [الآيات ٤٨ - ٥٤]

[٤٨] ﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾: طلبوا، أو أرادوا الفتنة من قبل الخروج إلى تبوك، أو من قبل؛ تعني: يوم أحد؛ حين انصرفوا راجعين، والفتنة: قد تعني: صد الناس عن الدخول في الإسلام، والفتنة: قد تعني: بث الخلاف، والفرقة، والشقاق بين المسلمين؛ للإيقاع بهم، أو محاولتهم رد المسلمين إلى الكفر.

﴿وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾: قلبوا الحق باطلاً، والباطل حقاً، والتقلب: جعل أعلى الشيء أسفله، أو أسفله أعلاه، ودبروا لك الحيل؛ حتى يتخلصوا منك، ومن دين الإسلام الجديد.

﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ﴾: حتى: حرف غاية نهاية الغاية. جاء الحق: النصر.

﴿وَبَدَّاهُمْ كَارِهُونَ﴾: ظهر، وانتشر أمر الله؛ دين الله الإسلام، أو شرعه، ودخل الناس فيه أفواجا، وعلا وانتصر شرعه.

﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾: أن يروا كل ذلك يحدث أمام أعينهم، وكارهون: جملة اسمية؛ تدل على الثبات؛ ثبات كرههم لكم، ولدينكم.



[٤٩] ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّقُولُ أَئِذَا دُنِيَ لِي وَلَا نَفْتِيَّ إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾:

سبب نزول الآية: كما رُوي عن ابن عباس ؓ: نزلت هذه الآية في الجد بن قيس: وهو من الأنصار، من المنافقين؛ فقد جاء يطلب الإذن بعدم الخروج، والسّماح له بالبقاء في المدينة؛ لأنّه لم يكن له جلد على الحرب، وشدائدّها، وكان له ولع بحب النساء، وسمع عن جمال بنات الروم، وخشي أن يُفتن بهنّ.

﴿وَمِنْهُمْ﴾: أي: الجد بن قيس منهم من المنافقين.

﴿مَنْ يَقُولُ أَئِذَا دُنِيَ لِي﴾: بالقيود، وعدم الخروج.

﴿وَلَا نَفْتِيَّ﴾: لا: النّاهية، تفتني: أي: لا توقعني في الفتنة، وهي الإثم؛ أي: الفاحشة؛ كونه لا يملك نفسه من بنات بني الأصفر؛ أي: نساء الروم.

﴿إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾: ألا: أداة استفتاح؛ ليلفت السامع؛ فينصت، فلا تأخذه غفلة عن الأمر المهم الذي يتكلم به المتكلم؛ أي: يستمع المستمع بكلّ قواه.

أيخافون أن يقعوا في فتنة نساء الروم؛ فهم قد سقطوا في فتنة النّفاق، وفتنة التّخلف، وعدم الخروج، وأي فتنة أعظم من هذه الفتنة! أمّا فتنة رؤية نساء الروم؛ فلا شيء مقارنة بتلك الفتنة؛ بعد أن وقعوا في أشد منها بكثير، والفتنة: قد تكون جهنم؛ أي: ألا في جهنم سقطوا.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾: إن: حرف توكيد.

﴿بِالْكَافِرِينَ﴾: الباء: باء الإلصاق؛ أي: المصاحبة، والكافرين: جملة

اسمية؛ تدل على الثبوت؛ ثبوت كفرهم، وإن جهنم محيطة بهم يوم القيامة من كل الجوانب، وكأنهم في وسطها يصطلون فيها، ولا محيص، ولا مهرب لهم عنها؛ فهي مؤصدة عليهم، وشبهت بالسوار المحيط بالمعصم.

[٥٠] ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَسَوْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْهُمْ فَرِحُونَ﴾:

﴿إِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الافتراض.

﴿تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ﴾: نصر، أو غنيمة، والحسنة: ما يُسر النفس حصوله، السيئة: ما يسوء النفس وقوعه. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٠١) لمزيد من البيان. ﴿فَسَوْهُمْ﴾: جواب الشرط؛ تحزنهم وتزعجهم؛ تضايقهم، أو يشعروا بالغم.

﴿وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ﴾: إن: شرطية. تصيبك مصيبة: مثل: القتل، أو الهزيمة، أو جراح وشدة.

﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ﴾: أي: قد أخذنا حذرنا؛ فلم نخرج معه، أو نقاتل معه. من قبل: أي: من قبل حدوث هذه المصيبة.

﴿وَيَتَوَلَّوْهُمْ فَرِحُونَ﴾: يستمروا على إعراضهم، وهم: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد. فرحون: بما أصابك من الخسارة، والهزيمة، أو فرحون بسلامتهم، وعدم خروجهم معك، وليبيان معنى الفرح وأنواعه ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٧٠).



[٥١] ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿لَنْ يُصِيبَنَا﴾: لن: للنفي؛ تدخل على الفعل المضارع؛ كما هو الحال في هذه الآية؛ يصيبنا: فتخلصه للاستقبال، وتنفيه نفياً مؤكداً؛ نفي الاستقبال البعيد، والقريب.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾: ما: اسم موصول للتوكيد؛ توكيد الحصر؛ إلا ما كتب الله لنا: اللام: تفيد الاختصاص، ما كتب لنا: ما قدر لنا من القدر، والقدر: هو تقدير الله؛ لما خلق من مخلوقات مهما كانت من إنسان، أو حيوان، أو نبات، أو جماد؛ حتى الورقة، والذرة، والحبة في البر، والبحر، والرطب، واليابس. ونحن نعلمه بعد وقوعه سواء أكان خيراً، أم شراً.

فالقدر يعني: التقدير؛ أي: فعل الله ﷻ وهو المقدر، وما قدره الله سبحانه هو القدر، وهذا التقدير حدث قبل خلقه السموات والأرض بـ (٥٠ ألف سنة)، والإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان، والناس في القدر ثلاثة أقسام:

١ - الغلاة في إثباته؛ مثل: الجبرية الذين يؤمنون بأن كل ما يفعله الإنسان بغير اختياره؛ يقوم، ينام، يشرب، يعصي، وهو عقيدة مبنية على آية الله: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، ومثل هذه العقيدة باطلة في الكتاب والسنة؛ لقوله تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْقَمَ﴾ [التكوير: ٢٨]،

﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

٢ - الغلاة في إنكار القدر؛ بعكس الأول: يؤمنون أن كل ما يفعله الإنسان هو بإرادته؛ يأكل، ينام، يصلي، يعصي، يطيع؛ كله بإرادته، وهو مستقل بعمله؛ ليس لله قدرة، ولا اختيار؛ فالعبد يخلق أفعاله، والله يعلم ما سيصنعه عبده، مع نفي مشيئة الله، أمثال القدرية.

٣ - أهل السنة والجماعة: يؤمنون بعلم الله، وكتابته، ومشيئته، وخلقته، وللعبد مشيئة، وخيار، ولكن ضمن مشيئة الله، وما قدره.

والتقديرات أربعة أنواع:

- ١ - تقدير أزلي (أولي) قبل خلق السموات والأرض بـ (٥٠ ألف سنة).
- ٢ - تقدير جنيني: حين نفخ الروح، ويشمل الرزق، والأجل، والعمل شقي، أو سعيد.
- ٣ - تقدير سنوي، أو حولي، ليلة القدر؛ كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

٤ - تقدير يومي، كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

يغني فقيراً، ويفقر غنياً، ويعز، ويذل، والإيمان بالقدر من تمام الربوبية.

والإيمان بالقدر: لا ينافي ما يفعل الإنسان باختياره؛ لأن ما يفعله الإنسان هو من قدر الله أيضاً.

﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾: من المولى؛ أي: مالكننا، وسيدنا، ومتولي أمورنا، ومدبرها، وحافظنا، وناصرنا.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: ولأنه هو مولانا؛ فعليه يجب أن نتوكل؛ أي: نطلب منه المساعدة، والمعونة في تدبير أمورنا، والقيام بها بعد أن نقوم، ونؤدّي الأسباب المطلوبة منا.

فاتخاذ الأسباب لا تكفي؛ فلا بد من الاعتماد عليه، وقوله تعالى: وعلى الله: تقديم الجار والمجرور على الفعل؛ يفيد القصر؛ أي: فقط نتوكل على الله وحده لا غيره.

[٥٢] ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْتِيَنَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾: ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ.

﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا﴾: هل: استفهام؛ بمعنى: النفي، والنفي هنا غير تام؛ لأن فيه معنى التحدي، والتربص.

﴿تَرَبَّصُونَ بِنَا﴾: أيها المنافقون. التربص: الانتظار الطويل، وبحذر، ويقظة، وأصلها: تتربصون، وحذفت إحدى التاءين.

﴿بِنَا﴾: الباء: للإلصاق؛ للدلالة على نفاذ صبرهم، وتربصهم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾: الحسينين: مشتقة من أحسن، وتأنيث أحسن

حسنة، وحسنى، وتثنية الحسنى: هي الحسينين؛ إلا إحدى العاقبتين: إما النصر، أو الشهادة في سبيل الله، وكلاهما حسن.

﴿وَنَحْنُ نَرَبُّصُ بِكُمْ﴾: نتظر، ولو طال الانتظار، بكم: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

﴿أَنْ﴾: مصدرية؛ تفيد التوكيد.

﴿يُصِيبُكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾: الباء: للتعليل، والتوكيد.

﴿بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾: أي: أن تحل بكم قارعة من السماء، أو مصيبة، أو زلزلة، أو رجفة، أو ما شاء الله.

﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾: أي: نتصر عليكم بالقتل، والأسر، والتشريد.

﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾: أي: انتظروا وترقبوا، أو انتظروا عاقبة ونهاية ما سيحدث لنا ولكم في الدنيا، وفي الآخرة، وفيها نوع من الوعيد، والتهديد.

[٥٣] ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّنْ يُنْقَبَلَ مِنْكُمْ إِنِّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾:

هذه الآية أمر في معنى الخبر.

﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا﴾: من دون إكراه، أو جبر.

﴿أَوْ كَرْهًا﴾: ملزمين أو مُكرهين. ارجع إلى الآية (٥٤) من سورة البقرة؛

لمزيد من البيان.

﴿لَّنْ يُنْقَبَلَ مِنْكُمْ﴾: والسؤال هنا كيف يأمرهم بالإنفاق، ثم يقول لهم: لن



يُتَقَبَّلُ مِنْكُمْ، هذا القول يشابه قوله تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: أي: أنفقوا، أو لا تنفقوا؛ لا يهم، ولا يُتَقَبَّلُ مِنْكُمْ.

﴿لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ﴾: للنفي القريب، والبعيد، وبكل تأكيد لن يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ خاصة.

﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾: إن: للتعليل. فاسقين: من الفسق: وهو الخروج عن طاعة الله تعالى، ولم يحدد معنى الفسق في هذه الآية، وإنما حدده في الآية الآتية (٥٤).

[٥٤] ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَّلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾:

عدم قبول نفقاتهم في الآية السابقة: هو كونهم قوماً فاسقين، ولم يشرح معنى فاسقين في تلك الآية السابقة، ثم جاء في هذه الآية ليحدد معنى الفسق الذي أريد به، وتضمن ثلاثة أمور:

١ - الكفر بالله وبرسوله.

٢ - ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى.

٣ - ولا ينفقون إلا وهم كارهون.

﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: انتبه استعمال الباء بالله، وبرسوله، ولم يقل بالله ورسوله، بالله وبرسوله: فيها تأكيد أكثر من بالله ورسوله؛ وتعني: كفر العقيدة.

والباء: تفيد الإلصاق، والاختصاص، وحين يستعمل بالله وبرسوله؛



يستعملها في سياق المنافقين الذين يعتبرون أنفسهم مسلمون، ويحاربون الله ورسوله، وهم غير معروفين. وحين يستعمل بالله ورسوله يستعملها في سياق الكفار؛ فهؤلاء هم كفار من الأصل لا يؤمنون بالله، ولا بمحمد، وهويتهم معروفة، ويعبدون الأوثان وهم أخف وطئاً من المنافقين؛ لأنهم لا يخادعون، ولا يمكرون.

﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾: رياء من دون إخلاص، فهم يصلون رياء؛ إلا: أداة حصر، هم: ضمير فصل للتوكيد، وكسالى: تعني: التراخي في القيام إليها.

﴿وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾: فهم لا ينفقون طاعة، بل لمصالح ظاهرة، وستراً لنفاقهم، ويُعدون الإنفاق مغرمًا، وخسارة؛ إلا: أداة حصر، كارهون: غير راغبون؛ أي: مكرهون عن غير طيب نفس.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

الْبَقَرَةُ

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
 بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾
 وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ
 قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغْرَبًا
 أَوْ مَدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ
 فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا
 هُمْ يَسَخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
 وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ
 لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ
 وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ
 فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمْ
 الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذنُ قُلْ أذنُ خَيْرٌ
 لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ
 ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾



سورة التَّوْبَةِ [الآيات ٥٥ - ٦١]

[٥٥] ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾:

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾: فلا: الفاء: استئنافية. والتقدير: بما أنهم كفروا بالله وبرسوله، ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، ولا ينفقون إلا وهم كارهون؛ فإن اتصفوا بتلك الصفات: فلا تعجبك أموالهم، ولا أولادهم، أو لا تنظر إلى أموالهم، ولا أولادهم.

لا: النامية. تعجبك: من الإعجاب بالشيء: وهو الفرح به، مع التعجب، واستحسانه.

﴿أَمْوَالُهُمْ﴾: من كثرتها، أو من غناها.

﴿وَلَا﴾: أولادهم من الكثرة والقوة، تكرار لا: الناهية للتوكيد، لفصل كل منهما على حدة، كثرة الأموال عن كثرة الأولاد، أو كلاهما معاً.
﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا﴾: اللام: لام التعليل، والتوكيد.

﴿بِهَا﴾: في الحياة الدنيا؛ ليعذبهم بها في كيفية جمعها، ويخافون عليها، وما يصحب ذلك من الحرص، ومن القلق، والهَم حين يخسرون في التجارة، أو الأسهم، وفي الآخرة يعذبون على عدم إخراج زكاتها؛ فتكون عليهم حسرة، أو ينفقونها في الصد عن سبيل الله، أو في المحرمات، والمعاصي، أو التبذير.



وأما الأولاد فيعذبهم بهم حين يمرضون، أو يموتون، أو يحدث لهم طارئ، أو مصيبة.

﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: ولم يقل في الدنيا؛ لأنها جاءت في سياق الإعجاب، والفرح؛ إضافة كلمة الحياة تزيد من الغرور، ولكنه وصفها بالدنيا؛ أي: بالحياة الدنيئة السفلى؛ لكونها زائلة، لا تدوم، وتخلوا من الطمأنينة.

﴿وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ﴾: تخرج.

﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾: هم: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد، كافرون: لم يتوبوا إلى الله؛ لأن التكاثر ألهاهم؛ حتى زاروا المقابر.

ولا بد من مقارنة هذه الآية (٥٥) من سورة التوبة، مع الآية (٨٥) من سورة التوبة أيضاً.

الآية (٥٥): ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

والآية (٨٥): ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

كلا الآيتين في سياق المنافقين:

الآية ٥٥	الآية ٨٥
في سياق الإنفاق في سبيل الله	في سياق الجهاد، والقتال في سبيل الله
﴿فَلَا تُعْجِبْكَ﴾: الفاء: للترتيب، والتعجب والتوكيد	﴿وَلَا تُعْجِبْكَ﴾: الواو: لا تدل على الترتيب، والتعقيب

الآية ٨٥	الآية ٥٥
﴿أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾: جمع الأموال والأولاد معاً؛ أي: أعطوا نعمتي المال والأولاد معاً	﴿أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾: زيادة لا: للتوكيد؛ نافية، وفصل كل من الأموال والأولاد على حدة، أو كلاهما معاً؛ أي: منهم من أُعطي الأموال، ومنهم من أُعطي الأولاد
﴿أَنْ يُعَذِّبَهُمْ﴾: أن: للتعليل	﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾: اللام: للتوكيد، والتعليل، والعذاب ليس بسبب جمعهم المال فقط، وإنما بسبب جهم له، وعدم إنفاقه.
﴿فِي الدُّنْيَا﴾: من دون كلمة الحياة؛ لأنّ الجهاد، والقتال لا يناسب معه ذكر الحياة الدنّيا؛ اكتفى بذكر الصّفة	﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: لأنه يتحدث عن المال، ناسب ذكر الحياة كلمة الدنّيا. الحياة الدنّيا: الدنيا صفة للحياة

[٥٦] ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾:

﴿وَيَحْلِفُونَ﴾: أي: المنافقون يحلفون بالأيّمان الكاذبة، وكلمة الحلف في القرآن تأتي عادة في سياق اليمين الكاذب، وأما القسم في القرآن فيأتي عادة، أو يصدر من الصادق في أيّمانه، أو الذي يظن أنه صادق في قوله، رغم أنه كاذب، أو على غير حق، أو يقسم بغير حق.

﴿بِاللّٰهِ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد، يحلفون بالله الخطاب للمؤمنين.

﴿إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾: إن: للتوكيد، واللام: للاختصاص، والتوكيد، منكم؛ أي: من المؤمنين، أو على دينكم.



﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾: ما: النافية، هم: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد، منكم: أيها المؤمنون.

﴿وَلَكِنَّهُمْ﴾: لكن: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾: الفرق: هو الخوف الشديد مع الفزع الدائم بتوقع الضرر أن يفتضح أمرهم (نفاقهم)، ويحل بهم ما حل بالمشركين من القتل، والسبي، ويؤيدون ذلك بالآيمان الكاذبة إنهم لمنكم، وهم يبتغون الكفر.

[٥٧] ﴿لَوْ يَحْذَرُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾:

﴿لَوْ﴾: شرطية.

﴿مَلْجَأًا﴾: وهو الحصن.

﴿مَغْرَبًا﴾: جمع مغارة: هي الكهف في الأرض عموماً مقارنة بالغار الذي هو مغارة في الجبل.

﴿أَوْ مَدْخَلًا﴾: اسم مكان في الأرض تدخل فيه بمشقة والتواء وصعوبة.

﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾: لذهبوا إليه، وهم يسرعون، كما تسرع الفرس الجموح، والجماح: هو فقد السيطرة على الفرس التي يركبها الفارس؛ فلا يقدر على التحكم بها؛ لأن ليس لها جماح، أو رسن، أو لجام.

ويعني ذلك: أنهم في زمن السلم، ومن مظاهر خوفهم (كونهم قوم يفرقون)؛ أي: يتمنون الفرار منكم؛ لثلا يفتضح أمرهم (نفاقهم)، والعيش بعيداً عنكم، ولو كان في ملجأ، أو مغارات، أو مدخلاً؛ أي: مكان آمن، ولو كان شر الأمكنة؛ لأن الله قذف في قلوبهم الرعب.

وفي زمن الحرب، والقتال مجرد بدء القتال تجدهم يبحثون عن ملجأ،

أو مغارات، أو مدخلًا؛ ليفروا إليه مسرعين خوفاً على أرواحهم من القتل، أو التشريد، والفضيحة.

[٥٨] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾:

المناسبة: حدث هذا اللمز يوم حنين يوم قسم رسول الله ﷺ الغنائم.

﴿وَمِنْهُمْ﴾: من: البعضية؛ أي: بعض المنافقين.

﴿مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾: يعيبُ عليك، ويطعن بك يا محمد في قسمة الصدقات: بأنك غير عادل، أو مقسط.

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال.

﴿أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا﴾: أي: قبلوا، واطمأنوا، وتوقفوا عن اللمز.

﴿وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ﴾: ظرفية فجائية، هم: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد.

﴿يَسْتَخْطُونَ﴾: السخط: هو عدم الرضا؛ يبدأ في القلب، ثم يتعدى إلى اللسان؛ فيظهر التذمر.

[٥٩] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: عاطفة، لو: شرطية (جوابها محذوف تقديره: لكان خيراً لهم).

﴿رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: فالله: هو المشرع، والرسول: هو المنفذ، أو المقسط.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى: الذي، وأوسع شمولاً من الذي، والإيتاء:



هو العطاء مع قابلية استرداده. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة. رضوا بما آتاهم الرسول من الغنائم وقبلوا بها.

﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: يكفيننا ما آتانا الله ورسوله، أو رضينا بما قسم الله لنا. ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: سيرزقنا الله من فضله مرة أخرى على يد رسول الله ﷺ، أو سيرزقنا الله عن قريب، والسّين: للاستقبال القريب؛ أي: في الدنيا.

﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾: إنّنا إلى طاعة الله ورسوله عاكفون مقيمون؛ أي: طالبون من الله الخير، والعفو، وتقديم (إلى الله) يفيد الحصر، والقصر؛ أي: فقط إلى الله راغبون، راغبون: جمع راغب على وزن فاعل.

[٦٠] ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

تسمّى هذه الآية آية مصارف الزكاة.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ﴾: للتوكيد، والحصر. الصدقات: تعني الزكاة.

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق (أو الملكية)، والفقير الذي لا شيء له.

﴿وَالْمَسْكِينِ﴾: المسكين الذي له شيء، ولكنه غير كاف، وهو أحسن حالاً من الفقير.

﴿وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا﴾: الجباة الذين يجمعون الزكاة.

﴿وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ﴾: هم حديثو العهد بالإسلام، أو إسلامهم ضعيف، ولكسب قلوبهم، واستمالتهم للدخول في الإسلام يصرف لهم من الزكاة.

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾: لتخليصهم من الرّق، والعبودية، أو السّجن، أو الأسر؛ نعطي المال ليس لهم مباشرة إنما لغيرهم؛ لتبادل الأسرى، أو الفداء بالمال.

﴿وَالْفَرَمِينَ﴾: الَّذِينَ أَثْقَلَهُمُ الدِّينُ، وَعَجَزُوا عَنِ الْوَفَاءِ بِالَّذِينَ، وَلَا يَعْبُونَ اللَّهَ (وَلَا يَسْرِفُونَ مِنَ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ).

﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: فِي الْجِهَادِ، وَشِرَاءِ السَّلَاحِ، وَالْعِدَّةِ لِلْجِهَادِ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ قَالَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ يَعْنِي: كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَى اللَّهُ.

﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾: الْمَسَافِرُ الْمُنْقَطِعُ فِي سَفَرِهِ، وَالْغَرِيبُ عَنِ وَطْنِهِ يُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ؛ لِسَدِّ حَاجَتِهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى وَطْنِهِ.

﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾: أَيُّ: هَؤُلَاءِ الثَّمَانِيَةِ الَّذِينَ سَبَقَ ذِكْرُهُمْ يَسْتَحِقُّونَ الزَّكَاةَ بِفَرْضٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَوْلَا قَوْلُهُ: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾: فَقَدْ يُفْهَمُ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِحْبَابِ، وَلَيْسَ الْوَجُوبُ.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: صِيغَةُ مَبَالِغَةٍ كَثِيرِ الْعِلْمِ، وَاسِعِ الْعِلْمِ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الزَّكَاةَ، وَعَلِيمٌ مَنْ يُزَكِّي، وَكَمْ يُزَكِّي، وَبِمَنْ يَنْفَقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

﴿حَكِيمٌ﴾: صِيغَةُ مَبَالِغَةٍ كَثِيرِ الْحِكْمَةِ، أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، أَحْكَمُ الْحُكَمَاءِ، حَكِيمٌ فِي تَدْبِيرِ شُؤْنِ خَلْقِهِ، وَحَكِيمٌ بِمَا يُشْرَعُ لَهُمْ، وَمَا يُفْرَضُ عَلَيْهِمْ.

انتبه إلى استعمال اللام، لام الملكية في الأصناف الأربعة الأوائل: الفقراء، والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، ثم استعمل (في) في الأصناف الأربعة الأخرى: الرّقاب، والغارمين، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والسبب



في ذلك؛ لأن الأربعة الأوائل حين تصرف لهم الزكاة، أو الصدقات تصبح ملكاً لهم، وقيل: إن اللام للفقراء، والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم: لام الملكية؛ أي: يصرفونها كما يشاؤون.

أما الأربعة الأواخر: حين تصرف لهم الزكاة؛ فهي لا تصل إلى أيديهم أنفسهم؛ فلا يملكونها، وإنما تصرف، وتعطى لغيرهم؛ فمثلاً في الرقاب: تعطى لتخليص الفرد من الرق، والعبودية؛ فهي تعطى للمالك، أو في سبيل فك أسرهِ؛ فهي لا تعطى للشخص نفسه.

وفي الغارمين: المثقلون بالديون؛ تدفع لمستحقي الديون، وليس له هو نفسه تدفع من أجله، وليس له... وهكذا.

وفي سبيل الله: تدفع للجهاد، والتّحضير له.

وابن السبيل: تعطى كي تسد حاجته فقط للعودة إلى وطنه، تعطيه أجرة الطريق، وحاجته فقط، ولا يعطى المال لكي يمتلكه، وقد يكون غنياً، والترتيب هنا لا يفيد من هم الأهم، فالأهم.

[٦١] ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾: منهم: من البغضية؛ أي: من بعض المنافقين.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾: بأقوالهم، وأفعالهم، والإيذاء ما يؤذي الإنسان في نفسه،



أو بدنه، أو ماله، أو أهله، وإيذائهم له يتكرر، ويتجدد لقوله يؤذون بصيغة المضارع التي تدل على التّجدد، والتّكرار، ولم يقل: أؤذوا وانتهى الأمر.

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ﴾: هو: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد، يقولون: هو أذن: أي: يصدق كلّ ما يقال له من خبر، ويستمتع لكل فرد، ويعتبرون هذا غير جيد، ولا يليق بحقه، أو هو لا يميز بين الحق والباطل، ولا يحص ما يقال له، وأطلقوا عليه لقب أذن على اسم الجارحة الأذن.

﴿قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أي: إن كان أذن كما تقولون فَنعم الأذن؛ لأنّ نفعه يعود عليكم، ويبلغكم ما أنزل عليكم من ربكم.

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق؛ إيمان عقيدة وإخلاص. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨).

﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: إيمان تصديق؛ أي: يصدقهم، ولم يقل: يؤمن لكم؛ لكان ذلك يشمل الكل: المؤمن، والمنافق... وغيرهما.

﴿وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾: والرحمة؛ تعني: يجلب لكم كل منفعة، ويدفع عنكم كل مضرة، ويبين لكم ما أنزل عليكم.

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص، رحمة خاصّة للذين آمنوا منكم.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: يؤذونه بأيّ قول، أو فعل، أو طعن، أو عيب في ذاته، وأهله.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: شديد الإيلام في الدّنيا، والآخرة.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

الجزء العاشر

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ
 أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ
 مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا
 ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ
 أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُّوْا
 إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
 لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ
 وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ
 بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً
 بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
 بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ
 عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ
 إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ
 الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
 فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

سورة التوبة [الآيات ٦٢ - ٦٨]

[٦٢] ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ﴾: يحلفون؛ أي: المنافقون يحلفون الأيمان الكاذبة للمؤمنين: أنهم لم يطعنوا بالنبي في خلواتهم، أو يطعنوا بالمؤمنين، وأن ذلك لم يصدر عنهم؛ يحلفون ليرضوكم، والله ورسوله أحق بالإرضاء من المؤمنين.

﴿لِيَرْضَوْكُمْ﴾: اللام: لام التعليل، والتوكيد.

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾: ولم يقل: يرضوهما؛ لأن الله ورسوله مثني، ولكن جاء بصيغة المفرد (أن يرضوه)؛ لأن رضا الله سبحانه، ورضا رسوله واحد.

﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشك إن كان إيمانهم صحيح، وليس نفاقاً.

[٦٣] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنِ يُكَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنْتَ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَلِيداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام، والتوبيخ، والاستنكار.

﴿يَعْلَمُوا﴾: دائماً حين يقال: ألم يعلموا؛ يعني: أن هذا الأمر المعلن عنه الآن أعلن في السابق، أو حدث سابقاً أن بلغهم الحكم، أو الخبر، أو الآية، أو



النبأ، وكان من الواجب أن يعلموا ذلك، ولم ينسوه؛ فقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ استنكار لجهلهم، وعدم علمهم، أو لتخلفهم عن العلم، وهو: ﴿أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾.

﴿أَنَّهُ﴾: أن: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد.

﴿مَنْ﴾: شرطية؛ تفيد معنى الابتداء، والاستغراق.

﴿يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: أي: يعادي، ويحارب، ويشاقق دين الله ورسوله، كلمة يحادد: من الحد، وحد السيف: هو الجزء القاطع؛ أي: كأنه يحمل السيف ليحارب، أو يحادد منهج الله ورسوله، أو دين الله ورسوله.

﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾: هذا إنذار إلى من يحادد الله ورسوله، الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ تفيد التوكيد.

﴿خَالِدًا فِيهَا﴾: ولم يقل: خالدين فيها؛ لأن العزلة، والانفراد: هو نوع من العذاب؛ إضافة إلى النار.

﴿ذَلِكَ﴾: ذلك: اسم إشارة يفيد البعد، بعد درجته في الخزي والذل.

﴿الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾: أي: ما ينتظرهم من العذاب، ليس أليماً فقط، بل فيه خزي، وهوان، وفضيحة؛ لكونه سيحدث على مرأى من الناس.

[٦٤] ﴿يَحْذَرُ الْمُنْفِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا إِنَّا اللَّهُ مَخْرُجٌ مَّا تحَدَّرُونَ﴾:

﴿يَحْذَرُ الْمُنْفِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾: الحذر: هو توقي الضرر، أو الإعداد لدفع الخطر، أو الضرر المتوقع سواء أكان التوقع ظناً، أم يقيناً؛



فهم يخافون، ويحذرون أن تنزل عليهم سورة؛ أي: على المؤمنين (الرّسول والصّحابة).

﴿سُورَةٌ﴾: مجموعة من الآيات؛ تكشف بما في قلوبهم من النّفاق، أو تفضحهم.

﴿بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: الباء: للتعليل، وما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي في قلوبهم.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾: في: ظرفية. قلوبهم: ورغم حذرهم؛ فهم لا يكفون عن الاستهزاء بالآيات، والدين، والرّسول، والمؤمنين.

﴿قُلْ أَستَهْزِئُ بِآيَاتِ اللَّهِ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾: الاستهزاء: هو التصغير من قدر وشأن المستهزأ به، وعيبه.

﴿آيَاتِ اللَّهِ﴾: إن: للتوكيد.

﴿مُخْرِجٌ﴾: مظهر، ومُبدٍ.

﴿مَا تَحْذَرُونَ﴾: ما: بمعنى: الذي، وهي أوسع شمولاً من الذي.

﴿مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾: أي: إظهار نواياكم، وأقوالكم، وأفعالكم، وتخلفكم، وإسراركم.

[٦٥] ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾:

سبب النزول: كما روي عن ابن عباس ؓ: كان ثلاثة من المنافقين يسرون إلى غزوة تبوك بين يدي النبي اثنان كانا يستهزئان بالرّسول، وبالقرآن، والثالث يضحك؛ فنزل جبريل فأخبر رسول الله ﷺ بما كان هؤلاء الثلاثة



يستهزئون، ويضحكون؛ فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: سلهم عما كانوا يستهزئون، ويضحكون منه، وقل لهم: أحرقكم الله؛ ففعل؛ فعلموا أن قرآنًا نزل فيهم، فأقبلوا يعتذرون لرسول الله ﷺ، وقال أحدهم: ما تكلمت بشيء، ولكن ضحكت عجباً من قولهم؛ فنزلت الآية: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ﴾ [الآية: ٦٦].

وقيل: هناك أسباب أخرى، ومهما كان السبب؛ فالعبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب.

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ﴾: لئن: اللام للتوكيد، إن: شرطية، سألتهم: المنافقين الثلاثة، ليقولن: اللام للتوكيد والنون لزيادة التوكيد.
﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾: نخوض من الخوض والدخول في الماء لمجرد اللعب؛ فالمنافقون يسمون الطعن والاستهزاء بآيات الله ورسوله والمؤمنين مجرد تسلية ولعب، (واللعب هو اللهو الذي يُشغل عن الطاعات).

﴿قُلْ أَيْلَهُ وَعَيْنِي﴾ ورَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ: قل لهم يا محمد ﷺ: أبالله: الهمزة همزة استفهام إنكاري، والباء: للإلصاق.

﴿أَيْلَهُ وَعَيْنِي﴾: أبالله: تستهزئون؛ كأن تقولوا: إن الله فقير ونحن أغنياء، عيسى ابن مريم، والعزير ابن الله، الملائكة بنات الله، يدها مقبوضتان، وآياته (آيات القرآن العظيم والمعجزات)، أو يعدنا بالنصر على الروم، وفتح قصور الشام وحصونها.

﴿وَرَسُولُهُ﴾: تقولون: شاعر، وساحر، وكاهن، ومجنون، وإنه مفتر، وأنه أتر، وأنه أذن.

﴿كُنتُمْ سَهْزِءُونَ﴾: الاستهزاء: هو الاستخفاف، والتحقير، والعبث
بآيات الله، وبالتالي الضحك.

[٦٦] ﴿لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ يُغَدِّبُ طَائِفَةٌ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾:

﴿لَا تَعْذِرُوا﴾: لا: الناهية، تعذروا: الاعتذار: الإدلاء بالعذر؛ طلباً لعدم
المؤاخذه؛ لما قاله، أو فعله، لا تعذروا: أي: لن تنفعكم أعذاركم الكاذبة.

﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾: قد: حرف تحقيق، وتوكيد، كفرتم بعد إيمانكم:
كفرتم بسبب استهزائكم بعد إيمانكم بعد أن ادَّعَيْتُمُ الإيمان باللسان فقط.

﴿إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والتدرة، نعف
عن طائفة منكم؛ أي: نغفر ونتوب على طائفة منكم بأن نتوب عليهم إن تابوا؛ أي:
الثالث الذي كان يضحك (اعتبره وحده طائفة). ارجع إلى الآية السابقة (٦٥).

﴿يُغَدِّبُ طَائِفَةٌ﴾: الاثنان المستهزئين (الطائفة الأخرى).

﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾: الباء: للتعليل، أو الإبدال. أنهم: للتوكيد.

﴿كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾: جمع مجرم، والمجرم: المذنب، أو المنافق،
وتطلق على المشرك، والكافر، والظالم. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥) لبيان
معنى مجرمين، وسورة الجاثية آية (٣١).

[٦٧] ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ



عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ﴾: جمع منافق، والمنافق: هو الذي يظهر الإيمان
باللسان، ويبطن الكفر. ارجع إلى الآية (٤٩) من سورة الأنفال.

﴿بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾: أي: صنف واحد كشابه أجزاء الشيء الواحد، أو
ذكورهم؛ كإناثهم متشابهون في النفاق، والصفات، والأحوال، وبعضهم من
بعض؛ تعني: ليسوا من المؤمنين.

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾: يأمر: يدعون إلى المنكر. المنكر تعريفة:
هو ما يستقبحه الشرع، ويمنعه، وما تستنكره العقول السليمة؛ لمنافاته الأخلاق.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾: يحثون على ترك المعروف، والمعروف: هو
كل أمر به الشرع، واستحسنه العقل، والعرف الصحيح، وينهون عن الإيمان.

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾: يمسكون عن الإنفاق في سبيل الله، والصدقة؛
كناية عن الشح، والبخل.

﴿نَسُوا اللَّهَ﴾: نسوا طاعة الله، وعبادته، وذكره.

﴿فَنَسِيَهُمْ﴾: والله سبحانه لا ينسى أبداً، ولا ينسب له الغفلة سبحانه كقوله
تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢]، ولكن تعني: أهملهم، ونسيهم
من رحمته، أو تركهم ولم ينظر إليهم، أو يكثر بهم.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: إن: للتوكيد، هم: ضمير فصل
يفيد المبالغة، الفاسقون: إذا كان يوجد غيرهم من الفاسقين فهم حقاً العاملون
في الفسق، وفي طليعتهم.

﴿الْفَاسِقُونَ﴾: جمع فاسق، والفاسق: من خرج عن شرع الله؛ أي:
دينه. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٦)؛ لمزيد من البيان.

[٦٨] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾:

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾: الوعد عادة يكون للخير، والوعيد للشر، من أوعد، وإذا استخدم وعد بدلاً من أوعد: فهذا يدل على الاستهزاء بالمنافقين، والتهكم، ولم يقل: يعد الله المنافقين؛ فجاء بصيغة الماضي؛ ليدل على أن هذا الأمر تحقق، وانتهى.

﴿الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ﴾: الكفار: تدل على الاسم، والكافرين: تدل على الفعل، وفيها مبالغة من الكفر، والكفار أكثر من الكافرين؛ أي: عموم الكافرين، والمشركين، وعبداء الأصنام.

﴿نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾: الخلود: استمرار البقاء من وقت مبتدأ، وهو دخولهم فيها، والخلود: اللزوم المستمر لما لا نهاية.

﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾: دلالة على عظم عذابها؛ أي: تكفيهم جميعاً، وتكفي كل واحد منهم مهما عمل من سيئات، وذنوب، ومعاصي؛ فلا يحتاج إلى شيء آخر من العذاب.

﴿وَلَعَنَّ اللَّهُ﴾: طردهم من رحمته، فلا تقبل لهم توبة، ولا عودة إلى الإيمان في الآخرة؛ لأن مكان التوبة، والعودة هو في الدنيا.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم، ومستمر على أمله، وشدته، ونوعه لا يخفف، ولا يتغير، وتقديم لهم؛ تعني: خاصة لهم.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

البقرة العشرة

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
 أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ
 كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ
 كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّةُ آَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ
 نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ
 إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ
 رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ
 كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
 أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾
 وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ
 وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

سورة التَّوْبَةِ [الآيات ٦٩ - ٧٢]

[٦٩] ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثْرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾:

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: الكاف: للتشبيه، والخطاب للمنافقين؛ فهم كأولئك الذين جاؤوا من قبلهم في أمرين:

الأول: الاستمتاع بالخلق؛ فهم استمتعوا بخلقهم، وأنتم استمتعتم بخلقكم، كما استمتعوا هم بخلقهم، والخلق: مشتق من الخلق؛ ويعني: التقدير؛ أي: استمتعوا بنصيهم الذي قدر لهم من الملائكة، وكلمة خلاق: اختيرت بدلاً من نصيب؛ لتفيد كلا المعنيين.

والأمر الثاني: خضتم في الباطل؛ كما خاضوا.

﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثْرَ أَمْوَالًا﴾: واختلفتم عنهم: بأنهم كانوا أشد منكم قوة؛ قوة بدنية؛ حيث زادهم الله بسطة في الجسم، وكانوا عمالقة، ويعيشون سنين أطول، وكانوا أكثر أموالاً، وأكثر أولاداً.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم: إشارة للبعد؛ تفيد الذم.



﴿حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: أي: لم يعد لأعمالهم ثواب في الدنيا والآخرة بطلت أعمالهم بسبب كفرهم ونفاقهم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢١٧)، وآل عمران، آية (٢٢)؛ لبيان معنى: حبطت.

﴿وَأُولَئِكَ﴾: تكرر أولئك: للتوكيد.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿الْخَاسِرُونَ﴾: للمبالغة؛ أي: هم من أعظم الخاسرين؛ فإن وجد خاسرين فهم أشد الخاسرين. ارجع إلى سورة النساء، آية (١١٩)؛ لمزيد من البيان.

[٧٠] ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾:

الآية السابقة: تحدثت بشكل عام عن جاؤوا من قبل.

وهذه الآية: جاءت ببعض الأمثلة على أسماء الأقوام الخاسرين.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ﴾: ألم: الهمزة للاستفهام الإنكاري، والتعجب، لم: حرف نفي، ألم يأتهم: أي: أتاهم؛ فحين ينفي النفي في أمر ما يعني: المراد إثبات الأمر.

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٧)، وسورة آل عمران، آية (١١٧)؛ للبيان.

[٧١] ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٦﴾

قال تعالى سابقاً: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾، ويقول في هذه الآية: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: هذا يسمّى فنّ المقابلة في علم البديع.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: الولاية: مأخوذة من يليه؛ أي: صار قريباً؛ فالموالاة: المحبة، والمودة، والنصرة، والقرب، والمعونة؛ كلّ مؤمن ينصر أخاه، وكلّ مؤمن هو ولي، وهو موالٍ في نفس الوقت.

الولاية؛ تعني: القرب (من يليه صار قريباً منه)، والنصرة. ارجع إلى سورة المائدة، آية (٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: ارجع إلى الآية (٦٧) من نفس السورة.

﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾: لأن الصلاة؛ تعني: استدامة الولاء للخالق سبحانه، وإقامة الصلاة تعني: بشروطها، وأركانها، وسننها، وأوقاتها، وهي عماد الدين.

﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: ارجع إلى الآية (٤٣) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿وَيُطِيعُونَ﴾: الطاعة: الاستجابة، والانقياد لمطلوب الشارع وهو الله



سبحانه بما أمر به واجباً كان أم مستحباً. يطيعون: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد، والتكرار؛ فهي طاعة تتكرر، وتتجدد، ومستمرة.

﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: ارجع إلى سورة آل عمران، آية (٣٢)؛ لمزيد من البيان.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة؛ يفيد البعد، والتعظيم.

﴿سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾: السنين: للاستقبال القريب؛ تعني: الرحمة قادمة لهؤلاء لا محالة، دائمة لا تنقطع، وإن تأخرت قليلاً، والرحمة؛ تعني: جلب كل ما يسر، ودفع ما يضر (أي: الوقاية)، وتعني: الإنعام.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد.

﴿عَزِيزٌ﴾: غالب على أمره، لا يُغلب، عزيز ولا يُقهر، وممتنع، وقوي لا يعجزه شيء؛ له العزة جميعاً.

﴿حَكِيمٌ﴾: فيما يدبره في خلقه، وكونه، وحكيم تعني: الحاكم؛ فهو أحكم الحاكمين، وحكيم من الحكمة؛ تعني: أحكم الحكماء. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٢٩)؛ للبيان.

[٧٢] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: وعد من الوعد.

الوعد: ما يلزم الشخص نفسه بالفعل، ومن دون شرط، ويرتب على عدم القيام به التوبيخ؛ فالوعد يقضي الإنجاز، وإذا أطلق ولم يتقيد يأتي عادة في سياق الخير، كما يأتي الوعد في سياق الشر، والوعد: قد يكون مؤقت، أو غير مؤقت.

﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي: تنبع من تحتها؛ جنات: جمع جنة، ومنها جنات الفردوس، وجنات عدن، وجنات النعيم، ودار السلام... وغيرها.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: ارجع إلى الآية (٦٨) من نفس السورة.

﴿وَمَسْكَنَ طَيْبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾: جنات عدن؛ تعني: جنات الإقامة الدائمة، جنات كما جاء في الحديث الصحيح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: رضوان: مصدر لفعل رضي يرضى، ورضوان من الله أكبر: جملة اسمية؛ تدل على الثبوت. مقارنة رضي الله عنهم، ورضوا عنه: ارجع إلى سورة آل عمران، آية (١٥)؛ لمعرفة معنى: رضوان.

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: أكبر من الجنات، والمسكن الطيبة، وجنات عدن، وكل ما فيها.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: ذلك: اسم إشارة، واللام: للبعد. هو: ضمير الفصل؛ يفيد التوكيد.



فلما كان هناك رضوان من الله أكبر من الجنات ناسب ذلك استعمال هو:
ضمير الفصل.

﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: أعظم أنواع الفوز، وليس هناك أفضل من الفوز العظيم.
ارجع إلى سورة النساء آية (٧٣) لمزيد من البيان في معنى الفوز العظيم وأنواع
الفوز أو درجاته والفروق.

لنقارن هذه الآيات الثلاثة من سورة التوبة:

﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ آية (٧٢): فيها تأكيد واحد: هو ضمير الفصل،
هذا الفوز أعظم من الفوز العظيم، ولكنه أقل درجة من ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ﴾.

﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ آية (٨٩): ليس فيها تأكيد؛ الفوز العظيم.

﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ آية (١١١): فيها تأكيدان: الواو + هو؛ الفوز
العظيم هذا: هو أعلى درجات الفوز، ويتضمن جنات تجري من تحتها الأنهار،
ومساكن طيبة، ورضوان من الله، والخلود فيها أبداً. انظر إلى السياق في الآيات
الأخرى؛ فهي أقل من ذلك.

فالآية (١١١): جاءت في سياق الجهاد في سبيل الله، ويقتلون، ويقتلون.

والآية (٨٩): جاءت في سياق الجهاد في سبيل الله، ولم يقاتلوا، أو يقتلوا

(كما حدث في تبوك... وغيرها).

والآية (٧٢): جاءت في سياق المؤمنين، والمؤمنات الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقىمون الصلاة، ويأتون الزكاة.

لنقارن الآية (٧٢) مع الآية (١٠٠) من سورة التوبة:

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾.

فقله تعالى في الآية (٧٢): ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: يشمل جنات، ومساكن طيبة، ورضوان من الله، وتجري من تحتها الأنهار.

١ - هذه أعلى منزلة من التي وردت في الآية (١٠٠)، والتي تخص السابقون الأولون، والذين اتبعوهم (ليس فيهم الأنبياء).

٢ - ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾: أفضل من: ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا﴾: تدل على الثبوت.

٣ - ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: جملة اسمية؛ أفضل من: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾: جملة فعلية تدل على تجدد الحدوث.



الْبَيْتُ الْعَاشِرُ

سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ
وَمَا وَبَّاهُمْ جَهَنَّمَ وَيَبْسُ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ
مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا الْكُفْرَ وَكَفَرُوا بِعَدَائِهِمْ
وَهُمْ أَوْبَاهُ الْمَنَالِ أَوْ مَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمْ
اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ
ءَاتِنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا ءَاتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ
﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا
اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَذَبُوا ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ
الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا
جَهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾



سورة التَّوْبَةِ [الآيات ٧٣ - ٧٩]

[٧٣] ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّيُّ جَهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنْفِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُشْرُ الْمَصِيرُ﴾:

﴿يَتَأْتِيَهَا النَّيُّ﴾: ارجع إلى الآية (٦٤) من سورة الأنفال؛ للبيان. والخطاب موجّه إلى أمته ﷺ.

﴿جَهْدُ الْكُفَّارِ﴾: جاهد بالقول والحُجَّة والقوَّة، الكفار: جمع كافر، والكفار: صيغة مبالغة، ولم يقل: الكافرين، الكفار: جمع تكسير؛ فهي تدل على أكثر عدد من الكافرين.

وكلمة الكفار: تشير عادة إلى عقيدة الكفر، والكافرين تشير إلى فعل الكفر، أو العمل.

﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾: جمع منافق: وهو الذي يظهر الإيمان والإسلام، ويبطن الكفر. ارجع إلى الآية (١٣٨) من سورة النساء؛ لمزيد من البيان.

﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾: الغلظة: الشدة بالإنذار، وخشونة الجانب، وعدم الرأفة، وعدم اللين معهم.

﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾: المأوى: مكان الاستقرار، والإقامة في الآخرة.

﴿جَهَنَّمُ﴾: اسم من أسماء النار؛ مشتق من الجهومة؛ أي: الشيء المرعب، والكريه المنظر، وقد تعني: بعيدة القعر.



﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: وبئس: من أفعال الذم، والمصير: النهاية؛ بئس النهاية، أو المنتهى والإقامة.

وقدّم الكفار على المنافقين في هذه الآية: التقديم هنا من حيث الزمن فالكفار جاؤوا قبل المنافقين، والتفاق ظهر في المدينة بعد الهجرة، أو بسبب كثرة الكفر مقارنة بالنفاق.

وقد يقدم النفاق على الكفر إذا كان سياق الآيات في المنافقين، وأعمالهم، وانتشار النفاق وكثرته؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

[٧٤] ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أَوِيَّا لَمْ يَبَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعْذِبْنَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾:

سبب النزول: كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه: المرجح أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم بغزوة تبوك؛ فذكر المنافقين الذين تخلفوا عن تبوك، وسماهم رجساً، وعابهم، وبعد ذلك قال الجلاس بن سويد: والله لئن كان محمداً صادقاً فيما يقول؛ فنحن أشرُّ من الحمير؛ فسمعه عامر بن قيس الأنصاري، وقال له: لقد صدق رسول الله ﷺ، وأنتم أشرُّ من الحمير، ولما عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة؛ قام عدد من المنافقين ليقتلوا عامر بن قيس؛ فلجأ إلى رسول الله ﷺ، وأخبره بما قال الجلاس، وكان من سادة قومه؛ فدعا رسول الله ﷺ الجلاس؛ فأنكر ما قاله، وحلف بالله أن ما قاله عامر بن قيس كذب، وعندها دعا عامر بن قيس الله أن ينزل على نبيه آية لتصديق الصادق، وتكذيب الكاذب؛ فنزلت هذه

الآية، واعترف الجلاس بما قاله، ثم تاب بعد ذلك وحسنت توبته، وتجاوزت هذه الآية إلى ذكر أشياء أخرى، منها: محاولة الفتك برسول الله ﷺ؛ كما سنرى. وقيل: نزلت في عبد الله بن أبيّ حين قال: رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعر منها الأذلّ؛ فحلف أنّه لم يقل ذلك، وهذا ما قاله قتادة.

وقيل: نزلت في بعض المنافقين الذين سبّوا رسول الله ﷺ، وطعنوا في الدّين، ثمّ حلفوا أنّهم لم يقولوا ذلك، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب، هذا ما قاله الضحاك.

﴿يَحْلِفُونَ﴾: أي: المنافقون؛ أمثال: الجلاس بن سويد، أو عبد الله بن أبيّ، والحلف يعني هنا: الأيمان الكاذبة.

﴿مَا قَالُوا﴾: ما: النّافية، قالوا: ولم يُبين، أو يذكر ما قالوا؛ لأنّه غير مهم، أو الذي قالوا من سبّ، أو طعن، أو كذب.

﴿وَلَقَدْ قَالُوا﴾: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾: لم يذكر الله سبحانه ما هي كلمة الكفر التي قالها المنافقون ترفعاً عن ذكرها، ولكي لا يردّها أحد، أو تذكر في كتاب الله الكريم، ولذلك لا داعي لمحاولة معرفتها، والتكهّن بها.

﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾: عادوا إلى الكفر بعد أن أظهرُوا، أو ادعوا الإسلام بالنطق بالشّهادة؛ أي: مجرد قول باللسان فقط.

﴿وَهُمُؤَايِمَاتٌ يَنْتَلُونَ﴾: وهمّوا على قتل الرّسول ﷺ، وكانوا (١٢) منافقاً، وكان ذلك عند العقبة، وفشلت مؤامرتهم لقتل النّبي ﷺ، ولم يتحقق ما هموا به، وقيل: كلّهم ماتوا، وهم على الكفر، ومحاربة الله ورسوله ﷺ.



﴿وَمَا نَقَمُوا﴾: الواو: استنافية، ما: النافية، نقموا: فيه تهكم عليهم، وتأکید الشيء بخلافه، وتعني: فليس هناك شيء بقي لهم؛ لينقموا: ليعتبوا، أو لا يرضوا بعد أن أغناهم الله، ورسوله من فضله؛ فقد كانوا كما قال ابن عباس ؓ قبل قدوم النبي ﷺ إلى المدينة في ضنك العيش فقراء؛ فلمّا قدم غنموا، وصارت لهم الأموال، وقيل: إنّ الجلاس بن سويد لما قُتل له غلام على يد المسلمين دفع له رسول الله ﷺ (١٢٠٠٠) درهم دية؛ فبدلاً من شكر الله وحده على ما فضل الله عليهم ورسوله؛ كفروا، ونقموا، وهموا بما لم ينالوا.

﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: إلا: أداة حصر، أن أغناهم الله ورسوله من فضله: ولم يقل: من فضلهم، ولكنه قال: من فضله؛ لأنّ الله سبحانه لا يُثنى مع أحد، ولو كان رسول الله ﷺ نفسه، والفضل يعود إلى الله وحده، وإن كان رسول الله سبباً لذلك الفضل.

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: للتوكيد، إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشك.

﴿يَتَرَبَّؤُا﴾: من التَّفَاق، ومما قالوه، وفعلوه.

﴿يَكُ﴾: ولم يقل: يكن، يك: للدلالة على أنّ هذه التوبة، ولو كانت بأقل الدرجات أفضل من كفرهم، ونفاقهم؛ فعسى الله أن يعفو عنهم حيث باب التوبة ما زال مفتوحاً أمامهم.

﴿وَإِنْ يَسْأَلُوا﴾: عن التوبة، والإيمان، ويعرضوا، ويصرخوا على التَّفَاق.

﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: ولي: القريب المعين الذي يكن لك المحبة، والمودة، ولا نصير: الذي ينقذه من العذاب، أو يشفع له، أو يدفع عنه العذاب، من: تفيد الاستغراق، والتوكيد.

[٧٥] ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِذَا آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾:

﴿وَمِنْهُمْ﴾: من المنافقين. من: ابتدائية، وتعني: المفرد، والمثنى، أو الجمع.

﴿عَاهَدَ اللَّهَ﴾: العهد: الوعد المقرون بشرط، والعهد: يقتضي الوفاء.

﴿لَئِذَا﴾: اللام: للتوكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال، والشك.

﴿آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ﴾: آتاهم: أعطاهم، وهناك فرق بين الإيتاء، والعطاء. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: أي: المال، والحرث، والأنعام.

﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾: اللام: للتوكيد، والتعليل، والنون: للتوكيد أيضاً. الصدقة: تعني: الزكاة الواجبة، أو صدقة النفل.

﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: ولنكونن: اللام: لام التعليل، والتوكيد، والنون: للتوكيد.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية بعضية.

﴿الصَّالِحِينَ﴾: أي: نعمل عمل أهل الصلاح، والخير؛ مثل: الإنفاق في الخير، والبر، والطاعات. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٠)؛ لمزيد من البيان في معنى الصالحين.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للتعقيب. لما: ظرف زماني متضمن معنى الشرط.

﴿آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾: آتاهم؛ أي: رزقهم رزقاً وافراً؛ زاد عما تعطيه



الأسباب، وقدرة الشخص؛ فهو رزق + فضل. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿مَنْ فَضَّلَهُ﴾: والفضل: هو الزيادة على الأجر؛ أي: رزقهم، وأغناهم من فضله، ومن دون استحقاق.

﴿بَحَلُّوا بِهِ﴾: والبخل: هو الامتناع عن العطاء.

﴿وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾: أعرضوا، وامتنعوا عن التصديق، والعمل الصالح الذي وعدوه، وطاعة الله ورسوله، وهم: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿مُعْرِضُونَ﴾: جمع معرض؛ أي: رافض، أو ناقض لعهد، ومعرضون: جملة اسمية؛ تدل على الثبوت؛ أي: ثبوتهم، واستمرارهم على الإعراض، والتولي.

[٧٧] ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾:

﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب. أعقبهم؛ أي: تلا ذلك، أو عاقبهم على نفاقهم بأن أسكن الله النفاق في قلوبهم إلى يوم القيامة.

فلا ينفك عنهم، ولا يمكنهم من التوبة؛ فيموتوا وهم على النفاق.

﴿نِفَاقًا﴾: هنا: نكرة يشمل كل أنواع النفاق: نفاق القول، والعمل... وغيرها.

﴿إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾: إلى يوم القيامة.

﴿بِمَا﴾: الباء: باء البدلية، أو السببية، أو التعليل. ما: حرف مصدري.

﴿أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾: ما: هنا اسم موصول؛ تعني: الذي وعدوه من الصدق، والعمل الصالح، ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَبِمَا﴾: تكرار بما: للتوكيد، وفصل كلاً منهما على حدة، أو كلاهما معاً؛ أي: بعضهم أخلف، وبعضهم كذب.

﴿يَكْذِبُونَ﴾ بما كانوا يكذبون أنهم مؤمنون، ومخلصون، أو إنهم لمنكم، وصدق رسول الله ﷺ حين قال - كما جاء في الصحيحين -: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان».

[٧٨] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾: الهمزة: للاستفهام، وتعني: ألم يكن عندهم علماً سابقاً، أو أولم يكن معروفاً لديهم سابقاً؛ أي: كان عندهم علم، وخبر، ومعروفاً سابقاً أن الله يعلم سرهم ونجواهم. ارجع إلى الآية (٦٣) من سورة التوبة؛ لمزيد من البيان.

﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾: السر: هو ما يسره الإنسان في نفسه، ولا يطلعه على أحد.

﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾: من النجوى: وهي ما تسربه للغير بوجود شخص آخر لا يعلم ما تسرون به. ارجع إلى النجوى في سورة المجادلة، آية (٧).

﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾: أن: للتوكيد، علام: صيغة مبالغة من فعل علم على وزن فعال عالم، عليم، علام.



﴿الْغُيُوبِ﴾: جمع غيب، والغيب: هو غاب، واستتر عن البشر، وما غاب في السماء، والأرض.

﴿عَلَّمُ﴾: لأنه هو خالق الغيوب، فلا الغيب يغيب عن علمه، ولا العالم المشهود. ارجع إلى سورة المائدة، آية (١٠٩)؛ لمزيد من البيان في علام الغيوب.

[٧٩] ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يعود على المنافقين.

﴿يَلْمِزُونَ﴾: من اللمز: وهو أن يعيب شخص على آخر، وهو غير حاضر، وأما الهمز: فهو أن يعيب شخص على آخر، وهو حاضر.

والعيب: يكون بالقول، أو الفعل، أو بالإشارة بالعين، أو الفم، أو اليد. يلمزون بصيغة المضارع بدلاً من لمزوا؛ لتدل على تجدد، وتكرر هذا الفعل، واستمرارهم عليه.

﴿الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾: المطوعين: جمع مطوع، أو متطوع. المتطوعون: المتبرعون، المتصدقون من المؤمنين، والمطوع: هو الذي يزيد على ما فرض الله عليه من جنس ما فرض، وهذا يسمى الإحسان، وهو نوعان: إحسان الكم، وإحسان الكيف.

يعيرون على المطوعين من المؤمنين في الصدقات: يعيرون على الفرض ما فرضه الله ورسوله؛ سواء كان المقدار قليلاً، أو كثيراً؛ فإذا كان المقدار كثيراً يقولون: جاء المطوع رياء، وإذا كان قليلاً يقولون عن صاحبه: بخيل.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: الجهد: هو الشيء القليل من المال؛ إلا

طاقاتهم، وما يقدرّون عليه من التّصدق، وجُهد المقل قدر ما يتحمّله حال القليل المال.

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾: السّخرية: استنقاص حق من يسخر منه، وفيها معنى الإذلال لمن يسخر منه، والتّسخير في الأصل التّذليل.

والسّخرية: تكون خاصّة بالأشخاص، أو أعمالهم، والسّخرية تدل على فعل قام به المسخور منه أولاً، ويسخرون بصيغة المضارع؛ للدلالة على حكاية الحال إحضار فعل السّخرية؛ كأنه يحدث الآن.

﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾: أي: جازاهم الله على سخريتهم، وهذا من باب المشاكلة في القول، أو أذلهم الله، وأنقص قدرهم، والله سبحانه غني عن السّخرية من أحد.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: لهم: اللام: لام الاستحقاق، والاختصاص.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: شديد الإيلام في الآخرة لا يطيقونه.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

الجزء العاشر

أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً
 فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ
 بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
 وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ
 أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا
 جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ
 مِنْهُمْ فَاسْتَعِذْ نَوَكًا لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ
 تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا
 مَعَ الْخَلَفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ
 عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ
 ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ
 بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا
 أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعِذْكَ
 أُولُوا الطَّلُوفِ مِنْهُمْ وَقَالُوا زَنَانًا كُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾

سورة التَّوْبَةِ [الآيات ٨٠ - ٨٦]

[٨٠] ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾
﴿أَسْتَغْفِرْ﴾: أمر؛ بمعنى: الخبر.

﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: تقديره: استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم؛
لن يغفر الله لهم.

﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: قيل: تعود على المنافقين الذين كانوا يلمزون المطوعين
من المؤمنين في الصدقات.

سبب نزول الآية: روي عن ابن عمر: سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي
رسول الله ﷺ، وكان رجلاً صالحاً: أن يستغفر لأبيه، أو قيل: جاء بعض
المنافقين؛ لما نزلت الآيات الفاضحة بشأنهم يعتذرون، ويطلبون من الرسول
الاستغفار؛ فجاء الرد من الله سبحانه بنزول هذه الآية.

فاستغفار النبي ﷺ للمنافقين، وعدمه سواء، والسبب واضح: ذلك بأنهم
كفروا بالله، ورسوله، وماتوا على ذلك.

﴿سَبْعِينَ مَرَّةً﴾: كانت السبعة عند العرب في السابق تعتبر نهاية العدد، وإذا
أرادوا الزيادة على السبعة يستعملون حرف عطف مثل سبعة، وثامنهم كلبهم، أو
يستعملون السبعين (٧٠)؛ للمبالغة، أو سبعمئة.

﴿فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾: فلن: الفاء للترتيب والتعقيب وتفيد التوكيد، لن: من
أقوى حروف النفي؛ ينفي المستقبل القريب، والبعيد؛ بأن الله لن يغفر لهم إذا لم
يتوبوا، ويرجعوا عن نفاقهم، وكفرهم.



﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾:

والسبب لعدم قبول الاستغفار:

﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: الباء: للإلصاق، والتعليل، وتفيد

التوكيد؛ جحدوا بالله، وآياته، ولم يعترفوا برسوله.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: لا يهدي القوم الفاسقين؛ الذين

هداهم الله إلى طريق الخير، والإيمان، ولكنهم رفضوا ذلك، واختاروا طريق
الفسق، والخروج عن طاعة الله ورسوله، والضلالة، والغى، وتمادوا في ذلك،
ولم يعد هنالك أمل في إصلاحهم.

لنقارن بين هذه الآية (٨٠): ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ
سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ﴾.

مع الآية (٦) من سورة المنافقون: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ
تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

فأية التوبة: لما نزلت وحددت سبعين مرة؛ ظنَّ رسول الله ﷺ أنه إذا زاد
عن السبعين قد يقبل الله؛ فجاءت الآية في سورة المنافقون بحسم الأمر: لن
يكون هناك استغفار مقبول لهم؛ مهما كان عدده، ونوعه إذا لم يتوبوا توبة صادقة،
أو توبة نصوحاً.

[٨١] ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلَفَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾:

﴿فَرِحَ﴾: الفرح: هو شعور النفس بالسُّرور، وهو فرح مذموم. ارجع

إلى سورة آل عمران آية (١٧٠) لبيان أنواع الفرح.

﴿الْمُخَلَّفُونَ﴾: منهم المنافقون، والذين تخلفوا، ولم يخرجوا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك، وبقوا في المدينة.

﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾: بقعودهم، المقعد: هو مكان القعود، والقعود يعني: البقاء في المكان.

﴿خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ﴾:

١ - خلاف: قد تعني: بعد خروج رسول الله ﷺ تصبح الآية: فرح المخلفون بمقعدهم بعد خروج رسول الله ﷺ إلى تبوك.

٢ - وخلاف: قد تعني: فرح المخلفون بمقعدهم مخالفة رسول الله ﷺ؛ أي: قعدوا لمخالفة رسول الله ﷺ.

٣ - وخلاف: قد تعني: أنهم تأخروا عن الجهاد.

وقد تعني كل هذه المعاني.

﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾: وقالوا: لا تنفروا في الحر؛ إذن: هم فرحوا أولاً بمقعدهم، وكرهوا الجهاد ثانياً، وثالثاً: لم يكتفوا بموقفهم المخزي، بل أخذوا يحرضون المؤمنين على عدم الخروج، والجهاد، والقتال في سبيل الله، وقالوا لبعضهم بعضاً: لا تخرجوا بسبب الحر الشديد؛ أي: إثارة للراحة، وعدم التعرض للحر الشديد، والشدة.

﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾: الله سبحانه علم ما قالوا لبعضهم بعضاً: لا تنفروا في الحر؛ فردّ عليهم: قل لهم يا محمد ﷺ نار جهنم أشد حراً. ﴿لَوْ﴾: شرطية.

﴿كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾: والفقه: الفهم؛ فهم الأحكام الشرعية؛ فالتدرج يكون كما يلي: التفكير، ثم التدبر، ثم الفقه، ثم العلم. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٨) للبيان المفصل في يفقهون.



[٨٢] ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾:

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾: الفاء: للتوكيد، واللام: لام الأمر، أو التعليل، ولم يقل: سيضحكون: كلام إخباري، وإنما: فليضحكوا جاء مؤكداً للضحك، ولا بد من أن يحدث في الدنيا، ولكنه قليل؛ فليضحكوا قليلاً في الدنيا.

﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، والبديلية، والسببية، وما: اسم موصول، أو مصدرية، وليبكوا كثيراً في الآخرة، واللام في ليبكوا: للتوكيد، وتعني: أما الزمن: أي: ليضحكوا وقتاً أو زمناً قليلاً في الدنيا، وليبكوا وقتاً أو زمناً كثيراً في الآخرة. وأما الحدث: أي: ليضحكوا ضحكاً قليلاً في الدنيا، وليبكوا بكاءً كثيراً في الآخرة، وقد تعني كلاهما.

﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: في الدنيا من الذنوب، والسيئات، والكسب عادة يستعمل للחסنات (للحلال).

والاكتساب يستعمل للسيئات (للحرام). ارجع إلى الآية (٢٨٦) من سورة البقرة؛ للبيان لماذا استعمل يكسبون.

[٨٣] ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْنُوكَ لِخُرُوجٍ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخُلَفَاءِ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب. إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشك.

﴿رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾: رجعت: ولم يقل: رجعت، رَجَعَكَ: الفاعل هنا هو الله سبحانه؛ أما رجعت: فالفاعل هو محمد ﷺ؛ فقله: رجعت: تدل على أن الأمر بيد الله تعالى، ولا خيار لك. رجعت الله؛ أي: قدر لك الرجوع بعد غزوة تبوك إلى طائفة منهم؛ طائفة من المخلفين (المنافقين)؛ الذين لم يتوبوا بعد رجوعك إلى المدينة، واستمروا على نفاقهم.

﴿فَاسْتَعِذَّ نُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾: طلبوا منك الإذن لهم؛ ليخرجوا معك في الغزوات القادمة.

﴿فَقُلْ لَنْ نَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾: الفاء: للتوكيد، قل لهم: لن حرف نفي للمستقبل القريب والبعيد، تخرجوا معي أبداً: أبداً للتوكيد، تخرجوا معي للجهاد، ولن تقاتلوا معي عدواً.

﴿إِنْ كُمْرَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: إنكم: للتوكيد، رضيتم بالقعود أول مرة (بعدم الخروج لتبوك). قيل: كانوا (١٢) رجلاً.

﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخُلَفَاءِ﴾: ولم يقل: مع المخلفين. الفاء: للتوكيد؛ اقعدوا مع الخالفين: تختلف عن المخلفين؛ لها معانٍ عدة:

الأول: الخالفين من النساء، والصبيان، والمرضى: الذين تخلفوا، ولم يستطيعوا الخروج.

ثانياً: الذين تخلفوا لأعذار.

ثالثاً: المخالفين الفاسدين؛ لأنهم خالفوا رسول الله ﷺ.

[٨٤] ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تُقَمِّعْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾:

سبب النزول: نزلت في شأن عبد الله بن أبي زعيم المنافقين؛ حين مرض جاء ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي إلى رسول الله ﷺ الذي أسلم، وحسن إسلامه طالباً من رسول الله أن يعطيه قميصه حتى يكفن فيه أباه؛ فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه؛ فقام ليصلي عليه، ويستغفر له عندها وقف عمر بين رسول الله ﷺ والقبلة؛ حتى لا يصلي، ونزلت هذه الآية؛ كما روي عن ابن عمر ؓ. أخرجه البخاري.

ووافق الوحي موقف سيدنا عمر في عدم الصلاة على عبد الله بن أبي،



وكذلك وافق الوحي سابقاً رأي سيدنا عمر في أسارى بدر، ووافقه في اتخاذ مقام إبراهيم مصلًى؛ حيث كان يقول لرسول الله ﷺ: لو اتخذت مقام إبراهيم مصلًى. أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس.

﴿وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾: كان إذا دفن الميت، وقف على قبره، ودعاه له، أو السلام عليه، أو الوقوف على القبر لدفنه؛ فمُنِع في هذه الآية أن يقيم على قبر أي منافق ويدعو له.

﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾: إنهم: إن: للتوكيد؛ كفروا بالله ورسوله؛ هذا تعليل للنهي، ولم يقل: وماتوا وهم كافرون، وماتوا وهم فاسقون، وصفهم بالفسق بعد أن وصفهم بالكفر؟؟ والكفر أعظم من الفسق؛ فكيف يكفر، ثم يموت وهو فاسق؟

إذا قلنا: كفروا بالله ورسوله؛ أي: هم غير مسلمين أصلاً، وفاسقون؛ أي: خارجون عن الإسلام، ولم يتوبوا، وماتوا وهم على ذلك، وقد تعني: ذكر الخاص بعد العام، العام: هو الكفر، والفسق: هو الخاص.

[٨٥] ﴿وَلَا تَعْبَجْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾:

ارجع إلى الآية (٥٥) من سورة التوبة؛ للبيان، والمقارنة.

[٨٦] ﴿وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعَاذَكَ أُولُوا الطَّلُوفِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية؛ تفيد حتمية الحدث، وكثرته.

﴿أَنْزَلْتَ سُورَةً﴾: تحض على الجهاد في سبيل الله.

﴿أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾: أن: تفيد التوكيد، آمنوا بالله؛ أي: أخلصوا دينكم، آمنوا بالقلب، واللسان، آمنوا بالله إيمان عقيدة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨).



﴿وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ﴾: بالمال، والأنفس، واخرجوا معه.

﴿اسْتَعِذْكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾: طلبوا (الألف، والسين، والتاء؛ تعني: طلب الإذن، والسّماح لهم)، طلب أولو الطّول: الأغنياء الذين يملكون المال، والعدة، والقدرة على الجهاد.

﴿ذَرَّانَا كُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾: ذرنا: اتركنا مع القاعدين: العجزة، والمرضى، والخالفين.

ما هو الفرق بين القاعدين، والخالفين؟

القاعدين: ليس لهم القدرة على القتال؛ كالمريض، والأطفال، والنساء، والعجزة من الرجال.

الخالفين: لهم القدرة على القتال، ولكنهم انتحلوا الأعذار الكاذبة؛ للسماح لهم بالقعود مع الخالفين.

الخالفين: الذين تخلفوا من دون عذر، أو تعني: المخالفين لرسول الله ﷺ؛ أي: العاصين.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

الْبَقَرَةُ

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا انْصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَعَيْنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾



سورة التَّوْبَةِ [الآيات ٨٧ - ٩٣]

[٨٧] ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾:

﴿رَضُوا﴾: قبلوا، أو اكتفوا.

﴿بِأَنْ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد؛ أن: حرف مصدري؛ يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾: الخوالف: جمع خالفة، والخوالف: النساء، القاعدات، المقيمات في البيوت بعد رحيل الرجال.

﴿وُطِبِعَ﴾: مبني للمجهول يناسب قوله تعالى: وإذا أنزلت سورة: مبني للمجهول.

﴿وُطِبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: بحيث لا يدخل قلوبهم ذرة من الإيمان، ولا يخرج منها ذرة كفر. قلوبهم أصبحت كالحجارة، أو أشد قسوة، وطبع على قلوبهم: الفاعل ضمير مبني للمجهول مقارنة بقوله: وطبع الله على قلوبهم الفاعل هو الله سبحانه؛ فحين يقول: وطبع الله على قلوبهم: أشد، وأقوى، وأسوأ حالة من قوله: وطبع على قلوبهم، والطبع كما نعلم أشد من الختم؛ لأن الختم قد يُفك، والطبع لا يفك. وإذا قارنا هذه الآية (٨٧) مع الآية (٩٣) من نفس السورة نجد أن السياق في الآية (٩٣) جاء في الذين أشد ضللاً وكفراً، وهم من الأغنياء الذين لم يخرجوا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك.



﴿فَهُمْ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد.

﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾: لا: النافية؛ فهم لا يفقهون: الفقه: هو الفهم، واصطلاحاً: هو معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية القرآن والسنة والإجماع والقياس وغيرها؛ أي: لم يفهموا ما في جهادهم مع رسول الله من الأجر العظيم. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٨) لمزيد من البيان.

[٨٨] ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾:

﴿لَكِنَّ﴾: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿الرُّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾: أي: وإن تخلف هؤلاء عن الخروج، فلا يهم ذلك، ولا تكثر بهم، ما دمت قد خرجت أنت، والذين آمنوا معك للجهاد في سبيل الله.

﴿وَأُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، بُعد منزلتهم، ومكانتهم في الآخرة.

﴿هُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿الْخَيْرَاتُ﴾: جمع الخيرة، لهم الخيرات في الدارين: الدنيا والآخرة.

﴿وَأُولَئِكَ﴾: تكرار أولئك: يفيد التوكيد.

﴿هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾: هم: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد. المفلحون: الناجون من النار، والفائزون بالجنة؛ الفائزون حقاً، بل هم في طليعة الفائزين. ارجع إلى الآية (٥) من سورة البقرة؛ للبيان.

[٨٩] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:

هذه الآية قد تكون تفسيراً للخيرات، والفلاح في الآخرة، أما في الدنيا: فتشمل النصرة، والمعونة، والغنى... وغيرها.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ﴾: هياً، وجَهَّزَ الله لهم.

﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: جنات: حدائق، وبساتين فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كما ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة . ارجع إلى الآية السابقة (٧٢)؛ لمزيد من البيان.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: من: تعني: تنبع من تحت هذه الجنات الأنهار. أما تجري تحتها، كما ورد في الآية (١٠٠) من نفس السورة؛ أي: تمر تحتها الأنهار التي تنبع من أماكن أخرى.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: الخلود هو استمرار البقاء إلى ما لا نهاية، ويبدأ من زمن دخولهم الجنات.

﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: ذلك: اسم إشارة، واللام: للبعد، الفوز العظيم لا يعادله فوز. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٣) لمزيد من البيان في معنى الفوز وأنواعه أو درجاته، ارجع إلى الآية (٧٢) من سورة التوبة؛ للمقارنة.

[٩٠] ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾: لفهم هذه الآية لا بد من معرفة: أن المنافقين قسمان: قسم كان يعيش في المدينة، وسبق الحديث عنهم، وقسم كان يعيش خارج



المدينة، كانوا يسمون الأعراب؛ لقوله سبحانه: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَىٰ النَّفَاقِ﴾؛ فهذه الآية تتحدث عن هؤلاء الأعراب المنافقين الذين كانوا يسكنون خارج المدينة في البوادي، والصحراء.

﴿وَجَاءَ﴾: الواو: استئنافية. جاء: فعل ماض، وجاء تدل على صعوبة في المجيء بعكس أتى التي تدل على سهولة المجيء.

﴿الْمُعْذِرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾: بفتح العين، وتشديد الدال: جمع مُعْذِرٌ: وهو الذي يعتذر، وليس له عذر حقيقي؛ فهو يفتعل، أو يخلق العذر؛ أي: هو كاذب، عذره غير صحيح.

بينما المُعْذِرُونَ: بسكون العين جمع مُعْذِرٌ: هو الذي يعتذر بعذر حقيقي صحيح، والمُعْذِرُونَ لهم عذر واحد فقط.

أما المُعْذِرُونَ: بسكون العين جمع معتذر: هو الذي يعتذر بعدة أعذار حقيقية صحيحة؛ أي: عنده أكثر من عذر.

وجاء المُعْذِرُونَ من الأعراب: الأعراب: اسم جنس، وهم البدو الذين يسكنون الصحراء، أو خارج المدن، والقرى، والواحد أعرابي، وهم يشتهرون بشدة وغلظة الطباع التي تماشي طبيعة الصحراء القاسية.

أما العرب: فهم الذين يعيشون في المدن، والقرى، وعندهم حضارة، وأسهل معايشة من الأعراب.

المُعْذِرُونَ: بفتح العين، وتشديد الدال وفتحها: إذن جاء الأعراب الذين يتحلون الأعذار الكاذبة.

﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾: اللام: لام التعليل، والتوكيد. ليؤذن لهم: بالعودة، وعدم الخروج للجهاد، جاؤوا إلى رسول الله ﷺ؛ ليؤذن لهم، وقعد الذين كذبوا الله ورسوله؛ هؤلاء صنف آخر من الأعراب المنافقين الذين لم يكثرثوا، أو يهتمهم لا الخروج في سبيل الله، ولا الجهاد، ولم يفكروا حتى بأي عذر ليس عندهم نية بالاعتذار؛ حتى ولو كان كذباً؛ مما يدل على تكبرهم؛ فهم الأسوأ على الإطلاق؛ فهم كذبوا في إيمانهم.

﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: السين: للاستقبال القريب؛ سيصيب الذين كفروا منهم: من الأعراب منهم خاصة لا غيرهم: عذاب أليم قريب في الدنيا بالقتل، والسبي، والتشريد، والفضيحة، وفي الآخرة: عذاب النار. [٩١] ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: ﴿لَيْسَ﴾: أداة نفي؛ لنفي الحال، والاستقبال، وليس مقيدة بزمن.

﴿عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾: العجزة، والشيوخ، والنساء، والصبيان.

﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾: الواو: عاطفة، لا: لتأكيد النفي، المرضى: بمرض حاد، أو مزمن؛ مثل: السكري، والتهاب المفاصل، وكذلك الأعمى، والأعرج.

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾: ولا: لتأكيد النفي؛ نفي الحرج: وهو الإثم، أو الذنب على كل هؤلاء، وكذلك الفقراء: ليس عليهم إثم، أو ذنب في عدم الخروج للجهاد في سبيل الله، أو الإنفاق في سبيل الله (أي: الجهاد).



﴿إِذَا﴾: شرطية؛ تفيد الحتمية، والخرج في القرآن له ثلاثة معانٍ:

١ - الضيق.

٢ - الإثم، أو الذنب.

٣ - الشك.

﴿نَصَحُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: النصح لله ورسوله هنا؛ يعني: حضّ الآخرين القادرين على الجهاد بالخروج، والإنفاق، أو معاونة أهل المجاهدين بعد الخروج، ومحاربة أكاذيب المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج، ودحر إشاعاتهم، وإطاعة النبي ﷺ، وتصديقه.

﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: ما: النافية، على المحسنين: سمّى هؤلاء الضعفاء، والمرضى، والفقراء الذين نصحوا لله، ورسوله محسنين إذا قاموا بما يستطيعون من جهد؛ فهم كأنهم اشتركوا في الجهاد.

﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾: من ابتدائية استغراقية. من سبيل: من عقوبة، أو لوم، أو توبيخ، أو إثم، أو ذنب.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لهؤلاء غفور: كثير المغفرة، لهم وأمثالهم، رحيم في التوسعة عليهم؛ فلا يكلفهم ما لا طاقة لهم به، وأثابهم ثواب المحسنين.

[٩٢] ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾:

ليس على الضعفاء، ولا على المرضى، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون، ولا على الذين إذا ما أتوك.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية؛ تفيد الحتمية.

﴿أَتَوْكَ﴾: لم يقل: جاؤوك؛ لأنهم أتوا وهم يتطلعون إلى الخروج للجهاد؛ قلوبهم مطمئنة صافية أتوك بسهولة، ولم يجدوا في أنفسهم حرج، أو مشقة.

﴿لِتَحْمِلَهُمْ﴾: اللام: لام التعليل؛ أي: لم يجدوا وسيلة نقل، أو ركوب (أي: دواب): للخروج للجهاد معك؛ أي: سألوا رسول الله ﷺ أن يحملهم على الدواب؛ فكان الجواب: لا أجد ما أحملكم عليه.

﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ﴾: أي: لم تجد لهم من الدواب ما تحملهم عليه، وسُمُّوا البكائين، واختلف في عددهم، وأسمائهم. قيل: كانوا ستة، أو سبعة، وكانوا من أشد الفقراء، وليس المهم الأسماء، والعدد، وإنما النية، والقصد.

فكان على المجاهد: أن يعول نفسه في الذهاب، والإقامة مدة الحرب، وأن يجد له وسيلة النقل، وعنده ما يكفيه لعائلة كل ذلك؛ فإذا لم يقدرُوا على ذلك إذن تكون وظيفتهم أخرى: وهي النصح لله ورسوله.

﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾: أي: تفيض دمعاً؛ كأن العين كلها دمع فائض من كثرة بكائهم، وحزنهم؛ أي: رجعوا من عندك بعد أن أخبرتهم بالخبر الحزين: أنهم لا يستطيعون الخروج معك؛ لعدم توافر الراحلة.

والفيض: الانصباب بغزارة؛ لشدة حزنهم؛ لعدم الاستطاعة على الخروج،
حزناً ألا يجدوا ما سينفقون.

﴿حَزَنًا﴾: حَزَنًا بفتح الحاء، وهناك الحُزْن بضم الحاء، وهناك فرق بينهما.
فالحَزَن: لا ينتهي، ولا ينقضي، كما هو الحال في الحُزْن الذي سرعان ما
ينتهي، وينقضي، وهذا يدل على أنهم حزنوا حزنًا شديدًا طويلاً طويلاً الأمد حتى
ماتوا وهم عليه.

﴿أَلَا﴾: أصلها: أن لا. أن: حرف مصدرى؛ يفيد التعليل، والتوكيد، ولا:
النافية.

﴿أَلَا يَحِذُّوْا مَا يُنْفِقُوْنَ﴾: لماذا لم يقل: ألا يجدوا ما يركبون؟ هم أتوك
لتحملهم، ما ينفقون تدل على كونهم فقراء ليس عندهم من مقومات الخروج؛
حتى الزاد، وما ينفقون تشمل: الطعام، والراحلة.

[٩٣] ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِذُّوْنَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ
الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:
﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿السَّبِيلُ﴾: الذنب، والإثم، واللوم، والتوبيخ، والعقوبة.
﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِذُّوْنَكَ﴾: على الذين؛ أي: واقع على الذين يطلبون
الإذن بالتخلف، والبقاء في المدينة، وعدم الخروج.

﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾: هم: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد، أغنياء: عندهم المال،
وعندهم ما يحملهم، وعندهم الطعام، والزاد، وكل شيء يحتاجونه.



﴿رَضُوا﴾: الرضا: هو اطمئنان القلب إلى أمر فيه نفع.

﴿بِأَن يَكُونُوا﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد. اختاروا عدم الخروج، وقبلوا أن يكونوا في عداد الخوالف (النساء).

﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: جاءت بالتصريح باسم الفاعل، وهو الله سبحانه الفاعل. بينما في الآية (٨٧) من نفس السورة، قال تعالى: ﴿وُطِّعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: مبني للمجهول. ارجع إلى الآية السابقة (٨٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿فَهُمْ﴾: الفاء: للتوكيد، هم: ضمير فصل لزيادة التوكيد.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: تعود على الأغنياء؛ فهم لا يعلمون كما علم البكاؤون، ولو علموا كما علم البكاؤون؛ لما تخلفوا عن الخروج لحظة واحدة؛ نفى العلم عنهم، ونفى العلم أسوأ من نفي الفقه؛ أي: لا يعلمون أسوأ من لا يفقهون؛ لأنّ العلم، أو لكي تتعلم تحتاج إلى فهم؛ فعندما نفى العلم عنهم؛ فهو قد نفى أيضاً الفهم (الفقه)؛ فقلوه: فهم لا يعلمون؛ أي: لا يفقهون، ولا يعلمون، وكذلك لا يعلمون؛ تعني: لا يفهمون بذواتهم، ولا يفهمون ما يقوله الغير لهم بشأن إصلاحهم، وتقواهم، أو محاولة تعليمهم.



الجزء الثاني عشر

سورة التوبة ٩

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا
لَنُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى
اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ
بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا
عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ
تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا
حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ
الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ
عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ
مَا يُنْفِقُ قُرْبَىٰ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَىٰ
لَّهُمْ سَيَدْخِلُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

سورة التَّوْبَةِ [الآيات ٩٤ - ٩٩]

[٩٤] ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾: هذا إخبار من الله لرسوله، وللمؤمنين عن المنافقين حين ترجعون من تبوك سيحاولون الاعتذار إليكم، ولذلك قال رسول الله ﷺ للصحابه: «لا تكلموهم، ولا تجالسوهم».

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾: الذي يعتذر هو من يُبدي كلاماً ليخرجه من دائرة اللوم، والتوبيخ على قول أو فعل صدر منه مظنة أنه ذم؛ فيطلب منه الصّفح.

﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾: ظرفية، زمانية؛ للاستقبال. رجعتم إليهم: أي: بعد رجوعكم من تبوك إلى المدينة.

﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا﴾: قل لهم يا محمد ﷺ، والخطاب كذلك موجه إلى المؤمنين: لا: النّاهية. تعتذروا: بأيّ عذر؛ لأنّه:

﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾: لن: النّافية؛ للاستقبال القريب، والبعيد، وهي من أقوى حروف النفي؛ أي: لن تؤمن لكم قريباً، أو بعيداً، تؤمن لكم: لن نصدقكم مهما قلتم، أو اعتذرتم.

﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد (قد ثبت وتحقق): أن الله نبأ رسوله ﷺ عن طريق الوحي عما فعلتموه، أو قلموه في غيابنا عنكم.



إذن: علّة النهي عن الاعتذار لن تؤمن لكم؛ أي: لن نصدقكم.
وعلة عدم تصديكم؛ لأنّ الله نبأنا عن أخباركم.

وبعد أن رفض رسول الله ﷺ الاستماع إلى أذارهم عندها أخبرهم بأنّ الله قد أخبره بما يخفوه في صدورهم من النفاق، والكذب، وقال لهم: ﴿وَسِيرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَسِيرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾: السّين: للاستقبال القريب، سيرى الله عملكم: أتتوبون إلى ربكم وتنبئون إليه، وتستغفرونه؟ أم تستمرون على نفاقكم، وكفركم.

﴿وَرَسُولُهُ﴾: أي: وسيرى الرسول من خلال إعلام الله له بطريق الوحي، ولم يقل: والمؤمنون؛ لأنّ المؤمنين لا يرون أعمال المنافقين القلبية الخفية؛ مثل: النفاق، والكفر.

﴿ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: ثم: للترتيب، والتراخي. تردّون: من الرد، والرد يكون ليس بإرادتكم، واختياركم؛ تردّون بعد بعثكم يوم القيامة.

﴿إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ﴾: الغيب: هو كل ما غاب، واستتر عن البشر، ما غاب من السّماء، والأرض؛ فهو يعلم، وعالم، فلا يغيب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.

﴿وَالشَّهَادَةِ﴾: ارجع إلى الآية (١٠٥)؛ للبيان.

﴿فَيُنَبِّئُكُمْ﴾: الفاء: تعليلية. ينبئكم: يخبركم.



﴿يَمَّا﴾: الباء: للإلصاق. ما: اسم موصول؛ بمعنى الذي، أو مصدرية.
 ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: العمل: يضم القول، والفعل؛ أي: يخبركم بأقوالكم،
 وأفعالكم في الدنيا. ارجع إلى الآية (١٠٥)؛ للبيان، ومعرفة الفرق بين الآيتين
 (٩٤، و١٠٥).

[٩٥] ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُعْزِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ
 رَجِسٌ وَمَا وَنُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾:

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾: السّين: للاستقبال القريب، وتدل على أنّهم لم يحلفوا
 بعد، وسيحلفون بعد انقلا بكم إليهم؛ أي: بعد عودتكم إليهم؛ أي: رجوعكم إلى
 المدينة من تبوك.

﴿انْقَلَبْتُمْ﴾: من الانقلاب: وهو الرجوع لا إلى ما كان عليه من قبل،
 ولكن لحالة مختلفة لا تشابه الحالة الأولى؛ أي: ما قبل الحدث. أما الرجوع؛
 يعني: الرجوع إلى الحالة الأولى التي كان عليها قبل الحدث؛ أي: نفسها؛ مثال:
 انقلب الطّين خزفاً؛ رجع الطّين طيناً.

﴿لِنُعْزِضُوا عَنْهُمْ﴾: اللام: لام التّعليل، تعرضوا عنهم؛ أي: لتركوهم، ولا
 تعاتبوهم، ولا تؤنبوهم، أو توبخوهم على ما فعلوا.

﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾: الفاء: للتّرتيب، والمباشرة؛ فأعرضوا عنهم؛ أي:
 استجيبوا لما طلبوه، وأعرضوا عنهم.

﴿إِنَّهُمْ رَجِسٌ﴾: تعليل لترك معاتبهم، وتوبيخهم. إن: للتوكيد.

﴿رَجِسٌ﴾: أي: هم القذارة، والنّجاسة عينها، والخبث، والرّجس قد يعني:
 الكفر، والشّرك، ويعني هنا: النّجاسة المعنوية، أو هم نجس، كما قال سبحانه:



﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ نفس السورة آية (٢٨)، والرجس أعم وأوسع معنى من الرجز، ولمعرفة الفرق بين الرجس والرجز ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٩).

﴿وَمَا أُوْنَهُمْ جَهَنَّمُ﴾: مصيرهم إلى جهنم في الآخرة. المأوى: مكان استقرارهم، وإقامتهم في الآخرة هي جهنم.

﴿جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: جزاء بما كانوا يكسبون في الدنيا من المعاصي، والآثام، وسمّاه كسباً، وليس اكتساباً؛ لأنهم داوموا على فعل النفاق، والمعاصي؛ حتى أصبحت مهنتهم، أو حرفتهم، واعتادوا عليها؛ فأصبح ارتكابها سهلاً، كما يحصل عند كسب الحسنات. ارجع إلى الآية (٢٨٦) من سورة البقرة؛ للبيان.

[٩٦] ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾:

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾: يحلفون لكم الأيمان الكاذبة؛ لأن رسول الله ﷺ أمر صحابته بأن لا يكلموا الذين تخلفوا عن تبوك، ولا يجالسوهم. ﴿لَكُمْ﴾: خاصة، وليس لغيركم.

﴿لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾: اللام: لام التعليل؛ أي: علّة الحلف بالإيمان الكاذبة: هي أن ترضوا عنهم؛ أي: تقبلوا ما فعلوه من التخلف، ولا تؤاخذوهم ولا تعاتبوهم، والرضا كما قلنا سابقاً: هو اطمئنان القلب إلى أمر فيه نفع.

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: للتوكيد. إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال والشك.

﴿تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾: على سبيل الافتراض وتنسون ما فعلوه من التخلف، وتصفحوا عنهم.

﴿فَاتَّكَفَّ اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾: الفاء: للتوكيد. إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشك.

﴿لَا يَرْضَىٰ﴾: لا: النافية؛ أي: إن رضيتم عنهم، فليس لرضاكم فائدة، ولا يهْم؛ لأن رضا الله سبحانه هو وحده المهم، والمقبول.

﴿عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾: الفاسقين: جمع فاسق؛ أي: الخارجين عن طاعة الله، ورسوله، وعن الدين باختيارهم، ومن دون إكراه. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٦)؛ لمزيد من البيان.

[٩٧] ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿الْأَعْرَابُ﴾: مجموعة من البشر اتصفوا بنقص في الدين والإيمان، ولا يعني سكان البادية، كما يظن بعض المفسرين، ولا يجوز القول أن كل سكان البادية كفار؛ فهم قوم ذمهم الله، وكانوا أشد كفراً من غيرهم أينما وجدوا، وكانوا لا يعرفون حدود الله، وفرائضه.

﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾: أجدر بترك العلم، أو من المتوقع منهم ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله؛ لكونهم بعيدين عن منابع العلم، أو حضور دروس العلم.

﴿أَلَّا﴾: أن لا يعلموا. أن: مصدرية؛ تفيد التعليل. لا: الناهية.

﴿حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾: من الحلال، والحرام، والطلاق، والزواج، والردة، والحاربة، والقتل، والسَّرقة. الحدود: هي الفرائض، والأوامر، والنواهي التي يجب عدم تجاوزها، أو الاقتراب منها.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بما شرع، وبما أنزل على رسوله، وعليم: بأقوالهم، وأفعالهم، وأحوالهم، ومصادر علمهم.

﴿حَكِيمٌ﴾: من الحكمة؛ فهو أحكم الحكماء، وهو أحكم الحاكمين، فلا يشرع إلا بحكمة، وبما أنه هو الحاكم؛ فيجب عدم مخالفة حدوده، وأوامره.

[٩٨] ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَمِنَ﴾: من: الابتدائية، وتفيد البعضية؛ أي: بعض الأعراب الذين دخلوا في الإسلام.

﴿مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾: من هذه اسم موصول؛ بمعنى: الذي يعتبر الزكاة، أو الصدقة حين يعطيها غرامة؛ أي: خسارة، والغرم: التزام ما لا يلزم؛ فهو يعطيها، وهو مجبر، أو كاره، أو يعطيها خوفاً، أو رياءً، ولا يؤمن بثوابها، وأنها تطهير، ونماء للمال.

﴿وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾: يتربص: من التربص: وهو الانتظار بحذر، وترقب يتربص دوائر الموت، أو القتل: أن تحل بكم حتى لا تأخذوا منه تلك الغرامة.

﴿الدَّوَائِرَ﴾: جمع دائرة: مصيبة؛ مثل: الموت، والقتل، والمكروه.

﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾: دعاء معترض دعا الله عليهم بنفس ما دعوا به أنفسهم، والسوء: هو الذم، والسوء: كل ما يسيء إلى النفس.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: سميع لما يقولون، ويتناجون، ويسرون، عليم: بأعمالهم (أقوالهم + أفعالهم)، وما يسرون في أنفسهم، وما يقولونه لغيرهم.

[٩٩] ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ

قُرِئَتْ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْآنٌ لَهُمْ سَيَدْخِلُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنْ أَلَّ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾:

الصَّنْفُ الْآخِرُ: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: إيمان تصديق، وعقيدة، ويؤمن بالبعث، واليوم الآخر، والحساب.

﴿وَيَتَّخِذُوا يَنْفِقُ قُرِئَتْ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: هذا الصَّنْفُ مِنَ الْأَعْرَابِ يَعْتَبِرُ مَا يَنْفِقُ مِنْ زَكَاةٍ، أَوْ صَدَقَةٍ: أَنَّهَا قُرْبَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ: جَمْعُ قَرِيبٍ، وَالْقَرِيبُ: يَعْنِي: شَيْءٌ يَقْرِبُهُ إِلَى رِضَا اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ.

﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾: دَعَائِهِ، وَاسْتِغْفَارُهُ لَهُ؛ فَهُوَ يَعْتَبِرُهَا شَيْءٌ يَقْرِبُهُ إِلَى اللَّهِ، وَكَذَلِكَ تَجْعَلُ الرَّسُولُ يَدْعُو لَهُ حِينَ تَصِلُهُ زَكَاتُهُ؛ أَيْ: طَمَعًا فِي دَعَوَاتِ (صَلَوَاتِ) الرَّسُولِ، وَاسْتِغْفَارِهِ.

﴿سَيَدْخِلُ اللَّهُ﴾: السَّيْنُ: لِلْإِسْتِقْبَالِ الْقَرِيبِ. فِي رَحْمَتِهِ: فِي جَنَّتِهِ، أَوْ رَحْمَتِهِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ مِنَ الدَّخُولِ فِي الْجَنَّةِ، فَرَحْمَةُ اللَّهِ بَاقِيَةٌ، وَخَالِدَةٌ بِقَاءً ذَاتُ اللَّهِ.

﴿إِنْ أَلَّ اللَّهُ﴾: إِنْ: لِلتَّوَكُّيدِ.

﴿غَفُورٌ﴾: صِيغَةٌ مَبَالِغَةٌ كَثِيرُ الْغَفْرَانِ؛ يَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، وَمَهْمَا عَظُمَتْ، أَوْ كَثُرَتْ.

﴿رَحِيمٌ﴾: لَا يَعْجَلُ لَهُمُ الْعَذَابُ؛ لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ، يؤكد الله سبحانه بأنه سيدخلهم في رحمته بعد أن يغفر لهم ذنوبهم أولاً.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

الْمُرَّةِ الْاِثْنَاءِ عَشْرَةَ

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ
 اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ
 لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
 ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ
 مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ
 نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ
 عَظِيمٍ ﴿١١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا
 وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾
 خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ
 إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ
 اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٤﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ
 وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ
 اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٦﴾



سورة التوبة [الآيات ١٠٠ - ١٠٦]

[١٠٠] ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:

المناسبة: بعد ذكر المنافقين، والأعراب: ينتقل إلى ذكر بقية أصناف الناس؛ فيذكر صنفين: هما المهاجرين، والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان.

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾: قيل: هم الذين صلوا إلى القبلتين، أو الذين شهدوا بدرًا، وشهدوا بيعة الرضوان، أو هم الذين سبقوا إلى الإيمان من المهاجرين (من أهل مكة)، والأنصار الذين سبقوا إلى الإيمان من أهل المدينة.

﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ﴾: أي: من التابعين، وتابع التابعين إلى يوم القيامة.

﴿اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد. بإحسان: في العبادات، والطاعات، والإيمان. ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة؛ لبيان معنى الإحسان.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾: جميعاً، وقبل طاعتهم، وإيمانهم، وتجاوز عن سيئاتهم.

﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾: بما أتاهم من فضله، ونعمه.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾: وأعد؛ أي: هيأ، وجهّز، وبنى



لهم جنات تجري تحتها الأنهار، وأعد: جاء بصيغة الفعل الماضي، وأن الإعداد انتهى، وتم مع كونه يكون يوم القيامة؛ لأن الزمن ماضيه، وحاضره، ومستقبله عند الله واحد؛ فهو سبحانه خالق الزمان، والمكان.

﴿تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾: ولم يقل من تحتها، وهذه هي الآية الوحيدة في القرآن التي جاءت بدون من تحتها لا تنبع الأنهار من تحتها، وإنما تأتيها وتمر تحتها بدون أن تتفجر، أو تنبع، وقيل: هي أقل منزلة، وأقل درجة من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار. ارجع إلى الآية (٨٩)؛ للبيان، والمقارنة.

﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: ارجع إلى سورة النساء آية (٧٣) لبيان معنى الفوز وأنواعه أو درجاته، وارجع إلى الآية (٧٢)؛ للبيان، والمقارنة.

[١٠١] ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَعَدَ بِهِمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾:

المناسبة: في الآية (٩٧-٩٨-٩٩): ذكر أصناف الأعراب الذين يعيشون في البادية، والصّحراء؛ بعيدين عن المدن، والقرى، ونوعية إسلامهم، وإيمانهم. ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين، والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، والآن يذكر بقية الأعراب الذين يسكنون حول المدينة المنورة، ومكة، وداخل المدينة المنورة، أمثال: قبائل جهينة، ومزينة، وأسلم، وأشجع، وغفار.

فيقول سبحانه: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾: منافقون: جمع منافق: هو الذي يظهر الإسلام، أو الإيمان، ويبطن الكفر. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٣٨)؛ لمزيد من البيان.

﴿مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ﴾: ترجع إلى ممن حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة، كلاهما مردوا على النفاق، أو ترجع إلى أهل المدينة فقط.



﴿مَرَدُّوْاْ عَلَى الْإِنْفَاقِ﴾: مرد: يـمرد؛ أي: تدرّب، وتمرّن؛ حتّى أصبح النّفاق حرفتهم؛ فاستقاموا عليه، واتخذوه سبيلاً؛ حتّى ماتوا.

﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾: يا محمّد ﷺ، نحن نعلمهم؛ أي: يخفون عليك. لا تعرف من هم؛ لأنهم شديداً والحذر.

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسَمِهِمْ وَلَعَرَفْنَاهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾: لأنهم مردوا على النّفاق، والسّين في سنعذبهم: للاستقبال القريب، المرة الأولى في الدّنيا: بالفضيحة، والهزيمة، والقتل، والتّشريد، والمرة الثّانية: حين الموت، وعذاب القبر (حياة البرزخ).

﴿ثُمَّ يُرَدُّوْنَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾: ثم: للترتيب، والتّراخي.

﴿يُرَدُّوْنَ﴾: يرجعون إلى عذاب عظيم: هو عذاب جهنم، عذاب الحريق، أو الدّرك الأسفل من النّار. يردون: من الرّد: وهو الرّجوع، والرّد: هو الذّهاب إلى مكان ما، وعدم النّية للرجوع للمكان الذي انطلق منه، وفيه معنى: الإكراه، والإجبار على العودة.

﴿عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾: هو أعظم أنواع العذاب على الإطلاق، وهو يشمل كلّ أنواع العذاب الأخرى الأليم، والمُهين، والشّديد، والمُقيم.

[١٠٢] ﴿وَأَخْرُونا عَنْ أَثَرِ إِثْمِهِمْ خَلَطُوا أَعْمَالاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿وَأَخْرُونا﴾: الواو: عاطفة؛ أي: آخرون معطوفة على أهل المدينة؛ أي: من أهل المدينة.



﴿اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد بعدم الخروج معك إلى تبوك.

﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾: وهؤلاء هم الذين ربطوا أنفسهم بسواري المسجد، ومنهم أبي لبابة، وأصحابه (قيل: كان عددهم ٦، أو ٨، أو ١٠). إذن: يمكن تقسيم المخلفون إلى ثلاثة أصناف:

الصَّنْفُ الأوَّل: المنافقين الذين مردوا على النِّفاق من أهل المدينة، ومن حولها من الأعراب.

الصَّنْفُ الثَّانِي: الَّذِينَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ، وَخَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا، وَآخَرَ سَيِّئًا. الصَّنْفُ الثَّالِث: الْمُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ (قِيلَ: هُمُ الثَّلَاثَةُ).

﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾: الخلط؛ يعني: الجمع بين شيئين، أو أكثر، ويبقى كل واحد منهما منفصل عن الآخر رغم الخلط، العمل الصالح؛ مثال: ما سبق من جهادهم، وطاعاتهم، وتوبتهم، واعترافهم بذنوبهم، والعمل السيئ؛ قيل: هو التخلف عن الجهاد، أو الخروج إلى تبوك مع رسول الله ﷺ.

﴿عَسَى﴾: من أفعال الرجاء الممكن حصولها، ويتوقع حدوثها. ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد، يتوب عليهم: أي: يقبل توبتهم، وبما أنه جاء بـ: عسى؛ يعني: قبل الله توبتهم. ﴿إِنْ أَلَّفَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿عَفُورٌ﴾: صيغة مبالغة كثير الغفر؛ يغفر الذنوب الكبائر، والصغائر. ﴿رَحِيمٌ﴾: صيغة مبالغة على وزن فعيل؛ كثير الرحمة لعباده المؤمنين، لا يعذبهم إذا تابوا، واعترفوا بذنوبهم، ولم يصروا على ما فعلوا.

[١٠٣] ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾: أمر للنبي ﷺ.

﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾: أي: من أموال الذين اعترفوا بذنوبهم، وهم أغنياء، ونسب الأموال وملكيتهما لهم رغم أن المال كله لله تعالى.

﴿صَدَقَةً﴾: وليست الزكاة صدقة خاصة بهم.

﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾: أي: صدقة الغاية منها تطهرهم، وتزكيهم بها، والتطهير لغة: إزالة القذارة الحسية، والمعنوية من فعل طهر يطهر، وتعني: تطهرهم من ذنوبهم عدم الخروج معك؛ أي: تمحو، وتزيل عنهم ذنوبهم، وقد تعني: تطهر أموالهم إذا دخل في المال شبهة من دون قصد، أو علم، وتزكيهم بها من التزكية: وهي التماء؛ أي: تنمي حسناتهم، وترفع درجاتهم، وتنمي المال، أو تزيده بركة.

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾: أي: ادعوا لهم بالخير، واستغفر لهم، صل من الصلاة، والصلاة: هي الدعاء، والاستغفار؛ أي: ادع لهم بالقبول، والخير.

﴿إِنَّ صَلَاتَكَ﴾: إن: للتوكيد، دعاءك، واستغفارك لهم.

﴿سَكَنٌ لَهُمْ﴾: اطمئنان لقلوبهم، ورحمة لهم، ودعائك لهم يشعرهم: أن صدقاتهم ستقبل منهم؛ فيفرحوا بذلك.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: الدعاء، وسميع لأقوالهم، صيغة مبالغة من سمع كثير السمع، وسميع لسرهم، وعلنهم.

﴿عَلِيمٌ﴾: بأفعالهم، وأحوالهم، وما تخفي صدورهم.



[١٠٤] ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَحْكُمُونَ أَفْئِدَةً مِنَ اللَّهِ هُوَ التَّوْبَةُ الرَّحِيمُ﴾:

﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾: ألم: الهمزة: للاستفهام، والتوبيخ، والإنكار. لم: حرف نفي؛ يعلموا: من العلم.

ودخول نفي على نفي: هو إثبات؛ أي: كان من المفروض أن يعلموا هذا الأمر، أو الحكم، أو الخبر، أو الآية، أو النبأ سابقاً؛ لأنه أعلن، أو كان معروفاً سابقاً لديهم؛ فأنكر عليهم تخلفهم عن العلم به، ولم يقل: اعلموا أن الله يقبل التوبة كفعل أمر، أو إخباراً من الله؛ لأنه سبحانه يأتي بها في صيغة السؤال، والاستفهام؛ ليجيب المسؤول عليها بنفسه، وتكون إقراراً منه.

﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التعليل.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد.

﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾: ولم يقل: يقبل التوبة من عباده، فما هو الفرق بينهما.

﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾: أي: يقبل التوبة الصادرة عن عباده؛ أي: يتجاوز عن العقوبة على الذنب؛ لأن التوبة تدل على أن هناك ذنباً قد حدث، واستوجب المذنب العقوبة فتأب المذنب؛ فإذا تقبل الله سبحانه توبته؛ فقد تجاوز عن عقوبته.

أما لو قال: يقبل التوبة من عباده؛ فتعني: من الجهة؛ أي: من العبد.

إذن (عن): تشير إلى الصدقة نفسها، ومن: تشير إلى الجهة المصدرة للتوبة؛ أي: العبد.

﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾: أي: يقبل الصدقات (الزكاة، وصدقات النفل).

وفي هذه الآية يقول الحق: يأخذ الصدقات، وفي الآية السابقة (١٠٣): ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾: إذن يكون السياق المتصدق، أو المصدق يتصدق، والرسول ﷺ يأخذ الصدقة (أو المؤمنون)، والله يتقبل الصدقة، ولا يردّها؛ أي: يشب عليها، فالله سبحانه يقبل التوبة، ويقبل الصدقات، ولمعرفة الفرق بين المصدقين والمتصدقين: ارجع إلى سورة الحديد، آية (١٨).

﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ﴾: للتوكيد، وهو: لزيادة التوكيد.

﴿التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾: ارجع إلى الآية (٣٧) من سورة البقرة؛ للبيان.

[١٠٥] ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِيْنَ وَالشَّهَادَةُ فَيُنْتَشَرُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا﴾: الخطاب في هذه الآية إلى المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً، وآخر سيئاً؛ بينما في الآية السابقة (٩٤): الخطاب كان موجّهاً إلى المنافقين فقط.

قل لهم يا محمد ﷺ خاصّة: اعملوا الكثير من الأعمال الصالحة؛ أعمالاً جديدة بعد التوبة، أو اعملوا ما شئتم من خير، وحلال، وأعمال طيبة.

﴿فَسَيَرَى اللَّهُ﴾: الفاء: للتوكيد، سيرى: السّين: للاستقبال القريب، سيرى الله عملكم: أعمالكم الظاهرة، والباطنة (الأقوال، والأفعال).

﴿وَرَسُولُهُ﴾: بما أنّها أعمال ظاهرة؛ مثل: الصلاة، والإنفاق (الصدقات)، والحج، والعمرة، والصيام؛ فالرسول كذلك سيراها.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾: سيرونها مثل الذهاب إلى المساجد، وحلقات العلم، والحج، والصدقات.

﴿وَسُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِيْنَ وَالشَّهَادَةُ﴾: وسردون: الواو، والسّين: تدل على



قرب الرد؛ أي: الرجوع إلى الله؛ أي: قرب الجزاء، والثواب؛ أي: تثابون على العمل الصالح في الدنيا، والآخرة، ومن دون تأجيل. ارجع إلى الآية (١٠١)؛ للبيان؛ وكقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، بينما في آية التوبة (٩٤): ﴿ثُمَّ تَرْدُّوهُ﴾: ثم: فيها تراخي في الزمن، وفيها وعيد؛ أي: من كرم الله عليهم: أنه يؤخر العقاب عنهم في الدنيا؛ حتى يتوبوا، أو لعلهم يتوبون، ويغفر لهم.

﴿إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ﴾: عالم الغيب المطلق: الذي لا يطلعه على أحد، والغيب النسبي: الذي يطلعه على رسله، ومن اصطفاهم.

﴿وَالشَّهَادَةِ﴾: وعالم الشهادة؛ أي: ما يشاهد بالمدركات، والعيون، والآذان؛ أي: عالم بما يشاهده الناس بحواسهم؛ لأنه سبحانه هو خالق هذه الحواس، وأعلم بما أودع فيها؛ فلا تعذب عنه مثقال ذرة في السموات، ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك، ولا أكبر إلا في كتاب مبين.

﴿فَيَنْتَشِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٩٤)؛ للبيان.

لوقارنا هذه الآية (١٠٥) من سورة التوبة: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِسِرِّ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتَرْدُّوكَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، مع الآية (٩٤) من سورة التوبة: ﴿وَسِرِّ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرْدُّوهُ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ليس هناك تكرار؛ لأن الآية (٩٤): تتحدث عن المنافقين، وأمّا الآية (١٠٥): فتخاطب المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً، وآخر سيئاً.

وفي الآية (٩٤): لم يذكر المؤمنون؛ لأن الله وحده مطلع على قلوب المنافقين، ورسوله مطلع بما يخبره الله سبحانه، وأمّا الآية (١٠٥): فتحثهم على الأعمال الصالحة، ومنها: الظاهرة للعيان؛ فالله سبحانه، ورسوله، والمؤمنون يشاهدونها.

وفي الآية (٩٤): ﴿ثُمَّ تَرْدُّوْكَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، وفي الآية (١٠٥): ﴿وَسُتَرْدُّوْكَ﴾. ارجع إلى الآية (٩٤)؛ للبيان، ومعرفة السبب في الاختلاف.

[١٠٦] ﴿وَأَخْرُوجْ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿وَأَخْرُوجْ﴾: من أهل المدينة مرجون لأمر الله. قيل: هم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع؛ أي: الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك، ولم يكن لهم عُذر.

﴿مُرْجَوْنَ﴾: من الإرجاء: وهو التأخير.

﴿لِأَمْرِ اللَّهِ﴾: لحكم الله فيهم الذي لم ينزل بعد.

﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾: إما: حرف شرط، وتفصيل. يعذبهم: بأن لا يقبل لهم توبة، ولو تابوا، أو يمتهم بلا توبة.

﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: إما: حرف شرط، وتفصيل، إذا تابوا قريباً، أو بعيداً؛ أي: إذا شاء سبحانه.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: عليم بأحوالهم، ونواياهم، وأقوالهم، وأخبارهم، ولماذا تخلفوا، وهل سيتوبون قريباً، أو بعيداً.

﴿حَكِيمٌ﴾: حكيم في تدبير شؤون خلقه، وشرعه. حكيم: من الحاكم؛ فهو الحاكم، وهو أحكم الحاكمين؛ أي: العادل، وحكيم: من الحكمة؛ فهو أحكم الحكماء. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة؛ للبيان.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

الْبَيْتُ الْخَامِسُ

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ
وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
(١٠٧) لَا نَقُومُ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ
يَوْمٍ أَلْحَقْنَا أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأْتَنَارِبُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً
فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)
﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا
بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)﴾



الْحَرْبُ
٢١



سورة التوبة [الآيات ١٠٧ - ١١١]

[١٠٧] ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾:

أسباب النزول: كما ذكر الواحدي في أسباب النزول: لما بنى المسلمون من بني عمرو بن عوف مسجد قباء؛ بعثوا إلى رسول الله ﷺ؛ فأتاهم؛ فصلى فيه؛ فقال المنافقون من الأنصار، وكانوا حوالي (١٢ رجلاً) من بينهم: أبو عامر الراهب: نبني نحن أيضاً مسجداً؛ كما بنوا مسجد قباء، ونرسل إلى رسول الله ﷺ ليصلي فيه، بنوه بأمر من أبي عامر الراهب؛ الذي عادى رسول الله ﷺ بعد قدوم رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة؛ بنوه في زمن الخروج لغزوة تبوك، بنوه قريباً من مسجد قباء؛ ليضاهي مسجد قباء، ولا حاجة لبنائه إلا لإيقاع الفتنة، والاختلاف بين المؤمنين، وتفريق كلمتهم، وطلبوا من رسول الله ﷺ القدوم إليه؛ ليصلي فيه، وكان رسول الله ﷺ يستعد للخروج إلى تبوك؛ فقال لهم بعد العودة من تبوك، وبعد عودته ﷺ من تبوك نزل الوحي، وأخبره بالأمْر؛ فدعا رسول الله ﷺ جماعة من الصحابة وأمر بهدمه، ونزلت هذه الآيات.

﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: عاطفة. الذين: اسم موصول يشير إلى المنافقين الذين بنوا مسجد ضرار.

﴿اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾: اتخذوا؛ أي: بنوا مسجداً ضراراً: الضرار بمعنى



المضارة لمسجد قباء، وسمي بعد ذلك مسجد ضرار؛ لأنه يقصد به الضرر بالمؤمنين، وإيقاع العداوة بينهم.

﴿وَكُفْرًا﴾: بنوه بأمر من أبي عامر الراهب؛ ليكون مقراً لصلاته فيه بعد عودته من الشام بعد أن خرج إلى الشام؛ ليأتي بجند من الروم؛ ليخرج محمداً وأصحابه من المدينة، ولدعم الكفر، والنفاق.

﴿وَقَفَرًا بِبَنِي الْمُؤْمِنِينَ﴾: للذين يصلون بقباء؛ فيأتي قسم فيصلي في مسجد ضرار، وقسم يصلي في قباء طمعاً في اختلاف كلمتهم.

﴿وَارْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: إعداداً وتجهيزاً لمجيء الذي حارب الله ورسوله: هو أبو عامر الراهب، والذي سمّاه رسول الله ﷺ أبو عامر الفاسق؛ الذي كان ينتظر رجوعه من الشام.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل بناء مسجد ضرار.

﴿وَلِيَحْلِفْنَ إِنَّ أَرْدَنًا إِلَّا الْحُسَيْنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: وليحلفن: الواو: عاطفة، اللام: لام التوكيد، يحلفن إن أردنا إلا الحسين: إن أردنا: إن النافية؛ أي: ما أردنا؛ إلا: أداة حصر، الحسين: أي: ما أردنا بنائه إلا الحسين: الصلاة، وذكر الله، أو التوسعة على المصلين، أو الرفق بالمسلمين من المطر، أو الحر؛ لأن مسجد قباء لا يسع كل المصلين، وقيل: الحسين: الجنة.

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: استعمل يشهد بدلاً من يعلم؛ لأن بناء المسجد ليس أمر غيبي، أو سر، أو عمل قلبي، وإنما عمل يشهده الكل الرسول، والصحابة، ولذلك قال: يشهد إنهم لكاذبون: إن: للتوكيد. لكاذبون: اللام: لام التوكيد، كاذبون بقولهم: إن أردنا الحسين بناء المسجد، وكاذبون: جملة اسمية؛ تدل على الثبوت.



[١٠٨] ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾:

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾: لا: النّاهية. تقم فيه أبداً: لا تصلي فيه أبداً، ولم يصلي ﷺ فيه، وأمر بهدمه، وقيل: إحراقه؛ لأن الصّلاة؛ تعني: القيام، والنّهوض، أبداً: للتوكيد.

﴿لَمَسْجِدٌ﴾: اللام: لام التّوكيد؛ أي: مسجد قباء، وقيل: المسجد النبوي. ﴿أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾: بُني على الطّاعة، وبناءه المتقون؛ فالمسألة ليست في البناء، ولكن فيمن يدخل المسجد، ويصلي فيه، والهدف وما يقام فيه من أعمال. ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾: بُني، أو أُسِّس. من: الابتدائية؛ أي: بدأ بالتأسيس على التقوى من أول يوم.

﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾: أحق، أو أجدر أن تقوم فيه بصلاة، أو ذكر. ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾: بالماء للوضوء، والغسل (طهارة للبدن)، والمطهّرون: المتطهرون (الطهارة الحسية + الطهارة المعنوية).

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾: مبالغة في الطهارة، والمطهّرون؛ تعني: طهارة القلب من النفاق، والطهارة الجسدية معاً؛ أي: الطهارة الحسية، والمعنوية معاً. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٢٢) لمزيد من البيان، وسورة الواقعة آية (٧٩).

[١٠٩] ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ﴾: أفمن: الهمزة استفهامية؛ للتقرير.

﴿أُسِّسَ بُنْيَانُهُ﴾: أي: أقام بنيانه؛ أي: القواعد، أو ما يسمّى الأساس،



والبنيان يختلف عن البناء، البنيان؛ يعني: بناء قوي ثابت يدوم قروناً طويلة؛ مثل: الأبنية التاريخية، والأهرامات، أما البناء: فقد يكون غير ثابت، والبناء له ميزة التَّغْيِير، والتَّحَوُّل.

﴿عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾: انتبه إلى الاستعارة؛ حيث شبه الإيمان بالبنيان والتقوى ورضوان الله بقواعد البناء، أو الأسس للبناء؛ كالأرض الصلبة الصخرية التي يقوم عليها البناء، والتقوى: هي امثال أوامر الله، واجتناب نواهيه. ﴿أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَاكِ فَأَتَاهَا بَيْهًا﴾: أم: للإضراب الانتقالي، والاستفهام.

﴿أَسَّسَ بُيُوتَهُ﴾: شبه المسجد المبني على الضلال ببنيان قائم على شفا جرف هار.

﴿عَلَىٰ شَفَا﴾: من الأرض التي يصنع البحر لها سطح، وليس لها قاعدة.

﴿جُرْفٍ﴾: الجزء المتآكل، أو ما ينحرف بالسيول، وهو جانب الشط.

﴿هَاكِ﴾: مشرف على السقوط غير متماسك.

﴿فَأَتَاهَا بَيْهًا﴾: به: تعود على الباني، أو البنيان سقط بالباني، والبنيان، وهذا تمثيل للبناء، أو المسجد الذي يقوم على الكفر؛ فانهار به في نار جهنم، وهكذا شبه الإيمان بالبنيان القائم على أسس متينة صلبة، والكفر والضلال على أسس متصدعة متداعية؛ فهو قد جسد المعنويات في صور المحسوسات بصورة متكاملة في الإعجاز البياني في صورة الاستعارة.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: الظالمين: بالتفاق، ولم يريدوا الهداية، واختاروا الضلال، والتفاق. ارجع إلى الآية (١٩) من نفس السورة؛ للبيان.

[١١٠] ﴿لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمْ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمْ الَّذِي بَنَوْا﴾: أي: مسجد ضرار رغم هدمه، وأصبح مكان للقمامة، وسمّاه بنياناً، وليس بناءً؛ لأن ذكره سيدوم قروناً طويلة، وستذكره الأجيال على كونه ليس له قدسية؛ كاللعبة، ولم يكن بنائه على تقوى، ورضوان من الله تعالى.

والبنيان قد يعني: بناءً تاريخياً ثابتاً، لا يتغير، ويدوم قروناً طويلة؛ مثل: الأهرامات، والأبنية الأثرية.

﴿رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾: موضع شك، واتّهام من أن يصيبهم رسول الله ﷺ بسوء بسبب ما بنوا، أو موضع غيظ، أو ارتياب بسبب هدمه، أو مصدر للشك، والريبة الدائمة في قلوبهم، وسيظل أثره في قلوبهم.

﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾: أن يموتوا، والقلوب لا تنقطع إلا بالموت حزناً وأسفاً، وقال تعالى: ﴿تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾، ولم يقل: تنقطع، تقطع فيها مبالغة في التمزق، والتقطع، وإلا بمعنى: حتى.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: ارجع إلى الآية (١٠٦) من سورة التوبة.

[١١١] ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآثَرٍ لَهُمْ الْجَنَّةُ يُقَرَّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:

في هذه الآية يبيّن الله سبحانه فضل الجهاد.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى﴾: إن: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد، اشترى: فعل



ماضٍ؛ تعني: أن الشراء قد حصل، وتم، وكذلك لو نظرنا إلى كلمة بايعتم؛ كذلك فعل ماضٍ، إذن: البيع والشراء قد تمَّ، وانتهى.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ﴾: قدَّم الأنفس على المال في هذه الآية؛ قدم الأسمى والشيء الغالي؛ لأن المشتري هو الله سبحانه، ولأنَّ الجهاد بالنفس أعلى درجة من الجهاد بالمال، والتَّضحية بالنفس أشد على الإنسان من التَّضحية بالمال؛ فالله يريد شراء النفس، ثمَّ شراء المال. بينما في باقي الآيات يقدم المال؛ لأنه الأظهر أو الأعم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْذُرُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي نَكَسَ بِهَا أَنْفُسُكُمْ﴾: بأنَّ الباء: للإلصاق، والاختصاص، والمشتري عادة له الخيار فيما يشتري أولاً؛ لأنه هو دافع الثمن.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، أو الملكية. بينما قوله تعالى: ﴿وَيَذِخْرُكُمْ﴾ جَنَّتِ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ [الصف: ١٢]. الدخول أولاً، ثمَّ يحصل التملك، والتملك فيه حثٌّ على العمل، والمبالغة أكثر من مجرد الدخول. هم: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد، والقصر (قصر يفيد المبالغة)؛ فهناك من تكون لهم الجنة، ولكنهم أولى بها من غيرهم.

﴿يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: ومن يقاتل إما أن يُقتل، وإما أن يُقتل؛ فيقتلون ويقتلون.

﴿وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾: وعداً عليه حقاً؛ أي: ثابتاً لا يتغير في التوراة، والإنجيل، والقرآن؛ أي: ذكر ذلك الحكم في كل الكتب السماوية؛ فكل أمة أُمِرَ بالجهاد.

﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾: من: استفهامية، والإجابة: لا أحد أوفى

بعهده من الله تعالى، وجملة: ومن أوفى بعهده من الله بعد قوله: وعداً عليه حقاً؛ التي تحمل نفس المعنى: للتوكيد.

﴿فَاسْتَبَشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ﴾: فاستبشروا: الانتقال من صيغة الغائب إلى صيغة المخاطب: هو تشریف من الله لهم، والبشارة خبر سار للمؤمن، ويظهر أثرها على الوجه سروراً، وغبطة، والفاء: للتوكيد.

﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: الواو: للاهتمام، والتوكيد، ذلك: اسم إشارة يفيد البعد، وتعظيم الفوز، وذلك إشارة إلى الصِّفَّة التي تمت بين الله سبحانه، والمجاهدين، وهو ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: ارجع إلى سورة النساء آية (٧٣) لبيان معنى الفوز وأنواعه أو درجاته، وارجع إلى الآية (٧٢) من سورة التوبة؛ للبيان، والمقارنة.



الجزء الثاني عشر

سورة التوبة ٩

التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّابِحُونَ
 الرَّكَّعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
 وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ
 وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ
 يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ
 مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانِ
 اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ
 فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ
 ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى
 يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ
 لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى
 النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي
 سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ
 مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾

سورة التَّوْبَةِ [الآيات ١١٢ - ١١٧]

[١١٢] ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُكْسِبُونَ الرَّاكِعُونَ
السَّجِدُونَ لِلَّهِ الْمَمْلُوكُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالْكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ
اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

أوصاف تسعة لأهل البيع؛ أي: أهل الجنة:

﴿التَّائِبُونَ﴾: جمع تائب عن الشُّرْك، والنِّفاق، والمعاصي. ارجع إلى
سورة النساء، آية (١٦-١٨)؛ للمزيد من البيان.

﴿الْعَمِيدُونَ﴾: المطيعون لأوامر الله، ونواهيه، عبادة مع المحبة،
والإخلاص، والتَّعظيم، والخشية.

﴿الْحَمِيدُونَ﴾: لله في السَّراء، والضَّراء، والراضين بقضاء الله وقدره.

﴿الْمُكْسِبُونَ﴾: جمع سائح من الفعل ساح في الأرض في طلب العلم
الشَّرعي، والدَّعوة إلى الله سبحانه كما قال عكرمة، والسَّائِحُونَ قد تعني:
الصَّائمين كما فسرهما أبو هريرة وابن مسعود وابن عباس وعائشة -وقد تعني
الجهاد في سبيل الله كما فسرهما عطاء.

﴿الرَّاكِعُونَ السَّجِدُونَ﴾: أي: المقيمون الصَّلَاة، والَّرَّاكِعُونَ
السَّاجِدُونَ تشيران إلى كثرة السَّجود، والركوع.



﴿الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾: المعروف: هو كل ما أمر به الشرع، واستحسنه العقل، والعرف الصحيح.

﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: المنكر: هو ما يستقبحه الشرع، ويمنعه، وما تستنكره العقول السليمة؛ لمنافاة الأخلاق.

﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾: المحافظة على الأوامر؛ فلا يعتدوها، والبعد عن المنهيات؛ فلا يقربوها. تلك حدود الله فلا تعتدوها: تلك حدود الله فلا تقربوها.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بالجنة، والبشرى: من البشارة؛ ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ للبيان.

١ - انتبه إلى إدخال الواو فقط على: والناهون عن المنكر، والحافظون لحدود الله، الواو: تشير إلى الاهتمام، ولما كان النهي عن المنكر، والمحافظة على حدود الله أصعب العبادات: أضاف لها الواو؛ تفريقاً عن غيرها من العبادات؛ لأنها الأشد، وقد تكون سبباً للقتل، والإهانة.

٢ - الحافظون لحدود الله: اللام: لام الاختصاص، والتوكيد.

٣ - كلها صفات ثابتة لهم لا تتغير، جاءت بالصيغة الاسمية، وليست

الفعلية.

[١١٣] ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْحَجِيمِ﴾:

﴿مَا كَانَ﴾: ما: في القرآن تأتي على وجهين:

الوجه الأول: للنفي؛ مثال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنِيتُوا شَجَرَهَا﴾ [النمل: ٦٠].

الوجه الثاني: للنهي؛ مثال: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣].

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ﴾: أي: ما يصح للنبي، والذين آمنوا:

﴿أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾: أن: حرف مصدرى؛ للتعليل، والتوكيد.

﴿يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾: من الاستغفار: وهو الدعاء أن يغفر الله لأبائهم، أو ذويهم الذين ماتوا وهم على الشرك، أو الكفر.

﴿وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ﴾: لو: شرطية، ولو كان هؤلاء الآباء، والأمهات، أو غيرهم من الناس أولي قربي: ذي قرابة تجمعهم رابطة الدم، أو النسب، أو الصداقة.

﴿مِنْ بَعْدِ﴾: من: ابتدائية. بعد: ظرفية زمانية.

﴿مَا بَيَّنَّ لَهُمْ﴾: لهم: اللام: لام الاختصاص.



﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: أن: للتوكيد، أصحاب: الجحيم: ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ للبيان.

السؤال هنا: كيف تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم؟

أي: تحققوا وتبين لهم أن آباءهم وذويهم أنهم ماتوا على الشرك، ولم يتوبوا عندها لا يجوز الاستغفار لهم، والدعاء.

و﴿الْجَحِيمِ﴾: اسم من أسماء النار، أو دركة من دركاتها السبع: جهنم، لظى، الحطمة، السعير، سقر، الجحيم، الهاوية.

[١١٤] ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾:

وحتى لا يحتج أحد من المؤمنين، ويقول: إن إبراهيم ﷺ استغفر لأبيه، أو عمه، وأنا سأستغفر لفلان؛ جاءت هذه الآية لتبين شأن استغفار إبراهيم.

﴿وَمَا كَانَتْ﴾: ما: النافية.

﴿أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾: يرجح المفسرون: أن أزر ليس أباه، وإنما عمه (الأب قد يعني: العم)؛ ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٣)؛ للبيان.

﴿إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿مَوْعِدَةٍ﴾: على وزن المرة؛ أي: كانت موعدة قالها مرة واحدة ولم تتكرر، وموعدة فقط وليست وعداً؛ لأن كلمة وعداً لا تعني بالضرورة واحدة؛ أي: مرة واحدة لم تتكرر، وليس لكم أن تفعلوها أو تقولوها؛ أي: تستغفروا لأي



كافر مهما كان حتى ولو كان أقرب الناس إليكم إذا كان ذلك موعدة من إبراهيم لأبيه حين قال: ﴿لَا سَتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [المتحنة: ٤]؛ فقد قال إبراهيم ذلك ظناً أن عمه قد يتوب، ويؤمن، أو كان يرجي، أو يؤمل منه التوبة.

﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾: فلما: الفاء: للترتيب، والتعقيب، لما: ظرفية زمانية؛ بمعنى: حين. تبين: لإبراهيم عن طريق الوحي: أنه لن يؤمن؛ انقطع رجاءه، واستغفاره لأبيه (أي: عمه).

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لَاؤُهُ﴾: أواه: كثير التأوه، كثير الدّعاء والتضرع إلى الله، أواه: مبالغة في التأوه.

﴿حَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من الحلم؛ أي: كثير الحلم، والحلم: هو الصبر، والإنابة، وفي سورة هود، آية (٧٥): ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾ أيضاً كثير الرجوع والإنابة إلى الله؛ أي: سريع التوبة.

[١١٥] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾: ما: النافية.

﴿لِيُضِلَّ﴾: اللام: لام التوكيد، والتعليل. ليضل: من الضلال، والضلال له معانٍ: الهلاك، والنسيان، والضّياع، والضلال: ضد الهدى، والرشاد إلى طريق الحق، والصواب، أو الانحراف عن المنهج، واتباع طريق الباطل. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٩٨)؛ لبيان معنى الضلال.

﴿لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾: إذ: ظرفية، وحتى:

حرف غاية نهاية الغاية، ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي يتقون.

﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾: حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا شَرَعَ لَهُمْ، أو ما أمروا به

من الطاعة، أو النهي، واجتنابه، والحلال، والحرام عن طريق الرّسل، والكتب، والوحي؛ أي: يبيّن لهم طريق الهداية، والتقوى؛ فإذا لم يتقوه، أو يفعلوا ما أمرهم به، أو نهاهم عنه، أو يهتدوا بعد تلك الوسائل؛ عندئذٍ يتركهم في ضلالهم، وانحرافهم يعمهون، وهذا يعتبر عذراً لمن خالف قبل ورود النهي عنه، وكما قيل: لا حكم قبل الشّرع؛ فهؤلاء الذين استغفروا لذوي قرباهم قبل نزول هذه الآية؛ فلن يؤاخذهم الله على ما فعلوا، وليس عليهم ذنب، أو إثم.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: إن: للتوكيد.

﴿بِكُلِّ﴾: الباء: للإلصاق، والاختصاص.

﴿شَيْءٍ﴾: نكرة؛ أي: يعلم من هو ضالٌّ، ومن هو مهتدٍ، وعليم بأحوال

الناس، وأعمالهم، وما شرع لهم.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم، يعلم الأقوال، والأفعال، وما

يجري في السّماء، والأرض، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ويعلم ما في البر، والبحر، وما أهلك الله سبحانه أمة حتى يبيّن لها ما يجب أن تتقيه من أسباب الهلاك، والدّمار، وذلك عن طريق كتبه ورسله وأنبيائه.

[١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾:

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إِنَّ: للتوكيد.

﴿لَهُ﴾: اللام: لام الملكية، والاختصاص، وتقديم له: تفيد الحصر له وحده.

﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: المُلْكُ: الحكم؛ أي: هو الحاكم، حاكم السموات والأرض؛ ضم الميم في كلمة مُلْك: تعني: الحاكم، أو الحكم، وكسر الميم في كلمة مِلْك: تعني: الملكية، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ فالله إذا منعك من الاستغفار لأولي القربى؛ لأنه هو الحاكم؛ فهو النافع، أو الضار وحده، والاستغفار لأولي القربى لا ينفع، ولا يضر إذا لم يقبله الله سبحانه، أو يستجيب له، فكيف إذا حرمه، ومن مظاهر كونه الحاكم، ولا حاكم غيره؛ لأنه هو الذي يُحْيِي، وَيُمِيت.

﴿وَمَا لَكُمْ﴾: ما: النافية، لكم: اللام: لام الاختصاص.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: أي: في هذه الحياة الدنيا.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله من استغرافية، ولي المعين المحب، والقريب.

﴿وَلَا﴾: تكرار لا يفيد زيادة النفي، وفصل كل من الولاية عن النصرة.



﴿نَصِيرٌ﴾: النَّاصِر. ارجع إلى الآية (١٠٧) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

انتبه إلى الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، حين يستعمل من دون تأتي في سياق الدنيا، أما قوله: ما لهم من ولي ولا نصير، فتأتي في سياق الآخرة، ففي الآخرة ليس هناك غير الله وحده من ولي، ولا نصير، أما في الدنيا فقد يكون هناك من يواليه، وينصره إضافة إلى الله، ولذلك يستعمل من دون الله.

[١١٧] ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام: لام التوكيد. قد: للتحقيق أيضاً والتوكيد.

﴿تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾: لقد تاب؛ أي: لقد قبل الله توبة النبي، والمهاجرين، والأنصار، والتوبة تدل على ذنب، وهل فعل النبي ﷺ ذنباً حتى يقول سبحانه: لقد تاب الله على النبي ﷺ؟ الجواب: لا، وإنما ﷺ أذن، أو سمح لبعض الصحابة بالتخلف عن الخروج إلى تبوك، سواء لحقوا به بعد ذلك أو لم يلحقوا به؛ لقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾.

﴿وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾: صحابته رسول من المهاجرين، والأنصار أمثال: أبي ذر، أبي خيثمة... وغيرهما، وهؤلاء قبل توبتهم بسبب ثقلهم في



الخروج، أو لسماعهم لأقوال المنافقين، أو راودتهم أنفسهم بالرجوع بعد أن خرجوا، وأيضاً من الذين اعترفوا بذنوبهم وغيرهم.

﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾: زمن العسرة (غزوة تبوك) بسبب الحر الشديد، وقلة الزاد، والراحلة، والفقير.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾: الزيغ: هو الميل، كاد: من أفعال المقاربة؛ أي: لم تزغ، ولكنها كادت تزيع؛ تميل، والزيغ هنا: ليس عن الإيمان، وإنما بالتخلف عن الخروج في سبيل الله مع رسول الله ﷺ.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾: تكرر (ثم تاب) عليهم: للتوكيد؛ لإزالة الشك من نفوسهم، والتجاوز عن ذنوبهم.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿بِهِمْ﴾: الباء: للإلصاق؛ هم: ضمير فصل.

﴿رَءُوفٌ﴾: من الرأفة: وهي أشد الرحمة، أو أخص من الرحمة، ومنهم من قال: تكون فقط للمؤمنين، ورؤوف: من رأف به؛ أي: أشفق عليه بأن دفع عنه السوء، أو كره أن يحل به مكروه.

﴿رَحِيمٌ﴾: كثير الرحمة، الرحمة تكون للمؤمن، والكافر في الدنيا؛ فلا يعجل لهم العقاب، ويغفر لهم، أما في الآخرة: فالرحمة خاصة بالمؤمنين.



سورة البقرة

سورة البقرة

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ
بِمَا رَحَبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ
مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ
الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ
مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ
عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ
وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ
الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا لََّا كُتِبَ لَهُمْ
بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾
وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ
وَادِيًا إِلَّا لََّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً
فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ
وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

سورة التَّوْبَةِ [الآيات ١١٨ - ١٢٢]

[١١٨] ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾:

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ﴾: الواو: عاطفة، معطوفة على النبي ﷺ؛ أي: لقد تاب الله على النبي ﷺ، والمهاجرين، والأنصار، وعلى الثلاثة الذين خلفوا، والثلاثة قيل: هم: كعب بن مالك، هلال بن أمية، ومرارة بن الربيع.

﴿الَّذِينَ خُلِفُوا﴾: أرجئوا، وتأخر نزول الحكم فيهم، وكانت مدة إرجائهم خمسين يوماً، ولم يقبل النبي ﷺ توبتهم حتى نزلت هذه الآية.

﴿حَتَّىٰ إِذَا﴾: حتى: حرف غاية نهاية الغاية؛ إذا: ظرفية زمانية.

﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: الرَّحْب: المكان المتسع؛ ضاقت عليهم الأرض بسعتها، ولم يجدوا مكاناً يلجؤون إليه بسبب إعراض الناس عنهم، وعدم الحديث إليهم، أو مخالطتهم، وضاقت عليهم أنفسهم. تكرار كلمة ضاقت: للتوكيد؛ أي: شعروا بالغم، والهم، والوحدة، والنّدم، والذّنب، والعزلة؛ حتى عن أزواجهم.

﴿وَزَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾: ظنوا؛ أي: أيقنوا من الظن المرجح، ومجيء أن بعد الظن: تفيد في قلب الظن يقيناً.



﴿لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ﴾: لا: النّافية للجنس؛ ملجأ: ملاذ؛ أي: لا مكان يلجؤون إليه هرباً من شدة يأْسهم، وندمهم، وخوفهم من سخط الله، وعقابه.

﴿إِلَّا إِلَيْهِ﴾: إلا: أداة حصر؛ إليه: إلا فقط بالرجوع إلى الله وحده.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾: ثم: للتراخي في الزّمن، تاب عليهم: شرع لهم التّوبة رحمة منه؛ لأنهم تخلّفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ من دون أيّ عذر.

﴿لِيَتُوبُوا﴾: اللام: لام التعليل؛ ليتوبوا، وأركان التّوبة: الإقلاع عن الذّنْب، والندْم، وعدم الرجوع إليه، والإكثار من النّوافل؛ فإن تابوا قبل الله تعالى توبتهم، وعفا عنهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾: إن: للتوكيد، هو: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿النَّوَابِ الرَّحِيمِ﴾: التواب: صيغة مبالغة كثير قبول التّوبة يقبل توبة التّائبين مهما كان عددهم، وعدد توباتهم.

﴿الرَّحِيمِ﴾: لأنّه شرع لهم التّوبة رحمة منه، وقبولها رحمة أخرى؛ فهو واسع الرّحمة بالمؤمنين؛ رؤوف رحيم.

[١١٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا: بالتّقوى، والتّقوى: هي امتثال أوامر الله، وتجنب نواهيه؛ اتقوا غضب الله، وسخطه: بإطاعة أوامره؛ التزموا الصّدق، والثّبات على دين الله تعالى، وطاعته، ولا تكونوا كالمعدّرين الذين جاؤوا بالأعذار الكاذبة، وكونوا مع الصّٰدقين: وهم الأنبياء، والرّسل، ولم يقل: كونوا من الصّٰدقين؛ أي:

كونوا أنبياء ورسلاً، كونوا معهم في الدنيا: بالصدق، والطاعة بامثال الأوامر؛
تكونوا في صحبتهم بالآخرة.

[١٢٠] ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا أَكُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾: ما: النافية، ما كان يصح، أو يحق لأهل المدينة.
﴿لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾: اللام: لام التعليل، والاختصاص، أهل المدينة المنورة
خاصة.

﴿وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾: كمزينة، وجهينة، وأشجع، وغفار، وأسلم.
﴿أَنْ﴾: حرف مصدري يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾: كان يجب عليهم الخروج مع رسول الله ﷺ
إلى تبوك، وعدم التخلف.

﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾: أي: لا يحق لهم، أو يصح لهم إثارة أنفسهم
عن نفس رسول الله ﷺ؛ أي: أن يجلسوا في ديارهم مرتاحين، ورسول الله ﷺ،
وبعض الصحابة يحاربون العدو، ويقاسون من شدة الحر، والعطش، والمشقة.
﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾: ولم يقل: على نفسه، عن: تفيد المجاوزة، والابتعاد،
وعلى: تفيد العلو، والتكبر.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ﴾: ذلك:



اسم إشارة للبعد يشير إلى ما يعانيه النبي ﷺ، والذين معه لا يصبهم ظمأ (عطش شديد)، ولا نصب (تعب ومشقة)، ولا مخمصة: مجاعة خاصة؛ والمخمصة في اللغة: أصلها الضمور؛ أي: الجوع الشديد الذي يستمر لزمان طويل يؤدي إلى ضمور البطن والأطراف؛ لأن المصاب استهلك المادة الدهنية أو الشحم لتوليد الطاقة؛ جوع فردي. بينما المسغبة: مجاعة عامة تشمل الكل (سورة البلد آية ١٤).

﴿وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾: يدوسون مكاناً من أرض الكفار بأقدامهم، أو خيلهم يؤدي إلى غيظ الكفار، والغيظ: هو الغضب الكامن في نفس الإنسان العاجز عن التّشفي من مسبب الغيظ. ارجع إلى الآية السابقة (١٥) من نفس السّورة.

﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً﴾: لا: النّافية، ينالون من عدو نيلاً: من: الاستغراقية؛ عدو نيلاً؛ أي: أسراً، أو قتلاً، أو غنيمة، أو هزيمة (من ديارهم، وأموالهم).

﴿وَلَا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾: إلا: أداة للحصر، كتب لهم به عمل صالح؛ أي: كتب لهم به ثواب ذلك العمل الصّالح، وعمل صالح: نكرة؛ أيّ عمل صالح مهما كان نوعه، وقيّمته سيثابون عليه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: إنّ الله: للتوكيد، ولم يقل: إنّ الله لا يضيع أجر العاملين؛ لأنّه بكرمه، وفضله ارتقى بعملهم الصّالح إلى درجة الإحسان، واعتبر كل ما يفعلونه من الإحسان، وأنّه سيجازيهم عليه، ولن ينساه، وضمهم إلى المحسنين.

[١٢١] ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَلَا﴾: لا: النافية.

﴿يُنْفِقُونَ﴾: من الإنفاق: أي: صرف الأموال، أو الزاد.

﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾: نفقة: نكرة؛ صغيرة، ولا كبيرة، ومهما كان نوعها، ولو كانت تمرّة، أو درهم، أو كبيرة؛ مثل: إنفاق سيدنا عثمان على جيش العسرة.

﴿وَلَا﴾: تكرار لا: يفيد التوكيد، وفصل الإنفاق عن يقطعون وادياً، أو كلاهما معاً.

﴿يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾: في ذهابهم للجهاد في سبيل الله، أو رجوعهم منه.
﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿كُتِبَ لَهُمْ﴾: في صحائف أعمالهم كتب لهم؛ لهم: اللام: لام الاختصاص؛ لهم خاصة.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾: اللام: لام التعليل، والتوكيد.

﴿اللَّهُ أَحْسَنَ﴾: على وزن أفعّل؛ أي: أفضل الجزاء؛ أي: الثواب، والأجر.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ تعني: الذي عملوا.

﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: كانوا يعملون في الدنيا، ويعملون: تضم الأفعال، والأفعال معاً.



لنقارن بين الآيتين: الآية (١٢٠)، وهي قوله: ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: هذه ابتلاءات من الله، وليس من عملهم، ﴿وَلَا يَطْشُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً﴾: هذه من أعمالهم الحقيقية، ﴿وَلَا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: فهذه الآية تضم ابتلاءات من الله صبروا عليها + أعمال قاموا بها = أثابهم الله عليها؛ فقال تعالى: ﴿كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾؛ لأن هذه ابتلاءات، وليست من أعمالهم؛ فأكد لهم: أنها تكتب لهم أعمالاً صالحة، وجعلها من أعمال الإحسان، ورفع درجتهم إلى درجة المحسنين؛ فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

أما الآية (١٢١)، وهي قوله: ﴿وَلَا يَنْفَقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِحَجْرِ يَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: فهذه كلها من أعمالهم (نفقات، وقطع وديان)، أعمال حقيقة صالحة، وليس بينها ابتلاءات، كما في الآية (١٢٠) فوعدهم الله أحسن الجزاء عليها، ولا داعي للقول عنها أنها أعمال صالحة؛ لأن ذلك واضح.

[١٢٢] ﴿وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: النافية، وما كان يصح، أو ينبغي.

﴿الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا﴾: النفرة هي دعوة الناس، أو حث الناس للخروج إلى أمر ما بسرعة للجهاد، أو غيره؛ مثل: حريق، أو زلزلة أرضية.

﴿لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾: لا يصح لكل أن ينفر؛ أي: الكل يخرج لأمر ما، ويتركون المدينة، أو مساكنهم كلها خالية.



﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾: لولا: أداة حَصٍّ، نفر: خرج من كل طائفة فرقة.

﴿مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾: من: ابتدائية استغراقية؛ طائفة: الجماعة تقسم إلى طوائف، هذه الطائفة تنفر للجهاد، وتلك تنفر للتفقه في الدين، وطائفة تبقى حارسة.

﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾: فالطائفة التي تخرج للتفقه في الدين، ثم تعود إلى الديار؛ لكي تنذر الطائفة التي نفرت للغزو، أو تنذر القاعدين (الطائفة الحارسة).

﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾: لعل: رجاء، أو للتعليل، يحذرون: عقاب الله بامتنثال أوامره، واجتناب نواهيه.

والخلاصة: أن تتبادل الطائفة التي خرجت للجهاد، أو الغزو، والطائفة التي خرجت للتفقه في الدين، والطائفة الحارسة المعلومات، وأمور الدين.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٩

الجزء الثاني عشر

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَقْبِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غُلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾
وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ
إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا
إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أُولَٰئِكَ
أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ
لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ
سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِّنْ أَحَدٍ
ثُمَّ أَنصَرَفُوا صَرَفَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ
﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ
عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ

سورة التوبة [الآيات ١٢٣ - ١٢٩]

[١٢٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد: وهو قتال الكفار، والهاء: للتنبيه،
واليقظة.

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾: يجاورنكم؛ يلونكم: من يلي؛ أي:
الذي يأتي بعده؛ مثل: بني قريظة، والنضير، قاتلوا العدو القريب قبل مقاتلة
الروم، والفرس العدو البعيد؛ أي: تخلصوا من عدوكم القريب أولاً، وطهروا من
حولكم حتى تطمئنوا بعد الخروج إلى العدو الأبعد.

﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾: ليجدوا: اللام: لام التوكيد، والتعليل، غلظة:
قسوة أو خشونة، وشدة، وهذه الغلظة نحو الكفار وليست صيغة ثابتة دائمة،
وأيضاً رحماء بينكم.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾: يمدّهم بعونه، ونصره؛ مع: تعني: المعية،
واعلموا علم اليقين: أن للتوكيد؛ الله مع الذين يطيعون أوامر الله، ويجتنبون
نواهيه.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا مَا أَنزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ءِيمَنًا فَأَمَّا الَّذِينَ
ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ ءِيمَنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: الواو: استئنافية، إذا: ظرفية زمانية للمستقبل، ما: نافية للتوكيد.



﴿أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾: سورة كاملة، أو بعض آيات السّورة.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب؛ أي: من المنافقين من يقول بعضهم لبعض.

﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾: استفهامية، زادته هذه إيماناً؛ يقولون ذلك استهزاءً، وإنكاراً لزيادة الإيمان.

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء: استئنافية، أما: حرف شرط، وتفصيل.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: الذين: اسم موصول؛ آمنوا: ساروا على درب الإيمان.
﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: تظهر علامات السّرور على وجوههم، والفرحة: فرحاً بما أنزل ربهم موقنين: أنّ الله سيزيد إيمانهم.

[١٢٥] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: حرف شرط، وتفصيل.

﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: مرض النفاق، والكفر، والشك.

﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾: زادتهم كفرًا، ونفاقاً إلى كفرهم، وإثمًا.

والرجس في اللغة: كل ما استقذر من عمل والقذر هو التّن حسيّاً، أو معنوياً.

وفي الشرع: يطلق على كل ما يستقبح شرعاً؛ كالكفر، والشرك، والأوثان، والأصنام... وغيرها. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٩) لمزيد من المعنى والفرق بين الرجس والرجز.

﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾: من دون توبة.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد.

﴿كَافِرُونَ﴾: جملة اسمية تدل على الثبوت، ثبوت الكفر، والنفاق.

[١٢٦] ﴿أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: الهمزة: للاستفهام، والتوبيخ؛ لا: النافية.

﴿يَرْوُونَ﴾: رؤية قلبية، ورؤية بصرية معاً؛ أي: يتفكرون، ويرون بأعينهم ماذا يحدث لهم في كل عام.

﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾: أن للتوكيد؛ يفتنون: الفتنة: هي الابتلاء، والابتلاء يكون بالخير، والشر؛ يفتنون: بالمرض، والقحط، أو الجهاد، أو نقص في الأموال والأنفس. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (٧)، والعنكبوت، آية (٢-٣).

﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾: في: ظرفية زمانية؛ كل عام: جاء بكلمة (عام) التي تأتي في القرآن عادةً في سياق الخير، وكلمة السنة تأتي في سياق الشر؛ لأن الفتنة في كل عام هي لصالحهم؛ لكي يتوبوا، أو يذكروا، ويرجعوا عن شركهم، وكفرهم، ونفاقهم؛ فالفتنة غايتها إنقاذهم.

﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾: ثم هنا: ليست للتراخي في الزمن، لا: النافية، لا يتوبون: لا يكفون ويرجعون إلى الله.

﴿وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾: وتكرار لا: النافية؛ لزيادة التوكيد، وفصل كل من التوبة عن التذكر، والإيقاظ؛ يذكرون: من التذكر، وعدم النسيان، يذكرون: يتعظون، ويصحون من غفلتهم، ويعودون إلى رشدهم، يذكرون، ولم يقل: يذكرون. يذكرون: فيها مبالغة في التذكر وتعني: التذكر الشديد، أو القوي، والتذكر القلبي الذي ربما يوقظ قلوبهم ويتوبوا إلى الله توبة نصوحاً، وأما

يتذكرون: تأتي في سياق التذكر العقلي، أو الفكري الذي يحتاج إلى زمن طويل.
ارجع إلى سورة الأنفال آية (٥٧) لمعرفة الفرق بين يذكرون، ويتذكرون.

[١٢٧] ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرْفَ اللَّهِ قُلُوبُهُمْ بَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾:

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾: ارجع إلى الآية (١٢٤) من سورة التوبة.

﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾: هنا حذف يقولون؛ لأنه مفهوم من السياق؛ نظر بعض المنافقين إلى بعض: قائلين هل يراكم من أحد من المؤمنين. من: استغرافية؛ تعني: أيًا من المؤمنين، وقد تعني: نظر بعضهم إلى بعض من دون أن يقولوا شيئاً، واستعملوا لغة العيون؛ كالغمز، وغيرها من الحركات؛ خوفاً من أن يسمعهم المؤمنون.

﴿هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾: هم يريدون الهرب، والتسلل؛ لوداً: خوفاً من أن يفتضح أمرهم؛ فهم في خوف دائم؛ فهم يسألون؛ هل: للاستفهام؛ يراكم من أحد من المؤمنين.

﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا﴾: ثم: للترتيب الذكري، أو ترتيب الأحداث، ثم انصرفوا من مجلس، أو مكان نزول السورة من دون الاستماع إليها، أو بيانها؛ فهم قد دخلوا بالكفر، وهم قد خرجوا به.

﴿صَرْفَ اللَّهِ قُلُوبُهُمْ﴾: عن الهدى، والإيمان، والرشد؛ فهذا دعاء عليهم بالخذلان.

﴿بَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾: الباء: للتعليل، والإلصاق؛ لا: النافية؛ يفقهون: الفقه لغة: الفهم، واصطلاحاً: هو معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية القرآن والسنة والإجماع والقياس وغيرها؛ أي: لا يفهمون ما يسمعون، ولا

يتدبرونه، ولا يفهمون قيمة الإيمان، ولا يريدون أن يتعلموا بأنفسهم، أو من غيرهم.

[١٢٨] ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتوكيد، والإثبات.

﴿جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾: من أنفسكم؛ أي: من المؤمنين، أو من قريش، أو من جنسكم، وليس من الجن، ولا الملائكة، بينما قوله: رسول منهم؛ تعني: من العرب من الأميين.

﴿جَاءَكُمْ﴾: المجيء فيه صعوبة؛ قد تعني بتكاليف قد تشق عليكم، أو أوامر ونواهي يجب الأخذ بها، أو مجيء في وقت، أو زمن انتشر فيه الشرك، والجهل، والظلم.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: عزيز: من عز عليه؛ أي: صعب وشق؛ أي: يصعب عليه ما يشق عليكم، العزيز: الممتنع لا يقدر عليه أحد، أو الأمر الذي يعز (يصعب) على الناس تداوله، أو يصعب عليه؛ أي: يألّم ويحزن ما تعانونه من مشقة (مثل الهجرة، والفاقة، والحرب، والاضطهاد، وغيرها من الشدائد).

﴿مَا عَنِتُّمْ﴾: ما: مصدرية، أو اسم موصول؛ بمعنى: الذي؛ أي: يصعب عليه عنتكم، أو الشيء الذي أعتكم، أو ما يشق عليكم.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾: الحرص: هو بذل الجهد؛ لإدراك أمر مقصود، والمعنى: يبذل غاية جهده لمصلحتكم؛ أي: هدايتكم، وإيمانكم، وإنقاذكم من النار؛ أي: حريص على دفع المكروه عنكم، وحصول المحبوب لكم.

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: الباء: للإلصاق، والتمسك، رؤوف



رحيم: قال ابن عباس ؓ سَمَّى الله تعالى نبيّه باسمين من أسمائه، أو وصف الله سبحانه نبيه بصفتين من صفاته: الرَّأْفَةُ، والرَّحْمَةُ، وقَدَّمَ بالمؤمنين على رؤوف رحيم، ولم يقل: رؤوف يرحم المؤمنين: للتوكيد، والحصر. الرَّأْفَةُ: أَشَدُّ الرَّحْمَةِ، وأَرْفُهَا: لم يحملهم ما لا يطيقون.

الرَّحْمَةُ: هي جلب الخير، أو ما ينفع، ودفع الضر.

[١٢٩] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾:

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: الفاء: عاطفة، إن: شرطية، تولوا: ابتعدوا عنك، أو أعرضوا عن الإيمان؛ فلا يهْمُنْكَ إعراضهم.

﴿فَقُلْ﴾: الفاء: للتوكيد؛ الخطاب للنبي.

﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾: أي: يكفيني الله سبحانه، والحسب: اسم بمعنى: كاف؛ فهو كافيك، وناصرك. قل ذلك بالقلب واللسان، وكلمة الحسب تقال في الشدائد (حسبي الله ونعم الوكيل).

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا: النافية؛ إله معبود (أثبتت العبودية لله)؛ إلا: أداة حصر. هو: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد (نفث عنه الشريك أثبتت له الوجدانية). ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: عليه جار ومجرور تقدّم توكلت؛ للدلالة على الحصر، والقصر؛ أي: أتوكل عليه وحده.

التوكل: هو الاعتماد على الله، وطلب المساعدة منه بجلب المنافع، ودفع

المضار بعد تقديم الأسباب كاملة ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].
ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لبيان معنى التوكل.

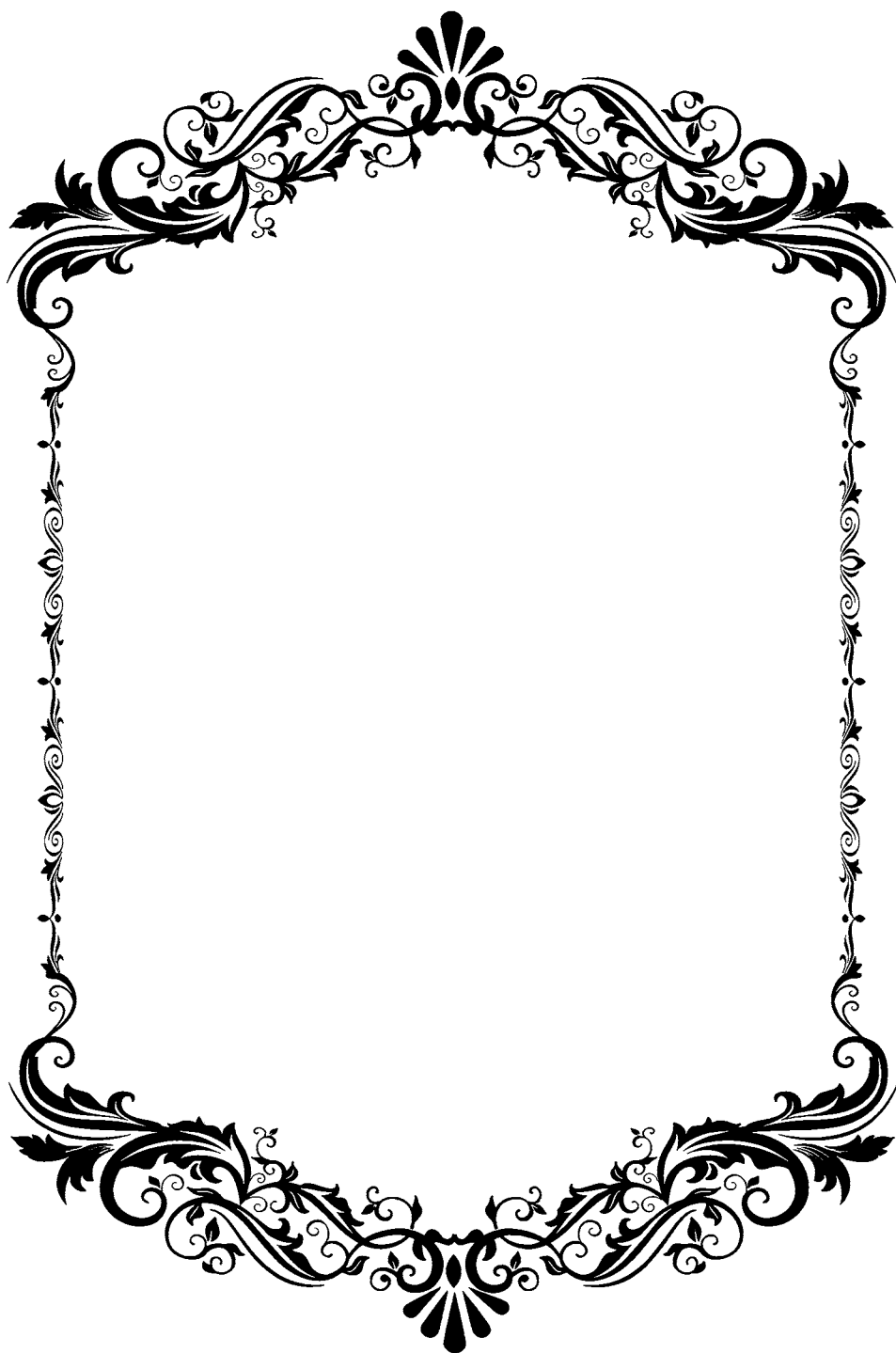
﴿وَهُوَ﴾: هو: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد، والحصص.

﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: رب العرش: خالق العرش، ورب الكون،
والعرش؛ تعني: الحكم، والملك، أو الحاكم، والمالك.

﴿الْعَظِيمِ﴾: قد تعود على الله سبحانه العظيم (رب العرش) القادر على
كل شيء، ولمعرفة معنى العظيم؛ ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥٥)، أو قد تعود
على العرش العظيم؛ لأنه أعظم المخلوقات على الإطلاق؛ أعظم من السموات،
والأرض؛ فالسموات والأرض بالنسبة للعرش؛ كحلقة في فلاة، وأعظم من
خلق الإنسان؛ فهو خالق العرش، والكون، والإنسان، وكل شيء سبحانه، وهو
الحاكم، والمالك لكل شيء، لا يشاركه أحد.

ووصف العرش بأنه: عظيم، وكريم، ومجيد؛ فقال تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥]، ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾
[المؤمنون: ١١٦]، وربط التوكل برب العرش العظيم؛ لأن مَنْ خلق العرش العظيم
جديرٌ بأن يتوكل عليه. ارجع إلى سورة هود آية (٧) لمزيد من البيان.





فهرس تفسير القرآن الثري الجزء الرابع

السورة ورقمها	الصفحة
سورة الأنعام [الآيات ١٥٨ - ١٦٥].....	٦
سورة الأعراف [الآيات ١ - ١١].....	١٧
سورة الأعراف [الآيات ١٢ - ٢٢].....	٢٩
سورة الأعراف [الآيات ٢٣ - ٣٠].....	٤١
سورة الأعراف [الآيات ٣١ - ٣٧].....	٥١
سورة الأعراف [الآيات ٣٨ - ٤٣].....	٦٣
سورة الأعراف [الآيات ٤٤ - ٥١].....	٧٣
سورة الأعراف [الآيات ٥٢ - ٥٧].....	٨٣
سورة الأعراف [الآيات ٥٨ - ٦٧].....	٩٣
سورة الأعراف [الآيات ٦٨ - ٧٣].....	١٠٣
سورة الأعراف [الآيات ٧٤ - ٨١].....	١١١
سورة الأعراف [الآيات ٨٢ - ٨٧].....	١١٩
سورة الأعراف [الآيات ٨٨ - ٩٥].....	١٢٧
سورة الأعراف [الآيات ٩٦ - ١٠٤].....	١٣٧
سورة الأعراف [الآيات ١٠٥ - ١٢٠].....	١٤٧
سورة الأعراف [الآيات ١٢١ - ١٣٠].....	١٥٧
سورة الأعراف [الآيات ١٣١ - ١٣٧].....	١٦٧
سورة الأعراف [الآيات ١٣٨ - ١٤٣].....	١٧٧
سورة الأعراف [الآيات ١٤٤ - ١٤٩].....	١٨٧
سورة الأعراف [الآيات ١٥٠ - ١٥٥].....	١٩٥



السورة ورقمها	الصفحة
سورة الأعراف [الآيات ١٥٦ - ١٥٩]	٢٠٥
سورة الأعراف [الآيات ١٦٠ - ١٦٣]	٢١٣
سورة الأعراف [الآيات ١٦٤ - ١٧٠]	٢٢٣
سورة الأعراف [الآيات ١٧١ - ١٧٨]	٢٣٣
سورة الأعراف [الآيات ١٧٩ - ١٨٧]	٢٤٣
سورة الأعراف [الآيات ١٨٨ - ١٩٥]	٢٥٧
سورة الأعراف [الآيات ١٩٦ - ٢٠٦]	٢٦٧
سورة الأنفال [الآيات ١ - ٨]	٢٨١
سورة الأنفال [الآيات ٩ - ١٦]	٢٩١
سورة الأنفال [الآيات ١٧ - ٢٥]	٣٠١
سورة الأنفال [الآيات ٢٦ - ٣٣]	٣١١
سورة الأنفال [الآيات ٣٤ - ٤٠]	٣٢١
سورة الأنفال [الآيات ٤١ - ٤٥]	٣٢٩
سورة الأنفال [الآيات ٤٦ - ٥٢]	٣٣٧
سورة الأنفال [الآيات ٥٣ - ٦١]	٣٤٥
سورة الأنفال [الآيات ٦٢ - ٦٩]	٣٥٥
سورة الأنفال [الآيات ٧٠ - ٧٥]	٣٦٥
سورة التوبة [الآيات ١ - ٦]	٣٧٣
سورة التوبة [الآيات ٧ - ١٣]	٣٨١
سورة التوبة [الآيات ١٤ - ٢٠]	٣٨٩
سورة التوبة [الآيات ٢١ - ٢٦]	٣٩٩
سورة التوبة [الآيات ٢٧ - ٣١]	٤٠٧
سورة التوبة [الآيات ٣٢ - ٣٦]	٤١٧



الصفحة	السورة ورقمها
٤٢٥.....	سورة التوبة [الآيات ٣٧ - ٤٠]
٤٣٣.....	سورة التوبة [الآيات ٤١ - ٤٧]
٤٤١.....	سورة التوبة [الآيات ٤٨ - ٥٤]
٤٥١.....	سورة التوبة [الآيات ٥٥ - ٦١]
٤٦١.....	سورة التوبة [الآيات ٦٢ - ٦٨]
٤٦٩.....	سورة التوبة [الآيات ٦٩ - ٧٢]
٤٧٧.....	سورة التوبة [الآيات ٧٣ - ٧٩]
٤٨٧.....	سورة التوبة [الآيات ٨٠ - ٨٦]
٤٩٥.....	سورة التوبة [الآيات ٨٧ - ٩٣]
٥٠٥.....	سورة التوبة [الآيات ٩٤ - ٩٩]
٥١٣.....	سورة التوبة [الآيات ١٠٠ - ١٠٦]
٥٢٣.....	سورة التوبة [الآيات ١٠٧ - ١١١]
٥٣١.....	سورة التوبة [الآيات ١١٢ - ١١٧]
٥٤١.....	سورة التوبة [الآيات ١١٨ - ١٢٢]
٥٤٩.....	سورة التوبة [الآيات ١٢٣ - ١٢٩]
٥٥٧.....	فهرس تفسير القرآن الثري الجزء الرابع



نَفْسُ الْقُرْآنِ

الْحَكِيمِ الْخَافِعِ

فِي

الْإِعْجَازِ الْبَيِّنِيِّ وَاللُّغَوِيِّ وَالْعِلْمِيِّ

إِعْدَادُ وَدِرَاسَةُ

الدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ سَدِّالْهِسَالِ

تَحْقِيقُ د. مُحَمَّدٍ سَدِّالْهِسَالِ

تَحْقِيقُ د. مُحَمَّدٍ سَدِّالْهِسَالِ

تفسير القرآن الكريم الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

الجزء الخامس

كتاب المعراج

كتاب الجامع الكلام

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الشَّرِيفِ الْجَامِعِ

فِي

الْإِعْجَازِ الْبَيَّانِيِّ وَاللُّغْوِيِّ وَالْعَامِيِّ

الْجُزْءُ الْخَامِسُ

تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء: (١٢)
عدد الصفحات: (٦٧٠٤)
القياس: ٢٤ × ١٧
التنضيد والإخراج الضوئي: محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م



دار المعارف

تلفاكس: +963 11 2247242

ص.ب: 31429، سورية، دمشق

E-mail: meraj.press@gmail.com



للطباعة والنشر والتوزيع

دار الجامع الحكيم



تنضيد وإخراج ضوئي



تلفاكس: +963 933 84 60 60

جوال: +963 933 84 60 60

سورية - دمشق - تلفاكس: +963 11 2216555 - ص.ب. 13118

www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّتِّلَكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
 أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا
 لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ مَا مِنْ شَفِيعٍ
 إِلَّا مَنْ بَعْدَ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا
 تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ
 يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
 أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ
 ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ
 وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ
 لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ
 اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾



سورة يونس [الآيات ١ - ٦]

ترتيبها في القرآن (١٠)، وترتيبها في النزول (٥١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّتِّلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾:

﴿الر﴾: ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة للبعد يدل على بعد منزلة آيات الكتاب (القرآن)، والكاف: للخطاب، والمخاطب: هو رسول الله ﷺ.

وتلك: تشير إلى الكثرة، وتشير إلى الآيات الآتية، والتي سبقتها، والآيات بشكل عام.

﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾: آيات القرآن، والإضافة؛ للتفخيم لها، والتعظيم.

﴿الْحَكِيمِ﴾: وصف للقرآن، والحكيم: صفة مشتقة من حكم يحكم؛ أي: حاكم يحكم بين الناس بالحق، ويحكم بين الأفعال؛ هذا فعل حسن، وهذا فعل قبيح، وحاكماً يفصل بين الحق والباطل، وبين الناس فيما اختلفوا فيه، وحاكم في الأخلاق، وحكيم: مشتقة من الحكمة؛ أي: مليء بالحكمة، أو محكم لا تعارض فيه، ذو حكمة؛ لأنه صادر من الله الحكيم. وحكيم: تعني: المهيمن على الكتب السماوية الأخرى.

[٢] ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السَّحِرُ مُبِينٌ ﴾:

أسباب النزول: كما ذكر الواحدي والطبري عن ابن عباس قال: لما بعث الله تعالى محمداً ﷺ رسولاً أنكرت الكفار ذلك، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمداً؟ فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤].

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِتَّخَذُوكَ آلِهَةً وَلَا هُزُوا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١].

﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: ٢].

﴿أَكَانَ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، وتعجب.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص، والناس في هذه الآية: أهل مكة، وكلمة الناس: مشتقة من النوس. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢١).

﴿عَجَبًا﴾: موضع العجب أو التعجب كونه رجل أولاً، ومنهم ثانياً؛ أي: من قريش العرب ومن الأميين.

﴿أَنَّ﴾: المفسرة المخففة (للتوكيد).

﴿أَوْحَيْنَا﴾: الوحي لغة: هو الإعلام بالخفاء. وشرعاً: هو ما يلقي الله سبحانه على رسوله من تكاليف، وتعاليم، وآيات... وغيرها.

ويكون بأن يكلم الله أحد رسله وحيّاً، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لمزيد من البيان.



﴿إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾: إلى محمد ﷺ. منهم: من قريش يعرفونه.

﴿أَن أُنْذِرَ النَّاسَ﴾: أن: للتوكيد. أُنْذِرَ النَّاسَ: أُنْذِرَ من الإنذار: وهو الإعلام مع التحذير، أو التَّخويف، أو الزَّجر، والإنذار: يكون بعدم فعل شيء ما، أو تركه، أو الحثُّ على ألا يُقْدِمَ على ما يضره.

﴿النَّاسَ﴾: تشمل: الإنس، والجن.

الإنذار إذن لكلِّ النَّاسِ بما فيهم المؤمن والكافر. ارجع إلى الآية (٢١) من سورة البقرة.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: البشارة تكون فقط لمن آمن. الَّذِينَ آمَنُوا، ولا تكون إلا بالخير عادة (البشارة المطلقة)، أما البشارة المقيدة: فقد تكون بالشر؛ كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ تكون على سبيل التهكم، والسخرية. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿أَن لَّهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ﴾: أن: للتوكيد (حرف مشبه بالفعل). لهم: اللام: لام الاختصاص. لهم: خاصّة، قدم صدق: سابقة خير؛ أي: ما قدّموه من الأعمال الصّالحة في دنياهم قد وصل. قدّم: هو العضو المعروف الذي نمشي عليه، وهو وسيلة للسعي، والسبق؛ لأنَّ السَّعي والسَّبق إلى الأعمال الصّالحة غالباً ما يكون بالقدم؛ فعبر عن الإيمان، والاستماع، وأتباع المنهج الرّباني بالقدم على سبيل المجاز، أو أنّهم قد قدّموا أعمالاً صالحة في دنياهم فجزاء ذلك أن يكون لهم مقعد صدق عند ربهم.

﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُومِينُ﴾: وعندما أبلغهم الرسول ﷺ الإنذار، أو أنذرهم باتباع منهج الله تعالى، قال الكافرون: ﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿هَذَا﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة؛ يشير إلى رسول الله ﷺ.

﴿لَسَحَرُومِينُ﴾: أي: اتهم الكافرون الرسول ﷺ بكونه: ساحراً مبيناً: اللام في كلمة لساحر: تفيد التوكيد. مبين: واضح، ويبين لكل من يعرفه: أنه ساحر، وما جاء به السحر الواضح الذي لا يحتاج إلى برهان، أو دليل، وفي آيات أخرى: اتَّهَمُوا الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ سَحَرٌ؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [سبا: ٤٣].

والساحر: هو الذي يقوم بأعمال توهم أنها حقيقة، وهي حيل، وتخيلات، ولو كان ساحراً كما زعموا لماذا لم يسحرهم حتى يؤمنوا، وينتهي الأمر، واتَّهَمُوهُ بالساحر، أو ما جاء به السحر حين رأوا من تأثيره القوي في النفوس، والقلوب، وكونه خارقاً للعادات، وظنوا أن رسول الله ﷺ ما يقوم به، أو جاء به هو نوع من الحيل والشعوذة، أو كيف يُوحى إليه. ارجع إلى سورة طه، آية (٥٨)، وسورة البقرة، آية (١٠٢).

كلمة صدق جاءت في القرآن في عدة آيات منها:

- قدم: ﴿قَدَّمَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٢]؛ أي: سابقة فضل، ومنزلة رفيعة.

- لسان: ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ [الشعراء: ٨٤]؛ أي: ثناء حسناً، وذكرًا جميلاً.

- مخرج ومدخل: ﴿أَدْخَلَنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرَجَنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠]؛

أي: أدخلني مدخلاً مرضياً، وأخرجني مخرجاً مرضياً.



- مقعد: ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٥]؛ أي: مكاناً مرضياً في الآخرة.

- ﴿مُبَوَّأ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٩٣]؛ أي: منزلاً مباركاً في الدنيا.

والمدخل، والمخرج، والمقعد، والمبوأ: كل ذلك جزاء لمن استجاب
لربه، وعمل صالحاً.

[٣] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾:

بدلاً من العجب كيف أنزل الوحي إلى محمد ﷺ كان عليكم أن تعجبوا
من خلق السموات والأرض في ستة أيام.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾: إن: للتوكيد، ربكم الله: ربكم: الرب في
اللغة: المالك، والمدبر، والمربي، والقيم، والرازق، والمنعم. الله: سبحانه
تشير أنه المعبود الحق، والإله الحق الذي يستحق العبادة؛ لأنه سبحانه ﴿الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٥٤)، وسورة
البقرة، آية (٢٢، ٢٩)، وسورة الأنبياء، آية (٣٠)؛ للبيان.

﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: قد تعني: ستّ مراحل، وكلّ مرحلة تمثل بيوم، واليوم طوله
بلايين السنين، ويُعينُ على تفسير ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهٌ يَوْمَئِذٍ عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ
سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾: ثم: هنا تفيد التفاوت بالمرتبة بين الاستواء على
العرش: هو أكبر وأعظم المخلوقات، وأعظم من خلق السموات والأرض الذي
هو بدوره أكبر من خلق الناس، كما أشارت إلى ذلك الآية (٥٧) من سورة غافر.

﴿أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾: استواءٌ يليقُ بذاته، وصفاته، وفي إطار ليس كمثله شيء، والاستواء: لا يدلُّ على مكان محدّد؛ لأنّه سبحانه مُنَزَّهٌ أن يكون محدداً بمكان، أو زمان، والعرش فسره بعض العلماء بالملك، والسّلاطان، والقدرة، والتّدبير، والعرش: لا يُقدّر بقدر، وهو من الأمور الغيبية.

والكرسي فسّر بالعلم، والسّموات السّبع، والأرض بالنّسبة للعرش كحلقة في فلاة. ارجع إلى سورة هود آية (٧) للبيان.

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: الأمر: يضم كل شيء وزيادة، يدبّر أيّ أمر حسب مشيئته، وحكمته، وعلمه، وإرادته تدبير محكم، يدبر: يعني: ينظم، يقدر ويقضي، يدبر الأمر جاء لينفي التعجب؛ فالذي خلق هو الذي يدبر الأمر، أمر الكون، وأمر الخلق.

﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾: ما: النّافية. من: الاستغراقية، وتشمل المفرد، والمثنى، والجمع. شفيع: صيغة مبالغة من شافع، وهو الذي يطلب العفو لشخص آخر، وتكون في ذنب، أو تقصير في حق الله، والشفاعة لا بُدَّ لها من شروط، هي: إذن من الله، ورضا، والمشفوع له مؤهل للشفاعة، وكذلك الشّافع مؤهل للشفاعة؛ كقوله سبحانه: ﴿لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾، والشفاعة الباطلة المزعومة شفاعة الأصنام، والأوثان... وغيرها من الآلهة المعبودة، واللات، والعزى: فليس لهذه شفاعة أصلاً عند الله سبحانه.

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ ذلكم: اسم إشارة؛ يفيد البعد؛ أي: التعظيم، والعلو، والتّوكيد، ولم يقل: ذلك، وإنما ذلكم؛ أي: ذلكم العظيم الذي



خلق السموات والأرض، ثم استوى على العرش، والذي يدبر الأمر: هو الله الذي يستحق العبادة وحده، ويستحق التعظيم، والشكر، والحمد.

﴿فَاعْبُدُوهُ﴾: وحده، والفاء: تفيد التوكيد، والتعليل.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: الهمزة: للاستفهام، الفاء: للتوكيد. ألا: أداة حُضٍّ، وحثٍّ، وطلب، وتنبيه للسامع الذي قد يكون غافلاً.

﴿تَذَكَّرُونَ﴾: ولم يقل: تذكرون؛ أي: لستم بحاجة إلى وقت طويل لتذكروا عظمة الخالق؛ لأن أدنى تذكر بخلق هذه السموات والأرض كافٍ للدلالة على عظمة الخالق المدبر.

[٤] ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾:

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾: بعد الحديث عن دلائل وحدانية الألوهية، والربوبية ينتقل سبحانه إلى ذكر البعث، والجزاء.

﴿إِلَيْهِ﴾: جار ومجرور، وتقديم ذلك يدل على الحصر إليه وحده لا إلى غيره.

﴿مَرْجِعُكُمْ﴾: جميعاً يوم القيامة (البعث والحشر).

﴿جَمِيعًا﴾: توكيد.

﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾: وعد الله صدقاً؛ أي: إرجاعه إياكم إليه وعدٌ منه صادق، وكلُّ وعدٍ من الله هو حقٌّ، والحق: هو الشيء الثابت الذي لا يتغير.

﴿حَقًّا﴾: يفيد التوكيد؛ لأنّ الباطل قد يسود، ويطغى ويعمُّ، ثم يزول، وينمحي.

﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: إنّ: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد.

﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾: يخلق الخلق ابتداءً بتقدير، ومن غير مثال سابق.

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: ثمّ: للترتيب، والتراخي يعيده بالبعث، والحشر، وهو أهون عليه.

والغاية والحكمة من الإعادة: هي الجزاء، والحساب.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾: ليجزي: اللام: لام التعليل.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾: أي: يرفع الجور، ويحقق العدل؛ فالقسط يعني: الحكم بالعدل، وتنفيذ الحكم، والجزاء لا زيادة، ولا نقصان، وهذا لا يمنع الفضل من الله سبحانه، والحسنة بعشر أمثالها، أو أضعاف، والسّيئة بمثلها.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾:

وبالمقابل الذين كفروا بالله، ورسله، واليوم الآخر، والبعث، والجزاء:

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: الحميم الماء الشّدِيد المتناهي في الحرارة، والسّخونة.

﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: شديد الإيلام بما كانوا يكفرون.

﴿بِمَا﴾: الباء: للتعليل، أو السّببية؛ أي: بسبب كفرهم.

[٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾: هو: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر؛ هو وحده لا غيره.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول.

﴿جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾: والجعل يكون بعد الخلق، وهو التصيير؛ أي: خلق الشمس، وهي نجم؛ أي: فرن نووي عملاق؛ مركب من غاز الهيدروجين بنسبة (٧٥٪)، والهيليوم بنسبة (٢٤٪)، وتبعد الشمس عن الأرض (١٥٠ مليون كم)، وهي أهم مصدر للحياة على كوكب الأرض.

﴿ضِيَاءً﴾: أي: مصدراً للضوء، والدفع للكائنات الحية كلها: الإنسان، والحيوان، والنبات، ولولا الشمس لما استقامت الحياة على الأرض، وفي كل شهر شمسي نجد أن الشمس تقع في برج من البروج؛ فهي وسيلة لتحديد الزمن أيضاً.

﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾: القمر: هو الجرم السماوي الوحيد الذي يدور حول كوكب الأرض دورة كاملة في كل (٢٧،٣ يوم) تقريباً، ويأخذ (٢٩ يوماً) ليدور حول نفسه ويظهر لنا كهلال، ويعتبر القمر خامس أكبر الأقمار الطبيعية الموجودة في المجموعة الشمسية، ويبعد عن الأرض حوالي (٣٨٤،٠٠٠ كم)، ويستمد ضوءه من الشمس، ونسبة قليلة من أشعة الأجرام الأخرى، وقطر القمر يساوي ربع قطر الأرض، والقمر ليس مضيئاً بحد ذاته، وإنما يعكس الضوء الواقع عليه من أشعة الشمس، ويسمى ذلك نوراً، فهناك فرق بين الضوء والنور.

وأما الضياء، أو الضوء الذي تصاحبه حرارة مقارنة بالنور الذي ليس فيه حرارة فهي إضاءة صادرة عن مصدر مشتعل بحد ذاته، أو مضيء بذاته؛ كالشمس، والنجوم، والنور أوسع، أو أعم من الضياء، والضياء: حالة جزئية من حالات النور، والنور حين يشتد يسمى ضياءً (أو فرط الإنارة).

والضياء: هو حالة من حالات اشتداد النور.

فالنور حين يشتد يسمى ضياءً، وفرط الإنارة يسمى ضياءً.

﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾: منازل القمر هي: مواضع تحركه في مداره حول الأرض بين الشمس والأرض، ومنازل القمر هي: المحاق، والهِلال المتزايد، والتربيع الأول، والأحدب المتزايد، والبدر، والأحدب المتناقص، والتربيع الثاني، والهِلال المتناقص. ارجع إلى سورة ياسين آية (٣٩).

﴿لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾: وتبعاً لتغير هذه المواقع تتغير صورته التي نراها عليها خلال الشهر (أوله، وسطه، آخره)، والتقدير الشهري يكون بالقمر، والتقدير اليومي يكون بالشمس.

﴿لِنَعْلَمُوا﴾: اللام: لام التعليل.

﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾: فدورة القمر حول الأرض دورة كاملة يحدد لنا الشهر، وكل (١٢) دورة قمرية تحدد لنا السنة القمرية، وكل سنة قمرية أقل من السنة الشمسية بـ (١١ يوماً)، ودورة الأرض حول محورها (نفسها) يحدد لنا اليوم، وسنة المسلمين سنة شمسية قمرية معاً، ويحدد وقوع الشمس في برج من الأبراج الاثني عشر الشهر الشمسي، وهناك أبراج للزينة، وأبراج تساعد على



معرفة الاتجاهات. ارجع إلى سورة الإسراء آية (١٢)، وسورة الحجر آية (١٦)،
وسورة الرحمن آية (٥)، وسورة إبراهيم آية (٣٣) للبيان المفصل في السنة
الشمسية والسنة القمرية.

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: ما: النافية.

﴿خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾: أي: الشمس، والقمر، والسماء، والأرض، والليل،
والنهار، والضياء، والنور؛ إلا بالحق.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الأمر الثابت الذي لا يتغير (لا خلاف فيه)؛ بالصدق.

﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يفصل الآيات؛ مثل: كروية الأرض بيئتها
في آيات أخرى؛ مثل: الليل، والنهار، والضياء، والنور. ارجع إلى سورة الأنعام،
آية (٥٥)؛ للبيان.

﴿لِقَوْمٍ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: العلم عملية نهائية تسبقها عملية الفقه، والتفكر، والتدبر،
والعقل، ثم العلم. العلم بالحقائق الكونية الدالة على وجود الخالق الحق
الواحد، واجب الوجود.

[٦] ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَّقُونَ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر في الآية السابقة هو الذي جعل الشمس ضياءً،
والقمر نوراً أتبع ذلك؛ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: في التعاقب،

والطُّول والقصر، والمجيء والذهاب؛ هذا الاختلاف الدَّال على كروية الأرض، ودورانها حول محورها، وحول الشمس الذي يؤدِّي إلى تبادل الليل، والنَّهار الضروريين لاستقامة الحياة على هذه الأرض.

﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: من المجرات، والكواكب، والنجوم، والشموس، والأقمار، وفي الأرض من الجبال، والحيوانات، والبحار، والنباتات، والجمادات، والسحاب، والأمطار، والرَّعد، والبرق، والمد، والجزر... وغيرها. ﴿الْأَيَّتِ﴾: اللام: لام التوكيد؛ آيات: كونية، ودلائل على وجوده، ووحدانيته، وقدرته، وحكمته، وعظمته، وكمال علمه، وهذا يوجب طاعة الله وتقواه.

﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ يتقون الله في أوامره بطاعتها، ويتقون الله في نواهيه بتجنبها.

وفي الآية السابقة قال تعالى: ﴿الْأَيَّتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: أي: يعلمون، وهذا العلم يهديهم إلى التقوى.





سُورَةُ الْاَنْعَامِ ١٠

الْبَقَرَةُ الْاُولَى

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا
بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ
النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ
اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ
اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ
الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ
مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ
خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾



سورة يونس [الآيات ٧ - ١٤]

[٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: إن: لتوكيد الذين؛ لا: النافية؛ لا يرجون: لا يودون، أو لا يتوقعون لقاءنا؛ أي: لقاء الله سبحانه، والعرض عليه يوم القيامة، والرجاء هنا؛ يعني: الشك، والظن، والخشية، والخوف؛ أي: يشكون، أو لا يتوقعون، وربما يخشون، ويخافون لقاءنا.

﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: أي: أمثال هؤلاء الذين لا يؤمنون بالبعث، والحشر، والقيامة، والدار الآخرة، والجنة والنار، ولا يؤمنون بثواب، ولا بعقاب؛ بما أنهم لا يؤمنون بالبعث، والجزاء، والحساب؛ فهم لا يستعدون لذلك، أو يهيئون أنفسهم بالإيمان، وبالعامل الصالح؛ فهم لا يخافون العاقبة، وسوء اللقاء، وقال سبحانه: (لقاءنا)، ولم يقل: لقاء الآخرة؛ للتنبيه، والتحذير لهؤلاء. ارجع إلى سورة الفرقان، آية (٢١)؛ لمزيد من البيان في معنى: لا يرجون.

﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي: اكتفوا بالحياة الدنيا، ولم يرغبوا بالآخرة، أو يفكروا بآخرتهم، أو هم آثروا الدنيا على الآخرة.

﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾: ارتاحوا، وأخلدوا إلى دنياهم، وفرحوا بها.

وقصروا همهم، وغايتهم على لذائد الدنيا وزخارفها، فكان ذلك مبلغهم من العلم. والرضا: هو اطمئنان القلب إلى أمر فيه نفع.



﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾: الغفلة: هي ترك الشيء، وذهابه عن فكر الإنسان، ولم يعد يخطر على باله، أو يتذكره رغم رؤيتهم لآيات الله سبحانه الكونية، أو القرآنية، وسماع تلك الآيات؛ فهي تمر عليهم كأن لم تكن لا يتقظون بها، وكأنهم خشب مسندة لا يتعظون بها، فهؤلاء الذين فرحوا بالحياة الدنيا، واطمأنوا بها؛ أصبحوا في منزلة الغافلين عن الآخرة، أو عما هو مطلوب منهم.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد.

وكان يكفي القول: والذين عن آياتنا غافلون. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان في معنى: غافلون.

[٨] ﴿أُولَٰئِكَ مَاؤُهُمُ النَّارُ يِمَّا كَانَوُا يَكْسِبُونَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة؛ يفيد بُعد انحطاطهم، وغفلتهم.

﴿مَاؤُهُمُ النَّارُ﴾: المأوى: اسم مكان من أوى يأوي، والمأوى: المنزل، والمكان؛ مكان استقرارهم، وخلودهم.

﴿يِمَّا كَانَوُا يَكْسِبُونَ﴾: الباء: للإلصاق، وتفيد السببية، أو البدلية؛ أي: بدل، أو بسبب ما كسبوا من الذنوب، والآثام، وقال سبحانه: يكسبون، ولم يقل: يكتسبون. ارجع إلى الآية (٢٧) من سورة يونس، وسورة البقرة، آية (٢٨٦)؛ لبيان تفسير كلمة كسبوا، واكتسبوا.

[٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾: إن: للتوكيد؛ الهداية تكون لهم في الدنيا، وفي الآخرة، والهداية تعني: أخذوا بالمنهج، والتزموا به، وطلبوا العون من الله؛ فدلهم على الصراط المستقيم،

وأرشدهم إليه في الدنيا، ويوم القيامة سوف يوصلهم ذلك الصراط المستقيم إلى جنات النعيم.

﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾: أي: تنبع الأنهار من تحت تلك الجنات. في جنات النعيم: ارجع إلى سورة الزخرف آية (٧١-٧٢) للبيان.

﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾: النعيم: هو مشتق من النعمة، ويعني: النعمة الكثيرة الدائمة التي لا تزول، فالنعيم: يطلق على نعم الآخرة، وهو النعيم الدائم الكثير والمتجدد والخالد الخاص بأهل الجنة.

وأما النعمة: تطلق على نِعَم الدنيا الظاهرة والباطنة، وهي نعم زائلة، وإذا كان هناك نعيم في الدنيا فهو ناقص زائل غير كامل تشوبه الأكدار. ارجع إلى سورة الزخرف آية (٧١-٧٢) لمزيد من البيان.

[١٠] ﴿دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْيَهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَجْزُدَعَوْهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿دَعَوْهُمْ فِيهَا﴾: أي: دعاؤهم فيها؛ أي: في جنات النعيم، رغم كون دار الآخرة ليست دار تكليف، وعبادة؛ فهم يدعون ربهم فرحاً، وتلذذاً؛ كما كانوا يدعون في الدنيا؛ لكثرة ما يفاجئون به من النعيم تنطلق ألسنتهم بالتسبيح؛ فيقولون: سبحانك اللهم، ومعناها: يا الله، أو يا الله اثنتا بالخير من شدة الإعجاب يبدؤون بالتسبيح، والتنزيه؛ إجلالاً، وتعظيماً للمنع.

﴿وَنَحْيَهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾:

١ - سلام من الله سبحانه كقوله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

٢ - وسلام من الملائكة كقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾

[الرعد: ٢٤].

٣ - وهم يَسْلُمُونَ على بعضهم بعضاً.

كلمة السَّلام: رمز الرِّضا، والاستقرار، والاطمئنان؛ سلام شامل يشمل
النَّفس من كلِّ مكروه، ويشمل الأهل، والمكان.

﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: وآخر دعواهم أن:
للتوكيد.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أي: حمد ييقين، وتوكيد على فضل الله عليهم؛ حمد على
نعم الله تعالى التي لا تزول، والحمد لله رب العالمين على نعمة الإيجاد،
والحمد لله على نعمة الإمداد، والحمد لله على نعمة البقاء في دار الخلد حمداً
يليق بجلاله، وعظيم سلطانه.

[١١] ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفَضَّلَ إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ
فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: استثنائية، لو: شرطية؛ تفيد النفي، ومثل هذه الآية قوله
تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

﴿يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾: لو يعجل الله إجابة
دعائهم حين يدعون بالشَّرِّ كما يعجل لهم الإجابة بالخير.

﴿لَفَضَّلَ إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ﴾: الأجل: الموت؛ لقضي إليهم أَجْلُهُمْ؛ أي:
أهلكهم، أو أَمَاتهم، أو أصابهم السَّوء، ولكن من رحمته لم يستجب لهم؛ لأنَّه
رؤوف رحيم، واللام: في ليقضي: للتوكيد، والتعليل.

ووضع استعجالهم بالخير بدلاً من تعجيله لهم بالخير؛ ليدل على سرعة
إجابته لهم، ولنعلم: أنَّ إجابة الدَّعاء، أو عدمه مفوض إلى مشيئة الله وحده،
وإلى حكمته سبحانه، والله سبحانه منزَّه أن يظنَّ أيُّ عبد أنَّ الله سبحانه يجب أن

يستجيب لدعائه؛ فالله سبحانه بحكمه، وحكمته يقرر ما يشاء، ويختار، ما كان لهم الخيرة.

﴿فَنذُرٌ﴾: الفاء: للمباشرة. نذر: نترك، ونهمل.

﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: ارجع إلى الآية السابقة (٧).

﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: طغيانهم: مجاوزتهم الحد في الظلم، والكفر، والعصيان.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحيرون؛ يترددون في الضلال، والكفر، والعصيان؛ يتقلبون، ويدل قوله: يعمهون: على التجدد، والتكرار. ويعمهون: مشتقة من عمى البصيرة من عمه؛ إذا تردد، وتحير، وأما العمى: فيكون في البصر، أو العين، وعمى البصيرة أشد من عمى العين.

[١٢] ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: إذا: ظرف زماني؛ يدل على كثرة الحدوث، وحتمية الوقوع.

﴿مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾: مس: المس: هو الإصابة الخفيفة (الطفيفة) مجرد المس الذي هو دون اللمس.

﴿الضُّرُّ﴾: هنا معرف بآل التعريف، يعني: سوء الحال والمرض. والضُّرُّ: أشد من الأذى، ويكون في النفس وغيرها، وهناك فرق بين الضُّر بضم الضاد، والضُّر بفتح الضاد الذي ضد النفع.

﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾: لجنبه؛ أي: مضطجعا على جنبه؛ أي: دعانا وهو مضطجع، وهو ملازم لجنبه، أو نائما على جنبه. دعانا لجنبه: اللام: لام



الاختصاص (لجنبه الدالة على حالة ضره)، وقدم الجنب؛ لأن الإنسان في حالة المرض أكثر ما يلزم جنبه (أي: حالة الاضطجاع).

﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾: ثم قاعداً (أو قاعداً)؛ أي: جالساً، ثم القيام، والقيام يدل على تحسن حاله، ونرى عكس هذه الآية في الترتيب الآية (١٩١٩) من سورة آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾.

﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾: تشمل جميع أحواله حين المرض، فحين يصاب بالمرض الشديد يلزم جنبه، ثم إذا تحسن حاله يقعد ويصلي وهو قاعد، ثم إذا تحسن يقوم ويصلي.

ولم يذكر حالة المشي؛ لأن الماشي عادة ليس به ضر.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ﴾: فلما: الفاء: تدل على الترتيب، والتعقيب. لما: ظرفية زمانية؛ بمعنى: حين.

﴿كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ﴾: رفعنا، وأزلنا عنه ضره، وهنا يشبه الضر؛ كأنه غطاء يغطي الإنسان، والكشف: هو رفع الغطاء، وإزالته، وهذا يشير إلى أن الضر أصاب الجسم كله، وليس عضواً واحداً.

﴿مَرَّكَ أَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ﴾: مر: كلمة تشير إلى أنه حين لم يجد له معيناً غير الله لهم سبحانه راح يدعو الله سبحانه؛ حتى يرفع عنه الضر؛ فلما رفع عنه ضره لم يعد يتذكر ما أصابه، وما دعا به، وعاد إلى ما كان عليه من عدم الإيمان، والكفر، ولم يتعظ، ولم يداوم على شكر الله، ويرجع عن ضلاله.

الكافر يدعو الله ساعة الضر فقط، أما المؤمن: فهو يدعو ربه دائماً.

وقد وردت آيات الضر بمعانٍ مختلفة:



في سورة الزمر، الآية (٨): ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾.

في سورة النحل، الآية (٥٣، ٥٤): ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾
ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

فالضر قد يمس الإنسان لوحده من دون الآخرين.

أو الضر يمس الكل من دون استثناء.

﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي: هذه صفة وعادة المسرفين سابقاً ولاحقاً؛ إذا أصابهم الضر دعوا ربهم منيبين إليه، ثم إذا كشف عنهم الضر؛ عادوا إلى فعل المعاصي، والكفر، والشرك؛ أي: مروا كأن لم يدعوا إلى ضر مسهم، وزين: هنا مبني للمجهول، وهو الشيطان: بالسوسة، والضلال، والعودة إلى الكفر، ما كانوا يعملون العمل يشمل الفعل، والقول؛ أي: ما كانوا يقولون ويفعلون، والمسرف تعم الكافر، والمشرك وغيره، وسمي الكافر مسرفاً؛ لأنه أسرف في حق نفسه؛ فجعلها عبداً للأوثان، والأصنام، أو أسرف في كفره، واستمر على ذلك، أو استمر على فعل المعاصي، والكبائر.

[١٣] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُم رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾: ولقد: الواو: استئنافية؛ لقد:

اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، وزيادة التوكيد.

﴿أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾: جمع قرن، والقرن (أهل كل زمان)، والقرن من الزمان

هو (١٠٠ سنة)، ولقد أهلكنا القرون من قبلكم، وأبوا أن يؤمنوا، ويقولوا: لا إله إلا الله، وأشركوا بالله سبحانه، أو كذبوا بآياته، ورسله، أو ظلموا أنفسهم باتباع الشهوات، وخروجهم عن منهج الله تعالى، أو ظلموا غيرهم بالصد عن



سبيل الله، أو الشرك. ارجع إلى الآية (٥٤) من سورة البقرة؛ لمزيد في معنى الظلم.

﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾: لما: ظرف زماني.

﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجزات الدالة على صدق نبوتهم، والدالة على وحدانية الله، وعلى وجوب الإيمان، والبيانات تشمل كذلك الحجج، والأدلة، والبراهين.

﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: ما: للنفي.

﴿كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: اللام: التأكيد؛ تأكيداً للنفي (نفي الإيمان)، وأصروا على الكفر، والشرك، والمعاصي.

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾: كذلك؛ أي: بمثل هذا الهلاك؛ نجزي كل مجرم يكذب بما جاء به الرسل، والمجرم: هو الكافر، والمشرک، والظالم، والمنكر للبعث، والحساب، والمستهزئ بآيات الله، وبرسله، وإذا قيل لهم: لا إله إلا الله يستكبرون. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنى المجرمين.

انتبه وردت كلمة المجرمين خمس مرات في هذه السورة:

الآية (١٣): ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

الآية (١٧): ﴿إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

الآية (٥٠): ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

الآية (٧٥): ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

الآية (٨٢): ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

[١٤] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتراخي في الزمن.

﴿جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾: خلائف: جمع خليفة، والخطاب في هذه الآية موجه إلى أمة محمد ﷺ.

﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: من بعد الذين أهلكناهم؛ أي: كفار مكة القوم المجرمين. ارجع إلى سورة الأنعام، آية (١٦٥)؛ للبيان المفصل في خلائق الأرض، خلائق في الأرض، خلفاء في الأرض.

﴿لِنَنْظُرَ﴾: اللام: لام التوكيد، والتعليل.

﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: كيف: استفهامية وللتحذير، تعملون: تشمل الأقوال والأفعال، هل تعملون بعمل المجرمين الذين أهلكناهم، أم تخالفونهم، وتكونوا أفضل منهم.





سُورَةُ الْاِنشِارِ ١٠

الْاِنشِارِ

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتُنَبِّئُهُمْ بِشَرٍّ إِنْ غَيْرَ هَذَا أَوْ بَدِّلْ لَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي بِنَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبُكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾



سورة يونس [الآيات ١٥ - ٢٠]

[١٥] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتُنَبِّئُهُمْ بِشَيْءٍ أَن غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ أَفَلَا يَكُونُ لِي أَن أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِيَّ إِنِ اتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنِّ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

﴿وَإِذَا﴾: الواو: استئنافية؛ إذا: ظرفية زمانية تتضمن معنى الشرط، وإذا تستعمل للشيء المحقق حدوثه.

﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾: التلاوة؛ تعني: القراءة؛ أي: آيات القرآن الحكيم. ارجع إلى الآية (٧١) من نفس السورة.

﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾: تتلى: فعل مضارع؛ يدل على التجدد، والتكرار، بينما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ﴾: تليت: فعل ماضٍ؛ أي: قرئت عليهم آياتنا؛ تدل على الحدوث في الماضي مرة، أو مرتين وانتهى الأمر؛ بينما تتلى: تدل على التجدد، والتكرار.

﴿بَيِّنَاتٍ﴾: الآيات الواضحات الدالات على وحدانية الله تعالى، وعلى الإيمان، وترك الشرك، ومحاربة الكفر، والأصنام.

﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: ارجع إلى الآية (٧)؛ لمعرفة معنى الذين لا يرجون لقاءنا.

وقيل: كانوا خمسة نفر؛ أمثال: عبد الله بن أمية، والوليد بن المغيرة، ومُكرز بن حفص، وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس، والعاص بن عامر. هذا ما قاله مقاتل (انظر في أسباب النزول للواحدي).



وقيل: نزلت في المستهزئين بالقرآن؛ كما قال ابن عباس رضي الله عنه.

﴿أَنْتَ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾: هم يطلبون طليين:

١ - الأول أن يأتي لهم رسول الله ﷺ بقرآن غير هذا؛ أي: يطلبون قرآنًا جديدًا كاملاً.

٢ - والثاني: إذا لم تأتِ بقرآن جديد إذن بدل بعضه (أي: بعض آياته، أو كلماته)؛ بحيث لا تسيء إليهم، أو إلى آلهتهم؛ أي: هم يطلبون قرآنًا لا يذم شركهم، وظلمهم، ولا يعيبُ على آلهتهم، قرآنًا خاليًا من الإنذار، والوعيد، والبعث، والنشور؛ فقد كانت صدورهم تضيق لسماعه، وفي الحقيقة هم لا يريدون سماع أي شيء قليلًا كان أو كثيرًا يقلق مضاجعهم.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي﴾: قل لهم يا محمد ﷺ: ما: النافية؛ لا يحق لي أو يحل لي: أن: مصدرية؛ تفيد التوكيد. أبدله: انتبه جاء الرد بالرفض على التبديل، ولم يرد على طلبهم بالتغيير: ﴿أَنْتَ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا﴾؛ لأن هذا السؤال الأول سخي؛ أي: الإيتاء بغير هذا القرآن، وأما التبديل فنفي ذلك أيضاً؛ أي: نفي الأسهل؛ ليدل على نفي الأصعب، هو التغيير وهو أمر مستحيل.

وقوله: ﴿قُلْ مَا﴾: تنفي الحال، والمستقبل، وتحمل معنى التوكيد.

﴿مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي﴾: أي: لا يمكن أن أبدله من قبل نفسي.

﴿إِنْ أَنْجِ إِلَّا مَا يُوْحِي إِلَيَّ﴾: إن: حرف نفي. إلا: أداة حصر. ما يوحى إلي: أي: ما ينزل به الروح الأمين فقط. ما يوحى إليّ ربي من الآيات، والأحكام، ولمعرفة (ما يوحى إليّ): ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣).

﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: إن: للتوكيد؛ أخاف إن:

شرطية، وجملة إني أخاف إن عصيت ربي: جملة تعليلية؛ لكوني أتبع فقط ما يوحى إليّ.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: أي: يوم القيامة.

[١٦] ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: ﴿قُلْ لَّوْ﴾: شرطية.

﴿شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾: ما تلوته: ما: نافية. تلوته؛ أي: القرآن قرأته عليكم.

﴿وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾: ولا أبلغكم الله إياه؛ أي: ما تلوته عليكم، ولا أطلعكم الله عليه، أو نزله إليكم، وقرأته عليكم.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتأكيد؛ قد: للتحقيق، والتوكيد أيضاً.

﴿لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ﴾: أي: أقمت بينكم (٤٠ سنة) من قبل نزول القرآن لا أحدثكم، أو أبلغكم شيئاً من القرآن، وإنني أُمي لا أكتب، ولا أستطيع قراءة الكتب الأخرى، ولم يُعلمني بشر.

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة للاستفهام التوبيخي الإنكاري؛ أي: للحث، والتحريض، والتنبية.

﴿تَعْقِلُونَ﴾: أن هذا القرآن ليس من عندي، ولا أستطيع أن أغیره، ولا أبدله؛ أي: لو استعملتم عقولكم، وفكرتم لوصلتم إلى الحقيقة: أنكم لا تحتاجون إلى قرآن غيره، وتعقلون: من عقل الشيء عرفه بدليله، وفهمه بأسبابه، وتوصل إلى الحقيقة: أنه من عند الله وحده.



[١٧] ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾: الفاء: استثنائية. من: اسم استفهام إنكاري معناه: النفي؛ أي: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً: نكرة تشمل كل أنواع الكذب، ولو قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [الصف: ٧]؛ الكذب في هذه الآية معرفة؛ أي: محدد بنوع واحد من الكذب. ارجع إلى سورة الصف لمزيد من البيان. أو كذب بآياته؛ أي: هو أظلم من أي ظالم آخر (لا أظلم منه).

ففي هذه الآية: يبين لهم رسول الله ﷺ: لو بدل كلمة، أو آية من تلقاء نفسه، ومن دون وحي؛ لكان من هؤلاء الذين افتروا على الله كذباً، (وجاءت نكرة)؛ لتدل على أي نوع مهما كان صغيراً، أو كبيراً. والافتراء: هو الكذب المتعمد المخلوق؛ مثال: نسبة الشريك، أو الولد، أو البنت إلى الله سبحانه.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: بآياته القرآنية، أو الكونية، أو المعجزات؛ أي: جحد بها، وأنكرها.

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾: تفيد التوكيد.

﴿لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾: لا: النافية. يفلح المجرمون؛ أي: لن ينجوا، ولن يفوزوا بالآخرة.

﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: المشركون، والكافرون كفار مكة، أو كفار قريش، وهم لم يحرفوا القرآن كما فعل أهل الكتاب حرفوا التوراة والإنجيل، وإنما مجرمون بسبب إشراكهم وتكذيبهم القرآن، ورسول الله ﷺ، والمفترون على الله كذباً، أو المكذبون بآياته. ارجع إلى سورة هود، آية (١١٦)، والجاثية، آية (٣١)؛ لمعنى: المجرمين.

[١٨] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ

شُفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُوكَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: تشير إلى المشركين، وتدل على التجدد،
والتكرار. من دون الله: من غير الله.

﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾: ما: اسم موصول؛ تدل على ذوات ما لا يعقل؛
كالأصنام، والأوثان، والنجوم، والكواكب، وتدل على صفات العقلاء: الأولياء
عيسى، وعزير، والملائكة؛ أي: لا يضرهم إن لم يعبدوهم.

﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾: أي: لا (النافية): ينفعهم إن عبدوهم، وتكرار لا: يفيد
التوكيد، ولفصل الضر عن النفع، أو كلاهما معاً.

﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ﴾: الهاء: للتنبيه، أو لاء: اسم إشارة؛ يشير إلى الآلهة،
والأولياء.

﴿شُفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: جمع شفيع، وشفيع: صيغة مبالغة من شافع، والشافع:
هو الذي يطلب العفو لشخص آخر، ولكي يشفع لا بُدَّ له من إذن من الله سبحانه
أولاً، ورضا من الله، وأن يكون أهلاً للشفاعة، وبعض المفسرين قالوا: لا تكون
الشفاعة في حد من حدود الله؛ فهم يبررون عبادتهم للأصنام وغيرها بكونها
تشفع لهم عند الله، أو تقربهم إلى الله زلفى. ارجع إلى الآية (٣) من نفس
السورة؛ لمزيد من البيان.

﴿قُلْ أَتَنْبِئُوكَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: قل لهم يا
محمد ﷺ: أنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض: الهمزة: همزة
استفهام إنكاري.

﴿أَتَنْبِئُوكَ﴾: من النبأ: وهو الخبر العظيم؛ أتخبرون الله سبحانه بأن له
شركاء، أو شفعاء في السموات، أو في الأرض؛ وهو لا يعلم ذلك، أو على غير



علم بذلك، وهذا يدل على جهلكم؛ سبحانه وتعالى أن يكون له شريك، أو ولي؛ فهو منزّه تنزيهاً كاملاً من كلّ هذه الافتراءات، والأكاذيب.

[١٩] ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾:

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: وما: الواو: عاطفة، أو استئنافية؛ ما: نافية للتوكيد؛ إلا: أداة حصر، وما كان الناس إلا أمة واحدة.

﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: أي: على دين واحد: وهو دين الإسلام، على فطرة التوحيد من لدن آدم إلى نوح، كما قال ابن عباس ؓ عشرة قرون.

﴿فَاخْتَلَفُوا﴾: الفاء: للتأكيد؛ اختلفوا: فمنهم بقي على إيمانه، وتوحيده، ومنهم من كفر، وأشرك بالله؛ فحين اختلفوا ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾:

﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: اللام: لام التعليل. قضى بينهم؛ أي: بين الناس عاجلاً في الحياة الدنيا، ومن دون انتظار؛ إما بإقامة الساعة، أو بإنزال العذاب على المكذبين، والمشركين.

﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: ولم يقل: فيما كانوا فيه يختلفون؛ فيما فيه يختلفون؛ تعني: لقضي بينهم حالاً في الدنيا من دون التأخير، والانتظار ليوم القيامة، ولو قال: فيما كانوا فيه يختلفون؛ تعني: يوم القيامة؛ أي: يؤخر القضاء لهم حتى يوم القيامة، وعندها يقضي بينهم فيما كانوا يختلفون فيه في الدنيا؛ فإله سبحانه قادر على أن يفعل القضاء الآن حالاً، أو يؤخره حتى يوم القيامة.

[٢٠] ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾:

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: ويقولون؛ أي: كفار مكة، أو المشركون.

﴿لَوْلَا﴾: أداة حُضٍّ، وطلب.

﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: الآية هنا؛ تعني: المعجزة؛ مثل: العصا، واليد، وآيات أخرى؛ مثل: الناقة، وتجاهلوا أن القرآن الكريم: هو الآية الكبرى والمعجزة الخالدة على مرّ الأيام، والدّهور، ومع ذلك: فهو لا يكشفهم، وانشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام، وغيرها من الآيات الكثيرة التي رآها الصّحابة.

﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾: فقل: الفاء: للتوكيد.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ للتوكيد، والحصر. قل: إنزال الآية، أو عدم إنزالها هذا في علم الغيب أمر لا يعلمه إلا الله سبحانه، أو لِمَ لَمْ تنزل الآية، أو متى ستنزل؟ غيب لا يعلمه إلا الله؛ يخص الله سبحانه إن شاء أنزل، أو إن شاء لم ينزل.

﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾: فانتظروا: الفاء: للترتيب، والتعقيب؛ فما عليكم إلا الانتظار، وأنا معكم من المنتظرين؛ فانتظروا قضاء الله في الإنزال، أو عدمه، وإظهار من هو على حق، ومن هو على باطل، ويؤكد رسول الله ﷺ انتظاره باستعمال: وإني بدلاً: وأنا معكم من المنتظرين.





سُورَةُ الْاِنشَاءِ ١٠

الْبَيْتُ الْاَوَّلُ

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرُفٌ
ءَايَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ
(٢١) هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ
وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ
وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا
اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ
الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَّتَّعَ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣)
إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ
نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهِا
أَتَتْهَا أَمْرٌ نَّالِيًّا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ
بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) وَاللَّهُ
يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٥)

سورة يونس [الآيات ٢١ - ٢٥]

[٢١] ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنْ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني؛ تستعمل في الأمور الحتمية الحدوث، أو الكثيرة الحدوث.

﴿أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾: الرحمة: هي جلب ما يسر، ودفع ما يضر؛ مثل: المطر، والخصب، وسعة العيش، والرّزق، والصّحة... وغيرها.

﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾: الضّراء: مثل: الفقر، والبلاء، والجذب، والمرض، وانقطاع المطر؛ أي: إذا أنزلنا على الناس المطر بعد القحط، والسّعة، والغنى بعد الفقر، والرّخاء بعد الشّدّة تراهم ينكرون نعمة الله، وينسبونها إلى غيره، أو يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر، أو يكذبون بآيات ربهم، أو يستهزئون بها، وسمّي ذلك مكرًا في آياتنا. ارجع إلى سورة هود، آية (٩) - (١٠)؛ لمزيد من البيان في: أذقنا الإنسان رحمة، أو نعماء.

﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾: حاشا لله أن يكون ماكرًا، وهو سبحانه ليس بحاجة أن يمكر، وإنما قال الله: أسرع مكرًا؛ فقط للمشاكلة في اللفظ في المصطلح البلاغي، والله أسرع مكرًا؛ أي: أسرع جزاء على المكر؛ قادر على أن يجازيهم على مكرهم قبل أن يقوموا به، ويبطله، ويدحضه؛ لأنّه سبحانه يعلم بمكرهم، ويعلم ما توسوس به نفوسهم، وأقرب إليهم من حبل الوريد، والمكر: هو التدبير الخفي. ارجع إلى سورة الرعد، آية (٣٣)؛ لمزيد من البيان.



﴿إِنْ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾: رسلنا؛ أي: الملائكة الحفظة الموكلون بالعبد.

انتبه، لم يقل: ما تمكرون، وإنما قال: ما تمكرون؛ الانتقال من الغيبة إلى الخطاب؛ للتنبيه، وإيقاظ السامع، والتحذير القوي.

﴿يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾: يحفظون ذلك، ويكتبونه؛ لمجازاتهم عليه.

[٢٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾:

المناسبة: هو الذي يكشف الضر، والسوء، والقادر على أن يتليكم مرة ثانية.

﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: هو الذي: هو وحده سبحانه.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد الحصر، والتوكيد.

﴿الَّذِي﴾: اسم إشارة؛ يفيد التعظيم.

﴿يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ﴾: أي: الله سبحانه هو المسير الحقيقي، وإن كانت وسائل النقل هي المستخدمة؛ مثل: السيارات، أو الدواب... وغيرها في البر.

﴿وَالْبَحْرِ﴾: أي: بالسفن (الفلك).

﴿حَتَّىٰ إِذَا﴾: حرف غاية يشير إلى منتهى الغاية؛ إذا: ظرفية زمانية للمستقبل، وتدل على حتمية الحدوث؛ إذا: ظرف زمني.

﴿كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ﴾: الفلك: تطلق على المفرد، والجمع؛ أي: السفن، والفلك: قد تعني الفلك الفضائية أيضاً.

﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾: ولم يقل: وجرين بكم؛ فالانتقال من الخطاب

إلى الغيبة سببه أنهم عندما ركبوا في الفلك، وجرين بهم أصبحوا غائبين لا مخاطبين، فالكلام يوافق الحال الذي هم عليه، وقد يكون سببه عدم شكرهم المنعم، والمسير الحقيقي، وهو الله سبحانه؛ فهم لا يستحقون المخاطبة؛ فاستعمل صيغة الغيبة.

وصف الريح في هذه الآية: بأنها طيبة لينة، والقرآن عادة يأتي بكلمة ريح في سياق الدمار، والشر، وكلمة رياح في سياق الرحمة، والخير، فكيف نفسر ذلك؟

الجواب: هو أن ننظر إلى ساعة إبحار الفلك، هل كانت الريح فعلاً عاصفة، أو هادئة طيبة؟ فلو كانت عاصفة لما أبحروا، وتركوا الشاطئ؛ أي: فرحوا بالريح الطيبة اللينة عند بدء رحلتهم في البحر؛ ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٧٠) لبيان نوع الفرح. ولما ابتعدوا عن الساحل سرعان ما تحولت الريح الطيبة اللينة إلى ريح عاصف؛ سريعة الهبوب، والجريان.

﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾: جاءتها؛ أي: الفلك؛ ريح عاصف: لا تحمل في طياتها إلا الدمار، والهلاك، والغرق، واستعمل كلمة جاءتها بدلاً من أتاها؛ لأنّ المعجىء هذا فيه صعوبة، ومشقة، ودمار؛ فالريح الطيبة لم تدم طويلاً.

﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾: والموج يبدأ من الأسفل، وهنا جاءهم من الأسفل، ومن كل جانب: الأمام، والخلف، واليمين، والشمال.

﴿وَوُظِّنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾: وظنوا؛ أي: أيقنوا، والظن هنا وصل إلى درجة اليقين، وأدركوا أنهم أحيط بهم؛ وأحيط به تحمل معنيين:

- أحيط بهم مشتقة من إحاطة العدو بالبلد المهاجم، وحين يحدث ذلك يعني: الهلاك، والدمار للبلدة.

- وأحيط بهم: مشتقة من الإحاطة، وهي عدم وجود منفذ، أو ملجأ، أو منقذ، أو مخرج للنجاة، وهم في وسط البحر الهائج.



﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾: لم يجدوا أحداً يدعونه؛ لينقذهم إلا إياه سبحانه، وعندها دعوا الله مخلصين له الدين: أقرؤا بوحداية الله، وربوبيته، وأخلصوا بدعائهم، وتضرعهم، وتوسلهم. ﴿لَئِنْ﴾: اللام: للتوكيد؛ إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشك.

﴿أَنْجَيْنَا﴾: من هذه الرياح، والغرق، والهلاك، وقالوا: أنجيتنا، ولم يقولوا: لئن نجانا؛ أنجيتنا: تدل على السرعة؛ فهم يريدون النجاة بسرعة، وبقوة، ونجانا: تدل على البطء في النجاة، وأقل شدة.

﴿لَنَكُونَنَّ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون: نون النسوة؛ لزيادة التوكيد. ﴿مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾: من: ابتدائية بعضية؛ على نعمك، أو الموحدين الشاكرين على إنقاذنا من الموت، والغرق.

[٢٣] ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، والمباشرة؛ لما: ظرفية زمانية؛ بمعنى: حين.

﴿أَنْجَاهُمْ﴾: من الغرق، والرياح العاصفة بسرعة، وبقوة. ﴿إِذَا هُمْ﴾: إذا: الفجائية. هم: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد. ﴿يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: يبغيون من البغي: وهو الظلم، والفساد، والشرك، وفعل المعاصي؛ أي: سارعوا إلى ما كانوا عليه من قبل. ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾: نداء بياء النداء؛ التي تدل على البعد، والهاء: للتنبيه. ﴿النَّاسُ﴾: من الإنس، والجن، والناس: مشتقة من النوس؛ كثرة الحركة. ارجع إلى الآية (٢١) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾: سوء العاقبة، أو وبال ظلمكم للناس، وشرككم، وفسادكم مردّه على أنفسكم يوم القيامة، وفي الدنيا.

﴿مَتَعَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا﴾: التمتع بهذا الظلم، والشرك، والفساد، والمعاصي زائل، أو مقتصر على هذه الحياة الدنيا؛ فلن يدوم طويلاً.

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾: ثم: تفيد الترتيب، والتراخي في الزمن بعد البعث، والبرزخ.

﴿إِلَيْنَا﴾: تقديم الجار والمجرور؛ يفيد الحصر؛ أي: إلينا وحدنا عودتكم حتماً.

﴿فَنُنَبِّئُكُمْ﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة بعد البعث مباشرة؛ فننبئكم، ونخبركم.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، والتعليل؛ ما: بمعنى الذي، أو مصدرية.

﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: كنتم في الدنيا تعملون تشمل الأقوال، والأفعال من الشرك، والبغي، والظلم، والفساد.

[٢٤] ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا آتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾:

المناسبة: بعد قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَعَ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا﴾: أي: لما كان سبب البغي على الناس هو حرصكم على التمتع بنعيم الدنيا الزائل، والفاني، وأكل أموال الناس، والفساد في الأرض. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿مَثَلُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: أي: حال هذه الحياة الدنيا،



ونعيمها؛ كماء: الكاف: للتشبيه، يشبه الماء، كماء أنزلناه من السماء يشبه المطر النازل من السماء (أي: من السحاب).

﴿فَأَخْلَطَ بِهِ﴾: (أي: بماء المطر): نبات الأرض، والباء: للإلصاق، والاختلاط: هو تداخل الشيء في الشيء، مع عدم إمكانية فصلهما بعد الخلط، وبعد اختلاط الماء بالنبات؛ تصبح الأرض مخضرة، والزرع يغطي سطح الأرض. ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾: مما: من + ما؛ من: البعضية؛ ما: اسم موصول؛ يعني: الذي يأكل الناس من الحبوب، والقمح، والبقول، والثمار... وغيرها، والأنعام من الكلا، والحشيش.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾: حتى: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: ظرف زماني للمستقبل، ويدل على حتمية الوقوع.

﴿أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾: بالورود، والأزهار، والنباتات المختلفة، وزينت بالألوان المختلفة من ألوان الزهور، والثمار، والفواكه، والنخيل. والزخرف: هو الشيء الجميل المنظر تُسربه النفس، وأصل الزخرف: الذهب، والفضة.

﴿وَوَضَعْنَا أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا﴾: أيقن، وشعر أهلها أنهم قادرون عليها؛ أي: متمكنون من قطف ثمارها، ومحاصيلها الزراعية من القمح، والحب. ﴿أَتْنَهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾: أتاها قضاؤنا، وحكمنا بالهلاك، والتدمير؛ أي: عذابنا.

﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾: أي: حين ينزل عذابنا على الكرة الأرضية قسم منها يكون في ليل ظلام، وقسم منها يكون في نهار؛ أي: حين يحل العذاب بأهل الأرض أو يأتيهم يأتي في وقت قسم من أهل الأرض نائم، وقسم غير نائم في حالة يقظة، وهذا يثبت كروية الأرض.

﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾: فجعلناها: الفاء: للترتيب، والتعقيب. حصيداً: كالزرع المحصود المقتلع، أو المستأصل.

﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ﴾: أي: كأن لم تنعم بالأمس، أو تكون عامرة بالخيرات والحرث وبالمنازل وأهلها.

﴿كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَنْفَكُرُونَ﴾: كذلك؛ أي: كهذا المثل الذي يوضح حال الدنيا، وغرورها، وسرعة زوالها، وتغيرها من الاخضرار إلى الاصفرار، ثم الحطام.

﴿نَفْصِلُ الْآيَاتِ﴾: ارجع إلى سورة الأنعام، آية (٥٥)؛ للبيان.

﴿لِقَوْمٍ يَنْفَكُرُونَ﴾: لقوم: اللام: لام الاختصاص. يتفكرون: ينظرون في الآيات، أو المعطيات؛ لكي يصلوا إلى الغاية، وهي التقوى، والنجاة من النار.

[٢٥] ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾:

بعد أن ذكر أن الدنيا متاع زائل وفانية، ها هو سبحانه يدعونا إلى ما هو أفضل من ذلك:

﴿دَارِ السَّلَامِ﴾: وهي الجنة ذات النعيم الدائم، ويرشدنا إلى كيفية الوصول إليها: بالإيمان الخالص، والعمل الصالح.

وسمّاها دار السلام، والسلام: هو اسم من أسماء الله الحسنی. ارجع إلى سورة الحشر، آية (٢٣)؛ للبيان.

وهي دار السلامة من كل سوء، ودار الأمان، والاطمئنان.

﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: فالله سبحانه يهدي الهداية الخاصة لهؤلاء الذين استجابوا لربهم.

وأرادوا لأنفسهم الهداية؛ فهداهم الله إلى الجنة، وإلى الصراط المستقيم: دين الإسلام؛ صراط الذين أنعمت عليهم من الأنبياء، والصالحين.





سورة النازعات ١٠

الجزء الثاني من التفسير

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ
وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ
كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ
اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾
هَٰذَا لِكِ تَبْلَوَاتِكُمْ لِكُلِّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ
الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ
فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ
فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾



سورة يونس [الآيات ٢٦ - ٣٣]

[٢٦] ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝﴾

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾: اللام: لام الاختصاص، والتوكيد. الَّذِينَ أَحْسَنُوا: إيمانهم: إحسان الكم، وإحسان الكيف؛ إحسان الكم: الزيادة في العدد؛ إحسان الكيف: يعبدوا الله سبحانه كأنهم يرونه، وإن لم يكن يرونه؛ فهو يراهم. ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

ولهم ميزات تتجلى بقيام الليل، والعفو، والصبر، والصدق، والإنابة، والخوف، والخشية. والإحسان يشمل: العبادات، والمعاملات، والأخلاق، والإخبات، والإخلاص، والتوكل، والرضا، والحياء، والتواضع.

﴿الْحُسْنَىٰ﴾: على وزن فُعْلَى، ومثلها: أفضل فضلى، وأكبر: كبرى، ويسمى أفضل التفضيل، ويدل غالباً على شيئين اشتركا في المعنى، وزاد أحدهما على الآخر. والحسنى: قيل: هي الجنة، أو الجزاء في الآخرة، وقيل: هي الحسنه بعشر أمثالها.

﴿وَزِيَادَةٌ﴾: قيل: الزيادة هي المغفرة والرضوان، ورضوان من الله أكبر.

وقيل: الزيادة لذة النظر إلى وجه الله الكريم؛ كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ

﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

﴿وَلَا يَرَهُقُ وَجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذَلَّةٌ﴾: لا: النافية، وجاءت لتأكيد النفي؛ لأن لهم الحسنى؛ فكيف يرهق وجوههم قتر، ولا ذلة؟ جاءت للتأكيد؛ تأكيد ابتعادهم، ونجاتهم من النار، وتذكير لهم بتلك الحسنى.

﴿وَلَا يَرَهُقُ﴾: لا يغشي، ولا يغطي وجوههم قتر ولا ذلة. القتر: أصله من الدخان الأسود الخارج من الشواء، أو الفحم، والحطب... ونحوهما، وهو كذلك الهواء الذي يمتلئ بدخان الدهن المحترق من اللحم يصيب الوجه، فيؤدّي إلى طبقة سوداء تسمّى قتر، أو غبرة، وكلمة يرهق من رهقه يرهقه؛ إذا غشيه بقهر؛ أي: لا خيار لهم بتجنب ذلك.

﴿وَلَا ذَلَّةٌ﴾: وتكرار لا: لتأكيد النفي، وفصل كلاً من القتر عن الذلة؛ أي: لا هذه، ولا تلك، ولا كلاهما، والذلة: المذلة، والهوان، والصغار؛ التي تبدو على وجوههم بمظهر الكآبة واليأس.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: أولئك: اسم إشارة، واللام: للبعد؛ ليدل على بعد منزلتهم العظيمة.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾: أي: الملازمون للجنة؛ المقيمون فيها ملازمة الصاحب لصاحبه، أو الإنسان لمنزله، والمالكون لجنتهم؛ فلا أحد يخرجه منها.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.



﴿خَالِدُونَ﴾: الخلود: هو استمرار البقاء، وعدم الفناء، والزوال، ويبدأ من وقت دخولهم الجنة.

[٢٧] ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَانَمَا أَغَشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

للذين أحسنوا الحسنى، وماذا للذين كسبوا السيئات، أو مقابل الذين أحسنوا هناك الذين كسبوا السيئات؛ ماذا عن حالهم؟

﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: عاطفة؛ الذين: اسم موصول.

﴿كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾: ولم يقل: اكتسبوا السيئات: الكسب تستعمل في الحلال، واكتسب على وزن افتعل؛ تستعمل في الحرام.

استعمل كسبوا بدلاً من اكتسبوا؛ لأنهم استمروا، وألّفوا القيام بالسيئات، واعتادوا عليها؛ فأصبح ارتكابها سهل، وأمر هيّن عندهم، كما هو الحال في كسب الحلال عند غيرهم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٨٦)؛ لمزيد من البيان. والسيئات: جمع سيئة، وهنا تعني: الكفر، والشرك، والظلم، وقد تعني: الصغائر.

﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾: أي: من يكسب سيئة تكتب له سيئة واحدة، ويعاقب عليها بمثلها، ولا تضاعف له، الباء: للإلصاق.

﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.



﴿ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ ﴾: ما: النافية؛ لهم: اللام: لام الاختصاص؛ من الله: من: ابتدائية استغراقية.

﴿ مِنْ عَاصِرٍ ﴾: من: للتوكيد؛ عاصم: مانع، أو مُجير، أو منقذ من العذاب، أو سخط الله.

﴿ كَانَمَا ﴾: الكاف: للتشبيه؛ أنما: تفيد التوكيد.

﴿ أَغْشَيْتَ وَجُوهَهُمْ قِطْعًا مِنْ أَلِيلٍ مُظْلِمًا ﴾: أغشيت: غطيت، وألبست؛ قِطْعًا: بكسر القاف، وتسكين الطاء: هو اسم ما قطع، أو قِطْعًا: بكسر القاف، وفتح الطاء؛ وتعني: جمع قطعة، قِطْعًا: نكرة تدل على التهويل، والتعظيم، من الليل مظلمًا: قِطْعًا من الليل الحالك السّواد، ولم يقل مظلمة؛ لأنّ في لفظ الذّكورة الشّدة، والقوة في السّواد.

﴿ أُولَئِكَ ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف: للخطاب.

﴿ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾: ارجع إلى الآية (٣٩) من سورة البقرة.

[٢٨] ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴾:

﴿ نَحْشُرُهُمْ ﴾: الحشر: هو السّوق إلى أرض المحشر للحساب، والجزاء، والجمع (جمع الخلائق في أرض المحشر)، ويتم بعد النّشر: وهو إحياء الموتى، ثمّ البعث من القبور: الإيقاظ، والتهيج، والتحريض على الخروج من الأجداث، إذن يحدث النّشر، ثمّ البعث، ثمّ الحشر.



﴿جَمِيعًا﴾: جمع الخلائق: العابد، والمعبود؛ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ورؤساؤهم وساداتهم، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوا، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوا، وأولاهم، وأخراهم، وجميعاً: تفيد التوكيد؛ توكيد الحشر جميعاً، فكلّ معبود سيواجه، أو يحشر مع الذي عبده؛ فالأصنام مثل: اللات، والعزى، ومناة الثالثة: تحشر مع عبدها المشركين، والملائكة مع الَّذِينَ عبدهم (عبدة الملائكة)، الكواكب (الشمس والقمر) مع الَّذِينَ عبدها مثل الصابئة؛ عيسى ﷺ مع الَّذِينَ عبده، أو أشركوه كإله، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة، والأولياء، والزعماء، والرؤساء مع الَّذِينَ اتَّبَعَهُمْ من الضعفاء.

﴿ثُمَّ﴾: للتوكيد، والترتيب الذكري، أو ترتيب الحوادث.

﴿نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ﴾: أي: الزموا مكانكم، ولا تتحركوا منه أنتم وشركاؤكم الَّذِينَ اتخذتموهم آلهة مع الله.

﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: الفاء: تدل على التعقيب، والمباشرة. زيلنا بينهم: فرقنا بينهم بين التابعين، والمتبوعين، وبين العابدين، والمعبودين، وبذلك قطع الصّلات بينهم.

﴿وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيانَا عِبُدُونَ﴾: شركاؤهم: جمع شريك، والشركاء: هم من الملائكة، وعيسى، وعزير الأنبياء؛ فكلّ هؤلاء يتبرّؤون ممن عبدهم؛ لأنهم لم يأمرهم، ولا علم لهم بهذا الشرك، ولم يدعوهم إليه.

فالأصنام، والكواكب أصلاً لا تتكلم، ولا تأمر، ولا تنهى، والذي وسوس وزين لعبادتها هم الشياطين، وتقول الملائكة، وعيسى، وعزير: ما كنتم تعبدوننا بعلمنا، فالملائكة، والأنبياء، والكواكب، والأوثان، والأصنام التي عبّدت من



دون الله تعالى تعلن رفضها لمسألة عبادتها، ويبقى إبليس وذريته شياطين الجن وأولياؤهم من الإنس والساداة والكبراء، والضّعفاء؛ فهو لاء سنرى كيف يتحاجون في النار في آيات أخرى.

[٢٩] ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾:

﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: الفاء: للتوكيد، كفى بالله: الباء: للتوكيد أيضاً. شهيداً: وحكماً بيننا وبينكم؛ أي: إننا لم نأمركم بعبادتنا، هذا هو قول الشركاء، أو ندعوكم إلى ذلك، والشّهاد: صيغة مبالغة من شاهد. ارجع إلى الآية (١٣٣) من سورة البقرة؛ لبيان معنى الشّهاد. وتقديم شهيداً على بيننا وبينكم جاء على الأصل، ولكن أحياناً قد يؤخر شهيداً على بيني وبينكم كما جاء في سورة العنكبوت آية (٥٢) ارجع إلى سورة العنكبوت للبيان.

﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾: إن: تفيد التوكيد؛ عن عبادتكم لغافلين؛ أي: ما كنا نعلم بعبادتكم لنا، واللام في لغافلين: لام الاختصاص؛ للتوكيد. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمعرفة معنى: غافلين.

[٣٠] ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾:

﴿هُنَالِكَ﴾: ظرف زمان، أو ظرف مكان، واللام: للبعد، والكاف: للخطاب، في ذلك الوقت، أو ذلك المكان؛ موقف الحشر، أو زمن الحشر.

﴿تَبْلُو﴾: تُخبر، أو تُعلم كل نفس، أو ترى كل نفس جزاء أعمالها.

﴿مَا أَسْلَفْتُ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي. أسلفت: ما قدمت من عمل صالح، أو سيئ، أو عمل قبيح، أو حسن مقبول، أو مردود.

والبَلُو: هو الاختبار؛ بَلَوْتَهُ؛ أي: اختبرته، وأصله من بَلِيَ الثوب بلاءً؛ إذا خَلَقَ من كثرة اختباره؛ أي: لبسه وغسله، وهناك قراءة أخرى تستبدل الباء بالتاء؛ فبدلاً من قراءة تبلوا تقرأ تتلوا؛ فيكون المعنى: هنالك تتلوا كل نفس ما أسلفت؛ أي: تقرأ كل نفس كتاب أعمالها.

﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ﴾: الرّد: العودة إلى مكان، وأنت مجبر على ذلك، وذلك في الآخرة؛ أي: أرجعوا إلى الله مولاهم الحق من دون خيار للحكم، والقصاص.

﴿مَوْلَهُمُ الْحَقُّ﴾: المولى ربهم المتولي أمورهم حقاً، والحق الثابت الدائم الذي لا يتغير.

﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمُ الْحَقُّ﴾: وهذا يعني: أنه كان لهم مولى في الدنيا (غير الحق)؛ مولى باطل.

المولى الباطل، أو غير الحق في الدنيا: هم الشركاء الذين اتخذوهم أولياء، وعبدوهم، واتخذوهم آلهة، وهذا يؤيده قوله: وأن الكافرين لا مولى لهم؛ (في الدنيا)، ولا مولى لهم (لا معين ولا نصير في الآخرة)، ويوم القيامة يردون إلى المولى الحق.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: ضل: تاه وغاب، ولم يعودوا يجدون هؤلاء الشركاء، والشفعاء، والأولياء الذين سيقربوهم إلى الله زلفى، أو يشفعوا لهم.



﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي.

﴿كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: الافتراء: هو الكذب المتعمد المخلوق من شفاعة هذه الآلهة لهم، أو يمنعوهم من العذاب، أو يقربوهم من الله زلفى؛ فكل ذلك كان كذباً مفترئاً.

[٣١] ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَنْقُونُ﴾:

المناسبة: بعد ذكر الشركاء والرد إلى مولاهم الحق في الآخرة؛ يأتي بعدد كبير من الأدلة، والبراهين؛ الدالة على أن الله هو الإله الحق، واجب الوجود؛ الذي يستحق أن يُعبد، وأنه لا شريك له.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ، أو أسألهم: من يرزقكم من السماء والأرض؟

﴿مَنْ﴾: ابتدائية.

﴿السَّمَاءِ﴾: تضم السموات، وكل ما علاك، والرزق من السماء؛ يعني: الغيث، أو الماء الذي ينبت به الزرع، والزيتون، والنخيل، والأعنان، ومن كل الثمرات، ومنه الشراب، ومنه الشجر، والرزق من السماء؛ يعني: الحديد... وغيرها من المعادن التي تنزل على الأرض من تفجر النيازك، والأجرام.

ومن الأرض: من حبوب، وثمار، وفاكهة، وخضروات، ومعادن، وبترو، وذهب، وفضة... وغيرها.

﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾: أم + من. أم: للإضراب الانتقالي، والاستفهام. من: اسم موصول.

﴿يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾: أي: يملكها حقاً؛ لأنه قادر على تعطيلها بمرض، أو غير مرض بحيث لا تعد تسمع، ولا تبصر؛ كالعمى، والصمم، وهو قادر على تشغيلها، وهدايتها، والقيام بما سخرت له؛ فالسمع، والبصر... وغيرها هي كلها ودائع عند الإنسان؛ حتى يموت، ويبعث، وهو ليس بمالكها الحقيقي، وإنما سخرت له.

﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾: ارجع إلى الآية (٢٧) من سورة آل عمران، والآية (٩٥) من سورة الأنعام؛ للبيان.

فالله سبحانه قادر على أن يخرج الحي من الميت، والميت من الحي، والحي من الحي؛ لا يعجزه شيء، والحقيقة ليس هناك شيء ميت؛ أي: لا حياة فيه؛ لأنّ النبات، والجماد، وكلّ ما خلق الله له حياة، وإنما يقصد بالميت الذي لا يتحرّك بالعين المجردة، وهذا تقريب لما تعارف عليه الناس.

﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: ومن يدبّر: كلّ شيء، وكلّ أمر بالخلق، والجعل، والملك للتسخير، والعمل، والتّحريك، والتّعطيل، أو التّصريف، والتّحويل... وغيرها.

وقدّم السمع على البصر، وأفرد السمع وجمع البصر (الأبصار): ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧)، وسورة الملك، آية (٢٣)؛ للبيان.



وخصّ هاتين الحاستين بالذكر؛ لأنّهما أهمّ حواس الإدراك، والعلم المؤدّية إلى الإيمان، أو الكفر، والهداية، أو الضلال.

﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: فيقولون الله: الفاء: للترتيب، والتعقيب، والتوكيد؛ يقولون: السّين: للاستقبال، والترتيب؛ أي: الإجابة مباشرة.

﴿فَقُلْ﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: الهمزة استفهامية، ألا: أداة حصّ، وتحريض، وتنبيه، أفلا تتقون: تطيعون أو امره، وتجنبوا نواهيه، وتكفوا، وتجنبوا الشّرك بالله، أو أفلا تحذرون عقابه، وتتقون سخطه، وغضبه.

[٣٢] ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾:

﴿فَذَلِكُمْ﴾: الفاء: للتوكيد، ذلكم: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف للخطاب؛ ذلكم: اسم إشارة يشير إلى القائم بالأفعال الكثيرة؛ كالرزق، وملكية السّمع، والأبصار، والقدرة على إخراج الحي من الميت، والميت من الحي، وتدبير الأمر هو الله ربكم الحقّ: جمع الألوهية والرّبوبية معاً؛ إشارة إلى أنّ من يفعل كلّ ذلك هو إله واحد، ورب واحد هو الحقّ، وما سواه هو الضلال، أو الباطل.

﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾: فماذا: الفاء: للتوكيد، ماذا: اسم استفهام فيه معنى النّفي، وأقوى في النّفي من ما، أو ماذا = ما + ذا. ما: اسم استفهام، وذا اسم موصول.

﴿بَعَدَ﴾: ظرف زمان ومكان.



﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿الضَّلَالُ﴾: أي: الباطل، أو الهلاك.

﴿فَأَنِّي نَصَرْتُكَ﴾: فأني: الفاء: عاطفة؛ أني: كيف، أو من أين، وفيها معنى التعجب، والاستفهام.

﴿نَصَرْتُكَ﴾: أي: كيف انصرفتكم عن الحق إلى الضلال؟ كيف تركتم الحق واتبعتم الباطل، وعن التوحيد إلى الشرك؟

[٣٣] ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿كَذَلِكَ﴾: أي: كما حقت الألوهية، والرَّبوبية لله وحده؛ حقت كلمته (وعده) للذين فسقوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، وكما انصرفوا عن الحق إلى الضلال، وعن التوحيد إلى الشرك حقت كلمة ربك (أي: وجبت وسبقت).

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: وعده، وقضائه، وعذابه؛ حق على الذين فسقوا؛ خرجوا عن طاعة الله والإيمان.

﴿أَنَّهُمْ﴾: أن: للتوكيد، هم: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: أي: يموتون، وهم كافرون، وهذا ما اختاروه لأنفسهم، واستمروا عليه، ولم يتوبوا.





سُورَةُ يُوسُفَ ١٠

الْبَيْتُ الْخَامِسُ عَشَرَ

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، قُلِ اللَّهُ يَسْبُدُّوْا
 الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي
 إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ
 يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
 وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ
 عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْءَانُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ
 فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ
 مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾
 بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّابٌ كَذَّابٌ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾
 وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۖ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
 بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٌ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ
 أَنْتُمْ بَرِيْعُونَ مِمَّا آعَمَلُ وَأَنَا بَرِيْعٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ
 يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾



سورة يونس [الآيات ٣٤ - ٤٢]

[٣٤] ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: أي: اسألهم، والخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ يسأل المشركين.

﴿هَلْ﴾: استفهام يحمل معنى التقرير، والتوبيخ.

﴿مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾: من: استغرافية تشمل كل الشركاء: الآلهة، والأصنام، والأوثان، والملائكة، والكواكب أي شريك.

﴿مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ﴾: من: ابتدائية.

﴿بَدُوا الْخَلْقَ﴾: يخلق، والخلق: هو التقدير، والإيجاد، خلق ابتداء من العدم، أو من شيء. ارجع إلى سورة الأنعام، آية (١)؛ لبيان معنى الخلق.

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: ثم: للترتيب، والتراخي في الزمن.

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: بالبعث من جديد.

﴿قُلِ اللَّهُ﴾: هذا هو الجواب؛ أي: قل لهم يا رسول الله ﷺ: الله الذي

يبدأ الخلق، ثم يعيده؛ إذا كانوا لا يعرفون الإجابة على هذا السؤال؛ عندها قل لهم: إنه الله وحده، أما إذا عرفوا الإجابة، وهذا هو المفروض، وقالوا لك: الله، فلماذا إذن لا يؤمنون بالله وحده، وأما إذا أرادوا أن يكذبوا على أنفسهم، ويفتروا على الله الكذب، ويقولون: غير الله؛ فقل لهم: أتى تؤفكون.

﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾: أتى: تحمل معنى الاستفهام، وتحمل معنى كيف، ومن

أين، وتحمل التعجب.



﴿تُؤَفِّكُونَ﴾: تصرفون عن الحق إلى الباطل، أو الكذب؛ تقلبون الحقيقة باطلاً، أو تكذبون كذباً عمداً، ومختلفاً، أو كيف تصرفون عن التوحيد إلى الكذب، والباطل (وهو الشرك)، وفيه معنى التعجب؛ يقال: أفكه عن الشيء: صرفه عنه وقلبه.

[٣٥] ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: اسألهم يا محمد ﷺ: هل: استفهام إنكاري.

﴿مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾: من هنا: استغرافية؛ تشمل كل الشركاء: الملائكة، والإنس أمثال: عيسى، وعزير، والأصنام، والكواكب.

﴿مِنْ﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾: الحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتغير (ضد الباطل)، والحق هنا يعني: الصراط المستقيم، وهو دين الله (الإسلام)، يهدي إلى الحق: التعدّي هنا بالي؛ أي: من يستطيع أن يهدي إنساناً سائراً في طريق الضلال، والباطل، يهديه للعودة والسّير على طريق الحق، أو هو خارج عن الصراط المستقيم يستطيع أن يعيده للسّير عليه.

﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾: إذا أجابوك، وقالوا: الله؛ فذلك المطلوب، إذا لم يجيبوك على سؤالك عندها قل لهم: الله سبحانه يهدي إلى الحق؛ أي: قادر على أن يهدي الضال الخارج عن الحق، وعن الصراط المستقيم إلى الحق، وإلى الصراط المستقيم، وليس فقط ذلك، بل هو قادر على أن يهدي للحق؛ أي: يهدي الإنسان، ويوصله إلى غايته، ونهاية الغاية (خاتمة الهداية)، وقيل: هي الجنة؛ فالهداية إلى الصراط المستقيم تكون على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: الهداية إلى الصراط المستقيم: اهدنا إلى الصراط

المستقيم؛ أي: الإنسان خارج عن الحقّ، والصّراط المستقيم، وسائر في طريق الضلال، والغبي، ويدعو الله أن يهديه إلى الصّراط المستقيم.

المرحلة الثّانية: أي: اهدنا الصّراط المستقيم؛ أي: الإنسان سائر على الصّراط المستقيم الآن، ويطلب من الله أن يثبته على الصّراط المستقيم حتّى يصل إلى النّهاية والغاية.

المرحلة الثّالثة: الهداية للصّراط المستقيم: اهدنا للصراط المستقيم؛ أي: وصلوا إلى النّهاية؛ نهاية الصّراط؛ أي: الغاية.

فالله يهدي إلى الحقّ، وكذلك يهدي للحقّ للوصول للغاية القصوى.
﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾: أفمن: الهمزة: للاستفهام التّقريري، والإلزام، والتّوبيخ.
﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾: سبق تفسيره.

﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾: فيما يأمر به، وينهى عنه، أو يُتبع منهجه، وما يدعو إليه.

﴿أَمْ لَا يَهْدِي﴾: كالأصنام، والأوثان، والآلهة.

﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾: كلمة ﴿لَا يَهْدِي﴾: فيها تضعيف؛ يفيد المبالغة، والتّكثير؛ أصلها: لا تهدي؛ فالأصنام، أو الأوثان التي هي حجارة لا تستطيع أن تهدي نفسها؛ لأنّها لا تفهم، ولا تعقل، فكيف تهدي غيرها ممن يعبدونها، وغيرها لا يستطيع أن يهديها، ولو أراد ذلك.

﴿فَأَلْكَرْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: أي: ماذا أصاب عقولكم؛ لتحكموا بهذا الحكم

الباطل.

﴿فَأَ﴾: الفاء: استئنافية. ما: اسم استفهام للتّوبيخ، والإنكار.

﴿لَكَرْ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أي: أنتم خاصّة.



﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام، والتعجب من هذا الأمر العجيب، العاقل يطلب من غير العاقل أن يهديه، فهذا من منتهى الضلال.

﴿تَحْكُمُونَ﴾: فأَيُّ حكم هذا، ساء ما تحكمون: وهو اتِّباع من لا يهدي، وترك عبادة من يهدي إلى الحق.

[٣٦] ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية. ما: النافية للحال؛ أي: تنفي الحال، ولو استعمل لا؛ أي: ولا يتبع أكثرهم إلا ظناً؛ لنفي المستقبل.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾: أي: إن الأكثرية تتبع مجرد الظن، والأقلية الباقية لا يفعلون ذلك، والظن: هو التردد الرَّاجِح، فهم حين يقولون: إن هذه الآلهة تشفع لهم، أو تقربهم عند الله زلفى، أو تمنعهم من عذاب الله هذا اعتقاد مرجح عندهم؛ رغم أنه باطل.

﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾: والشيء: هو أقل القليل. وشيئاً: نكرة تعني: أي شيء مهما كان.

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿إِنَّ الظَّنَّ﴾: لا يُكْتَفَى به في العقائد، والعبادات، فهي تُبنى على اليقين، والعلم، والصواب.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من عالم؛ أي: كثير العلم.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

﴿يَفْعَلُونَ﴾: يقومون به من شرك، وتكذيب.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: فيها تهديد ووعد، وأنه سيجازيهم على ذلك.

[٣٧] ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ
الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ﴾: هذا جزء من الرد على سؤالهم
لرسول الله ﷺ: ﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾.

﴿هَذَا﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة؛ للقرب.

﴿هَذَا الْقُرْآنُ﴾: كلمة القرآن مشتق من القراءة، ولتتمكن من قراءته يجب
أن يكون قريباً.

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ﴾: ما: النافية، ما يصح، وما يحق.

﴿أَنْ﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد.

﴿يُفْتَرَىٰ﴾: الافتراء: هو الكذب المتعمد المخلوق.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك؛ يفيد التوكيد.

﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي: مصدقاً، ومؤيداً لما سبقه من الكتب
السمائية: كالطّوراة، والإنجيل.

﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾: بيان للأحكام، والشّرائع، والفرائض.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا: النّافية للجنس. الرّيب: هو الشّك + التّهمة؛ فالمشركون
مع شكّهم بالقرآن بأنه منزل من رب العالمين كانوا يتّهمون النّبي ﷺ بأنّه هو
الذي افتراه، أو أعانه عليه قوم آخرون.

﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: منزل من ربّ العالمين وحده سبحانه لا غير.

[٣٨] ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾: أم: بمعنى: بل؛ أي: يقولون افتراه، وجاء بصيغة المضارع في قوله: يقولون، بدلاً من قالوا؛ لأن قولهم لم ينقطع، وهو يتكرر ويتجدد؛ فجاء الرد والتحدي على الإتيان بسورة مثله في سورة يونس وكان ذلك في مكة؛ أي: سورة واحدة، واشتد التحدي بعد ذلك في المدينة فجاء الرد والتحدي بسورة من مثله كما في سورة البقرة آية (٢٣)؛ أي: الإتيان بأي سورة تشبه سورة القرآن من البقرة إلى سورة الناس. ارجع إلى الآية (٢٣) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: ادعوا من استطعتم من الإنس، أو الجن؛ ليشهد أنه اختلقه، أو افتراه، وفي آية البقرة (٢٣) قال سبحانه: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، شهداءكم: خاصة بالشهداء؛ أي: الذين رأوا بأعينهم أن رسول الله ﷺ اختلقه: افتراه.

بينما قوله تعالى: ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾: عامة تشمل الشهداء، وغيرهم، والتحدي أكبر، ومطلق في قوله: من استطعتم.

﴿إِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الندرة، أو الاحتمال.

﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أنه افتراه، واختلقه.

[٣٩] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ۖ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿بَلْ﴾: حرف إضراب انتقالي.

﴿كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾: بما لم يحيطوا بعلمه: لها تفسيرات عدة:

١ - أي: كذبوا بالقرآن قبل أن يتدبروه، أو يفهموا معانيه، أو يدركوا ما جاء فيه من

أمر، أو نهى، كذبوا به بمجرد سماعه من رسول الله ﷺ، ولم يكتفوا بذلك، بل اتَّهموا رسول الله ﷺ بأنه افتراه.

٢ - كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه بالجنة، والنار، والبعث، والجزاء.

﴿يَمَّا لَمْ﴾: الباء: للإلصاق؛ ما: اسم موصول؛ كذبوا بالذي لم يحيطوا بعلمه.
 ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾: لما: نافية تنفي الحدث إلى ساعة الكلام، أو الحاضر.
 ﴿يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾: كذبوا بالقرآن، ولم يكن عندهم علم تأويله.

﴿تَأْوِيلُهُ﴾: قيل: تفسيره؛ أي: كذبوا بالقرآن، ولم يأتهم تفسيره بعد (لم ينتظروا تفسيره)، كذبوا به قبل أن يتبين لهم أهو كذب أم صدق، أو كذبوا به قبل أن يخبروا أخباره، والمغيبات التي ذكرت لهم في القرآن، ولما يأتهم ما وعدوا به من الوعيد.

﴿كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: كذلك: أي: كما كذب مشركو مكة بالرسول ﷺ كذب الذين من قبلهم برسولهم، وبما جاؤوا به، والتكذيب بالرسول؛ أي: بالمعجزات الدالة على صدق رسالتهم.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب؛ أي: لا تتأخر بالتفكير والنظر في عاقبة الظالمين.

﴿كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾: عذاب الظالمين، فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً، أو أخذته الرجفة، أو خسفنا به الأرض، أو أهلكنا بالغرق... وغيره. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٦) لبيان معنى العاقبة.

﴿عَاقِبَةُ﴾: من التعقب؛ أي: المباشرة، ومن دون تأخر.

﴿الظَّالِمِينَ﴾: قمة الظلم: الشرك بالله، وإعطاء الألوهية لغير الله، وظلم الناس، وظلم النفس: وهي حين تخرج عن منهج الله تعالى، وتصبح ضالة جائرة، وتورد الهلاك.



[٤٠] ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾: ومنهم؛ أي: من المكذبين الظالمين المشركين.

﴿مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾: أي: بالقرآن، وقد تعود إلى محمد ﷺ، والقرآن، أو محمد ﷺ شيء واحد. السؤال هنا: كيف يؤمن به، وهو مكذب، أو ظالم، أو مشرك.

﴿مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾: من: للتوكيد، وتشمل المفرد، والمثنى، والجمع.

﴿يُؤْمِنُ بِهِ﴾: أي: يكذب بلسانه، ويخفي الإيمان في قلبه (بأن القرآن من عند الله، وأنه صدق أو أن محمداً رسول الله)، ولكن العناد، والحق، والحسد والمكابرة تمنعه من إعلان إيمانه، تفسير ثانٍ: أنه سيؤمن به في المستقبل.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾: يستمر في الشك، والتكذيب بلسانه وبقلبه.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾: المفسدين؛ أي: المكذبين المصرون على العناد، والتكذيب، وعدم الإيمان.

[٤١] ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيغُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾: الواو: عاطفة؛ إن: شرطية تفيد الشك أو الاحتمال، ولم يقل: وإذا كذبوك تفيد الحتمية.

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾: كذبوك: بصيغة الماضي؛ لأن التكذيب هنا يدل على حادثة معينة واحدة (وهي قولهم: افتراه)، ولم يقل: وإن يكذبوك بصيغة المضارع التي تدل على التجدد، والتكرار، والاستمرار.

﴿فَقُلْ﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾: أي: أبلغهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، ولمقارنة قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ بقوله: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾: ارجع إلى الآية (١٨٤) من سورة آل عمران، وسورة الأنعام، آية (٣٣)؛ لمزيد من البيان، والمقارنة.



[٤٢] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَمِنْهُمْ﴾: تعود على المكذبين، والذين قالوا: افتراه، ومن الذين لا يؤمنون.

﴿مَنْ﴾: للتوكيد، وتشمل المفرد، والمثنى، والجمع.

﴿يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: يستمعون إليك: إذا قرأت القرآن، ويستمعون، ولم يقل:

يسمعون؛ يستمع: هو الذي يسمع عمداً؛ أي: يقصد الاستماع، أو السمع؛ أما يستمعون: من يسمع: هو الذي يسمع عرضاً من دون نية، أو قصد.

﴿يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: لا لغرض الهداية، وإنما للطعن في القرآن، والاستهزاء

به، أو التكذيب، واللغو فيه.

﴿يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: تدل على كثرة المستمعون، ولم يقل: ومنهم من يستمع

إليك: تدل على قلة المستمعون كما قال تعالى في الآية (٤٣) القادمة، ومنهم من ينظر إليك التي تدل على الأفراد الذي يدل على القلة مقارنة بالجمع الذي يدل على الكثرة كما في هذه الآية (٤٢)، كما ورد في سورة الأنعام، الآية (٢٥)؛ حيث كان المستمعون (٥-٧) نفر كما قال ابن عباس.

﴿أَفَأَنْتَ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري؛ تفيد النفي، والتعجب.

﴿تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾: والأصم هنا يعني: الذي يصل الكلام إلى أذنيه، ويسمعه،

ولكنه لا ينتفع بما يسمع؛ فكأنه مصاب بالصمم.

﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾: الواو: العاطفة، لو: شرطية، لا: النافية.

﴿يَعْقِلُونَ﴾: أضاف عدم الفهم، أو العقل إلى مرض الصمم.





سورة الأعراف ١٠

الجزء الثاني عشر

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأَعْمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِيقَنَّ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ؕ أَلَكُنَّ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قَوْلِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

سورة يونس [الآيات ٤٣ - ٥٣]

[٤٣] ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾:

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾: ومنهم: تعود على المشركين.

﴿يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾: نظرة تعجب أنت النبي المختار، والنظر هنا يعني: التأمل، والتفكير، ولا يصدقونك.

﴿أَفَأَنْتَ﴾: الهمزة: همزة استفهام؛ تفيد النفي المشوب بالتعجب.

﴿تَهْدِي الْعُمْى﴾: أي: أنت يا رسول الله تستطيع أن تهدي من عمي على بصيرته.

﴿تَهْدِي الْعُمْى﴾: العمي: جمع أعمى، والأعمى: هو المصاب بعمى البصيرة (عمى القلب).

﴿وَلَوْ﴾: الواو: عاطفة؛ لو: شرطية.

﴿كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾: لا: النافية؛ يبصرون: من البصر: وهو الرؤيا بالعين، ويعني: البصيرة، والبصيرة: منطقة بالدماغ هي منطقة الإدراك، والوعي؛ فهم رغم كونهم يرون بأعينهم الأشياء الحسية؛ فهم فقدوا بصرهم الحقيقي، والبصيرة حين لم يؤمنوا، واتبعوا الباطل.

وقوله سبحانه: فمنهم من ينظر إليك، ولم يقل: ينظرون إليك؛ ينظر إليك: تدل على قلة الفئة الناضرة مقارنة بالفئة المستمعة التي مر ذكرها في الآية (٤٢).



[٤٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿اللَّهُ﴾: اسم علم على واجب الوجود المتصف بكل صفات الكمال، واسم الجامع لكل صفاته، وأسمائه الحسنی.

﴿لَا﴾: النافية للجنس؛ تنفي كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾: شيئاً: نكرة قد تعني ظلماً؛ أي: أن الله لا يظلم الناس ظلماً مهما كان نوعه، وإن قل، أو تعني شيئاً من الأشياء مادياً أو معنوياً؛ تعني: أي شيء مهما كان نوعه، وحجمه صغيراً، أو كبيراً؛ في الدنيا، أو الآخرة؛ فكل مصيبة، وكل بأساء، وضراء تصيبهم: فهي بما قدّمت أيديهم، أو هي ابتلاء لهم، ولرفع درجاتهم، ولمحو خطاياهم؛ وتعني: أن الله لا يظلم الإنسان في الآخرة بزيادة سيئة في ميزانه، أو نقصان حسنة من حسناته والمعنيان إردان.

﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ﴾: ولكن: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بكسب المعاصي، والشرك، وجحد نعم الله، وفعل ذلك منسوب إليهم.

﴿يَظْلِمُونَ﴾: يشركون، ومجيئها كفعل مضارع؛ تدلّ على التكرار، والتجدد، أو الاستمرار. ارجع إلى الآية (٥٤) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[٤٥] ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾:

﴿وَيَوْمَ﴾: القيامة: الواو: استئنافية.

﴿يَحْشُرُهُمْ﴾: الحشر: هو السَّوق من قبورهم بعد النَّشر، والبعث إلى أرض الحشر، والجمع هناك.

﴿كَانَ﴾: للتشبيه، والتشبيه بكأن أبلغ من التشبيه بكاف التشبيه.

﴿كَانَ﴾: مؤلفة من كاف التشبيه، وإن المخففة، وأصلها: كأنهم، وخففت كأن؛ دلالة على قلة مكثهم في الدنيا.
﴿لَمْ﴾: حرف نفي.

﴿يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾: أي: في الدنيا، أو في قبورهم، أو كلاهما معاً.
والأغلب هو التفسير الأول؛ أي: الدنيا، والغرض من هذه الآية هو مقارنة زمن الدنيا بزمن الآخرة؛ أي: زمن عمر الإنسان، وبقائه في الدنيا بزمن الآخرة؛ كأنه ساعة، أو أقل.

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يحاول أن يعرف بعضهم بعضاً في أرض المحشر، ولا يدوم ذلك طويلاً، ثم تنقطع المعرفة، وقيل: قد يكون الغرض من التعارف التوبيخ، ولكي يعلم الضال من المضل، وتقوم عليهم الحُجَّة، وليس المقام مقام إيناس، ومحبة، واجتماع.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: أي: لم يؤمنوا بالبعث، والحشر، والحساب.
﴿خَسِرَ﴾: ماذا خسر؟ نفسه؛ لأنه أهلكها بالضلال في الدنيا، وقد يخسر أهله، أو خسر؛ تعني: ضلَّ، أو خسر ثواب الجنة.

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: الواو: عاطفة، ما: حرف نفي، كانوا مهتدين إلى



منهج الله تعالى في الدنيا، وسائرین على الصراط المستقیم، وجملة: مهتدين: جملة اسمية؛ تدل على ثبوتهم على الضلال.

[٤٦] ﴿وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّئَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: الواو: عاطفة. إما: مكونة من إن + ما. إن: شرطية؛ ما: للتوكيد، وإن: تفيد الاحتمال، أو القلة.

﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ﴾: النون في نرينك: للتوكيد، في الدنيا بعض الذي نعدهم (أي: الذين كذبوا بقاء الله، والمشرکين) من الخذلان، والهزيمة، والقتل، والبأساء، والضراء.

﴿أَوْ نَتُوفِّئَنَّكَ﴾: أو: للاختيار؛ نتوفينك: قبل أن نعدبهم، والنون في نتوفينك: للتأكيد.

﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: إلينا تقديم الجار، والمجرور، ويدل على الحصر إلينا حصراً مرجعهم في الآخرة للحساب والجزاء.

﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾: ثم: للترتيب الذكري.

﴿شَهِيدٌ﴾: صيغة مبالغة من شهد، يشهد. ارجع إلى الآية (١٣٣) من سورة البقرة؛ لبيان معنى شهيد.

﴿عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾: ما: بمعنى: الذي: مصدرية.

﴿يَفْعَلُونَ﴾: في الدنيا من تكذيب، وشرك، وكفر.

[٤٧] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾: ولكل أمة من الأمم رسول، وكل رسول هو نبي،

وليس كلّ نبي رسولاً، وقيل: الرّسول: من بعثه الله بشريعة جديدة. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٤)؛ لمزيد من البيان.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: تدل على التوكيد، والمباشرة.

﴿جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾: إلى أرض المحشر؛ كقوله: ﴿وَجَاءَ بِالتِّيْنِ وَالشَّهْدَاءِ وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩].

﴿قَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل بين الرّسول، وقومه، أو أمته، وبين الذين آمنوا، والذين كذبوا.

﴿بِالْقِسْطِ﴾: الباء: تفيد الإلصاق، والتوكيد.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: وهم: ضمير منفصل؛ تفيد التوكيد.

﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾: لا: النافية؛ يظلمون: شيئاً. ارجع إلى الآية (٤٤) من نفس السورة.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿وَيَقُولُونَ﴾: أي: المشركون، والمكذبون بالرّسل، والبعث، يقولون: وهم في الدنيا، ويتكرر قولهم، ويتجدد السؤال عن متى سيكون هذا الوعد؟

﴿مَتَى﴾: اسم استفهام؛ تفيد معنى الاستبطاء، والاستبعاد.

﴿هَذَا﴾: اسم إشارة؛ يفيد القرب.

﴿الْوَعْدُ﴾: الوعد بالعذاب؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَ هُمُ الْعَذَابُ﴾، أو الوعد: متى يوم القيامة، أو يوم الحساب، أو متى هذا الوعد الذي يعدنا به محمّد ﷺ، أو غيره من الرّسل.

﴿إِنْ﴾: شرطية؛ فيها معنى الشك، الشك في كونكم صادقين.



﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: في دعواكم، وإنذاركم، وصادقين فيما جئتمونا به من رسالة.

[٤٩] ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَخْرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ ردًّا على سؤالهم: متى هذا الوعد؟ (أي: متى العذاب، أو يوم القيامة...) ويعني: الضر:

﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: لا: النافية للجنس.

﴿أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا﴾: اللام: لام الاختصاص، والملكية؛ أي: غير قادر على دفع الضر عن نفسي، أو جلب المنفعة لنفسي. والضر: مصدر خلاف النفع، أو الشر، والنفع: هو مثل الغنى، والصحة، والخير... وغيرها، ويجب تفريق الضر عن الضر (بضم الضاد) الذي يحصل في البدن من مرض أو مصيبة.

﴿وَلَا نَفْعًا﴾: ولا: لزيادة توكيد النفي، وتكرار النفي بلا: يفيد الفصل بين النفع، والضر؛ فهو لا يملك أيًّا منهما على حدة، أو كلاهما معاً، فكيف أملك، أو أقدر على المجيء بيوم القيامة، أو إنزال العذاب بكم، وقدم الضر على النفع؛ لأن سياق الآيات في الوعيد والتحذير لهؤلاء الذين كذبوا بقاء الله تعالى، وكذبوا بالبعث والحساب.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: أن أملكه، أو يقدرني عليه من الحول، والقوة، والنفع، والضر، وقدم الضر على النفع؛ لأن سياق الآيات يدعو إلى تقديم الضر على النفع؛ حيث ذكر الله سبحانه: ﴿وَلَوْ يُعْجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ [يونس: ١١].

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا﴾ [يونس: ١٢].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٥٠].

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: هذا قد يكون الرد الثاني، أو الجواب الثاني على سؤالهم متى هذا الوعد (العذاب، أو الضرر...).

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: وقت محدد، أو عمر محدد، وحين يشاء الله سبحانه ينزل بالَّذِينَ كَفَرُوا العذاب، أو قد يؤخّره إلى أجل مسمّى هو يوم القيامة، أو حياة البرزخ (عذاب القبر).

﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾: أي: وقت إهلاكهم، أو موتهم، أو عذابهم؛ إذا: ظرف زمني متضمن معنى الشرط، ويحمل معنى حتمية الوقوع؛ أي: هو حتماً قادم لا محالة، ولا شك.

﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: انتبه إلى قوله سبحانه: إذا: شرطية؛ جواب الشرط: هو جاء أجلهم لا يستأخرون، وينتهي الكلام، ولا يستقدمون، ليست تنمّة لجواب الشرط.

أي: إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة، ولا دقيقة، ولا ثانية، وإذا لم يجرئ أجلهم لا يستقدمون ساعة، ولا دقيقة، ولا ثانية.

[٥٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾:

هذا هو الجواب، أو الرد الثالث على سؤالهم متى هذا الوعد؛ فقد كان الرد الأول: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾، وكان الرد الثاني: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾، والرد الثالث: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾ ما ستفعلون عندها.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ: أرايتم: الهمزة: همزة استفهام، وتقرير،



والرؤية هنا رؤية قلبية، وبصرية، وتعني: أخبروني بشكل مؤكد؛ أخبروني إخبار من له علم ودراية بالأمر: عما سيحدث لكم إن أتاكم عذابه.

﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾: إن: شرطية؛ تدل على الاحتمال (احتمال حدوث العذاب).

﴿أَتَاكُمْ﴾: استعمل أتاكم؛ لأنه لم يجر بعد، وسيأتي في المستقبل، ولو جاء الآن لقال: لجاءكم العذاب، ونسب العذاب إليه؛ للتهديد، والوعيد الشديد؛ فهو عذاب الله الجبار؛ القهار؛ القوي؛ العزيز، وليس عذاب أحد من الناس.

﴿يَنَآ﴾: أي: ليلاً، وأنتم نائمون، أو غير نائمين؛ غير مستعدين؛ غير حاذرين، وبات: لا تعني: النوم؛ فهو سواء نام، أو لم ينام؛ بات: أظله المبيت. ﴿أَوْ نَهَارًا﴾: في وضوح النهار، وأنتم في تقلبكم وشغلكم، أو على استعداد، أو غير استعداد له.

﴿مَاذَا﴾: للاستفهام، وتفيد المبالغة في الاستفهام.

﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾: منه: تعود على العذاب.

﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: المشركون الكافرون العاصون المستهزون. ارجع إلى سورة هود آية (١١٦)، والجاثية آية (٣١) لبيان معنى مجرمون.

وجواب إن أتاكم: محذوف، وحذفه ليدل على التّفخيم، والتّعظيم، ويذهب الفكر إلى كلّ أنواع العذاب، والتّصورات، والأجوبة؛ فلا يكون محدداً بنوع واحد، وقد لا تطيقونه، وقد يهلككم عن بكرة أبيكم.



[٥١] ﴿أَثَرٌ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنُكُمْ بِهِ ءَآلَتُنْ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾:

﴿أَثَرٌ﴾: الهمزة: همزة استفهام، وتوبيخ، وإنكار التأخير، وقدمت الهمزة على حرف العطف، وهو ثم؛ تنبيهاً على أصالتها في الصدارة، والتقدير.

﴿إِذَا﴾: ظرف زمني للمستقبل، وتدل على حتمية الحدوث.

﴿مَا وَقَعَ﴾: ما: للتوكيد، وقع: حل ونزل بكم.

﴿آمَنُكُمْ بِهِ﴾: صدقتم به، وبه قد تعود إلى العذاب، أو تعود إلى الله، وتعني: آمتم بالله تعالى.

﴿ءَآلَتُنْ﴾: الهمزة: همزة استفهام، وتعجب، وإنكار، كلمة آآن: الهمزة همزة الاستفهام فيها أدغمت بهمزة الوصل في أل التعريف، وأدغمت الألفان، وأصبحتا ألفاً واحدة فوقها علامة المد، وحذفت همزة الوصل، وأبقيت همزة الاستفهام، وكلمة آآن: ذكرت في ست آيات في القرآن.

﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ﴾: قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿كُنْتُمْ بِهِ﴾: بالعذاب.

﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾: أي: قيل لهم بعد أن يحل بهم، أو قيل وقوعه: آآن الإيمان لا يفيد، ولا يجدي.

[٥٢] ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف؛ يفيد الترتيب، والتراخي.

﴿قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي: المشركين المكذبين في الآخرة عند دخولهم النار، وعند وقوع العذاب:

﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾: العذاب الدائم المستمر بلا انقطاع.



﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾: استفهام إنكاري، وتوبيخ.

﴿تُجْزَوْنَ﴾: من الجزاء المقابل للعمل.

﴿إِلَّا يَمَّا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿يَمَّا﴾: الباء: للإلصاق؛ ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، أو مصدرية.

﴿تَكْسِبُونَ﴾: من الشُّرك، والكفر، والمعاصي؛ تكسبون، ولم يقل:

تكتسبون. ارجع إلى الآية (٢٨٦) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[٥٣] ﴿وَيَسْتَنِيْثُوْنَكَ اَحَقُّ هُوَ قُلْ اِيَّ وَرَبِّيْ اِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا اَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ﴾:

﴿وَيَسْتَنِيْثُوْنَكَ﴾: يطلبون أن تخبرهم؛ من استنبأه؛ أي: طلب أن ينبئه؛ أي:

يسألونك، ويبدو أنهم عادوا مرة أخرى إلى رسول الله ﷺ ليسأله سؤالاً جديداً بدلاً من: متى هذا الوعد، أحق هو.

﴿اَحَقُّ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري؛ أي: أصحح هذا العذاب، أو

الحساب، أو البعث، وفيه معنى الاستهزاء.

﴿هُوَ﴾: قد تعود على البعث، والحساب، أو العذاب، أو القيامة.

قل لهم يا محمد ﷺ:

﴿اِيَّ﴾: إي: بالكسر، والسكون، وإي: حرف جواب بمعنى: نعم؛ تفيد

تصديق المخبر، ولإعلام المستخبر، وتقع قبل القسم.

﴿وَرَبِّيْ اِنَّهُ لَحَقُّ﴾: الواو: واو القسم؛ أي: نعم، وأقسم بربي إنه لحق،

والقسم هنا: يفيد التوكيد.

﴿وَمَا اَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ﴾: الواو: عاطفة، ما: النافية.



﴿أَنْتُمْ بِمُعْجِزَاتِنَا﴾: الباء: للإلصاق، والتأكيد. معجزين: بفائتين من العذاب، أو نحن غير قادرين عليكم، ما أنتم بمعجزين؛ لا في أي مكان، ولا في أي زمان، ولا تعجزون في أي شيء مهما كان.

ومن الجدير بالذكر: أن الله سبحانه أمر رسوله ﷺ بأن يقسم بربه في ثلاث آيات في القرآن:

هذه الآية (٥٣) من سورة يونس: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُوبُ إِي وَرَبِّ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾.

والآية (٣) من سورة سبأ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيََنَّكُمْ﴾.

والآية (٧) من سورة التغابن: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَّنْ يُبْعَثَ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ﴾.

وإذا نظرنا في سياق هذه الآيات نجد أنها كلها تؤكد قيام الساعة، والبعث، والعذاب، أو الجزاء.





سُورَةُ النُّورِ ١٠

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا
النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ
فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَلَا لِلَّهِ آذَنٌ لِّكُمْ أَمْرٌ عَلَى اللَّهِ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِبْرَاهِيمُ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾



سورة يونس [الآيات ٥٤ - ٦١]

[٥٤] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ. وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾:

المناسبة: جاءت هذه الآية بعد قوله: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾؛ أي: ناجين من العذاب، وكذلك: لا شفاعة لكم، ولن يُقبل منكم فداء.

﴿وَلَوْ أَنَّ﴾: الواو: استثنائية؛ لو: شرطية؛ تفيد الندم والحسرة؛ أن: للتوكيد.

﴿لِكُلِّ﴾: اللام: لام الاختصاص، والتوكيد.

﴿نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾: ظلمت بالشرك، أو الكفر، أو المعاصي، أو تعدت على غيرها، ولم تتب.

﴿مَا﴾: بمعنى: الذي، وما: أوسع شمولاً من: الذي.

﴿الْأَرْضِ﴾: من ذهب، أو فضة، أو كنوز.

﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾: اللام: لام التوكيد؛ افتدت به: قدّمته فدية لها من العذاب يوم القيامة، والفداء: هو ما يُقدّم من مال، وغيره من البدائل؛ لتخليص المفدى؛ مثل: فداء الأسرى، كقوله تعالى: ﴿وَقَدَيْنَهُ بِذِبحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧].

ولو أمعنا في النظر في هذه الآية: نجد أن الله سبحانه لم يقل: جميعاً، ومثله معه، واكتفى بقوله: ما في الأرض؛ بينما في آيات أخرى ذكر جميعاً، ومثله معه، كما هو الحال في الآية (٤٩) من سورة الزمر: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾، لم يذكر في آية يونس جميعاً، ومثله؛ لأنها جاءت في سياق النفس الواحدة؛ فقال: لكل نفس، ولم يقل: للذين ظلموا (كجمع)،



والنفس الواحدة مستحيل أن تملك ما في الأرض جميعاً، ومثله معه، ولذلك حذف جميعاً، ومثله ومعه، بينما في آية الزمر وغيرها من الآيات المشابهة ذكر الذين ظلموا؛ فهؤلاء ثرواتهم وفدائهم سيكون أكثر من النفس الواحدة، وأعظم، ومع ذلك لا يقبل منهم فداء، ولا شفاعة.

وهناك نقطة أخرى: وهي قوله: لافتدوا به في سورة الرعد، الآية (٣٨)، والزمر، الآية (٤٧)؛ بينما في سورة المائدة، الآية (٣٦) قال تعالى: ليفتدوا به، السبب في تغيير صيغة الفعل: هو أن قوله: لافتدوا به: الآيات تتحدث عنهم، وهم في الآخرة، وبعد أن تم حسابهم، ولقاء الله سبحانه.

أما قوله: ليفتدوا به: فالآية تتحدث عنهم، وهم ما زالوا في الدنيا، وقبل لقاء الله سبحانه في المستقبل.

والخلاصة: لافتدوا به: تأتي في سياق الآخرة، وليفتدوا به: تأتي في سياق الدنيا.

﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾: وأسروا: الواو: عاطفة، أسروا الندامة؛ أي: أخفوا الندامة، والندامة: من الندم، وهو ما يجد الإنسان في نفسه من الأسف، والحسرة، والحزن إذا فاته فعل شيء فيه خير، أو فعل فعلاً ضاراً به، ومن المفسرين من قال: أسروا الندامة؛ أي: أظهروها حين رأوا العذاب؛ فأسررت الشيء قد تعني: أخفيت، وقد تعني: أظهرته من أفعال الأضداد.

﴿لَمَّا﴾: ظرف زمني بمعنى: حين.

﴿رَأَوْا الْعَذَابَ﴾: لأنهم حين يرون العذاب يبهتوا؛ أي: ينقطعوا عن الكلام من هول، وشدة الموقف.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: وقضي بينهم بالقسط؛ أي: حكم الله بين الظالمين، وفصل بينهم بالعدل، والحق، وقيل: القسط: هو

القضاء، والعدل + تنفيذه (إقامته)، نحكم ونقضي بالقسط لكل نفس، وقد تعني: القضاء بين الأتباع، والمتبوعين، وقد تعني: القضاء بين الظالمين أنفسهم، أو المشركين، أو الكفرة، أو الكل.

ولو نظرنا إلى هذه الآية (٥٤)، والآية (٤٧) من نفس السورة: نجد كلاهما انتهى بقوله سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: وليس هذا تكرار؛ لأن الآية (٤٧): جاءت في سياق القضاء بين الأنبياء، ومكذبيهم، والآية (٥٤): جاءت في سياق القضاء بين الظالمين أنفسهم، أو الظالمين والمظلومين. [٥٥] ﴿الْإِنِّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَالْإِنِّ عَدَدُ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

المناسبة: ذكر هذه الآية بعد ذكر: ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به؛ لتخبر ليس للظالم من شيء يفتدي به؛ لأن كل ما في السموات، والأرض هو لله سبحانه.

﴿الْآ﴾: أداة استفتاح، وتفيد التنبيه؛ تنبيه الغافل: أن لله ما في السموات والأرض.

﴿الْإِنِّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ارجع إلى الآية (٢٨٤) من سورة البقرة.

﴿الْإِنِّ عَدَدُ اللَّهِ حَقٌّ﴾: فليس فقط لله ما في السموات والأرض؛ كذلك.

﴿الْآ﴾: أداة تنبيه، كما ورد سابقاً.

﴿الْإِنِّ﴾: للتوكيد.

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾: البعث، والحساب، والجزاء (من ثواب وعقاب)، وكل ما

أعده الله سبحانه لعباده المؤمنين، وعباده الكافرين حق، وصدق، وكل شيء نطق به حق لا يتغير، ولا يتبدل.



والوعد: إذا جاء في سياق الخير فهو بشارة سارة، وإذا جاء في سياق الشر؛ فهو إنذار، والوعد عادة يأتي في سياق الخير، والوعيد يأتي في سياق الشر.

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لكن: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: تعود على المشركين؛ الكافرين؛ العاصين.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: عن البعث، والحساب، والجزاء شيئاً، والدليل على ذلك الآية التي تليها؛ أي: ﴿هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[٥٦] ﴿هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد يعود على الله (وعد الله حق).

﴿يَحْيِي وَيُمِيتُ﴾: القادر على أن يحيي ويميت، وجاء بصيغة المضارع؛ ليدل على تجدد الإحياء والإماتة.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: إليه: جار ومجرور، وتقديمها يفيد الحصر؛ أي: إليه وحده ترجعون.

وَتُرْجَعُونَ، ولم يقل: تَرْجَعُونَ؛ تَرْجَعُونَ؛ أي: رجوعاً قسرياً، لا إرادة لكم فيه؛ فمن لا يكفيه دليل الإحياء، والموت على قدرة الله؛ فعليه أن يرتدع بخوف الرجوع إلى الله سبحانه.

[٥٧] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: نداء إلى الناس كافة، والهاء: للتنبيه إلى أمر مهم عظيم.

﴿النَّاسُ﴾: من الإنس، والجن، والناس: مشتقة من النّوس: الحركة؛ أي:

التي يتصف بها الخلق، ومن الإنس الألفة، ولمعرفة معنى النَّاس: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢١).

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الموعظة؛ أي: القرآن الكريم، والموعظة: تذكرة بالثواب، والعقاب، وبالطاعة، والعمل الصالح، والإرشاد إلى الخير، ونهي، وتحذير. ارجع إلى سورة النساء، آية (٣٤) والنحل، آية (١٢٥)؛ لمزيد في معنى موعظة.

﴿وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾: من الشك، والنفاق، والحيرة، والشبه، والحق، والحسد، والمكر، والظن، والغيبة... وغيرها من الأمراض.

﴿وَهْدًى﴾: مصدر هداية، أو هو الهدى يهدي للحق، والغاية والصراط المستقيم، وسعادة الدارين.

﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: مصدر لجلب الخير، والنعم، ودفع ما يضر (وقاية لكم من الضرر والوقوع في الذنب).

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

وانتبه إلى المجيء بكلمة موعظة، وشفاء، وهدى، ورحمة: كلها جاءت بصيغة النكرة؛ للتعظيم، والشمول.

[٥٨] ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ:

﴿بِفَضْلِ اللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد، والفضل: هو الزيادة عما يستحق من الأجر، أو الثواب.

فضل الله: الجنة، ورضوان الله تعالى، وفضل الله قد يشمل عدم الشرك



بالله، والتوحيد؛ لقوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ [يوسف: ٣٨].

﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾: قيل: هي القرآن، أو محمد ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ أو كلاهما.

وتكرار الباء بفضل الله وبرحمته: دليل على أن كل منهما سبب للفرح على حدة، أو كلاهما معاً.

﴿فَإِذْ ذَٰلِكَ﴾: الفاء: للتوكيد، الباء: للإلصاق، ذلك: اسم إشارة للبعيد، والتعظيم، (وشمل الواحد، أو الاثنين، أو الجمع)، وتشير إلى فضل الله ورحمته. ﴿فَلْيَفْرَحُوا﴾: الفاء: للتوكيد، واللام: لزيادة التوكيد، وهو نوع من الفرح الم محمود. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٧٠) لبيان معنى الفرح وأنواعه.

﴿هُوَ خَيْرٌ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد، والحصر، خير: أفضل.

﴿مِمَّا﴾: من + ما؛ من: البعضية، ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

﴿يَجْمَعُونَ﴾: من المال، والذهب، والفضة، والمتاع.

[٥٩] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ أَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: أي: أخبروني بعلم، وتوكيد؛ رؤية قلبية، الخطاب موجه إلى مشركي قريش، وغيرهم من البشر.

﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، وقد تكون اسم استفهام.



﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾: أي: من الحرث، والأنعام، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ﴾، وقد يعني: الغيث، والمطر الذي هو السبب في إنتاج الحبوب، والثمار، والأنعام، أو تعني: الإيجاد، أو إنزال حقيقي، كما أنزل الحديد.

﴿فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾: مثل: البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، ﴿هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حَجَرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ... وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا... مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٨-١٣٩].

والجعل: يتم بعد الخلق، والجعل هو حق للخالق وحده، فهل أعطاكم الله سبحانه تصريحاً، أو تفويضاً، أو سمح لكم بذلك، والفاء في فجعلتم: للتوكيد، وقدّم الحرام على الحلال؛ لأن سياق الآيات في الظلم، والتحذير منه، وتحريم ما أحل الله.

﴿قُلْ أَتَى اللَّهُ﴾: ارجع إلى كلمة الآن في الآية (٥١). الهمزة: للاستفهام الإنكاري.

﴿أَذِنَ لَكُمْ﴾: أعلمكم بهذا التحليل، والتّحريم، وسمح لكم.

﴿أَمَرَ﴾: للإضراب الانتقالي، والهمزة: للاستفهام.

﴿عَلَى اللَّهِ يَفْتَرُونَ﴾: الافتراء: هو الكذب المتعمّد المختلق، وتفترون: تدل على التّجذّد، والتّكرار المستمر.

[٦٠] ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ لَكُمْ فَضْلًا عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾:

﴿وَمَا ظَنُّ﴾: الواو: استثنائية؛ ما: اسم استفهام.



﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: وفي هذه الآية كلام محذوف تقديره:

- ١ - ما ظنهم أنّ الله فاعل بهم يوم القيامة؛ بافترائهم الكذب عليه.
 - ٢ - أو هل ظنوا أنّه لا توجد آخرة، ولا حساب، ولا ويل، ولا نار.
- وفي إيهام الوعيد، وما سيكون حسابهم عند ربهم، تهديد عظيم لهم، ولتبقى عقولهم في حيرة في نوع العذاب الذي ينتظرهم.
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾: إن: للتوكيد؛ لذو: اللام: لام التوكيد.
- ﴿فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾:

- ١ - بأن يبين لهم الحلال، والحرام، وهداهم بإرسال الرّسل، وإنزال الكتب، وإنعامه عليهم بالعقل، والنعم الكثيرة التي لا تعد، ولا تحصى.
 - ٢ - أو لذو فضل على الناس بأن آخر عنهم العذاب.
- ﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾: لأنهم منشغلون بالنعم، وغافلون عن المنعم، ولو قارنا (أكثرهم لا يشركون) مع قوله تعالى: (كثيراً لا يشركون): نجد أن أكثرهم أكثر من كثير في العدد.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يَشْكُرُونَ﴾: الله على ما هداهم وبين لهم. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠) لبيان معنى الشكر.

[٦١] ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ

شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية، ما: النافية، والخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ.

﴿تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾: شأن: هو إبلاغ الرسالة، والمنهج؛ أي: الدعوة إلى الله تعالى.

﴿وَمَا﴾: مثل السابقة، وتفيد التوكيد.

﴿تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾: وما تتلو من القرآن، أو الآيات على الناس، أو لأجل تبليغ الناس ما أنزل عليهم.

﴿مِنْهُ﴾: الأولى تعليلية.

﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾: للتأكيد، أو للتبويض؛ أي: بعض السور أو الآيات.

﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾: ينتقل إلى الله سبحانه من مخاطبة رسول الله إلى مخاطبة الناس.

﴿وَلَا﴾: النافية.

﴿تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾: العمل يشمل القول، والفعل؛ فإذا صدر الحدث من اللسان كان قولاً، وإذا صدر الحدث من بقية الجوارح كان فعلاً.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾: كنا عليكم شاهدين؛ أي: رقباء مطلعين عليه حيث الملائكة الكرام الكاتبين، شاهدين على ما تعملونه (من قول، وفعل).

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني.

﴿تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: من الإفاضة، كما يفيض الإناء إذا امتلأ، وأصل الإفاضة:



الاندفاع بشدة، أو بكثرة؛ تفيضون: تشرعون فيه؛ لتأديته بنشاط وإقبال؛ مما يدل على حسن الاستجابة، والإقبال على العمل بشوق.

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾: وما: ما: للنفي، ما يعزب عن ربك: ما يغيب عن علمه، وعزب الشيء؛ أي: اختفى، وغاب، وما هو الفرق بين: وما يعزب عن ربك، ولا يعزب عن ربك؟ أولاً: ما: رد على قول أو ما يشابه ذلك، بينما لا: جواب لسؤال حصل أو مقدر، وما: مختصة بنفي الحال، ولا: تختص بنفي المستقبل.

﴿مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: من: استغرافية، وتفيد التوكيد. ارجع إلى سورة سبأ، آية (٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾: وانتبه إلى قوله: ولا أصغر من ذلك؛ فعندما يكون هناك أصغر يكون هناك كذلك صغير، وأصغر من الذرة هي الإلكترونات، والبروتونات، والترونات التي تشكل النواة.

وأصغر على وزن أفعّل؛ هو ما اكتشفه العلم الحديث، وهو ما يقال له: (كوارك)؛ أي: أصغر من الذرة.

﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: وهو اللوح المحفوظ.

ولنقارن بين هذه الآية من سورة يونس، والآية (٣) من سورة سبأ.

آية (٦١) يونس: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

آية (٣) سبأ: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

بين الآيتين ستة فروق:

الأول: السّياق في آية يونس، في علم إحاطة الله بالأشياء، أمّا السّياق في آية سبأ ففي السّاعة (ساعة تهدم النظام الكوني).

الثاني: في يونس: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾؛ ما: مختصة بنفي الحال، وفي سبأ: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾؛ لا: نافية للجنس مختصة بنفي المستقبل غالباً، وقد تنفي كلّ الأزمنة بما فيها الحال؛ فالنفي في آية يونس: أوسع، وأشمل.

الثالث: في آية يونس قال: ﴿عَنْ رَبِّكَ﴾، وفي آية سبأ قال: ﴿عَنْهُ﴾، ولم يقل: عن ربك؛ لأنّه سبق ذكر كلمة الرّب في قوله: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَٰكُمْ﴾.

الرابع: في آية يونس قال: ﴿ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: بدأ بالأرض؛ لأنّ الآية تتكلم عن أهل الأرض؛ لقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾، وفي آية سبأ قال: ﴿ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: بدأت بالسموات؛ لأنّ السّياق عن السّاعة، والسّاعة أمرها يبدأ من السموات.

الخامس: في يونس قال: ﴿مِنْ مِّثْقَالٍ﴾؛ من: هنا الاستغرافية؛ لأنّ الكلام عن علم الله، وإحاطة علمه بكلّ الأشياء يستغرق كلّ شيء، أما في سبأ: ﴿مِّثْقَالٍ﴾: من دون (من)؛ فلأنّ السّاعة شيء واحد، أو أمر واحد.

السادس: النّفي في آية يونس أقوى، وأكد من النّفي من آية سبأ؛ لأنّه جاء بـ(لا): النّافية للجنس، وكذلك استعمل: (من): الاستغرافية، وجاء بصيغة النّصب في يونس بدلاً من صيغة الرّفْع؛ فقال: ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾؛ بينما في سبأ: ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾.





سُورَةُ الْاِنشَاءِ ١٠

الْبَيْتُ الْاَوَّلُ

اَلَا اِنَّ اَوْلِيَاءَ اللّٰهِ لَاحْوَفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ
 (٦٢) الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَكَانُوْا يَتَّقُوْنَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرٰى
 فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْاٰخِرَةِ لَا يَبْدِلُ لِكَلِمَاتِ اللّٰهِ
 ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ (٦٤) وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ اِنَّ
 الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيْعًا هُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ (٦٥) اَلَا اِنَّ لِلّٰهِ
 مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْاَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِيْنَ
 يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ شُرَكَاءَ اِنْ يَتَّبِعُوْنَ اِلَّا
 الظَّنَّ وَاِنْ هُمْ اِلَّا يَخْرُصُوْنَ (٦٦) هُوَ الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمُ
 الْلَيْلَ لِتَسْكُنُوْا فِيْهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ
 لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُوْنَ (٦٧) قَالُوْا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَدًا
 سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ
 اِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلٰطٰنٍ بِهٰذَا تَقُوْلُوْنَ عَلٰى اللّٰهِ مَا
 لَا تَعْلَمُوْنَ (٦٨) قُلْ اِنَّ الَّذِيْنَ يَفْتَرُوْنَ عَلٰى اللّٰهِ الْكُذِبَ
 لَا يَفْلِحُوْنَ (٦٩) مَتَّعُ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ اِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ
 نَذِيْقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيْدَ بِمَا كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ (٧٠)

سورة يونس [الآيات ٦٢ - ٧٠]

[٦٢] ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

﴿أَلَا﴾: أداة استفتاح، وتنبيه للمستمع حتى لا تفوته كلمة واحدة في الآية، وللاهتمام بما يستمع إليه.

﴿إِنَّ﴾: تفيد التوكيد.

﴿أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ جمع ولي، والولي: هو التابع المحب أو القريب المحب المعين، والولاء: هو الحب والنصرة، أولياء الله بالطاعة والعبادة؛ أي: أحباؤه، والمقربون إليه، وقد وصفهم بقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾. ارجع إلى سورة المائدة، آية (٥١)؛ للمزيد في معنى الولاية.

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٣٨)؛ للبيان.

[٦٣] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾:

هذا تفسير لأولياء الله، وكان سائلاً سأل: مَنْ هم أولياء الله؟ فجاء الرد: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿ءَامَنُوا﴾: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتعني: الإخلاص، والتوحيد.



﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: بامثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، كانوا في الدنيا يتقون الله تعالى؛ يخافونه، ويتقون: تدل على الاستمرار، والتجدد، والتكرار مدة حياتهم حتى ماتوا وهم في تلك الحالة. وهذا يعني أن الولاية، أو لتكون من أولياء الله يجب الإنابة والمجاهدة فهي ولاية كسبية، وكذلك يهدي إليه من يريد أو يجتبي إليه من يشاء هي ولاية خاصة، أو ولاية هبة، أو اجتناء من الله تعالى.

[٦٤] ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بَدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:

﴿لَهُمُ﴾: اللام: لام التعليل، والاختصاص.

﴿الْبُشْرَىٰ﴾: على وزن فعلى، هي الخبر السار تسمعه لأول مرة، وسميت بشارة؛ لأنه يظهر أثرها على الوجه بالسرور، والفرح، وغالباً تستعمل في الخير، ولكن قد تكون في الشر، ويُراد بها التهكم، والاستهزاء؛ كقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣].

﴿الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: تتمثل بثلاثة أفعال:

١ - الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ.

٢ - بشارة الملائكة للمؤمنين المتقين عند الموت (الوفاة) ﴿الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [النحل: ٣٢].

٣ - البشرى بالجنة: ﴿وَابْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

لهم البشرى في الدارين: الدنيا، والآخرة، وإعادة ذكر (في) مرتين في الحياة الدنيا، وفي الآخرة بدلاً من قوله: في الحياة الدنيا والآخرة؛ للتأكيد، وللفصل كل على حدة، أو كلاهما معاً.



﴿لَا﴾: النَّافِيَةُ لِلْجِنْسِ، وَلِكُلِّ الْأَزْمَنَةِ.

﴿بَدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: لَا تَغْيِيرَ، وَلَا تَبْدِيلَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِبَادَهُ؛ كَلِمَاتُ اللَّهِ أَقْوَالُهُ، وَمَا بَشَّرَ بِهِ.

﴿ذَلِكَ﴾: اسْمُ إِشَارَةٍ، وَاللَّامُ: لِلْبَعْدِ، وَيُشِيرُ إِلَى الْبَشَارَةِ فِي الدَّارَيْنِ.

﴿هُوَ﴾: ضَمِيرُ فَصْلٍ؛ يَفِيدُ التَّوَكِيدَ.

﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الْفَوْزِ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ؛ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْفَوْزِ الْمُبِينِ، وَالْفَوْزِ الْكَبِيرِ. ارْجِعْ إِلَى سُورَةِ النَّسَاءِ آيَةِ (٧٣) لِمَزِيدٍ مِنَ الْبَيَانِ فِي مَعْنَى الْفَوْزِ وَأَنْوَاعِهِ أَوْ دَرَجَاتِهِ.

[٦٥] ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾:

﴿وَلَا﴾: الْوَائِي: اسْتِثْنَائِيَّةٌ؛ لَا: النَّاهِيَةُ.

﴿يَحْزُنُكَ﴾: الْحَزْنُ: بَضْمُ الزَّايِ: هُوَ ضَيْقٌ فِي الصَّدْرِ مُؤَقَّتٌ (لَهُ وَقْتُ مُحَدَّدٍ، وَيَنْتَهِي، وَلَوْ طَالَ سَنَةٌ، أَوْ سَنَتَيْنِ، أَوْ أَكْثَرَ).

أَمَّا الْحَزَنُ: بِفَتْحِ الزَّايِ: فَلَا يَنْتَهِي أَبَدًا إِلَّا بِالْمَوْتِ؛ إِذَنْ الْحَزَنُ لَا يَنْقُضِي، وَلَا يَزُولُ، حَزَنٌ دَائِمٌ.

﴿قَوْلُهُمْ﴾: أَنْكَ سَاحِرٌ، مَجْنُونٌ، مُفْتَرٍ، كَاذِبٌ، لَسْتَ مَرْسَلًا.

وَيَجِبُ الْوُقُوفُ فِي الْقِرَاءَةِ عَلَى: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ﴾؛ أَمَّا إِذَا لَمْ يَقِفِ الْقَارِئُ؛ فَيَكُونُ مَعْنَى: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: أَيُّ: قَوْلُهُمْ: إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا، وَهُوَ يُحْزِنُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، وَبَاطِلٌ؛ لِأَنَّهُمْ



هم لم يقولوا: إن العزة لله جميعاً أولاً، وثانياً: أن القول أن العزة لله جميعاً لا يحزن رسول الله ﷺ.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الْعِزَّةُ﴾: القوة، والغلبة، والمنعة، والقهر؛ فهو لله سبحانه لا يُغلب، ولا يُقهر، والقوي الذي لا يُحال بينه وبين مراده.

﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: اللام: لام الاختصاص، والملكية.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿السَّمِيعُ﴾: لكل ما يقال؛ صيغة مبالغة، كثير السمع، يسمع كل ما يقوله عباده في السر والعلن، وما يقولون جميعاً في آن واحد.

﴿الْعَلِيمُ﴾: صيغة مبالغة، عليم بكل ما يجري في كونه، وما يفعله خلقه، وما تخفي الصدور، ولا تخفى عليه خافية في الأرض، ولا في السماء.

[٦٦] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾:

وبما أن قانون العزة لله جميعاً؛ لأن كل من في السموات، ومن في الأرض من كائن مملوكاً لله؛ فلا كائن يخرج عن إرادته سبحانه.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ﴾: ألا: أداة استفتاح، وتنبيه.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿لِلَّهِ﴾: السلام: لام الاختصاص، والملكية، وتقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة: يدل على الحصر؛ أي: حصراً لله وحده؛ أي: كل كائن في السموات، وفي الأرض خاضع لله سبحانه طوعاً، أو كرهاً.

﴿مَنْ﴾: تختص بالعقلاء فقط، وقد تستعمل لغير العقلاء إذا أنزلوا منزلة العقلاء؛ مثل: الأصنام إذا عبدوها، ومن: استغراقية تشمل المفرد، والمثنى، والجمع، وتشمل كل عاقل.

﴿فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: إعادة (مَنْ) مرة ثانية؛ يفيد التوكيد، وفصل كل من السموات عن الأرض.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾: ما: النافية، وقد تكون اسم موصول، أو تكون اسم استفهام؛ مثل، وأي شيء يتبع أولئك الذين يدعون مع الله إلهاً آخر، إنهم لا يتبعون شيئاً.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: أي: يعبدون.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿شُرَكَاءَ﴾: أي: هم لا يتبعون شيء إلا الظن.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: إن: نافية؛ أقوى في النفي من: ما.

﴿إِلَّا﴾: حصراً.

﴿الظَّنَّ﴾: التردد الراجح؛ أي: الشك، مع رجحان كفة الإثبات.

﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: وإن: نافية.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل للتوكيد.



﴿أَلَا﴾: للحصر.

﴿يَخْرُصُونَ﴾: الخرص: هو القول من دون علم؛ فهو التخمين، والحزر؛ فهو كذب، وتخمين، وقيل: الخرص: هو الحزر، والتقدير الباطل، والكذب.
[٦٧] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾:

المناسبة: بعد قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: يأتي بدليل آخر على عظمة الله وقدرته، وأنه هو الذي يستحق العبادة، وهذا الدليل هو ما ذكر في الآية الآتية.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل؛ يفيد الحصر؛ أي: الله وحده هو الذي جعل.
﴿جَعَلَ﴾: أي: هو الذي خلق الزمن، ثم جاء لهذا الزمن؛ ليجعل منه ليلاً، ونهاراً، والجعل يكون بعد الخلق، والجعل هو توجيه الشيء المخلوق بعد خلقه لمهمة معينة، وهو الذي صيّر لكم الليل.
﴿لَكُمْ﴾: خاصة، اللام: لام الاختصاص.

﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾: اللام: لام التوكيد، السكون الراحة، والحد من الحركة، وهذه رحمة، ونعمة من الله على الإنسان؛ لكي يرتاح، ويعود النشاط إلى قواه؛ لكي يزاوِل عمله في اليوم التالي، وتتداخل هنا الظلمة مع التعب إلى حثّ الغدد على إفراز بعض العوامل، أو الهرمونات التي تؤدي إلى النوم.

﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: مبصراً: اسم فاعل من أبصر؛ أسند الإبصار إلى النهار، وهذا هو أمر حقيقي اكتشفه العلم حديثاً، وتفسير ذلك: كل الكواكب بما فيها الأرض يسبح في الظلام، ولكن وجدت حول الأرض طبقة من الغازات



(طبقة غازية) مشكلة من غازات الهيدروجين، والتتروجين، والهليوم، وبخار الماء... وغيرها من الغازات.

وهذه الطبقة الغازية يسميها العلماء طبقة النهار، وهي الطبقة السفلى من الغلاف الغازي للأرض التي أعطاها ربنا من الصفات الطبيعية، والكيمائية ما يمكننا أن نرى نور الشمس الأبيض، ويقدر سمكها بـ (٢٠٠ كم)، وأغلب أشعة الشمس لا ترى مثل أشعة غاما، والأشعة السينية، وفوق البنفسجية، وتحت الحمراء... وغيرها، وما يصل إلى الأرض هو جزء من الطاقة المسمي الضوء المرئي، وهي عبارة عن ألوان الطيف: الأحمر، والبنفسجي، والأخضر، والأزرق، والأصفر، والنيلي، والبرتقالي، وكل طيف من هذه الطيوف لا يرى لوحده إلا بصورة ضعيفة، ولكنه لما يدخل هذه الطبقة تبدأ ألوان الطيف تتحد، وتعطينا النور الأبيض الجميل الذي نراه في وضوح النهار.

وبما أن الأرض كروية فأشعة الشمس سوف تشرق على الطبقة الغازية المحيطة بالأرض، والمقابلة للشمس؛ أما القسم من الطبقة الغازية غير المقابل للشمس فلا تضيء، ولا تنير؛ فتكون مظلمة، وما تحتها من الأرض مظلم (أي: ليل).

وأما الطبقة المقابلة للشمس فتضيء، وتنير، وبالتالي النصف من الأرض الذي تحتها في نهار، وبما أن الأرض تدور حول نفسها؛ لذلك سرعان ما يتبدل النهار بالليل، ثم الليل بالنهار... وهكذا؛ مما يدل على كروية الأرض.

وبعد أن تضيء وتنير تلك الطبقة الغازية تنعكس أشعتها على الأرض، ثم إلى عيون الناس؛ فيرى الناس ما حولهم من المبصرات، والكائنات، ولولا هذه الطبقة الغازية؛ لما رأينا أي شيء؛ فهذه الطبقة الغازية هي التي تبصر، ولذلك



سَمَّى النَّهَارَ مَبْصَرًا، وَأَمَّا عَيُونُنَا فَلَا تَبْصُرُ شَيْئًا، والدليل على ذلك حين نكون في ظلمة، فلا نرى شيئاً رغم وجود العيون.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف: للمخاطب؛ أي: يشير إلى الآيات الكونية؛ مثل: هذه الآية، آية النهار، وآية الليل.

﴿لِقَوْمٍ﴾: اللام: لام التعليل، والتوكيد، والاختصاص.

﴿يَسْمَعُونَ﴾: سماع تدبر، واعتبار، واختار يسمعون، ولم يقل: يبصرون؛ لأن الآية تتحدث عن الليل؛ لتسكنوا فيه، فالعين في الليل لا ترى؛ أي: معطلة، والسمع يبقى دائماً لا يتعطل، ولذلك قال: لقوم يسمعون.

[٦٨] ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلٰطٰنٍ بِهٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

المناسبة: بعد ذكر أفعال المشركين باتخاذ الأصنام، والأوثان شركاء؛ يذكر في هذه الآية نوعاً آخر من الشرك، والباطل: وهو اتخاذ الولد.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾: قالوا؛ أي: المشركون، واليهود، والنصارى.

﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾: يعني: ادعوا، أو ظنوا، أو حكموا؛ زعموا أن لله ولداً: عيسى ابن الله، عزيز ابن الله، أو الملائكة بنات الله، وفعل اتخذ: على وزن افتعل، واتخذ: من أخذ، ولكن لما كثر استعمال أخذ أصبح اتخاذ، والاتخاذ فيه معنى الاستمرار.

﴿سُبْحَنَهُ﴾: تنزيهاً لله؛ أي: أسبح الله سبحانه من هذا الافتراء؛ أي: هذا لا يمكن أن يكون، والله منزّه عن ذلك، ومنزّه؛ أي: مُبعد، والنزاهة البُعد.

﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾: هو: ضمير فصل؛ للحصر، والتوكيد.

﴿الْغَنِيُّ﴾: أي: غير المحتاج لأحد، لا لولد، ولا لبنت، أو ذرية؛ لأن:

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: له: اللام: لام الاختصاص، والملكية. ما: هي أوسع استعمالاً من: (من)، وأكثر إبهاماً؛ لتشمل كل ما في السموات، وما في الأرض، وأصل الكلام: ما في السموات وما في الأرض له، ولكنّه قدّم له، أو أحياناً يقدّم لله: للحصر، والقصر؛ له: تفيد الملكية، فهو مالك السموات، ومالك الأرض، وما فيهنّ؛ فهو الخالق، والمالك، والحاكم.

﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾: إن: نافية أقوى أدوات النفي؛ أي: ما عندكم من سلطان، والسلطان: هو الحُجَّة القوية التي لا تدحض؛ لقوتها، وقد يعني سلطان القهر، والقوة.

﴿مِنْ﴾: استغراقية؛ تستغرق كل شيء.

﴿بِهَذَا﴾: الباء: للإلصاق، وهذا اسم إشارة للقرب، والهاء: للتنبيه، بهذا الذي تقولونه: اتخذ الله ولداً؛ أي: ليس عندكم لا دليل، ولا برهان، ولا قوة للقول بهذا الباطل، والبهتان.

﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أتقولون: الهمزة: للاستفهام، للتوبيخ، والتقريع. تقولون: تفترون على الله الكذب، والباطل، وما عندكم من أي سلطان؛ أي: دليل وحُجَّة.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.



﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾: لا: النافية للجنس. تعلمون: لأن كل قول لا برهان عليه، ولا حجة، ولا دليل: هو جهل، وليس علماً.

[٦٩] ﴿قُلْ إِبْرَاهِيمَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾:

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول؛ يشير لهؤلاء الذين قالوا اتخذ الله ولداً.

﴿يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: الافتراء: هو الكذب المتعمد المخلوق، الكذب: هنا معرفة مُعرف بأل التعريف، ويشير إلى قولهم: اتخذ الله ولداً؛ فالكذب محدد، ولم يقل: يفترون على الله كذباً.

﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾: لا: النافية للجنس. الفلاح: هو الفوز، والنفع الباقي أثره، ويعني: النجاة من النار، والفوز بالجنة.

[٧٠] ﴿مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾:

﴿مَتَّعَ﴾: المتاع: هو كل ما ينتفع به، أو يتمتع به، ويرغب في اقتنائه الطعام، والشراب، وأثاث البيت، والسلعة الأداة والمال، والمتاع: يطلق على القليل، أو الكثير، وهو متاع زائل.

﴿فِي الدُّنْيَا﴾: في: ظرفية، زمانية، ومكانية.

﴿الدُّنْيَا﴾: مشتقة من الدنو؛ أي: متاع زائل، وفانٍ، وقليل جداً بالنسبة لمتاع الآخرة.

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: ثم: للترتيب، والتراخي الزمني؛ أي: يوم القيامة.

﴿إِلَيْنَا﴾: جار ومجرور، وتقديمها للحصر، والقصر؛ أي: إلينا وحدنا مرجعهم.

﴿مَرْجِعُهُمْ﴾: لكي يتم حسابهم، والحكم، والقضاء فيهم.

﴿ثُمَّ نُنْذِرُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾: ثم: للتوكيد، والترتيب الذكري.

﴿الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾: الشديد: صيغة مبالغة شديد الإيلام لا أحد يطيقه.

﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾: الباء: للإلصاق، أو السببية، أو البدل. ما: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿يَكْفُرُونَ﴾: يجحدون، وينكرون الله، ويشركون بالله، ويكفرون: تدل على أنهم لم يتوبوا، وماتوا وهم على الكفر؛ لأنّ يكفرون بصيغة المضارع؛ تدلّ على التجدد، والاستمرار.





سُورَةُ النُّوحِ ١٠

الجزء الثاني عشر



وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِن كَانَ كِبُرُ عَلَيْكُمْ
مَقَامِي وَتَذَكِّرِي بَيَّاتٍ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا
أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا
إِلَيَّ وَلَا تَطْزُرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ
أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾
فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَفًا
وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ
﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ
الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى
فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا السِّحْرُ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾
قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ
السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾



سورة يونس [الآيات ٧١ - ٧٨]

[٧١] ﴿وَأَنذِرْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي إِن شَاءَ رَبِّي اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾:

﴿وَأَنذِرْ عَلَيْهِمْ﴾: الواو: استئنافية، أنذر عليهم، أو أخبرهم، أو اقرأ عليهم، والخطاب موجه إلى النبي ﷺ، أو أفراد أمته. والتلاوة: هي في الأصل موالاة الكلمات الكلمة بعد الكلمة، وأنذر؛ أي: اقرأ: والتلاوة أخص من القراءة؛ فكل تلاوة قراءة، وليست كل قراءة تلاوة. والتلاوة لا تكون عادة إلا من كتاب الله تعالى، ولها أجر؛ الحرف بعشر حسنة.

﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾: النبأ: هو الخبر العظيم؛ أي: أخبر قومك خبر نوح العظيم.
﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ﴾: إذ: ظرف زمني للزمن الماضي، وتعني: حين.
﴿قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ﴾: يا: أداة نداء للبعد، يا قوم: نداء فيه معنى اللين، والعطف على قومه.

﴿إِنْ﴾: شرطية، وفيها معنى الاحتمال أن يكون مقامه قد كبر على قومه.
﴿كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ﴾: كان: للتوكيد.

﴿كَبُرَ عَلَيْكُمْ﴾: كبر؛ أي: عظم، وشق عليكم، أو صعب عليكم ما أدعوكم إليه.



﴿مَقَامِي﴾: مقامي؛ أي: طول إقامتي، أو مكثي بينكم، أو طالت دعوتي إليكم (٩٥٠ سنة)، انتبه إلى تشديد الميم، وفتحها مقامي؛ لأنّ هناك مقاماً بضم الميم، وهنا مقامٌ بفتح الميم من دون تشديد، وأما الفرق بين هذه الثلاث فهو:

مَقَام: تعني: المَقَام المؤقت؛ سواء أكان الوقوف على الحجر لبناء الكعبة، أم الدعوة؛ دعوة قومه المؤقتة، ثم تنتهي ﴿قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩]، ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ [البقرة: ١٢٥].

بينما مقام: مكان إقامة دائمة، وسكن؛ مثل: ﴿يَا أَهْلَ يَرْبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٣]، ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦].

أما مقام: فهو المنزلة الرفيعة، أو الدرجة الرفيعة، وقد تعني: الخيرات كقوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

﴿وَتَذَكِّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: وتذكيري لكم بآيات الله، وتشمل الآيات الكونية، أو التنزيلية، أو المعجزات الدالة على وحدانية الله، وعظمته. والباء: للإلصاق، والاستمرار.

﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾: فعلى: الفاء: للتوكيد؛ على الله: تقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة تشير إلى الحصر، أو فقط على الله وحده توكلت: أعتمد عليه وأطلب منه المساعدة والعون في دعوتي إياكم لتبعده وتوحدوه.

﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾: أجمعوا: أي: اتفقوا على رأي واحد؛ اتفقوا معاً. أجمعوا: فيها معنيين: الإجماع، والجمع؛ الجميع اجتمعوا على رأي واحد؛ أي: اتفقوا.

﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾: الواو: تعني: مع؛ شركاءكم: رؤساءكم، أو ذوي الأمر؛

اجتمعوا واتفقوا على رأي واحد، ثم ينصح أعدائه بقوله؛ لأنه واثق من عون الله له.

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: ثم: للتدرج في التحدي (الدرجة الثانية).
﴿لَا﴾: الناهية.

﴿يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: غمة: معناها السّتر، والتّغطية؛ أي: لا يكن أمركم مكتوماً، أو مستوراً مخفياً، بل أظهره، واكشفوا ما اتفقت عليه، أو حكمت به للملأ.

﴿ثُمَّ﴾: الدرجة الثالثة .

﴿أَقْضُوا إِلَيَّ﴾: اشرعوا في تنفيذ ما قضيتم (حكمتم به).

﴿وَلَا تُنْظِرُونِ﴾: لا تمهلون (لا تعطوني وقتاً طويلاً، أو مهلة طويلة) نفّذوا الحكم مباشرة ضدي، ومن دون تأخير، وهذا أقصى التحدي؛ فإني لست مبالياً بكم، ولم يقل: ولا تنظروني؛ أي: تمهلوني، وإنما تنظرون: حذف الياء؛ ليدل على قصر زمن الإمهال.

ولنعلم: أن ما ورد في سورة يونس من قصة نوح هو جاء ليظهر موقف التحدي والصراع بينه وبين قومه، ولم يتطرق إلى كيفية كانت دعوته، وطريقته؛ فهذا تراه في سور أخرى؛ مثل: سورة هود، والأعراف، وسورة نوح... وغيرها.
[٧٢] ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾:

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: فإن: الفاء: للتوكيد؛ إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو الشك.



﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: التولي: الابتعاد، أو أعرضتم عما جئكم به، ولم تقبلوا دعوتي؛ فلن أسألكم عليه من أجر.

﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾: فما: الفاء: للتوكيد.

﴿سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾: من أجر: من: استغرافية؛ للنفي المطلق، وتفيد التوكيد، من أي أجر مهما كان نوعه، والأجر: الجزاء على العمل وهو المال، والجمع: أجور، والأجر الذي يطلبه هو الثواب من الله، ولا يعني: المال، أو المتاع.

﴿إِنْ أَجَرِي﴾: إن: نافية، وتعني: ما أجري، وإن: أكثر توكيداً للنفي من: ما.

وفي سورة هود قال: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَّا﴾، الأجر: أعم من المال؛ فهو يشمل المال، وغير المال؛ مثل: التمر، والزرع، والحب، أمّا المال: فهو نوع من الأجر، والذي يطمع به نوح، وغيره من الأنبياء: هو الثواب؛ الذي هو أفضل من الأجر، والمال.

﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾: إلا أداة حصر. على الله: وحده.

﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: وأمرت: من ربي أن أكون من المسلمين، ولم يقل: أول المسلمين؛ لأنّ هناك من أسلم قبله لله؛ من المسلمين الموحدين المطيعين المنقادين لأوامر الله، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٦٣) من سورة الأنعام وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ فقد تعني: أول المسلمين من أمة محمد ﷺ، وقد تعني: أول المسلمين درجة، والآية (١٠٤) من سورة يونس، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ والإيمان أعلى درجة من الإسلام.

[٧٣] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبَّتْهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُذْذِرِينَ﴾:

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: الفاء: عاطفة، وهاء الضمير تعود على قوم نوح الذين كفروا، ولم يؤمنوا له.

﴿فَجَبَّتْهُ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، نجيناها: تعني: عملية النجاة تمت ببطء (استغرق زمن طويل)، كي يصنع الفلك، ولو قال: فأنجيناها: هذا يدل على أن النجاة تمت بسرعة.

﴿وَمَنْ مَعَهُ﴾: مَنْ: استغرافية؛ تشمل كل واحد آمن معه، وتشمل الاثنين، أو أكثر، ومن معه، ولم يقل: والذين معه؛ لأن من معه: تدل على قلة عدد الذين آمنوا معه، أما الذين معه فتدل على الكثرة، وقيل: كانوا حوالي (٧٠).

﴿فِي الْفُلْكِ﴾: الفلك: السفن، وتطلق على المفرد، والمثنى، والجمع.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا﴾: ارجع إلى الآية (١٤) من سورة يونس، والأنعام، آية (١٦٥)؛ للبيان.

﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾: أغرقنا بالطوفان.

﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾: الكونية، والتنزيلية، والمعجزات، والتكذيب: نوع من الكفر، ويعني: عدم الإيمان بها، والتصديق.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُذْذِرِينَ﴾: فانظر: الخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ، وبالتالي إلى أمته؛ أي: فانظروا كيف كان مصير المنذرين، وهو الهلاك، والدمار بأشكاله المختلفة.

﴿كَيْفَ﴾: استفهام يحمل معنى التعجب.



﴿كَانَ عَقِبُهُ﴾: من خصائص القرآن الكريم حين يذكر العاقبة فيقول: كان، وليست كانت العاقبة؛ تعني: العذاب.

وحين يؤنث فيقول: كانت عاقبة تعني: الجنة وهذا من خصائص القرآن الكريم.

[٧٤] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْغِعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾: ﴿ثُمَّ﴾: تفيد الترتيب، والتراخي.

﴿بَعَثْنَا﴾: البعث؛ يعني: هناك منهج كان موجوداً، ثم اندثر؛ فيبعث الله سبحانه من يجدده على لسان رسول جديد، والبعث مقارنة بالإرسال فيه إثارة، وتهيج، وأقوى من الإرسال. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد نوح، واستعمال من: بدلاً من قوله: ثم بعثنا بعده. من تعني: مباشرة، أو بوقت قليل بعثنا من بعد نوح.

﴿رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾: أمثال: هود، وصالح، وشعيب، وإبراهيم، ولوط.
﴿فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: فجاءوا أقوامهم بالبينات؛ الفاء: تدل على التوكيد.
﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: جمع: بينة؛ وتعني: البرهان، والدليل، وتعني: الآيات، وفيها المعجزات الدالة على صدق دعواهم، ورسالاتهم.

﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: الفاء: تدل على الترتيب، والتعقيب. ما: النافية.
﴿كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: اللام: للتوكيد؛ ليؤمنوا: ليصدقوا.
﴿بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾: الباء: للإلصاق، وما: اسم موصول، أو مصدرية؛

أَيُّ: فما كانت تلك الأقوام أقوام الأنبياء الذين أرسلوا بعد نوح ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح، بل كذبوا كتكذيب قوم نوح، وكأنه سبحانه لم يبعث إليهم أحد، أو ما كانت أقوام الرسل تؤمن بما كذبت به قبل بعثة الرسل، بل استمروا على تكذيبهم، وعنادهم، ورفضهم لرسولهم.

﴿كَذَّبُوا بِآيِهِ مِنْ قَبْلُ﴾: أَيُّ: بالبينات، والآيات.

﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾: أَيُّ: كما طبعنا على قلوب هؤلاء الذين كذبوا رسولهم من قبل نطبع على قلوب المعتدين، فلا يؤمنون، والطبع أشد من الختم، ويعني: لا يدخل قلوبهم أي إيمان، ولا يخرج من قلوبهم؛ أي كفر؛ لأنهم هم الذين اختاروا ذلك لأنفسهم.

لنقارن هذه الآية (٧٤) من سورة يونس: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِآيِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾.

مع الآية (١٠١) من سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

في آية يونس: حدّد ما كذبوا؛ فقال: ﴿بِمَا كَذَّبُوا بِآيِهِ﴾، وتعني: آياتنا (خصص).
أمّا في آية الأعراف: فأطلق، ولم يحدّد ما نوع ما كذبوا تركها لتشمل كلّ شيء، الآيات وغيرها.

وفي آية يونس قال: ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ مبني للمجهول.

وفي آية الأعراف: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾: الفاعل معلوم: هو الله، والطبع في هذه الآية (آية الأعراف) أشد من الطبع في آية يونس، والكافرين أسوأ من المعتدين.



[٧٥] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتراخي في الزمن.

﴿بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم﴾: من بعد هؤلاء الرسل. انظر إلى الآية السابقة.

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾: ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) للبيان.

﴿مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾: الملاء: هو أشرف القوم، ورؤساؤهم، وسموا بالملاء؛ لأنهم الذين يملؤون عيون الناس؛ أي: لا ترى العيون غيرهم دائماً على التلفزيون، والإذاعة، أو ممثلين للقوم في مجلس النواب، أو الشعب، رؤساء العشائر، والقبائل.

﴿بِآيَاتِنَا﴾: بالمعجزات الدالة على نبوة موسى، وهارون، وصدق رسالتهم، والدالة على عظمة الله، ووحدانيته، ومنها: العصا، واليد، ومنها: الجذب، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم...

﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾: الفاء: تدل على التوكيد، والترتيب، والتعقيب. استكبروا بغير حق؛ استكبروا أن يؤمنوا بالله، ويصدقوا بموسى، وبالغوا في الاستكبار؛ السين والتاء: تدل على المبالغة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان.

﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾: كافرين، ومشركين ومجرمين: بالقتل، وسفك الدماء، واستحياء النساء. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنى المجرمين.

في هذه الآية (٧٥) من سورة يونس: نرى أنه سبحانه أخر ذكر الآيات فقال: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا﴾، بينما في



الآية (١٠٣) من سورة الأعراف: قَدَّمَ كلمة آياتنا؛ فقال: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾، وتعليل ذلك: في سورة يونس لم يذكر أي شيء عن الآيات، ونوعها، ما هي، فلم تكن هي موضع الاهتمام، بينما في سورة الأعراف: قَدَّمَ ذكر الآيات؛ لأنَّ السَّيَاق كان الاهتمام بالآيات؛ لدعوة فرعون، وملئه إلى الإيمان.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ لما: ظرف زمني؛ بمعنى: حين.

﴿جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾: الحق: ما جاء به موسى من الآيات.

﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا﴾: إن: للتوكيد، هذا: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب؛

تشير إلى الآيات العصا، واليد... وغيرها.

﴿لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾: اللام: لام التوكيد، سحر مبين: سحر ظاهر لا يخفى على

كل إنسان، وسحر مبين: سحر ظاهر، وتام، وكامل يشمل كل أنواع السحر، ولا يحتاج إلى دليل، أو برهان: أنه سحر. ارجع إلى سورة طه، آية (٥٨) وسورة البقرة، آية (١٠٢)؛ لبيان معنى السحر.

[٧٧] ﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُونَ﴾:

﴿أَتَقُولُونَ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري، وتوبيخي؛ أي: قال موسى منكراً،

وموبخاً لهم: أتقولون.

﴿لِلْحَقِّ﴾: اللام: للاختصاص، والتعليل. الحق: هنا الآيات: العصا،

واليد... وغيرها.

﴿لَمَّا﴾: ظرف زمني؛ بمعنى: حين.



﴿جَاءَكُمْ أَسِحْرُ هَذَا﴾: أي: قال موسى: أتقولون للحق: إنه لسحر، أو هو سحر، ثم قال: أسحر هذا؛ فهو يدعوهم إلى ضرورة النظر إلى الحق بغض النظر من أين جاء، ومن جاء به.

﴿لَمَّا جَاءَكُمْ﴾: شبه الحق برجل كأنه يمشي على قدميه.

﴿أَسِحْرُ هَذَا﴾: الهمزة استفهام إنكاري. هذا: الهاء: للتنبيه، وذا: اسم إشارة للقرب.

﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّحَرُونَ﴾: الواو: حالية؛ تفيد التوكيد، ولا: النافية للجنس؛ يفلح: من الفلاح هو الفوز والنجاة والظفر بالمرغوب.

﴿السَّحَرُونَ﴾: جمع ساحر؛ أي: لا يفوز الساحر، ولا ينال الخير، أو يدرك ما يتمناه.

[٧٨] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لْتَلْفِنَا عَمْوَ جَدْنَا عَلَيْهِ أَبَاءً نَاوَتُكُونَ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: الملاء من قوم فرعون.

﴿أَجِئْتَنَا﴾: استفهام التّهمك؛ أجئتنا؛ أي: نسبوا المجيء لموسى ﷺ نفسه؛ أي: المجيء بالمعجزة العصا، واليد لموسى، وليس إلى الله سبحانه.

﴿لْتَلْفِنَا﴾: السلام: لام الاختصاص؛ أي: تصرفنا، وتبعدنا عن تقليد آبائنا، أو ثنيننا، وأصل لتفلتنا: من الالتفات: وهو تحويل الوجه، وصرفه عن شيء ينظر إليه.

﴿عَمَّا﴾: عن: يفيد المجاوزة، والابتعاد، ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

﴿وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: أي: من التقليد، وعبادة الأصنام، والفساد، والضلال.
 ﴿وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِبَرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: السيادة، والملك في أرض مصر،
 والكبرياء: العظمة، والملك، والتجبر، والسلطان، والسيطرة: هم وجدوا في
 دعوة موسى ﷺ مصيبة كبرى الأولى: هي ترك عقيدة آبائهم، والثانية خسارة
 السلطة، والجاه، والمنصب.

﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾: لذلك أعلن فرعون، وملؤه وقومه؛ لكما: خاصة؛
 أي: موسى وهارون.

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية، ما: النافية.

﴿نَحْنُ﴾: فرعون وبطانة فرعون وملئه أو قومه.

﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: الباء: للتوكيد؛ توكيد النفي بعدم الإيمان إيمان العقيدة
 الإيمان بالله تعالى، والتصديق بما جاء به موسى وهارون.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ١٠

الْبُرْءُ إِلَى اللَّهِ

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
 قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ
 مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ
 عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ
 الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَا أَمَّنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَى
 خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ
 فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقُومُ إِن كُنْتُمْ
 ءَامِنُونَ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ
 تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا
 بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ
 أَن تَبَوَّءَا الْقَوْمَ كَمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى
 رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَإَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ
 وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

سورة يونس [الآيات ٧٩ - ٨٨]

[٧٩] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾: لملئه: ﴿اتُّونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾: ساحر عليم: صيغة مبالغة من علم؛ أي: كثير العلم بالسحر. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤٩) للتعرف على من هو فرعون.

[٨٠] ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب؛ لما: ظرف زماني بمعنى: حين، الفاء: تدل على مجيء السحرة مباشرة من دون تباطؤ.

﴿جَاءَ السَّحَرَةُ﴾: إلى فرعون.

﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا﴾: أي: اطرحوا، أو ألقوا ما أنتم ملقون، وكان هذا هو القرار بعد المشاورة بينهم: أن يستجيبوا لطلب موسى بأن يلقوا أولاً.

وفي هذه السورة لم يذكر سبحانه ما جرى من حوار بين السحرة، وفرعون قبل إلقاء الحبال، والعصي، وبين السحرة وموسى من سيلقي أولاً، وذكر ذلك في سورة طه، آية (٦٥-٦٦).



[٨١] ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾:

﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا ﴾: الفاء: تدل على المباشرة، والترتيب؛ ألقوا حبالهم وعصيهم كما ورد في سورة طه، آية (٦٥-٦٦)، والشعراء، آية (٤٤).

﴿ قَالَ مُوسَى ﴾: للسحرة.

﴿ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ ﴾: ما: اسم موصول، أو ما: اسم استفهام؛ أي: الذي جئتم به نوع من السحر.

﴿ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ﴾: إن: للتوكيد، سيبطله: أمام الناس، والسين: للاستقبال القريب؛ أي: عما قريب الله سيبطله؛ أي: سيظهر بطلانه، أو سيزيله.
﴿ إِنَّ اللَّهَ ﴾: إن: للتوكيد.

﴿ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾: لا: النافية؛ لا يبارك ولا يديم عمل المفسدين.
سَمَّى السَّحْرَةَ مَفْسِدِينَ؛ لأنَّ السَّحْرَ من أسباب الفساد في الأرض، وعملهم يعتبر فساداً؛ أي: تخريباً، وشرافاً في الأرض. المفسدين: جملة اسمية تدل على الثبوت؛ أي: ثبوت الفساد عندهم. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) لمزيد من البيان في معنى الفساد.

[٨٢] ﴿ وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾:

﴿ وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ ﴾: أي: يظهر، ويبيِّن ويُمْكِّن، وينشر الحق. والحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتغير أو يتبدل.



﴿يَكَلِّمَنَّهُ﴾: بأوامره؛ كأمره للعصا أن تتحول إلى حية تسعى تلقف ما يَأْكُون.

﴿وَلَوْ﴾: لو: شرطية.

﴿كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾: كره المفسدون، المشركون، الكافرون. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنى المجرمون.

[٨٣] ﴿فَمَاءٌ آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالِي فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾:

﴿فَمَاءٌ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب. ما: النافية.

﴿مَاءٌ آمَنَ لِمُوسَىٰ﴾: أي: صدق موسى، أو اتبع موسى بعد الإلقاء، وفوز موسى على السحرة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾: الهاء في قومه: إما تعود إلى ذرية موسى؛ أي: أتباعه، أو تعود إلى ذرية فرعون، أو كلاهما، أما بالنسبة لذرية فرعون. فالذرية: تعني القليل من ذرية فرعون، وهي امرأته، ومؤمن آل فرعون، وماشطة فرعون، أو ذرية موسى: وهم أولاد بني إسرائيل الصغار من آمن بموسى وكنم إيمانه.

﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾: على خوف، ولم يقل: من خوف.

﴿عَلَىٰ﴾: تفيد الاستعلاء والمشقة بسبب إيمانهم، والخوف: تعريفه هو توقع الضرر المشكوك في وقوعه.

﴿مِّن﴾: للابتداء. فرعون وملئهم.



﴿وَمَلَأْنَاهُمْ أَنْ يَفْتَنَهُمْ﴾: أن: حرف مصدرى؛ يفيد التعليل، والتوكيد. أن يفتنهم بالعذاب، والبطش.

﴿وَمَلَأْنَاهُمْ﴾: أي: أن يأمر فرعون زبانيته بالقيام بتعذيب هؤلاء الذين آمنوا بموسى ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُمْ﴾: جاء بصيغة الجمع (ملئهم)؛ لأنهم خافوا من زبانية فرعون أن يفتنهم بصيغة المفرد؛ لأن فرعون هو الذي يصدر الأوامر إلى زبانيته.

والتفسير الثاني: أن طائفة من بني إسرائيل، وهم أشراف بني إسرائيل كانوا يمنعون أولادهم، وذريتهم من اتباع موسى؛ خوفاً من فرعون عليهم، وعلى أنفسهم أن يفتنهم؛ أي: يعذبهم فرعون وملأه.

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ﴾: إن: للتوكيد. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤٩) لمعرفة من هو فرعون.

﴿لَعَالِي فِي الْأَرْضِ﴾: اللام: لام الاختصاص، عال في الأرض: متكبر. ﴿وَإِنَّهُ﴾: لزيادة التوكيد.

﴿لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾: لمن: اللام: للتوكيد، والاختصاص. المسرفين: جمع مسرف جملة اسمية تدل على الثبوت ثبوت الإسراف عنده.

﴿الْمُسْرِفِينَ﴾: لقد أسرف الذي تجاوز حدوده، وادعى الألوهية، وقال: أنا ربكم الأعلى، والمسرفين في الظلم، والعدوان، والفساد في الأرض، وقتل الأبرياء.



[٨٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمُ إِن كُنتُمْ آمَنُتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمُ﴾: نداء فيه عطف، وحنان، ولين. قال موسى هذا القول بعد أن شكوا بنو إسرائيل من سوء معاملة قوم فرعون لهم، ومتى يكون الفرج.

﴿إِن كُنتُمْ آمَنُتُمْ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الشك، والاحتمال.

﴿آمَنُتُمْ بِاللَّهِ﴾: إيمان العقيدة، والتصديق.

﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾: جواب الشرط؛ فالتوكل من متطلبات الإيمان، وهو الاستعانة بالله في كل الأمور بعد تقديم الأسباب. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لبيان معنى التوكل.

﴿إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾: جاء بشرط آخر: هو الإسلام، والإسلام هنا؛ يعني: التوحيد، والطاعة، والإخلاص، والاستسلام لله وحده.

ملاحظة: إذا جاء جواب شرط بعد جواب شرط آخر، كما ورد في هذه الآية، وورد جوابان لشرط واحد؛ فجواب الشرط الأخير: هو المقدم؛ لأن جواب الشرط الأول متضمن في الشرط الأخير، عادة، فالتوكل هنا لا ينشأ إلا أن يكون الفرد مؤمناً، ومن البديهي أن يكون مسلماً، قبل أن يكون مؤمناً.

[٨٥] ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾:

بعد أن حثهم موسى على الإيمان.

﴿فَقَالُوا﴾: الفاء: للمباشرة، والتعقيب، واستجابة لموسى من دون تأخير.

﴿عَلَى اللَّهِ﴾: تقدّم الجار والمجرور على الله يفيد الحصر، والقصر؛ أي: حصر وقصر التوكل على الله وحده لا غيره؛ أي: لا نتوكل إلا على الله.



﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾: أي: اعتمدنا، أو استعنا بالله. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لمزيد من البيان.

﴿رَبَّنَا﴾: أي: يا ربنا؛ حذف أداة النداء الياء؛ لشعورهم بأن الله قريب يسمع دعائهم.

﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: لا: الناهية.

﴿فِتْنَةً﴾: أي: لا تعذبنا على أيدي قوم فرعون، أو تنصرهم علينا، فيفتنوننا؛ أي: يردونا إلى الكفر، أو الفتنة، التقصير في الدين، أو يضلونا عن الهدى. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (٧)؛ لمزيد من البيان في معنى الفتنة.

﴿لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص، القوم الظالمين؛ أي: قوم فرعون (الأقباط).

﴿الظَّالِمِينَ﴾: المشركين، الطاغين.

[٨٦] ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِّنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾:

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ﴾: نجنا: من نجى، ولم يقل: أنجنا، نجنا: تدل على البطء، وطول الزمن، وأنجنا: تدل على السرعة، وقصر الزمن، والشدة.

﴿بِرَحْمَتِكَ﴾: الباء: باء السببية. رحمتك: الرحمة: هي الإنعام على المحتاج، وتعني: دفع الضرر، أو الوقاية منه.

﴿مِّنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: قوم فرعون، وغيرهم من الكافرين، وهم أشد عصياناً من القوم الظالمين، الكافرين: تتضمن الظالمين.

[٨٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يُثُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ﴾: الوحي: هو إعلام بخفاء. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لمزيد من البيان في معنى الوحي.

وحدث الإيحاء بعد أن خربت بيوت عبادتهم من قبل فرعون، وجنوده، ومنعوا من الصلاة، وإقامة شعائر دينهم، وذلك في المرحلة السابقة؛ لخروجهم من أرض مصر.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري؛ يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يُثُوتًا﴾: التَّبَوُّءُ: هو اتخاذ المكان مباءةً؛ أي: مرجعاً يَبْوءُ؛ أي: يرجع إليه الإنسان في كل مرة، أو المكان الذي ينزل به الإنسان، ويسكن فيه، والتَّبَوُّءُ: التوطن في مكان واحد.

﴿لِقَوْمِكُمَا﴾: اللام: لام التوكيد، قومكما: أي: بني إسرائيل.

﴿بِمِصْرَ يُثُوتًا﴾: الباء: للإلصاق، ومصر هنا تعني: مصر أرض مصر القديمة.

﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾: أي: أمكنة للصلاة، والعبادة؛ أي: صلوا فيها خوفاً من فرعون وجنوده، أو اجعلوها مستقبلة القبلة؛ أي: متجهة إلى المسجد الأقصى، أو مقابلة بعضها بعضاً للحراسة، والأمن (أسهل للمراقبة).

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: وإقامة الصلاة بأركانها، وشروطها، وفي أوقاتها، والمحافظة عليها، والصلاة أهم الشعائر.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بالنصرة، والعون في الدنيا، وبالجنة في الآخرة،



والبشارة؛ تعني: الخبر السار لأول مرة. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[٨٨] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾:

كان هذا دعاء موسى على فرعون، وملئه بعد أن تبين له أنهم مصرون على الكفر، والجحود، وإنكار الرسالة.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ﴾: إنك: إن: حرف مشبه بالفعل؛ للتوكيد.

﴿آتَيْتَ﴾: الإيتاء: هو العطاء الممكن أن يُستردَّ من صاحبه؛ أي: إيتاء من دون تملك، أمّا العطاء فهو يعني تملك. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة.

﴿زِينَةً﴾: الزينة: هي ما يُتزيّن به من الحلي؛ كالذهب، والفضة، واللباس، والأثاث، والزخرف، والأموال.

﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾: ليضلوا: اللام: لام التعليل.

﴿عَنْ سَبِيلِكَ﴾: عن دينك، وكيف يقول موسى: آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾: حقيقة هل أعطاهم الله المال؛ ليضلوا؟! طبعاً لا، ولكن فتنه لهم، وهم الذين اختاروا الضلال، وجحدوا النعمة، وأضلوا غيرهم، وبذروا تبذيراً.

﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾: والطمس: المحق، والإزالة، أو تغيير الصورة؛

لأنّها كانت وسيلة إضلال، والطّمس قد يعني: المسخ، والتّشويه؛ حتّى لا يصح لها قيمة ولا ينتفع بها. قيل: سبائك الذهب تحولت إلى حجارة.

﴿وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: أي: أحكم الأربطة على قلوبهم؛ أي: اطبع، أو اختم على قلوبهم؛ فلا يدخلها إيمان، ولا يخرج منها كفر.

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: قيل: العذاب الأليم: هو الغرق؛ فقد استجاب له ربه، وكان غرق فرعون وجنوده في البحر، وقيل: كان موسى يدعو وهارون يؤمن؛ لقوله بعد ذلك: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩].

وقد يسأل البعض كيف يدعو موسى على قومه هذا الدّعاء بعدم الهداية، والإيمان، وهو نبيهم، والرّد على هذا: أنّ موسى ﷺ لم يدعُ بهذا إلا بعد أن أوحى إليه أنّه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، كما حدث لنوح ﷺ أيضاً عندها قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].





سُورَةُ الْاِنشَارِ ١٠

الْبُرْجُ الْاِنْشَارِ



قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ فَاَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ
فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ
الْغَرَقُ قَالَ ءَاَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ
وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَاَلَعَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ
خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبَوءَاصِدٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ
فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ
فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ
﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

سورة يونس [الآيات ٨٩ - ٩٧]

[٨٩] ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

قال تعالى استجابة لدعاء موسى:

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾: أجيب دعوة موسى، وهارون؛ حيث كان موسى

يدعو وهارون يؤمن على دعاء أخيه، أو يدعو هارون سراً.

﴿فَاسْتَقِيمَا﴾: الفاء: للتوكيد، استقيما: على منهج الدعوة، والتبليغ، أو

استقيما على الحق، وقيل: كان بين الدعاء والاستجابة بهلاك فرعون (٤٠ سنة)، كما روى الطبري.

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية، لا: الناهية.

﴿تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: تتعجلان الاستجابة، ومتى ستقع

واتركا أمر التدبير، ومتى سيتم لله وحده، وحكمته.

﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: قد تعود على الذين يستعجلون بالإجابة على الدعاء،

أو قد تعود على فرعون، وقومه.



[٩٠] ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾:

﴿وَجَوَزْنَا﴾: جاز المكان، أو جاوزه وتجاوزه، إذا عبر المكان، أو اجتازه حتى تركه وراءه.

﴿بَنِي﴾: أي: عبرنا بني إسرائيل البحر، بني: الباء: للإلصاق.

﴿الْبَحْرَ﴾: الأحمر.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب مباشرة؛ لحقهم فرعون وجنوده.

﴿بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾: البغي هو أخذ حق الغير بقهر، وقوة؛ أي: الظلم والقهر، وعدواً عدواناً عليهم.

أي: لحقوا بهم للبغي عليهم، والعدوان، والفتك بموسى وهارون وبني إسرائيل الذين خرجوا معهم، وإعادتهم إلى مصر؛ ليعذبوهم، ويستعبدوهم، كما كانوا يفعلون.

﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾: حتى: حرف غاية نهاية الغاية، إذا ظرف زماني، أدركه الغرق: فكأن الغرق يجري وراء فرعون ليدركه.

﴿قَالَ﴾: فرعون، ﴿ءَامَنْتُ﴾: صدقت (قاله بلسانه)، ﴿أَنَّهُ﴾: أن: للتوكيد.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي﴾: لا: النافية للجنس تنفي كل الأزمنة.

﴿إِلَهَ﴾: لا معبود.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يشير إلى الله تعالى، ويدل على التعظيم.

﴿ءَاَمَنْتُ بِهِ﴾: بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿: رغم أن فرعون نطق وقال: آمنت

بالذي آمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المسلمين.

لم يتقبل الله سبحانه توبته التي جاءت متأخرة؛ حيث أدركه الغرق؛ فهي توبة إكراه، وليست توبة خالصة، أو نصوحاً، قالها بسبب الغرق، وبعد نزول العذاب، ولو كان المطلوب هو إيمان إجبار لأجبر سبحانه كل الخلق على الإيمان، ولما كفر أحدٌ.

[٩١] ﴿ءَاَلَكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿ءَاَلَكُنْ﴾: استفهام إنكاري، وتعجب؛ أي: الآن تقول: آمنت حين أدركك

الغرق، وبلغت روحك الحلقوم. ارجع إلى الآية (٥١) من نفس السورة؛ للبيان.

﴿وَقَدْ﴾: قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿عَصَيْتَ قَبْلُ﴾: قبل الغرق، وطوال عمرك.

﴿وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾: الضالين، الكافرين، المضلين، المتكبرين،

المسرفين، المفسدين في الأرض بالقتل، والظلم، والطغيان.



[٩٢] ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ يَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَفْلُونَ﴾:

﴿فَالْيَوْمَ﴾: وكان يوم عاشوراء؛ كما ذكر الإمام البخاري في صحيحه: أنَّ رسول الله ﷺ قال هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون.

﴿نُنَجِّيكَ﴾: نخرجك من البحر حتَّى لا يكون هناك شك في غرقك.

﴿يَدْنِكَ﴾: الباء: للإلصاق، والبدن: جسد بلا روح، ولا نفس.

﴿لَتَكُونَ﴾: اللام: لام التعليل. لتكون: أنت.

﴿لِمَنْ خَلَقَكَ﴾: لمن بعدك.

﴿آيَةً﴾: عبرة، وموعظة، وعلامة على هلاكك، وحتَّى لا يظن أحد أنَّك

نجوت من عذاب الله. قال ابن عباس ؓ: بعد غرقه وموته، طفت جثته على وجه الماء، وقيل: على نجوة من الأرض، وعليه ملابسه، ودرعه التي يعرفونها.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَفْلُونَ﴾: وإن: تفيد التوكيد.

﴿كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾: كثيراً من الجن، والإنس.

﴿عَنْ آيَاتِنَا﴾: عن: تفيد المجاوزة، والابتعاد. والآيات: البينات، والأدلة،

والآيات القرآنية، والكونية، والمعجزات.

﴿لَغَفْلُونَ﴾: اللام: للتوكيد، غافلون: جمع غافل: وهو ترك ذكر الشيء

عمداً، وعدم اليقظة، والتفكير. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من

البيان.

[٩٣] ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استثنائية، لقد: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: أنزلناهم منزلاً كريماً. ارجع إلى الآية (٨٧) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.

﴿مَبُوءًا صِدْقٍ﴾: قيل: هو بيت المقدس، أو فلسطين (الأرض المباركة).
 ﴿وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: الطيبات: جمع طيب: وهو الحلال الطاهر.
 ارجع إلى سورة الأنفال، آية (٦٩)؛ لمزيد من البيان.

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾: الفاء: استثنائية، ما: النافية.

﴿اخْتَلَفُوا﴾: الاختلاف هنا في بني إسرائيل، كما قال ابن عباس: من كون بعضهم آمن بمحمد ﷺ، وبعضهم استمر في كفره، وأنكروا رسالته؛ فهم كانوا متفقين غير مختلفين الكل ينتظرون قدوم النبي المنتظر.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: يحكم بينهم، ويبين من آمن بمحمد، وكفر به من أهل الكتاب.

﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: في أمر محمد ﷺ، والإيمان به، أو بأمور الدين، والسبب، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه.



﴿فِيمَا﴾: ما: تستعمل للشيء غير المحدد؛ لتشمل كل اختلاف، وتستعمل للمفرد، والمثنى، والجمع، بعكس الذي: التي تستعمل للشيء المحدد.

[٩٤] ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾:

أولاً: حاشا للنبي أن يكون من الشاكين، أو الممترين.

قال ابن عباس ؓ: لم يكن رسول الله ﷺ في شك، ولم يسأل. قال ﷺ: «لا أشك ولا أسأل»، وإن كان الخطاب موجهاً للنبي ﷺ فهو موجه إلى كل من يشك في القرآن، وأنه الحق من ربك، سواء أكان من أتباع محمد ﷺ، أم غيره.

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: استئنافية. إن: شرطية تستعمل للأمر الافتراضية، والتي فيها شك في الحدوث.

﴿كُنْتَ فِي شكٍّ﴾: الشك: هو عندما تتساوى درجة الإثبات، ودرجة النفي.

﴿مِمَّا﴾: مركبة من الاستغرافية، وما: تستعمل لذوات ما لا يعقل، وصفات من يعقل، وأوسع من حرف من، وأكثر إبهاماً، شيء مهما كان صغيراً، أو كبيراً.

﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾: أنزلنا؛ تعني: جملة واحدة، أو دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ليلة القدر. الكتاب: القرآن.

﴿إِلَيْكَ﴾: إلى: تفيد عموم الغايات: البداية، الوسطى، النهاية؛ أي: لينتهي، أو يصل إلى أيدي الناس، وعقولهم.

﴿فَسْأَلِ﴾: الفاء: للتوكيد.



﴿الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ﴾: التوراة، والإنجيل.

﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾: هم اليهود، والنصارى، أمثال: عبد الله بن سلام.

﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: لقد: اللام: لام التوكيد، قد: للتحقيق.

﴿جَاءَكَ الْحَقُّ﴾: وهو الشيء الثابت الذي لا يتغير، والحق: يشمل القرآن،

أو الوحي.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: الناهية.

﴿تَكُونَنَّ﴾: النون: نون المخاطب، هنا محمد ﷺ، وبالتالي أمته، وحاشا

أن يكون رسول الله ﷺ من الممترين.

﴿مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: الممترين: من المرء: هو الجدال بالباطل بعد ظهور

الحق، جمع ممتري: وهو الذي يجادل بالباطل بعد أن تبين له الحق.

[٩٥] ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَسِرِينَ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، ولا: الناهية.

﴿تَكُونَنَّ﴾: ولم يقل: تكن، وإنما أكد بزيادة النون في كلمة تكونن،

والخطاب وإن كان موجهاً إلى رسول الله ﷺ فالمقصود به أمته، وكل من يكذب

بآيات الله (القرآنية، أو الكونية، أو المعجزات، والبيانات الدالة على عظمة الله

ووحدانيته).

﴿كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: التكذيب أقل درجة من الكفر، وحدد الكذب هنا

بآيات الله، ولم يطلق الكذب ليشمل كل شيء.



﴿فَتَكُونُ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾: في الدنيا، والآخرة؛ الخاسرين لأنفسهم، وربما لأهلهم.

وفي هذه الآية حثٌّ على التَّثبت والعصمة، وعلى سبيل الإنذار.

[٩٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: وجبت وثبتت: حقت، جاءت بصيغة تدل على أنها وقعت رغم أنها ستكون في المستقبل، والزَّمن كله واحد عند الله: الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ لأنه خالق الزَّمن، والمكان.

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: قيل هي:

١ - أنهم أصحاب النار.

٢ - وقد تكون: لأملأن جهنم من الجنة، والنَّاس أجمعين.

٣ - وقد تكون كلمة العذاب.

٤ - وقد تكون كلمة ربك: أنهم لا يؤمنون.

﴿حَقَّتْ﴾: ثبتت، ووجبت على الذين كفروا، وعلى الذين سبقوا؛ لأنهم هم اختاروا ذلك، وما حقت عليهم بقهر، وجبروت، أو بالظلم.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا: النافية؛ تنفي كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.



﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بالله، وآياته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر.

وتقدير الحق سبحانه على أنهم لا يؤمنون نابع من علمه الأزلي بحالهم، أنهم سيختارون طريق الكفر، ويموتون وهم على الكفر.

[٩٧] ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: عاطفة، لو: شرطية.

﴿جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾: أي: مجيء الآيات، وتكرارها لن يفيدهم، أو يهديهم إلى الإيمان.

﴿آيَةٍ﴾: بينة، أو دليل، أو برهان، أو آية قرآنية، أو كونية، أو معجزة؛ لأن الله سبحانه يعلم ذلك علماً أزلياً، ولم يفرض عليهم أن يؤمنوا.

فهم سيستمرون على كفرهم، وسيموتون وهم كافرون، ومن دون توبة.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية، ونهاية الغاية؛ أي: إلى حين يرون العذاب.

﴿يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: عندها يؤمنون، ولكن إيمانهم هذا لن ينفعهم آنذاك، وفي ذلك المكان.





سورة يونس ١٠

سورة يونس

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا
ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ
إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ
جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا
كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ
عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَا ذَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْأَيَّاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾
فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ
قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي
رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٠٣﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾

سورة يونس [الآيات ٩٨ - ١٠٦]

[٩٨] ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَآ ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ
عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾:

﴿فَلَوْلَا﴾: الفاء: عاطفة؛ لولا: أداة حُضٍّ، وحثٍّ، وفيها معنى: النَّفْيِ،
والتَّوْبِيخِ.

﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾: يعني: أهل قرية، والقرية تعني: الأهل، والمساكن، قرية ما:
نكرة من القرى التي أُهْلِكَت، واستؤصلت.

﴿ءَامَنَتْ﴾: قبل معاينة العذاب، أو مجيء بشارت العذاب، ولم تؤخر إيمانها
إلى حين معاينة، أو بدء وقوعه؛ لأنه عندها لن ينفعها إيمانها لم تكن آمنت من
قبل؛ أي: لن يقبل الله إيمانها، ولن يبذل، أو يحول العذاب؛ فقد وقع القول
عليهم؛ لأن القانون السماوي، وهو سنة الله في أن أي قرية لا تؤمن إلا حين
نزول العذاب فلن تنتفع بإيمانها آنذاك.

واستثنى من كل القرى التي هلكت: قرية يونس ﷺ، قرية نينوى في شمال
العراق، أو قوم يونس فهم آمنوا قبل أن يأتيهم العذاب؛ فكشف عنهم عذاب
الخزي في الحياة الدنيا بعد أن تابوا بصدق، وندموا، وبعد أن تركهم يونس
مغاضباً؛ أي: بعد أن أغضبوه، وقبل أن يؤمنوا؛ فتركهم من دون أمر إلهي، وأبق
إلى الفلك المشحون، فساهم فكان من المدحضين، وسرى هذه القصة كاملة
في سورة الأنبياء.



وبعد أن نبذه الله بالعراء، وأنبت عليه شجرة من يقطين، ثم أرسله إلى قومه الذين آمنوا، وكانوا يزيدون على مئة ألف؛ فأمنوا.

﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى أن جاء أجلهم.

﴿إِلَىٰ﴾: حرف غاية، عموم الغايات.

أما لو قال: حتى حين؛ لكان يعني: نهاية الغاية موعد موتهم.

[٩٩] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: استئنافية، لو: شرطية.

﴿شَاءَ رَبُّكَ﴾: المشيئة: هي تسبق الإرادة.

ولو شاء ربك: مشيئة قسر، وإكراه؛ لفعل ذلك، ولأمن كل من في الأرض جميعاً، ولكنه سبحانه لم يشأ، ولم يجبر إنسان على الإيمان.

﴿لَأَمَنَّ مِنَ﴾: اللام: للتوكيد؛ مَنْ: للمفرد، والجمع. مَنْ هنا: استغراقية؛ تستغرق كل إنسان، أو تشمل الجنس كله.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾: في: ظرفية مكانية، ولم يقل: على الأرض؛ لأن الغلاف الجوي المحيط بالأرض يعتبر تابعاً إلى الأرض.

﴿كُلَّهُمْ﴾: توكيد.

﴿جَمِيعًا﴾: لزيادة التوكيد. إذن كلهم جميعاً: تأكيدان؛ لا يبقى معه أي ريب.

﴿أَفَأَنْتَ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، وفيه معنى النفي، والتعجب.

﴿تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾: وذلك لشدة حرص رسول الله ﷺ على إيمان كل إنسان.

﴿أَفَأَنْتَ﴾: نكرة: تجبر، وتقديم ضمير أنت يدل على عدم حصول الإكراه، وتقدير الكلام الذي يقدر على إكراه؛ هو الله لا أنت.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾: وقد قال سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾؛ لأن الله سبحانه يريد إيمان اختيار، ومحبة، وليس إيمان إكراه، وقسر.

[١٠٠] ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَمَا كَانَتْ﴾: الواو: عاطفة، ما: نافية. كان: ما كان لنفس القدرة، والاستطاعة أن تؤمن.

﴿لِنَفْسٍ﴾: اللام: لام التعليل.

﴿أَنْ﴾: مصدرية؛ تفيد الاستقبال.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بمشيئة الله وإرادته. والإذن: اسم للكلام الذي يفيد إباحة فعل أو قول، وتكون للعمل الذي ليس لنا فيه أي تدخل أو يد.

﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ﴾: الرجس في اللغة: اسم لكل ما استقذر من عمل حسياً، أو معنوياً، ويطلق على ما يُستقبح في الشرع؛ فيها مبالغة في ذم بعض الأشياء، وسماها الله سبحانه: رجساً. وبما أن فعل الرجس يؤدي إلى الإثم



والذنوب والضلال، وهذا بدوره يؤدي إلى العذاب؛ فالرجس قد يعني: العذاب. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٩) لمزيد من البيان في معنى الرجس.

﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: لا يعقلون: الحجج، والدلائل، ومن يعقل الشيء يعرفه بدليله، ويفهمه بأسبابه، ونتائجه. أمثلة لا يعقلون: أن الهداية، والإيمان بيد الله، ولا شيء يحدث إلا بإذنه؛ ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾، وأن الله لا يهدي القوم الكافرين، أو الظالمين، أو الفاسقين.

[١٠١] ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

بعد أن بين الله سبحانه: أن الإيمان الذي يدعو إليه سبحانه هو الإيمان الاختياري، وليس القسري، ومع ذلك لا يحصل الإيمان الاختياري إلا بمشيئة الله، وبإذنه.

وما على البشر إلا أن ينظروا إلى ما حولهم في هذا الكون، وما في السموات، والأرض من الآيات، والدلائل التي تشير إلى وحدانية الله، وعظمته وقدرته، والتي تدعو إلى الإيمان بالخالق، وعبوديته؛ فيقول سبحانه:

﴿قُلْ أَنْظَرُوا﴾: نظرة تفكر، واعتبار، نظرة بصرية، وقلبية معاً.

﴿مَاذَا﴾: أداة استفهام؛ تفيد المبالغة في الاستفهام بدلاً من قوله: ما في السموات والأرض، ماذا في السموات والأرض.

﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: من الآيات الكونية: من النجوم، والمجرات، والأقمار، والشموس، ودورانها، وحركتها.

والأرض وما فيها: من الجبال الراسيات، والأنهار، والبحار، والنباتات، والأشجار، والحيوانات.

﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾: وما: استفهامية؛ تفيد النفي.

﴿الْآيَاتُ﴾: الكونية، والقرآنية، والمعجزات، والدلائل، والبراهين.

﴿وَالنُّذُرُ﴾: جمع نذير: الرُّسل. والنذر: مصدر لفعل أُنذر.

﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: الجواب: لا تغني شيئاً، ولا فائدة منها لهؤلاء القوم، أو نعم؛ ما تغني شيئاً، ولا فائدة منها.

[١٠٢] ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾:

الخطاب موجه إلى كل الذين لا يؤمنون، والضالين المكذبين بآيات الله بما فيهم مشركو مكة.

﴿فَهَلْ﴾: الفاء: للتوكيد. هل: استفهام؛ بمعنى: النفي المشرب بالتعجب، والاستنكار.

﴿يَنْظُرُونَ﴾: أي: يتوقعون أن يحدث لهم أو يصيبهم إلا مثل ما أصاب غيرهم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مِثْلَ أَيَّامٍ﴾: وقائع، أو مصائب.

﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أي: سبقوهم، ومضوا؛ مثل: قوم نوح، وعاد، وثمود، ولوط، وشعيب؛ أي: ننجي رسلنا والذين آمنوا، ونهلك المكذبين.

﴿مِثْلَ أَيَّامٍ﴾: العرب تسمي، أو تقصد باليوم: الحدث البارز الذي حدث



فيه؛ مثل: يوم حنين، ويوم بُعث، ويوم الخندق، ورغم أن اليوم هو ظرف زمني، ولكن يقصد به الحدث الذي كان في مثل هذا اليوم في السنين الماضية.

﴿قُلْ فَأَنْظِرُوا﴾: الفاء: للتوكيد. انتظروا: ما سيحل بكم، أو انتظروا عذاب الله وعقابه، وفيه تهديد، ووعيد.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾: ولم يقل: وأنا؛ إني: أكد من أنا؛ أي: أنا بكل توكيد سأنتظر معكم.

﴿الْمُنْتَظِرِينَ﴾: المنتظرين لذلك اليوم.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتراخي الزمني.

﴿نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: والذين آمنوا، ولم يقل: والذين آمنوا معهم؛ لأن الرسل قد ينقطع إرسالهم، والذين آمنوا فيمتد إرسالهم إلى يوم القيامة.

﴿كَذَلِكَ﴾: أي: مثل ما أنجينا، أو نجينا رسلنا السابقين، ومن آمن؛ ننجي من يأتي بعدهم من الذين آمنوا.

﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾: حقاً: من الحق، والحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتغير؛ أي: كتبنا، أو الأمر الثابت.

وقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾: عبّر بصيغة المضارع بدلاً من الماضي؛ لاستحضار صورة نجاتهم من العذاب كأنها تحدث الآن (حكاية الحال) وننجي: من أنجى؛ تدل على القصر في الزمن.

[١٠٤] ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ.

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾: يا: أداة نداء، والهاء: للتنبيه.

﴿النَّاسُ﴾: الثقلين: الإنس، والجن.

﴿إِنْ﴾: شرطية للأمور الافتراضية، والنادرة؛ بعكس إذا: للأمور الحتمية، والكثيرة الحدوث.

﴿فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾: الإسلام؛ هل هو حق أم باطل؟ والشك حين تساوى كفتي النفي والإثبات.

﴿مِّن دِينِي﴾: من: ابتدائية.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتأكيد؛ لا: النافية لكل الأزمنة، وللجنس.

﴿أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: الأصنام، أو الشركاء.

﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿وَلَكِن﴾: للاستدراك، والتوكيد.

﴿أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ﴾: الذي: اسم موصول؛ يفيد التعظيم.

﴿يَتَوَفَّكُمُ﴾: وصفه بالتوفي؛ لأن التوفي لا يشك فيه أحد، وهو الأمر

المخيف، والمرعب الذي لا مرأى فيه، ولا شك، وفيه تهديد بـ(يتوفاكم)؛ حيث يأمر ملك الموت بقبض أرواحكم؛ فهو الذي يجب أن يخاف، ويُتَّقَى.



﴿وَأَمْرُتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ولم يقل: وأمرت أن أكون من المسلمين؛ لأن السياق في الآيات السابقة في سياق الإيمان.

[١٠٥] ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿وَأَنَّ﴾: حرف مصدري؛ يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: الخطاب موجه إلى النبي ﷺ، وإلى كل فرد من أمته.

وإقامة الوجه يعني: الذات (مجاز مرسل)، وإقامة الوجه تعني: التوحيد، والإنباء، وإقامة الصلاة، والتقوى، والاستقامة على الصراط المستقيم، والإخلاص.

﴿لِلدِّينِ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً بعيداً عن كل الملل، والخرافات، والمذاهب، والبدع.

﴿وَلَا﴾: الناهية.

﴿تَكُونَنَّ﴾: النون: لزيادة التوكيد.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية، استغراقية.

﴿الْمُشْرِكِينَ﴾: جمع مشرك: من اتخذ مع الله إلهاً آخر، أو أكثر.

[١٠٦] ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة. لا: الناهية.

﴿تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: تعبد، أو تطلب العون.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿مَا﴾: لغير العقلاء، ولصفات العقلاء، وما: أوسع من: الذي، وتعني: الشركاء من الأصنام، والأوثان، أو الكواكب، أو الأولياء، وعيسى، وعزير، والملائكة.

﴿مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾: ما: النافية.

﴿يَنْفَعُكَ﴾: إن أطعته، ولا يضرُّك إن عصيته.

وتكرار لا: تفيد تأكيد النفي؛ نفي النفع، ونفي الضر، ونفي كلاهما.

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: استثنائية. إن: شرطية؛ أي: فإن عبدت، أو دعوت غير الله سبحانه.

﴿فَعَلْتَ فَإِنَّكَ﴾: إذن من الظالمين. إنك: تفيد التوكيد.

﴿إِذَا﴾: حرف جواب.

﴿مِّنْ﴾: ابتدائية.

﴿الظَّالِمِينَ﴾: لأنفسهم بالشرك. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٤)؛ لمزيد من البيان.

وقدّم النفع على الضر في هذه الآية؛ لأن سياق الآيات في الإيمان، والإيمان نفع للعبد؛ لأنه يوصله إلى الجنة، ورضوان الله.





سُورَةُ هُودٍ ١١

الْبُرْجِ الْإِسْمِ

وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ
يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ
ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ
مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكُنْتُ أَحْكَمْتُ آيَتَهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾
أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ
كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ
يَتَنُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ
يَعْلَمُ مَا يَسْرُوتَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾



سورة يونس [الآيات ١٠٧ - ١٠٩]

[١٠٧] ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدَكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله سبحانه النهي عن عبادة الأوثان، وأنها لا تنفع، ولا تضر يُذكر سبحانه أن الله عز وجل هو الضار، وهو النافع وحده.

﴿وَإِنْ﴾: شرطية؛ تستعمل للأمر المشكوك في حدوثه، أو النادر الحدوث.
﴿يَمَسُّكَ اللَّهُ﴾: من المسّ، وهو الاتصال الخفيف اليسير؛ مجرد تماس شيء بشيء من دون إحساس بالشيء.

﴿بِضُرٍّ﴾: الباء: للإلصاق، ضر بكره؛ أي: ضر مثل ألم الفقر، والمرض، وعدم الأمن، والفاقة.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: النافية للجنس.

﴿كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾: كاشف: مزيل له، أو رافع له.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد، وتعود على الله سبحانه.

﴿وَإِنْ يُرِدَكَ بِخَيْرٍ﴾: وإن مثل: وإن يمسسك.

﴿يُرِدَكَ بِخَيْرٍ﴾: أي: في المستقبل يردك بخير؛ مثل: الغنى، والصحة، والأمن، والرخاء، والعافية، والسكينة.

﴿بِخَيْرٍ﴾: الخير تعريفه: هو الحلال، الطيب، النافع، الحسن.

﴿فَلَا﴾: مثل الأولى.



﴿رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾: لا دافع لفضله، أو مانع لفضله أحد، أو لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

﴿يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ﴾: وهو: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد.
 ﴿الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾: الغفور: صيغة مبالغة من الغفر؛ كثير الغفر؛ أي: لمن تاب، ولو كان ذنباً عظيماً؛ مثل الشرك؛ فإنه يتوب عليه.
 ﴿الرَّحِيمُ﴾: على وزن فعيل؛ صيغة مبالغة من الرحمة؛ كثير الرحمة لعباده المؤمنين.

لمقارنة هذه الآية، مع الآية (١٧) من سورة الأنعام: ﴿وَإِنْ يَسْأَلْكَ بِخَيْرِ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ارجع إلى سورة الأنعام؛ لمعرفة الفرق بينهما.
 [١٠٨] ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾:
 ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾: ارجع إلى الآية (١٠٤).
 ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أي: القرآن العظيم، وهو الحق؛ أي: الذي لن يتغير، أو يتبدل، أو الإسلام.

﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾: الفاء: عاطفة، من: شرطية؛ تفيد الابتداء.
 ﴿اهْتَدَىٰ﴾: اختار طريق الإيمان، والإسلام، واتبع منهج الله، اهتدى إلى الحق.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، إنما: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.
 ﴿يَهْتَدَىٰ﴾: فعل مضارع؛ يدل على التجدد، والتكرار، والاستمرار.
 ﴿لِنَفْسِهِ﴾: أي: ثواب الاهتداء، والنفع من جراء الاهتداء يعود به على نفسه بشكل مستمر. اللام: لام الاختصاص، أو الاستحقاق؛ فالاهتداء لصالح نفسه.



﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ﴾: مثل: فمن اهتدى؛ فإنما يهتدي لنفسه.

وهناك فرق بين لنفسه، ويضل عليها؛ استعمل عليها (على تعني: الاستعلاء، والشدة)؛ أي: عاقبة الضلال تقع على نفسه وليس لصالح نفسه.

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾: ما: النافية؛ أي: ما أنا الموكل إلى أمركم، أو المتولي بتدبير شؤونكم، أو المحامي، أو المدافع عنكم الذي يمنع عنكم العذاب، أو الهلاك.

﴿بِوَكِيلٍ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

[١٠٩] ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾:

﴿وَاتَّبِعْ﴾: ما أنزل عليك، وأوحاه الله إليك، وتمسك به؛ بالامثال، والتبليغ. ولمعرفة معنى الوحي: ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣).

﴿مَا﴾: تشمل كل ما أوحى الله إليك.

﴿وَأَصِرْ﴾: على دعوتك، وعلى أذى قومك، وعلى ما أصابك. والأمر بالصبر: يدل على أن هناك عقبات كثيرة قادمة، واصبر حتى تكون قدوة لغيرك من الدعاة.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية نهاية الغاية؛ حتى نهاية الدعوة، أو حتى يأتيك اليقين؛ أي: الموت.

أو ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾: يفصل الله بينك وبينهم بالنصر، والظفر، أو يظهر دينه.

﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾: هو: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد.

﴿خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾: أحكم الحاكمين؛ أحكم من حكم؛ أي: له الحكم، والأمر، والقول، والفصل؛ يحكم، ويقضي، ويفصل بين العباد، والأمم، والحق، والباطل، وهو خير وأفضل من حكم؛ لأنه سبحانه يعلم الظواهر، والسرائر، وما يفعله خلقه، وأحكم من الحكمة؛ أي: أنت أحكم الحكماء.





سُورَةُ هُودٍ ١١

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ
يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ
ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ
مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخْرُجَ إِلَيْكَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكُنْتُ أَحْكَمْتَ أَيْتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾
أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ
كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ
يَتَنُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ
يَعْلَمُ مَا يَسْرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾



سورة هود [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (١١)، وترتيبها في النزول (٥٢) نزلت بعد سورة يونس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّكَتَبُ أُحْكِمَتْ أَيْنُهُ، ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾:

﴿الر﴾: ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿كَتَبُ أُحْكِمَتْ أَيْنُهُ﴾: كتاب: هو القرآن، كتاب: التنكير للتفخيم، والتعظيم.

﴿أُحْكِمَتْ أَيْنُهُ﴾: آياته محكمة، متقنة؛ أي: نظمت آياته بشكل محكم:

١ - محكمة لا تناقض فيها، ولا خلل، ولا لبس.

٢ - ومحكمة غير متشابهة؛ فلا تحتاج إلى تأويل.

٣ - ومحكمة موجزة غير مفصلة.

٤ - محكمة في النظم، والبلاغة.

٥ - محكمة غير منسوخة.

﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾: ثم: هنا ليست للترتيب، والتراخي في الزمن، وإنما تعني:

الحال؛ فمعنى كتاب أحكمت آياته، ثم؛ أي: في الحال (في نفس الوقت) فصلت

آياته على أحسن التفصيل، أو تعني: الترتيب في الذكر؛ أي: الترتيب التسلسلي؛

أي: بالتعاقب، أحكمت، ثم فصلت. فصلت آياته أدق التفاصيل في اللفظ،



والمعنى، أو فصلت؛ تعني: فسرت، ووضحت، أو فصلت بالحلال، والحرام، والثواب، والعقاب، والوعد، والوعيد.

﴿مِنْ لَدُنَّ﴾: من الابتدائية.

﴿لَدُنَّ﴾: ظرف مكان، أو زمان؛ بمعنى عند، ولم يقل: من عند؛ لأنّ لدن أبلغ من كلمة عند، وأقرب، ولدن: مشتقة، أو مأخوذة من اللدانة، أو اللدونة؛ أي: الليونة، أو التلدن معناها التّمكث، أو التّريث الدّال على الحكمة في صياغة الآيات.

﴿حَكِيمٍ﴾: تعني: الحاكم، الحاكم لخلقه، وكَوْنِهِ؛ أي: أعدل، وأقسط، الحكام، والقضاة، أو الحاكم من الحكمة؛ فهو أحكم الحكماء في خلقه، وشرعه، وكونه، والحكمة: من معانيها إحسان القول، والعمل. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٢٩)؛ لمزيد بيان في معنى حكيم.

﴿خَيْرٍ﴾: الذي يعلم بواطن الأمور، والأسرار، وما تخفي الصدور.

[٢] ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُرْمَةٌ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾:

﴿أَلَا﴾: أصلها: أن: المصدرية؛ تفيد التّعليل، والتّوكيد، ولا: النّاهية، أو النّافية.

﴿تَعْبُدُوا﴾: من العبادة، والعبادة: لا تكون إلا للخالق، وهي الخضوع للمعبود، وطاعته فيما أمر، أو نهى عنه، ولا تكون إلا مع العلم، والمعرفة بالمعبود، والعبادة تشمل كلّ قول طيب، وعمل صالح، ولها جزاء.

﴿إِلَّا اللَّهَ﴾: إلا: أداة حصر، وبهذا نفى العبادة لغير الله ﷻ.

وقوله تعالى: ﴿الَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾: فيها نفي: أن هناك إلهاً غير الله، وإثبات الألوهية لله وحده.

﴿إِنِّي لَكُرْمُتُهُ﴾: إنني: فيها تأكيد بزيادة النون، مقارنة بقوله: إني؛ ليؤكد قوله: إنني لكم.

﴿مَتُهُ﴾: من الحكيم الخبير؛ مرسل إليكم نذير وبشير.

﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾: نذير للعاصين، وبشير للطائعين. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ لبيان البشارة، والندارة.

وقدّم النذير على البشير؛ لأنّ جوّ السّورة، والسّمة فيها هي الإنذار؛ لأنّها تتحدّث عن أقوام أهلكوا مثل: قوم نوح، وعاد، وثمود، ولوط. وعن يوم القيامة، وقد يكون تقديم الإنذار لقوله تعالى: ﴿الَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾.

وهذه الآية تبيّن: أن رسول الله ﷺ نذير وبشير، وفي سورة فصلت، آية (٤) تبيّن أن القرآن كذلك بشير ونذير: ﴿كَتَبْتُ فُصِّلَتْ أَيْنْتُهُ، قُرْءَانَا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا.

[٣] ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنْعَا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ، وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾:

﴿وَأَن﴾: حرف مصدري؛ يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾: من الكفر، والشّرك، والمعاصي، أو الذّنوب، استغفروا ربكم: اطلبوا منه المغفرة، والغفر: هو السّتر والعفو.

﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾: ثم: تفيد التدرج التسلسلي، أو التعاقب، ولا تفيد الترتيب، والتراخي في الزّمن؛ لأنّ التّوبة مطلوبة مباشرة، والتّوبة تعني: الإقلاع عن الذّنوب،



وعدم الرجوع إليه، والندم عليه، والإكثار من العمل الصالح، والنوافل، وإعادة الحق إلى صاحبه، وهناك توبة الإنابة من دون ارتكاب الذنب، وهناك التوبة من الذنب.

وقدم الاستغفار على التوبة؛ لأن الاستغفار يعني: الاعتراف بالذنب أولاً.

﴿يُمْنِعْكُمْ مِّنْعَاحَسَنًا﴾: المتاع: هو ما ينتفع به، وما يُتَمَتَّع به، ويطلق على القليل، والكثير؛ مثل: السَّعة في العيش، والرَّزق، والطَّعام، والشَّراب، والمسكن، والملبس، والأداة، والسَّلعة. المتاع الحسن: الطَّيب الحلال.

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هو الموت، مسمًى محدّد لا يتبدل، مسمًى في اللوح المحفوظ، أو أم الكتاب، والأجل: هو الوقت المضروب لانقضاء الشَّيء، وأجل الإنسان: هو الوقت المضروب لانتهاه حياته.

أمّا العمر: وهو الأجل، ولكن يمكن أن يزداد، أو ينقص إذا شاء الله، وهذا يدل عليه قوله: ﴿وَمَا يَعْمرُّ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِن عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [فاطر: ١١]. ارجع إلى سورة فاطر؛ لمزيد من البيان.

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾: ويؤت: من الإيتاء: وهو العطاء الذي ليس فيه تملك؛ بينما العطاء فيه تملك، والإيتاء: أعمّ؛ يشمل: الأشياء الحسية، وغير الحسية. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

ويؤت؛ أي: الله سبحانه كلّ ذي فضل فضله، يؤت: كلّ عامل، أو مؤمن، أو محسن ثواب، أو أجر عمله، أو إحسانه.

﴿ذِي فَضْلٍ﴾: صاحب فضل، والفضل: هو الزيادة على الأجر المستحق. ارجع إلى الآية (٢٦٨) من سورة البقرة؛ لبيان الفضل.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أصلها: وإن تتولوا؛ إن: شرطية؛ تستعمل في الأمر المحتمل

حدوثه. وإن تولوا: تعرضوا عن الإيمان، أو تبتعدوا عنه، أو تنهاونوا في العبادة، وتقصروا في طاعة الله؛ فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير.

وهناك فرق بين تولوا، وتولوا:

تولوا: تستعمل في قلة التولي عن الإيمان، وطاعة الله، كما يحدث لبعض المؤمنين.

أما تتولوا: كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ﴾ الآية (٥٢) من نفس السورة؛ فتدل على كثرة التولي، والإعراض، كما يحدث في تولي الكفرة، أو شدة التولي.

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: للتوكيد، إني: لزيادة التوكيد.

﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: الخوف: وهو توقع الضرر مع الشك بوقوعه.

﴿عَذَابٌ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾: كبير وصف لليوم، ويوم كبير: يوم القيامة، ونكره؛ للتهويل، والاستعداد له، كبير في أحداثه؛ حيث تضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى... وغيرها من الأحداث الجسام.

[٤] ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: إلى: جار ومجرور، ولفظ الجلالة: تقديمه في الآية؛ ليدل على الحصر؛ فقط إلى الله وحده مرجعكم لا إلى غيره، بالموت، ثم بالبعث، والحشر.

ولم يقل جميعاً كما قال تعالى في الآية (١٠٥) من سورة المائدة، وهي قوله تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ المخاطب في آية المائدة المؤمنين والكافرين؛ جميعاً: أيضاً تستعمل إذا كان السياق، أو المخاطب طوائف مختلفة،



أقوام مختلفة، يهود، نصارى، وقوله تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بدون جميعاً
تعني: المخاطب جهة واحدة، أو فئة معينة من الناس، أو طائفة واحدة هي طائفة
المسلمين.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: شيء: نكرة؛ تعني: قدير على أي شيء مهما كان نوعه،
وحجمه، وصفته، ولا يعجزه أي شيء في السموات، ولا في الأرض.

﴿قَدِيرٌ﴾: صيغة مبالغة من قادر. ارجع إلى سورة التغابن، آية (١)؛ لمزيد
من البيان.

[٥] ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخَفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا
يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾:

﴿أَلَا﴾: أداة استفتاح، وتنبيه، وإيقاظ من هو غافل؛ لئلا يفوته ما سيذكر
من الآيات.

﴿يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخَفُوا مِنْهُ﴾: يتنون: من ثنى الثوب؛ أي: طواه عدة
مرات ربما ليخفي ما فيه من عيب؛ قد تعني: يخفون ما في صدورهم من العداوة،
والحق للنبِيِّ ﷺ، ويظهرون له المحبة والمودة، أو ينحرفون، ويعرضون
بصدورهم حين يمرون برسول الله ﷺ، ويحاولون أن يتواروا عنه خوفاً من أن
يدعوهم للإيمان، أو الإسلام.

﴿لِيَسْتَخَفُوا مِنْهُ﴾: اللام: للتعليل؛ أي: يريدون الخفاء.

أي: من الله تعالى، أو تعود على الرسول ﷺ.

﴿أَلَا﴾: أداة للتنبيه.



﴿حِينَ يَسْتَعْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾: الثياب: المتنوعة التي تغطي البدن كله، وهي الخارجية، أما ما يغطي العورة والجسم مباشرة تسمى اللباس؛ أي: حين يبالغون في الاستخفاء كالذي يستغشي ثيابه؛ أي: يتغطى بها حتى لا يظهر منه شيء.

﴿يَعْلَمُ مَا يَسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: الإسرار يكون في النفس، والإخفاء أشد من الإسرار (يعلم السر وأخفى)، وتكرار ما يفيد التوكيد؛ أي: يعلم كل ما يسرون على حدة، وما يعلنون على حدة، أو كلاهما.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: إن: للتوكيد.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من عالم كثير العلم.

﴿بِذَاتِ﴾: ذات تفيد الصّحة.

﴿بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: الأمور المصاحبة للصدر، أو الساكنة فيها. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (١١٩)؛ لمزيد من البيان.





سُورَةُ هُودٍ ١١

الْبُرْجُ الْثَامِنُ

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ
عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ
إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى
أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ
مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾
وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ
لَيَكْفُرُ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ
مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾
إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِيَّاكَ
وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ
مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾



سورة هود [الآيات ٦ - ١٢]

[٦] ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾:

﴿وَمَا مِنْ﴾: الواو: استئنافية؛ ما: النافية؛ من: استغرافية تشمل كل دابة بلا استثناء؛ من: للمفرد، والجمع.

﴿دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾: وقيل: دابة: هو كل ما دبّ على الأرض (شيء) من إنسان، وحيوان، وقيل: دابة اسم فاعل، ويغلب على غير العاقل. ارجع إلى سورة العنكبوت آية (٦٠) لبيان معنى دابة، وهل تشمل الإنسان أم لا.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾: ولم يقل: على الأرض؛ لأن الغلاف الجوي حول الأرض يعتبر من الأرض، فكلمة في الأرض تشمل على الأرض، وفي باطن الأرض.

﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾: إلّا: أداة حصر.

﴿عَلَى اللَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة: يدلّ على الحصر من دون استثناء؛ أي: أن الله هو الرزاق لا غيره.

﴿رِزْقُهَا﴾: من طعام، وشراب.

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾: المستقر: اسم مفعول يدلّ على اسم مكان، واسم زمان يعلم زمن استقرارها، ومكانها، وقيل: يعلم مستقرّها قبل أن تأتي الأرض، أو أين تستقر في الأرض، أين تعيش، وتسكن، وقيل: المستقر؛ يعني: في الأصلاب، أو في الأرحام قبل أن تولد.



﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾: مكان موتها، وفنائها، أين ستموت، وتهلك، وتتحلل أجزائها (أي: أين تدفن)، أو بالعكس.

مستودعها: قد يعني: قبل مجيئها إلى الأرض، والزمن، ومستقرها: بعد أن تستقر على الأرض؛ أين، ومتى إلى أن تموت، وبعد موتها مكاناً وزماناً.

﴿كُلُّ﴾: تشمل كل دابة، والرزق، والمستودع، والمستقر.

﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: الكتاب المبين: هو اللوح المحفوظ؛ مدوّن في اللوح المحفوظ، ومدوّن في السّطور. المبين: الواضح، ظاهر لكل ملك من الملائكة، ولكل من يقرؤه بفهم وتدبر، والمبين: المظهر لنفسه، ولكل شيء يحتاج معرفته.

[٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّا لَنَعْلَمُ الْغُيُوبَ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْحَارٌ مُبِينٌ﴾:

﴿وَهُوَ الَّذِي﴾: هو: ضمير فصل تفيد التوكيد، والحصر، الذي: اسم موصول؛ يفيد التعظيم.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: وقد بيّن كيفية هذا الخلق في سورة الأنبياء، آية (٣٠)، وفي سورة فصلت، الآية (٩-١٢)، وسورة الأعراف، آية (٥٤)، وسورة البقرة، آية (٢٢، ٢٩).

ولماذا لم يتم الخلق بكلمة (كن) ؟

لحكمة لا يعلمها إلا هو سبحانه.

قد تكون للدلالة على عظمة وطلاقة قدرته سبحانه، ولكي يُمكن الإنسان

من اكتشاف الحقائق العلمية، واستخدامها كآيات دالة على وجود، وعظمة الخالق، والقدرة على إعمار الأرض، والعيش عليها.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾: قبل خلق السموات، والأرض.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾: يندرج تحت الإيمان بالغيب، والخوض في كيف كان عرشه على الماء، لا يأتي بثمرة، بل يؤمن به، كما أخبرنا سبحانه وتعالى، وعلمنا سبحانه: أن العرش أعظم من خلق السموات، والأرض، وخلق السموات، والأرض أعظم من خلق الناس، وما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة. رواه أبو ذر الغفاري. أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة.

فهو صاحب العرش؛ أي: المالك، والحاكم.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: اللام: لام التعليل، خلق السموات والأرض لكم؛ لكي تتمكنوا من العيش في الأرض، وبالتالي ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، ولكي يبلوكم لا بُدَّ من إيجاد كوكب تستطيعوا العيش فيه، و﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢٠]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَن يَبْلُوهَا﴾ [الكهف: ٧]، والله سبحانه ليس بحاجة أن يختبر، أو يتبلى عباده؛ فهو سبحانه يعلم منذ الأزل نتيجة الابتلاء، وهذا الابتلاء ليبين لهم أنفسهم نتيجة ابتلائهم.

﴿وَلَئِنْ﴾: الواو: استئنافية؛ لئن: اللام: لام التوكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال، والندرة.

﴿قُلْتَ﴾: يا محمد ﷺ لأولئك الكافرين المنكرين للبعث والحساب

أنكم:



- ﴿مَبْعُوثٌ﴾: أي: ستبعثون من بعد الموت، وستحاسبون على أعمالكم.
- ﴿لَيَقُولَنَّ﴾: اللام: لام التوكيد، وكذلك نون النسوة زيادة في التوكيد.
- ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٦)؛ لبيان معنى الكفر.
- ﴿إِنْ﴾: حرف نفي أشد نفياً من: ما؛ أي: ما هذا.
- ﴿هَذَا﴾: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب، وتعني: هذا الذي تقوله.
- ﴿إِلَّا﴾: حصراً.
- ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: سحر: مجرد تخيل وحيل، وليس حقيقة.
- ﴿مُبِينٌ﴾: سحر ظاهر لكل إنسان، وسحر مظهر لنفسه لا يحتاج إلى أحد أن يبرهن، أو يدلل أنه سحر.
- ووصفوه بالسحر؛ لأنهم رأوا تأثيره القوي في الأنفس، أو كونه غريباً خارقاً للعادة. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٠٢)، وطه، آية (٥٨)؛ للبيان.
- [٨] ﴿وَلَيْنَ أَخْرَنَاهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْسِبُهُ ٱلْأَلَمُ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾:
- ﴿وَلَيْنَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (٧).
- ﴿أَخْرَنَاهُمُ الْعَذَابَ﴾: أجلنا عنهم العذاب، ولم نعاقبهم، ولم نستأصلهم مباشرة، ونهلكهم، وأخرنا عنهم العذاب.
- ﴿إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾: الأمة تعني: الحين، أو فترة من الزمن.
- ﴿مَّعْدُودَةٍ﴾: تفيد القلة، وتعني: محددة معلومة؛ أي: إلى أجل معلوم.
- ﴿لَيَقُولُنَّ﴾: اللام: للتوكيد. يقولن: والنون في يقولن؛ لزيادة التوكيد.

﴿مَا يَحِيسُهُ﴾: ما: اسم استفهام؛ يحبسه؛ أي: ما يمنع نزوله كأنهم يكذبونه، ويستبعدون نزوله بهم، أو يستهزئون به.

﴿أَلَا﴾: أداة تنبيه، وتوكيد.

﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾: أي: ليس منصرفاً عنهم؛ أي: لا ينقطع، أو يهدأ، أو يتوقف، أو يخف.

﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾: أي: نزل وأحاط بهم من كل جانب، حاق: فعل ماضٍ؛ أي: اعتبره وقع، وحصل رغم أنه قادم في المستقبل؛ لأن الزمن الماضي، والحاضر، والمستقبل كلها متساوية عند الله؛ لأنه هو خالق الزمن. ارجع إلى سورة غافر آية (٤٥) لمزيد من البيان والفرق بين حاق ونزل.

﴿مَا﴾: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: الباء: للإلصاق، وتفيد السببية؛ أي: بسبب، أو بدل ما كانوا به يستهزئون؛ بسبب استهزائهم بالعذاب، وعدم تصديقهم بوقوعه.

[٩] ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَا الْإِنْسَانَ مِتَارَ حِمَّةٍ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْكُمْ قَوْمٌ﴾:

﴿وَلَيْنَ﴾: ارجع إلى الآية (٧).

﴿أَذْقَنَا﴾: من ذاق؛ أي: شعر بطعم الطعام؛ أي: مجرد الشعور بالطعم، وليس الأكل، ويستعمل الذوق مجازاً في إدراك غيره من الأشياء المعنوية؛ كالرحمة، والنعمة، والعذاب، وذوق الرحمة يدل على لذة التمتع بها بأقل حالاتها، فما بالك إذا تجاوز ذلك.

وكلمة ذاق: تستعمل في الشيء المحبوب، أو المكروه؛ مثل: الرحمة، أو العذاب، أو الخير، أو الشر، وتصح للكثير، والقليل، والشديد، والخفيف،



واللسان أداة الذوق، ويقسم إلى مناطق خاصة بالطعم الحامض، والحلو، والمالح، والمر، وشبه الرحمة هنا بالطعام الذي يذاق.

﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾: الرحمة بشكل عام تعني: كل ما يجلب ما يسر، ويدفع ما يضر.

أي: الإنعام على العبد مثل: سعة العيش، والصحة، والأمن، والغنى. نحن هنا أمام سؤالين:

الأول: لماذا قدم منا على رحمة، ولم يقل رحمة منا؛ أي: التأخير، أو التقديم

والثاني: قال: منا، ولم يقل: من عندنا، أو من لدنا.

الجواب على السؤال الأول: إن السياق في هذه الآية، وغيرها على قدرة الله سبحانه في خلق السموات والأرض، والبعث، والإذاقة، وكل دابة على الله رزقها، فقدّم (منا)، ولو كان السياق في الرحمة؛ كما ورد في سورة فصلت الآية (٥٠) ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ رَحْمَةً مِنَّا﴾؛ لقدّم الرحمة.

الجواب على السؤال الثاني: منا، وليس من عندنا؛ (منا): يستعملها القرآن للمؤمن والكافر، وكلّ الخلائق؛ (من عندنا): هي أخص يستعملها عندما تخص المؤمن غالباً، أمّا من لدنا: فهي أخص، وأقرب مقارنة من عندنا، وتستعمل للمحسن، أو أولياء الله، وأنبيائه.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتراخي الزمني؛ نزعناها بعد فترة طويلة.

﴿نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾: سلبناها إياه، أو حرمانه إياها، أو أخذناها منه، ونزعناها:

تدل على شدة الأخذ؛ أي: الأخذ بقوة، وشدة وإكراه؛ لأنه يتمسك بها بشدة، ولا يريد التخلي عنها، ويحرص عليها؛ فلا بُدّ من استعمال النزع بدل الأخذ.



﴿إِنَّهُ لَيُؤَسُّ كَفُورٌ﴾: إِنَّهُ: إِنَّ: للتوكيد.

﴿لَيُؤَسُّ﴾: السلام: لزيادة التوكيد، يؤوس: صيغة مبالغة من اليأس؛ أي: يظل يائساً، واليأس: هو انقطاع الأمل في الشيء، والإنسان لا يقطع الأمل في الله إلا إذا كان كافراً، والمؤمن لا يئس من رحمة الله.

﴿كَفُورٌ﴾: من كفر، ويكفر: صيغة مبالغة من الكفر؛ أي: كثير الكفر؛ أي: كثير الجحد، والستر؛ لأن الكفر: هو أصلاً الستر، وكفور: قد تعني: قليل الشكر.

وفي سورة فصلت، الآية (٤٩) قال سبحانه: ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُسْ قَنُوطٌ﴾: والقنوط: أشد حالات اليأس، وهو حالة خاصة من حالات اليأس.

وأما الفرق بين أنعمنا، وأذقنا:

فأذقنا: قد تكون في الخير، أو الشر.

أما إذا أنعمنا: فالإنعام فقط يكون في الخير.

وكلمة أذقنا، أو أذقناه: يصاحبها دائماً كلمة رحمة، أو نعماء في كل القرآن، وقد تخص الإنسان، أو الناس.

أما كلمة ذوقوا: فيصاحبها ذكر العذاب، أو تعملون، أو تكسبون، أو تمكرون...

[١٠] ﴿وَلَمَّا أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾:

﴿وَلَمَّا أَذَقْنَاهُ﴾: ارجع إلى الآية (٩).

﴿نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ﴾: النعماء: وردت هذه الكلمة فقط في هذه



الآية، وهي هنا مقابل الضراء؛ فالإنسان إما في نعماء، أو في ضراء؛ النعماء: مأخوذة من النعمة: بفتح النون، والنعمة هي اسم مرة، والنعماء لا يراد بها هنا ذكر النعم الكثيرة، بل يراد بها الإشارة إلى جنس النعم، وصفتها.

ولماذا اختار كلمة النعماء بدلاً من النعمة؛ لأن النعماء تظهر على صاحبها، أما النعمة فقد تظهر، وقد لا تظهر، سواء بالبصر، أم الكلام.

نعماء بعد ضراء: الضراء، والمضرة التي تكون ظاهرة على الشخص؛ من الضر: وهو الشيء الذي يؤلم النفس، ويضر بها؛ أي: أذقناه نعماء بدلاً من الضراء.

﴿مَسَّتْهُ﴾: والمس: أقل اللمس، أو الإدراك، أو الدرجة في الإصابة.

﴿لَيَقُولَنَّ﴾: اللام: لام التوكيد؛ يقولن: مضارع فيه توكيد بالنون.

﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾: ولم يقل: ذهبت السيئات عني في اللغة يجوز التذكير والتأنيث، وجاء بالتذكير هنا يعني أثر السيئات؛ أي: العذاب؛ أي: ذهب أثر السيئات (العذاب) عني ولم يحمد ويشكر الله؛ ليقولن: ذهب السيئات: جمع سيئة، وهي كل ما يسيء إلى النفس؛ أي: زال وذهب عني البؤس، أو الفقر، والضر، والخوف، وعدم الأمن، والمرض؛ اكتفى بذكر النعماء، ولم يذكر المنعم.

﴿إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾: إنه: إن: للتوكيد؛ لفرح: اللام: لزيادة التوكيد، فرح: كثير الفرح، وهذا الفرح من الفرح المذموم، ويعني البطر. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٧٠) لمزيد من البيان في معنى الفرح وأنواعه.

﴿فَخُورٌ﴾: صيغة مبالغة من الفخر؛ كثير الفخر، والفخر: نوع من التكبر

على الناس بالقول؛ أي: يُزكي الإنسان نفسه، ويمدح نفسه، ويشني عليها، ويأتي في مقام الذم.

انتبه إلى كلمة نعمة: وردت بالإنفراد، وكسر النون في (٤٧) آية في القرآن، وتعني: الرحمة، ومضافة إلى الله، وهي شيء حسن، وخير، ووردت كلمة نعمة: بالإنفراد، وفتح النون في آيتين فقط، وجاءت في سياق النعمة، والرفاهية المذمومة، أو الرخاء المذموم.

فهي تدل على شيء مذموم، أو ترد في سياق الذم؛ كقوله تعالى في سورة المزمل، آية (١١): ﴿أُولِيَ النَّعْمَةِ﴾، وسورة الدخان، آية (٢٧): ﴿وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ﴾.

[١١] ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾:

﴿إِلَّا الَّذِينَ﴾: إلا: أداة استثناء. الذين: اسم موصول.

﴿صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: صبروا على الابتلاءات التي ذكرها الله في الآية (٩)، ولم يئسوا من رحمة الله تعالى، وكذلك الصبر على تجنب المعاصي، والصبر على الطاعات.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: الفروض، والتوافل، وأطاعوا الله، ورسوله في: افعَل، ولا تفعل.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف: للخطاب، وتشير إلى منزلتهم العالية.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق، هم: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد.



﴿مَغْفِرَةٌ﴾: من الغفر: وهو ستر الذنب، ومحيه؛ أي: العفو، وكذلك إثابتهم على أعمالهم الصالحة.

﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: هناك الأجر العظيم، والكريم، والكبير، وغير ممنون.

أجر كبير: على الصبر، وعمل الصالحات من الله العلي الكبير.

وحذف كلمة الذين آمنوا في هذه الآية؛ لأن العمل الصالح لا يقبل إلا مع الإيمان؛ فاكتمى بذكر عملوا الصالحات، والصبر نصف الإيمان أيضاً.

[١٢] ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُ بَعْضِ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾:

﴿فَلَعَلَّكَ﴾: الفاء: استئنافية؛ لعلك: استفهام فيه معنى التحذير، والنهي والأصل في لعل: للترجي المتوقع.

﴿تَارِكُ بَعْضِ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿تَارِكُ بَعْضِ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾: أي: تتردد، ولا ترغب في تلاوة بعض الآيات على أهل مكة من المشركين، أو تبليغهم إياها؛ مخافة إعراضهم، وإنكارهم، واستهزائهم بالآيات التي تتعلق بأمر الآلهة، والتنديد بها، وعبادتهم إياها.

﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾: ضائق: اسم فاعل يدل على ضيق عارض أو عابر، ويعني: الشعور بالحر، وانقباض في الصدر لعدم سماعهم لآيات القرآن والإعراض عنه، أو أن يقولوا منكراً من القول وزوراً.

﴿بِهِ﴾: تعود على القرآن.

مخافة ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾: أن: للتعليل، والتوكيد؛ لئلا يقولوا، أو كراهة أن يقولوا.
 ﴿يَقُولُوا﴾: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد، والتكرار،
 والاستمرار في أسئلتهم التي لن تنتهي.
 ﴿لَوْلَا﴾: أداة حُضٍّ، وتمنٍّ، وحثٍّ.

﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ﴾: الكنز: هو المال المجمع، والمدخر، والكنز: يعني:
 الذهب، أو الفضة، والكنز: يعني: المال المخفي.

﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾: أو: للتخيير، جاء معه ملك: من الملائكة، ولم
 يحدّدوا شكله، ملك ينزل على صورة بشر، أو ملك يأتي بأجنحته، وعلى صورة
 ملك من الملائكة، وإذا نزل بصورة بشر كيف سيعرفون أنه ملك، وعندها يشكّون
 في أمره، وماذا لو أنزلنا معك ملك، أو أنزلنا عليك كنز، ولم يؤمنوا ماذا سيحدث
 لهم، وقد ردّ الله سبحانه على سؤالهم هذا في سورة الأنعام، آية (٨-٩). ﴿وَلَوْ
 أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ [الأنعام: ٨].

فلا تدع ذلك يجرك إلى ترك بعض ما يوحي إليك من ربك، أو تركن إليهم
 شيئاً قليلاً طمعاً في إيمانهم، بل اصبر على دعوتك، وما أرسلت به، ولا يضيق
 صدرك بما يقولون، والأصل في التقدير: أن يحدث ضيق الصدر أولاً، ثم التّرك
 ثانياً؛ أي: ضائق به صدرك: تارك بعض ما يوحي إليك؛ فقدّم التّرك على ضيق
 الصدر؛ لأنّ أمر التبليغ والدعوة بشكل كامل أهم من ضيق الصدر، ولذلك جاء
 بكلمة ضائق به صدرك، وضائق اسم فاعل يدل على ضيق مؤقت، وعارض.

إذا حدث وضاق صدرك بما يقولون فهذا أمر مؤقت، أو أمر عارض سيزول
 سريعاً.



ولو قال بدلاً من ضائق به صدرك: ضيقٌ به صدرك؛ لدل ذلك على أن ضيق الصدر صفة ثابتة في رسول الله ﷺ، وهذا ليس صحيح.

وانتبه إلى قوله: ضائق به صدرك أن يقولوا، ولم يقل: وضائق بما يقولون صدرك؛ فقد قدم صدر رسول الله ﷺ على أقوالهم؛ لأن صدر الرسول ﷺ هو أهم مما يقولون.

وكذلك جاء بكلمة (تارك): بالتَّوِين، وليس (تارك) بالضَّم؛ لأن (تارك) بالتَّوِين: يدل على اسم الفاعل، وتعني: في الحال، والمستقبل؛ بينما تارك: تدل على أن التَّرك حدث، وانتهى، ورسول الله ﷺ لم يترك شيئاً لم يبلغه، فجاء بصيغة الحال، والمستقبل؛ أي: احذر أن تترك بعض ما يوحي إليك من ربك في الحال، والمستقبل؛ كقوله: ﴿وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾

[المائدة: ٤٩].

﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾: إنما: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد. نذير: من الإنذار، وهو الإعلام مع التحذير، والترهيب. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٩)؛ للبيان.

وليس عليك واجب الرد على أسئلتهم، أو اقتراحاتهم، ولم يقل: إنما أنت نذير، وبشير، أو بشير، ونذير؛ لأنهم ليسوا من أهل البشارة؛ حين يقولون تلك الأقوال الدالة على تكبرهم وعنادهم، فلا يهتمك إذا استجابوا، أم لم يستجيبوا إنما أنت نذير.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: والله سبحانه المتولي، والمدبر لكل أمر، وشيء، والحافظ، والمعين، والقائم بأمور العباد، وتقديم على كل: تفيد الحصر، والقصر؛ فهو الوكيل على كل شيء، ولا أحد غيره.

الفرق بين كلمة ضائق، ويضيق صدرك، ولا تك في ضيق مما يمكرون:

أولاً: كلمة ضائق به صدرك: ضائق اسم فاعل (قاعدة: وإذا أردت الأمر العارض استعملت اسم الفاعل)، إذن: ضائق تعني: ضيق عارض، بسبب موقف ما عارض، أو موقف معين، أو مرحلة معينة.

ثانياً: كلمة ضيق: صفة مشبهة تدل على الثبوت، والدوام وحاشا لرسول الله ﷺ أن يكون ضيق الصدر؛ فقد شرح الله صدره؛ فقال: ﴿الْمَنْشَرَحَ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

ثالثاً: واصبر وما صبرك إلا بالله، ولا تحزن ولا تك في ضيق مما يمكرون؛ أي: لا يضيق صدرك بأدنى الضيق، وهنا تدل على درجة الضيق؛ بسبب ما يمكرون.





سُورَةُ هُودٍ ١١

الجزء الثاني عشر

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ
وَادْعُوا مِنْ أَسْطَظْعَتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ مَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ
﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ
مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطُلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ كَانَ
عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ
مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ
مِنَ الْأَحْزَابِ فَأَلْنا رُمُوعَهُ فَلَا تُكْفِيهِ مَرِيَّةٌ مِنْهُ إِنَّهُ لَظَلَمَ
مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ
عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ أَلَّا شَهِدْتُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى
رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾

سورة هود [الآيات ١٣ - ١٩]

[١٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿أَمْ﴾: المنقطعة: للإضراب الانتقالي، الهمزة: للاستفهام.

﴿يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾: بصيغة المضارع؛ أي: يقولون بتكرار واستمرار أن محمداً افترى القرآن، والافتراء: هو اختلاق الكذب المتعمد.

قل: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾: أي: فأتوا بعشر سور مثله، وتعني من الفاتحة إلى سورة هود؛ أي: إشارة إلى ما تقدم سورة هود، وهن عشر سورة؛ فالله سبحانه تحداهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن، ثم تحداهم بأن يأتوا من مثله، ثم تحداهم بعشر سور، ثم تحداهم بسورة واحدة، وفي سورة يونس، الآية (٣٨): تحداهم بأن يأتوا بسورة مثله، وكذلك في سورة البقرة، الآية (٢٣): ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ لمعرفة الاختلاف بين هذه الآيات: ارجع إلى آية البقرة (٢٣).

﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: ارجع إلى الآية (٣٨)

من سورة يونس، والآية (٢٣) من سورة البقرة للبيان، والفرق بين من استطعتم وشهداءكم.



[١٤] ﴿فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

﴿فَإِلَّا﴾: الفاء: عاطفة؛ إن: شرطية؛ لم: نافية. وانظر كيف لم يفصل بين (فإن) و(لم) في هذه الآية أن جمع بين فإن + لم = فإلم، بينما في الآية (٥٠) من سورة القصص فصل بين (فإن)، و(لم)، وليبان الفرق بينهما؛ ارجع إلى سورة القصص آية (٥٠).

﴿يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾: إلى ما تدعوهم إليه من الإتيان بعشر سور مثله مفتریات. ﴿لَكُمْ﴾: بدلاً من لك؛ جاءت بصيغة الجمع؛ تعظيماً لرسول الله ﷺ، أو الخطاب موجّه لكلّ الناس. وانتبه إلى الجمع بين فإن، وبين لم، فقال: فإلم في هذه الآية، بينما في سورة القصص آية (٥٠) فصل بين فإن ولم. ارجع إلى سورة القصص آية (٥٠) للبيان ومعرفة سبب الجمع والفصل.

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾: يأمرهم بالعلم حتّى يكون إيمانهم على علم. ﴿أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾: أنزل جملة واحدة، وبعلم الله؛ أي: لا يمكن أن يكون فيه أيّ خطأ مهما كان نوعه.

﴿وَأَن لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا إله معبود؛ إلا الله وحده. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥٥)؛ للبيان.

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: هل استفهام، فيه معنى الأمر، ومعناه: لا يكفي العلم، بل لا بدّ من الدّخول في الإسلام، وأن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ؛ أي: لا بدّ من التّوحيد، والإخلاص لله تعالى.

[١٥] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾:

المناسبة: هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى: لولا أنزل عليه كنز، وقوله: يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى.

﴿مَنْ﴾: شرطية.

﴿كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾: هذه الآية عامة يقصد بها كل إنسان يريد الحياة الدنيا، وزينتها (سواء أكان مؤمناً، أم كافراً؛ لأن ذلك من عطاء الربوبية).

﴿يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: يطلب وبيتغي ويركض وراء الحياة الدنيا. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٥٢) من سورة آل عمران، وهي قوله تعالى: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ فهذه الآية خاصة بأصحاب رسول الله ﷺ، ولم يذكر فيها كلمة (الحياة)؛ لأن الموقف كان في معركة أحد، وموقف قتال فناسب ذلك حذف كلمة الحياة من كلمة الدنيا.

﴿وَزِينَتَهَا﴾ الزينة: قيل: هي تحسين الشيء بغيره، والزينة: قيل: هي الأمر الزائد عن ضروريات الحياة، ومقوماتها، وتشمل الذهب، والفضة، والأثاث، والملابس، والخيول المسومة، والمنازل، والقصور، والمراكب.

وجاء بفعل يريد: كفعل مضارع؛ ليدل على التكرار، والتجديد، والاستمرار على الإرادة، ولم يقل: من أراد الحياة الدنيا، وانتهى.

﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا﴾: الوفاء: يعني: إعطائه أجره كاملاً دون نقص في حقه، كما يحصل بين العامل ورب العمل؛ فإذا أتقن المهنة، والعمل سواء كان مؤمناً، أو كافراً؛ فلا بُدَّ من أن يأخذ أجره كاملاً، والوفاء يتم في الدنيا والآخرة، ومنهم من قال: في الدنيا كقوله تعالى في سورة فاطر، الآية (٣٠): ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾.



﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخُسُونَ﴾: وهم: تفيد التوكيد، وتعود على كل من يريد الحياة الدنيا.

﴿فِيهَا﴾: في الدنيا.

﴿لَا يَبْخُسُونَ﴾: لا: النافية؛ نافية للجنس. يبخسون: من البخس: وهو الإنقاص، بخسه حقه بخساً: نقصه حقه، ولم يوفه؛ أي: لا يتقصون شيئاً من أجورهم في الدنيا والآخرة.

[١٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول؛ يعني: الذين يريدون الحياة الدنيا وزيتها.

﴿لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾: إلا: أداة حصر، ليس لهم في الآخرة إلا حصر النار.

﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا﴾: أعمالهم حبطت بسبب كفرهم، وشركهم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢١٧)؛ للبيان.

وباطل ما كانوا يصنعون: أي: غير حق ما صنعوا فيها؛ أي: لم يطبقوا ويلتزموا بالقرآن والسنة.

وردت في هذه الآية أربع كلمات كلمة حبط، وما صنعوا فيها، كلمة (الصنع)، وباطل (كلمة باطل) ما كانوا يعملون، كلمة (العمل).

ما هي الفروق بين هذه الكلمات، وبالتالي معانيها.

ما هو الفرق بين الصنع، والعمل:

العمل: يشمل القول، والفعل (الأقوال، والأفعال)، والعمل قد يكون جيداً، أو رديئاً، أو عادياً، والعمل: قد يتم بإجادة، أو عدم إجادة؛ فعندما يتم بإجادة: نطلق عليه الصّنع، فالعمل: أعم من الصّنع.

الصّنع: هو إجادة العمل؛ أي: يتم بجهد، وجودة، وهذا يسمّى الصّنع، والصّنع يكون في الدّنيا؛ أي: خاص بالدّنيا.

أمّا الفرق بين الحبوط، والبطلان:

فالحبوط: (حبطت أعمالهم): حبط، الحبط: أصله مشتق إصابة الماشية بمرض الحبط، أو الحبن؛ حين تنتفخ الماشية بالسّوائل، أو الماء؛ بسبب مرض الكبد، ويظنها الجاهل بها سمينه، ولحمها كثير، ولكنه حين يذبحها ليأكل منها يجدها مليئة بالمرض؛ فلا يُستفاد منها بشيء.

الحبط: خاص بالأعمال فقط، ولم ترد كلمة حبط إلا مقرونة بالعمل، وسبب حبوط أعمالهم، وذهاب ثوابها: هي كفرهم، وشركهم، ومعاصيهم، أو ذنوبهم، وعدم توبتهم، والحبوط: يكون في الآخرة، وهو خاص بالآخرة، بينما كان الصّنع خاصاً بالدّنيا.

البطلان (باطل): يكون في العمل، وغير العمل؛ مثل: الاعتقاد، والقضاء. والباطل: ضد الحق، وهو ما لم يشرع بالكلية، والبطلان عام، والعمل كذلك عام.

وإذا عدنا إلى الآية: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: نجده قرنَ أمرّاً خاصاً: هو حبط، مع أمر خاص: هو الصّنع (ما صنعوا فيها)، وقرن باطلاً: وهو أمر عام، مع أمر عام: هو العمل (ما كانوا يعملون).

﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾: فيها حبط في الآخرة ما صنعوا في الدّنيا (فيها:



تعود على الآخرة، والدنيا معاً)؛ أي: حبط في الآخرة ما صنعوه في الدنيا؛ فهي تعود على الصنع. الصنع: لا يكون إلا في الدنيا، والحبوط: يكون في الآخرة.

﴿مَا صَنَعُوا﴾: ما: مصدرية؛ حبط صنعهم، أو ما: اسم موصول؛ حبط: الذي صنعوا، ولم يقل الحق: ما صنعوه، وإنما قال: ما صنعوا، ما صنعوا: عامة تشمل كل ما صنعوه، ولو قال: ما صنعوه؛ تعني: جزءاً، أو قسماً مما صنعوا. حبط: (فعل ماض): ما صنعوا فيها: صنعوا فعل ماض، إذن جاء بفعل ماض + فعل ماض.

﴿وَبَطِلْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: وباطل: اسم فاعل؛ يدل على الثبوت. ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: فعل مضارع يدل على التجدد، والتكرار، والاستمرار، إذن ثبوت مع تجدد، وتكرار.

[١٧] ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ، وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ فَآلِنَارٌ مَّوعِدُهُ، فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾: أفمن: الهمزة: للاستفهام الإنكاري، أو التقرير، والفاء: للتوكيد، ومن: اسم موصول، وتشمل المفرد، أو الجمع.

﴿مِّن﴾: مبتدأ، والخبر محذوف تقديره كمن لا يريد الحياة الدنيا وزينتها، أو أفمن كان على بينة من ربه، كمن لم يكن، أو أفمن كان على بينة من ربه كالأعمى، والأصم، أو الضال الكفور، والمراد بهذه الآية رسول الله ﷺ (الذي هو على بينة من ربه)، أو هل يستوي أي مؤمن هو على بينة من ربه، مع من يريد الحياة الدنيا وزينتها؟

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَنبَغٍ﴾: البينة بشكل عام: قد تعني: القرآن، أو الرسول، أو الدِّين، أو الحُجَّة، والدَّلِيل القاطع.

﴿مَنْ رَبِّهِ﴾: وتعني: الرسول ﷺ، أو أيِّ مؤمن.

﴿وَيَتْلُوهُ﴾: يقرؤه، أو يتبعه، وتعني: القرآن، أو النبي ﷺ.

﴿شَاهِدٌ﴾: جبريل ﷺ، أو الرسول ﷺ.

﴿مَنْهُ﴾: من الله ﷻ، أو النبي ﷺ.

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَنبَغٍ مِّنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾: هذه الآية تبيِّن لنا نحن أمام بينة وشاهدان. البينة كما سبق الحجة والدَّلِيل القاطع، وكلُّ ما يحتاج إليه لإقامة الحكم، وقيل: هي القرآن، أو الرسول ﷺ، أو الدِّين، أمَّا الشَّاهدان: فهما: ويتلوه شاهد منه، ومن قبل كتاب موسى إماماً ورحمة.

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: أي: يتبعه القرآن شاهد منه آيات القرآن التي تشهد على صدقه، ووحدانية الله وعظيم قدرته؛ آيات القرآن التي تدل على الإعجاز العلمي في الآفاق، وفي أنفسهم كما قال الحق سبحانه: ﴿سَرُّهُمْ عَايَتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]؛ ففي كلِّ زمان يظهر شاهد جديد على صدق القرآن، وعظمته، وأنّه منزل بالحق من الله سبحانه.

﴿وَيَتْلُوهُ﴾: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على التَّجَدُّد، والتَّكرار، والاستمرار إلى يوم القيامة، وأنَّ القرآن: هو المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة.

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾: ومن قبله: الهاء: تعود على القرآن العظيم، أو على محمّد ﷺ، أو كلاهما، ومن قبله كتاب موسى؛ أي: التَّوراة،



ومن قبله: قد تعود على الإنجيل، ومن قبل الإنجيل كتاب موسى التوراة شاهد على القرآن، أو على نبوة محمد ﷺ.

﴿إِمَامًا﴾: يُهْتَدَى به؛ أي: مصدر هداية، وإماماً: ليبشر بقدم الرسول محمد ﷺ.

﴿وَرَحْمَةً﴾: ذا رحمة؛ لأنه يجلب النفع، ويدفع الضرر، ووقاية من السيئات.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف: للخطاب.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: أصحاب موسى ﷺ، أو محمد ﷺ، أو أهل الحق من أمة موسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام، يؤمنون به: يصدقون بالقرآن العظيم.

﴿بِهِ﴾: تعود على القرآن، وعلى محمد ﷺ.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾: بالقرآن، ومحمد ﷺ، والكفر: هو السّتر؛ فالإيمان موجود قبل الكفر؛ لقوله: ومن يكفر به؛ أي: المكفور به الإيمان سابق على الكفر.

﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾: جمع حزب، والحزب: جماعة ملتفة على مبدأ، أو مبادئ واحدة، وتعني: جميع الملل من اليهود، والنصارى، وقريش، أو القبائل من الأعراب.

﴿فَالْتَأَرَوْا مَوْعِدَهُ﴾: أي: إليها مصيره.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾: من القرآن؛ لا تك، ولم يقل: ولا تكن؛ أي: حذف النون.



﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد. لا: الناهية.

﴿تَكُ﴾: في أدنى شك، أو في أي لحظة، أو طرفة عين في مرية منه.

﴿فِي مَرِيَّةٍ مِّنْهُ﴾: في: ظرفية. مرية: هي الجدل بعد ظهور الحق؛ أي: لا تجادلهم بعد ظهور الحق، أو في شك منه بعد ظهور الحق.

﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: إن: للتوكيد؛ أي: القرآن.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: الحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتغير أبداً.

﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا: النافية؛ لا يؤمنون: تكبراً، وعناداً، وكفراً، وتقليداً لأبائهم، وليس من قلة الآيات، والأدلة الشاهدة عليهم.

[١٨] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: الواو: استئنافية. من: اسم استفهام، وتقرير (يأتي بشكل السؤال حتى يُجيب المخاطب، ويقول: لا أحد؛ فتقام عليه الحجة)، والإقرار: هو سيد الأدلة؛ ليس هناك من أظلم ممن افترى على الله كذباً، وأظلم: على وزن أفعّل. والظلم: هو نقصان الحق، والخرج عن منهج الله تعالى، ويشمل ظلم النفس، وظلم الآخرين.

﴿مِمَّنِ﴾: أدغمت من الأولى بمن الثانية؛ من الأولى: ابتدائية، ومن الثانية: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: افترى: اختلق متعمداً الكذب.



﴿كَذِبًا﴾: نكرة يشمل كل أنواع الكذب، والقليل، والكثير، ولم يقل: الكذب (المعرف بأل؛ ويعني: كذباً معيناً).

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد.

﴿يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾: يعرضون من العرض: وهو إظهار الشيء الخفي؛ أي: يُظهر ما كانوا يخفون في الدنيا. يقفون صفوفاً أمام ربهم للحساب.

﴿عَلَى رَبِّهِمْ﴾: الرب: اشتقت من المربي: وهو القائم بتدبير أمورهم، وتصريفها، وهو خالقهم، ورازقهم.

﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾: جمع شاهد، أو شهيد؛ أي: الشَّهداء بالحق، والأشهاد: قد يكونون من الملائكة الحفظة، أو الرسل، والأنبياء، أو أهل العلم من أمة محمد ﷺ.

﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾: حين قالوا: اتخذ الله ولداً؛ أي: نسبوا له الولد، أو الشريك في الملك، أو الولي، أو حرم هذا ولم يحرمه، وأحل ذلك ولم يحله، وقالوا: هو من عند الله، وما هو من عند الله.

﴿هَؤُلَاءِ﴾: الهاء: للتنبيه، أو لاء: اسم إشارة يشار إليهم يوم العرض يوم القيامة؛ ليفضحهم، ويخزيهم؛ الذين كذبوا على ربهم.

﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: ألا: أداة تنبيه، واللعنة: تعني: الطرد من رحمة الله، والإبعاد، والقائل هنا قد يكون الحق سبحانه، أو الأشهاد، أو الملائكة، ولم يقل: ألا لعنة الله على الكاذبين؛ لأنّ الكذب جزء من الظلم فجاء بالذي هو أعم، فالكافرون أعم من الظالمين، والظالم تشمل كذلك المشرك، والظالم لغيره، والظالم لنفسه بالخروج عن منهج الله تعالى.

[١٩] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: اسم موصول؛ يفيد الذم.

لم يكتفوا بالكذب على ربهم؛ فهم كذلك يصدون عن سبيل الله، وسبيل الله دينه: وهو الإسلام؛ يحاربون، ويهاجمون؛ يمنعون الناس من الدخول في دينه، أو يشوهون سمعته، ويتهمون الإسلام بالتطرف، والعنف.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: يلتمسون لسبيل الله (دينه) الزَّيْغَ والتَّحْرِيفَ، ويريدون لأهل دين الله الضلال، ويتهمون الدِّينَ، وأهل العلم بالغلو، والانحراف، ويصفونه بالمعوج المنحرف المتطرف.

﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾: هم: ضمير الفصل؛ تفيد التوكيد، والباء: تفيد للإلصاق، والتوكيد؛ لأنهم افتروا على الله الكذب، وقاموا بالصد عن السبيل، ويبغونها عوجاً؛ فزاد توكيدهم بالكفر بالآخرة باستعمال هم: ضمير الفصل مرتين، وهم: الثانية تفيد زيادة التوكيد.

﴿كَافِرُونَ﴾: لا يؤمنون، لا يصدقون بالحساب، ولا بالبعث، أو بالجنة، أو النار.





سُورَةُ هُودٍ ١١

الْبُحْرَةُ الثَّامِنَةُ

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ
السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ
فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَخَبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى
وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ
﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرِيكَ إِلَّا بَشَرًا
مِثْلَنَا وَمَا نَرِيكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَذِبُوا
الرَّأْيَ وَمَا نَرِي لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَحْنُ لَكُمْ كَاذِبِينَ
﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَنِي رَحْمَةٌ
مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتُ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْ مُكْثُوهَا وَاتَمَلَّوهَا كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾



سورة هود [الآيات ٢٠ - ٢٨]

[٢٠] ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد يشير إلى الذين كذبوا على ربهم، وصدوا عن سبيل الله، وكفروا بالآخرة.

﴿لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾: لم: حرف نفى، معجزين: جمع مُعْجِزٍ في الأرض، والمُعْجِز: من لا تقدر عليه، ويستطيع الهرب؛ أي: يفلت منك، ولا تلحق به.

﴿لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: نفى عنهم صفة الإعجاز أصلاً؛ أي: لن يفلتوا من عذاب الله وعقابه.

﴿مُعْجِزِينَ﴾: جاء بالاسم الذي هو أثبت وأكد من الفعل.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾: حيث كانوا يعيشون، ولم يذكر السماء كما في سورة العنكبوت آية (٢٢)؛ لأن السياق في الآخرة، والموقف موقف محاسبة، أو إذا كانوا غير معجزين في الأرض؛ فكيف يكونون معجزين في السماء، وأما حين يذكر السماء كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [العنكبوت: ٢٢]؛ لأن سورة العنكبوت تدعوا إلى النظر والتدبر حيث قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [آية: ٢٠]، والتحدي أكبر، وأوسع، ويشمل السموات السبع حتى لا يظن أحد أنه إذا لم يستطع أن ينجو في الأرض



يمكن أن ينجو في السماء، ومنهم من قال: أن هذه الآية قد تشير إلى غزو الفضاء الذي بدأ ينتشر.

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة؛ ما: نافية.

﴿كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾: بالإضافة إلى عجزهم في الأرض ما كان لهم من غير الله من أولياء: جمع ولي: وهو المعين، والمحب، والناصر.
﴿مِنْ﴾: استغراقية؛ استغرقت النفي المطلق، وتفيد التوكيد، لا ولي، ولا اثنان، ولا أكثر من ذلك.

وعبارة من دون الله من أولياء؛ أي: في الدنيا.

﴿يُضَعِّفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾: لعظم كفرهم، وإضلالهم غيرهم، وصددهم عن سبيل الله، ويبغونها عوجاً.

﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾: قَدَّمَ السَّمْعَ عَلَى الْبَصَرِ؛ لأهمية السَّمْعِ عَلَى الْبَصَرِ، وكذلك من ناحية التشكل الجيني؛ فتشكل السَّمْع يكون قبل البصر، وكذلك من الناحية التشريحية: فموقع السَّمْع أمام موقع البصر. ارجع إلى سورة المُلْك، آية (٢٣)، وإلى سورة البقرة، آية (٧)؛ لمزيد من البيان.
﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾: رغم وجود آلة السَّمْع؛ فهم لم يستفيدوا منها بالاستماع إلى الرَّسُولِ ﷺ، وآيات القرآن؛ لكونهم يكرهون الاستماع للحق، وما أنزل الله.

﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾: أي: نفى عنهم السَّمْعَ أَوَّلًا، ونفى عنه البصر ثانياً، لا هذه، ولا هذه، ولا كلاهما؛ منهم لم يستفيدوا من سمعهم، ولا أبصارهم؛ فيؤمنون بالله ورسوله.



ولكن في الآخرة يتغير ذلك فيصبح سمعهم وأبصارهم كالحديد من شدتها، وحدثها؛ كقوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

[٢١] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (٢٠).

﴿أُولَئِكَ﴾: للتأكيد.

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بأن أوردوها النار.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾: أي: غاب عنهم، أو غابت عنهم أصنامهم، وأولياؤهم، ولم يهتدوا إلى أصنامهم، وكذلك أصنامهم لم تهتد إليهم.

﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: على الله من الكذب المتعمد بأن له شريكاً، وولداً، وأن الأصنام تستشفع لهم، وتقربهم عند الله زلفى، وغيره من الأكاذيب.

[٢٢] ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ﴾:

﴿لَا جَرَمَ﴾: حقاً، أو لا بُدَّ، أو لا محالة، وقد تحمل معنى القسم، وجَرَم معناها قطع، جرم يده: قطع يده، وجَرَم أذنْب، وجنى جنابة.

﴿أَنَّهُمْ﴾: أن للتوكيد.

﴿فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ﴾: جمع أخسر على وزن أفعل، وخاسر: اسم فاعل مأخوذ من الخسارة.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿الْآخَسِرُونَ﴾: هم أشد خسارة من الخاسرين، وعذابهم أشد ومضاعف، والآخرين؛ لأنهم كذبوا، وصدوا عن سبيل الله غيرهم، وابتغوها عوجاً. أمّا الخاسرون: فهم لم يصدوا غيرهم واكتفوا بعدم الإيمان بالآخرة،



واستحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، وأفسدوا في الأرض. ارجع إلى سورة النساء آية (١١٩)، والآية (٦٣) من نفس السورة للمقارنة.

[٢٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

مقابل الظالمين الذين صدوا عن سبيل الله ويغونها عوجاً الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: قرنوا الإيمان بالعمل الصالح، صدقوا بالله، واتبعوا ما أنزل الله ورسوله، وعملوا الصالحات.

﴿وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: أطاعوا أوامر الله تعالى في السر والعلن، وأخلصوا في توحيدهم؛ خافوا ربهم، والخبت: التواضع، والسكون (السكينة)، أو الطمأنينة إلى حكم الله وقضائه.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف: للخطاب.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾: الملازمون لها. ارجع إلى الآية (٤٢) من سورة الأعراف.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد.

﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾: الخلود: هو استمرار البقاء ابتداءً من زمن دخول الجنة.

[٢٤] ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾:

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾:

الفريق الأول: الظَّالِمُونَ، وَالَّذِينَ يَبْغُونَهَا عِوَجًا، وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ؛
حالهم يشبه حال الأعمى، وحال الأصم.

والفريق الثاني: الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ؛ حالهم يشبه حال البصير،
وحال السميع.

فعندنا أربعة تشبيهات؛ لكل فريق تشبيهان، ولو كان تشبيهاً واحداً لقال: مثل
الفريقين كالأعمى الأصم، والبصير السميع من دون الواو، والتقديم والتأخير في
السميع على البصير ليس له علاقة بالأفضل.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، وتعجب، ألا: أداة حَضٍّ
على التذكر.

﴿تَذَكَّرُونَ﴾: لم يقل: تتذكرون؛ أي: المسألة لا تحتاج إلى زمن طويل
للتذكر، والتفكير؛ لأنَّ أيَّ إنسان ذي لبٍّ، أو عقل لا يحتاج إلى طول تذكر،
أو تفكير؛ ليدرك أنَّ الأعمى، والأصم لا يستوي مع البصير والسميع، والإنسان
مطلوب منه أن يتذكر مسائل العقيدة بسرعة، وليس هو بحاجة إلى وقت طويل؛
لأنَّ مسائل العقيدة مستقرة في القلب، ولا تحتاج إلى طول تذكر، أو تفكير.

[٢٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: السلام: لام التوكيد. قد: حرف تحقيق. وإذا قارنا (ولقد) مع
قوله تعالى في سورة الأعراف آية (٥٩) (لقد) بدون الواو: نجد أن آية الأعراف
لم يتقدمها ذكر رسول، أو نبوة؛ فهو كلام ابتداء، أما في سورة هود، وسورة
المؤمنون، والعنكبوت، والحديد: فقد تقدمها ذكر رسول، والواو عاطفة، أو
استئنافية.



﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾: أرسلنا، ولم يقل: بعثنا. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿نُوحًا﴾: من سلالة إدريس، وإدريس: هو أبو جد نوح، وجاء في صحيح البخاري عن ابن عباس: كان بين آدم ونوح ما يقارب عشرة قرون؛ أي: (١٠٠٠ سنة)، ونوح كان أول الرسل من أولي العزم، وذكر اسمه في (٤٣) آية.

﴿إِلَى قَوْمِهِ﴾: الذين سكنوا شمال العراق ما بين دجلة والفرات، وهم من بقايا ذرية آدم الذين سكنوا مكة، ثم رحلوا إلى شمال العراق.

القوم هنا: تعني الرجال والنساء، والقبيلة، والعشيرة، وهنا ملاحظة يجب العلم بها: أن كلمة قوم دائماً يرد معها عقوبة في نهاية الآيات.

﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: لكم نذير من الله؛ الإنذار: هو الإعلام، والتحذير؛ أي: لأنذركم خاصة، أو أقول لكم منذراً بالإيمان بالله، والاستجابة له، وامثال أوامره، وعلى تجنب ما حرم عليكم.

﴿مُبِينٌ﴾: يعني: كل واحد يعلم أنه إنذار واضح، ولا يحتاج إلى بينة، وهو ألا تعبدوا إلا الله.

[٢٦] ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾:

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري؛ يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾: لا: الناهية؛ تعبدوا إلا: أداة حصر؛ الله حيث كانوا يعبدون أصناماً كثيرة؛ مثل: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر... وغيرها، ولمعرفة معنى العبادة: ارجع إلى الآية (٢) من نفس السورة.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾: أليم تعود على العذاب، وليس اليوم.
 ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾: عذاب أليم يوم الطوفان، أو أحذركم يوم الطوفان،
 وأحداثه.

[٢٧] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنِكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنِكَ
 أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِادِي الرّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ
 كَذِبِينَ﴾:

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾: الفاء: تدل على التعقيب، والمباشرة
 مجرد ما دعاهم إلى عبادة الله وحده مباشرة، قال الملأ الذين كفروا من قومه:
 الملأ: أشرف القوم، وزعماء القوم وأعيانهم الذين يملؤون أعين الناس مهابة
 واحتراماً. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٧٥، ٨٨)؛ للبيان.

﴿مَا نَرْنِكَ﴾: ما: النافية؛ نراك: رؤية بصرية.

﴿إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾: البشر: يعني الإنسان، وسمي بشراً لكونه ظاهر على
 الأرض بعكس الجن الذي يمتاز بالخفاء؛ إلا: أداة حصر؛ أي: حصراً أنت بشر
 مثلنا لا مزية لك علينا، ولا فضل يعطيك حق النبوة، أو تكون رسولاً علينا.

﴿وَمَا نَرْنِكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِادِي الرّأْيِ﴾: الرّؤية هنا قد لا
 تدل على الصّواب والحقيقة؛ فالرّؤية تحيط بظواهر الأمور؛ فهم حكموا بظواهر
 الأمور.

﴿إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا﴾: إلا: أداة حصر.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول تشير إلى الأراذل.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.



﴿أَرَادُنَا﴾: مفردها رذل: الدون من كل شيء، وتعني: السفلة، أو أحقر الناس في أعينهم، والحقيقة هم أفضل الناس، وأفضل منهم خاصة.
﴿بَادَى الرَّأْيِ﴾: الذين لا رؤية لهم؛ أي: سطحيو النظر، لا يفكرون، ولو أمعنوا النظر لما اتبعوك.

﴿وَمَا زَيْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾: من فضل: من: ابتدائية.
﴿فَضْلٍ﴾: أي: زيادة تؤهلكم للنبوة؛ مثل: المال، أو فضل في الخلق، أو الملك، أو الجاه.

﴿بَلْ نُنَبِّئُكُمْ كَذِبًا﴾: بل: حرف إضراب إبطالي.
﴿نُنَبِّئُكُمْ﴾: الظن: هو أنا نحسبكم، أو نرجح أنكم كاذبون.
[٢٨] ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنبَغٍ مِّن رَّبِّي وَءَاثَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنزَلْنَاهُ وَأَنْتُمْ هَٰكَرِهُونَ﴾:

﴿قَالَ يَقَوْمِ﴾: يا: النداء، كلمة قومي فيها بعض الحنان على قومه، والاستعطاف.

﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: الهمزة استفهام، وتعجب، وتقرير، والرؤية رؤية قلبية، أو فكرية؛ بمعنى: العلم، وبشكل مؤكد.

﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنبَغٍ مِّن رَّبِّي﴾: إن: شرطية. البينة: الحجة الدامغة، والبرهان الذي يثبت صحة ما أقول، وقال: بينة من ربي، ولم يقل: بينة من ربكم؛ لأن البينة جاءت إليه، ولم تجئ إليهم، وهم لم يؤمنوا بعد ليقول: ربكم.

﴿وَأَنَا نِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ﴾: وآتاني: من الإيتاء: وهو عطاء بدون تملك، ويشمل الإيتاء الحسي والمعنوي، وهو أشمل من العطاء؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) لمزيد من البيان، والفرق بين العطاء والإيتاء. وبما أن الكلام عن

الرَّحْمَةِ؛ فَقَدْ قَدَّمَهَا عَلَى مَنْ عِنْدَهُ، وَلَمْ يَقُلْ: وَأَتَانِي مِنْ عِنْدِهِ رَحْمَةٌ، وَرَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ، وَلَمْ يَقُلْ: رَحْمَةٌ مِنْهُ؛ لِأَنَّ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ أَخْصَّ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ خُصُوصِيَّاتِ الْقُرْآنِ، أَمَّا رَحْمَةٌ مِنْهُ: فَهِيَ رَحْمَةٌ عَامَةٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَالْكَافِرِ، وَرَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ؛ تَعْنِي: النَّبُوَّةَ، وَالرَّحْمَةَ: هِيَ كُلُّ مَا يَجْلِبُ مَا يَسَّرُ وَيُدْفَعُ مَا يَضُرُّ.

﴿فَعُمِّتَ عَلَيْكُمْ﴾: أَيُّ: أَخْفَيْتِ وَأُبْهَمْتَ وَلَمْ تَعْلَمُوها، وَالتَّبَسَّتْ عَلَيْكُمْ؛ وَعُمِّتَ مِنَ الْعَمَى عَمَى الْبَصِيرَةِ؛ أَيُّ: لَمْ تَفْهَمُوها؛ عُمِّتَ بِالتَّضْعِيفِ، وَلَمْ يَقُلْ: عَمِّتَ.

﴿أَنْزَلْنَاهُ مَكْمُوهًا﴾: أَيُّ: أَنْزَلْنَاهُ مَكْمُومًا قَبُولُهَا، وَالْهَمْزَةُ: هَمْزَةُ اسْتِفْهَامٍ إِنْكَارِيٍّ؛ أَيُّ: لَا نَقْدِرُ أَنْ نُنْزِلَ مَكْمُومَ أَنْفُسِنَا، وَأَنْتُمْ غَيْرُ رَاغِبِينَ فِي قَبُولِهَا، أَوْ كَيْفَ أَوْصَلَهَا إِلَيْكُمْ، وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ، وَهِيَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ، أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

﴿وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾: كَارِهُونَ: جُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ؛ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ (كَارِهُونَ) صِفَةٌ ثَابِتَةٌ: تَدُلُّ عَلَى التَّجَدُّدِ، وَالتَّكْرَارِ، فَرُبَّمَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَوْصَلَهَا لَكُمْ، أَوْ تَقْبَلُوا بِهَا. أَنْزَلْنَاهُ مَكْمُوهًا: جَاءَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ بَعْدَ أَنْ رَفَضَ قَوْمُ نُوحٍ الْاسْتِجَابَةَ لِدَعْوَتِهِ؛ فَأَحْسَّ نُوحٌ بِالصَّعُوبَةِ الشَّدِيدَةِ فِي إِبْلَاغِهِمُ الدَّعْوَةَ؛ فَأَصْبَحَتْ كَأَنَّهَا مُسْتَحِيلَةٌ؛ لِأَنَّكَ تَرُغِمُ إِنْسَانًا عَلَى شَيْءٍ، وَهُوَ كَارِهٌ لَهُ، كَافِرٌ بِهِ.

فَجَاءَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ لِتُعْبَرَ عَنْ هَذِهِ الْحَالَةِ الَّتِي تَمْتَازُ بِالْإِكْرَاهِ، وَمَحَاوَلَةِ إِبْلَاغِ الشَّيْءِ إِلَى مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ، وَيَرْفُضُهُ؛ فَبَدَأَتْ بِهَمْزَةِ الْاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ، وَفِيهَا ضَمِيرَانِ: الْكَافِ، وَالْهَاءُ، وَأَشْبَعَتِ الْمِيمُ الْمَضْمُومَةُ؛ فَأَصْبَحَتْ وَאוּ، وَفِيهَا فَعْلٌ وَفَاعِلٌ، وَمَفْعُولٌ بِهِ أَوَّلٌ، وَمَفْعُولٌ بِهِ ثَانٍ.





الجزء الثاني عشر

سورة هود ١١

وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا
 أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقَوْنَ بِهِمْ وَلَكِنِّي أَرْكُمُ
 قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقَوْمٍ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طُرِدْتُمْ
 أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا
 أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي
 أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا
 لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
 جِدْلَنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ
 إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ
 نُصْحِي إِن أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ
 هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبَهُ
 قُلْ إِن أَفْتَرَيْتُهُ، فَعَلَى إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾
 وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ
 فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا
 وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾



سورة هود [آيات ٢٩ - ٣٧]

[٢٩] ﴿وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَإِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرِيتُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾:

﴿وَيَقَوْمٍ﴾: نداء فيه رقة، وحنان لقومه.

﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ﴾: لا: النافية.

﴿أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ﴾: على تبليغ الرسالة، أو الدعوة للإيمان.

﴿مَا لَآ﴾: ولم يقل تعالى: ولا أسألكم عليه أجراً هنا حدّد نوع الأجر، ولو قال: لا أسألكم عليه أجراً (لم يحدّد قد يكون مالاً، أو غير المال)، والأجر أعم من المال.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾: إن: نافية، وأقوى في النفي من (ما)، أجري: والأجر يعقب العمل، وقد يكون في الدنيا، أو في الآخرة، ولا يأتي الأجر إلا في سياق الخير، ولذلك جاء بها ليؤكد لهم أنه لن يطالبهم بأيّ أجر.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ جاءت بعد نفي تؤكد الحصر؛ فقط أجري على الله وحده، والأجر يكون مقابل عمل، والأجر: هو ثواب عن عمل دنيوي، والأجر؛ يعني: النفع دائماً، وأمّا الجزاء: فقد يستخدم في النفع، والضّر، وهو أعم من الأجر، والجزاء: يكون على عمل سيئ، أو صالح.



﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: ردُّ على قولهم: أنؤمن لك واتبعك الأرذلون؟ وما: الواو استئنافية؛ ما: النافية.

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: ولو بشكل عارض، أو مؤقت؛ أي: لا يمكن أن أطردهم مهما كان السبب، لا في الماضي، ولا في المستقبل، ولو قال: بطاردٍ؛ لكان يعني: في المستقبل، ويحتمل أن يكون قد طردهم في الماضي.

﴿إِنَّهُمْ مُّكْفَرَاتِهِمْ﴾: إنهم: إن: للتوكيد.

﴿مُكْفَرَاتِهِمْ﴾: أي: كيف أطردهم، وهم سيلقون ربهم، ويخبرونه بما فعلت بهم، ويحاسبني على طردهم، وظلمهم، ومن ينصرني من الله إن طردتهم؛ فهو يدرك أنه سيحاسب، ولو كان رسولاً.

﴿وَلَكِنَّكُمْ أَتَمَّ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾: تجهلون حين تسألوني أن أطردهم. ارجع إلى آية الأعراف، آية (١٣٨)؛ لمقارنة قول موسى ﷺ: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ﴾، وقول لوط ﷺ: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]. ارجع إلى سورة الزمر آية (٦٤) لبيان تجهلون، ومعنى الجهل.

[٣٠] ﴿وَيَقَوْمٌ مِّنْ يَّصْرُفِي مِّنْ آلِهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾:

﴿وَيَقَوْمٌ مِّنْ يَّصْرُفِي مِّنْ آلِهِ﴾: من: استفهامية، يا قوم: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿مِّنْ يَّصْرُفِي مِّنْ آلِهِ﴾: أي: من ينجيني من عذاب الله إن طردتهم؛ هذا هو السبب الثاني، والسبب الأول: أنهم ملاقو ربهم، والأمر ليس بيدي.

﴿إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾: إن: شرطية؛ تعني، ولو مرة واحدة، وتفيد الشك في حصول ذلك. ولو قال: من ينصرني من الله إذا طردتهم؛ لكانت تعني: مرات عديدة، أو حتمية الحدوث.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري تذكرون؛ ألا: أداة حث، وتحريض على اليقظة، والتذكر؛ لأن هذا الأمر واضح، ولا يحتاج إلى طول تفكير، فلا تنسوا ذلك، واتعظوا إن طردهم ليس بأمر حكيم، وله عواقبه.

في سورة هود هذه قال تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وفي سورة الشعراء آية (١١٤) قال تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ المؤمنين: تدل على ثبوت صفة الإيمان عندهم.

في سورة هود: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: أي: الذين إيمانهم يتجدد، ويتكرر؛ فهم أقل درجة من المؤمنين؛ فهو يعلن لهم لن يطرد أحداً مهما كان نوع إيمانه.

[٣١] ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استثنائية؛ لا: النافية تنفي كل الأزمنة وتنفي الجنس، وتنفي الإطلاق، والعموم، وأوسع حروف النفي؛ أي: لا أقول لكم على وجه الاستمرار (الآن وفي المستقبل).

﴿أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾: أي: لا أقول لكم خاصة فيها توذد وحنان.

﴿عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾: أي: كل أنواع النعم، والخيرات، والرزق، أو خزائن الذهب، والفضة لكي تحثكم إلى اتباعي، أو تدعو الفقير منكم إلى الاستجابة لدعوتي. وخزائن الله كما بين الإعجاز العلمي: أن هذه الخزائن موجودة في النجوم. ارجع إلى سورة الحجر، آية (٢١)، وسورة الأنعام، آية (٥٠)؛ لمزيد من البيان.



﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾: أي: أنا بشر رسول، ورغم ذلك لا أعلم الغيب؛ حتى تتبعوني كي أدلكم عليه، وأعلم ماذا سيحصل لكم، ويحل بكم.

﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾: أي: من الملائكة إنما أنا بشر، وقد يظن السامع لهذه الآية: أن الملائكة أفضل من الرسل، والأنبياء، وهذا ليس بضروري، وإنما قال نوح ذلك حين قالوا له ما نراك إلا بشراً، ولأن قومه ظنوا أن الرسل لا يكونون من البشر إنما من الملائكة، أو لا أدعي أنني من الملائكة، وجئتكم على صورة بشر، وتكرار لا ثلاث مرات: للتوكيد، ونفي كل واحدة من هذه الأمور على حدة، وكلها معاً.

وقول: يا قوم لا أقول لكم: فيها رقة، وحنان، وتلطف؛ كأسلوب يجب اتّباعه في الدعوة إلى الله، ونشر دينه من قبل الدعاة.

﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾: ولا: الواو: استئنافية؛ لا: النافية.

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾: أي: تحتقر أعينكم؛ لفقرهم، أو مكائتهم، والازدراء من زرى عليه؛ أي: عابه، وتزدري أعينكم جاءت بصيغة المضارع التي تدل على التجدد، والتكرار، والاستمرار في الازدراء؛ أي: ازدراؤهم لم يتوقف بعد، ولم يقل: ازدرت أعينكم وانتهى الأمر، ولم يقل: للذين تزدرونهم؛ إكراماً لهم.

﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾: لن: حرف نفي للمستقبل القريب، أو البعيد؛ أي: لن يؤتيهم الله خيراً قريباً، أو في المستقبل القريب؛ أي: في الدنيا، أو في المستقبل البعيد؛ أي: الآخرة، والخير: هو الحلال الطيب، الحسن، النافع.

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: أنفسهم: جمع قلة؛ لأنه يتحدث عن الذين آمنوا من قومه؛ نفوسهم: جمع كثرة، تعني: كل النفوس على الإطلاق.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق.

﴿فِي﴾: ظرفية، وجاء بكلمة الله، ولم يقل: ربهم أعلم بما في أنفسهم؛ لأنَّ السَّيَاقَ، والمقام: هو سياق الدَّعوة إلى الله.

﴿إِنِّي﴾: إني: للتوكيد.

﴿إِذَا﴾: حرف جواب.

﴿لَئِنْ﴾: السلام: للتوكيد؛ من الظَّالِمِينَ: أي: إن قلت لهم لن يؤتيهم الله خيراً.

﴿الظَّالِمِينَ﴾: جمع ظالم؛ الظَّلم هنا: يعني نقصان حقهم، ويعني: الجور، والعدول عن الحق.

[٣٢] ﴿قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِمَا نَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾:

﴿قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا﴾: قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿جَدَلْتَنَا﴾: من الجدَل، وهو الحوار الذي يحدث بين طرفين أو أكثر؛ لإظهار حُجة، أو لدفع شبهة، أو إثبات حق، وقد يحدث فيه مشادة كلامية؛ فهو حوار غير هادئ.

والمرء: هو الجدال بعد ظهور الحق، وقد يستعمل للوصول إلى الحق؛ كقوله: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].



أما الحجاج: هو إظهار حجة الخصم على الخصم.

﴿قَدْ جَدَلْنَا﴾: لم يقل: لما تجادلنا؛ ليدل على أن نوح هو الذي كان يلاحقهم، ويجادلهم، وهم لا يريدون الكلام إليه.

﴿فَاكْثَرْتِ جَدَلَنَا﴾: يعني: أن نوحاً هو الذي كان يجادلهم، ويكثر جدالهم، وهم كانوا يهربون منه، ويجعلون أصابعهم في آذانهم، ويستغشون ثيابهم كي لا يسمعوأ دعوته.

﴿فَأَيْنَا يَمَآ تَعْدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾: هنا تبدأ مرحلة التّحدي؛ فقد انتهت مرحلة التّكذيب، وعدم التّصديق، وبما أن نوحاً عاش بينهم (٩٥٠ عاماً) يدعوهم؛ فأصبحوا غير مكترئين به، وبدعوته، وبوعيده.

﴿فَأَيْنَا يَمَآ تَعْدُنَا﴾: ولم يقل: وعدتنا، بل قال: تعدنا؛ فعل مضارع يدل على التّجدد، والتّكرار؛ لأنّه كان يكرر، ويكرر، ويحذرهم المرات العديدة، أما وعدتنا فتعني: مرة، أو مرتين.

﴿يَمَآ﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد. ما: اسم موصول؛ تعني: الذي تعدنا، وهو العذاب.

﴿إِن كُنْتَ﴾: إن: شرطية؛ تحتل الشك، والاحتمال أن تكون من بين الصادقين في إنذارك، ووعيدك، وكلامك.

[٣٣] ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾:

﴿قَالَ إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد الحصر، والتّوكيد؛ أي: هو الله حصراً يأتكم به؛ أي: العذاب؛ أي: بيده الأمر، وليس بيدي، ولا بيد غيري.

﴿يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾: كما تشاؤون بناءً على طلبكم؛ تقديم (به).

﴿بِهِ﴾: تعني: العذاب؛ به: جار ومجرور، وتقديمه يدل حصرًا، وقصرًا الله وحده يأتيكم به، ولو قال: يأتيكم الله به؛ فهذا يعني: الله سبحانه يأتيكم به، وهناك آخرون غير الله يأتون به، وهذا غير صحيح.

﴿إِنْ شَاءَ﴾: إن: شرطية. شاء: إذن، أو أراد.

﴿وَمَا أَنْتُمْ﴾: الواو: واو الحال: للتأكيد. ما: النافية للحال، والاستقبال.

﴿بِغَيْرِزَيْنَ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد. معجزين: الآن، ولا في المستقبل. ارجع إلى سورة يونس، الآية (٥٣)؛ للبيان.

[٣٤] ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾: ولا: الواو: عاطفة، لا: النافية.

﴿يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾: النصح: الإرشاد، والدلالة على الخير.

﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾: إن أردت أن: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد.

﴿أَنْصَحَ لَكُمْ﴾: أنصح: فعل مضارع؛ يدل على التجدد، والاستمرار؛ نصح له، ونصحه نصحاء، ونصيحة: تحري ما يصلح له، وأراد له الخير، والنفع، ودله عليه.

﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾: هل يغوي الله سبحانه عباده؟ حاشا لله.

والغواية: هي الضلال، والبعد عن الصراط المستقيم؛ أي: الهلاك، والفساد. ارجع إلى سورة الحجر، آية (٤٢)؛ لبيان معنى: الغواية.

﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾: يضلكم، أو يهلككم، وهذا غير صحيح،



وغوى: بمعنى: خاب، وضل، وانهمك في الجهل، وغابت عنه الحجة، وضاع ونسي.

الجواب: إن الله سبحانه لا يغوي أحداً من البشر، وإنما يترك له الخيار ليختار: إما طريق الهداية، وإما طريق الضلال؛ فإن سار في طريق الضلال، واختار ذلك لنفسه، واستمر هذا الإنسان العاصي الكافر في طريقه، وأصر على ذلك؛ فالله سبحانه يتركه وشأنه، ويخلي بينه وبين ما يريد من الضلال، والإغواء، وحين يصبح، أو يصل درجة عالية من الضلال، والإغواء؛ حينئذ لا تنفعه نصيحة الناصحين، سواء من رسول، ولا نبي، ولا أحد.

ومعنى الآية الإجمالي: لا ينفعكم نصحي مهما حاولت من النصيحة، والنصح لكم إن كان الله سبحانه يريد أن يترككم في ضلالكم، وغوايتكم التي أنتم مصرون عليها.

﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾: هو: ضمير فصل للحصر.

﴿رَبُّكُمْ﴾: أولى بكم إن يشأ يعذبكم، أو إن يشأ يرحمكم؛ أي: المربي، والمدبر، والحاكم.

﴿وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: إليه وحده؛ تقديم الجار والمجرور: يفيد الحصر، والقصر إليه وحده مرجعكم؛ إليه ترجعون رغماً عن إرادتكم.

[٣٥] ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ، فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُخْتَرُمُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي، أم منقطعة، والهمزة: للاستفهام.

جاءت هذه الآية في وسط قصة نوح، أو خلال قصة نوح؛ لأن كفار قريش

لم يصدقوا رسول الله ﷺ حين كان يخبرهم عن قصة نوح، وقالوا: إِنَّ مُحَمَّدًا افترى هذه القصة؛ فجاء الرد على ذلك من الحق سبحانه.

﴿قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿إِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشك.

﴿إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ﴾: أي: اختلقت هذه القصة، وهي كذب؛ فعليّ إجرامي، والافتراء: هو الكذب المتعمّد المختلق.

﴿فَعَلَيّْ إِجْرَامِي﴾: عليّ عقوبة ذنبي، وعقوبة افترائي؛ لأن من يفترى على الله تعالى هو مجرم.

﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُجْرِمُونَ﴾: وإن لم أفتر عليكم؛ فعليكم عقوبة إجرامكم، وأنا بريء مما تجرمون (تشركون، تكفرون).

﴿يُجْرِمُونَ﴾: جاءت بصيغة المضارع التي تدل على التجدد، والتكرار، واستمرارهم في إجرامهم، وهو ليس إجرام واحد، بل إجرام في كثير من الأمور، ولو كان إجرام واحد لقال: أنا بريء مما أجرمتهم. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٥) من سورة سبأ وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَنَا عَنْ آجْرِنَا وَلَا نُسْأَلُ عَنْمَا تَعْمَلُونَ﴾، ولم يقل عما تجرمون؛ لأن هذه الآية في سورة سبأ جاءت في سياق الدعوة إلى الله والتبليغ لكي يحبب قلوبهم للإيمان، وآية هود تخص نوح، وآية سبأ تخص رسول الله ﷺ.

[٣٦] ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا نَبْتَئِسُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾:

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ﴾: الوحي: إعلام خفي بطريقة الوحي من عالم الغيب



سبحانه من علمه الأزلي أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، ولمعرفة معنى الوحي: ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣).

﴿أَنَّهُ لَنَ﴾: للتوكيد؛ حرف مشبه بالفعل؛ لن: نافية تنفي المستقبل القريب، والبعيد.

﴿يُؤْمِنُ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿مَنْ قَدْ﴾: تحقيق للتوكيد.

﴿ءَامَنَ﴾: وقيل: كانوا حوالي (٨٠) فرداً، كما قال ابن عباس، ومنهم أولاده الثلاثة: سام، وحام، ويافث، وزوجاتهم.

﴿فَلَا بُتَيْسَ﴾: الفاء: رابطة لجواب شرط مقدر تفيد التوكيد؛ لا: النافية.

﴿بُتَيْسَ﴾: تحزن؛ يقال: ابتأس الرجل إذا بلغه خبر يكرهه، والابتئاس: هو الحزن المحبط.

﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾: من الشرك، وعدم الإيمان، ولم يقل بما كانوا يعملون؛ لأن من خصائص القرآن لا يستعمل مع العقوبات، أو في سياق العقوبات، وإهلاك الأمم السابقة؛ إلا كلمة (فعل) مثل قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾، كذلك نفعل بالمجرمين.

عندها دعا نوح على قومه؛ فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٦١) إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يُضِلُّوْا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا.

[٣٧] ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾:

﴿وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ﴾: والفلك: تطلق على المفرد، والمثنى، والجمع،

وللمذكر والمؤنث، واصنع: الصَّنْع: هو الإحداث، والإنشاء، والصَّنْع: هو إجادة العمل والإتقان والمهارة.

﴿بَاعِثُنَا﴾: تحت رعايتنا، ومراقبتنا، وحفظنا، وجاء بصيغة الجمع؛ للدلالة على كثرة العناية، والاهتمام، وكمال الحفظ، والرعاية الإلهية.

﴿وَوَحِّينَا﴾: إليك كيف تصنعها.

﴿وَلَا تَخْطِئُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: لا: النّاهية؛ أي: أنهاك؛ أي: لا تطلب المغفرة، أو تدعوني لرفع العذاب عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، والشرك، والمعاصي، أو تأخيرهم، أو إمهالهم، أو أي شيء آخر.

﴿إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿مُّغْرَقُونَ﴾: محكوم عليهم بالإغراق، والموت؛ مغرقون: صفة ثابتة تدل كآته حصل الإغراق، وانتهى الأمر، انتبه إلى قوله: واصنع الفلك: فعل أمر، ولم يحدّد متى يصنع الفلك.





سُورَةُ هُودٍ ١١

الْبَقَرَةُ الثَّانِيَّةُ

وَيَصْنَعُ الْفُلُكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا
مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا
مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
وَمَنْ أَمِنَ وَمَاءَ أَمِنَ مَعَهُ إِلَّا لَاقِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا
فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبْنَاهَا وَمُرسَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ
تَجْرَى بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ
فِي مَعَزِلٍ يَنْبَغِي أَنْ يَكُنْ مَعَهُ وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَاوِيَ إِلَى جِبَلٍ يَئِصُّنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ
الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ
مِنَ الْمَغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَتَارِضْ أَبْلَعِ مَاءَكَ وَبَسْمَاءُ
أَقْلَعِي وَغِيصُ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ
بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ
ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾



نصبت
الحديث
٢٢٣

سورة هود [الآيات ٣٨ - ٤٥]

[٣٨] ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأْتُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُونَ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾:

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾: فعل مضارع؛ يعني: يصنع الفلك الآن، ويدل على أن الصّنع بدأ منذ حين ومستمر، وأمّا في سورة المؤمنون، الآية (٢٧): ﴿أَنۡ أَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾؛ أي: في المستقبل، وأتى بصيغة المضارع، ولم يقل: وصنع الفلك (يسمى حكاية الحال)؛ ليتصور المستمع عملية الصّنع؛ كأنها تجري أمامه، ونوح الذي ليس له خبرة في صناعة الفلك، وكأنّه مهندس مختص رغم أنّه لم يصنع أيّ فلك من قبل.

﴿وَكُلَّمَا﴾: الواو: حالية؛ كلما: ظرف زمان.

﴿مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأْتُ مِنْ قَوْمِهِ﴾: ولم يقل: مر به؛ لأنّه كان يصنع الفلك في مكان منخفض من الطريق الذي يمرون به.

﴿سَخِرُوا مِنْهُ﴾: استخفوا به، ضحكوا منه، أو استهانوا به، والسخرية: خاصة بالأشخاص، وأمّا الاستهزاء عام في الأشخاص وغير الأشخاص بالله، وآياته، ورسوله، وبالجنة، والنار، والزقوم... وغيره؛ ارجع إلى الآية (٧٩) من سورة التوبة؛ لمزيد من البيان.

ولأنّه كان يبني سفينة في البر بعيدة عن البحر، أو أيّ ماء، وأخبرهم أنها ستجري على الماء، وهم لم يروا سفينة قط.



﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا﴾: إن: شرطية؛ تفيد الشك، أو الاحتمال، ولم يقل: إن تسخروا مني؛ لأنه شمل نفسه والمؤمنين الذين آمنوا معه؛ لأنهم كانوا يسخرون من الكل، تسخروا: فعل مضارع؛ يدل على التجدد، والتكرار؛ فالسخرية مستمرة، ولم تنته، ولم يقل: سخرتم.

﴿فَإِنَّا نَسْخَرُهُمْ﴾: أي: يوم القيامة، أو عندما يأتي الطوفان.

﴿كَمَا تَسْخَرُونَ﴾: الآن، كانوا يقولون: رسول تحول إلى نجار، أو كيف ستسير هذه الفلك، أو السفينة على الماء، الكاف: كاف التشبيه.

[٣٩] ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾:

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: للتوكيد؛ سوف: ظرف للاستقبال البعيد، والتراخي. وإذا أردنا مقارنة (فسوف تعلمون) مع (سوف تعلمون) في الآية (٩٣) من نفس السورة، وكذلك مع الآية (٣٩) من سورة الزمر؛ ارجع إلى سورة الزمر آية (٣٩) للبيان.

﴿تَعْلَمُونَ﴾: بعد فترة من الزمن، وهذا يدل على نوح ﷺ يعلم أن العذاب الطوفان قادم.

﴿مَنْ يَأْتِيهِ﴾: من: اسم استفهام، أو اسم موصول، وتفيد الابتداء.

﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: يفضحه، ويذله في الدنيا، ولا يستلزم الثبات؛ فقد يأتي ويذهب.

﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: في الآخرة، لا يتحول، ودائم، ويحل ضد الرّحيل، وتفيد النزول من أعلى، حل بالمكان: نزل ليقيم فيه؛ أي: هناك عذابان، وليس عذاباً واحداً. ارجع إلى سورة الزمر آية (٤٠) لمعرفة الفرق بين يحل عليه عذاب مقيم، ويأتيه عذاب مقيم.



[٤٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾:

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية نهاية الغاية؛ أي: يصنع الفلك حتى جاء موعد الطوفان.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية متضمنة معنى الشرط، وتدل على حتمية الحدوث.

﴿جَاءَ أَمْرُنَا﴾: الأمر هنا المقصود به العقوبة (الطوفان)، أو العذاب إهلاكهم بالطوفان، وجاء: تحمل معنى الصعوبة، والمشقة مقارنة بكلمة أتى التي تحمل معنى المجيء بسهولة، والطوفان أمر ليس سهل فهو مخيف، ومرعب، وفيه الهلاك، والغرق.

﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾: التفسير القديم: التنور تنور الخبز، فار التنور: نبع الماء منه، وكانت هذه علامة على بدء الطوفان، وعلامة لنوح، والذين آمنوا أن يتجهوا إلى الفلك حالاً؛ فقد جاء موعد الإبحار، وتصور كيف ينبع الماء من تنور الخبز؛ فهذه معجزة تذكرنا بكيفية نبع الماء من بين أصابع الحبيب محمد ﷺ، وتدل على عظمة الله تعالى وقدرته.

أما التفسير العلمي، وفار التنور: أي: يثور البركان، وتخرج الحمم منه، وبخار الماء الشديد، ويتحول إلى مطر غزير، يصحب ذلك هزة أرضية تشبه (التسونامي) ترفع السفينة كالموج الذي يشبه الجبال عشرات الأمتار.

﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: قلنا، ولم يقل: قيل؛ تدل على العناية، والرّحمة بنوح، والذين آمنوا معه؛ حيث أسند القول إليه سبحانه، وبصيغة الجمع؛ للتعظيم.

﴿احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾: احمل فيها: في الفلك. وفي سورة المؤمنون



آية (٢٧) قال تعالى: ﴿فَأَسْلَفَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾، السلوك: الدخول بسهولة، والحمل يكون بعد الدخول، فأية هود جاءت في سياق الحمل، وآية المؤمنون جاءت في سياق الدخول والاستواء والنزول.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية.

﴿كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾: ذكر وأنثى، واحمل فيها ما تحتاجه من طعام، وشراب، ومتاع، ولا تعني: احمل فيها من كل أنواع الحيوانات، والنباتات؛ فهذا أمر مستحيل؛ لكون الفلك كان لا يزيد طولها عن (١٥٠ ذراعاً)، وعرضها (٥٠ ذراعاً)، وتعني: احمل فيها الزوج والزوجة (ذكر وأنثى).

وقيل: كانوا قلة عددهم (٣٠-٨٠).

وأما من فسر ذلك: احمل فيها من جميع أصناف الحيوانات، والنباتات؛ فقد قدر العلماء: أن هناك أكثر من (١٢) ألف مليون كائن حي، وهذا من المستحيلات، وكيف يجلب معه الحيوانات المفترسة ويضعها مع الحيوانات الأهلية.

﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾: القول: العذاب، والهلاك بالغرق؛ مثل: كنعان، وزوجة نوح.

﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَأْءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: أي: احمل فيها من كل زوجين اثنين، وأهلك.

﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾: ما: النافية.

﴿وَمَأْءَامَنَ مَعَهُ﴾: مع نوح.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿قَلِيلٌ﴾: قيل: (٧٢) رجلاً وامرأة، ونوح وعائلته وأولاده يصبح العدد حوالي (٨٠) كما قال ابن عباس رضي الله عنه.

[٤١] ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسِنَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا﴾: القائل: نوح عليه السلام؛ لمن آمن معه.

﴿أَرْكَبُوا فِيهَا﴾: ولم يقل: عليها؛ فيها: لأنَّ الفلك كانت مركبة من عدة طبقات (أدوار)؛ فهي كالظرف لهم.

﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسِنَهَا﴾: مَجْرِبُهَا: تقرأ قراءات مختلفة؛ منها: بفتح الميم، وكسر الراء، ومَجْرُها: بضم الميم، ومُجْرِبُها، ومَجْرُها، ومَرْساها، مَجْرُها: مصدر (من فعل جري): اسم زمان، واسم مكان، زمان الجري، ومكان الجري، ومنهم من قرأها مُجْرِبُها، ومُرسِنُها: بضم الميم، وبياءين.

﴿وَمُرسِنَهَا﴾: ولها قراءات مختلفة؛ باسم الله مجريها ومرساها؛ قد تعني:

باسم الله جريانها، وإرساؤها.

باسم الله جريها، وأرساها.

بسم الله تجري، وباسم الله ترسو.

﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: إنَّ: للتوكيد.

﴿لَغَفُورٌ﴾: اللام: تفيد التوكيد.

﴿إِنَّ رَبِّي﴾: أي: هو الربان الحقيقي؛ فهو يُزجي السفينة إلى مسارها الصحيح، ولولا رحمته؛ لما نجا أحد.



[٤٢] ﴿وَهُي تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ﴾:

﴿وَهُي تَجْرِي بِهِمْ﴾: أي: السفينة (الفلك).

﴿تَجْرِي بِهِمْ﴾: بنوح، ومن آمن معه، جاء بصيغة المضارع بدلاً من جرت؛ ليصور لنا جريان السفينة أمام أعيننا في وسط هذه الأمواج العالية.

﴿فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾: للدلالة على شدة ارتفاع الموج، وشدة الرياح، وشدة الطوفان.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾: هذا ما نراه عند حدوث هزة أرضية شديدة تشبه (التسونامي) الذي يرفع الموج عشرات الأمتار.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾: نادى: تدل على أن الابن كنعان كان بعيداً؛ لأن النداء: هو رفع الصوت.

﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾: المعزل: اسم مكان منقطع؛ عزل نفسه فيه، وابتعد عن أبيه، وإخوته.

﴿يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا﴾: يا بني: نداء فيه عطف وحنان، والواجب: أن ينادي الابن أباه، وإذا نادى الأب ابنه؛ كان على الابن أن يستجيب لنداء أبيه، ولكنه عصى على بصيرته، فلم يستجب.

﴿أَرْكَبَ مَعَنَا﴾: تعال، واركب معنا في الفلك.

﴿وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ﴾: ولم يقل: ولا تكن من الكافرين، هذا النداء تودُّد، وعطف من أب لابنه الذي سيغرق عن قريب إن لم يركب في الفلك مع أبيه

وأهله، ولم يطلق على ابنه كافر؛ فقال مع الكافرين؛ أي: في صحبة الكافرين؛ أي: لم يتهم ابنه بالكفر، أو يصفه بذلك؛ مما يؤدي بالابن إلى الإصرار على عدم الركوب، ورغم جريان السفينة لا زال هناك إمكانية للركوب، والوقت وقت نجاة؛ النجاة أولاً، ثم الإيمان إذا شاء الله، وأذن بعد ذلك.

لنقارن بين هذه الآية (٤٢) من سورة هود: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾.

والآية (٣١) من سورة لقمان: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾.

الآية في سورة هود: الركابون في الفلك غير خائفين من الغرق؛ أي: نوح ومن آمن معه، وهم ركبوا الفلك بأمر من الله تعالى، والفلك تمخر الأمواج، وما يحدث يدل على عظمة، وقدرة الله تعالى.

أما في آية لقمان: الركابون في الفلك خائفون من الغرق، وهم من المشركين، والأمواج؛ كالظلل؛ أي: أصبحت فوق رؤوسهم، وهم في مقام خوف، ورهبة يدعو إلى التضرع إلى الله؛ لإنقاذهم وهو مقام تحذير.

[٤٣] ﴿قَالَ سَآوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَّعْصُمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾:

﴿قَالَ سَآوِيَ﴾: قال الابن كنعان لأبيه: سآوي: السّين: أداة للاستقبال القريب؛ أي: سألجأ إلى جبل بعد قليل.

﴿إِلَىٰ جِبَلٍ يَّعْصُمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾: يعصمني: يحميني من الماء من الغرق، والعصمة: هي المنع، والحفظ ظاناً أن الموج، أو الماء لن يبلغ الجبل لارتفاعه، وقال نوح راداً على ابنه:

﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ﴾: لا: النافية للحال، والاستقبال.



﴿عَاصِمٌ﴾: قد تكون اسم مفعول، وتعني: لا مخلوق، ولا مانع، ولا حافظ، أو لا معصوم اليوم؛ أي: الناجي، ولا يُعني، ولا يفيد جبل، ولا دعاء، ولا إيمان، ولا فرار. وعاصم: قد تكون اسم فاعل؛ أي: لا عاصم إلا الراحم (إلا الله وحده).
﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾: من عذاب الله؛ أي: الطوفان، والغرق.

﴿إِلَّا مَنْ رَّحِمَ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿مَنْ﴾: اسم موصول؛ تفيد الاستغراق. كل من رحم الله؛ أي: بالنجاة.
﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ﴾: وبدأ الموج يرتفع، ويرتفع حتى لم يعد يرى الأب ابنه؛ أي: فصل، وحجز الموج بين نوح وابنه.
﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾: أي: ليس وحده من غرق، وإنما غرق معه الكثير.
مُغْرَقِينَ: بضم الميم؛ أي: لم يغرق بنفسه بسبب السباحة، أو غيرها، وإنما أغرقه الله رغم حذره، وحيطته، وأغرق معه كل كافر ومشرِك.
[٤٤] ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَنَسَمَاءَ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَقِيلَ﴾: القائل مبني للمجهول، والمهم هنا المقولة؛ أي: ما قيل، وهو:
﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾: يا: أداة نداء للبعد. أرض ابلي ماءك: ولم يستعمل يا أيتها الأرض؛ أي: يستعمل هاء التنبيه؛ لأن الأرض لم تكن غافلة عما يحدث، ولا تحتاج إلى تنبيه بينما الإنسان هو الذي يحتاج إلى تنبيه، أرض: اسم جنس.
﴿ابْلَعِي مَاءَكِ﴾: ابلي: فعل أمر يدل على قوة الأمر، وفيها إيجاز؛ لأنَّ الموقف جداً صعب، ابلي بسرعة من دون تأخير، ومن دون جهد؛ كبلع الإنسان

الماء من الفم إلى المعدة، أو مرور الطعام من الفم إلى المعدة وبسرعة، ولم يقل: ابتلعي ماءك؛ مما يدل على تأخر في البلع، وجهد، ومشقة؛ أي: دعي الماء يغور في أعماقك.

وقوله تعالى: ﴿يَتَأَرَضُ آبُلْعَى مَاءَكِ﴾: يدل على أن الماء كله منبعه من الأرض، ونسبة الماء في الأرض نسبة شبه ثابتة، وهكذا عاد الماء إلى مخزنه. والطوفان لم يغمر كل اليابسة كما يظن البعض، وإنما غمر جزءاً من الأرض، ولم يكن على الأرض آنذاك إلا قوم نوح.

﴿وَنَسَمَاءُ أَقْلَعِي﴾: أي: كفي عن المطر، أو أمسكي، والسحاب: يسمّى السماء، والإقلاع هو الإمساك، ويدل هذا على أن الماء؛ أي: ماء الفيضان ماء حلو، وليس مالح.

﴿وَعِصَ أَلْمَاءِ﴾: ذهب، وغار في الأرض؛ أي: نقص، والغيض: هو الابتلاع السريع.

﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾: تم بسرعة نجا من نجا، وهلك من هلك، تم هلاك الكافرين من قوم نوح، ونجاة من آمن مع نوح، ثم ذهبوا إلى مكة في نهاية الطوفان، ومات نوح، وقيل: دفن في الحرم.

﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾: استوت: استقرت، أو رست على الجودي. قيل: هو جبل في شرق تركيا، وليس هو جبل أرارات كما قال البعض؛ لأن جبل أرارات: جبل بركاني، لو استوت عليه السفينة لاحتقرت، واسمه جبل الجودي، وجدت عليه سفينة نوح، وتم هذا الاكتشاف عام (١٩٤٨م).

﴿وَقِيلَ بَعْدَ لِقَاؤِ الظَّالِمِينَ﴾: قيل: ارجع إلى مطلع الآية، والقائل هنا غير معلوم، قد يكون الله، أو الملائكة، أو الصالحين من العباد.



﴿بَعْدًا﴾: هلاكاً، والمصدر يدل على الثبوت، وبعداً لا تحتاج إلى فاعل، أو زمن. والقول بعداً للقوم الظالمين هو دعاء على القوم الظالمين بالهلاك غير مقيد بزمن ولا بفاعل؛ أي: دعاء عام.

﴿لِلْقَوْمِ﴾: اللام: لام الاستحقاق، والاختصاص.

﴿الظَّالِمِينَ﴾: جمع: ظالم، والظلم: هو الشرك، وظالم لنفسه، وظالم للآخرين. ارجع إلى الآية (٥٤) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿الظَّالِمِينَ﴾: جملة اسمية؛ تدل على الثبوت؛ أي: أصبح الظلم صفة ثابتة لن تتغير عندهم، والظالم: هو كل من يخرج عن منهج ربه يُعتبر ظالم لنفسه. ارجع إلى الآية (٦٠) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان في كلمة (بعداً).

[٤٥] ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ﴾:

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾: لما حال بينهما الموج.

﴿فَقَالَ﴾: الفاء: تدل على الترتيب، والتعقيب، أو تفيد الترتيب التسلسلي في الحوادث، أو لعطف مفصل على مجمل.

﴿رَبِّ﴾: ولم يقل: يا رب؛ باستعمال ياء النداء؛ لأنّ نوحاً يعلم أنّ الله سبحانه قريب منه، أو ليس هناك زمن؛ لأنّ نوحاً يريد إنقاذ ابنه، وعدم إطالة النداء؛ لأنّ ابنه يغرق، وكلّ حرف، وكلّ ثانية مهمة.

﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾: إنّ: حرف مشبه بالفعل؛ تفيد تأكيد ما يقوله نوح إنّ كنعان من أهلي.

﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾: وإنّ: تفيد التوكيد.

﴿وَعَدَكَ الْحَقُّ﴾: حتّى يشمل ابنه، وكلّ ما تعدّ به هو الحق، أو: ما وعدتني به هو الحق، ولم يقل: رب إنّ ابني من أهلي، وأنت وعدتني بنجاة أهلي، وإنّ وعدك الحق يشمل كلّ وعد وعده الله له ولعباده الآخرين، والحق هو الشّيء الثّابت الكامل الذي لا يتغير.

وقوله: ﴿إِنَّا بَنِي مِنْ أَهْلِي﴾: فيه تفصيل: فالله سبحانه يعلم ذلك: أنّ ابنه من أهله، وما وعده الله جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَخْطِئُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧]؛ فنوح كان لا يعلم من سبق عليه القول، ومنهم زوجته، وابنه كنعان.

﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ﴾: أنت: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿أَحْكَمُ﴾: اسم تفضيل؛ يفيد المبالغة.

﴿أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ﴾: أحكم من حكم؛ أي: لك الحكم، والأمر، والقول الفصل، ولا تحكم إلا بالحق بين العباد، والأمم، وأحكم من الحكمة؛ أي: أنت أحكم الحكماء، وأفضل، وأقسط، وأعدل، وخير من حكم.





سورة هود ١١

الحزب الثاني عشر

قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونِ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾
 قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْحُوحُ
 أَهَبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ
 وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ
 مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ
 مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُنَاقِبِ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادٍ
 أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
 غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
 أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾
 وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ
 عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا
 مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
 بِتَارِكِي آلِ هَارَانَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

سورة هود [الآيات ٤٦ - ٥٣]

[٤٦] ﴿قَالَ يَنْفُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾:

﴿قَالَ يَنْفُوحُ﴾: قال سبحانه رداً على قول نوح: رب إن ابني من أهلي:

﴿يَنْفُوحُ﴾: يا: النداء: للبعد.

﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لَيْسَ﴾: للنفي.

﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾: من: ابتدائية، استغرافية؛ ليس من أهلك: قد تعني: من أهل دينك؛ بسبب عمله غير الصالح؛ لأن الكفر يقطع قرابة النسب، والدم، وقالوا: أخوة الدين أهم من أخوة النسب، أو ليس من أهلك: الذين وعدتك بنجاتهم.

فنوح ﷺ لم يعلم، أو نسي هذا الحكم الشرعي: إن الكفر يقطع صلة القرابة، والنسب، أو لم يظن أنه عمل غير صالح (ما قام به ابنه كنعان)، أو نسي نوح قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾، أو نسي قوله: ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾؛ أي: زوجته، وكنعان.

﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾: إن: للتوكيد.

﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾: قد تعني: ما تسألني عمل غير صالح إنه ابن غير صالح، أو ما قام به، أو عمله كنعان عمل غير صالح، أو إنه ذو عمل غير صالح، أو إن كنعان كله تحول إلى عمل غير صالح؛ مبالغة في الذم، ولم يُعد ير جلي منه خيراً.

﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: الفاء: للتوكيد. لا: الناهية.



﴿تَسْتَلْنِ﴾: التَّوْنُ: لزيادة التَّوْكِيد؛ تسألن: من دون ياء المتكلم، وأشار إليها بكسرة؛ لأن الرَّد فيه نهْي، وإيجاز، واختصار، ونوح سأل سؤالاً واحداً.

بينما في سورة الكهف، الآية (٧٠) قال تعالى على لسان الخضر: ﴿قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾؛ لأنَّ موسى سأل الخضر ثلاثة أسئلة: عن السَّفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار؛ طبقاً للقاعدة: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى. تسألن: سؤال واحد، تسألني: عدة أسئلة.

﴿مَا﴾: النَّافِيَةُ للحال، والاستقبال.

﴿لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: أي: فكر جيداً قبل أن تسأل أيَّ سؤال ليس لك به علم. والسؤال كان: ﴿إِنِّي أَنبِئُكَ مِنْ أَهْلِ﴾ ولم يكن من أهله الذين وعده بنجاتهم.

﴿إِنِّي أَعْظُمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: إنني: للتوكيد، أعظك: الوعظ: النصيح بالطاعة، والعمل الصالح، والإرشاد إلى الخير، والتحذير، والنهي.

﴿أَعْظُمُكَ﴾: أي: أنهاك، وأحذر، أو أنصحك.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدرى؛ يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: الجاهلين: الذين لا يعلمون بأنه ليس من أهلك، أو الذين يعلمون، ولا يعملون بما يعلمون، أو من الجاهلين حين قلت لك: ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧]. ارجع إلى سورة الزمر آية (٦٤)، وسورة الفرقان آية (٦٣) لبيان معنى الجاهلين.

[٤٧] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ﴾: إنني: للتأكيد، كان بإمكانه أن يقول: قال: رب أعوذ بك أن أسألك، ولكن جاء بآتي: للتوكيد؛ توكيد الاستعاذة.

﴿أَنْ أَسْأَلَكَ﴾: أن: حرف مصدري؛ تفيد التوكيد، وتقدير الكلام: أعوذ بك من أن أسألك ما ليس لي به علم.

﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾: ما: النافية، ما ليس لي به علم: يشمل هذا الطلب، وغيره، وكل أمر ليس له به علم، وأدرك نوح أنه أخطأ، وارتكب ذنباً فقال:

﴿وَالْأَغْفِرْ لِي وَتَرَحَّمْ عَلَيَّ أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾: وإلا تغفر لي: وإلا: مركبة من: إن: حرف شرط، لا: نافية، والسؤال هنا: هل ارتكب نوحاً ذنباً يطلبه إنقاذ ابنه، وهو لا يعلم أنه سبق عليه القول؟ والرد على ذلك: أن طلب المغفرة؛ ليس مقتصراً على الذنوب، بل هناك توبة إنابة، واستغفار، ومن دون وقوع المعصية، والله سبحانه أمر رسوله محمد ﷺ أن يستغفر، ويصبر؛ فقال: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ﴾ [غافر: ٥٥]، مع أن رسول الله ﷺ لم يفعل ذنباً؛ فهذه توبة إنابة.

ولو نظرنا إلى قول نوح: ﴿وَالْأَغْفِرْ لِي وَتَرَحَّمْ عَلَيَّ أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾، ونقارنه بقول آدم وزوجته في سورة الأعراف، الآية (٢٣): ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرَحَّمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾: فيه توكيد أكبر بالنون الثقيلة، وأما قول نوح فليس فيه تأكيد. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٢٣)؛ للمقارنة، والبيان.

[٤٨] ﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ﴾: أي: انزل من السفينة، والهبوط: نزول من أعلى إلى أسفل، وقيل: تعود إلى الله سبحانه؛ لقوله:

﴿بِسَلَامٍ مِنَّا﴾: هكذا يتلقى نوح هذه الكلمات التي تطمئن قلبه بالمغفرة، والرحمة من الله، والسلامة، والأمن، والاطمئنان من المكروه بعد (٩٥٠ عاماً) من الدعوة، والصبر.

﴿وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾: أي: الخيرات، وقدم السلام على البركات؛ لأن السلام



مهم، ويحتاج إليه حين الهبوط، والاستقرار، وبعد النجاة تأتي البركات، والنعم، ونوح، والذين نجوا معه لجأوا إلى مكة، وعاشوا هناك، ولما تكاثروا هاجروا إلى جنوب الجزيرة (الأحاف)، وأطلق عليهم قوم عاد.

﴿وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾: أي: من أولادك: سام: ومنه جاء الساميون، وحام: ومنه جاء الأفارقة، ويافت: ومنه جاء الصين، واليابان.

﴿وَأُمَمٌ سَنَّيْتَهُنَّ لِيُمْسَهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: أمم أخرى أمثال: قوم هود، وصالح، ولوط، وشعيب.

﴿سَنَّمِيْنَهُنَّ﴾: بمتاع الدنيا، والمتاع: كل ما ينتفع به، أو ما يتمتع به؛ كالطعام، والشراب، وأثاث البيت، والأداة، والمال.

﴿ثُمَّ يَمَسُّهُمْ﴾: ثم: للترتيب، والتراخي.

﴿يَمَسُّهُمْ﴾: يصيبهم من عذاب.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الدنيا، وفي الآخرة؛ بسبب كفرهم، وتكذيبهم لرسولهم.

[٤٩] ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾: تلك: اسم إشارة للبعد؛ إشارة إلى قصة نوح تلك من مجموعة القصص التي ذكرت في سورة هود، أو قصة السفينة، وإذا قارنا هذه مع قوله تعالى في سورة يوسف آية (١٠٢): ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾؛ لأنها قصة واحدة فقط.

﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾: المخاطب هنا رسول الله ﷺ، والوحي هو: إعلام بخفاء؛ أي: نخبرها إياك، أو نقصها عليك. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾: ما: النافية أقوى نفيًا من لم.

﴿أَنْتَ﴾: تفيد التوكيد.

﴿وَلَا قَوْمُكَ﴾: إضافة لا تفيد زيادة التوكيد بدلاً من قوله: ما كنت تعلمها أنت وقومك، وتكرار لا؛ أي: لفصل كلاهما؛ أي: ما كنت تعلمها أنت وحدك، ولا قومك أيضاً، ولا كلاهما، ما كنت تعلمها؛ لأنك لم تكن معاصراً لها؛ لتعلمها، ولم يخبرك بها أحد من قبل هذا.

﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾: من: ابتدائية.

﴿قَبْلَ هَذَا﴾: أي: من قبل هذا القرآن، وهناك فرق بين: من قبل هذا، ومن قبل هذا.

من قبل: الزمن غير محدد، وغير معروف كم.

من قبل: الزمن محدد، ومعروف كم هو.

﴿فَاصْبِرْ﴾: الفاء: للتوكيد. اصبر: يا محمد ﷺ، كما صبر نوح الذي استمر ألف سنة إلا خمسين عاماً في دعوته.

﴿إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿الْعَقِيبَ﴾: الجنة.

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: السلام: لام الاختصاص، والاستحقاق. الذين أطاعوا

أوامر الله سبحانه، وتجنبوا نواهيه.

[٥٠] ﴿وَالِإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفَوِّرُ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنَّا نَتَمَرَّ إِلَّا مُقْتَرُونَ﴾:

﴿وَالِإِلَىٰ﴾: الواو: أي: وأرسلنا إلى عَادِ أخاهم هوداً بعد نوح.

﴿عَادٍ﴾: أي: عاداً الأولى التي سكنت الأحقاف، والأحقاف: جبال من الرمل تقع بين عُمان، وحضرموت، وأرضهم كانت مطلة على البحر (بحر العرب)، وهي التي ذكرها الله سبحانه بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ (٦) ﴿إِرم ذاتِ الْعِمَادِ﴾ (٧) ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٦-٨]، وهناك عاداً الثانية (الأخرى): وهم قوم ثمود، ونيهم صالح ﷺ.

﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾: هوداً: هو ابن عبد الله بن رباح، ابن عاد، ابن إرم، ابن سام، ابن نوح، وهو من العرب، (وصالح، وشعيب، ومحمد، وهود: هم الأنبياء الأربع من العرب).

﴿قَالَ يَاقَوْمِ﴾: يا: أداة نداء، وقوله: يا قومي: نداء فيه نوع من التودد، والاستعطاف، وهو من أساليب الدعوة؛ الدعوة بالرفق، واللين؛ لفتح القلوب بكلمة طيبة.

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: وحده، أخلصوا له بالطاعة، والتوحيد.

﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾: ما: النافية.

﴿لَكُمْ مِّنْ﴾: استغراقية.

﴿إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾: تعبدونه.

﴿إِن أَنْتُمْ إِلَّا مَفْتَرُونَ﴾: إن: نافية، وأقوى في النفي من حرف: ما.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ أي: أداة استثناء؛ جاءت بعد أداة نفي؛ فهي تفيد الحصر؛ أي: حصراً ما أنتم إلا مفترون.

﴿مُفْتَرُونَ﴾: جمع مفتر، والافتراء: هو الكذب المتعمد المخلوق؛ حيث جعلوا الأوثان، والأصنام شركاء لله في عبادتهم.

لم يتهم هود قومه بالافتراء في بداية الدعوة، بل حضهم على التقوى؛ فقال

لهم: ﴿أَفَلَا نَنْقُوتُ﴾، كما جاء في سورة الأعراف، الآية (٦٥)، ولم يقل لهم هود: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ إلا بعد أن استمروا في تكذيبهم له، وشركهم بالله، ورفضهم الاستجابة لدعوته.

[٥١] ﴿يَقُومُوا لِأَسْئَلِكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

﴿يَقُومُوا﴾: تكرار النداء إلى قومه، هو لكسب قلوبهم، وعطفهم، وبالتالي إيمانهم برسالته.

﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: لا: النافية لكل الأزمنة.

﴿أَسْأَلُكُمْ﴾: أطلب منكم.

﴿أَجْرًا﴾: على تبليغ الرسالة، أو النصح لكم، والأجر: هو الجزاء مقابل العمل، والأجر: يضم المال، وغيره، ولم يقل: مالا، كما جاء في الآية (٢٩) من نفس السورة على لسان نوح ﷺ.

﴿إِنْ﴾: نافية؛ أقوى في النفي من: ما.

﴿أَجْرِيَ إِلَّا﴾: إلا: أداة حصر. إن أجري؛ أي: ثوابي، ثواب عملي.

﴿عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾: أي: خلقتني، وفطرني: من الفطر؛ فطر الله الخلق: خلقهم، وأظهرهم، وأخرجهم للوجود، وفطر الشيء: شقه، وأخرجه للوجود.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري؛ يحمل معنى الحث، وأداة

حُضُّ.

﴿تَعْقِلُونَ﴾: تنظروا في الدلائل، وتفهموا الحقائق؛ لتدركوا ما لكم من إله

غيره.



[٥٢] ﴿وَيَقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا جُنُوبَكُمْ﴾:

﴿وَيَقُومِ﴾: نداء جديد، أو طلب جديد لقومه.

﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾: لأنكم أشركتم به، والاستغفار: يدل على أن الإنسان ارتكب ذنباً، ويطلب من الله أن يغفره يستره، ويمحوه، ويعفو عنه، والتوبة: الرجوع إلى الله، وعدم ارتكاب الذنب مرة أخرى، ولها شروط أخرى؛ مثل: الندم، والإكثار من الأعمال الصالحة.

﴿ثُمَّ﴾: تفيد الترتيب، والتراخي الزمني؛ لأن الإسراع في التوبة من أهم الأمور، وإثما هي للترتيب التسلسلي في الحوادث.

استغفروا ربكم، ثم توبوا إليه؛ لأنكم عبدتم غيره من الأصنام، والأوثان؛ فإذا تبتم واستغفرت ربكم:

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا﴾: السبب في ورود هذه الآية بعد الاستغفار، والتوبة: أن الله ﷻ حبس عنهم المطر ثلاث سنين، وأعقم أرحام نسائهم، واشتدت حاجتهم للمطر؛ لأنهم كانوا أصحاب زروع.

﴿مَدْرَارًا﴾: صيغة مبالغة؛ تعني: المطر الغزير المتتابع أوقات الحاجة، ولا يحصل منه ضرر، وأصل الدّر: سيلان اللبن، وكثرته، ثم استعير للمطر الغزير.

﴿وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾: بالمال، والولد، وقيل: الولد، وولد الولد، والعدة، والسلاح؛ فالاستغفار يجلب الرزق (الغيث)، والذرية.

﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا جُنُوبَكُمْ﴾: ولا تعرضوا عن التوحيد، ولا تستمروا على الشرك، والإجرام. ارجع إلى الآية (٣) من نفس السورة لبيان معنى استغفروا ربكم ثم



توبوا إليه، وارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، والجاثية آية (٣١) لبيان معنى مجرمين.

[٥٣] ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: ما: النافية.

﴿بَيِّنَةٍ﴾: الباء: للإلصاق، والتعليل، والبينة: المعجزة، أو الأمانة الدالة على صدق نبوتك.

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ﴾: وما نحن بتاركي عبادة آلهمنا.

﴿عَنْ قَوْلِكَ﴾: عن: تفيد المجاوزة، والبعد، ونستغفر ونتوب طمعاً في إرسال السماء علينا مدراراً، أو الزيادة في القوة.

﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: أي: بمصدقين؛ الباء: للتوكيد.

﴿لَكَ﴾: قدّم الجار والمجرور؛ للحصر؛ أي: لن نؤمن لك خاصة. ولم يقل: ما نحن بمؤمنين لك؛ أي: لن نؤمن لك، وقد نؤمن بغيرك.

وهناك فرق بين آمن به، وآمن له:

آمن به: إيمان عقيدة.

وآمن له؛ أي: صدقه وخضع له، وأذعن.





سُورَةُ هُودٍ ١١

الجزء الثاني عشر

إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبْنَاكَ بَعْضَ الْهَتِنَا بِسُوءٍ قَالِ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ
وَأَشْهَدُ وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي
جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا
مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ
﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ
مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَلَا
بَعْدَ الْإِعَادِ قَوْمٌ هُودٌ ﴿٦٠﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ
يَقَوْمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ
﴿٦١﴾ قَالُوا يَصَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ
نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٦٢﴾



ثَلَاثَةُ أَرْبَاعٍ
الجزء ٢٣

سورة هود [الآيات ٥٤ - ٦٢]

[٥٤] ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَضَكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾

﴿إِنْ نَقُولُ﴾: إن: نافية، وأقوى في النفي من حرف: ما؛ أي: ما نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء.
﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿أَعْرَضَكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾: أصابتك بعض آلهتنا بسوء: بجنون، أو مس، أو خبل، وهذيان، خلط الكلام؛ لأنك تعيب على آلهتنا، وجئت بإله جديد واحد، وقلت: إنها ليست آلهة، ولا تستحق العبادة.
﴿قَالَ إِنِّي﴾: إني: للتوكيد؛ يؤكد ما سيقوله.

﴿أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾: أشهد الله: من الشهادة؛ تعني: الإقرار، والاعتراف بأنني بريء مما تشركون.

﴿وَاشْهَدُوا﴾: هنا تعني: الإعلام؛ أي: واعلموا، ولم يقل: إني أشهد الله وأشهدكم؛ لأنهم ليسوا أهلاً للشهادة، وإنما قال: اشهدوا؛ أي: اعلموا: أنني بريء مما تشركون؛ أي: لا أعبد الذي تعبدون. ارجع إلى سورة الأنعام آية (١٩) للبيان.



[٥٥] ﴿مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾:

﴿مِنْ دُونِهِ﴾: من سواه، أو من غير الله؛ أي: لا أعبد إلا الله.

﴿فَكِيدُونِي﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ فهو يتحدّى قومه مباشرة من دون إمهال، وأكد التحدي بزيادة ياء المتكلم، ولم يقل: فكيدون، كما جاء في سورة الأعراف، الآية (١٩٥).

﴿جَمِيعًا﴾: أي: اجمعوا كيدكم، وهم كثرة، وهو فرد واحد؛ فهو يتحداهم جميعاً معاً، ويتحدّى كلّ منهم بمفرده، ويتحدّى قومه إضافة إلى الآلهة؛ لأنّه واثق بنصر الله له، وحفظه من أعدائه.

والكيد: هو التدبير الخفي؛ لإيقاع المكروه بالغير قهراً؛ سواء أعلم، أم لم يعلمه الخصم، وهو أقوى من المكر، ولا يكون إلا بعد تدبّر، وتفكير، ونظر؛ والكيد: قد يصل إلى درجة القتل، أو إلحاق أيّ ضرر به.

﴿ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾: ثم: هنا للإمهال، والتراخي في الزمن، وطول التحدي؛ أي: التحدي لا ينتهي مهما طال الزمن. ارجع إلى سورة الأعراف، الآية (١٩٥)؛ للبيان، والمقارنة.

[٥٦] ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾:

في هذه الآية يعلن هود توكله على الله ربه، الرّب المعين، والمتولّي أموره، ومصرفها، والناصر.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ﴾: على أن يحرسني، ويحفظني، ويكلؤني من كيدكم بعد أن قدمت الأسباب.

﴿رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾: ولم يقل: ربنا؛ لأنهم لا يؤمنوا بأنه الرب، وربِّي وربكم؛ أي: هو ربكم رغم إنكاركم له؛ فهو رازقكم، ومتولِّي أموركم.

﴿مَّا مِّن دَابَّةٍ﴾: ما: النافية.

﴿مِّن﴾: استغراقية للمفرد، والجمع، والمثنى؛ تستغرق كل دابة، والدابة: تشمل كل من يدب على الأرض من إنس، وجن، وحيوان، وطير. ارجع إلى سورة العنكبوت آية (٦٠) لمزيد من البيان.

﴿إِلَّا هُوَ﴾: إلا: أداة حصر؛ هو: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد.

﴿ءَاخِذْ بِنَاصِيَتِهَا﴾: الناصية: منبت الشعر في مقدّم الرأس فوق الجبهة؛ كناية عن القهر، والغلبة؛ أي: في قبضته، وملكه؛ أي: مسيطر عليها، ومتصرف بأمورها، وقادر على إحياؤها، وإهلاكها؛ فهي خاضعة له إما اختياراً، أو قسراً.

الناصية في الإعجاز العلمي: هي مقدّم الفص الجبهي من الدماغ؛ الذي هو يحوي مركز الإدراك، والفهم، والذاكرة، والإرادة، والأمور العاطفية، والحكم.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: إن: للتوكيد.

﴿رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: أي: على طريق الحق، والعدل، أو يهدي إلى طريق الحق، والعدل، ويبين لهم ويدلهم على الصراط المستقيم: الإسلام، أو لا يفوته ظالم، وينصر المظلوم، ولا يخفى عليه أحد من خلقه إذا أراد العبد الهرب،



والضلال، أو تعني: على صراط مستقيم لا يريد إلا العدل لكل عبد، وأن يده على طريق النجاة، بل يري كل دابة طريق النجاة.

[٥٧] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْخُلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَضِيَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَفِیْظٌ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: عاطفة للتوكيد؛ إن: شرطية.

﴿تَوَلَّوْا﴾: تستمروا على الإعراض، وعدم الإيمان، وأصل تولوا: تتولوا، وحذف إحدى التاءين. تولوا: ولو كان قليلاً، وتولَّى: انصرف، أو ابتعد، أو أعرض؛ أي: ابتعدتم عني، ولم تسمعوا لما أقوله.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط (للتوكيد). قد: حرف تحقيق.

﴿أَبْلَغْتُكُمْ﴾: من البلاغ؛ أي: إيصال ما أرسلت به إليكم بأحسن صورة مع البيان.

﴿مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾: ما: اسم موصول؛ تعني: الذي، أو مصدرية؛ أي: فإن تولوا لا أبالي؛ لأنني أبلغتكم كل ما أرسلت به إليكم.

﴿وَيَسْخُلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: يستخلف؛ أي: يأتي بقوم بعدكم خلفاء مباشرة من دون انقطاع، أو يأتي بجيل جديد غيركم، ولا يكونوا أمثالكم في الكفر، والشرك، بل أفضل منكم طاعة، واستجابة.

ولم يقل: يستبدلكم؛ فالاستبدال: هو المجيء بجيل بعد جيل، أو قوم بعد قوم، ولو كان بعد انقطاع طويل، أو مرور قرون طويلة، أو سنين، والاستخلاف أفضل من الاستبدال.

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾: ولم يقل: ولا تضروه شيئاً، بل أضاف النون: للتوكيد؛ لأنه الموقف، أو السياق في الكفر، والإعراض.
 ﴿شَيْئًا﴾: الشيء: هو أقل القليل، وشيئاً: جاء نكرة؛ لتشمل كل شيء قليلاً، أو كثيراً، أو مهما كان نوعه.

وأما لا تضروه شيئاً؛ كقوله: ﴿إِلَّا نَنْفِرُوا يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٣٩]؛ فقد جاءت في سياق عدم الخروج للجهاد، والإعراض عنه؛ رفض الجهاد: وهو أقل درجة من الكفر، والشرك، ولذلك استعمل معها: ولا تضروه من دون توكيد بدلاً من: ولا تضرونه؛ أي: فلا تضرونه شيئاً إن كفرتم، أو آمتتم، ولا تضرونه شيئاً إن جاهدتم، أو كتتم مع الخالفين، أو القاعدين؛ لأن الله سبحانه غني عن عبادته، وغني عن عبادتهم.
 ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾: رقيب، ويحفظ خلقه، ويحفظ على الخلق أعمالهم من خير، وشر، وطاعة، ومعصية يكتبها لهم في سجلات أعمالهم ليשיهم عليها، أو ليجزيهم عليها، ويحصى عليهم أقوالهم، وأفعالهم، ويعلم ما تكن صدورهم، ونياتهم، ويحفظ عبادته من السوء، والشياطين، والذنوب إذا شاء، كما يحفظ السموات والأرض أن تزولا، أو تقعا.

[٥٨] ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَاهُودَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: لما: ظرفية زمانية، حان نزول العذاب بهم، ولأنه لم يحدد لهم وقت العذاب جاء بـ(لما) كما في قصة عاد ومدين، وجاء بـ(فلما) حين حدد لهم وقت العذاب كما في قصة ثمود ولوط، فصالح قال لهم: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾، ولوط قال لهم: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾.



﴿جَاءَ أَمْرُنَا﴾: الأمر بهلاكهم، أو عذابهم؛ الأمر: العذاب: الرّيح العقيم.
﴿وَنَجَّيْنَا﴾: تدل على طول مدة النّجاة، ولم يقل: أنجينا التي تدل على سرعة النّجاة.

﴿هُدُوا الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾: رحمة منا، ولم يقل: من عندنا، أو من لدنا رحمة منا رحمة عامة تشمل كلّ مؤمن.
من عندنا، من لدنا: تدل على أنّها رحمة خاصة بالأنبياء، أو المقربين.
﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول؛ يعني: عدداً كبيراً من الذين آمنوا معه؛ مقارنة بقوله: ومن معه التي تعني: القلة.

﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: تكرار نجينا؛ تفيد التّوكيد.
﴿مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: شديد شاق ثقيل، لا يقدر عليه أحد.
[٥٩] ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾:
﴿وَتِلْكَ﴾: تلك: اسم إشارة للبعد؛ يشير إلى قبيلة عاد.
﴿عَادٌ﴾: أي: عاد الأولى.

﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: الجحود: إنكار الشّيء الظاهر مع العلم به، كآيات الظاهرة والمعلومة لهم، ولذلك قال: جحدوا بآيات ربهم، والجحود: أخص من الإنكار؛ أمّا الإنكار: فيكون للشّيء الظاهر، والشّيء الخفي معاً، وقد يكون مع العلم، أو غير العلم.

﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: الباء: للإلصاق؛ أي: المعجزات.

﴿وَعَصَوُا رُسُلَهُ﴾: جاء بصيغة الجمع مع أنّ الذي أرسل إلى عاد هو هود فقط، وذلك؛ لأنّ من عصى رسولاً؛ فقد عصى كلّ الرسل؛ لأنّ كلّ رسول يتبع من قبله، ويؤمن به، ورسالتهم واحدة.

﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: الجبار: الذي يتعاضم بالقهر، أو المتسلط، أو القتال. وتجبر أبلغ من تكبر، العنيد: الذي لا يقبل الحق، ولا يذعن له، أو المخالف للحق وهو عارف به.

و﴿عَنِيدٍ﴾: صفة مشبهة من فعل عنَدَ؛ صيغة مبالغة في العناد على وزن فاعيل.

﴿وَاتَّبَعُوا﴾: صيغة مبالغة في الاتباع؛ اتَّبَعَ: على وزن افتعل؛ أي: أشد اتباعاً.

﴿وَلَا تَكُ عَادٌ جَحْدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: مرحلة أولى: مرحلة الجحود، ﴿وَعَصَوُا رُسُلَهُ﴾: مرحلة ثانية: مرحلة العصيان، ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: مرحلة ثالثة: مرحلة التحدي.

[٦٠] ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾:

فكان عاقبة جحودهم، وعصيانهم، واتباعهم أمر كلّ جبار عنيد: هي اللعنة. واللعنة: تعني الإبعاد عن رحمة الله تعالى، والطرد، وأُتبعوا في هذه الدنيا لعنة: لعنة أولى تمثلت بالريح العقيم، ويوم القيامة: اللعنة الثانية سوف تتمثل بعذاب النار.



﴿أَلَا﴾: أداة تنبيه؛ لما بعدها من الكلام.

﴿إِنْ عَادَ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي كُفْرٍ﴾: كفروا ربهم: تجمع كل أنواع الكفر؛ أنكروا وجوده، ونعمه، وهو أشد أنواع الكفر، لو قال: كفروا ربهم: لكان كفر مقتصر على الإيمان.

﴿أَلَا﴾: أداة تنبيه أخرى؛ لما بعدها من الكلام، والتوكيد.

﴿بُعْدًا﴾: هلاكاً؛ يقال: بُعِدَ بُعْدًا؛ بمعنى: هلك، أو بُعِدًا: أبعدهم الله، أو طردهم من رحمته؛ فلن تنالهم رحمة الله تعالى بعد ذلك. هناك بُعِدَ بُعْدُهُ لِقَاءَ، وهناك: بُعِدَ ليس بعده لقاء، وهي هنا تدل على أنه بُعِدًا لا لقاء بعده؛ إلا يوم القيامة؛ بُعِدًا منصوبة على معنى أبعدهم الله فبعدوا بُعْدًا؛ أي: عن رحمته.

﴿الْأَبْعَدَ الْعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾: أي: هلاكاً لعاد (قوم هود): توكيد؛ لأن قوم هود هم عاد، وهل هناك فرق بين بُعد: بضم العين، وبِعْدَ بكسر العين؟

العرب تستعمل بُعد: بضم العين في المكان. وبِعْدَ: بالكسر في الهلاك، ثم استعملوا بُعد: بالضم في الهلاك.

[٦١] ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾:

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾: أي: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً.

﴿أَخَاهُمْ﴾: من القبيلة؛ أي: واحداً منهم ليس غريباً عنهم.

﴿صَالِحًا﴾: صالح هو الرسول الثاني من العرب من أحفاد ثمود.

وتمود: قبيلة سكنت مكان يسمّى الحجر، أو مدائن صالح شمال غرب

المدينة المنورة بـ (٣٨٠كم)، وسمّوا أصحاب الحجر، أو قوم صالح، أو قوم
ثمود؛ لهم ثلاثة أسماء، وهم ممن تبقى من قوم عاد.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾: قال: يا قوم: نداء فيه حنان،
وعطف، وتودّد من أساليب الدّعوة. والقوم: الرّجال والنّساء.

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: العبادة تشمل الطّاعة فيما أمر به، أو نهى عنه، وتشمل
كلّ قول طيب، وعمل صالح، اعبدوا الله وحده. ارجع إلى الآية (٢) من نفس
السورة.

﴿مَا﴾: النّافية.

﴿لَكُمْ مِّنْ﴾: من: استغراقية.

﴿إِلَهِ غَيْرُهُ﴾: سواء؛ أي: لا إله إلا الله، وجاءهم بدليلين على التّوحيد هما:

﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ﴾: هو: ضمير فصل يدل على التّوكيد، والحصـر.

﴿أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ﴾: ابتداء خلقكم من تراب. ارجع إلى سورة الروم، آية
(٢٠)؛ لبيان معنى أنشأكم من الأرض.

﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾: جعلكم عماراً فيها تعمرونها تبنون بيوتكم وتسكنونها،
وتعمرونها بالزّراعة، والصّناعة... وغيرها؛ فالإنشاء يسبق الاستعمار،
واستعمركم فيها: لا تعني فقط: تبنون بيوتكم فيها، بل تعني: كذلك حين يرث
الابن دار أبيه؛ فكأنما أعمره إياها، واستعمركم: قد تعني: استبقاكم فيها (من
البقاء)؛ يسكنها مدة بقائه حياً، ثمّ يتركها لغيره.



﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة، والسرعة؛ أي: استغفروه حالاً، وبسرعة، استغفروه من الشرك، ومن الذنوب، والمعاصي.

﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾: ثم: لا تعني الترتيب، والتراخي في الزمن؛ لأن التوبة يجب الإسراع بها، وإنما التباين في الصفات؛ فالتوبة أفضل من فعل الذنب، توبة الإنابة من دون ارتكاب ذنب، أو ثم: تفيد في التسلسل في الحوادث، والتعاقب، استغفروه، ثم توبوا إليه.

والتوبة تعني: الإقلاع عن الذنب، والندم، والإكثار من النوافل، والأعمال الصالحة. ارجع إلى الآية (٣) من نفس السورة.

﴿إِنْ رَبِّي﴾: إن: للتوكيد.

﴿قَرِيبٌ﴾: يسمع استغفاركم وتوبتكم، أقرب إليكم بعلمه من جبل الوريد.

﴿ثُمَّ يَجِيبُ﴾: يجيب دعاء الخلق، ويقبل التوبة، يجيب دعوة الداع إذا دعاه.

فما كان جواب قومه إلا أن قالوا:

[٦٢] ﴿قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾:

﴿قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ﴾: قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾: أي: إنساناً نأمل فيه الخير، والأمانة، وسداد الرأي، ونرجع إليك للاستشارة، ونأخذ برأيك، وقدم فينا على (مرجواً)، وكان بالإمكان أن يقول: قد كنت مرجواً فينا، قدّم؛ لأن الكلام يتعلّق بهم أولاً بأنفسهم فهم قدّموا أنفسهم للاهتمام.

﴿قَبْلَ هَذَا﴾: الإنذار؛ أي: ترك عبادة الأصنام.

﴿أَنْهَيْتَنَا﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، وتعجب.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد.

﴿تَعْبُدُ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾: ولم يقل: أن نعبد ما عبد آبائنا، ولكنه جاء بصيغة المضارع للاستمرار في عبادتهم. ما: اسم موصول؛ بمعنى الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾: إننا: إضافة النون: للتوكيد.

﴿لَفِي شَكِّ﴾: اللام: للتوكيد، والتعليل، والشك: هو استواء طرفي الإثبات، والنفي؛ لفي شك مما تدعونا إليه مريب: وإننا بكلّ توكيد في شك من عبادة الله وحده، وترك عبادة الأوثان، والأصنام التي عبدها آبائنا.

﴿مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾: من الريبة: وهي الشك، والاتهم.

لنقارن هذه الآية (٦٢) من سورة هود: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾.

مع الآية (٩) من سورة إبراهيم: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾.

إننا: في آية سورة هود فيها توكيد، وتفصيل؛ لأنّ تكذيب قوم صالح أشد من تكذيب الأقوام في سورة إبراهيم. تدعونا: (الذي يدعوهم هو نبي واحد)، أما تدعوننا: (الأنبياء أو الرسل الذين يدعوهم كثرة).



سُورَةُ هُودٍ ١١

الجزء الثاني عشر

قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَنِي
 مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي
 غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ
 فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ
 عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ
 ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ
 أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
 وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثَمِينَ
 ﴿٦٧﴾ كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا
 لَثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا
 سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا
 رَءَا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
 قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ
 فَضْحَكْتَ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

سورة هود [الآيات ٦٣ - ٧١]

[٦٣] ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن عَصَيْتُهُ، فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾:

﴿قَالَ يَقَوْمِ﴾: قال صالح: يا قوم: نداء فيه تودُّد وحنان.

﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: الهمزة همزة استفهام، تعجب، وتقدير، والرؤية رؤية قلبية، أو فكرية؛ بمعنى: العلم، وبشكل مؤكَّد.

﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾: إن: شرطية.

﴿كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾: البَيِّنَةُ: الحُجَّةُ الواضحة، والبرهان القاطع الدال على وجوب عبادة الله وحده (ناقة الله لكم آية).

﴿وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾: قدَّم منه على الرحمة؛ لأنَّ الكلام جاء في سياق قدرة الله، وعظمته، وليس في سياق الرحمة؛ فقدَّم منه.

﴿مِنْهُ رَحْمَةً﴾: النبوة، وقيل: الهداية إلى الله، وقيل: الإيمان والإسلام، وقد تشمل الكل؛ رحمة: جاء بصيغة النكرة؛ لتشمل أكثر من معنى.

﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾: الفاء: للتوكيد، من: استفهامية للعاقل، وتعني: المفرد، أو الجمع.

﴿يَنصُرُنِي﴾: ينجيني من عذاب الله.

﴿إِن عَصَيْتُهُ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الشك في عصيانه؛ أي: عدم طاعته.

﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾: ما: النافية.

﴿تَزِيدُونِي﴾: مضارع، وزيدت فيه نون الوقاية؛ للتوكيد على الزيادة، أو المبالغة فيها.

﴿تَخْسِرُ﴾: تدلّ على الزيادة في الخسارة، أو الخسران؛ أي: هو أشد الخسارة، ووردت هذه الكلمة تخسير في هذه الآية فقط في كل القرآن.

فما تزيدونني غير تخسير. التخسير: يدل على أمرين: أولاً: لم يربح في تجارته، ولم يحافظ على رأس ماله، بل خسر أيضاً رأس ماله.

أمّا الفرق بين الخسارة والخسران: فالخسران أقوى وأشد من الخسارة؛ كقوله: ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الكهف: ٨٢]، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُمِينُ﴾ [الزمر: ١٥]. ارجع إلى سورة النساء آية (١١٩)، والآية (٢٢) من نفس السورة للمقارنة، ومعرفة معنى الأخسرون، والخسارة، والخسران.

[٦٤] ﴿وَيَنْقُورُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾؟

﴿وَيَنْقُورُ هَذِهِ﴾: نداء فيه استعطاف وتودّد.

﴿هَذِهِ﴾: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة يدل على القرب.

﴿نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾: سمّاها صالح ناقة الله تشريفاً للناقة التي هي معجزة من عند الله؛ فقد طلبوا منه معجزة، أو آية تثبت لهم نبوته فطلبوا أن يخرج لهم من إحدى صخور الجبل الصّماء ناقة، وسرئ ذلك في آيات وسور أخرى، قال: ناقة الله لكم آية: لكم خاصة، وليس لكل البشر، ولم يقل: ناقة الله آية لكم؛ لدل ذلك على أن الآية لهم ولغيرهم.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾: وقوله: ناقة الله، أو أرض الله؛ لأن كلّ ما في الكون من كائنات، ومملوكات هي لله سبحانه.

﴿فَذَرُوهَا﴾: اتركوها تأكل مما تشاء، وأين تشاء، وكيف تشاء، وليس عليكم رزقها، أو تدبيرها.

﴿وَلَا تَمْسُوْهَا سَوْءٌ﴾: ولم يقل: لا تقتلوهها، بل نهى عن مجرد مس الناقة بأيّ سوء، أو أذى، بسوء نكرة مهما كان شكله، ونوعه، ولو كان أدنى القليل، وغيره من أنواع الأذى. والسوء أعم من القتل؛ أي: يشمل القتل.

﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾: قال لهم صالح هذا بعد أن عقروا الناقة قال: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾، ولذلك قال تعالى ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾، وفي بداية الدعوة حذرهم، وقال لهم: ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ كما ورد في سورة الأعراف آية (٧٣)، وفي سورة الشعراء آية (١٥٦): ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ كان هذا في نهاية الدعوة والتحدي والإعراض. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٧٣) للمقارنة، وإلى الشعراء آية (١٥٦).

[٦٥] ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَذَابٌ مُّكَذَّبٍ﴾:

﴿فَعَقَرُوهَا﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب؛ عقروها: من العقر، والعقر: هو القطع، ويأتي بمعنى الذبح، ولو قطع أي عضو من أعضاء الناقة يسمى عقراً؛ فهم لم يكتفوا بقطع، أو بتر عضو، بل ذبحوا الناقة.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾: تدل على الجمع قال: عقروها؛ لأنهم اشتركوا في المؤامرة على عقرها (تسعة رهط)، كما ورد في سورة النمل، الآية (٤٨)؛ أمّا في سورة القمر، آية (٢٩)؛ فتعاطى (أي: سيفه)؛ فعقر تدل على الذي قتل الناقة هو كما قيل قدار بن سالف.

﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾: أي: عيشوا فيها ثلاثة أيام، وكلوا واشربوا.

﴿فِي دَارِكُمْ﴾: الدار تعني: البلدة، أو القرية، أما دياركم تعني: المنازل، أو المساكن.



﴿ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾: مكذوب: صيغة مبالغة من كذب؛ أي: وعد صادق لا ريب فيه. والوعد عادة يأتي في الخير، واستعماله هنا للتهكم، وهو من قبيل تأكيد الشيء بنفي نقيضه.

[٦٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: تدل على الترتيب، والتعقيب، والسرعة (ثلاثة أيام).
﴿جَاءَ أَمْرُنَا﴾: جاء، ولم يقل: أتى؛ لأن في المجيء صعوبة ومشقة والإتيان فيه سهولة، وخفة.

﴿أَمْرُنَا﴾: العذاب: هو الصيحة.

﴿نَجَّيْنَا﴾: ارجع إلى الآية (٥٨) من نفس السورة.

﴿صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾: الذين تدل على كثرة الذين آمنوا معه؛ أي: اتبعوه.

﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾: قدّم الرحمة هنا لتتسع لمن آمن، ولم يكن تقياً؛ لأنه في آية أخرى ذكر نجينا الذين آمنوا، وكانوا يتقون، فذكر الرحمة هنا أغنى عن ذكرى التقوى.

﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾: الإذلال، والقهر يوم القيامة. انظر إلى كلمة (يومئذ): هذه فقد وردت في سورة المعارج آية (١١) وهي قوله تعالى: ﴿لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنِيبِهِ﴾، وإعرابها يكون كالتالي: يوم: مضاف إليه مجرور؛ إذ: ظرف (زمانى أو مكانى) مبني على السكون في محل جر مضاف إليه، والتنوين: هو تنوين العوض عن جملة محذوفة مقدرة نجينا، ويومئذ: تختلف عن يومئذ كما في الآية (٤٢) من سورة النساء وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمِئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ﴾ يوم: ظرف زمان منصوب.



﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾: إن تفيد التوكيد.

﴿رَبَّكَ هُوَ﴾: ضمير فصل للحصر، والتوكيد.

﴿الْقَوِيُّ﴾: القادر على كل شيء كامل القوة عظيم القدرة.

﴿الْعَزِيزُ﴾: الغالب لا يُغلب، ولا يُقهر، والممتنع، ولا يكون ذلك إلا بكونه قوياً، ولذلك دائماً يقدّم القوي على العزيز؛ لأن العزة مبنية على القوة.

[٦٧] ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمًا﴾:

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾: الصيحة: صيحة من السماء؛ ارجع إلى سورة المؤمنون، آية (٤١)؛ للبيان، وأخذ: ولم يقل: وأخذت كما ورد في قوم شعيب في الآية (٩٤) من سورة هود: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾، جاء بصيغة التذكير التي تدل على الشدة، والقوة من أخذت بصيغة التأنيث (يستعمل صيغة المذكر مع الأشد)؛ أي: أخذ أشد من أخذت.

فالصيحة التي حلت بقوم صالح أشد كثيراً من الصيحة التي حلت بقوم شعيب؛ إذن: الموقف مختلف من حيث العذاب وشدته، ونوعه، وسمى الله سبحانه هذا العذاب بالصيحة وسمّاه بالرجفة، والطاغية، والصّاعقة، كما ورد في سورة الأعراف، آية (٧٨): ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾، وفي سورة الحاقة، الآية (٥): ﴿فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾، وفي سورة فصلت، آية (١٣): ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صِيعَةً﴾.

﴿فَأَصْبَحُوا﴾: الفاء: تدل على الترتيب، والتعقيب.

﴿فِي دِيَرِهِمْ﴾: وقيل: في ديارهم، مساكنهم أو بيوتهم، ولو قال دارهم كما ورد في سورة الأعراف آية (٧٨) تعني: بدلم أو وطنهم؛ فأصابتهم الصيحة أينما كانوا وأحلوا. وجاءت كلمة الصيحة مصاحبة ديارهم في آيتين في سورة هود (آية: ٦٧، ٩٤)، وجاءت كلمة الرجفة مصاحبة دارهم في ثلاث آيات، وقيل الصيحة أشد من الرجفة في الهلاك والبعد.



﴿جَثِمِينَ﴾: الجاثم: من لزم مكانه، ولم يبرح، أو لصق بالأرض بعد انتزاع روحه.

[٦٨] ﴿كَانَ لَمْ يَغْنَوْفَهَا إِلَّا إِنْ شَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدَ لَشُمُودَ﴾:

﴿كَانَ لَمْ﴾: الكاف: للتشبيه، وإن: للتوكيد، والتشبيه بكأن أبلغ من التشبيه بالكاف؛ تفيد التقريب.

﴿لَمْ﴾: حرف نفي.

﴿يَغْنَوْفَهَا﴾: أي: يعمروها، أو يطول مقامهم فيها، ويغنوا من الغناء؛ أي: الوجود، أو الإقامة؛ أي: كأن لم يكونوا موجودين، أو أحياء، أو يغنوا من الغنى، وكثرة المال؛ أي: كأنهم لم يكونوا أغنياء، وفي سعة من العيش. فيها: تعود إلى الديار.

﴿أَلَا﴾: أداة تنبيه لما يرد بعدها من الكلام.

﴿إِنْ شَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٦٠)؛ للبيان.

﴿بُعْدًا﴾: ارجع إلى الآية (٦٠) من نفس السورة؛ للبيان.

﴿لَشُمُودَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والتوكيد.

[٦٩] ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيزٍ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، اللام: للتوكيد، قد: تزيد التوكيد.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾: جبريل ﷺ، ومعه ملكان؛ كما جاء عن ابن

عباس ﷺ.

﴿بِالْبُشْرَى﴾: البشارة بالولد، وهو المرجح، وقيل: بهلاك قوم لوط،

والبشرى عادة هي الإخبار بشيء يسرُّ قبل أوان وقوعه. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٩)؛ للبيان.

﴿قَالُوا سَلَامًا﴾: أي: نسلم سلاماً (جملة فعلية تدل على التجدد والتكرار).

﴿قَالَ سَلَامٌ﴾: قال إبراهيم رداً عليهم: سلام؛ أي: سلام عليكم؛ جملة اسمية تدل على الثبوت، والجملة الاسمية: أقوى من الفعلية؛ فيكون إبراهيم قد رد التحية بأحسن منها، كما قال سبحانه في القرآن: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَحِيَّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦].

﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، والسرعة.

﴿لَبِثَ﴾: أسرع بإعداد الطعام، وإحضاره للضيوف، وهذا دلالة على جوده وكرمه.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري يدل على التوكيد، أو التعليل.

﴿بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾: العجل هو ولد البقرة.

﴿حَنِيدٍ﴾: مشوي على الحجارة المحمأة، وقيل: حنيد يقطر دسماً، وحنذ الشاة شواها، وفي الداريات، الآية (٢٦): ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾: دلالة على كرمه، وحبه للضيف.

وحنيد: لا تعني سمين، سمين تصف العجل، وحنيد كيف أعده وشواه.

[٧٠] ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، لما: ظرف زماني بمعنى: حين.

﴿رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾: رأى إبراهيم أيدي الملائكة (وهو لمَّا يعرفهم بعد أنهم ملائكة) لا تمتد إلى الطعام لتأكل؛ لأنَّ الملائكة لا يأكلون.



﴿نَكِرَهُمْ﴾: شعر بشيء على غير ما تعهد أنكر عليهم ذلك، لم يصدق ذلك، أو شعر بشيء غير مألوف؛ لأنّ العرف إذا نزل بهم ضيف يأكل ويشرب، ولا يمتنع عن ذلك إلا إذا جاء طالباً شيئاً؛ فلا يأكل حتى يستجاب لطلبه، ثم يأكل، أو إذا جاء ينوي الشر؛ فإذا أكل أمنوه.

﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾: أوجس: أضمر، أو أحس، وشعر بالخوف، حاول أن يضمّر، ويخفي شعوره بالخوف منهم، وأن لا يظهر خائفاً، ولكن سرعان ما ظهر الخوف على وجهه، ولم يستطع أن يخفيه؛ فلما رأى الملائكة ذلك قالوا له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾، وفي آية أخرى: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ [الحجر: ٥٣].

أوجس من الإيجاس: من الوجس؛ إضمار الخوف والفرع الذي يقع في القلب.

لنقارن هذه الآية: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ الآية تتحدث عن إبراهيم عليه السلام. مع الآية (٦٧) من سورة طه: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ الآية تتحدث عن موسى عليه السلام.

ما هو الفرق بين الآيتين: أوجس منهم خيفة؛ أي: إبراهيم عليه السلام شعر بالخوف من الملائكة، وحاول إخفاءه في نفسه، وعدم إظهاره للملائكة، ولكن سرعان ما ظهر الخوف على وجهه؛ فعلموا: أنّه خائف؛ فقالوا له: لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط، وتقديم كلمة منهم يدل على أنّ الخوف كان منهم وحدهم لا من غيرهم.

بينما في سورة طه: أوجس موسى عليه السلام في نفسه خيفة؛ أي: شعر بالخوف، وأضمره، وحاول إخفاءه في نفسه، وعدم إظهاره للسحرة، وبعون الله استطاع موسى إخفاءه، وعدم إظهاره للسحرة، ولو ظهر على وجهه موسى لدلّ ذلك على ضعف موسى أمام السحرة، وفرعون، والملأ، والموقف لا يسمح بذلك؛ فهو موقف تحدّ وإعجاز.

إذن الفرق بينهما: إبراهيم ﷺ لم يستطع كتمان خوفه؛ فظهر عليه أنه خائف؛ بينما موسى ﷺ استطاع أن يكتُم خوفه عن السّحرة بعون الله.

[٧١] ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسَ نَهْأً يَاسْحَقٌ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾:

﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾: امرأة إبراهيم سارة بنت هاران.

﴿قَائِمَةٌ﴾: وراء الستار، أو الحجاب؛ تسمع كلامهم، أو قائمة تخدمهم، أو قائمة بخدمة الرّسل، وإبراهيم جالس معهم. وقيل: قائمة تصلي.

﴿فَضَحِكَتْ﴾: الفاء: للترتيب والتّعقيب، ضحكت: هو الضّحك المعروف، وهو المرجح. وقيل: الضحك: التعجب.

وسبب ضحكها: هو البشارة بالولد، وهي عجوز عقيم، وقيل: إنّ في الآية تقديمًا، وتأخيرًا؛ أي: وامرأته قائمة فبشرناها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب؛ فضحكت من شدة الفرح بالولد، وابن الولد، وقيل: سبب ضحكها؛ لما علمت ما سيحلّ بقوم لوط من الهلاك والدّمار، ومن التّفسير النّادرة ضحكت؛ أي: حاضت شعرت بدم الحيض.

﴿فَبَشَّرْنَاهَا﴾: الفاء: تدل على التّعقيب، والترتيب، والبشارة: هي الخبر السّار الذي يُسمع لأوّل مرة، ويؤدّي إلى ظهور علامات السّرور على بشرة الوجه ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٩).

﴿يَاسْحَقُ﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد، والقرب.

﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾: أي: من بعد إسحاق ﷺ يعقوب، الورا: تعني: هنا ولد الولد (يعقوب).





سورة هود ١١

الجزء الثاني عشر

قَالَتْ يَوَيْلَتِي ۖ أَلَدُّ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَذَا
لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ
وَبَرَكَتُهُ ۖ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ
عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرُّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَتَابَرَاهِيمُ ۖ أُعْرِضْ عَنْ هَذَا ۖ إِنَّهُ
قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ لَأَتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا
جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئًا ۖ أَنَّهُمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا
يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا
يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۖ قَالَ يَتَقَوْمُهُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ
﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ
﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ إِيَّايَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا
يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ۖ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعِ
مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا
مَا أَصَابَهُمْ ۖ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۖ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

سورة هود [الآيات ٧٢ - ٨١]

[٧٢] ﴿قَالَتْ يَوْلَيْتُ ٱلَّذِى ٱنَّآءُ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾:

﴿قَالَتْ﴾: سارة زوجة إبراهيم.

﴿يَوْلَيْتُ﴾: يا: النداء، ويله: وأبدلت الياء في ويلتي بالألف لمد الصوت في التعجب، وكلمة يا ويلتى تقال عند وقوع الأمر العظيم خيراً كان أم شراً، وعند الجزع ووقع الداهية العظيمة، يقال للتعجب مما حل به، وقد تعني: يا فضيحتاه، وقد تعني الهلاك؛ أي: يا هلاكي (يا أيها الموت) أقبل وخلصني مما أنا فيه، وهو دعاء على النفس بالويل، والويل من معانيه الهلاك.

إذن يا ويلتي: للتعجب، أو: يا فضيحتاه، أو: يا هلاكي، والأغلب أنها قالتها للتعجب.

﴿ٱلَّذِى﴾: الهمزة: للتعجب، والاستبعاد، ألد وأنا عجوز عقيم، ألد وقد بلغني الكبر. قيل: كان عمرها يتجاوز (٩٠ عاماً).

﴿وَٱنَّآءُ عَجُوزٌ﴾: أنا: ضمير فصل. عجوز: مشتقة من العجز، والعجز يعني: عدم القيام، والقدرة على الحركة بسهولة.

ومن تقدّم به العمر يصبح عجوزاً، ومن الصعب تحديد عمر محدّد يطلق فيه على المرأة عجوز.

﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾: وهذا اسم إشارة للقرب؛ لكون إبراهيم قريباً منها.

﴿بَعْلِى﴾: زوجي، ويسمّى زوج المرأة بعلاً؛ لأنه القائم على أمر زوجته، فلا يحوجها إلى شيء من الأشياء، ويقال للنخل، أو بعض الزرع: بالبعل؛ لكونه لا يحتاج إلى مطر، أو سقي، ويكتفي بما يمتصه من الأرض، وقيل: البعال:



النكاح، والمباعدة حسن المعاشرة، وامرأة حسنة التبعل؛ أي: مطاوعة لزوجها، وفي كلمة البعال: معنى المعاشرة الجنسية التي تؤدي إلى الإخصاب.

﴿شَيْخًا﴾: الشيخ: لقب يطلق على الإنسان الذي تقدّم في السن، أو تطلق عليه لمكانته، ولمنزلته بين الناس.

﴿إِنَّ هَذَا شَيْءٌ﴾: إن: للتوكيد، هذا: اسم إشارة للقرب، والهاء: للتنبيه.

﴿لَشَيْءٌ﴾: اللام: لام التوكيد، شيء: أمر عجيب.

﴿عَجِيبٌ﴾: صيغة مبالغة من عجب، وعجيب وعُجاب؛ أي: شيء يخالف السنن الكونية، أو خارقاً للعادة. ارجع إلى سورة ق، آية (٢)؛ للبيان، وسورة (ص) آية (٥) لمعرفة الفرق بين عجيب وعجاب وعجباً.

[٧٣] ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾:

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾: قالوا؛ أي: الرسل. الهمزة: للاستفهام، فيه معنى النفي؛ أي: لا تعجبين من أمر الله، وقضائه، وقدره.

﴿رَحِمْتُ اللَّهُ﴾: الرحمة عامة، وتعني: الإنعام، وجلب ما يسرّ، ودفع ما يضرّ (الوقاية من الضرر).

﴿وَبَرَكْنَاهُ﴾: والبركة جزء من الرحمة، والبركات النمو، والزيادة.

﴿عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾: أهل البيت: إبراهيم، وزوجته.

﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾: إنه: إن: للتوكيد، والهاء: تعود على الله سبحانه، المحمود في أفعاله، يستحق الحمد على الدوام، على وزن فعيل صيغة مبالغة؛ لأن جميع المخلوقات من أهل السموات، والأرض تنطق بحمده، ويُحمد على ما له من الأسماء، والصفات فيحمد لذاته، ويحمد لصفاته، ولأفعاله، وقد تردّد هذا الاسم حميد سبع عشرة مرة في القرآن المجيد.

﴿مَجِيدٌ﴾: أصل المجد الرَّفْعَةُ، ذو المجد، والرَّفْعَةُ، والشَّرَفُ التام، والكرم، والعظمة، ومجده: عظمته، والثناء عليه.

وقيل: المجيد هو الذي عظم كرمه، وهذه الآية الوحيدة التي ذكر فيها هذا الاسم المجيد.

[٧٤] ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب. لما: ظرف زماني يعني: حين، ومتضمن معنى الشرط.

﴿ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾: انقباض في النفس منبعه القلق والاضطراب والإنكار الذي أصاب قلبه، وذهب الغم عنه فرغ للمجادلة؛ راح يجادلنا في قوم لوط.

﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾: تذكر، أو خطر على قلبه الخبر السار الذي أخبر به الملائكة بأن الله سيرزقه الغلام، وأن الملائكة ذاهبون إلى قوم لوط؛ ليرسلوا عليهم حجارة من طين.

﴿يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾: لم يبين في هذه الآية نوع الجدل، ولكن بيّنه في آية أخرى في سورة العنكبوت، الآية (٣١-٣٢): ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (٣١) قَالَ إِبْرَاهِيمُ إِنَّهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ﴾.

والجدال: هو الحوار الذي يحدث بين طرفين أو أكثر؛ لإثبات حق، أو إظهار حجة، أو دفع شبهة.

[٧٥] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾: إن: للتوكيد.

﴿إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾: لحليم: اللام: لام الاختصاص، والتوكيد؛ حلیم: صفة



مبالغة من الحلم لا يتسرع يصبر، ولا يتعجل، ولا يغضب بسرعة صبور على الأذى، ولا يستعجل في الانتقام؛ صفوح.

﴿أَوْهٌ﴾: كثير التأوه؛ أي: الخوف، والتضرع إلى الله، والندم على الذنب.

﴿مُنِيبٌ﴾: سريع التوبة بعد الذنب، وكثير الرجوع إلى الله والتوبة، وفي سورة التوبة آية (١١٤) قال تعالى عن إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوْهٌ حَلِيمٌ﴾ ذكر صفتين من أصل ثلاث صفات لإبراهيم؛ لأن سورة التوبة تتحدث فقط عن استغفار إبراهيم لأبيه (عمه).

[٧٦] ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ عَنِ الذَّنْبِ هَٰذَا غَيْرُ مَرَدٍّ دُونَ﴾:

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾: أعرض عن الجدل في قوم لوط؛ أي: قالت له الملائكة: يا إبراهيم كف عن الجدل في أمر قوم لوط إنه قد جاء أمر ربك حيث قيل: إن إبراهيم لما سمع قولهم إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين. قال: أرايتم إن كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونهم؟ قالوا: لا؛ قال: فأربعون؟ قالوا: لا؛ وهكذا عشرون؟ عشرة؟ خمسة؟ قال: فواحد؟ قالوا: لا؛ ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنِ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ [العنكبوت: ٣٢]. هذا قول ابن إسحاق وغيره.

﴿إِنَّهُ قَدْ﴾: إن: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، وزيادة التوكيد.

﴿جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: عذاب ربك، وقضائه، وقدره على قوم لوط.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ عَنِ الذَّنْبِ هَٰذَا غَيْرُ مَرَدٍّ دُونَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿عَنِ الذَّنْبِ هَٰذَا غَيْرُ مَرَدٍّ دُونَ﴾: أي: العذاب نازل بهم لا محالة، وغير مصروف عنهم لا بجدال، ولا بدعاء، أو تحويل، أو تبديل.

[٧٧] ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمُ عَصِيبٍ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: لما: ظرف زماني بمعنى: وحين، وفي سورة الحجر آية (٦١) قال

تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴾ الفاء: تدل على التعقيب والمباشرة؛ أي: بعد أن تركوا إبراهيم ﷺ.

﴿ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئِينَ ﴾: أي: ساءه مجيئهم (أحزنه مجيئهم لعنده)، أو استاء من حضورهم، وأصابه غم؛ لاعتقاده أنهم بشر، وليس ملائكة، وفي سورة العنكبوت آية (٣٣) قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئِينَ ﴾ زاد (أن)؛ ارجع إلى سورة العنكبوت آية (٣٣) للبيان.

﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾: لم يعد يُطيق، أو يتحمل وجودهم عنده، ضاق بهم صبره ووسعته، خوفاً من عدم استطاعته على تخليصهم من أيدي قومه، أو أذى قومه، ورغبتهم في فعل الفاحشة في هؤلاء الضيوف. والذرع: يعني: الطاقة والقدرة؛ لأن الذراع واليد عنوان الطاقة والقدرة، ووجودهم عنده، ومحاولة حمايتهم من قومه أمر فوق طاقته وقوته.

﴿ وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾: يوم شره عظيم، وعصيب اشتقت من العصابة التي يربطها الإنسان على رأسه حين يعاني من شدة الصداع، وغيره، أو عصيب مشتقة من العصب، وجمعها الأعصاب، ويعني: يوم مليء بالصداع؛ أي: هذا يوم شديد شره وبلاؤه.

[٧٨] ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفَوِرُ هُنَآءَ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾:

﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ﴾: يُسرعون إليه (يهزولون)، ويحث بعضهم بعضاً مندفعين إلى دار لوط بدافع الشهوة، أو بجرأة، ونشاط، وقيل: الأصل في كلمة يُهرعون: جاءت من مشي الأسير الذي يُسرع به.

﴿ وَمِنْ قَبْلُ ﴾: أي: من قبل مجيء هؤلاء الملائكة، أو من قبل مجيء قوم لوط مسرعين إلى منزله وضيوفه.



﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: يعملون: يقولون، ويفعلون. السيئات: فعل الفاحشة، والمنكرات في ناديمهم.

﴿قَالَ يَنْفُورُ﴾: قال لوط لهم عندما وصلوا إلى منزله:

﴿هَؤُلَاءِ﴾: الهاء: للتنبيه، أولاء: اسم إشارة للقرب.

﴿بَنَاتِي﴾: قيل: نساء قومه، أو بناته من صلبه. بناتي جمع بنت، فتزوّجنهن؛ لأنّ كلّ نبي يعتبر أبو أمته، وكان تزويج المسلم من الكافر جائزاً آنذاك، ولم يكن تشريع التحريم قد نزل بعد؛ قاله الحسن، أو كان هذا بشرط إسلامهم؛ قاله الزجاج.

﴿هُنَّ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر، والتوكيد.

﴿أَطْهَرُ لَكُمْ﴾: بالزّواج، وأطهر من اللواط.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: خافوا الله، خافوا نقمته وعقابه، وأطيعوا أوامره، واجتنبوا الفاحشة.

﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾: لا: النّاهية، تخزونني: من الخزي، وهو الفضيحة أمام الناس، والهوان، والذل، والعار؛ أي: لا تفضحوني أمام الناس، وتجعلوا عليّ العار.

﴿ضَيْفِي﴾: تطلق على المفرد، والمثنى، والجمع.

﴿الْيَسَ﴾: استفهام فيه معنى التعجب، والتوبيخ.

﴿مِنْكُمْ﴾: أي: من القوم، من قوم لوط أنفسهم منكم خاصة.

ولم يقل: أليس فيكم؛ فيكم: قد تعني: رجل زائر، أو قادم إليهم، أو كائن بينهم، وليس من قوم لوط. فيكم: ولأن فيهم لوطاً، أو أهله.

﴿رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾: رجل صالح مستقيم؛ أي: ذو صلاح، واستقامة، ورشيد

من الرّشد، والرّشد: هو الصّلاح، والاستقامة في الدّين، وتعني: المرشد الدّال على الخير، والمعروف.

[٧٩] ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾:

﴿قَالُوا لَقَدْ﴾: قال: قوم لوط لوط: لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق (زيادة التّوكيد).

﴿عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾: من حق: من حاجة؛ أي: أنت تعلم أننا لا نريد بناتك؛ لأننا ليس لنا رغبة فيهنّ، أو الزواج بهنّ.

﴿وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾: إنك: إن: للتوكيد؛ لتعلم: اللام: للتوكيد؛ تعلم ما نريد: أي: ضيوفك الرّجال للقيام بالفاحشة.

[٨٠] ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾:

﴿قَالَ لَوْ﴾: قال لوط؛ لو: شرطية للتمني حرف امتناع لامتناع ﴿أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، والجواب: محذوف، تقديره: لمنعكم من ارتكاب هذه الفاحشة.

﴿أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾: أن: تفيد التّوكيد.

﴿لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾: أي: قوّة تنصّرني عليكم، أو أدافع بها.

﴿أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾: أو: للاختيار؛ آوي إلى ركن شديد: ألجأ، أو لي عشيرة قوية تنصّرني عليكم، أو تحمّني، وتحمي ضيوفي. وقد تعجب رسول الله ﷺ من قول لوط، فقال: «رحم الله أخي لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد». رواه البخاري، والإمام أحمد في مسنده.

[٨١] ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا



يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهُمَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٦٥﴾

﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾: قالوا؛ أي: الملائكة.

﴿يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾: وهكذا أخبر الملائكة لوطاً ﷺ لأول مرة بأنهم رسل من الله.

﴿رُسُلُ رَبِّكَ﴾: رُسل: جمع رسول، أو مرسل من ربه، ويدل على أنهم ثلاثة، أو أكثر.

﴿لَنْ﴾: حرف نفي للمستقبل القريب، والبعيد.

﴿يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾: بأيّ سوء بسببنا، ثم أخبرته الملائكة أيضاً.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾: من أسرى: السّير ليلاً، والباء: معناها المصاحبة، فأسر بأهلك؛ أي: اخرج ليلاً، وهناك فرق بين أسرى: سار أول الليل، وسرى: سار آخر الليل.

﴿يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ﴾: قطع: جمع قطعة؛ أي: جزء؛ أي: أسر بأهلك في جزء من الليل، أو من آخر الليل.

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾: لا: النّاهية؛ لا يلتفت ورائه التفات حسي.

﴿إِلَّا أَمْرَانِكَ﴾: أي: لا تسرّ بها، ولا تخرج معكم؛ إنها من الغابرين؛ أي: الهالكين، فهذا الاحتمال هو الأقوى.

أو أسر بأهلك إلا امرأتك: الاستثناء متعلّق بالإسراء، وقد يحتمل الاستثناء أن يكون متعلّقاً بكلمة يلتفت؛ فيكون المعنى: ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك، وعلى هذا تكون قد سرت معهم، ولكنها التفت فأصابها العذاب، وهذا احتمال ضئيل. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٦٥) من سورة الحجر وهي قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُ حَيْثُ

تُؤْمَرُونَ ﴿ ففِي هَذِهِ آيَةٍ لَمْ يَذْكُرْ إِلَّا امْرَأَتَهُ؛ لِأَن ذِكْرَهَا جَاءَ فِي آيَةِ (٥٩-٦٠) مِنْ سُورَةِ الْحَجَرِ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا أَلْ لُّوطِ إِنَّآ أَلْمَنُجُوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٥٩ إِلَّا امْرَأَتَهُ، فَدَرَرْنَا إِنَّهَا لَمِنْ الْغَيْرِ ﴿، وَأَيْضًا فِي سُورَةِ الْحَجَرِ أَضَافَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبَعَ أَذْبَرَهُمْ﴾ فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لُوطًا يَمْشِي وَرَائِهِمْ وَيَعْلَمُ أَنَّ امْرَأَتَهُ لَيْسَتْ مَعَهُمْ.

﴿إِنَّهُ مُصِيبُهُمَا مَا أَصَابَهُمْ﴾: إِنَّهُ: لِلتَّوَكِيدِ.

﴿مَا﴾: بِمَعْنَى: الَّذِي.

﴿أَصَابَهُمْ﴾: رَغْمُ كَوْنِهِ لَمْ يَحْدُثْ بَعْدَ جَاءَ بِهِ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي، وَكَأَنَّهُ حَدَثَ وَانْتَهَى.

﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾: رَدًّا عَلَى سُؤَالِ لُوطٍ لِلْمَلَائِكَةِ عَنْ وَقْتِ إِهْلَاكِهِمْ، مَوْعِدُهُمُ الصُّبْحُ، وَاخْتَارَ الصُّبْحَ؛ لِأَنَّهُ وَقْتُ النَّوْمِ الْعَمِيقِ، وَالْهَدْوِ، وَعَلَى غَيْرِ اسْتِعْدَادٍ؛ فَيَكُونُ الْعَذَابُ أَشَدَّ فَيُوقِظُهُمْ مِنْ نَوْمِهِمْ.

﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾: الهمزة: اسْتِفْهَامٌ تَقْرِيرِي.

﴿الصُّبْحُ﴾: هُوَ الزَّمَنُ الَّذِي يَلِي الْفَجْرَ، وَيَطْلُقُ عَلَى أَوَّلِ النَّهَارِ، وَفِي سُورَةِ الْحَجَرِ آيَةِ (٧٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ فَإِذَا جُمِعْنَا بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ نَجِدُ أَنَّ عَذَابَهُمْ ابْتَدَأَ الصُّبْحَ، وَاسْتَمَرَّ حَتَّى شَرُوقِ الشَّمْسِ، فَأَيَّةُ هُودٍ تَدُلُّ عَلَى زَمَنِ بَدْءِ الْعَذَابِ، وَأَيَّةُ الْحَجَرِ تَدُلُّ عَلَى زَمَنِ انْتِهَاءِ الْعَذَابِ.





الجزء الثاني عشر

سورة هود ١١

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ * وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّن إِلَهٍ غَيْرُهُ
وَلَا تَتَّقُوا الْمَكِّيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ
وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمُ
أَوْفُوا الْمَكِّيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا
النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾
بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
بِخَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ
تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ
إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَبْقَوْمُ ارْءَوْا يَسْمُرُ
كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ
أُخَالِفَكُم إِلَىٰ مَا أَنهَدَكُم عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ
مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾



الجزء
٢٤

سورة هود [الآيات ٨٢ - ٨٨]

[٨٢] ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للمباشرة، والتعقيب؛ لما: ظرفية بمعنى: حين.

﴿جَاءَ أَمْرُنَا﴾: عذابنا.

﴿جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا﴾: جعلنا: قرئ قوم لوط عليها سافلها؛ أي: قلبناها انقلاباً تاماً بعد رفعها إلى أعالي السّماء، ثمّ قلبها، وتركها تهوي على الأرض، ولذلك سميت المؤتفكات في سورة براءة آية (٧٠)

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾: وأمطرنا على هذه القرى بعد تدميرها حجارة، والحجارة كانت من سجيل منضود، وقوله تعالى: (عليها): تعني على قرى قوم لوط، والقرية: تعني أهلها ومنازلها؛ أي: المطر أصاب الكل، وفي سورة الحجر آية (٧٤) قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ففي هذه الآية عاد وذكر أهلها للاهتمام والتوكيد، وإذا علمنا أن سورة هود نزلت (ترتيب النزول) قبل سورة الحجر (أي: ذكر الخاص بعد ذكر العام). ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٤) لمزيد من البيان.

﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾: حجارة من طين طبخت بالنّار بدليل الآية الأخرى في سورة الذّاريات، الآية (٣٣): ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾: طين قد تحجّر، ولعلها تُشبه الأستروئيد التي هي أجزاء من الكواكب المتناثرة التي تسقط على الأرض.



﴿مَنْضُودٍ﴾: متتابع في النزول، من التضد: وهو وضع الشيء بعضه على بعض؛ نضده: فهو منضود. ارجع إلى سورة الحجر، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان، وسورة النحل آية (٥٨).

وقد أثبتت الدراسات العلمية على هذه الحجارة التي لا زال بعضها موجود إلى يومنا هذا في مناطق قرى لوط أنها حجارة مركبة من كيماوية خاصة لا تخص الأرض.

[٨٣] ﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَاهِي مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ﴾:

﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾: معلّمة لها علامة خاصة مميزة، أو مسوّمة معروفة من أي الكواكب انفجرت، أو مركبة من معادن خاصة مميزة.

﴿وَمَاهِي مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ﴾: أي: ليس قرى لوط من كفار قريش.

﴿الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ﴾: ولم يقل: ببعيدة، وفي هذا تحذير وتنبيه لكفار مكة بأن يأخذوا ما وقع لقوم لوط بحذر وعبرة، وما هي من الظالمين ببعيد، قد يعني: كلّ ظالم، ويعني: اليهود، أو قوم لوط أنفسهم.

[٨٤] ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا نَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾:

﴿وَالِى مَدْيَنَ﴾: وأرسلنا إلى مدين: اسم قبيلة؛ قبيلة مدين بن إبراهيم ﷺ، أو اسم لمدينة مدين نسبة إلى مدين بن إبراهيم ﷺ، ثم انتقل اسمه فأطلق على اسم قبيلته، أو اسم مكان إقامتهم؛ كقوله: ولما ورد ماء مدين، فصارت مدين علماً على المكان، أو القبيلة، ومدين نبع قرب البحر الأحمر.

﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: شعيب: هو النبي العربي الذي أرسل إلى قبيلة مدين، أو أرسل إلى مدينة مدين كلاهما صحيح، وسُمِّي أخاهم؛ لأنه نشأ بينهم، وتحلَّى بعادتهم؛ فهم يعرفونه بأخلاقه وسيرته، بينما في سورة الشعراء آية (١٧٦-١٧٧): ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ النَّيْكََةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا نَنْقُوْنَ﴾ ولم يقل أخوهم شعيب كما قال في آية هود؛ لأن شعيب ليس من أصحاب الأيكة؛ أي: ليس له نسب فيهم، وإنما أرسل إليهم كما أرسل إلى أصحاب مدين.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾: وبدأ دعوته لقومه كما بدأ غيره من الرسل بدعوتهم إلى عبادة الله وحده (لا إله إلا الله)، كما فعل كل رسول حيث كان أهل مدين يعبدون الأصنام، ويمتازون بالغش في الأسواق، والتجارة، وكانوا يقطعون الطرق، ويفسدون في الأرض بالقتل والسرقة، والتطفيف في الميزان، والمكيال.

فشعيب أرسل ليصلح الحالة الاقتصادية السيئة، والفساد في الأرض الذي يقوم به قومه؛ بينما لوط أرسل ليصلح حالة اجتماعية فاسدة، وهي اللواط، والمنكر، إضافة إلى الدعوة إلى الله.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة؛ لا: الناهية.

﴿نَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾: الخطاب موجَّه إلى كل من البائع، والمشتري معاً؛ بعدم التلاعب بالمكيال، والميزان بالزيادة، أو النقص؛ سواء حين البيع، أو حين الشراء.

﴿الْمِكْيَالَ﴾: هو كل شيء يكال به من قمح، أو زبيب، أو تمر، أو حليب، أو غيره يسمَّى المكيال.



﴿وَالْمِيزَانَ﴾: كل شيء يوزن به سُمِّي الميزان؛ لوزن السلع، والبضائع، والذهب، والفضة... وغيرها.

فقد كان بعضهم إذا باع أنقص من الوزن، أو المكيال للمشتري، وإذا أراد أن يشتري البضاعة زاد في الوزن، أو المكيال؛ كي يأخذ أكثر من حقه من البائع، فجاءت هذه الآية تأمر كل إنسان أن يأخذ حقه فقط.

﴿إِنِّي أَرْبُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾: إني: تأكيد.
﴿أَرْبُكُمْ بِخَيْرٍ﴾: في سعة من الرزق، والنعمة، والبركات؛ يُغنيكم عن التطفيف في المكيال والميزان.

﴿وَإِنِّي﴾: تأكيد.

﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: إذا لم تؤمنوا، وتنتهوا عن البخس، والنقص.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾: صفة لليوم؛ أي: يوم مهلك لكل شيء، وقيل: هو صفة للعذاب، وهذا أبلغ عذاب محيط بكل فرد لا ينجو منه أحد.

[٨٥] ﴿وَيَقَوْمٌ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَيَقَوْمٌ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾: ويكرر شعيب عليهم الأمر نفسه؛ لأن النهي عن النقصان يعني: الإيفاء بالوزن والمكيال؛ للتوكيد، وزيادة الترغيب في القيام بذلك.

وإيفاء المكيال والميزان بالقسط أمر واجب، وبالقسط يعني: إقامة العدل، وتطبيقه.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: لا: النّاهية؛ البخس: النقصان؛ أي: ولا تنقصوا الناس بالظلم بالغش، والخداع، أو الغصب، وأشياء مفردها شيء، وتعني: جنس تمر قمح، أو ثمر، أو مال، أو أجر يشمل كل شيء، ومهما كان نوعه، وقليلًا، أو كثيرًا.

﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: لا: النّاهية؛ اعتوا: من عثا يعتو؛ يعني: أفسد أشد الفساد؛ أي: ولا تفسدوا في الأرض بالسرقة، أو القتل، أو الاغتصاب، والرشوة، وأكل أموال الناس بالباطل.

﴿مُفْسِدِينَ﴾: خارجين عن ضوابط الشرع، والاستقامة، والتوحيد، والسلوك. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) للبيان.

﴿وَأَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾، بينما في سورة الأنعام، والإسراء:

الأنعام: ﴿وَأَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [آية: ١٥٢].

الإسراء: ﴿وَأَوْفُوا الْمِكْيَالَ إِذَا كَلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [آية: ٣٥].

﴿وَأَوْفُوا الْمِكْيَالَ إِذَا كَلْتُمْ﴾؛ أي: وقت كيلكم، على سبيل التأكيد، وعدم تأخير.

[٨٦] ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾:

﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾: اسم مصدر من بقي، ما بقي لكم بعد إيفاء المكيال، والميزان بالقسط، كثيرًا كان أو قليلًا خير لكم؛ لأنّه من الحلال، وهو أفضل مما تأخذونه من الحرام؛ فأَيُّ سحت، أو حرام لا يبارك الله فيه، أو تعني: ما يبقى لكم عند الله من الصّالحات. وانظر إلى كيفية كتابة (بقيت) في هذه الآية بالتاء المفتوحة،



وانظر إلى كيفية كتابة (بقية) في الآية (١١٦) من نفس السورة ﴿أُولَٰئِكَ﴾ بالتاء المربوطة، وكذلك في آية (٢٤٨) من سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ﴾؛ فهذا يدل على قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وإذا نظرنا إلى السياق نجد (بقيت) بالتاء المفتوحة: جاءت في سياق كثرة البقية أو (المعنوية)، و(بقية) بالتاء المربوطة: جاءت في سياق القلة: قلة البقية، أو في سياق الأمور المحسوسة أو المادية.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾: إن: شرطية.

﴿كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: بشرط أن تؤمنوا؛ أي: تصدقوا بما أقول لكم وأدلكم عليه، وتؤمنوا بالله وحده.

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾: وما بعثت رقيباً على أعمالكم، أو محصياً لكم، ولا لأحفظها عليكم، وأحاسبكم عليها إنما أنا مبلغ، ومنذر، وما أنا قادر على حفظكم من عذاب الله إن حلّ، أو نزل بكم.

[٨٧] ﴿قَالُوا يَشْعِبُ أَصْلُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾:

﴿أَصْلُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، وتهكم؛ تعني: الصلاة العادية؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [المنكوت: ٤٥]؛ حيث كان شعيب كثير الصلاة قالوا ذلك من قبيل الاستهزاء والسخرية.

وقيل: الصَّلَاة: الدِّين؛ لأنَّ الصَّلَاةَ هي عماد الدِّين؛ أي: أدينك بأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا، أو الصَّلَاة العادية.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري تفيد التوكيد.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ أي: الَّذِي يعبدُ آباؤنا؛ أي: نترك عبادة آبائنا، أو معبود آبائنا، أو نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء من تطفيف، وبخس، أو ما نشاء من الأشياء الحلال، أو الحرام.

﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾: قول تهكُّم وسخرية، فهم لا يؤمنون به أصلاً، وبأنه الحليم الرشيد.

﴿إِنَّكَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لَأَنْتَ﴾: اللام: لام الاختصاص، وظاهر الآية الكريمة وحقيقتها الاستهزاء؛ أي: قالوا ذلك استهزاء به.

﴿الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾: الحليم: من الحلم، وهو الأناة، والتَّريث، وضبط النفس، وعدم الغضب، وبعيد عن الحمق، والسَّفه.

﴿الرَّشِيدُ﴾: الرَّجُل الصَّالِح المستقيم، أو ذو الصَّلاح، والاستقامة، أو المرشد الدَّال على الخير، والحلال، والطَّيب؛ الرَّشد: ضد السَّفه.

[٨٨] ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَضَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾:

﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾: ارجع إلى الآية (٦٣) من نفس السورة؛ للبيان.



﴿وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: رزقني منه النبوة، والعلم، والمعرفة.

﴿رِزْقًا﴾: نكرة تشمل كل أنواع الرزق بما فيه المال، والطعام، والملبس، والأهل.

﴿حَسَنًا﴾: الرزق الحلال الطيب الواسع، وتعني: كذلك المال وغيرها.
﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ خَالِفَكُمُ إِلَيَّ مَا أَنْهَكُمُ عَنْهُ﴾: أي: ما النافية؛ أي: ليس في نيتي.

﴿إِنْ﴾: حرف مصدري؛ يفيد التعليل، والتوكيد؛ أن أنهاكم عن أمر، أو شيء، وأفعله، وإنما أنهى نفسي أولاً عن فعله، ثم أنهاكم عنه، أو كيف آمركم بالبر وأنا لا أفعله، كما جاء في قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤].

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾: إن: حرف نفي أقوى في النفي من حرف ما؛ أي: ما أريد إلا الإصلاح.
﴿أُرِيدُ إِلَّا﴾: إلا: أداة حصر.

﴿الْإِصْلَاحَ﴾: ما أريد إلا محاربة الفساد، وأكل أموال الناس بالباطل، والبخس، والتطيف والدعوة إلى الله وحده، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾: ما: حرف مصدري؛ استطعت: أي: سأحاول بقُصاري جهدي، واستطاعتي.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾: الواو عاطفة؛ ما: النافية. وما توفيقِي: للقيام

بالإصلاح، ومحاربة الفساد، وقدرتي على إتمام ذلك يتوقف على تيسير الله، وعونه لي.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، وقصر.

﴿بِاللَّهِ﴾: الباء: باء: الإلصاق، والتوكيد.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: عليه أعتمد، وأفوض جميع أموري إليه؛ أي: أطلب منه العون في كل عمل بعد أن أقدم الأسباب الضرورية.

﴿وَالَيْهِ أُنِيبُ﴾: إليه تقديم الجار، والمجرور؛ يفيد الحصر. الإنابة: سرعة الرجوع إلى الله، وتفيد الكثرة والإنابة، سواء أكانت بسبب ذنب، أم بدون ذنب؛ أي: الرجوع إلى الله بعد كل قول أو فعل، وأما التوبة: الرجوع إلى الله بعد صدور الذنب من العبد، والندم وعدم الرجوع إلى الذنب، والإكثار من العمل الصالح.





سُورَةُ هُودٍ ١١

البقرة الثانية عشر

وَيَقَوْمٌ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ
قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ
بَبَعِيدٍ ﴿١٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي
رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿١٩٠﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ
وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿١٩١﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ
اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ ﴿١٩٢﴾ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ
سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ
كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿١٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ
أَمْرُنَا نَجِيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتْ
الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جَثِمِينَ ﴿١٩٤﴾
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعْدَتْ ثَمُودُ ﴿١٩٥﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩٦﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ
وَمَلَائِيهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿١٩٧﴾

سورة هود [الآيات ٨٩ - ٩٧]

[٨٩] ﴿وَيَنْقَوْمُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾:

﴿وَيَنْقَوْمُ﴾: نداء فيه تودُّد، واستعطاف، والقوم: هنا تشمل الرجال، والنساء.

﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لا: النّاهية.

﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: مشتقة من أجرمه؛ أي: دفعه، وحمله على فعل الجرم، أو الذنب، والظلم.

﴿شِقَاقِي﴾: لا يجرمنكم شقائي: لا تدفعنكم، أو تحملنكم عداوتي، أو خلافي معكم، أو بغضكم لي على ارتكاب ما حرم الله تعالى من الشرك، وعدم القسط في الميزان والمكيال، والفساد، فخاف شعيب أن تكون دعوته للإصلاح سبباً لإصرارهم على الكفر، والفساد، والمعصية؛ فيصيبهم مثل ما أصاب الأقوام الأخرى.

﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾: أن: حرف مصدر ي؛ يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿مِثْلُ مَا﴾: ما: اسم موصول؛ أي: كالذي أصاب قوم نوح من الغرق.

﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾: من الرّيح الصّرصر العاتية، أو قوم صالح من الرّجفة.

﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾: الواو: استئنافية؛ تفيد الاهتمام. ما: النّافية؛

أي: وما حدث لقوم لوط من الهلاك، والدمار ليس ببعيد زماناً، ولا مكاناً؛ أي: منذ زمن قريب، ولا يبعدون عنكم كثيراً.



[٩٠] ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾:

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾: ارجع إلى الآية (٣ و ٦١) من سورة

هود.

﴿إِنَّ رَبِّي﴾: للتوكيد. ربي: الخالق المدبر الرَّزَّاق.

﴿رَحِيمٌ﴾: صيغة مبالغة؛ كثير الرحمة؛ رحيم لمن تاب، وآمن؛ أي:

بالمؤمنين.

﴿وَدُودٌ﴾: صيغة مبالغة لفعل ودَّ يودُّ؛ أي: كثير الود، والود هو المحبة كثير الحب لعباده المؤمنين، والصَّابرين، والصَّادقين، والمحسنين، والوداد: هو صفو المحبة، وخالصها، ولها، ولا ينشئ الود إلا من المحبة. الودود: ذكر هذا الاسم مرتين فقط في القرآن فقرنه بالمغفرة، والرحمة، فقال: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ [البروج: ١٤].

[٩١] ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾:

﴿قَالُوا يَشْعِيبُ﴾: قال: الذين استكبروا وكفروا من قومه.

﴿يَشْعِيبُ﴾: ياء النداء؛ للبعيد.

﴿مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾: ما: النافية للحال، ما نفقه؛ أي: ما نفهم؛ أي: ما نعلم معنى ما تقول، والفق هو الفهم الدقيق الذي يحتاج إلى التأمل والنظر، ومن ثم الاستنباط والوصول إلى الحكم؛ أي: ما نعرف صحَّة ما تقول عن التوحيد، والتطفيف في الميزان، والاستغفار والتوبة والإنذار والرزق الحسن؛ أي: ﴿كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾.

وقالوا ذلك استهانة به، ولأنهم لم يعبؤوا بوعظه لهم.

﴿وَإِنَّا لَنَرِيكَ﴾: وإنا للتوكيد؛ لنراك: اللام: لزيادة التوكيد.

﴿فِينَا ضَعِيفًا﴾: أي: لا قوّة لك إن أردنا إيقاع الأذى بك، وقيل: كان أعمى
ضريراً.

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾: لولا: شرطية.

﴿رَهْطُكَ﴾: الرّهط: جماعة ما بين (٣-١٠)، أفراد، وقلة الرهط تدل على
القلة مقارنة بالقوم؛ قالوا ذلك لا خوفاً من هؤلاء الرّهط، وإنما رأفة بهم؛ لأنهم
من الأقارب، أو أبناء القبيلة، والعشيرة، وقالوا ذلك لكي يقللوا عدد من أتبعه.

﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾: لقتلناك.

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ﴾: وما: النافية.

﴿أَنْتَ﴾: ممتنع علينا، أو ما أنت بغالٍ علينا، أو مكرم، وأرادوا القول، لكن
رهطك هم من يعزون علينا، وهذا ما يدل عليه قوله ردّاً عليهم أرهطي أعزّ عليكم
من الله.

[٩٢] ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرْهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّيْ
بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾:

﴿قَالَ يَقَوْمِ﴾: نداء فيه نوع من الحنان، والعطف.

﴿أَرْهَطِيْ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري؛ أي: عشيرتي، أو أتباعي.

﴿أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾: أرهطي أهم؛ وأعزّ عندكم، وأكرم منزلة، ودرجة
من الله.

﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا﴾: واتخذتموه؛ أي: جعلتموه.

﴿وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا﴾: أي: رميتم الإيمان بالله وراء ظهوركم، وعصيتموه،
ولم تعبدوه.

﴿إِنَّ رَبِّيْ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: إن: للتوكيد.



﴿يَمَّا﴾: الباء: للإصاق؛ ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

﴿تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: تعملون: تقولون، وتفعلون؛ محيط: عالم بأعمالكم، ومحيط بها، وسيجازيكم عليها.

[٩٣] ﴿وَيَقَوْمٌ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَن هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾:

﴿وَيَقَوْمٌ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: ثم يناديهم شعيب بعد أن رأى إصرارهم على الكفر، وعدم جدوى الموعظة لهم.

﴿أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: المكانة قد تعني المنزل، أو تعني المكان مثل مقام ومقامه؛ فيكون معنى الآية: استمروا على حالكم من الشرك، والكفر، والشأن لي، أو اعملوا ما في وسعكم، أو استطاعتكم من الشرك والكفر.

﴿إِنِّي عَمِلْتُ﴾: وأنا سأعمل جهدي، واستطاعتي على الإصلاح، والتبليغ، والدعوة إلى الله.

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾: سوف للاستقبال البعيد، وفي الآية (٣٩) من نفس السورة قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، والآية (٣٩) من سورة الزمر؛ ارجع إلى سورة الزمر آية (٣٩).

﴿تَعْلَمُونَ مَن﴾: مَن: اسم موصول، أو استفهامية.

﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: أي: يُذْلِه، ويفضحه؛ يذله في الدنيا، ويأتي وقد يذهب، وليس بالضرورة الحلول والبقاء، والحلول يعني: الاستمرار، والدوام، والثبات؛ لأنه لم يقل: ويحل عليه عذاب مقيم؛ أي: مستمر الثبوت والدوام، فهذا يحدث في الآخرة. أما عذاب الدنيا: فيه خزي، ذل، وإهانة، ويزول، وغير مقيم، ثم يأتي عذاب الآخرة بعد ذلك الذي هو عذاب مقيم لا يزول، ولا يتغير، أو ينقص.

﴿وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾: أي: من هو على حقٍّ، ومن هو كاذب، أو على ضلال.

﴿وَأَرْتَقِبُوا﴾: انتظروا العاقبة، والمآل، والمصير لكم ولنا.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾: الرقيب: المراقب الذي يرقب الآخر؛ لئلا يخفى عليه فعل من أفعال الذي يراقبه.

لنقارن هذه الآية (٩٣) من سورة هود: ﴿وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

مع الآية (٣٩) من سورة الزمر: ﴿قُلْ يَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

للمقارنة ارجع إلى سورة الزمر، الآية (٣٩).

ولنلاحظ: أنه دائماً يأتي بذكر إحدى العاقبتين دون ذكر الثانية، ويقال لهذا تعريض أبلغ من التصريح؛ مثال: سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ولم يقل: ومن تكون له عاقبة الدار (حذف ذلك).

[٩٤] ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ شُعَبِيًّا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِئَرِهِمْ جَثِيمِينَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو: استئنافية؛ لما: ظرفية زمانية؛ بمعنى: حين متضمنة معنى الشرط، ولم يقل: فلما؛ لأنّ لما: فيها ترتيب، وتراخٍ في الزمن. أما (فلما) الفاء: للتعقيب والمباشرة ليس فيها تراخي في الزمن.

﴿جَاءَ أَمْرُنَا﴾: ارجع إلى الآية (٦٦) من نفس السورة.

﴿أَمْرُنَا﴾: أي: الصيحة.

﴿نَحْنُ شُعَبِيًّا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾: ارجع إلى الآية (٥٨) من نفس السورة.



﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِمِينَ﴾: الصيحة: من السماء. ارجع إلى الآية (٦٧) من نفس السورة؛ للبيان، والآية (٩١) من سورة الأعراف، وهي قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِمِينَ﴾.

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِمِينَ﴾: ملقون على الأرض لا يتحركون هامدين ميتين؛ في ديارهم: أي: في مساكنهم، ولم يقل في دارهم؛ أي: بلدهم، أو موطنهم؛ فالرجفة (الزلزلة الشديدة) ذكرها مع دارهم، والصيحة ذكرها مع ديارهم؛ لأن الصيحة أعم وأقوى من الرجفة.

[٩٥] ﴿كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ﴾:

﴿كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ﴾: ارجع إلى الآية (٦٨) من نفس السورة؛ للبيان.

﴿كََمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ﴾: البُعد: يعني الهلاك؛ أي: هلاكاً لمدين، كما هلكت ثمود، أو طرداً من رحمة الله. ارجع إلى الآية (٦٠) من نفس السورة؛ لمزيد في معنى (بُعداً).

[٩٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: للتوكيد، وقد: للتحقيق، وزيادة التوكيد.

﴿أَرْسَلْنَا﴾: ولم يقل: بعثنا؛ الإرسال: ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿مُوسَى﴾: موسى بن عمران رسول الله إلى بني إسرائيل.

﴿بِآيَاتِنَا﴾: الآيات التسع: العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، ونقص من الثمرات، وقدم موسى على الآيات

للاهتمام، ولم يقل بالآيات، وإنما أضافها إليه؛ للدلالة على عظمتها، وهذه الآيات: هي المعجزات، وهناك آيات كونية، وآيات التَّوراة.

﴿وَسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ﴾: السَّالْطَانُ: هو الحُجَّةُ القويَّة، أو الدَّلِيلُ القاطع على صدق رسالة موسى ونبوته، ووحدانية الله، وربوبيته وبطلان ألوهية فرعون، والسَّالْطَانُ يقسم إلى: سلطان الحُجَّة، والدَّلِيل والبرهان، وسلطان القوَّة، والقهر. ﴿مُبِيْنٍ﴾: المبين الظَّاهر الجلي؛ لكلِّ فرد، والذي تأكد بالحس، ولا يحتاج إلى من يثبتته، أو يحتاج إلى دليل آخر.

[٩٧] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَآئِهِ فَاتَّبِعُوْا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيْدٍ﴾:

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَآئِهِ﴾: وملئه: الملأ هم أشرف القوم القادة والرؤساء واشتقت الكلمة الملأ؛ لأنَّ هؤلاء النَّاس يملؤون عيون النَّاس، ويتصدرون مجالسهم وتنظر إليهم العيون مثل (النَّواب وممثلي الشعب)، وأعضاء الحكومة والوزراء؛ الَّذِينَ يظهرون على وسائل الإعلام كلَّ يوم.

﴿فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾: أطاعوا ما أمرهم به فرعون، واتخذوه إلهًا، ولم يتبعوا ما أمرهم به موسى.

﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيْدٍ﴾: ما: النَّافِيَّة، أمر فرعون ما يدعو إليه باتخاذهِ إلهًا، أو أنا ربكم الأعلى، أو ما علمت لكم من إله غيري؛ أي: ما كان منهج فرعون ﴿بِرَشِيْدٍ﴾: الباء: للإلصاق، بسديد، أو ذي رشد وهدى، وإنما هو منهج ضلالٍ، وغيٍّ وباطلٍ، وجهلٍ، وفسادٍ.





سُورَةُ هُودٍ ١١

الجزء الثاني عشر

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ
 الْمَمْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَبْسُ
 الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ
 مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا
 أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾
 وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ
 أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ
 ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا
 نُوَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
 إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَمِنْهُمْ
 النَّارُ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ
 ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَمِنْهُمْ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُودٍ ﴿١٠٨﴾

سورة هود [الآيات ٩٨ - ١٠٨]

[٩٨] ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾:

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: يتقدم قومه، أو يقود قومه يوم القيامة فرعون أولاً، ومن ورائه قومه الكل يساقون إلى جهنم.

﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة يدخلون النار مباشرة من دون تأخير، وأوردتهم: فعل ماض يدل على أنه قد حدث وانتهى دخولهم فيها.

﴿وَبِئْسَ الْوَرْدُ﴾: بئس: فعل ذم (سَاء وقبح). الورد: النار؛ شبه النار يوم القيامة بماء يورد للشرب من منبعه؛ أي: بئس الورد: الماء (أي: النار).

﴿الْمَوْرُودُ﴾: المكان التبع؛ أي: بئس الماء ومنبعه الذي وردوه؛ فيكون المعنى: بئس النار، وبئس مكانها، ودركاتها؛ فلو كان أمر فرعون برشيد؛ لما دخلوها.

[٩٩] ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾:

﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: طاردتهم، أو صاحبتههم لعنة الله في هذه الحياة الدنيا؛ لعنة: أي: طردوا وأبعدوا عن رحمة الله في الحياة الدنيا، وكذلك يوم القيامة تصاحبهم، وتطاردهم لعنة الله.

﴿لَعْنَةً﴾: نكرة من الله، ومن الملائكة، ومن الناس أجمعين.

﴿بِئْسَ الرَّفْدُ﴾: بئس: فعل ذم؛ أي: ساء. الرّفْد: العطاء؛ أي: بئس الجزاء الذي هبّي وأعد لهم.



﴿الْمَرْفُودُ﴾: المعطى لهم؛ أي: بئس الجزاء الذي سيجزون به، أو العطاء المعطى لهم.

وهو اللعنة في الدنيا، وفي الآخرة، وسميت النار، أو اللعنة عطاء (رفداً): تهكماً بهم، واستهزاء على ما فرطوا في جنب الله.

الخلاصة: بئس المكان الذي وردوه، وبئس العطاء، أو الجزاء الذي أعطوه، أو هيئ لهم.

[١٠٠] ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ﴾: ذلك: اسم إشارة يفيد البعد، من أنباء القرى. من: بعضية؛ أي: بعض أنباء القرى، والنبأ: هو الخبر العظيم المهم؛ أي: من أنباء أهل القرى.

﴿الْقُرَى﴾: جمع قرية، وقد تعني المدينة إذا اتسعت وزاد عدد أهلها.

﴿نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾: نخبرك بأنبائها كما حدث.

﴿مِنْهَا قَائِمٌ﴾: بعضها لا زال باقٍ؛ كالأثار، والأعمدة والسقف والجدران؛ مثل: مدائن، وقرى قوم لوط، والأهرامات.

﴿وَحَصِيدٌ﴾: محصود لا ترى لها أثر (انمحت وزالت) كالزراع المحصود.

[١٠١] ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيرٍ﴾:

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾: الواو: عاطفة، ما: النافية.

﴿ظَلَمْنَاهُمْ﴾: من الظلم: وهو نقصان الحق، وما ظلمناهم: بالعذاب (حين عذبناهم، أو أهلكناهم) بذنوبهم؛ لأن الله سبحانه لا يظلم مثقال ذرة، وحرّم الظلم على نفسه، ولا يظلم الناس شيئاً.



﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: لكن: حرف استدراك، وتوكيد.
 ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بالكفر، والشُّرك، والمعاصي، وتكذيب الرّسل،
 والبيّنات، والظلم: هو الخروج عن منهج الله تعالى.
 ﴿فَمَا﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ﴾: أي: ما نفعتهم، ولا دفعت عنهم آلِهَتهم مثل
 الأصنام، والملائكة، أو الكواكب، وعيسى، وعزير.
 ﴿الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: التي: اسم موصول.
 ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدونها بشتى العبادات من دعاء وتعظيم وذبح وشعائر وذكر.
 ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله.
 ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: من: استغراقية.

﴿شَيْءٍ﴾: من العذاب، أو الهلاك، والشَّيء: هو أقل القليل، وشيء نكرة
 تعني أي شيء مهما كان نوعه، وقدره من العون، أو النصر، أو رفع العذاب، أو
 تخفيفه.

﴿لَمَّا﴾: ظرفية زمانية بمعنى حين ومتضمّنة معنى الشرط.
 ﴿جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: عذاب ربك، أو أمر ربك بإنزال العذاب عليهم.
 ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾: ما: النافية.
 ﴿تَتْبِيبٍ﴾: مصدر لفعل تَبَّبَ الرَّبَاعِي، والتتبيب: النقص والخسارة
 والهلاك؛ أي: التّخسير، والتّدمير، والهلاك.

﴿غَيْرَ﴾: تفيد الاستثناء، والقصر، وإن قيل: الآلهة هي جماد، أو ملائكة، أو



كواكب، فكيف زادوهم؟ أي: زادتهم عبادتها إضافة إلى معاصيهم خسارة فوق الخسارة، أو عذاباً فوق العذاب.

[١٠٢] ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾:

﴿وَكَذَلِكَ﴾: أي: ومثل ذلك الأخذ يأخذ ربك القرى الظالمة الكافرة؛ فتكون نهايتها. منها قائم أو حصيد؛ لأن أخذه لها أليم شديد.

﴿أَخْذُ رَبِّكَ﴾: الأخذ: هو الحوز على الشيء سواء بالتناول، أو القهر، أو الأخذ يوحى بالشدة، والعنف؛ بحيث لا يستطيع المأخوذ بالإفلات مهما حاول. والأخذ: هنا في هذه الآية بمعنى الانتقام، والعقاب، والعذاب.

﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان للأمر الواقعة لا محالة، والكثيرة الحدوث، أخذ: جاء بالفعل الماضي؛ أي: اعتبره حدث ووقع.

﴿وَهِيَ﴾: وهي: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر، والتوكيد.

﴿ظَالِمَةٌ﴾: كافرة، أو طاغية، أو عتت عن أمر ربها.

﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾: إن: يفيد التوكيد.

﴿أَخْذَهُ أَلِيمٌ﴾: عذابه عقابه أليم شديد الإيلام، والألم الوجع الشديد؛ موجع شديد الوجع.

﴿شَدِيدٌ﴾: من الشدة: وهي تعني جمع الشيء إلى الشيء بحيث يصعب انفكاكه.

[١٠٣] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ تَجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: إن: حرف توكيد.

﴿فِي ذَلِكَ﴾: في: ظرفية.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة؛ يفيد البعد، والذم، ويشير إلى ما ذكر من أخذ الأمم، أو القرى الظالمة بالعذاب الشديد الإيلام.

﴿لَايَةً﴾: لعبرة، أو لعظة.

﴿لَمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ من: اسم موصول تشمل المفرد، والجمع؛ استغراقية؛ أي: عبرة وعظة لمن يخاف عذاب الآخرة، أما من لا يخاف عذاب الآخرة؛ فلا يعتبر، ولا يتعظ.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة إلى يوم القيامة؛ لأن عذاب الآخرة دل عليه.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ﴾: اللام: لام الاختصاص، يوم مجموع لأجله الناس، أو تعني فيه مجموع الناس، ومجموع: اسم مفعول؛ يدل على الثبوت؛ ثبات معنى الجمع؛ أي: الكل بلا استثناء، أي واحد، أو فرد الكل مجتمعون في مكان واحد. ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾: مشهود اسم مفعول؛ تدل على الثبوت صيغة مبالغة، الكل يشهده من أهل السماء والأرض، كل الخلق سيشهدون هوله، وأحداثه بلا استثناء.

[١٠٤] ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ لَا لَاجِلَ مَعْدُودٍ﴾:

﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾: ما: النافية.

﴿نُؤَخَّرُهُ﴾: نُؤَجِّلُهُ، والفاعل نحن: للتعظيم، نُؤَخَّرُهُ؛ أي: يوم القيامة.

﴿إِلَّا لَاجِلَ مَعْدُودٍ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿لَاجِلٍ﴾: اللام: لام الاختصاص، والأجل.

﴿مَعْدُودٍ﴾: إلى مدة انتهاء المدة المعدودة له، أو المضروبة لحدوثه.



[١٠٥] ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾:

﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾: يوم: ظرف زمان.

﴿يَأْتِ﴾: حذفت الياء: للدلالة على قرب مجيئه، ويأتٍ؛ تعني: اليوم، أو تقديره ينتهي الأجل المضروب له يوم يأتٍ، وفاعل يأتٍ قد تعود إلى الله، أو ربك، أو تعود إلى اليوم.

﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾: أصلها: لا تتكلم نفس إلا بإذن الله.

﴿نَفْسٌ﴾: أي نفس نكرة، لتشمل كل نفس مهما كانت.

﴿لَا تَكَلَّمُ﴾: ولم يقل: لا تتكلم؛ إشعاراً بقلة الكلام في ذلك اليوم قلة الحروف في كلمة ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾: تدل على قلة الكلام في يوم القيامة؛ لأحواله، وشدائده؛ كقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْذِرُونَ ﴿

[المرسلات: ٣٥-٣٦].

﴿فَمِنْهُمْ﴾: الفاء: للتوكيد؛ منهم: من: التبعيضية، أو للتعليل.

﴿شَقِيٌّ﴾: من باب شقى شقاءً، أو شقاوة. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (١٠٦) للبيان، والشقي يشعر بضيق في الصدر مستمر، وضمنك في المعيشة بسبب البعد عن الدين والإيمان، شقي اسم يدل على الثبوت؛ ثبوت الشقاء عليه؛ لأنه سيصبح من أصحاب السعير.

﴿وَسَعِيدٌ﴾: من سعد سعادة؛ لأنه من أصحاب النعيم الخالد، وسعيد: اسم يدل على الثبوت.

[١٠٦] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾: أما: حرف شرط، وتفصيل، وتوكيد.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿سَقُوا﴾: ارجع إلى سورة المؤمنون آية (١٠٦) لليان؛ أي: الكفار، والمشركين الذين ماتوا على الكفر، والشرك، والضلال، والمعاصي، وانتهاك حرمان الله.

﴿فَنَفِي النَّارِ﴾: فني: تتضمن فاء: أولى، وفاء ثانية؛ الفاء الأولى: تفيد التوكيد، والتعليل، والثانية: ظرفية مكانية.

﴿لَمْ يَهَبْهَا﴾: اللام: لام الاختصاص فقط؛ لهم: وحدهم. فيها: في النار.

﴿زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾: الزفير: هو خروج الهواء من الرئتين، والشهيق: هو دخول، أو ابتلاع الهواء إلى الرئتين.

ففي الحالات الطبيعية: ما يحدث شهيق أولاً، ثم زفير ثانياً، أما في النار فيتبدل ذلك يصبح الزفير أولاً، والشهيق ثانياً، وسماع الزفير والشهيق دلالة على أنهم يعانون من صعوبة التنفس في النار. ارجع إلى الآية (١٠٠) من سورة الأنبياء.

[١٠٧] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾:

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: خالدين: الخلود يعني: المكث الطويل، ولا يعني التآييد له بداية، وله نهاية، البداية: ساعة دخول النار، بينما خالدين فيها أبداً؛ تعني: المكث الأبدي بلا نهاية؛ له بداية، وليس له نهاية، وهو الخروج من النار؛ فالذين سيدخلون جهنم قسماً: القسم الأول: خالدين فيها، والقسم الثاني: خالدين فيها أبداً.

﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾: أي: هؤلاء يدخلون النار ما دامت السموات،



والأرض الجديدتين؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وبما أن السموات والأرض الجديدتين لن تتبدلا بعد ذلك؛ مما يدل على الخلود فيهما.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾: إلا: أداة استثناء؛ ما شاء ربك: المشيئة ملزمة واقعة لا محالة، وهذا الاستثناء اختلف فيه؛ اختلف في تفسير هذا الجزء من الآية؛ فمنهم من قال: تعني أن كل شيء خاضع لمشيئة الله تعالى المطلقة يدخل الجنة أو النار من يشاء؛ لأنه سبحانه لا يجب عليه شيء ولا حق لأحد عليه سبحانه وتعالى، ومنهم من قال: إلا ما شاء ربك تعني: من تأخير أو تقديم قوم على الدخول في الجنة أو النار لكون يوم القيامة قد يطول خمسين ألف سنة، والاستثناء يرجع إلى قبل الدخول في الجنة أو النار، ومنهم من قال: أن قسم من هؤلاء الداخلين في النار يبقى خالدين في النار أبداً، وقسم يخرج منها بعد تطهيرهم من ذنوبهم، وبقائهم فيها حسب ما يقدره الله سبحانه، ويشاء، وهناك من قال هذا الاستثناء يعني من يوم الحساب (يوم القيامة) الذي مدته خمسين ألف سنة، أو حتى يقضي الله بين الخلائق، وهناك من قال هذا الاستثناء يعني حياة البرزخ (القبر)، ومنهم من قال: أن الاستثناء في الآية يرجع إلى بعض أنواع العذاب غير الزفير والشهيق، والله أعلم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ﴾: إن: للتوكيد.

﴿رَبَّكَ فَعَّالٌ﴾: صيغة مبالغة اسم فاعل.

﴿لَمَّا يُرِيدُ﴾: من الإرادة التي تعقب المشيئة؛ فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

[١٠٨] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ﴾:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ﴾: حرف شرط، وتفصيل، وتوكيد.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿سُعِدُوا﴾: الفائزون المصلحون.

﴿فِي الْجَنَّةِ﴾: الفاء الأولى: للتوكيد، والتعليل، والثانية: ظرفية مكانية.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾: الذين يدخلون الجنة يدخلونها مباشرة بعد الحساب، أو يدخلونها بعد أن يطهروا من ذنوبهم في النار، ومتى دخلوها لن يخرجوا منها أبداً.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (١٠٧).

﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ﴾: عطاء غير مقطوع؛ نعيم دائم، ومستمر.





سورة هود ١١

البقرة الثانية عشر

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
 آبَاءَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾
 وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ
 ﴿١١٠﴾ وَإِنْ كَلَّا لَمَا لِيَؤْفِقَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
 خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا
 إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
 فَنَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
 لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ
 اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ
 ﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا
 كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ
 فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ
 رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْطَحُونَ ﴿١١٧﴾

سورة هود [الآيات ١٠٩ - ١١٧]

[١٠٩] ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُ هَتُولَاءُ مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾:

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾: اللام: لام الناهية.

﴿تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾: في أدنى المراء بعد أن تبين الحق، المراء هو الجدل بالباطل بعد ظهور الحق.

﴿مِمَّا يَعْْبُدُ هَتُولَاءُ﴾: ما: مصدرية، أو اسم موصول.

﴿يَعْْبُدُ هَتُولَاءُ﴾: هتولاء: الهاء: للتنبيه، أولاء: اسم إشارة للقرب؛ يشير لمشركي قريش.

﴿مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا﴾: ما: النافية؛ إلا: أداة حصر.

﴿كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ﴾: الكاف: كاف التشبيه؛ ما: حرف مصدري، أو اسم موصول.

﴿يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ﴾: عبادة تقليدية، كما يعبد آبائهم من الأصنام، أو الآلهة.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: أن يُنزل عليهم القرآن، أو يبعث إليهم برسوله ﷺ؛ أي: هم وآباؤهم سواء في الشرك.

﴿وَإِنَّا لَمُوفُونَهُمْ نَصِيبُهُمْ﴾: النصب: هو الجزاء، والأجر، أو الثواب الكامل على أعمالهم، ويكون في الخير، والشر، أو المحبوب، أو المكروه، أما الفرق بين النصب، والحظ:



فالحظ: لا يكون عادة إلا في الخير، ولا يستعمل في العذاب، أو المكروه.

وأما النصيب: فيستعمل في الخير، والشر.

﴿غَيْرَ مَقْصُودٍ﴾: أي: نعطيههم نصيبهم تاماً.

ما هو الفرق بين عطاء غير مجذوذ، ونصيبهم غير مقصود؟

عطاء غير مجذوذ: عطاء للذين سعدوا عطاء دائم لا ينقطع، ولا يتوقف،
والعطاء فيه تملك، ولا يُسترد، والعطاء هو الجزاء إضافة إلى الزيادة التي هي من
الفضل.

نصيبهم غير مقصود: جزاء تام للمشركين لا زيادة فيه.

[١١٠] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ
لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾:

جاءت هذه الآية في سياق الآيات لتذكر رسول الله ﷺ: أن ما يحدث لك
حدث لموسى ﷺ.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: ولقد: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق،
والتوكيد.

﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة، والإيتاء يختلف عن العطاء؛ ارجع إلى
الآية (٢٥١) من سورة البقرة.

﴿فَأَخْلَفَ فِيهِ﴾: فمنهم آمن به قوم (من بني إسرائيل)، ومنهم من كفر به، أو
منهم من صدق به، ومنهم من كذب به، كما اختلف أهل مكة في القرآن.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: لولا: شرطية.

﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: بتأخير، أو تأجيل الحساب إلى يوم القيامة.



﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾: في الدنيا فيما اختلفوا فيه بإنزال العذاب عليهم، وعدم إمهالهم حتى يوم القيامة بإنزال العذاب عليهم.
 ﴿وَلِأَنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ﴾: وإن: للتوكيد.
 ﴿لَفِي﴾: اللام: للتوكيد.
 ﴿شَكٍّ﴾: تساوي نسبتي النفي، والإثبات.
 ﴿مِّنْهُ﴾: من: التّورة.

﴿مُرِيبٌ﴾: من الرّيبة، وهي الشك + الاتهام، وقيل: إنهم: قد تعود إلى كفار مكة؛ لفي شك منه: أي: بالقرآن فيما إذا كان منزل من ربك بالحق، ويهتمون الرّسول بأنه افتراه، أو يعلمه بشر.

[١١١] ﴿وَإِنْ كَلَّا لَمَا لِيَؤْفِقَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾:

﴿وَإِنْ كَلَّا﴾: إن: للتوكيد؛ كلاً: كلّ واحد، أو المختلفين فيه؛ سواء أكان القرآن، أم التّورة، أم غيرها من الكتب السماوية من المؤمنين، والكافرين.
 ﴿لَمَا﴾: لها عدّة معانٍ:

- ١ - لما: نافية، ونفيها مستمر إلى وقت الكلام.
- ٢ - لما: قد تكون بمعنى: إلا، وتكون الآية: وإنّ كلاً إلا ليوفينهم ربك أعمالهم.
- ٣ - لما: قد تكون للتوكيد.

﴿لِيَؤْفِقَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾: ليوفينهم: اللام: لام التّوكيد؛ أي: سيوفينهم ربك أعمالهم ثواباً، أو عقاباً، والنون: للتوكيد، ولا ينقص منها حسنة، أو يزيد سيئة.



﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: إنه: إن: للتوكيد.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: يقولون، ويفعلون.

﴿خَبِيرٌ﴾: عليم بيوطن أعمالهم؛ خبير بنواياهم.

وقدم يعملون على خير؛ لأن سياق الآيات في العمل.

[١١٢] ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾: فاستقم: الفاء: للتوكيد؛ استقم كما أمرت: لا تميل، ولا تنحرف عن الحق في عبادتك، وتوحيدك، وابتغائك وجه ربك، والاستقامة تتطلب عدم الغفلة، والجِد، والاجتهاد، والالتزام بمنهج القرآن والسنة، والدوام على تقوى الله، وطاعة أوامره، وتجنب نواهيه؛ لا إفراط ولا تفريط.

﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾: في الكتاب (القرآن)، وبالوحي، كما أمرك ربك تعالى.

﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾: أي: وليستقم كذلك من تاب معك من المؤمنين من الشرك، والكفر، ومن المعاصي.

﴿وَمَنْ﴾: اسم موصول؛ مَنْ: للمفرد، والجمع.

﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾: لا: النّاهية.

﴿تَطْغَوْا﴾: من الطّغيان: وهو مجاوزة الحدود، حدود الله بالإفراط، أو التفريط في العبادات، أو المعاملات.

﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: إنه: إن: للتوكيد.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، والتّعليق.



﴿تَعْمَلُونَ﴾: تقولون، وتفعلون.

﴿بَصِيرٌ﴾: بظواهر الأمور.

وقدم تعملون على بصير؛ لأن السياق في الأعمال.

[١١٣] ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَنَمَسْكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾:

﴿وَلَا تَرْكَبُوا﴾: ولا: الواو عاطفة؛ لا: الناهية.

﴿تَرْكَبُوا﴾: من الركون؛ ركن، يركن؛ أي: مال إليه وسكن؛ أي: ولا تميلوا إليهم، أو تعتمدوا عليهم، ولو شيئاً يسيراً؛ هذا الخطاب، وإن كان موجَّهاً إلى رسول الله ﷺ ظاهراً، ولكنه في الحقيقة موجه إلى أمة محمد ﷺ؛ لئلا يركن أحدهم؛ أي: يميل إلى الكفار، أو المشركين في شيء من الأحكام، أو تقليد منهم في أي أمر من أمور الدين، أو المودة، والمداينة على حساب الدين، والرضا عن أعمالهم المخالفة لشرع الله، أو السكوت عليها، ومصاحبتهم.

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: المشركين. الظلم: الشُّرك، وكذلك ظلم العباد، والفساد في الأرض، والقتل، والتخريب، أو المشاركة في تلك الأعمال العدوانية.

﴿فَنَمَسْكُمُ النَّارُ﴾: فتمسكم: الفاء: للتوكيد؛ تمسكم: تصيبكم النار.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ﴾: وما: النافية.

﴿لَكُم﴾: اللام: لام الاختصاص (خاصة بكم).

﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله، أو سوى الله (من: استغراقية): للنفي المطلق، والكلام، أو السياق عن الدنيا.

﴿مِّن أَوْلِيَاءَ﴾: من: للتوكيد، واستغراقية؛ تشمل كل الأولياء.



﴿أُولِيَاءَ﴾: جمع ولي: أعوان، أو أنصار يمنعون عنكم، أو يدفعون عنكم العذاب، أو يشفعون لكم. أولياء: ولم يقل: ما لكم من ولي ولا نصير؛ لأن هذه ترد في سياق الآخرة، وإذا أراد السياق في الدنيا يقول سبحانه: من دون الله من ولي ولا نصير؛ ارجع إلى سورة العنكبوت، آية (٢٢)؛ للبيان.

﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾: ثم: للاستبعاد؛ استبعاد نصر الله لهم.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿تُنصَرُونَ﴾: من النصير: وهو النجاة من النار، والفوز بالجنة؛ لأن الله لا ينصر الظالمين، وكذلك: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [الحج: ٧١]، فليس لهم أولياء، ولا أنصار، ولا شفعاء، لا واحد، ولا أكثر من واحد.

[١١٤] ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلذَّكْرَيْنِ﴾:

المناسبة: بعد أن أمر سبحانه بالاستقامة، وعدم تجاوز حدود الله، أو الركون إلى الذين ظلموا في الآية السابقة يأمر في هذه الآية بأمر آخر هو إقامة الصلاة.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾: أي: أداها تامة بأركانها، وبشروطها، وخشوعها، وإقامتها.

﴿طَرَفِي النَّهَارِ﴾: الطرف الأول: هو الفجر، والطرف الثاني: هو الظهر، والعصر، أو الطرف الأول: هو الفجر، والظهر، والثاني: هو العصر، والمغرب، أو العصر فقط.

﴿وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ﴾: المغرب، والعشاء، أو العشاء والوتر، وزلفاً من الزلْفى:

وهي القُربى، وأزلفه: قربه، وزلفاً من الليل: في ساعات الليل القريبة من النهار؛ أي: المغرب والعشاء.

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾:

سبب نزول هذه الآية: أن رجلاً خلا بامرأة فقبلها؛ فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك، فسكت النبي ﷺ، ثم نزل عليه جبريل ﷺ بهذه الآية: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ﴾؛ فقال رجل آخر: أهذا له خاصّة؟ قال ﷺ: لا بل للناس كافة، أو للمسلمين عامة؛ قال الترمذي: حديث حسن صحيح، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب.

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ﴾: إن: للتوكيد.

﴿الْحَسَنَاتِ﴾: الصّلوات الخمس، كما ورد في حديث مسلم عن رسول الله ﷺ: «الصّلوات الخمس كفارة لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر»، والحسنات: جمع حسنة، والحسنة سواء أكانت فرضاً، أم نفلاً قد تمحو؛ أي: تذهب السيئة؛ أي: تمحوها، والسيئة: هي كلّ عمل توعدّ الله سبحانه صاحبها بالعقوبة (من قول، أو فعل)، والحسنات: جميع الأعمال الصّالحة تكفر السيئات؛ أي: الصّغائر؛ أمّا الكبائر: فلا يكفرها إلا التّوبة.

وشروط التّوبة أربعة: الإقلاع عن الذّنب، وعدم العودة إليه، والنّدم عليه، والإكثار من الأعمال الصّالحة (النّوافل)، وردّ الحقوق إلى أصحابها.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة للبعد؛ يشير إلى الصّلاة، وإقامتها، والاستقامة عليها، والحسنات يذهبن السيئات.

﴿ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ﴾: في إقامة الصّلاة خمس مرات في اليوم ذكرى للذاكرين؛



أي: تنبيه للنفس بعدم الغفلة، ولذلك الصّلاة لا تسقط عن العبد، ولو كان مريضاً، أو على فراش الموت.

فبمجرّد ما يغفل الإنسان عن ذكر ربه تأتي الصّلاة خمس مرات؛ لتذكر الإنسان بربه.

﴿لِلذَّكْرِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ الذّاكرين: الله سبحانه، وتشمل الذّاكرات، والصّلاة كذلك تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. والصّلاة تجمع أركان الإسلام الخمسة.

[١١٥] ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿وَأَصْبِرْ﴾: بعد الأمر بإقامة الصّلاة؛ يأمر بالصّبر؛ الصّبر على العبادات، والطّاعات، والمكاره، والابتلاءات، والصّبر عن الشهوات، والمعاصي.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾: فإن: الفاء: للتوكيد؛ إنّ: لزيادة التّوكيد.

﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: لا: النّافية.

﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: ولم يقل: لا يضيع أجر الصّابرين؛ لأنّ إقامة الصّلاة، والاستقامة، وعدم الطّغيان، والتّوبة، والصّبر، وكلّ ما أمر الله به في هذه الآيات يرتقي إلى درجة الإحسان، والصّابرين من المحسنين.

﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: جملة اسمية تدلّ على ثبوت صفة الإحسان؛ إحسان الكم، وإحسان الكيف؛ لمعرفة الصّبر، وأنواعه، ودرجاته؛ ارجع إلى الآية (٢٠٠) من سورة آل عمران، وللإحسان؛ ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٢)؛ للبيان.

[١١٦] ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾
﴿فَلَوْلَا﴾: أداة حُضٍّ، وحثٌّ.

﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ﴾: من الأمم الماضية، والقرون: جمع قرن، وهم أهل زمان واحد، أو الجيل الواحد المقترن بزمان واحد، والقرن (١٠٠ عام).

﴿أُولُوا بَقِيَّةَ﴾: ذوو إيمان، وصلاح، ورشد، وبصيرة، والبقية: ما يبقى من الشيء بعد ذهاب أكثره، أو لوبقية قلة قليلة من ذوي الإيمان، والصلاح، والرشد. ارجع إلى الآية (٨٦) في نفس السورة لمعرفة الفرق بين بقية (بالتاء المربوطة)، وبقيت (بالتاء المفتوحة أو المبسوطة).

﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾: يأمررون بالمعروف، وينهون عن المنكر. والفساد: يشمل الكفر، والشرك، وإثارة الفتن، والقتل، والصد عن سبيل الله، وغيره.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾: إلا: أداة استثناء.

﴿مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾: تعود على القرون من قبلكم؛ أي: قد أنجى الله سبحانه قليلاً منهم؛ لينهوا عن الفساد في الأرض، ويأمررون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وقيموا دين الله تعالى حتى تظهر أشراط الساعة.

﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾: وانشغل الذين ظلموا؛ أي: الآمرون بالمنكر، والناهون عن المعروف بالشهوات، ونعيم الدنيا، والسلطان، والجاه، والمعاصي، والمنكرات، واستمروا على ترفهم، وطغيانهم الذي حققوه بظلم الغير، ولم يستمعوا أو يلتفتوا إلى الأقلية الذين ينهون عن الفساد، وآثروا الدنيا



على الآخرة، وكانوا مجرمين. ارجع إلى سورة الزخرف آية (٢٣) لبيان معنى الترف، والمترف.

﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾: كافرين مشركين، ومجرمين: مشتقة من جرم؛ وجرم الشيء: أي: قطعه جرماً أذنب، وجنى جناية، وعدم اتباعهم منهج الله سبحانه، وكونهم كانوا يقطعون ما كان يجب أن يوصل.

[١١٧] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾: وما: الواو: استئنافية؛ ما: النافية ينفي ربك الظلم عن نفسه، ويستعمل (ما)، ولام الجحود (التوكيد) في كلمة (يهلك).

﴿كَانَ رَبُّكَ﴾: أي: ليس من شأن ربك، أو أن ربك مُنَزَّه عن أن يهلك القرى. وكان: تعني الماضي والحاضر والمستقبل، وتعني: ما كان ربك في الماضي أو الحاضر أو المستقبل ليهلك القرى.

﴿لِيُهْلِكَ الْقُرَى﴾: ليهلك: السلام: لام التوكيد؛ يهلك: بصيغة المضارع التي تدل على التجدد، والتكرار؛ لأن الحديث أو السياق في الدنيا، وفي الآية (٥٩) من سورة القصص قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمَهَا رَسُولًا﴾، وفي الآية (١٣١) من سورة الأنعام قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾؛ إذن ما كان ربك مهلك القرى، أو ليهلك القرى وأهلها مصلحون، أو وأهلها غافلون؛ ارجع إلى سورة القصص آية (٥٩) لمزيد من البيان.

﴿الْقُرَى﴾: جمع قرية، والقرية؛ تعني: أهل القرية، والبيان؛ أي: يهلك أهل القرى، ويدمر بنيانها.

﴿بِظُلْمٍ﴾: الباء: باء: الإلصاق، والتعليل؛ ظلم: من دون ذنب، أو إثم.



﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾: مصلحون: جمع بصيغة الجملة الاسمية؛ التي تدل على أن صفة الإصلاح عندهم ثابتة، ومستمرة؛ فالله سبحانه لن يهلكها حتى ولو كانت كافرة، وأهلها يقيمون العدل، ولا يفسدون في الأرض، ولا يظلمون الناس بقتل وإهلاك الحرث، والنسل. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٠)؛ لمزيد من البيان في معنى: الصالحين.

ولمقارنة هذه الآية مع الآية (٥٩) من سورة القصص: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾.

والآية (١٣١) من سورة الأنعام: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾. ارجع إلى سورة القصص آية (٥٩) للبيان المفصل.





سُورَةُ يُوسُفَ ١٢

البقرة النازحة عشر

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ
 (١١٨) إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
 لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩) وَكَلَّا نَقْصُ
 عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ
 الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ (١٢١) وَانظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ
 (١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ
 فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)

سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَةُ الْكَائِنَةُ الْمُبِينُ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
 لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ
 بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
 لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ
 أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤)



سورة هود [الآيات ١١٨ - ١٢٣]

[١١٨] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾: لو: شرطية؛ حرف امتناع لامتناع.

﴿شَاءَ رَبُّكَ﴾: المشيئة تسبق الإرادة، والمشيئة لا رادَّ لها، ولا تتغير.

﴿لَجَعَلَ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: أي: على دين واحد، وهو الإسلام، أو ملة واحدة، كما حدث بعد آدم ﷺ لمدة حوالي (١٠ قرون).

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾: لا داعي هنا للتطرق إلى أنواع الاختلافات، وأسبابها، والجدال في الاختلافات المذمومة، أو اختلافات الرحمة، أو الاختلافات الطبيعية، ولكن المقصود في الآية: أن الله سبحانه أرسل كلَّ الرسل برسالة واحدة، وهي: رسالة التوحيد، وأن لا إله إلا الله، وحرم قتل النفس إلا بالحق، وحرم الفساد في الأرض، والفواحش... وغيرها؛ مما شمله أمور العقيدة، والأصول، ولم يجبر أيُّ إنسان أن يكون موحدًا، أو تقيًا، أو مصلحًا، أو على دين واحد، بل ترك لهم حرية الاختيار؛ فهذا موحد، وهذا مشرك، وهذا لا دين له إطلاقًا.

إذن: بحكم خاصية الاختيار التي منحها الله لهم؛ هم الذين اختلفوا، ولم يفرض الله عليهم الاختلاف.

ولا يزالون مختلفين من بعد آدم، كانوا، وما زالوا، وسيظلُّوا إلى يوم القيامة؛ مختلفين: صفة ثابتة مستمرة فيهم.



[١١٩] ﴿إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾: إلا: أداة استثناء. خلقهم: كما نعلم للعبادة، كما قال تعالى في سورة الذاريات آية (٥٦): ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ أي: خلقهم مختلفين في العبادة؛ لأنه سبحانه ترك لهم الخيار، وقال سبحانه في الآية (١١٨) السابقة: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، ولكنه لم يشاء، ولذلك سيكونون مختلفين منهم الضال ومنهم المهتدي، ومنهم الظالم لنفسه، ومنهم المقتصد، ومنهم السابق بالخيرات، والكل سيحاسب على عمله يوم القيامة.

﴿مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: أي: الذين لا يختلفون في دينهم، وهم على عقيدة واحدة، وهدي واحد؛ هؤلاء عسى أن يرحمهم ربك.

﴿وَتَمَّتْ﴾: ثبتت، وجبت، ولن تتغير، أو تُبدل.

﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ﴾: قيل: هي لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين.

﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾: اللام: للتوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿جَهَنَّمَ﴾: مشتقة من بُعد القعر؛ أي: بعيدة القعر، أو كريهة المنظر؛ جهنم: دركة من دركات النار، أو وصف من أوصاف جهنم؛ مثل: السعير، ولظى، والحطمة.

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: من: ابتدائية؛ استغرافية.

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾: أي: الجن، والإنس، وهما الثقلان.

﴿وَالنَّاسِ﴾: مشتقة من النوس؛ أي: الحركة.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد؛ أي: من دون استثناء.

[١٢٠] ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَكَلَّا﴾: كل + التنوين، ونصب كَلَّا؛ لأنَّ التقدير هو كما يلي: نقص عليك كَلَّا من أنباء الرسل، وقيل: التنوين: جاء عوضاً عن كلمة محذوفة تقديرها: كل ما تحتاج إليه من أنباء الرسل نقصه عليك.

﴿نَقْصُ عَلَيْكَ﴾: القاص: الراوي هو الله ﷻ، وجاء بصيغة الجمع؛ للتعظيم، وقص الأنباء تتبّعها، ورواها وحكاها بالحق.

﴿مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾: من: ابتدائية بعضية.

﴿أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾: أخبار الرسل، والأنباء: هي الأخبار المهمة، والأنباء: جمع نبأ؛ أي: الخبر المهم الذي فيه فائدة لمن يعنيه الأمر؛ أي: الخبر.

﴿مَا﴾: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾: الثبیت: التّطمین، والتّمكن، ورفع أسباب الضّعف؛ أي: التّقوية؛ الفؤاد: القلب. ارجع إلى سورة الحج، آية (٤٦).

﴿وَجَاءَكَ﴾: ولم يقل: أتاك؛ أي: المجيء فيه صعوبة، ومشقة.

﴿فِي هَذِهِ﴾: في: ظرفية؛ هذه: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة للقرب يشير على الأنباء، أو الآيات.

﴿الْحَقُّ﴾: جاءت في هذه الآيات أو القصص أو السورة الحق، والقرآن: هو الحق، والنبوة: هي الحق، أو البراهين الدّالة على صدق رسالتك؛ فكل ما أوحى به إليك هو الحق الكامل التّام، والحق؛ يعني: الأمر الثّابت الذي لا يتغير، والمنزل من الله سبحانه.

﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾: أي: وجاءك فيها موعظة: ما يوعظ به من قول، أو فعل، أو نصح، أو إرشاد إلى الطّاعة، وفعل الخير، والنّهي، والتّحذير.



﴿وَذَكِّرْ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: تنبيه، وإيقاظ للنفس بعدم الغفلة، وذكرى يتذكر بها المؤمنون فيثبتون على الحق، ويصبرون على الطاعة، والبلاء، واللام في كلمة للمؤمنين لام الاختصاص. خصَّ المؤمنين بالذكرى؛ لأنَّهم وحدهم الذين يتفَعون بالذكرى، أو تنفعهم الذكرى؛ لقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، ومن خواصَّ القرآن: أنَّه يُستعمل ذكرى في سياق الدَّعوة والتَّليغ، وذكرى للشرف، والرَّفعة، ويُستعمل ذكرى في سياق الهداية الفردية.

[١٢١] ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾:

﴿وَقُلْ﴾: يا رسول الله ﷺ.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: للذين: اللام: لام الاختصاص؛ الذين لا يؤمنون؛ أي: الكافرين الذين لا يصدِّقون بما أنزل إليك من ربك على وجه الوعيد.

﴿أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: المكانة: من التَّمكن؛ أي: القدرة؛ اعملوا قدر إمكانكم، واستطاعتكم، أو استمرُّوا على طريقتكم، ومنهجكم، أو ما أنتم عليه من الكفر.

﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾: ونحن سنعمل قدر استطاعتنا، وعلى طريقتنا، وما أنزل الله إلينا، وعاملون: جملة اسمية؛ تفيد الثبات.

[١٢٢] ﴿وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾:

وانظروا عاقبة أمركم، أو انظروا ماذا سيحل بكم، أو بنا، ونحن ننتظر عاقبة أمرنا من خير، أو شرٍّ، أو ما سيحلُّ بنا، وبكم: فيها من الوعيد، والتَّهديد.

[١٢٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَلِلَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: لله وحده غيب السموات، والأرض.

﴿غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: الغيب: هو ما غاب عن العباد، واستتر عن العيون؛ مثل: الجنة، والنار، والملائكة، والجن؛ غيب: جمعه غيوب؛ غيب السموات والأرض؛ أي: علم الغيب، والغيب المطلق لا يعلمه إلا الله؛ أمّا الغيب النسبي فقد يطلعه الله سبحانه على رسوله؛ مثل: إخبار الله سبحانه عن علامات الساعة الصغرى، والكبرى.

﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾: إليه: تفيد الحصر؛ أي: إليه وحده يرجع الأمر. ﴿الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾: الأمر: ال في كلمة الأمر: هي استغراقية تستغرق كل أمر؛ أي: إليه يرجع كل أمر، ثم جاءت بعدها كلمة: للتوكيد؛ يرجع إليه الأمر؛ ليجازي عليه. ﴿فَاعْبُدْهُ﴾: الفاء: للتأكيد؛ فاعبده وحده، والعبادة تعريفها؛ ارجع إلى سورة الأنبياء، آية (١٠٦)، وهود، آية (٢).

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾: استعن به، وفوض أمرك إليه بعد تقديم الأسباب؛ فهو يكفيك.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: ما: النافية؛ لا يغفل سبحانه عما يعمل خلقه. ﴿رَبُّكَ﴾: الخالق، المدبر، الرزاق.

﴿بِغَفِلٍ﴾: الباء: للإلصاق؛ غافل: ساه، أو تارك، أو غير حافظ، أو غير عالم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان في معنى: الغفلة.

﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: عن: تفيد المجاوزة، والابتعاد. ﴿تَعْمَلُونَ﴾: تضم الأقوال، والأفعال من خير، وشر.





سُورَةُ يُوسُفَ ١٢

الجزء الثاني عشر

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ
 ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
 لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكَلاَّ نَقُصُّ
 عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ
 الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانظُرُوا إِنَّا نُمْتَطِرُكُمْ
 ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ
 فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّتِّلِكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
 لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ
 بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
 لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ
 أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾



سورة يوسف [الآيات ١ - ٤]

ترتيبها في القرآن (١٢)، وفي النزول (٥٣).

نزلت بعد سورة هود، وبعد عام الحزن الذي فقد فيه رسول الله ﷺ زوجته خديجة، وعمه أبا طالب؛ كأنها مواسية له، وهي سورة مكية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾:

﴿الر﴾: ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة.

﴿تِلْكَ آيَاتُ﴾: تلك: اسم إشارة؛ للبعد؛ يشير إلى علو منزلة الآيات، وتلك: تشير إلى الآيات التالية، أو التي سبقتها، أو الآيات بشكل عام، وتشير إلى الكثرة. ارجع إلى سورة يونس، آية (١)؛ لمزيد من البيان.

﴿الْكِتَابِ﴾: أي: القرآن، وسمي الكتاب؛ لكونه مكتوباً في السطور، وفي اللوح المحفوظ؛ ارجع إلى الآية (٢) من سورة البقرة؛ لبيان معنى الكتاب.

﴿الْمُبِينِ﴾: الظاهر، والواضح لكل فرد يقرؤه، والمبين لنفسه، ولكل شيء يحتاجه الإنسان في حياته من افعَل، أو لا تفعل، أو حلال، أو حرام، والحق من الباطل.

[٢] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾: إنا: ضمير الشأن للتعظيم والتفخيم، ويفيد التوكيد.



﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: ولم يقل: نزلناه، بل أنزلناه؛ أي: جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، والنزول من مكان عالٍ إلى مكان أقل علواً؛ أي: من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وكان ذلك في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجماً، وأنزلناه، والمنزول هنا منسوب إلى الله تعالى، وبصيغة الجمع؛ للتعظيم، ولأهمية نزوله، ونزل به الروح الأمين، وفي الآية (٣) من سورة الزخرف قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الجعل كان أو تم قبل الإنزال؛ أي: جعله سبحانه وتعالى قرآناً عربياً، ثم أنزله كما هو قرآناً عربياً. ارجع إلى آية الزخرف لمزيد من البيان.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾: قرآناً: من كونه مقروءاً بلسان عربي مبين، ولكونه أنزل على محمد ﷺ، وهو من العرب، وهناك من يدعي أن في القرآن كلمات أعجمية، أو أعجمي، أو غير عربي، فهذه الكلمات دخلت قبل الإسلام في العربية، وأصبحت عربية الاستعمال قطعاً، ولم يأت القرآن بكلمة أعجمية، فهو قرآناً عربياً بكامله. ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لعل: للتعليل، لعلكم تفهمون معانيه، وتدركون الغاية، والحكمة من نزوله، وما يدعوكم إليه.

[٣] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾:

﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل، والفاعل نحن للتعظيم تعود على الله سبحانه. ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾: أحسن القصص بفتح القاف، وليس بكسر القاف؛ أي: أصدق القصص، أفضل القصص، والقصص بمعنى: السرد، ولا تعني جمع قصة، وكلمة قصّ: تعني تتبع الخبر أو الأثر أو ما حدث خطوة خطوة، وما يرويه الله سبحانه، أو يقصه علينا لا لبس فيه، ولا خيال وإنما بصدق،

ويسمَّى القَصَص بخلاف، وأما ما يرويه الناس بعضهم لبعض يُسمَّى القِصص، أو الأساطير ففيها الكثير من الخيال والكذب.

﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾: بما: الباء: للإلصاق.

﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: من الإيحاء، وهو الإعلام بخفاء. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لبيان معنى أوحينا، ونسب الإيحاء إليه تعالى للتعظيم.

﴿هَذَا﴾: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب؛ لأن القراءة تحتاج إلى قرب القرآن من عيني القارئ.

﴿الْقُرْآنَ﴾: اسم جنس يقع على كل القرآن، أو بعضه.

﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ﴾: إن: للتوكيد.

﴿كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ﴾: من قبل نزول هذا القرآن.

﴿لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾: اللام: للتأكيد؛ أي: كنت غافلاً ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتُبُ

وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢]، أو غير متنبه لا تعرف من يوسف، وما قصته، ولم يخطر على بالك مطلقاً يوسف وشأنه، وما حدث له وليعقوب .

أسباب النزول: روى الضحاك، عن ابن عباس قال: سألت اليهود النبي ﷺ، فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب، وولده وشأن يوسف؛ فأنزل الله هذه السورة.

وروى ابن جرير، عن ابن عباس قال: قالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا فنزلت هذه السورة.



[٤] ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَتَابَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾: إذ: ظرف زمني، واذكر إذ قال يوسف لأبيه، أو حين قال يوسف.

يوسف: بن يعقوب، بن إسحاق، بن إبراهيم؛ فهو أحد أولاد يعقوب الاثني عشر ذكراً.

﴿لِأَبِيهِ﴾: يعقوب .

﴿يَتَابَتِ﴾: نداء استعمل فيه ياء النداء: للبعد؛ أبت: بدلاً يا أبي فيها استعطاف، وحنان أكثر من قوله: يا أبي، وقيل: كان عمره حوالي (١٢ عاماً).

﴿إِنِّي﴾: إني: للتوكيد.

﴿رَأَيْتُ﴾: فعل ماض يدل على أنه رأى ذلك مرة واحدة، رأى رؤيا واحدة فقصها على أبيه، ولم يقل: إني أرى، كما قال إبراهيم لابنه إسماعيل: إني أرى في المنام أنني أذبحك؛ أرى: فعل مضارع، وأرى: تدل على كثرة الرؤيا (أكثر من مرة)؛ فقد رأى إبراهيم تلك الرؤيا ثلاث مرات خلال ثلاث ليال، إذن رأيت تدل على رؤية واحدة، وأرى على عدة رؤى.

﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾: الكوكب: جسم بارد يستمد نوره من غيره من الشمس مثل كوكب الأرض.

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾: والشمس والقمر رأيتهم؛ أي: رأهما معاً، مع العلم أن لكل منهما وقتاً للظهور يختلف عن الآخر، ولكن رؤيا يوسف رأهما معاً.



﴿١﴾: خاصة.

﴿سَجْدَتَيْنِ﴾: معنى ذلك أنه أنزل الشمس والقمر منزلة العاقلين، ويجوز في اللغة العربية تنزيل غير العاقل منزلة العاقل، وتكرار رأيت للتوكيد، والرؤيا بالألف: تدل على الرؤيا المنامية، والرؤية بالتاء المربوطة: تدل على الرؤية في اليقظة، أو الرؤية البصرية العادية، وتأويل أحد عشر كوكباً كما سنرى في نهاية القصة؛ يعني: إخوته الأحد عشر، والشمس والقمر (أمه وأبوه).

﴿رَأَيْنَاهُم لِيَسْجُدَ﴾: سجود تحية، وتكريم، وليس سجود عبادة، وهذا ما سنراه في نهاية القصة، أو السورة.

وقد وصف النبي ﷺ يوسف في الحديث الذي رواه ابن عمر، وأخرجه البخاري، والإمام أحمد، بالكريم ابن الكريم ابن الكريم؛ أي: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.





سُورَةُ يُوسُفَ ١٢

الْبَقَرَةُ الْخَامِسَةُ

قَالَ يَبْنِي لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ
 إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ
 رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ
 وَعَلَىٰ آلٍ يَعْشَوْبُ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
 إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ * لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ
 ءَايَاتٌ لِّلْسَائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا
 أَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا
 يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ
 بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ
 وَالْقَوَّةَ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ
 فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ
 لَنَصْحُونُ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَا غَدَا يَرْتَعْ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ
 لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ
 أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ
 أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَسِرُونَ ﴿١٤﴾



سورة يوسف [الآيات ٥ - ١٤]

[٥] ﴿قَالَ يَبْنَئُ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾:

﴿قَالَ يَبْنَئُ﴾: قال يعقوب لـيوسف: يا بني: نداء فيه حنان، وعطف، وتصغير؛ لأن يوسف كان صغيراً في السن.

﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾: لا: الناهية.

﴿تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾: لأن إخوته كانوا على علم بتأويل الرؤيا، وإخوة يوسف هم الأسباط.

﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾: الكيد: هو التدبير الخفي؛ لإيقاع الضرر، أو المكروه بالغير؛ سواء علم الخصم، أو لم يعلم، والكيد أقوى من المكر.

﴿لَكَ﴾: اللام: لام الاختصاص، وكيدهم سيكون لمصلحتك، ولو قال: فيكيدوك كيداً؛ أي: سيكون الكيد شراً لك.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿الشَّيْطَانَ﴾: ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة البقرة؛ للبيان.

الشيطان: هو إبليس، أو ذريته، وهم كفرة الجن.



﴿الْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: للإنسان: اللام: لام الاختصاص.

﴿عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: عداوته لا تخفى على أحد من الناس؛ أي: بينة ومعروفة لكل فرد، وعداوته كاملة تامة تشمل كل النواحي، ولا تحتاج إلى برهان، أو دليل.

[٦] ﴿وَكَذَلِكَ يَجْهِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿وَكَذَلِكَ يَجْهِيكَ رَبُّكَ﴾: أي: كما أراك الله هذه الرؤيا الصالحة؛ فسوف يجتبيك ربك؛ أي: يصطفيك، ويختارك لنبوته. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٤٤)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: من: ابتدائية بعضية.

﴿تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: الإخبار عن حقيقة الرؤيا؛ أي: استخراج معنى الرؤيا، أو تفسير الأحلام.

﴿الْأَحَادِيثِ﴾: جمع حديث، والحديث قد يطلق على الرؤى، والأحلام (أحاديث النفس)؛ أي: يعلمك تعبير الرؤيا، أو بيان ما يؤول إليه الحلم، أو المنام.

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾: بالنبوّة، والملك، وعلى آل يعقوب، ويتم نعمته أيضاً على أولاد يعقوب؛ أي: سينالهم من الجاه، وعدم الفقر، والغنى.

﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾: على إبراهيم أتم نعمته عليه بالنبوّة، والخلة (واتخذ إبراهيم خليلاً)، وأنجاه من النار، وعلى إسحاق: بالنبوّة.



فيوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

﴿عَلَىٰ أَبَوَيْكَ﴾: إذا اعتبر الجد (إسحاق) بمنزلة الأب، واعتبر أبا الجد (إبراهيم) بمنزلة الأب أيضاً. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٣٣) لمزيد من البيان.

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: إنَّ: للتوكيد.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من عالم؛ كثير العلم.

﴿حَكِيمٌ﴾: ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة.

وقدَّم العليم على الحكيم؛ لأنَّ سياق الآيات في علم تأويل الأحاديث.

[٧] ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾: لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتوكيد؛

لقد كان في يوسف وإخوته؛ أي: في أحداث قصة يوسف وإخوته (الأحد عشر)، وفي: ظرفية مكانية وزمانية.

﴿ءَايَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾: آيات: دلائل، وبراهين على قدرة الله، وعلمه، وعلى

صدق نبوة محمد ﷺ.

﴿لِّلسَّائِلِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ السائلين: وهم كفار مكة، أو اليهود

الذين سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، وخبر يعقوب آيات كافية لهم؛

لكي يتبينوا صدق نبوة محمد ﷺ.



[٨] ﴿إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ آبَائِنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَاءَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني، واذكر إذ: أو حين قال إخوة يوسف بعضهم لبعض.

﴿لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾: ليوسف: اللام: لام التوكيد، وأخوه: بنيامين (أخوه من

أبيه وأمه).

﴿أَحَبُّ إِلَىٰ آبَائِنَا مِنَّا﴾: أي: إن آبانا يحب يوسف وبنيامين أكثر من حبه لنا.

﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: العصابة فوق العشرة (١٠-٤٠)؛ أي: متعصبون لبعضهم

بعضاً؛ يحمي بعضهم بعضاً.

﴿إِنَّ﴾: إن: للتوكيد.

﴿أَبَاءَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: لفي: اللام: للتوكيد؛ في ضلال مبين: أي: مخطئ،

وليس له حق في إثارة يوسف وأخيه عليهم، ولعلَّ السبب في إثارة يوسف وأخيه؛

لأن أم يوسف وبنيامين ماتت؛ الأمر الذي جعل أباهما أكثر حناناً وعطفاً لهما.

[٩] ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيْكُمُ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا

صَالِحِينَ﴾:

بعد أن بدأت المشاورات بينهم كان من بين المقترحات قتل يوسف.

﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾: ولكن عدلوا عنه بإلهام من الله تعالى، ولائهم يعلمون

عاقبة القاتل في دين يعقوب، وكيف يقتلون أخاهم وهم أولاد نبي.

﴿أَوْ﴾: أو: للتخيير.



﴿أَطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾: أي: ألقيه في أرض بعيدة.

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: يخلص لكم وجه أبيكم، ولا يشارككم فيه أحد،
ويصبح حبه مقصوراً عليكم، ولن يعد مشغولاً بيوسف وأخيه.

﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد قتل يوسف، أو طرحه بعيداً.

﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾: لتوقف كيدهم، وحسد هم، وعدائهم لأخيهم أو ظانين
إن تابوا بعدها أن الله سيغفر لهم ذنبهم، ويتوب عليهم، أو قوماً صالحين؛ لأن
اهتمام أبوكم ورعايته سيوجه إليكم، ولا يشارككم فيه أحد، أو يصلح حالكم مع
أبيكم.

[١٠] ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ
كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾:

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾: لم يُعرف من القائل؛ قيل: هو يهوذا، وهو أكبر أولاد
يعقوب سناً، ويبدو أن اقتراحه هو إلهام من الله سبحانه له؛ لكي يتم قضاؤه
سبحانه وقدره، ويبقى يوسف حياً.

﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ﴾: وبدلاً من قتله ألقيه في غابات
الجب، وقوله: لا تقتلوا يوسف بدلاً من قوله: لا تقتلوه فيها نوع من العاطفة
الأخوية الباقية في نفسه حيث ذكر اسم يوسف.

﴿الْجُبِّ﴾: قيل: هو البئر التي لم تبن بالحجارة، وهي بئر غير عميقة وفيه



ماء، ومجوف ووسطها، وغيابة: ما غاب من جوانبه عن النظر، ويستتر ما يختبئ فيه.

إذن: غيابت الجب: هي المنطقة المخفية عن العيون، أو هو قعره، (وغيابة كل شيء قعره).

﴿يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾: جمع سيار: وهو كثير السير؛ أي: المسافر، فالسيارة؛ أي: المسافرين، أو الجماعات المسافرة.

﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ﴾: إن: شرطية تدل على الافتراض، أو الاحتمال، والشك. ﴿فَعَلِينَ﴾: قوله: فاعلين جملة اسمية تدل على الثبوت؛ ثبوت أن اقتراحه سيعمل به، ولن يرفض.

وفي هذه الآية أمران: الأول: إلقاءه في غيابة الجب؛ بحيث يلتقطه بعض السيارة، إذن: ليس في نيتهم قتل يوسف، وإنما التخلص منه بدفعه في البئر، والالتقاط عادة يكون لشيء نافع؛ أي: يلتقطه بعض السيارة ليتفحصوا به في أمر ما فهذه الجريمة أقل من جريمة القتل، والجب كما قلنا بئر غير عميقة من تراب مجوف وسطها لا يكون فيها حجارة تؤذي يوسف.

[١١] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ﴾:

بعد أن تم الاتفاق بين الإخوة على إلقاء يوسف في غيابة الجب؛ جاؤوا إلى أبيهم، وقال أحدهم، وأمن الباقون على قوله:

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾: نداء فيه استعطاف؛ لنيل المراد،

واستعملوا يا النداء للبعد؛ فقد ينادى القريب بما هو للبعد، وقولهم:

﴿مَا لَكَ﴾: ما: استفهامية؛ فيها معنى الحث، ويبدو من قولهم: أَنْ أَبَاهُمْ

يعقوب كان يحرص على يوسف، ولا يتركه يلعب، أو يخرج معهم، أو كان يرفض الاستجابة لطلبهم بما يتعلق بشأن يوسف.

﴿لَا تَأْمَنَّا﴾: لا: النافية.

﴿تَأْمَنَّا﴾: فترسله معنا، أو لما تخاف على يوسف منا.

﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ﴾: وإنا: تفيد التوكيد؛ له: خاصة.

﴿لَنَصْحُونَ﴾: السلام: لزيادة التوكيد على المحافظة على يوسف،

وناصحون: أي: حذرون عليه، ولن يصاب بأذى، وسنحافظ عليه، ونهتم به.

[١٢] ﴿أَرْسَلَهُ مَعَاغِدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾:

﴿أَرْسَلَهُ مَعَاغِدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ﴾: أي: أتركه يخرج معنا غداً في اليوم

القادم، وإخوة يوسف يخرجون للرعي، والعمل، ويوسف لا زال طفلاً يخرج معهم لكي يرتع ويلعب، الرتع: يعني الأكل والشرب كما يشاء؛ أي: يأكل ويشرب ويتنزه.

﴿وَيَلْعَبُ﴾: واللعب من الأمور المستحبة إلى الأطفال تحت سن

التكليف.



﴿وَأَنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾: وإنا: للتوكيد؛ له: خاصة.

﴿لَحَافِظُونَ﴾: اللام: لزيادة التوكيد؛ لحافظون عليه من كل أذى، أو ضرر.

[١٣] ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾:

﴿قال﴾: يعقوب: إني: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد.

﴿لَيَحْزُنُنِي﴾: اللام: للتوكيد أيضاً، والنون: لزيادة التوكيد على شدة خوف

يعقوب على يوسف؛ فقد جاء بثلاث توكيدات:

يحزنني: من الحزن: هو ألم في النفس لفقد محبوب، أو وقوع مكروه،

بينما الخوف: هو ألم في النفس مما يتوقع من مكروه، ولمعرفة الفرق بين الحزن،

والحزن: ارجع إلى سورة فاطر، آية (٣٤).

ليحزنني: أي: يشق، أو يصعب عليّ مفارقتة، وغيباه.

﴿أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ﴾: أن: مصدرية؛ تفيد التعليل، والتوكيد.

﴿تَذْهَبُوا بِهِ﴾: ليرتع ويلعب.

﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾: أن: مصدرية؛ تفيد التعليل، والتوكيد.

﴿يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾: يعني: حيوان مفترس مثل الضبع، والذئب، وذكر

يعقوب للذئب؛ لكي ينتحل لهم عذراً؛ فلا يرسله معهم، ولأن أرضهم كانت

كثيرة الذئاب، وهذا ما كان شائعاً، ويخيف الناس.

﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾: بدلاً من وأنتم غافلون عنه؛ قدّم الجار والمجرور؛
لتفديد الحصر، أو القصر، وأنتم عنه ساهون، أو لاهون، أو تلعبون. ارجع إلى
سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان في معنى: (غافلون).

[١٤] ﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: إخوة يوسف لأبيهم يعقوب.

﴿لَيْنَ﴾: اللام: للتوكيد؛ إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الشك.

﴿أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: ونحن بهذا العدد؛ عصابة: تعني عشرة،
ولا ندافع عنه، أو نحمله.

﴿وَنَحْنُ﴾: الواو: حالية تفيد التوكيد.

﴿إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ﴾: إذن حرف جواب للتوكيد، كان بالإمكان القول: إنا
لخاسرون.

﴿لَخَسِرُونَ﴾: اللام: لام الاستحقاق، والتوكيد، أو التعليل، عاجزون، أو
ضعفاء.





الْبَقِيَّةُ الْبَاقِيَّةُ

سُورَةُ يُوسُفَ ١٢

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَبَتِ الْخَبْءِ وَأَوْحَيْنَا
إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا
أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكُلْهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ
بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ
بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا
وَارِدَهُمْ فَادَّلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبْشُرِي هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضْعَةً
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ
دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ
الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِّصْرَ لَا مِرَاتٍ بِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى
أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى
أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشَدَّهُ نَاءِ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾



سورة يوسف [الآيات ١٥ - ٢٢]

[١٥] ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ، وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب؛ لما: ظرف زمني؛ أي: حين، خرجوا به، ويبدو أن أباهم استجاب لطلبهم بإرسال يوسف معهم.

﴿وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ﴾: وأجمعوا: عزموا جميعاً، أو اتفقوا، ويدل ذلك أنهم كانوا لا زالوا مختلفين في أمره حتى تلك اللحظة التي ألقوه فيها في غيابة الجب.

﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ﴾: أن: مصدرية؛ تفيد التوكيد، والتعليل.

﴿فِي غِيَابِ الْجُبِّ﴾: ارجع إلى الآية (١٠) من نفس السورة.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: وأوحينا: من الوحي، وهو الإعلام بالخفاء، وكيف تم ذلك وهو لا زال طفلاً. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لمزيد من البيان في معنى: أوحينا.

﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ﴾: اللام: لام التوكيد، وكذلك النون بدلاً من لتنبئهم؛ أي: لتخبرن هؤلاء إخوتك بأمرهم هذا؛ أي: بما صنعوا بك في المستقبل وفي هذا وعيد لهم.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: بأنك يوسف أخوهم الذي أصبح عزيز مصر، ولا زلت حياً، كما سنرى في الآيات (٨٨-٩٠) من نفس السورة. أو هم لا يشعرون: بالوحي بإنزال جبريل لمعونتك عند إلقاءك في غيابة الجب، أو لا يشعرون بالقرابة، أو ما سيحدث لك بعد إلقاءك، والآية تحتل كل هذه المعاني.



[١٦] ﴿وَجَاءَ آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾:

أي: أخرؤا رجوعهم، أو مجيئهم حتّى وقت العشاء؛ كي يخبروا أباهم بأن يوسف أكله الذئب؛ فقد اختاروا وقت العشاء وقت الليل، والظلمة؛ كي لا تُرى على وجوههم علامات الكذب، أو لستر الجريمة التي قاموا بها، والمجيء على قميصه بدم كذب.

﴿وَجَاءَ آبَاهُمْ عِشَاءً﴾: جاؤوا في عشاء ذلك اليوم الذي خرجوا فيه، وألقوا فيه يوسف في غيابات الجب، واختار كلمة جاءوا بدلاً من رجعوا، أو أتوا؛ لأن المجيء فيه معنى المشقة والصعوبة، فهم قد ألقوا أخاهم في البئر، وأما الإتيان فيه معنى السهولة.

﴿يَبْكُونَ﴾: أي: متباكين؛ لأنهم افتعلوا البكاء؛ فهم جاؤوا على قميصه بدم كذب، وجاؤوا ييكون، واختاروا ظلمة الليل وقت العشاء؛ لكي يخبروا أباهم بأن يوسف أكله الذئب.

[١٧] ﴿قَالُوا يَتَابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾:

﴿قَالُوا يَتَابَانَا﴾: حين جاؤوا أباهم عشاء ييكون قالوا: يا أبانا.

﴿إِنَّا﴾: إنا: للتوكيد.

﴿ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾: نتسابق في الجري، وهم لم يفعلوا ذلك، ولم يتسابقوا أصلاً. وقيل: نتنضل؛ أي: نستبق في رمي السهام.

﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا﴾: وهم لم يتركوا يوسف، وإنما ألقوه في غيابة الجب؛ أي: تركنا يوسف بجانب متاعنا، والمتاع: هو الطعام، والشراب، والأدوات التي أخذوها معهم.

﴿عِنْدَ﴾: ظرف مكان، وزمان.

﴿فَاكَلَهُ الذِّئْبُ﴾: فأكله: الفاء: للترتيب، والتعقيب؛ أكله الذئب: نفس

الكلام الذي قاله أبوهم: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾؛ فهم لم يفكروا بشيء آخر يقولونه، وكأنّ أباهم يعقوب هداهم لنفس العذر، أو الحيلة.

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾: الواو: عاطفة؛ ما: النافية.

﴿أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾: بمؤمن: الباء: للإلصاق، والتوكيد؛ أي: بمصدق لنا، ولم يقل: وما أنت بمؤمن بنا؛ بنا: تعني إيمان عقيدة.

﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾: ولو: شرطية.

﴿كُنَّا صَادِقِينَ﴾: أي: ولو ثبت صدقنا ما صدقتنا أصلاً.

[١٨] ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾:

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾: القميص: هو الثوب الذي يحيط بالبدن.

﴿عَلَى﴾: تفيد المشقة والصعوبة للحصول على الدم، ثم لطخوا به قميص يوسف بدم كذب؛ أي: ليس دم يوسف.

﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾: بدم: الباء: للإلصاق والتوكيد؛ دم كذب: كذب: مصدر للمبالغة، وحين نصف الشيء بمصدره كأن الشيء إلى المصدر؛ أي: كأنه نفس الكذب، أو الكذب بعينه؛ أي: بدم مكذوب؛ لأنّ الدّم لا يكذب، والذي كذب هو من جاء بالدم، ووضعه على القميص؛ فلما رأى يعقوب القميص، وعليه الدّم الكذب، ولم يجد فيه أيّ خرق، أو عيب؛ أيّ تمزق؛ فكان الذئب أكل لحم يوسف دون أن يمزق قميص يوسف؛ عندها شعر يعقوب بمكر أولاده بيوسف.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: سولت: طوعت أو سهلت وزينت، والتسويل: تحسين الشيء، وتزيينه، وتحبيبه إلى الإنسان كي يفعله، ولنعلم أن التسويل (سولت) تحتاج إلى جهد أقل من طوعت؛ أي: طوعت تحتاج إلى جهد أشد من التسويل.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: فصبر: الفاء: للتوكيد؛ صبر جميل: صبر من دون شكوى



إلى أحدٍ من الخلق إلا الله، ومن دون جزع، أو يأس، والرضا بما قدر الله وقضى؛ فيجوز للعبد أن يشكو بثه وحزنه إلى الله سبحانه.

﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾: أي: أسأل الله العون على ما؛ أي: الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي؛ تصفون (من هلاك يوسف وأن الذئب أكله، أو أسأل الله الصبر، والاحتساب لهذا التبا المفجع.

ما هو الفرق بين صبر جميل في هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]؟

صبر جميل: جملة اسمية تدل على الثبوت، والدوام؛ أي: اصبر صبراً دائماً ومستمراً.

واصبر صبراً جميلاً: جملة فعلية تدل على التجدد؛ أي: صبراً غير دائم ومتواصل.

[١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ. قَالَ يَبْشَرِي هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً وَلِلَّهِ عَلَيْهِمْ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: أي: جماعة من المسافرين، جماعة مسافرة، لم يخبر سبحانه من أين جاؤوا، وإلى أين كانوا ذاهبين.

﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾: فأرسلوا: الفاء: للترتيب، والتعقيب.

﴿وَارِدَهُمْ﴾: الذي اختير ليذهب إلى البئر؛ ليأتي لهم بالماء، والدلو: هو الوعاء الذي يُخرج الماء من البئر.

﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾: أنزل دلوه إلى البئر؛ فإذا به يُبصر يوسف في البئر فصاح:

﴿قَالَ يَبْشَرِي هَذَا غُلْمٌ﴾: نادى أصحابه، وبشرهم بأنه وجد غلاماً، ويبدو

أن يوسف قد تعلّق بالدلو، أو بالحبل؛ فشعر الوارد بوجود غلام في البئر؛ فنادى: يا بشرى هذا غلام، وأخبر واردهم بعض أصحابه المسافرين معه.

﴿وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً﴾: أي: أخفوه، وعاملوه؛ كأنه بضاعة؛ أي: سلعة للتجارة، وقالوا لمن سألهم بشأنه: أنه بضاعة أبضعها أهل الماء؛ لنبيعها لهم في مصر؛ أي: حاولوا إخفاءه ليبعوه في مصر كعبد (تجارة الأطفال)، والبضاعة: ما بُضِعَ؛ أي: قطع من المال للتجارة.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: عليم: بما صنعوا بيوسف، ربما قالوا بعد أن عثروا عليه، وكيف أخفوه، وباعوه في مصر.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم؛ عليم: يعلم سرهم، ونجواهم، وعليم بذات الصدور، وما يخفونه، وهو بكل شيء عليم: لا تخفى عليه خافية في السموات، ولا في الأرض.

﴿يَمًا﴾: الباء: للإلصاق؛ ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، أو مصدرية، وأوسع شمولاً من الذي.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: يقولون، ويفعلون؛ العمل: هو القول، والفعل.

[٢٠] ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾:

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾: أي: باعوه بثمان زهيد؛ أي: أقل مما يستحق، ويقال: بخس حقه: نقص حقه، ولم يوفه، وفيه نوع من الظلم؛ أي: هم باعوه بأقل بكثير من قيمته الحقيقية.

﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾: دراهم قليلة، والمعدودة: أكثر من المعدودات؛ أي: ربما باعوه مثلاً بثلاثين درهم، وكان قدره أو قيمته أكثر من ذلك بكثير.

﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾: كانوا في يوسف.

﴿مِنْ﴾: استغراقية؛ التوكيد.

﴿الزَّاهِدِينَ﴾: جمع زاهد، والزهد: هو عدم الطمع؛ أي: كانوا يريدون أن يتخلَّصوا منه بأي ثمن.

[٢١] ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ



وَلَدَا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾: الذي اشتراه هو العزيز وزير الملك ملك مصر (غير منونة)، وتعني: مصر المدينة المعروفة، ولم يقل مصرأ، كما جاء في قوله تعالى ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآسَأً لَّتُمْ﴾ [البقرة: ٦١]؛ أي: أي مدينة.

﴿لِأَمْرَاتِهِ أَكْرَمِي مَثْوًهُ﴾: لامراته ولم يقل لزوجته. ارجع إلى سورة القصص آية (٩) لمعرفة الفرق بين الزوجة والمرأة في القرآن. أحسنني إقامته عندنا بالطعام، والشراب، واللباس، أو أحسنني ضيافته، ونزله، والمثوى فيها معنى: الإقامة الجبرية؛ لأنه طفل، واشترى كعبد.

﴿عَسَى﴾: أداة رجاء، وتستعمل في الأمر الذي يتحقق حدوثه فيما بعد.
﴿أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَنْخِذَهُ وَلَدًا﴾: ببعض الأمور؛ أي: يساعدنا، أو نتخذه ولدًا؛ حيث كان عزيز مصر لا ولد له، وإذا قيل: كيف يتخذه ولدًا، وهو عبد له؛ فيه تناقض؛ أي: يعتقه أولاً، ثم يتبناه، ويتخذه ولدًا؛ حيث كان التبنّي معلوم آنذاك.
﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: كما أنجينا من القتل، وأخرجناه من ظلمة الحب؛ مكَّنَّا له بالقدوم إلى بيت العزيز.
﴿لِيُوسُفَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿مَكَّنَّا﴾: والتمكين يعني له القدرة على الوصول إلى ما يبغيه، ويطمح به من الحرية، والأمن، وممارسة شعائر ملته، والأمر والنهي، ولا يعني التسلط والظلم.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾: في: ظرفية؛ لأنَّ الأرض تضم الأرض، وما يحيط بها من غلاف جوي.

﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: تأويل الرؤيا، والأحلام، تعبير الرؤى، والأحلام، ولنعلم: الواو: للتوكيد.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾: أي: لا يعجزه شيء، وكل أمر يقع، أو يحدث يقع حسب مشيئة الله وحده، ولا راد لقضائه فلا يُغلب، ولا يُقهر، أو الله غالب على أمر يوسف يدبره، ويصرفه كيف يشاء، ولا يكله إلى غيره.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن الأمر كله بيد الله وحده، وهو فعال لما يريد، أو لا يعلمون حقائق الغيب، وحكمته، ويأخذون بظواهر الأمور. [٢٢] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو: استئنافية؛ لما: ظرف زماني بمعنى: حين، وتتضمن معنى الشرط.

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: كمال قوته العقلية، وقيل: الأشد بين (١٨-٣٣ سنة)، بينما في موسى قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ وَاسْتَوَى﴾ ارجع إلى سورة القصص آية (١٤) للبيان والفرق.

﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾: النبوة، وحكماً: الحكم والفصل والقضاء.

﴿وَعِلْمًا﴾: الفقه بأمور الدين وتفسير الرؤيا والأحلام.

والإيتاء: يختلف عن العطاء. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: أي: آتاه الله الحكم والعلم جزاء على إحسانه في عمله، وتقواه، أو كما جزينا يوسف الحلم والعلم والصبر نجزي كذلك المحسنين أمثاله.





سورة البقرة ١٢

البقرة الثانية عشر

وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ
إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَهَمَّ بِهَا
لَوْ لَا أَنْ رَأَا بُرْهَانَ رَبِّهِ، كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ
وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا
الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ، مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ
أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصَهُ، قَدْ مِّنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِّنْ
الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصَهُ، قَدْ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَتْ قَمِيصَهُ، قَدْ مِّنْ دُبُرٍ قَالَتْ إِنَّهُ
مِنَ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ
هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ
﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَوِّدُ فَتَاهَا
عَنْ نَفْسِهِ، قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾



سورة يوسف [الآيات ٢٣ - ٣٠]

[٢٣] ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾:

﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾: ولم يذكر اسمها كأن يقول امرأة العزيز، أو اسمها الحقيقي لتجنب إذاعة الفاحشة والستر عليها وعلى سيدها؛ المرادة: المطالبة برفق، ولين، والمراجعة؛ أي: إعادة الطلب، وبأسلوب فيه نوع من الخداع، والحيلة لوقوع المطلوب، ومعنى ذلك حاولت إغراءه جنسياً.

وأبدت له من القول، والحركة، والمحاسن ما يدل على أنها تدعوه إلى الوقوع في الفاحشة بعد أن اتخذت كل الأسباب اللازمة للحيلة، والحذر من اكتشاف هذا الأمر، والمرادة مشتقة من الرّويد، وهو الرّفق، والمرادة مفاعلة؛ أي: تحتاج إلى مشاركة بين طرفين، وقد تنتهي إلى نتيجة، أو لا يستجاب لها.

﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾: عن: تفيد المجاوزة، والابتعاد؛ أي: يتخلى عن نفسه لها؛ أي: يعطيها نفسه؛ فتحصل امرأة العزيز على ما تريد منه.

﴿وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابَ﴾: ولم يقل: وأغلقت الأبواب، غلقت الأبواب؛ أي: أحكمت إغلاقها؛ لتأمن من الدّاخلين؛ أي: استعملت المفاتيح، وغلقت الأبواب؛ تعني: أبواباً كثيرة بينما أغلقت الأبواب: تدل على أنها من دون إحكام، وأبوابٌ قلة.



﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾: انتهت مرحلة المراودة إلى مرحلة التطبيق.

﴿هَيْتَ لَكَ﴾: أي: هلمَّ إليّ؛ أقبل، وأسرع، أو جئت لك؛ أي: أعددت نفسي لك.

﴿لَكَ﴾: اللام: لام الاختصاص لك وحدك.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾: قال يوسفُ: معاذ الله: مشتقة من أعوذ بالله؛ أي: ألتجأ وأعتصم بالله أن أفعل هذا، أو أعوذ بالله معاذاً مما تريد مني.

﴿إِنَّهُ﴾: إنه: للتوكيد، والهاء: تعود إلى العزيز.

﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾: أي: سيدي (أي: عزيز مصر)، وقد تعني أيضاً: الله سبحانه، فالأسلوب يحتمل كلا المعنيين؛ فالله هو المربي الحقيقي، والعزيز هو الذي وكل إليه للقيام بالتربية.

﴿أَحْسَنَ مَثْوَى﴾: أي: أكرمني، وأحسن إقامتي عنده، وربّاني. ارجع إلى الآية السابقة (٢١) لمزيد من البيان.

﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: إنه: للتوكيد؛ لا: النافية.

﴿يُفْلِحُ﴾: أي: يفوز بالمرغوب وينجو من المرهوب، فالفلاح: هو الفوز والنجاة.

﴿الظَّالِمُونَ﴾: أي: الزّناة، أو الخائنون؛ أي: من يفعل ذلك يكن خائناً للأمانة، وظالماً لنفسه وغيره. والظالمون: جمع ظالم، والظالم: كل من خرج عن منهج الله، والظالمون: جملة اسمية تدل على ثبوت صفة الظلم عندهم.

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا ۖ أَنْ رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهٖ ۚ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ۝﴾

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: عاطفة؛ لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتوكيد أيضاً.

﴿هَمَّتْ بِهٖ﴾: الهم: هو حديث النفس بالشئ بلا عزم بمقتضى النظرة، وهو هم عارض، وهناك الهم الثابت المصاحب للعزم، والتصميم، والرضا، وحين نقراً، أو نتلو القرآن فمن الأفضل الوقوف على: ولقد همت به.

﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا ۖ أَنْ رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهٖ﴾: لولا: حرف امتناع لوجود؛ أي: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، وبما أنه رأى برهان ربه فهو لم يهم بها.

وكذلك انتبه إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ ۖ وَهَمَّ بِهَا﴾: ولو قال تعالى: ولقد همت به، ولم يهم بها لقل: إن يوسف قد يكون عينا ليس عنده شهوة للنساء، أو غيره من الموانع، وأصل الكلام: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها؛ أي: فيه تقديم، وتأخير، وهناك من قال: وهم بها؛ تعني: هم بدفعها عنه وإبعادها، ومحاولة الفرار.

﴿لَوْلَا ۖ أَنْ رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهٖ﴾: ما هو برهان ربه؟ لم يبينه لنا الحق سبحانه؛ فقد قيل: البرهان برهان ربه تذكر شريعة ربه (حدود ربه) التي تحرم الفاحشة (الزنى) وعقوبة الزاني والزانية فحصنه ومنعه إيمانه القوي بالله، وشعوره بمراقبة الله له، وقيل: أنه رأى أباه يعقوب يحذره، أو رأى آية: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾، أو رأى خيلاً، أو صورة العزيز زوج المرأة، والله أعلم.



﴿كَذَلِكَ﴾: تفيد التشبيه؛ أي: مثل ذلك، أو تعني أيضاً:

﴿لَنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾: لنصرف: اللام: لام التوكيد، والتعليل.

﴿السُّوءَ﴾: الخيانة، والإثم.

﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾: الزنى.

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾: إنه: للتوكيد.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية بعضية.

﴿عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾: المخلصين: بفتح اللام، والمخلص: هو من

اصطفاه الله سبحانه من عباده؛ وأخلصه: جعله طاهراً تقياً؛ أي: من عبادنا الأصفياء الأتقياء الطاهرين الذين اختارهم الله لرسالته مثل الأنبياء، والصديقين، وهؤلاء هم مخلصون لله قبل أن يكونوا مخلصين؛ أما المخلصين: بكسر اللام: هو الذي يجاهد نفسه ليكسب طاعة الله؛ أي: يُخلص نفسه لله.

[٢٥] ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ، مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾: تسابقا كل واحد يحاول أن يسبق الآخر؛ ليفتح الباب.

﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ، مِنْ دُبُرٍ﴾: قد الثوب شقه طولاً؛ فهو يحاول الهرب أمامها،

وهي تجري وراءه لتمنعه من الخروج؛ فشقت قميصه من دبر.

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾: ألفى الشيء وجده، وهناك فرق بين ألفى

الشيء، ووجد الشيء؛ ألفى: لا تستعمل إلا فيما هو مشاهد أو محسوس؛ أي:



مادية، وتستعمل في الأمور غير المستحبة كما في هذه الحال؛ أي: وجدا سيدها (في اللغة القبطية) الزوج؛ أي: زوجها لدى الباب، ومباشرة أَلْقَتْ امرأة العزيز الاتهام على يوسف في شكل سؤال وإذا قارنا ﴿لَدَا﴾ هذه (بالألف الممدودة) مع ﴿لَدَى﴾ (بالألف المقصورة) التي جاءت في سورة غافر آية (١٨) نجد ﴿لَدَا﴾ بالألف الممدودة جاءت في سياق الأمر الحسي المادي وهو الباب أو ﴿لَدَى﴾ بالألف المقصورة جاءت في سيق الأمر المعنوي وهو: كون القلوب لدى الحناجر. ارجع إلى سورة غافر آية (١٨) لمزيد من البيان.

﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ﴾: ما: استفهامية.

﴿جَزَاءُ﴾: عقاب.

﴿مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾: من: اسم موصول ابتدائية.

﴿أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾: الخيانة، ثم حددت هي نفسها العقاب إلا أن يُسجن، أو عذاب أليم.

﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد، والتعليل.

﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ﴾: أي: ما جزاؤه إلا السجن.

﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: الجلد، والضرب بالسِّياط (١٠٠ جلدة)، أو (٨٠ جلدة).

[٢٦] ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ فَمِصُّهُ، قَدْ مِّنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾:

﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾: عندها قال يوسف: هي راودتني عن نفسي؛



أي: طلبت مني، أو دعنتني، أو أغرتني؛ فلما تعارض قول يوسف مع قول امرأة العزيز استدعى الخلاف إلى قاضٍ يقضي بينهما، أو خبير في القضايا الجنائية، وسماه شاهد يشهد بما يرى من الحقائق.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾: قيل: كان الشاهد رجلاً حكيماً صاحب رأي من أهلها؛ قيل: ابن عمها، وقيل: هو طفل في المهد، والأرجح: هو الأول؛ أي: كونه رجلاً حكيماً؛ لكون سياق القصة يتماشى مع هذا الافتراض.

﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: يبدو أن الشاهد القاضي تلا القانون الذي سبني عليه حكمه، وقبل رؤية القميص والتدقيق فيه.

﴿إِنْ﴾: شرطية افتراضية، أو احتمال قميصه شق من الأمام؛ يعني: هو أقبل نحوها فدفعته؛ فهو حاول الهم بها، وهي تدفعه؛ فشقت قميصه من الأمام.

﴿فَصَدَقَتْ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ تفيد التوكيد، وهو من الكاذبين.

[٢٧] ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾:

﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾: وإن: شرطية للافتراض.

﴿كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾: من الخلف؛ أي: هي تتبعه، وتجري خلفه، وهو يحاول الهرب منها؛ فتمسك بقميصه فشق من الخلف.

[٢٨] ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾:

﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾: قيل: هذا قول الشاهد، وهو الأرجح.

وقيل: هذا قول العزيز، وليس قول ربنا، كما يظن بعض الناس.



وقيل: كيد المرأة عظيم في أمر الفاحشة (الزنى)، وكيدها عظيم؛ لأنها هي التي تجر عادة إلى الفاحشة (الزنى) بما تقوله، أو تفعله.
الكيد هو: ارجع إلى الآية (٥) من نفس السورة.
﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾: إنه: للتوكيد.
﴿مِنْ﴾: ابتدائية.

﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ﴾: إن: للتوكيد، والكيد: هنا يعني إلصاق السوء (الخيانة)، أو التهمة بـيوسف.

﴿عَظِيمٌ﴾: لأنه قد يؤدي إلى حدّ الرجم.
[٢٩] ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾:
﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾: هذا قول العزيز.

﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾: أي: لا تذكره إلى أحد، واكتمه، ولم يقل: يا يوسف أعرض عن هذا: حذف ياء النداء؛ بسبب العجلة حتّى لا يسمع أحد، والإيجاز، والتستّر، والخوض في هذه المسألة، وتنتشر الفضيحة، أو المقام مقام إيجاز واختصار.

﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾: هذا قول العزيز لزوجته: استغفري لذنبك.
﴿لِذَنْبِكِ﴾: اللام: لام البدلية، أو التعليل، والتوكيد؛ أي: توبي من ذنبك.
﴿إِنَّكِ﴾: إن: للتوكيد.

﴿كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾: أي: المذنبين الآثمين.



﴿الْخَاطِئِينَ﴾: جمع خاطئ: وهو من تعمد الذنب بسبب ما هممت به، ولم يقل: كنت من الخاطئات؛ لأنه أراد التستر، والنهي عن إشاعة الفاحشة، وجاء بلفظ التذكير (الخاطئين)؛ لأن الخاطئين تشمل الذكور والإناث معاً.

[٣٠] ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾:

فلما تسرب الخبر إلى عدد من النسوة (٤-٥ نساء) اللاتي يعملن في القصر، أو بسبب إخبار أزواجهنَّ لهنَّ.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾: ولم يقل: قالت نسوة؛ قال بالتذكير الذي يدل على جمع قلة، ولو قال: قالت، بالتأنيث فهو يدل على الكثرة؛ كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾: بالتأنيث جمع كثرة، ﴿جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي﴾: تدل على القلة؛ ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ رَسُولٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ﴾: يوم القيامة في الآخرة كل الرسل بما فيهم الأنبياء؛ تدل على الكثرة.

﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾: ولم يقل: زوجة العزيز؛ لأنه هناك مرض في الزوج هو عدم الإنجاب بذلك خالف زوجه التي هي صالحة للإنجاب؛ فبدل كلمة زوجة بكلمة امرأة، يستعمل القرآن زوجة للمرأة التي لا تخالف زوجها في الدين (مثل الكفر)، وهي صحيحة البنية ليس فيها عيب أو مرض مثل العقم أو سوء الخلق وكتبت امرأت بالتاء المفتوحة أو المبسوطة بينما في الآية (١٢) في سورة النساء والآية (٥٠) في سورة الأحزاب بالتاء المربوطة. ارجع إلى سورة آل عمران آية



(٣٥) لمعرفة الفرق؛ فنبأ امرأة العزيز ربما تسرب إلى أحد العاملين في القصر، ثم انتقل إلى بقية العاملين وأزواجهم.

وهؤلاء النسوة قيل: كن خمس نسوة؛ فانتقل الخبر إلى إحداهن، ثم شاع الخبر بينهن، ثم وصل إلى امرأة العزيز.

﴿تَرَوْدُ فَتَنْهَعْنَ نَفْسَهُ﴾: ارجع إلى الآية (٢٣).

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾: الشَّغاف: هو غلاف القلب؛ أي: أن حبها له وصل إلى قلبها (شغاف قلبها دلالة على شدة الحب)، وأن حبه قد جرى في دمها ووصل إلى قلبها.

﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: لنراها: اللام: لام التوكيد؛ نراها في ضلال مبين: بعيدة عن الصواب (أخطاء وابتعدت عن التحصن، ومنهج الله).

﴿مُبِينٍ﴾: ظاهر لكل فرد، وضلال ظاهر لا يحتاج إلى أحد ليظهره؛ أي: مظهر لنفسه لا يحتاج إلى دليل، أو برهان.



فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَاوِءًا أَتَتْ
كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أُخْرِجْ عَلَيْنَ فُلَمَّارَيْنَهُ وَأَكْبَرْنَهُ
وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ
كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ
نَفْسِي فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَتِهِ لَيُسْجَنَ وَلْيَكُونَا
مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي
إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ
﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنَنَّهُ
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا
إِنِّي أَرَنِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَنِي أَحْمِلُ فَوْقَ
رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا
بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾



سورة يوسف [الآيات ٣١ - ٣٧]

[٣١] ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب؛ أي: المباشرة؛ أي: مجرد ما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن من دون تأخير؛ لما: ظرف زماني بمعنى: حين.

﴿سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾: بمكرهن: الباء: للتوكيد؛ بمكرهن: أي: اغتياهن: من الغيبة لها، وقولهن؛ أن امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً؛ أي: امرأة العزيز عشقت فتاها، وسمي الاغتيا بـمكر؛ لأنه حدث في الخفية، ويسمى إليها وهو نوع من أنواع إشاعة الفاحشة.

﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾: تدعوهن إلى منزلها دعوة خاصة.

﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا﴾: وأعدت: ولم تقل أعدت؛ أعدت: فيها حروف من الجهر والهمس تدل على الاسترخاء، والذي يناسب المتكأ، وفيه نوع من الرقة والخفوت مقارنة بـ(أعدت)؛ أي: أعدت مكان الاستقبال، والمتكأ: الشيء الذي يستند إليه الإنسان عند جلوسه مثل الوسائد وغيرها.

﴿وَأَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾: وآتت: من الإيتاء، وهو أعم من العطاء، ويستعمل للأموار المادية والمعنوية والإيتاء عطاء دون تملك؛ أي: يمكن استرداده. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) لمزيد من البيان. وأخبرت



يوسف سابقاً بأنها استدعوه ليخرج عليهنَّ في الوقت المناسب؛ أي: حين يبدأن يقطعن الفاكهة.

﴿أَخْرَجَ عَلَيْنَ﴾: ولم تقل: اخرج إليهن.

﴿عَلَيْنَ﴾: على: تفيد الاستعلاء، والمشقة؛ لأنَّ خروجه لم يكن سهلاً فيه المفاجأة والدهشة؛ قالت عليهن.

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾: فلما: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ أي: فلما وقعت أعينهنَّ عليه أكبرنه: دُهنن بجماله، وبهتن به، أو ذهلن بجماله، ولم يكنَّ يتوقعن، أو يتخيلن أن يكون بهذا الجمال.

﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: أي: جرحن أيديهنَّ.

﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾: حاشا: كلمة تفيد التنزيه، وأصلها الحشا، والحاشية: الناحية؛ أي: بُعد مما رُمي به، أو اتهم به من سوء (الفاحشة)، أو نقص، فلم يصبه شيء مما رموه به، وحاشا لله: تنزيه لله من كلِّ سوء، وعجز؛ فهن يبرئن الله أولاً، ثم يبرئن يوسف مما رُمي به، وحاش لله: قد تعني تبرئة الله من كلِّ عجز، وتعجباً من كونه خلق بشراً كيوسف، وحاشا: من أدوات الاستثناء، وتعني: إذا أردنا تنزيه شخص من سوء نبدأ بتنزيه الله أولاً سبحانه من السوء، ثم نبرئ ذلك الشخص مما رُمي به، أو قذف به، أو اتهم به؛ فيكون ذلك أبلغ وأكد.

﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾: نفين عن يوسف أن يكون بشراً؛ لشدة جماله، وحسن صورته، أو مستحيل أن يكون هذا بشراً.

﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾: أي: ما هذا.

﴿إِنَّ﴾: للنفي، وأشد نفيًا من: ما.



﴿هَذَا﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة للقرب؛ تشير إلى يوسف.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَلِكٌ كَرِيمٌ﴾: أي: ملك من الملائكة كريم.

[٣٢] ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا
ءَامَرُهُ لَيَسْجَنَ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾:

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي﴾: قالت ، امرأة العزيز.

﴿فَذَلِكُنَّ﴾: الفاء: للتأكيد؛ ذا: اسم إشارة يدل على يوسف، واللام:
للبعد، مع أن يوسف حاضر أمامهن؛ للدلالة على علوه، وبعد منزلته، والكاف:
للخطاب، والنون: نون (النسوة) الجمع والخطاب من امرأة العزيز لجميع النسوة
اللاتي حضرن المجلس.

﴿الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾: الذي: اسم موصول.

﴿لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾: أي: في حبه؛ من لام يلوم ولامه؛ اللوم: خطاب يعبر فيه
عن عدم الرضا، عن عمل لم يكن متوقعا من عامله (قول، أو فعل)، فكيف امرأة
العزيز تعشق، أو تحب عبدها حقاً؛ فهي تلام على فعل ذلك.

﴿وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾: ارجع إلى الآية (٢٣) من نفس السورة.

﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾: فيها مبالغة؛ أي: بالغ من الاستعصام في الامتناع، أو ضبط
نفسه عن الشهوة.

﴿وَلَئِنْ﴾: اللام: للتأكيد؛ إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو الشك.



﴿لَمْ يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَةٍ﴾: لم: النافية؛ أي: لم يطع أو امري، أو أمري إياه، وما: مصدرية، أو اسم موصول بمعنى: الذي.

﴿لَيْسَجَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾: ليسجنن: اللام: لام التوكيد؛ يسجنن: فيها ثلاث نونات، ومنها: نون النسوة الثقيلة؛ لزيادة التوكيد.

وأما كلمة ليكوناً من الصغارين: فيها لام التوكيد، وفيها نونان: منها: نون النسوة الخفيفة.

﴿وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾: أو للتخيير؛ ليكوناً من الصغارين؛ أي: يُذل، ويُهان، ويحط من كرامته، ويُحقر.

والفرق بين ليسجنن، وليكوناً: هي أنها أكدت بزيادة نون في كلمة (ليسجنن)، ولم تقل: ليكونن من الصغارين، بل ليكوناً من الصغارين.

زيادة التوكيد في كلمة (ليسجنن) على كلمة (ليكوناً) تشير إلى امرأة العزيز تؤكد، وتميل، وترغب في أن يسجن، ولا يُهان، ويحط من كرامته؛ أي: يسجن بدلاً من أن يكوناً من الصغارين.

عند ذلك قال النسوة ليوسف: أطع مولاتك؛ فقال عندها يوسف: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾:

﴿قَالَ رَبِّ﴾: قال يوسف: رب، لم يستعمل الياء أداة النداء؛ لعلمه بقرب ربه منه، وياء النداء تستعمل للبعيد.



﴿السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾: أفضل إليّ من ارتكاب الفاحشة والسَّوء، والسجن: اسم مكان، ومعنى ذلك نزول السَّجن.

﴿مِمَّا﴾: من + ما؛ من: ابتدائية؛ ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي يدعونني.
﴿يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾: جاء بصيغة الجمع؛ يدعونني إليه على الرَّغم من أن امرأة العزيز هي التي دعتة، وبما أن رغبات النساء تشبه رغبة الواحدة منهن؛ فسواء كانت امرأة العزيز، أو غيرها من النساء دعوتهنَّ واحدة، وفتنة النساء أمر كبير على الرجال.

﴿وَالَا﴾: أصلها: وإن لا؛ إن: شرطية تفيد الشك، والاحتمال. ولا: نافية.
﴿تَصْرِفُ عَنِّي﴾: وتصرف من الصَّرف، وهو رد الشيء من حال إلى حال؛ أي: تُبعدني، أو تعصمني من كيدهن.

﴿كَيْدَهُنَّ﴾: من الكيد: وهو التدبير بالخفاء، ويعني هنا: الوقوع بالفاحشة الزنى. ارجع إلى الآية (٥) من نفس السورة لبيان معنى الكيد.

﴿أَصْبُ إِلَيْنَ﴾: أي: أمل إليه، وصبا: مال، والصَّبوة: ميل النفس للهوى، والشهوة.

﴿وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: الجهل: ضد العلم، وهو عدم المعرفة. جمع جاهل: الذي لا ينظر في عواقب الأمور؛ أي: من الذين لا يعلمون، أو من يعلم، ولا يعمل بما يعلم؛ فهو يساوي الجاهل، أو من العصيين، أو من يبيعون آخرتهم بدنياهم. ارجع إلى سورة الزمر آية (٦٤)، وسورة الفرقان آية (٦٣) لمزيد من البيان في معنى الجاهلين.



[٣٤] ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾:

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾: فاستجاب: الفاء: للترتيب، والتعقيب.

﴿لَهُ﴾: جار ومجرور، واللام: لام الاختصاص، والهاء: تعود على يوسف، وتقديم الجار والمجرور: يدل على الحصر له خاصة، وليس لغيره.

﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾: الصَّرف: لا يقدر عليه إلا الله، والصرف يعني: الإبعاد والعصمة.

﴿كَيْدَهُنَّ﴾: ارجع إلى الآية السابقة، والآية (٥) من نفس السورة.

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: إِنَّه: للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل؛ لزيادة التوكيد.

﴿السَّمِيعُ﴾: صيغة مبالغة في السَّمْع؛ السَّمِيع لأقوال عباده، وما قاله يوسف، ودعاه، وما قال النسوة؛ فلا يخفى عليه السر، أو العلن.

﴿الْعَلِيمُ﴾: بخلقه، وكونه، والعليم بما يعمل به كل مخلوق، والعليم بحال يوسف، وامرأة العزيز، والنسوة، وكل إنس وجان، وملك، وشيء، وأمر لا تخفى عليه خافية في السموات، ولا في الأرض.

[٣٥] ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنْدُهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب التسلسلي في الأحداث، وليس التراخي في الزمن.

﴿بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنْدُهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾: الآيات: هي (قد القميص من الدبر، وشهادة الشاهد، قطعن أيديهن، وتعظيم النسوة ليوسف، والقول حاشا لله ما هذا بشر).

﴿بَدَأْتُمْ﴾: ظهر لهم: أنّ من المصلحة، وأفضل شيء أن يسجنوه حتى

حين.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية (نهاية الغاية)؛ حتى تهدأ الفضيحة، وينقطع كلام

النّاس، وينسى الناس هذه القصة.

[٣٦] ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾: هذا يدل على أن يوسف أُدخل السّجن،

وكان معه في السّجن فتیان.

﴿فَتَيَانٍ﴾: مثني فتى، وجمعه: فتية، أو فتیان، ومن خصائص القرآن أنه

يستعمل فتية في سياق الفئة الصّالحة المؤمنة؛ مثل: أصحاب الكهف ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ

ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف: ١٣]، ويستعمل الفتیان كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفَتَيْنِهِ اجْعَلُوا

بِضَعْفَهُمْ﴾ [يوسف: ٦٢] إلى الفئة المملوكة، والعرب قديماً كانت تسمي المملوك فتى

(شاباً كان أو شيخاً).

﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾: إني: أراني: من الرؤيا، وهي الحلم؛

رأى في المنام: أنه يعصر العنب؛ ليصنع منه خمرًا.

﴿وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾: واختلفوا هل

كانت رؤياهما صادقة، أم لا؟ فمنهم من قال: كانت صادقة، ومنهم من قال غير

ذلك.

﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾: أي: أخبرنا بتفسير هذه الرؤيا، أو تعبيرها، والباء:



للإلصاق، والتوكيد. وقوله تعالى: ﴿نَبِّئْنَا﴾ (ولم يقل أنبئنا) نبئنا: أبلغ وأكد من أنبئنا.

﴿إِنَّا نَرْبِّكُمَا طَعَامٌ تَرْزُقَانِهِ﴾: السؤال: كيف علموا أنه من المحسنين؟ لأنهما كانا يشاهدانه يساعد المريض في السجن، والضعيف، ويجتهد في العبادة والصلاة؛ أي: من مشاهدة أعماله الحسنة؛ علموا أنه من المحسنين؛ جمع محسن. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٢)؛ لمزيد من البيان.

[٣٧] ﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِأَوَّلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾:

انتبه في الآية السابقة هما يسألانه عن تأويل رؤياهما، وقوله: لا يأتیکما طعام ترزقانه ليس بجواب لسؤالهما؛ فهو إما أراد تأخير الجواب لما بعد، أو الإعراض، وعدم الإجابة؛ فلما ألحا عليه أجابهما، أو أراد استغلال الموقف؛ لكي يدعوهما إلى الإيمان، والتوحيد قبل الإجابة، والفتيان لا يسألانه عن مؤهلاته أيضاً، ولكن يوسف بدأ بالحديث عن شيء من الغيب مما علمه ربه بالإيحاء، وهو إعلام بخفاء، كما فعل بعض الأنبياء والرسل؛ مثل: رسول الله ﷺ، وعيسى، والخضر، وهذا يعتبر من معجزات النبوة.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِأَوَّلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾: قبل أن يصل إليكما أي نوع من أنواع الطعام إلا أخبرتكما قبل وصوله إليكم؛ أي: ما نوعه، ومن أين (أي الجهة) جاء.

﴿ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾: ذلكما: ذا: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف:



للخطاب، وما: للتثنية؛ أي: التأويل، أو الإخبار بالمغيبات؛ ذلكما مما أوحى إليّ ربي يدل على أنّ يوسف بدأ يوحي إليه، وهو في السّجن.

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾: ملة: مذهب أو جملة الشرائع، أو شريعة قوم لا يؤمنون بالله؛ أي: ملة الملك، وأهل مصر (المصريون، والكنعانيون).

﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾: هم: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد؛ أي: لا يؤمنون بالبعث، والحساب، ويوم القيامة.

﴿بِالْآخِرَةِ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد على كفرهم بالآخرة.

﴿كَافِرُونَ﴾: جملة اسمية تدل على الثبوت؛ ثبوت صفة الكفر فيهم؛ أي: إذا هناك كافرون فهم في طليعتهم وفي قمة الكفر، وتكرار هم لفصل عدم إيمانهم بالله عن عدم إيمانهم بالآخرة فهم لا يؤمنون لا بهذه ولا بتلك ولا بهما معاً.





سُورَةُ النِّازِعَاتِ ١٢

الجزء الثاني عشر

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَا
لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصَدِّحُنِي
السَّجْنَاءُ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ
﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ
وَعَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ
أَمْرًا لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصَدِّحُنِي السَّجْنَاءُ أَمَّا أَحَدُكُمَا
فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلِبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ
مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي
ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ
الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ
﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ
يَأْتِيهَا أَلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَى تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾



سورة يوسف [الآيات ٣٨ - ٤٣]

[٣٨] ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾:

يتابع يوسف قوله للفتيان: أنه ترك ملة الكفر (ملة قوم لا يؤمنون بالله ولا بالآخرة).

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾: ملة: شريعة، والملة: تضاف إلى النبي، ولذلك أضافها إلى إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ودائماً الملة في القرآن: تنسب إلى نبي، أو قوم، وهي جملة الشرائع المتبعة في ذلك الزمان، أما الدين: فينسب إلى الله فقط، وهو الصالح لكل زمان ومكان. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (١٩)؛ لمزيد من البيان، والفرق بين الدين، والملة.

﴿مَا كَانُوا لَنَا﴾: ما: النافية.

﴿كَانُوا لَنَا﴾: يحق لنا، أو يجوز لنا.

﴿أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: أن: مصدرية؛ تفيد التعليل، والتوكيد.

﴿تُشْرِكَ بِاللَّهِ﴾: بالله: الباء: للإلصاق.

﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: من: استغراقية تشمل أي شيء؛ أي: أن نجعل له شريكاً في الملك، أو نداءً، أو مثيلاً، أو ولداً، أو ولياً، أو صنماً، وثناً، ملكاً، كوكباً، بشراً، عيسى، عزيزاً.



شيء نكرة؛ تعني: أي شيء مهما كان نوعه، وتعني: أقل القليل.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد، ويشير إلى التوحيد، وعدم الشرك بالله، وملة إبراهيم، والحنفية.

﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾: من: ابتدائية بعضية؛ بعض فضل الله أن هدانا للتوحيد، وعدم الضلال، ومعرفة المعبود الحق.

﴿عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾: معشر الأنبياء، وعلى الناس كافة من الجن، والإنس، وعلى: تفيد العلو، والاستعلاء.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾: لكن: استدراك، وتوكيد.

﴿أَكْثَرَ النَّاسِ﴾: أي: هناك أقلية من الناس تشكر المنعم، والمفضل وهو الله، وأما الأكثرية فتجحد نعمة الله وفضله.

﴿يَشْكُرُونَ﴾: تفيد التكرار، والتجدد، لا يشكرون فضل الله عليهم ونعمته. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠)؛ لمزيد من البيان.

[٣٩] ﴿يَصْحَبِ السَّجْنَءَ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾:

﴿يَصْحَبِ السَّجْنَءَ﴾: يا: أداة نداء للبعيد والتنبيه، وقد يقصد بها القريب غير المنتبه، أو المتيقظ لما يحدث. صاحبي السجْن: مثني؛ تعني: الفتيان؛ مثني: فتى؛ نداء فيه حنان، وعطف عليهما؛ صاحبي السجْن: الصَّاحِب من الصَّحْبَة، وجمعه أصحاب؛ مثل: أصحاب الجنة، أو أصحاب النار، وتطلق كلمة صاحب، أو أصحاب بعد المكث، والإقامة الطويلة في مكان، ما، والصَّاحِب قد تعني:

الملازم والمعاشر؛ أي: الصديق، والصحبة؛ تعني: انتفاع أحد الصاحبين بالآخر
عكس القرين الذي يضر ولا ينفع.

﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ﴾: أرباب: الهمزة: للاستفهام، والتقرير،
والتعيين.

﴿مُتَفَرِّقُونَ﴾: في العدد، والذوات، والقدرات، والأمر، والنهي.

﴿خَيْرٌ﴾: أفضل، أو أحسن.

﴿أَمْرٌ﴾: للإضراب الانتقالي (أم المتصلة).

﴿اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾: الله: واجب الوجود؛ اسم الله الجامع لكل
صفات الله العليا، وأسمائه الحسنى.

﴿الْوَحْدُ﴾: الذي لا يتجزأ، ولم يلد، ولم يولد. ارجع إلى سورة الصافات
آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿الْقَهَّارُ﴾: الغالب القوي الذي لا يُقهر، والممتنع؛ أي: يا صاحبي السجن
أعبادة إله واحد خير، أم عبادة آلهة متعددة، ومتفرقة؟! على احتمال أن هناك مثل
هذه الآلهة المزعومة.

[٤٠] ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا
مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: ما: النافية. تعبدون: من العبادة، وتختلف عن الطاعة.

﴿تَعْبُدُونَ﴾: تعني الطاعة في القول، والفعل، والأمر، والنهي؛ والعبادة لا



تكون إلا للخالق وحده، وأما الطاعة؛ فقد تكون لله، أو لغير الله سبحانه. ارجع إلى سورة هود، آية (٢)، وسورة الأنبياء، آية (١٠٦)؛ لمزيد من البيان في معنى العبادة.

﴿مِنْ دُونِهِ﴾: من غير الله، أو من سواه؛ أي: الآلهة، والأصنام، والكواكب. ﴿إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾: إلا: أداة حصر؛ أي: مجرد أسماء لا معنى لها أسماء ورثتموها عن آبائكم.

﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾: من حُجَّة قاطعة، أو دليل، أو برهان، أو آية، أو وحي لكي تُعبد؛ انتبه إلى قوله: ما أنزل، ولم يقل: ما نزل.

﴿مَا أَنْزَلَ﴾: على وزن أفعل بينما نزل على وزن فَعَّل؛ نزل فيها مبالغة أكثر وتضعيف، وتستعمل في الحالات التي هي أشد، وأقوى، أو تحتاج إلى تأكيد، وتهديد، ووعيد، ورجس، وغضب كما هي الحال في آية الأعراف (٧١) وهي قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَدُّونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾.

﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾: من: ابتدائية استغرافية؛ أي: سلطان مهما كان سواء أكان سلطان قوة، أو قهر، أو سلطان حُجَّة، ودليل.

﴿إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ﴾: إن: حرف نفي أقوى في النفي من ما؛ أي: ما الحكم إلا لله.

﴿أَلْحَكُمُ﴾: الفصل، والقضاء، والجزاء، والثواب، والعقاب كله بيده.



﴿لَا﴾: أداة حصر؛ حصراً وقصراً ليس لأحد إلا لله (نفي تبعه استثناء تفيد الحصر). ارجع إلى سورة الأنعام، آية (٦٢)؛ لبيان معنى الحكم.

﴿أَمَرَ﴾: أي: أمر الله سبحانه، أو فرض حكم.

﴿أَلَا﴾: أن: المصدرية؛ تفيد التعليل، والتوكيد؛ لا: النافية، أو الناهية.

﴿تَعْبُدُوا﴾: العبادة: لا تكون إلا للخالق، وتعني: طاعته فيما أمر، ونهى عنه في القول والفعل. ارجع إلى سورة هود، آية (٢)، وسورة الأنبياء، آية (١٠٦)؛ لمزيد من البيان.

﴿إِلَّا آيَاتُهُ﴾: أداة حصر.

﴿إِيَّاهُ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة؛ اللام: للبعد يشير لعلو هذا الدين.

﴿الَّذِينَ الْقِيَمُ﴾: الحق؛ أي: الإسلام، والذين المستقيم دين الحنيفية السمحة الذي لا عوج فيه، والقيم يعني: لا تقوم الحياة إلا به.

﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: غالبية الناس لا يعلمون أن

الإسلام هو الدين القيم، والحق ودين الفطرة، والتوحيد، وهو الذي أرسل إلى الناس كافة.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: التوحيد، والإخلاص في العبادة.



[٤١] ﴿يَصْحَجِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ۚ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾:

بعد دعوتهما إلى الإيمان، وعبادة الله وحده يعود إلى تفسير الرؤيا التي طلبوا منه سابقاً.

﴿يَصْحَجِي السِّجْنَ﴾: نداء فيه حنان وعطف. ارجع إلى الآية (٣٩) السابقة.
﴿أَمَّا﴾: حرف شرط وتفصيل، وتوكيد.

﴿أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾: أمّا الذي كانت رؤياه أنّه يسقي ربه خمرًا؛ سيخرج من السّجن، ويفرج عنه، ويعمل كساقى للخمر عند الملك، وقيل: هو نفسه كان يسقي الخمر وأتّهم بمحاولة قتل الملك فسجن، وهو بريء.

﴿وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ﴾: الذي كانت رؤياه (يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه) سيحكم عليه بالموت.

﴿فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب، وقيل: إنّ هذا الآخر كان خباز الملك الذي حاول قتل الملك بدسّ السم للملك، وسجن بهذه التهمة.

فعندما أخبرهما بالحكم، وتفسير الرؤيا قال له: كذبنا، وما رأينا شيئاً؛ عندها قال يوسف:

﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾: قضى الأمر: فرغ منه، انتهى الأمر صدقتما، أو كذبتما.

﴿الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾: تطلبان فيه الفتوى، ولعلك تسأل لماذا صلب



الآخر، وكيف نجا الأول؛ فقد روي أَنَّ الخباز والسَّاقِي كانا يعملان في بلاط الملك، وطلب منهما وضع السَّم للملك لقتله؛ فأجاب الخباز، وعزم على ذلك، وأبى السَّاقِي، وأخبر الملك بالمؤامرة؛ فأمر الملك بحبسهما في ذلك الوقت الذي كان يوسف قد دخل السَّجن.

[٤٢] ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ﴾:

﴿وَقَالَ لِلَّذِي﴾: وقال يوسف للذي؛ أي: للذي كانت رؤياه أَنِّي أراني أعصر خمرًا.

﴿ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾: ظن هنا قد تأتي بمعنى اليقين أو أعلى درجات العلم، أو من باب الوحي، أو اجتهاد من باب تأويل الرؤيا.

﴿اِذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾: اذكرني عند سيدك، أو الملك؛ أي: اذكر قصتي للملك، وَأَنِّي حُبِسْتُ ظُلْمًا، وَأَنِّي أَسْتَطِيعُ تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ؛ أي: تفسير الأحلام، أو اذكر ما رأيت مني عند ربك (أي: الملك).

﴿فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾: فَأَنَسَاهُ: الفاء: للتوكيد؛ فَأَنَسَى الشَّيْطَانُ السَّاقِي الَّذِي نَجَا مِنْهَا ذَكَرَ يُوسُفَ لِلْمَلِكِ حَتَّى لَبِثَ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ، وَقَدْ تَعُودُ هَاءُ الضَّمِيرِ إِلَى يُوسُفَ؛ أي: فَأَنَسَى الشَّيْطَانُ يُوسُفَ ذَكَرَ رَبَّهُ الْأَمْرَ الَّذِي أَدَّى بِيُوسُفَ أَنْ يَسْتَعِينَ بِالنَّاجِي، وَالْمَلِكِ، وَلَمْ يَتَوَكَّلْ أَوْ يَطْلُبِ الْعَوْنَ مِنْ رَبِّهِ، وَهَذَا هُوَ الْمَرْجَّحُ، وَحَدَهُ، وَنَسِيَ يُوسُفَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾. [الزمر: ٣٦]. كما حدث للنبي لوط حين قال: ﴿لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ أَوْيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]. وَكَأَنَّ هَذَا النِّسْيَانَ لِمُصَالِحِ يُوسُفَ، وَالْحِكْمَةِ قَدَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَبْقَى



في السجن إلى حين يرى الملك الرؤيا، ويبحث عنه، ويقوم بتأويل الرؤيا من ثم يصبح عزيز مصر.

﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾: بضع ما بين (٣-٩ سنوات)، وقيل: ٧ سنوات على الأغلب.

ولو تأملنا ما حدث نجد أنّ يوسف استعان بالذي كان يدعوهُ للإيمان، والتوحيد، ويطلب منه أن يذكره عند سيده الملك الذي ليس على الدين الحق، وهكذا استعان يوسف ببشرين من دون الله، وهما ليسا بمؤمنين، ونسي أن يستعين بالله، وما يدري أحد أنّ يوسف لو فعل ذلك، ولم يستعن بأحد إلا الله وحده، كم سيقضى في السجن بضعة أيام، أو أسابيع، أو شهور.

[٤٣] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُ لِلرُّءْيَا نَاعِبٌ﴾:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾: وقال الملك إنني أرى: بصيغة المضارع بدلاً من رأيت، أو أرى الملك في المنام سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف.

﴿عِجَافٌ﴾: جمع عجفاء؛ أي: الهزيلة لا لحم عليها، ولا شحم، ولمعرفة معنى أرى؛ ارجع إلى الآية (٤)، أو (٣٦) من نفس السورة.

﴿وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾: يابسات: أي: حان حصادهنّ، وأما الخضر؛ أي: ما زالت تنمو، وما حدث هنا بالنسبة للسنبلات لم يذكر من أن اليايسات أكلن السبع الخضر.



﴿يَتَأَيَّأُ الْمَلَأُ﴾: الهاء: للتنبيه، يا: أداة نداء للبعد.

﴿الْمَلَأُ﴾: سادة القوم، وأشراف القوم، وممثلو القوم. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٧٥، ٨٨)؛ لمزيد من البيان.

﴿أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ﴾: أي: بيّنوا لي، أو أخبروني بحكم هذه الرؤيا.

﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾: الرؤيا: هي الحلم، أو ما يراه النَّائم في منامه.

﴿تَعْبُرُونَ﴾: اشتُقَّت من عبور النهر يقول: عبرت النهر؛ أي: قطعه حتى

يبلغ آخر عرضه.

﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾: تعرفون تأويل الرؤيا، أو الأحلام. ارجع إلى الآية (٦) من

نفس السّورة؛ لبيان معنى: تأويل.

ما الفرق بين: سبع سنبلات، وسبع سنابل؟

سبع سنبلات: تدل على جمع قلة؛ جاءت في سياق الرؤيا، والرؤيا ليس فيها مضاعفة، ولا حثٌّ على التصديق.

أما قوله: سبع سنابل: جمع كثرة ﴿فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]؛

للمضاعفة، والتكثير، والحث على الإنفاق.





سورة يوسف ١٢

البقرة الثانية عشر

قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ
فَارْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ
سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ
وَأُخْرَى بَسْتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا
قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ
مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
عَامٌ فِيهِ يَغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي
بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ
النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ
مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ قُلْتُ خَشِيَ اللَّهُ
مَا عَلَّمَنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنْ حَصْحَصَ
الْحَقِّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ
لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾



سورة يوسف [الآيات ٤٤ - ٥٢]

[٤٤] ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ﴾:

﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ﴾: قالوا؛ أي: قال الملأ: أضغاث أحلام: أخلاط أحلام مختلفة ليس لها تأويل، أضغاث جمع ضغث، والضغث: حزمة من النبات، أو مجموعة من الحشائش المختلفة الأجناس، مع العلم أن الرؤيا التي رآها الملك هي رؤيا واحدة، أو حلم واحد أطلقوا عليها أضغاث أحلام؛ للمبالغة؛ أي: هذا الحلم ليس كغيره من الأحلام.

﴿وَمَا نَحْنُ﴾: ما: النافية.

﴿نَحْنُ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد.

﴿بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ﴾: بتعبير، أو تفسير الأحلام، ومعرفة ما تؤول إليه.

﴿بِعَالِمِينَ﴾: الباء: للتوكيد؛ عالمين: أي: يعترفون بتقصيرهم في هذا العلم علم تأويل الأحاديث (الأحلام)؛ أي: ليس عندنا من هذا العلم شيء، ولم يُعلمنا أحد.

[٤٥] ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾:

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾: وقال ساقى الخمر الذي نجا من السجن، وعُفي عنه بعد أن تعذر على الملأ تعبیر رؤيا الملك، ومرت فترة طويلة من الزمن.



﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: واذكر: بالدال اشتقت من واذنكر؛ حولت إلى واذذكر، ثم حولت إلى اذذكر، اذكر: حدثت عدة تبديلات، وإدغامات؛ لتقارب مخارج الحروف. ارجع إلى سورة القمر، آية (١٥)؛ للبيان.

﴿وَأَذْكُرْ﴾: أي: تذكر بعد طول نسيان.

﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: بعد مدة من الزمن، الأمة من معانيها المدة، والحين، والوقت، وكذلك تعني الجماعة من الناس، أو الرجل الذي يعتبر أمة؛ مثل: إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]. والدين، والملة؛ كقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ [الرؤف: ٢٢].

﴿أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾: أنا أخبركم بتأويله.

﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾: الباء: للإلصاق؛ بتأويل رؤيا الملك.

﴿فَأَرْسِلُونِ﴾: أي: فابعثوني إلى يوسف. (قيل: كان السجن خارج المدينة).

والفاء: للتعقيب؛ أي: مباشرة أرسلوني، أو أرسلوني الآن.

[٤٦] ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾: أيها: الياء: للنداء، والهاء: للتثنية.

﴿الصِّدِّيقُ﴾: صيغة مبالغة من صادق؛ أي: كثير الصدق؛ لأنه علم ذلك منه حين كان في صحبته في السجن؛ أي: صادق في أقواله، وأفعاله، وصادق في كل

أحواله؛ فلا يمكن أن تطلق كلمة الصديق على حال واحدة، بل لا بدّ من اجتماع كلّ الأحوال معاً فضلاً عن الطاعة، والخضوع لله سبحانه.

ودرجة الصديقين تلي مرتبة الأنبياء؛ مثل: أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

﴿أَفْتِنَا﴾: ولم يقل: أفتني؛ لأنّه لا يسأله عن رؤيا تخصه، كما سبق، وسأله: إنّي أراني أعصر خمراً.

﴿سَبَّحَ بِقَرَاتِ سَمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبَّحٌ عِجَافٌ وَسَبَّحَ سُبُكَلَّتِ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَتِ﴾: ارجع إلى الآية (٤٣) من نفس السورة.

﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: لعل: أداة رجاء؛ راجياً أن أرجع إلى الناس؛ لأنّه لا يجزم، أو غير متيقن بأن يوسف سوف يخبره بالفتوى، أم لا فيظهر عندها مظهر الكاذب أمام الناس، أو سيقبل الناس فتوى يوسف.

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: لعل للتعليل.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: تأويل الرؤيا، ويعلمون فضلك في تعبير الرؤيا، وقدرتك فيخرجوك من السجن.

[٤٧] ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا نَأْكُلُونَ﴾:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾: قال يوسف للذي سأله الفتيا.

﴿تَزْرَعُونَ﴾: خبر في معنى الأمر، وجاء بصيغة الخبر للمبالغة في أهمية الزرع؛ أي: ازرعوا في كلّ سنة من هذه السنين على عادتكم.

﴿دَأَبًا﴾: الدأب قيل: هو العادة التي تتكرر باستمرار، والدأب على الشيء



المداومة عليه، والملازمة والاستمرار، والدّأب: لا يكون إلا اختياراً، أمّا العادة فقد تكون اختياراً، أو اضطراراً؛ أي: ازرعوا من دون كلل، ولا ملل، واستمروا على ذلك.

﴿فَأَ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب.

﴿حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾: وهذه معجزة علمية برهنت عليها العلوم الحديثة، والدّراسات العلمية: أن ترك الحبوب في سنبله أفضل من استخراج الحبوب؛ مثل القمح، وغيره؛ لأن ذلك يؤدي إلى المحافظة على البروتينات بنسبة قد تصل إلى (٣٠٪) مقارنة بالحبوب المعزولة من سنابلها، حيث تتعرض لضياح البروتينات إضافةً إلى الوقاية من الحشرات كحشرة السوس.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَكُلُونَ﴾: إلا: أداة استثناء.

﴿قَلِيلًا﴾: أي: لكم أن تأكلوا القليل منه، وتتركوا الباقي محفوظاً في سنبله لمواجهة، واستعداداً للسنين السّبع الشّداد القادمة بعد سبع سنين البركة، والرّحمة؛ لتجنب المجاعة.

﴿مِمَّا﴾: من: ابتدائية بعضية؛ ما: اسم موصول بمعنى: الذي.

[٤٨] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا حَصَصْتُمْ﴾:

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: ثم: للترتيب، والتراخي؛ يأتي من بعد ذلك؛ أي: من بعد السّبع السنين الخصبة.

﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾: سبع سنين جدباء، لا زرع، ولا مطر، وإنما جفاف وجذب.



﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾: أي: يأكل أهلنَّ ما ادخروا لأجلهنَّ؛ أي: هذه السَّبع سنين العجاف (المجدبة) سيأكلن سبع سنوات الخصب السابقة، والتي تمثل السَّبع بقرات السَّمان في الرُّؤيا اللاتي يأكلهن سبع عجاف.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْصُونَ﴾: إلا: أداة استثناء.

﴿قَلِيلًا﴾: أي: القليل الذي تدَّخرونه، أو تخبُّونه للزراعة، وللبنار.

﴿مِمَّا تَحْصُونَ﴾: مما مركبة من حرفي من + ما؛ من: ابتدائية بعبية؛ ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي. الإحصان: من أحصن الشَّيء؛ أي: جعله في الحصن (الموضع، أو المكان الحصين) إذن: تأويل يوسف السَّبع بقرات السَّمان، أو السَّنبلات الخضرة بالسَّنين الخصبة، سنين الخير والبركة، والسَّبع بقرات العجاف، أو السَّنبلات اليابسات بالسَّنين المجدبة التي يقل فيها المطر، والخير والزراعة.

[٤٩] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾:

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: ثم: للترتيب العددي، أو التسلسلي.

﴿يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: من، أي: مباشرة بعد السَّنين السَّبع العجاف.

﴿عَامٌ﴾: ولم يقل: سنة؛ لأنَّ من خصائص القرآن أن يستعمل عاماً لعام الخير، والبركة، ويستعمل سنة إذا كانت سنة جذب ومجاعة، وشدة، وبلاء.

﴿يُغَاثُ النَّاسُ﴾: يغاث من الغيث، وهو المطر الذي يستفاد منه للزراع،

والرَّي، والإغاثة: الإعانة.



وهذا الكلام ليس داخلاً في رؤيا الملك، ولكنه مما أوحى إلى يوسف
لحكمة أَرادها الله تعالى.

﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾: مثل العنب، والزيتون، وغيره، وتكرار فيه يدل على
التوكيد؛ أي: ففي ذلك (في ظرفية زمانية) العام يحدث الغوث، ويحدث العصر
معاً.

[٥٠] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِسُ بِيَّ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ النِّسْوَةِ
الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِسُ بِيَّ﴾: بعد أن نقل السَّاقِي تأويل الرؤيا إلى الملك طلب
الملك أن يأتوا له بيوسف، فأرسل الملك رسوله ليخرج يوسف من السَّجَن،
ويأتي به، ولكن يوسف رفض الخروج من السَّجَن قبل أن يُبرَأ من التَّهمة الَّتِي
وجَّهَتْ إليه، أو ألصقت به، وأدخل السَّجَن بسببها.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾: فلَمَّا: الفاء: تدل على التَّرتيب، والمباشرة؛ لما:
ظرفية زمانية بمعنى حين؛ جاء يوسف الرَّسُول المرسل من الملك.

﴿قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: قال يوسف
لِلرَّسُول: ارجع إلى ربك (أي: إلى الملك)، واسأله: ما بال النسوة اللاتي قطعن
أيديهن؛ أي: اسأله أن يحقق في أمر النسوة اللاتي قطعن أيديهن، ولم يذكر امرأة
العزیز على الإطلاق مع كونها كانت هي السَّبب، وذلك من كرم خُلُقِه، وحلمه،
ومن باب السَّتر.

﴿بَالَ النِّسْوَةِ﴾: حال النسوة.



﴿إِنَّ رَبِّي يَكِيدُ هِنَّ عَلِيمٌ﴾: إنَّ: للتوكيد.

﴿رَبِّي يَكِيدُ هِنَّ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿يَكِيدُ هِنَّ﴾: ارجع إلى الآية (٥)، والآية (٣٤) من نفس السورة؛ لمعرفة

معنى: الكيد.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم. ارجع إلى الآية (٣٤)؛ عليم بما

فعلن في إلصاق التهمة بي، وأنا بريء منها.

[٥١] ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ خَشِيَ اللَّهُ مَا عُلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ

سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾:

﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ﴾: قال الملك ما خطبك: أي: علم الملك بقصة النسوة،

وامرأة العزيز فاستدعاهنَّ للحضور؛ للتحقيق في الأمر، قال: ما خطبك.

﴿مَا﴾: استفهامية؛ بمعنى: التعجب.

﴿خَطْبُكَ﴾: الخطب الحدث الجلل، والأمر العظيم، والخطب مشتق من

المخاطبة؛ أي: أمرٌ يحقُّ أن يخاطب به صاحبه.

﴿إِذْ رَاوَدْتَنِي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ﴾: إذ بمعنى: حين. خاطب الملك النسوة

وسألهنَّ: هل يوسف هو من أراد الكيد، أو الغرر، أو السوء بكنَّ خاطب جمع

النسوة، ولم يفرد امرأة العزيز التي راودته وحدها، فلماذا جمعهنَّ؛ لأنَّ باقي

النسوة لم يُنكرن على امرأة العزيز ما فعلت، ورضين بذلك.



﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾: ارجع إلى الآية (٣١) من نفس السورة؛ أي: حاشا لله أن نراود يوسف عن نفسه.

﴿قَالَتْ أَمْرَأْتُ الْعَزِيزِ أَكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ﴾: قالت امرأت العزيز: ارجع إلى الآية (٣٠) في نفس السورة للبيان. حصحص الحق؛ أي: انكشف الحق (الامر الثابت واليقين)، أو: لم يعد هناك مجال للستر، ولا بُدَّ من الاعتراف بالحق.

الحصُّ: هو استئصال شعر الرأس بحلق، أو مرض؛ حتَّى تتبيّن جلدة الرأس، أو بانّت حصّة الحق من حصّة الباطل، فامرأة العزيز لما رأت النسوة قلن: حاشا لله، علمت أنّه لم يبق إلا هي وحدها فأقرت بذلك، وانكشف أمرها وظهر الحق.

وقالت: ﴿أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾: ارجع إلى الآية (٢٣) من نفس السورة؛ قالت ذلك من دون أيّ تأكيد؛ فهي تريد أن تنسى المسألة.

﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾: وإنّه: للتوكيد.

﴿لَمِنْ﴾: اللام: لام لزيادة التوكيد، إنّه لمن الصادقين في قوله حين قال: هي راودتني عن نفسي، أو إنّه برئ من كلّ شيء اتهم به.

[٥٢] ﴿ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ اَنِّیْ لَمْ اُخْنَهُ بِالْغَيْبِ وَاَنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِیْ كَيْدَ الْخٰیۤبِیۡنِ﴾:

﴿ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾: اسم إشارة للبعد، وما حدث.

﴿لِيَعْلَمَ﴾: اللام: لام التوكيد؛ يعلم العزيز (عزيز مصر).

﴿اَنِّیْ لَمْ اُخْنَهُ بِالْغَيْبِ﴾: أني: للتوكيد.



﴿لَمْ﴾: النَّافِيَةُ.

﴿أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ﴾: من الخيانة بالفاحشة، لا بالقول، ولا بالفعل.

واختلف المفسرون فيمن قال هذا القول: فمنهم من قال: هذا كلام يوسف ذلك ليعلم العزيز أنني لم أخنه بالغيب (أي: وهو غائب)، أخنه في أهله، قال يوسف هذا حين أخبر، وهو في السّجن بما حدث في جلسة الملك مع النّسوة، ومنهم من قال: هذا كلام امرأة العزيز؛ لأنّ يوسف ما زال في السّجن، ولم يُدعَ إلى الحضور بعد، ولأنّه في الآيات القادمة قال الملك: اتّوني به استخلصه لنفسي.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾: من القائل هنا؟ لا يهم المهم هو المقولة.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾: أَنْ: للتوكيد.

﴿لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾: لا يرشد الخائن ويسدده إلى تحقيق غايته، بل يفضحه، وفي هذا إشارة، أو تعريض لما فعلته امرأة العزيز حين حاولت الخيانة بالمرادة (مرادة يوسف عن نفسه)، وكذلك تعريض في خطأ زوجها العزيز حين رمى يوسف في السّجن، وهو بريء، وكذلك توكيد لأمانة يوسف، وأنّه لو كان خائناً لما هداه الله سبحانه، وبرّاه، ولا سدّد خطاه.





سُورَةُ يُوسُفَ ١٢

الجزء الثاني عشر

وَمَا أَتَّبِعُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ ۖ أَسْتَخْلِصُهُ
لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ
أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ
مَكَّنَّا يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ نُصِيبُ
بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا جُرْ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ
يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا
جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُؤْنِسُ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ الْآتِرُونَ
أَيُّ أَوْفَى الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا
كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَرُدُّ عَنْهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ أَجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَنَعَ مِنَّا الْكَيْلُ
فَأَرْسَلَ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾



سورة يوسف [الآيات ٥٣ - ٦٣]

[٥٣] ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

من المفسرين من قال : هذا قول امرأة العزيز، ومنهم من قال : هذا قول يوسف ، ومنهم من قال : إنه قول العزيز.

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾: تعني : من سوء الظن بيوسف، أو سجنه بضع سنين من دون ذنب.

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾: وما: الواو: عاطفة؛ ما: النافية.

﴿أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾: أزكي نفسي من الزلل، أو السوء.

﴿إِنَّ النَّفْسَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿النَّفْسَ﴾: لأماراة بالسوء؛ أي: ميالة للهوى، والشهوات، أو ذات نزعة؛ أل التعريف تدل على استغراق الجنس في كل النفوس بالميل إلى الشهوات.

﴿لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾: السلام: لام التوكيد، وأماراة صيغة مبالغة للفعل أمر. لأماراة بالسوء؛ أي: كثيرة الأمر، كثيرة الشهوات.

﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾: إلا: أداة حصر.

﴿مَا﴾: بمعنى: من.

إلا من رحم ربي من النفوس؛ أي: من عصمها فصرفها عن السوء، والفحشاء.



﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: وما قالته امرأة العزيز يمكن تلخيصه بما يلي:

١ - قالت: الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه، وإنه لمن الصادقين.

٢ - ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين: لم أخن يوسف في غيبه، وهو في السجن، أو ليعلم زوجي أنني لم أخنه بيوسف، وما حدث هو مراودة فقط فامتنع.

٣ - وما أبرئ نفسي إن النفس لأماره بالسوء.

والله أعلم بمن قال؛ فالله سبحانه لا يريد أن يفضح من هو القاتل، والمهم المقولة، والعبرة، ونكتفي بذلك.

[٥٤] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْتُونِي بِهَذَا اسْتَخْلَصْتُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْتُونِي بِهَذَا اسْتَخْلَصْتُهُ لِنَفْسِي﴾: وقال الملك: انتنوني بيوسف.

﴿أَتَنْتُونِي﴾: من الإتيان الذي فيه معنى السهولة بعكس المجيء فيه الصعوبة؛ أي: انتنوني بيوسف من السجن.

﴿اسْتَخْلَصْتُهُ لِنَفْسِي﴾: أي: أجعله من أهل مشورتني، وخاصّتي.

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة بعد الإتيان؛ أي: كلمه مباشرة من دون تأخير.

﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾: قال الملك ليوسف: إنك اليوم لدينا مكين: ذو مكانة رفيعة، ومنزلة عالية ثابتة، ومكن مكانة؛ فهو مكين؛ أي: ثبت، واستقر؛ أي: مكين: ثابت، ومستقر.

﴿أَمِينٌ﴾: مؤتمن على كل شيء، وحفيظ.



[٥٥] ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾:

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾: قال يوسف للملك : اجعلني على خزائن الأرض (خزائن مصر) جمع خزانة: المكان الذي تحفظ فيه الأشياء الثمينة، والأموال، والحبوب، والثمار في ذلك الزمن؛ يمثل وزير المالية في زمننا الحاضر.

﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾: كاتب حاسب، أو حفيظ على الأمانة، وأحافظ على ما تسنده إليّ؛ صيغة مبالغة كثير الحفظ.

﴿عَلَيْهَا﴾: بتدبير الشؤون المالية، وإدارة الأموال وتصريفها؛ صيغة مبالغة كثير العلم، وقد يسأل سائل: كيف يطلب يوسف أن يتولّى منصباً كهذا، وهل هو كفؤ له، وهناك قاعدة شرعية تقول: طالب الولاية لا يولّى المستندة إلى الحديث الذي أخرجه الشيخان عن عبد الرحمن بن سمرة قوله ﷺ: «لا تسأل الإمارة»، وربما طلب ذلك؛ لأنه يعلم أكثر من غيره أهمية الـ (١٥) سنة القادمة، وما سيحدث فيها من تأويله لحديث الملك، أو هو علمه وشعوره بعون الله تعالى له، وكونه يوحى إليه، وفي نيّته إقامة العدل، والقسط؛ فذلك يكفي.

[٥٦] ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿وَكَذَلِكَ﴾: أي: بمثل هذا التوفيق، والتيسير، وإخراجه من السجن؛ ليصبح وزيراً لخزانة الملك.

﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾: أصبح قادراً على تحقيق غاياته، ومطالبه، وأصبح مالكا، وأمراً، وناهماً بعد أن كان سجيناً.

﴿لِيُوسُفَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.



﴿فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر.

﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾: أي: ينزل منها أي منزل، أو مكان يشاء، ويعمر،
ويُنشئ كما يشاء كناية عن اتساع جاهه.

﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾: الرحمة هنا قد تعني النبوة، وغيرها مثل: الغنى،
والسعة، والملك.

﴿بِرَحْمَتِنَا﴾: الباء: للإلصاق، والاهتمام في الدنيا والآخرة.

﴿مَنْ نَشَاءُ﴾: من: ابتدائية، وللعاقل من نشاء من عبادنا حسب ما تقتضيه
الحكمة الإلهية.

﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: لا: النافية.

﴿نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: أمثال يوسف حين صبر على البلاء، وتجنب
الفاحشة، وراح يدعو إلى الله وتوحيده، وما فعله في السجن من خدمة الفقراء،
وإعانتهم، كل ذلك من أعمال المحسنين التي تقسم إلى إحسان الكم، وإحسان
الكيف، والأجر هو الجزاء على العمل الذي يشمل القول، والفعل.

[٥٧] ﴿وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ﴾:

﴿وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ﴾: الواو: تفيد الاهتمام، والأجر: الجزاء على العمل.

﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: خير: أفضل وأحسن من أجر الدنيا.

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿وَكَانُوا يَنْقُونَ﴾: كانوا لا تختص بالماضي فقط، بل تعني الحاضر،
والمستمر، والمستقبل.

﴿يَنْقُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ تفيد الاستمرار، والدوام، يتقون من الشرك، والمعاصي، والفواحش.

[٥٨] ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾:

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾: وكانوا عشرة بدون أخوهم بنيامين (الحادي عشر) الذي تركوه وراءهم مع أبيه في أرض كنعان جاؤوا إلى مصر؛ ليشتروا القمح، أو للميرة.

﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب بعد أن أصابهم القحط، والفاقة، بعد أن أرسلهم أبوهم؛ فدخلوا على يوسف.

﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾: عرفهم يوسف أنهم إخوته؛ لأنه حين ألقوه في الجب تركهم، وهم كبار في السن، وتحددت ملامحهم والكبير لا تتغير ملامحه كثيراً، أما يوسف فقد تغيرت ملامحه.

﴿وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾: أي: لم يعرفوه أنه أخوهم يوسف؛ لأنه قد شب وتغيرت ملامحه، ولأنهم ظنوا أنه قد هلك، أو كونه وزيراً للملك يلبس ثياب الملوك.

[٥٩] ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَنْعٍ لَكُمْ مِّنْ آيَاتِكُمْ إِلَّا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو: عاطفة؛ لما: ظرف بمعنى حين متضمن معنى الشرط.

﴿جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾: أي: أوفى لهم الكيل؛ أي: جعله تاماً، وافياً؛ كيلهم من القمح الذي جاؤوا لطلبه، وما يحتاجون إليه في سفرهم، والجهاز هو ما يحتاج إليه المسافر من زاد ومتاع.



﴿يَجْهَازِهِمْ﴾: الباء: تدخل على ما هو مدار الكلام؛ أي: الجهاز في هذه الآية.

﴿قَالَ أَتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾: أي: بنيامين؛ لأنهم لم يحضروه معهم هذه المرة، وبنيامين هو أخو يوسف من أمه وأبيه، وبقية الإخوة إخوة من الأب؛ فيبدو أن يوسف بحث معهم حالتهم الاقتصادية والاجتماعية، وتعرف على أحوالهم، وسألهم عن بقية إخوانهم، وعرف أنهم لم يحضروا أخاهم بنيامين، وهم لا يعرفون أنه يوسف؛ فطلب منهم أن يحضروه معهم في المرة القادمة، وقال لهم: ﴿الْآتَوْنَ﴾: ألا: أداة تنبيه، وحض، وحث.

﴿تَرَوْنَ﴾: تشاهدون، أو ترون بأعينكم.

﴿أَنْتِ أَوْ فِي الْكِيلِ﴾: أي: أتمه.

﴿الْكَيْلِ﴾: من القمح، ولكل واحد كيل، أو حمل بعير؛ أي: جهزهم بعشرة أحمال، وزادهم حملين آخرين واحداً لأبيهم، وواحداً لأخيه الذي لم يحضر. ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾: منزلين: مشتقة من النزل: ما يُهيأ للضيف من سكن، وطعام، وشراب، والمنزلين: المضيفين.

[٦٠] ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: للتوكيد؛ إن: شرطية تفيد الاحتمال، والشك.

﴿لَمْ تَأْتُونِي بِهِ﴾: لم: نافية.

﴿تَأْتُونِي بِهِ﴾: أي: بأخيك من أبيكم (بنيامين)؛ أي: تحضروه معكم في المرة القادمة.

﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾: الفاء: للتوكيد؛ لا: النافية للجنس.



﴿كَيْلَ﴾: الذي يساوي حمل بعير لكل واحد.

﴿لَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص لكم خاصة.

﴿عِنْدِي﴾: هذه العندية مقصودة؛ فهي وصية لي عندكم، وإنذار للمرة القادمة بإحضار أخيك معكم.

﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾: تكرار (لا) يفيد زيادة النفي، ولا ناهية أو نافية.

﴿تَقْرَبُونِ﴾: لا ترجعوا إليّ، أو لا تدخلوا بلادي.

[٦١] ﴿قَالُوا سُرُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾:

﴿قَالُوا سُرُودٌ﴾: قال إخوة يوسف: سُرود: السّين للاستقبال القريب؛ نراود: نطالب برفق ولين، ونكرّر ذلك، ونحاول كلّ ما باستطاعتنا، وكل حيلة؛ لكي يستجيب أبانا لطلبنا، أو يأذن لنا بإحضاره معنا.

﴿عَنْهُ أَبَاهُ﴾: عن: تفيد المجاوزة، والابتعاد.

﴿أَبَاهُ﴾: ولم يقولوا: أبينا مما يدل على ضعف الرابطة بينهم، وبين أبيهم، واضطراب العلاقة منذ غياب يوسف.

﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾: لفاعلون: اللام: تدل على التوكيد؛ أي: لفاعلون بكلّ توكيد حتّى يتركه يأتي معنا.

[٦٢] ﴿وَقَالَ لِفَتْنَيْنِهِ اجْعَلُوا بَضْعَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾:

﴿وَقَالَ لِفَتْنَيْنِهِ﴾: قال يوسف لفتيانهِ، جمع: فتى، جمعها: فتيان، والفتى، أو الفتيان: تطلق في القرآن على الفئة غير المؤمنة، أو العبيد، والفتى: كان اسماً



للعبد في عرفهم صغيراً كان أو كبيراً، ويستعمل لقب الفتية للفئة المؤمنة؛ كفتية أصحاب الكهف. ارجع إلى الآية (٣٦) من نفس السورة.

﴿أَجْعَلُوا بَضْعَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾: البضاعة: العملة مثل الفضة، أو العملة المالية، أو الدنانير، أو ما جاؤوا به من ثمن للميرة.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿رِحَالِهِمْ﴾: جمع رحل، وهو ما يوضع على البعير من أمتعة، أو أوعية (جمع وعاء)؛ أي: أمر يوسف العاملين في الميرة (فتيانه) أن يعيدوا البضائع التي أحضرها إخوته لشراء القمح، ويضعوها في رحالهم، من دون أن يخبرهم بهذا حتى تكون مفاجأة لهم بعد أن ينقلبوا إلى أبيهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾: لعلهم: للتعليل؛ أي: لكي يعرفونها: أكد بالنون بدلاً من يعرفوها أنها بضاعتهم أعيدت إليهم.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية متضمنة معنى الشرط؛ تفيد الحتمية، حتمية الحدوث.

﴿انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾: أي: رجعوا إلى أهلهم، وانقلبوا تختلف عن رجعوا؛ الانقلاب؛ يعني: الرجوع مع التحول إلى وضع غير وضعه الأول، أو الحالة التي خرجوا فيها؛ أي: عادوا ومعهم الميرة، والطعام بعد أن جاؤوا محتاجين.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعل: أداة رجاء، وتستعمل في الأمور المتوقعة حدوثها.

﴿يَرْجِعُونَ﴾: بأخيهم بنيامين إلى يوسف، أو إلى أرض مصر مرة أخرى.

[٦٣] ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَنَحْفِظُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ لما: ظرفية زمانية بمعنى: حين.



﴿رَجِعُوا إِلَىٰ آبَائِهِمْ﴾: عادوا إلى ديارهم، واجتمعوا بأبيهم.
 ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾: قالوا: يا أبانا أنذرنا بمنع الكيل منا في
 المرات القادمة إذا لم نحضر معنا أخانا لأرض مصر.

وجاء بصيغة الماضي بدلاً من قوله: سيمنع منا الكيل إن لم نأت بأخي
 معنا في المستقبل؛ للدلالة على وقوع المنع بكل تأكيد.

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَا نَكَتْلُ﴾: فأرسل: الفاء: للتوكيد.

﴿نَكَتْلُ﴾: تعني: فأرسل معنا أخانا نكتل في المستقبل، ولأنَّ كيله
 سيكون من نصيب الكل (العائلة بكاملها) قال: نكتل؛ أي: كيله يضاف إلى بقية
 الأكيال التي تخصُّ العائلة معاً؛ أي: كيل بنيامين وكيل بقية الإخوة كلُّها تجمع
 معاً، وتستخدم، وتسخر لكل أفراد العائلة، والأب معاً؛ أي: إذ اكتال الواحد منهم
 كأنَّ الكل اكتالوا.

وأما بالنسبة للناحية اللغوية: فنكتل أصلها نكتال؛ فلما التقى ساكنان
 حذفت الألف، والألف منقلبة عن ياء، وأصل اللفظ نكتيل بفتح التاء، وكسر
 الياء؛ فحدث إعلال بالتسكين (سكنت)، ثم قلبت الياء ألفاً؛ لانفتاح ما قبلها،
 وتحركها في الأصل فأصبحت نكتل.

﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾: وإنا: للتوكيد.

﴿لَهُ﴾: اللام: لام الاختصاص له خاصة.

﴿لَحَافِظُونَ﴾: اللام: لزيادة التوكيد؛ حافظون: من كلِّ مكروه، أو أذى،
 وعلى حياته حافظون له في سفره معنا ولن نفرط به مهما حدث.





سُورَةُ النِّازِعَاتِ ١٢

الْبُرْجُ الْثَالِثُ عَشَرَ

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ
 قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا
 مَتَعَهُمْ وَجَدُوا بِضِيعَتِهِمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَا
 مَا بَنَغَى هَذِهِ بِضِيعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
 أَخَانًا وَنَزِدُادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ
 أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا
 أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّاءُ اتَّوهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ
 ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ
 مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أُلْحِكُمْ إِلَّا
 لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا
 دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ
 مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ
 لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
 ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ
 إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

سورة يوسف [الآيات ٦٤ - ٦٩]

[٦٤] ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾:

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾: قال يعقوب.

﴿هَلْ﴾: استفهام فيه معنى النفي؛ أي: ما آمنكم عليه، وهل: أشد استفهاماً من الهمزة، كما لو قال: أأمنكم عليه.

﴿إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾: أي: ستفرون به؛ أي: تضيعونه كما فرتكم: ضيعتم يوسف من قبل.

﴿ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾: للقرآن خصائص، ومن خصائصه استعمال آمنكم عليه؛ تعني: للأشخاص، وعلى: تفيد الاستعلاء، والتسلط، والعدوان؛ مثل قوله تعالى: ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النور: ٥٠].

وأما للأموال فيستعمل به؛ مثال قوله تعالى: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنَ إِن تَأْمَنهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٧٥].

﴿إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿كَمَا﴾: الكاف: للتشبيه؛ ما: مصدرية.



﴿أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ﴾: يوسف من قبل سابقاً في الماضي، ومعنى الآية: إنكم لم تستطيعوا حفظ يوسف من قبل؛ فكيف ستستطيعون حفظ بنيامين.

﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾: فالله خير حافظاً؛ فالله خير حافظاً منكم، وقرئت: فالله خير حافظاً؛ أي: منكم، وجاءت بالتثنية؛ لتدل على الحال، والمستقبل، ولا تعني الآية المقارنة بينهم، وبين الله؛ فهي لا تجوز، ولا تستقيم، ومن المعلوم أن الله سبحانه يرسل حفظة (ملائكة) موكلون بحفظ العبد، كما في قوله: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

وقول يعقوب: فالله خير حافظاً؛ تعني: أنني أتوكل على الله، وأفوض أمري إليه؛ لأنه هو خير حافظاً، ويبدو أنه سيفكر في الأمر، ويضع لهم بعض الشروط لإرساله معهم.

﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾: هو: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد؛ أي: خير الحافظين.

﴿أَرْحَمُ﴾: على وزن أفعّل أفضل اسم تفضيل.

﴿الرَّاحِمِينَ﴾: جمع راحم، اسم فاعل من رحم، أرحم الراحمين بي، وبكل خلقه؛ فعسى أن يرحمني برحمته، ويرد يوسف إليّ، جرى هذا الحديث قبل فتح متاعهم.

[٦٥] ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَبْنَائَنَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ﴾:

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ﴾: لما: ظرفية زمانية؛ بمعنى: حين.



﴿فَتَحَوَّمَتْهُمْ﴾: أي: الميرة، والطَّعام الذي أعطاهم إياه يوسف؛ أي: الأوعية التي تحمل الحبوب والمؤونة.

﴿وَجَدُوا بِضَاعَهُمْ﴾: أي: ثمن الطَّعام الذي دفعوه إلى يوسف مثل النقود، أو الدراهم، أو الفضة (ما كان يمثل العملة المالية آنذاك ويشتري بها).

﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾: أعيدت إليهم، ولم تقبض؛ عندها:

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾: ما: استفهام فيها تعجب، أو نافية، أو اسم موصول؛ بمعنى الذي: أي: الذي نطلب.

﴿مَا نَبْغِي﴾: بمعنى: الاستفهام؛ أي: كل شيء نبغيه نطلبه هنا، وما نبغي بمعنى: النفي؛ ما نبغي منك شيئاً من المال، أو الدراهم حين نعود إلى العزيز مرة ثانية، وما نبغي بمعنى: اسم موصول؛ أي: هذا المال الذي نبغيه ونطلبه ونحتاجه. وفي سورة الكهف آية (٦٤) قال موسى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ ولمعرفة الفرق بين نبغي، ونبغ؛ ارجع إلى سورة الكهف آية (٦٤) للبيان.

﴿هَذِهِ بِضَاعُنَا﴾: هذه: الهاء: للتنبيه، ذه: اسم إشارة للقرب؛ تعني: البضاعة.

﴿رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾: أعيدت إلينا، وتكرار رُدَّتْ إلينا مرتين للتوكيد، وفرحهم بإعادة البضاعة إليهم؛ لأنهم كانوا بأشد الحاجة إليها.

﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: ونمير: من مار أهله بميرهم؛ أي: حمل إليهم الميرة، وهي الطَّعام، أو الذي يُخزن من الطَّعام للعام القادم، وتسمّى المؤونة. ونمير أهلنا: نأتي لهم بالميرة بالرجوع مرة أخرى إلى العزيز؛ فيكون السّياق: هذه بضاعتنا



ردت إلينا نحافظ عليها، أو نستعين فيها، ونمير أهلنا بها؛ أي: نشترى لهم الطعام مرة ثانية.

﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾: بنيامين؛ فلا تخف عليه، فهم يشجعون أباهم على إرسال بنيامين معهم.

﴿وَنَزِدَا دَاوُدَ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾: لأن العزيز يعطي كل رجل حمل بعير، وبذلك نحصل على زيادة كيل واحد.

﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾: ذلك: اسم إشارة للبعد؛ أي: يشير إلى الكيل أنه كيل يسير؛ أي: سهل الحصول عليه؛ لأن العزيز أوصى بإحضاره.

[٦٦] ﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾:

﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ﴾: قال يعقوب لبنيه: لن: حرف نفي تنفي المستقبل القريب، والبعيد معاً، أرسل أخاكم معكم.

﴿حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ﴾: حتى: حرف غاية نهاية الغاية، وهي إتمام الموثق، والموثق هو العهد المؤكد باليمين؛ أي: القسم؛ أي: أقسموا بالله.

﴿تُؤْتُونِ﴾: ولم يقل تؤتوني: لأنه موثق ينتهي بعودة أخيهم بنيامين بعد أن يرسله معهم فهو غير مستمر أو أبدي وغير دائم طلبه لكي يأمن مكرهم وأن يفعلوا به كما فعلوا بيوסף.

﴿لَتَأْتُنِيَّ بِهِ﴾: لتأتني: اللام: لام التوكيد، والتون: لزيادة التوكيد؛ أي: لترجعنني إليّ سالماً.

﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾: إلا: أداة حصر؛ لتأتني به حصراً.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري؛ للتعليل، والتوكيد.

﴿يُحَاطَ بِكُمْ﴾: من الإحاطة بالشئ من كل الجوانب؛ أي: تحاصروا من عدوكم، أو تمنعوا من النجاة بشئ السبل، أو تغلبوا، وتهلكوا جميعاً بقضاء وقدر من الله تعالى.

﴿فَلَمَّا﴾: فلما: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ لما: ظرفية بمعنى: حين.

﴿ءَاتَوْهُ مَوْفِقَهُمْ﴾: أعطوه عهدهم المؤكّد بالقسم على ردّ أحيهم، وعدم التفريط به.

﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: قال أبوهم: الله على ما نقول وكيل (شهيد، وريب)؛ أي: الله سبحانه شهيدٌ عليّ، وعليكم؛ فأشهد يعقوبُ الله على عهدهم.

[٦٧] ﴿وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾:

﴿وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾: قال يعقوب لبنيه: يا بني لا تدخلوا من باب واحد؛ قيل: كان للمدينة أربعة أبواب، وكانوا أحد عشر رجلاً، لا تدخلوا من باب واحد حين تعودون إلى مصر للمرة الثانية.



﴿وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾: خوفاً من الحسد، والتحرز من العين، وحتى لا يرون جماعة واحدة، أو يحاط بهم إذا كانوا جميعاً، وكونهم ذوي جمال وأولاد يعقوب .

﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: ما: النافية؛ أي: ما كان رأي يعقوب في دخولهم من أبواب متفرقة يُفيدهم شيئاً.
﴿مِنَ اللَّهِ﴾: من: ابتدائية.

﴿وَمَا أَغْنَىٰ﴾: أي: ما أَدفع، أو ما ينفعكم نصحي شيئاً إن أراد الله بكم ضرراً، أو نفعاً.

﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: من: استغراقية تشمل أي شيء مهما كان حسداً، أو غير حسد إذا قضى الله ذلك.

﴿شَيْءٍ﴾: نكرة؛ أي شيء مهما كان نوعه، وشكله، وهذا الاحتراز في الحقيقة لا يردُّ قدر الله وقضائه.

﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾: إن: حرف نفي أقوى نفيّاً من ما؛ أي: وما الحكم إلا: أداة حصر.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام: لام الاختصاص، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.
﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: تقديم الجار والمجرور، عليه: يفيد الحصر بدلاً من توكلت عليه؛ أي: عليه وحده توكلت.

﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾: وعليه وحده فليتوكل: الفاء: للتوكيد،



يتوكل المتوكلون: يطلبون منه العون بعد تقديم الأسباب، أو يفوضون أمرهم إلى الله وحده بعد أن يقدموا الأسباب. ارجع إلى سورة إبراهيم آية (١٢) لمعرفة الفرق بين: وعلى الله فليتوكل المتوكلون، وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

[٦٨] ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾: ولما: الواو: عاطفة؛ لما: ظرف زماني بمعنى: حين، متضمن معنى الشرط.

﴿دَخَلُوا﴾: مصر.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية.

﴿حَيْثُ﴾: ظرف مكاني.

﴿أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾: أي: دخلوا من أبواب متفرقة.

﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: ما: النافية.

﴿يُغْنِي﴾: يدفع عنهم، أو ينفعهم ذلك من شيء؛ فالحذر، أو الحيطة، أو الاحتراز لا يرد قضاء، ولا قدر إذا أراد الله سبحانه أن يقع.

﴿إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾: وما كان ذلك إلا: أداة حصر.

﴿حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾: هي مجرد شعور، وخوف، أو شيء في نفس يعقوب مثل الشفقة، أو الحنان والخوف على أولاده من الحسد، أو يحاط بهم



كما بين ذلك في الآية (٦٦) من نفس السورة؛ أي: يتعرضوا للقتل والأذى والمكيدة.

﴿قَضَئُهَا﴾: أنفذها، ووصى بها بنيه، أو تكلم بها.

﴿وَإِنَّهُ لَذُو﴾: وإنه: للتوكيد.

﴿لَذُو﴾: اللام: لام التعليل، والتوكيد؛ ذو: صاحب.

﴿عِلْمٌ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾: صاحب علم.

﴿لَمَّا﴾: اللام: حرف جر؛ ما: مصدرية، أو اسم موصول؛ لذو علم لما علمناه: لذو علم أن دخولهم من أبواب متفرقة لا يغني عنهم من الله من شيء؛ لذو علم لما علمناه: أنه لا يصيب بنيه إلا ما قضى الله، وقدر؛ لذو علم: صاحب علم لتعليمنا إياه أمور دينه؛ يعلم أن العين حق، كما ورد في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد بسند صحيح؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق».

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: إن: الحذر من القضاء والقدر لا يفيد، والحسد، والعين حق، ولكن يأذن الله تعالى، وأن الأخذ بالأسباب لا ينفي التوكل.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: علوم الآخرة؛ فهم عن الآخرة غافلون، أو جاهلون.

[٦٩] ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾: لما: ظرف زمني؛ بمعنى: حين، متضمن

معنى الشرط.



﴿دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: ومعهم أخوهم بنيامين الذي كان أخاه لأبيه وأمه.
 ﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾: كيف حصل هذا التعارف، والإيواء؟
 لم يصرِّح به القرآن، وإنما أخبرنا بالنتيجة التي تكشف لنا أن يوسف تصرف بحكمة حتى لا ينكشف أمره عليهم، ويعلموا أنه يوسف في نفس الوقت أطلع أخاه بنيامين على نفسه، وزالت الريبة من بينهم، ثم أخبر يوسف أخاه بنيامين عن حيلة وضعت ليتاح له أخذ أخيه بنيامين؛ أي: إبقائه معه في مصر، واتفقا معاً، ووافق بنيامين، كما سنرى في الآيات القادمة.

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: من البؤس، وهو الضر، والشدة؛ أي: لا تحزن، أو لا تيئس: من اليأس، ولا: الناهية. هذا قول يوسف لأخيه: فلا تبتئس.

﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بما: الباء: للإلصاق؛ ما: بمعنى: الذي.

﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: تضم الأفعال، والأفعال، أو الكيد، أو العدوان الذي فعلوه بي في الماضي.





سُورَةُ يُوسُفَ ١٢

الْبَيْتُ الثَّالِثُ عَشَرُ

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ
 أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا
 عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ
 وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ
 لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ
 ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ
 مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ
 ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ
 وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
 فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ
 وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ
 فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ
 وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
 تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
 فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾





سورة يوسف [الآيات ٧٠ - ٧٨]

[٧٠] ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ لما: ظرف زماني؛ بمعنى: حين.

﴿جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾: هياً، وأعد لهم الميرة، أو الطعام، وما طلبوا.

﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾: وضع، أو جعل، أو دس السقاية في رحل أخيه، والرحل: ما يوضع على البعير؛ مثل الخُرج، ويوضع فيه متاع المسافرين من طعام، وأدوات يحتاج إليها، والسقاية، قيل: إناء كان الملك يشرب به ثمين جداً من الفضة، والذهب، والجواهر، وسمي صواع الملك، ثم حُولت أو جعلت صاعاً يكال به؛ أي: مع طول الزمن لم يعد يستعمل الملك ذلك الوعاء للشرب؛ فجعل مثل الصّاع يكال به الطعام؛ مثل: القمح، أو الشعير، أو الرز، أو التمر... وغيرها، ويطلق عليه السقاية.

فقد أمر يوسف بعض أعوانه أن يدسّوا السقاية في رحل أخيه بنيامين، وكانت هذه هي الوسيلة، أو الحيلة التي خططها مع أخيه؛ لكي يُبقي أخاه عنده، كما سنرى بعد قليل، وبعد أن استعدوا للعودة إلى ديارهم، وركبوا جمالهم:

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾: ثم: للترتيب التسلسلي في الأحداث؛ أي: ترتيب الأخبار.



﴿أَيُّهَا الْعَيْرُ﴾: أيها: أداة للاستفهام للعاقل، وغير العاقل، والزمان، والمكان، والهاء: للتنبيه.

﴿الْعَيْرُ﴾: الإبل، والبغال، والحمير التي تحمل الميرة، والطعام؛ أي: القافلة (الرجال مع العير)، والنداء موجه إلى أصحاب العير.

﴿إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾: أي: يا أصحاب العير إنكم: للتوكيد.

﴿لَسَرِقُونَ﴾: اللام: لزيادة التوكيد؛ كان يكفي أن يقول: إنكم سارقون؛ فهو قد أكد بأن، واللام، وسارقون: جملة اسمية تفيد الثبوت؛ أي: صفة السرقة.

[٧١] ﴿قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ﴾:

﴿قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ﴾: أي: وأقبل إخوة يوسف إلى المؤذن، وأعوانه، أو من حوله يسألونهم ماذا: استفهام حقيقي، وماذا: أقوى في الاستفهام من: ما، ولم يقولوا: ما تفقدون، قالوا: ماذا تفقدون.

﴿مَاذَا تَفْقَدُونَ﴾: أي شيء تفقدون؟ أي: ما هو الشيء الضائع المفقود الذي لا تجدهونه؛ أي: حين سمعوا النداء من بعيد بدؤوا بالسؤال، وهم يسرون متجهين نحو المؤذن.

[٧٢] ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: فتيان يوسف، والمؤذن.

﴿نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾: أي: لمن وجد لنا صواع الملك (السقاية) له حمل بعير من الميرة، والطعام مكافأة له.

﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾: وقال المؤذن: وأنا بحمل البعير كفيلاً أعطيه لمن جاء

﴿زَعِيمٌ﴾: من الزَّعَامَةِ التي تعني: القوة، والقدرة على الشيء، وزعيم

القوم: رئيسهم.

[٧٣] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾:

﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾: أي: قال إخوة يوسف: تالله: التَّاء: تاء القسم، وهي أقوى

أدوات القسم، وفيها معنى التعجب؛ أي: أقسموا، وهم بدهشة لانتهاهم بأنهم من السَّارِقِينَ. وهذا القسم (تالله) تكرر ثلاث مرات في سورة يوسف في هذه

الآية، والآية (٨٥)، والآية (٩١)، وهذا القسم ليس خاصاً بإخوة يوسف فقط؛

فقد ورد في آيات أخرى مثل قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَسْتُ لَكُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾

[النحل: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [النحل: ٦٣].

﴿لَقَدْ﴾: لقد: اللام: للتوكيد، وقد: للتحقيق، والتوكيد أيضاً.

﴿عَلِمْتُمْ﴾: من العلم، والعلم: يفيد اليقين، والعلم: يتعلق بالصفات بينما

المعرفة تتعلق بالذَّوات؛ أي: لم يقل: لقد عرفتم.

﴿مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾: ما: النافية.

﴿جِئْنَا﴾: قدمنا.

﴿لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾: اللام: لام التعليل، والتوكيد؛ نفسد في الأرض:

تعني: السرقة؛ فالفساد من معانيه: السرقة التي تؤدِّي إلى الخوف، والقتل...

وغيره.

﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾: وما: النافية، وتكرار ما: لزيادة، وتوكيد النفي؛ نفي

الفساد، ونفي السرقة.



[٧٤] ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: المؤذن، وأعوانه قالوا لإخوة يوسف:

﴿فَمَا﴾: الفاء: للتوكيد؛ ما: استفهامية.

﴿جَزَاؤُهُ﴾: وهاء الضمير في (جزاؤه) تعود على جزاء، أو عقاب سرقة الصّواع، أو تعود على السّارق.

﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال.

﴿كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾: أنكم لم تسرقوا الصّواع، أو أنكم أخذتموه.

[٧٥] ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾:

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾: قال إخوة يوسف: من وجد الصّواع في رحله فهو جزاؤه؛ أي: من سرق شيئاً يصبح السّارق عبداً مملوكاً للذي سرق منه، وهكذا كان حكم السّارق في بني يعقوب أن يصبح السّارق عبداً مسترقاً للمسروق له مدّة سنة كاملة.

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾: أي: مثل هذا الجزاء؛ أي: استرقاق السّارق مدّة سنة نجزي الظّالمين (أي: السّارقين المفسدين في الأرض).

[٧٦] ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَدْنَا لْيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾: فبدأ: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ أي: أمر يوسف فتياناً بتفتيش أوعيتهم، وكانوا عشرة إخوة قبل أن يفتش وعاء أخيه (بنيامين)؛ كي ينفي عنه الشّبهات بأنّه يكيد لهم شيئاً ما.

﴿ثُمَّ أَسْتَخْرِجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾: ثم: للاستبعاد، والترتيب الكلامي، أو التسلسلي في الأحداث، وليس يعني الترتيب، والتراخي في الزمن؛ فتش وعاء أخيه أخيراً؛ فاستخرج الصّواع.

﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿كَدْنَا﴾: من الكيد: وهو التدبير الخفي، والحيلة، أو حينا إليه بالإلهام، أو الوحي كيف يسترد أخاه بهذه الطريقة، أو الحيلة، وشبه ذلك بالكيد. ارجع إلى الآية (٥) من نفس السورة.

﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾: ما: النافية.

﴿كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾: أي: لو اتبعوا، أو طبقوا قانون السرقة في دين الملك (في مصر)؛ أي: في حكم الملك ما كان يحق له، أو يسمح له أن يأخذ أخيه، أو يبقيه عنده سنة؛ لأنّ قانون الملك أو دينه ينصّ على أنّ السارق يغرم ضعفي ما سرق، ويضرب، وهو قانون مغاير لحكم بني إسرائيل.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري؛ يفيد التعليل، والتوكيد؛ أي: لولا مشيئة الله سبحانه ما تمكّن يوسف من أخذ أخيه، وإبقائه عنده.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ﴾: نرفع درجات.

﴿مَن﴾: ابتدائية.

﴿نَّشَاءُ﴾: بالعلم، والحكمة، والنبوة، والإيمان.

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾: ذي علم: صاحب علم؛ هناك من أعلم منه، وهكذا يتسلسل الأمر حتّى ينتهي أخيراً إلى الله؛ فهو علام الغيوب، وأعلم



العالمين، وعالم الغيب، والشهادة، عليم بكل شيء، ولا يخفى عليه شيء في السموات، ولا في الأرض.

[٧٧] ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: إخوة يوسف؛ قالوا: يا عزيز مصر لا تعجب.

﴿إِنْ يَسْرِقْ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشك؛ إن يسرق بنيامين.

﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ﴾: فقد: الفاء: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتوكيد؛ أي: له أخ من قبله كان يسرق، ولم يسموا أخاهم الذي كان يسرق (هو يوسف).

﴿فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾: ولم يرد على اتهامهم له بالسرقة؛ فقد كظم غيظه، وغضبه، وأخفى يوسف ذلك في نفسه، وقيل في تفسير هذا: عندما كان يوسف يُربى عند عمته بعد وفاة أمه، وعندما كبر، أراد يعقوب أخذه من عمته، وأرادت عمته أن تستبقه عندها، وكانت تعلم أنها إذا اتهمته بسرقة شيء ما عندها حسب شريعة يعقوب يبقى عندها (السارق يُسْتَرْقُ سنة)؛ فلذلك قامت عمداً، ووضعت نطاقاً لها من أبيها إسحاق في متاع يوسف، وادّعت أنها فقدت نطاقها؛ فبحثوا عنه فوجدوه في متاع يوسف، وهكذا أبقتة عندها سنة أخرى في حضانتها.

﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾: قال يوسف في نفسه: لأنتم شرُّ مكاناً أشرُّ منزلة عند الله مني لما فعلتم بي وبأيكم.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: والله: تقديم الله للحصر.

﴿أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: تكذبون، أو تفترون عليّ الكذب بالسرقة.



[٧٨] ﴿قَالُوا يَتَّيْمَهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: إخوة يوسف.

﴿يَتَّيْمَهَا الْعَزِيزُ﴾: يا: النداء؛ الهاء: للتنبيه؛ يا أي: للتعظيم.

﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾: إن: للتوكيد.

﴿إِنَّ لَهُ﴾: أي: بنيامين.

﴿أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾: توكيد، لا يتحمل الصدمة، أو الفاجعة بفقد ابن آخر له بعد أن فقد يوسف من قبل.

﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾: استبق أحداً بدلاً منه، وأتم إحسانك علينا، واخلّ سبيله حتى يرجع إلى أبيه.

﴿إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: إنا: للتوكيد.

﴿نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: في أفعالك لنا؛ بالتصدق علينا، والصفح، والعفو، ومعاملتنا بالحسنى.





سورة يوسف ١٢

البقرة العنصرية

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجْدِنَا مَتَعِنَا عِنْدَهُ إِنَّنَا
إِذَا الظَّالِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا
قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ
مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ
الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ
﴿٨٠﴾ أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ
وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ
﴿٨١﴾ وَسَأَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا
وَأَنَا الصَّادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا
فَصَبِّرْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفِي عَلَى
يُوسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾
قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْأَتَدْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا
أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي
وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾



سورة يوسف [الآيات ٧٩ - ٨٦]

[٧٩] ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَا عَنْدَهُ إِنَّا إِذَا الظَّالِمُونَ﴾:

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾: قال يوسف: معاذ الله؛ أي: أعوذ بالله أن نأخذ بريئاً بدلاً من سارق؛ فهذا ظلم.

﴿أَنْ نَأْخُذَ﴾: أن: مصدرية؛ تفيد التوكيد، والتعليل.

﴿إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَا عَنْدَهُ﴾: إلا: أداة حصر، فقط نأخذ من وجدنا متاعنا؛ أي: الصّواع عنده.

﴿إِنَّا إِذَا الظَّالِمُونَ﴾: إذن: حرف جواب، وجزاء.

﴿الظَّالِمُونَ﴾: اللام: للتأكيد؛ ظالمون: جمع ظالم، والظلم: الخروج عن حكم، أو منهج الله؛ لمعرفة معنى الظلم: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٤).

[٨٠] ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للتوكيد؛ لما: ظرف زماني بمعنى: حين.



﴿اسْتَيْسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾: استيسوا: استيس: بلغ أعلى درجات اليأس. ونجياً: تعني تناجوا كفاية (مبالغة في نجواهم).

استيسوا: على وزن استفعلوا؛ للمبالغة من يس، يسس، وزيادة السين: للمبالغة؛ أي: استيسوا من إقناع العزيز بعد أن حاولوا كل المحاولات لإعادة أخيه معهم، وبعد جهد ومشقة فشلت كل المحاولات، ولم تعد هناك بارقة أمل، وانقطع أملهم ورجاؤهم من أن يخلي سبيل أخيه.

﴿مِنْهُ﴾: تعود على العزيز (يوسف)، أو تعود إلى أخيه.

﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾: انتهوا من النجوى، أو مناجاة بعضهم بعضاً؛ يعني: أنهم بعد أن يسوا من إقناع العزيز انفردوا بأنفسهم ليتناجوا، وما سيفعلون، وما سيقولون لأبيهم، وانتهوا من النجوى.

﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾: سناً، أو قدراً، أو رأياً، قيل: كبيرهم هو الذي أشار عليهم بإلقاء يوسف في البئر بدلاً من قتله.

﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري، ونفي. ارجع إلى سورة التوبة، آية (٦٣)؛ للبيان.

﴿أَنْتَ أَبَاكُمْ﴾: أن: للتوكيد، أباكم.

﴿قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾: قد: حرف تحقيق.

﴿أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا﴾: عهداً مؤكداً بالقسم بحفظ أخيكم بنيامين، وإعادته إلى أبيه، موثقاً من الله.



﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُ فِي يُوسُفَ﴾: ومن قبل هذا تفريطكم في يوسف، أو
تعني: ومن قبل فرطتم في يوسف، والتفريط: يعني: التقصير في إتمام الموثق،
أو العهد.

﴿فَلَنْ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب؛ لن: حرف نفي، نفي الاستقبال
القريب، والبعيد.

﴿أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾: أغادر أرض مصر، أو أتنحى عن مكاني هذا.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿يَأْذَنَ لِي أَيْ﴾: بالعودة، والرجوع إليه.

﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾: أو: للتخير؛ أي: يقضي لي بخلاص أخي بنيامين،
ويُفرج عنه؛ أي: يطلق سراحه، أو يحكم في أمري بحكم ما، وهو خير الحاكمين.

﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾: ارجع إلى الآية (١٠٩) من سورة يونس؛ للبيان.

حينئذ يبدو أنهم سألوه ماذا نفعل؛ فقال كبيرهم:

[٨١] ﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَيْكُمْ فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّا ابْنُكَ سَرَقْنَا مَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا
وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾:

﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَيْكُمْ﴾: الرجوع: هو العودة إلى المكان الذي بدأ، أو انطلق

منه.

﴿فَقُولُوا﴾: الفاء: للتوكيد؛ ارجعوا إلى آبائكم؛ فقولوا:



﴿يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾: إِنَّ: للتوكيد.

﴿ابْنَكَ﴾: بنيامين سرق.

﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾: ما: النافية.

﴿شَهِدْنَا﴾: عليه بالسَّرقَة؛ أي: ما رأيناه يسرق؛ إلا حصرًا بما علمنا.

﴿بِمَا﴾: الباء: للتوكيد؛ أي: لم نره يسرق، وإنما علمنا ذلك بما جاءنا من

العلم، أو سمعناه من النَّاس، أو وصلنا أنه سرق صواع الملك.

﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾: ما: النافية؛ ما كنا نعلم الغيب، وأنَّ هذا

سيحدث له عندما أخذنا بنيامين معنا في سفرنا، أو ما كنا نعلم الغيب حين أعطيناك

موثقًا من الله لتأتيك به، وإلا ما أعطيناك، أو ما كنا نعلم أنَّ ابنك سيسرق، وهذا

غيب لا يعلمه إلا الله، وإلا لمنعناه من فعل ذلك، أو ما كنا نعلم الغيب لعلمهم

اتهموه بالسَّرقَة (حيث الوقت ليلاً)، ويعلم كبيرهم أنَّ أباهم قد لا يصدِّق هذه

الأقوال كلَّها، كما فعل سابقاً عندما أخبروه بأنَّ يوسف أكله الذئب؛ لذلك قال

لهم: إنَّ كذبكم أبوكم؛ قولوا له:

[٨٢] ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾:

﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾: القرية أهل القرية.

﴿الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾: أي: مصر التي نزلنا فيها للميرة.

﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾: العير: القافلة إذا كانت فيها دواب (جمال، وحمير)،
وتحمل الطعام (الميرة) تسمى العير.

﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾: قدمت معنا إلى مصر للميرة أيضاً. قيل: كانوا قوماً من
الكنعانيين فهم شهدوا ما حدث؛ أي: أصحاب العير التي قدمت إلى مصر معنا.
﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾: لصادقون: اللام: للتوكيد؛ أي: سواء صدقتنا أم لم
تصدقنا، نحن صادقون بريئون من التهمة، وهم على حق في هذه المرة أنهم كانوا
صادقين.

[٨٣] ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً
إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾:

وبعد أن رجعوا إلى أبيهم إلا كبيرهم الذي بقي في مصر، وبقي بنيامين مع
أخيه يوسف الذي أخذه أجيراً في دين الملك، وأخبروا أباهم بما حدث.
﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾: قال يعقوب.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي؛ أي: أشك في كل ما أخبرتموني به، ولن
أصدقكم.

﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾: أي: زينت لكم أنفسكم أمراً غير محمود
سيئ لكم خاصة، وهذه هي المرة الثانية التي يردّد نفس الكلام؛ فقد قال حين لم
يرجع يوسف: بل سولت لكم أنفسكم أمراً، آية (١٨)، وحين لم يرجع بنيامين
اتهمهم بنفس التهمة.



﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: فصبر: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ صبر جميل: الصبر الذي لا يصاحبه شكوى لأحد من البشر، ويمكن الشكوى إلى الله وحده، وهذا لا ينافي الصبر الجميل. ارجع إلى الآية (١٨) ممن نفس السورة.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾: عسى: أداة رجاء، وتستعمل في الأمور المرجوة التي تتحقق غالباً.

﴿أَنْ﴾: مصدرية تفيد التعليل، والتوكيد.

﴿يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾: ولم يقل: بهما؛ لأنهم أصبحوا ثلاثة يوسف وبنيامين وكبيرهم الذي قال: لا أبرح الأرض.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد.

﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾: إنه: للتوكيد.

﴿الْعَلِيمُ﴾: بحالي، وبحال يوسف، وبنيامين، وبإخوة يوسف، وبما هو صدق، وما هو كذب، ولا تخفى عليه خافية في السموات، ولا في الأرض، والعليم الحكيم فيما قضى، وقدر على خلقه؛ فهو أحكم الحاكمين، وهو أحكم الحكماء.

[٨٤] ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفُ عَلَيَّ يُوسُفَ وَأَيُّضْتُ عَلَيْهِ مِنْ الْخُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾:

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: أي: انصرف عنهم، وابتعد، وانفرد لوحده بحزنه؛ أي:

خلا بنفسه.



﴿وَقَالَ يَأْسَفَى عَلَى يُونُسَ﴾: الأسف: هو أشد الحسرة، أو يا مصيبتاه، وزيادة الألف فيه دلالة على شدة الحزن، والألم، وأبلغ من قوله: يا أسف، يا أسفي، وفيه تعجب أيضاً، وهذا الأسف لا يتعارض مع الصبر الجميل ما دام يعقوب لوحده.

﴿وَأَيُّضَتَ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾: الحزن بضم الحاء: هو الألم النفسي، وضيق في الصدر على شيء مضى، وله زمن معين قد يطول، أو يقصر، ثم ينتهي، أما الحزن بفتح الحاء: فهو لا ينتهي أبداً؛ إلا بموت الفرد؛ فهو الحزن الشديد منذ فقدان يوسف إلى فقدان أخيه، هذه السنين الطويلة، سبب له ابيضاضاً في العين، وضعفاً، أو فقدان البصر، وسببه كما نسميه (كتاركت).

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: حزين ساكت ممتلئ غيظاً، وحزناً، وغماً، ولا يظهر غيظه، ولا كربته لأحد من الناس، ولكنه من شدة الغيظ يريد أن ينفجر، ويشتكى ويخبر بحاله. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (١٣٤)؛ لمزيد من البيان.

[٨٥] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُونُسَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾:

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُونُسَ﴾: قال إخوة يوسف لأبيهم يعقوب:

﴿تَاللَّهِ﴾: تاء القسم، وتحمل معنى التعجب من تدهور حالته الصحية بسبب غياب يوسف.

﴿تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُونُسَ﴾: حذفت منها لا النافية من جواب القسم، وأصلها تالله لا تفتأ تذكر يوسف؛ أي: لا تنسى تذكر يوسف، أو لا تزال تذكر



يوسف، أو لا تنطفئ نارك، أو تسكن عن ذكر يوسف، أو نقسم بالله أنك لا تنسى تذكر يوسف، أو تسكن؛ أي: تتوقف، أو تكفُّ عن ذكره ليلاً، ونهاراً، ونار يوسف في جوانحك لا تنطفئ، ولا تهدأ. إذن تفتؤا من معانيها: لا تنسى، أو لا تسكن، أو تهدأ نارك على فراق يوسف، وحذف حرف النفي (لا)؛ لأن أمر الحرص أو الهلاك غير مؤكد مقارنة بقوله: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [القيامة: ١]؛ ارجع إلى تلك الآية للمقارنة.

وكذلك من معانيها: ﴿تَفْتَوُا﴾: من فتأ، وفتى؛ أي: زال وتحول؛ أي: ما زالت تداوم على ذكر يوسف.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿تَكُونُ حَرْضًا﴾: أي: الذي لا يفعل ما يقول؛ أي: الفاسد عقله كالمجنون، والمخبول، والمشرف على الهلاك (الحرص؛ أي: المرحلة قبل الموت)، وأعراضها اختلال في العقل، أو الحرص: عدم القدرة على النهوض، وقيل: أصل الحرص الفساد في الجسم، أو العقل.

﴿أَوْ تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾: أو: للتخيير.

﴿تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾: تموت، وتبلى فعلاً؛ فهم أقسموا على أمر ظنوا أو تصوروا سيحدث وهو أن أباهم حرصاً أو من الهالكين ولم يحدث.

[٨٦] ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي﴾: قال يعقوب:



﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة.

﴿بَنِي﴾: البث: هو الحُزن العظيم، والألم النفسي الشديد الذي يصيب المبتلى؛ فلا يصبر عليه حتّى يبيّته للناس، أو لله تعالى؛ أي: يخبر الناس به، وما هو فيه، أو لا يستطيع كتمه أكثر من ذلك، والبثُّ أصله النّشر.

لنعلم أن الحُزن شيء مؤقّت وسوف يزول عاجلاً، أو آجلاً.

أما الحُزن: فشيء دائم سيستمر حتّى الموت.

فالأسى يتحول إلى حُزن، والحُزن يتحول إلى البث، وهو أعلى درجات الحُزن الذي لا يطاق؛ مما يدعو صاحبه إلى أن يبيّته للناس ليعلموا بحالته.

وأما الأسف: فهو حُزن مع غضب.

﴿وَحَزَنِي﴾: ارجع إلى الآية (٨٤) من نفس السّورة.

﴿إِلَى اللَّهِ﴾: وحده.

﴿وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أن الله قادر على كشف الضّر، وقادر

على ردّ يوسف وبنيامين إلّى، وإنّ رؤيا يوسف صدق ولم تتحقق بعد.





سُورَةُ يُوسُفَ ١٢

الْبَقَرَةُ ٢٤٦

يَبْنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا
مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ
(٨٧) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ
وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزْجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا
إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ
بِیُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَءِتَكَ
لَأَنْتَ یُوسُفَ قَالَ أَنَا یُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ
عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَأَلَّاهُ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا
وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ
الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)
أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا
وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) وَلَمَّا فَصَلَتِ
الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ
تُفَنِّدُونِ (٩٤) قَالُوا تَأَلَّاهُ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥)



سورة يوسف [الآيات ٨٧ - ٩٥]

[٨٧] ﴿يَبْنِيْ اَذْهَبُوْا فَتَحَسَّسُوْا مِنْ يُوسُفَ وَآخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوْا مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِنَّهٗ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُوْنَ﴾:

﴿يَبْنِيْ اَذْهَبُوْا﴾: نداء من يعقوب إلى أولاده فيه حنان، واستعطاف.

﴿اَذْهَبُوْا﴾: ارجعوا إلى مصر.

﴿فَتَحَسَّسُوْا مِنْ يُوسُفَ وَآخِيهِ﴾: أي: تتبعوا، والتمسوا أخبار يوسف، وأخيه، والتحسس: طلب الخبر بالحاسة، أو طلب معرفة الشيء بالبحث الدقيق؛ أي: تتبعوا أخبارهما، وابحثوا عنهما بشكل دقيق بالسؤال، والبصر، والسمع، وبكل حاسة.

﴿مِنْ يُوسُفَ﴾: من: بعضية؛ أي: بعض أخبار يوسف.

﴿وَآخِيهِ﴾: بنيامين، التمسوا أي: خبر عنهم.

﴿وَلَا تَأْتِسُوْا مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ﴾: ولا: الناهية.

﴿تَأْتِسُوْا﴾: لا تقنطوا، واليأس: هو انقطاع الأمل من العثور على شيء، أو حدوث شيء ما.

﴿مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ﴾: من فرج الله، أو رحمته، وأصل الرّوح النفس؛ يقال: أراح الإنسان تنفسه بارتياح بعد انفراج الغم، وزوال الكربة.



﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾: إته: للتوكيد؛ لا يقنط من فرج الله.

﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾: إلا: للحصر.

﴿الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾: الجاحدون بنعم الله، وقدرته، ورحمته، والجاهلون، وغير الصابرين، أو القوم الضالون.

وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٥٦) من سورة الحجر: ﴿وَمَنْ يَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾: الرحمة هنا: في سياق الولد (الإنجاب)، وجاءت هذه الآية في سياق عقم سارة (امرأة إبراهيم)، وقول الملائكة لإبراهيم: ﴿بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَنِيطِ﴾ (٥٥) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿[الحجر: ٥٥-٥٦]؛ فالقنوط: هو أشد من اليأس، والقنوط: أخص من اليأس؛ اليأس: أعم يشمل القنوط.

[٨٨] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ مَسْنًا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِثْنَا بِضَعَةٍ مُرَجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾: فلما: الفاء: للترتيب، والتعقيب، والمباشرة؛ لما: ظرف زمان بمعنى: حين دخلوا على العزيز؛ أي: أخوهم يوسف للمرة الثالثة.

﴿قَالُوا يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ﴾: يا: أداة نداء، والهاء: للتنبيه.

﴿مَسْنًا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾: أصابنا الضر؛ أي: الفقر الشديد، والجوع، والحاجة، وأصاب أهلنا الضر: هو الأذى الذي تكون له آثار بعيدة، والأذى يتحول إلى ضر.

الضر: هو أشد من الأذى، ويكون في النفس، والبدن.



﴿وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزَجَّةٍ﴾: مزجاة من فعل أزجى الرباعي؛ بمعنى: مردود لفساده، مُزجاة: اسم مفعول، وزجاء؛ بمعنى: دفع؛ أي: جئنا ببضاعة كاسدة لا تصلح للبيع، أو الشراء لرداءتها، وهذه البضاعة مثل الصوف، والسمن، أو دراهم رديئة مزيفة قديمة، فكل تاجر يحاول التخلص منها، ودفعها لغيره.

﴿فَأَوْفٍ لَّنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا﴾: أي: أتم لنا الكيل، أو زد لنا الكيل، ولا تعاملنا بما تساوي بضاعتنا من قيمة، وسامحنا على رداءتها، وتصدق علينا؛ أي: وتفضل علينا.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿يَجْزِي﴾: من الجزاء: وهو أعم من الأجر، والجزاء: يكون وفقاً للعمل مقابل العمل الصالح، أو السيئ، ويستخدم في النفع، والضّرر.

﴿الْمُتَصَدِّقِينَ﴾: مقارنة بالمصدقين: المصدقون: فيها مبالغة أكثر في إعطاء الصدقات؛ فهم قالوا: المتصدقين: أي: لم يطلبوا الكثير من الصدقة؛ أي: هم يقبلون أي شيء يعطيهم.

[٨٩] ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾:

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ﴾: قال يوسف: هل علمتم.

﴿هَلْ﴾: استفهام فيه معنى التوبيخ، والتّقريع، والتّهويل. اختلف المفسرون في السبب الذي دفع يوسف لهذا القول، وقال ابن عباس حين سألهم يوسف: هل علمتم ما فعلتم بيوسف، وأخيه إذ أنتم جاهلون: رفع التاج عن رأسه، فعرفوه من الشّامة التي كانت على صدغه، وكان ليعقوب مثلها، وهناك من قال: ابتسم



يوسف، ولما ابتسم ظهرت ثنياه، وكانت علامة فارقة له؛ مما دفع إخوة يوسف إلى تذكّره، وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف: أي: ما أعظم ما ارتكبتم بحق يوسف وأخيه.

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي.

﴿أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾: بسبب طيشكم، وسفهكم، وجاهلون بعاقبة أمركم، وآثار ما قمتم به، ومجيء هذا القول في صيغة سؤال قد يدفع المسؤول في التحقق من هوية وشخصية المتحدث، وقيل: ما أحلم يوسف؛ إذ التمس العذر لهم بما فعلوه فيه، وسماه بالجهل. ارجع إلى سورة الزمر آية (٦٤) لبيان معنى الجهل.

[٩٠] ﴿قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾: أي: قال إخوة يوسف ليوسف: أينك لأنك يوسف: استفهام تقريرى أكدوه بـ (أينك): بأن، وكذلك باللام في (لأنت): استفهام تقريرى مشرب بالتعجب، والفرح بنجاحهم في العثور على يوسف؛ فردّ عليهم يوسف:

﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾: قال أنا: للتأكيد، وأضاف كلمة يوسف، وهذا أخي أخرج لهم بنيامين، ولم يقل: أنا هو، وهذا أخي؛ لأن القاعدة: الاسم الظاهر أقوى من الضمير؛ إذن سؤالهم جاء بالتوكيد؛ فكان الردّ عليه كذلك بالتوكيد.

﴿وَهَذَا أَخِي﴾: وهذا: الهاء: للتنبيه، وذا اسم إشارة للقرب، وفيه معنى

التَّعْظِيمِ، أَوْ هَذَا أَحْسَى عَرَفْتَهُ كَمَا عَرَفْتَكُمْ، وَأَنْتُمْ لَمْ تَعْرِفُونِي حِينَ دَخَلُوا ﴿عَلَيْهِ
فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [آية: ٥٨] من نفس السورة.

﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد، وأدخل أخاه في النعمة،
والمنّ، من ناحية التقوى، والأمان، والصبر.

﴿إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾: إنه: للتوكيد.

﴿مَنْ﴾: استغراقية تشمل كلَّ مَنْ يَتَّقِ، ويصبر (جمع بين التقوى والصبر)
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

﴿فَاتَّكَ اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: فإن: الفاء: للتوكيد.

﴿لَا يُضِيعُ﴾: لا: النافية.

﴿أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: جزاء، أو ثواب المحسنين. ارجع إلى الآية (١١٢)
من سورة البقرة.

وقدّم التقوى على الصبر؛ لأنّ التقوى أهم من الصبر؛ فالصبر من دون
تقوى لا جدوى له، والصبر يعين على التقوى.

[٩١] ﴿قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾:

﴿قَالُوا تَأَلَّه﴾ قال إخوة يوسف:

﴿تَأَلَّه﴾: تاء: القسم، وفيها معنى التعجب مما حصل له من علو المنزلة
والرّفعة.

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: لزيادة التوكيد، والتحقيق.



﴿ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: فضلك، واختارك الله علينا بالنبوة، والملك،
والتمكين، والجمال.

﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾: وإن المخفة تفيد التوكيد.

﴿لَخَطِئِينَ﴾: اللام: تزيد التوكيد في الخطأ فيما قاموا به، ولم يقل: من
المخطئين؛ الخاطيء: هو الذي يعلم الصواب، ويتعداه، والخطيء: من يرتكب
الذنب عمداً، أما المخطيء: هو من لا يعلم الصواب أصلاً، لا طريقه، ولا مكانه؛
فهو يرتكب الخطأ من دون عمد، أو قصد.

إذن: هم يعترفون بذنبهم، وأنهم ارتكبوه عمداً؛ حيث ألقوا يوسف في
غياة الجبّ.

[٩٢] ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾:

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾: قال يوسف لإخوته:

﴿لَا﴾: النافية للجنس.

﴿تَثْرِيبَ﴾: عتاب، أو لوم.

﴿عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾: أي: بعد اليوم، والتثريب: اللوم العنيف مأخوذ من
الترب: وهو الدهن الكثيف، وهو الغطاء الشحمي الواقع تحت جدار البطن
يغطي الأمعاء؛ أي: مع أنكم تستحقون أن تلاموا على ما فعلتم بي لوماً عنيفاً
يذيب الشحم الشديد شحم بطونكم، ولكني أسأل الله أن يغفر لكم.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.



﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾: أرحم على وزن أفعل، أو أفضل الراحمين على الإطلاق؛ أي: إن وُجدَ راحمون؛ فهو أرحمهم؛ فهو من فضله أطلق عليهم راحمين، ولكنه سبحانه هو وحده أرحم الراحمين؛ لأن رحمته لا تزول ودائمة، ومتعلقة بذاته بينما رحمة غيره زائلة، وفانية بموت صاحبها.

[٩٣] ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾: طلب من إخوته أن يذهبوا؛ أي: يعودوا إلى ديارهم، ويأخذوا معهم قميصه: ثوبه، ولم يقل: ارجعوا بقميصي هذا؛ لأن معنى ارجعوا بقميصي: أن القميص كان معهم حين قدموا إلى مصر، ولكي يتجنب ذلك الظن قال اذهبوا.

﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي﴾: ولم يقل أيكم؛ فكأنهم لا يستحقون أن يكون أباً لهم لما فعلوه بأبيهم منذ فقدان يوسف؛ فقد ابيضت عيناه من الحزن، وهو كظيم، وأصبح حرضاً، أو من الهالكين، ولذلك قال: وجه أبي.

﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾: وعلم ذلك من الوحي الذي أخبره بالقيام بذلك من باب المعجزة، أو الكرامة ليعقوب، وابنه يوسف، وأن الله أرحم الراحمين.

﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أجمعين: تفيد التوكيد؛ أي: اتوني بجميع الأهل من دون استثناء.



[٩٤] ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو: استئنافية؛ لما: ظرف بمعنى: حين؛ متضمن معنى: الشرط.

﴿فَصَلَّتِ الْعِيرُ﴾: القافلة (الإبل والدواب المحملة بالطعام، والزاد مع أهلها)، وفصلت: تدل على شيء كان ملتصقاً بشيء، ثم انفصل، وفصلت العير: خرجت من مصر متجهة إلى مكان إقامة يعقوب.

﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾: قال يعقوب: إني: للتوكيد.

﴿لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾: أي: أشعر بريح تحمل رائحة يوسف؛ أي: هو لا يزال حياً يرزق، وأشم رائحته، الرائحة المنبعثة من قميص يوسف.

﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾: لو: حرف شرط.

﴿أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾: أن: مصدرية تفيد التعليل، والتوكيد؛ خاطب يعقوب من حوله من الأهل؛ لأن أولاده لا زالوا في طريق العودة. التّفنيد: مرض الخرف، وضعف العقل، وضعف الرأي بسبب الهرم، وتقدم العمر.

﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾: لولا اتّهامكم لي بالخرف، والهرم لصدقتُموني، والسؤال لماذا لم يشم رائحة يوسف عندما كان يوسف في مصر؟ قيل: لأنّ الرّوائح في المدينة كثيرة، وتختلط مع بعضها، أو لبعد المسافة أيضاً.

وعن ابن عباس : أنه كانت المسافة مسيرة ثمانى ليال بين القميص،
ويعقوب ما يعادل (٨٠ فرسخاً).

[٩٥] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾:

﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾: ارجع إلى الآية (٧٣).

أي: قال الذين كانوا مع يعقوب من بقية الأهل:

﴿إِنَّكَ لَفِي﴾: لفي: اللام: للتوكيد.

﴿ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾: ليس ضلال الدين، والعقيدة، وإنما الضلال هو
الخطأ، وعدم الاهتداء إلى الصواب؛ أي: في خطئك القديم في إفراطك في
حب يوسف، وكثرة ذكره، والانشغال به، وتوقع العثر عليه، والبحث عنه بشكل
دائم، والذين قالوا ذلك ظنوا أن يوسف قد مات.





سُورَةُ يُوسُفَ ١٢

الجزء الثاني

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ
أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا
يَتَّابَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ
أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا
دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوِيَهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبْوِيَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا
لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَّابَتِ هَذَا تَوَلْدٌ رَأَيْتُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم
مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ
رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ
قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي
مُسْلِمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ
نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ
﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾



سورة يوسف [الآيات ٩٦ - ١٠٣]

[٩٦] ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ ۖ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۚ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ لما: ظرف زمني؛ أي: حين متضمن معنى الشرط ألقاه.

﴿أَنْ﴾: تشير إلى طول انتظار يعقوب لهذا البشير، وعلمه أن يوسف لا زال حياً، ولذلك باعد بين لما وجاء بإدخال أن إشارة إلى استطالة الوقت؛ أي: طول الانتظار فمعناها التراخي في الزمن؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ [العنكبوت: ٣٣]، وكقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ [القصص: ١٩].

﴿جَاءَ الْبَشِيرُ﴾: جاء: تفيد المجيء بمشقة، وصعوبة، بينما أتى: تدل على السهولة، واليسر.

﴿الْبَشِيرُ﴾: قيل: هو الأخ الأكبر؛ أي: كبيرهم الذي قال: لن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي، أو يحكم الله لي، وقيل: اسمه يهوذا، جاء ومعه قميص يوسف.

﴿أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾: ألقاه: الهاء تعود إلى القميص؛ ألقى القميص على وجه أبيه.



﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾: الرّدة: العودة إلى الحال الأولى؛ أي: رجع يعقوب يبصر، ويرى كما كان قبل فقدان بصره.

فكان قميص يوسف معجزة أولاً بسبب رائحته التي سبقت القميص بثمانى ليال، وثانياً: حين ألقى القميص على وجه يعقوب ارتد بصيراً.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِمَّا لَا تَعْلَمُونَ﴾: قال يعقوب لأهله، ومن حوله عندها: ألم أقل لكم: إنني أعلم من الله ما لا تعلمون؛ لأنه نبي، ويوحى إليه.

الفرق بين يأتي بصيراً، فارتد بصيراً:

يأتي بصيراً: كما ورد في الآية (٩٣) من نفس السّورة.

يأتي إليّ مع كلّ أهله إلى مصر وهو مبصر.

أما فارتد بصيراً: رجع يعقوب ذا بصر بعد أن كان أعمى فرجع بصيراً؛ أي: رجع إلى ما كان عليه من الإبصار؛ كأن لم يصب بابيضاض العينين.

ففي الآية (٩٣) قال: ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾، وفي الآية (٩٦): ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾؛ أي: ارتد بصيراً أولاً، ثم يأتي إليّ بصيراً ثانياً، أو بعد ذلك.

[٩٧] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾:

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: هنا يقرّ الإخوة بالذنب، ويعترفون لأبيهم، ويطلبون منه الاستغفار لذنوبهم.

﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾: استعمل التّون المشددة في إنّا مع أبيهم؛ للتوكيد، بينما مع أخيهام قالوا: وإن كنا لخاطئين. إن: المخففة (التّوكيد أخف).



والذي يتبادر إلى الذهن: أنه كان ينبغي أن يكون التوكيد أشد لأخيهم؛ لأنهم أساءوا إليه، وألقوه في غيابة الجب، وليس لأبيهم، والحقيقة ما قالوه لأبيهم بعد فقدان يوسف، وما حدث له من جرّاء ذلك الحزن، والأسف، وفقدان بصره، أهم مما حدث ليوسف، وذلك مما دعاهم إلى الاعتذار، والاعتراف بالخطيئة لأبيهم، والتوكيد الشديد له، مقارنة بالتوكيد الخفيف لأخيهم.

[٩٨] ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾:

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾: قال أبوهم يعقوب: سوف، ولم يقل سأستغفر لكم ربي؛ لأن السين تدل على الزمن القريب، ولأن سوف: حرف استقبال تدل على البعد، والتراخي في الزمن؛ أي: بعد زمن، أو في المستقبل سوف أستغفر لكم ربي، ولكن ليس الآن، ولكن في المستقبل؛ تعني: أن يعقوب يريد أن يؤجل مسألة الاستغفار لهم؛ لكي يسأل ربّه أن يغفر لهم على ما فعلوه من ذنب فيما بعد، وليس حين سألوه، والحكمة في ذلك: كي يندموا على ما فعلوا، ويشعروا بالذنب، ويتوبوا توبة نصوحاً، وتدل على عمق الأثر الذي في نفسه مما فعلوا به ويوسف.

﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾: إنه: للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد زيادة التوكيد أيضاً.

﴿الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾: كلاهما صيغة مبالغة تدلان على كثرة المغفرة،

والرحمة. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (١٢٩)؛ للبيان.



لنقارن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾ [آية: ٩١]، مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾ [آية: ٩٧]:

قالوا ليوسف: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾: استعمل إن: المخففة؛ تدل على تأكيد خفيف.

وقالوا لأبيهم: ﴿إِنَّا كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾: استعمل: إِنَّا: المشددة؛ لأن إساءتهم إلى أبيهم كانت أشد؛ حيث أصيب بالحزن، والعمى، واللوعة على فقدان يوسف، وأخيه لسنين طويلة؛ أما إساءتهم مع يوسف كانت لا تقارن مع إساءتهم لأبيهم؛ نعم فعلوا ما فعلوا بيوسف، ولكن أصبح عزيزاً، وعلى خزائن الأرض، ولذلك قال لهم أبوهم: سوف أستغفر لكم ربي. وقال لهم يوسف: لا تثريب عليكم اليوم.

[٩٩] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب؛ لما: ظرف زمني؛ بمعنى: حين.

﴿دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾: أي: أباه، وخالته؛ لأن أمه قد ماتت من قبل، ولم يقل: والديه، وفي هذا إكرام لخالته التي هي بمنزل أمه، رغم أن والده هو يعقوب فهو غلب خالته على أبيه بالذكر.

﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾: قد تعني: لما خرج لاستقبال أبويه خارج المدينة أركب معه أبواه في عربته، أو مركبته، أو أنزل أبواه عنده في بيته، وقدم كلمة إليه: للدلالة على الحصر؛ أي: لا يريد منهما إلا أن ينزلا عنده في بيته، ولم يقل: آوى أبويه إليه.



أوى إليه أبويه:

١ - ضمَّهما إلى موكبهِ حين خرج إلى استقبالهما.

٢ - أو أنزلهما في مسكنه وبَيْتِه.

﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ﴾: بعد أن قال: دخلوا على يوسف، إذن هناك دخولان: دخول الاستقبال، وكان الأول خارج المدينة، والدخول الثاني عند دخول بيته، أو دخول واحد، وقال ذلك للترحيب بهم مرة أخرى، والخطاب موجّه إلى أبويه، والعائلة معاً.

﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿شَاءَ﴾: المشيئة تسبق الإرادة، وقَدَّم المشيئة على آمَنِينَ؛ للاهتمام؛ لأنَّ مشيئة الله أهم من الأمن، ولا يتحقّق الأمن إلا بمشيئة الله تعالى.

[١٠٠] ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُ رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾: أجلسهما على العرش.

﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾: له: هاء الضمير، قيل: تعود إلى يوسف؛ أي: خروا ليوسف (أي: أبواه وإخوته) سجداً؛ سجود تحية، أو شكر، لا سجود عبادة؛ كالانحناء، وكان ذلك جائزاً في شرعهم.

وقيل: هاء الضمير تعود إلى الله سبحانه؛ أي: الكل خرّوا لله سجداً؛ سجود شكر، سجود عبادة.



﴿وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾: وقال يوسف لأبيه:

﴿يَتَابَتِ﴾: يا: أداة نداء، والتّصغير في (يا أبت): فيها شعور بالحنان،

والعطف.

﴿هَذَا﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة يشير إلى ما يحدث الآن من سجود

هو:

﴿تَأْوِيلُ﴾: تفسير، أو تعبير رؤياه من قبل حين كان طفلاً، وحين رأى أحد

عشر كوكباً، والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: وضم قبل يدل على زمن معلوم، ومقصود؛ أي: حين رأى أحد

عشر كوكباً، ولو كسر قبل، وقال: من قبل: تدل على زمن غير محدد، أو واضح،

ومعلوم.

﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾: قد: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿جَعَلَهَا﴾: أي: الرّؤيا.

﴿حَقًّا﴾: رؤيا صادقة، وحقاً من الحق، وهو الشّيء الثّابت الذي لا يتغير.

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾: قد: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿بِي﴾: الباء: للإلصاق؛ أي: بي خاصة؛ أي: إحساناً خاصّاً بي؛ إذ أخرجني

من البئر، ومن السّجن، وجعلني على خزائن الأرض.

وهناك فرق بين أحسن بي، وأحسن إليّ:

أحسن إليّ: تعني: إحسان عام يصيب كلّ عبد، أو يشترك به كلّ عبد.



أَمَّا قَوْلُهُ: أَحْسَنَ بِي: أَيُّ: إِحْسَانٍ خَاصٍ.

﴿أَحْسَنَ﴾: أَيُّ: أَنْعَمَ وَفَضَّلَ عَلَيَّ.

﴿إِذَا أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾: إِذَا: ظَرْفٌ لِلزَّمَنِ الْمَاضِي.

﴿أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾: وَلَمْ يَذْكُرْ إِخْرَاجَهُ مِنَ الْجَبِّ؛ لِثَلَا يُشْعِرُ إِخْوَتَهُ بِالْخَجَلِ، وَالنَّدَمِ، وَيَذْكُرَهُمْ بِإِسَاءَتِهِمْ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْجَبِّ إِلَى الرَّقِّ، وَالْعُبُودِيَّةِ، وَالْبَيْعِ، فَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ، بَيْنَمَا خَرَجَ مِنَ السِّجْنِ، وَأَصْبَحَ الْعَزِيزُ، وَالْحَفِيزُ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ (مِصْر).

أَوْ قِيلَ: لَمْ يَذْكُرِ الْجَبَّ؛ لِأَنَّ السِّجْنَ وَالْجَبَّ يُمَثِّلَانِ مَكَانَ غَيْرِ مُسْتَحَبٍّ، أَوْ الْجَبَّ كَانَ يُمَثِّلُ السِّجْنَ، فَذَكَرَ أَحَدَهُمَا يَكْفِي عَنْ الْآخَرِ.

﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾: جَاءَ: كَلِمَةٌ جَاءَ تَحْمِلُ مَعْنَى الْجَهْدِ، وَالْمَشَقَّةِ، وَالصَّعُوبَةِ؛ أَيُّ: جَاءَ بِكُمْ بِصُعُوبَةٍ.

﴿مِنَ الْبَدْوِ﴾: يَعْنِي: الْبَادِيَّةَ، وَالْأَسْمَ الْبَدْوُ: مُشْتَقٌّ مِنَ الْبَدْوِ: وَهُوَ الظُّهُورُ، وَيُرَى أَنَّهُمْ كَانَ يَنْتَقِلُونَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَكَانُوا أَهْلُ وَأَصْحَابُ مَوَاشٍ يَنْتَقِلُونَ حَيْثُ الْمَاءُ، وَالْمَرْعَى.

﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾: مِنْ: ابْتِدَائِيَّةٌ.

﴿بَعْدِ﴾: ظَرْفِيَّةٌ زَمَانِيَّةٌ، وَمَكَانِيَّةٌ.

﴿أَنْ﴾: مُصَدَّرِيَّةٌ؛ تَفِيدُ التَّعْلِيلَ، وَالتَّوَكِيدَ.

﴿نَزَعَ﴾: أَفْسَدَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي، وَأَصْلُ النَّزْعِ هُوَ النَّخْسُ نَخَسَ الدَّابَّةُ؛ لِحَثِّهَا عَلَى الْجَرِيِّ، وَالسَّرْعَةِ، وَجَاءَتْ هُنَا بِمَعْنَى الْإِفْسَادِ وَالْخُصُومَةِ بَيْنَهُ



وبين إخوته؛ فقد حاولوا قتله وهم قد أغروا به، ولم يقل بعد أن وسوس الشيطان؛ الوسوسة: أعم من النزع، والنزع: حالة خاصة من الوسوسة، والوسوسة في الأصل تكون بالصوت الخفي، وقد تكون أحياناً بالصوت المسموع.

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾: إنَّ ربي: إنَّ: للتوكيد.

﴿رَبِّي﴾: الخالق، المدبر، الرزاق، اللطيف: أحاط علمه بالأسرار، والبواطن، والخفايا.

﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾: لا يوجد شيء مستور عنه مهما لطف، ودق، وصغر، ولا تخفى عليه خافية، ولا يعوقه شيء؛ فهو خبير بمواقع الأشياء، والشيء حين يرق ويصغر؛ أي: يلطف.

لطيف لما يشاء بعباده: يُحسن إليهم، ويكرمهم، ويعطيهم، ورؤوف رحيم بهم.

﴿لَمَّا﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي؛ أي: لطيف للذي يشاء.

﴿إِنَّهُ﴾: إنَّ: للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾: ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة.

[١٠١] ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾:

﴿رَبِّ﴾: نداء من دون ياء، ولم يقل: يا رب؛ لأنَّ الرَّبَّ أقرب إلى عبده من

حبل الوريد.



﴿قَدْ أَتَيْنِيَ﴾: قد: للتوكيد، والتحقيق.

﴿ءَاتَيْنِي﴾: من الإيتاء: وهو العطاء مع إمكانية استرداد الشيء المعطى.
ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة؛ لمعرفة الفرق بينهما زيادة الياء تدل على العطاء الوافر من النسوة والملك وتأويل الأحاديث.

﴿مِنَ الْمُلْكِ﴾: من: ابتدائية بعضية؛ أي: بعض الملك، وهو مُلك مصر؛
أي: الحكم.

﴿وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: من: للتبعض أيضاً من بعض تأويل
الأحاديث، وليس كل الأحاديث، وهي تعبير الرؤيا، وقد تشمل بعض الآيات،
والأحكام الربانية. والتأويل تعريفه: هو نقل ظاهر اللفظ إلى معنى آخر، أو دلالة
أخرى لسبب من الأسباب، ولم يقل علمتني من تفسير الأحاديث؛ التفسير تعريفه
بشكل عام: هو كشف المراد؛ أي: المعنى، أو كشف المفردات الغير واضحة.

﴿فَاطَرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فيها معنى الخلق؛ أي: الشق؛ أي: شق عنه
فظهر، أو الفتق كالتنا رتقاً ففتقناهما؛ أي: إظهار الخلق للوجود، أو الإظهار
بالإخراج إلى الوجود، والشق: التفطر؛ مثل: تَفَطَّرَ الشَّجَرُ إِذَا تَشَقَّقَ بِالْوَرَقِ،
وفطر الله الخلق؛ أي: أظهرهم بإيجاده إياهم.

﴿أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: الولي: المعين، والناصر، والحفيظ،
والمتولي أمري؛ أي: المنعم عليّ فلا أحتاج إلى أحد غيرك في الدنيا والآخرة.

﴿تَوْفَنِي مُسْلِمًا﴾: مسلماً موحّداً، ومخلصاً على دين الإسلام؛ بعيداً عن
الشرك، وعلى أعلى درجات الإيمان.



﴿وَالْحَقِّقِي بِالصَّالِحِينَ﴾: من الأنبياء، وغيرهم من الصالحين، الصديقين، والشهداء؛ أي: اجعلني في زمرة الصالحين. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٠)؛ لمزيد من البيان.

[١٠٢] ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة، واللام: للبعد، وذلك هنا تفيد القلة، وتستعمل تلك لكثرة الأنباء أو تعدد القصص، وذلك لقلة الأنباء، أو القصص، ففي سورة يوسف ذكرت قصة يوسف فقط، وأما في سورة هود مثلاً ذكرت قصص كثيرة: قصة نوح، وعاد، وثمود، وإبراهيم، ولوط، وفرعون، ولذلك قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ [هود: ٤٩].

﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾: من: ابتدائية؛ تفيد التبويض؛ أي: بعض أنباء الغيب (أنباء) الأخبار المهمة العظيمة المتعلقة بيوسف، ويعقوب.

﴿الْغَيْبِ﴾: ما غاب عن العباد، واستتر.

﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: نخبرك به عن طريق الوحي، والوحي: هو إعلام بالخفاء؛ أي: ذلك من أنباء الغيب؛ لأنك لم تحضر بني يعقوب. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لمعرفة معنى الوحي.

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾: أي: حاضراً معهم؛ أي: مع إخوة يوسف.

﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾: إذ: ظرفية للزمن الماضي؛ بمعنى: حين.

﴿أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾: اتفقوا على أن يلقوا يوسف في غيابة الجب.



﴿وَهُمْ يَكْذِبُونَ﴾: هم: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد.

﴿يَكْذِبُونَ﴾: يدبّرون بالخفاء حيلة التّخلص منه، والمكر به. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٩٩)؛ لمعرفة معنى المكر.

[١٠٣] ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾: ما: النّافية.

﴿أَكْثَرُ﴾: أي: غالبية الناس.

﴿وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: لو: شرطية.

﴿حَرَصْتَ﴾: على هدايتهم، أو رغبت، أو طمعت. وقيل: الحرص: أشد الطمع؛ الخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ.

﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: الباء: للإلصاق؛ بمؤمنين بالله؛ إيمان عقيدة، وتوحيد.





سُورَةُ النُّورِ ١٢

الْبَيْتُ الثَّالِثُ عَشَرُ

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا
وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُوْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا
وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ
أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ
سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ
اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ
إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ
نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ
﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ
حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

سورة يوسف [آيات ١٠٤ - ١١١]

[١٠٤] ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة؛ ما: النافية.

﴿تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾: من أجر: من: استغراقية؛ تفيد التوكيد؛ استغراق النفي لأخذ أي أجر.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾: إن: حرف نفي أشد نفياً من: ما؛ أي: ما هو إلا ذكرٌ للعالمين.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء بعد النفي؛ تعني الحصر؛ أي: حصراً، وقصراً هو ذكرٌ للعالمين؛ أي: القرآن هو ذكر؛ لأنه يُذكرُ كلُّ مؤمن بالله تعالى، ويمنع من الغفلة، والعزوب؛ أي: النسيان.

وإذا قارنا هذه الآية مع آية الأنعام (٩٠): ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.

ذكر: فيه معنى الشرف، والرفعة.

وذكرى: من تذكر.

ذكر: أقوى من ذكرى؛ فذكر: جاء في سياق آيات يوسف التي جاءت في سياق الدعوة، والتبليغ، والهداية؛ حيث يقول الحق: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾.



وإذا قارنا هذه الآية (١٠٤): ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾، والآية (٩٠) من سورة الأنعام: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾: نجد أن قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾: أكد وأبلغ في النفي من قوله: ﴿عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

[١٠٥] ﴿وَكَأَنِّ مِنْ ءَايَةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾: مركبة من كاف التشبيه، وأيّ المنونة، وصارت كلمة واحدة؛ بمعنى: كم: الخبرة المفيدة للكثير، ولمقارنة كأين، ويكأن: ارجع إلى سورة الحج، آية (٤٥).

﴿مِنْ ءَايَةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾: من: ابتدائية، أو التبعية، آية كونية تدل على وحدانية الله، وأنه هو الخالق؛ كالجبال، والأنهار، والبحار، والشمس، والقمر، والكواكب، والنجوم.

﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾: يشاهدونها.

﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾: صيغة المضارع؛ لتدل على التجدد، والتكرار؛ للمرور. هم: ضمير منفصل يفيد التوكيد.

﴿مُعْرِضُونَ﴾: صفة اسمية تدل على ثبوت إعراضهم، واستمرارهم عليه.

﴿مُعْرِضُونَ﴾: لا يتعظون بها، ولا يفكرون بها، ولا ينتفعون بها، ولا تهديهم إلى الخالق، وكيف يمرون على آية في السموات والأرض قد يكون بوسائل النقل الحديثة؛ مثل: المركبات الفضائية، والطائرات، والسيارات... وغيرها؛ يمرّون عليها في أسفارهم، وتنقلهم من مكان إلى آخر أو يشاهدونها.



[١٠٦] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة؛ ما: حرف نفي.

﴿يُؤْمِنُ﴾: أي: ما يقرُّ، ويصدق بعبادة الله إلا هو مشرك في نفس الوقت.

﴿أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾: أكثرهم: أهل مكة، وغيرهم.

﴿بِاللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾: إلا: تفيد الحصر.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿مُشْرِكُونَ﴾: جمع مشرك: مشركون جملة اسمية تدل على ثبوت الشرك

فيهم؛ سواء أكان باتخاذ الآلهة، أو الولد، أو البنت، أو الشريك، أو الند، والمثيل، والطاغوت.

[١٠٧] ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا

يَشْعُرُونَ﴾:

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾: الهمزة: للاستفهام، والإنكار، والتعجب.

﴿أَنْ﴾: مصدرية؛ للتعليل، والتوكيد؛ تأتيهم.

﴿غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾: عقوبة، صاعقة، قارعة، صيحة، زلزلة؛ سُمِّيت

غاشية: لأنها تعمُّ، وتغطِّي الجميع؛ تغشاهم: تصيبهم، تشملهم جميعاً من عذاب

الله.



﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أو: للتخيير، هذه أو تلك تأتِيهم السَّاعة بغتة؛ أي: فجأة، والسَّاعة تعني: ساعة تهدم النظام الكوني الحالي.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: تأكيد لبغته بوقت إتيانها، أو قيامها.

[١٠٨] ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿قُلْ هَذِهِ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ: هذه: الهاء للتنبيه؛ ذه: اسم إشارة للقرب.

﴿سَبِيلِي﴾: سنتي، وشريعتي، صراطي، منهجي.

﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾: أدعو إلى الإيمان بالله، والإسلام، والتوحيد، ولا إله إلا الله.

﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾: على: نفيد العلو، والمشقة.

﴿بَصِيرَةٍ﴾: حُجَّة بالغة واضحة، ويقين.

﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ﴾: أنا: للتوكيد.

﴿وَمَنِ﴾: ابتدائية استغرافية.

﴿اتَّبَعْتُ﴾: آمن بالله، وصدَّق بي، وبرسالتي، أو سنتي؛ أي: أنا ومن اتبعني على حُجَّة بالغة واضحة ندعو بها إلى دين الله.

في هذه الآية (١٠٨) من سورة يوسف: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى

بَصِيرَةً أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴿٢٠﴾ وفي الآية (٢٠) من سورة آل عمران: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾.

ما هو الفرق بين اتبعن، واتبعني؟

اتبعن: هؤلاء قلة من الاتباع الذين أسلموا وجوههم لله من المسلمين.

اتبعني: هؤلاء الدعاة إلى الإسلام، والتوحيد، وهم كثرة يدعون على بصيرة، وعلم، مقارنة بالذين أسلموا وجوههم لله، ولذلك أضاف لهم الياء زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

في سورة الأنعام، الآية (١٥٣): ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

في سورة يوسف الآية (١٠٨): ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

في سورة النساء، الآية (١١٥): ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِيَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

فقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾: أي: دين الله الإسلام هو ديني.

وقوله تعالى: ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾: أي: سنتي، سنة الله؛ هذه سنتي.

وقوله تعالى: ﴿سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: سنة الإجماع؛ هذا سبيل المؤمنين.

﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾: وأنزه الله تعالى من كل عيب، ونقص، وشريك، وندٍّ،



ومثيل، وولد، وبنت في ذاته، وأسمائه، وصفاته. ارجع إلى سورة الإسراء، آية (١)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ : ما: النافية.

﴿أَنَا﴾ : ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿مِنْ﴾ : ابتدائية.

﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ : وأنا بريء من جميع المشركين.

[١٠٩] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

هذا ردٌّ على قولهم؛ لأنهم كانوا يقولون: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾

[فصلت: ١٤].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ : ما: النافية.

﴿أَرْسَلْنَا﴾ : ولم يقل : بعثنا. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة.

﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ : من: ابتدائية؛ أي: ابتداء الغاية في الزمن الذي سبق قدومك؛ أي: قبلك مباشرة بدون فاصل زمني مقارنة بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ [الأنبياء: ٧]؛ قبلك: تحتمل الزمن القريب أو البعيد.

﴿إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ﴾ : إلا: حصراً.

﴿رِجَالًا﴾ : وليس فيهم امرأة.



﴿تُوحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾: بالوحي، وهو الإعلام بالخفاء بإرسال رسول، أو الإلهام، أو التكلیم من وراء حجاب. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾: أي: ليس من أهل البوادي، والأعراب.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: أفلم: الهمزة: للاستفهام، والفاء: للتوكيد، لم: النافية، وفاء السببية مقارنة بالواو كقوله أولم يسيروا الواو: لمطلق الجمع.

﴿فَيَنْظُرُوا﴾: الفاء: تدل على الترتيب، والتعقيب.

﴿كَيْفَ كَانَتْ﴾: كيف: للاستفهام، والتحذير.

﴿كَانَتْ عَاقِبَةُ﴾: حين يذكر العاقبة ويقول كان عاقبة؛ يعني: العذاب؛ أي: كيف كان عذاب الذين من قبلهم، وحين يؤنث العاقبة فيقول كيف كانت عاقبة؛ تعني: الجنة؛ من خصائص القرآن.

﴿عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من: ابتدائية.

﴿عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من زمن قريب، وفيها تهديد، ووعد أكبر مقارنة بقوله: قبلهم؛ أي: تعني إهلاك الأقوام التي جاءت قبلهم منذ زمن قريب؛ فيه تهديد أكبر من إهلاك البعيد، ويأتي بحرف من.

﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾: الجنة، واللام: لام الاختصاص.

﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: خير من الدنيا.

﴿لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: أدوا أوامر الله، وتجنبوا نواهيه، واللام: لام الاختصاص.



﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري، وتوبيخ على عدم التعقل (الفهم)، وتعجب من ترك التفكير، وألا: أداة تنبيه، وحض، وتحمل معنى الأمر. ﴿تَعْقِلُونَ﴾: أن تفهمون ما يتلى عليكم، وما توعدون به، والخطاب موجه إلى المشركين، والمكذبين بآيات الله.

[١١٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَاءٍ وَلَا يَرُدُّ بِأُسْنَاعِنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾:

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾: حتى: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: ظرف زمان للمستقبل.

﴿اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾: من يأس، واستيسس: فيها مبالغة وشدة في اليأس على وزن استفعل، ولكن لم يصل إلى درجة انقطاع الأمل كاملاً من عدم إيمان أقوامهم، وتصديقهم لهم، وتسرب اليأس إليهم، ولكن الأمل لم ينقطع، ولا زالوا عندهم أمل؛ فالؤمن سواء أكان رسولاً، أم غيره لا ينقطع أمله أبداً، وما يتسرب إليهم من اليأس أمر عارض مؤقت؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِشُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

أما لو قال: حتى إذا يئس الرسل: فهذا يدل على انقطاع الأمل كاملاً، وهذا غير معقول أن يحدث من أي رسول بعثه الله، أو اختاره لرسالة.

﴿وَقَنُوءُ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾: لأن نصر الله لم يأتهم بالسرعة التي أرادوها؛ مما أدى إلى تسرب اليأس إلى قلوبهم وظنوا لن يؤمن بهم أحد، أو خافوا أن

يكذبهم الغير، أو ظنَّ الأتباع، والقوم أنَّ الله ليس مع هذا الرَّسول، ولم يؤيِّده، وفرحوا بذلك.

﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾: فنجي: الفاء: تدلُّ على التَّرتيب، والمباشرة.

﴿مَنْ﴾: استغراقية؛ تشمل كلَّ الرسل الذين آمنوا.

﴿فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾: عند نزول العذاب؛ فنجي من نشاء؛ أي: كلَّ الرسل، والذين آمنوا.

﴿وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾: لا: النافية.

﴿وَرُدُّ بَأْسُنَا﴾: عذابنا لا يردُّ: لا يستطيع أحد أن يمنع وقوع عذابنا، أو دفعه، أو تحويله، أو تغييره.

﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾: المجرمين: الكافرين، المشركين، والعاصين الذين لم يتوبوا، وأصبحت صفة الإجرام عندهم ثابتة. ارجع إلى سورة هود، آية (١١٦)؛ لمزيد في معنى: المجرمين، وسورة الجاثية آية (٣١).

[١١١] ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ﴾: اللام: لام التوكيد؛ قد: للتحقيق.

﴿كَانَتْ فِي﴾: ظرفية.



﴿قَصَصِهِمْ﴾: من القصص: قَصَّ تَبَعَ الأثر بلا زيادة، أو نقصان. ارجع إلى الآية (٣) من نفس السورة.

﴿عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: عبرة: مشتقة من عبور النهر، الانتقال من شاطئ إلى شاطئ؛ أي: تذكرة وعظة، أو الدلالة التي يعبر بها من منزلة الجهل إلى منزلة العلم.

﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: الصّفوة من المؤمنين ذوي العقول النيرة.
﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾: ما: النّافية لكلّ الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ ما كان القرآن حديثاً يُفترى: الحديث هو الخبر قليله وكثيره؛ القرآن ليس أخبار كاذبة مختلقة.

﴿وَلَكِنْ تَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: ولكن: حرف استدراك، وتوكيد.
﴿تَصَدِّقُ﴾: تصديقاً مؤيداً مطابقاً لكلّ ما جاء في الكتب السماوية السابقة من الأصول الصحيحة.

﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: تفصيلاً لكلّ ما يحتاجه البشر من الشرائع، والأحكام، وأمور الدّين، والحلال، والحرام، والأمر، والنّهي في حياتهم الدنيا ومعيشتهم.

﴿وَهُدًى﴾: مصدر هداية، أو هو الهدى، والهادي للحق، والصّراط المستقيم.



﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: رحمةً يجلب لهم ما يسرُّ، ويدفع عنهم ما يضرُّ،
وعلاجاً لمن وقع في المعصية، والوقاية من الشرِّ، أو الوقوع في المعصية.
﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: السلام: لام الاختصاص؛ يستفيد منه القوم المؤمنون
خاصّة.



سُورَةُ الرَّعْدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرْ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأُمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صُنُوفٌ وَغَيْرُ صُنُوفٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءَاكُنَّا تُرَابًا إِنْ نَالْنَاهُ خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾

سورة الرعد [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (١٣)، وفي النزول (٩٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْمَرْءَ تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿المرء﴾: ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة.

﴿تِلْكَ ءَايَتُ﴾: تلك: اسم إشارة؛ يشير إلى علو منزلة الكتاب، والآيات الآتية، أو التي سبقتها، أو الكل، وتفيد الكثرة.

﴿الْكِتَابِ﴾: أي: القرآن، وسمي الكتاب؛ لأنه مكتوب في الأسطر. ارجع إلى الآية (٢) من سورة البقرة، وأل التعريف: تفيد التّعظيم، وتعني: الكتاب التّام.

﴿وَالَّذِي﴾: اسم موصول، ويعني: الكتاب.

﴿أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾: أنزل إليك دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ليلة القدر.

﴿إِلَيْكَ﴾: ولم يقل عليك، ارجع إلى سورة البقرة، الآية (٤)؛ للبيان.

﴿مِنْ﴾: من: ابتدائية.

﴿رَبِّكَ الْحَقُّ﴾: أي: الخالق، المربي، المدبر، المحيي، المميت، الرزاق؛



أي: القرآن، والحق: هو الشيء الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل؛ أي: القرآن المحفوظ من التحريف، والتبديل.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾: هو عطف العام على الخاص (وهو الآيات).

ولا ننسى نهاية سورة يوسف آية (١١١) كيف وصف القرآن بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

خمس صفات للقرآن، وبدأ سورة الرعد بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ أضاف إلى الخمس صفات صفة أخرى: أنه الحق. ﴿وَلَكِنَّ﴾: لكن: حرف استدراك.

﴿أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يؤمنون بالله تعالى، ولا بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

ولو نظرنا إلى ترتيب النزول؛ فقد نزلت سورة يوسف قبل سورة الرعد (انظر في ترتيب النزول)؛ ففي نهاية سورة يوسف قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، وبداية سورة الرعد: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ انظر التشابه بين نهاية سورة يوسف مع بداية سورة الرعد.

[٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَائِ رَبِّكُمْ تُوَفَّقُونَ﴾:

وكيف لا يؤمنون بالذي أنزل إليك الحق؟! والذي رفع السموات بغير عمد، والذي سخر الشمس، والقمر، والذي يدبر الأمر، والذي مد الأرض،



وجعل فيها رواسي، وأنهاراً، ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين، ويغشي الليل النهار، ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِكَرْسِيُّ رَبِّكَ يُؤْتِي الْحِكْمَ مَنْ شَاءَ وَهُوَ يَعْلَمُ الْغُيُوبَ﴾ [الباقية: ٦].

﴿اللَّهُ الَّذِي﴾: الله: اسم علم على واجب الوجود، يتضمن كل أسمائه الحسنی، وصفاته العلی.

﴿رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: أي: مرفوعة بأعمدة؛ حقيقة قوية جداً؛ نحن لا نراها؛ أي: رفع السموات بعمد، نحن لا نراها بالعيون؛ لكونها خفية. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٠) من سورة لقمان وهي قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾؛ أي: سبحانه خلقها أولاً، ثم رفعها بعد أن خلقها.

﴿عَمَدٍ﴾: جمع: عماد، ومفرد لها: عامود، وهذه الآية كأنها تنمى للآية (١٠٥) من سورة يوسف: ﴿وَكَأَنَّمِنْ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾، وفي هذه الآية: رفع السموات بغير عمد ترونها. ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: كلام إخباري.

﴿تَرَوْنَهَا﴾: الهاء: تعود إلى العمدة؛ فهو سبحانه رفع السموات بعمد، وهذه العمدة مختلفة لا نراها، وتمثل القوى الأربع، وهي:

١ - القوة النووية الشديدة أقوى القوى.

٢ - القوة النووية الضعيفة.

٣ - القوة الكهربائية المغناطيسية (الكهرومغناطيسية).

٤ - قوة الجاذبية، وهي أضعف القوى المعروفة.

ويجب أن نفرق بين قوة الجاذبية (قوة الجذب للمادة الداخلة في تركيب



جسم ما (موجات الجاذبية الداخلية) التي تتبادل الجذب مع جسم آخر (موجات الجاذبية الخارجية).

فهناك قانونان كقانون الجاذبية: الذي يشد، أو يربط النجم الأصغر إلى الأكبر، وقانون الطرد المركزي: الذي يدفع الجرم الأصغر من الأكبر، وعندما تتساوى قوى الطرد المركزي مع قوى الجاذبية: تتحدد المسافة بينهما، وتظل ثابتة إلا بأمر من الله تعالى.

﴿السَّمَوَاتِ﴾: تعني: السَّمَوَات السَّبع، وكلمة السَّماء: اسم جنس يشمل السَّمَوَات السَّبع؛ تضم السَّمَوَات، وهذه القوى الجاذبية المختلفة بين المجرات، والكواكب، والنجوم، والشموس تبقى ثابتة لا تتغير رغم كونها مختلفة؛ فالكون يبقى مستقرًا بفضل هذه القوى، ولا ينحرف، وهو بناء دقيق متماسك، وليس فراغًا، كما كان يُظن قديمًا.

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾: ارجع إلى الآية (٣) من سورة يونس.

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: سخر الله الشمس، والقمر سخرها حين خلقها، ودائمًا في القرآن يقول: سخر بالفعل الماضي؛ لأنَّ التَّسخير، تمَّ سابقًا في مرة واحدة.

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: تعني: ذلل الشمس والقمر؛ ليؤديا مهمتهما، ولا اختيار لهما؛ فالشمس، والقمر كلٌّ في فلك يسبحون في المجرة الشمسية، فهذه المخلوقات خُيرت من قبل فاخترت أن تكون مسخرة، وعندما يقول: سخر لكم، يأتي ذلك في سياق تعداد النعم، وعندما لا يذكر: لكم، تكون في سياق الكلام عن مطلق قدرة الله تعالى.

﴿كُلٌّ يَجْرِي﴾: كلٌّ من الشمس، والقمر. فالشمس تجري حول مركز

المجرة، وتجري بحركة مدارية، وتجري في الفضاء نحو نجم النسر، والقمر يجري حول الأرض وحول محوره.

﴿يَجْرِي﴾: مشتقة من جري الحصان، أو تجري كجري الأمواج صعوداً، وهبوطاً؛ أي: بشكل متعرج؛ تجري لمستقر لها: فسره العلماء قديماً: هو تحت عرش الرحمن.

والتفسير العلمي: تجري إلى ما يسمّى نقطة القمة الشمسية؛ تجري بزاوية تميل (١٠ درجات) جنوب غرب نجم النسر، والشمس، والقمر، والأرض، والكواكب، والنجوم: الكلّ يجري في المجرة، فالشمس تتم دورة كاملة حول مركز المجرة في (٢٥٠ مليون سنة)، وتتم هزة كاملة من الأعلى إلى الأسفل في (٦٠ مليون سنة).

﴿لَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: لأجلٍ: اللام: تفيد الانتهاء والاختصاص، أو بيان العلة (التعليل) يجري لبلوغ النهاية، والأجل المضروب للشمس والقمر وهو يوم القيامة هذا يدل على أنّ التسخير سوف ينتهي، وينقطع، والتسخير الحاصل من النعم الدائمة علينا، والأجل: هو يوم القيامة، عندها تكون الشمس قد استنفدت وقودها، ولم تعد مشتعلة، وتسكن، وتخمد، وتنطفئ؛ أي: تفقد إشعاعها، وتصبح بلا ضوء، وعندها ينطبق عليها قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.

أمّا قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَجْرِى إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أي: تجري الآن إلى يوم القيامة؛ حتّى تنقضي مدة أجلها، والأجل: الوقت المضروب لانقضاء الشيء الذي حدده لها ربنا، وعندها تبدل الأرض غير الأرض والسموات. ارجع إلى سورة لقمان، الآية (٢٩)؛ لمزيد من البيان.

﴿يَذَرُّ الْأَمْرَ﴾: أي: يصرف أمر ملكوته، وكونه، وخلقه كيف يشاء.



﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: أي: يأتي بالآيات بأساليب متعددة، ومواضيع مختلفة.

﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾: لعلكم: لعل: للتعليل؛ بالنظر في هذه الآيات الكونية الدالة على عظمة الخالق، وقدرته، وكونها مسخرة من أجلكم.

﴿بِلِقَاءِ﴾: الباء: للإلصاق، والاهتمام.

﴿تُوقِنُونَ﴾: اليقين: هو العلم بالحق، والعلم بأن ليس هناك غيره؛ توقنون بكمال قدرته على البعث، والحساب يوم القيامة؛ توقنون: من اليقين ومحله في القلب، واليقين درجات:

١ - علم اليقين.

٢ - عين اليقين.

٣ - حق اليقين؛ أعلاها حق اليقين. ارجع إلى سورة التكاثر، آية (٥).

[٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد الحصر؛ تعود على الله سبحانه.

﴿الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾: مد: بسط طولاً وعرضاً؛ أي: مد قشرة الأرض؛ فالأرض كانت مغمورة بالماء كاملاً، ولم تكن هناك يابسة، ثم فجر الله قاع هذه الأرض بالبراكين التي ألقت بحممها تدريجياً حتى ظهرت فوق الماء بشكل جزر تسمى الحافة في وسط المحيط، وبدأت هذه الجزر تتمدد لتشكيل القارة الأم التي تفتت بشبكة من الصدوع إلى قارات، ثم بدأت القارات تتباعد حتى وصلت إلى أماكنها الحالية.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: أي: أرسى الجبال في الأرض.

﴿رَوَّاسِي﴾: لا تعني فقط الجبال، بل الصّفائح القارية تحت المحيطات، والطبقات المركزية المكونة للأرض، والمركبة من الحديد، والنّحاس؛ فالرّواسي: تشمل الجبال البارزة فوق سطح الأرض، وتحت سطح الأرض المنغمسة في القشرة الأرضية الصّلبة، وما تحت البحار، والمحيطات، هذا التّوزيع للرّواسي على الأرض؛ حتّى لا تמיד؛ أي: لا تضطرب، أو تميل، وتبقى في حركة ثابتة ودائمة حول نفسها، وحول الشّمس. ارجع إلى سورة النحل، آية (١٥).

﴿وَأَنْهَرًا﴾: يرتبط تكوّن الجبال بتكوّن الأنهار عادة؛ لأنّ الجبال تصد الرياح الحاملة لبخار الماء؛ مما يؤدي إلى تشكّل السحب الركامية، ونزول المطر الذي يسيل إلى أسفل الجبال، ويساعد على تشكّل الأنهار. ارجع إلى سورة إبراهيم، آية (٣٢).

﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: كلمة «زوج» مفرد، والزوجان هما الذّكر والأنثى، والزّوج؛ أي: المثل، وجعل أي خلق من كل شيء من النبات، والثمرات، والإنسان، والحيوان، وكل مخلوق زوجين؛ ليبقى وحده سبحانه منفرداً بالوحدانية.

﴿اثْنَيْنِ﴾: للتوكيد.

﴿يُعْشَىٰ أَيْلَ النَّهَارِ﴾: يغطي الليل النّهار؛ أي: طبقة الظّلام تغطي طبقة النّهار (الطبقة الغازية) التي تضيء حين تصل إليها أشعة الشّمس حين تدور الأرض حول نفسها في كلّ (٢٤ ساعة) مرة. ارجع إلى سورة يونس، آية (٦٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾: إنّ: للتوكيد.



﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد.

﴿لَا يَتَّ﴾: اللام: للتوكيد؛ آيات: كونية عظيمة لقوم يتفكرون.

﴿لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: لقوم: اللام: لام الاختصاص.

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: من التفكر، وهو النظر في الدلائل الدالة على وجود الخالق، والدالة على عظمته، وقدرته، ووحدانيته، وأنه الإله الحق الذي يجب أن يُعبد، ويقدس.

[٤] ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَةٌ وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِيدٍ وَنُقُضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَةٌ﴾: أي: في قشرة الأرض.

﴿قِطْعٌ﴾: بقاع مختلفة من التربة. متجاورة: متلاصقة؛ تركيب هذه التربة مختلفة؛ منها: ما يصلح للزراعة، ومنها: ما لا يصلح (أجذب)، والخصوبة تختلف من موقع إلى آخر، ومن أرض إلى أرض؛ فهناك تربة حمراء، وتربة سوداء، وتربة رملية.

فقد بدأت قشرة الأرض بصخور تسمى الصخور النارية التي تكونت عن طريق تبرد صهارة مندفعة من داخل الأرض بدرجات حرارة عالية جداً، ثم تعرضت هذه الصخور لعوامل التعرية كالمطر، والرياح، واختلاف درجات الحرارة، وعمل الكائنات الحية كل ذلك أدّى إلى تفتت الصخور النارية، وتشكلت منها الصخور الرسوبية عن طريق ترسب التربة، ثم بعض الصخور النارية والرسوبية انطمرت في أعماق الأرض؛ فكونت صخوراً متحولة ملتحمة

بقوة شديدة؛ فهذه الأنواع الثلاثة كونت قشرة الأرض؛ فكلمة قطع متجاورات إشارة إلى تباين القشرة الأرضية المكونة من صخور متباينة في صفاتها المعدنية، والطبيعية، والكيميائية.

﴿وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَبٍ﴾: جمع جنة، والجنة: هي كالبلستان الكثيف بالشجر، والثمر.

﴿وَزَرْعٌ﴾: الحب، القمح، والرز، والشعير.

﴿وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعِزْرٌ صِنَوَانٍ﴾: صنوان: صفة للنخيل؛ صنوان تشير إلى المثني، والجمع. الصنو: الفرع الذي يجمعه مع فرع آخر أصل واحد؛ أي: تخرج نخلتان، أو ثلاث من أصل واحد، أو نخلة لها رأسان، أو أكثر، وقد نرى أربعاً أو خمساً من أصل واحد.

وصنو الشيء؛ أي: نظيره، أو مثيله، أو شجرة لها فرعان كل فرع صنو للفرع الآخر، ومن شجرة واحدة تخرج ثمار مختلفة الألوان، والطعوم التي تشير إلى تباين تربة، وصخور الأرض من مكان إلى مكان آخر.

﴿وَعِزْرٌ صِنَوَانٍ﴾: أي: من أصول مختلفة، وصنوان: من أصل واحد.

﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾: أي: رغم أنه يسقى بماء واحد نجدها مختلفة في الثمر، واللون، والطعم.

﴿وَنُفِضَ لِّبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾: مثل: أنواع التمر المختلفة في الجودة، والطعم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (٣).

﴿يَعْقِلُونَ﴾: من: عقل الشيء؛ عرفه بدليله، وفهمه بأسبابه، ونتائجه؛



أي: لا يفهم هذه الآيات إلا من درس وفهم هذه الحقائق بأن الله سبحانه وتعالى أعطى لكل بذرة نباتية القدرة على أن تختار أثناء نموها ما يناسبها من عناصر، ومركبات الأرض؛ لتخرج ثمار مختلفة اللون، والطعم.

[٥] ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ نَأْتِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو: استئنافية؛ إن: شرطية تفيد الشك، والندرة بالعجب من تكذيب هؤلاء.

﴿تَعَجَّبَ﴾: الخطاب موجه إلى النبي ﷺ، وبالتالي إلى أمته، تعجب من تكذيب هؤلاء المشركين، أو القول بأنك ساحر، أو كذاب، أو مجنون، أو غيرها. ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾: أي: فأعجب من ذلك قولهم: إذا كنا تراباً أنا لنفي خلق جديد؟! أي: هم لا ينكرون أن يموتوا، ويتحولوا إلى تراب، وإنما العجب إنكارهم للبعث، والحساب.

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ نَأْتِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: والرسول ﷺ شرح لنا ذلك في حديث؛ قال ﷺ: «كل ابن آدم يبلو إلا عظماً واحداً هو عجب الذنب منه خلق، ومنه يركب يوم القيامة»؛ فقد تبين من الطب: أن الأكتودرم في الجنين تشكل كثيراً من الأجهزة، وبعد ذلك تنسحب إلى نهاية العمود الفقري بعد أن تشكل العمود الفقري، وتلتحم آخر (٣) فقرات، وتشكل عظم عجب الذنب (العصعص)؛ فهو لا يبلو أبداً، وقبل النفخة - نفخة البعث - ينزل الله سبحانه ماءً من السماء؛ فينبتون كما ينبت البقل. ارجع إلى سورة الروم، آية (١٩).

ولمعرفة الفرق بين عجب، عجيب، عَجَاب: ارجع إلى سورة ق، آية (٢).



﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، وتعجب، واستعمال إذا ظرفية زمانية للمستقبل، وتدل على حتمية حدوث الموت، وانقلابهم إلى تراب.
 ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: إنا: استفهام إنكاري مشوب بالتعجب، والتنفي.
 ﴿لَفِي﴾: اللام: لام التوكيد.

﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: بعد البعث، والموت، والجديد: يدل على أنه كان موجوداً قديماً، ثم تجدد؛ أي: خلقوا من جديد بعد موتهم، بينما الشيء المحدث: هو الشيء الذي لم يكن سابقاً؛ أي: موجوداً ثم وجد.
 ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾: اسم إشارة، واللام: لام البعد. يشير إلى بعد انحطاطهم.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾: جحدوا بربههم وأنكروا وجوده ونعمه، والباء: للإلصاق.

﴿وَأُولَئِكَ﴾: انظر في «أولئك» الأولى، وتكرار أولئك؛ للتوكيد اللفظي، وفصل الأغلال عن النار.

﴿الْأَغْلَالُ فِيْ أَغْنَاقِهِمْ﴾: الأغلال: جمع غل، وهو القيد من حديد تشد به اليدان إلى العنق؛ فلا يستطيعون الالتفات يمنة، أو يسرة في النار.

﴿وَأُولَئِكَ﴾: انظر: في «أولئك» السابقة.

﴿أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: انظر: في الآية (٣٦) من سورة الأعراف؛

للبيان.





سُورَةُ الرَّعَدِ ١٣

الجزء الثامن عشر

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ
قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالْوَلَا
أَنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ
﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ
وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَرَ
الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ
بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ
وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ
وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾



سورة الرعد [الآيات ٦ - ١٣]

[٦] ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر إنكارهم للبعث، وتكذيبهم للحساب، والجزاء؛ يذكر صفة أخرى لهم هي: استعجالهم بالعذاب؛ فيقول:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: الاستعجال: أن تطلب الشيء قبل حلول، أو مجيء زمنه، ولكل غاية زمن فإذا حاولت أن تصل إليها قبل زمنها؛ فهذا استعجال.

﴿بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد، والسيئة هنا: العقوبة، والعذاب، وتعريفها: كل ما يسيء للنفس بشكل عام؛ فهم يستعجلون بالعذاب؛ أي: أن ينزل عليهم؛ لأنهم ينكرون وقوعه، ولا يؤمنون بالبعث، ولا بالعذاب في الآخرة، ولا بالرسول، ولا بجنة، ولا بنار، أو أي: إنذار.

﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: إن أي إنسان عاقل يستعجل للحصول على الحسنة أولاً؛ فهم؛ لفساد عقولهم، وعدم إيمانهم عكسوا الآية؛ فطلبوا السيئة قبل الحسنة. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٠١)؛ لمزيد من البيان في معنى الحسنة.

﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ﴾: خلت: مضت وسبقت.



﴿الْمُثَلَّثُ﴾: العقوبات، جمع مُثْلَة: وهي العقوبة الفاضحة التي تنزل بالإنسان بسبب جريمته؛ سميت مُثْلَة: لكون العقاب يماثل الجريمة، أو العقاب على قدر الجريمة، أو سميت مُثْلَة؛ لأنَّ صاحب الجريمة بعد عقوبته يصبح عبرة لغيره، فيرتدع الغير به؛ أي: مضت عقوبات أمثالهم من المكذبين، فلماذا لم يرتدعوا ويعتبروا، ويخافوا؟

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾: وإنَّ: للتوكيد.

﴿رَبَّكَ لَذُو﴾: لذو: اللام: للتوكيد، والتعليل.

﴿مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ﴾: أي: مالك المغفرة، أو القادر على أن يغفر أو لا يغفر؛ أي: يستر ذنوبهم، ولا يعاقبهم عليها؛ يغفر لهم، ويشيهم على حسناتهم رغم ظلمهم إذا تابوا وأنابوا إليه. وإذا قارنا لذو مغفرة مع قوله تعالى ﴿هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفْرِ﴾ [المدثر: ٥٦] تعني: المستحق لأن يكون صاحب المغفرة.

﴿عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾: جاء بعلی: للاستعلاء؛ أي: أن ظلمهم يقتضي العقوبة، ولكن رحمة الله ومغفرته بهم أنه يؤخر عنهم العذاب؛ لعلمهم يتوبوا وينيبوا إليه.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: إنَّ: للتوكيد.

﴿لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: لشديد: اللام: للتوكيد؛ لشديد العقاب: كما هو لذو مغفرة. ولمعرفة معنى العقاب: ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٩٦).

[٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّ مَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾: لولا: أداة حض، وجاء بالفعل المضارع بدلاً من قالوا؛ ليدل على تكرار قولهم، وتجده؛ فهم لم يكفوا عن مثل هذا السؤال بعد.



﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾: أي: معجزة للدلالة على نبوته ﷺ، وصدق ما يُخبر به. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٧) من نفس السورة وقالوا: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾: لا يعني هذا تكرار للآية، وإنما هناك اختلاف فالآية (٧) يطلبون آية تدل على نبوة الرسول ﷺ، وأما الآية (٢٧) هم يطلبون؛ أي: آية تهديهم وتدلهم إلى الهداية الخاصة؛ هداية قلوبهم، ولذلك جاء الرد: ﴿قُلْ إِن كُنتُم تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيُغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. والله يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٨﴾.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾: ليكن هذا هو الرد على طلبهم.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد الحصر، والتوكيد. أنت فقط منذر، والإنذار: هو الإعلام مع التحذير، وهو الإخبار بشيء يجب القيام به، أو الابتعاد عنه؛ أي: أنت منذر، وليس المسؤول عن الإتيان بالآيات، ولم يقل منذر، ومبشر؛ لأن سياق الآيات في الذين كفروا بالبعث، واستعجلوا العذاب؛ فليس هناك ما يبشرهم به.

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: نبي يهديهم إلى الحق، وإلى ربهم، أو لكل قوم هاد، وأنت منذر، وهاد لكل قوم؛ يهدي إلى دين الله، والصراط المستقيم.

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ﴾: السلام: لام الاختصاص، والقوم: الجماعة، أو الأمة، وطلبهم أن يُنزل عليك آية إنما هو للتعجيز، ولو جاءتهم كل آية ما كانوا ليؤمنوا بها، ولطلبوا غيرها.



[٨] ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾:

بعد أن ذكر سبحانه إنكار الذين كفروا للبعث، واستعجالهم بالعذاب، وطلبهم إنزال آية على رسوله ﷺ، يورد سبحانه الأدلة على أن علمه محيط بكل شيء؛ فهو يعلم ما يخفون في أنفسهم مثل إنكار البعث، ويعلم بحالهم، وبما طلبوا من استعجال العذاب، وإنزال آية وغيرها؛ فهو يعلم كل ذلك، ويعلم كذلك:

﴿مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي تحمل كل أنثى، أو مصدرية: ما تحمل كل أنثى ذكراً، أو أنثى، جنيناً واحداً، أو أكثر، وهل الجنين تام النمو، أو مشوه، والأنثى من كل جنس الإنس، والجن، والحيوان، والنبات.

﴿وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ﴾: بالوضع، والإسقاط، والولادة قبل تسعة أشهر، ونقص وزن الجنين.

﴿تَغِيصُ﴾: من غاض؛ أي: نقص؛ أي: تنقص وتحمل سبعة، أو ثمانية أشهر بدلاً من تسعة، أو تسقط، وتشمل كل الأرحام.

﴿وَمَا تَزِدَادُ﴾: بعدد الأجنة، وزيادة وزن الجنين، وما تزداد بالوضع بعد (تسعة أشهر)، وما تحمل كل: بالضم، ولم يقل: كل بالفتح؛ لأن هناك من الإناث غير حامل؛ أي: متزوجة، أو متزوجة وغير حامل، أو في سن اليأس، أو لم تبلغ سن البلوغ، ولو قال: كل: لكان يعني: كل الإناث حوامل.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾: ولم يقل: كل: لو قال: كل: لكان يعني ذلك:



أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ فِي الْكَوْنِ كَانَ بِمَقْدَارٍ، مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ هُنَاكَ أَشْيَاءَ خَلَقَهَا بِغَيْرِ
مَقْدَارٍ، وَالْمَقْدَارُ يَعْنِي: الْكَمُّ؛ مِثْلُ: الْوِزْنِ، وَالْحِجْمِ.

[٩] ﴿عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾:

﴿عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: عَالِمٌ: اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ عِلْمٍ، لَا يَغِيبُ عَنْ عِلْمِهِ
شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، لَا الْعَالَمُ الظَّاهِرَ الْمَشْهُودَ يَغِيبُ عَنْ عِلْمِهِ،
وَلَا الْعَالَمَ الْخَفِيِّ الْمُسْتَتَرَّ عَنْ الْعَيُونِ، وَالْحَوَاسِ، وَالْمَدْرَكَاتِ؛ فَهُوَ أَيْضًا عَلَامُ
الْغُيُوبِ؛ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُهُ كُلُّ مَخْلُوقٍ، وَمَا يَجْرِي فِي كَوْنِهِ.

﴿الْكَبِيرُ﴾: الْعَظِيمُ الشَّانُ؛ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَعْظَمُ، وَأَجْلُ مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ، الَّذِي يَصْغُرُ كُلُّ شَيْءٍ أَمَامَ عَظَمَتِهِ وَكِبَرِيَّائِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ بِالنِّسْبَةِ لَهُ صَغِيرٌ،
وَأَكْبَرُ مِنْ أَنْ تَدْرِكَهُ الْعُقُولُ، وَالْحَوَاسِ.

﴿الْمُتَعَالِ﴾: عُلُوُّ الذَّاتِ، وَالصِّفَاتِ؛ الْمُتَعَالِي عَلَى عَرْشِهِ؛ الْمُسْتَعْلَى عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ بِقُدْرَتِهِ، وَسُلْطَانِهِ، وَعَظَمَتِهِ، وَكِبَرِيَّائِهِ؛ الْمُتَعَالِي عَنِ الْوَلَدِ، وَالشَّرِيكِ،
وَالنَّدَى، وَالنَّظِيرِ؛ عُلُوُّ الْمَكَانَةِ، وَالْقَدْرِ، وَالْقَهْرِ.

[١٠] ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِإِلِيلٍ وَسَارِبٌ
بِالنَّهَارِ﴾:

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ﴾: أَيُّ: عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ؛ يَسْتَوِي عِنْدَهُ سَبْحَانَهُ مِنْ يَسْرُ
بِقَوْلِهِ، أَوْ يَجْهَرُ، أَوْ يَخْتَفِي مِنَ النَّاسِ، أَوْ يَظْهَرُ.

﴿مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾: ابْتِدَائِيَّةٌ اسْتِغْرَاقِيَّةٌ تَشْمَلُ كُلَّ وَاحِدٍ؛ سَوَاءٌ
أَسْرَقَوْلُهُ، وَأَخْفَاهُ، أَوْ جَهَرَ بِهِ وَأَعْلَنَهُ.



﴿وَمَنْ﴾: تكرر للتوكيد.

﴿مُسْتَخَفٍ بِاللَّيْلِ﴾: وراء جدر، أو في ظلام، أو متوار عن أعين الناس.

﴿مُسْتَخَفٍ﴾: اسم فاعل من: استخفى على وزن مستفعل؛ أي: مبالغ في

الاختفاء.

﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾: أي: ذاهبٌ في سره؛ أي: في طريقه، ويراه كل واحد،

أو ظاهر ماشي في ضوء النهار، والباء: ظرفية؛ تعني: في النهار. وتكرر من ثلاث مرات يفيد التوكيد، وفصل كل حالة عن الأخرى.

[١١] ﴿لَهُ، مُعَقِّبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، يُحَفِّظُونَهُ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾:

﴿لَهُ﴾: للإنسان؛ اللام: لام الاختصاص، والهاء: تعود للإنسان.

﴿مُعَقِّبَتٌ﴾: ملائكة يتعاقبون عليه بالليل، والنهار؛ لحراسته، وكتابة

أعماله، وحفظه من المضار، ومراقبة أحواله، والتعقيب: العود بعد البدء، وسميت الملائكة معقبات؛ لأنهم يعودون عليه المرة بعد الأخرى؛ ملائكة في الليل تعقب ملائكة النهار، ويسمون الحفظة، وقيل: اثنان بالنهار، واثنان بالليل. ومعقبات: هذه التاء ليست تاء التأنيث، ولكنها تاء المبالغة، وأصلها: مَلَكٌ معقب.

﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: من أمامه، ومن خلفه؛ أي: يحرسونه من أمامه،

ومن خلفه.

﴿يُحَفِّظُونَهُ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾: يحفظونه: يحرسونه، وقيل: يحفظونه من السوء،

ومن كل ما يضر به؛ أي: يحفظونه بأمر صادر من الله سبحانه، وبإذنه.

﴿مِنْ﴾: للابتداء، وليس كما يظن البعض يحفظونه من قدر الله، وقضائه، حتّى إذا جاء أمر الله، أو قدر الله وقضاؤه، خلّوا بينه وبين أمر الله؛ فهم لا يعارضون أمر الله وقدره.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾: إنّ: للتوكيد؛ لا: النافية للجنس تشمل كلّ الأزمنة.

﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾: من نعمة، وصحة، وأمن، أو من فقر، ومجاعة، وضنك العيش.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: من الكفر، والجحود، والمعاصي، والفساد، أو الإيمان.

﴿وَإِذَا﴾: ظرف للزمن المستقبل متضمن معنى الشرط.

﴿أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾: مثل العذاب، أو البلاء، أو الهلاك، أو صيحة، أو زلزلة، أو خسف.

﴿فَلَا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ لا: نافية للجنس.

﴿مَرَدَلُهُ﴾: أي: لا يرده، أو يمنع وقوعه أي شيء حتّى الملائكة المعقبات وغيرها.

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾: وما: للنفي، وما لهم من دون الله؛ أي: غير الله.

﴿مَنْ﴾: استغراقية تستغرق كلّ وال (ناصر معين حافظ مانع)، وتفيد



التوكيد، ونظير هذه الآية هي قوله تعالى في سورة الأنبياء، الآية (٤٢): ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾؟ الجواب: لا أحد.

[١٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾:

﴿هُوَ الَّذِي﴾: هو: ضمير يفيد التوكيد؛ الذي: اسم موصول.

﴿يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: يريكم: رؤية بصرية.

﴿الْبَرْقَ﴾: الذي ينشأ عن اصطدام السحب الركامية المشحونة بالشحنات الكهربائية الموجبة، والسلبية، وبسبب اختلاف أحجام هذه السحب، وبالتالي محتواها من الشحنات الكهربائية يحدث التفريغ الكهربائي الذي يؤدي إلى تمدد الغلاف الغازي في منطقة التفريغ؛ فتحدث الأصوات الرهيبة للرعَد نتيجة تغيرات الضغط، والتَّمَدُّد، ودرجات الحرارة العالية، وهذا البرق الذي يدوم بين جزء من (١٠٠) جزء من الثانية، أو جزء من (١٠٠٠) جزء من الثانية، ويحمل ما بين (١٢،٠٠٠) إلى (٢٠٠،٠٠٠) أمبير، وتؤثر الصدمة الكهربائية الناتجة عن البرق إلى إصابة الجهاز العصبي، والقلبي، واحتراق الجلد، وصعوبة في التنفس؛ وقد يؤدي إلى صعق المصاب، والموت، إذا لم يسعف.

أمّا ما يدفع إلى الخوف من البرق؛ مثل: حصول الحرائق، وإتلاف الحرث، والزرع، وحدوث الصدمات الكهربائية التي تزهق أرواح بعض الناس، وأمّا ما يدفع إلى الطمّع الشديد عند رؤية البرق هو الغيث، وبالتالي الحرث، والزراعة، والفواكه، والثمار.

وكذلك البرق حين يحدث يؤدي إلى أكسدة كثير من عناصر الغلاف

الغازي للأرض؛ فالنتروجين يتحول إلى أكسيد النتروجين، وإلى أكسيد الكربون، وأكسيد الكبريت؛ هذه الأكاسيد تذوب في الماء النازل؛ فتزيد خصوبة الأرض، وما يصاحب ذلك من خير في الزرع، والثمار.

﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾: أي: السحب الركامية المملوءة بالمطر الشديد. وهناك السحب الطباقية القريبة من سطح الأرض ويكون سمكها قليلاً، ولا تؤدي إلى المطر، وأما السحب الركامية التي كالجبال، ووزنها بالأطنان، ومع ذلك تحملها الرياح، وتشكل من اصطدام السحب المختلفة في شحناتها الكهربائية؛ مما يؤدي إلى ارتفاعها إلى أعلى مما يؤدي إلى تبردها، وتزداد الرطوبة فيها، وبخار الماء، وحينما تصل إلى حد ما تتراكم على الجانبين؛ حيث تقل قوة الدفع من أسفل، ولا تعود قادرة على رفعها أكثر من ذلك؛ فتتكون السحب الركامية التي تشبه تضاريس سطح الأرض. ارجع إلى سورة النور، آية (٤٣).

والرعد، والبرق يصاحب السحاب الثقيل فقط؛ أي: السحب الركامية.

[١٣] ﴿وَيَسِيحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾:

﴿وَيَسِيحُ الرَّعْدُ﴾: التسبيح: هو تنزيه الله سبحانه عن بقية الدّوات، وصفاته عن باقي الصفات، وهو منزّه عن الأغيار، وعن الولد، والشريك، والند، والمثيل، وعن كلّ نقص، وعيب.

﴿بِحَمْدِهِ﴾: تسبيحاً مصحوباً بالحمد، الباء: للإلصاق، والمصاحبة.



﴿وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]؛ بما في ذلك النباتات، والجمادات، والحيوانات، وبعض الناس؛ فكل هذه النباتات، والجمادات، والحيوانات تسبح بحمد ربها، ولها لغة خاصة تتكلم مع بعضها البعض.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾: يسبحون كذلك.

﴿مِنْ خِيفَتِهِ﴾: من: تعليلية.

﴿خِيفَتِهِ﴾: الملائكة يخافون الله من الرّعد المصحوب بالصّواعق، والخوف ليس على أنفسهم، ولكن يخافون على الناس؛ لأنّ الملائكة حفظة للناس، ومن وظائفهم أيضاً أنهم يستغفرون للذين آمنوا؛ سورة غافر، الآية (٧)، ويخافون ربهم مخافة إجلال، ومهابة.

﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾: نار تحدث من كهربة السّماء، وكهربة الأرض، عندما تتقارب السّحب من الأرض تنشأ هذه الصّواعق؛ جمع: صاعقة؛ الناتجة من تفريغ الشّحنة الكهربائية السّماوية في الأرض؛ مما يؤدي - أحياناً - إلى صاعقة تحرق كلّ ما تقع عليه بما فيها الغابات، والمنازل... وغيرها.

﴿فَيُصِيبُ بِهِمَنْ يَشَاءُ﴾: من: ابتدائية استغرافية؛ تشمل كلّ من يشاء.

﴿مَنْ﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

أسباب النزول: كما ذكر الواحدي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، والطّبري قيل: نزلت هذه الآية في أربد بن قيس، وعامر بن الطّفيل حين حاولا قتل رسول الله ﷺ.



فأما أريد: فأرسل الله عليه صاعقة (ناراً من السماء)؛ كالبرق فصعقته، وأحرقته،
وأما عامر بن الطفيل: فأصيب بالغدة: التهاب غدة في عنقه فهلك، ومات بسرعة.
وقيل: نزلت في رجل من طواغيت العرب، أرسل رسول الله ﷺ رسولا
يدعوه إلى الإسلام، والإيمان؛ فقال: أخبروني ما الله؟ أمن ذهب، أم من فضة،
ونحاس؟ وعاد الرسول إلى رسول الله ﷺ يخبره بما قال ذلك الطّاغوت؛ فأرسل
إليه ثانية، وثالثة، فرفض، فأرسل الله عليه ناراً فهلك؛ هذا ما رواه الطبري، عن
علي، وقاله مجاهد.

﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾: في شأن التوحيد، والبعث، والملائكة، والولد،
والبنت، والشريك، وشأن الله تعالى؛ هل هو من ذهب، أو فضة، أو ينكرون
القرآن، ويكذبون رسول الله ﷺ.

﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾: المحال: مشتقة من الحول، والحول يعني: القدرة
على التصرف، أو المحال مشتقة من الحيلة (المحال؛ أي: الكيد)؛ شديد الكيد،
وهو التدبير الخفي بالمكايدة، وشديد المحال: شديد الأخذ، أو شديد العقوبة؛
شديد القوة، والانتقام، وشديد المحال: يضم كل تلك المعاني؛ أي: يخبر الله
سبحانه أنه أقوى منهم، وأشد حيلة، وقوة، وتصرفاً؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله،
ولا حائل عن المعاصي إلا الله، ومن رحم، ولا قوة على الطّاعات إلا بالله،
والاستعانة به، والتوكل عليه سبحانه العليّ الكبير.





الحِجَةُ النَّالِيَةُ

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ ١٣

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا
 كَبْسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ
 إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا
 وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ
 نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي
 الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ
 عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ
 السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا
 وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ
 يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا
 يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾
 لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ
 لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ
 أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوِلُهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾





سورة الرعد [الآيات ١٤ - ١٨]

[١٤] ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾:

﴿لَهُ﴾: له خاصة دعوة الحق، وهي: لا إله إلا الله، أو:

﴿دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾: الحق: هو الله، وكلّ دعاء إليه وحده بدون إشراك هو دعاء الحق، ومن يدعو غير الله؛ فقد دعا غير الحق، أو دعا باطلاً، والحق: هو الشيء الثابت الذي لا يتغير؛ أي: هو وحده تعالى الذي يُدعى الحق، والقادر على الاستجابة.

﴿وَالَّذِينَ﴾: الذين: اسم موصول.

﴿يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾: من دون الله؛ من غير الله، أو سوا الله؛ مثل: الآلهة، والأولياء، والملائكة، والأنبياء.

﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾: لا: النافية.

﴿بِشَيْءٍ﴾: الباء: للإلصاق، وشيء: نكرة تعني: أي شيء مهما كان صغيراً، أو كبيراً؛ أي: لن تساعدكم بشيء مهما كان نوعه، بل تخيب من يدعوها.

﴿إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾: إلا: أداة حصر؛ الكاف: للتشبيه؛ أي: كمن هو عطشان فيرفع يديه، ويبسطهما إلى الماء، وهو بعيد عن الماء، أو واقف أمام الماء طالباً وصول الماء إلى فمه، فالماء سائل لا يحس بدعاء العطشان،



وبحاجته إلى الماء، سواء بسط كفيه، أم لم يبسطهما، ولا يبلغ فاه، وهذا هو حال الذين يدعون من دون الله؛ كالأصنام، أو الاحتمال الثاني: أنَّ العطشان يحاول أن يغرف الماء بيديه ليشربه، وهو باسط كفيه في الماء؛ فيرفعهما من الماء، ولا يعلق بيديه أي ماء، وهذا مستحيل؛ لأنَّ الماء يزول بعد رفع الكفين إلى الفم.

﴿لَيَبْلُغَنَّ فَاهُ﴾: ليبغ فمه، اللام: لام التعليل.

﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾: ما: النافية.

﴿هُوَ﴾: تعود على الباسط كفيه إلى الماء، أو «هو» تعود على الماء؛ أي: لا الماء يبلغ فاه، ولا هو ببالغه.

﴿يَبْلُغُهُ﴾: الباء: للتوكيد؛ ببالغه؛ بالغ فاه ليشربه، أو هو شاربه.

﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ﴾: الواو: واو الحال، أو التوكيد؛ ما: النافية.

﴿دُعَاءُ﴾: الدعاء: هو الطلب والسؤال والحث على الاستجابة وقد يعني العبادة، وما دعاء الكافرين المشركين الضالين إلا في ضلال.

﴿إِلَّا﴾: تفيد الحصر.

﴿فِي ضَلَالٍ﴾: في: ظرفية.

﴿ضَلَالٍ﴾: ضياع، وخسران؛ أي: وما دعاء، أو عبادة الكافرين لهذه الأصنام وكل شيء من دون الله في الحقيقة إلا باطل، وضياع.

[١٥] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾:

﴿وَلِلَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور: لفظ الجلالة يفيد الحصر.

﴿يَسْجُدْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾: السجود: إما أن يكون سجوداً حقيقياً، وإما يعني الخضوع، والانقياد.

﴿مَنْ﴾: هي للعاقل؛ أي: تشمل كل عاقل في السموات، والأرض من الملائكة، والإنس، والجن؛ فهؤلاء يسجدون طوعاً؛ أي: بإرادتهم، وهذا يسمى سجود الطوع؛ أي: الاختيار، أو كرهاً: بفتح الكاف؛ أي: عدم القبول والرضا، وقد تعني: الإجبار، ولو قال كرهاً: بضم الكاف تعني: الرضا والقبول، ولو كان فيه تعب ومشقة كما هو الحال في حالة الحمل فالمرأة رغم مشاق الحمل هي راضية، بل فرحة بالحمل، أما كرهاً: مثل ترك الديار والهجرة بسبب الاضطهاد والتعذيب، وإذا كان السجود بمعنى الخضوع والانقياد؛ مثل: إصابتهم بالأمراض العديدة، والكوارث، والمصائب؛ فهم خاضعون لحكم الله تعالى؛ فالكافرون، والمشركون: يسجدون سجود الخضوع، والانقياد؛ أي: سجود الكره.

﴿وَوَظَلَّ لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾: الواو: واو العطف عطف الظلال (غير العاقل) على العقلاء فسقوط ظلالهم على الأرض رغم امتناعهم عن السجود يعتبر من عظمة قدرة الله تعالى فظلالهم تسجد بالغدو: أول النهار، والآصال: ما بين العصر، والمغرب. وأما عطف غير عاقل على العاقل، أو بالعكس نجده في بعض الآيات ربما للتغليب أو ربما للجمع.

﴿وَوَظَلَّ لَهُمْ﴾: الظل: هو الخيال المقابل للشمس الذي يظهر للشيء المادي القائم، وظلالهم تسجد طوعاً، وكرهاً، أو تخضع لمشيئة الله بالامتداد، والتقلص، والفناء، والزوال.



فأشعة الشمس أغلبها لا يُرى كالأشعة السينية، وغاما، وما فوق الحمراء،
وتحت الحمراء، وأشعة الراديو... وغيرها.

ومن أشعة الشمس حزمة صغيرة تسمى حزمة الضوء المرئي الغير قادرة
على اختراق الأجسام الصلبة، ولذلك بسببها تتكون الظلال، أما الأشعة الأخرى:
فهي قادرة على اختراق الأجسام الصلبة، وهذه الحزمة حزمة الضوء المرئي: هي
سبب تشكل النهار، وتشكل الظلال، والظل: يتحرك فحين تشرق الشمس من
المشرق، يتحرك مع حركة الأرض؛ فحركة الظل يخبرنا ربنا أنها صورة من صور
العبادة، والسجود لله؛ أي: من مظاهر الخضوع.

[١٦] ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا
وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ
خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾:

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: اسأل يا محمد ﷺ المشركين، أو الكافرين:
من رب السموات، والأرض.

﴿مَنْ﴾: استغرافية استفهامية؛ تفيد الإلزام. الرب: هو الخالق، المدبر
المتولي، الرزاق.

﴿قُلِ اللَّهُ﴾: جاءت الإجابة من الله، ولم يترك الإجابة؛ لتأتي منهم، ومجيء
الإجابة من الله أشد وأقوى، ولتكون حجة عليهم، والسؤال هنا يتضمن معنى
التوحيد.

وفي سورة الزَّحْرَفِ: جاءت الإجابة منهم؛ فقال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.

﴿قُلْ أَفَاتُخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾: أفاتخذتم: الهمزة للاستفهام، والتوبيخ، والإقرار؛ فإذا كان هو الله سبحانه وتعالى الذي خلق السموات والأرض، فكيف تتخذون من دونه أولياء؛ أي: شركاء، أو آلهة، وأصناماً، وأوثاناً تعبدونهم، وتدعونهم من دون الله!

﴿لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: لا يملكون لكم، ولا حتى لأنفسهم نفعاً، ولا ضرراً، وقدم النفع على الضر؛ لأنه تقدمها قوله: ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً، طوعاً: من الطاعة التي تؤدي إلى النفع، وكرهاً: من الكره الذي يؤدي إلى الضر، وربما لكون النفس تحب النفع أولاً، وتكرار (لا): للتوكيد، وفصل كلاً من النفع عن الضر أو كلاهما معاً لا يملكون.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي﴾: قل لهم يا محمد ﷺ: هل: استفهام تحمل معنى النفي؛ أي: لا يستوي.

﴿يَسْتَوِي﴾: يتساوى: يتعادل.

﴿الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: الأعمى: الكافر المشرك، والبصير: المؤمن الموحد.

﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي﴾: أم: حرف للإضراب الانتقالي، والهمزة فيها: للاستفهام، والإنكار، والتوبيخ؛ (هل تستوي) مثل السابقة.

﴿الظَّالِمَتُ﴾: الشرك، والكفر، والضلال.

﴿وَالنُّورُ﴾: الإيمان.



﴿سَتَوَى﴾: ولم يقل: يستوي؛ لأنه تأنيث غير حقيقي.

﴿أَمْ﴾: أم: للإضراب الانتقالي، والهمزة: للاستفهام الإنكاري.

﴿جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾: خلقوا كخلق الله؛ فتشابه عليهم خلق الله بخلق الآلهة، أو الشركاء؛ أي: اختلط الأمر، ولم يقدروا على التفريق بين الخلقين، ولا احتجوا على ذلك، ولكنهم؛ أي: الشركاء لم يخلقوا شيئاً، والله خالق كل شيء؛ فإن أقروا بذلك كان بها، وإذا لم يقرؤا بذلك:

﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ﴾: وهو: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد، والحصار. خالق كل شيء: والخلق لغة: هو التقدير، ويعني: الإيجاد من العدم أو من شيء. ﴿الْوَحْدُ﴾: المتفرد والمتوحد بالألوهية، والربوبية، والصفات، والأسماء

الحسن.

الواحد: الذي لا يتجزأ؛ أي: لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، ولا شريك له، ولا ند، ولا نظير. الأحد: الذي لا مثيل له، ولا ند، ولا شبيه. ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿الْقَهْرُ﴾: القوي، الغالب الذي قهر كل شيء، وذل، واستسلم له كل مخلوق؛ بالابتلاء، وبالموت، فكيف يكون له مساوياً، وهو القهار الذي خضعت له الرقاب طوعاً، أو كرهاً. ارجع إلى سورة ص، آية (٦٥)؛ لمزيد من البيان في معنى: القهار.

لنقارن هذه الآية (١٦) من سورة الرعد: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، مع الآية (٨٤) من سورة المؤمنون: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

السَّوَالُ فِي آيَةِ الرَّعْدِ عَنِ التَّوْحِيدِ، أَوْ فِي سِيَاقِ آيَاتِ التَّوْحِيدِ، فَجَاءَ
الْجَوَابُ: قُلِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.

السَّوَالُ فِي آيَةِ الْمُؤْمِنُونَ عَنِ الْمُلْكِ، وَلَيْسَ التَّوْحِيدُ، بَلْ عَنِ الْمَلَكِيَّةِ،
وَالْمَالِكِ، سَوَالٌ مِنْ يَمْلِكُ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْعَرْشَ؟
الْجَوَابُ: سَيَقُولُونَ لِلَّهِ.

﴿لِلَّهِ﴾: اللَّامُ: لَامُ الْمَلَكِيَّةِ؛ فَكُلَّ اسْتِفْهَامٍ لَهُ غَرَضٌ مُعَيَّنٌ.

[١٧] ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ
عَلَيْهِ فِي النَّارِ أَبْغَاءَ حُلِيَةٍ أَوْ مَتَعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ
جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾: أَنْزَلَ سَبْحَانَهُ مِنَ السَّحَابِ: الْمَتَشَكَّلِ مِنْ بَخَارِ الْمَاءِ
الْمَتَصَاعِدِ مِنَ الْأَرْضِ، وَالْبَحَارِ، وَالْمَحِيطَاتِ مَاءً (أَي: مَطْرًا).

فَحِينَ يَنْزِلُ الْمَاءُ مِنَ السَّمَاءِ بِشَدَّةٍ يَشُقُّ قَشْرَةَ الْأَرْضِ؛ لِيَكُونَ الْأَنْهَارُ،
وَالْجُدَاوِلُ، وَحِينَ نَزُولُهُ يَفْتَتِ صَخُورَ الْأَرْضِ، وَأَثْنَاءَ هَبْوِطِهِ نَجِدُ أَنَّ الْمَعَادِنَ
الثَّقِيلَةَ تَتْرُسُ أَوَّلًا، وَالْأَشْيَاءَ الْخَفِيفَةَ تَبْقَى عَلَى السَّطْحِ؛ فَبِذَلِكَ نَسْتَطِيعُ التَّنْقِيبَ
عَنِ الذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ، وَالنَّحَاسِ... وَغَيْرِهَا، وَمَا يَبْقَى عَلَى السَّطْحِ هُوَ الْغَثَاءُ؛ أَيْ:
الْأَشْيَاءُ الَّتِي لَا قِيَمَةَ لَهَا، وَبِذَلِكَ يَتِمُّكَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْإِسْتِفَادَةِ مِنَ مَعَادِنِ الْأَرْضِ
مِثْلُ: الذَّهَبِ الَّذِي يَدْخُلُ فِي أَفْرَانِ ذَاتِ حَرَارَةٍ عَالِيَةٍ تَوْدِي إِلَى انْفِصَالِ الشَّوَابِ
الْمَخْتَلِطَةِ بِالذَّهَبِ، وَيَتْرُسُ الذَّهَبُ الْخَالِصَ، وَتَطْفُو عَلَى السَّطْحِ الشَّوَابِ.

﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾: الْفَاءُ: لِلتَّعْقِيبِ، وَالْمُبَاشَرَةِ؛ سَالَتْ: جَرَتْ أَوْدِيَةٌ



جمع وادٍ، وهو المنخفض بين مرتفعين، وكلّ وادٍ يستوعب من المياه على قدر اتساعه، وهذا من رحمة الله.

﴿يَقْدَرُهَا﴾: قد تعني بما قدره الله أيضاً من قلة، أو كثرة في الماء، وبحسب حجم الوادي، وبما ينفع النَّاسَ، وإلا لحدثت الفيضانات في كلّ مرة، وغرقت الأرض، والقرى، والنباتات، والحيوانات، وهدمت البيوت.

﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾: فاحتمل: الفاء: للترتيب، والتعقيب؛ أي: وما أن ينزل المطر نلاحظ أن السَّيل: وهو الماء المتجمع من ماء المطر المندفِع الذي يشكل سيلاً يجرف معه الفضلات، والأشياء مثل الأوساخ التي علقت بوجه الأرض، فكأنه يكنس الأرض، ويطهرها من الأسباب المؤدية إلى انتشار الأمراض والأوبئة.

﴿زَبَدًا رَابِيًا﴾: الزِّبد: هو الرغوة، والغشاء الطافي على وجه الماء من قاذورات الأرض.

﴿رَابِيًا﴾: عالياً مرتفعاً يطفو على وجه الماء.

﴿وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾: ومما: الواو: عاطفة؛ مما: مركبة: من وما؛ من: للابتداء؛ تعني: البعضية؛ ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

﴿يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾: يوقدون: الفاعل هنا النَّاسُ؛ يوقدون عليه: لتطهيرها، وتخليصها من الشوائب المختلطة بها.

﴿عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾: من المعادن، وفلزات الحديد، والذهب، والفضة، والنحاس، وغيرها.

﴿أَبْعَاءَ حَلِيزَةٍ﴾: طلباً لاستخراج الذهب، والفضة المستعملة كحلية،



والحلية تعني الزينة الخارجية، والحلية جزء خاص من الزينة، والزينة تشمل الخارجية والداخلية، والزينة أعم من الحلية، وتشمل الحلية واللباس الخارجي، ولباس التقوى، والزهور زينة والألوان والنجوم... وغيرها.

﴿أَوْ مَتَّعَ﴾: أو لصنع متاع؛ أي: أواني، وأدوات، وسيارات... وغيرها مما ينتفع به من الآلات، والصناعات... وغيرها.

﴿زَيْدٌ مِّثْلُ﴾: أي: ينتج عن صناعتها، وتنقيتها زبد مثل زبد السيل. والسؤال هنا: لماذا ضرب الله تعالى المثل الثاني، أو لماذا أعقب المثل الأول بالمثل الثاني، أليس المثل الأول كافياً؟ ذلك لأن السؤال والفيضانات ليست مشاهدة أو معروفة لكل الناس الذين يعيشون في ناحية من الأرض ويضرب المثل الثاني يكون معظم الناس قد علم معنى المثل الأول الثاني وبالتالي الحق والباطل.

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾: فالسيل، والحلية، والمتاع تمثل الحق الذي لا غنى عنه، والزبد الرابي فوق السيل، أو الناتج عن تنقية المعادن؛ مثل: الذهب، والفضة، والنحاس، والصناعة: هو يمثل الباطل الذي لا قيمة له، ويجب التخلص منه.

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء: تدل على مراحل لم تذكر؛ فأعقبها بالفاء؛ أما: شرطية، وتفصيلية.

﴿الزَّيْدُ﴾: أو الباطل.

﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾: أي: يزول بعد الاحتكاك بجوانب الوادي، ويضمحل، ويزول، وأمّا الزبد الناتج عما يوقدون عليه في النار: يُرمى، ويُطرح، ويتخلص منه كذلك، ولا يستفاد منه بعد عملية التصفية، والتطهير.



﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾: أمّا: تفصيلية، وشرطية.

﴿مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

﴿يَنْفَعُ النَّاسَ﴾: من الماء (السيل)، والمعادن المصفاة.

﴿فَيَمُكُّهُ﴾: يبقى في الأرض، ويتنفع به أهل الأرض؛ مثل: الحديد، والذهب، والفضة، والنحاس... وغيرها من المعادن.

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾: كذلك يضرب: ليس بتكرار للأولى، فالأولى للحق والباطل، والثانية: لبقية الأمثال، وأيضاً سببه جملة الاعتراض عاد للتذكير؛ أي: أنه سبحانه كما بين لكم الأمثال السابقة بين الحق، والباطل؛ كذلك يبين الله الأمثال الأخرى التي تحتاج إلى بيان. والأمثال: جمع مثل، والمثل: هو تشبيه حال بحال أخرى، أو شيء حسي بشيء معنوي؛ لإيضاح الأمور المشتبهات، ولإزالة غموض الإجمال.

[١٨] ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَائِ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنِيسَ الْهَادُ﴾:

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق؛ أي: كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم، وللكافرين الذين لم يستجيبوا له.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾: الذين: اسم موصول يفيد المدح، والتعظيم، استجابوا لربهم بالطاعة، والإيمان، وتجنب المعاصي.

﴿الْحُسْنَىٰ﴾: الجنة؛ مؤنث: الأحسن إشارة إلى حسن الثواب، والحسنى: اسم من أسماء الجنة، أو صفة للجنة، وكقوله: ﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾: الذين: اسم موصول يفيد الذم.



﴿لَمْ﴾: حرف نفي.

﴿يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾: لم يستجيبوا لدعوة الله، والإيمان، وهم الكفار، والمشركون.

﴿لَوْ أَتٰ لَهُمْ﴾: لو: شرطية.

﴿أَتٰ﴾: للتوكيد.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام التملك (الملكية)، والاختصاص.

﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي في الأرض من مال، وكنوز، وخيرات.

﴿جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾: جميعاً: للتوكيد، ومثله معه؛ أي: ضعف ذلك، ولا يوجد إنسان يملك ما في الأرض، ولا نصفها، أو ربعها.

﴿لَا فَعْدُوا بِهِ﴾: اللام: لام البدل، أو التعليل؛ افتدوا به: لقدموه فداءً لأنفسهم من العذاب، ولو حدث ذلك - وهو من المستحيل - فلن يقبل منهم دلالة على بؤس حالهم في الآخرة، أو مصيرهم البائس. ولو قارنا هذه الآية مع الآية (٣٦) من سورة المائدة هي قوله تعالى: ﴿لِيَفْتَدُوا بِهِ﴾ لو جدنا: لافتدوا به (فعل ماض) ليفتدوا به (مضارع)؛ المهم هنا لو الشرطية؛ أي: آية الرعد جوابها: افتدوا به، ولو الشريطة في آية المائدة جوابها: ما تقبل منهم؛ فيكون النسق على التالي: آية الرعد أولاً (لو افتدوا به)، ثانياً: آية المائدة (ما تقبل منهم)، وأما (ليفتدوا به) في آية المائدة هي للتعليل.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، تشير إلى سوء المنزلة، والمكانة، والمصير.



﴿لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾: لهم: اللام: لام الاستحقاق، والاختصاص.

﴿سُوءُ الْحِسَابِ﴾: لا يغفر لهم، ولا تقبل لهم شفاعة، ولا فداء، ولا يتجاوز

لهم عن سيئة، وما قدموه من عمل صالح يصبح هباء منبثاً.

﴿وَمَا لَهُمْ بِهِمْ جَهَنَّمَ﴾: الواو: عاطفة مقارنة بـ(ثم مأواهم)، ثم: التي تدل على

التراخي في الزمن، كما ورد في سورة آل عمران آية (١٩٧) (ثم في هذه الأحاديث

في سياق الحياة الدنيا)، وأما آية الرعد: فجاءت في سياق الآخرة وليس هناك

فاصل زمني؛ المأوى: اسم مكان من: أوى يأوي، والمأوى: المنزل، أو المكان

الذي يأوي إليه للراحة والإقامة، وفيها معنى: الضم، ووردت في سياق الجنة،

أو النار.

﴿جَهَنَّمَ﴾: جهنم: اسم من أسماء النار، وللنار أسماء كثيرة ورد ذكرها في

القرآن؛ منها: جهنم (ورد ذكرها ٧٧ مرة).

الجحيم (٢٥) مرة.

لظى (١) مرة.

والسعير (٨ مرات، وسعيراً ٨ مرات).

وسقر (٤ مرات منها ٣ في سورة المدثر).

والحطمة.

والهاوية.

وكل واحد من هذه الأسماء هو اسم علم للنار كلها.

والنار: درجات، وقيل: درجات كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ
الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

ولها سبع أبواب ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

وجهنم: تعني: بعيدة القعر، شديدة الغضب، منظرها مستنكر وكريه.
وأما الجحيم: تعني: النار المتأججة، شديدة التأجج والاضطراب لا يمكن
السيطرة عليها.

﴿وَيَسَّ الْهَادُ﴾: يس: فعل من أفعال الذم؛ مثل: ساء وقبح.

﴿الْهَادُ﴾: الفراش؛ شبه ما تحتهم من النار بالمهد المريح الذي يُعد للطفل
الوليد؛ للتهكم، والتقريع بهم.



الْبَيْتُ الثَّالِثُ عَشَرَ

سُورَةُ الرَّحْمَنِ ١٣

الجزء
٢٦

* أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا تَذَكَّرُ
 أُولَٰئِكَ الْأَلْبَابُ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ
 ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
 وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
 وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ
 بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
 وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ
 عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ
 ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا
 أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ
 وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا
 بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ
 الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا يَضِلُّ
 مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ
 قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾



سورة الرعد [الآيات ١٩ - ٢٨]

[١٩] ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَوَّلُ الْأَلْبَابِ﴾:

﴿أَفَمَنْ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري.

﴿أَنَّمَا﴾: أن: حرف توكيد، ما: اسم موصول؛ أي: الذي، فتكون الآية:

أفمن يعلم أن الذي أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى؟

﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾: هو القرآن العظيم؛ أي: المؤمن يعلم أن القرآن

الذي أنزل الله على رسوله هو الحق، بينما الكافر الأعمى لا يعلم (والعمى هو عمى البصيرة، وليس عمى العين).

﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾: كمن: الكاف للتشبيه؛ من: للعاقل، وتشمل المفرد والمثنى

والعاقل؛ هو: ضمير فصل يفيد التوكيد؛ أعمى: قد تعني عمى البصر، أو عمى

البصيرة، وتسمى العمه، وكلاهما يعني: عدم الاهتداء للحق، وما أنزل الله، ولم

يقل كمن لا يعلم، وإنما أبدل الذي لا يعلم بالأعمى؛ لأن الأعمى لا يرى ما

يجري حوله فقد انتفى علمه عن إدراك الحقائق، ونفى عنه العلم بشكل عام،

فكلمة أعمى تشمل من لا يعلم، وأشد وأبلغ من الذي لا يعلم، وهذا هو حال

الكافر والمشرک والجاهل.

﴿إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَوَّلُ الْأَلْبَابِ﴾: إنما: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿إِنَّمَا يَنْذَرُكَ﴾: يتذكر من الذكر، وهو العلم الحادث بعد النسيان، أو الغفلة،

وهو حضور المعنى في النفس، فالحاجة إلى العلم ثم المحاكمة العقلية تحتاج إلى نظر وزمن طويل فيما أنزل إليك من ربك، والتذكر يضاد السهو، إنما ينتفع بالتذكر، وضرب الأمثال، أولو الأبواب الذين وصفهم الله بالصفات الثمانية التالية التي ذكرت في الآيات (٢٠-٢٢).

﴿الْأَبْصَارُ﴾: جمع: لب، وهو منطقة في الدماغ موكل إليها بالتفكير، والنظر في الأمور والإدراك، والبصيرة، وتسمى جهاز لمبيك.

﴿أُولُوا الْأَبْصَارِ﴾: تعني: الصفوة من المؤمنين ذوي العقول المنيرة، ومنهم: الرسل، والأنبياء، والصديقون، والشهداء، والصالحون، والصحابة، وبعض الحكماء، والعلماء؛ فهم فئة خاصة اختاروا طريق الهداية؛ فهداهم الله، واستجابوا لله، ويفهمون ما يخاطبهم به الله. ارجع إلى الآية (١٩٧)، والآية (١٧٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾:

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: الذين: اسم موصول يفيد المدح، وتكرار كلمة الذين: للتوكيد، والتعظيم، والمدح.

﴿يُوفُونَ﴾: من الوفاء، وهو الإتمام، والالتزام بالعهد، وتطبيق بنوده. العهد: الوعد المقرون بشرط، والعهد يقتضي الوفاء، والوعد يقتضي الإنجاز. والعهد: اسم للجنس.

﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: العهد: هو التزام، أو تكليف يلتزم به الإنسان مع الله سبحانه، أو مع إنسان آخر، أو مع نفسه؛ أي: يوفون بما أمرهم الله من التكاليف، وما



أوجبه الله على لسان الرّسل من الفروض، وتجنب جميع المعاصي، والعهد: يضم العقود، والوعود، والمعاهدات.

﴿يُؤْفُونَ﴾: بصيغة المضارع التي تدل على التّكرار، والتّجدد، والاستمرار.

﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾: الميثاق: هو العهد الموثق، أو المؤكد بالآيمان؛ أي:

القسم، وما أوجبه العبد على نفسه كالنّذر. لا: النّافية. لا يخلون بعهدهم مع ربهم، أو المؤمنين. النّقض: التّخلي عن العهد، ورفض الالتزام به، وعدم نقض الميثاق يقرب في المعنى من الوفاء بالعهد. ويمكن القول: عدم النّقض هو تأكيد للوفاء بالعهد، أو يمكن اعتبار ذلك من ذكر العام بعد الخاص. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٧)؛ لمزيد من البيان في معنى العهد، والميثاق، ولم يكرر ذكر الله فيقول: ولا ينقضون ميثاق الله؛ لأن الميثاق يشمل عهد الله وغيره.

[٢١] ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول، وتكرار «الذين» يفيد التّوكيد، والمدح.

﴿يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾: مثل: صلة الرّحم، والجار، والفقير.

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: الخشية: الخوف مع التّعظيم للخالق، ومهابته مع

العلم، أو الخشية: خوف، وحذر مبني؛ أي: مقرون، بعلم، وتعظيم للذي تخشاه، وفيها معنى الأمل.

﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾: الخوف: يكون من أمر لم يقع بعد؛ أي: الخوف من

العقاب المشكوك في وقوعه بسبب ارتكابهم المعاصي، والتّقصير في الطّاعات، الحساب يكون على كلّ صغيرة، وكبيرة، ووزن الأعمال.



﴿سَوْءَ الْحِسَابِ﴾: بأن لا يغفر لهم من ذنوبهم شيئاً، أو لا تقبل منهم حسناتهم، أو أعمالهم الصالحة؛ لأنهم أحبطوا أعمالهم، ولم يتجاوز عن سيئاتهم، ويشمل كل أنواع العذاب المهين، والأليم، والمقيم، والعظيم.

ما هو الفرق بين ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، وبين ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾

[فاطر: ١٨]؟

يخشون ربهم، أعم من: يخشون ربهم بالغيب؛ تشمل الخشية في العلن (أمام الناس)، وفي السر (إذا خلى بنفسه؛ أي: وحده)، وتشمل الخشية من عقابه يوم القيامة.

يخشون ربهم بالغيب؛ تعني: بالسر فقط إذا خلى وحده، وغاب عن أعين الناس، وكذلك تعني: يخشون عقابه القادم يوم القيامة، والعقاب أمر غيبي.

[٢٢] ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عِقَابُ الدَّارِ﴾:

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾: والذين: ارجع إلى الآيات السابقة.

﴿صَبَرُوا﴾: على الطاعات، وتجنب المحرمات، وعلى الابتلاءات، والباعث على الصبر: هو محبة الله، والتقرب منه، وليس الرياء، والسمعة. ارجع إلى الآية (٢٠٠) من سورة آل عمران؛ لمزيد من البيان في معنى: الصبر.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أتموها بأركانها، وشروطها، وخشوعها، وأوقاتها.

﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: تضم الصدقات، والزكاة، والعلم...

وغيره من أنواع الرزق في السر، والعلانية.



﴿مَّمَّا﴾: من: البعضية؛ أي: بعض ما رزقناهم؛ ما: بمعنى: الذي.

﴿وَيَذَرُوكَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾: الذَّرء: هو الذَّفع بسرعة؛ أي: بدون تأخير، والذَّفع يكون بقوة، وشدة، (والذَّرء يكون بسرعة)، أو يتبعون السيئة بالحسنة بسرعة، والذنب بالتوبة، وكما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، وقال ﷺ: «وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ تَمْحُهَا». رواه أحمد، والترمذي، والحاكم عن أبي ذر. والحسنة شرعاً: كل ما يستحسنه الشرع، ويورث ثواباً بامثال أوامر الله، وتجنب نواهيه.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾: أولئك: اسم إشارة، واللام: للبعد؛ لعلو منزلتهم؛ يشير إلى أولي الألباب الذين اجتمعت لهم تلك الصفات الثمانية، والمتأمل لهذه الصفات يجد أن بعضها جاء بصيغة المضارع، وبعضها جاء بصيغة الماضي؛ مثل: يوفون، لا ينقضون، يصلون، يخشون، يخافون، يدرؤون بالحسنة السيئة: جاءت بصيغة المضارع التي تدل على التجدد، والاستمرار.

وفيهما متسع من الوقت، وتؤدئ في زمن غير محدد.

أمّا صبروا، وأقاموا الصلاة، وأنفقوا بصيغة الماضي فيجب تأديتها في زمن معين، محدد.

والإنفاق؛ كالزكاة في كل عام، فالكل يعلم أن الصبر: هو القاسم المشترك لكل تلك الصفات الثمانية.

وخلاصة القول: ما كان له وقت محدد عبر عنه بالماضي، وما كان مستمراً، وليس له وقت محدد، ومتكرراً، أو متجدداً: جاء بصيغة المضارع.



﴿لَمْ عَقِبِ الدَّارِ﴾: عقيبى: مأخوذة من العقب؛ فالقدم له مقدم، وله عقب، وعقب: هو ما يعقب الشيء، وعقبى: على وزن فعلى، وعقبى: اسم بمعنى: الجزاء، أو آخر كل أمر، والذي يعقب الدار الدنيا: هي الدار الأخرى.

﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾: وما هي عقبى الدار؟ هي: جنات عدن يدخلونها؛ كما تشير الآية (٢٣) التالية هذه هي عقبى الدار، وكلمة عقبى: وردت في خمس آيات في سورة الرعد، ولم ترد هذه الكلمة في القرآن إلا في هذه السورة، أما كلمة العاقبة؛ فقد وردت (٣١) مرة في بقية السور.

[٢٣] ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾:

﴿جَنَّتُ عَدْنٍ﴾: العَدْن: هو الإقامة الدائمة؛ أي: جنات الإقامة الدائمة، دار القرار، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. أخرجه مسلم في صحيحه، والإمام أحمد في مسنده.

بينما الدنيا، دار الزوال، الدار السفلى.

﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ﴾: يدخلونها: بعد الحساب.

﴿وَمَنْ﴾: ابتدائية.

﴿صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾: تعني: الآباء، والأمهات.

﴿صَلَحَ﴾: أي: آمن، وعمل صالحاً.

﴿وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾: والأزواج تعني: الزوج، أو الزوجة، أو: الذرية؛ أي: الأولاد من الذكور والإناث ما داموا اتصفوا بصفة الصلاح، والإيمان.



كُلِّ حَسَب طاقته، وبفضل الله سبحانه وتكرمه عليهم يلحقهم بأبائهم.
وكقوله تعالى في سورة الطور، آية (٢٢): ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ
بِإِيمَانٍ الْحَقْنَاءُ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾؛ فالإيمان، والعمل الصالح
شرط أولي للحقوق بالأباء.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾: بالهدايا، وللسلام عليهم.
[٢٤] ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾:

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾: الباء: يمكن أن تكون باء السببية، أو البدلية؛ أي:
بسبب صبركم في الدنيا، أو بدل صبركم في الدنيا، وجاء الصبر بصيغة الماضي؛
أي: انتهى زمن الصبر بانتهاء التكليف يوم القيامة.

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: وتقديره يقولون: سلام عليكم، وسلام عليكم: جملة
اسمية تدل على الثبات، والدوام، وأقوى، وأبلغ من القول: قالوا سلاماً (جملة
فعلية تدل على التجدد، والتكرار.

وقالوا: سلام بصيغة نكرة، ولم يقولوا السلام عليكم معرفة؛ لأن النكرة:
تدل على العموم، والشمول، وتعني: التّحية، والأمان، والطمأنينة، ودوام السلامة
من الموت، ومن كلّ مكروه، أو أمر غير مستحب.

أما السلام عليكم بال التعريف: تدل على أمر معين محدد، وهو التّحية
فقط مثلاً، وقد جاء بتنكير السلام في كلّ القرآن إلا آية واحدة هي قول عيسى:
﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمٍ أَمُوتُ وَيَوْمٍ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣].

﴿فَنِعْمَ﴾: الفاء: للتوكيد؛ نعم: من أفعال المدح.



﴿عُقِبِيَ الدَّارِ﴾: أي: الجنة، كما قلنا سابقاً. ارجع إلى الآية (٢٢).

[٢٥] ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾:

المناسبة: ومقابل أولي الأبواب الذين استحقوا عقبي الدار (جنات عدن)، يذكر الذين استحقوا اللعنة، ولهم سوء الدار؛ فيذكر من صفاتهم ثلاث صفات: أولاً: نقض العهد: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾: ارجع إلى الآية (٢٧) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾: وقطع صلة الرحم. ارجع إلى الآية (٢٧) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: بالكفر، وبالظلم، والبغي، والعدوان، ويهلكون الحرث، والنسل. ارجع إلى الآية (٢٧) من سورة البقرة؛ لبيان معنى: الفساد. ولم يذكر شيئاً عن الخشية؛ لأنهم لا يؤمنون بالله، وعن الخوف؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث، ولا شيئاً عن الصبر، ولا الصلاة، ولا الإنفاق؛ ما داموا قد كفروا بالله، ولم يقدموا لأنفسهم خيراً.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم: إشارة، واللام: للبعد، ودنو منزلتهم.

﴿لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾: لهم: اللام: لام الاستحقاق، أو الاختصاص؛ أي: لهم خاصة؛ أي: كأن اللعنة ما خلقت إلا لهؤلاء الذين قاموا بنقض الميثاق، والقطع، والفساد في الأرض، واللعنة: هي الطرد، والبعد عن رحمة الله، ونيل سخطه، وغضبه عليهم، واللعنة: اسم يدل على الثبوت.



﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾: تكرر «لهم»؛ يفيد التوكيد، وفصل كلاً من عقاب اللعنة عن عقاب سوء الدار.

﴿سُوءُ الدَّارِ﴾: سوء العاقبة، وهي: جهنم.

أما الفرق بين عليهم اللعنة، ولهم اللعنة:

عليهم اللعنة: تنزل عليهم اللعنة، وتحل عليهم، وعلى: تفيد الاستعلاء.
ولهم اللعنة: تفيد الاستحقاق، والاختصاص خاصة بهم؛ أي: استحقوا اللعنة.

وعليهم اللعنة؛ أي: يحل عليهم وبأهلها، أو عاقبتها، وهي: الطرد، والبعد عن رحمة الله.

[٢٦] ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَنَعٌ﴾:

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: الله وحده، وتقديم الفاعل: يفيد الحصر.

﴿يَبْسُطُ﴾: يوسع الرزق، والرزق: يشمل المال، والمتاع، والعلم، والذرية، والأخلاق... وغيرها.

﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾: لمن: اللام: لام الاختصاص؛ من: اسم موصول بمعنى: هو الذي يبسط الرزق لأي عبد من عباده، وبسط الرزق: هو ابتلاء للعبد.

﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضيق، ويُفقر من يشاء، أو يعطي الكفاية، أو الشيء القليل لأي عبد من عباده، والتضييق أيضاً ابتلاء للعبد.



﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: وفرحوا: تعود على الناس بما بسط الله لهم في الدنيا من الخيرات، والنعيم، والمال، والمُلْك، وباء بالحياة: للإلصاق، والاهتمام. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٧٠) لبيان معنى الفرح وأنواعه.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾: وما: الواو: الحالية؛ تفيد التوكيد؛ ما: النافية.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ أي: إذا قارنا وقدرنا الحياة الدنيا بالآخرة تكون الحياة الدنيا حصراً، وقصراً عبارة عن متاع زائل شيء يُتَمَتَّع به، ثم يفنى، أو يزول، أو يضمحل.

لنقارن هذه الآية من سورة الرعد: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾، ووردت هذه الآية كذلك في سورة الإسراء، الآية (٣٠)، وسورة الروم، الآية (٣٧)، وسورة سبأ، الآية (٣٦).

مع الآية (٤٩) من سورة سبأ: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾، وردت هذه الآية في العنكبوت، الآية (٦٢).

ومع الآية (٨٢) من سورة القصص: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾.

فآية الرعد، والإسراء، والروم، وسبأ؛ تعني: هناك إنسان ما يرزقه الله، ويوسع عليه طوال حياته، وهناك إنسان آخر يُضَيَّق عليه، وفقير طوال حياته، وهو في الوضع نفسه.



أَمَّا آيَةُ سَبَأٍ، والعنكبوت؛ تعني: هناك إنسان ما يرزقه الله، ويوسع عليه، ثم هذا الإنسان نفسه تتغير حاله، ويصبح فقيراً معدماً بعد أن كان غنياً.

أَمَّا آيَةُ الْقَصَصِ: فهي آيَةُ خَاصَةِ بَقَارُونَ الَّذِي بَسَطَ اللَّهُ لَهُ الرِّزْقَ، ثُمَّ خَسَفَ بِهِ وَبَدَّارَهُ الْأَرْضَ فَجَاءَتْ؛ فمات، ولم يضيق له.

[٢٧] ﴿وَقُولُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾:

﴿وَقُولُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: ارجع إلى الآية (٧) من السُّورَةِ نَفْسَهَا؛ للبيان، وفي سورة العنكبوت، آية (٥٠): ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: إذن هم لم يكتفوا بآية واحدة، بل طلبوا إنزال أكثر من آية، وردَّ الله سبحانه عليهم: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ٥٠].

﴿قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٧].
﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَعَائِنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الاسراء: ٥٩].

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٠].

﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

فالقرآن وحده يكفي لهم كآية، والله قادر على أن ينزل آية، أو آيات، ولكن كذب بها الأولون، وإذا أنزل آية، ولم يؤمنوا بها، استأصلهم الهلاك عن بكرة أبيهم.



﴿قُلْ إِنْ أَلَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾: أي: إنزال آية لن يُغير مجرى من ضل بنفسه، واستمر في ضلاله، وعناده، وجحد بآيات ربه؛ فإله سبحانه يتركه لضلاله، وعناده؛ ليزداد ضلالاً، وكفراً، وكذلك إنزال آية على من اهتدى، وآمن؛ فلن يؤثر، ويُغير مجرى إيمانه، ولكنه سبحانه يُعين هذا إذا استعان بالله، ويزيده هداية.

﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾: بدلاً من: ويهدي من أناب إليه، وتقديم الجار والمجرور: يفيد الحصر؛ أي: إليه وحده يهدي من أناب.

﴿أُنَابَ﴾: الإسراع والرجوع إلى الله سبحانه، والإقبال عليه، وليس ضرورياً أن تكون نتيجة ذنب، أما التوبة تكون صادرة عن ذنب والعزم على تركه، وعدم الرجوع إليه، والندم والإكثار من الأعمال الصالحة.

وقدم: يُضل من يشاء، على: يهدي إليه من أناب؛ لأن الضالين في الأرض أكثر من المهتدين.

[٢٨] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَنَطَمَنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾:

تقدير هذه الآية، وعلاقتها بالآية السابقة؛ يهدي إليه من أناب (من: للمفرد المثنى، والجمع) من الذين آمنوا.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَنَطَمَنُ قُلُوبُهُمْ﴾: أي: من أناب، هو من الذين آمنوا، أو يهدي إليه من أناب، ويهدي الذين آمنوا؛ أي: صدقوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر.



﴿وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾: تطمئن: تسكن، وتهدأ، وتأنس، وتستقر قلوبهم.

﴿بِذِكْرِ اللَّهِ﴾: وهو القرآن الكريم، وذكر الله العادي، ويشمل التَّحْمِيد، والتَّسْبِيح، والتَّهْلِيل، والتَّكْبِير، ويشمل الصَّلَاة... وغيرها؛ أي: الذكر المطلق، أو الذكر الخاص.

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾: ألا: أداة استفتاح، وتنبيه.

﴿بِذِكْرِ اللَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور؛ يفيد الحصر؛ أي: ذكر الله سبحانه: هو سبب، أو مصدر الاطمئنان، والسَّكُون للقلوب، وبغير ذكر الله لا تطمئن القلوب مهما كانت الأسباب.

﴿تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾: أي: تأنس وترتاح وتهيأ، والاطمئنان ينتهي أو يؤدي إلى السكينة والاطمئنان، والسكينة مصدرها الأمن، فالأمن يؤدي إلى الاطمئنان، والاطمئنان يؤدي إلى السكينة والراحة المتجددة المتكررة.

﴿تَطْمِئِنُّ﴾: فعل مضارع يفيد التَّجَدُّد، والاستمرار.

﴿الْقُلُوبُ﴾: قلوب المؤمنين، قلوب الذاكرين والذاكرات.

وهذا يعد من الإعجاز التأثري لسماع كتاب الله (القرآن الكريم) بفضل التردد الصوتي للقرآن الكريم الذي يؤثر في منطقة الشعور، وبالتالي القلب.





سُورَةُ النِّعَانِ ١٣

الْبُيُوتِ النَّارِ الْمُتَعَمِّدَةِ

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ
 مَثَابٌ ﴿٢٩﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ
 لَّتَتَلَوْا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ
 قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٣٠﴾
 وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلُّ
 بِهِ الْمَوْتِ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِسَّ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
 أَنْ لَوْ يَشَاءَ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ
 وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلِ
 مِّنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
 عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا
 لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ
 بَظْهَرِ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ
 السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴿٣٤﴾



سورة الرعد [الآيات ٢٩ - ٣٤]

[٢٩] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ۖ﴾:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۖ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿طُوبَىٰ لَهُمْ ۖ﴾: مصدر من الطيب من: طاب يطيب، وطوبى: قيل: اسم شجرة في الجنة مسيرة مئة سنة، أو يسير الراكب في ظلها (مائة عام)، كما في حديث رواه الإمام البخاري، وطوبى قد تعني:

- العيش الطيب لهم.

- الخير الطيب لهم.

- اسم للجنة؛ أي: الجنة لهم.

- أطيّب عاقبة لهم.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿وَحُسْنُ مَآبٍ ۖ﴾: المآب: المرجع والمآل؛ أي: الجنة لهم طوبى، ولهم حسن مآب، أو: لهم خاصة طوبى، و: لهم خاصة حسن المآب.

[٣٠] ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ۖ﴾:

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ ۖ﴾: أي: كما أرسلك الله سبحانه إلى أمتك التي هي



آخر الأمم؛ فقد سبق أن أرسل سبحانه رسلاً إلى أممهم، أو أرسلك في أمة قد تقدمتها أمم كثيرة.

﴿قَدْ﴾: قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿خَلَّتْ﴾: مضت.

﴿مِنْ قَبْلَهَا أُمَّمٌ﴾: كثيرة؛ مثل: أمة موسى، وعيسى، ونوح، وعاد، وثمود، ومدين. والأمة تعريفها: هي جماعة من الناس تربطها عقيدة واحدة، أو ملة، أو شريعة، ولا يهم الكم البشري، ولا الحيز الجغرافي.

﴿لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: لتتلوا: اللام: للتوكيد، أو للتعليل.

﴿لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ﴾: لتقرأ عليهم. ارجع إلى الآية (٧١) من سورة يونس لبيان معنى التلاوة.

﴿الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: أي: القرآن الكريم. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لبيان معنى: أوحينا.

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾: وهم: الواو: للاهتمام، والتوكيد. كفر جحود، أو كفر بنعمه، أو شرك، أو تكذيب، وإنكار. يكفرون جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على تجدد وتكرار كفرهم.

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد، ومثال على ذلك: لما أرادوا كتاب الصلح يوم الحديبية، وكتب علي رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم؛ قالوا: ما نعرف الرحمن، أو حين قيل لهم: ﴿أَسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠]. واختار اسم الرحمن في هذه الآية؛ لأنه هو الذي ييسر الرزق وهو المنعم وهو الرحمن رغم تجدد كفرهم واستمرارهم على الشرك.



﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾: قل: «هو»: ضمير منفصل يفيد الحصر، والتوكيد: ربي خالقي، ومتولي أمري، ورازقي.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا رب غيره، ولا معبود سواه. لا: النافية؛ إله: معبود؛ إلا: أداة حصر؛ هو: ضمير فصل يفيد التوكيد. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: عليه وحده؛ تقديم الجار والمجرور يفيد القصر، والحصر.

﴿تَوَكَّلْتُ﴾: فوضت أمري كله إليه وحده، أو أستعين به.

﴿وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾: أي: أتوب إليه، وأستغفره. ولمزيد من البيان عن التوبة: ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦-١٧)، ولمزيد من البيان عن التوكل: ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٨٩).

[٣١] ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ بَلَّ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾:

المناسبة: أن مشركي قريش قالوا للنبي ﷺ بما معناه: سير؛ أي: حرك، أو أزل بقرآنك الجبال عن مكة؛ حتى تتسع أرضنا للزراعة، وقطع لنا الأرض، فنزلت هذه الآية كما روي عن ابن عباس ؓ.

﴿وَلَوْ أَنَّ﴾: ولو: شرطية، وأن: للتوكيد، والجواب محذوف في هذه الآية، وقد جاء في سورة الأنعام، الآية (١١١) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَيْنَا وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِلْيُؤْمِنُوا﴾.

﴿قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾: أزيحت عن أماكنها.



﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾: شققت، وجعلت قطعاً قطعاً تفصل بينها الأنهار.
 ﴿أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾: أي: أحيوا، وتكلموا، وجواب لو: أي لو حدث كل ذلك لما آمنوا، أو لكان هذا القرآن هو القادر على أن يفعل ذلك كله.
 ﴿بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾: بل: للإضراب؛ أي: لو شاء الله سبحانه لآمنوا جميعاً، ولكن لم يشأ، أو: بل لله القدرة على كل شيء، والإتيان بما طلبوه، ولكن لم يشأ، أو: أن علمه وإرادته لم تشأ ذلك؛ له الخلق والأمر سبحانه.
 ﴿أَفَلَمْ يَأْنَيْسَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾: أفلم: الهمزة للاستفهام، والفاء: للتوكيد (فاء السببية)؛ ما قبلها سبب ما بعدها.
 ﴿يَأْنَيْسَ﴾: يعلم، أو يقنط، أو يتبين.

١ - أفلم يعلم الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً، ولكنه لم يشأ، بل ترك لهم الخيار.

٢ - ألم ييأس (يقنط) هؤلاء المؤمنون من إيمان هؤلاء المشركين.

٣ - أفلم يتبين للذين آمنوا أن الله قادر أن يجعل الناس أمة واحدة؛ أي: على دين واحد، وملة واحدة، ولكنه لم يشأ؛ فهم لم يستطيعوا أن يهدوا واحداً منهم، ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً.

﴿وَلَا﴾: الواو: استثنائية؛ لا: النافية.

﴿زَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: الذين كفروا بالرحمن.

﴿تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾: القارعة لغة: هو أن تأتي بشيء صلب، وتضرب به شيئاً صلباً؛ فيحدث صوتاً. أو القارعة ما القارعة، وما أدراك ما القارعة، شيء



مخيف مرعب غيبي، داهية، أو مصيبة، أو كارثة تفرع قلوبهم. ومن أسماء يوم القيامة: القارعة، والصاخة، والطامة، والقيامة، والواقعة، والأزفة، والحاقة.

﴿بِمَا صَنَعُوا﴾: الباء: للإلصاق؛ ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، أو حرف مصدرى بما صنعوا من الكفر، والشرك، والمعاصي.

﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾: تحل على رؤوسهم مثل الكوارث، والصواعق، والمصائب الجوية، أو قريباً من منازلهم.

﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾: حتى: حرف غاية، نهاية الغاية.

﴿يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾: العذاب، أو موتهم، أو يوم القيامة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾: فيه معنى المكان يعودون إلى الجنة، والزمان يوم القيامة؛ ميعاد: مشتقة من الوعد: هو زمن التواعد، أو مكان التواعد، أما المعاد: من عاد يعود إلى بلده، معاد الرجل: بلده التي يعود إليها؛ يذهب يسافر في البلاد، ثم يعود إلى بلده؛ فالله سبحانه لا يخلف الميعاد: ما وعد به؛ سواء أكان المكان، أم الزمان؛ فهناك فرق بين الميعاد والمعاد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥].

[٣٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلْنَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق.

﴿أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾: الخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ،



والاستهزاء: يعني: التّحقير، والتّكذيب، والتّصغير من قدر الشخص الآخر، أو الشيء، والاستخفاف به، والعيب عليه.

﴿بُرْسِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: برسل: الباء: للإلصاق.

﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾: منذ زمن قريب؛ مثل: عيسى عليه السلام... وغيره من الرسل.

﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: فأملت: الفاء: للترتيب، والتراخي في الزمن، والإملاء: هو الإمهال لمدة طويلة، أو التأخير في العقوبة.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾: ثم: للترتيب، والتراخي في الزمن، أو للترتيب الذكري.

﴿أَخَذْتُهُمْ﴾: بالعقوبة، والقتل، والهزيمة، والبلاء، والأخذ يكون عادة أليماً شديداً.

﴿فَكَيْفَ﴾: الفاء: عاطفة، كيف: للاستفهام، والتعجب.

﴿كَانَ عِقَابٍ﴾: فانظر كيف كان عقابي.

﴿عِقَابٍ﴾: نكرة ليدل على شدته، وهوله عقاباً شديداً مشيراً للعجب.

لنقارن قوله في هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابٍ﴾، وقوله في سورة الحج، وسبأ، وغافر: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ﴾: من الإنكار.

آية: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابٍ﴾: تأتي في سياق أعمال السخرية، والاستهزاء، والتكذيب؛ فيكون العقاب شديداً، وأليماً، بينما: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ﴾: تأتي في سياق الأعمال الأقل من السخرية، والاستهزاء، ولكن أعمال تستحق الإنكار، والإنكار قد لا يصاحبه عقاب بل مجرد تحذير، أو عدم الرضا بما عملوا؛ فكلمة عقاب: أشد، وأقوى، وتعقب الاستهزاء بدين الله، ورساله... وغيرها.

[٣٣] ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا

لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم يَظْهَرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿١٠﴾

﴿أَفَمَنْ هُوَ﴾: أفمن: الهمزة: للاستفهام الإنكاري؛ الفاء: للتوكيد، ومن: اسم موصول.

﴿هُوَ﴾: تعود على الله (ضمير منفصل)؛ تفيد التوكيد، والحصر.

﴿قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ﴾: القيام: تولي خلقه من رزق، وحفظ، وتدير، ورقابة، وإحصاء، ورعاية.

﴿كُلِّ نَفْسٍ﴾: صالحة، أو طالحة مؤمنة، أو كافرة.

﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: بما: الباء: للإلصاق، والتوكيد، بما كسبت من خير وشر. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٨٦) للبيان في معنى كسبت، ويعد لكل جزاءه. أين جواب الاستفهام؟ محذوف؛ لترك للقارئ أن يجيب عليه كقوله: كمن ليس هو بقائم من الأصنام... وغيرها.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾: أي: كيف تشركون بالله، وتجعلون له شركاء، وهو الذي يرزقكم، ويتولى أموركم، ويحفظكم، ويحصي أعمالكم أو تجعلون لله شركاء عاجزين عن نفعكم، أو ضرركم، ولا يعلمون بحالكم شيئاً، وغير قائمين بحالكم.

﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾: سمّوا هؤلاء الشركاء الذين تزعمون. قل سموهم: على سبيل التهكم والسخرية منهم وليس على سبيل الأمر أو الواجب.

﴿أَمْ تَتَّبِعُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾: أم: حرف إضراب انتقالي؛ استفهام مصحوب بالإنكار، والتوبيخ؛ أم تخبرونه بشركاء له تعبدونهم، وهو لا يعلمهم



أو لا وجود لهم في الأرض؛ لأنّه يعلم ما في السّموات، وما في الأرض، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض، ولا في السّماء.

﴿أَمْ يَظَاهِرُونَ الْقَوْلَ﴾: أم: مجرد قول لا حقيقة له وعبث، أو مجرد قول بالأفواه لا معنى له، أو مجرد أسماء سميتموها أنتم، وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان.

﴿بَلْ زَيْنَ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾: بل: للإضراب الانتقالي.

﴿زَيْنَ﴾: المزين هو الشيطان.

﴿مَكْرُهُمْ﴾: والمكر: هو التدبير الخفي الذي يقوم به الماكر؛ للنيل من الممكور به، وهو احتيال في خفية، وسببه عجز الماكر عن مقاومة الممكور به، وهو أوّل مراتب الجبن، ويتراوح بين الخفيف، والعظيم، ونتيجة المكر السيئ هي: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

ومكرهم هنا يعني: جعل تلك الأصنام، والأوثان، والشركاء آلهة تعبد من دون الله.

﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾: أي: أعرضوا هم أنفسهم عن الإيمان، واتباع الحق، ومنعوا الآخرين كذلك من اتباع الهدى، ودين الله.

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ مُضِلٌّ هَادٍ﴾: ومن: الواو: استثنائية؛ من: شرطية تشمل الواحد، أو الجمع.

﴿يُضِلِلِ اللَّهُ﴾: من يختار طريق الضلالة، ويعرض عن سبيل الله يُمد الله له في ضلاله، وإذا قارنا قوله تعالى في هذه الآية ﴿يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ مع قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ﴾ [غافر: ٣٤]: يُضِلُّ: أي: يمد الله له في ضلاله؛ يُضِلُّ: أي: هناك من يُضله.



﴿فَالَهُ﴾: فما: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ تفيد التوكيد؛ ما: النافية.

﴿لَهُ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿مِّنْ هَادٍ﴾: من: استغرافية؛ أي: هادي يهديه إلى الحق، والصواب، والإيمان، ولن تجد له ولياً مرشداً.

[٣٤] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ اَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِّنْ اِلٰهِ مِّنْ وَّاقٍ﴾:

ثم ذكر الله سبحانه جزاءهم على كفرهم، وشركهم؛ فقال:

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾: مثل: القتل، أو الأسر، أو ما يصيبهم من سائر المحن، والكوارث الكونية، والجوية، والأمراض، والقحط، والجوع، والخوف، والأوبئة.

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ اَشَقُّ﴾: ولعذاب: اللام: للتوكيد؛ بأنّ عذاب الآخرة:

﴿اَشَقُّ﴾: أشد، وأصعب.

﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ اِلٰهِ مِّنْ وَّاقٍ﴾: ما: النافية.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿مِّنْ﴾: استغرافية.

﴿مِّنْ وَّاقٍ﴾: يقيهم عذابه؛ أي: يمنع عنهم، أو يصرف العذاب عنهم، أو

يخففه.





سُورَةُ الرَّحْمٰنِ ١٣

الْبَقَرَةُ النِّعَمَةُ

* مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى
 الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ
 بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ
 أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابِ ﴿٣٦﴾
 وَكَذَلِكَ أُنْزِلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا
 جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ
 لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
 يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾
 وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
 الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا
 مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا
 يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾



سورة الرعد [الآيات ٣٥ - ٤٢]

[٣٥] ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾:

بعد ذكر عذاب الكفار في الدنيا (لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق)، يذكر سبحانه ثواب المتقين، وما أعد له لعباده المؤمنين فيقول:

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾: لماذا قال سبحانه: مثل الجنة؟ والتّمثيل من معانيه: هو أن تلحق مجهولاً بمعلوم؛ لتأخذ منه الحكم، أو الصّورة؛ لأنّه لا توجد ألفاظ عندنا في الدنيا تؤدي معنى ما في الجنة؛ لأنّ فيها أشياء لم ترها عين، ولم تسمعها أذن، ولم تخطر على قلب بشر؛ إذن: لا يبقى لنا إلا المثل، وهو أن نأتي بأشياء نعلمها، ونقارنها بأشياء لا نعلمها؛ حتّى نحصل على صورة محتملة.

﴿وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾: وعد من الوعد، والوعد عادة إذا أطلق ولم يُقيد يدل على الخير، والوعيد: يدل على الشر.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي: تنبع أنهار الجنة من تحت تلك الجنات، وأنهار الجنة من الماء الغدق، واللبن، والخمر، والعسل.

﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾: أي: لا ينقطع، ولا ينقص، وفيها ما تشتهيهِ الأنفس،



وتلذ الأعين؛ دائم على مدار الزمان، والأكل فيها ليس بسبب الجوع؛ لأنه ليس فيها جوع، ولا ظمأ، وإنما للشهوة، والمتعة، واللذة.

﴿وَوَظَّلُهَا﴾: وظلها دائم، لا تنسخه شمس، أو غيرها.

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، ويفيد التعظيم، ويشير إلى الجنة.

﴿عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: عقبى: أي: العاقبة، عاقبة أمرهم الجنة، على وزن فعلى: عقبى: اسم بمعنى: الجزاء، أو آخر كل أمر. ارجع إلى الآية (٢٢) من نفس السورة.

﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾: ولم يقل: وعقبى الذين كفروا؛ لأن الذين كفروا قد يرجعوا عن كفرهم، ويعودوا للإيمان؛ أما الكافرين فهم الذين أصبحت صفة الكفر عندهم ثابتة، وماتوا، وهم كفار، وذكر عقبى الذين اتقوا، وإتباعه بذكر عقبى الكافرين فيه بشرى للمتقين، وإنذار للكافرين.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبٍ﴾:

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: الذين: اسم موصول؛ يفيد المدح.

﴿آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: مؤمنو أهل الكتاب من اليهود، والنصارى؛ مثل: عبد الله بن سلام، وأصحابه، وسلمان الفارسي من مؤمني أهل الكتاب أهل التوراة، والإنجيل، وإذا قارنا (الذين آتيناهم الكتاب بالذين أوتوا الكتاب) في



القرآن: نجد أن (الذين آتيناهم الكتاب): تأتي في سياق المدح والتفضيل والثناء، وأما (الذين أوتوا الكتاب) تأتي في سياق الذم والتوبيخ.

﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾: من الآيات، والذكر الحكيم (القرآن)؛ لأنه موافق لما جاء في كتبهم، وهذا الفرح من الفرح المحمود. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٧٠) لبيان معنى الفرح وأنواعه. انظر كيف قال تعالى: (يفرحون) ولم يقل يؤمنون؛ فقد يكون مجرد فرح (سرور) لبعضهم، ثم ما لبثوا أن كفروا به؛ لأنك لم تتبع ملتهم.

﴿بِمَا﴾: الباء: للتعليل، أو السببية، بما أنزل عليك يا محمد ﷺ، والفرح عادة يكون عندما يحقق الإنسان أمراً طيباً جلب له النفع، وهناك فرق بين: أنزل عليك، و: أنزل إليك. ارجع إلى الآية (٤) من سورة البقرة.

﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾: من: ابتدائية بعضية؛ أي: بعض الأحزاب. والأحزاب: جمع حزب؛ أي: طائفة متحيزة مجتمعة على هدف، أو أهداف من الذين تحزبوا من المشركين من أهل مكة، ومن حولهم من الأعراب، أو أهل الكتاب: اليهود.

﴿مَن يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾: من: للعاقل؛ تشمل: المفرد، والجمع.

﴿يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾: مثل: نبوة محمد، أو ما جاء في وصف النبي المرتقب، أو ينكر ما جاء في رجم المحصن، أو ما جاء به في البعث، والحساب. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٥١)؛ لبيان معرفة معنى: الجحود، والإنكار، والفرق بينهما.



﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾: جواب للمنكرين، قل لهم يا محمد:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿أُمِرْتُ أَنْ﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿أَعْبُدَ اللَّهَ﴾: وحده؛ أي: أطيع أو امره، وأجتنب نواهيه.

﴿وَلَا أَشْرِكْ بِهِ﴾: لا: النافية.

﴿أَشْرِكْ بِهِ إِلَهَ﴾: ولا أشرك: توكيد لـ: أمرت أن أعبد الله.

﴿إِلَهَ أَدْعُوا﴾: تقديم إليه: يفيد الحصر؛ أي: لا أدعو، ولا أعبد غيره.

﴿وَالِلَّهِ مَتَابٍ﴾: تقديم إليه: يفيد الحصر؛ أي: إليه وحده مرجعي،

ومصيري.

لنقارن هذه الآية: ﴿وَمِنَ الْأَخْزَابِ مَنْ يُكْرِ بِعَضُدٍ﴾ مع الآية (١٧) من سورة هود: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَخْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾.

آية سورة هود: جاءت في سياق الكفر بالقرآن، أو بمحمد ﷺ، وهو أشد من الإنكار، وأشد من التكذيب؛ فجاء التحذير بالقول: فالنار موعده.

أما آية سورة الرعد: جاءت في سياق الإنكار، وهو أقل من الكفر، والتكذيب؛ فلم يذكر عاقبة الإنكار التي هي حتماً أقل من الكفر.

فآية هود: تحذر من الكفر به، وآية الرعد: تحذر من إنكار بعض الكتاب (التوراة).



[٣٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ أُنزِلَتْهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَ هُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: أي: كما أرسلنا، أو مثل ما أرسلنا كل رسول بلسان قومه، وأنزلنا عليهم الكتب بلغاتهم.

﴿أُنزِلَتْهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾: أنزلنا عليك حكماً عربياً (قرآناً عربياً)، وسمي حكماً؛ لما فيه من الفرائض، والأحكام، أو حكماً عربياً يفصل بين الحق، والباطل، أو القرآن بحد ذاته حكم، أو الحكم العدل.

﴿وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَ هُمْ﴾: لئن: اللام: لام التوكيد؛ إن: شرطية تفيد الشك، أو الندرة في اتباع أهوائهم.

﴿أَهْوَاءَ هُمْ﴾: جمع هوى، والهوى تعريفه: هو ما تميل إليه النفس باطلاً وبعيداً عن الحق، ولا دليل له. ارجع إلى سورة الأنعام، آية (٥٦).

مثال الصلوة إلى بيت المقدس، أو اتباع ملتهم.

﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: عن طريق الوحي، أو إنزال القرآن، وهذه الآية تذكرنا بآية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَ هُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠] نجد: (الذي) أبلغ من (ما)؛ لأن (الذي) تستعمل في أمور محددة مثل القرآن، أما (ما) قد تستعمل في أمر تحويل القبلة، أو أهواء الذين آتيناهم الكتاب، والأحزاب... وغيرهم.



﴿مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾: من: استغرافية؛ تستغرق كل ولي في الدنيا، والخطاب إن كان موجهاً إلى رسول الله ﷺ يقصد به أمته.

﴿وَلِيٍّ﴾: معين، مساعد؛ كالقريب.

﴿وَلَا وَاقٍ﴾: حافظ، أو حفيظ يمنعك من العذاب، من الوقاية: وهي الصيانة، والحفظ؛ من عذاب الله، وغضبه، وسخطه، وعقابه، أو من الوقوع في السيئات، أو المعاصي، أو الأخطاء.

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِعَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: لام التوكيد؛ قد: تحقيق، توكيد التحقيق في إرسال رسلٍ من قبلك؛ نزلت هذه الآية رداً على طعن المشركين على النبي بتعدد الزوجات، والأولاد بدلاً من التفرغ للطاعة، والدعوة، كما روى ابن عباس ؓ، وكما أرسلناك:

﴿أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾: بشرأ لهم أزواج، وذرية وأولاد، وأيضاً:

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾: وما كان لرسول أن يأتي بآية: بمعجزة مصاحبة لمجيئه، أو قادر في أي زمن من الأزمنة على الإتيان (كان تعني: كل الأزمنة: في الماضي، والحاضر، والمستقبل، ولا يحق لأحد أن يقترح على الله أن يرسل مع أي رسول آية.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿يَا ذُنَّ اللَّهِ﴾: بإرادة الله. ارجع إلى سورة يونس آية (١٠٠) لبيان معنى

الإذن.

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾: لكلّ: اللام: لام التوكيد؛ الأجل: هو الوقت، أو الزّمن المضروب لانقضاء الشّيء؛ أي: لكلّ أجل كتاب؛ أي: لكلّ زمن نهاية مكتوبة، أو مدونة في اللوح المحفوظ، وأجل الإنسان: هو الوقت، أو الزّمن، أو المدة التي سيعيشها حيّاً ثم يموت، مثلاً أجل الإنسان (ستون سنة) فكلّ أجل مكتوب في اللوح المحفوظ.

[٣٩] ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾:

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾: المحو: هو إذهاب الأثر، أو ينسخ الله من الأحكام، والشّرائع ما يشاء؛ أي: الإزالة والاستئصال الكامل.

﴿وَيُثَبِّتُ﴾: يُبْقِي، ولا يغير، أو يحول، أو يبدل الله ما يشاء.

﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: أي: العلم الأزلي الذي لا يطاله شيء من التّبديل، أو التّغيير، أو التّحويل، والمدون في أمّ الكتاب، وقيل: أمّ الكتاب: اللوح المحفوظ، وقيل: اللوح المحفوظ الذي يقع فيه المحو، وأمّ الكتاب: لا يتغير فيه شيء أبداً؛ أي: أم الكتاب غير اللوح المحفوظ.

[٤٠] ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نتوفّينك فإنّما عليك البَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾:

﴿وَإِنْ مَا﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشّك؛ ما: للتوكيد.



﴿نُزِيتَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾: نرينك في الدنيا؛ نرينك: النون كذلك للتوكيد؛ أي: وأنت حي ترزق؛ الخطاب لرسول الله ﷺ.

﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾: من العذاب؛ مثل: القتل، والهزيمة، والبأساء، والضراء؛ بعض، وليس كل الذي نعدهم؛ لأن ما تبقى سيكون في الآخرة. ﴿أَوْ﴾: للاختيار.

﴿تَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبل أن نريك عذابهم، والنون: للتوكيد. ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾: فإنما: الفاء: للتوكيد؛ إنما: كافة مكفوفة؛ تفيد الحصر، والتوكيد.

﴿عَلَيْكَ﴾: أن تبليغ ما أنزل إليك من ربك؛ هذه هي مهمتك، وعلينا الحساب. وتقديم علينا: يفيد الحصر؛ علينا حسابهم في الآخرة، والجزاء. [٤١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، الواو: لمطلق الجمع، وتدل على شدة الإنكار، وتعني: الانتظار، والتهدئة، والتفكير، أو ترى شيئاً مرئياً بعينك، وتنكره؛ فالواو: تفيد: كيف تنكر ذلك، ولمعرفة الفرق بين (أولم يروا)، وقوله تعالى: (أفلم يروا)؛ ارجع إلى سورة سبأ آية (٩) للبيان، ولمعرفة الفرق بين (أولم يروا)، وقوله تعالى: (ألم يروا)؛ ارجع إلى سورة الأنعام آية (٦) للبيان.

﴿بَرَوًا﴾: رؤية بصرية، أو عينية، أو رؤية قلبية، أو رؤية علمية، من الدراسات والأبحاث العلمية الكونية، واكتشافات العلم الحديث.

﴿أَنَا نَاقِي الْأَرْضِ نَقْصَهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: لها عدة تفسيرات؛ نذكر منها:

التفسيرات القديمة: الأرض: إمّا تعني: بقعة، أو قطعة من الأرض، أو تعني: الأرض كلّها، وفي قوله: (نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) عدة تفسيرات؛ ذكرت في كتب التفسير؛ منها:

١ - خرابها بموت أهلها، ونقصان في الأنفس، والثمرات بالزلازل، والهدم، والخراب بالفيضانات، والكوارث الجوية.

٢ - بموت علمائها، وفقهائها، وأهل الخير.

٣ - بانتشار الإسلام، ونقصان ملل الكفر، والشرك.

أمّا التفسير العلمي: فقد ثبت علمياً: أنّ القسم اليابس من الأرض في نقصان مستمر، وأنّ أرضنا الابتدائية كانت مئة ضعف الأرض الحالية، والأرض تنكمش؛ لأنّها تفقد من ثوران البراكين ملايين الأطنان من المادة، والطاقة بشكل غازات، ونار، والتراب البركاني، وما تفقده يعادل ما تفقده الشمس، حتّى تبقى المسافة بين مركز الشمس، ومركز الأرض ثابتة، وتقدر بـ (١٥٠ مليون كم)، ولولا ذلك لاحترقنا بقرب الشمس منا، أو تجمدنا بعيد الشمس عنا.

وهناك من فسر هذه الظاهرة بعوامل التعرية، أو غيرها من التفسيرات



الأخرى؛ فلا ينطبق عليها قوله تعالى: ﴿مَنْ أَطْرَافَهَا﴾ (من جميع أطرافها)، وهي تفسيرات جزئية. ارجع إلى سورة الأنبياء، آية (٤٤)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾: أي: حين يحكم الله بحكم لا أحد يستطيع رد حكمه بعد إصداره، ولا يستطيع أحد أن يبطل حكمه، أو ينقضه، أو يعقب على حكم الله بأي شيء.

﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: وهو: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: لأنه سبحانه يعلم ما تكسب كل نفس، وجميع الخلق حسابهم كحساب الواحد منهم؛ فهو لا يحتاج إلا للقول: كن فيكون، ولأنه سبحانه لا يشغله فعل عن فعل، أو يحاسب هذا، والآخر عليه أن ينتظر في صف، كما نرى الواحد تلو الآخر. وأما الميزان: فهو لإقامة الحجة على العبد؛ فالله سبحانه قادر على أن يحاسبهم، كما يرزقهم كلهم جميعاً في آن واحد، كما أجاب الإمام علي عليه السلام.

[٤٢] ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ﴾:

﴿وَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ قد: للتحقيق؛ أي: فعلاً مكر الذين من قبلهم.

﴿مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: المكر: ارجع إلى الآية (٣٣) من نفس السورة.

مكر الذين من قبلهم: بأنبيائهم، كما يمكر بك قومك؛ ليشبثوك أو يقتلوك، أو يخرجوك. ارجع إلى سورة الأنفال، آية (٣٠)؛ لمزيد من البيان.



﴿فَلِلّٰهِ الْمَكْرُجِمِيعَا﴾: أي: لا يضر المكر إلا بإرادته، فلا يضر مكر الماكرين، ولا يخاف منه، ولا قيمة له، وهو زائل، والمهم: هو مكر الله سبحانه؛ يعني: الانتقام والأخذ، وهو الجبار الدائم القادر على دحر أي مكر. ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾: من خير، أو شر، وحسنة، أو سيئة، وسيجزي كلاً على عمله.

﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَفَرُ﴾: السّين: للاستقبال القريب، لمن عقبى الدار يوم القيامة. ﴿لَمَنْ عُقِيَ الدَّارِ﴾: العاقبة المحمودة؛ أي: الجنة. ﴿لَمَنْ﴾: اللام: لام الاختصاص. ارجع إلى الآية (٢٢) من السّورة نفسها.





سُورَةُ الْاَنْعَامِ ١٤

الْبَقَرَةُ ١٤

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ اِبْرَاهِيْمَ ١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ
لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا
مِّن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم فَيُضِلَّ اللَّهُ
مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا
اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾



سورة الرعد [الآية ٤٣]

[٤٣] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾:

يرد الله سبحانه في هذه الآية على منكري نبوة رسول الله ﷺ.
﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: جاء بصيغة المضارع بدلاً من قال: لتكرار قولهم، وتجده؛ فهم استمروا على إنكارهم بقولهم:
﴿لَسْتَ﴾: ليس + التاء؛ ليس: للنفي، والتاء: للتأكيد.
﴿مُرْسَلًا﴾: من عند الله، أو رسولا.
﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ:
يكفي الله سبحانه أن يكون شهيداً بيني وبينكم على أنني رسول الله إليكم، ولا تهم شهادتكم بأنني رسول الله أم لا.
﴿بِاللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

﴿شَهِيدًا﴾: صيغة مبالغة من: شاهد. ارجع إلى الآية (١٣٣) من سورة البقرة؛ للبيان، وتقديم شهيداً على بيني وبينكم هو الأصل دائماً، ولكنه سبحانه قدم بيني وبينكم على كلمة شهيداً في آية واحدة فقط في سورة العنكبوت آية (٥٢)؛ ارجع إلى سورة العنكبوت لمعرفة السبب.

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾: من: للعاقل، وتشمل المفرد، والجمع.
﴿عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾: (القرآن)، ومن: قد تعود إلى الله سبحانه؛ فتكون توكيداً لقوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾.
وقد تشمل جبريل عليه السلام، أو المؤمنين، أو أولي العلم، أو عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي.





سُورَةُ الْاِنْبِرَاءِ ١٤

الْمِيزَةُ الدَّالَّةُ عَلَى الْحِكْمَةِ

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ الْاِنْبِرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ
لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا
مِّن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا
اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾



سورة إبراهيم [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (١٤)، وفي النزول (٧٢)؛ نزلت بعد سورة نوح (٧١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾:

﴿الر﴾: ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة.

﴿كَتَبُ﴾: كتابٌ؛ أي: القرآن؛ فهو يسمّى: كتاباً؛ لأنه مكتوب في الأسطر، وفي اللوح المحفوظ، ويسمّى: قرآناً؛ لأنه مقروء، وله أسماء أخرى كثيرة؛ ارجع إلى الآية (٢) من سورة البقرة.

كتاب: بصيغة النكرة؛ للتعظيم، والتفخيم.

﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: أي: جملة واحدة (دفعاً واحدة)، من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر.

﴿إِلَيْكَ﴾: ولم يقل عليك.

﴿إِلَى﴾: تفيد عموم الغايات؛ أي: لتبلغ الناس ما أنزل إليهم من ربهم، ولمعرفة الفرق بين إليك، وعليك: ارجع إلى الآية (٣) من سورة آل عمران، والآية (٤) من سورة البقرة.



﴿لَخُخْرِجَ النَّاسَ﴾: لتخرج: السلام: لام التعليل، والتوكيد؛ تخرج الناس: بدعوتهم إلى الإيمان، وتبليغهم ما أنزل إليك.

﴿النَّاسَ﴾: مشتقة من النّوس؛ أي: الحركة التي هي صفتهم، وتشمل الجن، والإنس.

﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾: من: ابتدائية.

﴿الظُّلُمَاتِ﴾: جمع: ظلمة، وتشمل: ظلمة الجهل، والضلال، والتقليد، والشرك، والكفر.

﴿إِلَى النُّورِ﴾: الإيمان، والتوحيد، والعلم، والنور: مفرد، بينما الظلمات: جمع، أو كثرة. دائماً في القرآن يجمع الظلمات؛ لأن الظلمات مختلفة، وأما النور: فهو واحد، وذلك لأن النور سببه أو مصدره هو الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه واحد كقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، وأما الظلمات متعددة لتعدد أسبابها، أو مصادرها: الطاغوت، والأنفس، والأهواء، والشياطين، والأصنام.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: بإذن: بأمر ربهم، وإرادته، وتوفيقه، وعونه، والباء: للإلصاق، والتوكيد، وإذن ربهم. الإذن: اسم للكلام الذي يفيد إباحة فعل، أو قول، وتستعمل للعمل الذي ليس لنا تدخل فيه؛ أي: هو تدبير خارج عن إرادتنا، بينما القول: (إن شاء الله) تستعمل للأمر الذي لنا شأن، أو تدخل به، أو نقوم به.

﴿إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾: إلى: تفيد عموم الغاية.



﴿صِرَاطٌ﴾: دين الله، وهو الإسلام، والصراط: هو الطريق المستقيم الواضح الموصل إلى الغاية بأقصر مسافة، وأقصر زمن، وبسهولة.

﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي الذي لا يُغلب، ولا يُقهر، والممتنع.

﴿الْحَمِيدُ﴾: صيغة مبالغة من الحمد؛ كثير الحمد من خلقه؛ فهو المحمود، سواء حمده خلقه، أم لم يحمده؛ فهو المحمود في ذاته، والذي ثبتت له صفة الحمد من قبل أن يوجد من يحمده. ارجع إلى سورة الفاتحة الآية (٢) لمزيد من البيان، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٤) من سورة الحج، وهي قوله تعالى: ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ نجده حذف اسم العزيز؛ ارجع إلى سورة الحج لمعرفة السبب.

[٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾:

هذه الآية يمكن وصلها بالآية السابقة؛ فتقرأ: صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات، وما في الأرض، وتقرأ مرققة، أو تقرأ غير مرققة؛ أي: مفصولة عما قبلها.

الله الذي له ما في السموات، وما في الأرض.

الله: إذا قرئت بالكسر: هي بدل (العزيز الحميد)، وإذا قرأت بالضم (الله): فهي مبتدأ، أو خبر لمبتدأ محذوف؛ تقديره: هو الله الذي له ما في السموات والأرض.



﴿الله﴾: اسم الله العلم الدال على واجب الوجود، وتعني: المعبود، ويشمل كل صفات الله العليا.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: السَّمَوَات (ظرف)، وما في السَّمَوَات (مظروف)؛ أي: له السَّمَوَات وما فيهن، وله الأرض وما فيها؛ أي: السَّمَوَات السَّبع وما فيهن، والأرضين السَّبع وما فيهن، الكل ملكه، لا يشاركه فيه أحد؛ كقوله: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

وتكرار (ما في) لأن: هناك أجناس من المخلوقات موجودة في السَّمَوَات لا توجد على الأرض، أو بالعكس؛ مثل: حملة العرش، ومن حوله، وغيرهم من الملائكة، والكواكب، والأقمار، والشَّموس، وهناك مخلوقات في الأرض تخص الأرض، وحدها واستعمال (ما) التي تشمل العاقل وغير العاقل.

﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ﴾: الويل: العذاب، أو الهلاك، وقيل: دعاء بالشر، وإنذار بالعذاب، والويل يكون في الدنيا والآخرة، وليس فقط في الآخرة.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: والعذاب الشديد أحد أنواع العذاب؛ فهناك العظيم، والأليم، والمهين، والمقيم؛ عذاب شديد لا يطاق، أو يمكن تحمله.

[٣] ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾:

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾: ويول للكاشرين الذين يستحبون الحياة الدنيا.

﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾: على وزن استفعل؛ أي: أجهدوا أنفسهم، وأوغلوا في حب الدنيا، وهناك فرق بين أحب واستحب. أحب: اكتفى بالحب العادي بدون تكلف، وجهد.

أما استحب: السَّين، والتَّاء: تدل على الطَّلَب؛ أي: طلب حب الدنيا، وتوغل في حبه للدنيا، وأرهق نفسه في طلبها، والرَّكُض وراءها. ووصفها الله سبحانه بالدنيا، أو السفلى، أو الزَّائلة؛ أي: يؤثرونها، ويفضلونها على الآخرة.

﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: يمنعون النَّاس من الدَّخول في دين الإسلام، أو يشوهون دين الله كي يبعدوا النَّاس عن هذا الدِّين؛ فهم ضالون لأنفسهم مضلون لغيرهم.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: ييغون شريعة معوجة منحرفة؛ كي تحقق رغباتهم، وأهوائهم. يصدون، وييغونها: بصيغة المضارع الدالة على التكرار والتجديد؛ أي: الاستمرار في الصد والابتغاء.

﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾: أولئك: اسم إشارة، واللام: للبعد، تشير إلى دنو منزلتهم، في ضلال بعيد؛ لأنهم جمعوا بين الضلال، والإضلال، وبذلك أصبحوا في ضلال بعيد يصعب الرجوع منه إلى طريق الهدى، والدِّين.

[٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ﴾: وما: الواو: استئنافية؛ ما: النافية.



﴿أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ﴾: من: ابتدائية استغرافية؛ أرسلنا، ولم يقل: بعثنا.
ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿لَا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾: إلا: أداة حصر، حصراً وقصراً بلسان قومه؛ أي:
يتكلم لغة قومه لماذا؟

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾: ليبين: اللام: لام التعليل؛ يبين لهم: يوضح، ويشرح لهم
ما أنزل عليهم من ربهم.

﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: فمنهم من يختار التصديق،
والإيمان، ويستجيب لما أمره الله، ويتبع رسوله فيهديه الله، ويشرح صدره،
ويمدّه بيد العون، ومنهم من يختار طريق الضلالة، والكفر، ويرفض الإيمان،
والتصديق بما أنزل الله، ويسير في طريق الضلالة؛ فيمد له ربه في غيّه، وضلاله.
فالله هو الهادي؛ فلا يضل أحداً لأنه: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]. إلا
من أراد الضلال، وابتعد عن طريق الهداية، ولم يعد في قلبه ذرة إيمان، ولا أمل
فيه فيتركه وشأنه.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: وهو: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي الغالب الذي لا يُغلب، والقاهر الذي لا يُقهر،
والممتنع لا يضره أحد.

﴿الْحَكِيمُ﴾: في تدبير شؤون خلقه، وكونه، والحكيم: من الحكمة؛ فهو
أحكم الحكماء، والحكيم: من الحكم؛ فهو أحكم الحاكمين. ارجع إلى سورة
البقرة (١٢٩) لمزيد من البيان.

[٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيِّنَّمَا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾:
 ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾: ولقد: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: لام التوكيد؛ قد:
 حرف تحقيق.

﴿مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾: التسع إلى فرعون؛ منها: العصا، واليد، والسنين،
 والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، أو إلى بني إسرائيل... وغيرها
 من الآيات؛ ومنها: فلق البحر، وفتح الجبل، وإنزال التوراة، والمن، والسلوى،
 والغمام.

﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾: أن: للتوكيد.

﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾: بني إسرائيل.

﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾: ظلمات الكفر، والشرك، والضلال،
 والجهالة إلى نور الإيمان والتوحيد. ارجع إلى الآية (١) من نفس السورة، ولم
 يقل في هذه الآية بإذن ربهم كما في الآية (١) من نفس السورة؛ لأنه سبقها قوله
 تعالى: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، أو ربما لأن دعوة موسى
 قومه قد تمت ومضت.

﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيِّنَّمَا اللَّهُ﴾: حدثهم، أو عظمهم؛ لأنهم نسوا ذلك.

﴿بِأَيِّنَّمَا اللَّهُ﴾: أي: الأحداث التي وقعت لهم، وللأمم السابقة.

ويقصد باليوم؛ أي: الحدث البارز الهام الذي وقع في ذلك اليوم، وليس
 اليوم بذاته؛ أي: بالوقائع، والمحن، والشدائد، والأحداث المؤلمة التي مرت



عليهم مثل: قهر فرعون لهم وقتل أولادهم، واستحياء نسائهم، وبنعم الله عليهم مثل فلق البحر، وإنقاذهم من فرعون، وجنوده، والمن، والسلوى، ونتق الجبل فوقهم كأنه ظلة، وإنزال التوراة، وضرب الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا.

﴿إِنِّ فِي ذَٰلِكَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة، واللام: للبعد، والكاف: للخطاب.

﴿لَا يَنْتِ﴾: اللام: لام التوكيد؛ آيات: معجزات أو براهين، وأدلة لكل صبار شكور.

﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾: لكل: اللام: لام الاختصاص، كثير الصبر، مبالغ في الصبر على وزن فعال، وإذا قارنا صبار بصبور؛ صبور: تدل على الدوام (دوام الصبر)، أو باستمرار، وهذا من الصعب فعله والقيام به، أما كونه صبار؛ أي: كثير الصبر فهذا نراه عند بعض الناس، وليس الكل، ولم ترد كلمة صبور في كل القرآن الكريم.

﴿شَكُورٍ﴾: كثير الشكر وتدل على الدوام، وهناك من الناس من هو كثير الشكر، أو دائم الشكر كما أخبرنا الله سبحانه عن نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، أو مبالغ في الشكر في أيام الله منها التي تجلت بأحداث مؤلمة تحتاج إلى صبر كثير، ومنها: ما تجلت بحوادث حسنة تستحق الشكر؛ أي: كانت آيات تحتاج إلى كثير من الصبر، أو كثير من الشكر؛ أي: آيات ابتلاء لكل مؤمن كثير الصبر، أو كثير الشكر.



وهذا ما يؤيده حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه مسلم في صحيحه:
«عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا المؤمن: إن أصابته
سراء شكر؛ فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر؛ فكان خيراً له».

وقد وردت آية: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: في (٤)
سور من القرآن:

في سورة إبراهيم هذه الآية (٥)، والآيات هنا تعني: المعجزات التي
حدثت في زمن موسى عليه السلام.

وفي سورة لقمان، الآية (٣١): الآيات هنا تعني الآيات الكونية كقوله
تعالى: يولج الليل في النهار، والنهار في الليل، والفلك التي تجري في البحر،
وسخر الشمس، والقمر كل يجري إلى أجل مسمى؛ الدالة على عظمة الله
وقدرته.

في سورة سبأ، الآية (١٩): الآيات هنا الكفر بنعم الله، وعدم شكر المنعم؛
الأمر الذي أدّى إلى تمزيقهم وجعلهم أحاديث.

في سورة الشورى، الآية (٣٣): مزيد من الآيات الكونية الدالة على
عظمة الله تعالى، وقدرته التي تدعو إلى التفكير والشكر.





سُورَةُ الْاَنْعَامِ ١٤

الْبَقَرَةُ الْعَشْرُ

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
وَيَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي
ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ
عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ
بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ
بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ
رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ
لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ
مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا
عَمَّا كُنَّا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾





سورة إبراهيم [الآيات ٦ - ١٠]

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ
فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ
فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: إذ: ظرف زمانى؛
بمعنى: واذكر إذ قال موسى لقومه (بنى إسرائيل)، أو واذكر حين قال موسى:
اذكروا نعمة الله عليكم؛ أي: ذكروا دائماً وفي كل حين ووقت نعمة الله عليكم.
انتبه في هذه الآية لم يقل: يا قوم، كما في الآية (٢٠) من سورة المائدة، وإذ
قال موسى لقومه: يا قوم التي فيها معنى التودد والتحبب والدعوة بلطف وحنان،
وفيه معنى تعظيم المخاطب به؛ لأن ما ذكر في شأن موسى وقومه في سورة
إبراهيم فيها اختصار، وعدم ذكر يا قوم بينما في السور الأخرى التي ذكر فيها
يا قوم فيها تفصيل أكثر في شأن موسى وقومه، أو لأن موقف موسى في سورة
إبراهيم موقف تحذير وتذكير ببعض المحن، والمصائب، والعذاب، والنجاة،
وليس موقف دعوة وتبليغ حتى يقول يا قوم.

﴿وَإِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: ولم يقل: إذ نجاكم من آل فرعون،
نجاكم: تعني ببطء، وزمن طويل، بينما أنجاكم: تفيد السرعة في النجاة؛ أي:
أنجاكم بسرعة، وتعني: عبور البحر (بفلق البحر لكم)؛ لتنجوا من فرعون



وجنوده، وتم ذلك في زمن قصير، وعملية خارقة للعقل عظيمة لا يقدر عليها إلا الله وحده.

﴿يُسْأَلُونَكَ سَاءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾
وفي ذلك لكم بلاءٌ من ربكم عظيمٌ: ﴿ارجع إلى الآية (٤٩) من سورة البقرة؛
فهذه الآية تكرر للآية في سورة البقرة، وسورة القصص آية (٤) مع الاختلافات
التالية:

في هذه الآية قال تعالى: ﴿وَيَدَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾، بينما في آية البقرة:
﴿يَدَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ بدون إضافة الواو، إضافة الواو في آية إبراهيم تدل على أن
تذبيح الأبناء هو أمر آخر، أو ثانٍ؛ بالإضافة إلى سوء العذاب؛ أي: هنا يعدد لهم
بعض المحن منها: سوء العذاب، وتذبيح الأبناء، واستحياء النساء؛ ففيها تفصيل
لأنواع العذاب، وتعظيم لما حدث لهم؛ بينما في سورة البقرة: سوء العذاب
تشمل يذبحون أبناءكم.

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾: فآية إبراهيم فيها زيادة الواو تدل على
الاهتمام الذي أدى إلى الإسراع في النجاة فاستعمل أنجيناكم حين بلغ السيل
الزبى ونفذ الصبر ووصلت الأمور إلى أقصاها، ولم يقل بناتكم؛ لأن النساء
تدل على كثرة العدد أولاً، وثانياً: على تحمل المشقة، والخدمة أكثر من البنات.
ويستحيون نساؤكم بدأت بحرف العطف (هو الواو) في كل السور التي وردت
فيها هذه الآية؛ لأنها تختلف عن سوء العذاب الذي فيه إهانة وذلة وهتك
للأعراض. ارجع إلى سورة القصص آية (٤) لمزيد من البيان في سبب إضافة
الواو لكلمة ويذبحون أبناءكم.



﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: ارجع إلى سورة البقرة آية (٤٩).

[٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكُمْ لِنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾:

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكُمْ﴾: إذ: ظرف زمني؛ بمعنى: حين، أو: واذكر إذ.
 ﴿تَأَذَّتْ رَبُّكُمْ﴾: إذ وعد ربكم، أو أعلم بتوكيد (تأذن فيها مبالغة في الإعلام)، وقيل: حدث هذا الإعلام على جبل الطور، وأعلم بهذه الآية، والله أعلم.

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾: لئن: اللام: للتوكيد؛ إن: شرطية تفيد الشك والاحتمال في شكرهم لله تعالى.

﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾: النون: للتوكيد بدلاً من قوله: لأزيدكم. والشكر؛ يعني: الاعتراف بالنعمة للمنع؛ أي: هو الذي أنعمها، والشكر عليها يكون باللسان، وعدم سترها، والسجود سجود الشكر مثلاً، وطاعة الله. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠) لمزيد من البيان في شكرتم.

﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾: مثل: لئن شكرتم، ولئن كفرتم: أي: جحدتم نعمة الله؛ أي: أنكرتموها، وكفرتم بالله و وحدانيته وربوبيته.
 ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾: إن: للتوكيد.

﴿عَذَابِي﴾: أضاف العذاب له سبحانه؛ للتحذير والإنذار، ولم يقل: إن عذاب الله لشديد، ولم يقل: لأعذبنكم (كما قال لأزيدنكم)، وإنما أطلق العذاب ليشملهم ويشمل غيرهم من الكفار.



﴿لَشَدِيدٌ﴾: السلام: لام التوكيد، عذابي: في الدنيا، أوفي الآخرة لشديد، ولذلك إياك أن تشغل بالنعمة، وتنسى المنعم؛ لأنه سبحانه هو الذي آتاك إياها.

[٨] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾:

جاءت هذه الآية في عقب الآية (لئن شكرتم لأزيدنكم)؛ حتى لا يظن أحد من قوم موسى (بني إسرائيل)، أو غيرهم أن الله سبحانه بحاجة إلى شكرهم، أو عبادتهم، فأراد الله سبحانه مسح هذا الاعتقاد من عقول خلقه على لسان موسى بقوله:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال والشك. والكفر: هو إما كفر عقيدة، أو كفر لنعم الله تعالى؛ أي: جحود لها وسترها.

﴿أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: أنتم: للتوكيد.

﴿وَمَنْ﴾: للمفرد، والمثنى، والجمع، وللعاقل؛ ومن: استغرافية تشمل كل من في الأرض.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾: في ظرفية للمظروف؛ أي: من في الأرض، ولم يقل: على الأرض؛ لأن الطبقة الغازية المحيطة بالأرض تابعة للأرض فنحن نسير في الأرض.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد مرة أخرى.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾: فإن: الفاء: للتوكيد؛ إن: للتوكيد أيضاً.

﴿لَغَنِيٌّ﴾: اللام: للتوكيد من غناه؛ غني عنكم، وعن إيمانكم وشكركم وطاعتكم.



﴿ حَمِيدٌ ﴾: ارجع إلى الآية (١) من نفس السورة؛ للبيان.

[٩] ﴿الَّذِينَ يَأْتِكُمْ بَنُوءُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِء وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴾:

قيل: هذا كلام مبتدأ من الله سبحانه يخاطب به الله قريش، أو كفار مكة، أو المسلمين، أو الكل، ومنهم من قال: أنه تنمة من كلام موسى ﷺ.

﴿ أَلَمْ ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، وتقرير، ولم: للنفي، وتعني: أتاكم نبأ الذين من قبلكم.

﴿يَأْتِكُمْ بَنُوءُ﴾: المخاطب على الأرجح هو النبي ﷺ وأمته؛ يصل إليكم، أو يجيئكم بسهولة. أتاكم تعني: المجيء بسهولة عن طريق القرآن.

﴿بَنُوءُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: النبأ: الخبر العظيم المهم الذي له شأن؛ أي: ذو فائدة عظيمة يحصل به علم لأمر ما.

﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾: من قبلكم: أي: منذ زمن قصير، أما لو قال الذين قبلكم بدون من؛ لكانت تعني: منذ زمن طويل، بدأ بقوم نوح؛ لأن ما قبل نوح كان الناس أمة واحدة على دين واحد.

﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾: والذين: تعني: الكثرة، ولم يقل: ومن بعدهم؛ أي: لم يقل قوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم، وإنما أضاف والذين: التي تدل على الكثرة، ولو حذف الذين وقال: ومن بعدهم؛ تعني: القلة؛ لا يعلم عددهم ويحصيهم إلا الله. من بعدهم: هاء الضمير يعود على قوم نوح وعاد وثمود.



﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿اللَّهُ﴾: واجب الوجود، خالقهم ومحصيهم.

﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالبينات: الباء: للإلصاق، والتوكيد؛
البينات: جمع بينة: البرهان، أو الدليل القاطع؛ (جاءتهم رسلهم): بالحجج
الواضحة، والبراهين، والمعجزات الدالة على صدق دعوتهم، وإلى عبادة الله
وحده.

﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾: فردوا: الفاء: للمباشرة، والتعقيب على
مجيء الرسل بالبينات؛ ردوا أيديهم في أفواههم؛ ردوا: فيها معنى التكرار؛ أي:
وضعوا أيديهم على أفواههم ثم أزالوها، ثم وضعوها لها عدة تفسيرات:

١ - الرد كناية عن العض، والعض على الأصابع ناتج من الغيظ، والضجر من
أنبيائهم ورسولهم، ورد اليد في الفم؛ أي: وضع اليد في الفم، وتعني: العض.

٢ - أو الرد يعني: أشاروا إلى رسولهم بالسكوت، وعدم الكلام مشبهاً ذلك بوضع
اليد على فم المتكلم؛ لإسكاته (استعارة تمثيلية).

٣ - أو ردوا مواعظ ونصائح الأنبياء والرسل؛ أي: الشرائع، والأحكام؛ فردوها؛
أي: كذبوها، ولم يقبلوها بأقوالهم، فكأنهم ردوها وأرجعوها، ولم يستمعوا
إليها سماع انتفاع وفائدة؛ فالرد يحتمل أن يكون حقيقة أو استعارة.

٤ - قد تعني: الاستهزاء والسخرية من البينات يضعون أيديهم على أفواههم من
الضحك، ثم يرفعونها ويشيرون إلى الواعظ أو المتحدث وهكذا.

هذه الآية تذكرنا بالآية (٢٦) من سورة فصلت، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَافِ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾.



﴿وَقَالُوا﴾: أي: قالت الأقوام لرسولهم.

﴿وَإِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾: إِنَّا: للتوكيد.

﴿كَفَرْنَا﴾: أي: لا نؤمن، ولا نصدق.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، والاهتمام؛ ما: اسم موصول بمعنى: الذي.

﴿أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾: من الآيات، أو الأوامر، أو النواهي.

﴿وَإِنَّا لَفِي﴾: تكرر إِنَّا: للتوكيد.

﴿لَفِي﴾: السلام: للتوكيد أيضاً، ولم يقل وَإِنَّا؛ لأنه ذكر إِنَّا مرتين يكفي للتوكيد.

﴿شَكٍّ مِّمَّا﴾: الشك: هو تساوي طرفي النفي والإثبات، والشك: خلاف اليقين، ويعني: اضطراب النفس في التردد بين شيئين.

﴿مِمَّا﴾: من + ما؛ من: ابتدائية؛ ما: اسم موصول بمعنى: الذي، وما: أوسع شمولاً.

﴿تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ﴾: بدلاً من تدعوننا بزيادة النون التي تدل على مجموعة الرسل، وكذلك تدعوننا فيها معنى التوكيد بزيادة النون مقارنة بالآية (٦٢) من سورة هود وهي قوله تعالى قال القوم لصالح: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾.
﴿مُرِيبٍ﴾: من الريب: وهو الشك مع التهمة يشكون في صدق رسولهم ورسالاتهم، ويتهمون رسولهم بالكذب المتعمد.

[١٠] ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفَرَ لَكُمْ



مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ
تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا سُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠٠﴾

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾: قالت رُسُلُهُم لأقوامهم: أفي الله شك:
الهمزة في أفي: همزة استفهام إنكاري.

﴿اللَّهُ﴾: اسم العلم؛ اسم واجب الوجود.

﴿شَكٌّ﴾: أي: الكلام لا يحتمل الشك؛ لأن الأدلة والآيات واضحة على
وحدانية الله، وأنه هو المعبود وحده؛ لأنه هو وحده فاطر السموات والأرض.

﴿فَاطِرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾: فاطر من فطر؛ أي: شق. وفطر الخلق: أخرجهم
للوجود. فاطر السموات والأرض: خالق ومخرج السموات والأرض للوجود.
ارجع إلى سورة يوسف، الآية (١٠١)؛ لمزيد من البيان، وسورة الأنعام، الآية
(١٤).

﴿يَدْعُوَكُمْ﴾: يدعوكم إلى الإيمان، والتوحيد من خلال الرسل والكتب.

﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾: اللام: لام التعليل؛ يغفر لكم: من الغفر،
وهو السّتر، وبالتالي محو بعض ذنوبكم.

﴿مِّنْ﴾: بعضيّة، ولم يقل يغفر لكم ذنوبكم كما في قوله تعالى في الآية
(٣١) من سورة آل عمران: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾؛ لأن الخطاب هنا للكفار، ولو
كان الخطاب للمؤمنين كما في آية آل عمران لقال تعالى: يغفر لكم ذنوبكم؛ أي:
كلّ الذّنوب.

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: يؤخركم من التأخير وهو الإمهال؛
أي: لا يعجل لكم العقاب، أو العذاب بسبب كفركم وعدم شكركم ومعاصيكم؛



حَتَّى يَنْقُضِيَ أَجْلَكُمْ الْمَضْرُوبَ لَكُمْ، أَوِ الْمَحْدَدَ لَكُمْ فِي عِلْمِ اللَّهِ، وَمِنْ هُنَا نَفْهَمُ: أَنَّ الْإِيْمَانَ بِاللَّهِ تَعَالَى يَفِيدُ فِي مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ وَعَدَمِ تَعْجِيلِ الْعِقَابِ.

﴿قَالُوا﴾: أَي: قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ.

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ﴾: إِنْ: نَافِيَةٌ أَشَدُّ نَفْيًا مِنْ: مَا؛ أَي: مَا أَنْتُمْ، وَهَذِهِ هِيَ حُجَّتُهُمُ الْبَاطِلَةُ دَائِمًا لَا يَرِيدُونَ رِسَالًا بَشَرًا مِثْلَهُمْ.

﴿إِلَّا﴾: أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ تَفِيدُ الْحَصْرَ؛ أَي: حَصْرًا وَقَصْرًا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا، وَلَيْسَ مَلَائِكَةً أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ.

﴿تُرِيدُونَ﴾: بِالْمَضَارِعِ؛ يَفِيدُ التَّجَدُّدَ، وَالتَّكَرَّارَ.

﴿أَنْ نَصُدُّوْنَ﴾: أَنْ: لِلتَّوَكِيدِ، وَالصَّدُّ يَعْنِي: تَصَرُّفُونَا أَوْ تَمْنَعُونَا.

﴿عَمَّا﴾: عَنْ + مَا؛ عَنْ: تَفِيدُ الْمَجَاوِزَةَ وَالْمُبَاعَدَةَ؛ مَا: اسْمُ مَوْصُولٍ بِمَعْنَى: الَّذِي. وَمَا: أَوْسَعُ شَمُولًا مِنَ الَّذِي.

﴿كَانَ يَعْبُدُ آبَاءُنَا﴾: أَي: مِنَ الْأَصْنَامِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَلِهَةِ.

﴿فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: فَأَتُوا لَنَا بِسُلْطَانٍ؛ الْبَاءُ: لِلإِلْصَاقِ، وَالتَّوَكِيدِ؛ أَي: بِرَهَانٍ، أَوْ حُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ يَدُلُّ عَلَى صِدْقِكُمْ.

﴿مُبِينٍ﴾: أَي: وَاضِحٌ لِكُلِّ فَرْدٍ، وَظَاهِرٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ؛ أَي: مُظْهِرٌ لِنَفْسِهِ.



الجزء الثاني عشر

سورة البقرة ١٤

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ
بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدانا سُبُلَنَا
وَلَنَضْرِبَكَ عَلَىٰ مَاءٍ أَذِيْتُمْوْنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ
﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّسُلُ هُمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ
أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا
وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَآيِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ
وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ
وَرَآيِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الصَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾



سورة إبراهيم [الآيات ١١ - ١٨]

[١١] ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾:

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾: قالت: التاء: تدل على الكثرة؛ كثرة الرسل؛ قالت الرسل للذين كفروا.

﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: إن: حرف نفي أقوى نفيًا من: ما؛ أي: ما نحن إِلَّا بشر مثلكم.

﴿إِلَّا﴾: تفيد الحصر؛ أي: نحن حصراً بشراً مثلكم؛ كما تقولون.

﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿اللَّهُ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: يُمُنُّ: يُنْعِمُ ويحسن بالنبوة والعلم والحكمة.

﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: أي: يختار ويصطفي، ويؤيد ذلك قوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

﴿وَمَا كَانَ لَنَا﴾: ما ينبغي لنا، وما يحق لنا؛ ما: التآفية.



﴿كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة: في الماضي، أو الحاضر، أو المستقبل.

﴿لَنَّا﴾: اللام: للاختصاص؛ أن: حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد.

﴿أَنْ تَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ﴾: أن: حرف مصدري يفيد التوكيد بحجة أو برهان، كما تطلبون؛ لأن ما جاءكم من الآيات، والمعجزات يكفي، وإذا كان الله سبحانه يريد أن يأتيكم بآيات أخرى فيأذنه.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: إلا: حصراً؛ بأمر من الله. ارجع إلى الآية (١) من نفس السورة.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: بعد تقديم الأسباب عليهم أن يفوضوا أمرهم إلى الله لتحقيق ما يسعوا إليه.

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: فليتوكل: الفاء: للتوكيد، واللام: لام الأمر أو الاختصاص. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٩) لبيان معنى التوكل.

[١٢] ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلًا وَلَنْصِيرَكَ عَلَى مَا أَدَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾:

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ﴾: ما: استفهامية؛ استفهام إنكاري.

﴿أَلَّا﴾: مركبة من: أن: حرف مصدري للتوكيد، ولا: حرف نفي أي:

لا عذر لنا في ألا نتوكل على الله بعد أن هدانا وأرشدنا إلى السبل، أو الطرق الموصلة إلى الغاية، وهي النجاة من عذابه، والفوز في الآخرة.



﴿وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلَنَا﴾: وقد: الواو: للتوكيد؛ قد: تحقيق.

﴿هَدَيْنَا سُبُلَنَا﴾: جمع سبيل: وهو الطريق الواضح الموصل إلى الغاية؛

أي: وقد دلنا، وبين لنا كل السبل الموصلة إلى النجاة.

﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا﴾: ولنصبرن: الواو: استثنائية؛ لنصبرن: اللام:

لام التوكيد؛ نصبرن: النون للتوكيد.

﴿مَا﴾: مصدرية، أو اسم موصول بمعنى: الذي.

﴿مَا آذَيْتُمُونَا﴾: سواء بالسنتكم، أو بأفعالكم. والأذى: هو الحدث المؤلم

الذي يؤلم ساعة وقوعه، ثم ينتهي ويزول، أو يتحول إلى الضر، فالضر: أشد من

الأذى، ويكون في النفس أو غيرها. وقوله تعالى: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا﴾؛

أي: سيصبرون في المستقبل كما صبروا في الماضي؛ أي: سيستمررون على

صبرهم على أذاهم؛ لأنهم لم يقولوا ولقد صبرنا على ما آذيتمونا.

﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾: وعلى الله: تقديم الجار والمجرور يفيد

الحصر؛ أي: ليستمر المتوكلون من المؤمنين على توكلهم على الله، ولا يكفهم،

أو يمنعهم أذى الكفار، والذين أشركوا.

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾: الفاء: تفيد التوكيد، السلام: لام الأمر؛ يتوكل المتوكلون: كل

متوكل مؤمن، وليس كل مؤمن متوكل.



ما هو الفرق بين: وعلى الله فليتوكل المؤمنون، وعلى الله فليتوكل المتوكلون؟

المرتبة الأولى: وعلى الله فليتوكل المؤمنون: فيها حث المؤمنين على التوكل على الله سبحانه؛ أي: هم اتصفوا بصفة واحدة هي الإيمان، وتحثهم على التوكل.

المرتبة الثانية: وعلى الله فليتوكل المتوكلون: المتوكلون في هذه الآية اتصفوا بصفيتين: الإيمان، والتوكل، والآية تحثهم على الاستقامة، والاستمرار على التوكل؛ فكل متوكل مؤمن، وليس كل مؤمن متوكل.

[١٣] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَتُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا﴾: لرسولهم: اللام لام التوكيد.

﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ﴾: النون: بدلاً من نخرجكم للتوكيد. من: ابتدائية. أرضنا؛ أي: الوطن، أو قريتنا.

﴿أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾: أو: للتخير؛ إذن: هم أمام أحد الخيارين: إما الإخراج؛ أي: الطرد والنفي، وإما العودة؛ لا محالة إلى ملة الكفر، أو ملة الآباء من التقليد.



﴿لَتَعُوْذُنَّ﴾: مثل: لنخرجنكم: اللام: للتوكيد، والنون لزيادة التوكيد.

﴿فِي مِلَّتِنَا﴾: في ملة الكفر.

ولا تعني هذه الآية أن الرّسل كانوا في ملتهم، ثمّ خرجوا عنها، والآن عليهم أن يعودوا إلى ملة الكفر مرة ثانية، وهذا لم يحدث أبداً، ومستحيل.

فمعنى لتعودن في ملتنا: أي: تصيرن، والعرب تستعمل عاد بمعنى صار، والملة: الشريعة والديانة، والملة: أصلها التكرار، وسميت ملة لاستمرار أهلها عليها، والملة المذهب، ومنها الملل؛ أي: تكرار الشيء.

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾: الفاء: للتوكيد؛ أي أوحى إلى الرّسل، وأوحى: من الإيحاء: وهو الإعلام بالخفاء بدون إعلام الكفار ما سيحدث لهم من الإهلاك. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣) لبيان معنى الإيحاء.

﴿لَنُثْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾: اللام: للتوكيد، والنون: كذلك لزيادة التوكيد

﴿الظَّالِمِينَ﴾: المشركين الذين يصدون عن سبيل الله؛ جمع ظالم، والظالم: هو كلّ من خرج عن منهج الله يعتبر ظالم.

[١٤] ﴿وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾:

هذا من تنمة ما أوحى إليهم ربهم.

﴿وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: نورثكم أرضهم، وديارهم بعد

هلاكهم أو طردهم وإبعادهم.



﴿ذَلِكَ لِمَنْ﴾: إهلاك الظَّالِمِينَ، وتمكين الرّسل، والمؤمنين (أو إسكان المؤمنين ديارهم). ذلك لمن: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق، ومن: بمعنى الذي، ومن: تعني: المفرد، والمثنى، والجمع. أما الذي: تختص بالمفرد المذكر.

﴿خَافَ مَقَامِي﴾: الخوف: هو توقع الضرر المشكوك في وقوعه، ومقامي؛ أي: القيام والوقوف بين يدي ربه للحساب بأن اتقى، ونهى النفس عن الهوى. والمقام له زمان ومكان؛ وخاف مقامي: يدل على المبالغة في الخوف من القيام بين يدي ربه، ويعني: خوف دائم لا يتعلق بزمان معين، أو مكان؛ أي: في كل زمان ومكان.

﴿وَخَافَ وَعِيدٍ﴾: وعيد بالعذاب، وتكرار خاف: للتوكيد؛ أي: كلاً على انفراد مقامي، ووعيد، أو كلاهما، والوعيد يأتي دائماً في سياق الشر.

[١٥] ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾:

﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾: أي: الرّسل طلبوا الفتح بالدعاء بالنصرة على الأعداء، والفتح: هو الغلبة بدون قتال، والفتح قد يعني الفصل والحكم، أمّا النصر: هو الفتح بالقتال، وتوضح ذلك سورة النصر: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إذن: هناك فرق بين النصر والفتح، واستفتحوا؛ أي: الرّسل على قومهم (بالدعاء لهلاكهم)، واستفتحوا: قد تعود إلى الكفار، استفتحوا على رسالهم ظناً أنّهم على الحق.



﴿وَخَابَ﴾: الخائب: المنقطع أمله، أو الذي منع من فعل أمله، وقيل: خسر وخاب.

﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾: الذي يتعاضم بالقهر والتسلط والقتل، وظالم متكبر يجبر الناس على ما يريد من الفساد والبغي.

﴿عَنِيدٍ﴾: معاند للحق، أو مخالف، أو معارض لمنهج الله سبحانه لا يسمع ولا يعقل. ارجع إلى سورة هود آية (٩٥) لمزيد من البيان.

[١٦] ﴿مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾:

﴿مِّنْ وَرَائِهِ﴾: من: ظرفية زمانية أو مكانية، ورائه: أمامه؛ كقوله: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، وقد تعني: ورائه خلفه؛ أي: من بعده؛ كقوله: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِاسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِهِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾.

﴿جَهَنَّمُ﴾: ارجع إلى الآية (١٨) من سورة الرعد.

﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾: الصديد: القيح المختلط بالدم، وقيل: القيح: هو السائل الذي يسيل من أجساد أهل النار حين تشوى جلودهم.

[١٧] ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَمِيٍّ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾:

﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾: التجرع: تناول الماء الصديد جرعة بعد جرعة، أو يتجرعه بجهد وعناء وشدة وقهر.



﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾: لا يكاد من أفعال المقاربة، يُسيغه من السَّوْغ هو انحذار الشراب في الحلق والمري، من ساغ الشراب في الحلق؛ أي: كان سهلاً سهل الابتلاع، أو يغص ولا يبلعه بسهولة، والآية تعني: أي: لا يستطيع بلعه يعلق بحلقه من شدة مرارته وطعمه، ويقاسي أشد الصعوبات في بلعه، كما يحدث حين بلع دواء مر كربه الطعم، ويبقى على اللسان، ولا ينزل بسهولة إلى المري والمعدة، وهذا دواء، ولكن ذلك صديد وقيح!!

﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾: ويشعر بالموت يأتيه من كل مكان وجانب.

﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾: أي: موتاً تنقطع معه الحياة فيرتاح، ولا يعد يشعر بشيء من العذاب؛ كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦].

﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾: من وراء هذا العذاب تجرع الماء الصديد عذاب آخر غليظ (أمامه) ينتظره، وهو عذاب النار، الغليظ الشديد الدائم، والمستمر في نار جهنم.

[١٨] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾: أي: مثل أعمالهم الصالحة كالصدقة على الفقراء وصلة الرحم والأيتام وبر



الوالدين، أو مساعدة الناس في الحياة الدُّنيا؛ كمثل الرماد الذي هو ما تبقى بعد احتراق مادة عضوية بالكامل، وضرب هذا المثل؛ لأن صورة الرماد معروفة لدى العرب والرياح العاصفة التي تهب عليه الريح الشديدة في يوم عاصف. وضرب المثل: لإزالة أي غموض فليس هناك مثل غامض.

وقال: مثل الذين كفروا بربهم: أضاف المثل إليهم، وهو في الحقيقة إلى أعمالهم؛ أعمال الذين كفروا بربهم لم يؤمنوا به ويصدقوا برسله، كمثل الرماد التي تركته النار بعد احتراقها في يوم عاصف اشتدت به الريح فجعلته هباءً منثوراً. أي: حبطت أعمالهم الصالحة، ولم يعد لها ثواباً على الإطلاق، كما لا يقدر أحد على جمع الرماد في يوم عاصف، وقد وصف الله سبحانه أعمالهم الصالحة التي حبطت بسبب كفرهم وشركهم بعدة تشبيهات في القرآن؛ مثل: ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ [الفرقان: ٢٣]، أو ﴿كَرَّابٍ بَقِيعَةٍ﴾ [النور: ٣٩]، أو ﴿كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي﴾ [النور: ٤٠]، ﴿صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾: هذه الآية تخص الكفار، جاءت في سياق الأعمال؛ أي: كل الأعمال الحسنة التي عملوها في الحياة الدُّنيا حبطت لا ثواب لها في الآخرة، ولو كثرت ومهما كانت كلها حبطت معاً.

لا يقدرُونَ مما كسبوا على شيء؛ أي: الكفار، كما لا يقدرُونَ على جمع الرماد في اليوم العاصف؛ كذلك أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدُّنيا لا ثواب لها في الآخرة كلها تحبط.



﴿مَمَّا كَسَبُوا﴾: مما = من + ما؛ من: استغراقية؛ ما: اسم موصول
بمعنى: الذي كسبوا، وأوسع شمولاً من الذي، ولم يقل اكتسبوا؛ اكتسبوا:
تستعمل في سياق السيئات؛ أي: الأعمال غير الصالحة. وكسبوا تأتي في سياق
الأعمال الصالحة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٨٦) لمزيد من البيان.

﴿عَلَى شَيْءٍ﴾: مهما كان صغيراً أو كبيراً، ومهما كان نوعه.
﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾: ذلك: اسم إشارة، واللام: للبعد، وذلك
الكفر: هو الضلال البعيد الذي لا يؤمل معه الرجوع إلى طريق الهداية، أو الطريق
المستقيم.

لنقارن بين هذه الآية، والآية (٢٦٤) من سورة البقرة:
ففي آية إبراهيم: ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾.
وآية البقرة: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾.
كلا الآيتين جاءت في سياق الكفار، ففي آية إبراهيم؛ تعني: كل أعمالهم
الصالحة كرماد لا ثوباً لها.

وأما في آية البقرة؛ تعني: عمل واحد هو الصدقات يبطل ثوابها.
وآية إبراهيم: جاءت في سياق الآيات التي تتحدث عن أعمالهم؛ أي:
سياق العمل، والعامل كاسب؛ فقدم الكسب.



أما آية البقرة: جاءت في سياق الإنفاق، والمنفق معطٍ، وليس كاسباً بالمعنى العام، وليس الشرعي؛ فقدم الشيء، وآخر الكسب.

وإذا جمعنا الآيتين يكون المعنى: لا ثواب لأعمالهم، ولا لصدقاتهم؛ عطف الخاص على العام: للتوكيد؛ لأن أكثر أعمالهم الصالحة هي الصدقات، فأكد على بطلانها.





الجزء الثاني عشر

سورة النازعات ١٤

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ
﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سُوءًا عَلَىٰ نَا
أَجْرِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ
لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ
فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ
فَأَسْتَجِبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا
بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا
أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ
فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾



سورة إبراهيم [الآيات ١٩ - ٢٤]

[١٩] ﴿الَّذِينَ تَرَأَتْ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنِّ شَأْ يُذْهِبُكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾:

﴿الَّذِينَ تَرَأَتْ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: ألم: الهمزة: استفهامية، وتقدير، ومعناها: ألم تعلم، وألم تر رؤية عقلية فكرية، وما يخبرنا به الله سبحانه هو أصدق مما لو رأيناه بأَمِّ أعيننا، أو ألم ينته علمك: أن الله خلق السموات والأرض؟! ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٢، ٢٩)، والأنبياء، آية (٣٠)، وسورة فصلت آية (٩-١٢)؛ لبيان كيف خلق السموات والأرض.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق، والحق: الشيء الثابت الذي لا يتغير؛ أي: بالدقة الفائقة، وبالقوانين الثابتة التي تحكم السموات، وما فيها من ملايين الأجرام، أو المجرات، والنجوم الثابتة لا تصطدم ببعضها رغم اختلاف كتلتها، وأبعادها، وحركتها منذ (١٤ ألف مليون سنة)، والتي تدل على قدرة وعظمة وحكمة الخالق، الفاطر، البارئ لهن. الإله الحق واجب الوجود الذي يستحق العبادة وحده.

ووردت هذه الآية في سور مختلفة منها:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥].

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ [الأنبياء: ١٦]؛ أي: عبثاً.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ [ص: ٢٧].

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ [الدخان: ٣٨].



فتكرار هذه الآية؛ ليدل، ويؤكد على أن خلق السموات والأرض من أعظم الدلالات على طلاقة القدرة الإلهية، ووحدانية الخالق وعظمته.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الندرة.

﴿يَشَأْ﴾: من الإشاعة: وهي تسبق مرحلة الإرادة؛ إن يشأ: إن كفرتم به وحدثتم خلقه. أن يذهبكم: أي: يستبدلكم بخلق جديد، أو يستخلفكم بآخرين ﴿وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٩]، وهذا يدل على طلاقة قدرته سبحانه، كما دل على ذلك أيضاً خلق السموات والأرض، واعلموا أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: بأن يمتكم، أو يقضي عليكم، أو يهلكهم، ويأتي بخلق جديد لا يعصوه، أو أفضل منكم، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

[٢٠] ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾:

﴿وَمَا ذَلِكَ﴾: الواو: عاطفة؛ ما: النافية.

﴿ذَلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة، واللام: للبعد، ويشير إلى الذهاب بكم والإتيان بخلق جديد.

﴿عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: بعزیز: الباء: للإلصاق، والتوكيد؛ بعزیز: بممتنع، أو مستحيل، أو أمر عسير صعب، وتقديم على الله: للحصر، والتوكيد.

[٢١] ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ



أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهَدَيْتَنَا سَوْءَ مَا عَلَيْنَا
أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١٠﴾

المناسبة: بعد أن ذكر الله سبحانه الذين كفروا برسولهم، وذكر أعمالهم
التي كرماد اشتدت به الريح؛ أي: حبطت يذكر سبحانه ما سيحدث بينهم يوم
القيامة من حوار، وما سيقول الشيطان آنذاك لهم.

﴿وَبَرَزُوا﴾: البروز: هو الظهور مشتقة من البراز: وهو الفضاء الواسع،
وجاء بلفظ الماضي بدلاً من المستقبل؛ لأنّ الزمن عند الله واحد، الماضي
والحاضر والمستقبل؛ فهو خالق الزمان والمكان، وصيغة الماضي تعني: كأن
الأمر وقع وانتهى.

والبروز يحدث بعد النّشر والبعث، ويكون على أرض المحشر في الفضاء
الواسع.

﴿جَمِيعًا﴾: للتأكيد برزوا: كلّهم مجتمعين، ولم يتأخر عنهم أحد.
﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: فقال: الفاء: يدل على التّرتيب،
والمباشرة.

﴿الضُّعَفَاءُ﴾: جمع ضعيف تطلق على العوام الضعاف الرّأي والفكر،
ووصفوا بذلك لأنّهم اتبعوا غيرهم، وقلدوا آباءهم بدون تفكير وتدبر، ويطلق
عليهم الاتّباع أيضاً، أو التابعين، وإذا نظرنا إلى كيف كتبت كلمة ﴿الضُّعَفَاءُ﴾
في هذه الآية مع كتابتها في الآية (٢٦٦) في سورة البقرة نجد فيهما اختلافاً قد
يعود إلى أن آية البقرة تعني: ضعفاء في الجسم والبنية، وأما في آية إبراهيم ضعفاء
في الرّأي والعقل؛ أي: ضعف معنوي، وفي آية البقرة ضعف مادي حسي. ارجع
إلى سورة البقرة آية (٢٦٦) لمزيد من البيان.



﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: للذين: اللام: لام الاختصاص؛ الذين استكبروا: أي: رؤساء الكفر والشرك، ويطلق عليهم المتبوعين.

﴿اسْتَكْبَرُوا﴾: الألف والسين والتاء؛ تعني: الطلب؛ أي: هم ليسوا أهل للتكبر؛ أي: ليس عندهم مؤهلات الكبر، واستكبروا على هؤلاء الضعاف، واستكبروا بغير حق، أو استكبروا عن طاعة الله ورسله، والاستجابة للإيمان، ودعوا غيرهم ليتبعوهم في ضلالهم وغيرهم؛ فهم ضلوا وأضلوا غيرهم.

﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: إنا: للتوكيد.

﴿كُنَّا﴾: في الحياة الدنيا.

﴿لَكُمْ﴾: خاصة.

﴿تَبَعًا﴾: جمع تابع؛ أي: تتبعكم في ضلالكم وشرككم، أو في دعوتكم.

﴿فَهَلْ﴾: الفاء: للتوكيد؛ هل: استفهام يفيد التوبيخ.

﴿أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾: أي: هل أنتم ستحملون عنا من عذاب الله من شيء. من هنا: ابتدائية للتعليل، أو بعبارة أخرى: بعض العذاب.

﴿قَالُوا﴾: أي: الذين استكبروا للضعفاء؛ أي: أجابوهم معتردين لهم.

﴿لَوْ﴾: للتمني، وشرطية؛ لو: امتناع لوجود.

﴿هَدَيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَكُم﴾: أي: لو هدانا الله للإيمان لهديناكم، واللام:

لام التوكيد، ولكن لم يهدينا فهم يفترون على الله الكذب، وينسبون عدم هدايتهم لله، ويدعون أن الله هو سبب ضلالهم، وعدم هدايتهم، وحاشا لله أن يفعل ذلك، ونسوا أن الله خيرهم فاختاروا، أو استحباوا الكفر على الإيمان، واختاروا طريق الضلالة.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾: سواء: من المساواة، وتعني: استوى الشئان، وتسويا،



وسوى أحدهما الآخر، والسَّواء: العدل، ويقال للعدل: سواء؛ كقوله: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤]؛ أي: كلمته عدل وإنصاف.

﴿أَجْزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾: أي: يستوي الأمران: الجزع، أو الصبر هنا لا يغنيان شيئاً في هذا الموقف. والجزع: هو ضعف النفس على تحمل المكروه، وهو عكس الصبر، والصبر: القدرة على تحمل المكروه، أو الأمر الملقى إليه.

﴿أَجْزَعْنَا﴾: أجزعنا: الهمزة: للتسوية.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي؛ فهم أدركوا الجزع لا يفيد، والصبر لا يفيد أيضاً مما يؤدي بهم إلى القنوط.

﴿مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾: ما: النافية.

﴿لَنَا﴾: اللام: لام الاختصاص؛ لنا: نحن خاصة.

﴿مِنْ﴾: استغراقية تستغرق كل محيص.

﴿مَّحِيصٍ﴾: منجى، ملجأ، أو مهرب، والمحيص: اسم مكان؛ أي: ما لنا من مكان نهرب إليه، أو نلجأ إليه، وفلان حايص: أي: لا يجد مكاناً يرتاح فيه؛ فيحاول الهرب.

[٢٢] ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتَ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: لما: ظرف زمني؛ بمعنى: حين، وتتضمن معنى الشرط، قال الشيطان: إبليس لأتباعه من الإنس، ولمعرفة معنى كلمة الشيطان: ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة البقرة للبيان.



﴿فُضِيَ الْأَمْرُ﴾: انتهى الحساب، وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾: إن الله: للتوكيد.

﴿وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾: الوعد هنا: البعث والجزاء، والجنة والنار، ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزئ إلا مثلها، أو وعدكم على السنة رسله.

﴿وَعَدَ الْحَقِّ﴾: الوعد الذي لا يتغير، ولا يتبدل، أو وعد الصدق.

﴿وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾: بالوسوسة والتزيين والإيحاء، لا بعث ولا حساب، ولا ثواب ولا عقاب، ولا جنة ولا نار، وأوحيت إليكم.

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾: وما: النافية.

﴿كَانَ﴾: تشمل جميع الأزمنة: الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿مِنْ﴾: استغرافية؛ تشمل كل سلطان.

﴿سُلْطَانٍ﴾: سواء أكان سلطان القهر والقوة، أم سلطان البرهان، والحجة؛ أي: ما كان لي عليكم من قوة أفهركم بها على طاعتي (أي: تفعل الشيء وأنت غير راض عنه؛ أي: أنت مكره)، ولا حجة، أو برهان أقنعكم بها، بل كنتم أنفسكم على ضلال.

﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾: إلا: تفيد الحصر.

﴿أَنْ﴾: مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

﴿دَعَوْتُكُمْ﴾: بالوساوس، والتزيين، والإغراء، دعوتكم إلى الشرك، والكفر بالله ومعصيته.

﴿فَاسْتَجَبْتُ لِي﴾: فاستجبتم: الفاء: للمباشرة، والإسراع في الاستجابة لي؛ أي: الشيطان.

﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾: فلا: الفاء: للتوكيد؛ لا: النافية.

﴿تَلُومُونِي﴾: من اللوم: وهو خطاب يُعبر فيه عن عدم الرضا عن عمل لم يكن متوقعا من الملموم من قول أو فعل، واللوم إذا اشتد أو أصبح عنيفا يقال له تثریب كما ورد على لسان يوسف ﷺ حين قال لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢].

﴿وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: أي: وبخوا أنفسكم على ما فعلتم، وأشعروا بالندم والحسرة.

﴿مَا﴾: ما: النافية.

﴿أَنَا﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿بِمُصْرِحِكُمْ﴾: الباء: للإلصاق والتوكيد.

﴿بِمُصْرِحِكُمْ﴾: المصرخ: هو المغيث المقدم العون، والمساعدة؛ أما المستصرخ المستغيث الذي يطلب العون، والغوث؛ أي: ما أنا بمغيثكم؛ أي: ما أنا بمساعدكم؛ أي: لا أستطيع مساعدتكم حتى لو أردت.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي﴾: أي: وكذلك أنتم لستم بمساعدي، أو مغيثين لي.

﴿وَإِنِّي كَفَرْتُ﴾: كفرت: جحدت، أو تبرأت من إشراككم إياي.

﴿بِمَ أَشْرَكْتُمُونِ﴾: بما: الباء: للتعليل أو السببية.

﴿أَشْرَكْتُمُونِ﴾: من قبل بإشراككم إياي مع الله؛ أي: جعلتموني شريكا لله، أو أتعتموني كما أتعتم الله، وحذفت الياء (ياء المتكلم) للدلالة على أنه ولو كان أدنى أو أقل الشرك؛ أي: كفرت بأي شرك بالله قمتم به ولو كان مهما كان.



﴿مِنْ قَبْلُ﴾: أي: في الدنيا.

﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿الظَّالِمِينَ﴾: المشركين الكافرين.

﴿لَهُمْ﴾: لهم: اللام: لام الاستحقاق، والاختصاص.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: شديد الإيلام لا يقدر عليه أحد، والقول: إن الظالمين لهم عذاب أليم قد يكون من كلام الله تعالى - وهو الأغلب - أو تنمة لقول الشيطان.

[٢٣] ﴿وَأَدْخِلْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾:

﴿جَنَّاتٍ﴾: جمع جنة: جنات عدن، والفردوس، والخلد، وجنات النعيم... وغيرها.

﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: خلود دائم يبدأ منذ دخولهم الجنة.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: بأمر ربهم، ومشيتته، وتيسيره. ارجع إلى الآية (١) من نفس السورة.

﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾: سلام: نكرة؛ لأنه أعم وأشمل؛ سلام: تحية، وسلام من أي سوء، أو مكروه، أو موت، أو مرض، وسلام: أمن واستقرار.

سلام من الله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

ومن الملائكة: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾

[الرعد: ٢٣-٢٤].

وسلام فيما بينهم: ﴿إِلَّا قِيلَ سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٦].



[٢٤] ﴿الَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾:

﴿الَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام فيه تعجب.

﴿الَمْ تَرَ﴾: ارجع إلى الآية (١٩)؛ للبيان.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾: المثل: هو قول يُشَبِّهه بقول آخر بينهما مشابهة في شيء محسوس للتوضيح، والبيان. ارجع إلى الآية (٧٤) من سورة النحل للبيان.
﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: قيل: هي: لا إله إلا الله (كلمة التوحيد)، محمداً رسول الله.

﴿طَيِّبَةً﴾: من الطيب المبارك، المدرك بجميع وسائل الإحساس، أو كلمة الحق.

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾: الكاف: للتشبيه؛ شجرة طيبة قيل: هي النخلة، وقد تكون شجرة طوبى في الجنة، أو شجرة غنية بالثمر الطيب الطعم واللذيق.

﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾: أصلها جذورها ثابتة في الأرض؛ أي: ممتدة بجذورها تحت الأرض، والجذور للتغذية، فلا يخاف عليها من الجفاف والعقم أو السقوط.

﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾: أي: فروعها ممتدة؛ أي: متشعبة في السماء.





فهرس تفسير القرآن الكريم الجزء الخامس

السورة ورقمها	الصفحة
سورة يونس [الآيات ١ - ٦].....	٦
سورة يونس [الآيات ٧ - ١٤].....	١٩
سورة يونس [الآيات ١٥ - ٢٠].....	٢٩
سورة يونس [الآيات ٢١ - ٢٥].....	٣٧
سورة يونس [الآيات ٢٦ - ٣٣].....	٤٥
سورة يونس [الآيات ٣٤ - ٤٢].....	٥٧
سورة يونس [الآيات ٤٣ - ٥٣].....	٦٧
سورة يونس [الآيات ٥٤ - ٦١].....	٧٩
سورة يونس [الآيات ٦٢ - ٧٠].....	٩١
سورة يونس [الآيات ٧١ - ٧٨].....	١٠٣
سورة يونس [الآيات ٧٩ - ٨٨].....	١١٥
سورة يونس [الآيات ٨٩ - ٩٧].....	١٢٥
سورة يونس [الآيات ٩٨ - ١٠٦].....	١٣٥
سورة يونس [الآيات ١٠٧ - ١٠٩].....	١٤٥
سورة هود [الآيات ١ - ٥].....	١٤٩
سورة هود [الآيات ٦ - ١٢].....	١٥٧
سورة هود [الآيات ١٣ - ١٩].....	١٧١
سورة هود [الآيات ٢٠ - ٢٨].....	١٨٣



السورة ورقمها	الصفحة
سورة هود [الآيات ٢٩ - ٣٧].....	١٩٣
سورة هود [الآيات ٣٨ - ٤٥].....	٢٠٥
سورة هود [الآيات ٤٦ - ٥٣].....	٢١٧
سورة هود [الآيات ٥٤ - ٦٢].....	٢٢٧
سورة هود [الآيات ٦٣ - ٧١].....	٢٣٩
سورة هود [الآيات ٧٢ - ٨١].....	٢٤٩
سورة هود [الآيات ٨٢ - ٨٨].....	٢٥٩
سورة هود [الآيات ٨٩ - ٩٧].....	٢٦٩
سورة هود [الآيات ٩٨ - ١٠٨].....	٢٧٧
سورة هود [الآيات ١٠٩ - ١١٧].....	٢٨٧
سورة هود [الآيات ١١٨ - ١٢٣].....	٢٩٩
سورة يوسف [الآيات ١ - ٤].....	٣٠٥
سورة يوسف [الآيات ٥ - ١٤].....	٣١١
سورة يوسف [الآيات ١٥ - ٢٢].....	٣٢١
سورة يوسف [الآيات ٢٣ - ٣٠].....	٣٢٩
سورة يوسف [الآيات ٣١ - ٣٧].....	٣٣٩
سورة يوسف [الآيات ٣٨ - ٤٣].....	٣٤٩
سورة يوسف [الآيات ٤٤ - ٥٢].....	٣٥٩
سورة يوسف [الآيات ٥٣ - ٦٣].....	٣٦٩
سورة يوسف [الآيات ٦٤ - ٦٩].....	٣٧٩
سورة يوسف [الآيات ٧٠ - ٧٨].....	٣٨٩



سورة يوسف [الآيات ٧٩ - ٨٦].....	٣٩٧
سورة يوسف [الآيات ٨٧ - ٩٥].....	٤٠٧
سورة يوسف [الآيات ٩٦ - ١٠٣].....	٤١٧
سورة يوسف [الآيات ١٠٤ - ١١١].....	٤٢٩
سورة الرعد [الآيات ١ - ٥].....	٤٤١
سورة الرعد [الآيات ٦ - ١٣].....	٤٥٣
سورة الرعد [الآيات ١٤ - ١٨].....	٤٦٥
سورة الرعد [الآيات ١٩ - ٢٨].....	٤٧٩
سورة الرعد [الآيات ٢٩ - ٣٤].....	٤٩٣
سورة الرعد [الآيات ٣٥ - ٤٢].....	٥٠٣
سورة الرعد [الآية ٤٣].....	٥١٥
سورة إبراهيم [الآيات ١ - ٥].....	٥١٧
سورة إبراهيم [الآيات ٦ - ١٠].....	٥٢٧
سورة إبراهيم [الآيات ١١ - ١٨].....	٥٣٧
سورة إبراهيم [الآيات ١٩ - ٢٤].....	٥٤٩
فهرس تفسير القرآن الشري الجزء الخامس.....	٥٥٨



نَفْسُ الْقُرْآنِ

الْحَكِيمِ الْخَافِعِ

فِي

الْإِعْجَازِ الْبَيِّنِيِّ وَاللُّغَوِيِّ وَالْعِلْمِيِّ

إِعْدَادُ وَدِرَاسَةُ

الدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ سَالِحِ

تَحْقِيقُ

تَحْقِيقُ

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الشَّرِيفِ لِجَمَاعَةِ

يَفِي

الْإِعْجَازِ الْبَيَّانِي وَاللُّغُويِّ وَالْعَامِيِّ

إِعْدَادُ وَدِرَاسَةُ

الدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ السَّلَالِ

الْجُزْءُ السَّادِسُ

كِتَابُ الْمَعْرَاجِ

كِتَابُ الْجَمَاعَةِ الْكَلَامِ



تفسير القرآن الكريم في

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

الجزء السادس

تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء : (١٢)
عدد الصفحات : (٦٧٠٤)
القياس : ١٧ × ٢٤
التنضيد والإخراج الضوئي : محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

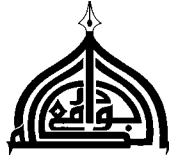


دار المعارف

تلفاكس : +963 11 2247242

ص.ب: 31429 . سورية . دمشق

E-mail: meraj.press@gmail.com



للطباعة والنشر والتوزيع

دار الجوامع الكلام



تنضيد وإخراج ضوئي



جوال : +963 933 84 60 60

سورية - دمشق - تلفاكس : +963 11 2216555 - ص . ب 13118

www.j-alkalem.com

m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5



سُورَةُ الزَّاهِيَةِ ١٤

الجزء الثالث عشر

تُوتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
 لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةِ خَيْشَةٍ
 كَشَجَرَةٍ خَيْشَةٍ أُجْتُتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ
 ﴿٢٦﴾ يَثْبِتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا
 وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَنسَوْنَ
 أَلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا اللَّهَ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ
 تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
 بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ
 فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
 الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

ثلاثة آيات
الجزء ٢٦



سورة إبراهيم [الآيات ٢٥ - ٣٣]

[٢٥] ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾:

﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا﴾: من الإيتاء؛ أي: تخرج أكلها؛ أي: ثمرها.

﴿كُلَّ حِينٍ﴾: كل زمن، أو في كل حين قدره الله؛ لتخرج أكلها أو ثمرها.

﴿حِينٍ﴾: زمن غير محدد قد يطول أو يقصر حسب مشيئة الله.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾: بأمر ربها؛ بمشيئة ربها؛ أي: خالقها. ارجع إلى الآية (١)

من نفس السورة.

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص، ويضرب: من الضرب، والضرب فيه معنى إرادة التأثير في نفس المستمع، وتهيج النفوس؛ كأن ضارب المثل يقرع أذن السامع، (أو المستمع)، كي يصل أثر ما يقال إلى قلبه، ويتتهي إلى أعماق نفسه.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعل للتعليل.

﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: من التذكر؛ أي: هناك أمر مر عليهم سابقاً، ثم نسوه؛ فيعود الله سبحانه ليذكرهم به؛ يتذكرون: لعلهم يطيلوا التفكير والتأمل في هذه الأمثال؛ ليهتدوا بها، ولا ينسوها ويستفيدوا منها. فاستعمل يتذكرون الدالة على طول الزمن الذي يحتاجون إليه، والتفكير العقلي في هذه الأمثال.

وقالوا يمكن تشبيه الإيمان بشجرة لها جذور (أصلها ثابت)؛ يعني: القرآن والسنة، والإجماع، وأقوال الصحابة، وفرعها في السماء.

الفرع: اسم جنس؛ أي: فروعها في السماء هي: شعب الإيمان، وهي بضع وسبعون شعبة تؤتي أكلها؛ أي: ثمارها، وهي: الحسنات، كل حين: كل وقت يُعمل به عمل صالح.

[٢٦] ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيِّثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾:

﴿وَمَثَلُ﴾: المثل: يراد به الصفة (الوصف)، أو التبيين، أو تشبيهه يراد به المقارنة والموازنة.

﴿كَلِمَةٍ خَيْثَةٍ﴾: كلمة الكفر والشرك أو الباطل.

﴿كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ﴾: كشجرة: الكاف: كاف التشبيه، شجرة خيثة: هي شجرة الزقوم، أو الحنظل، أو الشوك، أو شجرة لا فائدة منها على الإطلاق. ﴿اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾: اقتلعت واستؤصلت من فوق الأرض؛ اجتثت: بكاملها؛ كالجثة.

﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾: من جذور، أو أصول ثابتة تغذيها.

[٢٧] ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾:

بعد ذكر اجتثت يأتي بكلمة يثبت من التثبيت.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾:



يثبتهم على الحق إذا ما فتنوا في الدنيا في إيمانهم، أو عقيدتهم، وإسلامهم بأن يمدّهم بالعون، والنصر، والصبر.

﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾: بالقول: الباء: للإلصاق؛ القول الثابت: هو قول الحق، أو: لا إله إلا الله، والقرآن، وبالحجة، والبرهان، والسلطان.

﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: زمن حياتهم في الدنيا؛ فلا يميلون عن قول الحق، والتوحيد إلى الهوى، والشهوات، واتباع الشيطان.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾: قيل: في القبر الذي هو أوّل منازل الآخرة حين يسأله الملكان: من ربك، ما دينك، ومن نبيك، كما ورد في الحديث عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾: مقابل التثبيت للذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، يضل الله الظالمين المشركين في الحياة الدنيا. ارجع إلى الآية (٥٤) من سورة البقرة؛ لمعرفة معنى: الظالمين.

أي: يمدّهم في الضلالة التي اختاروها لأنفسهم، ويتركهم وشأنهم يفعلون ما يشاؤون، وحاشا لله تعالى أن يُجبر أحداً على الضلال؛ لأنه لا يرضى لعباده الكفر.

وفي الآخرة: في القبر، يضل الله الظالمين فلا يستطيعون الإجابة على أسئلة الملكين.

﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾: من التثبيت، أو الإضلال حسب ما تقتضيه حكمته بدون أي اعتراض أو مانع، ولا معقب لحكمه سواء في الدنيا، وفي الآخرة.

ما يشاء من المشيئة: فما الفرق بين المشيئة، والإرادة؟

١ - المشيئة: تسبق الإرادة.

٢ - المشيئة: فيها إلزام ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن؛ أمّا الإرادة: فهي إما إرادة عزم لا تقتضي الإلزام؛ تتعلق بأفعال العباد؛ فالله يريد لعباده الإيمان، ولكن لا يلزمهم بالقسر، أو الجبر على الإيمان، أو إرادة حتم تتعلق بالخلق، والتكوين، والتسخير، وإحياء، وإماتة، ورزق.

[٢٨] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ارجع إلى الآية (١٩) من نفس السورة.

﴿إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾: الذين: اسم موصول، والنعمة: لا تكون إلا

حسنة.

﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾: أي: الإسلام، والإيمان فبدلاً من أن يشكروا المنعم على نعمه كفروا بها؛ أي: أنكروها، وستروها، وانتبه إلى كيفية كتابة نعمت بالتاء المفتوحة، وليس بالتاء المربوطة؛ لأنّ من خصائص القرآن: أن نعمت: بالتاء المفتوحة؛ تعني: نعمة خاصة، وليس عامة، وهي نعمة الإيمان، والإسلام؛ فهي نعمة خاصة بالمؤمنين، وتعني نعم كثيرة العدد؛ أمّا نعمة بالتاء المربوطة؛ تعني: نعمة ظاهرة للعيان، وهي نعمة عامة للبشر؛ وتعني أيضاً: نعمة واحدة.

﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾: أي: أنزلوا، أو أوردوا قومهم مورد أو منزل الهلاك بإضلالهم، ومنعهم من الدّخول في الإسلام، وصدهم عن سبيل الله، وحملهم على الكفر.

﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾: البوار: أصلها: أرض لا تصلح للزراعة؛ أرض بور لا خير فيها؛ البوار: الهلاك؛ أي: دار الهلاك؛ أي: جهنم، ويدل على ذلك قوله تعالى بعدها: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ﴾.



[٢٩] ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيُتْسَقَرُّونَ﴾:

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾: جهنم: ارجع إلى الآية (١٨) من سورة الرعد.

﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يحرقون بها، أو يقاسون حرها؛ أي: يدخلونها، وصلوا اللحم شواه.

﴿وَيُتْسَقَرُّونَ﴾: يتساقطون: فعل من أفعال الدَّم. والقرار: مكان الإقامة الدائمة.

[٣٠] ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾: وجعلوا: تعود على الذين بدلوا نعمت الله كفرًا؛ أي: صيروا لله أندادًا جمع ند: وهو المثل والمشابه. ارجع إلى الآية (٢٢) من سورة البقرة.

﴿أَنْدَادًا﴾: جمع ند: وهو الشبيه والشريك.

﴿لِلَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور للحصر.

﴿لِيُضِلُّوا﴾: السلام: للتوكيد، والتعليل؛ ليصرفوا الناس عن الإيمان والتوحيد والدخول في الإسلام.

﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾: عن للمجازة والمباعدة؛ سبيله: دينه الإسلام والتوحيد.

﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾: قل لهم يا محمد ﷺ: تمتعوا بنعيم الدنيا الزائل، والتمتع يعني: الانتفاع، ويشمل الأكل والشرب والملبس والمسكن والأدوات، وهذا وعيد لهم وتهكم عليهم، وإذا قارنا قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾ بقوله تعالى في الآية (٦٦) من سورة العنكبوت: ﴿وَلْيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بصيغة الغائب

والتوكيد؛ نجد أن التهديد والوعيد في سورة إبراهيم أشد للكفار. ارجع إلى سورة العنكبوت لمزيد من البيان والمقارنة.

﴿فَإِنْ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾: فَإِنْ: الفاء: للتوكيد.

﴿مَصِيرَكُمْ﴾: مآلكم ومرجعكم ونهايتكم إلى النار.

﴿إِلَى﴾: حرف غاية؛ يستعمل لكل الغايات: البداية والنهاية، أو ما بين.

[٣١] ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾:

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ﴾: قل يا محمد ﷺ.

﴿لِعِبَادِيَ﴾: السلام: لام الاختصاص؛ عبادي: ارجع إلى الآية (١٨٦) من سورة البقرة لمعرفة الفرق بين عبادي، وعبيد، وعباد.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: الذين: اسم موصول يفيد المدح.

﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: وأصلها: قل لعبادي الذين آمنوا ليقموا الصلاة (أضمر لام الأمر)، أو أن تقل لهم يقيموا الصلاة، وإقامة الصلاة تعني: أداء أركانها، وسننها، والمحافظة على أوقاتها، والدوام عليها، وجاء بصيغة المضارع؛ للدلالة على تجددتها وتكرارها.

﴿وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: الإنفاق: إخراج المال من الملك.

(مما): من: أصلاً؛ من: الابتدائية البعضية؛ ما: اسم موصول يعني: الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾: أي: بعض الذي رزقناهم، والإنفاق له أشكال مختلفة: الزكاة، وصدقة التطوع... وغيرها.



﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: بالخفاء، والعلن. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٧١) لمزيد من البيان.

﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾: أي: من قبل أن يأتي يوم القيامة.
﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ﴾: لا يباع فيه شيء، ولا يشتري؛ لا فداء فيه بأن يدفع، أو يبيع شيئاً ما ليفدي نفسه، أو ينقذ نفسه.

﴿وَلَا خِلَالٌ﴾: مصدر خلة من المخالة، أو جمع خُلة: صداقة؛ أي: لا تنفع فيه المودات والصداقات، والمخالة؛ تعني: يتخلل كل منهما الآخر بالروابط الأسرية، والدينية، أو الأخوية، وتكرار لا: يفيد توكيد النفي، وقوله من قبل بالكسر؛ لأن يوم القيامة غير معلوم زمن حدوثه مقارنة بقوله من قبل بالضم التي تستعمل حين يكون الزمن معلوم. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٢٥)؛ لمزيد من البيان.

وفي آية البقرة (٢٥٤): ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلةٌ وَلَا شَفَعَةٌ﴾، زاد فيها كلمة شفاعاة: هي أعلى من الخلة (المودة والصداقة). ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥٤).

[٣٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ﴾:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: ارجع إلى الآية (٣٠) من سورة الأنبياء، والآيات (٢٢، ٣٩) من سورة البقرة، والأعراف، آية (٥٤) للبيان.

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: وأنزل من السحب الركامية ماءً: ماء المطر الذي ينشأ من تحول بخار الماء الذي تحمله الرياح؛ فيشكل السحب التي يؤلف

بينها لتشكيل السحب الركامية التي تلقح برياح أخرى تحمل هباءات الغبار فيبدأ بخار المكاء يتكثف، ويتحول إلى قطرات المطر. ارجع إلى سورة الحج، آية (٥)، ولم يقل سبحانه: وأنزل لكم من السماء ماء، كما ورد في الآية (٦٠) من سورة النمل؛ لأنه سبحانه في آية إبراهيم تبعها قوله تعالى: ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ والرزق يشمل الماء وغيره، وأما في سورة النمل تعداد لنعم الله تعالى عليهم.

﴿فَأَخْرَجَ بِهِ﴾: أي: بماء المطر، والفاء: للترتيب، والتعقيب.

﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾: من: ابتدائية بعضية؛ بعض الثمرات مثل ثمرات النخيل والأعناب، وغيرها؛ فقد أعطى الله سبحانه هذه البذور القدرة على اختيار ما يلائمها من عناصر مركبات الأرض المختلفة؛ لذلك تختلف أشكال هذه الثمار، وطعومها؛ فنرى شجرة البرتقال تنمو بجانب شجرة الليمون، وغيرها، وهذا من طلاقة القدرة الإلهية التي أودعها في الشفرة الوراثية داخل البذرة أو النواة.

﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾: الرزق: العطاء، وكل ما خلقه الله تعالى في الأرض مما يملكه الناس.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلُوكَ﴾: والتسخير: التذليل والتطويع والتدبير، والتصرف به، ويعني: خلق كائن ما لمهمة معينة لا يستطيع أن يخالفها.

﴿الْفُلُوكَ﴾: هي السفن، والفلك: تطلق على المفرد والجمع، ورغم أن الإنسان هو الذي يصنع الفلك، ولكنه سبحانه هو الذي يزجي الفلك، ويذلّل الرّيح؛ كي تجري الفلك في البحر.

﴿لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾: لتجري: اللام: لام التعليل؛ تجري: تسير، وتسرع في البحر.

﴿بِأَمْرِهِ﴾: بأمر الله ومشيئته وإذنه؛ فهو الذي جعل لهذا الماء صفات



طبيعية، وكيمائية تشكل ما يسمى ظاهرة التوتر السطحي التي تمثل شدة تماسك جزيئات الماء مع بعضها البعض؛ لتساعد على حمل هذه الفلك العملاقة القادرة على حمل ملايين الأطنان.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾: سخر الأنهار بعد تسخير الجبال؛ لأن تكون الأنهار مرتبط بتكون الجبال التي ينبع الماء من قممها، ثم ينحدر على سفوح هذه الجبال؛ لتشكل الأنهار، وبفضل عوامل التعرية من رياح ومطر، واختلاف درجات الحرارة، والليل والنهار كل ذلك يؤدي لتشكل الأنهار التي تشهد لله بديع صنعه. ارجع إلى سورة الرعد، آية (٣).

[٣٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ﴾: هذا القرن النووي العملاق من ذرات الهيدروجين أخف العناصر، وأقلها بناءً، ثم أحدث تفاعلات كيمائية أدت إلى تشكل غاز الهليوم، والذي أعطى للشمس درجة حرارية تعادل (١٥ مليون درجة مئوية) في قلبها، و(٦ آلاف درجة) على سطحها، وجعلها مصدراً للضوء والطاقة، والحساب الزمني.

﴿وَالْقَمَرَ﴾: سخر القمر لنا لنحدد به اليوم والأسبوع والشهر، وكذلك السنة القمرية التي هي أقل من السنة الشمسية بـ (١١ يوم)، وكذلك يؤثر على الأرض بعملية المد والجزر؛ ففي ظاهرة المد التي تصاحب مرحلة البدر، والمحاق يصل المد إلى أقصى ذروته نتيجة لوقوع الشمس والقمر في جهة واحدة، والتي تصاحبها ارتفاع تدريجي في منسوب المياه في البحار والمحيطات أما في ظاهرة الجزر يحدث انخفاض في منسوب مياه البحار، والمحيطات، وكذلك لا ننسى نور القمر الذي ينير لنا ظلمة الليل... وغيرها من الفوائد.

﴿دَائِبِينَ﴾: مثلى دائب: دائم في الجري، والحركة، والتعاقب، والإنارة؛ فالشمس تجري حول مركز المجرة بسرعة (٢٢٠ كم/ ثانية) لتكمل دورتها في (٢٥٠ مليون سنة)، وتجري في الفضاء نحو نجم النسر، أو سولر ايبكس بسرعة (١٩ كم/ ثانية)، وكذلك تجري حركة مدارية قدرها (١٥٠ ميلاً بالثانية). والقمر يجري حول الأرض ويتم دورته في (٢٧،٣ يوماً)، ويجري بشكل محوري حول نفسه.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: فهما آيتان من آيات الله التي تشير إلى كروية الأرض، ودورانها حول محورها، وحول الشمس الذي يؤدي إلى تبادل الليل والنهار الضروريين لاستقامة الحياة على الأرض.





سُورَةُ الْاَنْعَامِ ١٤

الْبَقَرَةُ الْاَلْفُ الْاَلْفُ

وَاَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَاسَاَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلْنِي كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَصَكْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾



سورة إبراهيم [الآيات ٣٤ - ٤٢]

[٣٤] ﴿وَأَتَّكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا

الْإِنْسَنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾:

﴿وَأَتَّكُم﴾: من الإيتاء: وهو العطاء الذي يمكن استرداده، وليس فيه معنى التملك، كما هو الحال في العطاء الذي فيه تملك. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١)؛ لمزيد من البيان..

﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾: من: بفضية؛ بعض ما سألتموه؛ لأنّ هناك أسئلة لا يستجيب لها سبحانه؛ مثال: أن يسأل العبد ربه أن يجعله نبياً، أو أن يبدل مهنته من فلاح إلى طبيب مثلاً، ولا ننسى أن بعض حالات عدم الاستجابة للدعاء نعمة للعبد؛ مثال: أن يدعو الأب على ابنه بالموت أو الفقر، أو الأم على ابنها.

﴿مَا﴾: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾: وإن: شرطية تفيد الشك، أو الاحتمال، أو الافتراض، والعد هو مجرد العد، ويكتفى به باللسان. أمّا الإحصاء: فهو العد مع الحفظ (حفظ ما نعد)، والإحصاء مشتقة من الحصى؛ حيث كانوا قديماً يستعملون الحصى في العد.

﴿نِعْمَتَ اللَّهِ﴾: نعمة واحدة من نعم الله. ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة لمعرفة الفرق بين نعمة ونعمت.



﴿لَا﴾: النافية.

﴿تُحْصُوهَا﴾: الإحصاء: هو العد والجمع والحفظ؛ لأنها تنطوي على نعم كثيرة جداً؛ فلا أحد يستطيع أن يعد نعم الله في الكون، أو على خلقه، أو عليه نفسه؛ فمثلاً: نعمة الصحة والعافية تشمل نعمة العقل، الدماغ، والقلب، والصدر، والمعدة، والكبد، والعين، والأذن، والجلد، والأسنان... وغيرها من الكثير.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾: إن: للتوكيد.

﴿الْإِنْسَانُ﴾: مشتقة من الإنس، وهو الألفة، والمحبة التي يمتاز بها الإنسان عن غيره.

﴿ظَلُومٌ﴾: اللام: للتوكيد؛ ظلوم صيغة مبالغة؛ أي: كثير الظلم لنفسه أو لغيره، وظلوم لا يشكر المنعم، أو هو مستمر على ظلمه بشكل متكرر، وظلوم أشد من ظلام.

﴿كَفَّارٌ﴾: صيغة مبالغة شديد الكفر، أو كثير الكفر لنعم الله؛ يجحدها بشكل متكرر ومتجدد ولم يقل ظلوم كفور؛ يعني: دائم الكفر وأشد من كفار، وينسى أن يشكر المنعم؛ مشتقة من الكفر ومعناه: السّتر، أو يشكر غير الله سبحانه؛ أي: يشرك بالله؛ فهو يأكل من نعم الله سبحانه ويشكر غيره.

وإذا قارنا هذه الآية من سورة إبراهيم: ﴿وَإِنْ نَعْدُوا نَعَمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ.

مع الآية (١٨) من سورة النحل: ﴿وَإِنْ نَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^٢ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ.

نجد أولاً: اختلاف في كتابة نعمت بالتاء المفتوحة في آية إبراهيم، وبالتاء المربوطة في آية النحل.

والفرق بينهما: أن نعمت؛ تعني: الدين، والإيمان، والهداية خاصة بالمؤمنين، أو نِعَم لا يمكن إحصائها كثيرة.

أما نعمة: تتحدث عن نعم الله الظاهرة للعيان، أو نعم عامة للبشر، أو وكذلك تشير إلى خط المصحف هو توقيفي لم يناله أي تغيير ولا تبديل، ولا تحريف منذ أنزله الله على نبيه محمد ﷺ.

أما اختلاف نهاية الآيتين يعود في سورة إبراهيم؛ لأنها تتحدث عن صفات الإنسان؛ فقال: إنَّ الإنسان لظَلُوم كَفَّار، ويمكن القول إنَّ الإنسان لظَلُوم كَفَّار؛ لعدم شكر الله المنعم، ولعدم إحصاء نعم الله؛ لكثرتها.

أما سورة النحل: تتحدث عن صفات الله سبحانه، ونِعَمُهُ، وإنَّ الله لغفور رحيم؛ أي: سيغفر لكم عدم إحصاءكم لنِعَمِهِ، وعدم شكرها، وكأنَّ آية النحل متممة لآية إبراهيم؛ فإن كنت ظلوماً، كفاراً؛ فاعلم أن الله سبحانه غفوراً رحيماً؛ فقابل صفتين من صفات الإنسان: الظلم والكفر، بصفتين من صفات الرحمن: الغفور والرحيم.

ولو عاملنا الله بعدله: يصبح الإنسان ظلوماً كفاراً، ولكن يعاملنا سبحانه بفضلِهِ، ويغفر لنا؛ لأنَّه هو الغفور الرحيم، وانتبه إلى الفرق بين نِعَمِهِ بكسر النون، ونِعَمِهِ بفتح النون. ارجع إلى الآية (٢٧) من سورة الدخان، والآية (١١) من سورة المزمل.



[٣٥] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾:

المناسبة: بدأت السورة بالحديث عن الذين كفروا؛ الذين عبدوا الأصنام، وقالوا لرسولهم تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا آية (١٠)، يذكرنا بإبراهيم عليه السلام باتخاذ القدوة الحسنة في تجنب عبادة الأصنام فقال:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾: وإذ: واذكر إذ قال إبراهيم، أو حين قال: ﴿رَبِّ﴾: لم يستعمل ياء النداء؛ لظنه بقرب الله له، ويقل يارب.

﴿اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾: يعني: مكة، وجاء بأل التعريف هذا البلد آمناً بينما في آية البقرة (١٢٦) قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾: بالنكرة، وفُسر ذلك: بأن دعاء إبراهيم بأن يجعل هذا البلد كان بعد بناء الكعبة، وبعد أن أصبحت مكة بلداً معروفاً بين القبائل، وقد يكون أنه دعاء بالأمن الخاص بها؛ أي: بلد آمن واستقرار، وأما قوله: هذا بلداً (بالنكرة) آمناً: كان قبل بناء الكعبة، وأول ما رحل بزوجه هاجر، وابنه إسماعيل إلى مكة، وقيل: بحوالي (١٣ سنة)، أو هو دعاء لمكة بالأمن العام؛ أي: دعاء إبراهيم اجعل هذا البلد آمناً جاء بعد حوالي (١٣ سنة) من دعائه رب اجعل هذا بلداً آمناً. آمناً: ذا أمن واستقرار.

﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾: واجنبني: من الاجتناب؛ أي: الابتعاد؛ أي: أبعدني، وبني أن نعبد الأصنام، والسؤال هنا كيف يدعو إبراهيم النبي خليل الرحمن بهذا الدعاء، وهو الذي كسر الأصنام من قبل، وجعلها جذاذاً؟
الدعاء هنا يعني: إما التثبيت، والاستمرار على اجتناب عبادتها، أو يعني:

اجتناب الشرك بكل أنواعه، والشرك الخفي خاصة، والعصمة لا تمنع أن يدعو الإنسان ربه بدوام ما هو عليه حاله أن نعبد الأصنام.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري يفيد التعليل، والتوكيد.

الفرق بين الصنم، والوثن: وردت كلمة الأصنام في خمس آيات، ووردت كلمة الوثن في ثلاث آيات. ارجع إلى سورة العنكبوت، آية (١٧)؛ لتعريف الصنم، والفرق بين الوثن والصنم.

[٣٦] ﴿رَبِّ إِيْتَهُنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿رَبِّ إِيْتَهُنَّ﴾: إنيهن: للتوكيد، وهن: ضمير يعود على الأصنام.

﴿أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾: والسؤال: وهل تضل هذه الأصنام أحداً؛ لأنها جمادات لا تبصر ولا تسمع ولا تتكلم، ولا تنفع ولا تضر؟

الجواب: بما أن الأصنام لا تنفع ولا تضر، ولكن القائمين عليها يدعون ويضلون الناس أن لها ألوهية؛ فهم السبب، أضللن كثيراً؛ لأن الناس ضلوا بسببهن؛ فكانهن أضللنهم، أو كأنها أضلتهم.

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: عاطفة لربط السبب بالمسبب؛ من: شرطية.

﴿تَبِعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾: تبعني؛ أي: في الاعتقاد، والدين، والملة؛ فإنه مني؛ أي: على سبيل أو ملتي.

﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾: أي: من لم يتبعني؛ فإنه ليس مني، ويعني: أنه عصي

إبراهيم عليه السلام.



وقال إبراهيم: ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: ولم يقل كما قال عيسى بن مريم: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: إِنَّكَ: ضمير متصل تفيد الكمال في الرحمة والغفران، ولماذا يختلف قول إبراهيم عن قول عيسى ﷺ؟

الجواب: لأن فتنة إبراهيم في الأصنام، أو في سياق الأصنام، بينما فتنة عيسى ﷺ كانت في نفسه أنه إله، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة، وفي أمه؛ فهي أشد وأعظم.

﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: أي: تغفر لهم نتيجة لعزتك، وحكمتك.

[٣٧] ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ﴾: للتوكيد؛ أسكنت: من السَّكَنَ والإقامة، والاطمئنان والأمن.

﴿مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾: من: ابتدائية؛ من: بعضية بعض ذريتي، والذرية: هم الأولاد (الذكور والإناث)؛ من ذريتي: إسماعيل، وذرية إسماعيل بقية أولاد إبراهيم كانوا في الشام.

﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾: بواد: الباء: ظرفية، وتعني: في واد غير: تفيد المغايرة؛ أي: لا فيه حرث، ولا زرع ولا ماء في ذلك الوادي، ولم يقل بواد غير ذي نبات؛ فكل ما تنبت الأرض يطلق عليه نبات قد يفيد أو لا يفيد، وينبت بالطريقة الفطرية،

أما الزرع: فهو أساس حياة الناس، ويحتاج إلى من يزرعه، ونحن نعلم أن أرض مكة أرض صخرية لا تسمح بالزراعة، والماء نادر؛ لكونها تشكلت من البراكين.

﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾: عند: ظرف مكان، وقوله ﷺ: عند بيتك المحرم، ولم يكن هناك بيتاً، ولا بلداً، وإنما وادٍ غير ذي زرع؛ يدل على أنه أُوحي إليه، وأخبر عن موقع البيت الحرام، وأنه موجود في هذه المنطقة.

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أي: أسكنت من ذريتي عند بيتك المحرم ليقوموا الصلاة، واللام: لام التعليل. وخص بذكر الصلاة؛ لأنها تجمع أركان الإسلام الخمسة.

﴿فَجَعَلَ أَفْتَدَةً مِنَ النَّاسِ﴾: أفئدة: عقول من الناس.

﴿مِّنَ﴾: للتبعض، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لو قال: أفئدة الناس، ولم يقل: أفئدة من الناس: لآزدحت عليه الأمم المختلفة: الروم، والهندوس، واليهود، والنصارى، والمجوس، والإسلام يأتون للحج، والعمرة.

﴿مِّنَ النَّاسِ﴾: أي: من المسلمين فقط.

﴿تَهْوَى إِلَيْهِمْ﴾: من هوى؛ أي: أسرع في السير تطير إليه قلوبهم شوقاً وحباً.

﴿وَأَرْزُقُهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾: لكونه وادٍ غير ذي زرع؛ فهم يحتاجون إلى ما يأكلونه من الثمار.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعل: للتعليل يشكرون. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠) للبيان.



[٣٨] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾:

قال إبراهيم ؑ: هذا الدعاء، أو القول حين ودع زوجته هاجر، وابنه إسماعيل عائداً من الوادي غير ذي زرع إلى الأرض المباركة (بيت المقدس).
﴿رَبَّنَا﴾: أي: يا ربنا؛ حذف ياء النداء للقرب.

﴿إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾: دعا بهذا عندما أراد فراق إسماعيل وهاجر، كما قال المفسرون. إنَّك: للتوكيد؛ تعلم ما نخفي: في صدورنا من السر والحسرة، والحب والحزن؛ يعني: على ابنه إسماعيل وزوجه هاجر.

﴿وَمَا نُعْلِنُ﴾: تكرر، وما: للتوكيد؛ نعلن: نقول جهراً يقصد به حين قالت له هاجر إلى من تكلنا؟ قال: إلى الله، قالت: الله أمرك بذلك؟ قال: نعم، قالت عندها: لا نخشى تركتنا إلى كافٍ.

﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: من: استغراقية.

﴿شَيْءٍ﴾: أي: شيء مهما كان نوعه، وحجمه، وشكله في أي مكان، أو زمان؛ لأنَّه عالم الغيب، والشهادة، وعلام الغيوب؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْرِزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٦١].

﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: قدم الأرض: للاهتمام، وكون سياق الآيات تتحدث عن الأرض كقوله: هذا البلد آمناً، أسكنت من ذريتي، بوادي، بيتك المحرم، ارزقهم من الثمرات.



[٣٩] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي﴾: الحمد لله: ارجع إلى سورة الحمد، آية (٢)؛ للبيان.
 ﴿وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ﴾: الهبة: عطاء بلا مقابل، عطاء من الله ليس حقاً أو واجباً للسائل، وعطاء بدون تقديم الأسباب (هبة من وراء الأسباب)، ويمكن استردادها.

﴿لِي﴾: اللام: لام الاختصاص لي وحدي.

﴿عَلَى الْكِبَرِ﴾: ولم يقل مع الكبر: على تفيد الاستعلاء؛ لأنَّ الكبر في السن يعتبر ضعفاً وشيبة، ومن العوامل التي تمنع الإنجاب، ولكن إرادة الله سبحانه أعلى وأقوى من الضعف؛ فهو على كل شيء قدير.

﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾: إن: للتوكيد.

﴿رَبِّي﴾: الرب: هو الخالق المدبر، والرّزاق، والقادر، والشافى، والولي.

﴿لَسَمِيعُ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿الدُّعَاءِ﴾: حين دعا ربه؛ فقال: رب هب لي من الصّالحين.

[٤٠] ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾:

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾: أي مواظباً على أركانها وسننها وخشوعها وأوقاتها ومحافظةً عليها.



﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾: من: بعضية؛ بعض ذريتي؛ لأنه علم بإعلام من الله أنه سيكون من ذريته الظالمين، وذلك حين أخبره بقوله: لا ينال عهدي الظالمين.

﴿رَبَّنَا وَقَبَلْ دُعَاءَ﴾: تكرر ربنا: للتضرع؛ والدعاء قد يعني العبادة أو يعني الدعاء بالمعروف وقوله تعالى: ﴿دُعَاءَ﴾: بدلاً من وتقبل دعائي، دعاء يعني: دعائي، ودعاء غيري، ولو قال: دعائي؛ أي: فقط دعائي الخاص بي أو الدعاء المدعوبه في زمن معين كقوله تعالى في سورة نوح آية (٦) ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٦].

[٤١] ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾:

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي﴾: بدأ إبراهيم بالدعاء لنفسه بأن يستر الله ذنوبه ويمحوها، ويشبهه على أعماله الصالحة.

﴿وَلِوَلَدِي﴾: ثم بالدعاء لوالديه؛ اللام: لام الاختصاص.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾: المؤمنين (الذكور والإناث)؛ بأن يغفر لهم.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾: يوم القيامة، دعاء عطف فيه العام على الخاص.

[٤٢] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾: لا: الناهية.

﴿تَحْسَبَنَّ﴾: ن: الحساب، أو الحسبان: وهو الاعتقاد الراجح المبني

على حساب عقلي، أو قلبي مبني على حساب حسي سابق ناتج عن مراقبة، أو عملية حساب في جمع وطرح.

﴿اللَّهُ غَفْلًا غَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾: غافلاً: الغفلة عدم التفطن للشيء، أو عدم حضور الشيء في البال، أو تارك عما يعمل الظالمون، أو غير متنبه لما يعمل الظالمون. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان في معنى: غافلاً.

﴿غَمَّا﴾: عن: تفيد المجاوزة والمباعدة، ما: اسم موصول.

﴿يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾: يقول ويفعل. الظالمون: جمع ظالم، والظلم: من معانيه الشرك.

ولمعرفة الظلم، ومعانيه: ارجع إلى الآية (٥٤) من سورة البقرة يعمل بصيغة المضارع تدل على التجدد والتكرار والاستمرار.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ﴾: ليوم: اللام: لام الاختصاص ظرف زمان.

﴿شَخَّصُ فِيهِ الْأَبْصَرُ﴾: تتفتح العين؛ فلا تطرف الأجفان، ولا تُغلق.

وتثبت العين على شيء، ولا تتحرك إلى غيره، وتصبح الحدة واسعة من شدة الخوف، والفرع، والحيرة.

وهناك فرق بين: ﴿شَخَّصُ فِيهِ الْأَبْصَرُ﴾، و﴿زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَرُ﴾ [ص: ٦٣].

الزَّيْغ: يحدث من شدة الاضطراب، والخوف، والفرع؛ فلا يعد يرى شيئاً أمامه.





الجزء الثاني

سورة النمل

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ
هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ
الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾
وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمُ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا
لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ
مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾
فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعْدُهُ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو أَنْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ
وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قِطْرَانٍ وَتَغْشَى
وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا
بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾



سورة إبراهيم [الآيات ٤٣ - ٥٢]

[٤٣] ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾:

﴿مُهْطِعِينَ﴾: اسم فاعل من أهطع يهطع فهو مهطع؛ معناه: الإسراع في السير المصحوب بالخوف، ولا يقال للسير بسرعة: إهطاع؛ إلا: إذا كان السير مصاحب بالخوف؛ فهذا هو الإهطاع، وانتبه إلى الإهراع: وهو السير بسرعة مع الرّجفة، أو الرّعدة.

وقد وردت كلمة مهطعين في ثلاثة سور:

في سورة إبراهيم، الآية [٤٣] ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾.

في سورة القمر، الآية (٨): ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾.

في سورة المعارج، الآية [٣٦]: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ۖ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾.

والإهراع: ورد في سورة هود، الآية (٧٨): ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ﴾.

وفي سورة الصافات، الآية (٧٠): ﴿فَهُمْ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾.

إذن: مهطعين: مسرعين بخوف إلى الداع، أو إلى النار.

﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾: المقنع: اسم فاعل، وهو رافع الرأس، والنّاظر أمامه بذل، ولا يلتفت يمنة ولا يسرة؛ فالإقناع: هو رفع الرأس والنظر بذلة.



﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾: الطرف: هو الجفن، لا تغمض الأجفان، أو تتحرك من الهول.

﴿وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾: الفؤاد قيل هو القلب، أو العقل منطقته الإدراك، والوعي والفهم، وأفئدتهم هواء؛ أي: لا تفهم، ولا تعي ما يحدث، أو يفعل بها من الخوف والفرع. والهواء: كما كان يظن قديماً لا وزن له؛ أي: عقولهم خاوية فارغة لا وزن لها من هول يوم القيامة لا تنكر أو تعي. ارجع إلى سورة الحج، آية (٤٦)؛ للمزيد عن الفؤاد.

[٤٤] ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُبْجِ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أُولَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ﴾:

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ﴾: الإنذار: هو إعلام مع تحذير وتخويف.

الإنذار للاستعداد ليوم القيامة، أنذرهم الآن، وهم في الحياة الدنيا، ولا إنذار في يوم القيامة.

﴿النَّاسَ﴾: كل الناس خاصة الكافرون والظالمون والفاسقون.

﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾: يوم: هو إما يوم القيامة، أو يوم تتوفاهم الملائكة، واليوم: ظرف زمان، يوم القيامة وخصه بالعذاب؛ لأن السياق في تهديد الظالمين العصاة الذين أشركوا، وأمّا يوم تتوفاهم الملائكة يضربون، وجوههم، وأدبارهم في مرحلة الوفاة التي تسبق قبض الروح، وهم في سكرات الموت.

﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: الذين: اسم موصول؛ أشركوا، والطّاعة، والعاصين، والمكذّبين.

﴿رَبَّنَا أَخِرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: يدعون ربهم، وحذفوا أداة النداء الياء، ولم يقولوا: يا ربنا؛ لأنَّ الزَّمن قصير جداً.

﴿أَخِرْنَا﴾: أمهلنا، أو أجلنا، أو أبقنا أحياء إلى فترة أو مدة محدودة قصيرة.

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ﴾: إلى: حرف غاية يستعمل لكل الغايات. أجل: هو الوقت أو المدة المضروبة لانتهاه أو انقضاء الشيء.

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: أي: قصير؛ أي: ردنا، أو أرجعنا إلى الدنيا ولو لفترة قصيرة.

﴿نُحِبُّ دَعْوَتَكَ﴾: إلى التوحيد والإيمان، وعبادتك، وإلى ما أمرتنا به، أو نهيتنا عنه.

﴿وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾: ونتبع ما جاء على السنة رسلك (من السنن)، ونصدق بهم، ونستمع إليهم ونطيعهم، وقالوا: ونتبع الرسل بدلاً من الرسول؛ لأنَّ الرسول يمثل الرسل، ولأنَّ الرسل كلهم يدعون إلى لا إله إلا الله، وامثال أوامر المعبود وتجنب نواهيه.

وقد ورد في سورة المنافقون، الآية (١٠-١١) نظير هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٠) وَلَئِنْ يُوَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا.﴾

في سورة القصص، الآية (٤٧): ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: فهذه الآية نزلت أولاً، فلما أرسل الله سبحانه إليهم رسولا رفضوا أن يؤمنوا، ورفضوا الآيات، وقالوا: ﴿رَبَّنَا أَخِرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُحِبُّ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾، وهذه الآية نزلت بعد آية القصص؛ أي: قالوا أولاً ما ورد في آية القصص: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾؛ فلما أرسل الله إليهم



رسولاً لم يتبعوه طوال حياتهم، ولما أصبحوا على فراش الموت قالوا: ﴿رَبَّنَا أَخِرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾.

﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ﴾: أولم: الهمزة: للاستفهام، والتوبيخ، والواو: لمطلق الجمع، والتوكيد؛ لم: النافية.

﴿تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ﴾: في الدنيا، أو قبل موتكم؛ أي: لا بعث ولا حساب، ولا آخرة.

كما جاء ذلك في الآية (٣٨) من سورة النحل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾؛ وبما أنهم لا يؤمنون بالبعث ولا بالحساب ولا بالآخرة؛ لذلك لم يستعدوا لهذا الموت وسكراته.

﴿مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ﴾: ما: النافية.

﴿لَكُم﴾: خاصة.

﴿مِّن﴾: استغراقية، وتفيد التوكيد.

﴿زَوَالٍ﴾: رحيل أو تحول عن الدنيا إلى الآخرة، أو لا زوال بعد الموت؛ أي: لا بعث ولا حساب بعد الموت، وأنه هو النهاية.

[٤٥] ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾:

﴿وَسَكَنْتُمْ﴾: من السكنى: وهو الإقامة، واللبث، والسكن: مشتق من السكون، والطمانينة، والمرأة سكن لزوجها، والبيت سكن لهما.

﴿فِي مَسْكَينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: أمثال قوم عاد، وثمود، ولوط، وفرعون.

سكنتم: أقمتهم ﴿فِي مَسَكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، وفي آية أخرى قال: ﴿وَأَنكُمْ لَنَمُوتُنَّ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ﴾ (١٣٧) ﴿وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيْفَ﴾: كيف: استفهام تعجبي؛ ظهر لكم، وتحقق لكم.

﴿فَعَلْنَا بِهِمْ﴾: أي: كيف أهلكناهم، ودمرناهم، وانتقمنا منهم.

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾: وضربنا: ارجع إلى الآية (٢٥)، من نفس السورة؛ لمعنى الضرب.

﴿الْأَمْثَالَ﴾: بهؤلاء الأقوام، وما حدث لهم.

[٤٦] ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾:

﴿وَقَدْ﴾: حرف تحقيق يفيد التوكيد.

﴿مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾: المكر: هو التدبير الخفي الذي يؤدي إلى ما لا يحسبه الممكور به. ارجع إلى الآية (٣٣) من سورة الرعد؛ للبيان.

وقد مكروا مكرهم في عدة مرات حين حاولوا النيل من رسول الله ﷺ، وذكر ذلك في سورة الأنفال، الآية (٣٠): ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾.

﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾: عند: ظرف مكان، أو زمان، وعند تفيد أقصى نهايات القرب؛ أي: مكرهم، أو ما يفكروا به من المكر، أو يخطر على بالهم من المكر يعلمه الله، أو عند الله علمه وقد تعني مكتوب ومعلوم عند الله مكرهم قبل أن يفكروا به، أو يخطر على بالهم، هو يعلمه في سابق علمه الأزلي.

﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾: وإن: الواو: استثنائية.



وإن: لها عدة احتمالات:

إن: نافية تفيد التحقير والتّصغير؛ بمعنى: ما كان مكرهم شديداً لتزول منه الجبال.

إن: أشد نفيّاً من: ما.

إن: قد تكون مخففة تفيد التّوكيد؛ أي: بالتّأكيد كان مكرهم شديداً قوياً يؤدي إلى زوال الجبال، ولكن الله أشد مكرراً وأشد تنكيلاً.

إن: قد تكون شرطية، وتقديرها: فلو كان مكرهم قوياً يُزيل الجبال؛ فلن ينالوك بشيء.

﴿لَتَزُولَ مِنْهُ﴾: لتزول: اللام: للتأكيد. منه: الجبال؛ أي: تتحرك من مكانها، أو تنفتت، أو تخر.

الفرق بين المكر والكيد والغدر:

المكر: هو التدبير الخفي؛ لإلحاق الضرر بالغير، ولا يعلم ذلك الممكور به.

الكيد: أقوى من المكر: وهو إيقاع الضرر بالغير قهراً، سواء أعلم به الخصم أم لم يعلم.

الغدر: هو نقض العهد الذي كان يجب الوفاء به.

[٤٧] ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾:

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ﴾: الفاء: للتوكيد؛ لا: النّاهية.

﴿تَحْسَبَنَّ﴾: ارجع إلى الآية (٤٢) من نفس السّورة.

﴿مُخْلَفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾: مخلف؛ أي: غير منجز وعده، ووعد الله
 لرسله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ (١٧٢) وَلَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿[الصافات: ١٧٢-١٧٣]؛ أي: النصر،
 والفتح، والعصمة من الناس، ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، ﴿كَتَبَ
 اللَّهُ لَا غَلَبَ لَنَا أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]: بإظهار الدين. مخلف وعده رسله: الأصل
 مخلف رسله وعده قدم الوعد؛ للاهتمام به؛ أي: وعده بشكل عام يشمل أي
 وعد، ولو قدم رسله على الوعد فقال مخلف رسله وعده لكان يعني: أن الله لا
 يخلف رسله وعده، ولكن يمكن أن يخلف وعده لغير رسله وحاشا لله أن يفعل
 ذلك.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾: إن الله: للتوكيد.

﴿عَزِيزٌ﴾: قوي، غالب لا يُغلب، ولا يُقهر، ممتنع.

﴿ذُو انتِقَامٍ﴾: القادر على انتقام من أعدائه، وكل من يعصيه؛ ذو انتقام:
 ذو عقاب.

[٤٨] ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمني، ويعني: يوم القيامة.

﴿تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾: أي: تبدل الأرض الحالية، الأرض التي
 خلقها الله سبحانه منذ حوالي (١٣-١٤ مليار سنة) بأرض جديدة هي أرض
 المحشر، التي هي أكبر بكثير من الأرض الحالية، وتضم الأرض الجديدة
 الأرض الحالية، وسوف نبعث من الأرض الجديدة، كما ورد ذلك في هذه
 الآية وفي الصحيحين، وهذا التبديل قد يكون تبديل كلي كامل، وهو الذهاب
 بالشيء واستبداله بآخر، أو تبديل جزئي تبديل في مكوناتها من الجبال والبحار

والأودية؛ أي: تزول جبالها وأوديتها؛ فلا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، أو تبديل في بعض صفاتها، والله أعلم.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾: البروز: هو الظهور، والمواجهة بعد الخروج من القبور، وعبر عن البروز بالماضي بدلاً من المستقبل أو الحاضر؛ للدلالة على تحقق الوقوع؛ فكأن البروز حدث ووقع؛ لأن الله سبحانه خالق الزمان والمكان. ﴿الْوَاحِدِ﴾: اسم من أسماء الله الحسنى ويعني: لا شريك له، لا يتجزأ، لم يلد، ولم يولد، الواحد في ذاته، وصفاته، وأفعاله، وقد ذكر هذا الاسم في (٢١) موضعاً في القرآن. ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿الْقَهَّارِ﴾: اسم من أسماء الله الحسنى مشتق من صلة القهر: وهي الغلبة والقدرة، أو القادر على قهر كل شيء، والقهار: صيغة مبالغة من القهر، واسم الفاعل هو القاهر الدال على التجدد، والقهار: تدل على الثبوت والمبالغة في القهر بكل أنواعه وأحجامه، فقد دانت له الخلائق، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء، وتواضعت لعظمته وكبريائه الجبارة، وبالموت والحساب.

[٤٩] ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾:

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾: رؤية العين، الكافرين، والمشركون، ومرتكبي الكبائر. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنى المجرمين. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لمزيد من البيان في معنى المجرمين.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة في ذلك اليوم.

﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: من قرن الشيء بالشيء؛ أي: وصلته، مشدودين، مقيدين

بعضهم مع بعض، أو المقرن من جمع مع غيره في قرن، وهو الوثاق، وقد تعني: قرنت أيديهم، وأرجلهم إلى أعناقهم بالسلاسل.

﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾: جمع صَفْد، والأصْفَاد: قيود تستعمل للأرجل (الأقدام)، بينما الأغلال: قيود تستعمل للأيدي.

[٥٠] ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾:

﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾: جمع سربال: وهو القميص، أو الثوب.

﴿مِّنْ قَطِرَانٍ﴾: من: ابتدائية.

﴿مِّنْ قَطِرَانٍ﴾: مشربة بالقطران؛ القطران: قيل: هو الزَّفْتُ الأسود المستعمل في بناء الطُّرقات، أو هو دهن أسود متين الرائحة؛ له رائحة مزعجة؛ تشتعل فيه النار بسرعة؛ يستخرج من الخشب والفحم، أو القطران: دهن يستعمل للإبل للشفاء من الجرب، أو لحماية الحديد من الصدأ.

وقيل: القطران: مؤلف من كلمتين: قطر: وهو النحاس، آن: متناهي في الحرارة.

﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾: تَلْفَح، أو تغطي، أو تعلو وُجُوهَهُمُ النَّارُ. وخص ذكر الوجوه من قبيل إطلاق الجزء وإرادة الكل؛ أي: تغشى جميع أبدانهم، وخص الوجوه وقدمها على النار للانتباه لما سيلحقهم من الذلة والصغار.

[٥١] ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾:

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ﴾: اللام لام التعليل. والجزاء: أعم من الأجر ويعني المماثلة؛ أي: من جنس العمل، ويستعمل في العقاب، أو الثواب.

﴿كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.



﴿مَا كَسَبَتْ﴾: من خير، أو شر، والكسب: في الأصل تعني: الزائد عن الأصل؛ مثال: الزائد عن رأس المال يسمى كسب، وتفسير ذلك: أن العبد حين يحرم نفسه من شيء، أو يقوم بعمل لا يقوم به الغير؛ فهو سيأخذ ثواب ذلك وزيادة.

وكسب: عادة تخصص للحسنة.

وأما اكتسب: تخصص للسيئة؛ فلماذا استعمل كسبت للسيئة؛ لأن فعل السيئة أصبح سهلاً، وأمرأ دأب عليه فلم يُعد في حسابانه فعلها، كما يفعل بالحسنة يفعلها بسهولة ويُسر. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٨٦) للبيان.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: ارجع إلى الآية (٤١) من سورة الرعد؛ للبيان. [٥٢] ﴿هَذَا بَلَدٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذِرُوا بِهِ. وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ وَلِيَذَّكَّرُوا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾:

﴿هَذَا﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة للقرب، واسم إشارة يشير إلى القرآن العظيم. وقوله هذا: تنبيه للمخاطب على المشار إليه وقربه وللمبالغة في إيضاحه.

﴿بَلَدٌ لِلنَّاسِ﴾: بلاغ: من الإبلاغ، أو التبليغ: وهو إيصال الشيء، أو الرسالة + مع البيان والفهم؛ هذا القرآن بلاغ للناس كافة؛ أي: منهج الله للناس كافة، وفي سورة الأحقاف آية (٣٥) قال تعالى: ﴿بَلَدٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾، وفي هذه الآية قال تعالى: ﴿هَذَا بَلَدٌ لِلنَّاسِ﴾ فيه مبالغة وتوكيد أشد من قوله بلاغ.

﴿وَلِيُنْذِرُوا بِهِ﴾: ولينذروا: الواو: عاطفة؛ اللام: لام التعليل، الإنذار: هو الإعلام مع التحذير، والتخويف.

﴿وَلِيَعْلَمُوا﴾: أي: يستدلوا بما فيه من الآيات؛ اللام: لام التعليل؛ ليعلموا

من دراسة الآيات الكونية، والآيات المنزلة في هذا القرآن، والمعجزات: أن الله إله واحد.

﴿أَنَّمَا هُوَ﴾: أنما: كافة مكفوفة؛ تفيد الحصر.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد.

﴿إِلَهُ وَاحِدٌ﴾: معبود واحد، لا شريك له، ولا ولد، ولا يتجزأ؛ أمّا قوله تعالى: الأحد؛ تعني: لا مثيل له ولا يشبه أحد. ارجع إلى سورة الصفات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ﴾: إِنَّ اللَّهَ إِلَهُ وَاحِدٌ، ولم يقل: وليتذكروا؛ لأنّ أولي الأبواب لا يحتاجون إلى زمن طويل كي يذكروا: أَنَّ اللَّهَ إِلَهُ وَاحِدٌ.

وليذكر أولوا الأبواب، ولا ينسوا وحدانية الله، ووحدانية الربّ والأسماء والصفات، ويدعوا غيرهم إلى التوحيد. ارجع إلى الآية (١٧٩)، والآية (١٩٧) من سورة البقرة، والآية (١٩) من سورة الرعد؛ لمزيد من البيان في معنى: أولي الأبواب.





سورة الحجر ١٥

سورة الحجر ١٥

سورة الحجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ رَبِّمَا يَوَدُّ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا
وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا
مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نَزَّلَ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا
إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي
قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ
﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ
﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْجُورُونَ ﴿١٥﴾



سورة الحجر [الآيات ١ - ١٥]

ترتيبها في القرآن (١٥)، وفي النزول (٥٤)، نزلت بعد سورة يوسف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ﴾:

﴿الر﴾: ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة.

﴿رَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾: تلك: اسم إشارة، واللام: للبعد؛ تفيد التعظيم، والكثرة، وتشير إلى الآيات الآتية، أو التي سبقتها، أو الآيات بشكل عام.

﴿الْكِتَابِ﴾: أي: القرآن، وسمي الكتاب؛ لأنه مكتوب في السطور، واللوح المحفوظ، وأل التعريف: تفيد الكتاب التام الكامل، والتعظيم.

﴿وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ﴾: مبين: واضح الأحكام لكل فرد يقرأه، ويتدبره، ومبين في ذاته، ومبين لغيره، وأنه منزل من عند الله تعالى، ويسمى قرآن؛ لأنه مقروء.

مُبين للحق من الباطل، والحلال من الحرام، والمبين لمنهج الله تعالى، وافعل، ولا تفعل، وقرآن: نكرة للتعظيم، وجمع بين الوصفين الكتاب، وقرآن مبين؛ للدلالة على الكمال. والقراءة والكتابة ضرورية لحفظ كلام الله من التحريف والتبديل. فالتلاوة: القراءة، جمع صوتي لحروف وكلمات القرآن في الصدور، والكتاب يعني: الجمع والضم الحسي لحروف وكلمات القرآن في السطور.

في سورة النمل، الآية (١): ﴿طَسَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾:



يعكس الترتيب مرة يقول تلك آيات القرآن وكتاب مبين، ومرة يقول: تلك آيات الكتاب، وقرآن مبين؛ فهو يعطف القرآن على الكتاب، أو الكتاب على القرآن؛ لزيادة الوصف.

[٢] ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾:

﴿رُبَّمَا﴾: فيها قرأتان متواترتان صحيحتان: إحداهما: بالتشديد، والأخرى: بالتخفيف، وقيل: التشديد هو الأصل، والتخفيف لكثرة الاستعمال، رب: قد تستعمل للتكثير، أو تستعمل للتقليل.

وحسب السياق فقد تستعمل للتكثير إذا قيلت في سياق الآخرة؛ حيث يتمنى كثير من الكافرين لو كانوا مسلمين.

وقد تستعمل للتقليل، كما هي حال الكفار في الدنيا؛ فقليل فهم يودون لو كان مسلمين.

ودخلت رب على ما؛ لأن رب وحدها لا تدخل على الفعل، فإذا لحقتها ما عندها يمكن أن تدخل على الفعل، كما هو الحال هنا دخلت على الفعل يود. ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾: يود الذين كفروا يوم القيامة (وهو المرجح) حين يروا أهوال يوم القيامة، وما تكون عليه حال المؤمنين، وحال الكافرين.

﴿لَوْ﴾: حرف مصدري للتمني.

﴿كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾: أي: في الحياة الدنيا.

قال: ربما يود، ولم يقل: ربما ود؛ لحكاية الحال؛ لتبين شدة تمنيه لو كانوا مسلمين.

[٣] ﴿ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾:

﴿ذَرَّهُمْ﴾: دعهم؛ اتركهم؛ أي: ذر الكافرين يأكلوا، ويتمتعوا.

﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾: يأكلوا، ويشربوا، ويلبسوا، ويتمتعوا بمتاع الدنيا الزائل؛ متاع الغرور، والتمتع: هو الانتفاع، والتمتع بالأكل، والشرب، والملبس، والأداة: أداة المتعة والترفيه المختلفة من وسائل الاتصال، والتلفزة، واللعب.

﴿وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ﴾: يشغلهم الأمل (بطول العمر) فلا يتوبوا ويرجعوا عن غيهم وضلالهم إلى الإيمان، أو يأملوا في أن يغفر لهم الله تعالى ذنوبهم بدون توبة أو بدون عمل صالح، والأمل: رجاء يستمر، أو طمع فيما يبعد حصوله.

﴿فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾: الفاء: للتوكيد؛ سوف: للاستقبال، والتراخي في الزمن (تستعمل للزمن البعيد)؛ أي: يوم القيامة، أو يوم موتهم؛ سوف يعلمون عاقبة أمرهم، وجزاؤهم، وفيها تهديد، ووعيد.

[٤] ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية؛ ما: النافية.

﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾: من: استغراقية؛ أي: كل قرية. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٤) لبيان معنى الهلاك.

﴿قَرْيَةٍ﴾: حذف كانت ظالمة؛ أي: ظالم أهلها، والقرية؛ تعني: أهل القرية، وعمرانها؛ أي: بتدمير بيوتها، وتخريبها، والقضاء، أو إهلاك أهلها بالرّجفة، أو الزلازل، أو الفيضانات، أو الأوبئة، أو الكوارث الجوية. ارجع إلى سورة الحج، آية (٤٥).

﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿وَلَهَا﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾: في اللوح المحفوظ مكتوب زمن إهلاكها، كتاب معلوم متى يجيء أجلها: انتهاء المدة المضروبة لانتهاء إبقاءها حية.

[٥] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾:

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾: ما: النافية؛ تسبق من أمة أجلها: أي: لا يأتي أجل أي أمة قبل أوانه؛ أي: لا ينقضي، وينتهي أجل أي أمة، ولو بمقدار ساعة، أو أقل. والأمة: جماعة من الناس غير محدودة بعدد معين، ولا يحدها حيز جغرافي، ولها مبادئ، وقيم، وقوانين محددة.

﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾: وما: الواو: عاطفة، وتكرار ما: يفيد تأكيد النفي؛ أي: وإذا لم يأت أجلها لا يستأخرون.

[٦] ﴿وَقَالُوا يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: أي: عدد من كفار مكة؛ أمثال: النضر بن الحارث، والوليد بن المغيرة (قاله ابن عباس ؓ).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِي﴾: يا أيها: الياء: أداة نداء للبعد، والهاء: للتنبيه.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول؛ قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء، والسخرية.

﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾: نزل: وليس أنزل؛ نزل: تفيد الإنزال على دفعات، أو منجماً خلال سنين طويلة (٢٣). قالوا ذلك تكبراً واستهزاء برسول الله ﷺ وسخرية منه وتهكم.

﴿الذِّكْرُ﴾: هو اسم علم يعني: القرآن، وسمي الذكر؛ أي: ذي التذكير يذكّر قارئه بربه، وآخرته، وما عليه من فرائض، وأحكام، والذكر: هو الشرف؛ أي: هذا القرآن شريف القدر لكونه محفوظاً من الله وغير منسي. ارجع إلى سورة ص آية (١)؛ لمزيد من البيان.



﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾: إن: للتوكيد، الكاف: للخطاب.

﴿لَمَجْنُونٌ﴾: اللام: لزيادة التوكيد؛ مجنون: من ذهب عقله؛ اتهموه بذلك باطلاً بسبب ما يدعوههم إليه من ترك ما يعبد آباءهم، والتوحيد، وجعل الآلهة إلهاً واحداً، والبعث، والجزاء، وغيرها من أمور الدين.

[٧] ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾:

﴿لَوْ مَا﴾: لو: أداة حض، وحث. ما: للتوكيد.

﴿تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ﴾: كي يشهدوا بصدقك؛ أي: بنبوتك، أو يكونوا معك نذيراً، والباء: للمصاحبة.

﴿إِن﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشك، أو الافتراض.

﴿كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾: أنك نبي مرسل، أو هذا القرآن من عند الله سبحانه.

[٨] ﴿مَا نَزَّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾:

﴿مَا نَزَّلُ الْمَلَكَةَ﴾: ما: النافية.

﴿نَزَّلُ الْمَلَكَةَ﴾: أمثال: جبرائيل، أو غيره؛ هذا رداً على سؤالهم السابق

في الآية (٧).

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد؛ الحق: هو الوحي؛ أي: بالقرآن، والحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتغير، ولا يتبدل، أو بالأوامر، أو العذاب، أو لقبض أرواحهم عند موتهم، أو أمر محدد أو نزل الملائكة فعلاً، كما حدث في غزوة بدر لتقاتل مع المؤمنين.

﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾: فإذا أنزلنا الملائكة؛ ما كانوا: لن يكون عندهم زمن للانتظار بعد نزول الملائكة بالعذاب، أو لقبض أرواحهم.

﴿إِذَا﴾: جواب، وجزاء للتوكيد.

﴿مُنْظَرِينَ﴾: من الإنظار؛ الإمهال، أو ممهلين؛ أي: حين نزول الملائكة بالعذاب لن يكونوا منظرين مؤخرين؛ لكي ينجو، أو يؤمنوا.

[٩] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: إن: للتوكيد، ونا: للتعظيم.

﴿نَحْنُ نَزَّلْنَا﴾: للتوكيد أن المنزل هو الله وحده.

﴿الذِّكْرُ﴾: القرآن. ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة، والآية (١) من سورة (ص)؛ للبيان.

رداً على قولهم: يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون.

﴿وَإِنَّا لَهُ﴾: للتكرار، والتوكيد. له: الهاء: تعود على الذكر.

﴿لَحَافِظُونَ﴾: اللام: لام التوكيد؛ حافظون: من التبديل، والتغيير، والزيادة،

والنقص، والتحريف؛ بخلاف الكتب السماوية السابقة؛ فإنه سبحانه لم يتولى

حفظها، وإنما استحفظ الربانيين، والأخبار فما رعوها حق رعايتها؛ حافظون:

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢]، وحافظون: جملة اسمية

تفيد الثبات، والاستمرار. بينما أوكّل الله سبحانه وتعالى حفظ الكتب الأخرى

كالتوراة والإنجيل إلى الأخبار والرهبان كما قال تعالى: ﴿بِمَا أَسْتَحْفِظُوا مِنْ

كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]، فلم يحفظوها كما عهد الله إليهم مما أدى إلى ضياع بعضها

وإلى تغير وتبديل بعضها.



[١٠] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتوكيد.
﴿أَرْسَلْنَا﴾: ولم يقل: بعثنا. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛
لمعرفة الفرق.

﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾: من: ابتدائية؛ أي: رسلاً تضم الرسل والأنبياء؛ من: تدل على
قرب الزمان؛ أي: ليس منذ زمن بعيد.

﴿فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾: شيع: مشتقة من الشيع، وهي قطع الحطب الدقيقة
التي تضاف إلى النار؛ لتزداد اشتعالاً؛ جمع شيعة: وهي الجماعة التي تجمعها
عقيدة واحدة، أو مذهب. وشيع: تعني أيضاً: الفرق، وتعني: الجماعة التي تميل
إلى رجل لمحبتهم إياه.

[١١] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾:

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ﴾: الواو: استئنافية؛ ما: النافية.

﴿يَأْتِيهِمْ﴾: بصيغة المضارع بدلاً من أتاهم في الماضي؛ للدلالة على حكاية
الحال.

﴿مِنْ رَسُولٍ﴾: من: استغراقية؛ أي: رسول، وكل رسول هو نبي، وليس
كل نبي رسول. ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٤) لمزيد من البيان، والفرق بين
الرسول والنبي.

﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾: من الاستهزاء، ويعني: تحقير المستهزئ به، والاستخفاف
به، والتصغير من شأنه. ويستهزؤون: بصيغة المضارع التي تعني: الاستمرار في
الاستهزاء، ولحكاية الحال.

ولو قارنا هذه الآية مع الآية (٦) من سورة الزخرف: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ۖ وَمَا يَنْهِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، كم هنا: خبرية؛ تفيد التكثير؛ لأن الأنبياء عددهم أكثر بكثير من الرسل.

[١٢] ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾:

﴿كَذَلِكَ﴾: تعني: مثل ذلك؛ أي: كما سلكنا: أدخلنا الكفر، والتكذيب، والاستهزاء في قلوب شيع الأولين من الأمم السابقة؛ كذلك ندخله في قلوب المجرمين من مشركي مكة، وغيرهم من المكذبين.

﴿نَسْلُكُهُ﴾: ندخله، والسلك: أعم من الإدخال، والإدخال: حالة خاصة من السلك؛ فالسلك: يضم الإدخال، وغير الإدخال، ويعني: إدخال الشيء في شيء آخر بسهولة بعكس الدخول الذي يعني: أكثر صعوبة، ومشقة، والهاء في نسلكه: تعود إلى الكفر، أو الشرك، أو التكذيب، أو الاستهزاء، وقد تعود إلى الذكر؛ أي: القرآن، وقد تشمل الكل.

﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾: جمع مجرم، وليبان معنى المجرمين ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١).

[١٣] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: لا يصدقون به، والهاء: تعود على الذكر، أو الرسول، أو العذاب، أو الكل.

﴿وَقَدْ خَلَتْ﴾: وقد: الواو: استئنافية؛ قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿خَلَتْ﴾: مضت، وسبقت.

﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾: السُّنَّةُ: الطَّرِيقَةُ الَّتِي يَصْرِفُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهَا كَوْنَهُ بِمَا يَحْقُقُ مَصْلَحَةُ الْكَوْنِ، وَالْإِنْسَانُ؛ أَي: قَوَانِينُ خَلْقِهِ، وَكَوْنُهُ.

﴿الْأَوَّلِينَ﴾: الَّذِينَ جَاءُوا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ، أَوْ أَهْلَكْنَا بِهِمْ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ لِرُسُلِهِمْ. ارجع إلى سورة الفتح، آية (٢٣)، وسورة آل عمران، آية (١٣٧) وسورة النساء آية (٢٦)؛ لبيان معنى: السُّنَّةُ.

[١٤] ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الْوَإِ: اسْتِثْنَاءِيَّةٌ؛ لَوْ:

﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾: هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ آيَاتِ الْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ فِي الْقُرْآنِ؛ فَقَدْ أَثْبَتَتِ الْحَقَائِقَ الْعِلْمِيَّةَ الْحَدِيثَةَ: أَنَّ الْمَرَكِبَاتِ الْفَضَائِيَّةَ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْغِلَافِ الْجَوِيِّ الْمَحِيطِ بِالْأَرْضِ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْرُجَ إِلَى حِيزٍ، أَوْ مَدَارٍ آخَرَ، أَوْ فَلَكَ آخَرَ إِلَّا مِنْ أَمَاكِنَ مُّحَدَّدَةٍ تَسْمَى: مَنَاظِدَ الْغِلَافِ الْجَوِيِّ (تَسْمَى بِأَبَا)؛ فَمِنْ هَذِهِ الْآيَةِ نَسْتَتِجُ: أَنَّ هُنَاكَ أَبْوَابَ لِلسَّمَاءِ إِذَا أَرَادَتْ الْمَرَكِبَاتِ الْفَضَائِيَّةُ الْخُرُوجَ إِلَى مَدَارَاتٍ أُخْرَى لَا بَدَّ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا؛ كَيْ تَخْرُجَ بِسَلَامَةٍ، أَمَّا إِذَا حَاوَلَتْ الْخُرُوجَ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْمَنَاظِدِ، أَوْ الْأَبْوَابِ تَنْفَجِرُ، وَتَتَحَطَّمُ عَلَى الْفُورِ؛ فَالسَّمَاءُ؛ أَي: السَّمَوَاتُ بِنَاءٍ مُحْكَمٍ شَدِيدِ التَّرَابُطِ بِقُوَى كَثِيرَةٍ، وَلَيْسَتْ السَّمَاءُ فَرَاغًا كَمَا كَانَ يَظُنُّ النَّاسُ؛ فَلَيْسَ هُنَاكَ فَرَاغًا أَبَدًا، إِنَّمَا الْكَوْنُ مَلِيءٌ بِالْمَادَّةِ، وَالْغَازَاتِ، وَالطَّاقَةِ.

وَالسَّمَاءُ تَعْرِيفُهَا: هُوَ كُلُّ مَا عِلَاكَ، وَتَشْمَلُ السَّمَوَاتُ السَّبْعَ، وَمَا بَيْنَهُنَّ.

﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾: وَلَمْ يَقُلْ فَتَحْنَا لَهُمْ؛ لِأَنَّ عَلَيَّ: تَعْنِي الْعُلُوَّ، وَالِاسْتِعْلَاءَ، وَالْمَشَقَّةَ؛ لِأَنَّ الْخُرُوجَ مِنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ لَيْسَ سَهْلًا، وَثَانِيًا هُمْ سَوْفَ يَعْرُجُونَ، أَوْ يَصْعَدُونَ مِنْ أَسْفَلٍ إِلَى أَعْلَى فَالْبَابُ سَيَفْتَحُ لَهُمْ مِنْ أَعْلَاهُمْ، أَوْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْمًا يَصْعَدُونَ بِهِ إِلَى أَعْلَى.

﴿فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ﴾: فظلوا: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ ظلوا: من ظل؛ وظل: تستعمل خاصة للعمل في النهار، وأمسى: تستعمل خاصة للعمل بالليل، وكان: تستعمل لمطلق الزمان؛ فظل تعني: في ضوء النهار؛ أي: ظلوا يصعدون في ضوء النهار.

﴿فِيهِ﴾: ظرف زمني، ومكاني، والهاء: تعود على الباب؛ أي: فظلوا يعرجون نهراً حتى يصلوا إلى الطبقة المظلمة المحيطة بالكون، وعندها لا يرون إلا الظلام.

﴿يَعْرَجُونَ﴾: تحمل معنى أول، وهو الصعود، ومعنى ثان الحركة بشكل مائل إذن يعرجون تعني الصعود مع الميلان بشكل مائل؛ أي: بخط منحني غير مستقيم؛ لأن السماء الدنيا مليئة بالأجرام، وهذه الأجرام تختلف في كتلتها، وسرعة دورانها، وقوى التجاذب، وقوى الطرد المركزي.

﴿يَعْرَجُونَ﴾: مشتقة من العرج، وهو الميل بالحركة؛ أي: يصعدون بشكل مائل، أو منحني، ولو كان الصعود في الليل لقال الحق فباتوا فيه يعرجون بدلاً من كلمة فظلوا.

فسوف يرون ظلاماً يسيطر على الكون، والأرض؛ أي: محيطاً بالأرض، ويرون الشمس، والنجوم بقاع، أو نقاط باهتة لا تعطي نوراً.

فمن أين جاء الظلام، وهذه هي حقيقة علمية في علم الفلك، والفضاء أننا لو تجاوزنا الغلاف الجوي سنرى ظلاماً قد أطبق على الكرة الأرضية؛ أي: ما حول الأرض غلاف مظلم، وطبقة النهار، أو الطبقة المضئية طبقة لا يزيد سمكها عن (٢٠٠ كم)، ومعظم أشعة الشمس لا تصل إلينا إنما فقط تصل إلينا حزمة من أشعة الشمس تسمى حزمة الضوء المرئي المكونة من ألوان الأطياف السبعة التي حين تختلط بالطبقة الغازية المضئية حول الأرض، وتعطينا هذا الضوء الأبيض.

للتفريق بين الصَّعود، والعروج، والرَّقِي. ارجع إلى الآية (٩٣) من سورة الإسراء.

[١٥] ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾:

﴿لَقَالُوا إِنَّمَا﴾: لقالوا: اللام: للتوكيد، والتعليل؛ قالوا: الذين يعرجون في السماء؛ أي: رواد الفضاء.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾: من سَكَّرَ الباب؛ أي: أغلقه، أو مشتقة من السُّكْر الذي يلي شرب الخمر؛ أي: غُطِيت، وغُشِيت أَبْصَارُنَا؛ أي: اعتراها خلل في إحساسها، كما يعتري عقل السَّكران بعد شرب الخمر؛ فيختل إدراكه.

أو سدت أَبْصَارُنَا، ومنعت عن الرُّؤْيَا، وما نرى إلا ظلاماً، أو تخيلاً، وأوهاماً.

﴿بَلْ﴾: بل: للإضراب الانتقالي.

﴿نَحْنُ﴾: للتوكيد.

عدلوا عن كلمة عقولهم إلى أَبْصَارِهِمْ؛ أي: مسحورين في الأبصار.

﴿قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾: جمع مسحور؛ اسم مفعول من سحر؛ هي جملة اسمية تفيد الثبوت؛ أي: هم لن يصدقوا، ويؤمنوا بهذه الحقائق الثابتة الكونية التي هي عين اليقين التي لو رأوها بأعينهم لقالوا هذا سحر، وأوهام؛ لشدة عدم تصديقهم وتكذيبهم، ولمعرفة معنى السحر؛ ارجع إلى سورة طه، آية (٨).





سُورَةُ الْحُجُرَاتِ ١٥

الْبَيْتُ الرَّابِعُ عَشْرُونَ

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ
فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رُوسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا الْكُفْرَ فِيهَا
مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا
خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ
لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَا كُفُوهً وَمَا أَنْتُمْ لَهُ
بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَاآنَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ
السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقُ بَشَرٍ مِّنْ
صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ
رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

سورة الحجر [الآيات ١٦ - ٣١]

[١٦] ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِ﴾

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: لام التوكيد؛ قد: للتحقيق.

﴿جَعَلْنَا﴾: صير، والجعل يكون بعد الخلق.

﴿فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾: وهي منازل للشمس، والقمر، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ

ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١]؛ أي: كلما تحركت الشمس في السماء؛ تنتقل من برج إلى آخر.

والبروج: هي تجمعات نجمية يراها أهل الأرض في أشكال هندسية معينة يسميها الناس تسميات مختلفة؛ مثل: برج الحمل، والثور، والسرطان، والأسد، وبرج العقرب، أو الميزان، وهي في الحقيقة ليست كما يصفها الناس، وهذه البروج عددها (٨٨ برجاً)، (١٢) برج تقع الشمس في كل واحد منها في كل شهر؛ فيستطيع الإنسان أن يحدد الشهر عن طريق البرج الذي تقع فيه الشمس، وكذلك تلعب هذه الأبراج (التجمعات النجمية) دوراً في تحديد جهة الشرق، وبقية الاتجاهات، وكذلك باقي الأبراج يلعب دوراً في زينة السماء، وكما قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِ﴾: أي: السماء.

وسميت هذه البروج: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت.

والقمر: ينتقل في السماء من منزل إلى آخر: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾

[يس: ٣٩]. ارجع إلى سورة يس؛ لمزيد من البيان.



﴿وَزَيَّنَّهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾: أي: السماء زينها بالنجوم، والكواكب، والشموس، والأبراج، والمنازل.

﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ الناظرين: جمع ناظر: بالعين المجردة، أو بواسطة تلسكوب.

[١٧] ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾:

﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾: بالشَّهْب.

أي: ومنعنا كل شيطان رجيم من الاقتراب من السماء، واستراق السَّمْع.

﴿مِنْ كُلِّ﴾: من: استغراقية تستغرق كل شيطان.

﴿شَيْطَانٍ﴾: وكلمة شيطان مشتقة من شطن: بُعد عن الحق، وتمادي في الشر، أو شاط احترق، أو الشَّاطِن الخبيث.

﴿رَجِيمٍ﴾: تعني:

١ - مرجوم بالشَّهْب.

٢ - مطرود من رحمة الله، أو مُبعد.

٣ - ملعون.

[١٨] ﴿إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾:

﴿إِلَّا مَنْ﴾: إلا: أداة استثناء. من: ابتدائية.

﴿أَسْرَقَ السَّمْعَ﴾: استمع في خُفية؛ كي يسرق الكلام المسموع بالتَّصْنِت إلى الملائكة؛ سرقة مقرونة بخوف، وخفاء، وعدم استقرار لا يسمح بحسن الاستماع والفهم.

﴿فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾: فأتبعه: الفاء: للترتيب، والمباشرة مما يدل على إحكام السماء من اطلاع الشيطان على ما لم يرد الله اطلاعهم أو استماعهم إليه.

﴿شَهَابٌ﴾: النجوم عندما تنفجر تتحول إلى نيازك تنفجر وتتحول إلى قطع عالية الكثافة؛ تنزل على الأرض بشكل قطع من الصخر؛ كالحديد، وبعضها عندما تنزل وتحتك بالغلاف الغازي للأرض تحترق احتراقاً كاملاً مشكلةً الشهب؛ فالشهب: أصلها نيازك صغيرة الحجم؛ فهذه الشهب جعلها ربنا رجوماً للشياطين، وإذا سقطت على الأرض تسقط بشكل رماد، وربنا سبحانه حرم على الشياطين القيام باستراق السمع بعد بعثة الرسول محمد ﷺ.

ما هو الفرق بين الشهاب المبين والشهاب الثاقب؟

الشهاب الثاقب: أشد، وأقوى من الشهاب المبين؛ لكونه يخترق الكثير من الأجسام.

لننظر إلى كلمة شهاب في القرآن الكريم؛ فقد وردت في عدة آيات:

في سورة الحجر هذه آية (١٨): ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾.

في سورة النمل، آية (٧): ﴿سَنَاتِيكُمْ مِنْهَا يَخَبِّرُ أَوْ أُنَبِّئُكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾؛ أي: شعلة من النار ملتهبة.

في سورة الصافات، آية (١٠): ﴿إِلَّا مَن حَظِيَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾؛ أي: السنة من النار تنطلق من النجم لتحرق الشيطان المارد.

في سورة الجن، آية (٩): ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾.

[١٩] ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾:

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾: أي: مددنا قشرة الأرض؛ فالأرض بدأت من جزيرة بركانية ظهرت في وسط كل محيط، ثم استمرت ثورة البراكين، وظلت الأرض تتمدد حول هذه الجزيرة التي سميت الحافة وسط المحيط حتى شكلت القارة الأم التي تشققت بشبكة من الصدوع إلى سبع قارات، ثم تباعدت هذه القارات حتى أصبحت كما نراها اليوم.

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ﴾: رواسي: هي الجبال، وتشكل حين تصطدم الألواح القارية تحت المحيطات بعضها ببعض؛ فحين ينزل لوح تحت لوح آخر تكشف كل الصخور الرسوبية عن السطح النازل، وتلقى على السطح الآخر، وعندما ينزل اللوح إلى درجات أعمق ذات درجات حرارة شديدة تنفجر البراكين، وتلقي البراكين بالحمم في الفضاء، ثم تنزل على الأرض لتشكيل الجبال، أو تلقى على الأرض، ثم تنزل الجبال إلى قشرة الأرض، وحينما تصل إلى مناطق الضعف الأرضي تنزاح بعض الصخور المنصهرة، وتدفع إلى أعلى، وهذه تكون قلب الجبل، وهذه الجبال ساعدت على إبطاء حركة الأرض لكي تستطيع هذه الكائنات الحية مثل الإنسان، والحيوان، والنبات العيش عليها.

﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾: من: استغراقية تفيد التوكيد، وتشمل كل نبات (يشمل الزروع والثمار).

﴿كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾: معلوم الوزن، والقدر عند الله سبحانه، ومنها العناصر اللازمة لاستمرار حياته.

[٢٠] ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ﴾:

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ﴾: هيأنا، وأعدنا لكم في الأرض.

﴿مَعِيشَ﴾: جمع معيشة: وهو ما يعيش عليه الإنسان من الطعام، والشراب، واللباس، والسكن.

﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ﴾: من العيال، والخدم، والأنعام، والدواب؛ أي: الله يرزقهم، ويرزقكم؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦٠]؛ حتى لا تظنوا أنكم أنتم الرزاقون لهم خطأ.



[٢١] ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾

﴿وَإِنْ﴾: الواو: استئنافية؛ إن: نافية؛ أي: وما من شيء إلا عندنا خزائنه.

ومن استغراقية تشمل كل شيء، وتفيد التوكيد.

﴿إِلَّا﴾: تفيد الحصر.

﴿عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾: خزائن: جمع خزينة: لغة تعني المكان المخصص لحفظ الأشياء الثمينة؛ مثل: الأموال، والذهب، والفضة، والمعادن الثمينة هذا هو التفسير القديم، واصطلاحاً تعني: مقدورات الله تعالى التي تنفع الناس من رزق وخيرات ونعيم وكل ما يحتاجه الخلق في الحياة؛ وأما التفسير العلمي للخزائن، وهي: النجوم التي هي عبارة عن أفران نووية هائلة يخلق فيها ربنا كل ما تحتاجه هذه الحياة من عناصر، ومركبات؛ مثل: الحديد، والذهب، والفضة، والنحاس، والألماس... وغيرها؛ كلها تكونت من غاز الهيدروجين، أو الهليوم؛ فهناك أكثر من (١٠٠) عنصر خلقها الله سبحانه من غاز الهيدروجين؛ فكل ما تحتاجه الأرض يخلق في السماء أصلاً، وعندما تتفجر هذه النجوم على شكل نيازك تنزل على الأرض، وغالباً ما تنزل في البحار، أو الأماكن غير المسكونة رحمة بالعباد.

﴿وَمَا نُنْزِلُهُ﴾: ما: نافية؛ ننزله إلا بقدر معلوم حسب المصلحة، والحكمة؛

أي: تنزل هذه المعادن.

﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾: حصراً بقدر موزون، ومحدد الكمية، والحجم،

والمصلحة، والفائدة.



[٢٢] ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾:

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ﴾: الرِّيح في القرآن تستعمل في سياق الرِّحمة، والرِّيح تستعمل في سياق العذاب، والدِّمار.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ﴾: لواقع: جمع لاقحة مشتقة من اللاقح الذي يلحق الغير ليصير فيه جنين فالنباتات تتكاثر، ولا بد من حمل عامل الذكورة للوصول إلى عامل الأنوثة. والأهم من ذلك: أن الآية تتحدث عن تلقيح السحب، فأشعة الشمس تبخر الماء من البحار، والمحيطات، والأودية، والبحيرات، نتح أو تنفس النباتات، وتنفس الإنسان، والحيوان، فالرياح تحمل بخار الماء بشكل سحب، والسحب هذه لا تمطر؛ لأن ذرات بخار الماء خفيفة؛ فيرسل الله سبحانه إليها رياح أخرى محملة بهباءات الغبار، فتلقح السحب الحاملة لبخار الماء، وتصبح ذرات بخار الماء كثيفة حول هباءات الغبار، وحين تصل إلى كثافة معينة تنزل بشكل المطر المبارك.

﴿فَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: الآية تتحدث عن دورة الماء حول الأرض. ارجع إلى سورة المؤمنون، آية (١٨)، وسورة يس، آية (٣٣)؛ للبيان.

﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾: أي: أعددناه لسقياكم إن أردتم السقيا، أو معداً للشراب. ﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾: ما: النافية.

﴿أَنْتُمْ﴾: للتوكيد؛ قادرون على خزنه.

﴿بِخَازِنِينَ﴾: الباء: للإلصاق، والمصاحبة؛ فالله سبحانه يخرن لنا الماء النازل من السماء، والفائض عن الحاجة في جوف الأرض، والجبال عن طريق الصخور المسامية؛ كي يتيح لنا إخراجه حين الحاجة، أو يسيل بقدر الحاجة، وعلم الإنسان بناء السدود؛ ليخزن الفائض من الماء لحين الحاجة؛ فهناك مساحات كبيرة من القشرة الأرضية ليس فيها أنهار، ولا بحيرات، وفر الله

سبحانه الماء لأهلها عن طريق الصخور المسامية، وذات النفوذ القادرة على خزن الماء؛ مثل: الصخور الرملية والتي تسمح للماء، والغاز بالتحرك، أو الخزن لمئات، وآلاف السنين، والإنسان ليس له دور في خزن هذا الماء، ولا يحفظ هذا المخزون إلا الله سبحانه. ارجع إلى سورة المؤمنون، آية (١٨)؛ لمزيد من البيان.

[٢٣] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾:

﴿وَإِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿لَنَحْنُ﴾: اللام: للتوكيد؛ نحن: لتعظيم مرة أخرى.

﴿نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾: أي: كل الذوات فانية، وزائلة؛ إلا ذاته ﷻ؛ فهو وحده الذي يحيي ويميت.

﴿وَنَحْنُ﴾: التكرار، ويفيد التوكيد، وبصيغة التعظيم (الجمع).

﴿الْوَارِثُونَ﴾: الباقون بعد هلاك الخلق كله؛ فهو يرث الأرض، ومن عليها؛ كقوله تعالى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: ارجع إلى الآية (١٧).

﴿عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ﴾: المستقدمين: جمع مستقدم: اسم فاعل من استقدم

السداسي.

أي: أول الخلق (الأمم السابقة) الذين جاؤوا قبلكم؛ أي: ماتوا من ذرية آدم.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾: تكرر، ولقد: للتوكيد.

﴿الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾: جمع متأخر: اسم فاعل من استأخر.



﴿الْمُسْتَخْرِينَ﴾: آخر الخلق، أو الذين لم يخلقوا بعد، وسيموتون فيما بعد، أو كل من سيأتي من بعدكم إلى يوم القيامة.

[٢٥] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَلِإِنْ﴾: الواو: عاطفة؛ إن: للتوكيد.

﴿رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾: ربك؛ أي: الخالق، والمدبر، والوالي.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿يَحْشُرُهُمْ﴾: بعد النشْر، والحشر: هو السَّوق، والجمع إلى أرض المحشر، يحشرهم في أرض المحشر للحساب، والجزاء.

﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: إنه: للتوكيد.

﴿حَكِيمٌ﴾: أحكم الحاكمين، الحاكم، والمالك للسموات، والأرض، وما فيهن، أو أحكم الحكماء مشتقة من الحكمة في تدبير شؤون خلقه، وكونه. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة مشتقة من كثرة العلم يعلم ما يعلمه خلقه من صغير وكبير، ويعلم شؤون خلقه، وكونه؛ فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة من السموات، ولا في الأرض؛ عليم بظواهر، وبواطن الأمور؛ لا تخفى عليه خافية.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾:

﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾: أي: آدم.

لفهم هذه الآية: لا بد من معرفة، أو ذكر المراحل التي مر بها خلق آدم ﷺ.

التراب: المرحلة الأولى: من تراب.

الطين اللازب: المرحلة الثانية: تراب + ماء = طين، وسمي طين لازب؛ لأنه يلتصق باليد.

الحمأ: المرحلة الثالثة: ترك الطّين ليُجف، ويصبيه العفن، والتّن؛ فأصبح لونه أسود؛ أي: الحمأ: طين أسود رائحته متنتة.

المسنون: المتروك سنين عدة؛ فسّمّاه: الحمأ المسنون.

الصلصال كالْفَخار: المرحلة الرَّابِعة: ترك الحمأ المسنون ليُجف، ويتقدم به الزّمن، ويبس حتى يصبح له صوت إذا نقر عليه يشبه صوت الصّللصال الفخار.

ففي هذه الآية ذكر المرحلة الثالثة والمرحلة الرَّابِعة.

وفي سورة الصّافات، آية (١١) ذكر المرحلة الثّانية الطّين اللازب، والمرحلة الأولى ذكرت في عدة سور منها: سورة الروم، آية (٢٠)، وسورة الحج، آية (٥)، وسورة فاطر، آية (١١).

[٢٧] ﴿وَلَجَّانَ خَلَقْنَهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُورِ﴾:

﴿وَلَجَّانَ﴾: يقصد به إبليس، وذريته من قبل؛ أي: من قبل خلق آدم.

﴿مِنْ نَارِ السَّمُورِ﴾: من: ابتدائية.

﴿نَارِ السَّمُورِ﴾: من اللهب الذي لا دخان فيه؛ شديد الحرارة يشبه الرّيح الحارة التي تتخلل مسام الجلد، وتؤثر في الجلد تأثير السّم.

وفي صحيح مسلم، وأحمد، عن عائشة قال ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَتِ الْجَانُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ».

[٢٨] ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلِيقُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾: إذ: ظرف للزمان الماضي؛ أي: واذكر إذ قال ربك، أو حين قال ربك.

﴿لِلْمَلَأِكَةِ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أي: خاصة للملائكة.



المكلفين بتدبير الخلق، ولا يعني الملائكة العالين (حملة العرش ومن حوله).

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿خَلَقْتُ بَشَرًا﴾: يسمي الإنسان بشراً؛ مشتقة من كونه له بشرة خاصة به؛ أعطته حسن الهيئة، أو تعني الظهور.

[٢٩] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: للتوكيد؛ إذا شرطية تفيد الحتمية؛ حتمية الحدوث.

﴿سَوَّيْتُهُ﴾: من التسوية: أتممت خلقه، والتسوية؛ تعني: اخترت له الصفات الوراثية الخاصة به؛ بحيث لا يشبه مخلوقاً آخر من الخلق على الإطلاق.

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾: ولا تعني الروح أنها جزء من الله، وإنما الروح خلق من خلق الله أضافها إلى ذاته تشريفاً، وتكريماً لها: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. وإسناد التسوية ونفخ الروح إليه سبحانه تشريفاً للإنسان، وتبيان لمنزلة وتكريمه من بين سائر المخلوقات.

﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾: الفاء: للترتيب والمباشرة، قعوا: خروا له مباشرة وبسرعة وبدون تردد.

﴿لَهُ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر له فقط.

﴿سَاجِدِينَ﴾: قيل: سجدوا شكر، وليس سجود عبادة، وسجودهم لآدم بذاته؛ هو طاعة لله سبحانه الذي أمر بذلك، وليس طاعة لآدم.

[٣٠] ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾:

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ﴾: الفاء: تدل على المباشرة، والترتيب.

﴿الْمَلَائِكَةُ﴾: الموكلون ببني آدم؛ فسجدوا سجود تحية، واحترام، وليس سجود عبادة كما قلنا.

﴿كُلُّهُمْ﴾: للتوكيد (توكيد أول).

﴿أَجْمَعُونَ﴾: توكيد ثان، أو لزيادة التوكيد، وتعني: لم يتأخر منهم أحداً (سجدوا معاً جميعاً) وفي آن واحد، ولم يتأخر أحد منهم.
[٣١] ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء؛ استثناء منقطع؛ أي: المستثنى ليس بعضاً من المستثنى منه؛ لأن إبليس من الجن، والجن ليسوا من الملائكة.

﴿أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾: ورغم أن إبليس ليس من الملائكة، ولكن الأمر الإلهي كان يشملها، كما قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢]، ولكنه أبى: الإباء: شدة الامتناع، وقد يرافق ذلك كره.

واسم إبليس مشتق من الإبلas: وهو شدة اليأس. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٣٤)؛ للبيان.

﴿مَعَ السَّاجِدِينَ﴾: مع الملائكة الذين سجدوا سجود تحية.





سورة الحجرات ١٥

البقرة المكية

قَالَ يَتِابِلِيسُ مَا لَكَ أَلا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ
 لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَاصِلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ
 فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاحِمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ
 الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
 مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا
 أَغْوَيْتَنِي لَأَزِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾
 إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى
 مُسْتَقِيمٍ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ
 اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾
 لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ
 الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوها بِسَلَامٍ أَمِينٍ ﴿٤٦﴾
 وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾
 لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾
 نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
 هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾



سورة الحجر [الآيات ٣٢ - ٥١]

[٣٢] ﴿قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ اَلَّا تَكُوْنَ مَعَ السَّجِدِيْنَ﴾:

﴿قَالَ﴾: الله سبحانه: يا إبليس.

﴿مَا لَكَ﴾: ما: استفهام؛ للتوبيخ، اللام: لام الاختصاص.

﴿اَلَّا تَكُوْنَ﴾: ألا: (أن + لا)؛ أن: حرف مصدر ينفيد التعليل، والتوكيد؛ لا: النافية.

﴿تَكُوْنَ مَعَ السَّجِدِيْنَ﴾: مع الساجدين؛ أي: الملائكة؛ لأنه كان في صحبتهم، ولم يقل من الساجدين؛ من الملائكة؛ لأن إبليس لم يكن من الملائكة؛ كان من الجن.

أي: هو لم يكن مع الساجدين، ولا هو من الساجدين؛ أي: ما عذرك، أو ما منعك كونك غير ساجد مع الملائكة؛ فهذه الآية تسئل إبليس ما الذي منعه من السجود.

[٣٣] ﴿قَالَ لَمْ اَكُنْ لِاسْجُدْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾:

﴿قَالَ لَمْ اَكُنْ لِاسْجُدْ لِبَشَرٍ﴾: لم: حرف نفي.

﴿لِاسْجُدْ﴾: اللام: لام التعليل، والتوكيد؛ سجود التحية.

﴿لِبَشَرٍ﴾: يعني: آدم، وكلمة بشر: مشتقة من البشارة. ارجع إلى الآية السابقة (٣٣)، وتعني: حسن الهيئة؛ فالإنسان يمتاز بحسن الهيئة عن غيره من المخلوقات؛ اللام: لام الاختصاص.



﴿خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَاحٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾: خلقته: يعني: آدم. ارجع إلى الآية (٢٨)؛ بينما إبليس خلق من نار السموم؛ فهذه الآية تدل على أن القوة المانعة التي منعتها من السجود هي صادرة عن نفسه، وإرادته، وهي التكبر، والاستعلاء، وليس قوة مانعة خارجية أكرهته على ذلك.

[٣٤] ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾:

﴿قَالَ﴾: سبحانه وتعالى لإبليس:

﴿فَأَخْرِجْ﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة.

﴿مِنْهَا﴾: من الجنة؛ جنة أرضية، وليست جنة الآخرة. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٣٥) لمزيد من البيان.

﴿فَإِنَّكَ﴾: الفاء: تعليلية، وتوكيد؛ إنك: إن: للتوكيد.

﴿رَجِيمٌ﴾: تعني: من المبعدين، والمطرودين من رحمة الله، أو الرجيم: الملعون من الملعونين، أو المرجوم بالكواكب، والشهاب الثاقبة.

[٣٥] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿عَلَيْكَ﴾: على: تفيد الاستعلاء، والمشقة.

﴿اللَّعْنَةَ﴾: الطرد من رحمة الله سبحانه، والبعد عنه.

﴿إِلَى﴾: حرف غاية عموم الغايات.

﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾: يوم الجزاء، والحساب؛ أي: يوم القيامة.

[٣٦] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: إبليس.

﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾: فأنظرني: أخرني، أو أمهلني، والفاء: للتوكيد.

﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: إلى: حرف غاية لعموم الغايات؛ بينما حتى: نهاية الغاية.

﴿يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: أي: إلى يوم البعث؛ فهو يريد أن ينجوا من النفخة الأولى؛

أي: أن لا يموت، ويصعق الذي يتم أو يحدث حين النفخة الأولى (نفخة الموت والصّعق).

[٣٧] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾:

﴿فَإِنَّكَ﴾: الفاء: للمباشرة؛ إنك: إن: للتوكيد.

﴿مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾: الممهلين، أو المؤخرين إلى يوم الوقت المعلوم.

[٣٨] ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾:

﴿يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾: أي: إلى وقت النفخة الأولى؛ نفخة الموت،

والصّعق؛ حيث تموت كل الخلائق؛ المعلوم عند الله وحده متى سيكون، أو يحدث.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿قَالَ رَبِّ﴾: إقرار بالربوبية لله.

قال إبليس رب بما: الباء: السببية، أو التعليلية.

﴿أَغْوَيْتَنِي﴾: من الغي، والغي هنا قد يعني: إما الخيبة في الطلب.

بما أن الله سبحانه لم يستجب لطلب إبليس بأن يكون من المنظرين، أو



أغويتني أضللتني؛ أي: طردتني من رحمتك، أو أبعدتني عن رحمتك، أو بما أغويتني بالطلب للسجود لآدم.

والله سبحانه لم يغويه، ولكن أعطاه الخيار؛ إما أن يعصي أمر الله، أو يطيعه بالسجود لآدم.

﴿لَا زَيْنَ لَهُمْ﴾: لأزين: اللام: لام التوكيد، والتّون: لزيادة التوكيد.

التّزين: يكون في المعاصي، وتزين الحياة الدّنيا، والانشغال بها عن الآخرة، وطاعة الله، وفي المحرمات يزين لهم المنكر، أو الباطل، أو الحرام، والزنى، والفاحشة، والشّرك، والتّزين؛ يكون في غير الضّروريات؛ لأنّ كل الضّروريات لم يحرمها الله سبحانه.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾: في: ظرفية مكانية، وزمانية، والسؤال هنا: كيف علم إبليس أن آدم سيخرج من الجنة ويهبط إلى الأرض وآدم ما زال في الجنة وذلك لقول الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]؟

﴿وَلَا تُغْوِيَنَّهُمْ﴾: اللام، والتّون في أغوينهم؛ للتوكيد، والإغواء: الإضلال.

وهناك فرق بين الضّلال، والإغواء:

الضّلال: أعم من الإغواء، ويكون في الدّين، وغيره.

أمّا الإغواء: يكون فقط في الدّين، والإغواء؛ يعني: الإفساد، والخيبة في المطلب.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: للتوكيد. ارجع إلى الآية (٤٢) من نفس السّورة؛ لمعرفة معنى

الغاوي بالتفصيل.



[٤٠] ﴿لَا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾:

﴿لَا﴾: أداة استثناء.

﴿عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾: انتبه إلى الفرق بين المخلصين في هذه الآية، والمخلصين بكسر اللام:

المخلصين: بكسر اللام: الذي يُخْلِصُ نفسه، وطاعته لله، ويجاهد ليكسب ثواب الله؛ مثال: المتقين، والمحسنين.

المخلصين: أعظم درجة من المخلصين؛ من أخلصهم الله سبحانه بعد أن أخلصوا له.

﴿مِنْهُمْ﴾: من: هنا ابتدائية؛ أو: البعضية.

[٤١] ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾:

﴿هَذَا﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة للقرب، أو يشير إلى تخلص الله عباده المخلصين من إبليس، وأعدائه من الإغواء، والتزيين، والإضلال.

﴿صِرَاطٌ عَلَيَّ﴾: هذا حق علي؛ أي: تخلص المخلصين من إبليس وأعدائه. علي: تفيد الاستعلاء، والمشقة.

أو تعني: الإخلاص طريق عليّ مستقيم بدل إليّ بـ(عليّ)؛ لأنه طريق صعب وشاق سلوكه، والقيام به، وتجنب الرّياء.

أو هذا صراط علي مستقيم، وعيد من الله سبحانه؛ أي: حسابك يا إبليس عليّ، أو وعد من الله سبحانه لعباده المخلصين بعدم قدرة إبليس على إغوائهم.

﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: ثابت لا يتغير؛ لا عوج فيه، ولا انحراف.



وقد يكون هذا رد على قول إبليس في سورة الأعراف، آية (١٦-١٧) حين قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ١٦ ثُمَّ لَا تَنْهَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾

وهناك من قرأ عليّ: علي بكسر اللام، ورفع الياء، وتنوينها؛ أي: هذا صراط عليّ؛ أي: رفيع عالٍ مستقيم.

[٤٢] ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾:

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾: إن: للتوكيد.

﴿عِبَادِي﴾: إضافة ياء المتكلم يدل على أنهم أعلى، وأشرف من العبيد؛ فهم الذين اختاروا أن يكونوا عباد الله؛ فإضافتهم إلى الله تدل على التشريف، والمدح.

﴿لَيْسَ لَكَ﴾: ليس: للنفي.

﴿لَكَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والملكية.

﴿عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾: لا سلطان القهر، أو الغلبة، ولا سلطان الحجة، والبرهان.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَنْ﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي؛ من: ابتدائية.

﴿اتَّبَعَكَ﴾: استجاب لك، واتبع خطواتك.

﴿الْغَاوِينَ﴾: جمع غاو، والسؤال هنا: إذا كان من الغاوين فليس لسلطان الشيطان عليه فائدة، فالغاوين تعني: من يريد الضلال والغواية، واتباع الشيطان، وتعريف الغاوي:



١ - عالم بالحق، وعادل عنه، أو مائل عنه إلى الباطل، أو الغاوي هو:

٢ - الضال عن طريق الحق، والخير.

٣ - التائه عن الصراط المستقيم، والإيمان، والدين.

٤ - غير راشد.

٥ - الجاهل، والذي يتمنى الأماني الكاذبة.

٦ - الخائب من خاب، ولم يتحقق مطلبه، أو لم يصب الحقيقة.

وقيل الغي:

١ - العدول عن الحق بعد معرفته.

٢ - أصل الغي الفساد في المذهب، والعقيدة.

٣ - فساد الرأي، وتعاطي الباطل من قول، وفعل.

٤ - ضد الرشد.

[٤٣] ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿جَهَنَّمَ﴾: اسم جنس مشتقة من الجهمومة الشيء المخيف المركب الكريه المنظر، أو بعيدة القعر، وهي أول دركة من دركات النار.

﴿لَمَوْعِدُهُمْ﴾: اللام: للتوكيد؛ الضمير هم: يعود على الكافرين. موعدهم: الموعد يعني: الزمان، والمكان.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: للتوكيد؛ الكل بدون تغيب أحد.



[٤٤] ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾:

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾: قيل: لها سبعة أبواب.

وكما أنَّ للجنة ثمانية أبواب. قيل: للنار سبعة أبواب، وقيل: دركات؛ هي: جهنم، ولظى، والحطمة، وسقر، والسَّعِير، والهاوية، والجحيم.

﴿لِّكُلِّ بَابٍ﴾: أو دركة.

﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾: جماعة معينة، أو زمرة تدخل منه؛ لأنَّ مراتب الكفر، والشُّرك، والمعاصي مختلفة؛ مثال: الدَّرَك الأسفل من النَّار للمنافقين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

[٤٥] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الْمُتَّقِينَ﴾: جمع متقي: وهو من أطاع أوامر الله سبحانه، وتجنب نواهيه.

﴿فِي﴾: ظرف مكان.

﴿جَنَّاتٍ﴾: جمع جنة؛ مثل: جنات النِّعيم، وعدن، والفردوس، والمأوى، ودار السلام.

﴿وَعُيُونٍ﴾: جمع عين؛ أي: عين الماء، وذكرت (٩) مرات في القرآن.

والفرق بين أعين، وعيون:

أعين: جمع عين، وهي العين التي تُبصر بها.

أما العيون: جمع عين؛ تعني: عين الماء التي نشرب منها.

[٤٦] ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾:

﴿أَدْخُلُوهَا﴾: يقال للمتقين: ادخلوا الجنة.

﴿بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾: بسلام: الباء: للإلصاق؛ بسلام من الملائكة، وبسلام من ربكم، وبسلام بعضكم لبعض؛ سلام آمنين من الأمراض، والآفات؛ آمنين من الخوف، والفرع، والجوع، والفقر، والموت؛ سلام آمن وطمأنينة من كل مكروه، وضرر.

[٤٧] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾:

﴿وَنَزَعْنَا﴾: من النزع: وهو الاقتلاع بشدة: ونزعنا تدل على تغلغل وتحكم الغل مثل الحسد، والعداوة، وغيرها في قلوبهم بشكل عميق، وإن قلعها يحتاج إلى قوة وشدة حتى لا يبقى لها أي: أثر.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، ما: أوسع شمولاً وعموماً من الذي.

﴿فِي﴾: ظرف مكاني؛ صدورهم.

﴿مِّنْ غِلٍّ﴾: من: استغراقية؛ غل: غل: نكرة تشمل كل أنواع الغل؛ مثل: الحسد، والعداوة، والغش، والخداع، والغيبة، والنميمة، وألقى في صدورهم بعد النزع المحبة، والمودة، والصفاء.

﴿إِخْوَانًا﴾: جمع أخ؛ إخواناً: تجمعهم أخوة الدين، والإسلام، والتي هي أهم من أخوة الدّم، والنسب. ارجع إلى سورة الحجرات، آية (١٠).

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾: السّرير: اسم لما يجلس عليه، ولا يرى بعضهم ظهر بعض تدور بهم الأسرة.



[٤٨] ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾:

﴿لَا﴾: لا: النافية.

﴿يَمَسُّهُمْ﴾: من المس: وهو اللمس الخفيف؛ أي: لا يصبهم في الجنة أدنى درجات التعب، أو اللغوب.

﴿نَصَبٌ﴾: التعب الجسماني، والذي يحصل بعد العمل لعدة ساعات، واللغوب: الإعياء، أو التعب النفسي، أو هو الفتور الناتج عن النصب.

﴿وَمَا هُمْ﴾: ما: للنفي؛ هم: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿بِمُخْرَجِينَ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد؛ مخرجين: من الجنة.

أي: لن يصيبهم مثل ما أصاب أبوهم آدم حين أخرج من الجنة، وما هم بمخرجين: توكيد للوعد؛ لتطمئن قلوبهم؛ لأن أدخلوها بسلام آمنين تكفي.

[٤٩] ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾:

بعد ذكر الوعد، والوعيد، وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب؛ إن المتقين في جنات وعيون يتبعه بقوله:

﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ﴾: الخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ، والإنباء: هو الإخبار بأمر مهم، وعظيم، هو أن الله هو الغفور الرحيم؛ أي أخبر عبادي بهذا الخبر العظيم، وهو أنني أنا الغفور الرحيم، وأن عذابي هو العذاب الأليم.

﴿أَنِّي﴾: أن: حرف توكيد.

﴿أَنَا﴾: ضمير منفصل يفيد التوكيد؛ وتوكيد القصر على أنه هو الغفور

الرحيم.

﴿الْغَفُورُ﴾: صيغة مبالغة من غافر كثير الغفران لعباده مهما كثرت، وعظمت ذنوبهم، ومهما تعددت وتكررت.

﴿الرَّحِيمُ﴾: الرحيم: صيغة مبالغة من الرحمة؛ كثير الرحمة لعباده المؤمنين.

[٥٠] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾:

﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾: هو العذاب الأليم، ونبئهم أيضاً: أَنَّ عَذَابِي:

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل يفيد التوكيد، على أَنَّ عَذَابَهُ هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ الَّذِي لا يقارن بعذاب آخر.

وهاتين الآيتين تجمعان مقامي الرجاء، والخوف، وعلى المؤمن أن يجمع بينهما في عبادته.

[٥١] ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾:

وأخبرهم بالخبر الهام عن ضيف إبراهيم؛ ففي قصتهم مثلاً للبشارة، والإنذار، ومثال على عذاب الله سبحانه الأليم الذي حل بقوم لوط.

﴿ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾: ضيف: تطلق على المفرد، والمثنى، والجمع، وقيل: كانوا ثلاثة من الملائكة، ومنهم: جبريل ﷺ.





سُورَةُ الْحَجَرِ ١٥

الْحَجَرِ الرَّابِعُ عَشْرَةَ

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا
لَا تَوَجَّلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ
مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونِ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بِشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ
رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ
﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا ءَالَ لُوطٍ
إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّا لَمِنَ
الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَاسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ
وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنَّ
دَابِرَهُمْ هُوَ لَا مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾



سورة الحجر [الآيات ٥٢ - ٧٠]

[٥٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي، وتعني: واذكر إذ دخلوا على إبراهيم ﷺ فجأة، أو حين دخلوا عليه، وألقوا عليه السلام.

﴿فَقَالُوا﴾: أي: الملائكة؛ الفاء: للترتيب، والمباشرة.

﴿سَلَامًا﴾: جاءت بالنصب؛ أي: نُسلم سلاماً.

﴿قَالَ﴾: إبراهيم.

﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾: في هذه الآية لم يذكر سبحانه وتعالى: أن إبراهيم رد عليهم السلام، ولكنه في آيات أخرى في سورة الذاريات، آية (٢٥): ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾.

وفي سورة هود، آية (٦٩): ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾.

وإذا نظرنا إلى سلام الملائكة، وكيفية رد إبراهيم ﷺ على سلامهم نجد أن سلام الملائكة جاء بصيغة الجملة الفعلية (سلاماً) التي تدل على التجدد، والتكرار بينما رد إبراهيم ﷺ جاء بصيغة الجملة الاسمية (سلام)، ونحن نعلم من قواعد اللغة العربية: أن الجملة الاسمية أقوى، وأثبت من الجملة الفعلية، وهذا يتناسب مع قول الحق سبحانه.



﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَةٍ فَحْيُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾

[النساء: ٨٦].

إذا: رد إبراهيم كان أقوى، وأحسن من تحية الملائكة؛ فقد كان بإمكان إبراهيم أن يقول سلاماً؛ فهذا يعني: رد التحية بالمثل، وسلام: نكرة، ولم يقولوا: السلام عليكم؛ فهو يشمل سلام التحية، وسلام الأمن، والاطمئنان، وسلام من كل مكروه، وأذى، وشر؛ أما القول السلام تعني: فقط سلام التحية.

﴿قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾: في هذه السورة لم يذكر تفصيل ما حدث من رد السلام، وإحضار الطعام، وتهيئته لهم، وإنما انتقل إلى مواقف اختارها سبحانه في قصة إبراهيم، ولوط منها:

﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾: وفي آيات أخرى قال: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]، و﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠].

﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾: قالوا لا توجل: لا تخف إنا أرسلناك إلى قوم لوط، لماذا قال إبراهيم ذلك لهم، أو لماذا خاف إبراهيم منهم، وكانوا ثلاثة ملائكة في صورة شباب حسان؟ لأنهم دخلوا عليه فجأة بدون سابق إنذار، أو لأنه لما رأى أيديهم لا تمتد إلى الطعام لتأكل.

﴿إِنَّا﴾: بصيغة الجمع؛ للتعظيم.

﴿وَجِلُونَ﴾: الوجل: الخوف الشديد الذي يصاحبه عوامل نفسية تؤدي إلى إفراز لبعض الهرمونات التي تؤدي إلى ازدياد عدد نبضات القلب، وقشعريرة في الجلد من الخوف الشديد.

[٥٣] ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَالِمٍ﴾:

﴿قَالُوا﴾: الملائكة قالوا لإبراهيم.

﴿لَا تَوْجَلْ﴾: لا تخف؛ لا: الناهية.

﴿إِنَّا﴾: إنا: للتوكيد.

﴿نُبَشِّرُكَ﴾: البشارة: هي الخبر السار لأول مرة، والتي تؤدي إلى ترك آثارها على وجه الإنسان من علامات السرور، والفرح.

﴿يُعَلِّمُ عَلِيمٌ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد؛ غلام: ولد.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم، وهو إسحاق عليه السلام؛ لأن إسماعيل كان شاباً في ذاك الزمن.

[٥٤] ﴿قَالَ أَبَشِّرْهُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ بَشِّرُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: إبراهيم عليه السلام؛ لأنه لا يصدق ما تسمعه أذنيه من الخبر السار بالغلام؛ فيحاول الحصول على تأكيدات على هذه البشارة؛ لأنه يرى من الصعب، أو المستحيل أن تنجب امرأته، وهي العقيم طوال عمرها، أو كيف يجتمع الكبر مع الإنجاب.

﴿قَالَ أَبَشِّرْهُمُونِي﴾: أبشروني: الهمزة: للاستفهام، وفيها معنى التعجب بالغلام، أو الولد.

وأصل أبشروني: أبشروني حذف النون للتخفيف، والحصول على الخبر بسرعة.

﴿عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾: على: تفيد العلو، والمشقة بدلاً من كلمة: مع؛ أي: مع الكبر؛ كقوله تعالى في سورة إبراهيم، آية (٣٩): ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدرى؛ يفيد التعليل، والتوكيد.



﴿مَسْنَى الْكِبَرِ﴾: أصابني وحلَّ بي الكبر (التَّقدم في السَّن، أو العمر).
﴿فِيمَ بُشِّرُونَ﴾: أي: بأي: شيء تبشرونني، الفاء: تدل على التعقيب
والمباشرة، ما: هنا استفهامية، وحذف الياء من تبشرون؛ لأنها بشرى على
الإنجاب بعد انقطاع الرجاء وبلوغه الكبر وامرأته عجوز عقيم؛ أي: جاء متأخراً.
[٥٥] ﴿قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: الملائكة.

﴿قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ﴾: قالوا؛ أي: الملائكة لإبراهيم عليه السلام بشرنالك بالحق؛
بالصدق، والحق: هو الشيء، أو الأمر الثابت الذي لا يتغير، أو يتبدل؛ أي: لا
لبس فيه بأن سارة ستنجب غلاماً.

والباء في كلمة الحق: للإلصاق، والتوكيد.

﴿بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ﴾: من ربك؛ فهو الذي قدَّر ذلك وشاء.

﴿فَلَا تَكُنْ﴾: الفاء: لربط المسبب بالسبب، ولا: الناهية.

﴿تَكُنْ﴾: ولم يقولوا: تك، أو تكونن من القانطين.

﴿مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾: من: ابتدائية.

﴿الْقَانِطِينَ﴾: جمع قانط، والقنوط: هو شدة اليأس؛ أي: اليأس إذا اشتد
يؤدي إلى القنوط، ويعني: انقطاع الأمل من حدوث شيء ما، والمؤمن الحق لا
يأس أبداً، ولا يقنط من رحمة الله تعالى، أو يقطع أمله في الله سبحانه.

[٥٦] ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾:

﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ﴾: قال إبراهيم، ومن يقنط: من: استفهامية
فيها معنى النفي؛ أي: لا يقنط، أو ييأس.

﴿مَنْ﴾: من: ابتدائية.

﴿رَحْمَةً رَّبِّهِ﴾: تعني هنا: الفرج، أو الولد، والرَّحمة تعريفها: هي جلب ما يسر، ودفع ما يضر.

﴿إِلَّا﴾: إلا: أداة حصر.

﴿الضَّالُّونَ﴾: جمع ضال، ويعني: الكافرون، أو الجاهلون الذين لا يعرفون قدرة الله، وعظم رحمته بخلقه. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٩٨) لمزيد من البيان.

[٥٧] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: إبراهيم.

﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾: فما: الفاء: للتوكيد؛ ما: استفهامية.

﴿خَطْبُكُمْ﴾: من الخطب، والشَّان: وهو الأمر الخطير العظيم؛ أي: ما شأنكم، أو حالكم، أو ما هو الأمر الجلل الذي جئتم من أجله سوى هذه البشارة، وُسُمي خطباً؛ لأنه أمرٌ يُشغل بال الناس جميعاً؛ فيتحدثون عنه جماعات جماعات؛ أي: يتخاطبون به، وخطبة النساء من الخطب؛ لأنه أمرٌ عظيم، وكذلك خطبة الجمعة.

﴿أَيُّهَا﴾: منادى نكرة، والهاء: للتنبيه.

﴿الْمُرْسَلُونَ﴾: جمع مرسل: وهم الملائكة المرسلون إلى قوم لوط.

[٥٨] ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَمُودَ﴾:

﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا﴾: إنا: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد.



﴿أُزِيلْنَا﴾: من الله سبحانه، ولم يقل بعثنا؛ الإرسال: أخف من البعث. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٩)؛ لمعرفة معنى: الإرسال، والبعث.

﴿إِلَى قَوْمٍ مَّجْرِمِينَ﴾: وهم قوم لوط.

﴿مَّجْرِمِينَ﴾: لارتكابهم الفاحشة، وهي إتيان الذكور من العالمين، وفيه إظهار للغاية؛ أي: لماذا أرسلوا؟ لإهلاك قوم لوط المجرمين: جمع مجرم: وأجرم الرجل أذنب، وعصى، وكفر، وتكبر. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنى مجرمين.

[٥٩] ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾: إلا: أداة استثناء.

﴿آلَ لُوطٍ﴾: آل بيته.

﴿إِنَّا﴾: للتوكيد.

﴿لَمُنَجُّوهُمْ﴾: اللام: لام التعليل، والتوكيد؛ لمنجّوهم: النّجاة: هي الخلاص من المكروه، والفوز: هو الخلاص من المكروه، ونيل المرغوب؛ فالفائز: هو النّاجي من النّار، والمدخل الجنة.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: تفيد التوكيد.

[٦٠] ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ قَدْ رَأَيْنَا إِنَّمَا لِمَنِ الْغَيْرُ﴾:

﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ﴾: أداة استثناء، وهذه ثاني أداة استثناء؛ الأول: آل لوط، آل لوط؛ تعني: ذريته، وامراته، والقاعدة: أنّها إذا توالى الاستثناءات نأخذ المستثنى الأول من المستثنى منه، ثم نأخذ المستثنى الثاني من المستثنى الأول... وهكذا. ﴿أَمْرَاتُهُ﴾: امرأة لوط، ولم يقل زوجته؛ لأنها تخالف زوجها في الإيمان؛

فإذا كان هناك اختلاف بين الزوج، والزوجة يقال للزوجة امرأة بدلاً من زوجة؛ لأن الزوج يعني أن يشبه كل منهما الآخر.

﴿مَذَرْنَا إِنَّهَا لَجِنَّةٌ الْغَابِرِينَ﴾: من التقدير: وهو الحكم. وجاء التقدير بأنها لمن الغابرين بما اختارته بعملها أن لا تستجيب لدعوة زوجها لوط عليه السلام، ولا تتوقف عن فعل المنكر، وما نهى الله تعالى عنه. ارجع إلى سورة النمل آية (٥٧) للمقارنة بين الآيات المتشابهة.

﴿لَجِنَّةٌ﴾: اللام: للتوكيد؛ من: ابتدائية بعضية.

﴿الْغَابِرِينَ﴾: جمع غابر، والغابر: الباقي في القرية للهلاك؛ أي: الباقين في العذاب، أو الغابرين الماضين (من الماضي)؛ أي: من الذين انقرضوا، وماتوا، وما دامت لم تخرج من القرية، وبقيت؛ فهي من الهالكين.

[٦١] ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾: فلما: الفاء: للترتيب، والتعقيب؛ لما: ظرف زمني؛ بمعنى: حين.

﴿جَاءَ﴾: حضر، وهناك فرق بين جاء، وأتى؛ جاء: المجيء بصعوبة، ومشقة، وجاء، وصلوا إلى لوط؛ وأتى: تعني: المجيء بسهولة، وأتى؛ أي: في طريقهم إلى لوط.

﴿الْمُرْسَلُونَ﴾: الذين كانوا ضيفاً على إبراهيم عليه السلام؛ أي: وصل الملائكة المرسلون إلى لوط.

[٦٢] ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مِّنْكَرُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: لوط لهم:



﴿إِنَّكُمْ﴾: للتوكيد.

﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾: أي: لا أعرفكم، أو من أين جئتم، أو من أنتم.

﴿مُنْكَرُونَ﴾: جمع منكر، غير معروفين.

[٦٣] ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: المرسلون.

﴿بَلْ جِئْنَاكَ﴾: بل: للإضراب الانتقالي.

﴿جِئْنَاكَ﴾: المجيء كما قلنا فيه صعوبة ومشقة، واختار كلمة جئناك

بدلاً من أتيناك؛ لأنهم جاؤوا بالعذاب، والحجارة من سجيل.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد؛ ما: اسم موصول بمعنى: الذي.

﴿كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: يمترون: مشتقة من المرية، وهي الشك، والتهمة؛

جئناك بالعذاب الذي فيه يمترون يشكون، ويتهموك بأنه لن يحدث، وقالوا في

آيات أخرى: ﴿فَأَنبَأْنَا بِمَا تَعِدُّنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

[٦٤] ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾:

﴿وَأَتَيْنَاكَ﴾: الإيتاء: هو المجيء بسهولة، ويسر.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق؛ الحق: وهو الصدق؛ الأمر الثابت الذي لا

يتغير، وهو العذاب، أو الأمر بالإسراء بقطع من الليل، وعدم الالتفاف، والمضي

حيث أمروا.

﴿وَأِنَّا لَصَادِقُونَ﴾: وإنا: للتصديق.

﴿لَصَدِقُونَ﴾: اللام: لزيادة التوكيد؛ صادقون فيما نخبرك به، ونبليغك، وفيما يجب فعله.

[٦٥] ﴿فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾:

﴿فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾: الإسراء: هو السير ليلاً.

﴿وَأَهْلِكَ﴾: الباء: للإلصاق، والأهل: الأولاد والزوجة.

﴿بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾: بجزء من الليل؛ أي: آخر جزء من الليل بقطع جمع قطعة.

﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾: امشي خلفهم، والعادة أن يمشي أمامه وليس خلفهم؛ أي: في المقدمة؛ لتحثهم على السرعة، أو كن خلفهم؛ لكي لا يلتفت منهم أحد لكونه يراقبهم من خلفهم، أو ليكون حائلاً بينهم وبين العذاب.

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾: لا: الناهية.

﴿يَلْتَفِتْ﴾: الالتفات: النظر إلى الخلف؛ أي: لا تنظروا ورائكم، أو خلفكم. ولا يمتنع، ولا يسره؛ حتى لا تروا ما سيحل بقومكم من العذاب المروع.

﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾: ليكن مسيركم، واتجاهكم حيث أمرتم.

[٦٦] ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ﴾: أي: أوحينا إليه، وأعلمناه.

﴿ذَلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة؛ للبعد.

﴿الْأَمَرَ﴾: بهلاك قومه وامراته.



﴿أَنْتَ﴾: أن: مصدرية؛ تفيد التعليل، والتوكيد.

﴿دَابِرَ هَتُولَاءَ﴾: دابر: آخر، دابر الشيء آخره، والدابر: التابع.

﴿هَتُولَاءَ﴾: الهاء: للتنبيه، أولاء: اسم إشارة للذم.

﴿دَابِرَ هَتُولَاءَ مَقْطُوعٌ﴾: قطع الدابر؛ قطع لهم جميعاً؛ كناية عن استئصالهم عن بكرة أبيهم.

﴿مُصْبِحِينَ﴾: آخر من يهلك منهم وقت الصبح، أو ما أن يأتي الصبح يكون هلاكهم قد تم، وانتهى، وهكذا أخبرت الملائكة لوطاً بما سيجري في تلك الليلة؛ لكي يتم الاستعداد لها.

[٦٧] ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾:

ولما علم أهل المدينة من قوم لوط (أهل سدوم) بقدوم وفد من الشبان الحسان إلى عند لوط؛ جاءوا إليه.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: أي: مسرورين؛ الاستبشار: إظهار علامات السرور؛ أي: قد جاءوا إليه فرحين؛ طمعاً في فعل الفاحشة، وفي آية أخرى: يُهرعون: مندفعين بسرعة يحث بعضهم بعضاً، وتظهر على وجوههم علامات السرور.

[٦٨] ﴿قَالَ إِنَّ هَتُولَاءَ ضِيفِي فَلَا نَفْضَحْنَ﴾:

﴿قَالَ﴾: لوط لقومه حين جاؤوا يستبشرون.

﴿إِنَّ هَتُولَاءَ ضِيفِي﴾: إن: للتوكيد.

﴿هَتُولَاءَ﴾: الهاء: للتنبيه؛ أولاء: اسم إشارة للجمع، والقرب.

﴿ضِيفِي﴾: أي: في حمايتي.

﴿فَلَا تَفْضَحُون﴾: فلا: الفاء: للتوكيد؛ لا: الناهية.

﴿فَفَضَحُون﴾: لا تجلبوا العار، والفضيحة إلي بالاقتراب منهم.

[٦٩] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُون﴾:

خافوا الله ربكم، وأطيعوا أمره، وتجنبوا ارتكاب الفاحشة.

﴿وَلَا تُخْزُون﴾: لا: الناهية.

﴿تُخْزُون﴾: من الخزي؛ أي: الفضيحة، والهوان أمام الناس.

والهوان؛ أي: يهان لوحده بمفرده بدون علم الناس بذلك.

[٧٠] ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: قوم لوطٍ للوط.

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: همزة استفهام، وإنكار، وتوبيخ، والواو: تدل على شدة

النهي؛ لم: حرف نفي.

﴿نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾: أولم نحذرك من قبل من عدم استضافة أحداً من

العالمين في منزلك.





الجزء الرابع عشر

سورة الحجر ١٥

قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا
سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِبَسِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾
فَأَنقَضْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ
الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾
وَكَانُوا يُنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ
السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ
الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي
أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

سورة الحجر [الآيات ٧١ - ٩٠]

[٧١] ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾:

﴿قَالَ هَؤُلَاءِ﴾: ارجع إلى الآية (٦٨).

﴿بَنَاتِي﴾: لأن النبي يعتبر أبا القوم، ونساء القوم بناته، قال لهم لوط هؤلاء بناتي (أي: بنات القوم)؛ فلماذا لا تتزوجهن، وحاشا لله أن يعني هؤلاء بناتي (يعني: بنات لوط)؛ فافعلوا فيهن الفاحشة بدون زواج، أو حاشا لله أن يقول لهم اذهبوا، وافعلوا الفاحشة مع بنات القوم بدون زواج.

﴿إِنْ﴾: شرطية؛ تفيد الشك، والافتراض.

﴿كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾: السوء بضيفي.

[٧٢] ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾:

﴿لَعَمْرُكَ﴾: أي: أقسم بحياتك يا محمد ﷺ، والقسم بحياته تشريفاً له، وأصل عَمْرُكَ هي عُمْرُكَ بضم العين، وفتحت؛ لكثرة الاستعمال. لعمرُك: لفظ يستعمل في القسم، ومعنى العمر: الحياة، وعَمْرُ وعُمْرُ، والعُمْرُ: شيء واحد، واللام: لام الابتداء، وقيل: إن القسم قد يكون بحياة لوط.

﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لَفِي﴾: اللام: للتوكيد، وفي: الظرفية.

﴿سَكْرَتِهِمْ﴾: السكرة: تعني: الغفلة، أو الضلالة، أو الخدرة العقلية التي



تعصف بالعبد، أو تصيب العبد لفعل الفاحشة الجنسية، وتغطي على عقله؛ فتعمى بصيرته، كما يغطي الخمر على عقول شاربيه.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: مشتقة من العمه في البصيرة، أو العمى في الرأي، وهو التردد، والحيرة في الضلال، والتخبط، كما يفعل السكران. وأما العمى: فهو عمى العين. [٧٣] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾:

﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾: الفاء: تدل على الترتيب، والمباشرة؛ أخذتهم: قضت عليهم الصيحة؛ أي: أهلكتهم.

﴿الصَّيْحَةُ﴾: نوع من أنواع العذاب. ارجع إلى سورة المؤمنون، آية (٤١)؛ للبيان.

﴿مُشْرِقِينَ﴾: أي: بدأت الصيحة بدخول صباح الفجر، وانتهت بطلوع الشمس، أو الدخول في وقت شروق الشمس، وكيف علمنا أن بداية الصيحة كانت عند دخول الصباح؟ هي الآية (٦٦)، وهي قوله تعالى: ﴿أَنذَرْتُكُمْ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾: وقت دخول الصباح (الفجر)، ونهاية الصيحة كانت في قوله مشرقين؛ مشرقين: وقت شروق الشمس.

[٧٤] ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهُمَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حَبَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾:

﴿فَجَعَلْنَا﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة، والتعقيب؛ جعلنا: صيرنا، والضمير يعود إلى الله، وملائكته.

﴿عَلَيْهِمَا سَافِلَهُمَا﴾: عاليها: هاء الضمير تعود إلى قري قوم لوط (المؤتفكات)؛ أي: اجثت قراهم الخمسة؛ أي: اقتلعت من الأرض، ثم رفعت إلى السماء، ثم قلبت قراهم عاليها سافلها؛ أي: انقلاباً تاماً، وهوت على الأرض.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: على قوم لوط بعد قلب قراهم أمطرنا عليهم حجارة من سجيل.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: أي: على قوم لوط.

﴿مِّنْ سَجِيلٍ﴾: من طين متحجر؛ أي: لا يعلم كنهه إلا الله. قد تكون مادة تشبه ما ينتج عن تفجر بعض الأجرام السماوية؛ مثل: الاستروئيد، والتي تسقط على الأرض أحياناً.

أي: عبارة عن شظايا تنتج عن انفجار نجوم صغيرة نيازك تنفجر عندما تصطدم بالغلاف الأرضي، ويطلق عليها استروئيد، وتسقط على الأرض غالباً في البحار، والمحيطات؛ تسمى حجارة من سجيل، أو حجارة من طين، أو سجيل منصود؛ أي: صخور متفتتة.

ففي هذه الآية سجيل، وفي سورة الذاريات، الآية (٣٣): ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ طِينٍ﴾، وفي سورة هود، الآية (٨٢): ﴿حِجَارَةً مِّنْ سَجِيلٍ مَّنْصُودٍ﴾؛ منصود: متابع في النزول من النضد: وهو وضع الشيء بعضه على بعض.

[٧٥] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿فِي﴾: في: ظرفية.

﴿ذَلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة للبعد؛ ما صنعنا أو حل بقوم لوط من الهلاك، والدمار، والمطر عليهم بحجارة من سجيل... وغيرها.

﴿لَآيَاتٍ﴾: اللام: للتوكيد؛ آيات: جمع آية، والآية: علامة، أو دلالة قاطعة، أو بينة؛ الآيات منها نجاة آل لوط، وجعل عاليها سافلها، وإنزال المطر من سجيل منصود.



﴿الْمُتَوَسِّمِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ المتوسمين: جمع متوسم: وهو الذي عنده قدرة على الفراسة، أو الناظر في السمة الدالة على الشيء، والتوسم: يعني: النظر بتفكر، وحكمة؛ للكشف عن مكنون النفوس، وبواطنها؛ أي: التوصل إلى معرفة بعض الحقائق، والأمور الخفية عن النظر؛ فالمتوسمون: المعتبرون الناظرون، المتفكرون في عظمة الله سبحانه، وعلى طلاقة قدرته.

[٧٦] ﴿وَلِئَلَّا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾:

﴿وَلِئَلَّا﴾: إن: للتوكيد قرئ لوط.

﴿لِسَبِيلٍ﴾: اللام: لام الابتداء، أو التوكيد. لطريق مبين، واضح، مُعَلِّم؛ على طريق بين مكة والشام، طريق ثابت؛ أي: لا يخفى على المسافرين المارين بها.

[٧٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿فِي ذَلِكَ﴾: أي: لما حدث لقوم لوط من الهلاك، والدمار.

﴿لَآيَةً﴾: دلالة بينة الآثار هي آية واحدة.

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ المؤمنين: أي: ينتفع بها المؤمنون؛ أي: عظة وعبرة؛ تدل على قدرة الله سبحانه، وأن عذابه هو العذاب الأليم، أو أخذه إذا أخذ القرئ، وهي ظالمة: ﴿إِنَّ أَخَذَهُ الْإِلَهُ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

[٧٨] ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ﴾:

هذه هي القصة الثالثة؛ الأولى: كانت قصة: آدم وإبليس، والثانية: إبراهيم ولوط، والثالثة: أصحاب الأيكة.

﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾: إن: للتوكيد.

﴿الْأَيْكَةَ﴾: الأيكة: الأشجار الملتفة المتشابكة، الكثيرة الأغصان؛ أرسل الله تعالى شعيب ﷺ إليهم، وكانوا بقرب مدين، وكثير من المفسرين يقولون: أن مدين، وأصحاب الأيكة هما أمتان مختلفتان بُعث إليهما شعيب ﷺ، ومن المفسرين من يظن أن مدين، وأصحاب الأيكة هما أمة واحدة، والأرجح: هو القول الأول.

﴿ظَالِمِينَ﴾: اللام: للتوكيد؛ ظالمين: لأنهم أشركوا، وكذبوا شعيباً، أو كانوا لا يؤمنون بالمكيال، والميزان، وعاثوا في الأرض فساداً.

[٧٩] ﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُم وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُم﴾: من أصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم [الشعراء: ١٨٩].

﴿مِنْهُمْ﴾: تعود على أصحاب الأيكة، وقرئ قوم لوط (المؤتكتفات).

أو: تعود إلى أصحاب الأيكة، وقوم مدين.

﴿لِبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: لبإمام: اللام: للتوكيد؛ الباء: للإلصاق، والتوكيد؛ إمام: طريق، وشبه الطريق بالإمام؛ لأن المسافر يأت به، أو يهتدي به؛ حتى يصل الموضع الذي يريده.

﴿مُبِينٍ﴾: واضح، ظاهر للعيان؛ لبطريق مبين يسلكه الناس في سفرهم من الحجاز إلى الشام.

[٨٠] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ﴾:

هذه هي القصة الرابعة في السورة.

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿أَصْحَابُ الْحَجَرِ﴾: هم قبيلة ثمود (قوم صالح)، وسموا أصحاب الحجر:



عاداً الثانية؛ لأنهم كانوا يسكنون في منطقة الحجر (واد بين الشام والمدينة المنورة)، واقعة في الأردن.

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: كان نبيهم صالح من الأنبياء العرب، وهم كذبوا صالح، وجاء بصيغة الجمع؛ ليدل على أن تكذيب أحد الرسل يمثل تكذيب لكل الرسل؛ لأن رسالتهم واحدة أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.

[٨١] ﴿وَأَيِّنَّاهُمْ بِآيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾:

﴿وَأَيِّنَّاهُمْ بِآيَاتِنَا﴾: أي: أريناهم آياتنا، والآيات البينات، والدلالات، وتتضمن المعجزات الدالة على النبوة، أو الآيات الكونية، أو الآيات التشريعية، ومنها: آية الناقة؛ ناقة الله، وهي وإن كانت آية واحدة؛ فهي تمثل الكثير من الآيات، والعبر؛ مثل: خروجها من الصخرة، وعظم خلقها، وفصيلها، وكثرة لبنها.

﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: لم يقبلوا بتلك الآيات، وكذبوها، وأنكروها غير مبالين، ولا يتفكرون بها.

[٨٢] ﴿وَكَاْنُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾:

﴿وَكَاْنُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾: يحفرون في الجبال، وينقبون الجبال؛ لكي يبنوا لهم بيوتاً فيها؛ لكي يأمنوا شر الأعداء، ولأن الخيام كانت لا تقيهم الأمن.

﴿مِّنْ﴾: بفضية؛ أي: بعض الجبال؛ أي: قاموا ببناء بعض البيوت من الجبال.

﴿آمِنِينَ﴾: مطمئنين غير خائفين.

أما الفرق بين هذه الآية، وآية الأعراف رقم (٧٤): ﴿وَنَحِثُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾: كان هذا في المرحلة الأولى؛ حيث كان الكل يحاول أن يبني من الجبال

بيوتاً، وحركة البناء مزدهرة، ثم قلت، وقل التَّحت؛ فجاءت الآية في سورة الحجر؛ لتصور لنا هذه الحالة الأخيرة.

[٨٣] ﴿فَاخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (٧٣) من نفس السورة.

بعد أن عقروا الناقة، وعتوا عن أمر ربهم، وتمادوا في التحدي، وقالوا: يا صالح آتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين؛ عندها قال لهم صالح: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب.

﴿فَاخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾: أهلكتهم، وقضت عليهم الصيحة. ارجع إلى سورة المؤمنون، آية (٤١).

وقت دخول الصَّباح؛ فلم تنفعهم حصونهم، وبيوتهم، وتحميهم من العذاب.

[٨٤] ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب؛ ما: النافية.

﴿أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾: ينفعهم، أو يمنعهم، أو يحميهم من العذاب ما يكسبون من الأموال، وبناء القصور، والزروع.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، أو مصدرية، وما: أشمل وأعم من الذي.

﴿يَكْسِبُونَ﴾: من الأموال، والبناء، ونحت الحصون، والبيوت، والزروع. ولم يقل ما كسبوا، وجاءت بصيغة المضارع للدلالة على حكاية الحال إبدال الماضي بالمضارع لإحضاره أمام العين كأنك تراه الآن لشدة إتقان ما صنعوا من الجبال بيوتاً.



[٨٥] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ﴾
الْصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية؛ ما: النافية.

﴿خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: ارجع إلى سورة إبراهيم،
آية (١٩)؛ للبيان.

أي: لم نخلق السموات، والأرض وما بينهما باطلاً، ولا عبثاً، ولهواً.
﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: أداة حصر؛ بالحق. ارجع إلى سورة إبراهيم، آية (١٩)؛
للبيان.

﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿السَّاعَةَ﴾: ساعة تهدم النظام الكوني.

﴿لَآتِيَةٌ﴾: اللام: لام التوكيد أيضاً؛ آتية: قادمة، وآتية فيها معنى المجيء
بسهولة، وذلك لأنها لم تحدث بعد. ارجع إلى سورة طه آية (١٥) للبيان،
والمقارنة مع الآيات المتشابهة؛ لآتية كي تجزي كل نفس بما كسبت، أو ﴿لِيَجْزِيَ
الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾: الصَّفْح: هو ترك العقوبة، وترك اللوم، وعدم
التذكير بما حدث، والصَّفْح: أبلغ من العفو؛ أي: اصفح يا محمد ﷺ عن أساء
إليك بالحلم، والعفو، وترك اللوم.

[٨٦] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَقُ الْعَلِيمُ﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿رَبَّكَ هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد على كمال العلم، والخلق.



﴿الْخَلْقُ﴾: صيغة مبالغة للخلق: فهو خالق كل شيء، وكثير الخلق.
 ﴿الْعَلِيمُ﴾: صيغة مبالغة للعلم، واسع العلم، عليم بأحوال خلقه، وأحوالهم، وأعمالهم.

[٨٧] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ اللام: للتوكيد؛ قد: حرف تحقيق، وتوكيد.
 ﴿آتَيْنَكَ﴾: الإيتاء: عطاء مع إمكانية استرداد العطاء؛ أي: ليس فيه تملك، والإيتاء: أعم من العطاء، ويشمل الأشياء الحسية، والمعنوية. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥١)؛ للبيان.

﴿سَبْعًا﴾: أي: الفاتحة (فاتحة الكتاب)، وقيل: أم الكتاب، وهي سبع آيات بما فيها بسم الله الرحمن الرحيم؛ فهي أول الآيات السبع.
 ﴿مِّنَ الْمَثَانِي﴾: من: بعضية.

﴿الْمَثَانِي﴾: سميت المثنائي؛ لأنها تشني؛ أي: يُعاد قراءتها، وتكرر في كل ركعة، والمثنائي: مشتقة من الثناء (الحمد)؛ أثني بها على الله إذ جمعت الحمد، والتوحيد.

﴿وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾: هذا يسمى عطف العام (وهو القرآن العظيم) على الخاص، وهو السبع المثنائي، وفائدة ذلك التوكيد على أهمية السبع المثنائي.
 [٨٨] ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾:

بعد أن بين الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ، وبالتالي لأمته: أنه أتاه السبع المثنائي، والقرآن العظيم ما لم يؤت أحداً من العالمين، وهو إيتاء للمؤمنين أيضاً، وهو



إيتاء عظيم، وكاف، وينبغي معه عدم النظر والالتفات، أو الطموح، والرغبة إلى ما عند غيرك من متاع، وزينة، ومال.

﴿إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾: أي: أصناف من الكفار، أو المشركين، أو الأغنياء من متاع الحياة الدنيا، وزينتها، وزخارفها، ومالها، وذهبها؛ لأنه متاع زائل، وأما السبع المثاني، والقرآن العظيم: فهو متاع دائم، وباق، وهو المتاع الحقيقي.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: أي: لا تذهب نفسك عليهم حسرات؛ لعدم الاستجابة لك، ورفضهم الدخول في الإسلام، والإيمان فهم الذين اختاروا لأنفسهم ذلك. ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: وخفض الجناح: كناية عن لين الجانب، والتواضع، والرفق بالذين استجابوا لك من المؤمنين، وكن كالطائر الذي يخفض جناحيه إلى نسله؛ للرعاية، والحماية.

[٨٩] ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾:

أي: أعلم قومك:

﴿وَقُلْ﴾: لهم.

﴿إِنِّي أَنَا﴾: للتوكيد: النذير المبين.

﴿النَّذِيرُ﴾: المنذر؛ الإنذار يعني: الإعلام مع التحذير، والتخويف: النذير لهؤلاء الذين أعرضوا، وتولوا عن الإيمان، وكذلك لكل الناس.

﴿الْمُبِينُ﴾: البين؛ الإنذار لكل واحد، وهذا الإنذار لا يحتاج إلى تبيان؛ لأنه واضح من عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد، وويل للمشركون، والكافرين من عذاب يوم أليم.

[٩٠] ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾:

أي: كما آتيناك سبعا من المثاني، والقرآن العظيم؛ آتيناً، أو أنزلنا التّوراة، والإنجيل على المقتسمين؛ أي: اليهود، والنصارى، كما روي عن ابن عباس ؓ، أو كما آتيناك سبعا من المثاني، والقرآن العظيم؛ أنزلنا على كفار مكة.

وسموا المقتسمين: فإذا كانوا هم اليهود، والنصارى كما روي عن ابن عباس؛ لأنهم اقتسموا القرآن؛ فجعلوه أقسام ما يوافق التّوراة، والإنجيل، أو آرائهم حقاً، وما يخالفه باطلاً، أو آمنوا ببعض، وكفروا ببعض.

وأما إذا كان يقصد بالمقتسمين كفار مكة قاله قتادة، وغيرهم من الكفار الذين سماهم مقتسمين؛ لأنهم قالوا: إن القرآن سحر، أو شعر، أو أساطير الأولين، أو مفترى، أو كانوا يقتسمون طرق مكة قاله ابن السائب، كما كان يفعل الوليد بن المغيرة يأمر أنصاره بالوقوف في شعاب مكة؛ ليصدوا كلّ من يدخل مكة عن الدّخول في الإسلام، أو الإيمان بمحمّد؛ فيقولون: هو شاعر، أو مجنون، أو كاهن... وغيرها.





سُورَةُ النِّحْلِ ١٦

الجزء الرابع عشر

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسَعِلَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَأُصْدِعْ بِمَا تَوَمَّرُوا عَرِضَ
عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
أَنَّكَ يَصِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ
مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النِّحْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونَ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَمَ
خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْمَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾



سورة الحجر [الآيات ٩١ - ٩٩]

[٩١] ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول، ويعود على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عِضِينَ؛ فيمكن تعريف المقتسمين: بأنهم هم الذين جعلوا القرآن عِضِينَ.

﴿عِضِينَ﴾: من عضيت الشيء؛ أي: فرقته، وجعلته أجزاء؛ كل فرقة عِضَّة، أو عِضِينَ: جمع عِضَّة؛ بمعنى: الكذب، والبهتان؛ أي: جعلوا القرآن شيء مفترى، وأكاذيب، وأساطير الأولين أمليت على محمد ﷺ، والمعنى يحتمل كلاهما معاً؛ أي: صيروا القرآن أجزاء، وقطع، وأكاذيب، أو أساطير الأولين.

[٩٢] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَنَّهٗ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿فَوَرَبِّكَ﴾: الفاء: استئنافية، وربك: الواو: واو القسم؛ يقسم الرب سبحانه بصفة الربوبية، والقسم هنا يفيد شدة الوعيد، أو التوكيد.

﴿لَنَسَعَنَّهٗ﴾: اللام: للتوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: للتوكيد أيضاً؛ فلا يفوت أحدٌ من هؤلاء الذين جعلوا القرآن عِضِينَ، والسؤال هنا سؤال توبيخ لهم، وتقريع، وليس سؤال استفهام.

[٩٣] ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿عَمَّا﴾: عن: تفيد المجاوزة، والمباعدة؛ ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، أو مصدرية.

﴿كَانُوا﴾: في الدنيا.



﴿يَعْمَلُونَ﴾: يقولون، ويفعلون؛ يقولون؛ أي: يفترون على القرآن، ورسول الله ﷺ من الباطل، والأكاذيب، ويفعلون: بمنع الناس وصددهم عن الدخول في الإسلام، والإيمان بالله ورسوله، ويعبدون من دون الله تعالى ما لم ينزل به سلطاناً.

[٩٤] ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿فَأَصْدَعْ﴾: الفاء: للتوكيد؛ اصدع: من صدع، ويقال صدع بالحجة؛ أي: تكلم بها جهاراً بما أنزل الله إليك، وأعلن، واجهر بالدعوة، وقم بتبليغها إلى كل فرد، وأظهر دينك، وادعهم إلى التوحيد، والإيمان بالله، ورسوله؛ فقد انتهت زمن الأسرار بالدعوة والخوف من المشركين.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد؛ ما: اسم موصول بمعنى: الذي؛ تؤمر به، أو مصدرية.

﴿تُؤْمَرُ﴾: بما أنزل الله إليك، وأمرك به؛ من قول، أو فعل.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾: وأعرض: من الإعراض؛ أي: لا تبال بهم، ولا تهتم بما يقولوه، أو يفعلوه، ولا تلتفت إليهم.

﴿الْمُشْرِكِينَ﴾: مثل مشركي مكة، أو غيرهم، وهم الذين جعلوا لله شركاء الجن، والإنس.

[٩٥] ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿كَفَيْنَاكَ﴾: شر المستهزئين؛ فلا تحتاج إلى مساعدة، أو نصر من أحد؛ أي: توليناك، أو تولينا أمرك؛ فلا يصلون إليك بسوء.

﴿الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾: قيل: كانوا جماعة ذوي شوكة، وقوة من مشركين مكة عددهم خمسة، وقيل: سبعة؛ أمثال: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن المطلب.

والمستهزئين: جمع مستهزأ، والاستهزاء: هو التحقير، والاستخفاف، أو ذم الآخرين، أو تصغير قدر الآخر، أو الشيء، وأهميته.

[٩٦] ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾:

أي: المستهزئين.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذم، والتحقير.

﴿يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾: أي: المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر؛ أي: أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وجعلوا له شركاء، واستهزؤوا بالقرآن، وبالرَّسول.

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: للتوكيد؛ سوف: حرف للاستقبال؛ يفيد التراخي في الزمن.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: عاقبة أمرهم في الدنيا، وفي الآخرة، وقيل: أصابتهم الآفات، والأمراض المختلفة، وماتوا شرمية، وفي الآية تهديد، ووعد للمشركين، والمستهزئين بدين الله ورسوله ﷺ.

[٩٧] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، وزيادة التوكيد.

﴿نَعْلَمُ أَنَّكَ﴾: أن: للتوكيد، والكاف: للمخاطب، وهو رسول الله ﷺ.



﴿يَضِيقُ صَدْرُكَ﴾: ضيق عارض لا يدوم طويلاً. ارجع إلى الآية (١٢) من سورة هود؛ للبيان.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد؛ ما: اسم موصول بمعنى: الذي يقولون، وما: أوسع شمولاً من: الذي.

﴿يَقُولُونَ﴾: من الطَّعَن، والتَّكْذِيب؛ مثل قولهم: كاهن، ساحر، مجنون، مفتر، أو يعلمه بشر.

أو قولهم: لولا أنزله إليه ملك، لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم.

لولا أنزل عليه كنز، أو جاء معه ملك، لولا يأتينا بآية.

يقولون: ولم يقل بما قالوا: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على تجدد، وتكرار قولهم، وأنهم لم ينتهوا بعد، أو لحكاية الحال؛ لعظم ما يقولون، وكأنه يحدث الآن.

[٩٨] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾:

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: فسبح: الفاء: للتوكيد؛ سبح: من التسبيح، ومعناه: الصلاة، وتنزيه الله سبحانه ذاته، وصفاته، وأسمائه من كل ما لا يليق بجلاله، وكماله سبحانه من النقائص في الذات، والصفات، والأفعال.

﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: وبحمده، والثناء عليه، والشكر على نعمه؛ أي: تنزيه مصاحب بالحمد، فالتسبيح، والحمد علاج لضيق الصدر، والهم، والحزن.

﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾: وكن من المصلين.

﴿السَّاجِدِينَ﴾: جمع ساجد، والسَّجود يعني: الصلاة، والسَّجود: هو قمة الخضوع لله تعالى، وأقرب ما يكون العبد من ربه.

[٩٩] ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾:

﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ﴾: ما دمت حياً، والعبادة تشمل كل قول طيب، وعمل صالح، وتشمل بضع وسبعون شعبة. ارجع إلى سورة النحل، آية (٧٣)، والأنبياء، آية (١٠٦)؛ للبيان.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية؛ يعني: نهاية الغاية.

﴿يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾: هو الموت، واليقين: العلم بالحق، وليس هناك غيره، والحق: هو الأمر الثابت الحق الذي لا يتغير، كما قال عيسى بن مريم ﷺ: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].





سُورَةُ الْحَجَّالِ ١٦

الجزء الرابع عشر

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ الْحَجَّالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾





سورة النحل [الآيات ١ - ٦]

ترتيبها في القرآن (١٦)، وترتيبها في النزول (٧٠)، نزلت بعد سورة الكهف، وتسمى سورة النعم؛ لكثرة ما ذكر الله فيها من النعم التي لا تعد ولا تحصى على عباده، كما ذكر القرطبي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَنۡ أَمُرَّ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

﴿أَنۡ﴾: دنى، واقترب؛ أي: شارف على الوقوع.

﴿أَمُرَّ اللَّهُ﴾: أي: السَّاعة، أو العذاب، وأتى: فعل ماضٍ، والسَّاعة لم تقم بعد؛ فالله سبحانه أقام الماضي مقام المستقبل؛ لأنَّ الزمن عنده سواء؛ أي: واحد؛ لأنَّه سبحانه خالق الزمان، والمكان، وإذا قال الحق سبحانه أتى فالأمر واقع لا محالة، واعتبره وقع وحصل للدلالة على التقنين أو بمنزلة ما مضى، قال سبحانه: ﴿أَنۡ أَمُرَّ اللَّهُ﴾، ولم يقل: جاء أمر الله؛ لأنَّ هناك فرقاً بين أتى، وجاء.

أتى: فيها معنى السَّهولة في الإتيان، وجاء: فيها معنى المشقة، والصَّعوبة في المجيء، وكون السَّاعة، أو العذاب قادم، ولم يحدث بعد؛ فقد استعمل أتى، ويوم يحل، أو ينزل العذاب، أو تقوم السَّاعة يقول جاء، وهذا تهديد للكفار، وإعلام بقرب هلاكهم، والله ﷻ قادر على أن يأتي بالفعل كما يشاء.

﴿فَلَا﴾: فلا: الفاء: للتوكيد؛ لا: الناهية.



﴿تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: الهاء: هنا تعود على يوم القيامة، أو تعود على عذاب الله سبحانه، والاستعجال: هو طلب الحدث أو الشيء قبل وقته، وهو: مذموم غالباً، نقيض العجلة الأناة وهي محمودة.

﴿سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: فالله سبحانه نهى عن الاستعجال؛ فقال: فلا تستعجلوه، ثم قرن النهي بالتنزيه له عن الشركاء؛ فقال ﷻ: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. ﴿سُبْحَنَهُ﴾: تعني: التنزيه الكامل لذاته، وعمّا لا يليق بجاهه؛ فلا ذات مثل ذاته، ولصفاته، وأفعاله عن أي شيء يوجد في البشر، وغير البشر، وعن الشرك، والولد، والعجز، والنقص؛ سبحانه: مصدر سبح.

﴿عَمَّا﴾: مركبة من عن: تفيد المجاوزة، والمباعدة، وما: اسم موصول؛ بمعنى الذي، أو مصدرية.

﴿يُشْرِكُونَ﴾: به من الآلهة، والأصنام، والولد، والصاحبة، والشمس، والقمر، والكواكب، والأولياء، والأنبياء، والملائكة.

يشركون: جاءت بصيغة المضارع بدلاً من أشركوا؛ لأن شركهم بالله يتجدد، ويتكرر، ولا ينتهي، ويتوقف.

ولا بُدَّ من الانتباه كيف توالى نزول هذه الآيات التي تتعلق بيوم القيامة، والساعة.

١ - فقد نزلت الآية (١) من سورة القمر أولاً: ﴿أَفَرَبَّ السَّاعَةِ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ترتيب نزول سورة القمر (٣٧).

٢ - ثم نزلت الآية (١) من سورة النحل ثانياً: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ترتيب نزول سورة النحل (٧٠).

٣ - ثم نزلت الآية (١) من سورة الأنبياء ثالثاً: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ترتيب سورة الأنبياء (٧٣).

وكانه سبحانه يقول: اقتربت الساعة، اقترب أمر الله (العذاب)، اقترب الحساب: بالترتيب.

[٢] ﴿يُنْزِلُ الْمَلَكُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾:

﴿يُنْزِلُ الْمَلَكُ﴾: يُنْزِلُ اللَّهُ ﷻ الملائكة؛ أي: جبريل ﷺ، وسمي باسم الجمع؛ لعظم مقامه، وسمي بالروح الأمين.

﴿بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾: بالروح: الباء: للإلصاق؛ والروح: يعني: الوحي، أو القرآن، وسمي روحاً؛ لأن فيه حياة القلوب؛ فالقرآن هو الروح الحقيقية للمؤمن، إضافة إلى روحه التي بين جنبيه، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وبذلك نتبين أن للمؤمن روحين، وليس روحاً واحدة.

﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾: من: ابتدائية.

﴿أَمْرِهِ﴾: بأمر الله تعالى، وإرادته، وإذنه؛ أي: نزول الوحي، أو نزول الملائكة لا يكون إلا بأمر الله تعالى، وكما قال تعالى على لسان جبريل ﷺ: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤]، وكل ما ينزل من أمر الله فيه حياة للنفوس.

﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: على: تفيد العلو، والسمو، والمشقة.



﴿مَنْ﴾: بعضية.

﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: يعني: الأنبياء، والرسل.

﴿أَنْ أَنْذِرُوا﴾: أن: مصدرية؛ تفيد: التعليل، والتوكيد.

﴿أَنْذِرُوا﴾: من الإنذار: وهو الإعلام، والتحذير، والتخويف؛ أنذروا المشركين، والعاصين، وغيرهم من الناس، أو الناس كافة بالقرآن، وبالإرشاد، والدعوة.

﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾: أنه: تفيد التوكيد.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾: ارجع إلى الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.

﴿فَاتَّقُونَ﴾: الفاء: للتوكيد؛ اتقون: من التقوى؛ أي: أطيعوا أمري، وتجنبوا ما أنهاكم عنه، أو احذروا عقابي، وعبادة غيري، ثم ذكر سبحانه الأدلة على كمال قدرته، وعظمته، ووحدانيته، وأنه الإله الواحد الذي يستحق العبادة، وأنه واجب الوجود.

ولم يرد في القرآن: فاتقوني (بياء المتكلم)؛ لأن التقوى: لا تكون إلا لله وحده، ولأنه لا يستطيع أحد أن يتقي الله حق تقاته. تتقون وردت في (١٩) آية، يتقون في (١٨) آية.

[٣] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ نَعْلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: ارجع إلى الآية (٢٢-٢٩) من سورة البقرة، والآية (٣٠) من سورة الأنبياء، وسورة فصلت، آية (٩-١٢)، وسورة الأعراف، آية (٥٤)؛ للبيان.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد؛ خلق بتقدير وحساب لا يتغير، ولم يشاركه فيه أحد، والحق: هو الشيء الثابت الذي لا يتغير، ولا يتبدل؛ أي: بالدقة الفائقة، والقوانين الثابتة التي تحكم الكواكب، والنجوم، والمجرات بحيث كل في فلك يسبحون لا تصطدم ببعضها، ولا يتغير بعدها عن بعضها رغم اختلاف كتلها، وحركتها منذ خلقت منذ (١٣،٥) مليار سنة)، ولم تخلق عبثاً، ومن دون غاية، وفائدة.

﴿تَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تنزهه، وتقدهس عما يشركون. ارجع إلى الآية (١) من نفس السورة؛ للبيان.

[٤] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿خَلَقَ﴾: الخلق: الإيجاد؛ ابتداءً بتقدير، وحساب الخلق يكون من العدم، أو من شيء، أو من بعض الشيء.

﴿الْإِنْسَانَ﴾: اسم جنس؛ الإنسان: مشتق من الإنس؛ الذي يعني: فيه عنصر الألفة، والمحبة.

﴿مِنْ﴾: من: ابتدائية.

﴿نُطْفَةٍ﴾: وهي نطفة الرجل؛ أي: الحيوان المنوي، ونطفة المرأة: البويضة.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: تفيد الإسراع؛ تدل على التعقيب، والمباشرة في الإسراع في الخصومة ما إن يبلغ سن البلوغ؛ حتى يبدأ بالخصومة، أو هي فاء السببية؛ أي: خلقه كان سبباً للخصومة، أو تعني: التوكيد؛ إذا: الفجائية.



﴿هُوَ خَصِيمٌ﴾: هو: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿خَصِيمٌ﴾: كثير الخصومة، أو شديد الخصومة، والجدال، ومنكر للحقائق، أو تعني: بدلاً من أن يكون شاكرًا لربه على نعمه عليه كان خصماً عنيداً جاحداً لنعمه.

﴿مُيِّنٌ﴾: ظاهر، وبين الخصومة؛ أي: خصومته، وجحوده، وعناده، وجداله لا يخفى على أحد، وهي خصومة ظاهرة لا تحتاج إلى من يبينها، أو إلى برهان.

[٥] ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾:

﴿وَالْأَنْعَمَ﴾: وهي ثمانية أزواج؛ أي: الذكر والأنثى من الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الغنم اثنين، ومن الماعز اثنين.

﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾: لكم: اللام: لام الاختصاص، والتعليل لكم خاصة، وتقديم الأنعام؛ للحصر، والاهتمام بكم.

﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾: تكرار لكم: يفيد التوكيد؛ لكم فيها دفء: حيث يصنع من أشعارها، وأوبارها، وأصوافها الملابس، والفرش، والأغطية للتدفئة. قدم الدفء، ثم عطف العام (المنافع) على الخاص وهو الدفء؛ لأن الدفء من أعظم المنافع التي لا يتبها إليها الكثير من الناس.

﴿وَمَنْفَعٌ﴾: مثل: الركوب، والحراثة، والتجارة بها، والبيع، والشراء، والربح.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: ولم يقل: وتأكلون منها؛ إنما قال: ومنها تأكلون:

قَدَّم الجار، والمجرور منها؛ ليدل على أَنَّ الأكل هو الأصل؛ أي: سخرها لكم أصلاً؛ لتأكلوا منها اللحم، والألبان، والشحوم.

[٦] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾:

﴿وَلَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ لكم: خاصة.

﴿فِيهَا جَمَالٌ﴾: أي: هي جميلة الصورة، والمنظر، والتركيب، كما قال

سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾: حين: ظرفية زمانية.

﴿تُرِيحُونَ﴾: حين تردونها عشية إلى مراحها؛ أي: حظيرتها التي تأوي

وتبيت فيها، أو تروح عشية إليها، والمراح: هو مكانها الذي تأوي إليه، ويسمى مراحها.

﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: تكرار حين: يفيد التوكيد.

﴿تَسْرَحُونَ﴾: تخرجونها في الصباح إلى مسارحها؛ أي: مراعيها؛ لترعى،

وتسرح؛ أي: تخرج لترعى، وتأكل.





سُورَةُ النِّحْلِ ١٦

الجزء الرابع عشر

وَتَحْمِلْ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ
وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَىٰكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ
شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ
بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ
الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾
وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ
مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنَهُ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي
سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا
مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرِفِهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

سورة النحل [الآيات ٧ - ١٤]

[٧] ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِّغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾: جمع ثقل، والثقل: هو الحمل الثقيل؛ أي: الأحمال الثقيلة.

﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾: بعيد.

﴿لَّمْ تَكُونُوا بَلِّغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾: لم: حرف نفي.

﴿بَلِّغِيهِ﴾: أي: واصلين إليه.

﴿إِلَّا﴾: حصراً.

﴿بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾: شق: مشتقة من المشقة؛ أي: بجهد الأنفس، والمشقة، والتعب، والإعياء.

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: لرؤوف: اللام: للتوكيد؛ رؤوف: من الرأفة، والرأفة: أشد وأبلغ من الرحمة، وأخص؛ فالرحمة: تكون للمؤمن، وغير المؤمن، والرأفة: فقط للمؤمن.

[٨] ﴿وَالْخَيْلِ وَالْإِبَالِ وَالْحَمِيرِ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَالْخَيْلِ وَالْإِبَالِ وَالْحَمِيرِ لَتَرْكَبُوهَا﴾: قَدَم الخيل: لأهميتها، والتشريف.

وقد يسئل سائل: لماذا لم يذكر سبحانه الجمال، أو الإبل؟ لأنها تدخل في



الأنعام، والسؤال الثاني: ما هو الفرق بين الحمير والحمير المستنفرة كما في قوله تعالى: ﴿كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ﴾ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾؟ الحمير: تعني الحمير الوحشية، والحمير: للأهلية.

﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾: اللام: لام التعليل.

﴿وَزِينَةً﴾: أي: جمال، ولم يذكر ولتأكلوها.

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: ويخلق: جاء بصيغة المضارع؛ للتجدد، والتكرار، ويخلق ما لا تعلمون كنهه مثل: السيارات والطائرات والقطارات والسفن، ومركبات الفضاء، والأقمار الاصطناعية، والطائرات المسيرة.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى: الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿لَا﴾: النافية.

[٩] ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾: أي: تفضلاً من الله وكرماً منه.

﴿قَصْدُ السَّبِيلِ﴾: وعلى الله تبين السبيل: الطريق السهل المستقيم الموصل إلى الغاية، أو القصد؛ أي: تبين الطريق الموصل إلى الغاية، وهي التقوى، ورضوان الله، والحق، والجنة، أو طريق قصد، أو قاصد؛ إذا قصد بك إلى ما تريد، وتبيان السبيل يكون بإرسال الرسل، والأنبياء، وإنزال الكتب، والوحي؛ للهداية إلى الإسلام.

﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾: السبيل: اسم جنس، ومنها جائر: أي: من السبيل، أو من السبيل (تؤنث وتذكر) ما هو منحرف، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ﴿١٥٣﴾.

﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: لو: شرطية وليست للتمني.

﴿شَاءَ﴾: المشيئة: مُلزَمة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأما الإرادة: فهي نوعان: إرادة إلزام، وإرادة خيار، وفي هذه الآية تعني لو أراد إرادة إلزام لفعل، ولكنه سبحانه لم يريد وترك لهم الخيار.

﴿لَهَدَيْكُمْ﴾: اللام: للتوكيد، والتعليل.

﴿لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: هداية قسرية، ولكن لم يشأ ذلك، وترك لكم الخيار لكي تسئلوا عما كنتم تعملون.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد. قد يسأل سائل لماذا وقعت هذه الآية في خضم الآيات التي جاءت في سياق تعداد النعم الكونية والإنسانية؟ لأن المقاصد الروحية مثل الهداية لها أهمية كبرى يجب أن لا ننساها، بل هي أعظم من المقاصد البدنية والمعيشية.

[١٠] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ﴾: هو ضمير فصل يفيد التوكيد، والحصص؛ أي: هو وحده الذي أنزل من السماء ماءً.

﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: أي: من السحاب؛ أي: السحب الركامية. ارجع إلى سورة المؤمنون، آية (١٨)، وسورة النور، آية (٤٣)؛ للبيان.

وقوله: أنزل من السماء ماءً، ولم يقل: من السحاب؛ لأن تعريف السماء: هي كل ما يعلو الإنسان يسمّى: سماء، والسحاب تعلو الإنسان؛ فالسماء تعني: السحاب في هذه الآية.

وكما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ بِرُوحِهِ السَّحَابَ ثُمَّ يُنْزِلُ مِنْهُ مَاءً فَيَكْسِبُهُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدَفَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [النور: ٤٣].



﴿لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾: ارجع إلى سورة ق، آية (٩)؛ للبيان.

﴿لَكُمْ﴾: خاصة.

﴿مِنْهُ﴾: من: بعضية.

﴿شَرَابٌ﴾: يعني: الماء العذب، وتقديم منه على الشراب: يفيد الحصر، والاهتمام؛ أي: شرابكم أصله الماء؛ أما باقي الماء فيبقى مستودعاً، ومخزناً. ارجع إلى سورة المؤمنون، آية (١٨)؛ للبيان.

﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾: ومن الماء ما يستخدم لسقاية الشجر، والشجر منه ما له ساق، ومنه ما ليس له ساق، وهو ما ترعاه الماشية. وقيل: الشجر يطلق على النبات ذي الساق الصلبة ويطلق على مطلق العشب والكأ، وقال الزجاج: كل ما نبت على الأرض فهو شجر.

﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: أي: ترعون دوابكم، ومواشيكم، والسوم: الرعي، وسامت الماشية: إذا رعت حيث شاءت، وتقديم: ومنه شجر؛ أي: أصل الشجر الماء؛ فلو لا الماء؛ لما نبت الشجر.

[١١] ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾:

﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ﴾: بالماء، ينبت: فعل مضارع؛ يدل على التجدد، والتكرار.

﴿لَكُمْ﴾: خاصة، اللام: لام الاختصاص.

﴿الزَّرْعَ﴾: يشمل الحب؛ مثل: القمح، والرز، والشعير، والذرة.

﴿وَالزَّيْتُونَ﴾: ثمر الزيتون بأنواعه، وألوانه المختلفة.

﴿وَالنَّخِيلَ﴾: النخل: اسم جنس؛ يضم النخيل؛ فالنخيل: جزء من النخل، أو قسم من النخل، ومنه المثمر، وغير المثمر.

﴿وَالْأَعْنَابَ﴾: بأنواعه، وأشكاله المختلفة.

وذكر هذه الأنواع الأربعة الزرع، والزيتون، والنخيل، والأعناب؛ لأنها من أهم ما يحتاجه الإنسان في غذائه.

﴿وَمَنْ كَلَّ الثَّمَرَاتِ﴾: ومن: هنا استغراقية.

﴿كَلَّ الثَّمَرَاتِ﴾: أي: ثمرات الأرض على اختلاف أصنافها، وأنواعها؛ مثل: الرمان، والتين، والتفاح، والبرتقال... وغيرها، وقد أحصى العلماء أكثر من ألفين نوع.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿ذَلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة للبعد؛ يشير إلى إنزال الماء، وإخراج الشجر، وإنبات الزرع، والزيتون، والثمرات، والنخيل، والأعناب.

﴿لَآيَةً﴾: اللام: للتوكيد؛ آية: دلالة قاطعة، وبينة، أو علامة ظاهرة.

﴿لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ لكي ينظروا إليها، ويدرسوها، ويصلوا إلى النتيجة.

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: التفكر: هو إعمال العقل في الأخذ بكل الدلائل، والبدائل، وبما أن الثمرات التي تزيد عن (٢٠٠٠) نوع، وكثير منها غير معروفة أو يعلمها الناس فقد أوصى بالتفكير فقال تعالى لقوم يتفكرون للوصول إلى معرفة عظمة وقدرة الخالق ووحديته، وأنه هو الخالق، الباري، المصور، لا إله إلا هو، واجب الوجود؛ الذي يستحق العبادة، والشكر على نعمه التي لا تعد، ولا تحصى.



[١٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾: سخر: خلق، وذلّل الليل، والنهار. ارجع إلى سورة إبراهيم، آية (٣٢).

وسخر الشمس والقمر. ارجع إلى سورة إبراهيم، آية (٣٢)، وسورة يونس، آية (٥)؛ للبيان.

سخرها؛ ليؤدّي كلّ وظيفته.

سخرها؛ لتستقيم بها الحياة على الأرض؛ حياة المخلوقات كلّها بما فيها الإنسان حسب ما اقتضت حكمته؛ فالليل: مسخر لراحة الإنسان، والنهار: آية لطلب الرزق، والسعي، والعمل، والشمس، والقمر: للنور، والدّفء، والطاقة، ومعرفة الزمن، والحساب، والشهر، واليوم. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٥٤)، وسورة فاطر، آية (١٣)، وسورة يونس، آية (٥)؛ للبيان.

﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِي﴾: لها مهمتها في الاهتداء بها في السّفر، ومعرفة الجهات، ولها وظيفة التّزين، والشّهب رجوماً للشياطين... وغيرها.

ونلاحظ أنّه لم يأت بالنجوم معطوفة على ما قبلها بالنصب، بل رفعها وخصها بجملّة جديدة، وذلك لعظمتها، وكثرتها؛ فإنّ مجرة درب التبانة تحوي أكثر من (٤٠٠ مليار نجم)، وأقرب نجم يبعد عنا (٥،٤ سنة ضوئية). والتسخير الأول (الليل والنهار، والشمس والقمر) واضح، ونشهد كل يوم، أما تسخير النجوم معظمه خفي، ومن ذلك مواقعها التي أقسم الله بها؛ فقال: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ [الواقعة: ٧٥-٧٦]. ارجع إلى سورة الواقعة آية (٧٥) لمزيد من البيان.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة؛ للبعد تشير إلى الليل، والنَّهَار، وَالشَّمْس، والقمر، والنَّجُوم.

﴿لَا يَنْتِ﴾: اللام: للتوكيد. لايات: ولم يقل آية كما في الآيات (١١، ١٣) من نفس السورة؛ لأن الليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم آيات متعددة وليست محصورة في آية كونية واحدة، بل آيات متعددة.

﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: لقوم: اللام: لام الاختصاص.

﴿يَعْقِلُونَ﴾: مشتقة من عقل الشيء؛ أي: عرفه بدليله، ومهمته بأسبابه، ونتائجه، وبالتالي الوصول إلى الحقيقة، وهي أن هذه الآيات تكفي لأي عقل أن تدرك على عظمة، وقدرة الخالق، فهو وحده الذي سخر هذه المخلوقات الكونية؛ لتدل عليه وحده سبحانه أنه الخالق الحق ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠].

[١٣] ﴿وَمَا ذَرَأًا لَّكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْلِيفًا آلَؤُنَّهٗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية.

﴿ذَرَأًا لَّكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: ذراً: بث، ونشر بالتكاثر، والتوالد؛ أي: خلق خلقاً يتكاثر بذاته، وبثهم، ونشرهم في الأرض من إنسان، وحيوان، ونبات، ومن ذكر وأنثى.

﴿لَّكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿مُخْلِيفًا آلَؤُنَّهٗ﴾: من بشر، وحيوان، ونبات، وبأنواعه، وأشكاله، وعدده، وعيشه، وموته، وتجددته.



﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾: ارجع إلى الآية (١١). آية: لكونها كلها محصورة في الأرض.

﴿لَقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿يَذَّكَّرُونَ﴾: أي: هي آيات سبق علمها عندكم وهي آيات بينات، فما عليكم إلا أن تذكروها، ولا تنسوها، ولم يقل: لقوم يتذكرون؛ لأن هذه الآيات لا تحتاج إلى زمن طويل لتذكرها؛ فهي أمام أعينكم بشكل متجدد، ومتكرر.

[١٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾: وهو: ضمير فصل؛ يفيد الحصر، والتوكيد.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول؛ يفيد التعظيم.

﴿سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾: ذلل، وأخضع البحر؛ للانتفاع منه؛ ليؤدي مهمته. والبحر: اسم جنس، وجمعه بحار، وأبحر التي تشكل ثلاثة أرباع مساحة الكرة الأرضية.

﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: لتأكلوا: اللام: لام التعليل.

﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾: بعض حيوانات البحر؛ مثل: السمك، وغيرها من صيد البحر.

﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾: مثل: اللؤلؤ، والمرجان... وغيرها.

وقدّم منه: الجار والمجرور؛ للحصر.

﴿تَلْبَسُونَهَا﴾: أي: الحلية التي تلبسها غالباً النساء؛ كزينة وبما أنّها زينة للمرأة من أجل زوجها؛ فكان الزوج هو الذي يستمتع بالحلية أيضاً.

﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾: السَّفْن، والفلك: تطلق على المفرد، والمثنى، والجمع. ارجع إلى سورة إبراهيم، آية (٣٢)؛ للبيان.

﴿مَوَآخِرَ فِيهِ﴾: صفة للفلك من المَخْر: هو الشَّق يقال مَخَرَ الماء: إذا شقها بصوت هادئ تشق الماء شقاً، وقَدَّمَ الفلك على البحر؛ لأنَّ الحديث، أو السَّيَاق في وسائل النَّقل: الخيل، والبغال، والحمير، والفلك من وسائل النقل، ويخلق ما تعلمون، ولم يقل: وترى الفلك فيه مواخر، كما في الآية (١٢) من سورة فاطر؛ لأنَّ السَّيَاق في هذه: هو الحديث عن البحر ذاته، وليس على وسائل النقل.

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: وزيادة الواو تشير إلى منافع أخرى لم تذكرها الآية؛ مثل: صيد السمك، والغوص، والسباحة، والركوب، ولو قال: لتبتغوا من فضله من دون زيادة الواو؛ لكان المقصود فقط المنافع التي ذكرت في الآية فقط، واللام: لام الاختصاص، والتعليل. من فضل الله: من كرمه، وفضله الفضل يعني: الزيادة عن الأجر، والجزاء.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لعل: للتعليل.

﴿تَشْكُرُونَ﴾: المنعم، وهو الله سبحانه على نعمه، ولا تنشغلوا فقط بالنعمة. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠)؛ لبيان معنى تشكرون.





سُورَةُ النَّازِعَاتِ ١٦

الجزء الرابع عشر

وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبِيلًا
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتْ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ
تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ
أَحْيَاءٍ وَمَا يُشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ
فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ
﴿٢٢﴾ لَاجِرَمَ أَتَى اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا تَعْلِنُونَ إِنَّهُ
لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ
قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا
سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَاتَى اللَّهُ بَنِيهِمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾



سورة النحل [الآيات ١٥ - ٢٦]

[١٥] ﴿وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسٍ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾:

﴿وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسٍ﴾: الجبال. ألقى: إلقاءً حقيقياً؛ فعندما تثور البراكين تلقي بحممها من الأسفل إلى الأعلى داخل طبقات الأرض، وما إن تندفع من سطح الأرض تعود وتسقط المواد البركانية على الأرض مشكلة الجبال التي تمتد داخل الأرض ضعيفين، أو أكثر من ارتفاعها على ظهر الأرض؛ فهذه الجبال تلعب دوراً أساسياً في عدم ترنح الأرض، أو الاضطراب، ولا ننسى كتلة الأرض؛ أي: لب الأرض المكون من كتلة ضخمة من الحديد غير المنصهر، وقوى الجاذبية، والألواح القارية. لمعرفة الفرق بين ﴿وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسٍ﴾، وقوله تعالى ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسٍ﴾ [الرعد: ٣]. ارجع إلى سورة الرعد آية (٣).

﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: أن: حرف مصدرى؛ يفيد التعليل، وكانت تفسر ب: لثلا تميد بكم، أو خوفاً أن تميد بكم.

﴿تَمِيدَ بِكُمْ﴾: تميد من ماد يميد؛ أي: تضطرب الأرض، أو تميل.

﴿وَأَنْهَرَ وَسْبُلًا﴾: دائماً يربط الأنهار بالجبال؛ لأن الأنهار تنبع من قمم الجبال، ثم تنحدر على سفوحها، وما إن تصل إلى الأرض حتى تشق الأنهار، والوديان، وبعض هذه الأنهار يجف؛ فيشكل السبل؛ أي: الطرق السهلة.



﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لعلكم: لعل: للتعليل؛ أي: لتهتدوا بها في سيركم على الأرض، وإلى مقاصدكم، ولتهتدوا بها إلى من أوجدها وخلقها لكم.

ما هو الفرق بين قوله تعالى تميد بكم، وتميد بهم؟

تميد بكم: بصيغة المخاطب تأتي في سياق الحديث عن ذكر نعم الله تعالى على الناس.

أما تميد بهم: بصيغة الغائب فتأتي في سياق الحديث عن قدرة الله تعالى، وعظمته، وخلقها، كما في سورة الأنبياء آية (٣١) ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾.

[١٦] ﴿وَعَلَّمَنَّا وَيُأْتِجُمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾:

﴿وَعَلَّمَنَّا﴾: وألقى في الأرض علامات لتهتدوا بها في ظلمات البر، والبحر؛ كالجبال، والأنهار، والطرق، والأشجار؛ أي: مختلف التضاريس التي تستعمل كوسائل للهداية للسيارات وللطائرات.

﴿وَيُأْتِجُمِ﴾: الباء: للإلصاق؛ أي: بالنجوم، والنجم: اسم جنس، ومثال على ذلك الاهتداء بالنجم القطبي الذي يتجه إلى الشمال الحقيقي، والذي من معرفة اتجاهه يمكن معرفة الشرق، والغرب، والجنوب.

﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾: هم: ضمير فصل يفيد التوكيد. يهتدون بالعلامات الظاهرة؛ أي: هداية ظاهرة كالجبال أو الأنهار أو المدن، وهي هداية عامة، وهناك الهداية الخاصة، أو الهداية القلبية.

﴿يَهْتَدُونَ﴾: بالنَّجْم، كما في الزَّمان القديم، ويهتدون إلى القبلة، أو في أسفارهم، أو أن قریش، والعرب آنذاك كانوا هم وحدهم يهتدون بالنَّجم، وغيرهم لا يعرفون ذلك، يهتدون بها خاصة في ظلام الليل.

[١٧] ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾:

﴿أَفَمَنْ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري؛ من: للعقلاء.

﴿يَخْلُقُ﴾: وهو الله سبحانه هذه المخلوقات البديعة كالسَّموات، والأرض، والماء، والرَّواسي، والبحار، والأنهار، والسَّبل، والنَّجوم، والعلامات؛ أي: هذه الآيات الكونية.

﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾: كمن: الكاف: للتشبيه؛ من لا يخلق: أي: كالأصنام، والآلهة المزعومة، ورغم أن هذه الأصنام، والآلهة لا تعقل استخدم معها حرف (من) للعقلاء؛ لأنهم لما عبدوها وسموها آلهة أجروها مجرى العقلاء؛ فجاء بمن على حسب اعتقادهم الباطل.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: أفلا: الهمزة للاستفهام الإنكاري؛ ألا: للحث، والتَّحريض.

﴿تَذَكَّرُونَ﴾: أن هذه الآلهة، والأصنام هي حجارة لا تنفع، ولا تضر، ولا تخلق شيئاً، ولا تسمع، ولا تبصر، ولا تشفع، ولا تنطق، وأنتم صنعتموها، ولا تحتاجوا إلى عمق في التَّفكير، أو طول زمن؛ لتدركوا الحقيقة، أو تذكرون ولم يقل: أفلا تذكرون التي تحتاج إلى طول زمن للتذكر؛ لأن قضية الخلق واضحة تخص الله تعالى وحده كقوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ



وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴿لَقَمَان: ٢٥﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وتعودوا إلى رشدكم، والصواب؛ فقال: تذكرون، ولم يقل: تتذكرون.

[١٨] ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا﴾: وإن: الواو: استثنائية؛ إن: شرطية تفيد الشك، والاحتمال في عدّ، أو إحصاء نعمة الله.

﴿نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾: لأنّ النعمة الواحدة تشتمل على نعم لا تُحصى، ولا تعدّ، ونعمة: تعني نعم لا تحصى، وهناك فرق بين نعمة بكسر النون، ونعمة بفتح النون، والتي تأتي في سياق النعم المنبوذة، أو سياق البطر والشر.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿تُحْصُوهَا﴾: الإحصاء: هو العدّ مع الجمع، والحفظ. ارجع إلى الآية (٣٤) من سورة إبراهيم؛ للبيان، والمقارنة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لَغَفُورٌ﴾: اللام: لزيادة التوكيد؛ غفور: كثير الغفران يغفر الذنوب جميعاً مهما تعددت، وكبرت الذنوب.

﴿رَحِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من الرحمة؛ رحيم: كثير الرحمة؛ رحيماً بالمؤمنين في الدنيا والآخرة، ولا يعاقبهم على إنكار نعمه الظاهرة، والباطنة، وغفور للذنوب العظيمة، وغفاراً للذنوب المتعددة الكثيرة، وإذا قارنا هذه الآية مع قوله تعالى في سورة إبراهيم آية (٣٤): ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾



إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿١٩﴾ فقد جاءت آية سورة النحل في سياق تعداد النعم على الإنسان وتذكيراً بعفو الله ورحمته، وذلك من أكبر النعم، أما آية سورة إبراهيم جاءت في سياق الذين بدلوا نعمة الله كفراً، وأحلوا قومهم دار البوار، ولذلك ختمت بقوله تعالى إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ. ارجع إلى سورة إبراهيم آية (٣٤) لمزيد من البيان والفرق بين نعمة بالتاء المربوطة، ونعمت بالتاء المفتوحة.

[١٩] ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾:

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، وهي أوسع شمولاً من الذي.

﴿تُسْرُوتُ﴾: من السر، والسر: ما هو تخفيه في نفسك، ولا يعلمه أحد.

﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾: إعادة ما: للتوكيد، والفصل بين ما تسرون، وما تعلنون؛ أي: كلاً على حدة، وتعلنون من العلن، وهو ما تجاهر به، ويكون علناً؛ سواء أهدأ العلن كان صادراً من فرد، أم جمع غفير الكل يتكلم في آن واحد؛ فهو يعلم كل ما يتكلم به عباده ولو كانوا ملايين الأفراد.

[٢٠] ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: المشركون، والكفار؛ الذين: اسم موصول يفيد الذم.

﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدون الأصنام، والآلهة، ويطلبون منها، ويدعونها للمساعدة، والعون، والشفاعة.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله.



﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾: لا: النافية.

﴿يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾: شيئاً: نكرة؛ أي شيء مهما كان نوعه، وحجمه، وشكله، يخلقون سواء أكان من العدم، أم غيره.

﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: هم: ضمير يفيد التوكيد.

﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: أي: هم أنفسهم يحتاجون إلى من يخلقهم؛ فكيف يخلقون.

[٢١] ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾:

هذا وصف لهذه الآلهة، والأصنام المصنوعة من الحجارة، وغيرها إضافة إلى كونها لا تخلق شيئاً هي أموات لا تشعر بكم، ولا بدعائكم، وعبادتكم، وكذلك لا تعلم الغيب، ولا أيان يوم البعث؛ أي: غير قادرة على البعث وإحياء الموتى، وإذا دل هذا إنما يدل على سخافة اعتقادكم بعبادة حجر لا يضر ولا ينفع.

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾: فكلمة غير أحياء؛ تعني: أموات، فلماذا ذكر ذلك؟ هذا يسمّى إثبات الشيء، ونفي ضده، ويفيد التوكيد.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾: ما: النافية.

﴿أَيَّانَ﴾: للاستفهام الزماني، وتختص بالمستقبل، وفيها معنى التّفخيم، والتّعظيم.

[٢٢] ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۖ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾:

أي: كل الدلائل، والبراهين التي ذكرت سابقاً تدل على بطلان الآلهة، والأصنام، وتدل على أنه إله واحد لا شريك، وثبتت وحدانيته سبحانه، ورغم كل ذلك استمر المشركون على شركهم، واستمروا على عدم إيمانهم بالآخرة، والبعث، والحساب.

فالإله: يعني: المعبود، والمستحق للعبادة، وهو الذي يأمر بالتكاليف والذي يجب أن يطاع.

﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾: أي: إله لا شريك له، واحد لا يتجزأ، ولا شريك له. ارجع إلى سورة الصفات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿فَالَّذِينَ﴾: الفاء: استئنافية؛ الذين: اسم موصول.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: أي: بالبعث، والحساب، والجزاء، والجنة، والنار.

﴿قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾: قلوبهم جاحدة بوجود الله، والبعث، والحساب، ولا تعرف التوحيد، والإنكار أعم من الجحود، والإنكار يكون للشيء الظاهر، أو الباطن، وقلوبهم منكرة لنعم الله.

﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾: جمع مستكبر: اسم فاعل من استكبر؛ أي: رفع نفسه فوق ما تستحق، وعظم من شأنه، ولا يكتفوا بذلك الإنكار، بل وهم مستكبرون؛ هم: ضمير فصل يفيد التوكيد.



﴿مُسْتَكْبِرُونَ﴾: عن الإيمان بربهم، ورسله؛ مستكبرون: جملة اسمية تدل على ثبوت صفة الكبر عندهم، وأنهم مصرون على شركهم وكفرهم.

[٢٣] ﴿لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾:

﴿لَا جَرَمَ﴾: لا: النافية.

﴿جَرَمَ﴾: لا بد، ولا محالة مشتقة من الجرْم: القطع، جرم اللحم: قطع اللحم، وهناك من قال: لا جرم تعني حقاً، أو ما يأتي بعد لا جرم دائماً يعتبر حقاً.

﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: أن: للتوكيد.

﴿يَعْلَمُ﴾: ما يسرون.

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: ارجع إلى الآية (١٩) من نفس السورة.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾: إنه: للتوكيد؛ إن الله لا يحب المستكبرين:

أي: عن الإيمان، والتوحيد؛ لا يحب الظالمين.

[٢٤] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية شرطية؛ تفيد: حتمية الحدوث.

﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: قيل: مبني للمجهول؛ لأنَّ المهم هنا المقولة، وليس القائل؛

أي: سئلوا.

﴿مَاذَا﴾: استفهام أشد استفهاماً من ما.

﴿أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾: على رسوله محمد ﷺ.



﴿قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: بدلاً من أن يقولوا: القرآن الكريم، والوحي، أو خيراً. قالوا أساطير الأولين: أي: أكاذيب وأباطيل.

﴿أَسَاطِيرُ﴾: جمع أسطورة؛ أي: كتابات قديمة غلب عليها الباطل، والكذب، أو قصص من الأولين، وخرافات.

[٢٥] ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِاسَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾:

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾: ليحملوا: اللام: للتعليل، والتوكيد، وحذف على ظهورهم كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١].

﴿أَوْزَارَهُمْ﴾: جمع وزر؛ أصل الوزر الحمل على الظهر، والأزر: هو الظهر؛ لقوله تعالى: ﴿أَشْدُّ بِهِ أَوْزَرِي﴾؛ أي: ظهري، فالأوزار: الآثام والذنوب؛ أي: شبه الذنوب بالأوزار الثقيلة.

﴿كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: للتوكيد يوم القيامة.

﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾: ومن: بعضية، أو لبيان الجنس؛ أي: يحملون مثل أوزار من يضلونهم كاملة.

﴿الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أي: الذين أعرضوا عن سبيل الله، وصدوا، وصرفوا غيرهم، ومنعواهم عن الإيمان، والتصديق بالقرآن، وبالرسول ﷺ؛ فهم رؤساء الضلال سيحملون وزرين: وزر ضلالهم أنفسهم، ووزر إضلالهم لغيرهم.



﴿بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أي: هؤلاء الرؤساء يضلون من لا يعلم أنهم يتبعون من هو على ضلال مبين، أو قد تعني: أن رؤساء الضلال يضلون غيرهم جاهلين بعاقبة أمرهم، وما سيحملون من آثام، وذنوب.

﴿أَلَسَاءَ مَا يَرْزُقُونَ﴾: ألا: أداة تنبيه.

﴿سَاءَ﴾: بئس من أفعال الذم.

﴿مَا﴾: بمعنى: الذي؛ اسم موصول.

﴿يَرْزُقُونَ﴾: ما يحملونه من آثام، وذنوب.

[٢٦] ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَنُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: ﴿قَدْ﴾: حرف للتحقيق؛ تفيد التأكيد.

﴿مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: مكر: ارجع إلى الآية (٤٦) من سورة إبراهيم.

مكر الكثير الذين من قبلهم من قبل كفار مكة؛ مثل: النمرود، والذي ألقى بإبراهيم في النار، وفرعون الذي حاول قتل موسى... وغيرهم.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية؛ أي: ما يحدث لك سبق وحدث مع من سبقك من الرسل.

﴿فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَنُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾: شبه مكر الماكرين: وهم كفار قريش حين اجتمعوا على قتل رسول الله ﷺ، واختاروا من كل قبيلة رجلاً فيضربوه ضربة رجل واحد؛ فيتفرق دمه في القبائل؛

فأتاه جبريل ﷺ فأخبره؛ فنجى رسول الله ﷺ من مكرهم «من سيرة ابن هشام»، وأذاقهم وبال مكرهم، أو مكر النمرود بإبراهيم، أو فرعون بموسى... وغيرهم. شبه مكرهم بحال قوم بنوا بنياناً عالياً؛ فتركهم الله سبحانه ليتموا البناء، ويشعروا بالأمن المزيف والباطل؛ فأتى الله بنيانهم من القواعد: إشارة إلى أن الله زلزل الأرض من تحتهم؛ مما أدى إلى إصابة بنيانهم من القواعد؛ أي: الأسس، وجذور بيوتهم؛ مما أدى إلى أن يخرّ عليهم السقف من فوقهم؛ فيقضي عليهم.

﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾: خرّ سقط بسرعة، ومن دون إنذار.

﴿السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾: أي: خرّ البناء من فوقهم، ويعني هم كانوا تحته واقفون، أو جالسون تحته، أو نائمون.

﴿وَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: من جهة لا تخطر على بالهم؛ لكي لا يستعدوا لذلك، ولا ينجو منهم أحداً، ولا يتوقعون ذلك؛ فيكون مجيء العذاب فجأة، وهذا إنذار لهم، وأن مكرهم بالرسول والمؤمنين سيرجع وباله عليهم، ويؤيد ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].





سُورَةُ النِّازِعَاتِ ١٦

الجزء الرابع عشر

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ
كُنْتُمْ تَشْقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ
الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٣٩﴾ وَقِيلَ
لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي
هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ
﴿٤٠﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا
مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ
الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ
اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَصَابَهُمْ
سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٤﴾



ثلاثة أجزاء
الجزء ٢٧

سورة النحل [الآيات ٢٧ - ٣٤]

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾:

تستمر الآيات في ذكر ما سيحدث للذين أشركوا بالله، وقلوبهم منكرة للآخرة، والمستكبرون الذين قالوا: ما أنزل الله هو أساطير الأولين.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: ثم: للترتيب، والتراخي في الزمن.

﴿يُخْزِيهِمْ﴾: والخزي: هو الفضيحة أمام الناس؛ أي: يفضحهم أمام الناس، أو على رؤوس الخلائق، والأشهاد بكشف أعمالهم المنكرة أمام الناس، وقدم يوم القيامة على يخزيهم للفت الانتباه إلى عظم الخزي الذي سيحل بهم يوم القيامة والذي لا يمكن مقارنته بالخزي الضئيل في الحياة الدنيا الزائل.

﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾: أين: استفهام توبيخي، وتقريع لهم؛ أي: يوبخهم، ويسكتهم بالحجة؛ أي: يغلبهم بالحجة.

﴿شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾: من الجن، والإنس؛ أي: تلك الأصنام، والأوثان، أو ما كنتم تعبدون من دوني. شركائي: جمع شريك في الطاعة، والعبادة، والدعاء.

﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾: اسم موصول.

﴿كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾: كنتم: في الدنيا.

﴿تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾: من الشق، ويقال: شق الجدار؛ أي: جعلتم بينكم وبين الرسول، والمؤمنين شق لأجلهم؛ لأجل الآلهة، والأصنام، أو الشركاء. تشاقون فيهم: تخاصمون؛ تخالفون أمري لأجلهم، تنازعوني فيهم، وتشاقون: أبغى.



الإدغام ولم يفكه؛ لأنه لم يأتي فيها ذكر رسول الله ﷺ، وتشاقون: بحذف الياء؛ لأن المشاقة كانت مؤقتة في الدنيا وانتهت حين ماتوا ولم تستمر في الآخرة.

﴿فِيهِمْ﴾: ظرفية بمعنى: لأجلهم؛ لأن مشاقة المؤمنين، أو رسوله كأنها مشاقة لله، ولم يذكر في هذه الآية ردهم على هذا السؤال، أو الاستفهام، بل ذكره في آيات أخرى؛ كقوله: ﴿ضَلُّوا عَنَّْا﴾ [غافر: ٧٤]: غابوا عنا، ولم يحضروا.

﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: أوتوا العلم: من الأنبياء، والعلماء، والذين كانوا يدعون الناس إلى الإيمان، والتوحيد؛ أوتوا العلم: علوم الدين، والقرآن.

﴿إِنَّ الْآخِرَىٰ أَلْوَمَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿الْآخِرَىٰ﴾: الفضيحة، والعار.

﴿وَالسَّوَاءَ﴾: العذاب.

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: على: تفيد العلو، والمشقة.

﴿الْكَافِرِينَ﴾: جمع كافر: لم يؤمن، ويصدق بما أنزل الله، وجحد به، وبرسله. ارجع إلى سورة البقرة آية (٦) لمزيد من البيان، وسورة التوبة آية (٦٨) لمعرفة الفرق بين الكافرين والكفار.

[٢٨] ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول؛ يفيد الذم.

﴿تَتَوَفَّيْهُمْ الْمَلَائِكَةُ﴾: ولم يقل: توفاهم الملائكة.

﴿تَتَوَفَّيْهُمْ﴾: من الوفاة، وقيل: الوفاة: هي المرحلة التي تسبق قبض الروح (الموت)، وقد تطول هذه الفترة، أو تقصر ساعة، أو ساعات، أو أيام، ويكون فيها المريض غير واع لما حوله في غيبوبة، وقد يكون على الأجهزة التنفسية، أو

القلبية، وغيرها التي تساعده حتى تقبض روحه، ومرحلة الوفاة إذا بدأت لا رجعة منها، أما إذا كان المريض في غيبوبة، أو فاقداً وعيه، ثم عاد إلى الحياة الدنيا؛ فهذه لا تعتبر مرحلة الوفاة التي نتحدث عنها، ولكن مرحلة الوفاة الحقيقية تبدأ برؤية الملائكة ملائكة الموت وبعدها تستمر إلى أن تقبض روحه، وهنا في هذه المرحلة قد يعذب الكافر، أو المشرك عذاباً شديداً، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠].

﴿ظَالِمٍ أَنْفُسِهِمْ﴾: بالكفر، والشرك، والضلال، والظلم، والمعاصي؛ أي: الكبائر، أو الآثام، والذنوب.

﴿فَأَلْقُوا السَّلَامَ﴾: أي: الاستسلام، والخضوع، وأظهروا الطاعة، وأقروا بالربوبية، والوحدانية، وذلك حين أدركوا الحقيقة، وهم في سكرات الموت. ألقوا السلم: قيل: حين يرون الملائكة في مرحلة الوفاة التي تسبق قبض الأرواح، أو يوم القيامة، وما داموا ألقوا السلم؛ فهذا يدل على أنهم كانوا في حرب مع الله ورسوله وأنفسهم؛ لمخالفتهم لمنهج الله تعالى، وهم اليوم يلقون أسلحتهم مستسلمين لله تعالى كما يلقي الأسير سلاحه أمام عدوه.

﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾: ما: النافية.

﴿كُنَّا﴾: في الدنيا نعمل من سوء؛ من: كفر، وتكذيب، وشرك، ومعاصي؛ أي: هم جحدوا، وأنكروا ما كانوا عليه كقولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

﴿مِنْ﴾: استغرافية.

﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب تختص بوقوعها بعد النفي فتجعله إثباتاً؛ أي: تؤكد الذي كانوا يعملون من السوء؛ أي: بل عملتم السوء.

﴿إِنَّ﴾: إن: للتوكيد.



﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم، بما كنتم في الدنيا تعملون من سوء؛ تعني: يعلم كل أعمال السوء التي قمتم بها.

﴿بِمَا﴾: والباء: للإلصاق؛ ما: حرف مصدري، أو اسم موصول؛ بمعنى: الذي، وأوسع شمولاً من الذي

﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: في الدنيا. تعملون: تشمل الأقوال والأعمال.

لنقارن بين هذه الآية: ﴿الَّذِينَ تَوْفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾.

والآية (٩٧) من سورة النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوْفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾.

الذين تتوفاهم في سورة النحل: تدل على أن عددهم أكثر من الذين تتوفاهم في سورة النساء، وتدل على الظلم العام بكل أنواعه، ومنه الشرك، وظلم الغير.

أما آية سورة النساء: فتدل على عدد الذين تتوفاهم الملائكة أقل، وظلمهم كان بعدم قدرتهم على الهجرة؛ ظلم جزئي مقارنة بظلم المذكورين في آية النحل (الظلم العام).

فاستخدم تتوفاهم للعدد الأكثر، وتوفاهم للعدد الأقل (تاء واحدة).

[٢٩] ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَشْئَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾:

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾: فادخلوا: الفاء: للترتيب، والتعقيب؛ أي: المباشرة. ادخلوا أبواب جهنم: لم يُبين عددها في هذه الآية، وبينها في سورة الحجر، الآية (٤٤)؛ فقال: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾.

﴿أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾: قيل: هي دركات؛ قيل: دركة من دركاتها، وكلمة جهنم مشتقة من الجهمومة، وهو الشيء المخوف الكريه المنظر، وكذلك تعني: بعيدة القعر.

﴿خَلِيدِينَ فِيهَا﴾: من الخلود: وهو البقاء، والاستمرار منذ دخولها بعد الحساب.

﴿فَلَيْتَسَ﴾: الفاء: للتوكيد، واللام: لزيادة التوكيد؛ بئس: فعل من أفعال الذم، وجاء بأداتين من أدوات التوكيد: الفاء، واللام؛ لأنّ قلوبهم منكراً، وهم مستكبرون، ويقولون: أساطير الأولين؛ فلما تمادوا بالكبر والإنكار أكد على عذابهم.

﴿مَثْوًى﴾: المستقر، المثنوى: مكان الإقامة الدائمة المكان السيئ الضيق والمقيد لا يسمح بالحركة، أو أسوأ من السجن والمطبق عليه. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٥١) لمزيد من البيان ومعرفة الفرق بين مثنوى ومأوى.

﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾: جمع متكبر: الذين أصبحت صفة الكبر عندهم ثابتة مستمرة، والكبر: هو إظهار عظم الشأن، ورفع النفس فوق ما تستحق. ارجع إلى الآية (٢٣) السابقة من نفس السورة.

[٣٠] ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾:

بعد أن بين جواب الذين لا يؤمنون بالآخرة، وقلوبهم منكراً، وهم مستكبرون يبين جواب الطرف الآخر المقابل وهم المتقون؛ ليتضح الفرق بين الجوابين.

﴿وَقِيلَ﴾: مبني للمجهول؛ لأنّ القائل هنا لا يهم، أو السائل، والمهم هو المقولة.

﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿اتَّقَوْا﴾: أي: ربهم أطاعوا أو امره، وتجنبوا نواهيه، واتقوا النار بأن جعلوا بينهم وبينها حاجزاً.



﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾: ماذا: استفهام وأقوى في الاستفهام من: ما. ماذا أنزل ربكم: على رسوله، أو عليكم؟ قالوا: خيراً؛ أي: قالوا: أنزل الله خيراً؛ حذف أنزل؛ للإيجاز.

﴿قَالُوا خَيْرًا﴾: خيراً بالنصب، ولما سأل الذين لا يؤمنون بالآخرة، وقلوبهم منكراً، وهم مستكبرون ماذا أنزل ربكم؟ قالوا: أساطير الأولين بالرفع، فلماذا نصب (خيراً)، ورفع (أساطير)؟

أولاً: لأن الأساطير (الأكاذيب: جمع أسطورة، أو أكذوبة) ليست من الإنزال في شيء، والنصب أقوى من الرفع، وتدل على أن إجابة المتقين كانت بسرعة، وكأنهم يعرفون سابقاً، ومن دون تردد، وحيرة أنه كان خيراً.

وخيراً: جاء بصيغة النكرة؛ لتشمل كل خير، والخير: هو الطيب الحلال؛ أي: أنزل رحمة، وبركة، وهدي، وشفاء، ووقاية، وموعظة، وحسنة.

﴿لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: للذين: اللام: للاختصاص، والاستحقاق.

﴿أَحْسَنُوا﴾: اجتهدوا في العبادة، والأعمال الصالحة، والطاعة، والإحسان: هو جودة العمل كمّاً، وكيفاً. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٢) لمزيد في معنى الإحسان.

﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: قيل: الحسنه في الدنيا: النصر، والفتح، والحياة الطيبة، والرّزق، والعافية. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٠١)؛ لمزيد من البيان في معنى الحسنه لغةً وشرعاً.

وقد بين ذلك في قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ [التحل: ٩٧].

﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾: دار الآخرة خير: من حسنة الدنيا؛ فحسنة الدنيا خير، وخيرٌ منها حسنة الآخرة. ولدَار الآخرة: اللام: للتوكيد.

﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾: أي: الجنة خير من الدنيا وما فيها.

﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾: نعم: من أفعال المدح.

ثم بين دار المتقين: جناتٌ عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار. [٣١] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾:

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾: جنات الإقامة الدائمة في النعيم.

﴿يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾: لهم: اللام: للاختصاص؛ تقديم فيها جار ومجرور تفيد حصرًا؛ أي: حصرًا في الجنة لهم فيها ما يشاءون.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ يعني: الذي، أو مصدرية.

﴿يَشَاءُونَ﴾: يختارون، ويبتغون.

﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾: أي: مثل هذا الجزاء جنات عدن تجري من تحتها الأنهار يجزي الله من اتقاه، وآمن به، وأصبحت التقوى ثابتة عنده.

[٣٢] ﴿الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٨) من نفس السورة.

﴿طَيِّبِينَ﴾: أعمالهم سالحة طيبة (أقوالهم، وأفعالهم)، وطاهرين من الظلم، والكفر، والمعاصي.

﴿يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: تقول الملائكة لهم: سلام عليكم.



﴿سَلَّمَ﴾: نكرة ليشمل سلام التحية، وسلام من الآفات، والمكروه، والموت، وسلام: أمان، واطمئنان، وسلام: ثابت دائم لا ينقطع؛ سلام عليكم من ربكم؛ سلام عليكم من الملائكة.

﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بما: الباء: للإلصاق والبديلية، أو التوكيد. ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: في الدنيا، تعملون: تضم الأقوال، والأفعال.

[٣٣] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾:

بعد أن أجابوا على السؤال ماذا أنزل ربكم قالوا: أساطير الأولين، ثم بين عاقبة أمرهم، وماذا سيحدث لهم يوم القيامة، وكيف تتوفاهم الملائكة؛ إذن: ما ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، أو يأتيهم العذاب ليستأصلهم.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: هل: للاستفهام فيه معنى النفي؛ أي: ما ينظرون.

﴿يَنْظُرُونَ﴾: من الانتظار، والترقب.

﴿وَالَا﴾: أداة حصر.

﴿تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: لقبض أرواحهم.

﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾: أي: العذاب المستأصل لهم في الدنيا؛ كالصواعق، والكوارث، والزلازل، أو أمر الله فيهم؛ أي: يوم القيامة، وأهواله، وعذابه.

﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: كذلك؛ أي: مثل الذي فعلوه من الشرك، والتكذيب، والإعراض عن الرسل؛ فعل الذين من قبلهم من الأقوام السابقة الذين كذبوا برسولهم؛ فأتاهم العذاب، أو أمر الله من حيث لا يشعرون.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾: يهلكهم بالعذاب، أو تدميرهم، أو أخذهم بالبأساء، والضراء؛ لأنه سبحانه أنذرهم، وحذرهم، وأمهلهم.

﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: ولكن: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿كَانُوا﴾: في الدنيا.

﴿أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بما فعلوا ما يستوجب العذاب، أو الاستئصال؛ أنفسهم يظلمون: بالشرك، والمعاصي، وظلم الآخرين، والخروج عن منهج الله تعالى.

[٣٤] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾:

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾: فأصابهم: الفاء: للتوكيد، أو المباشرة؛ أصابهم سيئات ما عملوا: أي: أصابهم جزاء ما عملوا من السيئات، وسمى الجزاء باسم سيئات الأعمال.

﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾: أي: نزل بهم العذاب، أو أحاط بهم العذاب؛ فلا يستطيعون الفرار، ولا يجدون منفذاً، أو ملجأ يلجؤون إليه. ارجع إلى سورة غافر، آية (٤٥)؛ لمزيد من البيان، والفرق بين حاق ونزل.

﴿مَا﴾: بمعنى: الذي، أو مصدرية.

﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: به: تعود على العذاب، أو البعث، أو الحساب، أو الرسل، والملائكة.

﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٨) من سورة هود، والآية (١١) من سورة الحجر؛ للبيان.





سُورَةُ النِّازِعَاتِ ١٦

الْبَيْتُ الرَّابِعُ عَشْرُ

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لَيْسَ لَهُمْ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبْوئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾



سورة النحل [الآيات ٣٥ - ٤٢]

[٣٥] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: أي: مشركو مكة، وغيرهم من الكفار.

﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ﴾: أي: من غيره من الآلهة، والأصنام؛ مثل:

اللات، والعزى.

﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: من: استغراقية؛ تشمل أي شيء؛ كالآلهة، والأصنام،

وعيسى، وعزير، والملائكة.

﴿نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا﴾: أي: أنهم أشركوا بالله، ونسبوا ذلك إلى مشيئة الله

تعالى بزعمهم دفاعاً عن شرعهم الباطل، وتقليدهم لآبائهم، ولو شاء الله لأجبرهم، وأقصرهم على عبادته وحده، وأنزل عليهم عذاباً من السماء، أو آية؛ فالله سبحانه قادر، ولظلت أعناقهم لها خاضعين، ولكنه سبحانه لم يرد ذلك، بل خيرهم بعد أن بين لهم الحق من الباطل، وأنذرهم بعاقبة أمرهم.

﴿وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: كالبحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام.

ارجع إلى سورة المائدة، آية (١٠٣)؛ للبيان.

﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أي: كذبوا، وأشركوا، وحرموا، أو أحلوا،

كما يشاؤون، وليس كما يشاء الله سبحانه.

﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: فهل: استفهام تقريرى.



﴿الرُّسُلُ﴾: الأنبياء، والرسل.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾: أي: ما على الرسل إلا تبليغ الرسالة كاملة، وبشكل واضح.

[٣٦] ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتوكيد؛ أي: قد تحقق ذلك.

﴿بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾: بعثنا: من البعث، ولم يقل: أرسلنا. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ للبيان الفرق بين البعث، والإرسال.

﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾: في: ظرفية؛ كقوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

﴿أُمَّةٍ﴾: جماعة من الناس تجمعها عقيدة، أو ملة، أو شريعة بغض النظر عن الكم، أو الحيز الجغرافي.

﴿رَسُولًا﴾: كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٤)؛ لبيان الفرق بين الرسول والنبي.

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾: أن: مصدرية تفيد التعليل، والتوكيد.

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً.

العبادة: هي طاعة العابد للمعبود؛ فيما أمر ونهى، ولها منهج افعل، أو لا تفعل، ولها جزاء، ولا تكون إلا للخالق، ولا بُدَّ معها من معرفة المعبود.

﴿وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾: الاجتناب: هو الابتعاد؛ أي: ابتعدوا عن عبادة الطَّاغُوت، أو طاعته، والاجتناب: أشد من التَّحريم؛ أمَّا الطَّاغُوت: فارجع إلى الآية (٢٥٦) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾: تعود على أفراد الأمم المذكورة؛ من: ابتدائية بعضية؛ من: الثانية تفيد التوكيد.

﴿هَدَى اللَّهُ﴾: أي: استجاب لأوامر الله بالطَّاعة، واجتناب الطَّاغُوت، ووَحَّدَ الله، وطلب الهداية، واستعان بالله فوقَّه الله تعالى وهداه.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾: ومنهم مثل السَّابقة من حقت عليه الضَّلالة؛ أي: رفض الاستجابة لله وعبادة الله، ووحدانيته، وطاعته، وسار في طريق الكفر، والضَّلالة، واستمر على ذلك؛ فوجبت له الضَّلالة؛ أي: تركه الله تعالى في ضلاله يرتع ويلعب. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٣٠)؛ لمعرفة الفرق بين حَقَّتْ عليه الضَّلالة، وحقَّ عليه الضَّلالة.

﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: فسيروا: الفاء: تفيد الترتيب، والمباشرة.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾: في: ظرفية؛ لأنَّ الأرض تعني: الأرض، وتشمل: الطبقة الغازية التي حولها، ولم يقل: على الأرض سيروا في الأرض؛ للاعتبار، والاطلاع على آثار الأمم السَّابقة، وخراب ديارهم، وهلاكهم، ولمعرفة الفرق بين فسيروا في الأرض، ثمَّ سِيرُوا في الأرض؛ ارجع إلى سورة آل عمران، آية (١٣٧).

﴿فَانظُرُوا﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ انظروا: نظرة عينية، وقلبية فكرية، ونظرة اتعاظ.



﴿كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾: كيف: للاستفهام، والتعجب،
والإنكار.

﴿كَانَ عَاقِبَةُ﴾: تذكير العاقبة باستعمال كان، وليس كانت؛ تعني:
العذاب في كل القرآن الكريم؛ أما لو قال تعالى: كانت عاقبة بالتأنيث بدلاً من
كان عاقبة؛ لدلت على الجنة، أو العاقبة الحسنة، أو الحسنَى.

﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾: بالرسول، وبما أنزل الله من الآيات الكونية، والمعجزات،
وآيات القرآن، والمكذبين: جملة اسمية تفيد ثبوت الكذب عندهم، وأنه أصبح
صفة ثابتة عندهم؛ مقارنة بالذين كذبوا الذين صفة الكذب عندهم تتجدد، أو
تتكرر، وأحياناً يصدقون في أقوالهم.

[٣٧] ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾:

﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو الشك.

﴿تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ﴾: تحرص: من الحرص: هو أشد الطمع، والرغبة؛
فرغبة الرسول ﷺ في إسلام قومه، وهدايتهم كان شغله الشاغل.

فجاءت هذه الآية: لتخبره أن حرصه وطمعه لن يجدي شيئاً لمن اختار
لنفسه الضلال، والسير في طريق الكفر؛ فهو لاء لا يهديهم الله، ويتركهم وشأنهم
يفعلون ما يشاؤون.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾: فإن: الفاء: للتوكيد؛ إن: لزيادة التوكيد.

﴿لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾: لا: النافية؛ لا يهدي الله إلى صراطه (دينه)، وطاعته
من اختار طريق الضلالة، ويريد أن يضل، وابتعد، وضل ضلالاً بعيداً، ولم يعد
هناك أمل في عودته.

﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾: وما: الواو: عاطفة؛ ما: النافية.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿مِّنْ﴾: استغرافية تشمل كلَّ الناصرين؛ أي: ما لهم يوم القيامة من أيِّ ناصر، أو من يدافع عنهم، أو يشفع لهم، أو يقدم لهم الفداء ولو كان له ملك الأرض، ولو افتدى به.

[٣٨] ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾: من صفات المشركين، والمكذبين، والذين لا يؤمنون بالآخرة؛ اعتقادهم أن البعث، والحساب أمر باطل، ولذلك يقسمون بالله جهد أيمانهم أغلظ الأيمان غير مصدقين بأن الله يبعث من يموت فهم يعتقدون اعتقاداً صادقاً مبنياً على الظن، أو الباطل أنه ليس هناك آخرة، أو حساب، أو بعث، ولم يقل: ويحلفون، وإنما قال: وأقسموا، والقسم غير الحلف. ارجع إلى سورة التوبة، آية (٥٦)؛ للبيان.

﴿بَلَى﴾: بلى: هنا تنفي النفي الذي قبلها؛ فيكون معناها: بل يبعث الله من يموت؛ لأنها حرف جواب تختص بوقوعها بعد النفي؛ فتجعله إثباتاً.

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾: الوعد: هو الإخبار بشيء لم يأتِ زمنه بعد.

﴿حَقًّا﴾: من الحق، وهو الأمر الثابت الذي لا يتغير الوعد عادة يستخدم في الخير، واستعمل هنا في التهديد بدلاً من الوعيد في سبيل التَّهْكُمْ، والاستهزاء بهم؛ لأن الوعد إذا أطلق يعني: الخير، وإذا لم يطلق قد يأتي بمعنى الشر؛ للتَّهْكُمْ، والاستهزاء؛ كقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ﴾ [النساء: ١٣٨].

﴿وَلَكِنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لكن: للاستدراك، والتوكيد. لا



يعلمون: أن الله قادر على البعث، والنَّشْر، وهو أهون عليه، كما أكد ذلك في قوله تعالى: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْئِيسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [لقمان: ٢٨]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: ٢٧].

[٣٩] ﴿لَيْسَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾:

﴿لَيْسَ لَهُمُ﴾: لَيِّس: اللام: لام التعليل، والتوكيد؛ يبين لهم: لمنكري البعث، والحساب.

﴿لَهُمُ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾: الذي: اسم موصول؛ الذي يختلفون فيه من أمر البعث، والحساب.

﴿يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾: ولم يقل: اختلفوا فيه؛ لأنهم استمروا على الاختلاف، والتكذيب به؛ حتى يومنا هذا، وأصرُّوا على ذلك رغم كلِّ البراهين، والآيات.

﴿وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: وليعلم: اللام: للتعليل، والتوكيد؛ الذين كفروا.

﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾: أن: للتوكيد؛ كانوا في الدنيا كاذبين في قولهم: لا يبعث الله من يموت.

[٤٠] ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: للتوكيد والحصر.

﴿قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ شيء: نكرة؛ أي شيء ذكراً، أو أنثى، أو صغيراً، أو كبيراً، أو مهما كان نوعه، وشكله، وحجمه.

﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾: إذا: ظرفية للزمن المستقبل.

﴿أَنْ نَقُولَ لَهُ﴾: أن: حرف مصدر يفيد التوكيد، والتعليل.

﴿لَهُ﴾: الهاء: تعود على الشيء.

﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾: أي: إذا أراد الله شيئاً ما، أو أمراً ما مهما كان فبمجرد الإرادة فقط يُخلق ذلك الشيء، أو يقع؛ أي: يحدث، وسبحانه لا يحتاج في ذلك للقول للشيء، أو الأمر كُنْ فيكون، ولا يحتاج إلى زمن للانتظار؛ لأنّ القول كُنْ فيكون يحتاج إلى زمن فالله سبحانه هو خالق الزمن، ولا يحتاج حتى إلى زمن يقدر بزمن القول كُنْ ليكون، وإنما ذلك لتقريب مسألة الخلق إلى أذهان البشر، وسرعة الاستجابة إلى إرادته.

[٤١] ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾:

سبب نزول الآية: قيل: نزلت هذه الآية في نفر من الصحابة في زمن الرسول ﷺ هاجروا إلى المدينة، وتركوا أموالهم، وديارهم ابتغاء مرضاة الله، كما روي عن ابن عباس، والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾: الذين اسم موصول يفيد المدح.

﴿هَاجَرُوا﴾: في سبيل الله، وليس لسبب آخر، والهجرة ترك الوطن، أو الديار في سبيل الدعوة، وإقامة الدين، أو إعلاء كلمة الله، أو استجابة لأمر من الله ورسوله، وهناك فرق بين هجر، وهاجر، هاجر تعني: أخرج من وطنه مكرهاً، ومن دون اختيار بسبب الاضطهاد، أو عدم استطاعة إقامة شعائر دينه، أما هجر؛ أي: ترك وطنه باختياره، ومن دون أن يكون مضطهداً مثلاً ترك وطنه مختاراً يبحث عن عيشة، أو معاش أفضل.

هاجروا في الله، ولم يقل: إلى الله؛ في الله؛ أي: كان أحدهم سابقاً مظلوماً،



وصابراً يتحمل الأذى في سبيل دينه؛ فهو في حالة تشبه حالة الهجرة، ثم ألجئ، أو اضطر إلى ترك وطنه؛ فهو كأنه استمر في هجرته في الله؛ أي: سواء أقام في وطنه، أو تركه إلى وطن ثانٍ، هو في هجرة في الله جديدة.

أما إذا كان غير مضطهد، أو يتعرض لأذى، وطلب منه الهجرة؛ فهو يهاجر إلى الله.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾: من: ابتدائية؛ أي: هاجروا من بعد أن ظلموا مباشرة، ولم يكن هناك فاصل طويل بين الظلم، والهجرة، ولو قال: بعد ما ظلموا لكان هناك فاصل زمني طويل، أو قصير بين الظلم، والهجرة، والفتنة: هنا في الدين؛ مثل الاضطهاد، والتنكيل لكي يرتدوا عن دينهم.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: لنبؤئهم: اللام: لام الاختصاص؛ أي: الاستحقاق، وقد تكون لام التعليل، أو حتى هناك من يقول: إنها لام القسم، أو: الموطئة للقسم، أو: التوكيد؛ نبؤئهم: نزلهم، أو نسكنهم منازل ومساكن أفضل من منازلهم التي هجروها في سبيل الله وهي جنات الفردوس، جنات النعيم التي أعدت لهم مشتقة من فعل باء؛ أي: رجع. ارجع إلى الآية (٨٧-٩٣) من سورة يونس؛ للبيان.

﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: أي: لنزلهم منزلة أحسن، وأفضل من التي كانوا عليها، ونرزقهم رزقاً حسناً آمين غير خائفين؛ أي: عندما يهاجروا إلى الله، أو في الله؛ هذا في الدنيا. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٠١)؛ لمعرفة معنى الحسنة.

أما في الآخرة: ﴿وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾: ولا جر: اللام: لام التوكيد؛ أجر الآخرة: الجنة، ورضوان الله تعالى أكبر بكثير من أجر الدنيا، بل هو أفضل، وأعظم.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: لو: شرطية.

﴿كَانُوا﴾: تعود إلى المهاجرين لجاهدوا بأموالهم، وأنفسهم أكثر وأكثر، واجتهدوا في صبرهم في سبيل الله لنيل الأجر الأكبر فالأكبر، أو تعود إلى الكفار، والمشركين الذين أخرجوا المؤمنين من ديارهم، لو كانوا يعلمون ما سيعطى لهؤلاء المؤمنين من الأجر؛ لتركوهم من دون أذى، أو لآمنوا معهم، أو قد تعود إلى المؤمنين الذين لم يهاجروا، وفي هذا ترغيب للهجرة في سبيل الله، ونيل أجر الآخرة الأكبر.

[٤٢] ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: الذين: اسم موصول؛ يفيد المدح، وتعود على الذين هاجروا في الله.

﴿صَبَرُوا﴾: بصيغة الماضي؛ أي: فعلاً صبروا، وحدث منهم الصبر على طاعة الله، وعلى أذى المشركين صبروا ابتغاء وجه الله وحده.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: قدّم الجار والمجرور.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: للحصر، والتوكيد؛ أي: فقط على الله وحده يتوكلون.

﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾: يطلبون المساعدة، والعون من الله تعالى بعد تقديم الأسباب، وتوكلهم مستمر غير منقطع، ومتجدد، ويدل على ذلك كلمة يتوكلون جاءت بصيغة الفعل المضارع الدال على التجدد، والتكرار. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لبيان معنى التوكل.





سورة النحل ١٦

الحمد لله رب العالمين

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَا لَا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
الذِّكْرَ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ
أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ
فِي تَقْلُوبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ
رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوْ لَعَيَّرُوا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ
يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ
وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبَرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ
إِثْنَيْنِ إِنَّهُمُ الْوَحْدُ فَإِنِّي فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُمْ مِنْ
نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ
إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾





سورة النحل [الآيات ٤٣ - ٥٤]

[٤٣] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ فَنَسْتَلُوْا اَهْلَ الذِّكْرِ اِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ﴾:

هذه الآية ردٌ على سؤالهم: ولو شاء الله لأنزل ملائكة وإنكارهم أن يرسل الله بشراً رسولاً، ويريدون ملكاً رسولاً.

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية؛ ما: النافية.

﴿أَرْسَلْنَا﴾: بصيغة الجمع؛ للتعظيم؛ أرسلنا: تعني: بمنهج جديد، أو رسالة جديدة، وهناك فرق بين أرسلنا، وبعثنا. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٩)؛ للبيان.

﴿إِلَّا رِجَالًا﴾: إلا: أداة حصر.

﴿رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ﴾: رجالاً: لها عدة معانٍ:

الأول: أي: لن يرسل ملائكة، كما يطلبون.

الثاني: فيها دلالة على أن النبوة لا تكون إلا في الرجال فقط، ولا تكون في النساء.

الثالث: رجالاً نحن نختارهم، ولستم أنتم، كما قال تعالى: ﴿اللّٰهُ اَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

الرابع: يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق رداً على قولهم: ﴿مَا لِيْ هٰذَا الرَّسُوْلُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِيْ فِيْ السُّوْاقِ﴾ [الفرقان: ٧].



﴿تُوحِي إِلَيْهِمْ﴾: الوحي: هو إعلام بخفاء، وشرعاً: هو ما يلقي الله على أنبيائه ورسله من تكاليف، وتعاليم دينية، وآيات ووعد ووعيد، ويكون بإرسال رسول؛ كجبريل، أو التكلم من وراء حجاب، أو غيره من الوسائل. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: فاسألوا أيها المشركون أهل الذكر من مؤمني أهل الكتاب؛ مثل عبد الله بن سلام، أو سلمان الفارسي، أو علماء التوراة والإنجيل؛ مثل: ورقة بن نوفل، وقيل: أهل الذكر أيضاً أهل القرآن عن الرسل الذين جاؤوا قبل محمد ﷺ، هل كانوا إلا بشرأ، وما جاؤوا به الحق من ربهم، أو اسألوا أهل الذكر من هو النبي المنتظر.

﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ﴾: إن: شرطية تفيد الشك، والاحتمال.

[٤٤] ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾:

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾: أرسلناهم بالبينات، جمع بيّنة؛ أي: بالحجج الواضحة الدالة على صدق دعواهم، والمعجزات، والآيات.

﴿وَالزُّبُرِ﴾: الكتب السماوية السابقة. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لبيان معنى: الزبر.

﴿وَأَنْزَلْنَا﴾: أي: جملة واحدة، أو دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، بينما نزلنا تعني: بالتدرج على دفعات خلال (٢٣) عام، ونزلنا: جاءت في سياق التوكيد والاهتمام.

﴿إِلَيْكَ﴾: إلى: تفيد عموم الغايات؛ أي: للتبليغ، والإيصال إلى الناس. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لمعرفة الفرق بين إليك وعليك.

﴿الذِّكْرَ﴾: القرآن، وسمي الذكر؛ لأنه تذكرة لمن يخشى؛ لأنه هو الشرف، والرفعة لهذه الأمة إليك، ولم يقل: عليك. ارجع إلى الآية (٤) من سورة البقرة، وسورة ص آية (١).

﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾: لتبين: اللام: للتعليل.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: للاختصاص؛ أي: توضح، وتشرح لهم.

﴿مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ﴾: من الأحكام، والشرائع، والحرام، والحلال.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، أو مصدرية. وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾: لعل: أداة للتعليل.

﴿يَنْفَكُّوْنَ﴾: أي: ينظرون في البيّنات، والدلائل للوصول إلى أنّ محمداً حق، وأنّ القرآن حق؛ فيؤمنوا به. ارجع إلى الآية (١١) من نفس السورة.

[٤٥] ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿أَفَأَمِنَ﴾: الهمزة: استفهام توبيخي.

﴿الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾: الذين: اسم موصول.

المكر: هو التدبير الخفي الذي يقوم به الماكر؛ لإلحاق الضرر بالممكور به، ومن دون علمه.

الذين مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ: هم مشركو، وكفار مكة؛ مكروا برسول الله ﷺ؛ ليشتوه، أو يقتلوه، أو يخرجوه، وحاولوا سحره.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد.



﴿يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾: الخسف: هو أن تنشق الأرض، وتبتلعهم، كما حدث لقارون. يخسف بهم؛ أي: وحدهم لا غيرهم.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أي: من أي جهة لم تخطر على بالهم، ولم يأخذوا حذرهم، ويحتاطوا كما حدث لقوم لوط.

[٤٦] ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَأْهُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾:

﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ﴾: أو: للتخيير.

﴿يَأْخُذْهُمْ﴾: يهلكهم، ويحل بهم العذاب.

﴿فِي تَقْلِبِهِمْ﴾: من التقلب: وهو الانتقال من مكان إلى مكان للتجارة، أو للسفر، أو حين ممارستهم لأعمالهم اليومية طلباً للرزق، أو ذهابهم، ومجيئهم، والتقلب قد يعني: من حال إلى حال، والتقلب: مظهر من مظاهر القوة، وفي تقلبهم يعني: وهم على استعداد، أو غير استعداد، أو على حذر، أو غير حذر.

﴿فَمَأْهُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: فما: الفاء: للتوكيد؛ ما: النافية.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿بِمُعْجِزِينَ﴾: الباء: للإلصاق، وتوكيد النفي؛ معجزين: فائتين من العذاب؛ معجزين مشتقة من أعجزه: هرب منه؛ أي: فاته ولم يقدر عليه، ويغلبه، ويقهره؛ فالله قادر على اللحاق بهم، والقضاء عليهم أينما كانوا.

[٤٧] ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿عَلَى تَخَوُّفٍ﴾: أو على خوف؛ أي: وهم يتوقعون أن يحل بهم العذاب، أو هم على مخافة، وحذر، واستعداد، أو مختبئون في الملاجئ، أو في البروج المشيدة، أو يحدث بشكل تدريجي؛ أي: يرون العذاب قادماً نحوهم بعد أن

أهلك ما حولهم، وقيل: التخوف الفرع من شيء لم يحدث بعد، فهو يتصوره بألوان شتى، ومخاوف، وخيالات مختلفة.

﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّءُوفٌ﴾: فإن: الفاء: للتوكيد.

﴿رَبَّكُمْ لَرَّءُوفٌ﴾: لرؤوف: اللام للتوكيد؛ رؤوف: مشتقة من الرأفة، والرأفة: أخص من الرحمة، أو الرأفة أشد من الرحمة، ومنهم من قال: أنها تخص المؤمنين، ورؤوف من رأف به؛ أي: أشفق عليه بأن دفع عنه السوء، أو كره أن يحل به مكروه.

﴿رَحِيمٌ﴾: صيغة مبالغة؛ أي: كثير الرحمة، والرحمة قد تشمل المؤمن، والكافر في الدنيا؛ فلا يعجل لهم العقاب، أما في الآخرة: فهي خاصة بالمؤمن فقط.

[٤٨] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَيوُا ظِلُّهُ، عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: تعود على الذين مكروا السيئات؛ فبعد أن خوفهم، وحذرهم الله سبحانه بالخسف، أو أخذهم، وإهلاكهم؛ جاءت هذه الآية تذكروهم بالقدرة الإلهية، وعظمة الخالق الذي خلق لهم ما يتفياً ظلاله، ويسجد له ما في السموات والأرض.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: أولم: الهمزة: للاستفهام، والتعجب، والتوبيخ، والواو: تفيد التوكيد، والانتظار.

﴿يَرَوْا﴾: رؤية عقلية، فكرية، ورؤية بصرية.

﴿إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَيوُا ظِلُّهُ، عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، وأوسع شمولاً من الذي.



﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: من: ابتدائية، واستغرافية؛ تستغرق كل شيء.

﴿شَيْءٍ﴾: اسم جنس لكل شيء خلقه الله.

﴿يَنْفَعُونَ ظِلَّهُ﴾: من فاء؛ أي: رجع فالظل المتحرك يسمّى الفيء؛ لأنه يعود إلى الشمس؛ أي: أصله ناشئ عن حجب حزمة من أشعة الشمس؛ فهناك أشعة غير قادرة على الاختراق، وأشعة قادرة؛ فالأشعة غير القادرة: تسبب الفيء بسبب عدم قدرتها على اختراق جسم كثيف كالجبال، والأشجار، والإنسان، والحيوان. ارجع إلى سورة يس آية (٥٦) لمزيد من البيان في معنى الظل.

﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾: جاءت بالإنفراد: من الصّبح إلى الظّهر من حين تطلع الشمس من جهة المشرق يكون الظل على يمين الشيء (ويدوم ذلك من الصّباح إلى وقت الظّهر)، والظل يضمحل، ويضمحل حتى يأتي وقت الظّهر وقت الزّوال (زوال الظل).

﴿وَالشَّمَايِلِ﴾: جمع شمال، من الظّهر إلى المغرب يكون الظل على شمال، أو يسار الشيء، والظل يزداد، ويزداد؛ فعبر عن الزيادة بالجمع؛ جمع الشمايل.

﴿سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾: سُجَّدًا: تعود على ظلال كل شيء بما فيه ظل الكفار. سجدًا؛ أي: خضوعاً. السّجود: هو الخضوع، وقيل: سجودها يعني: ميلها، ودورانها؛ أي: إذا مالت، وتغيرت من جانب إلى جانب، أو طالت، أو قصرت. وقيل: هو سجود حقيقي؛ فالله سبحانه قادرٌ على فعل ذلك، والظل: آية من آيات الله الكونية التي تخضع لربها.

﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾: صاغرون، ذليلون؛ من دَخِرَ يدخُر: صَغُرَ، وذَلَّ، كما نرى الكفار والمشرّكين عندما يصابون بالمرض، أو البأساء، والضراء، والأوبئة، والكوارث الجوية... وغيرها.

[٤٩] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾:

﴿وَلِلَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور؛ اسم الجلالة للحصر؛ أي: له وحده يسجد.

﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾: ما: لغير العاقل، وصفات العاقل، وما: أوسع استعمالاً من (من في السموات والأرض)، ما في السموات كظرف، وكمظروف.

﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: من جبال، وشجر، وحيوان، وحجر... وغيرها من المخلوقات. وما في الأرض كظرف، وما فيها كمظروف؛ الكل يسجد. ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾: من: استغرافية.

﴿دَابَّةٍ﴾: اسم جنس؛ تشمل كل دابة تدب على الأرض، وتشمل الإنسان أيضاً.

والسجود قد يعني: الخضوع، أو يعني: السجود الحقيقي، أو يعني الصلاة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَلْيَلٍ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتُ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: ٤١]، وإذا لم يسجد الكافر السجود الطوعي؛ فهو يسجد سجود الخضوع رغماً عن أنفه حين مرضه، أو فقره، أو موته، أو مصيبتة؛ فليس في الكون شيء يخرج عن إرادة الله تعالى، وأمره.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾: فالملائكة لا تدب في السموات، ولا يقال لهم دابة؛ فهم يتحركون بأجنحتهم، ولذلك قال: من دابة، والملائكة، وقوله: من دابة والملائكة: فيه عطف الخاص (الملائكة) على العام (من دابة)؛ للتوكيد على أن هناك بعض المؤمنين الذين يمشون على الأرض قد تصل منزلتهم منزلة الملائكة، أو أفضل من الملائكة، وهناك من البشر من هم كالأنعام أو الدواب، أو أضل.



﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: وهم: ضمير فصل يفيد التوكيد؛ لا: النافية.

﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: لا: يتكبرون عن عبادة ربهم، والسجود له. ارجع إلى الآية (٢٩) السابقة من نفس السورة؛ لبيان معنى: التكبر.

[٥٠] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾:

ولما كان الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، فلماذا يخافون ربهم؟

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ﴾: الخوف: هو توقع الضرر المشكوك في وقوعه؛ هذا بالنسبة للإنسان، أما بالنسبة للملائكة هو خوف من التقصير، أو خوف مهابة، وإجلال، وتعظيم دون ذنب، ودون تقصير.

﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾: الفوقية هنا فوقية المكانة (المنزلة) على العرش استوى.

وفوقية: المكان فالله سبحانه منزّه أن يحيطه مكان وزمان؛ لأن المكان والزمان من خلقه؛ أي: هو خالق الزمان، والمكان.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾: مثلاً: التسبيح، والحمد؛ يسبحون الليل، والنهار لا يفترون، ويستغفرون للذين آمنوا، ويفعلون ما يؤمرون فيها؛ حذف، أو إيجاز أصلها يفعلون ما يؤمرون، ويجتنبون ما يُنهون عنه.

[٥١] ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارְهَبُونَ﴾:

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا﴾: لا: الناهية.

﴿تَتَّخِذُوا﴾: لا تجعلوا، لا تعبدوا، لا تصيروا معي شريكاً.

﴿إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: الإله المعبود؛ أي: لا تعبدوا إلهين.

﴿اِثْنَيْنِ﴾: توكيد لأمر التوحيد.

﴿إِنَّمَا هُوَ﴾: إنما كافة، ومكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد.

﴿إِلَهُ وَحْدٌ﴾: معبود واحد، لا يتجزأ ليس له ولد، ولا يتجزأ، ويصبح اثنين، وأما قوله: أحد؛ فيعني: لا مثل له، ولا يشبه أحد؛ لله وحده الألوهية، والوحدانية، والربوبية. ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿إِلَهُ وَحْدٌ﴾: إله: صفة ثابتة.

﴿وَاحِدٌ﴾: تأكيد للصفة الثابتة وهي إله (صفة مؤكدة).

﴿فَاتَنَّى فَارْهَبُونَ﴾: الرّهبة: هي طول الخوف، واستمراره مع العلم بالذي تخافه، ويقال للراهب راهب؛ لأنه يديم الخوف، والتّوخي، والحذر؛ فإياي فارهبون: يفيد القصر؛ أي: لا تخافوا غيري؛ فإياي فارهبون: بدلاً من فإياه فارهبون (حول صيغة الغيبة إلى المخاطب)؛ لأنّ الرّهبة من المتكلم خير من الرّهبة من الغائب، والرّهبة كما قلنا الخوف، والحذر، والعلم بمن تخافه وتعظمه.

[٥٢] ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَعْبُدُ﴾:

﴿وَلَهُ﴾: اللام: لام الملكية، والاختصاص؛ له: تقديمها يفيد الحصر؛ أي: له وحده.

﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ما: للعاقل، وغير العاقل.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿السَّمَوَاتِ﴾: السبع: كظرف ومظروف؛ أي: له ملكية السموات السبع وما فيها.

﴿وَالْأَرْضِ﴾: ذاتها كظرف ومظروف، وملكية الأرض وما فيها.

﴿وَلَهُ﴾: وتكرار له يفيد التوكيد، وفصل كلاً من الأمرين الملكية، والدين واصباً، وله وحده:

﴿الَّذِينَ وَاصِبًا﴾: واصباً: دائماً، وثابتاً لا يتغير، ولا يتبدل، أو له الدين الخالص.

﴿الَّذِينَ﴾: الطاعة، والخضوع له الدين، والخضوع دائماً وأبداً، أو الطاعة واجب له. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٩) لبيان معنى الدين.

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَّقُونَ﴾: أغير: الهمزة: همزة استفهام للإنكار، والتوبيخ؛ أغير الله تطيعون، أو تعبدون، والتقوى: هي تنفيذ أوامر الله سبحانه، وتجنب نواهيه.

[٥٣] ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُرِيدُوا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُدُونَ﴾:

﴿وَمَا يَكُم﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي؛ بكم: خاصة. وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿مِّن نِّعْمَةٍ﴾: من: استغراقية تشمل كل نعمة ظاهرة وباطنة.

﴿نِعْمَةٍ﴾: نكرة تعني: صغيرة، أو كبيرة، ومهما كان نوعها، والنعمة تعريفها: هي ما يهبه الله لعبده من خير يجلب له المسرة، ويدفع عنه المضرة، وتشمل الصحة، والغنى، والخصب، والجاه... وغيرها.

﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾: فمن: الفاء: للتوكيد؛ من: ابتدائية؛ من الله سبحانه المنعم.

﴿تُرِيدُوا﴾: لتباين منزلة النعمة، والضّر.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية تتضمن معنى الشرط، وتفيد حتمية الحدوث.

﴿مَسَّكُمْ الضَّرُّ﴾: المس: أخف من اللمس مجرد المس؛ أي: الإصابة

الخفيفة؛ أي: أصابكم الضر، ولو إصابة خفيفة. الضر: سوء الحال والمرض، وهو أشد من الأذى، ويكون في النفس أو غيرها.

﴿فَالَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾: إليه وحده تجأرون: من جأر: رفع صوته بالدعاء تضرعاً؛ أي: ترفعون أصواتكم بالدعاء، والاستغاثة؛ لكشف الضر عنكم، وهذا يدل على تصوير حقيقة الإنسان الذي إذا مسه أدنى ضر يضيق صدره، وينفذ صبره، ويجأر إلى الله لأدنى أذى.

[٥٤] ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الزمني، والتراخي، أو لتباين منزلة الإصابة، والكشف.

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث، أو كثرتها، كشف الضر.

﴿كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ﴾: رفع البلاء، والضر: يشمل الفقر، والمرض، والجذب، والأوبئة، والكوارث.

﴿إِذَا﴾: الفجائية.

﴿فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ﴾: فريق جماعة منكم، وليس الكل.

﴿بِرَبِّهِمْ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد بعد أن كشف الضر عنهم يعودون لما كانوا عليه.

﴿يُشْرِكُونَ﴾: يجعلون معه شريكاً ونداً، وتدل على التجدد، والتكرار، والاستمرار في الشرك.



سُورَةُ النَّازِعَاتِ ١٦

الجزء الرابع عشر

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ
 لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتَسْعَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ
 تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ
 ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ
 ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ
 أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِالْآخِرَةِ مِثْلُ السُّوءِ وَلِلَّهِ الْمِثْلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يَوَّاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ
 يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ
 سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ
 وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَاجِرَمَ أَنَّ
 لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّنْ
 قَبْلِكَ فزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
 الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

سورة النحل [الآيات ٥٥ - ٦٤]

[٥٥] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَهُمْ﴾: ليكفروا: اللام: للتوكيد.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق؛ ما: اسم موصول بمعنى: الذي، وأوسع شمولاً من الذي، والكفر يعني: كفر العقيدة، وإنكار وجود الخالق ووحدانيته، أو جحد النعمة، وسترها، وإنكار المنعم.

﴿ءَانَيْنَهُمْ﴾: من الإيتاء: وهو العطاء، ولمعرفة الفرق بينهما: ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة.

ليكفروا: بنعمنا، أو ليجعلوا ما أنعمنا عليهم سبباً للكفر، والشرك، أو كلا الأمرين؛ كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨]؛ فهم من جهة جحدوا بأن الله أنعم عليهم، ولم يشكروه على نعمه، ولم يكتفوا بذلك، بل صيروا هذه النعم سبباً في الإسراع، والزيادة في الكفر.

﴿فَتَمْتَعُوا﴾: الفاء: للتوكيد، والتعقيب؛ التمتع: الانتفاع، والاستمتاع باللذة العاجلة.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: فسوف: الفاء: للتوكيد؛ سوف: أداة للاستقبال البعيد، والتراخي؛ أي: يوم القيامة، أو في الآخرة.



﴿تَعْلَمُونَ﴾: عاقبة كفركم، أو شرككم، أو جحدكم لنعم الله؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨]، وفي الآية تهديد ووعد.

انتبه إلى التحول من صيغة الغائب ليكفروا بما آتيناهم إلى صيغة المخاطب: فتمتعوا فسوف تعلمون؛ لأن المخاطبين في هذه الآية قسم غائب، وقسم حاضر. قارن هذ الآية مع الآية (٦٦) من سورة العنكبوت: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: الكل في هذه الآية من الغائبين.

[٥٦] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَسْتُ لَكُمْ عَمَّا كُنتُمْ تَفْعَلُونَ﴾:

﴿وَيَجْعَلُونَ﴾: من الجعل، ويعني: التصيير، ولم يقل: وجعلوا. يجعلون: بصيغة المضارع؛ للدلالة على التكرار، والتجدد، والاستمرار في الجعل، والفاعل: يعود على الذين كفروا، والمشركون من أهل مكة... وغيرهم.

﴿لِمَا﴾: اللام: لام الاختصاص، أو الملكية؛ ما: للعاقل، وغير العاقل.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: أي: للأصنام أو الأوثان التي اتخذوها آلهة، وهم لا يعلمون، وهي لا تعلم أيضاً، فهم لا يعلمون أن لها ضراً، ولا نفعاً، ولا حساً، ولا معرفة، ولا تبصر، ولا تسمع، والأصنام التي لا تعلم شيئاً عن حالتهم، وما هم فيه، والتي لا تعلم ما يقولون، أو يفعلون؛ فهذا يدل على غباوتهم وسفاهة عقولهم.

﴿نَصِيبًا﴾: نصيباً: أي: قسماً جزءاً.

﴿مِمَّا﴾: من: البعضية؛ ما: اسم موصول بمعنى: الذي وهي أوسع شمولاً.

﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾: كصدقة للإلهة من المال ومن الحرث، والأنعام، والبحيرة،

وَالسَّائِبَةِ، والوصيلة، والحام؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا اللَّهَ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغَمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى الْغَايَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

﴿تَاللَّهِ﴾: التاء: تاء القسم، وهي مخصصة للفظ الجلالة فيها معنى التّفخيم، وهي أشد أدوات القسم؛ أي: أوكدها.

﴿لَتَسْأَلَنَّ﴾: اللام: للتوكيد، والنون: لزيادة التوكيد؛ تسألن: من السؤال يوم القيامة هو سؤال توبيخ لهم.

﴿عَمَّا كُنْتُمْ﴾: عن: تفيد المجاوزة، والمباعدة؛ ما: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿كُنْتُمْ﴾: في الدنيا.

﴿تَفْتَرُونَ﴾: الافتراء: هو الكذب المتعمد المختلق من أمر الأصنام، والآلهة. والافتراء على الله: بأن له ولد، أو شريك، أو صاحبة، أو أحل هذا، أو حرم ذلك، وهو لم يحل، أو يحرم.

[٥٧] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾:

﴿وَيَجْعَلُونَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة، ويجعلون؛ أي: يعتقدون أن الملائكة بنات الله سبحانه.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿الْبَنَاتِ﴾: قيل: نزلت هذه الآية في قبيلة خزاعة، وكنانة؛ حيث زعموا أن



الملائكة بنات لله سبحانه وتعالى عما يشركون. ارجع إلى سورة الزخرف آية (١٩) لمزيد من البيان.

﴿سُبْحَنَهُ﴾: أي: هو منزّه عما يفترونه، ومبرّؤ منه، وحاشا لله أن يكون له ولد، ولا بنت؛ تنزيهاً لذاته، وصفاته، وأسمائه من الشريك، والولد، والولي، والبنت... وغيرها.

﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾: ولهم: اللام: لام الاختصاص، والملكية.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي. وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿يَشْتَهُونَ﴾: أي: البنين، أو ما يختارون؛ أي: يجعلون لله ما يكرهون؛ أي: البنات سبحانه، ولهم ما يشتهون (ما يختارون) من البنين، والأنعام، والحراث.

[٥٨] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني للمستقبل متضمّن معنى الشرط.

﴿بُشِّرَ أَحَدُهُم﴾: بُشِّر: من البشارة، وهي الخبر السار نسمعه لأول مرة. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٩).

﴿بِالْأُنْثَىٰ﴾: أي: أخبر أحدهم من المشركين، أو كفار مكة، أو العرب بأنّه قد ولد له بنت.

﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾: ظل: بمعنى: صار وجهه، أو تغير وجهه، وأصبح مسوداً كناية عن الكآبة، والحزن، والحياء من الناس.

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: هو: ضمير فصل يفيد التوكيد.



﴿كَطِيمٌ﴾: ممتلئ غمّاً وحزناً وغيظاً؛ أي: كاظم غيظه من دون إظهاره، ولكنه يكاد ينفجر، أو يظهر ما في نفسه من الغيظ، واستخدم كلمة بُشْر؛ لأنّ الأنثى في الحقيقة كالولد هي بشارة.

[٥٩] ﴿يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾:

﴿يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ﴾: يستخفي من القوم، ولا يريد أن يظهر أمامهم غيظه، ووجهه المسود.

﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾: من: ابتدائية للتعليل.

﴿سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾: يعتبر الأنثى أمراً سيئاً، يُسيء إليه فقد تجلب له العار عندما تكبر، أو تصبح سبباً للفقر، أو غيرها من ظنون الجاهلية الباطلة.

﴿أَيُمْسِكُهُ﴾: الهمزة: للاستفهام، أيبقيها حية.

﴿عَلَى هُونٍ﴾: على مذلة، والهُون: هو الهوان الذل والعار، وقد يعني: الحيرة، والتّرُدُّ، وأما الهُون: بفتح الهاء تعني التواضع والتّؤدة.

﴿أَمْ﴾: أم: للإضراب الانتقالي.

﴿يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾: الدّس: هو إخفاء الشيء في الشيء؛ أي: يدفن بنته، وهي حية (يثدّها)، وسماها سبحانه الموءودة: البنت التي تدفن حية. ارجع إلى سورة التكوير آية (٨).

﴿أَلَا﴾: أداة تنبيه.



﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: ساء من أفعال الذم والتحقير؛ أي: قبح، أو بئس ما يحكمون.

﴿مَا﴾: مصدرية.

﴿يَحْكُمُونَ﴾: من الحكم، وهو القضاء، ساء ما يحكمون بتفضيل الذكر على الأنثى، وساء ما يحكمون بنسبة البنات لله، ولهم ما يشتهون، وأنها افتراءات باطلة من أحكام الجاهلية الفاسدة.

[٦٠] ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ الذين: اسم موصول يفيد الذم.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: لا: النافية. لا يؤمنون بالآخرة؛ أي: لا يصدقون بالبعث، والحساب، والجنة، والنار. الباء: للإلصاق والمصاحبة.

﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾: أي: صفة النقص، وهي الحاجة إلى الأولاد، والذكور، وكيف يعاملون البنات خشية الإملاق بالوآد، أو الإمساك على الهون.

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾: تقديم الجار والمجرور ويفيد الحصر والتوكيد، المثل الأعلى: لكونه منزهاً عن الولد، والشريك، والصاحبة، ومنزه عن صفات المخلوقين فله الكمال المطلق، والتنزيه، والتقديس.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي الذي لا يُغلب، ولا يُقهر، والممتنع لا يضره أحد من خلقه.

﴿الْحَكِيمُ﴾: في تدبير شؤون خلقه، وكونه؛ فهو أحكم الحاكمين القاضين،

والمشرعين، وأحكم الحكماء. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٢٩)؛ لمزيد من البيان.

[٦١] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۖ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: حرف امتناع لامتناع.

﴿يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾: يؤاخذ؛ أي: يجازي يعاقب، أو يعاجل الخلق بالعقوبة.

﴿بِظُلْمِهِمْ﴾: الباء: للإلصاق؛ باء: السببية، أو البدلية؛ أي: بسبب ظلمهم (شركهم)، ومعاصيهم، وقولهم الملائكة بنات الله، وعبادتهم الأصنام، ووأدهم البنات، أو خروجهم عن منهج الله تعالى؛ فكل من يخرج عن منهج الله تعالى هو ظالم لنفسه.

﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾: ما: النافية.

﴿تَرَكَ عَلَيْهَا﴾: على الأرض.

﴿مِنْ﴾: استغراقية تشمل كل دابة؛ أي: لأهلك جميع من في الأرض، أو لأصاب العذاب كل إنسان، وحيوان، وجن، ولا يبقى على ظهرها مخلوق.

﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: بالعفو، والصفح، والفضل؛ لكونه حليماً، وغفوراً؛ يمهل ولا يهمل.



﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إما الموت (انقضاء أجلهم؛ أي: أعمارهم)، أو إلى أن يحل العذاب بهم، وهم لا زالوا أحياء، أو يوم القيامة.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً﴾: فإذا: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ إذا: ظرف للزمن المستقبل.

﴿جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾: انقضى أجلهم، وجاء زمن قبض أرواحهم، أو جاء زمن هلاكهم.

﴿لَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً﴾: أي: إذا جاء أجلهم لا يؤخر ساعة، ولا أقل من ذلك، وقدم يستأخرون؛ لأن الإنسان يرغب بتأخير أجله (الموت).

﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: أي: وإذا لم يجرئ أجلهم لا يستقدمون. ارجع إلى سورة يونس، آية (٤٩)؛ لمزيد من البيان.

[٦٢] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جُرْمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾:

﴿وَيَجْعَلُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٥٦).

﴿لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾: ما يكرهون : هو البنات، ويجعلون لله البنات كما يزعمون (الملائكة بنات الله) [الزخرف: ١٩]، والشريك في الألوهية، وما يكرهون من الحرث، والأنعام. ارجع إلى سورة الأنعام آية (١٣٦)، وآية (١٣٨) - (١٣٩).

﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾: أي: تقول ألسنتهم الكذب، أو يدعون باطلاً، ولا تكتفي بذلك، بل تصور الكذب بصوره المتعددة لتزيينه للآخرين.



﴿أَنْ لَّهُمُ الْحُسْنَى﴾: أَنْ: للتوكيد.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، والملكية.

﴿الْحُسْنَى﴾: الجنة، أو الجزاء الحسن، أو الأولاد الذكور، الحسنى: تأنيث الأحسن.

﴿لَا جَرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارُ﴾: لا جرم: لا بد، أو لا محالة، وبعد أن كثر استعمالها أصبحت بمعنى: حقاً، كما قال الفراء. جرم؛ أي: لا بُدَّ أَنْ لَهُمُ النَّارُ، أو لا محالة، أو حقاً لهم النار.

﴿أَنَّ﴾: حرف مصدري يفيد التعليل، والتوكيد.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق. ارجع إلى الآية (٢٣) السابقة من نفس السورة.

﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾: أَنْ: للتوكيد.

﴿مُفْرَطُونَ﴾: متركون في النار منسيون؛ من أفرطه: إذا نسيه، وتركه، ولم يلتفت إليه؛ أي: حقاً أَنْ لَهُمُ النَّارُ، وَأَنَّهُمْ متركون فيها، أو منسيون فيها. وقيل: مفرطون؛ أي: معجلون إلى النار، ومتركون فيها منسيون.

[٦٣] ﴿ثُمَّ نَالَهُ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿ثُمَّ نَالَهُ﴾: التاء: تاء القسم؛ تفيد التوكيد، فيها معنى التعجب، والتفخيم، يقسم الله تعالى بنفسه لرسوله، وهي أشد القسم (التاء والباء والواو واللام)

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق.



﴿أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: أرسلنا رُسلاً إلى أُمَمٍ من قبلك؛ فكذبت الأُمَم رُسُلها. من: الابتدائية. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٩)؛ لتبيان معنى الإرسال.

﴿فَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾: بالسوسة، والإغراء، والتزيين، وهو تجميل وتحسين الكفر، والشرك (عبادة الأوثان) في أعينهم.

﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمْ يَوْمَ﴾: وليهم اليوم؛ أي: ناصرهم في الدنيا، أطلق على زمان الدنيا يوم، وإذا كان المقصود يوم القيامة؛ فيكون معناه: قرينهم اليوم في النار؛ أي: معهم في النار.

﴿وَلَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿عَذَابُ أَلِيمٌ﴾: شديد الإيلام، لا يقدر عليه أحد.

[٦٤] ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾: ما: النافية.

﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾: ولم يقل: إليك؛ لمعرفة الفرق بين عليك، وإليك: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٤)؛ للبيان.

﴿الْكِتَابَ﴾: القرآن.

﴿إِلَّا﴾: حصراً.

﴿لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾: اللام: لام التعليل، والاختصاص.

﴿لَتَجِيَنَّ لَهُمْ﴾: أي: توضح، وتشرح لهم، وهذا من واجباتك، ولذلك قال عليك.

﴿الَّذِي أَخْلَفُوا فِيهِ﴾: من التوحيد، والإشراك، والهدى، والضلال، والتحليل، والتحریم، والحق، والباطل، والبعث، والجزاء، أو سائر الأحكام الشرعية.

﴿وَهْدَى﴾: ارجع إلى الآية (٢) من سورة البقرة؛ مصدر هداية، أو هو الهدى بذاته.

﴿وَرَحْمَةً﴾: رحمة لمن اتبعه؛ أي: يجلب ما يسر، ويدفع ما يضر، ويقي من الوقوع في الشر والمعصية. إذن ليس فقط للتيان، وكذلك هدى ورحمة، وفي الآية (١٠٢) من نفس السورة قال تعالى: ﴿لَيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهْدَىٰ وَيُشْرِىَ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ بالفوز بالجنة، والنجاة من النار.

﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: لقوم: اللام: لام الاختصاص؛ أي: هذا القرآن هدى ورحمة خاصة بمن آمن بالله وحده، ورسوله، وصدق به، وعمل صالحاً.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد، واستمرار إيمانهم.





سُورَةُ النِّحْلِ ١٦

الجزء الرابع عشر

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُدْأَى إِلَى أُذُنٍ لَعَنَهُ اللَّهُ لَمَمًا لَا يَرْجِعُ الْكَلِمَةَ أَلِيًّا وَلَا يَجِدُهَا فِي الْمَوْتِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾



سورة النحل [الآيات ٦٥ - ٧٢]

[٦٥] ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾:

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: من السحاب ماء؛ أي: ماء المطر، وكل ما يعلو الإنسان يسمّى سماء؛ فالسحاب سماء، ويعني: من السحب الركامية. ارجع إلى سورة الأنعام، آية (٩٩).

﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: فأحيا: الفاء: للترتيب، والتعقيب.

﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: أي: بعد أن كانت جذباء لا زرع فيها، ولا حب. بعد موتها: أي: أحيّاها بعد فترة طويلة، أو قصيرة من زمن موتها بالزّرع، والشجر، وإخراج الثمر، وليس مباشرة، ولو قال من بعد موتها؛ أي: من دون تراخ في الزمن؛ يعني: مباشرة بدون مهلة أو فترة كما ورد في سورة العنكبوت آية (٦٣) ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾. ارجع إلى سورة الحج، آية (٥، ٦٣)، وفصلت، آية (٣٩)؛ للبيان المفصل.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾: إن: للتوكيد.

﴿فِي ذَلِكَ﴾: الإحياء.

﴿لَآيَةً﴾: اللام: للتعليل؛ آية: دليل، وبرهان محسوس على قدرته تعالى وعظمته.

﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: هذا المطر، أو الماء يُرى بالعين، وقليلًا ما يسمع صوته، ورغم ذلك قال سبحانه: ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾؛ لأنّ الله سبحانه يريد أن ينتقل بنا من



آية ترى بالعين إلى آية تسمع بالأذن؛ لأننا أمام فهم يحتاج إلى السمع، والبصر معاً.

[٦٦] ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ۚ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾:

وهذه الآية الأخرى دليل محسوس على قدرة الله تعالى في عالم الحيوان.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ﴾: وإن: للتوكيد.

﴿لَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أي: لكم خاصة أيها الناس.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿الْأَنْعَامِ﴾: ثمانية أزواج من الغنم اثنين، ومن الماعز اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الإبل اثنين.

﴿لَعِبْرَةً﴾: اللام: لام التعليل؛ عبرة: مشتقة من العبور، وهو الانتقال من طرف إلى طرف من طرف الجهل إلى طرف العلم، والعبرة: الدلالة الموصلة إلى اليقين، أو الآية التي يُعبرُ بها من منزلة الجهل إلى منزلة العلم.

﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾: نسقيكم: نسب السقيا إلى ذاته الكريمة لأهمية وعظم فائدة هذه السقيا، والتي تدل على رحمة الرب بعباده حتى يسقيهم بذاته؛ بطونه: التذكير يدل على القلة؛ لأن هذه الآية تتحدث عن إسقاء اللبن، واللبن؛ أي: الحليب يخرج من قسم من إناث الأنعام؛ هذا القسم الذي يعطي اللبن من الإناث هو قسم قليل مقارنة بعدد الأنعام عامة، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢١) من سورة المؤمنون، وهي قوله تعالى: ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ التأنيث يدل على الكثرة إذا قارنا عدد إناث بشكل عام بعدد الأنعام؛ الهاء: تعود على إناث الأنعام، ولم يقل مما في بطونها. انظر إلى الفرق بين بطونه وبطونها في نهاية الآية.



﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾: من: ابتدائية.

﴿بَيْنِ فَرْثٍ﴾: الفَرث: هو الطَّعام المهضوم المختلط بعصارات الهضم... وغيرها، والجهاز للامتصاص من جدر الأمعاء.

﴿وَدَمٍ﴾: بعد امتصاص الفَرث ينتقل بالدم، ويصبح كريحه المنظر، والرَّائحة؛ ينتقل إلى الثديين، وكل ثدي رباعي التركيب؛ كل ربيع يعمل مستقلاً لإنتاج وتخزين اللبن بواسطة الغدد اللبنية المتصلة بالشعيرات الدموية المغذية لها؛ هذه الغدد التي تستخلص اللبن من الدم الشرياني المؤكسد، واللنف الحامل للفَرث (الطعام المهضوم) ليصفى، ويصبح:

﴿لَبَنًا خَالِصًا﴾: حليباً صافياً.

﴿سَائِغًا لِلشَّرِيبِينَ﴾: السَّائغ: طيب الطعم يسهل بلعه.

لنقارن هذه الآية من سورة النحل: ﴿شُقِّقِكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾، والآية (٢١) من سورة المؤمنون: ﴿شُقِّقِكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾.

آية سورة النحل: ممَّا في بطونه: تتحدث عن نسبة الإناث الضئيلة التي تُحلب؛ أي: تعطي الحليب بالنسبة لإناث الأنعام بشكل عام، والتي تشمل الإناث الصَّغيرة، أو المسنة، أو التي لا تدر باللبن؛ فإن عددها قليل؛ فجاء بصيغة المذكر (بطونه) بدلاً من بطونها؛ لتدل على القلة.

أما آية (المؤمنون): ممَّا في بطونها: فبطونها تشير إلى نسبة كل إناث الأنعام بشكل عام؛ لعدد الأنعام؛ فهي كثيرة؛ فاستعمل صيغة التأنيث (بطونها)؛ لتدل على الكثرة.

أو آية النحل: تشير إلى الجنس (جنس الأنعام)، فذكر الضمير؛ فقال: في بطونه.



أما آية (المؤمنون): فتشير إلى إناث الأنعام التي تُحلب، وتعطي الحليب
أنث الضمير.

[٦٧] ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾: من: ابتدائية.

﴿النَّخِيلِ﴾: التمر. النخل: اسم جنس يشمل النخيل.

﴿وَالْأَعْنَابِ﴾: العنب.

﴿نَتَّخِذُونَ مِنْهُ﴾: منه: من: هنا بعضية؛ لأن بعضها تؤكل، وبعضها يستخدم
للعصير، والخمر.

﴿سَكَرًا﴾: أي: الخمر، ولم يصفه بالسُّكر الحسن: لأنه سبحانه حرّمه
بعد ذلك.

﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾: العنب، والتمر؛ سواء أكله، أم التجارة به، وبيعه، وكذلك
تحويله إلى الكحول المستعملة في التعقيم، والخل، والزبيب، والعصير،
والأطعمة، والحلويات المعمولة من التمر، والعنب.

﴿وَرِزْقًا﴾: رزقاً حسناً؛ مقارنة باستخدامها لصنع الخمر.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿ذَلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة للبعد.

﴿لَآيَةً﴾: اللام: لام التعليل، أو التوكيد علامة.



﴿لَقَوْمٍ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿يَعْقِلُونَ﴾: من العقل، ومن عقل الشيء عرفه بدليله، وأسبابه، ونتائجه؛ أي: إذا فكروا، وتدبروا الأمر، وصلوا إلى الحقيقة أن الخمر ضاراً بالناس. نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر، والذي جاء في الآية (٩٠-٩١) من سورة المائدة. ارجع إلى سورة المائدة، آية (٩١)؛ لبيان مراحل تدرُّج تحريم الخمر.

[٦٨] ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾:

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾: قلنا: إنَّ الوحي: هو إعلام بخفاء، والوحي هنا يتمثل بالتكوين الغريزي الخلقي للنحل؛ بما يسمَّى: نظام المعلومات عند النحل، أو بما يمتلك النحل من حواس الشَّم، والذَّوق، والبصر، ويستطيع النحل أن يميز بالخلايا الموجودة على قرونيه رائحة الزَّهور، ورائحة الأسرة التي ينتمي إليها كلُّ نوع من النحل، ورائحة الخلية بما يفرزه كلُّ نوع من مواد تشع في أرجاء الخلية، وتعرفها كلُّ نحلة من تلك العائلة، أو الخلية، وتحمل هذه الرائحة المميزة لها كلمة السر، أو الهوية؛ فلا تدخل أيُّ نحلة في غير خلاياها، أو مسكنها، وللنحلة قدرة على تمييز الألوان، والقدرة على الرؤية عندها أقوى من الرؤية في الإنسان، وتستطيع رؤية الأشعة فوق البنفسجية، ولكل منها حركاتها الخاصة، ودورانها، والرقص الدائري، والاهتزازي، وتسمَّى لغة الرقص التي بواسطتها تحدد المسافات بعدد الرقصات.

وتستطيع النحلة أن تحدّد مساراتها، والأمكنة المطلوب الوصول إليها



للقوف على الزهور الخاصة، ثم العودة، والقدرة على اجتياز الطرق الصعبة،
والأميال الطويلة.

﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾: أن: مصدرية؛ تفيد التعليل، والتوكيد.

﴿مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾: مساكن لكي تأوي إليها مثل الخلايا؛ من: تفيد البعضية
بعض الجبال.

﴿وَمِنَ الشَّجَرِ﴾: من: البعضية؛ أي: اتخذي من بعض الشجر اتخذي بيوتاً
خلايا للسكن.

﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾: من: ابتدائية؛ ما: اسم موصول بمعنى: الذي يبنيه الناس
من خلايا للنحل من خشب، أو طين، أو ما نسميه الخلايا الاصطناعية.

[٦٩] ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ
أَلْوَنُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾:

﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: ثم: تفيد التباين بين تغذية النحل بالمواد السكرية
المصنعة من قبل الإنسان، وبين تركها تأكل من كل الثمرات؛ أي: كل أنواع الزهور
التي خلقها الله سبحانه لها، أو سخرها لها بلا حصر، أو تقييد، وهو الأفضل.

﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا﴾: فاسلكي: الفاء: للترتيب، والتعقيب؛ اسلكي:
من السلوك؛ أي: الدخول بسهولة ويسر؛ أي: المسير في هذه السبل الطرق،
والمسالك، والمسارات التي سخرها الله سبحانه لها في رحلات الذهاب
والإياب بسهولة ويسر، وأما لو قال ادخلي؛ الدخول فيه مشقة وصعوبة.

﴿ذُلًّا﴾: أي: ذلها الله لك؛ الذل: جمع ذلول؛ أي: وطأها، ومهدّها،
وسهلها لك رب العالمين.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ﴾: الشَّرَاب: هنا العسل بمختلف ألوانه، وأنواعه؛ منه ذو اللون الأصفر، والأحمر المصفر، والعنبري اللون، والأصفر الباهت، واللون الزيتوني، والأبيض... وغيرها من الألوان، وله أسماء مختلفة.

وكلمة شراب: جاء بصيغة النكرة؛ لتدل على أن هناك أنواعاً مختلفة من الشَّرَاب، أو الأشربة إضافة إلى العسل، وكلمة بطونها تشير إلى مكان تشكل العسل في النحلة؛ أي: في معدتها التي تقع في بطن النحلة.

﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾: كلمة شفاء: نكرة ليشمل الكثير من أنواع العلاج، والشفاء؛ ففي العسل شفاء للأمراض الجلدية، والجروح، والأمراض التنفسية والتهاب القصبات، والربو، والأمراض الأخرى مثل القرحة، وأمراض الكبد.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: إنَّ في ذلك: ارجع إلى الآية (٦٧) من نفس السورة.

﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: لقوم: اللام: لام الاختصاص.

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: في صنع الله، وعجائب مخلوقاته، والنحل أكبر دليل على ذلك للوصول إلى عظمة الخالق، وقدرته، وأنه هو الذي يستحق العبادة وحده.

[٧٠] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾: أوجدكم، والخلق يعني: التقدير، خلقكم من تراب، ثم من نطفة، ثم علقه، ثم من مضغة مخلقة، وغير مخلقة، ثم يخرجكم طفلاً، ثم لتبلغوا أشدكم، ثم لتكونوا شيوخاً.



﴿ثُمَّ﴾: تفيد الترتيب، والتراخي في الزمن.

﴿وَنَوَفَلَكُمْ﴾: أي: يأمر ملك الموت بقبض أرواحكم عند انقضاء آجالكم.

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُدْأَلُ إِلَى الْعُمُرِ﴾: من هنا البعضية، وليس الكل يُرد إلى أَرذل العمر: أسوأ العمر، وذلك حين يبلغ الثمانين، أو التسعين، ويصاب بالخرق، والنسيان، ويصبح عالة على غيره في حاجاته اليومية، ولا يعقل ما يقول، ولا يقوى على شيء، وهناك من الناس من يبلغون الثمانين، والتسعين، ويقرؤون القرآن وغير عالة على غيرهم، وفي صحة جيدة.

﴿لَكِنَّ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾: كي: للتعليل الأساسي.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾: ولم يقل: لا يعلم من بعد علم شيئاً بإضافة (من)، كما في سورة الحج آية (٥).

فقوله تعالى: ﴿لَكِنَّ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾: أي: لا يتذكر القريب، أو البعيد؛ أي: يصاب بفقد الذاكرة للأشياء القريبة، والبعيدة بعد زمن قد يقصر، أو يطول، ولو قارننا هذه الآية مع قوله تعالى في سورة الحج، آية (٥): نجده أضاف كلمة (من) وقال تعالى: ﴿لَكِنَّ لَا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾: أي: لا يتذكر الأشياء القريبة فقط، أو تدل على فقد ذاكرته للأشياء القريبة بعد زمن قصير، ويتذكر الأشياء، أو الأمور البعيدة التي فعلها منذ زمن بعيد.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة كثير العلم بخلقه، وكونه، وما يحدث لهم، ويصيبهم من تغيرات وكم يعيشون.

﴿قَدِيرٌ﴾: على كل شيء يبقى من يشاء حياً لسنين طويلة، ومن دون أي ضعف، أو تغيير في الذاكرة، أو يصيب بعض الأفراد بفقدان الذاكرة في أي عمر، أو زمان، وبفقدان ذاكرة واحدة للقرب، أو البعد، أو بفقدان ذاكرتين للقرب والبعد معاً.

وهناك أمر آخر يجلب انتباه القارئ: وهو كيفية كتابة كلمة (لكي لا) في كلا الآيتين: ففي آية النحل فصل بين كلمة كي ولا، بينما في آية الحج جمع بين كلمة كي ولا فكتبها لكيلا.

فهذا يدل على براءة القرآن الكريم من أي تحريف مهما كان نوعه منذ نزوله على قلب رسول الله ﷺ.

والفصل بين (لكي ولا): ربما يشير إلى شيئين؛ أي: لكل (شيء) لا (شيء)، ويشيران لفقدان الذاكرتين القريبة والبعيدة.

والجمع أو الوصل بين لكيلا: لتدل على فقدان ذاكرة واحدة، وهي القريبة، وهذا يتطابق مع تفسير الآية.

[٧١] ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾:

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾: فضل: بسط، ووسع بين أرزاقكم؛ فجعل منكم الغني، والفقير، وهذا التفضيل للابتلاء فقط، وليس له علاقة مطلقة بالعمل الصالح، أو السيئ، أو الطالح. وجعل منكم المالك، والعامل، أو رب العمل، والأجير.

﴿فَمَا﴾: فما: الفاء: للتوكيد؛ ما: للنفي.



﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿فَضْلُوا بِرَأْدَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾: فما الذين بسط الله لهم الرزق، أو أصحاب العلم، أو الملك بمعطين من يعملون لهم نصيباً مساوياً لنصيبهم حتى يتساوون في الغنى، أو الملك، أو الربح، أو يتساوى ربُّ العمل مع أحد عماله.

فكيف جعل المشركون الأصنام شركاء لله، وسووا بين الله سبحانه وبين أصنامهم، وعبدوها كما عبدوا الله تعالى، وجعلوا لأصنامهم نصيباً مساوياً لنصيب الله.

﴿أَفِينِعْمَةَ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري، فكيف يجحدون بنعمة الله فيأخذون حق الله في العبودية والألوهية، ويعطونه للشركاء؛ فأنتم لا ترضون أن تتساووا مع عمالكم، وتكونوا شركاء، فكيف ترضون أن تجعلوا لله شركاء في ملكه، وتجحدون نعم الله عليكم ولا تشكرون المنعم؟ والجحود: هو إنكار الشيء الظاهر، أو العلم به، والجحود أخص من الإنكار.

الإنكار: أعم من الجحود، والإنكار عادة لما هو خفي مع العلم، أو غير العلم به. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٥١) لمزيد من البيان.

[٧٢] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾: أي: جعل لكم أزواجاً من جنسكم من الإنس، ولم يجعل لكم أزواجاً من الجن مثلاً، أو غير جنسكم.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾: البنين: هم الذكور، والحفدة: هم ولد الولد.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: الطيبات؛ أي: الرزق الحلال الطيب الطاهر من الطعام، والشراب.

﴿مِّنَ﴾: البعضية. ارجع إلى سورة الأنفال، آية (٦٩)؛ لمزيد من البيان.

﴿أَفِيَا بَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أفيالباطل: الهمزة: استفهام إنكاري توبيخي، وتعجبي؛ الباطل لغة: ما لا وجود له، أو الزائل الذاهب مثل الشرك، والظلم، والكذب... وغيرها، وتقليد الآباء بتحريم البحيرة، والسائبة، أو أن لله الولد، والشريك، والاعتقاد بشفاعة الأصنام، أو أنها تقربهم إلى الله زلفى.

﴿وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾: التوحيد، والإسلام، والرزق، والصحة، والأمن.

﴿يَكْفُرُونَ﴾: ينكرون. ارجع إلى سورة إبراهيم آية (٣٤) لمعرفة الفرق بين نعمة ونعمت.





سُورَةُ النَّازِعَاتِ ١٦

الجزء الرابع عشر



وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضُرُّهُ أَمْثَالُ
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِمَّا رَزَقْنَا حَسَنًا
فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى
مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ
أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ
أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ
لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرْوِ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ
مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

سورة النحل [الآيات ٧٣ - ٧٩]

[٧٣] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾:

بعد أن عدد نعمه سبحانه عليهم، ورزقهم من الطيبات، وجعل لهم من أنفسهم أزواجاً، وبنين، وحفدة؛ كان من الواجب أن يعبدوه لنعمه، وفضله عليهم، ولكنهم عبدوا غيره، وأشركوا به.

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾: العبادة لغة: الذل والخضوع، والعبادة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من: الأقوال، والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والزكاة، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار، واليتيم، والمسكين، والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله ﷺ، وخشية الله تعالى، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضاء بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادات؛ فالعبادة: هي طاعة الله بامثال أوامره، واجتناب نواهيه، وتشمل العبادات الظاهرة والباطنة (العبادات القلبية) من الأقوال، والأفعال الظاهرة والباطنة، ولا تكون إلا لله وحده، ولا تكون إلا مع المعرفة بالمعبود، وتعني: كمال الحب لله مع كمال الذل لله سبحانه، كما قال ابن القيم وهي الغاية من خلق الجن والإنس،



ولها أجر وجاء بصيغة المضارع؛ للدلالة على التجدد، والتكرار، والاستمرار عليها. ارجع إلى سورة الأنبياء، آية (١٠٦)؛ لمزيد من البيان.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله؛ أي: بدلاً من عبادته وحده سبحانه عبدوا غيره من الأصنام، والأوثان التي لا تملك لهم رزقاً من السموات والأرض مهما كان نوعه.

﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ما: اسم موصول، وهي أوسع من الذي للعاقل، وغير العاقل.

﴿لَا﴾: النافية للمستقبل، والحاضر.

﴿يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مثل: المطر، أو الطاقة الشمسية، والنجوم المليئة بالمعادن، والأرض: مثل النبات، والبترو، والغاز، والمعادن... وغيرها. شيئاً: نكرة لا تملك لهم نفعاً، ولا ضراً.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: الاستطاعة: هي القدرة على فعل الفاعل مما يريد من أحداث الفعل.

والقدرة: أعم من الاستطاعة، والاستطاعة: أخص من القدرة، وتكرار (لا): يفيد توكيد النفي.

[٧٤] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد؛ لا: الناهية.

﴿تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾: أي: لا تجعلوا لله شركاء، أو أنداداً، أو تشبهوه بخلقه. تضربوا: من الضرب فيه معنى التهيج، والتأثير في نفس السامع؛ لكي يصل ما يقوله ضارب المثل إلى أعماق نفس المستمع.

والضرب يعني: صوغ المثل، ويعني: نشره على ألسنة الناس.



﴿لِلَّهِ الْأَمْثَالُ﴾: الأمثال: جمع مثل، والمثل: هو قول موجز، أو تشبيه حال بحال يراد به توضيح أمر غامض، أو المقارنة، والموازنة، أو المفاضلة بين أمرين، أو التبيين، أو التمثيل، أو الوصف والصنع، والاتخاذ، والأمثال دائماً تكون من باب المبين (الواضح)؛ فلا تضربوا لله الأمثال؛ فالله سبحانه ينهى عباده أن يضربوا له الأمثال، إنما هو سبحانه الذي يضرب الأمثال؛ أي: لا تشبهوا الله سبحانه بشيء آخر؛ لأنه سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته، وأفعاله، وصفاته، وأسمائه.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: حرف تأكيد.

﴿يَعْلَمُونَ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: هذه هي علة النهي عن ضرب الأمثال لله من قبلكم؛ لأنه سبحانه يعلم بواطن الأمور، وظواهرها، ولا تخفى عليه خافية في الأرض، ولا في السماء، ويعلم الغيب، وما تخفي الأنفس.

﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: جزاء أو عقاب تشبيه الله بالأصنام أو بخلقه أو لا تعلمون كيف تضربوا الأمثال.

[٧٥] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِمَّا رَزَقْنَا حَسَنًا فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

روي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ كان له مولى كافر، وكان عثمان ينفق عليه، ويكفله، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾: ارجع إلى الآية (٧٤) السابقة من نفس السورة.

﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾: أي: عبد مملوك غير حر التصرف؛ عاجز عن السعي، والعمل؛ أي: مقعد.



﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾: أي: على التصرف؛ أي: غير موكل بأن يعمل، أو يشارك، بل مقعد لا يفهم التجارة.

﴿شَيْءٍ﴾: نكرة؛ أي: لا يستفاد منه في شيء. وهذا مثل الآلهة المقعدة لا تفيد، ولا تضر.

﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ﴾: من: ابتدائية، وتشمل الفرد، أو الجمع، وللعاقل.
﴿مِنَارِزَقًا حَسَنًا﴾: أي: السيد الحر الذي رزقه الله رزقاً حلالاً طيباً وافراً.
﴿فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾: أي: يسعى ويعمل في تجارته، وينفق في سبيل الله في شتى المناسبات.

﴿سِرًّا﴾: من دون أن يعلم به أحد.

﴿وَجَهْرًا﴾: ينفق بالعلن، ومن دون رياء.

﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾: هل: للاستفهام التقريري، والسؤال موجه إلى السامع، والجواب إما بنعم، أو لا.

والجواب هنا: لا يستوون.

ولما لم يقل: هل يستويان بصيغة المثني؛ لأن المراد هنا سؤال الجنس (سواء أكان واحداً، أو أكثر) النتيجة واحدة لا يستوون.

فكيف تستوي هذه الأصنام مع هذا العبد الحر؟

أو كيف يسوون بين الله سبحانه مالك الملك، الرزاق الذي يرزق كل مخلوق، أو كل عبد حرٍّ يسعى في تجارته ويربح وينفق، والأصنام العاجزة المقعدة غير القادرة على شيء؟

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: الحمد لله لها عِدَّة معانٍ، ويجب الوقوف عليها.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أنكم عرفتم الجواب: لا يستون.

أو الحمد لله: لأنه لا شريك له.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن الله هو واجب الوجود الذي يستحق العبادة وحده، أو لا يعلمون توحيده، وعظمته وقدره، وهناك أقلية تعلم ذلك.

[٧٦] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾: هذا مثل آخر للأصنام؛ فهي لا تسمع، ولا تتكلم، ولا تضر، ولا تنفع عابديها.

﴿أَبْكَمُ﴾: الذي لا يتكلم، ولا يفهم ما يقوله، ولا يقدر على شيء؛ على النفع، أو الضرر، أو العمل، أو التدبير؛ أي: هو عاجز.

﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾: هو: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد.

﴿كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾: عالة على مولاه: سيده، أو وليه يحتاج إلى المساعدة، والإنفاق عليه؛ لأنه غير قادر على إعالة نفسه.

﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾: يوجهه: يصرفه ليقوم بأمر ما لا خير فيه، أو لا يجيبه ولا يستفاد منه.



﴿لَا﴾: النافية؛ لا منفعة فيه البتة؛ لا يفيد نفسه، ولا غيره.

﴿هَلْ يَسْتَوِي﴾: هل للاستفهام التقريري.

﴿يَسْتَوِي﴾: يشابه، أو يعادل، أو يماثل.

﴿هُوَ﴾: تعود على الأبيكم الذي لا يقدر على شيء، وتمثل الصنم، أو الوثن، أو الآلهة.

﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾: ومن: ابتدائية.

﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾: أي: يقول الحق، أو يدعو إلى طاعة الله وتوحيده، أو يأمر الناس بالعدل: بالقسط.

﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: وهو: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿عَلَى﴾: الدين القيم المستقيم؛ دين الإسلام.

[٧٧] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

وبعد أن بين حقيقة الأصنام، والشركاء، وقال تعالى: بل أكثرهم لا يعلمون عظمتهم، وتوحيده، وقدرته يذكر هنا مظاهر أخرى لعظمته وقدرته، وكمال علمه.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: لله: تقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة؛ يفيد الحصر؛ حصر غيب السموات والأرض له وحده؛ أي: علم الغيب، وعلم ملكوت السموات والأرض؛ لا يشاركه في ذلك أحد.

والغيب: هو كل ما غاب عن العباد؛ عن مدركاتهم الحسية؛ مثل: السمع، والبصر، والعقل، ويشمل ملكوت السموات، والأرض، والجنة، والنار، وقيام الساعة، ومن الغيب ما هو مطلق لا يعلمه إلا الله وحده؛ مثل: قيام الساعة، ومن الغيب ما هو غيب نسبي، غيب أطلع الله بعض رسله عليه.

﴿وَمَا أَمُرُ السَّاعَةِ﴾: وذكر أمر الساعة، وهي لحظة تهدم النظام الكوني الحالي؛ لأنها أهم الأمور الغيبية.

﴿وَمَا﴾: للتأكيد.

﴿أَمُرُ السَّاعَةِ﴾: حدوثها، أو مجيئها، أو الإتيان بها.

﴿إِلَّا كَلَمَجِ الْبَصَرِ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿كَلَمَجِ الْبَصَرِ﴾: وهو النظر بسرعة، أو طرفة الجفن، أو إغماض الجفن (العين)، وفتحها فإذا بك تراها قد قامت.

﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾: من لمح البصر؛ للدلالة على إظهار شأنها العظيم، ولزرع الرهبة والخوف في قلوب الذين لا يؤمنون بها.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: على قيام الساعة، والبعث. ارجع إلى الآية (٢٠) من سورة البقرة؛ للبيان.

[٧٨] ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

ومن مظاهر قدرته سبحانه خلق الإنسان في أطوار مختلفة.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾: أي: أخرجكم من الأرحام.

﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾: لا: النافية.

﴿شَيْئًا﴾: نكرة؛ أي: لا تعلمون شيئاً حين الولادة.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾: أفرد السمع.

﴿وَالْأَبْصَرَ﴾: جمع البصر.



﴿وَالْأَفْعِدَّةَ﴾: قيل: القلوب، أو العقول، والأفئدة بالجمع؛ لأن العقول مختلفة في الفهم، والإدراك، والتأنيج، واختار هذه الحواس الثلاثة؛ لأنها أهم حواس الإدراك.

ارجع إلى سورة البقرة، الآية (٧)؛ لمزيد من البيان، وسورة الملك، الآية (٢٣)، وسبب تقديم السمع على الأبصار، وإفراد السمع وجمع البصر.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لعل: أداة للتعليل؛ أي: لتشكروا المنعم على نعمه، أو لعلكم تستعملنا هذه الحواس؛ لتصلوا إلى معرفته، وتبصروا آثار صنعه، ومن ثم تشكروه على نعمه عليكم. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠)؛ لمزيد من البيان.

[٧٩] ﴿الْمَيْرُوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

هذه صورة أخرى من صور قدرة الله سبحانه وتعالى.

﴿الْمَيْرُوا﴾: ألم: الهمزة: للاستفهام؛ لم: حرف نفي.

﴿يَرُوا﴾: رؤية بصرية، ورؤية فكرية عقلية للتعجب من صنع الله.

﴿إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾: سخر: هيأ لها وجعلها قادرة على الطيران بما أودع الله سبحانه في جو السماء من خصائص، وعناصر تحمل الطير، وبما أودع في الطير من أجهزة، وصفات تجعله يطير في جو السماء، ولا يقع على الأرض؛ مثل: شكل الأجنحة، وأنواع الطيران، وخفة وزن الطائر، وشكل عظام الصدر، وعظام الطير التي تحوي على أكياس هوائية، وقوة عضلات الطيران... وغيرها. ومسخرات: قد تعني مذلات لأمر الله، ومذلات لمنافعكم.

﴿فِي﴾: في: ظرفية.



﴿جَوَّ السَّمَاءِ﴾: أعالي السماء.

﴿مَائِمِسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهَ﴾: ما: النافية.

﴿يُمْسِكُهُنَّ﴾: من السقوط على الأرض.

﴿إِلَّا اللَّهَ﴾: إلّا: أداة حصر؛ إلا الله تعالى؛ فالمسألة ليست فقط مسألة أجنحة، بل ذلك آية من آيات قدرة الله تعالى، وبديع صنعه.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لَآيَاتٍ﴾: اللام: للتوكيد؛ لآيات عظيمة: تدل على عظمة قدرة الخالق، وأنه الإله الحق لا إله إلا هو واجب الوجود الذي يجب طاعته، وعبادته، والتوكل عليه.

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: يستفيد منها الذين يؤمنون بربهم؛ أما الكفار: فقد عميت أبصارهم عن رؤية آيات الله تعالى، وإذا رأتها فهي رؤية معدومة الفائدة؛ لأنها لا تدرك ما ترى.

في هذه الآية (٧٩) من سورة النحل يقول سبحانه: ﴿مَائِمِسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهَ﴾، بينما في سورة الملك آية ﴿مَائِمِسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾.

الاختلاف: في سورة النحل السياق في التوحيد، والنهي عن الشرك؛ فناسب اسم الله الذي يشير على أنه هو المعبود، أمّا في سورة فالملك السياق في الرحمة؛ فناسب ذلك ذكر الرحمن، وفي سورة النحل قال تعالى (مسخرات) كما سبق ذكرها، وفي سورة الملك قال تعالى (صافات). ارجع إلى سورة الملك للبيان.





سُورَةُ الْفُرْقَانِ ١٦

الْبَيْتُ الرَّابِعُ عَشَرَ

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ
الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ
وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَاوَمْتَعًا إِلَى حِينِ
(٨٠) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ
مِنَ الْجِبَالِ آكِنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرِيرًا تَقِيكُمْ
الْحَرَّ وَسَرِيرًا تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٨٢) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا
وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٣) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
(٨٤) وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
يُنْظَرُونَ (٨٥) وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَكَاءَهُمْ
قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا ندْعُو مِنْ دُونِكَ
فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٦) وَالْقَوَا
إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّامِعَاتُ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٧)

سورة النحل [الآيات ٨٠ - ٨٧]

[٨٠] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَثَمَنًا إِلَى حِينٍ﴾:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ﴾: خاصة؛ جعل، صَيَّر، أو أوجد لكم.

﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾: من: الابتدائية.

﴿بُيُوتِكُمْ﴾: جمع بيت، والبيت الذي يبيت فيه أي: يقضي فيه الليل، سواء نام، أم لم ينم، وقد يكون خيمة، أو غرفة واحدة، أو دار.

﴿سَكَنًا﴾: أي: جعل بيوتكم سكنًا؛ أي: للسكون، والراحة، كما أن الزوجة سكن لزوجها، كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الزوم: ٢١].

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾: جعل: صَيَّر، وأوجد لكم من جلود الأنعام بيوتاً مثل الخيام، والأنعام (ثمانية أزواج من البقر، والغنم، والماعز، والإبل).

﴿تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾: مشتقة من خَفَّ يخف عليكم حملها، أو تجدونها خفيفة، وسهلة الحمل يوم سفركم رحيلكم. والظعن: الانتقال من مكان إلى مكان؛ للبحث عن الكلاء، والمرعى، والماء، والعشب.



﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾: يوم استقراركم، وعدم سفركم تجدونها كذلك سهلة البناء، والرفع.

﴿وَمِنْ أَصْوَفِهَا﴾: أصواف الغنم.

﴿وَأَوْبَارِهَا﴾: أوبار الإبل.

﴿وَأَشْعَارِهَا﴾: أشعار الماعز.

﴿أَثْنًا﴾: مثل: الفرش، والأبسطة، واللحف، والستائر.

﴿وَمَتْنًا إِلَى حِينٍ﴾: مثل: الألبسة، والأدوات، والخزائن، والمقاعد، ووسائل للزينة.

﴿إِلَى حِينٍ﴾: الحين: زمن غير محدود؛ زمن طويل، أو قصير، ثم تحتاجون إلى غيرها، وهذا الجمع يذكر بنعم الله تعالى وفضله العظيم على الناس، وكثرة إنعامه.

[٨١] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ﴾: جعل: صير، وأوجد.

﴿مِمَّا﴾: من: ابتدائية بعضية؛ ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

﴿مِمَّا خَلَقَ﴾: من الجبال، والشجر، والبيوت، والسحاب.

﴿ظِلَالًا﴾: جمع ظل: وهو الواقي من بعض أشعة الشمس، أو ما يستظل به من حر الشمس، وهذا يشير إلى أن بعض أشعة الشمس لا تخرق بعض الأجسام؛ كالجبال، والشجر... وغيرها، ولنعلم أن هناك أشعة شمسية أخرى قادرة على

اختراق أي جسم. ارجع إلى الآية (٤٨) من نفس السورة للبيان. وارجع إلى سورة يس آية (٥٦) لمزيد من البيان في معنى الظلال.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكَنَّا﴾: جمع كن: وهو المكان الذي يستتر فيه مثل النفق، أو الكهف.

﴿مِّنَ الْجِبَالِ﴾: من بعض الجبال، وليس كل الجبال.

﴿وَجَعَلَ لَكُم سَرَيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ﴾: سرايل: جمع سربال: وهو القميص مصنوع من القطن، أو الصوف، أو الكتان، واكتفى ولم يذكر سرايل تقيكم البرد؛ لأن ذلك مفهوم من سياق الكلام، وذكر الحر؛ لأن الحر أهم عندهم من البرد؛ لأن الحر أمر دائم، والبرد قلما يحدث.

﴿وَسَرَيلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُم﴾: البأس: الحرب؛ مثل: الدروع تقيكم من الطعن، أو الجراح، أو القنابل، والشظايا.

﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُم لَعَلَّكُم تَسْلِمُونَ﴾: أي: مثلما أنعم الله عليكم هذه النعم كذلك يريد أن يتم نعمته عليكم في الدنيا (نعمة الإسلام والإيمان).

﴿لَعَلَّكُم تَسْلِمُونَ﴾: لعل: للتعليل؛ أي: لتسلموا، وتوحدوا الله، وتخلصوا له، وتؤمنوا بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته؛ إيمان كامل، وليس إيماناً ببعض، وكفراً ببعض.

[٨٢] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْعُ الْمُمِينُ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب؛ إن: شرطية تفيد الاحتمال.



﴿تَوَلَّوْا﴾: ابتعدوا، أو انصرفوا، وأعرضوا عنك، ولم يسلموا، ويؤمنوا بما أنزل الله تعالى بعد كل هذه النعم.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ إنما: كافة، ومكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿عَلَيْكَ الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾: على: تفيد العلو، والمشقة؛ أي: فليس عليك أمر هدايتهم، وإنما عليك البلاغ المبين.

﴿الْبَلَّغُ﴾: هو إيصال الرسالة مع التبيين، أو الأداء على أتم وجه.

﴿الْمُبِينُ﴾: يعني: إيصال الرسالة لكل فرد تستطيع منهم، وغيرهم، وإيصالها كاملة من دون نقصان؛ أي: البلاغ التام الكامل.

[٨٣] ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾:

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾: يتمتعون بكل هذه النعم التي أسبغها الله عليهم مثل البيوت والسرابيل، ولا يشكرون المنعم، بل أو ينكرون ذلك، وهؤلاء يمثلون الأكثرية من الناس، ويظنون أنهم يستحقونها بسبب جهدهم، وعلمهم كما فعل قارون، أو هم ورثوها عن آبائهم، أو غير مطالبين بشكر المنعم، أو لكونهم يظنون أن نعمت الله هي المال فقط. ارجع إلى سورة إبراهيم آية (٢٨) لمعرفة الفرق بين نعمة ونعمت.

﴿ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾: ثم: لبيان فضل الشكر على الإنكار، وارجع إلى سورة الأعراف، آية (٥١)؛ لبيان معنى الجحود، والإنكار.

﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾: أي: هناك أقلية تشكر المنعم، ولا تنكر إنعامه عليهم، وأما الأكثرية؛ فهم الكافرون جمع كافر، والكفر قد يعني: الكفر العقائدي، أو كفر النعم؛ أي: سترها، وعدم الاعتراف بالمنعم، والكافرون جملة اسمية تفيد ثبوت صفة الكفر عندهم.

[٨٤] ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾:

﴿وَيَوْمَ﴾: أي: يوم القيامة، والتَّنْكِير: للتهويل، والتَّعْظِيم.

﴿نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: البعث: هو الإتيان من كل أمة بشهيد، أو المجيء بشهيد، والشَّهيد من كل أمة: هو نبيها الذي أرسل إليها؛ يشهد على نفسه أنه قد بلغ الرسالة لأمرته، ويشهد على أمة أنه قد بلغها، أو يشهد له بالإيمان، والتَّصديق، أو يشهد عليهم بالكفر، والتَّكْذِيب؛ مثلاً سيعث الله تعالى من اليهود موسى شهيداً عليهم، وسيعث الله بـعيسى شهيداً على النَّصَارَى.

﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ثم: للترتيب الذكري؛ بعد البعث لا يؤذن للذين كفروا بالاعتذار، ولا يطلب منهم العُتْبَى.

﴿لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: لا: النافية.

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿كَفَرُوا﴾: في الكلام، أو الاعتذار؛ لأنه ليس لهم عذر صحيح مقبول.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: من أعتبه؛ أي: استرضاه فأرضاه؛ لا يؤذن لهم بطلب العتبي، ولا يسمح لهم، أو يُقبل عتابهم، ولو حاولوا ذلك، أو لا يشير عليهم أحد بأن يطلبوا العُتْبَى.

﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لم يجرؤوا على طلب العتاب بأنفسهم، وإنما طلب لهم العتاب غيرهم، أو شفعائهم. وكلمة يُسْتَعْتَبُونَ: جاءت في ثلاث سور: النحل، الآية (٨٤)، وسورة الروم، الآية (٥٧)، وسورة الجاثية، الآية (٣٥).

وكلمة يُسْتَعْتَبُونَ: جاءت في آية واحدة في سورة فصلت، الآية (٢٤)؛ أي: طلبوا العتاب بأنفسهم؛ لكي يرضى الله عنهم، ويعفو عنهم.



[٨٥] ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف للزمن المستقبل يفيد حتمية الحدوث.

﴿رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ﴾: أي: الذين أشركوا.

﴿الْعَذَابَ﴾: النار، وفي آية أخرى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢].

إذن: هم يروها، وهي تراهم، كما في قوله: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ [الكهف: ٥٣].

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد؛ لا: النافية.

﴿يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾: العذاب.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: تكرار لا يفيد التوكيد، وفصل التخفيف عن الإنظار، فلا يخفف عنهم العذاب من جهة، ولا هم ينظرون من جهة أخرى، ولا كلاهما. ﴿هُمْ يُنظَرُونَ﴾: هم: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿يُنظَرُونَ﴾: يمهلون، أو يؤجلون عن الدخول في العذاب.

[٨٦] ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾: من الذين أضلوهم، وزينوا لهم من شياطين الإنس، والجن التي عبدوها؛ أي: الذين اتبعوا، والذين اتبعوا؛ رأوا سادتهم، وكبراءهم الذين أضلوهم.

﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ﴾: أي: نعبد من

غيرك؛ أي: اعترفوا بشركهم بعد أن حاولوا سابقاً كتم شركهم، وقالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

﴿فَالْقَوْلُ إِلَيْهِمُ الْقَوْلُ إِنَّا كَذِبُونَ﴾: فأنطق الله سبحانه السادة، والكبراء، وقالوا للمشركين: إنكم كاذبون، أو أنطق الله الأصنام والأوثان. ﴿إِنَّا كَذِبُونَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لَكَذِبُونَ﴾: اللام: لزيادة التوكيد؛ كاذبون: جمع كاذب، وهي جملة اسمية تفيد ثبوت صفة الكذب عندهم.

[٨٧] ﴿وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾:

﴿وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ﴾: يوم القيامة.

﴿السَّلَامُ﴾: الاستسلام، والخضوع؛ فهم لم يُسلموا طواعية، واختياراً في الدنيا فها هم يستسلمون قهراً، وقسراً يوم القيامة.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾: غاب عنهم، أو بطل ولم تعد تنفعهم آلهتهم التي يعبدون من دون الله من شيء.

﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي. وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: من الافتراء، وهو الكذب العمد؛ يكذبون عمداً، واختلاقاً في الدنيا؛ كقولهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، أو يقربونا إلى الله زلفى.





سُورَةُ الْحَجَّاتِ ١٦

الْحَجَّاتِ ١٦

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ
الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ
أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ
هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾
وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَقْضُوا الْآيْمَانَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ
اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ
غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا
بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ
اللَّهُ بِهِمْ وَلِيَبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾



سورة النحل [الآيات ٨٨ - ٩٣]

[٨٨] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: منعوا الناس من الدخول في دين الله، أو أضلوهم عن الهداية، والإيمان، وزينوا لغيرهم المعاصي، والابتعاد عن دين الله.

﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾: عذابان: عذاب على الكفر، وعذاب على الصّد عن سبيل الله، والفساد في الأرض.

﴿بِمَا﴾: الباء: باء البدلية، أو السببية؛ ما: مصدرية، أو اسم موصول بمعنى: الذي. وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾: في الأرض بالكفر، وإضلال الناس، وصدّهم عن الإيمان بالله تعالى، وإثارة الفتن، وارتكاب المعاصي، والقتل، والسّرقه... وغيرها.

[٨٩] ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾:

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: هذه الآية تشبه الآية



(٨٤)، مع الاختلاف الآتي: في هذه الآية قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾، بينما في الآية (٨٤): ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾.

فكلمة في: تعني: الشهيد من خارج هذه الأمة؛ أي: شاهد من أمة أخرى.

أما من: فتعني: الشهيد من تلك الأمة نفسها، قلنا: إن الشهيد هنا يعني: النبي الذي بُعث لتلك الأمة؛ فهذا الشهيد النبي يشهد لنفسه، ويشهد على أمة؛ مثل: موسى ﷺ، وعيسى ﷺ، وإبراهيم ﷺ.

أما في الآية (٨٩): ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: أي: من جنسهم من البشر، ومن خارج تلك الأمة مثلاً: يبعث الله شهيداً من أمة محمد ﷺ؛ الأئمة أو أولوا العلم الذين بلغوا منهج الله ليشهدوا على أن موسى قد بلغ أمة الرسالة، أو يشهدوا أن عيسى قد بلغ أمة الرسالة، وهذا يؤكد قول الحق سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وكيف يشهد أحدهم، وهو لم يكن من معاصري تلك الأمة. ارجع إلى الآية (١٤٣) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾: وجئنا بك يا محمد ﷺ شهيداً على هؤلاء؛ أي: على أمتك، وقال: شهيداً، وليس شاهداً؛ لمعرفة الفرق: ارجع إلى الآية (١٣٣) من سورة البقرة.

﴿بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾: بدلاً من القول: وجئنا على هؤلاء بك؛ تقديم

بك الجار والمجرور يدل على الحصر، والاهتمام، وأما تقديم هؤلاء على كلمة بك: فيدل على ضلال تلك الأمة؛ لكونهم أشركوا، أو حرّفوا كلام الله.

﴿هَؤُلَاءِ﴾: الهاء: للتنبيه؛ أولاء: اسم إشارة تشير إلى أمة محمد أمة الإسلام. ارجع إلى الآية (٤١) من سورة النساء؛ للمقارنة.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: ونزلنا؛ أي: منجماً مفرقاً عليك، وليس إليك. ارجع إلى الآية (٤) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿الْكِتَابَ﴾: القرآن الكريم.

﴿نَبِّئْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾: التبيان مصدر مبين؛ أي: المبين لكل شيء.

﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾: شيء: اسم جنس؛ تعني: كل ما يسمّى شيئاً، بيانه في الكتاب (القرآن)، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ويشمل ذلك سنة رسول الله ﷺ قولاً، وفعلًا، وتقريراً.

﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً﴾: ارجع إلى الآية (٦٤) من نفس السورة.

﴿وَبَشِّرِ الْمُسْلِمِينَ﴾: البشري: على وزن فعلى: وهي الخبر السارّ تسمعه لأول مرة، وسمّي بشري من البشارة، والبشرة؛ لأنه يظهر أثرها على الوجه بعلامات السرور، والفرح، وغالباً ما تستعمل في الخير، وإذا ذكرت في سياق الشر فيراد بها التهكم؛ فالقرآن الكريم يُعدُّ بشري للمسلمين.

﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾: السلام: لام الاختصاص؛ أي: يشرهم بالثواب العظيم،

والنعيم الخالد في الآخرة.



[٩٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾:
﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾: العدل: هو إعطاء كل ذي حق حقه، وهو المساواة الكاملة في الأحكام، أو المماثلة، والعدل: هو الحق، وقيل: العدل واجب، أو فرض، وأما القسط في اللغة: فهو الحظ والنصيب، واستعمله القرآن مع الميزان فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الزُّنْتَ بِالْقِسْطِ﴾ [الرحمن: ٩]، والقسط يعني: تطبيق العدل.

﴿وَالْإِحْسَنِ﴾: ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة؛ للبيان، وهو إتقان العمل، والإحسان: تفعله وأنت محب له، والإحسان: لا يقتصر على النفس، بل يتعدى إلى الغير، والإحسان: مندوب.

﴿وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾: إعطاء القربى ما يحتاجونهم من مساعدة.
هذه الثلاثة عوامل هي أدوات لبناء المجتمع، وبالمقابل هناك ثلاثة عوامل تهدم المجتمع: هي الفحشاء، والمنكر، والبغي.

﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾: الزنى؛ لما يسبب من اختلاط في الأنساب، وتدنس الأعراس، والفساد؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

﴿وَالْمُنْكَرِ﴾: ما أنكره الشرع، وحرمه، واستقبحه العقل السليم؛ كالكفر، والشرك، والقتل، وهو باطل.
﴿وَالْبَغْيِ﴾: أخذ حق الغير، والتعدي عليهم بالقهر، والقوة.

﴿يُعِظُكُمْ﴾: من الوعظ: وهو النصيح بالطاعة، والعمل الصالح، والإرشاد إلى الخير، وتذكره بالثواب، والعقاب، والتحذير، والنهي. ارجع إلى سورة النساء، آية (٥٨)؛ لمزيد من البيان.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: لعل: للتعليل.

﴿تَذَكَّرُونَ﴾: ما يعظكم به، ولا تنسونه كما نسيتم ذلك من قبل؛ أي: الأمر بالعدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى.

[٩١] ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾:

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: أي: أتموا عهد الله، والعهد هنا عام، وشامل يشمل كل العهود، ما عهده الله إلى عباده، وما تعاهد عليه الخلق فيما بينهم من بيع، وشراء، ويشمل العقود المؤكدة التي تسمى الميثاق، وأضاف العهد إليه سبحانه مما زاده أهمية وتفخيماً.

﴿إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾: إذا شرطية ظرفية للزمن المستقبل، وتفيد حتمية الحدوث؛ أي: أتموا عهد الله إذا عاهدتم.

﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾: النقض: التخلي، وعدم الوفاء باليمين.

﴿الْأَيْمَانَ﴾: جمع يمين: وهو القسم، أو الحلف بالله، وسميت باليمين؛ لأنهم إذا تحالفوا ضرب كل امرئ منهم يمينه على يمين صاحبه، واليمين يعني: القوة، والقدرة، ومشتقة من يمين الإنسان؛ أي: ذراعه الأيمن الأقوى من شماله.



﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿جَعَلْتُمُ﴾: من جعل، أو صير.

﴿عَلَيْكُمْ﴾: تقديم عليكم: يدل على التوكيد، والقصر.

﴿كَفِيلًا﴾: شاهداً، أو رقيباً، أو حفيظاً وكيلًا.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾: يعلم ما تفعلون في السر، وفي العلن، وما تخفون وتكتمون، ومن الوفاء، أو النقص، وعليم بخفايا صدوركم.

[٩٢] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِمْ وَلِيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخِلَفُونَ﴾:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾: لا: الناهية.

﴿كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾: يضرب الله لنا هذا المثل؛ لبيّن حال الذين ينقضون العهد، والأيمان؛ كالمرأة القرشية الحمقاء التي كانت تقوم بعملية الغزل الذي كان يحتاج إلى جهد عظيم، وزمن طويل، ثم تقوم بعد ذلك بفك الغزل، والنسيج بعد مرور الغزل في مراحل دقيقة من تلاحم الألوان، والخيوط، والقرب من إتمام الصنع.

﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾: أي: بعد عمل شاق يحتاج إلى قوة، كما يحدث في إبرام العقد، أو أخذ العهد الذي يحتاج إلى قوة، وجهد عظيم، ثم يحدث النقص.

﴿أَنكَثًا﴾: محلولاً، جمع نَكَثٍ: وهو ما نُقِضَ وحُلَ فُتِلَ من الغزل؛ ليُغزل ثانية.

﴿لَتَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾: أي: تمكرون، وتخدعون، وتنقضون عهدكم مع الطرف الآخر من أجل جماعة أقوى عدداً، وعدةً، أو فائدة ومصلحة لكم.

﴿دَخَلاً﴾: الدّخل: أن تُدْخِلَ في الشَّيْءِ شيئاً آخر أدنى منه في الجودة في سبيل الغش، والخداع.

﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾: الأمة: جماعة من الناس تجمعهم شريعة واحدة، أو مبادئ ومصالح؛ بغض النظر عن الكم، أو الحيز الجغرافي؛ مثل: القبيلة، أو القوم؛ قبيلة أقوى، أو أغنى من قبيلة أخرى.

أي: تنقضون عهدكم خديعة، ومكرًا مع قبيلة ما لتنضموا، وتدخلوا في تحالف جديد مع قبيلة أخرى أقوى، ولا تتموا عهدكم إلى مدته من أجل المصلحة، والطّمع طلباً للدنيا والسّعة.

﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾: إنما: كافة، ومكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾: به تعود على العهد، والوفاء به، والابتلاء يكون بالوفاء به، أو نقضه بالغدر، والخديعة، وقيل: به قد تعود إلى الكثرة التي تعني كثرة العدد (أربع).

﴿وَلَيَبْيَنَنَّ﴾: الواو: استئنافية؛ ليبينن: اللام: لام التّوكيد، والنّون في بيّنن



حرف النون (زيادة التوكيد)، والفاعل ضمير مستتر تقديره الله؛ ليبين: يوضح لكم، أو يظهر لكم.

﴿لَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أي: لكم خاصة.

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾: ليبين لكم يوم القيامة ما كنتم في الدنيا تَخْلِفُونَ فيه من أمر العهود، والوفاء بها، أو نقضها، والحق من الباطل، ويجازي كلاً على عمله، وفي هذا إنذار، ووعد، وتحذير من مخالفة الوفاء بالعهود.

[٩٣] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَسْتَ لَنْ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: لو: حرف امتناع لامتناع، وجود الجواب لامتناع وجود الشرط.

﴿لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: أي: لهداكم أجمعين سواء بالاختيار، أو القسر، أو كلاهما معاً، أو حملكم على الوفاء بالعهود قسراً، أو جعلكم على دين واحد، أو ملّة واحدة؛ فلا اختلاف، ولا بغضاء، ولا عداوة، وألف بين قلوبكم، ولكن لم يشأ، بل منح لكم العقل، وعرض عليكم الأمانة، وبين لكم الحق، والباطل، وأرسل إليكم رسله، وأنزل إليكم كتبه، وترك لكم الخيار.

﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾: يُضِلُّ؛ أي: من اختار لنفسه طريق الضلال، والإعراض عن منهج الله، واستمر على ذلك وابتعد، عندها يتركه الله سبحانه لما اختاره لنفسه من الضلال والخذلان، وكذلك يعلم سبحانه في علمه الأزلي

أَنَّ هَذَا الضَّالَّ لَنْ يَتُوبَ؛ أَيُّ: يرجع عن كفره فيمدُّ له في الضَّلالة مدًّا، وقدَّم يضل على يهدي؛ لأنَّ الضَّالِّين في الأرض أكثر من المهتدين.

﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: ويهدي من اختار لنفسه طريق الهداية، والطَّاعة، ويمدُّ له، ويزيد في هدايته.

﴿وَلَتُسْأَلُنَّ﴾: اللام: للتوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: عن: للمجاوزة، والابتعاد؛ ما: اسم موصول بمعنى: الذي، أو مصدر. وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿كُنْتُمْ﴾: في الدنيا.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: تقولون، وتفعلون العمل يشمل القول والفعل؛ تعملون: من الضَّلال، أو الاهتداء.

ولو كانت مسألة الهداية، أو الضَّلالة جبرية قسرية؛ لما سألهم عما كانوا يعملون.





سُورَةُ النِّازِعَاتِ ١٦

الْبَيْتُ الرَّابِعُ عَشِيرٌ

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ
هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ
أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ
عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا
سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ
﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

سورة النحل [الآيات ٩٤ - ١٠٢]

[٩٤] ﴿وَلَا تَنۡخِذُواْ أَيْمَٰنَكُمۡ دَخَٰلًا بَيْنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ أَلۡسُوۡءَٰ بِمَا صَدَدْتُمۡ عَنۡ سَبِيلِ اللّٰهِ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌۭ﴾:

﴿وَلَا تَنۡخِذُواْ أَيْمَٰنَكُمۡ دَخَٰلًا بَيْنَكُمۡ﴾: أي: ولا تجعلوا.

﴿أَيْمَٰنَكُمۡ﴾: الأيمان: جمع يمين: وهو القسم، أو الحلف الذي نؤكد عليه؛ فنقول: والله، أو بالله. ارجع إلى الآية (٩١) من نفس السورة؛ للبيان.

﴿دَخَٰلًا بَيْنَكُمۡ﴾: الدخل: هو إدخال شيء في شيء آخر أدنى منه في الجودة للغش، والخداع؛ أي: لا تجعلوا أيمانكم وسيلة للخداع، ونقض العهود طلباً للدنيا، ومتاعها، وسبباً لوقوعكم في الضلال.

﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾: فتزل: الفاء: فاء السببية.

﴿قَدَمٌ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾: أي: لا تنقضوا أيمانكم بالمكر، والخديعة الأمر الذي يؤدي بكم للوقوع في الضلال بعد أن كنتم ثابتين على الاستقامة، والإيمان؛ لأنكم إذا فعلتم ذلك، فلن يبقى هناك من يثق بكم، ويأمن جانبكم، وبذلك لا يدخلون في الإسلام، وتكونون أنتم السبب؛ بسبب نقضكم العهد.

﴿وَتَذُوقُواْ أَلۡسُوۡءَٰ بِمَا صَدَدْتُمۡ عَنۡ سَبِيلِ اللّٰهِ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌۭ﴾: أي:

العذاب الشديد في الدنيا بالمهانة، والاحتقار من قبل الناس، وبما قمتم به من صد الناس عن سبيل الله؛ أي: دين الله بسبب صنعكم، وقد يؤدي الأمر إلى قتلكم، وأسركم، ولكم في الآخرة عذاب عظيم.



[٩٥] ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾: لا: الناهية.

﴿تَشْتَرُوا﴾: تستبدلوا، أو تبيعوا أيمانكم بأي ثمن، أو تبتغون بها عرض الدنيا.

﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: بعهد: الباء: للإلصاق؛ باء: البدلية؛ عهد الله يشمل جميع العهود فيما بين العبد وربّه، وفيما بينه وبين الناس.

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: أي: تنقضوا عهودكم لأجل المال، أو لأيّ عرضٍ دنيويٍّ مهما بلغ وزاد أو عظيم؛ فهو قليل مقارنة بما عند الله سبحانه. وقد ورد الثمن بأنه قليل في تسع آيات في القرآن، وورد مرة واحدة بالثمن البخس كما قال تعالى في سورة يوسف آية (٢٠) ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾، والبخس: يعني الرديء، أو هو ليس من قدر الشيء الذي يبيع.

﴿إِنَّمَا﴾: إن ما: حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد.

﴿عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: عند الله من نعيم، ورضوان، وجنات، وخلود.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أفضل لكم؛ لكم خاصة: اللام: لام الاختصاص.

﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الشك؛ أي: الشك أنكم تعلمون ذلك.

﴿كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: ما هو النافع من الضار، والباقي من الزائل.

[٩٦] ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

﴿عِنْدَكُمْ﴾: من رزق، ومال، ومتاع، وسمعة، وجاه، وقوة، وما تستعمل للشيء غير المحدد؛ أي: عامة، أو كل ما عندكم.

﴿عِنْدَكُمْ﴾: ينتهي، ولا يبقى منه شيء؛ يفنى، والفناء فناء آخر الشيء بعد فناء أوله.

﴿وَمَاعِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾: دائم لا ينقطع.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُنَّ﴾: اللام: للتوكيد، ونون النسوة: لزيادة التوكيد.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: ابتغاء وجه ربهم؛ الذين: اسم موصول يفيد المدح، والتعظيم، وصبروا على الطاعة، واجتناب النواهي، وصبروا على البلاء، والمحن، والبأساء، والضراء، وصبروا على الوفاء بعهودهم، وإتمام المدة.

﴿يَأْخُذْنَ﴾: الباء: البدلية للإلصاق.

﴿مَا﴾: تستعمل للشيء غير المحدد عامة لذوات غير العقلاء، ولصفات العقلاء.

﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: في الدنيا.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: تشمل الأقوال، والأفعال، ولم يقل: الذي كانوا يعملون؛ الذي: تستعمل للشيء المعلوم (المعرف)، أو الخاص.

[٩٧] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾: من: شرطية.

﴿عَمِلَ صَالِحًا﴾: من الفرائض، والنوافل، والصدقات، وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر... وغيرها.



﴿مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْثَى﴾: من: ابتدائية استغرافية؛ تستغرق؛ أي: تشمل كل ذكر، وأنثى، والمفرد والمثنى والجمع.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: وهو: الواو: تفيد التوكيد؛ هو: ضمير فصل يفيد التوكيد أيضاً؛ أي: قرن العمل الصالح بالإيمان، فالأعمال الصالحة لا تقبل، أو تنفع إلا إذا اقترنت بالإيمان بالله تعالى.

﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾: فلنحيينه: الفاء: للتوكيد، واللام: لزيادة التوكيد.
 ﴿حَيَوةً طَيِّبَةً﴾: تعريف الحياة الطيبة يختلف فيه العلماء، وجاءت بصيغة النكرة؛ لتشمل كل عنصر من عناصر، أو مقومات الحياة الطيبة، والتي تشمل الناحية المادية، والمعنوية، ومن دون خوف، وقلق، بل الرضا بقضاء الله وقدره والاستقرار والأمن والتوكل على الله، والقناعة... وغيرها. ومنهم من قال: الحياة الطيبة: هي حياة الجنة، ومنهم من قال: الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة؛ أي: الجنة أيضاً، والفرق بين الحياة والمعيشة: أن الحياة أعم من المعيشة؛ أي: تشمل المعيشة التي تعني الأكل والشرب والنوم واللباس وغيرها، وعكس الحياة الطيبة المعيشة الضنكا، كما ورد في سورة طه آية (١٢٤) ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾: اللام، والنون: للتوكيد.

﴿أَجْرَهُمْ﴾: الأجر مقابل العمل.

﴿بِأَحْسَنِ﴾: الباء: للإلصاق، أو باء البدلية؛ أحسن: أفضل على وزن أفعّل.

﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، أو مصدرية، وما:

عامة شاملة غير محدّدة.

﴿كَانُوا﴾ في الدنيا.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: العمل يشمل القول، والفعل؛ أي: ما كانوا يقولون، أو يفعلون.

لنقارن هذه الآية (٩٧) من سورة النحل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

مع الآية (٧) من سورة العنكبوت: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

في سورة النحل: من عمل صالحاً: نكرة، ذكر أو أنثى؛ لذلك جعل الجزاء عاماً؛ فجاء بـ(ما)؛ فقال: بأحسن ما (للعام) كانوا يعملون.

في سورة العنكبوت: والذين آمنوا وعملوا الصالحات: الذين آمنوا، وعملوا الصالحات: معرفة؛ فجاء بأحسن الذي: اسم موصول يفيد المعرفة، أو جاء الجزاء خاص بهم؛ أي: استعمل ما: للعام، واستعمل الذي: للخاص والمعرفة.

[٩٨] ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾: فإذا: الفاء: للتوكيد؛ إذا: ظرف زماني للزمن المستقبل، ويتضمن معنى الشرط، وتفيد حتمية الحدث، وكثرته.

﴿قَرَأْتَ﴾: أي: إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله، والقراءة قد تعني: كلمة واحدة. أما التلاوة: فأصلها إتياع الشيء بالشيء؛ يقال: تلاه تبعه، والتلاوة: تكون من كتاب الله تعالى فقط، أما القراءة: تكون من الصحف، أو الكتب... وغيرها.

﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾: تعني: اللجوء، والاعتصام، والاستجارة بالله تعالى؛ ألا يلبس عليك الشيطان، أو يخلط عليك قراءتك، أو يمنعك من تدبر آيات الله تعالى: بالسوسوسة، والتزيين. واستعذ: السين والتاء: تعني الطلب؛ أي: اطلب



العون من الله سبحانه، واسم الله يمثل كل صفاته، ولكن تكون الاستعاذة كاملة بكل صفات الله جاء باسم الله، ولم يقل استعذ بالرحمن، أو القوي العزيز أو غيره من الأسماء؛ لأن اسم الله يمثل كل أسمائه الحسنی.

﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾: ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة البقرة؛ لمعرفة معنى: الشيطان.

﴿الرَّجِيمِ﴾: مشتقة من الرجم، وله معانٍ مختلفة؛ منها: اللعن، والطرده من رحمة الله تعالى.

[٩٩] ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾:

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ﴾: إنه: إن: للتوكيد.

﴿لَيْسَ﴾: للنفي.

﴿لَهُ﴾: تعود على الشيطان.

﴿سُلْطَانٌ﴾: أي سلطان؛ سواء أكان سلطان الحُجَّة والبرهان، أم سلطان القهر والغلبة؛ أي: ليس للشيطان أي سلطان مهما كان نوعه.

﴿عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: هذه بشرى للذين آمنوا؛ أي: ليس للشيطان عليهم أي سلطان.

﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: تكرار (وعلى): تفيد العلو، والسمو.

﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾: من التوكل. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لمزيد من البيان.

[١٠٠] ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ﴾: إنما: كافة ومكفوفة؛ تفيد التوكيد.



﴿سُلْطَنُهُ﴾: سلطان القهر، والغلبة، أو سلطان الحُجَّة، والإقناع.

﴿عَلَى الَّذِينَ﴾: على: تفيد العلو، والمشقة.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿يَتَوَلَّوْنَهُ﴾: يتخذونه ولياً؛ يطيعون أمره، ويتبعون خطواته، ويخضعون لوساوسه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾: والذين: تكرارها يفيد التوكيد، وفصل كلاً من الذين يتولونه، والذين هم به مشركون.

﴿بِهِ مُشْرِكُونَ﴾: به: تعود على الله، والذين هم بالله مشركون، أو به: تعود على الشيطان؛ أي: بسببه أشركوا بالله.

[١٠١] ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفَرِّجٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف للزمن المستقبل تفيد حتمية الحدوث.

﴿بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾: أي: نسخنا حكماً بحكم آخر، أو آية بآية أخرى، كما قال الحق: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾: جملة اعتراضية، والله أعلم بما ينزل: من الآيات.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق؛ ما: اسم موصول بمعنى: الذي. وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿يُنَزِّلُ﴾: بصيغة المضارع؛ للدلالة على التكرار، والتجدد، وينزل:



منجماً على دفعات، وليس جملة واحدة، والله ينسخ، ويثبت بما يصلح خلقه، ويخفف عن عباده حسب حكمته، ومشيئته.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾: قالوا؛ أي: الذين كفروا.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة؛ تفيد التوكيد، والحصر.

﴿أَنْتَ﴾: ضمير تفيد التوكيد.

﴿مُفْتَرٍ﴾: من الافتراء: وهو الكذب المتعمد المخلوق؛ أي: أنت تخلق من نفسك.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: بل: للإضراب الإبطالي.

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: الحكمة من النسخ، أو التبديل، وهناك أقلية تعلم، ويقولون: كل من عند ربنا.

[١٠٢] ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾:

هذه الآية ردّاً على الذين افتروا أنّ رسول الله اختلق القرآن، أو تقوّله.

﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾: أي: القرآن؛ نزله من نزل، أي: من الله تعالى، أو من اللوح المحفوظ.

﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾: الروح الأمين جبريل ﷺ منجماً على طوال (٢٣ سنة) بالتدرج.

وصف بالقدس لطهارته؛ فهو حمل الرسالة الإلهية إلى الرسل، ووصف بالروح الأمين؛ لأنه نزل بالروح (بالقرآن) كما قال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].



﴿مَنْ رَبِّكَ﴾: وليس مفترئ، كما قالوا.

﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: على إيمانهم؛ اللام: لام التوكيد (التعليل)؛
يثبت: تعني: الاستقامة، والالتزام على دين الله، والإيمان، فلا ترغ قلوبهم بعد
الهداية، فلا يضلوا، ولا يضعف إيمانهم.

﴿وَهُدَىٰ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾: ارجع إلى الآية (٦٤-٨٩) من نفس
السورة.

﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾: بالنجاة من النار، والفوز بالجنة، أو بالفلاح في
الدارين.

ونظير هذه الآية جاء في الآية (٩٧) من سورة البقرة: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا
لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

وفي الآيات (١٩٢-١٩٥) من سورة الشعراء: ﴿وَلَنُنَزِّلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾
نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾.





سُورَةُ النِّجْمِ ١٦

الجزء الرابع عشر

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ
الَّذِي يُذَكِّرُوكَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ
اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ
﴿١٠٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ
وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا
فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ
وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ
الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي
الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثَمَّ جَاهِدُوا
وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنَ بَعْدِهَا غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾

سورة النحل [الآيات ١٠٣ - ١١٠]

[١٠٣] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتوكيد؛ أي: تحقق ذلك، وحدث.

﴿نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾: إنما: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد؛ حيث يمكن أن تكون الآية نعلم أن كفار مكة وغيرهم أنهم يقولون: يعلمه بشر. ﴿يَقُولُونَ﴾: ولم يقل: قالوا؛ لأنهم استمروا في قولهم، وتجدد، وتكرر هذا القول بينهم يقولون: إنما يعلمه بشر (أحد من الناس).

﴿بَشَرٌ﴾: اسم جنس: يشمل المفرد والمثنى والجمع، والذكر والأنثى مشتقة من البشري، والبشارة؛ أي: حسن الهيئة؛ يقال: رجل بشر؛ أي: حسن الهيئة، أو تعني: الظهور، أو علو شأنهم، ومنزلتهم، أو من الظهور، أو من كون لا تغطيهم الأشعار.

وكلمة بشر: نكرة؛ لأنهم ليسوا على يقين من هو ذلك البشر الذي يعلم رسول الله ﷺ، وتضاربت الآراء عندهم حول اسمه في تسعة أقوال؛ قالوا: هو غلام لبني عامر يقال له: يعيش كان يقرأ التوراة؛ فقالوا منه يتعلم محمد ﷺ كما روي عن ابن عباس، وقالوا: غلاماً لعامر بن الحضرمي واسم يسار (أبا فكيهة)، وقال: عبد الله بن مسلم الحضرمي كان لنا غلامان روميان أحدهما يسار والآخر



جبر، وكانا يضعان السيوف بمكة ويقرآن الإنجيل؛ فكان النبي يمر بهما وربما استمع إليهما فظن المشركون أنه يتعلم منهما.

﴿لَسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي﴾: لسان: العرب تستعمل لسان بمعنى اللغة؛ لأن اللسان: هو وسيلة الكلام؛ أي: ولغة الذي يلحدون إليه.

﴿يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾: وتقرأ ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء وتقرأ (يلحدون) بفتح الياء والحاء؛ أي: يميلون إليه، ويشيرون إلى اسمه، أو يزعمون أنه يعلمه، وأصل الإلحاد الميل يقال ألحد في القبر؛ أي: أمال حفرة عن الاستقامة واستعملت للقول ألحد في دينه أو ألحد في قوله، وبشكل عام الإلحاد هو: الميل.

﴿أَعْجَمِي﴾: أي: في لسانه عجمة؟ أي: الذي تزعمون أنه يعلم رسول الله ﷺ هو أعجمي، وليس عربياً، وزيدت الياء: للتوكيد، والأعجمي: قيل في تعريفه: من لا يتكلم العربية، أو لا يفصح، ولا يُبين الكلام، حتى وإن كان أصله عربياً.

والعجمي: هو من أصله عجمي، وإن كان يتكلم العربية الفصحى.

﴿وَهَذَا﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة، ويشير إلى القرآن الكريم.

﴿لَسَانُ عَرَبٍ مَبِيتٌ﴾: أي: وهذا القرآن نزل بلسان عربي بلسان قريش باللغة العربية الفصحى.

﴿مَبِيتٌ﴾: واضح، وظاهر لكل فرد لسانه؛ أي: لغته العربية، ومبين: لا يحتاج إلى دليل، أو برهان؛ لإثبات ذلك؛ لأنه واضح من قراءته.

[١٠٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

هذه الآية جواب للذين قالوا: إنما أنت مفتري، كما ورد في الآية (١٠١)، والآية (١٠٣) من نفس السورة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا﴾: إنَّ: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: لا: يصدقون بآيات الله.

﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: بآيات: الباء: للإلصاق؛ آيات الله القرآنية، أو الكونية، أو المعجزات، أو البينات، والدلائل على وحدانيته، وعبوديته.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: ولم يقل: آمنوا: يدل على عدم إيمانهم المتجدد، والمتكرر.

﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾: هداية المعونة، أو الهداية الخاصة.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿لَا يَهْدِيهِمُ﴾: لأنهم أنفسهم اختاروا طريق الضلالة، واستمروا عليه؛ لا يهديهم إلى الصراط المستقيم، أو إلى سبيل الرشد، والإيمان.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: ولهم: اللام: لام الاستحقاق، هم: ضمير يفيد التوكيد.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: عذاب شديد الإيلام، كمّاً ونوعاً؛ عذاب: نكرة؛ ليدل على هوله، وعظمته.



[١٠٥] ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾:

هذه الآية، والآية السابقة هي - كما قلنا - جواب للذين قالوا الرسول الله ﷺ: إنما أنت مفتر، وقالوا: إنما يعلمه بشر.

﴿إِنَّمَا﴾: إنما: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿يَفْتَرِي الْكَذِبَ﴾: أي: لست أنت المفتر؛ إنما الذين لا يؤمنون بآيات الله هم الذين يفترون الكذب، وأولئك هم الكاذبون؛ الافتراء: هو الكذب المختلق المتعمد.

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾: وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام، وأولئك: اسم إشارة، واللام: للبعد؛ يشير إلى شناعة كذبهم.

﴿هُمُ﴾: للتوكيد: الكاذبون: جمع كاذب، وصفة الكذب ثابتة عندهم لا ينفكوا عنها؛ لأن المؤمن الحق لا يكذب.

وتكرار الذين لا يؤمنون بآيات الله مرتين يفيد التوكيد مرة على قولهم إنما أنت مفتر، ومرة ثانية على قولهم: إنما يعلمه بشر، والخلاصة: الذين لا يؤمنون بآيات الله أولاً: لا يهديهم، ثانياً: لهم عذاب أليم، ثالثاً: هم الكاذبون.

[١٠٦] ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿مَنْ﴾: شرطية للعاقل؛ تعني: المفرد، أو الجمع، أو المثنى.

﴿كَفَرَ بِاللَّهِ﴾: كفر إلحاد بوجود الله، ووحدانيته بعد أن دخل في الإسلام.

﴿بِاللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق. ارجع إلى سورة البقرة آية (٦) للبيان.

﴿مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾: من: تفيد المباشرة، مباشرة من بعد إيمانه وإسلامه.

﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾: إلا: أداة حصر، أو استثناء؛ أي: إلا من أكره على الكفر، وقلبه مطمئن بالإيمان.

﴿مَنْ﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

﴿أَكْرَهَ﴾: بأن أصبحت حياته في خطر مهدد بالقتل، أو العذاب، والفتنة، فأكره على التلفظ بالكفر، أو كلمة الكفر؛ فقالها لفظاً، ولكن قلبه مطمئن بالإيمان.

﴿مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾: مليءٌ بالإيمان، واليقين بالله تعالى، ورسوله ﷺ.

سبب نزول الآية: قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر بعد أن قتل المشركون أباه ياسر، وأمه سُمَيَّةَ، وهما أول قتيلين في الإسلام، ولما جاؤوا إلى عمار أعطاهم ما أرادوا بلسانه من أجل التقية.

فمن أكره على الكفر، وقلبه مطمئن بالإيمان، فهو أمام خيارين:

الأول: أن يصمد ويصدع بالحق، وإذا قتل، أو مات مات شهيداً في سبيل الله.

والثاني: أن يأخذ بالتقية، ويستخدم الرخصة على شرط أن يكون قلبه مطمئن بالإيمان، وأما إذا أكره على الكفر، وأمر بأن يقتل أحداً؛ فلا يجوز فعل ذلك، والامتناع، والصبر.



﴿وَلَكِنْ مَنْ﴾: لكن: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿مَنْ﴾: شرطية، أو اسم موصول، وتعني العاقل، والمفرد، أو الجمع.

﴿شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾: أي: نطق بكلمة الكفر، وهو راضٍ وغير مبالي بها، أو سعيد بها، أو طابت نفسه بها.

﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾: على: تعني: الجميع.

﴿غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾: سبحانه في الدنيا؛ الغضب: أشد من اللعن الذي هو الطرد من رحمة الله تعالى. غضب من الله: جملة اسمية تدل على ثبوت لعنة الله عليهم، ولا رحمة، ولا مغفرة لهم.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: اللام: لام الاختصاص، هم: للتوكيد.

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في الآخرة، وهو أشد أنواع العذاب، والعظيم: العذاب الذي يشمل الأليم، والشديد، والمهين، والمقيم.

[١٠٧] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة؛ يشير إلى الوعيد أن غضب الله عليهم، ولهم عذاب عظيم.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء: للتعليل؛ أنهم: للتوكيد.

﴿اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾: لم يقل: أحبوا، وإنما استحبوا؛ أي: تكلفوا، وغالوا في حبها؛ أي: حبهم زاد عن الحب الطبيعي، بل انغمسوا، وأوغلوا في حبها، وساروا في طريق الشهوات، والملذات، وآثروا الحياة الدنيا على الآخرة.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: وأن: تفيد التوكيد؛ لا: النافية

للجنس.

﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: الَّذِينَ اخْتَارُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَأَصْرُوا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَعِدْ لَهُمْ أَمَلٌ فِي تَرْكِ الْكُفْرِ.

[١٠٨] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، وتشير إلى سوء حالهم، ومنزلتهم. ﴿الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: الطَّبَعَ: أَشَدَّ مِنَ الْخَتْمِ؛ فَلَا يَدْخُلُ قُلُوبُهُمْ أَيُّ إِيمَانٍ، وَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَيُّ كُفْرٍ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَلَمْ يَقُلْ: وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى شِدَّةِ الطَّبْعِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ.

﴿وَسَمِعِهِمْ﴾: السَّمْعُ: وَسِيلَةٌ مِنْ وَسَائِلِ الْإِدْرَاكِ، وَالْخَتْمُ عَلَى سَمْعِهِمْ يَعْنِي: فَلَا يَسْمَعُوا الْوَحْيَ، أَوِ الْقُرْآنَ، وَلَا الْمَوْعِظَةَ، وَلَا الْبَيِّنَاتِ، وَأَفْرَدَ السَّمْعَ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ الْمَسْمُوعَ هُوَ نَفْسُهُ بِالنِّسْبَةِ لِكُلِّ فَرْدٍ، وَقَدَّمَ السَّمْعَ عَلَى الْأَبْصَارِ؛ لِأَنَّ السَّمْعَ أَهَمُّ مِنَ الْبَصَرِ، وَخَلَقَ السَّمْعَ قَبْلَ الْبَصَرِ. ارْجِعْ إِلَى الْآيَةِ (٧) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَالْآيَةِ (٢٣) مِنْ سُورَةِ الْمَلِكِ؛ لِمَزِيدٍ مِنَ الْبَيَانِ.

﴿وَأَبْصَرِهِمْ﴾: جَمَعَ الْأَبْصَارَ؛ لِأَنَّ كُلَّ عَيْنٍ تَرَى أَشْيَاءَ مُغَايِرَةٍ لِلْآخِرِ.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾: أُولَئِكَ: ارْجِعْ إِلَى أُولَئِكَ فِي مَطْلَعِ الْآيَةِ نَفْسِهَا.

﴿هُمُ الْغَافِلُونَ﴾: هُمْ: ضَمِيرٌ فَصْلٌ يَفِيدُ التَّوَكِيدَ؛ أَيُّ: إِذَا كَانَ هُنَاكَ غَافِلُونَ فَهَمُ أَغْفَلُهُمْ، وَلَا أَحَدٌ أَغْفَلَ مِنْهُمْ، أَوِ الَّذِينَ غَفَلْتَهُمْ تَامَةً كَامِلَةً.

﴿الْغَافِلُونَ﴾: جَمَعَ غَافِلٍ، وَغَافِلُونَ تَفِيدُ أَنَّ صِفَةَ الْغَفْلَةِ ثَابِتَةٌ، وَمُلَازِمَةٌ لَهُمْ، وَلَنْ يَصْحُوحَا مِنْهَا، وَيَعُودُوا إِلَى رَشْدِهِمْ؛ الْغَافِلُونَ عَنِ الْآخِرَةِ، وَالْبَعْثِ،



والحساب، والغافلون عن عاقبة أمرهم، ومصيرهم، وما لهم في الآخرة، وما ينتظرهم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان في معنى: غافلين.

والخلاصة: هؤلاء المرتدون الذين كفروا بعد إيمانهم، وانشروحت صدورهم بالكفر عليهم غضب الله، ولهم عذاب عظيم، ولهم خمس صفات استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، وحرموا من الهداية، وطبع الله على قلوبهم، وسمعهم، وأبصارهم، وهم من الغافلين والخاسرين.

[١٠٩] ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾:

﴿لَا جَرَمَ﴾: لا محالة، ولا بُدَّ، أو حقاً من جرم. ارجع إلى الآية (٦٢) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.

﴿أَنَّهُمْ﴾: أن: للتوكيد.

﴿فِي الْآخِرَةِ هُمُ﴾: هم: ضمير يفيد التوكيد.

﴿الْخَاسِرُونَ﴾: جمع خاسر؛ خسروا أنفسهم بأن أوردوها النار، وقد تشمل أهلكهم؛ أي: حقاً، أو لا محالة هم الخاسرون. وإذا قارنا هذه الآية من سورة النحل مع الآية (٢٢) من سورة هود، وهي قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ فالأخسرون: هم أشد خسارة من الخاسرون والأخسرون؛ إذا نظرنا في سياق الآيات تعني: الذين صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم، أما الخاسرون جاءت في سياق الذي صد نفسه فقط، ولم يصد غيره، فالأخسرون يضاعف لهم العذاب كما ورد في سياق الآيات مقارنة بالخاسرون.

[١١٠] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: تدلُّ على تباعد حال هؤلاء من أولئك الذين كفروا وشرحوا بالكفر صدراً.



﴿إِنَّكَ رَبَّنَا﴾: إِنَّ: للتوكيد.

﴿لَلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: للذين: اللام: لام الاختصاص.

﴿هَاجَرُوا﴾: من مكة إلى المدينة. ارجع إلى الآية (٤١) من نفس السورة؛

لمزيد من البيان.

﴿مِنْ بَعْدٍ﴾: من بعد: منذ زمن قريب.

﴿فَتَنُوا﴾: أي: عذبوا؛ لأنهم أسلموا؛ فتنا: عن دينهم؛ ليكفروا، أو

يرتدوا.

﴿ثُمَّ جَاهَدُوا﴾: ثم: للترتيب الذكري؛ أي: قاتلوا مع رسول الله ﷺ

بعد الهجرة.

﴿وَصَبَرُوا﴾: على دينهم، وجهادهم، أو صبروا على الطاعات، وتجنب

المحارم، وصبروا على الفتنة، والبلاء.

﴿إِنَّكَ رَبَّنَا مِنْ بَعْدِهَا﴾: من بعد الفتنة، أو الهجرة، أو المجاهدة.

﴿لَعَفُورٌ﴾: اللام: لام التوكيد؛ غفور: كثير الغفر: وهو السّتر، ومحو

الذّنْب؛ غفور: كمّاً وكيفاً؛ يغفر الذنوب جميعاً؛ إلا الشرك والكفر بالله.

﴿رَحِيمٌ﴾: بهم، رحيم: على وزن فعيل؛ رحيم بهم في الآخرة، ورحيم:

خاصة بالمؤمنين؛ لم يجعل لهم العقوبة؛ لعلهم يتوبوا وينيبوا إلى ربهم فيغفر لهم.





سُورَةُ الْحَجِّ ١٦

الْحَجَّ الرَّابِعُ عَشْرَةَ

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا أَنْعَمَ اللَّهُ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَاتَىٰ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

سورة النحل [الآيات ١١١ - ١١٨]

[١١١] ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: منصوب جاء بصيغة النكرة؛ ليدل على هول ذلك اليوم، وعظيم أحداثه، ويعني: يوم القيامة.

﴿تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾: كل إنسان له نفس واحدة، وهذه النفس لها حق الاختيار في أن تفعل، أو لا تفعل، ما أمرها ربها في الدنيا، أما في الآخرة فيصبح كل إنسان يجادل عن نفسه؛ أي: يدافع، أو يحاول الاعتذار ليخلص نفسه من العذاب، ولا يهتمه شأن غيره؛ يقول: نفسي نفسي، والنفس الأولى: هي عينها، أو ذاتها النفس الثانية.

﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾: تعطى كل نفس جزاء عملها تاماً غير ناقصاً؛ مما عملت من خير، أو شر. ما عملت، ولم يقل: ما كسبت؛ العمل: أعم من الكسب، العمل يشمل الكسب وغيره.

﴿مَّا﴾: حرف مصدري، أو بمعنى الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: هم: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿لَا﴾: النافية للجنس.

﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾: وإن كان مثقال حبة من خردل؛ لا يظلمون: ينقص شيئاً



من حسناتهم، أو يُزاد إلى سيئاتهم سيئة، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩]، أو ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَفِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤].

[١١٢] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾:

بعد أن هدّد الله سبحانه الكفار، والمرتدين بالغضب، والعذاب العظيم في الآخرة؛ يهددهم في هذه الآية بآفات الدنيا، وما يمكن أن يحل بهم إذا كفروا بأنعم الله.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾: ارجع إلى الآية (٧٤) من نفس السّورة؛ لمعرفة معنى ضرب المثل، وضرب الأمثال يكون من باب المُبين.

﴿قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾: قرية: قيل: هي مكة، كما قال أغلب المفسرون، والعبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب.

﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾: من الخوف من الاعتداء، والقتال.

﴿مُطْمَئِنَّةً﴾: عندها مقومات الحياة الطيبة، والمستقرة.

﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾: لا يحتاج أهلها إلى الانتقال والترحال طلباً للرزق، رزقها يأتيها من كلّ مكان من الثمرات، والمنتجات، والطعام، والشراب، ومن متاع الدنيا في رحلة الشتاء، والصيف من الشام، واليمن.

﴿رَغَدًا﴾: الرغد: العيش الهنيء الواسع.

وقدّم الأمن على الرّزق؛ لأنّ الرّزق لا يأتي إلا إذا توافرت الطرق الآمنة؛ لوصول الرّزق، والسّفَر، والتنّقل من دون خوف.

﴿فَكَفَرْتَ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾: الفاء: تدل على الترتيب، والمباشرة؛ كفرت بأنعم الله؛ أي: الربانية الظاهرة؛ أي: جحدت النعم، وأنكرت توحيده، وأشركت به، وكذبت برسوله محمد ﷺ، واستعملت نعم الله تعالى في سبيل التصدي، ومنع الناس من الدخول في الإسلام، والصّد عن سبيل الله بدلاً من شكر المنعم، والثناء عليه.

وكلمة أنعم: وردت مرتين في كل القرآن في هذه الآية، والآية (١٢٠) من نفس السورة، والأنعم: جزء من النعم؛ النعم: شاملة للظاهرة والباطنة، أما الأنعم: فهي الظاهرة.

﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب؛ إذا نظرنا في هذه الآية نجد ثلاثة أسئلة:

الأول: لماذا استعمل كلمة: أذاقها بدلاً من مسها الجوع والخوف؟
الجواب: لأن التذوق يعني: تمكن الطعام من الامتصاص أو التسرب إلى اللسان؛ أي: جسم الإنسان، وأما المس: فهو الإصابة الخفيفة التي قد لا يكون لها أثر، فالتذوق أشد من المس؛ فيدل ذلك على أن الجوع والخوف قد أثر فيهم، وترك آثاره لزمن طويل، وكذلك التذوق قد يكون مرأ كما هو الحال في بعض الأطعمة، وكذلك الجوع والخوف كان مرأ مكروهاً عندهم.

والثاني: لماذا شبه الجوع، والخوف باللباس؟ لأن اللباس يحيط بالجسم كاملاً، وكذلك أحاط بهم الجوع والخوف، وتمكن منهم، فالكل أصيب بالجوع والخوف معاً.

والثالث: لماذا قدّم الجوع على الخوف؟ أولاً: لأن الجوع أشد على الإنسان من الخوف؛ أي: يمكن أن يتحمل الإنسان الخوف، ولكن لا يتحمل



الجوع. ثانياً: لأن الجوع يسبق الخوف، أو يؤدي إلى الخوف حيث أن الجوع قد يؤدي إلى السرقة والقتل، وهذا بدوره يؤدي إلى الجريمة والخوف.

فالمس يعني: الإصابة الخفيفة، والذوق يعبر عن الإصابة الأشد؛ فأذاقها تعني: الجوع؛ أي: أجاعها، والجوع: أقوى الحواس، وأشد ألماً وحساً من المس؛ فلذلك استعمل الذوق. ارجع إلى سورة هود، آية (٩)؛ لمزيد من البيان.

واستعمل لباس الجوع، والخوف: لشدة الجوع؛ أي: الحرمان من الطعام، والذي استمر عدة سنين، والخوف الذي حل بمكة، وقريش؛ فعندما يقل الطعام يحتاج الجسم إلى الطاقة الحرورية، وعندما تنقص السكريات في الجسم؛ مما يؤدي إلى التحول إلى استعمال الدهون (المادة الشحمية)؛ كمصدر للطاقة، وإذا استمر الجوع يؤدي في النهاية إلى استعمال البروتينات في توليد الطاقة، وعندها تظهر على الجسم علامات شدة الجوع على البشرة الجلدية التي تجف، وتنكمش، وتتغير معها ملامح الوجه، ويظهر الشحوب، ويقل وزن الإنسان، ويصبح متعب مرهق.

فالجوع الشديد تصاحبه تغيرات في البشرة، واللون، والجسم، والوزن، تغيرات ظاهرية تشبه باللباس الذي يحيط بالإنسان، كما أحاطت مظاهر شدة الجوع بجسم الإنسان، وهذا ما حدث لقريش أصابهم الفقر الشديد في سبع سنين؛ فكانوا يأكلون الجيف، والعظام.

وأما الخوف الشديد، فكذلك يؤدي إلى تغيرات في جسم الإنسان تؤدي إلى فرز هرمونات تؤدي إلى إثارة نهايات الأعصاب التي تقبض مسام البشرة، وبالتالي مما يؤدي بالخائف إلى اضطرابات في عدد ضربات القلب، ويقشعر جلده، ويتغير لونه، وبالتالي تحيط تلك التغيرات بكامل الجسم، وهذه التغيرات العامة الناتجة عن الخوف تشبه اللباس الذي يحيط بالإنسان؛ فقد كانت قريش

تعيش حالة غير آمنة مهددة من القبائل الأخرى، واليهود، والرَّعب الَّذِي بثَّه اللهُ في قلوبها، وهذه الآية من آيات الإعجاز العلمي الطَّبي في القرآن الَّذِي يدل على عظمة القرآن، وأنَّه منزل من الخالق.

والجواب على السَّؤال الثالث: أمَّا تقديم الجوع على الخوف؛ فلأنَّ الإنسان يحتاج إلى الطَّعام قبل الأمن؛ لأنَّ الجوع إذا اشتدَّ قد يؤدِّي إلى السرقة، أو القتل أحياناً، وإشاعة الخوف، والرَّعب في قلوب النَّاس؛ فقدَّم الأهم أولاً، وهو الجوع على الخوف.

﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾: بما: الباء: باء البدلية، أو السَّبية.

﴿يَصْنَعُونَ﴾: ولم يقل: يعملون؛ لأنَّهم أصبحوا على درجة عالية من ممارسة الشُّرك والكفر، والإصرار عليه، ومعاداة الرِّسول ﷺ، وأصبحوا ماهرين لا يفوقهم أحد، فهم تجاوزوا مرحلة العمل إلى مرحلة الصَّنْع، والصَّنْع: هو حسن العمل؛ أي: أصبحوا راسخون في صناعة الكفر؛ أي: تفتَّنوا في الكفر، والشُّرك، ولم يكتفوا بذلك؛ فحاولوا قتل رسول الله ﷺ؛ فدعا عليهم رسول الله فاستجاب الله تعالى لرسوله ﷺ، وألبسهم لباس الجوع، والخوف.

[١١٣] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾:

بعد أن ذكر الله سبحانه في الآية السابقة ﴿فَكَفَرْتَ بِأَنْعَمِ اللَّهِ﴾، ومن أعظم نعم الله تعالى التي كفروا بها هي أن: ﴿جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾: لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتوكيد؛ أي: تحقق ذلك.

﴿جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾: جاءهم، ولم يقل: أتاهم، جاء فيها معنى: المشقة، والصَّعوبة، والإتيان: فيها معنى السَّهولة، وجاء يعني: وصل إليهم، جاءهم



على فترة من الرّسل، وكانت أخلاقهم أخلاق الجاهلية. جاءهم: ليقوم ويصلح فسادهم، ومبادئهم.

﴿مَنْهُمْ﴾: من العرب من قریش يعرفونه وعاش بينهم ولقبوه بالصادق الأمين.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب؛ كذبوه ولم يصدقوا به، ويتبعوه.
﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾: فأخذهم: الفاء: للترتيب والمباشرة؛ الجوع، والخوف، ولم يقل: فأخذهم الله بالعذاب؛ قال: أخذهم العذاب؛ كأنّ العذاب نفسه يريد أن ينقض عليهم؛ لأنّهم عاملوا رسول الله ﷺ بالمعاملة السيئة.
﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾: وهم: الواو: واو الحالية للتوكيد، وهم: ضمير للتوكيد.

﴿ظَالِمُونَ﴾: جمع ظالم: كافرون، ومشركون صفة الظلم أصبحت ثابتة عندهم. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٤) لمعرفة معنى الظلم.
[١١٤] ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُفْرَ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾:

الخطاب هنا في هذه الآية للمؤمنين ليأكلوا من الرّزق الحلال الطّيب، أو الخطاب موجّه لقریش بعد أن أكلوا الجيف، وأصابهم لباس الجوع، والخوف.
﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾: لأنّهم كانوا قبل نزول هذه الآيات لا يتورّعون عن أكل ما حرّم الله، أو أكل الخبيث؛ فجاءت هذه الآية تحثهم على أكل الطيبات؛ أي: الحلال والطاهر. ارجع إلى سورة الأنفال، آية (٦٩).

وكذلك كانوا لا يشكرون نعمه، فجاءت هذه الآية؛ لتحذرهم أن يقعوا مرة أخرى فيما وقعوا به سابقاً، وتحثهم على شكر المنعم.

﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾: إن: شرطية تفيد الشك.

﴿إِيَّاهُ﴾: إياه: للحصر، والتوكيد.

﴿تَعْبُدُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٧٣) من نفس السورة، وفي الآية حث على العبادة، والاستمرار عليها.

[١١٥] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾: التي خرجت منها الروح، سواء أكانت منخقة، أو موقوذة، أو متردية، أو نطيحة، أو ما أكل السَّبُع، أو قتلت بوسائل أخرى، أو ماتت لكبر سنّها، أو ماتت لمرض؛ فكل هذه الأسباب تؤدي باللحم إلى التلفسّخ، والفساد نتيجة موت الخلايا لنقص الأوكسجين، وتحلل الأنسجة، وسرعة انتشار الميكروبات والجراثيم، وحدوث الخثرات الدموية في الأوعية والأنسجة.

﴿وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾: والدم: يحمل كل نفايات الجسد السامة، والمواد الكيماوية، والمركبات الضارة؛ مثل: البولة الدموية التي يحاول الجسم التخلص منها، وكذلك البكتريا، والدمّ الجاري المسفوح حرم شربه، واستعماله بأيّ وسيلة، ومستثنى من ذلك الكبد والطحال، ولحم الخنزير؛ لأن الخنزير حيوان قذر ونجس يأكل القاذورات، ولحمه بؤرة مناسبة لنمو الفيروسات والبكتريا والديدان التي هي متعايشة مع الخنزير فلا تؤثر عليه، وكذلك لحمه يحوي على



نسبة عالية من الحموض الدهنية غير المشبعة، والحماية على الكولسترول، ومسببات الأمراض، ومنها ارتفاع الضغط، والبرودة الجنسية.

﴿وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: بأن ذكر اسم غير اسم الله عليه عند ذبحه؛ مثل: اسم اللات، والعزى، أو اسم هذا الولي، أو ذاك بدلاً من القول باسم الله، والله أكبر؛ فقد أثبتت التجارب العلمية على أن تذكية الحيوان بالذبح كما شرع الله يؤدي إلى زيادة في تصفية لحم الحيوان من الدم، وكذلك ذكر اسم الله عليه عند الذبح، والقول باسم الله والله أكبر يؤدي إلى مزيد من تصفية اللحم من الدم نتيجة الاختلاجات الناتجة عن الذبح والتكبير، وبذلك يكون أطهر وأطيب للجسم، ونذكر بعض الحكمة من التحريم.

﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾: أن يأكل عليه أن لا يكون باغ ولا عاد. ارجع إلى سورة المائدة، آية (٣)؛ للبيان.

﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: أي: ليس عنده بدائل عن أكل الميتة، أو غيرها من المحرمات؛ أي: يأكل طعام يسد رمقه.

﴿وَلَا عَادٍ﴾: يأكل غير متجاوز حد حاجته؛ أي: لا يملأ بطنه، وإنما يأكل لسد رمقه.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: فإن: الفاء: للتوكيد؛ إن: لزيادة التوكيد.

﴿غَفُورٌ﴾: لأنه يغفر الذنب للمضطر، وغفور: كثير الغفر؛ أي: الستر، يغفر الذنوب جميعاً.

﴿رَحِيمٌ﴾: لإعطاء الرخصة بالأكل من الميتة، والدم، ولحم الخنزير في حالة الاضطرار التي قد يؤدي إلى التهلكة.

[١١٦] ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾:

﴿وَلَا تَقُولُوا﴾: لا: النّاهية.

﴿تَقُولُوا﴾: هذا حلال، وهذا حرام.

﴿لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾: أي: لا تصفوا الشيء بالكذب، وتقولوا: هو حلال، أو حرام؛ مثال: لا تصفوا البحيرة، والسّائبة، والوصيلة، أو الحام بالكذب، أو تقولوا: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا، ومحرم على إناثنا، وتقولوا: هو حلال، أو هو حرام من دون الاستناد إلى دليل شرعي.

﴿لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: لتفتروا: اللام: لام التعليل؛ لتقولوا عن الحلال حرام، والحرام حلال، أو تحلوا، أو تحرموا حسب أهوائكم، أو ما وجدتم عليه آباءكم؛ لتفتروا على الله الكذب بدلاً من: لتفتروا الكذب على الله؛ تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، والقصر.

﴿الْكَذِبَ﴾: جاء بألف التعريف؛ لأنّه كذب معروف؛ مثل: البحيرة، والسّائبة، والوصيلة، والحام، أو الميتة، ولم يقل: كذباً بصيغة النكرة الذي يشمل كلّ أنواع الكذب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول؛ يفيد الذم.

﴿يَفْتَرُونَ﴾: من الافتراء: وهو الكذب المخلوق المتعمّد، ويفترون: بصيغة المضارع الدالة على التّجدد، والتّكرار.



﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: يكذبون على الله سبحانه؛ يقولون: هذا ما حَرَّمَ الله، وهو تعالى لم يحَرِّمه، أو بالعكس.

﴿لَا يَفْلِحُونَ﴾: لا: النافية.

﴿يَفْلِحُونَ﴾: في الدنيا، والآخرة، والفلاح: النجاة من النار، والفوز بالجنة؛ أي: لن ينالوا الخير، وينجوا من النار. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥)؛ للبيان.

[١١٧] ﴿مَتَّعْ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿مَتَّعْ قَلِيلٌ﴾: التمتع، والفائدة التي حصلت من جِراء الافتراء على الكذب؛ متاع قليل، وزائل، ولن يدوم طويلاً.

﴿وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: شديد الإيلام في الآخرة؛ غير قادر على تحمُّله أحدٌ.

[١١٨] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله سبحانه ما حَرَّمَ مشركو مكة افتراء على الله، وقالوا: هذا حلال، وهذا حرام؛ يذكرنا الله سبحانه ما فعله الذين هادوا من قبل.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾: كان كل الطعام حلالاً لهم، ثم حَرَّمَ الله عليهم ما قصصنا عليك يا محمد ﷺ، والسؤال: لماذا قدم (على) في هذه الآية بدلاً من (وحرمنا على الذين هادوا)؟ للدلالة على أن ذلك التحريم خاصاً بهم، ولم يكن محرماً في شريعة إبراهيم عليه السلام، وإنما حرم عليهم ابتداءً عندما صدوا عن سبيل الله، وأخذوا الربا، وأكلوا أموال الناس بالباطل عندها حرم عليهم كل ذي ظفر وشحوم البقر والغنم، وهذا التحريم كان خاصاً بهم دون غيرهم.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: أي: ما ذكرناه في سورة الأنعام، الآية (١٤٦)، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾: لأن سبب التحريم: هو ظلمهم، وصددهم عن سبيل الله، وغيرها من الأسباب التي ذكرها الله سبحانه في سورة النساء، الآية (١٦٠-١٦١)؛ فقد قال تعالى: ﴿فَيُظْلَمُونَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْباطِلِ﴾، وكذلك: اتخاذهم العجل، ونقضهم ميثاقهم، فكانت هناك الأسباب الكثيرة التي أدت إلى التحريم، ولم يكن ظلماً من الله سبحانه.

﴿وَلَكِنْ﴾: وما ظلمهم الله، ولكن: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بما ارتكبوا من المعاصي، وبيغيهم، وطغيانهم.





سُورَةُ النِّازِعَاتِ ١٦

الجزء الرابع عشر

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِلنَّعْمَةِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ
﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ
اختلفوا فيه وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِ لَهُمُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ
لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ
﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾



سورة النحل [الآيات ١١٩ - ١٢٨]

[١١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للتوكيد، أو للترتيب الذكري.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لِلَّذِينَ﴾: للذين: اللام: للاختصاص؛ الذين: اسم موصول.

﴿عَمِلُوا السُّوءَ﴾: كفروا بأنعم الله، وافتروا على الله الكذب بالتحليل، والتحریم، والكفر، والشرك، وسمي سوءاً لسوء عاقبته.

﴿بِجَهْلَةٍ﴾: الباء: للإلصاق؛ جهالة: أي: عملوا السوء مع العلم بالعقوبة، أو عاقبة أمرهم، ولكنهم تغافلوا عنها سفهاً، وطيشاً، وتهاوناً لنيل الشهوة العاجلة، ولو فكروا، وتدبروا لما فعلوا ذلك، وقيل: كل عاص هو جاهل حين معصيته، أو سُموا جهالاً لكونهم ارتكبوا المعصية، والجهل ناتج عن عدم العلم.

إذن: الفرق بين الجهل، والجهالة: الجهل: هو عدم العلم بالعقوبة مثلاً، والجهالة: هي العلم بالعقوبة، ولكن لم يتجنبها سفهاً، وحماسة أصابته حين قام بها.

﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: ثم: للبعد، والتباين بين الحاليين عمل السوء، والتوبة، والإصلاح.



﴿تَابُوا﴾: استغفروا ربهم، وتابوا، وكفوا عن عمل السوء، ولم يعودوا إليه، وندموا على ذلك، وعملوا الصالحات.

﴿مَنْ﴾: تفيد قصر الزمن، أو الفترة؛ أي: تابوا مباشرة بعد عمل السوء.

﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: أي: بعد عمل السوء بزمان قصير، ولمعرفة أركان التوبة ارجع إلى سورة النساء، آية (١٧-١٨).

﴿وَأَصْلَحُوا﴾: إصلاح ما أفسدوا بأقوالهم، وأفعالهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾: إن: للتوكيد.

﴿رَبَّكَ﴾: المربي، والخالق، والمدبر.

﴿مَنْ بَعْدِهَا﴾: من بعد التوبة، والإصلاح.

﴿لَنَغْفُرَ﴾: اللام: للتوكيد؛ غفور: كثير المغفرة يغفر لهم ذنوبهم، وما عملوا من السوء، وغفور؛ أي: كثير المغفرة يغفر الذنوب جميعاً إلا الشرك، والكفر.

﴿رَحِيمٌ﴾: كثير الرحمة لا يعجل لهم العقوبة لعلمهم يتوبون، ويعودون إلى رشدهم. رحيم: تخص المؤمنين بأنه رحيم بهم في الدنيا، وفي الآخرة.

[١٢٠] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾:

المناسبة: بعد ذكر الذين كفروا بأنعم الله، وافتروا على الله الكذب بالتحريم، والتحليل، والشرك، وذكر الذين هادوا وما حرم عليهم، يذكرهم بجدهم إبراهيم عليه السلام الأسوة الحسنة التي يجب اتباعها، وأنه تعالى أوحى إلى نبيه محمد ﷺ باتباع ملة إبراهيم عليه السلام.



﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾: إِنَّ: للتوكيد.

﴿كَانَ أُمَّةً﴾: الأُمَّة: هنا تعني: الإمام كقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، أو فلان أمة في مقام أمة؛ أي: جماعة من الناس في الطاعة، والعبادة، والخير فيه خصائص الأمة.

﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾: مطيعاً لله قائماً بأوامره، وخاشعاً لله.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً عن الملل الباطلة إلى الدين الحق.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: لم: نافية تنفي النفي المتصل إلى زمن التكلم، وتنفي الاستمرار.

﴿يَكُ﴾: ولم يقل: يكن؛ يك: أقل من يكن، وأدنى منها؛ أي: لم يشرك بالله، ولو أدنى الشرك.

[١٢١] ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجْتَبَنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾:

﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾: بينما أنتم يا أهل مكة كفرتم بأنعمه، وأنكم تزعمون أنكم على ملة إبراهيم، وإبراهيم عليه السلام كان شاكراً لأنعم الله.

الأنعم: هي أخص من النعم، وتعني: النعم الظاهرة؛ فهو شاكراً لأنعم الله الظاهرة. والنعم: تعني الظاهرة والباطنة، وشاكراً لأنعمه: أي: بعض نعيمه؛ لأن شكر النعم كلها لا يستطيع عليها أحد، كما إن إحصاؤها لا يقدر عليه أحد، كذلك شكرها، والنعم: جمع كثرة، والنعم: جمع قلة مقارنة بالنعم.

﴿أَجْتَبَنَاهُ﴾: مأخوذ من جبيت الشيء: إذا أخلصته لنفسك وجبيت الماء



في الحوض؛ إذا جمعتَه، أو خصه الله بنعم خاصة به، أو الاجتباء يكون بعد الاختيار: اختاره للنبوّة، وأن يكون خليلاً للرحمن.

﴿وَهَدَنُهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: هداه هداية خاصة، هداية المعونة إلى الإسلام، الصّراط المستقيم الذي لا عوج فيه.

والصّراط: تعني: الواسع، والموصل إلى الغاية، وهي النّجاة من النّار، والفوز بالجنة بأقصر زمن، ومسافة، ومن دون عوائق.

[١٢٢] ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِينَ﴾:

﴿وَأَتَيْنَاهُ﴾: من الإيتاء: وهو العطاء من دون تملك، وإمكانية استرداد ما أعطي، والإيتاء: أعم من العطاء، ويشمل الأشياء الحسية، والمعنوية.

﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: قيل: الحسنة في الدّنيا تعني: الثّناء عليه من قبل جميع أهل الأرض، ومحبتهم له، والحسنة: هي الذّكر الحسن، أو الثّناء الحسن، والصّلاة عليه المقرونة بالصّلاة على محمّد ﷺ، وقيل: الحسنة هي النّبوة.

أو هي الدّرية الطّيبة: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [النّكبت: ٣٧]، وجاء بصيغة النّكرة؛ لكي تشمل كلّ أنواع الحسنات، ولمعرفة معنى الحسنة: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٠١)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَإِنَّا﴾: إنّ: للتوكيد؛ أي: إبراهيم.

﴿فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِينَ﴾: في: ظرفية زمانية، ومكانية.

﴿لَمِنَ﴾: اللام: للتوكيد، والاختصاص.

﴿الصّٰلِحِينَ﴾: ارجع إلى سورة البقرة، الآية (١٣٠).

لنقارن هذه الآية من سورة النحل: ﴿وَأَيَّدْتُهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

مع الآية (٢٧) من سورة العنكبوت: ﴿وَأَيَّدْتُهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

استعمل أجره بدلاً من حسنة؛ لأن في سورة العنكبوت: ذكر تبليغ الرسالة، والدعوة إلى التوحيد فيها ذكر العمل المتواصل، ولذلك ذكر الأجر المقابل للعمل به.

بينما في سورة النحل: لم يذكر أي دعوة، أو تبليغ لإبراهيم، وإنما ذكر محاسن إبراهيم، ولذلك ليس هناك ذكر للأجر المقابل للعامل.

[١٢٣] ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: تفيد التباعد، والتراخي في الزمن بين زمن إبراهيم، وزمن رسول الله ﷺ، أو التباعد، والتباين بين منزلة الرسول ﷺ، وإبراهيم عليه السلام.

﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: من الوحي: هو الإعلام بخفاء أخبرناك يا محمد ﷺ. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لبيان معنى: أوحينا إليك.

﴿أَنْ﴾: أن: مصدرية تفيد التعليل، والتوكيد.

﴿اتَّبِعْ﴾: الخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ، وأُمته.

﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾: شريعة إبراهيم الحنيفية السمحة؛ شريعة التوحيد، والإسلام. ارجع إلى سورة إبراهيم، آية (١٣)؛ لمزيد من البيان في معنى الملة.

﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً عن الملل الباطلة إلى الدين الحق، دين التوحيد.



﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: وما: الواو عاطفة؛ ما: نافية. ما كان من المشركين: تأكيد لقوله تعالى حنيفاً.

﴿وَمَا كَانَ﴾: تنفي عنه الشّرك نفيّاً يشمل كلّ الأزمنة، وبكل أنواعه، وفي الآية (١٢٠) نفى عنه مقداره؛ فقال: لم يك من المشركين.

[١٢٤] ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾:

المناسبة: وأنتم كذلك اتبعوا ملة إبراهيم ﷺ، ولا تختلفوا كما اختلف اليهود في السبت.

واختيار يوم الجمعة كان دليلاً على اتباع محمد ﷺ؛ ملة إبراهيم حنيفاً؛ لأن إبراهيم كان قد اختار يوم الجمعة في شرعه، بينما اليهود اختاروا يوم السبت الذي لم يكن من شرع إبراهيم.

فقد قال موسى لهم: تفرغوا لعبادة الله يوم الجمعة؛ فرفضوا ذلك، واختاروا يوم السبت، فرجعوا إلى أحبارهم؛ فقال أحبارهم: اسمعوا لأمر نبيكم؛ فأبوا فذلك اختلافهم، كما روي عن ابن عباس.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿جُعِلَ السَّبْتُ﴾: فرض تعظيم السبت، والانشغال بالعبادة فيه، أو جعل وبال تركه حُجَّةً على الذين اختلفوا فيه.

﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾: على الذين اختلفوا: أي: اليهود.

﴿فِيهِ﴾: قد تعود إلى اختيارهم يوم السبت للتفرغ للعبادة بدلاً من الجمعة، أو تعود إلى إبراهيم.

الَّذِينَ اختلفوا فيه؛ أي: اليهود، والنصارى، هل كان يهودياً أم نصرانياً، وإذا كان الاختلاف يرجع إلى السَّبْت؛ فقد كان اختلافهم بينهم، وبين نبيهم موسى ﷺ، وليس بين اليهود بعضهم مع بعض؛ لأنَّ الكلَّ اختار السَّبْت، أمَّا موسى ﷺ فقد اختار الجمعة؛ فخالفوه، واختاروا السَّبْت؛ فجعل السَّبْت حُجَّةً على الَّذِينَ اختلفوا فيه.

وقد تعود إلى القرية التي كانت حاضرة البحر؛ إذ يعدون في السَّبْت بأن أحلوا الصيد منه، فاختلف أصحاب القرية، فانقسموا إلى ثلاث طوائف. ارجع إلى سورة الأعراف، الآيات (١٦٣-١٦٦).

﴿عَلَى﴾: تفيد العلو، والمشقة؛ أي: كان عاقبة اختيارهم للسبت ليس لمصلحتهم، وإنما عليهم.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: ليحكم: إن واللام: تفيدان التوكيد.

﴿لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: بين اليهود أنفسهم؛ بين أهل الملة الواحدة بالمجازاة على أعمالهم.

﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: أي: سيجازي هؤلاء الذين خالفوا أمر نبيهم، ويجازي الذين أحلُّوا حرمة، واصطيادهم يوم السَّبْت، والذين عظموا حرمة.



[١٢٥] ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾:

بعد أن أمر الله سبحانه نبيه محمد باتباع ملة إبراهيم حنيفاً؛ جاءت هذه الآية لتبين كيف يتم منهاج الإتيان، وبالتالي الدعوة إلى دين الله وشرعه.

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: ادع: من الدعوة، والدعوة كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية: الدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا.

وقيل: الدعوة إلى الله: تتضمن الأمر بكل ما أمر الله به، والنهي عن كل ما نهى الله عنه.

وقيل: الدعوة: هي إبلاغ الناس، ودعوتهم إلى الإسلام بالوسائل، والأساليب المناسبة لكل زمان، ومكان.

﴿سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: هو الإسلام؛ أي: دين ربك، والإسلام كما جاء في حديث جبريل ﷺ حين قال لرسول الله ﷺ: أخبرني عن الإسلام؟ قال ﷺ: «أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج إلى البيت إن استطعت إليه سبيلاً». رواه مسلم عن عمر بن الخطاب.

والإسلام لغة: يعني: الخضوع، والاستسلام، والانقياد لله رب العالمين اختياراً لا قسراً؛ أي: الخضوع الاختياري لله رب العالمين.

وقيل: هو مجموع ما أنزل الله سبحانه على رسوله محمد ﷺ من أحكام العقيدة والشريعة، والأخلاق، والعبادات، والمعاملات في القرآن والسنة.

﴿بِالْحِكْمَةِ﴾: لها تعريفات كثيرة منها: هي إصابة الحق بالعلم، والعقل، وقد تعني: النبوة والرسالة.

وقيل: هي القرآن، أو الفقه في الدين، ومعرفة الأحكام، والتفسير، والتأويل، وتطلق على الحق، وعلى البصيرة، والإصابة في القول والفعل.

وقيل: هي القول المناسب في الوقت المناسب، والأسلوب المناسب. وقد تعني: مزيج من كل هذه التعاريف؛ أي: الصواب، والسداد، والحق، والعلم، والعدل، والحلم، والقرآن، والسنة، والباء بالحكمة تعني: باء الإلصاق، والاستعانة.

﴿وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ﴾: والموعظة: مأخوذة من الوعظ، وهو زجر مقترن بتخويف.

وقيل: التذكير بالخير بأسلوب الترغيب، والترهيب، والموعظة تشمل: القول، والفعل، والنصح بالطاعة، والعمل الصالح، والإرشاد إلى الخير، والتذكير بالثواب، والعقاب، والتحذير، والنهي. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٠١)؛ لمعرفة معنى الحسنة.

﴿وَجَدَلْهُمْ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: أي: الدعوة تكون بالحكمة، والموعظة الحسنة أولاً وأخيراً؛ أي: مقصورة أولاً على الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال يضاف إلى وسائل الدعوة إذا لزم الأمر واحتيج إليه، وعندها فليكن بالتي هي أحسن.

والجدال: مشتق من الجدَل: أصلها القتل؛ فتل الجدل، واصطلاحاً: هو حوار بين طرفين، أو أطراف؛ لإثبات حق، أو إظهار حجة، أو دفع شبهة،



والجدال: أشد من الحوار؛ قد تحدث فيه مخاصمة، وغضب. ارجع إلى سورة غافر، آية (٤).

﴿بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: أي: أحسن الطرق في المجادلة، وهي الرفق، واللين، واليسر، وتجنب الغضب، والتكبر، والمراء.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾: إن: للتوكيد.

﴿رَبَّكَ هُوَ﴾: هو: للتوكيد، والحصر.

﴿أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾: أعلم: على وزن أفعل صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم.

﴿أَعْلَمُ بِمَنْ﴾: بمن: الباء: للإلصاق؛ من: اسم موصول؛ من: للعاقل، وتشمل المفرد، أو الجمع.

﴿ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾: تاه، وضاع، ضل عن دينه، وعن الصراط المستقيم.

﴿ضَلَّ﴾: فعل ماض، خرج عن دينه أيام، أو أسابيع، أو شهر، وسنين، وسار في طريق الكفر، أو المعصية بسبب قلة علمه، وهواه، والشيطان. وإذا قارنا هذه الآية من سورة النحل مع الآية (١١٧) من سورة الأنعام وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾: جاءت بصيغة المضارع التي تدل على التجدد والتكرار. ارجع إلى سورة الأنعام آية (١١٧) لمزيد من البيان.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾: وهو: تكرر يفيد التوكيد.

﴿بِأَلْمُهْتَدِينَ﴾: أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين منذ الأزل حتى قبل خلقهم، وهو أعلم بالسائرين على الصراط؛ أي: دينه؛ أي: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن، وما عليك

إلا البلاغ، وهون عليك، واصبر، واعلم: أن أمر الهداية الخاصة بيد الله تعالى يهدي من اختار لنفسه طريق الهداية، ويضل من اختار لنفسه طريق الضلال.

[١٢٦] ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾:

قال ابن عباس، وجمهور المفسرون: إن سورة النحل سورة مكية؛ إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة بعد قتل العباس، وهي: (١٢٦، ١٢٧، ١٢٨) نهاية سورة النحل.

وسبب النزول: بعد انتهاء معركة أُحُد: رأى رسول الله ﷺ حمزة رضي الله عنه وقد مُثِّلَ به، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، وتوعد رسول الله ﷺ المشركين بالثأر لحمزة؛ فنزلت هذه الآية.

المناسبة: بعد أن أمر الله تعالى نبيه محمد ﷺ بالدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة؛ يأمر الله كذلك نبيه بالعدل، والمماثلة في القصاص، وبالصبر على المصائب، والبلاء، أو التسامي إلى درجة الصّفح، والعفو بدلاً من المقابلة، والمماثلة في القصاص؛ فقال: ولئن صبرتم لهو خير للصابرين.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الافتراض، أو نادرة الحدوث، وكأنّ المعنى الأفضل ألا تعاقبوا، ولم يقل: وإذا، التي تفيد الحتمية، وكثرة الحدوث، والتأكيد.

﴿فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾: أي: للمقتصّ حق المماثلة؛ أي: يماثل الجاني.



﴿فَعَاقِبُوا﴾: الفاء: فاء السببية، وقد ورد هذا المعنى في سورة البقرة، الآية (١٩٤): ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾.

﴿وَلَيْنَ صَبْرَتُمْ﴾: ولئن: اللام: للتوكيد؛ إن: شرطية تفيد الاحتمال، والندرة. ﴿لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾: لهو: اللام: للتأكيد؛ أي: الصبر خير من الانتقام، أو العقوبة، وفيه حثٌ على الصبر، والعفو لنيل الثواب، والأجر.

﴿لِلصَّابِرِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أي: صبركم خيرٌ لكم من معاقبتكم الجاني.

[١٢٧] ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾:

﴿وَأَصْبِرْ﴾: الخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ، وبالتالي إلى أمته، أو إلى الجميع بالصبر على الأذى، والبلاء، وعدم الانتقام، صبراً وأنت قادر على الانتقام، والثأر؛ أي: صبراً ليس بسبب الضعف، والجبن، ولكنه صبر تطوع ابتغاء مرضاة الله؛ الصبر له درجات، وأنواع؛ انظر في ملحق هذه الآية؛ للبيان.

﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾: وما: النافية.

﴿إِلَّا بِاللَّهِ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿بِاللَّهِ﴾: أي: استعن بالله على الصبر؛ فإن لم يصبرك؛ فلن تصبر؛ لأنه هو المعين على الصبر، ولو قال: واصبر، وما صبرك إلا لله؛ أي: اصبر ابتغاء وجه الله، أو مرضاة الله.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: لا: الناهية.

﴿تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ﴾: أي: لا تحزن على قومك إن لم يؤمنوا، أو لا تحزن على كفرهم، وشركهم، وعنادهم، أو ما فعلوا بك يوم أُحُدٍ. ارجع إلى سورة الأنعام، آية (٣٢)؛ لمعرفة معنى الحزن، والحزن.

﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾: ولا: الواو: عاطفة؛ لا: الناهية.

﴿تَكُ﴾: أي: لا يكن في صدرك أي ضيق مهما قلّ، أو صغر، وحذف النون، ولم يقل: ولا تكن في ضيق مما يمكرون، كما في الآية (٧٠) من سورة النحل: إشارة إلى أقل الضيق مما يمكرون؛ أي: اطمئن وهون عليك، ولا تهتم بمكرهم، ولو أقل الاهتمام، وأدناه، ولتعريف المكر: ارجع إلى الآية (٤٦) من سورة إبراهيم.

﴿يَمْكُرُونَ﴾: جاء بصيغة المضارع؛ لتدل على تجدد، وتكرار مكرهم، وأنه لن يتوقف.

ارجع إلى الآية (١٢) من سورة هود؛ لمعرفة الفرق بين ضائق صدرك، وضييق، وضيق مما يمكرون.

والصبر: خمس مراتب: صابر، مصطبر، متصبر، صبار، صبور.

صابر: اسم فاعل لفعل صبر.

مصطبر: مليء بالصبر مداوم على الصبر، اصطبر: داوم على الصبر.

متصبر: يحمل نفسه (يجاهد) على الصبر.

صَبَّار: صيغة مبالغة كثير الصبر في الكم.

صبور: صيغة مبالغة كثير الصبر كيفاً عنده كل أنواع الصبر.



أنواع الصَّبْر: صبر على طاعة الله، وصبر عن المعصية، وصبر على الشَّدائد،
والمصائب.

وأما الصَّبْر الجميل: الصَّبْر الَّذِي لَا شَكْوَى فِيهِ، وَإِذَا اشْتَكَى لَا يَشْتَكِي إِلَى
أَحَدٍ إِلَّا اللَّهَ فَقَطْ حَصراً.

اصبروا: على الدِّين، والتَّكاليف الشَّرعية، وعلى تجنب المعصية، وعلى
القضاء، والقدر.

صابروا: أَشَدُّ مِنْ اصبروا؛ كُنْ أَكْثَرَ صَبْراً مِنْ عَدُوكَ: ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل
عمران: ٢٠٠].

صابروا: أعداءكم.

وهناك صبر بالله كقوله تعالى في هذه الآية: واصبر وما صبرك إلا بالله؛
أي: استعن بالله؛ أي: اعلم أَنَّهُ هُوَ الْمُصْبِرُ إِنْ لَمْ يُصْبِرْ هُوَ؛ فَلَئِنْ تَصْبِرَ.

صبر لله: صبر لوجه الله ابتغاء مرضاة الله؛ الباعث على الصَّبْر: هُوَ مَحَبَّةُ
اللَّهِ، وَمَرْضَاتِهِ كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢].

صَبْرٌ مَعَ اللَّهِ: صَبْرُ الصَّادِقِينَ: هُوَ أَصْعَبُ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ؛ صَبْرٌ وَفْقاً لِأَمْرِ اللَّهِ
تَعَالَى، وَمَحَارَمِهِ؛ صَبْرٌ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَاجْتِنَابِ الْمَحْرَمَاتِ، وَالشَّدَائِدِ؛ صَبْرُ
التَّسَامِيِّ إِلَى دَرَجَةِ الصَّفْحِ، وَالْعَفْوِ كقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ
عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

[١٢٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾:

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: لِلتَّوَكُّيدِ.

﴿مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾: مع: أصلها اسم لمكان أو زمان، ومع تعني: ضم الشيء إلى الشيء، أو اسم معناه الصحبة، كما جاء في لسان العرب؛ أي: إن الله سبحانه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون بعلمه وبرعايته وبالقرب منهم، وكونه معهم فهو شرف لهم. التقوى خاصة بالفرد نفسه، تقواه تعود بالفائدة عليه نفسه.

والتقوى: أعلى درجة من الإيمان، والتقوى: هي امتثال أوامر الله تعالى، وتجنب نواهيه.

الإحسان لا يقتصر على الفرد نفسه، بل يتعداه إلى غيره.

فالإحسان: أعلى درجة من التقوى.

والإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فالذين اتقوا لهم جزاء، ولهم معية مع الله سبحانه، كل حسب درجته.

والمحسنون: لهم جزاء، ولهم معية مع الله سبحانه، كل حسب درجته.

والإحسان: يشمل الكم، والكيف، والمحسنون: أصبحت صفة الإحسان

عندهم ثابتة لا تتغير. ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة؛ لمعرفة المزيد عن الإحسان.





سورة الإسراء ١٧

الجزء الخامس عشر

سورة الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا
عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ
وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمَدَدْنَا لَكُمُ الْبَأْسَ وَبَنَيْنَا جَنَّتَيْنِ وَجَعَلْنَا لِكُلِّ نَجْفٍ رِجًّا
إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ
وَعْدُ الْأَخِرَةِ لِيَسُئَرُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾





سورة الإسراء [الآيات ١ - ٧]

ترتيبها في القرآن (١٧)، وترتيبها في النزول (٥٠)؛ نزلت بعد عام الحزن بعد أن فقد رسول الله ﷺ زوجه خديجة، وفقد عمه أبا طالب، ولجأ إلى الطائف؛ فُذِف بالحجارة، وعاد إلى مكة حزينا منكسر القلب؛ فجاءت حادثة الإسراء والمعراج؛ لتغطي على تلك الأحداث، وتدخل الأمن، والطمأنينة إلى قلبه ﷺ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِزَيَّهِ، مَنْ عَابَدْنَاهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾:

﴿سُبْحَنَ﴾: اسم مصدر لفعل سَبَّحَ؛ أي: أنزه الله تنزيهاً مطلقاً؛ أن يكون له شبيه، أو مثيل في كمال الذات، وكمال الصفات، وكمال الأفعال؛ لتبقى ذاته متفردة بالوحدانية، وكمال القدرة العجيبة التي خلقت الأزواج كلها، والتي سرت بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرجت به؛ ليكون قاب قوسين أو أدنى، والذي بيده ملكوت كل شيء رب السموات والأرض، رب العرش العظيم، تنزيهاً له عن ذوات خلقه، وعن الولد، والبنت، والصاحبة، والشريك تنزيهاً ثابتاً ودائماً من قبل أن يخلق من ينزهه، تنزيهاً يدل على الثبوت والدوام. ارجع إلى سورة الحديد آية (١) لمزيد من البيان.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول (معرفة) يختص بالمفرد المذكر يفيد التعظيم؛



أي: الله سبحانه، ولم يقل: سبحانه من أسرى. من: عامة تشمل المفرد، والجمع، ونكرة.

﴿أَسْرَى﴾: من الشري: وهو السير ليلاً مبني على السر، والخفاء.

﴿بَعْدَهُ﴾: الباء: للإلصاق؛ أي: بمحمد ﷺ ببدنه، وروحه، ونفسه معاً، وليس فقط بالروح، والهواء: تعود إلى الله سبحانه، وتدل على التشريف.

﴿إِيَّالَا﴾: تعني: في تلك الليلة، وتفيد التوكيد؛ لأنَّ أسرى تعني: السير ليلاً، وتعني: الإسراء، تم في جزء من الليل، ولم يستغرق الليل كله، ولو قال: سبحانه الذي أسرى بعده الليل؛ لكان يعني: أن الإسراء استغرق كل الليل.

﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: من: ابتدائية؛ ابتداء الغاية المكانية.

﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: يشمل البيت الحرام: الكعبة، وكل ما هو داخل في حدود الحرم، وهو أول بيت وضع للناس للعبادة، وأول من بناه الملائكة، واختاره الله سبحانه، وسمي المسجد الحرام؛ لأنه حرّم فيه ما لم يُحرّم في غيره من المساجد.

﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾: الأقصى؛ أي: الأبعد، وسمي الأقصى؛ لبعده عن المسجد الحرام، أو عن مكة في ذلك الزمن، ولم يكن وراءه مسجد حينذاك.

﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾: دليل على المبالغة في البركة، بركة دينية كونه مهبط الرسالات والأنبياء، والصلاة فيه تعادل في الثواب بـ (خمسمائة صلاة)، وكونه كان قبلة المسلمين الأولى قبل تحويلها إلى بيت الله الحرام؛ فقد صلى رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس (١٦-١٧) شهراً، كما أخرج البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه، وكونه مسرى النبي ﷺ، وموضع عروجه إلى السماء، كما أخرج الإمام مسلم عن أنس بن مالك، وكونه ثاني مسجد وضع



للناس في الأرض بعد المسجد الحرام، كما روي عن أبي ذر الغفاري وأخرجه البخاري ومسلم، وبركة دنيوية: من بساتين، وثمار، ومياه، وسعة في العيش، والرزق، وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الأرض المقدسة وأرض الشام.

﴿لِزَيَّةٍ﴾: اللام: لام التعليل، والهاء: ضمير يعود إلى رسول الله ﷺ؛ فقد أعطاه الله القدرة والقوة على رؤية وتحمل الأشياء التي لا تقوى عليها أي رؤية بشرية؛ سواء أفي الإسراء والعروج إلى السموات العليا التي تحتاج إلى استعداد وتحضير وأجهزة وأوكسجين لا يتصوره العقل.

﴿مِنْ أَيْنِنَّا﴾: من: بعضية، وليس كلها.

﴿أَيْنِنَّا﴾: الكونية، والمعجزات الخارقة للعادة بالإسراء من مكة إلى بيت المقدس، ثم العروج إلى سدره المنتهى، وتكليمه من وراء حجاب، والعودة إلى مكة في أقل من ليلة واحدة، ورؤيته ﷺ للجنة، والنار، وملكوت السموات. وإضافة الآيات إلى الله سبحانه يدل على تشريف الآيات.

﴿إِنَّهُ هُوَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿السَّمِيعُ﴾: السميع لأقوال رسوله ﷺ، وأقوال المشركين في السر، والعلن؛ الذين كذبوا رسول الله ﷺ بعد الإسراء، والمعراج، كما كذبوه قبل الإسراء، والمعراج، ولم يصدقوا ما أخبرهم به عن الإسراء، والمعراج، وأقوال من صدقوه مثل: أبي بكر. والسميع لأقوال خلقه جميعاً.

﴿الْبَصِيرُ﴾: بأفعال رسوله ﷺ، وأفعال المشركين حين آذوه في الطائف، وبعد عودته إلى مكة من رحلة الإسراء، والمعراج، وأفعال الذين صدقوه؛ أمثال: أبي بكر وغيره من الخلق جميعاً.



وقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾: فيه وعيد للكفار على تكذيبهم لمحمد ﷺ.

[٢] ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾:

المناسبة: بعد ذكر حادثة الإسراء، والمعراج، وما حصل من تكريم رسول الله ﷺ يذكر كذلك إكرام الله سبحانه لموسى ﷺ.

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: أي: التوراة.

﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: وصيرناه هدى: مصدراً لهداية بني إسرائيل (بني يعقوب)، والموصل إلى الغاية: وهي إخراج بني إسرائيل من الظلمات إلى النور إلى صراط العزيز الحميد.

﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾: ألا: مركبة من أن: حرف مصدري؛ يفيد التعليل، ولا: للتوكيد.

﴿تَتَّخِذُوا﴾: من اتخاذ، أو التصيير.

﴿مِن دُونِي﴾: من سواي، أو من غيري.

﴿وَكَيلًا﴾: الوكيل الذي تسند إليه الأمور؛ لتدبيرها، ومن يطلب منه العون، ويأتي بالخير والنفع؛ لأنه سبحانه القوي، وهو على كل شيء قدير.

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ ... ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾: فيه انتقال من صيغة الغائب إلى صيغة المخاطب؛ للفت الانتباه بعدم اتخاذ من هو دون الله وكيلاً. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لبيان معنى: التوكّل.



[٣] ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾:

﴿ذُرِّيَّةَ﴾: منصوبة على الاختصاص بقصد المدح؛ أي: أنتم خاصة يا ذرية نوح، وحذف (يا) ياء النداء بدلاً من (يا ذرية) من حملنا مع نوح، وحذف الياء؛ للقرب المعنوي، أو الحقيقي.

﴿مَنْ﴾: تدل على القلة، قلة من حملنا مع نوح على الفلك، ولو قال: الذين؛ فتدل على الكثرة؛ من: ابتدائية.

﴿حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: في الفلك، أو السفينة.

وذرية: الذرية أصلها: الأولاد، وتقع على الصغار، والكبار، أو النسل، وهذه «من حملنا مع نوح»، أي: أولاد نوح: سام، وحام، ويافث.

﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا﴾: إنه: للتوكيد.

﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾: أي: كان نوح عبداً شكوراً: كثير الشكر؛ صيغة مبالغة.

﴿شَكُورًا﴾: ولم يقل شاكراً؛ لأن شاكراً: يشكر الله أحياناً، أما شكوراً: دائب الشكر، أو كثير الشكر.

أي: يا ذرية نوح: تشبهوا بأبيكم نوح ﷺ الذي كان كثير الشكر وكونوا مثله.

[٤] ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكُتُبِ لِنُفْسِدَنَ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِنَعْلَنَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾:

﴿وَقَضَيْنَا﴾: أي: أعلمنا؛ قضى إليه؛ أي: أعلمه، وأخبره. أما: قضى به: فصل الأمر على التمام؛ أي: حكمنا.



﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: بني يعقوب.

﴿فِي الْكِتَابِ﴾: في التّوراة.

أي: أعلمنا بني إسرائيل في التّوراة؛ أي: أخبرناهم.

﴿لُفْسِدُنَا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾: لتفسدن: اللام: للتوكيد، والنون: لزيادة التّوكيد.

تفسدن: من الإفساد: تخالفن شرع الله بالمعاصي، وبمخالفة التّوراة، وتحلّون ما حرم الله، وتحرمون ما أحل الله، وتقتلون الأنبياء بغير حق، وقتل الذين يأمرّون بالمعروف من الناس، وتحريف التّوراة، وكتمانه... وغيره من طرق الفساد. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥١).

﴿فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾: لم يحدد القرآن الزمن قبل الإسلام، أو بعد مجيء الإسلام.

﴿وَلَنَعْلُنَّ عُلُوءًا كَبِيرًا﴾: ولنعلن: الواو: عاطفة؛ لتعلن: اللام: لام التّوكيد، والنون: كذلك لزيادة التّوكيد، والعلو: هو التّكبر في الأرض عن طاعة الله، والاستعلاء على الناس: بالظلم، والبغي، ومعصية الله، والعلو: الغرور بالقوة، أو القدرة، والشّعور بالفوقية.

[٥] ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: للتوكيد؛ إذا: ظرف زمني للمستقبل، شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾: أولى مرتي الفساد، أو الفساد الأول. قيل: هو ما

حدث من يهود بني النضير، وبني قينقاع، وبني قريظة الذين خالفوا العهد مع رسول الله ﷺ، واعتدوا على حرمت المسلمين.

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا﴾: أي: جالوت وجنوده كما قال ابن عباس، وقيل: بختنصر وجنوده كما قال ابن المسيب والفراء، وقيل: العمالقة (القوم الجبارين).

﴿عَلَيْكُمْ﴾: تفيد العلو، والسيطرة.

﴿أُولَىٰ بِأَسْ شَدِيدٍ﴾: أولي قوة شديدة وعدد.

﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾: من: جاس يجوس؛ أي: فُتِّشَ، ونَقَّبَ، وبحث، أو دخل الدار بدون حرب، واستولى عليها بدون مقاومة، أو طافوا خلال الديار يبحثون عنكم لقتلكم؛ فقتلوا الكثير، وأحرقوا التَّوراة، وخربوا المسجد الأقصى.

﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾: بين الديار؛ أي: تتبعوا آثاركم ينظرون هل بقي أحد لم يقتل؛ حتى يقتلوه.

﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾: أي: وعد صدق قادرين على إنجازه؛ نافذاً لا محالة.

[٦] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الزمني، والتراخي.

﴿رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾: الحديث موجه إلى بني إسرائيل؛ أي: جعلنا لكم الغلبة، والقوة، والنصر على أعدائكم، وسلطانكم عليهم، وسواء أكان ذلك بقتل داود لجالوت، أو قتل بختنصر، وقيل: الكرة الأولى: كانت للمسلمين في عهد الرسول ﷺ، والكرة الثانية: كانت لليهود على المسلمين.



﴿الْكِرَّةَ﴾: أي: الغلبة، من: الكر، والفر الذي يحدث في الحرب.

﴿وَأَمَدَدْنَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾: أمددهم الله بالمال، فأصبحوا أكبر أصحاب رؤوس الأموال في العالم، والبنوك، والتجارات، وازدادت أعدادهم بإمدادهم بالبنين والهجرة.

﴿وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾: من النفير، أو النافر؛ أي: من ينفّر مع الرجل من عشيرته للتصدي للعدو، ونصرته على أعدائه؛ أي: سخرنا الكثير من الدول الكبرى؛ لنصرتكم، أو مساندتكم، أو جعلنا الكثير من الدول تهب لنصرتكم، ولا زالت هذه قائمة.

[٧] ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرُوا مَا عَلَوُا تَنْبِيرًا﴾:

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال، والشك.

﴿أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾: الخطاب لا زال لبني إسرائيل: إن أحسنتم أحسنتم بالإيمان، والطاعة، والعمل الصالح من قول، وفعل، في الدنيا أحسنتم لأنفسكم بالثواب؛ كقوله: من عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها.

﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾: وإن: شرطية كالسابقة.

﴿أَسَأْتُمْ﴾: بالمعاصي، والكفر.

﴿فَلَهَا﴾: الفاء: للتوكيد، واللام: للاختصاص؛ أي: جزاء ذلك عائد إلى نفسه؛ كقوله: ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، أو كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦]، أو الإساءة تعود إليه؛ أي: يسيء إلى نفسه، والإثم والعقوبة يقع عليه، أو يعود عليه.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾: مرة الفساد الثانية. قيل: هذا الفساد الثاني: هو ما

نراه يحدث الآن في فلسطين، وبلاد الشام من خراب، ودمار من اليهود. انظر إلى الآية (٥) السابقة.

﴿فَإِذَا﴾: إذا: شرطية زمانية جوابها محذوف؛ تقديره: بعثناهم مرة أخيرة؛ أي: المؤمنين.

﴿لَيْسَتُوا وَجُوهَكُمْ﴾: الخطاب لبني إسرائيل؛ أي: تظهر على وجوههم آثار الإساءة، آثار الهزيمة، والخزي للمرة الثانية.

﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: ليدخلوا: اللام: للتوكيد؛ أي: ليدخلوا أي: المسلمون المؤمنون المسجد الأقصى؛ أي: يسترجعونه من أيدي اليهود كما دخلوه أول مرة، قيل: في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان المسجد الأقصى عندها في أيدي المسيحيين النصارى، أو في زمن بختنصر.

وهذه الآية: تدل على أن المسجد الأقصى سيستولي عليه اليهود، وسيدخله المسلمون، ويطهرونه من رجس اليهود دخولاً ثانياً، وبعد المرة الثانية لن يكون لليهود غلبة بعدها.

﴿وَلِيَسْتَرْوُا مَآعِلَوْا تَنْبِيْرًا﴾: يتبروا؛ أي: يهلكوا، ويدمر المسلمون ما أقامه اليهود، وما بنوه، وشيدوه؛ ليزيلوا آثاره، ومعالمه، والتبوير: هو الهلاك.

﴿مَآعِلَوْا﴾: ما استولوا عليه، أو ما أقاموه، وما شيدوه، وليس بذاتهم، وأموالهم، وإنما بمساعدة أنصارهم.

﴿تَنْبِيْرًا﴾: هلاكاً.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ١٧

الْبَقَرَةُ الْمُسْلِمَةُ

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحْوَنَاءَ آيَةِ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ
إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا
يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
فَحَقَّقْنَا عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِّنَ
الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

سورة الإسراء [الآيات ٨ - ١٧]

[٨] ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾:

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾: أداة للترجي؛ أي: أن تكونوا راجين ربكم أن يرحمكم، ولا تعني: أن الله سبحانه هو الذي يرجو.

﴿أَن يَرْحَمَكُمْ﴾: أن: أداة استقبال خاصة بالمستقبل، والخطاب لبني إسرائيل؛ أي: عسى ربكم أن يرحمكم حينذاك؛ أي: حين يجيء وعد الآخرة، أو في المستقبل.

انتبه إلى الفرق بين: عسى أن يرحمكم، أو عسى أن ترحموا، وبين: لعلكم ترحمون.

عسى أن ترحموا، أو أن ترحموا: أن: تفيد الاستقبال؛ أي: الرحمة في المستقبل، ولا تعني الآن، وعسى دائماً تقترب بأن في القرآن.

بينما لعلكم ترحمون: زمن الرحمة مطلق في الماضي، والمستقبل، والحاضر، وفيها تجدد، واستمرار.

ولعلكم ترحمون: معناها اتخاذ الأسباب التي توصل إلى الرحمة مع رجاء الرحمة من الله معاً، ولو أراد اتخاذ الأسباب فقط بدون رجاء الرحمة من الله لقال بدلاً من لعلكم ترحمون: لترحموا.

﴿وَإِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿عُدْتُمْ عُدْنَا﴾: أي: إن عدتم إلى الفساد للمرة الثالثة، عدنا إلى عقوبتكم،



ولم يقل: وإن تعودوا نعد، التي تدل على كثرة العودة مرات عديدة. ارجع إلى سورة الأنفال، آية (١٩)؛ للمقارنة.

﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ﴾: جهنم: ارجع إلى الآية (١٨) من سورة الرعد.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾: اللام: لام الاستحقاق، والاختصاص.

﴿حَصِيرًا﴾: أصل الحصر: البساط المنسوج الذي يفرش على الأرض، وحصر من الحصر؛ أي: التضيق؛ أي: جعلنا جهنم سجناً، أو محبساً ضيقاً يحبسون فيه؛ أي: لا يخرجون منها، وهي ضيقة مطبقة عليهم لها ميزتان: الحبس، والضيق. وفي سورة الهُمة، آية (٨-٩): وصفها «إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة».

[٩] ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾:

﴿إِنَّ هَذَا﴾: إن: للتوكيد.

﴿هَذَا﴾: اسم إشارة، والهاء: للتنبيه، وذا: اسم إشارة للقرب؛ لكونه يهدي، والهداية تحتاج إلى شيء قريب.

﴿الْقُرْآنَ﴾: من كونه مقروءاً، أو من القراءة، والقراءة تحتاج إلى قرب؛ إذا الهداية والقراءة كلاهما يحتاجان إلى قرب؛ فاستعمل «هذا».

﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾: يهدي للوصول إلى الغاية؛ يهدي إلى التي هي أسدُّ وأصوب، وهي ملة الإسلام، أو الصراط المستقيم بأقصر زمن، وأقل مسافة، ودون عائق.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾: يبشر من البشارة. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة، والبشارة: هي الاخبار بأمر سارٍّ لأول مرة.

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: الذين أصبح الإيمان صفةً ثابتةً لهم؛ المؤمنين بالله، وما أنزل على رسله.

﴿يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾: يعملون: تدل على التجدد، والتكرار لعمل الصالحات.

﴿أَنَّ لَهُمْ﴾: أن: للتوكيد.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿أَجْرًا كَبِيرًا﴾: الأجر مقابل العمل.

﴿كَبِيرًا﴾: تدل على عظم الأجر؛ فالكبير كل ما عداه صغير.

[١٠] ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

مقابل المؤمنين الذين يعملون الصالحات في الآية السابقة: الذين لا يؤمنون بالآخرة.

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ﴾: أن: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا: النافية.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون بالآخرة؛ أي: بالبعث، والحساب، والباء:

للإلصاق.

﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: أعدنا؛ أي: أعدنا، وهيئنا.



﴿هَمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: شديد الإيلام، لا يتحملة أحد.

[١١] ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾:

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾: الإنسان: اسم جنس؛ يدعو: من الدعاء بالشر على نفسه، أو ولده، أو ماله عند الضجر، والغضب، والعجلة، وعدم الصبر؛ يدعو بالموت، والهلاك، أو اللعنة، ولا ينظر في عاقبة دعائه.

﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾: أي: يدعو بالشر كما يدعو بالخير بالسلامة، والرزق، والعافية، سواء بشهوة أم بغضب متعجلاً بدون صبر وتمهل فيدعو على نفسه أو أولاده، ولو استجاب الله سبحانه له لأصابه الضرر، وربما هلك، ولكن من رحمته سبحانه، وفضله لم يستجب لدعائه، وعليه الكف عن هذا للخوف من أن تكون ساعة استجابة فيندم حين لا ينفع الندم.

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾: كان: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ أي: كان عجولاً في كل الأوقات؛ عجولاً في دعائه، وأفعاله، وأقواله؛ عجولاً: صيغة مبالغة: كثير العجلة. وكما قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، ولا تعني أن الله خلقه عجولاً، وإنما من كثرة عجلته التي هي مكتسبة، أو من صنع يده يظهر كأنه خلق عجولاً. وهناك من الناس من يتجمل بالصبر ولا يتسرع، ولكن هذه الفئة قليلة، والغالبية ممن يبدو كأنه مجبول على العجلة، وعدم الصبر والتريث، وهناك أمور يستحب فيها العجلة مثل: دفن الموتى، والإسراع في سداد الدين، والرجوع إلى الله بالتوبة والإنابة، وكذلك الزواج في سن مبكرة وغيرها.

[١٢] ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصَرَةً ۚ لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ۝﴾:

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾: الجعل يتم بعد الخلق.

﴿الَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾: علامتين داليتين على كمال قدرة الله سبحانه، وعظمته على الخلق، ووحدانيته.

﴿آيَتَيْنِ﴾: منى آية: آية كونية تدل على كروية الأرض، وأنها تدور حول نفسها، وحول الشمس؛ مما يؤدي إلى تعاقب الليل، والنهار؛ الأمر الهام لاستقامة واستمرار الحياة على الأرض. ارجع إلى سورة يونس، آية (٦٧)؛ للبيان.

﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصَرَةً﴾: في بداية خلق الأرض كان الليل يضاء بستائر من نور تنزل من السماء بشكل رأسي، ثم تنحني قليلاً حين وصولها إلى الأرض، وتكون على أشدها في القطبين الشمالي، والجنوبي، وتضعف كلما اتجهنا إلى خط الاستواء، وكانت تسمى: ظاهرة الفجر الكاذب، وكان النهار يضاء بالشمس؛ فكان النور، أو الضوء يعم الليل، والنهار، ولكن الله سبحانه من على البشرية بأنه خلق نُطْقَ الحماية التي لم تكن موجودة في بداية الخلق، وتكونت على مراحل؛ فقامت هذه النُطق بحجب هذه الأشعة، أو الستائر التي هي آية الليل، وبقي النهار مبصراً.

فالغلاف الجوي لم يكن موجوداً عند نشأة الأرض، وإنما تكون على مر العصور، وكان الليل هو السائد على الأرض في بداية الخلق رغم وجود الشمس، وشروقها، ثم تكون الغلاف الجوي الذي يضيء؛ لكونه يحتوي على غازات قابلة للإضاءة بنور الشمس، واستغرق ذلك ملايين السنين؛ فبدأ الليل ينجلي تدريجياً، وضوء النهار يزداد قوة؛ فزالت الظلمة المحيطة بالكرة الأرضية،



فمع بداية الفجر تدخل أشعة الشمس الطبقات العليا للغلاف الجوي، التي تتميز بكثافة ضعيفة، ثم تدخل أشعة الشمس الطبقات السفلى ذات الكثافة العليا؛ فإذا بالشمس تشرق، ويصبح النهار مبصراً، وتنمحي آية الليل عن نصف الكرة الأرضية المقابلة للشمس. ارجع إلى سورة يونس آية (٦٧) لمزيد من البيان.

﴿لَتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾: أي: لليل مهمة: وهي لتسكنوا فيه، وللنهار مهمة: هي لتبتغوا فيه فضلاً من ربكم؛ تسعون فيه لطلب رزقكم، وتبحثون عن أسباب عيشكم.

﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ﴾: الواو: عاطفة؛ أي: جعلنا الليل والنهار آيتين؛ لتبتغوا فضلاً من ربكم أولاً، وثانياً: لتعلموا عدد السنين والحساب؛ فالشمس تحدد لنا الأيام؛ فالأرض تستغرق في دورتها حول الشمس (٣٦٥ يوماً وخمس ساعات و٤٨ دقيقة و٤٦ ثانية)؛ أي: ما يعادل (٣٦٥١٢٥ يوماً)، وتقرر جمع أربع الأيام وإضافتها إلى السنة الرابعة لتصبح (٣٦٦ يوماً)، وتسمى السنة: الكبيسة، والسنة القمرية تقدر بـ (١٢ دورة للقمر حول الأرض)، وتقدر كل دورة بـ (٢٩ يوماً و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة و٣ ثوان)؛ فالسنة القمرية تعادل (٣٥٤ يوماً و٨ ساعات و٤٨ دقيقة و٣٤ ثانية)، بحوالي (١١ يوماً) الفرق بين السنة الشمسية والقمرية، وكل (٣٣ سنة) يصبح هناك فرق سنة واحدة بين النظام الشمسي والنظام القمري. ارجع إلى سورة يونس، آية (٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانَةٌ تَفْصِيلًا﴾: وكل شيء يحتاجون إليه في أمور دنياكم، وحياتكم، وأمور الدين؛ أي: دينكم، وأمور آخرتكم بيناه بياناً لا التباس فيه.

نظير ذلك قوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].



[١٣] ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾:

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾: هنا يذكر مبدأ المسؤولية الفردية؛

فبما أن كل إنسان مخير في عمله؛ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، وكل إنسان أُلزمناه عمله في عنقه.

العمل شبه بالطائر؛ أي: طائره بمعنى: عمله؛ فقد كانت العرب في الماضي إذا أراد أحدهم أن يقوم بعمل ما يأتي بطائر، ثم يطلقه؛ فإن طار عن يساره يتشاءم، ولا يقوم بذلك العمل، وإن طار عن يمينه يتفاءل به، ويقوم به.

وبعد ذلك يلوم الطائر على عمله، ويتهمه.

وأما بالنسبة للعنق: كانت العرب تعبر عن تلازم الشيء بالشيء بما يوضع في العنق؛ تقول: هذه أمانة في عنقك، كما تلازم القلادة العنق، هكذا يكون عملك ملازماً لك.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا﴾: سجل أعماله، ويقول: ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة، ولا كبيرة إلا أحصاها؟! ووجدوا ما عملوا حاضراً؛ يخرج له كتابه يوم القيامة كي يراه، ويقرأه، ونخرج: نون الجمع للتعظيم، أو الملائكة يخرجون له كتابه.

﴿يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾: مفتوحاً معداً للقراءة قبل وصول صاحبه إليه ليقرأه.

[١٤] ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ ۖ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾:

﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ﴾: اقرأ سجل أعمالك بنفسك، وانظر إلى ما عملته في الدنيا، وحاسب نفسك بنفسك؛ القائل هو الله سبحانه على ألسنة الملائكة.

﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ﴾: يوم القيامة.



﴿عَلَيْكَ﴾: على: تفيد العلو، والمشقة.

﴿حَسِبًا﴾: محاسباً؛ أي: حاكماً، أو قاضياً.

[١٥] ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾:

﴿مَنْ اهْتَدَىٰ﴾: من: شرطية.

﴿اهْتَدَىٰ﴾: يعني: التزم بمنهج الله، وسار على دينه، واهتدى إلى الصراط المستقيم.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: للتوكيد؛ إنما: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾: لنفسه: اللام: تفيد الاختصاص، والاستحقاق؛ أي: هو المنتفع بذلك.

﴿وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا﴾: مثل: من اهتدى فإنما.

﴿يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: على: تفيد الاستعلاء؛ أي: عاقبة الضلال، والإعراض عن منهج الله تقع عليه.

﴿وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: هذه الآية تؤكد الآية السابقة (١٣).

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة؛ لا: نافية.

﴿نَزِرُ﴾: تحمل. والوزر: هو الحمل الثقيل (أو الثقل العظيم)، وعبر بالوزر بدلاً من الإثم، وكما أن الحمل الثقيل (الوزر) يتعب صاحبه (حامله) كذلك الإثم فإنه قد يقصم ظهر حامله.

﴿وَازِرَةٌ﴾: أي: نفس آثمة، أو وازرة محملة بالذنوب.



﴿وَزَرَّ أُخْرَى﴾: أي: إثم نفس أخرى، وإنما تحمل إثمها فقط.

وهذه القاعدة تنطبق على الذي ضل في ذاته، ولم يتعدَّ ضلاله إلى غيره، وأما إذا تعدى ضلاله إلى غيره فسوف يحمل وزره، وأوزاراً مع وزره؛ أي: وزره ووزر من أضله، كما بين رسول الله ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء». أخرجه مسلم.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾: ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية، نهاية الغاية.

﴿نَبْعَثَ رَسُولًا﴾: لئيبين لهم ما نزل إليهم، وما كنا معذبين أحداً في الدنيا والآخرة على فعل شيء، أو تركه إلا بعد إرسال الرسل، والإنذار، وإقامة الحجة، وإعطائهم المهلة الكافية للتوبة. ولمعرفة الفرق بين نبعث، ونرسل: ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٩).

[١٦] ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني للمستقبل يتضمن معنى الشرط.

﴿أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ﴾: أن: حرف مصدر يفيد التوكيد، والتعليل.

﴿قَرْيَةً﴾: أي: سكان القرية، وكلمة القرية تعني: أهل القرية، والبنيان.

﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾: أمرنا أغنياءها بالطاعة، والالتزام بمنهج الله على لسان

الرسل، ولكنهم خالفوا، وعصوا، أو معنى أمرنا: كثرنا. قيل: أمر كثر؛ أي: كثرنا عدد المترفين فيها؛ لكي يشتد فسادهم، وفسقهم.



﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾: فسقوا: الفاء: للتوكيد؛ فسقوا: خرجوا عن طاعة الله تعالى، أو عن دينه، وخالفوا، وعصوا.

﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾: فحق: الفاء: للتوكيد؛ حق: وجب عليها العذاب، أو استحققت القول (العذاب)، ولم يقع بعد، وسيقع لا محالة في الدنيا.

ولو قال: ووقع القول كما في قوله تعالى: ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [النمل: ٨٥]؛ أي: قد وقع وانتهى، أو يقع الآن.

﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾: التدمير يعني: الخراب، والهلاك، والدمار: هو دائماً يأتي كعقوبة، ويشمل كل شيء بلا استثناء. ارجع إلى سورة الحج، آية (٤٥)؛ لمعرفة معنى: الهلاك.

أي: أهلكنا كل أهلها، ولم يُستثنَ أحد من المترفين وغيرهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾؛ أي: تصيب الجميع؛ لأن غير المترفين لم ينهوا المترفين بالكف عن عصيانهم، وضلالهم، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصاص: ٥٩]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]، وحديث رسول الله ﷺ: «أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث»، كما روى البخاري عن زينب بنت جحش.

[١٧] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾:

﴿وَكَمْ﴾: الواو: استئنافية؛ كم: الخبرية تفيد الكثرة؛ أي: أهلكنا الكم الكثير من القرون.

﴿أَهْلَكْنَا﴾: ارجع إلى الآية (٤) من سورة الأعراف؛ لبيان معنى الهلاك.

﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾: من: ابتدائية.



﴿الْقُرُونِ﴾: جمع قرن، والقرن (مائة سنة)، أو القرن قوم عاشوا في زمن واحد مقترنين، مأخوذة من الاقتران.

﴿مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾: ولم يقل من بعد آدم. قيل: كان الناس بين آدم ونوح على دين الإسلام أمة واحدة، ومن هذه القرون التي أهلكت من بعد قوم نوح عاد، وثمود، ولوط، ومدين، وفرعون، وأصحاب الرس، وقرون بين ذلك كثير.

﴿وَكَفَىٰ بَرِّكَ ذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا﴾: أي: سبحانه لا هو يخبر أحداً من عباده عن ذنوب عباده، وهو سبحانه لا يحتاج من أحد من البشر؛ أي: من خلقه، أن يخبره، أو ينقل إليه ما يفعله عباده؛ لأنه سبحانه خير، عليم ببواطن الأمور، وخفاياها. بصير: يرى ويبصر أعمال عباده؛ فلا تخفى عليه خافية، سواء أكانت أعمالاً ظاهرة، أم باطنة، وسواء أكانت في السر، أم في العلن.



سُورَةُ الْأَنْعَامِ ١٧

البقرة الفصل عشرين

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ
 جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ
 الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ
 سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُمِدُّ هَهُنَا وَهَهُنَا مِنْ عَطَاءِ
 رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا
 بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا
 ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَحْذُورًا ﴿٢٢﴾
 وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا
 يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا
 أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ
 لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي
 صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ
 فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ
 وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ
 كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾





سورة الإسراء [الآيات ١٨ - ٢٧]

[١٨] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾:

﴿مَنْ﴾: ابتدائية شرطية.

﴿كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾: العاجلة: مؤنث العاجل؛ أي: الدنيا، ولم يقل: من أراد الدنيا؛ إنما قال: يريد: فعل مضارع يدل على التجدد، وطلب الدنيا باستمرار، وعدم الكف عن ذلك.

﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾: بالقدر الذي نشاء، ولمن نختر، أو لمن نريد، وليس حسب ما يريده ويطلبه العبد، أو بالقدر الذي يشاؤه العبد؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧]. وإذا قارنا هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٤٥]؛ لأن الثواب متجدد في كل عمل.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ﴾: ثم: للترتيب، والتراخي في الزمن.

﴿جَعَلْنَا﴾: صيرنا، أو هيئنا.

﴿لَهُ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا﴾: يحترق بها، ولمعنى جهنم: ارجع إلى الآية (١٨) من

سورة الرعد.



﴿مَذْمُومًا﴾: مذمومًا، من الذم: من الله، والملائكة، والناس أجمعين، والذم يعني: أتى بعمل يستحق الذم؛ أي: اللوم على أمر قبيح، سواء أكان المذموم أمامك، أم غائبًا، وهو نقيض المدح.

وأما الفرق بين اللوم، والذم؛ اللوم: قد يكون على فعل حسن؛ كاللوم على كثرة الصدقة.

أما الذم: فلا يكون إلا على فعل قبيح فقط.

﴿مَدْحُورًا﴾: مطرودًا من رحمة الله سبحانه، أو مبعداً عنها.

الفرق بين يريد، وأراد:

يريد: تدل على التجدد، والاستمرار في طلب الدنيا، وأنه دائماً مشغول بها.

أراد: بصيغة الماضي تدل على قلة الطلب، والانشغال، والركض وراء الدنيا.

ولربط الذم بالدحر مذمومًا مدحورًا.

مذمومًا: أي: فعل أمرًا قبيحًا يستحق أن يذم عليه، واستحق أن يُطرد، ويُبعد عن رحمة الله بسببه؛ أي: مدحورًا: اسم مفعول من دحر: طرد، وأبعد.

ولربط الذم بالخذلان: مذمومًا مخذولًا.

مذمومًا: أي: فعل أمرًا قبيحًا يستحق أن يذم عليه، ولن يجد من يدافع عنه، أو ينصره؛ أي: مخذولًا من: خذله ترك عونه ونصرته، ومخذولًا: اسم مفعول.

[١٩] ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: ابتدائية شرطية.

﴿أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾: ولم يقل: يرد الآخرة كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾: (الفعل المضارع الذي يدل على التكرار والتجدد). إنما أراد؛ أي: ولو مرة واحدة، أو أرادها بقليل من العمل الصالح والمستمر، والإرادة: تعني العزم على القيام بالفعل، أو تعني الثبات والرسوخ في الإرادة، أو كان أدنى من إرادة الدنيا على الأقل.

﴿وَسَعَى﴾: سعى من السعي: الحركة، والعمل بجهد بالأعمال الصالحة المقرونة بالإيمان.

﴿لَهَا﴾: اللام: لام الاختصاص؛ لها؛ أي: للآخرة.

﴿سَعْيَهَا﴾: عمل ما في وسعه من الأعمال الصالحة؛ لنيل ثواب الآخرة. ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: وهو: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿مُؤْمِنٌ﴾: إيماناً ثابتاً راسخاً في القلب بالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسوله.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد؛ أولئك: اسم إشارة يشير إلى منزلتهم العالية.

﴿كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا﴾: كانوا مثابين على سعيهم (عملهم)، وسعيهم مقبول مضاعف الأجر والثواب.



[٢٠] ﴿كَلَّا نُمَدِّ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾:

﴿كَلَّا﴾: أي: كلا الفريقين السابقين: الفريق الذي يريد العاجلة (الدنيا الفانية)، والفريق الذي أراد الآخرة، وسعى لها سعيها.

﴿نُمَدُّ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ﴾: هؤلاء: الذين أرادوا الدنيا، وهؤلاء: الذين أرادوا الآخرة نمدهم من عطاء ربك.

الفرق بين المد، والإمداد:

المد: هو الإعانة، والتقوية، والزيادة في الخير والشر.

والإمداد: لا يكون إلا في الخير.

﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾: من عطاء الربوبية الذي ينال المؤمن، والكافر، والطائع، والعاصي، بينما عطاء الألوهية: فهو عطاء خاص بالمؤمنين دون غيرهم.

﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحالية، أو التوكيد؛ ما: النافية.

﴿كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾: كان: تشمل كل الأزمنة.

﴿عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾: ممنوعاً من أحد، لا يمنعه من المؤمن، أو الكافر، والحظر: هو المنع. إذن: عطاء الربوبية الكل له نصيب منه.

ما هو الفرق بين: محظوراً، وقوله تعالى في الآية (٥٧): ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾؟

المحظور: الممنوع، الحظر: المنع؛ عطاء ممنوع.

المحذور: من الحذر؛ أي: اتخاذ الوقاية، والحيلة، والخوف من وقوع الأمر المحذور منه.

[٢١] ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾:

﴿أَنْظِرْ﴾: انظر نظرة قلبية، وفكرية.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام، والتعجب.

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: لكي يحدث تكافل في المجتمع، كل فرد يحتاج إلى الآخر؛ كقوله: ليتخذ بعضهم بعضاً سُخْرِيًّا، وفضلنا بعضهم على بعض: قد تعني: في الرزق، والجاه، والعافية، وغيره من أمور الدنيا؛ للابتلاء، والاختبار.

﴿وَلِلْآخِرَةِ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿أَكْبَرُ دَرَجَتٍ﴾: أعظم درجات التفاوت تكون في درجات الجنة.

﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾: من الدنيا؛ لأن تفضيل الآخرة هو التفضيل الحقيقي، والأعظم، والدائم، وتفضيلاً: مصدر لفعل فَضَّلَ (الرباعي).

[٢٢] ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْدُومًا﴾:

﴿لَا تَجْعَلْ﴾: لا تتخذ؛ لا: الناهية.

﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾: شريكاً، أو ندأً في ألوهيته، وعبادته، وربوبيته، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه.

فإن فعلت ذلك عندها ﴿فَتَقْعُدَ﴾: فتصبح كالذي خارت قواه على القيام؛

فأصبح غير قادر على القيام ولم تعد لك قوة، وتصبح ﴿مَذْمُومًا﴾: من قبل الله، ومن قبل الناس.

﴿تَحَذُّوْا﴾: من الخذلان، وهو عدم النصرة، أو العون؛ أي: لا ينصرك أحد، ولا يدافع عنك، أو يُعينك أحد. ارجع إلى الآية (١٨) من السورة نفسها.

[٢٣] ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾: أي: أمر، وألزم، وأوجب، وقضى: قد تأتي بمعنى: حكم، أو تدل على انتهاء المدة: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ [الفصل: ٢٩].

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾: أي: حكم، وأمر الله سبحانه: ألا: أصلها: أن، ولا؛ أن: حرف مصدري يفيد التعليل، والحكم، ولا: نافية، أو ناهية.

﴿تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾: لمعرفة معنى العبادة: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢١)، أو الأنبياء، آية (١٠٦).

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿إِيَّاهُ﴾: للتوكيد.

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: وبالوالدين: الوالد والوالدة، ولم يقل بالأبوين؛ اختار لفظ الولادة على الأبوة وبالوالدين؛ أي: من الولادة، والتي تقوم بها الأم؛ الباء: باء الإلصاق، والاستمرار؛ أي: وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، وقضى أن تحسنوا بالوالدين إحساناً؛ أي: أن تبروهما؛ فقد قرن الإحسان للوالدين بعبادته سبحانه، وقضى بالإحسان إلى الوالدين؛ لأنهما هما السبب، أو الوسيلة في

وجودنا؛ لما تتحملة الأم خلال الحمل، والوضع، والرضاعة، والسهر، والتربية، وما يوفره الأب من المعاش، والإنفاق، والتربية، ولهذين الوالدين حقوق، كما أن للخالق الحقيقي حقوقاً. ارجع إلى سورة النساء آية (٣٦)، وسورة البقرة آية (١١٢) لمزيد من البيان.

﴿إِحْسَنًا﴾: مصدر أحسن؛ حذف الفعل، وجاء بالمصدر؛ ليفيد التوكيد.

﴿مَا﴾: مركبة من: إن، وما؛ إن: الشرطية، وزيدت عليها ما: للتوكيد.

﴿يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾: يبلغن: من بلغ؛ أي: أدرك، أو وصل؛ أي: بلغا الكبر؛ أي: وصلا إلى سن الكبر عندك، أو أحدهما، والنون في «يبلغن» للتوكيد، ولم يقل يبلغا.

انتبه إلى تقديم كلمة «عندك»، ولم يقل: يبلغن الكبر عندك، العندية هنا هامة، ومقصودة، وخاصة، ويجب فهم معناها.

وتعني المعية (أي: معك)؛ أي: حافظ على والديك؛ أي: أبق والديك عندك، ولا تُلَقِ بهما في دور العجزة، أو دور إقامة المسنين، أو الكهول؛ فالمكان بحد ذاته مهم، والأهم منه رعايتهما، والإحسان إليهما، والاهتمام بهما، وإذا كان هناك أخوة، وأخوات؛ فالكل يشارك في المسؤولية.

ولتثبت هذا المعنى في النفس انظر إلى ما قالته امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: ١١] قدمت كلمة «عندك» بدلاً من القول: رب ابن لي بيتاً عندك في الجنة، تبغي العندية؛ أي: المعية؛ أي: الرعاية، والقربى؛ عندك أنت خاصة، وهي أهم من المكان.



﴿الْكِبَر﴾: بعد مرحلة القوة والشباب تأتي مرحلة الكبر؛ مرحلة الحاجة، والضعف، والمرض، وهنا تتجلى صورة الإنسان بشكل واضح.

﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾: قدم الأهم أحدهما؛ لأن كليهما قد يساعد أحدهما الآخر؛ أما حين يكون الإنسان وحيداً؛ فهو بحاجة أشد للعون، والإحسان.

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُنْفِي﴾: فلا: الفاء: للتوكيد؛ لا: الناهية.

﴿تَقُلْ﴾: مضارع تدل على الاستمرار، والتجدد.

﴿أُنْفِي﴾: صوت يدل على ضجر المتكلم من شيء ما، ومنهم من قال: أف اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر فيكون المعنى لا تشعر تضجرك للوالدين، وهي أقل لفظة يمكن أن تقال، وجاءت بصيغة التنكير؛ تعني: أي: شيء، أو قول؛ أي: لا تضجر بأدنى تضجر منهما، أو من غيرهما فتضجر أمامهما.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة؛ لا: ناهية، وتكرار لا: تفيد التوكيد.

﴿نَهْرُهُمَا﴾: النهر: هو الزجر بقسوة، وانفعال تالٍ للتضجر؛ أي: احذر من التأفف، والتضجر منهما، ولا ترفع صوتك عليهما.

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾: وقُلْ سبقتها كلمة: فلا تقل، ثم جاء بقل: لتفيد التوكيد.

﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾: سمحاً ليناً فيه مظاهر الرحمة، والمحبة، والحنان خاصة إذا حدث خطأ منهما، أو تصرف غير طبعي.

[٢٤] ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾:

﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾: جناح الذل: كناية عن الطاعة،

والحنان، والتواضع، والخضوع، والذل قد يأتي بمعنى: القهر، والغلبة، أو بمعنى: العطف، والرحمة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٤]؛ أي: عطفين رحيمين بالمؤمنين؛ بينما القول: أدلة للمؤمنين؛ أي: قاهرين ليس عندهم رحمة، أو رافة بالمؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾: كالتائر الذي يخفض جناحيه حين يريد أن يحنو على صغاره، ويغذيهم، وإذا أراد أن يطير يرفع جناحيه، ويرفرف، ويعني: التواضع السمع والطاعة، وتنفيذ أوامرها، والإصغاء لما يقولانه، والنظر إليهما بعين الرافة والحنان والعطف.

﴿مِنْ﴾: تعليلية.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾: أي: لا يكفي رعايتك لهما، ورحمتك بهما، بل لا بد من أن تدعو لهما، وتطلب لهما الرحمة من الله سبحانه؛ فهو أرحم الراحمين، وقُلْ هذا الدعاء: رب أرحمهما، كما رباني صغيراً؛ أي: مثلما رباني صغيراً، وهذا الدعاء يشمل كل مربٍّ شارك الوالدين في تربيتك.

﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾: تفيد التعليل، والاعتراف بفضل الوالدين.

[٢٥] ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾:

المناسبة: ذكرت هذه الآية بعد ذكر: وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً؛ إذن: المطلوب هو الإخلاص في العبادة، والتوحيد، وكذلك معاملة الوالدين بالبر، والإحسان لهما، وربكم أعلم بما في نفوسكم من الإيمان، ومن النفاق، والرياء، أو الإخلاص، والإحسان، والصدق، وكما أن النفاق يكون



في الدين، والإيمان، هناك نفاق في بر الوالدين؛ بحيث يقول بلسانه ما ليس في قلبه، يقول بلسانه رياءً.

فهناك من الأبناء من يظهر بمظهر البار بوالديه أمام الناس، وفي الداخل يتمنى، أو يسأل الله سبحانه أن ينقضي أجلهما، أو يتخلص منهما، فجاءت الآية لتحذر من هذا النفاق، والرياء في عبادة الله، والبر بالوالدين؛ فقال:

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾: ربكم المتولي تربيتكم، وشؤونكم الحياتية. ربكم: يعلم ما يصلحكم.

﴿أَعْلَمُ﴾: ولم يقل: يعلم، بل قال: أعلم على صيغة أفعال؛ صيغة مبالغة كثير العلم.

﴿يَمَّا﴾: الباء: للإلصاق. وما: اسم موصول بمعنى الذي، وأوسع شمولاً من الذي.

﴿فِي نُفُوسِكُمْ﴾: ولم يقل أنفسكم؛ نفوسكم تعني: كل نفس، وجميع النفوس المؤمنة، والكافرة، والمنافقة على الإطلاق؛ بينما «أنفسكم» تعني: بعض الأنفس، وليس كلها، وقد وردت النفوس في آيتين فقط في هذه السورة، وفي سورة التكويد آية (٧).

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال، أو الشك.

﴿تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾: إن: كنتم صالحين كان بها، ولكم أجركم، وإن لم تكونوا؛ فتوبوا إلى الله، وأصلحوا نفوسكم، واحذروا ما لا تحمد عقباه.

﴿فَإِنَّهُ﴾: إنه: للتوكيد، والفاء: جواب الشرط.

﴿كَانَ﴾: ولا زال، وسيكون:

﴿لَاؤَابِيكَ﴾: جمع أواب: صيغة مبالغة من آب، يؤوب؛ من الأوب: الرجوع، والعودة إلى الله بالتوبة، والإنابة. للأوابين؛ أي: للتوابين، والراجعين إلى ربهم بالتوبة، والإنابة.

﴿عَفُورًا﴾: صيغة مبالغة من: «غفر» كثير الغفران يغفر الذنوب جميعاً مهما كثرت، أو عظمت، والغفران: صفة أزلية فيه سبحانه، وغفوراً تشير إلى أنه يغفر الذنوب العظيمة الكبيرة.

[٢٦] ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله سبحانه البر إلى الوالدين، وقرن ذلك بعبادته يوسع دائرة الإحسان، والبر؛ لتشمل ذوي القربى، والمساكين، وابن السبيل؛ فقال تعالى:

﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾: أي: أعطِ ذَا القربى حقه؛ أي: جعل الله سبحانه حقاً للأقارب يجب الإيفاء بهذا الحق؛ أي: حقه من المال إذا كان محتاجاً، أو فقيراً، وحقه من المساعدة بشتى صورها، وإن لم يكن محتاجاً؛ فعليك البر إليه (صلة الرحم) بالمعاملة الكريمة، والسؤال عنه، وتفقد حاله، وزيارته، وبالإهداء إليه.

﴿وَالْمَسْكِينِ﴾: تعريف المسكين: الذي عنده مال لا يكفيه، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ أَلْسَفِينَةٌ كَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ [الكهف: ٧٩].

والفقير: هو الذي لا يملك شيئاً؛ أي: هو أسوأ حالاً من المسكين.

وقوله: المسكين: يشمل الفقير، والمسكين؛ لأن الفقير أجدر بالعطاء من المسكين؛ حقه من الزكاة، والصدقات.

﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾: أي: ابن الطريق المنقطع الذي ضاع ماله، أو سُدَّتْ السبيل



أمامه، وليس معه ما يسد حاجته إلى العودة إلى دياره، والأكل. ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة النساء؛ للبيان.

﴿وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا﴾: ولا: النّاهية.

﴿تُبْذِرْ بَذِيرًا﴾: التبذير: هو إنفاق المال فيما لا يحل مثل إضاعة المال في المعاصي، والقمار... وغيرها.

والتبذير أعظم من الإسراف، والتبذير: مصدر لفعل: بذّر (الرباعي).

والتبذير: مأخوذة من البذر: وهو العملية التي يقوم بها الفلاح حيث يأخذ البذور التي يريد زراعتها، وينشرها بيده؛ فإن كان ماهراً يجيد البذر، تراه يبذر الحب؛ أي: يوزع الحب على الأرض بنسب متساوية بدون أن يضيع كمية من الحب في أمكنة لا تحتاج البذر.

وإن من الخطأ أن يظن القارئ: أن المقصود بهذه الآية أن التبذير يعود على ذي القربى، والمسكين، وابن السبيل، وإنما الآية تشير إلى الإسراف في الأمور غير المباحة.

[٢٧] ﴿إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾:

﴿إِنَّ الْمُبْذِرِينَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿الْمُبْذِرِينَ﴾: جمع مبذر، والتبذير: هو إنفاق المال في غير حله، وهو يعتبر معصية، وكفراً لنعمة الله. ارجع إلى الآية (٢٦) السابقة.

﴿كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾: كانوا: من كان، وكان: قد تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ كانوا في الماضي، وسيكونون في الحاضر والمستقبل؛ كانوا في الدنيا:

﴿إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ﴾: الإخوان: قوم اجتمعوا على مبدأ واحد خير، أو شر، وفي هذه الآية: اجتمعوا على مبدأ التبذير.

وسموا بإخوان الشياطين: إما لكونهم يكفرون، أو يجحدون نعم الله، أو إضاعة المال؛ فهم مثل إخوانهم الشياطين؛ لكونهم تجمعهم صفة الإسراف في المعاصي، والتبذير والكفر؛ أي: سائر لنعم الله أو جاحدها. ارجع إلى سورة الحجرات آية (١٠) لبيان معنى إخوان وإخوة.

﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ﴾: كان: كما قلنا تشمل كل الأزمنة الماضي، والحاضر، والمستقبل، والشيطان: يمثل الشياطين.

﴿لِرَبِّهِ﴾: اللام: لام التعليل.

﴿كَفُورًا﴾: كثير الكفر: صيغة مبالغة: كثير الكفر لنعم الله تعالى، أو محترفاً في مهنة الكفر؛ فهو كافر، ويعمل على تكفير غيره.

وإذا عدنا إلى كلمة أخ؛ فهي تجمع على: إخوة، وإخوان، والقرآن استعمل كلمة إخوة في سياق إخوة النسب، وكلمة إخوان تأتي في سياق قوم اجتمعوا على مبدأ واحد في الخير والشر؛ أمثلة إخوان لوط (في الفاحشة)، أو سياق النسب كما في قوله في سورة النور آية (٣١) إخوانهن، أو بمعنى الأصدقاء كقوله إخواناً على سرر متقابلين (في الجنة في الخير).



سُورَةُ الْأَنْعَامِ ١٧

الجزء الثاني عشر

وَمَا تَعْرِضَنَّهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا
مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُنْ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاكُمْ إِن قَتَلْتَهُمْ كَانَ
خِطَاءً كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ
سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن
قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي
الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ
مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمُوزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾
وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلِّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾



سور الإسراء [الآيات ٢٨ - ٣٨]

[٢٨] ﴿وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: مركبة من إن: الشرطية؛ تفيد الاحتمال؛ ما: للتوكيد.

﴿تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾: خجلاً، وحياءً؛ لأنك لم تعطهم من حقهم، كما جاء في الآية (٢٦): ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ﴾: إذن تعرض عن ذوي القربى أو المساكين، أو ابن السبيل بعد أن يسألك، تعرض عنهم، ولم تعطهم شيئاً قليلاً، أو كثيراً بسبب فقرك، أو القلة، أو ليس عندك الكفاية، أو ما يسد حاجتهم.

﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾: طلباً للرزق الذي تنتظره أن يأتيك فتعطيهم

منه.

﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾: فقل: الفاء: للتوكيد؛ قل لهم: اللام: لام الاختصاص.

﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾: قولاً سهلاً ليناً بالاعتذار لهم، أو الوعد بأن تعطيهم حين

يتوفر لك الرزق.

﴿مَّيْسُورًا﴾: اسم مفعول من: يسر.

[٢٩] ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية؛ لا: الناهية.

﴿تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾: أي: لا تجعل يدك التي تعطي بها الصدقات

مغلولة؛ أي: مقيدة، أو مربوطة إلى عنقك (مشهد من مشاهد يوم القيامة) كقوله



تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ [يس: ٨]، وحين تقيد اليد إلى العنق فهي لا تمتد بالعطاء، كناية عن الإمساك، والبخل.

﴿مَغْلُولَةً﴾: مقيدة بالغل، والغل: هو القيد الذي يوضع في اليدين، والعنق. ﴿وَلَا نَبْطِطُهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ كناية عن الإسراف والتبذير؛ أي: تنفق كل ما لديك.

والواجب الاعتدال؛ أي: التوسط في الإنفاق، كما جاء في آيات أخرى؛ كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

﴿فَلَقَعَدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾: فتعقد: ارجع إلى الآية (٢٢).

﴿مَلُومًا﴾: من اللوم؛ سواء أكان من نفسك، أم من الناس، وهو تنبيه الفاعل على شيء فعله غير جيد أو مناسب، يُعَاتَب عليه، أو يلام عليه، ويؤنب من أجله، وهو الإسراف.

ملوماً: تمثل البخيل.

محسوراً: تمثل المسرف الذي أسرف ماله فأصبح كالبعير الحسير الذي أتعبه السير فلم تعد له قوة.

﴿مَّحْسُورًا﴾: من الحسر؛ كالبعير الذي ذهب قواه؛ لكونه أنفق كل ما عنده، وافتقر، ولم يدخر شيئاً؛ فأصبح غير قادر على القيام بسبب الإسراف؛ فهو في كلا الحالين ملوم إن قبضت يدك، وملوم إن بسطت يدك كل البسط.

[٣٠] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: إن: للتوكيد. ربك: أي الخالق الرازق

والمدير؛ أي: يوسع الرزق لمن يشاء من عباده؛ أي: يُغني من يشاء حسب ما تقتضيه حكمته سبحانه، وهو ابتلاء من الله تعالى.

﴿وَيَقْدِرُ﴾: يفقر، أو يضيق على من يشاء؛ ابتلاءً لهم، وحسب الحكمة الإلهية، وحسب ما يصلح حال عباده.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والحال، والمستقبل.

﴿بِعَادِهِ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿خَيْرًا﴾: يعلم بواطن أمورهم، وخفايا صدورهم، ومصالحهم، فيرزقهم حسب مصالحهم.

[٣١] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قُلْتُمْ كَانَ خِطَا كَبِيرًا﴾:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾: ولا: الواو: استئنافية؛ لا: الناهية.

﴿تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾: بالوآد، أو غيره من الطرق؛ مثل: الإجهاض، أو إسقاط الحمل.

﴿أَوْلَادَكُمْ﴾: تعني: الذكور، والإناث (البنين والبنات)؛ لأن قتل الأولاد هو اعتداء على إرادة الله، وحكمته.

﴿خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾: خوفاً من الإملاق، وهو شدة الفقر، والخشية تعني: الفقر لم يحدث بعد، وإنما مظنة أنه سيحدث في المستقبل؛ بينما في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ [آية: ١٥٠]؛ أي: الفقر قد وقع، وهم الآن يعانون منه.



﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾: أي: لا تقتلوا أولادكم سنرزقهم أولاً، ونرزقكم أيضاً، أو ترزقون برزقهم.

﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ﴾: إن: للتوكيد؛ قتلهم: بالوَأَد، أو غيره من الوسائل؛ كالإجهاض.

﴿كَانَ خِطَاءً كَبِيراً﴾: خطأ: الخطء: الإثم، أو الذنب العظيم؛ أي: قتلهم كان إثماً كبيراً.

أو خطأ: بكسر حرف الخاء، ولها معان أخرى بالإضافة إلى الإثم؛ منها: ضد الصواب؛ اسم من: أخطأ.

أو خطأ: اشتقت من: خطأ يخطو؛ أي: خروجاً عما تعارف عليه الناس؛ أي: خروجاً عن العادة، والعرف. ولم يقل خطأ: بفتح الخاء؛ لأن الإثم لا يكون إلا عن قصد وتعمد، وأما الخطأ بفتح الخاء هو السهو أو غير العمد وفعله أخطأ واسم الفاعل مخطئ كقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، وهذا يدل على أن قتلهم للأولاد إثم كبير.

﴿كَبِيراً﴾: توكيد.

[٣٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية؛ لا: الناهية.

﴿تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ﴾: الزنى: هو الوطء من غير عقد شرعي، واستمرار عملية الزنى يسمى الفجور، وإذا استمر الفجور وأقامت الزانية مع الزاني يسمى السفاح، والسفاح للرجل والمرأة، أما البغاء: يطلق على المرأة التي تجاوزت حرم الله وتسمى البغي، تقربوا أشد وأبلغ في التحريم من قوله: لا تنزوا، أو حرم عليكم الزنى، أو لا تأتوا الزنى، ولو قال ذلك؛ لكانت عملية الزنى هي فقط المحرمة، وأما ما يجري من لقاءات، ومجون؛ لكان كله غير داخل في التحريم.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ﴾: أي: لا تقربوا أسبابه من اختلاط، وخلوة، وعدم غض

البصر.

﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً﴾: إن: للتوكيد.

﴿كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة.

﴿فَحِشَةً﴾: عمل شيء قبيح.

﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾: ساء: فعل لإنشاء الذم يشبهه وبس؛ لأنه يؤدي إلى هتك الأعراض، واختلاط الأنساب، والاعتداء على الآخرين، وهدم الأسرة، وانتشار الأمراض الفتاكة، والفقر، والهوان، والفساد في الأرض، ونرى اقتران آيات قتل النفس التي حرم الله مع آيات الزنى، وذلك في سورة الإسراء والفرقان والممتحنة؛ قد يكون الاقتران إشارة إلى أن الزنى قد يؤدي إلى الحمل؛ فتلجأ المرأة إلى الاجهاض؛ لتغطية جريمة الزنى، وقتل الجنين حتى بعد الولادة أحياناً.

﴿سَبِيلًا﴾: طريقاً، ونهاية؛ لأنه يؤدي إلى عذاب النار، وبس المصير.

وإذا قارنا هذه الآية من سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾، مع الآية (٢٢) من سورة النساء: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ زاد في هذه الآية مقتاً؛ لأنه في آية الإسراء زنى بامرأة محرمة عليه، وفي آية النساء زنى بامرأة أبيه؛ فزاد مقابل ذلك مقتاً. ارجع إلى سورة النساء، آية (٢٢).

[٣٣] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾:

﴿وَلَا﴾: انظر في الآيات السابقة.



﴿نَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق، والاستمرار، وبالحق تعني: القصاص من القاتل إذا لم يعفُ ولي المقتول، أو بالردة بعد الاستتابة، أو الشيب المحصن.
﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا﴾: من: شرطية.

﴿قُتِلَ مَظْلُومًا﴾: أي: عدواناً، وظلماً، وعمداً، أما القتل الخطأ؛ فلا يدخل تحت حكم هذه الآية.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ﴾: لولي المقتول؛ اللام: لام التعليل، والاختصاص، وقد يكون أباه، أو أخاه، أو الابن، أو العم، وإن لم يكن له ولي فالحاكم يتولى إقامة الحكم.

﴿سُلْطَنًا﴾: سلطان القوة، والقهر بالقصاص، والدية، أو العفو.

﴿فَلَا﴾: فلا: الفاء: للتوكيد؛ لا: الناهية.

﴿يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾: بأن يقتل غير القاتل، أو يعذب القاتل، أو يقتل أكثر من فرد، أو يقتل شريفاً بدلاً من عبد، أو رجلاً بدلاً من امرأة، ولا يمثل بالجثة.
﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾: إنه: للتوكيد؛ أي: ولي المقتول.

﴿مَنْصُورًا﴾: لأنه أعطي حق القصاص، والخيار.

[٣٤] ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾:

﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾: ارجع إلى الآية (٣٢) السابقة، ولا تأكلوا مال اليتيم، ولا تبدلوا الخبيث بالطيب، ولا تسرفوا مال اليتيم.

﴿مَا لَ الْيَتِيمِ﴾: اليتيم: الذي فقد أباه في سن الطفولة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: إلّا بأحسن الطرق؛ فهو يحتاج إلى من يدبر، ويحسن التصرف بماله، وينمي ماله. ارجع إلى الآية (١٥٢) من سورة الأنعام؛ للبيان، وسورة النساء، آية (٢).

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: حتى: حرف غاية، نهاية الغاية.

﴿يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: اختلف في معنى يبلغ أشده؛ فمنهم من قال: يبلغ سن الرشد، وهو (٢١ سنة)؛ أي: سلامة العقل، وحسن التصرف، أو يصبح قادراً على إنجاب مثله؛ أي: سن البلوغ.

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾: أي: أتموه، ولا تنقضوا عهودكم، والعهد: كل ما يلزمه، ويعقده الإنسان على نفسه باختياره؛ مثل: النذر، والباء: للإلصاق، والاستمرار، والتوكيد.

﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾: إن: للتوكيد.

﴿كَانَ مَسْئُولًا﴾: أي: مسؤولاً عنه مطلوباً منه، وعلى المعاهد ألا يضيعه، ويفي به.

﴿الْعَهْدَ﴾: هو وعد مقرون بشرط، ويقتضي الوفاء، وهناك فرق بين العهد، والعقد؛ العهد: يكون بطرف واحد؛ كالنذر، أو ما يعاهد العبد ربه، أو يعاهده ربه على لسان نبيه؛ أما العقد: لا يتم إلا بطرفين متعاقدين، وهو أوثق، أو أبلغ من العهد.



[٣٥] ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾:

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾: أتموه، والكيل: المعايير لما يكال حجماً.

﴿إِذَا كِلْتُمْ﴾: أي: حين البيع، والشراء؛ أي: وقت كيلكم؛ للتأكيد على إتمامه، وعدم التأخير.

﴿إِذَا﴾: ظرف زمان للمستقبل متضمن معنى الشرط، وإذا: تعني: الحتمية.

﴿وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾: القسطاس: من القسط، وهو العدل والحصّة والنصيب، والغاية من الميزان: هو أن يأخذ كل إنسان نصيبه، ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الزُّنْتَ بِالْقِسْطِ﴾ [الرحمن: ٩]، ودائماً يأتي الوزن مقروناً بالقسط، والقسطاس: هو الميزان، وزنوا بالميزان السويّ العدل؛ الميزان الصغير؛ كميزان الذهب، أو الكبير (مثل: القبان) بأعدل الموازين.

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾: ذلك: اسم إشارة، واللام: للبعد يشير إلى الوزن بالقسطاس، وإيفاء الكيل خير وأفضل لكم عند الله من التطفيف.

﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: عاقبة، ومالاً؛ أي: نتيجة في الجزاء؛ تأويلاً: مشتقة من: آل؛ أي: رجع، أو ما يؤول إليه.

[٣٦] ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾:

﴿وَلَا تَقْفُ﴾: لا: النّاهية؛ تقف: القفو: اتباع أثر الشخص، أو السير خلفه، والقيافة: تتبع الأثر، وقفوت الشيء: أي: تبعت أثره.

﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: من قول، أو فعل؛ أي: لا تقل ما لا تعلم، ولا بد من التحقق، والتثبت إذا جاءكم إنسان بخبر لمعرفة صدقه أو كذبه، أو حق، أو باطل.



ويندرج تحت ذلك شهادة الزور، وقول الزور، وعدم الظن، والقذف.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾: هذه الحواس كل إنسان مسؤول عنها، ويحاسب عليها، وقدم السمع على البصر. ارجع إلى سورة البقرة آية (٧)، وسورة الملك آية (٢٣) لمعرفة السبب.

وأما الفؤاد: فقد قيل هو القلب، والحقيقة: الفؤاد هو الخلايا القلبية المتميزة والقادرة على الذكري والشعور والحنان والعاطفة، وكأنها تشبه خلايا الذاكرة في الدفاع. ارجع إلى سورة الحج آية (٤٦) لمزيد من البيان.

﴿كُلُّ﴾: تفيد التوكيد.

﴿كُلُّ أُولَئِكَ﴾: كل: أي: السمع، والبصر، والفؤاد عبر عنها بأولئك؛ أي: أعطاهما صفة العاقل العقل، والإدراك.

﴿كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾: محاسب على كل واحدة منها، وكل منها سوف تشهد له، أو تشهد عليه يوم القيامة.

وقدم السمع على البصر؛ ارجع إلى الآية (٧) من سورة البقرة؛ للبيان، وإلى سورة الملك، آية (٢٣)؛ للبيان.

[٣٧] ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾:

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾: في الأرض، ولم يقل على الأرض؛ لأن الطبقة الغازية المحيطة بالأرض جزء من الأرض.

﴿مَرَحًا﴾: بتكبر، وخيلاء، وفخر.

﴿إِنَّكَ لَن﴾: إن: للتوكيد؛ لن: تنفي المستقبل القريب والبعيد معاً.



﴿تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾: في القريب، أو الزمن البعيد القادم؛ تعليل للنهي، ولن يحدث ذلك أبداً مهما حاول الإنسان، وفيه تهكم بالمختال؛ فقد دلت البحوث على أن قطر الأرض يبلغ حوالي (١٢،٧٥٦ كم).

﴿تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾: لن تستطيع أن تحفر الأرض، أو تقطعها أو تنفذها إلا بقدر؛ فقد تبين أبعد ما وصل إليه الباحثون في الحفريات في عمق الأرض هو حوالي (٨ ميل)، أو (١٢ كم) فقط، ولم يتمكنوا بعدها من الحفريات؛ لأن أدوات الحفر بدأت تنصهر وتذوب بسبب شدة ارتفاع درجة الحرارة.

﴿وَلَنْ يَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾: ولن: كالسابقة.

﴿يَبْلُغُ الْجِبَالَ طُولًا﴾: أي: لن تبلغ بطولك طول الجبال؛ أي: علوها؛ فهي أعلى منك؛ فقد أشارت الدراسات إلى أن ارتفاع جبال هيمالايا (قمة أفرست) حوالي (٨،٨ كم)؛ أي: (٥،٥ ميل) من سطح البحر، وتكرار لن: تفيد التأكيد، وفصل كل منهما عن الآخر: خرق الأرض، وبلوغ الجبال طولاً، ولذلك لا يجوز للعاجز في هاتين الحالتين أن يتكبر، ويختال، ويفخر؛ فالتواضع أفضل، والأرض والجبال أقوى منك؛ فإياك والغرور.

[٣٨] ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾:

﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾: كل: للتوكيد.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد؛ تشير إلى ما وصي، ونهي، وأمر به الله تعالى عباده في الآيات السابقة (٢٣-٣٨) من سورة الإسراء. ذلك: تصلح للواحد، والجمع، والمؤنث، والمذكر.

﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ﴾: أي: السيئ: هو المكروه عند الله؛ أما الأمور الحسنة: مثل: بر الوالدين، وإيتاء ذي القربى، والوفاء بالعهد هذه أمور حسنة،

ومخالفتها كعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيم، وعدم الوفاء بالعهد يحولها إلى أمور سيئة.

﴿مَكْرُوهًا﴾: والمكروه عند ربك: هو المخالف لمنهج العبودية، والربوبية، والمخالف لما جاء به رسول الله ﷺ، ويمكن تلخيص الآيات السابقة بما يلي:

- ١ - عبادة الله وحده، وتحريم الشرك.
- ٢ - الإحسان إلى الوالدين.
- ٣ - إيتاء ذي القربى، والمساكين، وابن السبيل، والقول الميسور إذا تعذر الإيتاء.
- ٤ - عدم التبذير، والإسراف، وعدم البخل.
- ٥ - تحريم قتل الأولاد من الإملاق، أو خشية الإملاق.
- ٦ - تحريم الزنى.
- ٧ - تحريم قتل النفس إلا بالحق؛ حق القصاص؛ وتحريم الإسراف في القصاص.
- ٨ - تحريم أكل مال اليتيم.
- ٩ - الوفاء بالعهد.
- ١٠ - إيفاء الكيل، والميزان بالقسط (بالعدل).
- ١١ - الثبوت من الأخبار، وتجنب الظن.
- ١٢ - تجنب التكبر، والخيلاء.





سُورَةُ الْاِنشِرَافِ ١٧

الجزء الثاني عشر

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ
بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثَاءً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾
قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأَبْتَغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا
﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ
السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ
لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ
الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا
مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ
وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ فِي الْقُرْآنِ وَحَدَّهُ وَلَوْ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا
﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ
إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظِرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾
وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرَفَتًا آءِذَا لَمَبَعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾



سورة الإسراء [الآيات ٣٩ - ٤٩]

[٣٩] ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد؛ تشير إلى ما سبق ذكره من الوصايا، والأوامر، والنواهي الإلهية، وكرر كلمة ذلك؛ للتوكيد، وذلك: تصلح للواحد، والجمع.

﴿مِمَّا﴾: مركبة من كلمتين: من: الابتدائية البعضية؛ وما: اسم موصول بمعنى: الذي، وما: أوسع في المعنى من: الذي.

﴿أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾: أوحى: من الوحي: وهو الإعلام بخفاء، والوحي في الشرع: هو ما يُلقى الله إلى رسله من تكاليف وتعاليم وآيات، ووعد، ووعد... وغيره.

﴿إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾: الرب: هو الخالق المربي، والمدير. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣) لمزيد من البيان في معنى الوحي.

﴿مِنَ الْحِكْمَةِ﴾: من: هنا بعضية؛ أي: بعض الحكمة، ولذلك أحد تعاريف الحكمة: هي التكاليف الشرعية، أو الفقه بأمور الدين، ولتعريف الحكمة: ارجع إلى سورة النحل، آية (١٢٥).

﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾: كرر النهي عن الشرك مرة أخرى في أول آية؛ آية



(٢٢)، وآخر آية؛ للتوكيد، وللتذكير بأن التوحيد هو البداية والنهاية، والفتاحة، والخاتمة، وبدون الوحدانية لا تُقبل تلك الأعمال، وليس لها ثواب.

﴿فَتَلَقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾: ملوماً: أي: لا تجعل مع الله إلهاً آخر؛ أي: لا تشرك بالله تعالى؛ فيكون سبباً في إلقاءك في جهنم موبخاً ملوماً على شركك. ارجع إلى الآية (٢٩) من السورة نفسها.

انتبه إلى أول الآيات: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ وآخر الآيات ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾.

الآيتان معاً جمعتا: مذموماً مخذولاً، ملوماً مدحوراً؛ أي: الشرك بالله يؤدي بصاحبه إلى الذم، والخذلان، واللوم، والبعد، والطرده من رحمة الله تعالى، وفي الآية الأولى: فتقعد، وفي الثانية: فتلقى في جهنم، والإلقاء: يكون أولاً، ثم القعود.

فتقعد في جهنم خائر القوى عاجزاً لا تستطيع حتى القيام. ولذلك وصف الله الشرك بأنه ظلم عظيم للنفس، والذات، وجاءت الآيات الكثيرة في القرآن محذرة منه.

[٤٠] ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثَاءً إِنَّكُمْ لَقَوْلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾:

هذه الآية، والآيات القادمة تبين لنا بعض أنواع الشرك. ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ﴾: الهمزة في «أصفاكم» للاستفهام، والإنكار، والتوبيخ، والفاء: للدلالة على شدة الإنكار، والتوكيد، والتهديد.

أصفاكم: من الاصطفاء. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٤٤)؛ لمعرفة

معنى الاصطفاء، والمعنى العام: أي: اختار، وخصكم ربكم بالبنين، أو فضلكم على ذاته، وخص نفسه بالملائكة الإناث؛ كما يزعم بعض المشركين!

﴿وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾: اتخذ: من أفعال التحويل، والتصيير؛ أي: جعل من الملائكة إناثاً.

وفي آية أخرى يقول الحق: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكُنَّبُ شُهَدَائِهِمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

وكذلك الآية: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧].

﴿إِنَّكُمْ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لَنَقُولَنَّ﴾: اللام، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿قَوْلًا عَظِيمًا﴾: أي: قولاً في منتهى العظم، والكفر، والشرك، والجرأة على الله ﷻ. ارجع إلى سورة الكهف، آية (٥)؛ للبيان.

[٤١] ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذْكُرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق؛ أي: تحقق ذلك التصريف.

﴿صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾: صرفنا من التصريف، والتبيين؛ أي: صرفنا الآيات؛ أي: جئنا بها بصور شتى، وأساليب متعددة؛ حتى تفهموا معانيها؛ أي: (آية واحدة) جئنا بها بصور مختلفة مثل: الريح، والرياح، لواقع، عقيم، العاصفة، طيبة، وغيرها من أشكال الريح.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿هَذَا﴾: الهاء: للتنبيه، وذا: اسم إشارة للقرب.

﴿الْقُرْآنِ﴾: لكونه مقروءاً، أو يقرأ؛ أي: عن قرب.



﴿لِيَذْكُرُوا﴾: السلام: لام التعليل؛ يذكروا: من جديد بعد أن غفلوا عما أمرهم الله به، ونهاهم عنه، أو نسوا، وغفلوا عن اتباع الحق، وعن آيات الله، وبدلاً من أن يذكروا ازدادوا نفوراً.

﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾: ما: النافية.

﴿يَزِيدُهُمْ﴾: ذلك التذكير.

﴿إِلَّا نُفُورًا﴾: إلا: للحصر؛ ابتعاداً عن الهدى، والإيمان. والنفور: مشتق من نفور الدابة؛ أي: هروب الدابة خشية من الأذى كقوله تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ [المدثر: ٥٠-٥١].

وإذا قارنا هذه الآية (٤١) مع الآية (٨٩) من السورة نفسها.

الآية (٤١): ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذْكُرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾.

الآية (٨٩): ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.

نجد النفور: يحدث أولاً، ثم يأتي الكفور ثانياً، أو يتلو النفور الكفر؛ فذكر كلتا المرحلتين، وبدأ بالمرحلة الأولى (النفور)، ثم المرحلة الثانية (وهي الكفر).

[٤٢] ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بُدَّعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ﴾: لو: حرف امتناع لامتناع.

﴿مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾: أي: هناك آلهة أخرى غير الله مثل الشمس، أو القمر، أو النجوم، أو الملائكة، أو الأصنام، أو بشر، أو جن، أو غيرها.

﴿إِذَا﴾: حرف جواب.



﴿لَا تَبْغُوا﴾: اللام: لام التوكيد.

﴿إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾: أي: لو كان هناك آلهة كما يزعمون فهم سيبحثون عن الإله الواحد الحق؛ ليأخذوا، ويستمدوا منه القوة، أو لالتمسوا؛ أي: طلبوا إلى ذي العرش (صاحب العرش) طريقاً؛ سبيلاً؛ أي: لطلبت تلك الآلهة لنفسها القوى، والزلفى من الله تعالى؛ فهي غير قادرة على اتخاذ السبيل لنفسها؛ فكيف تستطيع أن تشفع، أو تقربكم إلى الله زلفى؟ أو لحاولت تلك الآلهة الاستيلاء على العرش، والوصول إليه بالقتال، والعداوة، والقهر.

[٤٣] ﴿سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾:

﴿سُبْحَنَهُ﴾: تنزيهاً له مطلقاً أن يكون له شريك، أو مثيل في الذات، والصفات، والأفعال، وتنزيهاً؛ أي: تبرئة له.

﴿وَتَعَالَىٰ﴾: تعاضم. ارجع إلى سورة الحديد، آية (١)، وإلى الآية (١) من السورة نفسها؛ لبيان معنى: سبحانه.

﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾: من وجود الشركاء، والولد، والبنات... وغيرها. يقولون، ولم يقل قالوا؛ لأنهم استمروا في أقوالهم؛ فهي تتجدد، وتكرر، ولم يكفوا عنها بعد.

﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾: تعالى سبحانه علواً كبيراً (مبالغة في البراءة عما يقولون) من أن له ولداً، أو شريكاً، أو بنتاً، أو الملائكة (إنثاء).

﴿كَبِيرًا﴾: تعني: كل ما سواه صغير، ولم يقل: أكبر الذي يعني: ما دونه كبير؛ أي: مشارك له في الكبير، وهذا ليس صحيحاً.



[٤٤] ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾:

﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾: أي: تنزهه.

﴿السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾: من: للعاقل، وتشمل: المفرد، والمثنى، والجمع. ارجع إلى سورة الحديد، آية (١)؛ للبيان.

﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾: من مخلوقات؛ كالملائكة، والثقيلين: الجن، والإنس؛ تسبح له كل المخلوقات؛ مثل: الشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، والدواب، والجمادات، والنباتات، تسبح، وتشهد بوحدانيته.

﴿وَإِنْ﴾: إن: نافية؛ وتعني: ما، وإن: أشد نفياً من: ما؛ أي: وما من شيء إلا يسبح بحمده.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية استغرافية.

﴿شَيْءٍ﴾: اسم جنس، ونكرة يشمل كل شيء، والشَّيْء: هو أقل القليل.

﴿وَالَّذِينَ﴾: أداة حصر.

﴿يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾: تسبيح وحمد معاً، ولمعرفة معنى الحمد: ارجع إلى سورة الفاتحة، آية (٢).

﴿وَلَكِنْ﴾: أداة استدراك؛ تفيد التوكيد.

﴿لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾: التسييح: هو تنزيه الله سبحانه عما لا يليق بذاته وأسمائه وصفاته من كل عيب ونقص، ويعني: تعظيم وتمجيد الله تعالى، فنحن نسمع تسبيحها ولكن لا ندرك أو نفهم ما تقول؛ فقد قال تعالى: ﴿كُلُّ قَدْعَةٍ صَلَافُهُ﴾ وَتَسْبِيحُهُ [النور: ٤١]؛ فكل شيء في الكون يعلم كيف يُصلي لله بطريقته الخاصة، ولغته الخاصة، ويسبحه، وعدم فقه تسييحهم قد يكون رحمة بالعباد؛ فلو فهموا

أو فقهوا تسييح الأشياء التي يأكلونها لربما امتنعوا عن الأكل، وربما لم يستطيعوا أن يناموا لحظة من سماعهم ما تقول تلك المخلوقات حين نسمع أصواتها، أو غيرها من الآثار المترتبة على سماع وفهم تسييح مخلوقات الله. وانظر إلى قوله تعالى: ﴿تَسِيحَهُمْ﴾، ولم يقل (تسييحها): وصف الغير عاقل بالعاقل، وعاملها معاملة العاقل؛ لأن الله حين خلط مع العقلاء غيرهم جرى على أحدهما ما جرى للآخر إذا كان مشارك في المعنى.

﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾: إنه: للتوكيد.

﴿كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ كان، ولا زال، وسيبقى.

﴿حَلِيمًا﴾: لا يعجل بالعقوبة للغافل؛ لعله يذكر ربه، ويسبح، أو يتوب إلى ربه، ورفيقاً بعباده كثير الصبر والإناة.

﴿عَفُورًا﴾: لمن تاب، وأناب؛ كثير الغفران صيغة مبالغة؛ يغفر الذنوب جميعاً مهما كثرت، أو عظمت، والغفر؛ يعني: الستر، ثم يمحوها من كرمه، وفضله.

[٤٥] ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾

المناسبة: كما ذكر القرطبي؛ قيل: إن جماعة من كفار قريش منهم: أبو جهل، وأبو سفيان، وأبو لهب، وأم جميل كانوا ينتصتون على رسول الله ﷺ وهو يقرأ القرآن؛ ليسمعوا ما يقول، وكانوا يؤذونه؛ فحجب الله سبحانه عنهم سماع القرآن، وكذلك حجب الله سبحانه رسوله ﷺ عن أبصارهم عند قراءة القرآن؛ فكانوا يمرون به، ولا يرونه، ولا يسمعون، ومثال على ذلك: حين نزلت سورة «تبت يدا أبي لهب»؛ فجاءت امرأة أبي لهب بحجر، والنبي ﷺ مع أبي بكر؛ فقالت لأبي بكر: أين صاحبك الذي هجاني؟ ولم تر رسول الله ﷺ،



وأخبرها أبو بكر بأن السورة ليست من قوله. وقيل: نزلت في أبي سفيان، والنضر بن الحارث، وأبي جهل، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه.

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زمان يتضمن معنى الشرط، واستعمال إذا: يفيد حتمية الوقوع، وكثرة وقوعه.

﴿قَرَأَتِ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾: ولم يقل: ساتراً، بل: مستوراً؛ مبالغة في الستر، والإخفاء، وهذا الحجاب نفسه مستور، حجاب معنوي يمنعهم من سماعك، أو رؤيتك، كما قال تعالى: ﴿رَفَعَ السَّمُوتَ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَنَهَا﴾ [الرعد: ٢].

مستور: على وزن مفعول؛ أي: مانع للعين من الرؤية، ومانع للأذن أن تسمع، والقدرة الإلهية التي تُسير هذا الكون قادرة على أن تعطل أي أداة عن أداء مهمتها؛ فلا عجب؛ فقد جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام.

[٤٦] ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوْ عَلَى أَذْبَرِهِمْ نُفُورًا﴾:

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: كما جعل الله سبحانه على أعين كفار مكة حجاباً مستوراً لا ترى رسول الله ﷺ أحياناً، وعطل سمعهم أحياناً؛ كذلك جعل على قلوبهم أكِنَّةً: أغطية؛ جمع كنان: غطاء.

﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾: أي: يفهموا القرآن يفهموا أسرارَه ومعانيه وحقائقه التي تبعث على الإيمان بالله وحده. أن: حرف مصدري للتعليل، وما جعل الله على قلوبهم أكِنَّةً؛ إلا بعد أن قالوا عن أنفسهم: قلوبنا في أكِنَّةٍ مما تدعونا إليه، وفي آذاننا وقر؛ أي: ثقل في السَّمْع؛ لكيلا يسمعوا هذا القرآن، أو ما يقوله رسول الله ﷺ سماع يُستفاد منه بالرجوع إلى طريق الهداية، والإيمان، والتوبة.

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾: أي: إذا ذكرت ربك وحده، ولم تذكر



آلهتهم التي يظنون أنها ستشفع لهم، أو تقربهم من الله زلفى، أو قلت: لا إله إلا الله وحده، وذكرت آيات تدل على التوحيد؛ خافوا مما سمعوا.

ثم ﴿وَلَوْ أَعْلَىٰ أَدْبَرِهِمْ نُفُورًا﴾: (أعطوك ظهورهم)، وابتعدوا عنك فارين لا يريدون سماع ما تقول، ولا يريدون منك أن تذكر الله وحده.

[٤٧] ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾:

المناسبة: روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن جماعة من كفار مكة مثل النضر بن الحارث، وأبي سفيان، وأبي جهل، وغيرهم كانوا يجلسون إلى النبي ﷺ، ويستمعون إلى حديثه للاستهزاء به، أو التعجب، أو لكي يلغوا في القرآن.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد؛ سبب الاستماع: هو الاستهزاء، أو اللغو... وغيرها، والهاء: تعود للقرآن؛ أي: يستمعونه، وهناك فرق بين يستمعون به، ويستمع إليك؛ يستمع إليك تعني: ذكر الرسول، أو القصد الرسول، وحين يقول يستمعون به تعني: القرآن.

﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾: إذ: ظرف زمني؛ أي: وإذ هم ذوو نجوى؛ فكان كل حالهم، وهمهم النجوى.

﴿هُمْ نَجْوَىٰ﴾: يتحدثون سراً بينهم، ويقولون: رجل مسحور، أو ساحر، أو كاهن، أو مجنون.

وأحياناً يقولون: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو، ولا يعلو عليه من السيرة النبوية لابن هشام، أو يقولون: إن تبعون إلا رجلاً مسحوراً (اسم مفعول)؛ أي: سحره غيره، وفي مرات أخرى قالوا: ساحر، وهنا يقولون: مسحوراً سحره غيره.



﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾: المشركون.

﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾: إن: نافية أقوى في النفي من: ما.

﴿إِلَّا﴾: حصراً.

﴿رَجُلًا مَسْحُورًا﴾: أي: سحره غيره. ارجع إلى سورة طه، آية (٥٨)؛ لبيان معنى: السحر.

فهم ما قالوا ذلك إلا بعد أن تأثروا بما جاء في القرآن، فشبهوا ذلك بالسحر الذي يؤثر في نفوس الناس.

[٤٨] ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾:

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ﴾: استفهام فيه معنى التعجب.

﴿ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾: لك: اللام: لام الاختصاص؛ لك: خاصة، وليس لغيرك؛ أي: أنت وحدك الذي اتهموه بكل هذه الأمثال؛ فقالوا ساحر، شاعر، مجنون، كاهن. ارجع إلى سورة النحل آية (٧٤-٧٥) لمزيد من البيان في معنى المثل.

﴿فَضَلُّوا﴾: الفاء: عاطفة؛ ضلوا: عن الصواب، ولم يهتدوا إلى الحق، ولم يجدوا مخرجاً إلا هذه الافتراءات.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتأكيد؛ لا: النافية.

﴿يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾: ليس لهم القدرة، والاستطاعة أن يصدوا أحداً عن سبيل الله، أو عن رسول الله ﷺ، أو الدخول في الدين إذا شاء الله بأي وسيلة، أو طريقة يملكونها.

﴿سَبِيلًا﴾: نكرة؛ أي سبيل، أو طريقة يستعملونها.

[٤٩] ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفْنًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾:

﴿وَقَالُوا أَإِذَا﴾: أي: الهمزة: استفهام إنكاري، وتعجب، واستبعاد؛ أي: قال المشركون منكرو البعث.

﴿كُنَّا عِظْمًا وَّرُفْنًا﴾: ولم يقولوا هذه المرة تراباً وعظاماً، وإنما قالوا: عظاماً ورفاتاً، فقط في سورة الإسراء ذُكرت العظام، والرفات، والأصل: تراباً، وعظاماً، وليس عظاماً ورفاتاً؛ لأننا إذا بحثنا في القبر نجد التراب، وتحتة العظام؛ فالعظام، والرفات: هي ناتجة عن تكسر العظام وتفتتها، وهي تدل أو تشير إلى مرحلة متأخرة جداً بعد الموت تلي مرحلة التراب والعظام.

والعظام: جمع عظم، وتتكسر العظام، ثم تتفتت على مرور السنين.
والرفات: هو الفتات (فتات العظام) وهم قالوا: ﴿إِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفْنًا﴾؛ لأن بعضهم أحضر إلى رسول الله ﷺ عظاماً بالياً وكسره وسئل رسول الله ﷺ كما قال تعالى في سورة ياسين آية (٧٨) ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾.

فهؤلاء المشركون ومنكرو البعث يستبعدون أنهم بعد موتهم، وتحولهم إلى عظام ورفات أنهم سوف تعاد لهم الحياة، ويُبعثون من قبورهم للحساب، والجزاء.

﴿إِنَّا﴾: استفهام إنكاري، واستبعاد.

﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾: اللام: لام التوكيد؛ مخلوقون من جديد.

﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾: بعد الموت.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ١٧

الْبَقَرَةُ



قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي
صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ
يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ
وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِن الشَّيْطَانُ كَانَ لِلْإِنْسَانِ
عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يُرْحَمَكُمُ أَوْ يُنْشِئَ
يُعَذِّبَكُمُ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ
وَمَا آتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا
يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ
يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾
وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾



سورة الإسراء [الآيات ٥٠ - ٨٥]

[٥٠] ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾:

قل لهم يا محمد ﷺ: لو كنتم حجارة، أو حديدًا بدلاً من العظام، والرفات، أو أي شيء بين الحجارة، أو الحديد؛ فإن الله سبحانه قادر على بعثكم خلقاً جديداً للحساب، والجزاء، ولن تفلتوا من عقابه.

[٥١] ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾:

﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ﴾: التحدي ازداد لمنكري البعث بأبعد من الحجارة، أو الحديد: بأن يختاروا خلقاً حسب ما يتصورونه، ويكون أصعب، أو أبعد التصورات من الحديد، أو الحجارة؛ مهما كان نوعه، وشكله أعظم شيء يمكن تصوره، أو تخيله بعيداً عن قابلية الحياة.

﴿فِي صُدُورِكُمْ﴾: في نفوسكم.

﴿فَسَيَقُولُونَ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب؛ سيقولون: السين: للاستقبال القريب.

﴿مَن يُعِيدُنَا﴾: إلى الحياة، أو يبعثنا.

﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ: الذي فطركم (خلقكم) أول مرة.



﴿فَطَرَكُمْ﴾: أخرجكم أظهركم للوجود من: تفطر الشجر؛ أي: تشقق بالورق.

﴿فَسَيَنْغْضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾: فسينغضون: الفاء: للترتيب، والتعقيب، والمباشرة، والسين: للاستقبال القريب؛ ينغضون إليك رؤوسهم: يحركون رؤوسهم كما نفعل حين نرد على سؤال ما بدون النطق بحرك الرأس من الأعلى إلى الأسفل، وتعني: نعم، أو من الأسفل إلى الأعلى، وتعني: كلا، أو لا.

نغض الرأس: حركة الرأس بارتفاع، أو انخفاض تعجباً، أو استهزاء أحياناً. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾: أي: متى سيكون البعث، والإعادة. ﴿مَتَى﴾: للاستفهام الزماني، وفيها معنى الاستنكار، والتعجب، والاستبعاد؛ لحصول البعث.

﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾: عسى: للطمع، والترجي، والمتوقع حدوثه: ﴿أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾: أن: للتوكيد. ﴿يَكُونَ قَرِيبًا﴾: بدون طول انتظار.

[٥٢] ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾: بالنفخة الثانية: نفخة البعث؛ يدعوكم للخروج، أو للبعث من القبور؛ كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥].

﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾: فتستجيبون: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ تستجيبون: للداعي، وهو إسرئيل عليه السلام؛ تستجيبون: تجيبون دعوة الداعي بمشقة وجهه.

﴿بِحَمْدِهِ﴾: الباء: للإلصاق، والتعليل؛ بحمده؛ أي: بأمره، أو حامدين لله شاكرين له؛ أي: تقومون طائعين تحمدون الله الذي طالما أعلمكم بهذا اليوم، أو بالبعث.

﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾: وتظنون: من الظن، وهو الخبر الراجح (نسبة الإثبات أعلى من نسبة النفي).

﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾: إن: للنفي أشد نفياً من حرف: ما؛ أي: ما لبثتم، واللبث: الإقامة المقترنة بزمان محدد مقارنة بالمكث الغير محدد بزمان معين.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: أداة حصر، قليلاً من الزمن؛ لأنه سبحانه قادر على قبض الزمن، وبسطه في آن واحد، وقادر على جمع الضدين، كما حدث في قصة الذي مر على قرية، وهي خاوية على عروشها، وكفوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥]، ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُزَوَّلُوا لَبِثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

[٥٣] ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾:

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي﴾: يا محمد ﷺ.

﴿لِعِبَادِي﴾: اللام: لام الاختصاص؛ عبادي: أي: الذين آمنوا، الطبقة المؤمنة. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٨٦)؛ لمعرفة الفرق بين عبادي وعباد.

﴿يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: قيل: التي هي أحسن هي: لا إله إلا الله، وتشمل كل الأقوال الحسنة؛ «يقولوا التي هي أحسن»: على وزن أفعّل؛ أي: أفضل عند حديثهم مع بعضهم، أو عند محاورتهم للمشرّكين، أو غيرهم من الناس.



﴿أَحْسَنُ﴾: تشمل كل حسن، وحكمة.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾: إن: للتوكيد.

﴿الشَّيْطَانُ﴾: ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾: النزغ: هو الإهاجة، والإثارة بأن يهيج، ويشير الغضب بعضهم على بعض؛ حتى تحدث العداوة بينهم، أو يفسد بينهم بالوسوسة، والطعن، والغيبة.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿كَانَ لِلْإِنْسَانِ عِدُوًّا مُبِينًا﴾: كان: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ كان، ولا يزال، وسيبقى.

﴿لِلْإِنْسَانِ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ الإنسان: مشتقة من الإنس؛ أي: الإلفة.

﴿عَدُوًّا مُبِينًا﴾: أي: بين العداوة عدواً ظاهر العداوة عداوته لا تخفى على كل فرد، وعداوته لا تحتاج إلى برهان، أو دليل. ومبيناً: صفة مشبهة من فعل أبان. [٥٤] ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾:

﴿رَبُّكُمْ﴾: الرب: هو الخالق، والمربي، والمدبر، ورب المؤمن، والكافر، ورب كل شيء.

﴿أَعْلَمُ بِكُمْ﴾: الخطاب هنا للكل، أو قد يكون للمشركين، أو للمؤمنين. أعلم بكم: أعلم بالمؤمن، أو غير المؤمن، والطائع، والعاصي؛ أعلم بإيمانكم، وبأعمالكم، وأحوالكم، وتقلبكم، وأعلم بحسناتكم، وسيئاتكم، وذنوبكم.

﴿إِنْ يَشَأْ يُرْحَمَكُمُ﴾: إن: شرطية؛ يشأ: من المشيئة التي تسبق الإرادة، والمشية لا تتغير.

فإذا كان الخطاب للمؤمنين يرحمكم: بالتوبة، ويغفر لكم ذنوبكم، ويرحمكم في الدنيا، والآخرة بكثير من أنواع الرحمة، أو أن يعذبكم بكثير من أنواع العذاب.

وإذا كان الخطاب للمشركين العاصين يرحمكم: يهديكم للإيمان، أو يعذبكم في الدنيا، والآخرة بأنواع كثيرة من أنواع العذاب، أو يمتكم على الكفر. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾: ما: النافية؛ أرسلناك: يا محمد ﷺ. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩) لبيان معنى الإرسال والبعث.

﴿عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا﴾: أي: ليس موكلًا إليك أمرهم عنا لكي تجبرهم على الإسلام، والإيمان، أو مسئول عن إيمانهم، أو مؤاخذ على أفعالهم، أو ليس موكلًا عليك الدفاع عنهم؛ لأن الوكيل يدافع عن موكله؛ أي: لتدافع عنهم يوم القيامة؛ أي: أنت لست وكيلاً عليهم ولست وكيلاً عنا.

وهذا من رأفة الله تعالى، ورحمته برسوله ﷺ، وليس انتقاصاً من قدره؛ لأنه كان ﷺ باخعاً نفسه، وحريصاً على إيمانهم. وإذا قارنا هذه الآية مع قوله تعالى ﴿أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ [النساء: ٨٠]؛ حفيظاً: تعني لكي تحفظ أعمالهم وتحاسبهم عليها.

[٥٥] ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾:

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ﴾: على وزن أفعّل التفضيل؛ تدل على المبالغة في العلم، والله كذلك عليم، والله عالم الغيب، والشهادة، وأجاز لمن دونه أن يتصف



بالعلم؛ فوصفه بالعالم؛ أي: العالم كذا، والله علام الغيوب؛ فهو سبحانه عليم، وعالم، وعلام؛ يملك كل درجات العلم سبحانه.

﴿بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: بمن: الباء: للإلصاق، ومن: للعاقل، وتشمل المفرد والمثنى والجمع والذكر والأنثى من الإنس، والجن، والملائكة أعلم بأحوالهم، وسبل عيشتهم، وإيمانهم، وموتهم.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾: فضلنا: بالقرب من الله، وبالدرجة في الجنات، والله سبحانه له الأمر، والتفضيل؛ لأنه سبحانه يعلم بواطن الأمور (خبير)، وظواهرها. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥٣) لمزيد من البيان في الفضل والكيفية.

﴿النَّبِيِّينَ﴾: تشمل الرسل، والأنبياء؛ فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

وذكر تفضيل الرسل في آية أخرى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾: الزبور: الكتاب الذي أنزل على داود، وهو كتاب دعاء، وتحميد، وتمجيد ليس فيه من الفرائض، والحدود، أو الحلال، والحرام. والزبور: تطلق على كل كتاب أنزله الله سبحانه. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لمزيد من البيان في معنى: زبوراً، ولماذا خص داود بالذكر عقب تفضيل بعض الأنبياء على بعض، ولم يذكر نبياً من أولي العزم؟ الله أعلم، وقد يكون السبب لأنه كان ملكاً رسولاً بعد أن كان راعياً للغنم.



[٥٦] ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾:

سبب نزولها: أن نفراً من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن، كما روى ابن مسعود، وأخرجه البخاري. وقيل: أن المشركين كانوا يعبدون الآلهة، أو الملائكة، وغيرهم من الشركاء؛ فلما ابتلوا بالقحط سبع سنين، وراحوا يشكون حتى أكلوا الكلاب، والجيف، وضائق السبل قيل لهم:

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾: أي: من غير الله، على سبيل التهكم؛ من الملائكة، والأصنام، وعيسى، أو الجن، أو المعبودين حتى يطعموكم، أو ينزلوا الغيث عليكم، أو يكشفوا الضر عنكم، والعبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد؛ لا: النافية.

﴿يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ﴾: فلا يقدرّون إزالة، أو إيقاف الضر من الفقر، والجوع، والمرض، والبؤس.

﴿يَمْلِكُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد، والاستمرار.

﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾: ولا يقدرّون على تحويل الضر عنكم إلى غيركم، أو تحويل العسر إلى يسر، أو تحويل الضر إلى النافع.

وتكرار (لا) مرتين: تفيد التوكيد لا كشف الضر، ولا تحويله، ولا كليهما.

[٥٧] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد (سواء عيسى، أو الملائكة، أو عزيز، أو الجن).



﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: أي: هم أنفسهم يدعون.

﴿يَنْبَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أَلْوَسِيلَةً﴾: أي: يطلبون أو يلتمسون القربى من الله تعالى بالطاعة، والعبادة، والدعاء؛ جاءت بالمضارع؛ لتدل على التجدد، والاستمرار.

﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾: جنته، أو دفع الضر عن أنفسهم، والوقاية من وقوع العذاب بهم.

﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾: عذاب النار (عذاب الآخرة)، أو الأخذ بالعذاب في الدنيا.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾: من الحذر؛ أي: أن عذاب ربك مُحذَر منه، يُخَاف منه ويُتَعَد عنه، بينما المحذور: الممنوع، والحظر: هو المنع (فالعطاء محذور، والعذاب محذور)؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠].

[٥٨] ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْقِيمَةٍ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾:

انتبه إلى هذه الآية التي تخبر بحكم مطلق بتعذيب كل قرية، أو إهلاكها قبل يوم القيامة، والإطلاقات في بعض الآيات القرآنية تقيد آيات أخرى، وعلى سبيل المثال هذه الآية التي تقيد آياتان هما قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾: وإن: الواو: استثنائية؛ إن: نافية أشد نفياً من: ما؛ أي: وما من قرية.



﴿مَنْ﴾: ابتدائية استغرافية.

﴿قَرْيَةٍ﴾: تعني: أهل القرية، والبناء، وكما قلنا: من قرية؛ أي قرية ظالمة، أما القرية غير الظالمة، والقرية التي أهلها غافلون، أو مصلحون؛ فلن تعذب، أو تهلك قبل يوم القيامة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿نَحْنُ﴾: بصيغة التعظيم؛ للدلالة على شدة الهلاك.

﴿مُهْلِكُوهَا﴾: بالاستئصال. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٤) لبيان معنى الهلاك.

﴿أَوْ مُعَذِّبُهَا﴾: من التعذيب، والتعذيب يكون قبل الاستئصال، ويتم بالألم، والجوع، والصواعق، والكوارث الجوية، وفيه عطف الخاص على العام.

﴿كَانَ ذَلِكَ﴾: العذاب، والهلاك.

﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾: أي: مسجلاً في اللوح المحفوظ؛ منذ الأزل.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ١٧

الجزء المفسر

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ
وَأَتَيْنَاهُمُودَ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا
جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي
كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أَخِرَّتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأُحْتَنِكَ
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفِرُّ مِنْ أَسْطَطَعَتْ
مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْأَفْلاكَ
فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهٗ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾



سورة الإسراء [الآيات ٥٩ - ٦٦]

[٥٩] ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاثِنَا ثُمُودَ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾:
﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾: ما: النافية.

﴿مَنَعًا﴾: لا يمنع الله سبحانه أي شيء، واستعمل منعنا بدلاً من صرفنا؛ أي: وما صرفنا عن إرسال الآيات التي طلبوها، أو المعجزات التي اقترحوها مثل تحويل الصفا إلى ذهب، أو أن ينحني عنهم جبال مكة كي يزرعوا ويحصدوا، كما أخرج الإمام أحمد وغيره عن ابن عباس، أو غيرها من الآيات التي سيأتي ذكرها في الآيات القادمة (٩٠-٩٣)، والآيات تعني: المعجزات.
﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾: أي: ما صرفنا عن الاستجابة إلى طلبهم بإرسال الآيات التي اقترحوها إلا تكذيب الأولين الذين سبقوهم بتلك المعجزات، أو الآيات؛ لأنه لو أرسلنا تلك الآيات، واستجبنا لما طلبوه، ولم يؤمنوا بعدها، لحق عليهم العذاب، وهلكوا كما حدث لقوم ثمود الذين ظلموا بها؛ أي: بالناقعة التي أرسلت إليهم كآية:

﴿وَأَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةِ﴾: وأرسلنا إلى ثمود الناقعة؛ كآية معجزة دالة على صدق نبوة صالح. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) لبيان معنى الإيتاء والعطاء.

﴿مُبْصِرَةً﴾: بينة، واضحة على نبوة صالح، وصدق ما دعاهم إليه، ونسب



الإبصار إلى الناقة؛ لأنها كانت سبباً كافياً للدلالة لإبصار طريق الهدى والإيمان؛ مبصرة كالنهار، مبصراً بنوره، وهم عمون عن الحق.

﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ ظلموا بها؛ أي: بالناقة كآية؛ أي: جحدوا بها، وكذبوا بها، ولم يمثلوا أوامر نبيهم صالح؛ فأخذتهم الصيحة؛ ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جُثُمِينَ﴾ [مود: ٦٧]. والسؤال لماذا خص ثمود بالذكر دون غيرهم؛ لأن قصة ثمود وآية الناقة التي أرسلت إليهم اشتهرت بين العرب، ولأن آثار ديارهم لا زالت قائمة بين مكة والشام، ويمكن الوصول إليها ورؤيتها.

﴿وَمَا تُرْسِلُ إِلَّا نَذِيرًا﴾: أي: ما نرسل بالآيات؛ آيات التنزيل، أو المعجزات، أو الكونية إلا حصراً، وقصراً؛ لتخويف العباد؛ كي يتذكروا، أو يتعظوا، أو يصحوا من سيئاتهم، ويتوبوا إلى الله، ويؤمنوا به، وبما أنزل عليهم من الآيات وتشمل الآيات الكونية، والزلازل، والبراكين، والأحداث الجوية.

﴿إِلَّا نَذِيرًا﴾: أي: إنذاراً؛ أي: وما نرسل بآيات القرآن إلا تحذيراً، وإنذاراً بعذاب الآخرة، والخوف: هو توقع الضرر المشكوك في وقوعه، وأما الحذر: فهو توقي الضرر سواء أكان ظناً أم يقيناً.

[٦٠] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّئَیَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ﴾: ظرف زمان للماضي؛ أي: واذكر إذ قلنا لك، أو حين قلنا لك، أو أوحينا إليك.

﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾: إن: للتوكيد.

﴿رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾: أي: أحاط بعلمه، وبقدرته؛ أي: إحاطة علم، وقدره؛ أي: الكل في قبضته، ولا بد من كليهما معاً.



﴿يَا نَاسَ﴾: الجن، والإنس معاً. وقيل: «إن ربك أحاط بالناس»: بشرناك بما سيحدث في معركة بدر؛ سيهزم الجمع، ويولون الدبر.

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أُرِيْنَاكَ﴾: اختلف المفسرون في هذه الرؤيا على عدة تفاسير:

- ١ - ما رأى رسول الله ﷺ في منامه ليلة بدر حيث رأى مصارع القوم مصرع فلان، وفلان من قريش؛ فسمعت قريش فكانوا يسخرون ويضحكون من تلك الرؤيا التي كانت فتنة للناس من حيث التصديق، أو التكذيب بها. أخرجه مسلم، وأحمد في مسنده من حديث أنس رضي الله عنه.
- ٢ - رؤيا الإسراء، والمعراج: وسميت رؤيا؛ لأنها وقعت بالليل فما كان من قريش إلا أن أنكروا ذلك، وكذبوا رسول الله ﷺ عندما أخبرهم بما حدث، كما روى عكرمة عن ابن عباس وغيره من الصحابة، وهذا هو المرجح، وهي رؤيا بصرية حقة، وليست رؤيا منامية حصلت باليقظة.

﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾: إلا: أداة حصر؛ فتنة للناس: ابتلاء واختباراً.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ الناس: قريش، ومن حولهم.

﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾: أي: شجرة الزقوم: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (٦٤) طلعها كأنه رؤووس الشَّيَاطِينِ ﴿[الصافات: ٦٤-٦٥]﴾، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ [الصافات: ٦٣]؛ حيث قال أبو جهل وأصحابه استهزاءً بها وسخرية منها: إن محمد يعدكم بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلا التمر والزبد لتزقمها تزقماً، كما روى ابن عباس، وكما روى قتادة: ووصفت بالشجرة الملعونة: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤] في أبعد مكان من الرحمة، أو العرب تقول لكل طعام مكروه: ملعون. قول: طعام الأثيم؛ الأثيم: لا شك هو ملعون، وهي طعام الأثيم، وهي آية من آيات الله الدالة على قدرته؛ فهي تنبت في أصل الجحيم؛



تنت في النار، وأعدت لإطعام الأثيم؛ فهي شبهت برؤوس الشياطين لقبحها، ولكونها مخيفة، والتي رآها رسول الله ﷺ في الإسراء والمعراج.

﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾: ونخوفهم: بالآيات، أو بالعذاب، ونخوفهم بالصواعق، والبراكين، والريح العقيم، والصيحة.

﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾: تخويفنا، أو إرسال الآيات.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾: الطغيان: تجاوزهم الحد في الضلال، والظلم، والشرك، والكفر، وبعداً عن الدين.

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾:

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾: إذ: ظرف زمان للماضي؛ أي: واذكر إذ قلنا، أو اذكر حين قلنا.

﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: سجود طاعة لله، أو تحية، وليس سجود عبادة.

﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾: الفاء: تدل على المباشرة، سجدوا مباشرة.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء منقطع؛ لأن إبليس ليس من الملائكة، وإنما من الجن.

﴿إِبْلِيسَ﴾: هو أبو الجن؛ كان من الجن ففسق عن أمر ربه، وله ذرية هم الجن، كما أن آدم أبو البشر. إبليس: اسم أعجمي ممنوع من الصرف، وقيل: مشتق من الإبلas؛ لأن الله سبحانه أبلسه من رحمته، وآيسه من مغفرته، سجدوا تعني: الملائكة الموكلين بذرية آدم.



﴿قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾: قال إبليس: أأسجد: الهمزة همزة استفهام إنكاري، وتعجب، واستبعاد؛ لأنه ظن نفسه أفضل من آدم؛ لكونه خلق من نار، وآدم خلق من طين. ارجع إلى سورة الحجر، آية (٢٨)؛ للبيان.

[٦٢] ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿قَالَ﴾: إبليس.

﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾: أرايتك: الهمزة: همزة استفهام، وإنكار، وتعجب؛ أرايتك: الرؤية هنا تعني: رؤية قلبية، وممكن أن تكون بصرية؛ أي: أخبرني، وأعلمني بالتأكيد عن هذا الذي كرمته عليّ، وأنا أفضل منه، وأصابني بسببه ما أصابني.

﴿هَذَا الَّذِي﴾: هذا: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة يشير إلى آدم

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مختص بالمفرد المذكور.

﴿كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾: فضّلت عليّ، وكرمّت أشدّ بلاغاً، وتوكيداً؛ أشدّ تكريماً من القول: أكرمت عليّ.

﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾: لئن: اللام: للتوكيد؛ أخرتن: ولم يقل أخرتني؛ حذف الياء؛ لأن تأخير إبليس ليس طلباً لطول عمره؛ أي: من أجل نفسه، وإنما يريد التأخير للإضلال، والإغواء لبني آدم؛ فهو تأخير ليس فيه نفع لإبليس نفسه، وتأخير سيجلب له زيادة في العذاب، ولو كان التأخير فيه فائدة ومصلحة له لقال أخرتني مقارنة بقوله تعالى: ﴿أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] حيث التأخير هنا كائن لمصلحة؛ أي: فائدته والطلب في هذه الآية طلب صريح بينما الطلب في آية الإسراء هو شرط.



﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾: إلى حرف غاية.

﴿يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾: أي: يريد أن ينجو من نفخة الصعق، والموت، ويبقى حياً إلى يوم القيامة (نفخة البعث) النفخة الثانية.

﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾: لأحتنك: اللام: لام التوكيد؛ ذريته: أي: نسل آدم؛ أحتنك لها عدة معان منهم من قال: اشتقت من حنك الدابة، وتعني: وضع اللجام في فمها حتى يمكن السيطرة عليها، وتوجيهها حيث يريد الراكب عليها؛ أي: يصبح كالدابة يسيره كيف يشاء، أو احتنك الجراد الأرض؛ أي: أكل نباتها، وأتى عليها؛ فيصبح معنى الاحتنك هو: الاستيلاء، والاستئصال؛ أي: أستولي على كل ضعيف إيمان، ومشرك، وكافر فأضله، وأغويه؛ حتى أورده مورد التهلكة؛ فيصبح لجهنم حطباً؛ (وقوداً لجهنم)، ومعنى ذلك: الاستئصال.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: إلا: أداة استثناء.

﴿قَلِيلًا﴾: أي: إلا عبادك منهم المخلصين.

[٦٣] ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾:

﴿قَالَ﴾: الله سبحانه وتعالى لإبليس.

﴿أَذْهَبَ﴾: فعل أمر يحمل معنى: الطرد، والإبعاد.

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: للتأكيد؛ من: استغراقية تستغرق كل من تبعك، وشرطية، وجوابها: فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً.

﴿تَبِعَكَ﴾: ساروا وراءك، واتبعوا خطواتك؛ أي: استجابوا لك، وأطاعوك.

﴿مِنْهُمْ﴾: من الإنس، والجن.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: رابطة للجواب.

﴿جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾: ولم يقل: جزاؤهم؛ لأن إبليس مخاطب كذلك، وداخل معهم، وفي حكمهم.

﴿جَزَاءَ مَوْفُورًا﴾: وافياً كاملاً فيه من كل أنواع العذاب، والجزاء في الأصل المماثلة؛ أي: من جنس العمل، ويشمل العقاب والثواب.

[٦٤] ﴿وَأَسْتَفْرِزُّ مَنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾:

﴿وَأَسْتَفْرِزُّ﴾: من: فز؛ أي: قم، وحرك، أو انهض، وحرص، وحث.

﴿مَنْ أَسْتَطَعَتْ﴾: من: ابتدائية استغراقية، كل من استطعت.

﴿بِصَوْتِكَ﴾: بوسوستك.

﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾: أجب: صبح عليهم، أو صبح بهم راكباً كنت أو ماشياً؛ يصور الله سبحانه حالة الشيطان في تسلطه على الغاوين بالفارس الذي يصيح بجنده، ويشجعهم للهجوم على الأعداء، ودحرهم.

﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾: كيف يشاركهم؟ بأن يزين لهم المال الحرام، والربا؛ فيأخذوه، والسرقة، وأكل مال اليتيم؛ فتقل بركة المال، أو يصرف في التبذير، والمعاصي، والرديلة، وزين لهم الزنى، وعقوق الوالدين، ووأد البنات.

﴿وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾: عدهم بالأمانى الكاذبة، وطول العمر، وزين لهم الباطل في صورة الحق.

﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾: ما: النافية.

﴿الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾: إلا: أداة حصر؛ يعني: ما يعدهم إلا باطلاً.

والغرور: الخداع، غرّ فلان فلاناً؛ أي: خدعه، وأصل الغرور تزيين الباطل بما يوهم بأنه حق، مثال شفاعة الآلهة لهم شفاعة باطلة فالآلهة لا تنفع، ولا تضر،



والتسوية بتأجيل التوبة، والاتكال على الرحمة، ولا جنة، ولا نار، وفي الآية انتقال من صيغة المخاطب إلى صيغة الغائب للتوكيد؛ أي: تحول من مخاطبة الشيطان إلى مخاطبة الناس بصيغة الغائب ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ بدلاً من قوله: وعدهم، وما يعدكم الشيطان إلا غروراً؛ لأن ما يعدهم بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد والتكرار وهو الغرور، والتزيين، والوهم، والباطل، والشيطان يسمى الغرور: بفتح الغين.

[٦٥] ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾:

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾: إن: للتوكيد.

﴿عِبَادِي﴾: عبادي: هم الطبقة من الذين آمنوا، واختاروا طريق الإيمان بأنفسهم؛ فشرفهم الله تعالى، فقال: عبادي، وليس عبيد؛ الكل عبيد، وعبادي هم الطبقة المؤمنة، وعبادهم أعلى درجة من عبادي، وهم المؤمنون حقاً. ارجع إلى سورة الزمر، آية (١٨)؛ للبيان.

﴿لَيْسَ لَكَ﴾: ليس: أداة نفي.

﴿لَكَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والخطاب لإبليس.

﴿عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾: أي: ليس لك على عبادي سلطان، سواء أكان سلطان الحجة، والبرهان، أو سلطان القهر، والغلبة؛ لحملهم على المعصية؛ أي: سواء بالحجة، والتزيين في القول، أو الوسوسة، والنزغ، أو بالقوة، والغلبة.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾: وكفى؛ أي: هو كافيك، ولا تحتاج إلى سواه في الدنيا، ولا في الآخرة.

﴿بِرَبِّكَ﴾: الباء: للاهتمام، والتوكيد.

﴿وَكَيفًا﴾: الكافي، والقائم بأمور العباد، والموكل إليه تدبير كل أمر،

أو شيء.

[٦٦] ﴿رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾:

﴿رَبِّكُمْ﴾: الرب: هو الخالق، والرازق، والمدبر، والمتولي أموركم.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مختص بالمفرد المذكر.

﴿يُزْجِي﴾: يُسير الفلك برفق فوق الماء؛ أي: يسوق، ويدفعها برقة؛ يقال: أَرْجَى الإبل: ساقها برفق، والريح تُزْجِي السحاب: تسوقه تحمله، وتسير به، والآلة، أو المحرك يسير ويعمل بإذن الله؛ فهو سبحانه القادر على تعطيلها، أو تشغيلها.

﴿لَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿الْفُلْكَ﴾: السفن، وتشمل المفرد، والجمع. ارجع إلى سورة إبراهيم، آية (٣٢)؛ للبيان، كيف يُسير لكم الفلك.

﴿لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: الابتغاء: القصد من فضله: من رزقه؛ أي: اللحم الطري السمك، وغيره من الحيوانات المائية؛ التي تؤكل، أو يستفاد منها، والانتقال، والسفر، والتجارة، وحمل الأثقال، والمتاع.

﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾: إنه: للتوكيد.

﴿كَانَ﴾: من الأزل، ولا يزال، وسيبقى بكم رحيمًا.

﴿رَحِيمًا﴾: صيغة مبالغة من الرحمة في تسخيرها لكم، والفلك التي تحملكم وتسير بكم، والتجارة، وصيد البحر، واللحم الطري، واستخراج الحلية، كل ذلك من مظاهر رحمة الله بكم.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ١٧

الْبَرِّ وَالْأَنْعَامِ

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ
إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ
بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ
وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغَرِّقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا
لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ
بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ
كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَدْيِهِ
أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا
لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ
وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ
تَرَكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا الْأَذْقَنَكَ ضِعْفَ
الْحَيَوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾





سورة الإسراء [الآيات ٦٧ - ٧٥]

[٦٧] ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زمني للمستقبل متضمن معنى الشرط؛ تدل على حتمية الوقوع، أو الحدوث.

﴿مَسَّكُمْ﴾: المس: الإصابة الخفيفة.

﴿الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾: أي: الغرق، أو الخوف، أو التيه، أو المرض.

﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا﴾: أي: لم تعودوا تدعون أو تذكرون إلا إياه مغيثاً، وغاب وتاه، ولم يعد في بالكم أحد تدعونه إلا الله.

﴿فَلَمَّا﴾: لما: ظرفية زمانية؛ بمعنى: حين.

﴿نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾: نجاكم: تعني: ببطء، ولم يقل: أنجاكم؛ أي: بسرعة رجعتكم إلى كفركم، وشرككم، ودعاء سواه.

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾: جاحداً لنعم الله.

﴿كَفُورًا﴾: صيغة مبالغة من الكفر؛ أي: كثير الكفر لنعم الله، ومن مظاهر الكفر: الإعراض عن التوحيد، والإيمان، وستر نعم الله تعالى.



[٦٨] ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾:

﴿أَفَأَمِنْتُمْ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والفاء: للتوكيد؛ أفأمتم بعد إذ نجاكم من الغرق، وعدتم إلى اليابسة (أي: البر):

﴿أَنْ يَخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾: أي: تنهار الأرض بكم، كما فعل بقارون.

﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: أو أن يرسل عليكم ريحاً مدمرة تحمل في طياتها الحصى، والحجارة، وتدمر كل شيء.

﴿ثُمَّ﴾: للاستبعاد.

﴿لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾: لا تجدوا لكم من ينصركم، ويدافع عنكم، ويعينكم، ويتولى أمركم، أو يخفف، ويدفع عنكم عذابنا.

[٦٩] ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾:

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ﴾: أم: الهمزة استفهام إنكاري؛ أم: هنا المنقطعة، والانتقال إلى سؤال، أو استفهام آخر.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد.

﴿يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾: يعيدكم في البحر مرة ثانية.

﴿فَيُرْسِلَ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

﴿عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾: أي: ريحاً تقصف كل شيء تمر به، وتكسر، أو تدمر الفلك؛ من: قصف فلان ظهر فلان؛ أي: كسره. والريح في القرآن تأتي في سياق الشر والعذاب والدمار، وأما الرياح فتأتي في سياق الخير والنعمة.



وللريح أنواع (ذكرت في القرآن):

ريحاً قاصفاً: ريحاً شديدة لا تمر بشيء إلا قصفته؛ أي: كسرتة.
ريحاً عاصفاً.

ريحاً حاصباً: ترمي بالحصى، والحجارة.

ريحاً عقيماً: لا فائدة منها إلا الدمار، والخراب.

﴿فَيَغْرِقْكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ﴾: فيغرقكم: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

﴿بِمَا﴾: الباء: للتعليل، أو باء السببية، أو البدلية؛ أي: بسبب كفركم.

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوكُمْ عَلَيْهِ يَتَّبِعَا﴾: ثم: للتعقيب، والتراخي؛ لأن ذلك يأخذ زمناً، ويحتاج فيه للمتابعة، وأخذ الثأر، ثم لا تجدوا لكم ناصرًا، أو معينًا، أو ولياً لكم يوالي تتبعنا، ويبحث عنا؛ لأخذ ثأره منا؛ أي: لا تجدوا لكم تبعاً يأخذ بثأركم، أو يطالبنا بفدية لكم.

﴿يَتَّبِعَا﴾: صيغة مبالغة على وزن فعيل من: تابع، وتبيع اسم فاعل: وهو المطالب بحق، أو بثأر؛ لأن الله سبحانه لا يخاف رد الفعل منكم؛ فلا يستطيع أحد أن يرد على عذابه، أو انتقامه.

[٧٠] ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق.

﴿كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾: فضّلنا بني آدم: كرّمنا، ولم يقل أكرمنا؛ كرّمنا: أشد مبالغة من أكرمنا بني آدم بالعقل، والإيمان، والعلم، والنطق، والتميز، وحسن الهيئة، والصورة، والبيان، وكرّمنا تفيد دوام وأتم وأبلغ التكريم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤].



﴿وَحَمَلْنَهُمْ فِي الْوَبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: بالسيارات، الفلك، ووسائل النقل المتعددة، والأنعام، وغيرها كما قال تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]؛ أي: الطائرات والسفن الفضائية؛ أي: حملناهم في البر والبحر والجو (السماء).

﴿وَرَزَقْنَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: من الأطعمة، والأشربة الحلال.

﴿الطَّيِّبَاتِ﴾: جمع طيب: وهو الحلال الطاهر. ارجع إلى سورة الأنفال، آية (٦٩)؛ للبيان.

[٧١] ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾:

﴿يَوْمَ﴾: يوم القيامة، وتنكيره للتحويل، والتعظيم.

﴿نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾: ندعو كل أناس بنبيهم: يا أمة محمد، يا أمة عيسى، يا أمة موسى، يا أمة إبراهيم، أو كتابهم: يا أهل القرآن، يا أهل التوراة، يا أهل الإنجيل، يا أهل الزبور.

﴿فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾: فمن: الفاء: عاطفة؛ من: شرطية.

﴿أُوْتِيَ كِتَابَهُ﴾: من هؤلاء المدعويين أعطي كتابه بيمينه: فهذه بشارة الخير، والسلامة.

﴿فَأُولَئِكَ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ أولئك: اسم إشارة؛ اللام: للبعد، وتشير إلى علو المنزلة، والتكريم

انتبه إلى: فمن أوتي... فأولئك: قد يظنه البعض انتقالاً من المفرد إلى الجمع، والحقيقة: فمن أوتي؛ من: تفيد الإفراد، والتثنية، والجمع، والمذكر، والمؤنث؛ إذن: من أوتي: جاءت في معنى: الجمع.



﴿يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ﴾: كتاب أعمالهم، أو حسناتهم؛ كقوله تعالى: ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ﴾ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ ﴿[الحاقة: ١٩-٢٠].

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة؛ لا: النافية.

﴿يُظْلَمُونَ﴾: بزيادة سيئة واحدة، ولا نقصان حسنة.

﴿فَتِيلًا﴾: هو الخيط في بطن نواة التمر، وبالإضافة إلى الفتيل هناك: النقير، والقطمير.

فالنقير: هو نقطة، أو حفرة تظهر في ظهر نواة التمر.

والقطمير: اللقافة الرقيقة بين الثمرة، والنواة.

فهذه الكلمات الثلاث: الفتيل، والنقير، والقطمير: مأخوذة من حبة التمر.

[٧٢] ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾:

ذكر الله سبحانه في الآية السابقة: فمن أوتي كتابه بيمينه، وهذه الآية تشير إلى الذي سيأخذ كتابه بشماله؛ فوصفه بالأعمى أعمى البصيرة في الدنيا، وأعمى البصر والبصيرة معاً في الآخرة.

أعمى البصيرة في الدنيا؛ أي: أعمى القلب، لا يفهم آيات الله، ولا يؤمن، ولا يهتدي سبيلاً، وأما في الآخرة؛ فهو أعمى البصر، والبصيرة؛ كقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]، و﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

وقد يكون عمى الدنيا أقل شدة بكثير من عمى الآخرة.

﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: فمن كان في الدنيا ضالاً فسيكون في الآخرة أضل بكثير مما كان عليه في الدنيا؛ حيث لا يمكن أن يتدارك ضلاله في الآخرة؛ بينما في الدنيا كان باستطاعته أن يتوب، ويرجع عن عصيانه، وضلاله.



[٧٣] ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا﴾:

﴿وَإِنْ كَادُوا﴾: إن: للتوكيد؛ كادوا: من أفعال المقاربة؛ أي: كاد قارب على الحدوث، ولكنه لم يحدث.

﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون في «يفتنونك» لزيادة التوكيد؛ يفتنونك: أي: يخدعونك، أو يزلونك عن الحق، ولكن هذا لم يحدث؛ مثال: قالوا: نعبد إلهك سنة، وتعبد آلهتنا سنة كما روي عن ابن عباس، أو حين طلبت ثقيف من رسول الله ﷺ أن يخصصها بأمور تفتخر بها على العرب، كما روى عطاء عن ابن عباس، وذكره الواحدي في أسباب النزول.

﴿عَنِ﴾: تفيد المجاوزة، والمباعدة.

﴿الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾: الذي أوحينا إليك: هو القرآن الكريم، ولمعرفة معنى أوحينا: ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)، والافتراء: هو الكذب المتعمد المختلف.

﴿وَإِذَا﴾: جواب، وجزاء.

﴿لَا تَأْخُذُوكَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والتعليل.

﴿خَلِيلًا﴾: من الخلّة، وهي المودة؛ أي: لا تأخذوك صديقاً مخلصاً، ومشتقة من: تخلل الخليان كل في الآخر، والاندماج معاً.

[٧٤] ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾:

﴿وَلَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود؛ أي: لأننا ثبتناك لم تتركن إليهم، ولو ركوناً قليلاً.

﴿أَنْ﴾: مصدرية تفيد التعليل، والتوكيد.



﴿ثَبَّنَاكَ﴾: عصمناك؛ أي: لم تخدع بما قالوه، أو عرضوه عليك.

﴿لَقَدْ كَذَّبْتَ﴾: لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق.

﴿كَذَّبْتَ﴾: قاربت.

﴿تَرَكَّنُ﴾: تميل، الركون: الميل، أو تخدع بأقوالهم.

﴿إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾: بقبول بعض ما اقترحوه.

[٧٥] ﴿إِذَا لَا أَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾:

﴿إِذَا﴾: حرف جواب، وجزاء؛ أي: لو ركنت إليهم:

﴿لَا أَذَقْنَاكَ﴾: اللام: للتعليل.

﴿لَا أَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ﴾: الضعف: مضاعفة الشيء؛ قدر الشيء مرتين؛

أي: أذقناك ضعف عذاب الحياة الدنيا، وضعف عذاب الممات. قيل: هو عذاب

القبر، أو الآخرة؛ يضاعف له العذاب؛ لأنه ﷺ الأسوة والقُدوة

﴿ثُمَّ﴾: للاستبعاد.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾: لا تجد لك ناصرًا، أو من يدفع العذاب عنك، أو

يمنعه.





سُورَةُ الْاِنشَارِ ١٧

الجزء الثاني عشر

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ
الصَّلَاةَ لِلدُّلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ
قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ
نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ
أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ
لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ
إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ
وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا
أَنعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا
﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى
سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي
وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَيْنَ شِئْنَا لَنذْهَبَنَّ
بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَآتِيْجِدُكَ بِهِ عَيْنًا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾



سورة الإسراء [الآيات ٧٦-٨٦]

[٧٦] ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خَلْقَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿وَإِنْ كَادُوا﴾: ارجع إلى الآية (٧٣)؛ أي: قاربوا.

﴿لَيَسْتَفِزُّوكَ﴾: اللام: لام التوكيد؛ يستفزونك: استفزه: أثاره، أو خوفه؛ ليترك المكان؛ من فز؛ أي: قم، وانهض؛ ليحملوك، أو يكرهوك على الخروج من الأرض؛ أي: من مكة.

﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾: أي: من مكة (وكان مكة تمثل كل الأرض)؛ فالله سبحانه منعهم من إخراج رسول الله ﷺ حتى أمره بالخروج مهاجراً إلى المدينة المنورة. ﴿وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خَلْقَكَ﴾: إذا: حرف جواب، وجزاء.

﴿خَلْقَكَ﴾: أي: بعدك.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿قَلِيلًا﴾: من الزمن، وقيل: هذا حدث، فبعد خروجه حدث بدر، وقتل سبعون منهم، وأسر سبعون، ولم يتمتعوا بعد خروجه لا بنعيم، ولا بسيادة كانوا يرجونها.

[٧٧] ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾:

السنة: هي العادة، الطريقة التي لا تتبدل، ولا تتحول.

وكانت هذه هي سنة الله في الرسل الذين أرسلناهم قبلك منذ الزمن



البعيد، أو القريب، كل قوم أخرجوا رسولهم بالقوة، والإكراه، والمعادة لم يلبثوا بعد خروجه أحياء إلا قليلاً، وقليلاً: للدلالة على التوكيد.

﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾: لا: النافية، وفي آية أخرى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ [فاطر: ٤٣]، ولمعرفة معنى السنة: ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٣٧)، والنساء، آية (٢٦).

فما هو الفرق بين التحويل، والتبديل؟

- التحويل: تتحول السنة من قوم إلى قوم، أو شخص إلى شخص، أو جماعة إلى جماعة.

- التبديل: أن يضع سنة بدلاً من سنة أخرى. مثال: لا يبدل العذاب بعذاب آخر: صاعقة بدلاً من فيضان، أو صيحة برجفة.

وتقديم: لسنننا: الجار والمجرور: للحصر، والقصر.

وسنننا: بصيغة الجمع؛ للتعظيم، والإنذار الشديد.

[٧٨] ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ أَيْلٍ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾:

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾: أي: أتم الصلاة، أو أدها بشروطها، وأركانها، وأوقاتها، وخشوعها، والمداومة، والمحافظة عليها، والصلاة في جماعة.

﴿لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾: لذلوك: اللام: لام التوقيت؛ بمعنى: عند ذلوك الشمس.

وذلوك الشمس: هو ميل الشمس، أو زوالها عن كبد السماء؛ أي: وسط السماء؛ أي: عند الظهر (صلاة الظهر)؛ أي: أقم الصلاة وقت زوال الشمس؛ أي: صلاة الظهر.

﴿إِنِّي غَسَقَ اللَّيْلِ﴾: إلى حرف غاية (لعموم الغايات)؛ سواء أكانت في أول الشيء، أم آخره، أم منتصفه، وتعني: إلى العصر، وإلى المغرب، وإلى العشاء.

﴿غَسَقَ اللَّيْلِ﴾: سواد الليل، وشدة ظلمته، ويشير ذلك إلى صلاة العصر، والمغرب، والعشاء؛ أي: أقم صلاة العصر، وصلاة المغرب إلى صلاة العشاء التي هي في غسق الليل.

﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾: أي: صلاة الفجر؛ أي: وأقم صلاة الفجر، وسميت الصَّلاة قرآنًا؛ لأن قراءة القرآن ركن من أركان الصَّلاة (ويسمى هذا إطلاق الجزء على الكل).

﴿إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾: إن: للتوكيد.

﴿قُرْآنَ الْفَجْرِ﴾: تكرار «قرآن الفجر» يدل على التوكيد.

﴿كَانَ مَشْهُودًا﴾: أي: تشهده ملائكة الليل، وملائكة النهار الذين يتعاقبون في النزول في صلاة الفجر، وصلاة العصر.

[٧٩] ﴿وَمِنْ أَيْلٍ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾:

﴿وَمِنْ أَيْلٍ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾: من: ابتدائية.

﴿فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾: فتهجد: الفاء: للتوكيد؛ تهجد به: التهجد: هو ترك النوم للصلاة.

تهجد: من الهجود، وهو النوم، وتهجد: سهر، أو ترك النوم؛ فهو من أفعال الأضداد، ويقال للنائم: هاجد، ومتهجد، وكذلك للساهر، وقيل للقائم إلى الصَّلاة من النوم: المتهجد؛ لتركه الهجود، وأطلق على الصَّلاة: صلاة التهجد.

تهجد به: «به»: تعود على القرآن؛ أي: تهجد بالقرآن.

﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: النافلة: الزيادة عن الفرض.



﴿لَكَ﴾: السلام: لام الاختصاص؛ أي: لك خاصة دون غيرك؛ فقد قيل: إن فرض التهجد لم ينسخ بحق الرسول ﷺ، وصلاة التهجد: هي تطوع لغير رسول الله ﷺ.

﴿عَسَى﴾: فعل رجاء؛ رجاء حصول الفعل في المستقبل.

﴿أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾: يبعثك ربك المقام: هو محل القيام أو يعني المنزلة العظيمة، والدرجة (عبر عنها بالمقام) وهو مقام الشفاعة يوم القيامة؛ مقام الشفاعة العظمى في فصل القضاء، أو مقام الشفاعة لأمته؛ لإخراج من في قلبه ذرة من الإيمان من النار.

﴿يَبْعَثُكَ﴾: من البعث يوم القيامة؛ أي: يبعثك ربك يوم القيامة ذا مقام محمود؛ أي: المقام الذي يحمد له لأجله أهل المحشر؛ أي: الشفاعة العظمى.

[٨٠] ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾:

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي﴾: أدخلني: أي يسأل الله أن يدخله (يُدخله شخص آخر) لا يدخل من تلقاء نفسه؛ أي: المدينة المنورة، أو أي مدخل، وبدأ بالمدخل؛ لأن الدخول هو الغاية من الخروج، وهو الأهم مقارنة بالخروج.

﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾: من أدخل أما مدخل من دخل يدخل فهناك مدخل، ومُدخل، وإضافة الصدق إلى المدخل، والمخرج: هو مدح لهما، أو مُدخلاً مرضياً ابتغاء مرضات الله تعالى، ونصرة دينه، ونشره، وأما مدخل مثل: دخلت مدخلاً صعباً؛ أي: دخلت بإرادتي.

﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾: وأخرجني من مكة المكرمة مخرجاً مرضياً ابتغاء مرضات الله تعالى، ونصرة دينه، ونشره، أو أي مخرج، وليكن خروجك، أو دخولك في سبيل الله، وابتغاء مرضاته.

﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾: من لدنك: تشير إلى القرب الخاص بين رسول الله ﷺ، وبين ربه؛ بدلاً من قوله: واجعل لي منك؛ من: عامة للمؤمن، والكافر.

﴿سُلْطَانًا﴾: الدليل والبرهان والسلطان، وهو إما سلطان الحجة والبيان، أو سلطان القوة والغلبة؛ لنشر دينك، وإعلاء كلمتك.

﴿نَصِيرًا﴾: قوة لكي يتم النصر بها على أعدائك؛ صيغة مبالغة من فعل نصر.

[٨١] ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾:

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾: الإسلام الحق (الدين الحق).

﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾: زهق: زال واندحر، واضمحل الباطل؛ يقال: زهقت نفسه؛ أي: خرجت.

﴿الْبَاطِلُ﴾: في اللغة: الزائل، أو الذاهب، وقيل: ما لا وجود له، ويطلق على الكفر، والشرك، وعبادة الأصنام، والظلم، والكذب، والإحباط.

﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾: إن: للتوكيد. كان: تشمل جميع الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾: زهوقاً صيغة مبالغة من زهق؛ بمعنى: زال واضمحل؛ أي: هالكاً زائلاً مندرجاً؛ أي: هذا شأن الباطل في كل زمان رغم أننا نراه أحياناً يعلو ويظهر للناس، ولكن ذلك لن يدوم وسرعان ما يضمحل ويزول.



[٨٢] ﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾:

﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾: من: استغراقية؛ من آيات القرآن، والآية تسمى: قرآنًا، والقرآن كاملاً يسمى: قرآنًا.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى: الذي، وما: أوسع شمولاً من: الذي.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿شِفَاءٌ﴾: من أمراض: الجهل، والشك، والنفاق، والضلال، والأمراض النفسية، والحيرة، والتردد، والاكتئاب، والجنون، وأمراض القلوب، والزيغ؛ حتى الأمراض العضوية؛ فقد تبين: أن الأمراض النفسية؛ مثل: التوتر، والهم، والغم: ترفع الضغط الشرياني، وتسبب الإصابة بأمراض القلب، وكذلك الأمراض النفسية المختلفة؛ تؤدي إلى ضعف في الجهاز المناعي عند الإنسان، الذي يؤدي بدوره إلى عدم قدرة الجسم على مكافحة الإنتانات، والسرطانات... وغيرها.

﴿وَرَحْمَةٌ﴾: الرحمة: الوقاية؛ فهو شفاء، وعلاج، وفي الوقت نفسه وقاية للمؤمنين من الأمراض النفسية، والعضوية.

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ المؤمنين: ولم يقل: الذين آمنوا؛ المؤمنين: أعلى درجة من الذين آمنوا؛ فهم الذين أصبحت صفة الإيمان عندهم ثابتة لا تتغير، أو تتبدل، واستقاموا على طاعة الله.

﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾: ولا: الواو: عاطفة؛ لا: النافية.

﴿يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾: المشركين.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، وقصر.



﴿خَسَارًا﴾: أي: نزول القرآن، وسماع آياته من قبل المشركين، أو الضالين، والكافرين لا يزيدهم إلا كفرًا، وضلالًا، وبالتالي هلاكًا، وعذابًا فوق العذاب.

[٨٣] ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَجَّ جَانِبَهُ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾:

﴿وَإِذَا﴾: الواو: عاطفة؛ إذا: ظرف زمان يتضمن معنى الشرط، وتدل على حتمية الحدوث؛ ظرفية تدل على الاستمرار في الماضي والمستقبل وكأن هذا هو دأبه.

﴿أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾: آتيناه من النعم، وأحسننا إليه مثل سعة الرزق، والصحة، والقوة، والعلم، والولد، وكشفنا عنه البلاء، وشفيناه من المرض.

﴿أَعْرَضَ وَنَجَّ جَانِبَهُ﴾: أنكر نعمة الله عليه؛ أي: بدلاً من أن يشكر المنعم؛ تكبر، وازداد غروراً، وابتعد عن دين الله، وعن عبادة الله، بدلاً من أن يتقرب إليه.

﴿وَنَجَّ جَانِبَهُ﴾: نأى: ابتعد.

﴿جَانِبَهُ﴾: بنفسه، أو لوى جانبه، وولى ظهره.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾: وإذا: ظرفية تدل على حتمية الحدوث.

﴿مَسَّهُ﴾: من المس: وهو الإصابة الخفيفة. مسه الشر بما قدمت يداه أو كسبت يداه، والله سبحانه لا ينسب الشر لنفسه مطلقاً؛ لأن الله سبحانه ليس بظلام للعبيد، وقد يكون ابتلاءً أيضاً، ونتيجة الابتلاء قد تكون لمصلحة المبتلى.

﴿الشَّرُّ﴾: الأذى، والظلم، والسجن، أو البلاء، والسقم، وهناك فرق بين الضر والشر. ارجع إلى سورة الأنعام آية (١٧) للبيان.

﴿كَانَ يَئُوسًا﴾: من اليأس: انقطاع الأمل في حدوث الشيء، واليأس قد



يكون قبل، أو بعد الأمل، والقنوط: أشد من اليأس؛ أي يئس من رحمة الله، وانقطع أمله.

الفرق بين أنعمنا وأذقنا:

الإنعام: يكون فقط في الخير، وأذقنا: تكون، أو تستعمل في الخير، والشر؛ مثال: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ [الشورى: ٤٨]، ﴿بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ﴾ [ص: ٨].

[٨٤] ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾:

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ

﴿كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾: كل: اسم يفيد الاستغراق والإحاطة بالأفراد والأجزاء؛ أي: تشمل أو تستغرق كل فرد من أفراد الجنس، أو تستغرق كل أجزاء الشيء الواحد، وقد تضاف إلى معرفة أو نكرة؛ أي: كل من المؤمنين، أو الكافرين، أو المشركين، والموحدين الضالين، والمهتدين، أو الطائعين، والعاصين.

كل واحد من هؤلاء يعمل على شاكلته: على طريقته، وهواه.

﴿شَاكِلَتِهِ﴾: مأخوذة من الشكل: وهو المثل والنظير؛ كل واحد يعمل حسب ما يشاء، ويرغب، أو يختار لنفسه، وفيها تحذير خفي للضالين، والظالمين.

﴿فَرَبُّكُمْ﴾: الفاء: للتوكيد؛ ربكم: الخالق المربي المدبر هو وحده.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد، والحصر.

﴿أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾: هو أعلم على وزن أفعَل: صيغة مبالغة بمن هو على صراط مستقيم، أو في ضلال مبين، وبمن هو أكثر هداية من غيره؛ من: تشمل المفرد، والمثنى، والجمع، ومن للعاقل.

﴿أَهْدَى﴾: صيغة مبالغة.



﴿سَيِّلاً﴾: طريقة، ومذهباً، أو منهجاً؛ أي: ملتزماً بالقرآن، والسنة من غيره.
[٨٥] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾: الواو: تدل على أنهم سألوا رسول الله ﷺ عدة أسئلة في آن واحد، ولو قال تعالى يسئلونك عن الروح (بدون الواو العاطفة) لدلت على أنهم سألوه سؤالاً واحداً فقط؛ فقد سألوه عن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، وعن الروح في آن واحد، والسائل هم قريش، ويسألونك؛ تعني: مباشرة؛ أي: السائل يقف أمام المسؤول، والسؤال يراد به اختبار رسول الله ﷺ: هل هو نبي، أم لا؟ وليس للتعلم، وكشف الجهل، والمعرفة.

والروح هنا: يقصد بها الروح التي تمد الجسم بالحياة؛ يسألونه عن ماهيتها، وحقيقتها؛ فرد الله سبحانه على هذا السؤال بقوله:

﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾: من أمر؛ أي: من شأن ربي، أو اختصاصه.

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾: ما: النافية.

﴿أُوتِيتُمْ﴾: أعطيتم من العلم بالنسبة للروح؛ إلا قليلاً.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿قَلِيلاً﴾: الشيء القليل.

إذن: نحن أوتينا شيئاً قليلاً من العلم عن الروح أمثلة متى تنفخ الروح في الجنين، وماذا يحدث للجسم إذا خرجت منه الروح، وهذه الروح لا يعلم كنهها إلا الله وحده سبحانه، وتشير البحوث العلمية الأخيرة، والدراسات القرآنية إلى وجود اختلاف بين الروح والنفس، وأن الروح شيء، والنفس شيء آخر، والروح تسري في كل الجسم، وتبقى بعد توقف، أو تعطل عمل النفس؛ هذه النفس ربما هي التي تتمثل فيما يسمى جهاز لمبيك في الدماغ، وتتكون من عدة



أجزاء، وظائفها الواعي، والإدراك، واتخاذ القرارات، والذاكرة الطويلة والقصيرة، والذاكرة الجديدة والقديمة، والسرور، والعاطفة، والسمع، والبصر، والسلوك، والشعور، والناحية الجنسية... وغيرها.

والروح شيء أساسي، وضروري للنفس؛ لكي تؤدي وظيفتها.

ويمكن إيقاف، أو تعطيل النفس عن العمل في حالتي الموت، والنوم، أو التخدير العام؛ للقيام بالعمل الجراحي، أو إصابة الدماغ بحادثة تؤدي إلى السبات، وتعطيل عمل النفس الذي قد يدوم أسابيع عدة، ثم يصحو الإنسان، ولا يذكر ما حدث له.

أما الروح: لا تُوقف، ولا تُعطّل، وإنما تنزع، أو تنشط نشاطاً من الجسم، كما قال تعالى: ﴿وَالنَّزِعَتِ غَرَقًا ۝١﴾ وَالنَّشِطَتِ نَشْطًا ﴿[النازعات: ١-٢]، وذلك عند الموت من قبل الملائكة، أو ترغم على ترك الجسم بالقتل، وإذا خرجت الروح من البدن يعني: الموت.

وأما النفس: لا تخرج من البدن، وإنما تتوفى وتتوقف عن العمل عند النوم، أو تعطّل عن العمل، وتتوقف أو تتوفى عند خروج الروح من البدن؛ أي: عند الموت؛ كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾، وبعد النوم (الوفاة، أو التعطيل) تعود النفس إلى العمل؛ لأن الروح ما زالت في البدن. ارجع إلى سورة الزمر، آية (٤٢)؛ لمزيد من البيان.

وحين الموت تخرج الروح من البدن مما يؤدي إلى توقف عمل النفس، وعمل الأعضاء كاملة: القلب، وجهاز التنفس، والدماغ، وتنتهي مرحلة الحياة الدنيا.

[٨٦] ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾:

﴿وَلَيْنَ﴾: اللام: للتوكيد؛ إن: شرطية تفيد الاحتمال، والشك.



﴿شِئْنَا﴾: من المشيئة، والمشيئة تسبق الإرادة والفعل، والمشيئة: لا تبدل، أو تتغير ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن؛ أما الإرادة فقد تبدل، أو تتغير؛ فالإرادة: هي العزم على الفعل.

﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾: اللام، والنون: للتوكيد.

﴿بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: أي: بالقرآن الكريم؛ الذي: اسم موصول؛ يفيد التعظيم.

﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: عن طريق جبريل، وذلك بأن نمحوه من صدور العالمين؛ أي: ينسوه، ولا يتذكروه. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لمعرفة معنى: أوحينا.

وإذا فعلنا ذلك ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾: فلن تجد من تتوكل عليه؛ لاسترداده، وإعادته محفوظاً، ولكن رحمة من ربك لم يشأ، وله الحمد، والمنة. وانتبه إلى حكمة مجيء هذه الآية بعد آية يسألونك عن الروح؛ لأن الذي أوحينا إليك هو روح أيضاً؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]؛ فالقرآن روح أيضاً؛ فكما أننا قادرون على أن نذهبن بأرواحكم، وقادرون على أن نذهبن بالذي أوحينا إليكم (وهو القرآن)، وهو الروح الحقيقة لكم.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ١٧

الجزء الثاني عشر

إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ
لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ
صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ
إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنْ
الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ
فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا
زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالِلِهِ وَالْمَلَكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾
أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ
لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ
كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ
الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَّوْكَانَ
فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَّمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ
مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾



سورة الإسراء [الآيات ٨٧ - ٩٦]

[٨٧] ﴿لَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾: أي: تركه، وعدم الذهاب بالقرآن، أو عدم محوه من صدور العالمين هو رحمة من ربك.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿فَضْلُهُ، كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾: فضل الله بعدم رفعه، والذهاب به، وبالنبوة، والشّفاة العظمى، وغيرها من الفضائل تعد فضلاً كبيراً عليك، وعلى أمتك.

[٨٨] ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ رداً على قولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١].

﴿لِّئِنْ﴾: اللام: للتوكيد؛ إن: شرطية تفيد الاحتمال والشك.

﴿اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾: الثقلان، وأدخل الجن في التحدي؛ لأن بعض العرب كانوا يعتقدون أن بعض العباقرة المفكرين يستعينون بالجن، أو يلجؤون إلى الجن؛ لكي يساعدهم في بعض الأمور، وكان هناك تحدي في مكة، وتحدي في المدينة المنورة، والتحدي في مكة جاء بأشكال متعددة؛ مثل: بحديث، بآية، بسورة، أو عشر سور، والتحدي في المدينة جاء بشكل: بسورة من مثله، أو بمثله؛



أي: ما يماثله؛ لأنه لا يوجد ما يماثل القرآن أو ببعض ما يماثله، وأما قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ مِّن مِّثْلِهِ﴾ من: تشمل الاستغراق؛ أي: أي سورة من الفاتحة والبقرة إلى سورة الناس.

﴿عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾: أن: شرطية تفيد الاحتمال، والشك، وجوابها محذوف؛ يعني: لا يأتون، والباء للتبعيض. ﴿لَا يَأْتُونَ﴾: لا: النافية.

﴿بِمِثْلِهِ﴾: ولم يقل مثله؛ لأنهم لا يمكن لهم أن يأتوا به نفسه؛ لأنه نزل من عند الله، وهذا مستحيل، ولذلك قال: بمثله؛ أي: المشبه له؛ أي: لا يمكنهم أن يأتوا بالأصل، ولا حتى قادرون على أن يأتوا بالمشبه له؛ فهم غير قادرين على الإتيان بآية واحدة، ولا بسورة، وقدم الإنس على الجن في هذه الآية؛ لأن الإنس هم أقدر وأبلغ من الجن في مدار التحدي للغة القرآن واللغة العربية.

﴿وَلَوْ﴾: لو: شرطية

﴿كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾: معيناً، ومساعداً. ظهيراً: مشتقة من الظهر، ويسند ظهره؛ أي: يعاونه.

وفي سورة الفرقان، آية (٥٥): ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾؛ أي: يحث ويعين أوليائه على المعصية، والشرك، والكفر، وعدم طاعة الله تعالى.

وفي سورة القصص، آية (١٧): ﴿فَلَنَأْكُتَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: معيناً، ومساعداً للمجرمين؛ هذا ما قاله موسى بعد أن وكز موسى عدوه ففضلى عليه.

[٨٩] ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتوكيد.
 ﴿صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾: التصريف يعني: تصريف الآيات
 والتصريف يعني: عرض مسألة ما بأساليب شتى؛ حتى يوضح ويتبين المعنى
 الحقيقي، والهدف، مثال: تصريف الرياح بأساليب مختلفة: ريح عقيم، ريح
 عاصف، ريح مصفرة...

مثال آخر على البرهان على وحدانية الله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾
 [الأنبياء: ٢٢].

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾
 [المؤمنون: ٩١].

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بَنَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢].

﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾: من: استغرافية؛ من الأمثال المختلفة، ومن: تستعمل
 للمفرد، والمثنى، والجمع، والذكر، والأنثى، وقدم الناس على القرآن رغم أن
 القرآن أهم بالأصالة من الناس؛ لأن السياق التحدي وإقامة الحجة عليهم.

﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: فأبى: الإباء: شدة الامتناع، وقد يخالطه
 كراهية، وأبى: رفض أكثر الناس الإيمان، ورضوا بالكفر.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿كُفُورًا﴾: من فعل: كفر كفوراً على وزن فعول: صيغة مبالغة في
 الكفر؛ أي: إنكاراً للقرآن، وتكذيباً بما جاء فيه من الحق ومن التوحيد، والإيمان.



ولا بد من مقارنة هذه الآية من سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾، مع الآية (٥٤) من سورة الكهف: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شِقْوَةٍ جَدًّا﴾.

قدم الناس في آية الإسراء؛ لأنَّ السَّيَاق يتحدث عن الإنسان، ونعم الله عليه، كما في قوله: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَّ جَنَانَهُ﴾ [الإسراء: ٨٣].

وقدم القرآن في آية الكهف؛ لأنَّ السَّيَاق عن القرآن، كما في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١].

[٩٠] ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾:

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾: قالوا؛ أي: رؤساء قريش من المشركين، والكفار.

﴿لَنْ﴾: نافية تنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿نُؤْمِنَ لَكَ﴾: نصدقك، ونتبعك، ولم يقولوا: نؤمن بك؛ لأن به تعني: الإيمان بالله، أو إيمان العقيدة، والإيمان له تعني: التصديق بالرسول، واتباعه.

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية، نهاية الغاية.

﴿تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾: تفجر: بفتح التاء، وسكون الفاء على صيغة أفعَل؛ تعني: كثرة الانفجار من ينبوع الواحد. أما تُفْجِر: بضم التاء، وفتح الفاء؛ تعني: كثرة الانفجار من ينابيع عديدة، كما سيأتي في الآية (٩١) من السورة نفسها.

﴿يَنْبُوعًا﴾: عيناً ينبع الماء منها، ولا ينضب ماؤها؛ أي: لا يغور، تفيض بالماء باستمرار دون أن يقل ماؤها، أو ينقص.



[٩١] ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾:

﴿أَوْ﴾: للتخيير.

﴿تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾: بستان من نخيل وعنب؛ «من»: اسم جنس.

﴿فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا﴾: تفجر: بضم التاء، وفتح الفاء؛ أي: تتدفق الأنهار خلالها: داخلها، وسطها من ينابيع عدة، وبقوة حتى تخرج الثمار، والزرع. وتَفَجَّرَ: على صيغة فَعَّلَ تفيد التكثير والمبالغة بكثرة الأنهار مقارنة بـ: ﴿تَفَجَّرَ﴾ [آية: ٩٠].

فَتُفَجَّرَ الأنهار: بضم التاء، وفتح الفاء: كثرة الانفجار من ينابيع عديدة.

إذن: هم طلبوا الأمرين تَفَجَّرَ، وَتُفَجَّرَ، ولم يطلبوا أمراً واحداً.

﴿تَفْجِيرًا﴾: للتوكيد.

[٩٢] ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾:

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ﴾: من الزعم، وهو ادعاء العلم غير المستند إلى دليل، وأكثر ما يقع في الباطل.

﴿عَلَيْنَا﴾: تقديم «علينا» يدل على الحصر، والقصر؛ أي: علينا خاصة.

﴿كِسْفًا﴾: ولم يقل كِسْفًا. كِسْفًا: ذكرت في أربع آيات، وأما كِسْفًا: ذكرت

في آية واحدة.

كِسْفًا؛ أي: أسقطها قطعاً كثيرة؛ أي: على شكل قطع.

أما كِسْفًا؛ أي: أسقطها كقطعة واحدة كطبق علينا، كما في قوله تعالى:

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤].



﴿أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾: أي: نرى الله ربنا، والملائكة عياناً،
كما سأل بنو إسرائيل موسى؛ فقالوا: ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]؛ حتى يشهد
لك الله والملائكة على أنك رسوله.

[٩٣] ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ نُنْزِلَ
عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾:
﴿أَوْ﴾: للتخيير.

﴿يَكُونَ لَكَ﴾: لك: اللام: لام الاختصاص.
﴿بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ﴾: مزين بالذهب والفضة، أو مزين بأجمل أنواع الزخارف
والزينة.

﴿مِّنْ زُخْرٍ﴾: من: ابتدائية.

﴿أَوْ﴾: للتخيير.

﴿تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ﴾: الرقي: هو الصعود في معارج السماء شيئاً فشيئاً.

﴿وَلَن﴾: للنفي القريب، والبعيد.

﴿نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾: نصدق صعودك.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية، نهاية الغاية.

﴿نُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾: خاصة.

﴿كُنْزًا نَّقْرُؤُهُ﴾: كتاباً من رب العالمين أنك رسول الله تعالى، أو كتاب
منزل على فلان، وفلان يخبر أنك رسوله، وغيرها من الادعاءات الباطلة.

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ.



﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾: تنزيهاً له من كل عجز، أو نقص، أو عدم القدرة؛ فهو إذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كن فيكون، أو سبحان قد يقال حين التعجب من شيء، أو مقولة.

﴿هَلْ كُنْتُ﴾: هل: للاستفهام، والتعجب، والنفي؛ أي: ما كنت.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿بَشَرًا﴾: كسائر البشر.

﴿رَسُولًا﴾: من الله إليكم، ورسولاً: تأكيد على أن الرسل بشر.

وما الفرق بين الرقي في السماء، والصعود، والعروج؛ ففي هذه الآية قال: ﴿أَوْ تَرَقَّى فِي السَّمَاءِ﴾؛ أما في الآية (١٢٥) من سورة الأنعام: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾، والآية (١٤) من سورة الحجر: ﴿فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ﴾.

الرقي: أعم من الصعود، ويشمل المكان، وغير المكان؛ قد يكون في العلم، والمنزلة، وفيه صعود بالتدرج شيئاً فشيئاً.

والصعود: مقصور على المكان.

وأما العروج: صعود بشكل مائل، أو بخط منحنٍ.

[٩٤] ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾:

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾: ما: النافية.

﴿مَنَعَ النَّاسَ أَنْ﴾: أن: حرف مصدر يفيد التعليل.

﴿يُؤْمِنُوا﴾: بالله، وبما أنزل في القرآن، وبنبوة محمد ﷺ.

﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾: إذ: ظرف زمان للماضي.



﴿الْهُدَى﴾: الكتب السماوية، والرسل، والأنبياء.

﴿إِلَّا أَنْ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿أَنْ قَالُوا﴾: أن: حرف مصدرى للتعليل.

﴿قَالُوا أَبْعَثْ﴾: أبعث: الهمزة همزة استفهام إنكاري، وتعجب؛ لكون الرسول ﷺ بشراً.

﴿أَبْعَثْ﴾: من البعث، وفيه حث، وتهييج، وعزم، وبعث؛ أي: إحياء لما نزل إليهم من قبل. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٩)؛ لمزيد من البيان في البعث، والإرسال.

﴿اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾: بشراً: مشتق من البشرية، والبشارة؛ أي: حُسن الهيئة، ومن البشرية الخاصة بجلد الإنسان؛ ولظهورهم عكس الجن المستورين؛ فهم يريدون ملكاً رسولاً، فكيف يكون ملكاً من الملائكة، وهم بشر؛ فجاء الرد على هذا في الآية القادمة.

[٩٥] ﴿قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾:

﴿قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ﴾: أي: قل لهم يا محمد ﷺ رداً على تعجبهم من إرسال بشر رسولاً، ولم يكن ملكاً رسولاً.

﴿لَوْ﴾: شرطية.

﴿كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ﴾: يعيشون في الأرض، ويمشون مطمئنين؛ فعندها قد نزل عليهم ملكاً رسولاً؛ ليكون من جنسهم يفهمون ما يقول لهم، ويعلمهم ما نزل إليهم.

ولو بعثنا عليهم ملكاً رسولاً؛ لجعلناه بشراً؛ لأنهم غير قادرين على رؤية الملائكة، أو التلقي عنهم؛ لأن الملائكة من نور، والبشر من طين.

والحقيقة يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين، ويقولون حجراً محجوراً.

فلا بد أن يكون الرسول من جنسهم، وبلسان قومه (أي: يتكلم لغتهم).

[٩٦] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾:

﴿قُلْ﴾: رداً على ما اقترحوه، وطلبوه من الآيات (المعجزات)، وعلى اعتراضهم أن يكون الرسول بشراً.

﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ: كفى؛ أي: يكفي أن يكون الله سبحانه شهيداً بيني وبينكم أني رسول الله إليكم. والباء (بالله): تفيد الإلصاق والتوكيد.

﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: الشهيد أقوى من الشاهد؛ حيث يعلم بخفايا الأمر، وبظواهره، صيغة مبالغة للشاهد. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٣)؛ لبيان معنى شهيداً، وتقديم شهيداً على بيني وبينكم هو الأصل، بينما في سورة العنكبوت آية (٥٢) أخر شهيداً. ارجع إلى سورة العنكبوت آية (٥٢) للبيان.

﴿إِنَّهُ﴾: تفيد التوكيد.

﴿كَانَ بِعِبَادِهِ﴾: كان: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والماضي المستمر، والحاضر، والمستقبل.

﴿بِعِبَادِهِ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿خَبِيرًا﴾: يعلم بواطن الأمور، والنوايا، وما تخفي الصدور.

﴿بَصِيرًا﴾: يعلم بظواهر الأمور.





سورة الانعام ١٧

الحجرات

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ
مِنْ دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَبُكْمًا
وَصُمًّا مَّا وَلَهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا ۖ إِنَّا كَنَّا عِظْمًا
وَرُفْتًا ۖ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا ۖ لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
قُلْ لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَنَسَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ
إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ
هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ
يَفْرَعُونَ مُثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ
فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ
أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾





سورة الإسراء [الآيات ٩٧ - ١٠٤]

[٩٧] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَحْدِلَهُمْ أَوْلِيَائِهِ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَبِكُمَا وَصَّيْنَاهُمَا وَلَهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: من: ابتدائية، وللعاقل، وتشمل: المفرد، والجمع، والذكر، والأنثى، ومن: شرطية، وجوابها: فهو المهتد، ومن: جاءت هنا لتدل على المفرد المذكور بالذات.

﴿يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾: من يختار طريق الهداية لنفسه، ويسأل الله الهداية، والثبات على دين الله، والاستقامة على الصراط المستقيم.

﴿فَهُوَ﴾: الفاء: للتوكيد؛ هو: لزيادة التوكيد.

﴿الْمُهْتَدِ﴾: اسم فاعل؛ يدل على الثبوت على طريق الهداية؛ أي: الذي هداه الله هداية يسيرة أو قليلة أو خاصة حتى يستقيم على الصراط المستقيم، ولم يقل: المهتدي كما ورد في سورة الأعراف آية (١٧٨): الذي يحتاج إلى هداية أكبر، أو طويلة حتى لا يضل مرة أخرى ويرسخ إيمانه.

﴿وَمَنْ يُضِلِّ﴾: مثل «من يهد»، ومن: تدل على الجمع، والمذكر.

﴿يُضِلِّ﴾: يسير في طريق الضلال، ويصر، ويستمر على ذلك يتركه وشأنه، وما اختاره من الضلال.

﴿فَلَنْ﴾: الفاء: للتوكيد؛ لن: نفي المستقبل القريب، والبعيد.

﴿تَحْدِلَهُمْ أَوْلِيَائِهِمْ﴾: أولياء: جمع ولي: أي معين؛ جاءت بصيغة الجمع؛ لأن طرق الضلال وسبله متعددة، وأسبابه مختلفة؛ كالشيطان، والهوى، والكبر، والتقليد، والبدع، والجهل.



فلن تجد لهم أولياء: معاونين يهدونهم إلى العودة إلى دين الله تعالى من هذه السبل المتفرقة.

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: والحشر: هو السَّوق من القبور، والجمع في أرض المحشر للحساب.

﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾: أي: ﴿يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُقُوا أَمْسَ سَقَرٌ﴾ [القمر: ٤٨].

أو يمشون حقيقة على وجوههم، والله سبحانه قادر على ذلك، كما جاء في صحيح البخاري، ومسلم: «أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ كيف يُحْشَرُ الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه» للدلالة على التشويه والتعذيب والإهانة.

﴿عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾: أي: منهم من يحشر أعمى، ومنهم من يحشر أبكم، ومنهم من يحشر أصم؛ فهم جماعات مختلفة؛ كل جماعة لها صفة من الصفات الثلاث.

ولو قال: عُمِيًّا بُكْمًا صُمًّا، وحذف الواو بينهما: عندها تعني جماعة واحدة تحمل الصفات الثلاث معاً في آن واحد. والآخره قيل: هي مواطن، أو مواقف فقد يكون أعمى في هذا الموقف، وأصم في موقف، أو موطن آخر، وأبكم لا ينطق في موطن آخر.

﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾: المأوى: دار الإقامة، والمأوى: اسم مكان؛ أي: منزلهم، ومكان استقرارهم جهنم، وكلمة المأوى فيها معنى الضم.

﴿جَهَنَّمُ﴾: من جهنم؛ أي: بعيدة القعر. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

﴿كُلَّمَا حَبَّتْ﴾: كلما: مركبة من: كل، وما: المصدرية الظرفية الزمانية، وتفيد التكرار.



﴿خَبَتْ﴾: سكنت، أو خمدت، أو أصبحت كالجمر الأحمر سكن لهيها.

﴿زِدْنَهُمْ سَعِيرًا﴾: ولم يقل زدناها سعيراً وإنما زدناهم.

والسؤال: كيف تخبو النار، أو تسكن مع أن العذاب لا يخفف، ولا يفتّر؟
كقوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]؟

قيل: حين تشتعل النار في أجسادهم وتبدأ أجسادهم تتفحم وتتحول إلى رماد عندها تخبو النار في أجسادهم حتى يعادوا مرة أخرى أحياء من جديد، وتبدل جلودهم كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

[٩٨] ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَّتًا ءَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد يشير إلى ما حدث لهم من الحشر على وجوههم، ومأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً.

﴿جَزَاؤُهُمْ﴾: الجزاء مقابل العمل، أو من جنس العمل، ويشمل العقاب والثواب.

﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾: بأنهم: الباء: للتعليل، أو السببية.

﴿كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾: جحدوا، وأنكروا آياتنا، ولم يؤمنوا بها. آياتنا: تشمل الآيات القرآنية، والكونية، والمعجزات.

﴿وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَّتًا ءَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾: ارجع إلى الآية (٤٩) من السورة نفسها؛ للبيان.

[٩٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُّوا﴾:

حين أنكروا البعث، وإعادة الخلق رد الله عليهم بأن الذي خلق السموات



والأرض - وخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس - قادرٌ على أن يخلق مثلهم؛ لأن من خلق الشيء الأعظم والأكبر هو قادر على خلق الأصغر، والأقل.

وإعادة الخلق أهون من ابتداء الخلق، وهم اعترفوا بذلك حين سئلوا: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٠ والزمر: ٣٨].

﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: أي: أولم يعلموا، والرؤية هنا: رؤية قلبية، والهمزة في أولم: للاستفهام، والإنكار، والتوبيخ، والواو: للتوكيد، وشدة الإنكار؛ لم: حرف نفي؛ أي: كيف ترى شيئاً تنكره، وغيرك لا ينكره؟

﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: أن: مصدرية؛ تفيد التعليل، والتوكيد.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم؛ مختص بالمفرد المذكور.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾: أي: قادر أن يخلقهم هم أنفسهم، ويعيدهم من جديد، أو يخلق خلقاً آخر مثلهم يشبههم.

﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: الأجل: هو مدة حياتهم، والأجل: هو الموت، أو يوم القيامة، أو البعث.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿رَيْبَ فِيهِ﴾: الريب: هو الشك، والتهمة.

﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً﴾: أبى: لم يرخص، ورفض الظالمون: المشركون، والكافرون رغم التبيان والتفصيل إلا كفوراً، والإباء: شدة الامتناع قد يخالطه كراهية.

﴿إِلَّا كُفُوراً﴾: إلا: أداة حصر.

﴿كُفُورًا﴾: صيغة مبالغة على وزن فُعِلُوا؛ أي: الاستمرار في الكفر، والزيادة فيه.

[١٠٠] ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿لَوْ﴾: شرطية.

﴿أَنْتُمْ﴾: للتوكيد.

﴿تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾: خزائن الأرزاق. ارجع إلى سورة الحجر، آية (٢١)؛ للبيان.

أو خزائن الرحمة، أو النعم، والخيرات، والمعادن؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١]؛ أي: لو أن الله سبحانه أعطى خزائن خيراتِه للناس، ثم وكل إليهم أن ينفقوا منها على العباد، كما ينفق الله تعالى، لأمسكوا وبخلوا خوفاً من الفقر، أو النفاد. ارجع إلى سورة الحجر آية (٢١) لمزيد من البيان في معنى خزائن.

﴿إِذَا﴾: حرف جواب.

﴿لَأَمْسَكْتُمْ﴾: اللام: لام التوكيد؛ أي: بخلتم، أو توقفتُم، أو امتنعتم.

﴿خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾: خوف النفاد، والخشية: خوف خاص مصحوب بالعلم، والرغبة، وعظمة المخشي منه؛ أي: الإنفاق.

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾: كان: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿قَتُورًا﴾: صفة مشبهة من فعل قتر بخيلاً على الناس، وبخيلاً على نفسه؛ أي: يبخل على الناس، ويشد بخله حتى يبخل على نفسه، وعندها يصبح قتوراً؛ مشتقة من القتار: وهو الدخان الأسود من الشواء.



[١٠١] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَثَلٌ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق.

مناسبة ذكر هذه الآيات: يريد الله سبحانه أن يبين لنبيه ﷺ، ومن تبعه من المؤمنين: أن ما يطلبه كفار مكة من آيات مثل تفجر الأرض ينبوعاً، وإسقاط السماء عليهم كسفاً، أو بيت من زخرف، أو رقي في السماء، وإنزال كتاب، وغيرها: إنما حدث لموسى ﷺ؛ فقد آتاه الله تسع آيات؛ منها: العصا، واليد، والسنين وغيرها، فلم تغير من كفر فرعون وقومه شيئاً، ولم تردعهم، ولذلك لا فائدة من الاستجابة لكفار مكة.

﴿ءَاتَيْنَا﴾: الإيتاء: هو العطاء مع إمكانية استرداده، وليس فيه تملك؛ أما العطاء: فيه تملك، وليس فيه استرداد؛ لأي شيء، والإيتاء: يشمل الأمور الحسية، والمعنوية معاً، والعطاء: فقط للأمور الحسية. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥١)؛ للبيان.

﴿تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: واضحات، وهي خاصة بفرعون، ويجب عدم خلطها مع الآيات التي أنزلت على بني إسرائيل، وهي: العصا، واليد، والسنين، ونقص من الأموال، والأنفس، والثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

أما الآيات الخاصة ببني إسرائيل: فهي النجاة من فرعون، وفلق البحر، والانفجار، وانجاس الماء، والمن، والسلوى، ونشق الجبل فوقهم كأنه ظلة، والغمام... وغيرها.

﴿فَمَثَلٌ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾: والأمر كيف يسأل رسول الله بني إسرائيل الذين جاءهم موسى؛ فقد ماتوا، وانقرضوا، ولم يبق أحد منهم.



الجواب: أي: اسأل ذريتهم كأنك سألتهم أنفسهم؛ لأنهم سمعوا الأحداث، وتناقلوا الأخبار جيلاً بعد جيل.

اسألهم سؤال حجة، واستشهاد، وماذا فعل فرعون وقومه بالآيات؟ فقد كذبوا وجحدوا بها. وقد يسأل سائل ما هو الفرق بين ﴿فَسَلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾، و﴿سَلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: ٢١١]؟ العرب: إذا بدأت بالفعل تخفف وتقول سل، وأما إذا سبق الفعل سل شيء تقول: اسأل.

﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ﴾: فقال: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ قال فرعون لموسى (فرعون الابن منفتح). ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) للبيان: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾؛ أي: سحرك غيرك؛ أي: كانت نتيجة إرسال التسع آيات اتهام موسى بالسحر؛ كذلك يسألك قومك من الآيات فقط للّج، والجدال، كما حدث لموسى ﷺ.

[١٠٢] ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مُتَبَوِّرًا﴾:

﴿قَالَ لَقَدْ﴾: قال موسى لفرعون:

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: حرف تحقيق.

﴿عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ﴾: هؤلاء: الهاء: للتنبيه، أولاء: اسم إشارة يعود على الآيات التسع.

﴿إِلَّا﴾: إلا: أداة حصر.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: هو وحده الذي أنزلها.

والسؤال: هل علم فرعون، وأدرك أن هذه الآيات هي من عند الله تعالى؟

الجواب: كما قال ابن عباس ؓ: نعم؛ أي: علم، ولكنه أبى، واستكبر؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النحل: ١٤].



﴿بَصَائِر﴾: آيات وحججاً واضحة، وبيّنات تدل على الخالق واجب الوجود، الإله الحق، وتدل على وحدانيته، وقدرته، وعظمته، وأنه هو الذي يستحق العبادة.

﴿بَصَائِر﴾: جمع بصيرة؛ أي: آيات يُرى من خلالها، أو يتضح الحق من رؤيتها، ويُبصر الإنسان الأمر، أو الشيء الذي كان لا يعلمه؛ أي: تفتح الأبصار، والقلوب إلى رؤية الحق، والاهتداء للوصول إلى الإله الحق. ارجع إلى سورة العجائية آية (٢٠) لمزيد من البيان في بصائر.

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعَوْتُ مَثْبُورًا﴾: لأظنك: اللام: للتوكيد.

﴿يَفْرَعَوْتُ مَثْبُورًا﴾: المثبور: الهالك، أو الممنوع من الخير، ومثبوراً: اسم مفعول من فعل: ثبر.

وكان الله سبحانه أطلع موسى على مصير فرعون، وأنه هالك عن قريب، وكان قول موسى لفرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعَوْتُ مَثْبُورًا﴾: ردٌّ على قول فرعون لموسى: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾.

[١٠٣] ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾:

﴿فَأَرَادَ﴾: فرعون.

﴿أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ﴾: يستأصلهم كما قال ابن عباس؛ أي: يحرضهم؛ أي: بني إسرائيل وموسى على الخروج من مصر بالإيذاء، والسوء، وقتل أبنائهم، واستحياء نسائهم؛ ليكرههم على الخروج؛ الفاء: للترتيب الذكري.

﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾: أرض مصر.

﴿فَأَغْرَقْنَاهُ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، والمباشرة؛ فأغرقناه: الهاء: تعود إلى فرعون. في اليم: البحر.

﴿وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾: ومن معه من جنده، وتدل على العدد، ليس بالعدد الكبير، ولو قال: والذين معه؛ لكان ذلك يعني: العدد الكبير.



﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد.

[١٠٤] ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾:

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: من بعد هلاك فرعون وجنوده قلنا لبني إسرائيل على لسان موسى ﷺ.

﴿اَسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾: قيل: الأرض المقدسة، وقيل: اسكنوا جميع الأرض، وليس بقعة معينة؛ اسكنوا كل بقاع الأرض، وبما أنه لم يحدد لهم مكاناً، ولا عنواناً؛ فهذا يدل على أنها تعني كل الأرض، وهذه هي الحقيقة؛ فهم مبعثرون ومشردون في كل أنحاء العالم، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨].

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾: فإذا: الفاء: للتوكيد؛ إذا: ظرفية زمانية تدل على المستقبل، وعلى حتمية الحدوث.

﴿وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾: هو الإفساد الثاني لبني إسرائيل: ﴿لَنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنٍ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤]، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُئَلُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٧].

﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾: جئنا بكم من أقطار الأرض إلى الأرض المقدسة؛ ليتحقق وعد الآخرة.

﴿لَفِيفًا﴾: اللفيف: هو الجمع الكبير من أخلاط، أو أجناس، أو أعراق مختلفة، ومن أوطان شتى؛ أخلاط تشمل: الشريف والدنيء، والمطيع والعاصي، والقوي والضعيف، وهذا ما يحدث الآن.





سُورَةُ الْكَافِرَاتِ ١٨

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَنَّانِ

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾
 وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٦﴾
 قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ءَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى
 عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ
 وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
 خُشُوعًا ﴿١٩﴾ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ
 الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ
 بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ
 لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلِّ وَكَبِيرٌ تَكْبِيرًا ﴿٢١﴾



سُجْدَةٌ

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

آيَاتُهَا ٢١

تَنْزِيلُهَا ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾
 قِيمًا لِّیَنْذِرَ بِأَسَاسٍ شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
 يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّكَثِينَ
 فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾



عَلَمٌ لِلْمُتَّقِينَ
مِنْ
أَيِّفَ عَمَلًا



سورة الإسراء [الآيات ١٠٥ - ١١١]

[١٠٥] ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾:

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾: وبالحق: الباء: للإلصاق، والتوكيد؛ الحق: هو الشيء الثابت الذي لا يتغير، أو يتبدل أبداً؛ فالقرآن: هو الحق، والحق: هو القرآن، فلن يتغير منه حرف منذ نزل حتى يوم القيامة.

﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: أي: جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر.

﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾: وكذلك نزل من السماء على رسول الله ﷺ طوال (٢٣) عاماً منجماً حسب الأحداث، ولم يتغير منه حرف: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١١٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿[الشعراء: ١٩٣-١٩٤].

إذن هناك مرحلتان:

المرحلة الأولى: إنزال من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا بالحق.
والمرحلة الثانية: نزول من السماء الدنيا على رسول الله ﷺ بالحق، أو التوحيد.

وقيل: الحق الأول غير الحق الثاني؛ فالحق الأول: إنزال بالحكمة الإلهية، وبالحق نزل؛ أي: بما فيه من الأحكام، والوعد، والوعيد.
﴿وَمَا﴾: ما: النافية.



﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾: لمعرفة معنى الإرسال، والفرق بين البعث، والإرسال: ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٩)؛ للبيان.

﴿إِلَّا مَبْشَرًا وَنَذِيرًا﴾: إلا: أداة حصر.

﴿مَبْشَرًا﴾: للمؤمنين، والطائعين، والبشارة: تكون بالخير. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿وَنَذِيرًا﴾: للعاصين، والكافرين.

[١٠٦] ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾:

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ﴾: القرآن سمي بذلك؛ لكونه مقروءاً.

﴿فَرَقْنَاهُ﴾: أي: نزلناه مفزقاً، وليس جملة واحدة، أو دفعة واحدة، كما حصل للكتب السابقة: التوراة، والإنجيل، بعد أن كان مجموعاً في اللوح المحفوظ.

﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ﴾: لتقرأه: اللام: للتوكيد، أو التعليل.

﴿عَلَى النَّاسِ﴾: على: تفيد العلو، والمشقة.

﴿عَلَى مُكْثٍ﴾: على تؤدة، وتمهل، وتأنُّ بلا عجلة، وفي آية أخرى: ﴿لِنُثَبِّتَ

بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢].

﴿وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾: توكيد نزلناه ببطء آيات، آيات، أو سورة بعد سورة.

[١٠٧] ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ءَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿ءَامِنُوا بِهِ﴾: أي: القرآن.

﴿أَوْ لَا تَوْمِنُوا﴾: أو: للتسوية؛ سواء أمتتم به، أم لم تؤمنوا؛ الأمر سواء؛ أي: متساوٍ عند الله سبحانه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح.

﴿أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: مؤمنوا أهل الكتاب من اليهود، والنصارى، والذين قرؤوا التّوراة، والإنجيل قبل إنزال القرآن؛ مثل: عبد الله بن سلام، وورقة بن نوفل... وغيرهما.

﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾: قبل نزول القرآن، أو قد ترجع إلى إرسال رسول الله محمد ﷺ.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تدل على حتمية الحدوث.

﴿يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾: يُقرأ القرآن على الذين أوتوا العلم، أو ما أنزل إليهم من عند الله.

﴿يَخْرُجُونَ لِلْأَذْقَانِ سَجْدًا﴾: أذقان: جمع: ذقن: وهو ملتقى اللحيين.

﴿يَخْرُجُونَ﴾: بين يدي الله تعالى سجداً مشتقة من خري الماء، أو الشلال، وتعني: الهبوط بسرعة، وله صوت. يخر: يسقط كسقوط الماء في الشلال، وبصوت.

﴿لِلْأَذْقَانِ﴾: إضافة اللام؛ تعني: المبالغة في الخشوع، والخضوع، وعلى كمال السجود؛ لأن السجود يكون على الجبهة، والأنف، أما للأذقان: تدل على كمال وشدة السجود؛ ليشمل الذقن (كناية عن الوجه، والجزء يشير إلى الكل)؛



أي: سجود تام كامل حتى يبلغ الذقن، ولم يقل على الأذقان (على تفيد المشقة والصعوبة)، وإنما للأذقان للدلالة على الحرص على التقرب لله تعالى.

[١٠٨] ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾:

﴿وَيَقُولُونَ﴾: تدل على التجدد، والاستمرار، ولم يقل: وقالوا التي قد تعني مرة واحدة.

﴿سُبْحَنَ رَبِّنَا﴾: تنزيهاً لربنا من الإخلاف بوعده، أو عدم إنجاز وعده الذي وعده في الكتب السماوية السابقة بإرسال محمد ﷺ، وإنزال القرآن على قلبه. ارجع إلى سورة الحديد، آية (١)؛ لبيان معنى التسييح.

﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾: إن: للتوكيد.

﴿كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ كان وعد ربنا مفعولاً لكل ما وعده على مر الزمن.

﴿لَمَفْعُولًا﴾: اللام: للتوكيد؛ مفعولاً: كائناً واقعاً لا محالة.

[١٠٩] ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾:

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾: انظر في الآية (١٠٧)، وتكرار «يخرون» للتوكيد.

﴿يَبْكُونَ﴾: في هذه المرة «يكون» تدل على التجدد، والتكرار.

﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾: أي: القرآن، وتلاوته خشوعاً.

﴿خُشُوعًا﴾: تواضعاً، وليناً في القلب، والخشوع يعني: الخضوع، والإخبات أيضاً.

[١١٠] ﴿قُلْ اَدْعُوا اللَّهَ اَوْ اَدْعُوا الرَّحْمَنَ اَيَّامًا تَدْعُوْنَ فَلَهُ الْاَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيْلًا﴾:

﴿قُلْ اَدْعُوا اللَّهَ﴾: الله: اسم الذات الجامع لكل صفات الكمال التي انطوت عليها أسماء الله الحسنى، واسم العلم الدال على واجب الوجود.
﴿اَوْ اَدْعُوا الرَّحْمَنَ﴾: أو: للتخيير.

﴿اَدْعُوا الرَّحْمَنَ﴾: الرحمن: من الرحمة التي هي الصفة والسمة العامة والثابتة لذاته، والتي تمثل كل صفاته الأخرى؛ فهو أرحم الراحمين، والرحمن الرحيم، فهو سبحانه رحمة، وشريعته رحمة، وقرآنه رحمة؛ كل ما يفعله بعباده رحمة؛ لأنه هو الرحمن دائم الرحمة، ومتجدد الرحمة.
﴿اَيَّامًا تَدْعُوْنَ﴾: أي: هنا شرطية.

﴿مَا﴾: للتوكيد؛ أي: هي أكثر أدوات الشرط إيهاماً، وإضافة ما: تزيدها إيهاماً.

﴿فَلَهُ الْاَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾: فله: الفاء: للتوكيد؛ له: تقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة يدل على الحصر؛ أي: له وحده الأسماء الحسنى، وكلمة حسنى: أفعّل تفضيل للمؤنث، والمذكر منها: أحسن، وأسماء الله الحسنى تقسم إلى قسمين: منها ما هو أسماء ذات؛ أي: لا يقابل الاسم اسم مقابل؛ أي: مضاد؛ مثل العزيز لا يقابله الدليل، والكريم لا نقول البخيل؛ الحي لا يقابله الميت، ومنها ما هو أسماء صفات مثل: المُعْز، يقابلها المذل، والضار، ويقابلها النافع، والمحيي، ويقابلها المميت.

﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾: أي: لا ترفع صوتك بالقراءة، أو الدعاء، أو لا تجهر بصلاتك حتى يسمعك المشركون فيسبوا القرآن عدواً.



﴿وَلَا﴾: النّاهية، وتكرارها يفيد التّوكيد.

﴿تُخَافَتُ بِهَا﴾: ولا تخفض الصوت؛ فلا يسمعك أصحابك في الصّلاة.

﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾: بين الجهر، والإخفاء؛ أي: وسطاً.

ابتغ: أي: اتخذ، أو اسلك في التلاوة سبيلاً وسطاً.

[١١١] ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيِ وَكَبِيرٌ تَكْبِيرًا﴾:

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾: وقل: الخطاب لرسول الله ﷺ ولأئمة. الحمد لله: ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٢) للبيان. الذي: اسم موصول يفيد التعظيم. لم: للنفي، يتخذ ولداً: لا عيسى، ولا عزيز، ولا الملائكة، ولا غيرهم. فكونه لم يتخذ ولداً نعمة كبيرة على العباد يجب أن يحمده عليها؛ فكل الخلق عنده سواء إلا بالتقوى. فأحبهم، وأقربهم إليه ألقاهم.

إذن: الخلق كله يتمتع بحنان ربهم، ورحمته، ولا يشاركون بهذا الحنان والرحمة ولد، ولا يحتاج سبحانه لولد؛ لأنه هو خالد، وبارق، ودائم، والولد هو امتداد لوالديه، والحمد لله الذي لم يشبه عباده، ولا يحتاج إلى ولد؛ لأنه سبحانه لا يعتريه ضعف، أو نقص؛ ليجتاح إلى ولد، وهو الحي القيوم، وهو الوارث.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾: وهذا أيضاً يستوجب الحمد، فلو كان له شريك لكان سبباً للحيرة، والعداوة.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيِ﴾: وأيضاً يستحق الحمد، والشكر؛ لأنه لم يكن له ولي من الدنّ.

﴿وَلِيٌّ﴾: الولي: المعين، أو الملجأ؛ فلا يحتاج إلى معين، أو ناصر، أو

معز؛ لأن العزة لله جميعاً؛ أي: لا يحتاج إلى موالاة أحد؛ لأن به مذلة، أو عيب، أو نقص.

﴿وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا﴾: أي: قل: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر من كل شيء.

الله أكبر: أكبر اسم تفضيل، وأما كبير: اسم فاعل، واسم التفضيل يدل على الكمال التام، أكثر من اسم الفاعل، وبما أنه لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الدّل، ولهذا يجب أن نكبر هذا الإله تكبيراً على كل نعمة أنعمها علينا، وسميت هذه: آية العز.





سُورَةُ الْكَافِرَاتِ ١٨

البقرة الفصل العشرة

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
وَقَرَأَهُ أَنَا فَفَرَّقْنَاهُ لِنُقَرِّاهُ، عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٦﴾
قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ؕ أَوْ لَا تَتُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَهُ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾



سُورَةُ الْكَهْفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ
 قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
 يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ مَكِثِينَ
 فِيهِ أَبَدًا ۖ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ





سورة الكهف [الآيات ١ - ٤]

ترتيبها في القرآن (١٨)، وترتيبها في النزول (٦٩).

فضل سورة الكهف: عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال» رواه مسلم، وأبو داود، والنسائي، والترمذي.

وعن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال» رواه مسلم، والإمام أحمد، والنسائي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾:

انظر إلى كيف ختم الله سبحانه سورة الإسراء بقوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾، وكيف بدأ سورة الكهف بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾، وكما بدأت سورة الكهف بالحمد لله؛ فقد سبقتها فاتحة الكتاب بالحمد لله، وسورة الأنعام، وسوف يأتي بعد سورة الكهف سورة سبأ، وسورة فاطر، وكلاهما بدأتا بالحمد لله أيضاً؛ فيكون مجموع السور التي بدأت بالحمد خمس سور. ارجع إلى سورة الحمد، الآية (١)؛ للبيان.



فالحمد لله حمداً مطلقاً على ما أنعمه علينا من النعم، وعلى نعمة الإسلام، والهداية إلى الصراط المستقيم، والحمد لله في سورة الأنعام؛ لأنه خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، وأما الحمد لله في سورة الكهف؛ لأنه أنزل على عبده الكتاب، والحمد لله في سورة سبأ؛ لأن له ما في السموات، وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة أيضاً، والحمد لله في سورة فاطر؛ لأنه خلق الملائكة الذين يحفظون لنا أعمالنا، ويكتبوها.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: ارجع إلى سورة الفاتحة، آية (٢)؛ للبيان.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مختص بالمفرد المذكور.

﴿أَنْزَلَ﴾: أي: جملة واحدة (دفعة واحدة) أنزل الكتاب (أي: القرآن) من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا سماه كتاباً لكونه مكتوباً في اللوح المحفوظ، ومكتوباً في السطور.

﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾: على: تفيد العلو؛ على عبده محمد ﷺ.

﴿عَبْدِهِ﴾: الهاء: تدل على التشريف.

﴿الْكِتَابَ﴾: القرآن الكريم، ودخول (ال) التعريف؛ للدلالة على أنه كتاب

تام، وكامل. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾: أي: مستقيماً لا عوج فيه منذ البداية لم يجعل له عوجاً

لا في اللفظ، ولا في المعنى، ولم يقل: ولم يجعل فيه عوجاً؛ لكان من المحتمل أن هذا العوج حدث للقرآن في زمان ما ثم زال عنه، وهناك من المفسرين من

قال: هناك تقديم وتأخير في هذه الآية؛ لأنها قد تقرأ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيماً لا عوج له، وقدم كلمة عبده على الكتاب للاهتمام.

﴿عَوْجًا﴾: بصيغة النكرة؛ لتشمل كل أنواع العوج؛ أي: خالٍ من أي عوج مهما كان.

وهناك فرق بين العوج: بكسر العين، والعوج: بفتح العين.

فالعوج: بكسر العين أكثر ما تستعمل في سياق المعاني، والكلام، والدين.

والعوج: بفتح العين في سياق الأشياء الحسية؛ مثل: حائط، عصا...

[٢] ﴿قِيمًا لِيُنْذَرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾:

﴿قِيمًا﴾: تعود على الكتاب؛ قيماً تعني: مستقيماً لا ميل فيه، ولا زيغ، وقيماً بمصالح العباد الدنيوية، والدنيوية؛ لتستقيم به أمور العباد، وقيماً: تفيد التوكيد؛ توكيد لا عوج فيه. لم يجعل له عوجاً تفيد نفي العوج؛ قيماً: تثبت استقامته.

﴿لِيُنْذَرَ بَأْسًا﴾: لينذر: اللام: للتعليل، والتوكيد، والإنذار موجه إلى الكفار، والعاصين، ويحمل في طياته الوعيد، والإنذار: هو الإعلام، والتحذير، والتخويف.

﴿بَأْسًا شَدِيدًا﴾: عذاباً شديداً، وأصل البأس: الشدة في الحرب.

﴿مِّنْ لَّدُنْهُ﴾: من لدنا: تستعمل للأمور الخاصة فيها معنى القرب إلى الله



سبحانه، أو للعبد، ولم يقل: من عنده مما يدل على أنه عذاباً خاصاً لا طاقة لأحد به، ويستعمل من عندنا، أو منا للأقل قرباً، أو للأمور العامة.

﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾: يعملون: تدل على التجدد، والتكرار، والاستمرار بقيامهم بالأعمال الصالحة، والبشارة: تكون في الخبر السار، والمسموع لأول مرة؛ مما يؤدي إلى ظهور علامات البشارة على البشرية؛ أي: الوجه. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٩)، وسورة النحل، آية (٨٩)؛ لمزيد من البيان.

﴿أَنَّ﴾: أن: مصدرية تفيد التعليل.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص لهم خاصة.

﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾: الأجر مقابل العمل، والأجر الحسن: قد يعني: الجنة، أو الحسنة بعشر أمثالها، أو أكثر، أو الذي يزيد عما يستحقه المؤمن.

[٣] ﴿مَكِيثٍ فِيهِ أَبَدًا﴾:

﴿مَكِيثٍ فِيهِ أَبَدًا﴾: المكث في اللغة: هو الانتظار، أو البقاء والاستقرار الغير محدد بزمان، ولم يقل لابئين: اللبث يقترن بزمان محدد؛ أي: ماكثين فيه: باقين فيه، وإضافة أبداً أضافت إليه معنى الخلود؛ ماكثين فيه (فيه تعود على الأجر)؛ أي: ماكثين في الأجر أبداً، ويعني: الجنة، أو الأجر الدائم الغير منقطع.

﴿أَبَدًا﴾: للتوكيد؛ أي: خالدين فيه.



[٤] ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾:

﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾: هذا هو الإنذار الثاني؛ الإنذار الأول: قوماً لينذر بأساً شديداً: هو إنذار عام، ومطلق لكل من كفر، وعصى ربه، وهذا الإنذار هو الإنذار الثاني، والخاص بالذين قالوا اتخذ الله ولداً؛ ينذر النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله، أو ثالث ثلاثة، أو غيره من مظاهر الشرك، أو ينذر المشركين الذين قالوا إنّ الملائكة بنات الله، أو اليهود الذين يقولون عزيزاً ابن الله، أو غيرهم.



الجزء الثاني عشر

سورة الكهف ١٨

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَدِيعُ خَلْقٍ نَفْسَاكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١١﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٢﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٣﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾



سورة الكهف [الآيات ٥ - ١٥]

[٥] ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا
كَذِبًا﴾:

﴿مَا﴾: ما: لنفي الحال، والاستقبال.

﴿لَهُمْ﴾: السلام: لام الاختصاص؛ هم: تعود على الذين قالوا اتخذ الله
ولداً.

﴿بِهِ﴾: تعود على القول اتخذ الله ولداً.

﴿مِنْ عِلْمٍ﴾: من: ابتدائية استغرافية تستغرق كل علم؛ أي: هو قول صادر
عن جهل، أو تقليد، أو لا دليل له، وتشمل أي علم ذاتي، أو مكتسب، أو وراثي.
﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾: لا: النافية لنفي كل الأزمنة، ولا لآبائهم الذين قالوا ذلك
أيضاً من غير علم ذاتي، أو وراثي.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: كبرت: عظمت كلمة، أو ما أكبرها من
كلمة في القبح، والشناعة، والإثم حين تفوهوا بها، وقالوا: اتخذ الله ولداً دون
فهم، ولا عقل، ولا علم؛ فقد خرجت من أفواههم وبلغت درجة عظيمة؛ لأنها
أضلت خلقاً كثيراً، وجاءت بالنصب، وليست بالرفع؛ لأن النصب أقوى، وأبلغ،
وفيه معنى التعجب.

﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾: إن: حرف نفي أقوى نفيّاً من ما؛ أي: ما يقولون
إلا كذباً.



﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿كَذِبًا﴾: باطلاً لا صحة له؛ مفترئ. وكذباً: نكرة؛ أي: كُلهُ كذب.

وكما جاء في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ قال الله تعالى: «كذبنني ابن آدم، ولم يكنْ له ذلك، وشتمني ولم يكنْ له ذلك، فأما تكذيبه إياي؛ فقلوبه: لن يُعيدني كما بدأني، وليس أولُ الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه إياي؛ فقلوبه: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكنْ لي كفواً أحد».

[٦] ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾:

﴿فَلَعَلَّكَ﴾: الفاء: للتوكيد؛ لعلك: لها عدة احتمالات، والخطاب هنا لرسول الله ﷺ:

لعلك: للتراخي في المحبوب، وللإشفاق من المحذور، ويعني: أن يبخع نفسه، وهو المحذور.

لعلك: تعني النهي؛ أي: لا تبخع نفسك، وتجمع الإشفاق على رسول الله ﷺ بالإضافة إلى النهي.

لعلك: قد تفيد الاستفهام الذي يحمل معنى النهي؛ تعني: هل أنت ستهلك نفسك من جراء عدم إيمانهم.

﴿بَخِيعٌ نَفْسَكَ﴾: مُهلك، أو قاتل نفسك؛ لكي يؤمنوا، وكلمة باخع أصلها البخع، وتعني: أن تبلغ بالذبح البخاع، وهو وريد دم قريب من صلب عظام الرقبة، وهو أقصى حد يصل إليه الذبح؛ أي: قاتل نفسك حزناً، وأسفاً على إعراضهم، وعدم إيمانهم، وتكذيبهم بالقرآن كمن يذبح نفسه إلى درجة يصل بها الذبح إلى

البخاع، وكأن الحق سبحانه يقول لرسوله ﷺ ما عليك إلا البلاغ؛ خفف عنك هذا الحُزن والهم.

﴿عَلَىٰ أَثَرِهِمْ﴾: فلا تستمر في ملاحقتهم بعد توليهم ﴿فَلَا نَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: ٨].

﴿إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو الشك. ﴿لَمْ﴾: نافية.

﴿يُؤْمِنُوا﴾: يصدقوا.

﴿بِهَذَا﴾: الباء: للإلصاق.

﴿الْحَدِيثِ﴾: هو القرآن الكريم.

﴿أَسَفًا﴾: المبالغة في الحزن، وقيل: أسفًا: ندمًا، وجزعًا، وغضبًا، فالله سبحانه نهى رسوله ﷺ عن كثرة الحرص على إيمان قومه؛ لكي يؤدي ذلك إلى إصابته بضرر في نفسه من شدة الحُزن والأسى.

[٧] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾:

﴿إِنَّا﴾: إن: للتوكيد، ونا: المتكلم؛ للتعظيم.

﴿جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا﴾: جاءت هذه الآية لتعليل النهي عن أن ييخع الرسول ﷺ نفسه على آثارهم؛ لأن الدنيا زائلة، وفانية، وما عليها من زينة، وزخرف، وجمال، إنما لابتلائهم؛ أي: اختبارهم، وإقامة الحجة عليهم؛ لأن الله لا يعلم من هو أحسن عملاً منذ الأزل قبل خلقهم، وإظهارهم للوجود.

﴿لِنَبْلُوهُمْ﴾: اللام: لام التوكيد، والتعليل.



﴿أَيُّهُمْ﴾: أي: للاستفهام.

﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: اسم تفضيل من حسن؛ أي: عملاً من الأعمال الصالحة، والطاعة، وتجنب النواهي، والعمل الصالح يشمل القول، والفعل معاً؛ أحسن: أفضل عملاً. ولم يقل سبحانه: أكثر عملاً، وإنما: أحسن؛ أي: أخلص عملاً وأصوب. ارجع إلى سورة الملك آية (٢).

[٨] ﴿وَأَنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾:

﴿وَأَنَّا﴾: وإن: للتوكيد؛ نا: ضمير المتكلم؛ للتعظيم بصيغة الجمع.

﴿لَجَاعِلُونَ﴾: اللام: لام التوكيد؛ جاعلون: من الجعل: وهو التصيير.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، وأكثر شمولاً من الذي.

﴿عَلَيْهَا﴾: من الزينة من نباتات، وجبال، وأشجار، وجنات، وهضاب، ووديان نزول وتلاشي حين تقوم الساعة؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا غِوَاثٌ وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

﴿صَعِيدًا﴾: الصعيد: هو وجه الأرض، ووجه الأرض: هو التراب؛ أي: تراباً.

﴿جُرُزًا﴾: الجرز: الأرض التي لا ينبت فيها شيء؛ فالله سبحانه يجعل الأرض يوم القيامة أرض ملساء يابسة مستوية لا نبات فيها، ولا ماء؛ أرض قحط. ارجع إلى سورة طه آية (١٠٦-١٠٧) للبيان.

[٩] ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنَّا يَتَّبِعُنَا عِجَابًا﴾:

سبب نزول هذه الآيات كما ذكر القرطبي عن ابن إسحاق: سألت قریش



يهود المدينة عن صدق نبوة رسول الله ﷺ، وصفته، وما ورد في كتبهم؛ فأشاروا إليهم أن يسألوا رسول الله ﷺ عن الروح، وأصحاب الكهف، وعن ذي القرنين؛ فسألوه فقال ﷺ: سأخبركم غداً، ولم يقل إن شاء الله، وجاء الغد، ولم ينزل الوحي عليه بالأجوبة؛ فشعر رسول الله ﷺ بالحرَج، والضيق. ارجع إلى الآية (٢٣-٢٤) من نفس السورة، والآية (٦٤) من سورة مريم.

﴿أَمْرٌ﴾: المنقطعة للاستفهام، تحمل معنى: التعجب.

﴿حَسِبْتَ﴾: اعتقدت؛ حسبت: تعني: الظن الرجح، وتعني: الحساب القائم على النظر، والتجربة، والحساب.

﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾: أن: للتوكيد.

﴿أَصْحَابَ﴾: جمع صاحب الملازم؛ صاحب: من صحب؛ أي: الرفيق، والصديق الذي ينفعلك، ولا يعني: القرين: الشيطان الذي يضرك.

﴿الْكَهْفِ﴾: الغار الواسع في الجبل.

﴿وَالرَّقِيمِ﴾: اللوح المرقوم المكتوب فيه أسماء أصحاب الكهف، أو لوح حجري كتبت فيه أسماء أصحاب الكهف، كما قال ابن عباس والفراء.

﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾: أي: أحسبت أن أصحاب الكهف، والرقيم كانوا أعجب آياتنا لا هناك الكثير من آياتنا ما هو أعجب من أصحاب الكهف.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية.

﴿آيَاتِنَا عَجَبًا﴾: أي: أعجبها؛ فهناك الآيات الكثيرة التي هي أعجب من قصة أصحاب الكهف الدالة على عظمة وقدرة الله سبحانه على الخلق، والبعث، والإحياء.



[١٠] ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف زمان للماضي.

﴿أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾: أوى: التجأ، أو جعلوا الكهف مأوى لهم.

﴿الْفِتْيَةُ﴾: جمع فتى؛ بمعنى: الشبان، والفتية، ولم يقل: الفتيان؛ الفتية في القرآن؛ تعني: الفئة الصالحة المؤمنة. أما الفتيان في القرآن: تأتي في سياق الفئة غير المؤمنة، وسياق التسخير؛ أي: الخدم، وأما اللغة: فلا تفرق بين الفتية، والفتيان، وهناك فرق آخر: الفتية: جمع قلة؛ الفتيان: جمع كثرة، أو فتيان: أكثر عدداً مقارنة بالفتية، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفَتْنَيْنِهِ أَجْعَلُوا بِضَعَتَهُمْ فِي رَحَالِهِمْ﴾ [يوسف: ٦٢].

﴿فَقَالُوا﴾: الفاء: للمباشرة، والتعقيب.

﴿رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾: ربنا، ولم يقولوا: يا ربنا؛ لأنه سبحانه قريب؛ فلم يستعملوا ياء النداء للبعد.

﴿إِنَّا﴾: من الإيتاء: وهو العطاء الذي لا تملك فيه. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة؛ لمعرفة الفرق.

﴿مِنْ﴾: من: ابتدائية.

﴿لَدُنْكَ﴾: ولم يقولوا منك؛ من لدنك خاصة بالمقربين فيها معنى المبالغة والقرب واللين والخصوصية من الله تعالى، وأما منك تأتي في سياق العامة من الناس، وتقديم من لدنك؛ تعني: خاصة من لدنك وحدك.

﴿رَحْمَةً﴾: جاءت في صيغة النكرة؛ لتشمل أنواع كثيرة من الرحمة؛ منها:

الرزق، والأمن، والصّحة، والمغفرة، والرّحمة: هي جلب ما يسرّ، ودفع ما يضر، وتعني: الوقاية من الوقوع في الذّنوب.

﴿وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾: هيئ: يسر لنا، واجعل أمرنا كله رشداً؛ أي: صلاحاً، والرّشد: بفتح الراء؛ يعني: الصّلاح في أمور الدّين، والآخرة. أما الرّشد: ضد الغي، والضلال، والسّفه، وسوء التّدبير؛ أي: اهدنا إلى طريق الصّواب، والصّلاح، والحق، والخير، والإيمان، والتّوحيد، والرّشد: بضم الراء: الصّلاح في الأمور الدّنيوية، والأخروية، والرّشد: أعم من الرّشد.

[١١] ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾:

﴿فَضَرَبْنَا﴾: الفاء: للمباشرة، والتّعقيب، والضّرب: يعني: إيقاع شيء على شيء، والضّرب في الأرض: أي: السّفر؛ يضرب بقدمه الأرض؛ أي: يسافر، والضرب على الأذن في الحالات العادية: يؤدي إلى الصمم الناتج أحياناً إلى تمزق غشاء الطبل في الأذن، وتعطل حاسة السّمع عندهم.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ﴾: أي: بعد أن أواوا إلى الكهف جعلنا على آذانهم حجاباً، أو حائلاً يمنع وصول الصّوت إلى آذانهم؛ لأنّ الله سبحانه لا يريد أن يوقظهم بسماع أي صوت، وأضاف الضّرب إليه سبحانه؛ أي: أصبحوا لا يسمعون شيئاً لسنين طويلة.

﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾: أبقاهم الله سبحانه أحياء ﴿ثَلَاثَ مِائَةِ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا سَعًا﴾ [آية: ٢٥] من نفس السّورة.

﴿عَدَدًا﴾: للتوكيد؛ أي: (٣٠٠ سنة شمسية) ما يعادل (٣٠٩ سنة قمرية) أبقاهم أحياء بدون طعام، أو شراب، أو شيء من مقومات الحياة العادية.



[١٢] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للتراخي في الزمن؛ أي: بعد زمن طويل بلغ ثلاث مائة وتسع سنوات.

﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾: أيقظناهم من نومهم، والبعث: يعني: الحث، والإثارة، والتحرك.

﴿لِنَعْلَمَ﴾: اللام: لام التعليل.

﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾: أي: للاستفهام.

﴿الْحِزْبَيْنِ﴾: قيل: الفتية انقسموا حزبين (جماعتين)، والحزب: هو جماعة من الناس تجمعهم مصالح مشتركة، وآراء متشابهة؛ حزب قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم، وحزب قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم، وبعض المفسرين قالوا: الحزبين هم الفتية، وأهل المدينة.

﴿أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾: لما: ظرفية زمانية، وما: مصدرية؛ أحصوا: من الإحصاء: وهو العد، والجمع، والطرح، والحفظ، والكتابة.

﴿لَبِثُوا﴾: وهم رقدوا في كهفهم. ولبثوا: اللبث: هو الاستقرار المقرون بزمن محدد بعكس المكث: هو الاستقرار الغير مقرون بزمن محدد.

﴿أَمَدًا﴾: والأمد: أما أن يكون ظرفاً من الزمان أو المكان، وفي هذه الآية ظرف للزمان منتهى الأجل، أو المدة (عدد السنين)، وانتهى التساؤل أن كلا الحزبين لم يعلم الجواب الحق.

[١٣] ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾:

﴿تَحْنُ﴾: ضمير منفصل بصيغة الجمع؛ للتعظيم.

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ﴾: نخبرك، أو نطلعك على نبأهم.

﴿نَبَأَهُمْ﴾: النبأ: هو الخبر الهام العظيم.

﴿يَا لِحَقِّ﴾: بالصدق؛ الباء: للإلصاق، والحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتغير، أو يتبدل، وما يقصه الله سبحانه علينا هو علم اليقين، وصدق، ولا يخالطه أي شك، أو ريب؛ لأنّ هناك من الأنبياء ليست بالحق؛ أي: ليست صادقة.

﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ﴾: إن: للتوكيد.

﴿فَتِيَةٌ﴾: ارجع إلى الآية (١٠)؛ للبيان.

﴿ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾: آمنوا إيمان عقيدة، وتوحيد، وصدقوا بربهم، وهذه شهادة من الله لهم، ويا لها من شهادة عظيمة.

﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾: أي: إقبالاً على الله، وإيماناً، وبصيرة، وهديناهم الهداية الخاصة الموصلة إلى الغاية، وهي سعادة الدارين.

﴿هُدًى﴾: نكرة؛ تشمل كل أنواع الهداية.

[١٤] ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾:

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: الربط: الشد؛ أي: ألهمناهم، قويناهم بالصبر، والثبات، واليقين، والجرأة (عدم الخوف) على الإيمان، والتوحيد حتى لا يفزعوا.

وقوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، ولم يقل: وربطنا قلوبهم؛ على: تدل على العلو، والمشقة؛ أي: على القلب؛ على ما فيها من إيمان، وتقوى. أما



ربطنا قلوبهم؛ تعني: ربط القلب ذاته بجهاز، أو شيء حسي، كما يحدث في العمليات الجراحية.

﴿إِذْ قَامُوا﴾: إذ: ظرف زمان للماضي؛ بمعنى: حين قاموا يدعون الله وحده، ويعبدونه.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: الربط خاصة حين قاموا لمواجهة الشرك، والباطل، والتصدي له، وأعلنوا الكلمة الطيبة كلمة التوحيد لا إله إلا الله، ربنا رب السموات والأرض في أرض الشرك، والضلال.

﴿لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾: لن: لنفي المستقبل القريب، والبعيد.

﴿مِنْ دُونِهِ﴾: من دون الله، من غير الله.

﴿إِلَهًا﴾: معبوداً آخر، ولا شريكاً له، أو مثيلاً.

﴿لَقَدْ قُلْنَا﴾: لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق.

﴿قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾: الشَّطَط: الجور، والظلم، أو الابتعاد عن الحق، والصواب؛ أي: إذا ادعينا أن هناك إلهاً آخر من دونه؛ فقد قلنا كلاماً شططاً؛ أي: كذباً بعيداً عن الحق، والصواب، وظلماً، وجوراً.

[١٥] ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾:

﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا﴾: هؤلاء: الهاء: للتنبيه؛ أولاء: اسم إشارة تشير إلى الذين اتخذوا من دون الله آلهة.

﴿مِنْ دُونِهِ﴾: من: ابتدائية.

﴿دُونِهِ﴾: دون الله آلهة يعبدونها.



﴿لَوْلَا﴾: أداة عرض، وحض.

﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾: سلطان؛ أي: دليل، وحجة على إشراكهم بالله واتخاذ الآلهة.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: فمن: الفاء: للتوكيد؛ من: استفهامية تفيد النفي، واستفهام تقرير حتى يجيب المخاطب بنفسه، والمعنى: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً، ولو قال تعالى: لا أحد أظلم؛ لكان عبارة عن كلام إنشائي على سياق الخبر؛ بينما قوله: فمن أظلم ممن افترى كلام استفهامي على سياق السؤال، وهو أبلغ، وأرسخ في النفس، والافتراء: هو الكذب المتعمد المختلق.

﴿كَذِبًا﴾: نكرة يشمل كل أنواع الكذب القليل، والكثير بكل أنواعه.





سُورَةُ الْكَهْفِ ١٨

الجزء المفسر كبر



وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوْا إِلَى الْكَهْفِ
يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا
﴿١٦﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ
الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرِّضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ
مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
يُضِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ آيَةً ظَا
وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ
بَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ
لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا
أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾



سورة الكهف [الآيات ١٦ - ٢٠]

[١٦] ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾:

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾: وإذ؛ أي: واذكروا إذا اعتزلتموهم؛ أي: اعتزلوا قومهم؛ أي: تركوا قومهم، وخلوا بأنفسهم.

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾: وما: النافية.

﴿يَعْبُدُونَ﴾: إلا الله.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، أو استثناء.

﴿فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ﴾: هذا قول بعضهم لبعض؛ أي: الجئوا إلى الكهف، واجعلوه مقر عبادتكم.

﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: يوسع، ويسيطر لكم ربكم كل أنواع رحمته.

﴿رَحْمَتِهِ﴾: من الصحة، والعافية، ومن الطعام، والشراب التي تحتاجون إليها في هذا الكهف الخالي من مقومات الحياة، والمعيشة.

﴿وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾: مرفقاً: جمعه مرافق؛ أي: منافع، ومرافق

الحياة: الأمور التي لا يستغني عنها الإنسان من غذاء، وشراب، وتدفئة، أو تبريد، أو هواء، وشمس. وأصل كلمة مرفقاً: ما يرتفق به؛ أي: يتكأ عليه، أو يستعان به مثل عضو المرفق، وهو المفصل المسمى المرفق، أو الكوع كقوله تعالى:

﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦].



[١٧] ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ اللَّهُ فَهوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ يُجَدِّدَهُ وَلِيَا مُرْشِدًا﴾:

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ﴾: وترى الشمس: رؤية العين؛ إذا طلعت أشرقت على كهفهم، وإذا تفيد حتمية الحدوث، وكثرته.

﴿تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾: أي: تتزاور أدغمت التاء في الزاي، فأصبحت تزاور؛ أي: تميل وتنحرف عنهم؛ لثلاثا تؤذيهم بأشعتها، أو سرعان ما تتحول، وتميل، أو تعدل عن كهفهم، من الزور: وهو الميل.

﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾: جهة يمين الكهف؛ أي: على يمين الدّاخل إلى الكهف.

﴿وَإِذَا غَرَبَتْ﴾: إذا: ظرفية زمانية، وتدل على حتمية الحدوث، وكثرته؛ أي: مالت للغروب.

﴿تَقْرِضُهُمْ﴾: تتجافى عنهم، ولا تقربهم (قرض المكان تركه وتجاوزته) فلا تؤذيهم عند الغروب.

﴿ذَاتَ الشِّمَالِ﴾: أي: تصيبهم إصابة خفيفة حين الغروب؛ لأن الشمس ضرورية لما فيها من أشعة فوق البنفسجية الغير مرئية الضرورية لإنتاج فيتامين (د) وكثرتها تؤدي إلى الإصابة بسرطانات الجلد، ولم يقل: تزاور عن كهفهم ذات الشمال.

﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾: وهم: الفتية.

﴿فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾: الفجوة: المتسع، أو وسط الكهف.

﴿مِّنْهُ﴾: أي: الكهف.

﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: التّزاور، والإقراض عند الشّروق، وعند الغروب، ودوران الشّمس، وميلها، والضّرب على آذانهم، ونومهم (٣٠٩ سنة) بدون طعام، أو شراب، وتقليبهم ذات اليمين، وذات الشّمال آيات من آيات الله؛ أي: دلائل، وبراهين على عجائب قدرته سبحانه.

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ﴾: ارجع إلى الإسراء، الآية (٩٧)؛ للبيان.

﴿وَمَنْ يُضِلِّ﴾: ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٨٦)؛ للبيان.

﴿فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾: فلن: الفاء: للتوكيد؛ لن: نافية تنفي المستقبل القريب، والمستقبل البعيد.

﴿يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا﴾: معيناً.

﴿مُرْشِدًا﴾: اسم فاعل من الفعل أرشد؛ أي: دل وهدى؛ أي: يرشده إلى الدّين، والهدى، والصّواب، والصّلاح.

[١٨] ﴿وَنَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾:

﴿وَنَحْسَبُهُمْ﴾: من الحساب: وهو الظنّ الرّاجح، أو الاعتقاد المبني على الحساب والتجربة.

﴿أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾: جمع يقظ؛ أي: غير نائم أيقاظاً؛ لكون أعينهم مفتحة رغم أنهم نيام سنين طويلة (٣٠٩ سنة).

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾: نقلبهم على جنبهم الأيمن ثمّ الأيسر، ولم يذكر لماذا؟ وهذا من المعجزات العلمية؛ فالتقلب لتجنب تقرحات الجلد،



والعضلات الناشئة عن عدم تروية الجلد بسبب الضَّغْط المباشر على الجلد من جراء النَّوم لزمان طويل على جنب واحد، ولتجنب تشكُّل الخثرات الدموية في الأوردة الَّتِي قد تترك مكانها وتستقر في الرئتين، أو القلب مما يؤدي إلى الموت أحياناً، فالتقلب والحركة تمنع حدوث ذلك.

﴿وَكَلَّبُهُمْ بِسِطْرِ ذَرَأَيْهِ بِأَلْوَصِيدٍ﴾: الوصيد بفناء الكهف، أو مدخله (عتبة الكهف).

﴿ذَرَأَيْهِ﴾: الطرفين الأماميين.

﴿لَوْ أَطْلَعَتْ عَلَيْهِمْ﴾: لو: شرطية.

﴿أَطْلَعَتْ عَلَيْهِمْ﴾: أي: رأيتهم لأول مرة؛ أي: وقع بصرك عليهم لأول مرة.

﴿لَوْلَيْتَ﴾: اللام: للتوكيد، وليت: من ولي أدبر.

﴿مِنْهُمْ﴾: تقديم الجار، والمجرور؛ يفيد الحصر؛ أي: منهم خاصة.

﴿فَرَارًا﴾: الهروب بسرعة مع الخوف مع عدم محاولة التَّسْتَر، والاختفاء.

أما الهروب العادي: هو الجري بسرعة، قد يرافقه التَّسْتَر، والاختفاء.

﴿وَلَمَلَيْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾: ولملئت: الواو: لمطلق الجمع، وليس للترتيب؛

انظر إلى تقديم الفرار على الرغب؛ أي: يحدث الهروب أولاً، ثم يليه الرغب، أو يحدث الرغب، والعادة أن يحدث الرغب، ثم الهروب، وإذا حدث الفرار (الهروب) أولاً، وتبعه الرغب دلَّ على شدة المنظر المخيف المهيل؛ فهم رقود وعيونهم مفتحة، وأوقع سبحانه عليهم الهيئة المرعبة حتَّى يحميهم، ولا يستطيع أحد أن ينظر في وجوههم، ويعرفهم.

[١٩] ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِنَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا

لَيْسَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسْتُمْ فَاْبَعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١﴾

﴿وَكَذَلِكَ﴾: ولم يقل: ثم بعثناهم، وإنما قال: وكذلك بعثناهم؛ أي: كما ضربنا على آذانهم، وأنمناهم وحفظناهم أحياء لثلاث مائة سنين، وتسع؛ فهم لم يموتوا، وإنما ناموا؛ كذلك بعثناهم؛ أي: آية نومهم تشبه آية بعثهم كلاهما يدل على عظمة الخالق.

﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾: أيقظناهم من نومهم بعد (٣٠٩ سنين).

﴿لَيْسَاءَ لَوْ بَيْنَهُمْ﴾: ليتساءلوا: اللام: لام التعليل؛ يسأل بعضهم بعضاً.

﴿قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَيْسْتُمْ﴾: كم: استفهامية، وتستعمل للسؤال عن العدد، وهناك كم الخبرية؛ كقوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١].

أي: سأل سائل منهم كم لبستم: اللبث: الإقامة المحدودة بزمان محدد؛ أي: كم مر علينا من الزمن في نومنا، أو كم استغرقنا في نومنا.

﴿قَالُوا لَيْسَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: قال بعضهم: يوماً أو بعض يوم؛ لأنهم شاهدوا أن شعرهم، وشكلهم، وهيئتهم لم تتغير كثيراً.

﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسْتُمْ﴾: وألهم الله بعضهم الآخر للإجابة بالقول ربكم أعلم بما لبستم، ودعونا من هذا السؤال نريد أن نأكل:

﴿فَاْبَعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾: الورق: العملة من الفضة مضروبة، أو غير مضروبة؛ فهم لا يزال معهم دراهم من الفضة؛ الورق: الفضة.



﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾: لم يذكر اسمها؛ لأنه ليس مهم.

﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾: أزكى: أي: الحلال الطيب الجيد، أو الأبعد

عن الحرام.

﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾: فليأتكم: الفاء: للترتيب، والمباشرة.

﴿بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾: بطعام (الطعام رزق).

﴿مِّنْهُ﴾: من: البعضية؛ أي: من بعضه.

﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: السلام: للتوكيد؛ ليذهب، ويأتي بالطعام لنا بلطف وخفاء؛

ليتلطف في المعاملة؛ أي: يحاول جهده أن يكون لطيفاً ممن يشتري منه؛ فهم ما زالوا على حذر، وخوف من قومهم الذين ليسوا على ملتهم، أو شريعتهم، وأنهم يلاحقونهم، ويبحثون عنهم، هكذا ظنوا أنهم لا زالوا في زمنهم قبل (٣٠٩ سنة).

﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾: ولا: لا: الناهية.

﴿يُشْعِرَنَّ﴾: النون: نون التوكيد.

﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾: أي: لا يخبرن، أو لا يطلعن أحداً بمكانكم،

ولا يفعل، أو يقول شيئاً يؤدي إلى الشعور بنا؛ سواء أكان بغير قصد أم الخطأ.

[٢٠] ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾:

﴿إِنَّهُمْ إِنْ﴾: إنهم: للتوكيد.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد احتمال الحدوث، أو الندرة، أو الافتراض.

﴿يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: يطلعوا عليكم، أو يظفروا بكم، أو يعلموا مكانكم.

﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾: أي: يقتلوكم رمياً بالحجارة.

﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾: في شريعتهم كرهاً، والملة: هي الشريعة، أو الطريقة، أو المذهب. ارجع إلى سورة إبراهيم، آية (١٣)؛ للبيان.

﴿وَلَنْ﴾: للنفي للمستقبل القريب، أو البعيد.

﴿تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾: إذا عدتم في ملتهم، أو أحيط بكم؛ فلن تفلحوا.

﴿تُفْلِحُوا﴾: تنجو من عذاب الله، وتفوزوا بالآخرة؛ أي: بالجنة.

﴿إِذَا﴾: حرف جواب، وجزاء للتوكيد.

﴿أَبَدًا﴾: للتوكيد؛ أي: إذا عدتم في ملتهم، وأما إذا عثروا عليهم ورجموهم فهم سيكونوا شهداء في سبيل الله.





الجزء الحفص عشر

سُورَةُ الْكَافُرَاتِ ١٨

وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا
ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ
رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا
بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا
وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ
إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا
﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا
﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
أَبْصَرُ بِهِ وَأَسْمِعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ
فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ
رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾



سورة الكهف [الآيات ٢١ - ٢٧]

[٢١] ﴿وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَنْزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا أَأَبْنَاؤُا عَلَيْهِمْ بَنِينَآ رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ۖ﴾

﴿وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ﴾: وكذلك؛ أي: مثل ذلك (تفيد التشبيه)، كما بعثناهم أحياء ليتساءلوا بينهم.

﴿أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ﴾: أطلعنا عليهم الناس الذين جاؤوا بعد (٣ قرون).

﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ﴾: ليعلموا: اللام: لام التوكيد.

﴿أَنَّ﴾: لزيادة التوكيد.

﴿وَعَدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: وعد الله بالبعث حق، وعد الله حق؛ أي: ثابت لا يتغير؛ لأنَّ الضَّرب على آذانهم وهم رقود لمدة ثلاث مائة سنين وتسع يشبه، أو يمثل حياة البرزخ، ثم بعثهم يمثل حالة من يبعث من قبره، ويساق إلى أرض المحشر عند قيام الساعة.

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: أنَّ: للتوكيد، ولم يقل: آتية؛ لأنه في هذه الآية لا يتحدث عن الساعة؛ أي: لحظة تهدم النظام الكوني، وإنما يتحدث عن ساعة قيام الفتية من نومهم، وبعثهم بعد (٣٠٩ سنة) دليلاً على آتية، وكلمة ليعلموا: تعود على أصحاب الكهف، أو تعود على قومهم؛ فإذا كانت تعود على أصحاب الكهف؛ فهم يعلمون أنَّ وعد الله حق؛ لأنَّهم يؤمنوا بالله، ولو قال: كي يعلموا ذلك؛ يعني: أن الفتية لا يعلموا أنَّ وعد الله حق، وهذا ليس صحيحاً، وإذا كانت تعود إلى قومهم.



﴿لِيَعْلَمُوا﴾: اللام: للتأكيد؛ ليعلموا قومهم من إحياء أصحاب الكهف أن وعد الله بالبعث حق، وأن الساعة؛ أي: ساعة تهدم النظام الكوني لا ريب فيها؛ فكل المعنيين وارد.

﴿إِذْ يَنْتَزِعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾: إذ: ظرف زماني للزمن الماضي.

﴿يَنْتَزِعُونَ﴾: بصيغة الفعل المضارع الدالة على التجدد، والتكرار، أو حكاية الحال، لم يقل: تنازعوا: للدلالة على الماضي؛ لأن الكثير من الناس لا زالوا يتنازعون، يتخاصمون في أهل الكهف، وعددهم، ومكانهم، وشأنهم، والتنازع في ذلك الزمان حدث بين أفراد الجماعة التي عثرت على أصحاب الكهف بعد بعثهم من مرقدهم، والتنازع في اتخاذ بنيان لهم يضم قبورهم، أو اتخاذ مسجد عليهم.

وانتبه إلى تقديم كلمة بينهم بدلاً من قوله؛ إذ يتنازعون أمرهم بينهم؛ آخر كلمة أمرهم؛ لأن أمر أصحاب الكهف لم يُعد سراً، والكل يعلم بقصتهم، والناس كلهم قد آمنوا حين عُثِرَ عليهم بعد (٣٠٩ سنة)، ولنعلم أن الكثير من الناس حتى يومنا هذا لا زالوا يتنازعون في أصحاب الكهف عددهم ومكانهم وقصتهم.

ولو قارنا هذه الآية مع الآية (٦٢) من سورة طه: ﴿فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾: الآية تتحدث عن سحرة فرعون قبل إلقاء عصيهم، وحبالهم.

ففي هذه الآية جاء بفعل ماضٍ: تنازعوا، وجاء بكلمة: أمرهم قبل بينهم؛ فقال: أمرهم بينهم؛ قدم أمرهم هنا؛ لأنه كان أمر سري، وهام، ولم يطلعوا السحرة عليه أحداً من الناس، وأما المجيء بالفعل الماضي تنازعوا؛ لأن التخاصم، والتنازع بين السحرة كان مرة واحدة وانتهى بعد أن تبين لهم الحق حين ألقى موسى عصاه، والتفت ما صنعوا، وبعدها آمنوا برب العالمين، وانتهى الأمر.

﴿فَقَالُوا بُنَيْنَا﴾: قسم من الذين عثروا على أصحاب الكهف اقترحوا أن يبنوا عليهم بنياناً.

﴿بُنَيْنًا﴾: من البناء، والبنيان يختلف عن البناء؛ البنيان: هو الثابت الذي لا يتغير، ويدوم قروناً طويلة؛ مثل: الأبنية الأثرية التاريخية؛ كالأهرامات. أما البناء: ليس ثابتاً قد يتغير؛ مثل: المنازل العادية.

﴿قَالَ الَّذِي غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾: أي: قال الأكثرية؛ أي: أهل المدينة المؤمنون، أو الرؤساء القادة؛ أي: الملك، وأصحابه المؤمنون: لتتخذن عليهم مسجداً.

﴿لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾: لتتخذن: اللام: للتوكيد، والنون: لزيادة التوكيد؛ أي: لبنين عليهم مسجداً.

[٢٢] ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾:

﴿سَيَقُولُونَ﴾: السّين: للاستقبال القريب؛ سيقول الذين يتنازعون في أمرهم؛ أي: يخوضون في قصتهم. ويقولون: بصيغة المضارع الدالة على التجدد والتكرار، ولم يقل قالوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقالوا خمسة سادسهم كلبهم.

﴿ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: عددهم ثلاثة رابعهم كلبهم.

﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: ويقولون عددهم: خمسة سادسهم كلبهم.

﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾: رجماً: مشتقة من الرّجم بالحجارة التي لا تصيب المرمى، أو يرمي إلى مكان لا يعرف مداه، واستعيرت لرمي الكلام من غير علم، أو دليل؛ أي: ما قالوه من باب الظن بدون علم.

﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: قالوا: زيادة حرف الواو في كلمة وثامنهم: تدل على الاهتمام؛ أي: التوكيد؛ فقالوا: هذا هو الأقرب إلى الصواب؛



أي: عددهم سبعة، وثامنهم كلبهم؛ لأن الواو يؤتى بها في أماكن الاهتمام، والتوكيد.

﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ: لا داعي للجدال في عددهم، ولا يهم معرفة عددهم، والأفضل أن تردوا ذلك إلى الخالق إذا لم تكونوا على يقين؛ أي: قولوا: الله أعلم بعدتهم.

﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: فالله سبحانه يعلم عددهم، وحالهم، وإيمانهم منذ الأزل، وكذلك هناك عدد قليل من الناس يعرف عددهم، وحقيقتهم.

﴿مَا﴾: النافية.

﴿إِلَّا﴾: تدل على الحصر، وما يعلمهم إلا قليل.

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهَرًا﴾: فلا: الفاء: للتوكيد؛ لا: الناهية.

﴿تُمَارٍ﴾: من المراء: وهو الجدال بعد ظهور الحق؛ أي: حسبك ما قصصنا عليك، وأطلعناك عليه من أمر أهل الكهف؛ فلا تزدد، أو تنقص عند الحديث عنهم، فلا تمار فيهم؛ أي: تخوض في الحديث عنهم بعدما تبين لك الحق إلا مراء ظاهراً؛ أي: بحجة ويقين، فلا تجادل مثلاً في أسمائهم، أو مكانهم، أو عددهم، وإنما جادلهم بما أخبرناك به من الآيات والذكر الحكيم.

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾: ولا: لا: الناهية.

﴿تَسْتَفْتِ﴾: من الفتوى، أو طلب الفتيا، ولا تسأل أحداً عن أمر من أمورهم لا تعلمه عن أصحاب الكهف؛ أي: لا تسأل أحداً من أهل الكتاب عن أي شيء آخر لم نطلعك عليه، وما أخبرناك عنهم يكفي، ولا تحتاج إلى ذلك، وانتهى الأمر.

[٢٣] ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾:

سبب نزول هذه الآية كما روى ابن عباس: عندما سألت قریش

رسول الله ﷺ عن الرّوح، وأصحاب الكهف، وذو القرنين؛ فقال ﷺ: سأخبركم غداً، ونسي أن يقول: إن شاء الله؛ فتأخر الوحي بالنزول لفترة قيل خمسة عشرة ليلة؛ فشعر رسول الله ﷺ بالخرج من قريش، ثم نزل جبريل ﷺ فأخبر رسول الله ﷺ بالأجوبة الثلاثة، كما جاء في هذه الآيات، وحين سأل رسول الله ﷺ جبريل ﷺ لما تأخر عنه؟ جاء الرد في الآية (٦٤) من سورة مريم: ﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَبَكِّينَ أَيِّدِينَا وَمَا خَلَفْنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾: ولا: الواو: استئنافية؛ لا: الناهية.

﴿تَقُولَنَّ﴾: النون: فيها للتوكيد.

﴿لَشَأَى﴾: اللام: لام التعليل؛ شيء: أي: شيء جاء بصيغة النكرة؛ لتشمل كل شيء، أو أمر، والشيء: هو أقل القليل.

﴿إِنِّي﴾: إني: للتوكيد.

﴿فَاعِلٌ﴾: بالتثنية، ولم يقل فاعل؛ لأنّ فاعل: اسم فاعل يدل على الحال، أو الاستقبال، أمّا لو قال فاعل يدل على أنّ الفعل حدث في الماضي؛ أي: لا تقولن لشيء سأفعله غداً، أو في المستقبل إلا أن يشاء الله.

﴿ذَلِكَ غَدًا﴾: ذلك: اسم إشارة تشير إلى الشيء.

﴿غَدًا﴾: المراد بالغد ما يستقبل من الزّمان، ولا يعني بالضرورة الغد بعد ساعة، فالغد يطلق على المستقبل من الزّمان.

[٢٤] ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَذَكَرَ رَبُّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، وحصر.



﴿أَنْ﴾: أن: حرف مصدر يفيد التعليل، والتوكيد، والاستقبال. إلا: أداة استثناء.

﴿يَشَاءُ اللَّهُ﴾: أي: أراد، ولم يقل: إن يشاء ربك: لأن هذا الأمر؛ أي: القول: إن شاء الله: هو أمر تعبدية، والعبادة تخص الإلهية (الله).^(١)

وإن شاء الله: تأتي عادة في سياق الأمور التي تقوم بها بأنفسها، أما بإذن الله: تأتي في سياق الأمور التي لا دخل لنا فيها، بل هي بتدبير خارج عن إرادتنا. ﴿وَأَذْكُرُّ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾: لها معنيين:

المعنى الأول: أي: إذا قلت سأفعل كذا، وكذا، ونسيت أن تقول إن شاء الله، ثم تذكرت أنك لم تقل ذلك؛ فقل عندها: إن شاء الله، ولو كان الوقت متأخراً؛ فمتى تذكرت قل: إن شاء الله، وهذا هو قول الجمهور، وابن عباس رضي الله عنهما... وغيرهم.

المعنى الثاني: إذا وقع النسيان لشيء، ثم تذكرت أنك لم تقل: إن شاء الله؛ فقل: مثلاً سبحان الله، لا إله إلا الله، أستغفر الله؛ لأن النسيان من الشيطان، وذكر الله يطرد الشيطان.

وانتبه إلى هذه الآيات الثلاثة التي تشير إلى علاقة النسيان بالشيطان: وأنه قد يكون السبب في النسيان: ﴿وَمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]، ﴿وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣]، ﴿أَسْتَحْذَرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَأَنْسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩].

وأما الحكمة من إبطاء نزول الوحي جبريل ﷺ على رسول الله ﷺ؛ فالله سبحانه وحده يعلم ذلك، ومع ذلك فقد فسر ذلك الإبطاء بعدة احتمالات: الاحتمال الأول: لتعلم قريش، أو غيرهم: أن الرد على أسئلتهم، أو عدم

الرّد: هو بيد الله وحده، وليس بيد الرّسول ﷺ؛ فإن شاء الله فعل، أو إن لم يشأ لم يفعل.

الاحتمال الثّاني: لتعلم قريش، أو غيرهم: أن رسول الله ﷺ إن هو إلا وحي يوحى؛ فهو لا يأتي بشيء من عنده، ومن تلقاء نفسه إلا أن يشاء الله وحين يشاء الله سبحانه.

الاحتمال الثّالث: ليعلمنا ربنا أن نقول: إن شاء الله في كلّ أمر يراد القيام به، ولا ننسى ذلك وأن نتوكل على الله وحده.

﴿وَقُلْ: يَا مُحَمَّد ﷺ﴾

﴿عَسَى﴾: من أفعال الرّجاء؛ سواء يرجى حصوله عن قريب، أو بعيد، وما بعدها متحقق الوقوع غالباً.

﴿أَنْ﴾: للدلالة على الاستقبال.

﴿يَهْدِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾: أي: يرشدني ربي إلى شيء آخر غير قصة أصحاب الكهف أقرب في الدّلالة وأوضح يدل على نبوتي لهؤلاء المشركين من قريش؛ أي: من الغيبات (علم الغيب)، أو قصص الأنبياء الآخرين، وغيرها أعظم خبراً من أصحاب الكهف؛ فاستجاب له ربه فأخبره بقصة موسى، والخضر التي سترد في الآيات القادمة، ويهدين: بحذف ياء المتكلم لأنها هداية شاملة عامة له ولغيره أن يهديهم ربهم هداية الدين. ارجع إلى سورة القصص آية (٢٢) للمقارنة.

لنقارن هذه الآية (٢٤) من سورة الكهف: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾، وقوله في الآية (٢٢) من سورة القصص: ﴿قَالَ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءُ السَّبِيلِ﴾.

الاختلاف بين الآيتين يرجع إلى تقديم الهداية (أن يهدين) على كلمة ربي



في الكهف، وتقديم كلمة (ربي) على أن يهديني في القصص، وكلمة يهديني في الكهف بدون ياء، ويهديني في القصص بزيادة الياء.

هذا الاختلاف يعود إلى أن المقام في سورة القصص يعود إلى كون موسى كان خائفاً، ولا يعرف الطريق إلى مدين؛ فهو يطلب النجاة، والحماية، والهداية من الرب؛ فقدم كلمة ربي؛ لأن الرب هو الهادي؛ أي: مصدر الهداية، ولم يقل: الله؛ لأن الله هو المعبود، والمقام مقام هداية، وليس عبودية.

ثانياً: قال يهديني بإضافة ياء المتكلم؛ لأن موسى يطلب الهداية الكاملة التامة؛ لكونه لا يعرف أي شيء عن الطريق، وأين هو ذاهب.

أما آية الكهف جاءت في سياق نسيان رسول الله ﷺ أن يقول: إن شاء الله، وطلب الرسول أن يهديه ربه إلى دلالة، أو برهان أقرب من قصة أصحاب الكهف؛ تدل على نبوته، فقصة أصحاب الكهف تكفي، ولكن يطلب قصة أشد تبين نبوته لقريش فجاءت قصة موسى والخضر؛ فهو يطلب دلالة، أو هداية جزئية، ولذلك حذف الياء، وآخر كلمة ربي؛ لأن الموقف لا يقارن بموقف موسى الخائف من أن يضل الطريق، والقتل، والرسول ﷺ ليس في مقام الخوف، أو القتل، كما هو الحال في موسى ﷺ.

[٢٥] ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾:

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾: ناموا في كهفهم: سُمي الكهف كهفهم لما ناموا فيه لمدة طويلة (٣٠٩ سنة)؛ كأنه أصبح كهفهم.

﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾: من السنين الشمسية.

﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾: أي: تسع سنين؛ أي: وزد على ذلك تسع سنين إذا كان الحساب بالسنة القمرية (٣٠٠ سنة شمسية = ٣٠٩ سنة قمرية، كل سنة شمسية = سنة قمرية + ١٠ أيام).

وكل (٣٣ سنة شمسية = ٣٤ سنة قمرية)؛ أي: زيادة سنة واحدة.

وكل (١٠٠ سنة شمسية = ١٠٣ سنة قمرية).

وكل (٣٠٠ سنة شمسية = ٣٠٩ سنة قمرية).

وهذا يعتبر إحدى المعجزات العلمية التي أخبر القرآن الكريم بها من قبل أن يُعرف علم الفلك، ودوران الشمس والقمر. أما تذكير العدد وتأنيثه:

العدد من (٣-٩) تكون عكس المعداد في التذكير، والتأنيث سواء أكانت مفردة؛ أمثلة: سبع ليال، ثمانية أيام حسوماً.

أو مركبة مثل: خمسة عشر مفتاحاً، سبع عشرة طاولة، أو ثلاثة وعشرين يوماً، أو أربعاً وعشرين ساعة.

وأما واحد (١)، أو (٢) اثنان: فهما وفق المعداد.

[٢٦] ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾:

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾: نزلت عندما قال النصارى لرسول الله ﷺ: أما الثلاث مئة فقد عرفناها، فأما التسع فلا علم لنا بها؛ فنزلت هذه الآية كما قال ابن السائب: قل الله أعلم منكم بما لبثوا؛ فقد لبثوا (٣٠٩) قمرية، أو (٣٠٠) شمسية، وهذا هو الحق والصح.

﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: تقديم له: يفيد الحصر والتوكيد له وحده؛ أي: هو المختص بعلم الغيب؛ فهو عالم الغيب، والشهادة، ويعلم الغيب في السموات، والأرض، ويعلم كم لبثوا في كهفهم، ولستم أنتم أعلم منه سبحانه.

﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾: أسلوب تعجب؛ أي: ما أشد بصره، وما أشد سمعه، لا يغيب عن بصره وسمعه شيء مهما كان خفي، أو جلي صغير، أو كبير كقوله



تعالى: ﴿إِنَّمَا إِنَّ تَكْ مِنْ مَقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

﴿مَالَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾: ما: النافية.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أي: ما لأهل السموات، وما لأهل الأرض.

﴿مِنْ دُونِهِ﴾: من غيره سبحانه.

﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾: من: ابتدائية استغرافية تستغرق كل ولي، والولي: هو المعين، والقريب؛ أي: ما لأهل السموات، والأرض من دون الله من أي: معين، أو من يتولى أمورهم، ويدبرها إلا هو وحده سبحانه.

﴿وَلَا يُشْرِكُ﴾: لا: لتوكيد النفي.

﴿يُشْرِكُ﴾: في حكمه أحداً؛ لأنه سبحانه غني عن الشريك، والولد، وكل من في السموات والأرض.

﴿فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾: أي: لا حاكم إلا هو وحده.

﴿أَحَدًا﴾: توكيد، ولا معقب لحكمه.

[٢٧] ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾:

﴿وَأَتْلُ﴾: من التلاوة: وهي اتباع الشيء بالشيء، وتلاه تعني: تبعه، والتلاوة تخص كتب الله، وهي أخص من القراءة؛ فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة، والتلاوة تعني: القراءة، وتعني الاتباع؛ أي: واتل تلاوة عبادة، أو تعليمًا للناس، أو دعوة الناس إلى ربهم، ولا تعباً بما يقوله المشركون، والتلاوة لها أجر كل حرف بعشر حسنة.

﴿مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ﴾: ما: اسم موصول بمعنى: الذي، وأوسع شمولاً.

﴿أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾: عن طريق جبريل، ولمعرفة معنى الوحي: ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣).

﴿مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾: من: ابتدائية.

﴿كِتَابِ رَبِّكَ﴾: أي: من القرآن الكريم. كتاب ربك: نسب الكتاب إليه: تشريفاً لهذا الكتاب.

﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِهِ﴾: ولو كلمة واحدة، أو حتى حرفاً واحداً منذ أنزل على قلب محمد ﷺ إلى أن يُرفع من الأرض.

﴿لَا﴾: النافية للجنس؛ لنفي كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿وَلَنْ﴾: لنفي المستقبل القريب، والمستقبل البعيد.

﴿تَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ﴾: من غير الله.

﴿مُلْتَحَاً﴾: ملجأ تعدل إليه، أو تميل إليه؛ لتحتمي به، وألحد: مال، وعدل، والاتحاد: الميل؛ أي: لن تجد غير الله سبحانه من تحتمي به، أو يدافع عنك، وينقذك.

بعد ذكر قصة أصحاب الكهف جاءت أوامر الله سبحانه لرسوله ﷺ بتلاوة القرآن، والاستمرار في مصاحبة الفقراء، والجلوس معهم، وعدم الطمع في إيمان بعض الأغنياء، وأمره بقول الحق من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولا إكراه في الدين، وما أُعد للظالمين من جزاء، وما أُعد للذين آمنوا وعملوا الصالحات.





سُورَةُ الْكَافِرَاتِ ١٨

الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ
أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ
شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۖ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا
وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ
الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ
لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ
فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ * وَأَضْرِبْ
لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكْلَهَا وَلَمْ
تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ
لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾





سورة الكهف [الآيات ٢٨ - ٣٤]

[٢٨] ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾:

أسباب النزول: كما ورد في أسباب النزول للواحدي: إن بعض أشراف قريش طلبوا من رسول الله ﷺ لولا نَحَّيْتُ عنا هؤلاء؛ أي: سلمان، وأبا ذر، وفقراء المسلمين جلسنا إليك، وأخذنا عنك؛ فنزلت هذه الآية تحت رسول الله ﷺ على عدم الاستجابة لمطالب هؤلاء، وإن يثبت، ويجالس الفقراء من المسلمين، ويبقى معهم.

﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾: أي: يذكرون ربهم، ويحمدونه، ويسبحونه، ويعبدونه صباحاً، ومساءً؛ كناية عن دوام العبادة.

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾: يبتغون رضا الله وحده مخلصين له.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي: لا تتجاوز عينك، أو تنصرف، وتبتعد عن هؤلاء الفقراء، والمساكين؛ تركهم، وتتطلع إلى هؤلاء الأغنياء كأنك تريد زينة الحياة الدنيا.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ﴾: ولا: الناهية.

﴿تُطِعْ مَنْ﴾: من: للعاقل، والمفرد، والجمع.



﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾: أي: نسوا الله فأنساهم أنفسهم؛ أي: غفلوا عن ذكر الله، وأعرضوا عن الإيمان به، واتبعوا أهوائهم.

﴿وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾: الهوى: ارجع إلى الآية (٥٦) من سورة الأنعام.

﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾: أمره: طاعته، أو عبادته.

﴿فُرْطًا﴾: مصدر بمعنى: الإفراط، أو التفريط من أفرط في الأمر: تجاوز الحد، وإفراطاً: إسرافاً، وتجاوزاً عما أمر الله، أو التفريط: التقصير، أو فرطاً: سفهاً وضياعاً؛ لأنه يكفر، ويشرك بالله، ويتبع الباطل، كان أمره؛ أي: أعماله إسرافاً وتجاوزاً حدود الله، أو تقصيراً، أو ضياعاً لا قيمة لها.

[٢٩] ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: وقل لهم يا محمد ﷺ.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أي: هذا القرآن، أو الوحي الذي جئتكم به هو الحق من ربكم. الحق الأمر الثابت الذي لا يتغير، أو لا يتبدل المنهج الرباني الموصل إلى الغاية، والذي يصلح به أمر دنياكم، وآخرتكم.

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ﴾: من: شرطية.

﴿شَاءَ﴾: منكم فليؤمن بالله، وما أنزل إليكم.

﴿فَلْيُؤْمِنْ﴾: الفاء: جواب الشرط؛ ليؤمن: اللام: للتعليل.



﴿وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾: من: ابتدائية.

﴿فَلْيُكْفُرْ﴾: اللام: للتعليل، وفي الآية تهديد، ووعيد.

نظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾

[البقرة: ٢٥٦].

﴿إِنَّا﴾: ضمير فصل يفيد التعظيم.

﴿أَعْتَدْنَا﴾: هيأنا، وأعددنا، والمسألة منتهية؛ فالنار مخلوقة فعلاً، ومعدة،

وجاهزة.

﴿لِلظَّالِمِينَ﴾: للمشركين، والكافرين، والعاصين، واللام: هنا لام

الاختصاص، أو الاستحقاق.

﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾: السُّرادق: كل ما أحاط بشيء من حائط، أو

دهليز، أو جدران؛ سرادق النار: أي: ألسنة النار تحيط بهم من كل جانب؛ فلا

يفلتون منها.

﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والافتراض.

﴿يَسْتَغِيثُوا﴾: يطلبوا الغوث؛ لإنقاذهم من العذاب، وشدة العطش.

﴿يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾: استعمال كلمة يغاثوا: أسلوب تهكمي، أو استهزاء،

والمهل قيل: هو النحاس المذاب، أو ماء أذيب فيه معادن مختلفة من حديد،

ورصاص، ونحاس، أو دردرى الزيت، أو عصارة الزيت المغلي.

﴿يَشْوَى الْوُجُوهَ﴾: من شدة حرارته قبل شربه يحرق الوجوه، فما بالك بعد

أن يشربه.



﴿بئسَ الشَّرابُ﴾: بئس من أفعال الدِّم؛ أي: ساء الشَّراب.

﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾: تعود على النَّار؛ ساءت: من ساء: وهو فعل من أفعال

الدِّم؛ مثل بئس.

﴿مُرْتَفَقًا﴾: من المرتفق: هو الشيء الذي يضع الإنسان عليه مرفقه ليجلس مُستريحاً؛ أي: المتكأ، وإطلاق كلمة مرتفق على النَّار على سبيل التَّهكم، وهل نار جهنم مكاناً للراحة؛ أي: لا تجد فيها أي مرفق من مرافق الحياة الكريمة. ارجع إلى الآية (١٦) من نفس السورة

[٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: إن: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول. آمنوا وعملوا الصَّالحات.

﴿ءَامَنُوا﴾: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: الفرائض، والسنن، والذكر، والطاعات.

﴿إِنَّا﴾: ضمير فصل للتوكيد، والتعظيم.

﴿لَا نُضِيعُ أَجْرَ﴾: لا: النافية.

﴿نُضِيعُ أَجْرَ﴾: أي: سنوفيهم أجور أعمالهم الحسنة، ولن يفوتهم أجر أي

حسنة.

﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾: من: استغراقية تشمل كل واحد عمل عملاً حسناً

حتى الكفار؛ فإنَّ أجر حسناتهم تعود عليهم في الدِّنيا، وليس لهم في الآخرة من

نصيب؛ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ: فَأَجْرُهُمْ يَمْتَدُّ إِلَى الْآخِرَةِ، وَلَمْ يَقُلْ: إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَهُمْ؛ أَي: لَمْ يَقِيدِ الْأَجْرَ بِهِمْ فَقَطْ؛ فَالْأَجْرُ لَهُمْ؛ أَي: لِلَّذِينَ آمَنُوا، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلِغَيْرِهِمْ، وَكُلٌّ مِنْ أَحْسَنِ عَمَلًا.

[٣١] ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِفِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد؛ يشير إلى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.

﴿لَهُمْ﴾: لهم: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: العدن: الإقامة، أو عدن في مكان؛ أي: أقام في مكان؛ جنات الإقامة الدائمة التي لا تزول، ولا تنتهي.

﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾: من تحتهم، ولم يقل: من تحتها؛ لأنَّ السَّيَاقَ، والحديث عن المؤمنين الَّذِينَ آمَنُوا، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَإِذَا كَانَ السَّيَاقُ عَنِ الْجَنَاتِ، وَالاهْتِمَامُ بِهَا يَقُولُ سُبْحَانَهُ مِنْ تَحْتِهَا؛ أَي: تَنْبَعُ مِنْ تَحْتِهَا، وَإِذَا كَانَتْ تَنْبَعُ مِنْ مَكَانٍ آخَرَ تَمُرُ تَحْتِهَا.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾: يحلون: يلبسون الحلي فيها في الجنات، والحلي هي الأساور من الذهب للزينة، والزَّخْرَفُ، وَالْأَسَاوِرُ؛ إِمَّا مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ فِضَّةٍ، أَوْ لَوْلُؤٍ، كَمَا ذَكَرْتَ الْآيَاتِ الْآخَرَى.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية.



﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾: من اسم جنس (لبيان الجنس).

﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: من: لبيان الجنس.

﴿سُنْدُسٍ﴾: رقيق؛ أي: (الحرير الرقيق).

﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: هو الحرير الغليظ ذو اللون الأخضر؛ لأنّ اللون الأخضر مُريح للعين.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: الاتكاء: هو الجلوس على الجنب الذي يُريح الإنسان؛ الاضطجاع قليلاً.

﴿الْأَرَائِكِ﴾: هي السّرر جمع أريكة، وقيل: الفرش.

﴿نِعَمَ الثَّوَابُ﴾: نعم: من أفعال المدح، نعم الثواب؛ أي: الجنة، ولباسها، وشرابها، ونعيمها.

﴿وَحَسَنَتْ مُرْتَفَقًا﴾: مجلساً ومقرأ؛ فالجنة حسنت مرتفقاً، والنار ساءت مرتفقاً، ويسمى هذا من المقابلة في بديع اللغة. مرتفقاً: ارجع إلى الآية (١٦) من نفس السورة.

الفرق بين كلمة أساور في هذه الآية، وأسورة في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَلْفِي عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: ٥٣]. أساور: جمع كثرة، أسورة: جمع قلة.

الفرق بين كلمة يحلون في هذه الآية، وكلمة: ﴿وَحَلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]. يحلون: الكلام عن المستقبل جاء بالفعل المضارع؛ حلوا: بصيغة الماضي؛ أي: اعتبر الأمر، أو الفعل قد حدث، وانتهى.

[٣٢] ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾:

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾: واضرب لهم: السلام: لام الاختصاص؛ أي: لهؤلاء المشركين الأغنياء الذين طلبوا منك أن تبعد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي؛ أي: الفقراء، والمساكين؛ كي يجلسوا معك، ويستمعوا إليك. اضرب لهم مثلاً رجلين: واضرب لهم هذا المثل؛ لكي ينبههم، ويوقظهم، وربما يثير إحساسهم، ويرتدعوا، وهذا المثل مثل حقيقي، وليس تصوري، ويراد بضرب هذا المثل تبين الغموض، وذلك بتشبيه حال بحال، أو الموازنة والمفاضلة بين هذا الغني الذي جعلنا له جنتين، ولكنه أشرك بالله، واستكبر، وبين الفقير المؤمن الذي يدعو صاحبه، وقيل أخوه الغني إلى العودة إلى الإيمان، والتوحيد، ولم يوضح الحق سبحانه من هم هذين الرجلين؛ لأن هذا غير مهم

﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ﴾: الجنة: البستان.

﴿جَعَلْنَا﴾: صيرنا له جنتين من أعناب.

﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾: أحطنا كل منهما بشجر النخل، والعنب من الفاكهة.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾: الذي هو مصدر القوت الضروري إذن هيء له كل ما يحتاجه من الفاكهة والزرع.

[٣٣] ﴿كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَافَهُمَا نَهْرًا﴾:

﴿كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أَكْلَهَا﴾: كل من الجنتين أثمرت، وأينعت، وكلمة كلتا: تعني: كل جنة أتت أكلها، ولم يقل أتتا أكلها: فهو وحد، وجمع بقوله: أتت أكلها.



﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾: ولم تظلم: ولم تنقص منه تعود على أكلها؛ أي: ثمرها، وزرعها، وحبها.

﴿شَيْئًا﴾: الشيء: هو أقل القليل، وشيئاً: نكرة مهما كان نوعه، وكثرته، أو قلته.

وانتبه إلى قوله تعالى: لم تظلم منه شيئاً: وهل تظلم الأرض، أو هل الأرض هي التي تعطي، أو تمنع، أم الله الغني الكريم؟ لقوله في آية أخرى: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ [يس: ٣٥]، والحقيقة: هو الله سبحانه الذي سخر الأرض، وهو لا يحرم الكافر، أو العاصي أجره إذا قام بعمل خير، وحلال في الدنيا، وحرث، وبذر، وسقى الأرض؛ فالله سبحانه يعطيه ثواب عمله، ولا يظلمه حقه.

﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾: وفجرنا من التفجير: فجر الله سبحانه لكلتا الجنتين نهراً يفيض بالماء الغزير الذي لا ينقطع.

﴿خِلَالَهُمَا﴾: السلام: لام الاختصاص؛ أي: نهر خاص بهما لا يشارك فيه أحد. ارجع إلى سورة الإسراء، آية (٩٠-٩١)؛ لبيان معنى: فجرنا.

[٣٤] ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾:

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾: أي: لصاحب الجنتين ثمر: جمع ثمرة؛ أي: أعطاه الله الثمر الكثير، وتقديم له يدل على الحصر، والقصر؛ أي: له وحده، وقيل في تفسير ثمر: مال، أو ثمر كثير باعه، فأصبح غنياً؛ لأنه قال لصاحبه: أنا أكثر منك مالاً؛ فالثمر قد يعني: الثمر الكثير العادي بأشكاله المختلفة، والمال، والولد.

﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾: فقال: الفاء: تدل على الترتيب، والتعقيب، والصاحب:

قد تطلق على الأخ، أو الصديق، أو المسافر، أو من يلزمه في كثير من الأوقات،
والصاحب: يطلق على الذي ينتفع منه، ولا تضر صحبته؛ فإذا كانت صحبته فيها
مضرة يطلق عليه: القرين كالشيطان؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ
نَقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾: هو: يفيد التوكيد. الحوار: مناقشة بين طرفين كل منهما
ييدي رأيه في مسألة الإيمان، والكفر، أو طلب الدنيا، وطلب الآخرة.
﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾: هذا القول يدل على الفخر، والتكبر، أو
الاستعلاء. النفر: قيل: من (٣-١٠).

﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾: إما ولدًا، أو عشيرة، أو أعوانًا. أعز: أكثر، أو أشد عزة،
والنفر: الذين ينفرون معه للدفاع، أو القتال، أو الخروج لأمر طارئ.



سُورَةُ الْكَافِرَاتِ ١٨

الجزء الثاني عشر

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ، قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ
 أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدتُّ إِلَىٰ رَبِّي
 لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ، صَاحِبُهُ، وَهُوَ يُحَاوِرُهُ:
 أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا
 ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ
 دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا
 أَقَلُّ مِنْكَ مَا لَا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ
 جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا
 زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤها غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ، طَلَبًا ﴿٤١﴾
 وَأُحِيط بِشَمْرِهِ، فَاصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ
 عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ،
 فِتْنَةً يَنْصُرُونَهُ، مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ
 لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَّثَلَ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ، نَبَاتُ الْأَرْضِ
 فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

سورة الكهف [الآيات ٣٥ - ٤٥]

[٣٥] ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾:

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾: الواو: عاطفة؛ أي: دخل جنته، وهو لا زال يحاور صاحبه، دخل جنته، ولم يقل جنتاه؛ لأنَّ الإنسان، وإن كان له جنتان؛ فلا يستطيع أن يدخلهما معاً في نفس الوقت، بل يدخل الواحدة، ثم الأخرى. ﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾: معجب بنفسه، ومصاب بالغرور، ومتكبرٌ.

﴿قَالَ مَا أَظُنُّ﴾: ما: النافية. الظن: حين ترجح كفة الإثبات على كفة النفي: وهو ضرب من الاعتقاد الخاطئ في هذه الآية.

﴿أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾: أن: للتوكيد.

﴿تَبِيدَ﴾: هذه الجنة: تهلك، أو ينقطع ثمرها، أو تصاب بطارئ مثل إعصار وغيره.

﴿أَبَدًا﴾: للتوكيد.

[٣٦] ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾:

﴿وَمَا أَظُنُّ﴾: كما في الآية السابقة، وتكرارها: للتوكيد.

﴿السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾: يستنكر البعث، وقيام الساعة القادم لحظة تهدم النظام الكوني الحالي، ويوم القيامة.



﴿وَلَيْنَ﴾: اللام: للتوكيد؛ إن: شرطية: تفيد الشك، أو الاحتمال.

﴿رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي﴾: ولم يقل: ولئن رجعت إلىٰ ربي من الرد، وهو العودة، أو الرجوع بإكراه، وقسر، أو جبر، وكراهية؛ لأنه يريد الخلود في الدنيا؛ لكثرة النعم التي أنعمها الله عليه، أي: ولئن رددت إلىٰ ربي مكرهاً لا خيار لي، ولم يقل: ولئن رجعت؛ لأن الرجوع ليس فيه معنى الكراهية؛ أي: يرجع راغباً، وليس مكرهاً، كما هو الحال في الرد.

﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا﴾: لأجدن: اللام: للتوكيد، والتون: لزيادة التوكيد؛ ليعطيني ربي أفضل من جنتي هاتين، وهذا يدل على الغرور، وكأنه يعلم الغيب.

﴿مُنْقَلَبًا﴾: من الانقلاب: هو الرجوع إلىٰ حالة غير الحالة التي كان فيها؛ فالمنقلب خاتمة الأمر وعاقبته؛ أي: خيراً من جنتك عاقبة ومصيراً؛ ثلاث كذبات قالها هذا الظالم، والمغرور بنفسه لأخيه، وهو يحاوره الأولي: ما أظن أن تبعد هذه أبداً، والثانية: ما أظن الساعة قائمة، والثالثة: ولئن رددت إلىٰ ربي لأجدن خيراً منها منقلباً.

ولنقارن هذه الآية (٣٦) من سورة الكهف: ﴿وَلَيْنَ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾: مع الآية (٥٠) من سورة فصلت: ﴿وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَىٰ﴾: هنا رُجعت: تعني الرجوع بإكراه مثل رُدِدْتُ بضم الراء، ولم يقل: رَجعت بفتح الراء التي تدل على الرجوع برغبة وبدون إكراه.

فالفرق بين الرجوع والرد:

فالرجوع: يكون بالانطلاق من مكان ما، ونية الرجوع إلى نفس المكان، والرجوع يكون بإكراه، أو بدون إكراه راغباً في الرجوع.

وأما الرد: يكون العودة بإكراه، وعدم الرضا، وليس عنده نية العودة، أو

الرَّجُوعِ، وكلا الآيتين في سياق الكفر بقيام الساعة واليوم الآخر والكفر بأنعم الله.

[٣٧] ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾:

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾: ارجع إلى الآية (٣٤) من نفس السورة.

﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: الهمزة في أكفرت همزة استفهامية، وإنكار وتعجب، أتذكر الذي خلقك من تراب؛ أي: يكفي ما تقوله غروراً، وباطلاً، واستعلاء، وكفر بالنعمة، وإنكار المنعم، والبعث، والساعة، والبعث، والساعة. والكافر غير مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وليس بالضرورة مشرك، والكفر أعم من الشرك، وكل مشرك كافر، وليس كل كافر مشرك، وصاحب الجنة مشرك وكافر؛ كافر لأنه كفر بنعمة الله ولم يؤدي شكرها بالإضافة إلى الشرك.

﴿خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾: ارجع إلى سورة الحج، آية (٥)، والروم آية (٢٠)؛ للبيان.

﴿ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾: ثم للترتيب، والتراخي.

﴿سَوَّكَ رَجُلًا﴾: أي: كيف تنسئ خالقك الذي خلقك من تراب؛ سواك رجلاً تشير إلى التسوية، والتي تعني: الصفات الخلقية الوراثية التي يتميز بها كل إنسان عن الآخر.

[٣٨] ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾:

﴿لَكِنَّا﴾: فيها قراءات مختلفة لكنّا، ولكنّ، ولكنّه وأصلها: لكن أنا



حذفت الهمزة، وأدغمت النون في النون؛ أي: لكن أنا أو من بأن الله هو ربي.
لكننا: للاستدراك، وكأنه يستدرك مما قاله صاحبه من الكفر، ويستغفر ربه.
﴿هُوَ﴾: ضمير فصل للتوكيد.

﴿اللَّهُ رَبِّي﴾: جمع بين الإلوهية، والرّبوية معاً؛ فهو المعبود الذي يستحق
العبادة: وهو ربنا الذي خلقنا ورزقنا المال، والولد، وكل شيء.
﴿وَلَا﴾: ولا: النافية.

﴿وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾: ولا: النافية لكل الأزمنة؛ يريد أن يعلم صاحبه
كيف يؤمن، ولا يشرك بربه أحداً، وقوله: ولا أشرك بربي أحداً: هو توكيد لقوله:
لكننا هو الله ربي.

[٣٩] ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا
وَوَلَدًا﴾:

﴿وَلَوْلَا إِذْ﴾: للحث، والحض؛ إذ: ظرف زمان للزمن الماضي.
﴿دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: هـلا، أو ليتك تقول عندما تدخل جنتك
بدلاً من القول ما أظن أن تبعد هذه أبداً.

أي نقول: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾: أو هذا ما شاء الله أن يخلق، أو
يفعل؛ فقد روى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما شاء الله لا قوة إلا
بالله كنز من كنوز الجنة».

﴿لَا﴾: لا: النافية.

﴿قُوَّةٌ﴾: أي: القدرة على مزاولة الأفعال الشاقة.

﴿إِلَّا﴾: إلا حصراً بالله.

﴿بِاللّٰهِ﴾: الباء: للإلصاق؛ أي: هذا ليس بقوتي، وحولي، وإنما هذا ما شاء الله تعالى هو الذي أعطاني القوة، ويسر لي لكي أحصل عليها بفضلها وكرمه، وإحسانه (أي: رد النعمة إلى المنعم والاعتراف بالعجز).

﴿إِنْ تَرَنِ﴾: إن: شرطية تفيد الشك، أو الاحتمال.

﴿تَرَنِ﴾: حذفت الياء بدلاً إن ترني؛ لأن الرؤية محدودة، أو مؤقتة بالدنيا، وليست دائمة؛ لكي يستعمل ياء المتكلم ترني.

﴿أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَا لَا وَوَلَدًا﴾: إن تنظر إلي بأني أقل منك ما لا وولداً؛ فهذا في الدنيا، وهذا شيء مؤقت وزائل.

[٤٠] ﴿فَعَسَىٰ رِجِّيَ أَنْ يُّؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَنُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾:

﴿فَعَسَىٰ﴾: الفاء: للتوكيد؛ عسى: للرجاء المتوقع الحدوث، والإشفاق من حدوث المكروه لصاحبه.

﴿رِجِّيَ أَنْ يُّؤْتِيَنِي﴾: أي: أرجو ربي أن يؤتين من الإيتاء: وهو العطاء. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة؛ لمعرفة الفرق بين الإيتاء، والعطاء، وحذف الياء في يؤتين بدلاً من القول يؤتيني؛ لأنه عطاء يبدأ في الآخرة ولا يبدأ من الآن يبدأ بعد البعث والحساب.

﴿خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾: أي: جنة الخلد أو الفردوس.

﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾: وتعني: عسى أن يرسل عليها حسباناً من السماء؛ أي: وأخاف، أو أخشى أن يرسل الله عليها حسباناً من السماء.

﴿حُسْبَانًا﴾: عذاباً من السماء؛ مثل: إعصار فيه نار.



﴿فَنُصَبِّحُ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، والمباشرة.

﴿صَعِيدًا﴾: أي: هذه الجنة المليئة بالتخيل، والأعنان؛ تصبح أرض ملساء لا نبات فيها عديمة النفع.

﴿زَلَقًا﴾: أرض ملساء لا نبات فيها، ولا يثبت عليها قدم؛ أي: تراباً مُبْلَلًا تنزلق عليه الأقدام.

وقول المؤمن لهذا المغرور الضال: عسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً ليس من قبيل الحسد، وإنما من قبيل التذكير والتحذير والرجوع إلى الله، والتوبة قبل أن يحل عليها سخط الله وغضبه.

[٤١] ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾:

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾: غائراً في الأرض، والماء الغائر في الأرض يمكن استخراجهِ بآلات الصّخ، أو الأجهزة الحديثة، ولذلك قال: فلن تستطيع له طلباً. ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾: لن: لنفي المستقبل القريب، والبعيد؛ أي: لن تستطيع له طلباً؛ أي: لن يمكن الوصول إليه، واستخراجه بأي وسيلة من وسائل الصّخ والآبار.

[٤٢] ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلَبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾:

وما كان يحذر منه الرجل المؤمن لصاحبه الكافر وقع بالفعل.

﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ﴾: أي: أحاط الدمار، والهلاك بالثمر من كلّ جانب ولم

يَبْقَى فِيهَا ثَمَرٌ صَالِحٌ. بِشْمَرِهِ: الباء: للإلصاق بكل الثمر الذي هو الغاية من الزرع، والحرث؛ لتكون الفاجعة الكبرى.

﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾: فأصبح: الفاء: للترتيب، والتعقيب، أصبح الكافر صاحب الجنيتين، يقلب كفيه على ما أنفق فيها كناية عن الحسرة، والندم يضرب كفاً على كف ظهرراً لبطن لا يتكلم أسفاً، ومتحسراً، وندماً على ما أنفق فيها: من جهد ومال، وزمن.

﴿فِيهَا﴾: ظرفية؛ أي: أنفق عليها؛ فيها: تدل على أن الإنفاق مستمر منذ الزمن القديم بالإضافة إلى الإنفاق الجديد.

﴿وَهِيَ﴾: وهي: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشٍهَا﴾: العروش: هي الدعائم التي كانت منصوبة للأشجار؛ مثل: دعائم شجر العنب. خاوية: أي: تساقطت عروشها على الأرض ولم تعد قائمة.

﴿وَيَقُولُ يَلَيِّنَنِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾: يا ليتني تستعمل لتمي النادر، أو المستحيل، أو الأمور الصعبة الحدوث، وكأنه الآن تذكر موعظة صاحبه المؤمن. [٤٣] ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَصْرُوهُ، مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًّا﴾:

﴿وَلَمْ﴾: الواو: استئنافية؛ لم: للنفي.

﴿تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَصْرُوهُ﴾: فتنه: من فاء رجع؛ أي: لم يكن له من أصحاب، أو جماعة يفى إليهم لينصروه، أو يمنعونه من عذاب الله.

﴿لَهُ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله.



﴿وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾: ما: النافية، وما كان قادراً على نصره نفسه أيضاً.

وإذا قارنا هذه الآية من سورة الكهف مع الآية (٨١) من سورة القصص: ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ (الحديث عن قارون) في آية القصص جاء بكلمة من الاستغراقية، والمنتصرين أكثر عدداً من منتصراً (جماعة مقابل فرد)؛ فالتأكيد أشد، وأقوى في آية القصص.

حيث في آية الكهف صاحب الجنتين رغم أنه أحيط بشجرة فقد بقي حياً بينما في سورة القصص قارون قال تعالى عنه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾.

[٤٤] ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾:

﴿هُنَالِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد إشارة إلى الآخرة، أو يوم القيامة.

﴿الْوَلِيَّةُ﴾: الملك، والسلطان، والحكم.

﴿لِلَّهِ الْحَقُّ﴾: لله وحده حصراً، الحق: الأمر الثابت الذي لا يتغير.

﴿هُوَ﴾: هو: ضمير منفصل يفيد التوكيد.

﴿خَيْرٌ ثَوَابًا﴾: جزاء لأوليائه؛ أي: أفضل ثواباً، وجزاءً من غيره.

﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾: خير عاقبة ومالاً ومصيراً.

[٤٥] ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾:

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٣٢) من نفس السورة.

﴿مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: شبه الله سبحانه حال الحياة

الدنيا في قصرها، وسرعة زوالها، وزهرتها، وبهجتها بحال النبات الذي ينزل عليه المطر من السحاب.

﴿فَاَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾: فيختلط به تعود على ماء المطر حتى يرتوي،
ويخضر، وينمو، ويستغلظ، ويستوي على سوقه، ثم يهيج.

﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ أي: بعد أن يهيج،
وينمو يذبل ويصفر، ويصبح يابساً تحطمه الرياح، وتشره؛ فيتلاشى، ولا يبقى له
أثر، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ
ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١]، وهذا ما يحدث للإنسان في دورة حياته.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾: مقتدراً: اسم فاعل من فعل: اقتدر الخماسي؛
مقتدراً: ذو القدرة العظيمة التامة الكاملة الذي لا يعجزه شيء في الأرض، ولا
في السماء.



سورة الكهف ١٨

البقرة الفصل الثاني

أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ
 خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى
 الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا
 عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ
 أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ
 مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ
 لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا
 حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا
 لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ
 أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ
 بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذًا الْمُضِلِّينَ عَضُدًا
 ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
 فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَاءَ الْمُجْرِمُونَ
 النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

سورة الكهف [الآيات ٤٦ - ٥٣]

[٤٦] ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: المال والبنون: جمع المال والبنون في حكم واحد وهو زينة الحياة الدنيا، والزينة: ما يتجمل به الإنسان من الحلي، والذهب، والفضة، والزينة: الأمر الزائد عن ضروريات الحياة، ومقوماتها، ولكنها زينة سريعة الزوال لا تدوم طويلاً؛ لأنها متاع الغرور، ومجرد فتنة للناس. وجاءت هذه الآية في سياق: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾، وقدم المال على البنون؛ لأن المال أعم؛ كل إنسان لديه المال، وإن قل. أمّا البنون: فليس كل إنسان له بنين؛ فقدم الكثير على القليل.

﴿وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾: الباقيات الصالحات: قيل: هي العبادات (الفرائض)، والذكر: (تسبيح، وتحميد، وتكبير)، وأعمال الخير، والنوافل، وسميت الباقيات الصالحات؛ لأنها باقية في الآخرة، وغير زائلة بزوال الدنيا، كما يزول المال والبنون.

﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾: أفضل ثواباً، وجزاءً عند ربك من المال والبنين، فالله سبحانه ثوابه أفضل ثواب.



﴿وَحَيْرٌ أَمَلًا﴾: خير طمعاً فيما يطمع الناس في الحصول عليه من عرض الدنيا، ومتاعها أَمْلاً في النّجاة من النَّار، والفوز بالجنة، ورضوان الله، ورؤية وجهه الكريم، وتكرار خير للتوكيد، ولفصل كلّ منهما على حدة الثواب، والأمل، وكلاهما معاً.

ولنقارن هذه الآية (٤٦) من سورة الكهف: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصّٰلِحٰتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾، والآية (٧٦) من سورة مريم: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصّٰلِحٰتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾: الاختلاف في خير أَمْلاً، وخير مرداً؛ خير أَمْلاً: انظر إلى ما سبق شرحه، أما خير مرداً: المرد هو المرجع إلى الله تعالى، أو خير مردود؛ أي: تعطي نتاج، أو محصول من الحسنات خير من الأثاث والرياء.

وإذا قارنا هذه الآية (٤٦) من سورة الكهف، مع الآية (١٤) من سورة آل عمران: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾: الآية في آل عمران تتحدث عن حب الشهوة؛ بينما الآية في سورة الكهف تتحدث عن حب المال، والبنين؛ فالحب شيء، والشهوة شيء آخر، فالمحبة تختلف عن الشهوة؛ لأن المحبة يمكن التحكم بها بالإرادة، وأما الشهوة فهي توقان النفس لشيء، وليست من قبيل الإرادة، وشهوة النساء أقوى الشهوات عند الرجل الشاب المعافى من شهوة المال، والأولاد، ولذلك قدمها على حب البنين، والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة، وقدم شهوة الأولاد على شهوة المال (القناطر المقنطرة) بعكس ما ورد في آية الكهف؛ فالسياق مختلف في كلّ آية.

وإذا قارنا الآية (٤٦) من سورة الكهف: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾، والآية (٤٤) من سورة الكهف: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾.

الآية (٤٦): تتحدث عن الباقيات الصالحات.

أمّا الآية (٤٤): تتحدث عن الله؛ أي: عن ذاته سبحانه الذي يشيب على الباقيات الصالحات، والقائل: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ متيقن من رحمة الله، وثوابه.

وأما القائل: ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾: هو متأمل بالوسائل المقدمة لنيل الثواب والرحمة، وليس ضامن، وكلاهما مطلوب الأمل واليقين برحمة الله، وثوابه؛ لأن (هو) تفيد التوكيد.

[٤٧] ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾:

﴿وَيَوْمَ﴾: القيامة، ولم يذكر الاسم؛ للتهويل، والتعظيم.

﴿نُسِرُّ الْجِبَالَ﴾: هناك عدة أطوار تمر بها الجبال يوم القيامة، وهي التالية: الزوال عن أماكنها، وكما قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَمْدًا وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾؛ أي: تسير بسرعة السحاب. ارجع إلى سورة النمل، آية (٨٨).

والنسف، والدك كما قال تعالى: ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥].

وتصبح كالرمال ﴿كَيْبًا مَهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤].

ثم مرحلة البس، كما قال تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿[الواقعة: ٥].

ثم تكون كالعهن المنفوش، وتصبح الأرض: ﴿فَاعَاصَفْصَفَا﴾ ﴿١٠﴾ لَا تَرَى



فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿طه: ١٠٦-١٠٧﴾. ارجع إلى سورة التكويد آية (٣) لمزيد من البيان.

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: الأرض الجديدة الحاوية على الأرض الحالية بكل ذراتها، ومكوناتها، وأمواتها، والتي ذكرها الله سبحانه في سورة إبراهيم بقوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

ظاهرة خالية من أي جبل، أو شجر، أو بناء أرض مستوية. أرض جديدة أكبر بكثير من الأرض الحالية؛ قادرة على استيعاب بلايين بلايين البشر. ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾: من الحشر: هو السوق، والجمع في أرض المحشر كلهم: المؤمن، والكافر، والمطيع، والعاصي.

﴿فَلَمْ﴾: فلم: الفاء: للتوكيد؛ لم: للنفي.

﴿نُفَادِرْمَنَّهُمْ أَحَدًا﴾: لم يتخلف منهم أحداً عن الحشر.

[٤٨] ﴿وَعَرِضْهُ عَلَى رَيْكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾:

﴿وَعَرِضْهُ عَلَى رَيْكَ صَفًّا﴾: من العرض: الظهور أمام ربهم صفًّا صفًّا؛ أي: مصنفين يوم القيامة للحساب، وعرضوا بصيغة الماضي، وهو أمر لم يحدث بعد ومجيئه بصيغة الماضي يدل على قطعية الحدث؛ أي: اعتبره حدث، وانتهى، والزمن بالنسبة لله تعالى كله سواء الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ لأنه مالك الزمان والمكان وخالقهما.

وعند خروجهم من القبور يكونوا كالجراد المنتشر: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ

كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٨﴾ [الفر: ٨]، وفي أرض المحشر يكونوا كالفراش المبثوث: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارة: ٤]، ثم تصفهم الملائكة في صفوف للعرض.

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، وزيادة التوكيد.

﴿جِئْتُمُونَا﴾: مشتقة من المجيء، والمجيء فيه معنى المشقة، والصَّعوبة؛ لأنَّ البعث، والخروج من القبور أمراً ليس سهلاً لما فيه من الخوف، والرَّعب، والأحداث الجسام يوم القيامة.

﴿كَمَا﴾: كما: الكاف للتشبيه؛ ما: حرف مصدري يفيد التعليل.

﴿خَلَقْنَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: كما خرجتم من بطون أمهاتكم حفاة عراة لا شيء معكم فرداً فرداً؛ كقوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥].

﴿بَلْ﴾: بل: للإضراب الانتقالي؛ الخطاب موجه إلى منكري البعث، والحساب.

﴿زَعَمْتُمْ﴾: من الزَّعم: وهو القول الغير مستند إلى دليل، أو ادعاء العلم، وأكثر ما يقع في الباطل.

﴿أَلَنْ﴾: أن: للتوكيد؛ لن: لنفي المستقبل القريب، والبعيد.

﴿تَجْعَلْ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾: للقيامة، والحساب موعداً للعرض على ربكم.

[٤٩] ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَلَيْنَا مَالَ هَذَا



الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٦٠﴾

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾: كتاب أعمال العباد في أيديهم في أيمانهم، أو شمائلهم فالمؤمن يأخذه بيده اليمنى، والكافر يأخذه بشماله، أو من وراء ظهره ليقرأ كل كتابه بنفسه، الكتاب اسم جنس؛ أي: كتاب الأعمال الحسنات، والسيئات.

﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مَشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾: فترى: الفاء: للترتيب، والتعقيب، والمباشرة، ترى المجرمين (ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) للبيان) مشفقين: جمع مشفق اسم فاعل من فعل أشفق، والإشفاق: هو الشعور بالتقصير بحق الله، وخائفين يرتعدون من الخوف مما فيه من الأعمال السيئة، والمعاصي، وبعد أن يقال لكل واحد اقرأ كتابك بنفسك فما أن يرى أعماله يقول كل منهم:

﴿وَيَقُولُونَ يَوَيْلَنَا﴾: ﴿يَحْشَرْنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١]، أو ﴿يَوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٩٧]، أو الويلة: الهلكة من الويل وهو الهلاك يدعو على أنفسهم بالهلاك كأنهم يقولون: يا هلاكنا، يا عذابنا: احضر وأرحنا من هذا البلاء.

﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾: ما: استفهامية للتعجب والدهشة.

﴿هَذَا الْكِتَابِ﴾: لهذا: اللام: للتوكيد؛ هذا الكتاب: كتاب الأعمال لم يترك عملاً صالحاً، ولا حسنة، ولا عملاً سيئاً؛ أي: ذنباً إلا كتبه، وأحصاه.

﴿لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾: لا: النافية، صغيرة ولا كبيرة، تكرر (لا) مرة أخرى يفيد لتوكيد النفي، وفصل كل منهما عن الأخرى؛ أي: لا صغيرة، ولا كبيرة، ولا كلاهما. وقوله: لا صغيرة، ولا كبيرة: نفي فيه تقديم الأدنى على الأعلى، وكان يكفي نفي الصغيرة؛ فهو يدل على نفي الكبيرة، ولو قال: ولا يغادر كبيرة ولا صغيرة؛ فهذا النفي من الأعلى إلى الأدنى؛ فقد لا يغادر الكبيرة، ولكنه يغادر الصغيرة؛ فهذه الآية تدل على أن الله سبحانه العبد على الصغيرة قبل الكبيرة، وحتى لا يتوكل العبد على رحمة الله، والصغيرة: قد تعني صغائر الذنوب، والكبيرة؛ أي: الكبائر.

﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾: إلا: أداة حصر. أحصاها: عدّها وجمعها وكتبها.

﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾: ووجدوا ما عملوا في حياتهم الدّنيا مكتوباً مسطوراً في كتب أعمالهم؛ أي: ما عملوا في دنياهم أحضر لهم في الآخرة؛ ليروه، ويحاسبوا عليه.

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾: لا: النّافية للجنس؛ تنفي كلّ الأزمان؛ أي: لا ينقص حسنة من ميزان أحد، ولا يزيد سيئة في ميزان أحد.

﴿أَحَدًا﴾: للتوكيد.

[٥٠] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾: أي: اذكر إذ قلنا للملائكة.



﴿أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾: ارجع إلى سورة البقرة، الآية (٣٤).

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء؛ يسمى هذا: استثناء منقطع، أو منفصل المستثنى إبليس، والمستثنى منه الملائكة، وهو ليس من جنسهم؛ لأنه كان من الجن، وكان مع الملائكة حين أمروا بالسجود، وكان الأمر يشملهم.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾: ففسق: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ فسق: عصي ربه، وخرج عن طاعته، ولم يسجد.

﴿أَفَلَنْتَ خِذْوَنَهُ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، وتعجب، والخطاب موجه لذرية آدم، والهاء: تعود إلى إبليس.

﴿وَذُرِّيَّتَهُ﴾: أتباعه، وسماهم ذريته مجازاً. وهم شياطين الجن والإنس.

﴿أَوَّلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾: جمع ولي: وهو المعين والمساعد. ارجع إلى سورة آل عمران آية (٢٨)

﴿مِنْ دُونِي﴾: من غيري، أو سواي.

﴿وَهُمْ﴾: هم: ضمير منفصل يفيد التوكيد.

﴿عَدُوٌّ﴾: ولم يقل أعداء؛ لأنّ العداوة مقصورة، أو سببها واحد: هو العداوة في الدين، ولو كانت العداوة لها أسباب مختلفة، أو عداوات متعددة لاستعمل أعداء.

﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾: بئس: فعل من أفعال الذم؛ بئس: لمن استبدل طاعة الله بطاعة الشيطان وذريته.

﴿لِّلظَّالِمِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق. الظالمين: المشركين؛ استبدلوا مولاتهم لله تعالى بمولاتهم للشيطان وذريته.
 [٥١] ﴿مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا﴾:

﴿مَا أَشْهَدُكُمْ﴾: ما: النافية.

﴿أَشْهَدُكُمْ﴾: أي: إبليس، وذريته، والملائكة، والجن، والإنس.
 ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أشهدتهم: أريتهم، أو أطلعهم كيف خلقت السموات والأرض، أو شاورتهم، أو استعنت بهم.
 ﴿وَلَا﴾: النافية نافية للجنس؛ لنفي كل الأزمنة.
 ﴿خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ﴾: أي: كيف خلقتهم أيضاً.
 ﴿وَمَا﴾: ما: النافية.

﴿مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ﴾: جمع مضل من فعل أضل والمضلين هم الشياطين من الجن والإنس. الذين يضلون غيرهم.

﴿عَصُدًا﴾: شبه المضلين بالعضد، وعَصُدًا عُونًا مأخوذة من العضد؛ عَصُد الإنسان: وهو من المرفق إلى الكتف، وهو ما يساعد اليد على العمل، ويعطيها القوة؛ أي: ما استعنت بهم، ولا شاورتهم حين خلقت السموات والأرض، ولا حين خلقت آدم، وفي هذا بيان لكمال قدرته، وعظمته، وغناه عن الأعوان، والشركاء، وأنه الإله الحق الذي يجب أن يُعبد.



[٥٢] ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾:

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾: يوم: نكرة للتهويل والتعظيم القيامة يقول الله سبحانه للكفار والمشركين:

﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾: أي: ادعوا شركائي الذين زعمتهم؛ ادعيتهم باطلاً في الدنيا؛ أنهم شركائي فأطعتموهم، وعبدتموهم، نادوهم لعونكم ومساعدتكم، وإنقاذكم، أو تخفيف العذاب عنكم، أو نادوهم ليشفعوا لكم؛ مثل عيسى، أو عزيز، أو الملائكة، أو الأولياء، أو الأصنام، والآلهة.

﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾: الفاء: تدل على المباشرة؛ أي: دعوهم مباشرة ولم ينتظروا؛ أي: نادوا يا عيسى، يا عزيز، يا ملائكة، يا فلان، يا اللات، يا عزي، دعوهم ولم يخافوا، أو يخرجوا من الله؛ لأنهم كانوا موقنين بشركهم.

﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾: الفاء: للمباشرة، والتوكيد؛ لم: للنفي، لم يستجيبوا لهم بأي كلمة يسمعوهم.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾: مصدر من وبق بمعنى هلك، أو حاجزاً بين الداعين، والشركاء.

وكل حاجز بين شيئين يسمى: موبقاً. وقيل: موبقاً: اسم مكان؛ أي: مهلكاً؛ أي: كل من حاول أن يتعداه هلك؛ من وبق: أي: هلك، وقيل: موبقاً: واد في جهنم، وقيل: الموبق أمدأ بعيداً، أو برزخاً بعيداً.



[٥٣] ﴿وَرَاءَ الْمُجَرِّمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾:

من الرّؤية: أي: وقع بصرهم على النّار؛ أي: هم يرون النّار، والنّار تراهم، كما ورد في قوله: ﴿إِذْ أَرَأَيْتُمْ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢]؛ كلاهما يرى الآخر، وكأنه يعرفه.

المجرمون: ارجع إلى سورة الأنفال آية (٨) لبيان معنى المجرمون.

﴿فَظَنُّوا﴾: علموا، أو أيقنوا من الظن الذي وصل درجة اليقين.

﴿أَنَّهُمْ﴾: أنهم: للتوكيد.

﴿مُوَاقِعُوهَا﴾: واقعون فيها؛ أي: داخلون فيها.

﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾: لم: للنفي؛ لم يجدوا عنها مكاناً يخرجون منه، أو يهربون منه؛ مثل: الباب، أو النافذة؛ فهي مطبقة عليهم، وعليها ملائكة غلاظ شداد يحيطون بها. الموبق: موجود، والمصرف مفقود، وكلمة يجدوا، ولم يقل ما وجدوا، لم يجدوا تدل على التكرار، والتجدد؛ أي: أنهم بحثوا مراراً، وتكراراً على المصرف، فلم يجدوا، ولو قال: ما وجدوا تدل على مرة واحدة، وانتهى البحث عن المصرف.





سُورَةُ الْكَهْفِ ١٨

الْبُرْجُ الْمُسْتَكْبَرُ

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ
الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا
إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ
أُولَٰئِكَ أَوْيَاتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمُجَدِّدِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ
لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخِذُوا عَآئِنِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا
وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ
الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ
الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾
وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ
مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ لَا أُبْرَحُ حَتَّىٰ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا
مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

سورة الكهف [الآيات ٥٤ - ٦١]

[٥٤] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ
جَدَلًا﴾:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾: لقد: اللام للتوكيد، وقد: للتحقيق.

﴿صَرَّفْنَا﴾: التصريف بينا الآيات بأساليب مختلفة، وصور شتى لكي يتبين
لهم المعنى الحقيقي.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿هَذَا الْقُرْآنِ﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة يفيد القرب.

﴿الْقُرْآنِ﴾: لأنه مقروء، والقراءة تحتاج إلى قرب.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص. الناس: مشتقة من النّوس؛ أي: كثرة
الحركة.

﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾: من: ابتدائية.

﴿كُلِّ مَثَلٍ﴾: أي: ولقد بينا في هذا القرآن الأمثال الكثيرة، والكافية؛

لإزالة الغموض، وبيان المجمل والإيضاح، والآيات الدالة على إلهية، وربوبية
الإله الحق، واجب الوجود: وهو الله سبحانه.

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾: نزلت هذه الآية في أشخاص مثل: النضر

بن الحارث كانوا يجادلون بشأن القرآن كما قال ابن عباس، أو يجادلون في البعث



كقولهم إذا كنا عظاماً، ورفاتاً إنا لمبعوثون خلقاً جديداً، كما قاله ابن السائب، أو غيرها من الأسباب.

﴿جَدَلًا﴾: من الجدل؛ أي جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء آخر، أو هو أكثر المخلوقات جدلاً؛ أي: فاق في جدله كل من اتصف بالجدل، وقوله تعالى ﴿أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ يدل على عمق صفة الجدل في نفس الإنسان. والجدال: هو الحوار الذي يحصل فيه اختلاف في الآراء بين طرفين أو أكثر لدفع شبهة، أو إثبات حق، أو إظهار حجة.

[٥٥] ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾:

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾: ما: النافية.

﴿أَنْ﴾: مصدرية تفيد التعليل.

﴿يُؤْمِنُوا﴾: بالله، وبما أنزل.

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي.

﴿جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾: القرآن، أو محمداً، أو الإسلام، والبيانات.

﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾: يستغفروا لذنوبهم، أو يطلبوا من الله المغفرة؛ أي:

يستر ذنوبهم، ويمحوها.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿أَنْ﴾: مصدرية؛ تفيد التعليل، والتوكيد.

﴿تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ﴾: تأتاهم: في المستقبل.

﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾: لتعريف السنة. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (١٣٧)،
والنساء، آية (٢٦)؛ للبيان.

﴿سُنَّةٌ﴾: الهلاك، والدمار بعد التكذيب برسلمهم.

﴿أَوْيَأْيُهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾: عياناً، أو مستقبلاً ديارهم، أو متجهاً نحوهم
عندها إذا آمنوا، أو استغفروا فلن ينفعهم ذلك، أو يرفع عنهم العذاب.

[٥٦] ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمُجَدِّلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ
لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾:

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ﴾: ما: النافية.

﴿نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ﴾: الأنبياء، والرسل.

﴿إِلَّا﴾: حصراً.

﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾: ليكونوا مبشرين لمن أطاع الله تعالى، وصدق
برسله، والبشارة تعني: الخبر السار، ومنذرين لمن عصى الله تعالى، وكذب
برسله، والإنذار هو: الإيعاز، والتحذير، والتخويف، ولمعرفة معنى البشارة:
ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٩)، والنحل، آية (٨٩)؛ للبيان.

﴿وَمُجَدِّلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾: الجدال: هو الحوار الذي يحصل فيه
اختلاف في الآراء، والمشوب بالمشادة الكلامية، والمخاصمة؛ لإثبات حق، أو
دفع شبهة، أو إظهار حجة.

﴿بِالْبَاطِلِ﴾: هو ما لا وجود له، ولغة: هو الزائل، أو الداهب، والباطل في
القرآن: يطلق على الشرك، والأصنام، والشيطان، ويطلق على الكذب، والظلم،
والإحباط.



﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾: ليدحضوا: اللام: للتوكيد، والتعليل؛ يُدحضوا: يزيلوا به الحق مأخوذة من الدحض: الطين الذي يزلق فيه مشقة من ادحاض القدم، وهو انزلاق القدم والزلة عن مكانها؛ أي: يجادلوا بالباطل كي يبتلوا ما جاء به محمد ﷺ، أو يأمرهم به القرآن، أو ينهاهم عنه؛ أي: يجادلوا ليبتلوا الحق أو يزيلوه.

﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾: ما: مصدرية، أو اسم موصول بمعنى: الذي. واتخذوا: جعلوا الإنذار بالعذاب موضع استهزاء، أو استهزءوا بالإنذار، ولم يعبئوا به. ارجع إلى سورة الزمر آية (٤٨) لبيان معنى الاستهزاء.

لنقارن هذه الآية (٥٦) من سورة الكهف: ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾، والآية (١٠٦) من سورة الكهف: ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾: الآية (٥٦) تتحدث عن الاستهزاء بالإنذار نفسه، وأما الآية (١٠٦): تتحدث عن الاستهزاء بالرسل أنفسهم. ارجع إلى الآية (١٠٦)؛ للبيان، والمقارنة؛ فهم استهزءوا بالإنذار، وبالرسل معاً، أو منهم من استهزأ بالنذر، ومنهم من استهزأ بالرسل.

[٥٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: من: استفهامية، ولم يقل: لا أحد أظلم، بل قال: ومن أظلم: استفهام يحمل معنى الإقرار؛ لكي يجيب المسؤول بنفسه بالقول: لا أحد أظلم على وزن أفعل.

أما لو قال: لا أحد أظلم؛ فهذا خبر فقط، ولا يحتاج إلى جواب، والإقرار:

هو سيد الأدلة، ويطلق على هذا أن الخبر جاء بصورة استفهام تقريرى لإقامة الحجة على المسؤول.

﴿مَنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ رَّبِّهِ﴾: آيات ربه: آيات القرآن، وتشمل أيضاً الآيات الكونية، والمعجزات... وغيرها.

﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾: فأعرض: الفاء: تدل على المباشرة، والترتيب؛ تدل على أن التذكير حدث حين أو بعد الجدل؛ أي: جادلوا بالباطل؛ فذكروا مباشرة بآيات ربهم؛ فأعرضوا عنها مباشرة، ولم يتعظوا بها، أو يتدبروها، أو يستفيدوا منها، وكان من المفروض من أحدهم أن يترىث زمناً قبل إعراضه مباشرة؛ لعله يتدبر ويتفكر؛ فيتوب، ويؤمن، ولكنه بالعكس نسي ما قدمت يداه.

﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: نسي ما فعله من الذنوب، والمعاصي، واختار كلمة يداه بدلاً من ذاته، أو نفسه؛ لأن كثيراً من الذنوب تحدث بالأيدي؛ مثل: القتل، والسرقه، والشرك، والظلم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾: أكنة: أغطية، وحجب؛ فلا يدخلها إيمان، ولا يخرج منها كفر، وهذا الجعل هم الذين كانوا سبباً له؛ حيث أعرضوا، وأصموا آذانهم، وطلبوه لأنفسهم.

﴿أَنْ﴾: مخففة تفيد التعليل؛ أي: لئلا يفقهوه، أو يفهموه؛ أي: يفهموا القرآن.

﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: أي: كأن في آذانهم، وقرأ: ثقل في السمع، ويختلف عن الصمم؛ فلم يسمعوا جيداً؛ أي: موعظة، أو نصيحة، أو آية.

﴿وَإِنْ نَدَعُهُمْ﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو الشك.



﴿إِلَى الْهُدَى﴾: الإيمان، والقرآن، أو الإسلام.

﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا﴾: فلن: الفاء: للتوكيد؛ لن: للنفي المستقبل القريب، والبعيد.

﴿إِذَا﴾: حرف جواب.

﴿أَبَدًا﴾: للتوكيد.

لنقارن هذه الآية (٥٧) من سورة الكهف: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، مع الآية (٢٢) من سورة السجدة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾.

نجد الاختلاف في استعمال الفاء في آية الكهف (فأعرض عنها) التي تدل على الترتيب، والمباشرة؛ أي: حصل الإعراض عن الآيات بعد التذكير بآيات الله مباشرة. بينما استعمل: (ثم) في آية السجدة، ثم أعرض عنها التي تدل على الترتيب، والتراخي في الزمن؛ أي: حصل الإعراض عن الآيات بعد التذكير بها بزمان، ولم يحدث مباشرة.

فالإعراض يحصل من الكفار؛ فمنهم من يعرض مباشرة بعد التذكير، ومنهم من يعرض بعد مرور فترة من الزمن قد تطول، أو تقصر.

[٥٨] ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُم مَّوْعِدٌ لَّنْ يَحْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾:

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ﴾: الغفور: صيغة مبالغة من الغفر؛ أي: كثير المغفرة للذنوب الكبيرة والصغيرة.

المغفرة: تتضمن ستر الذنب، وترك العقوبة، وإثابة المغفور له على أعماله الصالحة.

﴿ذُو الرِّحْمَةِ﴾: ذو: بمعنى: صاحب وذو اسم من الأسماء الخمسة تضاف للتابع بينما صاحب تضاف للمتبوع، وذو: أشرف، وأفضل في الشَّاء من كلمة صاحب. ذو الرِّحمة: ذو النِّعمة، والرِّحمة: تشمل العافية، والرِّزق، وتأخير العذاب، ولكونه يغفر الذُّنوب إلا الشُّرك، يرحم المؤمن، والكافر، والمطيع، والعاصي في الدُّنيا، ويرحم عباده المؤمنين في الآخرة. ارجع إلى الآية (١٠) من نفس السُّورة.

﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾: لو: شرطية.

﴿يُؤَاخِذُهُمْ﴾: يعاقبهم.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق؛ باء: السَّبية، أو للتعليل؛ ما: اسم موصول بمعنى: الذي كسبوا، أو مصدرية.

﴿كَسَبُوا﴾: من الذُّنوب، والسيئات، والكبائر.

﴿لَعَجَلٌ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص لهم خاصة.

﴿الْعَذَابَ﴾: في الدُّنيا، ولكنه حلیم يمهل، ولا يهمل.

﴿بَلْ﴾: حرف إضراب انتقالي.

﴿لَهُمْ مَّوْعِدٌ﴾: يعذبهم فيه، والموعِد: زمن، أو يعني: يوم للجزاء، والحساب، والعذاب.

﴿لَنْ يَجْذُوا مِنْ دُونِهِ﴾: من غير الله، أو سواه. لن: للنفي المستقبل القريب، والبعيد معاً.



﴿مَوْبِلًا﴾: ملجأ يلجؤون إليه، أو منجى مشتقة من آل فلان إلى؛ أي: لجأ.
الفرق بين ملتحدًا، الآية (٢٧)، وموئلاً، الآية (٥٨): الملتحد: أي: لن تجد غير الله إلهاً تحتمي به. موئلاً: أي: لن تجد مكاناً تلجأ إليه، أو منجى، أو محيصاً.

[٥٩] ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾:

﴿وَتِلْكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، وتشير إلى القرى البعيدة عن مكة. واستعمل اسم الإشارة رغم أن الآيات السابقة لم تشمل أسماء أو ذكر القرى الهالكة؛ لأن العرب كانوا يعرفون ديار عاد وثمود ولوط ومدين وهي مشاهدة أمامهم يستطيعون إنكارها.

﴿الْقُرَىٰ﴾: قرى عاد، وثمود، وصالح، ولوط... وغيرها، والقرى يعني: أهلها بالإضافة إلى البنين.

﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾: دمرناهم، وقضينا عليهم بذنوبهم. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٤).

﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾: لما: ظرف زمان بمعنى حين.

﴿ظَلَمُوا﴾: بالشرك، وتكذيب الرسل، والمعاصي، وعدم الإيمان.

﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾: موعداً: اسم زمان، واسم مكان؛ أي: جعلنا زمناً، ومكاناً (متى وأين) ننزل بهم العذاب. مهلكهم: من مهلك: وهو مصدر ميمي من فعل هلك، ومهلك: بكسر اللام يعني: مكان وزمن محدد لإهلاكهم لا يتأخرون عنه ساعة، ولا يستقدمون.

[٦٠] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أُبْرَحُ حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾:

المناسبة: جاءت قصة موسى مع الخضر في سورة الكهف - مع العلم أن كفار مكة لم يسألوه عن موسى، أو الخضر - لتبين لكفار مكة، وأهل الكتاب صدق نبوة رسول الله ﷺ، جاءت هذه القصة استجابة للآية: ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾؛ أي: عسى أن يخبرني ربي خبراً، أو بينة، أو قصة أقرب، أو أوضح بياناً، وبرهاناً من قصة أصحاب الكهف، وذوي القرنين ترشد، أو تهدي أهل مكة الذين لم يصدقوا نبوة محمد ﷺ.

فهم يسألون عن أصحاب الكهف؛ فجاءت قصة موسى والخضر دليلاً آخر وأهم من قصة أصحاب الكهف على صدق نبوة محمد ﷺ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ﴾:

أسباب النزول: عن أبي بن كعب، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عز وجل عليه؛ إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به فأخبره» رواه البخاري ومسلم.

وإذ: أي: واذكر إذ قال موسى، أو حين قال موسى ﷺ بن عمران لفتاه قيل: هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف كان يتبع موسى، ويتعلم منه، واختار كلمة فتاه بدلاً من صاحبه؛ لأن فتاه تحمل معنى اللطف، والحنان، والاحترام. ارجع إلى الآية (١٠) من نفس السورة لمعرفة معنى الفتية.

﴿لَا أُبْرَحُ﴾: لا: النافية.



﴿أَبْرَحْ﴾: أمضي سائراً إشارة إلى تصميم موسى ﷺ على أنه سوف لا يألو جهداً، أو طاقة، أو سعيّاً سائراً حتى يلتقي بالعبد الصّالح الذي أخبره الله سبحانه عنه بأنه أعلم من موسى، ثم أوحى إلى موسى كيف يجتمع بهذا العبد الصّالح، وما حدث في اللقاء وكيف كانت الخاتمة هذا ما ستبينه الآيات (٦٠-٨٢).

﴿حَقَّ﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿أَبْلَغْ﴾: حتى ألحق بهذا العبد الصّالح، وألتقي به عند مجمع البحرين.

﴿مَجَمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾: مُلتقى البحرين، ولم يُبين هذين البحرين.

﴿أَوْ أَمْضَى حُقْبًا﴾: أي: أسير زمناً لا نهاية له.

﴿حُقْبًا﴾: أي: أحقاباً، أو أزمان طويلة، وقيل: الحقب (٨٠ سنة)، أو دهرّاً طويلاً يخبر موسى فتاه لكي يستعد لهذه الرحلة الطويلة.

[٦١] ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ لما: ظرف زمني؛ بمعنى: حين.

﴿بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾: وصلا مجمع البحرين أفضل ما قيل عند نقطة التقاء خليج العقبة وخليج السويس.

﴿بَيْنَهُمَا﴾: بين: ظرف مكان؛ أي: مكان اختلاط مائهما، والبين: هو الفراق، والبعد الفاصل.

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾: في هذه الآية قال تعالى: نسيا (بالمثنى)، وفي الآية (٦٣) من نفس السورة قال: نسيت (بالمفرد)، الحقيقة كان واجب موسى وفتاه أن يكونا

حذرين ولا يغفلا عن ذلك الأمر المهم؛ لأن موسى كان متعباً ونام أو أخذته سنة عند الصخرة ولم يشعر بما حدث للحوت، ونسي يوشع أن يخبر موسى عن الحوت (السّمك الحوت)، وقد أعدّه للأكل، وكان فتى موسى يحمله في مكّتل (سلة)؛ فخرج الحوت (السّمكة) من السّلة، ودخل كوة محفورة في الأرض متصلة بماء البحر (سرداب)، وكان موسى في ذلك الوقت في غفوة؛ حيث كانا يأخذان استراحة عند الصّخرة، وهما لا يدريان أنّ هذا هو المكان الذي يبغيانه، وموسى نائم، ويوشع يقظ؛ فرأى يوشع ما حدث للسّمكة كيف أعاد الله سبحانه الحياة لها، وخرجت من السّلة (المكّتل)، وتوجهت في طريقها إلى البحر سرباً، وبعد أن أفاق موسى نسي يوشع أن يخبره بما حدث للسّمكة.

﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾: فاتخذ: الفاء: للمباشرة، والتّرتيب؛ اتخذ سبيله في البحر سرباً: اتخذ: شق.

﴿سَبِيلَهُ﴾: طريقه، والهاء: هاء الضمير تعود على الحوت (السّمكة).

﴿سَرَبًا﴾: السّرب نفق صغير سرداب محفور بالأرض ينتهي في البحر؛ أي: خرج الحوت من السّلة ودخل في السرب.



الجزء الأول

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ ١٨

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا غَدَاءُ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا
هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ
الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ
فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْتَدَّ إِلَى أَثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ
عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ
عَلَى أَنْ تَعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ
مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ
فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ
قَالَ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾



سورة الكهف [الآيات ٦٢ - ٧٤]

[٦٢] ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءٌ نَّا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ لما: ظرف زمان بمعنى: حين.

﴿جَاوَزَا﴾: ثم عاودا السير بعد الاستراحة، وتعدا في سيرهما مجمع البحرين، وهو المكان الذي يرغبانه.

﴿قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءٌ نَّا﴾: شعر موسى بالجوع فسأل فتاه أن يخرج الطعام ليأكلان طعام الغداء الذي يطلق على الطعام المتناول عند الظهيرة.

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾: أكد موسى على معاناته من التعب بعد هذا السفر، ولعل الطعام يخفف من هذا التعب.

[٦٣] ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾:

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ﴾: قال يوشع لموسى ﷺ: أرأيت: الهمزة همزة استفهام وتعجب.

﴿إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾: أي: أتذكر.

﴿إِذْ﴾: أي: حين أويانا إلى الصخرة؛ أي: استرحنا عندها.



﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ﴾: نسيت أن أخبرك أنني فقدت الحوت من المکتل، أو هرب الحوت من المکتل. وهل حقيقة نسي أم غفل عما ذكره موسى له أنه يريد أن يبلغ مجمع البحرين وفي ذلك المكان الذي يتخذ الحوت سبيله في البحر سرباً.

﴿وَمَا أَنَسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾: وراح يعتذر لكونه نسي أو غفل أن يخبره بذلك، ونسب ذلك النسيان إلى نفسه، وهذا نوع من الأدب.

﴿إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾: تفيد الحصر؛ أي: والشيطان وحده هو السبب.

﴿أَن أذْكُرُهُ﴾: أن: للتوكيد.

﴿أذْكُرُهُ﴾: أي: أذكر ذلك، وأخبرك به.

﴿وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾: وشق طريقه من المکتل بشكل عجيب؛ كيف دبت به الحياة بعد أن أُعد للطعام، وشوي على النار، ودخل في السرداب عائداً إلى البحر؛ فهذه آية من آيات الله تعالى الدالة على عظمة قدرته تعالى.

وما أنسانيه إلا الشيطان استعمل الضمة، وهي من أثقل الحركات لتناسب هذا الأمر الخارق للعادة؛ لكونها أندر حالات النسيان في أندر، أو أعجب حالات الإحياء.

وفي القرآن فقط حالتين استعمل حركة الضمة فيهما هذه الحادثة، والآية (١٠) من سورة الفتح حين قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾ والتي نزلت في بيعة الحديبية التي كانت من أثقل البيعات، أو المعاهدات؛ لكون الصحابة بايعوا رسول الله ﷺ على الموت؛ فاستعمل أثقل الحركات، وهي الضمة؛

لتناسب أثقل وأشدّ العهود، وفخم لفظ الجلالة، وهناك من فسر استعمال حركة الضّم بما يناسب لغة الحجاز حيث يقولون بهُ وإليه.

[٦٤] ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْتَدَّ عَلَىٰ أَثَارِهِمَا قَصَصًا﴾:

﴿قَالَ ذَلِكَ﴾: قال موسى ﷺ لفتهاه.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد؛ يشير إلى مكان الصخرة التي أووا إليها؛ ليستريحوا عندها؛ هو المكان المطلوب الذي نبحت عنه.

﴿مَا كُنَّا نَبْغُ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي نريده.

﴿نَبْغُ﴾: ولم يقل: نبغي؛ حذف ياء المتكلم؛ لأنّ موسى ﷺ يبغي اللقاء بالخضر، ولم يبع مكان الصخرة بالذات؛ فهو علامة على وجود الخضر؛ فبغيته لم تكمل بعد، ولا زال يبحث عن الخضر، ولذلك قال نبغ ولم يقل نبغي، أو لكونه يريد العودة بسرعة إلى المكان الذي فقد الحوت عنده فاختصر الكلام، ولا داعي لذلك لقصر الزمن.

مقارنة بقول إخوة يوسف حين رجعوا إلى أبيهم، ووجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا: يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا؛ أي: هدفهم النهائي، أو الحقيقي شراء الميرة؛ أي: الطّعام بما عندهم من البضاعة؛ فهم حققوا هدفهم؛ فذكر الفعل كاملاً: نبغي.

بينما موسى هدفه الكامل الوصول إلى الخضر (العبد الصّالح)، ولم يتحقق بعد فاستعمل: نبغ.



﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾: رجعا في طريقهما إلى الصخرة، وكانا يتبعان آثار أقدامهما، كما يفعل من يحاول قص الأثر، والوصول إلى الحقيقة.

[٦٥] ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾:

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾: عبداً: في اللغة تعني: إنساناً؛ سواء أكان مملوكاً أم حُرّاً؛ موسى وفتاه وجدا عبداً من عبادنا: هو العبد الصالح، وقيل: اسمه الخضر، ولكنه جاء بصيغة التنكير للعبد الصالح فقال عبداً، ولم يقل العبد الصالح، والسؤال لماذا هذا التنكير؟ للدلالة أن هذا العبد الصالح ما هو إلا عبد من عباد الله الكثيرين الذين لهم الزلفى عند ربهم.

وسمي بالخضر؛ لأنه كان إذا جلس أو صلى اخضر ما حوله، أو قيل في حديث رواه الإمام أحمد في مسنده، عن أبي هريرة: أنه جلس على فروة بيضاء (أي: على الحشيش اليابس) تحول لونها إلى خضراء، والله أعلم.

﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾: الرحمة: قيل: الوحي، والكرامة، والمنزلة، والصّلاح، وقيل: درجة النبوة.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾: وعلمناه بعضاً من علم الغيب الخاص به.

﴿مِمَّا لَدُنَّا﴾: لدن: بمعنى: عند، ولكنها أقرب مكاناً، وأبلغ، وأخص من عندنا. انظر كيف استعمل رحمة من عندنا، وعلمناه من لدنا علماً. وانظر إلى الفرق بين من لدنا، ومن عندنا، أو منا.

من لدنا: تستعمل للشيء الخاص الذي يراد إعطاؤه لشخص مقرب إلى الله تعالى؛ مثل: شيء من علم الغيب.



وأما منا: تستعمل للمؤمن، والكافر، والصالح، والطالح.

﴿عِلْمًا﴾: من علم الغيب من لدن الله عز وجل أوحاه الله تعالى إلى الخضر.

إذن كلمة من لدنا: أقرب، وأخص، وأبلغ من كلمة: من عندنا، وعندنا: أقرب من كلمة: منا، وقد وردت كلمة من لدنا في القرآن في سبع عشرة آية؛ كلها جاءت في سياق الرحمة، واللين، والهبة، والإيتاء، والعطاء الخاص.

[٦٦] ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾:

﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾: استفهام يفيد العرض.

﴿أَتَّبِعُكَ﴾: بالتشديد بدلاً من أتبعك؛ دلالة على شدة حرص موسى على المتابعة، أو المبالغة في الاتباع، والاجتهاد، والسؤال هنا: ماذا حدث لفتى موسى يوشع بعد ذلك؟ لم يخبرنا القرآن بشيء عنه.

﴿عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ﴾: أن: حرف مصدري يفيد التوكيد؛ أي: ليس له غرض آخر غير طلب العلم؛ فهو لا يريد مال، ولا جاه من هذا الاتباع. على: تفيد تحديد المطلوب، والإخلاص في العلم.

﴿مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾: مما: من: ابتدائية بعبية؛ ما: بمعنى: الذي، أو مصدرية؛ أي: أن تعلمني بعضاً مما عندك من العلم.

مما علمت رشدًا: علماً ذا رشد، أو علماً يؤدي إلى الرشد مما علمك الله سبحانه، وتعلمن حذف منها الياء، ولم يقل: تعلمني؛ لأن ما سيتعلمه موسى من الخضر علم قليل مهما طالَّت صحبتها.



﴿رُشْدًا﴾: ولم يقل: رَشْدًا. لمعرفة الفرق: رُشْدًا: مما يهدي إلى الأصلاح، والأفضل في الأمور الدنيوية، والأخروية.

أما رَشْدًا: مما يهدي إلى الحق، والخير، والصواب في الأمور الأخروية فقط؛ فالرُشد أعم من الرشد.

[٦٧] ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾:

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن﴾: قال العبد الصالح لموسى: إِنَّكَ: للتوكيد؛ لن: لنفي المستقبل القريب، أو البعيد. والسؤال هنا كيف علم الرجل الصالح (الخضر) أن موسى لن يستطيع معه صبراً؟ ربما يكون ما فعله موسى سابقاً من البطش بالقبطي، وعدم تربيته في القتل.

﴿تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾: في هذه الآية ينبه العبد الصالح موسى ﷺ إلى طبيعة ما سيتعلم منه من علم بواطن الأمور، وموسى ليس عنده علم بها، وكأنه يخبره بكل تأكيد أنه لن يستطيع أن يصبر على ما سيراه من صنع العبد الصالح من أفعال لا يفهم أو يعرف مرادها بالتسرع بالسؤال عنها، أو الإنكار. ولم يقل لموسى إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ صَبْرًا، بل قيد صبر موسى فقال معي؛ أي: ما دمت في صحبتي سينفذ صبرك مهما حاولت، أما دون ذلك موسى ﷺ نبي، ومن سمات النبي الصبر؛ أي: تصبر في الأمور الأخرى، ولذلك لم يقيد صبر موسى ولم يقل إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ صَبْرًا.



[٦٨] ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾:

﴿وَكَيْفَ﴾: استفهام يفيد الاستبعاد؛ استبعاد أن يصبر موسى على ما سيراه من فعل العبد الصّالح.

[٦٩] ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾:

قال موسى: ستجدني: السّين: للاستقبال القريب.

﴿إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾: ولم يقل من الصّابرين، وفي هذه الآية أربعة أمور:

الأمر الأوّل: وعد موسى ﷺ العبد الصّالح بالصّبر، وعلق الصّبر بمشيئة الله؛ فقال: إن شاء الله: إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو الشّك في كونه سيصبر.

الأمر الثّاني: قرن الوعد بالرّضا، وعدم العصيان؛ لأنّ الإنسان قد يكون صابراً، وغير راض عما يحدث، أو مُكرهاً على الصّبر.

الأمر الثّالث: صابراً، ولم يقل من الصّابرين - جاء بصيغة المفرد - ولم يأت بصيغة الجمع التي هي أفضل لبركة الجماعة، وأكثر حظاً في القبول مقارنة بدعاء إسماعيل حين أراد تله للجبين قال: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصّابِرِينَ﴾

[الضّافات: ١٠٢].

الأمر الرّابع: قول موسى ﷺ للعبد الصّالح: ولا أعصي لك أمراً؛ دليلاً على تواضع موسى ﷺ رغم أنّه كان نبي زمانه ورسولاً إلى بني إسرائيل، ومن أولي العزم.



[٧٠] ﴿قَالَ فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾:

﴿قَالَ فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي﴾: قال العبد الصالح لموسى: فإن اتبعتني: إن شرطية تفيد الاحتمال، أو الشك.

﴿أَتَبَعْتَنِي﴾: صاحبتي، هناك شرط فلا تسألني عن شيء حتى أنا أخبرك به.

﴿فَلَا تَسْأَلْنِي﴾: فلا: الفاء: للتوكيد؛ لا: الناهية.

﴿تَسْأَلْنِي﴾: عن أي شيء أفعله (شيء: نكرة مهما كان).

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية نهاية الغاية؛ أي: حتى أنتهي من فعله.

﴿أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾: حتى أكون أنا الذي أخبرك، وأبين لك الشيء، وإياك وعدم الصبر، وقبل موسى شروط العبد الصالح.

[٧١] ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾:

﴿فَانْطَلَقَا﴾: الفاء: تدل على الترتيب، والمباشرة؛ انطلقا: سارا معاً

موسى ﷺ، والعبد الصالح على ساحل البحر ينتظران السفينة؛ ليركبا فيها. ولم يعد هناك ذكراً لفتى موسى ويبدو أنه لم ينطلق معهما حيث أنه لم يقل فانطلقوا.

﴿حَتَّى﴾: حتى: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: ظرفية استعملت للزمن الماضي وغالباً ما تكون للمستقبل وقد

تستخدم للحال والماضي والاستمرار، وجاءت إذا للماضي في الآيات (٧٤)،

(٧٧، ٨٦، ٩٠، ٩٣، ٩٦).

﴿رَكِبَ فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾: الخرق: يكون عرضاً، والشَّق يكون طولاً؛ خرقها: اقتلع العبد الصَّالح لوحاً، أو لوحين من مقدمتها.

﴿قَالَ أَخَرَقْنَاهُ لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾: قال موسى للعبد الصَّالح: أخرقتها: الهمزة همزة استفهام إنكار وتعجب.

﴿لِنُغْرِقَ﴾: اللام: لام التعليل.

﴿أَهْلَهَا﴾: أصحابها.

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق.

﴿جِئْتُ شَيْئًا إِمْرًا﴾: جئت: أي: قمت بشيء عظيم بالغ الضرر لا يقوم به ذي عقل ليعرض حياة الآخرين للخطر.

﴿إِمْرًا﴾: من أمر الأمر؛ أي: عظم، وكبر؛ أي: أمراً عظيماً بالغ الضرر.

[٧٢] ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾:

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ﴾: قال العبد الصَّالح لموسى: ألم: الهمزة استفهام إنكاري؛ لم: حرف نفي.

﴿إِنَّكَ﴾: للتوكيد. ولم يقل: ألم أقل لك إنك (كما في الآية ٧٥ من نفس السورة)، فما الفائدة من إضافة لك؟ اللام: للاختصاص، وتفيد التلطف والوعظ، وتحته على مزيد من الصبر.

﴿لَنْ﴾: لنفي المستقبل القريب، والبعيد.



﴿تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾: أي: ألم أحذركَ بأنَّكَ لن تستطيع معي صبراً، وكان هذا هو الإنذار الأوَّل.

[٧٣] ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾:

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾: قال موسى معذراً من العبد الصَّالح: لا تؤاخذني بما نسيت: الباء: للتعليل بسبب نسياني، والنسيان يرفع المؤاخذه، والنسيان هنا قد يكون حقيقة هو نسي العهد بينهما على عدم السؤال، وانتظار العبد الصَّالح أن يُبين له لماذا فعل ذلك، أو النسيان عن عمد وقصد، وعدم الالتزام بما عاهد عليه؛ أي: تركه العهد، أو بما نسيت، أو مجرد عذر اعتذر به، وهو لم ينسى، والله أعلم.

﴿وَلَا﴾: تكرر لا تفيد التوكيد، وفصل كلا الأمرين عدم المؤاخذه، وعدم الإرهاق.

﴿تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾: ترهقني: من أرهقه؛ أي: غشاه؛ أي: لا تحملني من أمر اتباعك عُسراً ومشقة، أو لا تعاملني بالعسر، والتضييق يكفيني ما أعانيه.

[٧٤] ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ، قَالَ أَقْتَلْتَنِي بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾:

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا﴾: ارجع إلى الآية (٧١).

﴿لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾: أي: قتل العبد الصَّالح الغلام، والفاء: تدل على المباشرة مجرد ما لقيه قتله، ولم يُبين كيف قتله، أو ماذا استعمل لقتله.

﴿غُلَامًا﴾: نكرة غير معروف لقياه في الطريق، بينما قال في الآية (٧١) ركبا

في السَّفِينَةِ عرف السَّفِينَةِ؛ لأنَّ الخضر كان يعرف أصحاب السَّفِينَةِ، أمَّا الغلام؛ فكان غير معروف للخضر لقياءه في الطريق.

﴿قَالَ أَفَلَنْتَ﴾: قال موسى للعبد الصَّالح: أقتلت: الهمزة: همزة استفهام، وإنكار.

﴿نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: نفساً طاهرة من الذُّنُوب لم تبلغ سن الحلم، أو بريئة لم تفعل ما يوجب قتلها؛ أي: لم يكن قتلها قصاص، أو حق.

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾: لقد قمت بجريمة بشعة تنكرها العقول، والأعراف. لقد: اللام للتوكيد، وقد: للتحقيق والتوكيد.

﴿نُكْرًا﴾: أسوء، وأشدَّ بشاعة، وهولاً أنكر من الأول؛ أي: من إمرأ، أو شيئاً تنكره العقول شيء غريب في ظاهره خطأ يدعو للدهشة والغضب والإنكار في عقول البشر (ميزان البشر) لجهلهم الحقيقة وما فعله الرجل الصالح (الخضر) هو صحيح وصواب في ميزان الله تعالى.

وهناك من قال: إمرأ أشدَّ هولاً، وعاقبة من نكراً؛ لأنَّ خرق السَّفِينَةِ يؤدي إلى غرق كلِّ من عليها؛ أي: الكثير، وأما قتل الغلام؛ فهو واحد فقط.

وهناك فرق بين نُكْرًا ومنكَّر: المنكر: هو ينكره الشرع، ويحرمه الله، وهو باطل وإن رضي الناس به.

أما نُكْرًا: ما تنكره العقول، وقد يكون في ميزان الله حق وصواب.



البقرة السابعة عشر

سورة الكهف ١٨



﴿٧٥﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ
 سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا
 ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا
 أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ
 قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي
 وَبَيْنَكَ ۖ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أَوْيَلَ مَالَهُمُ تَسْتَطِيعُ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا
 السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا
 وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ
 فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا
 ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا
 ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ
 تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا
 أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ وَمَا فَعَلْتُهُ
 عَنْ أَمْرِئٍ ذَلِكُ ۖ فَأَوِيْلُ مَالَهُمُ تَسْتَطِيعُ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ
 عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

سورة الكهف [الآيات ٧٥ - ٨٣]

[٧٥] ﴿قَالَ الرَّاقِلُ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾:

هذه الآية تشبه الآية السابقة (٧٢)، وإنما أضاف كلمة لك؛ لأن الإنكار من قبل العبد الصالح أشد، أو اشتد لعدم صبر موسى ﷺ؛ فهو قد نقض العهد مرتين.

[٧٦] ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّجْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾:

﴿قَالَ إِنْ﴾: قال موسى للعبد الصالح، وهو يعتذر إليه: هذه هي المرة الأخيرة أفعّلها.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال، والشك.

﴿سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾: شيء: نكرة. سألتك عن أي شيء مهما كان بعد هذه المرة.

﴿فَلَا تُصَحِّجْنِي﴾: فلا: الفاء: للتوكيد؛ لا: الناهية.

﴿تُصَحِّجْنِي﴾: في سفرك؛ أي: فارقني، وتخلّني عني.

﴿قَدْ﴾: للتوكيد، والتّحقيق.

﴿بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾: أي: ليس لي عُذر بعد هذه المرة الثالثة؛ فقد أعذرتني الكفاية.

﴿لَدُنِّي﴾: أصلها لَدُنِّي: بفتح اللام، وتسكين الدال. هذا هو الأصل. لَدُنِّي: أشد توكيداً؛ لإضافة النون تشمل كلا الطرفين القائل والمخاطب، وكأن موسى



يقول للعبد الصالح: لقد صبرت علي كفاية، وألححت عليك في السؤال، أو قد وصلت إلى العذر الذي يبيح قطع الصحبة وشبه العذر بمكان يُقصد وهو النهاية. [٧٧] ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَاذْبَوْنَا أَن يُضَيِّقُوا هُمَا فَوَجَدَا فِيهَا حِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنْقُضَ فَاقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتُ لَنَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾:

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا﴾: ارجع إلى الآية (٧١).

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية.

﴿أَنِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾: قدما إلى قرية لم يُبين اسم هذه القرية، والقرية تعني: إحدى ضواحي المدينة، وهي عبارة عن تجمع سكاني، وإذا اتسعت القرية تسمى مدينة. ارجع إلى الآية (٨٢) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا﴾: الألف، والسّين تعني الطلب؛ أي: طلبا الطعام من أهل القرية، ويبدو أنّهما كانا جائعين، وعليك أن تتصور هذا المشهد العظيم أقرب عبيد إلى الله تعالى في ذلك الزّمان فقيرين جائعين موسى، والعبد الصّالح يقفان على كلّ باب يسألان الطّعام دون أن يجدا أحداً يقدم لهما رغيف خبز، أو شربة ماء.

﴿فَاذْبَوْنَا أَن يُضَيِّقُوا هُمَا﴾: رفض أهل القرية اللّثام:

﴿أَن﴾: للتوكيد.

﴿يُضَيِّقُوا هُمَا﴾: مشتقة من كلمة أضاف؛ أي: أنزله ضيفا؛ أي: لم يمتنعوا فقط عن تقديم الطّعام لهما؛ كذلك رفضوا إيوائهما، ومعاملتها معاملة حسنة، ولك أن تتصور أليس الله سبحانه بقادر على أن يجعل أهل القرية يضيفوهما، أو هو سبحانه قادر على أن ينزل عليهم مائدة من السّماء، ولكن لم يفعل حتّى يُشعرنا بشدة الابتلاء الذي جرى لهما، وهما من أقرب النّاس إليه سبحانه.

﴿فَوَجَدَا فِيهَا حِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنْقُضَ﴾: أي: قارب على الانهيار، رأى العبد

الصَّالِح فيه علامات التصدع، والميلان، وقوله تعالى: يريد أن ينقض؛ كأن للجدار عقلاً، أو شبه الجدار بالإنسان، ولا غرابة في هذا التشبيه؛ لأنَّ الله سبحانه أخبرنا بأنَّ كلَّ شيء يسبح بحمده، ويعبد الله تعالى، ولكننا لا نفقه صلاتهم، ولا تسييحهم.

﴿فَأَقَامَهُ﴾: أي: أصلحه، وأعاد بناءه، وكأنَّ العبد الصَّالِح بناءً، أو مهندساً في البناء، وكما سنعلم في الآيات القادمة أقامه بحيث ينقض مرة أخرى بعد عدة سنوات حين يبلغ اليتيمان سن الرشد؛ فيعثران على الكنز الذي تحت الجدار، ولم يقيم الجدار لسنوات طويلة؛ فلا ينقض، وعندها لا يستطيعان استخراج كنزهما، وهذا عمل خارق للعادة؛ حيث بناه بحيث ينقض بعد أن يبلغا سن الرشد.

﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾: قال موسى للعبد الصَّالِح:

﴿لَوْ﴾: شرطية.

﴿شِئْتَ﴾: أردت، أو طلبت أجراً على إقامته؛ لأنَّ أهل القرية لا يستحقون هذا المعروف؛ لكونهم رفضوا إطعامهم، وإيوائهم. قال لاتخذت عليه أجراً، ولم يقل لأخذت عليه أجراً؛ أي: لو حاولت وكلفت نفسك، وأجهدت نفسك بطلب الأجر لحصلت عليه، وموسى ﷺ لا يعلم الحكمة من إقامة الجدار عندئذٍ.

[٧٨] ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أَوْيَلَ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾:

﴿قَالَ﴾: العبد الصَّالِح:

﴿هَذَا﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة يدل على القرب، ويشير إلى عدم صبر موسى عند إقامة الجدار، وتكرار عدم الوفاء بعهده أن يبقى صامتاً حتى يخبره بما وراء ذلك، وقول موسى سابقاً: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني مما دفع العبد الصَّالِح أن يقول لموسى:



﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾: حان وقت الفراق، وأن يترك كلُّ منا الآخر؛ أي: انتهت صحبتنا.

﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾: أي: سأخبرك الآن بحقيقة هذه الأفعال التي لم تستطع عليها صبراً، والسَّين: للاستقبال القريب؛ أي: الآن، والنبأ: يعني: الخبر العظيم.

﴿يَأْوِيلُ مَا لَمْ﴾: التأويل: هو نقل ظاهر اللفظ أو الفعل إلى دلالة أخرى، أو معنى آخر، وقيل: هو تفسير، أو الحكمة من وراء ما فعلت، ولم تستطع عليه صبراً، أو أخبرك عن حقيقة الأمر، أو ما جرى من أفعال.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، أو مصدرية.

﴿لَمْ﴾: للنفي.

﴿تَسْتَطِعُ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾: بينما في الآية (٨٢): ما لم تستطع عليه صبراً.

تستطع: (زيادة التاء)؛ مقارنة بكلمة: تستطع (حذف التاء).

زيادة التاء، أو حذف التاء؛ ليتناسب مع الحدث، أو المقام؛ لأنَّ الحذف من الكلمة قد يكون أحياناً دلالة على حدث، أو أمر أقل أهمية، أو معنى مقارنة بعدم الحذف، أو الزيادة.

والزيادة في حروف الكلمة كما هي الحال هنا زيادة التاء يدل على مقام الشرح، والتفصيل، والتوسع، وحذف التاء يدل على أنَّ المقام مقام مفارقة، وانتهاء الصَّحبة، وضيق الوقت.

[٧٩] ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾:

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينَ﴾: أما: حرف تفصيل، وتوكيد.

﴿السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينَ﴾: لمساكين: اللام: لام الاختصاص،

والاستحقاق؛ لمساكين: جمع مسكين: وهو من يملك ما لا يكفيه، والفقير: من لا يملك شيئاً.

﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾: أي: مجال عملهم في البحر مثل الصيد، أو نقل الركاب، والبضائع.

﴿فَأَرَدْتُ﴾: المتكلم هو العبد الصالح.

﴿أَنْ﴾: للتوكيد.

﴿أَعْيَبَا﴾: ولم يقل أردت عيبيها، وإنما أعيبيها بخرقها؛ فهو ينسب العيب إلى نفسه، ولم ينسبه إلى الله تأديباً مع الله رغم أن ما قام به هو بأمر من الله تعالى؛ لقوله ما فعلته عن أمري، ولم يقل أردت عيبيها؛ أي: طلبت من أحد عيبيها.

وبين السبب، أو الحكمة من خرقها، وإحداث العيب فيها؛ لكي لا يستولي عليها الملك غضباً: ظلماً وقهراً إذا كانت صالحة للاستعمال، أو تبدو جيدة؛ فإحداث العيب فيها بخرقها تصبح غير مرغوب في الاستيلاء عليها، وتبقى في ملك هؤلاء المساكين الذين هم ينتفعون بها، وقيل: أن الماء لم يدخلها، ولم يغرق أهلها.

﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلَكٌ﴾: أي: أمامهم، وأمامهم قد تعني أمام، أو خلف، أو بعد.

﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾: أي: يستولي ظلماً، وعدواناً على كل سفينة صالحة.

[٨٠] ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾:

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا﴾: وأما: حرف تفصيل، وتوكيد.

﴿الْغُلَامُ﴾: الولد الذي لم يبلغ الحلم، أو سن التكليف.

﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا﴾: فخشيْنَا: الفاء: للتوكيد؛ خشينا: من الخشية:

الخشية خوف ممزوج بالشعور بالرهبة، والعلم بمصدر الخوف.



﴿أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾: أن: للتوكيد.

﴿يُرْهِقَهُمَا﴾: يرهق يغشى.

﴿طُفَيْنَا وَكُفِّرَا﴾: أي: يحملهما على الكفر، والضلال مما يؤدي في النهاية إلى هلاكهما لو بقي الغلام حياً؛ فإله سبحانه أطلع العبد الصالح على سز ذلك الغلام، وما سيحدث بأبويه في المستقبل لو بقي الغلام حياً، الأمر الذي يؤدي إلى هلاك الأبوين، والابن معاً، ولذلك أمر الله سبحانه العبد الصالح بقتل الغلام قبل سن البلوغ الأمر الذي يؤدي إلى نجاته من النار، وبالتالي نجاة أبويه من النار؛ فإله ينجو؛ فكل من يموت، أو يقتل قبل سن البلوغ مصيره الجنة، فقتل الغلام كان الهدف منه إدخاله الجنة، ولو قتله في ظاهر الأمر كان أمراً مروعاً، وغير مقبولاً بأي عرف من الأعراف.

انظر حين خرق السفينة نسب الفعل إلى نفسه، وكذلك حين قتل الغلام قال فقتله؛ لأن فعل القتل تم على يدي العبد الصالح، ولما أقام الجدار كذلك قال فأقامه، ولكنه لما ذكر الإرادة؛ فقد نسبها في خرق السفينة إلى نفسه قال: فأردت أن أعيها، ولما ذكر قتل الغلام قال: فأردنا أن يبدلها، ولما ذكر إقامة الجدار قال: فأراد ربك.

وذلك لأن إبدال الغلام بخير منه لا يمكن أن يتم إلا بالله؛ لأنها عملية تتطلب خلق (إبدال)، والعبد الصالح كان وسيلة فقط في القتل؛ فالقتل يتم على يد العبد الصالح؛ أي: لم ينسب الشر إلى الله تأديباً مع الله سبحانه ونسبه إلى نفسه، والإبدال بخير منه زكاة وأقرب رحماً يتم من الله سبحانه، ولذلك قال فأردنا. أمّا في قوله: فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما: فهذا أمر يختص به الله وحده سبحانه، وهو كلّ خير نسبة إلى الله تعالى، وأمّا في قوله: فأردت أن أعيها هذا أمرٌ أمر به الله العبد الصالح، ولكن العبد الصالح قال:

فأردت أن أعيبها؛ لكي لا ينسب العيب إلى الله سبحانه تأدباً مع الله تعالى نسبه إلى نفسه.

[٨١] ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾:

﴿فَأَرَدْنَا﴾: الفاء: للترتيب والتعقيب؛ أردنا: نسب الإرادة إلى الله تعالى فهو الأمر والنهي، ونسب الإرادة إليه؛ لأنه قام بالقتل بأمر من الله تعالى. ارجع إلى الآية السابقة.

﴿أَنْ﴾: أن: تفيد التعليل.

﴿يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾: الإبدال: هو رفع الشيء، ووضع شيئاً آخر مكانه، وهنا تعني: إبدال الغلام بغلام آخر خيراً منه؛ أي: يرزقهما الله ولداً صالحاً خيراً منه ديناً.

﴿خَيْرًا مِمَّنْهُ زَكَاةً﴾: أي: أطهر، وأصلح، وأتقى.

﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾: أوصل للرحم، وأبر للوالدين بالعطف، والحنان، وعدم دفعهما إلى الطغيان، والكفر.

[٨٢] ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: الواو: عاطفة؛ أما: للتفصيل، والتوكيد.

﴿لِغُلَامَيْنِ﴾: اللام: لام الاختصاص، والملكية، أو الاستحقاق.

﴿يَتِيمَيْنِ﴾: واليتيم من فقد أباه قبل سن البلوغ، ويبدو أنهما توأمين؛ لأن السياق يشير إلى ذلك.

﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾: وفي الآية (٧٧) قال قرية حتى إذا أتيا أهل قرية وفي هذه



الآية في المدينة، القرية إذا اتسعت تسمى مدينة، ولا تعارض بين الآية (٧٧) والآية (٨٢)؛ فقد يكون الغلامين يعيشان في المدينة، والكنز الذي لهما في قرية؟ والله أعلم.

﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾: أي: تحت الجدار الذي يريد أن ينقض كنز لهما؛ أي: مال (كالذهب، والفضة... وغيرها).

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾: أي: كرامة لكونه صالحاً (ولم يذكر شيئاً عن صلاح اليتيمين فهما لا يزالان صغيرين).

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾: فأراد: الإرادة هنا تعود على الله سبحانه وحده، والعمل هنا كله خير ونسبه إلى الله؛ أي: الخير خالص لله.

﴿يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾: ومعنى الأشد: قيل: هو أن يصبح المرء قادراً على إنجاب مثله، أو سن الرشد؛ فالرشد: حسن التصرف في الأمور، أما الأشد: القوة الجسمية.

﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ﴾: يستخرجا كنزهما بما لديهما من قوة، وفتوة بأنفسهما.

﴿رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ﴾: حماية لكنزهما، وحفظ حقهما.

﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ﴾: وما: النافية. اعتراف من العبد الصالح أن كل ما فعله من أفعال كان بأمر من الله تعالى، وليس له أي: تدخل، أو رأي.

﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾: ذلك: اسم إشارة يشير إلى تفسير، وتأويل للخرق، والقتل، وإقامة الجدار؛ الأمور التي لم تستطع أن تصبر حتى أخبرك بها، وكلها من علوم الغيب لا يعلمها إلا الله وحده.

[٨٣] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾: الواو: هنا تدل على أن كفار مكة سألو رسول الله عدة أسئلة

وهي عن أصحاب الكهف، والساعة، وذي القرنين، ولو سألوه عن أمر واحد فقط لقال تعالى: يسألونك بدون واو. ارجع إلى الآية (٢١٥) من سورة البقرة؛ للبيان، أو سورة الإسراء، آية (٨٥).

﴿عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾: من هو ذي القرنين؟ غير معروف، وحسب أفضل الروايات كان ملكاً صالحاً عابداً لله، ولما سئل ابن عباس عن ذي القرنين قال: هو من حمير، وهو الصعب بن مرثد، وسمي ذي القرنين؛ أي: ذي الملك الواسع من المشرق إلى المغرب، فالمشرق قرن والمغرب قرن؛ أي: كناية عن ملكه الواسع؛ أي: المالك للمشرق والمغرب.

﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾: قل لهم يا محمد: سأتلو: السنين للاستقبال القريب؛ أتلوا: من التلاوة، وهي القراءة من كتاب الله (القرآن، أو الكتب المنزلة)، التلاوة لا تكون إلا من الكتب المنزلة، والقراءة تكون من أي صفحة، أو كتاب ولها أجر.

﴿مِنْهُ﴾: من هنا بعضية؛ أي: بعض أخباره، أو شأنه، وهم لا يسألون عن ذاته كشخص.

وجاء بصيغة المضارع؛ لاستحضار الصورة الماضية إلى الحاضر؛ فيشاهدوا غرابة ما حدث، وهذا ما نسميه (حكاية الحال).





سُورَةُ الْكَافِرَاتِ ١٨

الجزء الثامن عشر

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا ﴿٨٤﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا
 حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ
 وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا الْقَارِئِينَ إِنَّمَا أَنْتُمْ مُنَادُونَ وَإِنَّا
 فِيهِمْ خُسَنَاءٌ ﴿٨٥﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ
 فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ﴿٨٦﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ
 الْحَسَنُ وَنَسْنَقُوهُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ نَائِسِرًا ﴿٨٧﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٨﴾ حَتَّىٰ
 إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ
 دُونِهَا سَبِيلًا ﴿٨٩﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩٠﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ
 سَبَبًا ﴿٩١﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا
 لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٢﴾ قَالُوا يَا الْقَارِئِينَ إِنَّا يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ
 مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
 سَدًّا ﴿٩٣﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ
 وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٤﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ
 قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا
 ﴿٩٥﴾ فَمَا اسْطُغُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٦﴾

سورة الكهف [الآيات ٨٤ - ٩٧]

[٨٤] ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾:

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾: إنا: جاءت بصيغة التّعظيم، وترجع إلى الله سبحانه. ﴿مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾: هيأنا له أسباب التّمكن؛ لإقامة، وإظهار دين الله تعالى؛ فهذه هي غاية التّمكن، ومن أسباب التّمكن القدرة، والعلم، والملك، والحكم.

﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾: الإيتاء: هو العطاء بدون تملك؛ أي: يمكن استرداد ما أُعطي. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩).

﴿مِنْ﴾: من كلّ شيء يصلح به أمره أو يحتاجه، ولا تعني من الاستغراقية، بل تعني: أتيناها الكثير من الأشياء.

﴿كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾: ما يحتاج من القوة، والعلم، والجنود، والوسائل، أو كلّ شيء يحتاج إليه للوصول إلى ما يريده من التّمكن (القدرة، والطّاقة، والعلم، والإرادة).

﴿شَيْءٍ﴾: نكرة تشمل كلّ شيء، والسّبب: أصله الجبل الذي يستعمل للوصول إلى شيء ما، ويعني: الوسيلة التي توصله إلى ما يريده، أو الهدف، أو السّبب يحتاج إليه في حدوث المسبب.

وسمّي الجبل سبباً؛ لأنّه يتوصل به إلى إخراج الماء من البئر، وأما عند أهل الأصول: هو الذي يلزم من وجوده الوجود، ومن عدمه العدم، والسبب في القرآن له معان عدة منها:



(١) العلم والقوة والوسيلة التي يحتاج إليها للوصول إلى الغاية كما في الآية (٨٤).

(٢) الطريق أو المنزل والمسلك كما في الآية (٨٥).

(٣) الأسباب جمع سبب، وتعني: الأبواب؛ أي: أبواب السموات كما في سورة ص آية (١٠).

(٤) والسبب قد يعني: الحبل، كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ يَدُهُ عُتَقَ لِنَفْسِهِ فَإِنَّ رِجْلَهُ شَاكِلَةٌ لَهُ فَإِنَّ يَدَهُ شَاكِلَةٌ لَهُ﴾ [الحج: ١٥].

(٥) وقد تعني الأسباب: الأرحام والقرباة وصلات الوصال والمودة والروابط التي كانت تجمعهم في الدنيا، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

[٨٥] ﴿فَأَنْعَ سَبَبًا﴾:

﴿فَأَنْعَ﴾: وقرئت فتبع سبباً؛ الفاء: للترتيب، والتعقيب، والمباشرة؛ أي: اتبع سبباً بعد سبب؛ سلك طريقاً باتجاه الغرب.

وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٨٩) والآية (٩٢): ﴿ثُمَّ أَنْعَ سَبَبًا﴾: ثم تفيد الترتيب، والتراخي في الزمن؛ أي: بعد مدة أطول؛ لأن بين كل حملة، وحملة (حملة إلى المغرب، وحملة إلى المشرق تحتاج إلى زمن طويل)، ولذلك استعمل ثم حين توجه إلى مطلع الشمس، وإلى ذهابه إلى بين السدين.

[٨٦] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾:

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: حتى: حرف يشير على نهاية الغاية.



﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية.

﴿بَلَغَ﴾: وصل.

﴿مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾: سلك طريقاً باتجاه الغرب، وسار إلى أن انتهت به الأرض اليابسة المعمورة من حافة بحر، أو محيط، ورأى الشمس تغرب: تغيب.

﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: أي: تغيب عند ساحل البحر، أو المحيط، وقيل: الأطلسي في المغرب، وكان يسمى بحر الظلمات، وقيل غيره من الأمكنة، وكأنها تختفي في عين حمئة، أو كأنها تنطفئ عندها، والعين الحمئة: العين الدافئة، والمليئة بالطين؛ طين أسود يشكل ساحل البحر، أو المحيط، وحمئة: مؤنث حمى، وهذه رؤية بحسب الظاهر، ولا بحسب الحقيقة العلمية؛ فقد كان هذا مبلغ علمهم آنذاك؛ فالشمس لا تغيب أبداً، وإنما تستمر في الدوران على ناحية الكرة الأرضية المقابلة حيث تغرب على أرض، أو قوم، وتشرق على أرض، أو قوم آخرين، ويتعذر تحديد هذا المكان، وليس مهم ذلك.

﴿وَوَجَدَ عَنْهَا قَوْمًا﴾: وجد عند ذلك المكان الذي ظن أن الشمس تغيب فيه.

﴿قَوْمًا﴾: جماعة من الناس، ويبدو أنهم كانوا قوماً كافرين.

﴿فَلَنَأْيِذَ الْقَرْنَينِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾: يبدو أنه فكر، وسأل، أو دعا ربه ماذا أفعل

بهم.

﴿قُلْنَا﴾: أي: ألهمناه (بالإلهام) بدعوتهم إلى الإيمان بالله.

﴿إِمَّا﴾: تفصيل وتخيير.

﴿أَنْ﴾: للتعليل، والتوكيد.

﴿تُعَذِّبَ﴾: أي: تدعوهم إلى الإيمان، والإسلام؛ فمن رفض تعذبه بالأسر

أو السجن.



﴿وَأَمَّا أَنْ نَلْخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾: وإما: حرف تفصيل، أو تخيير.

﴿حُسْنًا﴾: قيل: بالإحسان إليهم بالعفو.

وفي الآية: إيماء إلى ترجيح اتخاذ الأحسن معهم؛ أي: الحلم بهم، والصبر، وقدم التعذيب؛ لأنهم يبدو أنهم تمادوا في غيهم، وظلمهم، أو لكثرة عدد الظالمين.

[٨٧] ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾:

﴿قَالَ﴾: ذو القرنين.

﴿أَمَّا﴾: حرف تفضيل.

﴿مَنْ﴾: اسم موصول بمعنى: الذي.

﴿ظَلَمَ﴾: أشرك، أو كفر، وأصر على الشرك، والكفر، والفساد، ولم يتب.

﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾: بالأسر، أو السجن وغيره من أنواع العذاب، واستعمال سوف يفيد الاستقبال البعيد، والتراخي في الزمن؛ أي: نعطيه مهلة زمنية؛ لكي يتوب ويؤمن.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتراخي أيضاً في الزمن؛ أي: يوم القيامة.

﴿يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾: بعد البعث.

﴿فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾: أي: بالنار. ووصفه بنكراً؛ لأنه في عقل الكافر وميزانه عندما يسمع به عذاباً شديداً تنكره العقول، ولكن في الحقيقة هو عدل، وما يستحقه الكافر في ميزان الله.

﴿نُكْرًا﴾: عذاباً فظيلاً، ونكراً: هو العذاب الذي ينكره الإنسان؛ أي: يبهته، ولا يظن أنه سيقع، أو يجهل شدته، ويُنكر حدوثه.

[٨٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُسْرًا﴾:

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: وأمّا: حرف تفصيل، وتخيير؛ من: ابتدائية استغرافية.

﴿فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾: الحسنَى قيل: الجنة جزاءً على إيمانه، وصالح أعماله، والحُسنى: قد تكون في الدنيا أيضاً، والحسنَى: مؤنث الأحسن. ﴿وَسَنَقُولُ﴾: السّين: للاستقبال القريب.

﴿لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُسْرًا﴾: نعامله باليسر، والقول الطّيب، ولم يقل: سنجازيه، أو أجزيه؛ لأنّ الجزاء بيد الله سبحانه وحده. [٨٩] ﴿ثُمَّ أُنْعِمُ سَبِيًّا﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للتراخي في الزمن.

﴿أُنْعِمُ سَبِيًّا﴾: ثمّ سلك طريقاً آخر باتجاه المشرق حتّى وصل إلى مكان شروق الشمس، كما ظن أنّه وصل إلى مغرب الشمس في الآية (٨٤)، والحقيقة: أنّ الشمس تدور حول الأرض تشرق في مكان، وتغرب في مكان آخر، وليس كما كان يتصور ذو القرنين.

[٩٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجدهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾:

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ﴾: ارجع إلى الآية (٨٦).

﴿مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾: أي: بقي سائر باتجاه الشرق حتّى وصل إلى مكان رأى الشمس تشرق منه؛ فظن ليس وراء هذا المكان شيئاً آخر؛ حيث لا يعلم أنّ الأرض كروية الشكل، وقيل: كان هذا المكان في قارة أفريقيا (وتحديد هذا المكان متعذر).



﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾: السّتر: هو الحاجز، أو المانع.

﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُم﴾: من دونها؛ أي: من الشّمس؛ أي: قوم عراة ليس عندهم ما يسترهم من الشّمس مثل البيوت، أو الثياب.

[٩١] ﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾:

﴿كَذَلِكَ﴾: تعني: إما كما بلغ مغرب الشّمس بلغ مطلعها على حسب ظنه، أو تعني: كما وجد عند مغرب الشّمس قوماً وجد عند مطلع الشّمس قوماً، وطبق عليهم نفس الدّعوة، والحكم، كما فعل بالقوم السّابقين الّذي وجدهم عند مغرب الشّمس.

﴿وَقَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾: علمنا بما لديه من قوة، وأسباب مادية، وجنود، وما لاقاه من المشاق، علمنا بخفائيه، وظواهره (نواياه، وأفعاله) على مر الزّمن.

[٩٢] ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا﴾:

ثم بعد فترة من الزّمن سلك طريقاً آخر متجهاً إلى الشّمال، أو ما بين السّدين.

[٩٣] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾:

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ﴾: ارجع إلى الآية (٨٦)؛ أي: وصل إلى الأرض ما بين الجبلين.

﴿بَيْنَ السَّدَيْنِ﴾: السّد: الجبل، أو الحاجز؛ أي: بين الجبلين فتحة كالوادي بين جبلين، وقيل: الكثير عن موقع بين السدين من كونه السّد بين الجبلين موجود

في جمهورية جورجيا السوفيتية ما يسمى: فتحة داريال بجبال القوقاز، وهناك من ينكرون ذلك، والمهم ليس المكان بحد ذاته.

﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا﴾: أي: وجد أمام السّدين.

﴿قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾: أي: لا يفهمون لغة ذي القرنين، أو ما يقال لهم، وقوله تعالى: لا يكادون: تعني: لا يفهمون ما يقال لهم إلا بجهد، وبطء، وصعوبة.

[٩٤] ﴿قَالُوا يَذَّالْقَرْنَيْنِ إِنْ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾:

﴿قَالُوا يَذَّالْقَرْنَيْنِ﴾: أي: القوم الذين كانوا بين السّدين لا يكادون يفقهون قولاً (قالوا) بواسطة مترجم، أو أكثر كانوا مع ذي القرنين.

﴿إِنْ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾: هما قبيلتان من ملة يافث من ذرية نوح ﷺ كانوا يسكنون خلف السّد، وقيل: يأجوج من التتر، ومأجوج من المغول.

﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: بالقتل، والتّخريب، والإفساد.

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ﴾: هل: استفهام يفيد العرض.

﴿خَرْجًا﴾: أجراً من المال، أو جُعلاً من المال، والخراج: ما لزم أدائه.

﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾: أي: حاجزاً يمنعهم من الوصول إلينا؛ فقد كانوا يخرجون من الفتحة بين السّدين (الجبليين)، وكان مسكنهم وراء هذين السّدين (الجبليين).



[٩٥] ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾:

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾: قال ذو القرنين: ما مكني فيه ربي؛ أي: ما أعطاني ربي من المال، والملك، والعلم، وما أنا فيه من نعمة خير من الخراج الذي ستجمعونه لي لبناء السد، أو خير من خراجكم.

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾: فأعينوني: الفاء: للمباشرة؛ أي: ما أحتاج إليه حقيقة هو القوة البشرية التي تساعدني على إقامة السد (الردم).

﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾: هم طلبوا منه أن يبني لهم سداً، وهو اقترح أن يبني لهم ردماً؛ لأن الردم أفضل من السد، والردم: هو سداً له جدارين من الأمام، والخلف، وبينهما طبقات من الحديد، وهو أقوى مقاومة من السد للهزات الأرضية، وعوامل البيئة حيث تمتص طبقات السد: الصدمات الأرضية.

[٩٦] ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾:

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾: أحضروا إلي زبر الحديد: قطع الحديد الضخمة.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾: إذا: شرطية. الصدف: الجانب؛ أي: جانبي الجبل ساوئ: تساوياً في العلو، أو الارتفاع مع زبر الحديد المطبق بعضها فوق بعض.

﴿قَالَ انْفُخُوا﴾: أوقدوا النار بشدة؛ حتى تذاب صحائف الحديد، وبعد ذلك

قال:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾: حتى إذا أصبحت قطع الحديد حمراء كالنار قال أعطوني أو جيئوني بالقطر. قيل: هو النحاس المذاب، أو الرصاص حتى أصبه عليه؛ أي: الحديد المجمر.

[٩٧] ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء: للتوكيد؛ ما: النافية.

﴿اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾: أي: التسلق، والصعود عليه؛ لآته أملس ناعم، والعبور إلى الجهة الأخرى.

﴿وَمَا اسْتَطَعُوا﴾: ما: النافية؛ تكرار ما: لزيادة النفي، وفصل نفي النقب عن نفي التسلق عليه، أو كلاهما معاً، وأضاف تاء الافتعال في عملية النقب؛ أي: كل من حاول التسلق عليه، أو نقبه فشل أمثال قبيلة يأجوج ومأجوج.

﴿لَهُ نَقْبًا﴾: أي: وما استطاعوا خرقه، أو إحداث نقب فيه من صلابته، وسماكته؛ لكونه مصنوع من زبر الحديد والقطر (النحاس).

وإذا تأملنا هذه الآية: نجدها استعمل كلمة اسطاعوا، واستطاعوا: حذف التاء في الأولى، ثم جاء بها في الثانية، وتعليل حذف التاء، ثم الإتيان بها؛ ليتناسب مع الفعل؛ فهو قد استعمل اسطاعوا بحذف التاء؛ ليتناسب مع فعل عدم القدرة على التسلق، أو الصعود على السد، وهو الفعل الأخف، أو الأقل مشقة من النقب، وجاء بالتاء في استطاعوا؛ ليتناسب مع الفعل الأقوى، أو الأثقل: وهو النقب مقارنة بالصعود عليه.

زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى؛ الصعود على السد أهون من النقب؛ فاستعمل الفعل الأقل أحرفاً (اسطاعوا): للصعود، ومع النقب استعمل: (استطاعوا): الأكثر أحرفاً؛ لآته أصعب، وأشق.





سورة النحل ١٨

الجزء الثاني عشر



الجزء
٣١

قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرْضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

سورة الكهف [الآيات ٩٨ - ١١٠]

[٩٨] ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾:

﴿قَالَ هَذَا﴾: قال ذو القرنين لمن طلب منه بناء السّد.

﴿هَذَا﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة يشير إلى السّد، وتمكنه من بناء السّد.

﴿رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾: أي: أثر من آثار رحمة ربي عليكم أنّه سبحانه منع قوم يأجوج ومأجوج من الخروج من وراء السّد؛ فهو أسند النعمة إلى المنعم، ولم يسندها إلى نفسه.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: للتوكيد؛ إذا: ظرفية للزمن المستقبل.

﴿جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾: وهو يوم القيامة؛ أي: اقترب يوم القيامة، أو زمن خروج يأجوج ومأجوج قبل يوم القيامة؛ كعلامة من علامات الساعة الكبرى.

﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾: جعل السّد الذي بُني بالحديد والقطر دكاء: أرض مستوية؛ أي: سيتهدم ويتفتت، ويصبح مساوياً للأرض. قيل: دكاء مشتقة من ناقة دكاء، الناقة التي لا سنام لها.

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾: أي: كلّ ما وعد به ربي حقاً واقعاً ثابتاً لا محالة؛ أي: الساعة والقيامة، والثواب والعقاب، والجنة والنار.

[٩٩] ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾:

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: بعضهم: قد تعود إلى يأجوج ومأجوج، أو تعني: جميع الخلائق.



﴿يَوْمِذٍ﴾: قد تعني أولاً: يوم تم بنائه يموج بعضهم في بعض وراء السد لكثرتهم.

أو تعني ثانياً: يوم يخرجون (يأجوج ومأجوج) من السد قرب قيام الساعة، ويجعل الله السد دكاء يموج بعضهم في بعض قبل الساعة (خروج يأجوج ومأجوج من أمارات الساعة الكبرى).

أو تعني ثالثاً: بعضهم يومئذ يموج في بعض؛ أي: جميع الخلائق يومئذ تعني: يوم القيامة.

﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: شبههم من كثرتهم وتداخلهم فيما بينهم بأمواج البحر المتلاطمة أو المسابقة.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: أي: النفخة الثانية نفخة البعث.

﴿فَجَمَعْنَهُمْ جَمْعًا﴾: فجمعناهم: الفاء: للترتيب، والمباشرة، والتوكيد؛ جمعناهم: أي: الخلائق في مكان واحد، أو على صعيد واحد: وهي أرض المحشر؛ جمعنا أولهم وآخرهم، وإنسهم وجنهم. ﴿جَمْعًا﴾: للتوكيد.

[١٠٠] ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾:

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾: أحضرنا أو أظهرنا لهم جهنم ليروها بأعينهم.

﴿يَوْمِذٍ﴾: يوم القيامة؛ رؤية حسرة، وندامة، وفزع، ورعب، وخوف.

العرض: يكون لكل من عرض؛ أي: أظهر الشيء، وأبرزه ليراها المشتري كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣]، ﴿وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩١].

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿عَرَضًا﴾: للتوكيد، وبعد العرض والحساب: يتبعه الدّخول، والاستقرار فيها، وليس مجرد عرض ورؤية فقط، وهذا يكون للكافرين.

النّار تعرض عليهم؛ كقوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦].

وهم يعرضون على النّار؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

أي: هم يعرضون كالسلعة التي تعرض، وجهنم المشتري، أو جهنم السلعة: وهم المشترون. وهذا العرض ليزدادوا حسرة ويدعوا ثبوراً ويدعوا بالويل والهلاك.

[١٠١] ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾:

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾: الذين: اسم موصول يعود على الكافرين الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري.

﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾: في الدنيا.

﴿فِي غِطَاءٍ﴾: أي: مصابون بعمى البصيرة، أو في غشاوة لا يبصرون، ولا يرون ما حولهم من الآيات الدّالة على وجود الإله الحق.

﴿عَنْ ذِكْرِي﴾: عن القرآن، وعن آياتي، ووصف القرآن بالذكر، وأضاف إليه ياء المتكلم لتشريفه، وكونه منزل من عنده سبحانه.

﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾: كأنّ في آذانهم وقراً، أو صمم؛ لأنهم كانوا لا يريدون سماع آيات الله تعالى تتلى عليهم، وإذا سمعوها لا يتفعلون بسماعها؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦].



[١٠٢] ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾:

﴿أَفَحَسِبَ﴾: الهمزة: همزة استفهام، وتويع، وحسب: من الحساب؛ وهو التقدير، والحساب؛ أي: اعتقدوا اعتقاداً خاطئاً، أو باطلاً.

﴿أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾: مثل: الملائكة، أو عيسى بن مريم، أو الأنبياء.
﴿مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءَ﴾: من غيري أولياء يطلبون منهم العون، والنصرة، والمحبة.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾: هيأنا، واستعمال صيغة التعظيم تدل على شدة الإنذار.
﴿جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾: للكافرين: اللام: للاختصاص، والنزل: ما يُعد لإكرام الضيف من الطعام، والشراب، والإقامة، وهذا من قبيل التهكم، والسخرية.
[١٠٣] ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾:

﴿قُلْ هَلْ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ:
﴿هَلْ﴾: استفهام فيها معنى التعليم، والإرشاد، والجواب جاء في الآية (١٠٤).

﴿نُنَبِّئُكُمْ﴾: من النبأ: وهو الخبر العظيم؛ أي: نخبركم بخبر عظيم، وهام.
﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾: بالأخسرين: الباء: باء السببية؛ أي: من هم أخسر الناس؛ أي: أكثرهم خسارة يوم القيامة، والأخسرين: جمع أخسر؛ اسم تفضيل من خاسر، ويعني: أكثر خسارة لأعمالهم التي عملوها (من قول وفعل) في الدنيا. ارجع إلى سورة النساء آية (١١٩) لمزيد من البيان.



[١٠٤] ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾:

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: ضل يعني: بطل، وذهب هباء؛ حبط سعيهم يعني: حبطت أعمالهم التي عملوها، وسعوا إليها في الدنيا. ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾: هم: ضمير منفصل يفيد التوكيد.

﴿يَحْسَبُونَ﴾: يعتقدون أنهم يحسنون صنعا؛ يُجيدون العمل، ويعملون الأعمال الصالحة، ولا يدرون أن أعمالهم ستحبط وتذهب هباء منثوراً؛ لأنهم أشركوا بالله، وكفروا بآياته، ورسله، واتخذوا من دونه أولياء، وأبطلوا ثواب أعمالهم؛ فأصبحت ﴿كَرَّابٍ بَقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً﴾ [النور: ٣٩].

[١٠٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، ويفيد الذم.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: الآيات؛ سواء أكانت القرآنية، أم الكونية، أم المعجزات.

﴿وَلِقَائِهِ﴾: أي: لم يؤمنوا، ويصدقوا بالبعث، والحساب، والعرض على ربهم. واللقاء؛ يعني: الاجتماع مع الاتصال.

﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾: بطلت، وذهب ثوابها هباء منثوراً بسبب كفرهم، أو شركهم بالله تعالى يوم القيامة، ولكنهم يثابون عليها في دنياهم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢١٧)؛ لبيان معنى: الحبط.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد؛ لا: النافية.

﴿تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾: لهم: اللام: لام الاختصاص؛ أي: لا نقيم



لهم أي أهمية، أو قدراً، أو حظاً في الآخرة. روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة».

[١٠٦] ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ مَن جَهِنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلى إحباط أعمالهم، ولا نقيم لهم يوم القيامة وزناً.

﴿جَزَاءُ مَن جَهِنَّمَ﴾: وهنا نحن أمام احتمالين: الأول: جزاؤهم جهنم، والاحتمال الثاني: حذف واو الحالية، وتقديرها: وجزاؤهم جهنم.

﴿بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾: بما: الباء: باء السببية؛ أي: بسبب كفرهم؛ ما: اسم موصول بمعنى: الذي، أو مصدرية، وبسبب استهزاءهم بآيات الله ورسله. ارجع إلى سورة الزمر آية (٤٨) لبيان معنى الاستهزاء.

وفي الآية (٥٦) من سورة الكهف قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا آيَتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾؛ أي: ما أنذروا به من العذاب، والنار، وإذا قارنا بين الآيتين: الآية (٥٦)، والآية (١٠٢): نجد أنهم استهزأوا بالآيات في كلا الآيتين، واستهزأوا بالإنذار (بالعذاب أو النار) في الآية (٥٦)، واستهزأوا بالرسل (الأنبياء والرسل) في الآية (١٠٢)؛ فالأكثريه استهزأوا بالآيات، وقسم استهزأ بما أنذروا به، وقسم استهزأ بالرسل والأنبياء.

[١٠٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: إن: للتوكيد.

﴿آمَنُوا﴾: بالله، ولم يشركوا بالله شيئاً، وآمنوا بكتبه، ورسله، وملائكته، واليوم الآخر، وعملوا صالحاً.



﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: الفرائض والنوافل والعبادات القلبية كالذكر وتدبر القرآن وغيرها من الأعمال الصالحة.

﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾: لهم: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾: وهي أعلى الجنان درجة، كما قال ﷺ في حديث عن عبادة بن الصامت: «الجنة مئة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض الفردوس أعلاها ومنها تفجر أنهار الجنة فإذا سألتهم الله تعالى فاسألوه الفردوس» رواه البخاري وغيره.

﴿نُزُلًا﴾: النُّزْل ما يُهَيَّئ للضيف من الطَّعام، والشَّراب، والإقامة مكرمة له، وكل ما يُعد لإكرام الضَّيف.

[١٠٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾:

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: في جنات الفردوس؛ الخلود: استمرار البقاء إلى ما لا نهاية، ويبدأ من زمن دخولهم إياها.

﴿لَا يَبْغُونَ﴾: لا: النافية.

﴿يَبْغُونَ﴾: لا يطلبون، أو يلتمسون، أو لا يريدون عنها حِوَلًا.

﴿حِوَلًا﴾: الحِوَل: اسم مصدر من تحول؛ أي: لا يطلبون تحوَلًا عنها إلى غيرها لما فيها من النعيم، والسَّعادة.

[١٠٩] ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ.



﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي﴾: لو: شرطية. البحر: اسم جنس يشمل كل بحر أو محيط من البحار والمحيطات.

﴿مِدَادًا﴾: حبراً؛ أي: لو كان ماء البحر حبراً؛ لتكتب به كلمات ربي.

﴿لَنُفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِدَ كَلِمَتُ رَبِّي﴾: لنفد: السلام؛ للتوكيد؛ نفد: فنى، وذهب؛ أي: جف البحر، ولم تنتهي كتابة كلمات ربي، واللام في لنفد: للتوكيد.

﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾: أي: لو جئنا بمثل البحر أبحر أخرى؛ لنفد أيضاً.

﴿مَدَدًا﴾: زيادة، ولم يحددها بعدد. والمدد: كل شيء زاد في شيء.

وفي الآية (٢٧) من سورة لقمان قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾.

إذن: لا البحر، ولا البحران، ولا سبعة أبحر تكفي لكتابة كلمات ربي.

انتبه: إلى كلمة مِدَادًا في أول الآية، وكلمة مَدَدًا في نهاية الآية، هل هناك

فرق بينهما؟

مِدَادًا: في أول الآية تعني: الحبر.

مَدَدًا: في نهاية الآية تعني: الزيادة؛ كل شيء زاد في شيء يسمى: مَدَدًا.

[١١٠] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَنَافِثِينَ إِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا فَلْيَسْمَعْ أَصْوَابَهُمْ وَيَخِمْ عَلَيْهِمْ بِسُحُورٍ مُّزَيَّنٍّ﴾.

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد، والحصر.

﴿أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: أنا ليس ملك من الملائكة، وإنما بشر من جنسكم.

﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾: الوحي: هو الإعلام بالخفاء؛ أي: يُوحى إلي ربي عن طريق

جبريل ﷺ. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لبيان معنى: يوحى إلي.



﴿أَتَمَّا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾: أنما: للحصر، والتوكيد.

﴿إِلَهُكُمْ﴾: معبودكم.

﴿إِلَهُ وَاحِدٌ﴾: واحد: توكيد، واحد: لا يتجزأ لم يلد، ولم يولد، ليس له ولد. ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿مَنْ كَانَ﴾: فمن: الفاء: للتوكيد؛ من: شرطية استغراقية.

﴿يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾: ارجع إلى الآية (١٠٥) من نفس السورة؛ أي: يرجو: يأمل ثواب ربه؛ أي: جنته، أو يرجو لقاء ربه يوم القيامة، وهو راض عنه.

﴿فَلْيَعْمَلْ﴾: الفاء: للتوكيد، والمباشرة، واللام: للتوكيد، وقيل: لام الأمر، أو التعليل.

﴿عَمَلًا صَالِحًا﴾: يعمل أي: عمل صالحاً بإخلاص؛ موافقاً لكتاب الله وسنته.

﴿وَلَا يُشْرِكْ﴾: اللام: لام النّاهية.

﴿يُشْرِكْ﴾: لا يجعل مع الله شريكاً، أو ولداً، أو ولياً، أو يشرك شركاً ظاهراً، أو خفياً؛ لأن الشرك محبط للعمل الصالح.

﴿بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾: بعبادة: الباء: للإلصاق؛ مهما كان ملك، أو نبي، أو ولي. ولتعريف معنى العبادة: ارجع إلى سورة النحل، آية (٧٣)، وسورة البقرة، آية (٢١)، وسورة الأنبياء، آية (١٠٦).

﴿أَحَدًا﴾: للتوكيد.





سُورَةُ هُودٍ مَكِّيَّةٌ ١٩

الْبَيِّنَةُ الْبَيِّنَاتُ عَشْرًا

سُورَةُ هُودٍ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَيْعَصَ ﴿١﴾ ذَكَرْتُ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾
 إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ
 مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ
 شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ
 أُمْرَاتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ
 مِنْ عَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَزَكَرِيَّا
 إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا
 ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ أُمْرَاتِي
 عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ
 قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ
 شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا
 تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ
 مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾



سورة مريم [الآيات ١ - ١١]

ترتيبها في القرآن (١٩)، وترتيبها في النزول (٤٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿كَهَيَّعَ﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة.

[٢] ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾:

﴿ذَكَرْ﴾: أي: هذا الذي نذكره لك بعض من رحمة ربك لعبده زكريا.

﴿رَحِمَتْ رَبِّكَ﴾: بالتاء المفتوحة، ولم تأتِ بالتاء المربوطة (رحمة)؛ لأنها رحمة خاصة بزكريا، بأن وهب له يحيى، وكانت امرأته عاقراً، وقد بلغ من الكبر عتياً. أما رحمة: بالتاء المربوطة: فهي رحمة عامة لكل البشر، وهذا من خصائص القرآن.

رحمت ربك: الخطاب موجه إلى الرسول ﷺ.

﴿عَبْدَهُ﴾: هاء: الضمير تعود إلى الله سبحانه، وهذا تشریف لزكريا بكونه عبداً لله سبحانه.

﴿زَكَرِيَّا﴾: من ولد سليمان من داوود ﷺ، وزكريا كان زوجاً لخالة

مريم.



[٣] ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي؛ تعني: واذكر إذ نادى ربه.

﴿نَادَىٰ رَبَّهُ﴾: النداء: هو الدّعاء برفع الصوت؛ دعا ربه. وهناك فرق بين النداء والدعاء، والنداء: يكون برفع الصوت، وأما الدعاء: فيكون برفع الصوت أو خفضه.

﴿نِدَاءً خَفِيًّا﴾: نادى ربه رافعاً صوته وبشكل خفي؛ أي: لم يسمعه أحد من الناس.

[٤] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾:

﴿قَالَ﴾: زكريا.

﴿رَبِّ﴾: حذف ياء النداء، ولم يقل: يا رب؛ لأنه يعلم أنّ ربه سبحانه قريب منه، ويسمعه، وهو أقرب إليه من جبل الوريد قرب معنوي، وياء النداء تستعمل للبعد والتنبيه، وقال: رب، ولم يقل: يا الله؛ لأنّ ما سيطلبه أو يدعو الله ويتمناه هو عطاء من عطاء الربوبية (أن يرزقه الولد)، وأمّا (يا الله) فهي تستعمل في أمور العبادة والطّاعة.

﴿وَهَنَ الْعَظْمُ﴾: وهن العظم؛ أي: رق وضعف عظمه بسبب كبر سنه، وتقدمه في العمر، وهذا ما نسميه ترقق العظام، أو هشاشة العظم بسبب نقص الكالسيوم، وفيتامين (د)، وغيره من العوامل مثل نقص البروتينات التي تصيب النساء خاصة، والشيوخ، والكهول بشكل عام، وقد يكون المعنى: ضعفت حرّكته، وقلت بسبب عجزه.

﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾: شبه انتشار الشيب في رأسه كاشتعال النار في الحطب، وهذا دليل آخر على كبره، وتقدمه في السن. واشتعل: أي: انتشر الشيب في رأسه.

﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾: لم: حرف نفي؛ لنفي الحال عادة، واستعمل: لم أكن، ولم يقل: ولم أك؛ لأنه غير متيقن، ولا يعلم أن الله سيستجيب لدعائه، أم لا؛ فهو في أمل كبير، ولو قال: لم أك بدعائك؛ تدل على اليقين بالاستجابة لدعائه.

﴿شَقِيًّا﴾: وهذا يدل على أن الله سبحانه أكرمه سابقاً واستجاب له دعاءه، ولذلك قال: لم أكن بدعائك شقيًّا؛ لأن له سابقة استجابة، ويقال: شقي فلان: إذا لم ينل مراده، وتعب بالدعاء، ولم يستجب له، عندها يعتبر نفسه شقيًّا، والباء: للإلصاق، والاستمرار.

[٥] ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأَى وَكَانَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾:

﴿وَإِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿خِفْتُ﴾: من الخوف، والخوف: هو توقع الضرر المشكوك في وقوعه؛ الخوف: ناشئ عن كون مواليه غير كفء لحمل رسالته، ووراثته علمه، ونشر الدين.

﴿الْمَوَالِيَ﴾: الأقارب، وعادة تطلق على بني العم، والعصبة.

﴿مِنْ وَرَأَى﴾: من بعدي (بعد موته).

﴿وَكَانَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرًا﴾: أي: كانت في الماضي عاقراً؛ ﴿وَكَانَتْ



أَمْرَأَتِي عَاقِرًا ﴿٤٠﴾: كان هذا القول عندما دعا زكريا ربه، أمّا قوله: ﴿وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾: أي: هي عاقر الآن، كان هذا القول عند البشارة بيحيى، كما ورد في سورة آل عمران، الآية (٤٠)، والواو في وامرتي: واو الحال. إذن: امرأة زكريا كانت، ولا زالت عاقراً؛ أي: لا تلد، وغير صالحة للإنجاب منذ شبابها إلى حين الدعاء، ومرض العقر غير العقم، وكلاهما يحدث فيهما الإخفاق في الحمل، أو عدم الحمل. إذن قال زكريا: ﴿وَكَاَنَتِ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ عند الدعاء، وامرأتي عاقراً عند البشارة؛ أي: في زمنين مختلفين.

ولكن هناك فرق بينهما.

المرأة العاقر: يعني: كانت قادرة على الإنجاب، ولكن أصابها الكبر والتقدم في السن؛ فأصبحت عاقراً، أو أصابها مرض عضوي أدى إلى العقر، وقد يكون قابلاً للعلاج، وهو أمر نسبي.

أمّا كونها عقيم: فيدل على كونها لم تكن قادرة على الإنجاب منذ بلوغها؛ لإصابتها بمرض، أو تشوه خلقي؛ فيستحيل معه القدرة على الإنجاب، أو العلاج، وهذا ما رأيناه في حالة امرأة إبراهيم ؑ التي قالت عن نفسها: ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٩].

﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾: فهب: الفاء: للتوكيد؛ هب لي: الهبة عطاء بدون مقابل، وغير مقيد بالأسباب. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (٨)؛ لمزيد من البيان.

﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾: ولم يقل: من عندك؛ من لدنك: تستعمل في الشيء، أو



الأمر الخاص، وليس العام، وهو أن يهب له ولداً وهو في سن الشيخوخة وامرأته عاقر.

﴿وَلَيْئًا﴾: أي: ولداً؛ أي: أن تلد امرأة، وهي بهذه الحالة كمعجزة، ولو قال: من عندك: قد تعني أن يتزوج امرأة أخرى، أو يقدم الأسباب كالعلاج. ارجع إلى سورة الكهف، آية (٦٥)؛ لبيان معنى: من لدنك.

[٦] ﴿يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾:

﴿يَرْثِي﴾: الميراث هنا يعني: ميراث النبوة، والعلم، وليس ميراث المال، فالأنبياء لا يورثون، وما يتركونه من مال هو صدقة.

﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ﴾: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، و«يرث»: التكرار للتوكيد؛ يرث من آل يعقوب النبوة، والعلم، والملك أيضاً.

﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾: وارض عنه قولاً وفعلاً، واجعله عبداً صالحاً؛ أي: وفقه لإقامة دينك، والعمل لما يرضيك.

[٧] ﴿يَزَكِّرْنا اِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اَسْمُهُ يَحْيٰى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾:

وفي سورة آل عمران، الآية (٣٩): ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ اِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰى وَيَحْيٰى غُلَامٌ﴾.

إذن ﴿يَزَكِّرْنا﴾: يا: النداء والتنبية؛ أي: فنادته الملائكة، ومتى كان النداء؟ وهو قائم يصلي في المحراب، كما بيته الآية (٣٩) من سورة آل عمران: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾.

﴿وَإِنَّا﴾: بصيغة الجمع والتعظيم لله سبحانه.



﴿تُبَشِّرُكَ﴾: والبشارة: تكون عادة لأمرٍ سار، ولأول مرة وكان بغلام، ولم يقل: ولد؛ لأن الولد قد يكون ذكراً أو أنثى؛ اسمه يحيى. سماه الله يحيى، ولم يترك لذكرياً تسميته.

﴿يَحْيَى﴾: يعني: لا يموت، وقد قتل يحيى وذبح على يد ملك الرومان، فكيف سمي يحيى، وهو لم يعيش طويلاً؟

قالوا: بما أن يحيى قتل صار شهيداً، والشَّهيد لا يأتيه الموت أبداً، بل بمجرد قتله يدخل الجنة، كما قال تعالى: ﴿أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، تبارك الله ومن أصدق من الله حديثاً.

﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾: لم: حرف نفي؛ أي: لم يُسمَّ أحدٌ من قبل بهذا الاسم، كما روي عن ابن عباس، أو لم نجعل له من قبل مثلاً، وشبهاً من حيث لم يعص الله تعالى، ولم يهْم بمعصية، أو لم تلد امرأة عاقر مثله ولدًا. والأرجح هو لم يسم باسمه أحد قبل ذلك.

﴿سَمِيًّا﴾: مشتقة من الاسم، أو التسمية، أو مشتقة من سَمِيَ؛ أي: الشبيه، أو المثل.

[٨] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾:

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾: قال رب: ارجع إلى الآية (٤) من نفس السورة. قال زكريا: رب أنى: تحمل معنى الاستفهام؛ أي: كيف، ومن أين، وفيها تعجب؛ فهو يستفهم، ويتعجب من الغلام الذي تبشره به الملائكة؛ فكيف يكون له غلام!

﴿عَلَّمٌ﴾: هو من شارف على البلوغ، سواء أبلغ سن البلوغ، أم لم يبلغ، وهو في مرحلة يكون شديد الشهوة، وتقدر بين (١٤ سنة، و ١٧ سنة).

﴿وَكَانَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرًا﴾: أي: في الماضي، والحاضر، وهو لا يشك أبداً بقدرة الله تعالى، ولكن يستفهم، ويتعجب.

﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾: ويعيد، ويكرر على كون امرأته عاقراً، وأنه بلغ من الكبر عتياً، ورغم أنه قال سابقاً: وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً، فلماذا يكرر السؤال مرتين، أو لِمَ يذكر ذلك؟ أليس الله يعلم حاله، وحال امرأته؟

الجواب: نعم، ولكن من شدة فرحته، وكأنه لا يصدق بشارة الملائكة، أو يحاول التذكير بحاله، وحالة زوجته، والتأكد ليطمئن قلبه.

﴿عِتِيًّا﴾: من عتّى كبر وولّى؛ يعني: أصبحت عظامي، ومفاصلي؛ كالعود اليابس، أو التصلب، أو بلغت مراحل الهرم الذي لا يقوى على منعه، أو إيقافه أي دواء، أو وسيلة حتى ينتهي بالموت.

لنقارن هذه الآية (٨) من سورة مريم مع الآية (٤٠) من سورة آل عمران: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِيَ عَلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ﴾.

ففي آية آل عمران قال: وقد بلغني الكبر، ولم يُبين درجة الكبر، وفي آية مريم قال: وقد بلغت من الكبر عتياً، بيّن درجة الكبر، ووصف الكبر بالعتي.

وفي آية آل عمران قال: وامراتي عاقرة؛ يعني: الآن، وفي آية مريم قال: وكانت امرأتي عاقراً؛ أي: منذ شبابها؛ أي: عقرها مرض قديم، ولا زال إلى الآن؛ فكل الآيتين تعطي معلومة جديدة، وليس تكرار.



[٩] ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾:

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾: كذلك: تفيد التشبيه؛ أي: مثل ذلك؛ أي: كذلك أمر ربك وقضى. وفي سورة آل عمران آية (٤٠): ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، وإذا قارنا قوله تعالى: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ في سياق زكريا ويحيى مع ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ في مريم وعيسى: نجد أن الفعل هو أهون من الخلق؛ أي: أن خلق عيسى أصعب من خلق يحيى؛ لأن خلق يحيى كان من أب وأم، أما عيسى فكان من أم فقط؛ هذا بالنسبة للتقدير البشري، أما بالنسبة لله سبحانه فالكل عليه هين سبحانه؛ لأنه لا يعجزه شيء.

﴿هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾: وفي آية أخرى (٢٧) من سورة الروم: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، فهناك شيء هين، وشيء أهون من الهين (يقابله شيء شاق، وشيء أشق).

ولنعلم: أن الأمر بالنسبة لله تعالى ليس عنده شيء هين، وشيء أهون، الكل سواسية؛ فكل الأشياء هينة عنده سبحانه لا يصعب عليه شيء، وإنما يقصد بهذه الألفاظ: تقريب المعنى إلى أذهان البشر؛ لفهم المعنى، ونحن نعلم: إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون، أو أقرب من ذلك.

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿شَيْئًا﴾: نكرة لم تكن أي شيء مهما كان صغيراً، أو كبيراً، أو يستحق الذكر، كقوله تعالى في الآية (٦٧) من سورة مريم: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾، سواء أنطفة في الأصلاب، أم كونه من تراب، وكقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]. وقوله: ﴿لَمْ

يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿٩﴾ أَي: كان شيئاً ولم يكن؛ مذكوراً: أي: خلقه من عدم، فقوله تعالى: ﴿خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ أبلغ أو أصعب من خلقتك من شيء لم يكن مذكوراً بالتقدير البشري.

[١٠] ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾:

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾: قال زكريا: رب اجعل لي آية خاصة؛ اللام لام الاختصاص؛ آية: علامة على أن امرأتي حامل؛ (لأنها لا تحيض لكونها عاقراً)، ولا بد من علامة أخرى رغم أن البشارة كانت تكفي، وكأنه لا يصدق أن تحمل امرأته، أو لا يريد الانتظار طويلاً، ويريد تأكيداً آخر؛ ليطمئن قلبه.

﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا﴾: ألا: مركبة من: أن، ولا؛ أن: مصدرية؛ لا: النافية.

﴿تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾: سويّاً؛ أي: وأنت تستطيع الكلام مع الآخرين ثلاث ليال وأنت معافى، وسليم الجوارح، وليس بك مرض، أو عيب ولكنك غير قادر على الكلام تلك المدة من الزمن (أي: لجسم الله لسانه عن الكلام)، وفي الآية (٤١) من سورة آل عمران قال: ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ انظر إلى الآية (٤١) من سورة آل عمران؛ للمقارنة، ومعرفة الفرق بين ثلاث ليال، وثلاثة أيام.

[١١] ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ﴾: فخرج زكريا في صبيحة الليلة التي حملت فيها امرأته من المحراب.

﴿مِنَ الْمِحْرَابِ﴾: والمحراب: مكان صلاة الإمام، وسمي المحراب؛ لأنه يحارب فيه الشيطان، وتحارب به وسوسته أكثر من أي مكان آخر.



﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: أشار إليهم: إلى الحاضرين في المصلى أن سبحوا بكرة: أول النهار، وعشيًّا آخره، قال لهم بطريقة الإشارة؛ لأنه لا يتكلم.

سبحوا: كأن الأمر (صادر من الله سبحانه) له ولغيره من المصلين بالتسبيح بكرة وعشيًّا، أو يسبحوا معه، ولماذا شمل الأمر بالتسبيح لغير زكريا مع أن الأمر خاص به؟ لأنَّ يحيى الذي سيولد سيكون نبياً لهم، ويتعلم التوراة، ويتعلم الحكم، وهو صبي، ويحمل الرسالة التي سيتفجع بها الصغير، والكبير، أو كل القوم.

ولنقارن قوله تعالى في هذه الآية (١١) من سورة مريم: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾، وقوله تعالى في الآية (٤١) من سورة آل عمران: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾.

أولاً: التعريف بأل، بالعشي والإبكار في آية آل عمران؛ يفيد العموم؛ أي: على الدوام التسبيح الدائم.

وفي آل عمران الذي يدعو هو الله سبحانه يدعو زكريا، وفي آية مريم زكريا الذي يدعو قومه بالتسبيح والذكر فقال: بكرة وعشيًّا؛ أي: في هذين الوقتين، وليس على الدوام بصيغة التنكير؛ فناسب التعريف في حق الله تعالى، وناسب التنكير في حق زكريا؛ لأنَّ هناك فرقاً بين الرب والعبد. ارجع إلى الآية (٤١) من سورة آل عمران؛ لمزيد من البيان.

ثانياً: في سورة مريم قال تعالى: بكرة وعشيًّا، قدم (بكرة) على (عشيًّا)؛ في سورة آل عمران قال تعالى: بالعشي والإبكار، قدم (العشي) على (الإبكار).

البكرة: وقتها من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس (وقت الإبكار)، وعشيًا: من وقت صلاة الظهر إلى صلاة المغرب.

ففي سورة مريم قال تعالى: ثلاث ليالٍ سوياً، ثم أتبعها بقوله: بكرة وعشيًا؛ لأن يتبع الليل البكرة.

وفي سورة آل عمران قال: ثلاثة أيامٍ إلا رمزاً، ثم أتبعها بقوله: بالعشي، والإبكار؛ لأنه ذكر اليوم يعني: النهار، ويتبع النهار العشي، واليوم في القرآن يعني: النهار؛ أي: فقط (اثنتا عشرة ساعة). ارجع إلى سورة غافر، الآية (٥٥)؛ لمزيد من البيان عن العشي، والإبكار، وبكرة وعشيًا. وترتيب ساعات النهار، قيل: هي الشروق، والبكور، والغدوة، ثم الضحى، ثم الهاجرة، ثم الظهيرة، ثم الرواح، ثم العصر، ثم الأصيل، ثم العشي، ثم الغروب.





سورة القصص ١٩

البقرة النجاشية

يَبْحَثِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾
وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ
مِن أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا
فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي
أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِن كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي
غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً
مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ
بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ
قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿٢٣﴾
فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾



نصف
الحزب
٣١

سورة مريم [الآيات ١٢ - ٢٥]

[١٢] ﴿يَبْحِثْ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآيَاتُهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾:

﴿يَبْحِثْ خُذِ الْكِتَابَ﴾: أي: التّوراة.

﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجِدِّ واهتمام وحرص، وحفظ، وتمسك به بإخلاص، والعمل بالأوامر، والنّواهي.

﴿وَآيَاتُهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾: الفقه في الدّين، ومعرفة الأحكام، وفهم التّوراة، والعلم في سن مبكرة. قيل: كان ابن سبع سنين، ولا عجب؛ لأنّ هناك من يحفظ القرآن وهو صبي، وابن سبع سنين؛ لأنّ المسألة عطاء من الله لا تخضع للقوانين البشرية، وكان يحيى عليه السلام، وعيسى عليه السلام ممن أتوا النّبوة قبل سن الأربعين سنة.

[١٣] ﴿وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾:

﴿وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾: بما أنّ الله سبحانه وهب لذكرى يحيى، وكانت امرأته عاقراً، وقد بلغ من الكبر عتياً، فكانت ولادة يحيى معجزة أوّلاً، ثمّ سبحانه سماه يحيى، ولم يجعل له من قبل سميّاً، وها هو سبحانه يرعاه، ويحن عليه من لدنه؛ لأنّ طاقة الحنان عند والديه ربما تكون قد نضبت لكونهما قد كبرا، وتقدما في السّن؛ فهي غير كافية، والطفّل بحاجة إلى عطف، وحنان، ولذلك قال سبحانه: سنعوّض لك ذلك.



﴿مِن لَّدُنَّا﴾: ولم يقل: منا؛ لأن هذا الحنان خاص به وحده؛ لأن كلمة منا تأتي في سياق الحنان العام؛ أي: للكل.

﴿وَرَكُوءٌ﴾: طهارة من الذنوب (مطهراً من الذنوب) نتيجة التربية الإلهية، والزكاة تعني: البركة (مباركاً)، والزيادة في الخير، والعمل الصالح، وقيل: في معنى وزكاة؛ أي: أن الله تصدق على زكريا بأن رزقه يحيى؛ فكان كصدقة على أبيه من الله تعالى.

﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾: كان: تشمل كل الأزمنة، ولا تعني الماضي فقط، وبدلاً من القول: وسيكون تقياً، جاء بصيغة الماضي؛ كأن الأمر انتهى، وحُسم.

﴿تَقِيًّا﴾: أي: مطيعاً لأوامر الله تعالى، ومتجنباً لنواهيه.

[١٤] ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾:

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾: أي: جعلناه برّاً بوالديه؛ أي: محسناً لهما رؤوفاً بهما.

﴿وَلَمْ يَكُنْ﴾: لم: للنفي.

﴿يَكُنْ﴾: في الحال، والمستقبل.

﴿جَبَّارًا﴾: تحمل عدة معانٍ: قاسياً متكبراً متعالياً، وتعني: الذي يجبر الناس على فعل ما لا يحبون مستخدماً وسيلة الظلم، والعتو والقهر، أو الذي يتعاضم بالقهر والتسلط والقتل، والجبار أبلغ من المتكبر.

﴿عَصِيًّا﴾: لا يعصي ربه، ولا يعصي والديه، وعصياً أبلغ من عاصي. قيل:

لم يعص ربه، ولا مرة عصياً، أو ينوي المعصية.

ولمقارنة هذه الآية (١٤) من سورة مريم: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾، مع الآية (٣٢) من سورة مريم: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾. الآية (١٤): ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾: هذا كلام الله سبحانه في حق يحيى؛ فالله سبحانه يعلم الغيب، ويعلم من سيكون جباراً، ومن سيكون عصياً؛ فنفي عن يحيى ﷺ كلا الصفتين.

والآية (٣٢): ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾: هذا كلام عيسى ﷺ في حق ذاته، أو عن نفسه؛ أي: لأن الله سبحانه أعطاني حرية الاختيار، فلن أختار أن أكون جباراً شقياً.

وكلمة جباراً: ذكرت في كلا الآيتين، وذكر عصياً في الآية (١٤)، وشقياً في الآية (٣٢).

أولاً: النبي، أو الرسول لا يصح أن يكون لا جباراً، ولا عصياً.

وعصياً: من العصيان، والعصيان من عمل العبد.

أما شقياً: من الشقاوة، والشقاوة: سبها عصيان الله، والله سبحانه لا يجعل أي إنسان لا جباراً، ولا شقياً، ولا عصياً، بل ترك له حرية الاختيار.

[١٥] ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾:

﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ﴾: أي: سلامٌ من الله على يحيى ﷺ، وسلام جاء بصيغة النكرة؛ ليشمل كل أنواع السلام:

١ - سلام يعني: التّحية؛ أي: تحية من الله على يحيى.

٢ - والسلام يعني: السلامة من كل أذى، أو مكروه.



٣ - ويعني: الأمن والطمأنينة.

﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾: سلام عليه يوم ولد.

﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾: ولم يقل يوم مات، وجاء بصيغة المضارع لحكاية الحال بدل الماضي إلى مضارع؛ ليجعل موته كأنه يحدث أمام أعيننا؛ لأنه مات شهيداً.

﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾: أي: يوم البعث والقيامة.

ثلاثة أيام، أو أزمانة يكون فيها العبد في أمس الحاجة إلى سلام من الله سبحانه الخالق. ولمقارنة هذه الآية: ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾، مع الآية (٣٣) من سورة مريم: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾. ارجع إلى الآية (٣٣) من السورة نفسها.

[١٦] ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾:

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾: واذكري يا محمد ﷺ.

﴿فِي الْكِتَابِ﴾: في القرآن الحكيم.

﴿مَرْيَمَ﴾: قصة مريم، وما حدث لها.

﴿إِذِ﴾: ظرف زماني؛ بمعنى: حين.

﴿انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾: النبذ: هو طرح الشيء؛ أي: إلقاء الشيء استهانة به؛ أي: كأنها ألقت بنفسها بعيداً عن أهلها، وعن الناس؛ أي: اعتزلت وانفردت بنفسها مكاناً شريعياً.

﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾: شريعياً: قيل: شرقي بيت المقدس، وكان هذا الانتباز

للعبادۃ، والخلوة، وقيل: للطهارة من الحيض؛ حتى تغتسل، ثم تعود إلى بيت المقدس. والانتباز الثاني الذي سنراه سيكون سببه الحمل بعيسى ﷺ، ولماذا شرقياً؟ ولم يقل: غربياً، ولا شمالاً، ولا جنوباً؛ لأن جهة الشرق شروق الشمس هي قبلة النصارى، وهم يتفاءلون، ويعظمون جهة الشرق.

[١٧] ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾:

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ﴾: فاتخذت: الفاء: للمباشرة؛ اتخذت من دونهم؛ أي: أهلها، والناس.

﴿حِجَابًا﴾: ساتراً يحجبها عن أهلها، وعن الناس، والحجاب: هو الساتر الذي يحجب الإنسان عن غيره، ويحجب غيره عنه، وفي الآية السابقة قال تعالى: ﴿أَنْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾؛ أي: ابتعدت، وانفردت أولاً بعيداً عن أهلها، ثم اتخذت أو لجأت إلى مكان يسترها حتى لا يراها أحد، أو يطلع عليها؛ لأنها قد تبتعد عن أهلها، وعن الناس، ثم تلجأ إلى مكان مكشوف، أو غير مكين؛ فيمر أحد عليها فيراها؛ فهي حرصت على الابتعاد (الانتباز)، واتخاذ الحجاب. حجاب ساتر فقط، أو قد يكون حجاباً مستوراً؛ أي: حجاب مركب من طبقتين، أو أكثر.

﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾: روحنا؛ أي: جبريل ﷺ، ويسمى: روح القدس، وقوله تعالى: روحنا فيه تشریف لجبريل ﷺ. والقرآن الكريم أيضاً سماه الله روحاً كما قال تعالى في سورة الشورى آية (٥٢): ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾.



﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾: أي: أخذ، أو تشكل بصورة بشر سوي في صورة الإنسان التام الخلقة، وكلمة «بشر» مشتقة من حسن الهيئة، والبشرة التي يختص بها البشر دون غيرهم.

﴿سَوِيًّا﴾: في أكمل صورة، وأتمها، وأحسنها، وليس له أجنحة، ولا مرعب، أو مخيف.

[١٨] ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾:

﴿قَالَتْ إِنِّي﴾: قالت: مريم عليها السلام: إني: للتوكيد.

﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ﴾: قالت مريم لجبريل ﷺ: إني أعوذ بالرحمن منك؛ أي: إني ألجأ وأعتصم بالرحمن، واختارت اسم الرحمن من الرحمة التي هي السمة العامة لذاته سبحانه التي تمثل باقي صفاته تعالى، ولأن الرحمة من الرحمن، وهي في موقف تحتاج فيه إلى الرحمة؛ فهو القادر على حمايتها.

﴿مِنْكَ﴾: أن تؤذيني، أو تقترب مني، أو تسيء إلي.

﴿إِنْ كُنْتَ﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿تَقِيًّا﴾: لأن المؤمن التقي يخاف الله، ويطيع أوامر الله التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، ويتجنب نواهيه، وتعني: إن كنت تقياً: لا تقترب مني، والابتعاد هنا رحمة بها؛ لأنها ضعيفة.

[١٩] ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾:

﴿قَالَ﴾: جبريل ﷺ.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد الحصر، والتوكيد.

﴿أَنَارَسُولَ رَبِّكَ﴾: أي: أنا رسول ربك، ولم يقل رسول الله؛ لأنَّ الموقف يتعلق بالرَّعاية، والحراسة، والتَّربية، والأخلاق، والرَّب: هو المربي، والمتولي بأمور لخلقه، ولأنَّ الأمر لا يتعلق بعبادة، أو ألوهية، وإنما يتعلق بولادة عيسى.

﴿لَأَهَبَ﴾: اللام: لام التَّوكيد؛ أهب: من الهبة: وهي عطاء، وتفضل من ربك، وفيه تملك. ارجع إلى الآية (٥) من نفس السورة.

﴿لَكَ﴾: اللام: لام الاختصاص، لك خاصة، وليس لأحد غيرك.

﴿عُلِّمَازَكِيًّا﴾: غلاماً: يعني: ذكراً وليس أنثى، والغلام: هو الشاب الذي أوشك على البلوغ؛ زكياً: مطهراً من الذنوب، أو غير عاص، فيه الخير والصلاح، ويجب الانتباه هنا: أنَّ جبريل ﷺ قال: لأهب لك غلاماً؛ فهو الَّذي أخبرها بنوع الحمل غلام، ولذلك قالت مريم: أنى يكون لي غلامٌ، (كما قال جبريل)، ولم تقل: ولداً (ذكر، أو أنثى). كما قالت في السابق عندما بشرتها الملائكة بالولد كما ورد في قوله تعالى في سورة آل عمران آية (٤٧): ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾.

[٢٠] ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾:

﴿قَالَتْ﴾: قالت مريم عليها السلام لجبريل ﷺ.

﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾: أنى: تعني: كيف، ومن أين، وفيها استفهام عن كيفية الحمل، وتعجب.

وفي الآية (٤٧) من سورة آل عمران: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ عندما بشرتها الملائكة لأول مرة قبل الحمل بعيسى ﷺ، وذلك عندما



قالت لها الملائكة: ﴿يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥]؛ فهي آنذاك لم تدري ما نوع البشارة، ولذلك قالت: ولد (أي: ذكر، أو أنثى).

﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾: لم: للنفي.

﴿يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾: كناية عن النكاح؛ أي: لم أتزوج؛ أي: تنفي عنها المس: النكاح الحلال. والمس: هو اللمس الخفيف.

﴿وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا﴾: تكرر لم: يفيد تأكيد النفي؛ تنفي المس بأي وسيلة محرمة مثل: الزنى، أو الغصب، وهذا يمثل نفي الخاص بعد العام، لم يمسسني بشر: للتأكيد على عدم الزنى.

﴿بَغِيًّا﴾: فاجرة تبغي الرجال؛ أي: زانية، أو يبيغيها الرجال للفجور، ولم يقل باغية، وقالت: بغياً: صيغة مبالغة تعني: ما قامت بالزنى والفجور أبداً. وأما باغية: تقوم بأشياء محرمة، ولم تبلغ درجة الزنى؛ فهي قد نفت عن نفسها كل صور التقاء الذكر بالأنثى.

وقولها: لم أك، ولم تقل أكن، أك: حذف النون؛ لتدل على أنها لم تكن في لحظة من لحظات تفكير بالبغاء، ولو بأي صورة، أو أشكاله.

أك: أشد وأبعد نفياً من أكن، وأكن أشد نفياً من أكونن، وحذف النون قد يكون للإسراع، وإنهاء الكلام مع جبريل؛ فهي لا تعرفه، والموقف موقف حياء، وخلوة، وخوف، والأفضل قصر الكلام.

[٢١] ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَٰئِنٌ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾:

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَٰئِنٌ﴾: ارجع إلى الآية (٩) من السّورة نفسها.

﴿وَلَنَجْعَلَنَّ﴾: الواو: للتوكيد؛ لنجعله: اللام: للتعليل.

﴿آيَةً لِلنَّاسِ﴾: معجزة خارقة للعادة، وبرهان، ودليل، وبيان على قدرة الله سبحانه على الخلق، والإبداع، وإذا أراد الله سبحانه شيئاً فإنما يقول: كن فيكون؛ فكل شيء خاضع لإرادته، ومشيئته سبحانه، وقدرته ليست منوطة بالأسباب، وعيسى، ومريم، آية واحدة، وليس آيتين. وقدم كلمة آية على كلمة الناس، ولم يقل لنجعله للناس آية؛ لأنّه كان هو الآية الوحيدة لكونه خلق من أم بدون أب، وللعبرة، والموعظة.

﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾: رحمة عامة منا لكل البشر.

﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾: مقضياً: اسم مفعول من: قضى؛ أي: ولادة عيسى ﷺ بدون أب كان أمراً مقضياً مقدراً مسطوراً لا بد من تحقيقه، أو نافذاً مفعولاً.

[٢٢] ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾:

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾: الفاء: للترتيب والمباشرة ولم يحدث تأخر؛ فحملته: أصبحت امرأة حامل، وذلك بعد أن نفخ جبريل ﷺ في جيبها، وقوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١]، حملت مريم بعيسى.



﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾: فانتبذت: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ انتبذت: ابتعدت، واعتزلت الناس، ولما أحست بالحمل، وخشيت من قذف الناس لها، والفضيحة، وهذا هو الانتباز الثاني، ذهبت إلى مكان قصي بعيد عن الناس. أقصى: أبعد الأمكنة.

[٢٣] ﴿فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾:

﴿فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾: فاجاءها: الفاء: للتعقيب والمباشرة؛ أي: أجاها المخاض في وقته بدون تأخير؛ أي: ألجأها، وحملها: أرغمها المخاض، والطلق إلى اللجوء إلى جذع النخلة دون إرادتها؛ فكان هناك قوة خارجية دفعتها للذهاب إلى جذع النخلة، ولم يقل: وجاءها المخاض؛ أي: هي باختيارها، ورضاها ذهبت إلى جذع النخلة؛ يقال: جاء فلان؛ أي: جاء باختياره ورضاه، أما أجاهاه فلان؛ أي: جاء بفلان رغماً عنه، وبدون إرادته ورضاه؛ فاجاءها المخاض؛ أي: جاء بمريم رغماً عنها إلى جذع النخلة؛ لأنها تحتاج إلى من يسندها.

﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾: وهنا أل التعريف تعني: النخلة المعروفة، أو الوحيدة، وجذع النخلة: ساق النخلة؛ حتى تتمسك بجذع النخلة حين يحدث الطلق، ويكون مساعداً لها في عملية الولادة، ودفع الجنين حيث لم يحضر ولادتها أحد؛ لكي يساعدها.

﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾: قالت مريم آنذاك: يا ليتني: ليت: أداة تمنى تستعمل في الأمور المستحيلة الحدوث، أو الصعبة، أو غير متوقع حدوثها.

﴿مِتُّ﴾: بكسر الميم، وكسر الميم يدل على الموت العادي، وأما مُت:

تستعمل للموت بسبب الجهاد، أو القتال في سبيل الله، أو موت غير عادي.
ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٥٧-١٥٨) للبيان.

﴿قَبْلَ هَذَا﴾: هذا: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة تشير إلى المخاض،
والولادة. قبل هذا: قبل هذا الزمن، أو مجيء الولد (أي: الولادة).

﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾: تمت الموت حياةً من الناس، وكيف تلد،
ولم يمسهها بشر، وهل سيصدق الناس قولها؟!

﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا﴾: شيئاً لا يُذكر، ولا معروفاً، أو شيئاً لا قيمة له مما يؤدي
إلى نسيانه.

﴿مَّنْسِيًّا﴾: تأكيد للنسي؛ أي: شيئاً لا يخطر ببال أحد، أو لا يذكرني، ولا
يعرفني أحد. تدل هذه الكلمات على الآلام النفسية المسيطرة عليها، ومشاعر
الخوف التي تعترىها، وكيف ستقابل قومها قريباً.

[٢٤] ﴿فَنَادَيْنَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾:

﴿فَنَادَيْنَاهَا﴾: قيل جبريل ﷺ، وقيل: عيسى ﷺ، وقال من، ولم يقل: من؛
بكسر الميم، وليس بفتح الميم.

﴿مِن تَحْتِهَا﴾: من تحتها: أي: بفتح الحاء، أو تحتها: بكسر الحاء، أما
من تحتها بفتح الحاء؛ أي: عيسى الذي تحتها، أو من تحتها بكسر الحاء تعني
المكان؛ إذن من تحت مريم، أو من تحت النخلة، أو تحت الرّوبة؛ فإذا كان
جبريل المنادي فقد ناداها من تحت الرّوبة، أو المكان الذي فيه النخلة.

وإذا كان عيسى هو المنادي فقد نادى بعد أن ولدته أمّه، نادى أمّه من تحتها،



وهناك من يرجح هذا القول، وليس مهماً معرفة من نادى، أو القائل، والمهم هو المقولة.

﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾: ألا: أصلها: «أن» و «لا»؛ أن: حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد؛ لا: الناهية، وألا: تفيد الحض، والحث على عدم الحزن.

﴿تَحْزَنِي﴾: فسرت بعدة تفسيرات:

ألا تحزني لما جرى لك من الولادة من غير زوج.

ألا تحزني: لعدم وجود من يساعدك، ويساندك في عملية المخاض والولادة.

ألا تحزني: ألا تخافي لانقطاع المكان، والطعام، والشراب، والفراش، أو السرير.

لا تخافي: من أي: سوء، أو ضرر لك، أو لابنك.

ألا تحزني: من أي شيء مهما كان أمره ما دام ربك ﷻ هو المدبر، والولي، والرقيب، والحفيظ.

﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سِرًّا﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿سِرًّا﴾: قيل: نهر صغير، أو جدول صغير من الماء العذب.

[٢٥] ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾:

﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾: بجذع: الباء: للتوكيد؛ أصلها هزي إليك جذع النخلة؛ هزي إليك بجذع النخلة: هذا الهز يحتاج إلى جهد كبير، والوقت غير

مناسب، وهي في حالة ولادة، وجذع النخلة يحتاج إلى قوة، وهي تنزف، وفي ألم شديد، والهز هنا هو فقط امتثال لأمر الله؛ فقد يكون في ظاهره الصعوبة، والمشقة، ولكن قد يكفي المحاولة الخفيفة، لا كما يتصوره الناس؛ فلا بد من الأخذ بالأسباب، والتوكل على الله سبحانه، ولو كان العبد في مثل تلك الحالة فعليه الأخذ بالأسباب، وإن كان الله ﷻ قادراً على أن يطعم مريم، وهي في هذه الحالة الحرجة، والمخاض، والولادة، كما أطعمها قبل ذلك حين كان يدخل عليها زكريا ويجد عندها رزقاً، ويقول: أنى لك هذا؟ وتقول مريم: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

﴿تُسْقَطُ عَلَيْكَ﴾: تُسَاقَطُ: تعني: تتابع السقوط والاستمرار؛ أي: الرطب من النخلة عليك؛ فقط الرطب التي استوت، والناضجة. أمّا غير الناضجة لا تسقط، وتُسَاقَطُ فيها عدة قراءات: تَسَاقَطُ السَّيْنُ مشددة؛ تُسْقَطُ، تُسَاقَطُ.

﴿رُطْبًا جَنِيًّا﴾: الرطب التمر، أو البلح الطازج.

﴿جَنِيًّا﴾: الصالح للقطف، والأكل، والجني ما صلح لأن يُجَنَى: يقطف

ويؤكل.





سورة القصص ١٩

الجزء الثاني عشر

فَكُلِّي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾
فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا
فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَأَخَتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءَ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي
الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْخَقِّ
الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ
إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ
بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾

سورة مريم [الآيات ٢٦ - ٣٨]

[٢٦] ﴿فَكُلْ وَاشْرَبْ وَقَرِّ عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾:

﴿فَكُلْ وَاشْرَبْ﴾: فكلي: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ كُلي: من الرطب.
 ﴿وَاشْرَبْ﴾: من السّري (النّهر). وتقديم الأكل على الشرب نجده في كل القرآن حيثما اجتمع الأكل والشرب يقدم الأكل.
 ﴿وَقَرِّ عَيْنًا﴾: اطمئني، ولا تحزني. ارجع إلى سورة الفرقان، آية (٧٤)؛ للبيان.

﴿فَإِمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة. أمّا أصلها: «إن» و «ما»؛ فأدغمت ما في إن؛ إن: الشرطية، وتفيد الاحتمال، والشك؛ ما: للتوكيد.
 ﴿تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾: إذا رأيت أحداً من البشر فسألك عن ابنك، وشأنه. والنون في ترين: للتوكيد.

﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾: أخبريه بالإشارة أنك نذرت للرحمن صوماً عن الكلام؛ أي: صمتاً؛ أي: لا أكلم في شأنه أحداً.

﴿نَذَرْتُ﴾: من النذر. شرعاً: أن يلزم العبد نفسه بشيء لم يلزمه الله عليه من جنس ما شرع الله زيادة على الفريضة، والنذر هنا هو الصوم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٧٠).

﴿فَلَنْ﴾: الفاء: للتوكيد؛ لن: لنفي المستقبل القريب، والبعيد.



﴿أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْشِيًا﴾: لن أتكلم مع أحدٍ من الناس بشأن عيسى.

﴿إِنْشِيًا﴾: اسم مشتق من الإنس؛ اسم جنس؛ أي: الناس.

[٢٧] ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، قَالُوا يَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾:

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾: فأتت: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ أتت به؛ أي: جاءت مريم بعيسى إلى قومها، وبما أن المجيء كان بسهولة استعمل: أتت به، عادت به إلى قومها، ويبدو أنها لم تواجه مشقة، أو صعوبة بعد أن اطمئنت إلى ما ستقوله إذا سئلت عن عيسى، ورأت الكثير من آيات ربها، وكان يكفي القول: فأتت به، ولكنه أضاف: تحمله؛ أي: كسائر الأطفال يحتاج إلى من يحمله رغم كونه قادراً على أن يكلم الناس، ولكنه ما زال وليداً غير قادر على المشي؛ فهذه آية من آيات الله سبحانه؛ فهو أحد الأطفال الذين تكلموا في المهد.

﴿قَالُوا يَمْرَيْمُ﴾: فلما رآها قومها تحمل ابنها، قالوا: يا مريم بنت عمران.

﴿يَا﴾: النداء: للبعد.

﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾: لقد: اللام: تفيد التوكيد، وقد: للتحقيق.

﴿جِئْتِ﴾: قمت بشيء. فرياً: من افترى. جئت: من جاء، والمجيء فيه مشقة وصعوبة مقارنة بالإتيان (من أتى).

﴿فَرِيًّا﴾: مختلفاً؛ أي: كذباً لا نصدقه؛ عظيماً، أو عجباً. قاله ابن عباس، أو خارقاً للعادة؛ شيئاً يكذبه العقل؛ حيث ولدت بولد من غير أب، وفرياً: مختلفاً، مشتق من: افترى الكذب؛ أي: اختلقه، أو اصطنعه.

[٢٨] ﴿يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾:

لما رأى قومها الولد أنكروا ذلك وقالوا:

﴿يَتَأَخَتِ هَرُونَ﴾: مخاطبتها بأخت هارون فيه توبيخ لها وتعريض؛
الأخت: إما أن تكون أختاً حقيقية، أو أختاً في المشابهة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا
نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزخرف: ٤٨].

أخت حقيقية. قيل: كان لمريم أخ حقيقي اسمه هارون من أمها، وأبيها،
وكان من أفضل، وأشرف بني إسرائيل؛ فيكون المعنى كيف يكون لأخت رجل
مثله أن تفعل فعلتك هذه.

أو: أخت في المشابهة بالإيمان؛ أي: يا مشابهة هارون في الصلاح،
والتقوى، والورع.

الاحتمال الثاني: هارون أخو موسى ﷺ، وأخوة الدين أقوى من أخوة
الدم.

الاحتمال الثالث: قيل: كان في زمنها رجل صالح يسمى هارون من بني
إسرائيل؛ فنسبت إليه في التقوى، والورع.

يا أخت هارون في التقوى، والورع، كيف تأتين بمثل هذا الفعل؟! والغاية
من عدم قولهم يا مريم ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ﴾؛ أي: عدلوا عن التصريح إلى
التعريض بقولهم يا أخت هارون؛ لأن في إضافتها إلى اسمه توبيخ لها أي: ما
كان لأخت رجل صالح مثل هارون أن تفعل هذه الفاحشة.

﴿مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ﴾: أي: ما كان أبوك فاجراً وزانياً، ورجل السوء: هو
الذي إن صاحبه أصابك منه سوء؛ أي: أذى، أو مكروه.

﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾: زانية، أو باغية. ارجع إلى الآية (٢٠) من السورة
نفسها؛ للبيان.

ما كان أبوك، وما كانت أمك: تكرار النفي (ما) يفيد التوكيد.



[٢٩] ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾:

حين قال القوم: يا مريم، لقد جئت شيئاً فرياً، يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء، وما كانت أمك بغياً.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾: فأشارت: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ أشارت إليه مباشرة: إلى ابنها عيسى؛ أي: كلموه، واسألوه، وهي وثقة أنه سيتكلم.

﴿قَالُوا كَيْفَ﴾: كيف: استفهام فيه تعجب، واستبعاد أن يتكلم.

﴿نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾: من: بمعنى: الذي.

﴿كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة، وتعني: الحال.

﴿فِي الْمَهْدِ﴾: من كان في السرير (سرير الطفل)، والمهد: المكان الممهد المعد، أو المهيئ لنوم الطفل.

﴿صَبِيًّا﴾: للتوكيد. ولو قالوا كيف نكلم صبيّاً لكان يكفي ذلك، ولكن قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيّاً؟ هذه الإضافة تدل على التأكيد على استغرابهم والمبالغة في الإنكار والتعجب أن يكلمهم هذا الصبي أولاً، والتعجب الذي صدر منهم.

[٣٠] ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾: أول كلمة نطق بها عيسى ﷺ، وهو وليد في المهد: إني عبد الله؛ حتى لا يظن أحد كما زعموا أنه ابن الله، أو إله، أو شريك؛ فكان ذلك أول تصريح هو إعلان عبوديته لله تعالى، وعبوديته هي تشريف للعبد أن يكون عبداً لله تعالى.

﴿ءَاتَنِي الْكِتَابَ﴾: الكتاب: الإنجيل؛ آتاني: فعل ماض، ولم يقل سيأتي

في المستقبل؛ ليدل على أن الأمر حاصل لا محالة، وكأنه حصل وهو ما زال وليداً في المهد.

﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾: وهو ما زال وليداً، وبصيغة الماضي؛ ليدل على تحقق النبوة له.

﴿نَبِيًّا﴾: إلى بني إسرائيل.

إن عيسى ﷺ ولد كامل العقل، كما خلق آدم كامل العقل؛ فكان قادراً على قول ذلك.

[٣١] ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾:

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾: ينتفع منه الناس؛ مثلاً: يرى الأكمه، والأبرص، ويُحيي الموتى، وبسببه يكثر الخير، وتنزل البركات.

﴿أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾: ولم يقل حيثما كنت؛ لأن (أينما كنت) أكثر غموضاً، وإبهاماً، وأوسع شمولاً من (حيثما كنت).

﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾: أي: أمرني بالصلاة، والزكاة.

﴿مَا﴾: مصدرية، ظرفية، زمانية؛ أي: مدة بقائي حياً.

[٣٢] ﴿وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾:

﴿وَبَرًّا بِوَالِدِي﴾: ولم يقل بوالدي؛ لأنه ﷺ علم أنه ليس له أب، وهو ما زال وليداً، وعلم الذين اتهموا مريم أنه ولد من غير أب، وبراً بوالدي؛ أي: أمرني ببر والدي، والإحسان إليها، وطاعتها.

﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾: ارجع إلى الآية (١٤)؛ للمقارنة، والبيان.

﴿شَقِيًّا﴾: صيغة مبالغة من شقي: كثير الشقاوة، وسبب الشقاوة: البعد عن



دين الله والإيمان، والسير في طريق الكفر والشرك والضلال. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (١٠٦) للبيان.

[٣٣] ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمٍ أَمُوتُ وَيَوْمٍ أُبْعَثُ حَيًّا﴾:

﴿وَالسَّلَامُ عَلَى﴾: عيسى عليه السلام على نفسه؛ أي: علمه ربه بالوحي، أو أنطقه أن يسلم على نفسه، كما علمه أن يقول: إني عبد الله آتاني الكتاب، وجعلني نبياً.

وكلمة (يوم) هنا؛ تعني: حين؛ لأن (يوم) تعني: النهار، وهو قد يكون ولد ليلاً، أو يموت ليلاً، أو يبعث ليلاً، واختار هذه الأزمنة: زمن ولادته وموته وبعثه؛ لأنها أزمنة صعبة يحتاج فيها الإنسان للسلامة من الأذى، والمكروه، وكذلك الأمن، والطمأنينة. ارجع إلى الآية (١٥) من السورة نفسها؛ للبيان.

[٣٤] ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾:

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾: ذلك: اسم إشارة، واللام: للبعد، والتعظيم، ويشير إلى عيسى عليه السلام. واسم عيسى يأتي في سياق النداء والتكليف، وفي سياق تعداد الرسل أو بشكل عام، بينما يأتي اللقب المسيح في سياق الثناء والعقيدة.

﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾: قول الحق؛ أي: ما قاله الله سبحانه بشأن عيسى ابن مريم هو الحق من كون عيسى كلمة الله ألقاها إلى مريم، وكونه خلق، كما خلق آدم، وبكلمة كن فيكون.

﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: يمترون من المراء: وهو الجدل، والقول الباطل بعد ظهور الحق؛ أي: عيسى ليس إلهاً، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة.

[٣٥] ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾:

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ﴾: ما: النافية.

﴿كَانَ﴾: تشمل الأزمنة كلها: الماضي، والماضي المستمر، والحاضر، والمستقبل.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ﴾: في أي زمن من الأزمنة.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿أَنْ يَنْخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾: أن: للتوكيد.

﴿مِنْ﴾: استغراقية تستغرق أي ولد مهما كان ذكراً، أو أنثى، والاتخاذ؛ أي: الجعل، والتصيير؛ لأنه سبحانه ليس بحاجة إلى معين، أو ناصر، وليس بحاجة إلى شريك، وولد؛ لاستدامة الخلق.

﴿سُبْحَنَهُ﴾: تنزيهاً مطلقاً لله في ذاته، وصفاته، وأفعاله من أي نقص، أو عيب، أو صاحبة، أو ولد، وتنزيهاً له عما لا يليق بكماله، وجلاله.

﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: إذا شرطية تفيد حتمية الحدوث، والكثرة.

﴿قُضِيَ أَمْرٌ﴾: أن يخلق خلقاً، أو يأمر شيئاً، أو أراد شيئاً.

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: ارجع إلى سورة النحل، آية (٤٠)؛ للبيان.

[٣٦] ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾:

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾: إن: حرف مشبه بالفعل للتوكيد، وإنّ الله ربي وربكم؛ أي: وقل لبني إسرائيل: إنّ الله ربي وربكم.

﴿فَأَعْبُدُوهُ﴾: الفاء: فاء السببية؛ أي: اعبدوه بسبب كونه ربكم: خالقكم، ومدبر أموركم، ومصرفها، ورازقكم، ومربيكم؛ فاعبدوه، من: العبادة، وتعني: إطاعة المعبود في كل ما أمر، ونهى عنه. ارجع إلى سورة النحل، آية (٧٣).



﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾: عبادة الله تعالى وحده، وطاعته، وامتنال أوامره، وتجنب نواهيه هو الصراط المستقيم، أو الدين، أو السبيل المستقيم الموصل إلى الغاية بأقصر زمن، وأقل جهد.

لنقارن هذه الآية (٣٦) من سورة مريم: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، وكذلك وردت في سورة آل عمران، آية (٥١)، مع الآية (٦٤) من سورة الزخرف: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

إضافة كلمة «هو» في آية الزخرف تأكيداً لإثبات الربوبية لله سبحانه، ونفي الولد؛ لأن آية الزخرف سبقها كثير من الآيات التي تتحدث عن الشرك، واتخاذ الولد، والملائكة إنثاء الآيات (١٥، ١٦، ١٩).

فجاء بكلمة «هو» للتوكيد، والحصص، مقارنة بآية مريم، وآل عمران التي سبقها آيات كثيرة تتحدث عن عبودية عيسى لله تعالى، فلم يؤكد بكلمة هو. [٣٧] ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾: الفاء: تدل على التعقيب، والمباشرة؛ اختلف الأحزاب: جمع حزب: جماعة من الناس يجمعهم رأي، أو آراء، أو مبادئ واحدة، أو طائفة؛ فقد تحزبوا ثلاث فرق في شأن عيسى: حزب قالوا: هو إله، وحزب قالوا: هو ابن الله، وحزب قالوا: ثالث ثلاثة.

﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾: من: ابتدائية للتوكيد.

﴿بَيْنِهِمْ﴾: الكاثوليك، أو الملكانية، واليعقوبية (الأرثوذكس)، والاعتراضية البروتستانت؛ أي: أتباع عيسى أنفسهم اختلفوا في شأنه.

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: فويل: الفاء: للتوكيد؛ ويل للذين كفروا: هذا وعيد للذين كفروا.

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿كَفَرُوا﴾: من اليهود، والنصارى باتخاذ عيسى إلهاً، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة، أو كفر بآيات الله ورساله، والويل: تعني: العذاب، وقيل: الويل: واد في جهنم.

﴿مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: من: ابتدائية.

﴿مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: أي: مشهد؛ أي: مرأى يوم القيامة يشهده الأولون والآخرون.

﴿مَّشْهَدٍ﴾: اسم زمان، أو اسم مكان، وهو مصدر ميمي من فعل: شهد بمعنى: حضر، وشهد.

[٣٨] ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لِنَكُنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾:

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾؛ أي: لورأيهم في ذلك اليوم يوم القيامة، لعجبت من شدة حدة سمعهم، وإبصارهم بعد أن كانت في الدنيا معطلة عن سماع الحق، وآيات الله تعالى.

﴿لِنَكُنَّ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

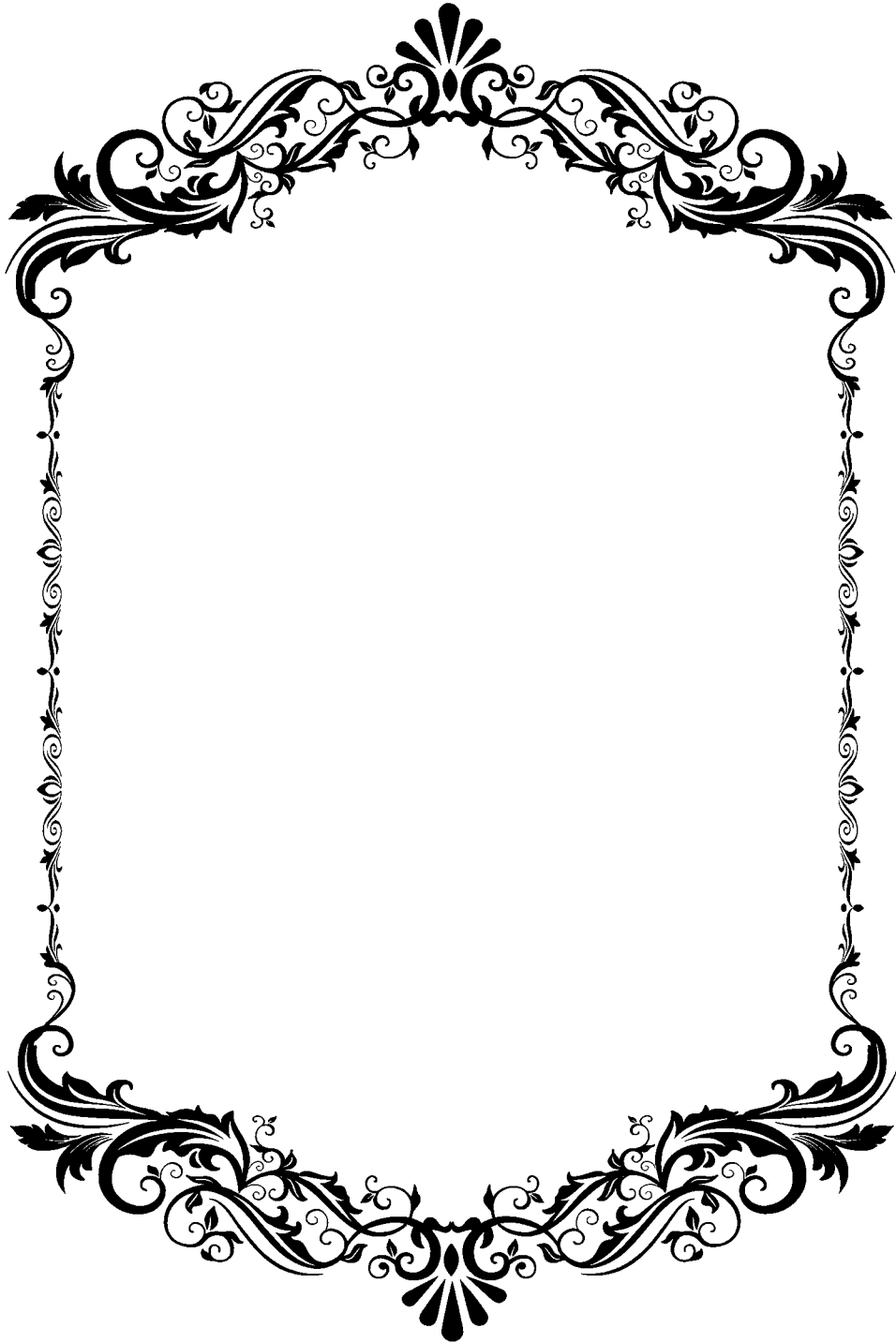
﴿الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ﴾: المشركون.

﴿الْيَوْمَ﴾: تعني: الحين؛ أي: في الدنيا في ضلال مبين. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٤)؛ لبيان الظلم.

﴿ضَلَّالٍ مُبِينٍ﴾: في بُعد عن الحق وضياع وتخبط وحيرة.

﴿مُبِينٍ﴾: ظاهر لكل إنسان، ومظهر لنفسه لا يحتاج إلى برهان، أو دليل للناس ليكشفه.







فهرس تفسير القرآن الثري الجزء السادس

السورة ورقمها	الصفحة
سورة إبراهيم [الآيات ٢٥ - ٣٣].....	٦
سورة إبراهيم [الآيات ٣٤ - ٤٢].....	١٧
سورة إبراهيم [الآيات ٤٣ - ٥٢].....	٢٩
سورة الحجر [الآيات ١ - ١٥].....	٤١
سورة الحجر [الآيات ١٦ - ٣١].....	٥٣
سورة الحجر [الآيات ٣٢ - ٥١].....	٦٥
سورة الحجر [الآيات ٥٢ - ٧٠].....	٧٧
سورة الحجر [الآيات ٧١ - ٩٠].....	٨٩
سورة الحجر [الآيات ٩١ - ٩٩].....	١٠١
سورة النحل [الآيات ١ - ٦].....	١٠٧
سورة النحل [الآيات ٧ - ١٤].....	١١٥
سورة النحل [الآيات ١٥ - ٢٦].....	١٢٥
سورة النحل [الآيات ٢٧ - ٣٤].....	١٣٧
سورة النحل [الآيات ٣٥ - ٤٢].....	١٤٧
سورة النحل [الآيات ٤٣ - ٥٤].....	١٥٧
سورة النحل [الآيات ٥٥ - ٦٤].....	١٦٩
سورة النحل [الآيات ٦٥ - ٧٢].....	١٨١
سورة النحل [الآيات ٧٣ - ٧٩].....	١٩٣



السورة ورقمها	الصفحة
سورة النحل [الآيات ٨٠ - ٨٧].....	٢٠٣
سورة النحل [الآيات ٨٨ - ٩٣].....	٢١١
سورة النحل [الآيات ٩٤ - ١٠٢].....	٢٢١
سورة النحل [الآيات ١٠٣ - ١١٠].....	٢٣١
سورة النحل [الآيات ١١١ - ١١٨].....	٢٤١
سورة النحل [الآيات ١١٩ - ١٢٨].....	٢٥٣
سورة الإسراء [الآيات ١ - ٧].....	٢٦٩
سورة الإسراء [الآيات ٨ - ١٧].....	٢٧٩
سورة الإسراء [الآيات ١٨ - ٢٧].....	٢٩١
سورة الإسراء [الآيات ٢٨ - ٣٨].....	٣٠٥
سورة الإسراء [الآيات ٣٩ - ٤٩].....	٣١٧
سورة الإسراء [الآيات ٥٠ - ٨٥].....	٣٢٩
سورة الإسراء [الآيات ٥٩ - ٦٦].....	٣٣٩
سورة الإسراء [الآيات ٦٧ - ٧٥].....	٣٤٩
سورة الإسراء [الآيات ٧٦ - ٨٦].....	٣٥٧
سورة الإسراء [الآيات ٨٧ - ٩٦].....	٣٦٩
سورة الإسراء [الآيات ٩٧ - ١٠٤].....	٣٧٩
سورة الإسراء [الآيات ١٠٥ - ١١١].....	٣٨٩
سورة الكهف [الآيات ١ - ٤].....	٣٩٧
سورة الكهف [الآيات ٥ - ١٥].....	٤٠٣
سورة الكهف [الآيات ١٦ - ٢٠].....	٤١٥



السورة ورقمها	الصفحة
سورة الكهف [الآيات ٢١ - ٢٧].....	٤٢٣
سورة الكهف [الآيات ٢٨ - ٣٤].....	٤٣٥
سورة الكهف [الآيات ٣٥ - ٤٥].....	٤٤٥
سورة الكهف [الآيات ٤٦ - ٥٣].....	٤٥٥
سورة الكهف [الآيات ٥٤ - ٦١].....	٤٦٧
سورة الكهف [الآيات ٦٢ - ٧٤].....	٤٧٩
سورة الكهف [الآيات ٧٥ - ٨٣].....	٤٩١
سورة الكهف [الآيات ٨٤ - ٩٧].....	٥٠١
سورة الكهف [الآيات ٩٨ - ١١٠].....	٥١١
سورة مريم [الآيات ١ - ١١].....	٥٢١
سورة مريم [الآيات ١٢ - ٢٥].....	٥٣٣
سورة مريم [الآيات ٢٦ - ٣٨].....	٥٤٧
فهرس تفسير القرآن الشري الجزء السادس.....	٥٥٧



نَفْسُ الْقُرْآنِ

الْحَكِيمِ الْخَافِعِ

فِي

الْإِعْجَازِ الْبَيِّنِيِّ وَاللُّغَوِيِّ وَالْعِلْمِيِّ

إِعْدَادُ وَدِرَاسَةُ

الدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ صَلَاحٍ

تَحْقِيقُ

تَحْقِيقُ

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الشَّرِيفِ الْجَامِعِ

يَفِي

الْإِعْجَازَ الْبَيَّانِيَّ وَاللُّغُويَّ وَالْعِلْمِيَّ

إِعْدَادُ وَدِرَاسَةُ

الدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ الْهَمَلَالِ

الْجُزْءُ السَّابِعُ

تَحْقِيقُ الْمُعْجَزَاتِ

تَحْقِيقُ الْجَمْعِ الْإِلَهِيِّ

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الشَّرِيفِ الْجَامِعِ

يَفِي

الْإِعْجَازَ الْبَيَانِي وَاللُّغُويَّ وَالْعَامِيَّ

الْجُزْءُ السَّابِعُ

تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء : (١٢)
عدد الصفحات : (٦٧٠٤)
القياس : ٢٤ × ١٧
التنضيد والإخراج الضوئي : محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م



دار المعارف

تلفاكس : +963 11 2247242

ص.ب: 31429 . سورية . دمشق

E-mail: meraj.press@gmail.com



لِطَبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

دار جامع الكلام

تنضيد وإخراج ضوئي

جوال : 60 60 933 963 +

سورية - دمشق - تلفاكس : 963 11 2216555 + - ص . ب 13118

www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5



الجزء الثاني عشر

سُورَةُ الْاِنشَارِ ١٩

وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
 ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَذْكُرْ
 فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَأْتِبَتْ
 لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَأْتِبَتْ
 إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا
 سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَأْتِبَتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ
 عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَأْتِبَتْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
 فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ
 يَتَابِرْهُمْ لِيْن لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ
 سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾
 وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى
 أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾
 وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾
 وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾



سورة مريم [آيات ٣٩ - ٥١]

[٣٩] ﴿وَأَنذَرُهمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهمْ فِي غَفْلَةٍ وَهمْ لَا يَوْمُون﴾:

﴿وَأَنذَرُهمْ﴾: يا محمد ﷺ أُنذر قومك، والإنذار: هو الإعلام المقرون بالتحذير، والوعيد.

﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾: يوم القيامة، ويوم القيامة له أسماء كثيرة؛ مثل: اليوم الآخر، يوم البعث، يوم الفصل، يوم الدين، يوم الوعيد، يوم الجمع وغيرها، ووصف بيوم الحسرة لشدة الحسرات في ذلك اليوم، وكأنه يوم مختص بالحسرة ولا شيء آخر فيه سوى الحسرة للظالمين والكافرين والمشركين وحتى المؤمنين والحسرة: هي أشد الندم، والأسف على شيء مضى، أو فات، ولم يُتدارك، أو على ما فرط في دنياه، والكل يتحسر، والمؤمنون يتحسرون على عدم الإكثار من أعمال البر، والتقوى، وأشد الناس حسرة هم الكافرون.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمني بمعنى: حين.

﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: فرغ من الحساب، وحكم الله سبحانه: فريق إلى الجنة، وفريق إلى السعير.

﴿وهمْ فِي غَفْلَةٍ﴾: هم: ضمير فصل يفيد التوكيد، وهم: تعود على الإنس، والجن. والغفلة: تعني: ترك باختيار الغافل وأما النسيان؛ فهو ترك بغير اختيار الإنسان، عدم حضور الشيء في البال؛ أي: عدم الانتباه، وانمحاء صورة الشيء

في الذّاكرة لتركه إياه وعدم الاهتمام به، وقلة التحفظ أو التيقظ، والغفلة: أعم من النسيان فكل نسيان غفلة، وليس كل غفلة نسيان.

﴿فِي﴾: ظرفية زمانية؛ تعني: في الدّنيا.

﴿غَفَلَةٍ﴾: عنه، عن الاستعداد ليوم الحسرة، أو يوم القيامة. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان في معنى: الغفلة.

﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: تكرار (وهم): يفيد التّوكيد، وفصل الغفلة عن الإيمان، أو كلاهما معاً.

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بالله تعالى، وكتبه، ورسله، والملائكة، واليوم الآخر، أو لا يؤمنون بالآخرة، والحساب، والجزاء؛ يؤمنون: بصيغة المضارع؛ تفيد تجدد، وتكرار عدم إيمانهم.

[٤٠] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: نون التّعظيم؛ أي: سبحانه وحده هو الوارث الذي يرث الأرض ومن عليها؛ فهو المالك الحقيقي، والخلق إنما هم مستخلفون فقط.

﴿نَحْنُ﴾: للتوكيد.

﴿نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾: كقوله تعالى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]؛ أي: إذا جاءت نفخة الصّعق، أو الموت (النفخة الأولى) الكلّ سيموت، ويترك وراءه كلّ شيء من مال وديار وأرض.



والوارث: تعني الباقي بعد فناء الخلق، هو الله سبحانه؛ فهو الأول والآخر،
له ما في السموات والأرض وما فيهن منذ الأزل.

﴿وَالْيَنَّا يُرْجَعُونَ﴾: إلينا: تقديم إلينا للحصر، والتوكيد.

﴿وَرُجْعُونَ﴾: قسراً للحساب.

[٤١] ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾:

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ﴾: هذه هي المرة الثالثة التي يعيد فيها كلمة «واذكر»؛ فقد
قال تعالى: ﴿ذَكَرْهُمْ رَبُّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾، ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾، ﴿وَأَذْكُرُ فِي
الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾، والذكر: ضرب من العلم، ويعني: ذكرهم بشيء نسوه، أو سهوا
عنه، ذكرهم بإبراهيم.

﴿فِي الْكِتَابِ﴾: القرآن. وسمي الكتاب؛ لأنه مكتوب في السطور؛ أي:
محفوظ من التحريف والتبديل بكل كلماته وحروفه.

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: أبو الأنبياء، وما جرى بينه وبين آزر وقومه من حوار حول
ترك عبادة الأصنام، ودعوته للعودة إلى وحدانية الله تعالى.

﴿إِنَّهُ﴾: إن: للتوكيد.

﴿كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾: صديقاً: صيغة مبالغة في الصدق، وتصديق الحق، وكل
ما جاء به الله سبحانه، فالصديق: هو الذي بلغ أعلى درجة في تصديق الوحي،
وما جاء به الرسل، وهو الذي يصدق في كل كلامه، وما يخبر به؛ أمثال: أبي بكر
الصديق، ومريم كقوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥].

﴿نَبِيًّا﴾: فالصديق قد لا يكون نبياً، كما رأينا في أمثال أبي بكر، ومريم،

والتَّوْبَةُ درجة أخرى أعلى من درجة الصّديقين، فهي عطاء من الله تعالى، ونحن نعلم أن كلّ رسول هو نبي، وليس كلّ نبي رسولاً؛ فإبراهيم عليه السلام كان رسولاً نبياً، وهو من أولي العزم من الرّسل. ارجع إلى سورة النّساء، آية (١٦٤) لمعرفة الفرق بين الرّسول والنّبي.

[٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾:

﴿إِذْ﴾: أي: واذكر، أو حين قال لأبيه.

﴿قَالَ لِأَبِيهِ﴾: أي: عمّه آزر، كلمة العم تطلق على الأب والعم والجدة ولا تعني أباه الحقيقي، كما يذكر كثير من المفسرين. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٧٤) لمزيد من البيان.

﴿يَا أَبَتِ﴾: ياء النداء: للبعد.

﴿يَا أَبَتِ﴾: ولم يقل: يا أبي، أو يا عمي، أو يا آزر، كلمة أبت: فيها معنى الحنان، والعاطفة، والرّافة، وقيل: إضافة التّاء: تاء التّأنيث تشير إلى حنان الأم؛ إذن كلمة يا أبت: تضم حنان الأبوين معاً، وحين تموت الأم يبقى الأب؛ فيقوم بوظيفة الأب والأم معاً، ويعوض الأب حنان الأم المفقودة؛ فينادي: يا أبت.

وقوله: يا أبت، ولم يقل: يا أبتني: حذف ياء المتكلم؛ لأنّ إبراهيم فقد أباه وأمه، ولم يكن له إلا عمّه؛ فناداه كالأب.

وقوله: يا أبت: فيها معنى التّوسل، والاستعطاف؛ للكف عن عبادة الأصنام.

﴿لَمْ﴾: لم: استفهام إنكاري، وحذفت الألف في لما؛ لدخول حرف الجر (اللام) عليها.



﴿تَعَبَّدُ﴾: تطيع، وتدعو، أو تتقرب إلى هذه الأصنام. ولمعرفة معنى العبادة ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣)، والأنبياء آية (١٠٦).

﴿مَا لَا﴾: ما: لغير العاقل، ولا: النافية.

﴿لَسَمْعٌ وَلَا يُبْصِرُ﴾: لأنها أصنام، أو حجارة؛ فهي حقيقة لا تسمع، ولا تبصر، ولا تغني شيئاً.

﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾: أي: لا فائدة منها، وليس لك فيها حاجة؛ فهي لا تدفع ضرراً، ولا تجلب نفعاً؛ لا تفيدك إن عبدتها، ولا تضرك إن لم تعبدتها.

﴿شَيْئًا﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتشمل كل شيء صغيراً، أو كبيراً، من نفع، أو ضرر، وتكرار «لا» ثلاث مرات: يفيد التوكيد، ويفيد فصل كل صفة عن الأخرى: السمع، والبصر، والفائدة.

[٤٣] ﴿يَتَأْتِيَنِي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾:

﴿يَتَأْتِيَنِي﴾: تكرر هذا النداء لجلب انتباه عمه، وإظهار مدى اهتمامه به لدعوته إلى عبودية الله وحده، وكأنه باخع نفسه لهداية عمه آزر.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿قَدْ﴾: لزيادة التوكيد، والتحقق.

﴿جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ﴾: من: ابتدائية بعضية؛ أي: بعض العلم من ربي، كما في سورة الأعلى الآية (١٩): ﴿صُحُفٍ إِزْهِيَمَ﴾، وسورة الأنعام، الآية (٧٥): ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ من العلم بالله واليقين، والمعرفة بالدين.

﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾: ما: موصول بمعنى: الذي، وهي أوسع شمولاً من الذي.
 ﴿لَمْ﴾: للنفي، وفيها معنى الاعتذار. ما لم يأتك: أي: يُنزل عليك، أو تخبر
 به عن طريق الإيحاء، وغيره من العلم.

﴿فَاتَّبَعْنِي﴾: اتبعني: فيها تأكيد ومبالغة في الاتباع؛ أي: أسعى، وأجتهد
 في اتباعي؛ اتبعني في دعوتي، وعبادتي.
 ﴿أَهْدِكَ﴾: أدلك، أو أرشدك.

﴿صِرَاطًا سَوِيًّا﴾: الصِّراط: هو السَّيْل الموصول إلى الغاية بأقصر زمن،
 ومسافة، وبدون عقبات. السَّوِيّ: المستقيم؛ أي: الصِّراط المستقيم: وهو
 دين الله وشرعه. الصِّراط المستقيم الموصول إلى الغاية، وهي رضوان الله،
 والجنة، والسَّعادة في الدارين، والنَّجاة من النَّار.

[٤٤] ﴿يَتَأْتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾:

﴿يَتَأْتِ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (٤٣).

﴿لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾: لا: النّاهية.

﴿لَا تَعْبُدِ﴾: المراد بعبادة الشيطان هو عبادة الأصنام، وعبر عنها بعبادة
 الشيطان تبغيض لعبادتها لكون الشيطان عدو مبين؛ أي: لا تطع، ولا تدع، ولا
 تتبع الشيطان ووساوسه، ونزغه، وتزيينه وإضلاله في عبادة الأصنام.

﴿الشَّيْطَانُ﴾: ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.



﴿الشَّيْطَانُ﴾: التكرار يفيد التوكيد وأبلغ من القول: ﴿لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾.

﴿كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾: عصياً: من: عصى يعصي على وزن: فاعيل صيغة مبالغة؛ أي: كثير العصيان لذلك احذروه، وكان: تشمل كل الأزمنة، ولا تقتصر على الماضي فقط.

[٤٥] ﴿يَتَأَبَّتْ إِنْ أَحَافَ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾:

﴿يَتَأَبَّتْ﴾: ارجع إلى الآية (٤٣).

﴿إِنْ﴾: للتوكيد.

﴿أَحَافَ أَنْ﴾: أن: تفيد التعليل. وأحاف من الخوف: هو توقع الضرر المشكوك في وقوعه.

﴿يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾: يمسسك: المس: هو أخف، أو أدنى درجات اللمس، ومجرد التقاء شيء بشيء، ولو لأقل من ثانية من الزمان؛ أي: أقل درجات الإصابة الخفيفة جداً، ولم يقل: يصيبك، أو يحل عليك، وهذا يدل على منتهى شفقة إبراهيم على عمه، والحرص على نجاته من العذاب.

﴿مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾: اختار اسم الرحمن مع كلمة العذاب بدلاً من الجبار، أو القهار؛ لأنَّ الرحمن من الرحمة، والرحمن على وزن: فعلان؛ تفيد التجدد، والتكرار، والرحمن للمؤمن والعاصي؛ لعل ذكر الرحمن مع العذاب يخفف من درجة العذاب، كما لو كان العذاب من العزيز الجبار، أو لا تغتر بكونه الرحمن

فهو الغفور الرحيم، وأن عذابه هو العذاب الأليم، كما قال تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ أُولَٰئِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَخَفُونَ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

فهو اختار المس، واختار الرحمن؛ ليدل ذلك على منتهى الشفقة على عبده، وحرصه على نجاته من العذاب، ولعله يرجع عن شركه، وقوله: أن يمسسك عذاب من الرحمن في الدنيا، أو في الآخرة.

﴿فَتَكُونَنَّ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾: ولياً: من ولي: وهو القريب، أو الذي يليك؛ أي: معيناً أو ظهيراً.

فهذه النداءات الأربعة تمثل جانباً أو نموذجاً من نماذج كيفية الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة، والبيان، وتجنب القسوة، والجدال.

[٤٦] ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُ نَادٍ مُّذَكِّرٍ ۚ أَتَنْتَهِ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۚ لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۖ﴾

﴿قَالَ﴾: أزرع إبراهيم لإبراهيم.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُ نَادٍ مُّذَكِّرٍ ۚ﴾: أراغب: الهمزة: تفيد الاستفهام، والإنكار، والتعجب.

﴿أَنْتَ﴾: تفيد التوكيد؛ هناك فرق بين: أراغب عن، و: أراغب في؛ يقال: رغب في كذا؛ أي: أحبه، ورغب عن كذا؛ أي: كرهه، واعتزله؛ أي: أكاره أنت لإلهتي يا إبراهيم، وتعيب عليها.

﴿لَئِنْ﴾: اللام: لام التوكيد؛ إن: شرطية تفيد الشك، أو الندرة.

﴿لَّمْ﴾: النافية.



﴿تَنْتَه﴾: عن إثارة العيب على ألهمي، وتكف عن محاربتها، والتعرض لها.

﴿لَا رَجْمَنَّكَ﴾: اللام: للتوكيد، وكذلك النون: لزيادة التوكيد على الرجم لإبراهيم، والرجم يكون بالحجارة، أو التعذيب، أو بالقول، والشتم، والسب.
﴿وَاهْجُرْنِي﴾: ابتعد عني، وفارقني، أو ارحل عني إلى بلد آخر.
﴿مَلِيًّا﴾: دهرًا طويلًا، أو اهجرني إلى أبد الدهر بلا عودة. مليًا: مشتقة من الإملاء: الوقت الطويل.

[٤٧] ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾:

﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾: قال إبراهيم ﷺ لأزر: سلام عليك، سلام مفارقة، ووداع.

﴿سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي﴾: قال ذلك إبراهيم لأزر سيستغفر له ربه قبل أن يتبين له أنه عدو لله؛ فلما تبين لإبراهيم أن عمه أزر عدو لله تبرأ منه؛ إذن وعد إبراهيم لم يتم وينفذ.

﴿سَأَسْتَغْفِرُ﴾: السين: للاستقبال القريب، ولم يستغفر لعمه، وورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

﴿إِنَّهُ﴾: تفيد التوكيد.

﴿كَانَ﴾: كان: تستغرق كل الأزمنة: الماضي، والحاضر.

﴿بِي﴾: خاصة.



﴿حَفِيًّا﴾: من الحفاوة؛ أي: الكرم. إنه سبحانه كريمٌ بي يجيب دعائي.

[٤٨] ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾:

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾: أي: أبتعد عنكم، وأهجركم.

﴿وَمَا تَدْعُونَ﴾: ما: لغير العاقل.

﴿تَدْعُونَ﴾: وما تعبدون؛ فالعبادة: هي دعاء، والدعاء جزء من العبادة.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾: أعبد ربي، ولا أشرك به.

﴿عَسَىٰ﴾: أداة رجاء للأمر التي يتم تحققها عادة، عسى ربي؛ أي: راجياً

من الله.

﴿أَلَّا﴾: أصلها: (أن) و(لا)؛ أن: مصدرية تفيد التعليل، والتوكيد؛ لا:

النافية.

﴿أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾: راجياً أن لا أكون شقياً؛ أي: غير مستجاب

الدعاء، أو تحبط طاعتي، وأعمالي الصالحة، ويبطل ثوابها، وتصبح مصدر

شقائي، كما شقيتم بعبادة الأصنام؛ لأنها لا تنفعكم، ولا تضركم، ولا تستجيب

لدعائكم أصلاً.



[٤٩] ﴿ فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾:

﴿ فَلَمَّا ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ لما: ظرفية زمانية؛ بمعنى: حين.
﴿ أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾: بالهجرة إلى الشام، وبعدها إلى الأرض المقدسة، وتركهم، وأصنامهم في ضلالهم، وطغيانهم؛ يعبدونها من غير الله.
﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ ﴾: وهبنا: من: وهب. ارجع إلى الآية (٨) من سورة آل عمران؛ للبيان.

﴿ إِسْحَاقَ ﴾: ابنه من سارة، ومن قبل وهب له ابنه إسماعيل من هاجر.
﴿ وَيَعْقُوبَ ﴾: ابن إسحاق؛ أي: ولد الولد؛ فكان يعقوب نافلة زيادة على طلبه.

﴿ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾: كلاهما وهبناه النبوة، وزيادة الواو في كلمة وكلاً تدل على أن الله وهب لهما ولغيرهما النبوة.

[٥٠] ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾:

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ ﴾: وهبنا: الهبة: هي عطاء تفضل من الله، وفيها تعظيم بإضافة نون الجمع لهم؛ أي: الثلاثة: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وهبنا. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (٨)؛ للبيان.

﴿ مِنْ رَحْمِنَا ﴾: من: ابتدائية. الرحمة: هي النبوة؛ أي: جعلناهم أنبياء، أو (وهبنا لهم) قد تعني أيضاً: المال، والولد، والعلم، والذكر، والثناء الحسن.

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾: وجعلنا لهم الثناء الحسن.

والذكر الجميل في جميع الأمم التي جاءت من بعدهم، فالكل يشنون على إبراهيم ﷺ.

﴿لِسَانَ﴾: يعني: القول؛ لأنّ القول يكون باللسان؛ فوضع اللسان مكان القول، ومثال على ذلك ما نقوله في الصَّلوات: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم.

[٥١] ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾:

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾: ارجع إلى الآية (٤١)؛ للبيان. موسى ﷺ.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ مُخْلَصًا﴾: المخلص: بفتح اللام: الذي أخلصه الله سبحانه، ووفقه لطاعته، واختاره على الناس؛ أي: اصطفاه على الناس كما قال تعالى: ﴿أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وبلغ أعلى المقامات. أمّا المخلص: بكسر اللام: الذي أخلص عبادته لله وحده؛ فكل مخلص هو مخلص، وليس كل مخلص هو مخلص، وموسى ﷺ كان مُخْلَصًا ومُخْلِصًا (كلاهما).

﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾: وكان: للزمن الماضي.

﴿رَسُولًا﴾: ذا رسالة. كل رسول هو نبي، وليس كل نبي رسولاً. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٤)؛ لمعرفة الفرق بين: الرسول، والنبي.





سورة النازعات ١٩

الجزء الثاني عشر

وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝٥٢ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۝٥٣ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝٥٥ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذِ اتَّخَذُوا عَلَيْهِمْ هَايَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝٥٨ خُلِفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝٦٠ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۝٦١ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝٦٢ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۝٦٣ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤



سورة مريم [الآيات ٥٢ - ٦٤]

[٥٢] ﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾:

﴿وَنَدَيْنَاهُ﴾: أي: موسى ﷺ، وذلك بعد أن رجع من مدين، وسار بأهله متجهاً إلى مصر ﴿ءَأَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩]. نادينه؛ أي: ناداه ربه جلا جلاله، وجاءت بصيغة الجمع؛ للتعظيم

﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾: أي: جبل الطُّور، والطُّور: جبل في سيناء، والطُّور: يعني: أقل ارتفاعاً وحجماً من الجبل العادي، والجبل: لا يمين له، ولا شمال، ولكن له جوانب، والأيمن هنا بالنسبة إلى أيمن موسى؛ أي: من جهة يمين موسى (يده اليمنى)، وهو متجه إلى الطور: ﴿ثَوَدَىٰ يَمُوسَىٰ ۖ إِنَّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ ارجع إلى سورة طه للتفاصيل، الآية (١٢-٢٤).

﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾: النَّجِيُّ: المناجى، والتَّقَرُّبُ: يعني: قرَّبه سبحانه حتى يسمعه كلامه ويناجيه، وأنه سبحانه اختاره لرسالته، وإلى الذهاب إلى فرعون، وبما أن الله سبحانه كلم موسى وحده، ولم يسمع كلام الله إلا موسى؛ فكان كالسر، وسمَّاه نجوى، أو مناجاة (وهي المُسَاوَرَةُ بالكلام). ارجع إلى سورة المجادلة، آية (٧)؛ لمزيد من البيان.



[٥٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾: ارجع إلى الآية (٤٩) من السّورة نفسها، والآية (٨) من سورة آل عمران.

بعد أن سأل موسى ربه، وقال: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ (٢٩) هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرًى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿طه: ٢٩-٣٢﴾، وكذلك قوله: ﴿وَإِخَى هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص: ٣٤]، والرّدء: هو المعين، ووهبنا له: اللام: لام الاختصاص؛ له: وحده؛ لأنّ ذلك لم يحدث مع نبي آخر.

﴿مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾: من: ابتدائية بعبضية؛ فكون هارون نبياً هي هبة من الله؛ أي: تفضل (عطاء) لموسى ﷺ، ولهارون، وتقدير الجار والمجرور هنا يفيد الحصر، والنبوة تعتبر رحمة، وهبة من الله، وشيئاً خاصاً لا تعطى لمن يطلبها عادة، ولا يتوصل إليها بالاجتهاد في العبادة والطّاعة، ولنعلم أنّ هارون ﷺ كان نبياً، وليس رسولاً نبياً.

[٥٤] ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾: ارجع إلى الآية (٤١) من السّورة نفسها.

﴿إِسْمَاعِيلَ﴾: ابن إبراهيم ﷺ جد النبي ﷺ.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾: كان: تشمل، أو تستغرق كلّ الأزمنة أنّه صادق الوعد، قيل: لم يخلف وعداً قط، ومن أقوى الأدلة على ذلك وعده لأبيه بالصبر على ذبحه، وكيف أسلم نفسه للذبح، ولم يخلف وعده بعد أن قال له أبوه إبراهيم:

إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ قَالَ: ﴿يَتَأْتِيَ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِن
الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

ولقد خص الله سبحانه إسماعيل بصفة الصّدق، مع العلم أنّ كلّ
الرّسل والأنبياء كانوا صادقي الوعد، والصّدق صفة في كلّ رسول ونبى؛ لأنّ
إسماعيل ﷺ أوفى بوعده وسلّم نفسه ليذبح، ولم يُبتَلْ غيره من الرّسل بهذا
البلاء العظيم، وقد وصفه الله تعالى بالحليم؛ فقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِعُلَمٍ
حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]، وأغلب المفسرين يقولون: إنّ إسماعيل، وليس إسحاق.
﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾: إلى قبيلة جرهم والعرب. ارجع إلى سورة النّساء، آية
(١٦٤)؛ لمزيد من البيان.

[٥٥] ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾:
﴿وَكَانَ﴾: إسماعيل ﷺ.

﴿يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾: الأهل: العائلة؛ الزّوجة والأولاد، وقيل: الأهل قد تشمل
عشيرته، أو قبيلته.

﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾: الباء: للتوكيد على أهمية الصّلاة التي هي عماد الدين،
وذكر الصّلاة والزّكاة من بين باقي العبادات؛ للدلالة على أهميتها، وفي هذه الآية
إشارة إلى أهمية البدء بإصلاح الخلية الأولى من مكونات الأمة؛ وهي الأسرة.
﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾: مرضياً؛ أي: رضي الله تعالى عنه، ومرضياً: اسم
مفعول من: رضي، ومصدر رضي: الرّضوان. ويدل على ثبوت رضا الله عنه.



[٥٦] ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾:

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾: ارجع إلى الآية (٤١).

﴿إِدْرِيسَ﴾: قيل: هو أول نبي بعد آدم، وشيث، وشيث وإدريس جد نوح، وقيل: هو أول من خطَّ بالقلم، وخاط الثياب (لبس المخيط)، وأنزلت عليه ثلاثون صحيفة.

﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾: إنه: للتوكيد.

﴿كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾: اتصف بصفتين: النبوة، وكونه من الصديقين، كما وصف الله تعالى إبراهيم ﷺ. ارجع إلى الآية (٤١) من السورة نفسها.

[٥٧] ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾:

المكان العليّ فسر بالنبوة، والمنزلة الرفيعة العالية؛ أي: الدرجة العالية عند ربه سواء بالقرب من الله، أو في درجات الجنة، وفسر المكان العليّ بالسّماء الرابعة، فقد روي في الصحيحين أنّ رسول الله ﷺ مرّ به في ليلة الإسراء والمعراج وهو في السّماء الرابعة.

[٥٨] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد تشير إلى بُعد منزلتهم، وعلوها.

﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: بالنبوة وغيرها من النعم الدينية (من الدّين)،

والدنيوية.

﴿مَنْ النَّبِيِّنَ﴾: من جنس النبيين، أو من: بعضية؛ بعض النبيين أنعم الله عليهم؛ لأن جميع الأنبياء أنعم الله عليهم، وشرفهم في الدنيا والآخرة.

﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾: مثل: شيث، وإدريس، ونوح.

﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: من: ابتدائية، بعضية. «وممن حملنا مع نوح»؛ أي: الذين آمنوا معه وذريته.

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ﴾: إسرائيل: وهو يعقوب ﷺ، ومن ذريته: يوسف، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى ابن مريم.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾: من: البعضية؛ بعض الذين هديناهم: أرشدناهم إلى عبادتنا، وإلى ديننا.

﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾: أي: اصطفيناهم للنبوة، وحمل الرسالة، والتبليغ.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية، وبمعنى حين، وشرطية.

﴿نُنَالِ عَلَيْهِمُ آيَاتُ الرَّحْمَنِ﴾: تتلى: تقرأ عليهم من الكتب المنزلة، أو الصحف.

﴿آيَاتُ الرَّحْمَنِ﴾: أو يسمعون آيات الرحمن تتلى عليهم.

﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾: خروا: اشتقت من: خرب الماء الذي يشير إلى هبوطه،

ونزوله بسرعة؛ أي: يهونون على الأرض خازنين لله سبحانه ساجدين بسرعة.

﴿سُجَّدًا﴾: جمع: ساجد. وسجداً: تدل على السجود الظاهر، وأما السجود:

فهو يتناول السجود الظاهر والباطن؛ (أي: الخشوع)، أو طهارة الباطن.

﴿وَبُكِيًّا﴾: باكين من خشية الله، أو مما حصل منهم من تقصير في جنب

الله؛ بكياً: جمع باك: اسم فاعل من: بكى. ارجع إلى سورة الإسراء، الآية (١٠٩)؛ لمزيد من البيان.

[٥٩] ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾:

﴿خَلَفَ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: بعد ذرية إبراهيم، وإسرائيل، وممن هدينا واجتبينا.

خَلَفٌ: بسكون اللام؛ تعني: قوم أشرار. أمّا لو قال: خَلَفَ، بفتح اللام؛ تعني: قوم أخيار. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٦٩)؛ لمزيد من البيان.

خَلَفَ: جمع خالف، أو خَلَفَ مصدر يشمل المفرد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث.

﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾: تركوا الصلاة، ونسوها، وسهوا عنها قصداً.

﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾: جمع شهوة: توقان النفس إلى ما يلد ويسر بدون إرادة العبد، وتعني: الشهوات المحرمة واللذات.

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: للتوكيد، وسوف: تفيد المستقبل البعيد.

﴿يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾: الغي: الخيبة والقيح، وقيل العذاب، والهلاك، والخسران، وكلمة الغي تطلق على كل ذلك، وجاءت فسوف يلقون بصيغة المضارع للدلالة على تجدد لقاءهم الغي، وفي هذا تهديد ووعد.

[٦٠] ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿مَنْ تَابَ﴾: من التَّوْبَةِ، وتعني: الكفَّ عن ارتكاب المعصية، أو المعاصي،
والندم على ما فعله، والإكثار من الأعمال الصَّالحة، والنَّوافل، وإعادة الحقوق
إلى أصحابها.

﴿وَأَمَّنَ﴾: بالله، وما أنزل الله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر،
ووحداية الألوهية، والرَّبوبية، والأسماء، والصفات.

﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: أدَّى الفرائض، وترك المحارم، وقام بالنوافل، وأخلص
عمله لوجه الله.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد، أولئك: اسم إشارة، واللام: للبعد، يشير إلى
علو منزلتهم.

﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾: بعد أن يتوب الله سبحانه عليهم، ويغفر لهم ذنوبهم، أو
يعاقبهم عليها في النَّار، وبعدها يخرجون منها، ويدخلون الجنة، ودخول الجنة
يكون برحمة من الله وفضله.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾: أصل الظلم نقصان الحق والجور؛ فهم لن يظلموا
بنقص حسنة، أو زيادة سيئة، ويعاملون بالعدل.

﴿شَيْئًا﴾: نكرة تشمل كلَّ شيء، والشَّيء هو أقلُّ القليل.

[٦١] ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾:

﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ﴾: وعدن: تعني: الإقامة الدَّائمة الأبدية؛ أي: بعكس جنات
الدُّنيا الزَّائلة الفانية.

﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾: وعد الرَّحْمَن: الوعد المطلق في القرآن



يحمل معنى الخير والشيء السار، وقال: وعد الرحمن، بدلاً من وعد الله؛ ليخبرهم أن دخولهم الجنة هي من رحمته بهم؛ فهو الرحمن الرحيم.

﴿عِبَادُهُ﴾: المؤمنين.

﴿بِالْغَيْبِ﴾: وعدهم إياها وهم لم يروها.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾: واقعاً لا شك فيه، ولا محالة، والوعد: هو جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بها بالغيب، وعد فيه التكريم والتشريف؛ لأنه من الغني الكريم.

﴿مَأْتِيًّا﴾: أي: آتياً، ومأتياً: اسم مفعول من فعل: أتى، ورغم أنه سيأتي في المستقبل، جاء بصيغة الماضي التي تدل كأنه حدث، وكل الأزمنة عند الله سواء كانت في الماضي، والحاضر، أو المستقبل تمثل زمناً واحداً، ومأتياً: مشتقة من: أتى، وأتى تحمل معنى السهولة في المجيء؛ أي: أتت بسهولة، والمأتي يعني كذلك: الذي يأتيه الناس فهو شبه الوعد بمكان يأتيه الطائعون كي يحصلوا عليه.

[٦٢] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾:

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾: لا: النافية.

﴿يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾: في الجنة، أو في جنات عدن.

﴿لَغْوًا﴾: كلاماً باطلاً، أو قبيحاً، أو فحشاً، أو تافهاً، أو لا نفع فيه.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿سَلَامًا﴾: تحية من عند ربهم، أو من الملائكة، أو من أهل الجنة، كقوله تعالى: ﴿تَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾، وسلام: جاءت بصيغة النكرة؛ لتشمل معنى التحية، ومعنى السلامة من الآفات، والعيوب، وكذلك تحمل معنى الأمن والطمأنينة.

﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا﴾: لهم: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿رِزْقُهُمْ فِيهَا﴾: رزقهم: يضم الطعام، والشراب، والملبس، وكل ما يحتاجونه، وما يشتهونه.

﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: وهل في الجنة ليل ونهار؟

الجواب: كلا؛ ف: ﴿أَكُلُهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وهم في نور دائم، ونعيم دائم لا ينفد، ولا ينقطع، ولا يرتبط بوقت، فبكرة وعشيًا تعني: على الدوام، ولا يقصد بها هذين الوقتين فقط، واستعمل: بكرة وعشيًا؛ لأنه سبحانه يخاطب عباده بما ألفوه في الدنيا من غداء، وعشاء، ويعرفون زمن البكرة، والعشية من تغير أنوار الجنة، أو إغلاق الأبواب، وإرخاء الحجب، أو الستائر، ويعرفون النهار برفع الحجب، وفتح الأبواب، والله أعلم.

[٦٣] ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾:

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد.

﴿الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾: نورث: نعطي، وقيل: لكل متقٍ منزل في الجنة، ومنزل في النار، ولكل فاجر منزل في الجنة، ومنزل في النار؛ فإذا ذهب المتقي إلى منزله في الجنة، ترك منزله في النار خاليًا؛ فيرثه الفاجر، وإذا ذهب الفاجر إلى النار، ترك منزله في الجنة خاليًا؛ فيرثه المتقي؛ نورثها: لا تعني نهبها من عبادنا؛



لأن الهبة عطاء بلا عمل، وبلا سبب، أما الإرث فهو شيء مستحق بسبب القرابة لثرت مال القريب، والقرابة (لتكون قريباً من الله تعالى لا بد من السعي والعمل الصالح والإيمان)؛ أي: يرثها بسبب وحق وليس وهبة.

﴿مَنْ كَانَ نَقِيًّا﴾: من: ابتدائية؛ في الدنيا كان مطيعاً لأوامر الله، ومتجنباً نواهيه.

[٦٤] ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ، مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾:

﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾: وما: الواو: استئنافية؛ ما: النافية.

﴿نَنْزِلُ﴾: تعود على جبريل ﷺ، وجاءت بصيغة التعظيم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾: بإذنه، ومشيئته.

قيل في سبب نزول هذه الآية كما ورد في أسباب النزول للواحدي، وقاله عكرمة وقتادة والضحاك، وروى البخاري: أن النبي ﷺ قال لجبريل ﷺ: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا» فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾: إن رسول الله ﷺ استبطأ نزول الوحي (جبريل ﷺ) بعد أن سأله كفار مكة عن أهل الكهف، وذو القرنين، والروح، وأصبح في حرج؛ لعدم نزول جبريل بالجواب على تلك الأسئلة، وتأخر - كما قيل - خمسة عشر يوماً، فلما نزل عليه جبريل سأله ﷺ: لقد أبطأت عنا يا جبريل. قال جبريل: وأنا أشوق إليك، وما نتنزل إلا بأمر ربك.

﴿لَهُ، مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: أي: يعلم كل ما هو قادم؛ أي: ما بقي من أمر الدنيا والآخرة، أو: إليه يرجع كل أمر للقضاء، أو الإذن فيه، سواء أكان في الحاضر، أو الماضي، أو ما تقدم، وما تأخر، أو ما في الماضي، والمستقبل، وما بين ذلك؛ أي: الحاضر، والحال.

﴿وَمَا خَلَفْنَا﴾: أي: ويعلم كل ما مضى من أمر الدنيا، وقبل أن نُخلق. ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾: من حياة البرزخ، وما بين النّفختين، يعلم كل سؤال ودعاء، وهو بكل شيء عليم. أو ما سأله أهل مكة عن أصحاب الكهف، وذو القرنين، والروح، والحاضر، والمستقبل، والحال.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: أي: ما: النّافية لكل الأزمان. كان ناسياً أن يُنزل عليك الوحي مباشرة، أو نسياً: هاجرك، وتاركك، وحاشا لله أن ينسى كما ينسى خلقه، أو يغفل، أو تأخذه سنة، أو نوم، وتأخر نزول الوحي عليك ليس سببه النسيان، أو التّرك، والهجر، وإنما لحكمة يعلمها سبحانه وحده، وقد تكون كما بينها في الآيتين (٢٣-٢٤) من سورة الكهف.





الجزء الثاني عشر

سورة المؤمن ١٩

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تَلَّىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنَاءَ وَرِيًّا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَعُفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾

سورة مريم [الآيات ٦٥ - ٧٦]

[٦٥] ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾:

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: أي: كيف ينسى، وهو رب السموات والأرض، وما بينهما؟! أو: ما كان ربك نسياً؛ لأنه رب السموات، والأرض وما بينهما.

﴿فَاعْبُدْهُ﴾: الفاء: للتوكيد؛ فاعبده وحده بأداء الفرائض، والسنن، والعبادات من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج (عبادات الجوارح)، والعبادات القلبية، والعبادة لا تكون إلا مع المعرفة بالمعبود، ويجب أن تكون خالصة بدون شرك، أو رياء، والخطاب إلى رسول الله ﷺ، وبالتالي إلى أمته.

﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾: اصطبر؛ أي: داوم على الصبر (على أمره ونهيه)؛ أي: مبالغة في الصبر؛ لأن النفس تغلبها الشهوة، وتتقاعس أحياناً عن داوم على عبادته. ارجع إلى سورة آل عمران آية (٢٠٠)، والبقرة آية (١٥٣) لمزيد من البيان في الصبر وأنواعه.

﴿لِعِبَادَتِهِ﴾: اللام: لام الاختصاص، ويعني: الثبات على عبادته. ارجع إلى سورة النحل، آية (٧٣)؛ لمزيد من البيان في معنى العبادة.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾: هل: استفهام فيه معنى النفي، والاستبعاد، والإنكار.



﴿سَمِيًّا﴾: نظيراً مثيلاً في أسمائه، أو: هل تعلم من هو أهل للعبادة سواه؟
«هل» التي هي أقوى وأشد في الاستفهام من الهمزة، كما لو قال: أتعلم له سميًّا؟
[٦٦] ﴿وَقَوْلِ الْإِنْسَنُ أَيْ ذَا مَامِتْ لَسَوْفَ أُخْرِجُ حَيًّا﴾:

﴿وَقَوْلِ الْإِنْسَنُ﴾: ولم يقل: وقال الإنسان بصيغة الماضي، وانتهى الأمر،
«يقول» جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد والتكرار، وأنه لا يزال يقول
ذلك.

﴿الْإِنْسَنُ﴾: يمثل الجنس، والإنسان هنا هو المنكر للبعث، أو الخروج من
القبر حياً مرة أخرى، أو الذي لا يؤمن بالآخرة، والحساب، والجزاء.
﴿أَيْ ذَا مَامِتْ أَيْ ذَا مَآ﴾: إذا: الهمزة همزة استفهام إنكاري، واستبعاد.
﴿مَآ﴾: للتوكيد.

﴿مِتْ﴾: مت: بكسر الميم؛ أي: موت طبيعي عادي، ولو ضم الميم لكان
يعني موت الشهادة في سبيل الله. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٥٧-١٥٨)
للبيان.

﴿لَسَوْفَ﴾: اللام: للتوكيد؛ توكيد النفي؛ سوف: للبعد، والتراخي الزمني،
واستبعاد حدوث الخروج؛ أي: البعث.

﴿أُخْرِجُ حَيًّا﴾: أخرج من القبر؛ أي: أبعث حياً بعد الموت، والفناء.

[٦٧] ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَنُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾:

﴿أَوَلَا﴾: الهمزة: همزة استفهام، وتعجب.



﴿يَذْكُرُ الْإِنْسَنُ﴾: لماذا لا يذكر هذا الإنسان المنكر للبعث؟

﴿أَنَا﴾: للتعظيم.

﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾: لا يذكر النشأة الأولى، فتلك أعجب وأبلغ على قدرة الخالق؛ لأن إعادة الخلق أهون عادة من بدء الخلق، وذلك إذا استعمل موازينه العقلية؛ أما في ميزان الله سبحانه فليس عنده شيء هين، وشيء صعب؛ فالكل متساوٍ، ولمجرد أن يشاء يكون الخلق قد وجد، وقبل أن يقول: كن فيكون.

﴿وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا﴾: الشيء: هو أقل القليل، وشيئاً: نكرة تعني: لم يكن إلا العدم.

﴿يَكُ﴾: تدل على العدم، أو من تراب، أو نطفة. لم يك شيئاً: ذا أهمية حتى يُذكر، وصغر الكلمة تدل على صغر الشيء، ولم يقل: يكن.

ولنقارن هذه الآية (٦٧) من سورة مريم مع الآية (١) من سورة الإنسان:

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَنِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾.

في سورة مريم قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا﴾، وفي سورة الإنسان: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا﴾ مذكوراً أضاف النون، وبناءً على القاعدة اللغوية: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى؛ أي: زيادة في التوكيد.

ففي سورة الإنسان: الآية جاءت بصيغة الاستفهام التقريري بدلاً من الإخبار بالنشأة الأولى؛ أي: خلق الإنسان، وفي سورة مريم: الآية جاءت في سياق الرد على منكري البعث، وإعادة الخلق، وهم لا ينكرون الخلق الأول، أو النشأة الأولى، فجاء الرد بـ: (يك) بدلاً من (يكن) أقل توكيداً.



[٦٨] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا﴾:

﴿فَوَرَبِّكَ﴾: الفاء: للتوكيد تأكيد الخبر وهو لنحشرنهم، وربك: الواو: واو القسم؛ يقسم الرب تبارك وتعالى باسمه مضافاً إلى رسول الله ﷺ المخاطب تعظيماً لشأن رسول الله ﷺ.

﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾: اللام: للتوكيد، وكذلك النون لزيادة التوكيد؛ نحشرنهم: الفاعل نحن للتعظيم، نحشرنهم؛ أي: هؤلاء الكفرة، أو المكذبين للبعث يوم القيامة في أرض المحشر، والمحشر: هو السوق والجمع.

﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾: أي: هم والشياطين، والواو: تعني مع شياطينهم الذين أضلّوهم، وكانوا أولياءهم.

﴿ثُمَّ﴾: لمجرد الترتيب العددي؛ أي: أولاً ثانياً ثالثاً... وهكذا.

أو تباين بين مقام الحشر الذي لا يقارن بمقام الجثي حول جهنم.

﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا﴾: لنحضرنهم: اللام، والنون: للتوكيد، ثم يساقون من أرض المحشر ويجيء بهم ويؤمرون بالجثي على الركب حول جهنم قبل دخولها.

﴿جِثِيًا﴾: جمع جاث، اسم فاعل من: جثا يجثو؛ أي: قعد على ركبتيه؛ دلالة على المهانة، والتّنكيل، ثم يلي ذلك مشهد النّزع لمن كانوا أشدّ عتواً وتجبراً.

[٦٩] ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًا﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب العددي الأول، ثم الثاني، ثم الثالث.

﴿لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾: لنزعين: اللام، والنون: للتوكيد؛ ننزع: من النزاع: وهو خلع الشيء بشدة، ولا يقال: نزع إلا إذا كان المنزوع متماسكاً مع المنزوع منه؛ أي: نخرج من كل شيعة أشر القوم.

﴿شِيعَةٍ﴾: طائفة تشايعت على الكفر، أو اجتمعوا على مذهب واحد، أو عقيدة واحدة.

﴿أَيُّهُمْ﴾: قد تكون اسم موصول، أو اسم استفهام.

﴿أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِثًّا﴾: عثياً: من يعتو؛ أي: أشدهم كفراً وطغياناً وفساداً في الأرض، واختار اسم الرحمن ولم يصرح بلفظ الجلالة الله أو العزيز أو الجبار، واختار الرحمن فقال: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِثًّا﴾ ليحذرهم بأن لا يغرمهم وصفه بالرحمن، وكذلك للمبالغة وتفطيع عتوهم فهم يعتون الرحمن (شديد الرحمة بالخلق والإحسان إليهم). ارجع إلى سورة الفرقان آية (٢٦) لمزيد من البيان في معنى الرحمن.

[٧٠] ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للتدرج في المعرفة، أو الترتيب الذكري.

﴿لَنَحْنُ﴾: اللام للتوكيد، نحن للتعظيم.

﴿أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ﴾: هم: ضمير فصل يفيد التوكيد؛ أعلم: أدرى بذواتهم؛ بالذين: الباء: للإلصاق؛ الذين: اسم موصول يفيد الذم.

﴿أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾: أولى، أحق (الذي هو الأشد كفراً)؛ للدخول فيها والاحتراق بنارها.

﴿صَلِيًّا﴾: مصدر من فعل صلى، اللحم: شواه وألقاه في النار وقاسى حرها، وأصله النار: أدخله فيها.

[٧١] ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾:

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾: وإن: حرف النفي؛ أي: وما منكم إلا واردها.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ أي: كل واحد منكم، خطاب لجميع الخلق الإنس والجن، الورود يشمل الكل المؤمنين، والكفرة، والأتقياء، والأشقياء. الكل واردها: مشتقة من أن تذهب إلى منبع الماء، أو مصدر السقياء، وبعد ذلك سواء شربت منه، أم لم تشرب؛ أي: الوصول إلى جهنم ورؤيتها، ولا يعني: بالضرورة الدخول فيها؛ فالمؤمنون: ورودهم إياها يعني مرورهم على الصراط المضروب على متن جهنم، ورؤيتهم لها. وأمّا الكفار: ورودهم يعني الدخول فيها.

﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾: كان على ربك: وعداً على ربك.

﴿حَتْمًا﴾: الحتم: هو الشيء الواقع لا محالة، والحتم يكون بيد من له الأمر والحكم، وهو الله وحده.

﴿مَقْضِيًّا﴾: أي: حكم لا رجعة فيه، ولا تبديل، ولا تحويل، ولا أحد يستطيع أن يعترضه، أو يعدله.

[٧٢] ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب العددي. ارجع إلى الآية (٦٩) من نفس السورة.

﴿نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: بعد ورودهم إياها؛ أي: مرورهم على الصراط

المضروب على متن جهنم؛ ننجي الذين اتقوا: أطاعوا أوامر الله وتجنبوا معاصيه، وأخلصوا دينهم لله.

﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾: المشركين الكفار.

﴿فِيهَا جَنَّتَا﴾: في جهنم جنّتاً؛ لأنّه حين قال: وإن منكم إلا واردها، فالورود بالنسبة للكفرة والظالمين. قيل: الدّخول في جهنم، وبعد دخولهم نتركهم فيها لا يخرجون منها، ويؤمنون بالجَنَّتِي على ركبهم.

[٧٣] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني للماضي؛ بمعنى: حين، وتعني: حتمية الحدوث.

﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾: التّلاوة: القراءة من القرآن. تتلى عليهم؛ أي: على الذين كفروا آيات الوعيد، أو الإنذار.

﴿آيَاتُنَا﴾: آيات القرآن الحكيم.

﴿بَيِّنَاتٍ﴾: واضحات المعاني لا تحتاج إلى بيان.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي: الفقراء المؤمنين في الحياة الدّنيا.

﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾: أي: استفهام فيه معنى التّعجب.

﴿الْفَرِيقَيْنِ﴾: (المؤمنين والكافرين)؛ أي: حين يسمعون آيات الوعيد لا

يجدون ملجأ، أو حُجة؛ إلا الافتخار بما هم فيه من نعيم الدّنيا، ورفاهية العيش،

ويسألون فقراء المؤمنين: أيّنا



﴿حَيْرَ مَقَامًا﴾: أفضل مقاماً بفتح الميم مع التشديد؛ يعني: منازلًا، وأثاثًا ومتاعًا. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٥) لبيان معنى المقام.

﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾: أي: مجلساً؛ مثل: دار الندوة، والنّادي: المكان الذي يجتمع به عظماء القوم للحديث، والتشاور، والافتخار، وقولهم ذلك لفتنة الذين آمنوا، وظنهم أنهم أحسن حظاً في الدنيا؛ فهم كذلك أحسن حظاً، ونصيباً في الآخرة.

[٧٤] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِئًا﴾:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾: الواو: استثنائية؛ كم: الخبرية، وتدل على الكثرة؛ أي: وأهلكنا قبلهم القرون الكثيرة.

﴿قَبْلَهُمْ﴾: ولم يقل من قبلهم؛ أي: تشمل الزّمن القريب، أو البعيد الغير محدد.

﴿مِّنْ قَرْنٍ﴾: من: ابتدائية، والقرن: هم الجماعة يعيشون في زمن معين، والقرن يقدر بمائة عام.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿أَحْسَنُ أَثْنًا﴾: الأثاث: المتاع؛ من فرش، وستائر، ومقاعد للجلوس، وأدوات.

﴿وَرِئًا﴾: مشتقة من الرّؤية؛ أي: منظراً، وهيئة، وزينة، أو مشتقة من الرّي: الذي هو النّعمة والتّرف؛ أي: لا ينبغي أن يغرهم ما هم فيه من الأثاث، والمتاع الزّائل.

[٧٥] ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾:

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾: من: شرطية. قل لهم يا محمد: هذا النعيم الذي أنتم فيه، والأثاث والرؤيا قد يكون استدراجاً لكم؛ لتزدادوا إثماً، وهذه سنة الله في عباده، وهي أنّ من كان في ضلالة الشرك، والمعاصي؛ فإنّ الله يمد له مدّاً؛ أي: يمهل، ويملي له، ويتركه في ضلالة، ويدعه في طغيانه؛ ليزداد إثماً حتّى ينقضي أجله.

﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾: فليمدد: الفاء: رابطة لجواب الشرط، واللام: للتوكيد.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف لنهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: ظرف زماني للمستقبل.

﴿رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾: أي: يمدد له الرحمن مدّاً؛ حتّى إذا انتهى هذا الإمداد علم، أو رأى أنّ «ما» بمعنى: الذي، وعد به الله هو الحق، وعلى خلاف ما كان يظن.

﴿إِمَّا الْعَذَابَ﴾: حرف جواب، وتفصيل؛ في الدنيا بالقتل، والأسر، والفقر، والضيق، والجوع، وعدم الأمن.

﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾: أي: لحظة تهدّم النظام الكوني الحالي، أو ساعة الاحتضار، أو القيامة الصغرى.



﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾: الفاء: للتوكيد؛ سيعلمون: السّين: للاستقبال القريب؛
أي: ليسوا هم بعيدين عما يوعدون به من العذاب، أو الساعة، أو القيامة الصغرى.
﴿مَنْ هُوَ﴾: من: قيل: هي استفهامية، وقيل: اسم موصول؛ بمعنى: الذي؛
أيّ الفريقين.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿شَرِّ مَكَانًا﴾: شرّ: منزلة الجنة، أم جهنم.

﴿وَأَضَعُ جُنْدًا﴾: أقل أنصاراً، أو أعواناً للكفرة وهم وجندهم،
وشياطينهم، وفي هذا تهديد ووعد لهم، وأما المؤمنون وجندهم الملائكة. جنداً:
الجند: اسم جنس جمع جندي، فالجندي واحد، وجمعه: جُند، وجمعه: أجناد،
أو جنود، وهناك فرق بين الجند والجنود؛ الجند: من جنس واحد، وتجمعهم
أهداف واحدة، أما الجنود: فهم من أجناس مختلفة، وأهدافهم مختلفة؛ كقوله
تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفتح: ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَأِنْ جُنْدَنَا لَهُمْ
الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

[٧٦] ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ
مَرَدًّا﴾:

ارجع إلى سورة الكهف، الآية (٤٦).

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾: ويزيد معطوف على: فليمدد؛ أي: من
كان في الضلالة؛ فليمدد له الرحمن مدداً؛ أي: يزيده في ضلاله، ومن كان يسير في

طريق الهداية، والإيمان يزيده الله إيماناً وتوفيقاً، كما مد لمن كان في الضلالة مداً؛ فهذه مقابلة بين الفريقين.

﴿هُدًى﴾: جاءت نكرة تعني: كل أنواع الهداية.

﴿وَالْبَقِيَّتُ الصَّالِحَتُ﴾: سميت الباقيات؛ لأنّ ثوابها باق، وغير زائل مقارنة بالحياة الدّنيا، ومتاعها، وزيتها، والباقيات قيل: هي الصّلوات الخمس، والصّيام، والصّدقات، والزّكاة، والحج، والجهاد، وذكر الله، والصّبر. وقيل: هي ذكر الله (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)، وتشمل الصدقة الجارية، والولد الصالح، والسنة الحسنة.

﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾: من المال، والبنين، ومتاع الحياة الدّنيا خير جزاء.

﴿وَحَيْرٌ مُّرَدًّا﴾: مردأ: عاقبة؛ أي: مرجعاً، أو منفعة من أعمال الكفار التي تذهب هباءً منبثاً، خيرٌ مردأ؛ أي: مردوداً على صاحبها من التّكريم، والجنة، والثواب، وتكرار «خير» للتوكيد.



الجزء الثامن عشر

سورة المؤمن ١٩

أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَا لَا وَوَلَدًا
 ﴿٧٧﴾ أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا
 سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ
 مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً
 لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
 عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ
 تَوْرَهُمْ آزًا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذًّا ﴿٨٤﴾
 يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ
 إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ
 الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ
 جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
 وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا
 ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ
 وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾



سورة مريم [الآيات ٧٧ - ٩٥]

[٧٧] ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا﴾:

سبب النزول: كما جاء في صحيح البخاري ومسلم، نزلت في العاص بن وائل فقد قال الخباب بن الأرت: كان لي دينٌ على العاص بن وائل، فذهبت لأقبضه؛ فقال العاص: لن أعطيك دينك حتى تكفر بمحمد. قلت: لا والله لا أكفر بمحمد حياً، ولا ميتاً، ولا حين تبعث، فقال العاص مستهزأ بما قاله الخباب: أسأبعث؟ قلت: نعم، قال: إذن حين أبعث سيكون لي مال وولد فأعطيك دينك. والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب.

﴿أَفَرَأَيْتَ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري والتعجب، والفاء: للتوكيد. رأيت: رؤية قلبية وليست بصرية، وتعني: أخبرني، أو ألم تر أو علمت بقصة الذي كذب بآياتنا؟

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول، ولم يذكر اسمه؛ لعدم أهمية ذكره «وهو العاص ابن وائل».

﴿كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾: جحد، وكذب بآيات القرآن «آيات البعث»، وقال: كما ذكرنا سابقاً للخباب بن الأرت.

﴿وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا﴾: لأوتين: اللام: للتوكيد، والنون: لزيادة التوكيد؛ أي: لأعطين المال والولد إذا كان هناك بعث بعد الموت، وأسدد لك دينك.



[٧٨] ﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾:

﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ﴾: الهمزة: همزة استفهام وإنكار؛ أطلع: تدل على المبالغة في الاطلاع والرؤية؛ أي: كيف يدعي هذا الكافر، ويؤكد أنه سيعطي المال والولد؟ أطلع الغيب؛ أي: أخبر بالغيب وأطلع عليه. قال ابن عباس: أنظر في اللوح المحفوظ؟ وقال مجاهد: أعلم الغيب حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا؟
﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي، والهمزة: للاستفهام الإنكاري والتوبيخ.

﴿أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾: أي: أعطاه الرحمن عهداً «وعداً موثقاً» بأن يدخل الجنة، أو ينال ما يريد. اتخذ: على وزن افتعل: فيها معنى الجهد، والتكلف؛ أي: طلب وأجهد نفسه بالحصول على عهد من الرحمن بنيل ما يريد.
[٧٩] ﴿كَأَلَّا سَكَتُ مَاقُولُ وَنَمْدُلُهُ مِنْ الْعَذَابِ مَدًّا﴾:

﴿كَأَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر وإنكار لما قاله الوائل بن العاص، أو هو مخطئ لما قاله، أو كلمة نفي وإبطال لما قبلها، لن يشم رائحة المال، أو رائحة الولد.

﴿سَكَتُ مَاقُولُ﴾: لأوتين مالاً وولداً، وسنجازيه على ما قاله، والسّين للاستقبال القريب.

﴿وَنَمْدُلُهُ مِنْ الْعَذَابِ مَدًّا﴾: أصل المد، أو المدد هو: الزيادة؛ أي: نزيده عذاباً فوق العذاب، أو نطيل له مدة العذاب، مدّاً للتوكيد، والمد في القرآن يأتي عادة في سياق العذاب، والمدد يأتي في سياق الخير.



[٨٠] ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾:

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾: نرث منه المال والولد ويأتينا فرداً، أو نرثه عاقبة قوله والتألي على الله تعالى، نرثه تبعة قوله.

﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾: كما ولدته أمه، لا نصير، ولا معين، ولا شفيع، ولا مال، ولا ولد.

[٨١] ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾:

بعد الحديث عن منكري البعث والذي كفر بآياتنا يأتي الحديث عن مشركي مكة عبَاد الأصنام، والأوثان الذين ظنوا أنها ستكون لهم عزاً.

﴿وَاتَّخَذُوا﴾: أي: وجعلوا، أو صيروا.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله سبحانه.

﴿إِلَهَةً﴾: يعبدونها مثل اللات، والعزى، ومناة الثالثة الأخرى.

﴿لِيَكُونُوا﴾: اللام: لام التعليل.

﴿لَهُمْ عِزًّا﴾: من العزة، وهي: القوة، والغلبة، والامتناع؛ أي: ليكونوا

لهم منعة، وقوة يوم القيامة، تشفع لهم، أو تقربهم إلى الله زلفى، أو تمنعهم من العذاب.

[٨٢] ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر، وإنكار؛ لما اتخذوا، وأنهم خاطئون، أو جائز

أن تكون نافية بمعنى: لا، وقد تكون بمعنى: حقاً سيكفرون بعبادتهم.

﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾: سيكفرون: السّين: للاستقبال القريب؛ أي: قريباً

سيكفرون بعبادتهم؛ أي: ستنكر هذه الأصنام عبادة الكفار لها، أو تنكر أقوالهم، فالله سبحانه قادر على أن ينطقها.

﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾: أي: أعداء لهم.

﴿ضِدًّا﴾: ستكون الأصنام لهم عكس ما تمنوه من العزة، والقوة، والمنعة؛ أي: ستكون عليهم وبالاً، وتشهد بكفرهم وضلالهم.

[٨٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: همزة استفهام، وتعجب.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ألم تعلم، أو ألم ينته علمك؟

﴿أَنَّا﴾: النون: للتعظيم.

﴿أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: أرسلناهم لمهمة الابتلاء والاختبار والفتنة؛ كقوله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

﴿عَلَى﴾: للاستعلاء، والمشقة.

﴿تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾: أزّه، أو هيّجه؛ أي: تهيجهم على المعاصي، وتغريهم بالوساوس حتى يقعوا فيها، أزّت القدر تؤزه أزّا: حتى يشتد غليانه.

﴿أَزًّا﴾: للتوكيد.

[٨٤] ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعِدُّ لَهُمْ عَذًّا﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: الناهية.

﴿تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾: أي: لا تطلب العجلة بهلاكهم، أو تعذيبهم، أو تعجل

بالدعاء عليهم؛ لأن الله سبحانه يريد أن تطول أعمارهم، وتسوء أعمالهم، وتكثر ذنوبهم.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾: أي: نعد أيامهم، وأنفاسهم، وذنوبهم، فما هي إلا أيام معدودة، وكل ما يُعد ينتهي، وتنتهي أعمارهم، ونأخذهم أخذ عزيز مقتدر. وفي الآية تهديد ووعد.

[٨٥] ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾:

﴿يَوْمَ﴾: أي: يوم القيامة.

﴿نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ﴾: الحشر: السَّوق والجمع، ويستعمل الحشر في الخير والشر؛ أي: نجمع المتقين ويفدون؛ أي: يؤتى بهم وفداً وفداً إلى الرحمن.

﴿إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾: قال جمهور العلماء: وفداً؛ أي: ركبناً جماعة جماعة.

[٨٦] ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾:

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾: الكافرين والطَّاغين والمشركين، والسَّوق فيه معنى الإهانة والمذلة، ويعني: السير أمام الملائكة كما تسير الأنعام أمام رعاتها للزجر والخوف. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنى المجرمين.

﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾: ارجع إلى الرعد، آية (١٨)؛ للبيان.

﴿وَرْدًا﴾: عطاشاً. ورداً: جمع وارد.

[٨٧] ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾:

﴿لَا﴾: النافية.



﴿يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ﴾: أي: هم لا يشفعون لأحد، ولا أحد يشفع لهم، ولا يشفع بعضهم لبعض.

﴿الشَّفَعَةَ﴾: ارجع إلى سورة النساء، آية (٨٥)؛ لبيان معنى الشفاعة.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء منقطع، والمنقطع: هو استثناء الشيء من غير جنسه؛ لأن الذين اتخذوا عند الله عهداً هم الصالحون، والذين لا يملكون الشفاعة هم الكافرون.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية للعاقل، اسم موصول؛ بمعنى: الذي اتخذ عند الرحمن عهداً: يمكن أن يشفع له، ولكن بشرط أن يؤذن له، ويرضى له قولاً.

«له قولاً»؛ أي: لا إله إلا الله، كما ورد في سورة طه الآية (١٠٩).

﴿اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾: أي: الملائكة والأنبياء والشهداء وغيرهم من الصالحين، والعهد قيل: هو لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما قال ابن عباس، والإيمان بها، والقيام بحقها، أو العهد: الإيمان بالله وحده، وما أنزل؛ أي: كتبه، ورسله، والملائكة؛ الإيمان المرفق بالعمل الصالح بالقول والفعل.

وما ورد في سورة طه (١٠٩) قوله تعالى: ﴿لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾.

[٨٨] ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: أي: النصارى قالوا: عيسى ابن الله، واليهود قالوا: عزيز ابن الله، ومشركو العرب قالوا: الملائكة بنات الله.

﴿اتَّخَذَ﴾: جعل، أو صير.

﴿الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾: الولد يطلق على الذكر أو الأنثى.

[٨٩] ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: حرف تحقيق.

﴿جِئْتُمْ﴾: قلتم، أو فعلتم، بصيغة المخاطب، ولم يقل: جاؤوا شيئاً إذاً، كما قال في الآية السابقة: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ بصيغة الغائب، و«جِئْتُمْ» بصيغة المخاطب، والانتقال من الغائب إلى المخاطب للفت الانتباه إلى بشاعة وخطورة ما يقولون.

﴿شَيْئًا إِذَا﴾: شيئاً منكراً عظيماً فظيماً.

الإدّة: الشدة، أو الإدّة: النكر، أو المنكر العظيم، كما قال ابن عباس.

[٩٠] ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخَرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾:

﴿تَكَادُ﴾: من أفعال المقاربة. قد تدخل على جملة مثبتة كما في هذه الآية فتدل على عدم وقوعها، وأما إذا دخلت على جملة منفية دلت على وقوعها. ﴿السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ﴾: التفطر: التشقق؛ أي: تقارب السموات أن يتشققن منه؛ الهاء: تعود على القول؛ أي: يتشققن من عظم قولهم: اتخذ الرحمن ولداً! ﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ﴾: تتصدع وتخسف.

﴿وَخَرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾: تسقط، وتهوي، وتنهدم، وتتفتت الجبال؛ إجلالاً للرب الذي خلقهن.

[٩١] ﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾:

﴿أَنْ﴾: مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

﴿دَعَا﴾: قالوا باطلاً، أو نسبوا الولد إلى الرحمن.



[٩٢] ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾:

﴿وَمَا﴾: استئنافية، ما: النافية؛ بغي: طلب.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ﴾: وما يليق، أو يصح لجلاله، وكماله الولد؛ لأنه من المحال؛ لأنه لم يلد، ولم يولد، فهو سبحانه ينفي عنه انبغاء الولد، فكيف يفترون على الله الكذب، ويقولون: اتخذ الرحمن ولداً، وهو سبحانه قادر على ذلك إذا شاء، و﴿لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار﴾ سورة الزمر، آية (٤)، ولكنه لا ينبغي؛ لأنه رب كل شيء، وليس بحاجة إلى ولد.

[٩٣] ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾:

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾: إن: حرف نفي، كل: تفيد تأكيد النفي؛ أي: ما من مخلوق في السموات والأرض إلا آتى: عائد، أو راجع إلى الرحمن بما فيهم الملائكة، والناس (الإنس والجن).

﴿مَنْ﴾: استغراقية؛ تعني: العاقل.

﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: في: ظرفية.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾: آتى: قد تعني: في الدنيا، أو يوم القيامة؛ فإذا كانت في الدنيا فهي تشير إلى خضوع كل عبد إلى ربه طوعاً، أو كرهاً، إلى مشيئة الله، وإرادته، أو قضائه، وقدره، فلا مفر من ذلك. أمّا في يوم القيامة فهذا بيّن وواضح.

﴿عَبْدًا﴾: خاضعاً ذليلاً منقاداً.

[٩٤] ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿أَخْصَنَّهُمْ﴾: الإحصاء: هو العد، والكتابة، والجمع، والطرح، والنسبة، والحفظ. أحصاهم: الضمير يعود إلى كل من في السموات والأرض.

﴿وَعَدَهُمْ عَدًّا﴾: العد: هو أن تعد الأرقام: ١، ٢، ١٠، ١٠٠، مائة، ألف، مليون، عدًّا: للتوكيد، فلا يفوته أحد، أو يخفى عليه أحد.

[٩٥] ﴿وَكُلُّهُمْ عَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾:

﴿وَكُلُّهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿عَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾: وحده ليس معه أهل، ولا ولد، ولا شفيع، ولا ولي، ولا ناصر؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدًا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤]، واستعمل «آتيه»؛ لأننا لا زلنا في الطريق، ولم تقم الساعة بعد، وإذا نظرنا إلى الآية (٩٥)؛ فهي ليست تكراراً للآية (٩٣)، الآية (٩٣): آتي الرحمن عبداً ذليلاً، والآية (٩٥): آتي الرحمن فرداً؛ أي: وحيداً.





سُورَةُ طه ٢٠

الجزء الثاني عشر

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمُ
مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِصُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه ٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً
لِّمَن يَخْشَى ﴿٣﴾ تَزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجْهَر بِالْقَوْلِ
فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا
فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا عَلَيَّ أَتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَى ﴿١١﴾
إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾



سورة مريم [الآيات ٩٦ - ٩٨]

[٩٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: إن: للتوكيد، الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وقرنوا ذلك بالعمل الصالح الفرائض والسنن والذكر وغيرها من الأعمال الصالحة.
﴿سَيَجْعَلُ﴾: السّين: هنا تفيد التّوكيد، وزيادة التّوكيد في الدّنيا، وفي الآخرة.

﴿وُدًّا﴾: من المودة التي تبدأ بالمحبة، ثم لا تقتصر على المحبة، بل محبة يرافقها الإخلاص، والوفاء، وكل مودة محبة، وليس كل محبة تعني مودة، فالمودة أوسع وأشمل؛ لأنّ المحبة تسبق المودة.

وفي حديث أبي هريرة المتفق عليه عن النبي ﷺ: أنّه قال: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيْلَ فَقَالَ: يَا جَبْرِيْلُ، إِنِّي أَحَبُّ فَلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيَحِبُّهُ جَبْرِيْلُ، ثُمَّ يَنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوَضِّعُ لَهُ الْقَبُولَ فِي الْأَرْضِ»، وفي رواية: «يُوَضِّعُ لَهُ الْمَحَبَّةَ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ».

[٩٧] ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾:

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: تعليلية، إنما: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿يَسَّرْنَاهُ﴾: هاء الضمير تعود على القرآن الكريم، يسرنا قراءته وحفظه،



وفهمه وتدبره والعمل به كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾

[القمر: ١٧].

﴿بَلِسَانَكَ﴾: بلغتك العربية.

﴿لَتُبَشِّرَ﴾: السلام: لام التعليل، والتوكيد، وتبشر: من البشارة؛ أي: الإخبار بما يسر؛ أي: بشريا محمداً ﷺ عبادي المتقين بالفوز بالجنة، والنجاة من النار، ورضوان من الله أكبر، ﴿بَأَنَّ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ فِضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٧]، و﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢].

﴿الْمُتَّقِينَ﴾: بدلاً من لتبشر به المؤمنين اختار المتقين هو تكريماً وفضلاً من الله تعالى لحثهم على التقوى.

﴿بِهِ﴾: تعود على القرآن.

﴿وَتُنذِرِيهِ﴾: بالقرآن بما فيه من الوعيد؛ والإنذار: هو الإعلام مع التحذير، والتخويف، وتكرار (به) للتوكيد، وفصل كل على حدة.

﴿قَوْمًا لَدًّا﴾: جمع الألد: شديدي الخصومة، والمراء، والجدال، وهم الكفرة، والمشركون.

انتبه لقوله: «لتبشر به»، ولم يقل: لتنذر به، وإنما قال: «تنذر به»، ولو قال ذلك لتساوت البشري والإنذار، ولكنه سبحانه أكد على البشري، ولم يؤكد على الإنذار؛ لعلمهم ينيون إلى ربهم ويبقى لهم باب الأمل مفتوحاً.

[٩٨] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِشُّ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾: ارجع إلى الآية (٧٤)؛ للبيان.

﴿هَلْ﴾: استفهام فيها معنى النفي، والإنكار، والإجابة عنها تكون بنعم، أو لا، وهي تعني هنا للتعين أيضاً.

﴿تَحْسُ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ﴾: تحس من الإحساس؛ أي: إذا استعملت أدوات إحساسك، وهي: العين، والأذن، والأنف، واليد، هل ترى منهم من أحد لا يزال حياً، أو السمع هل تسمع منهم من أحد، أو اللمس باليد، أو الشم، هل تشم رائحة أحد، منهم: خاصة؟

﴿مَنْ أَحَدٍ﴾: من: استغرافية تشمل كل واحد أهلكناه من أفراد تلك القرون الذين اندثروا في الأرض، وأصبحوا تراباً وعظاماً.

﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾: الرّكز الصّوت الخفي، أو الصّوت الذي لا يفهم أو لا تكاد تسمعه، وقيل: ما لا يفهم من صوت، أو حركة، وأصل الرّكاز: الخفاء، والرّكاز: المال المدفون في الأرض، وركز الرّمح: غرزه في الأرض؛ فبأيّ أداة من أدوات الحس إذا استعملت فلن تجد لهم أثراً على وجه الأرض. فالسؤال: هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً؟ والجواب: لا هذا ولا ذاك.





الجزء الثاني عشر

سُورَةُ طه ٢٠

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم
مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه ٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِنَشْفِقَ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرَةً
لِّمَن يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِن يُجْهَرِ بِالْقَوْلِ
فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا
فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَى ﴿١١﴾
إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

٣١٢





سورة طه [الآيات ١ - ١٢]

ترتيبها في القرآن (٢٠) نزلت بعد سورة مريم، وترتيبها في النزول (٤٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طه﴾:

﴿طه﴾: ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة؛ للبيان.

وقيل: طه تعني: يا رجل في لغة العرب، كما قال ابن عباس، والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعكرمة، واختلف هؤلاء بأي لغة هي فمنهم بالنبطية، أو بلسان عك، أو السريانية أو الحبشية، أو لغة قريش وافقت هذا في المعنى.

وقيل: طاً الأرض بقدميك؛ فقد كان رسول الله ﷺ يقوم في تهجده على إحدى رجليه، فأمره الله تعالى بأن يطأ الأرض بقدميه، وتعني: لا تتعب نفسك في الصلاة حتى تتورم قدميك، وتعني: المراوحة بين القدمين.

[٢] ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾:

﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾: ما: النافية، أنزلنا؛ تعني: إنزاله جملة واحدة، أو دفعة واحدة، وأنزلنا: بصيغة الجمع؛ للتعظيم، والتفخيم، أو لكون جبريل مشاركاً في عملية الإنزال، وهناك فرق بين أنزلنا، ونزلنا: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٤).

وهناك فرق بين عليك وإليك: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٤)، وبين القرآن



والكتاب: ارجع إلى الآية (١) من سورة الحجر، وجمع بين الاسمين؛ لأن القراءة والكتابة للتعرف عليه وحفظه من التحريف والتبديل.

﴿لَتَشْقَى﴾: اللام: لام التعليل؛ تشقى: تتعب، وأصل الشقاء في اللغة: العناء؛ أي: التعب الشديد، أو الجهد فقد كان ﷺ يقوم الليل ويراح بين قدميه لطول القيام أو الجهد في تبليغ الرسالة؛ كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَئِجَ نَفْسِكَ لَا يَكُونُ أَمْؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]؛ أي: مهلك، وقاتل نفسك أن يؤمنوا؛ فقد ذكر الواحد في أسباب النزول. قال مقاتل: قال أبو جهل والنضر بن الحارث للنبي ﷺ إنك لتشقى بترك ديننا وذلك لما رآه من طول عبادته واجتهاده فأنزل الله هذه الآية. [٣] ﴿إِلَّا نَذْكِرْ لِمَن يَخْشَى﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر؛ أي: ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، وإنما أنزلناه تذكرة لمن يخشى.

﴿نَذْكِرْ﴾: أي: أنزلناه تذكرة، أو مذكراً لمن يخشى؛ لأن الإنسان معرض للنسيان، وتذكرة مصدر لفعل: ذكر «الرباعي».

﴿لِمَن﴾: اللام: للاختصاص، ومن: ابتدائية.

﴿يَخْشَى﴾: الخشية: هي الخوف المقرون بالعلم، والمهابة من الذي يخشاه. وخص الخاشي؛ لأنه هو من ينتفع به، وأما من لا ينتفع بالقرآن فهو الذي لا يقرأ ويعمل به، ولا يتأثر به، كذلك هو هدى للمتقين، ونذير للعالمين، وهدى ورحمة للمحسنين، وهدى للناس أجمعين.



[٤] ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾:

﴿تَنْزِيلًا﴾: أي: نُزل هذا القرآن تنزيلاً من الذي خلق الأرض والسموات العلى.

﴿مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ﴾: وذكر خلق الأرض والسموات العلى؛ لأنهما من أعظم المخلوقات، وأكبر من خلق الناس.

﴿وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾: خلق الأرض والسموات العلى في لحظة واحدة معاً، ثم ميز الأرض بإنزال الحديد، وميز السموات إلى سبع سموات. ارجع إلى سورة الأنبياء، آية (٣٠)، والأعراف آية (٥٤)، وسورة فصلت، آية (١٠-١٢)، والبقرة، آية (٢٢-٢٩)؛ لبيان معنى الخلق.

﴿وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾: السبع سموات. العلى: مؤنث أعلى، وجمع عُلَى، أو سموات عُلَى.

[٥] ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾:

استوى قيل: علا، وارتفع على العرش استواء يليق بجلاله، وعظمته من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، والعرش شيء مخلوق ومن علم الغيب. وقد أشارت الأحاديث أن العرش أعلى المخلوقات، وهذا ما رواه البخاري عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألت الله فاسأله الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن ومنه تتفجر أنهار الجنة» فهو فوق السماء السابعة، وهذا ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قضى الله أمراً أصبح حملة العرش، ثم سبح أهل



السماء الذين يلونهم»... إلى نهاية الحديث. ارجع إلى سورة يونس، آية (٣)، وسورة هود آية (٧)؛ لمزيد من البيان.

[٦] ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾:

﴿لَهُ﴾: تقديم له يفيد الحصر؛ أي: له وحده ما في السموات وما في الأرض.

اللام في «له»: لام الاختصاص، والاستحقاق له ملكاً وحكماً وتديراً.

﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾: أي: السموات نفسها، وما فيها من مخلوقات، ومجرات، وخزائن، وكواكب، ونجوم، وشموس، وأقمار.

﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: كوكب الأرض، وما فيه من خيرات، ومعادن، وثروات، وجبال، وأنهار، وبحار. وتكرار ما في: يفيد التوكيد، وفصل كل منهما عن الأخرى، أو كلاهما معاً.

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: حيث يختلط الغلاف الغازي للأرض بمكونات السماء، فهذا الغلاف الغازي ليس من الأرض بالكامل، وليس من السماء بالكامل، وبقي فاصلاً بين السماء والأرض.

﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾: الثرى: هو التراب، ما تحته من كنوز، وثروات؛ مثل: البترول، والمعادن، مثل: الحديد، والذهب، والنحاس، والأحجار الثمينة؛ مثل: الرخام... وغيرها.

[٧] ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِ الْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَ وَأَخْفَى﴾:

﴿وَإِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ﴾: ما يتكلم به القائل من القول سواء أكان مفرداً، أم جملة، أو يلفظ به بلسانه، ومهما كان نوع القول، أو الدعاء.

﴿فَإِنَّهُ﴾: الفاء: جواب الشرط تفيد التوكيد؛ إنه: لزيادة التوكيد.

﴿يَعْلَمُ السِّرَ﴾: ما تسره في نفسك من قول أو فعل، ولا يعلمه أحد غيرك. والأصل في السر: تغطية الشيء بغطاء.

﴿وَأَخْفَى﴾: من السر؛ أي: يعلم ما توسوس به نفسك، أو ما تخفي من المعاني، والأخبار، أو تحتفظ به في نفسك، ولا يعلمه أحد، وتخاف أن يطلع عليه أحد.

[٨] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٥٥) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾: ارجع إلى الآية (١٨٠) من سورة الأعراف؛ للبيان.

[٩] ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾:

﴿وَهَلْ﴾: الواو استئنافية؛ هل: استفهامية فيها معنى التشويق، وتقرير وتثبيت الخبر في نفس المخاطب.

﴿أَتَاكَ﴾: بلغك، وصل إليك.

﴿حَدِيثُ مُوسَى﴾: الحديث: الخبر، أو ما يُبلغ به الإنسان من كلام سواء بالسمع، أو بالوحي.

[١٠] ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف زمني للزمن الماضي.



﴿رَأَىٰ نَارًا﴾: وهو عائد من مدين إلى مصر مع أهله، وكان قد أخطأ الطريق في ليلة شاتية باردة كما قال ابن عباس.

﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾: زوجته وولد له.

﴿أَمْكُثُوا﴾: أقيموا مكانكم، المكث: الانتظار الغير محدد بزمن؛ أي: ابقوا في مكانكم، وربما قال: امثكوا بعد أن سأله أهله: نأتي معك، أو نبقي هنا ننتظرك؟
﴿وَإِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿ءَأَنْسْتُ نَارًا﴾: أبصرت ناراً، وبدلاً من أن يقول أبصرت قال: أنست؛ أي: أبصر ناراً شعر معها بالأنس، وشيء من الطمأنينة؛ أي: أنست؛ أي: أبصرت ما يؤنس به.

﴿لَعَلِّيَ أَنِيكُمْ﴾: لعلني من لعل + إضافة ياء المتكلم، ولعل: لترجي المتوقع حصوله عادة، وهنا تعني لمطلق التوقع سواء حدث ما يتوقعه أم لم يحدث فهي تعني: احتمال غير مؤكد فيه نوع من الخوف والرّجاء؛ أي: لعلني أذهب فأجد جذوة من النار آتيكم بها، ولم يقل: ﴿سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [النمل: ٧]، سأتيكم: فيه نوع من التأكيد، والثقة بالنفس، والقطع، أو الجزم.

﴿مِنْهَا يَقْبِسُ﴾: القبس: شعلة من النار، تقبس من النار سواء كانت جذوة كقوله تعالى: ﴿جَذْوَةً مِنَ النَّارِ﴾ [القصص: ٢٩]، أم شهاباً كقوله تعالى: ﴿بِشَاهِبٍ قَبَسٍ﴾ [النمل: ٧].

﴿أَوْ أَجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾: هدى: نكرة؛ أي: أجد أي شيء يهدينا إلى الطريق، أو هادياً يهدينا، أو يدلنا إلى الطريق.

[١١] ﴿فَلَمَّا أَنهَا نُوْدِيَ بِمُوسَىٰ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: تدل على الترتيب والمباشرة؛ لما بمعنى: حين.

﴿أَنْتَهَا﴾: من الإتيان: وهو المجيء بسهولة، ولم يصلها بعد؛ أي: في طريقه إليها، ولو قال: جاءها؛ يعني: وصل إليها وبصعوبة.

﴿نُودِيَ يَمُوسَى﴾: فوجئ بمن يناديه باسمه: يا موسى، ويمكن القول: إن موسى اطمئن وفرح بمن يناديه باسمه، ولكنه راح يبحث عن مصدر الصوت فلا يجده.

[١٢] ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾:

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿أَنَا﴾: للتوكيد والدلالة على التوحيد.

﴿رَبُّكَ﴾: أي: الذي يكلمك ربك: خالقك ومدبر أمرك ورازقك، ولم يقل: إني أنا إلهك، الألوهية تدل على العبودية.

﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ أي: اخلع نعليك الآن، نعليك: حذاءك.

﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾: أي: المطهر، والباء في قوله بالواد: ظرفية.

﴿طُوًى﴾: اسم للوادي؛ إذن اسم الوادي هو: الوادي المقدس طوى، وهذا يسمى الإيضاح بعد الإبهام؛ فقد قال سبحانه لموسى: إنك بالواد المقدس «إبهام»، ثم بين اسم الواد المقدس فقال: طوى «إيضاح».

أما السبب في خلع نعليه فقد قيل: للتواضع والخشوع، أو لكون الوادي مطهراً، ومقدساً، أو لأن نعليه غير طاهرين، فאלله أعلم.





سُورَةُ طه ٢٠

الجزء الثاني عشر

وَأَنَا أَخَّرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَالْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِزَيْكَ مِنْ ءَايَتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أُشَدِّدْ بِهِ ؕ أَرْزِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَاصِرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾



سورة طه [الآيات ١٣ - ٣٧]

[١٣] ﴿وَأَنَا أَخَّرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾:

﴿وَأَنَا أَخَّرْتُكَ﴾: لتكون رسولا إلى فرعون وقومه، أو ﴿أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾: ولم يقل: واسمع لما يوحى؛ استمع: تعني: بقصد وجد، واهتمام، وجنّد كلّ حواسك وعقلك لما سيقال لك.

﴿لِمَا يُوحَىٰ﴾: أي: للذي يوحى، أو للوحي يوحى؛ من الإيحاء لغة: هو الإعلام بالخفاء، وهناك وسائل مختلفة يتم بها الإيحاء، والإيحاء هنا: الكلام من وراء حجاب. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لبيان معنى الوحي.

لما يوحى: لما سيذكر إليك، وهو: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، وهذا يطلق عليه: الإيضاح بعد الإبهام (الوحي).

[١٤] ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾:

﴿إِنِّي أَنَا﴾: انظر في الآية (١٢) قال تعالى: إِنِّي أَنَا رَبُّكَ؛ أي: الخالق، والمربي، والمدبر، والرازق لكلّ مخلوق مؤمن، أو كافر، وفي هذه الآية (١٤) يقول: إِنِّي أَنَا الله: إِنِّي أَنَا المعبود صاحب التكاليف، والأمر والنّاهي.

إِنِّي: بدلاً من إِنِّي؛ إضافة النّون للتوكيد، والمقام مقام توحيد، وتبليغ.

أنا: ضمير فصل يفيد التّوكيد، ويدل على التوحيد.

﴿اللَّهُ﴾: واجب الوجود، اسم الذات الإلهية، الجامع لكلّ صفات الكمال الإلهية، وهو الاسم الذي تفرد به سبحانه، واختصه لذاته.

﴿فَاعْبُدْنِي﴾: الفاء: للتوكيد؛ اعبدني: أطع أو امري، وتجنب نواهي، ولا تشرك بي شيئاً، والعبادة تشمل: كل قول وعمل صالح، ولا تكون إلا لله وحده، ولا تكون إلا مع المعرفة بالمعبود، وتعني: الخضوع، ولها أجر، ولها منهج رباني.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾: أقم؛ أي: أتم الصلاة بشروطها، وأركانها، وخشوعها، وسننها، ووقتها، وخص الصلاة من بين سائر العبادات؛ لأنها عماد الدين، والصلة الدائمة المستمرة بين العبد وربّه، والصلاة تجمع أركان الإسلام الخمسة؛ أي: تمثلها.

﴿لِذِكْرِي﴾: اللام: لام التعليل؛ أي: لتذكركني، وبإخلاص؛ أي: خالصة لي، وابتغاء مرضاتي، فقوله تعالى فاعبدني (تشمل كل العبادات)، ثم عاد وذكر وأقم الصلاة: ذكر الخاص (الصلاة) بعد العام (اعبدني): للاهتمام بالصلاة، والتوكيد.

[١٥] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَعَىٰ﴾:

﴿إِنَّ السَّاعَةَ﴾: إن: للتوكيد. الساعة: ساعة، أو لحظة تهدم النظام الكوني الحالي، وسمي بالساعة؛ لأنها تأتي بغتة في ساعة، والساعة جزء من الزمان، من قبيل إطلاق الجزء على الكل.

﴿آتِيَةٌ﴾: ولم يقل: لآتية، كما في سورة الحجر، الآية (٨٥) التي جاءت في سياق مخاطبة قريش أكد بأن واللام، ولم يقل: آتية لا ريب فيها، كما في سورة الحج الآية (٧) التي جاءت في سياق إنكار البعث أكد بأن ولا ريب فيها، أو: لآتية لا ريب، كما في سورة غافر الآية (٥٩) التي جاءت في سياق منكري البعث والحساب، والذين يجادلون في آيات الله، فأكد بأن واللام ولا ريب فيها ثلاث توكيدات؛ أما في آية سورة طه: لم يؤكد لا بلام، ولا بإضافة: لا ريب فيها،

أو كلاهما معاً؛ لأن الله سبحانه يكلم موسى، وموسى أصبح رسولاً ونبيّاً، فلا يحتاج إلى تأكيد؛ لأنّه مؤمن بالله سبحانه وبالبعث والسّاعة.

وأما السياق في آية غافر: فهو في الذين يجادلون في آيات الله، وينكرون السّاعة، فلذلك أكد بأن واللام في كلمة (لآتيه، ولا ريب فيها) ثلاث تأكيدات.

وأما في سورة الحجر: فالسياق في خلق السموات والأرض.

وأما في سورة الحج: فالسياق في تعداد الآيات الدالة على قدرة الله تعالى.

وأما في آية الكهف: فهو لا يتحدث عن قيام السّاعة؛ أي: نهاية الكون، وإنما عن ساعة قيام الفتية من نومهم؛ أي: بعثهم بعد (٣٠٩ سنة) لنقارن هذه الآيات معاً:

ففي سورة الحجر آية (٨٥) قال تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ﴾: أكد بأن واللام.

وفي سورة طه آية (١٥) قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾: أكد بأن.

وفي سورة الحج آية (٧١) قال تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّارِيبَ فِيهَا﴾: أكد بأن واللام ولا ريب فيها.

وفي سورة غافر آية (٥٩) قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَّارِيبَ فِيهَا﴾: أكد بأن واللام ولا ريب فيها.

وفي سورة الكهف آية (٢٠) قال تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَارِيبَ فِيهَا﴾: بدون آتية أو لآتية.

﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾: لها معنيان: الأوّل: أسترها ولا أخبر بها أحداً.

الثاني: أي: أظهرها، أو أزيل إخفاءها؛ أي: أظهر علاماتها الصّغرى والكبرى، فلم تعد خافية إلا وقت وقوعها. أكاد: من أفعال المقاربة هنا؛ تعني: زمن وقوعها.



﴿لَتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾: لتجزى: اللام للتعليل.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، ما: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿تَسْعَىٰ﴾: أي: تعمل، أو تكسب؛ أي: تقوم به من خير، أو شر، والسعي:

الحركة والعمل بجهد.

[١٦] ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: النافية.

﴿يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾: الصّد: هو المنع عن قصد الشيء، والنون

في «يصدنك» للتوكيد، لا يصدنك: لا يمنعك عن الإنذار بها، وهاء الضمير تعود على الساعة.

والتحذير منها، والتبليغ عنها، والاستعداد لها، من لا يؤمن بها: من:

ابتدائية، لا: النافية، لا يؤمن بها؛ أي: لا يصدق بها، ولا بالبعث والآخرة من هؤلاء الكفرة، وإن كثر هؤلاء فلا يشبطنك تكذيبهم بها، ولا يهمنك إعراضهم.

﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾: في عدم الإيمان والتصديق بها الناجم عن اتباع الهوى

بلا برهان، ولا دليل لهم، أو تقليد لأبائهم. ارجع إلى سورة الأنعام، آية (١١٩)؛ لبيان معنى الهوى.

﴿فَتَرْدَىٰ﴾: أي: إن فعلت ذلك تهلك، تردى: من الردى: وهو الهلاك.

والخطاب وإن كان موجهاً إلى موسى - وحاشا أن يفعل ذلك - فهو موجه إلى أمته، أو تعني: إذا صد عنها إنسان ما ولم يؤمن بالساعة والبعث والحساب، سيردى؛ أي: سيهلك، والفاء في كلمة «فتردى»: فاء السببية.

[١٧] ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية؛ ما: استفهامية للتقرير؛ ما: لغير العاقل.

﴿تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ﴾: تلك: اسم إشارة للمؤنث، وتشير إلى العصا.

﴿يَمِينِكَ﴾: الباء: للإلصاق؛ أي: في يدك اليمنى، والله سبحانه يعلم ما هي، ولكن الحق سبحانه يريد أن يخفف من خوف موسى، ويهدأ روعه من هذه المفاجأة المذهلة: تكليم موسى من وراء حجاب، ولكون هذه العصا ستكون المعجزة الكبرى لموسى فيما بعد حين تنقلب إلى حية تسعى، وفي ذلك تحضير نفسي لما سيحدث بعد قليل.

[١٨] ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَسُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَىٰ﴾:

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾: قال: موسى؛ هي: للتوكيد، وتدل على الإجابة بإخلاص.

﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَسُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾: أي: أضرب بها ورق الشجر؛ ليسقط فترعاه غنمي، وعادة ما يسقط الورق اليابس، وأهش من الهشاشة، والشئ الهش ينكسر، أو يفتت، أو يسقط بسرعة، وهنا يعني: ورق الشجر، ولو كان يعني بها زجر الغنم لاستعمل كلمة أهس بالسَّين، وليس بالشَّين، وأتوكأ عليها حين التعب، أو الإعياء، وقد تسمى العصا منسأة كما ورد في قصة سليمان، ومنسأة؛ لأنها تستعمل في زجر الإبل وسوقها، ومنسأة من نساء؛ أي: زجر، أو آخر؛ وتعني: أن هذه العصا (المنسأة) التي أخرت الجن من العلم بأن سليمان قد مات؛ ارجع إلى سورة سبا آية (١٤) لمزيد من البيان.

﴿وَلِي فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَىٰ﴾: أي: لي فيها حاجات أخرى.

﴿مَنَازِبُ﴾: جمع مأربة؛ أي: منفعة، ولا أَرَبَ لي في كذا؛ أي: لا حاجة لي فيه؛ كقوله: ﴿غَيْرَ أُولِيَ الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوَاتِ النَّسَاءِ﴾ [النور: ٣١]، والإربة؛ أي: الحاجة، ومن هذه المأرب: الدفاع عن النفس، أو الصيد، وقتل هوام الأرض، أو يضع عصاه على كتفه يعلّق عليها زاده.

[١٩] ﴿قَالَ أَفَتُهَيِّئُكَ لِتُكَلِّمَ الْمَوْتَىٰ﴾:

قال تعالى لموسى: ألقها: ازم بها على الأرض؛ أي: اطرحها.



[٢٠] ﴿فَالْقَنَاهَا إِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾:

﴿فَالْقَنَاهَا﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة، ألقاها: طرح بها على الأرض: رمى بها على الأرض.

﴿فَإِذَا﴾: إذا الفجائية، والفاء للتوكيد.

﴿هِيَ﴾: للتوكيد.

﴿حَيَّةٌ تَسْعَى﴾: تتحرك، وتمشي بسرعة.

وفي سورة القصص الآية، (٣١): وصفها: ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾، في الحركة كأنها فرخ الحية.

وفي سورة الشعراء، الآية (٣٢)، وسورة الأعراف، الآية (١٠٧): ﴿فَإِذَا هِيَ تُعْبَكُّ مُمِيتٌ﴾ في الحجم، والطول، والعمر، فكانت عصا موسى تتحول من شكل إلى شكل حسب المقام والمشهد أمام فرعون تصبح ثعبان، وأمام موسى وحده حية تسعى، أو كأنها جان، كما سنرى في الآيات الأخرى، وهذا يدل على عظمة قدرة الله تعالى.

[٢١] ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾:

في هذه الآية لم يذكر الله سبحانه ما حدث لموسى من أنه ولَّى مدبراً ولم يعقب، وإنما اختصر المشهد بقوله: خذها ولا تخف.

﴿خُذْهَا﴾: أي: أمسكها بيدك.

﴿وَلَا تَخَفْ﴾: لا: الناهية، تخف: من أن تلدغك، أو تؤذيك. قال تعالى لموسى لا تخف؛ لأن موسى كان في أول اختبار مع العصا، فظهرت عليه علامات الخوف بينما في سورة الشعراء آية (٣٢)، وفي سورة الأعراف آية (١٠٧) لم يذكر الخوف؛ لأن موسى في موقف التحدي مع السحرة وأمام الناس، وعلم أن العصا واليد من آيات الله تعالى.



﴿سَنُعِيدُهَا﴾: السَّيْنُ للاستقبال القريب، أو التَّوكِيد.

﴿سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾: سنعيدها إلى هيئتها الأولى التي كانت عليها قبل أن تتحول إلى حية؛ أي: سنعيدها عصا يابسة من خشب، فكأن ذلك كان تدريباً لموسى، وأنها ستكون معجزته الأولى في صراعه مع فرعون وملئه.

[٢٢] ﴿وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾:

﴿وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيضَاءَ﴾: أدخل يدك اليمنى تحت عضدك الأيسر (جناحك)، ثم أخرجها، تخرج بيضاء: بيضاء تشع بالنور، ويد موسى كانت سمراء اللون.

﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: من غير مرض؛ فقد تكون بيضاء بسبب مرض مثل: البرص، أو مرض جلدي، والسوء: كل ما يسيء إلى النفس، والسوء: اسم مصدر لا يجمع، والسوء له معان كثيرة جداً؛ منها: العذاب، والشرك، والمرض، والذنب، والعقاب، والضرر، والظلم، والقيح؛ والسيئة: من السوء، وجمعها سيئات.

﴿آيَةً أُخْرَى﴾: معجزة ثانية.

[٢٣] ﴿لَنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾:

﴿لَنُرِيكَ﴾: السلام: لام التعليل؛ نريك: من الرؤية، وهي الرؤية البصرية، وفيها معنى الرؤية القلبية والفكرية.

﴿مِنْ﴾: بعضية من بعض.

﴿آيَاتِنَا﴾: جمع آية، والآية هنا تعني: المعجزة، أو الشيء الخارق للعادة، أو العلامة، وأضاف الآيات إليه سبحانه لعظمها وشرفها، ولم يقل لنريك من الآيات الكبرى، وتعني من الآيات التسع وغيرها من الآيات الكونية والمعجزات.

﴿الْكُبْرَى﴾: العظمى: من بعض الآيات الكبرى الدالة على قدرتنا وعلى

نبوتك.



[٢٤] ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾:

﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: رسولا بهاتين الآيتين إلى فرعون، ولم يذكر قوم فرعون، أو ملئه في هذه الآية، وإنما ذكر فرعون فقط؛ لأنه رأس الفتنة، والذي ادعى (أنا ربكم الأعلى)، وفرعون يمثل أتباعه (ملئه أو قومه)، والذين وصفهم الله سبحانه في الآية (١٠-١١) من سورة الشعراء بالقوم الظالمين فقال تعالى: ﴿أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠ ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَنْفَقُونَ﴾؛ ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون الأب أم الابن.

﴿إِنَّهُ طَغَىٰ﴾: إنه: للتوكيد؛ طغى: تجاوز الحد في الكفر والكبر والظلم والفساد؛ فقال لقومه: أنا ربكم الأعلى. ﴿إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَذَّيْحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

[٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾:

أي: اجعل صدري واسعاً فسيحاً لتقبل التكاليف؛ أي: أعطني الصبر، والحلم، والحكمة، وعدم الخوف؛ للقيام بأعباء الرسالة، وبما كلفه الله تعالى من الذهاب إلى فرعون.

﴿اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾: اللام: لام الاختصاص.

[٢٦] ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾:

﴿وَيَسِّرْ﴾: سهل لي أمري: من الذهاب إلى فرعون، وملئه، ودعوتهم إلى الإيمان، والتوحيد، والقيام بما أمرتني.

[٢٧] ﴿وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِّسَانِي﴾:

﴿وَأَحْلِلْ﴾: من الحل؛ يعني: أزل العقدة من لساني حين أتحدث إلى فرعون وملئه؛ لأن موسى ﷺ كان يضيق صدره إذا كذب القوم أو فرعون، أو

يتلعثم ولا ينطلق لسانه، ولذلك كان فرعون يُعيرُ موسى أنه: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]؛ أي: لا يحسن البيان.

أي: أزل تلك العقدة من لساني؛ حتّى ينطلق لساني في تبليغ الرسالة.
[٢٨] ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾:

أي: يفهموا ما أقوله، الفقه: يعني: الفهم.
[٢٩] ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾:

﴿وَزِيرًا﴾: الوزير: المعين، والظهير، وكلمة «الوزير» مشتقة من الوزر، والوزر: هو الحمل، أو الثقل؛ لأنّ مهمة الوزير تحمّل بعض أعباء الملك. ويقال: آزره: أي: قواه وأعانه؛ أي: اجعل لي معيناً أو مساعداً.
﴿مِّنْ أَهْلِي﴾: خاصة؛ ليكون أميناً مخلصاً أستطيع أن آمنه وأثق به.
[٣٠] ﴿هَرُونَ أَخِي﴾:

اختار موسى أخاه هارون؛ ليكون وزيراً له، وكان هارون أكبر من موسى سنّاً، قيل: بأربع سنوات، وقيل: سنة واحدة، وكان فصيح اللسان، ومحبوباً من بني إسرائيل، ومهيب الهيئة. قال: اجعل لي وزيراً من أهلي، ثمّ بين الوزير باسمه فيما بعد؛ فهذا يسمى: الإيضاح بعد الإبهام بالقول: هارون أخي.
فأجاب الله سبحانه طلبه، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَرُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٥].

[٣١] ﴿أَشْدُّ بِهِ أَمْرِي﴾:

﴿أَشْدُّ﴾: من شدّ الإزار؛ أي: قوي به ظهري، أضف قوته إلى قوتي، فكانت الإجابة: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ [القصص: ٣٥].
﴿أَمْرِي﴾: من الأزر: القوة، وآزره؛ أي: عاونه.



[٣٢] ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾:

أي: يكون شريكاً في أداء الرسالة والدعوة.

﴿وَأَشْرِكُهُ﴾: أي: اجعله شريكاً لي.

فكانت الإجابة: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣].

[٣٣] ﴿كُنِ تَسْبِيحًا كَثِيرًا﴾:

﴿كُنِ﴾: تختص بالتعليل الحقيقي (كي التعليلية)، فهذه هي العلة الحقيقية، أو أهم سبب في المشاركة هي التسبيح والذكر.

﴿تَسْبِيحًا كَثِيرًا﴾: والتسبيح هو تنزيه الخالق في ذاته وصفاته، وأفعاله من كل نقص، أو عيب، ومن الشريك، والولد، وليس كمثله شيء، وكثيراً؛ أي: دائماً، والتسبيح يعني كذلك: الصلاة.

[٣٤] ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾:

﴿وَنَذْكُرَكَ﴾: من الذكر، وهو أعم من التسبيح؛ فالذكر يشمل الحمد، والتكبير، والشكر، والتهليل، والدعاء، والتسبيح، والصلاة، والدعوة، والوعظ، وغيرها مثل: حلق العلم، ودراسة الكتب المنزلة، والآيات؛ فهو قد ذكر العام بعد الخاص (التسبيح) للتوكيد، ومن بدیع اللغة.

[٣٥] ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَاصِيْرًا﴾:

﴿إِنَّكَ﴾: للتوكيد.

﴿كُنْتَ بِنَاصِيْرًا﴾: عالماً بأحوالنا، ومطلعاً على أعمالنا (أفعالنا وأقوالنا) رقيباً علينا.

[٣٦] ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾:

﴿قَالَ﴾: قال سبحانه رداً على ما طلبه موسى.

﴿قَدْ﴾: للتحقيق، والتوكيد.

﴿أُوتِيَْتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾: أُوتيت من الإيتاء: وهو العطاء؛ أي: أُعطيت ما سألت يا موسى، والإيتاء يضم الأشياء المحسوسة، وغير المحسوسة، والإيتاء: ليس فيه تملك، كما هو الحال في العطاء؛ فقد يسترد الله سبحانه ما أعطى لعبده، والإيتاء: أعم من العطاء، وأما العطاء ففيه تملك.

﴿سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾: أي: جميع ما طلبت وسألت. يا موسى: نداء فيه معنى الحنان والعطف.

[٣٧] ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: عاطفة، لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: تفيد التحقيق.

﴿مَنَّا﴾: من المنة: وهي العطاء بدون مقابل، على خلاف الجزاء الذي هو العطاء مقابل العمل.

﴿عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾: هذه المنة الأخرى: هي ما ذكره في الآية: ﴿إِذَا وَحِينَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾ (٣٨) أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ كي تنجو من القتل من فرعون وجنوده.

فالمنة الأولى: منة النبوة، والمنة الأخرى: هي ما أوحينا إلى أمك؛ أي: منة النجاة من القتل، أو الذبح من فرعون، وجنوده.





سُورَةُ طه ٢٠

الْبَيْتُ الْخَامِسُ عَشَرَ

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ
فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ
فَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ
عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَكَلَّمْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَّكَ فَنُونا
فَلَيْسَتْ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِأَيْتِي وَلَا تَنِيَا
فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا
لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا
أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ
الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

سورة طه [الآيات ٣٨ - ٥١]

[٣٨] ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾:

﴿إِذْ﴾: بمعنى: واذكر إذ أوحينا إلى أمك، أو واذكر حين أوحينا إلى أمك؛
إذ: ظرف للزمن الماضي.

﴿أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾: أوحينا بطريق الإلهام، ولمعرفة معنى: أوحينا
ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان.

أوحينا إليها: إذا خفت عليه ﴿فَكَأَلَيْهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: ٧]، فإذا خفت
عليه من القتل، أو الذبح؛ لأن فرعون كان يذبح، أو يقتل أبناء بني إسرائيل،
ويستحيي نساءهم، أوحينا إليها: ﴿أَنْ أَقْذِفِهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ
بِالسَّاحِلِ﴾ [طه: ٣٩].

﴿مَا يُوحَىٰ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

[٣٩] ﴿أَنْ أَقْذِفِهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوُّ لِي وَعَدُوُّ لَهٗ
وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾:

﴿أَنْ﴾: تعليلية مصدرية تفسيرية.

﴿أَقْذِفِهِ فِي التَّابُوتِ﴾: القذف: هو الإلقاء بسرعة؛ أي: ألقى موسى في
التابوت بسرعة، وبدون تردد؛ حتى لا تأخذها عاطفة الأمومة، وتتوقف، أو تتأخر
عن القيام بذلك.

﴿فَأَقْذِفِهِ فِي الْيَمِّ﴾: الفاء: للمباشرة، وتكرار (أقذفيه): للتوكيد وعدم التردد؛
أي: أقذفي التابوت وفيه موسى؛ في اليم: يعني النهر الكبير؛ أي: في نهر النيل،



والبحر أعم وأوسع وأكثر ماءً من اليم، ومن خصوصيات القرآن استعمل كلمة اليم في مقام الخوف والعقوبة، وأما البحر استعمل في مقام النجاة.

﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾: الفاء: للمباشرة، فتجري أمواج نهر النيل به، حتى تلقيه بالساحل عند قصر فرعون، كما قدر الله سبحانه وقضى، وكأن أمواج نهر النيل أمرت بذلك، وتعلم أين تأخذ موسى، وتجري به إلى مكان يأخذه عدو لي وعدو له، وهو فرعون.

﴿يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوْلُهُ﴾: أي: تلتقطه حاشية فرعون فيأتون به إلى فرعون الذي هو عدو لي؛ (أي: عدو لله تعالى)؛ لأنه كان يدعي الألوهية، وأنه ربهم الأعلى.

﴿وَعَدُوْلُهُ﴾: عدو لموسى؛ لأن فرعون سيحاول قتل موسى، ويقف حائلاً أمام دعوته، والتصديق له.

﴿وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾: عليك: خاصة تفيد الحصر، محبة مني: أي: ألقى الله سبحانه؛ أي: زرع الله في قلوب عباده محبة لموسى، فكل من رأى موسى أحبه، حتى فرعون نفسه أحب موسى، ولم يقتله، ورعاه ورباه في قصره حتى بلغ أشده، واستوى، وكذلك امرأة فرعون قالت لفرعون: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩].

﴿وَلِصْنَعِ عَلَىٰ عَيْنِي﴾: لتصنع: تعني: تُربى على مرأى من عيني؛ أي: برعاية، وحفظ مني، واللام في كلمة «لتصنع» للتوكيد، والتعليل، فهو وإن كان يُربى وينشأ في قصر فرعون، فهو يُربى وينشأ تحت رعاية الله سبحانه، وتربية موسى شبهت بالصناعة، والصناعة تعني: الجودة في العمل، أو الصنع، وتحتاج إلى مهارة وصبر ودقة وحكمة، وكذلك يحب أن تكون تربيتنا لأطفالنا كأنها صناعة.

وإذا قارنا قوله تعالى لموسى: ﴿وَلِصْنَعِ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ بقوله لمحمد ﷺ:

﴿فَأَنكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]؛ أي: أنت تحت رعايتنا، ولم يقل ولتصنع على عيني؛ لأن زمن الصنع فات، والرسول ﷺ كان بعد سن الأربعين.

[٤٠] ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَلَّتِ نَفْسًا فَجَعَيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفُتِنًا ۖ فُلُونَا فَمَا نَلَيْتُ مِنِّينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَّىٰ﴾

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي تقديره: واذكر إذ تمشي أختك، ويمكن ربطها بالآية السابقة: ﴿وَلِصْنَعِ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ (٣٩) ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ إذ تمشي أختك فتقول: هل أدلكم على من يكفله، هذا أحد الأمثلة على هذه الصناعة، وهذه الآية يمكن ربطها بالآيتين (١١-١٢) من سورة القصص: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١١) ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ﴾، ومعنى قصيه؛ أي: بعد أن ألقته أمه في اليم (نهر النيل) قالت أم موسى لأخت موسى: قصيه؛ أي: اتبعي أثره، أو خبره، فعلمت أنه أمسى في بيت فرعون، وبعد ذلك علمت أنهم يبحثون له عن مريض حيث كان موسى يرفض الرضاعة من المرضعات، وكما قال تعالى: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢]؛ عندها تدخلت أخته بخفاء، واقتربت للباحثين لموسى عن مريض بقولها:

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾: هل: حرف استفهام أقوى وأكد في الاستفهام من الهمزة فعل أدلكم، تحمل معنى العرض، أدلكم: أخبركم: أعلمكم.

﴿عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾: على: تفيد العلو والمشقة. من: ابتدائية؛ أي: يكفل إرضاعه، أو: هل أدلكم على مريض له يمكن أن يقبل ثديها، أو تتعهد إرضاعه؟

﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾: الفاء: للترتيب والمباشرة، رجعتك: من الرجوع؛ يعني: أن تعود إلى الحال التي كنت عليها قبل ترك المكان الذي خرجت منه، وهناك فرق بين رَجَعَ وبين رجعت وأرجعتك، رَجَعَ: فعل لازم؛



أي: رجع بذاته وبارادته، أمّا فرجعناك: كما في هذه الآية، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٨٣]، فعل متعدّد يعني: أرجعه الله سبحانه، أو غيره، فرجعناك إلى أمك؛ أي: الله سبحانه وتعالى هو الذي أرجعه إلى أمّه؛ كي يرضع منها، وتقر عينها، وفي سورة القصص آية (١٣) قال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾؛ ارجع إلى سورة القصص آية (٧) لبيان معنى رادوه إليك.

﴿كَيَّ﴾: للتعليل الحقيقي؛ أي: السبب الحقيقي لإرجاعه.

هو أن ﴿نَفَرَّ عَيْنًا﴾: تُسر وتطمئن، وترتاح، وتقر؛ تعني: تثبت وتسكن، ولا تبحث عنه، وليس الإرضاع هو السبب. ارجع إلى سورة الفرقان آية (٧٤) لمزيد من البيان في معنى تفر عينها.

﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾: الحزن: ضيق في الصدر دائم كالهم من فقدان ولد، أو ضياع مُلك، وموت بسرطان، فلولا أن رجعناك إلى أمك لاستمر حزنُها حتّى تموت، وفي سورة القصص الآية (١٣) قال تعالى: ﴿كَيَّ نَفَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنْ وَلِنَعْلَمَ أَنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٣٣) لمعرفة الفرق بين الحزن والحُزن.

﴿وَقَلَّتْ نَفْسًا﴾: حين دخلت المدينة على حين غفلة من أهلها، فوجدت فيها رجلين يقتتلان، فاستغاثك الذي من شيعتك على الذي من عدوه فوكزته فقضيت عليه. ارجع إلى سورة القصص، الآية (١٥-١٩).

﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾: الغم: الخوف الذي حصل من قتل القبطي (الذي كان عدوه)، أو الحُزن المهلك.

﴿وَفَنَّكَ فُتُونًا﴾: فتنّاك: من الفتنة؛ أي: عرضناك لفتن كثيرة؛ أي: ابتلاءات كثيرة.

﴿فُتُونًا﴾: قد تكون مصدر، ويمكن أن تكون جمع: فتنة، مصدر لفعل: فتن، والفتنة أشد وأبلغ من الاختبار، وتكون في الخير والشر، والابتلاء لا يكون

إلا بتحمل المكاره والمشاق، أمّا الاختبار: قد يكون بشيء محبوب، أو مكروه؛ مثل: الذهاب إلى مدين، والعمل عند شعيب، والجوع، والعطش، والفقر، بالعبد وفتناك الصّالح، والتّيه... وغيرها.

وأصل الفتنة: عرض الذهب على النّار؛ ليتبين صلاحه من فساد، والتّعرف على حاله؛ فالله سبحانه يعلم منذ الأزل نتيجة هذه الفتن، وما سيقوم به العبد، وإجراء الفتنة لإقامة الحُجة على العبد، ويطلع العبد على نتيجة فتنته له.

﴿فَلَيْتَ﴾: اللبث: الإقامة المحددة بزمان معين.

﴿سِنِينَ﴾: سنين (٨-١٠ سنوات) والأرجح عشر سنوات.

﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾: أي: تعمل عند شعيب ومقيم في أهل مدين. ومدين: قيل: هو أحد أبناء إبراهيم، وأهل مدين قوم شعيب، ومدين تقع على ساحل البحر الأحمر جنوب العقبة.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتّراخي في الزّمن؛ أي: بعد عشر سنوات (وهو الأرجح).

﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَىٰ﴾: ثمّ جئت: رجعت من مدين إلى مصر (طور سيناء).

﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾: على ميعاد زمني ومكاني محدد قدره الله تعالى؛ لتكليمك واختيارك للنّبوة.

[٤١] ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾:

﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ﴾: مشتقة من: الصّناعة، والصّناعة كما قلنا سابقاً تعني: جودة التّربية، والرّعاية، والحفظ من كلّ شر، أو سوء، أو قتل.

فهذا يدل على أنّ صناعة موسى استمرت إلى مرحلة الشّباب، ولم يقل



وصنعتك: وإنما قال: واصطنعتك: فيها معنى الاهتمام الخاص مثل التكليم، والوعد، (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة)، وتكرار الميعاد والآيات التسع.

﴿لَنَفْسِي﴾: أي: اخترتك واصطفيتك برسالتني وبكلامي لمهمة خاصة: هي الذهاب إلى فرعون الطاغية الذي ادعى الألوهية، وإلى بني إسرائيل، اللام: لام الاختصاص.

[٤٢] ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾:

﴿أَذْهَبَ﴾: أنت وأخوك هارون بآياتي (العصا واليد) إلى فرعون وملئه.
﴿أَنْتَ﴾: للتوكيد، كان يمكن القول فقط اذهب وأخوك بآياتي. أضاف أنت؛ لأن الآيات: العصا واليد هي تخص موسى وحده.
﴿وَأَخُوكَ﴾: هارون.

﴿بِآيَاتِي﴾: الباء: للإلصاق والاستعانة.

﴿وَلَا نَبِيًّا﴾: لا: الناهية، تنيا: من التواني؛ أي: الفتور والتقاعد، أو التقصير.
﴿فِي ذِكْرِي﴾: في إقامة الصلاة، وذكر من التسييح، والتحميد، والتهليل، وسائر العبادات القلبية والدعاء.

[٤٣] ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾:

﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ﴾: أنت وأخوك إلى فرعون.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿طَغَىٰ﴾: تجاوز حدود الإسراف في الطغيان، والفساد، والظلم، والتكبر، وادعى الألوهية، وأنه هو الرب الأعلى.



[٤٤] ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا﴾: من اللين بدون عنف، أو غلظة؛ أي: كلاماً لطيفاً سمحاً مرفقاً بالموعظة الحسنة.

﴿لَعَلَّهُ﴾: لعل: أداة تعليل.

﴿يَتَذَكَّرُ﴾: من الذكر يتذكر ما نسي أن الله هو خالقه، والمنعم عليه، ويتوب وينيب إلى ربه.

﴿أَوْ يَخْشَى﴾: من الخشية: وهي الخوف المقرون بالرّهبة، والعلم؛ أي: يخاف ربه، ويخشى عذابه.

والسؤال هنا: كيف يقول سبحانه: «لعله يتذكر أو يخشى»، والله سبحانه يعلم في علمه الأزلي أن فرعون لن يتذكر، أو يخشى من نصح موسى وهارون؟ قيل: لإقامة الدليل والحجة على فرعون يوم القيامة بأن الله سبحانه لم يدعوه، أو يرسل إليه رسولاً... وقدم في هذه الآية «يتذكر» على الخشية؛ أي: التذكر أولاً، وإلا الخشية والخوف ثانياً.

[٤٥] ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾:

﴿قَالَ﴾: أي: موسى وهارون.

﴿رَبَّنَا﴾: حذف ياء النداء التي تستعمل للبعد؛ لقرب المنادى من المنادي؛ لأنهما يعلمان أن الله سبحانه قريب منهما بعلمه.

﴿إِنَّا﴾: إضافة النون للتوكيد.

﴿نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا﴾: نخاف أن يعاجلنا بالعقوبة، ولا ينتظرنا أن نريه آياتنا.

﴿أَنْ﴾: للتعليل والتوكيد.

﴿يُفْرِطُ﴾: الفَرَطُ في اللغة: المتقدم؛ أي: يبادرنا بالعقوبة، أو يعاجلنا بها.



﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾: أو: للتفضيل، وقد تعني أو: بمعنى (و)؛ أي: يفرط ويطغى معاً. أن: للتعليل والتوكيد، وتكرارها للتوكيد، وفصل الإفراط عن الطغيان.

﴿يَطْغَى﴾: من الطغيان: وهو تجاوز الحد بالظلم وفي عدم الطاعة، ويطغى علينا: بالقتل، أو التعذيب.

[٤٦] ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾:

﴿قَالَ لَا تَخَافَا﴾: قال سبحانه «لا»: النّاهية، «تخافا»: منه.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد بدلاً من إني.

﴿مَعَكُمَا﴾: مع: ظرف مكاني وزماني؛ أي: معكما مكاناً وزماناً؛ أي: لن أترككما لحظة واحدة، أو اطمئنا.

﴿أَسْمَعُ وَأَرَى﴾: أسمع أقوالكم، وأرى أفعالكم، ولا يجوز تشبيه سماع ورؤية الخالق سبحانه بسمع ورؤية خلقه، وكما قلنا سابقاً فإنه سبحانه يعلم ما سيقوله فرعون وما سيعمله منذ الأزل، وإنما ذلك لتطمين موسى وهارون بالذهاب إليه؛ لإقامة الحجة عليه.

[٤٧] ﴿فَأَنبِأَهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْدِبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِمَّا آتَبَعَكَ أَهْلُ الدُّثُرِ﴾:

﴿فَأَنبِأَهُ﴾: احضرا العنده والتقيا به، والإتيان أسهل، والمجيء وأتى يعني: في المستقبل، وجاء يعني: وصل وحضر وفيه مشقة.

﴿فَقُولَا﴾: فقولا: الفاء: للمباشرة؛ أي: مباشرة ابدأ بالقول.

﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾: إنا: أي: موسى وهارون، أو أنا وأخي رسولاً ربك مرسلان من ربك؛ أي: ليس أنت الرب، وفي سورة الشعراء آية (١٦) قال تعالى: ﴿فَأَتَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، رسولا: بالثنائية تعني: موسى وهارون، وأما قوله رسول بالافراد؛ لأن رسالته واحدة، أو أحدهما يمثل الآخر، وكذلك

الرسول تمثل رسول، والرسول يمثل الرسل؛ لأن الكل أرسل من رب العالمين ورسالتهم واحدة.

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: الفاء: للمباشرة؛ أي: أطلق سراح بني إسرائيل من مصر مباشرة، ودعهم يذهبون معنا؛ أي: موسى وهارون إلى الأرض المقدسة، وفي سورة الأعراف آية (١٠٥) قال تعالى على لسان موسى ﷺ: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.

﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾: لا: الناهية؛ بقتل أبنائهم، واستحياء نساءهم، ولا تسمهم سوء العذاب.

﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾: قد: للتحقيق؛ أي: حقاً جئناك بآية: بمعجزة، ودليل، وبرهان.

﴿مِنْ رَبِّكَ﴾: إعادة كلمة «من ربك» مرتين (إنا رسولا ربك، قد جئناك بآية من ربك): لتهتز أعصاب سمع فرعون بسماع الحق أن هناك رب حقيقي.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾: السَّلام جاء بصيغة المعرفة، ولم يقل سلام؛ لأنَّ السَّلام هنا سلام إنذار، ولا يعني سلام التَّحية، أو سلام الأمان والطَّمانينة، أو سلام النَّجاة من كلِّ مكروه، السَّلام؛ أي: سلام النَّجاة والسَّلامة من عذاب الله.

﴿عَلَىٰ﴾: تفيد العلو والمشقة.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية استغرافية.

﴿اتَّبَعَ الْهُدَى﴾: أي: اتبع ما أنزل إليه من ربه على لسان رسله، وكتبه من أوامر ونواهٍ، ولم يقولوا لفرعون: سلام عليك؛ لأنَّه لم يك متبعاً أيَّ هدى.

[٤٨] ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾:

﴿إِنَّا قَدْ﴾: للتوكيد. قد: للتحقيق.

﴿أَوْحَىٰ إِلَيْنَا﴾: الوحي لغة: هو إعلام بخفاء؛ أي: أخبرنا بالوحي من ربنا. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ للبيان.

﴿أَنَّ الْعَذَابَ﴾: أن: للتوكيد.

﴿الْعَذَابَ﴾: في الدنيا، أو في الآخرة، والعذاب يكون بالصّواعق، أو الخسف، أو الطّوفان، أو الحرائق، أو الرّيح العقيم، أو الصّيحة، أو المرض والقحط، والجوع، والعطش، والقتل، والسّبي، والخوف، والرّعب، وعذاب القبر، وعذاب النّار... وغيرها من ألوان العذاب.

﴿عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ﴾: على: تفيد العلوّ والمشقة.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية.

﴿كَذَّبَ﴾: بآيات ربه، ولم يؤمن بها، أو يصدقها.

﴿وَقَوْلَىٰ﴾: عن آيات ربه؛ أي: ابتعد عنها، ولم يستمع إليها.

[٤٩] ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَىٰ﴾:

هذه الآية تدل على أنّهما أتيا فرعون وقالوا: إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل، والسّلام على من اتبع الهدى، وكلّ ما سبق ذكره.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا﴾: قال فرعون لموسى وهارون: فمن ربكما: الفاء: للمباشرة والتّعقيب. من: استفهام فيه معنى الإنكار، والتّعجب، وقال: ربكما، ولم يقل: ربنا؛ لأنّه ما زال يجحد ربوبية الله.

﴿يُمُوسَىٰ﴾: وجّه الخطاب إلى موسى وحده؛ لأنّ فرعون ربّى موسى، فلعل موسى يتذكر ربوبية فرعون له، أو لأنّ موسى كان المتكلم مع فرعون وهارون المستمع لكونه الوزير.

[٥٠] ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾:

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ﴾: قال موسى رداً على سؤال فرعون: ربنا الذي أعطى كل شيء: نكرة: مهما كان نوعه من إنس أو جن، ونبات، وحيوان، وجماد، أو صغير، أو كبير، وسماء، وأرض، وجبال، وشجر، ونجوم، وقمر، معلوم، وغير معلوم.

﴿خَلْقَهُ﴾: صورته؛ أي: شفرته الوراثة التي فيها شكله، ولونه، وفطرته، وصفاته.

﴿ثُمَّ هَدَى﴾: ثم: للترتيب الذكري.

﴿هَدَى﴾: أي: هداه بالإلهام، وأرشده بالفطرة كيف يُسبح ويُصلي، ويقوم بوظيفته التي سخرها الله له، وكيف يأكل ويشرب، ويدافع عن نفسه، ويحافظ على نسله.

[٥١] ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾:

﴿قَالَ فَمَا﴾: قال فرعون: فما: الفاء: للتوكيد؛ ما: اسم استفهام.

﴿بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾: القرون الأولى: الأمم الماضية الأولى ما بالها، ما أخبارها وأحوالها؟ فهي لم تقر بالرب، وتؤمن به، بل عبدت الأصنام، ما مصيرها بعد أن مضت وانقرضت، أو هلكت وزالت؟





سُورَةُ طه ٢٠

الجزء الثاني عشر



قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾
 الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَاسْلَكْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا
 وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴿٥٤﴾ * مِنْهَا
 خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ
 أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا
 مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْوَسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ
 فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا
 سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى
 ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ
 مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ
 وَقَدْ خَابَ مِنْ أَفْتَرَى ﴿٦١﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا
 النَّجْوَى ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ
 مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَ بِطَرِيقِكُمُ الْمُثَلَّى ﴿٦٣﴾ فَأَجْمَعُوا
 كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَتْهُمُ أَصْفَاءُ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾

سورة طه [الآيات ٥٢ - ٦٤]

[٥٢] ﴿قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾:

﴿قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾: قال موسى رداً على سؤال فرعون: علمها عند ربي؛ أي: لا يعلم حال القرون الأولى، وما كانت تعبد، وما كانت عليه من الإيمان، والكفر، والشرك، وما حل بها إلا ربي وحده.

﴿فِي كِتَابٍ﴾: أعمالها مدونة في اللوح المحفوظ، أو أعمال كل أمة - وبالتالي أفردتها - مدونة: مكتوبة في كتب الملائكة ﴿كُلُّ أُمَّةٍ نَدْعُ إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[الجاثية: ٢٨-٢٩].

﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾: لا يخطئ ربي، أو لا يغيب عن علمه شيء في الأرض، ولا في السماء. ضل الشيء: خفي وغاب، وضل المسافر الطريق: ضاع، ولم يعد يعرفه.

﴿وَلَا يَنْسَى﴾: النسيان: هو عدم تذكر الشيء المعلوم سابقاً، وتكرار (لا): يفيد التوكيد، وفصل يضل عن ينسى، أو كلاهما معاً.

إذن ربي منزّه عن الخطأ والنسيان والسهو والضياع والغياب.

[٥٣] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾:

استمر موسى في التعريف على ربه لفرعون؛ لعله يتذكر، أو يخشى.



﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾: جعل: صير. لكم الأرض: خاصة.

﴿مَهْدًا﴾: أي: مهّدها حتى تسهل الحياة عليها للإنسان والحيوان، والعلم يؤكد لنا أن الأرض بدأت بتضاريس معقدة شديدة الالتحام؛ فسخر الله سبحانه عوامل التعرية، والرياح، واختلاف درجات الحرارة، والصيف والشتاء والمطر والسيول والجبال؛ لكي يشق لنا الفجاج والسبل.

مهّدًا؛ أي: سوّاها ومهّدها فجعلها صالحة للعيش، وشبّها بمهد الطفل: (فراش الطفل)؛ فهي رغم دورانها (٣٠) كيلو مترًا في الثانية، فنحن لا نشعر بحركتها، وهذا من فضل الله علينا، ولو اهتزت بمقدار ثمان درجات على ميزان ريختر، لحدث فيها زلازل عظيمة ولهدمت البيوت ومات الكثير من البشر. ومهّدًا رغم كونها بيضاوية؛ أي: كروية الشكل.

﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: سلك: بمعنى أدخل شيئًا في شيء آخر بشكل سهل؛ أي: جعل وصير فيها سبلاً؛ أي: طرقاً توصلكم إلى غاياتكم، وفي سورة الزخرف آية (١٠) قال تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ فهو قد (جعل لكم) أولاً، ثم (سلك لكم)؛ أي: الجعل قد يسبق السلك؛ أي: صيرها سهلة بعد أن كانت وعرة.

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: السماء تعني: السحب الرّكامية، وتعريف السماء: هي كلّ ما علاك، والسحب في السماء تعلو الإنسان، فأبدل كلمة السحب بالسماء.

﴿مَاءً﴾: أي: ماء المطر، وهذا يشير إلى دورة الماء حول الأرض. ارجع إلى سورة المؤمنون، آية (١٨).

وأنزل: جاء بصيغة المفرد؛ لأنَّ المقام مقام توحيد، فهو يدعو فرعون للتوحيد، وإنزال المطر من السَّحب من اختصاصه سبحانه وحده، وأحياناً يقول تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الفرقان: ٤٨]، وذلك في مقام التعظيم، والتفخيم، وتعداد النعم، فيأتي بصيغة الجمع.

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة. أخرجنا به؛ أي: الماء، وعدل في هذه إلى صيغة الجمع للتعظيم؛ لأنَّ إخراج النَّبات في الحقيقة عملية تدل على عظمة الخالق وقدرته، وإخراج الأزواج يحتاج إلى حرث الأرض وبذرهما وسقي الحرث وغيرها؛ فهي عملية يشارك بها الكثير من النَّاس، أو: أخرجنا: للتعظيم.

﴿أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾: أزواجاً؛ أي: ذكراً وأنثى؛ لأنَّ تكاثر النَّبات يحتاج إلى زوجين، وأزواجاً؛ أي: أصنافاً كلِّ صنف منها يسمى زوجاً.
﴿مِّنْ﴾: ابتدائية لبيان الجنس.

﴿نَّبَاتٍ شَتَّى﴾: أي: نباتات مختلفة كثيرة متنوعة في الشَّكل والحجم والفائدة، متنوعة في الطَّعم، والرَّائحة، واللون، وهناك اختلافات حتَّى في الصَّنَف الواحد.

﴿شَتَّى﴾: جمعها: شتيت؛ أي: أشياء كثيرة مختلفة متنوعة؛ فالله سبحانه خلق كلَّ شيء من زوجين؛ لتبقى الوجدانية خاصة به، وحده من دون المخلوقات.
[٥٤] ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾:

﴿كُلُوا﴾: أنت من النَّباتات الشَّتَّى.

﴿وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾: وارعوا من: رعى الماشية يرعاها: إذا أطلقها في المرعى حتَّى تأكل وتشرب. والأنعام ثمانية أزواج: الإبل والبقر، والغنم والماعز، ولم



يقل بهيمة الأنعام؛ لأن بقية أصناف الأنعام ترعى لوحدها، ولا نسيطر عليها، وذكر هذه الآية هنا يفيد التذكير بالنعم، وأن الله سبحانه خلق لكم ولأنعامكم التي تأكلوها مقومات الطعام والشراب.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة للبعد في تسخيرها، وكونها متاعاً لنا.

﴿لَا يَتْلُوَ أَولَى النَّهْيِ﴾: اللام: في «لايات»: للتوكيد، واللام في «أولي»: للاختصاص.

﴿النُّهْيِ﴾: أي: ذوي العقول، والعقل يطلق عليه النهي، والنهي: من النهي عن الشيء، والعقل من العقال الذي نعقل به الدابة حتى لا تشرد، والعقل قادر على أن يتحكم بأعمال العبد فيبعده عن القبيح والفساد والرذيلة، ويهديه إلى أفعال الخير، والصلاح، أو بالعكس.

وإذا قارنا أولي الألباب بأولي النهي، أولي الألباب: أعلى درجة من أولي النهي.

[٥٥] ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾:

بعد كل هذه النعم جعل لكم الأرض مهذاً، وسلك لكم فيها سبلاً، واكلوا منها وارعوا أنعامكم، لا تنسوا أنكم ستبعثون منها؛ من الأرض الجديدة.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾: أنا خلقناكم من الأرض؛ أي: من تراب؛ أي: تأكلون مما أخرجنا لكم من الأرض. ارجع إلى سورة الحج، آية (٥)؛ للبيان.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾: بعد الموت نعيدكم فيها، وتقديم «فيها» يفيد الحصر؛ أي: لا تعود إلا فيها بعد الموت، والدفن في القبور.

﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾: أي: مرة أخرى، أو ثانية بالبعث، تارة: بمعنى: المرة أو الحين.

وقوله: منها خلقناكم؛ أي: من الأرض؛ فالأرض كالأم الحقيقية للإنسان رغم أن هناك أمًّا أخرى تلده عن طريق التناسل، وبعد أن يرضع من هذه الأم؛ أي: يأكل مما تنبت الأرض من الحب والثمار، ثم بعد ذلك يموت فيرجع إلى أمه الحقيقية وهي الأرض، وبهذا تكون دورته من الأرض إلى الأرض.

[٥٦] ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق.

﴿أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾: أريناه؛ أي: فرعون، آياتنا التسع: (العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والسنين...)، والآيات تعني: المعجزات، والدلائل، والبراهين الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا.

أريناه: أي: رغم ذلك لم يتعظ ويعد إلى رشده، وكذب بها كلها.

﴿كُلَّهَا﴾: تفيد التوكيد.

﴿فَكَذَّبَ﴾: بها، ولم يصدقها، وزعم أنها سحر.

﴿وَأَبَى﴾: أي: امتنع بشدة أن يؤمن بالله وحده، ويستجيب لدعوة موسى، أبى من الإباء: وهو شدة الامتناع، فكلّ إباء امتناع، وليس كل امتناع إباء.

[٥٧] ﴿قَالَ أَجِئْنَا لَنُخْرِجَنَّهُ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى﴾:

﴿أَجِئْنَا﴾: الهمزة: همزة استفهام وإنكار وتعجب.

﴿لَنُخْرِجَنَّهُ مِنْ أَرْضِنَا﴾: اللام: لام التعليل؛ تخرجنا من أرضنا: من مصر ليصبح لك الملك.



﴿بِسِحْرِكَ﴾: الباء: للإلصاق والاستعانة، سمي فرعون كل تلك الآيات وما جاء به موسى: سحراً.

﴿يَمُوسَى﴾: نداء فيه معنى السخرية والاستهزاء، ولمعرفة معنى السحر انظر في الآية (٥٨) التالية.

[٥٨] ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ، فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾:

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾: الفاء: للتوكيد، وكذلك التون: لزيادة التوكيد.

﴿بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ﴾: تعريف السحر لغةً: هو كل أمر يخفى سببه، ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع، وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره.

والسحر اصطلاحاً: هو المخادعة، والتخيل، أو عزائم ورقى وعُقد.

والسحر يقسم إلى السحر الحقيقي: الذي له تأثير حقيقي يؤدي إلى الضرر بالمسحور حتى يصل إلى درجة المرض أو التفريق بين المرء وزوجه، والهديان والنسيان، وكما قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفرقان: ٤]، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

والقسم الثاني: هو السحر التخيلي: وهو السحر المبني على التمويه، والخداع، والتخيل الذي لا حقيقة له، كما فعل سحرة فرعون: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ بِخَيْلٍ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَتَاهَا تَسْعَى﴾ [طه: ٦٦] رغم أن حبالهم وعصيتهم لم تتغير، وهذا قد يؤدي إلى الفزع والخوف والضرر.

فالسحر لا يقلب حقيقة الشيء، بل يظل الشيء على حقيقته، ويقع السحر للرائي فيرى الأشياء على غير حقيقتها؛ أي: سحر أعينهم.

فالسَّحرة حين ألقوا جبالهم بقيت الجبال حبالاً في الحقيقة، ولكن الذي رأى الجبال ونظر إليها رآها حيات، أو ثعابين تسعى، أمّا عصا موسى فعندما ألقاها تحولت إلى حية حقيقية تسعى، وليس سحراً.

﴿فَجَعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

﴿بَيْنَنَا﴾: فرعون وملئه، وبينك يا موسى.

﴿مَوْعِدًا﴾: مصدر من: وعد، والموعد يكون زماناً ومكاناً.

﴿لَا تُخْلِفُهُ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾: أي: نتفق عليه معاً، ولا يُخلفه أيّ منا.

﴿مَكَانًا سَوًى﴾: أي: وسطاً عدلاً يستوي طرفاه؛ يعني: مكاناً وسطاً، وسط المدينة، أو يسهل على الكل الوصول إليه، أو الحضور إليه.

وقيل: سوى: مستوياً بحيث يستطيع الجميع رؤية ما يحدث، كما نراه في الملاعب الرياضية.

[٥٩] ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾:

قال موسى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزَّيْنَةِ﴾: يوم العيد (للأقباط)، ويوم الزينة؛ لأنّ النَّاس يلبسون أجمل الثياب والزينة، واختار موسى يوم العيد؛ لأنّه واثق بنصر الله تعالى وتأييده له، وأنّه يريد أن يكشف لأكثر جمع من النَّاس قدرة الله سبحانه، وأنّه هو الإله الحقيقي بمعجزة العصا، ويتحدّى السَّحرة.

﴿وَأَنْ﴾: للتعليل.

﴿يُحْشَرُ﴾: الحشر: القدوم إلى المكان والاجتماع فيه.

﴿ضُحًى﴾: وقت الضحى، وضح النهار وشروق الشمس.

فموسى حدّد اليوم وحدّد الساعة وحدّد المكان.



[٦٠] ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ﴾:

﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: الفاء: للمباشرة، والتعقيب؛ أي: ترك فرعون موسى مباشرة؛ ليستعد لهذا التحدي.

﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة. جمع كيده: الكيد هو التدبير الخفي للإيقاع بموسى، والكيد هنا يعني: السحرة الذين سيكيدون موسى؛ أي: جمع السحرة وحشدتهم لتحدي موسى بسرعة.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزمن والترتيب، ولم يقل: فجمع كيده فأتى، بل قال: ثم أتى؛ أي: تباطأ فرعون وكأنه عبر عن خوفه بعدم الرغبة بالحضور بسرعة لمواجهة موسى.

﴿أَتَى﴾: أتى فرعون الموعد مع سحرته؛ أي: المكان المحدد، وفي الزمن المعلن بدون تأخير.

ولم يذكر في هذه السورة بعض الأحداث التي حصلت خلال هذا الزمن مثل: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۖ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۚ﴾ (١١٠) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۖ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ۖ (١١٢) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿[الأعراف: ١٠٩-١١٤].

[٦١] ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَقْتُلُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ﴾:

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾: لهم: أي: لفرعون، والسحرة، والملأ.

﴿وَيَلَكُمْ﴾: الويل: هو العذاب، والهلاك.



لما رأى موسى السحرة، وما هم مقبلون عليه، راح يحذرهم، وينذرهم بالهلاك والعذاب إن افتروا على الله كذباً بما سيقومون به من السحر.

﴿لَا تَفْتَرُوا﴾: لا: الناهية؛ تفتروا: الافتراء: هو اختلاق الكذب المتعمد.

﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: كذباً: نكرة؛ أي: لا تفتروا على الله تعالى أي نوع من الكذب مهما كان، والنكرة تفيد التّهويل، وتعظيم الأمر، بأن تكذبوا وتزعموا، أو تقولوا وتدّعوا بأن آياته سبحانه هي سحر، والعصا وغيرها.

﴿فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ﴾: يهلككم: أو يستأصلكم بعذاب في الدنيا قبل الآخرة؛ الفاء: للتعقيب، والمباشرة بعد افتراء الكذب، والباء: للإلصاق وباء السببية، يقال: أسحت ماله، استأصله وأفسده، أسحت الشعر: أي: أزاله واستأصله.

﴿وَقَدْ خَابَ﴾: قد: للتحقيق، خاب: خسر، والخائب: الذي فقد الأمل في حدوث ما يرغب أو انقطع أمله في النجاة.

﴿مَنْ أَفْتَرَى﴾: من تعمد الكذب واختلقه، من: للعاقل، وتشمل المفرد، والمثنى، والجمع.

[٦٢] ﴿فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَاسَرُّوا النَّجْوَى﴾:

﴿فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾: أي: تشاوروا بينهم بعد أن حذرهم موسى بقوله: ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحِتْكُمْ بعذاب، أو ربما أثر هذا القول في أنفسهم مما أدى إلى معرفة رأي كل منهم الآخر.

والتنازع مشتق من: أن كل ذي رأي يريد نزع رأي صاحبه لرأيه؛ أي: يوافق على رأيه لما يراه من الصواب، أو نزعه ليتخلّى عن رأيه، حتّى يصلوا إلى قرار واحد.



﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾: النجوى: المساواة في الحديث بحيث لا يسمع موسى وهارون، أو فرعون وقومه ما تشاوروا به، وقيل: النجوى كانت قولهم الذي جاء في الآية (٦٣) التالية.

[٦٣] ﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: السحرة.

﴿إِنْ هَٰذَا لَسِحْرَانِ﴾: إن: بمعنى: نعم، هذا لساحران. لساحران: اللام: للتوكيد؛ أي: موسى وهارون لساحران.

﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾: أن: للتوكيد.

﴿يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾: من مصر.

﴿بِسِحْرِهِمَا﴾: الباء: للتعليل، أو باء السببية.

﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾: المثلى: مؤنث: أمثل، والمثلى: يعني: الطريقة؛ أي: الطريقة، أو الملة التي سلكوها، وهي اتخاذهم إلهاً يعبدونه من دون الله؛ أي: طريقة الشرك بالله، فموسى وهارون يريدان أن يصرفاكم إلى طريقة أخرى هي عبادة الله وحده، أو تعني: يصرفان عيون الناس عنكم؛ لتوجه إليهما.

ويؤيد ذلك قول فرعون: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

[٦٤] ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَنتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى﴾:

﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾: الفاء: للترتيب والمباشرة؛ أجمعوا كيدكم؛ أي: سحرتكم ووحدوا أمركم، أو رأيكم، أو اتفقوا على أمر واحد مباشرة بدون تأخير

وكونوا صفاً واحداً، ولا تختلفوا، هذا قول بعضهم لبعض، أو قول فرعون لهم،
ونصيحة بعضهم لبعض، أو نصيحة فرعون لهم.

﴿ثُمَّ أَتَوْنَا صَفًّا﴾: ثم: للترتيب والتراخي في الزمن؛ أي: وحدوا رأيكم
وكونوا صفاً واحداً ضد موسى وهارون، واختلاف كلمتهم، وعدم وحدة رأيهم
يحتاج إلى زمن لكي يوحّدوا لمتهم ويجمعوا على رأي واحد، ولذلك استعمل
ثم بدل فأتوا صفّاً.

﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى﴾: قد: للتحقيق.

﴿أَفْلَحَ﴾: فاز وانتصر، ونجى من العذاب.

﴿مَنْ أَسْتَعْلَى﴾: من غلب عدوه، وأراد العلو على خصمه. من: اسم
موصول بمعنى الذي، وهي للعاقل؛ أي: قد فاز وانتصر ونجا من غلب اليوم
عدوه أو خصمه.





سُورَةُ طه

الجزء الثاني عشر

قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ قَالَ
بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى
﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ
أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا
كَيْدٌ سَحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُبْحًا
قَالُوا أَمْ نَمِائِرٌ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ أَمْ نَسْتَمُّ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنِ
لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقِطِعْ أَيْدِيكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلِتَعْلَمُنَّ
أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ
الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا أَمْنَابِرٌ بِنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا
فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ
عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾

سورة طه [الآيات ٦٥ - ٧٦]

[٦٥] ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾:

﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ﴾: أي: سحرة فرعون قالوا: يا موسى، اختر أحد الخيارين.

﴿إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ﴾: إمّا: للتخيير.

﴿أَنْ﴾: للتعليل، والتوكيد.

﴿تُلْقَىٰ﴾: عصاك، والإلقاء: يعني: طرح الشيء الذي معك بحيث يراه الكل، وإما أن نكون أول من ألقى.

[٦٦] ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يَخِئِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَاسَعَى﴾:

﴿قَالَ﴾: موسى.

﴿بَلْ أَلْقُوا﴾: بل: للإضراب الانتقالي؛ أي: اختار موسى أن يلقوا أولاً، وهذا إلهام من الله تعالى لموسى.

﴿فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ﴾: الفاء: للمباشرة، والتعقيب؛ إذا: ظرفية زمانية «الفجائية».

﴿يَخِئِلُ إِلَيْهِ﴾: إلى موسى، وإلى غيره من المشاهدين.

﴿أَنهَاسَعَى﴾: أي: أنها حيات تتحرك؛ لأنهم سحروا أعين الناس، ولتعريف السحر. ارجع إلى الآية (٥٨) من السورة نفسها.

[٦٧] ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾:

﴿فَأَوْجَسَ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة. أوجس: أحس بالخوف وأضمره، الإيجاس: إحساس بشيء وإضماره؛ حتى لا يظهر لمن حوله.



﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾: أحس موسى في نفسه شيئاً من الخوف؛ فأضمّره، ولم يظهره لمن حوله؛ أي: للسحرة، أو لفرعون، أو للمشاهدين.

وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٧٠) من سورة هود، وما حدث لإبراهيم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ في هذه الآية قدم الملائكة على الخوف.

وفي الآية (٦٧) من هذه السورة قدم موسى نفسه على الخوف، فإبراهيم خاف في نفسه من الملائكة؛ لأنه لم يعرفهم، ولم يأكلوا طعامه؛ فخاف منهم خوفاً شديداً، ولم يستطع أن يخفي خوفه، ويضمّره في نفسه، ولذلك ظهر على وجهه؛ فعلم الملائكة ذلك؛ فقالوا له: لا تخف إنّنا أرسلنا إلى قوم لوط.

أما موسى شعر بالخوف الشديد، وأضمّره وكتّمه، ولم يبيده لفرعون ولا للسحرة، ولا للمشاهدين، وأيده الله وأعانه على ذلك أمام عدوه، ولو ظهر عليه الخوف، لدل ذلك على ضعف ثقته بالله وإيمانه. ارجع إلى الآية (٧٠) من سورة هود؛ لمزيد من البيان.

[٦٨] ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾:

﴿قُلْنَا﴾: أي: ألهمنا موسى حالاً؛ قلنا: جاء بنون التعظيم، أو العظمة؛ للدلالة على التوكيد على عدم الخوف.

﴿لَا تَخَفْ﴾: لا: الناهية، لا تخف بما قاموا به من السحر، لا تخف من حبالهم، وعصيهم؛ كأنها حيات تسعى.

﴿إِنَّكَ﴾: إنّ: للتوكيد، والكاف للمخاطب «موسى».

﴿أَنْتَ﴾: ضمير فصل يفيد الحصر.

﴿الْأَعْلَى﴾: الغالب، والمنتصر، أو الفائز الأعلى، صيغة تفضيل.



[٦٩] ﴿وَالْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾:

أوحينا إلى موسى: وألق ما في يمينك، ولم يقل عصاك؛ أي: اطرح ما في يمينك (وهي عصاه)، ولكنه لم يقل عصاك؛ لأنها ليست من جنس العصي المعهودة، بل هي آية خارجة عن حدود سائر العصي المعهودة.

﴿وَالْقَ مَا فِي يَمِينِكَ﴾: نكرة؛ لأنها غريبة التصرف، وأبهم وقال: ما في يمينك؛ للتحويل، والتعظيم؛ لأنها عصا لا يحيط بعلمها إلا الله الذي خلقها.

﴿تَلَقَّفَ﴾: تبتلع ما صنعوا؛ أي: من السحر، حيث سحروا أعين الناس فأصبحوا يروا أن الحبال والعصي التي ألقاها السحرة حيات تسعى، تلقف بالسكون، وفي آيات أخرى تكون مضمومة؛ أي: تلقف ﴿فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَأْكُونُ﴾ [الأعراف: ١١٧]، فما الفرق بينهما؟

تلقف: بالسكون تدل على أن اللقف لم يحدث بعد، وسيحدث قريباً.

بينما تلقف: بالضم: تدل على أن اللقف والابتلاع واقع ويحدث الآن، وقيل: أصل تلقف: تتلقف وتلقف حذفت منها التاء؛ لتدل على قصر الزمن الذي تحتاجه لابتلاع الحبال، والعصي؛ أي: تدل على السرعة، وتتلقف: تحتاج إلى زمن أطول فتدل على البطء.

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ﴾: إنما: كافة مكفوفة تفيد الحصر والتوكيد؛ أي: ما صنعوا، أو قاموا به مجرد سحر، أو ما صنعوا، أو قاموا به كيد؛ أي: تدبير خفي يقوم به الساحر؛ ليوهم الأعين أن ما تراه حق، وهو باطل، وتعني: فلا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم.

﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾: ولا: لا: النافية.

﴿يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾: لا يفوز، أو لا يأمن الساحر مهما أوتي من قدرة على السحر، وأينما كان وحيث سار.



﴿حَيْثُ أَتَى﴾: من حيث أقبل، هناك فرق بين كلمة حيث، وكلمة أين.

حيث: تدل على المكان الخاص، وليس كل مكان (الإطلاق) كما هو الحال في كلمة «أين» التي تدل على الإبهام والإطلاق في المكان، ولم يقل من حيث جاء؛ لأن «أتى» أعم من «جاء»، وجاء فيها معنى المشقة، أو الصعوبة، وأتى تحمل معنى السهولة.

[٧٠] ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾:

﴿فَأَلْقَى﴾: الفاء: تدل على المباشرة؛ أي: سجدوا مباشرة وبسرعة لله.

﴿السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾: خروا ساجدين لله تعالى بعد رؤيتهم ما حدث لعصا موسى، ولم يك سحراً، وإنما حقيقة، أو حق، فقد تحولت إلى حية تلقف ما يأفكون، ما رأوه من الحق ألقاهم على وجوههم ساجدين بسرعة، وقبل أن يعلنوا إيمانهم، وبعد أن خروا لله سجداً، أعلنوا إيمانهم بعكس الأمر الطبيعي، وهو أن يعلنوا إيمانهم أولاً، ثم يسجدوا، ولكن ما حدث هو العكس. سجداً: جمع ساجد، ويعني: السجود الظاهري التي تراه العين، وأما السجود الحقيقي يعني: الخشوع مع السجود الظاهري.

﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾: نلاحظ هنا تقديم هارون على موسى، وهذه هي الآية الوحيدة التي قدمت هارون على موسى، وأما في سورة الشعراء، آية (٤٧-٤٨)، وسورة الأعراف، آية (١٢١-١٢٢) ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿، والتقديم سببه حتى لا يظن أحد أن رب موسى هو فرعون الذي رباه، وترعرع في قصره، ولذلك قدم هارون وآخر موسى.

لتفسير ذلك يمكن القول: إن السحرة الذين كان عددهم كبيراً، وقيل: (٧٢) ساحراً بعد أن خروا سجداً، ورفعوا رؤوسهم؛ قسم قالوا: آمنا برب العالمين رب موسى وهارون، وقسم قالوا: آمنا برب هارون وموسى، ولم يوجد هناك من قال:

آمنّا برب موسى وهارون بدون ذكر رب العالمين. وأما تقديم هارون على موسى في هذه الآية فقد فسر ذلك بثلاثة احتمالات، والله أعلم:

الأول: لأنّ ذكر هارون تكرر كثيراً في هذه السورة مقارنة بسورة الأعراف، والشعراء، والسياق هو السبب.

الثاني: لأنّه لم يسبقها قول: رب العالمين؛ لأنّه لو قال: رب موسى وهارون، فقد يظن البعض فرعون؛ لأنّ فرعون ربّه، ونشأ عنده؛ فهو له كربّ، ولذلك أخر ذكر موسى، وجاء بهارون؛ لأنّ فرعون لا يمكن أن يدّعي أنّه رب هارون؛ لأنّه لم يربّه، كما ربّي موسى.

الثالث: هارون هو أكبر من موسى سنّاً، وأفصح لساناً ووزير له.

[٧١] ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ، لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾:

﴿قَالَ﴾: قال فرعون بعد أن رأى السحرة يسجدون لله رب العالمين:

﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾: أي: صدّقتم موسى.

﴿لَهُ﴾: اللام: لام الاختصاص والاتباع.

﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾: أي: قبل أن أسمح لكم.

﴿لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾: إنّه: للتوكيد.

﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾: اللام: لام الاختصاص، الذي علمكم السحر؛ أي: موسى

الذي علمكم السحر.

﴿فَلَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة، هذا

تهديد ووعيد، والنون في «أقطعن» لزيادة التوكيد.



﴿يَدَيْكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ﴾: أي: اليد اليمنى، والرجل اليسرى، أو اليد اليسرى، والرجل اليمنى.

﴿مِّنْ خَلْفٍ﴾: من: ابتدائية، خلاف: أي: من الجهة المعاكسة، أو الأخرى؛ لأن ذلك يؤدي إلى عدم توازن الجسم، وأشق وأشد في العذاب.

﴿وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾: ولأصلبنكم: الواو: عاطفة؛ اللام: للتوكيد. فالصلب يقع بعد تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، وفي سورة الأعراف آية (١٢٤) قال تعالى على لسان فرعون ﴿ثُمَّ لَأَصْلَبَنَكُمْ﴾.

﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾: ولم يقل: على جذوع النخل؛ للمبالغة في الصلب؛ لأن القول: في جذوع النخل؛ في: ظرفية، بحيث يدخل المصلوب في المصلوب عليه من شدة الصلب.

﴿وَلَنَعْلَمَنَّ﴾: اللام، والنون: تفيدان التوكيد.

﴿أَيْنَا﴾: أي: موسى، أم فرعون.

﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾: جمع بين شدة العذاب، والدوام عليه.

﴿وَأَبْقَى﴾: أديم عذاباً؛ أي: زمناً.

[٧٢] ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾:

﴿قَالُوا لَن﴾: أي: السحرة لفرعون. لن: لنفي المستقبل القريب، أو البعيد.

﴿نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾: أي: لن نفضلك على «ما»: اسم موصول بمعنى: الذي جاءنا من البينات (مثل العصا، واليد، والآيات الأخرى)، والإيثار: هو تفضيل شيء على شيء في مجال متساوٍ.

﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾: أي: لن نفضلك على آيات ربنا، أو نفضلك على الذي فطرنا، وهو الله تعالى، أو تعني: لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات، والذي

فطرنا أي: نقسم بالذي فطرنا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات، وكلا الاحتمالين وارد.

﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾: أي: افعل ما أنت فاعل، أو نفذ ما حكمت به علينا من الصّلب، والقطع، والتّعذيب.

وانتبه إلى قوله: ما جاءنا من البينات، وهل البينات جاءتهم، أم جاءت موسى، البينات جاءت موسى، أو عامة لهم ولغيرهم، ولكنهم شعروا بأنهم أحق الناس باتباعها، والعمل بها فاعتبروها لهم وحرصوا على تنفيذها.

﴿إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: إنما تفيد التوكيد، والحصر (كافة مكفوفة).

﴿نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: أي: كل ما تستطيع هو أن تسلب منا هذه الحياة الدّنيا بالصّلب، أو تعذيبنا، ولا سبيل لك علينا في الآخرة؛ أي: سلطانك علينا محصورٌ بالحياة الدّنيا فقط.

انظر إلى عظم ثبات وإيمان هؤلاء السّحرة، وعدم مبالاتهم بالتهديد، والوعيد؛ رغبة واستجابة لله تعالى، ولم يحاول أحدٌ منهم أن يعتذر، أو يغير موقفه، ويخاف من عذاب فرعون وملئه.

[٧٣] ﴿إِنَّا أَمْنَابِرِنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾:

هذه الآية تنمة لردّ السّحرة على فرعون.

﴿إِنَّا أَمْنَابِرِنَا لِيَغْفِرَ﴾: إنّنا: للتوكيد؛ ليغفر: اللام: لام التعليل؛ ليغفر: من المغفرة، وهي السّتر، وترك العقوبة.

﴿أَمْنَابِرِنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا﴾: خطايانا: ذنوبنا الماضية؛ كالكفر، والمعاصي، وقيل: الخطايا: الذّنوب العظيمة. والخطيئة: هي صغائر الذّنوب.

﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾: وهل أكرهوا على السّحر، أم هم فعلوه غير مكرهين، ويارادتهم؟



أكرهوا: حين بعث لهم فرعون جنوده: ﴿وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (٣٦) يَا تَوَكُّلَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿[الشعراء: ٣٤]﴾ فهم أكرهوا على القدوم والحضور من كل المدن، وبعد حضورهم وقدومهم على فرعون قالوا: إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ؟ قال: نعم، وإنكم لمن المقربين. هنا في هذه المرحلة لم يكونوا كارهين؛ فالإكراه حصل في أول الأمر.

﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾: لها عدة معانٍ:

الأول: الله خيرٌ من فرعون، وأبقى منه؛ لأنه حي قيوم باقي لا يزول ملكه وحكمه، بخلاف فرعون أو قومه.

الثاني: ثواب الله تعالى خير وأبقى من ثواب فرعون الزائل.

الثالث: أو عذاب الله أبقى وأدوم من عذاب فرعون، رداً على قول فرعون: ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧].

[٧٤] ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾:

﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾: إنّه: للتوكيد؛ أي: من يأتِ ربه كافراً، أو مشركاً يوم القيامة، أو مات على الكفر، والمجرم يعني: الكافر العاصي، والمشرك يأتي ربه يوم القيامة: يوم القيامة يوم البعث.

﴿فَإِنَّ لَهُ﴾: فإن: للتوكيد؛ له: اللام: لام الاختصاص.

﴿لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾: له نار جهنم لا يموت فيستريح، ولا يحيى حياة بدون عذاب كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]. ارجع إلى سورة الرعد، آية (١٨)؛ لبيان معنى جهنم.

[٧٥] ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾:

﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا﴾: ومن: الواو: عاطفة، من: شرطية؛ يأتِهِ مؤمناً: بربه وما

أنزل.



﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يفيد التوكيد.

﴿عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾: الفرائض، والنوافل، وتجنب النواهي.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد، أولئك: اسم إشارة يفيد البعد؛ بُعد المنزلة، وهي الدرجات العلى.

﴿لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾: وكما أخرج الإمام أحمد والترمذي عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «الجنة مئة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تخرج الأنهار الأربعة، والعرش فوقها؛ فإذا سألتهم الله تعالى فاسألوه الفردوس». ارجع إلى الآية (٥) من نفس السورة.

[٧٦] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾:

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾: جنات عدن؛ أي: إقامة دائمة، وهناك جنات أخرى: جنات النعيم، والفردوس، والخلد.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: تنبع من تحتها الأنهار المختلفة مثل أنهار الماء، أو اللبن، أو الخمر، أو العسل المصفى.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: خلوداً يبدأ من زمن دخولهم الجنات، وبقاءً مؤبداً دائماً.

﴿وَذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلى الفوز بجنات عدن.

﴿جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾: ثواب من تزكى: من طهر نفسه من الذنوب، والمعاصي،

ثم ارتقى بإيمانه؛ فالجزاء يكون من جنس العمل، ويكون بالثواب على العمل الصالح، والعقاب على العمل السيء.





سُورَةُ طه ٢٠

الجزء الثاني عشر

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا
فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخْشَى ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
بِجُنُودِهِ فَغَشَّيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشَّيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ
وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَبْنِي إِسْرَاءَ يَلْ قَدْ أَبْغَيْنَاكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ
جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا
مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي
وَمَنْ يُحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ
وَمَنِ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ وَمَا أَعَجَلَك عَنْ
قَوْمِكَ يَمْوَسَّىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسِفًا قَالَ
يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّ أَحْسَنَ أَفْطَالٍ عَلَيْكُمْ
الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمُ
مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا
أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾



سورة طه [الآيات ٧٧ - ٧٨]

[٧٧] ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾: من الوحي لغة: وهو الإعلام بخفاء عن طريق الوحي، أو تكليم من وراء حجاب، أو إرسال رسول فيوحي بإذنه ما يشاء. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لمعرفة معنى الوحي.

﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾: أن: للتعليل، والتوكيد.

﴿أَسْرِ﴾: الإسرائ السير ليلاً، وعادة في أول الليل، أسر ليلاً بعبادي: الباء: للإلصاق، والمصاحبة.

﴿بِعِبَادِي﴾: أي: بني إسرائيل؛ أي: اخرج بهم ليلاً من مصر، وعبادي، ولم يقل عبيدي؛ عبادي تعني: الفئة المؤمنة التي اختارت الإيمان بربها، أمّا عبيدي: تشمل المؤمن والكافر. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٨٦) للبيان.

﴿فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾: الفاء: للترتيب والتعقيب، اضرب: بعصاك البحر، كما بينه في سورة الشعراء، الآية (٦٣): ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿لَهُمْ﴾: لام: الاستحقاق، لهم فقط خاصة لبني إسرائيل.

﴿طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾: طريقاً جافاً لا طين فيه ولا ماء، وأفضل الطرق هو



الصراط، ثم يليه السبيل، ثم الطريق في البحر، والطريق قد يكون سهلاً أو صعباً، وقد يكون مذموماً كقوله تعالى: ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١٦٩]، أو محموداً كقوله تعالى: ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾: لا: النافية.

﴿تَخَفْ دَرَكًا﴾: أي: لا تخاف أن يدركك فرعون وجنوده، أو يلحقوا بكم.

﴿وَلَا تَخْشَى﴾: تكرر «لا»: تفيد التوكيد، وفصل دركاً عن الخشية كلاً عن الآخر، أو كلاهما معاً، والخشية هي الخوف المشيع بالرَّهبة مع العلم بالشيء المخيف.

[٧٨] ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ، فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾:

﴿فَاتَّبَعَهُمْ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، «فرعون بجنوده» أتبعهم؛ أي: لحق بهم فرعون وجنوده.

﴿فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾: الباء: للإلصاق والمصاحبة.

﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾: فغشيهم: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ ما: اسم موصول لغير العاقل تفيد الإبهام؛ أي: غمرهم الماء ما غمرهم، ما لا يقدر قدره، أو يعلم كنهه إلا الله وحده. من التَّغْشِيَةِ: التَّغْطِيَةُ؛ غشاء؛ غطاء؛ فكانوا من المغرقين.

[٧٩] ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ، وَمَا هَدَى﴾:

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾: الواو: استئنافية. أضلَّ فرعون قومه: أي: ابتعد فرعون بقومه عن طريق الحق والهدى، وأوقعهم في الهلاك إذ أغرقوا في اليم، وماتوا

وهم كفارٌ، ولم يهدهم إلى سبيل الرّشاد، كما زعم في الآية (٢٩) من سورة غافر: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾.

﴿وَمَا هَدَى﴾: هي توكيد لقول: «وأضلّ فرعون»؛ لأنّ لهما المعنى نفسه، أو قد تعني: توكيد كذبه حيث قال: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

[٨٠] ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَفْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَ وَالسَّلَوى﴾:

﴿يَبْنِي﴾: يا: نداء، خطاب لبني إسرائيل بعد إنجائهم من البحر، وإهلاك فرعون وجنوده في اليم.

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾: بني يعقوب.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿أَفْجَيْنَاكَ﴾: أنقذناكم من عدوكم، و«أنجيناكم» تفيد السّعة، والقوة، والشدة في النّجاة مقارنة بنجيناكم التي تفيد البطء في النّجاة، والأقل شدة. أنجيناكم بأن: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

﴿مِنْ عَدُوِّكَ﴾: من فرعون وجنوده.

﴿وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾: أي: واعدنا موسى جانب الطّور الأيمن: الأيمن عن يمين موسى القادم إلى الطّور؛ لأنزال التّوراة لهدايتكم، ويفسر ذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١].

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَ وَالسَّلَوى﴾: الواو: عاطفة، نزلنا: غذاء لكم في التّيه:



المن والسلوى. المن: نوع من الحلوى. ارجع إلى الآية (٥٧) من سورة البقرة؛ للبيان.

السلوى: نوع من الطير، وقال سبحانه: «ونزلنا» لتدل على طول زمن الإنزال خلال (أربعين سنة)، وهم في التيه. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٧)؛ لمزيد من البيان.

[٨١] ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾:

﴿كُلُوا﴾: يا بني إسرائيل.

﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: من: بعضية.

﴿طَيِّبَاتِ﴾: تعني: الحلال الطاهر.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي رزقناكم، أو مصدرية.

﴿رَزَقْنَاكُمْ﴾: كلوا من الحلال الطيب، والأكل يعني: الشرب أحياناً. ارجع إلى سورة الأنفال، آية (٦٩)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾: لا: الناهية.

﴿تَطْغَوْا﴾: تعود على الأكل بترك أكل الحلال، وما شرع لكم، وأكل الحرام، والإسراف والتبذير، أو الكفر بالنعمة (الجحود)، وعدم شكر المنعم.

﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾: الفاء: للمباشرة، والتعقيب؛ يحل: من الحلول؛ أي: الوقوع، أو النزول؛ فتزل عليكم عقوبتي، وفي الآية إنذار ووعد لمن طغى في الرزق. لماذا اختار يحل عليكم غضبي، ولم يقل يأتاكم غضبي؟ لأن يحل:

فيها معنى الدائم؛ أي: يحل عليكم غضب دائم مستمر لا يتغير، بينما يأتيه: قد تحمل معنى غير الدائم؛ يأتيه ثم يزول عنه.

﴿وَمَنْ﴾: الواو: استثنائية، ومن: شرطية.

﴿يَحِلُّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾: ومن استحق، أو حلت عليه عقوبتي؛ فقد: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ تفيد التوكيد، وقد: لزيادة التحقيق، والتوكيد.

﴿هَوَى﴾: في النار؛ أي: صار إلى الهاوية، هوى: استعارة، وهو السقوط من أعلى إلى أسفل مما يؤدي إلى الهلاك والدمار في الدنيا أو الآخرة.

[٨٢] ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾:

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾: إني: للتوكيد.

﴿لَغَفَّارٌ﴾: اللام: للتوكيد، غفار: صيغة مبالغة؛ أي: كثير المغفرة للذنوب والسيئات؛ يغفر ذنوب عباده ولو كثرت أو عظمت المرة بعد الأخرى، وكلما تكررت، ولا يفصح عباده. وأصل الغفر: الستر؛ أي: ستر لذنوب عباده، والسؤال هنا: ما الفرق بين غفار، وغفور، وكلاهما من أسماء الله الحسنى؟

غفار: تعني: يغفر الذنوب الكثيرة المتعددة مهما كثرت؛ أي: للكم.

غفور: يغفر الذنوب العظام؛ أي: للنوع، ويفيد دوام المغفرة.

﴿لَمَن﴾: اللام: لام الاختصاص أو الاستحقاق، من: ابتدائية.

﴿تَابَ﴾: من الشرك، والكفر، والمعاصي، والتوبة من المعاصي، والذنوب والشرك؛ تعني: الإقلاع عن الذنب، وعدم العودة إليه، والإكثار من الأعمال الصالحة والنوافل، وإرجاع حقوق العباد، والندم على ما فعل.



﴿وَأَمِّنَ﴾: بالله، ووحدانيته، وربوبيته، وأسمائه، وصفاته، وكتبه، ورسله، وملائكته، واليوم الآخر.

﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: وقرن الإيمان بالعمل الصالح من الفرائض والنوافل، والطاعات، وأصلها: وعمل عملاً صالحاً، حذف الموصوف، وأقام الصفة مقامه. ﴿ثُمَّ أَهْتَدَى﴾: ثم تفيد التباين في المرتبة؛ فمنزلة الاستقامة أعلى من منزلة التوبة.

﴿أَهْتَدَى﴾: أي: استقام على الهدى، أو دام على هدايته، واستقام على التوبة، والإيمان، والعمل الصالح.

[٨٣] ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾:

المناسبة: بعد النجاة من فرعون وجنوده، ولما جاء موسى لميعادنا لأخذ الألواح، حاول موسى أن يسبق قومه للقاء ربه، فسأله ربه:

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ﴾: ما: استفهامية فيها معنى الإنكار.

﴿أَعْجَلَكَ﴾: حملك على العجلة، أو دفع بك إلى العجلة لتسبق قومك.

﴿عَنْ﴾: تفيد المجاوزة، والابتعاد.

﴿قَوْمِكَ﴾: أي: النقباء الذين اختيروا للحضور معه من بني إسرائيل، وكانوا سبعين رجلاً.

﴿يَمُوسَى﴾: نداء فيه عطف وحنان، والياء: ياء النداء للبعد.

[٨٤] ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾:

﴿قَالَ﴾: قال موسى ردّاً على السؤال.

﴿هُمُ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي﴾: هم: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿أُولَاءِ﴾: اسم إشارة يفيد القرب، بينما أولئك: اسم إشارة يفيد البعد، ولم يقل: هؤلاء: حذف الهاء «هاء» التنبيه، ولم يأت بها؛ لأنَّ المقام لا يحتاج إلى التنبيه؛ لأنَّهم لم يحضروا أصلاً معه.

هم أولاء على أثري؛ أي: قريون جداً لاحقون بي، وليسوا بعيدين عني.

﴿عَلَى أَثَرِي﴾: أي: هم ورائي ولن يتأخروا.

ويقال: جاء على أثره؛ أي: لحق به، ولم يتأخر عنه.

﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾: سبقتهم إليك لترضى: اللام: لام التعليل؛ طلباً لرضاك، أو لترضى عني، أو للمزيد من رضاك.

وفي هذا اللقاء نزلت الألواح، وطلب موسى في هذا اللقاء أن يرى ربه فقال له ربه: ﴿أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرَنِّي فُلَمَا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ انظر في سورة الأعراف [١٤٣-١٤٥]؛ لمعرفة تفاصيل ما حدث بعد ذلك، وكان هذا هو اللقاء الأول، وأمَّا اللقاء الثاني كان بعد قدومه مع السبعين رجلاً للاعتذار عن عبادة قومهم العجل. ارجع إلى سورة الأعراف، الآية (١٥٥).

[٨٥] ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾:

﴿قَالَ﴾: سبحانه لموسى.

﴿فَإِنَّا قَدْ﴾: فإننا: بصيغة الجمع والتعظيم، قد: للتحقيق والتوكيد.

﴿فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾: الفتنة أشد وأبلغ من الاختبار، وتكون في الخير



والشّر، وهنا كانت في الشّر. ارجع إلى الآية (٤٠)؛ للبيان. وارجع إلى سورة العنكبوت، آية (٢)؛ لبيان معنى الفتنة.

فتنّا قومك (بني إسرائيل) من بعدك؛ أي: بعد قدومك لميعادنا باتخاذ العجل إلهاً.

﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾: أوقعهم في الضلال، أو كان سبباً لإضلالهم حيث اتخذ لهم من حُلِيِّهم عجلاً جسداً له خوار، وقال: هذا إلهكم وإله موسى فنسي. سورة طه الآية (٨٨).

من هو السامري: كان من قوم يعبدون البقر من قبيلة السامرة، دخل في دين بني إسرائيل، وقيل: كان من القبط، أو من أشراف بني إسرائيل، خرج مع موسى وبني إسرائيل.

[٨٦] ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُم مَّوْعِدِي﴾:

﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ﴾: الفاء: تدل على التعقيب والمباشرة. رجع: والرجوع يعني: العودة إلى المكان الذي خرج منه، رجع بعد أن أخذ الألواح.

﴿غَضْبَنَ أَسْفًا﴾: غضبان: شديد الغضب، على وزن: فعلان.

﴿أَسْفًا﴾: صيغة مبالغة تدل على الحزن الشديد؛ فالقول: أنا أسف: فيها أسف قليل، أمّا القول: أنا أسفًا: فيها مبالغة؛ أي: أنا أسف أسفًا شديداً.

﴿قَالَ يَقَوْمِ﴾: نداء فيه حنان واستعطاف.

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، وقد يكون استفهام تقرير.

﴿يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾: بإنزال التوراة.

﴿أَفْطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري وتقريري.
 طال عليكم العهد؛ أي: مدة فراقكم لكم، والعهد؛ أي الزمن، أو قيل: هو أن يطيعوا
 هارون في حالة غياب موسى (٣٠) ليلة، والثبات والاستقامة على دين الله
 تعالى.

﴿أَمْ أَرَدْتُمْ﴾: أم: للإضراب الانتقالي.

﴿أَرَدْتُمْ﴾: شتم، والإرادة تكون بعد المشيئة.

﴿أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أن: للتعليل، والتوكيد.

﴿يَحِلَّ﴾: ينزل بكم غضب من ربكم: الغضب طرد من رحمة الله تعالى
 بما صنعتموه من بعدي؛ أي: بما أشركتم به بعبادتكم العجل.

﴿فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾: الفاء: للمباشرة والتعقيب؛ أخلفتم: أن تطيعوا هارون،
 والثبات والاستقامة على ديني، وكانوا قد عاهدوه على عبادة الله وحده، والقيام
 بما يأمرهم به.

[٨٧] ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا
 فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: بني إسرائيل لموسى.

﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ﴾: ما: النافية.

﴿أَخْلَفْنَا﴾: وعدنا لك بإرادتنا وذاتنا، ولكن بأمر خارجة عن إرادتنا، وهي
 أننا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ.

ويجب أن نفرق بين ثلاث حالات هي:



١ - ﴿مَلَكَنَا﴾: بفتح الميم مشتقة من: مَلَك؛ تعني: ملك الإنسان نفسه؛ أي: ذاته، وإرادته فقط، كما ورد في هذه الآية.

٢ - بِمَلَكْنَا: بكسر الميم: مشتقة من مَلَك؛ تعني: يملك ذاته وإرادته (حر طليق) ويملك شيئاً، أو أشياء أخرى مثل: منزله، أو أرضه، أو أي شيء.

٣ - بِمُلْكْنَا: بضم الميم: مشتقة من مُلْك؛ أي: يملك ذاته وإرادته + شيئاً أو أشياء أخرى + يملك من: مُلْك، وهذه تخص الله وحده.

﴿وَلَكِنَّا حُمَلَاءُ﴾: لكن حرف استدراك وتوكيد.

﴿حُمَلَاءُ﴾: مبني للمجهول.

﴿أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾: الوزر: الشيء الثقيل، أو الحمل الثقيل، وسمي الذنب والإثم وزراً؛ لأنه ثقيل على النفس حيث يمتد أثره؛ أي: ألمه إلى الدار الآخرة، ويقول الحق عن ذلك الحمل: ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا﴾ [طه: ١٠١].

الزينة: تطلق على الذهب عادة، وسموا الزينة (وهي الحلي من الذهب والفضة) أوزاراً؛ لأنهم استعاروها من القبط قبل خروجهم من مصر، ولم يُعيدوها إلى أصحابها بعد خروجهم؛ فكانتهم شعروا بأنها سرقة وشبهوها بالأوزار؛ أي الذنوب والآثام، ويجب التخلص منها.

﴿مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾: القوم هم القبط؛ أي: قوم فرعون، وقيل: قسم منها كان من حلي جنود فرعون بعد غرقهم في البحر.

﴿فَقَذَفْتَهَا﴾: أي: لما سألهم السامري أن يعطوها له، قذفوا بتلك الزينة إليه، والقذف يعني: طرحوها، أو ألقيوها إليه بسرعة، وبدون تردد؛ للتخلص منها، ومن آثامها حيث شعروا بالذنب العظيم.

﴿فَكَذَّبَكَ الْقَى السَّامِرِيُّ﴾: هم قذفوا بالزينة إلى السَّامِرِيِّ، وكذلك ألقى السَّامِرِيُّ، ولم يقل وكذلك قذف السَّامِرِيُّ؛ السَّامِرِيُّ ألقى بتلك الزينة، وقيل: ألقى مع الزينة قبضة من أثر الرسول (جبريل ﷺ)، ولم يتسرع بإلقائها، ولم يشعر بالإثم الذي شعر به قومه، وصاغ لهم السامري عجلاً جسداً له خوار.

وهناك فرق بين القذف، والإلقاء، والنبد، والرمي:

القذف: الرمي، ويكون بشدة وبسرعة، وفيه معنى البعد، وبدون معرفة المسافة التي يصل إليها القذف، أو المكان.

الإلقاء: الرمي، ويكون بخفة وتمهل.

النبد: إلقاء للشيء استهانةً به، وإظهاراً للاستغناء عنه.

الرمي: تعرف المسافة والمكان الذي ترمي إليه.





سُورَةُ طه ٢٠

الجزء الثاني عشر

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ
وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ
يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا
أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ
﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَأَلَّا تَتَّبِعَنِ
أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَومُ لَا تَأْخُذْ بِذِخْرِي وَلَا بَرَأْسِي
إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِرُ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِداً لَّنْ تَخْلَفَنَّهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفاً لَّنْ حَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ
إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴿٩٨﴾



سورة طه [الآيات ٨٨ - ٩٨]

[٨٨] ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾:

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾: الفاء: تدل على التعقيب، أخرج لهم السامري؛ أي: صنع لهم بالخفاء عجلاً من الحلي أو الذهب المنصهر في النار، وبعد صنعه أخرجه لهم.

﴿لَهُمْ﴾: وحدهم؛ لام الاختصاص؛ أي: لبني إسرائيل.

﴿عِجْلًا جَسَدًا﴾: تمثالاً على هيئة العجل لا روح فيه، ولا حركة، والعجل: هو ذكر البقر، والجسد: يطلق على التمثال الجامد.

﴿لَهُ خُورٌ﴾: قدم «له» على «خوار» للحصر؛ أي: له فقط خاصية الخوار؛ أي: صوت يشبه صوت العجل، والخوار: قيل: هو صوت حقيقي، وقيل: ناتج عن القبضة التي قبضها السامري من أثر الرسول (جبريل ﷺ)؛ أي: فرس جبريل. ارجع إلى الآية (٩٦)، وقيل: هو الصوت الناتج عن دخول الريح في ممرات داخل التمثال، كما نرى في لعب الأطفال المصنوعة في هذه الأيام، والله أعلم.

﴿فَقَالُوا﴾: الفاء: للتعقيب، قالوا: أي: السامري ومن كفر معه.

﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة للقرب يشير إلى العجل الجسد إلهكم وإله موسى.

﴿فَنَسِيَ﴾: إمّا تعود على موسى، وإمّا تعود على السامري؛ الفاء: للتعقيب، والترتيب؛ أي: موسى نسي أن يذكر لكم قبل ذهابه للميعاد أن هذا هو إلهه



والهكم. قال ابن عباس : «أو موسى نسي؛ أي: ضلّ وتاه، وذهب يطلب إلهه عند الطّور وهو هنا».

وإذا كان الضمير يعود على السّامري؛ أي: نسي أو ترك السّامري إيمانه ودينه باتخاذ العجل، أو نسي السّامري أنّ العجل لا يرجع إليهم قولاً، ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً.

[٨٩] ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾:

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والفاء: للتوكيد. لا: النّافية.

﴿يَرَوْنَ﴾: رؤية قلبية (رؤية اعتبار وتفكر)، ورؤية بصرية أيضاً بأبّ أعينهم.

﴿أَلَّا﴾: أصلها أن للتعليل، والتّوكيد؛ ولا: النّافية.

﴿يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾: العجل: الجسد الذي له خوار لا يجيبهم إذا سألوه، أو لا يكلمهم إذا كلموه.

﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: لا: النّافية؛ لا يملك لهم (خاصة) ضرراً لمن عصاه، ولا نفعاً لمن عبده، وأطاعه؛ أي: لا يفيد ولا يضر، وتكرار (لا) يفيد التّوكيد، وفصل كلّ من النّفع والضّر عن الآخر، أو كلاهما معاً، فلا يستحق أن يكون إلهاً، وفي سورة الأعراف، الآية (١٤٨) قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾، وقدم الضّر على النّفع؛ لأنّ الخوف من حدوث الضّر أكبر من الخوف من النّفع، أو لأنّ ضرّه أقرب من نفعه؛ ارجع إلى سورة الحج آية (١٢).

[٩٠] ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَنْقَوِرْ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد؛ قد: للتحقيق.

﴿قَالَ لَهُمْ﴾: لبني إسرائيل، الذين فتنهم السامري، وأضلّهم باتخاذ العجل.

﴿هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾: أن يرجع إليهم موسى من الطور.

﴿يَنْقَوِرْ﴾: نداء فيه حنان وعطف.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿فُتِنْتُمْ بِهِ﴾: أي: وقعتم في الفتنة؛ أي: الشرك والكفر بسبب هذا العجل، وضللتكم الطريق، فلا تكفروا، وتضلوا. ارجع إلى الآية (٤٠)؛ لبيان معنى الفتنة.

﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾: وإن: للتوكيد.

﴿رَبَّكُمُ﴾: خالقكم ومدبر أموركم، ورازقكم هو الرحمن.

﴿الرَّحْمَنُ﴾: ارجع إلى سورة الفاتحة، آية (٢)؛ للبيان.

﴿فَاتَّبِعُونِي﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ اتبعوني: حالاً، وأطيعوا أَمْرِي، واعبدوا ربكم الرحمن وحده، أو فاتبعوني خيراً لكم.

﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾: توكيد لكلمة فاتبعوني. قيل: كان عدد بني إسرائيل (٣٠٠-٦٠٠ ألف)، ومن اتخذ العجل (١٢) ألفاً، وقيل: خاف هارون أن يدخل في معركة مع قومه، ويؤدي ذلك إلى التفريق بين بني إسرائيل، واكتفى بالوعظ، كما جاء في الآية (٩٤) من سورة طه.

[٩١] ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: الذين اتخذوا العجل من بني إسرائيل.



﴿لَنْ﴾: أداة نفى تنفي المستقبل القريب، أو البعيد.

﴿نَنْزَحَ﴾: سننزل على هذه الحالة، نبرح: تستعمل للمكان، والزمان؛ أي: سننزل على هذه الحال.

﴿عَلَيْهِ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر.

﴿عَنِكُمِينَ﴾: مقيمين على عبادته، أو اتخاذه إلهاً. عكف على الشيء: واظب على الشيء، ولم يتركه؛ أي: لازمه.

﴿حَتَّى﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾: من الطّور.

﴿إِلَيْنَا﴾: وحدنا نكلمه ويكلمنا. انتبه قالوا: حتى يرجع إلينا موسى، ولم يقولوا حتى يرجع موسى إلينا؛ فهم قدموا أنفسهم على موسى النبي والرّسول؛ لجهلهم وعدم تقديرهم لمكانة موسى.

[٩٢] ﴿قَالَ يَهْرُونُ مَامَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾:

﴿قَالَ يَهْرُونُ﴾: قال موسى: يا هارون.

﴿مَامَنَّكَ﴾: ما: استفهام إنكاري، منعك: من محاربة هؤلاء الضّالين، والتّصدي لهم، أو عدم الإقامة بينهم، أو تعني: ما حملك إذ رأيتهم ضلّوا أن لا تتبعن.

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني للمفاجأة؛ أي: حين.

﴿رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾: حين رأيتهم يتخذون إلهاً من دون الله، وضلّوا وانحرفوا عن سبيل الله.

[٩٣] ﴿أَلَا تَتَّبِعُنَّ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي﴾:

﴿أَلَا﴾: أصلها: أن: المصدرية تفيد التعليل والتوكيد، ولا: قيل زائدة للتوكيد، وقيل: نافية؛ أي: ما منعك من عدم اتباعي.

﴿تَتَّبِعُنَّ﴾: عندما رأيتهم ضلوا ما منعك من اتباعي؟ أكان هناك مانع أو قوة خارجية منعتك من الاتباع، و«تبعن» لها معانٍ عديدة منها: ألا تلحق بي وتركهم.

أو تتبعن ومن معك من المسلمين، وترك المشركين.

أو تتبعن ما أوصيتك به، وهي: اخلفني في قومي، وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين، أو محاربتهم.

وحذف ياء المتكلم بدلاً من قوله ألا تتبعني؛ للدلالة على الاتباع بسرعة، والعجلة؛ أي: ألا تتبعن بعجلة ولا تتأخر، وكذلك تتبعن في هذه الحالة الطارئة (اتخاذ العجل إلهاً)؛ فهي خروج عن التبعية حيث بقاء هارون خروج عن التبعية لموسى عليه السلام والاستمرار عليها؛ لأن موسى أوصى أخاه بالتبعية المستمرة.

﴿أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري، أفعصيت أمري: بالإقامة بين الذين ضلوا، وعدم اللحاق بي، أو بعدم محاربتهم.

[٩٤] ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾:

﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا﴾: قال هارون لموسى: يا بن أمّ حذف ياء المتكلم للإيجاز والسرعة، ولم يقل يا بن أب؛ لأن ذكر الأم فيه معنى الحنان والعطف، وقوله: يا ابن أمّ؛ أي: يا ابن أمي.

﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾: لا: الناهية، لا تأخذ بشعر لحيتي، ولا بشعر رأسي.



﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾: إني: للتوكيد.

﴿خَشِيتُ﴾: من الخشية، وهي الخوف مع تعظيم للأمر الباعث على الخوف، والعلم المتعلق به.

﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: خشيت أن يحدث تفرق واختلاف بين بني إسرائيل إن لحقت بك وتركتمهم أن يؤدي ذلك إلى قتال بعضهم بعضاً، وهذا يُعد فساداً، وعدم إصلاح وعندها تقول: ولم ترقب قولي وتصلح.

﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾: وهو: اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين. ولم أراع ما قلته لي، وأنفذ ما طلبت مني.

وفي الآية (١٥٠) من سورة الأعراف قال هارون لموسى: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وهذا يدل على أن هارون أنكر على السامري وأتباعه اتخاذ العجل إلهاً إنكاراً شديداً قبل رجوع موسى، فعصى الضالون من بني إسرائيل هارون وكادوا أن يقتلوه، ولذلك رأى هارون من الحكمة أن يبقى بينهم، وينتظر عودة موسى لإصلاح الأمر.

[٩٥] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرُ﴾:

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾: قال موسى للسامري، فما: الفاء: للتوكيد، ما: استفهام إنكاري.

﴿خَطْبُكَ يَسْمِرُ﴾: الخطب: الأمر العظيم الجلل المهم؛ أي: ما الأمر العظيم والخطب الجلل الذي دفعك لاتخاذ العجل؟

[٩٦] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾:

كان هذا هو رد السامري على سؤال موسى.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾: بصرت من البصيرة، ولا تعني الرؤية؛ أي: فكّرت بشيء لم يفكر به أحدٌ، وهو عندما رأى جبريل على فرسه أن يقبض قبضة من أثر الفرس وحدث ذلك عندما كان يتقدم جبريل موسى وبني إسرائيل للعبور في البحر؛ أي: من التراب الذي تضع حافرها عليه؛ لأنّه لاحظ أنّ فرس جبريل كلما وضعت حافرها على التراب أصبح مخضراً، ففكر أن يأخذ قبضة (الأخذ بجمع الكفّ) من ذلك التراب، فقبض قبضة من أثر جبريل وألقاها في الحلي المذاب، وهذا هو المشهور عند جمهور المفسرين.

﴿فَنَبَذْتُهَا﴾: أي: مع الحلي، والنّبد: هو طرح الشيء استهانةً به، واستغناءً عنه.

﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾: زيّنت لي نفسي أن أفعل ذلك (اتخاذ العجل) وحدث ذلك في زمن ذهاب موسى إلى الميعاد، وأما طوعت له نفسه كما قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣٠]؛ طوعت: أشد من سولت، وهي مرحلة تالية لسولت، وتحتاج إلى جهد أكبر.

[٩٧] ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تَخْلَفَنَّهُ، وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾:

﴿قَالَ﴾: موسى للسامري.

﴿فَازْهَبْ﴾: الفاء: للتوكيد، اذهب: من بيننا؛ أي: اعتزلنا، ولا تقرب من أحد، أو أحدٌ يقترب منك، وأمر موسى بني إسرائيل ألا يقربوه، ولا يخالطوه، أو يكلموه عقوبةً له.



﴿فَإِنَّ لَكَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿فِي الْحَيَاةِ أَنْ نَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾: لا تمس أحداً، ولا يمسك أحداً، وهذا التحذير يكفي لإدخال الرعب في عدم الاقتراب منه، وقيل: إذا حدث المساس أصيب بالعدوى والحمى؛ أي: يجب أن تعيش وحيداً بعيداً عن الناس؛ فهذا عقابك في الحياة الدنيا.

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ﴾: أي: في الآخرة عذاباً آخر ينتظرك لن تخلفه: لن يتأخر عنك ولا مفّر منه.

﴿لَنْ﴾: حرف نفي.

وكان السامري يستحق القتل كما قال موسى: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فلماذا لم يكن السامري من بين هؤلاء؟ فهو السبب في اتخاذ بني إسرائيل العجل إلهاً، ولو كان من بين الذين قتلوا أنفسهم توبةً إلى بارئهم لربما قبل الله توبته، ونجا من عذاب الآخرة، ولكن الله سبحانه أوحى إلى موسى: لا تقتل السامري وأتركه حياً، وقل له: اذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس، وهذا عذابه في الدنيا، وأما في الآخرة فإن لك موعداً في جهنم لن تخلفه.

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ﴾: أي: هذا العجل الذي صنعه واتخذته إلهاً.

﴿الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾: مقيماً على عبادته (٤٠) ليلة ولم يقل ظلمت؛ لأن الزمن كان قصيراً (٤٠) ليلة، ولم يطل، ولذلك قال: ظلمت عليه عاكفاً؛ ليناسب الزمن، ولو طال الزمن لقال: ظلمت عليه عاكفاً.

﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾: السلام: للتوكيد؛ نحرّقه: النون: للتوكيد، والمبالغة في الحرق، وقيل نحرّقته: نبرده بالمبرد، وحين نبرد الشيء يتطاير الشرر منه، وكلمة

بردناه بشدة يخرج شرر أكثر وأكثر حتى يصبح كالنار، وهذا يعني لنحرقته، وبرده بالمبرد شيئاً فشيئاً يدل على عجز هذا الإله عن إنقاذ نفسه؛ أي: العجل.

﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾: ثم: لتباين الصفات، ننسفه في اليم أكبر، أو أشد من نحرقه، نسف الشيء: هو غربلته والمنسفة هي آلة مثل المصفاة، والنون في ننسفه: للتوكيد؛ أي: بعد أن نحرقته لننسفه في اليم؛ أي: لنذريته في البحر لتذهب به الريح، أو يذوب في الماء، فلا يبقى لهذا الإله أثر على الأرض ولو الرماد؛ حتى لا يكون مدعاة للعباد للاحتفاظ برماده، وقد قام موسى بذلك فأخذ العجل المصنوع من الحلي فبرده بالمبردة، ثم ذراه في البحر.

[٩٨] ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾:

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ﴾: إنما كافة مكفوفة تفيد التوكيد والحصر.

﴿إِلَهُكُمُ﴾: كلمة الإله: أي: المعبود، والذي يأمر بالتكاليف. إلهكم الله؛

أي: إنما المعبود المطاع هو الله وحده، المطاع فيما يأمر وينهى سبحانه.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٥٥) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: شيء: نكرة تشمل كل شيء صغيراً، أو كبيراً،

ويعلم المطيع والعاصي، والمؤمن والكافر؛ أي: علمه أحاط بكل شيء.



الجزء الثالث عشر

سورة طه: ٢٠

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا
ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا
﴿١٠٠﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ
فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ
فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾
لَا تَبْقَى فِيهَا غِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ
لَا عِوَجَ لَهُ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ
قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ
حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا
يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾



سورة طه [الآيات ٩٩ - ١١٣]

[٩٩] ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۖ﴾

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾: أي: مثل ذلك؛ أي: كما قصصنا عليك قصة موسى وهارون وفرعون والسامري، نقص عليك قصصاً أخرى من أنباء الغيب السابقة.

﴿مِنْ أَنْبَاءٍ﴾: من: للتبويض من بعض.

﴿أَنْبَاءٍ﴾: من الأخبار الهامة للرسل السابقة، والنبأ: هو الخبر العظيم الهام.

﴿مَا﴾: لغير العاقل.

﴿قَدْ سَبَقَ﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿سَبَقَ﴾: من الرسل؛ أي: سبقوك من الرسل، أو غيرهم، أو الأمم.

ويؤيد ذلك قوله في سورة النساء الآية (١٦٤): ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾، وقد بين سبحانه السبب في قص هذه الأنباء على رسوله وعلى المؤمنين في سورة هود الآية (١٢٠)، فقال: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، ومن الأسباب في قص هذه القصص؛ لبيان صدق نبوة رسوله محمد ﷺ؛ لأن النبي ﷺ أمي لا يمكن أن يكون قد تعلم كل أخبار تلك الأمم الماضية، وتفاصيل ما حدث لها.

﴿وَقَدْ﴾: قد: حرف تحقيق وتوكيد.



﴿ءَايَتُنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾: الإيتاء هو العطاء بدون تمليك، والإيتاء أوسع من العطاء يشمل الأشياء المادية والمعنوية. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) لبيان معنى الإيتاء والعطاء.

﴿مِنْ لَدُنَّا﴾: ولم يقل عندنا، من لدنّا؛ تعني: شيئاً خاصاً لا يعطيه الله إلا لمن يحبه أو خاصته، بينما من عندنا: تعني شيئاً عاماً نعطيه لكل.

﴿ذِكْرًا﴾: الذكر هو القرآن العظيم. ارجع إلى سورة الكهف، آية (٦٥) لبيان معنى من لدنا، وارجع إلى سورة (ص) آية (١) لبيان معنى ذكراً.

[١٠٠] ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾:

﴿مَنْ﴾: اسم موصول بمعنى الذي وشرطية. وتشمل المفرد، والمثنى، والجمع، وتعني: العاقل.

﴿أَعْرَضَ عَنْهُ﴾: عنه: عن الذكر العظيم (القرآن العظيم)، أعرض عنه: لم يؤمن به ويعمل بما فيه، وأصل الإعراض من العرض، مشتقة من عرض الإنسان: المسافة بين الكتفين، وأعرض؛ يعني: أعطاه ظهره وانصرف عنه؛ أي: ذهب بعيداً عنه.

﴿فَإِنَّهُ﴾: الفاء: جواب الشرط؛ إنه: للتوكيد.

﴿يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾: يحمل: من الحمل بكسر الحاء: وهو ما يُحمل على الظهر كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]؛ الوزر: أصله الحمل الثقيل، ويعني: الذنب والإثم الذي يشبه الحمل الثقيل (الوزر) من

أعرض عن الذكر (القرآن) يأتي يوم القيامة يحمل على ظهره حملاً ثقيلاً؛ أي: إثمًا وزنباً ثقيلاً.

[١٠١] ﴿خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا﴾:

﴿خَلِيدِينَ فِيهِ﴾: أي: هو حمل لا نهاية له، ولا أمل في الخلاص منه، أو فيه: تعود على الوزر؛ أي: إثم يخلد فيه صاحبه؛ أي: في عذابه.

﴿وَسَاءَ لَهُمْ﴾: ساء: من أفعال الذم؛ أي: قُبِحَ ذلك الحمل، أو يسبب لهم ذلك الحمل السوء، أو المساءة غير المستحبة للنفس.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا﴾: وزراً إثمًا، وقدم يوم القيامة على الحمل بدلاً من القول وساء لهم حملاً يوم القيامة؛ لأنه سيكون أسوء من أي زمن آخر.

[١٠٢] ﴿يَوْمَ يُفْعُخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾:

﴿يَوْمَ يُفْعُخُ فِي الصُّورِ﴾: أي: يوم القيامة.

﴿يُفْعُخُ فِي الصُّورِ﴾: الصُّور: البوق؛ أي: ينفخ فيه إسرافيل النفخة الثانية (نفخة البعث، أو القيام).

﴿وَنَحْشُرُ﴾: نحشر: الحشر: هو السَّوق إلى أرض المحشر، والجمع (أي: نسوقهم ونجمعهم) في الأرض الجديدة.

﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: الكافرين، والذين ماتوا على الكفر، أو الشرك. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، والجاثية آية (٣١) لمزيد من البيان.



﴿يَوْمَئِذٍ﴾: أي: في ذلك اليوم يوم القيامة.

﴿زُرْقًا﴾: من اللون الأزرق الناتج عن صعوبة التنفس، وقلة الأوكسجين الذي يؤدي إلى ضيق شديد في الصدر، وألم في الأطراف، وهذا من أشد أنواع العذاب الذي يشعر معه صاحبه بالاختناق، و(زرقاً) جاءت نكرة؛ لتشمل كافة الأعضاء، زرق العيون والأيدي والأرجل والجلد وغيرها؛ أي: عذاب شامل يشمل كل عضو.

[١٠٣] ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾:

﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يُسرُّ بعضهم إلى بعض القول؛ أي: لا يجرؤ أحد على رفع صوته، والجهر به، يتحسرون على دنياهم التي فرطوا فيها في جنب الله تعالى، وكأنهم يقولون لبعضهم: كل ما لبثنا في الدنيا إلا عشرة أيام؛ أي: لم نعطي الزمن الكافي للعبادة، أو الطاعة.

﴿إِنْ﴾: نافية، أقوى نفيًا من ما.

﴿لَبِثْتُمْ﴾: اللبث: الإقامة المقترنة بزمان محدد بعكس المكث.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿عَشْرًا﴾: قدروا إقامتهم في الدنيا بـ(١٠) أيام؛ أي: إنها انقضت بسرعة، أو أنهم استطلوا الآخرة، ورأوا أن يوماً عند ربك كآلف سنة مما تعدون، فكأن إقامتهم في الدنيا كانت (١٠) أيام مقارنة بطول الآخرة.

[١٠٤] ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لِّئْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾:

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾: نحن: للتعظيم، أعلم: على وزن أفعَل، ولم يقل نعلم.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإصاق، ما: اسم موصول بمعنى: الذي يقولون، أو مصدرية: بقولهم.

﴿يَقُولُونَ﴾: أي: يتخافتون بينهم؛ إذ يقولون بالخفاء وسراً.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمني.

﴿يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾: أحسنهم حكماً، أو أعدلهم رأياً وعقلاً، وعملاً.

﴿إِن لِّئْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾: إن: نافية؛ أي: ما لبثتم في الدنيا. إلا: أداة حصر، يوماً واحداً؛ أي: عَشْراً هو زمن طويل، والأصح هو: يوماً واحداً.

ورغم أن الحديث في هذه الآية يتعلق بما سيقال في يوم القيامة جاء بصيغة المضارع (الزمن الحاضر)؛ فالله سبحانه يعلم ما يقولون، أو قالوا، أو سيقولون منذ الأزل، فالزمن عنده واحد متساوٍ، والله سبحانه خالق الزمان والمكان يخبرنا من أخبار الغيب ببعض ما سيقوله المجرمون يوم القيامة، ففي هذه الآية قالوا: عَشْراً، وقال أمثلهم: يوماً، وفي آيات أخرى: ما لبثوا غير ساعة؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الزوم: ٥٥].

[١٠٥] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾: ماذا سيحل بها، أو كيف تصبح يوم القيامة؟ قال بعض المفسرين: أن الرسول ﷺ لم يُسأل هذا السؤال ولم يقع، ويعني: إن



سألوكم في المستقبل عن الجبال فقل كذا وكذا، ودليلهم قوله: فقل؛ لأن كل الأسئلة التي سألوها رسول الله ﷺ جاء الرد عليها بكلمة: قل، إلا هذه الآية الوحيدة التي جاءت بكلمة «فقل» بدلاً من «قل». فقيل: إن الفاء هنا تدل على شرط مقدر؛ بمعنى: إن سألوكم فقل كذا وكذا.

﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾: أولاً: مرحلة الاقتلاع، ثم السير ثانياً كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣]، ثم مرحلة الدك كما قال تعالى: ﴿وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّنَاذَكَّةَ وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤]، ثم مرحلة التفتت والتحول إلى رمال: ﴿كَيْبًا مَّهِيلاً﴾ [المزمل: ١٤]، ثم مرحلة النسف، ثم ينسفها ربي. النسف: التذرية، وتذروها الرياح، ثم تتحول إلى العهن المنفوش: الصوف المنفوش؛ أي: الملون. نسفاً: للتوكيد.

لنقارن هذه الآيات الثلاث التالية، ونرى كيف وردت كلمة قل، فقل، وبدون أيهما.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: ٢١٥].
 ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥].
 ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

[البقرة: ١٨٦].

إذا وقع السؤال وسئلت قل.

وإذا لم يقع السؤال وسئلت في المستقبل هذا السؤال فقل.

إذا وقع السؤال وحذف قل أو فقل، فذلك يدل على أن الله سبحانه قريب ويريد الله سبحانه الإجابة على السؤال بدون تدخل الرسول ﷺ.

[١٠٦] ﴿فَذَرُهَا قَاعًا﴾:

يصبح مكان الجبال بعد نسفها أرضاً مستوية، أو تصبح الأرض بعد نسف الجبال وزوالها أرضاً، من صفاتها «قاعاً»: أرضاً مستوية.

﴿صَفَصَفَا﴾: ليس فيها نبات، ولا شجر، وهي الأرض الجديدة التي سنبعث منها، وهي أكبر بكثير من أرضنا الحالية؛ لتضم بلايين بلايين البشر منذ آدم حتى آخر من يُخلق.

[١٠٧] ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾:

﴿فِيهَا﴾: تعني الأرض.

﴿عِوَجًا﴾: يعني: الميل أو الانحناء الحسي، أو المادي؛ أي: لا ترى في الأرض عوجاً أو دية (عوجاً: انخفضات).

﴿وَلَا أَمْتًا﴾: رواي (أمتاً: الارتفاع؛ أي: رابية؛ أي: لا ترى فيها انخفاضاً، ولا ارتفاعاً ولا وادي ولا رابية)، وتكرار «لا» تفيد التوكيد، لا هذا، ولا ذاك، ولا كلاهما معاً.

[١٠٨] ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾:

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم البعث. يومئذٍ: مركبة من: «إذ» و«يوم». أضيف ظرف إلى ظرف. ارجع إلى سورة الحاقة، آية (١٥)؛ للبيان.

﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾: يتبعون الداعي جاءت بأل التعريف؛ أي: إسرافيل إلى



أرض المحشر بالنفخة الثانية؛ كقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكِرٍ ۖ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٦-٧].

﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾: لا: النافية. لا عوج لدعائه: يصل دعاؤه (النفخ في الصور)؛ أي: يسمع نفخه الكل، ولا يرفض أحد اتباعه، ولا يعدل عنه أحد.

﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾: خشعت: من الخشوع، وهو الخضوع لأوامر الله، والذل والانكسار، ويظهر في الصوت والبصر، والخضوع يظهر على البدن، لا يجرو أحد على الكلام بصوت مرتفع، وإذا تحدثوا تحدثوا همساً، وهذا ما يحدث أيام الشدائد، والأهوال، لا يجرو أحد على رفع صوته، فلا: الفاء للتوكيد، لا: النافية. تسمع إلا همساً: «إلا» حصراً.

[١٠٩] ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾:

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة. ارجع إلى الآية (١٠٨) السابقة.

﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾: لا: النافية، تنفع الشفاعة: ارجع إلى (٨٥) من سورة النساء؛ لمعرفة معنى الشفاعة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾: من: ابتدائية، فأول متطلب هو الإذن من الرحمن والمتطلب الثاني:

﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾: رضي: للمشفوع فيه قولاً؛ أي: رضي ما كان يقول في الدنيا مثل: لا إله إلا الله؛ أي: لا بد من أن يكون موحداً لله تعالى أو غيره، يؤمن بوحداية الله تعالى.

[١١٠] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾: ﴿عِلْمًا﴾:

في الآية السابقة يقول سبحانه: إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً. ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾: من رضي له قولاً؛ لأنه سبحانه وتعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: الضمير هنا يعود إلى الذين يتبعون الداعي، وأهل الشفاعة. ما بين أيديهم: من أمر الآخرة، وما خلفهم: من أمر الدنيا؛ أي: ما فعلوه وسيفعلونه، أو بالعكس.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾: بالله؛ لأن هناك الكثير من الأشياء التي لا يطلعها سبحانه على عباد، ولا يعرفها أحد منهم، فلا أحد من الخلائق يحيط علماً بذات الله سبحانه، أو صفاته وأفعاله، وتقديم به الجار والمجرور يدل على الحصر.

[١١١] ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾:

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾: استسلمت النفوس لخالقها؛ أي: ذلت وخضعت في ذلك اليوم، وعنت مشتقة من: العاني، والعاني أصلاً هو: الأسير الذي استسلم.

﴿لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾: اللام: لام الاختصاص والاستحقاق، الحي القيوم: ارجع إلى سورة البقرة، الآية (٢٥٥).

﴿وَقَدْ﴾: قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿خَابَ﴾: خسر.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية.



﴿حَمَلَ ظُلْمًا﴾: الظلم: الشرك؛ أي: قد خسر من أشرك بالله في دنياه، ومات ولم يتب، وحمل ظلمه (شركه) إلى الآخرة.

[١١٢] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: شرطية.

﴿يَعْمَلُ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾: من بعضية؛ أي: بعض الصالحات؛ لأنَّ طاقة الإنسان لا تقوى على عمل كلِّ الصالحات، ومن رحمته بنا قال: «من» أي: بعض الصالحات.

وقوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: فالإيمان هو شرط لقبول العمل الصالح، مؤمن بالله ووحديته، وكتبه، ورسله، وملائكته، واليوم الآخر.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: النافية.

﴿يَخَافُ ظُلْمًا﴾: لا يخاف أن نظلمه بزيادة سيئة من سيئاته.

﴿وَلَا هَضْمًا﴾: ولا ننقصه حسنة من حسناته، (الهضم نقصان بعض الحق)، والظلم: هو أخذ جميع حق الغير، أو بعضه.

﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾: لا يخاف أن نمنعه حقه، ولا بعض حقه، تكرار «لا»: لتوكيد النفي، وفصل كل واحد عن الآخر، أو كلاهما معاً؛ أي: لا ظُلماً، ولا هضمًا لوحده ولا كلاهما معاً.

[١١٣] ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾:

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾: سبقها قوله: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ [الآية: ٩٩]؛ أي: كما

قصصنا عليك من أنباء ما قد سبق، أنزلنا عليك قرآناً عربياً؛ أي: بلسان عربي مبين، والإنزال يعني: جملة واحدة من اللوح المحفوظ في السماء الدنيا؛ ليفهموا ويدبروا آياته، صرفنا فيه عن الوعيد؛ أي: كررنا فيه آيات الوعيد على صور، وأساليب مختلفة.

﴿مِنَ الْوَعِيدِ﴾: من ابتدائية، الوعيد: يكون في الشر خاصة، وأما الوعد يكون للخير والشر، وإذا أطلق يختص بالخير.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعل: للتعليل.

﴿يَتَّقُونَ﴾: أي: يطيعوا أوامر الله ويجتنبوا نواهيه، أو يتقون عذاب الله.

﴿أَوْ﴾: على الأقل.

﴿يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿ذِكْرًا﴾: يذكرهم بما نسوه، أو يعظهم بطاعته، وعبادته، ويوقظهم من سباتهم، ويذكرهم بفعل الطاعات، والخيرات؛ فالقرآن هو من أوجد وأحدث لهم ذكراً لم يكن لهم من قبل؛ لأنه أنزل عليهم من بين الآخرين، ورفع شأنهم وذكرهم وشرفهم.



المائدة

سورة طه

فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ. وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَا
إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَفِىٰ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَكِ كَسِبَتْكَ آسِفَةٌ لِآدَمَ فَسَجْدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ
﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَأْدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا
مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ
الشَّيْطَانُ قَالَ يَأْدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ
لَا يَبُلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخِصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾
ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا
جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى
فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن
ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾



سورة طه [الآيات ١١٤ - ١٢٥]

[١١٤] ﴿فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۚ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾:

﴿فَعَلَى اللَّهِ﴾: تنزّه عز وجلّ وتقدّس الملك الحق أن يظلم أو يهضم حق أحدٍ من عباده.

وتعالى وتقدس ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾: حصراً، وقصراً؛ لأنّه له ما في السموات، وما في الأرض، وما بينهما، وله الحكم، وهو الحي القيوم.

﴿الْحَقُّ﴾: أي: الثابت الذي لا يتغير، ولا يتبدل. ارجع إلى سورة الحج، آية (٦)؛ لبيان معنى الحق.

﴿وَلَا﴾: النّاهية.

﴿تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾: بتلاوته بسرعة على جبريل ﷺ.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾: أي: اصبر حتّى ينتهي جبريل من تلاوته عليك، وأصغ إليه؛ فإذا فرغ من قراءته فاقرأه بعد ذلك، ولا تخشى من النسيان، أو أن يفوتك شيء منه؛ كقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنْ عَلَيْنَا جُمُوعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾ (١٧) ﴿فَإِذَا قُرْآنُهُ فَانْتَبِهْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٦-١٨]. ارجع إلى سورة القيامة آية (١٦) - (١٨) للبيان المفصل.

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾: واسأل ربك الزيادة في علوم الدّين والآخرة، وما تحتاجه من علوم الدّنيا، علماً: نكرة؛ فهناك علوم القرآن والأحكام، والشريعة،



والفقه، والسيرة، والتفسير... وغيرها، وكذلك علوم الدنيا الضرورية بما فيها علوم الفلك، والطب، والهندسة، والصيدلة... وغيرها.

[١١٥] ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق.

﴿عَهِدْنَا﴾: العهد: تكليف وأمر، وقد يكون من طرفين، أو طرف واحد، ولم يسند العهد في القرآن إلا لله وحده، والعهد أقوى من الوصية، والعهد موثق.

﴿إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل أن يكون نبياً، أو من قبل هؤلاء الذين جاؤوا من بعده، ونقضوا العهد.

﴿عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ﴾: أي: أمرناه ﴿وَيَتَادَمُ أَتَكُنَّ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٩].

﴿فَنَسِيَ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، نسي: لها معنيان: الترك؛ أي: ترك ما عهدنا إليه، أو أمرناه به، أو النسيان؛ أي: لم يتذكر.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ﴾: بتكليف واحد فقط، وهو ألا يقرب من الشجرة، والله سبحانه أمره مباشرة بذلك وبدون واسطة جبريل وحذره من الاقتراب منها، والأكل منها.

﴿فَنَسِيَ﴾: والسؤال هنا هل نسي عدم الاقتراب من الشجرة، أم نسي أن إبليس عدو له، ولزوجه، وأنه قادر على الوسوسة؟

﴿مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَئِينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (٢٠) ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحٍ﴾ (٢١) ﴿فَدَلَّيْنَاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٠-٢٢].

﴿عَزَمًا﴾: نكرة، ولم نجد له عزماً؛ لتضم كل أنواع العزم، أو للتحويل،

والعزم: هو التصميم على الشيء، والثبات عليه، والصبر، ولم نجد له عزماً على عدم الاقتراب من الشجرة، ناهيك عن الأكل منها، أو لم نجد له عزماً تصميماً: على ارتكاب الذنب، والاقتراب من الشجرة، ولكنه أخطأ ونسي، وقد تعني كل ذلك.

[١١٦] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾:

هذه هي المرة السادسة التي يذكر فيها سبحانه وتعالى قصة آدم في القرآن فقد ذكرها في سورة البقرة، والأعراف، والحجر، والإسراء، والكهف، وطه.

﴿وَإِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي؛ أي: واذكر إذ، أو اذكر حين قلنا للملائكة.

﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾: ارجع إلى سورة البقرة، آية

(٣٤).

﴿أَبَى﴾: أي: امتنع عن السجود متكبراً قائلاً: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، والإباء: أشد من الامتناع، أو شدة الامتناع.

[١١٧] ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾:

﴿فَقُلْنَا﴾: الفاء: للترتيب والتعقيب. قلنا: بصيغة التعظيم.

﴿يَا آدَمُ﴾: للتوكيد.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة يشير إلى إبليس.

﴿عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾: لك ولزوجك، اللام: في كلاهما للتوكيد،

والاختصاص.

﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ﴾: الفاء: للتوكيد؛ لا: الناهية، يخرجكما من الجنة:

بالوسوسة، أو التزيين، أو الإغراء، والنون في «يخرجكما» للتوكيد.



﴿فَتَشَقَّى﴾: جاءت بصيغة المفرد بينما «يخرجنكما» بصيغة المثنى؛ أي: أسند إلى آدم فعل الشقاء دون حواء، وأريد بالشقاء التعب، والكد في طلب العيش، وفسر العلماء أنّ السعي والكدح مطلوب من الرجل، أو الزوج، وأما المرأة، أو الزوجة فليست مطالبة بذلك؛ لقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤]، والقوامه من معانيها: أنّ الرجل، أو الزوج يقوم على الإنفاق وخدمة ورعاية أهله.

[١١٨] ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾:

﴿إِنَّ لَكَ﴾: إنّ: للتوكيد؛ لك: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿أَلَّا﴾: أصلها أن: مصدرية تفيد التعليل، والتوكيد، لا: النافية.

﴿تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾: الجوع قيل: خلوّ الدّاخل؛ أي: خلو المعدة من الطعام، وإذا استمر طويلاً يتحول إلى مخمصة الذي يظهر بشكل هزال شديد؛ لعدم توافر الطّعام، والعريّ: قيل: خلوّ الخارج؛ لعدم توافر اللباس، فالإنسان يحتاج إلى طعام ولباس، وقدم الطّعام أولاً؛ لأنّه الأهم، وتكرار «لا» يفيد توكيد نفي الجوع والعري، وفصل كل على حدة، أو كلاهما معاً.

[١١٩] ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾:

﴿وَأَنَّكَ لَا﴾: تفيد التّوكيد، لا: النافية.

﴿تَظْمَأُ﴾: أي: تعطش.

﴿فِيهَا﴾: في الجنة.

﴿وَلَا تَصْحَى﴾: ولا يصيبك الحر؛ أي: الشمس.

وتكرار (لا) كما في الآية السابقة يفيد التوكيد، وقدم الظماً على الضحى؛
لأنه الأصعب على النفس، والأهم.

وبذلك فقد ضمن الله سبحانه لآدم وزوجته مقومات العيش الرغيد في
الجنة.

[١٢٠] ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَادُمُ هَلْ أَذُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكُ لَا
يَبْلَى﴾:

﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾: الفاء: للترتيب والتعقيب، إليه: إلى آدم
وحده، بينما في سورة الأعراف آية (٢٠) قال تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ ولم
يذكر في القرآن كله أن الشيطان وسوس لحواء وحدها، وهذا تعليم من الأدب
الرباني.

﴿قَالَ يَتَادُمُ هَلْ أَذُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكُ لَا يَبْلَى﴾:

﴿هَلْ﴾: للاستفهام، والتشويق.

﴿أَذُكَ﴾: الدلالة: تعني التعريف والبيان بقصد أو بغير قصد، وإلى الخير
أو إلى الشر، وتختلف عن الهداية والإرشاد للخير والصلاح والثواب.

﴿عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾: أي: شجرة من يأكل منها لن يموت أبداً.

﴿وَمُلْكُ لَا يَبْلَى﴾: لا: النافية؛ يعني: يبلى، أو يزول أبداً.

كقوله تعالى في سورة الأعراف، آية (٢٠): ﴿مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ
إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾.



[١٢١] ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تُهْمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾:

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾: وفي سورة الأعراف، آية (٢٣)، فلما ذاقا الشجرة، بدت لهما سؤاتهما. ارجع إلى الآية (٢٢) من سورة الأعراف؛ للبيان.

﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾: أي: شرعا يلصقان من ورق الجنة على عورتيهما لسترها.

﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ﴾: بالاقتراب من الشجرة والأكل منها، وارتكب إثماً.
﴿فَغَوَىٰ﴾: الفاء: للتوكيد؛ غوى: ضل عن الرشد، أو نسي، وترك ما عهدنا إليه، وأخطأ، وعصى وغوى: أفعال ماضية تدل على أنها حدثت مرة واحدة، وانتهى الأمر؛ أي: لم تتكرر.

[١٢٢] ﴿ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ، فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾:

﴿ثُمَّ أَجْنَبَهُ﴾: ثم: لتبيان الدرجات بين عصي، واجتنبى.

﴿أَجْنَبَهُ رَبُّهُ﴾: اصطفاه ليكون نبياً. واختار اسم الرب على اسم الله؛ لأن آدم ما زال في حاجة إلى رعاية وإعداد للنبوة بعد الهبوط إلى الأرض

﴿فَنَابَ عَلَيْهِ﴾: بعد أن شرع الله سبحانه له التوبة وعلمه كيف يتوب، كما جاء في سورة البقرة، آية (٣٧): ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَنَابَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: قبل توبته.

﴿وَهَدَىٰ﴾: هداه إلى الاستقامة والثبات على الحق والتقوى.

[١٢٣] ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾:

قال سبحانه: ﴿أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾: الخطاب موجه إلى آدم (وزوجه تابعة له)، وإبليس سبق بالهبوط قبل هبوط آدم وزوجه، ولم يذكرها من الأدب الرباني في هذه الآية، وذكرها في الآية (٣٨) في سورة البقرة حين قال تعالى: ﴿أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾.

﴿جَمِيعًا﴾: تأكيد. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٣٨)؛ للبيان.

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: أي: آدم وحواء وذريتهما عدو لإبليس وذريته، وإبليس وذريته عدو لآدم وحواء وذريتهما.

﴿فِيمَا﴾: الفاء: شرطية، إما: للتفصيل.

﴿يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾: النَّون في «يأتينكم»: للتوكيد، مني هدى: مثل الكتاب، أو الوحي، أو إرسال رسول، أو نبي.

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾: فمن: الفاء: للتوكيد، من: شرطية، اتبع هداي: ولم يقل: تبع هداي كما في الآية (٣٨) في سورة البقرة؛ اتبع: على وزن افتعل، وفيها معنى المشقة والجهد والتجدد والاجتهاد، أما تبع: فهو اتباع عادي بدون جهد، واتبع تعني: الأوامر والنواهي، وافعل ولا تفعل، وهل هناك هدى غير هدى الله؟ قالوا: نعم، وهو هوى النفس، والشهوات، والشيطان.

﴿فَلَا يَضِلُّ﴾: في هذه الدنيا عن الحق، أو عن الدين، أو قد يعني: عن النسيان، والضياح. لا: تفيد النفي، وتكرارها يفيد توكيد النفي، وأداة النفي لا تنفي كل الأزمنة.

﴿وَلَا يَشْقَى﴾: لا يتعب، ولا يصاب بالهم والغم، والضيق في العيش، ولا



في الصدر. ارجع إلى الآية (٣٨)، من سورة البقرة: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ للمقارنة مع هذه الآية، ومقارنة اتباع وتبع والسياق في الآيتين.

[١٢٤] ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾:

﴿وَمَنْ﴾: شرطية، ومن: للعاقل، وتشمل المفرد، والمثنى، والجمع.
﴿أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾: عن الوحي، أو عن القرآن، أو لم يؤمن بما أنزلت ولم يطع ما أمرته به، وجحد، وكفر، وإضافة الذكر إليه تشريفاً، والآيات جزء من الذكر، وعبادته سبحانه جزء من الذكر، وما جاء بالرسول ﷺ والإعراض قد يكون عن آية أو جزئية أو إعراض عن الكل، والعقوبة تختلف قدر الإعراض.
﴿عَنْ﴾: تفيد المجاوزة، والابتعاد.

﴿فَإِنَّ﴾: فإن: الفاء: للتوكيد، وإن: لزيادة التوكيد.

﴿لَهُ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾: ولم يقل: حياة ضنكاً كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]؛ المعيشة: تعني الطعام والشراب والملبس... وغيرها، والحياة أعم من المعيشة؛ الضنك: هو الضيق في العيش والمعاناة، والخوف، وعدم الاستقرار، والشكوى، والفقر، والهم، والحزن، والحرص، ضنكى: على وزن فعلى؛ أي: عكس الحياة الطيبة.
﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾: أعمى البصر والبصيرة، لا حجة له.

[١٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾:

﴿قَالَ﴾: تعود على: من أعرض عن ذكرى.

﴿لَمْ﴾: ما: اسم استفهام فيه معنى الإنكار والتعجب.

﴿حَشَرْتَنِي أَعْمَى﴾: يوم الحشر يوم الحساب، أعمى البصر، كما قال ابن عباس؛ أي: لا يرى أمامه، والبصيرة كما قال مجاهد: ليس له حجة يقدمها؛ كقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ عُمِيًَا وَبُكَاوُصًا﴾ [الإسراء: ٩٧]. والعمى في القرآن قد يعني: فقدان البصر، كما في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۖ (١) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ١-٢]، وقد تعني: عمى البصيرة كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾ [الرعد: ١٩]، والعمه في القرآن يعني: عمى البصيرة، والتردد في الأمر والحيرة، ويوم القيامة مواطن متعددة في موطن بصره حديد كقوله: ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]، ومواطن يكونوا فيه مبلسين.

﴿وَقَدْ﴾: قد: حرف تحقيق يفيد التوكيد.

﴿كُنْتُ بَصِيرًا﴾: كنت في الدنيا بصيراً مبصراً.





سُورَةُ طه ٢٠

الجزء الثاني عشر

قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ أَأَيُّنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ
نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ
وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَى
مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا
وَمِنْ أَنَايِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣٠﴾ وَلَا
تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ
وَأَصْطِرْ عَلَيْهِمْ لَانْشَأَكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾
وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ؎ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي
الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ
لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ
قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٥﴾

سورة طه [الآيات ١٢٦ - ١٣٥]

[١٢٦] ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنتَكَ ءَايَتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي﴾ :

قال الله سبحانه رداً على سؤال الذي حشر يوم القيامة أعمى: لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً؟

كذلك؛ أي: كما أتتك آياتنا في الدنيا، فنسيتها ولم تؤمن بها، وعميت عنها، ولم تنظر إليها، فنحن اليوم نحشرك أعمى البصر، والبصيرة، وتركك في العذاب، وكذلك اليوم ننسى، وحاشا لله أن ينسى، والنسيان يعني: ترك العبد في العذاب، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَنْسِيكَ كَمَا نَسِيتُ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الجمعة: ٣٤].

[١٢٧] ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ :

﴿وَكَذَلِكَ﴾: أي: مثل هذا الجزاء، أو العقاب نجزي من أسرف في الدنيا؛ أي: كل من تجاوز حدود الله في شهواته ومعاصيه، واتبع هواه، ولم يؤمن بآيات ربه.

﴿وَلَعَذَابُ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾: من عذاب الدنيا وضنك العيش فيها، وأدوم؛ أي: لا

يزول، أو يتغير.



[١٢٨] ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِينَهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾:

﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة: همزة استفهام وتحذير، الفاء: للتوكيد على شدة الإنذار والتحذير.

﴿يَهْدِ لَهُمْ﴾: يتبين. لهم: اللام: لام الاختصاص للمشركين من قريش، أو للكافرين عامة، وفي سورة السجدة آية (٢٦) قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الفاء: تدل على التعقيب؛ أي: ما قبل الآية يتصل بما بعدها، وأما الواو: تدل على الاستئناف.

﴿كَمْ﴾: الخبرية، وتفيد التأكيد؛ أي: الكثير.

﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾: ولم يقل من قبلهم، قبلهم تعني: منذ زمن بعيد، أو قريب. ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾: من: ابتدائية، القرون: الجماعات التي كانت تعيش معاً لقرن من الزمن، والقرن يقدر (١٠٠) سنة، أو عام، أمثال ثمود، وعاد، ولوط، وأصحاب الأيكة، وقوم تبع... وغيرهم من القرون.

﴿يَمْشُونَ فِي مَسْكِينَهُمْ﴾: يمشون بصيغة المضارع التي تدل على التكرار، والتجدد؛ أي: ما زالوا يسيرون أو يمرون في ديارهم ويرون آثارهم ويزورونها.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: إن: للتوكيد، في: ظرفية، ذلك: اسم إشارة للبعد.

﴿لَآيَاتٍ﴾: السلام: للتوكيد، علامات ودلالات وبيانات، وعبر، ومواعظ

كافية.

﴿لِّأُولِي النُّهَى﴾: السلام: لام الاختصاص، أولي النهى: لأصحاب العقول

النِّيرَة. ارجع إلى الآية (٥٤) من السُّورة نفسها؛ للبيان. ولنعلم أن أولي النِّهى ذكرت مرتين في القرآن وكلاهما في سورة طه.

لنقارن هذه الآية (١٢٨) من سورة طه: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾.

مع الآية (٢٦) من سورة السَّجدة: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾.

الاختلافات:

في آية طه: أفلم، في آية السَّجدة: أولم، وكلمة «أفلم» أشد وأكد من كلمة «أولم».

في آية طه: قبلهم، في السَّجدة: من قبلهم.

قبلهم: تعني: الزَّمن القريب، أو البعيد بدون تحديد؛ أي: أهلكنا قبلهم الأمم القريبة، أو البعيدة، بينما: من قبلهم. تعني: فقط الأمم القريبة التي جاءت قبلهم.

والخطاب في آية طه: لأولي النِّهى؛ أي: الذين يملكون العقل والبصيرة والسمع، أمّا في آية السَّجدة للذين يملكون ميزة السَّمع فقط، ولذلك التحذير والتهديد في آية طه أشد وأقوى من آية السَّجدة.

ولأنَّ العقوبات في سورة طه تشمل الدُّنيا والآخرة، بينما في سورة السَّجدة العقوبات مقصورة على الآخرة، أو جاءت في سياق الآخرة.

[١٢٩] ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَاكُمْ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾:

﴿وَلَوْلَا﴾: الواو: استئنافية، لولا: حرف امتناع لوجود فيه معنى الشرط.



﴿كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: بتأخير العذاب، أو العقوبة على كفرهم وشركهم إلى دار الآخرة.

﴿لَكَانَ لِرَآمًا﴾: اللام: للتوكيد. لزاماً: أي: لولا كلمة ربك، لوجب وقوع العذاب عليهم مباشرة في الدنيا وبدون تأخير، كما حاق وحلّ بالأمم السابقة، ولكن رحمة منه أخر العذاب عنهم؛ لعلهم يتوبون وينيبون إلى ربهم.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: أي: التأخير يكون لأجل مسمى، وقيل: الأجل المسمى هو إما زمن الموت، أو بعد البعث؛ أي: يوم القيامة.

[١٣٠] ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾:

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾: الفاء: للتوكيد، اصبر على ما يقولون: الخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ؛ أي: اصبر على قولهم: إنك (ساحر، مجنون، كاهن، يعلمه بشر، مفتر)، وغيره من الأقوال الغير حق.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: صبرٌ يرافقه تسبيحٌ مصحوباً بالحمد.

التسبيح: هو تنزيه الذات والصفات والأسماء من كلّ نقص وعيب، وولد وشريك، ويعني: الصلاة والدعاء، والحمد: يعني: الثناء لله تعالى في السراء والضراء، وأنّه هو المنعم. ارجع إلى سورة الحديد، آية (١)؛ لمزيد من البيان لمعنى التسبيح، وسورة الفاتحة، آية (٢)؛ لبيان معنى الحمد.

﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: أي: صلاة الفجر، والتّهجد.

﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: قبل الغروب؛ أي: صلاة العصر.

﴿وَمِنْ أَنَايَ أَتْلِل﴾: آناء: جمع إنى، وهو الجزء من الزمن، وآناء الليل: أجزاء الليل؛ أي: صلاة العشاء، والوتر، والتَّهَجُّد.

﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾: أي: صلاة الشُّرُوق، والضُّحَى، والظَّهَر، والمغرب؛ أي: صلِّ وسبِّح واحمد ربك، وادعوه واذكره؛ أي: في سائر الأوقات في الليل والنَّهار.

﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾: لعل: للتعليل، ترضى: لعلك تكون راضياً عن نفسك بما أحضرت يوم الحساب من الأعمال الصَّالحة.

ولا بدّ من مقارنة هذه الآية (١٣٠) في سورة طه، مع الآيتين (٣٩-٤٠) من سورة ق.

آية طه: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ أَنَايَ أَتْلِلْ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾.

آيتا ق (٣٩-٤٠): ﴿فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۖ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾.

الفروق: السِّياق في آيات طه: أنّها جاءت في سياق الحياة الدُّنيا، وأما السِّياق في آيات ق: أنّها جاءت في سياق الحياة الآخرة، وأنّها تفيد العموم.

مثلاً: ومن الليل فسبِّحه، التسبيح فيه أعمّ وأطول من التسبيح في آناء الليل (آناء الليل ساعات من الليل)، أطراف النهار: مقارنة بأدبار السَّجود، أدبار السَّجود: عقب الصلوات الخمس أكثر من أطراف النهار، وقبل الغروب؛ تعني: العموم، فسبِّح: (إطلاق التسبيح)، فسبِّحه: (تخصيص التسبيح).



[١٣١] ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية، تمدن عينيك: الخطاب وإن كان موجهاً إلى رسول الله ﷺ إنما هو للمؤمنين عامة.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾: أي: لا تفتن أو تبهر، أو تشغل وتحدث نفسك بما أنعمنا، أو أعطينا أزواجاً منهم؛ أي: أصنافاً من الناس، أو الكفرة.

﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: من الزينة، والمال، والقصور، والمراكب، والحدائق، والبساتين، والثمار، وكل ذلك يشبه الزهور، أو الزهرة التي سرعان ما تذبل، وتيسس، وتفقد لونها، ورائحتها، ثم تموت وتفتت وتزول.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: اللام: لام التوكيد؛ أي: هذا النعيم والزينة إنما هي فتنة لهم وابتلاء.

﴿وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾: من الإيمان والتقوى، ومن العلم والصحة، والأهل والمال في الدنيا، وما سيعطيك في الآخرة من ثواب ورزق وجنة أعظم بكثير مما متّعناهم به في الحياة الدنيا، وما لهم في الآخرة من نصيب.

﴿وَأَبْقَىٰ﴾: أدوم، ولا يفنى، ولا ينقطع.

[١٣٢] ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَنَقِبَةُ لِلنَّقْوَىٰ﴾:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾: أهل بيتك: زوجتك وأولادك.

﴿بِالصَّلَاةِ﴾: الباء: للإلصاق والاستمرار، والصلاة: عماد الدين، وأجلّ العبادات، وهي الجامعة لأركان الإسلام، والتي تصل العبد بربه على الدوام.

﴿وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾: أي: داوم عليها، وداوم على أمر أهلك وأولادك وحثهم بالصبر وبالمحافظة عليها، وجدّد واجتهد في أدائها.

﴿لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا﴾: لا: النافية، نسألك أن ترزق أحداً. رزقك ورزق أهلك، ورزق كل مخلوق مكفول من ربك، فلا يشغلك عن طاعة الله تعالى، وعن الصلاة، وشكره وذكره.

﴿وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾: العاقبة؛ أي: الجنة.

﴿لِلتَّقْوَى﴾: لأهل التقوى، اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق. العاقبة إذا جاءت بصيغة المؤنث كقوله تعالى: (كيف كانت عاقبة) في القرآن: تدل على الجنة، ولو جاءت بصيغة المذكر؛ كقوله تعالى: (كيف كان عاقبة): لدلت على العذاب.

[١٣٣] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: أي: المشركين الكفار، قالوا ذلك تعنتاً وعناداً.

﴿لَوْلَا﴾: أداة للحث والطلب (هلاً).

﴿يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ﴾: يأتينا محمد بآية من ربه؛ أي: معجزة كعصا موسى، أو ناقة صالح، أو ﴿تَفْجُرْ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ ١٠ أو تَكُونْ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَنْبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ١١ أو تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿[الإسراء: ٩٠-٩٢].

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري.

﴿تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾: أولم يأتهم بيّنة ما في الصحف الأولى؛ أي: القرآن العظيم؛ فهو البيّنة التي تشمل لكل ما جاء في الصحف الأولى صحف



إبراهيم وموسى، وغيرها من أخبار وأنباء وأحكام وقصص؛ أي: أولم يكفهم هذا القرآن البينة والمعجزة الخالدة إلى يوم القيامة، بينما باقي البينات والمعجزات التي جاءتهم اندثرت وزالت!

[١٣٤] ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنْزِلَ وَنَخْزِيَ﴾:

﴿ولو﴾: الواو: استثنائية، لو: شرطية.

﴿أنَّا﴾: للتوكيد، ونحن قادرون على ذلك.

﴿أهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ﴾: الباء: للإلصاق، تعليلية.

﴿مِّن قَبْلِهِ﴾: من قبل إنزال الآيات، أو من قبل أن يأتيهم القرآن، أو من قبل مجيء محمد ﷺ كرسول لهم.

﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾: لقالوا يوم الحساب، واتخذوا ذلك حجة لهم، واللام: للتوكيد.

﴿لَوْلَا﴾: أداة حصرٍ وحثٍّ.

﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾: أي: لو جاءنا رسولاً لآمنّا به، واتبعنا آياتك؛ أي: لأخذنا بها وعملنا بما فيها من أحكام وأوامر ونواهي.

رسولاً جاءت بالنكرة، أي رسول، وليس رسولاً بحد ذاته رغم أنهم أتاهم بأفضل رسله ﷺ.

﴿مِن قَبْلِ أَنْ نُنْزِلَ﴾: نُهان بالعذاب في جهنم.

﴿وَنَخْزِي﴾: بالخزي: وهو الفضيحة في الدنيا، أو في الآخرة على رؤوس الأشهاد.

[١٣٥] ﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾:

﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا﴾: قل لهم يا محمد ﷺ: كلُّ منا ومنكم مترَبِّص: اسم فاعل لفعل «ترَبِّص» والتَرَبِّص: المراقبة والمتابعة لوقوع شيء ما بالغير؛ أي: كلُّ منا ومنكم يترَبِّص بالآخر؛ أي: بما سيحلُّ به في الدنيا وفي الآخرة. ارجع إلى سورة الطور، آية (٣٠)؛ للبيان.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾: الفاء: للتوكيد، والسين: للاستقبال القريب والتوكيد.

﴿مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾: من: ابتدائية، أصحاب الصراط السوي: أي: الصراط المستقيم: الإسلام، والصراط: هو أوسع السبل وأسهلها، وأقصرها مسافةً وزمناً، وحذف من هو على ضلال مبين، أو من غوى.

﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾: تكرار «من» يفيد التوكيد؛ اهتدى: من سار على طريق الهدى الموصول إلى الغاية العظمى، وهي رضوان الله تعالى، وسعادة الدارين، ومن غوى؛ أي: فسد رأيه وعقيدته، وملته، وضلَّ وانحرف عن منهج الله تعالى، وفي هذه الآية تحدي رفيع في مقام الحجاج والدعوة إلى الله كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْلِيَآكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] مقارنة بقوله تعالى: ﴿فَتَرَبِّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢] جاءت هذه الآية في سياق الإنذار والتهديد والوعيد.





سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ٢١

الجزء الثاني عشر

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
 مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
 يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
 هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ
 تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ
 افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ
 ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ
 ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ
 الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
 لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ
 الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ وَاهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾



سورة الأنبياء [الآيات ١ - ١٠]

ترتيبها في القرآن (٢١)، وترتيبها في النزول (٧٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾:

﴿أَقْرَبَ﴾: دنا وأقبل، والاقتراب إما أن يكون زمناً أو مكاناً؛ وهنا يعني دنا زمن وقت القيامة أو الساعة، واقترب: فعل ماضٍ يدل على لزوم الحدث فكأنَّ الاقتراب حدث وانتهى، والله سبحانه خالق الزمان والمكان يستوي عنده الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام لام الاختصاص تفيد الظرفية؛ أي: اقتراب للناس حسابهم بشكل عام، ولمنكري البعث والآخرة، خاصة، وكلمة الناس مشتقة من النّوس، وهو الحركة وتشمل الإنس والجن.

﴿حِسَابُهُمْ﴾: زمن أو وقت حسابهم، ونتيجة الحساب إما أن تكون لهم؛ أي: لصالحهم، أو لغير صالحهم؛ أي: عليهم.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿فِي غَفْلَةٍ﴾: في ظرفية، غفلة: في جهالة وإهمال للاستعداد ليوم الحساب، وعدم الانتباه والحذر، والتذكير في غفلة للتعظيم.



ارجع إلى سورة البقرة آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان في معنى الغفلة.

﴿مُعْرِضُونَ﴾: جمع معرض - اسم فاعل من أعرض - أي: ابتعد عنه ولم يتقبل ذلك، أو لم يبال به، أو يهتم به.

﴿مُعْرِضُونَ﴾: عن الإيمان بالله ورسوله وبما أنزل على رسوله.

﴿مُعْرِضُونَ﴾: جملة اسمية تدل على الثبوت؛ أي: الإعراض عن الإيمان أصبح صفتهم الثابتة.

ارجع إلى سورة النحل آية (١) ﴿أَنَّى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ للمقارنة.

[٢] ﴿مَا يَأْنِيهِمْ مِّنْ ذِكْرِ مِّن رَّبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾:

﴿مَا يَأْنِيهِمْ مِّنْ ذِكْرِ مِّن رَّبِّهِمْ﴾: ما النافية، يأتيهم من ذكر من ربهم: من آيات أو آية أو قرآن أو وحي أو موعظة أو ما يذكرهم بربهم أو وعيد.

﴿تُحَدِّثُ﴾: جديد؛ أي: يسمعه لأول مرة.

﴿إِلَّا أَسْمَعُوهُ﴾: إلا أداة حصر، استمعوه: استمعوا إليه، والاستماع هو الإصغاء إلى التلاوة بقصد ونية. بينما سمعوه يكون بدون نية أو بشكل عارض.

﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: الواو: حالية، هم للتوكيد، يلعبون: أي: وهم منشغلون في لعبهم، ومن دون انتباه وتدبر؛ أي: لاهون، واللعب حين يشغل عن واجب يصبح لهواً، ولذلك أتبع ذلك بقوله: لاهية قلوبهم.

[٣] ﴿لَا إِلَهَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾:

﴿لَا إِلَهَ قُلُوبُهُمْ﴾: أي: استمعوه وهم يلعبون، وقلوبهم مشغولة بأشياء أو أمور أخرى، وتقديم لاهية قلوبهم، ولم يقل: وقلوبهم لاهية؛ أي: قلوبهم لاهية تعني عن الذكر المحدث: المنزل من ربهم وغيره من الأمور؛ أي: الكل، أمّا لاهية قلوبهم؛ أي: لاهية خاصة عن الذكر المحدث من ربهم، أمّا غيره من الأمور فهي غير لاهية عنها، مثل أمور الدنيا.

﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: النجوى: المسارة في الحديث، أو خفض الصّوت، ولا بُدَّ من ثلاثة نفر على الأقلّ لحدوث النجوى، ولمعنى النجوى: ارجع إلى سورة المجادلة آية (٧): للبيان.

وقدّم النجوى على الذين ظلموا بدلاً من القول: وأسروا الذين ظلموا النجوى للاهتمام والتوكيد، وما فحوى النجوى: هي قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم أفأتأتون السحر وأنتم تبصرون، وهذا يسمّى التبيين أو الإيضاح بعد الإبهام. ﴿هَلْ﴾: استفهام فيه معنى النفي.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير على محمد ﷺ.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾: أي: ليس بملك أو برجل عظيم أو ليس برسول؛ لأنّه بشر يأكل مما تأكلون، ويشرب مما تشربون، ويمشي في الأسواق.



﴿أَفْتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ﴾: أفتأتون: الهمزة همزة استفهام وتعجب فيه الشك، أفتأتون السحر؛ أي: تحضرون وتأتون إلى محمد ﷺ لتسمعوا إلى سحره، قال: أفتأتون السحر؛ أي: كأن محمدًا كله تحول إلى سحر، فهو ساحر، ومسحور، وما يقوم به السحر، وأنتم تبصرون: فكيف تُقبلون عليه وأنتم تعلمون وترون أنه ساحر يريد أن يسحركم بسحره.

واتهموه بالسحر أو ما جاء به السحر؛ لكونه أثر في نفوسهم تأثيراً قوياً ولم يستطيعوا مقاومته، وكانوا يظنون كل شيء خارق للعادة سحراً. ارجع إلى سورة طه آية (٥٨)، والبقرة (١٠٢): لمزيد من البيان.

[٤] ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾:

في الآية السابقة قال تعالى: وأسروا النجوى الذين ظلموا وظنوا أن الله لا يعلم بحالهم.

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: فقل لهم يا محمد ﷺ: إن ربي يعلم القول في السماء والأرض؛ أي: يعلم ما يقال في السماء والأرض ولا تخفى عليه خافية في السماء ولا في الأرض.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿السَّمِيعُ﴾: يسمع كل ما يقال في السماء والأرض سواء أكان القول جهراً، أم سراً، أم نجوى.

﴿الْعَلِيمُ﴾: ويعلم ما يحدث في السماء والأرض من قول وفعل. وعليم: صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم.

وَإِذَا قَارَنَّا هَذِهِ الْآيَةَ (٤) مِنْ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، مَعَ الْآيَةِ (٦) مِنْ سُورَةِ الْفِرْقَانِ: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ قَالَ تَعَالَى: يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَفِي سُورَةِ الْفِرْقَانِ قَالَ تَعَالَى: يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ:

أَوَّلًا: الْقَوْلُ أَوْسَعُ مِنَ السِّرِّ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ قَدْ يَكُونُ سِرًّا أَوْ جَهْرًا، فَالسِّرُّ جُزْءٌ مِنَ الْقَوْلِ، وَالسَّمَاءُ أَوْسَعُ مِنَ السَّمَوَاتِ.

فَنَرَى أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ جَاءَ بِالْأَوْسَعِ مَعَ الْأَوْسَعِ حَجْمًا، وَجَاءَ بِالْأَدْنَى مَعَ الْأَدْنَى حَجْمًا، فَجَاءَ بِالْقَوْلِ (أَوْسَعُ مِنَ السِّرِّ) وَالسَّمَاءِ (أَوْسَعُ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مَعًا، وَجَاءَ بِالسِّرِّ مَعَ (مُصَاحِبِ) السَّمَوَاتِ.

[٥] ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِزْنَا نَبَأَ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: لِلْإِضْرَابِ الْإِنْتِقَالِي.

﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ﴾: قَالُوا؛ أَيِ: الْكُفَّارِ: الْقُرْآنُ أَضْغَاتُ أَحْلَامٍ؛ أَيِ: أَخْلَاطٍ كَأَنَّهُ أَحْلَامٌ مُخْتَلِطَةٌ مُلْتَبَسَةٌ غَيْرُ مُمَيَّزَةٍ، فَهَمَّ تَمَادَوْا فِي طُغْيَانِهِمْ، وَجَهِلَهُمْ، وَضَلَالَهُمْ، فَلَمْ يَكْتَفُوا بِقَوْلِهِمْ عَنِ الْقُرْآنِ: سِحْرٌ، وَالرَّسُولُ: سَاحِرٌ وَمَسْحُورٌ، بَلْ ذَهَبُوا إِلَى أَعْدَمٍ مِنْ ذَلِكَ وَقَالُوا: أَضْغَاتُ أَحْلَامٍ وَلَمْ يَكْتَفُوا بِذَلِكَ أَيْضًا فَقَالُوا: افْتَرَاهُ.



﴿بَلْ أَفْتَرْتَهُ﴾: بل للإضراب الانتقالي، أي: أن محمداً شاعراً، والقرآن شعرٌ، ومفترئ افتراه؛ أي: اختلقه محمد ﷺ؛ أي: كذباً.

﴿فَلْيَأْتِنَا بَيِّنَاتٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾: فالقرآن كله وآياته لم تكفهم كآية كمعجزة من السماء، فهم يطلبوا آية أخرى؛ أي: معجزة أخرى تدل على نبوة محمد ﷺ، وأن القرآن منزل من عند الله، كما أرسل الأولون: الكاف للتشبيه، الأولون: أي: الأنبياء فليأتنا بآية مثل ناقة صالح، أو عصا موسى، أو مائدة عيسى.

[٦] ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾:

يردُّ الله سبحانه على أسئلتهم ومطالبهم وقولهم: فليأتنا بآية، فيقول: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾: ما النافية، آمنت قبلهم؛ (أي: مشركو قريش)، من استغراقية، قرية: أي: أهل قرية أهلكناها، وقوله: قبلهم؛ أي: سواء كانت قرية الزمن، أو بعيدة الزمن ما آمنت ولا قرية واحدة أرسلنا إليها بآية أو آيات.

﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾: الهمزة استفهام إنكاري، أفهم أي: مشركو مكة، أو الكفار إن جاءتهم آية سيؤمنوا، فمن جاء قبلهم لم يؤمنوا رغم إرسال الآية أو الآيات، ولذلك أهلكناهم، وكذلك لو أرسلنا إليهم بآية ولم يؤمنوا لأهلكناهم، وكما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

[٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَتْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾:

هذه الآية رداً على قولهم: هل هذا إلا بشرٌ مثلكم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾: ما النَّافِيَّةُ، أُرسلنا قبلك يا مُحَمَّد ﷺ إلا رسلًا وأنبياء رجالاً أي: بشراً (ونفى بذلك إرسال أي: أنثى نبياً أو رسولاً) وقبلك: تعني من زمن قريب أو بعيد. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩) لمعرفة الفرق بين أُرسلنا وبعثنا.

﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾: نوحى إليهم، والوحي هو الإعلام بالخفاء سواء بإرسال ملك (مثل جبريل)، أو تكليم من وراء حجاب، أو غيره من طرق الإيحاء.

ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣): لمزيد من البيان في معنى الوحي.

﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: فاسألوا يا مشركو مكة، أو الكفار، أهل الذكر: أهل القرآن، أو أولي العلم، أو أهل التوراة والإنجيل من أهل الكتاب.

﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والشك، كنتم لا تعلمون: أنا لا نرسل إلا رجالاً ولا نرسل ملائكة، فكفوا عن غيكم وأسئلتكم الباطلة.

[٨] ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾:

وهذا الردُّ تنمة للردِّ على قولهم: هل هذا إلا بشر مثلكم.

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾: ما النَّافِيَّةُ، جعلناهم: أي: هؤلاء الرسل إلا رجالاً نوحى إليهم، ولم نجعلهم ملائكة لا يأكلون الطعام.

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾: أي: ما جعلنا الرسل أو الأنبياء ملائكة؛ لأنَّ الملائكة لهم أجساد، الجسد = بدن + روح.. ولا يأكلون الطعام، أمَّا الرسل والأنبياء فهم بشر يأكلون ويشربون، والبشر = بدن + روح + نفس.



﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾: أي: الرسل. ما: تكرارها يفيد تأكيد النفي، وما كانوا خالدين: لأن الخلود ليس من صفة البشر والرسل، إذن هم ميتون كما جاء في سورة الزمر الآية (٣٠): ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾.

[٩] ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾:

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمْ﴾: أي: رسلنا.

﴿الْوَعْدَ﴾: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، أو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧١) ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُصْذَرُونَ﴾ (٧٢) ﴿وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَلَبُونَ﴾ [الصفات: ١٧١ - ١٧٣].

﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، أنجيناهم: ولم يقل: نجيناهم، أنجيناهم: تعني بسرعة وقوة، نجيناهم: تعني: ببطء في الزمن.

﴿وَمَنْ نَشَاءُ﴾: معهم من المؤمنين، من استغراقية؛ أي: كل من نشاء من ذكر أو أنثى.

﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾: الكفار أو المشركين، والمكذبين، والعاصين، والإسراف هو مجاوزة الحد في الكفر، والشرك، والمعاصي.

[١٠] ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا﴾: أي: القرآن الكريم، أنزلنا إليكم القرآن في ليلة القدر جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وسمي كتاباً؛ لأنه

مكتوب في أسطر، أو في السطور، إليكم: خاصة لهدايتكم، وفلاحكم. والكتابة تحمي من التحريف والتغيير.

﴿فِيهِ﴾: ظرفية.

﴿ذَكَّرُكُمْ﴾: فيه شرفكم، وعزّتكم، وسمعتكم، وفيه دينكم وشرعكم، وفيه ذكركم بين الأمم الأخرى، واستمرار بقائكم. ارجع إلى سورة (ص) آية (١) لمزيد من البيان في الذكر.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: الهمزة همزة استفهام وتوبيخ، وتعجب من ترك التفكير، ألا: أداة حُض وتنبية، وتحمل معنى الأمر بالتفكير والتدبر للوصول إلى الحقيقة، ومعرفة الحق، والموازنة، وفهم الأمور بأسبابها ونتائجها، والوصول إلى أن الله سبحانه هو الإله الحق الخالق الذي يجب أن يُعبد ويطاع.





سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ٢١

الجزء الثاني من المجلد

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
 آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَائِهَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾
 لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
 تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يُبَوِّلُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ
 دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا
 السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينٍ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا
 لَا نَتَّخِذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ
 عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ
 ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
 عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
 لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ
 ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلُ اللَّهِ لُفْسَدَتَا فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ
 عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ
 اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ
 وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

سورة الأنبياء [الآيات ١١ - ٢٤]

[١١] ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾:

﴿وَكَمْ﴾: كم الخبرية تفيد التكثير؛ أي: قصمنا الكثير من القرى.

﴿قَصَمْنَا﴾: أي: مزقناها كل ممزق؛ لأن القصم: هو الكسر الذي يحدث فيه انفصال الأجزاء عن بعضها، وليس فيه أمل الالتئام، إذن القصم أشد من الكسر (الكسر فيه أمل الالتئام)، ويقال للقصم أحياناً الكسر الذي ترى من خلاله العظم؛ أي: شبه أخذها بالعذاب بالكسر المفتوح وفيه تمزق للأنسجة والأربطة؛ أي: كسرها وقطع أوصالها ومزقها كل ممزق؛ أي: ماتوا بجروحهم، ومن تقطع أوصالهم، وهذه الآية الوحيدة التي ذكر فيها القصم.

﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾: من ابتدائية، القرية: تعني أهلها وبنيانها معاً.

﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾: فهذا الشرط الأول كانت ظالمة؛ أي: أهلها كانوا كفرة

مشركين مكذابين.

﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾: بعد القصم؛ أي: تدميرها، وإهلاك أهلها

أنشأنا وتعني: التربية والإعداد والإنشاء: هو أحداث حالاً بعد حال من غير مثال سابق، ومنه يقال: نشأ الغلام؛ أي: نما وتربى وتطور شيئاً فشيئاً، بعدها بزمن قصير أو طويل قوماً آخرين.



[١٢] ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ :

انتبه بعد القصم يعود الحق ليفصل لنا ما حدث لتلك القرية من الأحداث قبل القصم، وهذا ما يسمّى التفصيل بعد الإيجاز.

﴿ فَلَمَّا ﴾ : لما ظرفية زمانية؛ أي: حين.

﴿ أَحَسُّوا بَأْسَنَا ﴾ : أي: شعروا وأدركوا بمجيء عذابنا والبأس القوة والشدة، أحسوا مجرد الحس والحس من الإحساس، أحسوا بالرؤية، أو السمع، أو أي حاسة، أو رأوا ريح مدمرة قادمة، أو صاعقة من السماء فيها رعد وبرق شديد.

﴿ إِذَا هُمْ ﴾ : إذا الفجائية، هم للتوكيد.

﴿ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ : يتركوا منازلهم وقراهم فراراً من العذاب، والركض هو الجري السريع، كما يحدث عندما نرى شيء مروع كالرياح المدمرة بسرعة (٢٠٠ ميل) أو أكثر القادمة.

[١٣] ﴿ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُونَ ﴾ :

﴿ لَا تَرْكُضُوا ﴾ : لا الناهية، القائل مبني للمجهول، لا يهم؛ قد تكون الملائكة تقول لهم توبيخاً وتقريعاً: أين تفرون.

﴿ وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ﴾ : ارجعوا إلى نعيمكم من طعام وشراب، وإلى تفاخركم، وأموالكم، وأولادكم، وعشيرتكم، وتجارحكم، وهذا يدل على أنهم كانوا أغنياء، أو كانوا فقراء فيل لهم تهكماً وتوبيخاً. ارجع إلى سورة الزخرف آية (٢٣) لبيان معنى الترف، والمترف.



﴿وَمَسَكِنِكُمْ﴾: قصوركم، وحصونكم، ومنازلكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ﴾: لعل: للتعليل والتوبيخ، تسألون: لعل أحداً يمر بكم فيسألكم ماذا حل بكم، أو تسألون أنفسكم عما جرى بكم وحق بكم وما أسباب ذلك العذاب والدمار؟

[١٤] ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾:

كان هذا اعترافهم وإقرارهم حين سُئلوا ماذا حل بهم وجرى بهم قالوا: بسبب ظلمنا.

﴿قَالُوا﴾: أي: هؤلاء الظالمون من أهل القرى.

﴿يَوَيْلَنَا﴾: يا للنداء، ويلنا: يا هلاكنا أقبل، أو يا حسرتنا على ما فعلنا.

﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: إنا كفرنا، أو أشركنا بربنا، وهذا اعتراف منهم واضح بالكفر أو بالشرك الموجب للعذاب، أو الخروج عن منهج الله. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٤) لبيان معنى الظلم.

[١٥] ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء استئنافية، ما النافية.

﴿زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ﴾: فما زالوا يرددون: يا ويلنا يا ويلنا إنا كنا ظالمين، دعواهم: أي: دعائهم المتكرر أو من الدعوى اعترافهم بالذنب.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ﴾: حتى حصدناهم استأصلناهم فأصبحوا



كالزّرع المحصود أو النّار الخامدة (الرّماد)، وفي الآية تشبيه الظّالمين في عدائهم لله ولرسوله كالنّار الملتهبة حتّى أحمدها الله، وصارت رماداً.

[١٦] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لْعَيْنٍ﴾:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ﴾: الواو استئنافية، ما النّافية، خلقنا السّماء والأرض: والخلق: بالنّسبة إلى الله هو الخلق من العدم على مثال غير سابق، والخلق لغة هو التّقدير، وخلق السّموات والأرض من أعظم الآيات الكونيّة الدّالة على قدرته سبحانه وعظمته خلقه، والدّالة على وحدانيته، ومَرّت بأطوار مختلفة، ولمعرفة كيف تمّ الخلق، ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٢، ٢٩) والآية (٣٠) من نفس السّورة، وفصلت آية (٩-١٢).

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: حيث يختلط الغلاف الغازي للأرض بمكونات السّماء فيشكل طبقة فاصلة تعد جزءاً من السّماء بالكامل، ولا من الأرض لاختلاف تركيبها.

﴿لْعَيْنٍ﴾: أي: عبثاً، أو من دون فائدة، أو باطلاً، لاعبين: من اللّعب؛ واللّعب هو اللّهُو الذي يصرف صاحبه عن واجباته ويصبح عبثاً.

فالسّماء والأرض وما فيهنّ من مجرات وشموس، وأقمار، ونجوم، وكواكب، وجبال، وأشجار وغيرها لم يخلقها ربنا عبثاً، وإنّما هي آيات كونيّة تشهد بوحدانية الله تعالى، وتشهد على عظمته وقدرته الخالق، والكلّ مسخّر من الله لخدمة الإنسان ولصلاح الحياة على هذه الأرض، والكلّ يسجد ويسبّح الخالق.

[١٧] ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُوًّا لَّأَتَّخِذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾:

﴿لَوْ﴾: شرطية.

﴿أَرَدْنَا﴾: شئنا والمشية تسبق الإرادة.

﴿أَنْ نَتَّخِذَ لَهُوًّا﴾: أن للتوكيد، نتخذ لهوًّا: عملاً لا فائدة منه، أو لعباً لا فائدة منه لفعلنا، وقيل: اللهو: بلغة اليمن الولد (قاله قتادة)، وقال ابن عباس: اللهو: الولد، وقيل: الزوجة (قاله الحسن)؛ أي: لو شاء الله سبحانه لا تتخذ ولداً مما يخلق، أو اتخذ بنات كما ظنّ مشركو قريش أنّ الملائكة بناتُ الله، وقالوا: عيسى ابن الله.

﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾: شرطية، تفيد معنى الاحتمال والشك، وفيها معنى النفي أي: ما كنا فاعلين، وإن: أقوى نفيّاً من (ما).

[١٨] ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي، الإضراب عن اتّخاذ اللهو واللّعب وتنزيه لذاته عن فعل ذلك.

﴿نَقْذِفُ﴾: الرمي بشدة وبسرعة.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق، الحقّ: هو الشّيء الثابت الذي لا يتغير أو يتبدّل، والحقّ: هو القرآن، والإيمان، والتّوحيد؛ أي: نبين الحقّ بإنزال الآيات والبراهين.

﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾: الباطل: هو الزائل والذاهب، أو ما لا وجود له، والباطل



يطلق على الكذب، والظلم، والشرك، والإحباط، أو الإبطال كقوله: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].

أما الظلم كقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ [البقرة: ١٨٨] فيشمل سائر أنواع الظلم.

أو الشرك: ﴿أَفِإِذَا بَطُلَ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

أو الكذب: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (الكاذبون) [غافر: ٧٨].

﴿فَيَدْمَغُهُ﴾: أي: يبطله ويزيله. شبه الحق بشيء صلب كالحديد قُذِفَ به الدِّماغ الذي (شبهه بالباطل) مما أدَّى إلى توقُّف عمله وموته.

فيدمغه مشتقة من الدِّماغ، ودمغه؛ أي: أصاب دماغه فقتله أو أدَّى إلى تعطيله وإبطال وظيفته، وكذلك الحق حين يقذف على الباطل يزيله ويدمغه ويعطله.

﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾: ولكم الالام للاختصاص، والويل: العذاب الشديد.

مما: من + ما، من للتبعيض، ما: حرف مصدري أو اسم موصول بمعنى الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي.

تصفون: تفترون على الله الكذب، تصفون به الله سبحانه، أو تصفون رسوله، بالساحر، أو الشاعر، أو المفترى، وغيرها من الأوصاف.

[١٩] ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾:

﴿وَلَهُ﴾: أي: لله تعالى، اللام للاختصاص والاستحقاق والملكية.

﴿مَنْ﴾: للعاقل عادة وهنا تعتبر استغراقية، تشمل العاقل وغير العاقل، وكيف نوفق بين كونها استغراقية وأنها للعاقل فقط.

لأن العاقل وغير العاقل، والحيوان والنبات والجماد، الكل يسبح بحمده لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: له كل شيء في السموات من: مجرات وكواكب ونجوم وشموس وأقمار، والأرض: من أشجار وحدائق وأنهار وجبال وكنوز ومعادن... وغيرها.

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾: أي: الملائكة، وعنده: تعني: أنهم مكرمون، عندية المنزلة، منزلة المقربين.

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: لا النافية، لا يتعالون عن عبادته وطاعته.

﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾: تكرر (لا): لتوكيد النفي، وفصل كلاهما عن الآخر، يستحسرون من الحسر تعني: التعب والإعياء، إذن هم لا يستكبرون ولا يستحسرون: لا يصيبهم إعياء أو تعب أو ملل، ويستحسرون فيها مبالغة من الحسر، مأخوذة من الحسر وهو البعير المنقطعة قواه من الإعياء والتعب.



[٢٠] ﴿يُسَيِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾:

﴿يُسَيِّحُونَ﴾: من التَّسبيح والتَّنزيه، تنزيه الذات الإلهية من كل نقص، أو عيب، أو عطل، أو ولد، أو شريك.

ارجع إلى سورة الحديد آية (١)، وسورة الإسراء آية (١).

﴿الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: أي: هم في تسبيح دائم لا يتوقف ليلاً ونهاراً؛ أي: طول الليل وطول النهار، ولو قال ليلاً ونهاراً تعني: جزءاً من الليل أو جزءاً من النهار. ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾: لا النافية، يفترون: مشتقة من فتر الشيء؛ أي: سكن بعد حدة، ولأن بعد شدة (لسان العرب)، وهو السكون والفتور، وهو الشعور الذي يتتاب الإنسان بعد التعب الشديد؛ أي: تسبيحهم دائم لا ينقطع، ومن دون ملل أو كلل.

[٢١] ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ، أم: للإضراب الانتقالي. ﴿اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ﴾: عبدوا آلهة صنعوها من الأرض، آلهة من الحجارة، أو النحاس، أو الخشب.

﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾: هم ضمير فصل للعاقل يفيد التوكيد، وأضفى عليها صيغة العاقل لكونهم يعيدونها، ينشرون: من النثر وهو إحياء الموتى.

أي: كيف انصرفوا عن عبادة الإله الحق إلى عبادة الأصنام والأوثان التي صنعوها من الأرض التي لا تحيي ولا تميت، ولا تنفع ولا تضر.

وتقديم كلمة الآلهة من الأرض بدلاً من القول: اتّخذوا من الأرض آلهة للدلالة على أنها حصراً من الأرض، وتفيد التّحقير والتّوخيخ.

[٢٢] ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾:

﴿لَوْ﴾: حرف امتناع لا امتناع؛ أي: امتنع الفساد لا امتناع وجود الآلهة إلا الله سبحانه.

أي: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾: في السموات والأرض آلهة.

﴿إِلَّا اللَّهُ﴾: للحصر فقط إلا الله. وقيل: إلا بمعنى: غير الله، ولا يجوز القول أنها أداة استثناء؛ لأن الاستثناء يعني: هناك آلهة أخرى، وهذا يتنافى مع وحدانية الله تعالى.

﴿لَفَسَدَتَا﴾: اللام للتعليل والتّوكيد، فسدتا، أي: السموات والأرض.

لما قد يحدث من اختلاف بين هذه الآلهة؛ مما يؤدي إلى اضطراب في هذا النظام الفلكي المحكم البديع، وحدثت الكوارث الكونية لما يصدر عنها من أوامر مختلفة متضاربة تؤدي إلى الدمار والهلاك؛ أي: الفساد.

﴿فَسُبْحَنَ﴾: الفاء للتوكيد، سبحان: تنزيهاً لله تعالى وذاته عن كلّ عيب ونقص وشريك وولد.

﴿اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ﴾: الله، المعبود الإله الحق رب العرش الحاكم ومالك الملك والسلطان.

﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: يزعمون، ارجع إلى الآية (١٨): للبيان.



[٢٣] ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾:

﴿لا﴾: النَّافِيَةُ.

﴿يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾: لِأَنَّهُ مَالِكُ الْمَلِكِ، الْحَاكِمُ، الْعَزِيزُ، الْحَكِيمُ، وَالْحَكَمُ الْعَدْلُ، وَلَا رَادَّ لِحُكْمِهِ؛ لِأَنَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ الْمُتَفَرِّدُ بِالْأُلُوهِيَّةِ وَالرَّبُّوبِيَّةِ، وَلَا مَعْقَبٌ لِحُكْمِهِ.

﴿عَمَّا﴾: عَنِ تَفِيدِ الْمَجَاوِزَةِ وَالِابْتِعَادِ، مَا مُصَدَّرِيَّةٌ أَوْ اسْمٌ مُوَصُولٌ بِمَعْنَى الَّذِي، وَأَوْسَعُ شُمُولاً مِنَ الَّذِي.

﴿وَهُمْ﴾: ضَمِيرُ فَصْلِ يَفِيدِ التَّوَكِيدِ.

﴿يُسْأَلُونَ﴾: عَنِ أَفْعَالِهِمْ، وَأَقْوَالِهِمْ، وَعَمَّا يَصِفُونَ، وَعَمَّا يَفْتَرُونَ. يَسْأَلُونَ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْبَشَرِ، أَوْ وَلَاةِ أُمُورِهِمْ، وَكَذَلِكَ يَسْأَلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ الْكُفْرِ وَالشَّرِكِ وَالظُّلْمِ وَغَيْرِهَا.

[٢٤] ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾:

﴿أَمِ﴾: الْهَمْزَةُ لِلِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ وَالتَّوْبِيخِ وَالتَّعَجُّبِ.

﴿مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾: أَيُّ: عَبْدُوا مِنْ سِوَاهِ آلِهَةٍ قَادِرَةٍ عَلَى النَّشْرِ؛ أَيُّ: لَوْ فَرَضْنَا أَنَّهُمْ وَجَدُوا تِلْكَ الْآلِهَةَ الْقَادِرَةَ عَلَى النَّشْرِ وَالْإِحْيَاءِ وَالْبَعْثِ.

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ، وَالْبُرْهَانُ: هُوَ الْحُجَّةُ الْقَاطِعَةُ الْمُفِيدَةُ لِلْعِلْمِ عَلَى صَدَقِ دَعْوَاكُمْ أَنَّهَا آلِهَةٌ حَقَّةٌ.

﴿هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِيَ﴾: أي: القرآن المنزل عليّ وعلى من معي من المؤمنين.

﴿وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾: التّوراة والإنجيل وغيرها من الكتب السّماوية.

ليس فيها أيُّ ذكر أنّ مع الله آلهة أو شريكاً، أو ولياً، أو ولداً، أو أن الله أمر وأوصى بذلك، والحقيقة أنّه ليس عندهم من دليل أو برهان أو سلطان.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾: يعني: أكثر كفار قريش، لا النّافية، لا يعلمون

الحق، أي: توحيد الألوهية والرّبوبيّة، والصفّات والأسماء، ولا يعلمون ما جاء في الكتب السّماوية السّابقة، ولا يعلمون؛ أي: يميزون بين الحقّ والباطل.

﴿فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾: عن التّوحيد واتباع الأدلة والبراهين، أو اتّباع الرّسول ﷺ

للولصول للحق، والحق موجود وغير خافٍ، ولو التمسوه لوجدوه قريباً منهم أو حولهم، أو موجوداً حتّى في أنفسهم وخلقهم.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٢١

الْبَقَرَةُ

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ، بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَاتِرَتَا تَرْتَقَا فَفُتِقْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾



الْحَرْفُ
٣٣

سورة الأنبياء [الآيات ٢٥ - ٣٥]

[٢٥] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما النافية.

﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾: من استغراقية ظرفية زمانية، والخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ.

﴿مِنْ رَسُولٍ﴾: من ابتدائية.

﴿إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ﴾: إلا: أداة حصر، نوحى إليه: بالإيحاء وهو الإعلام بالخفاء، أو إرسال رسول كجبريل (ع)، أو يكلمه الله من وراء حجاب.

ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣): لمعرفة معنى الوحي.

﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾: أنه: للتوكيد، لا: النافية، إله: معبود، إلا: أداة حصر وقصر، أنا: لتدل على الوحداية.

﴿فَاعْبُدُونِ﴾: الفاء رابطة للجواب والنون للتوكيد، والعبادة تعني: طاعة الله والتذلل له وامثال أمره واجتناب نهيه. ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣) لمزيد من معنى العبادة. حذف الياء في عابدون قد يكون للإيجاز، والمقام ليس كما هو الحال في آية يس حين قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَئِءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١٠) وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ حيث جاءت في سياق النهي عن عبادة الشيطان؛ لأن عبادة الشيطان تفسد عبادة الله، ولذلك نهى عن عبادة الشيطان وأكد عليها أكثر من عبادة الآلهة: الأصنام



والأوثان التي لا تفيد ولا تضر، واعبدوني فيها معنى التوحيد أن نعبد الله وحده بإخلاص ولا نشرك به شيئاً.

[٢٦] ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾:

بعد التنزيه عن اتخاذ الشريك (آلهة) يُتبع ذلك بالتنزيه عن اتخاذ الولد.

ارجع إلى سورة الحديد آية (١): لبيان معنى سبحانه.

﴿وَقَالُوا﴾: مبني للمجهول، أي: لا يهم معرفة من قالوا والمهم المقولة، وقيل: مشركو قريش كما قال ابن عباس، وقيل: أفراد من قبيلة خزاعة وبني سلمة وجهينة، والمهم عموم اللفظ وليس خصوص السبب.

﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾: أي: الملائكة بنات الله، والولد تعني: الذكر أو الأنثى.

﴿سُبْحَنَهُ﴾: اسم مصدر تقديره أصبح سبحانه أن يتخذ ولداً فهذا مستحيل، وأن الله منزّه عن ذلك وأنه أكبر وأجلّ أن يردّ عليهم كذبهم ويقول: إنكم لكاذبون فاكتمل بالقول سبحانه ونزه الملائكة الكرام وأخبر بأنهم عباد مكرمون.

﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾: بل: للإضراب الإبطالي تبطل الجملة التي قبلها؛ أي: بل هم عباد مكرمون إبطال لقولهم اتخذ الرحمن ولداً؛ أي: سبحانه لم يتخذ ولداً كما يزعمون، والملائكة هم عباد للرحمن مكرمون، وفي الآية (١٦) من سورة عبس وصفهم بأنهم كرام بررة.

﴿مُكْرَمُونَ﴾: جمع مكرم، اسم مفعول من أكرم يعني الإحسان والإنعام والتفضل؛ أي: أكرمهم الله سبحانه بكونهم عباداً له، وبما لهم من خصائص في الخلق والعبادة والمنزلة، ومع ذلك لهم صفات أخرى هي:

[٢٧] ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾:

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾: لا النافية، يسبقونه بالقول: أي: لا يقولون شيئاً قبل أن يأذن لهم أو يأمرهم ويخاطبهم سبحانه.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾: أي: لا يخالفونه قولاً ولا فعلاً؛ أي: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]، وقدم بأمره على يعملون للتوكيد والحصر، والباء للإلصاق والتوكيد في كلمة بالقول، والباء بأمره للإلصاق والسببية.

[٢٨] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: أي: يحيط علمه سبحانه بالملائكة إحاطة تامة ولا يخفى على الله تعالى منهم خافية.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: يعلم ما يعملون وما سيعملون أو تعني: ما هو قادم لهم من أعمال.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: أي: ويعلم ما مضى أو عملوه من أعمال في الماضي.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾: لا النافية، يشفعون: الشفاعة: ارجع إلى الآية (٨٥) من سورة النساء للبيان.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر لمن ارتضى.

﴿لِمَنِ ارْتَضَى﴾: السلام في كلمة لمن للتوكيد، من للعاقل وتشمل المفرد والجمع، ارتضى؛ أي: رضي الله عنه؛ أي: رضي له قولاً وعملاً من عبادته، فهي



شفاعة مقيدة وليست مطلقة؛ مثل: الشفاعة في أهل الذنوب من الموحدين الذين دخلوا النار.

﴿وَهُمْ مِّنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾: وهم ضمير فصل يفيد التوكيد، يعود على الملائكة، من ابتدائية، خشيته: أي: خشية الله تعالى، والخشية تعني الخوف المصحوب بالمهابة والتعظيم لمن تخشاه والعلم.

﴿مُشْفِقُونَ﴾: من الإشفاق، والإشفاق: هو العناية المشوبة بالخوف والحذر وعدم الاطمئنان، حذرون خائفون أن طاعتهم أو عبادتهم غير تامة وغير آمنين مطمئنين أن خشيتهم لله كافية.

[٢٩] ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾: من شرطية، يقل منهم: أي: من الملائكة.
﴿إِنِّي إِلَهٌُ مِّنْ دُونِهِ﴾: ما قال أحد ذلك أو على فرض أن أحدهم قال ذلك: إني إله من دون الله.

﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾: هذا تهديد للملائكة ومن ورائهم الإنس والجن.
﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾: أي: ومثل هذا الجزاء (جهنم) نجزي كل ظالم (مشارك).

[٣٠] ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَاهِنَّ الْمَاءَ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾:
﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام.

﴿يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: الرؤية هنا رؤية قلبية ورؤيا بصرية وتعني أيضًا أولم

يعلم الَّذِينَ كَفَرُوا، ولماذا الخطاب مَوْجَّهٌ إِلَى الَّذِينَ كَفَرُوا؛ لِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أو المشركين هم الَّذِينَ سيكشفون هذه الحقائق الكونية وهم من سيراهم أولاً ومع ذلك، هم عن آياتها معرضون.

﴿أَنَّ﴾: مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَا رَتْقًا﴾: من الرّثق هو الالتصاق التام؛ أي: كانتا في بداية نشوء الكون متصلتين ببعضهما، عبارة عن جرم واحد متناهٍ في الصغر والحجم ذات طاقة ومادة متناهية في العظم، ثم فجر الله تعالى هذا الجرم إلى كتلة من الدخان ويسمونها عملية الانفجار العظيم..

فخلق الله من هذا الدخان الأرض والسّماء معاً في لحظة واحدة، وبذلك تشكلت الأرض الابتدائية، والسّماء الابتدائية، ثم تمايزت الأرض بأن أنزل الله الحديد من انفجار النيازك في السّماء، ثم سقطت على الأرض الابتدائية التي كانت عبارة عن كومة من الرماد واخترقت كومة الرماد لتستقر في مركز الكرة الأرضية بشكل صلب وشكلت (٩٠٪) من الطبقة الأولى من الأرض.

ثم تمايزت الطبقة الثانية من الأرض بشكل حديد منصهر مختلط ببعض العناصر الأولى، ثم تشكلت (٣) أغشية، ثم تشكلت الطبقة ما دون القشرة، ثم القشرة الأرضية، وذلك باختلاف كمية الحديد في هذه الطبقات السبع؛ السبع كرات التي وصفها الله بسبع أرضين.

ثم استوى إلى السّماء وهي دخان، سماء واحدة فسواهن سبع سموات، سبع كرات هائلة كلّ كرة تغلف ما تحتها وجعل مركز هذا الكرات السبع؛ أي: السّموات السبع الأرض المتكونة من سبع أرضين، فبذلك شكل هذا الكون المكون من سبع سموات طباقاً، سبع كرات مركزهن الأرض المشكلة من سبع



أرضين يحيط بهذا كله عرش الرحمن سبحانه. فقد روى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»، وما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس، وما وري عن ابن مسعود، وما قاله ابن القيم في (زاد المعاد) كل تلك الأقوال تدل على أن العرش هو سقف المخلوقات؛ أي: السموات، وارجع إلى سورة هود آية (٨) لمزيد من البيان عن العرش والكرسي.

ونحن لا نعلم عن هذه السموات السبع إلا الجزء اليسير المحدود بالسماء الدنيا التي تربتها هذه النجوم والمجرات، فالسموات السبع غيب لا يعلمها إلا الله سبحانه. ارجع إلى سورة فصلت آية (١٠-١١)، وسورة الأعراف آية (٥٤)، وسورة البقرة آية (٢٢-٢٩).

﴿فَفَقَّنْهُمَا﴾: الفتق هو: الفصل أي: فصلنا السماء عن الأرض وانفصلت السماء إلى المجرات والكواكب والنجوم.

وبعد مرحلة الدخان، ثم تبرد الدخان وأول ما تشكلت النجوم وسماتها المصاييح.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾: كل شيء: شيء نكرة سواء إنسان أو حيوان، أو نبات، ولولا الماء لما عاش إنسان، أو حيوان، أو نبات في الأرض، ونسبة تركيب الماء في جسم الإنسان يساوي تقريباً (٧٠٪) من وزن الإنسان.

﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتوبيخ على عدم الإيمان

وتعجب، وألا: أداة تنبيه وحض، وتعني الأمر على الإيمان بالله بعد كل هذه الدلائل والبراهين على قدرته وعظمته.

[٣١] ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾:

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾: الجعل يكون بعد الخلق، فقد خلق الأرض أولاً، ثم أرساها بخلق الجبال في الأرض، ولم يقل: على الأرض؛ لأن الطبقة الغازية المحيطة بالأرض جزء من الأرض. الرواسي تعني: الصفائح القارية، والقوى المغنطيسية بالإضافة إلى الجبال التي تشكلت من البراكين والحمم التي شكلت الجبال. ارجع إلى سورة النحل آية (١٥)، والنبأ آية (٧) لمزيد من البيان، فهناك فرق بين ألقى في الأرض رواسي، وجعل فيها رواسي.

﴿رَوَاسِيَ﴾: الجبال. ارجع إلى سورة النحل آية (١٥)، وسورة النبأ آية (٧): لبيان كيف تشكلت الرواسي.

﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾: أن حرف مصدر يفيد التعليل والتوكيد، تميد بهم: أي: تميل وتضطرب بهم.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾: تعود على الرواسي أي: الجبال وقيل: تعود على الأرض.

﴿فِجَاجًا﴾: الفجج هو الطريق في الجبل أو بين جبلين.

﴿سُبُلًا﴾: الطريق الواسع السهل.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: لعل للتعليل، يهتدون: بها في سيرهم فتكون كعلامات يهتدون بها في سفرهم.



ويهدتون إلى خالقهم فهي آية من الآيات الكونية التي تدل على عظمة الخالق وقدرته، الأمر الذي إلى يدعو إلى الإيمان بالله وحده.

لنقارن هذه الآية (٣١) من سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾.

مع الآية (١٥) من سورة النحل: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾.

في سورة الأنبياء قال: أن تميد بهم جاءت في سياق الكلام عن قدرة الله سبحانه وعظمته.

وفي سورة النحل قال: أن تميد بكم جاءت في سياق الكلام عن نعم الله تعالى وتعدادها.

ولنقارن آية الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

مع آية (٢٠) من سورة نوح: ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾.

ففي سورة الأنبياء قَدَّمَ الفجاج على السبل، وفي سورة نوح قَدَّمَ السبل على الفجاج.

قيل: قَدَّمَ الفجاج على السبل في سورة الأنبياء؛ لأنَّ الفج هو الطريق في الجبل أو بين جبلين، ولما ذكر الرواسي؛ أي: الجبال فقد قَدَّمَ الفجاج التي هي طرق في الجبال التي تشكلت نتيجة مياه الأمطار التي تنحدر على سفوحها فتشكل هذه الأنهار، ثم تجف بعضها وتتركها كالسبل.

أما في سورة نوح فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ سِطًا ۖ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا

سُبُلًا فِجَاجًا ﴿قَدَّمَ السَّبِيلَ عَلَى الْفِجَاجِ؛ لِأَنَّهُ سَبَقَهَا قَوْلُهُ الْأَرْضُ بَسَاطًا (وَالسَّبِيلَ الطَّرِيقَ السَّهْلَةَ الْمَمْهَدَةَ فَهِيَ تَتَنَاسَبُ مَعَ الْأَرْضِ بَسَاطًا).﴾

أَوْ سَبُلًا فِجَاجًا تَعْنِي: سَبُلًا بَعْضُهَا فِجَاجًا بَيْنَ الْجِبَالِ، وَبَعْضُهَا سَبُلًا فِي الْأَرْضِ.

أَوْ قِيلَ: إِنَّ السَّبِيلَ تَصِفُ الْفِجَاجَ، أَوْ الْفِجَاجَ تَصِفُ السَّبِيلَ.

أَوْ التَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ حَسَبَ الْأَهَمِّ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَقْدِّمُ الْأَهَمَّ.

[٣٢] ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾:

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾: أَيُّ: كَالسَّقْفِ لِلْأَرْضِ، فَالسَّمَوَاتِ السَّبْعِ الْكَرَوِيَّةِ الشَّكْلَ كُلِّ مِنْهَا يَغْلِفُ الْأُخْرَى، وَكُلُّهَا تَحِيطُ بِالْأَرْضِ الَّتِي تَعْتَبَرُ كَمَرْكَزٍ لِهَذِهِ السَّمَوَاتِ، وَهِيَ كَالسَّقْفِ لِهَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي بِدَوْرِهَا تَتَشَكَّلُ مِنْ سَبْعِ كُرَاتٍ صَغِيرَةٍ مُقَارَنَةً بِالسَّمَوَاتِ السَّبْعِ.

سَقْفًا مَحْفُوظًا: أَيُّ: سَقْفًا مُحْكَمًا، وَمَحْفُوظًا اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ حِفْظٍ، وَتَقُومُ بِهَذِهِ الْحِمَايَةِ وَالْحِفْظِ النُّطْقُ الْمَسْمَاةُ بِنُطْقِ الْحِمَايَةِ وَهِيَ نِطَاقُ الْمُنَاحِ، وَنِطَاقُ الْأَوْزُونِ، وَنِطَاقُ الْإِشْعَاعِيِّ، وَنِطَاقُ الْمَغْنِطِيسِيِّ، وَنِطَاقُ الْخَارِجِيِّ، وَنِطَاقُ الْمَتَائِنِ، فَهَذِهِ النُّطُقُ تَحْفَظُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْضِ الْأَشْعَةِ الشَّمْسِيَّةِ الْمَهْلِكَةِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْمَسْمَاةِ الْأَشْعَةِ فَوْقَ الْبِنْفَسْجِيَّةِ الَّتِي تُسَبِّبُ سَرَطَانَاتِ الْجِلْدِ الْخَبِيثَةِ، فَمَثَلًا طَبَقَةُ الْأَوْزُونِ تَمْنَعُ اخْتِرَاقَ تِلْكَ الْأَشْعَةِ.

وَكَذَلِكَ هُنَاكَ الطَّبَقَاتُ الْغَازِيَّةُ وَبَخَارُ الْمَاءِ تَقُومُ بِدَوْرٍ عَازِلٍ بِحَيْثُ تَحَافِظُ عَلَى دَفْعِ الْأَرْضِ وَذَلِكَ بِمَنْعِ تَسَرُّبِ الْحَرَارَةِ إِلَى الطَّبَقَاتِ الْعُلْيَا، وَمَا يَخْتَرِقُ الْغِلَافَ الْغَازِيَّ الْجَوِّيَّ مِنْ أَشْعَةٍ شَمْسِيَّةٍ وَحَرَارَةٍ تَكْفِي لِاسْتِمْرَارِ الْحَيَاةِ عَلَى الْأَرْضِ وَقَتْلِ الْجَرَائِمِ الضَّارَةِ.



ارجع إلى سورة الطارق آية (١١): لمزيد من البيان.

فالسَّماء وبما فيها من شمس وأقمار وكواكب ومجرات وأفلاك كلها آيات كونية تدل على عظمة وقدرة الخالق وعلى وحدانيته وألوهيته وربوبيته.

ورغم رؤية هذه الآيات الكونية التي هي أعظم من خلق النَّاس، كما قال تعالى في سورة غافر آية (٥٧): ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾: أي: لا ينتفعون بها ولا يهتدون بها إلى الخالق ولا يفكرون بها.

ارجع إلى الآية (١) من نفس السورة.

[٣٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل يفيد الحصر والتوكيد، تعود على الله سبحانه.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يختص بالمفرد المذكور.

﴿خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: الخلق هو الإيجاد ابتداءً، وخلق الليل والنهار يدل على كروية الأرض ودورانها حول محورها (نفسها) وحول الشمس، وفي آيات أخرى قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧].

الجعل يكون مرحلة بعد الخلق فالله سبحانه خلق أولاً الليل وخلق النهار بخلق الغلاف الجوي حول الأرض فالغلاف الجوي لم يكن عند نشأة الأرض وإنما تكون على مر العصور والأحقاب والليل كان هو السائد في بداية نشأة الأرض.

ثم تكون الغلاف الجوي حول الأرض، وفيه طبقات مختلفة إحدى هذه الطبقات السفلى تتشكل من غازات معينة هذه الطبقة أو الغازات تضيء حين تقع عليها حزمة من أشعة الشمس التي تسمى حزمة الضوء المرئي المشكلة من ألوان الطيف السبعة: الأحمر والبرتقالي والأصفر والبنفسجي والأخضر والأزرق والنيلي، تعطينا هذا النور الأبيض، وأغلب أشعة الشمس لا تصل إلينا بفضل نطق الحماية، ومنها الأشعة السينية والفوق بنفسجية وتحت الحمراء وأشعة غاما وغيرها.

فتصبح هذه الطبقة الغازية المحيطة بالأرض كالمصباح ينير نصف الأرض المقابل للشمس، بينما النصف الآخر يكون في ظلام؛ أي: ليل، ثم تدور الأرض حول الشمس فيصبح النصف المضيء ليلاً والنصف المظلم نهاراً وعملية محو الليل والمجيء بالنهار استغرقت ملايين السنين.

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: الشمس أو القمر كلٌّ منها يدور حول نفسه، ويدور القمر والأرض حول الشمس، والأرض والقمر والشمس تدور حول مركز المجرة الشمسية، وتدور هذه المجرة حول مركز لتجمع المجرات، وتكون محصلة هذه الحركات الثلاث حركة اهتزازية تعرجية، وكأنها تسبح على موجة صعوداً وهبوطاً.

ولذلك لا يستخدم القرآن كلمة تدور، وإنما كلمة يسبحون، ويشعر كل إنسان مثل رواد الفضاء أنهم حين يخرجون عن نطاق الجاذبية الأرضية كأنه يسبح أو يطفو على سطح الماء، وهذا إحساس حقيقي، وليس وهمياً، فالإنسان لا يكون في فراغ، بل هو وسط مادي بكثافة منخفضة.

وفي سورة يس الآية (٤٠) قال تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ واو الجماعة هنا تعني كل ذرة، كل مخلوق مثل الأرض والشمس والقمر والنجوم



والكواكب والمجرات والغازات جميعها تتحرك حركة اهتزازية، حركة أشبه ما يكون بجسم يطفو على سطح الماء، وتحركه الأمواج حركة تعرجية، حتى الذرة وكل نيترون وبروتون داخل الذرة يدور، وله مدار لا يتعداه، وسرعة ثابتة لا تزيد ولا تنقص، ولا تسرع ولا تبطئ، لذلك قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ بِنَبْغٍ لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَلِيلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: الفلك: المدار الذي تدور فيه الأفلاك والشمس والقمر والمجرات والمدارات بيضاوية الشكل تدور حول مركز المجرة.

فكل هذه النجوم والكواكب والأقمار والشموس تسبح في طبقة غازية مكونة من غازات مختلفة أهمها الإيدروجين والكالسيوم والبوتاسيوم والصوديوم والماء والحديد، وليس كما كان يُظن قديماً أنها تسبح في فراغ أو فضاء فارغ، وهذه الطبقة الغازية سوداء مظلمة.

[٣٤] ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما النافية.

﴿جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾: اللام في البشر لام الاختصاص، من ابتدائية، قبلك يا محمد ﷺ.

﴿الْخُلْدَ﴾: البقاء الدائم في الدنيا أي: بلا موت، أو ما خلّدنا من قبلك أحداً من بني آدم.

﴿أَفَإِنْ﴾: الهمزة همزة استفهام فيه معنى النفي، المشوب بالإنكار والتعجب.

﴿مِتَّ﴾: ولم يقل: مِتَّ: بكسر الميم يدل على الموت العادي الطبيعي، أما مِتَّ: بضم الميم، فتدل على الموت بسبب الجهاد في سبيل الله (القتال)؛ أي:

في أرض المعركة مثلاً. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٥٧-١٥٨) لمعرفة الفرق بين متم ومُتم.

﴿أَفَلَا يَنْتَظِرُونَ أَن يُخْلَدُوا بَعْدَ مَوْتِهِمْ لَمْ يَنْتَظِرُوا لِمَا قَدِ اسْتَبَقُوا إِلَيْهِمْ وَيَعْرِفُونَ الْيَوْمَ الَّذِي يَخْلَدُونَ﴾: أي: أنت يا محمد ميت وإنهم ميتون، ولن يخلد أحد من البشر بعد موتك؛ لأن الموت حتم وحق ولن ينجو منه أحد وقد كان الكفار يتمنون موت الرسول ﷺ.

[٣٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾: هذا هو القانون الإلهي، كل نفس مهما كان نوعها أو جنسها مصيرها الموت.

﴿وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾: الابتلاء لا يكون إلا بعد التكليف، ب(افعل ولا تفعل)، ونبلوكم بالشر أو بالخير بنعيم وصحة وغنى وسرور، أو مرض وفقر وبلاء في الأنفس والثمرات.

﴿فِتْنَةً﴾: من فتن الذهب بالنار ليعلم الثمين من الرديء، والجيد من الخبيث، وفتنة الناس تعني معرفة المطيع من العاصي، والمؤمن من الكافر، الشاكر من الجاحد، الصابر من غير الصابر، والله سبحانه ليس بحاجة إلى ابتلائنا فهو سبحانه يعلم منذ الأزل نتيجة هذا الابتلاء، ولكن ليقيم الحجة علينا ويرينا نتائج أعمالنا، ونتيجة الابتلاء هي الفوز والفلاح، أو الهلاك والخسارة.

﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾: تقديم إلينا يفيد الحصر؛ أي: تُرجعون إلينا وحدنا قسراً؛ أي: كرهاً راضين أم غير راضين، تُرجعون بعد البعث إلينا لمحاسبتكم على أعمالكم.





سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ٢١

الْبَيْتُ السَّادِسُ عَشَرَ

وَإِذْ أَرْأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ
هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ
آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ
لَا يَكْفُوتُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا
هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ
بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْلُو كُفْرَكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنْ
الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ
لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ
وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي
الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾

سورة الأنبياء [الآيات ٣٦ - ٤٤]

[٣٦] ﴿وَإِذَا رَأَىٰكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ
ءَالِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: الواو استئنافية، إذا ظرفية شرطية تعني: حتمية الحدوث.

﴿رَأَىٰكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أمثال أبي جهل، أو كفار قريش. وإذا قارنا هذه الآية ﴿رَأَىٰكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ [الفرقان: ٤١]؛ رأىك: تأتي في سياق المفرد، رأوك: تأتي في سياق الجمع.

﴿إِنْ يَتَّخِذُونَكَ﴾: إن نافية بمعنى لا، ويمكن أن تكون تعليلية والنون في يتخذونك للتوكيد.

﴿لَا هُزُوًا﴾: إلا تفيد الحصر؛ أي: حصراً، هزواً: أي: إذا رآك الذين كفروا يهزؤون بك، والاستهزاء هو التصغير من شأنك والتحقير أو العيب أو الاستخفاف بك.

﴿أَهَذَا﴾: الهمزة في (أهذا) للاستفهام والإنكار والتعجب والتهلكة.

﴿الَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾: بسوء؛ أي: يعيب عليها ويسبها أو لا يعترف بها وأنها باطلة، أو يستهزأ بها ويستخفها ويحقرها وأنها أصنام وحجارة لا تضر ولا تنفع، والذكر قد يكون بالخير أو بالشر فهو يذكر آلهتكم بشر لا أنها عدو له.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ﴾: أي: كيف تعجبون من أن محمداً يذكر آلهتكم بسوء،



وأنتم بذكر الرحمن تنكرون وتجحدون كقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ؟﴾ [الفرقان: ٦٠].

﴿هُمْ كَفَرُونَ﴾: هم ضمير فصل يفيد التوكيد، كافرون: جاحدون لا يؤمنون أو يصدقون.

[٣٧] ﴿خُلِقَ الْإِنْسَنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾:

﴿خُلِقَ الْإِنْسَنُ مِنْ عَجَلٍ﴾: لا تعني: أن الله سبحانه خلقه أو فرض عليه أن يكون عجلًا أو فرض عليه العجلة، وإنما تعني كأنه مخلوق من العجلة لكثرة فعله إياها واعتياده لها، وهذا يقال له نسبة الشيء إلى غير أصله مبالغة في اتصافه بالعجلة؛ أي: كأنه مخلوق من العجلة لكثرة ما يتعجل به أو مطبوع عليها، والعجلة تعني: طلب الشيء وإرادته وتحريره قبل أوانه، والإنسان هنا تعني: جنس الإنسان، أو كل الناس.

ونزلت هذه الآية حين استعجلت قريش بالعذاب، وقال النضر بن الحارث: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَاهُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾: السنين للاستقبال القريب؛ أي: سأوريك عذابي قريباً في معركة بدر أو يوم القيامة.

﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾: الفاء للتوكيد، لا الناهية، لا تستعجلون: أي: لا داعي للاستعجال أن تنتظروا قليلاً.

[٣٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

ويقولون: بصيغة المضارع بدلاً من قالوا: لأن سؤالهم تكرر وتجدد كثيراً عن زمن العذاب أو متى يوم القيامة فهم استبطؤوا يوم القيامة أو لم يصدقوا به.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: إن شرطية تفيد الشك في أنكم صادقين يخاطبون: النبي وأصحابه. وصادقين: جملة اسمية تعني: ثبوت الصدق.

[٣٩] ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُوتُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾:

﴿لَوْ﴾: شرطية جوابها محذوف للتهويل والأجوبة الكثيرة.

﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم أو ما سيحل بهم لما استعجلوه أو لما أقاموا على كفرهم أو لو علموا وقته وأيقنوا بحدوثه لما كذبوا به أو استعجلوه.

﴿حِينَ﴾: ظرف زماني.

﴿لَا يَكْفُوتُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾: الكف: المنع أو دفع النار أي: لا يستطيعون دفع النار أو منعها عن حرق وجوههم ولا عن ظهورهم: تكرار (لا) و (عن) مرتين يفيد التوكيد وفصل الوجه عن الظهر أو كلاهما معاً. واختار الوجه؛ لأنها أكرم أو أعز الأعضاء، والظهور؛ لأنها تدل على الإهانة والخزي.

﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾: أي: ولا يجدون لهم ولياً ولا نصيراً يمنعهم من العذاب أو يمنع العذاب عنهم أي: ينقذهم ويخلصهم.

[٤٠] ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْةٌ فَتَبْتَهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿تَأْتِيهِمْ بَغْةٌ﴾: أي: النار، بغة: فجأة ومن دون إنذار.



﴿فَتَبَهُهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، تبهتهم: تحيرهم وتدهشهم، أي: وجدوا أنفسهم في حيرة وقهر.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾: الفاء للتوكيد: لا النافية، لا يستطيعون رد النار ولا دفعها عنهم وينقطع كلامهم.

﴿وَلَا هُمْ﴾: ولا النافية هم، أي: الذين كفروا، وهم: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿يَنْظُرُونَ﴾: لا يمهلون أو يؤخرون عن دخول النار للمعذرة أو ليشفع لهم.

[٤١] ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿اسْتَهْزَأَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾: الاستهزاء يعني تصغير قدر الآخر أو التحقير والاستخفاف أو العيب عليه في شخصه، برسل: الباء للإلصاق، جمع رسول أو نبي، من قبلك: من تعني من قريب.

﴿فَحَاقَ﴾: الفاء للتوكيد، تعني: نزل وأحاط أو حل. ارجع إلى سورة غافر آية (٤٥) لمزيد من البيان، والفرق بين حاق ونزل.

﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾: بالذين سخروا من الرسل.

﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: أي: حاق بالمستهزئين بالأنبياء والرسل الجزاء على ما فعلوه من السخرية والاستهزاء، وقيل: هذا نوع من التخفيف على رسول

الله، أي: هوّن عليك فما يصيبك من الاستهزاء والسخرية أصاب من قبلك وسوف تنتقم من هؤلاء المستهزئين.

[٤٢] ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾:

﴿قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ﴾: قل يا رسول الله ﷺ للذين كفروا، من استفهام يفيد التّقرّيع والتّوبيخ، والجواب محذوف وتقديره لا أحد، يكلّوكم: الكلاءة: الحراسة والحفظ أي: يحرسكم يرعاكم أو يحفظكم ويمدكم بمقومات العيش والحياة.

﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: الباء: للإلصاق وتفيد الظرفية في الليل والنّهار.

﴿مِنَ الرَّحْمَنِ﴾: من بأس الرّحمن وعقابه أو عذابه الذي تستحقونه لكونكم معرضين عنه وغير مؤمنين به واختار اسم الرّحمن للتذكير أن هذه الكلاءة من مظاهر رحمته ولا يغرنكم كونه الرّحمن، فلن يعذبكم.

﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾: بل للإضراب الانتقالي، هم تفيد التّوكيد، أي: رغم أنّه لا يوجد أحد يكلّوهم من عذاب الرحمن وبأسه استمروا في إعراضهم عن ذكر ربهم: عن القرآن وعن الصّلاة والتّوبة والإنابة إلى ربهم رغم الإنذار والتّهديد والوعيد.

[٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي، والهمزة للاستفهام الإنكاري.

﴿لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّنْ دُونِنَا﴾: لهم اللام لام الاختصاص لهم خاصة،



آلهة من دوننا: أي: غير الله سبحانه، ألهم آلهة غير الله ستدفع عنهم العذاب وتحميهم أو تدافع عنهم.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾: فلو فرضنا لهم آلهة فهي غير قادرة على أن تنصر نفسها، فكيف تنصرهم وهي لا تنفع ولا تضر أصلاً.

﴿وَلَا هُمْ مَتَّابُونَ﴾: ولا الواو عاطفة، لا للنفي، هم للتوكيد، يصبحون: لا يجدون أحداً يحميهم أو يجيرهم من العذاب أو من يلجؤون إليه ليحميهم أو يكون في صحبتهم، وقد تعني: لا يجدون أحداً منا يكون جارا لهم أي: يصاحبهم؛ لأن الجيرة تعني: المصاحبة كقوله: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [النساء: ٣٦]. والصحة تحمل في طياتها الفائدة للطرفين.

[٤٤] ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْفُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾: ﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾: متعنا: من المتاع متاح الحياة الدنيا من المأكل والمشرب والملبس والمسكن ورفاهية العيش بنعم الدنيا والبسط في الرزق لهم ولآبائهم، هؤلاء: الهاء للتنبيه، أو لاء اسم إشارة يشير إلى أهل مكة وغيرهم من القرون.

﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾: حتى حرف نهاية الغاية، طال عليهم العمر حتى طالت أعمارهم فاغثروا بذلك النعيم وطول الأجل، وظنوا أن آلهتهم التي فعلت ذلك وحفظتهم.

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة همزة استفهام توبيخي.

﴿يَرَوْنَ﴾: الرؤية هنا رؤية بصرية ورؤية قلبية.

﴿أَنَا أَنَا فِي الْأَرْضِ نَقْصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: هناك كثير من التفسيرات القديمة لهذه الآية مثل موت العلماء أو نقص أرض المسلمين لأعدائهم أو نقص الأرض بعوامل التعرية أو البحار تطفئ على اليابسة أو دوران الأرض حول محورها وكون قطر الأرض الاستوائي أطول من قطر الأرض القطبي وغيرها من التفسيرات.

والتفسير العلمي الأقرب للحقيقة في هذا الزمن أن الأرض مرتبطة بالشمس بقانون الجاذبية أو عامل الجاذبية، والذي يقدر بضرب الكتلتين والتقسيم على مربع المسافة بينهما، فحتى تبقى الأرض ثابتة في مدارها والمسافة بين الأرض والشمس ثابتة، وبما أن الشمس تفقد من كتلتها ما يعادل ٦, ٤ مليون طن بالثانية من المادة والطاقة.

فلا بُدَّ للأرض أن تفقد ما يعادل ذلك حتى تبقى النسبة متوازنة بينهما وتبقى العلاقة بينهما ثابتة فالأرض تفقد عن طريق البراكين الفوهات البركانية كمية هائلة من الغازات والرماد البركاني الذي لا يعود إلى الأرض.

فهذا ما يفسر لنا أن الأرض تنقص من أطرافها (من جميع أطرافها، وليس من طرف واحد كما يفسره جمع من المفسرين) وقد ثبت علمياً أن أرضنا الابتدائية كانت ١٠٠ ضعف حجم الأرض الحالية. ارجع إلى سورة الرعد آية (٤١) لمزيد من البيان.

﴿أَفْهَمُ الْغَالِبُونَ﴾: الهمزة همزة استفهام للتقرير والتوبيخ؛ أي: أفهم القادرون على منع البراكين والزلازل من الحدوث، وبالتالي تغير المسافة بين الأرض والشمس، أو تغير النسبة التي جعلها الله ثابتة لاستمرار الحياة على الأرض، فالله هو الغالب وهو القوي العزيز.





سورة الأنبياء ٢١

الأنبياء

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا
 مَا يُنذِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ
 لَيَقُولُنَّ يَنْوِيلُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ
 الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ
 مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ
 ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا
 لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنْ
 السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ
 مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا
 بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي
 أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾
 قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا
 أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ
 ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾



نصف
الحزب
٣٣

سورة الأنبياء [الآيات ٤٥-٥٧]

[٤٥] ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾:

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾: هذا أمر من الله سبحانه إلى رسوله بأن ينذر الذين كفروا، إنما كافة مكفوفة تفيد الحصر، أنذركم: الإنذار هو الإعلام مع التحذير والتخويف أي: أحذركم.

بالوحي: الباء للإلصاق، بالقرآن؛ أي: بما جاء به من وعد ووعد من عند الله تعالى وإنما أنا بشر يوحى إليّ وما عليّ إلا البلاغ المبين.

﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾: ولا ينفع هذا الإنذار أو القرآن الصّم: أي: الكفار الذين لا ينتفعون بما يسمعون أو لا يستجيبون للداعي المنذر فهم الصّم البكم العمي الذين لا يسمعون شيئاً ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: ١٠]، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِمْ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦].

﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾: إذا ظرفية زمانية، ما للتوكيد، أي: وإن طال الإنذار والتحذير وتكرر فهم لن يسمعوا.

وفي سورة النمل الآية (٨٠): ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ وفي سورة الأنبياء الآية (٤٥): ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾، فيمكن جمع الآيتين معاً بالقول أن الكفار:

أولاً: لا يريدون الجلوس مع الرسول أو مع من ينذرهم؛ لكي لا يسمعوا الإنذار.



ثانياً: وإذا جلسوا لا يسمعون، أي: لا يتتفعون بسماع إنذار أو وعيد فهم كالصم.

ثالثاً: عندما تدعوهم إلى الحق إلى الإيمان يولوا مدبرين خوفاً من أن يسمعوا ما يقرع أذانهم ويغيظهم.

[٤٦] ﴿وَلَيْنَ مَسْتَهْمُ نَفْحَةٍ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَنُودُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾:

﴿وَلَيْنَ﴾: الواو استئنافية، لئن: اللام للتوكيد، إن شرطية.

﴿مَسْتَهْمُ﴾: مستهم من المس وهو اللمس الخفيف أخف اللمس.

﴿نَفْحَةٍ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾: النَّفْحَةُ: هي هبوب الشيء القليل من الهواء، والنَّفْحَةُ تعني أدنى شيء من العذاب واسم مرة أي: مجرد أن تمسهم نفحة من العذاب ولمرة واحدة (هذا يدل على شدة العذاب). انظر إلى ما ذكر في هذه الآية من المبالغات الدالة على منتهى الصغر: أولاً: المس، ثانياً: نفحة، ثالثاً: مرة واحدة؛ لأن نفحة: مصدر مرة. ويجب عدم الخلط بين النفحة والنفخة واللفحة؛ أما النفخة: هي إخراج شيء قليل من الريح بالفم، وأما لفحة من عذاب ربك؛ أي: لفحة من النار إذا أصابت الوجه.

﴿لَيَقُولُنَّ﴾: اللام والنون كلاهما للتوكيد.

﴿يَنُودُنَا﴾: الياء للتنبيه، أي: يا هلاكنا، وويل كلمة توجع وحسرة لمن وقع في العذاب والويل يعني: العذاب والهلاك وقيل: واد في جهنم.

﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: فهم ينطقون بالحق ويعترفون ويقررون بأنهم كانوا ظالمين مشركين ومكذابين بالوحي.

[٤٧] ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾:

ثم يبين الله سبحانه كيف سيحاسبهم في الآخرة، وأنه لن يظلمهم شيئاً.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾: ننصب الموازين، القسط: أي: موازين العدل أو العادلة، الموازين جمع ميزان، وليست ميزاناً واحداً، قيل: موازين لوزن الأعمال، أو لوزن الحسنات والسيئات. ارجع إلى سورة القارعة آية (٦) للبيان.

﴿لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾: السلام لام التوقيت أو الاختصاص لأجل ذلك اليوم، وسُمِّيَ يوم القيامة؛ لأنَّ فيه النَّاسُ يقومون لرب العالمين (لِلْحِسَابِ)، يقومون من قبورهم.

﴿فَلَا تَظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾: الفاء للتوكيد، لا النَّافِيَّةُ، تظلم نفس شيئاً. الظلم: هو نقصان الحق والجور، والعدول عن الحق؛ أي: لا ينقص من حقها حسنة ولا تزداد عليها سيئة واحدة، نفس: نكرة تعني: أي نفس، شيئاً: نكرة، والشَّيْءُ هو أقل القليل، أي قول أو فعل أو صغيرة أو كبيرة أو حسنة أو سيئة، أي: لا تُظلم شيئاً من الظلم ولا تظلم شيئاً من الأشياء.

﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾: إن شرطية، كان: العمل الذي يراد وزنه مِثْقَالُ حبة من خردل، الخردل: نبات له حب صغير متناهي في الصغر واحده خردلة، وحبة الخردل هي تعادل جزء من (٨٠ جزء) من حبة الشعير وتعادل (٧/ ١٠,٠٠٠ من الغرام) وهي مثال لأصغر شيء يُرى بالعين مثال للوزن والحجم، أي: لا يظلم الله مثقال حبة من خردل من الظلم؛ أي: إن كان له حسنة تعادل حبة الخردل، أو سيئة أتينا بها.

﴿أَتَيْنَاهَا﴾: أي: جيء بها، ووضعناها في ميزانه وحاسبناه عليها وجازيناه بها.

﴿وَكَفَىٰ بِنَاحِسِينَ﴾: كفى تعني يكفيك أو حسبك، تحمل معنى التعجب، حاسبين جاءت بصيغة العظمة: وتعني وكفى بالله حسيباً والحسيب من الحسب وهو الاكتفاء أو المحاسب، أي: الذي يحفظ أعمال عباده من خير وشر ويحاسبهم عليها، ولا يحتاج إلى أحدٍ غيره لهذا الحساب فهو يكفي سبحانه.



[٤٨] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله سبحانه طرفاً أو جانباً مما يعانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من كفار مكة، وتكذيبهم واستهزاءهم، وأمره بإنذارهم بالوحي أي: بالقرآن، جاء بعدها ليزكركمنا ببعض الرسل الذين سبقوه، مثل موسى وهارون وإبراهيم ولوط وداود وسليمان وأيوب وزكريا وعيسى ابن مريم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾: الواو استثنائية، لقد: اللام للتوكيد، قد للتحقيق، آتيناً: من الإيتاء وهو العطاء الذي لا تملك فيه، ويمكن استرداده والإيتاء أعم من العطاء، ويشمل الأشياء الحسية والمعنوية.

﴿مُوسَى وَهَارُونَ﴾: رسالتهم واحدة.

﴿الْفُرْقَانَ﴾: أي: التوراة وسميت الفرقان؛ لأنها تفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام، والظلمات والنور.

﴿وَضِيَاءً﴾: أي: نوراً يهدي من الظلمات إلى النور أي: هدى أو مصدر للهداية.

﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾: موعظة أو ذكرٌ يُذكرُ به المتقون، للمتقين: اللام لام الاختصاص، أي: خاصة للمتقين الذين ينتفعون به.

[٤٩] ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾:

هذه الآية تنمة للآية السابقة أي: ذكراً للمتقين:

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾: الذين اسم موصول، يخشون ربهم: الخشية: هي الخوف الممزوج بالمهابة من الخالق وعظمته والعلم بصفاته وأسمائه، وفيها معنى الأمل.

﴿بِالْغَيْبِ﴾: الباء للإلصاق والاستمرار، الغيب: أي: وهم لا يرونه والغيب: أي: في خلواتهم وسرائرهم وانفرادهم عن الخلق وليس فقط أمام

النَّاسِ. ولمقارنة هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [الملك: ١٢]. ارجع إلى سورة الملك لمعرفة الفرق.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿مَنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾: من الإشفاق: هو العناية المشوبة بالخوف والحذر وعدم الاطمئنان من أن تقوم الساعة القيامة الصغرى أو القيامة الكبرى وهم مقصرون في حق ربهم من طاعة أو عبادة، أو أن لا تقبل أعمالهم الصالحة، مشفقون: جملة اسمية تدل على إشفاقهم دائم لا ينقطع ثابت، والساعة تعني ساعة تهدم النظام الكوني الحالي، فهناك فرق بين الخشية والإشفاق.

[٥٠] ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾:

﴿وَهَذَا﴾: الواو استئنافية، هذا: الهاء للتنبيه، وذا: اسم إشارة للقرب تشير إلى الذكر المبارك.

﴿ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾: أي: القرآن الكريم، مبارك: نعت للقرآن الكريم كما نعت التوراة بأنها ضياءٌ وذكرٌ للمتقين، نعت القرآن بأنه ذكر مبارك؛ أي: كثير البركة والخير، كثير الفوائد والمنافع الدنيوية والأخروية.

﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: أي: عليك يا محمد جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.

﴿أَفَأَنْتُمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتوبيخ والتعجب، لمن ينكر القرآن العظيم.

﴿لَهُ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر.

﴿مُنْكَرُونَ﴾: من الإنكار، والإنكار يكون للشيء الخفي غالباً، وأحياناً للشيء الظاهر، والإنكار أعم من الجحود. ارجع إلى الآية (٥١) من سورة الأعراف للبيان، وتقولون أنه أساطير الأولين أو إفك مفترى أو سحر أو شعر، ومنكرون جملة اسمية تدل على الثبات والاستمرار في الإنكار.



[٥١] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾: ارجع إلى الآية (٤٨) من نفس السورة لبيان معنى الإيتاء. وقوله تعالى: (آتينا) بدلاً من أوتي (بصيغة المجهول) تدل على منزلة إبراهيم وشرفه وذلك لأننا كنا به عالمين أنه من أهل الرشد.

والرشد: القدرة على التفكير للوصول للحق والصواب، آتينا إبراهيم رُشده: أي: هديناه للرشد أي: الحق والصواب والصلاح هداية إلى وحدانية خالقه وربّه وتجنّب عبادة الأصنام، ولمعرفة الفرق بين الرشد والرشد ارجع إلى الآية (٦) من سورة النساء للبيان.

﴿مِّن قَبْلُ﴾: أي: آتينا إبراهيم رشده من قبل موسى هارون أو قبل إنزال الوحي عليه والنبوة وقيل: منذ صغره.

﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾: وكنا: للتعظيم، به: تقديم الجار والمجرور يعني: عالمين بكل شيء قام به، عالمين به منذ طفولته، وبكل أحواله نشأته وتربيته وأفعاله وأقواله.

[٥٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف زمني بمعنى حين، أي: واذكر حين قال، أو اذكر إذ قال إبراهيم.

﴿قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾: اللام في أبيه تدل على التوكيد وتعني: إذ قال لأبيه خاصة ولقومه عامة، لأبيه أي: عمه آزر، والعم يمكن أن يقوم مقام الأب، ارجع إلى سورة البقرة آية (١٣٣)، وارجع إلى سورة الأنعام آية (٧٤) للبيان.

﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾: ما اسم استفهام إنكاري يحمل معنى الاستهزاء والتفريع، هذه: الهاء للتنبيه ذه اسم إشارة للقرب. (ما هذه): إذا قورنت بـ(ما) هي أشد في الاستفهام وأبلغ.

﴿الْتَّمَائِلُ﴾: أي: الأصنام أو الحجارة والصنم أو التمثال: اسم للشيء المصنوع المضاهي خلق الله كإنسان أو حيوان أو شجر. ارجع إلى سورة العنكبوت آية (١٧) للتفريق بين الصنم والوثن.

﴿الَّتِي أَنْتُمْ﴾: أنتم للتوكيد.

﴿عَاكِفُونَ﴾: جمع عاكف: اسم فاعل من الاعتكاف، والاعتكاف مأخوذ من عكف إلى الشيء أي: لزمه وداوم عليه، أي: ملازمون لها أو مقيمون على عبادتها، وعاكفون جملة اسمية تفيد الثبوت.

[٥٣] ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا هَاهَا عَابِدِينَ﴾:

قالوا لإبراهيم ردًا على سؤاله ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون: وجدنا آباءنا يعبدونها فعبدناها؛ أي: اقتدينا بهم، ارجع إلى الآية (١٠٦) من نفس السورة لبيان معنى العبادة.

[٥٤] ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾:

﴿قَالَ﴾: إبراهيم لهم.

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿كُنْتُمْ﴾: تفيد التوكيد.

﴿كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾: بعبادتها في ضلال مبين: في بُعد عن الحق واضح أو الضلال له معانٍ كثيرة منها الشرك والكفر والضياح والخطأ.

﴿مُبِينٍ﴾: بين لا يخفى على أحد، وظاهر بنفسه لا يحتاج إلى من يظهره أو يُبينه للناس أو يحتاج إلى دليل أو برهان.

[٥٥] ﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾:

﴿قَالُوا أَجِئْنَا﴾: الهمزة همزة استفهام حقيقي واستبعاد.



﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق والاستمرار والحق هو الأمر الثابت الذي لا يتغير ضد الباطل الزائل؛ أي: أجبثنا بالحق: أن نعبد الله ونترك ما يعبد آباؤنا.

﴿أَمْرٌ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾: أي: أجاد أنت فيما تقوله نحن في ضلال مبين وآباؤنا أم ما تقوله لعب وعبث. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٣٢) لمعرفة معنى اللعب واللهو والفرق بينهما.

[٥٦] ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾:

﴿قَالَ﴾: إبراهيم لهم.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي: أي: هذه الأصنام لا تستحق العبادة والذي يستحق العبادة هو ربكم الذي خلقكم وخلق السموات والأرض.

﴿رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾: فطرهن: من فطر الله الخلق؛ أي: أظهر الخلق، والفطر هو الشق أو إخراج الشيء على مثال غير سابق.

﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ﴾: ولم يقل: وأنا على ذلك، ذلكم للجمع (السموات والأرض وما فيهن) والتوكيد.

﴿مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾: أي: من الشاهدين جمع شاهد على أنه لا إله إلا الذي فطر السموات والأرض، والشاهد لا يشهد إلا بالحق، أي: بعد التحقق مما رأى ومعه الحجة والدليل على الشهادة.

[٥٧] ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدِيرِينَ﴾:

ويبدو أنهم لم يصدقوا ما قاله فأقسم إبراهيم عليه السلام وقال:

﴿وَتَاللَّهِ﴾: والتاء تاء القسم، وهي أقوى أدوات القسم وأقوى من الواو (والله) أو الباء (بالله) واللام. وتالله للإنشاء، والخبر لأکیدن أصنامكم.

﴿وَتَأْلَهُ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ﴾: السلام في لأكيدن للتوكيد والنون في (أكيدن) لزيادة التوكيد، والكيد: هو التدبير الخفي المحكم لإيقاع المكروه، بها (الأصنام) يعني هنا تحطيمها وكسرها.

﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ﴾: جملة وهل يمكن الكيد من الأصنام التي هي حجارة لا تنفع ولا تضر، ولا تسمع ولا ترى، الجواب الكيد منها يعني الكيد من الذين يعبدونها.

﴿بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ﴾: بعد ظرفية زمانية ومكانية، تولوا مدبرين: أي: تنصرفوا عنها ولو زمناً قليلاً، ولم يقل: تتولوا، تولوا: تعني ولو زمناً قصيراً وتولوا تعني زمناً طويلاً، أن: للتعليل، أقسم إبراهيم ذلك سرّاً في نفسه أو جهراً كما قيل سمعه أحدهم.

وما حدث بعد القسم جاء ذكره في سورة الصافات، فقد انتظر إبراهيم يوم عيد لهم وسألوه أن يخرج معهم فقال: إنه سقيم، أي: مريض، الصافات (٨٩-٩٣) ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (٨٩) ﴿فَنُتِلُوا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ (٩٠) ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (٩١) ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ (٩٢) ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾.





الْبُرْجُ النَّجْمُ

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ٢١

فَجَعَلَهُمْ جُذًا إِلَّا كَبِيرَ آلِهِمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
 ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِ هَيْثَنَا إِنَّهُ لِمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾
 قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ
 عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ
 هَذَا بِآلِ هَيْثَنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ
 هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى
 أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى
 رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
 أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا
 يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا
 تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِ الْهَيْثَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾
 وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ
 وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا
 لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

سورة الأنبياء [الآيات ٥٨-٧٢]

[٥٨] ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كِبْرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾:

﴿فَجَعَلَهُمْ﴾: الفاء تدل على الترتيب والمباشرة أي: أسرع بتحطيم هذه الأصنام، بعد خروجهم لعيدهم.

﴿جُودًا﴾: من الجُدُّ وهو القطع والكسر يقال: جذدت الشيء أي: كسرتة وقطعته، أي: جعل الأصنام قطعاً متناثرة وحطاماً بعد أن راغ عليهم ضرباً باليمين.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿كِبْرًا لَهُمْ﴾: إلا كبير الأصنام تركه ولم يحطّمه ويكسره.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعل للتعليل.

﴿إِلَيْهِ﴾: تقديمها على يرجعون، ولم يقل: لعلهم يرجعون إليه، تفيد الحصر والقصر إليه حصراً، وإليه إما أن تعود على الله سبحانه أو تعود على إبراهيم أو تعود على كبيرهم.

﴿يَرْجِعُونَ﴾: يرجعون، ولم يُرجعوا، أي: يرجعون بإرادتهم ورغبتهم وليس مكرهين، كما لو استعمل كلمة يُرجعون، فإن كانت تعود على الله سبحانه، فالآية تعني: إليه يرجعون، أي: يرجعون إلى الله ويتوبون ويؤمنون به، وإن كانت



تعود على إبراهيم، فالآية تعني: يرجعون إليه فيحتاجهم كما سيأتي، وإن كانت تعود على كبير الأصنام، فالآية تعني: يرجعون إليه فيسألونه من كسر الأصنام فيجدون أنه لا يتكلم، وربما يعودون إلى صوابهم ورشدتهم.

والاحتمالات الثلاثة كلها واردة؛ أي: تحمل الآية كل الاحتمالات معاً.

[٥٩] ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: بعد أن عادوا إلى معبدهم ووجدوا أصنامهم محطمة.

﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا﴾: من: استفهامية وإنكار، للعاقل وتشمل المفرد

والمثنى والجمع.

﴿فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا﴾: أي: من حطم آلهتنا.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿لَمِنَ﴾: اللام لزيادة التوكيد.

﴿الظَّالِمِينَ﴾: أي: المجرمين.

[٦٠] ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾:

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾: قال بعضهم: سمعنا فتى يذكرهم يقول: تالله

لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين، فتى: تعني شاباً.

﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾: اسمه إبراهيم أو ينادونه إبراهيم.



[٦١] ﴿قَالُوا فَاتُوبْ إِلَهُ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾:

﴿قَالُوا فَاتُوبْ إِلَهُ﴾: أي: أحضروه مباشرة حالاً، الفاء للمباشرة.

﴿عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾: على مرأى من الناس ليراه الكل. على: تفيد الاستعلاء،

وتستعمل للأفعال الشاقة مثل هذا المشهد.

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾: لعلهم للتعليل، يشهدون: ما ستوقع به من العذاب

أو يشهدون عقابه أو عذابه حتى يكون عبرة لمن بعده، أو يشهدون عليه أنه هو مرتكب الجرم بتكسير الآلهة.

[٦٢] ﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا لِهَيْبَتِنَا يَا ابْنَ إِبْرَاهِيمَ﴾:

﴿قَالُوا أَنْتَ﴾: الهمزة همزة استفهام، وقدموا أنت، أي: الفاعل على الفعل

لأنّ الفاعل مرتكب الجرم غير معروف، وهو الأهم والفعل واضح وهو تحطيم الآلهة وهم يبحثون عنه، ولو اهتموا بالفعل لقالوا: أفعلت هذا يا إبراهيم.

[٦٣] ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾:

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾: قال إبراهيم، بل للإضراب الانتقالي، فعله

كبيرهم هذا الذي تركه سالماً، ولم يحطمه ويجعله جذاذاً كباقي الأصنام حتى يُعزى إليه أنه هو الذي حطم بقية الآلهة، وفي ذلك توبيخ لهم واستهزاء.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب يشير إلى كبير الأصنام.

﴿فَسْأَلُوهُمْ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب.



﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾: إن شرطية، تحمل معنى الشك أو التدرء، وإبراهيم يعلم أنهم لن يسألوا هذا الصنم؛ لأنهم ليسوا أغبياء، ولكن جاء بهذا الأسلوب الحوارى ليبيّن لهم جهلهم وغباءتهم ويلزمهم الحجة لعلهم يرجعون.

[٦٤] ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾:

﴿فَرَجَعُوا﴾: الفاء للمباشرة.

﴿إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾: أي: تنبهوا وعادوا إلى عقولهم ونطقوا بالحق.

﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ﴾: الفاء للمباشرة، إنكم أنتم (أنتم تفيد التوكيد).

﴿الظَّالِمُونَ﴾: المشركون والظالمون لأنفسكم بعبادتكم الأصنام وليس غيركم، الظالمون: جملة اسمية تدل على الثبوت. وظالمون جمع ظالم، وكل من خرج عن دين الله هو ظالم لنفسه.

[٦٥] ﴿ثُمَّ نَكْسُوْا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لتباين الصفات بين معرفتهم الحق والعودة إلى الضلال والغي.

﴿نَكْسُوْا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾: عادوا إلى ضلالهم وغيهم بعد ما عرفوا الحق واعترفوا بأنهم الظالمين وشبه سبحانه رجوعهم عن الحق بعد أن تبين لهم إلى الباطل (عبادة الأصنام) بانقلاب الشخص حتى يصبح أعلاه أسفله وأسفله أعلاه، أو نكس المريض: عاد إلى مرضه.

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾: قالوا لإبراهيم: لقد علمت ما هؤلاء،

أي: كبيرهم أي: كبير الأصنام أو الأصنام التي أصبحت جذاذاً لا ينطقون.

[٦٦] ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾:

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري،

أتعبدون: الفاء للتوكيد، تعبدون من دون الله: من غير الله أو سواه.

﴿مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾: ما النافية، وتستعمل لغير العاقل أو العاقل

أحياناً، لا ينفعكم شيئاً: لا النافية، شيئاً: نكرة، لا ينفعكم أي شيء مهما كان إذا عبدتموه.

﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾: تكرار لا النافية للتوكيد، أي: ولا يضركم شيئاً، إذن لماذا

تعبدون هذه الأصنام؟

[٦٧] ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

﴿أَفِ لَكُمْ﴾: أي: قبلاً لكم أو تعساً لكم، وأف صوت يدل على التضجر.

وجاءت أف بالتنوين؛ أي: إني ضجرت منكم ضجراً عظيماً بلغ متنهاه.

﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: الواو استئنافية، ولما: اللام لام

الاختصاص، ما للعاقل وغير العاقل، ولمعنى العبادة: ارجع إلى الآية (١٠٦) من نفس السورة للبيان، من دون الله: من غير الله.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتوبيخ على عدم التعقل

والتعجب من ترك التفكير، ألا: أداة تنبيه وحض وتحمل معنى الأمر، على



الموازنة بين البدائل والتدبر للوصول إلى معرفة حقيقية، وهي أن الله هو الإله الحق وما يعبدون من دونه هو الباطل.

[٦٨] ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾:

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾: ولم يقولوا: احرقوه: حرقوه بالتضعيف الدال على المبالغة في الإحراق؛ أي: أحرقوه كاملاً يشمل الرأس والصدر والظهر والبطن والأطراف مما يدل على نار الحقد المتأججة في نفوسهم من إبراهيم بعد أن جعل أصنامهم جذاً ووصفهم بأنهم لا يعقلون. ارجع إلى الآية (٢٤) من سورة العنكبوت للبيان.

﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾: بالانتقام من هذا الذي حطم وكسر وفت آلهتكم، فهم نسبوا المعركة بين إبراهيم والآلهة (الأصنام) ولم ينسبوا المعركة أنها بينهم وبين إبراهيم عليه السلام.

﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾: إن شرطية تفيد الشك، كنتم فاعلين: أي: تريدون حقاً نصرتها، وجواب الشرط محذوف، دل عليه الكلام المتقدم أي: إن كنتم ناصرين لها فانصروها وحرقوه، وفي سورة العنكبوت الآية (٢٤) ﴿قَالُوا أَفَتُلْوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾، ففي هذه الآية ذكروا طريقتين للقضاء على إبراهيم عليه السلام بالقتل أو الإحراق بالنار، ثم أجمعوا على الإحراق.

[٦٩] ﴿قُلْنَا يَنْتَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾:

في الكلام اختصار وحذف في الكلام فهم قاموا بجمع الحطب، ثم بنوا



عليه بنيناً عالياً، ثم أوقدوا النار، ثم رموا إبراهيم في النار، كما ورد في سورة الصافات الآية (٩٧) وعندما عزموا على إلقائه في النار:

﴿قُلْنَا نَارُ﴾: خاطب الله النار مباشرة وناداه ربه: يا نارُ: كل منادئ مبني على الضم معرفة ولو نصب النار قد تكون معرفة أو نكرة؛ أي: خاطب الله سبحانه نار معينة، وهي نار التي أوقدت لإحراق إبراهيم ﷺ.

﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾: قيّد حرّها بسلام، ولو لم يقيّد حرّها بسلام لآذاه حرّها، وقيّد بردها بسلام، ولو لم يقيده، فربما البرد المطلق يؤذيه ويضره ويهلكه؛ أي: يا نار كوني ذات برد وسلام وقد يسأل سائل: كيف بردت النار وهي ما زالت مشتعلة ملتبهة؟ الجواب: هو أن الله نزع منها خاصية الإحراق وأبقى لها خاصية الإضاءة والاشتعال؛ لأنه سبحانه على كل شيء قدير.

[٧٠] ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾:

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾: بإبراهيم عليه السلام كيداً: أي: إحراقه بالنار أو قتله والكيد هو التدبير الخفي المحكم لإيقاع المكروه بالغير من دون علمه.

﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾: الفاء تدل على المباشرة، الأخسرين: جمع أخسر على وزن أفعل ليدل على المبالغة في الخسران، فإبراهيم عليه السلام نصره الله تعالى، فأنجاه الله من النار بعد أن ألقوه فيها، بينما قومه خسروا أنفسهم وأهليهم باستمرارهم على الشرك، ولهم عذاب مقيم.



وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٩٧-٩٨) من سورة الصافات، وهي قوله تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ۖ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾:

نجد في سورة الأنبياء الآية (٧٠) أرادوا، في سورة الصافات فأرادوا بزيادة الفاء التي تدل على السرعة في تنفيذ الكيد من دون فاصلة زمنية أي: مباشرة.

وفي سورة الأنبياء فجعلناهم الأخسرين تناسب قولهم: انصروا آلهتكم فنصر الله تعالى إبراهيم وأنجاه من النار وجعلهم هم وآلهتهم الأخسرين، وأما في سورة الصافات فجعلناهم الأسفلين تناسب قولهم: ابنوا لهم بنياناً فألقوه في الجحيم، أي: من أعلى إلى أسفل فبدلاً من أن يكون إبراهيم عليه السلام الأسفل جعلناهم الأسفلين كأنهم هم الذين سقطوا من بنيانهم في النار.

[٧١] ﴿وَجَعَلْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾:

﴿وَجَعَلْنَاهُ وَلُوطًا﴾: أي: إبراهيم عليه السلام ولوطاً، ونجيناه ولم يقل: وأنجيناه: نجيناه تعني: زمن النجاة كان طويلاً، بينما لو قال: أنجيناه فذلك يعني زمن النجاة استغرق زمناً قصيراً ونجيناه من ديار الكفر أرض بابل بالعراق بالهجرة مع زوجته وابن أخيه لوط إلى أرض الشام وفلسطين.

﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾: أرض فلسطين والشام وما حولها، باركنا فيها: من البركة وتعني الزيادة والنمو، والبركة بركة مادية تعني: بلاد الخيرات والثمار والزروع، أو بركة معنوية وتعني: أرض النبوة والرسالات ومهبط الأنبياء.



[٧٢] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾: أي: لإبراهيم إسحاق الهبة عطاء من دون مقابل، ارجع إلى سورة آل عمران آية (٨) للبيان.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾: لأن امرأة إبراهيم عليه السلام سارة كانت عجوز عقيم غير صالحة للإنجاب، فكان إسحاق عليه السلام هبة من الله سبحانه له، فقد دعا إبراهيم ربه قائلاً ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصفافات: ١٠٠] قدّم له الجار والمجرور للحصر أي: له خاصة.

﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾: نافلة: أي: زيادة، أي: وهب له إسحاق ويعقوب زيادة ويعقوب هو ولد إسحاق أي: الحفيد أي: ولد الولد ونافلة؛ لأن إبراهيم لم يسأل ربه عن ولد الولد فكان زيادة؛ أي: نافلة.

﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾: الواو واو الجمع وتعني: هؤلاء وغيرهم؛ أي: كلّ واحد من هؤلاء إبراهيم وإسحاق ويعقوب صالحين وهناك غيرهم من الصالحين بكسر الحاء، وتعني: جمع صالح، ولم يقل: صالحين بفتح الحاء أي: (فقط إسحاق ويعقوب)؛ أي: من الصالحين.

ولمعرفة معنى الصالحين ارجع إلى الآية (١٣٠) من سورة البقرة للبيان.





سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ٢١

الجزء السابع عشر

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ
الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا
عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ طَآءَ أَيْدِيَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ
الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ
فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ
﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ
وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ
نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾
فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا
مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ
فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ
إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾

سورة الأنبياء [الآيات ٧٣-٨١]

[٧٣] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً﴾: أي: جعلنا إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب، أئمة: جمع إمام والإمام قدوة يُقتدى بهم في الخير والصلاح، وذلك استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام حين قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: ١٢٤]. وفي الآية السابقة (٧٢) (وكلاً جعلنا صالحين) وكرر في هذه الآية وجعلناهم للتوكيد والأهمية والشرف لهذا الجعل جعلهم أئمة بالإضافة إلى كونهم صالحين.

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾: يرشدون الناس بأمرنا بما أنزلنا عليهم من الوحي والأمر والنهي ملتزمين بما أمرناهم به ولا يخالفونا.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ﴾: الوحي في اللغة الإعلام بالخفاء أي: سراً (الكلام الخفي) وفي الشرع: هو ما يُلقى الله تعالى إلى أنبيائه ورسله من آيات وتعاليم دينية ومواعظ بواسطة الوحي جبريل أو الكلام من وراء حجاب. ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣) لمعرفة معنى أوحيانا.

﴿فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾: الخير وهو الشيء الحسن النافع الحلال الطيب.

﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾: هذا يسمّى عطف الخاص على العام؛ لأنّ فعل الخيرات يتضمن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، واختار الله تعالى ذكر هاتين العبادتين؛ لأنهما أهم العبادات وإقام الصلاة يعني: بشروطها وأركانها



وأوقاتها وخشوعها والدوام عليها، وقال تعالى: وإقام الصلاة بالتذكير ولم يقل: وإقامة الصلاة؛ لأن التذكير أقوى من التأنيث وإيتاء الزكاة بشروطها وأوقاتها والمداومة عليها.

﴿وَكَاْنُوا لَنَا عٰبِدِيْنَ﴾: جمع عابد، عابدين من العبادة، ارجع إلى الآية (١٠٦) من نفس السورة للبيان، وعابدين جملة اسمية تدل على الثبوت.

[٧٤] ﴿وَلَوْطًا ءَايٰتْنٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَجَيْتْنٰهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشٰى اِنَّهُمْ كَاْنُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَسَقِيْنَ﴾:

﴿وَلَوْطًا﴾: هو ابن هاران بن تارخ عمه إبراهيم عليه السلام، ذكر في القرآن (٢٧) مرة في (١٤) سورة.

﴿وَلَوْطًا ءَايٰتْنٰهُ﴾: قيل: هي معطوفة على ﴿وَلَقَدْ ءَايٰنَا اِبْرٰهِيْمَ رُشْدَهُ﴾: وأيضا آتينا لوطاً حكماً وعلماً.

﴿حُكْمًا﴾: تشمل النبوة والحكم: القضاء والفتوى في الأمور الدنيوية والدينية.

﴿وَعِلْمًا﴾: العلم: الفهم بالدين، أي: معرفة أمور الدين الأحكام والشرائع. ﴿وَبَجَيْتْنٰهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشٰى﴾: نجيناها ولم يقل: أنجيناها ليدل على أن عملية النجاة استغرقت زمناً طويلاً ولم تكن صعبة.

﴿مِنَ الْقَرْيَةِ﴾: هي قرية سدوم والقرى المحيطة بها المسماة الموثفات، والقرية تعني: أهل القرية، التي كانت تعمل الخبائث:

أي: أهلها الذين كانوا يعملون الخبائث التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿اَيۡنٰكُمْ لَتَاۡتُوۡنَ الرِّجَالَ وَتَقۡطَعُوۡنَ السَّبِيۡلَ وَتَاۡتُوۡنَ فِيۡ نَادِيۡكُمْ الْمُنۡكَرَ﴾

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾: إنهم للتوكيد، كانوا قوم سوء: أصحاب أعمال سيئة ومعاصي، وقيل: السَّوء كلُّ معصية يقام عليها الحد في الدنيا، والسَّوء القبيح وهو ما يسوء إظهاره وله عاقبة سيئة، والسَّوء: اسم مصدر والمصدر لا يجمع.

﴿فَاسِقِينَ﴾: خارجين عن طاعة الله تعالى، جمع فاسق، وفاسقين تدل على صفة الفسق ثابتة عندهم. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٦) لمزيد من البيان.

[٧٥] ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾:

﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾: الرَّحمة تعني النبوة، وتعني الجنة، وتعني العيش في رحمة الله، أي: الإسلام والإيمان والنَّعمة والسَّعة في العيش والعصمة، وإضافة الرَّحمة له سبحانه تعني: رحمة خاصة بالمؤمن، وهناك رحمة عامة للمؤمن والكافر.

﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: إنه للتوكيد، الصَّالِحين: جمع صالح والصَّالح من قام بحق الله تعالى وحق العباد، والمؤهل لحمل الخلافة الإيمانية، ويمتاز بصلاح في العقيدة والأخلاق والسلوك والتربية ويقاوم الفساد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[٧٦] ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَجَعَلْنَاهُ وَاهِلَةً، مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ﴾:

﴿وَنُوحًا﴾: الواو عاطفة على إبراهيم، ولقد آتينا إبراهيم ونوحاً إذ نادى.

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني بمعنى حين.

﴿نَادَىٰ﴾: إذ دعا على قومه بالهلاك فقال: ﴿رَبِّ لَأَنْذَرَنَّ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ

دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: إبراهيم ولوط.



﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾: الفاء تدل على المباشرة والتعقيب، أي: استجبنا له مباشرة، له: لدعائه وندائه، لمعرفة معنى استجبنا له: ارجع إلى الآية (٨٤) من نفس السورة.

﴿فَجَنَيْنَاهُ﴾: الفاء تدل على المباشرة ونجاته استغرقت زمناً طويلاً لصنع السفينة وإعدادها.

﴿وَأَهْلَهُ﴾: أولاده وزوجته.

﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾: الكرب: هو المكروه الذي لا تستطيع دفعه غالباً عن نفسك ولا يستطيع أحد آخر دفعه إلا الله.

والكرب يعني: الغرق بالطوفان ويشمل الغم الشديد الذي استمر طويلاً.

ما هو الفرق بين استجبنا له وأجبناه: الاستجابة تعني دائماً: القبول لما دعا إليه الداعي، أي: فيها وعد من الله سبحانه للداعين بالاستجابة لهم.

أما الإجابة فقد تكون بالإيجاب (القبول) أو الرفض.

[٧٧] ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿وَنَصَرْنَاهُ﴾: أي: نوح من القوم الذين كذبوا بآياتنا، ونصرناه من القوم ولم يقل: على القوم، نصرناه من القوم تعني: نصراً كان من عند الله سبحانه من دون قتال أو معركة أو حرب، ولو قال: ونصرناه على القوم لكان ذلك يعني أنه كانت هناك معركة وقاتل بينه وبين قومه؛ لأن كلمة على تعني العلو والغلبة. وقال نصرناه، ولم يقل نجيناه؛ لأن نجيناه تعني: النجاة فقط له، وأما نصرناه: تدل على نجاته من عقاب خصمه؛ أي: نجيناه وأغرقنا خصمه.

﴿مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾: بآياتنا: الباء للإلصاق، آياتنا: أي: كذبوا

بآيات ربهم الدالة على التوحيد والإلهية، وبآياتنا الكونية التي ذكرها الله سبحانه في سورة نوح (١٥-١٧): ﴿الْمُرُوءَ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيْهِ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۝١٦ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧﴾. **﴿وَأَنَّهُمْ﴾: للتوكيد.**

﴿كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾: ارجع إلى الآية (٧٤) للبيان.
﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب بالطوفان أجمعين كبيرهم وصغيرهم من ذكر وأنثى إلا من آمن معه، وما آمن معه إلا قليل.
 [٧٨] **﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيْهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾:**
﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾: يعني: واذكر نوحاً إذ نادى من قبل واذكر داود وسليمان.

﴿إِذْ يَحْكُمَانِ﴾: إذ: ظرف زمان للماضي، يحكمان في الحرث: الحكم هو القضاء كل منهما حكم حكماً باجتهاد منه لا بوحى، وكل من داود وسليمان حكم بحكم مخالف للآخر، وتبين أن حكم سليمان الابن كان أصوب من حكم الأب داود.

﴿فِي الْحَرْثِ﴾: في الزرع، والزرع يسمى حرثاً؛ لأن الحرث يسبق الزرع ومن دون حرث لا يحدث زرعاً والحرث هو قلب التربة وتهويتها حتى تصبح صالحة لعملية البذر ووصول الماء إلى البذرة.

﴿إِذْ نَفَسَتْ﴾: إذ ظرف للزمان الماضي تدل على المفاجأة.
﴿نَفَسَتْ فِيْهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾: انتشرت وتفرقت فيه غنم القوم.
 والنفس: قيل: الرعي ليلاً، ورعت من دون راع، ويبدو أن الغنم خرجت



من حظيرتها ليلاً من دون علم صاحبها، وبقيت ترعى حتى الصباح في الزرع، فلم تبق منه شيئاً يصلح للحصاد؛ مما أدّى إلى فسادها، فاختم صاحب الحرث (الزرع) وصاحب الغنم إلى داود عليه السلام، كما ذكر أهل التفسير.

فحكم داود لصاحب الحرث أن يأخذ الغنم ويصبح مُلكاً له بدلاً من زرعه الذي أتلّفه الغنم، وسأل سليمان الخصمين بماذا حكم داود فأخبروه بذلك، فقال: انصرفا معي فأتى داود فقال: يا نبي الله إنك حكمت بكذا وكذا، وإني رأيت ما هو أرفق بالجميع فقال: ما هو؟ فقال: نعطي الغنم إلى صاحب الحرث (الزرع) كي يستفيد من لبنها وأصوافها وأولادها إذا ولدت في ذلك الزمن، ونعطي الأرض لصاحب الغنم كي يصلحها ويزرعها حتى تعود كما كانت، عندها يأخذ صاحب الغنم غنمه وصاحب الزرع زرعه. هذا ما ذكره القرطبي في تفسيره

﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾: أي: حاضرين أو مراقبين.

[٧٩] ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنٌ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾:

﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنٌ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، فهمناها: الهاء تعود على الخصومة أو الدعوى، فهمناها سليمان: خصّ الفهم بسليمان والفهم هو تصور المعنى، أي: الإدراك الخفي للمسألة أو العلم بمعاني الكلام أو فطنة + علم، والعلم هو الإدراك سواء كان خفياً أو جلياً، أي: كلّ فاهم لا يعني أنّه عالم وكلّ عالم هو فاهم.

﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: وكلاً أي: داود وسليمان آتيناه حكمةً وعلماً، حكماً: القدرة على حل الخصومات والقضاء في الدعوى، وحكماً من الحكمة: الفهم وتدبر الأمور، وعلماً: علماً بأمور الدين والفتوى والقضاء.

فكلاهما آتيناه حكمةً وعلماً، فلا يظن أحد أن داود أقلّ علماً أو حكماً من

ابنه سليمان، وما توصل إليه سليمان لا يقدر في ما توصل إليه داود، فالإنسان يمكن أن يخطئ في الاجتهاد، فمن اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد.

فقد روى البخاري في صحيحه عن عمر بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر) وعلى الحاكم أو القاضي التريث والنظر في الدعوى أو القضية من جميع جوانبها، وأن لكل حاكم أو قاض حكماً مبنياً على علمه وما توافر له من أدلة.

ولكل من المدعى والمدعى عليه حق، أو مشروعية الاستئناف، والنقض في الحكم.

ثم بين الله سبحانه طرفاً مما آتاهما الله تعالى إضافة إلى الحكم والعلم فقال:

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾: وسخرنا من التسخير وهو قهر المسخر، أو تذليله على فعل شيء، أو أمر لا يستطيع رفضه، وسخرنا: بصيغة الجمع للتعظيم. الجبال: يسبحن: وكما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

﴿وَالطَّيْرَ﴾: يسبحن وكل الحيوانات تسبح بحمد ربها.

وفي سورة ص الآية (١٨) ذكر لنا من التسخير فقال تعالى: ﴿يُسَبِّحْنَ بِالْعُشَىٰ وَالْأَشْرَاقِ﴾، وقدم الجبال على الطير؛ لأن تسخير الجبال وتسبيحها من عجائب القدرة الإلهية التي قلما يفكر بها العقل البشري المنحرف عن تسبيح الله تعالى في معظم الأوقات، فهذه الجبال الرواسي، أو الكائنات التي يظنها الإنسان أنها جمادات هي تفوق الكثير من البشر في عبادتها، وقد تكون أشرف من هؤلاء



الذين جحدوا بخالقهم وأنكروا تسبيحه، وتقديمها على الطير؛ لأن الطير من جنس الحيوان.

﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾: أي: قادرين على فعل هذا وغير هذا فلا يعجزنا شيء، وفيها معنى التوكيد للتسخير.

[٨٠] ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾:

﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾: أي: داود التعليم بطريق الوحي.

﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾: صناعة الدروع، صنعة: هي الحرفة، لبوس: مشتقة من اللباس الذي يغطي الجسم.

وكلمة لبوس على وزن فعول صيغة مبالغة من كلمة لباس، لبوس من لباس الحرب؛ أي: الدروع التي تلبس في الحرب، لكم: اللام: لام الاختصاص لكم خاصة.

﴿لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾: أي: تحميكم من ضرب السيوف، أو طعن الرماح، واللام للتعليل، من بأسكم: البأس: الحرب؛ أي: تحميكم في حربكم مع عدوكم.

وقد بين لنا في سورة سبأ الآية (١٠-١١) كيف تتم صنعة لبوس، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ ۝١٠ أَنِ اعْمَلْ سَبِغَتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾؛ أي: جعلنا له الحديد ليناً، أن اعمل سابغات؛ أي: دروعاً سابغات؛ أي: دروعاً تغطي صاحبها كاملة، وقدر في السرد، السرد النسج؛ أي: لا تجعل الحلق واسعة، فلا تقي صاحبها فكان داود أول من صنع الدروع والحلق.

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾: هل استفهام بمعنى الأمر؛ أي: اشكروا الله المنعم

الذي سخر لكم الحديد، وغيره من المعادن، وصناعة ما يحفظكم ويقيكم من عدوكم.

[٨١] ﴿وَلَسَلِمْنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾:

﴿وَلَسَلِمْنَ﴾: الواو: عاطفة؛ أي: وسخرنا لسليمان: اللام لام الاختصاص. ﴿الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾: الرِّيح الشديدة الهبوب يقال: عصفت الرِّيح؛ أي: اشتدت، وعاصفة: مشتقة من العصف، وهو التبن، والفتات؛ أي: تحطم ما تمر عليه فتجعله كالعصف، وفي آية أخرى (٣٦) من سورة (ص)، وصفها بأنها ريح ناعمة فقال: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرٍ رُخَاءَ حَيْثُ أَصَابَ﴾، إذن هذه الرِّيح يمكن أن تكون ريح لينة، أو تتحول إلى عاصفة إذا احتاج لذلك، فالله سبحانه جمع لهذه الرِّيح صفتين صفة العصف، وصفة الرِّخاء في آن واحد.

﴿تَجْرِي بِأَمْرٍ﴾: أي: بأمر سليمان ﷺ، يمنة أو يسرة بشدة أو لين وتحمله في أسفاره.

﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾: أرض الشام وفلسطين باركنا فيها، ارجع إلى الآية (٧١) من نفس السورة.

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾: بسرعة الرِّيح ﴿غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢]. عالمين بما يحدث في ملك داود وسليمان.



الجزء الثاني

سورة الأنبياء ٢١

وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ، وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا
دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ
نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ
وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾
وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾
وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ
مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ
لَهُ، زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

سورة الأنبياء [الآيات ٨٢ - ٩٠]

[٨٢] ﴿وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغْوُصُّ لَهُ، وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾:

﴿وَمِنَ الشَّيْطَانِ﴾: وسخرنا لسليمان الريح عاصفة ومن الشياطين، ومن الواو عاطفة، من بعضية، بعض الشياطين.

﴿مَنْ يَغْوُصُّ لَهُ﴾: في البحار والغوص هو النزول لقعر البحار لاستخراج اللؤلؤ والمرجان، له: أي: خاصة له لسليمان، اللام لام الاختصاص، وليس لغيره.

﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ عملاً آخر (غير الغوص)، وذكر هذا العمل في سورة سبأ الآية (١٣)، وهو البناء فقال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَحِفَافٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾، وفي سورة ص الآية (٣٧-٣٨): ﴿وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ۚ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾.

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾: حافظين لهم من الزيف عن أمر سليمان؛ أي: الإفساد في الأرض ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرٍ نَأْذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢].

[٨٣] ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ أي: واذكر أيوب إذ نادى، أو حين نادى ربه، نادى ربه: دعا ربه، النداء هنا بمعنى الدعاء، النداء من أدنى إلى أعلى يسمّى دعاءً.

﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾: أي: للتوكيد، مسني: من المس والمس هو أخف



درجات اللمس، والضُّرُّ: هو ما يصيب الإنسان بجسمه، أو ماله، أو ولده حيث فقد ماله أو ولده أو أصيب بمرض في جسده، وفي الآية (٤١) من سورة ص ﴿إِذْ نَادَى رَبُّهُ أَتَى مَسْنَى الشَّيْطَانِ يُصِيبُ وَعَذَابٌ﴾، نسب ما أصابه إلى الشيطان تأدباً مع الله تعالى. وهناك فرق بين الضُّر بضم الضاد، والضُّر بفتح الضاد، الضُّر: مصدر يقابل النفع.

﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾: وأنت يا رب أرحم الراحمين، جميعاً؛ أي: أرحم الراحمين من خلقك فمن فضل الله على خلقه وصفهم بصفة من صفاته وهي الرحمة.

[٨٤] ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ، وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ، وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾:

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾: الفاء: للمباشرة والتوكيد. استجبنا له: أجبنا له دعاءه أو نداءه، استجبنا له: من الاستجابة وتعني: قبلنا دعاء أيوب، ولم يقل فأجبنا له الإجابة فقد تعني بالمخالفة أو يجيب بالقبول.

﴿فَكَشَفْنَا﴾: أي: أزلنا ورفعنا عنه ضره بالشفاء من مرضه.

﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ، وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾: أعطيناه مثل أهله عدداً، وقيل: وزيادة (مثل آخر) بأن ولد له ضعف ما كان عنده من الأولاد والإيتاء غير العطاء ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة؛ للبيان.

رحمة من عندنا: أخص من رحمة منا، رحمة من عندنا تخص المؤمنين أو المقربين، وأما رحمة منا فهي رحمة عامة للمؤمن والكافر.

﴿وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾: وتذكرة لغيره من العابدين باللجوء إلى الله حين المحن وعظة لهم بأن يصبروا على ما أصابهم، للعبدين: اللام لام الاختصاص،

والعابدين: جمع عابد والعبادة ارجع إلى الآية (١٠٦) للبيان، والفرق بين ذكرى وذكر: ذكرى تأتي في سياق الهداية (بصيغة التأنيث) وذكر للعالمين يأتي أو يستعمل سياق الدعوة والتبليغ (بصيغة التذكير)، وذكر أقوى وأبلغ من ذكرى.

[٨٥] ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾:

واذكر إسماعيل وإدريس وذا الكفل:

﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾: صبرَ وهل هناك أعظم صبراً من إسماعيل الذي صبر حين أخبره أبوه إبراهيم أنه رأى في المنام أن يذبحه، فقال: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، وصبر على الإقامة في بلد لا زرع فيه ولا ضرع ولا بشر (مكة).

﴿وَإِدْرِيسَ﴾: أول من خط بالقلم، وتعلم خياطة الملابس، واستخدم النجوم لمعرفة الاتجاهات.

﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾: قيل: كان يصلي لله كثيراً، وقيل: هو ابن أيوب، وقيل: سُمِّي بذلك الاسم؛ لأنَّ الله تكفل له سعيه وعمله بضعف أجر الأنبياء الذين كانوا في زمانه.

﴿كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾: صابرين على طاعة الله وصابرين في دعوتهم على الاضطهاد والإيذاء، ولما أصابهم في سبيل الله تعالى.

[٨٦] ﴿وَادْخُلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (٧٥) من نفس السورة لبيان معنى في رحمتنا، وإلى الآية (٧٥) من لبيان معنى الصالحين.



[٨٧] ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَذَا النُّونِ﴾: أي: صاحب الحوت سيدنا يونس ؑ من قرية نينوى بالعراق، والنون الحوت: السمك الكبير مثل الحيتان الزرقاء ذات الوزن العظيم، وليس لها أسنان حادة، وتنفس الأوكسجين، واستعمال (ذو النون) أو (ذا النون) أشرف من لفظ صاحب الحوت، وأبلغ في الثناء والمعنى.

والسؤال: لماذا ذو أفضل من صاحب؛ لأن (ذو) تضاف للتابع وصاحب تضاف للمتبوع والتابع أشرف أو أفضل من المتبوع.

﴿إِذْ﴾: إذ ظرف للزمن الماضي.

﴿ذَهَبَ مُغْضِبًا﴾: ذهب تاركاً قومه بعد أن أغضبوه، وهناك فرق بين غاضب: وهو الذي يغضب دون أن يغضبه أحد يغضب بنفسه، ومغاضب: هو الذي يغضبه أو يسبب غضبه إنسان آخر (يثير غضبه).

فقوم يونس أغضبوه؛ لأنهم كذبوه ولم يؤمنوا، فغضب على عدم إيمانهم ولما اشتد به الغضب ترك قومه من دون أمرٍ أو إذنٍ من الله، ذهب مغاضباً: أي: خرج من عند قومه، مغاضباً: اسم فاعل للمبالغة، ولو قال: غاضباً، أي: لم يسبب غضبه أحدٌ إلا نفسه.

﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾: أن للتوكيد، لن نقدر عليه: ظن: رجح أن الله سبحانه لن يضيق عليه في الأرض بعد أن ترك قومه من دون أمرٍ إلهيٍّ حين علم أن العذاب سيحل على قومه، خرج من عندهم، ولم يعلم أنهم تابوا إلى الله سبحانه بعد خروجه وقبل الله توبتهم ورفع عنهم العذاب، لن: نافية للمستقبل القريب أو البعيد. ولمعرفة ما حدث له بعد تركه لقومه ارجع إلى سورة الصافات الآيات

(١٣٩-١٤٨): ﴿وَإِنْ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ
فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَأَلْقَمَهُ الْخَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾
لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأُنْبِتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ
يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾.

﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾: وهو في فم الحوت في الظلمات: جمع ظلمة:
ظلمات البحر فقد اكتشف العلماء أكثر من عشر ظلمات للبحر. ارجع إلى سورة
النور آية (٤٠) للبيان، وظلمة الليل، وظلمة فم الحوت.

﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: أن: للتوكيد. بدأ
بالتوحيد لا إله إلا أنت، ثم بالتّزويه سبحانه، ثم بالاستغفار والاعتراف بالذنب،
إني كنت من الظالمين.

روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «لا تفضلوني على يونس
ابن متى، فإني لم أكن وأنا في سدره المتهى بأقرب إلى الله منه وهو في قعر
البحر» في فم الحوت ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴿[الصافات: ١٤٣-١٤٤]﴾.

فلولا: حرف امتناع؛ أي: لكونه كان من المسبحين لم يلبث في بطنه (أي:
الحوت) وخرج، وإلا لمات يونس ونزل إلى بطن الحوت، وبعد أن يموت
الحوت أيضاً يصبح بطن الحوت قبراً له ويبقى في قبره إلى يوم يبعثون. ارجع
إلى سورة الصافات، وسورة القلم لمزيد من البيان.

إني كنت من الظالمين: حين تركت قومي مغاضباً دون إذن منك.



[٨٨] ﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ﴾: الفاء: للتعقيب والسرعة، استجبنا لدعائه وقبلنا توبته واستغفاره، ارجع إلى الآية (٨٤) السابقة لمعرفة معنى استجبنا له.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾: أخرجناه من فم الحوت ومن الظلمات وأعظم غم هو مخالفة أمر الله والشعور بأن الله غير راضٍ عن العبد.

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: مثل ما أنجينا يونس ؑ ننجي أي مؤمن يدعونا، يدل ذلك على أنه ما من مؤمن يصيبه أي كرب أو غم فيدعو الله بإخلاص إلا استجاب له ربه، ونجّاه من كربيه وغمه.

[٨٩] ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ، رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾:

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾: واذكر زكريا إذ نادى ربه (دعا ربه).

﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾: أي: لا تتركني وحيداً بلا ولد يرثني، وذكر ذلك في سورة مريم الآية (٥-٦) ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ أَثَرِ عَقُوبٍ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ ارجع إلى سورة مريم الآية (٢-١٠).

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾: أي: الباقيين بعد فناء خلقك فالمُلك مُلكك وأنت مالك المُلك في الدنيا والآخرة.

[٩٠] ﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ، زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَعِبًا ۖ وَهَبَّا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾:

﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ﴾: ارجع إلى الآية (٨٤) السابقة.

﴿وَوَهَبْنَا﴾: ووهبنا من الهبة، ارجع إلى سورة آل عمران الآية (٨).

﴿لَهُ يُحْيِي﴾: له خاصة، السلام لام الاختصاص، يحيى: ارجع إلى الآية (٣٩) من سورة آل عمران.

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾: أي: جعلناها صالحة للولادة بعد مرضها بالعقر؛ أي: أعدنا لها القدرة على التخصيب والحمل.

﴿إِنَّهُمْ﴾: للتوكيد، وتعود على المذكورين من الأنبياء عليهم السلام بما فيهم زكريا.

﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: يسارعون في فعل الخيرات: الخير هو كل حلال طيب، حسن نافع من قول أو فعل، يسارعون في، ولم يقل: يسارعون إلى الخيرات.

أي: إنهم كانوا سابقاً في فعل الخيرات ولا زالوا يسارعون في فعل الخيرات، أما يسارعون إلى الخيرات فتعني لم يكونوا يفعلون الخيرات، والآن بدؤوا بذلك، يسارعون ولم يقل: يسرعون، يسارعون تعني: يسرعون بشدة لا يدخرون جهداً يسارعون بأقصى طاقاتهم ويسارع بعضهم بعضاً.

﴿وَيَدْعُونَكَ رَغَبًا وَرَهَبًا﴾: يدعوننا: من الدعاء والعبادة، رغباً: حباً وطمعاً في رحمتنا، ورهباً: خوفاً من عذابنا أو خشية منا.

﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾: من الخشوع، والخشوع يكون في الجوارح، الصّوت والبصر والقلب، ويعني: الإخبات، أمّا الخضوع: فهو اللين والانقياد ويكون في الجسم، أي: لنا خاشعين في صلاتهم ودعائهم وقلوبهم وأبصارهم وسمعهم.



الْبُرْجُ السَّابِعُ عَشَرَ

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ٢١

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ
أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَجْعُونَ ﴿٩٣﴾
فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ
لِسَعِيدٍ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَى قَرِيَّةٍ
أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ
يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ
كَفَرُوا يُنَادُونَكَ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا
ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ
هَتُولاَءِ إِلَهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

سورة الأنبياء [الآيات ٩١-١٠١]

[٩١] ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾:

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: واذكر مريم بنت عمران في عداد عبادنا الصالحين، أحصنت فرجها: الإحصان له أربعة معانٍ: الزواج، والإسلام، والعفة، والحرية، أحصنت فرجها: أي: عفت وصانت فرجها عن الحرام وعن الحلال أيضاً.

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾: الفاء للترتيب الذكري أو التوكيد، نفخنا: تعني: بأمر من الله إلى جبريل، وجاء بضمير الجمع للتعظيم ليدل على عظم الأمر، وقد تحمل معنى اشتراك جبريل في عملية النفخ التي كانت بأمر من الله سبحانه، كما قال تعالى ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (١٧) قَالَتْ إنيَ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿ [مريم ١٧-١٩].

ولنقارن هذه الآية فنفخنا فيها من روحنا مع الآية (١٢) من سورة التحريم ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾.

فيها تعود إلى مريم، وفيه تعود إلى عيسى عليه السلام الذي في رحمها، نفخنا فيها أولاً لتحمل (لكي يبدأ الحمل بعيسى)، ثم نفخنا فيه (في عيسى) الروح، وذلك كما بينت الأحاديث بعد (٤٢) ليلة، أو في حديث آخر بعد (١٢٠)



يوماً، نفخنا فيها عن طريق جيبها (درعها أو ثوبها). أما فيه: تعود إلى عيسى نفخنا فيه الروح بصورة مباشرة أو فيه تعود إلى حبيب درعها، والله أعلم.

﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾: آية: معجزة أو بينة أو دلالة على قدرة الله سبحانه أن يولد عيسى ﷺ من دون أب وأن يتكلم في المهد أو أن تلد مريم من دون أن يمسه بشر، للعالمين: اللام لام الاختصاص، العالمين: الجن والإنس والملائكة يتحدثون بها.

وفي سورة مريم الآية (٢١) قال تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ جعل هو التصوير آية للناس؛ أي: أبرزه آية للناس؛ أي: هو وحده آية للناس ومريم وابنها آية للعالمين.

ولنقارن الآية (٩١) من الأنبياء ﴿فَنفَخْنَا فِيهَا﴾، أو: الآية (١٢) من سورة التحريم ﴿فَنفَخْنَا فِيهِ﴾، مع الآية (٢٩) من سورة الحجر ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ يعني: آدم ﷺ، النفخ في آدم من الله تعالى وحده فهو أعجب من النفخ في عيسى ﷺ: النفخ في عيسى كان عن طريق جبريل ﷺ.

في هذه الآية (٩١) من سورة الأنبياء قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ وفي الآية (٥٠) من سورة المؤمنون قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾، في سورة الأنبياء قَدَّمَ أمّه (مريم) على عيسى؛ لأن الآيات جاءت في سياق الحديث عن مريم فقَدَّمَ أمّه وإن ابنها أفضل منها قربي إلى الله، وفي سورة المؤمنون آية (٥٠) قَدَّمَ عيسى على أمّه؛ لأن السياق في الحديث عن الرسل، فقَدَّمَ عيسى على أمّه.

[٩٢] ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾:

﴿إِنَّ هَذِهِ﴾: إن للتوكيد، هذه: الهاء للتنبيه اسم إشارة.

﴿أُمّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾: الأمة هنا في هذه الآية تعني الشريعة والملة، أي: هذه شريعتكم أو ملتكم ملة واحدة، أو دين واحد وهو دين الإسلام أو ملة إبراهيم حنيفاً، واحدة: تفيد التوكيد.

﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾: خالقكم ومربيكم ورازقكم، وأنا بصيغة المفرد للدلالة على التوحيد.

﴿فَاعْبُدُونِ﴾: الفاء فاء السببية، اعبدون: الخطاب موجّه إلى سائر الخلق بما فيهم الأنبياء والرسل، ولو كان الخطاب موجّه إلى الأنبياء والرسل لقال تعالى: فاتقون، كما قال تعالى في الآية (٥١-٥٢) من سورة المؤمنون: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿ والتقوى تضم العبادة وأعلى درجة من العبادة. ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣) لبيان معنى العبادة. وارجع إلى سورة ياسين آية (٦١) للمقارنة بين فاعبدون، وإن اعبدوني.

[٩٣] ﴿وَنَقُطِعْ أَمْرَهُمْ بَِيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهٍ نَارِجِعُونَ﴾:

الخطاب في هذه الآية موجّه إلى الأمم، وليس إلى الرسل؛ لأن الرسل حاشا أن يتفرّقوا، وما دام ربكم واحد ودينكم أو شريعتكم واحدة فلم تتفرّقوا في الدين وتكونوا شيعاً وأحزاباً أيها الناس.

﴿وَنَقُطِعْ أَمْرَهُمْ﴾: تفرّقوا واختلّفوا أو أصبحوا أمماً مختلفة أو أحزاب وشيع في الأمة الواحدة بسبب الأهواء والجهل والمصالح الفردية كلّ حزب بما لديهم فرحون.

﴿أَمْرَهُمْ﴾: أي: دينهم أو ملتهم.



﴿كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾: كل الأمم والأحزاب أو الفرق، إلينا: تقديم إلينا يدل على الحصر؛ أي: إلينا وحدنا، راجعون: للحساب والجزاء.

انتبه إلى الانتقال من صيغة المخاطب في الآية (٩٢) إلى صيغة الغائب في الآية (٩٣)، أصل الكلام: إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون، وتقطعتم أمركم بينكم، عدل عن هذا إلى قوله: وتقطعوا أمرهم بينهم، للتنبيه أو للفت انتباه السامع إلى الفعل الشنيع الذي فعلوه وهو التفرق في الدين.

ولمقارنة هذه الآية (٩٣) ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ والآية (٥٣) من سورة المؤمنون: ﴿فَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾:

في سورة المؤمنون قال: فتقطعوا بينهم زبراً: الفاء تدل على المباشرة والتعقيب، أي: مباشرة تفرقوا وتقطعوا أمرهم بينهم، ومن دون فاصل زمني وأضاف كلمة (زبراً) تفيد التوكيد توكيد التفرق؛ مما يدل على أن المخاطبين في سورة المؤمنون مبالغين في التفرق، أي: أشد تفرقاً وكفراً من المخاطبين في سورة الأنبياء.

[٩٤] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ﴾:

هذه الآية تنمة للآية السابقة.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾: من ابتدائية، يعمل من الصالحات ولم يتشيع أو يتحزب أو يفرق دينه ويعمل من الصالحات، أي: الأعمال الصالحة من الأقوال والأفعال، وما جاءت به الرسل وهو مؤمن، أي: العمل الصالح المقرون بالإيمان.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: هو ضمير فصل للتوكيد على كونه مؤمناً.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا نافية للجنس.

﴿كُفْرَانَ لِسَعِيهِ﴾ أي: لن نبخسه أو نجحده حقه أو ثوابه ولن نضيع سعيه، واللام في لسعيه للتوكيد. كفران: مصدر كفر على وزن فعلان صيغة مبالغة وأصل كفر: ستر.

﴿وَأَنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾: وإنا للتعظيم، ورسلي كاتبون له ذلك السعي في صحائف أعماله؛ لكي يثاب عليه، وقدّم له على (كاتبون) لتفيد التوكيد. كاتبون: جملة اسمية تفيد الثبوت، أي: نكتب له أعماله باستمرار بلا انقطاع.

[٩٥] ﴿وَحَرَّمَ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾:

﴿وَحَرَّمَ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾: أي: محرم على قرية، أي: أهل قرية أهلكناهما، أي: أهلكناهم بذنوبهم (لأنها كذبت الرسل ولم تؤمن).

﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: أنهم للتوكيد، لا يرجعون: لا نافية تفيد التوكيد، يرجعون: لا يرجعون إلى الدنيا لكي يؤمنوا أو يستدرکوا ما فرطوا في جنب الله، أو لا يعقل أن يتركهم من دون حساب في الآخرة أو يظنوا إهلاكهم في الدنيا يكفي، وإنهم لن يعذبوا في الآخرة.

[٩٦] ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُجِّعَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾:

لا يرجعون: حتى تأتي الساعة وأشراتها كخروج يأجوج ومأجوج. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف لنهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: ظرفية للمستقبل شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿فُجِّعَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾: هم قبيلتان من جنس الإنس موجودتان وراء السد الذي بناه ذو القرنين وسيفتح لهم الرّدم (السد) قبيل الساعة، وتخرج هذه الأقوام لتعيث في الأرض الفساد والفتنة.

﴿وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾: الحدب: المكان المرتفع من الأرض يخرجون من هضاب ومرتفعات شمال الصين، كما تشير التفسير.

﴿يَنسَلُونُ﴾: نَسَلَ في مشيه، أي: أسرع، ينسلون: يخرجون مسرعين. وينسلون: في الأصل تستخدم لمشي الذئب السريع الجائع لبحث عن طعام، وهكذا سيكون حال قوم يأجوج ومأجوج كالذئاب الجياع يأكلون الأخضر واليابس.

[٩٧] ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُواِ يُؤْوِلُنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾:

أي: إذا فتحت يأجوج ومأجوج.

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾: الواو في كلمة واقترب للتوكيد، أي: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق، الوعد الحق: هو يوم الحساب والجزاء يوم القيامة.

﴿فَإِذَا﴾: إذا ظرف للزمن المستقبل والفجائية.

﴿هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُواِ﴾: شخص بصره: انفتحت عيناه فلا تطرف أو لا تغمض بالأجفان من الخوف والفرع والحيرة من أهوال ما يروونه بعد خروجهم من الأجداث، وتقديم شاخصة أبصار على كلمة الذين كفروا، ولم يقل: فإذا الذين كفروا شاخصة أبصارهم تدل على أن أبصارهم خاصة تصاب بالشخص دون غيرهم، وأنها لا تقوم إلا بالشخص.

﴿يُؤْوِلُنَا﴾: يا هلاكنا والويل: الهلاك ويا النداء للتنبيه، أي: يا ويل احضر وأهلكنا فنتراح. ارجع إلى الآية (٤٦) من نفس السورة لبيان معنى الويل. أو معني: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق قالوا: يا ويلنا.

﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾: قد حرف للتحقيق والتوكيد، كنا: في الحياة الدنيا، في غفلة: في ظرفية، غفلة: أي: غافلين، أي: لم يخطر على بالنا أن نفكر أو نستعد لهذا اليوم، يوم الحساب، أو الوعد الحق. ارجع إلى سورة البقرة آية (٧٤) لمزيد من البيان في معنى الغفلة.

﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: بل للإضراب الانتقالي، كنا ظالمين: اعترفوا بظلمهم آنذاك، فلن تنفعهم معذرتهم ولا هم يستعتبون، ظالمين لأنفسنا وظالمين جملة اسمية تدل على الثبوت، ولمعرفة معنى الظلم ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٤).

[٩٨] ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾:

بعد اعترافهم بظلمهم وبعد أن يقضي الله تعالى في أمرهم يؤمر بهم إلى النار وما كانوا يعبدون.

﴿إِنَّكُمْ﴾: أيها المشركون والكفرة.

﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾: ما تستعمل لغير العاقل (أي: الأصنام)، أو الطاغوت أو الأوثان، وما قد تستعمل لصفات من يعقل، أو للسؤال عن صفة من يعقل كأن تقول ما عيسى أو عزيز أو الملائكة.

ولكن عيسى والعزيز والملائكة هؤلاء سبقت لهم الحسن من الله وأولئك عنها مبعدون كما بينت الآية (١٠١) من نفس السورة؛ لأنهم لم يكونوا السبب في إضلال أو شرك أي إنسان.

﴿حَصْبُ﴾: صغار الحجارة البحص، حصب جهنم، أي: المشركون والكفرة وأوثانهم (أصنامهم)، وإبليس وأعوانه من الشياطين والطواغيت الكل حصب جهنم، ولم يقل: حطب جهنم؛ لأن الحصب في اللغة يشمل الحطب



وكل ما يلقى في النار من غير الحطب. وقال قتادة حصب جهنم: حطب جهنم يقذفون بها.

ولذلك لم يقل: إنكم وما تعبدون من دون الله حطب جهنم، فهذه الأصنام أو الأوثان، وما يلقى في النار سوف تتحطم حتى تصبح حجارة صغيرة يقذف بها في النار.

﴿أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾: أنتم للتوكيد، لها: اللام لام الاختصاص، واردون: داخلون فيها، الورود هنا يعني الدخول، بينما الورود في الآية (٧١) من سورة مريم لا يعني الدخول، بل المرور عليها أو رؤيتها، والأصنام في الحقيقة لا ذنب لها، وهي لا تعقل، والحكمة من دخولها النار مع عبدتها هي لبيان كذب من اتخذها آلهة، وبيان أنها لا تنفع ولا تضر، ولا تشفع ولا تقرب إلى الله زلفى.

[٩٩] ﴿لَوْ كَانَتْ هَتُؤُلَاءِ إِلَهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

﴿لَوْ كَانَتْ هَتُؤُلَاءِ إِلَهَةً﴾: أي: الأصنام آلهة حقاً كما تزعمون.

﴿مَا وَرَدُوهَا﴾: ما دخلوها وألقوا فيها، أي: لحالت هذه الأصنام من دخول عابديها النار، ولكنها آلهة باطلة زائفة لا تضر ولا تنفع عابديها.

﴿وَكُلٌّ﴾: الأصنام وعابديها.

﴿فِيهَا﴾: أي: في النار.

﴿خَالِدُونَ﴾: الخلود يعني بقاء الاستمرار، ويبدأ من زمن دخولها إلى ما لا نهاية.

[١٠٠] ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾:

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص، والضّمير يعود على المشركين عبدة الأصنام.



﴿فِيهَا﴾: أي: في النار.

﴿زَفِيرٌ﴾: ولم يذكر شهيقاً؛ لأنَّ عملية التنفس تحتاج إلى شهيق يتبعه زفير، في الشَّهيق يبتلع الأوكسجين، وفي الزَّفير يطرح ثاني أكسيد الكربون، ويبدو أن عملية التنفس في جهنم مقتصرة على الزَّفير دون الشَّهيق، فلا يدخل أوكسجين إلى الرئتين؛ مما يؤدي إلى ضيق في التنفس وشعور بالاختناق تدريجياً، ثمَّ الشعور بالموت والهلاك، وهذا نوع من أنواع العذاب الكبرى.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾: لا يسمعون من شدة غليانها وحسبها؛ أي: صوت النار أو لأنهم صمُّ لا يسمعون، وهذا نوع آخر من العذاب، كما قال تعالى في سورة الإسراء آية (٩٧): ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَبُكَائًا وَصُمًّا مَّا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾.

[١٠١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾:

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: إن: للتوكيد، الذين: اسم موصول يفيد التعظيم والمدح، وهناك من قال: إن في هذه الآية تعني إلا، أي: إلا الذين سبقَتْ لهم منَّا الحسنَى.

﴿سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾: من أهل الطاعة والإيمان، وقيل: المسيح وعزير. الحسنَى: قيل: هي الجنة والحسنَى مؤنث الأحسن، أي: المبشرون بالجنة.

﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾: أولئك: اسم إشارة واللام للبعد يشير إلى بعد منزلتهم، عنها: عن النار، مبعدون: أي: ناجون.





سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ ٢١

الجزء الثاني عشر

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ
خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْنَهُمْ
الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ
﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا
بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ
﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ
يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا
لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ
فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ
عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾
إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَعَ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ
رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الْحَجِّ

آيَاتُهَا ٧٨

مُتَشَبِّهَاتُهَا ٢٢

سورة الأنبياء [الآيات ١٠٢-١١٢]

[١٠٢] ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾:

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾: لا النافية، يسمعون حسيستها: تعود على الذين سبقت لهم من الحسنی، حسيستها: الحسيس هو الصوت الذي يُحس من حركة لهبها أو اشتعالها، أو ما ينبعث منها من أصوات حينما تشتعل، وقيل: الحسيس الصوت الذي تسمعه من شيء يمر قريباً منك.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿فِي مَا﴾: في ظرفية، ما لغير العاقل اسم موصول بمعنى الذي.

﴿اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ﴾: أي: هم فيما يشتهونه من نعيم الجنة.

﴿خَالِدُونَ﴾: ماكثون والخلود يعني: البقاء والاستمرار، ويبدأ من زمن

الدخول.

[١٠٣] ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾:

﴿لَا يَحْزَنُهُمُ﴾: لا النافية، يحزنهم: يخيفهم أو لا يعترهم رعب أو قلق من

الفرع الأكبر.

﴿الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾: الناتج عن النفخة الثانية النفخ في الصور حين يقومون

من قبورهم للبعث والحساب.

﴿وَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: تستقبلهم الملائكة بالبشارة بعد خروجهم من

قبورهم لكي تطمئنهم لئلا يصابوا بالخوف والفرع.



﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾: في الدنيا لنيل الأجر الكبير وهو الجنة، أو يوم القيامة، أو يوم الحساب الذي كنتم توعدون في الدنيا.

[١٠٤] ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ تُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَعْلِيلِينَ﴾:

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]؛ أي: تبديلها أن تطوى، أو تطوى كي تبدل.

﴿نَطْوِي السَّمَاءَ﴾: كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، والسَّماء تشمل السَّمَوَات السَّبع.

﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾: أي: كطي الصحيفة على ما كتب فيها (أو الصَّحف على ما كتب فيها).

في ذلك اليوم نطوي السَّماء كما نطوي السَّجل للكتب (صحف أعمال العباد)؛ أي: نطوي كلاهما أو نطوي أحدهما كما نطوي الآخر، وطي السَّماء تفسيره العلمي كما تشير الدراسات العلمية أن التمدُّد الكوني لن يستمر إلى الأبد من دون توقف.

وسوف تحدث تغيُّرات في القوى الذرية والكهر ومغناطيسية وقوى الجاذبية تؤدِّي إلى توقف هذا التمدُّد لفترة زمنية بعدها تبدأ المجرات بالتقلص، ويحدث جذب داخلي لها، فتقترب من بعضها وتتداخل تدريجياً وتتسارع.

وهكذا ليعود الكون إلى الحالة التي كان عليها جرماً واحداً عندما حدث الانفجار الكبير، وهذا ما تشير إليه هذه الآية.

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ تُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا﴾: أي: هذا الكون الذي خلقه الله السَّمَوَات السَّبع والأرضين السَّبع بما فيها النُّجوم والمجرات والشموس والأقمار والمذنبات وكل جرم سماوي أو أرضي، والتي بدأت أو تشكلت

بالانفجار العظيم الذي ذكره الله سبحانه في سورة الأنبياء آية (٣٠) لهذا الجرم الصغير الهائل في المادة والطاقة، وتحول إلى دخان، خلق الله تعالى من هذا الدخان السموات والأرض.

وكل الأجرام ستطوى وتحول مرة أخرى إلى جرم صغير متناهٍ في الطاقة والمادة.

وبعدها سوف يُفجّر ربنا هذا الجرم من جديد يتحوّل إلى دخان يخلق لنا ربنا منه سماءً جديدة وأرضاً جديدة أكبر بكثير من السموات السبع والأرض الحالية، حتّى تتسع للبلايين البشرية التي خلقها الله سبحانه من زمن آدم إلى يوم القيامة.

وسنبعث من هذه الأرض الجديدة التي فيها كلّ ذرات الأرض الحالية وبقايا البشر، أي: عجب الذنب الخاص بكل مخلوق والحاوي على صفاته الوراثية يبعث للحساب والجزاء.

﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾: إنا للتعظيم، كنا فاعلين، أي: نُعيد الخلق بالبعث كما بدأنا أوّل مرة، فاعلين: قادرين على فعل ذلك ولا يعجزنا شيء.

[١٠٥] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾: إما زبور داود أو الزبور يُراد به جنس الكتاب، ويطلق على كلّ الكتب المنزلة مثل الزبور والتّوراة والإنجيل والقرآن. ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان.

﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾: أم الكتاب أو اللوح المحفوظ أو القرآن الكريم، أي: كتبنا في الكتب المنزلة على الأنبياء أنّ الأرض يرثها عبادي الصّالحون.



﴿أَنْتَ الْأَرْضُ يَرِثُهَا﴾: أرض الجنة؛ لقوله سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ٧٤]، أو الأرض العادية يرثها عبادي الصالحون بالاستخلاف والتمكين في الدنيا أو كلاهما معاً. ﴿عِبَادِي﴾: ارجع إلى الآية (١٨٦) من سورة البقرة للبيان، ومعرفة الفرق بين عبيد عبادي عباد.

﴿الصَّالِحُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٧٥) من نفس السورة.

[١٠٦] ﴿إِنْ فِي هَذَا بَلَاءٌ لِقَوْمٍ عَكِيدٍ﴾:

﴿إِنْ فِي هَذَا﴾: إن: للتوكيد، في ظرفية، هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم يشير إلى القرآن الكريم.

﴿بَلَاءٌ﴾: اللام للتوكيد، والتعليل. لبلاغاً: البلاغ له معنيان: الكفاية والإيصال؛ أي: هذا القرآن: كفاية لقوم عابدين أو ما جاء في هذا القرآن هو البلاغ الكافي الذي يجب أن يصل ويعلمه القوم العابدون. لقوم: اللام الاختصاص.

﴿عَكِيدٍ﴾: من العبادة وهي طاعة العابد للمعبود فيما أمر ونهى، ولها منهج افعل أو لا تفعل والعبادة لها جزاء، ولا تكون إلا للخالق، ولا بُدَّ معها من معرفة المعبود. عابدين: جمع عابد؛ أي: طائعين. ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣) للبيان المفصل لمعنى العبادة.

أو في هذه القرآن ما فيه الكفاية من البلاغ، أي: من الشرائع والأحكام والأوامر والنواهي والأخبار والمواعظ المهمة للذين يريدون عبادة ربهم والوصول إلى الغاية وهي رضوان الله وجنته.

[١٠٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾: ما النَّافِيَّةُ، أَرْسَلْنَاكَ: ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة لبيان معنى أَرْسَلْنَاكَ وَأَرْسَلْنَاكَ تدل على التشريف.
﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾: الرحمة: تكون عامة للناس كافة، أو الرأفة خاصة بالمؤمنين رحمة للعالمين، اللام لام الاختصاص، العالمين: الإنس والجن والملائكة والحيوان والنبات والجماد. وتعريف الرحمة: كل ما يجلب نفعاً أو يدفع ضرراً، وتعني: الوقاية؛ فرسول الله ﷺ رحمة مرسله من الرحمن الرحيم للعالمين.

[١٠٨] ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾:

﴿قُلْ إِنَّمَا﴾: قل لهم يا محمد، إنما: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.
﴿يُوحِي إِلَيَّ﴾: من الوحي، ارجع إلى الآية (١٦٣) من سورة النساء.
﴿أَنَّمَا﴾: للحصر والقصر.

﴿إِلَهُكُمُ﴾: معبودكم إله واحد لا إله إلا هو لا شريك له.
﴿إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾: ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: للاستفهام يفيد الأمر والحث، أي: أسلموا، أو ألا يكفي هذا القرآن وإرسال الرسول ﷺ إليكم لتسلموا.
[١٠٩] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنِ أَذْرَيْتَ أَقْرَبُ أَمَ بَعِيدُ مَّا تُوعَدُونَ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: للتفصيل، إن شرطية تفيد الشك، أو احتمال الحدوث.



﴿تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا وانصرفوا عنك ولم يؤمنوا بك ويصدقوك.

﴿فَقُلْ أَذْنُكُمْ﴾: أذنتكم من أذن بمعنى أعلم، وقد كثر استعمال ذلك في الإنذار، وأصل الإعلام هو الإذن بالكلام، أذنتكم، أي: أعلمتكم.

﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾: أي: صرت أنا وأنتم على سواء، أي: استوينا في العلم بذلك أو أخبرتكم جميعاً، ولم أخص منكم أحداً دون الآخر، فأنتم سواء في الإعلام، أو أخبرتكم على سواء وعلى السامع أن يخبر الغائب.

﴿وَإِنْ أَدْرَى﴾: إن نافية، وأقوى من النفي من حرف ما، أي: وما أدري أقرب أم بعيد ما توعدون؛ أي: الساعة أو القيامة أو العذاب؛ والدراية أخص من العلم، وتكون بعد الجهل، وفيها معنى الإخبار.

﴿أَقْرَبُ أَمْرٍ﴾: الهمزة للاستفهام والتحذير، أم: المتصلة.

﴿بَعِيدٌ مَا تَوَعَّدُونَ﴾: أي: ما أدري ولا أعلم ما توعدون به من العذاب أو النصر سيكون قريباً (مثل النصر يوم بدر) أم بعيداً يوم القيامة والحشر.

[١١٠] ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾:

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾: إنه للتوكيد، يعلم الجهر من القول: الخطاب هنا موجه للجميع يعلم الجهر من القول الصادر من كل واحد وفي وقت واحد، وإذا تكلم الجميع بصوت عالٍ، وفي وقت واحد، فإنه يعلم ما يجهر به كل فرد وكل كلمة تقال في نفس الوقت، ومن هو القائل، ولو تكلم كل أهل الأرض لميز من القائل، وما قاله فلا تختلط عليه الأصوات سواء كانت سرّاً وجهرّاً؛ فعلم الجهر أعظم من علم السر وأبلغ، وليس كما يظن البعض بالعكس.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾: الكتمان غير الإخفاء، كتم الشيء يعني الشيء ظاهر الواضح، ولكن صاحبه يحاول كتمه والكتمان يتعلق عادة بشيء مادي، أما الإخفاء: فقد يشمل شيئاً معنوياً أو مادياً مثل النفاق يحاول إخفاءه.



[١١١] ﴿وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمُنْعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: نافية بمعنى ما، أدري أعلم أو أدري بكل أدوات الإدراك من السمع والبصر والشم والحس.

﴿أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ﴾: وما أدري لعل الإمهال وبقاءكم دون عذاب وعدم قيام الساعة عليكم هو فتنة لكم واختبار واستدراج وزيادة في الفتنة، لكم خاصة، ليرى كيف تصنعون.

﴿وَمُنْعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾: الحين: زمن غير محدود قد يطول أو يقصر؛ أي: تمتع إلى أجل مقدر قدره الله بزمن قد يطول أو يقصر، وهو متاع لن يدوم؛ لأنه محدود المدة، إلى حين: ولم يقل: حتى حين، وإنما إلى حين إلى تفيد عموم الغايات، أما حتى فتفيد نهاية الغاية.

[١١٢] ﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: أي: قال رسول الله ﷺ، كما قال الأنبياء من قبله: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

﴿رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ﴾: أي: افصل بيني وبين المشركين أو الكفار، أو أظهر من هو على الحق، ومن هو على الباطل، بالحق: الباء للإلصاق والمصاحبة. وربنا الرحمن.

﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: على: تفيد الاستعلاء والمشقة. ما: اسم موصول بمعنى: الذي، وهي أوسع شمولاً من الذي؛ تشمل العاقل وغير العاقل، وتشمل كل ما يصفون.

﴿تَصِفُونَ﴾: أن لله ولداً أو بناتٍ أو شريكاً، وأن القرآن سحرٌ وشعرٌ وأساطيرُ الأولين، والرسول مجنونٌ وساحرٌ وشاعرٌ.





سُورَةُ الْحَجِّ ٢٢

الْبَيْتُ السَّامِعُونَ

الْحَجَّ
٣٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُورِبَ كُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَاهُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُنِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

سورة الحج [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (٢٢)، وترتيبها في النزول (١٠٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: يا أداة نداء للبعيد، الهاء للتنبيه، الناس: مشتقة من النّوس، الحركة الدائمة، والنّاس تشمل الإنس والجن، وغالباً يأتي معها كلمة الرّب؛ لأنّ الرّب هو الخالق والمربي والمدبر والرازق.

﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾: بامثال طاعة أو امره واجتناب نواهيه، اجعلوا بينكم وبين سخط وغضب القهار والجبار وقايةً. ثمّ يخبر سبحانه عن بعض أهوال الساعة.

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾: إنّ حرف مشبه بالفعل يفيد التّوكيد، زلزلة الساعة، الساعة؛ أي: ساعة تهدم النّظام الكوني الحالي، وهي الزّلزلة المذكورة في قوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزّلزلة: ١]، وزلزلة: مصدر مشتق من الفعل: زلزل؛ أي: زل زل: إذا زل في الطين، أو وقع من مكانه فهناك زل الأولي، وزل الثانية فهناك وقوع أول ووقوع ثانٍ، أو زلزلتان: الزلة الثانية ليست استمراراً للأولى وإنما زلة جديدة؛ أي: هناك زلزلة متكررة، ولكن باتجاه معاكس كما يحدث في حوادث الاصطدام: يتحرك الجسم في السّيارة بسرعة السّيارة، فعندما يحاول السائق



إيقاف السيارة فجأة يندفع جسمه ويرتطم بزجاج مقدمة السيارة، والزلزلة رغم تكررها فهي ليست على شدة أو نموذج واحد.

والزَّلْزَلَةُ تحدث نتيجة اصطدام الألواح القارية المشكلة لقشرة الأرض اليابسة، وتسمى: الصفائح القارية، وهي مشكلة من (١٢) لوحاً بينها شقوق، فحينما تتحرك هذه الألواح وتصطدم ببعضها تؤدي إلى الزلازل والبراكين والدَّمار الهائل إذا كانت شديدة، وهذا ما سيحدث عند قيام الساعة.

﴿شَوْءٌ عَظِيمٌ﴾: شيء مخيف مروع، ارجع إلى سورة الزَّلْزَلَةِ (١) لمزيد من البيان.

وسميت بزلزلة الساعة؛ لأنها تحدث بعد النَّفْخَةِ الأولى (نفخة الفزع)، أو حين تبدأ الساعة يومها.

[٢] ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾:

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾: يعني زلزلة الساعة، والرؤية هنا رؤية بصرية أو رؤية قلبية، رؤية بصرية لمن قامت عليه الساعة، ورؤية قلبية لمن عاش قبل حدوثها.

﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾: أي: بسبب تلك الزلزلة وأحوال ذلك اليوم (تذهل) من الذَّهول: وهو الغفلة عن الشيء مع الدهشة، ومن شدة الهول تنسى المرضعة أن ترضع وليدها، أو تهمله وتتركه بلا إرضاع، وهو في حضنها، والمرضعة هي التي تقوم بعملية الإرضاع أو في حالة الإرضاع وطفلها يرضع من ثديها الآن، ولم يقل تذهل كل مرضع عما أرضعت. المرضع فهي القادرة على الإرضاع وليست ترضع الآن.

مثل: الحائض والحائضة. الحائضة: هي الآن في دورتها، والحائض: من بلغت سن المحيض وهي ليست في الحيض الآن.

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾: تجهض؛ أي: تسقط المرأة الحامل جنينها قبل تمام الحمل وزمن الولادة من شدة هول ذلك اليوم، وفي هاتين العمليتين: الإرضاع والحمل، تكون عاطفة الأم على أشدها، فإذا حدث منها ذلك، فهو دليل على شدة هول ذلك اليوم وعظمته.

﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ﴾: ترى الناس يومئذ كأنهم سكارى، أو يراهم الرائي كأنهم سكارى، جمع: سكران، سكارى من الخوف والفرع وليس هم حقيقة سكارى من شرب الخمر، ولكن من شدة أهوال ذلك اليوم والخوف والفرع والرعب تراهم يتميلون مضطربين في توازنهم كالسكارى، وما هم بسكارى: ما النافية، هم: تفيد التوكيد، بسكارى: الباء للإلصاق والمصاحبة. ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾: ولكن: للاستدراك يفيد التوكيد، عذاب الله شديد.

[٣] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾:

مناسبة هذه الآية؛ أي: رغم أن الساعة حق، وما ذكرنا في الآيتين السابقتين من بعض أهوالها، ترى بعض الناس لا يصدق ولا يؤمن بالساعة والبعث ويجادل. ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: من هنا: بعضية؛ أي: بعض الناس.

﴿مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾: من ابتدائية، يجادل: من الجدل وهو الحوار الذي يحدث فيه اختلاف في الآراء، ويكون لدفع شبهة أو إثبات حق أو إظهار حجة كالنضر بن الحارث، كما قاله الطبري، أو الوليد بن المغيرة أو غيره.



يجادل في الله؛ أي: في آيات الله، أو أن الملائكة بنات الله، أو القرآن، أو في البعث ووحدانية الله تعالى، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب. ﴿يَغْيِرْ عِلْمٍ﴾: بدون علم: بديهي أو مكتسب القائم على النظر والاستدلال؛ أي: يجادل بالباطل أو بجهل.

﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾: ويتبع في جداله وأحواله وحياته وسوسة الشيطان المريد؛ أي: العاق الخارج عن طاعة الله تعالى، أو العاصي المتمرد العاتي، فهو ماردٌ أو مريدٌ أو متمرّدٌ، كقوله تعالى: صرح ممرّد؛ أي: أملس، وشجرة مرداء؛ أي: تساقط ورقها أو تناثر، فهي ملساء. ووصف الشيطان بذلك؛ لكونه ينشر الشر والفساد أو يصعب إمساكه، ارجع إلى سورة النساء آية (١١٧) لبيان معنى مريد. وارجع إلى الآية (٨) لمقارنة الآيتين (٨، ٣) من نفس السورة. [٤] ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾:

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾: أي: قُضِيَ، والكتابة أشد من الحكم أو القضاء، وجاء بصيغة المبني للمجهول، أي: كتب على الشيطان أنه يُضِلُّ من اتبعه، أي: أُعطي له القدرة على فعل ذلك، وال كاتب هو الله سبحانه، وجاءت بصيغة المبني للمجهول.

﴿عَلَيْهِ﴾: على الشيطان، سواء كان من شياطين الإنس أو الجن.

﴿أَنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾: أي: اتبعه وجعله ولياً، من: استغراقية؛ أي: كلّ واحد اتبعه، الهاء تعود على الشيطان؛ أي: من اتبع الشيطان واتخذهُ ولياً؛ أي: ناصرأً معيناً. ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: هاء الضمير تعود على الشيطان المريد، يضلّه: يوقعه في الضلال، يضلّه عن طريق الهداية والحق والخير

والصراط المستقيم؛ أي: الدين، ويهديه إلى عذاب السعير: يهديه إلى النار المستعرة نار جهنم، هذا وعيد وتهديد لكل من اتبع الشيطان واتخذهُ ولياً.

[٥] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُّنَوِّقُ وَمِنْكُمْ مَّن يُّرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِئَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبِتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾: ارجع إلى الآية (١) من السورة نفسها.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الشك أو الاحتمال، (كنتم) الآن أو في أي زمن.

﴿كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾: الريب: الشك ولكن الريب أقوى من الشك، فالشك هو: التردد بين النفي والإثبات، والريب: الشك القوي، والتهمة، ويتهمون أن القرآن أساطير الأولين وأنه مفترى. من البعث: في ريب من قدرة الله على إعادة الخلق وإحياء الموتى وبعثهم من جديد، فاذكروا: كيف خلقناكم.

﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ﴾: أي: من آدم وادم من تراب في الأصل، ثم خلقناهم من ذرية آدم: بالتزاوج والتناسل، والذي يبدأ من النطفة (الحيوان المنوي والبويضة) وكلاهما مركب من الماء ومواد عضوية جاءت من الغذاء، والغذاء من النبات، والنبات أصله الماء والتراب، وكثير من المواد المعدنية الموجودة في تركيب الجسم مثل: الصوديوم والحديد والكالسيوم والفسفور وغيرها، منشؤها من النبات أو الحيوان ومنشئهم التربة والماء. ارجع إلى سورة الروم آية (٢٠) لمزيد من البيان.



﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: نطفة الرجل (الحيوان المنوي) ونطفة المرأة (البويضة)، ومرحلة النطفة تستغرق الأسبوع الأول في تشكيلها.

﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾: علقة حين تعلق النطفة بجدار الرحم، والعلقة تستغرق في تشكيلها وتطورها الأسبوعين الثاني والثالث، وتحول إلى مضغة.

﴿مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: والمضغة: قطعة تشبه قطعة اللحم الممضوغة بالأسنان، وتبدأ في الأسبوع الرابع وتستمر إلى أربعين يوماً، عندها تبدأ مرحلة العظام في بداية الأسبوع السابع، وأما نفخ الروح فما توصل إليه العلم الجنيني وأيدته الأحاديث الصحيحة يحصل في الليلة (٤٢) من بدء الحمل كما ورد في الحديث الذي رواه مسلم عن حذيفة بن أسيد قال ﷺ: إذا بلغت النطفة اثنتين وأربعين ليلة، أرسل إليها الملك فيأمره الله جل وعلا بتصويرها، ثم يقول: أي ربي، أذكر أم أنثى؟ فيأمر الله ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول: أي ربي، شقي أم سعيد؟ فيأمر الله ما شاء... إلى نهاية الحديث.

أما بالنسبة إلى المضغة المخلقة وغير المخلقة: فالمخلقة هي التي تشارك في تكوين الجنين، وغير المخلقة: هي التي تتحول إلى خلايا جذعية تتفرق في أنسجة الجنين في المشيمة أو الحبل السري أو السائل الأمينوسي، وغيرها من الأنسجة مثل نخاع العظم، وتساعد على التئام الجروح وترميم الأنسجة.

﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾: اللام للتوكيد، نبين لكم: كيف تتم عملية الخلق مرحلة بعد مرحلة.

﴿وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أي: نُبقي في الأرحام المضغة

الَّتِي قَدَّرَ لَهَا أَنْ تَكُونَ جَنِينًا ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى حَتَّى يَكْتَمَلَ إِلَى أَنْ يُولَدَ، إِلَى أَجَلٍ مَسْمُومٍ: حِينَ وَلادَتْهُ، أَوْ نَسَقَطَهُ مَيِّتًا قَبْلَ وَلادَتْهُ.

﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾: ثُمَّ تَفِيدُ التَّرْتِيبَ وَالتَّرَاخِي فِي الزَّمَنِ، نَخْرُجُكُمْ: بِصِيغَةِ الْجَمْعِ، وَطِفْلًا بِصِيغَةِ الْمَفْرَدِ وَلَمْ يَقُلْ أَطْفَالًا؛ لِأَنَّ الطِّفْلَ أَوْ الْأَطْفَالَ فِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ لَهُمُ الصِّفَاتُ نَفْسُهَا، فِذَكَرِ الْوَاحِدِ يَغْنِي عَنْ ذَكَرِ الْجَمْعِ، وَطِفْلًا: اسْمُ جَنْسٍ يَشْمَلُ الْمَفْرَدَ وَالْمَثْنَى وَالْجَمْعَ.

﴿ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾: ثُمَّ لِلتَّرْتِيبِ وَالتَّرَاخِي فِي الزَّمَنِ، اللَّامُ: لَامُ التَّعْلِيلِ وَالتَّوَكُّيدِ، فَهِيَ إِضْمَارُ تَقْدِيرِهِ: ثُمَّ نَعْمَرُكُمْ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ، أَشَدَّكُمْ: كِمَالُ الْعَقْلِ وَالْقُوَّةِ، وَقِيلَ: هُوَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْ (١٥-٣٠).

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُنْفِقُ﴾: قَبْلَ بُلُوغِ الْأَشَدِّ.

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: أَرَدُوهُ حِينَ تَظْهَرُ عَلَيْهِ عَلَامَاتُ الْخَرَفِ وَالضَّعْفِ وَالْهَرَمِ وَيَعُودُ مِثْلَ زَمَنِ الطِّفْلِ.

﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾: يَفْقَدُ الذَّاكِرَةَ لِلْأَشْيَاءِ الْقَرِيبَةِ؛ أَيِ: يَنْسَى الْأُمُورَ الَّتِي جَرَتْ مَعَهُ مِنْذُ سَاعَاتٍ أَوْ زَمَنِ قَرِيبٍ، وَلَا يَسْتَطِيعُ التَّعْلَمَ؛ لِكَوْنِهِ يَنْسَى مَا يَتَعَلَّمُهُ بِنَفْسِهِ أَوْ مِنَ الْآخَرِينَ، وَيَصْبِحُ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى الْحِفْظِ وَالْإِحْصَاءِ وَغَيْرِ قَابِلٍ لِلتَّفَكُّرِ وَالتَّدْبِيرِ، وَلَا بَدَّ مِنْ مَقَارَنَةِ هَذِهِ الْآيَةِ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّحْلِ آيَةِ (٧٠) ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾. ارْجِعْ إِلَى سُورَةِ النَّحْلِ آيَةِ (٧٠) لِلْمَقَارَنَةِ. وَانْتَبِهْ إِلَى كَلِمَةِ (لِكَيْلَا) فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَفِي آيَةِ النَّحْلِ (لِكَيْ لَا): فَهُوَ فَصْلُ (لِكَيْ) عَنْ (لَا)؛ لِأَنَّ آيَةَ النَّحْلِ تَتَحَدَّثُ عَنْ فَقْدِ الذَّاكِرَةِ لِلْأَشْيَاءِ الْقَرِيبَةِ وَالبَعِيدَةِ فَهِيَ تَشْمَلُ أَمْرَيْنِ لِذَلِكَ فَفَصْلُ بَيْنَهُمَا وَجَاءَتْ



(لكي) مفصولة عن (لا)، بينما في سورة الحج الآية تتحدث عن أمر واحد هو فقد الذاكرة للأشياء القريبة فقط، ولذلك جاءت (لكيلاً) متصلة أو كلمة واحدة.

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾: هذا برهان آخر على البعث، وترى الأرض هامدة: قبل نزول الماء غير مهتزة غير متحركة، كأنها جافة يابسة؛ لعدم وجود الماء، فإذا أنزلنا الماء؛ أي: ماء المطر الذي بدأ من تبخر مياه البحار والمحيطات واليابسة وغيرها ويقدر بـ (٦٠٠,٠٠٠ كم مكعب)، سنوياً، تحمله الرياح فتشكل السحب، وبعد تلقيح هذه السحب برياح تحمل هباءات الغبار، تتشكل السحب الركامية التي تنزل المطر. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (١٨) وسورة يس آية (٣٣) لمزيد من البيان.

﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾: نزول الماء يؤدي إلى إثارة المعادن المختلفة المكونة لطبقة التربة من الصلصال، والحديد والألمنيوم والمغنيسيوم والكالسيوم والصوديوم التي تحمل على سطحها شحنات كهربائية مختلفة، ونزول الماء واتحاده بهذه العناصر المعدنية يؤدي إلى عملية التآين: تأين الشوارد، مما يؤدي إلى دخول الماء في تلك العناصر، مما يؤدي إلى انتفاخها أو زيادة سمكها وحجمها، هذه المعادن قد تتشكل على شكل صفائح مترابطة منها بأربطة هيدروجينية تمنع دخول الماء إليها بحسب التربة. وللتربة أنواع مختلفة: (التربة الصلصالية والطينية والرملية والحصى) منها ما ينتفخ ويربو ومنها ما لا يتأثر.

ولا ننسى مكونات التربة من المواد العضوية المتحللة والبكتريا والطحالب والفطريات، التي تتفاعل كذلك مع الماء، وحين تربو التربة فهي ترقُّ رقة شديدة وتنشقُّ؛ لتصبح طريقاً سهلاً للسويقة الخارجة من البذرة والجذور التي تمتد إلى الأسفل؛ لتمتص الماء وبقية المعادن الهامة في تشكيل الحبوب الأخرى أو

الثمار المختلفة الأشكال والألوان والطعوم. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٣٩) من سورة فصلت ﴿تَرَى الْأَرْضَ خَشِيعَةً﴾، وفي آية (٥) من سورة الحج ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ ما هو الفرق بينهما؟ هامدة: تعني: خمدت أو سكنت وهي كالميتة، وأما خشعت تعني: المرحلة التي تلي الهامدة، أو تمثل نوع آخر من أنواع التربة.

﴿زَوْجٍ﴾: صنف من أصناف الزروع والثمار أو الأزهار.

﴿بِهَيْجٍ﴾: حسن، والبهجة: الحسن، وأنبتت من كل زوج بهيج: الذي يدخل البهجة على النفوس والسرور؛ لما فيه من الزينة.

ومقارنة بالزوج الكريم: كما ورد في سورة لقمان آية (١٠): ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ الكريم: البالغ في الجودة والنفع، وكثير الخيرات أو كثير المنفعة، فهذه الآية جاءت في سياق الأزهار والورود والألوان والبهجة التي تحدثها في نفس الإنسان، وآية لقمان جاءت في سياق النفع، وكثرة الخيرات والفائدة، كل له صفاته زوج كريم وزوج بهيج.





سُورَةُ الْحَجِّ ٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
 ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي
 الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
 وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي
 الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ
 بِمَا قَدَّمْت يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمَنْ النَّاسُ
 مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ
 فَتْنَةٌ اُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ
 الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُ
 وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا مَنْ
 ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِيَلْبَسَ الْمُؤْمِنُ وَلِيَلْبَسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾
 إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
 تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ
 يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى
 السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

سورة الحج [الآيات ٦ - ١٥]

[٦] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ﴾: ذلك: اسم إشارة لخلق الإنسان والمراحل التي يمر بها وإحياء الأرض، ذلك: لتعلموا أن الله هو الحق؛ أي: الدائم الصفات الذي لا يتغير ولا يتبدل. قوله الحق وما أنزله على عبده هو الحق، وربوبيته حق وأسمائه وصفاته حق، ووعدته ووعدته حق، وكل شيء ينسب إليه حق، ومن أسمائه الحسنى الحق؛ أي: الحق في ذاته وصفاته، فهو واجب الوجود كامل الصفات لا وجود لشيء إلا به.

﴿وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى﴾: وأنه: تفيد التوكيد، كما أحيأ الأرض الهامدة فهو قادر على إحياء كل ميت. ارجع إلى سورة الروم آية (١٩) لبيان كيف يحيي الموتى. ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: وأنه: تفيد التوكيد، على كل شيء قدير: ارجع إلى سورة البقرة الآية (٢٠) للبيان.

[٧] ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾:

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: وأن: للتوكيد، واللام في لا ريب: لزيادة التوكيد، الساعة: لحظة أو ساعة تهدم النظام الكوني الحالي. آتية: ارجع إلى سورة طه الآية (١٥) للبيان والفرق بين آتية، لآتية، آتية لا ريب فيها. ارجع إلى سورة طه آية (١٥) للبيان، ومقارنة الآيات المتشابهة.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾: وأن: للتوكيد، يبعث من في القبور:



لحساب والفصل بين الناس، والبعث يبدأ بالنشر (إحياء الموتى) ثم الإخراج من القبور والسوق والجمع في أرض المحشر، من في القبور: من استغراقية تشمل الكل كل ميت، في: ظرفية؛ أي: القبور، والبعث فيه معنى الحث والإثارة للقيام والخروج من القبور.

[٨] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾:

من: ابتدائية بعضية للعاقل وتشمل المفرد والجمع. يجادل: ارجع إلى الآية (٣) للبيان.

هذه الآية جاءت في سياق المتبوعين رؤساء الشرك والضلال الذين يجادلون بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير بغير علم مكتسب أو بديهي ولا هدى ولا كتاب أو وحي من الله، بينما الآية (٣١) جاءت في سياق الجهال المقلدين الذين يتبعون الشيطان الذين يجادلون في آيات الله بغير علم: بديهي، ولا هدى: ولا استدلال عقلي، ولا كتاب منير: ولا وحي من الله، ويتبعون كل شيطان مريد، فهو لاء أقل ضللاً من هؤلاء المذكورين في الآية (٨)، وتكرار (لا): يفيد التوكيد، وفصل الهدى عن كتاب منير أو كلاهما معاً؛ أي: لا هدى ولا كتاب منير، ولا كلاهما معاً، وكتاب منير: كتاب نكرة أي كتاب من الكتب السماوية.

[٩] ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾:

العطف: جانب اليمين أو جانب الشمال، فهما عطف الرجل، وهو القسم أو الجزء من البدن الذي يعطفه الإنسان ويلويه عند إعراضه عن الاستماع إلى الحق.

﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾: لاوي جانبه، كناية عن التكبر والإعراض وعدم الوقوف

والسمع إلى الحق والقرآن والموعظة، وقد بين لنا القرآن كيف يتدرج المعرض عن الحق في تصرفاته، أو من يحاول الإعراض وعدم الاستماع إلى آيات الله؛ فهو أولاً يبدأ بالرأس: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُوهُ وُسْهُمُ﴾ ثم الجانب: ﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾، ثم دبره أو عقبه أو ظهره كقوله تعالى: ﴿وَلَنْ مُسْتَكْبِرًا كَانَتْ لَهُ يَمِينُهَا﴾ [لقمان: ٧].

﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلٍ﴾: إذن هو يجادل بالباطل ليضل، اللام لام التعليل؛ أي: الغرض من جداله: الإضلال وصرف الناس عن سبيل الله؛ أي: دين الله تعالى وإن لم يعترف بذلك. عن: تفيد المجاوزة أو الابتعاد. ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: له: اللام لام الاستحقاق، في الدنيا الخزي والهوان والذلة والفضيحة، وجزاؤه في الآخرة يوم القيامة عذاب الحريق.

[١٠] ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾:

يقال له: يوم القيامة.

﴿ذَلِكَ﴾: يعني الخزي في الدنيا وعذاب الحريق في الآخرة.

﴿بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾: بما: اقترفت يداك، ذلك: اسم إشارة للبعد، بما: الباء باء الإلصاق، أو السببية، بما قدمت يداك من عمل السوء والمعاصي والكفر بما قدمت في الدنيا، وإسناد جميع الأعمال إلى اليد؛ نظراً لأنها هي الجارحة التي يزاول العبد بها أكثر الأعمال، وبما قدمت يداك، مع أن الكفر ليس من عمل اليد وإنما هو فعل القلب واللسان، ففي هذا توبيخ وتقريع وإهانة لهم.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾: وأن للتوكيد، بظلام: صيغة مبالغة من: ظالم؛ تعني: لا يظلم هذا ولا يظلم ذاك، والعبيد عددهم كبير؛ فإذا كان لا يظلم عبيده



(أي عبد) فهو ليس بظلام، ونفي المبالغة كناية عن نفي أصله، فلو كان ظلاماً لكان ظالماً؛ فهو نفي كلا الأمرين فهو ليس بظالم لأي عبد ولا بظلام للعبيد، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً﴾ [يونس: ٤٤]. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٨٢) لمزيد من البيان. وقد وردت هذه الآية أيضاً في سورة الأنفال آية (٥١)، وسورة الحج آية (١٠)، وسورة فصلت (٤٦).

[١١] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾:

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: الواو استئنافية، (من) الأولى ابتدائية بعبضية.

﴿مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾: (من) الثانية اسم موصول بمعنى الذي.

يعبد الله على حرف: الحرف: أي الحافة، اسم لطرف الشيء؛ أي: يقف على طرف الحافة مضطرباً غير ثابت، وهذا حال المنافق.

﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال. أصابه خير: مثل غنيمة أو مال أو عافية أو منفعة دنيوية.

﴿اطْمَأَنَّ بِهِ﴾: يثبت على دينه، وسكنت نفسه إلى الإسلام ورضي به.

﴿وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ﴾: فتنة: شر، أو مكروه في أهله أو ماله، أو هزيمة أو خسارة أو مرض بسبب إسلامه.

﴿أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾: ارتد عن دينه كما يفعل المنافق ورجع إلى الكفر، أو أصبح عاصياً أو توقف عن عبادة ربه، خسر الدنيا والآخرة فلا حظ له في الدنيا ولا في الآخرة خسر كلاهما.

﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾: ذلك اسم إشارة، واللام للبعد، الخسران المبين: الواضح لكل فرد، وكل فرد يقر ويعترف بأنه خسران، خسران ظاهر لا يحتاج إلى شرح أو تبيان.

وهناك فرق بين الخُسْر والخساراً وخسران:

١ - الخُسْر: يستعمل لعموم الخسارة أو مطلق الخسارة.

٢ - خساراً: الزيادة في الخسارة كقوله تعالى في سورة فاطر آية (٣٩): ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْنًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾. وكقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَنْ لَوْ زِدَهُ مَالُهُ، وَلَوْلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: ٢١].

٣ - الخسران: هو أكبر الخسارة وأعظمها وأشدّها.

انتبه إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ ولم يقل فإن أصاب خيراً؛ أي: الخير هو الذي أصابه وجاء يبحث عنه، فالرزق يبحث عن صاحبه، بقدر ما يبحث صاحب الرزق عن رزقه.

وقال: فإن أصابه خير، وإن أصابته فتنة، ولم يقل شر (مقابل الخير) الفتنة قد تكون بالخير أو بالشر، فإذا فاز كانت الفتنة خيراً له.

[١٢] ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾:

﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: تعود على الذي يعبد الله على حرف، يدعو من دون الله: أي: يعبد غير الله، أو سوى الله، صنماً أو غير صنم؛ ليشفع له أو يقربه عند الله زلفى.

﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾: ما اسم لغير العاقل، لا النافية، يضره؛ أي: ما لا يضره إن لم يعبد.



﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾: إن عبده؛ أي: سواء عبده أو لم يعبدته النتيجة واحدة لا نفع ولا ضرر.

﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾: ذلك اسم إشارة، واللام للبعد.

هو الضلال البعيد: هو: ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد، الضلال البعيد: الضلال البعيد جداً عن الحق والصواب، أو الموغل في الضلال، المستحيل الرجوع من بعده إلى الحق. وقدم الضر على النفع في هذه الآية؛ لأنّ درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة.

[١٣] ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾:

﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾: يدعو: أي: يعبد الأصنام، لمن: اللام قيل زائدة، وقيل: للابتداء وللتوكيد، من: تستعمل للعاقل، وتنزل منزلة غير العاقل بعكس الذي (فقط للعاقل). ضرّه أقرب من نفعه: أي: الضرر الناتج عن عبادة الأصنام، أو غير الله أقرب؛ أي: أشد أو أقوى من النفع الحاصل من عبادتها.

إذن هناك نفع إلى حد ما في هذه الآية، بينما في الآية السابقة نفى أن يكون لها نفع أبداً، فهل هناك تناقض في الآيتين؟ الجواب: لا، أو كيف نفسر النفع الحاصل من عبادة الأصنام، بأنّ للأصنام سدة وهم الواسطة بين الأصنام وعبادها كونهم سدة ومسؤولين عن القيام بخدمتها ونظافتها، فهم يأخذون الأموال الطائلة والتبرعات التي تحصل في أماكن الأصنام وتعطى للفقراء والأيتام، ولكن هذا النفع المادي مقصور على الحياة الدنيا ثم يتركونه ويزول وراءهم، ومدته قصيرة أصلاً. يدعو لمن ضره في الدنيا: قبل الآخرة، أقرب من نفعه؛ أي: ضرره في الآخرة محقق متيقن منه. فحين يموت أحدهم لا إيمان لهم،

ولا عمل صالح؛ لأن الشرك يحبط أعمالهم؛ لذلك ضرره في الآخرة أشد بكثير من الفائدة الدنيوية.

﴿لَيْسَ﴾: اللام للتأكيد، بئس: فعل لإنشاء الذم؛ أي: ساء وقبح المولى والعشير تعود على الأصنام.

﴿الْمَوْلَى﴾: الذي يليك ويقرب منك: الذي ينفعك ويساعدك ويُعينك وقت الشدة، وينصرك إذا احتجت له، والمولى هنا هي: الأصنام، فبئس وقبح ذلك المولى؛ لأنها لا تنصرهم ولا تستجيب لهم.

﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾: العشير: الصّاحب، وهو المعاشر الذي تأنس به أو الخليل، وهي الأصنام، وقد تطلق على القبيلة أو القريب.

فهناك فرق بين بئس المولى (المعين) وبئس العشير (الصاحب)؛ لأنّ الصاحب قد لا يكون معيناً إذا طلب منه المساعدة، أو المعين (المولى) قد لا يكون صاحباً لذلك فرق بينهما فهي ليست بصاحب ولا معين (ولي) ولا كلاهما. [١٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^١ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿

﴿إِنَّ﴾: إن: للتوكيد.

﴿اللَّهُ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^٢: أي: آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره إيمان التوحيد والإخلاص والمقرون بالأعمال الصالحة العبادات وكل شعب الإيمان.

﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^٣: الجنات: عدن، والفردوس، وغيرها تنبع من تحتها الأنهار.



﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾: إنَّ للتوكيد، يفعل ما يريد؛ الإرادة نوعان: إرادة إلزام مثل إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، النوع الثاني: إرادة غير ملزمة مثل هو يريد من عباده أن يعبدوه فمنهم من يعبدوه ومنهم من يكفر؛ فهذه إرادة غير ملزمة، أما المشيئة فهي ملزمة.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ المشيئة تقتضي الوجوب؛ لأنَّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. ارجع إلى سورة إبراهيم آية (٢٧) لمزيد من البيان. وارجع إلى الآية (٢٣) من نفس السورة لمزيد من البيان.

[١٥] ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾:

يخبر الله سبحانه أنه ناصرٌ رسوله ﷺ في الدنيا والآخرة، والكلام موجّه إلى الكفار الحسّدة لرسول الله ﷺ ومن كان يظن أن الله لن ينصر رسوله ﷺ وينصر دينه.

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾: من شرطية تفيد المبادرة مع التأكيد، ومن تعني: من الكفرة والحسّدة. يظن: الظن يعني: يتصور أو يعتقد، أن: للتوكيد، لن: للنفي. والظن: هو الاحتمال الراجح. أن: للتوكيد. لن: تنفي القريب والبعيد.

﴿يَنْصُرُهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾: اللام لام الأمر، لن ينصر الله رسوله بكل أنواع النصر بالقوة والغلبة والحجة والبرهان.

﴿سَبَبٍ﴾: السبب في اللغة: هو الحبل؛ بحبل؛ أي: يشدد حبلاً. ارجع إلى سورة الكهف آية (٨٤) للبيان المفصل في معنى السبب.

﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾: إلى سقف بيته، وتعريف السماء: هي كلّ ما علاك.

﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾: ثم للترتيب الذكري، واللام للتوكيد، ثم ليختنق به، وأصله

ليقطع تنفسه؛ أي: دخول الهواء إلى رئتيه، كناية عن الاختناق، أي ليموت مختنقاً بحبله.

﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾: هل: استفهام للتقرير وإنكاري، ليقرأوا هم بأنفسهم أن غيظهم سيظل كما هو حتى تزهد أنفسهم وهم كافرون. الكيد: هو التدبير الخفي لإيقاع الضرر بالغير، سواء علم الخصم أو لم يعلم، والكيد أقوى من المكر. هل يذهبن كيده غيظه. الغيظ: هو الغم أو هيجان فيه نوع من الغضب والحزن وسمى فعله كيداً حيث لم يقدر على القيام بغيره، أو على سبيل الاستهزاء؛ أي: كاد بنفسه. ارجع إلى سورة التوبة آية (١٥) لمزيد من البيان. وسواء فعل ذلك أمام الناس أو في خلوة، هل يُريحه ذلك؟ فإن يُريحه فلم لا يفعل وينتهي الأمر؛ لأن الله ناصرُ رسله لا محالة، يذهبن: النون للتوكيد.

وهناك من قال: أيربط نفسه بحبل إلى سقف البيت، ثم يقطع الحبل فيسقط على الأرض، فإذا أن يموت أو تكسر عظامه وأضلاعه، وبعدها ينظر هل فعله هذا غير أي شيء من غيظه؟ لأن الله سينصر رسوله وعباده المؤمنين.

ولنعلم أن هذه الآية تحمل معنى التحدي للكفرة، وأعداء الله أن يمنعوا نصرة الله لرسوله وللمؤمنين.





سُورَةُ الْحَجِّ ٢٢

الْبَيْتُ السَّابِعُ عَشَرَ

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ
 ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالصَّدْرَى
 وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ
 يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
 يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
 وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ
 إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا
 فِي رَبِّهِمَا فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ
 مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ
 وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقْمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا
 أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ
 ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ
 أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾





سورة الحج [الآيات ١٦ - ٢٣]

[١٦] ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾:

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ﴾: كذلك: أي: مثل ذلك، كما بينا بشكل واضح في الآية السابقة قدرة الله عز وجل على نصرته رسوله محمد ﷺ في الدنيا والآخرة، كذلك أنزلناه؛ أي: القرآن آيات مبينات وواضحات تحمل الهدى والصلاح لمن يريد بإذن الله..

﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾: وأن للتوكيد، الله يهدي من: ابتدائية استغرافية، من يختار الهداية لنفسه ويسأل الله العون والثبات.

[١٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: المسلمين أتباع محمد ﷺ.

﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾: اليهود أتباع موسى ﷺ.

﴿وَالصَّابِئِينَ﴾: الذين عبدوا أو عبدة الكواكب والنجوم، وقيل: عبادة الملائكة، أو قوم كانوا على دين نوح وخرجوا عنه. وصبأ يصبأ: خرج من دين إلى دين. ارجع إلى سورة البقرة الآية (٦٢) لمزيد من البيان.

﴿وَالنَّصَارَى﴾: أتباع عيسى ﷺ.

﴿وَالْمَجُوسَ﴾: عبدة النار.

﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: عبدة الأصنام والأوثان وكل من أشرك بالله تعالى.



﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: إن للتوكيد، يفصل بينهم: يحكم
ينهم أولاً ثم يفصل بينهم، فالفصل يكون بعد الحكم، يفصل بينهم من كان منهم
على هدىً وحق، ومن كان على ضلال وباطل.

وفصل بين المؤمنين والمشركين والكافرين، وأهل الجنة من أهل النار،
وبين الأمم والأنبياء، والفصل أشد من الحكم. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٦٢)
لمزيد من البيان.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: إن للتوكيد، شهيد: صيغة مبالغة من: شاهد،
شهيد على أقوالهم وأفعالهم وحفيظ لها، فلا حاجة يوم القيامة إلى شهود أو
مُعين.

وانتبه إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، ولم يقل إن ربك؛ لأن الفصل والحكم لله، والرب تأتي في سياق
الخلق والرزق والتدبير والتربية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ
أَشْرَكُوا﴾: نجد أن كل اسم طائفة معطوف على ما قبله.

فالذين هادوا معطوف على الذين آمنوا، والصابئين معطوف على الذين
هادوا، والنصارى معطوف على الصابئين، والمجوس معطوف على النصارى؛
لأن هذه الآية جاءت في الفصل والقضاء والخصومات يوم القيامة، والموقف
والمقام مقام قضاء، وكل واحد من هؤلاء المذكورين متساوٍ في القضاء، ولا يهم
جاءت الصابئون قبل النصارى أو النصارى قبل الصابئين فإله سبحانه ساوئ
بينهم في القضاء لأنه الحكم العدل.

وقد يكون تقديم الصابئين على النصارى في هذه الآية؛ لأنهم جاؤوا قبلهم

بالزّمان، أو لأنهم أفضل من النّصارى من ناحية العقيدة والتّوحيد. ولنعلم أنّ هذه الآية ذكرت مرتين سابقاً في سورة البقرة الآية (٦٢) وسورة المائدة آية (٦٥) ارجع إليهما لمزيد من البيان.

[١٨] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: الهمزة همزة استفهام وتقرير، تر: أي: ألم تعلم أو ينتهي علمك، والرؤية هنا رؤية قلبية أو رؤية بصرية أو كلاهما.

﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: أن: للتوكيد، يسجد له سجود عبادة وطاعة ويعني الصّلاة بشكل عام، أو سجود خضوع وتسخير.

له: تقديم له يفيد الحصر؛ أي: لله وحده يسجد من في السموات ومن في الأرض: من تستعمل للعقلاء؛ أي: تدل على ذوات العقلاء، من في السموات: أي: الملائكة، من: استغراقية تستغرق كلّ ملك، ومن في الأرض: من إنس وجن فالكّل يسجد سجود طاعة وعبادة، أو سجود خضوع، ولنعلم أنّ كلّ مخلوق مهما كان جنسه أو نوعه من إنس أو جن، أو حيوان أو نبات أو جماد، له صلاته وله تسبيحه وسجوده الخاص به الذي يناسب جنسه وطبيعته.

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾: هذا يمثل ذكر الخاص بعد العام؛ للتوكيد؛ لأنّ هذه المخلوقات في السموات (الشمس والقمر والنجوم) أو في الأرض (الجبال والشجر والدواب)، والدواب: كلّ ما يدبّ على الأرض من حيوان.

واعلم أنّ من خصوصيات القرآن الكريم أنّ الله سبحانه إذا أسند السجود



إلى العاقل «استعمل من» وأتبعه بذكر غير العاقل، وهذا يسمى: عطف غير العاقل على العاقل، كما في هذه الآية (١٨) من سورة الحج، وكما رأينا في سورة الرعد الآية (١٥) حين قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا لَهُمْ بِالْعُذُوبِ وَالْأَصَالِ﴾، عطف على من (للعاقل) ظلالهم وهي لغير العاقل.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾: يسجد أو يصلي حسب قدرته قائماً أو قاعداً أو على جنبه، وقد يسجد ويشير بعينه أو أصبعه. وكثير من الناس: تعني الذين يسجدون عددهم كثير أو هم كثير والعدد، ولم يقل أكثر الناس، إذن هم كثير ولكن ليسوا هم الأكثر؛ الأكثر تعني: أكثر عدداً من كثير، وهؤلاء دخلوا فيمن ذكرهم تعالى في قوله: (ومن في الأرض) وكرر ذكرهم؛ لأن السجود الأول يختلف عن السجود الثاني، السجود الأول هو سجود اختيار وطاعة كسجود الصلاة وسجود الشكر، وسجود السهو وسجود التلاوة، والسجود الآخر (الثاني) هو سجود خضوع وذل، وتسخير وبدون اختيار.

قال سبحانه: وكثير من الناس يسجد سجود خضوع وذل، مقارنة بالقلة من الناس الذين يسجدون سجود طاعة، وذكرهم في مطلع الآية.

﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾: أي: هؤلاء الذين لا يسجدون سجود طاعة، إنما سجود خضوع وذل وليس خضوع إرادة، وهم الكفار والمشركون والملحدون والعاصون، فهؤلاء هم كثرة وهم الذين حق عليهم العذاب؛ أي: واجب عليهم العذاب.

وقليل من الناس وهم الذين سجدوا لله طوعاً، وبارادتهم ففازوا بالجنة ونجوا من العذاب.



والخطأ هنا أن نظن أن قوله تعالى بما أن كثيراً من الناس يسجد، يجب أن لا يحق عليه العذاب، فكيف قال تعالى حق عليهم العذاب.

﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ﴾: ومن يهن الله بالخزي والشقاء والعذاب، والخلود في النار.

﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾: الفاء: للتوكيد، فما له من يخلصه من العذاب، أو يُعزّه أو يشفع له؛ لأن العزة لله جميعاً. مكرم: اسم فاعل من: أكرم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾: من الخلق والإحياء والموت والرزق والفقر والإهانة والإكرام، والسعادة والشقاء، والعز والذل.

من مشيئة الله تعالى إذا شاء أكرم عبده، أو إذا شاء أذله وأهانته هذه المشيئة ملزمة؛ أي: واقعة لا تتغير؛ أي: واجبة وليست كالإرادة.

والإكرام مرتبط بتقوى العبد وطاعته وإحسانه وقربه من الله تعالى.

والإهانة مرتبطة بالكفر والشرك والمعصية والابتعاد عن جنب الله تعالى.

ارجع إلى الآية (١٤) من نفس السورة لمزيد من البيان.

[١٩] ﴿هَذَانِ خَصِمَانِ اٰخَصِمُوْا فِي رَیْبِهِمْ ۖ فَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُّصْبَتُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ ۖ اَلْحَمِيْمُ﴾:

أسباب النزول: كما روي عن ابن عباس: نزلت في أهل الكتاب قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله منكم وأقدم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم. فقال المؤمنون: نحن أحق بالله؛ آمناً بمحمد ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب. وقيل: كما روى البخاري عن أبي ذر نزلت في حمزة وعبيدة وعلي بن أبي طالب وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة حين تبارزوا للقتال يوم بدر. وقيل: إنها تعني جميع المؤمنين والكفار، وهذا ما ذهب إليه مجاهد وعطاء. رواه الطبري.



﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾: اختصموا في ربهم، خصمان: لا تعني اثنين، بل هما جمعان أو فريقان، والمراد بهما المؤمنون والكافرون، والدليل على ذلك قوله: اختصموا في ربهم، ولم يقل اختصما بالتثنية، والخصم يطلق على الواحد أو الجماعة أو الاثنين. فاسم الإشارة يفيد التثنية، ولمعرفة العدد جاء بضمير الجمع.

﴿اخْتَصِمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾: الخصم هو من يعارض غيره في الرأي ويتعصب لرأيه، كلٌ يدعي أنه على الحق أو على الصواب، في ربهم: في دين ربهم، أو صفات ربهم، أو في البعث، أو آيات الله. حين قال بعض أهل الكتاب للمؤمنين: نحن أحق بالله منكم ونحن أقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وكفرتم حسداً من عندكم، فالله يفصل بينهم يوم القيامة، كما قال سبحانه في الآية (١٧) من السورة نفسها: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ وكفى بالله شهيداً، فلا داعي لتكرار ذلك وبين جزاء كل من الفريقين.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾: قطعت: جاءت بصيغة الماضي، وهذا يدل على أن هذا التقطيع واقع لا محالة؛ أي: كأنه وقع وانتهى، قطعت: فصلت، أو قطعت لهم ثياب من نار على قدر أجسادهم، فليست فضفاضة ومتسعة مريحة؛ حتى تحيط بهم إحاطة الثوب بلبسه، وكذلك قطعت تعني أعدت بسرعة بدون تأخير.

﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾: الحميم: الماء البالغ منتهى الحرارة، الماء المغلي. من فوق رؤوسهم: من تعني: هم واقفون تحت الماء مباشرة ويصب الماء فوق رؤوسهم.

[٢٠] ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾:

﴿يُصْهَرُ﴾: أي: بالماء الحميم.

﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾: ما في بطونهم (الأمعاء والأحشاء)، يصل تأثيره إلى إذابة الجلد أولاً ثم يذيب ما تحت الجلد مثل الثرب (غطاء الأمعاء)، وتحترق أحشاؤهم، وهذا أبلغ من قوله: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ سورة محمد الآية (١٥). (ما) تستعمل للشيء غير المحدد ولغير العاقل (أي: ذلك الحميم يذيب جلودهم كما يذيب ما في بطونهم، أو يحرق به جلودهم ويصهر به الجلد، ويصهر به ما في بطونهم).

[٢١] ﴿وَلَهُمْ مَقْعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾:

مقامع: مضارب أو سياط من حديد يجلدون بها، جمع مقمعة: (آلة للضرب)، والمقمع في الأصل: كالمحجن يضرب بها رأس الفيل.

[٢٢] ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾:

﴿كُلَّمَا﴾: ظرف بمعنى حين، متضمنة معنى الشرط، تفيد التكرار، وأصلها (كل) ودخلت عليه (ما) الظرفية، وتفيد الزمن.

﴿أَرَادُوا﴾: أي: الذين كفروا.

﴿أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾: أن: للتعليل والتوكيد، يخرجوا منها؛ أي: يهبوا ليخرجوا منها من النار من شدة التعذيب والضرب والحميم.

﴿مِنْ غَمٍّ﴾: من ابتدائية، غم: نكرة، أي غم مثل الألم الشديد أو الحزن، أو العذاب أو ضيق النفس أو العطش الشديد والجوع.

﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾: أي مُنَعُوا من الخروج، وإعادتهم في النار مما يجعلهم يائسين من النجاة، واليأس من أشد أنواع الغم والعذاب.

﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾: أعيدوا فيها بالمقامع الحديدية؛ أي: السياط، وأعيدوا



فيها: تدل على أنهم لم يخرجوا خارجها أصلاً، ولم يقل أعيدها إليها؛ أي: يضربون بالمقامع وهم في داخل النار.

﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: يقال لهم: ذوقوا عذاب الحريق: النار المحرقة، وكلمة ذوقوا: تدل أن العذاب شامل كل الجسم. وفي الآية (٢٠) من سورة السجدة يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾، وإذا قارنا آية الحج مع آية السجدة: نجد أن تفاصيل العذاب في سورة الحج أعظم وأشد من تفاصيل العذاب في سورة السجدة لأن سورة السجدة تتحدث عن الذين فسقوا؛ أي: خرجوا عن طاعة الله أو دين الله تعالى، وأمّا آية الحج تتحدث عن الذين كفروا، والكافر أشد من الفاسق، ولذلك اختلفت درجة العذاب فهؤلاء قطعت لهم ثياب من نار يُصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد، وأمّا الذين فسقوا: لا يصب من فوق رؤوسهم الحميم ولا يصهر ما في بطونهم والجلود، ولم يذكر لهم مقامع من حديد.

[٢٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾:

في الآيات السابقة (٩-٢٢) رأينا ما سيحل بالذين كفروا، أمّا بالنسبة للذين آمنوا وعملوا الصالحات فهؤلاء يدخلهم الله تعالى جنات: جمع: جنة، جنات الفردوس أو عدن أو المأوى أو النعيم أو دار السلام. ارجع إلى الآية (١٤) من نفس السورة.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾: يحلون؛ أي: يلبسون

فيها من الحلية التي هي الأساور من الذهب واللؤلؤ، ويحلّون: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على التكرار والتجدد والاستمرار. من أساور: من ابتدائية، من ذهب ولؤلؤاً: (من) لبيان الجنس الذهب واللؤلؤ، ولا تعني البعضية بل تعني الكثرة.

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾: أي: في الجنة، من حرير: من لبيان الجنس وتعني الكثرة، حرير بنوعيه السندس؛ أي: الناعم، والإستبرق الغليظ.

لنقارن قوله تعالى: ﴿وَحُلُواْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ سورة الإنسان الآية (٢١) مع قوله تعالى: ﴿يُكَلِّوْنَ فِيهَا مِّنْ أَسَاوِرَ مِّنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ أي: الأجر والثواب في آية الحج أعظم وأفضل، ولنقارن قوله تعالى: ﴿أَسَاوِرَ﴾ و﴿أَسْوِرَةً﴾ سورة الزخرف الآية (٥٣): أساور: جمع كثرة، بينما أسورة: جمع قلة، أساور أعظم وأفضل من أسورة.





سُورَةُ الْحَجِّ ٢٢

الجزء الثاني عشر

وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ
 ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ
 وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾
 وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي
 شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ
 السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا لَا وَعَلَى
 كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا
 مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ
 عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَلَکُوا مِنْهَا وَطَعَمُوا
 الْبَاسِ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا
 نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ
 يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ
 لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا
 الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾



سورة الحج [الآيات ٢٤ - ٣٠]

[٢٤] ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾:

﴿وَهْدُوا﴾: أي الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين أدخلوا في الجنات التي تجري من تحتها الأنهار. هدوا: من الذي هداهم؟ كما بينه الله تعالى في سورة يونس آية (٩): يهديهم ربهم بإيمانهم.

يهديهم إلى الطيب من القول؛ أي: إلى أفضل القول والدعاء من الحمد والثناء والسلام كقولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ، وَأَوْثَقَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ٧٤]، و: الحمد لله ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ [فاطر: ٣٥]، و: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، و: لا إله إلا الله، ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، وغيره من القول الطيب؛ أي: المبارك. من: البعضية.

﴿وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾: وهدوا: تكرر؛ هدوا: يفيد التوكيد؛ أي: أرشدوا ودلّوا إلى صراط الحميد: الصراط المستقيم الموصل إلى الجنة أفضل الطرق على الإطلاق، الحميد: اسم من أسماء الله الحسنى؛ أي: أهل الثناء والحمد الدال على الخيرات، وثبتت له صفة الحمد وسماه صراط الحميد.

وانتبه إلى قوله في هذه الآية: صراط الحميد، بينما في الآيات الأخرى: ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾، صراط الحميد: (كما جاء في سورة الحج) ولم يذكر العزيز؛ لأنها آية في سياق الآخرة؛ لأنه ليس في الآخرة تكاليف أو مخالفة لأمر الله تعالى كما هو الحال في الدنيا، فلا حاجة لذكر العزيز الذي يغلب ولا يُغلب ويقهر ولا يقهر والممتنع على عباده.



وأما صراط العزيز الحميد: جاء في سورة إبراهيم آية (١)، وسورة سبأ آية (٦)، هذه الآيات جاءت في سياق الدنيا فذكر فيها العزيز الحميد.

[٢٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يُلْطَمِ نَذْفُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾:

هذه الآية تتحدث عن نوع آخر من الكفر، وهو منع الناس من الدخول في الإسلام ودخول المسجد الحرام كما حدث في صلح الحديبية مثلاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: إن: للتوكيد. كفروا: في صيغة الماضي؛ لأن الكفر وقع منهم فعلاً كفروا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: ويصدون جاءت بصيغة المضارع والقياس أن نقول: كفروا وصدوا عن سبيل الله؛ لأن الصد الذي يقومون به ناتج عن الكفر، وما يزال صدهم مستمراً ومتجدداً؛ لأن كفرهم مستمر وثابت، والصد: هو المنع بقصد ونية. ارجع إلى سورة النساء آية (٦١) للبيان.

ولا بد من معرفة الفرق بين البيت الحرام والمسجد الحرام والكعبة والبلد الحرام والمشعر الحرام، الكعبة: هي المركز وهي البناء المكعب الذي يتوسط الحرم، وهي البيت العتيق، والمسجد الحرام: هو المسجد المحيط بها من كل الجهات.

﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾: قبله لصلاتهم ومنسكاً ومعبدًا يصلون فيه ويطوفون حوله. للناس: اللام لام الاختصاص؛ أي: للمسلمين.

﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾: سواء النوعان متساويان: العاكف والباد (اسم فاعل) في إقامة المناسك والحرمة، سواء العاكف فيه: يعني: المقيم فيه والملازم له، وعكف على الشيء: واظب عليه ولازمه، والباد: القادم من خارج مكة، القادم من أي مكان في الأرض.

﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يُلْطَمِ﴾: ومن: شرطية، ومن يرد من: الإرادة؛ أي:

الفعل؛ أي: ينوي ويعزم على القيام بارتكاب الذنب فيه أو القتل أو ارتكاب المنكر في الحرم، والباء للإلصاق والتوكيد (العزم) بالحداد: أي: الميل عن الحق مثل استحلال الحرم؛ أي: فعل الحرام متعمداً مثل القتل أو الشرك أو ارتكاب المنكرات.

بظلم: بالخروج عن منهج الله تعالى، والعصيان والتمرد وظلم الناس.

﴿نُذِقُهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: جواب الشرط لـ: من يرد، نذقه: من الذوق: وهو الإحساس بالمطعم والمشروب، الذوق: يعني الإهانة والمذلة والألم الذي يصل إلى كل عضو في الجسم.

[٢٦] ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْءٍ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾: إذ؛ أي: واذكر إذ بَوَّأْنَا، أو حين بَوَّأْنَا لإبراهيم مكان البيت: اللام في (إبراهيم) لام الاختصاص، بَوَّأْنَا: من: بَاء؛ أي: رجع؛ أي: يرجع إلى المكان الذي ينزل فيه؛ أي: يسكن فيه، ويقال: اتخذ مكان مباءة؛ أي: مرجعاً للعبادة؛ أي: يبعث إليه المؤمنون؛ أي: يحجوا إليه كل عام.

مكان البيت؛ أي: البيت الحرام الكعبة، وجبريل هو الذي حدد لإبراهيم حدود الحرم، فالحد الشمالي يبعد (٦ كم) من الكعبة، والحد الجنوبي (١٢ كم) من الكعبة، الجنوبي الغربي (١٦ كم) والحد الغربي (١٥ كم) عند الحديبية، والحد الشرقي (١٤ كم)، ومساحة الحرم تبلغ (٦٠٠ كم^٢) في الوادي الذي يبلغ طوله (٣٠ كم) وعرضه (٢٠ كم).

﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْءٍ﴾: أن هذه مصدرية تفيد التعليل والتوكيد، أو تفسيرية، لا: النائية، لا تشرك بي شيئاً: (شيئاً) جاءت بصيغة النكرة؛ أي: لا تشرك بي كائناً من كان، أو لا تشرك بي شيئاً من الشرك لا قليلاً ولا كثيراً، والخطاب موجهٌ إلى إبراهيم وكل من اتبع ملة إبراهيم.

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾: طهر بيتي: من الأصنام أو الأوثان، أو أي شرك،



وطهره من النجاسة للطائفتين الذين يطوفون حول البيت من أهل مكة وغيرهم من القادمين من خارج مكة، سواء كان طواف القدوم أو الإفاضة أو الوداع.

والقائمين: أي: المقيمين أو المعتكفين (جمع معتكف) من أهل مكة وغيرهم.

﴿وَالرُّكْعَ السُّجُودَ﴾: جمع: راع، وجمع: ساجد؛ أي: المصلين، ولم يقل: الركع السجد، وإنما: الركوع السجود؛ أي: السجود الحقيقي، والذي يتضمن الخشوع، بينما السجد تعني: السجود الظاهري فقط.

التطهير يشمل التطهير الحسي والمعنوي، وطهر بيتي: الطهارة الحسية؛ أي: من الأوساخ والأقذار، والطهارة المعنوية من الأصنام والشرك، حيث كانت قبيلة جرحم وغيرهم يضعون الأصنام عنده ويعبدونها من دون الله تعالى.

[٢٧] ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾:

﴿وَأَذِّنْ﴾: الخطاب إلى إبراهيم ﷺ، والأذان في اللغة: الإعلام، وشرعاً: النداء إلى الصلاة.

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ﴾: بعد بناء البيت ورفع قواعده جاءه جبريل ﷺ فأمره أن يؤذن في الناس كما قال ابن عباس. في: ظرفية.

﴿بِالْحَجِّ﴾: الباء: للإلصاق، زمن الحج.

﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾: الرّاجل: هو الماشي على قدميه، رجالاً: مشاة؛ أي: راجلين يمشون على أقدامهم.

﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾: ضامر: البعير أو الجمل المهزول الذي أتعبه السفر، وقيل: الضامر: قليل اللحم، وقيل: كان العرب يضمروا الخيل؛ لتكون أقوى وأنشط وأسرع في المشي؛ أي: يأتون راكبين على

إبلهم الضَّامِرَة الهزيلة أو دوابهم. يأتين: (تعود على الدَّواب)، من كُلِّ فَجٍّ عميق: الفَجٌّ: هو الطَّرِيق في الجبل، عميق: ولم يقل بعيد، عميق؛ لأنَّ الأرض كروية الشَّكل وسطحها منحني، وكلما ابتعدت عن مكة ينحني سطح الأرض؛ (لأنَّ الأرض ليست مستوية)، ويعمق وينحدر سطحها، وهذا الإعجاز العلمي الَّذي يدل على كروية الأرض.

[٢٨] ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ﴾:

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾: اللام للتوكيد، يشهدوا: يحضروا، منافع لهم: دينية فالحج والعمرة من طواف وسعي، والوقوف بعرفات والنحر والتكبير، وحلق وتقصير، ومنافع دنيوية مثل التجارة والشراء والهدايا، والتعارف، وزيارة الأماكن التاريخية.

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾: بالتلبية والتكبير والدعاء والصلاة، أيام معلومات: أيام الحج؛ وهي العشر من ذي الحجة ويوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق.

﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾: أي: يذكروا اسم الله عند الذَّبح بالقول: باسم الله والله أكبر، والشُّكر والحمد والتَّكبير، وبهيمة الأنعام: تعني: كل ما يصطاد ويؤكل يعتبر من بهيمة الأنعام، ولم يحرم شرعاً؛ أما الأنعام فهي: الإبل، والبقر والغنم والماعز، وغيرها مما يباح أكله.

﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾: من لحومها؛ لأنَّ أهل الجاهلية كانوا يتحرَّجون في الأكل من لحوم الهدايا والأضاحي.

﴿وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ﴾: الشَّدِيد الفقر، أو الَّذي أصابه فقر شديد،



وقيل: البائس الذي تظهر عليه علامات الفقر ولم تعد تخفى، والفقر: الذي يخفي فقره ولا يعلم الناس بحاله، أو لا يملك شيئاً أو يمد يده للناس.

[٢٩] ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾:

﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾: ثم للترتيب الذكري، ليقضوا: اللام لام الأمر، ليقضوا تفثهم: من القضاء؛ أي: يزيلوا تفثهم، والتفث: هو الأوساخ والأدران التي تعلق بالجسم من الغبار والعرق بالحمامات، ويغيروا ملابسهم بعد انتهاء مدة الإحرام، وحلق الشعر وتقليم الأظافر.

﴿وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ﴾: اللام لام الأمر، إن كان عليهم نذر (أي: ينحروا ما نذروا لله من هدايا وضحايا)، أو غيره. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٧٠) لمعرفة معنى النذر.

﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾: السلام لام الأمر، أصلها: ليتطوفوا بالبيت العتيق: الكعبة، والعتيق يطلق على كل شيء يطول مكثه ويبقى أكثر من أمثاله، والعتيق: القديم جداً، ويعني كذلك: الغالي والنفيس، والشيء الجميل، أو المعتوق من سيطرة الغير؛ لأن الله حفظه كما حدث عام الفيل.

وليطوفوا: طواف الإفاضة أو القدوم أو الوداع، طواف العمرة أو الحج.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَجَلْتَ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد، (ذلك): ما ذكر من أعمال الحج بأنّها أوامر واضحة.

﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾: جمع حرمة، والحرمة: كل أمر لله يحرم

تركه وكلُّ نهيٍ يحرم فعله أو القيام به، أو ما وجب القيام به وحرَم التّفريط به، وتعظيمها: يعني لا يكون لذاتها، وإنما تعظيمها تعظيم لله سبحانه؛ لأنها من حرَمات الله وأوامره وتطبيقها على أتم وجه وبحب وإخلاص.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهِ عِنْدَ رَبِّهِ﴾: فهو: للتوكيد، أي: التعظيم خيرٌ له ثواباً عند ربه في الآخرة.

﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْآنَعُمُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾: أي: أحلّ أكلها بعد الذّبح إلا ما تلي عليكم وهي ﴿الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ [المائدة: ٣].

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾: الفاء: للتوكيد، اجتنبوا: الاجتناب أشد وأقوى من التحريم، الرّجس: القذر حساً أو شرعاً أو عقلاً، من الأوثان: (من) ابتدائية استغراقية تستغرق كلّ وثن من تمثال، ويدخل فيها الشيطان والطّاغوت والأصنام؛ أي: اجتنبوا عبادتها أو دعاءها، وتجنب ذكر غير اسم الله على الأنعام عند الذّبح أو ذبحها على النّصب وغيرها من أعمال الشّرك. ارجع إلى سورة البقرة الآية (٥٩) للبيان المفصل في معنى الرّجس والرجز والفرق بينهما.

﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾: من الازورار: بمعنى الميل، وهو كلّ قول مائل عن الحق؛ أي: القول الكذب الباطل الخبيث. وزور الشيء؛ أي: سواه وحسنه بحيث يظهر سويّاً حسناً، أو أنّه حقّ وصدق، كالقول: إنّ لله ولداً أو شريكاً، وكقولهم: إنّ الله حرّم البحيرة والسّائبة والوصيلة والحام، مثلاً. كما ورد في سورة المائدة آية (١٠٣) ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾.





سورة الحج ٢٢

الحج

حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ. وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ
السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾
ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾
لَكُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحْلُهَا إِلَى الْبَيْتِ
الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ
اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَالْيَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ
فَلَهُ اسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدَدِ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ
اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ
جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا
لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا
وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتَكْبِرُوا
اللَّهُ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ
يُذْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾





سورة الحج [الآيات ٣١ - ٣٨]

[٣١] ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾:

﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾: جمع حنيف، مأخوذة من: حنف القدم؛ يعني: تقوُّسها وانحناءها؛ أي: مائلين عن الباطل والاعوجاج مستقيمين على ملة إبراهيم، مخلصين له الدين بالتوحيد وعبادة الله وحده، مائلين عن عبادة الأصنام والشرك. ارجع إلى الآية (١٣٥) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾: بالله من شيء، من ولد أو شريك أو ندًّا أو مثل.
﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾: من شرطية، يشرك بالله: بأن يجعل له شريكاً أو ندّاً أو ولداً.

﴿فَكَأَنَّمَا﴾: كأن: للتشبيه، مؤلفة من كاف التشبيه وإن، فصارت كلمة واحدة، والتشبيه بكأن أبلغ من التشبيه بالكاف فقط.

﴿خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾: سقط من السماء بسرعة ومن ارتفاع بعيد، فتمزقت أو صاله وصارت الطير تخطفها قبل أن تصل إلى الأرض.

﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾: أو: تعني: إن لم تخطفه الطير تهوي به الريح، تهوي من: هوى؛ أي: سقط إلى أسفل، تقذفه الريح وترمي به إلى أسفل في مكان سحيق بعيد القعر أو عميق، حتى تتكسر عظامه وتسحق من شدة الصدمة،



فيصبح جثة هامدة لا حياة فيها، فهذا هو حال المشرك الذي لم يتب فقد وقع في الهلاك. وكلمة ريح في القرآن تأتي في سياق الشر، والرياح تأتي في سياق الخير.

[٣٢] ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد، (ذلك) تستعمل بعد إتمام المعنى والبدء أو الخوض في معنى آخر.

﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: الشعائر: جمع شعيرة وهي العلامة، والإشعار هو الإعلام، من شعائر الله: من شعائر دين الله، والشعائر: هي معالمه الظاهرة للحواس؛ أي: العلامات؛ أي: مواضع النسك أو العبادة؛ أي: المعالم المكانية مثل الصفا والمروة والبُدن من شعائر الله، والشعائر تطلق على أعمال الحج أيضاً مثل الطواف والسعي ورمي الجمرات والوقوف بعرفة والتكبير والتعظيم: يعني: إجلالها واحترامها والقيام بها بحب وإخلاص وأدائها بشكل كامل تام، فهذه العلامات المعالم المكانية أو أعمال الحج (الشعائر) عظيمة عند الله تعالى وأوصانا بتعظيمها لنيل الثواب التام، مثال على ذلك: البدن من شعائر الله تعظيم هذه الشعيرة يعني اختيار أحسن البدن وأكثرها وزناً ولحماً، وسليمة من أي عيب أو مرض.

﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾: أي: تعظيمها من العبادات القلبية.

وأضاف التقوى إلى القلوب؛ أي: تعظيم هذه الشعائر واحترامها طاعة؛ أي: تقوى؛ أي: عبادة من العبادات القلبية الخاصة بالقلوب؛ أي: تقوم بها القلوب.



[٣٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾:

﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص، لكم أنتم خاصة.

﴿فِيهَا﴾: في الظرفية تعود إلى الشعائر مثل البدن.

﴿مَنَافِعُ﴾: من شرب لبنها وركوبها والحمل عليها وصوفها ووبرها.

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى زمن معين هو نحرها في يوم العيد أو أيام التشريق.

﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾: حيث تنحر، ومحل الذبح هو منى، والآية

تقول: البيت العتيق؛ أي: إذا نحرنا في الأماكن المخصصة لها في منى أو غيرها،

فكأنما وصلت إلى البيت العتيق والثواب واحد، والمهم المحافظة على الأمور

الصّحية وعدم تأذي الحجاج بروائحها أو فضلاتها.

[٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ

الْأَنْعَامِ فَالْهَكَمُ لِلَّهِ وَجَدُّ فَلَهُ اسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: الأمة:

﴿جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾: المنسك: الموضع أو المكان الذي يُتَعَبَّدُ الله فيه، أو

ما يتقرب به إليه من عمل صالح، فالنّسك هي العبادات أو التكاليف التعبدية،

ومناسك الحج: تعني الأماكن التي تؤدّى فيها الشعائر مثل عرفات ومزدلفة

ومنى، ومكة، كما قال إبراهيم ﷺ ربنا أرنا مناسكنا: أي: علّمنا كيف نعبدك وأين

نعبدك. ارجع إلى الآية (٦٧) من نفس السورة لمعرفة الفرق بين مَنْسِكَ بفتح

السين مَنْسِكَ بكسر السين.



﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾: اللام للتعليل، اسم الله وحده عند نحرها أو ذبحها
مثل القول: باسم الله والله أكبر.

﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ﴾: الرزق؛ يعني: أوجدها وذللها وملكها أو سخرها لكم.
﴿مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ﴾: من لبيان الجنس، بهيمة الأنعام: ارجع إلى الآية
(٢٨) من السورة نفسها.

﴿فَالِإِهْكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾: الفاء للتوكيد، إلهكم إله واحد: أي: هو المشرع
لكم، ولكل أمة ما يناسبها ويصلحها من الشرائع والأحكام.
إلهكم إله واحد: ارجع إلى سورة الصفات آية (٤) للبيان المفصل والفرق
بين أحد وواحد.

﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾: أي: أخلصوا له بالتوحيد، وقدم له للحصر، ابتغوا وجهه
ولا تشرکوا به شيئاً؛ أي: وحدوه.

لنقارن هذه الآية من سورة الحج: ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾، مع الآية (٥٤) من سورة
الزمر: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ. مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾: وله أسلموا:
قدم الجار والمجرور؛ لتفيد الحصر؛ لأنَّ المقام مقام توحيد.

وأسلموا له: آخر الجار والمجرور، المقام مقام استغفار وليس مقام توحيد
وعدم القنوط من رحمة الله ووعد وعيد وتهديد بالعذاب.

﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾: من الخبت؛ والخبت في اللغة: المكان المنخفض من
الأرض. المخبتين؛ أي: المتواضعين؛ جمع مخبت: المطيع المخلص الخاشع
المتواضع الذي بلغ ذروة التواضع، والخبت: الاطمئنان، بشر المخبتين: لم يذكر

نوع البشارة، وهي رضوان الله وجنته، وغيرها من النعيم، بشر من البشارة، ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة. ومن صفات المخبتين ما ورد في الآية التالية.

[٣٥] ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: الذين: اسم موصول يفيد المدح. ذكر الله؛ أي: ذكرت عظمته وقدرته ووعدته ووعيده شعروا بالوجل، والوجل: هو أشد درجات الخشية والخوف، الذي يؤدي إلى اضطراب القلب بازدياد عدد دقاته وقشعريرة في الجلد أو البكاء؛ فالخوف: توقع أمر مكروه، والخشية: أشد من الخوف؛ خوف يشوبه رهبة وتعظيم، والوجل: أشد من الخوف والخشية.

﴿وَالصَّابِرِينَ﴾: جملة اسمية تدل على الثبات. فالصبر عندهم صفة ثابتة.

﴿عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾: في الضراء والمحن والشدائد والابتلاء.

﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾: بأركانها وشروطها وأوقاتها وخشوعها.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٣) من سورة البقرة للبيان؛ أي: من بعض ما رزقناهم ينفقون.

[٣٦] ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعِيرٍ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

﴿وَالْبُدْنَ﴾: جمع بدنة، وهي الجمل أو الناقة أو ما يساويها من البقرة



(البقرة تقوم مقام البدن في الحكم)، والغنم لا تسمى بدنة، وسمّاها بدنة إشارة إلى ضرورة أن تكون بدينة؛ أي: سميّة.

﴿جَعَلْنَهَا لَكُمْ﴾؛ أي: صيّرها لكم، سخّرناها لكم، اللام لام الاختصاص.
﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: من ابتدائية بعضية، من شعائر الله؛ أي: البدن شعيرة من شعائر الله، وشعائر الله: العبادات التي يتقرب بها إلى الله مثل الإحرام شعيرة، والتكبير شعيرة، والطواف شعيرة، والسعي وذبح البدن أيضاً شعيرة.

﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾: في الدنيا بالانتفاع من لبنها أو ركوبها أو حمل الأثقال أو أكل لحومها، ومنافع في الآخرة بنحرها وذكر اسم الله عليها وإطعام البائس الفقير والقانع المعتر. وما في ذلك من ثوابٍ وتقربٍ إلى الله يوم القيامة.

﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾: عند نحرها؛ أي: قولوا: باسم الله والله أكبر، صوافّ: وهي واقفة قائمة، صفّت: ربطت رجليها وإحدى يديها، فهي على ثلاث قوائم قبل نحرها.

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، إذا شرطية تفيد الحتمية، وجبت جنوبها من: وجب الشيء؛ يعني: سقط سقوطاً قوياً على الأرض، أو وجب الجدار: سقط؛ أي: وقعت أو سقطت على الأرض وفارقت الحياة بعد الذبح.

﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾: الفاء: للترتيب والمباشرة؛ أي: الأكل منها أمر مباح.
﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾: القانع: المحتاج الذي لا يسأل الناس، قانع

بما عنده رغم كونه فقيراً، المعترّ: المحتاج الذي يسأل ويقف بالطّرات يسأل الصدقات.

﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: كذلك؛ أي: مثل ما سخرناها لكم للانتفاع منها في الركوب والأكل والانتفاع بها.

كذلك سخرناها لكم لعلكم: لعل للتعليل، تشكرون المنعم على تسخيرها بالطاعة والاستقامة والذكر والشكر. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠) لمزيد في معنى الشكر.

[٣٧] ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿لَنْ﴾: لنفي القريب والبعيد.

﴿يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾: الله سبحانه غني عن لحوم هذه البدن وعن نحرها، فلا يصل إليه شيءٌ منها وإنما يناله؛ أي: يصله تقواكم وطاعتكم لما أمركم به وإخلاصكم وتوحيدكم وشكركم إياه. والتّقوى تعني: امتثال وطاعة أوامره وتجنب نواهيه.

﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾: كذلك: تعني: أيضاً؛ أي: وسخرها لكم أيضاً لتكبروا الله، اللام لام التعليل، تكبروا الله تعالى في الأعياد بالقول: الله أكبر الله أكبر، وبعد النحر، على ما هداكم: كما علمكم وأرشدكم ودلكم على ما فيه.

﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾: بشر من البشارة، ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة



البقرة، المحسنين: جمع محسن، وهو الذي يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فالله يراه، والذي تعدى إحسانه إلى غيره ولم يقتصر على نفسه. ولمعرفة معنى الإحسان ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة.

لنقارن الآيتين السابقتين (٣٦-٣٧):

في الآية (٣٦): قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَخَرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

في الآية (٣٧): قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ لِتَكْبَرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَّكُمْ﴾.

سخرناها لكم؛ لأنّ الفائدة عمّت الكل؛ لقوله تعالى: فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر.

سخرها: لأنّ الآية تتحدث عن المنعم الذي سخر البدن لتتقوه وتكبروا الله على ما هداكم.

[٣٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام كما حدث في الحديبية، وذكر المشاعر والمناسك والحج، يأذن الله في الآيات التالية بقتال الكفار الذين يصدون الناس عن الحج، والدفاع عن المقدسات والضعفاء.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: إن: للتوكيد، يدافع: صيغة مبالغة من: يدفع، قد تكون مرة واحدة وينتهي الأمر، أمّا (يدافع) تعني باستمرار وتكرار، يدافع عن الذين آمنوا بقوة واستمرار، سواء في معركة أو إذا أصابهم ظلم وقهر

من عدوهم، يدافع عنهم ضد أعدائهم وخصومهم، وهو سبحانه أقوى وأعظم قوة من كلِّ عدو لدينه وأوليائه، وفي هذه الآية بشارة للمؤمنين وتطمين لهم، ولكي يدافع الله عن المؤمنين لا بدّ للمؤمنين من إعداد كلِّ ما يستطيعون من قوة ورباط الخيل والتّوكل على الله.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾: إنّ للتوكيد، كلّ خَوَّان: صيغة مبالغة: كثير الخيانة مراراً وتكراراً، والخيانة عظيمة ليست خيانة بسيطة، كفور: صيغة مبالغة: كثير الكفر، أصبح الكفر شغله الشّاغل.

الفرق بين خَوَّان كما في الآية من سورة الحج، وخائن كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]، الخائن: تصدر منه الخيانة مرة واحدة أو خيانة في أمر غير عظيم، أمّا الخَوَّان: كثير الخيانة، أو يخون خيانة عظيمة أو في أمر هامّ جداً أو خيانة متكررة.





سُورَةُ الْحَجِّ ٢٢

الْبَيْتُ السَّامِعُ

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ
لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ
يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدِمَتْ
صُومَعُ وَيَبَعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ ذَكَرَ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ
كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ
عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ
وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾
وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ
أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَايِنَ مِنْ قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

سورة الحج [الآيات ٣٩ - ٤٦]

[٣٩] ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾:

قال كثير من المفسرين: إنّ هذه هي أول آية نزلت في إباحة القتال (الجهاد) ونزلت في المدينة بعد أن أخرج الرسول ﷺ وأصحابه من مكة إلى المدينة وتركوا ديارهم وأموالهم.

ما هو الفرق بين الجهاد والقتال؟ الجهاد: يشمل قتال الأعداء، ويشمل: جهاد النفس، والشيطان، وجهاد المنافقين.

والجهاد: يكون بالقوة، والحرب، والمال، والنفس، واللسان، والبيان، والحجة، والقلب، وتحمل الأذى، والصبر.

فالجهاد: أوسع من القتال، فالقتال: الجهاد بالسيف، أو القوة، ويعني: الدفاع، وقتال الكفار والمشركين، والجهاد كله بكل أنواعه هو في سبيل الله، ومنه جهاد في الله وفيما أمر أو قدر، وأعظم الجهاد جهاد النفس، وطاعة الله، وسياق الآيات يوضح لنا نوع هذا الجهاد.

والقتال: هو الدفاع عن الدين، والمال، والعرض، والنفس أمام أي عدو كان.

وكما قيل: نزلت هذه الآية بعد نزول أكثر من سبعين آية تنهى المؤمنين عن



الجهاد والقتال وتحثهم على الصبر. وقال جماعة آخرون: إن أول آية نزلت في القتال هي: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وهناك من قال: إن أول آية هي: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١]، وقد بين بعض المفسرين أن تشريع القتال والجهاد كان بالتدرج كما حدث مثلاً في تحريم الخمر، حيث القتال والجهاد أمر شاق على النفوس، وقيل: مرت فرضية الجهاد بمراحل نذكر منها:

١ - هناك الكثير من الآيات تحث على الصبر وعدم القتال والعفو كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ٧٧].

٢ - ثم جاءت آيات مثل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كُنْبًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥].

٣ - ثم الإذن بالقتال بغير إيجاب الفرض ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾ [الحج: ٣٩].

٤ - ثم الإيجاب؛ أي: أوجب القتال وأصبح فرضاً ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٩٠].

﴿أُذِنَ﴾: رُخص أو أبيع.

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿يُقَاتِلُونَ﴾: وهم: النبي ﷺ وأصحابه (ويستثنى منهم الأعمى والأعرج والمريض)، أذن لهم أن يدافعوا عن أنفسهم.

﴿بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾: الباء: للتعليل أو السببية، أنهم ظلموا من قبل الكفار

والمشركين من أهل مكة، حيث استمروا في إيذاء المؤمنين والتّصدي لهم بالاضطهاد والسوء.

﴿وَلِإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾: (إنّ) واللام في كلمة (لقدير) تفيدان التّوكيد؛ أي: سبحانه قادر على نصر المؤمنين المستضعفين، وقدير: صيغة مبالغة؛ أي: كثير القدرة أو عظيم القدرة، لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض وهو القوي العزيز.

[٤٠] ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوبُهُمْ وَأَسْفَلَتْ صُورُهُمْ وَفُتَّتْ لَأِبْرَاهِيمَ الْقَبْرُ فَأَسْمُ اللَّهِ كَثِيرٌ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: أي: المؤمنين محمّد ﷺ وأصحابه وغيرهم من المؤمنين الذين يجيئون بعدهم.

﴿أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ﴾: من مكة أو غيرها من الديار، أخرجهم عدوهم. ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: الباء: للإلصاق، بغير حق؛ أي: لم يكن لهم ذنب أو سبب حقيقي يستدعي إخراجهم، أو موجب لإخراجهم، وإنما أخرجوا بالعدوان والظلم والبغي.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، أي: ما أخرجوا من ديارهم إلا بسبب قولهم: ربنا الله؛ أي: إيمانهم بالله أو دينهم وإسلامهم.

﴿أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾: أن: للتوكيد، يقولوا ربنا الله (وحده لا شريك له)، ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين.



ومن هنا جاء الإذن بالقتال، وقد أوضحت الآيات الحكمة من مشروعية القتال وأسبابه، ومنها: إخراج المؤمنين من ديارهم وسلب ممتلكاتهم، وإيذاؤهم وطردهم من أوطانهم بسبب دينهم وإسلامهم والدفاع عن مقدساتهم ودور العبادة، وكذلك حماية المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، وكذلك عدم تمكن المؤمنين من ممارسة شرائع دينهم والعبادة.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ﴾ لولا: حرف امتناع لوجود (الدفع)؛ أي: ولولا الدفع لهدمت صوامع، فما هو الدفع: الدفع: هو الدفاع أو القتال في سبيل الله تعالى.

ومعناه: لولا دفع الله المشركين بالمسلمين لغلب المشركون في الأرض وأفسدوا فيها وأهلكوا الحرث والنسل، وهدمت دور العبادة من صوامع وبيع وصلوات ومساجد، أو: لولا أن الله يدفع الكافر بالمؤمن والعاصي بالطائع، ويدفع الباطل بالحق، لفسدت الأرض ومن عليها ولهذمت.

﴿صَوَامِعُ﴾: معابد وأديرة الرهبان.

﴿وَبَيْعٌ﴾: كنائس النصارى.

﴿وَصَلَوَاتٌ﴾: كنائس اليهود (مشتقة من الصلاة).

﴿وَمَسَاجِدُ﴾: أي: بيوت الله المخصصة للعبادة. والمسجد: هو دار عبادة المسلمين، والذي تقام فيه الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة المفروضة وغيرها، ويطلق عليه اسم جامع، والاسم مسجد مشتق من السجود، والجامع مشتق من صلاة الجمعة، أو لكونه يجمع الناس.

﴿يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾: فيها: في هذه الأماكن الأربعة، يُذكر اسم الله كثيراً بالصلاة والدعاء والخطب والدروس، وهذا الترتيب قد يكون من الأدنى إلى الأعلى بالدرجة، أو الأقل إلى الأكثر عُماراً وعباداً.

﴿وَلْيَنْصُرِكُ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾: الواو استئنافية، لينصرون: اللام لام التوكيد، ينصرون: فيها نون التوكيد، ينصرون بالغلبة والنصر وكسب المعركة، أو بالشهادة والقتل في سبيل الله ونيل الحسنى، ولينصرون الله من ينصر دينه ورسله والمؤمنين والمظلومين والضعفاء، والذين يعملون على إعلاء كلمة الله؛ لتكون هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: إن للتوكيد، لقوي: اللام للتوكيد، قوي: لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السموات ولا يفوته شيء، عزيز: له عزة القهر والغلبة والقوة، لا يُقهر ولا يُغلب، وله عزة الامتناع لا يحتاج إلى أحد من عباده، ولا يناله أحد بأي مكروه، أو سوء، وله عزة العظمة.

لنقارن آية البقرة (٢٥١) قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

مع هذه الآية (٤٠) من سورة الحج: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَٰدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.

نجد آية البقرة جاءت تعقياً على فرضية الجهاد على بني إسرائيل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَّهُمْ أَهْبِثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.



ونجد آية الحج جاءت تعقيماً للإذن للمؤمنين بالجهد في سبيل الله؛ أي:
فرض لمنع الفساد في الأرض وتحقيق الأمن، ومنع هدم أماكن الصلاة والعبادة
التي هي من أسباب منع الفساد في الأرض وتحقيق الأمن.

[٤١] ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾:

﴿الَّذِينَ إِنْ﴾: إن: تفيد الاحتمال، شرطية.

﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: التمكين: يعني: القدرة على ممارسة شعائر دينهم
بدون خوف أو اضطهاد من الآخرين، والقدرة على إعلاء كلمة الله والشعور
بالأمن وتوفر سبل العيش والحرية.

﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: إقامة الصلاة على الوجه الأكمل، وإقامتها بأركانها
وشروطها وأوقاتها، والدوام عليها والخشوع.

﴿وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾: الواجبة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤٣) لبيان معنى
الزكاة.

﴿وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ﴾: ما أمر به الشرع.

﴿وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: ما نهى عنه الشرع. ارجع إلى سورة آل عمران آية
(١٠٤) لمزيد من البيان عن المعروف والمنكر.

﴿وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾: ولله وحده لا غيره، عاقبة الأمور: انتبه إلى قوله:
(ولله)، ولم يقل وإلى الله، (لله) أي: الحكم النهائي لله في كل الأمور إما إلى

الجنة وإما إلى النار، (ولله) كأنّ الأمور وصلت إليه تعالى وانتهت. (الآية جاءت في سياق الآخرة)، أمّا قوله: (وإلى الله عاقبة الأمور) لا زالت في طريقها (الآية في سياق الدنيا).

[٤٢] ﴿وَلِإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾:

﴿وَلِإِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿يَكْذِبُوكَ﴾: الخطاب إلى رسول الله ﷺ وجاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على تجدد وتكرار وتكذيب قومه له، وإن يكذبوك في العلن وأمام الناس، ارجع إلى الآية (٣٣) من سورة الأنعام، والآية (١٨٤) من سورة آل عمران للمقارنة والبيان بين يكذبوك وكذبوك.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء جواب الشرط، قد: للتحقيق والتوكيد.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: أي: مشركو مكة وكفارها، كذبت قبلهم، ولم يقل من قبلهم؛ لأنّ (قبلهم) تعني الزمن القريب أو البعيد، قوم نوح وعاد وثمود.

﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾: كذبوا نبيهم نوح ﷺ وقالوا: ﴿مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [الفر: ٩].

﴿وَعَادٌ﴾: كذبوا نبيهم هود ﷺ وقالوا له: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ﴾ [هود: ٥٣].

﴿وَتَمُودٌ﴾: كذبوا نبيهم صالح ﷺ، وقالوا: ﴿وَلَا تَنَالِفْ شَكًّا مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ

مُرِيبٌ﴾ [هود: ٦٢].



[٤٣] ﴿ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِ لُوطٍ ﴾:

قوم إبراهيم: كذبوا إبراهيم ﷺ ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾

[مريم: ٤٦].

وقوم لوط: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنطَهُرُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

[٤٤] ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾:

﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾: كذبوا نبيهم شعيباً وقالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [هود: ٨٨].

﴿وَكَذَّبَ مُوسَى﴾: أي: قوم فرعون كذبوا موسى.

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾: الفاء: للترتيب والتعقيب، أملت للكافرين: من هذه الأمم؛ أي: أمهلتهم وأخرت عنهم العذاب حتى تبادوا في الكفر والطغيان والعصيان.

﴿ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ﴾: ثم للترتيب والتراخي في الزمن، أخذتهم بالعذاب، والأخذ يعني: بشدة وقوة.

﴿فَكَيْفَ﴾: استفهام فيها معنى التقرير والتعجب.

﴿كَانَ نَكِيرِ﴾: أي: كيف كان عاقبة إنكارهم وتكذيبهم لرسولهم، أخذناهم أخذ عزيز مقتدر، وأهلكناهم بذنوبهم فلا ناصر لهم. ولهم في الآخرة

عذاب أليم. ارجع إلى سورة الرعد آية (٣٢) لمقارنة فكيف كان نكير، وكيف كان عقاب.

[٤٥] ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْتُر مُّعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَّشِيدٌ﴾:

﴿فَكَأَيِّن﴾: الفاء: استئنافية، كأَيِّن: مركبة من (كاف) التشبيه و(أي) الاستغراقية، تفيد التّكثير (مثل كم الخبرية)، وتفيد الاستفهام والتّفخيم. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٤٦) لمزيد من البيان.

﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾: من الابتدائية، قرية: تعني أهل القرية، وهي أصغر من المدينة، قرية: نكرة؛ تعني: أي قرية.

﴿أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾: انظر: هذه الآية تشير إلى أمرين: الأول: استعمال فكأَيِّن (فيها؛ أي: التي تشير إلى الكثرة). الثاني: أهلكتاها وهي ظالمة بدون ذكر أي إمهال؛ أي: انظر إلى كثرة القرى التي أهلكتاها بدون تأخير أو إمهال؛ أهلكتاها بسبب ظلم أهلها وكفرهم وتكذيبهم، وارتكابهم المعاصي والشّرك والطّغيان، أهلكتاها: من الهلاك؛ يعني: الموت أو زوال السلطان أو إهلاك الحرث والنسل، فالهلاك قد يصيب الإنسان والحيوان والزرع والقرى. وليس بالضرورة يعني العقاب. ارجع إلى الأعراف آية (٤) لمزيد من البيان.

﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى﴾: بعد إهلاك وقتل أفرادها، فهي: (هي) ضمير يفيد التّوكيد، بقيت غير مسكونة من بعدهم إلى أن سقطت سقوف أبيّتها ثمّ تلتها الجدران، خاوية: ساقطة أو خاوية من السّكان، على عروشها: سقوفها وجدرانها.



﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾: بئر مهجورة متروكة معطلة بسبب موت أهلها، مما أدى إلى غور مائها وذهابه، ولا زالت آثار البئر قائمة.

﴿وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾: أصل الشيد: الحص، قصر مجصص، ومعطل: غير مسكون خالٍ من ساكنيه، ولم يذكر في هذه الآية أنه أُملي لهذه القرى؛ لأنه قال تعالى في الآية السابقة: ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾. [٤٦] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: أفلم: الهمزة للاستفهام والتعجب والتوبيخ، والفاء للتوكيد بمعنى الأمر؛ أي: لِمَ لا يسير كفار مكة الذين كذبوا رسول الله ﷺ. يسيروا في الأرض: أي يسافروا في الأرض إلى ديار قوم صالح وقوم لوط وقوم هود وغيرها؛ للسياحة والاعتبار ليجدوا ديارهم خالية وآبارهم معطلة ومنازلهم خاوية على عروشها.

فيدركون بعقولهم أن تكذيبهم لنبيهم قد يسبب لهم هلاكهم كما حدث لهذه الأقوام، ويسمعون بأذانهم أخبار من سبقهم من الأمم.

﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾: القلوب قيل: هي العقول؛ لأن التفكير يكون بالعقل ولولا القلب لتعطل العقل؛ لأنه يضخ الدم للعقل، وكذلك هناك اتصال بين المخ والقلب بواسطة اللفف والمجال الكهربائي والأعصاب وغيره، وعضلة القلب فيها خلايا تسمى كارديوميوسايت في البطينة والأذينة وفيها مستقبلات تسمى ادرينورجك، وخلايا عصبية لها شأن في الذاكرة والعاطفة

يطلق عليها أحياناً: الفؤاد أو القلب، وهذا ما يفسر قوله تعالى: (لهم قلوب لا يفقهون بها)، أو كقوله تعالى: (فتكون لهم قلوب يعقلون بها)، أو قوله: (قد شغفها حباً) [يوسف: ٣٠]، ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا﴾ [القصص: ١٠].

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَارُ﴾: أي: لم تعم أبصارهم آنذاك فقد كانت تبصر وترى، وما أصابهم هو عمى البصيرة عمى القلب.

﴿وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾: لكن: حرف استدراك.

تعْمَى: من عمى البصيرة. والعمى: عادة هو فقدان البصر العادي، وقد وردت كلمة العمى بمعنى: فقدان البصيرة؛ كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَنْهُ هُوَ أَعْمَى﴾ [الرعد: ١٩]، والعمى يشمل العمه: وهو عمى البصيرة، والتردد، والحيرة الذي يصيب القلب والعقل، وهو أشد من عمى البصر.

القلوب التي في الصدور كما بينا سابقاً.





سُورَةُ الْحَجِّ ٢٢

الْبَيْتُ السَّادِسُ عَشَرَ

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا
عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ
﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَأَلَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ
﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى
أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ
مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ
فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِئَةٍ مِّنْهُ حَتَّى
تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾



سورة الحج [الآيات ٤٧ - ٥٥]

[٤٧] ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾: كان منكرو البعث من كفار مكة يطلبون من النبي ﷺ تعجيل العذاب الذي يعدهم به؛ طغياناً وعناداً وعدم تصديق بما ينذرهم به كقولهم: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ أَلْحَقٌ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الملك: ٢٥].

فجاء الرد عليهم في كثير من الآيات منها هذه الآية (٤٧) من سورة الحج، والآية (٥٣) من سورة العنكبوت: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، والآية (٣٣) من سورة الأنفال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: (لن) لنفي القريب والبعيد، (يخلف الله وعده)؛ أي لا محالة سيحل بكم العذاب عاجلاً أم آجلاً.

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾: أي: اليوم ليس (٢٤) ساعة، وإنما هو (١٠٠٠) سنة أرضية.

[٤٨] ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾:

جاءت هذه الآية لتؤكد الإمهال والإملاء وإن طال الزمن، وأنّ الهلاك قادم لا محالة.



﴿وَكَايْنٌ﴾: الواو عاطفة. ارجع إلى الآية (٤٥) للبيان.

ولنقارن الآية (٤٥) ﴿فَكَاَيْنٍ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾، والآية (٤٨) ﴿وَكَاَيْنٍ مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾. في الآية (٤٥) ذكر كثرة القرى المهلكة بظلم بدون ذكر الإمهال أو التأخير. في الآية (٤٨) ذكر كثرة القرى المهلكة بظلم مع ذكر الإمهال رغم أن أهلها يستعجلونك بالعذاب.

الآية (٤٥) سبقها قوله: (فأملت للكافرين) فلم يذكر الإملاء في تلك الآية، وذكر الهلاك الذي يكون عادة بعد الإملاء، أما الآية (٤٨) سبقها قوله: (ويستعجلونك بالعذاب) فذكر (أملت لها) (أي: لم أعجل عليهم العقوبة رغم استعجالهم بالعذاب) ثم الهلاك، فكلا القريتين وصفت بظلم أهلها، إحداهما أعطيت فترة الإملاء؛ أي: الإمهال، ثم كلاهما أهلك في النهاية فالتيجة واحدة. ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾: ارجع إلى الآية السابقة (٤٥) للبيان، أخذتها: أهلكتها. والأخذ يوحى بالعنف والشدة وعدم القدرة على الإفلات.

﴿وَالِإِلَى الْمَصِيرِ﴾: النهاية التي ستكون الوقوف بين يدي الله سبحانه للحساب.

[٤٩] ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ، يا أيها: يا النداء، والهاء للتنبيه، الناس: الثقلين الإنس والجن، البشرية عامة.

﴿إِنَّمَا﴾: وهذه الآية تدل على أن رسول الله ﷺ رسول إلى الناس عامة وإلى المسلمين خاصة، (إنما) كافة مكفوفة تفيد الحصر.

﴿أَنَا﴾: ضمير منفصل يفيد التوكيد والحصر.



﴿لَكُمْ﴾: السلام لام الاختصاص، لكم: للمؤمن والكافر والإنس والجن للذكر والأنثى.

﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: نذير من الإنذار: وهو الإعلام مع التحذير من العقاب والهلاك، مبين؛ أي: لكل واحد لكل عبد، وإنذاري واضح وكامل وبين شامل ولا يحتاج إلى من يُبينه (يوضحه).

وانتبه إلى قوله تعالى في نهاية الأمر: (نذير مبين) وأحياناً لا يذكر ذلك فيقول تعالى: (إن أنا إلا نذير) بدون (مبين) فالآية الأولى تأتي في سياق الدعوة إلى الله والتبليغ، والثانية تأتي في سياق الوحي عادة كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢].

وفي هذه الآية لم يقل إنما أنا لكم بشير ونذير؛ لأن الآية جاءت في سياق منكري العذاب، فهو لاء ليس لهم بشارة، ولذلك اقتصر على القول: نذير.

وقوله: إنما أنا لكم نذير مبين: أي إنما عليّ البلاغ المبين فقط، ولست مسؤولاً عن هدايتكم وحسابكم، وما أنا عليكم بوكيل.

[٥٠] ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾:

﴿فَالَّذِينَ﴾: الفاء: للتفصيل، الذين: اسم موصول يفيد المدح.

﴿آمَنُوا﴾: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: الفرائض والنوافل، وعملوا الصالحات تشمل

الأقوال والأفعال التي تضم شعب الإيمان.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاستحقاق.



﴿مَغْفِرَةٌ﴾: لما سلف من ذنوبهم وسيئاتهم، والمغفرة تعني: ستر الذنب بإيجاب التوبة، ثم المحو والعفو والثواب لما فعلوه من حسنات.

﴿وَرَزَقٌ كَرِيمٌ﴾: كثير مبارك حلال، ويعني الجنة وغيرها، والرزق يشمل المال والصحة والعلم، والأهل والجاه والعمل والأخلاق وغيرها.

[٥١] ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذم.

﴿سَعَوْا﴾: من السعي: وهو السير الدؤوب بجهد واهتمام.

﴿فِي آيَاتِنَا﴾: لإبطالها وتكذيبها، وقولهم: أنها شعر وسحر وأساطير الأولين وإفك. وآياتنا تشمل الآيات القرآنية أو المعجزات أو الآيات الكونية.

﴿مُعْجِزِينَ﴾: أي: للأنبياء والرسل والمؤمنين، ويصدون الناس عن دينهم وإظهار الحق، والمجادلة بالباطل وعدم السماع لآيات الله والإعراض عنها، ويظنون أنهم يعجزون ربهم. ومعاجزين: جمع معاجز: اسم فاعل من الفعل عَاجَزَ على وزن مفاعل، وعَاجَزَ: غير عجز؛ أي: لم يقدر عليه. عاجز: تعني: تحده أو غالبه، والمعاجزة تحتاج إلى اثنين؛ أي: يظنون أنهم يعجزوننا؛ أي: يسبقونا فلا نقدر عليهم أو يفوتونا بالهرب.

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: أولئك: اسم إشارة يفيد البعد في المنزلة، أصحاب الجحيم (أصحاب) مشتقة من: الصَّحْبَة، والصَّاحِب؛ أي: الملازم، الجحيم: اسم من أسماء النار مشتقة من: الجحوم؛ أي: الاضطراب والتأجج فلا تخمد أبداً، وقيل: هي دركة من دركات النار. فهم لا يفارقون جهنم ولا جهنم تفارقهم. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩) لمزيد من البيان.

[٥٢] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾
﴿وَمَا﴾: الواو استثنائية، ما النافية.

﴿أَرْسَلْنَا﴾: ولم يقل بعثنا، ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان والتفصيل في معنى أرسلنا.

﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾: من استغراقية.

﴿مِنْ رَّسُولٍ﴾: من ابتدائية، رسول: الرسول: من بُعث بشرع جديد، وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا.

﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾: تكرار لا: يفيد التوكيد وفصل كل من الرسول، من النبي، أو كلاهما معاً.

والنبي: من بُعث لتقرير شرع من قبله من الأنبياء والرسل والعمل به، ولم يأت بشرع جديد. ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٤) لمزيد من البيان عن الرسول والنبي.

﴿إِلَّا إِذَا﴾: إلا أداة حصر. إذا: شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾: تمنى: لها معنيين: الأول: بمعنى: قرأ وتلا من القراءة والتلاوة؛ أي: يمكن للشيطان أن يتدخل في فهم الآيات والتأثر بها ويضع الوسواس في عقول الناس؛ ليصدّهم عن اتباع ما يقرأه ويتلوه النبي ويوسوس لهم أنه سحر، أو (تمنى) من التمني المعروف، وهذا هو المعنى الثاني؛ كالقول: ليت كان كذا وليت لم يكن، وقد يقع على الماضي والمستقبل؛ فهو معنى في النفس، ويعني: المحبة، ولكن المحبة لا تقع إلا على المستقبل؛ أي: أحب الشيء وتمناه، وهو تمنى إسلام كل فرد من أمته، فكل رسول أو نبي



يتمنى أن يؤمن كل أفراد قومه أو أمته، ويتمنى أن يصدقوه ويؤمنوا بما جاء به، فيأتي الشيطان فيوسوس في صدور بعض الناس أو أكثر الناس، ويزين لهم ويعمل على إغرائهم، ليصدّهم عن اتباع النبي وعن الإيمان والدّخول في دين الله، أو يمنع نفوذ القرآن إلى قلوب الناس ويضع العراقيل والعقبات في دعوة الرّسل والأنبياء؛ حتّى لا يتم للنبي أو الرّسول ما يتمناه من إيمان أفراد أمته؛ أي: يقف حائلاً بين الرّسول أو النبي وما يتمناه.

﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ النسخ: هو الإزالة. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٠٦) لمزيد من البيان. يمحو الله سبحانه ويزيل كلّ ما يلقي الشيطان في كتاب الله من تبديل وتحريف أو باطل، فلا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا خلفه، وينسخ الله؛ أي: يزيل من قلوب المؤمنين الشك والريبة، ويثبت الله سبحانه آياته في قلوب الذين آمنوا، فتصبح وساوس الشيطان أو ما يلقيه الشيطان إليهم لا قيمة له ولا وزن.

﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَيْدِيَهُ﴾: ثم للترتيب الذكري، يُحكم الله آياته: أي: يجعلها محكمة غير منسوخة، فلا يصيبها تبديل ولا تحريف.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: عليم بأفعال الشيطان وأحواله وأقواله، وعليم بأحوال الناس وأقوالهم وأفعالهم وبما أوحى إلى رسله، ويعلم ظواهر الأمور وبواطنها، حكيم: من الحكمة والحكم، فهو سبحانه أحكم الحاكمين وأحكم الحكماء في خلقه وشرعه وأفعاله وكونه. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لبيان معنى حكيم.

[٥٣] ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ

وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾:

﴿لِيَجْعَلَ﴾: اللام: لام التعليل.

﴿مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: قال تعالى في الآية

السَّابِقَةِ: فينسخ الله ما يلقي الشيطان. والنسخ هو: الإزالة، كما بينا في الآية السَّابِقَةِ.

وفي هذه الآية يقول: (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم)، فيكون المعنى: فينسخ الله ما يلقي الشيطان؛ أي: من قلوب الذين آمنوا؛ لأنهم أصلاً لا يتبعون خطوات الشيطان ولا وساوسه ولا إغوائه، فالله سبحانه يساعد هؤلاء على إلغاء كل ما يلقي الشيطان في قلوبهم.

أما بالنسبة للذين في قلوبهم مرض؛ أي: المنافقين والقاسية قلوبهم، فهؤلاء يجعل؛ أي: يترك الله سبحانه ما يلقي الشيطان في قلوبهم فتنة لهم، وليكون عليهم حجة، وهذه الفتنة ليبين لهم المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب، فالفتنة قد تكون خيراً إذا فازوا بالاختبار وشرّاً لهم إذا استمروا في غيهم وضلالهم، للذين في قلوبهم مرض: أي المنافقين، والقاسية قلوبهم: من الأعراب أو كفار اليهود والنصارى وغيرهم من الناس.

﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: إِنَّ للتوكيد، الظالمين: المشركين أو

الكافرين، لفي: اللام تفيد التوكيد أيضاً، شقاق بعيد: في عداوة وخلاف دائم وعناد وعصيان مستمر لله ورسوله، وبُعد عن الحق والصواب، من الصعب الرجوع عنه. ارجع إلى سورة البقرة آية (٣٥) لبيان معنى الظالمين.



[٥٤] ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾:

هذه هي العلة الثانية لماذا لم ينسخ الله كل ما يلقيه الشيطان؟ العلة الأولى: كانت لفتنة الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم، والعلة الثانية: وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به

﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: السلام للتوكيد، الذين أوتوا العلم: هم المؤمنون وهم أهل القرآن والتوحيد.

﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: لأنه سبحانه نسخ كل ما ألقى الشيطان ولم يسمح لأي مخلوق أو كائن مهما كان أن يتدخل في كتابه العزيز، فلا يجدون فيه تحريفاً ولا زيفاً ولا تبديلاً، فيعلمون بذلك أنه الحق من ربهم؛ أي القرآن والحق هو الأمر الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل أبداً منذ نُزل على قلب رسوله محمد ﷺ.

﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾: أي: بالله وبكتابه، أي: يزداد إيمانهم بالله وبكتابه العزيز. ﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، تخبت: تطمئن قلوبهم له أو تلين وتسكن وتخضع.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: إن للتوكيد، واللام في كلمة (لهاد) لزيادة التوكيد، هاد الذين آمنوا: دال ومعين، إلى صراط مستقيم: هو الإسلام دين الله، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

[٥٥] ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيبَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو استثنائية، لا النافية.

﴿يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَّةٍ مِّنْهُ﴾: المِرية: هي الجِدال والشك بعد ظهور

الحق.

لا يزال: أي سيقى ويستمر الذين كفروا يجادلون في القرآن وآياته، والملحدون في مِرية في وجود الخالق من بعد ما تبين أنه الحق من ربك، ولا يؤمنون به، وفي مِرية منه؛ أي: من القرآن أو الخالق أو الرسول حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم.

﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: حتى: حرف نهاية الغاية، تأتيهم الساعة بغتة: فجأة بدون سابقة إنذار، الساعة ساعة تهدم النظام الكوني الحالي، أو ساعة موتهم، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم.

﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: كيوم بدر أو يوم القيامة، وسمي بهذا الاسم (يوم عقيم)؛ لأنه لا رحمة فيه ولا خير ولا فرج للكافرين والمشركين، أو لكونه لا يأتي يوم بعده أو ليس له ليلة.

ويوم عقيم كيوم بدر (غزوة بدر) ووصف بالعقيم؛ لأن كثيراً من الناس يقتلون فيه فتصبح أمهات هؤلاء الذين يقتلون كأنهن عقيمت لم يلدن (لأن أولادهن قتلوا وماتوا).



سُورَةُ الْحَجِّ ٢٢

الْحَجَّ النَّاسِ

الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَأَلْزَمَ الْوَكِيلَ
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
 وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾
 وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا
 لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ
 الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يُرْضَوْنَ بِهِ وَإِنَّ
 اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ
 مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
 لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي
 النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ
 ﴿٦١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ
 دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ
 مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾



سورة الحج [الآيات ٥٦ - ٦٤]

[٥٦] ﴿الْمَلَكُ يُومِذِرُ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾:

﴿الْمَلَكُ يُومِذِرُ اللَّهَ﴾: الملك: الحكم يومئذ (يوم القيامة) لله وحده، فهو الحاكم والمالك، وهو مالك الملك في الدنيا والآخرة سبحانه.

﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: بين الناس وبني الأمم وبين الرسل وأممهم، وبين الظالم والمظلوم، ولا يحتاج إلى بينة ولا شهود؛ لأنه سبحانه على كل شيء شهيد.

﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾: الفاء للتفصيل، الذين آمنوا وعموا الصالحات: ارجع إلى الآية (٥٠) من السورة نفسها. في جنات النعيم: جنات الفردوس وعدن والمأوى. ارجع إلى سورة يونس آية (٩) لبيان معنى جنات النعيم.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيتٌ﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الدّم.

﴿كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: جمعوا بين الكفر والتكذيب ولم يؤمنوا أو



يصدقوا بآياتنا القرآنية أو الكونية، أو المعجزات التي أرسلت إلى رسلهم، الباء للإلصاق والمصاحبة.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد، أولئك: اسم إشارة يفيد البعد عن رحمة الله تعالى.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿عَذَابٌ مُّهِيتٌ﴾: عذاب أمام الخلق فيه الذل والإهانة.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: تركوا ديارهم وأموالهم في سبيل الله؛ أي: ابتغاء مرضاة الله كهؤلاء الذين هاجروا من مكة إلى المدينة.

﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾: ثم للترتيب الذكري العددي، قتلوا في سبيل الله أو ماتوا على فرشهم دون جهاد؛ لأنهم هاجروا في سبيل الله.

﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: ليرزقنهم: اللام والنون للتوكيد وزيادة التوكيد، ليرزقنهم الله عوضاً عما فاتهم وما تركوه خلفهم من مال وأهل، رزقاً حسناً: الرزق الحسن هو الرزق الدائم الذي لا ينقطع، وقيل: هو الجنة، وقيل: الرزق الحسن: هو ليدخلهم مدخلاً يرضونه.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: إن للتوكيد، لهو: اللام للتوكيد

أيضاً، خير الرّازقين: جمع رازق كون العبد يوصف بأنّه رازق هو من فضل الله على عبده ورحمته وكرمه، فهو سبحانه يصفه بما يصف به ذاته، ولكنه سبحانه هو الرّازق الحقيقي والدائم؛ فهو خير من يرزق وهم يرزقون من رزقه فسبحانه ما أكرمه.

[٥٩] ﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ مُّدْخَلَ رِضْوَنِهِ ۖ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾:

﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ﴾: اللام للتوكيد، والنون في (يدخلنهم) لزيادة التوكيد، والضّمير (هم) يعود على الذين هاجروا في سبيل الله، ثمّ قتلوا أو ماتوا. ﴿مُدْخَلَ رِضْوَنِهِ﴾: أي: الجنة، وأيُّ مدخل أفضل من ذاك المدخل، يرضونه: الرضا هو القناعة وما تبغي النفس، والمدخل: يمكن أن يكون؛ أي: المكان، فيدخلون مدخلاً، أو يمكن أن يكون مصدراً؛ أي: ليدخلنهم إدخالاً يرضونه.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾: إنّ للتوكيد.

﴿لَعَلِيمٌ﴾: اللام للتوكيد، علیم: صيغة مبالغة من: عالم؛ أي: كثير العلم بكلّ أحوال خلقه وكونه، علیم بما يستحقّ كلّ إنسان من ثواب وعقاب. وعلیم بمن هاجر ومن جاهد في سبيله، وعلیم بنياتهم وأحوالهم، ومن مات ومن قتل. ﴿حَلِيمٌ﴾: لأنّه لا يعجل له العقوبة أو العذاب لعباده؛ لعلهم يتوبون إليه ويستغفرونه فيغفر لهم ذنوبهم ويتجاوز عن سيئاته. وحليم بمن لم يهاجر ويجاهد في سبيله.



[٦٠] ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلى ما وعده الله سبحانه لمن هاجر في سبيله وقتل في سبيل الله أو مات، وتستعمل بعد إتمام المعنى والبدء أو الخوض في معنى آخر.

﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ﴾: من ابتدائية، عاقب بمثل ما عوقب به؛ أي: قاتل المشركين كما قاتلوه، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا﴾ [الشورى: ٤٠].
﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾: أي: ظلم أو أجبر على الهجرة مثلاً، أو انتقموا منه؛ لأنه قاتلهم، لينصره الله.

﴿لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾: اللام: للتوكيد، والتون في ينصره: لزيادة التوكيد، والنصر يختص بالمونة على الأعداء، أو يكون بالحجة والدليل.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾: إن: للتوكيد، لعفو: اللام: للتوكيد؛ العفو: عدم العقوبة على الذنب، غفور: صيغة مبالغة من: غفر؛ أي: كثير الغفران، ويعني: ستر الذنب والعفو عنه، فلا يعاقب عليه ويشيب المغفور له على حسناته.

[٦١] ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾:

﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: ذلك: ذا: اسم إشارة، واللام: للبعد تستعمل بعد إتمام المعنى والبدء والخوض في معنى جديد أو آخر؛ أي: للبدء بآية جديدة.

أي: ذلك نصر الله سبحانه لعباده المظلومين وهو آية من آيات قدرته وعظمته.

أيضاً كونه هو الذي يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، الولوج: الدّخول أو التداخل. من الناحية العلمية الولوج يعني: كروية الأرض ودورانها حول محورها وحول الشمس، والذي يؤدي إلى تبادل الليل والنهار الضروريين لاستقامة الحياة على هذه الأرض. ومن الناحية اللغوية يعني: تداخل الليل في النهار والنهار في الليل بحيث إذا طال أحدهما نقص الآخر، كما يحدث في فصلي الصيف والشتاء.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: وأنّ للتوكيد، سميع: للأقوال والأصوات لا يخفى عليه شيء من قول أو نجوى أو سر أو أخفى من السر، بصير: بالأفعال ويرى الأشياء ظاهرها وباطنها.

[٦٢] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلى القدرة على إيلاج الليل في النهار والنهار في الليل، والبدء والخوض في معنى جديد بعد إتمام المعنى السابق.

﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: الباء باء التوكيد أو السببية والإلصاق، (هو) تفيد الحصر والتوكيد، الحق: واجب الوجود وكل شيء ينسب إليه حق، فالمولج الليل في النهار والنهار في الليل هو الحق، الإله الحق الثابت الذي لا يتغير أو



يتبدل، وبما أن الله هو الحق والحق هو الذي يعلو ولا يُعلَى عليه، فهو العلي الكبير.

﴿وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾: أن: للتوكيد، ما: لغير العاقل، يدعون من دونه: يعبدون من دون الله سبحانه، هو: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿الْبَاطِلُ﴾: هو الزائل، ما لا وجود له حقيقة؛ ويعني: الشرك، والباطل يطلق على الكذب ويطلق على الإحباط كقوله: ﴿لَا تُبْطِلُوا صِدْقَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ ويطلق على الظلم، ارجع إلى سورة الأنبياء الآية (١٨).

﴿وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾: وأن: للتوكيد، (هو) للتوكيد والحصر، العلي: علو الجلال والكمال والإطلاق، العلي سلطانه وقدرته وإحاطته بكل شيء، علو الذات والصفات والأسماء، الكبير: العظيم الشأن الكبير في عظمته وكبريائه، فهو أكبر وأعلى وأعظم من كل شيء، ارجع إلى سورة الرعد الآية (٩) للبيان.

ولنقارن هذه الآية (٦٢) وهي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾، مع الآية (٣٠) من سورة لقمان وهي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

نجد أن الاختلاف فقط بإضافة كلمة (هو) في سورة الحج للتوكيد؛ لأن السياق في سورة الحج في الهجرة والقتل والموت والتكذيب بالآيات وصراع أهل الباطل، أما السياق في سورة لقمان فهو في اتباع ما أنزل الله تعالى أو اتباع

الشَّيْطَان، سياق جدال لإظهار الحق من الباطل، فهو أقل شدة وقوة؛ ولذلك أكد في سورة الحج بإضافة (هو) ولم يؤكد في سورة لقمان.

[٦٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام وتقرير.

﴿تَرَ﴾: رؤية بصرية ورؤية علمية؛ أي: ألم تعلم.

﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: أن: للتوكيد. من السماء: كل ما علا الإنسان يُعد سماء، فالسحب تسمى سماء؛ أي: من السُّحب الركامية. هذه الآية تشير إلى دوران الماء حول الأرض، والذي يتشكل من بخار الماء من البحار والمحيطات واليابسة بمقدار (٦٠٠،٠٠٠ كم ٣) سنوياً، والذي تحمله الرياح ويشكل السُّحب الطباقية، والتي تتراكم لتشكل السُّحب الركامية التي تنزل المطر بعد التلقيح برياح أخرى.

﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، الأرض مخضرة؛ أي: ذات خضرة بعد أن كانت هامدة يابسة، ثم اهتزت وربت بالماء وأنبتت من كل زوج بهيج، قال (فتصبح) بالضم بدلاً من فتصبح بالفتح؛ لأنه سبقها استفهام بألم، فبذلك أثبت الاخضرار، أو عطف المضارع المستقبل (تصبح) على الماضي (أنزل) لحكاية الحال؛ أي: لاستحضار تلك الصورة الجميلة (الأرض مخضرة) والدالة على قدرة الله تعالى، وربما تدل على استمرار اخضرار الأرض لزمن طويل؛ يعني: أصبحت فبذلك أثبت الاخضرار، فالترية تحوي ملايين الكائنات



الخامدة أو الراكدة، وبمجرد نزول المطر تحيا هذه البذور وتنمو بامتصاص الغذاء الذي أذابه الماء، فتمتصه بجذورها وتخرج السويقة ثم الأوراق التي فيها مادة اليخضور. ارجع إلى الآية (٥) من السّورة نفسها، وسورة الأنعام آية (٩٩) لمزيد من البيان.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾: إنَّ للتوكيد.

لطيف: اللطيف؛ يعني: يعلم أدق الأشياء والأمور والمخلوقات التي يصعب رؤيتها بأيّ وسيلة ومهما لطفت؛ أي: صغرت ودقّت يعلم أماكنها وأحوالها وأسرارها أينما كانت ووجدت، وهو سبحانه لا تدركه الأبصار؛ لأنّه لطيف يصل علمه إلى كلّ خفي أو ظاهر. لطيف بعباده يبرّهم ويحسن إليهم.

لطيف: لها معاني عدّة منها: أنّه يعلم أدقّ وألطف المخلوقات أو الأشياء والأمور مهما دقّت وصغرت، والتي يصعب رؤيتها بالعين وتناهت في الصغر يعلم أين توجد وكيف يجدها، ويعلم أسرارها وأحوالها وأماكنها.

خبير: يعلم بواطن الأمور وظواهرها، وذوات الصّدور، خبير بمصالح العباد وبالمقادير.

[٦٤] ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾:

﴿لَهُ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: له وحده سبحانه ما في السموات وما في الأرض.

﴿مَا﴾: لغير العاقل والعاقل.



﴿فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: في ظرفية، السموات السبع؛ أي: السموات نفسها وما تضم من مخلوقات من ملائكة مقربين وغير مقربين، ما في السموات من كواكب ونجوم وأفلاك ومجرات وما فيها من شمس وأقمار، وما في الأرض؛ أي: الأرض وما تضم من كنوز وبحار وجبال وأشجار وحدائق وإنس وجنّ ورياح وسحب، وتكرار كلمة (ما في) لأنّ هناك أشياء أو مخلوقات في السموات لا توجد على الأرض وبالعكس.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾: إنّ للتوكيد، واللام في (لهو) لزيادة التوكيد، وللواء هنا دلالة كبرى فهي تفيد التكثير من غناه، ومعنى ذلك: ولو ذهب ملك السموات وملك الأرض سيبقى هو الغني المطلق لا أغنى منه.

الغني: عن كلّ ما سواه، ولا يحتاج إلى شيء، ويغني من يشاء من غناه.

الحميد: من الحمد، المحمود بحق في كلّ الأحوال في الغنى والفقر، المحمود لذاته ولصفاته ولأفعاله، الحميد وله الحمد على خلقه وشرعه وقدره وقضائه، يحمده كلّ من في السموات والأرض؛ لأنّه هو المستحق للحمد لفضله وإحسانه وكرمه وعطاءه.





سُورَةُ الْحَجِّ ٢٢

الْحَجَّ النَّبَاتِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلَّكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ
بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ
اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ
ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ
فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
وَإِنْ جَدَلُواكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يُحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَّا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ
فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ
مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ
بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ
ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

سورة الحج [الآيات ٦٥ - ٧٢]

[٦٥] ﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿الْمُتَرَّ﴾: الهمزة للاستفهام والتقرير، تر: الرؤية هنا رؤية قلبية وعلمية وبصرية؛ أي: ألم ينته علمك أو تفكر.

﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي الْأَرْضِ﴾: أن: للتوكيد، (سخر لكم) أيها الناس سخر؛ أي: ذلل لكم، وهياً لكم الأرض للعيش عليها، وذلك بخلق الجبال وعوامل التعرية وشق الفجاج والسبل. ما: تشمل كل شيء ما في الأرض في ظاهرها وفي باطنها، من ثمار وزروع وطاقه ومعادن وبتروول وكنوز؛ للانتفاع بها وللدلالة على رحمته بكم وقدرته وعظمته.

﴿وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾: السفن والفلك (جمع أو مفرد)؛ أي: هو سبحانه الذي جعل لماء البحر صفات كيميائية وطبيعية تشكّل ما يسمى: ظاهرة التوتر السطحي، التي تمثل شدة تماسك جزيئات الماء مع بعضها البعض؛ لتساعد على حمل هذه الفلك العملاقة القادرة على حمل ملايين الأطنان، تجري في البحر لنقل الركاب والبضائع، تجري بتسييره وتسييره من بلد إلى آخر، فتم التّجارات، وتبادل الحوائج والمنافع ويحصل التعاون كما قال تعالى: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾

[الإسراء: ٦٦].

﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾: يُبْقِي السَّمَاءَ بما فيها من



كواكب ونجوم وشموس وأقمار مترابطة بنظام الجاذبية والقوى النووية بنظام دقيق كل يجري في مداره الخاص الثابت، ولو شاء الله لأذن للسماء أن تسقط على الأرض فيهلك كل من في الأرض، ولكن من رحمته ورأفته بالناس يقي قوانين الجاذبية قائمة بدون أي تغيير. فلا تصطدم الكواكب ببعضها وتسقط على الأرض فتدمرها.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ﴾: إن للتوكيد، بالناس: الباء للإلصاق، ولولا رحمته لما شعرتم بالأمن والاستقرار.

﴿لَرُءُوفٌ﴾: اللام للتأكيد، رؤوف: الرأفة من الرحمة، ورؤوف بالناس: لا يحملهم ما لا يطيقون. ارجع إلى سورة النحل آية (٤٧) لمزيد من البيان.

﴿رَحِيمٌ﴾: لأنه يمسك السموات أن تقع على الأرض، ولأنه يزجي الفلك في البحر، ولأنه سخر لكم ما في السموات والأرض جميعاً منه. بالمؤمنين رؤوف رحيم.

[٦٦] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾:

﴿وَهُوَ الَّذِي﴾: هو: ضمير منفصل للحصر والقصر.

﴿أَحْيَاكُمْ﴾: في الأرحام بنفخ الروح، ثم يخرجكم طفلاً.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: عند انتهاء آجالكم، (ثم) تفيد الترتيب والتراخي في الزمن.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: عند البعث للحساب والجزاء، أليس ذلك بكافٍ لتؤمنوا به وحده؟

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾: إن واللام في (كفور) تفيدان التوكيد، لكفور:

جاحد لنعم ربه، كفور: صيغة مبالغة من: كافر: كثير الكفر؛ كفر إيمان وعقيدة وكفر لنعمه، والكفر يعني: السّتر. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٥١) وكما بين في سورة النحل آية (٨٣) ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

[٦٧] ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾:

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: جماعة من الناس تجمعهم عقيدة ما بغض النظر عن الحيز الجغرافي والعدد.

﴿جَعَلْنَا﴾: صيّرنا.

﴿مَنْسَكًا﴾: المنسك: كل ما يتقرب به إلى الله من شريعة ومنهاجاً للعبادة، وشاع استعمال المناسك في أعمال الحج، منسكاً: من مَنْسِكَ: بفتح السّين بمعنى: الأفعال كالطّواف والسّعي والذّبح والرّمي، مَنْسِكَ: بكسر السّين: المكان الذي تقام عندها الأفعال مثل: الكعبة وعرفات ومنى والصفاء والمروة والحجرات. والمناسك: هي أعمال الحج التي تؤدّى في أمكنة محددة معينة وأزمان محددة.

﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾: هم: للتوكيد، ناسكوه: يتعبدون به أو يتقربون به إلى الله تعالى.

﴿فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ﴾: الفاء: للتوكيد، لا النّاهية، والنّون في (ينازعك) للتوكيد، والخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ.

﴿فِي الْأَمْرِ﴾: في الدّين أو الأحكام؛ أي: فلا ينازعك، والنّزاع: هو الخصام والجدال؛ أي لا ينازعك المشركون في أمر الذّبائح حين قالوا: كيف تأكلون ما



قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله؛ أي: الميتة؟! فلا تنازعهم ولا ينازعونك ولا تتبع أهواءهم.

﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: دين ربك وعبادته وتوحيده والإخلاص له.

﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾: لعلّ: اللام للتوكيد، على هدى مستقيم: دين الحق؛ أي: الإسلام، الدّين القيم السّوي الموصل إلى الغاية بأقصر السّبل وأيسرها، (على) تفيد العلوّ والثبات.

[٦٨] ﴿وَأَن جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَأَن﴾: شرطية تفيد الاحتمال والنّدره.

﴿جَدَلُوكَ﴾: من الجدال: هو الحوار الذي يحدث بين طرفين، أو عدة أطراف، ويكون لإظهار حُجة، أو لدفع شبهة أو إثبات حق، والجدال أشد من الحوار حدّة ومخاصمة؛ أي: جادلوك بعدما تبين لهم الحق في أمر الذّبائح أو أمر من أمور الدّين، وبعد أن حاولت تجنّبهم ومنازعتهم وأبوا إلا أن يجادلوك عندها فقل لهم: الله أعلم بما تعملون.

﴿فَقُلِ اللَّهُ﴾: أي: ردّهم إلى الله سبحانه.

﴿أَعْلَمُ﴾: صيغة مبالغة ولم يقل عالم بل: أعلم؛ أي: يعلم كلّ نواياكم وأعمالكم.

﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: الباء للإلصاق والحجة، ما: اسم موصول بمعنى الذي وأوسع شمولاً من الذي، أو مصدرية: أعلم بأعمالكم، تعملون: تضم الأقوال والأفعال، وفي الآية نوع من الوعيد.



[٦٩] ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُتِبَ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾:

لاحظ قوله تعالى: يحكم بينكم، ولم يقل يحكم بيننا وبينكم. هذا يدل على أن الجدل أو الخلاف القائم بينهم وبين رسول الله ﷺ سيتوقف؛ لأنه على الحق وهم على الباطل، ولأنه أمر رسوله بالإعراض عنهم وردّهم إلى الاحتكام إلى الله وحده سبحانه، كما في الآية السابقة، وتدل على أن الخلاف بينهم سيستمر حتى يحكم الله بينهم يوم القيامة في الأمور التي اختلفوا فيها؛ لأنهم اتبعوا الهوى والباطل، ولو اتبعوا ما أنزل الله لما حدث الاختلاف.

﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: أي يقضي بينكم (الحكم هنا يعني القضاء) وليس الفصل؛ لأن الحكم يستعمل بين أفراد الأمة الواحدة، كما هو الحال في هذه الآية، والفصل يكون بين الأمم المختلفة أو بين الأنبياء والأمم، والفصل: يعني الحكم بأن يذهب فريق إلى الجنة وفريق إلى السعير. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٦٢) لمزيد من البيان.

﴿فِيمَا كُتِبَ﴾: في الدنيا.

﴿فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: من أمور الدين، وهذا أدب ومنهاج يعلمه الله سبحانه لعباده كيف يردّوا على من يجادلهم في أمور دينهم، وما ينبغي من جداله إلا إضاعة الوقت وعدم الاستماع إلى الحق، والسّمة والرياء بعدم مناظرته والابتعاد عنه والقول له: الله أعلم بما تعمل.

[٧٠] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: استفهام يراد به التقرير، أسلوب من أساليب البيان. الله سبحانه هو المتكلم وهو يخبر بذلك، ولكن الله



يريد أن يكون الخبر من المخاطب وليس منه، ويكون إقراراً من العبد ليكون حجة على العبد.

الهدف من ذكر هذه الآية هنا: أنها تحمل الوعد والوعيد، الوعيد بالشر للذي يجادل في أمور الدين والآيات بعدما تبين له الحق، وهذا يسمى المراء، والوعد بالخير للذي هو على هدى مستقيم، وما دام الله سبحانه سيحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون، فاطمئنوا إلى حكمه سبحانه؛ لأنه سبحانه يعلم ما يجري ويحدث في السماء والأرض ولا يحتاج إلى شهود ولا أي أدلة، والحاكم يجب أن يكون على علم، فهو سبحانه يعلم ما في السماء والأرض وكل صغيرة وكبيرة، حتى الورقة حين تسقط يعلمها ويعلم مستقرها ومستودعها، وهو أعلم: صيغة مبالغة على وزن (أفعل) لا أعلم منه سبحانه.

﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾: إن: للتوكيد، ذلك: اسم إشارة يشير إلى ما تعملون وتجادلون وتختلفون فيه، في كتاب: أي مدون في كتاب أعمالكم وفي اللوح المحفوظ، معلوم لله سبحانه أولاً من قبل أن تُخلقوا ومن قبل أن تفعلوه، ومجيء الأشياء يكون حسب ما كتبه الله سبحانه سابقاً في اللوح المحفوظ، فالذي كتب الشيء قبل أن يكون ثم جاء الشيء موافقاً لما كتب، أكبر دليل على علمه سبحانه وإحاطته بكل شيء، وكتابة أعمالكم من قبل الملائكة؛ لتكون حجة عليكم يوم القيامة، ولكي تقرأ كتابك بنفسك كما قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: إن: للتوكيد. ذلك: اسم إشارة يشير إلى الكتابة والحفظ، والإحاطة وعلمه، كل ذلك على الله يسير، وليس هناك شيء صعب ولكن في تقديركم صعب وبالنسبة له يسير، وإنما يذكر ذلك ليقربه إلى عقولنا، فالكل على الله يسير.

[٧١] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾:

المناسبة: بعد ذكر (لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه) أي: منهجاً واضحاً كيف يعبدون الله وحده ويتقربون إليه، ألا تعبدوا إلا الله وحده، استمر بعضهم يعبدون غير الله، وجاء بصيغة المضارع يعبدون؛ لتجدد عبادتهم واستمرارهم على الشرك بدلاً من القول: وعبدوا من دون الله.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ﴾: غير الله؛ أي: الأصنام والأوثان وغير ذلك.

﴿مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ﴾: ما: اسم موصول؛ أي: الذي، و(ما) أوسع شمولاً من (الذي). ويعبدون الذي لم ينزل به أي دليل أو برهان في الكتاب أو الوحي، أو يجبرهم على ذلك بسلطان القوة والقسر.

﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾: أي: وما ليس لهم به من علم، أو اجتهدا مستنبط من نص قاطع أو ظني أو علم استدلال، وتكرار (ما) لتأكيد النفي وفصل العلم عن السلطان أو كلاهما.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾: ولم يقل: وما للظالمين من أنصار؛ ما للنفي، للظالمين: لام الاختصاص، والاستحقاق، للظالمين: للمشركين، جمع ظالم: والظالم هو كل من يخرج عن منهج الله هو ظالم لنفسه. من ابتدائية استغراقية، نصير: أي: ناصر أو معين: من يشفع لهم أو يدفع عنهم العذاب أو يكون عليهم وكيلاً. من نصير: من: استغراقية، نصير: صيغة مبالغة أقوى من ناصر، وتعني: الظالمين بالشرك وأنواعه. وما للظالمين من أنصار: تعني: الظالمين بأمور غير الشرك. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٧٠) للبيان.



انظر إلى قوله في سورة الحج الآية (٧١): ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾، وقوله في سورة الزخرف الآية (٢٠): ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.

الآية في سورة الحج: جاءت في سياق عبادة الأصنام الأوثان، والذين عبدوها عندهم شيء من العلم ولكنه علم قليل.

الآية في سورة الزخرف: جاءت في عبادة الملائكة؛ أي: في سياق هؤلاء من عبدوا الملائكة وقالوا: إنها إناث ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٢٠]. هؤلاء ليس عندهم أدنى أو أقل علم، فهم أغبياء جداً يحتاجون إلى مقدار كبير من العلم، فقوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أكد وأقوى من قوله تعالى: ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾، ولذلك قال: (إن هم إلا يخرصون)؛ لأن هؤلاء أولاً أشركوا بالله، وثانياً افتروا على الله الكذب بالقول: لو شاء الله ما عبدناهم، وثالثاً: زعموا أنهم يعلمون الغيب بالقول: إن الملائكة إناث.

[٧٢] ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ تَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ دَلَكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَرٌ مُمِصِرٌ﴾

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾: وإذا: الواو عاطفة، إذا: ظرف زماني متضمن معنى الشرط، ويفيد الحتمية أو كثرة الوقوع. تتلى عليهم آياتنا بينات: إذا سمعوا آيات الله تتلى عليهم من رسول الله أو الصحابة. (ارجع إلى الآية (٤٣) من سورة سبأ): ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾. عليهم؛ أي: الذين يجادلون في آيات الله.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾: تظهر الكراهية على وجوههم (بالغضب أو الانفعال أو العبوس)، المنكر: هنا يعني الإنكار: إنكار ما يسمعون؛ أي: عدم تصديقه واتباعه.



﴿يَكَادُونَ يَسْطُونُ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾: يكادون: من: كاد وهو من أفعال المقاربة (لمقاربة حصول الفعل)؛ أي: قارب الحصول ولم يحصل، يسطون من: السطو: وهو الفتك والبطش؛ أي: يسطون إليهم أيديهم بالسوء من شدة الغيظ والعنف، وأصل السطو: القهر؛ أي: يكادون يبطشون ويفتكون بقتل هؤلاء الذين يتلون آيات القرآن عليهم لهدايتهم وصلاحهم.

﴿قُلْ أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَكُمْ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ، الفاء: للتوكيد، الهمزة استفهامية وإنكار، أفأنبئكم: من النبأ: هو الخبر العظيم، بشر: من الذي تكرهون سماعه مثوبةً عند الله: من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطَّاغوت، (من ذلكم) ولم يقل من ذلك، من: ابتدائية (ذلكم) أعظم وأكد من (ذلك)، تستعمل للأمر العظيم أو العدد الكبير من الأمور.

قل لهم يا محمد ﷺ: هل أنبئكم بشرًا مما تكرهون سماعه (من آيات الله).
النار: نار جهنم.

﴿وَعَدَهَا﴾: الوعد: إذا أطلق يحمل معنى الخير، وإذا قُيد يمكن أن يُحمل معنى الشر أو الخير، وهنا قُيد فهو يحمل معنى الشر، وفيه معنى التهكم والاستهزاء بهم.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بآيات الله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر.

﴿وَبَشِّرْ﴾: فعل ذم؛ أي: قُبْح أو ساء.

﴿الْمَصِيرُ﴾: النهاية والمرجع والمآل.





سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ ٢٢

الْبَيْتُ الْخَامِسُ عَشَرَ

يَتَّيْهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ
وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ
الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنْ
اللَّهُ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ
رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِبْرَاهِيمَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾
يَتَّيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا
رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾
وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ
عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ
وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾



سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

الْبَيْتُ الْخَامِسُ

الْبَيْتُ الْخَامِسُ

سورة الحج [الآيات ٧٣- ٧٨]

[٧٣] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ ۖ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۚ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ۚ﴾

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾: نداء إلى كافة الناس الجن والإنس، والهاء للتنبيه، وباء النداء: نداء تحدّ.

﴿ضُرْبَ مَثَلٍ﴾: وضرب المثل يكون لإيضاح أمراً غير مفهوم أو غامض، والضرب فيه معنى التهيج والتأثير في نفس السامع؛ لكي يصل ما يقوله ضارب المثل إلى أعماق نفس المستمع لعله يتأثر ويفكر ويتدبّر فيما يقوله ضارب المثل. ضُرب: بصيغة المجهول؛ لأنّ المهم هو المثل. ارجع إلى سورة النحل آية (٧٤) لمزيد من البيان في معنى المثل.

﴿فَاَسْتَمِعُوا لَهُ ۚ﴾: أي: أنصتوا إليه وافهموه جيداً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: إنّ للتوكيد، الذين تدعون: تعبدون، من دون الله: من غير الله أو سوى الله، مثل الأصنام أو الأوثان، أو الأولياء أو عيسى أو عزيز أو الملائكة أو الطاغوت، من: نزلت منزل العقلاء؛ وتعني الأصنام التي عبدوها وغيرها.

﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۚ﴾: لن: لنفي المستقبل القريب أو البعيد؛ أي: لن يخلقوا ذباباً في المستقبل القريب أو البعيد، ذباباً: اسم جنس واحده: ذبابة، يقع على الذكر والأنثى، ولو: شرطية، اجتمعوا له: ولو تعاون واجتمع لهذه المهمة العلماء وغير العلماء ومن في الأرض، أو تضافرت جهودهم وكان



بعضهم لبعض ظهيراً. هذا التحدي استعمل كمثّل وأصبحت الآية كمثّل يراود به تحدي قدرة علماء الأرض قاطبة على خلق ذبابٍ مهما تقدموا في العلم أو اكتشفوا واخترعوا.

﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾: وإن: شرطية تفيد الاحتمال والشك، يسلبهم الذباب شيئاً بعد أن تحدّاهم بخلق ذبابٍ، وعلم سبحانه أنّهم لن يقدرُوا على ذلك، تحدّاهم بأقل من الخلق؛ وهو إعادة ما سلبهم الذباب من طعام لا يستنقذوه منه: لا النافية لكل الأزمنة، أي: لا يستطيع أحد أيضاً أن يُعيد ما أخذه الذباب من طعام؛ لأنّ الله سبحانه أعطى القدرة لهذه الذبابة أن تفرز مادة من فمها مجرد أن تمتص أو تسلب أيّ شيء هذه المادة المفترزة، لها القدرة على تحويل المادة المسلوّبة إلى مادة أخرى تناسب معدة الذبابة قبل وصولها إلى معدتها ولم تعد نفس المادة التي سلبتها، ويستحيل إعادتها إلى أصلها، ومن هنا كان التحدي بأقل من الخلق.

﴿ضَعُفَ الطَّلِبُ﴾: إشارة إلى الإنسان غير القادر على استرجاع ما يسلبه الذباب.

﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾: هي المادة التي سلبتها الذبابة: ضُعفت؛ لأنّها لم تبقَ على حالها الأصلية وتحولت إلى مادة ضعيفة، حيث أصبحت أقل تركيزاً وأسهل هضماً للذبابة، ولو كان الإنسان قادر على استرجاع ما سلبته الذباب لاسترجع شيئاً آخر غير المطلوب.

[٧٤] ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾:

﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: ما: النافية، قدرُوا الله حقّ قدره: ما عرفوا قدر الله تعالى، ما عظموه وذكروه حقّ ذكره، وعبدوه حقّ عبادته، ولو عرفوا وعلموا عظمتهم وقدره ما عبد هؤلاء الذين لا يستطيعون أن يخلقوا ذباباً ولا يستطيعون أن يستنقذوا ما يسلبهم الذباب، وكذلك آلهتهم العاجزة أيضاً أن تخلق

ذباباً ولا تستطيع إرجاع ما يسلبه الذباب منهم، فالله سبحانه غني عنهم وعن آلهتهم؛ لأنّه سبحانه هو القوي العزيز.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: إنّ للتوكيد، لقويٌّ: اللام للتوكيد، قويٌّ: لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء من خلق أو تدبير أو يفوته شيء، العزيز: الذي لا يُغلب ولا يُقهر، والممتنع لا يناله أحد بسوء، فهو الإله الحق واجب الوجود الذي يستحق أن يُعبد وحده ولا يُعصى؛ لأنّه هو القوي العزيز وغيره الضعيف العاجز.

[٧٥] ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾:

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي﴾: أي: يختار، وتقديم الفاعل على الفعل بدلاً من قوله يصطفي الله، قال: (الله يصطفي) يفيد الاختصاص؛ أي: هذا الفعل خاص بالله وحده وليس أنتم تختارون. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٤٤) لمزيد في معنى الاصطفاء والاختيار.

﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾: من: اسم جنس؛ أي: من جنس الملائكة رسلاً، لتبليغ الوحي وغيره، مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت.

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: أي: من جنس الناس؛ أي: الأنبياء والرسل.

وتقديم (من الملائكة) (ومن الناس) تفيد الحصر؛ أي: حصراً من الملائكة أو حصراً من الناس.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: إنّ: للتوكيد، سميع: لما يُقال، والسمع متعلق بالأصوات والأقوال، بما في ذلك في السر والنجوى والعلن والخفاء.

﴿بَصِيرٌ﴾: متعلق بالأفعال؛ أي: بما يفعله خلقه، وبصير بما يجري في سمواته وأرضه لا تخفى عليه خافية.



[٧٦] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أي: الرسل من الملائكة والناس الذين اصطفاهم، يعلم أحوال الرسل والملائكة والرسل من الناس، ما بين أيديهم: أي ما سيفعلونه ويقومون به، وقد تعني: ما قدموه.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما فعلوه في الماضي، وما خلفهم قد تعني: ما هو قادم.
﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: تقديم (إلى الله) يفيد الحصر؛ أي: حصراً إلى الله ترجع الأمور؛ للفصل فيها وإصدار الحكم والحساب.

[٧٧] ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾:

﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد بتكليف جديد للذين آمنوا، استعمل فيها ياء النداء، والهاء للتنبيه.

﴿أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾: أي: صلُّوا؛ لأن ذكر الركوع والسجود كناية عن الصلاة.

﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾: من العبادة، ارجع إلى الآية (١٠٦) من سورة الأنبياء أو سورة النحل آية (٧٤).

﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾: ارجع إلى الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٥) من سورة البقرة.

في هذه الآية تدرج من الأقل إلى الأكثر، الركوع ثم السجود ثم العبادة ثم فعل الخيرات، وفي هذه الآية ترى عطف العام - وهو فعل الخيرات - على الخاص العبادة ومنها الصلاة؛ للأهمية.

[٧٨] ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ

وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿١﴾

﴿وَجَاهِدُوا﴾: الجهاد نوعان:

١ - في الله: ويشمل جهاد النفس، والشيطان، والهوى، والظلم.

٢ - وفي سبيل الله: ويعني: القتال قتال الأعداء.

﴿فِي اللَّهِ﴾: في: للتعليل، في الله: خالصاً لوجهه؛ أي: من أجل رضاه ومعرفته حق المعرفة.

﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾: أي: جهاد النفس وكبحها عن المعاصي والوقوع فيه؛ جهاد الطاعة، طاعة أوامر الله واتباع الأخلاق الحميدة، ويشمل الجهاد لمعرفة الله، والعلم بأوامره وأحكامه أقصى ما استطعتم وكما أمركم وبين لكم، وتشريعاً لهذه الطاعة، ولا ننسى جهاد النفس والهوى هو الجهاد الأكبر.

﴿هُوَ أَجْتَبَكُمْ﴾: (هو) ضمير فصل يفيد التوكيد، يعود على الله.

اجتباكم: اصطفاكم لدين الإسلام واتباع ملة إبراهيم.

﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾: الحرج: يعني الضيق والمشقة في أيّ تكليف لا تقدرُونَ عليه، (من) استغراقية تستغرق أيّ حرج مهما كان. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٨٦) للبيان.

﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾: شريعة إبراهيم ﷺ، وهل إبراهيم هو أب هذه الأمة، نحن نعلم أن إبراهيم هو أبو إسماعيل، وإسماعيل ﷺ هو جد الرسول، فيمكن القول: إن إبراهيم هو أبو هذه الأمة، وكما نعلم أن إبراهيم هو أبو الأنبياء الذين جاؤوا بعده.

﴿هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾: (هو) ضمير فصل للتوكيد تعود على الله



سبحانه، هو الذي سمّانا المسلمين من قبل في الكتب السماوية السابقة، أو في الأمم السابقة، أو من قبل نزول هذا القرآن.

﴿وَفِي هَذَا﴾: (في) ظرفية، (هذا) الهاء للتنبيه، (ذا) اسم إشارة للقرب؛ أي: وفي هذا القرآن سمّاكم المسلمين أيضاً - كما قلنا - هو يعود إلى الله سبحانه وليس إبراهيم؛ لأنّ الأفعال السابقة المذكورة في هذه الآية كلّها راجعة لله تعالى؛ لقوله: (هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج)، أمّا من قال: إنّ الضمير يرجع إلى إبراهيم: قول ضعيف، رجّح ذلك بحجّة أنّ الضمير يرجع إلى أقرب مذكور؛ أي: إبراهيم.

﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾: ليكون الرسول محمد ﷺ شهيداً عليكم: اللام لام التعليل، شهيداً عليكم: ولم يقل شاهداً عليكم، الشهيد: صيغة مبالغة مقارنة بالشاهد، ولذلك سمّى ربنا نفسه بالشهيد. الشاهد: يرى الشيء أو الحادثة فيشهد بما يراه ويسمعه فقط، ولكن لا يعرف الملابسات والأسباب أو غيرها، أمّا الشهيد: هو أكثر علماً من الشاهد؛ يعلم خفايا الحادثة وكلّ صغيرة أو كبيرة. شهيداً عليكم؛ أي: على أمته شهيداً في الآخرة؛ أي: أنّه بلّغهم شرع الله، أو يشهد على أعمالهم.

﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾: شهداء للأنبياء على أممهم يوم القيامة أنّهم قد بلّغوا رسالات ربهم، فيقول الله للأنبياء أو يقال لهم: من يشهد لكم؟ بعد أن تكذّبهم أممهم، فيقولوا: محمّد وأمته. فتقول الأمم: كيف عرفتم؟ فيقولون: علمنا ذلك بإخبار الله سبحانه لنا في كتابه وعلى لسان نبيه محمّد ﷺ فإذا أخبرنا الله سبحانه في القرآن بشيء، يكون أفضل مما لو رأيناه بأبصارنا أو رأيناه بعين اليقين.

﴿عَلَى النَّاسِ﴾: وليس شهداء للناس، (على) تعني الفوقية على أعمالهم التي سيحاسبون عليها سواء كانت أعمالاً صالحة أو سيئة، وأمّا شهداء للناس؛ أي: تشهدوا لخير الناس فقط، وهذا غير صحيح.

كما روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، ويجيء النبي ومعه الرجلان، ويجيء النبي ومعه أكثر من ذلك، فيقال لهم: أبلغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال للنبي: أبلغتهم؟ فيقول: نعم، فيقال: من يشهد لك؟ قال: محمد وأمته، فيشهدوا أن الرسل قد بلغوا... إلى نهاية الحديث الذي أخرجه البخاري والإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه.

﴿فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ﴾: يعود سبحانه إلى ذكر الصلاة مرة أخرى، ففي الآية السابقة قال: (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) كناية عن الصلاة، فأقيموا الصلاة بأركانها وشروطها وسننها، وخشوعها وأوقاتها والدوام والمحافظة عليها؛ لأنها الفريضة الملازمة للمؤمن، وعماد الدين، وفيها تكرار الولاء لله سبحانه في اليوم خمس مرات، وبها يستمر ذكر الله.

﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾: وذكر الزكاة مع الصلاة؛ لأنها من أهم العبادات. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤٣) لمزيد من البيان في معنى الزكاة.

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللهِ﴾: بالله: الباء للإلصاق والاستمرار، التجئوا إليه في جميع أموركم وحوائجكم، وتمسكوا بدينه وشرعه وبكتابه وسنة رسوله ﷺ.

﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾: هو: للحصر والتوكيد؛ هو الرب المتولي أموركم والمدير شؤونكم وناصركم، وما دام هو مولاكم: فنعيم المولى ونعيم النصير، الفاء: للتوكيد.

نعيم المولى ونعيم النصير: تكرار فعل المدح (نعم) مرتين؛ ليكون كلُّ منهما منفصلاً عن الآخر؛ أي: له كمال الأمرين أو الصفتين: الولاية والنصر.





سُورَةُ الْغَاثَةِ ٢٣

الجزء الثاني عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى
أُزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْأَرْضَ دُونَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
ءَاخِرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
لَمَيْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾



سورة المؤمنون [الآيات ١ - ١٧]

ترتيبها في القرآن السورة (٢٣)، وترتيبها في النزول السورة (٧٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾:

قبل البدء في تفسير سورة المؤمنون لا بد من النظر إلى الترابط الوثيق بين نهاية سورة الحج ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]؛ ففيه تكليف وطلب من المؤمنين، وحث لهم، ونداء بالقول: يا أيها الذين آمنوا..... لعلكم تفلحون، ثم ابتدأ هذه السورة بوصفهم بالمؤمنين؛ أي: صفة الإيمان عندهم ثابتة (جملة اسمية)، والذين آمنوا جملة فعلية تدل على التجدد، وكأنه سبحانه طلب منهم الإيمان، وفعل الخير في نهاية سورة الحج؛ فهم قد استجابوا لربهم؛ فهم يقومون بالصلاة والزكاة، والابتعاد عن اللغو، وحفظ الفرج، وتأدية الأمانة، والمحافظة على الصلاة؛ فأصبحوا من المفلحين. انظر إلى قوله تعالى: لعلكم تفلحون في نهاية سورة الحج، وبداية سورة المؤمنون بالقول: قد أفلح المؤمنون، وختم سورة المؤمنون بالقول: إنه لا يفلح الكافرون؛ فإذا كانوا يرجون الفلاح في آية الحج فقد أكد لهم الفلاح في سورة المؤمنون بالقول: قد؛ أي: تحقق لهم الفلاح، وحصل لهم ما كانوا يرجوه، ثم انظر إلى نهاية سورة المؤمنون حيث قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق أي: التوكيد لفلاح المؤمنين.



﴿أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: المؤمنون الذين آمنوا بالإيمان الخالص لله والذي ينطوي على توحيد الإلهية والربوبية والأسماء والصفات؛ أي: لا فلاح من دون الإيمان. الفلاح: النجاة من النار والفوز بالجنة والبقاء السرمدي في النعيم، والفلاح يعني: إدراك البغية أو المطلوب، أفلح: بصيغة الماضي يفيد الثبوت والتحقق، المؤمنون: جمع مؤمن: هو المصدق بالله وبما أنزل الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ولم يقل: الذين آمنوا، المؤمنون جملة اسمية؛ أي: الذين أصبح الإيمان صفة ثابتة لهم بينما الذين آمنوا: جملة فعلية تدل على تجدد وتكرار إيمانهم، ارجع إلى سورة البقرة آية (٥) لبيان معنى الفلاح، ثم يذكر سبع صفات لهم - وهذا ما يسمّى تفصيل بعد إجمال - وجاءت هذه الصفات كصفات ثابتة لا تتغير عندهم كقوله: خاشعون، فاعلون، حافظون....

[٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول: يفيد المدح والتعظيم.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾: بدأ بالخشوع في الصلاة التي هي عماد الدين، وأهم ركن من أركان الإسلام، فهي تجمع في معناها وقيامها كل أركان الإسلام. في: ظرفية زمانية ومكانية تعني: الزمن ومكان صلاتهم، خاشعون: الخشوع هو التذلل والتواضع والخوف والسكون وترك العبث، والخشوع يكون في القلب (تفرغ القلب) والجوارح مثل: البصر والسمع وبقية الحواس وسكون الجسم، وخاشعون جمع خاشع وتعني: جملة اسمية تفيد أنّ الخشوع عندهم صفة ثابتة ولم يقل: يخشعون. وقدم الصلاة على الخشوع للاهتمام؛ لأن الصلاة بدون خشوع يقلل من أجرها؛ أي: ثوابها.

وفي آيات أخرى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ سورة المعارج الآية (٢٣)،
﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ سورة المعارج الآية (٣٤)؛ أي: يحافظون
على مواقيتها وعلى وضوئها وأركانها وسننها وآدابها. على: تعني: الإقبال عليها
بجد ونشاط (على: تفيد الاستعلاء والجهد).

[٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ﴾: تكرر والذين هم في كثير من الآيات يفيد التعظيم والمدح
لما يقومون به من الأعمال الصالحة.

﴿عَنِ اللَّغْوِ﴾: اللغو: هو كل باطل من كلام أو فعل أو ما لا خير فيه ولا
فائدة من الكلام، وقيل: اللغو قد يعني الشرك أو الباطل (كما قال ابن عباس)
والكذب والشتم وقيل: اللعب واللهو الذي يُشغل عن واجب.

﴿مُعْرِضُونَ﴾: من الإعراض وهو تجنب الشيء، أي: يتجنبون اللغو
وتجنب اللغو أصبح صفة ثابتة لهم؛ لأن معرضون جملة اسمية تدل على الثبوت؛
أي: الترك التام، وتقديم اللغو عن الأعراض بدلاً من القول والذين هم معرضون
عن القول تدل على الاهتمام.

[٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ﴾: العطف بالواو في صفة من هذه الصفات المذكورة في
الآيات الخمسة للدلالة على الاهتمام بكل صفة من الصفات. ارجع إلى الآية
السابقة.

﴿لِلزَّكَاةِ﴾: اللام: للاختصاص؛ الزكاة تعني: زكاة المال وتطهير المال
يكون بالصدقة، وتعني: زكاة النفس، أي: تطهيرها من الشرك والدنس والمعاصي



لقوله سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿[الشمس: ٩-١٠]. وتقديم الزكاة على فاعلون للقصر؛ أي: لا يفعلون إلا الأعمال الصالحة والزكاة أولها. ﴿فَاعِلُونَ﴾: مؤدون. وفاعلون جملة اسمية تدل على الثبوت والاستمرار. وفاعلون: أشمل وأعم من مؤدون؛ لتشمل كلا المعنيين أداء الزكاة والتزكية (تطهير النفس من الشرك). ارجع إلى سورة البقرة آية (٤٣) لمزيد من البيان. [٥] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٣) و(٤) من نفس السورة. ﴿لِأَفْوَاجِهِمْ﴾: اللام لام الاختصاص، الفرج: هو سوءة الرجل والمرأة. ﴿حَافِظُونَ﴾: أي: حفظ الفرج من الزنى وما حرمه الله تعالى؛ أي: حافظون لها بالعفاف والتحصن قاصرون (الزواج) من الفاحشة. حافظون: جملة اسمية تفيد الثبوت والاستمرار. واختار كلمة حافظون فيه بلاغة وبراعة في البيان فهي تشير إلى العفاف، وتشير إلى أنهم يحفظون أنفسهم من الآفات والأمراض الوخيمة الناتجة عن الزنى مثل الأمراض الزهرية والالتهابات الداخلية والعدوى والسرطانات.

[٦] ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾: ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾: غير ممسكين من قوله تعالى: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]؛ لأن الله سبحانه أحل لهم ذلك بعقد الزواج.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: وهذا لم يعد موجوداً الآن وهو حكم قائم، وإنما

ليس له تطبيق الآن في زمننا، ولا يمكن لأحد أن يلغي أو يعطل حكم من أحكام الله.

﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾: من اتبع سبل الحلال وما أمر الله تعالى ورسوله، ولم يعتدي على أعراض الناس، فلا لوم عليه ولا حرج. ملومين من الناس، أو من نفسه، واللوم هو خطاب يُعبر فيه عن عدم الرضا عن عمل لم يكن متوقفاً من الملموم من قول أو فعل.

[٧] ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾:

﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ﴾: فمن شرطية، ابتغى: طلب.

﴿وَرَاءَ ذَلِكَ﴾: ذلك اسم إشارة يشير إلى الزواج، أو ما ملكت اليمين.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿هُمُ﴾: للتوكيد.

﴿الْعَادُونَ﴾: المتجاوزون لحدود الله ما أحل الله لهم، أو ما حرم الله؛ أي: المعتدون. وقوله هم العادون؛ أي: المتناهون في العداوة، أو في طليعة المعتدون للدلالة على المبالغة في الاعتداء فهم يعتدون على أنفسهم وعلى أزواجهم وعلى أعراض الناس، ويسببون انتقال الأمراض المعدية مثل الإيدز والزهري والايبولا... وغيرها. والعادون: تعني هناك معتدي ومعتدى عليه، فهذه الأفعال ضررها ليس مقصور على فرد وإنما يعم الأسرة وأعراض الناس والمجتمع، وفي الآية تحذير من تعدي ما أحل الله تعالى، أو الاقتراب مما نهى الله عنه.



[٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾:

وكما أن عليه يصون ويحفظ فرجه عليه أن يحفظ الأمانة والعهد، فالأمانات والعهود والفروج مسؤول عنها.

﴿لَأَمْنَتِهِمْ﴾: اللام لام الاختصاص، الأمانات: جمع أمانة: أمانة للخلق وهي ما يكون لغيرك عندك من مال أو متاع أو حق أو ودیعة وأمانة الخالق، وهي امتثال، أي: طاعة أوامر الله وتجنب نواهيه، أي: تأدية التكاليف الشرعية، والأموال المودعة والنذور والعقود والأيمان وغيرها، والأمانة أعم وأشمل من العهد.

﴿وَعَهْدِهِمْ﴾: العهد يضم الوعود والعقود والمواثيق والأيمان والنذور. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٧). وقدم العام (الأمانة) على الخاص وهو العهد؛ لأن كل عهد أمانة.

﴿رَاعُونَ﴾: من الرعى، أي: الحفظ والتنفيذ، أي: تأدية الأمانات إلى أهلها ويوفون بالعهد، وراعون هي صفة ثابتة لهم. وراعون: مشتقة من رعى (أي: الرعي)، أو الرعية؛ أي: تولى الأمر وتفقد رعيته أو غنمه بالحفظ والرزق والطعام والشراب.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾:

والصلاة هي أمانة، بل أعظم الأمانات.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٣). في الآية (٢) قال تعالى: خاشعون وفي هذه الآية يحافظون، وهذا ليس تكراراً؛ لأنّ الخشوع غير المحافظة على الصلاة.

﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾: الصلاة: اسم مصدر من فعل صلى، وفي سورة المعارج آية (٣٤) قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فما هو الفرق؟ الصلوات أعم من

الصلاة، الصلوات الخمس مقارنة بالصلاة، وكلا الآيتين تتم الأخرى، فالواجب المحافظة على الصلاة سواء كانت واحدة أو خمس صلوات.

﴿يَحَافِظُونَ﴾: أي: يؤدونها في أوقاتها ويحافظون تشمل الصلوات الخمس والسنن الراتبية وصلاة الجمعة والعيد والجنائز وصلاة الوتر والتهجد والضحى، وتعني: عدم تأخير الصلوات لآخر أوقاتها، بل المبادرة إليها في أول أوقاتها. وانظر كيف بدأ بالصلاة بالخشوع فيها، وختم بالصلاة والمحافظة عليها.

[١٠] ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد والكاف للخطاب، ويشير إلى هؤلاء الذين جمعوا الصفات السبع السابقة.

﴿هُمْ﴾: ضمير للتوكيد والقصر. الوارثون حقاً للفردوس، أو هم الوارثون الحقيقيون وليس غيرهم.

﴿الْوَارِثُونَ﴾: جمع وارث، وفي قوله الوارثون دلالة أنهم يستحقون الجنة كما أن للورثة حق مؤكد في الميراث، وماذا سيكون ميراثهم الجنة يرثونها برحمة من الله فضل ووصفهم بالوارثين؛ لأن الإرث هبة والجنة هبة ورحمة من الله تعالى وليس بعملهم.

[١١] ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

﴿يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾: الفردوس: أعلى الجنات درجة، فوقها عرش الرحمن ومنها تنبع أنهار الجنة. ارجع إلى سورة الكهف آية (١٠٧) للبيان.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿خَالِدُونَ﴾: الخلود: هو استمرار البقاء من وقت يبدأ حين دخولهم الجنة، باقون على حالتهم من دون تحول أو تغيير، خالدون من دون موت وخالدون في النعيم.



[١٢] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾: الخلق: الإيجاد والتقدير، الإنسان: اسم جنس والإنسان كلمة مشتقة من الإنس: الألفة والمحبة، ومن كونه يُرى، أي: ظاهر غير مختفٍ بخلاف الجن.

﴿مِّن﴾ ابتدائية.

﴿سُلَالَةٍ﴾: السلالة: قيل: هي أجود ما في الشيء، أو ما استل من الطين ومن المعادن وهي (١٦) عنصراً وغيرها.

﴿مِّن طِينٍ﴾: من لبيان الجنس، طين: تراب + ماء، من سلالة من طين:، أي: من أجود عناصر التربة والماء، وقد ثبت علمياً أن العناصر المكونة للإنسان هي قسم من العناصر المكونة للتربة هي (١٦) عنصراً من أصل (١١٣) عنصراً من العناصر أو المعادن التي تشكل التربة واكتشفها العلم، منها: الصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والحديد والتحاس والماغنزيوم، وكما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ﴾ سورة فاطر الآية (١١) إذن الأصل هو التراب الذي أضيف إليه الماء فأصبح طيناً، والآية تشير إلى أن الجنين أو الإنسان يستمد طعامه من التربة فالجنين يستمد طعامه من دم الأم المتشكل من غذائها، وغذاؤها مستمد من النباتات والحيوانات (اللحوم والألبان) التي تستمد غذاءها من التربة أيضاً. وقد تعني الآية كذلك خلق آدم من تراب.

[١٣] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لتباين الصفات أو للترتيب الذكري (العددي).

﴿جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾: هاء الضمير تعود على الجنين، والنطفة مني الرجل

(الحيوان المنوي) ومني المرأة (البويضة). والجعل يكون بعد الخلق، أي: مرحلة بعد الخلق.

﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾: في ظرفية، قرار مكين: أي: الرحم، مكين: حصين أمين أو منيع بعظام الحوض وجدار البطن وجدار الرحم المكون من الأغشية الثلاث والعضلات المحيطة.

[١٤] ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾:

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً﴾: ثم: للترتيب العددي؛ أي: أولاً ثانياً ثالثاً، وهكذا بعد مرحلة النطفة، والتي تستغرق أسبوعاً تتحول النطفة إلى علقة تعلق في جدار الرحم، وتستغرق في تشكيلها الأسبوعين الثاني والثالث، وتتحول إلى مضغة.

﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾: الفاء تدل على المباشرة والترتيب، المضغة: تتبع العلقة، وهي تنقسم إلى مضغة مخلقة تستمر لتشكيل الجنين وغير مخلقة تشكل الخلايا الجذعية المتوزعة في جسم الإنسان، تبدأ مرحلة المضغة في الأسبوع الرابع، وتستمر إلى (٤٠) يوماً، تبدأ بعدها مرحلة العظام، وسميت بالمضغة؛ لأن شكلها يشبه قطعة اللحم الممضوغة بالأسنان.

﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا﴾: أي: العظام تبدأ بالتشكل في بداية الأسبوع السابع.

﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾: أي: تتشكل العضلات التي تغطي العظام.

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾: أي: بعد نفخ الروح فيه والإنشاء: إيجاد الشيء وفيه معنى النمو والتطور، وعلى غير مثال سابق بحيث يتشكل ويأخذ شكل الجنين، ويتطور تدريجياً إلى أن يتم نموه في حوالي الشهر السادس، ويصبح قابلاً للحياة. ارجع إلى سورة الحج آية (٥) لمزيد من البيان.



﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾: يجب الانتباه إلى معنى خالقين: من الخلق وهو التقدير، فالله سبحانه يقدّر ويخلق من العدم وعلى غير مثال سابق وهو سبحانه الخالق الحقيقي، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

في هذه الآية أعطى سبحانه بعض عباده من العلماء صفة الخلق فإنهم يخلقون من مواد أو أشياء أو جدها الله لهم ولكونهم قادرين على التقدير والتسوية والحساب أشركهم في الوصف، كما أشركهم في الرزق فقال: ﴿خَيْرُ الرِّزْقَيْنِ﴾ [المائدة: ١١٤] وفي الحكم فقال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، والوارثين ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

والاستنساخ ليس خلقاً، وإنما هو اكتشاف لبعض أسرار الخلق.

[١٥] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾: إنكم: للتوكيد، توكيد (الموت)، بعد ذلك: بعد تمام الخلق أو النشأة الأولى أو بعد انتهاء آجالكم.

﴿لَمَيِّتُونَ﴾: اللام للتوكيد، ميتون: لأن الناس لا ينكرون الموت ولكن يغفلون عنه. وقد اكتشف العلم أن إحدى المورثات أو الجينات في الإنسان تحمل أجل الإنسان، وأكد على الموت بأن واللام رغم أنكم خلقتكم على أحسن هيئة وتقويم في الخلق والنشأة.

[١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿إِنَّكُمْ﴾: للتوكيد.

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾: ولم يقل: لتبعثون، لم يؤكد على البعث كما أكد

على الموت مع أن البعث هو الذي ينكره الناس وليس الموت؛ لأن الموت يغفل عنه كثير من الناس أكده، أما البعث فله أدلته. أما كيف يتم البعث؟ فارجع إلى سورة الروم الآية (١٩). وفي سورة الزمر آية (٣٠-٣١) قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُّصُونَ ﴿٣٠﴾ أي: البعث (تبعثون) أولاً كما في سورة المؤمنون ثم (تختصمون) عند ربكم ثانياً فأية الزمر تنتمه لآية المؤمنون.

[١٧] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا﴾: ارجع إلى الآية (١٢).

﴿فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾: سبع طرائق: كثير من المفسرين يفسر سبع طرائق بسبع سموات بعضها فوق بعض والتفسير العلمي يفسر لنا الطرائق: الفواصل بين كل سماء وسماء، أو ممرات ما بين كل سماء وسماء، وسبع طرائق تختلف عن سبع سموات طباقاً، كما في سورة الملك آية (٣) وسورة نوح الآية (١٥).

﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾: ما: النافية، غافلين عن رعايتهم، وتوفير لهم سبل العيش، وعن حفظهم من الأشعة الضارة مثل الأشعة فوق البنفسجية بطبقة الأوزون أو نحفظهم من حرارة الشمس وغيرها بنطق الحماية. ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٢٢)، أو سقوط النيازك على كوكب الأرض، غافلين، أي: ناسينهم بغير رزق (بأنزال المطر) أو مهملين. ارجع إلى سورة البقرة آية (٧٤) لمزيد من البيان في الغفلة.



سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ ٢٣

الجزء الثاني عشر

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ
 بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ
 لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهِ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ
 طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِّلْأَكْلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي
 الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ
 وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ
 غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا
 إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ
 مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا
 رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فَبَتَّ بَصُوبِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي
 بِمَا كَذَبُونَ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
 وَوْحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ
 كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
 مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

سورة المؤمنون [الآيات ١٨ - ٢٧]

[١٨] ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَدِيرُونَ﴾:

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾: أنزلنا بصيغة الجمع للتعظيم، من السماء: من السحب الركامية ماءً: ماء المطر، والسماء لغة تعريفها: كل ما علاك فالسحب يمكن أن تسمى سماء، والآية تتحدث عن دورة الماء حول الأرض، وليس عن منشأ الماء. ﴿مَاءً بِقَدَرٍ﴾: بحساب دقيق بحيث تكون كمية الماء المتبخرة من البحار والمحيطات واليابسة تقارب كمية المطر المنزل من السحب، فقد قدر العلماء أن كمية الماء التي أخرجها الله من الأرض كانت حوالي (١،٤٠٠ مليون كم^٣) يتبخر منها كل سنة حوالي (٦٠٠،٠٠٠ كم^٣) منها (٥٠٠،٠٠٠ كم^٣) من البحار والمحيطات و (١٠٠،٠٠٠ كم^٣) من اليابسة، ثم يعيد منها على اليابسة (١٦٥،٠٠٠ كم^٣) بزيادة (٦٥،٠٠٠ كم^٣) تؤخذ من مياه البحار والمحيطات ويعيد على البحار والمحيطات (٤٣٥،٠٠٠ كم^٣) تلعب دوراً مهماً على سطح اليابسة كعوامل التعرية وتكوين التربة وتركيز المعادن وتلطيف الجو المناخ وتغذية التربة بكميات معلومة مقدرة الكمية يعلمها الله سبحانه، وأين تنزل على سطح الأرض بقدر قد يكون ضئيل قد يسبب القحط أو معتدل أو كبير يسبب الفيضانات وهلاك الحرث والنسل وماء المطر يتشكل من البخار الصاعد من الأرض فتحمله الرياح حيث يشاء الله.

وهذه السحب المشكّلة من بخار الماء غير قادرة على إنزال المطر، فلا بُدَّ



من رياح أخرى تلقحها وهي رياح تحمل هباءات الغبار التي تلقح ذرات البخار، فتصبح عالية الكثافة فينزل المطر.

﴿فَأَسْكَنْتُ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: حفظناه في الأرض واستقر في صخور الأرض ذات المسام والنفوذية، فهذه المسام والنفوذية بين ذرات الصخر هي القادرة على خزن هذا الماء، وهناك الكثير من الصخور غير المسامية أو النفوذية غير قادرة على خزن أي ماء، وهذا الماء قد يخزن لمئات السنين أو آلاف السنين في الأرض الخالية من البحار والمحيطات والبحيرات.

وقد تختلف كمية هطوله في أرض أكثر من أرض أخرى، ولكن النسبة والكمية نفسها إذا جمعنا ما ينزل من المطر هنا وهناك.

﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَدِيرُونَ﴾: لقادرون اللام للتوكيد، أي: قادرون على أن نجعله يغور في أعماق الأرض أو قادرون على عدم إعادته إلى الأرض بعدم تلقيح سحب بخار الماء، أو بتجفيف الماء برفع درجة الحرارة أو بهزة أرضية أو ثورة بركان أو بتغير التفاعلات الكيماوية للأرض، وفي هذا تنبيه لشكر الله على هذه النعمة.

[١٩] ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاوِكُهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾:

﴿فَأَنشَأْنَا﴾: الفاء: للتوكيد، أنشأنا لكم: الإنشاء هو إيجاد الشيء بعد أن لم يكن، والإنشاء فيه معنى النمو والتطور.

﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص لكم خاصة.

﴿بِهِ﴾: الهاء تعود على ماء المطر.

﴿جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾: بساتين من أشجار النخيل وأعناب.

الفرق بين النَّخْل والنَّخِيل: النَّخْل: اسم جنس ويشمل النَّخِيل بأنواعه المختلفة، وخص هذين النوعين النَّخِيل والأَعْنَاب لكثرة منافعهما وهما أكثر فواكه انتشاراً في أرض الحجاز ويمثلان بقية الفواكه.

﴿لَكُمْ فِيهَا﴾: لكم خاصة، فيها، أي: في تلك الجنات.

﴿فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾: جمع فاكهة وفاكهة اسم جنس، وفاكهة تشمل فواكه، وفاكهة: أعم من فواكه وأوسع معنى وأكثر.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: فهي ليست محددة للأكل فقط إضافة الواو لتدل على أنهم يأكلون من هذه الفواكه، ويصنعون منها الحلويات والشرابات والعصير، وهذه الآية جاءت في سياق الحياة الدنيا، أما في سياق الآخرة وفي الجنة فيستعمل كلمة فاكهة، كما في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٣]، وهي أعم وأشمل وتشمل كل الفواكه، وقال منها تأكلون: من دون إضافة الواو؛ لأن فاكهة الجنة فقط للأكل، وليس هناك حاجة لعمل الحلويات أو الشراب من الفاكهة، كما نفعل في الدنيا؛ لأنها تأتي جاهزة لا نحتاج إلى صنعها وتحويلها من نوع إلى نوع آخر، كما هو الحال في الدنيا.

[٢٠] ﴿وَشَجَرَةٍ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِّلْأَكْلِينَ﴾:

﴿وَشَجَرَةٍ﴾: الواو عاطفة وشجرة معطوفة على جنات، عطف الخاص على العام لإظهار الأهمية والتوكيد، وتقدير الكلام فأنشأنا لكم به (الماء) جنات من نخيل وأعناب وأنشأنا لكم به شجرة تخرج من طور سيناء وهي شجرة الزيتون، وهي شجرة مباركة.

﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾: سيناء: اسم المكان الذي فيه (الطور)، والطور

أصغر من الجبل، حيث كلم الله سبحانه موسى ﷺ.



﴿تَبَّتْ بِالذَّهْنِ﴾: الدهن: زيت الزيتون، والباء للإلصاق والمصاحبة تنبت بالدهن: تنبت بشمر الزيتون والذي يتحول إلى زيت الزيتون (الدهن).

﴿وَصَبِغٌ لِّلْأَكْلِينَ﴾: الصَّبغ هو زيت الزيتون سمي صبغ؛ لأنه لونه أخضر وزيت الزيتون الذي يؤكل مع كثير من الأطعمة.

[٢١] ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَفْعٌ كَثِيرٌ ۚ وَمِمَّا تَأْكُلُونَ﴾:

﴿وَإِنَّ لَكُمْ﴾: إنَّ للتوكيد، لكم اللام لام الاختصاص.

﴿فِي الْأَنْعَامِ﴾: الأنعام ثمانية أزواج الإبل والبقر والغنم والماعز.

﴿لَعِبْرَةً﴾: آية أو دلالة تستدلون من خلالها إلى قدرة الله سبحانه وعظمته، وتعبرون بها من الجهل إلى العلم، ومن الشك إلى اليقين على عظمة الخالق، وكما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]، ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]. ارجع إلى سورة النحل آية (٦٦) لمزيد من البيان في معنى عبرة.

﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾: بطون الإناث إناث الأنعام، نسقيكم الحليب. ارجع إلى سورة النحل آية (٦٦) للمقارنة والبيان، وبين مما في بطونها والقول مما في بطونه.

﴿وَلَكُمْ﴾: تكرار لكم للتوكيد.

﴿فِيهَا مَنَفْعٌ كَثِيرٌ﴾: مثل حمل أثقالكم ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا شِقَ الْأَنْفُسِ﴾ [النحل: ٧]، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۚ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِثْقَالًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠].

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: الواو تفيد الجمع إنكم منها تأكلون لحماً ولبناً خالصاً، وتأكلون من أشياء أخرى من غير الأنعام.

[٢٢] ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾:

﴿وَعَلَيْهَا﴾: على: تفيد الاستعلاء والركوب على الأنعام وليس كل الأنعام تركبون، ويراد بالأنعام هنا الإبل.

﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾: تطلق على المفرد أو الجمع، وتعني السفن.

﴿تُحْمَلُونَ﴾: تركبون وتحمل أثقالكم.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورُوا عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْقُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾: الإرسال ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان

والفرق بين الإرسال والبعث. نوحاً: من سلالة إدريس، وإدريس من سلالة شيث بن آدم، ولد نوح بعد وفاة آدم ب(١٢٦) سنة كما ذكر ابن جرير وغيره.

﴿نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾: ﴿فَقَالَ يَنْقُورُوا عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ﴾: دعاء إلى

وحدانية الخالق كما دعا غيره الرسل وتجنب الشرك. ارجع إلى سورة نوح، وارجع إلى سورة الأعراف الآية (٥٩).

﴿يَنْقُورُوا﴾: نداء فيه تودد وعطف.

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتوبيخ على عدم التقوى والتعجب

من تركها، ألا: أداة تنبيه وحض وتحمل معنى الأمر على التقوى.

﴿نَنْقُونَ﴾: أي: تطيعوا أوامر ربكم وتتجنبوا نواهيه أو تخافون ربكم القهار

الجبار وتفقونه، وهذه الكلمة قالها كل الرسل لأقوامهم.



[٢٤] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة، الملاء: سادة وأشراف القوم مشتقة من كونهم يملؤون العيون أو العيون تنظر إليهم وتراهم؛ لأنهم يمثلون قبائلهم أو عشائرهم. ولو نظرنا إلى كيف كتبت الملاء في هذه الآية (٢٤)، وإلى كيف كتبت الملاء في الآية (٣٣) من نفس السورة لوجدنا هناك اختلافاً، ولو نظرنا في القرآن لوجدنا أن الملاء كتبت بهذا الشكل في سورة النمل في ثلاث آيات، وسورة المؤمنون في آية واحدة هي (٢٤)، وأما باقي الآيات في القرآن كتبت الملاء بهذا الشكل، والسؤال ما هو الفرق بينهما؟ إذا نظرنا إلى سياق الآيات نستنتج أن الملاء المكتوبة بالواو: جاءت في سياق بطانة الملك، أو حاشيته، أو النبي وخاصة، أما الملاء بالألف: جاءت في سياق رؤساء العشائر، أو ممثلي الشعب مثل مجلس الشعب، أو البرلمان كما نسميه الآن.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾: يعني: كان بينهم بعض المؤمنين حين قالوا هذا القول، مقارنة بقوله تعالى: قال الملاء من قومه الذين كفروا: يعني: سادة القوم لم يكن بينهم أي مؤمن حين قالوا هذا القول.

﴿مَا هَذَا﴾: ما: النافية، هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب.

﴿إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾: إلا: أداة حصر، بشر مثلكم: أي: كونه بشراً فهم يريدون رسولاً ملكاً من الملائكة أو من غير جنسهم.

﴿يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ﴾: يطلب أو يبغي لنفسه الفضل والشرف والسيادة ليكون له أتباع، أن: للتعليل والتوكيد.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: لو شرطية.

﴿لَا نَزَلَ مَلَائِكَةٌ﴾: اللام للتوكيد، أنزل ملائكة من السماء بدلاً منه.

﴿مَا﴾: النافية.

﴿سَمِعْنَا بِهَذَا﴾: لم يخبرنا أحد من آبائنا أو أجدادنا، بهذا: الباء للإلصاق والاستمرار، هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير إلى الذي يدعو إليه نوح وهو التوحيد وعبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، هذه أمور لم نسمعها من قبل.

﴿فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾: في ظرفية، آبائنا الأولين: أي: هم مقلدون آبائهم ومقتدون بهم، ولم يسمعوا بالتوحيد.

[٢٥] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فَرَتَّصُوهُ، حَتَّىٰ حِينٍ﴾:

﴿إِنْ﴾: نافية، أي: ما.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ﴾: إلا: حصر، رجل به جنة: جنة: مصدر من جن، أي: به جنون لا يعلم ما يقول أصيب بخبل عقلي.

﴿فَرَتَّصُوهُ﴾: التربص: الانتظار الطويل والحذر.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: حتى حرف نهاية الغاية، أي: انتظروه حتى يشفى أو يُفَيِّق من جنونه أو انتظروا أجله حتى يموت.

[٢٦] ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾:

﴿قَالَ رَبِّ﴾: قال نوح: رب، أي: دعا ولم يقل: يا رب لا يحتاج إلى ياء نداء التي تدل على البعد، ولم يقل: يا الله: لأنَّ الرَّبَّ هو المتولي الأمور ومدبرها وليس السياق في شأن العبادة.



﴿انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ﴾: الباء: للإلصاق، أو السببية وما مصدرية، أي: انصُرني، أي: أهلكهم، بما كذبون: بسبب تكذيبهم لي، وعدم إيمانهم. وحذف الياء (ياء المتكلم) من كذبون؛ لأن هناك من أمن له وصدقه، ولو كذبه كل قومه لقال كذبوني.

[٢٧] ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا فَاِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾:

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾: الفاء: للترتيب والتعقيب، أوحينا: الوحي هو الإعلام بخفاء، وله طرق مختلفة ارجع إلى سورة النساء الآية (١٦٣) إليه: إلى نوح ﷺ.

﴿أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ﴾: أن تعليلية تفسيرية، اصنع الفلك: ابن الفلك: السفينة.

﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا﴾: الباء: للإلصاق، والاستمرار، بأعيننا: بمراقبتنا، ووحينا: بما نوحيه إليه من التعاليم كيف تصنعها، ولمعرفة معنى الوحي ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣).

﴿فَاِذَا﴾: الفاء للتأكيد، إذا ظرفية زمانية للمستقبل وفيها معنى الشرط.

﴿جَاءَ أَمْرُنَا﴾: يأنزال العذاب (الطوفان) والمجيء فيه معنى الصعوبة والمشقة.

﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾: قيل: التنور بيت النار الذي يوضع فيه الخبز العجين ليصبح خبزاً ناضجاً، فحين ترى ذلك التنور يفور بالماء فهذه علامة على بدء الطوفان، فاسلك فيها من كل زوجين اثنين، هذا هو تفسير المفسرين القدامى والله سبحانه قادر على ذلك، ولكن تفسير فار التنور حسب معطيات العلم الحديث يشير إلى ثورة بركان يصاحبه هزة أرضية عنيفة حدث معها ما يشبه

السونامي حيث ترتفع المياه إلى عشرات الأمتار؛ مما يؤدي إلى الطوفان ورفع السفينة التي أصبحت تجري في موج كالجبال.

﴿فَاسْأَلْ فِيهَا﴾: أدخل فيها أو احمل فيها في الفلك، واستعمل كلمة اسلك التي تحمل معنى السهولة؛ لأن الأمر لم يحدث بعد، تعاليم للمستقبل أو توصيات، وقد رأيناه استعمل ﴿أَحْمِلْ فِيهَا﴾ في سورة الأعراف الآية (٤٠) حين حدث الطوفان.

﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: من: ابتدائية كل زوجين؛ الزوج: هو واحد يطلق على الذكر والأنثى، والاثنتان زوجان؛ أي: الرجل زوج، والمرأة زوج، وكلاهما اثنان؛ أي: ذكر وأنثى من كل صنف سواء أكان إنسان أم حيوان أم نبات يمكن حمله والاستفادة منه، ولا تعني كل أصناف الحيوانات والنباتات، فقد كان طول السفينة حوالي (١٥٠ متر) وعرضها (٣٠ متر)، وكلمة اثنين توكيد.

﴿وَأَهْلَكَ﴾: الزوجة والأولاد (الثلاثة نوح وسام وحام وزوجاتهم)، وأهلك يمكن أن تعني أهل الإيمان وليست أهلية نسب ودم، أي: أتباعك. ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾: إلا أداة استثناء، سبق عليه القول: الهلاك والعذاب مثل ابنه كنعان وامرأة نوح.

﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾: لا الناهية، تخاطبني: تطلب مني إنجاء الذين ظلموا أو تكلمني بشأن الظالمين الذين حق عليهم القول أو تشفع لهم أو تأخذك بهم رافة إنهم مغرقون.





سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ ٢٣

الجزء الثاني عشر

فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَجَحْنَا
مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ
الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا
مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَعْبُدُوا
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَاتَّرفَتْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا
تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا الْخَسِرُونَ
﴿٣٤﴾ أَعِدُّكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ
﴿٣٥﴾ هَيَّاهُتْ هَيَّاهُتْ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ
افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾
فَاخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾



سورة المؤمنون [الآيات ٢٨ - ٤٢]

[٢٨] ﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء عاطفة، إذا ظرف زماني للمستقبل متضمن معنى الشرط، وتدل على حتمية الحدوث.

﴿أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ﴾: استويت من استوى أي: علا واستقر أي: حين تعلو وتستقر على ظهر الفلك، وعلى تعني العلو والتمكن والقدرة على قيادة الفلك، ولم يقل: أنت والذين معك في الفلك وإنما قال: ومن معك: من ابتدائية، ومن معك تدل على القلة مقارنة بقوله: والذين معك التي تدل على الكثرة.

﴿وَمَنْ مَعَكَ﴾: قيل: كان عددهم (٧٠-٨٠)، وقيل: (٢٠-٣٠)، والله أعلم.

﴿فَقُلْ الْحَمْدُ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، قل الحمد لله: أي: إياك أن تنسى المنعم وتغتر بالفلك، أو بنجاتك. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٢) في معنى الحمد لله.

والسؤال هنا: لِمَ لَمْ يَخاطب الله سبحانه نوح ومن معه بالقول: فإذا استويتم بدلاً من استويت أنت ومن معك فقل، بدلاً من فقولوا الحمد لله؛ لأن المخاطب هو رب العالمين، والمقام مقام كبرياء وجلال والمخاطبة لا يترقى إليها إلا نبي أو رسول، ولذلك خاطب نوح وحده، فهو نبيهم، وفيه إشعار لنوح بفضل النبوة، وعلى نوح أن يبلغهم الدعاء بالحمد.



﴿الَّذِي بَجَّنا﴾: الذي اسم موصول فيه معنى التوحيد؛ لأنه يختص بالمفرد المذكر). نجانا: للتعظيم. نجانا: ولم يقل أنجانا؛ لأن نجانا فيها معنى الزمن الطويل أي: نجانا بعد زمن طويل وانتظار دام أكثر من (٩٥٠ سنة).

﴿مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: المشركين، الظلم هنا هو الشرك، والمكذبين بما أنزل الله تعالى على نوح ﷺ. ارجع إلى سورة البقرة آية (٣٥) لبيان معنى الظالمين.

[٢٩] ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾:

﴿وَقُلْ رَبِّ﴾: ولم يقل: قل: يا رب: حذف ياء النداء للبعد؛ لأنه يعلم أن الله سبحانه سميع قريب.

﴿أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُّبَارَكاً﴾: مُنْزَلاً: بضم الميم وفتح الزاي مصدر لفعل أنزل أي: أنزلني إنزالاً مباركاً سواء عند النزول في السفينة (الفلك) أو عند النزول منها بعد الوصول إلى اليابسة في كلا الحالين قل: أنزلني إنزالاً مباركاً، ويجوز أن يكون مُنْزَلاً اسم مكان أي: أنزلني في منزل فيه الخيرات والبركة والأمن والراحة فهو يحمل كلا المعنيين، أي: أنزلني إنزالاً مباركاً وفي منزل مبارك.

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾: أنت للتوكيد، خير المنزلين: أي: إن كان هناك من البشر من يكرم ضيفه، وينزله مُنْزَلاً مُرِيحاً طيباً يبقى الله سبحانه هو خير (أحسن) المنزلين على الإطلاق في الدنيا والآخرة.

[٣٠] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: إن للتوكيد، في ذلك: أي: ما تقدّم من الآيات بخصوص

نوح.

﴿لَآيَاتٍ﴾: اللام للتوكيد، آيات: كثيرة وعبر ودلائل وحجج واضحة على

صدق دعوة الأنبياء ونوح وعلى قدرة وعظمة الله تعالى ووحدانيته، وتدلل على أنه الإله الحق الذي يجب أن يُعبد ويطاع.

﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾: إن: للتوكيد، اللام في لمبتلين للتوكيد، مبتلين: من الابتلاء بالخير والشر فتنة لقوم نوح أو غيرهم لنقيم عليه الحُجَّة.

والابتلاء قد يصيب الكل: الكفرة والمشركين وأهل الصلاح والإيمان، والظلمة وغيرهم.

ونتيجة الابتلاء إما أن تكون الانتقام من الكفرة أو التكفير عن سيئات المبتلين أو رفع درجاتهم وثوابهم.

[٣١] ﴿ثُمَّ أُنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾:

﴿ثُمَّ أُنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: ثم للترتيب والتراخي، أنشأنا من بعدهم: من بعد قوم نوح ﷺ.

﴿قَرْنًا آخَرِينَ﴾: هم قوم عاد، القرن: قوم أو جماعة أو أمة مجتمعة في زمن واحد والقرن (١٠٠ عام)، والإنشاء: هو إيجاد الشيء بسبب أو بغير سبب، وفيه معنى التطوير والنمو.

[٣٢] ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾:

﴿فَأَرْسَلْنَا﴾: ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان.

﴿فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾: ولم يقل: رسولاً إليهم: أي: كان الرسول هو هود، منهم أي: من القوم وأخوهم ونشأ فيهم ولم يكن من غيرهم وهاجر إليهم.

﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أن مصدرية تفيد التعليل والتوكيد، اعبدوا الله وحده ولا



تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣)، والأنبياء آية (١٠٦)؛ لبيان معنى العبادة.

﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ﴾: ما النافية، لكم: اللام لام الاختصاص، من إله: من استغراقية تستغرق كل إله.

﴿أَفَلَا نُنْقِوْنَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٣) من نفس السورة للبيان.

[٣٣] ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ أَتَرْفَنَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾:

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾: أشرف قومهم، أو ممثلي القوم، سادة القوم، ولم يكن بينهم مؤمن آنذاك، ولو كان فيهم مؤمن لتغيرت الآية إلى: وقال الملأ الذين كفروا من قومه، وهم الذين اتصفوا بثلاث صفات:

١ - كفروا بالله وجحدوا بوحدانيته.

٢ - وكذبوا بيوم القيامة والبعث والجزاء. انظر كيف شبه الآخرة بشخص سوف يلاقى ويشاهد لإدخال الهلع والروع في قلوب الذين كفروا وكذبوا بالله واليوم الآخر.

٣ - أترفناهم في الحياة الدنيا حتى بطروا وجحدوا بنعم الله ولم يشكروا المنعم.

﴿وَأَتَرْفَنَّهُمْ﴾: وسّعنا عليهم نعم الدنيا حتى بطروا وفسدوا، هؤلاء الملأ أسوأ وأقبح من الملأ من قوم نوح. ارجع إلى سورة الزخرف آية (٢٣) لبيان معنى الترف، والمترف.

﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾: ما النافية، هذا اسم إشارة يفيد القرب وتشير إلى هود ﷺ، والهاء للتنبيه واللام للبعد، إلا: أداة حصر، أي: هو حصراً، بشر مثلكم.

﴿يَا كُلُّ مِمَّا تَكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾: فكيف ترضون برجل منكم ليس له أي سمة أو فضل أو جاه، حتى يأمركم وينهاكم ويعدكم بالخروج من القبور والبعث ويطلب منكم طاعته.

[٣٤] ﴿وَلَيْنَ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ﴾:

﴿وَلَيْنَ﴾: الواو: عاطفة، واللام للتوكيد، وإن شرطية تفيد الشك والاحتمال، أطعتم: من الطاعة، وهي الانقياد واتباع الداعي إلى ما يدعوا إليه.

﴿بَشَرًا مِثْلَكُمْ﴾: أي: هم ينفون عن نبههم النبوة، أي: الوحي.

﴿إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ﴾: إنكم: إن: للتوكيد، إذا: حرف جواب يفيد التوكيد، لخاسرون: اللام للتوكيد، ثلاثة توكيدات على أنهم خاسرون إذا أطعتم ذلك البشر، خاسرون: مكانتكم وسعة العيش والشرف والنعيم الذي أنتم فيه.

[٣٥] ﴿أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ﴾:

﴿أَعِدُّكُمْ﴾: الهمزة استفهام وتعجب، وفيه انتقال من التكذيب بهود إلى التكذيب بما أرسل أيضاً. أيعدكم: من الوعد، والوعد هنا بالبعث فهو وعد مقيد.

﴿أَنْكُمْ﴾: للتوكيد.

﴿إِذَا﴾: ظرف زمني للمستقبل.

﴿مُتُّمٌ﴾: بكسر الميم تدل على الموت العادي، وأما مُتُّم بضم الميم تعني قتلتم في سبيل الله أو متم في سبيل الله كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ مُتُّمٌ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٨]، من خصائص القرآن يستعمل الكسرة وهي أخف الحركات



للموت العادي ويستعمل الضمة وهي أثقل الحركات لحالات الموت الثقيلة مثل الموت في سبيل الله وهو الأعلى درجة.

﴿وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا﴾: وكنتم: في قبوركم تراباً وعظاماً، و(تراباً) تسبق عظاماً؛ لأن الإنسان بعد موته يتحول إلى تراب أولاً، ثم إلى عظام وحين تتكسر العظام تصبح رفاتاً (عظاماً مكسرة).

﴿أَنْتُمْ﴾: تكرر أنكم: لتوكيد استبعاد الخروج من الأجداث والبعث.

﴿مُخْرَجُونَ﴾: أي: هم استنكروا واستبعدوا أن يخرجوا من قبورهم أحياء بعد أن صاروا تراباً وعظاماً. ومُخرجون: قسراً رغم عنكم وبغير إرادتكم. [٣٦] ﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ﴾:

﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ﴾: أي: بَعُدْ بَعُدْ هذا الأمر؛ أي: صحة ما توعدون به من الخروج من القبور، وهيئات الثانية تأكيد للأولى، ولا تقال: هيئات لوحدها وإنما دائماً مكررة، أي: هيئات هيئات إخراجكم.

هيئات: اسم يدل على معنى فعل بَعُدَ، ومنهم من قال: هيئات: اسم فعل ماض بمعنى بَعُدَ. وهيئات هيئات: لم تذكر في القرآن إلا في هذه الآية.

﴿لَمَّا﴾: اللام للتوكيد، ما حرف مصدري أو اسم موصول.

﴿تُوْعَدُونَ﴾: من الإخراج من القبور والنشر والبعث والحساب.

[٣٧] ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾:

﴿إِنْ هِيَ﴾: إن حرف نفي بمعنى ما وإن أقوى في النفي من ما، هي: للتوكيد.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾: السؤال هنا كيف نفهم قولهم

نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين؛ لأن قولهم: نحيا، قد يفهم أنهم يؤمنون بالبعث، ولكن قولهم بعدها: وما نحن بمبعوثين هو ينفي ذلك، وإنما المقصود بذلك عندما نحن نموت ونحيا يعني: يموت البعض ويخلق (يولد) غيرهم في نفس الوقت.

ولنقارن هذه الآية ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ مع الآية (٢٩) من سورة الأنعام ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

الآية (٣٧) من سورة المؤمنون: جاءت في سياق الحياة الدنيا، أي: ينكرون البعث وهم على قيد الحياة، أي: الآية جاءت في سياق الحياة الدنيا.

أما الآية (٢٩) من سورة الأنعام: جاءت في سياق الآخرة (لذلك حذفوا نموت ونحيا)؛ لأن هذا لم يعد له وجود.

والدليل على ذلك أنه سبقها قوله: ولو ترى إذا وقفوا على النار، فهم في الآخرة.

أما الفرق بين: إن هي إلا حياتنا الدنيا، وما هي إلا حياتنا الدنيا: النفي في قوله: إن هي أشد من النفي من قوله: ما هي، أي: التكذيب وإنكار البعث أشد وأقوى حين يقولون: (إن هي) مقارنة بقولهم: (ما هي)؛ لأن هناك من الناس من ينكر أو يكذب بشدة وتوكيد، وهناك من ينكر أو يكذب من دون توكيد أو مبالغة.

[٣٨] ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِنْ هُوَ﴾: إن نافية، هو ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿وَلَا﴾: أداة حصر.

﴿رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: رجل: أي: هود، افترى على الله كذباً الافتراء



هو الكذب المتعمد المختلق، كذباً: نكرة، أي: كل أنواع الكذب مثل ما لكم من إله غيره وإنكم مبعوثون من بعد الموت، والتنكير في اللغة يفيد الشمول والعموم.

﴿وَمَا نَحْنُ﴾: نحن للتوكيد.

﴿لَهُ، يَوْمَئِذٍ﴾: الباء للإلصاق والمصاحبة، مؤمنين: مصدقين، وقدم له الجار والمجرور ليفيد له حصراً، وقد نؤمن لغيره؛ أي: نصدق غيره.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبْتُ﴾:

ارجع إلى الآية (٢٦) للبيان، هكذا تأتي النهاية واحدة لكل الرسل رب انصُرني بما كذبون.

[٤٠] ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾:

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾: قال الحق: عما قليل: عما مركبة من (عن + ما)، عن تعني البعد ما للتوكيد، أي: عن قريب أو بعد زمن قريب.

﴿لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾: السلام لام التوكيد والنون في يصبحن لزيادة التوكيد، يصبحن: قد تعني وقت الصبح سيحل بهم العذاب ويأخذهم على حين غفلة وعدم استعداد على خلاف إذا جاءهم العذاب أثناء النهار، نادمين: على كفرهم وعدم إيمانهم بالبعث، أو تعني: قريباً يصيرون نادمين في أي وقت؛ أي: يشعرون بالندم على كفرهم وتكذيبهم.

[٤١] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُرَاءَ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، الصيحة: هي ترددات صوتية تفوق قدرة الأذن على تحملها وتتجاوز (٧٠-١٠٠) ديسبل بالثانية، وما إن تصل إلى (١٢٠-١٤٠) تؤثر في الجهاز العصبي والأذن الداخلية والقلب



وتؤدِّي إلى صَعَق الإنسان، تلك الصيحة التي تركتهم كأعجاز النَّخل المنقعر
كقوله تعالى: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠].

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء للتوكيد، الحق: اسم الشيء الثابت الذي لا يتغير ولا
يتبدل.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾: بعد هلاكهم، شبههم بغشاء السَّيل وهو ما يجمعه النهر
أو الوادي من فروع الأشجار اليابسة والجافة والورق، أي: زبد السَّيل.

﴿فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: هلاكاً وبعداً من رحمتنا للقوم الظَّالِمين، اللام
لام الاختصاص، الظَّالِمين: المشركين، وهم قوم هود.

[٤٢] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: ارجع إلى الآية (٣١)، من بعدهم: من بعد قوم هود.

﴿قُرُونًا آخَرِينَ﴾: بصيغة الجمع أمم أو أقوام متعددة مثل قوم صالح ولوط
وشعيب وغيرهم.





سُورَةُ الْاَنْعَامِ ٢٣

الْبَقَرَةُ ٢٣

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا
 كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ
 أَحَادِيثَ فَبَعْدَ الْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ
 هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
 فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
 وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِبِيدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ
 ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا
 ابْنَ مَرْيَمَ وَآمَنَةً آيَةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ
 ﴿٥٠﴾ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا
 تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ
 فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ
 فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا
 نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ
 ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
 بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

سورة المؤمنون [الآيات ٤٣ - ٥٩]

[٤٣] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾:

﴿مَا﴾: النافية.

﴿تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا﴾: الأجل هو الوقت المضروب لانقضاء الشيء، والأجل لا يتغير، ولا يتبدل لا يتقدم ولا يتأخر إلا إذا شاء الله تعالى كما حدث لقوم يونس كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَاءَ ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]. من استغرافية، أي: تشمل كل الأمم.

﴿أَجْلَهَا﴾: الذي ضرب لها، أي: لا تنقرض أو تزول أو تهلك قبل أن ينتهي أجلها أو يحلَّ أجلها.

﴿وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾: ولا يؤخر أجلها. ارجع إلى سورة يونس آية (٤٩) لمزيد من البيان.

[٤٤] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رُسُلُهُمْ كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بِعَصَا بَعْضُهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي.

﴿أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾: من الإرسال، ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة، ولم يقل: ثم بعثنا، ولا يرسل الرسل عادة إلا بعد أن يعم الفساد والباطل والشرك والمعاصي.



﴿تَرَا﴾: أصلها: وَتَرَى؛ تعني: تعاقب + انقطاع في الزمن؛ من الوتر: وهو الفرد، والمواترة: وهي التابع مع التراخي في الزمن؛ متتابعين واحداً إثر الآخر مع انقطاع في الزمن أي دهرًا.

﴿كُلَّ مَا﴾: كل: لفظ يدل على التوكيد على العموم؛ أي: يفيد الاستغراق والإحاطة بجميع الرسل (أو الأفراد)، وما: المصدرية الظرفية أداة شرط تفيد التكرار. وفصل بين: كل وما، ولم يجمع بينهما بالقول، كلما إشارة إلى الفاصل الزمني بين كل رسول ومن يأتي بعده.

﴿جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولُهَا كَذِبُوهُ﴾: جاء أمة رسولها ليخرجها من الظلمات إلى النور، وليبين لهم ما أنزل إليهم من ربهم، كذبوه: لم يصدقوه، واستمروا على حالهم في الضلال والعناد والتحدي. والأمة: تطلق على مجموعة من الناس بغض النظر عن العدد والحيز الجغرافي.

﴿فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، أتبعنا بعضهم بعضاً، أي: أهلكنا الواحد تلو الآخر.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾: أحاديث جمع حديث، وأحاديث إذا أطلقت لا تقال إلا في سياق الشر إلا إذا كان مقيداً، وأحاديث جمع أحدىثة، وهو ما يتحدث به الناس ويكثرون الكلام عنه للتعجب، أو اللهو، أو العبرة، أو المثل، أي: أهلكناهم ولم يبق بين الناس إلا أخبارهم يتلهون بها ويتحدثون عنها يقصونها على الغير، أي: لم يبق لهم أثر إلا قصصهم.

﴿فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بُعداً لهم عن رحمة الله تعالى أو هلاكاً لهم لعدم إيمانهم، وبُعداً: لها معنيان أولاً: هناك بُعداً بعده لقاء. ثانياً: هناك بُعداً ليس بعده لقاء؛ أي: بلا عودة. لقوم: اللام لام الاختصاص، قوم: هنا نكرة؛ لأنه سبقها

قوله: قروناً آخرين، ولم يحدد من هؤلاء، بينما حينما قال في الآية (٤١) ﴿فَبَعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ القوم هنا معرفة محدّدة بأل التعريف وهم قوم هود، وقيل: قوم صالح، وفي هذه الآية تعني هلاكاً لأي قوم لا يؤمنون بالله تعالى.

[٤٥] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا﴾: ثم للترتيب والتراخي، أرسلنا: ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان.

﴿مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا﴾: التسع: العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات.
﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: السلطان: هو الحجّة القوية التي لا تُدحض، مثل العصا واليد.

﴿مُبِينٍ﴾: بيّن واضح لكل فرد أنّها معجزة إلهية لا تحتاج إلى برهان ودليل.
وقيل: السلطان المبين غالباً هي العصا؛ لأنّها كانت أقوى الأدلة من حيث تحولها إلى حية تلقف ما يأفكون، وقد يراد بالسلطان كلّ الآيات معاً.
[٤٦] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾:

﴿فِرْعَوْنَ﴾: لقب لكل من كان يحكم مصر مثل كسرى لقب لمن كان يحكم الفرس وقيصر لمن كان يحكم الروم، ويجب الانتباه إلى أن فرعون الذي ربى موسى هو رمسيس الثاني (وهو الفرعون الثالث)، وفرعون الخروج الذي أغرق هو ابن رمسيس الثاني، وقيل: اسمه (منفتاح)، وهو المقصود في هذه الآية.
ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) للبيان.

﴿وَمَلَئِهِ﴾: وخص فرعون وملئه ولم يذكر قوم فرعون (القبط)؛ لأن دعوة موسى وهارون كانت خاصة لفرعون وملئه وهم أشرف القوم أو من



يمثلون القوم ونسميهم اليوم النواب أو مجلس الشعب أو رؤساء العشائر. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٧٥، ٨٨) لمزيد من البيان.

﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، استكبروا؛ أي: أفرطوا في الكبرياء، وأظهروا تكبرهم وعظم شأنهم فوق ما يستحقون، وأبوا الطاعة والاستجابة لموسى وهارون، ولم يسمعوا لموسى وهارون. والكبر هو إظهار عظم الشأن ورفع النفس فوق ما تستحق؛ أي: استكبروا كبرياءً شديداً.

﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾: عالي: جمع عال؛ اسم فاعل من علا يعلو، أصله العالي؛ عالين على الخلق (بنو إسرائيل) بالقدرة عليهم بالظلم والبغي والاستبداد والقهر.

[٤٧] ﴿فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ﴾:

﴿فَقَالُوا﴾: أي: فرعون وملئه، الفاء: تدل على المباشرة، فقالوا لبعضهم بعضاً.

﴿أَنْتُمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتعجبي: أنصدق أو نتبع.

﴿لِبَشَرَيْنِ﴾: اللام لام الاختصاص، بشرين: موسى وهارون.

﴿وَقَوْمُهُمَا﴾: أي: بني إسرائيل.

﴿لَنَا عِدُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، عابدون: خاضعون ومطيعون (لنا خدم وعبيد) أو كون بعضهم عبدوا فرعون قهراً ومن دون إرادتهم.

[٤٨] ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾:

﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾: الفاء للمباشرة، كذبوهما: أي: موسى وهارون أي: لم يؤمنوا بالآيات كلها، وبما جاء به موسى وهارون.

﴿فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب، المهلكين بالموت

بالغرق.

[٤٩] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿آتَيْنَا﴾: من الإيتاء ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة للبيان.

﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾: أي: التوراة، ولم يذكر هارون هنا؛ لأن هارون كان وزيراً

لموسى.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعل للتعليل، والخطاب لبني إسرائيل يهتدون، أي: من أجل

هدايتهم إلى الغاية، وهي امتثال أوامر الله تعالى وتجنب نواهيه وتطبيق ما جاء من الشرائع والأحكام في التوراة.

[٥٠] ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾:

﴿ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾: جمعهما في آية واحدة والآية هي البينة والدلالة أو

المعجزة على عظمة وقدره الخلق سبحانه أن يخلق ولدًا من دون أب، فقد خلق سبحانه آدم من تراب من غير أب ولا أم، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق الناس من ذكر وأنثى. وأخر كلمة آية، وقدم ابن مريم وأمه، أي: جعلناهم آية من الآيات الكثيرة الأخرى. ارجع إلى سورة مريم آية (٢١) للمقارنة.

﴿وَأَوَيْنَهُمَا﴾: من الإيواء: وجعلنا مأواهما أو منزلهما.

﴿إِلَى رَبْوَةٍ﴾: الربوة: المكان المرتفع من الأرض. قيل: هي بيت المقدس،

كما قال ابن عباس أو قيل: مصر أو أرض فلسطين (الرملة) والإيواء كان حين



فَرَّتْ مَرْيَمُ بِعِيسَى خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ الْقَتْلِ، وَكَانَ الْفِرَارُ لِمُدَّةٍ (١٢ سنة) ثُمَّ رَجَعَتْ
بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِهَا.

﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾: فِيهَا الْكَثِيرُ مِنَ الثَّمَارِ وَالزَّرْعِ لَا يَحْتَاجُ صَاحِبُهَا لِلرَّحِيلِ
لَطَلْبِ الْعِيشِ.

﴿وَمَعِينٍ﴾: أَيُّ: ظَاهِرٌ مَدْرُكٌ بِالْعَيْنِ مَاءٌ جَارٍ ظَاهِرٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.
مَعِينٌ: اسْمٌ مَفْعُولٌ مِنْ عَانَ فَهُوَ مَعِينٌ (ظَاهِرٌ لِلْعَيْنِ) أَوْ مُشْتَقٌّ مِنْ مَعَنَ
بِمَعْنَى جَرَى وَأَسْرَعَ.

فَيَكُونُ الْمَعْنَى: مَاءٌ ظَاهِرٌ مَدْرُكٌ بِالْعَيْنِ يَجْرِي سَرِيعًا.

[٥١] ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾:

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: الطَّيِّبَاتُ: جَمْعُ الطَّيِّبِ، وَهُوَ كُلُّ حَلَالٍ
طَاهِرٍ، وَالتَّيِّبَاتُ كُلُّ مَا طَابَ مِنَ الْمَأْكَلِ. ارْجِعْ إِلَى سُورَةِ الْأَنْفَالِ آيَةِ (٦٩)
لِمَزِيدٍ مِنَ الْبَيَانِ.

وَالنِّدَاءُ إِلَى جَمِيعِ الرُّسُلِ، أَيُّ: الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، فَكُلٌّ مِنَ الرُّسُلِ خَوِطَبٌ
فِي زَمَانِهِ بِنَفْسِ النِّدَاءِ بِالْأَكْلِ مِنَ الْحَلَالِ وَالتَّيِّبِ.

﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾: وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ: وَيَشْمَلُ كُلَّ مَا شَرَعَ اللَّهُ مِنَ الْفَرَائِضِ
وَالنَّوَافِلِ وَالذِّكْرِ وَالطَّاعَاتِ إِلَى دَرَجَةِ إِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ،
أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ
وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

﴿إِنِّي﴾: لِلتَّوَكُّيدِ.

﴿يَمَّا﴾: الباء: للإلصاق، ما مصدرية أو اسم موصول بمعنى الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: العمل يضم الأقوال والأفعال.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة لعالم عليم وعلامة أحاط علمه بكل من في السموات والأرض وما فيهن، وكل زمان ومكان لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

[٥٢] ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾:

﴿وَإِنَّ هَذِهِ﴾: إن للتوكيد، هذه: اسم إشارة، والهاء للتنبيه.

﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: الأمة معناها هنا الملة والدين، ولها معان أخرى منها الجماعة والحين والزمان والرجل الجامع للخير الذي يقتدى به، مثل إبراهيم عليه السلام، أي: ملتكم أو شريعتكم ملة واحدة، واحدة (ملة الإسلام أو الحنيفية السمحة)، وإن اختلفت في المنهج، كما قال تعالى ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾

[المائدة: ٤٨].

﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾: بامثال أوامر الله وتجنب نواهيه، وارتقوا إلى أعلى درجات التقوى، ولم يقل لهم: وأنا ربكم فاعبدون؛ لأن الإيمان والعبادة أمر بديهي للرسول، ولكن فاتقون: أي: ارتقوا إلى أعلى درجات التقوى؛ لأنكم الأسوة لغيركم من الناس، وحين يخاطب سائر الناس يقول: وأنا ربكم فاعبدون، وأنا ربكم: دليل على الوحدةانية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

فما هو الفرق بين التقوى والعبادة؟

العبادة: فعل يحصل به التقوى، والعبادة فعل ما أمر به الشارع واجباً كان



أم مستحباً. ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣)، والأنبياء آية (١٠٦) لبيان معنى العبادة.

التقوى: هي الغاية من العبادة. فالتقوى = العبادة + كف النفس عن كل حرام ومكروه، وإذا قيل: إن العبادة هي التقوى فما ذلك إلا من قبيل المجاز، والغاية من التقوى هي لقاء الله تعالى والقرب منه.

[٥٣] ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾:

﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم ﴾: الفاء للتوكيد، تقطعوا أمرهم: دينهم، تقطعوا: انقسموا وتفرقوا إلى فرق، وأحزاب وطوائف.

﴿ بَيْنَهُمْ ﴾: أي: كل أمة تفرقت إلى فرق وطوائف مختلفة.

﴿ زُبُرًا ﴾: جمع زُبْرَةٍ؛ أي: قطعاً، قطعوا دينهم قطعاً وزبراً جعلوا دينهم شرائع وتعاليم مختلفة (جمع زبور) أي: كالكتب المتعددة.

﴿ كُلُّ حِزْبٍ ﴾: كل فرق والحزب جماعة من الناس تجمعهم آراء أو مبادئ أو عقائد واحدة.

﴿ بِمَا ﴾: الباء: للإلصاق، ما بمعنى الذي.

﴿ لَدَيْهِمْ ﴾: من الاعتقادات الباطلة، أو الاعتقادات أنهم على حق وغيرهم ليس على حق.

﴿ فَرِحُونَ ﴾: أي: كل حزب يفرح بمبادئه وتصوراته إنه على الحق أو أفضل من غيرها، أو أكثر عدداً، وغيرها من الأسباب الوهمية وغير الحقيقية، وفرحون جملة اسمية تدل على الثبوت، أي: سوف يستمرون على فرحهم، ولن يرجعوا إلى صوابهم. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٧٠) لبيان معنى الفرح ونوعه.



[٥٤] ﴿فَذَرُّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾:

﴿فَذَرُّهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، والخطاب للنبي وغيره من المؤمنين، ذرهم: اتركهم ودعهم وشأنهم؛ أي: كفار مكة وغيرهم من الذين فرقوا دينهم.

﴿فِي غَمَرَتِهِمْ﴾: من الغمرة: مشتق من الماء الذي يغمر قامة الرجل حتى يمنع عنه التنفس، فلا يبقى له أمل في الحياة، وتعني ذرهم في جهلهم وكفرهم وضلالهم وغيهم وفسادهم ومعاصيهم.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿حِينٍ﴾: الحين مدة قد تطول أو تقصر غير محدّدة، حتى حين يأتيهم العذاب أو يموتون بانقضاء آجالهم.

[٥٥] ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ﴾:

﴿أَيَحْسَبُونَ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري، الجواب محذوف، يحسبون: من الحساب وهو ظنهم الرّاجح المبني على الحساب والتّجربة والنّظر.

﴿أَنَّمَا﴾: للقصر.

﴿نُمِدُّهُمْ بِهِ﴾: من المدّ، ويكون بطريق الزيادة. وقيل: المد يكون في الشر، وأما الإمداد يكون في الخير أو القوة.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية بعضية.

﴿مَّالٍ وَبَنِينَ﴾: بزيادة المال والبنين.

[٥٦] ﴿سَّارِعُهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿سَّارِعُهُمْ﴾: نعجل لهم، اللام لام الاختصاص.



﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾: في ظرفية، الخيرات: الخير هو الشيء الحلال الحسن النافع ويشمل المال والصحة والطعام والشراب والأمن والأولاد.

﴿بَلْ﴾: حرف إضراب إبطالي تبطل ما قبلها وتثبت ما بعدها.

﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾: لا النافية، لا يشعرون أنه استدراج لعذابهم والانتقام منهم، وتقدير الكلام: أيحسبون أنما عندهم من مال وبنين، ونسارع لهم في الخيرات هو خيراً لهم، بل هو شرٌّ لهم ليزدادوا إثماً.

[٥٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾:

بعد أن ذكر الذين فرقوا دينهم وأصبحوا كلَّ حزب بما لديهم فرحون، يذكر بالمقابل الذين يخشون ربهم ولا يشركون به، ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلّة أولئك الذين يسارعون في الخيرات حقاً لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ﴾: إن: للتوكيد، الذين اسم موصول يفيد المدح، هم: للتوكيد مرة أخرى.

﴿مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾: من ابتدائية، خشية ربهم: الخشية تعني: الخوف المملوء بالمهابة والتوقير والعلم بالله (صفاته وأسمائه).

﴿مُشْفِقُونَ﴾: من الإشفاق: هو العناية المشوبة بالخوف والشعور بالتقصير بحق الله، مقصرون بحق الله، أو الظنّ بأنهم لم يؤدّوا حق الله، أو خائفون أن الله لن يقبل منهم عملهم الصالح.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ رِثَايَاتٍ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ﴾: ارجع إلى الآية السابقة، وتكرار والذين هم: للتوكيد والتعظيم.

﴿ثَابِتٍ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾: الباء للإلصاق والمصاحبة، آيات ربهم القرآنية والكونية والمعجزات والأدلة والبراهين يصدقون بها، وتكرار إن الذين هم ثلاث مرات يفيد التوكيد، ولكل آية معناها الخاص.

[٥٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

انتبه: لماذا لم يأت الله سبحانه بهذه الآية أولاً محذراً من الشرك قبل الإيمان، وجاءت بعد آية الإشفاق والخشية وآية الإيمان بآيات الله تعالى؟
الجواب: لأنه سبحانه لا يتحدث عن الشرك الجلي والشريك والولد والنذ في هذه الآية إنما يتحدث عن الشرك الخفي وهو الرياء الذي لا يكاد يخلو منه مؤمن، ولذلك جاءت متأخرة.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ﴾: تفيد التوكيد والمدح.

﴿بِرَبِّهِمْ﴾: الباء للإلصاق والمصاحبة.

﴿لَا يُشْرِكُونَ﴾: لا النافية، يشركون: شركاً خفياً، أي: لا يراؤون، ناهيك عن الشرك الجلي، فهذا غير وارد في حقهم، أو لا يتصور أن يكون من صفاتهم بعد الخشية والإشفاق والإيمان، وهذا تحذير شديد فربما يكون هناك من يفعل ذلك، فيا حسرة عليهم.



الجزء الثامن عشر

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ ٢٣

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا
عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ
﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِّنَّا لَا تَنْصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَتِي
تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ
بِهِ سَمِرَاتٍ تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ
ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ
﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ
كَرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنِ
ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ
وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾
وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبُّونَ ﴿٧٤﴾

سورة المؤمنون [الآيات ٦٠ - ٧٤]

[٦٠] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح. ارجع إلى الآية (٥٩، ٥٨، ٥٧).

﴿يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا﴾: ما أتوا: ما: مبهمة لتشمل كل أنواع العطاء والإيتاء والصدقات وغيرها ولا تحدد المقدار، وتشمل المال والطعام والعلم والنصيحة، والحقوق والأمانات والمساعدات يؤتون غيرهم، وجاءت بصيغة المضارع الدالة على التجدد والتكرار.

﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾: الوجل هو الخوف والقلق وعدم الاطمئنان يشارك به القلب بتسرع في ضربات القلب وقشعريرة في الجلد، قلوبهم وجلة ألا يقبل منهم عملهم الصالح من صدقة أو صلاة أو صيام أو غيرها.

﴿أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾: أنهم للتوكيد، إلى ربهم: تقديم إلى للحصر؛ أي: فقط إلى ربهم راجعون أي: موقنون بالرجوع إلى ربهم والوقوف بين يديه للحساب.

[٦١] ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد. يشير إلى الذين ذكروا في الآيات الأربع السابقة (٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠).

﴿يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: ولم يقل: يسرعون، يسارعون مشتقة من يسارع



يعني: يرى غيره يسرع فيحاول اللحاق به والتفوق عليه، أي: فيها مبالغة لفعل يسرع، أما يسرعون من أسرع يُسرع بذاته من دون منافسة.

يسارعون في الخيرات: ولم يقل إلى الخيرات، في ظرفية تعني كانوا سابقاً في سراع أو يسرعون في فعل الخيرات، والآن هم أشد سرعة أو ازداد فعلهم للخيرات من الزمن السابق.

﴿وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ﴾: هم للتوكيد، لها: اللام لام الاختصاص، أي: السباق لأجل فعل الخيرات، أي: في نيتهم أو قصدهم أن يسبقوا الناس، سابقون؛ أي: هم أهل لهذا السباق والمشاركة فيه، والنتيجة هم السابقون لا غيرهم، أو إذا كان هناك متسابقون فهم في طليعة الفائزون.

[٦٢] ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كَنْبٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾:

بعد ذكر يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون يبين الله في هذه الآية القانون الرباني وهو:

﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: الوسع: لغة يساوي القدرة + المخزون الاحتياطي، فالوسع، أي: القيام بكل الأوامر التكليفية مع عمل النوافل كاملة، وفي حالات الضيق والشدة عندها يلتزم بالرخص الشرعية، فالله سبحانه يقبل عذر من بذل ما في وسعه في المسارعة في فعل الخيرات.

﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: لا النافية، نكلف من التكليف الشرعية من العبادات، إلا: أداة حصر، وسعها قدرتها + الاحتياطي، والوسع الحقيقي لا يقدره أو لا يعلمه إلا الله، مع العلم أن لكل إنسان وسع و طاقة تختلف عن الآخر. ﴿وَلَدَيْنَا كَنْبٌ﴾: أي: سجل أعمال العبد، الذي كتبه الملائكة الحافظون

الكرام الكاتبون، ولم يقل: وعندنا، لدينا: تستعمل للمؤمنين فهم من المقربين، وقيل: لدينا كتاب قد يشمل القرآن أيضاً.

﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾: الباء للإصاق، والمصاحبة، الحق الأمر الثابت الذي لا يتغير، أي: ينطق يوم القيامة دون زيادة أو نقصان على أعمالهم كقوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ [الإسراء: ١٤].

﴿وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ﴾: هم تفيد التوكيد، لا يظلمون: بزيادة سيئة أو نقص حسنة، ولا يظلمون فتيلاً أو نقيراً أو مثقال حبة من خردل.

[٦٣] ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ﴾: ﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾: قلوبهم تعود على الكفار: الذين تقطعوا أمرهم بينهم كل حزب بما لديهم فرحون.

قلوبهم في غمرة في غفلة وجهالة، أو عدم يقظة. ارجع إلى الآية (٥٤) من نفس السورة لمزيد من البيان. وقوله: قلوبهم في غمرة، ولم يقل: هم في غمرة، بل قلوبهم؛ لأن القلب هو يعمى، وهو مستودع الإيمان واليقين والعقاب، وهو الذي يسيطر على الجوارح كقوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦].

﴿مِّنْ هَٰذَا﴾: من ابتدائية، هذا اسم إشارة للتقريب تعني من كتاب الحفظ أو كتاب أعمالهم، أو تعني القرآن الكريم في غمرة تمنعهم من الوصول إلى فهم القرآن وتدبر معانيه أو الاستعداد ليوم الحساب.

كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكُشِفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].



﴿وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ﴾: ولهم: السلام لام الاختصاص، أعمال من دون ذلك: أعمال غير الأعمال التي كتبها الحفظ لا بُدَّ أن يعملوها في المستقبل، سبق علمه سبحانه بها منذ الأزل.

أو الأعمال دون ذلك: أي: لهم أعمال غير تلك الأعمال التي عملوها يمهلهم الله لكي يعملوها من الأعمال السيئة، فإذا عملوها جاء أمر ربك بالعذاب أو أعمال دون الشرك والكفر من المعاصي والآثام، لا بُدَّ أن يعملوها قريباً.

[٦٤] ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ﴾:

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية فيها معنى الشرط.

﴿أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ﴾: الأخذ يعني: القتل والانتقام بقوة وشدة بحيث لا يستطيع أحدهم أن يفلت من القتل والخزي والعذاب. مترفيهم جمع مترف بالعذاب: أولي النعمة والثرف والتبذير، الثرف: هو الغنى والتنعم المذموم الذي تجاوز التبذير والإسراف. والسؤال: هل العذاب أخذهم وحدهم بدون أن يعم الناس عامة؟ طبعاً العذاب عم الكل، ولكن الله سبحانه وعد المؤمنين بالنجاة والنصر كما قال تعالى في سورة غافر آية (٥١): ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وقوله تعالى في سورة الروم آية (٤٧): ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِذَا هُمْ﴾: إذا ظرف زمانى يفيد الفجأة، هم للتوكيد.

﴿يَجْتَرُونَ﴾: يصرخون: يصيحون يطلبون الخلاص أو الاستغاثة.

ويجأ: يصرخ بصوت عال يسمعه كل من حوله طالباً من أحد أن ينقذه أو يدفع عنه المحنة.

[٦٥] ﴿لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تَنْصُرُونَ﴾:

﴿لَا﴾: النّاهية.

﴿تَجْعَلُوا الْيَوْمَ﴾: أي: لا تستغيثوا اليوم بنا من العذاب. اليوم: يوم القيامة.

﴿إِنَّكُم﴾: إن للتوكيد.

﴿مِّنَّا لَا تَنْصُرُونَ﴾: تعليل للنهي عن الجئ؛ لأنّه لن ينفعكم، منا هنا تدل على

أنّه إذا وجد أحد ينصركم فهو نحن حصراً، وهذا لن يحدث.

والأسباب لعدم نصركم والاستجابة لكم كثيرة منها:

[٦٦] ﴿فَكَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ أَعْقَابِكُمْ تُنْكِرُ صَوْنَ﴾:

﴿فَذَٰ﴾: للتحقيق والتوكيد.

﴿كَانَتْ آيَاتِي﴾: آيات القرآن وسماها آياتي لزيادتها تكريماً وتشريفاً.

﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: أي: تقرأ عليكم. والتلاوة: تكون من القرآن، أو الكتب

المنزلة، وهي أخص من القراءة ولها أجر، والتلاوة: لا تكون إلا لكلمتين أو أكثر، أو تعني: اتباع الشيء بالشيء، والقراءة: قد تكون من القرآن، أو غيره، وتكون من كلمة واحدة.

﴿فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ أَعْقَابِكُمْ تُنْكِرُ صَوْنَ﴾: العقب هو مؤخر القدم، أي: كنتم حين

يُتلى عليكم القرآن تتولّون مدبرين لا تريدون الاستماع إليه، ولا الانتفاع به كالذي يرجع القهقري إلى الخلف ويغمض عينيه ولا يريد الهداية.

[٦٧] ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهَجُّرُونَ﴾:

﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾: مظهرين تكبرهم وعظم شأنهم فوق ما يستحقون؛ لأنّ



مؤهلات الكبر كالمال والجاه والسلطان كلها من الله فهم لا يملكون تلك المؤهلات.

﴿بِهِ﴾: تعود للبيت الحرام، أي: العتيق، مستكبرين بسببه، أو تعود إلى القرآن الكريم، أو الرسول ﷺ.

مستكبرين بالقرآن: أي: مكذبين له، كقوله تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَافِ﴾ [نصفت: ٢٦].

﴿سَمِرًا﴾: بمعنى: متسامرين أو حديث السمر: حديث الليل حيث كانوا يجتمعون ليلاً من فعل سَمُرَ فلان يَسْمُرُ إذا تحدث ليلاً، والسمر قيل: هو ضوء القمر، ثم أطلق على الليل، أي: يتحدثون حول الكعبة في ضوء القمر، وجعلوا البيت الحرام أو القرآن أو الرسول ﷺ مادة سمرهم ويتسامرون بالحرم، بذكر الحرم وأنهم أهله، وولاته، فلا يخافون الناس، ويستكبرون على سائر الأمم الأخرى به، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا الْمُتَفَنُّونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

أو يتسامرون بالقرآن أنه شعر أو سحر أو أساطير الأولين أو يتسامرون برسول الله ﷺ ويقولون: إنه افترى القرآن أو يعلمه بشر.

﴿تَهْجُرُونَ﴾: من هجر يهجر فهو هاجر: أي: هذى من الهذيان وتكلم بكلام غير صحيح، أي: هو لغو وهذيان أو تهجرون الطواف بالبيت بسبب حديث السمر، وقد تشمل تهجرون ذكر الله وكتابه أيضاً بانشغالكم باللغو وحديث السمر.

[٦٨] ﴿أَفَلَمْ يَذَبُّوا أَلْفًا أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَا يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام وتوبيخ وسبب توبيخهم لأنهم:

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾: القول: القرآن، أو آية أو عدة آيات، والقول يشمل القرآن وغيره من القول، وسمي القول يعني: المقول بعينه، أو لأنهم خوطبوا به. يدبروا: أصلها يتدبروا: أبدلت التاء دالاً: لقرب المخرج وأدغمت مع الدال الثانية لما لم يتدبروا ويفهموا ما جاءهم في القرآن الكريم، وهو القول، ولو تدبروه وفهموا معانيه لظهر لهم صدقه وآمنوا به واهتدوا، والتدبر: فهم المعنى والعمل به وتطبيقه. والفرق بين يتدبروا ويدبروا: يتدبروا تحتاج إلى تدبر؛ أي: زمن طويل وطول تأمل وتفكر تدبر عقلي وفكري مثلاً، أما يدبروا: تحتاج زمن قصير وتأمل قليل. ارجع إلى سورة محمد آية (٢٤) لمزيد من البيان.

﴿أَمْرٌ﴾: المنقطعة بمعنى أم للإضراب الانتقالي، والهمزة للاستفهام، وقد تعني: بل جاءهم.

﴿جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾: كقوله تعالى: ﴿لِنُنْذِرَكُمْ وَمَا تُنْذِرُونَ﴾ [يس: ٦٠] أي: لم كان مجيء محمد ﷺ غريباً عليهم أو لا يصدقونه فقد جاء لكل أمة رسولها.

[٦٩] ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾:

﴿أَمْرٌ﴾: الهمزة استفهام وتوبيخ، أم: للإضراب الانتقالي.

﴿لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾: الذي عاش بينهم طوال حياته ولم يعرفوا سيرته ونسبه ومسكنه قبل أن يبعث وسموه الصادق الأمين.

﴿فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾: أم هم يعرفونه حقاً، ولكنهم يزعمون أو ينكرون أنهم لا يعرفونه، وهذا توبيخ لهم. منكرون: جمع منكر، والإنكار: هو أعم من الجحد، ويكون مع العلم، أو غير العلم بالشيء، أو النعمة، أو الرسول.



وقال: رسولهم، ولم يقل: أم لم يعرفوا الرسول، نسب الرسول إليهم؛ لأنهم لا يمكن لهم إنكار ذلك.

[٧٠] ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كِرْهُونٌ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾: جنة: مصدر من جنَّ على وزن فعلة، أم يقولون: به جنون كما قالوا: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]. ارجع إلى الآية (٢٥) من نفس السورة لمزيد من البيان في جِنَّة.

وكلمة يقولون بصيغة المضارع تدل على استمرار وتجدد قولهم: به جِنَّة.

﴿بَلْ﴾: حرف للإضراب الإبطالي، أي: يبطل معنى ما سبق، أي: ليس ﷺ به جنة، بل جاءهم بالحق.

﴿جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾: بالقرآن، وبالوحي والباء للإلصاق والمصاحبة.

﴿وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كِرْهُونٌ﴾: كارهون: جمع كاره، أي: لا يريدون الحق؛ لأنه يخالف شهواتهم وأهواءهم، وكراهيتهم للحق هو أحد الأسباب الباطنة التي لا يعترفون بها، ولم يقل: الكل للحق كارهون، ولكن قال: أكثرهم، فهناك القليل الذين يعلمون أنه الحق وهم غير كارهين له.

وكارهون: جملة اسمية تدل على الثبوت، كرههم للحق مستمر وثابت، لن يتغير.

[٧١] ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: لو الشرطية.

﴿اتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾: لو نزل القرآن الكريم كما يتمنون ويحبون، كما قالوا: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

أو كما قالوا: اتخذ ولدًا، أو له شريك في الملك أو استجاب لمطالبهم كما يحبون أو يريدون.

﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾: جمع هوى، والهوى: ما يدور في العقل، وما تريده النفس، وتميل إليه باطلاً، أو بما ينبغي، ولا دليل عليه، والهوى: يغلب عليه صفة الذم، والهوى: يكون إما بالأداء، أو الاعتقادات.

﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾: خرجت عن نظامها الثابت؛ لأن كل إله يريد أن يدبر ويُسِير السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كما يشاء، أو يحكم كما يشاء. لما استقامت الحياة على الأرض وحدث الهلاك والدمار.

﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾: الملائكة والجن والإنس، والحيوان والنبات والجماد، كل حسب هواه وشهوته.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي.

﴿أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾: بالقرآن الذي هو ذكرهم، والذكر: هو الشرف والفخر، والذكر هو البيان يبين لكم التكاليف والأحكام التي تحتاجون لها، والذكر: يعني يذكركم بالخالق.

﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾: فهم للتوكيد، عن ذكرهم معرضون: فهم عن كتابهم مبتعدون ومهملون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

معرضون: جملة اسمية تدل على الثبوت والاستمرار في الإعراض.



[٧٢] ﴿أَمَرْتَهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رِبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾:

﴿أَمَرٌ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾: تطلب منهم أجراً وماً لا على تبليغ رسالتك والدعوة إلى الله، والخراج هو العطاء، وسُمِّي الخراج؛ لأنه هو الذي يخرج منك رغماً عنك أمّا الخرج ما يخرج منك طواعية.

﴿فَخَرَجَ رِبِّكَ خَيْرٌ﴾: أي: ما يعطيك ربك ويرزقك في الدنيا وما يعطيك في الآخرة خير؛ أي: أفضل وأعظم أجراً ما يعطيك الناس.

﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: وهو ضمير فصل يفيد التوكيد، خير الرازقين: خير وأفضل الرازقين.

هذا من فضل الله وكرمه أنه أعطى بعض عباده صفة الرزق رغم أنه سبحانه هو وحده الرزاق الحقيقي، ويرزق من يشاء بغير حساب، والرزق لا يقتصر على المال والمتاع، وإنما على العلم والصحة أي: العافية والذرية الصالحة والأخلاق وغيرها.

وكونهم رازقين هي صفة زائلة عنهم تنتهي عند موتهم، ويبقى الله الحي القيوم هو الرزاق الدائم.

[٧٣] ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾:

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ﴾: إنك للتوكيد، واللام في تدعوهم لزيادة التوكيد، أي: الناس أجمعين، تدعوهم: تدلهم وتبين لهم الصراط المستقيم، دين الإسلام.

والصراط المستقيم هو السبيل الذي يوصلك إلى غايتك وهي الجنة ورضوان الله بأقصر زمن، ومن دون عائق وأقل جهد.



[٧٤] ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُنَّ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد، الذين: اسم موصول يفيد الذم، لا: النافية.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: لا يصدقون بالآخرة والبعث والحساب (باء الإلصاق).

﴿عَنِ الصِّرَاطِ﴾: الطريق القويم طريق الحق والهداية، أو الدين القيم.

﴿لَنُكَيِّبُنَّ﴾: اللام لام التوكيد، ناكبون جمع ناكب: اسم فاعل من نكب، أي: حاد أو عدل أو مال، ومشتقة من المنكب وهو جانب الكتف وتعني معرضون منحرفون؛ أي: معرضون عن السير على الصراط؛ أي: تقبله والعمل به.

ناكبون: جملة اسمية تدل على الثبوت، أي: الاستمرار على الإعراض عن السير على الصراط المستقيم.





سُورَةُ الْاَنْعَامِ ٢٣

الْبَقَرَةُ ٢٣



وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُوفُ فِي طَغْيِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ
إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ
الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَا
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَاوَيْنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا
إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ
﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ
مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

سورة المؤمنون [الآيات ٧٥ - ٨٩]

[٧٥] ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُؤُا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾:

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ﴾: قيل: معطوفة على حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب.

وسبب نزول هذه الآية: كما قال ابن عباس: الضر وهو الجوع والفقر الذي نزل بأهل مكة حين دعا عليهم رسول الله ﷺ فقال ﷺ: اللهم أعني على قريش بسنين كسني يوسف. رواه الواحدي في أسباب النزول (١٧٩) وأصله في الصحيحين أن رسول الله ﷺ دعا على قريش حين استعصوا فقال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابهم ذلك، فشكوا إليه الضر، وأنهم قد أكلوا القدر والعظام، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب.

ولو رحمناهم: لو شرطية، رحمناهم: أي: أهل مكة وغيرهم، والرحمة تعريفها: جلب ما يسر ودفع ما يضر.

﴿وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾: كشفنا: رفعنا عنهم البلاء، من ضر: والضر: اسم جامع لكل ما يسوء الإنسان في نفسه أو بدنه أو عرضه أو ماله. من: ابتدائية، ضر: نكرة تشمل الجوع والفقر والخوف، والمرض، وما أصابهم نتيجة القحط والجذب. ارجع إلى سورة يونس آية (١٢) لمزيد من البيان.

﴿لَلْجُؤُا﴾: اللام للتعليل، للجوء: من اللجأ وهو التماس في فعل المزجور عنه، مشتقة من لجة البحر، أي: تردّد أمواجه وعودتها إلى الاصطدام بالشاطئ أو بالصخر المرة بعد الأخرى بلا انقطاع، ولجّ في الأمر: واظبه ولازمه.



﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: في مجاوزتهم الحد في الكفر والشرك أو الضلال.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: من العمى وهو عمى البصيرة المؤدّي إلى التردّد في الأمر والحيرة وعدم الاهتداء إلى الرشد والصواب والاستمرار في ذلك.

[٧٦] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَرُّعُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾: أصبناهم وأنزلنا بهم العذاب بشدة، فلم ينبج منهم أحد إلا أصابه الفقر والقحط، الباء للإلصاق والمصاحبة والاستمرار، العذاب: جاء بآل التعريف، أي: العذاب الدنيوي مثل سني القحط والفقر والجوع، أو قيل: القتل والأسر والهزائم، كما حصل في معركة بدر الكبرى.

﴿فَمَا﴾: الفاء: للترتيب والتعقيب، ما: النافية.

﴿اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾: استكان: بمعنى خضع، والاستكانة: مشتقة من السكون؛ أي: الخضوع من استكان، أي: انتقل من كَوْنٍ إلى كَوْنٍ واستعمل كثيراً في الانتقال من كون الكبر إلى كون الخضوع.

أي: فما خضعوا وانقادوا وأطاعوا ربهم بعد ما أصابهم العذاب ليكشف عنهم العذاب.

﴿لِرَبِّهِمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿وَمَا يَنْضَرُّعُونَ﴾: تكرر (ما): لتوكيد النفي، فما استكانوا وما يتضرعون وفصل كلّ منهما عن الآخر، أي: لم يتضرعوا ولم يستكينوا، لم يفعلوا أحدهما أو كلاهما معاً، يتضرعون: وهي الدّعاء والاستغاثة والذّلة أو ما تذللوا لربهم بالدّعاء، ولم يقل: وما يتضرعون، الفرق بينهما:

يضرعون: بالإدغام (التاء في الطاء) صيغة مبالغة وتعني الإكثار في الدّعاء والتّضرع والخبرة في كيفية التضرع.

يتضرعون: أطول في البناء وتدل على طول الزّمن الذي أعطي لهم ولم يتضرعوا ولو مرة واحدة، ويتضرعون جاءت بصيغة المضارع، ولم يقل: وما تضرعوا، كما قال: وما استكانوا؛ ليدل على دوامهم واستمرارهم في عدم التّضرع، أي: ليس من عادتهم التّضرع، وقوله: يجأرون، لا تعني: يتضرعون. ارجع إلى الآية (٦٤) من نفس السّورة لمعرفة الفرق.

[٧٧] ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذْ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾:

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: ظرف زماني.

﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾: على قريش أو مشركي مكة، وتقديم عليهم (الجار والمجرور) أي: خاص بهم وليس على غيرهم. وعلى: تدل على المشقة والصعوبة والاستعلاء، وتأتي في سياق العذاب أو الشر.

﴿بَابًا﴾: مثل معركة بدر أو غيرها من الغزوات وأصابهم القتل والأسر، أو باب الجوع والقحط والضر، أو باباً من عذاب جهنم في الآخرة.

﴿ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: نعت أو صفة للباب، عذاباً شديداً: يشمل القتل والأسر والقحط والفقر والجوع، ويشمل في الآخرة كلّ أنواع العذاب مثل الأليم والمقيم والمهين.

﴿إِذَا﴾: ظرف زماني يفيد الفجأة.

﴿هُم﴾: للتوكيد.



﴿فيه﴾: ظرفية.

﴿مُبْلِسُونَ﴾: جمع مبلس والإبلاس: شدة اليأس من النجاة، أي: آيسون من النجاة ومن كل خير، وساكتون من شدة الحيرة والعمى.

وقيل: الإبلاس والمبلس:

١ - المبلس: الآيس من رحمة الله.

٢ - المبلس: الآيس من كل خير.

٣ - المبلس: اليأس المنقطع رجاءه.

٤ - المبلس: الذي يسكت عند انقطاع حُجَّتِه، أي: السّاكت، والمتحير ماذا يفعل أو يقول.

٥ - وقيل: المبلس: المجهود المكروب، الحزين النّادم وقد يجمع الكل.

وأما الإبلاس قيل: الاكتئاب والحزن وشدة الحسرة.

وقيل: الإبلاس: الفضيحة.

[٧٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾:

المناسبة: بعد أن بيّن الله سبحانه إعراض المشركين عن تدبّر القرآن والأدلة على وحدانيته أعقب ببيان بعض النعم التي تدل على قدرته سبحانه فقال:

﴿أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾: أنشأ: أوجد، وطور أدوات الحس هذه لكم: اللام لام الاختصاص لكم خاصة؛ لتتفكروا بها وتستدلوا على ربكم خالقكم وتستفيدوا منها في دنياكم، وتعينكم على تحقيق غاياتكم الدنيوية والأخروية.

وقدَّم السَّمْعَ على الأبصار؛ لأنَّ السَّمْعَ يفوق البصر في الأهمية، ولأنَّ السَّمْعَ ينشأ أو يُخلق قبل البصر، ولأنَّ مدى السَّمْعَ أقل من مدى البصر.

وتقديم السَّمْعَ على البصر يكون في سياق الدُّنيا، أمَّا في سياق الآخرة فهو يقدِّم البصر على السَّمْعَ، كما في آيتي الكهف آية (٢٦)، والسَّجدة آية (١٢)، أمَّا لماذا جمع البصر وإفراد السَّمْعَ فارجع إلى سورة البقرة آية (٧).

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾: أي: قليلٌ منكم من يشكرون على نعمة السمع والبصر وغيرها من النعم؛ (أي: عدد الشَّاكرين منكم قليل) أو الشُّكر على نعمه الكثيرة كميته قليلة جداً، أو لا تشكرونه إلا نادراً. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠) لمزيد من البيان في معنى الشُّكر.

﴿قَلِيلًا﴾: التَّنْكِير يفيد التَّقليل، (ما) لتأكيد قلة الشُّكر.

[٧٩] ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾:

﴿وَهُوَ الَّذِي﴾: تكرر وهو الذي، الذي يفيد التَّوكيد والحصر والتَّعظيم.

﴿ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: من ذرأ: أي: بثَّ أو فرَّق أو نشركم في الأرض: بالتَّناسل والتَّكاثر لعمارتها ووزَّعكم في أقطارها.

﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: إليه: تقديم الجار والمجرور تفيد الحصر، أي: فقط إليه تحشرون.

الحشر هو السَّوق من الأجداث والجمع يوم القيامة في أرض المحشر للحساب، وكذلك من مظاهر قدرته الإلهية الإحياء والإماتة واختلاف الليل والنَّهار، فهذه كلها موجبة لعبادته وتوحيده والإيمان به.



[٨٠] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَهُوَ الَّذِي﴾: تكرر وهو الذي يفيد التوكيد والحصر.

﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: يُحيي: بنفخ الروح في الجنين بعد بدء تشكله، ويبقي من يشاء حياً حتى يبلغ أجله، ويميت: من بلغ أجله.

﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: له: لام الاختصاص له وحده يرجع تدبير دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس؛ مما ينتج عنه تبادل الليل والنهار بالطول والقصر، الدال على عظمة الخالق وقدرته، وهذا الدوران الدقيق يحث على التفكر والوصول إلى الحقيقة وإعمال العقل.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري على عدم التعقل والتعجب من ترك التفكير، والفاء للتوكيد، ألا: أداة حُصّ وتنبية، وتحمل معنى الأمر.

﴿تَعْقِلُونَ﴾: من عقل الشيء أي: عرفه بدليله وفهمه بأسبابه ونتائجه ووصل إلى الحقيقة وهي الإيمان به أنه هو الإله الحق واجب الوجود المستحق للعبادة وحده وأنه على كل شيء قدير.

[٨١] ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾:

أي: لم يتعظ ويعقل مشركو وكفار قريش وغيرهم.

﴿بَلْ قَالُوا﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾: ما مصدرية أو اسم موصول بمعنى الذي وأوسع شمولاً من الذي. ما قال الأولون: وماذا قال الأولون جاء في الآية القادمة (٨٢)

والانتقال من قوله: أفلا تعقلون بصيغة المخاطب إلى قوله: بل قالوا بصيغة الغائب لقلة الاهتمام بهم وبما قالوا.

[٨٢] ﴿قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾:

﴿قَالُوا أَءِذَا﴾: الهمزة هنا همزتين همزة استفهام إنكاري واستبعاد وهمزة إذ الشرطية. قالوا: وهم في الدنيا.

﴿مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾: متنا بكسر الميم، أي: موت عادي على فراش الموت، بينما متنا بضم الميم تدل على الموت في الجهاد في سبيل الله. ارجع إلى سورة آل عمران (١٥٧-١٥٨) لبيان الفرق بين متم ومُتم.

﴿وَكُنَّا تُرَابًا﴾: التراب فوق العظام أو تستحيل النّسج والعضلات إلى تراب والعظام تتحول إلى عظام نخرة، ثم إلى رفاتٍ بعد الموت بزمان طويل.

﴿أَءِنَّا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والاستبعاد.

﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾: اللام للتوكيد والاستبعاد والنفي نفى البعث، من بعد الموت والخروج من القبور والحشر والحساب.

جملة اسمية تفيد الثبوت والاستمرار في إنكار البعث.

[٨٣] ﴿لَقَدْ وَعِدْنَاكَ وَأَبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿وَعِدْنَاكَ وَأَبَاؤُنَا هَذَا﴾: الموعود، أي: البعث بعد الموت، وأباؤنا: أي:

أجدادنا.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل مجيء محمد ﷺ، أو من الأنبياء السابقين.



﴿إِنْ هَذَا﴾: إن للتوكيد، هذا اسم إشارة والهاء للتنبيه ذا: للتقريب، أي: البعث.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: جمع أسطورة أو أكذوبة من الأباطيل والأكاذيب التي جاء بها الأولون.

لنقارن الآية (٨٢-٨٣) من سورة المؤمنون وهما: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٨٢) ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَءَبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

مع الآية (٦٧-٦٨) من سورة النمل وهما: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٦٧) ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

في آية (المؤمنون) قَدَّمَ (نحن وأباؤنا) على كلمة (هذا) أي: (البعث) فهو قَدَّمَ المؤكد نحن وعطف عليه الآباء، ثم أَمَّر الموعود الذي ليس مؤكداً وهو البعث، آباؤهم في هذه الآية معروفون.

في آية النمل قَدَّمَ هذا (البعث) لأنه أهم من آباؤهم غير المعروفين مَنْ هُمْ، أو قَدَّمَ هذا؛ لأنه يشير إلى البعث بعد كونهم تراباً الذي هو أدعى إلى العجب والبعد من كونهم تراباً وعظاماً.

ثم طلب الله سبحانه وتعالى من نبيه أن يسأل منكري البعث ثلاثة أسئلة؛ ليقيم عليهم الحُجَّة، وأن يأتي الجواب منهم.

[٨٤] ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

السؤال الأول: ﴿قُلْ لِمَنِ﴾: لمن اللام لام الاختصاص والملكية، قل، يا محمد ﷺ أو اسأل أهل مكة المكذبين بالبعث والحساب والجزاء.

﴿الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾: من مالك الأرض ومن فيها من خالقها، وخالق ما فيها (من نباتات وثمرات ومعادن وخيرات وكنوز وحيوانات وأشجار وبحار وجبال).

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال أو الشك، إن كنتم: أهل علم ولستم من الجاهلين.

[٨٥] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾:

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: السّين: للتوكيد، وللقرب سيقولون: لله، اللام لام الملكية والاختصاص، وبما أنّهم قالوا: لله، فهم لا ينكرون ذلك.

﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: أفلا الهمزة للاستفهام الإنكاري والتعجب، ألا: أداة تنبيه وحضّ وتحمل معنى الأمر، تذكرون: ما دامت الأرض ومن فيها لله، فلماذا لا تذكرون ذلك، وتؤمنون به وتؤمنون بيوم البعث والحساب.

وحين يسأل: قل لمن الأرض ومن فيها؟ الجواب: أن تقول: لله؛ لأنّ الخطاب لكل من يسمع السؤال، ولكنّه قال: سيقولون: لأنّه أراد الجواب من أهل مكة المكذّبين بالبعث والحساب والجزاء بإقرارهم على أنفسهم ولتكون الحجة عليهم؛ لأنّه لا يسأل الذين يؤمنون بالله تعالى وبالبعث فهؤلاء جوابهم معلوم، وكان هذا السؤال الأول، وكيفيه التذكر أو النظر لإدراك الجواب، والسؤال الثاني ورد في الآية (٨٦) أصعب أو أعقد من الأول وفيه تحذير وتهديد، وجاء الجواب أفلا تتقون، وجاء السؤال الثالث في الآية (٨٧) فيه تحذير وتهديد أشد وأشد فكان الجواب فأنيّ تسحرون.



[٨٦] ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿مَنْ﴾: استفهام تقرير.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: أي: خالق السموات السبع وخالق العرش العظيم، وأعظم ما خلق سبحانه هو العرش، ثم السموات السبع والأرض، ثم خلق الإنسان، وكما قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]. ارجع إلى سورة التوبة آية (١٢٩) لمزيد من البيان عن رب العرش العظيم، وسورة طه آية (٥)، وسورة هود آية (٧).

[٨٧] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقُوتُ﴾:

السؤال في هذه الآية قل من رب السموات السبع؟ الجواب عادة: يقولون الله، ولكنهم عدلوا عن ذلك وقالوا: لله؟ وهذا جائز في اللغة فحين تسأل من صاحب هذه الدار؟ تعني: لمن هي.

﴿أَفَلَا نُنْقُوتُ﴾: أي: تطيعون أوامر الله تعالى وتجتنبون نواهيه وتجعلون بينكم وبين سخطه وغضبه أو ناره حاجزاً.

[٨٨] ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: تضم ملكوت السموات والأرض، والملكوت هو الملك الذي لا تراه وتحسه وتشاهده من ملك الله تعالى. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٧٥) لمزيد من البيان.

فالله سبحانه بيده: أي: في قبضته ملكوت كل شيء؛ مما يدل على القدرة والتمكن والتصرف فيها كيف يشاء، فهو سبحانه مالك الملوك فيها معنى الملك،

أي: الملكية والمُلْك، أي: الحكم فهو سبحانه له السَّمَوَات السَّبْع والأَرْض، وما في السَّمَوَات، وما في الأرض، وما بينهما.

وله المُلْك: أي: هو الحاكم لهنَّ وما فيهنَّ والمدبر ومالك لهنَّ وما فيهنَّ. وكلمة شيء نكرة تعني: كلَّ شيء مهما كان نوعه وحجمه وشكله وجنسه. ﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿يُحِيزُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾: أي: يتكفل بحماية من يلجأ إليه ويطلب منه العون والغوث، ولا يحتاج سبحانه إلى حماية أحد أو الغوث والمساعدة والنصرة من أحد مهما كان؛ لأنَّه سبحانه هو القوي العزيز، ولا يستطيع أحد أن يحميك أو يجيرك من الله تعالى ومن عذابه وعقابه.

[٨٩] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾:

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: ارجع إلى الآية (٨٥) من نفس السورة للبيان.

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ لهم.

﴿فَأَنَّى﴾: استفهام بمعنى: كيف ومن أين وتحمل معنى التّعجب.

﴿تُسْحَرُونَ﴾: أي: إذا كان جوابكم لهذه الأسئلة الثلاثة هو الله كما تقولون، فما الذي سحركم أو كيف سُحرتم، أو من أين جاء لكم السحر حتَّى تشركوا بالله تعالى ولا تؤمنوا بالبعث والآخرة والحساب أو تخدعون بالباطل ويذهب بعقولكم كما يفعل بالمسحور الذي أصيب بالسحر والجنون.



الجزء الثامن عشر

سورة المؤمنون ٢٣

بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ
 وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ
 بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ
 الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ
 إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَى أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾
 أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾
 وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ
 رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
 ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ
 هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ
 فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾
 فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
 خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ
 خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

سورة المؤمنون [الآيات ٩٠ - ١٠٤]

[٩٠] ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: حرف إضراب إبطالي لإبطال كونهم مسحورين.

﴿أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾: بالوحي بالصدق والحق هو الأمر الثابت الذي لا يتغير، وبالحق قد يعني القرآن، وبأنه ليس له شريك ولا ولد، أي: بالتوحيد.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: إن واللام في لكاذبون للتوكيد، لكاذبون حين يزعمون أن له ولداً أو معه شريك.

[٩١] ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾:

﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾: ما النافية، ينفي سبحانه عن ذاته الولد، لأنهم قالوا: ﴿أَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦]، وما تنفي كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، من: استغراقية أي ولد ذكر أو أنثى، سواء كان عيسى أو عزيزاً أو الملائكة (بنات الله) وفي الماضي والحاضر، فاتخاذ الولد بحق الله لا ينبغي؛ لأنه سبحانه لا يحتاج إلى عونٍ أو وليٍّ أو نصيرٍ أو ولدٍ؛ لأنه سبحانه عزيز حكيم. والفرق بين ما اتخذ الله من ولد، وقوله لم يتخذ ولداً: ما اتخذ الله: تأتي في سياق الرد على سؤال أو قول بالنفي؛ لم يتخذ ولداً: تأتي في سياق الإخبار أو التعليم.

﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾: و(ما): النافية وتكرارها يفيد التوكيد وفصل كل من اتخاذ الولد واتخاذ الشريك أو كلاهما معاً، وتنفي كل الأزمنة الماضي



والحاضر والمستقبل، من: استغراقية، أي: ما كان معه من إله مهما كان نوعه يشارك في الألوهية، اللام لام التعليل.

﴿لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾: لانفرد واستقل كل إله بخلقه وبملكه، وفسدت السموات والأرض؛ لأنها ستكون خاضعة لأوامر كل إله، وليس لنظام واحد ومدبر واحد.

﴿وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: وفي آية أخرى ﴿لَا تَبْعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢].

ولعلا بعضهم على بعض بالقوة، وحاول كل منهما التغلب على الآخر بشتى الوسائل.

﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾: أي: أنزه الله تنزيهاً في ذاته وصفاته وأسمائه تنزيهاً كاملاً من كل عيب ونقص. ارجع إلى سورة الإسراء آية (١) لمزيد من البيان، وسورة الحديد آية (١).

﴿عَمَّا يُصِفُونَ عِلْمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: عن وما عن: تفيد المغايرة، ما المصدرية، سبحانه عن إشرأهم أو اسم موصول بمعنى الذي، يصفونه به بما يقولون من الشرك (الولد أو النّد أو الولي) والصاحبة والشريك.

[٩٢] ﴿عِلْمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

﴿عِلْمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: عالم صيغة مبالغة من علم كثير العلم يحيط علمه بكل شيء، فهو يعلم ما غاب عن الخلق من الأشياء ويعلم ما يشاهدونه ويبصرونه فهو عالم الغيب والشهادة (أي: المرئيات) والغيبات. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٧٣) لمزيد من البيان.

﴿فَتَعَالَى﴾: تقدّس وتعالى الله عما يقوله الظّالمون والكافرون والمجرمون، وتعالى على كلّ شيء بقدرته والمنتزه عن نعوت المخلوقات وعن كلّ شيء لا يليق بذاته وصفاته وأفعاله.

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: عما: مركبة من عن + ما عن تفيد المجاوزة والمباعدة، ما اسم موصول بمعنى الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي يشركون أو مصدرية، أي: سبحانه عما يشركون به من الأصنام أو الآلهة أو النّد والولد والصاحبة.

[٩٣] ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا محمّد ﷺ رب حذف، ياء النداء التي تفيد البعد.

﴿إِمَّا﴾: أصلها إن، الشرطية التي تفيد النّدره والاحتمال، أي: تستعمل للأمر المحتمل أو النّادر الحدوث، ما: للتوكيد.

﴿تُرِيْنِي﴾: النّون الثقيلة لزيادة التّوكيد، أي: إن كان لا بُدَّ أن ترين، أي: تطلّعي على عذابهم.

﴿مَا يُوعَدُونَ﴾: ما: اسم موصول بمعنى الذي وأوسع شمولاً من الذي، أو مصدرية ما يوعدون من العذاب أو القتل في الدّنيا رب فلا تجعلني في القوم الظّالمين.

[٩٤] ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظّٰلِمِينَ﴾:

أي: إن أريتني عذابهم رب فلا تجعلني فيهم أو من بينهم حين يحل بهم العذاب.



﴿رَبِّ﴾: حذف ياء النداء للقرب، وتكرار ربّ تدل على زيادة التضرع أو التوكيد في الدعاء.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: النّاهية.

﴿تَجْعَلَنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: ولم يقل: تجعلني مع القوم الظالمين، تعني: أصبح من جملتهم، أي: المختلط فيهم حين يحل بهم العذاب، أي: ليس فيهم ولا معهم، أي: مصاحب للظالمين والمشرّكين بأي حال من الأحوال.

[٩٥] ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ﴾:

بيّن الله سبحانه أنّه قادر على أن يعذبهم ويُرِي رسول الله ﷺ عذابهم وأنّه سبحانه قادر على ذلك.

﴿وَإِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿عَلَىٰ أَنْ﴾: للتوكيد.

﴿نُريكَ مَا نَعِدُهُمْ﴾: من العذاب والخزي أو القتل والهزيمة، ما مصدرية، أو اسم موصول بمعنى الذي وأوسع شمولاً من الذي.

﴿لَقَدِيرُونَ﴾: اللام للتوكيد، ولا ننسى قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَا نَذَهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾ (٤١) أو نُريكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ [الزخرف: ٤١-٤٢].

[٩٦] ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾:

﴿ادْفَعْ﴾: الدّفع الرّد بقوة، وأما الدرء فهو الدّفع أو الرّد بسرعة، الخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ والمؤمنين أيضاً.

﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾: بالتي هي أحسن على وزن أفعل، أي: ادفع

بالأفضل، أي: رد الإساءة أو الأذى أو السيئة التي تصدر عنهم نحوك بالصفح والعفو. ومقابلتها بما يمكن من الإحسان؛ أي: ليس فقط الصّفح، بل الصّفح+ الإحسان يعني: حسنة مضاعفة إزاء سيئة واحدة.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ﴾: نحن ضمير للتعظيم، أعلم صيغة مبالغة ولم يقل: نحن نعلم. ﴿بِمَا يَصِفُونَ﴾: بما يقولون: الباء للإلصاق، وما: بمعنى الذي يصفون الله تعالى بأن له شريكاً أو ولداً، أو صاحبةً أو ولياً، و(ما) مبهمة تشمل كل ما يصفون، ويصفونك بالسّاحر والشّاعر والمفترى والمجنون، أو لا بعث ولا حساب ولا آخره.

[٩٧] ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾:

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾: أي: ألتجأ إليك أو أستجير بك، وأتحصن بك حتّى لا يفتنوني في ديني، وإن كان الخطاب إلى رسول الله ﷺ، فهو كذلك لأُمته التي هي أحوج منه إليه.

﴿هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾: جمع همزة والهمزة في اللغة النخس والدفع، أي: دفعهم إلى فعل المعاصي وحثهم عليها وإثارة الغضب حتّى لا يملك الإنسان نفسه.

[٩٨] ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾:

﴿وَأَعُوذُ بِكَ﴾: أي: ألتجأ إليك وأستجير وأتحصّن بك، وتكرار أعوذ بك: للتوكيد على أهمية الاستعاذة من الشيطان في كل الأمور.

﴿أَنْ يَحْضُرُونِ﴾: في أي أمر من أموري، أو حتّى مجرد الحضور وإن لم يهمزوا أي: لا أريدكم بالقرب مني فحذف الياء يدل على الاستمرار؛ أي: التعوذ الدائم من أي وقت وعدم حضورهم ولو أدنى الحضور.



[٩٩] ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾:

هذه الآية تنمة لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾:

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: شرطية ظرفية تدل على حتمية الحدوث، أي: تستعمل للشيء المحقق حدوثه وبكثرة وهو مجيء الموت.

﴿جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾: أي: هو في حالة الاحتضار أو مرحلة الوفاة التي تسبق قبض الروح، وجاء فيها معنى الصعوبة والمشقة والشدة، ولم يقل: حضر أحدهم الموت.

حضر فيها معنى السهولة، وتستعمل عادة في الأحكام أو آيات الموت أو الإنذار، أو الوصايا والتوبة، والتحذير والموعظة، بينما جاء تعني المريض على فراش الموت وفي حالة الاحتضار، ويعاني من سكرات الموت ويوقن أنه ميت، عندها يتمنى الكافر والمشرِك أن يرجع إلى الدنيا.

﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾: جاءت ارجعون بصيغة الجمع، بينما جاء أحدهم الموت بصيغة الإفراد.

وتفسير ذلك كأنه استغاث ربه واستغاث الملائكة، فقال: ارجعون ولم يقل: رب ارجعني؛ لأنه كرّر ذلك الطَّلَب فقال: ارجعون، أو قال: ارجعون ولو لمدة قصيرة، أو زمن قليل، وأما ارجعوني تعني: مدة طويلة، أو قال: ارجعون لضيق الوقت قبل الموت، أو بصيغة الجمع تعظيماً لله تعالى.

﴿ارْجِعُونِ﴾: أي: إلى الحياة الدنيا والرجوع يكون عادة إلى المكان الذي انطلق منه، ولماذا يطلب الرجعة إلى الدنيا؟ تفسرها الآية القادمة لعليّ أعمل صالحاً فيما تركت.



[١٠٠] ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾:

﴿لَعَلِّي﴾: قد تكون للترجي، أو للتعليل، وهو الأرجح، ولعلي تعني هو غير جازم أو متأكد بعد، ولم يقل: سأعمل صالحاً، وقد جاء جواب ذلك: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُمْ لِكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

﴿أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾: من الأعمال الصالحة أو فيما ضيعت من عمري من صلاة وزكاة وحج، وغيرها من ذكر وتلاوة القرآن.

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر عن حصول ما يطلب، أي: لا رجوع ولا عودة وإنكار واستبعاد حدوث ذلك.

﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾: أي: كلمة قائلها لا فائدة منها وهي ارجعون، ولا قيمة لها، مجرد لغو. والكلمة تقسم في القواعد إلى اسم، وفعل، وحرف، وتطلق على العبارة مؤلفة من عدة كلمات، أو على الموضوع المؤلف من عدة جمل أو عبارات.

﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ﴾: البرزخ: لغة هو الحاجز أو الحجاب بين شيئين أو الحائل؛ أي: لا رجعة إلى الدنيا إنما فقط إلى الآخرة ومن ورائهم؛ أي: من أمامهم برزخ كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، حياة البرزخ الفاصلة بين الحياة الدنيا وحياة الآخرة، وتستمر إلى يوم يبعثون يوم القيامة، أي: لا رجوع إلى الدنيا وليس أمامهم إلا البرزخ إلى (حرف يستعمل لكل الغايات). إلى يوم يبعثون، وكلمة كلا فيها إبلas شديد من الرجوع إلى الحياة الدنيا.

[١٠١] ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: ظرف زماني متضمنة معنى الشرط.



﴿نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: النفخة الثانية (نفخة البعث أو القيام)، والصور: في لغة العرب القرن والذي عليه أهل السنة والجماعة أنَّ الصُّور: بوق ينفخ فيه.
﴿فَلَا﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط تفيد التوكيد، لا النافية للجنس (أنساب).

﴿فَلَا أُنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾: أي: تنقطع بينهم ولا تنفعهم أنسابهم شيئاً، أي: صلة الرِّحم والقربات يوم القيامة، والكل يقول: نفسي نفسي.
كيف ينفي الأنساب في هذه الآية، وفي آيات أخرى يقول: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٢٤) ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ (٣٥) ﴿وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٣-٣٦].
﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

نفي الأنساب هنا يعني عدم فائدتها، ولا تفاخر في ذلك اليوم بالأنساب.
﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾: من أي قبيلة أنت، أو أي نسب، ولا يسأل بعضهم بعضاً عن ذلك، ولا يسألهم ربهم أو الملائكة، وتعني: لا يسأل بعضهم بعضاً عن شأنه ولا يبحث عنهم لانشغال كل واحد بنفسه.
[١٠٢] ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾:
﴿فَمَنْ﴾: الفاء عاطفة للتفريع من شرطية.

﴿ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: رجحت حسناته على سيئاته، أفلح وفاز ونجا من النار وأدخل الجنة. ارجع إلى سورة القارعة آية (٦) لبيان معنى موازينه.
﴿فَأُولَئِكَ﴾: الفاء للتوكيد، أولئك اسم إشارة يدل على البعد بعد منزلتهم ومكانتهم.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿الْمُفْلِحُونَ﴾: الناجون من النار والفائزون بالجنة. ارجع إلى الآية (٥)

من سورة البقرة للبيان.

[١٠٣] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: شرطية.

﴿خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾: ومن رجحت سيئاته على حسناته فقد خسر وأبعد عن

الجنة وأدخل النار. ارجع إلى سورة القارعة آية (٦) لمزيد من البيان.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾: خسروا أنفسهم في الهاوية في جهنم

خالدون، مقيمون فيها إقامة أبدية تبدأ من زمن دخولهم إياها.

[١٠٤] ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾:

﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾: أي: تحرقها إحراقاً شديداً، كقوله سبحانه في

سورة الأحزاب الآية (٦٦) ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾، ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ

وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ [التحل: ٩٠]، وكقوله: ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا

عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣٩].

﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾: الكالح الذي تقلصت شفتاه حتى بدت أسنانه حيث

حرق شفاهم النار، فبدا كأنه مخيف الهيئة أو منفر.



الجزء الثامن عشر

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ ٢٣

أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ تُنَلِّىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا
 رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا
 أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا
 وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا
 ءَامِنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ
 سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾
 إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قُلْ
 كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا الْبَيْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ
 يَوْمٍ فَمَسَّ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ
 كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَشَاً وَأَنْتُمْ
 إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَّىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا
 هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 ءَاخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
 الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١١٨﴾

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

نِسْبَاتُهَا ٢٤

نِسْبَاتُهَا ٢٤



سورة المؤمنون [الآيات ١٠٥ - ١١٨]

[١٠٥] ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: استفهام إنكاري تقريري.

﴿تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: (آياتي، أي: آيات القرآن)، تلى عليكم: أي: تقرأ عليكم، وإضافة الآيات إليه عَزَّ وَجَلَّ يفيد عظمتها وقدرها، ولم يقل: ألم تكن الآيات تلى عليكم.

﴿فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: لا تصدقون بها، بأقوالكم وأعمالكم، بها جار ومجرور وتقديمه يفيد الاختصاص، أي: بآياتي خاصة تكذبون هذا التذكير والاستفهام وهم في جهنم مما يزيدهم حسرةً ويأساً.

[١٠٦] ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾:

هذا ردهم على السؤال السابق: ألم تكن آياتي تلى عليكم؟ قالوا: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين، فهم يحاولون الاعتذار بأي شيء ويعترفون بذنبهم.

﴿قَالُوا رَبَّنَا﴾: ولم يقولوا: يا ربنا حذفوا ياء النداء للبعد.

﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾: مصدر لبيان الهيئة من شقي، الشقاوة هي البعد عن منهج الله والدين، أو الإيمان والانغماس في الكفر والضلال والمعاصي وانتهاك حرمة الله ونسيان الآخرة، والبعد عن الحق، والشقاوة مكتسبة بالإرادة والاختيار، وتؤدي إلى خسارة الدنيا والآخرة.

﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾: تائهين عن الصراط منحرفين ضائعين في ظلمات الجهل والضلال. وإضافة (قوماً) تفيد المبالغة في الضلال والتوكيد.

[١٠٧] ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾:

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾: أي: من النار، وأرجعنا إلى الدنيا لنؤمن ونعمل صالحاً أو نعمل غير الذي كنا نعمل.

﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾: الفاء للتوكيد، إن شرطية تستعمل في الأمر المحتمل أو النادر، (أي: عودتهم لن تتحقق)، فإن عدنا إلى الكفر والشرك والمعاصي أو الشقاوة والضلال فإننا ظالمون.

فإن عدنا ولم يقولوا: فإن رجعنا، رجعنا تعني إلى ما كانوا عليه من الكفر والضلال والشقاوة، وعدنا تعني الرجوع، ولكن ليس إلى ما كانوا عليه وإنما لشيء آخر هو الإيمان.

﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾: الفاء للتوكيد، إنا ظالمون: لأنفسنا آنذاك، والظالم: هو التارك لدين الله. ارجع إلى سورة البقرة آية (٣٥) لبيان معنى الظلم. فردّ الله تعالى على سؤالهم بالقول: ﴿أَخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾.

[١٠٨] ﴿قَالَ أَخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾:

﴿قَالَ أَخْسَوْا فِيهَا﴾: الخسوء هو الطرد والإبعاد، يقال: خسأت الكلب، أي: طردته أو زجرته ليباعد عنك؛ أي: ابتعدوا، وتعني: اسكتوا بذلة وهوان.

﴿وَلَا تُكَلِّمُون﴾: احرصوا ولا تطلبون أو تسألون ولا تدعون، لا الناهية، تكلمون: بصيغة المضارع، أي: لا تعيدوا الدعاء والسؤال.

فعن ابن عباس: إنّ لهم ستّ دعوات إذا دخلوا النار:

١ - ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

فكان الجواب: ﴿وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

٢ - ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١٠].

الجواب: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا ۚ فَلَحْظُكُمْ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢].

٣ - ﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

٤ - ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

٥ - ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١٠٨].

٦ - ﴿فَقَالُوا يَلَيْسَ لَنَا نَادٍ وَلَا نَكُذِّبُ بِتَايِبٍ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَ اللَّهُ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَانِهِمْ عَنْهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧-٢٨].

[١٠٩] ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَأَعْرِضْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾:

﴿إِنَّهُ﴾: إِنَّ: تعليلية.



﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾: قيل: هم المهاجرون أو الصحابة أو أهل الصفة أو ضعاف المؤمنين أو فريق من المؤمنين بشكل عام.

﴿يَقُولُونَ﴾: بصيغة المضارع لتدل على الاستمرار، وتكرّر وتجدد قولهم، ولم يقولوا ذلك مرة واحدة، بل مرات: ربنا آمنا بك وبما أنزلت.

﴿فَاغْفِرْ لَنَا﴾: ذنوبنا وسيئاتنا.

﴿وَأَرْحَمَنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾: أفضل الراحمين؛ لأن رحمتك لا تنقطع ولا تزول، كما تزول رحمة عبادك بعد موتهم وفنائهم.

لنقارن هذه الآية: وأنت خير الراحمين مع الآية (١٥٥) من سورة الأعراف: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَنُتَلِّكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾: هذا دعاء موسى لقومه؛ لأنه سبق ذلك ذنب حين اتخذوا العجل إلهاً، وقالوا: أرنا الله جهرة فالذنب يحتاج إلى مغفرة، أي: إسقاط العقاب واستحقاق الثواب.

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾: هذا دعاء الفريق من المؤمنين.

الرحمة: الإنعام على السائل والرحمة هي جلب كل ما يسرّ ودفع كل ما يضرّ.

[١١٠] ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾:

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾: الفاء: للتوكيد تعود على الذين خفت موازينهم أمثال رؤساء مشركي قريش، مثل أبي جهل وعقبة والوليد بن المغيرة، اتخذوا الفقراء

أصحاب رسول الله ﷺ كعمار وبلال وخباب وصهيب سخرى: مصدر سخر
والسخرية: هي استنفاص حق من يسخر به. ارجع إلى سورة التوبة آية (٧٩)،
والزمر آية (٥٦) لمزيد من البيان، ولمقارنة سخرى بكسر السين وسخرى بضم
السين؛ ارجع إلى سورة الزخرف آية (٣٢).

﴿أَسْوَكَمُ ذِكْرِي﴾: أي: شغلكم الاستهزاء والسخرية بهؤلاء الضعاف من
المؤمنين عن الإيمان والتوبة، أو ذكر الله.

﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَحَكُونَ﴾: إنه لم يتوقف الأمر على السخرية من هؤلاء
الضعاف، بل تعداه إلى الضحك منهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٣١].

[١١١] ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآرِزُونَ﴾:

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ﴾: إنني للتوكيد، جزيتهم اليوم: يوم القيامة، وتعود على
الذين قالوا ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين.

﴿بِمَا صَبَرُوا﴾: الباء باء السببية بسبب صبرهم، أو بدل من صبرهم على
أذى المشركين والكفار، وعلى الذين سخروا منهم وصبروا على الاستقامة على
طاعة الله.

﴿أَنَّهُمْ﴾: أن: للتوكيد، هم للتوكيد.

﴿الْفَآرِزُونَ﴾: أي: الفوز بالجنة والنجاة من النار.

[١١٢] ﴿قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾:

سؤال إلى الكفار منكري البعث الذين خفت موازينهم وأدخلوا النار وهم
فيها كالْحُونِ، وقالوا: ربنا أخرجنا منها، فإن عدنا فإننا ظالمون، وغيرهم.



﴿كَمْ﴾: استفهامية فيها معنى التوبيخ والتقريع.

﴿لَيَنْتَرُ فِي الْأَرْضِ﴾: اللبث: الإقامة في الدنيا أو في الأرض أحياء (اللبث: الإقامة المقترنة بزمان محدد)، وقد تعني أيضاً: أمواتاً في البرزخ (في قبوركم) لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ (٢٥) ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْواتًا﴾ [المرسلات: ٢٥-٢٦].

﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾: سنين جمع سنة، سنة تحمل في معناها الشر، والعام يستخدم في سياق الخير من خصوصيات القرآن، أي: كم سنة لبثتم في الأرض. [١١٣] ﴿قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ﴾:

﴿قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: فهم نسوا أو استقصروا مدة لبثهم في الدنيا أو في الدنيا وعالم البرزخ لعظم وهول ما عاينوه من العذاب أو أنسأهم العذاب من شدته مدة لبثهم، أو لأن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون، فإذا عاشوا (١٠٠) عام على سبيل الافتراض، فذلك يعاد (١٠ / ١) اليوم، أي: ما يعادل ساعتين ونصف، ونوح ﷺ أو قومه عاشوا حوالي (١٠٠٠) سنة، أي: ما يعادل اليوم أو بعض اليوم، وفي آيات أخرى كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الزوم: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥]، ويبدو أنهم غير واثقين من الإجابة لذلك قالوا:

﴿فَسَلِّ الْعَادِينَ﴾: أي: الملائكة أو غيرهم. جمع عاد: الذين يعدُّون ويُحصون.

[١١٤] ﴿قُلْ إِنْ لِّبَثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنكُم كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿قُلْ إِنْ﴾: إن النافية بمعنى ما، والنفي بيان أقوى وأشد من النفي بما.

﴿لَيَنْتَرُ﴾: أقمتهم. اللبث: مقترن بزمان محدد بينما المكث: غير محدد

بزمان.



﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿قَلِيلًا﴾: من الزمن، وقليلًا نكرة تفيد أيضًا التقليل، وإذا قارنا عمر الآخرة بعمر الإنسان فهو قليل جدًا لا يقدر.

﴿لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: لو شرطية، كنتم تعلمون: هذه الحقيقة أو هذه المدة القصيرة لآمتنم وأطعمتم الله تعالى استعداداً للقاءه.

[١١٥] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾: الهمزة استفهام توبيخي وإنكار، حسبتم من حسب: اعتقد أو ظن ظناً راجحاً (قام بحساب قلبي قائم على النظر والتجربة والحساب) أي: اعتقدتم.

﴿أَنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾: العبث هو الفعل الذي لا غاية له ولا فائدة، خلقناكم بلا هدف أو غاية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

﴿وَأَنَّكُمْ﴾: أن للتوكيد.

﴿إِلَيْنَا﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر.

﴿لَا تُرْجَعُونَ﴾: لا النافية، ترجعون: أي: من دون إرادتكم، مكرهين أو لا خيار لكم، ترجعون للحساب والجزاء إما الجنة وإما النار.

[١١٦] ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾:

﴿فَتَعَلَى﴾: الفاء للتوكيد، تعالى: تقدّس وتنزه الملك الحق في ذاته وصفاته وأفعاله أن يخلق عبثاً.

﴿اللَّهُ﴾: اسم العلم الدال على واجب الوجود المعبود.



﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾: مالك الملك الحي القيوم، وأما غيره من ملوك الدنيا فزائلون وهالكون، فهم ليسوا ملوكاً بحق والملك الحق: الذي له الخلق والأمر حقاً لا من جعلوا معه من الشركاء. والحق هو الثابت الذي لا يتغير ولا يزول هو الله سبحانه وحده.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٥٥) من سورة البقرة للبيان.

﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾: الكريم: لأن الخير والبركة والرحمة تنزل منه، فالكريم تعود على الله سبحانه، وقد تعود على العرش، وصف العرش بالكريم؛ لأن الذي استوى عليه هو أكرم الأكرمين. ارجع إلى سورة التوبة آية (١٢٩) لمزيد من البيان، وسورة هود آية (٧)، وسورة طه آية (٥) لبيان معنى العرش.

[١١٧] ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو استئنافية، من استغراقية شرطية.

﴿يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾: يعبد أو يدعو مع الله إلهاً آخر، أي: يشرك بالله. ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ﴾: البرهان هو أعلى درجات الإثبات أو لا حُجَّةَ له، ولا دليل له على جواز عبادته وشركه، به: للتوكيد على وحدانية الله عَزَّ وَجَلَّ.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: للتوكيد، إنما كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾: حسابه: جزاؤه عند ربه: عند ظرفية زمانية أو مكانية، وفي الآية تهديد ووعد.

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾: إن للتوكيد، لا يفلح: ارجع إلى الآية الأولى، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ من نفس السورة، وانظر إلى كيف بدأت السورة قد أفلح

المؤمنون وانتهت إنه لا يفلح الكافرون. هذا الترابط المحكم بين بداية السورة ونهايتها، وهذا ما نراه في كل سورة، وكأن السورة كلها آية واحدة، وكأن القرآن المحكم كله آية واحدة.

[١١٨] ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾:

﴿وَقُلْ﴾: يا محمد ﷺ ولتقتد بك أمتك، وبالدعاء والقول: رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين.

﴿رَبِّ اغْفِرْ﴾: أي: استر لنا ذنوبنا، اغفر: لم يحدد، وأطلق المغفرة لتشمل كلّ ذنب.

﴿وَارْحَمْ﴾: أي: وارحمنا أن نقع في الذنوب، أي: أبعدنا عن المعاصي، وفيها معنى الوقاية، وكذلك أطلق الرحمة ولم يقيدها لتشمل كلّ شيء.

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾: أي: أفضل الراحمين. ارجع إلى الآية (١٠٩) من نفس السورة للبيان.





سُورَةُ الزَّانِ ٢٤

الجزء الثاني عشر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
 (١) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ
 بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ
 عِدَابُهَا ظَافِقَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ
 مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ (٣) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ
 فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
 رَّحِيمٌ (٥) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ
 فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦)
 وَالْخَامِسَةُ أَنْ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرَأُ
 عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ
 (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩)
 وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)

سورة النور [الآيات ١ - ١٠]

ترتيبها في القرآن (٢٤)، وترتيبها في النزول (١٠٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَبَيِّنُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾:

﴿سُورَةٌ﴾: كلمة مأخوذة من: سور البيت المرتفع أو سور البلد، السورة في اللغة تعني: المنزلة العالية والرفيعة، واصطلاحاً: مجموعة من الآيات لا تقل عن ثلاث، لها بداية ولها نهاية.

سورة: كلمة جاءت بصيغة التذكير للتفخيم تتحدث عن عدد من الآداب الاجتماعية مثل: حفظ الفرج، غض البصر، والاستئذان وما يتعلق بالأسرة، وغيرها من الكثير من الآداب الاجتماعية، وسميت بسورة النور؛ لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾: كاملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا. والإنزال يكون من أعلى إلى أسفل؛ أي: من عند الله تعالى. أنزلناها عليك يا محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام.

﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾: مشتقة من الفرض؛ أي: فرضنا أحكامها؛ أي: من الواجب العمل بها، أو ألزمنكم العمل بها. وأصل الفرض: القطع للمبالغة، ولتأكيد الإيجاب لكثرة ما فيها من الأحكام.

﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَبَيِّنُ﴾: تكرر (وأنزلنا) يفيد التوكيد، وقوله تعالى:



(وأنزلناها)، ثمّ قوله: (وأنزلنا فيها آيات بينات) يعني ذكر الخاص بعد العام، الذي يفيد الاهتمام والتوكيد، آيات بينات: واضحات لكل فرد سواء كانت الآيات القرآنية أو الآيات الكونية مثل: البرق والسحاب وتقلب الليل والنهار، وتسبيح من في السموات والأرض والطير، وظلمات البحار، وخلق كل دابة من ماء... وغيرها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: (لعلكم) أداة تعليل؛ أي: لعلكم لا تنسوا ما ورد فيها من أحكام تفيدكم في حياتكم الدنيا وتذكرونها مباشرة وبسرعة في شؤون حياتكم اليومية، ولم يقل لعلكم تتذكرون، التذكير الذي يحتاج إلى زمن طويل. ومعنى التذكر أن يعاد إلى الذاكرة الشيء الذي غاب عنها.

[٢] ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾: من الزنى، والزنى في اللغة: هو الوطء المحرم، والزنى في الشرع: وطء الرجل المرأة في الفرج بدون عقد نكاح، ويسمى كذلك: الفاحشة كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، والزنى من المرأة: تمكينها الرجل أن يزني بها، وقدم الزانية على الزاني؛ لأنّ الزنى تبدأ مقدماته من قبل المرأة بتبرجها وزينتها وخضوعها بالقول، ومفسدة الزنى تظهر آثارها على المرأة أكثر من الرجل.

﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾: الفاء للتوكيد، اجلدوا: بالضرب بالسياط (١٠٠) جلدة، وهو حدّ البكر غير المحصن سواء كان الرجل أو المرأة، كلّ واحد منهما: للتوكيد حتّى لا يعجلد الرجل وترك المرأة أو بالعكس، الجلدة: تعني الإيلام؛ أي: يصل إلى درجة الإيلام وليس مجرد الضرب أو العدد.

﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾: رأفة: شفقة أو رحمة في حدود الله، فلستم أرحم وأشفق من الخالق في خلقه؛ أي: لا يجوز إسقاط الحد (كما قال مجاهد)، أو تخفيف الحد (قول سعيد بن المسيب والحسن البصري)، ومما يدل على تحريم الشفاعة في الحدود ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها في حديث المرأة المخزومية التي سرقت والذي قال فيه ﷺ: «وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾: في شرع الله وأحكامه، بالتقليل في العدد أو الإعفاء.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: إن: شرطية.

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ تصدقونه وتؤمنون به عقيدة وعملاً. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٧٧) للبيان.

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: اللام لام التوكيد، ﴿عَذَابَهَا﴾: بالجلد (١٠٠) جلدة.

﴿طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جماعة أقلها (٤) أفراد، وهناك من قال واحد (قاله مجاهد)، اثنين أو أكثر (قاله عكرمة وعطاء والمالكية)، أربعة (قاله ابن عباس)، ومشاهدة الجلد ردعٌ وزجرٌ للمشاهد، وأمّا للزاني والزانية؛ لكي لا يرتكبها مرة أخرى ويحرمها، وهو أشد تبليغاً وخزياً حين يكون علناً بدلاً من كونه سراً أو سترأ.

[٣] ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾: النكاح هنا يعني: الوطء، إلا أداة حصر،



أو مشركة: لأن الشرك أسوأ إثماً من الزنى، وقرن الزنى بالشرك؛ ليشير إلى خطورة الزنى؛ لأن الشرك والزنى من أعظم الآفات الاجتماعية.

فالزاني لا يجوز له أن ينكح؛ أي: يتزوج مؤمنة عفيفة، إنما ينكح مثله أو أسوأ أو أحسن منه؛ وهي المشركة، وكذلك الزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشركٌ.

﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: التحريم يراد به المنع، والجمهور أجاز النكاح بغير العفيفة من النساء بعد التوبة، والآية محمولة: أن الزاني الخبيث لا يرغب في نكاح المؤمنة الصالحة، وإنما يرغب في التي مثله في الخبث والشرك، والخبيثة لا يرغب في نكاحها المؤمن الصالح، وإنما يرغب في التي مثله. ذلك: اسم إشارة قد يعود إلى حرمة نكاح الزانيات أو المشاركات على المؤمنين. و(ذلك) تعود إلى الزنى؛ أي: حرم الزنى على المؤمنين.

[٤] ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾: يرمون: يقذفون بالزنى، يتهمون المحصنات. وأصل الرمي: القذف بالحجارة أو بشيء صلب الذي هو شيء حسي، واستعير ليعبر عن شيء معنوي وهو القذف باللسان.

﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾: جمع محصنة؛ أي: التي أحصنت فرجها: أي عفت، وأصل الإحصان: المنع والحصن، والمرأة العفيفة الحرة تسمى: مُحْصَنَةً، ومُحْصَنَةً بالفتح والكسر.. والإحصان له أنواع: يكون بالإسلام، والعفاف، والحرية، والتزوج.

﴿يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾: يقذفون: يتهمون المحصنات المؤمنات بالزنى. خص النساء؛ لأن قذف النساء أشنع، وقيل: لا فرق بين الذكر والأنثى.

﴿ثُمَّ لَْيَاتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾: والشَّهداء جمع: شهيد، يشهدون عليهن بوقوع الزَّنى، والمراد بالشَّهداء الرِّجال، وإن ذكرت الآية العدد بصيغة المؤنث فقال: أربعة، وليس أربع شهداء؛ لأن الأعداد من (٣-١٠) تضاد المعدود، تذكر مع المؤنث وتؤنث مع المذكر؛ كأن نقول: أربع نسوة، أربعة رجال.

والجدير بالذكر: لا تقبل شهادة النساء في حد القذف كما لا تقبل في حد الزَّنى، ولا يقبل قذف المجنون، أو الصبي، أو المكره، وشروط القاذف: العقل، والبلوغ، والاختيار.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الذكري.

﴿لَْيَاتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾: أي يحضروا أربعة شهداء، كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾ [النساء: ١٥]، يشهدوا بأمر أعينهم برؤية فرجه في فرجها؛ فقد يكون في فراش واحد بدون حدوث جريمة الزَّنى. أربعة شهداء ذكوراً، ولا تقبل شهادة النساء في هذا الباب. والسؤال: لماذا أوصى بأربعة شهداء غير القاذف، وفي الأحوال الأخرى أوجب وجود شاهدين؟؟ لكي لا يكون إقامة الحد فيه ريب، والحفاظ على الأعراض، والتأكد من الأخبار الكاذبة والإشاعات التي تهدم المجتمعات.

﴿فَاجْلِدُوهُم مِّنْ جَلْدَةٍ﴾: أي كل واحدٍ من القاذفين ثمانين جلدة.

ولا تعتبر شهادة زوج المقدوفة عند الشَّافعية، بينما تعتبر مقبولة عند أبي حنيفة. ارجع إلى كتب الفقه لمزيد من البيان.

﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾: وتسقط بعد ذلك عدالتهم فلا تقبل لهم شهادة.

﴿أَبَدًا﴾ يعني: إلى آخر عمره وإن تاب وأصبح من الصَّالحين؛ أي: مطلقاً،

وقيل: تعني حتى يتوب. وقد اختلف العلماء في هذه...، فارجع إلى أقوالهم.



﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: أولئك: اسم إشارة للبعد.

هم: ضمير منفصل تفيد التوكيد؛ أي: هم خاصة، ﴿الْفَاسِقُونَ﴾: جمع فاسق؛ وهو الخارج عن طاعة الله، وفي هذه الحالة قد ارتكب كبيرة من الكبائر. فالآية تفيد أن على القاذف ثلاثة أحكام إذا لم يأت بالبينة، وهي: إقامة الحد عليه وهو:

١ - الجلد ثمانين جلدة.

٢ - لا تقبل له شهادة.

٣ - وصفه بالفاسق.

[٥] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾: (بعد القذف) وتطبيق الحد عليه (٨٠ جلدة)، هذا الاستثناء اختلف فيه العلماء هل: يعود إلى رفع صفة الفسق عنه فقط إذا تاب ويستمر عدم قبول شهادته، ولو أصبح أصلح من الصالحين، أو إذا تاب قبلت شهادته ورفع عنه وصفه بالفاسق؟

اختلف الفقهاء في هذا، ولكل فريق أدلته الخاصة فقد ذهب الجمهور (مالك وأحمد والشافعي): تقبل شهادته، وترفع عنه صفة الفسق قاله ابن جرير، وقال آخرون أمثال جبير والحسن البصري والنخعي: إن تاب ورفع عنه صفة الفسق، ولكن لا تقبل له شهادة أبداً.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: الفاء: للتوكيد، إن: للتوكيد، وغفور: صيغة مبالغة في الغفر؛ وهو ستر الذنوب ومحوها ولو كثر عددها أو تكررت.



﴿رَجِيمٌ﴾: لأنه يقبل توبة التائب يغفر له. رحيم بالمؤمنين؛ أي: دائم الرحمة.

[٦] ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾:

هذه الآية جاءت في سياق قذف الزوج زوجته.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾: يتهمون أزواجهم بالفاحشة؛ أي: يقذفونهن بالزنى، ولم تقر الزوجة أو تعترف بوقوع الزنى، وهو لم يرجع عن رميه (قذفه) فعند ذلك يشرع لهما اللعان، وهل اللعان يمين، أو شهادة؟ اختلف الفقهاء في ذلك؛ فمنهم من قال شهادة، كما قال (أبو حنيفة)، ومنهم من قال يمين، كما قال (مالك والشافعي وأحمد).

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾: أي لم يكن لديه شهود يشهدون أنهم رأوا ذلك بأمر أعينهم، عليه أن يشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، واللام في (لمن) تفيد التوكيد، وأن يشهد الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. انظر كيف أعفي الزوج في هذه الآية من إحضار أو الإتيان بأربعة شهود، وطلب منه أن يشهد أربع شهادات (أربعة أيمان) بدلاً من إحضار أربعة شهداء؛ لأنه من الصعب أو المستحيل للزوج الإتيان بأربعة شهداء ليشهدوا ما على زوجته وهي تفعل الفاحشة؛ لأنه عار وخزي، وحتى لا تشيع الفاحشة ويتنشر الخبر والغيبة بين الناس وبالتالي الإثم.

[٧] ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾:

سميت هذه الآية: آية اللعان.



﴿أَنْ لَعَنْتَ اللَّهَ عَلَيْهِ﴾: أن: للتوكيد، لعنة الله عليه: اللعنة: الطرد والإبعاد عن رحمة الله.

﴿إِنْ﴾: شرطية.

﴿كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾: في رمي زوجته بالزنى، وكلّ زوج قذف زوجته وامتنع عن الشهادة أو اللعان يطبق عليه حد القذف، فكلّ من امتنع من الزوجين عن الشهادات الخمس وجب عليه الحد.

[٨] ﴿وَيَذُرُوهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾:

﴿وَيَذُرُوهَا الْعَذَابَ﴾: حد الزنى للثيب المحصن (وهو الرجم) والدرء معناه: الدّفع بسرعة، الدرء: هو الدفع بسرعة، والدفع هو الدفع بقوة وشدة أو الرّد.

﴿أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾: أي أن تحلف بالله أربعة أيمان إن زوجها كاذب فيما رماها به من الفاحشة.

[٩] ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾:

﴿وَالْخَمْسَةَ﴾: وتحلف الخامسة.

﴿أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾: سخط الله وغضبه عليها إن كان صادقاً، واللعنة أشد من الغضب: والرجم أهون من غضب الله، والرجم: إذا حصل يكفي للمغفرة أو سبباً لمغفرة الذنب.

وإن هو حلف، وهي حلفت: أصبح في المسألة تعادلاً، عندها لم يعد كلّ منهما صالحاً للآخر، وعلى الشرع أن يفرّق بينهما نهائياً ولا عودة بعدها.

[١٠] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿وَلَوْلَا﴾: الواو عاطفة، ولولا: حرف امتناع لوجود، والجواب محذوف؛ حتى يدخل في الجواب كل احتمال وعاقبة مثل: ولولا فضل الله ورحمته لفضحكم أو لتفاقمت العداوة أو عاجلكم بالعقوبة، والانتقال إلى صيغة المخاطب ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أتم وأكمل من صيغة الغيبة.

﴿فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: والفضل: ارجع إلى الآية (٢٦٨) من سورة البقرة للبيان، والرحمة: الوقاية من الوقوع في الذنب والإثم.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾: تَوَّاب يقبل توبة التائب ولو كرر المعصية بدون عمد؛ أي: كثير قبول التوبة، إذا توافرت فيها أركان التوبة.

﴿تَوَّابٌ﴾: لأنه ذكر قبلها الزنى والقذف وناسب ذلك الختم بالتوبة، فمن يرتكب تلك الفواحش لا بد له أن يتوب.

﴿حَكِيمٌ﴾ لأنه شرع حكم اللعان والغضب بدلاً من الجلد والرجم؛ أي: شرع العقوبة المترتبة على تلك الأعمال بحيث تناسب الجرم المرتكب، وأن يكون الحكم عادلاً فذلك يتطلب الحكمة، حكيم: مشتق من: الحكم والحكمة، من الحكم فالله أحكم الحاكمين، من: الحكمة، فهو أحكم الحكماء فيما شرع لعباده من الأحكام والحدود والفرائض.



الْبُرْجَانِ الْعَظِيمِ

سُورَةُ الْبُورَةِ ٢٤

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِإِلْفِكَ عَصَبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ
 خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى
 كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ
 وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا
 جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ
 عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾
 إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ
 وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
 قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ
 ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾
 وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا
 فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

سورة النور [الآيات ١١ - ٢٠]

[١١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾: إنَّ: للتوكيد، الذين جاؤوا بالإفك حديث الإفك، والإفك: هو الكذب المتعمد. ارجع إلى حديث الإفك في صحيح البخاري ومسلم، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ للبيان المفصل.

﴿عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾: العصابة: جماعة يتعصب بعضهم لبعض، وعددها بين (١٠-٤٠) وكان على رأسهم عبد الله بن أبي رأس المنافقين، وزيد بن رفاعه، ومسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وغيرهم، ﴿عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾: من المؤمنين ظاهراً. وكلمة عصابة نكرة مع العلم أن الذين أشاعوا حادثة الإفك أناس معروفون، ومع ذلك أطلق عليهم عصابة (فئة نكرة) كي لا يُعبأ بهم وتحقيرهم، وقوله: منكم؛ أي: من المسلمين، وهذا يدل على بشاعة هذا الحديث الذي جاءوا به ولو جاء به الذين كفروا لكان أقل صدئاً أو شدة.

﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ﴾: لا: النّاهية، ﴿تَحْسَبُوهُ﴾: أي تعتقدوا أن إفكهم.

هو ﴿شَرًّا لَّكُمْ﴾ الشر: هو ما غلب ضرره على نفعه؛ إساءة إليكم كما تعتقدوا، وقيل: الخطاب خاص إلى عائشة وصفوان بن المعطل والمؤمنين.



﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: بل للإضراب الانتقالي، هو خير لكم، والخير: هو ما غلب نفعه على ضرره؛ تنالون بسببه الثواب، وتأخذون منه العبرة والحدز.

﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ﴾: أي: لكل ممن شارك في حديث الإفك. لكل: اللام لام الاستحقاق.

﴿أَمْرٍ﴾: تأتي في سياق المروءة وأدب النفس.

﴿مِّنْهُمْ﴾: من العُصبة الكاذبة.

﴿مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾: أي بقدر ما خاض وشارك في حديث الإفك له من الإثم والذنب.

﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: كِبْرُهُ: بكسر الكاف، وهناك: كُبْرُهُ بضم الكاف، وتعني: معظمه.

أي: تولى الخوض وتزعّم العصبة وقادها عبد الله بن أبي: له عذاب عظيم في الدنيا والآخرة، وصار يطلق عليه: المنافق، ومسطح أصبح مكفوف البصر، وحسان بن ثابت أصبح أعمى وشلت يداه، مختصر القصة في غزوة بني المصطلق بعد أن تمت الغزوة، وأثناء الاستعداد للعودة قالت السيدة عائشة: ذهبت لأقضي حاجتي في الخلاء ثم رجعت إلى هودجي، فلمست صدري فلم أجد عقداً لي من الخرز اليماني فرجعت ألتمس عقدي، فلما عدت وجدت القوم قد ذهبوا، وكانت عائشة نحيفة (خفيفة الوزن) وحملوا هودجها دون أن يشعروا أنها ليست بداخله، ثم بقيت عائشة في مكانها تنتظر من يأتيها، وكان من عادة القوم أن يتأخر أحدهم بعد الرّحيل ليتفقد المكان، وكان المعقب هو صفوان بن

المعطل، فلما رأى صفوان عائشة أناخ ناقته بجوارها ودار وجهه حتى ركبت، وسار بها ولحق بالركب أخيراً، فلما رأى بعض المنافقين صفوان وعائشة معاً اتهموهما بالفاحشة.

[١٢] ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿لَوْلَا﴾: أداة حض وحث وتوبيخ في الزمن نفسه.

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمان الماضي بمعنى: حين.

﴿سَمِعْتُمُوهُ﴾: من أفواه الخائضين.

﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾: رجال ونساء، والظن هو رجحان أحد طرفي

التجوز (التفي أو الإثبات) أو الشك الراجح.

﴿بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾: الباء للإصاق: ابتعدوا ونأوا بأنفسهم بعيداً عن الخوض

في هذه الأكاذيب، وظنوا أنهم أهل إيمان وهذه فتنة وظنوا خيراً. ارجع إلى الآية

(١١) من نفس السورة، ولم يقل ظن المؤمنون والمؤمنات برسول الله وأهله

خيراً بل قال تعالى: ﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾ لأن هذه التهمة لا تليق بحق المؤمنين، فكيف

تليق بحق رسول الله ﷺ.

﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾: وقالوا قبل أن ينزل الله سبحانه براءة عائشة

رضي الله عنها، هذا: اسم إشارة والهاء للتنبيه، إفك مبين: كذب واضح متعمد

وليس بصحيح، مبين؛ أي: ظاهر لكل فرد وكذب متعمد لا يحتاج إلى دليل

وبرهان ظاهر بنفسه.



[١٣] ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾:

﴿لَوْلَا﴾: للتوبيخ والتنديم والحض والحث.

﴿جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾: أي أحضر هؤلاء العصبة الذين يخوضون في حديث الإفك بأربعة شهداء؛ لأن هذه هي القاعدة الشرعية أو الحكم الشرعي.

﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ﴾: الفاء للتوكيد، إذ: ظرف للزمن الماضي متضمن معنى الشرط: لم يحضروا بأربعة شهداء.

﴿فَأُولَئِكَ﴾: الفاء للتوكيد، أولئك: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي في حكمه.

﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾: هم للتوكيد والمبالغة في شناعة كذبهم وعظم إثمهم، الكاذبون: أي إذا كان هناك كاذبون فهم الكاذبون حقاً.

[١٤] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿وَلَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود.

﴿فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: ارجع إلى الآية: (١٠)، لعاجلكم بالعقاب أو حلّ بكم سخطه وغضبه.

﴿لَمَسَّكُمْ﴾: اللام لام التعليل تفيد التوكيد.

﴿فِي مَا﴾: في ظرفية، ما اسم موصول بمعنى الذي، أو مصدرية.



﴿أَفْضَتْ فِيهِ﴾: اندفعتكم بسرعة وشدة في الخوض فيه بدون بصيرة، أفضتم: مشتقة من: صب الماء في الإناء والإكثار حتى يفيض من جوانبه؛ فهم شُبِّهُوا في حديثهم عن الإفك والإسراف في الحديث عنه وإشاعته كالفيض السائل.

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: العذاب العظيم، هو أشد أنواع العذاب شدةً وزمناً وألماً وإهانة.

[١٥] ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ، بِالسِّنِّكُمْ، وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي وتعني: اذكروا إذ، أو اذكروا جيداً.

﴿تَلَقَّوْنَهُ، بِالسِّنِّكُمْ﴾: تلقى الخبر يكون عادة بالأذن (بالسمع) وليس باللسان، ولماذا اختار اللسان بدلاً من الأذن أو السمع؟ لأنهم مجرد ما سمعوا حديث الإفك أذاعوا به، ولم يصبروا لحظة، فكانهم بُهتوا بما سمعوا، وكل ما ييغون هو بث وإذاعة الخبر وحبهم لإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا فلم يبق بيت ولا فرد إلا سمع بالخبر وتكلم به دون تفكير ولا مراعاة حرمة، ولا التأكد من تلقى الخبر، فكان الخبر كان يتطاير من لسان إلى لسان.

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾: القول أو الأقوال تكون بالألسن، وليس بالأفواه، واستعمل الأفواه للمبالغة؛ أي: كأنهم يستعملون كل عضو وعضلة في ألسنتهم وأفواههم لنقل الخبر، ما: اسم موصول بمعنى (الذي) أو نكرة بمعنى (شيء) ليس لكم به علم، ليس: للنفي، لكم: اللام لام الاختصاص، به علم: أي علم في حديث الإفك.



﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ تحسبونه من حسب: أي اعتقد وظن ظناً راجحاً هيناً: أي شيئاً أو أمراً يسيراً ليس عليه حساب أو ذنب.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ أي في حكم الله تعالى هو ذنب عظيم وله عاقبة هي حد القذف والجلد، أو من الكبائر.

[١٦] ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أداة حض وحث وتوبيخ في الزمن نفسه.

﴿قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا﴾: ما النافية، يكون لنا: لا يجوز أو يحق أو ينبغي لنا، لنا:

اللام لام الاختصاص، نحن خاصة: المؤمنين.

﴿أَنْ نَتَكَلَّمَ﴾: أن: للتعليل والتوكيد.

﴿بِهَذَا﴾: الباء للإلصاق، هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة تشير إلى حديث

الإفك.

﴿سُبْحَانَكَ﴾: تنزيهاً لك يا رب من كل عيب أو نقص، وسبحانك يقال عند

التعجب، كأن تقول: سبحان الله كيف نتكلم بهذا! وسبحانك: جملة اعتراضية تعني: نتوب إليك، أو نتوجه إليك بالتوبة مما قلنا، أو شاركنا في حديث الإفك.

﴿هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾: هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب وتشير

إلى البهتان، والبهتان: هو الكذب المتعمد الذي يبهت سامعه ويدهشه لفظاً وشناعة كذبه، عظيم: لا يسمع به أحد إلا يبهته، أي: لا يطاق فهو أشنع الكذب.

[١٧] ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:

﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ﴾: من الوعظ؛ أي: النصيح والتحذير، والنهي والإرشاد والتذكير بالعواقب، ويكون بالقول والفعل...

﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾: أن: للتعليل والتوكيد، لمثله: من الخوض بحديث مثل حديث الإفك هذا.

﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمني؛ أي: ما دمتم أحياء أو في أي زمان ومكان.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال والشك.

﴿كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: إن كنتم تدعون أو تزعمون فيها تهيجاً وتخويفاً على ضياع إيمانهم بسبب ذلك.

[١٨] ﴿وَيَبِّينُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿وَيَبِّينُ﴾: يوضح الله لكم الآيات المجملة؛ أي: يشرحها لكم.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بكل ما تسرون وتعلنون من أقوال وأفعال وما تبدون وما تكتمون، وهو عليم بذات الصدور.

﴿حَكِيمٌ﴾: مشتقة من الحكم والحكمة، فهو أحكم الحاكمين أو أحكم الحكماء، حكيم في شرعه وخلقه وكونه، حكيم فيما يأمر به وينهى عنه، لا يحكم عبثاً ثم ينذر ويهدد الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فيقول:



[١٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: يعني هؤلاء الذين جاؤوا بالإفك، أو العصابة الذين ذكرهم الله في الآية (١١) أو غيرهم من الذين يقومون بالقذف، يحبون: الحب عمل قلبي والقول أو القذف عمل لساني ولا ننسى أن الكلام هو ترجمة لما في القلب، فهم يحبون: ولو لم يتكلموا به، فالمرحلة الأولى مرحلة الحب، ثم المرحلة الثانية: التحدث، وإشاعة الفاحشة (الزنى وغيرها...)، أن تشيع: أن: للتعليل والتوكيد، تشيع: تنتشر وتعم في المجتمع، ويفرحون لذلك مهما كانت النتيجة البراءة أو الفضيحة.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاستحقاق.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾: بالجلد أو العقوبة كالإصابة بالبأساء والضراء.

﴿وَالْآخِرَةِ﴾: بالعذاب بالنار.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: والله يعلم ما تخفي الصدور من نوايا، ويعلم ما تسرون وما تعلنون من قول أو عمل ولا تخفى عليه خافية في السماء ولا في الأرض، وفي الآية تحذير وترهيب.

[٢٠] ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: تكرار لبيان فضل الله ورحمته على بعض الصحابة الذين شاركوا في الخوض في حديث الإفك مثل: مسطح

وحسان بن ثابت؛ أي: لولا فضل الله عليكم ورحمته لأهلككم أو لعذبكم عذاباً عظيماً وعجل لكم العقوبة.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾: أن: للتوكيد، رؤوف: من الرأفة وهي: أخص من الرحمة، أو أشد من الرحمة، والرأفة خاصة بالمؤمنين وتعني: الشفقة.

رحيم: لأنه لم يعذبكم أو يعجل لكم العذاب، ويقبل توبتكم. ورحيم: كثير الرحمة، والرحمة تكون للمؤمن والكافر؛ أي: هي عامة.

وإذا قارنا هذه الآية بالآية (١٠) من نفس السورة: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ نجد الآية (١٠) انتهت بتواب حكيم، جاءت في سياق الزنى (الزانية والزاني) والجلد وقذف المحصنات وأزواجهن، فناسب ختمها بالتواب، وقوله: حكيم؛ لأنه سبحانه يقبل توبة الزاني والزانية، وحكيم؛ لأن حد عقوبة الزنى بما يناسب وذلك من الحكمة والحكم.

وأما الآية رقم (٢٠) ليست تكراراً إنما جاءت في سياق الذين جاؤوا بالإفك عصبية، فإذا تابوا ولم يعودوا لمثله أبداً فإن الله رؤوف رحيم.





الجزء
٣٦

سورة التوبة ٢٤

سورة التوبة ٢٤

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ
وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِيَ الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ
الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾
يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
﴿٢٤﴾ يَوْمَ يُؤْفِكُ بِهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ
الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ
وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ
مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا
وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

سورة النور [الآيات ٢١ - ٢٧]

[٢١] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

المناسبة: يأتي ذكر هذه الآية هنا؛ لأنّ الخوض في حديث الإفك ما هو إلا نوع من اتباع خطوات الشيطان فقال محذراً:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد بتكليف جديد إلى الذين آمنوا.

﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: لا النّاهية، تتبعوا خطوات الشيطان: وساوسه ونزعاته وهمزاته وتزيينه، وإشاعة الفاحشة والقذف، ولمعرفة معنى الشيطان. ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة البقرة.

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ﴾: من شرطية، يتبع: يطيع.

﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾: الزّنى والقذف وارتكاب المعاصي وما قبح من الذّنوب.

﴿وَالْمُنْكَرِ﴾: ما ينكره الشرع، وكل فعل تحكم العقول بقبحه. ارجع إلى

سورة التوبة آية (٦٧)، وآل عمران آية (١٠٤) لمزيد من البيان.



﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: ارجع إلى الآية (١٠) والآية (٢٠).

﴿وَلَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود؛ أي: لولا فضل الله عليكم ما زكي منكم من أحد.

﴿مَا زَكَّى﴾: ما طهر من الإثم أو الذنب منكم من أحد.

﴿مِنْكُمْ﴾: تقديم (منكم) للاختصاص؛ أي: خاصة منكم.

﴿مِنْ أَحَدٍ﴾: من استغراقية تستغرق كل واحد.

﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمان؛ أي: في أي زمان.

﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك.

﴿اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾: يطهر من يشاء من الذنب والإثم بالتوبة والمغفرة.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوالكم ونجواكم وإسراكم.

﴿عَلِيمٌ﴾: بما في نفوسهم، وعليم بأعمالكم الباطنة والظاهرة.

[٢٢] ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

سبب النزول: كما روى البخاري ومسلم نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومسطح بن أثاثه، وكان مسطح ابن بنت خالة أبي بكر وكان من المهاجرين ومن الذين شهدوا معركة بدر ومن المساكين، وكان أبو بكر

ينفق عليه، فلما كان مسطح من الذين جاؤوا بالإفك عصابة حلف أبو بكر: لن
ينفق عليه بعد ذلك، فنزلت هذه الآية.

﴿وَلَا يَأْتَلِيْ﴾: الواو استئنافية، لا الناهية، يأتل: يحلف، من: الألية؛ أي:
الحلف أو القسم واليمين.

﴿أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾: أولو الفضل: ذوو الفضل أهل؛ يعني: أبا بكر الصديق
رضي الله عنه، وجاء بصيغة الجمع؛ لتكريمه وتعظيم ما له فضل، أولو: أهل البر
والصلاة والفضل: في الدين والمنزلة في الإسلام والصّلاح. وكذلك تشمل غيره
من أولي الفضل؛ أي: الزيادة.

﴿وَالسَّعَةِ﴾: الغنى السّعة في الرّزق والمال، ومن الذين وسّع الله عليهم
وأغناهم.

﴿أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾: أن: تعليلية، يؤتوا: يعطوا أو ينفقوا على أولي القربى
مثل مسطح، أولي: ذوي القربى؛ أي: الأقارب الفقراء.

﴿وَالْمَسْكِينِ﴾: جمع مسكين: وهو من يملك ما لا يكفيه، والفقير: من لا
يملك شيئاً، وكان مسطح من المساكين.

﴿وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: من مكة إلى المدينة.

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾: اللام في كل الكلمتين للتوكيد، توكيد العفو
والصفح، والعفو: ترك العقوبة، والصفح: العفو مضافاً إلى ترك اللوم (عدم
اللوم). وليعفوا وليصفحوا: للتدب والإرشاد، وليس فرضاً أو واجباً.



﴿أَلَا﴾: للاستفهام والحث والحض على المغفرة بالعفو والصفح والتسامح لكي يضمن مغفرة الله تعالى.

﴿تُحِبُّونَ﴾: الخطاب بصيغة الجمع والمراد به: أبو بكر؛ لتعظيم مكانته، أو الخطاب إلى المؤمنين عامة.

﴿أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: أن: للتعليل، يغفر الله لكم: المغفرة: ستر الذنب وترك العقوبة، والإثابة على الأعمال الصالحة والمغفرة.

فلما سمع أبو بكر هذه الآية قال: بلى والله أحب أن يغفر الله لي. وعندها عفا وصفح عن مسطح وردّ على مسطح ما أمسكه عليه من النفقة، والعبرة عموم اللفظ وليس بخصوص السبب.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من: غفر: كثير الغفران لمن تاب وآمن. ﴿رَحِيمٌ﴾: والرّحمة والمغفرة، فكلاهما من صفاته الثابتة رحيم بالمؤمنين؛ أي: دائم الرّحمة في الدنيا والآخرة.

[٢٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

بعد أن نزلت براءة عائشة من السماء، جاء في هذه الآية ليؤكد حكماً عاماً. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾: لما نزلت هذه الآية قال ابن عباس: هذه في عائشة وأزواج النبي (أمهات المؤمنين) في هذه الآية قيد



المحصنات بأوصاف منها الغافلات المؤمنات بينما في الآية (٤) من نفس السورة أطلق ولم يقيد.

إنَّ: للتوكيد، الذين: اسم موصول، يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات: يتهمون أو يقذفون المحصنات الغافلات المؤمنات بالزنى أو الفواحش، والمحصنات: العفيفات، الغافلات: البعيدات: عن الفواحش والمعاصي، ولا تعلم لماذا رُميت، سليمة الصدر، البعيدات من مواطن الرِّيب. المؤمنات بالله ورسوله ﷺ.

﴿لَعَنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: طُردوا من رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة. وقد تعني: عَذَّبوا بالجلد في الدنيا ولا تُقبل لهم شهادة أبداً، وأولئك هم الفاسقون، ولم يجعل لمن قذف أمهات المؤمنين ومنهن عائشة توبة مقارنة بالآية (٤) فقد جعل لمن قذف توبة.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في الآخرة في نار جهنم.

ولهم: اللام لام الاختصاص، عذاب عظيم: عذاب السعير الشديد المقيم، والخزي.

ارجع إلى الآية (١١) من السورة نفسها للبيان.

[٢٤] ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَنْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين للحساب والجزاء، يوم: نكرة؛ للتحويل والتعظيم.



﴿شَهِدُ عَلَيْهِمُ أَلْسِنَتَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾: تشهد عليهم: تنطق عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم؛ أي: ضدهم، ولم يقل لهم: (لهم) أي: تشهد لهم لصالحهم بعد أن يطلب منها أن تشهد، واختار الألسن والأيدي والأرجل وهي من الجوارح ولم يذكر الجلود والسمع والأبصار والأفئدة كما ورد في الآية (٢٠) من سورة فصلت: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ لأن هذه الأعضاء الألسن التي تحدثوا بها بالزور والبهتان، وبأرجلهم التي مشوا بها إلى مجالس الإفك، وكذلك الأيدي التي أشاروا بها؛ فالكل يشهد ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: الباء للإلصاق، ما: اسم موصول أو مصدرية، بما كانوا: في الدنيا، يعملون: العمل يضم القول والفعل.

[٢٥] ﴿يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾:

﴿يَوْمَ يُؤْفِكُ﴾: يوم الدين والجزاء يوم القيامة. أصلها: يوم؛ إذ: ظرف زماني أضيف إلى ظرف آخر).

﴿يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾: الحق: (صفة للدين؛ أي: حسابهم العدل)، وقد تكون صفة لله؛ أي: يوفيهم الله الحق دينهم. يوفيهم الله: يُتِمُّ الله لهم جزاءهم كاملاً بعد الحساب؛ أي: يستوفون جزاءهم الذي يستحقونه، الدين: الجزاء، دينهم: جزاءهم الواجب لهم، الحق: الثابت. بدون زيادة سيئة أو إنقاص حسنة. ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ﴾: أن للتوكيد، الله هو الحق: (هو) ضمير فصل يفيد التوكيد.



﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد والمدح.

﴿مُبرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾: جمع مبرأ: اسم مفعول من: برأ؛ أي: عائشة رضي الله عنها وصفوان بن المعطل مبرؤون مما قالت عصبة الإفك عنهم.

﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: مغفرة: ستر لذنوبهم ومحوها والثواب على أعمالهم الحسنة، ورزق كريم: في الجنات، رزق دائم لا ينقطع مما تشتهيهِ الأنفس وتلذُّ الأعين.

[٢٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾:

سبب النزول: كما ذكر الواحدي في (أسباب النزول): جاءت امرأة من الأنصار فقالت: يا رسول الله، إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل عليّ، وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف أصنع؟ فنزلت هذه الآية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نداء جديد بتكليف جديد للذين آمنوا.

﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى﴾: لا تدخلوا: لا النّاهية.

بيوتاً: جمع بيت، والبيت من: بات، يبيت؛ أي: يقضي الليل فيه نام أم لم ينم، ويمكن أن يكون غرفة أو خيمة أو مسكناً، وكل بيت مسكن.

ارجع إلى سورة القصص آية (٥٨) لمزيد من البيان.



﴿تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾: الاستئناس: يسبق الاستئذان ويدل على طلب الأئس، والسَّين والتَّاء تدلان على الطَّلَب؛ أي: اطلبوا الاستئناس أولاً، والإذن ثانياً، والمقصود بالاستئناس أن يُعلم أو يخبر أصحاب الدَّار أنه سيزورهم مثلاً، وفي أيِّ زمن، وهل ذلك الزَّمن مناسب لهم وغير محرج أو مزعج لهم وليس فيه تطفُّل عليهم، أو مفاجأة لهم أو حرج.

الاستئذان: لا يدخل بيتاً آخر حتَّى يستأذن أهل البيت فيؤذن له، وتسلموا على أهلها: يسلم على أصحاب الدَّار أو البيت بالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

﴿ذَلِكَكُمْ﴾: ولم يقل ذلك: (ذلكم) تشير عدة أمور: إلى الاستئناس والسلام، (وذلك) تشير إلى أمر واحد، و(ذلكم) فيها تأكيد.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أفضل من الدَّخول فجأة وبدون استئناس واستئذان.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: لعل للتعليل، تذكرون هذه الآداب: آداب دخول بيوت الغير - بسرعة وعدم نسيانها -.

ولم يقل لعلكم تتذكرون؛ أي: لا تحتاجون إلى زمن طويل.





سُورَةُ النُّورِ ٢٤

الجزء الثاني عشر

فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُوْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ
قِيلَ لَكُمْ ارجِعُوا فَارجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ
فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾
قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ
ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ
يَغْضِضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ
أَبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ نِسَاءِ
إِخْوَانِهِنَّ أَوْ مَمْلُوكَاتٍ أَيْمَنَهُنَّ أَوِ التَّبَعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ
الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾



سورة النور [الآيات ٢٨ - ٣١]

[٢٨] ﴿فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: إن شرطية تستعمل في الأمور المحتملة.

﴿لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾: يأذن لكم، ولم يقل: فإن لم يكن أحد؛ لأن صاحب البيت قد يكون فيها ولم يأذن للزائر.

﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾: لا الناهية، والفاء للتوكيد.

﴿حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾: حتى حرف نهاية الغاية؛ أي: لا تدخلوها إلا بعد أن يؤذن لكم.

﴿وَإِنْ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال.

﴿قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾: قيل لكم من أفراد الأسرة: إن صاحب المنزل غير موجود، فارجعوا.

﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾: أي الرجوع أطهر وأصلح لكم من الدخول، وانتظار صاحب المنزل حتى يعود.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾: والله بما تعملون: تقولون أو تفعلون عليم، عليم بنواياكم وبدخولكم بإذن أو غير إذن، أو رجوعكم، بما: الباء للإلصاق والمصاحبة، ما: اسم موصول بمعنى (الذي: أو مصدرية؛ أي: عليم بأعمالكم).



[٢٩] ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾:

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾: للنفي غير المقيّد؛ أي: في أي زمن.

﴿جُنَاحٌ﴾: إثم، وجناح من: جنح؛ أي: مال عن القصد، والإثم: هو الميل عن الحق، ولم يقل حرج: الحرج هو الضيق لا مخرج منه مشتق من: الحرجة الشجر الملتف لا يمكن الدّخول فيه ولا الخروج منه.

وما هو الفرق بين قوله: ليس عليكم جناح، و: لا جناح عليكم؟

ليس عليكم جناح: جملة فعلية.

ولا جناح عليكم: جملة اسمية، والجملة الاسمية أقوى من الفعلية في النّفي، إذن لا جناح أقوى وأكد من: ليس عليكم جناح، وعادة يستعمل ليس عليكم حرج أو جناح في الأمور العادية الحياتية مثل دخول البيوت والطعام، والتجارة والسّير في الأرض، ويستعمل لا جناح عليكم الأقوى والأبلغ وأكثر توكيداً في العبادات والجهاد، وأحكام الأسرة والأمور الهامة.

﴿أَنْ﴾: أن: للتعليل والتوكيد.

﴿تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ﴾: أن تدخلوا الأبنية المسكونة مثل: الفنادق أو أماكن خزن الأمتعة، أو أماكن الاستيداع.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: ما تظهرون وما تعلنون من الأقوال والأفعال.

﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: ما: اسم موصول بمعنى الذي، وأوسع شمولاً من الذي، تكتمون: الكتمان يختص بالمعاني كالأسرار والأخبار، والإخفاء أعم من الكتمان، ويستعمل في الأمور الحسية وتكرار (ما) للتوكيد وفصل كلّ منهما عن الآخر أو كلاهما معاً.

[٣٠] ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: اللام لام الاختصاص؛ أي: للمؤمنين خاصة، والمؤمنين: جملة اسمية تعني: الذين أصبح الإيمان صفة ثابتة ملازمة لهم.

﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾: الغَضُّ يعني: كَفَّ البصر، والغض: إطباق الجفن على الجفن بحيث تمتنع الرؤيا والنظر إلى الأرض وعدم الاستمرار في النظر، من: تعني التبعض أو التوكيد أو الجنس، أبصارهم: جمع بصر؛ أي: نظراتهم، يغضوا من أبصارهم، ولم يذكر من ماذا؟ لأنه واضح المعنى؛ أي: عما حرم الله أو ما لا يحل. يغضوا: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد، والتكرار؛ يعني: لا تغضوا، أو تحفظوا فروجكم مرة واحدة، وإنما كلما احتاج الأمر.

﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾: أي يصونوا فروجهم (الفرج: القُبل والدُّبر) بالستر؛ أي: يسترُوا عوراتهم ويصونوها من فاحشة الزنى واللواط وما شابه ذلك مما حرم الله ومن اللبس. والعورة في الرجل من السرة إلى الركبة، وأما عورة المرأة فاختلف في تحديدها الفقهاء، ارجع إلى آراء الفقهاء.

وقدم غَضَّ البصر على حفظ الفرج؛ لأنَّ النظر يسبق أو من الأمور التي تتقدم الوقوع في الفاحشة، وأبيح كشف العورة للضرورة العلاجية.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة، يشير إلى الغَضِّ والحفظ، واللام: للبعد؛ لعلو شأن هذه الأحكام.

﴿أَزْكَى لَهُمْ﴾: أظهر وأسلم لقلوبهم من السوء والريبة.

أزكى: مأخوذة من: الزكاة بمعنى الطَّهارة أو الطهر، والنمو والبركة وزكاة



النفس كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ١ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].
لهم: اللام لام الاختصاص، للمؤمنين خاصة.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿خَيْرٌ﴾: عليم بيوطن الأمور بأحوالهم وأفعالهم، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. يعلم ما غضى وما لطف وما تجلى أو ظهر.

﴿بِمَا يَصْنَعُونَ﴾: الباء للإلصاق والمصاحبة، ما: اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية، ولم يقل بما يعملون أو يفعلون، اختار كلمة (يصنعون) لأن هذه الأفعال المحرمة إذا تكررت ترسخ وتصبح تشبه الصناعة. الصناعة التي تحتاج إلى مهارة وتدريب وجرأة وخبرة حتى تتم، أو كأنها تشبه الصناعة. والصناعة: أبلغ وأحسن من العمل، وفي الآية وعيد لمن يطلق بصره ولا يحفظ فرجه.

[٣١] ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُنَّ أَوْ التَّبِيعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلَ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾:

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ﴾: وقل يا محمد - ﷺ - للمؤمنات: اللام لام الاختصاص، المؤمنات: اللاتي أصبح الإيمان لهن صفة ثابتة.

وفي الآية السابقة قال سبحانه: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وكلمة (المؤمنين) تشمل المؤمنين والمؤمنات معاً، فلماذا عاد ووصى المؤمنات وقال: (قل للمؤمنات) هذا يطلق عليه: ذكر الخاص بعد ذكر العام للتوكيد؛ لأن المرأة هي التي تفتح أو تبدأ بالمقدمات التي تجر إلى الوقوع في الفاحشة، والخطاب موجه إلى

المؤمنات وليس إلى النساء عامة؛ لأنّ المؤمنات هنّ القدوة الصالحة للمسلمات وغيرهن، أو أفردهن بالخطاب؛ لأن هذه الأحكام خاصة بهن.

﴿يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾: ارجع إلى الآية السابقة للبيان.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾: ولا: الناهية، يبدن: الإبداء الإظهار والكشف، الزينة قد تكون خلقية: جمال الوجه والعيون، أو مكتسبة خارجة عن أصل الخلقة، وظاهرة: مثل الثياب وما تلبس المرأة من خمار أو غيره ويرأها الغير، وباطنة: لا يراها إلا الزوج.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: اختلف الفقهاء في هذه، منهم من قال: الوجه والكفان، أو من غير قصد، وقيل: الجلباب والثياب، ارجع إلى مصادر الفقه.

﴿وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ واختار كلمة الضرب بدلاً من الإلقاء أو الدنو (يدنين)، أو الوضع: للمبالغة في الستر. الآية تشير إلى كيفية إخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهي عن إبدائها، وليضربن: اللام لام التوكيد، والنون في كلمة (يضربن) لزيادة التوكيد، والضرب: هو الإلقاء بإحكام، بخُمُرِهِنَّ: الباء للإلصاق والمصاحبة والمبالغة في الضرب، أو الضرب يعني: أن تمد الخمار ليستر عنقها وصدرها، خُمُرِهِنَّ: جمع خمار، والخمار في اللغة: هو غطاء الرأس، ومن الناحية الفقهية: هو ما تغطي به المرأة رأسها وفتحة الصدر: الجيب، وأصله من: الخمر؛ أي) السّتر، الذي يستر العقل.

﴿عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾: الجيوب فتحة الصدر، جمع جيب: الفتحة في أعلى القميص أو مدخل العنق، وهذا يعني ضرب الخمار على الشعر والعنق والصدر والتحر. وأما الإدناء: هو الإرخاء والإسدال، وجاء الإدناء في سياق لبس الجلباب وهو ما يستر الجسم كله من الملابس فوق الثوب.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾: أي: الظاهرة إلا عن (١٢ صورة)، واختلف



الفقهاء في موضوع الزينة كل عالم يفسرها حسب ما يراه من الأدلة، وكذلك نرى أنه سبحانه لم يذكر مواضع الزينة.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿لِبُعُولَتِهِمْ﴾: الأزواج. أصل الزينة للزوج. ارجع إلى سورة هود آية (٧٢) لمزيد من البيان في بعلي.

﴿أَوْ آبَائِهِمْ﴾.

﴿أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِمْ﴾: آباء أزواجهن.

﴿أَوْ أَبْنَاءِ إِبْنَتِهِمْ﴾.

﴿أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِمْ﴾: أبناء أزواجهن.

﴿أَوْ إِخْوَانِهِمْ﴾: الإخوة سواء كانوا لأب أو لأم.

﴿أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِمْ﴾: ما هو الفرق بين بني وأبناء؟ بني: تدل على الكثرة، وأبناء: تدل على القلة.

﴿أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِمْ﴾: ولم يذكر العم والخال؛ لقلة الزيارة.

﴿أَوْ نِسَائِهِمْ﴾: تضاربت الآراء حول نسائهن؛ قيل: المؤمنات، وقيل: المختصات بالخدمة والصحبة، سواء مسلمات أو غير مسلمات (الأجنبيات)، وقيل: جميع النساء.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: أي: الإماء من النساء دون الرجال.

﴿أَوْ النَّبْعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾: أي غير ذوي الإربة؛ أي: الحاجة إلى النساء أي: من غير ذوي الميل والشهوة، مثل كبير السن الشيوخ والعجزة، أو صغار السن كالأطفال أو المجانين أو المصابين ببعض الأمراض العقلية. وقيل: غير أولي الأربة صفة للتابعين، وقيل: مستثنى منهم، وعندها

يصبح التابعون هم من لا حاجة لهم في النساء كالمصابين بأمراض يفقدون معها الحاجة إلى النساء، فهؤلاء يباح لهم النظر، وأولي الأربة: أصحاب الحاجة إلى النساء.

﴿أَوِ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ﴾: أفرد كلمة (الطفل) وجاء بكلمة (الذين) ولم يقل الذي؛ لأن الأطفال كلهم كالطفل من حيث إدراكهم وشعورهم وتصرفهم في مرحلة الطفولة كلهم موقفهم واحد، فإذا بلغوا الحلم فيصبح لكل واحد منهم نظريته الخاصة، لم يظهروا على عورات النساء: لم يطلعوا على عورات النساء. لم يبلغوا سن البلوغ. وقيل: قبل سن التمييز (تمييز العورات)، واختلف الفقهاء في هذا السن الذي يمنع فيه الطفل إلى النظر إلى زينة المرأة.

﴿وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾: أي: لا الناهية، لا يضربن الأرض بأرجلهن حتى لا يسمع صوت الخلخال أو غيره مما يؤدي إلى إثارة الشهوة والفتنة، ولفت الأنظار وإساءة الظن، وليعلم: اللام لام التوكيد، يعلم ما: يخفين من زينتهن الباطنة، سواءً أكان هذا الضرب مقصوداً، أم غير مقصود كالحركة العفوية.

﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: أسرعوا بالتوبة بالرجوع إلى ربكم إذا أخطأتم أو أذنبتم، ولا تعودوا إلى فعل ذلك واشعروا بالندم وأكثروا من أعمالكم الصالحة، لعلكم: لعل للتعليل وتفيد التحقيق؛ أي: الثواب والفلاح، تفلحون: تنجون من النار وتفوزون بالجنة وتنالون أمانيتكم. وانظر إلى كلمة (آية) كيف كتبت بدون ألف (أيها) لتشير قصر الزمن للشروع في التوبة؛ أي: ليكن فوراً بدون تأخير لذلك خفف كلمة (آية).

ارجع إلى سورة البقرة آية: (٥) لمزيد من البيان.





سُورَةُ النُّورِ ٢٤

الْمِيزَانُ

وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ
يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلَيْسَتَ عَفِيفٌ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ
وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا
تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ حَسَنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ
الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا
مِّن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ ۚ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ
نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ
لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي يَوْمٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ
وَيَذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ ۖ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾



سورة النور [الآيات ٣٢ - ٣٦]

[٣٢] ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَأَنْكِحُوا﴾ الخطاب موجّهٌ إلى الأولياء الآباء والأمهات وغيرهم من المؤمنين؛ أي: لكل مخاطب كما قال بعض الفقهاء؛ لأن الرجل الكبير لا ولاية لأحد عليه. وانكحوا: أي زوّجوا. وقيل: معنى انكحوا؛ أي: ساعدوا على النكاح، وسهلوا أسبابه، ولا تقفوا عثرة.

﴿الْأَيْمَى﴾: جمع أيم، والأيم من الرجال: من لا زوجة له، والأيم من النساء: من لا زوج لها سواء كان متزوجاً قبل ذلك أو لم يتزوج أو كانت متزوجة أو غير متزوجة، وللذكر والأنثى والبكر والشيب.

﴿مِنْكُمْ﴾: تدل على الاختصاص؛ أي: ساعدوهم على الزواج أو التوسط لهم..

﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾: الصلاح هنا يعني الإيمان، و(الصالحين) يدخل فيها الصالحات. والقدرة على القيام بحقوق الزوجية...

﴿وَأِمَائِكُمْ﴾: جمع أمة، وهذه ليس لها تطبيق في زمننا الحاضر.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: وعِد من الله سبحانه للفقراء الذين يمثلون أوامره بأن يغنيهم من فضله إن شاء. والسؤال هنا قد يسأل البعض: إنَّ



كثيراً من الفقراء يتزوجون فلا يصبحون أغنياء وبالعكس قد يصبحوا فقراء فكيف نفسر ذلك؟ الغنى أو الفقر يرجع إلى حكمة الله سبحانه فهناك من العباد من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغناه الله لفسدت حالته، والله سبحانه يعلم ما يصلح عبده فيسقط لمن يشاء ويقدر لمن يشاء.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ واسع: مبالغة في الجود والكرم - واسع من الوسع: وهو القدرة - واسع: محيط بالأشياء علماً؛ لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ [طه: ٩٨]، أو غني ذو سعة لا تنفذ ولا تنقص، عليم بحاجات خلقه وما يصلح أحوالهم وما يفسدها، ولم يقل: واسع كريم؛ لأنه يبسط الرزق، ويضيق الرزق لمن يشاء.

[٣٣] ﴿وَلَيْسَتَعَفِيفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِنَتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحَصُّنًا لِّنَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهْنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

﴿وَلَيْسَتَعَفِيفَ﴾: اللام للتوكيد، يستعفف؛ أي: يجتهد في العفة والحصانة، ويسعى إليها بكل ما في وسعه، ويتجنب الحرام والزنى بشتى الوسائل ومنها الصيام مثلاً وأن يشغل نفسه. والوصية موجهة إلى الأيامي الذين لا يقدرّون على أعباء الزواج.

﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾: أي ليس عندهم القدرة على الزواج والنفقة ودفع الصّداق ولا يوجد من يساعدهم.

﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: حتّى حرف نهاية الغاية، يوسع الله سبحانه

عليهم من رزقه، فلا استعفاف من التقوى والتقوى من وسائل الرزق كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

﴿وَالَّذِينَ يَبْنِعُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: (يطلبون منكم) أن تكتبوا عقداً بينكم وبينهم، تشترون في العقد أن يعملوا لكم كذا وكذا، وبعدها يكونوا طلقاء أو أحراراً.

﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾: إن: شرطية؛ أي: علمتم أن إطلاق حريتهم وسراحهم بعد الخدمة سيؤدي إلى خير وإصلاح لهم وكسب رزقهم، أو علمتم فيهم خيراً أنهم أصحاب صدق، ووفاء، ويخافون الله، فافعلوا ذلك.

﴿وَأَنُؤِثُّهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾: خطاب للأغنياء أن يعطوا هؤلاء من أموالهم التي هي في الحقيقة مال الله الذي آتاكم وما نحن إلا مستخلفين فيه، من مال الله: (من) بعضية أو اسم جنس، الذي آتاكم: أي أعطاكم و(آتاكم) فيها معنى عدم التملك. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة للبيان.

﴿وَلَا تُكْرِهُوا﴾: لا الناهية: من الإكراه باستعمال أساليب التهديد والقوة والانتقام والطرد والحرمان.

﴿فَنَيْنِيتُكُمْ﴾: جمع فتاة، وتعني المملوكة أو الإماء، وإن كانت المملوكة ليس لها وجود الآن في مجتمعاتنا فقد استبدلت بمسميات جديدة.

﴿عَلَى الْبَغَاءِ﴾: البغاء: هو الفجور، وبغى في الأرض تجاوز حدود ما شرع الله، ويقال للمرأة بغى إذا تجاوزت حدها، ولا يقال للرجل بغى، والبغاء يطلق على الزنى، والبغاء: هو الزنى المتكرر، والبغاء هو مصدر من: بغت؛ أي: زنت (انظر في ملحق الآية).

﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾: تحصناً: من التحصن، وهو التعفف أو الزواج؛ أي:



ليس هناك سبب يدعو إلى إكراه أي فتاة أو أنثى مهما كانت على البغاء، ومهما كان السبب، في أي مجتمع، ولا يجوز فهم الآية: وإذا لم ترد التحصن يجوز إكراهها، طبعاً لا. ويمكن فهم الآية على النحو التالي: كيف لكم أن تكرهوا أي فتاة أو أنثى على البغاء (الزنى) وهي تريد أو تطلب العفة، وأنتم تريدون أن تأتي بالفاحشة لتبتغوا عرض الحياة الدنيا!

﴿لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: اللام للتوكيد، تبتغوا عرض الدنيا؛ أي: المال أو أي عرض دنيوي يطلبه ولي الأمر.

﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ﴾: من شرطية، يكرههن: والنون في يكرههن لزيادة التوكيد على عدم الإكراه.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ﴾: فإن: للتوكيد.

﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لأن المكره لا إثم عليه فيما يقول أو يفعل. وإنما على الذي كان السبب..

وظاهرة البغاء أصبحت تسود في بعض المجتمعات وتأخذ صوراً شتى، وتقوم بها الفتيات أو النساء أنفسهن بإرادتهن وبدون إكراه، أو هناك من يتولى أمرهن سواء كانت امرأة أو رجلاً، والغاية العظمى من وراء البغاء هو الحصول على المال أو لشراء المخدرات أو بعض الأدوية المحرمة، وللتخلص من الفقر بأسرع وسيلة.

ما الفرق بين البغاء والزنى والسفاح؟

البغاء: هو الزنى المتكرر - أي الفجور، توصف به المرأة ولا يوصف به الرجل من: بغت؛ أي: فجرت، تجاوزت ما ليس لها بحق.

السفاح: وهو أن يقيم الزاني والزانية في منزل واحد بدون زواج.



الزنى: الوطء بدون عقد شرعي ولو وقع لمرة واحدة.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ﴾: آيات القرآن (آيات الأحكام والحدود)، والآيات بشكل عام تشمل الآيات الكونية والمعجزات. إليكم: خاصة.

﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾: ولم يقل: آيات بينات؛ أي: واضحات، ظاهرات، ومبينات: تحتاج إلى توضيح وتفسير مثل آيات الحدود والأحكام، أو تعني: مبينات الأحكام والحدود التي تنظم حياتكم.

أي: تحتاج إلى توضيح وتفسير يقوم به رسول الله ﷺ، أو أولو العلم والفقهاء في الدين، أو علماء الفلك والفيزياء مثل قوله تعالى: ﴿بَحْرٍ لَّيْجٍ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ [النور: ٤٠]. وكقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا حَجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣]، وغيرها من الآيات.

﴿وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾: أي أنزلنا إليكم آيات مبينات.

وأنزلنا إليكم - مثلاً - من الذين خلوا من قبلكم، والمثل: هو تشبيه حال بحال مراد به توضيح أمر غامض؛ أي: مشبهاً من حال الذين مضوا من قبلكم بحالكم مثلاً شبيهاً بحادثة الإفك ما حدث ليوسف عليه السلام وامرأة العزيز وما حدث لمريم عليها السلام حين قالوا: ﴿يَتَأَخَذَتُ هُنَّ مَكَانَ آبُوكِ امْرَأَتٍ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمًّاكِ بَعِيًّا﴾ [مريم: ٢٨].

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: تذكرة، ونصيحة وتحذيراً للمتقين، والموعظة: ما يوعظ به من قول أو فعل يُرشد إلى الخير، أو النصيح بالطاعة بأسلوب الترغيب



والترهيب والعمل الصالح والتذكرة بالثواب والعقاب، والتحذير وللنهي من الغفلة والجهل.

﴿الْمُتَّقِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، المتقين: الذي يطيعون أوامر الله ولا يعصونه ويتجنبون نواهيه.

أي: خاصة بالمتقين دون غيرهم فهم المتفوعون بها. وربما يتفوع بها غيرهم بشكل عام.

ولتقارن هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ [البقرة: ٩٩].

الآيات البينات الواضحات لا تحتاج إلى بيان وتوضيح، بينما المبينات تحتاج.

[٣٥] ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: الله نور: نور لها عدة معان:

أولاً: كلمة (نور) فيها معنى الهداية؛ أي: الله هادي من في السموات والأرض وما فيهن، كما قال ابن عباس: يهدي كل مخلوق لما يقومه ويصلحه، ولولا هديه ونوره ما اهتدى مخلوق إلى وظيفته وغايته ومعاشه وحياته.

ثانياً: الله سبحانه هو النور؛ أي: منه النور؛ لأن العرب تسمي من منه الشيء باسم ذلك الشيء. فالشمس والقمر والنجوم هي من خلقه.



ثالثاً: الله سبحانه منور السموات والأرض بالشموس والأقمار والكواكب التي تعطي النور الحسي.

﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: صفة نوره العجيبة، كمشكاة فيها مصباح: المشكاة كوة في جدار (أي: نافذة مدورة ضيقة ولها جدار ثخين) ليكون أجمع للنور وأضوا مقارنة بالمكان الواسع حيث ينتشر فيه الضوء ويتبعثر.

﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: أي السراج أو القنديل.

﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾: أي ليس مصباحاً عادياً إنما المصباح موضوع في زجاجة، الزجاجة تنقي ضوء المصباح تمنع عنه الهواء المسبب للدخان وهي أداة عاكسة للنور.

﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾: الزجاجة نفسها غير عادية إنما هي (الزجاجة كأنها كوكب دري) شديد الإنارة، كأنه من الدر يضيء بنفسه، والعرب تسمي الكوكب العظيم المضيء: كوكب دري.

﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: أي أن الزيت الذي يوقد به المصباح ليس زيتاً عادياً، إنما زيت مأخوذ من شجرة مباركة؛ للدلالة على قدسيتها، أو مباركة لطول عمرها، فهناك من شجر الزيتون ما يزيد عمره على ألف عام. هي الزيتون، لا شرقية ولا غربية؛ أي: هي شجرة مزروعة في مكان وسط مما يجعل ضوء الشمس يقع عليها طول النهار، ولو كانت شرقية لوقع عليها ضوء الشمس جزء من النهار، ولو كانت غربية لحدث ذلك أيضاً وقع عليها ضوء الشمس جزءاً من النهار، أو حتى لا يطرأ عليها نور وظلمة فهي لا شرقية ولا غربية كي لا يحجزها شيء عن ضوء الشمس مما يجعل زيتها صافياً من شدة صفائه.



﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾: أي زيتها من شدة صفائه يكاد يضيء بدون أن تمسه نار؛ أي: الإضاءة هنا غير حاصلة؛ أي: تكاد أن تحصل ولم تحصل حتى تمسه نار.

هذا هو تفسير المفسرين السابقين، والتفسير العلمي: أن هذه الآية تشير إلى الشمس التي هي الكوكب الدري الذي يوقد بغاز الهيدروجين والهيليوم في مشكاة، المشكاة تمثل الكون المظلم، فيها مصباح، المصباح: هو الطبقة الغازية المحيطة بالأرض والتي تضيء حين تقع عليها حزمة الضوء المرئي (ألوان الطيف السبعة) وزيت الشمس هو غاز الهيدروجين والهيليوم الذي يضيء ولو لم تمسه نار..

﴿تُورُّ عَلَى نُورٍ﴾ أي: ليس هو نوراً واحداً وإنما نور مضاعف من غير تحديد الكم، وليس مجموع نورين فقط بل أنوار كثيرة فوق بعضها البعض منها ما هو حسي مادي مركب من نور الشمس والقمر والنجوم، ونور معنوي مركب من نور القرآن والرسول ونور الإيمان ونور الضوء ونور الإسلام.

﴿تُورُّ عَلَى نُورٍ﴾ فيه تنكير؛ للمبالغة والتعظيم.

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾: لنوره المعنوي؛ أي: لدينه الإسلام، من يشاء: من عباده، من ابتدائية بعضية.

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾: ارجع إلى الآية (٧٤) من سورة النحل للبيان.

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: شيء نكرة تشمل أي شيء مهما كان.

﴿عَلِيمٌ﴾: يحيط علمه بكل شيء خلقه باطنه وظاهره، حياته وعمله، وموته وفنائه، وحرركته وسكونه.

[٣٦] ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذْنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ، فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾:

﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾: ابتدأت الآية بالجار والمجرور (في بيوت) فلا بد من متعلق وهو النور؛ أي: النور في بيوتِ أذن الله أن ترفع: تقام، والبيوت هي المساجد وهي بيوت الله في الأرض، والبيت ما أُعِدَّ للبيتوتة، مكان للراحة، وهناك فرق بين البيوت العادية وبيوت الله، فالبيوت العادية توفر الراحة الجسدية البدنية، وبيوت الله تعالى توفر الراحة المعنوية النفسية، التي هي أهم من الراحة الجسدية؛ أي: النور المركب في بيوت أذن الله أن ترفع فيها نور الإيمان، والقرآن، وحلقات العلم، ودراسة القرآن، وخطب الجمعة كل هذه الأمور نور على نور، وتشمل البيوت كذلك الصوامع، والبيع، والصلوات. ارجع إلى سورة الحج آية (٤٠).

﴿ أَذْنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ ﴾: تبنى وتطهر وتُصان. ولم يقل سبحانه أمر الله أن ترفع للعبادة.

﴿ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ ﴾: اسم الله سبحانه بالأذان والإقامة والصلاة وقراءة القرآن، والدعاء والذكر والتسبيح.

﴿ يُسَبِّحُ لَهُ، فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾: التسبيح التنزيه، تنزيه الله لذاته وصفاته وأسمائه من كل عيب ونقص وما لا يليق به، بالغدو: الغداة من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، والآصال: جمع أصيل ما بين العصر وغروب الشمس، فهي لا تخلو من ذكر الله.



الجزء الثامن عشر

سورة النور ٢٤

رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ
 الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾
 لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ
 مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ
 بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا
 وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾
 أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ ۖ مَوْجٌ مِّن
 فَوْقِهِ ۖ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ
 يَكْدِرْ بِهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
 اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْطَّيْرِ صَفَّتِ كُلُّ قَدِّ
 عِلْمَ صَلَاتِهِ ۖ وَتَسْبِيحِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي
 سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
 خِلَالِهِ ۖ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ
 وَيَصْرِفُهُ ۖ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَاقِرُهُ يَذَّهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾

سورة النور [الآيات ٣٧ - ٤٣]

[٣٧] ﴿رَجَالٌ لَا لُئْلِهِمْ تَحْرَُّ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا
تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾:

﴿رَجَالٌ﴾: خصَّ الرجال بالذكر في المساجد؛ لأن ليس على النساء صلاة جماعة في المساجد ولا جمعة.

﴿لَا لُئْلِهِمْ تَحْرَُّ﴾: لا النافية. تشغلهم تجارة (التجارة هي البيع والشراء)، وخصَّ التجارة؛ لأنها أكثر الأعمال التي تشغل الناس عن الصلاة وحضور المساجد.

﴿وَلَا بَيْعٌ﴾: ذكر الخاص بعد ذكر العام؛ للاهتمام والتوكيد، لأن البيع هو الذي يجلب الربح ويعدُّ أهم قسمي التجارة (الشراء والبيع).

﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾: باللسان مثل التسييح والتحميد والشكر، (عن) تفيد المجاوزة والابتعاد.

﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾: أدائها لوقتها وإتمامها بالأركان والسنن والواجبات.

﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾: ما يجب إخراجه من المال للمستحقين.

﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾: يوم القيامة (ونكر اليوم؛ للتهويل والتعظيم).

﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾: من شدة هوله وأحداثه العظام، تتقلب فيه: تعني في ذلك اليوم خاصة أو حصراً.

القلوب تضطرب وتتسرّع من شدة الفزع والخوف ويرتفع الضغط



الشرياني، وتبلغ القلوب الحناجر: كناية عن شدة خوفها، وشدة نبضات القلب التي تشعر بأنها في مستوى الحناجر، أو كأن القلوب تركت أماكنها وأصبحت على مستوى الحناجر.

والأبصار: الشاخصة تتقلب: تترقب من أين يأتيها العذاب، أو تتقلب تنظر يمنة ويسرة من أين يؤتون كتبهم أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال.

[٣٨] ﴿لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾:

﴿لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ﴾: اللام لام التعليل والتوكيد.

﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾: من الأعمال الصالحة في دنياهم، أحسن على وزن: أفعّل؛ أي: أفضل الجزاء ما عملوا، ما: اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية وأوسع شمولاً من الذي.

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾: بمضاعفة الحسنات والدرجات.

﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: أي: لا يرزق الناس في الدنيا قدر طاعتهم فالرزق ليس منوط بالإيمان أو عدمه، ولا يدل على رضى الله تعالى عن العبد أو منعه يدل على سخط الله على عبده، ولأن خزائنه لا تنفذ ويرزق من يشاء من حيث لا يحتسب. ارجع إلى الآية (٢١٢) من سورة البقرة للبيان.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَّخْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْتُهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾:

بعد أن بين الله جزاء أعمال الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ينتقل لبيان حال أعمال الذين كفروا في الآخرة، ويشبهها بالسراب والظلام (شيآن حسيان) والكفر شيء معنوي فهو يشبه شيء معنوي بشيئين حسيين.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ﴾: أي: ثواب أعمالهم الصالحة.

﴿كَرَابٍ بَقِيعَةٍ﴾: أعمالهم تشبه السراب، بَقِيعَةٌ؛ أي: ما تراه عين الإنسان قرب وقت الظهيرة بَقِيعَةٌ؛ أي: في صحراء أو أرض مستوية حين تنكسر أشعة الشمس على الأرض، فتظهر كماء يحسبه الظمآن ماء وما هو إلا سراب. وسمي سراباً؛ لأنه يسرب: (يجري كالماء) ويخدع الرائي من بعيد فيظنه ماء وليس بماء.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾: حتى: حرف نهاية الغاية؛ أي: جاءه يركض ليشرب منه ويروي ظمأه لم يجد السراب الذي ظنه ماءً شيئاً، وكذلك الكافر الذي يعمل الأعمال الحسنة في الدنيا من الإنفاق وصلة رحم ورعاية اليتيم وإغاثة الملهوف وبناء المدارس والمستشفيات، ولكنه لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، فأعماله هذه التي يظن ستنتفعه يفاجأ أنها لا فائدة منها ولا ثواب في الآخرة؛ لأنها حبطت بسبب كفره وأصبحت تشبه السراب الذي ظنه الظمآن ماء، كما أن الكافر ظن أن أعماله الصالحة لها ثواب وأجر فيجدها قد حبطت أو بطلت لا ثواب لها.

﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾: أي يفاجأ بوجود الله يوم القيامة.

﴿فَوَقَّعَتْهُ حِسَابَهُ﴾: الفاء للتوكيد، حسابه: على كفره أو شره؛ لأن ثواب أعماله الحسنة وقَّعها له الله وهو في الدنيا ونال أجرها قبل موته بأن وسع الله له رزقه، أو مدحوه وأثنوا عليه الناس في الدنيا، أو سموا شارعاً باسمه وغيرها.

﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: ارجع إلى الآية (٤١) من سورة الرعد للبيان.

انتبه إلى قوله تعالى:

١ - سراب بَقِيعَةٌ: لم يقل في قِيعَةٍ، استعمل الباء للإلصاق؛ لأن السراب ملتصق بالأرض: القِيعَةُ (المستوية) ولو قال في قِيعَةٍ لدلَّ أن القِيعَةَ كظرف والسراب هو المظروف، وهو غير صحيح من حيث الحقيقة العلمية.



٢ - يحسبه الظَّمان ماء: يحسبه بصيغة المضارع يدل على التجدد والتكرار في الخدع؛ أي: الكفار في الدنيا يظنون أن لأعمالهم ثواباً وجزاءً بشكل متكرر ومتجدد.

[٤٠] ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدَهُ لَمْ يَكْدِرْنَهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾:

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾: أو أعمالهم تشبه الظلمات التي نراها في ﴿بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾: كالمحيطات، وقد اكتشف علماء البحار أن البحار تتكون من بحراً عميقاً لجياً له أمواجه، وبحراً سطحياً وله أمواجه، ووجد أن هناك منطقة بين البحر العميق والبحر السطحي وهي طبقة سمكها أمتار قليلة أو طبقة رقيقة تمثل حداً فاصلاً.

﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾: أي: أن للبحر اللجي (العميق) موج (اسم جنس)؛ أي: أمواج داخلية، يغشاه موج من أعلاه؛ أي: من فوقه؛ أي: الأمواج السطحية التي تخص البحر السطحي، ولهذه الأمواج سحب تسمى سحب الموج الداخلي، وسحب الموج سطحي، وقيل هي (١٠ سحب)؛ أي: عشر ظلمات (حوائل) سبع ظلمات، ظلمات الأعماق، أو ظلمات الأمواج الداخلية، وظلمات الأمواج السطحية ثلاث.

أي: ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾: تراكت عليها ظلمات الكفر والشرك والضلال والجهل، فلم يعد فيها خير، فلا ينتفعون منها بشيء.

أو أصحاب هذه الأعمال يشبه أحدهم من يغوص في البحر اللجي الذي يغشاه موج من فوق موج من فوقه سحب، فهم يترددون ويسبحون في ظلمات بعضها فوق بعض إذا مدَّ يده فيها ليسبح، لا يكاد يرى يده من شدة الظلام، فهم لا ينتفعون بأعينهم وأبصارهم كما لا ينتفعون بأعمالهم.

﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ، لَمْ يَكْذِبْ بِهَا﴾: مبالغة في عدم القدرة أو نفي الرؤية كاملاً فهو لا يرى يده. فقد تبين أنه كلما زاد العمق زاد الظلام وبيد الظلام على عمق (٢٠٠ متر) وينعدم على عمق (١٠٠٠ متر) حيث تختفي الأشعة ويحل الظلام الدامس.

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾: أي فمن أراد أن يتخبط في ظلمات الضلال والجهل والشرك والكفر، ولا يريد أن يخرج منها وهو راضٍ بذلك ولا يلتمس أيٍّ مخرج أو نور؛ ليخرج منها، فليعلم أن الله لا يهديه أو يوفقه. وهذه أربعة آيات أخر تعتبر أدلة وبراهين على قدرة الله وعظمته، وأنه هو الخالق لا إله إلا هو الذي يحب أن يطاع ويعبد وهي:

١ - كل من في السموات والأرض والطير، والحيوان والنبات والجماد يصلي ويسبّح له.

٢ - إنزال المطر والثلج والبرد من السحب

٣ - تقلب الليل والنهار.

٤ - وأنواع المخلوقات وأشكالها وأنواعها، وكيف تسير وتمشي.

[٤١] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾:

الدليل أو البرهان الأول:

﴿الَّذِينَ﴾: الهمزة للاستفهام، وقد لوحظ أن القرآن يستعمل (ألم) للأمر الغائب غير المشاهد كما في هذه الآية، حيث لا نرى ولا نشاهد صلاة ولا تسبيح



الطير، بينما (أولم) تستعمل للأمر الحسي المشاهد والحالات الأشد إنكاراً، ومجيء الواو في كلمة (أولم) تدل على شدة الإنكار بدلاً من (ألم).

﴿نَرَ﴾: أي: ألم تعلم أو ينته إليك العلم، والرؤية هنا رؤية قلبية وليس بصرية، وحين يخبرنا الله عن شيء كما هو الحال في هذه الآية يخبرنا عن صلاة وتسبيح الطير، فهذا الخبر من الله أوثق وأصدق مما لو رآته أعيننا. ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: للتعليل والتوكيد.

﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ارجع إلى سورة الإسراء الآية (٤٤) للبيان، وسورة الحديد آية (١).

يسبح: من التسبيح وهو تنزيه الله تعالى ذاته وصفاته وأسمائه من كل نقص وعيب وعما لا يليق به، من: للعاقل وتعني الإنس والجن والملائكة.

﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ﴾ أي: باسطات أجنحتها؛ لكي تظلّ معلقة في جو السماء لكي لا تسقط. ارجع إلى سورة الملك آية (١٩) لمزيد من البيان. وعطف الطير (غير العاقل) على العاقل من خصوصيات القرآن الكريم، كما رأينا في سورة الحج آية (١٨)، وسورة الرعد آية (١٥).

والطير صافات (ذكر الخاص) بعد ذكر العام وهو (ما في السموات والأرض) للاهتمام أو الأهمية، فلماذا خصها بالذكر مع أنها داخلة في (من في السموات والأرض)؛ لأن الطير آية من آيات الله تعالى الخاصة؛ فالطيور بأنواعها التي قدرها العلماء بـ(٩-١٠) آلاف نوع، وأجنحتها المختلفة الشكل والحجم، وقدرتها على الطيران تدل على عظمة قدرة الخالق؛ فلا تسقط على الأرض رغم وزنها وخضوعها لقانون الجاذبية الأرضية.

﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾: كل طير، قد: للتحقيق والتوكيد، علم صلاته



وتسبيحه: علم كيف يصلي ويسبح بطريقته الخاصة به؛ أي: له صلاة وتسبيح يختلف عن الآخر؛ لأنه سبحانه الذي خلقها هداها إلى هذا التسبيح والصلاة، كل: قد تعود إلى كل ما في الوجود بما فيه الطير لقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: وأنتم لا تفقهون تسبيحهم ولكن الله يعلم بكل ما يفعلون، يفعلون: ولم يقل يعملون؛ لأن العمل عادة يخص ذوي العقول والعمل يعني الفعل والقول، يفعلون: يخص ذوي العقول وغير العاقل والطير.

[٤٢] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾:

﴿وَلِلَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، فقط لله وحده لا غيره، واللام (لله) تفيد الملكية والاختصاص.

﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي له حكم السموات والأرض بما أنه خالق السموات والأرض فهو مالك لهنّ وما فيهنّ فهو المالك والحاكم، وهنا ملك السموات والأرض يعني بشكل خاص الحكم فهو الحاكم، وحينما يقول: لله ما في السموات والأرض؛ تعني: المُلْك هو المالك.

﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾: إلى الله سبحانه النهاية والعودة؛ أي: الوقوف بين يديه للحساب.

[٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدَفَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾:

الدليل والبرهان الثاني:



﴿الزَّرَّ﴾ ألم تعلم، أو ألم تر رؤية قلبية وبصرية، ارجع إلى الآية السابقة لمعرفة معنى (زر).

﴿أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي﴾ (يحرك ويسوق) السحاب المتشكل من بخار الماء الخارج من البحار والمحيطات والأرض.. ثم يؤلف بينه: أي بين السحب المبسوطة (السحاب).. حتى تصبح سحباً ركامية، عندها ترى الودق (المطر) ينزل منها وهذا تفصيل ما يحدث من الناحية العلمية.

﴿اللَّهُ يُزْجِي سَحَابًا﴾ أي: يحرك برفق أو يدفع ببطء سحباً، والسحاب عبارة عن بخار الماء المحمول بالرياح، وقد تبين أن بخار الماء أثقل من الهواء فعندما يتحرك الهواء يجد مقاومة من بخار الماء.

وهذه السحب تسمى السحب المبسوطة وهي لا تمطر حتى تتلحق برياح حاملة لهباءات الغبار، فتتحول ذرة بخار الماء إلى نوى تكثف وحينما تصل إلى كثافة معينة تنزل مطراً.

عندما تلتقي سحابتان كل سحابة لها تركيب مختلف عن الأخرى من حيث التركيب الكيميائي ودرجة الحرارة وكمية بخار الماء وغيرها، فحين تلتقي السحب التي تتحرك بشكل أفقي بغيرها من السحب؛ أي: تصطدم أو ﴿يُؤَلَّفُ بَيْنَهُ﴾: تتحرك السحب إلى الأعلى بشكل رأسي أو هرمي، وتكون سرعتها القصوى في المركز فتتصاعد السحب لتشكل السحب الركامية التي قد يبلغ طولها (١٠ - ٢٠) كم وحينما يصل بخار الماء إلى الطبقة المنخفضة الحرارة ينزل بشكل مطر.

﴿فَرَى الْوَدْقَ﴾: أي: المطر الغزير أو الخفيف يخرج من خلاله، وكذلك في هذه السحب الركامية يتشكل الثلج والبرد. وهناك السحب الأفقية التي

تشكل فوق الجبال والهضاب فإذا وصلت الأرض نسميها الضباب، وهناك السحب المبسوطة تشكل الغيوم (السحب البيضاء).

﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، الودق: المطر بشكليه الشديد والخفيف.

﴿وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِزَاجًا فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾: وينزل من السماء من جبال (هي السحب الركامية التي قد تبلغ (٢٠) كم طولاً).

وعندما تصعد السحب الركامية وتعلو، وعندما تصل إلى درجة الصفر يتحول المطر النازل إلى قطرات من البرد أو الثلج، إذا تجمد الماء بسرعة شكل كرات البرد، وإذا تجمد ببطء يتبلور إلى كرات الثلج، فيصيب به (بالبرد) من يشاء. البرد ليس هو الثلج، البرد كتل مدورة من الجليد يختلف حجمها وقد تكون كبيرة فتسقط فتؤدي إلى ضرر وتلف في المنازل والسيارات. من يشاء أي: الكفار والمشركين أو العصاة، ويصرفه عمّن يشاء: عن عباده المؤمنين.

﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾: سنا بركه: الضمير يعود على البرد وليس البرق.. فالذي يسبب البرق هو البرد ولا أحد يظن أن هناك علاقة بين البرد والبرق، فقد اكتشف أن الماء حين يتحول من حالة إلى حالة يطلق شحنة كهربائية تصل إلى آلاف الفولتات بالثانية، فإذا نظر الإنسان إلى وهج هذا البرق قد يؤدي ذلك إلى فقدان الرؤية لفترة قصيرة، وإذا نظر إلى فترة طويلة قد يحرق شبكية العين ويفقد بصره كاملاً، ويعود ذلك إلى تغير مادة الودسين التي تعين على الرؤية، فالدراسات العلمية للسحب تؤكد ما جاء به القرآن الكريم من أكثر من (١٤٠٠) سنة.





سُورَةُ النُّورِ ٢٤

الجزء الثاني عشر

يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن
يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ
وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ
ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ
يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفَى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ
أَن يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾
إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن
يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ
﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أُمِّرَتِهِمْ لَيَخْرُجَنَّ قُلُوبُهُمْ
لَا تَقْسِمُ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾



سورة النور [الآيات ٤٤ - ٥٣]

[٤٤] ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾:

الدليل أو البرهان الثالث:

﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: إشارة إلى كروية الأرض ودورانها حول محورها وحول الشمس مما يؤدي إلى تبادل الليل والنهار، ويشمل هذا التقلب تغير درجات الحرارة بالبرد والحر والدَّفء أو الاعتدال، ففي الليل نرى درجات الحرارة تزداد أو تنخفض، وكذلك في النهار في مطلع النهار وآخره فلا تبقى على حالة واحدة، هذا التغير في درجات الحرارة والبرد من تدبير الخالق وتصريفه وحكمته، ودلالة على قدرته وعظمته ووحدانيته مما يدركه أولو الأبصار.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: إن: للتوكيد، في: ظرفية، ذلك: اسم إشارة يشير إلى كروية الأرض ودورانها، وهذا التغير في درجات الحرارة والجو والمناخ.

﴿لَعِبْرَةً﴾: من العبور من الجهل إلى العلم: من الآيات التي تعبر بالإنسان للوصول إلى الإله الحق والصواب، أن الله سبحانه المدبر الخالق والذي يجب أن يطاع ويعبد.

﴿لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾: ذوي؛ أي: أصحاب البصيرة والبصر.



[٤٥] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

والدليل أو البرهان الرابع على قدرة الله وعظمته يتمثل في ظاهرتين: الماء والمشي.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾: تعريف الدابة: كل ما يدب على الأرض بما فيها الإنسان والحيوان، حتى النملة وما يشبهها له ديب.

من ماء: من ابتدائية استغرافية تشمل كل دابة، وتختلف نسبة الماء في تركيب هذه الدواب فقد تصل إلى نسبة عالية (٧٠) بالمئة أو أكثر، وقد تصل إلى نسبة ضئيلة جداً كما هو الحال في السمك مثلاً، وكما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، والطين يعني: التراب + الماء.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾: فمنهم تعود على الدابة، من يمشي: المشي هو الانتقال من مكان إلى مكان آخر ولو بعدة خطوات أو ستيمرت أو أقل من ذلك أو أكثر، وإذا امتد المشي وطال يسمى السير، والسير: يستعمل للسفر والتجارة. يمشي على بطنه: كالزواحف والحيات بدون أرجل.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾: الإنسان وبعض الحيوانات.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾: ومن يمشي على بطنه أعجب ممن يمشي على رجلين ممن يمشي على أربع بدأ بالأصعب إلى الأسهل.

انتبه في هذه الآية إلى عدة أمور:

١ - التدرج من المشي على البطن إلى المشي على رجلين إلى المشي على

أربع، التدرج من الأعلى تعقيداً إلى الأقل؛ فالذي يمشي على بطنه أعجب من الذي يمشي على رجلين، والذي يمشي على رجلين أعجب من الذي يمشي على أربع؛ لإظهار قدرته سبحانه وعظمته على الخلق بكل أنواعه وليس هو ترتيباً مبنياً على الجنس.

٢ - استعمل من للعاقل فقال: (ومنهم من يمشي) وكرر ذلك (ومنهم من يمشي) ولم يستعمل (ما) وغلب ضمير العقلاء على البقية.

﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾: يدخل فيها ما يمشي على أكثر من أربع أرجل أو غيره من أنواع المشي.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: إنَّ للتوكيد.

قدير: صيغة مبالغة: كثير القدرة؛ فقد خلق الله أكثر من (٨،٧ مليون) سلالة من الحيوانات في الأرض. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٠) لمزيد من البيان.

[٤٦] ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾:

بعد أن بين لنا الله سبحانه أربعة أدلة على عظمته وقدرته، يعود ليخبرنا بأنه تعالى:

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مُبِينَاتٍ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (٣٤).

﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: والله يهدي من يشاء من عباده للنظر والتأمل في هذه الأدلة والبراهين التي ذكرت في الآيات السابقة وغيرها من الآيات المنزلة للوصول إلى الحق والرشاد والإيمان بالله وحده والسير على دينه؛ أي: الصراط المستقيم.

[٤٧] ﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾:

أسباب النزول: كما ذكر الواحدي في (أسباب النزول): نزلت هذه الآية في رجل من المنافقين كان بينه وبين يهودي خصومة في أرض، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد ﷺ، وقال المنافق: نتحاكم إلى كعب بن الأشرف فإن محمداً يحيف علينا، فنزلت هذه الآية.

﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾: باء الإلصاق والتوكيد، يقولون آمنا: بأفواههم آمنا وصدقنا بالله وبمحمد وبما أنزل الله.

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: أي يفعلون ما يخالف ما قالوه بأفواههم؛ أي: يقولون ما لا يفعلون ويبطنون غير ما يظهرون، أو قول بلا عمل، يتولى فريق منهم: يعرض ويمتنع فريق منهم بتطبيق ما يدل على إيمانهم الصادق؛ أي: يقولون: آمنا بمحمد ﷺ كحال هذا المنافق ثم يريد أن يتحاكم إلى كعب بن الأشرف.

﴿وَمَا﴾: النافية.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد.

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾: الباء للإلصاق؛ أي: هم من المنافقين، ويقولون: بصيغة المضارع لتدل على التجدد والتكرار.

[٤٨] ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية فيها معنى الشرط، تستعمل للأمور الحتمية الحدوث وبكثرة.



﴿دُعَا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: إلى كتاب الله؛ أي: القرآن، ورسوله: ليحكم بينهم
بحكم الله؛ لأن حكم رسول الله ﷺ لا يكون إلا عن وحي كقوله تعالى: ﴿إِنْ
هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤]، وتعني: سنة رسول الله ﷺ بعد وفاته.
﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: اللام لام التعليل والتوكيد.

﴿إِذَا﴾: الفجائية.

﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾: معرضون عن المجيء إلى الرسول ليحكم بينهم
خوفاً من أن يحكم بالحق عليهم، أو لعلمهم أنه يحكم بالحق فلا يأتون إليه.
[٤٩] ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: شرطية تستعمل للأمر المحتملة والنادرة.

﴿يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾: أي إذا كان الحكم لصالحهم جاؤوا إليه
مذعنين مسرعين مطيعين منقادين، وتقديم (إليه) للاختصاص؛ أي: إليه وحده.
[٥٠] ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ
الْظَّالِمُونَ﴾:

﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا﴾: الهمزة همزة استفهام وتوبيخ وذم؛ أي: ما هو
سبب إعراضهم عن التحاكم إلى رسول الله، وقلوبهم المريضة بمرض النفاق
والحسد والريبة، (أم المنقطعة) ارتابوا في نبوة محمد؟ الريبة: هي الشك
والتهمة، أو ارتابوا فيما أنزل الله تعالى في القرآن. وانظر إلى جملة في قلوبهم
مرض (جملة اسمية) تدل على الثبات؛ أي: المرض متأصل في قلوبهم (مرض
النفاق) بينما ارتابوا أو يخافون (جملة فعلية) تدل على التجدد والتكرار؛ لأن
قلوبهم مريضة.



﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ أم: للإضراب الانتقالي (أم المنقطعة) والهمزة للاستفهام الانكاري والتوبيخ.

الحيف: هو ميل الحاكم إلى أحد الطرفين، أو الحيف: الظلم الناتج عن عدم العدل، وأصل الحيف: تحيقت الشيء: إذا أنقصته عن حافته.

﴿بَلْ﴾ للتقرير واليقين، للإضراب الانتقالي.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿الظَّالِمُونَ﴾: جمع: ظالم، هو كل من يخرج عن منهج الله عز وجل.

أي: يجب ألا يخافوا أن يحيف عليهم محمد؛ أي: يظلمهم بحكمه، وإنما هم الظالمون حين يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم أو يظلموا الناس ويأكلوا حقوقهم وأموالهم بالباطل، فهم الظالمون لغيرهم ولأنفسهم معاً.

انتبه إلى قوله: (أفي قلوبهم مرض): جملة اسمية تدل على الثبوت، أتبعها بجملة فعلية هي (أم ارتابوا) التي تدل على التجدد والتكرار.

الظالمون: جملة اسمية تدل على الثبوت؛ أي: مستمرون في الثبات على ظلمهم للناس.

[٥١] ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دُعوا إلى الله



ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا: سمعنا وأطعنا، أو إنما كان قول المؤمنين حقاً أو صادقاً الإيمان إذا دُعوا إلى الله (كتاب الله) أو دُعوا إلى الله رسوله ليحكم بينهم أن يقولوا، أن: للتعليل والتوكيد، ولم يقل: إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم؛ لأن حكم الرسول هو حكم الله تعالى؛ لأن الرسول ﷺ منفذ لحكم الله تعالى.

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: سمعنا حكم الله ورسوله، وأطعنا ما أمرنا به أو نهانا عنه، وإن كان الحكم لغير صالحهم؛ أي: ضدهم.

﴿وَأُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد.

﴿هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾: هم ضمير فصل يفيد التوكيد، المفلحون: المدركون والمحققون غاياتهم، الناجون من النار والفائزون بالجنة، ارجع إلى الآية (٥) من سورة البقرة؛ وتعني: إذا كان هناك مفلحون فهم في طليعة المفلحين ومقدمتهم.

[٥٢] ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: شرطية.

﴿يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: لأن طاعة الرسول من طاعة الله تعالى وطاعتهما واحدة، وتمثل الطاعة بامثال أوامر الله تعالى ورسوله؛ أي: يطع أوامرهما ويتجنب نواهيهما.

﴿وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ﴾: الخشية هي الخوف المصحوب بالشعور بعظمة الله الخالق، والمصحوب بالعلم به: صفاته، وأسمائه، وأفعاله، والخشية بالغيب وفي العلن، والتقوى: طاعة أوامر الله واجتناب نواهيها.

﴿فَأُولَئِكَ﴾: الفاء للتوكيد، أولئك: اسم إشارة للبعد.



﴿هُمُ﴾: ضمير فصل للتوكيد؛ أي: إذا كان هناك فائزون فهم في أول الفائزون أو في طليعتهم.

﴿الْفَائِزُونَ﴾: بالجنة ورضوان الله وبالبقاء السرمدي والتعيم الدائم.
[٥٣] ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ أُمِّرَتِهِمْ لَيَخْرُجَنَّ قُلٌ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَّعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾: وأقسموا من القسم، والقسم: أبلغ من الحلف، ولمعرفة الفرق بين القسم والحلف ارجع إلى الآية (٥٦) من سورة التوبة للبيان.
بالله: باء القسم، وأقسموا بالله لرسوله.

﴿جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾: بالغوا بمتتهى جهدهم في القسم؛ أي: أقسموا بأغلظ الأيمان وبمتتهى جهدهم ووسعهم.

ارجع إلى سورة الإسراء آية (٩١) للبيان.

﴿لَئِنْ أُمِّرَتِهِمْ﴾: اللام لام التوكيد، أمرتهم بالخروج إلى الجهاد.

﴿لَيَخْرُجَنَّ﴾: اللام للتوكيد، والنون في (يخرجن) لزيادة التوكيد.

﴿قُلٌ لَا تُقْسِمُوا﴾: هذا أمر من الله لرسوله بأن يقول لهم: لا تقسموا، ليس هناك حاجة إلى القسم بالله، إن الله يعلم نواياكم وهل أنتم صادقون أم لا، فهو مجرد قسم باللسان!

﴿طَاعَةً مَّعْرُوفَةً﴾: لا تقسموا بالله، إن الله يعلم ما نوع طاعتكم فهي طاعة معروفة عنده: مجرد طاعة باللسان وقول الكذب؛ أي: مجرد قول بلا فعل.



﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: إِنَّ للتوكيد، خير: ببواطن الأمور، بما تعملون؛ أي: تقولون وتفعلون، العمل: يشمل القول والفعل.

وقدّم (خير) على (ما تعملون) ولم يقل إِنَّ الله بما تعملون خير؛ لأنّ سياق الآيات في الحديث عن عظمة الله وقدرته، وعن أمور قلبية كالنفاق. ونوايا وإيمان وليس السّياق في عمل الإنسان.





سُورَةُ الْبُورَةِ ٢٤

الجزء الثامن

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ
إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَصْلَحْنَا
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
وَلَيَكْبِدَنَّ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ
وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَيَسْتَغْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ
وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى
بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾



سورة التَّوْرَةِ [الآيات ٥٤ - ٥٨]

[٥٤] ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾:

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: قل لهم يا محمد: أطيعوا الله فيما أمر به ونهى عنه وما أنزل لكم في الكتاب، وأطيعوا الرسول فيما أمر به ونهى عنه وما فصل لكم من الأحكام والشرائع.

والطاعة تعني: الانقياد لما يطلبه الشارع (وهو الله عز وجل) وكذلك الرسول ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمَّا أَنْتُمْ الرُّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَنْهُنَّكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُمْ﴾ [الحشر: ٧]. وقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وفي سورة آل عمران آية (٣٢) قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ بدلاً من ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ لمعرفة الفرق ارجع إلى سورة النساء آية (٥٩) وآل عمران آية (٣٢). ولنعلم أن طاعة الله وطاعة الرسول طاعة واحدة، وأن طاعة الرسول ﷺ فيما بين لنا من الأحكام المجملة.

﴿فَإِن﴾: الفاء للتعليل، إن: شرطية تستعمل للأمر المحتمل الوقوع مثل التولي.

﴿تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا ورفضوا وابتعدوا عن طاعة الله وطاعة الرسول.

وتولَّوا: أصلها: تتولَّوا، حذف إحدى التاءين؛ أي: يجوز في الفعل تولَّوا أن يكون ماضياً وأن يكون مضارعاً، والفرق بين تولَّوا وتولَّوا، تولَّوا تستعمل



للتوَلَّى القليل، وتوَلَّوا للتوَلَّى الكثير أو الشديد مثل توَلَّى المؤمنون يكون قليلاً يستعمل توَلَّوا، وفي سياق توَلَّى الكافرين أو المنافقين يستعمل تتوَلَّوا.

﴿فَإِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة، تفيد التوكيد.

﴿عَلَيْهِ مَا حِمْلٌ﴾: من أعباء الدعوة والتبليغ، وعلى: تفيد العلو والمشقة.

﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حِمْلٌ﴾: من وزر التوَلَّى والإعراض وعدم الطاعة، ولا يضره توَلَّيكم.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية، وأوسع شمولاً من الذي.

﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾: إن شرطية، تطيعوه: جاء بصيغة المفرد ولم يقل وإن تطيعوهما؛ لأن طاعتهم واحدة؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، تهتدوا: إلى الحق وتهتدوا إلى الصراط المستقيم الموصل إلى الغاية العظمى.

﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلْغُ الْمُبِينِ﴾: ما النافية، على: تفيد العلو والمشقة، إلا: تفيد الحصر، البلاغ: من التبليغ؛ أي: إيصال ما نُزِّل إليه من ربكم إليكم، المبين: أي إلى كل فرد بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وبشكل كامل دون نقص؛ أي: إبلاغكم الرسالة كاملة.

[٥٥] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ

بَعْدَ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿١٠﴾

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾: الوعد في القرآن يعني: بشارة خير إذا أُطلق،
بعكس الوعيد: يحمل معنى الإنذار والشر.

﴿مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: منكم أنتم أيها المسلمون خاصة، (وعملوا
الصالحات) ثلاثة أمور:

١ - الاستخلاف في الأرض ﴿لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾.

٢ - التمكين في الدين ﴿وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ﴾.

٣ - ليعملونهم من بعد خوفهم آمناً.

١ - الاستخلاف في الأرض: الاستخلاف من خلف: وله معانٍ عدة:
مجيء شيء بعد شيء ليقوم مقامه، وقد يعني العوض عن شيء فائت، وقد يعني
النيابة عن الغير أو التصرف في ملك الغير.

والاستخلاف في الأرض يعني: يخلف بعضكم بعضاً؛ يعني: السكن في
الأرض والتصرف وحسن التدبير وإقامة العدل وإصلاحها وإعمارها وعدم
الفساد، ومن حق الخالق مالك الملك أن يبدل المستخلفين إذا خالفوا العهد
أو الميثاق بالتولي أو الإعراض عن العمل الصالح والطاعة فيما أمر به، أو أمر به
رسوله ﷺ أو الفساد في الأرض بدلاً من إعمارها والعبث فيها...

والاستخلاف قرن بكلمة الأرض، فقال: (ليستخلفنهم في الأرض): وهذا
يدل على أنه محدود في الأرض وأنه استخلاف مؤقت، فالإنسان زائل (ميت)
والأرض نفسها سوف تزول وتبدل بأرض جديدة.



﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: الكاف للتشبيه؛ أي: استخلاف جيل بعد جيل. والنون في كلمة (ليستخلفنهم) تفيد التوكيد.

ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٦٩) لمعرفة الفرق بين خَلَفَ وَخَلَفَ.

٢ - ﴿وَلِيُمْكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾: ليتمكن: اللام للتوكيد وكذلك النون في (يمكنن) لزيادة التوكيد.

لهم: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر لهم خاصة.

دينهم الذي ارتضى لهم: أي الإسلام كما قال الله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

لهم: تعني أمة الإسلام خاصة.

والتمكين: يعني القدرة على إقامة شعائر الدين بغير خوف، والدعوة إلى الله والحرية وعدم القسر والإجبار والسلام..

٣ - ﴿وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾: أي يصبحوا في سلام وأمن واستقرار اقتصادي واجتماعي، وزوال أسباب الخوف فلا يخافوا غيرهم.

﴿يَعْبُدُونَنِي﴾: من العبادة: ارجع إلى الآية (١٠٦) من سورة الأنبياء والآية (٧٣) من سورة النحل.

يعبدوني: بإخلاص ووحداية، والمجيء: بياء المتكلم تدل على الاستمرار في العبادة بإخلاص لله تعالى ولا يتوقف ذلك.

﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾: لا النافية، شيئاً: نكرة، مهما صغر أو كبر أو مهما



كان نوع الشُّرك الجلي أو الخفي كالرياء حذف الياء يدل على عدم السماح لهم بالشرك مهما كان نوعه وقدره بما في ذلك الرياء.

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾: من شرطية، من كفر بعد نِعَم الاستخلاف والتمكين والأمن وعدم الخوف. والكفر في اللغة: هو الستر، وفي الشرع: هو الخروج عن الملة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٦) لمزيد من البيان.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء للتوكيد، أولئك: اسم إشارة للبعد.

﴿هُمْ﴾: تفيد التوكيد.

﴿الْفَاسِقُونَ﴾: الخارجون عن طاعة الله ورسوله. أو الدين، أو الذين لا يستحقون أن يكونوا مستخلفين في الأرض، وكل كافر فاسق، وليس كل فاسق كافر.

[٥٦] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾:

يمكن عطف هذه الآية على الآية (٥٤) والقول: قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: إقامة الصلاة: تعني أداءها لوقتها بأركانها وشروطها وسننها التامة، والمحافظة على خشوعها والدوام عليها وعلى الجماعة.

﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: المفروضة عليكم، وهاتان العبادتان هما من أهم العبادات وتمثلان باقي العبادات.

﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: أي: فيما بين لكم من الأحكام، وتكرار (وأطيعوا الرسول) للتوكيد فيما أتاكم به وما نهاكم عنه. ارجع إلى الآية (٥٤) من نفس السورة.



﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾: لعل: للتعليل، ترحمون: من الرحمة؛ أي: جلب ما يسر ودفع ما يضر، والتي من معانيها الوقاية من عذاب الله تعالى. ارجع إلى سورة الإسراء آية (٨).

[٥٧] ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِي النَّارِ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾:

﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾: لا: النّاهية، تحسبن: من حسب؛ وتعني: الظنّ الراجح أو الاعتقاد، أو رأي مبني على حساب حسي وقلبي قائم على النظر والتجربة والحساب.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: أي فائتين من عذاب، أو لا تحل بهم نقمة الله وعذابه.

﴿وَمَا لَهُمْ النَّارُ﴾: من المأوى، ارجع إلى الآية (١٨) من سورة الرعد.

﴿وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾: اللام للتوكيد، بش من أفعال الذم، المصير: أي بش النّهاية إلى النار والمآل.

[٥٨] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَفْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوْفُوتٍ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

أسباب النزول: نزلت هذه الآية كما قاله ابن عباس، وذكر الواحدي في (أسباب النزول): أن رسول الله ﷺ أرسل إلى عمر رضي الله عنه غلاماً له اسمه مدلج الأنصاري وقت الظهيرة؛ ليدعوه، فدخل على عمر رضي الله عنه وكان عمر نائماً على حال كره عمر رؤيته عليها، فلما أتى رسول الله ﷺ قال



عمر: يا رسول الله، وددت لو أنّ الله أمرنا ونهانا في حالة الاستئذان، فنزلت هذه الآية.

وقال مقاتل نزلت في أسماء بنت مرثد. والمهم هو بعموم اللفظ وليس خصوص السّبب.

﴿لَيْسَتْ عَلَيْكُمْ﴾: اللام: لام الأمر، أو لام التعليل، والسين والتاء: تدل على الطلب؛ أي ليطلب الإذن منكم في الدّخول عليكم أو علّموا هؤلاء المذكورين أن يستأذنوا عليكم.

﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: العبيد والإماء أو الخدم، الذكور والإناث، وتشمل كل إنسان.

﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ﴾: الصّبيان، والحلم؛ أي: لم يبلغوا سن البلوغ ويقدر بـ (١٤-١٥) سنة: سن التّكليف، حيث يدخلون ويخرجون دون ضابط.

﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾: أي في ثلاثة أوقات.

﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾: وقت مخصص للنوم.

﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ﴾: وقت القيلولة، وقت راحة قد يخلع الإنسان بعض ملابسه.

﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾: وقت النّوم.

﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾: هذه أوقات ثلاثة لا ينبغي لأحد أن يدخل عليكم إلا بعد الاستئذان منكم، يقرعوا الباب أو يُمنعوا من الدّخول عليكم إلا بالسّاعات المحددة لهم، ويسمي الله تعالى هذه الأوقات بأوقات العورة.



العورة في الأصل: الخلل والنقص، ثم أطلقت على ما يكره انكشافه والنظر إليه، هي ما بين السرة والركبتين في الرجل، وفي المرأة ما يستحي من كشفه. ارجع إلى كتب الفقه لمزيد من البيان.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾: يعني بعد هذه الأوقات الثلاثة لا إثم عليكم ولا عليهم أن يدخلوا عليكم أو تدخلوا عليهم.
﴿طَوَّفُونَ عَلَيْكُمْ﴾: للخدمة أو للحاجة.

طوافون: جمع طواف: اسم فاعل من: طاف يطوف؛ أي: يدخلون ويخرجون عليكم للحاجة.

﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: يطوف بعضكم على بعض، توكيد لما قبلها دخولاً وخروجاً.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾: أي كهذا التبيين الذي يبين لكم حكم الاستئذان، يبين الله لكم الآيات المشتملة للشرائع والأحكام الأخرى التي تحتاج إلى تبيان.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بأعمالكم؛ أي: أقوالكم وأفعالكم وما تحفون وما تبدون، وما تسرون وما تعلنون، وبنواياكم وما تخفي.

﴿حَكِيمٌ﴾: فيما شرع لكم وفرض عليكم، فهو أحكم الحاكمين وأحكم الحكماء. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

ما الفرق بين الآية (٥٨) ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ والآية (٥٩) ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؟

١ - الآيات: أعم من آياته.



٢ - إضافة الضمير إلى ذاته (آياته) سبحانه معناها: هي آيات أهم وأكد مقارنة بقوله: الآيات بشكل عام.

٣ - الآيات: تأتي في سياق المندوبات، أمّا (آياته) تأتي في سياق الحلال والحرام والأحكام الخاصة. ويمكن القول: حين يقول: (آياتي) هي أقرب إليه من القول (آياته)، والقول (آياته) أقرب إليه من القول (الآيات) فالتدرج من الأقرب إلى الأبعد يكون كما يلي: آياتي، آياته، آيات.





سُورَةُ النُّورِ ٢٤

الْبُرْجَانِ الْعَلِيِّ

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا اسْتَعِذَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ ۖ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ
نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ
غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ۖ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا
مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ
أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا
جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ
تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَاةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾



سورة النور [الآيات ٥٩ - ٦١]

[٥٩] ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَنْذِرُوا كَمَا اسْتَنْذَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية بمعنى: حين، وتفيد حتمية الحدوث وكثرته.

﴿بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ﴾: الحلم: البلوغ في الصبي، والاحتلام كما ورد في (القاموس المحيط): الجماع في النوم (الحلم). وقيل: نزول المني عند الاحتلام. وقيل: سن البلوغ؛ أي: أصبحوا قادرين على الإنجاب.

وقيل: ظهور شعر العانة أو سن (١٤ - ١٥) سنة، وقال: (بلغ الأطفال منكم الحلم) ولم يقل (بلغ الطفل) كما في الآية (٣١) من السورة نفسها، لأن الأطفال لم تعد ميولهم ورغباتهم وأفعالهم موحدة كالطفل الواحد قبل سن البلوغ، وإنما تعددت شهواتهم وميولهم ونظراتهم بعد سن البلوغ للناحية الجنسية.

﴿فَلْيَسْتَنْذِرُوا كَمَا اسْتَنْذَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: الفاء للتوكيد؛ أي: تغير حكمهم في الاستئذان فأصبحوا كالرجال فلا يدخلون إلا بعد الاستئذان وتطبق عليهم الأحكام الواردة في الآية (٥٨).

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: ارجع إلى الآية

السابقة (٥٨) للبيان.



[٦٠] ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَالْقَوَاعِدُ﴾ الواو عاطفة، والقواعد: لغةً: جمع قاعد، والقاعد: الرجل أو المرأة؛ يعني الذي قعد عن العمل، العاجز عن الحركة لعاهة أو مرض أو كبر في السن أو الشيخوخة.

وهنا يقصد بها النساء، العجائز اللاتي قعدن عن الحمل والحيض لكبر أعمارهن.

﴿لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾: والشرط الأهم من كل ذلك: لم يعد عندها إربة؛ أي: حاجة للرجال، وانقطع عنهن الحيض ويئسن من الولد وليس لهن رغبة في الزواج أو الشهوة الجنسية.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾: أيّ إثم أو ذنب أن يظهرن بملابسهن المعتادة إذا كانت لا تثير الشهوة.

﴿أَنْ﴾: تعليلية.

﴿يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾: أي ليس عليهن إثم إذا لم يلبسن العباءة من فوق الثياب، أو ما يسدل على الوجه لتغطيته، أو القناع، على شرط أن تكون غير متبرجة بزينة؛ أي: مظهره زينة لها مثل المكياج على الوجه، أو لبس الأساور والخلاخل في الرجلين، أو الثياب ذات الألوان غير المستساغة، أو الضيقة أو القصيرة أو الشفافة.

ولمعرفة الفرق بين ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾ و﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾ ارجع إلى سورة النساء آية (١٠١) لبيان الفرق.

﴿وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ خَيْرٌ لَهُمْ﴾: وأن: تعليلية وللتوكيد.

﴿يَسْتَغْفِرَ﴾: أي يحتفظن بملابسهن وثيابهن فلا يضعنها، وحتى لا تظهر كاشفة لوجهها أو لجسمها، والأفضل لها أن تكون ورعة في ملابسها ومظهرها بشكل عام وخاصة سلوكها.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لكل الأقوال ما يقال في السر والعلن.

﴿عَلِيمٌ﴾: بأفعالكم ونواياكم وسركم وجهركم، وبخائنة الأعين وما تخفي

الصدور.

[٦١] ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ يَمَانُكُم مِّمَّا بَيْنَكُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾: الحرج: الضيق، وقد يعني: الإثم، والحرج هو



الضيق لا منفذ منه، مأخوذ من الحرجة: وهي الشجر الملتف الذي لا يمكن الدخول فيه ولا الخروج منه.

أي: الضيق المتعلق بالحكم، فهذه الآية تتعلق بأصحاب الأمراض المزمنة حتى لا يصبحوا منبوذين في مجتمعهم، فلا بد من مساعدتهم أو الجلوس معهم والأكل معهم، والخرج المقصود في هذه الآية:

١ - قد يكون ناتجاً عن الأكل معهم، حيث الأعمى لا يرى حين يأكل وقد يضع يده في طبق طعام الآخرين فيؤدي إلى إزعاج الآخرين، أو مريض بمرض (ما) يظن الآخرون أنه مريض معدٍ، فلا يجالسوهم، أو الأعرج لا يعرف كيف يجلس، وبدأ بالأعمى؛ لأنه أشدهم عذراً، ثم المريض، ثم الأعرج.

٢ - أو يكون الحرج ناتجاً عن عدم القدرة على الخروج للجهاد، فإذا غزوا غيرهم أعطوا مفاتيح بيوتهم لهؤلاء القاعدين وكان هؤلاء يتحرّجون في دخول تلك البيوت وأصحابها غيبٌ، وعدم الأكل منها رغم السماح لهم.

أي: لا حرج؛ أي: لا إثم أو ذنب على هؤلاء المبتلين ولا عليكم أيها الأصحاء.

﴿أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾: أن: تعليلية وتفيد التوكيد، تأكلوا من بيوتكم:

هذه الآية ليس المقصود فيها بيوتكم خاصة، فمن أين نأكل إذا لم نأكل من بيوتنا؟! إنما المقصود بها بيوت أبنائكم؛ أي: أولادكم؛ لأنه لا ذكر لهم في بقية الآية؛ لكونهم يأتون في مقدمة المذكورين في الآية، فعلى الأب والأم ألا

يشعروا بحرج في الأكل من بيوت آبائهم أو يسألوهم الإذن، ولكي تأكلوا لا بدّ من الدّخول عليهم، فالآية تعني الدّخول والأكل.

﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ﴾.

﴿أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾.

﴿أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ﴾.

﴿أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ﴾.

﴿أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ﴾.

﴿أَوْ بُيُوتِ أَخَوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ﴾.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ﴾: المفاتيح كناية عن الإباحة والأكل بالمعروف على شرط أن يقولوا لكم: أحللنا لكم الأكل منها، أو يأذنوا لكم وإذا أعطيتكم مفاتيح بيوت إخوانكم في حال غيابهم، أو كنتم حراساً للبيت، أو كنتم تعملون خداماً أو غيره، لا بدّ لصاحب المنزل من الإشارة إلى هؤلاء بالسّماح، فالكثيرون لا يسمحون، حيث هؤلاء يتقاضون أجره عملهم مثلاً.

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾: ولم يقل أصدقاؤكم: كلمة (صديق) تستعمل للجمع والمفرد، وبما أنّ الأصدقاء كلّهم يشبه بعضهم بعضاً وعلى قلب واحد، ولو لم يكونوا كذلك لجاء بصيغة أصدقاؤكم؛ لأنّ صداقة المؤمنين واحدة: صداقة في الله، ولذلك أفردّها.



﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾: جميعاً: مجتمعين أو أشتاتاً: متفرقين كل على حدة، حيث كان بعضهم يتحرّج أن يأكل لوحده.
﴿فَإِذَا﴾: شرطية حتمية.

﴿دَخَلْتُمُ بُيُوتًا﴾: (بيوتاً) نكرة؛ أي بيوتاً مسكونة أو غير مسكونة.

ارجع إلى الآية (٢٧) من السّورة نفسها.

﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾: الفاء للتوكيد، (سلّموا) على أهليكم أو على غيركم بالقول: السّلام عليكم؛ لأنك حين تسلّم على غيرك كأنك تسلّم على نفسك؛ لأنّه يردّ عليك السّلام، أو دخلتم بيوتاً ليس فيها أحد فسلّموا على أنفسكم، قولوا: السّلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. والبيوت قد تكون بيوت الله أو بيوت الغير.

﴿تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَاةٌ طَيِّبَةٌ﴾: تحية وصفها بثلاث صفات: من عند الله أولاً؛ أي: مشروعة من عند الله، مباركة: تحية ذات بركة فيها (٣٠-٤٠) حسنة، طيبة: حسنة يرجى منها زيادة الخير، يطيب بها قلب المستمع وتدخل السّلام والأمن على قلب المؤمن وتنشر المحبة.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: كمثل هذا التّبيين في آيات الأكل والسّلام يبين الله لكم معالم دينكم والأحكام أو الشّرائع الأخرى.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لعل: للتعليل، (تعقلون) من: عقل الشّيء: عرفه

بدليله وفهمه بأسبابه ونتائجه، وقارنه بغيره ووصل إلى الحقيقة وهي رضوان الله
وامتثال أوامره وتجنّب نواهيه.

تعقلون: أي ولعلكم تعملون بها، وهذه هي الغاية أو تدركون الحقيقة
المرجوة، وهي الإيمان بالله، وتطبق أحكامه وشرائعه.





سُورَةُ الْفُرْقَانِ ٢٥

الجزء الثاني عشر

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ
عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمْ
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ
يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذٍ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ
أَن يُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ
يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا
﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾



سورة النور [الآيات ٦٢ - ٦٤]

[٦٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا إِنْ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

المناسبة: بعد ذكر آيات الاستئذان بالدخول والأكل، يذكر الاستئذان بالخروج من عند رسول الله ﷺ.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: أي آمنوا بالله إيمان عقيدة، آمنوا بالله؛ يعني: به وبكتبه ورسله وملائكته والقدر خيره وشره، إيمان توحيد وطاعة وتصديق بما أنزل وطاعة للرسول، ثم يتطرق إلى أمر خاص بالرسول والصحابة: (وإذا كانوا معه على أمر جامع): في اجتماع ومشاورة في جهاد أو أمر يهمهم أمر المسلمين.

﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾: لم النافية، يتركوا المجلس أو يخرجوا حين انعقاد المجلس عند رسول الله ﷺ.

﴿حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا﴾: حتى حرف نهاية الغاية؛ أي: حتى يستأذنوا رسول الله ﷺ بالخروج وترك المجلس.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة.



﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: أي طلب الإذن من رسول الله لهم بالخروج دليل على صدق إيمانهم بالله ورسوله وطاعة لله تعالى.

﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ﴾
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

﴿فَإِذَا﴾: ظرفية شرطية.

﴿اسْتَأْذَنُوكَ﴾: طلبوا الإذن بالخروج قبل انتهاء المجلس أو المشاورة.
﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾: لأمر عاجل، أو حدث أمر طارئ لأهاليهم أو ممتلكاتهم.

﴿فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ﴾: بالخروج والانصراف حسب ما تراه في مصلحة المسلمين؛ لأن مصلحة الأمة أو الجماعة مقدمة على المصلحة الفردية، والأمر لك تقدره حسب ما تشاء فتأذن لمن تشاء.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: أي كل استئذان بدون سبب قاطع أو حاسم لا يحبّذه الله تعالى ولا يسمح به، والأفضل ألا يستأذن أحد رسول الله ﷺ، والإذن يوجب الاستغفار، فإذا حدث ووقع الاستئذان، ومهما كانت أسبابه، يقتضي الاستغفار لهم من قبل رسول الله ﷺ، وهم أنفسهم كذلك يستغفرون الله تعالى.

ولماذا الاستغفار؟ لما قد يقع من الاستئذان بغير عذر شرعي يبيح الاستئذان.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: أي كثير المغفرة، والمغفرة تعني: ستره ذنوبكم ولا

يفضحكم عليها ولا يعاقبكم على خروجكم بعد الاستئذان من عند رسول الله بغير عذر.

رحيم بالمؤمنين، رحيم: صيغة مبالغة؛ لأنه يقبل توبة واستغفار العبد ولا يعاقبه على ذنبه، ولأنه دائم الرحمة.

[٦٣] ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

هذا هو الأدب الثاني بعد أدب الاستئذان بالخروج؛ وهو: أدب النداء أو دعاء الرسول ﷺ.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾: لا الناهية، (تجعلوا دعاء الرسول): لا تنادوا على رسول الله كنداء بعضهم بعضاً، بأن تقولوا: يا محمد، يا ابن عبد الله، يا أبا قاسم! ولكن نادوه بتوقير واحترام وتواضع وخفض الصوت، حتى ولو بعد وفاته وحين تذكرون اسمه بالقول: يا أيها الرسول، يا أيها النبي، يا نبي الله، يا رسول الله.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾: قد للتحقيق والتوكيد، يتسللون: من التسلل هو: الخروج في خفية كما كان يفعل المنافقون حين يخرجون من مسجد رسول الله ﷺ أو المجلس أو الدرس أو المشاورة؛ يتسللون: من تسلل؛ أي: تكلف أو فعل جهده في الانسلاخ كي لا يراه أو يشعر به أحد؛ منكم: خاصة من المسلمين، لَوَاذًا: أي: يستتر بشيء ما مثل حائط أو غيره مخافة أن يرى، أو يلوذ شخص بشخص آخر.

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:



﴿فَلْيَحْذَرِ﴾: الفاء للتوكيد، (ليحذر) اللام للتوكيد، يحذر من الحذر هو توقّي الضرر سواء كان الضرر متيقن الحدوث أو ظناً.

﴿الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾: أمره سواء كان أمر الله تعالى أو أمر الرسول ﷺ فالأمر واحد، (يخالفون) من المخالفة: تعني اتخاذ أو سلوك طريق مخالف لما أمر الله به أو رسوله، أو الإعراض أو الرّفص أو العصيان، عن: تفيد المجاوزة والابتعاد، أمره: من الأمر، ب: افعل ولا تفعل.

﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: أن: للتعليل والتوكيد، تصيبهم فتنة: زيغ أو ضلالة أو كفر، أو بلاء ومحنة كالجوع والفقر والمرض.

﴿أَوْ﴾: للتقسيم أو المساواة أو التّخير.

﴿تُصِيبُهُمْ﴾: تكرار الإصابة للتوكيد.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مثل القتل أو الجوع، أو المرض أو الشّدّة وغيرها في الدنيا، أو عذاب أليم في الآخرة، أليم لا يطاق، أو لا يستطيع أن يتحمّله بشر.

[٦٤] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَبَوْمَ تَرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿أَلَا﴾: أداة تنبيه لشيء مهم يجيء بعد التنبيه.

﴿إِنَّ لِلَّهِ﴾: إن: للتوكيد، لله: جار ومجرور، لفظ الجلالة، وتقديمه يدل على الحصر والقصر، فكل ما في السّموات والأرض ملكه وحده لا يشاركه فيه أحد.

﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ما لغير العاقل وكذلك العاقل، ما في السّموات:

ملكاً وخلقاً وعبيداً، في: ظرفية ظرفاً ومظروفاً؛ أي: السَّماء نفسها (السَّموات السبع) وما فيها من نجوم وكواكب ومجرات وأقمار وشموس وأفلاك.

﴿وَالْأَرْضِ﴾: ملكاً وخلقاً وعبيداً، وما فيها من خيرات وآيات كونية وأشجار وبحار وجبال وأنهار وكنوز.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يفيد التوكيد، توكيد العلم؛ أي: يعلم ما أنتم عليه بدون شك أو ريب.

﴿يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾: ما اسم موصول بمعنى الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي، أنتم عليه: من طاعة أو مخالفة لأمر الله ورسوله، ما أنتم عليه من إيمان أو نفاق أو خير أو شر، ما أنتم عليه من حال وشأن في كل زمان ومكان.

﴿وَبَوَّرَ﴾ أي: يوم القيامة، ونكّره للتهويل والتّعظيم.

﴿يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾: يُرجعون إليه بغير إرادتهم؛ أي: قسراً رغم أنوفهم.

﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾: فينبئهم: من النّبأ وهو: الخبر الهام العظيم، بما: الباء للإلصاق، ما: بمعنى الذي، عملوا: في الدّنيا من خير أو شر من طاعة ومعصية، من حسنات وسيئات.

الانتقال من صيغة المخاطب (يعلم ما أنتم عليه) إلى صيغة الغائب
﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ للتنبيه والتحذير من مخالفة أمر الله ورسوله.

﴿وَاللَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: ارجع إلى الآية (٢٩) من سورة البقرة للبيان.





سُورَةُ الْفُرْقَانِ ٢٥

الْبُرْجُ الْوَاحِدُ عَشْرًا

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ
عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرُ لَهُمْ
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ
يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذٍ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ
أَن يُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ
يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعٰلَمِينَ نَذِيرًا
﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ بَقَدِيرٍ ﴿٢﴾





سورة الفرقان [الآيات ١ - ٢]

ترتيبها في القرآن السورة (٢٥)، وأما ترتيبها في النزول فهي (٤١) بعد سورة يس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾:

﴿تَبَارَكَ﴾: ارجع إلى الآية (١) من سورة الملك للبيان.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم يعود على الله سبحانه.

﴿نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾: ولم يقل: أنزل، نزل: تعني منجماً على دفعات خلال (٢٣) عاماً، بينما أنزل: تعني جملة واحدة، وكان ذلك في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا. الفرقان: القرآن وسُمِّي الفرقان؛ لأنه فرَّق بين الحق والباطل والهدى والضلال والحلال والحرام، والفرقان: صفة (نعت) أو اسم للقرآن على وزن فعلان، وهو في الأصل مصدر لفعل فرَّق يفرِّق، وقد يطلق على التوراة، وعلى كل ما يفرِّق بين الحق والباطل كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] أي: يوم بدر.

﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾: على: تفيد العلو والسمو، عبده: محمد ﷺ والعبودية لله شرف وعزة. وإضافة هاء الضمير تزيد رسول الله ﷺ شرفاً.

﴿لِيَكُونَ﴾: السلام: لام التعليل والتوكيد، وتعود على الفرقان أو العبد أو كلاهما.



﴿لِلْعَالَمِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، العالمين: جمع عَالَمٍ والعوالم: منها عالم الملائكة والإنس والجن والحيوان والنبات والجماد، ومعظم العوالم إلا الإنس والجن عوالم مسخرة وليست مخيرة، فالإنذار لا يشملها.

﴿نَذِيرًا﴾: من الإنذار وهو الإعلام المقرون بالتحذير والتخويف. نذيراً: أي: يكون محمد ﷺ للعالمين نذيراً، وقد تعود على القرآن أي: يكون هذا القرآن نذيراً للعالمين أو كلاهما معاً. ولم يقل: بشيراً ونذيراً: حذف بشيراً؛ لأن سياق الآيات القادمة تتحدث عن الذين كفروا وأنكروا نزول القرآن وأنه أساطير الأولين. وتقديم للعالمين: للحصر أي: للإنس والجن خاصة نذيراً بدلاً من القول ليكون نذيراً للعالمين.

[٢] ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رُفِعَ نَقِيرًا﴾:

تبارك الذي نزل الفرقان، تبارك الذي له ملك السموات والأرض.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد العظيم.

﴿لَهُ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر.

﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: المُلْك: الحكم، يعني: الحاكم والمالك للسموات والأرض وما فيهن من شيء مثل: خزائن السموات والأرض من الرزق والنبات والمطر والمعادن والكنوز، ولا يشاركه في ذلك أحد لا ولد ولا شريك ولا ولي، وبما أنه هو الحاكم والمالك فهو المستحق للعبودية وحده.

﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾: ولم: حرف نفي، والنفي بحرم (لم) أوكد من النفي بحرف (ما)؛ يتخذ من اتخذ وتخذ من أفعال التحويل والتصيير على وزن افتعل فيها معنى التكلف والجهد، وتأتي في أفعال الشر، أي: ولم يجعل له ولداً؛ لأنه

سبحانه لا يحتاج إلى ولد؛ لأنه هو الحي القيوم لا يموت ولا يزول ولا يحتاج إلى ولي ولا نصير.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾: تكرر ولم يكن للتوكيد، ولم: حرف نفي تنفي النفي المستمر الذي لا ينقطع أي: لم يكن له شريك في الملك في الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾: خلق: من العدم، أو من شيء أو بعض الشيء، والخلق في اللغة التقدير.

الشيء: كل ما يعلم ويخبر عنه، سواء كان حسياً أو معنوياً والشيء تعني أيضاً أقل القليل.

وكل شيء: شيء نكرة تشمل كل شيء مهما كان نوعه وحجمه ولونه ووزنه وصفته، والخلق: يعني التقدير والتسوية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

﴿فَقَدَرَهُ﴾: بالمحفوظة الوراثية التي تحوي أبعاده طوله وعرضه وارتفاعه وحجمه ووزنه ولونه وصفته وجنسه ونوعه ووظيفته وأعضائه أو أجزاءه ومعيشته وغذائه وحياته وموته.

﴿نَقْدِيرًا﴾: للتوكيد.





سُورَةُ الْفُرْقَانِ ٢٥

الْبَيْتُ الْوَاحِدُ عَشْرًا

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا آفَكٌ
أَقْرَبُهُ وَاعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا
﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا
مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ
لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُقَلِّقَ
إِلَيْهِ كَنْزًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ أَنْظِرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَل فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ
كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾



سورة الفرقان [الآيات ٣ - ١١]

[٣] ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾:

بعد أن أثنى سبحانه على ذاته، وذكر خمسة أمور هي: نزل الفرقان، وله ملك السموات والأرض، ولم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، وأنه خلق كل شيء فقدره تقديراً، جاء بـ(٦) أدلة وبراهين قاطعة أو أسباب على أن ما يعبدون من دونه من آلهة لا تستحق العبادة فقال:

﴿وَاتَّخَذُوا﴾: من اتخاذ بمعنى: التصيير والجعل، أو عبدوا. ارجع إلى الآية السابقة (٢).

﴿مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾: الآلهة: مثل الأصنام والأوثان آلهة يعبدونها.

الدليل الأول: على أنها آلهة باطلة لا تسمع ولا تبصر، ولا تعقل ولا تغني شيئاً ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾: مهما كان هذا الشيء صغيراً أو كبيراً ومهما كان نوعه حتى الذباب، كما ذكر ذلك سبحانه في سورة الحج آية (٧٣) ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾.

الدليل الثاني: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: أي: هذه الآلهة هي نفسها مخلوقة، خلقها الخالق، فكيف تخلق؟

الدليل الثالث: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: أي: لا تملك لأنفسها ولا لغيرها ضراً؛ أي: لا تضر من يعصها أي شيء ولا تنفع من يعبدها



بأي شيء، وقدّم الضرر على النفع في هذه الآية؛ لأن ضررها أكثر من نفعها كقوله تعالى: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ [الحج: ١٣]. ارجع إلى تلك الآية لمزيد من البيان.

الدليل الرابع: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾: لا تملك موتاً؛ لأن من صفات الإله الحق هو الذي يحيي ويميت.

الدليل الخامس: ﴿وَلَا حَيَوَةً﴾: أي: لا يقدرّون على إحياء أي شيء.

الدليل السادس: ﴿وَلَا نُشُورًا﴾: النشور: إحياء الموتى بعد الموت. وتكرار لا يفيد التوكيد. وفصل كلّ واحدة على حدة أو الكل مجتمعاً.

وهناك الكثير من الآيات القرآنية تؤكد هذه الآية كقوله:

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢٠-٢١].

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ.﴾ [الحج: ٧٣].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [فاطر: ٤٠].

﴿قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً﴾ [الرعد: ١٦].

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِثْلَ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠].

﴿أَوِ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنْ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١].

[٤] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءَ ظُلْمًا وَزُورًا﴾:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أمثال النضر بن الحارث وغيره كما قال مقاتل، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب.

﴿إِنْ﴾: نافية بمعنى ما و(إِنْ) أشد وأقوى نفيًا من (ما).

﴿هَذَا﴾: اسم إشارة والهاء للتنبيه وذا اسم إشارة يشير إلى القرآن الكريم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿إِفْكُ افْتَرَاهُ﴾: الإفك: هو الكذب المتعمد، وهو أسوأ من الكذب، ومشتق من قلب الكلام الحق إلى الباطل، من إفكه: بمعنى قلبه. افتراه: ادعاه أو زعمه أي: القرآن الكريم ليس كلام الله، بل هو كلام محمد ﷺ.

﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾: ساعده على الإتيان به قوم آخرون أمثال يسار غلام عامر الحضرمي وعداس وجبر مولى لعامر، وهم من أهل الكتاب كما قال مقاتل.

﴿فَقَدْ جَاءَ ظُلْمًا وَزُورًا﴾: الفاء: للتوكيد، قد: للتحقيق والتوكيد، جاؤا: هؤلاء الذين كفروا وقالوا: هذا القرآن إفك وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا بالكذب وبالظلم.



﴿ظُلْمًا﴾: الجور: أي: الحكم بغير الحق أي: اتهموا القرآن الحق بأنه إفك مفترئ بالزور هو في الأصل تحسين الباطل، والزور: هو الميل عن الصدق والانحراف عن الحق، ومنها شهادة الزور، ويعني: الكذب.

وقدّم الظلم على الزور؛ لأن المفروض من يصدر الحكم أن يسمع إلى الشهادة أولاً، ثم يصدر الحكم ثانياً، فهم نطقوا بالحكم بغير الحق، والتمسوا له الدليل أو الشهادة.

أي: قد ظلموا: جاروا في الحكم حين زعموا أن القرآن مفترئ وأعانه عليه قوم آخرون، وكان دليلهم أو شهادتهم هو الكذب والزور وقولهم: أساطير الأولين.

[٥] ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ اَكْتَتَبَهَا فِي تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: أي: كفار مكة ومشركوها.

﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أي: هذا القرآن هو من أساطير الأولين جمع أسطورة من أكاذيب وروايات الأولين وأساطيرهم التي سطورها في كتبهم القديمة. ﴿اَكْتَتَبَهَا﴾: أي: لم يكتبها بنفسه، بل أمر أو سأل غيره ليكتبها له؛ لأنه لم يكن كاتباً.

﴿فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: فهي: للتوكيد، تملّي عليه: أي: تُقرأ عليه وتلقّى إليه من الإملاء، ليحفظها صباحاً ومساءً، أي: في جميع الأوقات باستمرار وليس عند الله.

[٦] ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أنزله: أي: القرآن، جملة واحدة (دفعه واحدة) من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لمزيد من البيان للفرق بين أنزل وأنزل.

الله الذي يعلم السر في السموات والأرض: السر هو ما تسره أي: تخفيه في نفسك ولا يعلمه إلا أنت فقط، أي: لا تخفى عليه خافية، يعلم السر وأخفى: كل ما يجري في السموات والأرض من أحداث وأفعال وأقوال، ولم يقل: أنزله الذي يعلم السر والجهر؛ لأن من علم السر من البديهي أن يعلم الجهر، أو هو أعلم بالجهر، ولو كان هذا القرآن مفترئ أو أعانه عليه قوم آخرون لعلم الله سبحانه ذلك، وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ ٤٤ ﴿لَاخْذًا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ٤٥ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٥-٤٦].

﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: إنه: للتوكيد، كان وما زال وسيظل كان تشمل كل الأزمنة.

غفوراً: صيغة مبالغة كثير الغفر أي: الستر ومحو الذنب وترك العقوبة، ومهما كثرت الذنوب أو تعاظمت فهو الغفار والغفور.

رحيماً: بعباده يقبل توبتهم ولا يعجل لهم العقوبة لعلهم يتوبون ويرجعون إلى الله، ويغفر الذنوب جميعاً إذا تاب الإنسان وأناب إلى ربه.

ولمقارنة هذه الآية بقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنبياء: ٤٠] ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٤) للبيان.



[٧] ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾:

هم أنكروا أن يكون الرسول بشراً فهم يريدون أن يكون ملكاً من الملائكة، لا يأكل الطعام ولا يمشي في الأسواق، أو كأنهم يعترضون على نبوته بسبب الأكل والمشي حيث ضاقت بهم الأسباب حتى لا يجدوا إلا هذه الأسباب السخيفة.

﴿وَقَالُوا﴾: أي: رؤساء قريش لما عرضوا على رسول الله ﷺ أن يترك دعوته مقابل ما يشاء من الملك والمال والنساء أو الجاه فرفض.

عندها ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾: ما: استفهام يراد به التهكم والتعجب؛ أي: كيف يزعم أنه رسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق (جمع سوق) يطلب العيش مثلنا، فلماذا لا يغنيه ربه، أو لا يليق بالرسول أن يمشي في الأسواق يطلب العيش.

﴿لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾: لولا: للحث والحض تفيد التعجيز أنزل إليه ملك: من الملائكة يصدقه أو يخبرنا بأنه نبي مرسل من الله، فيكون: الفاء للتوكيد يكون معه نذيراً.

نذيراً: يشاركه في الإنذار لربما صدقناه أو اتبعناه.

[٨] ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾:

﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾: من ذهب أو فضة، من السماء ليكف عن المشي في الأسواق.



﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾: من نخيل وأعناب. ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾.

﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾: للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿إِنْ﴾: نافية أي: ما، ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا﴾: حصراً وتوكيداً رجلاً مسحوراً، وصفهم بالظلم الثابت المستمر لكونهم اتهموا رسول الله ﷺ بالسحر، وهو بريء منه وهو اتهم ظلم وإضلال.

﴿رَجُلًا مَسْحُورًا﴾: أي: سحره غيره وذهب السحر بعقله (حيث كان معروفاً عندهم أن السحر يذهب بالعقول، فلا تسمعوا له ولا تفارقوا دين آبائكم وأجدادكم).

وفي آيات أخرى يقولون: إنه ساحر وليس مسحوراً، وهذا يدل على تخطيطهم في أمرهم، وربما قال: مسحوراً؛ لأن ما جاءهم به أثر في نفوسهم تأثيراً بليغاً شبهوه بالسحر؛ لأنه خارق لعاداتهم وعقولهم.

[٩] ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾:

﴿انْظُرْ﴾: الخطاب لرسول الله ﷺ.

﴿كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ﴾: اتهموك بالأمثال الكاذبة (ارجع إلى الآية (٧٤) من سورة النمل) للبيان، فقالوا: ساحر ومسحور وشاعر وكاهن ومجنون وكذاب.

﴿فَضَلُّوا﴾: الفاء للتوكيد، ضلوا: عن الصواب والحق والصراط والرشد.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾: لأنهم ضلوا عن طريق الحق والصواب وابتعدوا كثيراً فلا يستطيعون الرجوع إلى طريق الهدى والحق.

أو لا يستطيعون أن يصلوا إليك ويقدحوا في نبوتك.



أو لا يستطيعون أن يجدوا لهم حُجَّةً أو برهاناً في ضرب تلك الأمثال، أو لا يجدوا لهم سبيلاً للخروج من ضلالهم أو لا يستطيعون صد الناس عن هذا الدين.

[١٠] ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ فُصُورًا ﴾:

﴿ تَبَارَكَ ﴾: ارجع إلى الآية (١) من نفس السورة.

﴿ الَّذِي إِنْ شَاءَ ﴾: إن: شرطية، أي: إن شاء سبحانه.

﴿ جَعَلَ لَكَ ﴾: وهب لك وأعطاك.

﴿ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ﴾: مما اقترحوه من إلقاء كنز أو جنة من نخيل وعنب، جعل لك خيراً من الدنيا وما فيها.

بأن يجعل لك ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾: أي: تنبع من تحتها الأنهار، جنات الفردوس.

﴿ وَيَجْعَلْ لَكَ فُصُورًا ﴾: قصوراً كثيرة لا قصرأ واحداً، كما قال المشركون جمع قصر والقصر في اللغة كل بناء رفيع عال حصين.

أين جواب الشرط لكلمة (إن)؟ محذوف.

لم يذكر لأن أيّ مقام في الدنيا مهما كان زخرفه وجماله وعظمته فهو زائل وفانٍ ولا يستحق ذكره بينما في الآخرة فهي دار الخلد والمقام الكريم.

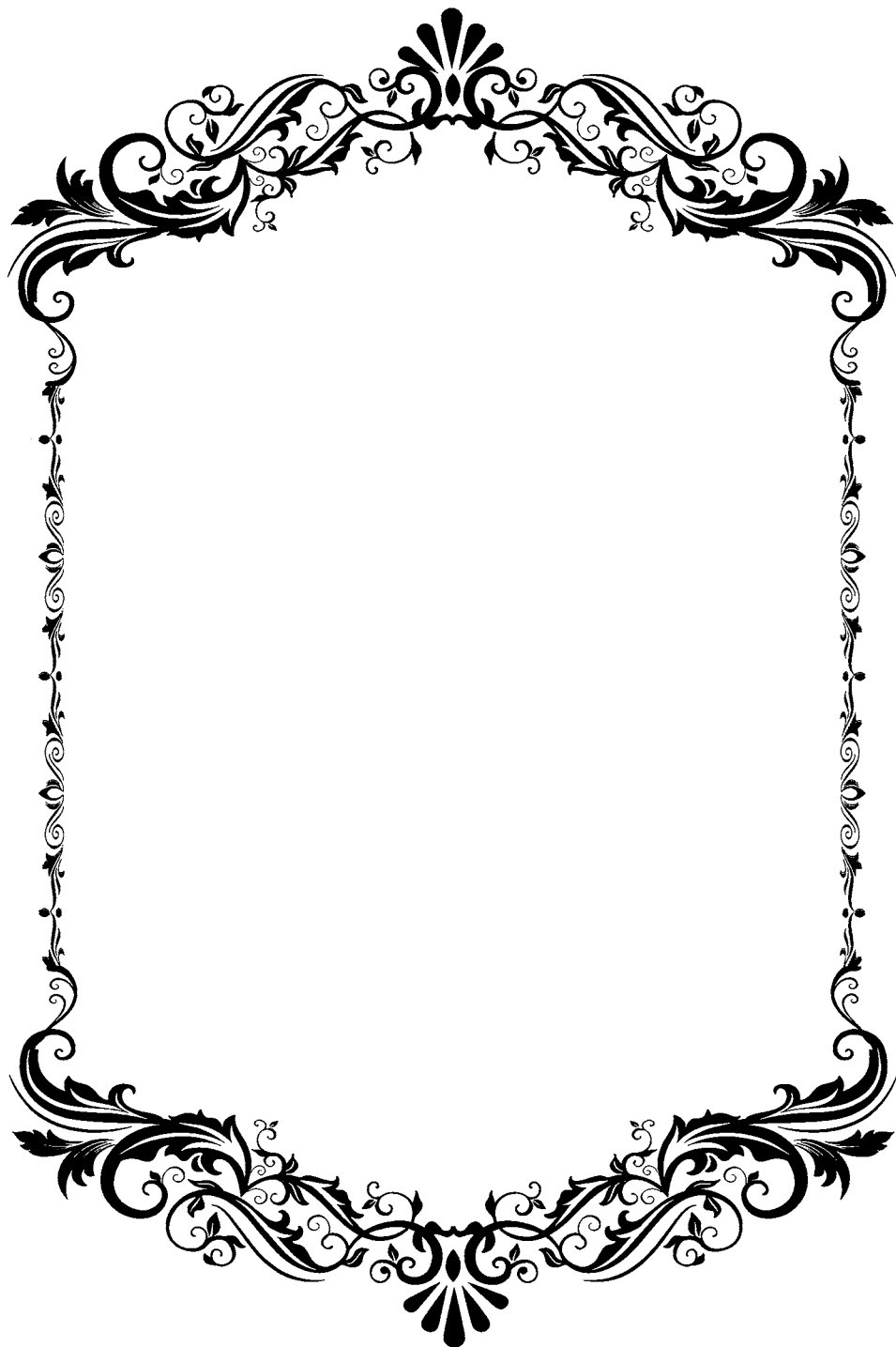
[١١] ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾:

﴿ بَلْ ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾: أي: بقيام الساعة، ساعة تهدم النظام الكوني، وبالتالي يوم القيامة والبعث والحساب والجزاء.

والتكذيب: عدم التصديق بها بالإعراض وعدم الإيمان والاستعداد لها.
 ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾: أعتدنا: هيأنا وأعددنا، لمن: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، كذب بالساعة: أي: لم يؤمن بها.
 بالساعة: الباء: للإلصاق والتوكيد. سعيراً: اسم للنار المستعرة شديدة الالتهاب التي تلتهم كل شيء، وقيل: سعيراً: دركة من دركات النار.







فهرس تفسير القرآن الثري الجزء السابع

السورة ورقمها	الصفحة
سورة مريم [الآيات ٣٩ - ٥١]	٦
سورة مريم [الآيات ٥٢ - ٦٤]	١٩
سورة مريم [الآيات ٦٥ - ٧٦]	٣١
سورة مريم [الآيات ٧٧ - ٩٥]	٤٣
سورة مريم [الآيات ٩٦ - ٩٨]	٥٣
سورة طه [الآيات ١ - ١٢]	٥٧
سورة طه [الآيات ١٣ - ٣٧]	٦٥
سورة طه [الآيات ٣٨ - ٥١]	٧٧
سورة طه [الآيات ٥٢ - ٦٤]	٨٩
سورة طه [الآيات ٦٥ - ٧٦]	١٠١
سورة طه [الآيات ٧٧ - ٧٨]	١١١
سورة طه [الآيات ٨٨ - ٩٨]	١٢٣
سورة طه [الآيات ٩٩ - ١١٣]	١٣٣
سورة طه [الآيات ١١٤ - ١٢٥]	١٤٥
سورة طه [الآيات ١٢٦ - ١٣٥]	١٥٥
سورة الأنبياء [الآيات ١ - ١٠]	١٦٥
سورة الأنبياء [الآيات ١١ - ٢٤]	١٧٥
سورة الأنبياء [الآيات ٢٥ - ٣٥]	١٨٧



السورة ورقمها	الصفحة
سورة الأنبياء [الآيات ٣٦ - ٤٤]	٢٠١
سورة الأنبياء [الآيات ٤٥ - ٥٧]	٢٠٩
سورة الأنبياء [الآيات ٥٨ - ٧٢]	٢١٩
سورة الأنبياء [الآيات ٧٣ - ٨١]	٢٢٩
سورة الأنبياء [الآيات ٨٢ - ٩٠]	٢٣٩
سورة الأنبياء [الآيات ٩١ - ١٠١]	٢٤٧
سورة الأنبياء [الآيات ١٠٢ - ١١٢]	٢٥٧
سورة الحج [الآيات ١ - ٥]	٢٦٥
سورة الحج [الآيات ٦ - ١٥]	٢٧٥
سورة الحج [الآيات ١٦ - ٢٣]	٢٨٥
سورة الحج [الآيات ٢٤ - ٣٠]	٢٩٥
سورة الحج [الآيات ٣١ - ٣٨]	٣٠٣
سورة الحج [الآيات ٣٩ - ٤٦]	٣١٣
سورة الحج [الآيات ٤٧ - ٥٥]	٣٢٥
سورة الحج [الآيات ٥٦ - ٦٤]	٣٣٥
سورة الحج [الآيات ٦٥ - ٧٢]	٣٤٥
سورة الحج [الآيات ٧٣ - ٧٨]	٣٥٥
سورة المؤمنون [الآيات ١ - ١٧]	٣٦٣
سورة المؤمنون [الآيات ١٨ - ٢٧]	٣٧٥
سورة المؤمنون [الآيات ٢٨ - ٤٢]	٣٨٥
سورة المؤمنون [الآيات ٤٣ - ٥٩]	٣٩٥



السورة ورقمها	الصفحة
سورة المؤمنون [الآيات ٦٠ - ٧٤].....	٤٠٧
سورة المؤمنون [الآيات ٧٥ - ٨٩].....	٤١٩
سورة المؤمنون [الآيات ٩٠ - ١٠٤].....	٤٣١
سورة المؤمنون [الآيات ١٠٥ - ١١٨].....	٤٤١
سورة النور [الآيات ١ - ١٠].....	٤٥١
سورة النور [الآيات ١١ - ٢٠].....	٤٦١
سورة النور [الآيات ٢١ - ٢٧].....	٤٧١
سورة النور [الآيات ٢٨ - ٣١].....	٤٨١
سورة النور [الآيات ٣٢ - ٣٦].....	٤٨٩
سورة النور [الآيات ٣٧ - ٤٣].....	٤٩٩
سورة النور [الآيات ٤٤ - ٥٣].....	٥٠٩
سورة النور [الآيات ٥٤ - ٥٨].....	٥١٩
سورة النور [الآيات ٥٩ - ٦١].....	٥٢٩
سورة النور [الآيات ٦٢ - ٦٤].....	٥٣٧
سورة الفرقان [الآيات ١ - ٢].....	٥٤٣
سورة الفرقان [الآيات ٣ - ١١].....	٥٤٧
فهرس تفسير القرآن الثري الجزء السابع.....	٥٥٧



نَفْسُ الْقُرْآنِ

الْحَكِيمِ الْخَافِعِ

فِي

الْإِعْجَازِ الْبَيِّنِ وَاللُّغَوِيِّ وَالْعِلْمِيِّ

إِعْدَادُ وَدِرَاسَةُ

الدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ الْحَمِيدِ

تَحْقِيقُ

تَحْقِيقُ

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الشَّرِيفِ الْجَامِعِ

يَفِي

الْإِعْجَازَ الْبَيَّانِي وَاللُّغُويَّ وَالْعَامِيَّ

الْجُزْءُ الثَّامِنُ

تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء : (١٢)
عدد الصفحات : (٦٧٠٤)
القياس : ٢٤ × ١٧
التنضيد والإخراج الضوئي : محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م



دار المعارف

تلفاكس : +963 11 2247242

ص.ب : 31429 - سورية - دمشق

E-mail: meraj.press@gmail.com



للطباعة والنشر والتوزيع

دار الكلام



تنضيد وإخراج ضوئي



جوال : +963 933 84 60 60

سورية - دمشق - تلفاكس : +963 11 2216555 - ص.ب 13118

www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الشَّرِيفِ الْجَامِعِ

فِي

الْإِعْجَازِ الْبَيَانِيِّ وَاللُّغَوِيِّ وَالْعِلْمِيِّ

إِعْدَادُ وَدِرَاسَةُ

الدُّكْتُورُ مُحَمَّدٌ الْهَدَّالُ

الْجُزْءُ الثَّامِنُ

تَارِيخُ الْإِعْجَازِ

تَارِيخُ الْجَامِعِ الْكَلَامِيِّ



سُورَةُ الْبُرُوجِ ٢٥

الْبُرُوجِ عِشْرِينَ

إِذَا رَأَوْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا
 أَلْقَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
 لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ
 أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ؕ كَانَتْ
 لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ
 كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُورًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
 يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ؕ أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي
 هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ
 يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ
 وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ
 كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا
 نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾
 وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
 الطَّعَامَ وَيَكْمَشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۖ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
 لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۖ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾



سورة الفرقان [الآيات ١٢ - ٢٠]

[١٢] ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾:

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية تدل على حتمية الحدوث.

﴿رَأَتْهُمْ﴾: تعود إلى نار جهنم، رأتهم يوم القيامة، إذن هي ترى أهلها ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾. أهلها: أي: الكفرة والمشركون والعصاة، أي: أصحاب النار، وهم يرونها ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٦].

﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾: التغيظ: هو صوت غليان وفوران النار، والتغيظ في الأصل: إظهار الغيظ وهو شدة البغض الكامن في القلب، ووصفه في آية أخرى في سورة الملك آية (٨): ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ أي: تنفجر وتتقطع إلى أجزاء من شدة الغيظ. ارجع إلى سورة التوبة آية (١٥) لمزيد في معنى الغيظ.

وزفيراً: هو الصوت الناشئ عن خروج الهواء من الرئتين.

شبه صوت غليانها بصوت المغتاط وزفيره، وذلك لبعث الرعب والهول

في قلوبهم.

[١٣] ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَبِيحًا مُّقْرَنَيْنِ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية بمعنى حين وشرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿الْقَوْمَانِ﴾: الإلقاء هو الرمي، (وهناك فرق بين الإلقاء والرمي) الذي يدل على المهانة وعدم الاهتمام.

الإلقاء: لا تعرف المسافة التي تلقي فيها، ويدل على الإهانة وعدم قيمتهم.

الرمي: تعرف المسافة والمكان الذي ترمي فيه.

فهؤلاء الكفرة والمشركون لا يستحقون إلا الإلقاء، ولم يقل: ادخلوا فيها؛ لأن الدخول أفضل من الإلقاء فيه نوع من اللطف.

﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾: أي: يلقون في مكان ضيق من النار، وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۖ﴾ (٨) في عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿الهمزة: ٨-٩﴾. ضيقاً: والضيق مصدر يدل على الثبوت؛ أي: الضيق أمراً دائماً ثابتاً، وليس عارضاً، ويدل على أنه مستمراً ولا يزول.

أي: مطبقة مغلقة أبوابها لا يسمح لهم بالحركة، وهذا نوع من أنواع العذاب بنفسه.

إذن المكان ضيق ومطبق ومغلق عليهم.

﴿مُقَرَّنِينَ﴾:

١ - بالأصفاد والأغلال، مقرنين قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالأغلال والأصفاد تستعمل للقدمين.

٢ - وقيل: مقرنين مربوطين إلى الشياطين قرن كل واحد منهم مع شيطانه (قرينه).



٣ - أو مقرر كل كافر ومشرِك إلى الآخر أي: بعضهم إلى بعض.

﴿دَعُوا هَٰذَا لَكَ ثُبُورًا﴾: بعد الإلقاء يدعون ثُبُوراً، كأن يقولوا: يا ثُبُوراه:

أي: يا هلاكنا يا خسارتنا ويا ويلنا احضر وخلصنا من هذا، اقضِ علينا وموتنا.

ثُبُوراً: هو الهلاك والويل والخسران. وثُبُوراً: مصدر لفعل ثبر بمعنى هلك

حين يقولون: يا ثُبُوراه: يا هلاكنا احضر وخلصنا، فيقال لهم: خزيًا وتبكيًا: لا

تدعوا اليوم ثُبُوراً واحداً، بل ادعوا ثُبُوراً كثيراً.

[١٤] ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾:

أي: ادعوا ثُبُوراً كثيراً الواحد تلو الآخر، فلن يحصل ما تتمنونه من الهلاك.

أو ادعوا على أنفسكم بالهلاك والخسران المرة تلو الأخرى.

[١٥] ﴿قُلْ أَذَلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَصِيرًا﴾:

﴿قُلْ أَذَلِكْ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ: أذلك: الهمزة للاستفهام الإنكاري

والتوبيخ والتقرير.

ذلك: اسم إشارة يشير إلى السعير. خير: أفضل مقاماً وأحسن.

﴿أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾: أم للإضراب الانتقالي. جنة الخلد: جنة الإقامة

الدائمة المستمرة إلى ما لا نهاية.

﴿الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾: التي وعد الله تعالى بها عباده المتقين بامثال

أوامر الله وتجنب نواهيه، الذين صفة التقوى عندهم ثابتة.

﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ﴾: ثواباً على تقواهم.

﴿وَمَصِيرًا﴾: مرجعاً ونهايةً.

[١٦] ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾:

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿فِيهَا﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر والقصر؛ أي: فيها وحدها

لا غيرها.

﴿مَا يَشَاءُونَ﴾: من نعيم الدائم من الملبس من الحرير والمطعم والمشرب

والمسكن والزينة والمتاع والرزق. ما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿خَالِدِينَ﴾: لا انقطاع ولا موت ولا خروج منها. والخلود: استمرار البقاء

إلى ما لا نهاية يبدأ من زمن دخولهم الجنات، وأصل الخلود: اللزوم المستمر.

﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ﴾: الدخول إلى جنة الخلد، والخلود ولهم فيها ما يشاءون.

كل ذلك كان وعداً وعده الله عباده الصالحين على ألسنة الرسل.

﴿وَعْدًا مَسْئُولًا﴾: أي: وعداً من المسؤول وهو الله سبحانه، فمن هو

السائل؟

السائل: هم المؤمنون: كانوا يسألونه ﴿رَبَّنَا وَءِئِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا

تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

أو الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ
ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [غافر: ٨].

والمسؤول: هو الله سبحانه وتعالى؛ أي: المجيب لهم. ومسؤولاً: فيها
مبالغة في تحقيق الوعد وحصوله، وهذا الوعد هو تكرم من الله، وتفضل ولا
يعني الإلزام.

[١٧] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي
هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾:

﴿وَيَوْمَ﴾: أي: القيامة ونكرة للتحويل والتعظيم.

﴿يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الحشر: هو السوق والجمع الكفار
والمشركين وما يعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام.

من دون الله: من غير الله تعالى.

ما: لغير العاقل وتشمل العقلاء وغلب غير العاقل لكثرة الآلهة والأصنام
مقارنة بالعقلاء مثل عيسى وعزير أو الملائكة.

﴿فَيَقُولُ﴾: للآلهة، أو المعبودين والأصنام ينطقها الله يوم القيامة وتتكلم
كما تتكلم الأيدي والأرجل والألسن، وتشمل الملائكة وعزير وعيسى والأولياء.
﴿ءَأَنْتُمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتقدير والإنكار والتوبيخ، وهو سؤال في
الآخرة يوم القيامة.

﴿أَضَلَلْتُمْ﴾: أي: بالسوسة والتزيين والإغراء والنزغ. أضللتهم إياهم عن

الاهتداء والسير على طريق الحق والصراط المستقيم، وأوقعتموهم في الضلال
أم هم ضلوا السبيل بأنفسهم؟

﴿عِبَادِي﴾: وصفهم بذلك مع أنهم ضالون، ولم يقل: عبيدي؛ لأن الكل
في الآخرة يطلق عليهم عبادي؛ لأنه زال ما كان يميزهم في الدنيا وهو الإيمان
أو التكليف، ولا تكليف في الآخرة. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٨٦)، وسورة
الزمر آية (١٧) لمعرفة الفرق بين عبادي وعباد وعبيد.

﴿هَٰؤُلَاءِ﴾: الهاء: للتنبيه، أو لاء: اسم إشارة يشير إلى الضالين، وقوله:
أنتم أضللتم عبادي بدلاً من أضلتم عبادي فيها تأكيد أشد ليعلم العبد الضال
أنه مسؤول عن ضلاله بنفسه وليس غيره.

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتقرير. أم: للإضراب الانتقالي.

﴿هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾: هم: للتوكيد، ضلوا السبيل: السبيل التعريف بأل
يعني: الدين القيم التام الكامل؛ أي: الإسلام.

بينما (سبيلاً) نكرة ووردت كلمة (سبيلاً) في ست آيات في هذه السورة،
بينما السبيل وردت مرة واحدة.

سبيلاً: كلمة مطلقة لا تحدد نوع السبيل فقد يكون سبيل الإلحاد أو النفاق
والغي والضلال أو الخير أو الهداية أو الصلاح والرشد. وأما في الآية (٦٧) من
سورة الأحزاب: ﴿فَاضْلُونا السَّبِيلَ﴾ فهي تدل على الصريخ، وامتداد الصوت،



والعويل لما يلاقوه في سعيهم جهنم. ارجع إلى سورة الأحزاب آية (٦٧) لمزيد من البيان.

[١٨] ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يُبْغَىٰ لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾:
﴿قَالُوا﴾: ردًا على قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ أَضَلُّلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾.

﴿سُبْحَنَكَ﴾: تنزيهاً لك أي: ننزهك يا ربنا عما لا يليق بك من شريك، أو ولي، أو ولد، ومن عيب، أو نقص، أو شرك.

﴿مَا كَانَ يُبْغَىٰ لَنَا﴾: ما: النافية؛ أي: ما يحق لنا أو يصح لنا.

﴿أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾: أن: للتعليل والتوكيد. نتخذ من دونك من أولياء: أي: ندعو الناس إلى عبادة غيرك ونحن نعبدك وحدك.
﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ﴾: أي: أطلت لهم العمر، وأترفتهم بالنعيم ووسعت لهم الرزق والصحة والقوة هم وآباءهم.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿نَسُوا الذِّكْرَ﴾: أي: القرآن ونسوا تدبره والعمل به، ونسواذكرك وحمدك وشكرك وعبادتك.

﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾: جمع بائر: أي: هالك اسم فاعل من بار، أي قوماً هالكين، وهي مشتقة من الأرض البور التي لا تصلح للزراعة ولا تنبت.

[١٩] ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مِّنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾:

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد، قد: للتحقيق والتوكيد.

﴿كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾: بأنهم آلهة أي: كذبكم الذين عبدتموهم بأنهم آلهة، ولم يقولوا لكم: إنهم آلهة أو أنهم أولياء مناصرون وشركاء يقربونكم إلينا زلفاً. بما: الباء للإصاق والاستمرار، ما: اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية، وهي أوسع شمولاً من الذي.

﴿فَمَا﴾: الفاء استئنافية، ما: للنفي.

﴿تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾: الصرف: هو أن تدفع بذاتك عن ذاتك أو نفسك الشر أو الضر، أو العذاب إذا وقع.

والنصر: ولن يستطيع أحد أن ينصرك أيضاً.

ولا نصراً: وتكرار (لا) يفيد التوكيد، وفصل الصرف عن النصر ولا كلاهما.

﴿وَمَنْ يَظْلِم مِّنْكُمْ﴾: ومن: ابتدائية استغراقية. يظلم منكم: أي: يشرك بالله منكم خاصة.

﴿نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾: نذقه: من الذوق: وهو إدراك الطعم، وتأني في



سياق الرحمة والعذاب إذا لم يتب ويرجع إلى الله نذقه في الآخرة عذاباً كبيراً. نوع من أنواع العذاب التي منها العظيم والشديد والأليم والمقيم.

[٢٠] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾:

هذه الآية جواب لسؤالهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، وعبر المشركون رسول الله بالفقر والفاقة، وحزن رسول الله ﷺ لذلك فنزلت هذه الآية.

﴿وَمَا﴾: ما: للنفي.

﴿أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: ولم يقل: من قبلك. قبلك بدون (من) تعني: بزم من قصير أو طويل. ولو قال: من قبلك تعني فقط منذ زمن قصير.

﴿إِلَّا إِنَّهُمْ﴾: إلا: للحصر، إنهم: للتوكيد.

﴿لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾: السلام: لام التوكيد، يأكلون الطعام؛ أي: جميع الرسل السابقين كانوا بشراً يأكلون الطعام، ولم يكونوا من الملائكة.

﴿وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾: لقضاء حوائجهم، وهذا ليس بعيب أو محرّم.

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾: الغني فتنة للفقير والفقير فتنة للغني، هل ينفق الغني على الفقير ويخرج زكاة أمواله، وهل يحقد ويحسد الفقير الغني وهكذا يصبح كلّ واحد فتنة للآخر.

الفتنة تكون في الخير والشر، وتحتاج إلى صبر وتكون في الصحة والمرض

والقوة والضعف والفتنة أبلغ من الاختبار والغاية منها إقامة الحجة على العبد
(ارجع إلى الآية (٣٥) من سورة الأنبياء للبيان).

﴿أَتَصْبِرُونَ﴾: الهمزة للاستفهام بمعنى الحثّ أو الأمر أي: اصبروا.
﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾: كان تستغرق كلّ الأزمنة في الماضي والحاضر
والمستقبل. ربك بصيراً: بمن يصبر أو يجزع. بمن يشكر ويكفر.





سورة الفرقان ٢٥

الجزء التاسع عشر

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ
أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَتَوَعَّتُوا كِبِيرًا
(٢١) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حِجْرًا مَحْجُورًا (٢٢) وَقَدْ مَنَّآ إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ
هَبَاءً مَنْثُورًا (٢٣) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا
وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (٢٤) وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّ وَنُزِلَ الْمَلَائِكَةُ
تَنْزِيلًا (٢٥) الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٦) وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ
يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ
فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩) وَقَالَ الرَّسُولُ
يَرَبِّ إِنِّي قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠) وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا
وَنَصِيرًا (٣١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً
وَحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢)



سورة الفرقان [الآيات ٢١ - ٣٢]

[٢١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَتِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: المكذبون بالبعث والحساب. الرجاء: عادة هو الأمل في وقوع الخير الذي يعترى صاحبه الشك أو الظن أو الخشية والخوف في وقوع الشر الذين لا يخافون وعيدنا أو لقاء الخالق. اللقاء: مجرد الرؤية. والمقابلة: اللقاء الحقيقي.

﴿لَوْلَا﴾: أداة حثٍّ وحضٍّ.

﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَتِكَةُ﴾: لكي يخبرونا بصدقك أو بنبوتك، أو تشهد لك بالرسالة (بصدق رسالتك) أو كانوا رُسلًا إلينا بدلاً من البشر.

﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾: أو للتخيير نرى ربنا جهرة فيأمرنا باتباعك أو يخبرنا أنك رسوله.

﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: لقد أظهروا عظم شأنهم فوق ما يستحقون حين طلبوا تلك المطالب.

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿اسْتَكْبَرُوا﴾: الألف والسين والتاء للطلب، أي: هم ليسوا أهلاً للتكبر ليس عندهم مؤهلات الكبر، أي: استكبروا من دون حق.

﴿وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾: تجاوزوا أو أفرطوا بالظلم، أي: الضلال والشرك



والكفر وبالغوا في التحدي وتجاوز الحدود. والعتو: هو أعلى درجات الطغيان والظلم. والعتو: أشد وأثقل من العتي؛ لأن الواو أثقل من الياء، كما جاء في سورة مريم آية (٦٩) ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا﴾.

عتواً كبيراً: أكد العتو بالمصدر عتواً، ثم وصف المصدر أنه كبير للمبالغة في العتو؛ لأنهم عتوا على رسول الله ﷺ، وبالتالي على الله سبحانه وتعالى، ولا يقصد أنهم عتوا على بعضهم.

[٢٢] ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا﴾:

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾: أي: هؤلاء الذين سألوا أو طلبوا إنزال الملائكة عليهم أو رؤية ربهم سوف تتحقق أمانيتهم بإنزال الملائكة عليهم، ولكن ليس لإخبارهم بصدق نبوة محمد، ولكن لقبض أرواحهم عند الموت أو إدخالهم جهنم.

يوم: نكرة للتعظيم والتهويل يرون الملائكة عند الموت أو يوم القيامة ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: لن يكون خبراً ساراً لهم، بل هي بشرى بالعذاب واستعمل كلمة البشرى التي تأتي عادة في سياق الخير واليسار للتهكم والتوبيخ. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنى المجرمين. ﴿وَيَقُولُونَ﴾: أي: تقول الملائكة لهم.

﴿حَجْرًا مَحْجُورًا﴾: حراماً محرماً أن تدخلوا الجنة. من الحجر وأصله المنع محجوراً صفة مؤكدة للمعنى.

وقد تعود كلمة (يقولون) على المجرمين الذين يقولون للملائكة حجراً محجوراً أي حراماً محرماً عليكم أن تؤذونا.

وكان الرجل إذا لقي من يخافه في الأشهر الحرم يقول حجراً: أي: حرام عليك إيذائي.

[٢٣] ﴿وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَاعْمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾:

﴿وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَاعْمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾: أي: نظرنا إلى أعمالهم التي عملوها في الدنيا أعمال الخير والصدقات وإغاثة الملهوف وصلة الرحم وإطعام الضيف وأحبطناها وأبطلنا ثوابها؛ لأنهم كفروا بالله وبرسوله وماتوا وهم كافرون.

من عمل: من: ابتدائية استغراقية تستغرق كل عمل صالح.

﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾: الهباء: هو ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس يشبه الغبار يسمى الهباء. منثوراً: متطيراً في كل اتجاه يصعب جمعه. أي: حبطت أعمالهم وأصبحت كالهباء الذي لا يرى إلا بأشعة الشمس ولم يعد لها أي وجود أو ثواب أو قيمة.

وفي آيات أخرى شبهها بالـ ﴿كَرَّابٍ بَقِيعَةٍ﴾ [النور: ٣٩]، أو ﴿كَرَّمَادٍ أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨].

[٢٤] ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾:

المناسبة: بعد ذكر ما سيؤول إليه عمل الكافرين، هباء منثوراً.

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُوءُ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾

[الفرقان: ٣٤].

يتحدث عن أصحاب الجنة.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾: أصحاب تعني المصاحبة والملازمة، فكأن الجنة لا

تحب أن تفارقهم ولا هم يحبون أن يخرجوا منها، وأصحاب تفيد الملكية، فهم مالكوها، والصاحب يعني الذي يُفِيدُك وينفعك.



﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم البعث والحساب أصلها يوم + إذ، يوم ظرف وإذ ظرف بمعنى حين، أي: في ذلك الوقت أو حينذاك.

﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾: خير منزلة وإقامة وراحة وسكوناً.

﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾: أفضل مكاناً للقيولة والاستراحة. المقيّل: في الأصل مكان القيلولة، ويعني: النوم في منتصف النهار بعد تناول طعام الغداء، وهل في الجنة قيلولة أو نوم؟ الجواب: لا، وإنما الحكمة من ذلك - والله أعلم - أن يذكرهم بنوع ما كانوا يتنعمون به في الدنيا. وكلمة خير تعني: أفضل وتستعمل في حالتين: خير يقابله شر وخير يقابله خير أقل منه مثل هذا خير من هذا.

[٢٥] ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾:

المناسبة: وقال الذين لا يرجون لقاءنا: لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا، فردّ عليهم: تعالوا لأخبركم عن ذلك اليوم الذي تنزل فيه الملائكة إنه يوم القيامة يوم الحساب.

﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ﴾: أي: انفطرت السماء كقوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]، وينزل من هذه الشقوق أو من جهة السماء الغمام وهو سحب أبيض رقيق يشبه ما أنزل على بني إسرائيل حين كانوا في التيه، ويملاً ما بين السماء والأرض.

وقيل: انشقت به: إذا كان عليها أي: كأنه هو الآلة التي تشقق بها السماء، أو انشقت عنه: إذا كان تحتها.

﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾: أي: جماعات جماعات الواحدة بعد الأخرى لياشروا ما أمرهم الله به.

قال ابن عباس: تتشقق السّماء الدّنيا أولاً فينزل أهلها من الملائكة، ثم تتشقق السّماء الثّانية ثانياً، فينزل أهلها من الملائكة، وهكذا حتى السّماء السابعة. وكلمة (تنزيلاً): تدل على قوة النزول وجماعة بعد جماعة.

ونظير هذه الآية: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

[٢٦] ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾:

﴿الْمَلِكُ﴾: أي: الحكم فهو الحاكم ومالك الملك له السّماوات والأرض وما فيهن وما بينهن، لا شريك له كقوله تعالى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ٢٤].

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة يوم ذاك أو حينذاك.

﴿الْحَقُّ﴾: لأنّه سبحانه هو الملك الحق أي: الثابت الدائم الحي القيوم، وكذلك مُلكه ثابت مستقر لا يزول ولا ينتقل، فهو المالك الحق ومُلكه الحق، وقيل: الحق نعتٌ للملِك. ارجع إلى سورة الحج آية (٦)، وآية (٦٢) لمزيد من البيان.

﴿لِلرَّحْمَنِ﴾: اللام: لام لاختصاص والملكية والاستحقاق. الرحمن: صيغة مبالغة من الرّحمة على وزن فعلان أي: المليء بالرّحمة. كثير الرّحمة، والرّحمن اسم لله تعالى يجمع كثيراً من صفات الله تعالى، والتي تتمثل بالرّحمة والرأفة والعفو والمغفرة، وتشمل الكافر والمؤمن والطالح والصّالح ورّحمة تتجدّد وتكرر كلما يحتاجها المخلوق.

﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾: عسيراً شديداً طويلاً لما يحدث فيه من الأهوال والعذاب الذي يصيب الكافرين وكلمة يوماً نكرة للتّهويل والتّعظيم.



وفي هذه الآية تهديد ووعيد للكافرين المكذبين بالآخرة ويوم القيامة والبعث، أما بالنسبة للمؤمنين ﴿لَا يَخْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

[٢٧] ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾:

﴿وَيَوْمَ﴾: أي: يوم القيامة. يوم يقوم الناس لرب العالمين. وتنكيره يدل على التهويل والتعظيم.

﴿يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾: في ذلك اليوم يعض الظالم المشرك أو كل من ظلم نفسه وحمل الآثام والذنوب والظالم اسم جنس، وقيل: هو عقبة بن أبي معيط، كما روى ابن عباس وذكر الواحدي في أسباب النزول، أو غيره من الظالمين، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب.

وعض الظالم على يديه أو على أنامله كناية تدل على شدة الحسرة والغيط والندم على ما فرط في حياته في جنب الله.

﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي﴾: يا: النداء، ليتني: من ليت: أداة للتمني المستحيل الحدوث.

﴿أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾: سبيلاً نكرة أي: أي سبيل مثل سبيل الشهادة لا إله إلا الله، أو الرشd، أو الإيمان أو أي سبيل يؤدي إلى النجاة من عذاب الآخرة، مع الرسول: في دار الدنيا أي: صدقت به وآمنت بالله، أو اتبعت الرسول وأطعته، وقد وردت كلمة ﴿سَبِيلًا﴾ في سورة الفرقان في ست آيات كلها بصورة النكرة، والسياق يحدد هل هو سبيل الرشd والخير، أو سبيل الغي والضلال؟ وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤) في سورة الأحزاب نجد أن السبيل بآل التعريف: يعني الإسلام، و﴿سَبِيلًا﴾: نكرة تعني: أي سبيل يؤدي إلى الخير، وحسن العاقبة.



[٢٨] ﴿يَوَيْلَ لِيَ لِيَتَنَّى لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾:

﴿يَوَيْلَ لِي﴾: دعاء بالويل أصلها يا ويلتي: كلمة تحسر وجزع تستعمل عند وقوع أمر عظيم أو الضيق كأن المتحسر ينادي ويلته ويطلب حضورها بعد تنزيلها منزلة من ينادي، فيقول: هذا أو أنك.

﴿لِيَتَنَّى﴾: ليت أداة تمنى للمستحيل الحدوث أو فات الأوان، ولن يحدث ما يتمناه.

﴿لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾: صديقاً حميماً، وفلاناً: مثل عقبة بن أبي مُعيط، أو أمية بن خلف أو الشيطان. أو كل من أطيع في معصية الله وأرضي بسخط الله، وتقول: فلان كناية عن شخص لا تحب حتى ذكر اسمه. والمهم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

خليلاً: مشتقة من الخلّة يعني: الصداقة. ارجع إلى سورة النساء آية (١٢٥) لمزيد من البيان في معنى الخليل.

لماذا يتمنى لو لم تكن تلك الخلّة والصداقة مع فلان؟ انظر إلى الآية التالية لترى السبب.

[٢٩] ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾: أي: صدني أو منعني عن اتباع الذكر أي: القرآن أو الإيمان بالله وذكره.

﴿عَنِ﴾: تفيد المجاوزة والابتعاد.

﴿الذِّكْرُ﴾: أي: ذكر الله، والإيمان، والقرآن، أو الموعظة، والصلاة وغيرها من أنواع الذكر.



﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾: يدل على أنه كان ينوي الإسلام والاستماع إلى رسول الله. إذ: ظرف زمني للفجأة. أو بعد إذ جاءني الرسول ﷺ به.

﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾: كان تشمل أو تمثل كل الأزمنة. الشيطان: ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة البقرة والشيطان هو إبليس وجنوده من كفره الجن أو من شياطين الإنس.

﴿لِلْإِنْسَنِ﴾: اللام: لام التوكيد. الإنسان: أي: الكافر.

﴿خَذُولًا﴾: صيغة مبالغة كثير الخذل: الخذل: التخلي عنه عند وقت الحاجة والضرورة كالذي يمد للآخر جبل الأمل، ثم يتخلى عنه وقت الحاجة والضرورة أي: يخذله ولا ينصره ولا يعينه على شيء مهما كان بعد أن كان يتوقع ذلك منه الوقوف بجانبه رغم أن الشيطان لا يستطيع ذلك حتى ولو كان قادراً على ذلك، أو شبه خليله من الإنس بالشيطان الذي أضله أي: خذله، وليس الشيطان الحقيقي أو تعني كلاهما.

[٣٠] ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾:

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ﴾: استعمل ياء النداء التي تدل على البعد ولم يقل: رب. لقد قال رسول الله ﷺ يا رب فقط مرتين في القرآن كله، هذه الآية والآية الأخرى هي قوله: ﴿وَقِيلَ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يَزْنُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨]. أرجع إلى آية الزخرف للبيان.

﴿إِنَّ قَوْمِي﴾: إن: للتوكيد، قومي: فيها معنى الاستعطف والحنان أضاف إليه القوم؛ لأنه منهم يعرفونه ويعرفهم، وهذه هي الآية الوحيدة في القرآن التي ذكر رسول الله ﷺ كلمة قومي.

﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾: من الهجر يعني: الترك أو قطعوا الصلة به، مثل عدم الاستماع إليه والإصغاء تركوا تدبره وفهمه أو تركوا العمل به وامتنال



أوامره واجتناب نواهيه. تركوا تحكيمه إلى أنظمة أخرى، ونسوا قول الحق: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

والسؤال: هل حصلت هذه الشكوى ومتى، أو ستكون في يوم القيامة كما قال بعض المفسرين؟

فمن قال: إن هذه الشكوى ستكون في يوم القيامة حُجَّتْهُمْ أَنْ الْآيَاتِ جَاءَتْ فِي سِيَاقِ الْآخِرَةِ. مثل نزول الملائكة وتشقق السماء وعض الظالم على يديه.

ومن قال: إنها شكوى حدثت وامت حين كذبه قومه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

ولما شكَا الرَّسُولُ ﷺ إِلَيْهِ ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ التَّالِيَةَ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

[٣١] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾: أي: كما جعلنا لك أعداء من مشركي قريش جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين. أي: من المشركين أو الكافرين والظالمين الطاغين.

من: تشير إلى اسم الجنس. ومن تشمل المفرد والمثنى والجمع.

وهذا القول يفسره قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

﴿عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾: ولم يقل: أعداء: عدواً تطلق على المفرد والجمع.

ويستعمل القرآن عدواً: إذا كانت العداوة سببها واحد، أي: إذا كانت العداوة مفردة، أو كانت عداوة لسبب واحد مثل الدين.



ويستعمل كلمة أعداء إذا كانت هناك عداوات مختلفة أي: عداوات لأسباب مختلفة مثل الدين والأرض والمال.

﴿مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾: جمع مجرم. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنى المجرمين.

﴿وَكُفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾: كفى: أي: اكتف بربك أو يكفي ربك هو الهادي والنصير. فلا تحتاج إلى غيره فلا تجزع ولا تخف من قومك أو من المجرمين. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لمزيد في بيان معنى المجرمين.

ربك: الباء للإلصاق والتوكيد، توكيد الكفاية.

قال: هادياً ولم يقل: يهدي، هادياً تدل على صفة الهداية عنده ثابتة بينما يهدي جملة فعلية تدل على صفة الهداية عنده متجددة ومتكررة فهو سبحانه هادٍ ويهدي.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦].

وكفى بربك هادياً: إلى الحق وإلى الصراط المستقيم وهو الإسلام الدين القيم.

هاديك إلى شؤون دينك وإلى الحكم بما أنزل الله وإلى كل أمر فيه خير الدنيا والآخرة.

ونصيراً: على كل من يعاديك أو يمكر بك.

[٣٢] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۖ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾: أداة حُضٍّ وحثٍّ.

﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾: قالوا: نزل ولم يقولوا أنزل لمعرفة أنهم نزل منجماً؛ أي: هم يريدوا أن ينزل؛ أي: دفعة واحدة كما أنزلت التوراة والإنجيل والزيور بدلاً من أن ينزل منجماً مفزقاً أو بالتدرج، وكأنه في نظرهم عيب أن ينزل القرآن منجماً، أو هم يحاولون أن يجدوا لهم عذراً لكي لا يؤمنوا، أو ليكون لهم حُجَّةٌ واهية على عدم إيمانهم. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لمعرفة الفرق بين أنزل ونزل.

وهم نسوا أن القرآن أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر.

وفي آية أخرى قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

﴿كَذَلِكَ﴾: تعني: أنزلناه منجماً مفزقاً. الكاف للتشبيه، و(ذلك) تشير إلى إنزاله منجماً.

﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾: اللام للتعليل والتوكيد، فهذا سبب وهناك سبب آخر هو ﴿لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنُزِّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] أي: حتى يتيسر حفظه وتدوينه.

نثبت به فؤادك: الفؤاد القلب، هذه هي الحكمة. ارجع إلى سورة الحج آية (٤٦) لبيان معنى الفؤاد.

﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾: الترتيل القراءة أكثر من كلمة، أي: رتلنا لك الآيات الآية بعد الأخرى (عن طريق جبريل ﷺ) أي: شيئاً فشيئاً، ترتيلاً تفيد التوكيد.





سورة الفرقان ٢٥

الجزء السابع عشر

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾
 الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ
 مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
 وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى
 الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ
 نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ
 آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادَ وَثِمُودَ
 وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا
 لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ
 الَّتِي أُمِطِرَتْ مَطَرِ السَّوَاءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرُونَهَا بَلِّ
 كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
 إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ
 لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ
 يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ
 مَنْ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾



سورة الفرقان [الآيات ٣٣ - ٤٣]

[٣٣] ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾:

﴿وَلَا﴾: لا: النافية.

﴿يَأْتُونَكَ﴾: الذين كفروا.

﴿بِمَثَلٍ﴾: كما في الآية السابقة، وقال الذين كفروا: لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة. شبه سؤالهم بالمثل؛ لأن أكثر هذه الأسئلة سئلت من قبل للأنبياء والرسل الذين جاءوا من قبلك، ثم تكررت كثيراً حتى أصبحت كالأمثال التي تتكرر على ألسنة الناس، أو أسألتهم عجيبة تشبه الأمثال.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق، والحق: الذي يدحض قولهم ويبطل حججتهم والحق هو القول الثابت الذي لا يتغير.

﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾: أحسن من مثلهم على وزن أفعل التفضيل، أي: أبين معنى وأفضل دليلاً وحجة.

ثم أخبر عن مستقرهم في الآخرة فقال:

[٣٤] ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: أي: الذين كفروا.

﴿يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾: يحشرون: الحشر هو السوق والجمع أي: يسحبون إلى جهنم تسحبهم الملائكة على وجوههم إلى جهنم.



أو يجرّون أو يمشون على وجوههم إلى جهنم، فقد سُئِلَ رسولُ الله ﷺ: كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال ﷺ: «أليس الذي مشاه على رجله في الدنيا بقادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة». رواه البخاري ومسلم.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد الذم يشير إلى الذين ينكرون البعث، والذين قالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة وغيرهم من كفار مكة.

﴿شَرِّ مَكَانًا﴾: مثوى وصف المكان بالبشر للمبالغة؛ لأنهم هم الأشرار.

﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: وصف السبيل (الطريق) بالضلال للمبالغة أيضاً.

أضل سبيلاً من غيرهم من الكفار، ولم يقل: أشر مكاناً وأضل سبيلاً؛ لأن كل مكان في جهنم هو شر وليس غيره أفضل منه.

في هذه الآية يحشرون على وجوههم إلى جهنم.

في الآية (٩٠) من سورة النمل: ﴿فَكُتِبَتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾.

في الآية (٦٦) من سورة الأحزاب: ﴿تُقَلَّبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾.

في الآية (٤٨) من سورة القمر: ﴿يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وَجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾.

في الآية (٩٧) من سورة الإسراء: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبَكَاءُ وَصَمًا مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾.

واختير الوجه؛ لأنه أشرف الأعضاء التي تميّز الإنسان، وفيه معظم الحواس.

[٣٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿آءَاتَيْنَا مُوسَى﴾: آتينا وليس أعطينا. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة

للمعنى ولبيان الفرق بين الإيتاء والعطاء.

﴿الْكِتَابَ﴾: التّوراة. التام الكامل.

﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾: معيناً ومساعداً في تبليغ الرسالة. ارجع إلى الآية (٢٩) من سورة طه للبيان. وفي هذه الآية تعريض بالرد على المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُهُ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾؛ أي: أن موسى لما طلب أن يكون له وزيراً (مساعداً) واستجاب له ربه بهارون، ولم يؤيده بملك من الملائكة كما يقترح كفار مكة، وإنما أيده برسول مثله.

[٣٦] ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾: ﴿فَقُلْنَا﴾: إلى موسى وهارون.

﴿أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾: أي: قوم فرعون. انتبه إلى قوله: الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا: كيف وقع التكذيب منهم بآياتنا ولم يحدّد ما هي الآيات، هل هي الآيات التسع، أم بالآيات الكونية وهم لم يذهبوا بعد إلى قوم فرعون.

التكذيب هنا قد يعني بالآيات الكونية الدالة على وحدانية الله تعالى، أو الآيات التي جاء بها الرّسل من قبلهم، أو يخبرنا الله تعالى بالنتيجة وبأنهم لن يؤمنوا من علمه الأزلي وما في اللوح المحفوظ.

﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾: بإغراقهم في اليم (البحر) ودمر: قضينا عليهم وأهلكناهم من دون إذن أو سابقة إنذار.

[٣٧] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾: بالنصب بتقدير: واذكر قوم نوح.

﴿لَمَّا﴾: ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿كَذَبُوا الرُّسُلَ﴾: هم كذبوا نوحاً رسولهم، فلماذا قال: كذبوا الرّسل بدلاً من رسولهم؟



لأن الرّسل رسالتهم واحدة، فمن كذب رسولاً فقد كذب كلّ الرّسل، أي: تكذيب رسول واحد كتكذيب جمع الرّسل. والرّسل: اسم جنس.
﴿أَغْرَقْنَهُمْ﴾: بالطوفان وهذا كان عذابهم في الدّنيا، أما في الآخرة فلهم عذاب أليم آخر.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾: اللام: لام الاختصاص، أي: للناس كلّ الناس وقدّم للناس على الآية بدلاً من جعلناهم آية للناس، أي: جعلناهم آية من الآيات الكثيرة الأخرى التي للناس مثل آية قوم لوط وصالح.

أما حين يقول: وجعلناهم آية للناس: أي: هي الآية الوحيدة الفريدة أي: لم نغرق غيرهم. فقد أغرقنا آل فرعون وغيرهم.

﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: أي: أحضرنا، ويختلف عن الإعداد وهو التهيئة، والإعداد يأتي في المستقبل، أما أعتدنا في الحاضر؛ أي: الحال؛ أي: اغرقوا ففرقوا وماتوا.
﴿لِلظَّالِمِينَ﴾: المشركين أو الظالمين بكفرهم وتكذيبهم لرسولهم.

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: في الآخرة شديد الإيلام لا يقدر أحد على تحمله. ولم يقل: أعتدنا لقوم نوح عذاباً أليماً. وإنما أجمل وأدخل قوم نوح في عداد الظالمين.
[٣٨] ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾:

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾: كلها جاءت منصوبة بتقدير: واذكر عاداً وثموداً.

عاداً: قوم عاد ورسولهم هود سكنوا الأحقاف.

وثمود: قوم ثمود ورسولهم صالح. سكنوا الحجر (مدائن صالح).

وأصحاب الرس: ذكرهم الله تعالى في آيتين هذه الآية والآية الثانية في سورة ق آية (١٢).



أصحاب الرس: الرس هو البئر، أي: أصحاب البئر وقيل: الرس قرية ما اختلف المفسرون في الرس في أيّ البقاع قيل: في أذربيجان أو قرب اليمامة. وقيل: تسميتها بالرس؛ لأنّهم أرسوا: أي: أغرقوا نبيهم، أي: أرسوه في البئر حفروا له بئر وألقوه فيها فأهلكهم الله، وقيل: هم الذين قتلوا حبيباً النجار أغرقوه في بئر لهم، واختلف في زمنهم ومن هم؟ فلا داعي للخوض في قصتهم من دون برهان قاطع.

﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾: أي: بعد قوم نوح وعاد وثمود وقبل أصحاب الرس أو بين عاد وأصحاب الرس أو بين ذلك الذي ذكرناه أي: قرونًا بين كل هؤلاء.

قرونًا: جمع قرن: والقرن يعادل (١٠٠ عام) أو قوم عاشوا في نفس الفترة الزمنية.

بين: ظرفية الأصل أن تكون ظرفاً للمكان، وقد تأتي ظرفاً للزمان بحسب ما تضاف إليه.

ذلك: اسم إشارة تشير إلى نوح وعاد وثمود، وأصحاب الرس.

[٣٩] ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرَّأْنَا نَبِيرًا﴾:

﴿وَكُلًّا﴾: تعود على المتقدم ذكرهم من قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وقرونًا بين ذلك كثيرًا.

والواو قد تشير إلى هؤلاء وغيرهم أيضاً أي الكل.

﴿ضَرَبْنَاهُ الْأَمْثَلُ﴾: كشفنا لهم الحقائق وبيّنا لهم ما أصاب غيرهم من الهلاك والبلاء وأنذرناهم ووعظناهم وحذرناهم.

﴿وَكُلًّا تَبَرَّأْنَا نَبِيرًا﴾: تكرر (وكلاً): تفيد التوكيد؛ أي: مزقناهم كل ممزق، أو جعلناهم كأعجاز نخل منقعر أو حصيداً خامدين.



تبرنا تتبيراً: التبير: التفتيت والتكسير يعني: الإهلاك والدمار. ومنه التبر: فئات الذهب والفضة أو الزجاج.

[٤٠] ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوَاءً أَفْكَمَ يَكُونُوا يَكُونُهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾:

﴿ وَلَقَدْ ﴾: الواو استئنافية. لقد: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿ أَتَوْا ﴾: أي: مروا على والضمير يعود على كفار أو مشركي مكة. أي: مروا على القرية أثناء رحلاتهم التجارية بين الشام ومكة، أو سفرهم.

﴿ عَلَى ﴾: تفيد العلو والمشقة.

﴿ الْقَرْيَةِ ﴾: معرفة بـ(ال) التعريف، أي: قرية سدوم أعظم قرى قوم لوط.

﴿ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوَاءً ﴾: أمطرت بالحجارة من سجيل التي أشارت الدراسات العلمية الحديثة أنها نتيجة انفجار النيازك المكونة من معادن مختلفة مثل الحديد أو النيكل وغيرها تسقط على الأرض بشكل حجارة، سقطت على قوم لوط بشكل مطر سماه الحق مطر السوء الذي دمرهم وأهلكهم.

من السوء: مصدر ساءه، أي: فعل به ما يكره.

﴿ أَفْكَمَ ﴾: الهمزة للاستفهام والتوبيخ والتعجب والتقدير والفاء للتوكيد.

﴿ يَكُونُوا يَكُونُهَا ﴾: في سفرهم ورحلاتهم إلى الشام أو فلسطين، أي: أفلم يمروا عليها ويشاهدوها؟ الجواب: نعم.

﴿ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾: بل: للإضراب الانتقالي. يرجون: من

الرجاء. الرجاء تعريفه: الأمل في الخير والخشية والخوف في الشر فهم كانوا لا يخافون أو يخشون البعث والحساب والجزاء.



نشوراً: الإحياء بعد الموت، أي: لا يظنون أنهم سيبعثون بعد موتهم ولا يرجون ذلك. ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة للبيان.

أي: كان من المفروض أن يعتبروا ويأخذوا عبرة ويتعظوا برؤيتهم لقري لوط، ويصلوا إلى الحقيقة، ولكن ذلك لم يحصل فهم سواء أتوا أو لم يأتوا لا يؤمنون بالنشور والحساب.

[٤١] ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾:

لم يتوقف المشركون والكفار بالتكذيب بالبعث والنشور وعدم الإيمان، بل تعدى إلى الاستهزاء والسخرية بالرسول ﷺ.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾: إذا: ظرفية زمانية وشرطية، تعني: الحتمية الوقوع وإذا ﴿رَأَوْكَ﴾: في مجلس أو في الطريق أو في عبادة.

﴿إِن﴾: تعليلية.

﴿يَتَّخِذُونَكَ﴾: النون في يتخذونك للتوكيد، أي: الأخذ باللسان يتكلمون فيك باستهزاء.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿هُزُوًا﴾: الاستهزاء هو تصغير قدر الآخر أو التحقير والاستخفاف أو العيب به، والطعن أمام الناس أو في خلوتهم ببعض.

﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾: هذه كانت صيغة الاستهزاء.

أهذا: الهمزة همزة استفهام وتعجب، وفيه معنى التهكم والطعن.

أهذا الذي بعث الله رسولا: الذي اسم موصول، بعث: أرسل الله رسولا والبعث يختلف عن الإرسال. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة لمعرفة الفرق.

أي: في نظرهم أن رسول الله غير مؤهل لحمل هذه الرسالة فهم يريدون شخصاً هم يختارونه بأنفسهم، كما قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

[٤٢] ﴿إِن كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾:

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الندرة أو القلة.

﴿كَادَ﴾: من أفعال المقاربة، أي: قارب أن ﴿لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِنَا﴾: أي: يصرفنا عن عبادتها بدعوته للتوحيد، ولم يحصل ذلك.
﴿لَوْلَا﴾: شرطية.

﴿أَن﴾: مصدرية للتعليل والتوكيد.

﴿صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾: على عبادتها ولم نطعه ونستمع إليه.

وهذا اعتراف على أن الرسول كان عالياً وأتته كفو لحمل الرسالة وأثر في نفوسهم، وهذا يناقض سخريتهم واستهزائهم به ﷺ.

﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾: سوف للاستقبال البعيد، والتوكيد.

حين: ظرفية زمانية أو مكانية. يرون العذاب: في الآخرة.

﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾: من كان أضل سبيلاً هم أم رسول الله والمؤمنون. من للعاقل وتشمل المفرد والجمع.

وفي هذا تهديد ووعد لهم وحدث جزء منه يوم بدر.

[٤٣] ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اخْتَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾:

﴿أَرَأَيْتَ﴾: استفهام وتعجب، أي: انظر وتعجب أي: أخبرني بكل دراية

والرؤية هنا رؤية قلبية فكرية. من: للعاقل بمعنى الذي ﴿مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾: جعل هواه إلهاً لنفسه بأن أطاع هواه معرضاً عن الاستماع إلى الرسول وإلى ما أنزل الله.

قال ابن عباس: كان أحدهم يعبد الحجر فإذا رأى أحسن من الحجر رمى به وعبد غيره.

فكلما اشتهى شيئاً فعله بلا عقل ولا فكر.

﴿أَفَأَنْتَ﴾: الهمزة همزة إنكار. والمخاطب هو رسول الله ﷺ.

﴿تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾: أي: موكلاً ومسؤولاً عنه بتوجيهه لترك هواه ويتبع الحق.

أو مسؤولاً عن هدايته.

أو حفيظاً عليه تتولى هدايته وعليك أن تخرجه من الضلال إلى النور وتردّه إلى الإيمان قسراً وكرهاً.

والجواب: لا طبعاً ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

وتقديم عليه يفيد الاختصاص، عليه خاصة وكيلاً فقط.

ولم يقل: أفأنت تكون وكيلاً عليه (أي: عليه وعلى غيره)؛ لأن رسول الله ﷺ هدى الكثير واستجاب له الكثير، وهو ﷺ قادر على الهداية إلى الصراط المستقيم ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. والهداية الخاصة لا تكون إلا بإذن الله سبحانه.





سُورَةُ الرَّحْمَانِ ٢٥

الجزء السابع عشر

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَأَلَّا نَعْمٍ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا
﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ
لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾
وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُخْضِيَ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُنْشِئَ بِهِ
مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَنَاسِيًا كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ
لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ
وَجَهْدُهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَّ
الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ
نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾



الجزء
٣٧



سورة الفرقان [الآيات ٤٤ - ٥٥]

[٤٤] ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي، الهمزة: استفهام إنكاري.

﴿تَحْسَبُ﴾: من حسب: من الحساب القلبي والحساب الحسي القائم على النظر والتجربة والحساب وهو الظن الراجح.
﴿أَنَّ﴾: تفيد التوكيد.

﴿أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾: سماع تدبر وتعقل وقبول وانتفاع.

﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾: من عقل الشيء عرفه بدليله، وفهمه بأسبابه ونتائجه؛ ليصلوا إلى الحقيقة أن الله هو الإله الحق واجب الوجود الواحد الأحد الذي يجب أن يُعبد ويطاع، وقوله: أَنَّ أَكْثَرَهُمْ، فهناك أقلية تسمع وتعقل.
﴿إِنْ هُمْ﴾: إن: نافية تعني: ما هم، وهي أقوى في النفي من ما. هم: تفيد التوكيد.

﴿إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾: إلا: أداة حصر، والكاف: للتشبيه كالأنعام، تسمع الصوت ولا تفهم معناه، أي: لا يفقهون ما يقال لهم، كالأنعام تأكل وتشرب وتسرح وتمرح وتتوالد.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي.

﴿هُم أَضَلُّ سَبِيلًا﴾: هم: للتوكيد. أضل: من الأنعام؛ لأن الأنعام تهتدي



لمراعيها وتستسلم لأربابها. وتُقبل على المحسن إليها وتفقه ما تسمعه من أصوات الزجر وغيرها من رعاتها. فهم أسوأ حالاً من الأنعام، ولأن الأنعام تسبح ربها، وهؤلاء لا يفقهون شيئاً مما نُزل عليهم، ولا يسبحون ربهم، ولا يسمعون ما يعظهم به رسول الله ﷺ، أو لا يخترق أذانهم أصوات الدعاة إلى الله؛ فهم ليسوا كالأنعام، بل الأنعام أفضل فهم، وهم أضل سبيلاً من الأنعام.

[٤٥] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾:

في هذه الآية والآيات القادمة يذكر الآيات الكونية العجيبة الدالة على توحيد الألوهية والربوبية.

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام تحمل معنى التقرير. لم: حرف نفي.

﴿تَرَ﴾: رؤية عقلية أو فكرية ورؤية بصرية أيضاً؛ أي: ألم تعلم، أو يصل إليك العلم، والخطاب هو لكل من شأنه أن يخاطب؛ أي: النبي وكل الناس.

﴿إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾: الظل: ما بين الفجر وطلوع الشمس، والظل: قيل هو خيال الأشياء المادية ذات الحجم الناتج عن عدم اختراق أشعة الضوء المرئي للطبقة الغازية المحيطة بالأرض بشكل مفاجئ، أو بغتة، ولكن بشكل تدريجي ولبعض الأجسام والظل يحميننا من حرارة الشمس، فهو رحمة من الله، وهو آية تدل على تمام قدرة الله وعظمته وتمازج رحمته، ولولا الشمس ما كان الظل، أي: الشمس هي سبب الظل. وهناك من فرق بين الظل والفيء:

الظل: قيل هو ما بين طلوع الفجر وشروق الشمس.

وقيل الظل: شيء من النور (بدون شعاع الشمس) كما قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ



وقيل الظل: ظل كل شيء، وظل كل شخص.

وهناك من قال: هو الليل، والمعنى قد يحتمل الجميع.

وأما الفيء: قيل: هو الظل، وقيل: ما كان قائماً لم ينسخه ضوء الشمس، وقيل: الفيء يشمل الظل فكل فيء ظل، وليس كل ظل فيئاً. ارجع إلى سورة يس آية (٥٦) لمزيد من البيان في معنى الظل.

أما تفسير مَدَّ الظل: بما أن الظل كما قلنا بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فالمفروض أن يكون الظل فقط في ذلك الزمن، ولكن الله سبحانه مده؛ أي: طوله (جعله أطول) بحيث يمتد فنراه في أول النهار ممتد، ثم يتناقص وفي آخر النهار يزداد، وإذا كان معنى الظل أيضاً الليل؛ فالليل يطول في الشتاء ويقصر في الصيف، وهذا يذكرنا بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الفصص: ٧١]، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الفصص: ٧٢].

﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾: أي: لا يتحرك بالزيادة والنقصان أو يزول أو يبقى ثابتاً، وذلك بأن تكون الشمس مستقرة ثابتة لا تجري ولا تدور.

أي: يجعل ظل الأشياء ثابتاً لا يتغير بالشمس والزمن، ولكنه سبحانه جعله يتغير ينقص في أول النهار شيئاً فشيئاً، ويزداد في آخر النهار شيئاً فشيئاً ويجعله ساكناً بسكون الشمس وعدم دورانها فتبقى منطقة ما من الأرض في ظل دائم لا ترى الشمس إلى الأبد، بينما تبقى منطقة أخرى في نهار دائم، وأخرى منغمسة في ليل حالك شديد السواد؛ مما يجعل الحياة مستحيلة على كوكب الأرض، ومن طول الظل وامتداده يمكن معرفة الزمن، وهذه فائدة ثانية والأولى الحماية من أشعة الشمس الضارة، وكذلك التخفيف من حرارة الشمس وغيرها.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾: ثم: تفيد الحال: أي: سَلَطَ الشَّمْسَ عَلَى الظل أو كأنه نصب الشَّمْسَ عَلَى الظل دليلاً، فهو يزيد وينقص حسب موقع الشَّمْسِ أو يمتد ويتقلص.

[٤٦] ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾:

﴿ثُمَّ﴾: تفيد الترتيب الذكري.

﴿قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾: حين تطلع الشَّمْسُ يكون الظل ممدوداً وطويلاً، ثم كلما ارتفعت الشَّمْسُ ينقبض الظل وينقص شيئاً فشيئاً، أي: قَبْضًا يسيراً. جزءاً فجزءاً حتى تصل الشَّمْسُ كبد السماء، ثم يبدأ يزداد فيزداد إلى وقت غروب الشَّمْسِ، ولهذا القبض اليسير فوائد في قيام الناس بأعمالهم وشغلهم. وقد تعني (إلينا) يوم القيامة نزيله بشكل يسير، وذلك بزوال أسبابه بتكوير الشَّمْسِ وزوالها.

[٤٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾:

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم، وتعود على الله سبحانه.

﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾: الجعل بعد الخلق؛ أي: بعد خلق السموات والأرض وخلق الشمس والقمر جعل أو خلق الليل والنهار وفي ذلك إشارة إلى كروية الأرض؛ أي: خلق الليل أولاً والنهار ثانياً وجعل، أي: صَيَّرَ لَكُمْ: اللام لام الاختصاص، أي: لكم خاصة.

﴿الَّيْلَ لِبَاسًا﴾: شبه ظلام الليل باللباس الذي يستر ويغطي الجسم من كل الجهات، أي: يستر الإنسان كما يغطي الثوب الجسم.

وهذه نعمة ورحمة من الله سبحانه على خلقه لما فيها من الفوائد مثل الراحة والسكون. فالظلام ضروري لإفراز هرمون ميلاتونين الذي يؤدي إلى النوم، والضوء في النهار يثير منطقة في الدماغ تسمى النواة الواقعة فوق التصالب العصب البصري، والتي تؤثر على الغدة لكي تخفض إفراز الميلاتونين.

﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾: من السبت: لغة هو القطع، أي: قاطعاً للحركة، أي: للراحة والسكون. والسبات: تشبه مرحلة الوفاة التي تسبق مرحلة الموت حيث ينقطع فيها الوعي والإدراك. ويدخل الإنسان في غيبوبة والفرق بين النوم والموت أن النوم هو توقُّف جميع الحركات الإرادية ويُفقد الوعي والإدراك أو التمييز لفترة من الزمن والروح ما زالت في الجسم، وأما الموت فهو توقف وانقطاع جميع الحركات الإرادية واللاإرادية، انقطاع تام وخروج الروح من الجسم كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُسُورًا﴾: وجعل النهار. ارجع إلى الآية (٦٧) من سورة يونس.

النهار نشوراً: ذا نشور: بعث ويقظة ووعي والبدء بالحركة بعد مرحلة السبات، أي: النوم ويمثل مرحلة صغرى للنشور الحقيقي هو الإحياء بعد الموت، أي: للبعث من القبور للحساب، والليل والنهار من مظاهر قدرة الله تعالى وعظمته ورحمته بالناس، وفيه إشارة إلى كروية الأرض ودورانها حول محورها وحول الشمس ولولا تبادل الليل والنهار لما استقامت الحياة على الأرض.

ويعني كذلك انتشار الناس في الأرض لا بتغاء الرزق والعمل.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ ۖ فَحَوْنًا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ﴾ [الإسراء: ١٢].

[٤٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ۚ﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾: التي تسوق وتحمل السحاب التي تلمح بريح أخرى تحمل هباءات الغبار، فتصبح ذرات بخار الماء ذات كثافة عالية تتحول إلى الماء المطر. أرسل الرياح ولم يقل: الريح؛ لأن من خصوصيات القرآن الكريم أن يستعمل كلمة الريح التي تحمل معنى الشر والأذى مثل الفيضانات والدمار. والتي لا يصحبها خير، وكلمة الرياح بصيغة الجمع للتي تدل على الخير والرحمة.

﴿بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾: بشراً: تبشر من البشارة، وهي الخبر السار، أو الإخبار بما يسر.

بين يدي: قبل نزول المطر والرحمة هنا تعني المطر (الماء) وسمي ماء المطر رحمة؛ لأنه من دونه لا يخرج الزرع ولا الثمر ولا يبقى أي شيء حي.

فالرياح وبالتالي رؤية السحاب تبشر بقدوم المطر (الرحمة).

﴿وَأَنزَلْنَا﴾: بصيغة الجمع للتعظيم، وهذا الإنزال يعني: دورة الماء على الأرض، ارجع إلى سورة المؤمنون آية (١٨) للبيان.

﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾: وتعريف السماء: هي كل ما علا الإنسان من السحاب وغيره؛ أي: من السحب الركامية ﴿مَاءً طَهُورًا﴾: الطاهر في ذاته والمطهر لغيره.

أي: طاهر مطهر. ارجع إلى سورة (ق) آية (٩) للبيان.



[٤٩] ﴿لِنُخَبِّئَ بِهِ بَلَدَةً مَّيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِي كَثِيرًا﴾:

﴿لِنُخَبِّئَ﴾: اللام للتوكيد.

﴿بِهِ﴾: بالماء (أو المطر).

﴿بَلَدَةً مَّيِّتًا﴾: انتبه إلى سكون الياء في (ميّتاً) والتي تشير إلى أن الأرض قد ماتت فعلاً، بينما عدم تشديدها يعني: ما زالت على قيد الحياة، وستموت إذا لم يصلها الماء كما في قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [آل عمران: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الأعراف: ٥٧].

فهناك فرق بين الميّت بالسكون والميّت بالتشديد، فالميّت: هو الذي مات بالفعل، والميّت: هو الذي ما زال على قيد الحياة.

﴿بَلَدَةً مَّيِّتًا﴾: لا نبات فيها أبداً.

﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا﴾: نسقيه، أي: ذلك الماء. مما: مركبة (من وما). من: ابتدائية، ما: لغير العاقل والعاقل وغلب غير العاقل على العاقل لكثرة.

﴿أَنْعَمًا﴾: الأنعام ثمانية أزواج الإبل والبقر والغنم والماعز. وأما بهيمة الأنعام فتشمل الأنعام الثمانية وغيرها مما يشبه الأنعام.

﴿وَأُنَاسِي كَثِيرًا﴾: جمع إنس أو إنسي وأصلها أناسين، أو أناسيني على وزن أفاعيل، وخففت إلى أناسي، وكلمة إنسان اشتقت من الأنس فهو يأنس بغيره، وكونه يُرى وغير مخفي كالجن؛ أي: مجموعات من البشر تعيش في تلك البلدة الميتة التي أحيها الله تعالى، ولم يقل ناس؛ لأن كلمة الناس عامة تشمل كثير من البلدان وهو يتكلم عن أهل بلدة أناس تكاثروا فأصبحوا أناس كثيراً، فالله سبحانه أحيأ بهذا الماء الطيور والنبات، وأحيأ الأنعام، وأحيأ الأناسي.



وقدّم أحياء الأرض الميتة والأنعام على الأناسي؛ لأن حياة الأناسي تعتمد على الغذاء، والغذاء يستمد من الأرض ومن الأنعام، وحياة الأرض والأنعام تعتمد على الماء أو الشُّقيا، والشُّقيا تعتمد على ماء المطر، وما يقوم به الإنسان في توفير الماء لها، ولم خصّ الأنعام عن غيرها؟ لأن غيرها من الحيوانات يمكن أن تحصل على الماء بنفسها من دون الاعتماد على البشر.

وهناك فرق بين سقاه وأسقاه.

سقاه: تعني ناوله ما يشربه الآن.

أسقاه: أعدّ له ما يستقي منه ولم يشرب بعد. فالآية لا تتحدث عن خزن الماء، وإنما عن استعماله الآن.

[٥٠] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام: لام التوكيد، قد: للتحقيق.

﴿صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾: أي: الماء (المطر) صرفناه: من التصريف والتغيير، بينهم: بلاد فيها مطر خفيف وبلاد فيها مطر غزير، وبلاد تشكو من الجفاف والجذب، وبلاد أو أرض خصبة غناء، ورغم ذلك تبقى كمية الماء ثابتة لا تتغير. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (١٨) للبيان المفصل.

﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾: اللام لام التعليل، يذكروا: تلك النعمة فالذين أصابهم المطر الغزير وأخصبت أرضهم؛ ليذكروا نعمة الله عليهم فيشكروه ويحمدوه.

وأما الذين مُنِع عنهم المطر فيذكرون ربهم ويتضرعون إليه ويدعونه أن يُنزل عليهم الغيث (صلاة الاستسقاء) ويبادروا بالتوبة والرجوع إليه ويصبروا على هذه المحنة والبلاء.

﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: أي: لا هؤلاء شكروا ولا هؤلاء صبروا وتضرعوا إلى الله ورجعوا إلى ربهم. إلا: أداة حصر، كفوراً: صيغة مبالغة كثيرو الكفر.

فأبى أكثر الناس: أي: هناك القليل الذين تذكروا وشكروا وصبروا والكثير منهم جحدوا بنعمة الله تعالى، ونسبوا المطر إلى غير الله تعالى وغيرهم لم يصبروا على الابتلاء ولم يدعوا ربهم.

[٥١] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾:

﴿وَلَوْ﴾: شرطية.

﴿شِئْنَا لَبَعَثْنَا﴾: اللام: للتوكيد، بعثنا: أرسلنا. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩) لبيان معنى بعثنا وأرسلنا والفرق بينهما. ﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾.

﴿نَذِيرًا﴾: ليلغ ويعلم ويحذر كل جماعة أو كل فرد في تلك القرية. نذيراً من الإنذار وهو الإعلام والتحذير والتخويف.

والسؤال هنا: كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وهذه الآية؟

نقول: آية الفرقان جاءت بخصوص رسول الله ﷺ؛ أي: لو شئنا لبعثنا في كل قرية التي حولك نذيراً كي نخفف عليك من أعباء الرسالة، ولكن بعثناك إلى جميع القرى؛ لعظم كرامتك ونشأتك وأجرك وأرسلناك مبشراً ونذيراً لكافة القرى.

[٥٢] ﴿فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: الناهية.



﴿تَطِيعُ الْكَافِرِينَ﴾: بما أن الله بعثك إلى كافة القرى فلا تركن إليهم ولا تتبع أهواءهم واستقم كما أمرت كقوله تعالى: ﴿فَأِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

﴿وَجَهِّدْهُمْ﴾: ابذل قصارى جهدك وطاقتك في إبلاغهم ما أنزل إليهم من ربهم.

﴿يَهِيءُ﴾: بالقرآن.

﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾: جهاداً بكل الوسائل الحجج والبراهين، والسلطان والجهاد وغيره إذا احتاج الأمر، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظُ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

[٥٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾:

﴿وَهُوَ الَّذِي﴾: ارجع إلى الآية (٤٧).

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾: مرج البحرين: قيل خلل بينهما (كما قال الزهري والزجاج)، أو أرسلهما، والتفسير العلمي للمرج هو الذهاب والإياب لحركة الأمواج التي تحدث مع حركة المد والجزر في البحر. مرج أمواج البحر العذب وأمواج البحر المالح.

﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: هذا: الهاء: للتنبيه وذا: اسم إشارة تشير إلى ماء البحر العذب الفرات وهو الماء العذب الحلو. (وقد يكون من ماء الأنهار العذبة).

﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: ملح: كثير الملوحة أجاج: المر الطعم. وهو ماء البحر أي: المالح والمر الطعم معاً.



مرج المياه الحلوة العذبة مع المياه المالحة (شديدة الملوحة والمرارة).
أي: مرج أمواج البحر العذب بالالتقاء بأمواج البحر المالح الأجاج من
دون أن يختلط ماؤهما كما يظن البعض خطأ.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾: لأنه سبحانه جعل بين الماءين برزخاً: حاجزاً بحيث
لا يختلط ماؤهما، ولو نظرنا من أعلى إلى التقاء الماءين لوجدنا أن هناك حاجزاً
كأنه برزخ بين الماءين.

﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾: وأضاف إلى البرزخ حجراً محجوراً لا يدخل في ذلك
المكان شيء ولا يخرج منه شيء.

الحجر: يعني: منع الخروج منه.

محجوراً: يعني: منع الدخول إليه أو فيه.

فما هو الحجر المحجور؟

عند التقاء مياه النهر بمياه البحر تتشكل منطقة ثالثة ليست لها خاصية
تركيب ماء البحر. الملح الأجاج ولا خاصية تركيب مياه البحر العذب السائف
شرابه (أو ماء النهر) وتسمى منطقة المصب هذه المنطقة الثالثة لها خاصيتها
الطبيعية والكيمياوية، ولها أنواع من الرسوبيات تختلف عن ماء النهر الحلو وماء
البحر المالح، وتعيش فيها كائنات حية خاصة بها لو دخلت إلى ماء النهر تموت
أو ماء البحر تموت.

وهذه آية من الآيات الكونية، والتي تدل على عظمة الخالق ووحدانيته.

ارجع إلى سورة فاطر آية (١٢) لمزيد من البيان والمقارنة، وسورة الرحمن آية
(١٩-٢٠).



[٥٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾:

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل يفيد الحصر والتوكيد.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم والمدح.

﴿خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾: خلقه الله من الماء ماء الذكر كما قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ ٥ ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ ٦ ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ٥-٧] يعني: المني الحامل للحيوانات المنوية، وماء المرأة الأثني الحامل للبويضة، وقد يعني الماء الداخل في تركيب جسم الإنسان الذي يعادل حوالي (٧٠٪) من وزنه، وكما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، أو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾ [النور: ٤٥]، وقد تعني: كلا المعنيين.

بشراً: أي: الأنس مشتقة من البشارة حسن الهيئة وبشرة الجلد الخاصة بالإنسان.

سُمِّيَ البشر بشراً: لظهورهم على الأرض.

﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾: ثم قسم البشر قسمين نسباً وصهراً ذكوراً وإناثاً، نسباً يأتي عن طريق القرابة عن طريق الدم.

صهراً من المصاهرة تأتي عن طريق تزويج الإناث؛ أي: عن الزواج، فحين يتزوج رجل من بنت رجل آخر يسمَّى الرجل المتزوج صهراً، وقدم النسب على الصهر، أو النسب على المصاهرة؛ لأن قرابة النسب أقرب من قرابة المصاهرة، فالرجل أقرب إلى أبيه وأخيه من قرابته لأهل زوجته.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾: على الخلق والجعل والتصريف والإحياء والبعث وعلى كل شيء قدير صيغة مبالغة كثير القدرة لا يعجزه شيئاً في السموات ولا في الأرض.



[٥٥] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾:

رغم كل هذه الآيات الكونية الدالة على عظمة الخالق ووحدانيته وأنه الإله الحق الذي يستحق وحده العبودية والحمد والشكر يشركون به.

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾: آلهتهم وأصنامهم يعبدون، ولم يقل: وعبدوا بصيغة المضارع التي تدل على الاستمرار والتجديد والتكرار، أي: يشركون بعبادتهم.
﴿مِنْ دُونِ﴾: من غير الله.

﴿مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾: ما: النافية، لا: تفيد تأكيد النفي أي: لا تنفعهم إن عبدوها ولا تضرهم إن لم يعبدوها، وتكرار (لا) يفيد التوكيد، وفصل النفع عن الضر أو كليهما معاً.

﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾: كان: تشمل الماضي والحاضر والمستقبل.
على: تفيد العلو والمشقة. والظهير: المعين أو المساعد. ظهراً: مشتقة من الظهر؛ أي: عظام الفقار؛ فقد كانوا في الزمن الماضي يحملون الأحمال على الظهر قبل اختراع آلات الحمل، وإذا أراد أحدهم معاونة الآخر يقول له: أعطني ظهرك يعني: احمل عني أو ساعدني.

والكافر: يراد به الجنس أي: كل كافر، فكل كافر هو معين للشيطان أو معين لكافر آخر على معصية ربه وعبادتهم للأصنام أكبر معصية لله.





الجزء التاسع عشر

سورة الفرقان ٢٥

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾





سورة الفرقان [الآيات ٥٦ - ٦٧]

[٥٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾:

﴿وَمَا﴾: النافية. والواو: استئنافية.

﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾: ولم يقل: بعثناك. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مُبَشِّرًا﴾: من البشارة. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان.

﴿وَنَذِيرًا﴾: من الإنذار وهي الإعلام المقرون بالتحذير والتخويف.

وكل إنذار إعلام، وليس كل إعلام إنذاراً.

والإنذار يتعدى إلى مفعولين مثل فأندرتكم ناراً تلظى.

والإنذار يكون للكفار خاصة، وقد يكون للمؤمنين أيضاً كقوله: ﴿إِنَّمَا

نُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ [يس: ١٩].

والإنذار يكون للأموال المنهي عنها (السيئة والقيحة).

والإنذار إحسان من المنذر للمندذر؛ لكي يأخذ استعداداً، فلا يُفاجأ بالأمر

المحذر منه أو لكي يغيّر عمله ويتوب إلى الله.

والرسول ﷺ كان مبشراً ونذيراً لكافة الناس جميعاً.

[٥٧] ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿مَا﴾: النافية.

﴿أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التبليغ والإنذار والدعوة إلى الله والقرآن والإيمان.

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: من: للتوكيد واستغراقية؛ أي أجر مهما كان نوعه ومقداره مال أو غير المال. ولم يقل: من مال؛ لأن الأجر أعم من المال، والأجر يعني: الثواب. ولنقارن هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام: ٩٠] نجد أن آية الفرقان أشد توكيداً للنفي على أخذ الأجر من آية الأنعام. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٩٠) لمزيد من البيان.

ولم يسأل أي رسول قومه الأجر أو المال على الدعوة إلى الله وتبليغ الرسالة، والكل قال: ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩].

والأجر لا يمكن أن يقدره إلا الله سبحانه وحده.

وأبعد من ذلك لم يقبل رسول الله ﷺ الصدقة.

﴿إِلَّا مَنْ﴾: إلا: أداة حصر، من: ابتدائية استغراقية.

﴿شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾: شاء أن: للتوكيد والتعليل؛ أي: من أراد أن يتقرب إلى الله بالإنفاق في سبيله بالتطوع والعمل الصالح ومساعدة الآخرين وغيره فليفعل ولا أمنعه.

ولنقارن هذه الآية: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ مع الآية (٩٠) من سورة الأنعام: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

قوله تعالى: من أجر أوكد وأقوى من قوله: عليه أجرًا؛ لوجود (من) التي تدل على الاستغراق والتوكيد.

ويستعمل (من) في سياق الدعوة والتبليغ، كما في آية الفرقان (٥٧) بينما

آية الأنعام لم تكن في سياق الدعوة والتبليغ، وإنما جاءت في سياق تعداد النعم على الرسل.

ما: كثيراً ما تنفي الحال والاستمرار والاستقبال وفيها تأكيد مقارنة بـ لا: تنفي كل الأزمنة فهي مطلقة.

[٥٨] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بُذُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾

المناسبة: بعد ذكر موقف الذين لا يرجون لقاء الله تعالى والمكذبين بالبعث والحساب والطلب من رسوله الإبلاغ والإنذار من دون أي أجر يأمره بأن يتوكل عليه في الأمور كلها، فيقول تعالى:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾: التوكل يعني: تفويض الأمر لله تعالى أي: رده إليه راجياً عونهُ وتيسيره وتوفيقه بعد اتخاذ الأسباب المطلوبة شرعاً وعقلاً، فهو سبحانه الكافي لمن توكل عليه والموكل إليه تدبير كل شيء.

على: تفيد العلو.

الحي الذي لا يموت: الحي واجب الوجود الباقي الدائم من أزل الأزل إلى أبد الأبد.

والأزل هو دوام الوجود في الماضي.

والأبد هو دوام الوجود في المستقبل.

وكما قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

[الفصص: ٨٨].

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾: التسبيح هو تنزيه الله سبحانه عما لا يليق بذاته وأفعاله وصفاته وأسمائه. ارجع إلى سورة الحديد آية (١) لمزيد من البيان، وسورة الإسراء آية (١).



فسبحانه هو الكامل في ذاته وأفعاله وصفاته وأسمائه.

بحمده: الباء: للإلصاق والتوكيد، أي: بالثناء عليه وشكره.

أي: تسبيح مصاحب للحمد والحمد أعم من الشكر.

كأن تقول: سبحانه الله والحمد لله أو سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

﴿وَكَفَىٰ بِهِ ذُنُوبًا عَبَادَهُ خَيْرًا﴾: الباء: للتوكيد والإلصاق؛ أي: لا يحتاج سبحانه وتعالى أن يخبره أحدٌ عن ذنوب عباده الآخرين، وهو سبحانه غني أيضاً عن أن يخبره أحدٌ من عباده بما يفعله الآخرون؛ لأنَّه سبحانه يعلم بواطن الأمور وخفاياها، ويعلم ظواهرها ولا تخفى عليه خافية أي: سبحانه لا يحتاج أن يخبركم عن ذنوب عباده، ولا يحتاج منكم أن تخبروه عن ذنوب عباده؛ لأنَّه خير بها.

[٥٩] ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْئَلُ بِهِ خَيْرًا﴾:

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم، أي: الله ربكم الذي:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: في ستة أيام. ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٣٠)، وسورة الأعراف آية (٥٤)، وسورة البقرة آية (٢٢، ٢٩) للبيان، وسورة فصلت آية (١٠-١٢).

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: حيث اختلط الغلاف الغازي للأرض بمكونات السماء، ولذلك لم يَصِرْ هذا الغلاف الغازي من الأرض بالكامل، وليس من السماء بالكامل وظل طبقة فاصلة بين السماء والأرض.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾: ثم تفيد التباين بالمرتبة بين الاستواء على

العرش وخلق السموات والأرض، فالاستواء على العرش أكبر وأعظم من خلق السموات والأرض.

استوى على العرش ارجع إلى الآية (٣) من سورة يونس، وسورة هود آية (٧) للبيان.

﴿الرَّحْمَنُ﴾: من الرحمة التي هي السمة والصفة العامة التي تمثل كثيراً من صفاته أو ينطوي فيها كثير من صفاته؛ لأنه سبحانه كله رحمة، وشريعته رحمة، ونعمه رحمة، وقرآنه رحمة، وكل ما يفعله سبحانه رحمة، وعمت رحمته العالمين. فهو الرحمن الرحيم. ارجع إلى سورة الحمد آية (٣) للبيان.

﴿فَسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾: أي: إذا أردت أن تسأل عن خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، والاستواء على العرش، فلا تسأل إلا الله (الرحمن) لأنه وحده هو يعلم كيف خلق السموات والأرض، ولم يُطلع على ذلك أحداً سبحانه، كقوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥١].

أو إذا كان يهملك معرفة خلق السموات والأرض وما بينهما والاستواء على العرش، فاسأل به خيراً، أي: من هو خير بذاته عالم بقدرته وعظمته، أي: لا يعلم الله إلا الله سبحانه وتعالى، وقد تعود على رسول الله ﷺ أو تعود على أولي العلم أو تعود على علماء الكون والفضاء، أو أي خبير، كل في اختصاصه، سواء كانت علوم الدين أو علوم الدنيا.

[٦٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية شرطية بمعنى حين أو حين تقول لهم.

﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: قيل، من هو القائل؟ مبني للمجهول قد يكون رسول الله ﷺ، أو غيره من المؤمنين.

لهم: لكفار قريش أو غيرهم من الذين لا يؤمنون بالله سبحانه.



﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾: وحده، أي: لا تشركوا به شيئاً والسجود يعني: الطاعة والخضوع ويعني: الصلاة والشكر.

﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾: ما: استفهامية، فهم يستفهمون عن حقيقته؛ لأنهم لم يكونوا يعرفون له هذا الاسم.

فهم إما حقيقة لا يعرفون من هو الرحمن.
أو أنهم كانوا ينكرون أن يكون لله اسم هو الرحمن.
أو قالوا مستكبرين: وما الرحمن؟!

﴿أَسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري واستبعاد والمخاطب هو رسول الله ﷺ.

﴿لِمَا﴾: ما اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية.
﴿أَسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾: أي: من أنت حتى تأمرنا أن نسجد للرحمن أو كيف يأتي الأمر منك.

﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾: النفور هو الابتعاد عن الشيء بكراهة؛ أي: زادهم الأمر بالسجود بُعداً واستنكاراً وإعراضاً عن السجود، وعن الإيمان، وعن رسول الله ﷺ، والقرآن.

[٦١] ﴿نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾:

﴿نَبَارَكُ الَّذِي﴾: ارجع إلى الآية (١) من سورة الملك.

﴿جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾: ارجع إلى سورة الحجر آية (١٦) وسورة البروج آية (١) للبيان.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾: الشمس. ارجع إلى سورة يونس آية (٥) للبيان المفصل.



﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾: كوكباً منيراً بالليل يُضيء بواسطة الأشعة المنعكسة على سطحه من أشعة الشمس، فهو غير مضيء بذاته كما هو الحال في الشمس والنجوم. ارجع إلى سورة يونس آية (٥) للبيان.

والبروج والشمس والقمر آيات من آيات الله الدالة على عظمته وقدرته تعالى، وأنه الإله الحق واجب الوجود الذي يجب أن يطاع ويُعبد.

[٦٢] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾:

﴿وَهُوَ الَّذِي﴾: هو تفيد التوكيد والحصر. الذي: اسم موصول يفيد المدح والتعظيم.

﴿جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾: بعد أن خلقهما جعلهما خلفه يخلف أحدهما الآخر، أي: يتعاقبان يعقب الليل النهار ويعقب النهار الليل. وهذا يشير إلى كروية الأرض ودورانها حول محورها وحول الشمس. ارجع إلى سورة يونس آية (٦٧) لمزيد من البيان. ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين.

﴿لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾: فمن أراد أن يتذكر ويشكر في الليل كان له ذلك، ومن أراد أن يتذكر ويشكر في النهار كان له ذلك. ويذكر: يدخل في معناه الصلاة والعبادات الأخرى والذكر العادي التسبيح والتكبير والتهليل.

يذكر: فيها مبالغة في التذكر، ويعني: تذكر قلبي عميق يهز النفس ويوقظها من سباتها، وتذكر باللسان.

﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾: شكوراً صيغة مبالغة من الشكر أي: كثير الشكر، وليس مرة واحدة كما هو الحال في شكر أو يشكر. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠) لمزيد في معنى الشكر.



[٦٣] ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾:

بعد أن بيّن الله سبحانه حال المشركين وإعراضهم عن السجود وإنكارهم للسجود للرحمن، ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يذكر بالمقابل صفات عباد الرحمن الذين اختاروا طاعة الله وعبوديته بأنفسهم فنالوا درجة الشرف بأن أطلق عليهم سبحانه أنهم عباد الرحمن ووصفهم بـ (١٢) صفة.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾: عباد: جمع عابد، وعبيد: جمع عبد، إضافة الرحمن إلى العباد للتشريف والتكريم، وهؤلاء أعلى درجة من غيرهم من العباد أمثال عبادي، عبيد. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٨٦) لمعرفة الفرق بين عباد، عبادي، عبيد.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول فيه معنى المدح والتشريف وتكرار الذين سبع مرات لتدل على أنهم ليسوا صنفاً واحداً أي: عباد الرحمن منهم من يمتاز بهذه الصفة أو تلك الصفة، ولا يعني أنهم يملكون الصفات كلها.

﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾: يمشون برفق ولين، أي: تواضع لله وسكينة من دون تكبر ولا تجبر ولا تضعف، وليس يعني خنوعاً وذللاً.

انتبه إلى الفرق بين كلمتي الهون: الذل والعار، كما في قوله تعالى: ﴿فَاخَذْنَاهُمْ صِيعَةً الْعَذَابِ أَلْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت: ١٧]، بينما الهون: هو الوقار والتواضع والتؤدة.

وهناك فرق بين المشي على الأرض والسير:

المشي: هو مجرد الحركة بهدف أو غير هدف، والمشي يكون ولو خطوة واحدة.

السير: يكون إلى جهة معينة وهدف محدد بغرض الدراسة أو التجارة أو العبرة أو الهجرة، ويكون لمسافات أطول.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾: وإذا: ظرفية زمانية تعني: حتمية الحدود.

خاطبهم الجاهلون: جمع جاهل، والجاهل: ناقص العلم والمعرفة، والجهل في الاصطلاح: اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه، أو يعني: عدم المعرفة والاعتقاد بما لا يتفق مع الحقيقة، والجهل المركب كما قال علي: لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، وليس أرض خصبة للعلم والتعلم والاعتبار والنظر. قالوا سلاماً: سلام المتاركة لا سلام الأمان أو التحية، أو تعني قولاً يسلمون فيه من الإثم بالقول السيئ مثل سبّ وشتم الجاهل.

سلاماً: لا يصدر منهم إلا الكلام الطيب.

ويعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيراً.

أي: يدفع بالتي هي أحسن يقابل السيئة بالحسنة.

[٦٤] ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿يَبِيتُونَ﴾: من البيوت: تعني بالليل والبيتوتة لا يشترط فيها كلّ الليل، وقد يكون جزءاً من الليل وسواء نام أو لم ينم، وجاءت بصيغة المضارع لتدل على التجدد والتكرار والاستمرار. والبيتوتة هنا لا تعني النوم والاستراحة، وإنما تعني القيام لرب العالمين والتبتل إليه تبتلاً.

﴿لِرَبِّهِمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾: أي: يصلون لربهم فمنهم القائم على قدميه ومنهم الساجد على وجهه. سجداً: السجود الظاهري بخشوع أو بدون خشوع. وفي



هذه الآية تعريض بأولئك الذين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠] السابقة؛ أي: إذا فريق منهم أعرضوا عن السجود للرحمن فهناك فريق آخر أو عباد يبيتون لربهم سجداً وقياماً.

وقدّم السجود على القيام: للمبالغة في كثرة السجود، أو لأن العبد يكون أقرب إلى الله سبحانه في حالة السجود.

يعني: إحياء جزء من الليل بالصلاة والذكر والدعاء.

[٦٥] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح وتكرار الذين يفيد التوكيد.

﴿يَقُولُونَ﴾: أي: يدعون ربهم بشكل متكرر ومستمر، يقولون بصيغة المضارع لتدل على التجدد والتكرار، وليس مرة واحدة وانتهى الأمر.

﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا﴾: يدعون ربنا اصرف عنا: أي: أبعد عنا أو جنبنا.

﴿عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾: النار.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾: كان ملازماً دائماً لا ينفك أو يخفف أو يُوقف مستمراً، وغراماً مشتقة من الغرام والحب والعشق، أي: كمن لا يفارق محبوبته أو من الغريم الذي يلزم المدين ليأخذ منه دينه، والغرام في اللغة يعني: أشد العذاب، أي: أن عذابها أشد العذاب.

[٦٦] ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾:

﴿إِنَّهَا﴾: للتوكيد.

﴿سَاءَتْ﴾: من أفعال الذم؛ أي: قُبُحت. أو بُسّ المستقر والمقام، سواء أكان دائماً أم مؤقتاً.



﴿مُسْتَقَرًّا﴾: هو المكان المؤقت غير الدائم لغير الخالدين في جهنم لمن يطهرون من ذنوبهم، ثم يخرجون منها.

﴿وَمُقَامًا﴾: المقام الدائم للخالدين في جهنم أبداً، أي: المستقر الدائم.

أو المستقر: بمعنى المكان للراحة والاستراحة. المكان المؤقت.

ومقاماً: بمعنى المكان للإقامة الدائمة.

[٦٧] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: تكرارها يفيد المدح والتوكيد.

﴿إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾: الإسراف هو الإنفاق في حلٍّ، أي: ما ينبغي ومجاوزة الحد في الإنفاق. والتبذير هو الإسراف في غير حلٍّ، أو ما لا ينبغي (في المعاصي)، أو الإسراف مجاوزة الحد في النفقة.

﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾: التقدير هو التضييق في النفقة إما لتقصير عما لا بد منه، أو منع حق الله. والأفضل التوسط في الإنفاق.

﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾: القوام الوسط. الاعتدال. وسطاً بين الإسراف والتقتير والقوام ما يقوم به الشيء، والحياة تقوم على الاعتدال: أي: الوسطية.

انتبه إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ولم يقل: وكانوا بين ذلك؛ لأن كان تعود على الإنفاق (أي: كان إنفاقهم) بين ذلك بين الإسراف والتقتير.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٢٥

الْبُرْءُ التَّاسِعُ عَشْرُونَ

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ أَنْفُسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ
مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ
مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
لَمْ يَخْرُوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا
صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا טַחِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ
فِيهَا حَسَنَاتٍ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُكُمْ رَبِّي
لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

الْبَيِّنَاتِ ٢٦

الرَّحْمَةِ ٢٦



سورة الفرقان [الآيات ٦٨ - ٧٧]

[٦٨] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ

﴿وَالَّذِينَ﴾: تكرر ها يفيد المدح والتوكيد.

﴿لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾: أي: لا يشركون بالله شيئاً الشرك الخفي، ولا يقصد به الشرك العادي، وإلا كيف يدعوهم عباد الرحمن مهما كان، أي: هم من الموحدين المخلصين.

﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: أي: لا يقتلون عمداً النفس التي حرم الله إلا: أداة حصر.

بالحق: بالقصاص، أي: بالقسط والعدل، وبما فرض الله من القصاص من القاتل عمداً أو قتل المرتد عن دينه بعد أن يُستتاب، ويمر بكل المراحل المطلوبة. ارجع إلى كتب الفقه للشروط والأحكام.

﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾: لأن الزنى فاحشة وساء سبيلاً، وليبقى المجتمع المؤمن على طهر، وخال من الأمراض المعدية أو السارية، وتكرر لا: تفيد توكيد النفي، ويدعون، ويقتلون، ويزنون: جاءت بنون التوكيد لزيادة التوكيد، ولكن الملاحظ عدم تكرار الذين، ولم يقل والذين لا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق والذين لا يزنون (حذف الذين) كي يجعل الثلاثة خصال كأنها خصلة واحدة،



ولوحظ اقتران آيات قتل النفس التي حرم الله مع آيات الزنى في سورة الفرقان والإسراء والممتحنة، قد يكون الاقتران إشارة إلى أن الزنى قد ينتج عن الحمل؛ فتلجأ المرأة إلى محاولة الاجهاض؛ لقتل الجنين وتغطية جريمة الزنى أو حتى بعد الولادة أحياناً.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾: من: للعاقل (تشمل المفرد أو المثنى أو الجمع)، وشرطية، يفعل ذلك: الشرك أو القتل أو الزنى واحداً من الثلاثة.

﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾: أي: عقاباً أو يلقي جزاء آثامه، وقد وضح ذلك بقوله: يضاعف له العذاب ويخلد فيه مهاناً.

[٦٩] ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾:

﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: قيل: ضعفين أو أضعافاً مضاعفة لا يعلمها إلا الله.

﴿وَيَخْلُدْ﴾: من الخلود هو الاستمرار والبقاء في العذاب يبدأ من زمن دخوله فيها إلى ما لا نهاية.

﴿فِيهِ مُهَانًا﴾: ذليلاً مستحقراً. مهاناً: اسم مفعول من فعل أهان.

[٧٠] ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿مَنْ تَابَ﴾: من الشرك والقتل والزنى، والتوبة تعني: عدم العودة إلى



الذنب والندم على فعله وإرجاع الحقوق إلى أصحابها والإكثار من العمل الصالح والنوافل.

﴿وَأَمَّا﴾: بما أنزل الله تعالى وما أمر به الرسول ونهى عنه ومصدقاً باليوم الآخر، وآمن بالملائكة والكتب والرسول واليوم الآخر.

﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾: الفروض والنوافل والباقيات الصالحات مقابل ما قرّط به.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد، أولئك: اسم إشارة.

﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾: وهذا من أعظم كرمه وجوده ورحمته وإحسانه الذي لا يتصوره العقل.

﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾: كان تشمل كلّ الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿عَفُورًا﴾: صيغة مبالغة كثير المغفرة وهي الستر وترك العقوبة والإثابة على الحسنات، ولو كثرت ذنوب العبد أو عظمت فإنه يغفر الذنوب جميعاً إلا الكفر والشرك.

﴿رَحِيمًا﴾: بعدم تعجيل العقوبة لهم أو العذاب. رحيماً بالمؤمنين في الدنيا والآخرة.

رحمته صفة ثابتة لذاته

[٧١] ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: شرطية ابتدائية، أي: من تاب من غير هؤلاء المذنبين تاب من دون ارتكاب إثم.



﴿تَاب﴾: توبة إنابة (من دون ارتكاب ذنب أو إثم).

﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: أي: أكثر من الأعمال الصالحة والنوافل والذكر وقراءة القرآن، والإنفاق في سبيل الله وصلته الرحم وغيرها من الأعمال الصالحة.
﴿فَإِنَّهُ يُؤْتِي إِلَهُهُ مَتَابًا﴾: متاباً: مبالغة في التوبة، أي: يتوب إلى الله توبة نصوحاً أو يرجع إلى الله مرجعاً مرضياً أو مرجع صدق، أي: يكرمه بدخول الجنة.

[٧٢] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: تكررهما يفيد المدح والتوكيد.

﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾: الزور في الأصل تحسين الباطل، والزور الميل عن الصدق والحق، لا يشهدون بالكذب والباطل، أي: شهادة الزور.

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾: اللغو كل كلام لا فائدة فيه. ارجع إلى الآية (٤) من سورة المؤمنون.

﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾: جمع كريم من فعل كرم معرضين عن مجالسة أهل اللغو مبتعدين عنه، ولم يخصوصوا فيه أو يستمعوا إليه. مكرمين أنفسهم بالغنى عن الاستماع إلى اللغو والخوض فيه.

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: تكرر الذين يفيد المدح والتوكيد.



﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية شرطية تفيد حتمية الحدث.

﴿ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: ثلثت أو قرئت عليهم آيات ربهم، أي: القرآن الكريم أو تلّوها بأنفسهم. استمعوا إليها بأذان واعية يفهمون ما يتلى عليهم وما هو واجبهم، وكيف يطبقونها في حياتهم اليومية.

﴿لَمْ يَخِرُّوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾: الخرُّ هو الكبُّ والسقوط من دون تفكير وفهم. انتبه: النفي هنا ليس للخروج، وإنما للصمم والعمى، أي: لا يحاولون التولي والإعراض وعدم الإصغاء إليها، بل يقبلون عليها ويكبون عليها بسمعهم وأبصارهم وأفئدتهم حرصاً على سماعها بأذان مُصغية وعيون راعية وأفئدة واعية.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَيْنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: تكرارها يفيد المدح والتعظيم، هذه المرة الثامنة التي يتكرر فيها كلمة الذين.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا﴾: ارجع إلى الآية (٣٩) من سورة إبراهيم لمعرفة معنى هب.

الهيئة: عطية تفضل وتكرم من الله تعالى وليست عطية استحقاق.

﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَيْنَا﴾: من: ابتدائية. الأزواج جمع زوج والزوج يطلق على الذكر والأنثى، أي: زوجات أو أزواج. فالدعاء بدأ بالأزواج، ثم الذرية؛ لأن الذرية لا تأتي إلا بعد الزواج.



والدعاء جاء بصيغة الدعاء الجماعي، وليس بصيغة الدعاء الفردي لم يقل:
رب هب لي؛ لأنه أفضل وأكثر استجابة.

﴿قَرَأَ أَعْيُنٌ﴾: قرأ لها معنيين:

١ - السكينة والثبات.

٢ - السرور.

مشتقة من القُرْ: شدة البرودة. والعين الباردة تدل على السرور والعين
الساخنة تدل على الحزن والألم (البكاء) والقُرْ يعني: السكون والثبات والهدوء.
أعين: جمع عين التي نبصر بها، وعيون جمع عين، وتعني: عيون الماء
وعيون الجنة، أعين تعني هنا أعين خاصة، ولا تشمل كل الأعين؛ لأنها فقط أعين
المتقين.

أي: هب لنا زوجات صالحات وأولاداً ذوي خلق وأدب ودين.

﴿وَجَعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾: هنا أفرد ولم يجمع، ولم يقل: أئمة لأنهم في
حكم الإمام الواحد.

لأنهم يتبعون منهجاً واحداً هو المنهج الرباني الذي من المفروض أن لا
تتحكم فيه الأهواء الفردية والبدع. فالإمام يمثل الأئمة والأئمة تمثل الإمام.

وإماماً: تعني: قدوة صحيحة في الخير والعلم والدين. وإمام مشتقة من أم
أي: قصد، أي: نقتدي بالمتقين ويقتدي المتقون بنا.



[٧٥] ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، وتشير إلى عباد الرحمن الذين تقدمت صفاتهم وإلى علو منزلتهم.

﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾: يجزون من الجزاء والجزاء يعني: الأجر على العمل.

الغرفة: قيل: الجنة، والغرفة اسم جنس وتعني: كل بناء مرتفع عال ولا تعني غرفة واحدة، بل غرفاً كثيرة كقوله تعالى: ﴿لَهُمْ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الزمر: ٢٠]، والغرفات تعني: القصور أو المنازل العالية في الجنة.

﴿بِمَا﴾: الباء البدلية أو السببية، ما: اسم موصول بمعنى الذي وأوسع شمولاً من الذي، أو مصدرية.

﴿صَبَرُوا﴾: بدل صبرهم والصبر أنواع. ارجع إلى الآية (٢٠٠) من سورة آل عمران. والآية (١٢٧) من سورة النحل لبيان مفصل في معنى الصبر.

﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾: فيها تعود على الغرف.

﴿تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾: من الله سبحانه، ومن الملائكة، ومن بعضهم بعضاً.

تحية وسلاماً: سلاماً: جاء نكرة ليشمل كل أنواع السَّلام، سلام تحية كالقول السَّلام عليكم، وسلاماً من الآفات والأمراض، وكل مكروه وسلام الأمن والاستقرار.



[٧٦] ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾:

﴿خَلِيدِينَ﴾: من الخلود والخلود هو استمرار البقاء من وقت معين (هو دخولهم تلك الغرف).

﴿فِيهَا﴾: تعود على الغرف.

﴿حَسُنَتْ﴾: من أفعال المدح، حسنت في نعيمها ومنظرها وطعامها وشرابها ولبسها وفرشها.

﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾: المستقر: المكان المؤقت للراحة.

والمقام: المكان الدائم للإقامة الدائمة والاستقرار بلا انقطاع، أي: لكلا الأمرين.

[٧٧] ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾:

﴿قُلْ﴾: يا محمد للكافرين والمؤمنين الخطاب عام.

﴿مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي﴾: ما: لها عدة احتمالات قد تكون نافية أو استفهامية.

١ - ما النافية: يعبا بكم ربي: لا يبالي بكم أو لا يهتم بكم لولا دعاؤكم.

٢ - وما قد تكون استفهامية: للتهويل، تهويل الدعاء والعبادة.

﴿لَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود، وجود الدعاء.

﴿دُعَاؤُكُمْ﴾: عبادتكم أو دعاؤكم في الشدائد والمحن، لولا أنكم

تتضرعون إليه وتدعونه أو تعبدونه ما عبى بكم، ولكنه سبحانه يعبا بعبادتكم وبدعائكم. ولو لم يكن يعبا بكم لما خلقكم وأرسل إليكم رسله وكتبه وملائكته،

وهو يعبأ بكم لمصلحتكم ولأجلكم وليس لمصلحته ولذاته؛ لأن عبادتكم لا تزيد ولا تنقص في ملكه شيئاً.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿كَذَّبْتُمْ﴾: الخطاب قد يكون للذين كفروا من أهل مكة الذين كذبوا رسول الله ﷺ، وغيرهم من الكفار الذين كذبوا بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر أو قد يكون للمؤمنين، وكذبتهم تعني: لم تعبدوا الله كما أمركم وتخلصوا له، أو تعني أشركتم في عبادتكم ومجيء الإنذار بصيغة المخاطب يدل على الشدة في الإنذار والوعيد.

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء للتوكيد، سوف للاستقبال البعيد والتراخي يعني: يوم القيامة.

﴿يَكُونُ لِرَآئِكُمْ﴾: أي: يكون العذاب لازماً عليكم، أو ثابتاً حقاً لكم لا يفارقكم، أو واقع بكم لا محالة، ولن ينجو منكم أحدٌ.





سورة الشعراء ٢٦

الحزب ٣٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسّم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَدِخٌ نَفْسَكَ
أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ تَشَاءْ نَنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ
أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ
إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ
كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَتِ الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ
أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ
إِلَيَّ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ
كَلَّا فَادْهَبْ بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَآتَا فِرْعَوْنَ
فَقُولًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾
وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾



سورة الشعراء [الآيات ١ - ١٩]

ترتيبها في القرآن (٢٦)، وترتيبها في النزول (٤٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طَسَّرَ﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

[٢] ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾:

﴿تِلْكَ آيَاتُ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، تشير إلى الآيات في هذه السورة أو الآيات التي وردت في السور التي نزلت قبل هذه السورة أو آيات القرآن بشكل عام والآية لها بداية ولها نهاية، وتتكون منها سور القرآن، ولا ننسى أيضاً أن كلمة آيات قد تعني أيضاً الآيات الكونية أو المعجزات التي تثبت صدق نبوة الرسل.

﴿الْكِتَابِ﴾: أي: القرآن وسُمِّي كتاباً؛ لأنه مكتوب في السطور، ويسمى قرآناً؛ لأنه يقرأ. والكتاب يعني: الجمع والضم الجمع الحسي للحروف والكلمات في السطور والقراءة أو التلاوة الجمع الصوتي لحروف وكلمات القرآن في الصدور والقراءة والكتابة ضرورة لحفظ كلام الله من التحريف والتبديل على مر العصور. ارجع إلى الآية (٢) من سورة البقرة لمزيد من البيان.



﴿الْيُسِينِ﴾: الواضح، لكل فرد أنه من عند الله والمبين لكل شيء يحتاجه هذا الإنسان في الأرض من الهداية والوقاية للوصول إلى الغاية من خلقه وخلافته.

[٣] ﴿لَعَلَّكَ بَخْعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾:

﴿لَعَلَّكَ﴾: لعل للتعليل، والكاف للخطاب والمخاطب هو رسول الله ﷺ.

﴿بَخْعٌ نَفْسَكَ﴾: اسم فاعل قاتل أو مهلك نفسك من شدة الحرص على إيمانهم وتلقاً على نجاتهم؛ باخع أصل هذه الكلمة من البخاع، وهو ويريد دم قريب من عظام الفقرات في الرقبة، وباخع: اسم فاعل بخع: أي ذبح؛ أي: أنت حريص على إيمانهم وقاتل نفسك كمن يذبح نفسه حتى يصل الذبح إلى البخاع، أي: إلى فقرات عظام الرقبة وكما قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَخْعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

﴿أَلَّا﴾ أن ولا: أن مصدرية تعليلية، ولا النافية.

﴿يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾: أي: لعدم إيمانهم وتصديقهم برسالتك، أي: لا تكلف نفسك فوق طاقتها وإنما عليك البلاغ.

[٤] ﴿إِنْ شَأْنُ نَزْلِ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾:

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال أو الشك.

﴿شَأْنُ نَزْلِ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾: نشأ: من المشيئة هي ابتداء العزم على الفعل. والمشيئة ملزمة ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن؛ أي: واجبة؛ أي: واقعة، ولا تتغير، وتختلف عن الإرادة؛ ارجع إلى سورة الحج آية (١٤) لمزيد من البيان. آية من السماء مثل صاعقة أو صيحة أو نار أو ريح مدمرة ترغمهم على الإيمان



بالقسر والإكراه، وإذا تأملنا الآية نجد الفعلين (نشأ، نزل) بصيغة المضارع، بينما (فظلت) بصيغة الماضي؛ أي: كيف عطف الماضي على المضارع عطف مغاير يدل على أن الآية قد نزلت وخضعت لها أعناق المشركين، وفي هذا تهويل وتهديد لكي يرجعوا إلى رشدهم.

﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ خاضعين: جمع خاضع (اسم فاعل) من الفعل خضع من الخضوع وهو اللين والانقياد ويكون في البدن؛ أي: يظهر على البدن، فليس المهم هو خضوع العنق، بل خضوع صاحب العنق (أي: قلبه) وخص الأعناق بدلاً من الذوات والأنفس لأن من تلوي عنقه تقطع عنه الهواء، فيختنق ويموت بأقل من عدة دقائق (٣-٥ دقائق) وفي هذا تهديد شديد لكل عاصٍ، ويدل على عظمة وقدرة الخالق العزيز الجبار. وأصل الكلام فظلت أعناقهم لها خاضعة، وقال تعالى خاضعين؛ أي: وصف الأعناق بالخضوع الذي هو صفة العقلاء فهو يريد الأعناق أن تخضع ومن ورائها أصحاب الأعناق أن يخضعوا.

والمعنى: أنت لا تستطيع أن تكره الناس أو تجبرهم وربك يستطيع، ولكنه سبحانه لا يفعل ذلك فهو ترك لهم أن يختاروا لعل قلوبهم وأعناقهم تخضع باليقين والإرادة والمحبة وكما قال تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

[٥] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما النافية.

﴿يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾: من ابتدائية، ذكر أي علم كالآية التي تذكرهم بما ينفعهم

أو يضرهم.



﴿مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَدَّثٍ﴾: من ابتدائية، محدث ولم يقل جديد؛ المحدث: لم يكن معروفاً من قبل، أو إيجاد شيئاً لم يكن، والجديد: فيه معنى الاستمرار للقديم؛ أي: حدث له تغير أو تجديد بأمر أو نهى أو تكليف.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، عنه: تعود إلى الذكر.

﴿كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ معرضين: جمع معرض اسم فاعل من أعرض: أي: ابتعد عن ولم يتقبل ذلك أو يبالي به أو يهتم به، معرضين: جملة اسمية تدل على الثبوت، أي: الإعراض صفة أو سمة ثابتة لهم مستمرة وقديمة. ولنقارن ما جاء في هذه الآية مع ما جاء في الآية (٢) من سورة الأنبياء، وهي قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

ففي سورة الشعراء قال: ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ ولم يقل: من ربهم كما في سورة الأنبياء؛ لأن المخاطب في سورة الأنبياء كفار مكة الذين إذا قيل لهم: اسجدوا للرحمن قالوا: وما الرحمن فجاء ليذكرهم بأن الرحمن رغم كونه الرحمن فلا تغرّبكم رحمته، فإنه قادر على يقهر أعناقكم فتظلموا له خاضعين، وأيضاً آية الأنبياء سبقها قوله تعالى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ فيها تهديد ووعد، فناسبها ذكر (من ربهم)؛ لأنه سبحانه رب العالمين، ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٣]، وآية الشعراء سبقها قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ ولم يشأ سبحانه؛ لأنه (الرحمن).

[٦] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾:

فقد: الفاء للتوكيد وقد للتحقيق والتوكيد أيضاً.



﴿كَذَّبُوا﴾: بآيات ربهم والرسول وبما أنزل إليهم من ربهم.

﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾: الفاء للتوكيد، سيأتيهم: السنين للاستقبال القريب، فسيأتيهم وهم في الدنيا.

﴿أَنْبَتُوا﴾: جمع نبت وهو الخبر العظيم المهم.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي، وما أوسع شمولاً من الذي.

﴿كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ سيعلمون عن قريب عاقبة تكذيبهم واستهزائهم بالله وآياته، أي: بالقرآن ورسوله وعبر عن الاستهزاء بصيغة المضارع الذي يدل على التجدد والتكرار واستمرار استهزائهم. بينما في الآية السابقة (٥) ﴿كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ معرضين: يدل على استمرار ورسوخ إعراضهم وأنه أمر قديم.

وإذا قارنا هذه الآية (٦) من سورة الشعراء: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانَ لَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ مع الآية (٥) من سورة الأنعام: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانَ لَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، سوف: أبعد في الاستقبال من السنين أي: تدل على التراخي في الزمن سوف يأتيهم العذاب في الآخرة، والسنين للاستقبال القريب سوف يأتيهم العقاب أو العذاب في الدنيا، إذن هم مروا بثلاث مراحل مرحلة الإعراض، ثم التكذيب، ثم الاستهزاء.

وسيأتيهم عاقبة تكذيبهم (قريباً أي: في الدنيا) وسوف يأتيهم وعاقبة استهزائهم في الآخرة أي: في الدنيا والآخرة في كلاهما.

[٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام التقريري، والواو في كلمة أولم تدل على شدة



إِعْرَاضَهُمْ وَإِنْكَارَهُمْ، وَلَمْ يَقُلْ: أَلَمْ يَسْرِوا أَيْ: هُمْ يَرُونَ مَا تَنْبَتِ الْأَرْضُ مِنْ كُلِّ الْأَزْوَاجِ وَالشَّمَرَاتِ وَالزَّرْعِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَنْكُرُونَ قُدْرَةَ الْخَالِقِ وَوَحْدَانِيَّتَهُ. أَوَلَمْ يَرَوْا تَدَلُّ عَلَى شَيْءٍ مَرْتِيٍّ وَرَغْمَ ذَلِكَ يَنْكُرُونَهُ.

﴿يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ﴾: رُؤْيَا بَصَرِيَّةً أَوْ عَقْلِيَّةً فِكْرِيَّةً وَقَلْبِيَّةً يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ.

يَرَوْا تَعُودُ عَلَى الْمَكْذِبِينَ بِالْآيَاتِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ وَبِرَسُولِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ وَمِنْهُمْ الْعُلَمَاءُ.

﴿كَمْ﴾: خَبَرِيَّةٌ تَفِيدُ الْكَثِيرَ.

﴿أَنْبَتْنَا فِيهَا﴾: بِصِيغَةِ الْجَمْعِ أَيْ: لِلتَّعْظِيمِ. وَلَكُونُهُمْ يَشَارِكُونَ فِي عَمَلِيَةِ الْإِنْبَاتِ الْإِخْرَاجِ، وَتَشْمَلُ عَمَلِيَةَ الْحَرْثِ وَالْبَذْرِ وَالسَّقَايَةَ وَغَيْرَهَا، وَالنَّبَاتِ يَضُمُّ الزَّرْعَ وَالشَّجَرَ؛ أَيْ: مَا لَهُ سَاقٌ أَوْ غَيْرُ سَاقٍ.

﴿مِنْ﴾: اسْتِغْرَاقِيَّةٌ.

﴿كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: الزَّوْجُ الصَّنْفُ وَالزَّوْجُ يَعْنِي: الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. وَقَدْ أَحْصَى الْعُلَمَاءُ (٣٩١، ٠٠٠) سَلَالَةَ نَبَاتِيَّةٍ.

كَرِيمٌ: الْبَالِغُ فِي الْجُودَةِ وَكَثِيرُ النَّفْعِ وَفِيهِ الْبَرَكَةُ، أَيْ: أَصْرُوا وَاسْتَمَرُّوا فِي إِعْرَاضِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، وَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى عَجَائِبِ نَبَاتَاتِ الْأَرْضِ الدَّاعِيَةِ لِلْإِيمَانِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ. وَفِي الْآيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فِي زَوْجَيْنِ لِيَبْقَى مُتَفَرِّدًا بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَحْدَهُ. وَإِذَا قَارَنَاهُ هَذِهِ الْآيَةَ (مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) مَعَ الْآيَةِ (٥) مِنْ سُورَةِ الْحَجِّ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾؛ أَيْ: الْحَسَنُ وَالبَهْجَةُ؛ الْحُسْنُ: أَيْ يَدْخُلُ الْبَهْجَةُ وَالسُّرُورُ عَلَى النُّفُوسِ لِمَا فِيهِ مِنَ الزَّيْنَةِ

كالزهور وألوان النباتات؛ ارجع إلى سورة الحج آية (٥)، وآية (٦٣)، وسورة فصلت آية (٣٩)، والأنعام آية (٩٩) للبيان.

[٨] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: إن للتوكيد، في آية الإنبات ﴿أَبَلْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾، ذلك: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿لَآيَةً﴾: اللام لام التوكيد، آية: لكفار مكة دلالة واضحة أو آية كونية تدل على قدرة الله وعظمة الخالق ووحدانيته، ومع ذلك لم يعتبروا أو يتعظوا أو يؤمنوا.

﴿وَمَا كَانَ﴾: الواو حالية تفيد التوكيد، (توكيد النفي بما).

كان: تشمل كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: استمروا في كفرهم وتكذيبهم، وهناك القليل من آمن منهم.

[٩] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾:

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾: إن للتوكيد، ربك: الخالق والمدبر والمربي.

﴿لَهُوَ﴾: اللام للتوكيد، هو: ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر.

﴿الْعَزِيزُ﴾: أي: القوي الذي يقهر ولا يقهر ويغلب ولا يُغلب والممتنع له العزة جميعاً، القادر على قهر وجبر خلقه على ما أَرَادَهُ، ولكنه لم يفعل؛ لأنه هو الرحيم.



﴿الرَّحِيمُ﴾: يؤخّر عنهم العذاب لعلهم يتوبون، ولا يعذبهم وأنت فيهم
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾
[الأنفال: ٣٣].

ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٢) لمزيد من البيان.

ثم يذكر الله سبحانه لرسوله ما حدث للرسل الذين سبقوه، مثل موسى
وإبراهيم ونوح وعاد وثمود ولوط وشعيب.

[١٠] ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَتِيَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾: إذ ظرف زمني، أي: واذكريا محمّد حين نادى
ربك موسى، ناداه سبحانه من جانب الطّور الأيمن في البقعة المباركة. ارجع إلى
سورة القصص الآية (٢٩ - ٣٠).

﴿أَنْ﴾: مصدرية تفيد التعليل.

﴿أَتِيَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: أتى: من الإتيان: وهو المجيء إلى القوم الظّالمين:
المشركين والظّالمين لأنفسهم والظّالمين لغيرهم، الذين أصبح الظلم صفة ثابتة
لهم.. قوم فرعون.

[١١] ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَنْفُونَ﴾:

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾: ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون
الأب أم الابن.

﴿أَلا﴾ أداة استفتاح وتنبيه وحضّ واستفهام، فيها معنى الإنكار والعجب
في إفراطهم في الظلم والكفر.

﴿يَنْقُوتَ﴾: يطيعون أوامر الله ويجتنبوا نواهيه، ويجتنبوا سخطه وغضبه وناره. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٣٢) وهي قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾: نجد أن فرعون هو المبعوث إليه أولاً وملئه أو قومه هم تبع له؛ ارجع إلى سورة المؤمنون آية (٢٤)، وآية (٣٣) لبيان معنى الملاء.

[١٢] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ﴾: قال موسى: رب إنني للتوكيد، أخاف: من الخوف وهو غمٌ في النفس ناتج عن توقُّع الضرر المشكوك في وقوعه، الخوف الذي سببه تكذيب قوم فرعون الذي يؤدي إلى ضيق في الصدر وعدم انطلاق اللسان، كما سنرى في الآية القادمة.

﴿أَنْ﴾: مصدرية تفيد التعليل.

﴿يُكَذِّبُونِ﴾: لا يصدِّقون أي شيء مما أقوله لهم وأصلها أن يكذبونني: حذفت منها النون والياء لتدل على سرعة تكذيبهم له أي: مجرد إخبارهم سيكذبونه وحذف الياء؛ لأن هناك من الناس سيصدِّقونه ويؤمنون به مثل السحرة وغيرهم، فلن يكذبه الكل، ولو يكذبه الكل لقال: يكذبونني.

[١٣] ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾:

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾: قرئت بالضم وقرئت بالفتح، ويضيق صدري بتكذيبهم إياي، والضيق همٌ وغمٌ عارض يصيب الإنسان لأسباب مختلفة.

﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾: بسبب الخوف والضيق، وفي سورة طه آية (٢٧)

بين أن هناك عقدة من لسانه، وسئل الله سبحانه فقال: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي﴾ (٢٧)



يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٧﴾، وأحياناً الخوف والضيق قد يؤدي إلى إفراز بعض الهرمونات مثل أبينفرين ونور أبينفرين التي تؤدي بالتالي إلى عدم القدرة على التفكير والحيرة والتوتر وارتفاع الضغط مع العلم أن موسى ﷺ كان عنده عقدة في لسانه كما بين ذلك في سورة طه الآية (٢٧-٢٨): ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾.

﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾: الفاء للتوكيد والمباشرة، أرسل جبريل إلى أخي هارون يبلغه ليكون لي رداءً يصدقني سورة القصص الآية (٣٤) أي: معيناً أو وزيراً فهو أفصح مني لساناً إنني أخاف أن يكذبون، وفي سورة طه آية (٢٩) قال موسى ﷺ: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾، فكيف نجمع بين الآيتين؟ أي: أرسل إلى هارون أخي ليكون وزيراً لي أشدد به أزرِي وأشركه في أمري.

[١٤] ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾:

﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ﴾: اللام لام الاختصاص، هم تعود إلى قوم فرعون.

علي: تفيد العلو والمشقة، ذنب: جرم عظيم نكرة للتحويل، لم يبين ما هو الذنب في هذه الآية، وقد بينه في سورة القصص الآية (٣٣)، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾، فقد قتل موسى رجلاً حين كان بمصر قبل ذهابه إلى مدين. ارجع إلى سورة القصص آية (١٥) للبيان.

﴿فَأَخَافُ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب.

﴿أَنْ يَقْتُلُونِ﴾: بالقصاص مني.. أن مصدرية تفيد التعليل. ويقتلون ولم يقل: أن يقتلونني؛ لأن القتل قد يعني العذاب بالسجن وغيره من أنواع العذاب، وقد يصل إلى حد القتل.



[١٥] ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِعَايَتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾:

﴿قَالَ كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر، أي: اطمئن ولا تخف أن يقتلوك أو يضيق صدرك أو لا ينطلق لسانك.

﴿فَاذْهَبَا بِعَايَتِنَا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، اذهبا أنت وأخوك بآياتنا (العصا واليد) إلى فرعون وملئه.

﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾: إنا معكم: للتعظيم بالرعاية والحماية والعون والنصر معكم مستمعون: لما يقول فرعون وملئه، ولما تقولانه، وما يقال لكم. مستمعون: جمع تعظيم من فعل استمع وتنزه سمعه عن سمع البشر.

[١٦] ﴿فَأَتَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿فَأَتَا فِرْعَوْنَ﴾: فرعون: ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون. ادخلا عليه بصيغة المثنى من الإتيان: المجيء بسهولة.

﴿فَقُولَا﴾: بصيغة المثنى.

﴿إِنَّا رَسُولُ﴾: بصيغة المفرد ولم يقل: إنا رسولا ربك بالثنية كما ورد في سورة طه الآية (٤٧) وهي قوله: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾؛ لأن كلمة رسول في اللغة يمكن تأتي للمفرد والمثنى والجمع ومصدر حسب ما يقتضيه السياق، ولأن رسالة موسى وهارون رسالة واحدة، وكان موسى عليه السلام رسولا نبيا، أما هارون فكان نبيا فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول، أما من حيث الاصطفاء فالكل اختارهم الله سبحانه، والكل أرسلوا إلى أقوامهم بأمر من الله سبحانه ولمعرفة الفرق بين الرسول والنبي. ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٤).



[١٧] ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾:

﴿أَنْ﴾: مصدرية تفيد التعليل.

﴿أَرْسِلَ مَعَنَا﴾: أي: أنا وأخي هارون. والمخاطب هو فرعون، أرسل معنا: أي: خلّ سبيل بني إسرائيل.

﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: دعهم يخرجون إلى الأرض المقدسة، قيل: هذه كانت مهمة موسى الأساسية هي إنقاذ بني إسرائيل من العبودية وتحريرهم من فرعون والهجرة بهم إلى الأرض المقدسة، أمّا هداية فرعون وقومه ودعوته إلى التوحيد فهي مهمة ثانية. ولنعلم أن هناك من بني إسرائيل من ترك مصر سابقاً وهاجر إلى فلسطين وبقي الكثير منهم.

[١٨] ﴿قَالَ أَلَمْ نَرْبِكْ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾:

﴿قَالَ أَلَمْ﴾: قال فرعون: ألم: استفهامية استفهام تقريري تدل على شيء غير مرئي وتنكره. وقوله ألم نربك فينا: تدل على أن فرعون هذا هو ابن فرعون (رمسيس الثاني)؛ أي: هو مفتاح (فرعون الخروج) كما تدل الأدلة أو قد يكون القائل الأب رمسيس الثاني وابنه حاضر.

﴿نَرْبِكْ فِينَا﴾: من التربية بعد أن التقطه آل فرعون ونشأ وتربى في بيت فرعون.

﴿وَلِيدًا﴾: صبيّاً صغيراً، الوليد: المرحلة بعد الولادة.

﴿وَلَبِثَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾: عشت معنا وأقمت معنا سنين من عمرك (١٨)

سنة كما قال ابن عباس أو غير ذلك، وقيل: كان موسى يُدعى ابن فرعون لجهل الناس.

[١٩] ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾:

﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ﴾: أي: قتلت ذلك القبطي ففرعون الابن أصبح عالماً بما فعله موسى قبل خروجه إلى مدين.

﴿الَّتِي فَعَلْتَ﴾: للتوكيد، فَعَلَتَكَ وجاء بها بصيغة التّعظيم والتّهويل بفتح الفاء، ولم يقل: فِعَلَتَكَ بكسر الفاء الّتي تدل المرة الواحدة، ومن دون تهويل.

﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾: أي: الجاحدين المنكرين (الكفر في اللغة هو السّتر) لنعمتنا عليك بالتّربية أو الكافرين بالوهمية فرعون أو من الكافرين بقتلك القبطي؛ لأنّه ما كان يحل لك قتله فأصبحت من الكافرين.





سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ٢٦

الْبَيْتُ السَّامِعُ عَشْرَةَ

قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا أَنَا مِنَ الصَّاَلِينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ
فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا
عَلَىٰ أَن عَبَدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ
﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ
﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ
الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾
قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ
لِإِن أُتِخَذَتِ الْهَآغِرَىٰ لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ
أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ
فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءٍ لِّلنَّاطِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ
﴿٣٦﴾ يَا تُولَكِ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ
لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

سورة الشعراء الآيات [٢٠ - ٣٩]

[٢٠] ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾:

﴿قَالَ﴾: موسى لفرعون.

﴿فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾: فعلتها إذا؛ إذا: حرف جزاء وجواب، والأصل في الجملة إذا فعلتها أنا من الضالين، والسؤال: لماذا تأخرت إذا عن الفعل (فعلتها)؟ لكي تدل على سرعة الإقرار بما فعل، وقوة توكله على الله سبحانه، وعدم خوفه من فرعون وأنه أخطأ، ولم يقل: فعلتها وأنا من الكافرين، نفى موسى عن نفسه الكفر بكل أنواعه.

الضالين: عن الصواب، أو المخطئين: أي: قتل بغير تعمّد. الناسين فالضلال هنا يعني النسيان والجاهلين: (من الجهل بعواقب الأمور)، أي: لم أظن أن الوكر سيقبله، وألبس نفسه صفة الضلال وليس الضلال في الدين وإنما الخطأ وعدم الحذر. وموسى ﷺ قتل القبطي قبل النبوة، وربما كان لا يدري جزاء عقوبة القتل.

[٢١] ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ﴾: الفرار هو: الهرب المصحوب بالخوف والدّعر، ومن دون اللجوء إلى التستر كالفرار من أرض المعركة، أما الهروب: فقد يسبقه تفكير وتخطيط ومحاولة التستر كالهروب من السجن.

﴿لَمَّا﴾ ظرفية زمانية بمعنى حين.



﴿خَفْتُكُمْ﴾: من الخوف، خفت على نفسي من القتل بعد أن قتلت القبطي خطأ.

﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي﴾: الفاء للتوكيد والمباشرة، فوهب أو الهبة عطاء تفضل من الله سبحانه، وليس عطاء استحقاق، وليس خاضعاً لقانون أو أسباب حتى ولو توافرت الأسباب في ذاتها قد تكون هبة مالا أو غير مال، وتشمل النبوة والعلم والولد وغيرها...

﴿حُكْمًا﴾: النبوة أو العلم والفقه في الدين وأحكام التوراة.

﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: من أنبيائه المرسلين. جمع مرسل، أي: من الأنبياء والرسل.

[٢٢] ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾:

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾: تلك: اسم إشارة واللام للبعد تشير إلى النعمة التي ربيتني وليداً، وذكر بعض المفسرين أن هناك همزة استفهام محذوفة تفيد الإقرار والإنكار، وتقديرها: أ تلك نعمة تمنها علي بالتربية وأنت قد استعبدت بني إسرائيل قومي وذبحت أبناءهم واستحييت نساءهم.

﴿أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: أن مصدرية تفيد التعليل، عبدت بني إسرائيل: اتخذتم عبيداً فأني نعمة تلك أو أ تلك نعمة.

[٢٣] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾:

يسأل فرعون موسى بعد أن قال موسى وهارون إنا رسول رب العالمين.

﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: ما: ولم يقل ومن رب العالمين، ما: تستعمل لغير

العاقل، وتستعمل لصفات العقلاء، وتأتي للاستفهام الحقيقي، والتفخيم والتعظيم الذي قلت: إِنَّكَ رَسُولُهُ، ما حقيقته.

[٢٤] ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ مُّوقِنِينَ ﴾:

﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾: قال موسى: خالق ومالك وحاكم السموات والأرض وما بينهما.

ارجع إلى سورة الفرقان آية (٥٩) للبيان.

﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾: تفيد الشك أو الاحتمال.

﴿مُوقِنِينَ﴾: جمع موقن، واليقين: هو العلم بالحق أي: العلم الثابت الذي لا يتغير أي: ليس هناك غيره، أي: إن كنتم ترجون الهداية وتعلمون الحق فعليكم أن تؤمنوا برّب (أي: بخالق) السموات والأرض وما بينهما وتعبدوه وتوحدوه.

[٢٥] ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَعِينُونَ ﴾:

قال فرعون لمن حوله: ألا أداة حصّ وحثّ جاءت بمعنى الاستنكار والتعجب، أي: ألا تعجبون من قول موسى أن هناك رباً هو رب السموات الأرض وما بينهما، فسارع موسى إلى شرح وبيان من رب السموات والأرض وما بينهما. وأريد بهذا الاستفهام المنفي بـ(ألا) إثارة نفوسهم أيضاً، ونفي الاستماع لما قاله موسى ﷺ رغم أنهم سمعوه؛ أي: لا تستمعوا إليه.

[٢٦] ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾:

قال موسى: ربكم ورب آبائكم الأولين: أي: خالقكم وخالق آبائكم



الأولين أو ربكم ورب آبائكم الأولين، رب الأمم والأقوام الخالية التي جاءت قبلكم، وهذا تخصيص أو ذكر الخاص بعد ذكر العام (عطف الخاص على العام) العام رب السموات والأرض وما بينهما، والخاص ربكم ورب آبائكم الأولين.

[٢٧] ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾:

لم يعد عند فرعون حجة يجادل بها موسى وشعر بأنه خسر الجدال أو استاء من موسى فاتهم موسى بالجنون.

﴿قَالَ﴾: فرعون لمن حوله.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾: يبدو أن فرعون أخطأ بهذه اللفظة أو أنطقه الله بالحق، فقال: رسولكم، أي: اعترف فرعون بموسى بكونه رسولا. أو قال ذلك سخرية من موسى بأنه رسول مجنون.

﴿لَمَجْنُونٌ﴾: اللام لام التوكيد، مجنون: مخبول، فقد عقله. أي: لا يعلم أو يدرك ما يقوله.

[٢٨] ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: قال موسى محاولاً للمرة الثالثة أن يهدي فرعون أو يصف له من هو رب العالمين.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: رب المشرق والمغرب أي: خالق المشرق والمغرب، وهذا يدل على كروية الأرض، ويأتي بالشمس من المشرق

ويجعلها تغيب، ولكل بقعة على الأرض لها مشرق ولها مغرب، وفي سورة الرحمن آية (١٧) قال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾.

وفي سورة المعارج آية (٤٠) قال تعالى: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾.

ارجع إلى سورة الرحمن للبيان.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: جاء بها رداً على قول فرعون إنه لمجنون، أي: أنا لست مجنوناً. إن: شرطية تفيد الاحتمال أو الشك.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: من عقل الشيء عرفه بدليله وفهمه بأسبابه ونتائجه: أي: لو فكرتم لأدركتم الحقيقة أن لله سبحانه هو الإله الحق واجب الوجود الذي يستحق، ويجب أن يُعبد ويطاع وليس فرعون.

[٢٩] ﴿قَالَ لَنْ أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾:

لم يعد فرعون قادراً على تحدي موسى بأي قول أو حجة فلجأ إلى التهديد واستعمال القوة بالقهر والتعذيب، فهدّد موسى بالسجن والعذاب، فقال فرعون:

﴿لَنْ﴾: اللام لام التوكيد، إن شرطية تفيد الاحتمال.

﴿أَخَذَتْ﴾: يا موسى إلهاً غيري أي: عبدت أو دعوت إلهاً غيري.

﴿لَأَجْعَلَنَّكَ﴾: اللام لام التأكيد، والنون في أجعلنك لزيادة التوكيد.

﴿مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾: من ابتدائية، المسجونين: جمع سجين أي: تلقى في

السجن، والسجن: هو الحبس.



[٣٠] ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿قَالَ﴾: موسى لفرعون.

﴿أَوْلَوْ﴾: الهمزة همزة استفهام وتعجب، لو شرطية، والواو للتوكيد.

﴿جِئْتُكَ﴾: أي: أتسجنني أو تلقي بي في السجن إذا جئتك.

﴿بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾: أي: دليل أو آية أو حجة أو برهان على صدق دعواي أنني رسول من رب العالمين والباء للإلصاق، والشيء هو أقل القليل وشيء هنا نكرة للتهويل. والشيء كل ما يُعلم ويخبر عنه سواء كان حسيّاً أو معنوياً.

بشيء مبين: واضح لكل فرد، ولا يحتاج إلى من يبينه أو يوضحه فهو بين بذاته على صدق ما أقول..

[٣١] ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾:

استجاب فرعون لطلب موسى بإرادة الله تعالى ليقم عليه الحجة فقد كان باستطاعة فرعون الرّفص وإلقاء القبض على موسى وإلقائه في السجن مباشرة وانتهت القصة.

﴿فَأْتِ بِهِ﴾: أحضره. قال فرعون لموسى: أحضر ذلك الشيء.

﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾: إن شرطية تفيد الشك أي: إنك قادر على ذلك، من الصادقين: أي: أظنك من الكاذبين أو أشك أنك صادق.

[٣٢] ﴿فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿فَالْقَىٰ عَصَاهُ﴾: الفاء للتعقيب، ألقي طرح عصاه على الأرض.



﴿فَإِذَا﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب، إذا فجائية.

﴿هِيَ﴾: للتوكيد.

﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: الثَّعْبَان هو ذكر الحيات، حية عظيمة ضخمة مخيفة، مبين: ظاهر للعيان، وليس من نوع السَّحَر وملاحه وشكله لا تدعو إلى الشَّك أَنَّهُ ثُعْبَان مُرْعَب، وجاء ذكر الثَّعْبَان مرتين في القرآن وكلاهما أمام فرعون، ولم يأتي ذكر جان مع فرعون أو ملئه ربما لأن حركات الحية وهي تهتز كالجان ليست مخيفة أو مثيرة كما هي الحال في الثَّعْبَان المبين، ولم يقل: كأنها جان (حية سريعة الحركة والخفاء)، ولا حية تسعى؛ ارجع إلى الآية (١٠٧) من سورة الأعراف لمزيد من البيان، ومعرفة الفرق بين الحية والثَّعْبَان والجان؛ كان هذا الموقف قبل المجيء بالسحرة يوم الزينة وأمام فرعون، ولم يذكر الخوف أو يعقب كما في سورة طه آية (٢٠)، والقصص آية (٣١)، والنمل آية (١٠).

[٣٣] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ، فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ﴾:

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾: أخرج يده بقوة وسرعة من جيبه فإذا هي بيضاء تشع من غير سوء، أي: أدخل يده في جيبه، ثم أخرجها ولم يُبين أَنَّهُ أدخلها؛ لأنَّه مفهوم من السياق فكيف يخرجها من دون إدخال.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للمباشرة، إذا فجائية.

﴿بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ﴾: أي: بيضاء من غير سوء ليس فيها مرضاً أو عيباً كالبرص وغيره من الأمراض الجلدية تبرز كالبرق لها شعاع كشعاع الشمس.



[٣٤] ﴿قَالَ لِمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿قَالَ﴾: فرعون.

﴿لِمَلَأِ حَوْلَهُ﴾: الملاء هم أشرف القوم وسادتهم وممثلوهم والملاء مشتقة من كونهم يملؤون عيون الناس أي: من كثرة رؤية الناس لهم أصبحوا كأنهم يملؤون عيون الناس فسُمُّوا بالملاء. وفي الزمن الحاضر هم ممثلو الشعب ومن يختارهم الشعب للبرلمان أو مجلس الشعب. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (٢٤) لمعرفة الفرق بين الملاء والملاء.

﴿إِنَّ هَذَا﴾: إنَّ للتوكيد، هذا الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب يشير إلى

موسى.

﴿لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾: اللام للتوكيد، ساحر: اتهم موسى بالسحر، وفي الآية (٢٧) بالمجنون، ساحر: أي: يأتي بالسحر لأول مرة، عليم: صيغة مبالغة عليم في صنع السحر أو علم السحر، وفي سورة الأعراف آية (١٠٩) ﴿قَالَ أَلَمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ ولم يذكر اسم فرعون؛ لأن الملاء هم أتباع فرعون.

وفي الآية (٣٧) من سورة الشعراء قال: سحار عليم، سحار: صيغة مبالغة لساحر، أي: من أصبحت حرفته ومهنته السحر يأتي بالسحر بكل فنونه وفي كل مرة وأصبح يُعلم السحر لغيره.



[٣٥] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾:

قال فرعون مهيجاً الملاً حوله ومثيراً لهم ضد موسى ويتهم موسى أنه يريد السيطرة والاستيلاء على أرضهم وطرد أهلها منها بواسطة سحره.

﴿بِسِحْرِهِ﴾: الباء للإلصاق، باء السببية أي: بسبب سحره، واتهموا موسى بالسحر؛ لأنه جاء بأمر خارق للعادة، أو قد أثر في أنفسهم، وفي سورة الأعراف آية (١١٠): ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ حذف كلمة سحره؛ لأن هذا كلام الملاً من قوم فرعون، وأما كلام فرعون فقد قال بسحره ليحرضهم ضد موسى، وقد قال فرعون في سورة طه آية (٥٧): ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى﴾.

﴿فَمَاذَا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، ماذا استفهامية أشد استفهاماً من (ما).

﴿تَأْمُرُونَ﴾: فعله أو ماذا نفعل، وهل هذا إله الذي لا يعرف ماذا يفعل، ويستشير الناس ويسألهم ماذا تأمرون، ويخاف من ساحر أن يخرج قومه من أرضهم.

[٣٦] ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾:

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾: أخر أمر موسى وهارون، من الإرجاء: وهو التأخير، انتظر قليلاً.

﴿وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾: من البعث هو الإرسال بتحريض وإثارة والبعث هو أشد من الإرسال، ابعث رسلك أو جنودك إلى المدن المختلفة، حاشرين: من الحشر هو السُّوق والجمع، أي: يجمعوا ويسوقوا إليك كل ساحر، وفي سورة



الأعراف الآية (١١١) قالوا: أرسل في المدائن حاشرين، بدلاً من ابعث ولمعرفة الفرق بين البعث والإرسال. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة. وكيف نفسر ذلك: قسم من الملائة قالوا: ابعث. وقسم قالوا: أرسل. ولا تعارض بين الآيتين.

[٣٧] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾:

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾: يأتوك: يُحضروا إليك، بكل: الباء للتوكيد، كل سحار: أي: لا يتركوا أحد من السحار إلا أتوه، وسحار وليس ساحر، السحار: الخبير بعلم السحر والسحر حرفته أو قادر على أن يُعلم السحر لغيره، فهم يطلبون إحضار السحار العظام لعلهم يُطمئنوا قلب فرعون فهم يريدون له النصر على موسى، وكلمة سحار تناسب كلمة ابعث، وأما أرسل جاءت في سياق الملائة من قوم فرعون، وناسبها ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٢].

[٣٨] ﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾:

﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةَ﴾: جِيَء بالسحرة للاجتماع الموعود في يوم الموعود (المحدد) الذي اختاره موسى وهو يوم الزينة وفي وقت الضحى، وفي مكان سوى يستطيع الوصول إليه كل الناس.

وورد ذلك في سورة طه الآية (٥٩): ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ

صُحًى﴾.

﴿لِمِيقَتِ﴾: الميقات يقصد به الزمان والمكان، لميقات: اللام لام التوقيت لدخول الزمن أو لام الانتهاء. ومن المفسرين من قال اللام لام التعليل؛ أي:



لأجل ذلك اليوم، والدلالة على عظمته، ولم يقل ﴿لَمَجْبُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ كما ورد في سورة الواقعة آية (٥٠) إلى تدل عموم الغايات.

[٣٩] ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾:

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾: أي: أخذ فرعون وجنوده وملؤه يحثون الناس ويدعوهم للحضور والاجتماع ومشاهدة عمل السحرة، وما سيحدث لموسى، ولمن ستكون الغلبة.

﴿هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾: هل استفهام، أنتم: للتوكيد، مجتمعون: أي: يجب حضوركم جميعاً والالتقاء معاً. والاجتماع في المكان المحدد.

مجتمعون: جمع مجتمع، ومجتمعون: تعني في مكان واحد أو تحت سقف واحد.





سُورَةُ السَّحَرَةِ ٢٦

الْبُيُوتُ السَّالِمَةُ

لَعَلْنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
 قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
 وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوْمَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ
 ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
 الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
 ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَمَّا نَبُزِ الْعَامِينَ ﴿٤٧﴾
 رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ أَمْسِمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّهُ
 لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ
 وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا
 إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَنْطِمِعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا
 أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ
 مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ
 لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَايُطُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ
 ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾
 كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾





سورة السَّحَرَاءِ الآيات: [٤٠ - ٦٠]

[٤٠] ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ﴾:

﴿لَعَلَّنَا﴾: لعلَّ للتعليل أو لكي.

﴿نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ﴾: نتبع سحرة فرعون أي: ننظر كيف يتغلب سحرة فرعون على موسى أو نتبع السحرة على طريقتهم أو ملتهم إن كانوا هم الغالبين ولا نتبع موسى وأخاه على ما جاؤوا به.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال والشك.

﴿كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ﴾: هم للتوكيد، الغالبين: أي: كان الناس يشكون في تغلب السحرة على موسى أو غير واثقين بالسحرة.

[٤١] ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأَجْرُ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء تدل على التعقيب والمباشرة، لما: ظرف زماني بمعنى حين متضمن معنى الشرط.

﴿جَاءَ السَّحَرَةُ﴾: من دون تأخير لدعوة فرعون وملكه لهم.

﴿قَالُوا لِفِرْعَوْنَ﴾: قال السحرة لفرعون قبل الشروع في السحر.

﴿إِنَّا لَنَأَجْرُ﴾: الهمزة همزة استفهام، لنا لأجراً: اللام للتوكيد، أي: هم غير واثقين أن لهم أجراً.

﴿إِنْ كُنَّا﴾: شرطية تفيد الاحتمال أو الشك.



﴿نَحْنُ﴾: تفيد الحصر والتوكيد.

﴿الْقَلِيلِينَ﴾: يسألون فرعون: أَلنا أجراً؛ لأنهم كانوا لا يأخذون على السحر أجراً أو كانوا يأخذوا شيئاً قليلاً، أي: أئنَّ لنا جائزة إن كنا نحن الغالبين.

لا بُدَّ من مقارنة هذه الآية ﴿أَيْنَ لَنَا لَأَجْرًا﴾ وقولهم في الآية (١١٣) من سورة الأعراف: ﴿إِنَّا لَنَا لَأَجْرًا﴾: إنَّ لنا لأجراً في الأعراف فيها حتمية أي: (واثقين) حتماً إنَّ لنا أجراً فهي غير استفهامية، أئنَّ لنا لأجراً في الشعراء تدل على الشك والظن وهي استفهامية.

قسم من السحرة قال: أئنَّ لنا لأجراً وقسم آخر قال: إن لنا لأجراً....

[٤٢] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾:

﴿قَالَ نَعَمْ﴾: قال فرعون: نعم لكم أجراً.

﴿وَإِنَّكُمْ﴾: تدل على التوكيد.

﴿إِذَا﴾: حرف جواب وجزاء، أي: ما بعدها مشروط حصوله بحصول ما قبلها، أي: لكي تكونوا من المقربين يجب أن تغلبوا وتدل على قوة الوعد وتوكيده.

﴿لَمِنَ﴾: اللام للتوكيد، ولم يقل: إنكم من المقربين، بل أكَّد لهم؛ مما يدل على حرص فرعون على التغلب على موسى وقهره، وكأنه يقول: اغلبوه ولكم ما تريدون، ويريد أن يشجعهم ويغريهم لكي لا يدَّخروا وُسْعاً في هذه المعركة مع موسى.

[٤٣] ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ﴾:

في سورة الأعراف الآية (١١٥) ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾.

وفي سورة طه الآية (٦٥) ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾.

وفي سورة الشعراء الآية (٤٣) ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ﴾.

من قراءة هذه الآيات معاً تبدو أنّ رغبة السحرة في أن يلقي موسى عصاه أولاً وهم يريدون أن يلقوا بعد ذلك، وبعد أن بدت الحيرة والتردد بينهم، وحين سألوا موسى ألهمه الله سبحانه أن يقول لهم: ألقوا أنتم أولاً حتّى تلقف عصاه ما يؤفكون، وهذا ما حدث ألقوا أولاً، ثم ألقى موسى بعد ذلك.

[٤٤] ﴿فَالْقُوا جِبَالَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾:

﴿فَالْقُوا﴾: الفاء تدل على المباشرة، ألقوا: طرحوا على الأرض.

﴿جِبَالَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ﴾: أدوات سحرهم حبال مطلية بالزئبق أو العصي المحشوة بالزئبق (داخلها الزئبق) فحين تقع عليه أشعة الشمس ترى الأعين الحبال والعصي أنها تتحرك وتملأ الساحة.

وعند إلقائها ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ الباء باء القسم أقسموا بعزة فرعون أي: قوته التي لا تُقهر ولا تُغلب، وهي عزة كاذبة باطلة عزة بالإثم وهي عزة تقهر وتغلب وكان ذلك ظنهم الخاطيء، ولربما أخذتهم العزة بالإثم، حين قالوا ذلك.

﴿إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾: إنا للتوكيد، واللام لزيادة التوكيد، الغالبون: أي: على موسى. يحاولون بثّ روح الشجاعة في أنفسهم.



[٤٥] ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾:

﴿فَأَلْقَى﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، والمباشرة، ألقى: طرح موسى عصاه التي كانت في يمينه، وكانت عصا ليست من جنس العصي، قال في هذه الآية: فألقى عصاه، وفي طه قال: ألق ما في يمينك (ولم يذكر ما هي).

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، وإذا ظرف زماني للفعاءة.

﴿هِيَ تَلْقَفُ﴾: العصا تحولت إلى حية حقيقة راحت تبتلع كل ما ألقاه سحرة فرعون وجاءت تلقف بالضم التي تدل على اللقف كان يحدث آنذاك وتلقف تعني: تبتلع وتلتهم بسرعة وبقوة، وقد تأتي تلقف بالسكون التي تدل على أن الأمر لم يقع بعد، وإنما سيقع في المستقبل.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي وهي أوسع شمولاً من الذي، أو مصدرية.

﴿يَأْفِكُونَ﴾: من الإفك وهو الكذب وقلب الحقائق والسحر هو كذب وقلب للحقائق. ارجع إلى سورة طه آية (٥٨) لمزيد من البيان.

[٤٦] ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ﴾:

أي: خرّوا لله ساجدين حين رأوا ما جاء به موسى ليس سحراً، بل حقيقة وأنهم على باطل، خرّوا على وجوههم سجداً لله قبل أن يعلنوا إسلامهم وإيمانهم، وبعد أن خرّوا أعلنوا إيمانهم.

والأمر الطبيعي أن يعلنوا إيمانهم أولاً، ثم يخروا سجداً لله وهم فعلوا العكس من شدة دهشتهم وتأثرهم بما حدث، حيث وصل نور الإيمان إلى قلوبهم قبل أن يصل إلى ألسنتهم.

[٤٧] ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٢١) سورة الأعراف للبيان.

[٤٨] ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾:

قَدَّم موسى على هارون؛ لأنهم قالوا سابقاً: آمنا برب العالمين ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ارجع إلى الآية (١٢٢) سورة الأعراف للمقارنة.

[٤٩] ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

المناسبة: لما رأى فرعون تغلب موسى على السحرة لجأ مرة أخرى إلى التهديد والوعيد وإلى عزته الكاذبة الخاطئة.

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ﴾: أي: صدقتم بموسى واللام في له لام الاختصاص ويعني: الاتباع أي: اتبعتم موسى، بينما لو قال: آمنتم به، أي: إيمان اعتقاد، فالضمير يرجع إلى رب العالمين، وهناك من قال يرجع إلى موسى ﷺ؛ لأن الإيمان بموسى ﷺ يعني إيمان بالله تعالى؛ أي: إيمان بالله.

﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾: أن: تعني المستقبل وتفيد التعليل، حيث كان يظن في نفسه أنه هو الحاكم المطاع ولا أحد يستطيع أن يفعل أي شيء من دون إذنه.

﴿آذَنَ لَكُمْ﴾: أي: اسمح لكم.

﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾: إنه للتوكيد، واللام في كلمة لكبيركم لزيادة التوكيد، وكبيركم أي: موسى الذي علمكم السحر أي: فعلتم ذلك بالتواطؤ مع موسى مع العلم أن موسى عليه السلام لم يجلس مع أو يرى ساحراً.

﴿فَلَسَوْفَ نَعْمُونَ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة سوف ترون مباشرة ما سأفعل



بكم، واللام في كلمة لسوف لزيادة التوكيد، وسوف هنا لا تدل على الترتيب والتراخي، وإنما تفيد التوكيد، أي: الأمر كائن لا محالة تفيد في زيادة التهديد والوعيد، وتستعمل في سياق القتل والانتقام فهي تدل على الموت والهلاك.

﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾: السلام للتوكيد والنون لزيادة التوكيد في لأقطعن، أي: قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو قطع اليد اليسرى والرجل اليمنى، وهذا من أشد وأسوأ فنون التعذيب التي ابتدعها فرعون، والموت أفضل من ذلك.

﴿وَأَصْلَبْتَكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: والسلام والنون للتوكيد، الصّلب بعد القطع والتعذيب، أجمعين: تفيد التوكيد. ارجع إلى الآية (١٢٤) من سورة الأعراف لمعرفة الفرق بين هذه الآية وآية الأعراف: ﴿ثُمَّ لَأَصْلَبْنَكُمْ أَجْمَعِينَ﴾. [٥٠] ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: السحرة بعد أن سمعوا تهديد ووعيد فرعون لهم بالقطع والصّلب.

﴿لَا ضَيْرَ﴾: لا: النافية للجنس؛ أي: لا ضير علينا.. أو لا ضرر علينا، أو لا نبالي إن قتلنا أو قطعنا أو صلبتنا، ضير: مصدر لفعل ضاره أو أضربه الأمر. ﴿إِنَّا﴾: للتوكيد.

﴿إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾: منقلبون: من الانقلاب وهو الرجوع، ولكن ليس إلى الحالة التي كانوا عليها من قبل، وإنما إلى مصير جديد مختلف فهم انقلبوا مؤمنين، وكانوا قبل مجيئهم كفرة، وقالوا: ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ في سورة الأعراف آية (١٢٥)، ولكن في الشعراء أضافوا لا ضير؛ لأن الوعيد والتهديد كان أشد في

الشعراء فقالوا لا ضير، وفي سورة الزخرف آية (١٤) ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ هذا دعاء السفر.

ارجع إلى سورة التوبة آية (٩٥) لمعرفة الفرق بين الرجوع والانقلاب.

[٥١] ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾: إنا للتوكيد، نطمع: الطمع: الأمل الذي يمكن حصوله وربما بسهولة بينما الأمل يستعمل في الأمر المستبعد حصوله، وأما الرجاء فهو بين الأمل والطمع. الرّاجي يخاف أن لا يحصل مأموله.

﴿أَنْ﴾: مصدرية تعليلية.

﴿يَغْفِرَ لَنَا﴾: الغفر هو السّتر ومحو الذّنْب والإثابة على العمل الصّالح.

﴿خَطِيئَتَنَا﴾: ذنوبنا وسيئاتنا.

﴿أَنْ كُنَّا﴾: أن تعليلية.

﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: أوّل المؤمنين من قومنا أو أوّل المؤمنين بموسى.

[٥٢] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ﴾:

﴿وَأَوْحَيْنَا﴾: من الوحي والوحي لغة: هو إعلام بخفاء، وشرعاً: إعلام من الله تعالى إلى رسول من رسله بمنهج أو خبر أو تكليف. ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان.

﴿إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ﴾: أن: مصدرية تعليلية.

﴿أَسْرِ بِعِبَادِي﴾: الإسراء هو السّير ليلاً، وتعني في المستقبل (فيها متسع من الوقت). مقارنة بقوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً﴾ أي: تعني في تلك الليلة المحددة. ارجع إلى سورة الدخان آية (٢٣) للبيان.



عبادي: أي: الذين آمنوا من بني إسرائيل وهناك فرق بين عبيد وعبادي وعباد. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٨٦) وسورة الفرقان آية (٦٣) للبيان.

﴿إِنكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾: إنكم للتوكيد، متبعون: أي: سيتبعكم فرعون وجنوده، قيل: كان خروجهم من مصر بعد (٤٣٠) سنة، وقيل: كان عددهم حوالي (٦٠٠،٠٠٠) ستمئة ألف، كما قال السيوطي في الدر المنثور، وابن جرير، ولنعلم أن ليس كل بني إسرائيل خرجوا مع موسى فهناك من بقي مثل العاملين في قصور فرعون والخدم والحرس وغيرهم ممن أرادوا البقاء.

[٥٣] ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾:

﴿فَأَرْسَلَ﴾: الفاء للمباشرة أي: حين علم فرعون بنية موسى للخروج، ببني إسرائيل من أرض مصر.

أرسل ﴿فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ﴾: جمع مدينة وهي أعظم من القرية.

﴿حَاشِرِينَ﴾: أي: لا تتركوا بني إسرائيل يخرجوا من ديارهم أو يهاجروا، أو للحث على التطوع للتصدي لبني إسرائيل حين خروجهم ومنعهم من الخروج حيث كان عدد بني إسرائيل يزيد على (٦٠٠،٠٠٠) فلا بُدَّ من حشر (جمع) أكبر عدد من الجنود لمقاومة المهاجرين.

[٥٤] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾:

﴿إِنَّ﴾ واللام في كلمة لشِرْذِمَةٌ تفيدان التوكيد.

﴿هَؤُلَاءِ﴾: الهاء للتنبيه أو لاء، تعني: بني إسرائيل وتفيد التحقير.

﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾: شرذمة: عصابة أو طائفة، جماعة مشتقة من ثوب شراذم، أي:

ثوب تقطع وبلي، عصابة بالية هالكة.



ولو نظرنا إلى ترتيب الجماعات من القلة إلى الكثرة فهي كما يلي: نفر، رهط، شردمة، قبيلة، عُصبة، طائفة، ثلة، فوج، فرقة، حزب، زمرة، جيل كما جاء في فقه اللغة للثعالبي.

﴿قَلِيلُونَ﴾: العدد مقارنة بعدد جنده، أو يريد أن يقلل من شأنهم ويقوي عزيمة جنده، ويثَّ فيهم الشجاعة للتصدّي لهم.

[٥٥]: ﴿وَأَنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾:

﴿وَأَنَّهُمْ﴾: إن واللام في لغائظون تفيدان التوكيد.

﴿لَنَا﴾: اللام لام الاختصاص لنا خاصة.

﴿لَغَائِظُونَ﴾ جمع غائظ: اسم فاعل من غاظ، والغيط: هو الغم أو الهيجان الذي فيه غضب وحقد كامن في نفس العاجز عن الانتقام أو التّشفي. وقيل: هاجر عدد من بني إسرائيل إلى أرض فلسطين قبل خروج موسى من مصر، وكان هؤلاء مصدر إزعاج لفرعون وجنوده.

غائظون: جملة اسمية تفيد الثبوت، أي: غائظون لنا دائماً وباستمرار.

ارجع إلى سورة التوبة آية (١٥) لمزيد من البيان.

[٥٦]: ﴿وَأَنَا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ﴾:

﴿وَأَنَا﴾ إنا واللام في لجميع تفيدان التوكيد.

﴿حَازِرُونَ﴾: جمع حاذر: اسم فاعل من فعل حذر. في حالة استعداد للتصدي لهم إذا خرجوا من دون أمرنا أو حذرون من دون ألف، والحذر: التيقظ والاستعداد، والتأهب، وقيل: حاذرون: أولي أو أصحاب أسلحة، وقيل: الحاذر: المستعد والحذر: المتيقظ.



[٥٧] ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾:

أي: لم ينفعهم حذرهم واستعدادهم.

﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ ﴾: الفاء تدل على المباشرة، أخرجناهم: أي: فرعون وملأه وجنوده.

﴿ مِنْ جَنَّاتٍ ﴾: بساتين وحدائق على جانبي النيل.

﴿ وَعُيُونٍ ﴾: أنهار وينابيع الماء.

[٥٨] ﴿ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾:

﴿ وَكُنُوزٍ ﴾: جمع كنوز والكنز ما يدفن تحت الأرض أو التراب من ذهب أو فضة أو المال واللؤلؤ وغيرها. أي: كنوز الذهب والفضة وغيرها التي يخفونها تحت الأرض.

﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾: المنازل والقصور الواسعة ورغد العيش والترف.

[٥٩] ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾:

﴿ كَذَلِكَ ﴾: أي: مثل ذلك.

﴿ وَأَوْرَثْنَاهَا ﴾: أي: مثل ما أورثنا آل فرعون، أورثنا بني إسرائيل جنات وعيون وكنوز ومقام كريم أي: من الخيرات، والأموال والعقار والمساكن، كيف أورثها الله سبحانه بني إسرائيل؟ هناك عدة تفسيرات هي:

أولاً: من تبقى من بني إسرائيل في مصر (ليس كل بني إسرائيل خرجوا مع موسى) بعد خروج فرعون وملأه وجنوده للحاق بموسى وبني إسرائيل ورث من تبقى من بني إسرائيل فرعون وملئه وجنوده بعد أن أغرقوا.

ثانياً: هناك من قال: إن بني إسرائيل عادوا إلى مصر في زمن سليمان

وورثوا الديار والكنوز والمقام الكريم، وفي سورة الدخان آية (٢٨) قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾؛ أي: بني إسرائيل، ولكن حذف ذكر بني إسرائيل، وقال: قوماً آخرين؛ لأنه سبحانه ذكر بني إسرائيل في الآية (٣٠) من سورة الدخان فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَجْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾.

[٦٠] ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾:

﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب، أتبعوهم: أي: لحقوا بهم، أي: فأتبع فرعون وجنوده بني إسرائيل حين خرجوا من مصر. ﴿مُشْرِقِينَ﴾: وقت شروق الشمس، أي: حين طلعت.





سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ٢٦

الجزء التاسع عشر

فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
كَلَّا إِن مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ
بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾
ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ
نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا
نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا عَافِيَةً ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ
تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا
كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ
وَعِبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾
الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾
وَإِذَا امْرَأَتِي فَهُوَ شَافِيٌّ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ
يَحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾
رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾

سورة الشعراء الآيات [٦١ - ٨٣]

[٦١] ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: ظرف زماني بمعنى حين متضمن معنى الشرط.

﴿تَرَأَى الْجَمْعَانِ﴾: الجمعان: جمع بني إسرائيل وجمع فرعون رأى بعضهما بعضاً وهذا يدل على تقاربهما في المكان.

﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى﴾: من بني إسرائيل.

﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾: إنا واللام في لمدركون للتوكيد، مدركون: لا تهم شعروا أن البحر من أمامهم وجنود فرعون من خلفهم، فلا منفذ ولا مهرب فأصابهم الذعر والهلع.

مدركون: جمع مُدرِك من أدرك، أي: لحق به، وكان ذلك عند شروق الشمس.

[٦٢] ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾:

﴿قَالَ﴾: موسى.

﴿كَلَّا﴾: كلا لن يدركونا، ولن يلحقوا بنا.

﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾: لماذا لم يقل إن معنا ربنا وقال: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ خص نفسه بالمعية فقط دون غيره من بني إسرائيل؛ لأن نجاتهم وهم في هذه الحالة من الغرق ومن الهلاك على يدي فرعون وجنوده لا يتم أو يحصل إلا بمعجزة خارقة لا تقع إلا على يدي رسول، وإنه كلم الله تعالى؛ إن معي ربي



بالرعاية والحفظ والهداية، أو لكونهم أتباعه فهو يمثلهم وهم يمثلوه؛ أي: هو منهم، وقد يكون حذف الياء من سيهدين؛ لأن الهداية لا تخص موسى وحده (أي: النجاة ومجاورة البحر) بل تعني: وهو ومن معه من بني اسرائيل فهي شاملة، ولو قال سيهديني؛ أي: هداية خاصة به وحده؛ أي: ينجو هو وربما لا ينجو غيره.

سيهدين: أي: يدلني على طريق النجاة والسّين للاستقبال القريب قريباً حالاً سيهدين.

[٦٣] ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾:

﴿فَأَوْحَيْنَا﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، أي: أوحينا بسرعة إلى موسى بعد أن قال: إنّ معي ربي سيهدين، فأوحينا. ارجع إلى الآية (١٦٣) من سورة النساء لبيان معنى أوحينا والوحي هو إعلام بخفاء أي: أمرناه.

﴿أَنْ﴾: تفسيرية أو مصدرية تفيد التعليل.

﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾: فاضرب. فانفلق: انحصر الماء على الجانبين، أي: انشق البحر حتى بدا قاع البحر يابساً، فكان كلّ فرق كل جزء كلّ جانب كالطّود: أي: الجبل العظيم؛ أي: الطود أعظم من الجبل، والطور: أقل من الجبل طويلاً وارتفاعاً، وكأن الماء تجمّد، ولم يبيّن الله سبحانه إلى كم فلقة انفلق: ومن المفسرين من يقول: إنّهُ انفلق اثنتي عشرة فلقة بعدد الأسباط بحيث يعبر كلّ سبط من طريق للسرعة، وبعد عبورهم البحر ووصولهم إلى الجانب الآخر.

أراد موسى عليه السلام أن يضرب البحر مرة أخرى ليعود إلى طبيعته كي

يسد الطريق في وجه فرعون وجنوده، فنهاه الله سبحانه عن ذلك بقوله: ﴿وَأَتْرُكُ
الْبَحْرَ رَهْوَ إِيَّاهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾ [الدخان: ٢٤]، كي يحاول فرعون وجنوده العبور عندها
يُطبق البحر عليه وعلى جنوده.

ارجع إلى سورة الدخان آية (٢٤) لبيان التفصيل.

[٦٤] ﴿وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ﴾:

﴿وَأَزَلَفْنَا﴾: من الزلف: وهو القربة يقال: أزلفه أي: قربه وأزلفنا: أي: قربنا.
ثم: بفتح الثاء وليس بضم الثاء (ثم): ثم اسم يشار به إلى المكان البعيد
وتعني: هنالك في ذلك المكان، وأما ثم: بضم الثاء فهي المستعملة دائماً وتشير
إلى الترتيب والتراخي في الزمن أو التباين في الصفات وغيرها...

﴿الْآخَرِينَ﴾: فرعون وجنوده؛ أي: وقربنا فرعون وجنوده من موسى وقومه
حتى دخلوا على إثرهم مداخلهم في البحر طائنين أنهم أصبحوا قاب قوسين من
موسى وقومه.

[٦٥] ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿وَأَنْجَيْنَا﴾: ولم يقل: ونجينا، أنجينا تعني بسرعة وبقدرة عظيمة لا يقدر
عليها إلا الواحد القهار، ولم يدم طويلاً وقت النجاة، ولو قال: ونجينا: لكان يعني
وقت النجاة دام زمناً طويلاً.

﴿وَمَنْ مَعَهُ﴾: ومن: اسم موصول تعني الواحد أو الاثنين أو أكثر، ومن
معه: تعني القلة مقارنة بالقول والذين معه التي تعني الكثرة.

معه: أي: ومن معه من بني إسرائيل.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: للتوكيد.



أي: كل من كان مع موسى ولم يغرق منهم أحد أو يهلك منهم أحد في عملية النجاة.

[٦٦] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لا تدل على التراخي، وإنما على تباین ما حدث لموسى وبني إسرائيل من النجاة من الغرق وما حدث لفرعون وجنوده ولم ينبج أحدٌ. ﴿أَغْرَقْنَا﴾: فرعون وجنوده.

إذن هناك ثلاث خطوات تمت: الإزلاف، ثم نجاة موسى ومن معه، ثم إغراق فرعون وجنوده.

﴿الْآخَرِينَ﴾: ذكرها مرتين للتوكيد (وتعني: فرعون وجنوده).

[٦٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: للتوكيد، في ظرفية، ذلك اسم إشارة واللام للبعد تشير إلى نجاة موسى ومن معه وإغراق فرعون وجنوده.

﴿لَآيَةً﴾: اللام للتوكيد، آية: معجزة خارقة للعادة وعبرة تدل على عظمة الله تعالى وقدرته ووحدانيته وتوجب الإيمان به، وتدل على صدق رسالة موسى ﷺ؛ لآية: لموسى ولقومه ولكل مؤمن ومن يقرأ كتاب الله تعالى.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾: ما النافية، كان أكثر قوم فرعون مؤمنين، وأما الأقلية أمثال امرأة فرعون والمؤمن من آل فرعون وغيرهم فقد آمنوا، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾ ولم يقل: وما كانوا مؤمنين؛ أي: الكل، وإنما أكثرهم، وأكثر تعني: العدد الكبير منهم، وهذا يدل على عدل الله تعالى وقسطه.

[٦٨] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِزٌ رَّحِيمٌ﴾:

ارجع إلى الآية (٩) من نفس السورة للبيان.

[٦٩] ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ إِبْرَاهِيمَ﴾:

﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ﴾: أي: اقرأ على قومك يا محمد نبأ إبراهيم (الخبر الهام العظيم) الذي فعله إبراهيم عليه السلام في قومه.

وما يلفت الانتباه جاء بذكر إبراهيم عليه السلام بعد ذكر موسى عليه السلام مع أن إبراهيم سبق موسى في الترتيب الزمني، فالمسألة ليست مسألة زمن فقط وإنما حكمة وعبرة، فموسى أرسل إلى فرعون الطاغية الذي قال للملأ: أنا ربكم الأعلى، وهذا قمة الكفر والشرك، وإبراهيم أرسل إلى قوم يعبدون الأصنام فهؤلاء أقل سفاهة وضللاً وجهاً من قوم فرعون، فهؤلاء كانوا يظنون أن هذه الأصنام تقربهم عند الله زلفى أو تشفع لهم بينما قوم فرعون يعبدون الآلهة ويعبدون فرعون نفسه، فلذلك كان نبأ موسى أهم من نبأ إبراهيم بالنسبة للدعوة إلى التوحيد والتّحدي.

[٧٠] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرفية للمضي بمعنى حين قال لأبيه.

﴿لِأَبِيهِ﴾: آزر. وقيل: آزر: هو تارح فقد قيل: إن لوالد إبراهيم ؑ اسمين تارح وآزر، كما روى الطبري في جامع البيان مثل إسرائيل هو يعقوب، وقال كثير من المفسرين: إن أبا إبراهيم اسمه بالسريانية تارح، وبغير السريانية اسمه آزر. وأبيه قيل: كان عمّه. ارجع إلى الآية (٧٤) من سورة الأنعام للبيان المفصل، لأبيه: اللام لام الاختصاص، وقدم أبيه على قومه؛ لأنّ الأب أو العم هم أقرب الناس إليه والدعوة عادة تبدأ بالأقرب فالأقرب.



﴿وَقَوْمِهِ﴾: رجال ونساء. وقيل: القوم هم الرجال فقط.

﴿مَا﴾: أداة استفهام للسؤال عن ذات غير العاقل، وقد تستعمل لصفات العقلاء وللسؤال عن حقيقة الشيء وعادة يبدأ الاستفهام بـ ما، ثم يتطور إلى ماذا، وماذا تستعمل للاستفهام عن الأمور التي هي أشد استفهاماً وإنكاراً أو توبيخاً من (ما) فهي أبلغ وأؤكد في الاستفهام من ما، كما ورد في سورة الصفات آية (٨٥) وهي قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ فهو يعلم ما يعبدون، وهذا ليس استفهاماً حقيقياً، وإنما هو استفهام إنكاري للتوبيخ يدل على ذلك ما جاء في الآية (٨٦) من سورة الصفات، وهي قوله تعالى: ﴿أَفَكَاةً إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾.

﴿تَعْبُدُونَ﴾: إبراهيم عليه السلام يعلم ما يعبدون فهو يريد أن يظهر لهم بطلان عبادتهم، ويعبدون من العبادة: وهي طاعة العابد للمعبود فيما أمر به أو نهى عنه، وجاء بصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار لعبادتهم تلك الأصنام.

ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣)، وسورة الأنبياء آية (١٠٦) لمزيد من البيان في معنى العبادة.

[٧١] ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَظِيمِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: نعبد أصناماً جواباً للسؤال السابق في الآية (٧٠) ما تعبدون، وكان يكفي القول قالوا أصناماً وقولهم نعبد يدل على تأكيد عبادتهم والافتخار بها.

﴿قَالُوا﴾: أي: قوم إبراهيم عليه السلام.

﴿نَعْبُدُ﴾: العبادة هي طاعة العابد للمعبود فيما أمر به أو نهى عنه.



﴿أَصْنَامًا﴾: الأصنام هي تماثيل تجسد كائناً حياً سواء كان إنساناً أو حيواناً تصنع من الحجارة أو الخشب أو الذهب أو الحديد - وقيل: الصنم هو ما كان له جسم أو صورة يُعبد من دون الله، ومن الناحية الشرعية لا فرق بين الصنم والوثن. والوثن أعم من الصنم فكل صنم وثن.

ارجع إلى سورة العنكبوت آية (١٧) لمزيد من لبيان.

﴿فَنَظَّلْهُمَا عَنكَفَيْنِ﴾: قائمين على عبادتها ليلاً ونهاراً، عاكفين: من عكف: وعكف على الشيء أقبل عليه مُواظباً، والاعتكاف فيه معنى الاحتباس، وبدأ إبراهيم عليه السلام يجادلهم ويحاول إظهار بطلان عبادتهم لها.

[٧٢] ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: إبراهيم عليه السلام.

﴿هَلْ يَسْمَعُونَكَ﴾: هل استفهام إنكاري وتوبيخ، أقوى من الهمزة في الاستفهام، كما لو قال: أيسمعونكم. والنون في يسمعونكم للتوكيد ولم يقل يسمعونكم.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمني بمعنى حين.

﴿تَدْعُونَ﴾: أي: حين تعبدونها أو تدعونها: تطلبون منها النفع والعون.

[٧٣] ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾:

﴿أَوْ﴾: للتقسيم أو التخيير.

﴿يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾: هل ينفعونكم إن عبدتموهم أو يضرّونكم إذا كفرتم بها ولم تعبدوها، والنون في ينفعونكم أو يضرّون للتوكيد على عدم النفع وعدم الضرر، والجواب واضح لا يسمعون ولا ينفعون ولا يضرّون فهي حجارة أو ما



شابه، ولذلك أجابوا على سؤاله بجواب آخر يلقون فيه الذنب على آبائهم وأنهم يقلدون آباءهم.

وانتبه: إلى قوله: ينفعونكم أو يضرون ولم يقل: ينفعوكم أو يضرونكم، فقد أطلق الضر وخص النفع، فقال: ينفعونكم أنتم، أو يضرون، أي: أنتم أو غيركم أو مهما كان، أي: لا يضرونكم ولا يضرون عدوكم، فلماذا تعبدونها، فالإنسان يخشى الضر على نفسه، ولكنه يريد الضر لعدوه، ولذلك أطلق كلمة الضر.

[٧٤] ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾:

﴿قَالُوا بَلْ﴾: بل للإضراب الانتقالي، وجدنا آباءنا.

﴿كَذَلِكَ﴾: أي: مثل ذلك يفعلون.

﴿يَفْعَلُونَ﴾: ولم يقل: يعملون؛ لأن يفعلون تخص العاقل وغير العاقل، أما يعملون فهي تخص العاقل فقط؛ كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لِيُظْهِرُوا لِقَوْمِهِمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الظُّلُمَاتِ كُلَّ ظُلْمٍ هَٰذَا هُمْ سَعَادَةٌ وَنُجُومُهُمْ وَأَلَلَّهُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٤١].

(العمل يخص ذوي العقول..)، إذن هم لم يفكروا أو يعقلوا ونسبوا الأمر إلى آبائهم فالمسألة مسألة فساد في العقل والعقيدة معاً. وهذا يذكرنا بقول قريش حين قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

[٧٥] ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: إبراهيم لقومه.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتوبيخ، والفاء للتوكيد، رأيتم رؤية قلبية فكرية، أي: أخبروني عن حال ما تعبدون.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي وتشير إلى غير العاقل، أي: الأصنام.

﴿كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾: كنتم تعني هنا: وجدتم (في الماضي وما زلتم) تعبدون.

[٧٦] ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾:

﴿أَنْتُمْ﴾: للتوكيد.

﴿وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾: أي: أجدادكم الغابرون؛ لأن الجد في القرآن قد

تعني الأب؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (١٣٣) للبيان.

[٧٧] ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿فَإِنَّهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، أي: ما تعبدون من الآلهة كلها عدوٌ لي.

﴿عَدُوٌّ لِّيَ﴾: انتبه إلى قوله: فَإِنَّهُمْ (بصيغة الجمع) وعدوٌ لي (بصيغة

المفرد) ولم يقل: أعداء لي؛ لأنّ عداوتهم أو (عداوة كل الآلهة) تمثل عداوة واحدة هي الشرك بالله. فلذلك قال: عدو لي.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: الخالق والمدبر والرازق والحاكم.

العالمين: جمع عالم، ومنها عالم الإنس والجن والملائكة، وباقي العوالم

ومنها النبات والحيوان والجماد.

[٧٨] ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾:

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم يعود إلى الرب، ونلاحظ جاءت

كلمة الرب في سياق الهداية؛ لأنه سبحانه هو الهادي والمربي والمرشد، وفي سياق العبادة نلاحظ مجيء اسم الله سبحانه بدلاً من الرب.

﴿خَلَقَنِي﴾: من نطفة، ثم من علقه، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة، أو



خلقني من طين، والخلق من العدم أو من شيء أو بعض الشيء، والخلق يعني التقدير.

﴿فَهُوَ﴾: الفاء للتوكيد، هو: يدل على الحصر والتوكيد.

﴿يَهْدِينِ﴾: إلى الدين أو كل ما يصلح لي دنيائي وآخرتي أو خير الدنيا والآخرة وإلى النجاة من النار. والفوز بالجنة.

انتبه إلى قوله: الذي خلقني: ولم يقل: الذي هو خلقني؛ لأن عملية الخلق لا يشاركه فيها أحد الكل يعلم أن الخالق هو الله حتى الكافر ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ٢٥]، فلا حاجة لاستعمال هو، أمّا في مسألة الهداية فقد يشارك فيها آخرون، ولكي يبين أن الله وحده هو الهادي لا غيره استعمال هو.

كذلك استعمال هو في الآيتين (٧٩) و(٨٠) ولم يستعمل هو في الآية (٨١) وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾.

فقال إبراهيم:

[٧٩] ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾:

جاء بضمير الفصل (هو) للحصر والتوكيد؛ لأن الإطعام والسقي والشفاء قد يشارك بها الإنسان؛ أي: أن الله هو وحده الشافي والمطعم والساقى.

وقال إبراهيم:

[٨٠] ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾:

استعمل في هذه الآيات الثلاث: ضمير الفصل هو ليدل على التوكيد والحصر، أنه هو سبحانه وحده الهادي والمطعم والشافي، واستعمل هو حتى

لا يظن أحد أنه الهادي أو المطعم أو الشافي؛ لأن هناك من قد يدعي القدرة على الإطعام والهداية والشفاء.

وقال إبراهيم:

[٨١] ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي﴾:

لم يأت بضمير الفصل (هو) في هذه الآية؛ لأنه سبحانه وحده الذي يحيي ويميت، ولا يشاركه أحد في هذه الخاصة أو يدعي أنه يحيي ويميت، وفي هذه الآية عطف الإحياء (يحيين) على الموت (يميتني) بحرف ثم التي تدل على التراخي في الزمن، بينما في الآية (٨٠) عطف الشفاء (يشفين) على المرض (مرضت) باستعمال الفاء التي تدل على المباشرة والسرعة؛ لأن الشفاء يعقب المرض بلا زمان فاصل. بينما الآية (٧٩) عطف الإسقاء (يسقين) على الإطعام (يطعمني) باستعمال الواو التي هي لمطلق الجمع وتقديم الطعام على الشراب جائز.

وانتبه إلى قوله: وإذا مرضت فهو يشفين: نسب إبراهيم المرض إلى نفسه تأدباً مع الله سبحانه رغم أن الله سبحانه هو الذي يمرض ويشفي والحقيقة أن كثيراً من الأمراض بسبب التفريط في الطعام والشراب وعدم الوقاية واتباع الوصايا الصحية لمنع انتشار العدوى، واستعمل إذا الشرطية التي تدل على حتمية الحدوث وبكثرة.

وزيادة الياء في يميتني تدل أو تفيد التخصص (الموت ينتهي بالبعث) والإمامة: تكون من فعل الله تعالى ومن فعل غيره بينما يحيي بحذف الياء تدل على فعل الله وحده - لا يشاركه أحد فيه وفيه معنى الاستمرار.



[٨٢] ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾:

﴿وَالَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم لله تعالى.

﴿أَطْمَعُ﴾: الطمع: الأمل الممكن حصوله.

﴿أَنْ﴾: مصدرية تفيد التعليل.

﴿يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾: خطيئتي: هو صغائر الذنوب يوم الحساب، يغفر لي خطيئتي: يسترها ويمحوها. انظر كيف جاءت خمس آيات تعدد بعض نعم الله تعالى الآية (٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢)، ثلاثة منها جاء فيها الضمير (هو) للتوكيد والحصر، وأما الآية (٧٨)، والآية (٨٢) لم يذكر فيها ضمير الفصل (هو)؛ لأن الموت والحياة والغفران خاصة بالله وحده.

وهذا هو إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء وخليل الرحمن يدعو ويقول: أطمع وهذا هو أدب الأنبياء، فمهما قَدَّم الإنسان من الأعمال الصالحة فهو دون ما يستحق الله من العبادة، وإذا قيل: ما نوع الخطيئة التي يتحدث عنها إبراهيم عليه السلام فهناك من قال: إنها حين أخطأ وقال لقوله: إني سقيم أو حين قال: بل فعله كبيرهم هذا، وقوله أن سارة أخته وليست زوجته، والله أعلم. هذا ما قاله مجاهد، وروى البخاري عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في المعارض لمندوحة عن الكذب».

[٨٣] ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ﴾:

﴿رَبِّ﴾: نداء يدل على القرب، حذف ياء النداء التي تدل على البعد.

﴿هَبْ لِي﴾: الهبة عطاء من دون مقابل، لمن يستحق أو لا يستحق.



وكانّه يقول: هب لي ربي فأنا لا أستحق ذلك. ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السّورة لبيان معنى الهبة.

﴿حُكْمًا﴾: قيل: النّبوة أو المعرفة بأحكام الله تعالى وحدوده وشرعه.

﴿وَأَلْحَقَنِي بِالصَّالِحِينَ﴾: الباء للإلصاق، الصّالحين: وهذا مظهر آخر من مظاهر تواضع إبراهيم الأوّل قال: أطمع والثاني ألحقني بالصّالحين أي: بالقدوة الصّالحة من الأنبياء والرّسل وفقني للأعمال الصّالحة حتّى أكون في زمرة الصّالحين.

مع العلم أن خليل الرحمن من أولي العزم من الرّسل، وانظر كيف استوهب ربه الحكم أولاً، ثمّ طلب الإلحاق بالصّالحين؛ لأن الحكم كما قلنا العلم بالأحكام والفقه في الدّين والعلم بالحق مقدّم على العمل حتّى يكون العمل الصّالح وفقاً أو حسب المنهج الرباني، والعلم مقدّم على الصّلاح.





سورة الشعراء ٢٦

الجزء التاسع عشر

وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ
النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ
يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾
وَقِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ
أَوْ يَنْصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكَبِكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَخُنُودُ إِبْلِيسَ
أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا
إِلَّا الْأُمُجِرُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾
فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَبَتْ
قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾



سورة الشعراء الآيات [٨٤ - ١١١]

[٨٤] ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾:

﴿وَأَجْعَلْ لِي﴾: الجعل: التصيير، لي: اللام لام الاختصاص والاستحقاق لي خاصة.

﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾: اللسان سبب الذكر، فاللسان مجاز عن الذكر، أي: اجعل لي ذكراً مقبولاً حسناً جميلاً - أو ثناء أو سمعة حسنة.

في ظرفية، الآخرين: الأجيال القادمة التي تأتي من بعد.

مثال على ذلك حين نقول في التشهد الأخير: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. ويجب أن نميز بين قوله تعالى: ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾، كما في هذه الآية بكسر الخاء، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ﴾ كما في الآية (٦٦) من نفس السورة. الآخرين: بكسر الخاء الذين يأتون بعدهم بزمان طويل بعد أجيال، وأما الآخرين: بفتح الخاء الذين يعاصروهم أو يعيشوا معهم.

[٨٥] ﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾:

﴿مِنْ﴾: ابتدائية.



﴿وَرَنَّةً جَنَّةَ النَّعِيمِ﴾: الجنة تُورث أو تُدخل بفضل من الله تعالى ورحمته، والعمل والطاعة والتقوى لتؤهل العبد لنيل هذه الرحمة. ارجع إلى سورة يونس آية (٩)، وسورة الزخرف آية (٧١-٧٢) للبيان.

[٨٦] ﴿وَأَغْفِرْ لَأَيِّ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾:

لأبي: أي: عمي وهو الأرجح. ويعني: آزر، وهناك من المفسرين من قال هو اسم والده. ارجع إلى الآية (٧٠) من نفس السورة، والآية (٧٤) من سورة الأنعام للبيان المفصل.

دعا هذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله، وبعد أن تبين له ذلك تبرأ منه.

﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾: إنه للتوكيد، كان من الضالين: أي: المشركين؛ لأنه كان يعبد الأصنام أو التماثيل.

[٨٧] ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾:

﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾: لا النافية، تخزني: أي: لا تفضحني ولا تذلني يوم البعث لما حدث مني من تقصير أو خطأ.

[٨٨] ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ﴾: يوم القيامة يوم الحساب لا ينفع المال للدفع كفدية من العذاب ولو افتدى بملء الأرض ذهباً ومثله معه.

﴿وَلَا بَنُونَ﴾: ولا ينفع المرء أولاده: للشفاعة له ولا دفع العذاب عنه، أو إعطائه حسنة واحدة، أو تحمل سيئة عنه.

وتكرار لا يفيد توكيد النفي ونفي كل واحدة لا هذه ولا تلك ولا كلاهما.

وقدم المال على البنين: لأن الكل يملك المال؛ أي: قدم الأعم على الأقل.

[٨٩] ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية.

﴿أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾: أي: خال من الشرك والتفاق والشك، بقلب الباء للإلصاق والملازمة.

في هذه الآية من سورة الشعراء قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ وفي الآية (٨٤) من سورة الصافات قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الفرق بينهما بكلمة أتى وجاء، وجاء تعني المجيء بمشقة وصعوبة وتعني الوصول، أتى تعني القدوم بسهولة ولم يصل إلى المكان المرجو بعد.

فهو استعمل أتى؛ لأن الآية تتحدث عن المستقبل، أتى في المستقبل فلا زال في الأمر متسع، بينما استعمل جاء؛ لأن الآية تتحدث عن إلقاء إبراهيم في النار والموت جاء الآن؛ لأنه ظن أنه سيموت بعد إلقائه، فالموقف أشد وأصعب في سورة الصافات.

[٩٠] ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: أزلفت قربت وأدنت بحيث يرونها وهم في الموقف، تقرب منهم قبل أن يدخلوها ليطمئنوا بها ويهون عليهم من شدة الموقف ويفرحوا بها وأنها سهلة الوصول، وفي آية أخرى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١] في هذه الآية أزلفت الجنة أي: الجنة تأتيهم وتقرب منهم أكثر فأكثر، وفي



سورة الزمر الآية (٧٣) ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ أي: هؤلاء يساقون إلى الجنة بعد أن يروها، وحين يصلوا إليها يجدوا أبوابها قد فتحت لهم ترحيباً.

في سورة الشعراء: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُنْقِذِينَ﴾ أي: تقرب إليهم.

في سورة ق: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُنْقِذِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي: تقرب إليهم أكثر فأكثر.

وفي سورة الزمر: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ يساقون إليها ليدخلوها زمراً زمراً.

[٩١] ﴿وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾:

بعد ذكر الجنة يذكر الجحيم، وهذا يسمى فن المقابلة في بديع اللغة.

البروز: هو الظهور.

﴿وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ﴾: جعلت الجحيم بارزة ظاهرة للغاوين والجحيم اسم من أسماء النار من جحجج جحوماً؛ أي: أشعل النار إشعالاً؛ أي: التأجيج فلا تخمد أبداً، والتي لا يمكن السيطرة عليها. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) للبيان المفصل في النار وأسمائها ودرجاتها.

﴿لِلْغَاوِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، الغاوين: جمع غاؤ؛ أي: ضال فقد يغوي نفسه، وقد يغوي الآخر. ارجع إلى سورة الحجر الآية (٤٢) للبيان.

[٩٢] ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَنِ مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾:

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَنِ﴾: قيل لهم: اللام لام الاختصاص وتعني: الغاوين.



أين: للاستفهام التوبيخي والتبكي (أين: استفهام مجازي).

﴿مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾: أين هذه الآلهة أو الأصنام التي كنتم تعبدونها في الدنيا،

أين هي لتشفع لكم أو تنفعكم؟

[٩٣] ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصِرُونَ﴾:

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿هَلْ﴾: للاستفهام والتبكي.

﴿يَنْصُرُونَكُمْ﴾: النّون للتوكيد، هل ينصرونكم من العذاب، أي: يدفعون عنكم

أو يمنعونكم من العذاب.

﴿أَوْ يَنْصِرُونَ﴾: لأنفسهم أو للتقسيم، أي: هم لا يستطيعون نصر أنفسهم

فكيف ينصرونكم.

[٩٤] ﴿فَكَبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾:

﴿فَكَبِّكُوا فِيهَا﴾: الفاء للتوكيد، الكبكة: هي الإلقاء على الوجه المرة بعد

الأخرى على وزن فعلة الدالة على التكرار، أي: كلما قام كب على وجهه مرة

أخرى، فيها: في النار.

﴿هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾: هم والغاؤون، أي: الذين أغووهم وأضلّوهم، أي: التابعون

والرؤساء (المتبوعين) أو الأصنام وعبادها، الغاؤون. ارجع إلى سورة الحجر

الآية (٤٢) يدخلوها معاً حتى لا يظن كلا الطرفين أن أحدهما أفضل من الآخر

أو يستطيع أحدهما أن ينقذ الآخر.



[٩٥] ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾:

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾: كفرة الجن والإنس، أتباع إبليس كبكبوا فيها أيضاً.

﴿أَجْمَعُونَ﴾: للتوكيد.

[٩٦] ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾:

أي: ﴿الضُّعَفَتُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ [غافر: ٤٧]، أو ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنْ
الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦]، أو ﴿وَقَالَتْ أُولَئِهِنَّ لِأَخْرَجْنَهُنَّ﴾ [الأعراف: ٣٩]، فالله سبحانه
يجعل الأصنام تنطق وتكلم عبدتها أو الكفرة يتخاصمون مع بعضهم بعضاً.
﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾: الخصام: هو الجدل بشدة والمعاداة.

كما سنرى في الآيات التالية يحاول كل طرف أن يتهم الطرف الآخر بكونه
السبب فيما يحدث له من العذاب. وفي سورة غافر آية (٤٧) قال تعالى: ﴿وَإِذْ
يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ والحجاج يحدث أولاً أو يحدث قبل الخصام.

[٩٧] ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾:

﴿تَاللَّهِ﴾: تاء القسم وهي أقوى أدوات القسم.

﴿إِنْ﴾: مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

﴿كُنَّا﴾: في الدنيا.

﴿لَفِي﴾: اللام للتوكيد، في ظرفية، الدنيا.

﴿ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: ابتعاد عن المنهج والصراط المستقيم ونسيان وظلمات



الجهل، مبين: ضلال واضح ويُن لكل فرد، وضلال واضح بين لا يحتاج إلى دليل أو برهان أو حُجَّة؛ فهم يحلفون بالله ويعجبون من كونهم كانوا منغمسين في الضلال، ووصفوه بالمبين ويعترفون بضلالهم.

[٩٨] ﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرفية.

﴿نُسَوِّيكُمْ﴾: من التَّسْوِية نجعلكم سواء برب العالمين سبحانه في العبادة والطاعة والحب والصدقات والدعاء.

﴿بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: الباء للإلصاق، أي: نعبدكم كما نعبد رب العالمين رب الملائكة والثقلين الجن والإنس.

[٩٩] ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: النافية.

﴿أَضَلَّنَا﴾: أبعدنا عن طريق الحق والصواب والهداية (الصراط المستقيم).

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: المشركون: دعاة الشرك والظلم أو الكفرة. والمجرمون: المذنبون، والجرم: أصله القطع، والمجرم: من قطع كل الصّلات مع الله تعالى. المجرمون: جملة اسمية تدل على الثبوت، أي: الإجرام أصبح صفة ثابتة عندهم. ارجع إلى سورة الأنفال آية (٨) لمزيد من البيان.



[١٠٠] ﴿فَمَالَنَا مِنْ شَفِيعِينَ﴾:

﴿فَمَالَنَا﴾: الفاء للتوكيد، ما النافية.

﴿شَفِيعِينَ﴾: جاءت بصيغة الجمع، وتدل على كثرة الشافعين من الإنس والأنبياء حتى الملائكة، ولكن لا يوجد من يشفع لهم برغم كثرة الشفعاء، والشفاعة في الآخرة تتطلب أمرين الإذن من الله تعالى، أي: إلا لمن أذن له والطلب الثاني لمن ارتضى؛ أي: للشافع والمشفوع له. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥١) لمعنى الشفاعة.

[١٠١] ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾:

﴿صَدِيقٍ﴾: جاءت بصيغة المفرد، وكلمة صديق قد تأتي في اللغة للمفرد والمثنى والجمع، وهذه الآية تدل على قلة الأصدقاء أو الصديق، وأصعب من ذلك العثور على الصديق الحميم يستحق أن يضحي من أجلنا أو يشفع لنا أو يدفع عنا العذاب.

حميم: من حم الأمر: أي: حار في صداقته يفذي صديقه بالروح والمال تفوق القريب. والحميم تعني: القريب. أي: صديق ودود من الذين كنا نظنهم أصدقاء حميمين، جاء بصيغة المفرد لقلة العثور على الأصدقاء هناك، وقدم الشافعين على الصديق الحميم للضرورة والاحتياج أو للكثرة، وإذا كان الصديق الحميم لا ينفع فما بالك بالصديق العادي.

[١٠٢] ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿فَلَوْ﴾: الفاء للتوكيد، لو: شرطية بمعنى التمني.

﴿أَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿لَنَا﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿كَرَّةٌ﴾: رجعة أو عودة إلى الدنيا.

﴿فَنَكُونُ﴾: الفاء السببية.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: من ابتدائية، المؤمنين: وجواب هذا التمني جاء في سورة الأنعام الآية (٢٨) ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

[١٠٣] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (٨) من نفس السورة، والآية هنا تعني ما حدث لقوم إبراهيم بسبب تكذيبهم إبراهيم واستمرارهم على الشرك، وما سيحدث لهم من الككبنة في جهنم ومخاصمة. آية: عبرة لمشركي مكة وغيرهم.

[١٠٤]: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾:

ارجع إلى الآية (٩) من نفس السورة.

[١٠٥] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾:

بعد أن ذكر الله طرفاً من قصة موسى وطرفاً من قصة إبراهيم أتبعه بذكر طرفاً من قصة أبي البشر نوح عليه السلام، ثم تلاها بذكر طرف من خبر هود وصالح ولوط وشعيب ليبين سبحانه لرسوله ﷺ ما حدث للرسَل السابقين من قبله، وما حدث لأقوامهم ليكون عبرة وعظة ودروساً للمؤمنين.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمٌ﴾: القوم سمووا قوماً؛ لأنهم يقومون بمعظم أو أغلب الأمور



وهم الرجال غالباً، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ﴾ بدلاً من كذب قوم نوح المرسلين؛ لأن كلمة قوم يمكن أن تذكر أو تؤنث. كذبت: تدل على الكثرة؛ كثرة الأقوام الذين كذبوا رسلهم.

﴿نُوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾: هم كذبوا رسولهم نوحاً عليه السلام، ولكن قال المرسلين: قيل: لأن الرسول يمثل الرسل والرسل يمثلون الرسول؛ لأن رسالتهم واحدة، إذن جعل الله سبحانه تكذيب رسول واحد كتكذيب جميع الرسل.

والرسل يعتبرون رسول واحد؛ لأنهم جميعاً يدعون إلى نفس المبدأ وهو مبدأ التوحيد، فقوم نوح لو جاءهم كذلك بعد نوح عيسى ومحمد عليهم السلام لكذبوهم كما كذبوا نوح عليه السلام، أو قيل: المرسلين: جاء بصيغة الجمع تعظيماً لنوح أو الرسول، أو مجاز مرسل من قبيل إطلاق الكل وإرادة البعض.

[١٠٦] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ﴾: إذ ظرف زمانى، أي: واذكر إذ قال، أو واذكر حين قال لهم أخوهم نوح.

﴿أَخُوهُمْ﴾: أخوهم لأنه كان من القوم فهم يعرفون أصله ونشأته وليس غريباً عنهم، أو أخوهم في النسب فالأخوة (٣) أنواع: إخوة في الدين وهي الأقوى، وإخوة في النسب أو الدم، وإخوة في القبيلة، أي: واحد منهم.

﴿نُوحٌ أَلَا﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتوبيخ على عدم التقوى والتعجب، ألا: أداة حث وتنبية وحض، وتحمل معنى الأمر.

﴿لَتَقُونَ﴾: ربكم تأتمروا بأوامره وتجتنبوا نواهيه، هذه الموعظة جاءت على لسان كل الرسل قالها كل رسول إلى أمته أول ما بُعث أو أرسل إليهم.

[١٠٧] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾:

﴿إِنِّي لَكُمْ﴾: إني للتوكيد، لكم: اللام لام الاختصاص لكم خاصة.

﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾: رسول من الله، أمين: على إبلاغكم بكل ما أرسلت به إليكم من دون زيادة أو نقصان.

[١٠٨] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾:

كرّر أمر التقوى مرة ثانية بعد أن حثهم على التقوى في الآية (١٠٦) فقال: ألا تتقون.

كرّر التقوى للتوكيد على أهمية التقوى، وليدل على طول الزمن في التبليغ أو طول الدعوة، وكرر الآيات (١٠٧، ١٠٨، ١٠٩) خمس مرات مع خمس رسل: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، فكل من هؤلاء الرسل قالوا لأقوامهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وهناك فرق بين التقوى والطاعة، الطاعة: الانقياد لمطلوب الشارع بما أمر به واجباً كان أم مستحباً، والتقوى كف النفس عما نهى عنه الشارع حراماً كان أم مكروهاً، والتقوى: خصلة، أو جزء من الطاعة؛ فالطاعة أعم.

ارجع إلى سورة المائدة آية (٢) لمزيد من البيان في معنى التقوى.



وقدّم التقوى على الطّاعة: لأنّها الأصعب فالطّاعة تؤدّي إلى منع العقوبة.
والتّقوى لا تطلق إلا على من يستحق الثّواب (الكليات) اللغات.

﴿وَأَطِيعُونِ﴾: ولم يقل: وأطيعوني. أطيعون فقط بما جئتم به من ربكم.
ولا تشمل طاعته الذاتية، أي: لا يسألهم أن يطيعوه في كل شيء، أما وأطيعوني
فتشمل كل أمر صغير وكبير.

[١٠٩] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ﴾: ما النّافية، أسألكم عليه من أجر، من استغراقية
تستغرق أيّ أجر على تبليغ الرّسالة.

﴿أَجْرٍ﴾: الأجر: يكون مقابل العمل والأجر ثواب على عمل ويستعمل في
النّفع دون الضرر.

﴿إِنْ﴾: إن: نافية، وإن أقوى في النّفي من ما. أي: ما أجري إلا على الله.

﴿أَجْرِيَ إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: رب الملائكة والإنس والجن، رب السّموات ورب
الأرض وما بينهما، ومن الجدير بالذكر أنّ كلّ الرّسل قالوا هذه المقولة، وهي:
وما أسألكم عليه من أجر لأقوامهم إلا إبراهيم وموسى؛ لأنّ إبراهيم دعا أباه (آزر
أو عمّه) فكيف يطلب من أبيه أو عمه الذي رباه أجراً وكذلك موسى الذي رباه
فرعون في بيته، فكيف يطلب منه أجراً، وأجره كبير لذلك لا يطلبه إلا من الله
تعالى، ومهما دفعوا له فهو قليل.

ارجع إلى سورة الفرقان آية (٥٧) لمزيد من البيان.



[١١٠] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾:

كرّر الأمر بتقوى الله وطاعته لطول مكثه فيهم (٩٥٠ سنة) وعدم استجابتهم له وبدلاً من أن يقولوا: سمعنا وأطعنا قالوا:

[١١١] ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ﴾:

أي: كيف نتبعك أو نصدقك وما نراك إلا بشراً وما نراك اتبعك ﴿إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِادِي الرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧].

﴿قَالُوا﴾: أي: قوم نوح الكفرة.

﴿أَنْتُمْ لَكُمْ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري، نؤمن لك: أي: نصدقك ولم يقولوا: نؤمن بك هذا هو الإيمان الحقيقي العقائدي. لك: اللام الاختصاص. أنؤمن لك: أي: أنستجيب لك، ولا تعني الإيمان الحقيقي؛ كقوله تعالى على لسان فرعون: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ [طه: ٧١].

﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ﴾: جمع أرذل وهو الرديء السيئ؛ أي: الفقراء أو الأفل جاهاً ومالاً، وما يؤيد معنى الأرذلون الفقراء بادي الرأي والذين لا حرفة لهم ولا عمل، قوله بعد ذلك ما علمي بما يعملون (الآية ١١٢) القادمة.





سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ٢٦

الجزء التاسع عشر

قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ
﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْنَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَنَجْنِي وَمَنْ
مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَاحِ الْمَشْحُونِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَبَتْ
عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾
وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾
وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

سورة الشعراء الآيات [١١٢ - ١٣٦]

[١١٢] ﴿قَالَ وَمَا عَلَّمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾ نوح رداً على قومه: أنؤمن لك واتبعك الأرذلون.

﴿وَمَا﴾: ما النافية. إضافة الواو للتوكيد بعدم علمه بما كانوا يعملون.

﴿عَلَّمِي بِمَا﴾: الباء للإلصاق والتوكيد، ما: اسم موصول بمعنى الذي، وأوسع شمولاً من الذي، أو مصدرية.

﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: يعملون: تضم الأقوال والأفعال، لا أعلم ما يعملون من الحرف أو الأعمال اليدوية البسيطة البدائية، أو كيف يكسبون لقمة عيشهم أو لا أعلم ما يفعلون في حياتهم أو معيشتهم، لم أكلف إلا تبليغهم بعبادة الله وحده.

[١١٣] ﴿إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾:

﴿إِنْ حَسَابُهُمْ﴾: إن النافية بمعنى ما، حسابهم: أي: جزاؤهم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾: لو شرطية، تشعرون لو عندكم حواس وبصر وبصيرة ما قلتم أنهم أراذلكم، ولكنكم قوم تجهلون.

[١١٤] ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

هذا جوابه بالرّفض لطلبهم أن يطرد الذين آمنوا الذين وصفوهم بالأراذل وبادي الرأى طلبوا ذلك لتكبرهم لكي يستمعوا إليه.



[١١٥] ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿إِن﴾: نافية أقوى نفيًا من ما.

﴿أَنَا﴾: للتوكيد.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: من الإنذار: وهو الإعلام والتحذير والتخويف، مبين: نذير لكل فرد منكم، وإنذاري بين واضح لا يخفى على أحد، ولا يحتاج إلى من يوضحه أو بيّنه.

وإذا قارنا هذه الآية من سورة الشعراء: ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، مع الآية (٩) من سورة الأحقاف ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، نجد أن التوكيد أشد في آية الشعراء من آية الأحقاف، وذلك لأن آية الشعراء جاءت في سياق دعوة نوح قومه إلى التقوى وتوحيد الله تعالى، وفي مرحلة التحدي بعد أن قالوا له: لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين، وأما آية الأحقاف فجاءت في سياق الرسول ﷺ ومقام الدعوة الهادئة، ولم يكن هناك تحدّ.

[١١٦] ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: الذين كفروا.

﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ﴾: يا نوح لئن: اللام للتوكيد، إن شرطية تفيد الشك والاحتمال، تنته: تكف عن دعوتنا لترك آلهتنا وعن دعوتنا لعبادة الله وحده وطاعته.

﴿لَتَكُونَنَّ﴾: لتكونن: اللام للتوكيد والنون لزيادة التوكيد.



﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾: من ابتدائية، المرجومين: الرّجم له معنيان القتل بالرّجم بالحجارة، أو اللعن والسّب والشتم.

ولم يقولوا: لنرجمنك، أي: لوحدك وإنما من المرجومين، أي: أنت ومن اتبعك، فهذه الآية فيها تهديد لنوح، ومن اتبعه وليس له وحده.

[١١٧] ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾:

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ﴾: نوح رب إن: تفيد التوكيد.

﴿قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾: أصروا واستمروا على تكذبي ولم يسمعوا قولي أو دعائي، كذبون: أصبحت صفة التكذيب عندهم ثابتة، قال: كذبون ولم يقل: كذبوني: لم يكذّبه كلّ فرد هناك من آمن له. وما آمن معه إلا قليل، ولذلك قال: كذبون ولم يقل: كذبوني التي تعني الكل كذّبه. وقوله ﷺ: إن قومي، ولم يقل: إن القوم: تدل على مدى عطفه وشفقته على قومه رغم أنهم كذبوه.

[١١٨] ﴿فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجَّيَ وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾: الفاء تدل على التوكيد، افتح بيني وبينهم فتحاً: الفتح هو الحكم، أي: احكم بيني وبين قومي حكماً يبيّن الحق أو اقض بيني وبينهم بالحق، والفتح هو النصر من دون قتال أو سلاح والفتح نوعان: فتح حسي مثل ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضِئْعَتَهُمْ﴾ [يوسف: ٦٥] أو فتح معنوي: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

﴿فَتَحًا﴾ للتوكيد.

﴿وَنَجَّيَ وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: من كيدهم مثل الرّجم أو القتل أو المكر.



[١١٩] ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾:

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾: الفاء تدل على المباشرة بعد أن دعا وقال: رب لا تذر علي الأرض من الكافرين دياراً، أنجينا: أي: بسرعة وقوة، ولم يقل: نجينا التي تدل على بطء النجاة واستغراقه وقتاً طويلاً.

﴿وَمَنْ مَعَهُ﴾: تدل على قلة الذين نجوا معه، ولو قال: وأنجينا والذين معه لدلت على الكثرة.

﴿فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾: في ظرفية، الفلك المشحون: الفلك تطلق على المفرد والجمع، والفلك: السفن والفلك يجوز فيها التذكير أو التأنيث كقول: الفلك المشحون أو فأنجينا وأصحاب السفينة، الفلك المشحون: الفلك المملوء بالناس والحيوانات، ولم يعد هناك مكان خالٍ، واختلف في عدد الذين نجوا معه، وقيل: كانوا أقل من (٨٠)، وقيل: لا يتجاوز الثلاثين.

[١٢٠] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لا تدل على الترتيب والتراخي، وإنما على تباين المنزلة بين الناجين والباقيين.

﴿أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾: أغرقنا من بعد نجاة نوح ومن معه، من بقي من قومه، الباقيين: الكافرين الذين لم يركبوا معه في الفلك، الباقيين على كفرهم الباقيين في مكانهم.

[١٢١] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (٨) من نفس السورة، الآية هنا نجاة نوح ومن آمن معه وصدقه، وإغراق جميع من بقي من قومه.



﴿لَايَةٌ﴾: معجزة، تدعو إلى العبرة والتأمل للوصول إلى الحق وهي قدرة الله سبحانه وعظمته ووحدانيته، وأنه هو الإله الحق واجب الوجود المستحق العبادة، ولكن من سيعتبر بعد غرق الباقين، قيل: هي آية لكل الأمم التي تأتي من بعدهم وتقرأ قصة نوح.

﴿وَمَا كَانَتْ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾: أي: قوم نوح، أو مشركو مكة، كان: تستعمل لكل الأزمنة.

[١٢٢] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾:

ارجع إلى الآية (٩) من نفس السّورة.

وهكذا لاحظنا، وسنلاحظ تكرار بعض الآيات في مطلع كلّ قصة من قصص الأنبياء، وفي ختام كلّ قصة فقد يسأل سائل: ما سبب ذلك أو ما فائدته، للإعلام أن رسالتهم واحدة وهي ألا تتقون الله أولاً.

وثانياً: تكرار الحث والدعوة إلى طاعة الله تعالى والمواظبة عليها، وتجنب ما نهى عنه، وتوحيد الإلهية والربوبية، الصفات والأسماء.

وثالثاً: التأكيد أن من يكذب أحدهم فقد كذب الكل والواجب هو الإيمان بالرسول جميعاً.

ورابعاً: أن الكل أمناء على رسالة الله، ولم يسأل أحدهم أجراً على تبليغ الرسالة.

وخامساً: أنهم جاؤوا منذرين لأممهم وإن اختلفت رسالاتهم.

وسادساً: التذكير بنعم الله والتحذير من مخالفة أوامر الله تعالى، وفي التكرار وعظ وتذكير وطرق الأذان والقلوب والعقول بها المرة بعد المرة وسماع



الآيات نفسها لعل بعض الأنفس تصحو من سباتها وبعض القلوب الغلف تنفجر أو تتصدع أو تهبط من خشية الله تعالى.

ثم أخبرنا الله تعالى بالنتيجة رغم تلك الآيات ما كان أكثرهم مؤمنين، ولا زال ربك هو العزيز الرحيم سبحانه وتعالى.

[١٢٣] ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿كَذَّبَتْ عَادُ﴾: أي: كذبت. ارجع إلى الآية (١٠٥) من نفس السورة. قبيلة عاد، وعاد هو في الأصل اسم أبي القبيلة، ويعبر عن اسم القبيلة باسم الأب وأنت ولم يقل: كذب عاد المرسلين وقال: كذبت، يقصد بها قبيلة عاد، وكانوا يسكنون الأحقاف قرب حضرموت قرب اليمن في جبال رملية، وكانوا أولي بأس شديد وذوي رخاء ونعيم بسبب كثرة أموالهم، وهم من بقايا قوم نوح لقوله: ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً﴾ [الأعراف: ٦٩]. الذين هاجروا من مكة إلى جنوب جزيرة العرب وسكنوا حضرموت.

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: بصيغة الجمع بدلاً من المرسل وهو هود. ارجع إلى الآية (١٠٥) للبيان.

[١٢٤] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾:

﴿إِذْ﴾: أي: وذكر أو وذكر حين.

﴿قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾: أي: أخوهم هود؛ أي: هو واحد منهم ليس غريباً عنهم يعرفونه ويعرفهم أخوهم في القبيلة وقال أخوهم؛ ليرقق قلوبهم ويسمعوا إليه ولا يكذبوه.

ارجع إلى الآية (١٠٦) من نفس السورة لمزيد من البيان.



[١٢٥] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾:

رجع إلى الآية (١٠٧) من نفس السورة.

[١٢٦] ﴿فَأَنفِقُوا لِلَّهِ وَأَطِيعُوا﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٨) من نفس السورة.

[١٢٧] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

قالها نوح، وقالها غيره من الأنبياء إلا إبراهيم وموسى. ارجع إلى الآية (١٠٩) من نفس السورة.

هو لا ينفي عدم أخذ الأجر وليس تكبراً ولقلة قيمته، وإنما طمعاً في أن يأخذ أجره من الله، ومهما أعطوه من الأجر فلن يكون كافياً لما يقدمه إليهم من الدعوة إلى الله والهداية وبالتالي النجاة والفوز بالجنة.

[١٢٨] ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾:

﴿أَتَبْنُونَ﴾: الهمزة للاستفهام والتوبيخ والإنكار والتعجب على هذا التكبر والعلو في الأرض. أتبنون: من البناء أو العمارة والتشييد.

﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾: الباء للإلصاق والربيع هو المكان المرتفع من الأرض، ويعني: ارتفاع البناء، أو الارتفاع في كل شيء؛ أي: أتبنون بكل مكان مرتفع آية، والآية: شيء عجيب.

﴿آيَةً﴾: قصور شامخة عالية مشيدة في غاية الإبداع والجمال والاتساع تدل على الفن المعماري، وهذا ما يحدث في عصرنا الحاضر من حيث التقدم والتطور في العمران والمفاخر.



﴿عَبَثُونَ﴾: من العبث: وهو ما لا فائدة فيه أصلاً في الدنيا ولا في الآخرة، ولا غاية ولا قيمة أو نفع؛ أي: المقاصد التي يبغيها قوم عاد مقاصد غير سامية حيث تشيدون هذه القصور العالية ولا تسكنونها طويلاً، فقط للتفاخر، وتريدون أن تصدوا غيركم عن سبيل الله.

والمباهاة بينكم فهذه الآية: البناء بكل ريع تدل على العلو في الأرض واتخاذ المصانع، آية تدل على إرادتهم الخلود والبقاء في الأرض وآية البطش تدل على الظلم والقوة والغلبة.

[١٢٩] ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾:

﴿مَصَانِعَ﴾: قيل: هي الحصون أو القلاع المنيعة، وقيل: حياض للمياه والبرك والأحواض لتجميع المياه.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل للتعليل والكاف للخطاب.

﴿تَخْلُدُونَ﴾: راجعين أو آملين البقاء أحياء والخلود والإقامة أعواماً طويلة على وجه الأرض.

[١٣٠] ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿بَطَشْتُمْ﴾: بالخلق، والبطش: الضرب أو الأخذ بالعنف والشدة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]، وربما القتل وتدل على الغلبة فقد أعطاهم الله القوة في الجسم.

﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾: بطشتم للتوكيد، جبارين: من دون رحمة أو شفقة، جبارين جمع جبار وهو الذي يضرب ويقتل بغير حق أو المتسلط الظالم،

والمتمعالي على الآخرين، والظلم كأنهم يمثلون القوة العظمى في ذلك الزمن. وجبارين تعني: لا تلين أو ترق قلوبهم بعد البطش بالآخرين؛ أي: قلوبهم خالية من أي رحمة.

[١٣١] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾:

فهذه الأمور الثلاثة: البطش، واتخاذ المصانع، والبناء بكل ريع آية تدل على أنهم يريدون العلو في الأرض والفساد، ولذلك قال لهم: فاتقوا الله كفوا عما نهاكم عنه، مثل البطش والتكبر، وارجعوا إلى خالقكم واعبدوه وحده خير لكم، وكرّر أمر التقوى والطاعة لله وللرسول لأنهم لم يستجيبوا له.

[١٣٢] ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَاتَّقُوا﴾: أطيعوا الذي أمدكم وانتهوا عما نهى.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿أَمَدَّكُمْ﴾: من المَدَّ، وهو الزيادة في العطاء، ومن خصوصيات القرآن أن يستعمل الفعل (مَدَّ) في سياق الخير و(أَمَدَّ) في سياق الشر.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق، ما اسم موصول بمعنى الذي.

﴿تَعْلَمُونَ﴾: تعرفونه جيداً، ولم يحدد ما أنعم الله عليهم؛ لأنّه لا يُعد ولا يحصى وتركه لهم أن يعدوه ويحصوه، كقوله: ﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]. أمدكم بالصحة والمال والسمع والبصر والشمس والقمر والقوة والغلبة وغيرها، نعم لا تحصى ولا تُعد.



[١٣٣] ﴿أَمْدَكُم بِأَنْعَمٍ وَيَنِينَ﴾:

ثم بين بعض المد والعطاء.

﴿بِأَنْعَمٍ﴾: الباء للإلصاق والملازمة والأنعام ثمانية أزواج من الإبل اثنين ومن البقر اثنين ومن الغنم اثنين ومن المعز اثنين.

﴿وَيَنِينَ﴾: الذكور كثرة الذكور.

[١٣٤] ﴿وَحَنَّتْ وَغُيُونَ﴾:

الجنات: أي: البساتين الخضراء والعيون جمع عين، منابع المياه والأنهار.

وعين جمعها أيضاً أعين، أي: التي نبصر بها.

[١٣٥] ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

﴿إِنِّي﴾: للتأكيد.

﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: إن كفرتم بالله وأشركتم به وجحدتم نعمه عليكم.

يوم عظيم: هو يوم القيامة، وهكذا استعمل هود أسلوب الترغيب والترهيب ودعاهم إلى الإيمان وترك الشرك وذكرهم بأنعم الله عليهم.

[١٣٦] ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: الذين كفروا واستكبروا من قوم عاد، قالوا لهود.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾: أي: يستوي عندنا وعظك أو عدمه.

﴿أَوَعَظْتَ﴾: الهمزة للاستفهام والتسوية، والوعظ هو النصح بالطاعة

والعمل والصّلاح والإرشاد إلى الخير بما يلين القلوب ويتضمن التحذير والأمر والنهي بأسلوب التّغريب والتّرهيب والوعظ بالتزام الخير والبعد عن الشر.

أي: سواء وعظت الآن أم لم تعظ أو وعظت في المستقبل أو لم تعظ ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٥٣].

﴿أم﴾: الهمزة للاستفهام. أم (المتصلة) للإضراب الانتقالي.

﴿لَمْ﴾: نافية.

﴿تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾: أم لم تعظنا لا يهمنا، ثمّ بينوا سبب عدم إيمانهم.. إن هذا إلا خلق الأولين. الواعظين: جمع واعظ.





سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ٢٦

الجزء التاسع عشر

إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنْ
رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ
لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ
إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾
فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْ هَاهُنَا حُصَيْمٌ ﴿١٤٨﴾
وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
﴿١٥٠﴾ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ
إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا
نَدِيمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾



سورة الشعراء الآيات [١٣٧ - ١٥٩]

[١٣٧] ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿إِنْ﴾ نافية بمعنى ما.

﴿هَذَا﴾: اسم إشارة تفيد القرب والهاء للتنبيه.

﴿إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾: إلا: أداة حصر، خُلُق: أي: عاداتهم وشأنهم هكذا كانوا يعيشون ويعبدون آلهتهم، ويعتقدون ليس هناك بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار، أي: ما جاءت به يا هود هو خُلُقُ الأولين، أي: عادة من سبقك من الرسل وما تقوم به ليس أمراً جديداً.

وتفسير ثانٍ: إن هذا الذي نحن عليه هو خُلُقُ الأولين، ملة الأجداد ونحن على آثارهم مقتدون، فنحن سنستمر على ذلك، وما نحن لك بمؤمنين.

وتفسير ثالث: لمن قرأ خُلُقُ الأولين: خُلُقُ الأولين: بمعنى: الاختلاق والكذب؛ أي: ما جئنا به إلا من اختلاق الأولين وكذبهم.

[١٣٨] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾:

رداً على قوله: إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا ما نحن بمعذبين فليس هناك بعث وحساب وعذاب.

﴿وَمَا﴾: النافية.

﴿نَحْنُ﴾: للتوكيد.



﴿بُعْدَيْنَ﴾: الباء للإصاق معذبين في الآخرة. يقولونها بكل تأكيد وثقة وكأنهم أعطوا العهد من الله بعدم عذابهم.

[١٣٩] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب للترتيب والتعقيب، كذبوا هود ولم يؤمنوا ويصدقوا بما جاءهم به.

﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة بسبب تكذيبهم وإعراضهم، وكان إهلاكهم بالريح الصرصر العاتية، كما ورد في سورة الحاقة آية (٦ - ٨).

﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۖ سَخَّرْنَا عَنْهُمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۖ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾: إن واللام للتوكيد، لآية: لعبرة وموعظة لهؤلاء المكذبين من قريش وغيرهم من الناس؛ لكي يتوبوا إلى ربهم ويستغفروه، وينجوا من العذاب أليم.

ورغم هذه الآيات ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وما كان أكثر قوم هود ولا غيرهم مؤمنين.

[١٤٠] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: اللام في لهو للتوكيد.

﴿رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الذي لا يُغلب ولا يقهر والمتقم من كل جبار متكبر لا يؤمن بيوم الحساب والممتنع لا يضره أحد من خلقه.

﴿الرَّحِيمُ﴾: لمن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً، ثم اهتدى، الرحيم لا يعجل لهم العذاب؛ لعلهم يتوبون ولا يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون.

[١٤١] ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾:

تتوالى قصص الأولين على رسول الله ﷺ، فبعد قصة موسى وإبراهيم ونوح وعاد، تأتي قصة صالح مع قومه ثمود.

﴿ثَمُودُ﴾: كانوا عرباً يسكنون مدينة الحجر على طريق مكة بين الشام والمدينة شمال الحجاز تعرف اليوم بمدائن صالح، وقبيلة ثمود من بقايا قوم عاد الذين عادوا إلى مكة بعد هلاك الكافرين منهم، ثم تكاثروا وهاجروا إلى شمال الحجاز ونيهم صالح عليه السلام وهو من العرب.

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: نبيهم صالح. ارجع إلى الآية (١٠٥) من نفس السورة للبيان.

[١٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٦) السابقة.

[١٤٣] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٧) السابقة.

[١٤٤] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٨) السابقة.

[١٤٥] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٩) السابقة.

[١٤٦] ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هُنَّاءَ آمِنِينَ﴾:

﴿أَتُتْرَكُونَ﴾: الهمزة استفهام إنكاري وتوبيخي، أي: لا يعقل أن تتركوا إلى الأبد.



﴿فِي مَا هَهُنَا﴾: أي: في هذا المكان المليء بالنعم والخيرات.

﴿ءَامِنِينَ﴾: مطمئنين غير خائفين، من الله سبحانه، وأنتم على شرككم وكفركم وجحدكم للنعم، ولا تتوبون إليه ولا تستغفرونه ولا تشكرونه.

ثم فسر هذا النعيم بقوله:

[١٤٧] ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾:

﴿فِي جَنَّاتٍ﴾: جمع جنة، وشبه مزارعهم بالجنات لكثرة خيراتها وثمارها وأشجارها.

أي: بساتين وحدائق ومنايع المياه والأنهار والآبار التي تسمى العيون، وليس الأعين؛ لأن الأعين: جمع عين، وتعني: الأعين التي نبصر بها، وكذلك عين تجمع على عيون، وتعني: عيون الماء، وهذا يسمّى تفصيلاً بعد إجمال.

ارجع إلى الآية (١٣٤) للبيان.

[١٤٨] ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾:

﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾: الطلع: الثمر، هضيم: أي: ناضج كالرطب عذق التمر والنخيل من الزروع وخص النخيل بالذكر؛ لأنه من أهم الثمار التي كانوا يعيشون عليها، ومنهم من فسر طلوعها هضيم، يعني: طلع النخلة ناعم لين.

[١٤٩] ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرَهِينَ﴾:

﴿وَتَنْحِتُونَ﴾: من النحت أصلها البراية يقال: نحته، أي: براه والنحت يشبه الحفر.

﴿مِنَ الْجِبَالِ﴾: من بعضية، أي: من بعض الجبال بيوتاً.

وفي سورة الأعراف الآية (٧٤) قال تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ أي:



كانهم ينحتون كل الجبال بيوتاً حين كان النحت على أشده في بداية النهضة، أو الحركة العمرانية كما قال تعالى: ﴿تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ [الأعراف: ٧٤]، الكل يبني وينحت، ثم بعد تلك المرحلة قلّ النحت فقال تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾، وحدث تقدم في مجال الزراعة كما قال تعالى: ﴿فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْ هَاضِمٌ﴾ [الشعراء: ١٤٧-١٤٨] وكذلك كنتم ﴿تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ [الأعراف: ٧٤]، مما يدل على حالة الازدهار والنمو والتقدم في النواحي الحياتية في بداية حضارتهم التي ما زال آثارها قائماً إلى اليوم.

﴿بُيُوتًا﴾: المنازل أو الدّور. ارجع إلى سورة النور آية (٢٧) للبيان.

﴿فَرِهِينَ﴾: بطرين فرحين بنحتها ومغرورين متكبرين، وفارحين جمع فاره: وهو النشيط الأشر (لسان العرب)، وأصبحت صفة الفرّه ثابتة لهم، ولا تزال مدائن صالح تشهد لهم بذلك النشاط في البنيان والعمران.

[١٥٠] ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ﴾:

يؤكد ويُعيد تذكيرهم بتقوى الله وطاعته وشكره على تلك النعم. ارجع إلى الآية (١٠٨) من نفس السّورة.

[١٥١] ﴿وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾:

لا: النّاهية.

المسرف المتجاوز الحدّ بالظلم أو ارتكاب المعاصي والكبائر. أمثال التسعة رهط الذين وصفهم في الآية التالية (١٥٢) بالمفسدين.

والإسراف: أن تتجاوز ما أحله الله فتدخل فيه الحرام، أو لا تقف عند حدود الحلال وتتعداها إلى الدخول في حدود الحرام لكي تكسبه، والإسراف



يشمل الكسب، أو الإنفاق في الحرام، وكما قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩].

[١٥٢] ﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول يفيد الذم.

﴿يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: بالقتل والسرقة وقطع الطريق وانتهاك المحارم؛ لكي يأكلوا أموال الناس بالباطل. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة لبيان معنى: الفساد.

يفسدون: صيغة المضارع التي تدل على تكرار فسادهم واستمراره ولم ينقطع أو يتوقف.

﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾: للتوكيد؛ لأن يفسدون تعني: لا يصلحون. ولا يصلحون: لا يقومون بأي إصلاح، الإصلاح: لغة ضد الفساد والإصلاح يشمل العقيدة التوحيد ونبيذ الشرك وإصلاح السلوك، والبعد عما حرم الله تعالى، وعدم الإسراف. ولا يصلحون: تدل على تجدد وتكرار هذا الفساد الذي هو دأبهم.

[١٥٣] ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: الذين كفروا من قومه لصالح.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿أَنْتَ﴾: للتوكيد والحصر.

﴿مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾: من ابتدائية، جمع مُسَحَّرٍ، وهي صيغة مبالغة تدل على أنك يا صالح سُحِرت عدة مرات، وليس مرة واحدة (مسحور) مغلوب على عقلك، ولا يُسمع لقولك ولا يؤبه لنصحك، فمن الأقوام مَنْ وصفوا نبيهم إما

هو نفسه ساحر أو مسحور أو من المسحَّرين؛ لكي يصدوا غيرهم من تصديقه والاستجابة له.

[١٥٤] ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾:

﴿مَا أَنْتَ﴾: ما النافية، أنت للتوكيد وحصرًا، وإذا قارنا (ما أنت) في قصة صالح، والآية (١٨٦) في قصة شعيب وهي قوله: (وما أنت) بزيادة الواو العاطفة نجد (ما أنت) في قصة صالح قد سبقها (إنما أنت من المسحَّرين) فجاءت (ما أنت) بدل من (إنما أنت من المسحَّرين)، أما في قصة شعيب الواو عاطفة؛ أي: بالإضافة إلى كونهم وصفوه من المسحَّرين سألوه بأن يأتي لهم بآية أو معجزة، بينما قوم صالح لم يطلبوا ذلك وكانوا أقل عنادًا وعتوًّا.

﴿بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: فما الذي جعلك أفضل منا أو أعطاك صفة النبوة لتكون رسولاً إلينا.

﴿فَأْتِ بَيِّنَاتٍ﴾: إن كنت تدَّعي النبوة فائت لنا بآية معجزة تدل على صدق نبوتك أو دليل قاطع.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال والشك، أي: نشك أنك من الصادقين.

﴿كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: الصادقين على صحة نبوتك أو الصادقين بما جئتنا به، أي: من المستبعد أن تكون قادرًا على الإتيان بآية.

[١٥٥] ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ هَآ شَرَبُوكُمُ شَرَبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾:

وبعد أن سألهم: ما نوع الآية التي يريدونها قالوا له أن تخرج لنا من هذه الصخرة الصماء ناقة عشراء تمخض، وقبل أن يأتي بها أخذ عليهم العهد ليتقوا الله ويطيعوه.

ثم دعا صالح ربه فاستجاب له فتحركت تلك الصخرة وتصدعت عن تلك



الناقة؛ لتكون آية على نبوة صالح، وبعد أن شاهدوا ذلك بأم أعينهم طلب منهم أن يتركوها تشرب وترعى في يوم لوحدها، وفي اليوم التالي يكون لشرب أنعامهم ومواشيهم ولا تشاركهم الناقة، أي: يوم للناقة ويوم لمواشيهم.

﴿هَآ شَرْبٌ﴾: لها نصيب من الماء أو حظ من السقي.

﴿وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾: فلا تشارك الناقة في الشرب، وإذا كان يومها شربت من الماء ما تشاء.

[١٥٦] ﴿وَلَا تَمْسُوهُنَّ يَوْمَ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

﴿وَلَا﴾: الناهية.

﴿تَمْسُوهُنَّ يَوْمَ﴾: المس هو أخف حالات اللمس: مجرد اللمس، بسوء: الباء للإلصاق، بأي سوء مهما كان، الباء باء التعليل، سوء نكرة أي سوء، والسوء أعم من العقر، ويشمل كل أنواع السوء.

﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: ف يأخذكم: الفاء: تدل على الترتيب والمباشرة، ويأخذكم من الأخذ؛ أي: بشدة، وعنف، ويعني: العقاب. فيحل عليكم عذاب يوم عظيم إذا اعتديتم عليها أو عقرتموها أو منعتموها، ففي الآية تهديد ووعد. عذاب يوم عظيم: عظيم قد ترجع إلى اليوم أو إلى العذاب أو كلاهما. وفي الآية (٧٣) من سورة الأعراف قال تعالى: ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وفي الآية (٦٤) من سورة هود: ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾؛ نحن نعلم أن العذاب العظيم هو أشد وأفظع من العذاب الأليم، ففي آية الأعراف هددهم بالعذاب الأليم، وكان ذلك في بداية العصيان والتحدي لإيقاع الأذى بالناقة، وفي آية الشعراء هددهم بالعذاب العظيم بعد أن تمادوا بالعصيان والتحدي، وفي آية هود هددهم بالعذاب القريب بعد أن عقروا الناقة.

[١٥٧] ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾:

﴿فَعَقَرُوهَا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، عقروها: من العقر وهو الجرح أو قطع عضو من أعضائها، عقروها: ذبحوها، فقال لهم صالح: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام، ذلك وعد غير مكذوب بصيغة الجمع والذي عقرها هو قدار بن سالف، كما تشير الروايات، ولكن الذين اشتركوا في مؤامرة العقر تسعة رهط، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨]، ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحْ أَثْنَانَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧].

﴿فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾: حين رأوا العذب وندموا حين لا ينفع الندم - فهو ندم الخائفين من العذاب أن يحل بهم - وليس ندم التائبين. وأنه قد جاء أمر ربك. [١٥٨] ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانُوا أَكْثَرَهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾:

﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾: فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين. ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانُوا أَكْثَرَهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾: ارجع إلى الآية (٨) من نفس السورة.

وما كان أكثرهم: أي: ما كان أكثر قوم صالح مؤمنين.

[١٥٩] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾:

ارجع إلى الآية (٩) من نفس السورة لليبان.





سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ٢٦

الجزء التاسع عشر

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٦٣﴾ وَمَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾
أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ
مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾
رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ
مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ
لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَسْوَاسٍ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾



سورة الشعراء الآيات [١٦٠ - ١٨٣]

[١٦٠] ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٥٠) من نفس السورة للبيان.

[١٦١] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٦) للبيان.

ولوط قيل: هو لوط بن هارون بن آزر، ولوط ابن أخي إبراهيم عليه السلام.

واسم لوط باللغة يعني: المصلح.

[١٦٢] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٧) للبيان.

[١٦٣] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٨) للبيان.

[١٦٤] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

ارجع إلى الآية (١٠٩) للبيان.

[١٦٥] ﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ﴾: كناية عن الفاحشة، وهي وطء الرجال (عمل قوم لوط)،

أتأتون: الهمزة للاستفهام والتوبيخ والإنكار، وفي سورة الأعراف آية (٨٠) قال

تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.



الذكران: جمع ذكر؛ أي: الذكور. والفرق بين الذكور والذكران: الذكران تدل على القلة والذكور تدل على الكثرة والذكران تشمل الشباب والشيوخ والأطفال، كقوله تعالى: ﴿يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩].

﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: من الناس، من بني آدم: إذ كانوا يعملون الفاحشة مع الغرباء إذا نزلوا ديارهم بصورة عامة، حيث كانت مسألة أو خصلة انفردوا بها دون العالم كله لم يمارسها في عالمهم أو زمانهم كله إلا هم فقط.

وفي آية أخرى قال: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠].

[١٦٦] ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾:

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ﴾: تتركون فروج نساءكم وترغبون في أدبار الرجال، لكم: اللام لام الاختصاص.

﴿مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾: خلق لكم ربكم من أزواجكم: فيها إيهام مراعاة للأدب الرباني. من فروجهنَّ بالنكاح الشرعي. من: للبيان، أو للتبويض، وفيه إشارة غلى قوله تعالى: ﴿فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

﴿بَلْ﴾: حرف إضراب انتقالي.

﴿أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾: جمع عادٍ متجاوز حدَّ الحلال إلى حدِّ الحرام بالفاحشة وهي (عمل قوم لوط)، أي: قوم تجاوزتم الحدود الشرعية الفطرية إلى حدود ما حرم الله تعالى، عادون: أي: أصبحت صيغة التجاوز ومخالفة شرع الله ثابتة عندكم ومستمرة.

[١٦٧] ﴿قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: قوم لوط.

﴿لَيْنَ لَمْ﴾: لئن: مركبة من اللام وإن، اللام لام التوكيد، إن الشرطية تفيد الشك أو الاحتمال، لم حرف نفي.

﴿تَنْتَه يَلُوطُ﴾: تكف عن نهينا ووعظنا وتحذيرنا.

﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾: من المطرودين من قريتنا، أنت ومن اتبعك، الكل مطرودون من قريتنا، واللام في لتكونن، والنون: لزيادة التوكيد على طرده من قريتهم. بينما قال قوم نوح لنوح ﷺ: ﴿لَيْنَ لَمْ تَنْتَه يَنْوُحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾، بينما قال قوم لوط للوط ﷺ: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾؛ لأن لوط ﷺ هاجر إليهم وليس منهم، وليس له نصير أو عشيرة، وإخراجه أمر سهل بدلاً من قتله.

[١٦٨] ﴿قَالَ إِنِّي لَعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾:

﴿قَالَ﴾: لوط.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿لَعَمَلِكُم﴾: الفاحشة، اللام للتوكيد والاختصاص.

﴿مِّنَ الْقَالِينَ﴾: جمع القالي اسم فاعل، القلى: أشد البغض مع النفور، القالين: المبغضين أشد البغض، لَعَمَلِكُم، أي: أكرهه وأكره من يعمله، مبالغة في إنكاره عليهم، أي: هذا الفعل موجب للبغض الشديد والكره.

[١٦٩] ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾:

لما رأى لوط إصرار قومه على فعل هذه الفاحشة، لم يجد له مخرجاً إلا اللجوء إلى الله تعالى يطلب منه النجاة ولأهله.

﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾: من ابتدائية، ما اسم موصول بمعنى الذي يعملون أو مصدرية من عملهم الفاحشة والمنكر، يعملون: تضم الأقوال والأفعال. ويعملون تشير إلى استمرار عملهم الفاحشة، ولم ينقطع.



[١٧٠] ﴿فَنَجِّنَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿فَنَجِّنَهُ﴾: الفاء تدل على المباشرة والتعقيب، نجيناه: ببطء.

﴿وَأَهْلَهُ﴾: ابتناه.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: للتوكيد.

[١٧١] ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿عَجُوزًا﴾: أي: امرأته التي كانت غير مصدقة لرسالة لوط وراضية عن عمل القوم للفحشاء، وقيل: كانت تنقل الأخبار إلى قوم لوط وتساعدهم.

﴿فِي الْغَيْرِينَ﴾: في ظرفية زمانية ومكانية، الغابرين: الباقين في العذاب أو الهالكين، يقال: غبرت في عذاب الله، أي: بقيت.

[١٧٢] ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الذكري العددي.

﴿دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾: من التدمير يعني: الهلاك التام والإبادة من دون سابق إنذار لهم.

ويشمل الدمار الكل الصغير والكبير والذكر والأنثى والبنيان والشجر والحيوان وكل شيء، الآخرين: أي: من قوم لوط. ارجع إلى سورة الإسراء آية (١٦) لبيان معنى الدمار.

[١٧٣] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾:

بعد أن جعل عاليها سافلها واثتفكت: انقلبت بواسطة جبريل عليه السلام.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: وأمطرنا: نسب المطر إليه سبحانه للدلالة على هول المطر

ولم يسبق له مثيل، ومن خصائص القرآن أن يستعمل كلمة المطر للدلالة على المطر الذي يحمل العذاب والهلاك والدمار والفيضانات، ويستعمل كلمة الغيث التي تدل على الخير والنفع؛ أمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود، سجيل طين: متحجّر. ارجع إلى سورة الحجر آية (٧٤) لبيان المعنى العلمي للمطر.

﴿مَطَرًا﴾: للتوكيد.

﴿فَسَاءَ﴾: من أفعال الذم؛ أي: بسئ مشتقة من ساءه الأمر؛ أي: أحزنه.

﴿مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾: المنذرين بالهلاك والمنذرين اسم للجنس. أي: قوم لوط.

[١٧٤] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِنَّ﴾ للتوكيد، واللام في آية للتوكيد، أي: ما حدث لقوم لوط آية وعبرة ودلالة على إهلاك وتدمير لكل من يعمل تلك الفاحشة في الدنيا والعقاب الأشد هو في الآخرة.

[١٧٥] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾:

ارجع إلى الآية (٩) من نفس السورة.

[١٧٦] ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾: وقيل: أصحاب لَيْكَةِ عباد الأيكة، والأيكة: شجر

كثيف ناعم ملتف على نفسه، وقيل: كانوا قرب مدين.

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: كذبوا شعيباً. ارجع إلى الآية (١٠٥) للبيان.

[١٧٧] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾:

لم يقل: أخوهم شعيباً؛ لأنّ شعيباً لم يكن يعرفهم، وكان غريباً عنهم أرسله الله



سبحانه إليهم وإلى مدين من قبل. وحين يذكر قوم مدين يقول: أخاهم شعيباً. ارجع إلى الآية (١٠٦) من نفس السورة للبيان.

[١٧٨] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٧).

[١٧٩] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٨).

[١٨٠] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٩).

[١٨١] ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾:

﴿أَوْفُوا﴾: أتموا.

﴿الْكَيْلَ﴾: الشيء الذي يكال به؛ أي: المكيال والكيل. مثل الطعام (الحب أو الشعير أو القمح أو الرز....) وكال: المعطي. اكنال: الآخذ.

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾: لا: الناهية، المخسرين: جمع مخسر من فعل أخسر، تكونوا من المخسرين: أي: المنقصين للكيل حين البيع، والمخسر هو الذي يكون السبب أو يتسبب في خسارة الآخر.

ففي هذه الآية أمر بإتمام الكيل، وهذا هو الواجب، ونهى عن التطفيف: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ ارجع إلى سورة المطففين الآية (١-٣).

وأما إذا أراد أن يزيد في الكيل للمشتري تكرماً منه فلا مانع فقد أحسن في فعله.

[١٨٢] ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾:

وزنوا حوائجكم بالقسطاس: بالميزان المستقيم العادل السوي؛ أي: بأعدل الموازين. ارجع إلى سورة الإسراء آية (٣٥) لمزيد من البيان.

[١٨٣] ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَلَا﴾: لا الناهية.

﴿تَبْخَسُوا﴾: من البخس، النقص بأي نوع سواء كان بالغصب أو الظلم أو التلاعب والغش أو التسلط أو البغي والطغيان أو الرشوة؛ أي: لا تنقصوهم ظلماً، وأما الفرق بين البخس والنقصان؛ النقصان: يكون بالظلم وغير الظلم، وأما البخس: لا يكون إلا بالظلم.

﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أي: حقوقهم أو سلعهم أو موادهم.

﴿وَلَا﴾: لا الناهية تكررهما للتوكيد وفصل البخس عن العثو في الأرض.

﴿تَعْتُوا﴾: من عثا؛ أي: أفسد. العثو: هو أشد الفساد، فهم كانوا متمادين في الفساد في الأرض أي: لا تفسدوا في الأرض كل هذا الفساد، ولا يعني الفساد القليل مسموح به، وإنما انتهوا عن الفساد بكل أشكاله.

﴿مُفْسِدِينَ﴾: للتوكيد. قوله تعالى: لا تعثوا: لا تفسدوا في الأرض. مفسدين؛ أي: بقصد أو نية أو بدون قصد أو بنية.

ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) لمزيد من البيان.





سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ٢٦

الْبَيْتُ السَّادِسُ عَشَرَ

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَةَ الْأُولَى (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ
مِنَ الْمُسْحَرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ
الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩)
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٩١) وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ
الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ
مُّبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأُولَى (١٩٦) أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ
عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ (١٩٧) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨)
فَفَرَّاهُ، عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُّؤْمِنِينَ (١٩٩) كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ
فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ (٢٠١) فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٢٠٢) فَيَقُولُوا
هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (٢٠٣) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤) أَفَرَأَيْتَ
إِنْ مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦)

سورة الشعراء الآيات [١٨٤ - ٢٠٦]

[١٨٤] ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ﴾:

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾: أطيعوا أوامر الذي خلقكم أي: الله العزيز الحكيم وكفوا عما نهاكم عنه. الذي: اسم موصول مختص بالمفرد المذكر ويفيد التوحيد.

﴿وَالْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ﴾: الذي خلقكم وخلق الجبلَةَ الأولى: أوائل الأولين أوائل الخلق ذوي الجبلَة، أي: الخلقة الطَّبِيعِيَّة القوية كقوله تعالى: ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصَرَةً﴾ [الأعراف: ٦٩]، كانوا كأنهم الجبال القوية لشدتهم مثل: قوم عاد الذين قالوا ﴿مَنْ أَشَدُّ مَنَا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

الجبلَة: الأمة أو الجماعة من الخلق مشتقة من الجبل ففيه صفات القوة والفخامة، أو اتقوا الذي خلقكم والجبلَة الأولين السابقين الأولين الذي جبلوا على العناد والتكذيب لرسولهم أو كانوا كالجبال في قوتهم وشدتهم، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ [يس: ٦٢].

[١٨٥] ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٥٣) من نفس السورة.

[١٨٦] ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾:

﴿وَمَا أَنْتَ﴾: الواو: واو العطف (تعاطف النعوت)؛ أي: ما أنت إلا بشر



مثلنا وما أنت إلا من المسحرين، وإن نظنك لمن الكاذبين. ارجع إلى الآية (١٥٤) من نفس السورة لمعرفة الفرق بين (ما أنت) (وما أنت).

أي: ما أنت إلا بشر مثلنا سحر مرات عديدة، وكاذب.

﴿أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: أنت: للتوكيد، إلا: للحصر، بشر مثلنا: ليس عندك شيء يميزك علينا.

﴿وَإِنْ﴾: الواو للتوكيد، إن: تعليلية.

﴿نَظْنُكَ﴾: من الظن: وهو الاحتمال الراجح.

﴿لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾: اللام للتوكيد، من ابتدائية، الكاذبين: فيما تدعوننا إليه من الإصلاح وتستمر في ذلك ولا تتوقف، والكاذبين: جمع كاذب، وتدل على أن صفة الكذب ثابتة عندك مخاطبين شعيب، وفي سورة الأعراف آية (٦٦) قال قوم عاد لهود: ﴿وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ إضافة اللام (لنظنك) مما دل على أن تكذيب قوم عاد أشد من تكذيب أصحاب الأيكة لشعيب.

[١٨٧] ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾:

إن كنت صادقاً فادعوا الله أن يسقط علينا كسفاً من السماء: مفردها كِسْفَةٌ مثل قطع وقطعة، أي: قطعاً من العذاب من عذاب السماء مثل البرق أو النار أو ريحاً عاتية فهم لا يصدقون أن شعيباً مرسل من ربه.

﴿كِسْفًا﴾: بفتح السين قطعاً عديدة، أما كِسْفًا: بسكون السين، أي: قطعة واحدة كبيرة أو قطعة واحدة مهما كان حجمها. وقد تبين من الأبحاث الفلكية

أن هناك (٢٠٠-٤٠٠) مادة، أو أشياء تسقط على الأرض كل عام، وهناك أكثر من (١٧٠ مليون) قطعة من حطام الكواكب وغيرها تحاول اختراق الطبقات المحيطة بالأرض، وكثير من الأجسام أقل (١ ملم) وهناك (٣٠،٠٠٠) أكبر من الطابة، وحوالي (١٠٠٠) حجمها حجم المركبات الفضائية، وتشكل خطراً حقيقياً لأهل الأرض، ولكن معظمها يسقط في البحار والمحيطات؛ لأنها تشكل أكثر من (٧٠٪) من الأرض.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الشك أو الاحتمال.

﴿كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: صادقاً في ادّعاءك النبوة أو صادقاً فيما تعدنا من

العذاب.

[١٨٨] ﴿قَالَ رَبِّ اعْلَمْ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾:

قال شعيب لأصحاب الأيكة:

﴿رَبِّ اعْلَمْ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: الباء للإلصاق، ما: اسم موصول بمعنى الذي

أو مصدرية، تعملون: العمل يشمل القول والفعل، أي: تقولون وتفعلون مثل: نقصان الكيل والميزان، والإفساد في الأرض، والظلم، وقطع الطريق.

أي: رب أعلم بأحوالكم ويعلم نواياكم وما تخفي صدوركم وما إذا كنتم تستحقون العذاب العاجل أو الآجل وإسقاط الكسف، أو غير ذلك فله الحكم، وإليه ترجع الأمور.



[١٨٩] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: الفاء للتوكيد، كذبوا شعيباً، واستمروا على تكذيبه ولم يعد هناك الأمل في إيمانهم أو توبتهم.

﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾: أي: أهلكتناهم بالظلة (بالسحابة أو الكسفة) كما طلبوا أن يسقط عليهم كسفاً من السماء، فكان بعذاب يوم الظلة. قال كثير من المفسرين: سلط الله سبحانه عليهم شدة الحر في الليل والنهار فأخذ أنفاسهم لا ظل ولا ماء ولا ريح تهب عليهم، فأرسل الله تعالى نحوهم غمامة فيها البرد والتسيم فاجتمعوا تحتها جميعاً فأنزل الله عليهم برقاً وناراً فصعقوا بها.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: يوم شديد الهول؛ حيث كان يعذبهم الفرح والأمل في التخلص من الشدة والكرب الذي أصابهم بسبب الحر الشديد؛ فإذا هم يفاجئون بالنار المحرقة والصواعق من السماء التي أهلكتهم، ونجى شعيب والذين آمنوا معه.

[١٩٠] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (٨) من نفس السورة.

﴿لَآيَةً﴾: اللام للتوكيد، دلالة على نبوة شعيب وصحة ما دعاهم إليه وعبرة لأهل مكة وغيرهم من الكفار بأن يصدقوا برسولهم وما أنزل إليه من ربه.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾: أصحاب الأيكة أو غيرهم من الناس.



﴿مُؤْمِنِينَ﴾: رغم كل هذه الآيات.

[١٩١] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾:

ارجع إلى الآية (٩) من نفس السورة.

[١٩٢] ﴿وَلِئِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿وَلِئِنَّهُ لَنَنْزِيلُ﴾: إن واللام في كلمة لتنزيل تؤكدان على صحّة نزول القرآن من عند الله على محمد ﷺ.

وأنّه: هاء الضمير تعود إلى القرآن.

﴿لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: تنزيل: تفيد العلو، أي: مُنزل من رب العالمين.

رب: أي: الخالق والمربي والمدبر والحاكم والمسيطر والرزاق.

العالمين: جمع عالم يشمل عالم الإنس والجن والملائكة.

[١٩٣] ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾:

﴿نَزَلَ بِهِ﴾: نزل بالقرآن الكريم بالتدريج.

﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾: جبريل عليه السلام، وسمّي روحاً كما سمّي الله سبحانه

القرآن روحاً حيث قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

[١٩٤] ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾:

نزل به الروح الأمين على قلبك يا محمد ﷺ.

نزل بالقرآن الكريم على قلبك مباشرة ولم يقل: على سمعك أو أذنك أي:



تجاوز أداة السَّمْع رغم كونها وسيلة للوصول إلى القلب؛ لأنه ليس لسماع الأذن قيمة إذا لم يَعْ القلب ما تسمع الأذن، والقلب بما يضخ من الدَّم والأوكسجين هو سبب حياة كل عضو وما دام نزل به على القلب فقد استقر وأصبح عقيدة راسخة والقلب ليس فقط مضخة للدَّم، كما كان يعتقد، بل هو الفؤاد.

ارجع إلى سورة الحج آية (٤٦) للبيان.

﴿لَتَكُونَنَّ﴾: اللام تعليلية.

﴿مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾: من الإنذار، وهو الإعلام مع التحذير قبل وقوع الأمر المحذور منه أو الشرّ وحين يقع العذاب أو الشرّ، فلا جدوى عندها من الإنذار، المنذرين: جمع منذر، أي: الرّسل والدّعاة إلى الله تعالى والمخاطب هو رسول الله ﷺ.

[١٩٥] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾:

نزل به جبريل (الروح الأمين) بلسان عربي، بلغة عربية هي لغتك ولغة قومك والباء للإلصاق، أو بلسان قريش اللسان العربي المبين؛ لتنذر به وذكرى للمؤمنين.

﴿مُبِينٍ﴾: واضح لكل فرد يتكلم ويفهم اللغة العربية وجلي واضح بنفسه لا يحتاج إلى دليل أو برهان.



[١٩٦] ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿وَإِنَّهُ﴾: أي: القرآن الكريم، وقيل: قد تعني أيضاً الرّسول ﷺ والمرجّح هو القرآن.

﴿لَفِي﴾: اللام للتوكيد، في ظرفية مكانية وزمانية.

﴿زُبُرٍ﴾: جمع زبور، والزبور يعني: كتاب سماوي مسطور.

ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان في معنى زُبُر.

﴿الْأَوَّلِينَ﴾: أي: الكتب السماوية السابقة كالّتوراة والإنجيل وغيرها. ومعنى ذلك أن القرآن مذكور في سائر الكتب السماوية التي جاءت قبله ومبشر به.

[١٩٧] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ أَيُّهُمُ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: الهمزة همزة استفهام توبيخي، والواو تدل على شدة إنكار مشركي مكة أن القرآن منزل من عند الله عزّ وجلّ.

﴿يَكُنْ لَهُمْ آيَةً﴾: لهم: اللام لام الاختصاص، أي: لكفار مكة أو مشركيها أو غيرهم من المكذبين.

﴿أَن يَعْلَمَهُ﴾: أي: القرآن أو محمّد ﷺ، والآية تحتل المعنيين.

ألا تكفي كفار مكة وغيرهم آية كون القرآن مذكوراً في الكتب السماوية السابقة مثل التّوراة والإنجيل، ويعلم علماء بني إسرائيل ذلك آية، أي: علامة أو



دليلاً واضحاً على كونه حقاً، وأنه منزل من ربك وأن النبي حقٌ ونبوته حقٌ، وأنه أيضاً مذكور في كتبهم.

﴿عَلَّمَؤَابْنِي إِسْرَءِيلَ﴾: أمثال عبد الله بن سلام وأسد وأسيد وثعلبة وابن يامين وغيرهم، كما ذكر السيوطي في الدر المنثور الجزء السادس. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤٣) في سورة العنكبوت، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾: نجد أن علماء جمع تكسير، وعالمون جمع مذكر سالم؛ علماء: تشمل الكل كل العلماء، وطلاب العلم الذين يدرسون عدة علوم، والعالمون: الفئة الخاصة التي اختصت بعلم ما، أو تبهرت في علم من العلوم.

[١٩٨] ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: شرطية.

﴿نَزَّلْنَاهُ﴾: أي: القرآن نزلناه منجماً مفرقاً.

﴿عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾: بعض الأعاجم: الأعجمي: هو من لا يُحسن اللغة العربية وإن كان عربياً، والعجمي: من أصله عجمي (غير عربي) ولو أجاد اللغة العربية، أي: لو نزلنا هذا القرآن على بعض الأعاجم (من لا يُحسن اللغة العربية) فقرأه على كفار مكة أو قريش ما صدّقوا به واتهموه ولم يتبعوه لفرط عنادهم وتكبرهم.

[١٩٩] ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾:

فقرأه: أي: تلاه عليهم، والفاء للمباشرة، أي: لكفروا به بحُجة أنهم لا يفقهوا ما يقرؤه عليهم من القرآن؛ لأنه أعجمي.



[٢٠٠] ﴿كَذَلِكَ سَلَكَنَا فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾:

﴿كَذَلِكَ﴾: أي: مثل ذلك.

﴿سَلَكَنَا﴾: السَّلك الإدخال بسهولة، أي: لو قرأه عليهم أعجمي أو قرأه عليهم محمد ﷺ نفس الشيء سيكذبون به، ويستمرون على ذلك حتى يروا العذاب الأليم.

أو سلكناه في قلوب المجرمين (المشركين) كأنهم عجم لا يفهمون منه شيئاً، ولا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم. ولو قارنا هذه الآية مع الآية (١٢) من سورة الحجر وهي قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ نجد آية الحجر جاء فيها بالفعل المضارع (فسلكه) الذي يدل على التجدد والاستمرار والتكرار الذي يشير إلى استمرار إرسال الرسل إلى أقوامهم، وأما آية الشعراء: جاء بالفعل الماضي (سلكناه) الذي يشعر إلى حدث انتهى ومضى، وهو إنزال القرآن على قلب رسول الله ﷺ.

﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: جمع مجرم. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، والجاثية آية (٣١) للبيان.

[٢٠١] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾:

﴿لَا﴾: النافية، لا يؤمنون بالقرآن ويستمرون على تكذيبهم به حتى يموتوا وعندها يروا العذاب الأليم ويعلموا أنه الحق من ربك.

﴿حَتَّى﴾: حرف نهاية الغاية.



﴿رَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: وحينئذ لا ينفعهم إيمانهم ولا هم ينظرون.

[٢٠٢] ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿فَيَأْتِيَهُمْ﴾: الفاء تدل على المباشرة، أي: يأتيهم بسرعة من دون تأخير،
يأتيهم: أي: كفار مكة وغيرهم من ملّة الكفر.

﴿بَغْتَةً﴾: فجأة في الدنيا أو الآخرة أو الموت.

﴿وَهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يَشْعُرُونَ﴾: لا يتوقعون نزوله.

[٢٠٣] ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾:

﴿فَيَقُولُوا﴾: أي: المجرمون أو المشركون حين يأتيهم العذاب الأليم.

﴿هَلْ﴾: استفهام تحمل معنى التحسر والطمع في الإمهال.

﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل للمتكلم المعظم نفسه أو معه غيره.

﴿مُنْظَرُونَ﴾: مؤخّرون أو ممهلون لنؤمن بالقرآن ونصدّق به ونعمل

صالحاً، يقولون ذلك حسرة على ما فاتهم من الإيمان، ولا استدراك ما فرطوا به
وإصلاح ما أفسدوا، والجواب: كلا.

[٢٠٤] ﴿أَفِعْذَابِنَا يُسْتَعْجَلُونَ﴾:

﴿أَفِعْذَابِنَا﴾: الهمزة للاستفهام التوبيخي، الفاء للتوكيد، والمخاطب

كفار مكة ومشركيها وغيرهم من الكفار. أفبعذابنا: نسب العذاب سبحانه إليه
ليدل على هوله وشدته، وللتحذير منه.

﴿يَسْتَعْجِلُونَ﴾: أي: إن استجبنا لهم وأخرنا عنهم العذاب ليقولنَّ بعد ذلك
ما يحبسهم، وإن نزل بهم يقولون: أنظرنا وأمهلنا إلى أجل قريب.
﴿يَسْتَعْجِلُونَ﴾: تدل على التكرار والتجديد والاستمرار.

[٢٠٥] ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾:

﴿أَفَرَأَيْتَ﴾: الهمزة للاستفهام التوبيخي، الرؤيا قلبية فكرية.

﴿إِنْ﴾: شرطية.

﴿مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾: أي: لم نهلكهم وأطلنا أعمارهم ووسعنا أرزاقهم كما
طلبوا فعاشوا السنين الطويلة، جواب الشرط محذوف دال عليه الاستفهام، أي:
لن يغني ذلك عنهم شيئاً.

[٢٠٦] ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي. جاءهم: المجيء فيه معنى الصعوبة والشدّة.

﴿جَاءَهُمْ مَا﴾: أي: العذاب. ما: أي: الذي يوعدون من العذاب والهلاك أو
الموت. وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿كَانُوا يُوعَدُونَ﴾: في الدنيا.





سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ٢٦

الجزء الثاني

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا
لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٨﴾ ذَكَرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ
الشَّيَاطِينُ ﴿٣٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٣١﴾ إِنَّهُمْ
عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ﴿٣٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ
مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٣٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٣٤﴾ وَخُفِضَ
جَنَاحُكَ لِمَنِ أَتَبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي
بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٣٧﴾ الَّذِي
يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٣٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٤٠﴾ هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ ﴿٤١﴾ تَزَلُّ عَلَىٰ
كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٤٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٤٣﴾
وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
يَهِيمُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ
بَعْدِ مَا ظَلَمُوا أَوْ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٤٧﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

الجزء الثاني

٣٧٦

سورة الشعراء الآيات [٢٠٧ - ٢٢٧]

[٢٠٧] ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾:

أي: لو استجبنا لهم وأخرناهم وأطلنا أعمارهم ومتعناهم متاع الحياة الدنيا سنين طويلة، ثم جاءهم العذاب.

﴿مَا﴾: النافية.

﴿أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾: لا ينفعهم أو لا يجدي كل ذلك لأنهم لن يتوبوا ويؤمنوا ولن يزيدهم عندئذ زيادة المتاع والرّفاية وطول العمر شيئاً عذاباً فوق العذاب؛ لأنّهم سينسونه ولن يمنعهم من العذاب أو يخفف عنهم شيئاً.

[٢٠٨] ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا هَا مُنْذِرُونَ﴾:

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾: ما النافية، أهلكنا: الموت والفناء.

ارجع إلى سورة الأعراف آية (٤) لمزيد من البيان.

من قرية: من استغراقية، أي: أهل قرية وبما فيها المنازل والدّور. قرية: نكرة، أي: قرية ظالمة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿هَٰا مُنْذِرُونَ﴾: جمع مُنذر، أي: رُسُلٌ مُنذرون، أي: لا نهلكها إلا بعد أن يتم إنذارها بإرسال الرّسل وإنزال الكتب وتبين عاقبة كفرها وشركها وإقامة الحجّة عليها، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو



عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٢٠٩﴾ [القصص: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

[٢٠٩] ﴿ذَكَرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾:

﴿ذَكَرَى﴾: تذكرة وموعظة نذكرهم لكي نوقظهم من غفلتهم ونذكرهم بذنوبهم لعلهم يتوبون ويرجعون، وإذا لم يذكروا ويرتدعوا ويتوبوا ويكفوا عن طغيانهم أخذناهم بالعذاب.

﴿وَمَا كُنَّا﴾: ما النافية.

﴿ظَالِمِينَ﴾: بإنزال العذاب بهم.

[٢١٠] ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾:

﴿وَمَا﴾: ما النافية.

﴿نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾: به: أي: القرآن. الشياطين: هم كفرة الجن رداً على زعمهم وافتراءهم أن الشياطين تنجيء بالقرآن وتلقيه على لسان محمد ﷺ، كما تنزل الشياطين على الكهنة، وكما قال تعالى: ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ﴾

[الحاقة: ٤٢].

[٢١١] ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: النافية.

﴿يَنْبَغِي لَهُمْ﴾: لهم: تعود إلى الشياطين، أي: لا يحتاجون أن يقوموا بإنزاله ولا يصح ولا يجوز لهم ذلك.

﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: أي: ولو أرادوا ذلك، تكرار ما يفيد التوكيد وفصل

الابتغاء عن الاستطاعة؛ لأنهم محجوبون عن الاستماع إلى الملائكة الأعلى (الملائكة) بالشَّهْب والحرس، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مِلْثًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا﴾ [الجن: ٨].

[٢١٢] ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾:

﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾: الاستماع للوحي من السماء والملائكة.

﴿لَمْعَزُولُونَ﴾: محجوبون بالشَّهْب، اللام لام التوكيد.

[٢١٣] ﴿فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾:

﴿فَلَا نَدْعُ﴾: الفاء للتوكيد. الخطاب لكل من يعقل ويسمع القرآن.

﴿نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾: أي: لا تعبد مع الله إلهاً آخر، أي: لا تشرك بالله شيئاً، الخطاب وإن كان موجهاً إلى رسول الله ﷺ، فهو موجَّه إلى الذين يشركون بالله ويجعلون معه إلهاً آخر، أو تحذير لسائر البشر من الشرك بالله تعالى.

﴿فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾: أي: رغم أنك أكرم الخلق، فلو اتخذت إلهاً آخر غيري لعذبتك.

[٢١٤] ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾:

﴿وَأَنْذِرْ﴾: يا محمد والإنذار هو الإعلام مع التحذير قبل وقوع الشر أو الأمر المحذور وهو عدم الشرك بالله والإخلاص لله والتوحيد وبين يدي عذاب شديد.

﴿عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾: وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب. فالإنذار يبدأ بالأقرب فالأقرب.



فقد روى البخاري ومسلم وأحمد والنسائي والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما لما أنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ أتى الصفا فصعد عليها، ثم نادى: يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني لؤي أرايتم لو أخبرتكم أنّ خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغيّر عليكم صدقتموني؟ قالوا: نعم. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

وما رواه الإمام أحمد ومسلم عن عائشة قالت: لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين، قام رسول الله ﷺ فقال: يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم. وفي لفظ آخر ما أغني عنك من الله شيئاً.

[٢١٥] ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَخَفِضْ﴾: انتبه إلى أنّه سبحانه في الوقت الذي دعاه لينذر عشيرته أمره أن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين وخفض الجناح كناية عن اللين والعطف والحنان والتواضع، كما يفعل الطائر الذي يحنو على ذريته.

﴿لِمَنِ﴾: اللام لام الاختصاص، من استغراقية، لكل من اتبعه من المؤمنين، ويتضمن ذلك عشيرته وغيرها من المؤمنين، وقوله: لمن اتبعك تكفي، من المؤمنين: للتوكيد أو خاصة المؤمنين. أو تعني: ذكر الخاص بعد العام: للتوكيد. وإذا قارنا هذه الآية (٢١٥) من سورة الشعراء مع الآية (٨٨) من سورة الحجر ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لكل المؤمنين عامة ومن اتبعك من المؤمنين خاصة.



[٢١٦] ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، إن شرطية تفيد الشك أو الاحتمال.
 ﴿عَصَوْكَ﴾: ولم يتبعوك الأقارب أو غيرهم، فلا تتردد بالقول إنني بريء مما تعملون: أي: لي عملي ولكم عملكم.
 ﴿مِمَّا﴾: أصلها من ابتدائية بعضية، ما اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: تضم الأفعال والأقوال، مما تعملون من الشرك أو الظلم أو المعاصي.

[٢١٧] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾:

﴿وَتَوَكَّلْ﴾: أي: فوِّض أمرك إلى الله تعالى، أي: رده إليه راجياً عونهُ وتيسيره وتوفيقه بعد اتخاذ الأسباب المطلوبة شرعاً وعقلاً، فهو سبحانه الكافي، ومن يملك تدبير كل الأمور وتصريفها، أي: وإن عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن شركهم وتوكل على الله سبحانه حتى يكفيك شرهم.

﴿الْعَزِيزِ﴾: القوي القادر على قهر الأعداء ودحرهم. والذي لا يُغلب ولا يُقهر، والبالغ أمره ولا يضره شيء، والغني عن عباده؛ فالعزة يحتاج إليها للقدرة على نفع المتوكل.

﴿الرَّحِيمِ﴾: لا يعجل لهم العقوبة لعلهم يتوبون؛ الرحيم بالمؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة. وفي سورة الفرقان آية (٥٨): ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾، فالتوكل يحتاج إلى من له الصفات الأربع: الحي الذي لا يموت، العزيز، الرحيم.



[٢١٨] ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾:

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿يَرَبُّكَ حِينَ﴾: حين ظرفية زمانية، يراك: المطلع عليك.

﴿تَقُومُ﴾: للصلاة مع المصلين جماعة أو لوحدك في جوف الليل صلاة التهجد، ويراك في كل حالاتك حين تقوم من فراشك أو مجلسك، وهذا يدل على أنك بأعيننا، فليطمئن قلبك.

[٢١٩] ﴿وَتَقَلُّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾:

﴿وَتَقَلُّبُكَ﴾: ونراك في قلبك في القعود والقيام والركوع والسجود.

﴿فِي﴾: ظرفية زمانية ومكانية ولم يقل: مع، في تعني أنت واحد منهم وليس مضافاً إليهم، أي: أنت منهم وهم منك الكل وحدة إيمانية متجانسة.

﴿السَّاجِدِينَ﴾: أي: في المصلين حين تكون إمامهم، الساجدين: جمع ساجد، أي: مصلٍّ، عبّر عن الصلاة بجزء منها (أي: إطلاق الجزء وإرادة الكل). الساجدين: جمع ساجد السجود الحقيقي مع الخشوع.

وتقلبك قد تعني أيضاً: تقلّب بصرك فيمن يصلي خلفك، فقد قال ﷺ: (أتموا الركوع والسجود فوالله إنني لأراكم من خلف ظهري إذا ركعتم وسجدتم) حديث متفق عليه، فقد كان ﷺ يحذر صحابته من أن يسبقوه في الركوع أو السجود والقيام والقعود؛ ظناً منهم أنه لا يراهم.

[٢٢٠] ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾:

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.



﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿السَّمِيعُ﴾: لما تتلوه عليهم وتعظمهم وتخبرهم، صيغة مبالغة في السَّمْع والسميع لأقوالهم في السر والعلن.

﴿الْعَلِيمُ﴾: صيغة مبالغة في العلم، العليم بما عمله وتنويه والعليم بكلِّ أحوالك وأحوال عباده لا تخفى عليه خافية في السَّماء ولا في الأرض.

[٢٢١] ﴿هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلَ الشَّيَاطِينُ﴾:

جاءت هذه الآية تنمة للردِّ على المكذبين الذين افتروا أنَّ القرآن تنزلت به الشَّياطين، وألقته على لسان محمَّد ﷺ، ففي الآية (٢١٠-٢١٢) بيَّن سبحانه سبب استحالة نزول الشَّياطين به، وفي هذه الآية يُبين سبحانه على من تنزل الشَّياطين، فيقول:

﴿هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ﴾: هل وزيادة الهمزة كلاهما أداة استفهام واقتران هل بالهمزة تفيدان على توكيد ما يخبر به الله تعالى وهو على من تنزل الشَّياطين والنَّبأ هو الخبر العظيم المهم، أي: هل أنبئكم النُّبأ اليقين الحق.

﴿عَلَىٰ مَنْ﴾: على تفيد العلو والمشقة، ومن تفيد الاستغراق.

﴿تَنَزَّلَ الشَّيَاطِينُ﴾: تنزل حذف التاء: ولم يقل: تنزل، تنزل تعني: القلة أو النُدرة، أمَّا تنزل فتعني الكثرة والاستمرار.

[٢٢٢] ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾:

﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ﴾: على تفيد العلو والمشقة.

﴿كُلِّ﴾: تفيد التوكيد.



﴿أَفَاك﴾: على وزن فعال، أفاك صيغة مبالغة من الإفك وهو الكذب وقلب الحقائق، وأفاك كثير الكذب أو الإفك.

﴿أَثِيم﴾: على وزن فعيل، صيغة مبالغة في ارتكاب الإثم، كثير الإثم والذنوب، مثل الكاهن أو الكهنة، ومن يدعون علم الغيب، تنزل الشياطين على أوليائها.

[٢٢٣] ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ﴾:

﴿يُلْقُونَ﴾: تعود على الشياطين.

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾: يصغون أشد الإصغاء إلى الملائ الأعلی (الملائكة) لكي يسترقوا منهم شيئاً يسمعونه لكي يلقوه على الكهنة، ألقى السمع: أي: يحرص على الاستماع.

﴿وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ﴾: تعود على الكهنة وتعود على الشياطين كلاهما كاذبون، فهم يخلطون الخبر الصادق بأخبار كاذبة، ومن عدل الله سبحانه قال: أكثرهم واستثنى القليل منهم؛ لأن بعضهم قد يصدق، وقد يسأل سائل: لِمَ يحدث ذلك بإذن الله، الجواب: لكي يكون فتنة أو ابتلاء للناس والكهنة والشياطين.

[٢٢٤] ﴿وَالشَّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾:

المناسبة: بين الله سبحانه أن هذا القرآن هو تنزيل من رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ؛ ليكون من المنذرين وبيّن سبحانه ما تنزلت به الشياطين، وبيّن لماذا وما ينبغي لهم، ولأن رسول الله ليس من الكهنة الذين يستمعون إلى الشياطين، وهنا ينفي أيضاً أن يكون رسول الله ﷺ من الشعراء،

كما يفترى مشركو وكفار قريش فالشياطين يتبعهم الكهنة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤١].

والشعراء يتبعهم الغاؤون.

والذين آمنوا يتبعون الحق من ربهم.

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾: الغاؤون: جمع غاؤ، وأصل الغي الفساد، والغاؤون: الفاسدون في الرأي والعقيدة والخائبون والضالون عن الحق بعد معرفته.

ارجع إلى سورة الحجر آية (٤٢) لمزيد من البيان.

وكان الشعراء في القديم يمثلون وسيلة من وسائل الإعلام المهمة، يتبعهم بالتشديد ولم يقل: يتبعهم لتدل على المبالغة في الاتباع من اتبع على وزن افتعل ليس مجرد أتباع عادي.

[٢٢٥] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام توبيخي.

﴿تَرَ﴾: رؤية قلبية فكرية؛ أي: ألم تعلم.

﴿أَنَّهُمْ﴾: للتوكيد تعود على الشعراء.

﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾: في كل وادٍ: وادي الذم والمدح والفجور والفخر والجنون، أي: ليس لهم واد معين، يهيمون: من هَامَ، أي: سار على غير هدى ومن دون هدف، وحائر لا يدري إلى أين يسير، كمن هَامَ وتاه في الصحراء



على وجهه، أي: شعرهم خيالات وأوهام وأباطيل. تشمل أبواب المدح والذم والفجور، وغيرها.

[٢٢٦] ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾:

﴿وَأَنَّهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿يَقُولُونَ﴾: بصيغة المضارع لتدل على تجدد أقوالهم وتكرارها.

﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾: ما اسم موصول، لا النافية، أي: تخالف أفعالهم وأقوالهم، فهم يصفون أنفسهم بالشجاعة وهم جبناة وبالكرم وهم بخلاء أو يحثون الناس على الشجاعة ولا يحثون أنفسهم وعلى العطاء وهم أشحاء. ويمدحون غيرهم. كي يُعطوا المال أو ينالوا منفعة دنيوية.

[٢٢٧] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، أي: يُستثنى من هؤلاء الشعراء الذين في كلِّ واد يهيمون ويقولون ما لا يفعلون.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾: هؤلاء عسى الله أن يتوب عليهم ويتقبل منهم أعمالهم الصالحة.

﴿وَانْتَصَرُوا﴾: أمثال حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك انتصروا للإسلام، ودافعوا عنه، وعن الرسول ﷺ وردُّوا بشعرهم على الكفار المشركين وردُّوا السيئة بالسيئة والجهر بالسوء من القول.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾: من بعد ما ظلموا من أعداء الدِّين ومن الكفار.



﴿وَسَيَعْلَمُ﴾: السَّيْنُ للاستقبال القريب، أي: سيعلمون عن قريب (بعد موتهم وإن طال أجلهم فهو قصير وفجأة) أو سيعلمون في دنياهم قبل موتهم كما حدث في معركة بدر وحنين وفتح مكة.

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي: الذين أشركوا بالله أو الكفار وظالمو الناس وأنفسهم بإعراضهم عن آيات الله وذكره، ويقولهم أن القرآن شعر أو قول كاهن.
﴿أَيَّ﴾: للاستفهام والإبهام.

﴿مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾: منقلب مصير أو مرجع أو حالة إليها ينقلبون.
وهناك فرق بين المنقلب والمرجع، المرجع: هو العودة إلى الحال التي كان عليها قبل وقوع الحدث، والمنقلب: هو العودة إلى الحال غير الحال التي كان عليها قبل وقوع الحدث، والمنقلب قد يكون سيئاً أو حسناً.
وتنكير المنقلب وإبهامه للتهويل والتعظيم، ليترك للعقل أن يتصور كل أنواع السوء التي سيصير إليها، وفي الآية تهديد ووعد لهؤلاء الذين ظلموا للكف والتوبة والرجوع إلى الله.

ولا بُدَّ في الختام من القول أن الإسلام يفرِّق بين الشعر المحرَّم والشعر المباح: فالشعر المحرم هو الذي يخالطه الشرك والهجاء والشتم والنياحة والفحش والخبث والفجور أو الخنى والكذب والباطل، وأما الشعر المباح فهو الذي يحثُّ على الجهاد والوطن والفضيلة والدار الآخرة.





الجزء التاسع عشر

سورة النمل ٢٧



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ
أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ
وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ
لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَائِغًا
مِّنْهَا خَبِيرًا وَأَتَيْكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا
جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسِي إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقَى عَصَاكَ
فَلَمَّارَةً هَامَّةً تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسِي لَا تَخَفْ
إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ
سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ
مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ
﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾



سورة النمل [الآيات ١ - ١٣]

ترتيبها في القرآن السورة (٢٧)، وترتيبها في النزول السورة (٤٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طَسَّ تِلْكَ ءَايَتُ الْفُرْقَانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾:

﴿طَسَّ﴾: ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد، لبيان علو شأن ورفع الآيات.

﴿ءَايَتُ﴾: أي: الآيات التالية أو الآيات القادمة أو آيات القرآن بشكل عام، والآيات تقسم إلى ثلاثة أنواع الآيات القرآنية أو الكونية أو المعجزات التي تدل على النبوة.

﴿الْفُرْقَانِ﴾: بال التعريف للدلالة على الكمال، وسُمِّي قرآناً: لأنه يُقرأ من الكتاب ويُقرأ من الصدور أو مقروءاً.

﴿وَكِتَابٍ﴾: ويسمَّى كتاباً؛ لأنه مكتوب في السطور وكتاب: نكرة للتفخيم والتعظيم. وجمع بين الوضعين القرآن وكتاب مبین؛ للدلالة على الكمال والقراءة والكتابة لحفظ كلام الله من التحريف والتبديل، فالكتاب يعني: الجمع الحسي، أو الضم لحروف القرآن وكلماته، وأما القراءة أو التلاوة: جمع صوتي لحروف القرآن وكلماته.

﴿مُبِينٍ﴾: واضح أنه منزل من عند الله تعالى ومحيط بكل شيء، وبيِّن



لكل إنسان ما يحتاجه للقيام بوظيفته الخلافة في الأرض وجلي ومبين بأحكامه وآياته، ولا يحتاج إلى غيره للوصول إلى الغاية.

ولنقارن هذه الآية من سورة النمل قال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

مع الآية (١) من سورة الحجر قال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾.

ففي آية النمل عطف الكتاب على القرآن، وفي آية الحجر عطف القرآن على الكتاب فهما شيء واحد وليس تكراراً.
[٢] ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿هُدًى﴾: هو الهدى أو مصدر الهدى أو الهادي للحق، وإلى الصراط المستقيم الموصل للغاية وهي السعادة والكمال في الدارين.

هدى: نكرة، أي: يشمل كل أنواع الهدى يهدي للحق وللخير والرشد والصواب والتي هي أحسن، ويهدي للنجاة من النار والفوز بالجنة هدى عامة لكل البشر وهدى خاصة لمن أراد وطلب الهداية.

﴿وَبُشْرَى﴾: من البشارة وهي الخبر السار عادة، ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، المؤمنين: أي: الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، المؤمنين: جملة اسمية تدل على الثبوت أي: أصبح الإيمان عندهم صفة ثابتة.

هدى وبشرى: ينتفع بها الكل وخاصة بالمؤمنين وبشرى للمؤمنين بالجنة والنجاة من النار.



لنقارن هذه الآيات:

في سورة البقرة الآية (٢) ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

في سورة النمل الآية (٢) ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

في سورة لقمان الآية (٣) ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾.

وفي سورة النحل الآية (٦٤) ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وفي سورة النحل الآية (١٠٢) ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ﴾.

فالقرآن هدى لهؤلاء جميعاً كل طبقة من هؤلاء تجد هدايتها في هذا القرآن.

فالدرجات من الأدنى إلى الأعلى:

الإسلام (مسلمون)، الإيمان (مؤمنون)، التقوى (المتقون)، الإحسان (المحسنون)، ثم أعلى درجة وهي إسلام الوجه والإخلاص ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥].

ولكل من هؤلاء صفاتهم الخاصة بهم، المتقي عمله يقتصر على نفسه والمحسن يتعدى بعمله وإحسانه إلى الغير، وهم درجات عند ربهم درجات القربى من الله عَزَّ وَجَلَّ، ولهم درجات عند ربهم (درجات الجنة).

[٣] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح.

﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾: يؤدُّون الصَّلَاةَ بأركانها وسننها وآدابها وأوقاتها وخشوعها والمحافظة عليها والدوام عليها؛ أي: إقامتها ظاهراً وباطناً، واستحضار القلب أو العقل.



﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: من الإيتاء لم يقل يعطون الزكاة. والإيتاء أعم من العطاء.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿بِالْآخِرَةِ﴾: الباء للإلصاق والملازمة والاستمرار أن يقينهم ملازم لهم ثابت لا ينفك عنهم.

وتقديم الآخرة ولم يقل: وهم يوقنون بالآخرة: تقديم الآخرة للاهتمام لأن الإيمان بالآخرة والبعث من أصعب الأمور؛ لذلك قَدِّمَ الآخرة للمبالغة والتوكيد. ﴿هُمْ﴾ تكرر هم يفيد التوكيد، وإذا كان هناك من يوقن بالآخرة فهم في طليعتهم، فهم يوقنون حق الإيقان والإيقان عندهم مستمر وثابت.

﴿يُوقِنُونَ﴾: من اليقين وهو العلم بالحق والعلم بأن ليس هناك غيره والذي يتمثل بالإيمان الراسخ في القلب، فلا يتغير ولا يتبدل وله درجات هي علم اليقين عين اليقين، حق اليقين. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لمزيد من بيان معنى اليقين.

انتبه إلى مجيء يقيمون ويؤتون بصيغة الفعل المضارع تدل على التجدد والاستمرار أي: في الصلاة والزكاة بينما وهم بالآخرة جملة اسمية تدل على الثبات وهم يوقنون جملة فعلية لتدل على التجدد إضافة إلى الثبات معاً.

مقابل هؤلاء المؤمنين الذين ذكرهم في الآية (٢-٣) هناك الذين لا يؤمنون بالآخرة.

[٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾:

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: إن للتوكيد، الذين: اسم موصول يفيد الذم.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: لا النّافية، لا يؤمنون بالآخرة: (بالبعث والحساب والجنة والنار) وهم الكفار.

﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾: لم يذكر من هو المزيّن، فقد يكون هو الله سبحانه للابتلاء والاختبار، والتزيين من الله للأشياء المباحة والحلال، والمزين قد يكون الشيطان إبليس وذريته في الأمور المحظورة، ويكون ذلك بالوسوسة والتزغ والغواية، أو رؤساء الضلال من شياطين الإنس، والتزيين: بأن يروا أعمالهم السيئة أعمالاً حسنةً مثل طول العمر وسعة الرزق، فيظنون أن الله سبحانه راضي عنهم فيتمادون في الطغيان وفي الإسراف والتبذير والضلال، وإنّما هذا الإمداد ليزدادوا إثماً.

﴿فَهُمْ﴾: الفاء: للتوكيد، هم ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: من العمى وهو عمى البصيرة، الذي يؤدي بهم إلى التردّد والحيرة، يعمهون عن الرشد؛ مما يؤدي بهم إلى الخطأ في الرأى فهم يتحيرّون بين الظنّ بأنّ أعمالهم حسنة تارة وسيئة أو قبيحة تارة أخرى، ويتحيرّون في ضلالهم فهم لا يهتدون إلى الصراط المستقيم ويتحيرّون بين نفع أعمالهم وضررها.

[٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد يشير إلى الذين لا يؤمنون بالآخرة.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد التوكيد.

﴿لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾: لهم اللام للاختصاص، سوء العذاب: في الدّنيا بالقتل والأسر والهزيمة وضنك العيش والمرض والفقر، وسوء مشتق من كونه يسيء إلى النفس ويسوء إظهاره أو سيئ العاقبة. وسوء: اسم مصدر لا يجمع، والسوء



كلمة عامة، وأما السيئة جمعها سيئات، وسيئات تعني: الصغائر والكبائر، وهي خاصة مقارنة بالسوء.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿فِي الْآخِرَةِ﴾: في ظرفية.

﴿هُمْ﴾: لزيادة التوكيد.

﴿الْأَخْسَرُونَ﴾: من فعل أخسر على وزن أفعّل، مبالغة في الخسران، أي: أشد الناس خسراناً يوم القيامة وهم أشد خسارة من الخاسرين جمع خاسر؛ لأن الخسارة في الآخرة متفاوتة الدرجات وأعظمها خسارة المشركين والكافرين. ارجع إلى سورة النساء آية (١١٩) لمزيد من البيان.

[٦] ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾:

﴿وَإِنَّكَ﴾: يا محمد ﷺ.

﴿لَتَلْقَى الْقُرْآنَ﴾: اللام للتوكيد، تلقى: من إلقاء القول وهو المشافهة المرة بعد المرة تتلقاه من جبريل ﷺ أي: يتلوه عليك.

﴿مِنْ لَدُنْ﴾: من ابتدائية، لدن: لم يقل من عند، لدن تستعمل للأمور الخاصة والأقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وأعز مثل النبوة، ولو قال: منا فهي تستعمل للأمور العامة مثل الرحمة.

﴿حَكِيمٍ﴾: حكيم مشتقة من الحكمة فهو سبحانه أحكم الحكماء وأحكم الحاكمين. ارجع إلى سورة هود آية (١).

﴿عَلِيمٍ﴾: صيغة مبالغة من عالم، عليم بما ينزل على عبده وبمصالح عباده وعلیم بالغيب وما يجري في كونه من صغيرة وكبيرة لا تخفى عليه خافية.

[٧] ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦ إِنَّيَ ءَانَسْتُ نَارًا سَتَاتِيكُم مِّنْهَا يَحْبِرُ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾:

قبل البدء بذكر الآيات التي وردت في سياق موسى علينا أن نعلم أنها آيات مبنية على الإيجاز مقارنة بالآيات التي وردت في سورة القصص أو طه أو الشعراء.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمان للماضي، بمعنى حين، أي: واذكر إذ قال موسى لأهله، أو اذكر حين قال موسى لأهله في طريق عودته من مدين إلى مصر.

﴿لِأَهْلِهِۦ﴾: تعني: الزوجة والأولاد، اللام لام الاختصاص.

﴿إِنَّيَ ءَانَسْتُ نَارًا﴾: إني للتوكيد، أنست، أي: رأيت شيئاً يؤنسني (أي: النار التي رآها من بعيد).

﴿سَتَاتِيكُم مِّنْهَا يَحْبِرُ﴾: السّين للاستقبال القريب وعد فيه شعور بالثقة بالنفس والتأكد والقطع، ولم يقل: لعلي آتيكم: وعد فيه نوع من الخوف والترجي وعدم التأكد، كما ورد في سورة طه والقصص فقد يكون قد انتابه الشعور بالخوف وعدم التأكد، ثم عاد ليؤكد ويطمئن أهله واعتراه الشعور بالثقة بعد ذلك فهو قال كلا المقولتين.

﴿يَحْبِرُ﴾: عن الطريق لكونه تاه ولم يعد مطمئناً في تلك الليلة. بخبر من خبرت الشيء، أي: عرفت حقيقته.

﴿أَوْ﴾: للتخيير.

﴿ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾: الباء للإلصاق شهاب هو شعلة من النار ملتهبة فيها لهب.

﴿قَبَسٍ﴾: ما تقتبس منه من النار سواء كان جذوة أو شهاب والمجيء بشهاب قبس: أحسن وأفضل؛ لأن فيه استنارة (ضوءاً) وفيه دفء.



﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: لعل للتعليل، تصطلون: تستدفئون فقد كان الزمن زمن شتاء وبرد، والاصطلاء: القرب من النار للإحساس بالدفء أصلها تصطلون أبدلت التاء طاء لقرب المخرجين وسهولة النطق.

انتبه: استعمل أو بدل الواو، كان باستطاعته القول: سأتيكم منها بخبر وأتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون، واستعمل أو بدلاً من الواو، أي: إذا لم يظفر بحاجياته على الأقل يظفر بواحدة.

[٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، لما ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿جَاءَهَا﴾: أي: وصل إليها بمشقة وصعوبة جاء فيها معنى المجيء بمشقة وصعوبة بعكس أنها: فيها معنى المجيء بسهولة، ومعنى آخر هو أتى تعني هو في طريقه ولم يصل بعد مقارنة بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ [القصص: ٣٠].

﴿نُودِيَ﴾: النداء خطاب مباشر.

﴿أَنْ﴾: للتوكيد والتعليل.

﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾: بورك أصلها بارك أو تبارك أبدلت الألف واو لسكونها وتحرك ما قبلها، وكما روي عن ابن عباس في قوله: بورك؛ يعني: تبارك وتعالى من في النار؛ النار: قيل ليست ناراً وإنما نوراً، وقيل: نور رب العالمين وقالوا: من في النار: من ابتدائية، وفي ظرفية، النار أي: تبارك موسى ﷺ من في النار وهو الأعم، وقد تشمل أيضاً كل شيء وقع عليه نور الله الشجرة والطور والوادي حتى العصا التي في يد موسى والبقعة المباركة التي ذكرها في سورة القصص. وقيل: أيضاً الملائكة.

وإذا قيل: إن النار هي حقيقة نار فهي نار لا تحرق؛ لأنه سبحانه وتعالى نزع

منها خاصية الإحراق، وأبقى لها خاصية الإضاءة؛ لأنه سبحانه على كل شيء قدير، فسواء كان ذلك نوراً، أو ناراً فهو يدل على عظمة الله سبحانه وقدرته، ولذلك أعقبها بالقول: وسبحان الله رب العالمين.

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: أي: الملائكة الكرام، وبعضهم قال موسى ﷺ الذي كان من حولها.

﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: تنزه الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله عن كل عيب ونقص وما لا يليق بجلاله وكماله. ارجع إلى سورة الحديد الآية (١) لمزيد من البيان، رب العالمين: الخالق والمربي والمدير، العالمين: الملائكة والجن والإنس ورب السموات والأرض وما بينهما ورب كل شيء.

[٩] ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿يَمُوسَىٰ﴾: نداء من الأعلى إلى الأدنى.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿أَنَا﴾: ضمير الشأن الدال على التعظيم، وللدلالة على الوحدانية.

﴿اللَّهُ﴾: واجب الوجود اسم ذاته العلية يحمل في طياته كل صفاته وأسمائه

الأخرى.

﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي الذي لا يُقهر ولا يُغلب مشتقة من العزة عزة القوة والقهر

والامتناع والغلبة.

﴿الْحَكِيمُ﴾: أي: الحاكم حاكم السموات والأرض وما فيهن صيغة مبالغة

تعني: أحكم الحاكمين، وحكيم مشتقة من الحكم أحكم الحكماء في تدبير شؤون خلقه وكونه وشرعه.



[١٠] ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾:

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾: قول مباشر من رب العالمين لموسى عليه السلام، وفي سورة القصص آية (٣١): ﴿وَأَن أَلْقِ عَصَاكَ﴾: نجد إضافة أن في آية القصص، وتسمى المصدرية، أو المفسرة؛ أي: ناداه ربه أن ألق عصاك؛ أي: بإلقاء عصاه.

لو نظرنا إلى الأحداث في هذه السورة نجد أنها جاءت مجملة ومختصرة مقارنة مع سورة طه وسورة القصص وغلب عليها طابع التكريم، إضافة إلى الإيجاز، ولم يقل له سبحانه: وما تلك يمينك يا موسى وألق عصاك.

﴿فَلَمَّا رَآَهَا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، لما ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾: أي: فلما ألقاها انقلبت إلى حية تهتز كأنها جان، أي: في الحركة والسرعة؛ كان ذلك مظهراً آخر للاختبار الأول لموسى مع العصا، كما رأينا في سورة طه آية (٢٠).

﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾: انصرف خائفاً، أو هرب خوفاً منها.

﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: لم يلتفت ورائه، ولم يرجع إلى مكانه. يعقب مشتقة من عقب القدم: أي: يدور على عقبه ويرجع.

﴿يَمُوسَى لَا تَخَفْ﴾: لا الناهية، لا تخف من الحية، أو هذا الثعبان، أو مما ترى أمامك. ارجع إلى سورة طه آية (٢٠) لمزيد من البيان وسورة الأعراف آية (١٠٧).

﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾: إني للتوكيد، لدي: ولم يقل: مني المرسلون؛ لأن المرسلين يخافون من الله كل الخوف ويخشونه، أي: لا يخاف لدي، أي:

عندي أو في حضرتي، ولكن استعمل لدي؛ لأنها تحمل معنى التكريم والقرب بينما عندي تستعمل للعامة.

[١١] ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسَنًا بَعْدَ سَوْءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿إِلَّا﴾: قيل: إلا في هذه الآية ليست أداة استثناء أو حصر، كما هي في غالب الحالات، وإنما وقعت بمنزلة الواو العاطفة فيكون التفسير الأول؛ أي: لا يخاف لدي المرسلون، ومن ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإنني غفور رحيم.

وأما التفسير الثاني: (إلا) قد تفسر بكلمة وكذلك، فتكون الآية: لا يخاف لدي المرسلون، وكذلك لا يخاف لدي من ظلم، ثم بدل حسناً بعد سوء فإنني غفور رحيم، وهذه الآية عامة؛ أي: حكم عام ليس خاصاً بأحد، تشمل جميع المكلفين من إنس وجن ﴿مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسَنًا بَعْدَ سَوْءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

واستعمل: ثم لتباين وتباعد الصفات بين الظلم والإحسان أو عمل سوءاً: إثماً أو ذنباً أو قبيحاً، ثم تاب وأناب إلى ربه وعمل حسناً، أي: عمل عملاً صالحاً فإنني غفور رحيم.

[١٢] ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرِّجْ يَضَاءً مِّنْ غَيْرِ سَوْءٍ فِي سَعْيٍ أَيْتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾:

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾: هذه هي الآية الثانية، أدخل يدك في جيبك: الجيب فتحة الثوب فتحة الرقبة مكان دخول الرأس في الثوب هكذا كان الثوب يلبس في ذلك الزمن، أدخل يدك والإدخال يستعمل في مواطن المشقة والصعوبة مقارنة بكلمة ﴿أَسْلُكُ يَدَكَ﴾: كما في الآية (٣٢) من سورة القصص، والتي تستعمل في مواطن السهولة وزمن الخوف ففي زمن الخوف تريد أن يكون الأمر سهلاً، ويكفي الخوف نفسه فيستعمل اسلك يدك.

﴿تَخَرِّجْ يَضَاءً مِّنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾: أي: يتغير لونها بعد إدخالها في الجيب من اللون



الأسمر إلى الأبيض النَّاصع الذي بشع كالنور، وحتى لا يظن أحد أن هذا التغيير في اللون ناتج عن البرص أو مرض جلدي أزال الله سبحانه ذلك الظن فقال: من غير سوء، أي: من غير مرض.

﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾: أي: هذه آية في جملة تسع آيات وهن: اليد والعصا والطوفان، والجراد والقمل والضفادع، والدم والسنين ونقص الثمرات. إلى: حرف غاية يفيد عموم الغايات سواء البداية أو النهاية أو ما بينهما، فرعون وقومه: القوم هم الرجال دون النساء أو قد تعني الرجال والنساء معاً. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٣٢) في سورة القصص وهي قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ﴾: نجد أن القوم أعم؛ فالقوم تعني: المملأ وغيرهم من الناس، وهذا أن يكون من قبيل ذكر العام بعد الخاص، أو الخاص بعد العام ليشمل الكل في الأهمية الكل يجب أن يبلغ الرسالة؛ ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾: إنهم للتوكيد، قوماً فاسقين؛ لأنهم أطاعوا فرعون الذي قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]. ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، وما قاموا به من الفساد في الأرض خارجين عن طاعة الله، فاسقين: مشتقة من فسقت الرطبة، أي: خرجت من غلافها ارجع إلى الآية (٢٦) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

[١٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ عَيْنُنَا مُبْصِرَةٌ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب والتعقيب. لما: ظرفية بمعنى حين.

﴿جَاءَهُمْ عَيْنُنَا﴾: أي: الآيات التسع: اليد والعصا والطوفان، والجراد والقمل والضفادع، والدم والسنين ونقص الثمرات. جاءتهم: أي: قوم فرعون.



﴿مُبْصِرَةٌ﴾: واضحة أو دالة على وجود الخالق الحق ووحدانيته ونبوة موسى.
 ﴿ءَايُنُنَا مُبْصِرَةٌ﴾: أي: كأن الآيات هي التي تبصر؛ أي: تهدي إلى الخالق
 والإله الحق الواحد، وهم لا يبصرون أو هم يبصرون بسببها؛ أي: لو آمنوا بها،
 فلو لا هذه الآيات لما قدروا على الاهتداء.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه ذا اسم إشارة للقرب.

﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: سحر واضح لكل فرد أو الكل يعرف أنه سحر. ارجع إلى
 سورة طه آية (٥٨) لبيان معنى السحر.

واعتبروها سحراً؛ لأنها كانت آيات خارقة للعادة. وكل شيء يؤثر فيهم
 وخارق للعادات يعتبرونه سحراً؛ لأنهم لا يريدون الإيمان به. ولو نظرنا إلى
 الاختلافات بين سورتي النمل والقصص لوجدناها كثيرة جداً تعود إلى أن سورة
 القصص جاءت قصة موسى فيها مفصلة، بينما قصة موسى في سورة النمل
 جاءت مختصرة نذكر بعض الأمثلة:

في سورة النمل: ﴿إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا﴾ [آية: ٧]، في سورة القصص: ﴿ءَأَنَسَ مِنْ
 جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ [آية: ٢٩].

في سورة النمل: ﴿يَمُوسَى﴾ [آية: ١٠]، في سورة القصص: ﴿أَن يَمُوسَى﴾ [آية: ٣٠].

في سورة النمل: ﴿لَا تَخَفْ﴾ [آية: ١٠]، في سورة القصص: ﴿أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [آية: ٣١].

في سورة النمل: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ [آية: ١٠]، في سورة القصص:
 ﴿إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ﴾ [آية: ٣١].

نجد في سورة القصص يشيع فيها جو الخوف، وسورة النمل ليس فيها خوف.





سورة النمل

سورة النمل ٢٧

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا
وَقَالَ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾
وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَاءَتِيهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ
وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ
لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَاءَتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا
مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا
تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾
وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ
الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾



سورة النمل [الآيات ١٤ - ٢٢]

[١٤] ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾: هناك فرق بين الجحود والإنكار. الجحود هو إنكار الشيء الظاهر والآيات التسع أشياء ظاهرة للعيان، والإنكار يشمل إنكار الشيء الظاهر والشيء الخفي مثل إنكار النعمة والإنكار قد يرافقه علم أو غير علم.

﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾: الواو حالية (تفيد التوكيد)، والاستيقان فيه مبالغة في اليقين أي: هم علموها (علم اليقين) ورأوها بأم أعينهم (عين اليقين) وأيقنوها بقلوبهم وضمائرهم أنها جاءت من عند الله أو من صنع الله سبحانه وتدل على صدق دعوة موسى، ومع ذلك لم يؤمنوا وأعرضوا عنها ظلمًا وعُلُوًّا.

وتشير الدراسات الحديثة على الجاحدين بالله حين يُسألون عن الله أو الرب أن أجوبتهم بألستهم لا توافق أو تكون مغايرة وتخالف ما تكن صدورهم من الحق أو الصدق، وتم رصد ذلك باستعمال أجهزة خاصة لكشف الكذب المستعملة في كشف الحقائق والصدق في حالات القتل والحالات الجنائية.

﴿ظُلْمًا﴾: شركاً بسبب شركهم، وعُلُوًّا: تكبراً بسبب تكبرهم بغير حق وقولهم أنها سحر مبین. والعلو: الشعور بالاقتدار والفوقية والغرور بالقوة.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ﴾: فانظر يا محمد ﷺ، وانظر أيها القارئ نظرة فكرية قلبية، أي: نظرة بصيرة والفاء للتوكيد، كيف: استفهام غرضه التحذير والتعجب.



﴿كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: كيف كان مصيرهم الغرق والتدمير (ما كان يصنع فرعون وما كانوا يعرشون).

قال تعالى: كان عاقبة، ولم يقل: كانت عاقبة، كان عاقبة؛ تعني: العذاب في كل القرآن، كانت عاقبة تعني الجنة والعاقبة الحسنة فالتذكير يدل على العذاب وصيغة التأنيث تدل على الجنة.

وجاءت كلمة عاقبة: نكرة للتهويل والتعظيم ولتصورها بكل صورها المؤلمة، المفسدين: ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة للبيان.

ثم ينتقل الحق سبحانه من ذكر موسى وفرعون إلى ذكر داود وابنه سليمان. [١٥] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استثنائية، لقد اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾: الإيتاء هو أعم من العطاء، ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة لمعرفة الفرق بين الإيتاء والعطاء، داود: من ذرية يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وسليمان: هو ابن داود ﷺ.

﴿عِلْمًا﴾: نكرة؛ لأنه يشمل كثير من العلوم مثل علم الدين والأحكام والقضاء والتوراة ومنطق الطير وصناعة السابغات وأهم العلوم علم الدين.

والجدير بالذكر أن الله سبحانه أتى داود وسليمان الملك العظيم وسخر لداود الجبال وألأن له الحديد وصنع السابغات، وأعطى سليمان ملكاً لم يعطه لأحد من قبله وسخر له الريح والجن وعلمه منطق الطير وغيره، فلم يذكرها في هذه الآية، وإنما ذكر فقط العلم؛ لأنه أهم وأفضل عطاء.

فالعلم بالله والدين هو المنة والنعمة الحقيقية التي يحب أن يفرح بها المؤمن وهو أشرف العلوم على الإطلاق؛ لأن المال والجاه والملك كله زائل بالموت.

﴿وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي﴾: الذي اسم موصول يعود إلى الله سبحانه، والحمد أعم من الشكر.

﴿فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بالنبوة والعلم وغيرها من النعم، وقوله: فضلنا على كثير من عباده المؤمنين، ولم يقل: فضلنا على عباده المؤمنين فكأن هناك من هم أفضل منهم من الرسل والأنبياء أمثال أولو العزم من الرسل، وهذا من أدب النبوة والتواضع، والحمد لله: المنعم علينا وعلى عباده الآخرين جملة اسمية تدل على الثبوت. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٢) لمزيد من البيان عن الحمد.

[١٦] ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَاءَتِيهَا النَّاسُ عُلْمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾:

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾: أي: ورث النبوة والعلم والملك ولا تعني وراثة المال أو المتاع، فقد قال ابن القيم: أجمع أهل العلم والتفسير أن وراثة سليمان لم تكن وراثة مال؛ لأنه كان لداود (١٩) ولداً وإنما ورث؛ أي: أخذ عن أبيه العلم والنبوة والحكم (الملك) بالإضافة إلى ما آتاه الله من العلم، وسليمان لم يأت بعد داود فقد كانا في عصر واحد أو زمن واحد، وسمى ذلك وارثه.

﴿وَقَالَ يَتَاءَتِيهَا النَّاسُ عُلْمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾: قال سليمان: علمنا منطق الطير: علمنا تعود على سليمان وحده بصيغة التعظيم أو تعود عليه وعلى أبيه منطق الطير لغة الطير ولغة الحيوان، فلكل حيوان منطق ولغة تفاهم بها مع غيرها من



الحيوانات وتسبح وتصلي، فهم أمم أمثالنا، ويحاول البعض في عصرنا الحديث أن يتعلم لغة الطير وعاداته، وغيره من الحيوانات.

﴿وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: أي: من كل النعم، من ابتدائية لبيان الجنس.

من كل شيء مثل الثبوة والملك والريح ومنطق الطير والجن، شيء نكرة تشمل أي شيء أي أعطيناه وسخرنا له ما يحتاجه، ولمعرفة معنى الإيتاء ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة.

﴿إِنَّ هَذَا﴾: إن للتوكيد، هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب يشير إلى الإيتاء.

﴿هُوَ﴾: اللام للتوكيد.

﴿أَفْضَلُ الْمَيْنِ﴾: الفضل هو الزيادة عما يستحق العبد، المبين: أي: الواضح الظاهر الفضل الذي يعلمه ويقره كل فرد ولا ينكره، والواضح لا يحتاج إلى إثبات وبيان.

[١٧] ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾:

﴿وَحُشِرَ﴾: الحشر هو الجمع في مكان واحد.

﴿لِسُلَيْمَانَ﴾: اللام لام الاختصاص، سليمان بن داود.

﴿جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ﴾: كل صنف لوحده، ولم يقل جنده؛ لأن الجنود تعني من أجناس مختلفة، ولكل وظيفته الخاصة به.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: أصل الوزع هو الكف والمنع، والمنع أن يسبق بعضهم بعضاً إلى سليمان، فلذلك لا بُدَّ من أن يحبس أولهم حتى يحضر آخرهم ولتكون الصفوف منتظمة، لا بُدَّ من وازع وهو كالمسؤول أو الرئيس والقائد لكل فرقة.

[١٨] ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا

يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية للماضي.

﴿أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾: أي: أتى سليمان وجنوده، أتوا ولم يقل جاءوا؛ القرآن يستعمل المجيء للمجيء الذي فيه صعوبة ومشقة، ويستعمل الإتيان للمجيء بسهولة؛ أي: قدموا أو انحدروا على واد النمل فقله: أتوا على تدل على أنهم أتوا من أعلى الوادي، جاؤوا الوادي من أعلى الجبل، وادي النمل، وأتوا: لم يصلوا بعد فهم في طريقهم.

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾: نادى نملة، وكأنها تمثل الحارسة لمساكن النمل في تلك البقعة من الوادي قالت بلغتها الخاصة التي فهمها سليمان محدثة باقي النمل بالدخول إلى المساكن.

﴿يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ﴾: يا النداء، أيها: الهاء للتنبيه العام لتسمع كل نملة ولم تقل يا نمل، ادخلوا مساكنكم: خطاب للعقلاء الذين يسمعون النصيحة ولم تقل: ادخلن مساكنكن، مساكنكم: أي: كل واحدة تدخل مسكنها وتستقر فيه (لكل نملة مسكن أو خلية خاصة بها).

﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾: تدل على أن النملة عرفت سليمان هو الحاكم عرفته بالإلهام، يحطمنكم: من التّحطيم وهو التّكسير؛ لأنّ جسم النملة اكتشف أنّه يحتوي على مادة السليكون المستعمل في صناعة الزجاج، وهذا من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، والتّهشيم يكون لكسر الشيء الرّطب أو اليابس،



والتحطيم يكون فقط للشيء اليابس كالزجاج، سليمان وجنوده: أي: لكي لا يدوسوا عليكم بأقدامهم خطأ. وأكدت ذلك بقولها (لا يحطمنكم) نون التوكيد.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أي: عن غير قصد ليس عمداً لكونهم لا يشعرون بكم، سليمان وحده سمع قول هذه النملة قبل أن يقترب هو وجنوده من مساكن النمل. [١٩] ﴿فَنَبَسَمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾:

﴿فَنَبَسَمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾: الفاء تدل على المباشرة أي: فما إن سمعها تقول للنمل: ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون، تبسم من قولها وضحك وابتسم: الضحك ناتج عن سرور وهناك تبسم من دون ضحك، وقيل: أكثر ضحك الأنبياء تبسم، تبسم ضاحكاً متعجباً من هذه النملة التي خافت منه وتحذّر غيرها من النمل. وقد يسئل سائل في الآية (١٦) وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عُلْمًا مِّنطِقَ الطَّيْرِ﴾ وهنا يقول نملة، وهل النمل من أنواع الطيور؟ والحقيقة قوله علمنا منطِق الطير لا تعني الحصر؛ أي: فقط لغة الطير؛ أي: علمنا منطِق الطير وغيره من لغات الحيوانات والعلوم الأخرى.

وعندها شعر سليمان بفضل الله تعالى ونعمه عليه فدعا ربه قائلاً:

﴿أَوْزِعْنِي﴾: من الوزع وهو الكف والمنع، أي: امنعني أن أغفل أو أنسى أن أشكر نعمتك على الدوام، أي: أظل شاكرًا لك أو كُفني عما يباعد عن شكرك، وقيل: أوزعني من الإيزاع، أي: الإغراء بالشيء أو مولع بشيء، أي: مولع بشكرك دائماً.

﴿نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي﴾: الوالد هو داود.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾: أي: وألهمني أن أعمل صالحاً، أن للتعليل

والتوكيد، مقابل تلك النعم يسر لي العمل الصالح الذي ترضاه، أي: وفقني وساعدني على القيام به.

﴿وَأَدْخَلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾: رغم النبوة وكل تلك النعم ما زال متواضعا لم يعط نفسه درجة على غيره، ولم يورثه كل ذلك الملك والفضل الغرور والتكبر، ورغم أنه أعطي ملكا، لم يعط الله لأحد مثله، وأدخلني برحمتك بسبب رحمتك، بآء السببية فاجعني واحداً من هؤلاء العباد الصالحين ولم يقل: وأدخلني في رحمتك: في الظرفية، أي: اجعني من بين الذين رحمتهم؛ لأنه يعلم أنه داخل في رحمة الله؛ لأنه أعطي النبوة فهذه أكبر رحمة من الله تعالى.

وتعني أنه كان في رحمة الله تعالى، ويريد أن يدخل في رحمة جديدة هي أن يكون من بين الصالحين. من جاء ذكرهم في سورة الفرقان الآية (٦٣-٧٤) ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا.....وَأَجَعَلْنَا لِلْمُنْفِقِينَ إِمَامًا﴾.

[٢٠] ﴿وَنَفَقْدَ الطَّيْرِ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾:

﴿وَنَفَقْدَ الطَّيْرِ﴾: بحث عن الطير والطير اسم جنس يشمل كل الطيور.

﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ﴾: ما للتعجب من عدم رؤية الهدهد ظناً منه

أنه حاضر أو محجوب عنه.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾: فلما تأكد من خلوه مكانه بين الطيور قال عندها:

أم كان من الغائبين، فلا بُدَّ من معاقبته.



[٢١] ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾: اللام لام التوكيد والنون في أعذبته لزيادة التوكيد، تعذيبه بتنف ريشه الذي يزهبه فلا يستطيع الطيران أو حبسه.

﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾: واللام والنون للتوكيد في لأذبحنه أو ليأتيني.

﴿أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾: السلطان، أي: الحجة القوية لا تدحض لقوة دلالتها، أو عذر مؤكد واضح بنفسه لا يحتاج إلى من يوضحه.

في هذه الآية نرى تدرج في العقاب من العذاب الشديد إلى الذبح وأعظم من الذبح الإتيان بسلطان مبين.

[٢٢] ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَمِينٍ﴾:

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: الفاء للتعقيب والترتيب، غير بعيد: أي: استغرق غياب الهدهد عن سليمان زمناً يسيراً غير طويل.

﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ﴾: ثم عاد الهدهد ليخاطب سليمان ﷺ؛ فقال: الفاء للتعقيب والمباشرة، أحطت: الإحاطة هي العالم بالشيء من جميع جهاته إحاطة تامة كالبحر المحيط أي: علمت شيئاً لا تعلمه ورأيت شيئاً عجبياً أنت عنه غافل.

﴿وَجِئْتُكَ﴾: المجيء لم يكن بسهولة لكون الهدهد لم يحصل على النبأ بسهولة ولم يقل أتيتك: الإتيان يكون بسهولة بعكس المجيء.

﴿من﴾: ابتدائية.

﴿سَبَإٍ﴾: نسبة إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، له (١٠) أولاد



(٦) منهم كانوا في اليمن و(٤) رحلوا إلى الشام، وسبأ يمكن يكون اسماً للقبيلة أو المكان أو جد القبيلة، وسُميت مدينة مأرب فيما بعد، وهي قريبة من صنعاء.

﴿يَبَيِّنُ﴾: الباء للإلصاق والنَّبأ هو الخبر العظيم أو الهام.

﴿يَقِينِ﴾: أي: حق ثابت وصدق لا ريب فيه، والنَّبأ هو ما ذكر في الآيات (٢٣-٢٤). وقول الهدهد: (أحطت بما لم تحط به): فيه دعوة لسليمان للاستماع لما سيقوله له؛ كي يعيره الاهتمام ويخبره بما رآه، ولم يخبر الهدهد سليمان مباشرة بالخبر.

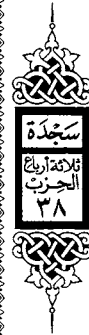




سُورَةُ التَّوْبَةِ ٢٧

الْبَيْتُ السَّامِعُ عَشْرًا

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ
فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنُنْظُرُ
أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا
فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا
الْمَلَأُؤِ اتَّقِ اللَّهَ أَلَيْسَ إِلَهُكَ اللَّهُ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢٩﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأُتُوْنِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ
تَشْهَدُونَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ
فَإَنْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾
وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾





سورة النمل [الآيات ٢٣ - ٣٥]

[٢٣] ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾: إني للتوكيد، امرأة تملكهم: هي بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان كان أبوها ملك اليمن وكان مجوسياً يعبد الشمس تملكهم: أي: تحكمهم، وكتبت امرأة بالتاء المربوطة، وليس بالتاء المبسوطة أو المفتوحة. ارجع إلى سورة آل عمران آية (٣٠) لمعرفة الفرق.

﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: من أسباب الدنيا، الآلة والعدة والمال والخير الكثير، أوتيت: أعطيت ولمعرفة الفرق بينهما ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة، من ابتدائية، كل شيء للمبالغة، أي: من متاع الدنيا ولكنها لم تؤت النبوة أو الحكمة أو الدين، وهذا هو الإتياء الدائم والأفضل من غيره من الإتياءات.

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾: السلام في لها للاختصاص، كرسي الملك، عرش عظيم: مقارنة بعروش الملوك في زمنها، وعظمة العرش تقدر بسعة رقعة الحكم والعدد والعدة في الأفراد والثروات.

[٢٤] ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾:

﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: يدل على أن الهدهد يفهم مبادئ العقيدة والإيمان والتوحيد، كما هداه الله سبحانه، وكما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

﴿يَسْجُدُونَ﴾: يعبدون الشمس ويعظمونها، من دون الله: من غير الله وكأنه يستنكر ويتعجب من سجودهم لغير الله وشركهم بالله الخالق.



﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾: قدّم الجار والمجرور لهم للحصر، أي: المزين الوحيد لهم هو الشيطان زين لهم الشرك والباطل، أي: حبّه إليهم.

﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾: الفاء للتوكيد، صدهم عن السبيل: عن الاهتداء إلى طريق الحق وهو الإيمان بالخالق وحده وعبادته والدين.

﴿فَهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، هم لزيادة التوكيد.

﴿لَا يَهْتَدُونَ﴾: لا النافية، يهتدون إلى طريق الحق وإلى عبادة الخالق ووحدانيته.

[٢٥] ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾:

﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾: ألا أداة حضّ وحثّ أصلها أن: التعليلية والتوكيد، لا النافية، أي: زين لهم الشيطان أعمالهم ألا يسجدوا لله. ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿يُخْرِجُ الْخَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: الخبء مصدر خبأ: للمبالغة في تصوير إخراج ليس للشيء المخفي فقط وإنما للخفاء نفسه، وخبأ الشيء أي: أخفاه والخبء يشمل كلّ شيء غائب مستور في السموات والأرض مثل الماء والنبات والكنوز والمعادن والبتروال والغازات والخيرات الخفية والتمينة فهو الذي يخرجها للناس، أي: يجعلهم قادرين على اكتشافها، وبالتالي استعمالها والفائدة منها.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾: الإخفاء: يشمل الأمور المادية والمعنوية، والإخفاء يضم الكتمان، تعلنون: تبدون أو تظهرون أو تجهرون، أي: يعلم ما تخفون في نفوسكم وما تعلنون بألسنتكم، واختار الهدهد هذه الصفة من بين الصفات الأخرى الكثيرة لله تعالى؛ لأن الهدهد وحده الذي يرى الماء المدفون

في باطن الأرض والله سبحانه هو الذي أعطى الهدهد هذه القدرة العجيبة فإله وحده الذي يعلم ما تخفون وما تعلنون، وهذا يدل على وحدانيته.

[٢٦] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾:

﴿الله﴾: الاسم الأعظم الذي تفرد به سبحانه واختصه لنفسه الدال على واجب الوجود الجامع لجميع صفات الكمال الإلهية. الإله: المألوه المعبود وحده.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٥٥) من سورة البقرة للبيان.

﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: العظيم تعود إلى الرب وقد تعود إلى العرش، خالق العرش العظيم والقائم على تدبيره، ووصف العرش بالعظيم؛ لأنه أعظم مخلوقات الله تعالى على الإطلاق يفوق خلق السموات والأرض ويفوق خلق الإنسان. ارجع إلى سورة التوبة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

[٢٧] ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾:

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ﴾: قال سليمان للهدهد: سننظر: السّين للاستقبال القريب أي: سنعلم عن قريب أو نرى رؤية قلبية وتجريبية إذا كنت صادقاً أم كاذباً.

﴿أَصَدَقْتَ﴾: الهمزة همزة استفهامية، فيما أنبأنا به أو أخبرتنا: جملة فعلية تدل على التجدد والتكرار.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: جملة اسمية تدل على الثبوت ثبوت صفة الكذب في الهدهد.

[٢٨] ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾:

﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي﴾: أي: كتب سليمان رسالة إلى الملكة الحاكمة في سبأ



وقومها وطلب من الهدهد أن يطير بهذا الكتاب، وسنرى في الآية (٣٠-٣١) نص الرسالة أو الكتاب.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب.

﴿فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ﴾: أي: أحمله وألقه إليهم ولم يقل: عليهم؛ إليهم، أي: لينتهي أو يصل إلى يدي الملكة. إليهم: تشمل عليهم أولاً، أي: ألقه عليهم أولاً وثانياً يصل إلى أيديهم.

﴿ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: ثم انصرف إلى مكان آخر.

﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾: أي: انظر ماذا سيكون جوابهم أو ردهم على كتابي، الفاء للتعقيب والمباشرة، انظر مباشرة ماذا سيكون جوابهم.

[٢٩] ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾:

﴿قَالَتْ﴾: قالت الملكة للملأ حولها؛ أي: أعضاء الحكومة من الوزراء ومستشاريها وممثليهم.

﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾: نداء من الأعلى إلى الأسفل والهاء للتنبيه إلى الملأ. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (٢٤) لمزيد من البيان.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد، ولم تقل: إنه، وقالت: إِنِّي؛ ليشير إلى تحملها المسؤولية.

﴿أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ﴾: لم تعرف من ألقى الكتاب في قصرها فلم يذكر كيف دخل الهدهد القصر، وكيف ألقى الكتاب، وابن كانت الملكة حين ألقى الكتاب، وابن وجدته، وكم استغرق الهدهد من الزمن للوصول إلى سبأ وغيرها من التساؤلات العديدة؛ لأن كل ذلك ليس هو موطن الاهتمام والعبرة، ووصفت الكتاب به كتاب كريم.

﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾: وكيف عرفت أنه كتاب كريم؛ لأنه من سليمان وسمعت

أنه ملك كريم أو لأنه مكتوب بشكل جميل وحسن أو لأنه مختوم أو لأنه بدأ باسم الله الرحمن الرحيم.

[٣٠] ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾:

كأنها لما قالت: إني ألقى إليّ كتاب كريم قيل لها: من أرسله؟ فقالت: إنه من سليمان، ثم قرأته: وإنه بسم الله الرحمن الرحيم.

[٣١] ﴿الَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾:

﴿الَّا﴾: أصلها أن المصدريّة وتفيد التعليل والتوكيد، لا النافية.

﴿تَعْلُوا عَلَيَّ﴾: لا تتكبروا عليّ. والعلو هو الشعور بالفوقية والاعتدار بالغرور بالقوة.

﴿وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾: أي: أسلموا.

[٣٢] ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾:

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾: قالت الملكة، يا النداء والنداء من الأعلى إلى الأسفل بعكس الدّعاء من الأسفل إلى الأعلى، الملأ: مستشاريها من أعضاء الدولة والوزارات، أو ممثليهم، الملأ: مشتقة من كونهم تراهم العيون دائماً يتحدثون باسم القوم. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (٢٤) للبيان.

﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾: الفتيا: هنا تعني: أشيروا عليّ برأيكم من الشورى، في أمري: مع أن الكتاب كان موجه إلى الكلّ لقوله: ﴿الَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١]، فالأمر بهم الجميع، ولكنها نسبت الأمر إلى نفسها؛ لأنها وقومها يد واحدة فأمرهم أمرها وأمرها أمرهم، ويدل على رعيتهما.

﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾: متخذة قراراً أو مبرمة أمراً أو قاضية بحكم.

﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾: حتى حرف نهاية الغاية، تشهدون: تحضرون، تشهدون



الجلسة وتدلون بآرائكم، وحذف الياء يدل على أنها شهادة مؤقتة لظرف معين، وليست دائمة تنتهي بانتهاء الحرب أو الاستسلام لسليمان.

[٣٣] ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾:

فجاء الرد منهم على الفتوى بما يلي:

﴿نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ﴾: أي: أصحاب (أو ذوو: للمفرد بمعنى صاحب) قوة، أي: في العدد والعدة قيل: كان عدد القواد (٣١٢) كل قائد يمثل عدداً كبيراً من المقاتلين يقدر بـ (١٠,٠٠٠) أو أكثر.

﴿وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: تكرر أولوا يفيد التوكيد، أي: وذوو بأس شديد، أي: ذوو أو أصحاب بلاء وشجاعة في الحرب؛ لأنّ هناك الكثير ممن يملكون العدد والعدة، ولكنهم جنباء فالقوة عامة تكون في الحرب أو غير الحرب، البأس: يعني في الحرب، أي: نحن نملك الأمرين العدة والعتاد والشجاعة والجرأة.

﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾: أي: أنت صاحبة الرأي أو متخذة القرار والحكم أو نحن نوكل إليك اتخاذ القرار، فانظري: الفاء للتوكيد، أي: تأملي الأمر وفكري به وأخبرينا، وماذا: أداة استفهام أقوى وأكد من ما، تأمرين: ما هو واجبنا لتنفيذه والشروع به.

[٣٤] ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾:

﴿قَالَتْ﴾: قالت الملكة رداً على فتواهم: نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾: بالقوة أو القتال.



﴿أَفْسِدُوهَا﴾: بإهلاك الحرث والنسل والقتل والتخريب وإشاعة الخوف والرعب.

﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلَهَا أَذَلَّةً﴾: أشراف القوم أذلة بالضرب والإهانة والأسر حتى لا يجراً أحد على المقاومة.

﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾: وكذلك تعني: ومثل ذلك يفعلون، قيل: هذا من كلام الملكة بلقيس أو من قول الله سبحانه مصداقاً لقولها: إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا، وكذلك يفعلون، وهذا هو المرجح، أي: هذا الإفساد هو من عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير.

[٣٥] ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾:

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾: إني: للتوكيد، مرسله إليهم بهدية: لسليمان.

﴿فَنَاظِرَةٌ﴾: ما سيفعل بها، ثم اتخذ القرار، أي: إن أخذ الهدية وقبلها فهو من أهل الدنيا أو ملك من ملوك الدنيا الذين يأخذون الهدايا ويفرحون بها فنقاتله بعدها، وإن ردَّ الهدية فهو نبي فلن يرضى إلا باتباع دعوته ودينه فتتبعه، وقد أحست بلقيس ميل قومها إلى القتال، ولكنها هي جنحت للسلم لأنها أشارت إلى أخطار الحرب والدمار.

﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾: وهذا يعني أنها أرسلت مجموعة من الرسل؛ أي: وفد من الناس يحملون الهدية، وهذا يشير أيضاً إلى عظيم الهدية وكبرها، وهي تنتظر عودة الرسل ليخبروها بما قال لهم سليمان أو فعل بالهدية.





الْبُرْءُ التَّائِبُ وَالتَّائِبَةُ

سُورَةُ التَّائِبَاتِ ٢٧

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أَتِمِدُّوْنِي بِمَالٍ فَمَاءَ اتْنِ ۚ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا
ءَاتَاكُمْ ۖ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ
بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ
يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾
قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ ۚ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي
عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ
بِهِ ۚ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا
مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِ ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكَرُوا وَالْهَاءَ عَرْشَهَا
نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ
أَهَ كَذَا عَرَشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۖ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ
﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ
﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۚ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ
سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرٍ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي
ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾



سورة النمل [الآيات ٣٦ - ٤٤]

[٣٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أَتِمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَاءَاتِنِ ۚ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَنَكُمْ بَلْ أَنتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ
نَفَرَحُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، لما: ظرف زماني بمعنى حين.

﴿جَاءَ سُلَيْمَنُ﴾: فلما جاء الوفد المرسل من ملكة سبأ بالهدية إلى سليمان،
الهدية: الذهب والجواهر واللائئ (أي: المال).

﴿قَالَ أَتِمِدُونَنِي﴾ قال سليمان للوفد القادم بالهدية: أتمدونني: من أمدَّ يمدُّ
إمداداً، أي: الإعانة والتَّقوية والإمداد في القرآن يأتي عادة بالخير، أما المد فقد
يكون بالشَّر هو الزَّيادة (في العذاب أو الطَّغيان)، والهمزة في أتمدونني للاستفهام
الإنكاري والتَّعجب والتَّوبيخ، والنَّون للتوكيد، وقال: أتمدونني بحذف ياء
المتكلم ولم يقل: أتمدونني؛ لأنَّه يستحيي أن يُخبر بذلك ويريد قصر الخبر
وكأن الهدية فضيحة أو رشوة، وهو لم يطلب مالاً أصلاً ولا حاجة له بهذا المال
وكان همه مجيئهم إليه مسلمون، وهو إمداد لا حاجة له به مقارنة بما أمدّه الله
من العطاء مثل: تسخير الرياح، والجن، والطير، ولم يقل: أتمدوننا؛ لأنَّ الهدية
هي خاصة بسليمان فقط وليس قومه.

﴿بِمَالٍ﴾: الباء للإلصاق.

﴿فَمَاءَ﴾: الفاء للتفصيل، ما: اسم موصول بمعنى الذي وأوسع شمولاً من
الذي.



﴿ءَاتَيْنِ اللَّهَ﴾: من الإيتاء وهو العطاء، ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة لمعرفة الفرق بين الإيتاء والعطاء، آتاني الله من المال، وحذف الياء في آتان؛ لأن هدية ملكة سبأ لا يقارن بما آتاه الله تعالى من المال خير من الهدية وهذا الإيتاء هو جزء مما آتاه الله من الملك والنبوة وتسخير الرياح والجن والطير آتان: يقصد به المال وأما لو قال آتاني: يقصد به الإيتاء الكامل من النبوة والملك وغيرها، مقارنة بقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ﴾ [هود: ٢٨] أو قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠]؛ فالنبوة والكتاب من أعظم الإيتاء.

﴿خَيْرٌ مِّمَّا آتَيْنَكُم﴾: خير: أفضل مما، من: ابتدائية، ما: بمعنى الذي آتاكم؛ أي: المال وعرض الدينار، فلا حاجة لي بهديتكم.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾: أنتم للتوكيد، والباء للإلصاق، بهديتكم تفرحون: الفرح المذموم، والفرح أعم من السرور والفرح شيء يحدث في النفس ونقيضه الغم، أما السرور فنقيضه الحزن. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٧٠) لبيان معنى الفرح وأنواعه.

انتبه: أضاف الهدية إليهم فقال: بهديتكم ولم يضيفها إلى نفسه، أي: أنتم تفرحون إن جاءتكم هدية من أحد أو تفرحون بهديتكم إن قبلتها منكم.

والسؤال: لِمَ لَمْ يقبل سليمان الهدية مع أن رسول الله ﷺ كان يقبل الهدية فيما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها ولا يقبل الصدقة؟

الجواب: الهدية هذه تعتبر كرشوة من بلقيس لسليمان والرشوة حرام وخاصة حين تهدى إلى الحاكم أو ولاية الأمور، ويكون من ورائها مصلحة ذاتية في الحاضر أو المستقبل، والهدية حين تكون لوجه الله تعالى مباحة، ولكنها



نادرة ولا شك أن الهدية تورث المحبة والمودة، وهذه الهدية ليست فقط فيها شبه الرشوة، بل هي هدية تدعو إلى الصّد عن سبيل الله والدّخول في الإسلام وبيع الآخرة بعرض فاني وهو المال.

[٣٧] ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾:

﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾: قال للرسول والوفد المرافق: ارجع إليهم ولم يقل: ارجع إليها، ارجع إلى قومك، ارجع إليهم بهديتهم.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ﴾: الفاء للتوكيد واللام والنون في لَنَأْتِيَنَّهُمْ لزيادة التوكيد، وأخبرهم أنا قادمون بجنود، ولم يقل: بجند؛ لأنهم مزيج من الإنس والجن والشياطين. الذين سخرهم الله لطاعة سليمان، ولو كانوا من جنس البشر فقط لقال: بجند.

﴿لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾: لا النافية، أي: لا يستطيعون مقابلتها، أي: التصدي لها أو القدرة عليها، ولا طاقة لهم على مقاومتها. ولنقارن هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، فالطاقة: هي غاية أو أقصى مقدرة القادر، واستفراغ ما في وسعه من قدرة، والقدرة: القدرة أو القوة التي يتمكن بها المرء من أداء الأمور، والاستطاعة: أخص من القدرة، فكل مستطيع قادر، وليس كل قادر بمستطيع.

﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ﴾: اللام والنون كلاهما للتوكيد.

﴿مِنْهَا﴾: من أرضهم من سبأ (مأرب).

﴿أَذِلَّةً﴾: بعد هزمهم ودحرهم أذلة بعد أن كانوا أعزة؛ لأنه سيسلبهم ملكهم ويصبحون عبيداً.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.



﴿صَغُرُونَ﴾: من الصَّغار وهو الأسر والذل والاستعباد.

وأدركت بلقيس أنَّ هذا إنذار بالحرب من سليمان وهي نفسها تميل إلى السَّلم، ولذلك أذعنت وانقادت لطلب سليمان، وبدأت بالاستعداد للقُدوم إلى سليمان لإعلان إسلامها مع قومها.

[٣٨] ﴿قَالَ تَأْتِيَنَّا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾:

علم سليمان بنية بلقيس وقومها وأنهم قادمون إليه لإعلان إسلامهم عندها قال:

﴿يَأْتِيَنَّا الْمَلَأُ﴾: يا النداء، الهاء للتنبيه، الملاء: أشرف وسادة القوم ورؤسائهم المقربين إليها (سادة الإنس والجن) بعد أن دعاهم للاجتماع. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (٢٤) لبيان معنى الملاء، والفرق بين الملاء والملاء.

﴿أَيُّكُمْ﴾: الهمزة للاستفهام.

﴿يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾: لماذا طلب سليمان (الإتياء بعَرْشها)؟؟ فعل ذلك كآية معجزة ليدل بلقيس على صدق نبوته كما فعل الأنبياء والرسل السابقين، قبل أن: حرف مصدري يفيد التوكيد، يأتوني: النون للتوكيد، قبل أن يصلوا إلينا، مسلمين: لإعلان إسلامهم، فهو حدّد زمن الإتيان بهذا العرش قبل أن يأتوني مسلمين، فلا بُدَّ من الذهاب إلى العرش، ثم الإتيان به حملة كقطعة واحدة أو عدة قطع، والله أعلم.

[٣٩] ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيَّ أَمِينٌ﴾:

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾: العفريت هو الخيث الماكر من الجن ذو القوة الخارقة، وكلمة عفريت اشتقت من التعفير بالتراب، فقد كانوا حينما يتسابقون

فِي الْعَدُوِّ بِالْخَيْلِ أَوْ غَيْرِهَا يَحَاوِلُ الْفَارِسُ أَنْ يَشِيرَ الْغُبَارُ أَوْ التُّرَابُ فِي وَجْهِ
الْمُتَسَابِقُونَ الْآخَرُونَ لَكِي لَا يَرَوْا الطَّرِيقَ.

﴿أَنَا أَنَا إِلَهُكَ بِهِ﴾: بِالْعَرْشِ.

﴿قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾: قَبْلَ الْإِنْتِهَاءِ مِنْ مَجْلِسِكَ لِلْقَضَاءِ، وَكَانَ يَجْلِسُ
لِلْقَضَاءِ مِنَ الْغَدَاةِ إِلَى مُتَنَاصِفِ النَّهَارِ، أَيُّ: (٤-٥) سَاعَاتٍ، فَإِذَا كَانَ هَذَا الْعَفْرِيتِ
مِنَ الْجَنِّ يَمْلِكُ هَذِهِ الْقُدْرَةَ وَيَقْطَعُ مَسَافَةً تَقَارِبُ (٥٠٠٠-٦٠٠٠ كَم) ذَهَابِ
وَأَيَّابِ بَيْنَ سَلِيمَانَ وَالْمَلِكَةِ فِي الْيَمَنِ، فَمَا بِالْكَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ
وَالْجِنَّ، وَمَا بِالْكَ بِسُرْعَةِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَعْرِجُونَ فِي السَّمَاءِ، وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ
قُدْرِهِ.

﴿وَأَنِّي﴾: لِلتَّوَكِيدِ.

﴿عَلَيْهِ﴾: أَيُّ: الْعَرْشِ.

﴿لَقَوِيَّ﴾: اللَّامُ لِلتَّوَكِيدِ، قَوِيٌّ قَادِرٌ عَلَى حَمْلِهِ.

﴿أَمِينٌ﴾: عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ وَالذَّرِّ (لِكَوْنِهِ مَرْصَعًا بِهَا) وَلَنْ
أَبْدُدَ مِنْهُ شَيْئًا، أَوْ أَمِينٌ لَا آتِيكَ إِلَّا بِهِ وَلَيْسَ بِغَيْرِهِ أَوْ مِثْلِهِ.

[٤٠] ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا إِلَهُكَ بِهِ﴾ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا
عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُكُمْ أَمْ أَكْفُرُكُمْ مَنِ الشُّكْرُ فَأَنَّمَا يُشْكِرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ
رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿﴾:

اختلف العلماء في هذا الذي عنده علم من الكتاب: قالوا: هو سليمان
نفسه الذي عنده علم من الكتاب، فسليمان ﷺ يعلم الكتاب (التَّوراة) أكثر
من غيره، فلما قال عفريت من الجن ما قاله ردَّ عليه سليمان بأنَّه قادر على
إحضاره بطرفة عين، وقالوا: هو رجل من بني إسرائيل اسمه آصف بن برخيا،



وكان وزيراً لسليمان، وهو رجل صالح كان يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به استجاب، ومع العلم أن عنده علم من الكتاب، من (بعضية) أي: بعض العلم، ويكفي أن يكون علم اسم الله الأعظم فهو لم يحضره بنفسه وإنما دعا الله سبحانه فاستجاب له (كما في قصة الخضر) فالقدرة هي قدرة الله تعالى التي أودعها في اسمه الأعظم وعلمها هذا الإنسان.

والمراد بقوله: قبل أن يرد إليك طرفك، ليس الزمن هو الذي يجب أن ننظر إليه، وإنما إلى القدرة الإلهية التي لا تقدر بأي زمن أو طاقة أو سرعة، أو تحدٍّ بحدود؛ لأنه سبحانه خالق الزمن، وهو خالق السرعة، ولنعلم أن سرعة الضوء (٣٠٠،٠٠٠ كم في الثانية).

﴿أَنَا إِلَٰهِيكَ بِهٖ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾: الطرف هو الجفن، أي: قبل إطباق الجفن كلمح البصر قبل أن تغمض عينيك أو قبل أن تفتح عينيك، ولنعلم أن هناك من حاول تفسير هذه المعجزة من خلال النظريات العلمية الحديثة المتعلقة بالذرة، وكلها تحتاج إلى توثيق.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، لما ظرف زماني بمعنى حين.

﴿رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ﴾: أي: رأى العرش مستقراً عنده بين يديه أمامه.

﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾: قال سليمان: هذا الإحضار من فضل ربي وإحسانه.

هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقريب، ويشير إلى الإحضار هو من فضل ربي.

﴿لِيُبْلُوَنِي أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ﴾: السلام: للتوكيد، يبلوني: من الابتلاء. والابتلاء

يكون بالشر والخير فتنة، أشكر: الشكر يعني: نسب النعمة إلى المنعم والشكر باللسان والقيام بالعبادات، أم: للإضراب الانتقالي، أكفر: ويعني ستر النعمة وعدم إسناد النعمة على المنعم وإخفاءها.



﴿وَمَنْ﴾: شرطية.

﴿شَكَرَ﴾: الله باللسان والفعل وتتضمن العبادات والصدقات.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء للتوكيد، إنما كافة مكفوفة للحصر.

﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾: كقوله تعالى: ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]؛

أي: نفع أو فائدة الشكر تعود إليه، ويشكر جاءت بصيغة المضارع لتدل على التجدد والتكرار لكل نعمة.

﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾: من شرطية، كفر: ستر النعمة ولم يسندها إلى الخالق الرزاق،

وقال: إنما أوتيته على علم عندي كما فعل قارون.

﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾: غني عن شكره وليس بحاجة إلى شكر أي عبد من عباده.

﴿كَرِيمٌ﴾: لا يقطع إنعامه على من لم يشكره، أو لا يعبد، وإنما يستمر في

عطائه وكرمه، ارجع إلى الآية (١٢) من سورة لقمان للمقارنة.

[٤١] ﴿قَالَ نَكِرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾:

﴿قَالَ نَكِرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾: قال سليمان: غيروا بعض معالم عرشها وبعض

ألوان أحجاره أو نقوشه، التنيير ضد التعريف جعل الشيء لا يُعرف إلا بصعوبة.

﴿نَنْظُرْ أَتَنْهَدِي﴾: نختبرها وننظر نظرة قلبية ونظرة بصرية، أتتهدي إلى

معرفة عرشها، أو لا تهتدي أو تهتدي للجواب الصواب أم لا.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾: والغاية من إحضار العرش وتنكيره لعلها إن رأت

هذه المعجزة تسلم وتدخل في الإسلام هي وقومها.

[٤٢] ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، لما: ظرف زماني بمعنى حين.



﴿جَاءَتْ﴾: بلقيس.

﴿قِيلَ أَهَكَذَا عِرْشُكَ﴾: سُئِلَتْ أَهَكَذَا: الهمزة همزة استفهام وتقرير وإخبار، ولم يقل: أهذا عرشك: هذا القول يوحي إليها بالجواب أنه عرشها.

﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾: ولو قالت: هو، لسألوها كيف جاء العرش والمسافة كانت تستغرق حوالي شهرين مشياً على الأقدام، ولو قالت: ليس هو، ل قيل لها: كيف تجهلين عرشك فكانت ذات دهاء وحكمة فقالت: كأنه هو.

﴿وَأَوَيْنَا الْكُلُمَ مِنْ قَبْلُهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾: هذا قول سليمان ﷺ: وأوتينا العلم بالدين من قبلها بفضل الله ودخلنا في الإسلام من قبل أن تُسلم أو تدخل في الإسلام، وكنا مسلمين: جملة اسمية تفيد الثبوت، أي: الإسلام صفة ثابتة مستمرة لا تتغير عندنا.

[٤٣] ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾:

﴿وَصَدَّهَا﴾: الصّد هو المنع عن قصد الشيء خاصة، أي: منعها؛ أي: أضلها ما كانت تعبد من دون الله (أي: عبادة الشمس أو الشيطان أضلها عن عبادة الله).

﴿إِنَّهَا﴾: للتوكيد.

﴿كَانَتْ مِنْ﴾: تكرر كانت مرتين للتأكيد على تمكن الكفر منها؛ لأنها نشأت وترعرعت في قوم كافرين، من ابتدائية.

﴿قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾: جاحدين بوجود الله تعالى، أي: غير مؤمنين بالله تعالى.

[٤٤] ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾: طلب منها أو سُئِلَتْ أن تدخل الصرح، الصرح: القصر العظيم وقد كان له مدخل أو بهو كبير مصنوع من قوارير، أي: زجاج.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، لما: ظرف زماني بمعنى حين.



﴿رَأَتْهُ﴾: رأت المدخل القصر أو بهو القصر.

﴿حَسِبَتْهُ﴾: من حسب وهو الظنّ الرَّاجح يقوم على الحساب الحسي والقلبي والنظر والتَّجربة وحسبته: اعتقدت.

﴿لُجَّةٌ﴾: مجمع للماء في مدخل القصر، وكان أرضه مصنوعة من زجاج شفاف وأجري تحته الماء وفيه أسماك وأمواج المياه، فمن يراه لأول مرة يحسبه لجة. من لجة البحر؛ أي: تردد أمواجه وعودتها إلى الاصطدام بالشاطئ أو بالصخر المرة بعد الأخرى بلا انقطاع.

﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾: لتخوض في اللجة.

عندها ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرَخٌ مُّمرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾: قال: سليمان لها: إنه مصنوع من الزجاج.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾: قالت: بلقيس رب إنني للتوكيد، ظلمت نفسي بالكفر أو بعبادة الشمس من دونك.

﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾: ولم تقل: وأسلمت لسليمان، وإنما أسلمت مع سليمان، أي: أنا وهو كلانا عبدٌ لله سبحانه رب العالمين، ولو قالت أسلمت لسليمان تعني أنها أشركت بالله.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٢٧

الْبَيْتُ السَّامِعُ عَشَرَ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيزْنَا بِكَ وَبِئْسَ مَعَكَ قَالَ طَعِرْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرُؤٌ مَكْرًا وَمَكْرُؤٌ مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَادَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَبَلَكَ بُيُوتَهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾



سورة النمل [الآيات ٤٥ - ٥٥]

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾: ارجع إلى الآية (٢٣) من سورة المؤمنون للبيان.
 ﴿إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾: ارجع إلى الآية (٧٣) من سورة الأعراف للبيان.

﴿إِنْ﴾: حرف مصدري يفيد التعليل.

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: وحده ولا تشركون به شيئاً.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للتوكيد، إذا الفجائية.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾: فريق مؤمن وفريق كافر، يختصمون لم يبين نوع الخصومة في هذه الآية، ولكن بينها في سورة الأعراف الآية (٧٥-٧٦): ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (٧٥) ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

ولم يقل: فريقان يختصمان: لأن كل فريق يشمل عدد من الأعضاء وعند الاختصام والمحاربة الكل يشترك، وهذه الخصومة في الدنيا بين الفريق المؤمن



والكافر أما في الآخرة فتتحول إلى خصومة بين الكافرين أنفسهم، الأتباع والمتبوعين أو القادة والأتباع.

[٤٦] ﴿قَالَ يَوْمَ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: نبيهم صالح، يا قوم: يا النداء يا قوم: متودداً إليهم.

﴿لِمَ﴾: أداة استفهام إنكاري، ما الاستفهامية، حذف ألفها لدخول حرف الجر عليها، وهو اللام.

﴿تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: حين قالوا: ﴿يَصْلِحْ أَثْنَانَا بِمَا تَعْدُنَا﴾ إن كنت من المرسلين [الأعراف: ٧٧]، قال: يا قوم لم تستعجلون بالسَّيِّئَةِ: بالعذاب، والسَّيِّئَةِ: تعني هنا كل ما يسيء النفس ومنها العذاب والبلاء والعقوبة، والضَّرر، قبل الحسنة: لغوياً: هي كل ما يستحسنه الإنسان من صحة وغنى وخير في الدنيا وفي الآخرة الجنة والرضوان، شرعاً: هو كل ما يستحسنه الشرع ويتمثل بطاعة الله وتجنب نواهيه من قول أو فعل يورث ثواباً.

تستعجلون: بصيغة فعل المضارع ليدل على تكرار استعجالهم فهم لم يستعجلوا مرة، بل مرات متكررة.

﴿لَوْلَا﴾: أداة طلب وحض وحث.

﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾: الاستغفار يسبق التوبة، أي: لم لا تطلبون المغفرة من ربكم بدلاً من استعجالكم بالعذاب.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل للتعليل.

﴿تُرْحَمُونَ﴾: ارجع إلى سورة الإسراء آية (٨) للبيان.



[٤٧] ﴿قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: الذين استكبروا وكفروا من قوم ثمود قالوا لصالح.

﴿أَطِيرْنَا بِكَ﴾: اطيرنا: من التطير وهو التشاؤم - مأخوذ من الطير فقد كان الواحد في زمن الجاهلية إذا أراد أن يسافر أو يفعل شيئاً يمسك بالطائر، ثم يدعه يطير فإن طار عن يمين الذي أرسله تفاءل، وقام بما ينوي أو سافر وإن طار من ناحية الشمال تشاءم وامتنع عن القيام بما ينويه.

﴿أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾: أن تشاء منا بك وبمن اتبعك؛ لأنه أصابهم القحط والجوع، وفيها تضعيف وتنكير يفيد المبالغة والمبالغة في اطيرنا أشد وأقوى من تطيرنا بك.

وإذا قارنا هذه الآية ﴿أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ والآية (١٨) من سورة يس ﴿إِنَّا نَطِيرُنَا بِكُمْ﴾ نجد التشاؤم أشد وأقوى في قوم صالح مما دعاهم إلى التهديد بقتل صالح وأهله مقارنة بالتهديد والإنذار في آية يس. ارجع إلى آية يس (١٨) للبيان.

﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: سبب شؤمكم وما يصيبكم من الشر والبأساء هو قدر من الله تعالى وقضائه كتبه عليكم لابتلائكم، وليس تطير كما تزعمون، وما يصيبكم وينالكم هو بما قدّمت أيديكم وسوء أعمالكم.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾: بل: للإضراب الانتقالي، أي: ما يصيبكم هو فتنة وليس له علاقة بالتطير، تفتنون بالشر والخير لتكون عليكم حُجَّةٌ ولينظر هل تتوبون أم تصرون على ما تفعلون.

[٤٨] ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سَعَةُ الرَّهْطِ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾:

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾: مدينة الحجر.



﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾: الرّهط جماعة عددها من (٣-١٠) أفراد بينهم شيء من القرابة أو عبارة عن تسعة عشائر ولكل عشيرة زعيم، إذن في المدينة تسعة رجال كرهط، وهناك من قال: كان في المدينة تسعة عشائر أو قبائل أو أسراً. وقيل: كان زعيمهم قدار بن سالف (عافر الناقة).

﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: عمل هؤلاء الرّهط الفساد في الأرض بالقتل وإهلاك الحرث والنسل والكفر والمعاصي وقطع الطريق ونشر الرعب والخوف، يفسدون: بصيغة المضارع لتدل على التجدد والتكرار.

﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾: لا النافية، لا يصلحون: تعني يفسدون فلماذا ذكر ذلك؟ أي: لا يصلحون؛ لأنّ الإنسان قد يفسد في شيء ويصلح في آخر مثل الذي يخلط عملاً سيئاً وآخر صالحاً، فهؤلاء التسعة رهط كانوا أهل فساد دائم في الأرض، ولا يقومون بأيّ عمل فيه إصلاح.

[٤٩] ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: تسعة رهط.

﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾: أي: أقسموا بالله، الباء: باء القسم كلّ واحد أقسم للآخر؛ أي: ابتداءً بالقول أحدهم قائلاً لهم تقاسموا وهو يريد المشاركة معهم في القسم، ودل على ذلك قوله: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ فلما توافقوا على الأمر فصار الجميع في حكم القائل. انظر إلى هؤلاء المفسدون في الأرض يقسمون بالله سبحانه ليقتلن نبيهم (صالح) ويظنون أنّ الله سبحانه غافلاً عما يعملون ولن يقيه شرهم.

﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾: اللام لام التوكيد، لنبيتنه: لنقتلنه وأهله وقت البيتوة،

أَي: فِي اللَّيْلِ أَوْ لِنَقْتَلَنَّهُ بَغْتَةً أَوْ نَبَاغْتَهُ بَيَاتًا، وَكَذَلِكَ نَقْتُلْ أَهْلَهُ فِي نَفْسِ الزَّمَنِ، فَهَمْ لَمْ يَكْفِيهِمْ أَنْ عَقَرُوا النَّاقَةَ بَلْ تَمَادَوْا فِي غِيهِمْ وَفَسَادِهِمْ وَيُرِيدُوا قَتْلَ صَالِحٍ ﷺ وَأَهْلَ بَيْتِهِ.

﴿ثُمَّ﴾: لِلتَّرْتِيبِ الذِّكْرِيِّ، أَي: بَعْدَ قَتْلِهِ فِي الصَّبَاحِ.

﴿لَنَقُولَنَّ﴾: اللَّامُ لَامُ التَّوَكُّيدِ، وَالتَّوْنُ لَزِيَادَةِ التَّوَكُّيدِ.

﴿لَوْلِيَّهِ﴾: لَوْلِي دَمُ صَالِحٍ (أَقْرَبَائِهِ) مِنَ الَّذِينَ يَطَالِبُونَ الْقَصَاصَ أَوْ الدِّيَةَ.

﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾: مَا النَّافِيَّةُ، شَهِدْنَا: مَا عَلِمْنَا مِنْ قَتْلِ أَهْلِهِ فَكَيْفَ نَعْلَمُ مِنْ قَتْلِ صَالِحٍ، وَلَمْ يَقُولُوا: مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَهُ، مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ؛ لَكِي يَبْعِدُوا الشُّبُهَاتَ عَنْهُمْ، فَإِذَا لَمْ نَشْهَدْ مَهْلِكَ أَهْلِهِ مِنْ بَابِ أَوْلَى مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَهُ (مَقْتَلَهُ) وَلَا نَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ قَتْلِهِ.

﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾: اللَّامُ لِلتَّوَكُّيدِ، لَصَادِقُونَ: لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ أَوْلِيَاءَهُ وَاتَّبَاعَهُ لَنْ يَصْدُقُوا مَا سَيُقَالُ لَهُمْ بِشَأْنِ قَتْلِهِ وَقَتْلِ أَهْلِهِ، وَسَيَقُولُونَ لَهُمْ: وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فِيمَا نَخْبِرُكُمْ بِهِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ، وَنَسُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَهُمْ إِذْ يَبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَلَنْ يَتْرَكَ رَسُولُهُ يَقْتُلُ.

[٥٠] ﴿وَمَكْرُؤٌ مَكْرَأٌ وَمَكْرُؤٌ مَكْرَأٌ وَمَكْرُؤٌ مَكْرَأٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿وَمَكْرُؤٌ مَكْرَأٌ وَمَكْرُؤٌ مَكْرَأٌ﴾: الْمَكْرُ مَا خُذَ مِنَ الشَّجَرِ الْكَثِيفِ الْأَغْصَانِ الْمَلْتَفِ عَلَى بَعْضِهِ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ تَمِيزَ بَعْضًا عَنْ بَعْضٍ كُلِّهَا مُسْتَتْرَةً، فَالْمَكْرُ هُوَ التَّدْبِيرُ الْخَفِيُّ لِإِلْحَاقِ الضَّرَرِ بِالْخَصْمِ مِنْ دُونِ أَنْ يَعْلَمَ وَيَدُلُّ عَلَى ضَعْفٍ مِنْ يَمَكُرُ بِالْآخَرِينَ.

﴿وَمَكْرُؤٌ مَكْرَأٌ﴾: أَي: دَبَرُوا بِالْخَفَاءِ لِقَتْلِ نَبِيِّهِمْ صَالِحٍ وَأَهْلِهِ، وَكَذَلِكَ بَعْدَ



أن عقروا النّاقة وهددهم صالح بعذاب الله، ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود:٦٥].

﴿وَمَكْرَئِمَكْرًا﴾: أي: انتقمنا منهم بنصر نبينا صالح والذين آمنوا معه، والله سبحانه وتعالى القوي العزيز ليس بحاجة إلى المكر وليس من صفاته المكر، وإنما ذكر ذلك للمشكلة في اللفظ فهو قادر على أن يهلكهم ويهلك من في الأرض جميعاً.

فهم لم يكتفوا بعقر النّاقة ومكروا مكرّاً على قتل صالح وأهله؛ لأنهم بعد أن عقروا النّاقة وقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين حين أصابهم الجنون وعمى البصيرة عندها اجتمعوا في تلك الليلة ودبروا ذلك المكر لقتل صالح وظنوا أنهم إذا قتلوا صالحاً سوف ينجوا من عذاب الله.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: وهم: الواو حالية، هم: ضمير فصل يفيد التوكيد، لا يشعرون: أنا دبرنا لهم أن نأخذهم بالصّيحة (نهلكهم) كما قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصّٰيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيًّا﴾ [هود:٦٧].

[٥١] ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿فَانْظُرْ﴾: الفاء للتوكيد، انظر نظرة تأمل وتفكر بعقل وبصيرة، وليس نظرة بالعين؛ لأنّ الهلكى ليس أمام الناظر، والخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ وكل مؤمن ومؤمنة كيف كان عاقبة مكرهم هل تحقق مكرهم أم كان وبالاً عليهم.

﴿كَيْفَ﴾: استفهام وتعجب كيف كانت نهاية ذلك المكر.

﴿كَانَ عَاقِبَةُ﴾: إذا ذكر العاقبة وقال: كان عاقبة بدلاً من: كانت عاقبة، تدل على العذاب وإذا أنث العاقبة تدل على الجنة.

﴿مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ﴾: أَنَا: للتوكيد، دمرناهم: من التدمير من دون سابقة إنذار والدمار يشمل الأفراد والحيوان والديار وما يملكون.

﴿دَمَرْنَاهُمْ﴾: التسعة رهط وقومهم أجمعين، أجمعين للتوكيد أي: لم ينجو منهم أحداً أبداً. ارجع إلى سورة الإسراء آية (١٦) للبيان.

[٥٢] ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِبَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿:

﴿فَتِلْكَ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة، تلك: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿بُيُوتُهُمْ خَاوِبَةٌ﴾: خالية ليست مسكونة خراباً تهدمت جدرانها وخرت سقوفها. ارجع إلى سورة النور آية (٢٧) لبيان معنى البيوت.

﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾: الباء باء السببية أو البدلية أو التعليلية، ظلموا: أي: كفروا وأشركوا وأفسدوا.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: إن: للتوكيد، في: ظرفية، ذلك: اسم إشارة يشير إلى الصيحة والدمار والخراب، ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾ [القمر: ٣١].

﴿لَآيَةً﴾: اللام للتوكيد. لآية: عبرة وموعظة ودلالة.

﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: اللام في لقوم لام الاختصاص، قوم يعلمون: يعلمون تعني: فكروا فيما حدث لقوم صالح وتدبروا لأصبحوا يعلمون ما هي نهاية كل ظالم ومشرِك يخرج عن منهج الله عَزَّ وَجَلَّ.

[٥٣] ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾:

﴿وَأَنجَيْنَا﴾: تدل على سرعة النجاة وبقوة، ولم يقل: ونجينا التي تدل على طول زمن النجاة.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: أي: صالحاً والذين آمنوا معه، وكلمة الذين تدل على



كثرة الناجين. قيل: كان عددهم (٤٠٠٠) أربعة آلاف، آمنوا بالله وبما أنزل وبرسوله. أنجيناهم من الصيحة (الرجفة)، وأما الذين كفروا ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨].

﴿وَكَانُوا يَنْقُوتُ﴾: كانوا يطيعون أوامر الله ويتجنبون نواهيه ويتقون عذاب الله، وذلك بطاعة الله ورسوله، ويتقون: جاءت بصيغة المضارع التي تدل على التجدد والتكرار؛ لأنّ التقوى تتجدد وتكرر، أما كلمة آمنوا فجاءت بصيغة الماضي؛ لأنّ الفرد متى آمن لا يرجع عن إيمانه، ومما يلفت الانتباه أنّه سبحانه لم يذكر شيئاً عن النّاقة في هذه الآيات.

[٥٤] ﴿وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ بُصُورُ﴾:

﴿وَلَوْ طَا﴾: أي: وأرسلنا لوطاً إلى قومه.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾: إذ: واذكر إذ قال لقومه أو حين قال.

﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾: أتأتون: أتفعلون، أو تقومون بالفاحشة: تعريفها: كل ذنب قبيح أو معصية قبيحة مثل: إتيان الرجال شهوة من دون النساء، الهمزة همزة استفهام إنكاري توبيخي، أتأتون الذكور دون الإناث.

﴿وَأَنْتُمْ بُصُورُ﴾: أي: يُبصر بعضكم بعضاً القيام بها، أو أنتم تعلمون أنّها فاحشة، تبصرون بمعنى النظر كانوا لا يستترون حال فعل الفاحشة عتواً وتمرداً، وبلا حياء وخجل.

[٥٥] ﴿أَيُنْكِمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ﴾:

﴿أَيُنْكِمُ﴾: زيادة الهمزة للدلالة على الإنكار والتوبيخ ووصفهم بالجهل وهو أشد من الإسراف.



﴿لَتَأْتُنَّ﴾: اللام للتوكيد والنون لزيادة التوكيد. تأتون: تفعلون المنكر.

﴿الرِّجَالُ شَهْوَةٌ مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾:

﴿بَلْ﴾: بل للإضراب الانتقالي.

﴿أَنْتُمْ قَوْمٌ جَّهَلُونَ﴾: عاقبة فعلكم، عاقبة عصيانكم، وأنكم تجاوزتم حدود الله وماذا سيحل بكم والجهل معناه السفه أيضاً أو تفعلوا فعل الجاهلين أي: أنتم قوم سفهاء. ارجع إلى سورة الفرقان آية (٦٣) للمزيد في بيان معنى الجهل. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٨١) في سورة الأعراف وهي قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾، وفي سورة الحجر آية (٥٨) وصفهم بالقوم المجرمين؛ أي: هم اتصفوا بالجهل والإسراف معاً والإجرام؛ أي: بالجهل والحمق والإجرام بأن الله سبحانه جعل لهم من أنفسهم أزواجاً.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٢٧

النِّسَاءِ

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلْ
 لُوطٍ مِّنْ قَرَبَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ (٥٦) فَأَنْجَيْنَاهُ
 وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا
 عَلَيْهِمْ مَّطَرًا فَسَاءً مَّطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ
 عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۚ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾
 أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ
 مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ
 أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَضْلٍ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعِدِلُونُ ﴿٦٠﴾
 أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا
 رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَضْلٍ
 عَلَىٰ قَوْمٍ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
 وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۚ أَلَيْسَ
 اللَّهُ بِذِي فَضْلٍ عَلَىٰ قَوْمٍ يَهْدِيكُمْ فِي
 ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ
 رَحْمَتِهِ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٢﴾



سورة النمل [الآيات ٥٦ - ٦٣]

[٥٦] ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُو آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنْطَهُرُونَ﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة؛ أي: بسرعة، ما: النافية، الفاء تدل على أن الجواب جاء مباشرة.

﴿كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ﴾: إلا: أداة حصر، أن: مصدرية تفيد التعليل. ﴿أَخْرِجُو آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ﴾: آل لوط: الأهل: الزوجة والأولاد، ومن معانيه: الأتباع، أما قوم لوط: أوسع معنى أوسع من القبيلة والآل من قريتك: سدوم العاصمة وما حولها من القرى الأربع، والتي سُميت المؤتفكات والقرية تمثل القرى الأخرى كلها لها نفس الطابع. ﴿إِنَّهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿أَنَاسٌ﴾: مجموعة من الناس، أي: آل لوط.

﴿يَّنْطَهُرُونَ﴾: قالوا ذلك سخريه واستهزاء من آل لوط يتطهرون من القيام بفعل الفاحشة، وأعمال المنكر الأخرى، ويدعون أو يزعمون أنهم أطهار.

وإذا قارنا هذه الآية بآية الأعراف (٨٢) ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ نجد الفرق وجود الفاء في مطلع الآية فما كان، ويدل ذلك على وجود انقسام في قوم لوط؛ قسم يريد أن يخرج آل لوط الآن مباشرة، وقسم لا يتعجل بإخراجهم. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٢) لمزيد من البيان والسبب.



[٥٧] ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَيْرِ﴾:

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾: الفاء تدل على التعقيب والمباشرة، أنجيناها: بسرعة وبقوة ولو قال: ونجيناها تدل على طول زمن النجاة.

﴿وَأَهْلَهُ﴾: انتبه: وقد بينت سورة الذاريات آية (٣٥-٣٦) بعضاً من ذلك بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وهو بيت لوط (بيت واحد) فقط.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿أُمَّرَأَتَهُ﴾: امرأة لوط.

﴿قَدَرْنَاهَا﴾: أي: حكمنا عليها أن تكون من الهالكين. وهذا التقدير هي التي فرضته بما اختارت بعملها أن لا تطع الله تعالى، ولوط عليه السلام، وأما قوله تعالى: ﴿قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَيْرِ﴾ [الحجر: ٦٠]: فهي تدل على شدة العقوبة لها، والتأكيد على ذلك، وأما قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِ﴾ [الأعراف: ٨٣]: جاءت في سياق الخبر أو القصة.

﴿مِنَ الْغَيْرِ﴾: جمع غابر: أي: الباقي، أي: الباقيين في العذاب، وكما قال في سورة التحريم آية (١٠): ﴿أَمْرَأَتُ نُوحٍ وَأَمْرَأَتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا﴾. فخانتاهما: أي: في الدين؛ أي: الكفر والنفاق، وليس في العرض.

وما دامت بقيت في قريتها فهي من المهلكين، مع قومها، قيل: كانت مشاركة في تلك الجريمة لذلك أصابها ما أصاب قومها.

[٥٨] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾:

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾: بعد أن جعل عاليها سافلها كما قال تعالى في سورة الحجر الآية (٧٤): ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ﴾.

﴿مَطَرًا﴾: جاءت بصيغة النكرة أو الإبهام للتحويل وبين نوع المطر في سورة هود الآية (٨٢) فقال: ﴿مِنْ سَجِيلٍ مَّنْضُودٍ﴾.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: قَدَّم عليهم للحصر والقصر، وفي سورة هود الآية (٨٢) قال: عليها على القرية، أو على المؤتفكات فالحجارة أمطرت على القرية بما فيها أهلها ولم يستثن أحد، ومن خصائص القرآن أن يستعمل كلمة المطر في سياق الانتقام والعذاب والغيث في سياق الرحمة.

وقوله: وأمطرنا مشتقة من الفعل الرباعي أمطر: أي: أصابهم بالمطر، أي: بالعذاب، ولو قال: ومطروا مشتقة من الفعل الثلاثي مطر لا تدل على العذاب. ﴿مَطَرًا﴾: للتوكيد.

﴿فَسَاءَ﴾: الفاء للتوكيد، ساء من أفعال الذم والتقييح.

﴿مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾: المنذرين جمع مُنْذَرٍ وأنذروا دائماً وباستمرار، والإنذار: الإعلام والتحذير والتخويف، بأن يتجنبوا فعل الفاحشة.

وفي سورة هود آية (٨٢-٨٣) وصف هذا المطر بالقول: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سَجِيلٍ مَّنْضُودٍ﴾ ﴿٨٢﴾ مَسْؤَمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ ﴿٨٣﴾ السَّجِيلُ المنضود: السَّجِيلُ، قيل: طين متحجر شديد الصلابة والتفسير العلمي يخبرنا أن هذه الحجارة قد تكون أحد النجوم التي انفجرت، وتسمى النيازك. ارجع إلى سورة الحجر آية (٧٤) لمزيد من البيان.

منضود: متتابع في النزول من النضد وهو وضع الشيء بعضه فوق بعض.

مسومة عند ربك: من سؤم الشيء علمه بعلامة من السؤمة العلامة أو السيماء. ارجع إلى سورة هود آية (٨٢-٨٣) لمزيد من البيان.

[٥٩] ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِي اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يَشْرِكُونَ﴾:

﴿قُلِ﴾: المخاطب هو رسول الله ﷺ، وبالتالي أمته.



﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: جاءت بعد ذكر قصص الذين كفروا وأفسدوا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وطهر الكون منهم، فهذه نعمة تستحق الحمد والشكر لأنه أراح العباد والبلاد من شرهم وإهلاك وتدمير المكذبين والمفسدين يُعد عبرة وآية وعظة لغيرهم كي يتجنبوا ما فعله غيرهم، فينجوا من العذاب ومن سخط الله تعالى، وهذه نعمة أخرى تستحق الحمد. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٢) لمعرفة معنى الحمد.

فالحمد لله تعني: الذي أهلك المفسدين أولاً، وكما قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥] ونصر رسله وأوليائه ثانياً.

﴿وَسَلَّمَ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَى﴾: أي: سلام على رسله وأنبيائه الكرام، وتشمل المؤمنين الذين آمنوا بهم وهم خير البرية. وسلام جاء بصيغة المرفوع ليكون سلام من الله سبحانه على عباده الذين اصطفى دائماً وثابتاً لا يتغير.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَى﴾: سلام تحية كأن نقول: وعليهم السلام عند ذكر أسمائهم، وسلام جاءت بصيغة النكرة ليشمل سلام التحية والدعاء بالسلام من الآفات والمكروهات والأمراض وسلام أمن وطمأنينة، وفي الآية تعليم بأن نحمد الله تعالى على جميع أفعاله ونسلم على عباده المصطفين الأختيار.

﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: مناسبة ذكر هذا الجزء من الآية بعد ذكر قصة موسى وفرعون وثمود ولوط وقصة سبأ أيضاً، وكيف أسلم قومها ونجوا من الهلاك، ثم يتبعها بالاستفهام.

﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتوبيخ وتقرير خير، أي: أفضل وأجل وأحسن.

﴿أَمَّا﴾: مكوّنة من أم + ما (أدغمت الميمان) أم المتصلة، ما المصدرية أو اسم الموصول بمعنى الذي.



﴿يُشْرِكُونَ﴾: بالله تعالى من الآلهة والأصنام سواء كانوا أهل مكة أو غيرهم من المشركين، أي: هل شركهم خير لهم أم عبادة الله الواحد القهار ولا بُدَّ من الإجابة، والقول الله خير وأجل سبحانه عما يشركون.

[٦٠] ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِلَهُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾:

بعد أن سأل سبحانه: أعبادته خير أم عبادة الأصنام. ثم يعدد سبحانه بعض الآيات الدالة على عظمة خلقه ووحدانيته والتي تدعو إلى الإيمان به.

﴿أَمَّنْ﴾: مركبة من أم + من، وأدغمت الميمان، أم: الهمزة للاستفهام والتقرير أم المنقطعة.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: ارجع إلى سورة فصلت الآية (٩-١٢) للبيان، وسورة الأنبياء آية (٣٠)، وسورة الأعراف آية (٥٤)، والبقرة آية (٢٢)، (٢٩) للبيان المفصل.

فأعظم المخلوقات العرش، ثم يليه خلق السموات والأرض، ثم خلق الإنسان. ارجع إلى سورة هود آية (٧) للبيان.

﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: تشير هذه الآية إلى دورة الماء حول الأرض ارجع إلى سورة المؤمنون آية (١٨).

﴿فَأَنْبَتْنَا﴾: الفاء تدل على المباشرة والتعقيب، أنبتنا بصيغة الجمع للتعظيم، ورغم أن البعض يشارك في الحراثة والسقي والزرع وغيرها، ولكن الإنبات الحقيقي هو من فعله فلا تتوهموا أنكم من تقومون بالإنبات. ارجع إلى سورة الحج آية (٥) وآية (٦٣) وسورة فصلت آية (٣٩) والأنعام آية (٩٩).

أنزل بصيغة الغائب أنبتنا بصيغة المتكلم هذا الالتفات من الغائب إلى الحاضر يفيد التوكيد ولفت الانتباه.



﴿بِهِ﴾: تعود على الماء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾

[الأنبياء: ٣٠].

﴿حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾: حدائق جمع حديقة، وسُميت كذلك لأنه يُحدَق عليها، أي: محوطة بسور وذكر الحدائق ذات البهجة، ولم يذكر ما هو الضروري أولاً مثل الزرع والقمح والحبوب، وانتقل إلى ذكر الحدائق والثمار والفواكه وهذه من الكماليات ومن يتكفل بالكماليات فلا شك أنه يتكفل بالضروريات أولاً، فلا داعي لذكرها.

﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾: ما النافية، كان تشمل كل الأزمنة أن تعليلية، تنبتوا شجرها: ولكن بفضل الله ورحمته هو ينبتها، وهذا تأكيد لقوله: فأنبتنا.

﴿أَءَلَهُمَّ اللَّهُ﴾: استفهام إنكاري يقصد به التوبيخ والتهمك أي: إله مع الله سبحانه ساعده أو شاركه على صنع تلك الحدائق ذات البهجة وخلق السموات والأرض.

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾: بل للإضراب الانتقالي، قوم يعدلون: قوم يميلون عمداً وينحرفون عن الحق إلى الباطل؛ لأنهم يعلمون أن الله الذي خلق السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، فرغم علمهم بهذا يجعلون لله عديلاً؛ أي: يعدلون عن ربهم أي: يشركون به ويعبدون غيره.

[٦١] ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءَلَهُمَّ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿أَمَّنْ﴾: ارجع إلى الآية (٦٠).

﴿جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾: الجعل يكون بعد الخلق، الخلق أولاً، ثم الجعل



ثانياً، جعل الأرض قراراً، من قرَّ يقرُّ: أي: سكن وثبت بحيث لا تميد ولا تضطرب بأهلها رغم كونها تدور حول نفسها (٣٠) كيلومتراً بالثانية، وتدور حول الشمس، وهذا القرار ناتج عن كتلة الحديد الضخمة التي تشكل (٩٠٪) من لب الكتلة الصلبة للأرض و(٩٪) من النيكل (١٪) من بقية العناصر، وكتلة الأرض تقدر بـ (٦) آلاف مليون مليون طن، فلو لا ثقل هذه الكتلة لما استقرت الأرض ولترنَّحت حول محورها.

﴿وَجَعَلَ خِلَافَهَا أَنْهَرًا﴾: هناك رابطة بين الجبال والأنهار؛ لأن غالبية الأنهار تنبع من الجبال ونزول الماء من الجبال يؤدي إلى شق هذه الأنهار. ارجع إلى سورة إبراهيم آية (٣٢) والرعء آية (٣) لمزيد من البيان.

﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي﴾: الجعل: يكون بعد الخلق فقد خلق الأرض أولاً، ثم جعل لها رواسي، وهي: الجبال الرّواسي وغيرها مما يثبت الأرض من الصفائح تحت البحار، وتسمّى الصفائح القارية، فلا تضطرب إلا أحياناً مما يؤدي إلى الهزات الأرضية، أو أحياناً البراكين، وكذلك قوى الجاذبية. ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٣١)، وسورة النحل آية (١٥) للبيان، ولمعرفة الفرق بين ألقي فيها رواسي، وجعل لها رواسي ومزيد من البيان.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾: بين البحر العذب والبحر المالح الأجاج حاجزاً بحيث لا يختلط ماؤهما رغم أنّه يظهر للعيان أنّه يختلط، ارجع إلى الآية (٥٣) من سورة الفرقان للبيان، وسورة فاطر آية (١٢) وسورة الرحمن آية (١٩-٢٠).

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: للإضراب الانتقالي، لا يعلمون: كثيراً من هذه الحقائق العلمية من استقرار الأرض رغم دورانها وتشكل الجبال والأنهار وبين البحرين حاجزاً الكثيرة لا يعلمون عظمة وقدرة الله تعالى على الخلق



والجعل والقلّة يعلمون، وهم العلماء والباحثين في علوم الفلك والجيولوجيا، والبحار وعلماء الطبيعة.

[٦٢] ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا ۚ﴾

﴿أَمَّنْ﴾: ارجع إلى الآية (٦٠).

﴿يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾: تعريف المضطر: الذي أصابه الكرب أو البأساء والضراء، والذي استنفد الأسباب وأخذ بها، فلم تجده فالمضطر يُجيبه الله سبحانه لا محالة.

﴿إِذَا﴾: ظرفية بمعنى حين أو الفجائية.

﴿دَعَاهُ﴾: طلب منه المساعدة والرحمة أو تضرع إليه.

﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾: مثل المرض والفقر والقحط أو العذاب، والسوء ما يسوء إلى النفس أي: هو وحده الذي يزيل أو يرفع السوء.

﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾: ارجع إلى الآية (١٦٥) من سورة الأنعام للبيان.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا ۚ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (٦٠) للبيان.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾: قليلاً ما تذكرون أنّه كشف عنكم الضرّ والسوء وكثيراً ما تنسون ذلك، ما: للتوكيد، تذكرون: ولم يقل: تتذكرون؛ لأنّ تذكّر كشف السوء والضرّ لا يحتاج زمناً طويلاً فمن المفروض أن تذكروا ذلك حالاً؛ لأنّ الاضطرار قليلاً ما يحدث في حياتكم. وبهذا ذكر صفات المشركين بأنهم قوم يعدلون وبأن أكثرهم لا يعلمون وقليلاً ما يذكرون.

[٦٣] ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

﴿أَمَّنْ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (٦٠) للبيان.

﴿يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: ظلمات الليل وظلمات الصحراء حين تنقطع بكم كل وسائل أو سبل الاتصال، ظلمات البحر قد تبين من الدراسات العلمية أن للبحر (١٠) ظلمات. ارجع إلى سورة النور آية (٤٠) للبيان، وحين تعصف بكم الرياح وتغشاكم الأمواج من كل مكان ولا أحد ينقذكم أو يستطيع الوصول إليكم أو حين تغوصون في البحار.

﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾: تبشر بنزول المطر أو الغيث. ارجع إلى الفرقان آية (٤٨).

﴿أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ﴾: أي: أغير الله يهديكم في ظلمات البر والبحر أو يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته.

﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: أي: رغم أن الله يهديهم في ظلمات البر والبحر فهم بدلاً من شكره على نعمة الهداية يشركون به سبحانه تنزهه وتقدس الله أن يكون له شريك أو ولي أو ولد فهو الواحد الأحد.

وقوله: تعالى الله عما يشركون هي ردٌّ على كل الأسئلة الاستفهامية الثلاثة عشر التي ذكرت في الآيات (٦٠-٦٤)، وفي الآية (٦٤) يتحداهم ويقول: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.





الْبُرْهَانُ الْخَمْسُونَ

سُورَةُ النَّبَا ٢٧

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
 أَءِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾
 قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
 أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ
 فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءِذَا بَابُنَا أَبْنَاءَ الْمَخْرُجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا
 هَذَا نَحْنُ وَءِذَا بَابُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ
 ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
 وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى
 أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
 لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
 رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمِمَّا مِنْ غَايِبَةٍ
 فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
 يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

سورة النمل [الآيات ٦٤ - ٧٦]

[٦٤] ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿أَمَّنْ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (٦٠) للبيان.

﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: هم لا ينكرون أن الله هو الخالق للسموات والأرض، والخالق لهم، كما ورد في قوله: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]. ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، فهم لا ينكرون بداية الخلق، ولكنهم ينكرون البعث والنشور بعد الموت، ومع أن إعادة الخلق أهون من بداية الخلق فالله سبحانه يبدأ الخلق ويعيده، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]. ويجب الانتباه إلى كلمة بدأ الخلق؛ أي: الخلق الأول؛ أي: النشأة الأولى [الواقعة: ٦٢]، وكلمة يُبدؤ الخلق تدل على تجديد وخلق مستمر في كل عام أو فترة وفترة.

﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: من السماء المطر، الشمس كطاقة شمسية والرياح تستعمل لتوليد الطاقة والأرض بالنبات والزرع والبتروك والغازات والمعادن الذهب والفضة وغيرها مثل الحديد والنحاس.

﴿أَإِلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (٦٠) للبيان.

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: بعد أن نزه الله سبحانه ذاته عما



يشركون بعد ذكر الأدلة على وحدانيته وألزمهم بالحجة يطلب منهم أن يأتوا بالبرهان، والبرهان: هو الحجة الفاصلة، أو الدليل القاطع؛ إن كنتم صادقين أن لله شريك في الملك أو في الخلق أو التدبير أو الهداية أو الإجابة أو الإحياء والإماتة أو الرزق أو أي شيء، إن شرطية تفيد الشك أو القدرة على الإتياء بأي برهان أو دليل.

﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: في أن لله شريكاً؛ أي: إنكم كاذبين حين تجعلون مع الله إلهاً آخر.

[٦٥] ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾:

بعد أن بين سبحانه بعض مظاهر قدرته الدالة على وحدانيته وأنه الإله الحق الذي يجب أن يطاع ويعبد اتبع ذلك بأنه عالم الغيب لوحده وعنده علم الساعة.

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ لهم.

﴿لَا﴾: النافية لكل الأزمنة.

﴿يَعْلَمُ مَنْ﴾: من للعاقل واستغرافية تشمل كل عاقل في السموات والأرض.

﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: في ظرفية تشمل السموات السبع والأرض من في السموات: الملائكة، من في الأرض: الإنس والجن.

﴿الْغَيْبَ﴾: كل ما غاب عن أعين الناس وعن إدراك وإحساس الناس.

﴿لَا﴾: أداة حصر، الله سبحانه وتعالى.

لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله، هذا يسمّى غيباً مطلقاً لا يعلمه إلا الله وحده، وهو غيب حقيقي يختص به الله لوحده، وهناك من الغيب



ما يطلعه أو يظهره الله سبحانه لرسول من رسله، كقوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ
فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ ١٣ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ۝﴾ [البجن: ٢٦-٢٧].
﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: النافية.

﴿يَشْعُرُونَ﴾: أي: كفار مكة وغيرهم من منكري البعث.

﴿أَيَّانَ﴾: ظرف زمان، بمعنى متى.

﴿يُبْعَثُونَ﴾: يخرجون من القبور للحساب والجزاء.

[٦٦] ﴿بَلِ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾:

﴿بَلِ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ﴾: أصل الإدراك تدارك سكنت التاء وأدغمت في

الدال.

والتدارك: الاضمحلال والفناء وأصله التابع والتلاحق، يقال: تدارك بنو

فلان إذا تتابعوا في الهلاك:

فيكون المعنى الأول: اضمحل وتلاشى شيئاً فشيئاً علم المشركين بالآخرة

شيئاً، أو الذين كفروا حتى كأنهم لم يعودوا يعلمون شيئاً عن الآخرة. أو لا

يريدون سماع أي شيء عن الآخرة؛ لأنهم لا يؤمنون بها أو لا يريدون الكلام

عنها والاستعداد لها فلذلك تلاشى واضمحل علمهم بالآخرة.

المعنى الثاني: توالى وتتابع الحديث عن الآخرة عند كل الرسل فما أحد



منهم وإلا ودعا إلى الإيمان بالآخرة، وتتابع التذكير بها، ومع ذلك لزالوا في شك من قيامها وحدثها.

أو عميت أبصارهم وبصائرهم عن دلائل علم القيامة الواضحة والآيات الدالة على قدرة الله على البعث.

المعنى الثالث: عندما يرون الآخرة ويرون يوم القيامة يتكامل علمهم بالآخرة، وعندها يعلمون علماً كاملاً ما كانوا يجهلونه في الدنيا وما كانوا يشكون فيه ولا يصدقونه.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾: في شك من حدوث الآخرة وقيام الساعة والشك يعني تساوي نسبة الإثبات ونسبة النفي.

﴿بَلْ هُمْ﴾: هم للتوكيد.

﴿مِنْهَا عَمُونَ﴾: أي: لا يرون علاماتها ودلائلها وأمارتها لاختلال بصيرتهم، عمون: جمع أعمى، أي: هو أعمى القلب والبصيرة عن الآخرة.

[٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءِذَا بَآؤُنَا أَبْنَاءَ لَمُخْرَجُونَ﴾:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: منكرو البعث من الذين كفروا.

﴿أَءِذَا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والاستبعاد والهمزة الثانية همزة إذا الشرطية.

﴿كُنَّا تُرَابًا وَءِذَا بَآؤُنَا﴾: بعد الموت.



﴿أَيُّنَا﴾: همزة استفهام إنكاري وتكرار الهمزة يفيد في المبالغة والإنكار.
 ﴿لَمُخْرَجُونَ﴾: اللام للتوكيد والنفي، أي: أنخرج من قبورنا أحياء بعد أن
 تحولت أجسادنا تراباً.

[٦٨] ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.
 ﴿وَعَدْنَا هَٰذَا﴾: (الإحياء والبعث) والخروج من القبور.
 ﴿نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل أن يعدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
 ﴿إِنْ هَٰذَا﴾: إن نافية بمعنى ما، وأقوى في النفي من ما، أي: ما هذا الوعد
 بالبعث.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أكاذيب الأولين جمع أسطورة أو ما سطره الأقدمون
 من خرافات وأحاديث.

ولا بُدَّ من مقارنة هذه الآية مع الآية (٨٢-٨٣) من سورة المؤمنون. ارجع
 إلى سورة المؤمنون للبيان.

[٦٩] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا محمد لهؤلاء الذين كفروا وأنكروا البعث ويوم القيامة والدار
 الآخرة.

﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: ولم يقل: سيروا على الأرض؛ لأن الغلاف الجوي



المحيط بالأرض يعتبر تابع للأرض، أي: سيروا في الأرض؛ أي: ديار ثمود (مدائن صالح) ولوط (المؤتفكات) وعاد وفرعون.

﴿فَانْظُرُوا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، انظروا بأعينكم وانظروا نظرة قلبية فكرية نظرة عبرة.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام والتعجب.

﴿كَانَ عَقِبُهُ﴾: مصير ونهاية المجرمين، إذ ذكر العاقبة أي: استعمل كان بدلاً من كانت فالعاقبة تعني العذاب، وإذا أنت العاقبة كانت عاقبة تدل على الجنة (من خصائص القرآن).

﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: جمع مجرم، والجرم: الذنب القبيح، والجرم أصله القطع، والمجرم: هو من قطع كل الصلات مع الله أمثال الكافرين المشركين والمنكرين للبعث والمستهزئين بآيات الله وبرسله، أي: كيف كان هلاكهم وديارهم الخاوية على عروشها والبئر المعطلة. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١١) في سورة الأنعام وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبُهُ الْمُكْذِبِينَ﴾: نجد الاختلاف في كلمة (ثم انظروا)، ثم: تفيد التراخي في الزمن والتعقيب، والفاء: تفيد المباشرة والتعقيب، والمكذبين والمجرمين؛ ارجع إلى سورة الأنعام آية (١١) للبيان.

[٧٠] ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾:

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: لا الناهية، تحزن عليهم: لأنهم لم يسلموا أو يؤمنوا.

تحزن من الحزن: بفتح الحاء وهو الألم النفسي أو الغم الشديد الدائم

الَّذِي لَا يَنْتَهِي حَتَّى الْمَوْتِ، أَمَّا الْحُزْنُ: بضم الحاء هو الألم النفسي أو الغم الشديد المؤقت.

﴿وَلَا تَكُنْ﴾: تكرر لا الناهية للتوكيد.

﴿فِي ضَيْقٍ﴾: فِي حرج ضيق بفتح الضاد تعني فِي الصَّدر والمكان والضَّيق بكسر الضاد تدل على سوء الخلق والبخل.

﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾: مما: من + ما، من: ابتدائية، ما: مصدرية أو اسم موصول بمعنى الذي، وأوسع شمولاً من الذي.

يمكرون من المكر وهو التدبير الخفي لإلحاق الضرر بالغير من دون أن يعلم ويدل على أنهم يمكرون برسول صلى الله عليه وسلم، كما بيَّن تعالى حين قال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

لنقارن هذه الآية ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ مع الآية (١٢٧) من سورة النحل ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

في سورة النحل السَّيَاق في مقتل الحمزة في معركة أحد، وكيف مثَّلوا بجشته وحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم لينتقم منهم وليمثِّلَنَّ بـ (٧٠) من المشركين فجاء الأمر الإلهي بالصَّبر والنَّهي أن لا يكون في صدره ضيق مهما كان ولو أقل الضيق فحذف النون من تكن فقال: فلا تك.

أما في سورة النمل السَّيَاق في الحديث عن إنكار البعث من الكفرة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا أَنْتَ تَرْتَابًا وَأَبَاؤُنَا﴾ فجاء النَّهي بقوله: ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ فالسَّيَاق مختلف وأقل شدة وضيق.



ارجع إلى سورة النحل آية (١٢٧) للمقارنة والبيان.

[٧١] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿وَيَقُولُونَ﴾: أي: المكذبين ومنكرو البعث والحساب ويوم القيامة، وبصيغة المضارع لتدل على تكرار قولهم وأنه يتجدد ويتكرر.

﴿مَتَى﴾: للاستفهام الإنكاري والاستبعاد، والمخاطب هو رسول الله ﷺ، أو الذين آمنوا.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يدل على القرب.

﴿الْوَعْدُ﴾: أي: العذاب: متى هذا العذاب يقولون ذلك استهزاءً وسخرية وتهكم، أو متى يوم القيامة أو البعث، وسمّوه وعداً: سموا الأخبار بالبعث ويوم القيامة أو العذاب وعداً مع أنه وعيد لهم وليس وعد، والوعد يستعمل للخير إذا أطلق ولم يقيد، وأما إذا قيد قد يطلق على الخير والشر، والوعيد يستعمل للشر عادة.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال والشك.

﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: في أقوالكم أو زعمكم أن هناك يوم بعث وقيامة وحساب.

[٧٢] ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿عَسَى﴾: من أفعال الرجاء، أي: ما بعدها يكون مرجو الحصول.



﴿أَنْ يَكُونَ﴾: أن مصدرية تفيد التعليل.

﴿رَدِفَ﴾: من الرديف الذي يركب وراء الفارس وتعني اقترب ودنا.

﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص، لكم خاصة.

﴿بَعْضُ الَّذِينَ تَسْتَعْجِلُونَ﴾: أي: عسى أن يكون ما تستعجلون به من العذاب

قد دنا واقترب أو يحل بكم قريباً وحصل لهم ذلك في بدر مثلاً.

[٧٣] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾:

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾: إن للتوكيد.

﴿لَذُو فَضْلٍ﴾: اللام للتوكيد، ذو فضل: صاحب فضل وكلمة ذو أشرف

من كلمة صاحب وأبلغ في الثناء والمعنى ذو فضل: الفضل هو الزيادة على ما يستحقون.

﴿عَلَى النَّاسِ﴾: فهو سبحانه يرزقهم ويسبغ عليهم نعمه، وذو فضل عليهم

لأنه رغم كفرهم ومعاصيهم يمهّلهم لعلمهم يتوبون إليه ويرجعون إلى الصواب ويمحو عنهم سيئاتهم وذنوبهم.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف استدراك يفيد التوكيد.

﴿أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾: لا يشكرون الله المنعم على إحسانه والقليل من

الناس من يشكره. ارجع إلى سورة الأعراف الآية (١٠) لمزيد من البيان.

[٧٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾:

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ﴾: إن + اللام للتوكيد.



﴿لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: ما تخفيه صدورهم وما يسرون من العداوة والحق والمكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته.

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: من الأقوال والأفعال من الجهر وتكرار ما للتوكيد، وفصل كلاً منهما على حدة أو معاً جميعاً.

[٧٥] ﴿وَمِمَّنْ غَابَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِنٍّ مِّمَّنْ﴾:

﴿وَمَا﴾: ما النافية.

﴿مِّنْ﴾: استغرافية تشمل كل غائبة.

﴿غَابَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: الغائبة: اسم للشيء الغائب؛ أي: ما غاب، وألحقت به التاء للمبالغة في الإخفاء؛ أي: جميع ما أخفى الله تعالى عن خلقه وغاب عن أعينهم، في السماء أو في الأرض؛ في: ظرفية، السماء: هي كل ما علاك وتشمل السموات السبع وما بينهما كظرف ومظروف، والأرض: ما يغيب فيها من كنوز ومعادن وبتروول ومن جمادات وحيوانات وحشرات وغيرها كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِنَّكَ مُثْقَلٌ حَبًّ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمُوتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيَهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿فِي كِنٍّ﴾: في ظرفية، كتاب: اللوح المحفوظ، أي: مدون في اللوح المحفوظ.

﴿مِّمَّنْ﴾: الظاهر البين لمن ينظر إليه من الملائكة ولا يحتاج إلى تبيان وشرح.



[٧٦] ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾:

﴿إِنَّ هَذَا﴾: إنَّ للتوكيد، هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب يشير إلى القرآن القريب من كل واحد.

﴿الْقُرْآنَ﴾: سُمِّيَ القرآن؛ لآَنَه مَقْرُوءٌ. ارجع إلى الآية (١) من نفس السورة للبيان.

﴿يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: بني يعقوب، يقص: يُحَدِّثُ أو يُخْبِرُ أو يَتْلُو عليهم.
﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: فيه: ظرفية، يختلفون: في شأن عيسى عليه السلام وما أحل لهم وحرم عليهم، وفي البعث وفي السَّبْتِ وفي كثير من الأمور الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي التَّوْرَةِ، يختلفون: بصيغة المضارع، أي: لا زالوا يختلفون فيها إلى يومنا هذا.





سُورَةُ النِّبَا ٢٧

الْبَيْتِ الْعَشِيرَةِ

وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ
بِحُكْمِهِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى
الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الضَّمَّ الدُّعَاءَ
إِذَا وَلَوْ أُمَّدِبَرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَدَى الْعَمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِنْ
تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا
وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ
النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهُ
قَالَ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَ كُنُوفِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِن فِي
ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ
دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ
صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

الْحَرْفُ
٣٩



سورة النمل [الآيات ٧٧ - ٨٨]

[٧٧] ﴿وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَإِنَّهُ﴾: للتوكيد، أي: القرآن الكريم.

﴿لَهْدَى﴾: السلام للتوكيد، هدى: أي: هو الهدى نفسه أو مصدر الهداية، الهدى الموصول إلى الغاية في الدنيا والآخرة وهي رضوان الله وجنة الخلد.

﴿وَرَحْمَةً﴾: الرحمة هنا تعني الوقاية من الوقوع في المعاصي والذنوب فهو الرحمة نفسها أو منبع الرحمة، والرحمة هي جلب ما يسر ودفع ما يضر، وتعني الإنعام على العبد.

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: السلام لام الاختصاص، للمؤمنين خاصة المؤمنين الذين أصبحت صفة الإيمان عندهم ثابتة ومستقرة في القلب؛ لأنهم هم الذين يتفعلون به ويهتدون به.

[٧٨] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾:

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿يَقْضِي بَيْنَهُم﴾: بين بني إسرائيل.

﴿بِحُكْمِهِ﴾: بعدله وبحكمة فلا يحدث حيف أو جور.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.



﴿الْعَزِيزُ﴾: صيغة مبالغة على وزن فاعِل، أي: القوي الذي لا يُغلب ولا يُقهر والممتنع ولا يرد قضاؤه أو حكمه.

﴿الْعَلِيمُ﴾: كثير العلم صيغة مبالغة بمن هو على الحق ومن هو على الباطل، عليم: بمن يقضي له وبمن يقضي عليه، وعلیم بما اختلفوا فيه.

[٧٩] ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾:

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: الفاء للتوكيد، توكل على الله: فوض أمرك، أي: رُدَّه إلى الله إلى من يملك تدبير الأمور، وهو كافيك والقادر على أن ينفع ويضر راجياً عونَه وتوفيقه للوصول إلى الغاية، ولا تبال بمعاداتهم أو عدم إيمانهم بعد أن تقدّم الأسباب المطلوبة منك بالتبليغ والدعوة إلى الله. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٩) لبيان معنى التوكل.

﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾: الحق: الدين الحق هو الإسلام أو على الصراط المستقيم الموصل للغاية، المبين: البين الواضح لكل فرد ولا يحتاج إلى أدلة أو براهين وأل التعريف في الحق المبين تدل على الكمال.

[٨٠] ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾:

ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون وتوكل على الله ولا تبال بمعاداة أعداء الدين لأنك:

﴿لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾: أي: إنك لن تستطيع أن تسمع هؤلاء الموتى؛ أي: (الكفار) وشبهوا بالموتى وهم أحياء، وشبههم بالصم؛ لأن آذانهم لا تعي وتتفع بما تسمع، وشبههم بالعمي؛ لأنهم فقدوا البصيرة وليس البصر فهم عطلوا كل حواسهم فهم لا يسمعون ولا يرون ولم يعد ينفعهم نصحك لهم أو تذكيرك أو إنذارك.

﴿إِذَا وَلَوْ سَدَقُوا لَكُنَّا عَنْهُمْ غَافِلِينَ﴾: جملة تعتبر تأكيد لحال صممهم، فهم لا يكتفوا بتعطيل حواسهم لكي لا يسمعونك ويرونك بل يحاولوا أن يولوا مدبرين، أي: الفرار والهرب منك؛ لأنهم لا يريدون الجلوس إليك خوفاً من أن تنذرهم بشيء يقض مضاجعهم، ولذلك تراهم يتعدون عنك ويولوا على أدبارهم خائبين حين يرونك.

[٨١] ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۚ إِنَّ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾:

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ﴾: الواو عاطفة، ما النافية، أنت بهادي: الباء للإلصاق والتوكيد، هادي العمى: منقذ أو صارف العمى عنهم، والعمى: جمع أعمى: عمى البصيرة وليس عمى البصر. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٥٢) في سورة الشورى وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: نجد أن المقصود بالهداية في آية الشورى هداية عامة؛ أي: ترشد أو تدل الناس على الإسلام فقط ولكن الهداية الخاصة خاصة بالله تعالى؛ ارجع إلى سورة الشورى (٥٢) للبيان.
﴿عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾: ولم يقل: عن ضلالهم، الضلال: اسم جنس يشمل كل الضلالات وضلالتهم تعني: ضلالة واحدة، فأنت لا تستطيع أن تصرف عمى البصيرة ولا حتى عن ضلالة واحدة إلا أن يشاء الله تعالى.

﴿إِنْ تُسْمِعُ﴾: إن: نافية، أي: ما تسمع إلا من يؤمن بآياتنا.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾: إلا من يصدق بآياتنا، والسؤال إذا كان هو يؤمن بآياتنا مسبقاً أو سابقاً فما فائدة سماعه مرة أخرى، الجواب: ليزداد إيماناً مع إيمانه ويستمر على استقامته.



﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾: جملة اسمية تفيد الثبوت على إسلامهم، مسلمون: مخلصون موحدون، مسلمون إسلام الوجه.

[٨٢] ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: القول: العذاب أو يوم القيامة على: تفيد العلو والمشقة وكلمة وقع تدل على السقوط فجأة، أي: مجيء العذاب فجأة كأنه يخبر عليهم من فوقهم.

﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾: دابة سماها البعض الجساسة، وقيل: هي فصيل ناقة صالح عليه السلام تخرج من المسجد الحرام، وتعتبر من أمارات الساعة الكبرى.

﴿تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾: تكلمهم فتقول: إنَّ الناس كانوا بآياتنا: لا يوقنون، أي: أكثر الناس لا يؤمنون بالآيات الدالة على مجيء الساعة والبعث والقيامة أو لا يوقنون بخروج الدابة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لبيان معنى يوقنون.

وقيل: تكلمهم من الكلم وهو الجرح وقيل: هو الوسم بالخاتم، كما روى الإمام أحمد والبخاري في الكبير تخاطب الناس خلاف ما عهدوه، قيل: تجول في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب، وتسسم كل إنسان على جبينه فتميز الكافر من المؤمن.

[٨٣] ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ آيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾:

﴿وَيَوْمَ﴾: أي: يوم القيامة ونكرة للتهويل والتعظيم.



﴿نَحْشُرُ﴾: نجمع، الحشر السوق + الجمع.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية استغراقية تستغرق كل أمة.

﴿كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾: الفوج الجماعة الكثيرة، فترتيب الجماعات من القلة إلى الكثرة كما يلي: نفر، رهط، شردمة، قبيلة، عَصْبَة، طائفة، ثلة، فوج، فرقة، حزب، زمرة، جيل، كما ورد في فقه اللغة للثعالبي.

﴿مَنْ يَكْذِبْ بِآيَاتِنَا﴾: سواء كانت الآيات القرآنية أو الكونية الدالة على وحدانية الله وعظمته وقدرته أو المعجزات الدالة على النبوة.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يحبس أولهم حتّى يلحق آخرهم.....، أو ينتظر أولهم حتّى يلحق آخرهم حتّى يجتمعوا، ثم يساقون إلى النار ويدخلون فيها جميعاً، من الوزع: وهو الكف والمنع، أو حتّى يجتمع التابع والمتبوع.

[٨٤] ﴿حَقَّ إِذَا جَاءُ وَقَالَ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّا أَنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿حَقَّ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية تفيد حتمية الحدوث.

﴿جَاءُ﴾: موقف الحساب يوم القيامة.

﴿قَالَ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي﴾: قال تعالى: أكذبتهم: الهمزة همزة استفهام وتوبيخ وتقرير، أي: كيف كذبتهم بآياتي، أي: جحدتم بها.

﴿وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾: لم النافية، تحيطوا بها: تأملوها أو نظروا فيها جيداً أو تدركوا حقيقتها أو ماذا شغلكم عن النظر فيها أو التفكير والتدبر فيها.

﴿أَمَّا أَنْ﴾: الهمزة للاستفهام للتوبيخ، ذا اسم موصول.

﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: من الأعمال العبثية الأخرى في الدنيا.



[٨٥] ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾:

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: أي: حل ونزل بهم العذاب: عذاب قيام الساعة وعلى تفيد العلو، وكأنّ العذاب سقط على رؤوسهم فجأة. ارجع إلى الآية السابقة (٨٢).

﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾: الباء السببية أو التعليلية بسبب ظلمهم وهو الشرك والتكذيب بآيات الله.

﴿فَهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿لَا يَنْطِقُونَ﴾: لا النافية، ينطقون: ليس عندهم أي: اعتذار أو حجة ينطقون بها دفاعاً عن أنفسهم. أو يشغلهم العذاب أو يبهتهم فلا ينطقون بأي كلمة من دهشتهم وحيرتهم.

[٨٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنِّي ذَلِكِ لَا يَدْرِي لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾: الهمزة همزة استفهام وتقرير وتعجب.

﴿يَرَوْا﴾: رؤية بصرية أو عينية (مشاهدة حقيقية) ورؤية فكرية الآية العظيمة هي تسخير الليل والنهار لهم.

﴿أَنَا﴾: للتعظيم.

﴿جَعَلْنَا آلِيلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ﴾: اللام لام التعليل، يسكنوا فيه: من السكون والانقطاع عن الحركة، يسكنوا: بصيغة المضارع الدالة على التجدد والتكرار أي: ينامون فيه وذكر الليل والنهار يدل على كروية الأرض ودورانها حول محورها

وحول الشمس الذي ينتج عنه تعاقب الليل والنهار، وقَدَمَ الليل على النهار؛ لأنَّ الأصل هو الظلام، أي: الليل.

﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: ارجع إلى سورة يونس الآية (٥) و (٦٧) للبيان، وسورة غافر آية (٦١) للمقارنة.

﴿إِنِّ فِي ذَلِكَ﴾: إنَّ: للتوكيد، في: ظرفية، ذلك: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿لَا يَبْتَ﴾: اللام لام الاختصاص، آيات كونية عظيمة تدل على كمال الخالق سبحانه، وكمال قدرته ووحدانيته ونعمته.

﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، آيات خاصة ينتفع بها القوم الذين يؤمنون فتزيدهم إيماناً واستقامة على الصراط المستقيم، ثم يحذر الله سبحانه عباده من يوم القيامة فيقول:

[٨٧] ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَةٍ دَاخِرِينَ﴾:

﴿وَيَوْمَ﴾: تعود على يوم القيامة وتنكيره للتحويل والتعظيم.

﴿يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾: النفخة الأولى نفخة الفزع: الفزع يعني: الخوف الشديد والرعب والهلع حين يبدأ فجأة من دون سابق إنذار تضطرب فيه القلوب، والكل يفزع، أهل السموات وأهل الأرض.

﴿فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾: الملائكة.

﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: الإنس والجن والحيوانات.

﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾: قيل: الملائكة المقربون (الكربيون) وحملة العرش،



وقيل: أمثال جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وقيل: الشهداء والحوار العين وحملة العرش، والله أعلم.

﴿وَكُلُّ أُنثَىٰ ذَخِيرٍ﴾: صاغرين أذلاء، دخر الشخص ذل وصغر، الكل يتساوى في ذلك اليوم المالك والمملوك والرئيس والمرؤوس والغني والفقير والقوي والضعيف. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٦٨) في سورة الزمر وهي قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾: نجد أن آية النمل جاءت في سياق النفخة الأولى التي تبدأ بمرحلة الفزع، وتنتهي بمرحلة الصعق؛ فهي تشمل مرحلتين وهناك من قال أن النفخات (٣): الفزع، والصعق، والبعث، فأية النمل تتحدث عن النفخة الأولى (مرحلة الفزع)، وآية الزمر تتحدث عن النفخة الأولى (مرحلة الصعق) أو النفخة الثانية.

[٨٨] ﴿وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾:

﴿وَرَى الْجِبَالَ﴾: هذه الآية ليست في سياق الآخرة، كما يظن البعض، إنما هي في سياق الدنيا، ترى الجبال وأنت لا زلت حياً؛ يعني: إذا نظرت إلى الجبال تظنها جامدة لا تتحرك مع أنها تدور وتتحرك مع حركة ودوران الأرض؛ أي: (٣٠ كم/بالثانية).

﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾: من الحسب وهي الظن الراجح، أي: تعتقد أنها جامدة لا تتحرك ثابتة في مكانها، وهي تجري جري السحاب بسرعة جريها تقدر (٣٠ كم/بالثانية) بسرعة جري الأرض.



﴿وَهِيَ تَمْرُجُ السَّحَابَ﴾: وهي: أي: الجبال تجري كجري السحاب التي تسيرها الرياح فالكل يجري ونظنها ساكنة، وهذا من رحمة الله بنا.

﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾: خلق الله والصنع هو جودة العمل فالصنع أخص من العمل فكل صنع عمل وليس كل عمل صنع، والصنع يشمل مقادير النجوم والكواكب وحجمها وبعدها وقربها عن بعضها، وفي مداراتها، أي: وكل في فلك يسبحون، والقياس والشكل واللون وغيرها.

﴿أَنقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: أبدع خلق كل شيء ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].
﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿خَيْرٌ﴾: ببواطن الأمور وظواهرها وبما تفعلون فيجازيكم عليها.
﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق، ما: اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية، وأوسع شمولاً من الذي.

﴿تَفْعَلُونَ﴾: من السيئات والحسنات (الأعمال الصالحة) أو تفعلون من خير أو شر، أو حسن أو قبيح، أو معروف أو منكر، وتفعلون هي جزء من تعملون؛ فالعمل يضم الفعل والقول، وتفعلون تأتي في سياق العاقل وغير العاقل، وتعملون تأتي في سياق العاقل فقط.





سُورَةُ الْقَصَصِ ٢٨

الجزء العشرون

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾
وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ
الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي
لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ
لِلَّهِ سَيْرِكُمْ ءَايَتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ الْقَصَصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ
مِنْ نَّبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ
طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّخُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا
فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾

سورة النمل [الآيات ٨٩ - ٩٣]

[٨٩] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾:

هذه الآية تنتم للآية السابقة، وهي قوله: ﴿إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ فيجازيكم عليها.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾: جاء بالحسنة يوم القيامة، الحسنة شرعاً: هي كل ما يستحسنه الشرع ويتمثل بطاعة الله وتجنب نواهيه من قول وفعل وكل فعل يورث ثواباً.

﴿مَنْ جَاءَ﴾: من شرطية، جاء بالحسنة عمل حسنة في الدنيا.

﴿فَلَهُ﴾: الفاء للتوكيد، له: اللام لام الاستحقاق.

﴿خَيْرٌ مِنْهَا﴾: قيل: الجنة، وقد تعني: يثاب عليها ويجازى عليها خيراً منها ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ثواباً مضاعفاً يعادل عشر أمثالها، وقد تضاعف إلى (٧٠) أو (٧٠٠) أو أكثر.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿مَنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾: من ابتدائية، فزع يومئذ: شامل لكل فزع يكون يوم القيامة، وكما قال تعالى: ﴿لَا يَخْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وقد يصابون بفزع خفيف، أما الفزع الشديد فهم آمنون منه.



﴿ءَامِنُونَ﴾: من الأمن وهو الأمن الكامل مع زوال الأسباب المؤدية إلى عدم الشعور بالأمن.

[٩٠] ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: شرطية جوابها فكبت وجوههم في النار.

﴿جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾: يوم القيامة، أي: عمل السيئات وقيل: السيئة مثل الشرك وأكل الربا وقتل النفس والسيئة لا تجزئ إلا بمثلها من غير زيادة، وهذا من رحمة الله تعالى، وقد تضاعف السيئة إذا ارتكبت في أماكن الفضيلة مثل الحرم أو في رمضان أو الأوقات الفضيلة.

﴿فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾: الكب: رمي أو إلقاء الشيء التافه أو الذي لا قيمة له، واختار الوجه وهو أشرف جزء في الجسم، وكب الوجه يعني: الكب لجميع الجسم (إطلاق الجزء وإرادة الكل)، والكب فيه معنى الإهانة والإذلال والعنف؛ أي: كب بعنف؛ أي: ألقوا في النار على وجوههم منكوسين، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَكْسُوْهُ عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٦٥] أو قوله: ﴿فَكَبَّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤] وقيل: الوجه يعني: الذات؛ أي: يمثل كل الأعضاء.

﴿هَلْ﴾: استفهام يفيد النفي، أي: ما تجزون إلا ما كنتم تعملون.

﴿تُجْزَوْنَ﴾: من الجزاء، وقد يكون للعمل السيئ أو الحسن.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: تعملون (تشمل الأقوال والأفعال) في الدنيا، العمل يشمل القول والفعل.

[٩١] ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿أُمِرْتُ أَنْ﴾: أن حرف مصدر ي يفيد التوكيد. أُمِرْتُ: أي: أمرني ربي أن أعبده.

﴿أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾: أعبد من العبادة. ارجع إلى الآية (٧٣) من سورة النحل، إضافة رب للبلدة للتشريف والتعظيم وهي مكة المكرمة، وخصّتها بالذكر؛ لأنّ فيها البيت الحرام والرّب هو الخالق المدبر الرزاق والمربي وهو رب هذه البلدة ورب كلّ شيء ومليكه.

﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾: جعلها شرعاً حرماً آمناً يحرم فيها القتال والصّيد في الأشهر الحرم ومن دخلها كان آمناً.

﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾: تقديم له وحده تفيد الحصر، كلّ شيء: شيء نكرة تشمل كلّ شيء خلقاً وملكاً وتصرفاً وتديراً دون شريك، كلّ شيء في السموات والأرض وما بينهما له وحده.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ﴾: وأمرني ربي، أن: حرف مصدر ي يفيد التوكيد.

﴿أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: المخلصين الموحّدين، وفرداً من أفراد هذه الأمة المسلمة، وفي هذا تنويه عن تواضع النبي ﷺ، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٠٤) في سورة يونس وهي قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقوله تعالى في الآية (١٢) في سورة الزمر وهي قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾، فآية النمل تعني من المسلمين من لدن آدم إلى آخر مسلم وأول المسلمين من هذه



الأمة، وكذلك أول المسلمين درجة ومرتبة؛ ارجع إلى هذه الآيات لمزيد من البيان.

[٩٢] ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾:

﴿وَأَنْ﴾: حرف مصدري يفيد التوكيد.

﴿أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾: أقرأ عليكم القرآن وُسْمِي قرآنًا لكونه مقروءًا، أو أتلوا القرآن في الصلاة والتبليغ والإنذار والتعليم والحفظ.

﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾: الفاء: للتوكيد، من: شرطية، اهتدى: بالقرآن، أو بما أنزل الله تعالى من التوحيد والإيمان والعمل الصالح.

﴿فَإِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾: ففائدة هدايته ينتفع بها وحده، تعود لنفسه، اللام لام الاختصاص نفسه ذاته.

﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾: من شرطية، ضل: تاه وضل الطريق واتبع هواه والشيطان ولم يتبع ما أنزل الله تعالى.

﴿فَقُلْ إِنَّمَا﴾: الفاء للمباشرة، إنما للتوكيد.

﴿أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾: أنا لست مسؤولاً عن هدايتكم، وأنا أحد الرسل المنذرين، وما علي إلا البلاغ والإنذار: الإعلام والتحذير.

[٩٣] ﴿وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ ءَايَتِهِ فَنَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَقُلْ﴾: الخطاب إلى رسول الله تعالى وبالتالي إلى أمته.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: على نعمة الهداية للإسلام والإيمان والقرآن، والحمد لله



على نعمة النبوة، وعلى نعمه التي لا تعد ولا تحصى، الظاهرة والباطنة ما علمنا منها وما لم نعلم، حمداً مطلقاً ملء السموات والأرض وما فيهن، وملء عرشه وعدد خلقه ومداد كلماته وزنة عرشه ورضا نفسه. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٢) لمزيد من البيان.

﴿سِيرِيكُمْ أَيُّهَا السَّيِّئِينَ لِلَّاسْتِقْبَالِ الْقَرِيبِ، أَيُّ قَرِيباً سَتَرُونَ آيَاتِهِ الْكُونِيَّةَ وَالْخَلْقِيَّةَ وَأَنْتُمْ فِي الدُّنْيَا، آيَاتِهِ الدَّالَّةَ عَلَى عِظَمَةِ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَأَنَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَمَا دُونَهُ الْبَاطِلُ.﴾

سيريكُم آياته: الخطاب للجميع في الآفاق في الكون وفي أنفسكم، سيريكُم سيطلِعكم على بعض آياته فتعرفونها أنَّها من آياته وأنَّها من صنعه ويبيِّن لكم أنَّ الله هو الحق المبين.

﴿وَمَارَبُّكَ: مَا النَّافِيَّةُ، رَبِّكَ، أَيُّ: الْخَالِقِ وَالْمَرْبِيِّ وَالْمَدْبِرِ وَالرَّزَاقِ.﴾

﴿بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: عما: عن: تفيد المجاوزة والبعد، ما: اسم موصول بمعنى الذي، وأوسع شمولاً من الذي. تعملون: تقولون وتفعلون، وفي الآية وعيد وتهديد. ارجع إلى الآية (٥٢) من سورة فصلت، وهي قوله تعالى: ﴿سَرُّهُمْ أَيْنَتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ للمقارنة، وارجع إلى سورة البقرة آية (٧٤) لمزيد من البيان في معنى بغافل عما تعملون.





سُورَةُ الْقَصَصِ ٢٨

الْبَيْتُ الْخَامِسُونَ

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَرَعٍ يَوْمِذٍ ؕ آمَنُونَ ﴿٨٩﴾
وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبَدَ رَبُّ هَذِهِ
الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ؕ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ أَنْ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي
لِنَفْسِهِ ؕ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ
لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ الْقَصَصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا عَلَيْكَ
مِنْ نَّبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ
طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّهُمْ أِبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا
فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾



سورة القصص [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (٢٨) وترتيبها في النزول (٤٩)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طَسَمَ﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة.

[٢] ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾:

ارجع إلى الآية (٢) من سورة الشعراء للبيان.

[٣] ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿نَتْلُو عَلَيْكَ﴾: يا رسول الله ﷺ أي: نقرأ عليك، أو نقص عليك بعضاً من نبأ موسى وفرعون والتلاوة أخص من القراءة، والتلاوة تكون من القرآن ويثاب القارئ عليها كل حرف بعشر حسنات، فكل تلاوة قراءة وليس كل قراءة تلاوة، وأصل التلاوة: اتباع الشيء بالشيء؛ أي: تلاوة كلمات يتبع بعضها بعضاً، وأما القراءة: قد تكون لكلمة واحدة، والخطاب إلى رسول الله ﷺ، وبالتالي إلى كل من يقرأ القرآن.

﴿مِنْ نَبَأِ مُوسَى﴾: من: ابتدائية بعضية، نبأ: الخبر المهم من خبر موسى عليه السلام وفرعون.



﴿وَفِرْعَوْنَ﴾: أحد ملوك الفراعنة الذي ادّعى الألوهية. وفرعون لقب كان يلقب به ملوك مصر في القديم. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق، الحق: الشيء الثابت الذي لا يتغير، تتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالصدق لا تبديل فيه ولا تحريف، والمطابق للواقع أو كما حدث فعلاً.

﴿لِقَوْمٍ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: أي: تلاوة خاصة لقوم يؤمنون يتجدد إيمانهم ويتكرر أي: ينتفع بها الذين آمنوا حيث يزيد إيمانهم يقيناً كلما تلوها المرة بعد الأخرى.

[٤] ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَدَّيْحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾: إن للتوكيد.

﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: من العلو: أي: طغى وتجبر واستكبر في أرض مصر.

والعلو: هو الشعور بالغرور وبالقوة أو القدرة والفوقية.

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا﴾: طوائف أو جماعات بعضهم لبعض عدو، والشّيعية بالتحديد: هي الجماعة المائلة إلى رجل ما من محبتهم له، وأصلها الحطب الدقيق الذي يرمى في النار لتشتعل أو تشتد اشتعلاً، أو الطائفة التي لها



قيم ومبادئ خاصة بها مثل: طائفة الأقباط، أو بني إسرائيل، أو غيرهم لكي يبقى مستبداً بالحكم متبعاً شريعة فرّق تُسَدُّ وتستعبد كل منها الأخرى.

﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾: أي: بني إسرائيل واستضعافه لهم أي: يستعبدهم في أعمال البناء والحفر والحرث والخدمات، والسبب في ذلك؛ لأن بني إسرائيل كانوا موالين للذين حكموا مصر وأزاحوا حكم الفراعنة وهم ملوك الرعاة فلما عاد الفراعنة إلى تولي الحكم راحوا يضطهدون بني إسرائيل ومن مظاهر الاستضعاف:

﴿يَذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾: المولودين من بني إسرائيل وأسند الذبح إلى فرعون مع أنه هو مجرد الأمر وجنود فرعون هم يفعلون الذبح فهو السبب.

﴿وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ﴾: نساء بني إسرائيل، يُبقي نساءهم أحياء للخدمة والإذلال.

ولنقارن هذه الآية بالآية (٤٩) من سورة البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ سَاءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ﴾، وما قال موسى في سورة إبراهيم آية (٦): ﴿يَسْأَلُونَكَ سَاءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ﴾، وما جاء في سورة الأعراف آية (١٤١): ﴿يَسْأَلُونَكَ سَاءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ﴾: نجد الاختلاف في كلمتي (يذبحون، ويقتلون)، القتل: أعم من الذبح، فالقتل: يشمل الذبح والإعدام، والقتل بالرصاص، أو المواد السامة، ونجد إضافة الواو لكلمة يذبحون في سورة إبراهيم، والواو تعني: سوء العذاب + الذبح؛ أي: التذبيح غير سوء العذاب (وهذا الكلام هو كلام



موسى عليه السلام)، وحذف الواو في آية البقرة دل على التذبيح هو سوء العذاب (وهذا الكلام هو كلام الله سبحانه) فالله سبحانه لم يعدد ويذكرهم بكل المصائب التي مرت عليهم بينما موسى ذكرهم بكل المصائب التي مرت عليهم حين عددها لهم.

﴿إِنَّهٗ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾: إنه للتوكيد، كان من المفسدين بسبب كفره وطغيانه وظلمه وتكبره في الأرض وبقتل الأبناء واستحياء النساء والتشيع.

ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) لمزيد من البيان.

[٥] ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾:

﴿وَنُرِيدُ﴾: بصيغة التعظيم.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدر يفيد التعليل.

﴿نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾: نمّن: من المن: المن عطاء بلا مقابل أو عوض. قال الأزهري: قال الزجاج: المن كل ما يمن الله تعالى به مما لا تعب فيه ولا نصب، وقيل: أن المن كالمن الذي كان ينزل على بني إسرائيل سهلاً بدون أي تعب أو جهد؛ أي: نُنعم على الذين استضعفوا: أي: بني إسرائيل فمن عليهم بإيمانهم وتخليصهم من حكم فرعون.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾: في أرض مصر والشام.



﴿وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً﴾: في الدين ونشر المبادئ والقيم، أئمة: يقتدى بهم، قادة للخير كما قال ابن عباس، أو ولاية وملوكاً كما قال قتادة.

﴿وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾: للملك وارثين مشارق الأرض ومغاربها كما قال تعالى في سورة الأعراف آية (١٣٧): ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا﴾ في ذلك الزمان، الوارثين: جملة اسمية تفيد الثبوت، جمع وارث يرثون فرعون وقومه، أي: الحاكمين والمالكين لكثير من الأرض. وتكرار ونجعلهم مرتين للتوكيد، وفصل كونهم أئمة عنه كونهم الوارثين.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٢٨

النِّسَاءِ

وَنُكَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ
أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ
وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾
وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ
أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ
فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَاغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْ لَا أَنْ
رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ
لَأُخْتِي هَٰ قُصِّيهٖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾
فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾



نُصِبَتْ
الْحَرْفُ
٣٩



سورة القصص [الآيات ٦ - ١٣]

[٦] ﴿وَنُفِكَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾:

﴿وَنُفِكَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: بالاستخلاف والحكم والسلطة وممارسة شعائر دينهم بلا خوف، والتمكين يتضمن معنى الحرية والقدرة والأمن. ارجع إلى سورة النور آية (٥٥) لبيان معنى التمكين.

﴿وَنَرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾: رؤية بصرية.

﴿فِرْعَوْنَ﴾: ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) للبيان.

﴿وَهَامَانَ﴾: هامان: ورد اسمه في القرآن (٦ مرات)، قيل: كان وزيراً لفرعون زمن نبي الله موسى، وقيل: كان المسؤول عن البناء والعمران، وقيل: كان اسمه هامان، ووظيفته هامان (بناء المشاريع الكبرى)، وكان مقرباً إلى فرعون، وذكر هامان في القرآن يدل على الإعجاز التاريخي للقرآن، وعلى نبوة محمد ﷺ، ومات غرقاً مع فرعون. ارجع إلى سورة غافر آية (٣٦) لمزيد من البيان.

﴿مِنْهُمْ﴾: من أولئك المستضعفين من بني إسرائيل.

﴿مَا كَانُوا﴾: ما اسم موصول بمعنى الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي، وتشمل العاقل وغير العاقل.



﴿يَحْذَرُونَ﴾: من هلاكهم على أيدي بني إسرائيل، فقد كان فرعون وهامان وجنودهما على وجلٍ وخوفٍ أن يُقتلوا على أيدي بني إسرائيل. والحدزر: هو توقي الضرر أي: دفع الضرر سواء كان مظنوناً أو متيقناً. ويحذرون: بصيغة المضارع يدل على حذرهم كان يتجدد ويتكرر أي باستمرار. [٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ إِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَكَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَأَوُوهُ ۖ إِنَّا نَحْنُ الْمُرْسِلِينَ﴾:

﴿وَأَوْحَيْنَا﴾: الوحي لغة: إعلام بطريق خفي، شرعاً: ما يُلقى الله إلى رسله من تكاليف وتعاليم دينه (منهج) وآيات ووعد ووعد بإرسال رسول (جبريل) أو أن يكلمه من وراء حجاب أو بطريق خفي، والوحي إلى أم موسى كان بالإلهام أو برؤيا، ويعتبر ذلك نوعاً من أنواع الوحي. ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان.

﴿إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾: الوحي كان بالإلهام.

﴿أَنَّ﴾: حرف مصدري يفيد التعليل.

﴿أَرْضِعِيهِ﴾: قيل: أرضعته حوالي ثلاثة شهور، وقيل: (٨) أشهر، وقيل: أربعة أشهر؛ فلما ألحَّ فرعون في طلب الولدان من بني إسرائيل لذبحهم بإرسال الجواسيس خافت أم موسى على وليدها.

﴿فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، إذا شرطية تستعمل للشيء المحقق حدوثه بعكس إن تستعمل للأمر المشكوك في حدوثه، خفت على موسى من الذبح أو أن يعثر عليه جنود فرعون.



﴿فَأَلْقِيهِ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة رابطة لجواب الشرط إذا.

فألقيه: الإلقاء: هو رمي الشيء من أعلى إلى أسفل برفق ولين، وحين الإلقاء تراه أو ترى مكان الإلقاء، وفي سورة طه آية (٣٩) قال تعالى: ﴿أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾، والقذف: هو الرمي بشدة وقوة من غير مهلة حتى لا تراه حيث لا تلقاه، والقذف: أعم من الإلقاء.

﴿فِي الْيَمِّ﴾: أي: في نهر النيل. ويستعمل كلمة اليم في سياق الخوف أو العقوبة.

﴿وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنْ﴾: تكرر (لا): يفيد توكيد النهي وفصل كل واحدة الخوف والحزن على حدة أو كلاهما، لا تخافي - بعد إلقائه في اليم - عليه من الغرق أو الموت، ولا تحزني لفراقه وذهابه عنك.

ولا تحزني: من الحزن: الألم أو الغم الدائم الذي لا يزول.

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿رَادُّهُ إِلَيْكَ﴾: الرد هو الرجوع أو العودة إلى المكان الذي خرج منه بحيث يجبر أو يُكره على الرجوع وبغير إرادته، والرجوع هو الخروج من مكان ما أو مدينة مع النية للرجوع إليها وبرغبته، ومن دون إكراه.

واستعمل رادُّوه؛ لأنه سبحانه سيحرم عليه المراضع فيردُّه إليك لترضعيه.

﴿وَجَاءَهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: سنجعله رسولاً إلى بني إسرائيل رسولاً

ونبياً.

هذه الآية إذا تأملناها نجد أنها تشمل على خبرين هما: وأوحينا إلى أم



موسى، فإذا خفت عليه، وأمرين هما: أرضعيه وألقيه، ونهيين: لا تخافي ولا تحزني، وبشارتين: رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين يدل على عظيم البيان الرباني.

[٨] ﴿فَالنَّقْطَةُ: ءَالَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَنَّ وَجَنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾:

﴿فَالنَّقْطَةُ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، والهاء: تعود على التابوت وفيه موسى من نهر النيل، والالتقاط: أن نجد شيئاً ما في الطريق دون قصد أو بحث والذي التقطه آل فرعون.

﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: أتباع فرعون الذين يعملون في قصره.

﴿لِيَكُونَ﴾: اللام لام العاقبة (التوكيد).

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص لهم خاصة.

﴿عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾: هذا هو عاقبة الالتقاط أو في نهاية الأمر سيكون لهم عدواً وحزناً. أمّا حين التقطوه، فالتقطوه؛ ليكون لهم ولداً وقرّت عين لفرعون وامراته ولا أحد يعلم الغيب إلا الله سبحانه.

عدواً: لفرعون وملئه.

وحزناً: بفتح الحاء الألم النفسي أو الغم الشديد الدائم الذي لا يزول حتى الموت. بعكس الحزن بضم الحاء وهو الألم أو الغم غير الدائم المؤقت الذي يزول مع الزمن ولو طال.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.



﴿فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَخُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾: خاطئين: آثمين. وعاصين بالكفر والظلم، والشرك أو خاطئين بتقديرهم، لم يخطر ببالهم أن موسى هو الذي سيذهب بملكهم ويكون سبباً لهلاكهم، خاطئين: من خطئ (الفعل الثلاثي)؛ أي: تعمد الخطأ بينما أخطأ (الرباعي) من دون تعمد وقصد. وهناك من قال كلاهما يستعمل في العمد وغير العمد، أو كلاهما في غير العمد، وآخرون جعلوا الفعل الثلاثي في العمد، والفعل الرباعي في غير العمد.

ومنه المخطئ من أخطأ؛ أي: الذي لا يتعمد خطأ ولا ذنباً إلا جهلاً أو من دون علم بلا قصد، وخاطئين جملة اسمية تدل على الثبوت والاستمرار على الخطأ من دون أي محاولة لتصحيحه.

[٩] ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾: اختار كلمة امرأة بدلاً من زوجة؛ لأن امرأة فرعون تخالف زوجها في الدين فهي مؤمنة وهو كافر، أو فيها عيب خلقي لا تنجب، وكلمة زوج تطلق حين يكون تماثل بين الزوج والزوجة. من خصوصيات القرآن الكريم. فقال العلماء: كلمة زوجة تطلق حين لا يكون هناك اختلاف بين الزوجة والزوج في الدين، أو لا يكون بينهما اختلاف أسري، أو مشاكل مثل: العقم، أو نشوزاً، أو عدم الاستقرار والسكينة، وتطلق كلمة امرأة حين توجد إحدى المشاكل في العقيدة، في الدين، أو الاختلافات الأسرية، أو النشوز، أو عيب خلقي أو خلقي، وكذلك كتبت بالتاء المفتوحة، وليس المربوطة. ارجع إلى سورة آل عمران آية (٣٠) لمعرفة الفرق.



﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾: قُرْتُ: مشتقة من قَرَّ بالمكان أي: أقام وثبت وتعني السكون والارتياح، ومشتقة من القر: البرد الشديد، والعين الباردة تدل على السرور والعين الساخنة تدل على الحزن والألم، أي: مبعث سكينه وسرور لي ولك، وقولها: لي ولك بدلاً من لنا، كما رأينا في آية الفرقان (٧٤) ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ تدل على قلة ارتباط امرأة فرعون بفرعون فكل منهما له شأنه. ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾: لا الناهية لا تقتلوه: تؤكد على عدم قتله حيث كان القانون الساري بقتل كل ولد ذكر من بني إسرائيل؛ لأن فرعون رأى في المنام أن مصرعه سيكون على يد واحد من بني إسرائيل.

﴿عَسَى﴾: فعل من أفعال الترجي، وتستعمل للمأمول حصوله وتحققه.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري للتعليل والتوكيد.

﴿يَنْفَعَنَا﴾: يساعدنا أو ننتفع منه في شيء ما.

﴿أَوْ نَتَّخِذْهُ وَلَدًا﴾: نتبناه ويصبح ابناً لنا بالتبني وقيل: إن موسى كان يعرف بابن فرعون فقد ألقى الله سبحانه على موسى محبة منه فكان كل من رآه أحبه. ولنعلم: أن فرعون (رمسيس الثاني) كان له أولاد من زوجات أخرى غير هذه الزوجة التي كانت لا تنجب فقالت لفرعون: أونتخذ ولدًا؟ فابنه مفتاح كان الولد الثالث عشر من زوجة أخرى.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: بعاقبة أمرهم وأنهم كانوا خاطئين في التقاطه، واتخاذهم ولدًا لهم، وأن هلاكهم سيكون على يديه، أو لا يشعرون أنه سيكون ولدًا أم عدوًا.



[١٠] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرٍ مُوسَىٰ فَرِحًا ۖ إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ۚ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرٍ مُوسَىٰ فَرِحًا﴾: الفؤاد قيل: هو القلب وبشكل أدق كما بينت الدراسات العلمية أن في القلب خلايا خاصة لها خاصية الذاكرة تشبه الخلايا العصبية في جهاز (المبيك) في الدماغ، وقد يكون هناك اتصال بينهما من خلال الأعصاب الودية وغير الودية. ارجع إلى سورة الحج آية (٤٦) لمزيد من البيان.

فارغاً: لها عدة معانٍ:

١ - خالياً من التفكير في أي شيء سوى ذكر موسى وما حدث له أي: لا يغيب عن فكرها وذاكرتها ليلاً ونهاراً.

٢ - أي: نسيت ما أوحى إليها حين ألقته ونسيت الوعد ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۚ إِنَّا رَأَدُّوهُ إِلَيْكَ وَجَعَلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

٣ - لم يعد لها عقل (ذهب عقلها) من شدة الخوف والجزع على موسى حين سمعت أنه وقع في يد فرعون ولا أحد يطمئنها على موسى.

﴿إِنْ﴾: للتوكيد.

﴿كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾: كاد من أفعال المقاربة، مقاربة حصول الإبداء، تبدي به أي: تخبر وتعلن للملأ، وتقول للناس: إن موسى ابنها ولكن لم يحصل ذلك بسبب الربط على قلبها.

﴿لَوْلَا﴾: حرف شرط.



﴿أَنْ﴾: حرف مصدر ي يفيد التوكيد.

﴿رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾: ألهمناها الصبر أنزلنا عليها السكينة، والربط يعني الشد، أي: شددنا على قلبها بالصبر والثبات كما يربط الشيء غير الثابت ليستقر ويثبت ويسكن.

﴿لَتَكُونَنَّ﴾: اللام لام التوكيد والتعليل.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: من بعضية، المؤمنين: المصدقين بوعده الله وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا آتَاوْهُ الْكِتَابَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ولم يقل من المؤمنات؛ لأن المؤمنين تعني: المؤمنين والمؤمنات، من المؤمنين؛ أي: ثباتها وصبرها يشابه صبر الرجال بالشدة والقوة، والذين إيمانهم ثابت وراسخ، ولم يقل من الذين آمنوا.

[١١] ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهٖ فَبَصُرَتْ بِهِٗ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾: لا بنتها أخت موسى.

﴿قُصِّيهٖ﴾: من القصص: وهو أتباع الأثر أي: اتبعي أثره وراقبي إلى أين يذهب وتتبعي خبره ومصيره.

﴿فَبَصُرَتْ بِهِٗ عَنْ جُنْبٍ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب، جنب: عن بعد أو مكان لا يراها أحد، أو عن جنب راحت تراقب وتنظر باهتمام عن بعد إلى أين سيأخذه اليم وإلى أي مكان وصل بحيث لا يراها أحد.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: وهم: للتوكيد أن أخته تتبع أثره، وتراقب أين يذهب وتتقصي أثره وأخباره.

[١٢] ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ﴾:

﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ﴾: على موسى تحريم منع لا تحريم شرع، أي: منعناه من قبول ثدي أية مرضع، قال تعالى: ﴿الْمَرَاضِعَ﴾ ولم يقل: المرضعات.

﴿الْمَرَاضِعَ﴾: جمع مرضع وهي المرأة الصالحة أو القادرة على الإرضاع، ولكنها لا ترضع الآن حين يأتي وقت الإرضاع ترضع، أما المرضعات: جمع المرضعة فتطلق على المرأة التي تقوم بعملية الإرضاع الآن والطفل في حضنها وهي ترضعه.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل أن نرده إلى أمه ليرضع منها ومن تعني من قريب، أو من قبل تعني حرمانا عليه المراضع اللاتي أحضرن لقصر فرعون ليرضعن موسى من قبل أن تحضر أم موسى لترضعه، ومن قبل: أي: من سابق علم الغيب من قضاء الله مسبقاً من قبل ولادته وكل المعاني محتملة.

﴿فَقَالَتْ﴾: أخته بعد أن انتشر الخبر في المدينة أنه لا يرضع ولا يقبل ثدي أي مرضع تحضر إليه، قالت وهم لا يعرفون أنها أخته.

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾: هل استفهامية فيها معنى العرض واللهفة على الدلالة وأقوى من الهمزة في الاستفهام كقوله: أدلكم، من أدلكم: أخبركم على أهل بيت يكفلونه: من الكفالة وهي التزام بأداء ما تكفل به إلى صاحب الحق عند المطالبة، يكفلونه لكم: الكفالة: أي: الالتزام بإرضاعه لكم، لكم: اللام لام الاختصاص لكم خاصة.



﴿وَهُمْ لَهُ﴾: هم: للتوكيد، له: تقديم له يفيد الحصر له تعود على موسى.

﴿نَاصِحُونَ﴾: حافظون راعون مشفقون، قال ابن عباس: فلما قالت ذلك ظنوا أنها تعرف موسى وتعرف أهله، فأنكرت ذلك، وغيّرت كلامها وبإلهام من الله تعالى: نجت من الفتنة أو المحنة.

وانتبه إلى قوله يكفلونه لكم وهم له ناصحون: يكفلونه: جملة فعلية، وهم له ناصحون: جملة اسمية أقوى من الجملة الفعلية؛ لأنّ الكفالة تعدّ أمراً سهلاً بالنسبة للنصح الذي يعني: الإخلاص والرعاية والتربية، فلو اكتفت أخت موسى بالقول يكفلونه لكم، لربما لم تتعرض لهذه الفتنة التي سببها حرصها على موسى وشفقتها عليه لكونها أخته.

[١٣] ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ آتِيهِ ۚ كَيَّ نَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۚ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ آتِيهِ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، رددناه: أي: نحن للتعظيم، رددناه: ارجع الآية (٧) من نفس السورة للبيان.

﴿كَيَّ﴾: تستعمل للتعليل الحقيقي أو معرفة الغرض الأول الحقيقي للرد الذي هو أن تقر عينها ولا تحزن، ولم يستعمل اللام كقوله لتقر عينها؛ لأن كي تستعمل لبيان الغرض الحقيقي، واللام تستعمل للتعليل وغير التعليل، فاللام أوسع شمولاً من كي.

﴿نَقَرَّ عَيْنُهَا﴾: تطمئن وتسكن وترتاح، وكذلك تسر. ارجع إلى الآية (٩) من نفس السورة لبيان معنى تقر عينها.



﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾: الْحَزَنُ: الشَّعُورُ بِالْغَمِّ الثَّقِيلِ وَالْأَلَمِ الْمَمْتَدِّ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ عَلَى فِرَاقِهِ وَغِيَابِهِ عَنْهَا، إِذْنُ كَيْ تَقْرَعَ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ هُوَ الْغَرَضُ الْحَقِيقِيُّ الْأَوَّلُ مِنْ رَدِّهِ إِلَيْهَا، وَلِتَعْلَمَ ﴿أَنْتَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ هُوَ الْغَرَضُ الثَّانِي.

﴿وَلِتَعْلَمَ﴾: الْوَائِلُ لِلتَّوَكُّيدِ، وَاللَّامُ لِلتَّوَكُّيدِ.

﴿أَنْتَ﴾: لَزِيَادَةِ التَّوَكُّيدِ.

﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾: الْوَعْدُ: هُوَ حِينَ وَعَدَهَا سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ.

﴿وَلَكِنَّ﴾: حَرْفُ اسْتِدْرَاكِ.

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَخْلِفُ وَعْدَهُ أَوْ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ثَابِتٌ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ، وَهَنَاكَ الْقَلِيلُ مِنْ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

وَلَوْ قَالَ تَعَالَى: كَيْ تَقْرَعَ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَكَيْ تَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ لَكَانَ ذَلِكَ يَعْنِي: أَنَّهَا تَجْهَلُ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَهِيَ لَا تَجْهَلُ ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ حُذِفَ كَيْ تَعْلَمَ وَأُبْدِلَهَا لِتَعْلَمَ: اللَّامُ لِلتَّوَكُّيدِ. لِيُؤَكِّدَ لَهَا وَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى.





الجزء العشر

سُورَةُ الْقَصَصِ ٢٨

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
 فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعِنِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ
 فَاسْتَغْنَىٰ الَّذِي مِنْ شِيعِنِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ
 فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ
 ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ
 الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ
 ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
 الَّذِي اُسْتَنْصَرَهُ بِأَلَامٍ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ
 مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ
 يَمْوَسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِأَلَامٍ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا
 أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾
 وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْوَسَىٰ ابْنَ الْمَلَأِ
 يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِتَقْتُلُوهُ فَأَخْرَجَ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّصِيحِينَ ﴿٢٠﴾
 فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾



سورة القصص [الآيات ١٤ - ٢١]

[١٤] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَايَتْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو استئنافية، لما: ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: أي: موسى بلغ أشده بعد أن نشأ وشب في قصر فرعون، وبلغ أشده: أي: كامل القوة البدنية قيل: بلغ (٣٠) سنة أو (٤٠) سنة.

﴿وَاسْتَوَىٰ﴾: بلغ كامل القوة العقلية قيل: (٤٠) سنة، أو اكتمل شبابه، واكتملت قوته البدنية، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٢) من سورة يوسف وهي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَايَتْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، ولم يذكر واستوى؛ أي: اكتمل شبابه، ولم يقل واستوى التي تدل على القوة البدنية.

﴿ءَايَتْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: لمعرفة معنى الإيتاء أو العطاء ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة، حكماً: قيل النبوة ومعرفة الأحكام الشرعية، وتعني الحكمة وعلماً بالله تعالى وهو أفضل العلوم وبشرية بني إسرائيل - شريعة إبراهيم ويعقوب.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: أي: مثل ذلك كما آتينا موسى الحكم والعلم، نؤتي المحسنين أمثاله.

﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: جمع محسن: نؤتيهم الحكم والعلم بالكتب المنزلة والفقه في الدين أو آتينا موسى الحكم والعلم؛ لأنه من المحسنين. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٢) لبيان معنى الإحسان.



[١٥] ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَى الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾:

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾: السواو هنا لا تدل على الترتيب إنما هي لمطلق الجمع، فليس تعني أتيناها الحكم والعلم، ثم دخل المدينة، وإنما تعني دخل المدينة قبل إيتائه النبوة.

أي: دخل موسى المدينة: قيل: هي مدينة منف تقع على مسافة (٢٨) كم جنوب القاهرة قرب ميت رهينة بالبدرشين بالجيزة، وبها أهرامات سقارة وكانت المدينة الأولى آنذاك.

﴿عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ﴾: حيث كان القبط في بعض المدن المزدهمة بالسكان يمنعون بني إسرائيل دخول مدنها، لذلك اختار موسى وقت غفلة الناس، أي: زمن القيلولة حوالي منتصف النهار والناس في بيوتهم، وقيل: لكون موسى كان يعيب على قوم فرعون دينهم فكانوا يخافونه وهو يخافهم، فكان لا يدخل إلا مستخفياً، وفي يوم دخل موسى المدينة، دخلها وقت القيلولة وهو الأرجح وقت الظهيرة وقد أغلقت أسواقها وليس في طرقها إلا قلة من المارة، أو وقت بين المغرب والعشاء دخل المدينة بعد مدة طويلة من عدم دخولها ونسوا ذكره.

﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾: هذا من شيعته: أي: من بني إسرائيل، وهذا من عدوه: يعني: من الأقباط، والعدو: يمكن تذكيره للواحد أو الجمع.

﴿فَاسْتَغْنَى الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة بعد الدخول، استغاثه: طلب منه الغوث: أي: العون

والمساعدة أو النجدة السريعة. وكان موسى يتمتع بقوة في البدن، وتبين لموسى أن القبطي هو الذي بدأ بقتال الإسرائيلي فحاول موسى الدفاع عن المظلوم ودرء خطر الظالم عن المظلوم، ولم يتعمد قتل القبطي، والأقباط يومها كانوا يعبدون الأصنام، ولم يكن موسى آنذاك نبياً ولا رسولاً؛ فوكزه موسى: الفاء للمباشرة، الوكز في اللغة: نوع من الضرب بمجمع اليد على الذقن؛ أي: الرأس، وقيل: على الصدر في مكان القلب، ففضى عليه: فمات القبطي مباشرة من أثر الوكز، وندم موسى؛ أي: وكزه ولم ينوي قتله.

﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾: هذا الوكز الذي أُمات هذا الإنسان لم يكن في نيته أو يقصده، ولذلك قال: هذا من عمل الشيطان: قال موسى عليه السلام معترفاً بأن ضربة القبطي كانت من نزع الشيطان، أي: من تهيج وإثارة الشيطان له.

إنَّه عدو مضل مبين: إنَّه تعود على الشيطان للتوكيد عدو لبني آدم، مضل له عن الهدى والصواب بالخطأ والإضلال بالسوسة والتزين والتزع، مبين: ظاهر العداوة كل بني آدم يعلمون أنَّه عدو مبين وأنَّ عداوته لا تخفى على أحد وهي ظاهرة للعيان، لا تحتاج إلى دليل ولا برهان.

عدو مضل مبين: ثلاث صفات وصف بها الشيطان في آن واحد عدو، مضل، مبين: أسماء فاعل: صفات ثابتة في الشيطان.

[١٦] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾:

﴿قَالَ رَبِّ﴾: موسى، ولم يقل: يا رب؛ لأنه يعلم أنَّ ربه قريب منه فلا يحتاج إلى أداة النداء للبعد.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.



﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾: بقتل هذا القبطي، مباشرة يعترف موسى بذنبه وظلمه لنفسه فيستغفر ربه ويبادر بالتوبة والاستغفار.

﴿فَاغْفِرْ لِي﴾: أي: استر ذنبي ومحوه ولا تعاقبني عليه.

﴿فَغْفِرَ لَهُ﴾: بعد توبته.

﴿إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾: إن للتوكيد، وهو للحصر والتأكيد، وهو الغفور الرحيم: الغفور صيغة مبالغة كثير المغفرة، الرحيم بعباده فلا يعذبهم بذنب تابوا منه، والسؤال: هل أعلم الله سبحانه موسى أنه غفر له أم لم يعلمه، قال بعض المفسرين أن موسى لم يعلم بمغفرة الله له؛ لأنه لم يكن نبياً بعد، وقد نُبئ بعد نبوته، وقول موسى في الآية القادمة: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ لا تشمل أو يقصد بها المغفرة؛ المغفرة على قتل القبطي، وإنما النعم الأخرى، ومن المفسرين من قال: إن موسى علم بمغفرة الله له؛ ولذلك قال: فلن أكون ظهيراً للمجرمين، والله أعلم.

[١٧] ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا﴾: قال موسى: رب بما: الباء للإلصاق والتعليل، ولم يستعمل ياء النداء للبعد.

﴿أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾: بالعلم والحكمة والقوة والنعمة تستوجب الشكر.

﴿فَلَنْ﴾: الفاء للتوكيد، لن حرف نفي تنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾: مُعِيناً لَأَيِّ مجرم على إجرامه مهما كان سواء كان من شيعته أو من عدوه، وظهيراً مشتقة من الظَّهر. ارجع إلى الآية (٥٥) من سورة الفرقان للبيان.



والمجرم هو الكافر أو المشرك المفسد والقاتل أو المهلك للحرث والنسل، وهذا يدل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى تبين له أنه كان كافراً، انتبه لم يقل: فلن أكون ظهيراً للمجرمين إن شاء الله، فابتلي به مرة أخرى؛ لأنه لم يستثن كما قال ابن عباس كما سنرى في الآية القادمة.

[١٨] ﴿فَاصْبِحْ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ ۚ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾:

﴿فَاصْبِحْ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة.

﴿فَاصْبِحْ فِي الْمَدِينَةِ﴾: التي قتل فيها القبطي.

﴿خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾: ينتظر السوء أو المكروه أو الضرر ينتظر بحذر وقلق ويتوقع أن يقبض عليه ويؤخذ إلى السجن، أو ينتظر ما سيفعل به والترقب هو الانتظار والمراقبة بكل الوسائل لكي لا يفوته شيء.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للتوكيد، إذا الفجائية.

﴿اَسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ﴾: طلب النصرة والعون منه (أي: الإسرائيلي) الألف والسين وتعني: الطلب.

﴿يَسْتَصْرِحُهُ﴾: يصرخ وينادي على موسى أن ينصره ويعينه مرة أخرى.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾: للإسرائيلي.

﴿إِنَّكَ﴾: للتوكيد.

﴿لَغَوِيٌّ﴾: اللام للتوكيد، غوي: ذو غواية أي: حب للفساد والقتل وقطع الطريق، والغوي عنده عقيدة فاسدة. ارجع إلى سورة الحجر آية (٤٢) لمزيد من البيان.



﴿مُبِينٌ﴾: ظاهر الغواية والضلال والفساد وتحب الإجماع.

غوي مبين: أي: غوايتك لا تخفى على أحد، ولا تحتاج إلى دليل وبرهان ظاهرة لوحدها.

[١٩] ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّىٰ أَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، لما ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿أَنْ﴾: مجيء أن الخفيفة بعد لما تفيد الإبطاء وعدم التسرع؛ أي: فلم يندفع ويسرع كما فعل بالمرة السابقة، وكان متردداً، ولم يكن عازماً على البطش. ﴿أَرَادَ﴾: موسى.

﴿أَنْ يَبْطِشَ﴾: أي: يضرب بيده.

﴿بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾: أي: بالقبطي الجديد الذي من قوم فرعون، أو قد تعني بالإسرائيلي الذي هو من شيعته فهو عدو لموسى لقوله له: إنك لغوي مبين. ولما كان خبر قتل موسى للقبطي بالأمس قد انتشر وشاع بالمدينة. ﴿قَالَ يَمْوَسَّىٰ أَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾: القائل قد يكون القبطي الجديد.

وقد يكون القائل هو الإسرائيلي الذي من شيعه موسى؛ حيث ظن أن موسى حاقد عليه لقوله: إنك لغوي مبين، فقال الإسرائيلي: أريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس، وهذا هو المرجح عند علماء التفسير، وبالأمس تعني: البارحة.

﴿أَرِيدُ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدر يفيد التعليل.



﴿تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾:

بالأمس: أي: البارحة، وقد تعنيك أحياناً الماضي.

﴿وَإِنْ﴾: وتفيد النفي حرف نفي أي: ما تريد.

﴿تُرِيدُ إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾: أن: للتوكيد. الجبار: شديد البطش الذي يُكرهه الناس على فعل ما لا يرغبون فعله ولا يرحم. والجبار هو أيضاً الذي يتعاضم بالقهر والقتل والتسلط على الناس.

﴿وَمَا﴾: النافية.

﴿تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾: أي: بدلاً من محاولة قتلي لما لا تحاول الإصلاح بيني وبينه وتكون من المصلحين. أو تتجنب قتلي كما قتلت نفساً بالأمس، وشاع الخبر في المدينة وعلم الرجل الصالح ذلك، أو وصل الخبر إلى قصر فرعون فعلم فرعون بذلك وتشاور مع ملئه، وكان من بينهم الرجل الصالح الذي جاء من أقصى المدينة يسعى ليخبر موسى بأن الملائمة يأترون بك ليقتلوك. [٢٠] ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْؤِسُكَ آلُكُمْ بِمَا يَأْتِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرِجْ إِلَىٰ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾:

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾: جاء من المجيء والمجيء فيه معنى الصعوبة والمشقة، ولم يقل: وأتى الذي فيه معنى السهولة.

﴿رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾: قيل: كان ابن عم فرعون، وقيل: ولي عهده، وقيل: صاحب الشرطة وقيل: هو الرجل المؤمن من آل فرعون الذي يكتنم إيمانه، والذي ورد ذكره في سورة المؤمن (غافر) كما قال ابن عباس، وقال أكثر أهل التفسير، وهو المرجح.



من أقصى المدينة: من أبعد أطرافها وآخرها، المدينة: القرية إذا اتسعت تسمى مدينة.

﴿يَسْعَى﴾: يُسرع يمشي مسرعاً.

﴿قَالَ يَمُوسَى إِنَّكَ﴾: إن للتوكيد.

﴿الْمَلَأَ يَأْتِمُرُونَ بِكَ﴾: الملاء: وجهاء القوم أي: رؤساء القوم أو الحكام يتشاورون فيك ليقتلوك أو يتآمرون على قتلك، وقال: يأتُمرون: لأن كل المتشاورين يأمر بعضهم بعضاً بقتلك. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (٢٤) لبيان معنى الملاء.

﴿لَيَقْتُلُوكَ﴾: اللام لام التوكيد.

﴿فَأَخْرَجَ﴾: الفاء للمباشرة، اخرج الآن من المدينة حالاً.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾: لك خاصة، اللام لام الاختصاص، من: ابتدائية، الناصحين: فاستمع لقولي لنصيحتي بالخروج.

لنقارن هذه الآية (٢٠) من سورة القصص وهي قوله: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

مع الآية (٢٠) من سورة يس: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَنْقُومُ اتَّبِعُوا أَمْرًا سَكِينًا﴾.

الرجل في سورة القصص جاء ليحذر موسى فقط ليخرج من المدينة والرجل ليس مهتداً بالقتل أو أي خطورة، أما الرجل في سورة يس فجاء ليحذر

القوم باتباع المرسلين، فهو جاء للتبليغ والدعوة وإعلان إيمانه وتأييد الرّسل ومجيئه فيه خطر شديد على نفسه بالقتل.

إذن الرّجل في سورة يس مهّد بالقتل ومهمته أهم وأشد من الرّجل في سورة القصص.

كلاهما جاء يسعى مسرعاً أحدهما ليحذر موسى والآخر ليدعو قومه بالإيمان بالرّسل.

وهناك فرق بين: وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى، وقوله تعالى: وجاء رجل من أقصى المدينة: قدّم الرّجل في آية القصص الذي جاء من أقصى المدينة، أي: جاء في ذلك اليوم من أقصى المدينة؛ لأنّه كان في ذلك اليوم في أقصى المدينة، ولم يكن يسكن أقصى المدينة، وأما جاء من أقصى المدينة رجل، (فآخر كلمة رجل في آية يس)؛ لأنّه كان ساكن في أقصى المدينة، ويحتاج زمناً للخروج من بيته. فقدّم أقصى المدينة على كلمة رجل في آية ياسين وقدم الرجل على أقصى المدينة في آية القصص.

[٢١] ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿فَخَرَجَ﴾: الفاء للتعقيب.

﴿مِنْهَا﴾: من المدينة. أي: موسى.

﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾: يلتفت يمنة ويسرة خوفاً من أن يلحق به أحد أو يراه أحد أو يترقب متابعة أحد له.

﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: أي: قوم فرعون وقومه.





سُورَةُ الْقَصَصِ ٢٨

الجزء العشر

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَدِينٌ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ
السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينٍ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ
النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ
قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا
شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا
تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ
أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ
لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا
يَبَا بَتِ اسْتَجِرَّهٗ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ
﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ بِأَنْ تُكَفِّرَ عَنْ أَحَدِي ابْنَتِي هَتَيْنِ عَلَى أَنْ
تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجْجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ
وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾



سورة القصص [الآيات ٢٢ - ٢٨]

[٢٢] ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو استئنافية، لما: ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾: توجَّهَ: قصداً بوجهه مدين.

أي: خرج من مصر هارباً متجهاً إلى مدين في طريق لم يسلكه سابقاً، ومن دون طعام أو شراب ومن دون دابة يركب عليها.

﴿قَالَ عَسَىٰ﴾: عسى من أفعال الرجاء التي يتوقع حدوثها بعد الرجاء.

﴿رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: أن يهديني أفضل الطرق، أي: أوسطها، أي: الطريق السهل الذي يخلو من العقبات لكي لا أضل عن الطريق، وجاء بياء المتكلم يهديني لأنها هداية خاصة لظرف معين خاص بموسى وهو التوجه تلقاء مدين؛ فهو يطلب هداية كاملة شاملة إلى طريق مدين؛ لأنه لا يعلم الطريق أبداً.

ولمقارنة هذه الآية (٢٢) من سورة القصص وهي قوله: ﴿عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ مع الآية (٢٤) من سورة الكهف، وهي قوله: ﴿عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ ارجع إلى سورة الكهف آية (٢٤).

[٢٣] ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخَ كَبِيرٌ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو استئنافية، لما ظرفية وزمانية بمعنى حين.

﴿وَرَدَ﴾: وصل أو جاء.

﴿مَاءَ مَدْيَنَ﴾: بئر كانوا يسقون منها مواشيهم وأنعامهم.



﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أَمَةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾: أمة جماعة، يسقون مواشيهم أو أنعامهم.

﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾: أي: بعيداً عن الماء (البئر) وعن الناس الذين يسقون امرأتين لوحدهما تنتظران الاقتراب من البئر.

﴿أَمْرَاتَيْنِ﴾: بنتا شعيب عليه السلام.

﴿تَذُودَانِ﴾: تمنعان ماشيتهما عن الشرب من الحوض لكثرة الزحام على الماء أو بالاختلاط بمواشي الآخرين والذود هو الطرد والدفع، أي: امرأتين تحبسان من كثرة الزحام من الاقتراب من البئر.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ قال: سألهما موسى: ما شأنكما؟ وفيه تعجب لماذا تمنعان الغنم من السقيا والشرب؟

والخطب: الأمر العظيم الذي يكثر فيه السؤال والجواب.

﴿قَالَتَا﴾: أي: بنتا شعيب.

﴿لَا نَسْقِي﴾ لا النافية، نسقي مواشينا.

﴿حَتَّى﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿يُصْدِرَ الرِّعَاءَ﴾: حتى ينتهي الرعاء من السقي.

يصدر الرعاء: ينصرف أو يرجع الرعاء والمنصرف عن الماء بعد السقاية يقال له صادر والقادم إلى الماء (البئر) للسقاية يقال له وارد.

والرعاء: جمع راع. اسم فاعل من فعل رعى.

﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾: شيخ لا يقوى على السقي لكبر سنه وضعفه، يعني:

نحن امرأتان لا نزاحم الرجال ولا نخالطهم حتى يتتهوا من سقي مواشيهم، ثم نسقي حين ينصرفون.

وانتبه إلى لفظ كلمة يُصْدِرُ الرَّعَاء: بضم الياء وكسر الدال؛ أي: حين يَرُدُّ الرَّعَاء غنمهم عن الماء، أما يَصْدُرُ الرَّعَاء بفتح الياء وضم الدال فتعني: يرجع الرَّعَاء عن الماء.

[٢٤] ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾:

﴿فَسَقَى﴾: الفاء تدل على المباشرة والتعقيب سقى لهما مواشيهما.

﴿ثُمَّ﴾: تدل على الترتيب الذكري، وليس التراخي في الزمن.

﴿تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾: ذهب وانصرف إلى الظل يدل على أنه كان يوماً حاراً، إلى ظل شجرة.

﴿فَقَالَ﴾: الفاء تدل على المباشرة، قال دعا ربه.

﴿رَبِّ﴾: اختار صفة الربوبية؛ لأنَّ الرَّبَّ هو الذي يطعم ويسقي ومدبر الأمر والرزاق، ولم يأت بياء النداء الدالة على البعد؛ لأنَّه يشعر أنَّ ربه قريب منه.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿لِمَا﴾: ما اسم موصول بمعنى الذي وأوسع شمولاً من الذي.

أنزلت إلي: سخرت إلي.

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ من بعضية خير أي: طعام.

﴿فَقِيرٌ﴾ يبدو أنَّ الجوع قد عصف به بعد رحلة طويلة شاقة بلا زاد فقد قيل: كان يأكل بقل الأرض وأنزل إليَّ من خيرك أي: سخر لي عبداً من عبادك يطعمني.

تصوّر، هذا موسى عليه السلام الذي قال تعالى عنه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١].

يُبتلى بقتل القبطي فيخرج من مصر هارباً إلى مدين بلا طعام ولا شراب،



ويعصف به الجوع فيقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وهذا يفسر قوله تعالى: ﴿وَفَنَّكَ فُنُونًا﴾ [طه: ٤٠].

[٢٥] ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾:

وبمجرد أن انتهى من الدعاء ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

﴿فَجَاءَتْهُ﴾: الفاء للمباشرة والتوكيد.

﴿إِحْدَاهُمَا﴾: البنت الصغيرة أو الكبيرة لم يصرح من هي، جاءته إحداها.

﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾: استحياء (مصدر من الفعل استحي) على وزن استفعال مجهدة نفسها على: تفيد الاستعلاء والمشقة؛ أي: على التزام الحياء أو كأن الحياء مركب أو سفينة، وهي متحكممة به تسير كيف تشاء، وقيل: كانت واضعة كم درعها على وجهها حياء، أو تمشي برفق وأدب، والاستحياء يظهر عليها، ولم يقل تمشي مستحية، وعلى استحياء أشد من مستحية، ومنهم من قال: على استحياء تعني: ليس فقط المشي، بل قد تعني القول أيضاً؛ أي: على استحياء في المشي والقول، والمعنى يحتمل كلا الأمرين.

﴿قَالَتْ﴾: لموسى.

﴿إِنَّكِ﴾: للتوكيد.

﴿أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ﴾: اللام لام التعليل، التوكيد إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للتعقيب، لما: أي: حين جاء موسى إلى شعيب.

﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾: القصص: مصدر يطلق على ما يروى من الأخبار؛ أي: فلما جاءه وقص عليه أخباره وحدثه بها، والقص: هو تتبع ما حدث بالفعل،



لا لبس فيه ولا خيال؛ أي: أصدق القصص، قص موسى ما حدث له في مصر بصدق وأمانة. ارجع إلى سورة يوسف آية (٣) لمزيد من البيان.

﴿قَالَ لَا تَخَفْ﴾ قال شعيب لموسى: لا: الناهية، أي: اطمئن واهداً.

والخوف: هو توقُّع الضرر المشكوك في حصوله..

﴿نَجَّوْتَنَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: أي: من قوم فرعون، الظالمين: المشركين

أو المجرمين - أي: لن يصلوا إليك...

[٢٦] ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَحِثَّ عَلَيَّ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾:

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأَبَتِ﴾: نداء فيه حنان وعطف واستعملت ياء النداء.

﴿اسْتَجِرْهُ﴾: اطلب منه أن يعمل لنا أجييراً كي يقوم مقامنا في السعي

وسقي الماشية.

﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾: إن: للتوكيد، أفضل من استأجرت.

﴿الْقَوِيُّ﴾: كيف عرفت أن موسى قوي أمين، قوي حين أزاح الصخرة التي

كانت على فتحة البئر ليسقي لهما ولا يقدر على إزاحتها عدة أشخاص.

﴿الْأَمِينُ﴾: حين سألها أن تسير خلفه وهي عائدة معه إلى أبيها، ولم يبدُ

منه أيُّ سوء.

[٢٧] ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيبٌ فَإِنْ

أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ

الصَّالِحِينَ﴾:

﴿قَالَ إِنِّي﴾: قال شعيب لموسى، إني: للتوكيد.

﴿أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ﴾: أريد أن أزوجك، أن: حرف مصدر يفيد التعليل

والتوكيد.



﴿إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾: هي سألت أبيها أن يستأجره فجاء الأب باقتراح أو حل آخر - وهو الأفضل - أن يتزوج موسى بإحداهما لكي يحل له الدخول والخروج والإقامة مع عائلته فلا حل إلا الزواج.

﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٍ﴾: حجج: جمع حجة: اسم للعام، وبادر شعيب بسؤال موسى عن ذلك فاستجاب موسى بالقبول بعد أن بين شعيب المهر أو الصداق لموسى وهو أن يعمل موسى أجيراً عند شعيب لمدة (٨) سنوات أو حجج على الأقل. ولماذا اختار كلمة حجج بدلاً من عام، أو سنة؟ انظر في نهاية الآية.

﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾: أراد شعيب أن يرفع من قيمة ابنته فقال فإن: شرطية تفيد الاحتمال والشك، أتممت عشراً: بدلاً من ثمانٍ، من عندك: أي: تفضلاً منك لا إلزاماً عليك.

أي: اختر ما شئت (٨) أو (١٠) حجج.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ﴾: ما النافية، أريد أن: للتوكيد.

﴿أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾: أي: بالعشر.

﴿سَتَجِدُنِي﴾: السَّيْنُ للاستقبال القريب.

﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال، من الصالحين: ارجع إلى (١٣٠) من سورة البقرة للبيان.

لماذا اختار كلمة ثمانٍ حجج بدلاً من سنة أو عام، الحج يتم مرة في العام فالحج ينوب عن كلمة عام وسنة.

واستعمل حججاً؛ لأن شعيب يعلم أن موسى عليه السلام سيعود إلى مصر، ولن يبقى في مدين فهو كالحاج الزائر لا بُدَّ أن يعود إلى بلاده، وقيل: إن موسى أتم العشر أبعد الأجلين.

[٢٨] ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾

﴿قَالَ﴾: موسى.

﴿ذَلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد، ويشير إلى العرض الذي عرضه عليه شعيب بالعمل له ثماني حجج، فإن أتم عشرًا فمن عنده وله الخيار.

﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾: أي: قبلت به.

﴿أَيَّمَا﴾: أيما مركبة من (أي + ما) أي شرطية هنا وليست استفهامية، وما: للتوكيد. كقوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠].

﴿الْأَجَلَيْنِ﴾: ثماني حجج أو عشر حجج.

﴿قَضَيْتُ﴾: أتممت ذلك فقد برئت من العهد.

﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾: الفاء للتوكيد، لا النافية، عدوان عليّ: لا حرج عليّ وليس لك أن تطالبني بزيادة على ذلك.

﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: أي: شهيد ورقيب وكاف، قيل: هذا من قول موسى، وقيل: هذا من قول شعيب، لا يهم من القائل المهم المقولة.

ومن الملاحظ أن الآيات لم تذكر شيئاً مما حدث لجوع موسى، وقد ذكر بعض المفسرين أن شعيباً قدّم لموسى الطعام فأبى موسى أن يأكل إذا كان الطعام مقابل ما سقى لهما فقال موسى: نحن قوم لا نبيع الآخرة بالدنيا، فقال شعيب: نحن من أهل بيت يطعمون الطعام ونقري الضيف وليس مقابل ما سقيت لنا، عندها أكل موسى عليه السلام.





سُورَةُ النُّجُومِ ٢٨

الْبُحْرَةُ الْخَمِيسَةُ



﴿٢٨﴾ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ
الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم
مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ
﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ
الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا
جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوِسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ
مِنَ الْأَمِينِ ﴿٣١﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرجُ بَيْضَاءَ مِنْ
غَيْرِ سَوَاءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ
بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا
قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ
أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا
فَارْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾
قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّدِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾

سورة القصص [الآيات ٢٩ - ٣٥]

[٢٩] ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء، لما: ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾: قضى: أتم، موسى الأجل: هو الوقت المضروب لانتهاء مدة الاستئجار أي: أتم موسى العمل عند شعيب عشر سنوات فهو قد قضى أقصى الأجلين.

﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾: سار: من السير أي: سار راجعاً إلى مصر من مدين، والسير قد يكون لغرض أو هدف وباتجاه معين، وأما المشي: هو مجرد الانتقال من مكانه وليس هناك هدف محدد له؛ بأهله: الباء للإلصاق، أهله: زوجته وابنه وتابعه، وتسمّى الزوجة الأهل؛ لأنها تقوم بكثير من المهام والأعمال تغني عن كثير من أهل الرجل.

﴿آنَسَ﴾: شعر وأحس بشيء يؤنسه ويريحه ويطمئنه ضد التوجس.

﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾: أي: رأى ناراً منبعثة من جانب الطور: الطور الجبل، ولكن الطور أقل حجماً من الجبل وهو طور سيناء، موسى رأى ناراً أي: ظنها ناراً، ولكنها في الحقيقة نورٌ يتلألأ من الشجرة الخضراء.

ارجع إلى سورة النمل آية (٨) للبيان.

﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾: قال موسى لأهله: امكثوا: انتظروا هنا.

﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾: إني: للتوكيد، أنست ناراً.



﴿لَعَلِّيَأْتِيَكُم مِّنْهَا بَخْبَرٍ﴾: لعلّي: فيها معنى الرجاء والأمل وعدم التيقن والجزم؛ لأنه غير متأكد فقد تنطفئ النار أو تخدم بينما لو قال: سأتيكم منها بخبر: تدل على الجزم والتأكد، فقد يبدأ الإنسان بكلمة لعلّي، ثم يتحول إلى الجزم أو بالعكس.

﴿بَخْبَرٍ﴾: لكونه ضل الطريق، وقيل: كانت ليلة باردة ممطرة وغير متأكد من الاتجاه، فهو بحاجة إلى من يدلّه على الطريق وبحاجة إلى شيء يتدفّؤون به من البرد القارس.

﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾: جمرة من النار وهو ما يبقى من الحطب المشتعل بعد أن يخدم اللهب، الجذوة جمرة تكون من دون لهب، أو الجذوة قد تكون قبساً أو غير قبس.

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: لعلكم من لعل للترجي والتعليل، تصطلون: من الاصطلاء، وهو الدنو من النار للدفع يقال: اصطلي، يصطلي إذا استدفا؛ أي: لعلكم تتدفّؤون.

ولو قارنا بعض هذه الآيات من سورة القصص مع بعض الآيات من سورة النمل تجد في سورة القصص: ﴿ءَأَنسَكُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ [آية: ٢٩]، في سورة النمل: ﴿إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا﴾ [آية: ٧].

في سورة القصص: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ [آية: ٢٩]، في سورة النمل: لم يقل امكثوا.

في سورة القصص: ﴿لَعَلِّيَأْتِيَكُم مِّنْهَا بَخْبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ﴾ [آية: ٢٩]، في سورة النمل: ﴿سَأَتِيَكُم مِّنْهَا بَخْبَرٍ أَوْ أَتِيَكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [آية: ٧].

في سورة القصص: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [آية: ٢٩]، في سورة النمل: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [آية: ٧].



هذه الاختلافات لا تدل على تناقض في أقوال موسى، وإنما هي أقوال قالها رداً على الحوار والأسئلة التي حدثت بينه وبين أهله في موقف واحد مثلاً قال: (سأتيكم منها بخبر)، قالوا: سنأتي معك، قال لهم: (امكثوا هنا)، قال: (سأتيكم منها بخبر) بكل تأكيد، ثم رجع عن قوله بالقول (لعلي)؛ لأنه غير متأكد، قال: (شهاب قبس) ملتبه، ثم قال: (إذا لم أجد أتيكم منها بجذوة)، فالله سبحانه ينقل لنا الصورة الحقيقية لما حدث في تلك الليلة. ارجع إلى سورة النمل، وسورة طه لمزيد من البيان والمقارنة.

[٣٠] ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، لما.

﴿أَتَاهَا﴾: من الإتيان، المجيء بسهولة، ولا زال في طريقه للوصول إلى المكان المقصود لم يصل بعد، ولم يقل: فلما جاءها: المجيء فيه صعوبة والمجيء أعم ويعني قد وصل إلى المكان المقصود.

والطريق إلى الطور قسم منه قد يكون سهلاً، وقسم قد يكون صعباً ووعراً.
﴿نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ﴾: من شاطئ الوادي الأيمن بالنسبة لموسى أو القادم إلى الطور. والشاطئ: اسم للبر الملاصق للبحر.
﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ﴾: البقعة: اسم للجزء من الأرض، وفي سورة طه آية (١٢) قال تعالى: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

﴿أَنْ يَمْوِسَى﴾: أن تفيد التوكيد واليقين.

﴿وَإِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿أَنَا اللَّهُ﴾: أنا: بصيغة المفرد للدلالة على التوحيد، الله: اسم العلم الدال على ذات الله العلية واجب الوجود، اسمه الجامع لكل صفاته وأسمائه الحسنی.



﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: رب بصيغة توحيد الربوبية والرب الخالق الرزاق والمدبر والمربي، فهو سبحانه جمع بين الألوهية والربوبية معاً واصفاً ذاته العلية قبل أن يوحى إلى موسى ما أوحى، وفي ذلك تثبيت لقلب موسى في ذلك المقام الرهيب.

ولو قارنا هذه الآية من سورة القصص مع آيات سورة النمل لوجدنا اختلافات أخرى مثل:

في سورة القصص: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا﴾ [آية: ٣٠]، في سورة النمل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾. في سورة القصص: ﴿ثُوْدِي مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَى﴾ [آية: ٣٠]، في سورة النمل: ﴿ثُوْدِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [آية: ٨].

في سورة القصص: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [آية: ٣٠]، في سورة النمل: ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آية: ٩].

تفسير ذلك: أتاها (وهو في طريقه لم يصل بعد): ﴿ثُوْدِي مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَى﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، ولما جاءها (وصل إلى النار): ﴿ثُوْدِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ⑧ يَمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

[٣١] ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾:

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾: وأن: تدل على البطء، وعدم التسرع، ورأينا هذا في سورة الأعراف الآية (١١٧): ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾، بينما في سورة النمل قال تعالى لموسى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ التي تدل على المباشرة في النداء بدون استعمال (أن).



﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، لما بمعنى حين.
 ﴿رَأَاهَا﴾: رأى العصا قد تحولت إلى حية تهتز كأنها جانٌ تتحرك كالجان
 أو حركة الجان، أي: بسرعة شديدة يمنة ويسرة.

﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾: انصرف راجعاً مولياً ظهره للحية.

﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: ولم يلتفت إلى الوراء.

﴿يَمْوِسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾: ناداه ربه: يا موسى ارجع ولا تخف من الحية،
 وكان ذلك في أول اختبار لموسى مع العصا حيث ظهرت عليه علامات الخوف،
 وولى هارباً كما رأينا في سورة طه آية (٢٠)، وسورة النمل آية (١٠).

﴿إِنَّكَ مِنَ الْأَمْنِيْنَ﴾: إِنَّكَ: للتوكيد. الأمنين: جمع آمن والأمنين جملة
 اسمية تفيد الثبوت، أي: أمان ثابت مستمر.

ولو قارنا هذه الآية من سورة القصص مع آيات سورة النمل؛ لوجدنا
 اختلافات أخرى مثل:

في سورة القصص: ﴿وَأَن أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [آية: ٣١]، في سورة النمل: ﴿وَأَلْقِ
 عَصَاكَ﴾ [آية: ١٠].

في سورة القصص: ﴿يَمْوِسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [آية: ٣١]، في سورة النمل:
 ﴿يَمْوِسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ [آية: ١٠].

في سورة القصص: ﴿وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمْنِيْنَ﴾ [آية: ٣١]، في سورة النمل:
 ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُلُونِ﴾ [آية: ١٠].

أحداث ومشاهد لموقف واحد. ارجع إلى سورة النمل وسورة طه للمزيد
 من البيان والمقارنة.

[٣٢] ﴿أَسْلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ



مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَٰلِكَ بُرْهَانُ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾

هذه آية أخرى إلى فرعون وملئه.

﴿أَسْلُكَ﴾: أدخل يدك في جيب قميصك (وهو الشق الذي يدخل معه الرأس في الثوب ليلبس) فتحة القميص العليا، والتي تكون للرقبة يدخل منها الرأس، وهكذا كان اللباس القديم. اسلك: أسهل من أدخل، واستعمل سلك؛ لأنه كان يعترى موسى الخوف، ولأنه يريد أن يخفف عنه، فقال: اسلك بدلاً من أدخل التي تدل على الصعوبة.

﴿تَخْرُجُ بَيضَاءَ﴾: بيضاء ناصعة منورة (وموسى أسمر اللون).

﴿مِنْ﴾: ابتدائية، غير سوء: من غير مرض مهما كان نوعه حتى لا يظن الناس أنها برص أو مرض أزال الله هذه الفرضية فقال: من غير سوء.

﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾: الجناح جناح الإنسان عضده وساعده، واضمم إليك جناحك (العضد والساعد) وهو الجناح إلى صدرك يذهب عنك الخوف وتعود يدك لا نور فيها أي: اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء هذا هو الجزء الأول.

﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾: (طرفك العلوي) إلى صدرك يختفي الرعب والخوف وتعود يدك إلى لونها العادي.

ولو قارنا هذه الآية من سورة القصص مع آيات سورة النمل لوجدنا اختلافات أخرى مثل:

في سورة القصص: ﴿أَسْلُكَ يَدَكَ﴾ [آية: ٣٢]، في سورة النمل: ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ [آية: ١٢]. ارجع إلى سورة النمل، وسورة طه لمزيد من البيان والمقارنة.

﴿فَذَٰلِكَ﴾: الفاء للتوكيد، ذاك: اسم إشارة للمثنى والكاف للخطاب إشارة على معجزتي العصا واليد، فذاذك تقرأ مخففة مثنى ذاك أو تقرأ مشددة مثنى ذلك.

﴿بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾: البرهان: الحُجَّةُ القاطعة هو أعلى درجات الإثبات، ويتضمن حسن عرض الحُجَّة، برهانان على قدرة الخالق الحق وعلى صدق نبوة موسى.

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾: ولم يقل: إلى فرعون وقومه؛ لأنَّ الملأ هم أشرف القوم وساداتهم؛ أي: المحيطون بفرعون هم الملأ وهم أقل دائرة أو أصغر بكثير من دائرة القوم التي هي أوسع؛ أي: أكثر عدداً، فإذا آمنوا هم بموسى أولاً فالقوم أتباع لرؤسائهم، فهم سيؤمنون كذلك ورؤية البرهانين يسهل تنفيذه أمام فرعون وملئه مقارنة بفرعون وقومه.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾: أي: فرعون وملئه كانوا فاسقين خارجين عن طاعة الله تعالى. الفاسقين: جملة اسمية تفيد الثبوت والاستمرار. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٦) لبيان معنى الفسق والفاسقين.

[٣٣] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾:

﴿قَالَ﴾: موسى.

﴿رَبِّ إِنِّي﴾: إني للتوكيد.

﴿قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾: أي: الذي وكره حين دخل المدينة على غفلة من أهلها منذ أكثر من عشر سنوات. ارجع إلى الآية (١٥) من نفس السورة فهو لا يزال يذكر ذلك ولا يزال خائفاً.

﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾: الفاء للتوكيد، أخاف: إذا رأوني، أن: حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد، يقتلون: أي: يقتصون مني فيقتلون، ولم يقل: يقتلوني؛ لأنَّ موسى قوي البنية ولا يتوقع أن يقتل، ولو كان ضعيفاً، ولا يستطيع أن يقاوم لقال: يقتلوني. ارجع إلى الآية (١٥٠) من سورة الأعراف للمقارنة.



[٣٤] ﴿وَإِخِي هَكَرُوتُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾:

﴿وَإِخِي هَكَرُوتُ هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾: أَيْسَنُ وَأَطْلُقُ مِنِّي لِسَانًا فِي الْكَلَامِ وَإِقَامَةُ الْحُجَّةِ وَالْبِرْهَانِ لِلدَّعْوَةِ وَتَبْيَانِ الْحَقِّ وَتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ.

﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾: الْفَاءُ لِلتَّوَكِيدِ وَالْمُبَاشَرَةِ، أَرْسَلَهُ: حَتَّى يَكُونَ مُعَاوَنًا مُسَاعِدًا لِي أَيْ: مُعِينًا لِي حِينَ أَذْهَبُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ، الرَّدْءُ الْمَعِينُ يُقَالُ: رَدَّاتِ الْحَائِطِ دَعْمَتُهُ بِخَشَبٍ أَوْ حِجَارَةٍ لئَلَّا يَسْقُطَ.

﴿يُصَدِّقُنِي﴾: لَا يَعْنِي أَنْ يَصْدُقَ أَخِيهِ، فَهَذَا لَا فَائِدَةَ مِنْهُ وَلَا يَقُولُ أَمَامَ الْمَلَأِ لِأَخِيهِ: صَدَقْتَ.

وَأِنَّمَا يَصْدُقُنِي يَعْنِي: يُوَضِّحُ وَيُبَيِّنُ مَا أَقُولُهُ لَهُمْ إِذَا احتاج الأمر ويجادل ويبلغ معي رسالتك.

﴿إِنِّي﴾: لِلتَّوَكِيدِ.

﴿أَخَافُ﴾: الْخَوْفُ: هُوَ الشَّعُورُ الَّذِي يَنْتَابُ النَّفْسَ مِنْ تَوَقُّعِ الضَّرَرِ أَوْ الْعِقَابِ الْمَشْكُوكِ فِي وَقُوعِهِ.

﴿أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾: حَذَفَ الْيَاءُ؛ لِأَنَّ هُنَاكَ مِنْ سَيَصْدُقُهُ وَأَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ السَّحَرَةَ آمَنُوا لَهُ، وَكَذَلِكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَمُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ وَامْرَأَتُ فِرْعَوْنَ وَلَوْ كَذَبَهُ الْكُلُّ لَقَالَ: أَخَافُ أَنْ يَكْذِبُونِي.

[٣٥] ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَجَعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّدِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعُكُمَا الْغَالِبُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: سَبَحَانَهُ لِمُوسَى.

﴿سَنَشُدُّ﴾: السَّيْنُ لِلْإِسْتِقْبَالِ الْقَرِيبِ.



﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾: العضد من الكتف إلى المرفق: وقوة اليد مستمدة من قوة العضد كلما قوي العضد تقوى اليد، وقوة اليد تعني الغلبة، فقوله تعالى: سنشد عضدك بعضد أخيك، أي: سنقويك أو سنعينك بأخيك هارون، الباء للإصاق والمصاحبة، وكلُّ مُعين يعتبر عَضُدًا، ولن نكتفي بذلك وسنؤيدك بآياتنا.

﴿وَجَعَلْ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾: هو الحجة القوية التي لا تدحض لقوة دلالتها، والسُّلطان هو إما سلطان الحُجَّة والبرهان أو سلطان القوة والقهر، والسُّلطان هنا يعني سلطان الحُجَّة والبرهان، أي: اذهبا بآياتنا اليد والعصا وغيرهما فهي سلطان لكما. فتكونا أنتما ومن اتبعكما الغالبيين.

﴿فَلَا﴾: الفاء للتوكيد، لا النافية.

﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾: بسوء أو أذى أو قتل، حين يرون تلك المعجزات يخافون أن يمسوكم بسوء.

﴿بِآيَاتِنَا﴾: الباء بآء السببية أو التعليل بآياتنا.

﴿أَنْتُمَا﴾: موسى وهارون.

﴿وَمَنْ أَتَّبَعَكُمَا﴾: من المؤمنين.

﴿الْغَالِبُونَ﴾: المنصورون الغالبون على عدوكم بالحُجَّة، كما قال تعالى:

﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ [الصافات: ١١٦].





سُورَةُ الْقَصَصِ ٢٨

الْبُرْجُ الْغَنِيَّةُ

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٍ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأَ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقَدْ لِي يَهْمَ مَنْ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَا أَظُنُّهُ مِنْ الْكَذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَأُسْتَكَبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾



سورة القصص [الآيات ٣٦ - ٤٣]

[٣٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للمباشرة، لما: ظرفية بمعنى حين.

﴿جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾: بالآيات التسع: العصا واليد، والسنين والطوفان، والجراد والقمل، والضفادع والدم، ونقص في الثمرات.

﴿قَالُوا مَا هَذَا﴾: ما: النافية، الهاء للتنبيه، وذا: اسم إشارة للقرب.

﴿إِلَّا﴾: حصراً.

﴿سِحْرٌ مُفْتَرًى﴾: سحر: ارجع إلى الآية (٥٨) من سورة طه.

﴿مُفْتَرًى﴾: مختلق كذب وليس آية أو بينة أي: سحر افتريته كسائر أنواع السحر؛ لأنه أثر في نفوسهم وكانت آيات خارقة للعادة، وكانوا يظنون كل شيء خارقاً للعادة سحراً أو يشبه السحر.

﴿وَمَا﴾: تكرار ما يفيد توكيد النفي.

﴿سَمِعْنَا بِهَذَا﴾: بالذي تدعونا إليه إلى عبادة الله وحده (أي: بالتوحيد)، والباء بهذا: للتوكيد.

﴿فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾: في ظرفية، أي: ما سمعنا أحداً من آبائنا على هذا



الذين أو يتكلم بما تقول فهم قد حاروا وضاعت بهم الحجج للإجابة على هذه الآيات إلا بزعمهم الكاذب أنها سحر أو أنهم ما سمعوا بهذا التوحيد الذي يدعوهم إليه من آبائهم.

[٣٧] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾:

قال موسى راداً على قولهم: ما هذا إلا سحر مفترئ، وما سمعنا بهذا في آبائنا، قال: ربي أعلم بمن جاء بالهدى.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾: بدلاً من القول قال موسى جاء بالواو: للتوكيد، على قول موسى: أنه الحق، وما زعم فرعون وملأه أنها سحر هو الباطل.

﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ﴾: لم يقل موسى ويعلن لهم أنا جئتكم بالحق وأنتم على ضلال أو أنا على حق وأنتم على باطل، وإنما قال: ربي أعلم بمن هو على الهدى، وبمن هو على الباطل، وهذا أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله، وخطاب الناس والحوار باللين والرحمة فهو أطلق القول وترك للعقول أن تميز وتختار ما تشاء، أعلم بمن: الباء للتوكيد، من: اسم موصول بمعنى الذي، ولم يقل: يعلم، بل قال: أعلم بصيغة المبالغة، جاء بالهدى من عنده؛ أي: من عند الرب فهو أعلم من هو المهتدي ومن جاء بالحق ولم يقل لهم: أنا جئت بالهدى مع العلم أنه جاء بالهدى من عند ربه، من عنده: ولم يقل: منه، من عند أخص وأقرب. ومنه تستعمل للشيء العام والهدى شيء خاص ومهم جداً، ولذلك استعمل من عنده وأحياناً يستعمل من لدنه.



﴿وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾: من: بمعنى الذي أنا أم أنتم، تكون له عاقبة الدَّار: الدَّار الآخرة أي: الجنة، فالدار الدنيا مزرعة للحسنات والسيئات والعاقبة إما الثواب أي: الجنة أو العقاب والعذاب.

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: إنه للتوكيد، لا يفلح: لا النافية، يفلح: لا يفوز بعاقبة الدَّار (الجنة) الظَّالِمُونَ: الكافرون أو المشركون، الظَّالِمُونَ: جملة اسمية تفيد الثبوت والاستمرار.

والظالمون: جمع ظالم والظالم كل من يخرج عن منهج الله يعتبر ظالماً لنفسه.

[٣٨] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيَّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيَّهَا الْمَلَأُ﴾: وقال فرعون: ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون. يا النداء، والهاء: للتنبيه، الملأ: أعيان القوم ورؤساؤهم وزعماءهم ممثلو الشعب. ارجع إلى سورة الشعراء آية (٣٤).

﴿مَا﴾: النافية.

﴿عَلِمْتُ لَكُمْ﴾: لكم تفيد الخاصة، اللام لام الاختصاص، والعلم هو اعتقاد فرعون الباطل أنه هو الإله وليس هناك إله آخر، ولم يقل: ما عرفت لكم. العلم يتعلق بالصفات أو الأوصاف والمعرفة بالذوات.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية للتوكيد.



﴿إِلَهٍ غَيْرِي﴾: معبود سواي.

﴿فَأَوْفِدَ لِي يَهْمَنُّ عَلَى الطِّينِ﴾: هامان: ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة للبيان.

أوقد لي يا هامان على الطين: أي: اصنع الأجر المشوي.

﴿فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾: أي: ابن لي قصرًا عاليًا أو برجًا عاليًا، وكما قال تعالى في سورة غافر آية (٣٦-٣٧): ﴿يَهْمَنُّ ابْنُ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦) ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾.

﴿لَعَلِّي أَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾: لعلّي للتعليل، وفيها معنى عدم التأكد وغير جازم لعلّي أصعد إليه أو أقف عليه وأنظر إلى إله موسى الذي يدعيه، وأراد بذلك القول بالتهكم والاستهزاء بموسى.

وقبل بناء الصرح وقبل أن يحاول أن يرى إله موسى حكم على موسى بأنه من الكاذبين.

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾: إني للتوكيد، لأظنه: اللام لزيادة التوكيد، أظنه: الظن هنا يعني اليقين أو الاعتقاد الراجح في عقل فرعون أن موسى من الكاذبين.

﴿مِنَ الْكَذِبِينَ﴾: من ابتدائية، الكاذبين: في قوله أن هناك إلهًا آخر غيري أو في إثباته أن هناك إلهًا غيره. والكاذبين: جملة اسمية تفيد الثبوت، أي: صفة الكذب ثابتة وملازمة لأقواله وأفعاله.

والسؤال: هل بنى هامان له الصرح؟ طبعًا لا، وإنما قال ذلك افتراء وسخرية



من موسى ليصرف أنظار الملأ عن موسى عليه السلام، وهو أي: فرعون يعلم أن له رباً خالقه وخالق غيره، ويعلم بصحة قول موسى عليه السلام، ولكن استكباره هو الذي منعه من تصديق موسى عليه السلام.

ولنقارن هذه الآية مع آية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صِرَاحًا عَلَيَّ أَتْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦) ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧].

في سورة القصص قال: وإني لأظنه من الكاذبين.

وفي سورة غافر قال: وإني لأظنه كاذباً، ما هو الفرق: من الكاذبين أقوى في التوكيد من كاذباً. لأنه طلب من هامان بناء الصرح أمام الملأ فأكد بقوله: من الكاذبين، أمّا في سورة غافر فحين طلب من هامان بناء السد لم يكن الملأ حاضراً.

طلب فرعون من هامان بناء الصرح يدل على مدى جهل فرعون بالله وصفاته، ودل على غباوته حيث ظن أن الله سبحانه في مكان ما وأنه يستطيع رؤيته من ذلك الصرح، ويدل على غباوة ملئه حيث كانوا يصدقونه فهو جاهل وهم أجهل منه؛ لأنه يستخف بعقولهم.

[٣٩] ﴿وَأَسْتَكْبَرَهُ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقَّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾:

﴿وَأَسْتَكْبَرَهُ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾: استكبر فرعون وجنوده في أرض



مصر من دون مبرر للكبر، استكبروا لأنهم ظنوا أنه لا بعث ولا حساب ولا عقاب، وأنهم لا يرجعون، والاستكبار هو إظهار عظم شأنهم فوق ما يستحقون. ﴿بَغْيًا لِّالْحَقِّ﴾: أي: بالباطل والإثم والعدوان، والقتل والفساد والظلم، وهل هناك استكبار بحق ربما مثلاً حين يستكبر إنسان ما لحماية الضعيف أو يفعل ذلك لكف ظالم عن ظلمه، والاستكبار الحق لله تعالى وحده.

﴿وَطَنُوا﴾: فرعون وجنوده، من الظن: والظن هو الاعتقاد أو الظن الراجح. المبني على الباطل ومن دون دليل وبرهان.

﴿أَنَّهُمْ إِلَيْنَا﴾: أنهم للتوكيد، إلينا: تقديم إلينا للحصر، إلينا وحدنا.

﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾: لا النافية، يرجعون: للمحاسبة ونيل العقاب، يرجعون رغم أنوفهم وبغير إرادتهم (بعكس لا يرجعون بفتح الياء التي تدل على إرادة الرجعة إلى الله من دون إكراه، أي: برغبة).

[٤٠] ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ﴾: الفاء للتوكيد، أخذناه: الأخذ يعني: الانتقام بشدة وبقوة؛ أي: بالغرق أهلكناه وجنوده أي: الأخذ شمل الجميع فرعون وجنوده.

﴿فَنَبَذْنَاهُمْ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، النبذ: هو إلقاء الشيء، استهانة به واستغناء عنه؛ لأنه ليس له أهمية؛ أي: أغرقناهم.

﴿فِي الْيَمِّ﴾: في البحر.



﴿فَانْظُرْ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، انظر نظرة قلبية فكرية.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام والتعجب.

﴿كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾: حين يذكر العاقبة في القرآن يعني:

العذاب بأن يقول كان عاقبة، وحين يؤنث العاقبة بأن يقول كانت عاقبة يعني: حسن العاقبة أو الجنة، الظالمين: المشركين الكافرين، الظالمين: جملة اسمية تفيد الثبوت. جمع ظالم والظالم هو كل من خرج عن منهج الله.

[٤١] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصُرُونَ﴾:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾: أي: في الدنيا قادة في الكفر أو قدوة أو دعاة أي:

فرعون وملأه، أئمة: جمع إمام وهو من يؤتم به. وعادة يكون إماماً في الخير ويدعو إلى الحق، وليس إماماً في الشر ويدعو إلى الباطل والضلال.

﴿يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ﴾: أي: الرؤساء يدعون أولياءهم أو أتباعهم

ليسلخوا طريقهم في الكفر والشرك والمعاصي، أي: هم أئمة ودعاة إلى النار في الدنيا، وهذه الإمامة سوف تستمر في الآخرة كما قال تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ

الْقِيَمَةِ فَأُورَدَهُمُ النَّارَ﴾ [مرد: ٩٨].

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصُرُونَ﴾: لا يجدون ولياً ولا نصيراً، ينصرهم أو

يمنعهم من العذاب أو يحميهم أو يدافع عنهم.

[٤٢] ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾:

﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: أي: طردناهم وأبعدناهم عن رحمتنا



في الدنيا فانتهى بهم الأمر إلى الغرق، وأتبعناهم قد تعني كل من جاء خلفهم
لعنهم في هذه الدنيا، لعنة باقية دائمة.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ﴾: للتوكيد، من المقبوحين: المطرودين أيضاً عن
رحمة الله في الآخرة ومأواهم جهنم وبئس المصير، إذاً أتبعناهم في هذه الدنيا
لعنة ولعنة أخرى يوم القيامة.

﴿مِنَ الْمُقْبُوحِينَ﴾: جمع مقبوح ومبعد مطرود عن الخير أو رحمة الله، وقد
تعني مشوهين الخلقة. كقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]. وانظر إلى مجيء الجملة الفعلية
(واتبعناهم) ثم مجيء الجملة الاسمية بعدها (من المقبوحين) للدلالة على أن
اللعة انتهت بهم إلى الغرق، وأما القبح الذي سيحصل لهم يوم القيامة سيكون
دائماً ثابتاً لا يزول.

[٤٣] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ
لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، قد: للتحقيق.

﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: آتينا: ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة
لمعرفة معنى الإيتاء والعطاء، الكتاب: التوراة.

﴿مِنْ بَعْدِ﴾: من ابتدائية، وتعني: القرب.

﴿مَّا﴾: النافية.



﴿أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾: قوم نوح وعاد وثمود ومدين ولوط.

﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾: جمع بصيرة؛ أي: البينات والآيات الكاملة العلم والمعرفة التي توضح أو تميز الحق من الباطل، والخطأ من الصواب، والرشاد من الغي؛ أي: كتاب التّوراة فيه بصائر لبني إسرائيل، وليس بصيرة واحدة، يبصرون فيه كلّ ما يحتاجونه في أمور دينهم ودنياهم؛ أي: وفيه آيات واضحة دالة على وجود الخالق الحق ووحدانيته وربوبيته وأسمائه وصفاته. ارجع إلى سورة الجاثية آية (٢٠) لمزيد من البيان في معنى بصائر.

﴿وَهْدًى﴾: مصدر هداية، يهدي للحق وللغاية.

﴿وَرَحْمَةً﴾: وقاية من الوقوع في المعاصي أو لدفع الضرر وجلب ما يسر.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: لعلّ للتعليل، يتذكرون: أي: لعلهم لا ينسون ما أنزل عليهم في التّوراة من المنهج والعمل بها وعدم الغفلة عن الأوامر والنّواهي والأحكام.





سورة القصص ٢٨

البقرة العنبر

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ
مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ
الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ
الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا
رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا
لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ
مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَفْرٍ
﴿٤٨﴾ قُلْ فَاتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾



سورة القصص [الآيات ٤٤ - ٥٠]

[٤٤] ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾:

﴿وَمَا كُنْتَ﴾: ما النافية، كنت يا رسول الله ﷺ حاضراً (ولو مجرد الحضور).

﴿بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾: من البقعة المباركة من الشجرة بجانب الطور الغربي الذي تم فيه الميقات.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمني للماضي. بمعنى حين.

﴿قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾: قضى بمعنى أمرنا أو أعلمنا موسى، أي: كلمنا موسى بالرسالة وبالذهاب إلى فرعون وملئه ودعوتهم للإيمان، ومن معاني قضى: حتم، أمر، صنع، حكم، أعلم، انتهى.

﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾: جمع شاهد والشاهد للشيء يعني: عالماً به، أي: لم تكن عالماً بما أمرنا موسى وأعلمناه، أي: لم تكن حاضراً ولا شاهداً حينما كلم الله سبحانه موسى، والفرق بين حاضر وشاهد فقد تكون حاضراً وغير متبته لما يحدث حوالياً أو مراقباً، وأمّا الشاهد فهو يعلم ما يحدث حوالياً ويراقب، وتكرار ما كنت لتأكيد النفي وفصل كل من الحضور والشهادة أو كلاهما معاً.



[٤٥] ﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا فُرُوقًا فَفَطَّأُولَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَنَلُّوْا عَلَيْهِمْ إِنِّبِتْنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾:

﴿وَلَكِنَّا﴾: الواو استثنائية، لكن: للاستدراك، والثون في لكنا: نون الجمع، نون التعظيم.

﴿أَنشَأْنَا فُرُوقًا فَفَطَّأُولَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾: الإنشاء هو الإيجاد والصنع وفيها معنى التكوين والنمو والتطور من بعد موسى، قروناً: عديدة وليس قرناً واحداً، جمع قرن والقرن: القوم الذي يعيشون في زمن واحد، والقرن يعادل (١٠٠) عام، فطأول عليهم العمر: أي: انقطع الوحي عنهم لأمد طويل أو طالت أعمارهم فنسوا العهود والشرائع التي جاء بها أنبياءهم.

انتبه هنا حدث حذف المستدرك بعد لكن، وهو فأرسلناك أو جئنا بك رسولا إلى كافة الناس بشيراً ونذيراً، وجاء بالسبب على إرسال الرسول محمد ﷺ بدلاً من المستدرك، فيكون تقدير الكلام: وما كنت بجانب الغربي وما كنت من الشاهدين، ولكننا أرسلناك إليهم كافة بعد أن تطاول انقطاع الوحي عنهم ونسيانهم العهود والشرائع التي جاء بها أنبياءهم من قبل، ثم ذكر تعالى استدراكين آخرين بعد ذلك فقال: وما كنت ثاوياً في أهل مدين وما كنت بجانب الطور إذ نادينا، وأوحينا إليك، أي: أعلمناك بما جرى لموسى في مدين، وبما جرى له بجانب الطور.

فأني لك العلم بذلك لأنك ما كنت ثاوياً في أهل مدين:

﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾: مقيماً. والثواء: الإقامة مع الاستقرار، والمثوى: مكان الإقامة.



﴿تَنَلُّوْا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾: أي: تقرأ عليهم آياتنا التي أخبرت بها عن النبي شعيب وما قال قوم شعيب وحدث لهم.

﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾: ولكننا أرسلناك وأخبرناك بقصتهم أو بما حدث لهم لتكون برهاناً ودليلاً على صدق نبوتك ورسالتك.

[٤٦] ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾:

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: ما كنت: ارجع إلى الآية (٤٤) السابقة. بجانب الطور: بجانب الجبل الذي كلمه الله سبحانه موسى، والطور: أقل من الجبل حجماً وارتفاعاً. إذ: ظرف للزمن الماضي بمعنى حين نادينا موسى، ولكن نحن أخبرناك بذلك، وأرسلناك وكلا الأمرين رحمة من ربك.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ﴾ السلام لام التعليل والتوكيد، قوماً ما (النافية)، أتاها من نذير أتاها: العرب أو أهل مكة.

﴿مِّن قَبْلِكَ﴾: أي: لم يرسل إليهم رسول من قبلك ينذرهم، وهذا هو الثابت، فلم يأت العرب رسول بعد إسماعيل إلا أنت لتنذرهم كما أنذر آبائهم. والإنذار: هو الإعلام مع التحذير.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: لعلهم: للتعليل، لعلهم يتذكرون ما أنذروا به ولا ينسونه مرة أخرى، ولعلهم يتذكرون ما حدث لموسى وفرعون وملئه والأقوام التي أهلكت من بعدهم ولا ينسون ذلك، فيؤمنون بالله ويتوبون إليه.



[٤٧] ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ﴾: الواو عاطفة، لولا: حرف امتناع لوجود، امتنع إنزال العذاب بهم لعدم إرسال رسول إليهم من قبلك ينذرهم ويحذرهم ويبين لهم ما هو مطلوب منهم.

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: الباء تعليلية، ما قدمت أيديهم: أي: ما قدمت أيديهم يؤهلهم لأن تصيبهم مصيبة إنزال العذاب بهم، ولكننا لم نفعل ذلك لأننا ما أرسلنا إليهم رسولاً، ولو عذبهم الله تعالى دون إرسال رسول إليهم لكانت حجة لهم لعدم إرسال الرسول.

﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ لولا: أداة حُصّ وتحريض وحث، أي: هلا أرسلت إلينا رسولاً يبين لنا المطلوب منا ويبين لنا الإيمان والتوحيد.

﴿فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾: أي: نؤمن بك ونعمل بهديك ونكون من المؤمنين، وقد قيل: لا عقوبة إلا بتجريم ولا تجريم (الشعراوي) وذكرته الكثير من القوانين الدولية؛ إلا بنص ولا نص إلا بإعلام، ولا يعذر أحد بالجهل بالقانون، ولا يُعفى من العقاب.

[٤٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مَثَلٌ مَّا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَّلَهُمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَفْرٍ مِنْهُمْ

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للتوكيد، لما: ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾: الرسول ﷺ الذي كانوا ينتظرونه؛ أي: هو ﷺ الحق لا غيره.

﴿قَالُوا﴾: أي: أهل مكة والمشركون الذين لم يأتهم رسول من قبلك كما



ادعوا على وجه التّعنت والاستكبار، وليكون حُجّة لهم على استمرارهم على الشّرك والكفر.

﴿لَوْلَا﴾: أداة حُضٍّ وحثٍّ.

﴿لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾: لولا أوتي محمد ﷺ مثل ما أوتي موسى من المعجزات والآيات الكثيرة كالعصا واليد والمن والسلوى وشق البحر أو التّوراة جملة واحدة.

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾: أو لم: استفهام إنكاري، والواو في أولم لزيادة إنكارهم بما أوتي موسى، لم: النّافية، يكفروا بما أوتي موسى في التّوراة في نعت وصفات محمد ﷺ، أو يكفر أمثالهم من اليهود بما أوتي موسى في تلك الآيات، ولم يؤمنوا بها.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في زمن موسى أو حين أخبر بعض مسلمي أهل الكتاب مشركي مكة أن نعت محمد ﷺ في التّوراة، فلم يؤمنوا به وقالوا: سحران تظاهرا.

﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَفْرٍ﴾: قالوا: أي: مشركو مكة ومن قبلهم قوم فرعون، قالوا: القرآن والتّوراة سحران تظاهرا: انتشرا وتعاليا وصدق كلّ منهما الآخر، وإنا بكل من القرآن والتّوراة كافرون أو بمحمد ﷺ جاء بسحر، وموسى جاء بسحر.

[٤٩] ﴿قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ أي: للكافرين بالقرآن والتّوراة. إن لم تؤمنوا وتصدّقوا بالقرآن والتّوراة.

﴿فَأْتُوا﴾: الفاء للتوكيد، أتوا: من الإتيان: أحضروا إليّ أو أنزلوا عليّ.



﴿بِكَتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾: بكتاب ثالث: الباء للإلصاق، كتاب نكرة، أي: كتاب على شرط أن يكون من عند الله أولاً.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾: الشرط الثاني أهدى من كلاهما كي أتبعه.

﴿أَتَّبَعُهُ﴾: أي: كي أتبعه وأدين به إن كان أبلغ وأهدى من القرآن إن كنت من الصادقين.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: إن: شرطية تستعمل للأمر المشكوك فيه؛ أي: صادقين أنهما سحران تظاهرا.

[٥٠] ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ
يَغْيِرْهُدَىٰ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء للتوكيد، إن: شرطية تفيد الشك والاحتمال والندرة، أي: يستجيبوا لك.

﴿لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾: يستجيبوا لطلبك بالإتيان بكتاب هو أهدى منهما ومن عند الله تعالى. وانتبه إلى كيف فصل بين فإن وبين لم في هذه الآية بينما جمع بين فإن وبين لم في سورة هود آية (١٤) فقال: ﴿فَإِلَّا لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾، وقيل في تفسير ذلك: أنه فصل بينهما؛ لأن المخاطب في آية القصص رسول الله ﷺ وحده ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾، والسياق في الإتيان بكتاب أهدى من القرآن والتوراة. وأما في آية هود المخاطب الجمع لقوله ﴿فَإِلَّا لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾، (ولم يقل لك)، والسياق في أمر واحد (١٠ آيات) وليس أو بين؛ فريما جمع بين فإن ولم فقال: فإلم لهذه الأسباب والله أعلم.

﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا﴾: الفاء للمباشرة، أنما: كافة ومكفوفة تفيد الحصر والتوكيد.



﴿تَبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾: جمع هوى، والهوى: ما تميل إليه النفس باطلاً وبلا دليل، وبعيد عن الحق، والهوى: يغلب عليه الذم، ويختص بالأداء والاعتقادات. ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾: من استفهامية بمعنى النفي، أي: لا أضل منه أحد، أو ليس هناك أشد ضلالاً ممن اتبع هواه.

﴿يَغْيِرْهُدَىٰ مِنَ اللَّهِ﴾: بغير حجة أو دليل من كتاب من الله تعالى أو رسوله ﷺ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: إن للتوكيد، لا يهدي: لا النافية لكل الأزمنة، يهدي القوم الظالمين: أي: هداية الإيمان والتقوى، أي: إن الله لا يهدي هؤلاء الذين اختاروا طريق الضلالة والشرك واستقاموا عليه وابتعدوا عن طريق الإيمان والتقوى بعيداً، ولم يتوبوا ونيبوا إلى الله فلا تتوقع أن يهديهم الله سبحانه بعد أن ضلوا ضلالاً بعيداً. ارجع إلى سورة الجمعة آية (٥) لمزيد من البيان.





سُورَةُ الْقَصَصِ ٢٨

الْبَيْتُ الْخَامِسُونَ

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ
ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا بُتِلَ عَلَيْهِمْ
قَالُوا أَمَانَاهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾
أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ
السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ
أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ
اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن
نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُخَاطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ
حَرَمَاءَ آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِ
بَطَرْتَ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ
إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ
الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَارِ سُورًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَتِنَا وَمَا
كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾



سورة القصص [الآيات ٥١ - ٥٩]

[٥١] ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق، وصلنا: بالتشديد وهناك من قرأها بالتخفيف أي: ربطنا آيات القرآن بعضها ببعض، أو أنزلناه بشكل متواصل بلا انقطاع يتبع بعضه بعضاً على مدة (٢٣) عاماً.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص قريش والعرب.

﴿الْقَوْلَ﴾: القرآن. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (٦٨) لمزيد من البيان في معنى القول.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: للتعليل. الضمير يعود على قريش أو أهل الكتاب.

﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتعظون ويتذكرون فلا ينسون، ولعل تكرر التذكير لهم يفيدهم فيؤمنون ويصدقون بربهم. يتذكرون، ولم يقل تتذكرون، بقاء واحدة؛ لأنهم لا يحتاجون إلى طول تذكر (زمن أطول) لاتباع أو تذكر ما أنزل إليهم من ربهم؛ لأننا أنزلنا القرآن يتبع بعضه بعضاً بشكل متواصل.

[٥٢] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: الذين اسم موصول، آتيناهم الكتاب: (أي: اليهود والنصارى) كتاب التوراة والإنجيل من الذين عاصروا رسول الله ﷺ.

﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾: أي: من تفيد الزمن القريب، قبله: تعود إلى القرآن أي: من قبل نزوله.



﴿هُم بِهِ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد، هم: أمثال عبد الله بن سلام وغيره ممن أسلم من أهل الكتاب، به: بالقرآن أو بمحمد ﷺ أو كلاهما فمن يؤمن بأحدهما يؤمن بالآخر.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون به لكونه مطابقاً لما ذكر في كتبهم التوراة والإنجيل.

[٥٣] ﴿وَإِذْ أُنزِلَ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زمني، يتضمن معنى الشرط ويفيد الحتمية.

﴿يُنَزَّلُ﴾: يقرأ القرآن عليهم أي: على المؤمنين من أهل الكتاب، وهناك فرق بين التلاوة والقراءة التلاوة من القرآن فقط ولها أجر كل حرف بعشر حسنة والتلاوة تعني: قراءة الآية تلو الأخرى؛ يتلى عليهم بشكل متجدد ومتكرر.

﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾: أعلنوا إيمانهم وتصديقهم بالقرآن وبما أنزل فيه، ولم يقولوا به آمنا تقديم به يفيد الحصر؛ لأنه عليهم أن يؤمنوا بالقرآن وباللله وبرسوله وكتبه.

﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾: إنّه: للتوكيد وتعود على القرآن وعلى محمد ﷺ، الحق: أي: الوحي الأمر الثابت الذي لا يتغير المنزل من الله تعالى.

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ﴾: إننا: للتوكيد والمدح من قبل نزول القرآن أو من قبل مجيء رسول الله ﷺ وقد تعني كلا الأمرين.

﴿مُسْلِمِينَ﴾: لله وحده ومخلصين موحدين ومسلمين: جملة اسمية تدل على الثبوت.

[٥٤] ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد وتشير على مؤمني أهل الكتاب الذين آمنوا بالقرآن وبما أنزل على محمد ﷺ ويؤمنون بما أنزل إليهم من التوراة والإنجيل.

﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: الإيتاء هو العطاء. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

الأجر: مقابل العمل الأجر: الثواب، مرتين: أي: أجرهم مضاعف؛ لأنهم آمنوا بما أنزل إليهم وآمنوا بالقرآن، أو لأنهم آمنوا بموسى وبمحمد عليهم السلام.

﴿بِمَا صَبَرُوا﴾: الباء للإلصاق أو السببية، صبروا: على إيداء قومهم وعلى طاعة ربهم وإيمانهم.

﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾: الدَّرء: الدَّفْع بسرعة أي: لا ينتظرون زمناً طويلاً بعد فعل السيئة حتى يفعلوا الحسنة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، ويكون ذلك بالتوبة والإنابة إلى الله بسرعة، أما الفرق بين الدَّفْع والدَّرء فهو: أن الدَّفْع يكون بقوة وشدة، والدَّرء يكون بسرعة.

ويدرءون بالحسنة السيئة قد تعني: يقابلون المسيء إليهم بالقول الحميد والعمل الصالح ولا يقابلون السيئة بالسيئة.

ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) لمزيد من البيان في معنى الحسنة.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾: من بعضية أي: من بعض ما رزقناهم، ينفقون: بالصدقات والزكاة والإنفاق على أعمال الخير، ومما رزقناهم ينفقون أوسع



وأشمل من القول ويؤتون الزكاة، يؤتون الزكاة تنطوي تحت آية ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾: وبصيغة المضارع لتدل على التجدد والاستمرار.

[٥٥] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾:

لا زالت الآيات تتحدث عن مؤمني أهل الكتاب وغيرهم من المؤمنين (العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب).

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني للماضي والحاضر والاستقبال وشرطية تفيد حتمية وقوع ما بعدها؛ أي: تستعمل للشيء المحقق حدوثه.

﴿سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾: سمعوا الكلام السقط الذي لا فائدة منه، واللغو: السبب والشتم والكلام السيئ القبيح.

ارجع إلى سورة المؤمنون آية (٣) لبيان معنى اللغو.

﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾: لم يصغوا إليه أو حاولوا تجنبه والابتعاد عنه.

﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾: أي: أعرضوا عنه ولم يشاركوا فيه، ولم يكتفوا بذلك وقالوا: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، أي: لا تزر وازرة وزر أخرى، أو لكم دينكم ولنا دين، أي: يتبرؤون مما يعمله الآخرون من الشرك أو اللغو أو الباطل أو الكلام المحرم.

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾: سلام توديع ومفارقة وليس سلام تحية، سلام عليكم: لأصحاب اللغو كقول إبراهيم لأزر: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ [مريم: ٤٧]، لا نبتغي الجاهلين: لا النافية، أي: لا نريد صحبتهم ولا الجلوس إليهم أو الاستماع إلى لغوهم، ولا نريد أن نكون من أمثالهم فنكون من



الجاهلين، أي: أصحاب السّفه والطّيش. ارجع إلى سورة الفرقان آية (٦٣) لبيان معنى الجاهلين، وارجع إلى سورة الزمر آية (٦٤).

[٥٦] ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾:

أسباب النزول: كما في الصحيحين، وأجمع المفسرون أنّ هذه الآية نزلت في أبي طالب عم الرسول ﷺ حين طلب منه ﷺ أن يشهد أن لا إله إلا الله فلم يفعل أبو طالب، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السّبب.

﴿إِنَّكَ﴾: للتوكيد والمخاطب رسول الله ﷺ.

﴿لَا تَهْدِي﴾: لا النّافية، تهدي: هداية الدّخول في الإسلام والشّهادة، هداية الإيمان والتّوفيق، أي: الهداية الخاصة، أمّا هداية الدّلالة والإرشاد فهذه يمكن القيام بها، مثلاً: تدلّ إنسان على الإسلام وتبيّن له محاسنه ومكارمه وشروطه، ولكن لا تستطيع أن تدخله في الإسلام هذا بيد الله تعالى. إذن هداية التّوفيق بيد الله تعالى، وهداية الدّلالة والإرشاد فهذه بيد الرسول ﷺ وغيره من المؤمنين؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾: من: ابتدائية، أحببت إشارة إلى أن النّبي ﷺ يحب عمّه أبا طالب، أي: لا تهدي من أحببت هدايته رغم أنك تحبه.

﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف استدراك للتوكيد.

﴿اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: يهدي هداية التّوفيق والمعونة الهداية خاصة من استغراقية كلّ من يشاء.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾: وهو للتوكيد أعلم على وزن أفعل، بالمهتدين من خلقه في الماضي والحاضر والمستقبل.



لنقارن هذه الآية (٥٦) من سورة القصص والآية (٥٢) من سورة الشورى وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: الآية في سورة القصص تتحدث عن الهداية الخاصة هداية الدخول في الإسلام والآية في سورة الشورى تتحدث عن الهداية العامة، والدعوة إلى التعريف بالإسلام والتبليغ. ارجع إلى سورة الشورى آية (٥٢) لمزيد من البيان.

[٥٧] ﴿وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أََرْضِنَا أَوْ لَمْ تُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبِّئْ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: أي: ناس من قريش كما قال ابن عباس.

﴿إِن تَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال والشك؛ أي: تستعمل في الأمر المشكوك في حدوثه. تتبع الهدى معك: إن دخلنا في دينك وآمنا بك واتبعناك وخالفنا العرب ونحن قلة.

﴿نُنْخِطِفُ مِنْ أََرْضِنَا﴾: ولم يقولوا نخطف من أرضنا، وإنما نتخطف مبالغة في الخطف، والتخطف: الانتزاع بسرعة؛ أي: نخاف أن نتزع بسرعة من أرضنا وندخل في حرب مع أعدائك، وقد نُقتل أو نؤسر، وهذا مجرد ظن وحجة لعدم إسلامهم وعذر باطل؛ لأننا مكنا لهم حرماً آمناً، ويدل على شدة خوفهم من الهلاك أو الأسر. من أرضنا: من مكة.

﴿أَوْ لَمْ تُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾: أو لم استفهام للإنكار عليهم والتقرير، والواو للتوكيد، نمكن: من التمكين ويعني الاستخلاف والحكم والقدرة على ممارسة شعائر الدين والأمن والغنى في مكة، كقوله تعالى: ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾: الحرم المكي، ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

﴿يُجَبِّئْ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: يجبئ: من جبال الماء أي: جمعه، تحمل

إليه وتجمع فيه كل أنواع الثمار من سائر البلدان وكل أصناف الطعام والشراب والرزق والمتاع، وتقديم إليه يفيد الحصر.

﴿رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾: رزقاً خاصاً من عند الله، من لدنا ولم يقل رزقاً منا؛ لأن هذا الرزق رزق عام.

﴿وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لكن للاستدراك والتوكيد، أكثرهم قريش وغيرهم، لا يعلمون: أن الرزق والأمن والقتل والموت والحياة كله بيد الله ومن عند الله، ولو علموا ذلك لما خافوا الفقر والتخطف، ولما قالوا ذلك ولكن علتهم الجهل بعظمة الله والشرك. وهناك القلة الذين يعلمون ذلك.

[٥٨] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَإِنَّكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكِنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾: الواو استئنافية، وكم هنا هي كم الخبرية وتفيد الكثرة، أي: كثير من القرى أهلكناها والقرية تعني: البنيان وأهل القرية معاً.

﴿مِن قَرْيَةٍ﴾: من ابتدائية.

﴿بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾: أي: كفرت بأنعم الله، والبطر: قيل: هو سوء استعمال النعمة وعلى رأسها عدم شكر المنعم أو استعمال النعمة في معصية الله، أو أن يرى النعمة أقل من مستواه أو تتجبر أو تتكبر على النعمة فلا ترضى بها، وتطلب أعلى منها، والبطر: يشمل التبذير والتّمرّد والطّغيان، والأكل من رزق الله وعبادة غيره.

﴿فَإِنَّكَ مَسْكِنُهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، تلك: اسم إشارة واللام للبعد، مساكنهم: منازلهم.

﴿لَمْ تُسْكِنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾: لأنهم لم يخلفهم أحد بعد هلاكهم من ولد



ولم يتركوا أحداً يسكن فيها، إلا أداة حصر قليلاً؛ أي: المسافرون ومازاً الطريق كما قال ابن عباس.

﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾: نحن ضمير منفصل يفيد التوكيد، الوارثين: أي: لم يتركوا من يرثهم وكنا نحن الوارثين بقيت مهجورة وخراباً.

[٥٩] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾: ما النافية، كان ربك: أي: من السنن الكونية الثابتة ما كان مهلك أهل قرية من القرى حتى يبعث فيها رسولا يتلو عليهم آيات الله، وهذا هو الشرط الأول، وأما الشرط الثاني: أن يكون أهلها ظالمين.

﴿مُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾: أي: مهلك أهلها. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٤) لبيان معنى الهلاك.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ﴾: البعث يكون لإحياء منهج موجود سابقاً وذلك ببعث رسول أو نبي، أممها: في العاصمة أو أم القرى، أو أعظم القرى. في أممها: ولم يقل: إلى أممها؛ فهذا يدل على البعث المتواصل، وأكثر من رسول أحياناً.

ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩) لبيان معنى البعث.

﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾: ولهدايتهم وتبيان ما أنزل الله تعالى إليهم ودعوتهم للإيمان؛ لإلزام الحجة وإقامتها عليهم وقطع المعذرة والإنذار بالهلاك.

﴿ءَايَاتِنَا﴾: الآيات التشريعية أو آيات الكتاب والآيات الكونية والمعجزات أو البينات وإضافة الآيات إليه: تشريف لها وتعظيم لقدرها.



﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ﴾: ما: النافية لكل الأزمنة. كنا: في الماضي والحاضر والمستقبل. مهلكي: حذف النون للإيغال في النفي بدلاً من مهلكون؛ أي: حال كونهم ظالمين، وتكرار ما يفيد تأكيد النفي. القرى: جمع قرية أي: أهلها. وقوله مهلك القرى، ثم قوله تعالى مهلكي القرى: تدل على التوكيد الشديد لن يهلك الله سبحانه قرية أو قومًا بظلم أبداً.

﴿إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ إلا: أداة حصر؛ أي: ما كنا مهلكي القرى في كل حال من الأحوال إلا في حال كونهم ظالمين، لم يقل: يظلمون: ظالمون أي: أصبح الظلم صفة ثابتة عندهم، يهلكهم حين يتمادون في ظلمهم ويستمررون عليه، ولا يتوبون، والظلم يعني: الشُّرك وفعل المعاصي والطغيان والكبائر، والخروج عن منهج الله تعالى. ولا ننسى قوله تعالى في سورة الأنعام آية (١٣١) ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾؛ أي: الإهلاك لا يقع مع الغفلة، بل لا بد أن يسبقه إرسال الرسل.

وقوله تعالى في سورة هود آية (١١٧): ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾؛ أي: الإهلاك لا يقع أبداً في حال كون أهل القرية مصلحين.





سورة القصص ٢٨

الجزء العشر

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ
 اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا
 فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ
 كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ
 الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا
 يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا
 لَهُمْ وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ
 فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعِمِيتَ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ
 يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ
 صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ
 يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۚ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ
 اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
 صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ
 الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾



سورة القصص [الآيات ٦٠ - ٧٠]

[٦٠] ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: ما شرطية، أوتيتم من الإيتاء وهو العطاء من دون تملك. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة للبيان والفرق بين الإيتاء والعطاء، من: استغراقية تشمل كل شيء، وشيء نكرة يشمل المال والأولاد والزينة والزخارف والأنعام والخيول المسومة والمركبات والحدائق والدور والقصور.

﴿فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: متاع: تعريفه كل ما ينتفع به ويرغب في اقتنائه، ويتمتع به من أثاث البيت والسلعة والأداة وهو متاع زائل.

﴿وَزَيَّنَّهَا﴾: الزينة تشمل المال والذهب والحلي والفضة والزينة الشيء الزائد عن الضروريات، أي: إن الدنيا وما فيها متاع وزينة كل ذلك زائل وفانٍ أو مجرد متاع وزينة مؤقتة وزائلة كقوله تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُنَّ زِينَةٌ﴾ [الحديد: ٢٠].

﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾: ما: اسم موصول تستعمل للشيء غير محدد من الرضوان ورؤية وجهه الكريم، وما عنده من جنات النعيم وما فيها من الطعام والشراب والفاكهة والزينة والقصور والحدائق (من نعيم الجنة)، خير وأبقى: أفضل ودائم لا ينقطع ولا ينفد ولا يزول ولا يقل.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري وتوبيخ على عدم التعقل وتعجب من ترك التفكير، ألا: أداة تحمل معنى التنبيه والحض وبمعنى الأمر



أي: اعقلوا، والفاء في أفلا: للتوكيد، تعقلون: لأن الإنسان إذا فكر وعقل وتذكر وتدبر فسوف يصل إلى الحقيقة، ومن عقل الشيء عرفه بدليله ومنهجه بأسبابه ونتائجه، أفلا تعقلون تفهمون وتدركون أن ما عند الله خير فاسعوا إليه قبل فوات الأوان.

لنقارن هذه الآية (٦٠) من سورة القصص مع الآية (٣٦) من سورة الشورى، وهي قوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَنْعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾:

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: استعمل الواو استئنافية.

﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: الفاء في سورة الشورى تفيد التعقيب.

في القصص: ذكر ثلاثة أمور بطرت معيشتها وزينتها، ثم ذكر زينة قارون ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ وانتهت الآية ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ لأن الآية في سياق قوم فرعون وقارون وأمثالهم.

في الشورى: لم يذكر الزينة على الإطلاق، لأن الآية في سياق الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، فهؤلاء ليس غايتهم زينة الحياة الدنيا.

[٦١] ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَنَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾:

﴿أَفَمَنْ﴾: الهمزة للاستفهام تفيد إنكار التسوية بين الذي وعدناه وعداً حسناً والذي هو يوم القيامة من المحضرين في العذاب.

﴿وَعَدْنَاهُ﴾: من الوعد والوعد يعني: بالخير إذا أطلق ولم يقيد، وإذا قيد قد يأتي في سياق الخير أو العذاب؛ أي: المؤمن الذي يعمل الصالحات.



﴿وَعَدًا حَسَنًا﴾: الوعد الحسن الوعد بالجنة.

﴿فَهُوَ لَقِيهِ﴾: الفاء للتوكيد، وهو للتوكيد أيضاً، لاقيه: مدركه حاصل عليه محققه.

﴿كُنْ﴾: الكاف للتشبيه، من اسم موصول بمعنى الذي وتفيد العاقل.

﴿مَنْعَنَهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: مُتَّعَ بشيء فانٍ وزائل أو يزول عن قريب أو متاع الغرور.

﴿ثُمَّ﴾: للبعد بين الوعدين الزائل الفاني والباقي الدائم، وقد تعني للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿هُوَ﴾: يفيد التوكيد.

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾: في العذاب وفي جهنم جمع مُحْضَرٍ مرغم على الحضور من قبل الملائكة تحضره للحساب والجزاء. وكلمة المحضرين لا تأتي إلا في سياق العذاب في كل القرآن، وكلمة من المحضرين تعني أيضاً لكي لا يظن أن بإمكانه الهرب.

[٦٢] ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾:

﴿وَيَوْمَ﴾: نكرة للتحويل والتعظيم (يوم القيامة).

﴿يُنَادِيهِمْ﴾: أي: الذين أشركوا بالله.

﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾: إضافة فيقول للتوكيد والاهتمام بما سيأتي خبره وكان بالإمكان حذفها والقول ويوم يناديهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون، أين: استفهام إنكاري للتوبيخ والتهمك، شركائي: من الأصنام أو الأوثان أو الطواغيت والملائكة وغيرهم.



﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذم.

﴿كُنْتُمْ﴾ في الدنيا.

﴿تَزْعُمُونَ﴾: أنهم شركائي لي، تزعمون: من الزعم وهو القول الذي ليس له دليل وأقرب إلى الباطل والكذب أو ادّعاء العلم، أو تزعمون أنهم سيشفعون لكم أو ينصرونكم أو يقربونكم إلى الله زلفى.

[٦٣] ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾:

﴿قَالَ الَّذِينَ﴾: أي: أئمة الضلال، الرؤساء أو المتبوعين الذين أضلوا غيرهم وأغووهم.

﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: أي: وجب وثبت لهم العذاب في المستقبل ولم يقع بعد.

﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ﴾: الهاء للتنبيه، أولاء: اسم إشارة للقرب، الآن يعترفون بربهم ويقولون: ربنا: نداء استعطاف.

﴿الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾: الذين اسم موصول، أغوينا: في الدنيا، أي: أضللناهم في العقيدة والدين، والفساد والعدول عن الحق. ارجع إلى سورة الحجر الآية (٤٢) للبيان، أغوينا.

﴿أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾: لنكون سواء في الخسران أغويناهم بالوسوسة والتزيين والضلال وليس بالقسر والقهر ولا فرق بين غيِّنا وغيِّهم هم غووا باختيارهم ونحن غوينا باختيارنا فنحن سواء.

﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾: تبرأنا إليك من عبادتهم وطاعتهم إيانا ومن أعمالهم وعقائدهم.

﴿مَا كَانُوا﴾: ما النافية، كانوا في الماضي.

﴿إِنَّا نَاعْبُدُونَ﴾: بل كانوا يعبدون أهواءهم ويقلّدون آباءهم.

[٦٤] ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾:

﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾: لينصروكم أو يدفعوا عنكم العذاب أو ينقذوكم من الدّل والخسران، والقصد من هذا السؤال هو التّوبيخ والتّقريع.

﴿فَدَعَوْهُمْ﴾: بالفعل نادوا عليهم فلم يستجيبوا.

﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾: بأعينهم فاشتدت حسرتهم وبرزت الجحيم للغاوين، وودّوا لو كانوا في الدّنيا مهتدين.

﴿لَوْ﴾: حرف شرط وتمنّ.

﴿أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾: أنّهم: أن للتوكيد، كانوا: في الدّنيا، يهتدون: أي: تمنوا لو اهتدوا ولو بعض الهداية، أو لو كانوا مسلمين كقوله تعالى: ﴿زُبَيْرًا يُدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].

[٦٥] ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (٦٢) للبيان.

﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾: استفهام وتقرير وتقريع ماذا كان جوابكم للرسّل الذين أرسلوا إليكم، عن التّوحيد ولا إله إلا الله وعبادة الله تعالى هل آمنتم به واتبعتموهم أم كذبتموهم وحاربتموهم، الغرض من تكرار هذه النداءات للتّوبيخ والتّقريع.



توبيخهم وتوبيخ الذين عبدوهم واتبعوهم من دون الله.

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: الرسل والأنبياء، ومن يكذب رسولا أو نبيا فكأنما كذب كل الرسل؛ لأن رسالتهم واحدة هي: ﴿يَنْقُورُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ﴾ [هود: ٥٠].

[٦٦] ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾:

﴿فَعَمِيَتْ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب، عميت: من عمى البصيرة لم يعد يستطيعوا التفكير أو يتذكروا، أي: حجة أو معذرة أو قول والتزموا السكوت.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾: أصلها عموا عن الأنباء؛ أي: لم يهتدوا إليها، لا بل أسوء من ذلك جعل الأنباء لا تهتدي إليهم؛ أي: كأن الأنباء لها أعين لا تبصر بها، فلذلك لا تهتدي إليهم للإشارة إلى شدة الموقف آنذاك.

﴿عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾: الحجج.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم العرض والحساب، يومئذ: ارجع إلى سورة الحاقة آية (١٥) للبيان.

﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾: لا يملكون إلا الصمت ولا يسأل بعضهم بعضا، ولا يدري ما يقول بعضهم لبعض؛ لأنهم علموا أنهم صالو الجحيم.

[٦٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَغَسَّيْنَا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾:

﴿فَأَمَّا مَنْ﴾: الفاء للتوكيد، أما: شرطية، من: ابتدائية.

﴿تَابَ﴾: من هؤلاء المشركين أو غيرهم في الدنيا ورجع عن ضلاله وشركه وكفره. ارجع إلى الآية (١٨) من سورة النساء لمعرفة التوبة أنواعها أركانها.



﴿وَأَمِنْ﴾: آمِن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: الفرائض والنوافل وغيرها من الباقيات الصالحات.
﴿فَعَسَى﴾: الفاء للتوكيد، عسى: أداة رجاء تسبق الرجاء الذي غالباً ما يحصل ويتم تحقيقه.

﴿أَنْ يَكُونَ﴾: أن حرف مصدر يفيد التعليل.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية.

﴿الْمُفْلِحِينَ﴾: الفائزين: بالجنة والناجين من النار.

ارجع إلى سورة البقرة آية (٥) للبيان.

[٦٨] ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

المناسبة: بعد ذكر المشركين وشركائهم وسؤالهم ليشفعوا لهم ولينصروهم يوم القيامة فلا يستجيبون لهم ويتبرؤون منهم وتعمى بصائرهم يوم القيامة فهم لا يتساءلون، وما يشاؤون ويختارون كله باطل لا وجود له، وما يشاء الله سبحانه ويختار هو الحق.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾: ما للعاقل وغير العاقل وما تستعمل للشيء غير المحدد، أي: تشمل كل شيء يخلق، ويختار ما يشاء وليس لأحد الأمر والاختيار فهو يخلق ما يشاء خلقه ومشيتته مقرونة بالحكمة فهو لا يخلق عبثاً.

الاختيار يكون من بين أشياء غير متشابهة، ولذلك لم يقل: يصطفي



(الاصطفاء من أشياء متشابهة) فهو يختار الرّسل ويختار الأنبياء والملائكة والرّسل ويختار من الشهور والأيام والليالي والجبال والأماكن ما يشاء.

﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾: ما: نافية، كما قال ابن عباس وأكثر المفسرين؛ أي: ما كان لهؤلاء المشركين ولا لأصنامهم حق الاختيار؛ لأنهم لا يخلقون شيئاً، ولا أصنامهم تخلق شيئاً، ولا تختار أيضاً، والله وحده له حق الاختيار المطلق، وليس لأحد غيره؛ لأنه هو الخالق وحده، ولكونه الحكيم لا يفعل إلا الصالح والأصلح، وهو الذي يحدد ما هو صالح أو أصلح، وليس نحن الذين نحدد؛ لأنه يعلم ونحن لا نعلم. الخيرة: تعني: الاختيار في شيء؛ الخيرة: اسم مصدر بمعنى: الاختيار.

﴿سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: التسبيح: تنزيه الله سبحانه من أي نقص، أو مشابهة المخلوقين وتعالى عن إشراكهم. ارجع إلى الآية (١) من سورة الحديد والآية (١) من سورة النحل لمزيد من البيان في معنى التسبيح.

[٦٩] ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾:

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا﴾: أي: كل شيء. ما: تشمل؟؟؟؟؟

﴿تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: من الكنّ وهو الإخفاء والكتمان، ما تكنّ صدورهم من الشرك والحقد والعداوة والكيد والنفاق.

﴿وَمَا﴾: اسم موصول، وتكرار ما للتوكيد، وفصل كلا الأمرين الإكنا والإعلان.

﴿يُعْلِنُونَ﴾: يقولون بالسنتهم ويظهرون من الأفعال ويعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون بشكل دائم ومستمر. وما يتكلمون في آن واحد، وبشكل جماعي.



[٧٠] ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾: هو للتوكيد، الله واجب الوجود المعبود الحق. الواحد الأحد...

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٥٥) من سورة البقرة للبيان.

﴿لَهُ﴾: له حصراً وقصراً.

﴿الْحَمْدُ فِي الْأُولَى﴾: أي: له الحمد في الدنيا؛ لأن كل ما في الدنيا هو خلقه ومن فضله وإنعامه من أرض وسماء وشمس وقمر وطعام وشراب وحياة وحركة وسكون، فكل ذلك يوجب الحمد المطلق الدائم حمداً دائماً.

ارجع إلى سورة الحمد آية (٢) لمزيد من البيان...

﴿وَالْآخِرَةِ﴾: وله الحمد في الآخرة على رحمته ولمغفرته وفضله وإحسانه للنجاة من النار والفوز بالجنة، نحمده على الآخرة، ونحن لا زلنا في الدنيا عسى أن يرحمنا ويكفر عنا سيئاتنا ويدخلنا مع الأبرار.

﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾: تكرر وله يفيد التوكيد والحصص والقصر، الحكم: فهو الحاكم المطلق فلا راد لحكمه ولا مبدل لحكمه في الدنيا ولا في الآخرة، وهو الحكم: العدل.

﴿وَإِلَيْهِ﴾: تقديم إليه يفيد أيضاً الحصر.

﴿تُرْجَعُونَ﴾: للحساب والجزاء، ترجعون إليه سبحانه بغير إرادتكم أو اختياركم قسراً.





سُورَةُ الْقَصَصِ ٢٨

الْبَيْتُ الْخَمِيسُ

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ
 مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى
 يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ
 فِيهِ أَمْ لَا تَبْصُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ
 وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
 ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ
 تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
 هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
 يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ إِنْ قَرُّونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَعَثَ
 عَلَيْهِمْ وَعَاءَ مَائِنَهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ
 أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ
 ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ
 نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ
 وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾



الْجُزْءُ
٤٠



سورة القصص [الآيات ٧١ - ٧٧]

[٧١] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ﴾:

المناسبة: ذكر هذه الآية والتي تليها دلائل أخرى على عظمته وقدرته الموجبة للعبادة والوحدانية.

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ.

﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: أي: أخبروني بشيء من العلم والتوكيد، الرؤية هنا رؤية قلبية فكرية ورؤية حقيقية بصرية.

﴿إِنْ جَعَلَ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال أو الأمر المشكوك في حدوثه؛ أي: على سبيل الافتراض، جعل: صير.

﴿اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾: سرمداً دائماً لا ينقطع، والسرمد دوام الزمان من ليل ونهار أي: الدائم المستمر الذي لا ينقطع، أي: جعل الليل دائماً بلا انقطاع أو من دون نهار على طوال حياتكم، واستمر ذلك إلى يوم القيامة.

وهذا يعني أنه لا تستقيم أي حياة على الأرض ولن يستطيع أي مخلوق أن يقاوم ذلك.

﴿مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ﴾: من استفهامية تفيد التوبيخ والتقرير فلما لا تعبدونه وتقرون بعظمته ووحدانيته، غير الله: سوى الله يأتيكم بضياء (نور أبيض + حرارة) صادر عن الشمس، أغلب أشعة الشمس مثل الأشعة السينية وفوق البنفسجية وتحت الحمراء، وغيرها من أشعة الشمس لا تصل إلينا بفضل



نطق الحماية حول الأرض، وما يصل إلينا هو حزمة من الأشعة تسمى حزمة الضوء المرئي التي هي عبارة عن ألوان الطيف السبعة (الأحمر والبنفسجي والأزرق والأخضر والنيلي والبرتقالي والأصفر) هذه الحزمة متى وصلت إلى الغلاف الغازي للأرض تمتزج بها فيطلع لنا النور الأبيض المسمى ضياءً.

وما يصدر عن القمر والكواكب المشابهة هو نور فالضوء أو الضياء يختلف عن النور، الضياء أو الضوء هو كل إضاءة صادرة عن مصدر مشتعل كالشمس أو النجوم أو نار ملتهبة، وإذا سقط هذا الضوء على جسم معتم كالقمر انعكس وأصبح نوراً، ولذلك يقول سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]، فالقمر لا يضيء، وإنما يعكس أشعة الشمس.

جواب الاستفهام محذوف، أي: لا أحد.

﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾: أفلا: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ على عدم السماع والتعجب من ترك السماع والفاء للتوكيد، ألا: أداة تنبيه وحض للاستماع والاستفادة بما نسمع من آيات ومواظ ووعيد، سماع فهم وتدبر وقبول وعمل بما نسمع وقوله: أفلا تسمعون، تعني: اسمعوا، واختار السمع لليل؛ لأن آلة السمع وهي الأذن لا تغلق وتبقى تسمع في الليل، أما العين في الليل بسبب الظلمة فتعطل ولا عمل لها، ولذلك لم يقل: أفلا تبصرون.

[٧٢] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾:

قدّم في الآية السابقة الليل على النهار؛ لأن الليل هو الأصل أو الظلام.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾: النهار: النهار في القرآن يعني: من طلوع

الشمس حتى غروبها، ويعادل (١٢) ساعة.

النَّهَار: اسم للضياء والحاصل من سقوط أشعة الشمس على الطبقة الغازية المحيطة بالأرض التي تجعلها تضيء.

ارجع إلى الآية (٦٧) من سورة يونس لبيان معنى النهار.

أَي: جعل الله عليكم النهار سرمدًا: أَي: مستمرًا دائماً بلا انقطاع؛ أَي: بلا ليل.

﴿تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾: من السَّكَن وهو الانقطاع عن الحركة أو الحد منها والراحة والنَّوْن في تسكنون للتوكيد، فيه ظرفية زمانية، أَي: خلال الليل. ولولا جعل الليل والنَّهَار (أَي: خلق الليل والنَّهَار) الضروريان لما استقامت الحياة على هذا الكوكب فأغلب الكائنات الحية لا تتحمل العيش في الظلام باستمرار ولا في النور باستمرار، فهذه الآية تبادل الليل والنَّهَار من أعظم الآيات الكونية الدالة على عظمة الخالق وقدرته ووحدانيته التي تشير أنه الإله الحق الذي يجب أن يطاع ويُعبد، وإذا نظرنا في الآية: نجد أنه سبحانه قيد الليل فقال: تسكنون فيه، بينما أطلق النهار (الضياء) ولم يقيد بصفة؛ لكثرة فوائده، وما يجري فيه من حركة وسعي، ولنعلم السنين والحساب.

﴿أَفَلَا﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿تُبْصِرُونَ﴾: من البصر والبصيرة، البصر يتم بالعين وهو الرؤية، والبصيرة الرؤية القلبية الفكرية وهي ناتجة عن تكامل العلم والمعرفة.

واختار العين وهي آلة البصر في النهار فقال: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ فيها حثٌّ وحُضٌّ على البصر في آيات الله وتأملها والنظر فيها بتدبُّر وفهم وعمل بما نبصر بتكرار وتجدد واستمرار، وليس مرة واحدة، تبصرون بصيغة المضارع لتجديد البصر والتفكير بآيات الله.



[٧٣] ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ. وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾: ومن: الواو: استثنائية؛ من: ابتدائية بعضية؛ أي: ومن آثار رحمته تعالى، والرحمة: هي جلب كل ما ينفع ودفع كل ما يضر.

﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: خلفه، يخلف كل منهما الآخر أي: يتعاقبان، لا الليل سابق النهار ولا النهار سابق الليل. وفي هذا إشارة إلى كروية الأرض ودورتها حول محورها، فالجزء المقابل للشمس والحاوي للغلاف الغازي حين تسقط عليه حزمة الضوء المرئي من أشعة الشمس (ألون الطيف السبعة) تضيء، ويبدأ النهار، وأما الجزء غير المقابل للشمس فيكون ليلاً، فتعاقب الليل والنهار من أكبر الآيات الكونية الدالة على عظمة الله تعالى ومقدرته الداعية للإيمان به وتوحيده.

﴿لَكُمُ﴾: اللام لام الاختصاص، خاص بكم وقدم الليل على النهار؛ لأنه هو الأصل (الظلام هو السائد والأصل في الكون) فالليل لتسكنوا فيه والنهار لتبتغوا من فضله.

والليل ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾: اللام لام التوكيد، تسكنوا فيه: ارجع إلى الآية (٧٢) السابقة.

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: واللام للتوكيد، تبتغوا من فضله: أي: تطلبوا وتبحثوا عن رزقكم، الفضل هو الزيادة على الاستحقاق، أي: لترتاحوا في الليل من التعب، ثم تعودوا في النهار لمزاولة أعمالكم بنشاط.

﴿وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: الواو: واو الجمع؛ أي: لعلكم تشكرون الله على هذه النعمة (نعمة الليل والنهار) وغيرها من النعم. لعلكم: للتعليل، تشكرون: المنعم

على نعمه التي لا تعدُّ ولا تحصى، ومنها اختلاف الليل والنهار، كقوله تعالى:

﴿جَعَلْ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧].

وإذا قارنا هذه الآية ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ والآية ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦].

سكنًا: جملة اسمية تدل على الثبوت ولتسكنوا فيه: جملة فعلية تدل على تكرار وتجدد هذه النعمة نعمة الجعل. أي: جعل نعمة الليل ثابتة وتجدد وتتكرر في نفس الوقت. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠) لمزيد من البيان في معنى الشكر.

[٧٤] ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾:

ارجع إلى الآية (٦٢) للبيان.

والسؤال هنا: لماذا كرر سبحانه النداء في الآية (٦٢) والآية (٦٥) والآية (٧٤).

- أولاً: هذا ليس تكراراً كما قد يظن البعض.

- فالآية (٦٢) هو نداء أو سؤال للذين أشركوا: يا حضار شركائهم، فكان الرد على النداء: فدعوهم فلم يستجيبوا لهم.

- والآية (٦٥) هو نداء أو سؤال للذين أشركوا: ماذا أجبت المرسلين فكان الرد: فعميت عليهم الأنباء فهم لا يتساءلون.

- والآية (٧٤) هو نداء وسؤال للذين أشركوا: هاتوا برهانكم على صدقكم، فكان الرد: وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ، أي: كان كل ذلك كذباً وافتراء على الله تعالى، كما سيرد في الآية.



[٧٥] ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾:

﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: نزعنا أخرجنا بشدة كقوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ﴾ [الشعراء: ٣٣].

﴿مِنْ كُلِّ﴾: من: استغراقية، كل: للتوكيد.

﴿أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: أي: رسولها أو نبيها الذي يشهد عليها بالتبليغ، أو ليكون شاهداً عليها كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءَ﴾ [الزمر: ٦٩].

﴿فَقُلْنَا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، قلنا بصيغة الجمع للتعظيم.

﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على أن لله شركاء أو أنداداً، مع العلم أن رسلي أُنذروكم أن لا تشركوا بي شيئاً.

والبرهان: هو الحجة القاطعة على صحة أن لله سبحانه شريكاً أو ولداً.

﴿فَعَلِمُوا﴾: والفاء للترتيب والمباشرة أي: علموا علم اليقين مباشرة آنذاك أن الحق: الحق هو الأمر الثابت الذي لا يتغير، أي: الألوهية لله وحده، أو هو الإله الواحد الأحد ولا إله إلا هو لا شريك له ولا ولد.

لله: اللام لام الاختصاص والملكية والاستحقاق.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾: ضل: غاب عنهم ولم يجدوا برهاناً ولا شريكاً ولا ولياً ولا نصيراً ينصرهم ولا يشفع لهم ولا يعترف بعبادتهم.

﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: ما اسم موصول تستعمل للشيء غير المحدد وتشمل غير العاقل والعاقل؛ تشمل أنواع الافتراء، يفترون: من الافتراء وهو اختلاق الكذب، ما كانوا يكذبون عمداً باطلاً في الدنيا، بأن لله شركاء وولداً أو ولياً أو صاحبة. يفترون بصيغة المضارع الدالة على التجدد والتكرار.

[٧٦] ﴿إِنْ قَرُّونَ كَأَنَّ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَأَيْنَهُ مِنَ الْكَؤُوزِ مَا إِنْ مَفَاتِحُهُ لِنُؤُأٍ بِالْعَصْبَةِ ۚ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۖ﴾

﴿إِنْ﴾: للتوكيد.

﴿قَرُّونَ﴾: قيل: هو ابن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب.

﴿كَأَنَّ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾: قيل: هو ابن عم موسى كما ذكر ابن عباس وقتادة وجريز وكثير من أهل العلم، وقال قتادة ومقاتل والكلبي: كان قارون أقرأ بني إسرائيل للتوراة، ولذلك قال: إنما أوتيته على علم عندي؛ أي: استحقاقاً لذلك، وقيل: علم الكيمياء؛ أي: من عشيرة موسى، من قوم موسى، أي: من بني إسرائيل، ولم يقل: من بني إسرائيل، واكتفى بالقول من قوم موسى، وهذا القول يعني أقرب بني إسرائيل إلى موسى، وكان من الغريب أن يكون جاحداً لنعم الله عليه وأن يكون مصيره أغرب من مصير فرعون، وقيل: إن فرعون أسند إليه الإمارة على بني إسرائيل.

﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾: على بني إسرائيل، البغي: هو أخذ حق الغير بقهر وقوة وتعسف أو بغى عليهم بسبب ماله وتجبر وتكبر، أي: ظلم وتجاوز الحد في الظلم، وأصبح عدواً لموسى وأتباعه.

﴿وَأَيْنَهُ مِنَ الْكَؤُوزِ﴾: جمع كنز وهو المال المدخر. من الذهب والفضة والمال...

﴿مَا إِنْ مَفَاتِحُهُ لِنُؤُأٍ بِالْعَصْبَةِ ۚ أُولَى الْقُوَّةِ﴾: ما إن: اسم موصول بمعنى الذي، إن: للتوكيد.

مفاتيحه: مفردها مفتاح: أي: خزانة، ومفاتيحه: الخزائن المليئة بالكنوز وليس مفاتيحه تعني مفتاح؛ لأن مفتاح جمعها مفاتيح.



ومنهم من قال: مفتاح لها معنيان: مفاتيح خزائن، ومفتاح ما يُفتح به الباب باب الخزائن.

﴿لَنُنَوِّئَ﴾: اللام للتوكيد، من ناء الشيء ينوء: ثقل عليه.

﴿بِالْعَصْبَةِ﴾: الباء للإلصاق والمصاحبة، العصبه (١٠-٤٠ رجلاً) وقيل: من (٣-١٠) أفراد، والعصبه كلمة مشتقة من جماعة يتعصب بعضها لبعض لمبدأ من المبادئ ويُعين بعضهم بعضاً كأنهم يدٌ واحدة.

﴿أُولَى الْقُوَّةِ﴾: أصحاب القوة، إذن خزائن لا يقدر على حملها العصبه حوالي (١٠ أفراد) من أولي القوة أو يثقل عليهم حملها أو حمل مفاتيحها للدلالة على كثرتها.

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي بمعنى حين.

﴿قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ﴾: قومه من بني إسرائيل من المؤمنين منهم وليس من الفراعنة، لا النّاهية تفرح بأموالك، والفرح نوعان فرح بحق وفرح من دون حق. والفرح المذموم هو البطر، والمرح وهو شدة الفرح.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾: جمع فرح، من فرح: بطر، لا يحب البطرين. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٧٠) لبيان معنى الفرّح وأنوعه، وارجع إلى الآية (٥٨) من نفس السّورة لبيان معنى البطر.

[٧٧] ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَابْتَغِ﴾: اقصد، اطلب.

﴿فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾: أنفق وتصدق في سبيل الله مما أنعم الله



عليك من المال والخير الكثير، وتقرب إليه بذلك وبالشكر، فابتغ بها ما عند الله من الثواب والأجر والحسن، وابتغ الحلال في كل الأمور، وتجنب الحرام مثل التبذير والإسراف والبطر والمن.

﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾: استمتع بالحلال بما أنعمنا عليك وبما يرضاه الله فنحن لا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك فكل واشرب والبس واسكن واركب وعلى الموسع قدره.

أو المعنى: اعمل لآخرتك؛ لأن الدنيا مزرعة للآخرة ونصيبك في الآخرة ما عملته في الدنيا من الأعمال الصالحة أي: الحسنات، وقيل: لا تنس أن نصيبك من الدنيا هو الكفن الذي تخرج به، أو ما تأخذه إلى القبر، هذا هو نصيبك... إذن نصيبك من الدنيا ما تتمتع به من الحلال، أو ما فعلته من الحسنات.

﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾: أحسن إلى عباد الله بالصدقة والزكاة ومساعدة الفقير وإغاثة الملهوف، أنفق مما جعلك الله مستخلفاً فيه.

﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾: الفساد هنا يعني: إمساك حق الفقراء من الزكاة والصدقة؛ مما قد يؤدي إلى السرقة بسبب الجوع والفقر والجريمة، وبالتالي نشر الفساد، والظلم كذلك يعني: الفساد والبغي.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾: إن للتوكيد، الله لا يحب: لا النافية، المفسدين: جمع مفسد، وهو الذي يعمد إلى ما خلق الله تعالى فيحدث فيه تغييراً ليفسده، وأما إذا غيره ليحدث فيه إصلاحاً فلا مانع أو يتركه على حاله كما خلقه الله تعالى.

ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) لبيان معنى الفساد.





سورة القصص ٢٨

الجزء العشر

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ، عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي^٥ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ
مِنْ قَبْلِهِ^٦ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً^٧
وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ
فِي زِينَتِهِ^٨ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا
مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَدْ رَوْنَاهُ^٩ لَدُوْحَظٍ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ
وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا
بِهِ^{١٠} وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ، مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ، مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا
مَكَانَهُ، بِآلَاءِ مِسٍ يَقُولُونَ وَيَكَاثُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا^{١١}
وَيَكَاثُهُ، لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ، خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا
يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾



سورة القصص [الآيات ٧٨ - ٨٤]

[٧٨] ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۖ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾:

في هذه الآية يردُّ قارون على نصائح قومه له، فيقول:
﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة تفيد التوكيد.

﴿أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾: أوتيته بجهدِي وعلمي وكسبي أو معرفتي، قيل:
كان عالماً بالتَّوراة والتَّجارة وصناعة الذهب ولم ينسب أيَّ نعمة أو علم إلى فضل الله عليه، وكأنَّه يقول: الله أعطاني ذلك المال: لأنِّي أستحقُّه، قال ذلك بطراً والبطر الطغيان في النِّعمة وعدم شكرها.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَم﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والواو للتوكيد أو لم يعلم من قراءته للتَّوراة حيث كان يعلم التَّوراة أن الله أهلك الكثير من القرون من قبله.
﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: أن حرف مصدر يفيد التعليل.
﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق.

﴿أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ﴾: جمع قرن والقرن جماعة من النَّاس عاشوا في زمن واحد والقرن (١٠٠) سنة.
﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾: القوة هي القدرة التي يتمكن بها الحيُّ من مزاولة أفعاله.

﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾: للمال وأكثر جماعة وعدداً.
﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾: المجرمون هم الكافرون أو المشركون



والظالمون ومرتكبو الكبائر وكل من قطع كل روابطه بربه. ارجع إلى سورة الأنفال آية (٨) لبيان معنى المجرمون.

﴿وَلَا يَسْتَلْ عَنْ ذُنُوبِهِمْ﴾: لأن الله مطلع على ذنوبهم وأعمالهم فلا يحتاج إلى سؤالهم سؤال استفهام أو عتاب، وإنما قد يسألون سؤال توبيخ وتقريع أو تقرير، وقيل: القيامة مواطن يسألون في موطن دون موطن أو في حال دون حال. [٧٩] ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَرْوُنُ إِنَّهُ لَدُوْحَطٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ﴾: ولم يقل: فخرج إلى قومه.

﴿عَلَى﴾: تفيد الاستعلاء والتكبر، خرج على هيئة المتكبر أو المتعالي، وعادة تقول: خرجت إلى المسجد.

﴿فِي زِينَتِهِ﴾: في موكب عظيم يوم العيد والناس ينظرون إليه وهو يتقدم الموكب أو العرض وقيل: خرج معه عدد كبير من الجنود على خيولهم المزينة بالأرجوان.

﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: يرغبون الحياة الدنيا: أي: يتمنون الحياة الدنيا بزخارفها وزينتها وأموالها وعرضها ومتاعها، يريدون: بصيغة المضارع الدالة على التجدد والتكرار.

﴿يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَرْوُنُ﴾: يا ليت: أداة تمنّ تستعمل للأمر المستحيل حدوثها أو تحقيقها.

﴿مِثْلَ مَا﴾: ما اسم موصول بمعنى الذي ما أوسع شمولاً من الذي تشمل كل شيء...

﴿أُوتِيَ قَرْوُنُ﴾: الإيتاء هو العطاء - وهناك اختلاف بين الإيتاء والعطاء. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) للبيان...



﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿لَذُو﴾: اللام للتوكيد.

﴿حَظٌّ عَظِيمٌ﴾: نصيب وافر من المال والدنيا، أي: هو محظوظ.

والحظ يأتي غالباً في سياق الخير والنصيب يكون في المحبوب والمكروه...

[٨٠] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: العلم الشرعي أو المعرفة في الدين، ولم يخاطبهم بالذين آمنوا أو المتقين؛ لأنهم يمتازون بالإيمان والتقوى + العلم؛ أي: العلماء المتقون ومخاطبتهم بأولي العلم فيها مدح وثناء الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. خاطبوا أولئك الذين تطلعت قلوبهم إلى مال قارون.

﴿وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾: ويلكم من الويل: وهو العذاب. وتعني: الهلاك والدمار للذين يخالفون ويتجاوزون حدود الله.

﴿ثَوَابُ اللَّهِ﴾: أي: الجنة ورضوانه. وقدم ثواب الله على الإيمان والعمل الصالح للاهتمام؛ أي: التشويق للثواب، وتمكين الثواب في عقول السامعين.

﴿خَيْرٌ﴾: أفضل من الدنيا ومتاعها وزينتها.

﴿لِمَنْ﴾: اللام للتوكيد، من: اسم موصول بمعنى الذي.

﴿ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: ارجع إلى الآية (٦٧) من نفس السورة. وقدم ثواب الله على لمن وعمل صالحاً ليكون الثواب هو المطعم الحقيقي الذي يجب أن يتطلع إليه المرء.

﴿وَلَا﴾: لا النافية.



﴿يَلْقَاهَا﴾: يفهمها أو يلقاها يوفق لها ويُرزقها، أي: الجنة فهي المثوبة.

﴿إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾: إلا أداة حصر، الصابرون: عن المعصية وعلى ما أصابهم في سبيل الله من الفقر والبأساء والضراء، وعلى طاعة الله تعالى وتجنب نواهيه، أهل الإيمان الذين أصبح الصبر صفة ثابتة وراسخة فيهم.

[٨١] ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾:

﴿فَخَسَفْنَا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، خسفنا: جعلنا الأرض تنشق وتبتلع قارون وحاشيته، قيل: حدث بعد فترة من يوم خروجه في زيبته انتقاماً منه لكفره وبطره وكبريائه.

﴿بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾: أي: به وبكنوزه وخزائنه وممتلكاته، ولم يكتف بقول: به، بل زاد على ذلك وبداره وكل من شارك معه في البغي والإجرام.

﴿فَمَا﴾: الفاء للتوكيد ما النافية.

﴿كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ﴾: من بعضية، فئة نكرة، أي: جماعة يمنعونه من الهلاك بالخسف أو يدفعون عنه عذاب الله وينصرونه أو يشفعون له.

﴿وَمَا كَانَتْ﴾: تكرار ما يفيد توكيد النفي.

﴿مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾: من استغرافية، أي: لم يكن قادراً على أن ينجي نفسه من الخسف، أو ينقذها بأن يفتدي بكل ما لديه من مال ومتاع. أي: من الناجين من عذاب الله رغم قوته وجمعه، يقال: نصره من عدوه، أي: منعه منه.

[٨٢] ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ أَنَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَاذِبُ الْكَافِرُونَ﴾:

﴿وَأَصْبَحَ﴾: بمعنى صار ولا يقصد بها الزمان.

﴿الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ﴾: أي: الذين قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون.

﴿بِالْأَمْسِ﴾: أي: منذ زمن قريب ولا تعني البارحة. وهذا يدل على أن الخسف لم يحدث في نفس الزمن أو اليوم الذي تمنى به الذين تمنوا مكانه، فالخسف حدث بعد فترة زمنية.

﴿يَقُولُونَ وَيَكُنْ﴾: ويكأن مركبة من كلمتين وي + كأن، وي: اسم فعل مضارع بمعنى أعجب، ولها معنى كيف، فالمعنى (عجباً كيف).

﴿وَيَكُنْ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾: أي: عجباً كيف ييسط الله الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر أو تدل على الحسرة والندم على ما حدث منهم عندما تمنوا أن يكون لهم ما كان لقارون.

وبعد أن شاهدوا ما حدث لقارون من الخسف ندموا وعلموا أنهم أخطؤوا. أي: عجبوا كيف بسط الله الرزق لقارون بهذا الوسع، ثم خسف به وبداره الأرض.

﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾: (مثل قارون)، ويقدر؛ أي: يُضيق أو يقبض لو شاء عليه، ولكنه لم يفعل، ولكن خسف به الأرض، ولم يقل له؛ لأنه سبحانه لو شاء لفعل ذلك، ولكن خسف به الأرض؛ أي: عاقبه عقوبة أشد من التضيق، وحرمه من العيش ولو يوماً واحداً.

هذه الآية خاصة بقارون بسط الرزق له، ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر. ارجع إلى سورة سبأ آية (٣٦) و(٣٩) للمقارنة.

﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾: لولا شرطية، أن: حرف مصدري، يفيد التعليل، من الله علينا: رحمتنا ولم يعاقبنا ولم يصبنا مثل ما أصاب قارون، لخسف بنا: أي: الأرض كما خسف بقارون، والمن يكون في العطاء أو المنع وهو هنا بمنع وقوع الخسف بهم...

﴿وَيَكُنْهُمْ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ﴾: أي: وليس عجباً، لا يفلح الكافرون: أمثال قارون أو ليس عجباً كيف لا يفوز الكافرون بالنجاة من النار ويدخلون الجنة.



[٨٣] ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد يفيد التعظيم، ويشير إلى الجنة أو دار الآخرة.

﴿نَجْعُهَا لِلَّذِينَ﴾: فجعلها دار الخلد، للذين اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾: علوًّا على عباد الله بالتكبر والظلم والبغي: كلُّ علوٍّ فساد، وليس كلُّ فساد علوًّا.

والعلو: الغرور بالقوة والمال والجاه والزينة.

﴿وَلَا فُسَادًا﴾ تكرر (لا) يفيد النفي أولاً العلو وثانياً الفساد.

فالفساد هو ثمرة العلو، الفساد: هو إهلاك الحرث والنسل وارتكاب الكبائر والمعاصي. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) لبيان معنى الفساد.

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: والعاقبة الحسنة، أي: الجنة، للمتقين: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، للمتقين: جمع متقٍ، وهو من أطاع أوامر الله وتجنب نواهيه واستمر على ذلك، المتقين: جملة اسمية تدل على الاستقامة والثبات والاستمرار على التقوى لنيل العاقبة.

[٨٤] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿مَنْ﴾: شرطية.

﴿جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾: الحسنة: هي كل عمل خير من قول أو فعل يورث ثواباً، جاء بالحسنة: أي: عملها والباء للإلصاق والمصاحبة.

﴿فَلَهُ﴾: الفاء للتوكيد، له: لام الاختصاص والاستحقاق.



﴿حَيْرَ مَنْهَا﴾: أحسن منها، فهذا خير من هذا وكلاهما فيه خير، أو أخير، أو أحسن والحسنة بعشر أمثالها أو أكثر؛ لأنّ ثوابها هو خير دائم لا ينقطع.
 ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾: ارجع إلى مقدم الآية نفسها، السيئة: المعصية أو بالأمر المنهي عنه أو كلّ ما يسيء إلى النفس.

﴿فَلَا﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط تفيد التوكيد، لا النافية.

﴿يُجْزَى﴾: من الجزاء، ويكون مقابل العمل الصالح أو السيئ والمكافئ له؛ أي: مثله.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾: الذنوب الصغيرة أو الكبائر، وتكرار عملوا، ويعملون: يدل على التوكيد، ولم يقل ومن جاء بالسيئة فلا يجزون إلا ما كانوا يعملون.
 ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَا﴾: أي: الذي أو مصدرية. وأوسع شمولاً من الذي تشمل كلّ شيء.
 ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: ولم يقل: ومن جاء بالسيئة فله أشدّ منها أو أسوأ منها قياساً على الحسنة؛ لأنّه سبحانه لا يضاعف السيئة، كما يضاعف الحسنة، وهذا من رحمته فهو يجازي بمثلها جزاءً وفاقاً، أي: على قدرها. ويعملون: بصيغة المضارع تدل على حكاية الحال؛ أي: تحضر ما كانوا يعملون أمام عينيك الآن لترى بشاعته.

وما كانوا في الدنيا يعملون: العمل يضم الأقوال والأفعال.





سورة العنكبوت ٢٩
البقرة ٢٩

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي
 أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتُ
 تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ
 فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ
 اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا
 هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

٢٩
سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ
٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ (١) أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا
 يُفْقِنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
 صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
 السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤) مَنْ كَانَ يَرْجُوا
 لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَنْ
 جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦)

٣٩٦



نصف
الجزء
٤١



سورة القصص [الآيات ٨٥ - ٨٨]

[٨٥] ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾:

سبب النزول: إن الرسول ﷺ لما خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة، ونزل الجحفة بين مكة والمدينة اشتاق إلى مكة، فأنزل الله تعالى جبريل بهذه الآية. كما روي عن مقاتل.

﴿إِنَّ الَّذِي﴾: إن للتوكيد، الذي: اسم موصول.

﴿فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾: أنزل عليك القرآن وسمي إنزال القرآن فرضاً لما في القرآن من تكاليف أو جب العمل بها، أي: فرض العمل بها.

﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: اللام لام التوكيد، معاد: اسم مكان من فعل عاد، ومعاد الرجل: البلد الذي كان فيه ورسول الله كان في مكة، لرادك إلى مكة متصراً فاتحاً (فتح مكة) بعد الهجرة، والرد هو الرجوع أو العودة مجبراً من دون اختيار بينما الرجوع يكون باختيار العبد.

ارجع إلى الآية (٧) من نفس السورة للبيان.

أي: سنردك إلى المكان الذي تحن إليه، أي: مكة، وقد يكون معادك إلى الجنة ولا مانع من احتمال المعنيين والمرجح مكة، والفرق بين معاد وميعاد: الميعاد للزمان والمكان ومشتق من الوعد زمن التواعد أو مكان التواعد، المعاد للمكان فقط.



وهذا الوعد برده إلى معاده من أنباء الغيب، وفيه بشارة وليطمئن قلب النبي ﷺ.

﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: وقل لهم إذا اتهموك بأنك صبأت عن دين آبائك، أي: خرجت عن دين آبائك.

قل لهم: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ﴾: الله أعلم ولم يقل: يعلم، أعلم على وزن أفعل صيغة مبالغة في العلم، من: اسم موصول بمعنى الذي، جاء بالهدى: من عند الله؛ أي: النبي ﷺ.

﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: من: اسم موصول بمعنى الذي، هو ضمير فصل يفيد التوكيد. في: ظرفية، ولم يقل: ومن هو من الضالين؛ لأن في: تعني منغمس في الضلال، وراسخ فيه سابقاً، وفي ضلال مبين: جملة اسمية تدل على الثبوت، وشدة ضلالهم وإحاطة ضلالهم بهم من كل جانب؛ أي: أنتم أيها المشركون الضالون، في ضلال مبين، ضلال مبين: انحراف وبعد عن الصواب والحق، ضلال مبين: واضح وبين لكل فرد ينظر فيه ومبين لنفسه لا يحتاج إلى دليل وبرهان.

[٨٦] ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ﴾:

المناسبة: هوّن عليك واطمئن يا محمد ﷺ، ولا تستبعد أن نردك إلى مكة فاتحاً منتصراً، فهل كنت ترجو أو تتوقع أن يُلقى إليك الكتاب، أي: ينزل عليك القرآن أو الوحي قبل بعثتك.

﴿وَمَا كُنْتَ﴾: ما النافية، كنت قديماً.

﴿تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾: ترجو من الرجاء هو الظن بوقوع الخير



أو تأمل أن تكون رسولاً أو نبياً إلى النَّاس كافة، أن: حرف مصدري يفيد التعليل، يُلقى إليك الكتاب: أي: القرآن، يُلقى: يُنزل، ويلقى: فيها معنى أن يقرأ أو يُتلى على سمعك، أو ما كنت تتوقع أو تأمل أن يقرأ (يلقي) جبريل إليك القرآن.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر وقصر.

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: رحمة: رحمة لك وللعباد وللمسلمين وللمؤمنين وللعالمين، والرَّحمة معناها بشكل عام هي جلب ما يسرُّ ودفع ما يضرُّ. فالقرآن رحمة للعالمين، أي: فيه الخير والفائدة وفيه ما يقيهم ويدفع عنهم ما يضرهم، وكما قال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿مِّن﴾: ابتدائية.

﴿فَلَا﴾: الفاء للتوكيد، لا الناهية.

﴿تَكُونَنَّ ظَهيراً لِّلْكَافِرِينَ﴾: الخطاب وإن كان موجَّهاً إلى رسوله ﷺ، ولكن المقصود به أمته ﷺ والنَّون في تكونن للتوكيد أيضاً ظهيراً للكافرين: عوناً أو معيناً للكافرين بأيِّ حال من الأحوال، أو تلين لهم طمعاً في إيمانهم، أو تساعد أحداً على ارتكاب معصية أو تضله عن دينه أو تمنعه من فعل الخير.

ظهيراً: مشتقة من ظهر. ارجع إلى الآية (٥٥) من سورة الفرقان لمزيد من البيان.

[٨٧] ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿وَلَا﴾: لا الناهية.

﴿يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ﴾: أي: لا يمنعك أو يصرفك



والصد هو المنع عن قصد والمنع قد يكون قصداً أو غير قصد، يصدنك: أصلها يصدونك والنون للتوكيد وحذفت الواو لالتقاء الساكنين، عن آيات الله: عن تلاوتها وتبليغها للناس أو العمل بها.

ارجع إلى سورة الشعراء آية (٢) لبيان معنى الآيات.

﴿بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتَ إِلَيْكَ﴾: بعد إذ: ظرف للزمان الماضي، أنزلت إليك من ربك: إليك ولم يقل: عليك. ارجع إلى الآية (٤) من سورة البقرة لمعرفة الفرق. ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: أي: إلى سبيل ربك (إلى دينه) موحداً ومخلصاً له الدين من دون رياء وبالحكمة والموعظة الحسنة والخطاب وإن كان موجهاً إلى الرسول ﷺ، ولكن المقصود به أمته؛ لأنه حاشا للرسول أن يكون من المشركين. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: سماعاً لهم أو مخالطاً لهم حين تدعوهم إلى ربك، ولا في الولاية والنصرة.

[٨٨] ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿وَلَا تَدْعُ﴾: لا الناهية، تدع: تعبد مع الله إلهاً آخر، أو تشرك به شيئاً.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا معبود إلا هو سبحانه. ارجع إلى الآية (٢٥٥) من

سورة البقرة.

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾: كل شيء للتوكيد، شيء نكرة تشمل كل شيء وجنس

على الأرض.



﴿هَالِكٌ﴾: مَيِّتٌ، والهلاك ليس بالضرورة عقوبة، ويشمل الإنس والجن والنبات والحيوان.

ويعني هالك كانت له حياة تناسبه، فكل شيء له حياة خاصة به، هالك أي: فانٍ أو مَيِّتٌ.

ارجع إلى سورة الأعراف آية (٤) لبيان معنى هالك.

﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾: حصراً وقصراً وجهه سبحانه وتعالى، أي: ذاته سبحانه والوجه وهو أكرم أعضاء البدن، ويمثل الذات (إطلاق الجزء وإرادة الكل).

﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾: في الدنيا والآخرة. يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وبين المؤمنين والكافرين فيما اختلفوا فيه من المعتقدات والشرائع.

﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾: للحساب في الآخرة والجزاء إليه جار ومجرور، وتقديم إليه يعني: حصراً وقصراً إليه وحده ترجعون، تُرجعون: رغماً عن إرادتهم أي: قسراً، ولم يقل: إليه ترجعون: بفتح التاء، أي: بإرادتكم ومشيتكم.



الحزب العشر

سورة النجم ٢٩

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَّبِّي
 أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ
 تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ
 فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ
 اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا
 هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ النَّجْمِ بُرُوتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا
 يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
 صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
 السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا
 لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ
 جَاهِدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾



سورة العنكبوت [الآيات ١ - ٢]

ترتيبها في القرآن (٢٩)، وترتيبها في النزول (٨٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْم﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

[٢] ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾:

﴿أَحْسِبَ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتوبيخ، حسب: اعتقد، وحسب؛ يعني: الظن الراجح، وتشمل الحساب الحسي والقلبي القائم على النظر والتجربة والحساب.

﴿النَّاسُ﴾: الإنس والجن (الثقلان)، والناس مشتقة من: النّوس وهو كثرة الحركة.

﴿أَنْ يُتْرَكُوا﴾: أن حرف مصدري يفيد التعليل، يتركوا بلا فتنة.

﴿أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا﴾: أن: تكرارها يفيد التوكيد، أن يقولوا آمنا: بالقول فقط أو القول والفعل معاً، أو باللسان أو بالقلب صدقاً أم كذباً.
﴿وَهُمْ﴾: هم لزيادة التوكيد.

﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾: لا النافية، يفتنون: من الفتنة: والفتنة لغة: أصلها عرض الذهب على النار حتى تزول منه الشوائب فيزداد صفاء وجودةً، واصطلاحاً: هي نوع من البلاء والاختبار يجريه الله تعالى على عباده لاختبار صدق إيمانهم



وحقائق نفوسهم، ومعرفة مدى صلاحهم أو فسادهم وشدة تحملهم للتكاليف وصبرهم وصدقهم وكذبهم.

والفتنة أشد من الاختبار وأبلغ وتكون في الخير والشر، فهي لا تدم ولا تمدح إلا بالنتيجة، والفتنة تكون في الدين والإيمان والمال والولد والشهوات والشبهات وغيرها.

ويفتنون: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على أن الفتنة سوف تتجدد وتكرر في حياة الناس، والفتنة في القرآن لها معانٍ مختلفة منها: الاختبار والابتلاء، ومنها القتل والشرك والحجة وغيرها حسب السياق.

[٣] ﴿وَلَقَدْ فْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو عاطفة، لقد: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿فَتَنَّا﴾: من الفتنة، ارجع إلى الآية السابقة (الفتنة أشد وأبلغ من الاختبار).

﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم السابقة فالفتنة سنة قديمة جارية على كل الأمم وبأنواع وأشكال مختلفة من الكوارث الجوية أو الجذب أو الفيضانات، أو المرض أو القتل. من قبلهم، ولم يقل قبلهم: (من) تفيد قرب الزمن، و(قبلهم) لا يحدد قد يكون منذ زمن طويل أو بعيد أو زمن قريب.

﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾: الفاء للتوكيد، واللام والنون لزيادة التوكيد، فليعلمن

الله: الله سبحانه يعلم منذ الأزل وقبل خلقهم من الذين صدقوا ومن هم الكاذبون، وليس هو بحاجة لفتنتهم وإنما فتنهم أو اختبارهم هو لإقامة الحجة عليهم وليطلعوا على نتيجة اختبارهم بأنفسهم؛ حتى لا يدعوا يوم القيامة ويقولوا: ربنا لو فتننا لكنا من الصابرين أو الصادقين أو من المجاهدين أو غيرها، فالله يفتنهم في الدنيا ليريهم عاقبة أعمالهم في الدنيا أو في الآخرة.

﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾: أي هل صدقوا في إيمانهم أو ما وعدوا الله ورسله والناس أجمعين؟

﴿وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ﴾: كذبهم في إيمانهم وغيره، وتكرار (وليعلمن) للتوكيد، وفصل كلاهما عن الآخر، أو ليعلمن الصادق منهم من الكاذب. والسؤال: لماذا قال: الَّذِينَ صَدَقُوا (جملة فعلية) والكاذبين (جملة اسمية)، ولم يقل الَّذِينَ صَدَقُوا وَالَّذِينَ كَذَبُوا؟

الَّذِينَ صَدَقُوا: جملة فعلية في الماضي تعبر عن قوم حديثي العهد بالإسلام، وَالَّذِينَ آمَنُوا برسول الله في بداية الإسلام، وكانوا كفاراً فهم لا زالوا سائرين في طريق الصدق؛ ليصبحوا صادقي الإيمان في النهاية وقد يستقيموا على الإيمان أو يرتدوا، وأما الكاذبين: جملة اسمية تدل على الثبوت؛ أي: الكذب عندهم ونزلت في كفار قريش فهم استمروا على كذبهم قبل الإسلام وبعد مجيئه.

[٤] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي والتوبيخ، وأم (المنقطعة)

﴿حَسِبَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (٢).

﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: يعملون صيغة مضارع تدل على التجدد وتكرار ارتكابهم السيئات. والسيئات: جمع سيئة. قيل: هي الصغائر التي تحتاج إلى تكفير، وأما الذنوب: هي الكبائر التي تحتاج إلى توبة ومغفرة كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَجَتَنَّبُوا كِبَايَرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

﴿أَنْ﴾: حرف مصدر يفيد التعليل.

﴿يَسْفِقُونَا﴾: ينجوا من عذابنا، مشتقة من: السبق وهو الفوت؛ أي: الهرب فلا ننتقم منهم.



﴿سَاءَ﴾: أصل ساء: يسوء؛ فعل من أفعال الذم مثل بئس: تستعمل للذم العام، وساء: تستعمل للذم الخاص.

﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾: ما: اسم موصول بمعنى الذي، أو مصدرية؛ أي: بئس أو ساء حكمهم وهو ظنهم أنهم يفوتون من عذاب الله تعالى فلا يحاسبهم على أعمالهم.

[٥] ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾:

﴿مَنْ﴾: شرطية للعاقل وتشمل المفرد والمثنى والجمع.

﴿يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾: يرجو: من الرجاء وهو الظن بوقوع الخير الذي يعتري صاحبه الشك فيه، وغالباً ما يقرن بالخوف أو بأحد معانيه، أو يرجو: يأمل لقاء الله، لها معانٍ عدة: اللقاء الحقيقي: الاجتماع والمواجهة والتحدث، والحساب أو الثواب.

﴿فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ﴾: الفاء وإنّ، واللام في لات كلها للتوكيد، وآت: صيغة اسم الفاعل للتوكيد أربع توكيدات على حصول الأجل، أجل الله: الموت أو البعث والحشر، الأجل: الوقت المضروب لانقضاء عمر الإنسان، أجل الإتيان وهو المجيء بسهولة، واختار لات؛ لأنه لم يأت بعد.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿السَّمِيعُ﴾: لأقوال العباد في السر والعلن والجهر والنجوى.

﴿الْعَلِيمُ﴾: بأعمالهم وما في صدورهم وما يعلنون بنياتهم ونجواهم وأسرارهم، والسميع العليم: صيغ مبالغة، كثير السمع وكثير العلم لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض.

وفي هذه الآية حث على الاستعداد للقاء الله تعالى القادم لا محالة بالقول الطيب والعمل الصالح.



[٦] ﴿وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: شرطية.

﴿جَاهِدْ﴾: الجهاد لغةً: بذل أقصى الطاقات؛ أي عمل أقصى ما في وسعه من الجهد للقيام بما أمره الله به، والجهاد نوعان: جهاد النفس: بالصبر على الطّاعات وتجنّب المنهيات والصبر على الابتلاءات، وجهاد العدو: إذا اعتدى على الديار أو الأموال أو الأعراض، وجهاد الشيطان، والجهاد في الله كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]؛ أي: جهاد لمعرفة الله تعالى؛ أي: جهاد المقاصد الذي يؤدي إلى الإحسان، جهاد باللسان والقلب والمال، وبذل الطاقة والزمن لنيل رضاه.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء للتوكيد، إنما: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾: اللام في (لنفسه) لام الاختصاص والاستحقاق؛ أي: يجاهد لفائدة نفسه ومنفعتها؛ أي: إنقاذها.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾: إن: للتوكيد، لغني عن العالمين: اللام في (لغني) لزيادة التوكيد؛ أي: إن الله ليس بحاجة لجهاد أي إنسان كقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، لغني عن عبادته وعبادتهم وعن كل من في السموات ومن في الأرض وليس هو فقط غني عنهم بل سبحانه يُغنيهم ويمدّهم من فضله. وانظر إلى هذه الآية التي بدأت بها سورة العنكبوت: ﴿وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، وإلى الآية (٦٩) التي انتهت بها سورة العنكبوت وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.





سورة العنكبوت ٢٩

الجزء العنكبوت

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ
بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ
﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ
﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ
﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِّنْ خَطِيئَتِهِمْ مِّنْ
شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا
مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسَّعُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ
﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾



سورة العنكبوت [الآيات ٧ - ١٤]

[٧] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿ءَامَنُوا﴾: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: الفرائض وما أمر الله به، وقدم الإيمان على العمل الصالح؛ لأنه الأصل، فالعمل الصالح بدون الإيمان والتوحيد لا جدوى منه، وحين يقول: الذين يعملون الصالحات تعني: الاستمرار في عمل الصالحات والتجدد والتكرار والارتقاء في العمل الصالح.

﴿لَنُكَفِّرَنَّ﴾: اللام للتوكيد، وكذلك النون لزيادة التوكيد، كان بالإمكان القول لنكفر عنهم سيئاتهم، والتكفير يعني السّتر؛ أي: يسترها على العبد في الدنيا؛ أي: يمحوها ولا يعاقب عليها في الآخرة.

﴿عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: ولم يقل من سيئاتهم، (عنهم سيئاتهم) تشمل كل السيئات: جمع سيئة؛ أي: الصغائر (صغائر الذنوب)، وأما الكفر والشرك والكبائر، فلا بد من التوبة (بأركانها)، والسيئة: وهي المعصية أو الأمر المنهي عنه، أما قوله: (من سيئاتهم)؛ أي: بعض سيئاتهم كقوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾: اللام والنون كلاهما للتوكيد.

﴿أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: فالله سبحانه لا يقف عند محو السيئات والعفو بل يجازيهم: يشيهم على فعل الحسنات ولا يطرح السيئات من الحسنات، وهذا



من كرمه وتفضله، الذي كانوا يعملون؛ أي: في الدنيا، (الذي) هنا تحمل معنى شيء محدد، ولم يقل أحسن ما كانوا يعملون، كما في سورة النحل آية (٩٧) ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿الَّذِي﴾: تستعمل للعاقل وغير العاقل وتستعمل للأشياء المحددة، و(ما) تستعمل لغير العقلاء وصفات العقلاء وتستعمل للأشياء العامة غير المحددة.

ولمقارنة هذه الآية (٧) من سورة العنكبوت مع الآية (٩٧) من سورة النحل، ارجع إلى سورة النحل للبيان.

وأما الفرق بين قوله: (بأحسن) سورة النحل الآية (٩٧) و(أحسن) سورة العنكبوت الآية (٧): الباء للإصاق تفيد التوكيد، وأحسن تعني: الحسنة بعشر أمثالها أو أكثر من ذلك إلى (٧٠) أو (٧٠٠) ضعف.

فالذين آمنوا في سورة النحل أكثر إيماناً وأشد من الذين آمنوا في سورة العنكبوت.

[٨] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

أسباب النزول: روى مسلم وغيره والواحدي في أسباب النزول: نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص، وذلك أنه لما أسلم قالت له أمه: يا سعد بلغني أنك صبوت، فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح، ولا أكل ولا أشرب حتى تكفر بمحمد، وترجع إلى ما كنت عليه، أو أموت فتعير فيقال يا قاتل أمه، وكان باراً بأمه، فأبى سعد فصبرت هي ثلاثة أيام لم تأكل ولم تشرب، ولم تستظل بظل حتى خشى عليها، فأتى سعد النبي ﷺ وشكا ذلك إليه فأنزل هذه الآية، وقال سعد إليها: يا أماه لو كانت لك مئة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني، فكلي إن شئت وإن شئت فلا تأكلي فلما آيست منه أسلمت وأكلت.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾: ووصينا: من وصى، وصينا: ألزمتنا، كلّفنا، وهناك فرق



بين وصّى وأوصى، ووصّى: تستعمل لما هو أهم مثل أمور الدين والأمر المعنوية، ويستعمل أوصى للأمور المادية، إلا في آية واحدة: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]، لاقتران الصلاة بالزكاة. ارجع إلى سورة النساء آية (١١) لمزيد من البيان.

﴿بِوَالِدَيْهِ﴾: الباء باء الإلصاق، وقوله: (بوالديه) فيها تغليب أو تذكير بالوالدة (الأم) على الوالد، ولم يقل بأبويه؛ فيه تغليب الأب على الأم، ولو كان الأمر يتعلق بالأب لجاء بكلمة أبويه. وانتبه عندما يوصي الله تعالى الأولاد بالوالدين يقول: (ووصينا الإنسان بوالديه)، يأتي بالباء التي تفيد الإلصاق والمصاحبة؛ أي: الاستمرار والدوام أو التوكيد ويستعمل كلمة وصّى.

وحينما يوصي الله تعالى الوالدين بالأولاد لا يأتي بالباء مثال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، ويستعمل كلمة أوصى، ولم يقل بأولادكم؛ لأنّ الوالدين أو الأبوين لا يحتاجان إلى التوكيد؛ لأنّ الوصية وجهها لأولادهما أمر ثابت في قلوب الآباء للأبناء.

﴿حُسْنًا﴾: أي تقول لهم قولاً حسناً أو تعاملهم معاملة حسنة، وقيل: الحُسن بضم الحاء: هو الاسم الجامع لكل معاني الحُسن، وأما الحَسَن بفتح الحاء هو البعض من معاني الحُسن، والإحسان أعلى درجات البر والحُسن. والإحسان أمكن من حسناً وأعلى درجة وأقوى؛ تعني: معاملة حسنة وزيادة. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٢) لمعرفة معنى الإحسان.

﴿وَإِنْ﴾: شرطية تحمل معنى الاحتمال والشك؛ أي: تستعمل للأمر المشكوك في حدوثه وهو الشرك في هذه الآية.

﴿جَهْدَاكَ لِشْرِكِي﴾: أي لنفرض أنّهما والدان كافران غير راضيين عنك لأنك أسلمت، فإن جاهدك؛ أي: بذلا أيّ جهد لحملك لتشرك بالله أو العودة إل الكفر والشرك، فلا تطعهما.



بينما في سورة لقمان الآية (١٥) قال تعالى: ﴿وإن جَهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِـِٔي مَآئِسَ لَّكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: ففي هذه الآية الوالدان يشترطان على الولد الشُّرك، فالمجاهدة هنا أشد وأقوى مقارنة بالمجاهدة في آية العنكبوت، ولذلك جاء بكلمة (على) لتفيد المشقة والعلو.

﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾: الفاء للتوكيد، لا النَّاهية، تطعهما: في كلا الحالتين، أو في أي أمر يخالف أمر الله تعالى ورسوله ﷺ فلا طاعة لمخلوق مهما كان في معصية الخالق.

﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾: يوم القيامة. وقدم إلي: للحصر؛ أي: إليه وحده مرجعكم. مرجعكم: اسم مكان أو زمان من فعل رجع وقد يكون مصدرًا.

﴿فَأَنبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: الفاء: للتوكيد والمباشرة؛ أنبئكم: أخبركم؛ بما: ما اسم موصول أو سع شمولاً من الذي كنتم تعملون في الدنيا، وتضم ما كنتم تقولون وما كنتم تفعلون من خطأ أو صواب أو حق وباطل، الباء: للإلصاق، ما اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية.

لنقارن هذه الآية: ﴿وَوَضَّيْنَا الْإِنسَانَ بُولَدِيهِ حَسَنًا﴾، مع الآية (٨٣) من سورة البقرة: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾، وبقية الآيات المشابهة في سورة النساء الآية (٣٦) والأنعام الآية (١٥١) ولقمان الآية (١٤-١٥) والإسراء الآية (٢٣-٢٥) والأحقاف الآية (١٥) للمقارنة، ولمعرفة أوجه الاختلاف في كل الآيات التي توصي الإنسان بوالديه.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: ارجع إلى الآية (٧) السابقة.

﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ﴾: اللام والنون للتوكيد على إدخالهم.

﴿فِي الصَّالِحِينَ﴾: في ظرفية؛ أي: هم الآن في الدنيا من الصالحين



وسنلحقهم في الصّالحين في الآخرة وهذه بشارة حسنة أو وعد من الله تعالى للذين لم يشركوا بالله ويطيعوا آباءهم الذين أمرهم بالشرك بأن يدخلهم في الصالحين عوضاً عما حدث لهم من جفاء وتفرقة بينهم وبين آباءهم بسبب إيمانهم بالله تعالى. والصالحين: جمع صالح. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٣٠) لبيان معنى الصالحين.

[١٠] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: الواو استئنافية، من: ابتدائية بعبية، الناس: تشمل الإنس والجن، وكلمة الناس مشتقة من كلمة: النّوس؛ أي: كثرة الحركة.

﴿مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّهِ﴾: من اسم موصول بمعنى الذي، يقول آمنا بالله: أي إيمان عقيدة ودين، وكلمة (يقول) ولم يقل قال: تدل على تجدد قوله وتكراره وهو: آمنت بالله، وهو كما سنرى إيمان بالقول واللسان فقط وليس إيماناً في القلب.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء تدل على التعقيب والمباشرة، إذا: ظرفية شرطية تدل على حتمية الحدوث.

﴿أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾: أصابه أذى من قول أو فعل بسبب إيمانه بالله من قبل الكفار والمشركين أو غيرهم.

﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ﴾: صيّر فتنة الناس؛ أي: العذاب أو الأذى الذي يلحق به بسبب إيمانه، يصدّه عن الإيمان والثبات عليه، الكاف: كاف التشبيه؛ أي: خاف من عذاب الناس، أو أعتقد أن فتنتهم مساوية لعذاب الله تعالى، ولذلك ارتدّ أو نافق وهو تقدير أو قياس خاطئ؛ لأنّ عذاب الله بسبب ارتداده أو نفاقه أشد وأبقى من عذاب الناس مهما طال واشتدّ؛ لأنّ عذابه سيكون دائماً،



وفتنة الناس أو عذابهم زائل غير دائم يزول بالموت، والمؤمن الصادق يصبر ويثبت على ما أصابه في سبيل الله تعالى؛ لأن ما عند الله خير وأبقى.

وهذه الآية تشبه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ٢٢].

﴿وَلِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾: اللام في (لئن) للتوكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال أو الشك، جاء نصر من ربك: النصر: الغلبة على العدو بالقتال والغنيمة، وأما الفتح الغلبة بدون قتال.

﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾: ليدعي بالوقوف إلى جانبكم وأيدكم على عدوكم أو أليس نحن إخوانكم في الدين، أو لم نقف ضدكم فأعطونا نصيباً من الغنيمة.

﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾: الهمزة للاستفهام والتقرير، والواو في (أوليس) للتوكيد، بأعلم: الباء للإلصاق، أعلم صيغة مبالغة من علم.

﴿بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾: الباء للإلصاق، ما: اسم موصول بمعنى الذي، في صدور العالمين: من كذب ونفاق وكفر أو صدق وإخلاص، والجواب على أوليس؟ بلى.

[١١] ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾:

وليفتنهم في الدنيا بما قدر عليهم من ابتلاءات؛ ليريهم أعمالهم في الآخرة، فتكون حجة لهم أو حجة عليهم، وليظهر علمه سبحانه فيهم كما سبق منذ الأزل فيجازيهم بما ظهر منهم ويتبين الذين آمنوا منهم ويتبين المنافقين.

وإذا قارنا الآية (٣) ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.

والآية (١١) ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾.



الآية (٣) جاءت في سياق الإيمان الظاهر بالقول والعمل (والكاذبين)، والآية (١١) جاءت في سياق الإيمان بالقلب (والنفاق) الإيمان الباطن.

أو الآية (٣) جاءت في سياق الصدق والكذب في الإيمان.

والآية (١١) جاءت في سياق الإيمان بالقلب أو بلسان (النفاق).

[١٢] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾:

هذه الآية مظهر من مظاهر فتنة بعض المسلمين عن دينهم من زعماء قريش، وتحذر الآية من الاستماع لكذبهم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من زعماء قريش دعاة الكفر والضلال.

﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: من أهل مكة، آمنوا بالله ورسوله كما قال مجاهد.

﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾: أي ديننا، ارجعوا عن دينكم الذي جاء به محمد واتبعوا ديننا ودين آبائكم وأجدادكم.

﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾: اللام في (لنحمل) للتوكيد، خطاياكم: ذنوبكم عنكم، فقد كانوا يفترون عليهم الكذب فليس هناك بعث ولا حساب، فإن كان هناك بعث أو حساب وكان عليكم إثم أو ذنب، فسوف نحمله عنكم.

فردّ الله سبحانه عليهم بقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ﴾: ما النافية، هم: للتوكيد، بحاملين من خطاياهم: من ابتدائية، خطاياهم: جمع خطيئة، من شيء: من استغراقية تستغرق أي شيء، وشيء نكرة؛ أي: لن يحملوا عنهم لا خطيئة ولا ممأ ولا سيئة ولا إثمأ ولا ذنبأ.

﴿إِنَّهُمْ﴾: إن للتوكيد.

﴿لَكَذِبُونَ﴾: اللام للتوكيد، كاذبون جملة اسمية تعني: صفة الكذب صفة ثابتة لهم؛ أي: لا يتوقفون عن كذبهم؛ كذبهم مستمر.



[١٣] ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾:

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ﴾: اللام والنون للتوكيد.

﴿أَثْقَالَهُمْ﴾: أي أوزارهم: ذنوبهم وخطاياهم.

﴿وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾: أي أوزاراً مع أوزارهم (وهي أوزار الذين يضلونهم).
ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٨٦) لبيان الأوزار، وسورة النحل آية (٢٥).

﴿وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: اللام والنون للتوكيد، سؤال توبيخ وتقريع.

﴿عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: عما (عن + ما) عن تفيد المجاوزة؛ أي: بعد مرور زمن ليسئلن، ما: اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية، ليسئلن عن هذا الكذب وغيره.

كانوا يفترون: الافتراء هو اختلاق الكذب المتعمد؛ أي: ليسئلن يوم القيامة عما كانوا يخلقون من الكذب المتعمد (عما كانوا يكذبون). يفترون: تدل على التجدد والتكرار وأن افتراءهم لم يتوقف.

[١٤] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾: ارجع إلى الآية (٢٥) من سورة هود.

نوحاً: هو ابن لامك بن متوشلح بن إدريس من ولد شيث بن آدم، كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون كما في صحيح البخاري عن ابن عباس.

﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ﴾: اللبث: أي أقام يدعوهم في زمن محدد (اللبث: الإقامة المحددة بزمن) أما المكث: الإقامة غير محددة بزمن.

يدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده وترك عبادة الأصنام التي انتشرت في زمانه.



﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾: ولم يقل ألف سنة إلا خمسين سنة، كلمة سنة في القرآن، تستعمل في سياق الشدة والبأساء مثل القحط والفقر فهي لا تحمل في معناها الخير، وأمّا كلمة عام في القرآن تستعمل في سياق الخير والبركة والمطر والنّعمة فنوح عليه السلام عاش (٩٥٠) سنة وكانت كلها سني شدة؛ لما لاقاه من قومه من تكذيب وتحذّر وإعراض، ثمّ عاش (٥٠) عاماً بعد الطّوفان أعوام أمن ورخاء وسراء، ولذلك سماها عاماً بدلاً من سنة.

فقد قيل: بعث نوح على رأس (٥٣ سنة) ودعا قومه (٩٥٠) سنة وعاش بعد الطّوفان (٦٠) عاماً.

وقد قيل: بعث على رأس (٥٣) ودعا قومه (٩٥٠) سنة وعاش بعد الطّوفان (٤٧) عاماً، وهناك أقوال أخرى.

وقال تعالى: (ألف سنة إلا خمسين عاماً) بدلاً من تسعمائة وخمسين سنة كاملة. استعمل رأس العدد ألف؛ لأنّه أوقع في النفس؛ من القول تسعمائة وخمسين سنة، ولكي يبين زمن الفترة التي عاشها نوح بعد ذلك وأنها كانت مغايرة لما سبقها.

﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾: الأخذ معناه العذاب أو الهلاك وفيه معنى الأخذ بشدة، الطّوفان: ما طاف وأحاط بكثرة وغلبة، وهو هنا المطر الشديد الذي أدى إلى الغرق والهلاك، أو ما يسمى: تسونامي نتيجة البركان الذي حدث.

﴿وَهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿ظَالِمُونَ﴾: لأنفسهم بالشرك جمع: ظالم، والظلم هو الشرك؛ أي: وهم مشركون أو كافرون، ظالمون: جملة اسمية تفيد الثبوت، ثبوت صفة الظلم؛ أي: الشرك عندهم، فقد كانوا يعبدون الأصنام التي ذكرت في سورة نوح آية (٢٣).





سُورَةُ الْحَجَّاتِ ٢٩

الْبَيْتُ الْعِشْرُونَ

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ
 ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ
 خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ
 وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا
 فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ
 الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ
 يُعِيدُهُ ۖ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ
 فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ
 إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ
 مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي
 الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ
 وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ ۖ
 أُولَٰئِكَ يُسَوِّوْنَ مِنْ رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾



سورة العنكبوت [الآيات ١٥ - ٢٣]

[١٥] ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾:

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب؛ أي: مباشرة من الطوفان أنجينا نوحاً، أنجيناه تدل على السرعة والقوة التي تمت فيها عملية الإنقاذ، ولم يقل فنجيناه التي تدل على البطء والزمن الطويل. كما في سورة يونس آية (٧٣) ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبَّيْنَاهُ﴾ التي تدل على النجاة من قومه بعد أن لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً.

﴿وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾: الذين ركبوا معه فيها سمّاهم أصحاب السفينة، وقيل: كان عددهم (٣٠-٨٠) ولأن السفينة صنعت من أجلهم فهي ملكهم جميعاً، فقال: أصحاب السفينة؛ وهم نوح وأولاده الثلاثة: سام وحام ويافث، ومن آمن معه، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾: وقد اكتشفت هذه السفينة في شرقي تركيا على جبل الجودي في عام (١٩٤٨) وكان طولها يقارب (٣٠٠) ذراع وعرضها (٢٠) ذراعاً، آية وعبرة ودلالة ومعجزة تدل على عظمة الله وقدرته، فهي أول سفينة تصنع على الأرض، للعالمين: اللام لام الاختصاص، للعالمين: للمؤمن وللکافر.

وقدّم آية على العالمين؛ لأنها الآية الوحيدة التي سيتعظ بها كل الناس أو



عبرة للعالمين؛ لأنه يتحدث عن السفينة، ولم يقل للعالمين آية كما قال تعالى في سورة الفرقان آية (٣٧) ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ فتقديم الناس على الآية في هذه؛ لأنه يتحدث عن إغراق قوم نوح كما أغرق غيرهم من الناس. ارجع إلى سورة الفرقان آية (٣٧) للبيان.

وإذا قارنا هذه الآية ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَفْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٤].

قوله تعالى: (آية للعالمين) لأن السفينة بقيت في مكانها تراها الأجيال بعد الأجيال وأثرها باقٍ إلى اليوم في بعض المتاحف.

أما قوله تعالى: (آيات لقوم يؤمنون) لأن إحراق إبراهيم عليه السلام ونجاته في ذلك الوقت كان عبرة لمن شاهده وآمن به، ونحن نؤمن بذلك؛ لأن الله تعالى أخبرنا بذلك فهي آيات وليست آية وخاصة بالمؤمنين.

[١٦] ﴿وَأَبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَأَبْرَاهِيمَ﴾: الواو عاطفة؛ أي: ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه وأرسلنا إبراهيم. حذف كلمة أرسلنا؛ لأن المعنى مفهوم من سياق الآيات.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمني بمعنى حين، أو اذكر إذ قال لقومه.

﴿قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتقوه: أي أطيعوا أو امره وتجنبوا نواهيه؛ أي: اتقوا سخطه وغضبه اتقوا نار العزيز الجبار. وقد يسئل سائل كيف يقول لقومه في هذه الآية: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ



وَأَتَّقُوهُ ﴿٢٦﴾، وفي سورة الزخرف آية (٢٦) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾، ولنعلم أن آية العنكبوت جاءت في سياق قومه الذين آمنوا بعد الهجرة، وإسماعيل وذريته الذين كانوا في مكة، والذين دعا الله أن يرزقهم من الثمرات. ارجع إلى سورة إبراهيم آية (٣٧)، وأما آية الزخرف (٢٦) جاءت في قومه وأبيه قبل الهجرة من العراق إلى الشام.

ولمعرفة معنى العبادة ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣).

والتقوى لغة: الوقاية والحماية من غضب الله وسخطه وبالتالي من النار، وذلك باتباع أوامره وطاعته سبحانه واجتناب نواهيه، والعبادة تؤدي أو ثمرتها التقوى كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

في هذه الآية عطفت التقوى على العبادة؛ أي: اعبدوا الله تعالى؛ لتتقوا غضب الله وسخطه وناره، أو اعبدوا الله وحده واتقوه؛ أي: اتقوا أن تشركوا به؛ لأن التقوى: هي كف النفس عما نهى عنه الشارع.

﴿ذَلِكُمْ﴾: العبادة والتوحيد والتقوى، ولم يقل ذلك وإنما قال: ذلكم؛ للمبالغة وأهمية العبادة والإخلاص والتقوى، ولأن الأمر يشمل عدة أمور و(ذلك) تستعمل للأمر الواحد والأقل تأكيداً.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أفضل لكم (على وزن أفعّل) من عبادة الأوثان والأصنام أو عبادة غير الله تعالى، لكم: اللام لام الاختصاص؛ أي: لكم خاصة.

﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والندرة.



﴿تَعْلَمُونَ﴾: ما فيه صلاحكم وفلاحكم ونجاتكم، أو ما هو خير لكم.
[١٧] ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد الحصر والتوكيد.

﴿تَعْبُدُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ لتدل على الاستمرار على عبادتهم
للأوثان.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿أَوْثَانًا﴾: جمع وثن، الوثن: كل ما يُعبد من غير الله، وليس له جسم أو
صورة، فإن كان له جسم أو صورة إنسان أو حيوان فهو صنم.

الأوثان: كلمة عامة تشمل الأصنام، فكل وثن صنم وليس كل صنم وثناً.
وقيل: الصنم يصنع من خشب أو معدن كالذهب والفضة والنحاس، أما
الوثن من الحجارة، وما ذبح على النصب هي حجارة؛ أي: أوثان.

﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾: الإفك هو الكذب المتعمد، وتخلقون إفكاً: أي ذا
إفك وباطل وتخلقون إفكاً: حين تسمون الأوثان آلهة أو تصفونها بأنها آلهة،
وهي ليست بآلهة، وأنها شركاء وتشفع وتقرب من الله، فكل ذلك كذب مختلق
ومتعمد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: إن للتوكيد، الذين تعبدون من دون الله:



(من غير الله) من هذه الآلهة والأوثان، وبدل القول ما تعبدون وقال: (الذين تعبدون)؛ أي: أعطى الأوثان صفة العاقل؛ لأنهم يعبدونها كأنها تعقل.

﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾: لا النافية لكل الأزمنة، يملكون لكم: اللام لام الاختصاص لكم خاصة، رزقاً: رزقاً نكرة؛ أي: لا يقدرّون على رزقكم بأي نوع من أنواع الرزق (الطعام والشراب والمال) لأنهم لا يملكون القدرة على أي شيء، لا يملكون في السابق ولا الحاضر ولا في المستقبل.

﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾: أي اطلبوا من الله وحده الرزق فهو الرزاق الكريم، والفاء للتوكيد، وعرف الرزق بأل التعريف؛ أي: رزق الله تعالى. والرزق لا يعني المال فقط وإنما يشمل العلم والصحة والأهل والولد والأخلاق وغيرها. انظر كيف نكر الرزق ثم عرّفه، نكره ليشمل كل أنواع الرزق، وعرّفه؛ أي: كله من عند الله وحده، وفي سورة الذاريات آية (٧٥) قال تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾؛ أي: هو سبحانه غني عنكم وأنتم الفقراء إليه ليرزقكم.

﴿وَأَعْبُدُوهُ﴾: وحده؛ لأنه خلقكم فهو ربكم.

﴿وَأَشْكُرُوا لَهُ﴾: فعل أمر، ولم يقل واشكروه، وإنما قال اشكروا له: اللام في (له) تفيد الاختصاص والإخلاص؛ أي: اشكروا نعمة الله لله؛ أي: لذاته اشكروا المنعم بغض النظر عن كونه أنعم عليكم تلك النعمة أم لا فهذا هو الأكمل، فشكر النعمة لا بأس به ولكن شكر الله أفضل وأدوم، وما دام الله فالنعمّة تدوم وتصل إليكم. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠): لمزيد من البيان في معنى الشكر.

﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: إليه تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: إليه



وحده لا إلى غيره تُرجعون: بضم التاء؛ أي: لا خيار لكم ولا إرادة، تُرجعون إليه بعد البعث للحساب والجزاء. ولو قال تُرجعون: بفتح التاء لكان ذلك يعني الرجوع بإرادتكم ومحبتكم. وهناك فرق بين تُرجعون وقوله تعالى: ﴿تُقَلَّبُونَ﴾ كما سيأتي في الآية (٢١) من نفس السورة. ارجع إلى الآية (٢١) للبيان.

[١٨] ﴿وَأِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: ﴿وَأِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال والشك.

﴿تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾: إن تكذبوا بما أعظمكم، فلا يضرنى تكذيبكم؛ لأنه قد كذب أُمَم من قبلكم، (فقد) الفاء رابطة لجواب الشرط تفيد التوكيد، (قد) للتحقيق.

﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ﴾: ما النافية. على الرسول: أو الرسل.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: البلاغ: هو إعلامكم بما أنزل إليكم ربكم. والمبين: يعني الواضح البين والكامل التام.

انتبه إلى قوله: ﴿فَقَدْ كُذِّبَ﴾ ولم يقل فقد كذبت، كذب تدل على القلة، وكذبت تدل على الكثرة، فلماذا استعمل كذب التي تدل على القلة؟ الجواب: لأن الأمم التي سبقت قوم إبراهيم قلة مثل قوم نوح وعاد وثمود.

القاعدة: جمع التذكير يدل على القلة وجمع التأنيث يدل على الكثرة كقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ ﴿١٢﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ﴾ [ق: ١٢-١٤].



[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري، والواو في (أولم) تدل على شدة الإنكار (إنكار البعث).

﴿يَرَوْا﴾: الرؤية هنا قلبية؛ أي: يعلموا.

﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام وعادة تستعمل للسؤال عن الحال.

﴿يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: في كل عام أو كل مرة كيف يحيي الله الأرض بعد موتها، فمن هو قادر على أن يحيي الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي الموتى. ارجع إلى الآية (٢٠) القادمة لبيان الفرق بين بدأ ويبدئ الخلق.

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: تدل على التراخي في الزمن.

﴿يُعِيدُهُ﴾: يعيد خلقه أو إحياءه من جديد.

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: إن للتوكيد، ذلك: اسم إشارة يفيد البعد ويشير إلى أن إعادة الخلق (البعث) على الله يسير.

﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: هيِّنٌ وسبحانه، ليس عنده ما هو هيِّنٌ أو ما هو صعب فالكل متساوٍ (الخلق أو إعادة الخلق) وذكر يسير أو هيِّن هو تبيان للناس على قدر ما تفهم عقولهم، وقوله: (إن ذلك على الله يسير) يقصد بها إعادة الخلق فهم يقرّون بالخلق الأول كما قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]. ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

ففي ميزان البشر إعادة الخلق هو أهون من بدء الخلق، فلم يقرّون بأن الله قادر على بدء الخلق وليس إعادته!



[٢٠] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ.

﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: السير الانتقال، الارتحال من مكان إلى مكان للسفر والسياحة، سيروا في الأرض ليس سيروا على الأرض؛ لأن الغلاف الجوي المحيط بالأرض يعتبر جزءاً من الأرض.

﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة؛ أي: سافروا للتأمل والتفكير والعبرة، فانظروا نظرة تأمل وتفكر نظرة قلبية كيف بدأ الخلق؛ أي: لأول مرة؛ أي: النشأة الأولى؛ أي: الخلق الأول منذ ملايين السنين، أما لو قال كيف يبدأ الخلق؛ يعني: يكرر ويجدد، وإعادته بعد الخلق الأول كما نرى في إحياء الأرض بعد موتها كل عام. ارجع إلى سورة الأنعام آية (١١)؛ للمقارنة بين قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ [النمل: ٦٩]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا﴾ [الأنعام: ١١].

﴿ثُمَّ اللَّهُ﴾: ثم للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾: يعني البعث: بعث الخلائق يوم القيامة للحساب، وهذه كذلك نظرة قلبية؛ لأنها ستحدث في المستقبل.

الخلاصة عندنا ثلاثة أنواع:

١ - الخلق الأول (بدء الخلق).

٢ - يبدأ الخلق (يعني إعادة الخلق كل عام أو كل زمن كما في إحياء الأرض، وخلق البشر المستمر).

٣ - النشأة الآخرة هي البعث للحساب.

وانتبه إلى قوله تعالى: (كيف بدأ الخلق) أضمر أو حذف ولم يذكر الله فقال: (كيف بدأ الخلق)؛ لأنّ الكل ومنهم الكافرون يؤمنون بأن الله هو الخالق كما بيّنّا في آية الزخرف (٨٧) ولقمان (٢٥) ولكن المصيبة هي عدم إيمانهم بالبعث أو النشأة الأخرى ولذلك ذكر وأفصح عن اسمه فقال: (ثمّ الله ينشئ النشأة الآخرة).

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد، على كلّ شيء قدير. ارجع إلى الآية (٢٠) من سورة البقرة للبيان. لا يعجزه خلق أو بعث أو إعادة.

[٢١] ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾:

كما ورد في الآية السابقة ينشئ النشأة الآخرة؛ أي: يبعث الله العباد للحساب والجزاء على أعمالهم فيعذب أهل الكفر والشرك والمكذبين بالله ورسله والعصاة إذا لم يتوبوا، ويرحم أهل طاعته أو الذين آمنوا وعملوا الصالحات. وبدأ بذكر العذاب في هذه الآية قبل ذكر الرحمة، وكذلك قدم العذاب على المغفرة في آية أخرى فقط في سياق السارق والسارقة، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ٤٠]. ارجع إلى تلك الآية لمزيد من البيان. بينما في آيات أخرى يقدم المغفرة على العذاب كقوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ١٨]، وقدم العذاب في هذه الآية؛ لأنّها جاءت في سياق المكذبين



بالبعث والمعرضين عن آيات الله، فناسب ذكر العذاب قبل الرحمة لإنذار هؤلاء
الأسقياء.

﴿وَالِيَهُ تَقْلُبُونَ﴾: أي وإليه ترجعون.

١ - تقديم إليه (بدلاً من القول تقلبون إليه) تقديم الجار والمجرور للحصر
والقصر؛ أي: إليه وحده تقلبون للحساب والجزاء.

٢ - استعمل (تقلبون) بدلاً من ترجعون؛ لأن الرجوع يكون عودةً للحالة الأولى
التي خرج فيها أو كان فيها، أما (تقلبون) ففيه معنى الرجوع ولكن إلى حالة
جديدة غير الحالة الأولى، فهم كانوا في الدنيا وبعد البعث يقلبون للعذاب
أو للرحمة إما النار وإما الجنة، ولو أنهم يرجعون إلى الدنيا لقال إليها
يرجعون. وأما قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للحساب والجزاء، وهكذا قد
يكون في الدنيا، أو في الآخرة.

٣ - تقلبون: بغير إرادتكم أو مشيئتكم؛ أي: قسراً وقهراً.

[٢٢] ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ﴾:

﴿وَمَا أَنْتُمْ﴾: الواو استئنافية، ما النافية، أنتم: للتوكيد والمخاطب
المكذبين الكافرين والمعرضين والعاصين.

﴿بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: الباء للإلصاق والاستمرار، معجزين: جمع معجز
وهو الذي يُعجز غيره؛ أي: يفلت من غيره، وما أنتم بمعجزين في الأرض: نفى

عنهم، ليس فقط القدرة على الهرب، بل نفى عنهم حتّى التفكير بالهرب، فالهرب ليس وارداً بحقهم من أقطار الأرض ولا في الأرض نفسها.

﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: تكرر (لا) يفيد تأكيد نفى العجز عن كلّ واحدة لا في الأرض ولا في السماء ولا كلاهما، السماء: تشمل السموات السبع وكل ما علا الإنسان.

﴿وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: وما لكم: الواو: عاطفة. ما: نافية. لكم: خاصة المكذبون بالبعث والآخرة في زمن إبراهيم من غير الله تعالى. من: استغراقية تستغرق كل ولي ونصير، والولي: هو القريب الذي يُعينك ويُكِنّ لك المحبة والمودة، النصير: هو الذي ينصرك بالقوة ويدافع عنك، فقد يكون هناك من هو ولي ولا يستطيع أن ينصرك، أو هناك من هو نصير وليس ولياً لك، فالتنفي شمل كلاهما. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٠٧) لمزيد من البيان.

أولاً: لنقارن هذه الآية (٢٢) من سورة العنكبوت: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ مع الآية (٣١) من سورة الشورى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾:

نجد أولاً: في سورة العنكبوت أضاف كلمة السماء إلى الأرض، أما في سورة الشورى اقتصر على كلمة الأرض، السبب: الآية في سورة العنكبوت جاءت في خطاب قوم إبراهيم وفي التمرود الذي كان يظن أنه قادر على الصعود إلى السماء، فالتحدي في آية العنكبوت أشد من التحدي في سورة الشورى، ولذلك أضاف السماء في العنكبوت وحذفها في الشورى (خطاب عام).



ثانياً: وفي آية العنكبوت إشارة إلى الصعود إلى السماء، وقد رأينا هذا منذ حوالي (٥٠) عاماً حتى الآن، كيف يصعد رواد الفضاء إلى السماء ورغم ذلك فهم غير معجزى الله وهم تحت رحمة الله، وبإذنه يصعدون، وكم تحطم الكثير من المركبات الفضائية ولم ينجو أحد منها.

ثالثاً: إذا نظرنا إلى الآية ﴿وَمَالَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ وهناك آية أخرى مشابهة ﴿مَا لَهُمْ مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ سورة الشورى الآية (٨): فالاختلاف يعود إلى (من دون الله) فحين يذكر (من دون الله) فالآية في سياق الدنيا والخطاب إلى الأحياء، وحين لا يذكر (من دون الله) فالآية في سياق الآخرة؛ أي: المخاطبون هم أهل الآخرة؛ لأن في الآخرة ليس هناك سواه سبحانه حتى يتخذوا ولياً أو نصيراً، فلا داعي لذكر (من دون).

[٢٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذم.

﴿كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ﴾: القرآنية والكونية والمعجزات الدالة على نبوة الرسل، كفروا: أي لم يؤمنوا بها أو يصدقوها، والباء للإلصاق والتمسك بالكفر.

﴿وَلِقَائِهِ﴾: أي كفروا بالبعث والحساب والدار الآخرة، ولقاء الله سبحانه والعرض عليه كقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨].

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد ويفيد الذم.



﴿يَسْأَلُونَ مِنْ رَحْمَتِي﴾: يَسْأَلُونَ مِنَ الْيَأْسِ: وهو انقطاع الأمل والرجاء. من رحمتي: عفوي ومغفرتي أو من جنتي.

والمؤمن لا ييأس من روح الله مهما حدث ولا من رحمة الله؛ لآته لا ييأس من روح الله (فرج الله) إلا القوم الكافرون كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: إعادة (أولئك) للتوكيد، لهم عذاب أليم، لهم: اللام لام الاستحقاق والاختصاص، عذاب أليم: في الدنيا والآخرة شديد الإيلام لا يستطيع أن يطيقه أو يتحملة أحد.





سورة العنكبوت ٢٩

البقرة العنكبوت

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ * فَمَنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ
إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ
وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ
﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ
مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾
أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ
فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا
أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ
﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾





سورة العنكبوت [الآيات ٢٤ - ٣٠]

[٢٤] ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنْ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿فَمَا كَانَ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب وما النافية.

﴿جَوَابَ قَوْمِهِ﴾: بعد أن دعاهم لعبادة الله وحده ونهاهم عن عبادة الأصنام، وقوله لقومه: أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم، أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون، فقد كان جواب قومه جواب المتكبر الجبار الذي ليس لديه ما يقوله من حجة أو برهان إلا التهديد والبطش والقتل.

فما كان جواب قومه: أي فما كان رأي قومه؛ لأنه لم يكن هناك سؤال أصلاً، وإنما جاء رأي قومه الذي أجمعوا عليه في صورة الجواب.

﴿إِلَّا﴾: للحصر.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدر يفيد التعليل.

﴿قَالُوا﴾: قال بعضهم لبعض، أو قال أحدهم واستمع الآخرون، أو قال بعضهم: اقتلوه، وبعضهم قالوا: حرقوه، المهم كانوا جميعاً شركاء في الجريمة (القتل أو الحرق).



﴿أَقْتُلُوهُ﴾: القتل هو هدم بنية الجسم بحيث يصبح غير صالح لسكن الروح، فتجبر الروح على مفارقة البدن فيحدث الموت.
 ﴿أَوْ حَرَّقُوهُ﴾: (أو) هنا قد تكون للتخيير وقد تعني الإضراب الإبطالي؛ أي: بل حرقوه.

فأيهما أشد وأبلغ القتل أو الإحراق؟: القتل حتماً نتيجة الموت، والإحراق قد يؤدي إلى الموت أو يبقى الإنسان حياً بعد معالجته.
 وأيهما أشد عذاباً طبعاً الإحراق؛ لأنّ ألمه شديد وقد يطول وهو أشع وسائل القتل.

وحرقوه، وليس أحرقوه؟ حرقوه فيها مبالغة في الإحراق؛ أي: أوقدوا له ناراً شديدة لتحرقه، إحراقاً كاملاً رأسه وجسمه ووجهه ويديه ورجليه يؤدي إلى الموت.

﴿فَأَنجَئْهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾: الفاء للمباشرة؛ أي: أنجاه الله سبحانه مباشرة بعد أن ألقوه في النار، أنجاه: تدل على سرعة النجاة، فليس هناك متسع من الزمن، ولم يقل فنجاه التي تدل على البطء.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾: إنّ: للتوكيد، في: ظرفية، ذلك اسم إشارة يفيد البعد، آيات: اللام لزيادة التوكيد، ولم يقل لآية وإنما آيات: جمع آية؛ أي: عجائب ودلائل وعبر كثيرة خارقة للعقل في إحراق إبراهيم ونجاته من النار، وكيف أصبحت برداً وسلاماً على إبراهيم، والسؤال ألم يكن سبحانه قادراً على أن ينجيّه قبل حرقه بالهجرة أو بالهرب مثلاً، وكذلك ألم يكن سبحانه قادراً على



أن يطفى النار حين أشعلوها ولكنه لم يفعل وإنما كانت الآية أنه سلب من النار قدرتها على الإحراق وأبدلها ببرد وسلام وهذا في دلالة أكبر على عظم قدرته سبحانه والنار آية وجند من جنود الله سبحانه.

آيات: دلالات وبيانات تدعو إلى الإيمان والتوحيد وتدل على قدرة وعظمة الخالق، وأنه هو الإله الحق الذي يجب أن يُعبد ويُحمد.

﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: السلام لام الاختصاص، يؤمنون: يتتفع بها المؤمنون خاصة فتزيدهم إيماناً مع إيمانهم، وقد بين الله سبحانه في سورة الصافات الآية (٩٧-٩٨) كيف تم إحراقه فقال تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾.

[٢٥] ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾:

﴿وَقَالَ﴾: إبراهيم بعد أن أنجاه الله من النار ورجع يدعو قومه إلى الإيمان مرة أخرى: إن لم تؤمنوا بكل هذه الآيات الدالة على عظمة وكمال قدرة الله تعالى.

﴿إِنَّمَا﴾: للتوكيد والحصر والقصر على اتخاذ الأوثان من أجل المودة لإظهار حمقهم وسفاهة عقولهم، وكذلك تكبرهم وعنادهم.

﴿اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي إنما عبدتم هذه الأوثان مودة بينكم؛ أي:



١ - لتوادوا من دون الله، أو للآلفة بينكم والتحاب لاجتماعكم على مذهب واحد وعقيدة واحدة باطلة هي عبادتها وتعظيمها.

٢ - أو تعني: اتخذتم الأوثان سبب المودة بينكم؛ أي: تودون بعضكم بعضاً بسبب الأوثان.

٣ - أو اتخذتموها مودة لتودوا آباءكم الأولين وسيراً على منهجهم.

٤ - أو تحبونها حباً شديداً لا أنها لا تضر ولا تنفع.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾: أي هذه المودة بينكم وبين بعض، بينكم وبين هذه الأوثان أو بينكم وبين آبائكم الأولين، وكل هذه الصلات والروابط في هذه الحياة الدنيا ستزول وتنقطع يوم القيامة ولا يقف الأمر عند ذلك بل سيكفر بعضكم ببعض؛ أي: سيتبرأ بعضكم من بعض؛ أي: القادة من الأتباع أو الذين استكبروا من الذين استضعفوا.

﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: يلعن الأتباع المتبوعين ويلعن الرؤساء الضعفاء، ويلعن عبدة الأوثان الأوثان، واللعن: الدّعاء بالبعد والطرّد من الخير أو رحمة الله والدّعاء عليهم بالعذاب.

﴿وَمَا أَوْثَقُ النَّارُ﴾: مكانكم ومستقركم ومنزلكم النار، والمأوى اسم مكان من: أوى يأوي، والمأوى: المنزل.

﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾: ناصرين: جمع نصير، نصير: صيغة مبالغة، والنصير: أقوى من الناصر. ما للنفي، لكم: السلام لام الاختصاص، لكم عبدة الأوثان، من: استغراقية تستغرق؛ أي: تشمل كل نصير؛ أي: لا نصير ولا ناصر

ينصرونكم من عذاب الله؛ أي: يمنعونكم أو يشفعوا لكم أو يخففوا عنكم العذاب، وكما قال في آية أخرى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]. فالمودات تنقلب إلى عداوات إلا المحبة في الله فهي التي تدوم في الدنيا والآخرة.

[٢٦] ﴿فَأَمَّا لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿فَأَمَّا لَهُ لُوطٌ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، آمن له مباشرة بعد أن نجا من النار، آمن له: ولم يقل آمن به، آمن له تعني: صدقه، صدق نبوته؛ أي: صدق لوط بإبراهيم مباشرة وهو أول من آمن بإبراهيم، وقيل: كان لوط ابن أخيه.

﴿وَقَالَ إِنِّي﴾: أي إبراهيم، قال إني: للتوكيد.

﴿مُهَاجِرٌ﴾: قال ذلك بعد أن نجا من النار، مهاجر: يعني أنه لم يهاجر برغبته وإنما آذاه قومه فاضطر إلى الخروج؛ أي: مرغم على الهجرة، أما هجر تعني: تركها برغبته ولم يُجبر على الخروج.

﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾: إلى حيث أمرني ربي أو مهاجراً امثالاً لأوامر ربي الذي أمرني بالهجرة، مهاجر من الكوفة في العراق إلى بلاد الشام وكان عمره حوالي (٧٥) ومعه ابن أخيه لوط وامرأته سارة، وقيل: هو أول من هاجر في سبيل الله.

﴿إِنَّهُ هُوَ﴾: إنه للتوكيد، هو: للتوكيد والحصر.

﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي الذي لا يُغلب ولا يُقهر والممتنع.



﴿الْحَكِيمُ﴾: في تدبير شؤون خلقه وكونه، والحكيم من الحكمة فهو أحكم الحكماء وأحكم الحاكمين. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) للبيان المفصل.

[٢٧] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾: الواو: واو العطف والجمع؛ أي: وهبنا لإبراهيم إسماعيل من قبل، وهبنا له إسحاق ويعقوب، وإسحاق ابن إبراهيم، ويعقوب الحفيد (ابن إسحاق)، الهبة: عطية تفضل من الواهب إلى الموهوب له، الواهب هو الله تعالى، الموهوب إبراهيم عليه السلام؛ لأن سارة كانت عجوزاً عقيماً. ارجع إلى سورة ص آية (٣٠) وسورة إبراهيم آية (٣٩): لمزيد من البيان.

﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾: كل الأنبياء والرسل الذين جاؤوا من بعد إبراهيم كانوا من ذرية إبراهيم ومنهم إسماعيل ورسول الله ﷺ، والكتاب: اسم جنس يعني التوراة والإنجيل والقرآن والزبور كلها أنزلت بعده، وأنزلت على ذريته من الأنبياء والرسل.

﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: وآتيناه: من الإيتاء وهو: العطاء بدون تملك والإيتاء للأشياء المادية والمعنوية، لمعرفة الفرق بين الإيتاء والعطاء ارجع إلى (٢٥١) من سورة البقرة للبيان. أجره في الدنيا؛ والأجر: هو جزاء على العمل في الدعوة والتبليغ بالصلاة عليه والثناء الحسن والذرية الطيبة والنبوة وعلو القدر، الأجر في الدنيا يكون مقابل التبليغ والدعوة، وإنه في الآخرة لمن الصالحين: إنه للتوكيد، واللام في (لمن) لزيادة التوكيد.



الصالحين: ارجع إلى سورة البقرة آية (١٣٠) لبيان معنى الصالحين. وإذا قارنا هذه الآية: ﴿وَأَيِّنُّهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا﴾، وقوله تعالى في الآية (١٢٢) من سورة النحل: ﴿وَأَيِّنُّهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: نجد هناك اختلافين: الأول: الأجر مقابل الحسنة، والثاني: تقديم الأجر على الدنيا، وتقديم الدنيا على الحسن أولاً الأجر أعم من الحسنة؛ الحسنة نوع من أنواع الأجر، وجاء الأجر في آية العنكبوت في سياق الدعوة إلى الله والتبليغ، وجاءت الحسنة في النحل لكونه شاكر لأنعم الله، وتقديم الدنيا على الحسنة؛ أي: حسنة تخص الدنيا، أو ينالها في الدنيا، وأما الأجر فليس خاص بالدنيا فقط، بل الدنيا والآخرة.

[٢٨] ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾: أي واذكر إذ قال لوط لقومه أو حين قال لوط لقومه.

﴿إِنَّكُمْ لَأْتُونَ﴾: إنكم تفيد التوكيد، واللام في لتأتون لزيادة التوكيد.

﴿الْفَحِشَةَ﴾: إتيان الرجال شهوة من دون النساء.

﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: ما النافية، سبقكم بها:

ما فعلها أو قام بها أحد من قبلكم، من: استغراقية، أحد: للتوكيد، من العالمين: الإنس والجن.

[٢٩] ﴿أَيِّنُّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ



الْمُنْكَرُ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَأَتَيْنَا بَعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٤٣٠﴾

﴿أَيُّكُمْ﴾: الهمزة للاستفهام والإنكار والتوبيخ على فعلهم الفاحشة، وتكرار أأنكم لتأتون الفاحشة أأنكم لتأتون الرجال: تأكيد لتقبيح عملهم وذمهم وتوبيخهم، أنكم: للتوكيد.

﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾: اللام في لتأتون لزيادة التوكيد، تأتون الرجال شهوة. ﴿وَتَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ﴾: تقطعون الطريق على المارة بالاغتصاب وسلب أموالهم، أو بالفاحشة أو قطع النسل للعدول عن النساء إلى الرجال.

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾: النّادي: مشتقة من الفعل ندا، يندو: مجلس تجتمع القوم للحديث واللعب والمشاورة وغيرها، المنكر: كلّ ما خالف الشرع يقال له: منكر من قول وفعل مثل: فعل الفاحشة مجاهرة، وسوء الخلق والعري، والسخرية من المارة والصفير، وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال وغيرها من الأعمال التي تخالف الفطرة السليمة من العادات القبيحة.

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾: الفاء تدل على المباشرة، ما النافية، جواب قومه: ردّ قوم لوط.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿قَالُوا أَأَتَيْنَا بَعَذَابِ اللَّهِ﴾: قالوا ذلك استهزاء وكفراً وتحدياً للوط عليه السلام، وظناً منهم أنّ الله لم يحرم عليهم تلك الفاحشة أو تلك الفواحش والمنكرات.



﴿إِنْ كُنْتَ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال أو الندرة.

﴿مِنَ الصّٰدِقِيْنَ﴾: فهم غير متأكدين من صدقه، ولذلك لم يُخفهم التهديد والوعيد بالعذاب. وفي سورة النمل آية (٥٦): ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلَا لَوْ طِمْ قَرَيْتَكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾، كيف تجمع بين الآيتين، نجتمع بينهما بالقول عند التشاور، قال فريق: أخرجوه من قريبتكم، وفريق قال: ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين.

[٣٠] ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾:

قال لوط: رب انصرني على القوم المفسدين في الأرض بفعل الفاحشة والمجاهرة بها وارتكاب المعاصي وقطع السبيل، على: تفيد الاستعلاء والمشقة، المفسدين: جمع مفسد، بقطع الطريق وارتكاب المعاصي والفاحشة والمنكر، والمفسدين: جملة اسمية تدل على ثبوت فعل الفساد فيهم، فهم كانوا فاسدين في أنفسهم ومفسدين غيرهم. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١): للبيان.





البقرة العنبرية

سورة البقرة ٢٩

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا
أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ إِنِّي فِيهَا لِوَطْأٌ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهٗ
وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا
أَنَّ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ
كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ
هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿٣٥﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي
دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ أَوْ قَدْ تَبَيَّنَ
لَكُمْ مِّن مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُم عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾



سورة العنكبوت [الآيات ٣١ - ٣٨]

[٣١] ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِىِّ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: ظرفية زمانية بمعنى: وحين، متضمن معنى الشرط.

﴿جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِىِّ﴾: بالبشرى بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب (الحفيد)، رسلنا: أي ملائكتنا، ولم يذكر البشرى في هذه الآية وإنما ذكرها في آيات أخرى فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرُوهُ بِعِلْمٍ عَلِيمٍ﴾ [النّار: ٢٨]، بالبشرى: والبشرى هي الخبر السار لأول مرة. ارجع إلى سورة النحل آية (٨٩) لمزيد من البيان. ﴿قَالُوا﴾: أي رسلنا (الملائكة).

﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾: إذن هم جاؤوا لإهلاك قرى لوط، وفي طريقهم مروا على إبراهيم عليه السلام وبشروه بإسحاق ويعقوب، وأخبروا إبراهيم بما سيحل على قوم لوط من العذاب، القرية هنا قرية سدوم وهي المركز أو العاصمة لقوم لوط وتمثل بقية قرى قوم لوط، والتي سماها الله سبحانه (المؤتفكات) [الحاقة آية: ٩]، وفي سورة النجم آية (٥٣) سماها (المؤتفكة أهوى).

مهلكو أهل القرية بما قدمت أيديهم حين خرجوا عن منهج الله وارتكبوا الفاحشة التي ما سبقهم بها من أحد من العالمين.

﴿إِنَّ أَهْلَهَا﴾: إن للتوكيد، أهلها: سكان هذه القرية.

﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾: لأنفسهم بارتكاب الفاحشة التي حرمها الله على العالمين والفساد في الأرض بقطع الطريق وإتيان المنكر في ناديمهم. ظالمين: جملة اسمية تفيد الثبوت؛ أي: مستمرين بالظلم.



[٣٢] ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ﴾:

﴿قَالَ﴾: قال إبراهيم للملائكة.

﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾: ولوط عليه السلام لم يكن من أهل هذه القرية بل كان مهاجراً إليها وهو فيها الآن حاضراً؛ لذلك لم تشمله الآية السابقة (مهلكو أهل هذه القرية) ويبدو أن إبراهيم عليه السلام شغل بقصة لوط ولم يسأل عن البشري. ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ﴾: قالوا: الملائكة (الرسل)، نحن أعلم: على وزن أفعّل، وصيغة مبالغة للعلم.

﴿بِمَنْ فِيهَا﴾: الباء للإصاق، من اسم موصول بمعنى الذي فيها؛ وهو لوط، وفيها: ظرفية مكانية.

﴿لَنَنْجِيَنَّهُ﴾: اللام والنون للتوكيد؛ أي: لوط وأهله.

﴿وَأَهْلَهُ﴾: ابنتيه.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿أَمْرَاتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ﴾: امرأته: إذن هي من أهلها، ولكنه استثنائها منهم وقال امرأته، ولم يقل زوجته. ارجع إلى سورة القصص آية (٩) للبيان. الباقي في العذاب في حكم الله وعلمه الأزلي، ارجع إلى سورة النمل الآية (٥٧): للبيان.

[٣٣] ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَ بِهِمْ وَضَافَ بِهِمْ ذُرْعًا قَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَاتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو استئنافية، لما: ظرفية زمانية بمعنى حين متضمنة الشرط.

﴿أَنَّ﴾: هنا تدل على طول الزمن أو التراخي في الزمن؛ أي: كأنه كان ينتظر

بفارغ الصبر وقد طال الانتظار لمجيء هؤلاء الرسل لإهلاك قوم لوط الذين تمادوا في فعل الفاحشة.

﴿جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾: أي الملائكة الذين قدموا من عند إبراهيم.

﴿لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ﴾: أي أصابه السوء بمجيئهم حين رآهم قادمين عليه، أحزنه، ساءه مجيئهم بدل أن يفرح ويسعد بهم (لأنه لا يعلم أنهم ملائكة) لأنهم قدموا عليه بصورة بشر شبان حسان المنظر.

﴿وَصَافَ بِهِمْ ذُرْعًا﴾: أي اشتد عليه الشعور بالضيق في صدره من مجيء الرسل إليه والخوف عليهم من قومه وظن أنه غير قادر على حمايتهم من قومه عندئذ أخبروه بقولهم: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنَ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١]. وأصل ضاق ذرعاً؛ أي: ذراعه ليصل إلى شيء فلم يستطع.

﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾: الخوف هو توقع الضرر المشكوك في وقوعه، لا: الناهية، تخف من قومك علينا؛ لأنهم لن يصلوا إليك، ولا تحزن: الحزن: هو الألم النفسي المستمر، وتكرار لا يفيد تأكيد التفي بعدم الحزن وبعدم الخوف وبكلاهما.

﴿إِنَّا﴾: بصيغة الجمع للتعظيم.

﴿مُنْجُوكَ﴾: من النجاة، منجوك تدل على الثبوت، وهناك فرق بين النجاة والفوز، فالنجاة: هي الخلاص من المكروه، وأمّا الفوز فهو الخلاص من المكروه والوصول أو الحصول على المحبوب.

﴿وَأَهْلَكَ﴾: الأهل: عادة تطلق على الزوجة والأولاد، وهنا استثنى الزوجة.

﴿لَا أَمْرَانِكَ﴾: إلا أداة استثناء، وقال: امرأتك بدلاً من (زوجتك) لأن: الزوج يطلق على الذكر والأنثى وهما زوجان، وهما زوج كل؛ أي: منهما يماثل الآخر.

ولأنها كانت تخالف لوطاً في الدين والإيمان ولذلك بدل اسم الزوجة إلى امرأة. من خصوصيات القرآن استعمال كلمة المرأة إذا كانت الزوجة تخالف زوجها



في الدين أو العادات ويستعمل الزوجة إذا كانت تحاكي زوجها في الدين وغيره وليس فيها مرض أو عيب خلقي. ارجع إلى سورة القصص آية (٩) لمزيد من البيان.

﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾: الباقيين في العذاب من: غبر، ولها معنيان:

الأول: مضى، والثاني: بقي، فما دامت بقيت مع أهل قريتها فهي أصبحت من الهالكين.

[٣٤] ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: بصيغة الجمع للتعظيم، الملائكة يخبرون لوطاً بما سيفعلون بأهل هذه القرية والقرى الأخرى المماثلة.

﴿مُنْزِلُونَ﴾: الله سبحانه هو المنزل وهم رسل الله تعالى.

﴿عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾: سدوم وأخواتها (المؤتفكات).

﴿رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾: الرجز: العذاب من السماء وهو إنزال الحجارة من سجل منضود، رجزاً بصيغة النكرة للتهويل. ارجع إلى سورة الحجر آية (٧٤)، وسورة هود آية (٨٢).

﴿بِمَا كَانُوا﴾: الباء للإلصاق والملازمة، باء السببية، ما مصدرية.

﴿يَفْسُقُونَ﴾: الفسق: هو الخروج عن طاعة الله تعالى بفعل الفاحشة، وبصيغة المضارع؛ لتدل على تجدد وتكرار الفسق. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٦) لبيان معنى الفاسقين.

[٣٥] ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام لام التوكيد، قد: للتحقيق.

﴿تَرَكْنَا مِنْهَا﴾: تركنا منها: أي من القرية بعض الآثار الدالة على تدمير

قوم لوط التي تعتبر:



﴿آيَةً بَيِّنَةً﴾: دليلاً وبرهاناً واضحاً على أن عذابه هو العذاب الأليم الشديد، قيل: إن جبريل اقتلع القرية من جذورها من الأرض، ثم رفعها إلى عنان السماء، ثم قلب عاليها سافلها، ثم تركها تهوي على الأرض، ثم أمطر الله سبحانه عليها؛ أي: على أهلها، حجارة من سجيل منضود.

ولنعلم أن الدراسات الحديثة بيّنت أن هناك بعض الآثار الدالة على تلك الحجارة من سجيل التي اكتشفت في ديار قوم لوط كما يظن بعض علماء الآثار، وتبيّن من تركيبها أنها حجارة لا تخص الأرض. كريات من حجر الكبريت الخالص مدفونة في منحدرات صخرية على خواف البحر الميت، ووجود عظام محروقة هائلة العدد قد يكون لها علاقة بقوم لوط، أو لا الله أعلم.

﴿لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، يعقلون: يتفكرون بالأسباب والنتائج فيدركون الحقيقة فيتجنبوا تلك الفاحشة؛ لئلا تكون عاقبتهم مثل عاقبة قوم لوط، ارجع إلى سورة الحجر الآيات (٧٤-٧٧): لمزيد من البيان.

[٣٦] ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أي وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيباً، ارجع إلى الآية (٨٤) من سورة هود للبيان. اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، والعبادة: هي طاعة الله (المعبود) فيما أمر ونهى عنه ولا تكون إلا للخالق، ارجع إلى الآية (٧٣) من سورة النحل لمزيد من البيان.

﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: أي آمنوا باليوم الآخر بالبعث والحساب واستعدّوا له وخافوه من سيئات أعمالكم وخافوا أهواله وأحداثه.

﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: لا النّاهية، تعتوا: من العثي: وهو أشد الفساد؛ أي: لا تبغوا الفساد في الأرض وتتمادوا فيه بإنقاص المكيال والميزان والبغي والكفر وارتكاب المعاصي، وإهلاك الحرث والنسل انتهوا خيراً لكم،



وقوله: (ولا تعثوا في الأرض) تعني: لا تفسدوا قليلاً ولا كثيراً؛ أي: لا تفسدوا في الأرض بكل أشكال الفساد وبنية أو بغير نية؛ أي: قصد، وقوله: (مفسدين): حال مؤكدة، ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة للمزيد من البيان.

[٣٧] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ﴾:

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: الفاء تدل على التعقيب والمباشرة، كذّبه قومه ولم يصدقوا ويطيعوا ما أمرهم به أو نهاهم عنه، وأصروا على ذلك ولم يتوبوا.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الأخذ يعني: الانتقام بشدة وبقوة، والأخذ يعني: الهلاك؛ أي: أهلكتهم الرجفة الزلزلة الشديدة العظيمة، والفاء: تعليلية أو سببية.

انتبه إلى الفرق بين الرجفة والزلزلة: الرجفة: هي الزلزلة الشديدة التي يصاحبها انفجار شديد في باطن الأرض، فالزلازل ثلاثة أنواع أو أشكال حسب تحرك الصفائح القارية تحت البحار.

الزلازل السطحية أقل من (٦٠) كم والمتوسطة يتراوح عمقها (٦٠-٣٠٠) كم والعميقة التي يصل عمقها إلى (٧٠٠) كم.

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ﴾: الفاء للمباشرة، أصبحوا: صاروا، في: ظرفية، دارهم: بلدهم أو ديارهم؛ أي: مساكنهم أو منازلهم، جاثمين: جمع جاثم: اسم فاعل من فعل جثم، والجاثم: هو من لزم مكانه فلم يبرحه، لم يكن هناك أي زمن حتى ليتحرك خطوة إلى الأمام أو الخلف ليحاول النجاة أو الهرب، فظل على حاله هلك وهو واقف أو قاعد أو نائم.

[٣٨] ﴿وَعَادًا وَثُمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَانِهِمْ وَرَبِّكَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾:

﴿وَعَادًا وَثُمُودًا﴾: وعاداً: الواو لمطلق الجمع وليس للترتيب؛ لأن عاد وثمود جاؤوا قبل مدين.

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا﴾: أي وأهلكنا عاداً وثموداً، أو اذكر عاداً وثموداً؛ أي: قبيلة عاد: قوم هود ونيبهم هود عليه السلام، سكنت جنوب اليمن حضر موت (الأحقاف)، وقبيلة ثمود: قوم صالح ونيبهم صالح عليه السلام، سكنت في الحجر في بلاد الأردن شمال الحجاز.

﴿وَقَدْ﴾: قد: للتحقيق والتوكيد.

﴿تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّن مَّسْكِنِهِمْ﴾: تبين لكم من مساكنهم الخالية أو الخاوية على عروشها، إهلاكهم؛ أي: ظهر لكم يا أهل مكة وغيرهم من آثارهم كيف فعلنا بهم وانتقمنا منهم.

﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾: من الكفر والشرك والمعاصي، زين: من التزيين: ارجع إلى الآية (٤) من سورة النمل للبيان. زين لهم الشيطان أعمالهم بالوسوسة والتزيين؛ لكي يرى الباطل حقاً والحق باطلاً والمعروف منكراً والمنكر معروفاً، وزين لهم الفاحشة والمعاصي باللذة الزائلة، والشرك والفساد في الأرض، وجحد نعم الله عليهم والظلم والطغيان.

﴿فَصَدَّهُمُ عَنِ السَّبِيلِ﴾: الإيمان بالله تعالى وطاعته وتوحيده ودينه.

﴿وَكَاثُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾: جمع مستبصر من فعل: استبصر، كانوا ذوي عقول وبصائر ومعرفة ببناء المدن والمصانع والقصور، ولكن لم يستفيدوا من عقولهم وبصائرهم فعموا وصمّوا، أو لم يعلموا عاقبة أمرهم من العذاب الذي ينتظرهم.





سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ ٢٩

الجزء العنكبوت

وَقَرُّوْكَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى
بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ
(٣٩) فَكَلَّا أَخَذْنَا بِنَبِيٍّ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ
الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) مَثَلُ الَّذِينَ
أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ
أَتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنَكَبُوتِ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ
الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ
(٤٣) خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٤٤) أَتُلُّ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)

سورة العنكبوت [الآيات ٣٩ - ٤٥]

[٣٩] ﴿وَقَرْنُوا وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾:

﴿وَقَرْنُوا وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ﴾: أي وأهلكنا قارون وفرعون وهامان، وقارون: أهلكناه بالخسف، خسفناه به وبداره الأرض؛ لبغيه في الأرض وكفره، وقدم قارون على فرعون وهامان؛ لأنه كان عالماً بالتوراة وابن عم موسى وكان من المستبصرين أيضاً، ولكن كل ذلك لم ينفعه، وفرعون وهامان: أغرقناهما. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون (الأب رمسيس الثاني) أم الابن فرعون (الخروج)؟ ويبدو في هذه الآية أنه فرعون الخروج؛ أي: الابن، وارجع إلى سورة القصص آية (٦) للتعرف على هامان.

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالآيات التسع والحجج الدالة على قدرة الله وعظمته ووحدانيته، الباء للإلصاق والملازمة.

﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، استكبروا؛ أي: أظهروا تكبرهم وعظم شأنهم فلم يؤمنوا بموسى وآياته بل طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد، وقال فرعون: يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري.



﴿وَمَا كَانُوا سَافِقِينَ﴾: ما النَّافية، كانوا سابقين: جمع: سابق، من: سبق وتسابقا وسابقوا، والسَّابق يقتضي مسبقاً، فالله سبحانه سابق كلِّ حيٍّ أو كائن؛ أي: لا يفوته شيءٌ ولا أحدٌ من العالمين بالهرب أو الإفلات من الحساب، أو البعث والجزاء والعذاب أو العقاب، فقارون وفرعون وهامان وغيرهم لم يكونوا فائتين من العذاب أو معجزين أو ناجين.

[٤٠] ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾:

﴿فَكَلَّا﴾: الفاء للتوكيد، كلاً؛ أي: كل واحد ممن ذكروا من المكذبين، والتَّوْنين عوضٌ عن القول: وكل واحد ممن ذكروا.

﴿أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ﴾: أهلكناه وعاقبناه بذنبه، الباء للإلصاق بآء السببية أو البدلية بسبب ذنبه، والأخذ فيها معنى القوة والشدة؛ وتعني: العقاب بشدة وبقوة، وتقديم المفعول على الفعل للاهتمام وبدلاً من القول: وأخذنا كلاً بذنبه قال: فكلاً أخذنا بذنبه.

﴿فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾: أمثال قوم لوط قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ [القمر: ٢٤]، وكذلك الرِّيح العقيم العاصف حينما تهبُّ تحمل الحصى والحجارة وتقلع الناس.

﴿وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾: ومنهم من أهلكته وقضت عليه، الصَّيْحَةُ:

صوت الانفجار الذي يصاحب الرجفة كما حدث لثمود ومدين. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٧٨): لبيان معنى الصيحة.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾: كفارون.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾: كفرعون وقوم نوح.

﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ﴾: ما النافية. كان: تشمل كل الأزمنة.

﴿لَيُظْلِمَهُمْ﴾: اللام لام التعليل؛ أي: ليعذبهم بدون ذنب أو سبب.

﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: يظلمون أنفسهم بالشرك والكفر

وارتكاب المعاصي والكبائر، والفساد والبغي في الأرض بغير حق، يظلمون: بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد والتكرار.

[٤١] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾: المثل: الصفة كقوله تعالى:

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥]؛ أي: صفة الجنة، وتضرب الأمثال

لإزالة الغموض، فمثل الكفار أو المشركين الذين اتخذوا أولياء مع الله؛ أي: (شركاء آلهة أو أصناماً).

﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾: (الأنثى دون الذكر) هي المسؤولة عن بناء بيت

العنكبوت المنسوج من خيوط الحرير التي تصنعها بنفسها من مادة الحرير،



فقد اكتشفت العلماء أنّ للعنكبوت غدتين: غدة تفرز الحرير لتصنع منها خيوط الحرير، وغدة أخرى تفرز مادة سامة جداً تقتل بها الحشرات أو ما تصطاده.

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: فقد كانوا يظنون قديماً أنّ بيت العنكبوت هو أوهَن البيوت؛ أي: أضعف البيوت؛ لأنّ الرّيح إذا هبّت عليه يتطاير ويتهدّم ولا يقي من أذى الحر أو البرد، وأنّ حشرة العنكبوت ضعيفة، وتبيّن حديثاً أنّ كلّ هذه المعلومات غير صحيحة وبالعكس إنّ حشرة العنكبوت لها أكثر من (٣٠ ألف) نوع من العناكب (تقرير من العلوم الحية)، وأنّ الأنثى تفرز مادة سامة تؤثر في فريستها فتصيب الجهاز العصبي مما يؤدي إلى شلل الفريسة بعد أن تُصعق ثمّ تموت، ثمّ تقوم حشرة العنكبوت بإحضار الفريسة إلى العش وبالتالي تتغذى بها، وتبين أنّ خيوط الحرير التي تنسجها لصناعة العش من أقوى الخيوط، فهي تعادل (٥) أضعاف الفولاذ؛ أي: الحديد، وتبين أنّ الله سبحانه وصف بيت العنكبوت بأوهَن البيوت؛ لأنّ الأم أنثى العنكبوت بعد أن تبني بيتها وتلد ويكون لها أولاد وزوج؛ أي: عائلة، إذا ضاقت عليها السبل ولم تجد ما تأكله تفترس أولادها وزوجها بعد أن تصعقهم بسمها القاتل وتقضي عليهم، فأيّ بيت أوهَن وأقبح من هذا البيت الذي ليس فيه سكن وأمن وطمأنينة؟!

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: لو كان هؤلاء الذين يتخذون من دون الله أولياء يعلمون أنّ حالهم في عدم الانتفاع من أوليائهم كحال أنثى العنكبوت، التي سرعان ما تقضي على أولادها ورب بيتها لتتغذى بهم حين تضيق بها سبل العيش وتكون سبب هلاكهم وخسرانهم وضياعهم.



[٤٢] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

ليعلم، أو إن قل للكفرة والمشركين والذين اتخذوا أولياء من دون الله.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: للتوكيد. الله سبحانه واجب الوجود الإله الحق المعبود.

﴿يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ﴾: يعلم ما يعبدون من دونه وما يشركون به، ما: اسم موصول بمعنى الذي، أو استفهامية، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: من ابتدائية من غيره، من شيء: من استغراقية تستغرق وتشمل كل شيء مهما كان نوعه (شيء نكرة) وشيء هو أقل القليل. شيء؛ أي: صنم أو وثن.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي الذي لا يُغلب ولا يُقهر، وله العزة جميعاً عزة القوة وعزة الغلبة وعزة القهر.

﴿الْحَكِيمُ﴾: أحكم الحكماء، وأحكم الحاكمين في كل ما قضى وأمر ووصى ونهى، وأحيا وأمات، وأهلك وعفا وغفر، في خلقه وكونه وشرعه أحكم الحكماء. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

[٤٣] ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾:

﴿وَتِلْكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿الْأَمْثَلُ﴾: جمع: مثل، والمثل تعريفه: ارجع إلى الآية (٧٤) من سورة

التحل.



﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾: اختار سبحانه كلمة (نضربها) بدلاً من نتلوها أو نقصّها؛ لأنّ الضرب فيه تهيج للنفوس والتأثير فيها، وكأن ضارب المثل يقرع به آذان السّامع وينفذ بعد ذلك أثره إلى القلب أملاً في تنبيه وهداية السّامع إلى الصّراط المستقيم، وتبيان الحق، وإزالة الغموض.

﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾: العالمون: جمع عالم، والعالمون أعلى درجة وأشرف، وهم قمة العلم، وأمّا العلماء وهي: جمع عالم أيضاً، ولكنهم علماء بجزئية معينة أو واحدة، أو يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا.

ما النّافية، يعقلها: أي ما يفهم ويدرك حقيقتها ومعناها وما تنطوي عليه من أسرار الخلق وعظمة الخالق وقدرته إلا العالمون، إلا: أداة حصر، العالمون: العالمون بالله سبحانه أو العالمون بدين الله وكتابه وشريعته وأحكامه، والعالمون جمع مذكر سالم، والعلماء جمع تكسير، ومعلوم لدينا أن جمع المذكر السّالم هو أفضل وأشرف وأعلى من جمع التكسير.

[٤٤] ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق والمصاحبة، والحق: هو الشّيء الثّابت الذي لا يتغير أو يتبدل؛ أي: بالدقة الفائقة والقوانين الثّابتة التي تحكم السّموات والأرض وما فيها من أجرام ومجرات ونجوم وكواكب ثابتة لا تصطدم ببعضها رغم اختلاف حجمها وأبعادها منذ (١٣،٥) مليار سنة) وهذا عمر الكون كما قدره علماء الفلك، وعمر الأرض قدره علماء الفلك بـ (٤،٥) مليار

سنة). ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٣٠)، وسورة الأعراف آية (٥٤)، وفصلت آية (١٠-١١).

﴿إِن﴾: للتوكيد.

﴿فِي ذَلِكَ﴾: أي في خلق السموات والأرض بالحق لآية للمؤمنين.

﴿لَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: السلام لام التوكيد والتعليل، للمؤمنين: اللام لام الاختصاص؛ أي: كونه خلق السموات والأرض فهذه علامة ودلالة واضحة وبينه على أنه هو الإله الحق الذي يجب أن يُعبد ويُطاع، وما دونه هو الباطل.

[٤٥] ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾:

﴿أَتْلُ﴾: أتل من: التلاوة وهي القراءة من كتاب الله الكلمة بعد الأخرى، والفرق بين التلاوة والقراءة: التلاوة تكون من الكتب المنزلة، وهي أخص من القراءة فكل تلاوة قراءة وليس كل قراءة تلاوة، والتلاوة لها أجر كل حرف بعشر حسنات، والقراءة العادية ليس لها أجر، والخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ وإلى أمته ﷺ.

﴿مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾: ما: اسم موصول بمعنى الذي، أوحى إليك: أوحى إليك عن طريق جبريل عليه السلام، والوحي في اللغة: الإعلام بالخفاء، وفي الشرع: ما يُلقى الله سبحانه من آيات وتعاليم ووعد ووعد، ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣): لمزيد من البيان في معنى الوحي.

﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾: من ابتدائية استغراقية، الكتاب: القرآن وسمي الكتاب؛



لأنه مكتوب في السّطور. و(ما) أعم وأشمل من (الذي) فالوحي قد يشمل القرآن وغيره مثل الأحاديث القدسية وغيرها. وأل التعريف تدل على الكمال. ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾: أي أتمم وأكمل الصّلاة بشروطها وأركانها وواجباتها، وسننها وخشوعها ولأوقاتها.

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾: إن للتوكيد، الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر: هذا مقصد من مقاصد إقامة الصّلاة وهدف وثمره من ثمراتها؛ أي: أن صلاة العبد تذكّره وتنهيه عن فعل الفحشاء. والفحشاء: هي كلّ ما اشتدّ قبحه من الأفعال والأقوال، أو كلّ معصية لها حد في الدّنيا، والبدعة والزّنى والمعاصي، والمنكر: كلّ ما أنكره الشّرع وأنكره الطّبع السّليم مثل الشّرك، والبدعة، ويستحق فاعله النّار فإذا لم تنهه عن ذلك فصلاته فيدل ذلك على أنها لم تؤثر في سلوكه، فيجب التوبة إلى الله ومراقبة الله والخوف منه.

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: الذّكر أي الصّلاة أو الذّكر العادي من تسبيح وحمد وتهليل وثناء، وذكر الله له عدة معانٍ:

أولها: ذكر الله لعبده أكبر من ذكر العبد لربه كقوله: اذكروني أذكركم، فذكر الله لعبده في الملأ الأعلى (الملائكة) وذكر الله لعبده بالثّواب والرّحمة والأجر أكبر وأعظم من ذكر العبد لربه.

ثانياً: ذكر الله تعالى في الأوقات خارج الصّلاة أكبر من ذكر الله في الصّلاة؛ لأنّك في الصّلاة مستعد ومهيأ، ولكن حين تذكر الله تعالى في أوقات الشّغل والحركة وأوقات التّعب أكبر، أو أكثر ثواباً ودرجة عند الله تعالى.



ثالثاً: ولذكر الله تعالى أكبر من كلّ شيء آخر من سائر الأعمال الأخرى؛
أي: هو أفضل الطّاعات.

رابعاً: ولذكر الله تعالى أكبر عند الهمّ بفعل الفاحشة أو المنكر ثمّ الامتناع
عن القيام بها؛ لأنّه ذكر ربه ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَفِئَ أَحْسَنَ مَثْوًى إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، وقد تعني كلّ هذه المعاني معاً.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾: ولم يقل يعلم ما تعملون أو تفعلون؛ لأن فعل
الفحشاء والمنكر وارتكاب المحرمات يحتاج إلى خبرة وجرأة وحيلة، فهي
أفعال نادرة ليست عادية، وشبهها بالصنعة التي تحتاج إلى من يتقنها.





سورة العنكبوت ٢٩

سورة العنكبوت

وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾
وَكَذَلِكَ أُنْزِلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْدُتْ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾



سورة العنكبوت [الآيات ٤٦ - ٥٢]

[٤٦] ﴿وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بَالِغِي أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾:

﴿وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: السواو استثنائية، لا الناهية، تجادلوا أهل الكتاب: الجدل هو الحوار الذي يحدث بين طرفين أو أطراف، ويكون لدفع شبهة أو إثبات حق أو إظهار حجة، ويجب أن يكون له هدف أو غاية وهي إظهار الحق وإبطال الباطل، وإخراج الإنسان من الكفر إلى الإيمان وليس مجرد جدال لا فائدة منه، أهل الكتاب: أهل التوراة والإنجيل؛ أي: اليهود والنصارى.

﴿إِلَّا بَالِغِي أَحْسَنُ﴾: إلا تفيد الحصر، فقط جادلوهم بالتي هي أحسن: أفضل، وهي الحكمة والموعظة الحسنة والرفق واللين، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾: إلا أداة حصر، ظلموا منهم: بالشرك أو أظهروا لكم العداء والمحاربة، عندها جادلوهم بالمثل.

﴿وقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾: آمنا؛ أي: صدقنا وآمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله إيمان عقيدة، والذي أنزل إلينا؛ أي: بالقرآن.

﴿وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾: أي التوراة والإنجيل، ولا يدخل في ذلك ما حرّفوه أو بدّلوه.



﴿وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُكُمُ وَحِدٌ﴾: الإله: مشتقة من ألّه؛ أي: عبَد، فيكون الإله هو المعبود، واحد؛ أي: لا شريك له ولا ولد ولا نَدَّ ولا مثل. ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: مخلصون موحدون منقادون مطيعون، ومسلمون: جملة اسمية تفيد الثبوت والاستقامة على ذلك.

[٤٧] ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَانَيْتَهُمْ أَلْكَتَبَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾:

﴿وَكَذَلِكَ﴾: أي مثل ما أنزلنا الكتب السماوية السابقة الزبور والتّوراة والإنجيل أنزلنا إليك الكتاب؛ أي: القرآن.

﴿أَنْزَلْنَا﴾: من أنزل؛ وتعني: جملة واحدة دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا، كما أنزلنا الكتب الأخرى التّوراة والإنجيل دفعة واحدة على موسى وعيسى، ولو قال نزلنا، لكان يعني منجّماً على دفعات. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لمعرفة الفرق بين أنزل ونزل.

﴿إِلَيْكَ﴾: وليس عليك، ارجع إلى الآية (٤) من سورة البقرة للبيان.

﴿أَلْكَتَبَ﴾: أي القرآن، ارجع إلى الآية (٢) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿فَالَّذِينَ ءَانَيْتَهُمْ أَلْكَتَبَ﴾: الذين: للجمع أمثال عبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتاب الذين آمنوا بالرّسول ﷺ. ولم يقل: فالذين أوتوا الكتاب؛ لأن الذين

آتيناهم الكتاب في القرآن تأتي في سياق التكريم والمدح مقارنة بالذين أوتوا الكتاب تأتي في سياق أو مقام الذم.

﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: بالقرآن الكريم، يؤمنون تفيد التكرار والتجدد والاستمرار؛ يؤمنون بأنه منزل من الله عز وجل، ولا ريب فيه، وآخر الكتب المنزلة؛ يؤمنون بما جاء به من الحق، وتوحيد الله وربوبيته وأسمائه وصفاته، وبالتعاليم والآيات والأحكام إيماناً تاماً، ومصداقاً ومهيماً على غيره من الكتب السماوية.

﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾: من: ابتدائية بعضية، وتأتي في سياق المفرد والمثنى والجمع؛ هؤلاء: الهاء للتنبيه، وأولاء: اسم إشارة وتشير إلى أهل مكة، من: اسم موصول بمعنى الذي، يؤمن به: بالقرآن الكريم أو الكتاب، يؤمن به الآن أو في المستقبل.

﴿وَمَا يَجْحَدُ﴾: ما النافية، يجحد من الجحود: وهو إنكار الشيء الظاهر بقصد وتعمد، أما الإنكار: فهو يشمل إنكار الشيء الخفي مثل إنكار النعم سواء رافقه علم أو بغير علم، ارجع إلى سورة الأعراف آية (٥١) لمزيد من البيان.

﴿يَايُنْتَنَّا﴾: الباء للإلصاق، آياتنا: جمع آية: اسم علم مؤنث، والآية لغة: هي العلامة والعبرة والمعجزة والدليل والأمر العجيب والجماعة والبرهان، ومنها الآيات القرآنية أو الكونية أو الدالة على نبوة محمد ﷺ أو الرسل والأنبياء، وإضافة الآيات إليه سبحانه للتشريف، وتأتي بصيغة الآيات، آياته، آياتي، آياتنا.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿الْكَافِرُونَ﴾: جمع كافر: وهو الذي يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله



واليوم الآخر، والكفر يعني جحود الوحداية أو النبوة أو الشريعة، والكافرون تشير إلى أن صفة الكفر ثابتة وملازمة لهم، والكافرون تدل على الحدث؛ أي: الفعل وهو الكفر، ولم يقل الكفار التي تدل على صنف من الناس، وفيها مبالغة تشمل الكافرين والمشركين. ارجع إلى سورة البقرة آية (٦) لمزيد من البيان.

[٤٨] ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَزَبْتَ الْمُبْطُلُونَ﴾:

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا﴾: ما النافية، كنت تتلو: من التلاوة وهي القراءة من القرآن، ولا تكون إلا من القرآن، واختار (تتلو)؛ لأنك لا تقرأ إلا ما سمعت من جبريل، وتتلو: أي تقرأ بعد ما سمعت؛ أي: تسمع أولاً ثم تحفظ ثانياً ثم تقرأ ما حفظت ثالثاً.

والتلاوة: تعني تتلو آية بعد آية.

﴿مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾: من قبله: أي من قبل نزول القرآن عليك، من استغراقية، كتاب: نكرة؛ تعني: أي كتاب.

﴿وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾: يعني الكتابة؛ أي: كفار قريش أو أهل مكة يعلمون سيرتك من قبل نزول القرآن عليك، أنك ما تلوت قبله أي كتاب وما كتبت بيمينك أي كتاب؛ أي: ما علموا من (٤٠) سنة قبل البعثة لك أي قراءة أو كتابة، ومن الجدير بالذكر أنه قد ذكر في التوراة والإنجيل أن محمداً ﷺ لا يخط ولا يقرأ.

﴿إِذَا﴾: حرف جواب.

﴿لَا زَبَابَ الْمُبْطُلُونَ﴾: اللام للتوكيد، ارتاب من: الريبة وهي الشك



والإتهام، المبطلون: جمع مبطل وهم الذين يأتون بالباطل، والباطل هو ما لا وجود له، المبطلون الذين يقولون: هو سحر أو شعر أو كذب أو افتراء، أو يعلمه بشر أو كان يعلم القراءة والكتابة، والمبطلون: مشركو مكة أو كفار اليهود وغيرهم، فيما أنك كنت لا تتلو قبل القرآن من كتاب ولا تكتب، فلم يعد هناك سببٌ للريبة؛ أي: الشك وإتهامك بالباطل.

[٤٩] ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْنِتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد؛ أي: القرآن أو الكتاب.

﴿آيَاتٌ يَبْنِتُ﴾: آيات قرآنية واضحة بيّنة دالة على الحق في صدور الذين أوتوا العلم. ارجع إلى الآية (٤٧) السابقة لبيان معنى آيات.

﴿فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: في ظرفية، صدور؛ أي: قلوب الذين أوتوا العلم: من المتقين الحفظة لكتاب الله تعالى، وأوتوا العلم: علم الدين أو العالمون والحفاظ من الصحابة الذين كانوا في زمن الرسول ﷺ وغيرهم، وكونه في صدور الذين أوتوا العلم فهو محفوظ بخلاف الكتب الأخرى، وبما أنه استقرّ في قلوبهم فقد تحوّل إلى عقيدة وإيمان.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا﴾: ارجع إلى الآية (٤٧) السابقة؛ أي: ما يجحد بآيات القرآن.

﴿الظَّالِمُونَ﴾: المشركون أو كفار اليهود، أو من يعرفون الحق ثم



ينكرونه. والظالم: جمع ظالم، وهو من يخرج من منهج الله. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٤) لمزيد في معنى الظالمون.

[٥٠] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: كفار مكة وكفار أهل الكتاب وغيرهم.

﴿لَوْلَا﴾: حرف تخصيصٍ وحثٍّ.

﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾: أي معجزات أخرى تدل على نبوته مثل ﴿لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُنْفَخَ إِلَيْهِ كَافُرًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفرقان: ٧-٨]، ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْفًا﴾، ﴿أَوْ تَرَفَّى فِي السَّمَاءِ﴾ [الإسراء: ٩٢-٩٣] وغيرها من الآيات.

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله ﷺ لهم.

﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾: إنما كافة مكفوفة للتوكيد، الآيات: المعجزات التي تطلبونها ليست عندي وإنما عند الله تعالى، هو القادر على أن ينزلها عليكم إن شاء.

﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: إنما للتوكيد والحصر، أنا نذير (الإنذار: الإعلام والتحذير)، وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [الرعد: ٤٠]، إذن: التبليغ والإنذار فهذه مهمتي، وليس مهمتي إنزال أي آية عليكم، نذير مبين: نذير للكفار وغيرهم وللمن عصى ربه وخالف أمره، مبين: نذير لكل فرد بدون استثناء، إنذار واضح لا يحتاج إلى دليل أو حجة أو من يظهره وإنذار تام.



ولم يقل بشير ونذير واكتفى بالإندار؛ لأنه يتكلم عن الكافرين والظالمين والمبطلين وهم أهل باطل وجحود فيناسبهم الإندار فقط، ولو استجاب لهم رب العالمين وأنزل عليهم تلك الآيات ولم يؤمنوا، لأهلكهم الله كما فعل بالأمم السابقة. ارجع إلى سورة الفرقان الآية (٥٦) لمزيد في معنى الإندار.

[٥١] ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري والتعجب، الواو تفيد شدة الإنكار. ﴿يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: أولم يكفهم دليلاً على صدقك ونبوتك أنا أنزلنا، أنا: للتعظيم، أنزلنا عليك الكتاب؛ أي: القرآن. ارجع إلى الآيات (٢-٤) من سورة البقرة لمعرفة الفرق بين أنزل ونزل، وعليك وإليك الكتاب، يتلى عليهم: ارجع إلى الآية (٤٨) من السورة نفسها.

أي: يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بدلاً مما يطلبونه من الآيات الأخرى.

﴿إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ﴾: إنَّ للتوكيد، في ظرفية، ذلك اسم إشارة للبعد يشير إلى إنزال الكتاب عليك.

﴿لَرَحْمَةٌ﴾: اللام تفيد التوكيد، رحمة: هي كل ما يجلب ما يسر ويدفع ما يضر؛ أي: وقاية لكم.

﴿وَذِكْرَىٰ﴾: تذكرة.

﴿لِقَوْمٍ﴾: اللام لام الاختصاص.



﴿يُؤْمِنُونَ﴾: أي إنزال الكتاب يكفي آية لقوم يؤمنون ولا يحتاجون معه إلى آية أخرى، وهو أكبر آية أو معجزة نزلت للبشرية وإلى يوم القيامة، وهو كذلك رحمة وذكرى وهدى لأي مؤمن بالله، وهو المعجزة الخالدة على مر العصور، ولكل الأجيال، وأما الآيات التي يطلبونها آيات مؤقتة غير دائمة.

[٥٢] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله ﷺ لكفار مكة وكفار أهل الكتاب.

﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾: هذه هي الآية الوحيدة في القرآن التي آخر فيها شهيداً على بيني وبينكم. انظر في ملحق الآية للإجابة على هذا السؤال؛ أي يكفي أن يشهد الله عز وجل أنني رسوله وأن هذا كتابه، شهيداً؛ ولم يقل شاهداً، الشَّهيد فيه مبالغة في الشَّهادة؛ أي: يعلم تفاصيل ما حدث بيني وبينكم، بالله: الباء للإصاق والتوكيد؛ أي: شهيداً على أنني رسول الله إليكم، وأني قد بلغتكم ما أرسلت به إليكم وأنذرتكم، الإنذار المبين، والبلاغ المبين.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي كفى به شهيداً؛ لأنه سبحانه يعلم ما في السموات والأرض، ولا أحتاج إلى شهيد غيره.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾: والذين آمنوا منكم بالباطل. الباطل لغة: هو الذاهب الزائل، أو الفاسد، وليس له وجود في الأصل، ويطلق على الظلم، والشرك والكذب والإحباط والشيطان، وعبادة الأوثان والأصنام وأشركوا، وكفروا بالله: الباء تدل على كفر العقيدة، جحدوا بوجوده أو وحدانيته مع كل هذه الأدلة والبيانات.



﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿الْخٰسِرُونَ﴾: لأنفسهم يوم القيامة، وسماهم الخاسرون؛ لأنهم اشتروا الكفر بالإيمان؛ أي: آمنوا بالباطل وكفروا بالله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فهم الخاسرون، ولم يقل هم الأخسرون؛ لأن كفرهم وعدم إيمانهم مقتصر عليهم أنفسهم ولم يضلوا غيرهم. ارجع إلى سورة النساء آية (١١٩)، وهود آية (٢٢)، والحج آية (١١) لمزيد من البيان في التفريق بين الخاسرون والأخسرون والخسارة.

انتبه هذه الآية الوحيدة التي آخر كلمة (شهيداً) فقال تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللّٰهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ وفي كل الآيات المشابهة قدم شهيداً فقال تعالى: ﴿كَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الرعد: ٤٣] وهذا هو الأصل.

فلماذا خرج عن الأصل في آية العنكبوت؟ الجواب: خرج عن الأصل لكي يُتبع الصِّفة موصوفها، الصِّفة: يعلم، والموصوف شهيداً: فقال تعالى: شهيداً يعلم، ولو قال تعالى شهيداً بيني وبينكم يعلم، لحدث تأخير بين الصِّفة والموصوف مما يدل على ضعف الكلام أو الجملة، وقد يحدث ذلك ويجوز أن يفصل ولو بفواصل طويلة إذا كان هناك مبرر أو سبب.





سُورَةُ الْفَاتِحَةِ ٢٩

الْبُرْجُ الْإِسْلَامِيُّ

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَأِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٥٥﴾ يَعْبادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ
﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ
رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِنْ
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يُوَفِّكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾



سورة العنكبوت [الآيات ٥٣ - ٦٣]

[٥٣] ﴿وَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

سبب النزول كما قال مقاتل قيل: نزلت في النضر بن الحارث، وقيل: نزلت في أبي جهل كما روى البخاري عن أنس حين قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].
وقولهم: ﴿رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦].

﴿وَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾: السَّيْنُ والتَّاءُ تعني الطَّلَبُ؛ أي: يطلبون منك تعجيل العذاب لهم، وهم كفار قريش أمثال النضر بن الحارث وأبي جهل، يطلبون ذلك إما لعدم تصديقهم بوقوعه أو استهزاءً وتعنتاً وأنهم لا يخافونه، ولو أيقنوا بوقوعه لخافوا منه وما استعجلوه.

(والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السَّبب).

﴿بِالْعَذَابِ﴾: الباء للإلصاق، العذاب عذاب يوم القيامة، أو العذاب في الدنيا مثل يوم بدر.

﴿وَلَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود.

﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: بيَّنه الله سبحانه في اللوح المحفوظ متى سيقع وآخره سبحانه؛ لأنَّه غفور حلِيم ولعلمهم يتوبون.

والأجل: زمن، أو هو الوقت المضروب لانقضاء الشيء أو وقوعه فلكل



عذاب أجل ولكل قوم أجل، وأجل الإنسان هو الوقت لانقضاء عمره، والأجل قد يكون يوم القيامة أو الموت أو البعث حسب السياق.

﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾: لجاءهم العذاب عاجلاً؛ أي: في الدنيا والهلاك والتدمير والأوبئة والكوارث الكونية من فيضانات وحرائق ومجاعة وبرد وحر ومرض وهزيمة وخزي وغيره من أنواع العذاب والذي يسمى العذاب الأدنى، أو العاجل، أو عذاب الخزي، واللام في كلمة (لجاءهم) للتوكيد، والمجيء فيه معنى القسوة والمشقة؛ أي: لن يكون سهلاً عليهم.

﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾: الواو واو القسم، واللام للتوكيد وكذلك النون لزيادة التوكيد، وليأتينهم بغتة: فجأة في الدنيا أو في الآخرة بغتة، وليس حسب ما يرغبون.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: هم: للتوكيد، لا: النافية، هم يشعرون: بوقت إتيانه أو وقوعه؛ ولكن شعورهم لا ينفعهم ولا يُغني عنهم شيئاً.

[٥٤] ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾:

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾: في الدنيا، وتكرار يستعجلونك توكيد لإصرارهم وتكرار استعجالهم وطلبهم للإتيان به، وجاء بصيغة المضارع؛ ليدل على أن طلبهم لم يتوقف واستمر، والباء للإلصاق والمداومة على طلب إنزال العذاب بهم تعنتاً واستهزاءً.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾: إن للتوكيد، لمحيطـة: اللام تفيد زيادة التوكيد، جهنم: مشتقة من كونها بعيدة القعر كريهة المنظر. ارجع إلى الرعد آية (١٨): اسم من أسماء النار، محيطـة بالكافرين: جملة تعليلية؛ أي: كأن جهنم تحيط بهم الآن من كل جانب من الأمام والخلف واليمين والشمال؛ أي:

الإحاطة تشمل الأربع جهات، وجاءت الآية التالية (٥٥) للتأكيد على الجهات الأربع، وكذلك لتخبرنا أنها سوف تأتيهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم أيضاً، وهم لا يشعرون بها لغفلتهم، وقوله لمحيطه بهم: تعني قرب يوم القيامة، ووقوع العذاب بهم.

[٥٥] ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: نكرة للتحويل والتعظيم؛ أي: يوم القيامة.

﴿يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ﴾: أي يحيط بهم من كل الجوانب والجهات.

﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾: فوق أو تحت: ظرف مكاني، وتكرار (من) تفيد القرب؛ أي: هم تحت العذاب مباشرة، ومن تفيد التوكيد وفصل فوقهم عن تحت أرجلهم، فالعذاب يأتيهم من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم من كل ناحية ومن كلا الناحيتين كقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦]. وتكرار (من فوقهم ومن تحت أرجلهم) بعد ذكر (جهنم لمحيطه بالكافرين) ذكر الخاص بعد العام؛ لبيان أهميته وتوكيده.

﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: ما: اسم موصول بمعنى الذي، وهي أوسع شمولاً من الذي، أو مصدرية، كنتم: في الدنيا، تعملون: العمل يضم القول والفعل؛ أي: تقولون وتفعلون، ولم يقل ذوقوا عذاب النار، وإنما: ذوقوا ما عملتم، كأن العمل نفسه سيتحول إلى نار تحرقهم وفي هذا تهديد ووعد لهم شديد؛ أي: ذوقوا كفركم وشرككم وذنوبكم.

[٥٦] ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾:

﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء من الأعلى وهو الرب الكريم إلى العباد،



بعكس الدعاء: نداء من الأسفل إلى الأعلى؛ أي: من العبد إلى الرب، استعمل يا النداء للعبد، عبادي: تشریف للعباد بقوله: (عبادي) وعبادي جمع عابد؛ تعني: الذين أقبلوا على الله باختيارهم فاختاروا أن يكونوا عباداً لله، وهناك فرق بين عبادي وعبيد وعباد. (انظر في ملحق الآية).

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي آمنوا بالله واليوم الآخر وبما أنزل الله على رسوله، ولازالوا سائرين على درب الإيمان.

﴿إِنْ أَرْضِي وَسِعَةً فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾: أي إن ضاقت عليكم أرضكم فهاجروا منها واعبدوني في أرض أخرى، إن أرضي: إن للتوكيد، أرضي: أي كل الأرض هي أرضي، وتسميتها أرضي تشریفاً لها وهي ملكه وحده، واسعة: أي فهاجروا فيها إذا مُنعتكم من ممارسة شعائر دينكم في بلد أو أرض إلى بلد آخر أو أرض أخرى، هاجروا في سبيل الله وفرّوا بدينكم.

فإياي فاعبدون: إياي أسلوب حصر وقصر وتوكيد، والفاء للتوكيد والمباشرة، فاعبدون: من العبادة. ارجع إلى الآية سورة النحل آية (٧٣) لبيان معنى العبادة. ولم يقل إياي فاعبدوا، فاعبدون: الفاء للتوكيد والمباشرة والتون لزيادة التوكيد، فاعبدون: بإخلاص وتوحيد (مخلصون موحدون)، اعبدون: جملة اسمية تفيد الثبات والاستمرار. وارجع إلى سورة ياسين آية (٦١) لمقارنة فاعبدون وأن اعبدوني (بزيادة ياء المتكلم).

لنقارن هذه الآية (٥٦) من سورة العنكبوت مع الآية (١٠) من سورة الزمر وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْقُورَكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ﴾.

عبادي تعني: العدد أكبر من عباد، عباد: أقل عدداً، ولكنهم أعلى درجة



وإيماناً وتقوى من عبادي، وعبادي أفضل بكثير من العبيد (منهم الصالح والطالح)، أرضي واسعة: أوسع من قوله: أرض الله واسعة، فاستعمل عبادي تعني (العدد الكبير) مع أرضي واسعة (الأوسع) واستعمل مع عباد (الأقل عدداً) أرض الله واسعة (التي هي أقل وسعاً من أرضي). ارجع إلى سورة البقرة آية (١٨٦) للزيادة في معنى عبيد، عبادي، عباد.

[٥٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾: كل للتوكيد، نفس: عليها أن تهاجر في سبيل الله حتى تتمكن أن تعبد الله سبحانه وتمارس شعائر دينها، ولا تترك الهجرة خوفاً على ضياع أموالها وديارها ولا تضيع دينها فيما لو بقيت في وطنها، أو تهاجر ابتغاء المال وعرض الدنيا وتضيع دينها وأولادها وعقيدتها في دار الهجرة، والمهم سواء هاجرت أو بقيت ليكن إقامة الدين لله وحده هو هدفها الأهم، فلا يمنعها الخوف من الموت من الهجرة أو تركها؛ لأن الموت قادم لا محالة وستذوقه كل نفس سواء هاجرت أو لم تهاجر.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿إِلَيْنَا﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: إلينا وحدنا.

﴿تُرْجَعُونَ﴾: للحساب والجزاء ترجعون قسراً دون إرادتكم.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ﴾:

المناسبة: بعد أن بين الله سبحانه مأوى الكافرين ﴿وَأَنزَلَ لَهُمْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ يبين مأوى الذين آمنوا وعملوا الصالحات.



﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: ارجع إلى الآية (٧) من السورة نفسها للبيان.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾: اللام: للتوكيد، نبوئتهم: من باء الشيء: رجع، عاد به، وباء بذنبه: أقر واعترف بذنبه، وبوأنا: أنزلنا وأسكننا، وأصل الباء والمباءة: المنزل، وبوأنا لإبراهيم مكان البيت: هيأنا له وأنزلناه، وبوأنا له مكاناً: سويته فتبوا؛ أي لنسكنهم، من: ابتدائية، الجنة غراً: منازل رفيعة عالية.

ارجع إلى سورة يونس آية (٨٧) وآية (٩٣) لمزيد من البيان عن بوأنا.

وارجع إلى سورة الفرقان آية (٧٥): لمزيد من البيان عن غراً.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: الخلود يبدأ من زمن دخولهم إياها وإلى ما لا نهاية.

﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾: نعم من أفعال المدح العام (أما المدح الخاص مثل حبذا) يطلق على كل من تمدحه: تقول: نعم الأجر، نعم الطالب، والأجر يكون على العمل على القيام بالتكاليف المطلوبة منهم.

وفي آية (١٣٦) من سورة آل عمران قال تعالى: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ أضاف الواو وإضافتها تدل على أن أجرهم أعظم من أجر المذكورين في آية العنكبوت.

وفي آية (٧٤) من سورة الزمر قال تعالى: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ أضاف الفاء بدلاً من الواو والفاء تدل على أن أجرهم أعظم من أجر المذكورين في آية آل عمران، فهم قد أدخلوا الجنة وهم يتبوؤون من الجنة حيث يشاؤون:

فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ أعظم أجراً من: وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ، وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ أعظم أجراً من: نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (بدون واو)، فالأجر ثلاث درجات أعلاها: فَنِعْمَ الْأَجْرُ، ومتوسطها وَنِعْمَ الْأَجْرُ، وأدناها نِعْمَ الْأَجْرُ.



[٥٩] ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: لم يحدد نوع الصبر على ضيق العيش والفقر، أو صبروا على الابتلاء والقهر والذل وعلى التعذيب والاضطهاد سواء بالهجرة أو بغير الهجرة، وكذلك صبروا على الطاعة وتجنب المعصية.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: وعلى ربهم تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: يتوكلون على ربهم وحده، ارجع إلى الآية (٨٩) من سورة الأعراف لبيان معنى التوكل.

[٦٠] ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾:

﴿وَكَايْنٍ﴾: مركبة من: ك التشبيه، وأي الاستفهامية، ومعناها: كم وتفيد التكثير (مثل كم الخبرية) وتفيد الإبهام.

﴿مِّنْ دَابَّةٍ﴾: من: الاستغرافية، الدابة: كل ما يدب على الأرض، والدابة في العرف العام: كل ما يدب على الأرض إنسان وغير إنسان، وفي العرف الخاص تعني: كل كائن يدب على الأرض غير الإنسان، والدابة: اسم فاعل، ويغلب عليها غير العاقل، وتشمل الذكر والأنثى كقوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤] تشمل الإنسان وغيره، ولذلك يجب أن ننتبه إلى السياق في الآيات لندرك هل تشمل الإنسان والحيوان، أم الحيوان فقط، وفي هذه الآيات مثلاً الدابة تعني: الحيوان؛ أي: كل ما دب على الأرض من حيوان.

﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾: لا تدخر طعامها أو شرابها الله يوفر لها طعامها؛ أي: يطعمها كل يوم.

﴿وَإِيَّاكُمْ﴾: عطف الناس في الرزق على الدواب فقدّم ذكر الدواب أولاً في الرزق، مع أن الإنسان هو المكرم عند الله تعالى. لماذا هذا التقديم؟



لأنها لا تحمل رزقها (لا تدّخر طعامها ولا شرابها) إلى الغد أو الأيام القادمة فهي تتوكل على الله حق التوكل أن يوفر لها طعامها وشرابها كل يوم، وأمّا الإنسان فهو يدّخر طعامه وشرابه؛ لأنه يخاف ألا يرزقه الله تعالى، وتوكله على الله في الرزق قليل، ولذلك قدّم من يتوكل عليه أكثر على من يتوكل عليه أقل، وإذا ظن أحد أنه يرزق أو يطعم أيّ دابة، فالله سبحانه يرزقها ويرزقكم بحسبتها.

وهو السميع العليم: وهو ضمير فصل يفيد التوكيد، المدبّر لأمرهم والقيوم على خلقه.

﴿السَّمِيعُ﴾: لأقوالكم حين لا ترزقون وحين ترزقون؛ أي: ما تدعونه، أو تشكرونه، أو لا تشكرونه، أو تقولون كما قال قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [القصص: ٧٨]، أو ﴿وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ [أي: شكركم] أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴿[الواقعة: ٨٢].

﴿الْعَلِيمُ﴾: بما في قلوبكم ومما تدّخرونه خوفاً من الجوع أو خشية الفقر، والعليم فيمن يتوكل عليه أو لا يتوكل عليه. العليم: صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

[٦١] ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنَّهُمْ يَوْفُونَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: اللام للتوكيد، إن شرطية تفيد الاحتمال والتدرة.

﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ﴾: من استفهامية.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾: أي لا يقدر على إنكار ذلك أحد حتى الكافرون يقولون: الله تعالى، وليقولن: اللام والتّون للتوكيد، و(يقولن) تدل على التجدد والتكرار، ولبیان معنى خلق السموات



والأرض وسخر الشمس والقمر: ارجع إلى الآية (٣٠) من سورة الأنبياء، وسورة فصلت آية (١٠-١١)، والأعراف آية (٥٤).

﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾: أتى تعني: كيف ومن أين؟ وتفيد الاستفهام، يؤفكون: من الإفك: وهو الكذب المفترى المتعمد على الله سبحانه.

أي: كيف يصرفون عن الحق ويعترفون ويقرّون بأن الله سبحانه هو الذي خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر، وكل هذه الآيات والأدلة والبراهين على أنه الإله الحق واجب الوجود، ثم ينصرفون إلى الشرك وعبادة غيره، إن ذلك لشيء عجاب.

يؤفكون: من أفكه عن الشيء: أي صرفه عنه، وأفكت الأرض: صرف عنها المطر، وقد تعني: قلبه عن الشيء فانقلب.

ومنها المؤتفكات: جمع مؤتفكة بمعنى: المنقلبة التي يصبح عاليها سافلها.

[٦٢] ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

هذه الآية كأنها تامة للآية: ﴿وَكَأَن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾، ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: أي يوسع ويغني من يشاء من عباده امتحاناً له هل يشكر وينفق من ماله؟

﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾: ثم يضيق عليه ويفقره امتحاناً له هل يصبر ويعبد الله تعالى؟ أم ﴿يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الحج: ١١].

فهو سبحانه الخالق الرازق يغني ويفقر حسب حكمته ومصلحة عبده؛ لأنه



سبحانه علیم بكل شيء يعلم ما فيه الخير والأفضل لعباده، وما يصلح عباده.
ارجع إلى سورة الشورى آية (٢٧): للبيان.

وارجع إلى سورة الرعد آية (٢٦): لمزيد من البيان والمقارنة، وسورة سبأ آية (٣٩).

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: الباء للإلصاق، كل شيء علیم: علیم بأحوال عباده من هو غني ومن هو فقير، وعلیم بما يصلح كل عبد من عباده لا تخفى عليه خافية.
[٦٣] ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ﴾: ارجع إلى الآية (٦١) السابقة.

﴿نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: نزل ولم يقل أنزل، نزل فيها مبالغة وتوكيد أشد من أنزل، نزل: تعني نزل مرات كثيرة أو تعني بتكرار، أما أنزل تعني مرة واحدة أو القليل. فإذا ما قارنا هذه الآية من سورة العنكبوت مع الآية من سورة النحل وهي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ نجد أن آية العنكبوت جاءت في سياق الشرك والتكذيب، وهو مقام أشد من آية النحل التي جاءت في سياق تعداد النعم، فلذلك لا يحتاج إلى توكيد ومبالغة، ولذلك استعمل نزل في آية العنكبوت، وأنزل في آية النحل.

﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾: الفاء تدل على المباشرة والتعقيب، أحيا به الأرض: عادت مخضرة بعد أن كانت مصفرة يابسة وخامدة.

﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾: من للقرب؛ أي: بدون فاصل زمني مباشرة فكل سنة يحييها من جديد، ولو قال بعد موتها بدون (من) لدل ذلك على إحياء الأرض

بعد فترة طويلة أو قصيرة. ارجع إلى سورة الحج آية (٦٣، ٥)، وسورة فصلت آية (٣٩)، والأنعام آية (٩٩) للبيان والمقارنة.

﴿لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾: اللام والنون في (ليقولن) للتوكيد، يقولن: بصيغة المضارع لتدل على تجدد وتكرار قولهم هذا بأن الخالق هو الله سبحانه.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: لماذا الحمد هنا؟ لا تعني الحمد لله على أن أكثرهم لا يعقلون، وإنما الحمد لله على إقرارهم بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض، وسخر الشمس والقمر، ونزل من السماء ماء، فأحيا به الأرض بعد موتها، فهم أقاموا على أنفسهم الحجة، ونطقوا بالحق، وأيضاً الحمد لله على خلق السموات والأرض وتسخير الشمس والقمر وإنزال الماء من السماء.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: الأكثرية لا يعقلون والأقلية يعقلون؛ أي: لا يفهمون أو لا يستعملون عقولهم في فهم الأشياء وأسبابها ونتائجها، والموازنة بينها للوصول إلى الحقيقة وهي: أنه هو الإله الحق الذي يستحق أن يُعبد ويُطاع ولا يشرك به شيئاً، أو لا يعقلون هذا التناقض بين اعترافهم بأن الله هو الخالق ثم يقولون بالوهمية غيره.





سُورَةُ الرُّومِ ٣٠

سُورَةُ الرُّومِ

وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
لِهيَ الْحَيَوةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي
الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا
هُمْ يَشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَاءً آمِنًا وَبِتَخَطُّفٍ
النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ
جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الرُّومِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ
غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ
مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾
بَنَصْرِ اللَّهِ يُنَصِّرُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾

٤٠٤





سورة العنكبوت [الآيات ٦٤ - ٦٩]

[٦٤] ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَلِئِكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ لِهِيَ الْحَيَوةُ النَّاصِرَةُ ﴿٦٤﴾ كَأَنَّا نَمُوتُ﴾

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾: السواو استثنائية، هذه: الهاء للتنبيه، وذا: اسم إشارة للقرب، الحياة الدنيا: أي السفلى أو القريبة أو العاجلة، وهذا يدل على أن هناك حياة عُلّيا وحياة آخرة.

﴿إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ﴾: إلا أداة حصر؛ أي: حصرألهوألعبأ، لأنها مجردة أو خالية من منهج الله تعالى، وعبادته وطاعته، فالحياة المجردة من عبادة الله وطاعته، وامثال أوامره، واجتناب نواهيه هي لهو ولعب.

واللهو: هو عبث، والعبث: حركة أو عمل بلا هدف ولا فائدة، واللعب: يتحول إلى لهو إذا شغل الإنسان عما هو مطلوب منه أو شغله عن القيام بواجبه مثل الصلاة مثلاً، فإن شغله أمر أو فعل فلم يؤدّها، يعتبر ذلك الفعل أو الأمر لهواً؛ أي: عبثاً.

واللعب للأطفال شيء أو أمر طبيعي ولعب الأطفال هو لهو في الوقت نفسه؛ لأنّ الطّفل غير مكلف بواجب فإذا دخل سن البلوغ ولم يؤدّ مسؤولياته أصبح لعبه لهواً، وهذه هي الآية الوحيدة التي قدم فيها اللهو على اللعب، وقدم اللعب على اللهو في سورة الأنعام آية (٣٢)، وسورة محمد آية (٣٦)، وسورة الحديد آية (٢٠)، وسبب تقديم اللهو على اللعب في هذه الآية: أنه سبقها أو جاءت في سياق الرزق، وكما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَأَنَّهُمْ ءُمُورُكُمْ وَلَا ءُولَئِكَم مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩]. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٣٢) لمزيد من البيان وسبب تقديم اللهو على اللعب في هذه الآية.



﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ﴾: إن للتوكيد، اللام في لهي لزيادة التوكيد.

﴿لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾: اسم لكل ما فيه حياة، والحيوان على وزن: فعلان مثل فيضان، مثل غليان، ففعلان تدل على الحركة والاضطراب والتقلب وعدم الهدوء، لهي الحيوان: أي الدار الآخرة هي دار حركة وتقلب شديد وتغير، وليس فيها نوم وسكون مقارنة بالحياة الدنيا.

فالحياة الدنيا بالنسبة للدار الآخرة تعتبر سكوناً وهموداً رغم ما فيها من حركة، والدار الآخرة تعني الجنة، ففيها الحركة الحقيقية والتقلب والحياة الدائمة التي لا انقطاع فيها ولا موت.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: لو شرطية، لو كانوا يعلمون: العلم النافع، ما جعلوا الحياة الدنيا لهواً ولعباً وخسروا الآخرة وهي الحيوان؛ أي: الدار الحقيقية، ولو كانوا يعلمون: قد تعني هم علموا ولكنهم نسوا وتجاهلوا، أو أنكروا ذلك.

وإذا قارنا هذه الآية (٦٤) من سورة العنكبوت: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ مع الآية (٧٠) من سورة الأنعام: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ ومع الآية (٥١) من سورة الأعراف: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾:

فآية سورة العنكبوت تبين لنا طبيعة الإنسان الذي يتخذ هذه الحياة أو يحولها إلى لهو ولعب ولا يقوم بواجباته، وأما آية سورة الأنعام تتحدث عن الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً، وهؤلاء الناس هم الآن في الدنيا (الآية في سياق الدنيا).

وأما آية سورة الأعراف تتحدث عن الذين هم في الآخرة (في سياق الآخرة) الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرَّتْهم الحياة الدنيا عندما كانوا في الدنيا. فكل آية لها معنى مغاير للآخرى، وحين نتدبر القرآن نجد أن الحق سبحانه يذكر اللعب أولاً ثم اللهو، وهو الأمر الطبيعي فحياة الطفولة هي لعب ثم ينتقل إلى



مرحلة الشباب والكهولة يتحول اللعب فيها إلى لهو (لأن كل لعب يشغل عن واجب يصبح لهواً) فلعب الشباب والكهول هو لهو إذا شغلهم عن واجب وإذا لم يشغلهم يكون لعباً، فاللعب منه المفيد مثل السباحة والرياضة، ومنه اللعب المذموم: وهو كل لعب يشغل عن واجب، فالمرحلة الأولى الطفولة لعب، ومرحلة الكهولة لهو، وهذا هو الأمر الطبيعي، وفي سورة الأعراف والعنكبوت قدم اللهو على اللعب، وتقديم اللهو على اللعب أبلغ في المعنى وأكد، ويأتي ذلك في سياق الآيات التي تتحدث عن الكفار أو المشركين أو المشغولين بالحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، يقدم اللهو على اللعب (بعكس الأمر الطبيعي) لأنهم بما يقومون به من فساد أخلّ بالموازن فأصبح اللهو في حياتهم هو شيء عظيم؛ لأنهم أهملوا وعطلوا واجباتهم نحو ربهم فأصبحت حياتهم كلها لهواً وأحياناً لعباً.

[٦٥] ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾:

وكما أن الكفار والمشركين يعترفون ويقرّون بأن الله هو الخالق، ثم يشركون به ويعبدون غيره وينصرفون من الحق إلى الباطل، وكذلك هذه حالهم عندما يركبون في الفلك يعلمون أنه لا ينقذهم ولا ينفعهم إلا الله وحده فيدعونه فينقذهم وبعد ذلك يشركون به، فذرهم يكفروا بكل هذه الآيات ويتمتعوا بدنياهم وكذلك بنعمة الأمن في الأوطان ولا يروا أننا جعلنا لهم حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم، فهو لاء مأواهم جهنم، ومن جاهد في سبيل الله سوف يزيده هدى ويكون مع المحسنين وفي جنات النعيم.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للتوكيد، إذا: ظرفية زمانية وشرطية تفيد كثرة الحدوث وحتمية حصوله.

﴿رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ﴾: السفينة، وتطلق على المفرد وعلى الجمع كما في



قوله: ويصنع الفلك (وكان نوح يصنع سفينة واحدة) وجاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم.

﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: دعوة اضطرار دعوا الله وحده مخلصين له صادق النية في دعائهم، لا يدعون إلا إياه؛ لأنهم يعلمون لا أحد يستطيع أن يكشف عنهم البلاء إلا الله تعالى.

﴿فَلَمَّا بَجَحْتُهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾: الفاء تدل على المباشرة، نجّاهم: ولم يقل أنجاهم.

نجّاهم؛ أي: نجّاهم ببطء أو استغرقت نجاتهم زمناً؛ كي يتضرعوا ولا ينسوا ما حدث لهم، وأمّا أنجاهم تعني بسرعة.

﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾: إذا ظرفية زمانية تفيد المفاجأة.

أي: عادوا إلى شركهم وظلمهم ونسوا ما كان يدعون من قبل، يشركون: بصيغة المضارع؛ لتدل على تجدد شركهم وعودته.

[٦٦] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾: اللام للتوكيد والاختصاص، وفي هذا تهديد وإنذار لهم ليفعلوا ما يشاؤون فسوف يسألون، وجاءت الآية بصيغة الغائب في قوله: ليكفروا، وليتمتعوا فسوف يعلمون؛ لأن ليس لهم قيمة أو وزن لمخاطبتهم مباشرة، أو هم لا يستحقون المخاطبة مباشرة.

﴿بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾: الباء للإلصاق، آتيناهم من نعمة النجاة من الغرق وغيرها من النعم.

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء للتوكيد، سوف: للتراخي في الزمن، سوف يعلمون: يوم القيامة أو في الآخرة أو عند موتهم.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: عاقبة كفرهم وشركهم وهي جهنم وبئس المصير.



ولمقارنة هذه الآية مع الآية (٥٤) من سورة النحل: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانِسْتُمْ^٤ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ارجع إلى سورة النحل للبيان.

[٦٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام وتقرير.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: أي أولم يعلموا؟ والرؤية هنا رؤية بصرية عينية ورؤيا فكرية قلبية، والواو في (أولم) للجمع والتوكيد؛ أي: تجمع بين عدة آيات.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ أهل مكة وغيرهم (يروا) رؤية بصرية وقلبية.

﴿أَنَا﴾: للتعظيم.

﴿جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾: أي جعلنا مكة بلداً آمناً مصوناً من النهب والتعدي وأمنين من القتل.

﴿وَيُخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾: الخطف: الاختلاس بسرعة، أو الاستلاب والأخذ بشدة بالقتل والأسر والخطف: من حولهم من القرى.

﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾: الفاء للتوكيد، والهمزة همزة استفهام إنكاري وتعجب، يؤمنون: أي بالشرك وعبادة الأصنام اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى: يصدقون. ارجع إلى الآية (٥٢) من نفس السورة لبيان معنى الباطل.

﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾: ولم يقل وباللّه يكفرون؛ لأنهم إذا كانوا لا يؤمنون بنعمة واحدة من نعم الله تعالى الكثيرة ويكفرون بها، فكيف يؤمنون بالله وحده؟ يكفرون جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على تجدد كفرهم وشركهم. ارجع إلى سورة إبراهيم آية (٢٨) لمعرفة الفرق بين نعمة ونعمت.



[٦٨] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: استفهام تقرير.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: تعني لا أحد أظلم، فالذي يفترى على الله كذباً هو أظلم الناس أجمعين. وكذباً: جاءت بصيغة النكرة؛ تعني: أي كذب مهما كان نوعه وصغره، ولم يقل الكذب بـأل التعريف الذي يعني: كذباً معيناً.

وإيراد هذا الخبر بصيغة الاستفهام أقوى في التقرير والإبلاغ مما لو جاء بالخبر بدون استفهام وقال: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً مثل الولد أو الشريك والآلهة؛ لأن الخبر يأتي من المتكلم، والإقرار يأتي من السامع، والعرب لا تستعمل الاستفهام إلا حينما تكون واثقة أن الجواب سيأتي من المستمع وفق ما يريد المتكلم.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾: لما ظرفية زمانية بمعنى: حين جاءه؛ أي: كذب بالصدق بالنبي ﷺ حين بعثه الله أو كذب بالقرآن حين أنزله الله تعالى عليه.

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾: أليس استفهام إنكاري وتقرير، أليس: ألا يستحق هؤلاء وأمثالهم ممن كذبوا بآيات الله وبرسوله أن يلقى بهم في جهنم كمثوى لهم، في جهنم: في: ظرفية، جهنم: مشتق من كونها كريهة المنظر، بعيدة القعر. ارجع إلى الآية (١٨) من سورة الرعد، مثنى: هو المكان الضيق والمطبق والدائم، ومكان الإقامة الجبرية. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٥١) لمزيد من البيان ومعرفة الفرق بين مثنى ومأوى، للكافرين: اللام لام الاختصاص أو الاستحقاق، الكافرين: الذي أصبح الكفر صفتهم وسمتهم الثابتة.

[٦٩] ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾:

لنذكر كيف بدأت السورة بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ



لَغْنِي عَنْ الْعَلَمِينَ ﴿١٠﴾، وها هي السّورة تنتهي بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾
أي: من أجل إعلاء كلمتنا أو ديننا أو نصرة رسولنا ﷺ.

جاهدوا فينا: أي من أجلنا؛ أي: سيبلنا مخلصين لوجه الله.

جاهدوا بالقول أو بالفعل أو بالنفس، أو جاهدوا العدو، وأمروا بالمعروف
ونهاوا عن المنكر، وجاهدوا في طاعة الله.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا﴾: جمع سبيل: سبيل الهداية أو سبل الخير، اللام والنون
في (لنهدينهم) للتوكيد، لنهدينهم: أي لندلّهم على سبلنا؛ أي: الطّرق الموصلة
إلينا؛ أي: للغاية العظمى سعادة الدّارين ورضوان الله تعالى، وهي سبل مثل:
سبيل الصّلاة والصّيام والإنفاق، وسبل الخير والصّلاح والطّاعة وكل هذه السّبل
تؤدي إلى سبيل واحد؛ أي: دين واحد هو الإسلام وهو الصّراط المستقيم،
وكلمة (سبلنا) وردت عشر مرات في القرآن.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾: اللام في (لمع) للتوكيد، ومع: تفيد المعية، ومعية الله
سبحانه لا أعظم منها معية. وبدلاً من القول: وإنّ الله لمع المجاهدين، قال:
مع المحسنين؛ لأنّ الذين جاهدوا في الله سبحانه وصلوا وأصبحوا في مقام
المحسنين، أو هم فئة من فئات المحسنين. ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة
البقرة للبيان، وارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة لمزيد من البيان.





سُورَةُ الرُّومِ ٣٠

الْمَاءُ الْحَلَالُ وَالْحَلَالُونَ

وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
لَهِىَ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي
الْأَفْلاكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّهَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا
هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَاءً آمِنًا وَتِيَّتْ خَطْفُ
النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ
جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الرُّومِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ١ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿١﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ
غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۚ لِلَّهِ الْأَمْرُ
مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾
بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤﴾

٤٠٤





سورة الروم [الآيات ١ - ٥]

سورة ترتيبها في القرآن (٣٠) وترتيبها في النزول (٨٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَمْ﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

[٢] ﴿غَلِبَتِ الرُّومُ﴾:

﴿غَلِبَتِ﴾: بضم الغين؛ أي: هُزمت الروم من قِبل الفرس (المجوس) الذين كانوا يعبدون النار، والروم: اسم سلاله لرجل اسمه: روم بن عيص، من سلاله العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، ويقال لهم: بنو الأصفر. وهم أبناء عم بني إسرائيل، وكانوا على دين اليونان، واليونان من سلاله يافث بن نوح، بنوا مدينة دمشق، والروم هم من أهل الكتاب. وكان المسلمون يودون غلبة الروم على الفرس.

[٣] ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾:

﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾: أدنى: أقرب لأرض العرب (أرض الجزيرة العربية)، وقيل: كان ذلك قبل الهجرة إلى المدينة بخمس سنوات، وقيل: بسنة واحدة، وأدنى الأرض: هي بين أذرعات وبصرى الشام؛ وهي أدنى أقرب أرض الشام



إلى أرض العرب (مكة)، وقيل: أدنى الأرض؛ تعني: الأردن وأرض فلسطين، أو بين العراق والشام.

﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾: وهم: تعود على الروم، من بعد غلبهم؛ أي: هزيمتهم، سيغلبون: السنين للاستقبال القريب. سيغلبون الفرس؛ أي: المجوس، فكانت هذه بشرى للمسلمين الذين كانوا أقرب إلى الروم منهم إلى الفرس من ناحية العقيدة والدين، فالروم من أهل الكتاب والفرس (المجوس) كانوا يعبدون النار.

[٤] ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾:

﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾: في: ظرفية زمانية، بضع سنين: تعني من (٣-٩) سنين، وقيل: كان في سبع سنين، وكان نصر الروم على الفرس في يوم بدر كما روى الترمذي وابن جرير وغيرهم. وقيل: كان في عام الحديبية السنة السادسة للهجرة.

وهذا النبأ من أنباء الغيب ومعجزة دالة على أن القرآن هو تنزيل من رب العالمين، ودليل على نبوة محمد ﷺ، وكان هذا النبأ بمثابة بشارة أثارت فرحة المؤمنين.

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ﴾: لله: اللام للاختصاص. لله الحكم في تقرير من هو الغالب والمغلوب.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: أي من قبل أن تغلب الروم (أي تُهزم).

﴿وَمِنْ بَعْدُ﴾: أي من بعد أن تنتصر الروم.

وانتبه إلى قوله: (من قبل ومن بعد) بالضم، ولم يقل من قبل ومن بعد



بالكسر. فالضم يدل على زمن معين قد يطول أو يقصر، ولكنه زمنٌ معلومٌ ومقدَّرٌ، والكسر يدل على زمن غير معين، أو معلوم أو لا يُعلم.

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾: أي يوم تغلب الرومُ الفرسَ (المجوس). يومئذ: يوم ظرف أضيف إلى (إِذ) (بمعنى حين)؛ أي: حينئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله تعالى للروم على الفرس.

[٥] ﴿بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾:

النصر: يكون بقتال أو حرب أو عُدّة.

أما الفتح: يكون بدون قتال أو حرب أو عُدّة.

﴿بَنَصْرِ اللَّهِ﴾: أي يفرح المسلمون بنصر الله للروم على الفرس. الباء: السببية.

﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾: من عباده، من: ابتدائية.

﴿وَهُوَ﴾: تفيد التوكيد.

﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي الذي لا يُغلب ولا يُقهر، القادر على إنجاز وعده.

﴿الرَّحِيمُ﴾: بعباده الصالحين أو بالمؤمنين، صيغة مبالغة؛ أي: كثير

الرّحمة. ارجع إلى سورة الحمد آية (٢) لمزيد من البيان.





سورة الزمر

سورة الزمر

وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
 ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ
 ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ
 بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
 وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ
 رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا
 أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوْءَى
 أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ
 يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ
 السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ
 شُفَعَاؤُاْ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ
 تَقُومُ السَّاعَةُ يُومَدِ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾



سورة الروم [الآيات ٦ - ١٥]

[٦] ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾: أي هذا النبأ بأن الله سينصر الروم على الفرس (المجوس) في بضع سنين، وهو وعد من الله سبحانه، والوعد إذا أُطلق يعني الخير، والوعد يكون في الشر خاصة، والوعد إذا قيد قد يكون للخير أو الشر، وإذا جاء في سياق الشر يفيد التهكم والاستهزاء.

والوعد: يقتضي الإنجاز.

﴿لَا﴾: النافية لكل الأزمنة.

﴿يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: أي وعد الله سبحانه كائنٌ محققٌ لا محالة.

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لكن: حرف استدراك؛ أي: قليلٌ من الناس يعلمون أن الله منجز وعده، أو كثير من الناس لا يعلمون أن الله لا يخلف وعده. أو لا يعلمون أمور دينهم وآخرتهم، أو لا يعلمون بواطن الأمور وإنما يعلمون ظاهراً واحداً من جملة الظواهر؛ وهو ظاهر الحياة الدنيا.

[٧] ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾:

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي العلوم المادية من زراعة وصناعة، وتجارة وهندسة وحساب وغيرها؛ أي: يعلمون شيئاً من علوم الدنيا أو يعلمون متاع الدنيا وزينتها وملاذها.

﴿وَهُمْ﴾: للتوكيد، ﴿عَنِ﴾: تفيد المجاوزة والمباعدة.



﴿الْآخِرَةُ هُمْ غَافِلُونَ﴾: تكرر (هم) لزيادة التوكيد، هم غافلون: عن حقيقة الحياة الدنيا، وأنها مزرعة الآخرة وأنها متاع الغرور. ساهون عمداً غير متيقظين وغير حذرين البعث والحساب والجزاء، وغافلون: جملة اسمية تدل على أن الغفلة أصبحت عندهم صفة ثابتة راسخة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٧٤) لمزيد من البيان.

[٨] ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾:

المناسبة: لماذا هم غافلون عن الآخرة؟ لم لا يتفكرون في أنفسهم وفي خلق الله السموات والأرض وما بينهما، فلعلهم بالتفكير يستيقظون من غفلتهم ويؤمنون بالله ولقائه ووحدانيته، ويؤمنون بالآخرة والبعث والحساب والجزاء.

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري، والواو: تفيد شدة الإنكار؛ أي: كيف لا يتفكرون. ولم: حرف نفي.

﴿يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾: يتفكروا؛ أي: ينظروا في الدلائل ومنها: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ بالحق؛ أي: بنظام محكم ودقة فائقة لا تتغير وثابتة وتسير في نظام ثابت في أفلاكها ومستمرة إلى يوم القيامة، وأنها لم تخلق عبثاً أو بغير غاية وحكمة. ارجع إلى سورة إبراهيم آية (١٩) لمزيد من البيان، وسورة البقرة آية (٢٣-٢٩) والأنبياء آية (٣٠) وفصلت آية (٩-١٢) لبيان معنى خلق السموات والأرض.

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: ارجع إلى سورة الفرقان آية (٥٩).

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق والإلزام.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: وهو قيام الساعة؛ أي: لا بد أن تنتهي الأرض والسموات وتزول، فلكل شيء أجل مسمى كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

فالتفكر في هذه الدلائل لا بد أن يوصل إلى الحقيقة أن الله سبحانه واجب الوجود، هو الإله الخالق وحده، وأنه الذي يستحق أن يُعبد وأن البعث والحساب والجزاء والدار الآخرة حق.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾: رغم كل هذه الأدلة والبراهين على وجوب لقاء الله تعالى والبعث والحساب، لازال الكثير من الناس بقاء ربهم كافرين. وهناك فرق بين ﴿كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ فأكثر تعني: أكثر من كثير.

﴿بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾: أي غير مصدقين أو لا يؤمنون، أو يجحدون. إن واللام في (لكافرون) تفيدان التوكيد، وأما الأقلية فهم بقاء ربهم يؤمنون.

[٩] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظِلَّهِمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والواو: لمطلق الجمع. ارجع إلى الآية السابقة لمزيد من البيان. ولم يقل: أفلم يسيروا؛ الفاء: تستعمل إذا كان ما قبلها سبباً لما بعدها، وتسمى فاء السببية، أو تذكر الفاء مع الأشد توكيداً.

﴿يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: السير في الأرض؛ أي: السفر في الأرض، ولم يقل على الأرض؛ لأن الطبقة الغازية المحيطة بالأرض هي جزء من الأرض، وفي: ظرفية مكانية.

﴿فَيَنْظُرُوا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة؛ أي: يسافروا من ديارهم للسياحة



ومشاهدة آثار وديار الذين جاؤوا من قبلهم فينظروا بأعينهم ويبصيرتهم نظرة اعتبار، وهناك فرق بين يسيروا في فينظروا، أو ثم ينظروا، فينظروا: الفاء: تدل على المباشرة والترتيب، ثم: تدل على التراخي في الزمن؛ أي: يسيروا في الأرض لسبب ما مثل التجارة أو الدراسة وبعد ذلك يقوموا بزيارة الأماكن الأثرية التي تركها قوم عاد وثمود ولوط وفرعون وغيرهم.

﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: كيف: استفهام، وتذكير العاقبة دائماً في القرآن تعني العذاب؛ أي: كيف كان هلاك وعذاب الذين من قبلهم من الأقسام كقوم عاد وثمود ولوط وفرعون، ولم يقل كيف كانت؛ لأن تأنيث العاقبة يعني: العاقبة الحسنة في القرآن.

﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: كانوا أشد منهم؛ أي: من كفار قريش وغيرهم. أشد قوة في الجسم (البنية) والعدد والعتاد وطول العمر.

﴿وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾: أي زرعوا الأرض وعمروها بالإنشاء والتعمير والبناء، واتخذوا من الجبال بيوتاً وبنوا في كل ريع آية، والمصانع والقصور.

﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾: أي أكثر من عمارة أهل مكة.

﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: وجاءتهم، ولم يقل وجاءهم، جاءتهم (تاء التأنيث) تدل على الكثرة، وجاءهم بالتذكير تدل على قلة الرسل.

رسولهم: جمع رسول مرسل من الله، ولم يقل رسلنا؛ لأن (رسلنا) تدل على شدة الأحكام والتكاليف.

بالبينات: الباء للإلصاق، بالدلائل والبراهين والمعجزات الدالة على صدق نبوتهم، وعلى وجوب الإيمان بالله وحده وترك الشرك.



﴿فَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾: الفاء: للتوكيد، وما: النافية، ليظلمهم: اللام لتوكيد نفي الظلم؛ أي: لم يظلمهم الله شيئاً ولو مثقال ذرة؛ لأنه سبحانه غني عن ذلك.

﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: ولكن: حرف استدراك وتوكيد. كانوا: في الماضي المنقطع. أنفسهم: حصراً وقصراً، يظلمون أنفسهم بالخروج عن منهج الله تعالى، حيث كفروا وكذبوا بآيات الله تعالى، وأعرضوا وعصوا رسلهم، وتمادوا في بغيتهم وطغيانهم ومعاصيهم، فظلموا أنفسهم حيث أوردوها التهلكة والدمار، وقدم (أنفسهم) على (يظلمون)؛ أي: ظلموا أنفسهم خاصة.

[١٠] ﴿ثُمَّ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ أَسْأَوْا السُّوْءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الذكري.

﴿كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ﴾: ذكر العاقبة (باستعمال كان عوضاً من كانت) فقال: (كان عاقبة) وتذكير (العاقبة)؛ يعني في كل القرآن العذاب، وتأنيث العاقبة مثل: (كانت عاقبة) يدل على الجنة.

﴿الَّذِينَ أَسْأَوْا﴾: الذين: اسم موصول. أسأؤوا إلى أنفسهم أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون.

﴿السُّوْءَ﴾: أي جهنم، والسُّوْءُ: مؤنث الأسوأ؛ أي: الأقيح، كما أن الحسنى: مؤنث الحسن.

﴿أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: أن: تعليلية.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: القرآنية والكونية والمعجزات، والباء للإلصاق والاستمرار. ارجع إلى سورة العنكبوت آية (٤٧) لمزيد من البيان في الآيات.



﴿وَكَاْنُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُوْنَ﴾: الاستهزاء: الطعن بها وتحقيرها، أو الاستخفاف بها والتصغير.

[١١] ﴿اَللّٰهُ يَبْدُوْا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ ثُمَّ اِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ﴾:

﴿اَللّٰهُ يَبْدُوْا الْخَلْقَ﴾: يبدأ تعني: الله بدأ الخلق الأول النشأة الأولى، وما زال يخلق (وما زال يبدأ الخلق) فآلاف الولدان يولدون كل يوم، وفي كل عام نرى الأرض تعود مخضرة، فهو بذلك يبدأ الخلق. ارجع إلى سورة العنكبوت آية (٢٠)، وآية (١٩) لبيان الفرق بين بدأ يبدؤا يُبدئ الخلق.

﴿ثُمَّ﴾: للتراخي في الزمن والترتيب.

﴿يُعِيْدُهُ﴾: يوم القيامة بالبعث من القبور.

﴿ثُمَّ اِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ﴾: ثم إليه حصراً ترجعون للحساب والجزاء، ترجعون قسراً وبغير إرادتكم.

[١٢] ﴿وَيَوْمَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُوْنَ﴾:

﴿وَيَوْمَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُوْنَ﴾: الساعة: ساعة تهدم النظام الكوني الحالي، يُبليس: من: أبلس الرجل؛ أي: سكت وانقطعت حجته، والإبلاس: اليأس من الخير، والمبليس: الساكت المنقطع الحجة اليأس من الخير؛ أي: يسكت المجرمون الكافرون المشركون والعاصون وتنقطع حجتهم، ولا يجدون ما يقولونه من شدة الأهوال. ارجع إلى سورة الأنفال آية (٨) لبيان معنى المجرمون.

[١٣] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاؤُاْ وَكَانُوْا بِشُرَكَائِهِمْ كٰفِرِيْنَ﴾:

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاؤُاْ﴾: لم يجدوا أحداً من الذين اتخذوهم شركاء لله تعالى في الدنيا؛ ليشفعوا لهم في الآخرة أو ليقربوهم زلفى، لم يحضروا ليشفعوا لهم ويمنعوهم من العذاب أو يخففوا عنهم يوماً من العذاب.



﴿وَكَاَنُوا بِشُرْكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾: جاحدين منكرين أو متبرئين. ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْكَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

[١٤] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ﴾:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾: الساعة: ساعة تهدم النظام الكوني الحالي: وتكرار يوم تقوم الساعة يدل على التهويل والترويع.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: توكيد ليوم؛ أي: حينئذٍ.

﴿يُنْفِرُونَ﴾: أي ينفرك المؤمنون والكافرون بعد الحساب: فريق في الجنة وفريق في السعير؛ لقوله في الآية (١٥) القادمة: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

[١٥] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء: استئنافية؛ أداة شرط وتفصيل.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ﴾: للتوكيد. فهم: الفاء رابطة لجواب الشرط؛ هم: تفيد التوكيد.

﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾: في جنة، في روضة من رياض الجنة، الروضة: المكان المليء بالأشجار والخضرة والزهور، يحبرون: من الحبور؛ أي: في السرور والفرح ينعمون ويكرمون.

يحبرون: تدل على تجدد وتكرار حبورهم وسرورهم الذي لا ينقطع.





سُورَةُ الرَّحْمٰنِ ٣٠

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَرِيمِ

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ
فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ
وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ
﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ
تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ السِّنِّكُمْ وَالْوَنُكُمُ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾



سورة الروم [الآيات ١٦ - ٢٤]

[١٦] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: أداة شرط وتفصيل.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بالله ووحدانيته، وجحدوا نعمه.

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: أي: بالأدلة والبراهين الدالة على وجوب الإيمان بالله ووحدانيته والبعث مثل: الآيات القرآنية أو الكونية، أو المعجزات الدالة على نبوة محمد ﷺ.

﴿وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾: البعث والحساب والجزاء والعرض على الله.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد، أولئك: اسم إشارة للبعد والذم.

﴿فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾: جمع محضر؛ من الحضور ضد: الغياب. محضرون: جمع مُحْضَرٍ: اسم فاعل من: حضر يحضر: مَنْ يُحْضَرُ رغماً عن أنفه، أو تحضرهم الملائكة قسراً سواء رضوا بالحضور أم لم يرضوا. يحضرون إلى العذاب ليجزوا ما كانوا يعملون. وكلمة محضرون لا تأتي إلا في سياق العذاب (في كل القرآن).

[١٧] ﴿فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾:

المناسبة: حتى تكونوا من أهل الروضة الذين يُحْبَرُونَ كما ورد في الآية (١٥)؛ أي: أهل الجنة، وحتى يتحقق وعد الله، عليكم بالتسبيح في دار الدنيا؛ أي: تنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله أن يكون مثله شيء. وقيل: التسبيح يعني: الصلوة فحين نقول: سبحان ربي الأعلى وسبحان ربي العظيم، فهذا جزء



من الصَّلَاة، من باب إطلاق الجزء على الكل. ولييان معنى التسبيح: ارجع إلى سورة الإسراء آية (١)، والحديد آية (١).

﴿حِينَ﴾: ظرف زمان غير محدد.

﴿تُمْسُونَ﴾: تدخلون في المساء، ويعني: صلاة المغرب والعشاء؛ أي: صلوا صلاة المغرب والعشاء.

﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: تدخلون في الصباح، ويعني: صلاة الصبح؛ أي: الفجر، وقدم تمسون على تصبحون؛ لأنه سبقها الحديث عن الساعة، والساعة تأتي أو تقوم في آخر الدنيا، وتمسون من المساء يأتي آخر النهار.

وكذلك سبحانه حين يتوفى بلايين الأنفس حين منامها تنزيهاً لعظمته وقدرته، وحين تصبحون؛ أي: وسبحانه حين يرسل بلايين الأنفس أو يبعثها إلى أجل مسمى.

[١٨] ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾:

انتبه كيف فصل سبحانه بين: تمسون وتصبحون، وعشيًّا وحين تظهرون، وجاء بآية: وله الحمد في السموات والأرض، فالسياق هو: فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وعشيًّا وحين تظهرون؛ لأن (عشيًّا) معطوفة على (حين تصبحون) أو على (وله الحمد عشيًّا وحين تظهرون).

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: تقديم الجار والمجرور يدل على الحصر؛ أي: له وحده الحمد في السموات والأرض، في: ظرفية زمانية ومكانية في أي زمان ومكان في السموات والأرض؛ أي: هو المحمود من أهل السموات (الملائكة) والأرض الحمد المطلق.

أما الحكمة في المجيء بآية الحمد بين الصلوات فهي: إما تذكير بعدم نسيان



حمده بين الصلوات أو في كل الأوقات فهو ذو الفضل العظيم، أو حتى يعلمنا التسبيح أولاً والحمد ثانياً، كما نقول: سبحان الله والحمد لله، أو سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، أو الحمد على أنني سبّحت الله تسبيحاً، أو لأنّ الصّلاة هي تسبيح وحمد لله، والآية تحمل كل المعاني.

﴿وَعِشَاءً وَحِينَ تَظْهَرُونَ﴾: عشياً؛ أي: صلاة العصر، والعشيّ: وقت العشيّ أو العشاء وهو شدة الظلام.

﴿وَحِينَ﴾: زمن تظهرون صلاة الظهر. تظهرون وسط النهار أو وقت الظهيرة.

فهذه الأوقات الخمسة هي أوقات الصلوات الخمس.

﴿وَعِشَاءً وَحِينَ تَظْهَرُونَ﴾: عشياً يمثل الليل، وحين تظهرون يمثل النهار؛ أي: وله الحمد ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساءً وعلى مدار الزمن.

[١٩] ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ﴾:

مناسبة ذكر الحي من الميت والميت من الحي بعد قوله: (سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون)؛ لأن: تمسون من: المساء؛ أي: الليل والسكون والهمود، وبالتالي النوم الذي يمثل صورة من صور الوفاة كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

وتصبحون يمثل النهار والبعث والحياة والنشور؛ أي: النوم يمثل الموت والاستيقاظ يمثل البعث.

يقول: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ ويخرج الميت من الحي: ارجع إلى سورة آل عمران آية (٢٧) للبيان.



وقوله: يخرج: تدل على التجدد والتكرار، وهذا ما نراه في كل يوم، وفي آية (٩٥) من سورة الأنعام قال تعالى: ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ جاء باسم الفاعل؛ ليدل على الثبوت، ثبوت صفة الإخراج. ولمزيد من البيان عن هذه الآية ارجع إلى سورة الأنعام آية (٩٥).

﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: وموت الأرض ذكر في سورة يس آية (٣٣) ﴿وَأَيُّهَا لَمْ يَكُنْ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾.

وموت الأرض يعني: كونها هامدة وخاشعة، كما ذكر ذلك في سورة الحج آية (٥): ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

وفي سورة فصلت آية (٣٩): ﴿أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا الْمُجِىءُ الْمُؤَقَّتُ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وإحياء الأرض يكون بالماء كما قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

﴿وَكَذَلِكَ تَخْرُجُونَ﴾: هذا الإخراج بيّنته أحاديث رسول الله ﷺ:

فقد جاءت الأحاديث مخبرة بأنه يسبق نفخة البعث (النفخة الثانية) نزول ماء من السماء فتنبت به أجساد العباد؛ كما ورد في (صحيح مسلم) ثم يرسل الله - أو قال ينزل الله - مطراً كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس.

وهذا الإنبات: إنبات الأجساد يكون من وصول هذا الماء الطل إلى القبور وإلى بقايا عظم عجب الذنب، وهو يسمى في علم التشريح: عظم العجز فالماء يؤدي إلى تكاثر الخلايا التي بقيت حية وقادرة على التكاثر، وهي من الخلايا الجذعية المسماة: كاملة القدرات، القادرة على تكوين الجنين، وهكذا ينمو ويعود الإنسان كما ينبت النبات بعد نزول الماء من السماء ومن بذرة صغيرة



تكون في الأرض ساكنة حتى يصلها الماء فتتحرك بالحياة، وهذه البذرة موجودة في عجب الذنب.

ففي (صحيح البخاري ومسلم) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما بين النفختين أربعون، ثم ينزل من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل، وليس في الإنسان شيء إلا بلي، إلا عظم واحد، وهو عجب الذنب، منه يُرْكَبُ الخلق يوم القيامة).

وقد وردت أحاديث مشابهة بروايات أخرى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (كل آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خُلق وفيه يُرْكَبُ) أخرجه البخاري وأحمد في المسند، ومالك في الموطأ. وفي رواية أخرى لأبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: (إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً، فيه يُرْكَبُ يوم القيامة، قالوا: أي عظم يا رسول الله؟ قال: عجب الذنب) رواه البخاري والنسائي وابن ماجه وأحمد.

وهذان الحديثان يشيران إلى أن في عجب الذنب خلايا تبقى حية وقادرة على التكاثر، ومن نوع الخلايا الجذعية المسماة: كاملة القدرات، القادرة كل منها على تكوين الجنين لوحدها، وهذه معجزة علمية خالدة تشهد بأن رسول الله عليه الصلاة والسلام حق، وعجب الذنب يسمى في علم التشريح: عظم العجز، وقد تبين من الدراسات الجنينية أن هذا العظم يتشكل مما يسمى: الشريط الأول، وهو جزء محوري يظهر في أوائل الأسبوع الثالث ويضممر في نهاية الأسبوع الرابع، ويحوي على خلايا جذعية من مختلف الأنواع، والاستنساخ يعتمد على نظرية أن الإنسان يمكن تكوينه من خلية واحدة تحوي (٤٦) كروموسوماً، وبذلك يمكن تفسير أن البعث يوم القيامة أهون من الخلق الأولي، وهذا ما يذكره العلماء، والله أعلم.



وقد وردت الآيات الكثيرة في القرآن الكريم في تشبيه البعث والنشور بإحياء الأرض بعد موتها بعد نزول الغيث.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٦] ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسُقْنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩].

[٢٠] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾: من ابتدائية بعضية؛ أي: من بعض آياته الخلقية الدالة على قدرته وعظمته ووحدانيته وحكمته. وقوله: (من آياته)، ولم يقل (ومن الآيات): تدل على أنها آيات خاصة عظيمة الدلالة.

﴿أَنْ﴾: للتعليل.

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾: قد تعني: عند بدء الخلق خلقكم من تراب؛ أي: خلقكم من أبيكم آدم وآدم من تراب؛ لأن آدم هو الأصل فكل فرد فيه ذرات من آدم وآدم كان خلقه من تراب ثم من طين ثم من حمأ مسنون ثم من صلصال كالفخار، ثم نفخ فيه من روحه؛ أو قد تعني: خلقكم من سلاله من طين؛ أي: من نطفة ثم علقه ثم مضغه، والنطفة (الحيوان المنوي) مركبة من مواد بروتينية أو عضوية جاءت من الغذاء، والغذاء أصله من نبات الأرض أو الحيوان الذي يأكل النبات أيضاً، فلو نظرنا في تركيب الإنسان لوجدنا في جسمه أكثر من (١٦) معدناً مثل الكالسيوم والحديد والمغنيزيوم والبوتاسيوم والصوديوم وغيرها، وكلها موجودة في التراب، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ (١٢) ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٣].

﴿ثُمَّ﴾: تدل على الترتيب والتراخي.



﴿إِذَا﴾: ظرفية فجائية.

﴿أَنْتَبَشَّرُ﴾: مشتقة من البشارة، وهي: ظاهر جلد الإنسان، فهي بشرة خاصة به تميزه عن غيره، ومن البشارة وهي: حسن الهيئة، أو بشرٌ لظهورهم بعكس الجن المستورين أو المختفين.

﴿تَنْتَشِرُونَ﴾: من الانتشار وهو: الامتداد والتوزع في الأرض يعيشون في هذا البلد أو ذاك، أو هذه القرية أو المدينة أو الضاحية أو الصحراء، فهذا الانتشار آية من آيات الله؛ لأن كل واحد راض عن مكان إقامته ولا يتذمر، بل يحب وطنه وأرضه ومستعد أن يدافع عنها.

تنتشرون: بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد والتكرار واستمرار الانتشار.

[٢١] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾: ومن: الواو: عاطفة، من: ابتدائية بعضية؛ أي: من بعض آياته، ولبیان معنى آياته ارجع إلى الآية (٢٠) من نفس السورة، وإلى سورة العنكبوت آية (٤٧).

﴿أَنَّ﴾: حرف مصدري يفيد التعليل.

﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾: أي من جنسكم ونوعكم البشري، والمخاطب هنا الذكر والأنثى. و(الأزواج) تعني: الزوج ومعه مثله.

والأزواج تطلق على الذكر والأنثى، أو الزوج تعني: اثنين مفرد معه مثله.

خلق لكم: خاصة من أنفسكم أزواجاً؛ ليحدث التكامل الذي أراده الله تعالى في الطباع والعادات، ويحدث التكاثر والتناسل من بني الإنسان؛ لتعمر الأرض. فالذكورة والأنوثة آيتان من آيات الله تعالى كما هي آية الليل والنهار.



﴿لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾: بالزواج الشرعي، اللام: لام التعليل والتوكيد، تسكنوا إليها: والسكن من السكون؛ أي: الراحة، وسكن إليه؛ أي: استأنس به واستراح إليه واطمأن به، وتعني: السكن في دار واحدة والعيش معاً، والسكن يعني: الراحة وقوف الحركة (المعاني الجامع)، والسكون لتسكنوا إليها؛ أي: تميلوا إليها وتألفوها، أو ليأوي إليها وبما فيها من معنى السكينة النفسية والاستقرار والحماية والأمن والوقاية من الأوبئة والسرور وتبادل الحب والرحمة، والسكينة الجنسية التي تحصل بين الزوجين بعد الثورة الجنسية التي تحصل بينهما، وإنجاب الأطفال الذين هم زينة الحياة وزهرتها.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً﴾: حباً أولاً، فالمحبة تسبق المودة؛ أي: تتجلى آثار المحبة بالمودة فكل مودة محبة وليس كل محبة مودة، فالمودة تشمل المحبة الإخلاص والوفاء وغيرها من المظاهر.

﴿وَرَحْمَةً﴾: تظهر خاصة في النصف الأخير من الحياة الزوجية، فعلى الزوج أن يرحم زوجته والزوج ترحم زوجها إذا قصرت في واجباتها، وإذا فقدت الرحمة فالبیت أصبح في خطر، ولا بد من الصبر والتحلي بأعلى الأخلاق. إذن ثلاثة أهداف للزواج: السكن، والمودة، والرحمة.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾: إن: للتوكيد، في ذلك آيات: اللام في (آيات) للتوكيد أيضاً.

﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، قوم يتفكرون: في هذه الآيات والدلائل؛ ليصلوا إلى عظمة الخالق وقدرته ووحدانيته والإيمان به، ويتفكرون بحكمته الجليلة علينا في كل لحظة وساعة من ساعات الحياة الدنيا.

[٢٢] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقَ السِّنِّكِمِ وَالْوَنِّكِمِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾: ارجع إلى الآية (٢٠) للبيان، وتكرار (ومن آياته) (٦ مرات): تدل على التوكيد وأهمية كل آية.

﴿خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: بالحق وخلق السموات والأرض وما فيهما من آيات كثيرة مثل: خلق السموات بلا عمد ترونها، وخلق سبعا طباقاً، وإمساك السماء أن تقع على الأرض، وجعل السماء سقفاً محفوظاً، والشمس والقمر والنجوم والجبال والأرض هو أكبر من خلق الناس. ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٣٠)، وسورة فصلت آية (٩-١٢)، وسورة الأعراف آية (٥٤) لبيان معنى الخلق.

﴿وَأَخْلَفَ السِّنِّكِمِ﴾: لغاتكم ولهجاتكم والقدرة على تعلّم أكثر من لغة والنطق بها، والقدرة أن يتفاهم بعضكم مع بعض.

﴿وَالْوَنِّكِمِ﴾: الأبيض والأسود والأسمر والأحمر والأصفر.

وباختلاف الألسنة (اللغات) والألوان يحدث التمايز بين الناس بالشكل والصورة، وكل هذا التمايز الظاهري ليس له قيمة عند الله إلا التمايز الحقيقي، الذي هو مبني على التقوى والتقوى فقط، وكما قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ [الحجرات: ١٣].

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾: إن واللام: في الآيات للتوكيد.

للعالمين: اللام لام الاختصاص، للعالمين؛ أي: في ذلك دلالات على قدرته تعالى للعالمين.

للعالمين: عندنا قراءتان متواترتان.



للعالمين: جمع عالم مثل: الحمد لله رب العالمين (عامة الإنس والجن)
للعالمين: ولم يقل علماء، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾
أي: هذه الآيات الواضحة لا تحتاج إلى علم كبير أو كثرة علم، ويمكن إدراكها
ومعرفتها بعلم قليل، فهي واضحة للعالمين، أو للعالمين الذين هم قمة في العلم أيضاً.
[٢٣] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾: ارجع إلى الآية (٢١).

﴿مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: أي البعض ينام بالليل والبعض ينام بالنهار، وجمع
الاثنيين وقدم الليل على النهار؛ لأن الأكثرية تنام بالليل.

﴿وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾: بالليل والنهار؛ أي: البعض يشتغل بالليل والبعض
يشتغل بالنهار؛ أي: يسعى وراء رزقه، فالليل والنهار آيتان من آيات الله، والنوم واليقظة
كذلك من آيات الله سبحانه. فكل هذه الآيات تشير إلى قدرة الله ورحمته بكم.

منامكم بالليل أو النهار لتسكنوا فيه سواء بالليل أو بالنهار، وتنقطعوا عن الحركة
فترتاح أجسامكم وتصبح قادرة على السعي والعمل بعد أخذ نصيب من الراحة.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: إن واللام في (آيات) تفيدان التوكيد.

﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، يسمعون: سماع تدبر وفهم
وفائدة، لا مجرد سمع، واختار كلمة (يسمعون) هنا؛ لأن السمع أو آلية السمع
عند النوم تبقى مفتوحة ولا تغلق رغم الظلام المحيط بنا كما يحدث للأعين.

[٢٤] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾: ارجع إلى الآية (٢١) للبيان.



الرعد والبرق: الناتج عن تصادم السحب السالبة والسحب الموجبة الحاملة للشحنات الكهربائية العالية، وهذا التفريغ الكهربائي يؤدي إلى أكسدة كثير من عناصر الغلاف الغازي للأرض، وينزل المطر على شكل أحماض تتفاعل مع عناصر التربة وتتحول إلى أسمدة تغني الأرض بخيراتها.

﴿رُيِّعُكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾: لما يصحبه من صواعق كهربائية وأمطار غزيرة تسبب الفيضانات وانقطاعاً في التيارات الكهربائية.

﴿وَطَمَعًا﴾: في الغيث وإنبات الزرع والفاكهة.

﴿وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: أي من السحب الركامية، ﴿مَاءً﴾: أي ماء المطر.

﴿فَيُخَيِّئُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: إحيائها بالماء وبالنبات بعد موتها، ولم يقل من بعد موتها.

بعد موتها: الإحياء في هذه الآية يكون بعد فترة طويلة غير محددة بزمان قد يطول أو يقصر، أما لو قال: من بعد موتها، تدل على المباشرة بعد فترة قصيرة أو كل عام.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾: إن واللام تفيضان التوكيد. لآيات: تدل على قدرة الله وعظمته وحكمته ورحمته.

﴿لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، يعقلون: من: عقل الشيء: فهم الشيء، عرفه بدليله وفهمه بأسبابه ونتائجه، ووصل وأدرك. فهذه الآيات وحدها كافية لمن يعقل أن يصل إلى الحقيقة؛ وهي أن الله سبحانه هو الإله الخالق المستحق للعبادة، أو المعبود الحق والإيمان به وبلقائه ووحدانيته.





سُورَةُ الزُّمَرِ ٣٠

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ
أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي
مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ
أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾
بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَ هُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي
مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا فطَرَتُ اللَّهُ الْتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا
دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾



سورة الروم [الآيات ٢٥ - ٣٢]

[٢٥] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾: الدالة على عظمة قدرته وخلقه وألوهيته ووحدانيته هي:

﴿أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ﴾: أن: حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد. تقوم السماء: تقوم بلا عمد وتبقى قائمة لا تزول ولا تتغير ولا تتشقق ولا تتصدع، ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ [الحج: ٦٥] والسماء: تشمل السموات السبع وكل ما علا الأرض من سحب أو طبقات غازية.

﴿وَالْأَرْضُ﴾: قائمة تدور حول نفسها وحول الشمس في فلك خاص بها ولا تتغير في دورانها، فلا تزيد سرعتها ولا تنقص، ولا تقترب من الشمس أو تباعد. وجاء الفعل (تقوم) بصيغة المضارع؛ للدلالة على التجدد والاستمرار.

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾: ثم للترتيب والتراخي في الزمن. إذا: شرطية تفيد حتمية الدعاء، دعاكم دعوة من الأرض؛ أي: حين ينفخ إسرافيل في الصور نفخة القيام والبعث للخروج من القبور دعاكم: طلب منكم الخروج، ولم يقل أمركم؛ لأن في الأمر ترغيباً في الفعل.

﴿إِذَا﴾: الفجائية وهي ظرفية زمانية وشرطية.



﴿أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾: تبعثون: تنسلون من الأجداد. وأنتم: تفيد التوكيد إذا الكل يخرج بلا استثناء. ارجع الآية (١٩) من السورة نفسها؛ لبيان كيفية هذا الإخراج.

[٢٦] ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ، فَنُتُونُ﴾:

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: له وحده وحصراً خلقاً وملكاً وتديراً وحكماً.

﴿مَنْ﴾: للعاقل عادة، وتستعمل لإنزال الغير عاقل منزلة العاقل كما في هذه الآية.

﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾: في ظرفية، السموات؛ أي: الملائكة والنجوم والكواكب والمجرات، فالكل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، والبقية مسخرة. ومن في الأرض؛ أي: أهل الأرض (الإنس - والجن: الثقلان) ومنهم الكفرة والمشركون والعاصون، ومنهم الموحدون المطيعون أيضاً.

كلُّ له قانتون، والقنوت: هو الطاعة والانقياد لله تعالى، وبالخضوع قسراً كالكافرين والمشركين يبقى هؤلاء خاضعين لله مقهورين بالمرض وحوادث الحريق والكوارث الجوية والموت، فالكل قانت خاضع لجبروته.

[٢٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: الواو عاطفة، هو: تعني الله سبحانه وحده، أو تدل على واجب



الوجود، وهو (ضمير الغيبة) لا يصح أن يطلق إلا على الله وحده؛ لأنه سبحانه قال: هو الله. ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم والسمو.

﴿بَدَأُ الْخَلْقَ﴾: أي بدأ الخلق ولا يزال يبدؤا الخلق ويخلق خلقاً جديداً متى شاء وقدر، (يبدأ الخلق) تدل على التجدد والاستمرار، ففي كل ثانية يولد مئات أو آلاف الأولاد مثلاً، وملايين الحيوانات والنباتات.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿يُعِيدُهُ﴾: أي يُعيد خلقه مرة بعد مرة، ويتجدد ويتكرر خلقه ويستمر ولا يتوقف.

أي: يبدأ الخلق ثم يميته ثم يعيده كما بدأه، وهكذا يستمر حتى النفخة الأولى نفخة الصعق، وبعدها تكون آخر إعادة لكل الخلق ويكون يوم البعث.

﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾: ولم يقل وهي أهون عليه؛ هي أهون عليه تعني: عملية الإعادة، بينما (هو أهون عليه) تعني الشيء الذي يريد إعادته، وكلمة (أهون عليه) لا تدل على أن هناك أشياء أو أموراً صعبة على الله تعالى وهناك أشياء سهلة أبداً، فالكل متساوٍ عنده، ولكنه سبحانه يخبرنا بهذه العبارات؛ أي: بمفهوم الذات البشرية وليس بمفهوم الذات الإلهية، ويخاطبنا على قدر عقولنا فيقول: (أهون عليه). ﴿هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ﴾ [مریم: ٩] وهو أهون عليه؛ أي: إعادة الخلق مقارنة ببدا الخلق حسب قانون البشرية.



﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي لا مثيل له، ليس كمثله شيء، له صفات الكمال والجلال لا إله إلا هو ولم يكن له كفواً أحد، هو الواحد الأحد الغفور الرحيم بعباده، سبحانه عما يصفون.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير يفيد التوكيد.

﴿الْعَزِيزُ﴾: أي القوي الذي لا يُغلب ولا يُقهر والممتنع.

﴿الْحَكِيمُ﴾: أحكم الحكماء وأحكم الحاكمين. الحكيم في خلقه: لا يخلق شيئاً عبثاً، والحكيم في كونه وشرعه وتدبيره لكل الأمور. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

[٢٨] ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا﴾: ضرب من الضرب، واختار هذه الكلمة وكأن قائل (المثل) يريد أن يترك أثراً في المضروب له فيقرع أذنيه بقول: (مثل) يصل إلى أعماق نفسه، وضرب المثل يعني صوغ المثل كما تصاغ العملة الفضية، والغاية من ضرب المثل هو التوضيح وتقريب المعاني للأفهام كأن يضرب شيئاً معنوياً بشيءٍ حسي.

﴿ضَرَبَ لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص، لكم خاصة.

﴿مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: المثل: هنا يعني تشبيهاً يراد به المقارنة والموازنة



والمفاضلة؛ للتفكر وللوصول إلى الحقيقة، وهي وحدانية الله تعالى. من: ابتدائية. أنفسكم: مثلاً تعرفونه من جنسكم تشاهدونه وتعيشونه، أو مثلاً غير بعيد عنكم.

﴿هَلْ لَكُمْ﴾: هل: للاستفهام والتقرير، لكم: اللام لام الاختصاص، لكم خاصة.

﴿مِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: من: للتبويض. ما ملكت أيمانكم؛ أي: من عبيدكم أو العاملين عندكم أو الخدم.

﴿مِنْ شُرَكَاءَ﴾: من: تفيد التوكيد، واستفهامية المقصود منها النفي؛ أي: مما ملكت أيمانكم تجعلونهم شركاء في أموالكم، ولهم الحق في التصرف في أموالكم كما يشاؤون، وأنتم وهم في المال سواء.

﴿فِي مَارَزَقْنَاكُمْ﴾: من أموال وعقارات وأراضي.

﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾: أي متساوون فيما بينكم في الحقوق.

﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: تخافونهم؛ أي: بدل أن يخافوكم تصبحون أنتم من يخافونهم في أن تتصرفوا في أموالكم إلا بإذنهم، والسماح لكم، أو تخافونهم أن يقاسموكم أموالكم كما يفعل الشركاء الحقيقيون.

﴿كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: أي مثل هذا التفصيل بضرب الأمثال نفصل الآيات: نبينها بالإتيان بأمور متعددة ومواضيع مختلفة؛ لكي تصلوا إلى الحقيقة والغاية: أن الله هو الإله الحق لا شريك له.



﴿لَقَوْمٍ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿يَعْقِلُونَ﴾: يعرفون الدلائل ويفهمون الأسباب والتتائج ويصلون إلى الحقيقة وهي: كيف ترضون لرب الأرباب أن تجعلوا له من عبيده شركاء له وأنتم أنفسكم لا ترضون بذلك؟!

[٢٩] ﴿بَلِ أَتَّبَعِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾:

﴿بَلِ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿أَتَّبَعِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي أشركوا.

﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾: جمع هوى، والهوى: هو ما تميل إليه النفس باطلاً بما لا ينبغي ولا دليل له، وبعيد عن الحق والهوى يغلب عليه الذم، وغالباً ما يكون في الأداء والاعتقاد.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: جاهلين أنهم سائرون على طريق الضلال (أو جاهلين أنهم يجهلون).

﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾: فمن: استفهامية تفيد النفي، أضل الله: أي من شاء أن يضل نفسه ويتعد عن منهج الله بعيداً، فالله سبحانه يتركه وشأنه. وجواب الاستفهام محذوف؛ أي: لا أحد يقدر على هدايته.

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾: ما: النافية، لهم: خاصة، من: استغراقية، ناصرين: في الدنيا والآخرة من عذاب الله وسخطه؛ مثل: الملائكة والأنبياء وصالحوا



المؤمنين أو الأصنام أو الآلهة أو الأفراد، وكذلك ما لهم من العلم والحجة والبرهان أو الدليل، أو أي سلطان. إذن إذا قارنا (ما لهم من أنصار): التي تعني فقط ما لهم من شركاء أو أنداداً أو أفراداً أو آلهة تنصرهم مع (ما لهم من نصير): فيها مبالغة، وتعني: ما لهم من أنصار وما لهم من أي سلطان أو دليل أو برهان أو حجة ايضاً فهي تشمل المعنيين معاً.

[٣٠] ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِيَخْلُقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ الْدِّينَ الْقَيِّمَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: من الإقامة؛ أي: الأخذ به كاملاً، والخطاب موجّهٌ إلى الرسول ﷺ وإلى أمته.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾: الوجه: دليل الذات، فالوجه يعني الذات (مجاز مرسل) والوجه أشرف الأجزاء، فأقم وجهك للدين: تعني الإقبال عليه والأخذ به كاملاً (فلا تؤمن ببعض وتكفر ببعض) والاستقامة والثبات عليه والإخلاص لله بالتوحيد، وإسلام الوجه.

﴿حَنِيفًا﴾: مسلماً؛ أي: مائلاً عما دون الله أو غير الله.

﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾: الفطرة هي: الإسلام؛ أي: الزم فطرة الله التي فطر الناس عليها، والفطرة هي: الخِلقة التي خلق الله عليها الناس فطرة الإيمان بالله تعالى والإسلام.

أي: اتبع الدين القيم، واتبع فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها.



﴿لَا يُبْدِلِ خَلْقَ اللَّهِ﴾: لا تبديل لدين الله بالشرك أو البدع، أو لا تبدلوا خلق الله بالبُتْكَ أو التغيير.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد يفيد المدح.

﴿الَّذِينَ أَلْقَمُوا﴾: المستقيم الذي لا انحراف فيه والحق. والقيم لغة: جمع كلمة قيمة، والقيم: الذي لا تقوم الحياة إلا به، هو مجموعة من التشريعات الربانية المشتملة على الأخلاق؛ دين الله دين الإسلام، الدين القيم؛ أي: الحق. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لكن: للتوكيد، لا يعلمون التوحيد والإسلام وأنه الدين القيم الحق، وضرورة الاستقامة عليه، وفطرة الله. [٣١] ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾:

هذه بعض الوسائل لإقامة الوجه للدين القيم.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: الإنابة هي: سرعة التوبة والرجوع إلى الله. ﴿وَاتَّقُوهُ﴾: أي واتقوا الله، والتقوى: امتثال أوامر الله بطاعة أوامره وتجنب نواهيه؛ كي تجعلوا وقاية بينكم وبين غضبه وسخطه والنار. ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أتموها بكل شروطها وأركانها وخشوعها ولأوقاتها. ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: يعني الشرك الخفي أو الرياء. [٣٢] ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾: ولا تكونوا من المشركين، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً.



﴿مِنَ الَّذِينَ﴾: من: ابتدائية، الذين: اسم موصول.

﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾: أي آمنوا ببعض وكفروا ببعض، أو فرقوا دينهم إلى مذاهب شتى واعتقادات باطلة، أو جعلوا دينهم فرقاً وطوائف مختلفة وبدعاً ما أنزل الله بها من سلطان.

وكانوا شيعاً: فرقاً، وشيعة الرجل: الجماعة التي يميل إليها ويعتق أفكارها وقيمها، وأصلها من: الشياخ؛ وهي الحطب الدقيق الذي يجعل مع الجزل في النار لتشتعل.

﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾: كل جماعة رأيهم ونزعتهم واحدة.

انتبه إلى هذا التدرج من القلة إلى الكثرة: نفر، رهط، شُرذمة، قبيلة، عصابة، طائفة، ثلّة، فوج، حزب، زمرة، فئة (فقه اللغة للثعالبي).

﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾: ارجع إلى سورة المؤمنون آية (٥٣).





الجزء الثاني والعشرون

سورة الزمر ٣٠

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ
مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا
ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ أَنْزَلْنَاهُمْ
سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا
النَّاسَ رَحْمَةً فَزَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصَّبَّهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٤﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٥﴾ فَآتَاكَ الْقُرْآنُ
حَقَّهُ وَالْمُسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا
لَيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ
تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٧﴾ اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ
شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ كُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٨﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٩﴾



سورة الروم [الآيات ٣٣ - ٤١]

[٣٣] ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث؛ أي: تستعمل للشيء المحقق حدوثه، وهو أن يمس الناس ضرره.

﴿مَسَّ﴾: المسُّ هو اللمس الخفيف، أو الإصابة الطفيفة أو الخفيفة.

﴿النَّاسَ ضُرٌّ﴾: ضُرٌّ جاء بصيغة النكرة؛ تعني: أيُّ ضرٍّ من فقر ومرض وبلاء، أو نقص في الأموال والأولاد. والضَّرُّ: اسم جامع لكل ما يسوء الإنسان في نفسه أو بدنه أو عرضه أو ماله. ارجع إلى سورة يونس آية (١٢) لمزيد من البيان.

أما الضَّرُّ: ضد النفع: ما تضر به آخر وتنفع نفسك؛ أي: إذا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ يسيرٌ خفيفٌ.

﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: دعوا ربهم لكشف الضر عنهم. مخلصين إليه؛ أي: علموا أن لهم رباً فلجئوا إليه ساعة الضيق والضر، ورجعوا إلى طاعته وقطعوا ما بينهم وما بين الشرك؛ لينجوا؛ أي: أخلصوا في طاعتهم وأصبحوا موحدين، وهذه تعتبر إنابة اضطرار بسبب الشدة والضيق.

﴿ثُمَّ إِذَا﴾: أذاقهم منه رحمة. (ثم) تدل على تباعد وتباين بين (منيبين إليه) و(يشركون).

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية فجائية.



﴿أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾: أذاقهم مشتقة من: الذوق فقط مجرد إذاقة؛ أي: التناول الخفيف.

﴿مِنْهُ﴾: تعالى، تقديم (منه) على الرحمة: يدل على الاهتمام وعلى قدرته وعظمته؛ أي: خلّصهم من الضر وأذاقهم بدل الضر رحمةً مثل: الصحة والرخاء والغنى والأمن، رحمة: نكرة، أي رحمة.

﴿وَإِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾: إذا: ظرف زماني يدل على الفجأة. فريق منهم؛ أي: من الذين كشف عنهم الضر.

﴿بَرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾: فريق منهم عادوا إلى شركهم بربهم وظلمهم وعنادهم، وفريق منهم آمنوا واتقوا ربهم واستمروا على ذلك.

وإذا قارنا هذه الآية (٣٣) من سورة الروم: ﴿وَإِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ مع الآية (٦٥) من سورة العنكبوت: ﴿وَإِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾، نجد في آية الروم: فريق منهم أشركوا فقط، بينما الكل أشركوا في آية العنكبوت؛ وسبب ذلك أن الذين دعوا ربهم في آية الروم كانوا على اليابسة؛ أي: البر، وأما الذين دعوا ربهم في آية العنكبوت كانوا في البحر، الكل كان سيغرق.

[٣٤] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿لِيَكْفُرُوا﴾: اللام لام الاختصاص والتوكيد، والتوبيخ والتفريع، أو لام العاقبة، أو تسمى لام الأمر وتفيد التهديد والوعيد.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق والإلزام، ما: بمعنى: الذي آتيناهم، و(ما) أوسع معنى من (الذي) وتشمل كل شيء.

﴿ءَاتَيْنَاهُمْ﴾: من الإيتاء وهو: العطاء بدون تملك. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة للبيان.



﴿فَتَمَتَّعُوا﴾: انتبه إلى تحويل الخطاب من الغائب (ليكفروا) إلى خطاب الحاضرين (فتمتعوا)؛ للإنذار والتهديد الشديد، ولم يضاف إليها اللام؛ أي: لم يقل فليتمتعوا؛ لأنه ليس لها حاجة للتأكيد فهم يسمعون مباشرة.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: الفاء للتوكيد، سوف تدل على الاستقبال والتراخي في الزمن. تعلمون: عاقبة كفركم، والإنذار والتهديد هنا على كفرهم بالله وبالنعمة معاً.

[٣٥] ﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾:

هذه الآية متصلة بالآية (٢٩) وهي قوله تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أو أنزل عليهم سلطاناً؛ أي: كتاباً يأمرهم بالشرك والضلال، وتقديرها: أهم اتبعوا أهواءهم أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون؟

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والإنكار، أم: للإضراب الانتقالي.

﴿أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ﴾: أنزلنا دفعة واحدة، والإنزال يكون من الأعلى إلى الأسفل، و(على) تفيد العلو والاستعلاء، و(أنزلنا) بصيغة الجمع للتعظيم والإنذار الشديد.

﴿سُلْطَانًا﴾: السلطان: هو الحجة القوية التي لا تدحض، والسلطان يقسم إلى: سلطان الحجة والبرهان أو سلطان القوة والقهر.

والسلطان هنا: سلطان الحجة والبرهان، والحق: لم ينزل عليهم لا حجة ولا سلطاناً ولا كتاباً ولا آية تبيح لهم الضلال والشرك.

﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾: أي يشهد بشركهم وبصحته ويقول: اتبعوا أهواءكم أو أشركوا، فليس هناك بعث ولا حساب ولا جزاء!



﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْرِكُونَ﴾: الباء للإلصاق، وقد تكون سببية؛ أي: يتكلم بالأمر الذي بسببه يشركون. أو يتكلم بالبرهان أو السلطان الذي بسببه يشركون.

[٣٦] ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: الواو: عاطفة، إذا: شرطية تدل على حتمية الحدوث وبكثرة.

﴿أَذَقْنَا﴾: مجرد الإذاقة باللسان خفيفة، والإذاقة تكون في الخير والشر وهنا جاءت في سياق الرحمة، ولو قال: أنعمنا، يكون الإنعام فقط في الخير.

﴿النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا﴾: الفرح يعني السرور. رحمة: جاءت بصيغة النكرة؛ تعني: الصحة والمال والولد والخصب والرخاء. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٧٠) لبيان معنى الفرح وأنواعه.

﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: إن: شرطية تدل على قلة الحدوث أو الاحتمال.

سيئة: نكرة؛ تعني: الشدة والمرض أو الفقر والجذب، والسيئة: ما يسيء إلى النفس. ارجع إلى سورة هود آية (٩) لمزيد من البيان.

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: الباء تعليلية أو سببية، استعمل (أيديهم)؛ لأن معظم المعاصي والذنوب تُرتكب بالأيدي، ولم يقل: كسبت أيديكم؛ لأن الكسب حالة خاصة من ما قدمت الأيدي، وتأتي في سياق الرزق والربح والخسارة.

﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾: إذا: ظرفية فجائية، هم: ضمير يفيد التوكيد. يقنطون: من القنوط: وهو أشد اليأس، والقنوط أخص من اليأس؛ أي: ييأسون بشدة من الفرج، وذلك بسبب كفرهم؛ أي: يقنطون حين تصيبهم سيئة وينسون الدعاء والتضرع إلى الله تعالى.

انتبه في هذه الآية أولاً: استعمل (إذا) مع الرحمة فقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا



النَّاسَ ﴿ وَإِذَا تَدَلَّ عَلَى الْكَثْرَةِ، وَاسْتَعْمَلَ (إِنْ) مَعَ السَّيِّئَةِ فَقَالَ: ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ
سَيِّئَةٌ﴾ و(إِنْ) تَدَلَّ عَلَى الْقَلَّةِ؛ لِأَنَّ الْمَصَائِبَ وَالسَّيِّئَاتِ الَّتِي يَبْتَلِي بِهَا اللَّهُ الْعِبَادَ
أَقَلَّ بِكَثِيرٍ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي يَنْعَمُهَا اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ.

ثانياً: لم يذكر السبب في إِذَاقَةِ الرَّحْمَةِ؛ لِأَنَّ الرَّحْمَةَ غَالِبًا هِيَ فَضْلٌ وَإِحْسَانٌ
مِنَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَالنَّاسَ لَيْسُوا أَهْلًا لَهَا، وَأَمَّا الْمَصِيبَةُ فَذِكْرُ الْعِلَّةِ أَوْ السَّبَبِ
(بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ) حَتَّى لَا يَظُنَّ أَحَدٌ أَنَّ الْمَصِيبَةَ أَوْ السَّيِّئَةَ تَنْزِلُ بِالْعَبْدِ إِلَّا بِمَا
قَدَّمْتَ يَدَاهُ وَلَيْسَ ظُلْمًا.

[٣٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: الهمزة للاستفهام والتقرير والإنكار، والواو في (أولم):
للتوكيد والجمع، أو مطلقة. لم: للنفي والإنكار، معناه: نفي ودخول نفي على
نفي فهو إثبات، فمعناها: فليروا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ. يروا: رؤية بصرية أو رؤية فكرية
قلبية؛ وتعني: يعلموا؛ أي: أولم يعلموا؟! والعلم أوسع من الرؤية.

﴿أَنَّ﴾: حرف مصدري يفيد التوكيد.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يبسط: يوسع ويغني أحداً من عبادِهِ
ويقدر: يضيق ويفقر عبداً آخر، وفي كلا الحالتين الغنى أو الفقر فتنة وابتلاء
للعبد، وقد تكون فتنة الغنى أشد من فتنة الفقر.

ارجع إلى سورة الرعد آية (٢٦) للمقارنة بالآيات المشابهة لهذه الآية
وسورة سبأ آية (٣٦) وآية (٣٩).

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: إن واللام في (آيات) للتوكيد. آيات:
بينات ودلالات واضحة على قدرة الله وعظمته، وأن الغنى آية من الآيات والفقر
آية من الآيات، فالغنى يستوجب الشكر، شكر المنعم، والفقر يستوجب الصبر.



﴿لَقَوْمٌ يُؤْمِنُونَ﴾: اللام لام الاختصاص؛ أي: يستفيد منها الذين يؤمنون؛ أي: يتجدد إيمانهم ويتكرر ويؤمنون؛ أي: هم سائرون على درب الإيمان ولم يقل لقوم مؤمنين؛ أي: الذين ثبت عندهم الإيمان وأصبح صفة ثابتة لهم. (قوم مؤمنين) أعلى درجة أو إيماناً من (قوم يؤمنون).

ولنقارن هذه الآية (٣٧) من سورة الروم مع الآية (٥٢) من سورة الزمر وهي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾. ما الفرق بين (يروا) وبين (يعلموا): العلم أوسع من الرؤية، فالعلم يتناول الموجود وغير الموجود (الحاضر والغائب). والرؤية ثلاثة أنواع: قد تعني رؤية قلبية فكرية أو رؤية تعني الظن ورؤية قد تعني الرؤية الحقيقية البصرية (رؤية العين).

[٣٨] ﴿فَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾:

المناسبة في الآية السابقة أن الله يبسط الرزق لمن يشاء، فجاءت هذه الآية (فأت ذاك القربى حقه والمسكين وابن السبيل)؛ لكي تحث من بسط الله رزقه على الإنفاق في سبيل الله؛ ليكون من المفلحين.

﴿فَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾: ارجع إلى سورة الإسراء آية (٢٦) للبيان.

والفاء في (فأت): للتوكيد، وتعني: تنبه أيها العبد فأت ذاك القربى.

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾: ذلك اسم إشارة يفيد البعد ويشير إلى إيتاء ذي القربى والمسكين وابن السبيل، خير: أفضل وأنفع وأحسن.

﴿لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾: اللام لام الاختصاص، لمن يقصدون بإيتائهم

وجه الله: مرضات الله وثوابه ورضوانه؛ أي: لا يريدون سمعة ولا رياءً ولا شهرة إلا الإخلاص والإيتاء لوجه الله فقط.

﴿وَأُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد والكاف للخطاب، تفيد العلو.
﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بالجنة والناجون من النار. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥) للبيان.

ثم ذكر نوعين من الإيتاء: الإيتاء الأول المحرّم أو القبيح وهو: الربا، وأما الثاني فهو الحسن والمقبول وهو: الزكاة.

[٣٩] ﴿وَمَا أَتَيْتُم مِّن رَّبٍّ لَّيْرٍوٓأُ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيٓوٓأُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا أَتَيْتُم مِّن زَكٰوٰتٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية، ما: شرطية.

﴿أَتَيْتُم مِّن رَّبٍّ لَّيْرٍوٓأُ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾: آتيتم في لغة العصر تعني: توظيف الأموال أو استثمار الأموال الزائدة عن حوائجكم.

﴿مِّن رَّبٍّ﴾: من لبيان الجنس؛ أي: من جنس الربا، والربا ربا النسيئة وriba الفضل. والربا في اللغة: الزيادة والنمو، واصطلاحاً: عند الفقهاء: إما ربا الجاهلية (ربا القرض): وهو الزيادة في الدين مقابل التأجيل سواء اشترطت عند حلول الأجل أو في بداية الأجل، و(إما ربا البيوع) وهو نوعان: الأول: ربا الفضل: وهو الزيادة في أحد البدلين الربويين المتفقين جنساً. الثاني: ربا النسيئة: وهو تأخير القبض في أحد البدلين الربويين المتفقين في علة الربا وليس أحدهما نقداً. وباختصار الربا: كل زيادة مشروطة مقدماً على رأس المال مقابل الأجل وحده.



﴿لَيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾: تعني: توظفوا أموالكم أو تستثمرونها عند من تطمعون أن يردّها إليكم بأكثر منها؛ أي: بأكثر من رؤوس أموالكم؛ (أي من يتداولون بالربا) ربا النسيئة أو ربا الفضل.

﴿لَيَرْبُوا﴾: اللام لام التعليل والتوكيد.

﴿فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾: في أموال الناس؛ لأن أموال الذين يتعاملون بالربا كالبنوك وشركات الأسهم هي من أموال الناس وليست أموال فرد معين أو أموالهم؛ أي: ما تستودعونهم أو تضعونه في البنوك أو شركات الأسهم وغيرها؛ ليزداد ويكثر في تلك الأموال الربوية.

﴿فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي لا يزكو ولا يبارك الله فيه ويضاعفه، وقد يربو عندك بالزيادة التي تأخذها من الفائدة أو الأرباح الكاذبة.

﴿وَمَاءٌ آتٍ مِنْ زَكْوَةٍ﴾: ما: شرطية كالسابقة، التكرار للتوكيد، آتيم: أعطيتم أو أنفقتم، من: ابتدائية بعضية.

﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾: تبغون رضا وثواب الله، وبدون قصد الشهرة والسمعة أو الرياء.

﴿فَأُولَئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد، أولئك: اسم إشارة يفيد البعد؛ أي: العلو والمدح.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿الْمُضْعِفُونَ﴾: جمع: مضعف، اسم فاعل من الفعل الرباعي: أضعف؛ أي: صار ذا ضعف؛ أي: المضعفون ثوابهم وأجرهم، أو ذوو الأضعاف الكثيرة من الحسنات، وكما قال تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦] أو



تعني: الذين يخرجون أو يتصدقون بنسبة تفوق نسبة الزكاة نسبة تصل إلى (٥٪ أو ١٠٪) من أموالهم أو أكثر.

انتبه إلى كيفية كتابة الربا في هذه الآية، فهذه الآية هي الوحيدة أو المرة الواحدة فقط التي كتبت بهذا الشكل الربا، بينما في باقي الآيات كتبت بالشكل التالي الربوا، وتبين أن كتابة الربا بهذا الشكل تعني: أقل أنواع الربا، أما كتابة الربوا بهذا الشكل تعني: الربا الذي فيه كثرة وزيادة، والله أعلم.

ملاحظة أخرى: يدخل في الربا أن يهدي الرجل للرجل شيئاً ويقصد أن يثيبه عليه أكثر من ذلك. هذا قول ابن عباس.

ملاحظة أخرى: الانتقال من صيغة المخاطب (وما آتيتم من زكاة)، (فأولئك) بصيغة الغائب: للفت الانتباه؛ أي: المضعفون ليسوا فقط هم الذين يزكون أموالهم فهناك غيرهم المضعفون ممن يعملون الصالحات.

[٤٠] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِّنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

بعد أن توقف عن السؤال (أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) يستأنف السؤال من جديد لتقرير عقيدة التوحيد والتنديد بالشرك.

﴿اللَّهُ الَّذِي﴾: الله: الاسم الدال على واجب الوجود؛ أي: الإله المعبود، الذي: اسم موصول يفيد التعظيم والمدح.

﴿خَلَقَكُمْ﴾: في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، والخلق لغة يعني: التقدير، ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم.

﴿ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾: ثم تفيد الترتيب والتراخي.



﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: بعد انقضاء آجالكم.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: يوم البعث.

﴿هَلْ﴾: للاستفهام الإنكاري والنفي.

﴿مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾: من: استغراقية تشمل كل الشركاء الذين اتخذتموهم شركاء لله تعالى.

﴿مَنْ يَفْعَلْ﴾: من: استفهامية للتعليل، يفعل: تفيد التجدد والتكرار والاستمرار.

﴿مِنْ ذَلِكُمْ﴾: من: للتوكيد ونفي الجنس، ذلكم؛ أي: الخلق والرزق والإماتة والإحياء، (ذلكم) ولم يقل ذلك؛ للتعظيم والمبالغة، ولأن (ذلكم) تشير إلى عدة أمور هي: الخلق والرزق والإماتة والإحياء.

﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: من: للتوكيد، شيء: الشيء: هو كل ما يُعلم ويخبر عنه سواء أكان حسيّاً أم معنوياً، وهو أقل القليل، وشيء: نكرة؛ تعني أي شيء ولو قل.

﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تنزهه وتقّده في ذاته وصفاته وأفعاله، وتعالى وتعظيم أن يكون له شريك أو ند أو ولد.

[٤١] ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ﴾: ظهر: بان وانتشر وأصبح ظاهراً للعيان.

و(ظهر) يعني: كان موجوداً بالفعل ولكننا كنا لا نراه، أو يستحي من يفعله أن يخبروا عنه أو يطلعوا الناس عليه. أما الآن فالكل يراه ويعلم به ويفعلونه جهراً وعلناً.

﴿فِي الْبَرِّ﴾: في: ظرفية، البر: في الأرض.

الفساد يعني: القتل وإهلاك الحرث والنسل، والشرك وارتكاب المعاصي،



والفواحش، والظلم، والربا، والزنى، وشرب الخمر والفجور، والفسوق،
والعصيان.

﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: في الأرض، و(في البحر) في الفلك، وعلى شواطئ
البحار، والمنتزهات والجزر.

﴿هَٰمَا كَسَبَتْ أَيْدِي﴾: الباء: للإلصاق بـاء السببية، ما: اسم موصول بمعنى
الذي، ما: للعاقل وغير العاقل.

كسبت: (كسبت) ولم يقل اكتسبت؛ لأن ارتكاب المعاصي والفواحش
أصبح شيئاً سهلاً يمارس بكثرة وبلا جهد أو حياء، وكأنه أصبح أمراً عادياً أمراً
مباحاً يمارسه الكثير علناً وبلا خوف أو رادع.

﴿أَيْدِي النَّاسِ﴾: اختار الأيدي؛ لأن معظم المعاصي والسيئات تُرتكب
بالأيدي، أو هي الوسيلة للقيام بالفساد مثل القتل والظلم والربا، ولم يقل عملت
أيدي الناس، قال: (بما كسبت)؛ لأن السياق في الآيات التي تتحدث عن الربا
والزكاة والمال سياق في الكسب؛ تعني: ما فعلوه من معاصي وآثام وفواحش
وظلم وطغيان وهو زيادة (أو كسب) على ما لم يفعلوه من عدم الطاعة كالصلاة
والإنفاق في سبيل الله والصيام وغيرها من العبادات.

﴿لِيَذِقَ لَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾: السلام: للتوكيد والتعليل، يذيقهم بعض الذي
عملوا: يذيقهم في الدنيا قبل الآخرة؛ أي: عاقبة بعض أعمالهم وليس كلها.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعل: للتعليل، يرجعون: يتوبون إلى الله ويعودون إلى
الطاعة والصلاح، ويرجعون عن ارتكاب المعاصي.





سُورَةُ الزُّمَرِ ٣٠

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَرِيمِ

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ
كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ
قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ، مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَنْ
كَفَرَ فَلَعَلَّيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسٍ بِهِ يَمَّهْدُونَ ﴿٤٤﴾
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ؕ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَنْ ءَايَنَهُ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ
مِنْ رَحْمَتِهِ ؕ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ ؕ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ
فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَالِهِ ؕ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ
﴿٤٩﴾ فَانْظُرْ إِلَى ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾



سورة الروم [الآيات ٤٢ - ٥٠]

[٤٢] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾:

هذه الآية تنمة للآية السابقة: (ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) ولم لا يسيرون في الأرض فينظروا بأنفسهم كيف كان عاقبة الذين من قبل.

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾. ارجع إلى الآية (٩) من السورة نفسها للبيان.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: تعني منذ زمن قصير ليس زمناً بعيداً.

﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾: والقليل كانوا من المؤمنين. كان: قد تدل على الزمن الماضي أو الحاضر. مشركين: باتخاذ الآلهة أو بأن لله ولداً أو الملائكة بنات الله وغيرها.

[٤٣] ﴿فَاقْرَءْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ، مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَعُونَ﴾:

هذه الآية متصلة بالآية السابقة (كان أكثرهم مشركين) فلا تكونوا أمثالهم، فأقيموا وجوهكم للدين القيم.

﴿فَاقْرَءْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿فَاقْرَءْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾: ارجع إلى الآية السابقة رقم (٣٠) للبيان، والخطاب وإن كان موجهاً إلى رسول الله ﷺ فالمقصود منه أتباعه من المؤمنين.



﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾: بالإخلاص والتوحيد توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، والاستقامة على دين الإسلام.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾: أي من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا يقدر على رده أو دفعه، أو تأخيره أو منع عذابه وأهواله أحد. أو أن الله سبحانه إذا قضى الأمر لا يعود ولا يرجع فيه.

﴿يَوْمَ يَصْدَعُونَ﴾: أي يتصدعون؛ أي: يتفرقون، مشتقة من: تصدع البناء؛ أي: تشقق؛ أي: ينفصل بعضهم عن بعض: المؤمن عن الكافر، فريق إلى الجنة وفريق إلى السعير.

[٤٤] ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نُفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾:

﴿مَنْ كَفَرَ﴾: من: شرطية، ومن تصلح للمفرد والمثنى والجمع، كفر بالله تعالى وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر.

﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾: الفاء: للتوكيد، عليه: على تفيد الاستعلاء والمشقة والعلو؛ أي: فعلية وبال كفره أو عليه وزره.

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾: من: الشرطية كالسابقة، عمل صالحاً: الفروض والنوافل.

﴿فَلَا نُفْسِهِمْ﴾: الفاء: للتوكيد، أو رابطة لجواب الشرط، واللام لام الاختصاص والاستحقاق. له: تفيد النفع.

﴿يَمْهَدُونَ﴾: مأخوذة من المهد وهو: فراش الطفل، ومهد فراشه؛ أي: وطأه، يوطئون لأنفسهم منازل في الجنة. مهد لنفسه الطريق إلى الجنة، أو مهد لنفسه بعمله الصالح؛ أي: سهّل لنفسه دخول الجنة.



انتبه إلى قوله (من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً) جاءت بصيغة المفرد، أما قوله: (فلأنفسهم يمهدون) جاءت بصيغة الجمع ولم يقل فلنفسه يمهّد، قالوا: لأن ثواب عمله الصالح الذي يعملُه لنفسه كذلك تستفيد منه ذريته. كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾. [الطور: ٢١].

ولماذا قدّم الكفر على الإيمان فقال: (من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً) فلأنفسهم) أي: قدّم الكافر على الذي يعمل صالحاً؛ لأنّ سياق الآيات في الحديث عن الفساد في البر والبحر كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [آية: ٤١]، وكذلك قوله تعالى في الآية (٤٢): ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ﴾، وكذلك لكثرة الكافرين مقارنة بعدد المؤمنين.

ولماذا قال: (من عمل صالحاً) ولم يقل آمن وعمل صالحاً؛ لأن العمل الصالح لا يقبل إلا بالإيمان؛ أي: لا يقبل إلا إذا كان مقترناً بالإيمان فلا داعي لذكر الإيمان، أو لأنه ذكر الإيمان في الآية القادمة (٤٥).

[٤٥] ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾:

هذه الآية متصلة بالآية السابقة: (فلأنفسهم يمهدون) ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

﴿لِيَجْزِيَ﴾: اللام: لام التعليل والتوكيد.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: قرن العمل الصالح بالإيمان فلا يكفي أحدهما على حدة، وقد يتعرض العمل الصالح إلى محبطات كثيرة تجعل كثيراً من الأعمال الصالحة هباءً منثوراً وعلى رأسها الشرك.



﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: الفضل: الزيادة عما يستحقه من الأجر، فمن فضله وكرمه يُدخلُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة، ولا يدخلونها بعملهم مهما كان. ﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿لَا يَحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾: الكافرين: أي الذين أصبح الكفر صفةً ثابتةً عندهم، وقوله: (لا يحب الكافرين) فيها تهديد ووعد لهم.

في هذه الآية نلاحظ أنه قدّم الذين آمنوا وعملوا الصالحات على الكافرين؛ لأنه أسند الجزاء إلى نفسه، قدّم المؤمن على الكافر إظهاراً لكرمه ورحمته وحبّه للمؤمنين، وفي هذه الآية إيجاز وحذف مع ظهور المعنى بدلالة السياق، فمثلاً: ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله وليجزي الذين أساءوا بما عملوا إنه لا يحب الكافرين.

ولا يظن أحد مهما عمل من عمل صالح وأخلص لوجه الله وسعى أنه يوجب على الله سبحانه أي أجر أو جزاء مهما كان؛ لأنه سبحانه غني عن العالمين وعن إيمانهم، حتى ولو كانوا على أتقى قلب رجل في الدنيا.

[٤٦] ﴿وَمَنْ أَيْنَئِذٍ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

المناسبة: (ومن آياته) هذه المرة السابعة التي يعيد ذكر (ومن آياته) (كما رأينا في الآيات: ٢٠-٢٥) الدالة على ربوبيته وألوهيته ووحدانيته، والبعث وقدرته وعظمته. أو هذه الآية متصلة بقوله تعالى: (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله)، ثم ذكر سبحانه (من فضله علينا أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله).

﴿وَمَنْ أَيْنَئِذٍ﴾: ارجع إلى الآية (٢٠)



﴿أَنْ﴾: حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد.

﴿يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾: التي تحمل السحاب وتبشّر بنزول المطر الذي يُحيي الأرض بعد موتها، وبالتالي يخرج به الزرع والحب والنخيل والأعشاب. يرسل: تفيد التجدد والتكرار. مبشرات: من البشارة؛ أي: الخبر السار. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩) وسورة النحل آية (٨٩) للبيان.

من خصائص القرآن أن كلمة (الرياح) تحمل في معناها الخير، بينما كلمة (الريح) تحمل في معناها الشر والدمار؛ أي: يستعمل الرياح في سياق الخير ويستعمل الريح في سياق الشر.

﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: اللام للتوكيد والتعليل، من: بعض رحمته؛ أي: من خيره بنزول المطر الذي يؤدي إلى الخصب وسعة الرزق والغنى.

﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ﴾: اللام للتوكيد والتعليل، الفلك: السفن في البحر تجري بسبب الرياح، والله هو الذي يُزجي الفلك في البحر.

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: اللام للتوكيد والتعليل بنقل التجارة في البحر والصيد والسياحة وغيرها من أنواع الفضل، والواو في (ولتبتغوا من فضله) بجريان الفلك وغيرها من وسائل ابتغاء الرزق، وزيادة الواو في كلمة ولتبتغوا: تدل على منافع، أو نعم أخرى لم تذكرها الآية.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لعلكم: للتعليل، تشكرون: المنعم على فضله ونعمه وتؤمنوا به وتوحدوه، ومجيء الواو في (ولعلكم) تعني: لعلكم تشكرون هذه النعم وغيرها من النعم التي لم تُذكر. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠) لمزيد من البيان في معنى الشكر.



[٤٧] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنفَقْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُومُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

المناسبة: بعد ذكر الآيات الدالة على عظمته وقدرته ووحدانيته، وعلى قدرته على البعث والإحياء، يذكر أمراً آخر وهو: إرسال الرسل والأنبياء وما حدث لمن كذبهم.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، وقد: للتحقيق.

﴿أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا﴾: أرسلنا، ولم يقل بعثنا، لمعرفة المعنى والفرق بينهما ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة.

﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾: تعني منذ زمن غير بعيد، والخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ.

﴿رُسُلًا﴾: الرسل هنا تعني: الأنبياء والرسل فالكل رسل من الله، وإن كان هناك فرق بين الرسول والنبي. ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٤) للبيان.

﴿إِلَى قَوْمِهِمْ﴾: كل رسول أرسل إلى قومه؛ لكونه يعرفهم ويعرفونه وليس غريباً عنهم.

﴿فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: الفاء: تدل على المباشرة، بالبينات؛ أي: الأدلة والبراهين الدالة على صدق الأنبياء وصدق نبوتهم ودعواهم إلى الإيمان والتوحيد. الباء في (بالبينات) تدل على الإلصاق والاستمرار.

﴿فَأَنفَقْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُومُوا﴾: حذف ما حدث بعد المجيء بالبينات ولم يقل فكذبوهم وأعرضوا، ولم يؤمنوا وتمادوا بعد ذلك بالتحدي والإنكار والضلال، وانتقل إلى: (فانتقمنا منهم) بصيغة الجمع والتعظيم؛ للدلالة على شدة الانتقام؛ أي: أهلكناهم جميعاً.



﴿مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾: أي من الذين كفروا وأشركوا وعصوا وقتلوا أنبياءهم وحاربوا دينهم. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥) لبيان معنى أجرموا.

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: وكان: كان تشمل كل الأزمنة، حقاً: من الحق وهو: الأمر الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل؛ أي: وعداً علينا نصر المؤمنين على الكافرين بإهلاك الكافرين وتدميرهم، وإنقاذ المؤمنين من شرهم وأذاهم. [٤٨] ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ ۖ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾:

﴿اللَّهُ﴾: سبحانه ﴿الَّذِي يُرْسِلُ﴾.

﴿الرِّيحَ﴾: في القرآن تدل على الخير، و(الريح) تدل على الشر والدمار. ارجع إلى الآية السابقة (٤٦) من السورة نفسها.

﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: السحاب: عبارة عن بخار الماء المتبخر من البحار والأرض، وله أربعة أنواع:

- ١ - السحب الضبابية: تشكل الضباب.
- ٢ - السحب المبسوطة: أي المتصلة ببعضها.
- ٣ - الكسف: جمع كسفة: أي قطعة ثم يجعله كسفاً؛ أي: قطعاً وتحمل المطر.

٤ - السحب الركامية: تسبب المطر والرعد والبرق والثلج.

﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾: المطر.

﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾: من هذه الكسف أو القطع.

﴿فَإِذَا ۖ﴾: ظرفية للمستقبل؛ تستعمل للشيء المحقق حدوثه.



﴿أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: هطل المطر على من يشاء من عباده.

﴿إِذَا﴾: الفجائية.

﴿هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: بنزول المطر الذي يخرج به الزرع والحب والخصب،
والثمر والحصاد والرزق.

ارجع إلى الآية (٤٣) من سورة النور لمزيد من البيان.

[٤٩] ﴿وَأِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾:

﴿وَأِنْ﴾: للتوكيد.

﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ﴾: كانوا تعود على (عباده)، من قبل: من:
ابتدائية، قبل: ظرف زمني؛ أي: قبل إرسال الرياح وإنزال المطر.

﴿أَنْ﴾: للتوكيد.

﴿يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ﴾: الودق أو المطر.

﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾: من: ابتدائية، قبله: أي من قبل نزول المطر.

﴿لَمُبْلِسِينَ﴾: اللام للتوكيد، مبلسين: جمع مبلس، والإبلاس: القنوط
والسكون والكآبة؛ أي: قانطين مكتئبين؛ لعدم نزول الودق. مبلسين: جملة
اسمية تدل على الثبوت؛ أي: مصابين بياس أو قنوط دائم مستمر.

[٥٠] ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتِ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿فَانْظُرْ﴾: الفاء: للتوكيد، انظر: نظرة قلبية فكرية تبصيرية، نظرة تأمل
وتعقل؛ لتصل بها إلى الحقيقة.



﴿إِلَىٰ أَثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾: آثار جمع: أثر؛ أي: آثار رحمت الله؛ أي: المطر
والزرع والثمر والرزق والمال.

آثار: أي ما ترك أو خلف وراءه: كيف أصبحت الأرض مخضرة بعدما
كانت يابسة هامدة ميتة.

﴿كَيفَ﴾: للاستفهام، وتحمل معنى التعجب.

﴿يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: بعد موتها؛ أي: بزمان قريب أو بعيد، ولم يقل من
بعد؛ تعني فقط من قريب. ارجع إلى سورة العنكبوت آية (٦٣) للبيان.

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: إن: للتوكيد، ذلك: اسم إشارة للبعد يفيد المدح والتعظيم؛
أي: القادر على إحياء الأرض بعد موتها.

﴿لَمْ يُحْيِ الْمَوْتَى﴾: اللام لام التوكيد، ومحیی الموتى: اسم فاعل يفيد
الثبوت، محيي الموتى بعد موتهم يوم البعث. ارجع إلى الآية (١٩) من السورة
نفسها للبيان.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير يفيد التوكيد.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ارجع إلى الآية (٢٠) من سورة البقرة للبيان.





سُورَةُ الزُّمَرِ ٣٠

الجزء الثاني من القرآن



وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾
فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا
مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا
مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ
قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾
وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ
كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ
لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ
وَلَا يَكْنَكُمُ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا
لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَيْنَ جِثَّتْهُمْ شَايَةً
لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ
يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

سورة الروم [الآيات ٥١ - ٦٠]

[٥١] ﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾:

﴿وَلَيْنَ﴾: الواو استئنافية، لئن: اللام للتوكيد، وإن: شرطية تفيد الاحتمال وقلة الحدوث؛ لأن الريح التي تحمل الشر والدمار قليلاً ما تحدث.

﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾: ريحاً: مثل ريح السَّموم أو ريح العقيم أو ريح صرصر عاتية، أي ريحاً ضارة لا نفع منها، أرسلناها على الزرع والثمر.

﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾: رأوا زرعهم أو حرثهم أو نباتهم مصفراً يابساً أصفر اللون بعد الاخضرار، مما يدل على موت الزرع والنبات وأنه سيصبح حطاماً.

﴿لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾: اللام: للتوكيد، ظلوا: من الظل؛ أي: استمروا طوال النهار. من بعده: من بعد اصفرار الزرع والنبات والحرث. يكفرون: الكفر هو: الستر؛ أي: ينكرون نِعَمَ الله الأخرى وما سلف، ويئسّون من روح الله وفرجه ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِشُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وهذا دليل على ضعف إيمانهم، وما هو إلا فتنة لهم ولكن لا يشعرون.

[٥٢] ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفْرَ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾:

المناسبة في الآية السابقة قال تعالى: (لظلوا من بعده يكفرون) أي: الكفار وفي هذه الآية يقول الله سبحانه لرسوله: ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفْرَ﴾: أي الكفار،



فجعلهم في حكم الأموات وهم لازالوا أحياء يرزقون؛ لأنهم لا ينتفعون بما يسمعون من آيات الله ولا من وعد ولا وعيد.

وكذلك ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ المصابين بالصمم في آذانهم؛ لأنهم لا يريدون الاستماع إليك. شبههم بالصم؛ لأنهم عطلوا حواسهم ويحاولون أن يولّوا مدبرين بالفرار والهرب منك خوفاً من أن يسمعوا آية أو حديثاً يقض مضاجعهم. ولا تسمع: تكرر (لا) لتوكيد النفي.

﴿الدَّعَاءَ﴾: حين تدعوهم للهدى والإيمان.

﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾: أي إذا ولّوا إليك ظهورهم وانصرفوا عنك، ولم يعد هناك أمل في عودتهم، فما عليك إلا البلاغ.

[٥٣] ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾:

وإذا قارنا هذه الآية: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ﴾ بحذف الياء، وفي الآية (٨١) من سورة النمل قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ﴾ بإضافة الياء، وإذا جمعنا الآيتين معاً؛ أي: أنت يا محمد ﷺ لن تكون قادراً على هداية هؤلاء العمي هداية المعونة أو الهداية الخاصة للدخول في الإسلام مهما حاولت، أو استغرقت من الزمن الطويل أو القصير، وسواء أكانت هدايتهم تحتاج إلى زمن طويل، أم قصير.

[٥٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾:

هذا دليل آخر على قدرة الله وعظمته في خلق الإنسان، والتدرج في منحه



القوة والقدرة ثم نزعها منه فهو يخلق ما يشاء ويفعل ما يشاء ولا مدبر ولا مغير
لخلقه أو حكمه، وهذا دليل آخر على قدرته على البعث والإحياء.

﴿اللَّهُ﴾: تقديم الفاعل يدل على الاهتمام والتعظيم والحصر.

﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾: من: ابتدائية؛ أي: ابتداء خلقكم، ضَعْف: بفتح
الضاد، وهناك من يقرأها بضم الضاد مثل الفقر والفقر؛ أي ضعف الطفولة
يحتاج إلى من يطعمه ويرعاه، وينظفه ويحمله، ويعلمه ويمدّه بالحنان، وينفق
عليه ويقف بجانبه.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾: ثم: للترتيب والتراخي في الزمن.

جعل: صير من بعد الطفولة قُوَّةً؛ أي: قوة الشباب والفتوة.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾: ثم: للترتيب والتراخي من بعد
مرحلة الشباب مرحلة الشيب والهرم. ضعفاً: ضعف الكبر يسري أو يصيب كل
الأطراف وشيبه، والشيب هو بياض الشعر، ضعفاً يسري في كل الأعضاء؛ أي:
يعيد الإنسان إلى الضعف كما بدأ.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾: من ضعف وقوة، وشيبة وشيخوخة، وهلاك وموت.

بحسب حكمته.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿الْعَلِيمُ﴾: بخلقه وبتدبير خلقه، العليم بما يجري من تحول وتغير في

الخلق، ويعلم بواطن الأمور وظواهرها.



﴿الْقَدِيرُ﴾: على ما يشاء لا يعجزه شيء في الخلق والتصوير والإنشاء والإبداع، القادر على كل شيء، فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

[٥٥] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾:

المناسبة: بعد ذكر الدلائل على عظمته وقدرته ووحدانيته، وقدرته على البعث وتغيير الخلق، يذكر طرفاً مما سيحدث يوم القيامة.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾: الساعة هي آخر ساعة من ساعات الدنيا ساعة تهدم النظام الكوني، وهي تقوم وتحدث بغتة ولا يعلمها إلا هو سبحانه، فلم يطلعها على ملك ولا رسول؛ أي: زمن قيامها.

﴿يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾: يقسم الكافرون أو المشركون أو العاصون. المجرمون: جمع مجرم، وأجرم فلان؛ أي: أذنب وخالف القانون، والفعل الذي قام به يسمى جريمة. ارجع إلى سورة الأنفال آية (٨) للمزيد في معنى المجرمون. والقسم في القرآن يأتي في سياق الصدق، أما الحلف في القرآن فيأتي في سياق الكذب؛ أي: حين يرون أحداث الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة.

﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾: أي يقسموا ما لبثوا أو مكثوا طويلاً في الدنيا غير ساعة: فقط ساعة، أو قيل: في قبورهم، وهو قسم صادق؛ لأنهم صادقون في شعورهم. ما لبثوا: ما: النافية، واللبث يدل على الإقامة المحددة بزمن معين، (غير ساعة) غير: تفيد الاستثناء، و(الساعة) تعني: مقدار ساعة من ساعات اليوم؛

أي: (٦٠) دقيقة مقارنة بالآخرة، ورغم كونها ساعة لم يستفيدوا منها وينقذوا أنفسهم من جحيم الآخرة.

﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾: أي: مثل ذلك، أو كذلك؛ أي: كهذا الكذب؛ أي قولهم: (ما لبثوا غير ساعة) كانوا يؤفكون في الدنيا: يصرفون عن الحق، ويكذبون بالرسول وبآيات ربهم، وبالبعث والحساب والجزاء، والإفك: هو الكذب المتعمد، أو قلب الحقيقة أو الصرف عن حقيقة الشيء.

[٥٦] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّا كُنْمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾:

وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لهؤلاء المجرمين الذين أقسموا ما لبثوا غير ساعة.

﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾: الذين أوتوا العلم في جميع القرآن فيها ثناء حسن لهم. قيل: هم الملائكة الذين شهدوا ما حدث، والأنبياء والرسول والمؤمنون المتقون من الإنس الذين أوتوا العلم: علوم الدين. وقيل: هم العلماء المتقون حقاً: الذين قرنوا العلم والدين معاً.

هذا هو جواب الذين أوتوا العلم للمجرمين:

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿لَبِثْتُمْ﴾: اللبث هو الإقامة المحددة بزمن معين ولو كان طويلاً، الإقامة

الطويلة.



﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾: أي لقد لبثتم في الدنيا أو في القبور، أو ما بين النفختين ما كتبه الله لكم في اللوح المحفوظ، وكما سبق علمه أو حكمه تعالى.

هذا هو جواب الذين أتوا العلم للذين أكرموا.

﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: (فهذا) الفاء: للتوكيد، هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة تشير إلى يوم البعث. يوم البعث: الذي كنتم تكذبون به وتنكرونه، (ولكنكم كنتم لا تعلمون): بعد أن أتى الله لكم بالبينات والحجج والبراهين التي كان عليكم الأخذ بها وتدبرها، ولكنكم لم تصدقوا بها، فهذا يوم البعث الذي لم تصدقوا به وتعلموا أنه كائن.

[٥٧] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾:

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾: أي يوم القيامة أو قيام الساعة.

﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: لا النافية، ينفع الذين ظلموا: أشركوا أو كفروا وظلموا أنفسهم أو غيرهم، أو كذبوا الرسل والبعث والحساب.

﴿مَعَذِرَتُهُمْ﴾: أي لا يقبل لهم عذر ولا توبة ولا حجة.

﴿وَلَا هُمْ﴾: لا النافية، تكرر هنا يفيد توكيد النفي، هم: للتوكيد، يستعذبون: من العتاب: وهو حوار بين اثنين أو أكثر بسبب تضييع حق من الحقوق يستعذب أحدهما الآخر فأعته؛ أي: استرضاه بما لديه من عذر أو قول أو حجة فأرضاه.

﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾: أي لم يطلبوا العتبي بأنفسهم وإنما طلبوا من غيرهم أن



يطلب لهم؛ حتى يؤذن لهم بالعتاب. ولم يجرؤ أحدٌ أن يطلب لهم ذلك وقد وردت يُستعتبون في ثلاث آيات، ووردت كلمة يُستعتبون بفتح الياء: أي طلبوا العتاب بأنفسهم ولم يسمح لهم ذلك. وقال ابن عباس: لا يقبل من الذين أشركوا عُذر ولا توبة.

[٥٨] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، وقد: للتحقيق.

﴿ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾: الضرب يعني الصَّوغ والتبيين والتمثيل، والضرب فيه معنى التأثير والتهيج للنفوس، وضرب أذن السامع، أو قرع أذنه بالأمثال المختلفة. للناس: اللام لام الاختصاص. الناس: الإنس والجن والمؤمن والكافر، والناس مشتقة من: النَّوس: الحركة. ارجع إلى الآية (٢٨) من السورة نفسها.

﴿فِي هَذَا﴾: في: ظرفية، هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة تشير إلى القرآن الكريم.

﴿الْقُرْآنِ﴾: سَمِّيَ قرآنًا؛ لأنه مقروءٌ. ارجع إلى سورة الحجر آية (١) لمزيد من البيان في معنى القرآن.

﴿مِنْ﴾: استغراقية، ﴿كُلِّ﴾: للتوكيد، ﴿مَثَلٍ﴾: هو قول موجز يراد به مقارنة شيء معنوي بشيء حسي، أو المقارنة والموازنة بين أمرين، أو تشبيه حال



بحال أخرى؛ أي: ضربنا لهم أمثلة عديدة على التوحيد والبعث وصدق الرسل والشرك. والمثل يضرب لإزالة أي غموض أو جهل.

﴿وَلَيْنَ حِجَّتُهُمْ شَاقِيَةً﴾: اللام للتوكيد، إن: شرطية. جئتهم بآية: من آيات القرآن، أو تلوت عليهم آية من آيات القرآن، أو الآيات المعجزات، أو الكونية، أو الدلائل، أو البينات.

﴿يَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: اللام والنون في (ليقولن) للتوكيد.

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾: إن نافية، أشد نفياً من ما، أنتم: أيها المؤمنون وتشمل الرسول ﷺ والمؤمنين معاً، أو الرسول وأتباعه؛ أي: أنت مبطل وأتباعك. إلا: تفيد الحصر، مبطلون: أهل باطل فليس هناك دين حق وبعث وحساب. أو كاذبون والباطل: الشيء الذي لا وجود له. أو الذاهب؛ أي: الزائل كالزبد الذي يحمله السيل فيذهب جفاء، الرعد آية (١٧).

[٥٩] ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿كَذَلِكَ﴾: أي مثل ما يطبع الله على قلوب الذين كفروا الذين لا يصدقون بأي آية تأتيهم أو مثل يضرب لهم.

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: نتيجة جهلهم وتقصيرهم في تعلم التوحيد والبعث، وغفلتهم وعدم النظر في آيات الله والأدلة الكونية الدالة على وجوده وقدرته، والطبع أشد من الختم، والطبع على القلوب؛ يعني: لا يدخلها إيمان ولا يخرج منها كفر. وقوله كذلك يطبع الله على قلوب، ولم يقل كذلك يطبع على قلوب تدل على شدة التوبيخ والطبع.



[٦٠] ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾:

﴿فَاصْبِرْ﴾: الفاء: للتوكيد، اصبر على أذى كفار مكة وتكذيبهم وكيدهم،
اصبر على دعوتك إياهم.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: ﴿لَا غَلَبَ لَنَا أَنَا وَرُسُلُنَا﴾ [المجادلة: ٢١] ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [غافر: ٥١] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، وعد الله حق: ثابت لا يتغير، ولا بد من إنجازه
والوفاء به.

﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾: لا النّاهية، يستخفّنك: النون للتوكيد،
(يستخفّنك) من: استخفّ فلان فلاناً: استجهله، ظنّ به طيشاً وقصوراً عقلياً
يؤدي إلى الغضب، وترك العمل أو الرسالة والدعوة والتبليغ، وترك الحلم
والثبات. الذين لا يوقنون: لا يوقنون بالبعث والحساب، والجزاء والآخرة؛ أي:
لا يعلمون الحق، أو الشّاكون الضّالّون. اليقين هو: العلم بأنّه لا يكون غيره،
واليقين درجات: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين. ارجع إلى سورة البقرة
آية (٤) لمزيد من بيان معنى اليقين.





سُورَةُ الْقَمَآنِ ٣١

سُورَةُ الْقَمَآنِ

سُورَةُ الْقَمَآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تَلَّىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا
كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أذْنِهِ وَقْرَ فِسْحَةٍ بِّعْذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾
خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَن تَمِيدَ
بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا
مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾



سورة لقمان [الآيات ١ - ١١]

ترتيبها في القرآن (٣١)، وترتيبها في النزول (٥٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْم﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة؛ للبيان.

[٢] ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾:

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة يشير إلى الآيات التالية أو السابقة، أو آيات القرآن عامة، اللام للبعد والكاف للخطاب، ولام البعد تشير إلى علو منزلة هذه الآيات وقدرها.

﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾: جمع آية؛ وتعني: آيات الكتاب (القرآن) وسمي الكتاب؛ لأنه مكتوب في السطور وجاء معرباً بأل التعريف للدلالة على الكمال. ولمزيد من البيان ارجع إلى الآية (٢) من سورة البقرة.

﴿الْحَكِيمِ﴾: مشتقة من الحكمة والحكم، صيغة مبالغة.

الحكيم: ذو الحكمة والموصوف بالحكمة.

والحكيم: أي الحاكم غيره؛ أي: مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه فهو الحاكم على الكتب السابقة.

والحكيم: المحكم؛ من الإحكام: (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير). ارجع إلى سورة يونس آية (١) لمزيد من البيان.



[٣] ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿هُدًى﴾: أي تلك الآيات هي الهدى أو مصدر الهداية، أو الهداية للحق وللصراط المستقيم (الإسلام) وللغاية؛ وهي سعادة الدارين.
﴿وَرَحْمَةً﴾: الرحمة لغة: هي رقة القلب وعطفه.

فالآيات هي إنعام وفضل ورحمة من الرب على عباده؛ لتجلب لهم كل خير، وتدفع عنهم كل ضرر، فهي وقاية لهم من الضلال والشك والمعاصي.

﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، المحسنين: الذين وصفتهم الآية التالية لهذه الآية: الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ.

المحسنون: أعلى درجة من المتقين، فالمحسن هو المتقي الذي لم يقتصر أثر إيمانه وتقواه على نفسه بل تعدى إلى غيره من النَّاسِ ووصل إحسانه إلى غيره، وأحسن في إيمانه بالإخلاص والتوحيد وأحسن في عبادته إحسان الكم والكيف؛ والإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة لمزيد من البيان في معنى الإحسان.

هدى ورحمة للمحسنين. ارجع إلى الآية (٢) من سورة النمل للمقارنة.

وإذا قارنا هذه الآية (٣) من سورة لقمان وهي قوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾، وقوله تعالى في الآية (٢) من سورة البقرة: ﴿هُدًى لِّلْيَقِينِ﴾، نرى زيادة كلمة (رحمة) في آية لقمان؛ لأن المحسنين أعلى درجة من المتقين فلما أحسنوا في عبادتهم، وإحسانهم تعداهم إلى غيرهم، زادهم الله تعالى رحمة.

[٤] ﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾:

ارجع إلى الآية (٣) من سورة النمل، وسورة البقرة آية (٤) لمزيد من البيان في معنى اليقين.



[٥] ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾:

ارجع إلى الآية (٥) من سورة البقرة للبيان.

[٦] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهَوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾:

سبب النزول: كما ذكر الواحدي في (أسباب النزول) قيل: إن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث الذي كان تاجراً إلى فارس يشتري أخبار الأعاجم ويعود ويخبر بها قريشاً ويقول لهم: إن محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم والأكاسرة، مما أدى إلى جذب طائفة من الناس للاستماع له.

وقال ابن عباس: نزلت هذه الآية في رجل اشترى جارية مغنية.

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: من ابتدائية بعضية؛ أي: من بعض الناس أمثال النضر ابن الحارث.

﴿مَن يَشْتَرِي لَهَوَ الْحَدِيثِ﴾: كل ما يلهو به الناس من الغناء والقصص والأساطير والخرافات، يشتري: من الشراء الذي يدفع معه ثمن؛ أي: يشتري بماله.

واللهو: كل ما يشغل الإنسان عما يهّمه عن واجب أو عن شيء نافع.

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: اللام لام التعليل والتوكيد، ليضل عن سبيل الله: ليصرف أو يمنع الناس من الدخول في الإسلام، مما يؤدي إلى ضلالهم وصدّهم عن الحديث النافع.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: جهلاً منه وحماقه، ويشتري أشياء بغير علم، (علم) نكرة؛ تعني أي علم بالتجارة، ويشتري أشياء تخسر ولا تعود عليه حتى برأس ماله، ويشتري بغير علم ويضل بغير علم؛ لأنه جاهل أحمق.



﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾: يتخذها؛ أي: الآيات أو السبيل؛ أي: الدين لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، (فهي مؤنثة) هزواً: أي يستخف بها أو يعيب عليها ويصغر من قدرها.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أولئك: اسم إشارة للبعد، لهم: اللام لام الاختصاص أو الاستحقاق.

عذاب مهين: مصحوب بالإهانة والألم؛ لأنه سيكون أمام الناس وفيه ذلة. [٧] ﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَاطٌ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية شرطية، تدل على حتمية الحدوث وبكثرة. ﴿نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا﴾: تُقرأ عليه آياتنا (آيات القرآن)، تتلى: من التلاوة؛ وهي القراءة المتتالية من كتاب الله. ارجع إلى سورة العنكبوت آية (٤٥). ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾: أعرض عنها، مستكبراً عن قبول الحق والإذعان لله بالعبادة، وتعود على الذي يشتري لهو الحديث.

وقال مستكبراً لا يريد سماع آيات الله كفراً وتكبراً، ولم يقل متكبراً؛ لأن مستكبراً ليس عنده مقومات الكبر مثل الغنى والشرف، إذن استكباره باطل وليس له حق أن يتكبر كالفقير المستكبر.

﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَاطٌ﴾: وقراً: ثقلاً في السمع يمنعه من السماع الجيد، أو ولَّى مستكبراً مشبهاً من في أذنيه وقر، ولم يقل صمم؛ لأن الصمم يدل على عدم السماع بشكل مطلق، وهو كان يسمعها ويتخذها هزواً.

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: ونحن نعلم أن البشارة تكون عادة في الخير، والإخبار بشيء سار، والفاء تدل على التوكيد. وأما البشارة بعذاب أليم تعني: التهكم والسخرية منه.

وفي هذه الآية قال: عذاب أليم، وفي الآية السابقة: عذاب مهين، وهذا ليس فيه تعارض مرة يكون عذاباً مهيناً أمام الناس وفيه مذلة ومرة أليماً فيه ألم شديد وليس أمام الناس وعلى مرآهم.

ولا بد من مقارنة آية لقمان هذه وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مع الآية (٨) من سورة الجاثية وهي قوله تعالى: ﴿وَيَلِّ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۖ يَسْمَعُ آيَاتَ اللَّهِ تَنْتَلِي عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

ليس المستمع واحداً، في آية لقمان يسمع كأن لم يسمع كأن في أذنيه وقرأ، بينما في آية الجاثية يسمع كأن لم يسمع ولم يقل في أذنيه وقرأ.

لأن في الجاثية قال: يصير مستكبراً (أي على عدم التراجع أو الاستماع) فهذه تعادل أو تساوي كمن في أذنيه وقرأ، فصار أحد اللفظين يُغني عن الآخر.

[٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾:

مقابل الذين يشتركون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله هناك الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: إن للتوكيد، الذين اسم موصول.

﴿ءَامَنُوا﴾: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: الفرائض والنوافل، وغيرها من شعب الإيمان والأعمال الصالحة؛ أي: قرنوا الإيمان بالعمل الصالح، فأحدهما لا يكفي ولا بد من الآخر.

﴿لَهُمْ﴾: اللام للاختصاص والاستحقاق.

﴿جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾: جنات: حدائق وبساتين في الجنة وتسمى جنات النعيم،



النعيم الدائم الذي لا ينقطع أو ينقص. ارجع إلى سورة يونس آية (٩) لبيان جنات النعيم.

[٩] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿خَالِدِينَ﴾: من الخلود وهو البقاء الدائم المستمر إلى ما لا نهاية، ويبدأ من زمن دخولهم الجنات.

﴿فِيهَا﴾: في جنات النعيم، فيها: ظرفية مكانية.

﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾: مصدران مؤكدان. والوعد في القرآن الكريم للخير والشر، وإذا أطلق اختص بالخير والوعد يكون في الشر.

حقاً: من الحق: الأمر الثابت الذي لا يتغير؛ أي: وعداً ثابتاً لا يتغير من الله العزيز الحكيم الذي يملك كل أسباب الوفاء.

﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي الذي يَقهر ولا يُقهر وَيَغلب ولا يُغلب، والممتنع لا يضره أحد من عباده.

﴿الْحَكِيمُ﴾: ارجع إلى الآية (٢٧) من سورة الروم.

[١٠] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضِ رَوْسٍ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: خلق السموات: ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٣٠)، وسورة فصلت آية (١٠-١١): لمعرفة معنى الخلق.

ورفعها بغير عمد ترونها. العمد: الدعامة أو العواميد.

فالسموات مرفوعة بعمد؛ أي: لها عمد ولكن لا نراها، فالمنفى هنا الرؤية وليس العمد، والقول: ليس لها عمد على الإطلاق؛ أي: مرفوعة بلا عمد: غير صحيح.



والعمد هي القوى التي تمسكها وهي:

- ١ - القوى النووية الشديدة.
- ٢ - القوى النووية الضعيفة.
- ٣ - القوى الكهربائية المغناطيسية (الكهرومغناطيسية).
- ٤ - قوى الجاذبية وهي أضعف القوى المعروفة وتساوي (١٠-٣٩) من القوة النووية الشديدة.

ويجب أن نفرق بين قوة الجاذبية: وهي قوة الجذب للمادة الموجودة في تركيب جسم ما، وبين موجات الجاذبية الصادرة عن قوى خارجية صادرة عن الأجرام السماوية الأخرى. ارجع إلى سورة الرعد آية (٢) لمزيد من البيان.

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾: ألقى في الأرض رواسي (جبال) تشكلت من مكونات المواد البركانية التي سقطت على الأرض، فالرواسي تشمل الجبال والألواح القارية في عمق البحار، والمعادن الصلبة كالحديد في باطن الأرض، وهناك فرق بين (ألقى) و(جعل) فيها رواسي: ألقى يدل على أن الجبال تشكلت مما يخرج من باطن الأرض من الحمم البركانية، والجعل يشير إلى الألواح القارية والمواد الصلبة المكونة لباطن الأرض.

﴿أَنْ﴾: تعليلية.

﴿تَمِيدَ بِكُمْ﴾: تضطرب بكم وتتحرك وتهتز؛ أي: لئلا تميد بكم، أو كراهة أن تميد بكم وتحدث الزلازل والبراكين.

وفي هذه الآية قال تعالى: ﴿تَمِيدَ بِكُمْ﴾، وفي سورة النحل آية (١٥): ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾، أما في سورة الأنبياء آية (٣١) قال تعالى: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾.

والفرق بين الآيتين: يستعمل الله سبحانه ﴿تَمِيدَ بِكُمْ﴾ في سياق ذكر نعم الله تعالى على عباده.



ويستعمل ﴿تَمِيدَ بِهِمْ﴾ في سياق تبيان عظمته وقدرته سبحانه.

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾: البث: النثر فيها (في الأرض)؛ من: استغراقية، والدابة: كل ما يدب على الأرض؛ أي: يمشي على الأرض من الحيوانات عامة والثقلين الإنس والجن؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (١٦٤)، والعنكبوت آية (٦٠) لبيان معنى دابة.

﴿مِنْ﴾: استغراقية تستغرق كل دابة، وأحياناً قالوا: الدابة تشمل الإنسان والجن والحيوان. ارجع إلى سورة العنكبوت آية (٦٠) لبيان معنى دابة.

وهذا البث والنشر آية من آيات الله تعالى، فكل دابة موزعة على سطح وباطن الأرض تشكل أمماً أمثالنا.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: بعد أن ذكر وألقى وبث قال: وأنزلنا.

﴿وَأَنْزَلْنَا﴾: ولم يقل وأنزل، أسند الإنزال إليه سبحانه واستعمل ضمير التعظيم.

﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: من السماء من السحب الركامية، ماءً: ماء المطر، والسماء تعريفها: كل ما يعلو الإنسان فالسماء تعني: السحب.

﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾: في الأرض. أنبتنا: للتعظيم، أو الجمع، وتعني: مشاركة الإنسان في عملية الإنبات، والزرع والحرث وغيرها.

﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: من استغراقية، كل زوج كريم، زوج: صنف.

زوج كريم: البالغ في الجودة الكثيرة والخير والنفع، كثير النفع.

وحين يتحدث عن البهجة والسرور على نفس الناظر يقول زوج بهيج.

ارجع إلى سورة الشعراء آية (٧) للبيان المفصل في معنى زوج كريم وزوج بهيج.



[١١] ﴿ هَذَا خَلَقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾:

الخطاب موجّهٌ للجاحدين بآيات الله الكونية التي ذكرت سابقاً، خلق السموات بغير عمد، الرواسي، بثّ فيها من كل دابة، إنزال الماء وأنبثنا فيها من كل زوج كريم، وغيرها من الآيات.

﴿ هَذَا خَلَقُ اللَّهِ ﴾: أي هذا ما خلق الله وحده وليس معه شريك، أو هذه مخلوقات الله تعالى، أو صنع الله تعالى المتقن العجيب المتعدد.

﴿ خَلَقُ اللَّهِ ﴾: تسع كلّ الخلق، و﴿ هَذَا ﴾: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للتقريب.

﴿ فَأَرُونِي مَاذَا ﴾: ماذا: قد تكون كلمة واحدة، أو تتركب من ما: الاستفهامية، وذا: اسم إشارة، أو ما الاستفهامية، وذا اسم موصول بمعنى الذي.

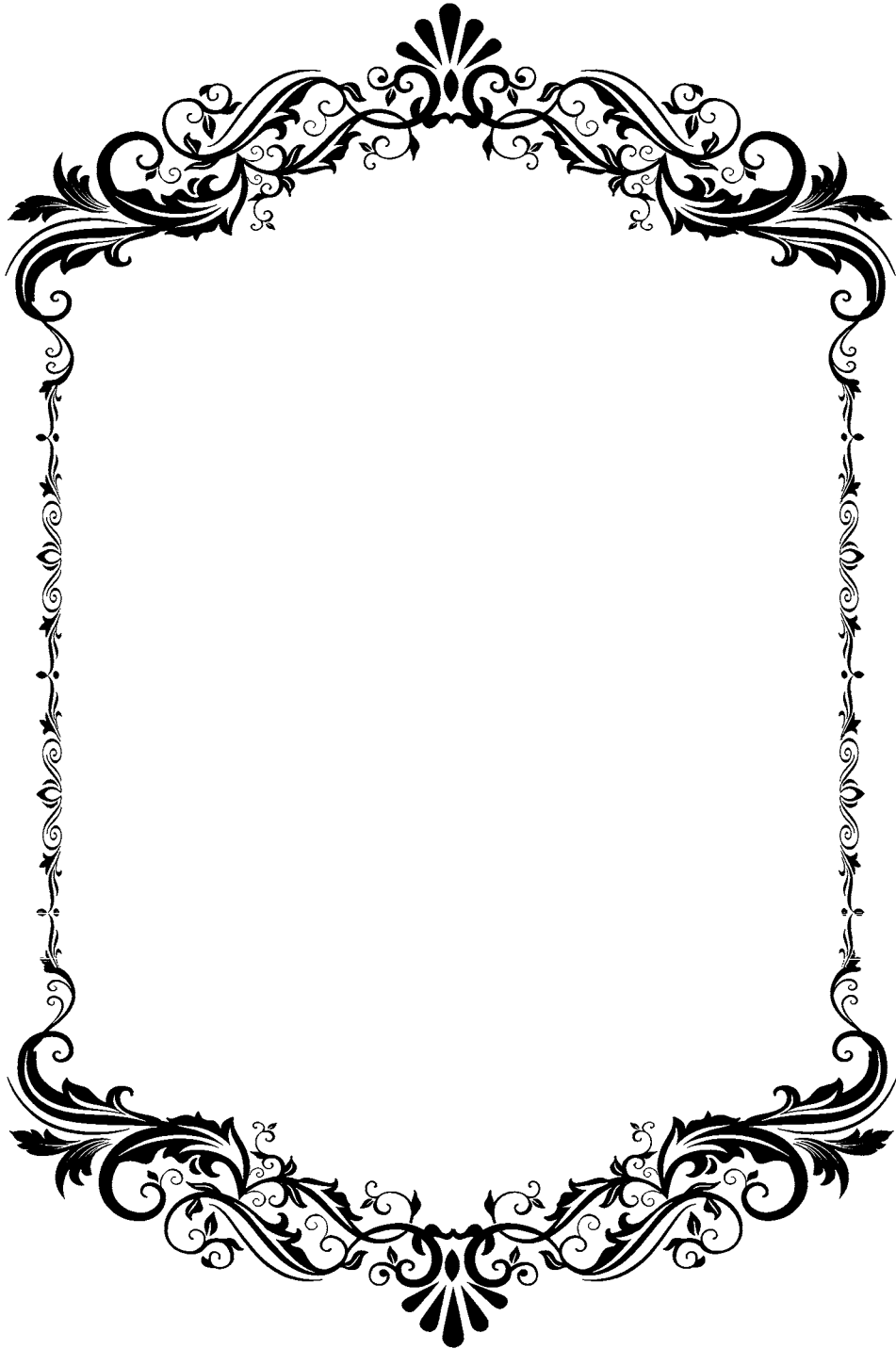
﴿ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾: أي: أروني الذي خلقه الذين تزعمون من دونه أنهم شركاء لله.

﴿ بَلِ ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿ الظَّالِمُونَ ﴾: المشركون، والظلم: هو الشّرك، فحين يُعبد ما لا يستحق العبادة يعتبر ظلماً وإهانة للنفس، والظلم هو الخروج عن منهج الله تعالى.

﴿ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾: مبين: ظاهر وواضح لكل فرد ولا يحتاج إلى أحد ليظهره، فهو ضلال ظاهر واضح بنفسه.







فهرس تفسير القرآن الثري الجزء الثامن

السورة ورقمها	الصفحة
سورة الفرقان [الآيات ١٢ - ٢٠]	٦
سورة الفرقان [الآيات ٢١ - ٣٢]	١٧
سورة الفرقان [الآيات ٣٣ - ٤٣]	٢٩
سورة الفرقان [الآيات ٤٤ - ٥٥]	٣٩
سورة الفرقان [الآيات ٥٦ - ٦٧]	٥٣
سورة الفرقان [الآيات ٦٨ - ٧٧]	٦٥
سورة الشعراء [الآيات ١ - ١٩]	٧٥
سورة الشعراء الآيات [٢٠ - ٣٩]	٨٩
سورة الشعراء الآيات: [٤٠ - ٦٠]	١٠١
سورة الشعراء الآيات [٦١ - ٨٣]	١١٣
سورة الشعراء الآيات [٨٤ - ١١١]	١٢٧
سورة الشعراء الآيات [١١٢ - ١٣٦]	١٤١
سورة الشعراء الآيات [١٣٧ - ١٥٩]	١٥٣
سورة الشعراء الآيات [١٦٠ - ١٨٣]	١٦٣
سورة الشعراء الآيات [١٨٤ - ٢٠٦]	١٧١
سورة الشعراء الآيات [٢٠٧ - ٢٢٧]	١٨٣
سورة النمل [الآيات ١ - ١٣]	١٩٥
سورة النمل [الآيات ١٤ - ٢٢]	٢٠٩



السورة ورقمها	الصفحة
سورة النمل [الآيات ٢٣ - ٣٥]	٢١٩.....
سورة النمل [الآيات ٣٦ - ٤٤]	٢٢٧.....
سورة النمل [الآيات ٤٥ - ٥٥]	٢٣٧.....
سورة النمل [الآيات ٥٦ - ٦٣]	٢٤٧.....
سورة النمل [الآيات ٦٤ - ٧٦]	٢٥٧.....
سورة النمل [الآيات ٧٧ - ٨٨]	٢٦٩.....
سورة النمل [الآيات ٨٩ - ٩٣]	٢٧٩.....
سورة القصص [الآيات ١ - ٥]	٢٨٥.....
سورة القصص [الآيات ٦ - ١٣]	٢٩١.....
سورة القصص [الآيات ١٤ - ٢١]	٣٠٣.....
سورة القصص [الآيات ٢٢ - ٢٨]	٣١٣.....
سورة القصص [الآيات ٢٩ - ٣٥]	٣٢١.....
سورة القصص [الآيات ٣٦ - ٤٣]	٣٣١.....
سورة القصص [الآيات ٤٤ - ٥٠]	٣٤١.....
سورة القصص [الآيات ٥١ - ٥٩]	٣٤٩.....
سورة القصص [الآيات ٦٠ - ٧٠]	٣٥٩.....
سورة القصص [الآيات ٧١ - ٧٧]	٣٦٩.....
سورة القصص [الآيات ٧٨ - ٨٤]	٣٧٩.....
سورة القصص [الآيات ٨٥ - ٨٨]	٣٨٧.....
سورة العنكبوت [الآيات ١ - ٢]	٣٩٣.....
سورة العنكبوت [الآيات ٧ - ١٤]	٣٩٩.....



السورة ورقمها	الصفحة
سورة العنكبوت [الآيات ١٥ - ٢٣]	٤٠٩.....
سورة العنكبوت [الآيات ٢٤ - ٣٠]	٤٢٣.....
سورة العنكبوت [الآيات ٣١ - ٣٨]	٤٣٣.....
سورة العنكبوت [الآيات ٣٩ - ٤٥]	٤٤١.....
سورة العنكبوت [الآيات ٤٦ - ٥٢]	٤٥١.....
سورة العنكبوت [الآيات ٥٣ - ٦٣]	٤٦١.....
سورة العنكبوت [الآيات ٦٤ - ٦٩]	٤٧٣.....
سورة الروم [الآيات ١ - ٥]	٤٨١.....
سورة الروم [الآيات ٦ - ١٥]	٤٨٥.....
سورة الروم [الآيات ١٦ - ٢٤]	٤٩٣.....
سورة الروم [الآيات ٢٥ - ٣٢]	٥٠٥.....
سورة الروم [الآيات ٣٣ - ٤١]	٥١٥.....
سورة الروم [الآيات ٤٢ - ٥٠]	٥٢٧.....
سورة الروم [الآيات ٥١ - ٦٠]	٥٣٧.....
سورة لقمان [الآيات ١ - ١١]	٥٤٧.....
فهرس تفسير القرآن الثري الجزء السابع	٥٥٧.....



نَفْسُ الْقُرْآنِ

الْحَكِيمِ الْخَافِعِ

فِي

الْإِعْجَازِ الْبَيِّنِ وَاللُّغَوِيِّ وَالْعِلْمِيِّ

إِعْدَادُ وَدِرَاسَةُ

الدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ الْحَمِيدِ

تَحْقِيقُ

تَحْقِيقُ

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الشَّرِيفِ الْجَامِعِ

يَفِي

الْإِعْجَازَ الْبَيَّانِي وَاللُّغُويَّ وَالْعَامِيَّ

الْجُزْءُ التَّاسِعُ

تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء : (١٢)
عدد الصفحات : (٦٧٠٤)
القياس : ٢٤ × ١٧
التنضيد والإخراج الضوئي : محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م



مرآة المعارف

تلفاكس : +963 11 2247242

ص.ب: 31429 . سورية - دمشق

E-mail: meraj.press@gmail.com



للطباعة والنشر والتوزيع

دار الجامع الكلام



تنضيد وإخراج ضوئي



جوال : +963 933 84 60 60

سورية - دمشق - تلفاكس : +963 11 2216555 - ص.ب 13118

www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الشَّرِيفِ الْجَامِعِ
فِي
الْإِعْجَازِ الْبَيَانِيِّ وَاللُّغَوِيِّ وَالْعِلْمِيِّ

إِعْدَادُ وَدِرَاسَةُ
الدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ السَّلَالِ

الْجُزْءُ الثَّامِنُ

تَارِيخُ الْمَعْرِفَةِ

تَارِيخُ الْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



الْأَنْعَامِ

سُورَةُ النِّسَاءِ ٣١

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لَبْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ۖ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ ۖ وَفَصَّلْهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنَىٰ إِنَّمَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تَصْعَقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾



سورة لقمان [الآيات ١٢ - ١٩]

[١٢] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ ۝﴾

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق والتوكيد.

﴿ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ﴾: الإيتاء هو العطاء بدون تملك؛ أي: يمكن استرداد ما أُعطي، والإيتاء يشمل الأشياء المادية والحسية والمعنوية، فهو أعم من العطاء. والإيتاء قد يكون بشكل خفي، والإيتاء هنا في هذه الآية يعني: الإلهام.

أو آتيناه الحكمة، وكما قال سبحانه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۝﴾ [البقرة: ٢٦٩].

﴿لُقْمَنَ﴾: اختلف المفسرون فيه؛ فمنهم من قال: لقمان بن ثادان رجل صالح، كان حكيماً، أعطاه الله الحكمة، عاصر داود، وقيل: أخذ عنه العلم، ولم يكن نبياً في أكثر الروايات، وقيل: كان حبشياً، أو من سودان مصر.

وليس هناك سند صحيح يدل على نبوته.

﴿الْحِكْمَةَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٦٩) من سورة البقرة لبيان معنى الحكمة. وقيل: هي إحسان القول وإحسان العمل معاً، أو توفيق القول بالعمل.

﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾: أن: تعليلية أو تفسيرية للحكمة؛ وتعني:

آتيناه الحكمة ووصيناه بالشكر لله.

أو آتيناه الحكمة أن اشكر لله؛ أي: من الحكمة أن تشكر الله.



أو آتيناه الحكمة أن اشكر لله لما آتاك من الحكمة.

انتبه إلى قوله تعالى: آتيناه، أن اشكر لله، آتيناه: جاءت بصيغة الجمع والتعظيم، أن اشكر لله بصيغة الإفراد؛ للدلالة على التوحيد.

أن اشكر لله: أي اشكر الله وحده بإخلاص بلا شرك، أو شكراً خالصاً لوجهه، وشكر الله نصف الإيمان، والشكر نوع من العبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، والشكر أخص من الحمد فالحمد أوسع من الشكر وأعم؛ أي: أحمده على إنعامه لك وإنعامه لغيرك.

والشكر خاص بالإنعام الذي وصل لك وحدك.

الحمد لله: تعني هو المحمود على الإطلاق مني ومن غيري.

وكلمة الحمد تحمل في طياتها التعظيم والمحبة.

﴿وَمَنْ يَشْكُرْ﴾: الواو استثنائية، من: شرطية، يشكر: جاءت بصيغة الفعل المضارع؛ لتدل على التجدد والتكرار لأن الشكر يجب أن يتكرر؛ أي: يتجدد على مر الزمن من العبد؛ لأن كل نعمة يجب أن يشكر العبد ربه عليها سواء كانت نعمة ظاهرة أو خفية أو ابتلاءً بالشر أو الخير.

﴿يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ﴾: أي فائدة شكره تعود عليه وليس على الله سبحانه؛ لأن الله غني عن العالمين وعن شكرهم، وقال تعالى: ﴿لَيْنَ شُكْرَتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] فكلما شكرته زادك.

﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾: الواو استثنائية، من: شرطية، كفر: جاءت بصيغة الماضي وليس بصيغة المضارع كقوله: ومن يكفر؛ لأن المفروض أن الكفر لا يتجدد ولا يعود ولا يتكرر أبداً ولذلك قال تعالى: ومن كفر، بعكس الشكر.



﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾: الفاء رابطة للجواب، إن: للتوكيد.

﴿غَنِيٌّ﴾: عن خلقه وعن شكرهم وحمدهم وعبادتهم.

﴿حَمِيدٌ﴾: صيغة مبالغة على وزن فاعيل، أبلغ من محمود على وزن مفعول.

محمود في ذاته قبل أن يوجد من يحمده من خلقه؛ لأنه يستحق الحمد على كل شيء، حميد على الدوام، حميد من خلقه.

غني حميد: يدل على الكمال؛ لاجتماع الغنى والحمد، فقد يكون غنياً وغير حميد أو حميداً وغير غني.

ولو قارنا هذه الآية من سورة لقمان: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ مع الآية (٨) من سورة إبراهيم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾، نجد زيادة اللام في آية سورة إبراهيم: ﴿لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ والتي تدل على التوكيد؛ لأن آية سورة إبراهيم فيها: ﴿إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ ومن هذه استغراقية؛ تعني: كل كفار الأرض، وقال: (جميعاً) توكيداً، لذلك أكد مقابل ذلك بقوله: ﴿لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ تَكْفُرًا﴾: بصيغة المضارع التي تدل على تجدد كفرهم وتكراره، فسبحانه أبداً (لغني حميد) ولو كفر كل أهل الأرض جميعاً وتجدد كفرهم واستمر.

أما الاختلاف بين آية النمل (٤٠)، وآية لقمان (١٢):

آية النمل: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾: ومن شكر (مرة واحدة) فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن ربي غني كريم.

آية لقمان: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾
ومن يشكر (يتكرر شكره) فإن الله غني حميد.

فيكون المعنى بأن الله غني عن خلقه وعن شكرهم وحمدهم سواء كان مرة واحدة أو تجدد وتكرر

ربي كريم: لا يتوقف عن إعطاء الكافر والمؤمن في الدنيا، ومن شكر ومن لم يشكر.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾: حميد يستمر حمده وثناءه رغم انقطاع حمد عبده أو عبادته أو شكره أو شكرهم جميعاً.

لنقارن هذه الآيات الثلاث التالية:

سورة الروم آية (٤٤): ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ﴾

سورة لقمان آية (١٢): ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

سورة النمل آية (٤٠): ﴿وَمَنْ شَكَرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾.

- في سورة الروم: قدّم الكفر وآخر العمل الصالح وذكر عاقبة كل من الفريقين بقوله: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ﴾ وذكر الفعلين الكفر والعمل الصالح بصيغة الماضي.

- في سورة لقمان: قدّم الشكر على الكفر وجاء بصيغة المضارع: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ﴾ وبصيغة الماضي للكفر: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ فإن الله غني عن العالمين.



- في سورة النمل: قدّم الشكر على الكفر وجاء بصيغة المضارع للشكر:
﴿وَمَنْ يَشْكُرْ﴾ وبصيغة الماضي للكفر: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ فإن ربي غني كريم.

هذه الاختلافات يمكن إيضاها:

١ - بأن فعل الشكر ينبغي أن يتجدد ويتكرر من العبد فلذلك يجيء به بصيغة المضارع التي تدل على التجدد والتكرار، أما الكفر ينبغي ألا يتجدد أو يتكرر من العبد ولذلك جاء به بصيغة الماضي.

٢ - في سورة لقمان، لقمان الذي يتكلم، وهو رجل حكيم، طبعاً يبدأ بالشكر، وكذلك في سورة النمل: سليمان عليه السلام الذي يتكلم وهو قد آتاه الله من الملك ما لم يؤت أحداً من العالمين، فكان عليه أن يبدأ بالشكر، وآية سليمان ولقمان في سياق الدنيا.

أما في سورة الروم السياق هو في الآخرة؛ لقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدٍّ لَهُ، مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾. من كفر (في الدنيا)، ومن عمل صالحاً (في الدنيا).

إذن السياق في الآخرة فجاء بصيغة الماضي في كليهما.

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ، وَهُوَ يَعِظُهُ، يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: ظرفية بمعنى: حين، أو: واذكر إذ قال لقمان.

﴿قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ، وَهُوَ يَعِظُهُ﴾: من الوعظ: وهو النصيح والتذكير بما يُليّن القلب ويرشد إلى العمل الصالح والخير، ويتضمن النهي والتحذير والبعد عن الشر.

﴿وَهُوَ﴾: الواو إما حالية؛ وتعني: إذا قال لقمان لابنه واعظاً إياه.



أو استثنائية وتعني: إذ قال لقمان كما يعظه في كل مرة.

﴿يَبْنِي﴾: يا النداء، بُنِيَ: تدل على التصغير والمحبة وإضافته إلى نفسه: (يا بُنَيَّ) من باب حنان الأب لابنه، وليشير ويحرك مشاعر ابنه حتى يتبع ما يأمره أو ينهاه عنه.

﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾: لا النّاهية، تشرك بالله: بدأ بالتوحيد؛ لأن التوحيد أساس الإيمان، لا تشرك بالله مهما كان صغيراً أو كبيراً، ومهما كان نوعه، والباء للإلصاق والاستمرار.

﴿وَإِذَا الشَّرِكَاءُ﴾: إن للتوكيد، الشّرك بالله مثل عبادة الأصنام أو الآلهة، أو الأولياء والملائكة وعيسى والعزير، أو الشّمس أو القمر.

﴿لَظَلَمَ عَظِيمٌ﴾: اللام للتوكيد والتعليل، عظيم للنفس؛ لأنه سيورد صاحبه التهلكة ويحبط كل عمله الصالح، عظيم: من أعظم أنواع الظلم لا ظلم أشد منه.

[١٤] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرْ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾:

قال مقاتل: نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص. ارجع إلى سورة العنكبوت آية (٨) لمعرفة أسباب النزول.

﴿وَوَصَّيْنَا﴾: بدلاً من: ووصى لقمان ابنه.

أراد ربنا أن يوصي بالوالدين بنفسه هذه الوصية لكل إنسان، وهذا يدل على أهمية هذه الوصية وعظيم شأنها.



﴿وَوَصَّيْنَا﴾: عهدنا فيها معنى التكليف والإلزام، وهي بصيغة الجمع والتعظيم.

وصَّينا بالتشديد، ولم يقل وأوصينا، ووصَّينا من فعل وصَّى؛ للمبالغة في الوصية فيها حث واهتمام وتوكيد من فعل أوصى بمعنى: طلب منه؛ أي: ترك له وصية، فأوصى تستعمل في الأمور المادية.

وصية في أمور الدين مثل التوحيد والإحسان إلى الوالدين، وفيها تكليف، بينما أوصينا بدون تشديد وتستعمل غالباً في الموارث كقوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١]؛ ارجع إلى سورة النساء آية (١١) لمزيد من البيان في أوصينا ووصينا. وإدراج الوصية بالإحسان للوالدين بعد النهي عن الشرك في كثير من الآيات يدل على أهمية الإحسان إلى الوالدين وصلة الرحم. ارجع إلى سورة العنكبوت آية (٨) لمزيد من البيان، والمقارنة، وتكررت آية ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ في ثلاث آيات هي: سورة العنكبوت آية (٨)، ولقمان آية (١٤)، والأحقاف آية (١٥)، واقتربت بالوالدين إحساناً بعبادة الله في أربع آيات: في سورة البقرة آية (٨٣) وهي قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، وفي سورة النساء آية (٣٦) وهي قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، وفي سورة الأنعام آية (١٥١) وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، وفي سورة الإسراء آية (٢٣) وهي قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

﴿بِوَالِدَيْهِ﴾: الباء للإلصاق؛ أي: دائماً وبشكل مستمر.

بوالديه: مشتقة من الولادة؛ أي: اللذين ولداه وللتذكير بحسن الصحبة التي تكون للوالدة غالباً، ولم يقل بأبويه؛ لأن الأبوين قد تطلق على الأبوين من

التربية أو تطلق على الجد أو على العم، وكلمة الأبوين تستعمل في المواريث مثلاً وغيرها.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ﴾: لم يذكر في هذه الآية ووَصِينَا الإنسان بوالديه إحساناً أو حسناً وحذف (كلاهما) لأنه سيذكر بعد قليل: (أن اشكر لي ولوالديك) والشكر يدل على الإحسان أو يقوم مقام الإحسان.

﴿وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ﴾: الوهن هو الضعف، هو يعني: وهن مستمر، وهن الحمل الذي يستمر حتى الولادة فكلما نما الجنين وكبر استمد من أمه ما يحتاجه للنمو وشاركها في غذائها وما تصاب به من تعب وإعياء واختلاطات الحمل وهكذا حتى يولد، وبعد الولادة يأتي وهن الرضاعة والسهرة عليه وتربيته، وهكذا وهن على وهن.

وفي آية الأحقاف (١٥) قال: (حملته كرهاً ووضعته كرهاً). ارجع لآية الأحقاف للبيان.

﴿وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾: أي فطامه في عامين (٢٤ شهراً). ولم يقل سنتين، لأن القرآن يستعمل العام في سياق الخير والبركة، والسنة تستعمل للشدة والضيق، وفي آية الأحقاف (١٥) قال تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾.

فإذا طرحنا (٢٤) شهراً من ثلاثين شهراً يكون الفرق بينهما (٦) أشهر وهذا يدل على أن الجنين قابل للحياة بعد (٦) أشهر فقط من الحمل. ويحتاج طبعاً إلى المساعدة والرعاية الطبية الخاصة، وهذا من بينات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم الدالة على أن هذا القرآن منزل من عند الله تعالى.

﴿وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾: في ظرفية؛ تعني: في يد الأم فقد يحدث الفطام أو الفصال قبل عامين، ولم يذكر مدة الحمل؛ لأن ذلك ليس بيدها فقد تزيد أو



تنقص والكل يعلم أنها حوالي (٩) أشهر، وبهذه الآية نعلم أن مدة الحمل بين (٦-٩) أشهر.

﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذِيكَ﴾: أن: مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

والشكر قلنا: قام مقام الإحسان فلا داعي لذكر الإحسان والشكر معاً، ولذلك اقتصر على الشكر في هذه الآية وبينه في الآيات الأخرى المماثلة.

﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي﴾: أي اشكر المنعم الوهاب أولاً وهو الله تعالى، والشكر باللسان والعمل معاً شكر المنعم على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وشكر دائم يتجدد ويتكرر طوال الحياة، وجاء بصيغة الإفراد ﴿أَشْكُرُ لِي﴾، بينما ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ بصيغة التعظيم؛ لتدل على الوحداية وعدم الشُّرك أو الرياء. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠) لبيان معنى الشكر.

﴿وَلَوْلَا ذِيكَ﴾: شكر الوالدة والوالد يكون بالإحسان إليهما وطاعتهما، واللام في كلمة (لوالديك) للتوكيد.

﴿إِلَى الْمَصِيرُ﴾: المرجع والمآل، تقديم (إلي) يدل على الحصر؛ أي: اعلم أن مصيرك ورجوعك إليّ فقط، وهذا يدل على البعث وإثبات المعاد.

وتعني كذلك: واحذر وصيتي واعلم أن مصيرك إليّ ﴿فَلَا تَقُلْ لِّمَآ أَفِي وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَارِييَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

[١٥] ﴿وَأِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا

فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو عاطفة، إن: شرطية تفيد الاحتمال أو ندرة الحدث؛ أي: قلما جاهدك، أو افترضنا جاهدك.

﴿جَاهِدَاكَ﴾: أي بذلا جهدهما أو غاية أو أقصى جهدهما على أن تشرك بي (بالله)، جاهدك من: جاهد، وجاهد تدل على أن هناك اثنين يجاهد أحدهما الآخر، بينما جهد تدل على المفرد الذي يجهد بنفسه، بينما في سورة العنكبوت آية (٨) قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ المجاهدة أخف.

والمجاهدة في آية لقمان أشد؛ لأن الوالدين يشترطان على الولد الشرك ولذلك جاء بعلى التي تفيد المشقة والعلو، واستعمل اللام في آية العنكبوت، وسواء في آية لقمان أو العنكبوت ذكر ﴿بِي﴾ لأن المقام مقام توحيد فلا يستعمل إلا ضمير المفرد.

﴿عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي﴾: على: تفيد العلو والمشقة، والمجاهدة قد تعني المحاربة. أن: حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد.

﴿تُشْرِكَ بِي﴾: أي حاولا صرفك عن طاعتي وعبادتي، أو أكرهاك على الشرك.

﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: ما: للعاقل وغير العاقل، ليس: للنفي، به علم: أي لا تشرك شيئا مهما كان من الشركاء سواء أتاك علم به أو لم يأتك.

﴿فَلَا تُطْعَمُهُمَا﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، لا: الناهية، تطعهما: أي لا طاعة لمخلوق مهما كان في معصية الخالق. لا تطعهما في أي أمر يخالف أمر الله ورسوله.



﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾: وكل ما عدا ذلك فعليك بالمعروف إليهما؛ أي: استمر بالعطف عليهما بالمساعدة.

﴿فِي الدُّنْيَا﴾: أي في أمور الدنيا.

﴿مَعْرُوفًا﴾: نكرة؛ تعني أي معروف مهما كان، والمعروف يمكن تقديمه لمن تحب ولمن لا تحب.

والمصاحبة نفسها تعتبر معروفاً، حتى مع حالة الكفر والشرك فلهما حق المصاحبة، ولا تتخذ من شركهما أو مجاهدتهما سبباً لك لقطع الرحم.

ولم يقل وصاحبهما بالمعروف: يدل على معروف معين أو بعينه، وإنما أطلقه؛ ليشمل كل معروف، فقله: (معروفاً) أفضل وأشمل وأعم من قوله: بالمعروف.

﴿وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾: سبيل: الطريق السهل. سبيل مفرد جمعه: سبل، وسبل السلام كثيرة.

من: ابتدائية، أناب إليّ: قيل: الرسول ﷺ، وقيل: الصحابة أو سائر المؤمنين. أناب: رجع، والإنابة الرجوع إلى الطاعة؛ أي: اتبع سبيل التائبين الطائعين الموحدين.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾: إليّ خاصة لا إلى غيري، إليّ وحدي مرجعكم للحساب والجزاء.

﴿فَأَنبَأْتُكُمُ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، أخبركم وأطلعكم.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: الباء للإلصاق، ما: اسم موصول بمعنى الذي أو

مصدرية، كنتم: في الدنيا. تعملون: تشمل الأقوال والأفعال؛ وتعني تعملون بالمعروف والإحسان أو تعملون من خير وشر.

[١٦] ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيَهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾:

يواصل لقمان موعظته لابنه.

﴿يَبْنِيْ﴾: ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

﴿إِنَّهَا﴾: للتوكيد.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال أو الشك.

﴿تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾: حبة الخردل: تمثل أصغر شيء مادي حسي كان يعرف في ذلك الزمن، أما في زمننا الحاضر هناك الذرة وأصغر من الذرة، وبما أن حبة الخردل أصغر شيء استعمل معها (تَكُ): بدلاً من تكن أو تكون التي تمثل أقل كلمة مركبة من حرفين.

ارجع إلى سورة سبأ آية (٣): لبيان معنى الذرة وأصغر من الذرة.

وارجع إلى سورة الأنبياء آية (٤٧) لمزيد من البيان في معنى حبة من خردل.

﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾: لنفرض أو على احتمال أن هناك شيئاً ما يعادل أو يماثل حبة من خردل في الوزن والحجم، وهذا الشيء ليس له مكان محدد في السموات السبع أو في الأرض، وحيثما كان يأتي به الله؛ أي: سبحانه يعرف مكانه وقادر على الإتيان به.

أو تكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض: ثم استقر في داخل صخرة: (في) ظرفية؛ أي: في أي مكان في السموات أو في الأرض، وليس على



صخرة؛ أي: على ظهرها يسهل رؤيته مقارنة (في باطن صخرة صماء). وصخرة: نكرة، أي صخرة غير معروفة، من صخور الأرض أو الكواكب الأخرى، واختار صخرة؛ لأن استخراج (حبة الخردل) الجسم المتناهي في الحجم والوزن يصعب العثور عليه واستخراجه، أو صعب جداً اكتشافه وإحضاره بالطرق الحديثة.

﴿أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾: أو قد تعني التخبير، أو تعني وفي الأرض أينما كانت هذه الصخرة أو هذه الحبة من الخردل في السموات السبع أو في الأرض؛ أي: كلاهما.

﴿يَاتِيهَا اللَّهُ﴾: دلالة على سعة علمه به وقدرته فلا تخفى عليه خافية، كما يخفى على الناس، فهو يعلم أين هي ثم هو قادر على استخراجها.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾: إن: للتوكيد، اللطيف: عالم؛ أي: أين توجد، وقادر على الوصول إليها واستخراجها، ومهما كانت الأشياء الخفية والمتناهية في اللطف في غاية الصغر والدقة.

الخبير: يعلم بواطن الأمور ودقائقها وخفاياها. ارجع إلى سورة الحج آية (٦٣) لمزيد من البيان.

[١٧] ﴿يَبْنِىْ اَقِمِ الصَّلَاةَ وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَاَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاَصْبِرْ عَلَى مَا اَصَابَكَ اِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾:

بعد ذكر مبادئ وأسس العقيدة ومنها التوحيد والشكر والعلم والقدرة والتعريف بقدرة هذا الرب والإله، يأمر لقمان ابنه بالعبادات.

﴿اَقِمِ الصَّلَاةَ﴾: لأن الصلاة عماد الدين والركن الأول بعد الشهادة، فهي لا تسقط بأي حال عن المؤمن مهما كان حاله ولو كان مريضاً أو على سفر،

ولذلك خصها وحدها، وهي تمثل سائر العبادات الأخرى من زكاة وحج وصيام وشهادة وغيرها.

لماذا لم يأت بذكر الزكاة مع العلم أن كل الآيات تقرر إقامة الصلاة بالزكاة؟
السبب في عدم ذكر الزكاة:

١ - لأن ابنه لا زال في سن قبل البلوغ، والزكاة يُكلف بها العبد بعد سن البلوغ.

٢ - الزكاة تقع على ذمة لقمان في هذه الحالة.

﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ﴾: أي أمر نفسك وأمر غيرك وحثهم على تأدية حقوق الله تعالى وطاعة الله مثل الحض على الجماعة في المسجد وعدم ترك فريضة الصيام، أو بتأدية حقوق العباد وعدم تعطيل مرافق البلد، وتوفير المياه، والحث على التبرع وعدم المماطلة في دفع الدين، حتى الرأفة بالحيوانات واتباع مكارم الأخلاق، وثواب الأمر بالمعروف يعود على صاحبه.

﴿وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: وتعريف المنكر: هو كل ما أنكره الشرع وحرمه أو الطبع السليم من أفعال وأقوال، ومنه ما يتعلق بالعبادات مثل الإخلال بالصلاة وأوقاتها، والنهي عن الخيانة والغدر والتقصير في دفع الزكاة، والتوسل بأصحاب القبور والأولياء، واختلاط الرجال بالنساء والخمر والعري والغش والغناء وشرب الخمر وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال وغيرها من الأعمال المنكرة.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصول الإسلام المقررة بالتضامن بين الحكومة والأفراد وهو واجب، ولا بد للقاءم بالأمر بالمعروف والنهي عن



المنكر من العلم بالمعروف؛ ليأمر به والعلم بالمنكر لينهى عنه، وتطبيق الرفق والصبر بالعباد ومعرفة كيفية القيام بذلك.

﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾: من جراء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو اصبر على المكاره وأذى الناس ابتغاء وجه الله ومرضاته.

ما: اسم موصول بمعنى الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: إن: للتوكيد، ذلك: اسم إشارة للبعيد يشير إلى إقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على أذى الناس من عزم الأمور.

﴿مَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ﴾: أي من الأمور التي تحتاج إلى عزيمة ونية وقوة وقدرة على القيام بها؛ أي: إذا نويت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحمل أذى الناس، اعلم أنك تحتاج إلى صبر وعزيمة فائقة وقوة، فاجمع قوتك وقم بذلك من باب الندب. وكما قال في سورة آل عمران آية (١٨٦): ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

لنقارن الآية (١٧) من سورة لقمان مع الآية (٤٣) من سورة الشورى وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

في آية لقمان قال تعالى: ﴿مَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ﴾، وفي آية الشورى: ﴿لَمَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ﴾ زاد اللام الدالة على التوكيد؛ لأن الصبر في الشورى صبر أشد وأقوى؛ لأنه صبرٌ على من ظلمك وأساء إليك، بينما الصبر في آية لقمان صبر على مكروه مثل مرض أو خسارة، ليس هناك غريم أو خصم.

[١٨] ﴿وَلَا تَصْغِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو استئنافية، لا: الناهية.

﴿تَصْعَرَ خَدَّكَ﴾: الصَّعْر: داء يصيب البعير ويجعله يميل برقبته.

ويشبهه الإنسان المتكبر الذي يميل بوجهه أو خده عن النظر إلى الناس تهاوناً بهم، واختار الله سبحانه هذا التشبيه؛ لأن تصغير الخد داء جسدي والكبر أو التكبر داء خلقي.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام لام الاختصاص؛ أي: خاصة للناس.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا﴾: لا: الناهية، في الأرض؛ لأن الغلاف الجوي للأرض طبقة منها، فهو يمشي في وليس على الأرض.

﴿مَرْحًا﴾: المرح: هو الاختيال والتبخر؛ أي: لا تمش مشية المتعالي المختال المعجب بنفسه الجهول، ولكن امش باعتدال، ولا يعني ذلك امش مشية المطأطئ رأسه، بل ارفع رأسك ولا تقفز أو تمش جرياً أو بإسراع.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ﴾: للتوكيد.

﴿مُخْتَالٍ﴾: اسم فاعل من: خال: تكبر، واختال زيادة في الاختيال؛ أي: بالغ في الاختيال والتكبر على الخلق بفعله؛ أي: بسلوكه، وقيل: هو الذي وجد له مزية عند الناس.

﴿فَخُورٍ﴾: وهو الذي بالغ في الفخر بأقواله؛ قيل هو الذي وجد له مزية في نفسه يفتخر بها على الناس، فخور بماله أو قبيلته أو جاهه.

[١٩] ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾:

في الآية السابقة قال لقمان لابنه: ولا تمش في الأرض مرحاً.

ولم يبين له كيف يمشي، بل نهاه فقط عن المشي مرحاً.



فجاء في هذه الآية يبين له كيف يمشي فقال له:

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾: القصد هو الاعتدال أو التوسط بين البطء والإسراع، والاعتدال لا يعني طأطأة الرأس ويعني: وعدم المشي قفزاً وبسرعة.

﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾: أي اخفضه أو اقصره، وحسبك من الرفع ما يبلغ أذن السامع؛ أي: لا ترفعه لأن علو الصوت يدل على الغرور وعدم احترام الآخرين؛ أي: الزم الاعتدال في الصوت فذلك أقرب لفهم الكلام واستيعابه.

﴿مِنْ صَوْتِكَ﴾: من بعضية.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد واللام في كلمة (لصوت) للتوكيد أيضاً.

﴿أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ﴾: شبه رفع الصوت بدون مبرر بصوت الحمير. أنكر الأصوات: أسوأ وأوحش الأصوات (الأجناس من الحيوانات)؛ أي: لا تستسيغه وتنفر منه النفوس فلا يجوز رفع الصوت إذا كان المستمع ليس عنده آفة في السمع، أما إذا كان عنده آفة في السمع فلك أن ترفع صوتك حتى يسمعه الآخر، وقال: (صوت) وليس أصوات الحمير؛ لأن المراد هو صوت الجنس وهذا التشبيه فيه ذم لمن يرفع صوته بلا عذر وفيه تثبيط عن رفع الصوت.

واعلم أن الحمار هو مسخر لك من الله؛ أي: مذل لك؛ لكي تستخدمه كيف تشاء، وكما ذكر في الحديث أن الحمار ينهق إذا رأى شيطاناً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (إذا سمعتم نهيق الحمار فتعوّذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطاناً) أخرجه البخاري في صحيحه.

أو ربما ينهق ليهتدي إليه صاحبه ويعرف مكانه، والله أعلم. والمهم أن نعلم أن لكل صوت يصدر شدة وله طبقة، وطبقة الصوت: هي قوة الصوت أو



شدة الصوت هي المسافة بين المصدر والسامع، وطبقة الصوت تعني سرعة تردده أو ذبذبته وتقاس بالهرتز.

وصوت الحمار يصل إلى أكثر من (٣٠٠) هرتز، وشدته أكثر من (١٠٠) دسبل، أما صوت الإنسان يتراوح بين (٤٠-٥٠) ولا يتجاوز (١٠٠) في أشد الحالات. واعلم أن المنكر هنا أن يرفع الإنسان صوته بلا مبرر أو حاجة، فيكون صوته عندئذٍ كصوت الحمير، أوله زفير وآخره شهيق.

واختار هذه المواعظ؛ لأن الكلام والصوت والمشى من أهم متطلبات الحياة في كل لحظة. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٥٠) من سورة المدثر وهي قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ﴾: نجد أن كلاهما (حمر وحمير): جمع حمار، واستعمل القرآن كلمة حمر: للحمر الوحشية، وكلمة حمير: للحمر الأهلية.



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ ٣١

الْمَتَرُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ
الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَن يُسَلِّمْ
وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى
وَالِىَ اللَّهِ عَقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾
وَلِئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَّا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ
مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
مَا نَفِذَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ
وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾



سورة لقمان [الآيات ٢٠ - ٢٨]

[٢٠] ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾:

المناسبة: في مطلع السورة ذكر الله سبحانه عدداً من النعم، ثم ذكر وصية لقمان لابنه، ثم عاد إلى ذكر بعض النعم وأنها تسخير من الله فقال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾: الهمزة همزة استفهام وتقرير، ولم يقل أولم؛ لأن زيادة الواو تدل على شدة الإنكار.

﴿تَرَوْا﴾: رؤية قلبية فكرية تبصيرية ورؤية بصرية عينية، والخطاب موجه إلى الكل وخاصة للمشركين؛ لقوله في الآية (٢١): ﴿قَالُوا بَلْ نَنبِئُكَ مَا وَعَدَنَا عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا﴾.

وقوله ألم تروا: إخبار من الله سبحانه عن شيء أعظم مما لو رأيناه بأمر أعيننا وهو بدرجة عين اليقين، وألم تروا أقوى وأكد من قوله تعالى: ألم تعلموا.

﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: أن تفيد التوكيد.

﴿سَخَّرَ لَكُم﴾: ذلل لكم، والتسخير: التذليل بحيث تنتفعون به، لكم: خاصة بصيغة الجمع للعقلاء.

﴿مَّا فِي﴾: ما: اسم موصول بمعنى الذي، فكل ما في السموات والأرض خُيِّرَت فاختارت أن تكون مسخرة لا إرادة لها مثل الشمس



والقمر والنجوم والكواكب والسحاب والمطر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: من الحيوانات والأنهار والجبال والأشجار والزرع والمعادن وغيرها، وتكرار (ما في) يفيد التوكيد وفصل ما في السموات وما في الأرض أو كليهما معاً.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾: أسبغ: أوسع وأفاض، وغمركم بالنعم الظاهرة والباطنة؛ مما يدل على سعة العطاء، ونعم: جمع نعمة، وتدل على جمع كثرة مقارنة بكلمة أنعم على وزن أفعل جمع قلة.

إذن هو سبحانه سخر لكم وأسبغ عليكم، فهذا يستحق شكره وحمده ليلاً ونهاراً.

﴿نِعَمَهُ ظَاهِرَةً﴾: مشاهدة ومحسوسة، ﴿وَبَاطِنَةً﴾: غير مشاهدة أو محسوسة، أو ما لا يعلم إلا بدليل أو لم يكتشف بعد.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أي بدلاً من أن يشكر الله على نعمه يكفر بها ويجحد بها.

﴿يُجَادِلُ﴾: الجدل هو الحوار الذي يحدث بين طرفين أو أطراف؛ لإظهار حجة؛ أي: يكون لدفع شبهة أو إثبات حق أو حقيقة.

﴿فِي اللَّهِ﴾: في آيات الله فيما أنزل الله أو فرض أو شرع، أو في العذاب، أو في أسمائه وصفاته وفي التوحيد، والبعث والآخره والحساب منكرها إياها.



﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: بديهي أو مكتسب أو استدلالِي.

﴿وَلَا هُدًى﴾: لا: لتوكيد النفي، هدى: نكرة أي هدى مهما كان نوعه، هدى من الله سبحانه أو رسول، أو هدى من هادٍ، أو هدى من الآيات الكونية الدالة على عظمته وقدرته.

﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾: لا: لزيادة التوكيد، ولا علم منزل في كتاب من السماء (أي كتاب) (أو عن طريق الوحي) وتكرار (لا) يفيد فصل كل واحدة عن الأخرى، العلم والهدى والكتاب المنير فليس عنده أي منها ليجادل لا علم ولا هدى ولا دليل من القرآن المنير.

[٢١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: شرطية تدل على حتمية الحدوث وتحققه وكثرة حدوثه؛ أي: ما قيل لهم: اتبعوا ما أنزل الله المرات الكثيرة.

﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ﴾: أي الذي أنزله الله من الكتاب: القرآن، أو ما جاء به الرسول ﷺ من سنته، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ﴾: بل: للإضراب الانتقالي؛ أي: لسنا بحاجة إلى اتباع ما أنزل الله وما جاء به رسوله ﷺ، بل ستببع ما وجدنا عليه آباءنا بدلاً من الأخذ بما أنزل الله تعالى وجاء به رسوله ﷺ.

﴿نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: أي نعبد ما كان يعبد آباؤنا أو نعبد ما وجدنا آبائنا يعبدون من أصنام وغيرها.



﴿أُولَئِكَ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتعجب والتهكم عليهم وتسفيه عقولهم.

﴿أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: أيتبعون آباءهم الذين اتبعوا الشيطان الذي زين لهم أعمالهم من الشرك والمعاصي؛ كي يوردهم عذاب السعير، أو تقليدهم لآبائهم إنما هو اتباع للشيطان أو تزوين من الشيطان، الذي يدعوهم إلى عذاب السعير.

لنقارن هذه الآية من سورة لقمان وهي قوله تعالى: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَحَدَنَا عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا﴾، مع الآية (١٧٠) من سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفِينَا عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا﴾.

ألفينا: تستعمل في سياق ما هو مشاهد؛ أي: محسوس فقط، وفي سياق الذم أو غير المستحب أو التافه من الأمور.

ووجدنا: تستعمل في سياق الأمور المحسوسة المشاهدة وغير المحسوسة والأمور القلبية، وفي الأمور الأقل ذمًا من (ألفينا). ارجع إلى الآية (١٧٠) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

[٢٢] ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾:

المناسبة: بعد ذكر الذين يجادلون في الله ويتبعون آباءهم، وبالتالي هم يتبعون الشيطان وينقادون ويسلمون له، هناك بالمقابل الذي يسلم وجهه إلى الله وهو محسن.

﴿وَمَنْ﴾: الواو استثنائية، من: شرطية.

﴿يُسَلِّمُ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾: يسلم: من أسلم؛ أي: انقاد وأسلم له: انقاد له، ويسلم: ينقاد، أسلم لله: جعل نفسه خالصة لله. يسلم: بصيغة المضارع تدل على التجدد والتكرار. بينما أسلم: بصيغة الماضي تدل على وقوع الحدث مرة واحدة وانتهى، كما جاء في سورة البقرة آية (١١٢): ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ جاءت رداً على اليهود الذين قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، بلى من أسلم، وأسلم؛ أي: دخل في الإسلام، والدخول في الإسلام هو مرة واحدة.

ومعنى يسلم وجهه: أي ذاته، والوجه هو أشرف أعضاء الجسم وذكر الجزء يدل على الكل.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمُ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ هذه الآية الوحيدة في القرآن تقول: ومن يسلم وجهه إلى الله، وبقية الآيات: أسلم وجهه لله، في سورة البقرة آية (١١٢) ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾. وفي سورة النساء آية (١٢٥) ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾.

فما الفرق بين أسلم لله، وأسلم إلى الله؟ أو يسلم لله، ويسلم إلى الله؟ أسلم وجهه لله مرة واحدة دخل فيها الإسلام، أما يسلم لله أكثر من مرة. لله: اللام لام الاختصاص والملكية؛ أي: يكرر ويجدد إخلاصه وتوحيده لله تعالى بشكل مستمر.

أسلم وجهه لله مقارنة ب: أسلم وجهه إلى الله: فقوله تعالى: أسلم وجهه



لله؛ أي: أقرب، أو أعلى درجة ومرتبة من قوله تعالى: (إلى الله)، وأسلم لله؛ أي: بلغ غايته، وأما أسلم إلى الله: لا يزال في طريقه، ولم يصل إلى نهاية الغاية المرجوة بعد.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: هو ضمير فصل يفيد التوكيد، محسن؛ أي: بلغ درجة الإحسان في تقواه وطاعته وأصبح مستقيماً في إحسانه؛ أي: ثابتاً. ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة: لبيان معنى الإحسان.

﴿فَقَدِرَ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، قد: للتحقيق والتوكيد؛ أي: تحقق استمساكه بالعروة الوثقى.

﴿أَسْتَمَسَكَ﴾: فيها مبالغة في التمسك، ولم يقل أمسك بالعروة الوثقى؛ أي: عمل كل جهده ووسعه في الإمساك.

﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾: الباء للإلصاق والالتزام. والعروة: هي الحلقة التي في طرف الحبل التي يمسك بها.

الوثقى: تأنيث: الأوثق، والأوثق مذكر: الوثقى، والأوثق اسم تفضيل؛ أي: أوثق العرى على الإطلاق وأقواها وأمتنها لا تنقطع ولا تنفصل.

﴿فَقَدِرَ أَسْتَمَسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾: هذا تمثيل للمحسن الذي يسلم وجهه إلى الله بحال من أراد أن يتدلى من شاهق أو جبل، فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق العرى بحبل متين مأمون عدم انقطاعه معمول بشكل عروة، وهو يقبض عليها بيديه بكل قواه خوفاً من أن يهوي في مكان سحيق.

وفي سورة البقرة آية (٢٥٦) قال تعالى: ﴿لَا أَنْفِصَامَ لَهَا﴾؛ أي: لا تنفتح أو تنقطع؛ أي: محكمة أشد الأحكام.

وفي قوله: لا انفصام لها: فيها تأكيد؛ لأن السياق مختلف عن آية لقمان، ففي آية البقرة ذكر: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ﴾ فلذلك أكد بقوله: ﴿لَا أَنْفِصَامَ لَهَا﴾، أما في آية لقمان فلا تحتاج إلى تأكيد.

﴿وَالِىَ اللَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور، وإلى الله: للحصر.

﴿عَقِبَةُ الْأُمُورِ﴾: العاقبة آخر الأمر؛ أي: المرحلة النهائية بعد الحساب إما إلى الجنة وإما إلى النار.

[٢٣] ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ﴾ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

﴿وَمَنْ﴾: الواو استئنافية، من: شرطية استغراقية تدل على العموم المفرد والمثنى والجمع وللعاقل، ولا تدل على فرد معين أو جماعة معينة.

﴿كَفَرَ﴾: جاءت بصيغة الماضي: كفر ولو مرة واحدة، ولم يقل يكفر؛ لأن الكفر يجب ألا يتكرر ولا يتجدد.

﴿فَلَا﴾: الفاء: جواب الشرط، لا: نافية.

﴿يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ﴾: أي لا يهمنك كفر من كفر، والحزن بضم الزاي تدل على ضيق الصدر مؤقتاً ولو طال، أما الحزن بفتح الزاي تدل على ضيق الصدر الدائم المستمر حتى موت الإنسان، والمنهي هنا الكفر؛ أي: يا أيها الكفر لا تحزن رسول الله ﷺ، وبالتالي: يا رسول الله، لا تحزن بكفر من كفر.



﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: إلينا: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: إلينا وحدنا حصراً مرجعهم.

إلينا مرجعهم ولم يقل إليّ مرجعهم، إلينا مرجعهم: تأتي في سياق الحساب والجزاء والثواب، أما: إليّ مرجعهم: فتأتي في سياق التوحيد والنهي عن الشرك. ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: بصيغة الجمع للتعظيم، فأعقبها بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ تدل على الأفراد والتوحيد.

﴿فَنُنَبِّئُهُمْ﴾: الفاء تدل على الترتيب والتعقيب والمباشرة؛ أي: نخبرهم، والنبا أهم من الخبر وأعظم.

﴿بِمَا عَمِلُوا﴾: الباء للإلصاق، ما: اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية. ننبئهم بما عملوا: بما قاموا به من أقوال وأفعال ظاهرة أو خفية في الدنيا. ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: عليم صيغة مبالغة من: عالم، عليم تفيد الشمول، عليم بالكافر والمؤمن. ذات الصدور: خفايا الصدور وما داخل الأنفس. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١١٩) لمزيد من البيان.

لنقارن:

عليم: صيغة مبالغة مطلقة.

عالم: مخصصة للعلم بالغيب والشهادة.

علام: مخصصة للغيوب؛ أي: علام الغيوب.



[٢٤] ﴿نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾:

﴿نُمْنِعُهُمْ﴾: من المتاع: كل ما يتنفع به ويتمتع به كالطعام واللباس وأثاث البيت والأداة والمال والبنين، نمتعهم بزينه الحياة الدنيا.

﴿قَلِيلًا﴾: تحتل معنيين: إما زمناً قليلاً، أو نمتعهم بالشيء القليل؛ أي: نمتعهم تمتعاً قليلاً في الدنيا فلا نعجل لهم العقوبة.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: الغليظ: العذاب الشديد الثقيل على المعذب وذلك بعد بعثهم وحسابهم نذيقهم من عذاب يوم القيامة، ثم يساقون إلى عذاب غليظ أشد وأبقى. والعذاب الغليظ ورد في القرآن في أربع آيات، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٢٦) من سورة البقرة: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُسَرِّ الْأَمْرُ﴾ قيل: العذاب الغليظ أقل شدة من عذاب النار؛ لأن لعذاب له أشكال متعددة كثيرة.

[٢٥] ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَلَيْنَ﴾: السواو عاطفة، لئن: اللام للتوكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال والندرة.

﴿سَأَلْتَهُمْ﴾: أي الكفار والمشركين.

﴿مَنْ﴾: استفهامية.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾: اللام والنون للتوكيد. ارجع إلى



سورة فصلت الآيات (٩-١٢) للبيان، وسورة الأنبياء آية (٣٠): لبيان معنى الخلق.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: على إقرارهم بأن الذي خلق السموات والأرض هو الله وأظهر عليهم الحجة، أو الحمد لله على خلق السموات والأرض، ولا يظن أحد خطأ أن الحمد هنا يعود على أن أكثرهم لا يعلمون.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: بل: للإضراب الانتقالي.

لا يعلمون أن الذي خلق السموات والأرض كما أقروا بذلك هو المستحق للحمد ويستحق أن يُعبد وحده، ومع ذلك انصرفوا إلى عبادة الأصنام وعبادة غيره، أو أن خلق السموات والأرض يدعو إلى توحيده.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن لله ما في السموات والأرض، وأن الله هو الغني الحميد، أو أكثرهم لا يعلمون لو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم، أو لا يعلمون أن خلقهم وبعثهم كنفس واحدة إن الله سميع بصير.

[٢٦] ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾:

﴿لِلَّهِ﴾: اللام لام الاستحقاق والملكية؛ أي: له ما في السموات والأرض. وتقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: حصراً وقصراً لله وحده وليس له شريك.

﴿مَا﴾: للعاقل وغير العاقل، وأوسع من (من).

﴿فِي﴾: ظرفية، ﴿السَّمَوَاتِ﴾: أي السَّمَوَات السبع نفسها وما فيها من
مجرات ونجوم، والأرض: السبع أرضين وما فيهن.
﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر.
﴿الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾: ارجع إلى الآية (١٢) من السورة نفسها لمزيد من البيان.
وقوله تعالى: إن الله هو الغني الحميد؛ يعني أيضاً لا أحد سواه غني هو
الوحيد الغني وغيره ليسوا أغنياء حتى ولو كان عندهم المال والملك، فهو ملك
محدود وزائل، وحين يقول تعالى: ولله ملك السَّمَوَات والأرض: الملك يعني
كذلك الحكم والملك معاً.

فالله سبحانه هو الغني الحميد له ما في السَّمَوَات والأرض.
وأما ما تعبدون من دونه: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْ ثِقَالٍ ذَرْوٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا
فِي الْأَرْضِ﴾ [سبا: ٢٢].

﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [هود: ١٠١] فأنلى
يسحرون.

[٢٧] ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يُمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا
نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو عاطفة، لو: شرطية غير متناهية.

﴿أَنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.



﴿فِي﴾: ظرفية، ﴿الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ﴾: لم يقل أشجار، من: استغراقية تشمل كل شجرة ولم يترك ولو شجرة واحدة، من: تعني الجنس؛ أي: جنس الأشجار. ﴿مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾: تعني جميع أشجار الأرض كلها قطعت وصيرت إلى أقلام.

﴿وَالْبَحْرِ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾: والبحر اسم جنس يشمل كل البحار والمحيطات، ومن ورائه سبعة أبحر: جمع قلة، وبحار: جمع كثرة؛ تحولت إلى مداد (محبرة أو حبر).

﴿مَا نَفَدَتْ﴾: ما: النافية، ﴿نَفَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾: أي وكتب بتلك الأقلام وذلك المداد كلمات الله تعالى، لنفدت السبعة أبحر والأقلام كلها ولم تنفد كلمات الله؛ لأن كلمات الله تعالى غير متناهية وكذلك علمه سبحانه، وذكر كلمة سبعة على وجه المبالغة وليس الحصر، سواء كانت سبعة أبحر أم أكثر أو سبعة محيطات، والعرب تذكر السبعة والسبعين والسبع مئة للكثرة ومتتهى العدد، وهذا من باب تقريب المعنى.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿عَزِيزٌ﴾: قوي لا يُغلب ولا يُقهر ولا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وقادر على نصر عباده وله العزة جميعاً.

﴿حَكِيمٌ﴾: حكيم في تدبير شؤون خلقه وكونه فهو أحكم الحاكمين وأحكم الحكماء. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

[٢٨] ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾:

﴿مَا﴾: النافية.



﴿خَلَقَكُمْ﴾: بدء الخلق أو تجديده وتكرار الخلق؛ أي: إعادة.

﴿وَلَا﴾: الواو عاطفة، لا: لزيادة تأكيد النفي.

﴿بَعَثُكُمْ﴾: يوم القيامة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: الكاف: كاف التشبيه؛ أي: خلقكم وبعثكم يشبه خلق وبعث نفس واحدة، وبكلمة كن، فيكون.

فالواحد والجمع والخلق والبعث متساوون عنده؛ أي: ليس هناك هيّن وأهين، وصعب وأصعب، وصعب وهيّن.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿سَمِيعٌ﴾: صيغة مبالغة من السمع، سميع لأقوال عباده وسميع لسرهم ونجواهم، وجهرهم وأحاديثهم، ودعائهم وبكائهم.

﴿بَصِيرٌ﴾: بأعمالهم الظاهرة بكل المراتب.

إن الله هو الخالق المبدئ المعيد وهو السميع البصير ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾

[التحل: ٢٠-٢١].

ولا يسمعون ولا يبصرون: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَهُم يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨].





سُورَةُ الْفَاتِحَةِ ٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمُتَرَانِ اللَّهُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ
كَالظُّلُمِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ
فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ
﴿٣٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتِّقَارًا يُرَبِّكُم وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ
عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازِعٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ
الْغُرُورُ ﴿٣٥﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ

آيَاتُهَا

تَرْبِيَّتُهَا



سورة لقمان [الآيات ٢٩ - ٣٤]

[٢٩] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾:

المناسبة: يستمر الله الحق سبحانه في تقديم الأدلة والبراهين على عظمة قدرته وخلقته ووحدانيته، ويخاطب الكل أو يخاطب المفرد.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: خطاب لكل فرد مؤمن أو كافر، بينما (ألم تروا): خطاب للجميع.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: الهمزة للاستفهام، تر: رؤية بصرية ورؤية قلبية فكرية؛ أي: ألم تفكر كيف يولج الله الليل في النهار والنهار في الليل، وبالتالي تدرك عظمة الخالق وقدرته. وألم تر أقوى من ألم تعلم، وإذا قال سبحانه: ألم تر فروياه سبحانه أفضل وأعظم من رؤيا خلقه، فهي رؤيا تمثل عين اليقين، وعين اليقين أقوى وأكبر من علم اليقين، ورؤيا الخالق سبحانه تكفي وحدها وحسبنا.

﴿أَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: أن: للتوكيد.

﴿يُؤَلِّجُ﴾: من الولوج؛ أي: الدخول، من الناحية العلمية هذا إشارة إلى كون الأرض كروية الشكل وتدور حول محورها كل (٢٤) ساعة وكونها تدور حول الشمس مما يؤدي إلى تبادل الليل والنهار، والنهار والليل والذي هو من ضروريات استقامة الحياة على هذه الأرض.



ومن الناحية اللغوية تعني تداخل الليل في النهار، والنهار في الليل بحيث إذا طال أحدهما قصر الآخر وبالعكس.

يولج: جاءت بصيغة المضارع لتدل على التجدد والتكرار بشكل مستمر؛ لأن الشمس تشرق في مكان وتغرب في مكان آخر في عموم الكرة الأرضية، وقدم الليل على النهار؛ لأن الليل هو الأصل أو الظلام هو الأصل، لأنه قبل خلق الشمس، وبالتالي النهار الناتج عن أشعتها بعد أن كان الكون كله ظلاماً، وفي كل القرآن يقدم الله سبحانه الليل على النهار؛ لأنه الأصل.

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: والتسخير هو الانقياد للخالق بعد أن خيرها فاختارت أن تكون مسخرة تؤدي مهمة معينة بلا إرادة لها ولا مشيئة كما يأمرها الخالق. وسخر جاءت بصيغة الماضي؛ لأنه سبحانه حين خلقها سخرها وانتهى الأمر، فالتسخير حدث وانتهى مرة واحدة، أما الإيلاج فهو مستمر، ودائماً في كل القرآن نجد كلمة سخر بصيغة الماضي.

وسخر هنا جاءت بدون كلمة لكم، فحين يذكر لكم تعني خاصة لكم، ولأن اللام لام الاختصاص فتأتي لكم في سياق تعداد النعم، وتأتي مطلقة بدون لكم في سياق الكلام عن عظمة قدرته ووحدانيته وفي سياق الآيات الكونية.

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى: حرف غاية، وتستعمل لعموم الغايات (أول الأمر أو آخره)، أما حتى: حرف غاية فقط تشير إلى آخر الأمر.

وهذا التسخير من مظاهر نعم الله تعالى علينا، وسوف ينتهي وينقطع يوم القيامة.

﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: تجري كجري الأمواج صعوداً وهبوطاً؛ أي:

بشكل متعرج (كجري الحصان) تجري في مجرّتها حتى تتم دورتها في (٢٥٠) مليون سنة كما قدرها العلماء.

الأجل: هو الزمن أو الوقت المضروب لانتهاء الشيء.

الشمس تجري إلى أجل مسمى: تجري إلى أن ينقضي أجلها.

وهناك فرق بين تجري إلى أجل مسمى وتجري لأجل مسمى.

تجري إلى أجل مسمى: تعني الآن تجري؛ أي: الشمس تجري وتجري الآن للوصول إلى أو بلوغ الأجل المسمى لها، وهي نقطة تسمى (ايبكس صولر) نقطة القمة الشمسية.

تجري لأجل مسمى؛ أي: تجري وسوف تجري لقيام الساعة.

فكلمة إلى أجل مسمى: تعطينا صورتها قبل وصولها المستقر.

ولأجل مسمى: تعطينا صورتها بعد وصولها المستقر.

ارجع إلى سورة الرعد آية (٢) لمزيد من البيان والتفسير العلمي لهذه الآية.

﴿وَأَنذَرْتُكُمْ يَوْمَ الْبَاسِ﴾: للتوكيد.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق، ما: اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: تضم الأقوال والأفعال.

﴿خَيْرٌ﴾: صيغة مبالغة؛ أي: خير ببواطن الأمور؛ أي: خفاياها، ومن

يعلم ببواطن الأمور بديهي أن يعلم ظواهرها.

وقدّم العمل على (خير) ولم يقل وأن الله خير بما تعملون؛ لأن سياق

الآيات في الحديث عن:



[٣٠] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد والكاف للخطاب يشير إلى إيلاج الليل في النهار، والنهار في الليل، وتسخير الشمس والقمر، والجري، من عجائب قدرته وعظمته الدالة على أنه هو الإله الحق الذي يجب أن يُعبد ويطاع ويقدر. ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: الباء: للإلصاق، والثبوت والتوكيد. أن الله هو: أن وهو تفيدان التوكيد، وهو يفيد الحصر والتوكيد معاً. الحق: أي الأمر الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل. الحق في ذاته وصفاته، فهو واجب الوجود لا وجود لشيء إلا به، ألوهيته وربوبيته حق، وأسماءه وصفاته حق، وكل ما يقوله حق، وكل شيء يفعلُه حق، الحق المطلق.

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ﴾:

﴿وَأَنَّ مَا﴾: الواو عاطفة، أن: للتوكيد، ما: لغير العاقل والعاقل بمعنى الذي.

﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدون ويعظمون.

﴿مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ﴾: أي غيره، أو كل ما سواه الباطل.

الباطل: ما لا وجود له؛ أي: الزائل والزائف مثل الشرك والأصنام.

ولنقارن هذه الآية من سورة لقمان وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ﴾، والآية (٦٢) من سورة الحج وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَطْلُ﴾.

ففي آية سورة الحج أضاف (هو) التي تفيد التوكيد والحصر، والسبب في إضافة (هو) في سورة الحج؛ لأن السياق مختلف عن سورة لقمان.

لأن صور الباطل في سورة الحج أكثر ومختلفة ومتنوعة تمثل الشُّرك والكذب والظلم والإحباط في الأعمال، بينما الباطل في سورة لقمان صورته قليلة منها الشُّرك، ولذلك أكَّد في آية الحج بإضافة (هو) ليتناسب مع الرد على الباطل.

ارجع إلى سورة الحج آية (٦٢) لمزيد من البيان.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾: ارجع إلى سورة الرعد آية (٩): لبيان معنى الكبير.

ارجع إلى سورة الحج آية (٦٢): لبيان معنى العلي الكبير.

[٣١] ﴿الَّذِينَ أَنْزَلْنَا الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُزَيِّدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾:

ومن الآيات الكونية الدالة على عظمته وقدرته ووحدانيته وفضله على الناس: الفلك التي تجري في البحر.

﴿الَّذِينَ أَنْزَلْنَا الْفُلْكَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٩) للبيان.

﴿أَنَّ الْفُلْكَ﴾: أن: للتوكيد، الفلك: السفن، والفلك تطلق على المفرد والمؤنث والجمع.

﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾: كما ذكر سابقاً: والشمس والقمر كل يجري، والجرى: هو السير السريع، في البحر؛ لأن الطبقة الغازية حول البحر هي جزء من الأرض أو البحر، هذا الجري الذي هو بسبب ظاهرة التوتر السطحي لماء البحر والتي تمثل شدة ترابط جزيئات الماء مع بعضها لتساعد على حمل هذه الفلك العملاقة.



﴿يَنْعَمَتِ اللَّهُ﴾: الباء للإلصاق وسببية؛ بسبب نعمة الله تعالى، ونعمة الله هذه لها معانٍ عدة:

الفلك تجري بواسطة الرياح، فالرياح نعمة من نعم الله.

أو الفلك نفسها نعمة من نعم الله.

أو تجري بنعمة الله؛ أي: ما تحمله من البضائع والمواد والشحن نعمة من نعم الله.

والبحر أيضاً نعمة، وجريان الفلك نعمة وعدم توقفها، نعم لا تحصي ولا تُعد.

﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾: اللام لام التعليل، من: ابتدائية بعضية (من بعض آياته الكونية).

ونسب الآيات إليه سبحانه بقوله: (آياته) لتدل على عظمة الآيات وكونها خاصة، ولم يقل ليرىكم من الآيات.

من آياته الدالة على عظمتهم وقدرته ووحدانيته، وأنه هو الذي يستحق العبادة وأنه هو الإله الحق.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: إن: للتوكيد، واللام في كلمة (آيات) للتوكيد، في: ظرفية، ذلك: ذا اسم إشارة واللام للبعد وتشير إلى الآيات (الفلك والبحر وجريان الفلك)، لكل: اللام الاختصاص. صبار: صيغة مبالغة من فعل: صبر، صَبَّار: كثير الصبر على وزن فعَّال، صَبَّار على طاعة الله تعالى والشدائد وتحمل المشاق والمصاعب، وخاصة في مجال البحوث والاكتشافات العلمية في مجال الكون وعلم الفضاء وعلم البحار وغيرها، وما يتعرض له الباحث من

فشل أو نجاح يحتاج إلى كونه صَبَّاراً وشكوراً في آن واحد، ولا يكفي أن يكون صَبَّاراً بل أيضاً شكوراً: صيغة مبالغة من شكر؛ أي: كثير الشكر وكثير الصبر. كلما اكتشف حقيقة علمية شكر الله سبحانه ونظر إليها وتأملها ودل الناس عليها؛ حتى تزيدهم إيماناً مع إيمانهم.

فهذه الآيات الكونية التي لا يعقلها إلا العالمون تدل على أن الله هو الإله الحق لا إله إلا هو وتستوجب العبادة والشكر وتدعونا إلى الصبر والشكر في العمل والبحث عن حقائق الكون، والشكر يدعو إلى زيادة النعم وزيادة النعم تدعو إلى زيادة الشكر وهكذا، كما قال سبحانه: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وكلمة صَبَّار في كل القرآن لم ترد إلا مقترنة مع شكور؛ أي: صَبَّار شكور، وأما كلمة شكور قد تأتي مفردة.

[٣٢] ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾:

في الآية السابقة بين الله سبحانه أن الفلك تجري في البحر بنعمته، وإذا غشي هؤلاء الذين أشركوا موج كالظلل، دعوا الله مخلصين له الدين وأقروا بوجود الخالق ووحدانيته؛ كي ينقذهم وبعد أن ينجيهم يعودون لما كانوا عليه من قبل.

﴿وَإِذَا﴾: الواو استئنافية، إذا: ظرفية شرطية تدل على حتمية حدوث ما يذكر بعدها.

﴿غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ﴾: الغشي: علاهم وغطاهم موج كالظلل، الكاف للتشبيه، الظلل: جمع ظلة؛ وهي التي تعلو الإنسان وتظله، موج ارتفاعه متران



أو ثلاثة (أي جاءهم الموج من كل مكان) ﴿وَوُطِّنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [يونس: ٢٢].
وأيقنوا بالهلاك ولا أحد يأتي لإنقاذهم.

﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: دعوا الله رغم كفرهم وشركهم، دعوا الله:
دعاء من الفطرة التي فطر الناس عليها.

مخلصين: جمع مخلص؛ أي: مطيعين تائبين منيبين، وقدم كلمة (له) على
الدين التي تدل على الوجدانية له وحده.

دعاء المضطر؛ أي: دعوا الله في حالة الشدة والكرب حيث تذكروا الخالق
وهو سبحانه ينجيهم وينجيهم.

﴿فَلَمَّا بَجَحْتُهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، نجاهم: أنقذهم
وأخرجهم من كربهم وهلاكهم، وهو سبحانه يعلم منذ الأزل أنهم سيعودون إلى
ما كانوا عليه من الشرك ويجحدون ومع ذلك تركهم ينجون؛ ليقم عليهم الحجة
يوم القيامة، وأنه أرحم الراحمين.

نجاهم: أي تركهم لفترة من الزمن يلاقون العذاب أو الخوف، ولم يقل
أنجاهم التي تعني بسرعة وزمن قصير، نجاهم: تعني ببطء لعلهم يتذكرون ذلك
فيما بعد، فما حدث: أنه ارتدع وتاب قسم منهم والقسم الآخر عادوا إلى الكفر
والشرك وخانوا عهدهم.

﴿فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ﴾: له عدة معانٍ:

- موفٍ بما عاهد الله عليه في البحر عند الغرق من الإيمان بالله والإخلاص
وعدم الشرك.

- متوسط بين الكفر والإيمان، إذا تعرّض لكرب تاب ورجع، وإذا لم يتعرّض ضعف إيمانه.

- وقيل: المقتصد من يخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

- أو يؤدي فقط الفرائض ولا يزيد عليها.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيِنِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾: ما: النافية؛ يجحد: الجحد: هو إنكار الشيء المشاهد أو الظاهر، والختار الكفور، الختار: غدار؛ أي: خائن العهد الذي قطعه على نفسه عندما أصابه الكرب، كفور: صيغة مبالغة من الكفر؛ أي: كثير الكفر، وما: الواو استئنافية، ما: النافية. يجحد بآياتنا: الجحود يكون للآيات الظاهرة أو الشيء الظاهر، وهو إنكار متعمد لما رآه وشاهده يوم أصابه الكرب من الآيات الدالة على عظمة الله ورحمته وربوبيته وتوحيده، والإنكار يكون للظاهر والباطن؛ أي: يعلم ويرى هذه الآيات حقاً ويجحد بها. إلا: أداة حصر.

﴿كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ ختار: صيغة مبالغة من الفعل ختر؛ أي: غدار وخداع، أو خائن للعهد الذي قطعه على نفسه وكثير الكفر.

لنقارن هذه الآية (٣٢) من سورة لقمان وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجُّ كَاطِلٍ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيِنِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ مع الآية (٦٥) من سورة العنكبوت وهي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَاهُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

في آية لقمان الخطر والتهديد أو الكرب أشد وأكبر مما أصاب المشركين في آية العنكبوت.



ولذلك في آية لقمان ارتدع قسم وأصبح مقتصدًا، وقسم استمر على ما كان عليه في السابق من الشرك والكفر.

وفي آية العنكبوت لأن الخطر والكرب كان أقل، فالكل عاد مشركاً بعد الكرب.

وإذا قارنا آية لقمان (٣٢): ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ﴾ والآية (٤٢) من سورة هود: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾.

الموج في آية لقمان هو موج غرق وهلاك وعذاب، وركاب الفلك هم من عامة الناس منهم المؤمن أو الكافر والموج يغشاهم كالظلل.

الموج في آية هود هو موج إنقاذ ورحمة ونجاة، وركاب الفلك هم نوح والذين آمنوا معه، الموج يجري بهم من تحتهم.

[٣٣] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُورَ رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾:

المناسبة: بعد أن بيّن الله سبحانه في كثير من الآيات الكونية الدالة على عظمته وقدرته ووحدانيته، أراد أن يختم السورة بالأمر بتقوى الله تعالى عز وجل والخشية من يوم القيامة، ثم ذكر خمسة من مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾: ياء النداء والهاء في (أيها) للتنبيه، الناس جميعاً المؤمن والكافر، الإنس والجن؛ أي: الثقلين، والناس مشتقة من: النّوس؛ أي: كثرة الحركة.

﴿أَنْفُورَ رَبِّكُمْ﴾: أي اجعلوا بينكم وبين سخطه وغضبه وناره وقاية، وذلك

بطاعة أو امره وتجنب نواهيه، ربكم: مشتقة من الربوبية وهي التربية؛ وتعني الخالق الرازق المدبر المسيطر المربي، واختار كلمة ربكم؛ لأنه يريد أن يذكرهم بأنه رب الناس رب العالمين.

﴿وَأَخْشَوْا يَوْمًا﴾: الخشية هي الخوف المقرون بالعلم والمقرون بالتعظيم والمهابة للذي تخشاه، يوماً: أي يوم القيامة جاء بصيغة النكرة؛ ليدل على التهويل والتعظيم.

﴿لَا يَجْزِي﴾: (في الآخرة) ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾: لا النافية، يجزي: يُغني أو يقضي عنه ما عليه؛ أي: لا تنفع الولاية والنسب أو القرابة أو الصداقة أو الخلّة.

ولم يقل لا يجزي فيه: (فيه) ظرفية تعني فقط في ذلك اليوم وغير الأيام تنفع، وإنما أطلق ولم يقل فيه.

﴿وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾: الوالد: من الولادة؛ أي: الوالد الحقيقي ويختلف عن الأب الذي يرعى أو يربي الولد؛ أي: لا ينفع والد ولده بالشفاعة أو دفع العدل أو دفع الضرر أو تخفيف يوم من العذاب، أو تحويل العذاب أو تبديله. والولد: كل مولود هو ولد لوالديه والولد يطلق على الولد الصغير أو الكبير وعندما يقرب من سن البلوغ يطلق على غلام.

وقدّم الوالد على الولد؛ لأن الوالد أكثر رحمة وشفقة، والوالد أحرص على نفع ولده من نفع الولد للوالد.

ولم يذكر كلمة (أبداً) فيقول لا يجزي أبداً؛ لأنه كما قال في سورة الطور



آية (٢١): ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، إيمان الآباء رفع درجة الأبناء ليكونوا مع آبائهم يوم القيامة.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾: تكرار (لا) يفيد زيادة توكيد النفي، وفصل كل أمر عن الآخر أو كلاهما معاً.

﴿مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ﴾: المولود لا يقع إلا من ولد منك.

ولم يقل ولا ولد هو جاز عن والده؛ لأن الولد يقع على الولد وولد الولد، والولد يقول لجده أو عمه: أب، فإذا كان المولود لا يجزي عن والده الذي ولد منه فمن الظاهر أنه لا يجزي عن جده أو عمه أو إخوته.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾: أي لا يغني عن والده شيئاً، (شيئاً) بصيغة النكرة لم يحدد؛ ليشمل كل شيء من الأشياء من شفاعاة أو حسنة أو عذاب أو فدية أو أي شيء من الجزاء.

لا يجزي الوالد عن ولده بدافع الحنان والشفقة.

ولا يجزي مولود عن والده بدافع التكليف أو الوصاية، ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً.

وإذا قارنّا كلمة جاز بكلمة يجزي، جاز: هو اسم، أما يجزي هو فعل، والاسم أقوى من الفعل؛ لأنه يدل على الثبوت والفعل يدل على التجدد والتكرار.

فالوالد لا يجزي: أي لا يجري بشكل متكرر، ولكنه أحياناً قد يجزي وأحياناً لا يجزي فربما هناك بعض الجزاء.

المولود لا جازٍ: صفة ثابتة؛ أي: المولود لا يغني عن والده أي شيء مهما كان لا أحياناً ولا قليلاً ولا كثيراً.

﴿إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾: إن: للتوكيد، وعد الله حق: وعد الله صدق وثابت لا يتغير ولا يتبدل.

وعده حق بالثواب أو العقاب والبعث والجزاء والحساب والجنة والنار.
﴿فَلَا تَعْرَنَكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: الفاء للتوكيد، لا: الناهية لكل الأزمنة.
تَعْرَنَكُمْ: أي لا تغتروا بالحياة الدنيا، وأكد الفعل بنون التوكيد الثقيلة (أي نهى مؤكداً)؛ أي: لا تخذعنكم بزيتها وزخرفها وجمالها، ومتاعها الزائل ومالها ونسائها. تغرنكم: تُدخل فيكم الغرور.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾: الغرور هو الشيطان.

الغرور صيغة مبالغة مثل: كفور وشكور.

وغرور: يعني كثرة الغر.

ولا يغرنكم الشيطان بالوسوسة والتزيين والمعاصي واللذة العاجلة.

[٣٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾:

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾: أي موعدها وأهم مفاتيح الغيب، لا يعلمها إلا هو.
وتقديم الخبر على المبتدأ يفيد الحصر والقصر، والساعة تعني: بدء تهديم النظام الكوني الحالي.

﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾: والغيث أهم أسباب الحياة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وذكر الغيث - ماء السماء - أولاً؛ لأنه سبب الزرع والغذاء والحياة.

وينزل الغيث: بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد والتكرار والاستمرار. ولم يقل المطر؛ لأن الغيث يحمل معنى الخير والمطر يحمل معنى الشر (من خصائص القرآن): وما نراه من الأخبار عن الأحوال الجوية ليس صحيحاً وكاملاً في كثير من الأحيان، فهم لا يعلمون كما يعلم الله كمية الأمطار وأين ستحلّ، ونوع هذه الأمطار أو الثلوج أو الرياح وشدتها، فما يخبرون به عبارة عن تنبؤات فقط، وهذا لا يقارن بعلم الله المنزل للمطر والمشكل للسحب والرياح والعواصف.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾: ما: للعاقل وغير العاقل في أرحام كل أنثى من النساء وغيرها من أرحام والجن والحيوان، يعلم الجنس ذكراً أو أنثى، ويعلم إن كان توأمًا أم أكثر أو عدد الأجنة، ويعلم هل الجنين تام أو ناقص، وإذا فيه تشوهات خلقية أم لا، يعلم زمن وساعة ولادته، يعلم ما تغيض الأرحام وما تزداد، يعلم علماً كاملاً شاملاً لا يقتصر على ذكورة أو أنوثة أو صفة أو صفتين، يعلم هل سيحيى أم يموت ويعلم صفاته الوراثية، وتشير الآية إلى جميع الأرحام، وأما الأطباء فيعلمون شيئاً ما ولكن علمهم قاصر ولا يتعارض مع هذه الآية؛ لأن الله سبحانه منحهم القدرة على علم بعض الصفات.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾: وما: النافية، تدري: من درى بمعنى: علم، والدراية: أخص من العلم، ولا تكون إلا بعد الجهل، والدراية تستعمل في حق البشر، ولا تستعمل في سياق الله، فبعد الولادة تأتي مرحلة الكسب،

والكسب يشمل الرزق والمال، أو العلم والحسنات والسيئات والذنوب والصالحات والخير والشر.

غداً: لا تعني الغد بعينه وإنما في المستقبل من كل أنواع الكسب والحلال والحرام.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾: بعد الولادة والكسب، تأتي مرحلة الموت.

لا تدري بأي أرض ولا بأي زمن ولا أين تدفن، لا يعلم ذلك كاملاً إلا الله وحده سبحانه.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾: إن للتوكيد. الله عليم: بخلقه وكونه وعباده ومخلوقاته، عليم بما يفعلون من صغيرة وكبيرة وما يفعلون من خير وشر، ويعلم المؤمن والكافر والمشرِك. خبير: ببواطن كل الأمور وخفاياها، خفايا الأنفس، وعليم بظواهر الأمور، وعليم وخبير: صيغة مبالغة، تدل على كثرة العلم والخبرة. وكل ما توصل إليه العلم الحديث والبحوث والاكتشافات والتجارب هي تعتبر ظاهراً من الحياة الدنيا وعلماً ناقصاً، ورغم ذلك يعتبر ذلك من فضل الله على خلقه ورحمة بهم، ولعلمهم إذا توصلوا إلى بعض الحقائق والإعجازات العلمية يؤمنون بربهم ويتوبون إليه، ويحمدونه ويشكرونه بدلاً من الغرور.





سُورَةُ الْحَجَرِ ٣٢

الْحَجَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
 مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
 ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا
 تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ
 إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ
 عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ
 كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ
 نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ
 مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا
 مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي
 خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتَوَفَّنَا
 مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾



سورة السَّجْدَةِ [الآيات ١ - ١١]

ترتيبها في القرآن (٣٢)، وترتيبها في النزول (٧٥).

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة: ﴿الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ﴾ السَّجْدَةِ، و: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ الإنسان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْم ﴿١﴾﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة؛ للبيان.

[٢] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾: تنزيل يدل على الطريقة التي حصل فيها الإنزال، تنزيل عن طريق جبريل ﷺ، والتنزيل مهمة الملائكة، و(تنزيل) مشتقة من: نزل، وتفيد من جهة السماء. وأنزل: تعني من الله تعالى جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، نزل: تعني منجماً أو على دفعات...

﴿الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: ارجع إلى سورة البقرة آية (٢) للبيان.

الكتاب: القرآن، لا: النافية، ريب: الشك والتهمة فيه، والشك: تساوي طرفي النفي والإثبات؛ أي: لا ريب في كونه منزلاً من رب العالمين؛ أي: ليس مفتى ولا مختلق.

﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: يمكن القول: تنزيل الكتاب من رب العالمين.



وجملة (لا ريب) اعتراضية، من: ابتدائية، رب العالمين: ارجع إلى الآية (٢) من سورة الفاتحة.

[٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام، أم المنقطعة بمعنى: بل يقولون افتراه، أو للإضراب الانتقالي من جملة إلى جملة.

﴿يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَاهُ﴾: يقول كفار مكة وغيرهم: إن هذا القرآن غير منزل من الله، هو افتراء على الله وكذب متعمد مخلق، يقولون: تدل على التجدد والتكرار وبحكاية الحال؛ أي: استحضار ما قالوه في الماضي إلى الحاضر؛ لبشاعته والتعجب منه، والنون في (يقولون) للتوكيد، افتراه: من الافتراء وهو: الكذب المتعمد المخلق؛ أي: افتراه محمد ﷺ واختلقه من تلقاء نفسه وأعانه عليه قوم آخرون: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ الفرقان آية: (٤).

﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: بل: للإضراب الإبطالي؛ أي: تبطل ما قبلها، (قولهم افتراه): وثبت ما بعدها (هو الحق من ربك)، هو: ضمير يفيد التوكيد، هو: تعني الكتاب أو القرآن.

﴿الْحَقُّ﴾: أي: الكتاب هو الحق، والحق هو الكتاب؛ الحق من ربك، أو منزل من ربك بالحق، والحق هو الأمر الثابت الذي لا يتغير أو يتبدل؛ أي: الصدق الذي لا يطرأ عليه أيّ تبديل أو تغيير.

﴿مِنْ رَبِّكَ﴾: أنزل من ربك.



﴿لَتُنذِرَ﴾: السلام للتعليل، تنذر: من الإنذار وهو الإعلام والتحذير من القيام بعمل أو أمر حرّمه الله سبحانه؛ لتنذرهم بأس الله وعذابه إذا استمروا على شركهم وكفرهم، ولم يقل لتبشر أيضاً؛ لأنّ السياق في الحديث عن الكفار، وليس هناك ما يدعو إلى تبشيرهم.

﴿قَوْمًا﴾ أي: قومك أهل مكة (قريش) ومن يأتي بعدهم.

﴿مَا أَنْتَهُمُ﴾: ما النافية، أتاهاهم: جاءهم.

﴿مِّنْ﴾: ابتدائية استغرافية.

﴿نَذِيرٍ﴾: صيغة مبالغة في الإنذار؛ أي: كثير الإنذار، نذير من قبلك.

﴿مِّنْ قَبْلِكَ﴾: من للقرب؛ أي: ما أتاهاهم من نذير من قبلك؛ أي: لم يبعث الله إلى قريش رسولا من قبلك.

قبلك: يا محمّد ﷺ فقد كان بين عيسى عليه السلام ومحمّد ﷺ ما يقارب (٥٦٠) سنة بدون نذير أو نبي...

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: لعل: للتعليل، لعل هذا القرآن والنذير؛ أي: رسول الله ﷺ والتبليغ والتحذير يهتدون به إلى الصراط المستقيم (الإسلام)؛ أي: يؤمنوا ويوحّدوا الله سبحانه.

ومنهم من قال: لعل تفيد الرجاء؛ أي: رجاء هدايتهم بعد ضلالهم، ولا تعني الترجي من الله تعالى، وقد يكون من رسول الله ﷺ.

ولو نظرنا إلى الآيتين (٢،٣) معاً نرى أن: تنزيله من رب العالمين ولا ريب في ذلك ثم أضرب (أبطل) وأنكر قولهم: (أم يقولون افتراه) ثم عاد إلى إثبات أنّه الحق من ربك.



[٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾

انتهت الآية السابقة بقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ وبدأت هذه الآية: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾؛ أي: لعلمهم يهتدون إلى الصراط المستقيم وإلى الله الإله الحق الذي خلق السموات والأرض وما بينهما.

﴿اللَّهُ الَّذِي﴾: الذي اسم موصول يفيد التعظيم والتحديد والدلالة على أن الله وحده الذي خلق السموات والأرض.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٣٠) وإلى سورة فصلت الآيتين (٩-١٢) وسورة البقرة الآيتين (٢٩، ٢٢)، وسورة الأعراف آية (٥٤) للبيان.

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: حيث ربط الغلاف الغازي للأرض بمكونات السماء ولذلك أصبح هذا الغلاف الغازي ليس من الأرض بالكامل وليس من السماء بالكامل، ولكنه ظل طبقة فاصلة بين السماء والأرض.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾: ثم: لتباين الرتبة والمنزلة بين صفة استوائه على العرش وخلق السموات والأرض؛ أي: استوى على العرش أعظم وأكبر وأعجب من خلق السموات والأرض وما بينهما.

استوى على العرش: ارجع إلى الأعراف آية (٥٤)، وسورة يونس آية (٣)، وسورة هود آية (٧).

سئل الإمام أحمد رحمه الله عن تفسير هذا الاستواء، فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. والعرش هو

أعظم المخلوقات على الإطلاق، وبما أنه سبحانه قال: (ليس كمثله شيء) فالأفضل عدم الخوض في الغيب بدون علم.

﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾: ما: النافية، لكم: اللام للاختصاص فهو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما بالحق، فهو الإله الحق واجب الوجود الذي يجب أن يُعبد، ومالككم من دونه من ولي ولا شفيع.

من دونه: من سواه أو من غيره، من: ابتدائية استغرافية تستغرق كل ولي يشفع، والولي اشتقت من: الولي؛ وهو الذي يليك؛ أي: القريب منك (من الأقارب)، أو غيرهم؛ أي: ما لكم من ولي: يتولى ويرعى مصالحكم ويدبر أموركم.

﴿وَلَا شَفِيعَ﴾: تكرر (لا) النافية يفيد تأكيد النفي، شفيع: الذي يشفع لكم أو يتوسط لكم لدفع العذاب أو الضر أو تخفيفه إذا عبدتم غيره أو أشركتم به.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتوبيخ على عدم التذكر وتعجب، ألا: أداة تنبيه وحض.

أفلا تتذكرون: إن الله خالق السموات والأرض وما بينهما هو الإله الحق فتعبده وتوحدوه وتؤمنوا به، ولا تنسوا ذلك أبداً، ولو احتاج هذا الحدث خلق السموات والأرض إلى زمن طويل للتأمل والتفكير.

أفلا تتذكرون ولم يقل أفلا تذكرون، تتذكرون تحتاج إلى زمن أطول للتذكر؛ لأن السياق في الصد عن الشرك وعبادة الأصنام، فهم يحتاجون إلى زمن أطول للتذكر والتفكير والتأمل ليهتدوا إلى التوحيد، أمّا تذكرون: تحتاج زمن أقصر للتذكر.



[٥] ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾:

﴿يُدَبِّرُ﴾: من التدبير: النظر أو التصرف (التقويم لما فيه صلاح العاقبة).

﴿الْأَمْرَ﴾: يحتمل أن يكون واحد من الأمور (الشؤون)، أو يحتمل أن يكون واحد من الأوامر؛ أي: يدبر كل شأن وله كل أمر؛ يتضمن التكليف الشرعي أو الوحي أو أمر المخلوقات (من حياة وموت وصحة وغنى وفقر وحرب وسلم وعزٍّ وذلٍّ...) وأمر الكون كله والقضاء والقدر حسب ما تقتضيه حكمته وإرادته.

﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: من ابتدائية ابتداء من السماء من عرشه يبدأ الأمر.

﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾: وانتهاء إلى الأرض وينتهي الأمر إلى الأرض إلى الرسول أو النبي ثم يبلغه إلى الناس.

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾: ثم للترتيب الذكري، يعرج إليه الأمر؛ أي: يرفع إليه ليحكم فيه، والعروج يختلف عن الصعود. ارجع إلى الآية (١٤) من سورة الحجر للبيان.

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: أي مسيرة ألف سنة أو الزمن المستغرق (١٠٠٠) سنة للعروج أو للنزول.

﴿مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾: أي: من أيام الدنيا، وإذا قارنا هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، قالوا: خمسين ألف سنة تعني مقدار يوم القيامة (٥٠ ألف سنة)، أما ألف سنة الزمن الذي تحتاجه الملائكة للصعود بأعمال العباد. ارجع إلى سورة المعارج آية (٤) لمزيد من البيان.



[٦] ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد، ويشير إلى أن تدبير الأمر من السماء إلى الأرض هو من شأن عالم الغيب والشهادة؛ أو: ذلك: ذا اسم إشارة واللام تفيد البعد والتعظيم ويشير إلى عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم؛ أي: ذلك عالم الغيب والشهادة الذي يدبر الأمر.

﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: عالم الغيب: الغيب مصدر وهو: كل ما غاب واستتر عن عيون الناس ولا يدرك بالحواس في السماء والأرض، عالم الغيب المطلق أو الغيب النسبي الذي يطلعه على رسله ومن اصطفاه من خلقه.

﴿وَالشَّهَادَةِ﴾: عالم الشهادة: هو كل ما يشاهد بالمدرجات والحواس من قبل خلقه، فلا الغيب يغيب عنه ولا شيء مما يشاهده الخلق يغيب عن علمه.

﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي الذي يغلب ولا يُغلب ويُقهر ولا يُقهر، صيغة مبالغة: له عزة القوة والغلبة والقهر والامتناع.

﴿الرَّحِيمُ﴾: بعباده المؤمنين. ارجع إلى سورة الحمد آية (٢) لمزيد من البيان.

[٧] ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾:

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم ويعود على الله.

﴿أَحْسَنَ﴾: أتقن وأحكم.

﴿كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾: خَلَقَهُ بصيغة الماضي، أو خَلَقَهُ بإسكان اللام مصدر: خَلَقَ، كل: توكيد، شيء: نكرة، أي شيء صغير أو كبير إنس أو جن أو حيوان أو نبات.



أي: أحسن: خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ جَعَلَهُ حَسَنًا حَسَبَ مَا اقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ فَجَمِيعَ
مَخْلُوقَاتِهِ خَلَقَتْ عَلَى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ.

فإياك أن تُقَبِّحَ أو تعيب شيئاً لمجرد رؤيته، وكيف تقبِّح شيئاً خلقه الله،
أتعيب الصفة أو الشيء أم تعيب الصانع والخالق، وقل: ما شاء الله وسبحان الله.
﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾: أي بدأ خلق آدم من طين. ارجع إلى سورة
الحجر آية (٢٦).

[٨] ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للتراخي في الزمن.

﴿جَعَلَ﴾: صيّر.

﴿نَسْلَهُ﴾: ذريته وولده؛ لأنها تنسل منه؛ أي: تنفصل عنه.

﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾: من ابتدائية، السلالة: خلاصة الشيء وأجود ما فيه أو السلالة
القليل مما يُنسل من حيوان منويّ يلقيح البيضة ويموت الباقي، سلالة: على وزن
فعالة تعني: القليل.

من سلالة: من طين ثم من سلالة من ماء مهين.

﴿مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾: من: ابتدائية تشير إلى الجنس، وسمّاه المهين المستقذر
الضعيف، ماء مهين: النطفة مني الرجل وبويضة المرأة.

[٩] ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للتفاوت والتباين بين التسوية والماء المهيّن أو التراخي في الزمن.

﴿سَوَّاهُ﴾: التسوية: أي هي اختيار الصفات الوراثية المميزة لكل فرد؛ أي: الشيفرة الوراثية الجينات والصبغيات.

﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾: نفخ الروح كما بيّنت أحاديث رسول الله ﷺ يكون في الليلة (٤٢) من بدء الحمل، كما ورد في حديث حذيفة أسيل ورواه مسلم، وليس بعد (٤) أشهر كما ظن بعض المفسرين وكما أثبتت الدراسات العلمية.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾: الجعل يكون بعد الخلق، وخلق الأذن للسمع، والعين للإبصار، والأفئدة: القلوب، ودائماً يسبق السمع البصر. ارجع إلى سورة البقرة آية (٧) للبيان.

وأما الفؤاد فهو: القلب الحاوي على خلايا الذاكرة، الخلايا العصبية التي هي مركز للحب أو الإيمان والأحاسيس المعنوية. ارجع إلى سورة الحج آية (٤٦) لمزيد من البيان.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾: أي قليل من عبادي الشكور؛ أي: العدد الذين يشكرونه قليل، أو مقدار وكمية الشكر قليلة، والشكر يكون باللسان والقلب والعمل. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠) لمزيد من البيان.



[١٠] ﴿وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: الواو استئنافية، قالوا: منكرو البعث والآخره.

﴿أَءِذَا﴾: الهمزة همزة استفهام واستبعاد وإنكار وتعجب.

﴿ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي بعد الموت صرنا تراباً واندثرت ذراتنا واختلطت بتراب الأرض.

﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: الهمزة استفهام إنكاري كالسابقة، لفي: اللام للتوكيد، في: ظرفية.

﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: أي خلقنا ربنا من جديد؛ أي: مرة أخرى أو يُعيدنا أحياء؟
فيرد عليهم ربهم: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي وتقرير حقيقة جديدة؛ وهي أنهم بلقاء ربهم كافرون.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: الباء للإلصاق، لقاء ربهم: يوم القيامة والبعث والعرض للحساب.

﴿كَفِرُونَ﴾: جاحدون، لا يؤمنون أو يصدقون، وكافرون بالصيغة الاسمية التي تفيد الثبوت.

[١١] ﴿قُلْ يَتُوبُ فَنُكْمُ مَلِكِ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَيَّ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾:

هم ينكرون أن يعودوا أحياء بعد أن يكونوا تراباً، فتأتي هذه الآية لتؤكد لهم



أَنَّ مَلِكَ الْمَوْتِ سَيَتَوَفَاهُمْ، ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَرْجِعُونَ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ وَلَا مَفَرٍّ مِنْ ذَلِكَ.

﴿قُلْ﴾: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِلَّذِينَ يَنْكُرُونَ الْبَعْثَ سَوْفَ يَتَوَفَّاكُم مَلِكُ الْمَوْتِ.

﴿يَتَوَفَّاكُم مَلِكُ الْمَوْتِ﴾: بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ وَمَلِكُ الْمَوْتِ يَقْبِضُ الرُّوحَ، ثُمَّ يَأْمُرُ الْمَلَائِكَةَ الْمَوَكَّلِينَ بِنَزْعِ أَرْوَاحِ الْكَفَّارِ ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ ١ ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ [النَّازِعَاتِ: ١-٢].

وَفِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٦١].

﴿الَّذِي وَكَّلَ بِكُمْ﴾: وَكَّلَ بِقَبْضِ أَرْوَاحِكُمْ.

﴿ثُمَّ﴾: ثُمَّ لِلتَّرْتِيبِ وَالتَّرَاحِي فِي الزَّمَنِ؛ أَي: يَوْمَ الْبَعْثِ.

﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: تَقْدِيمُ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ يَفِيدُ الْحَصْرَ؛ أَي: إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَحْدَهُ.

﴿تُرْجَعُونَ﴾: قَسْرًا وَسَوَاءٌ شِئْتُمْ أَوْ أَيْتِمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.





سُورَةُ التَّيْنَةِ ٣٢

سُورَةُ التَّيْنَةِ

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو أُرُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ
(١٢) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ
مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣)
فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِيتُكُمْ
وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤) إِنَّمَا يُؤْمِنُ
بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ
عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا
لَّا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ
جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا
فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ
لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠)



سورة التّينّة [الآيات ١٢-٢٠]

[١٢] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو عاطفة، لو: شرطية، وقد تحمل معنى التّمني مثل: وليتك ترى، أو: لو امتناعية حذف جوابها وهو: لرأيت أمراً مخيفاً مُهيناً.

﴿تَرَىٰ﴾: الخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ وأُمته، ترى رؤية فكرية، وإذا أخبرنا الله تعالى بخبر وقال: ولو ترى، فرويته تعالى أفضل من رؤيتنا بأم أعيننا فهي رؤية بدرجة عين اليقين.

﴿إِذِ﴾: ظرفية فجائية يوم القيامة.

﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: الكافرون المشركون المكذّبون بالبعث وبالأخرة وأهل المعاصي. ارجع إلى سورة الأنعام، آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنى المجرمون.

﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾: جمع: ناكس، اسم فاعل من الفعل: نكس رأسه، والنكس هو جعل الأعلى أسفل، وقد وردت هذه الكلمة في سورة الأنبياء آية (٦٥): ﴿ثُمَّ نَكَّسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾، ومعنى نكسوا على رؤوسهم في الدنيا؛ أي: عادوا إلى الباطل وعبادة الأصنام بعد أن تبيّنوا الرّشد، ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ [يس: ٦٨] والتّنعيس في الخلق؛ أي: نعيده ضعيفاً في قواه وعقله غير قادر على الحركة والتّفكير بعد أن كان قوياً وقادراً على اتخاذ القرار، أمّا: ﴿نَاكِسُوا



رُءُوسِهِمْ ﴿١٦﴾ يوم القيامة بسبب شعورهم بالذل والخزي والحياء والندم لم يرفعوا رؤوسهم عند ربهم ونظروا إلى الأرض.

﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾: أبصرنا: البصر والبصيرة؛ أي: أيقنَّا بعين اليقين لا شريك لك ولا ولي ولا شفيع إلا أنت، وأبصرنا صدق ما وعدتنا وعدلك وأنت الحق وكل ما دونك هو الباطل، أبصرنا ما كنا فيه من الضلال والظلم والخطأ. وفي هذه الآية قدم البصر على السمع، وكذلك قدم البصر على السمع في سورة الكهف؛ لأن السياق في هاتين الآيتين هو في الآخرة، أما في باقي الآيات وعددها (١٧) آية قدم السمع على البصر؛ لأن السياق في الدنيا. ارجع إلى سورة الملك آية (٢٣)، وسورة البقرة آية (٧) لمعرفة السبب ومزيد من البيان.

وسمعنا: سماع الأحياء لأول مرة بعد أن كنَّا في الدنيا نسمع سماع الموتى، سمعنا آياتك وما أنزلته على رسولك ولا نكذب بالدين، فقد كنَّا عمياً وصمًّا. ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾: الفاء للمباشرة، ارجعنا الآن، ارجعنا إلى دار الدنيا لكي نعمل صالحاً.

﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾: إِنَّا للتوكيد، موقنون: جمع موقن، من اليقين وهو العلم بالحق (الأمر الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل) والعلم بأنه لا يكون غيره.

إِنَّا موقنون: أي أصبحنا نعلم حق اليقين أنك أنت الحق وكل ما قلته ووعدته وأنزلته حق، موقنون: جملة اسمية تدل على محاولتهم الظهور بمظهر الثابت بالإيمان، ولم يستجب الله سبحانه لطلبهم وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، ولم يعد ينفعهم قولهم ومعذرتهم في ذلك اليوم.

[١٣] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾:

المناسبة: سأل المجرمون ربهم (فارجعنا نعمل صالحاً) فجاء الرد عليهم (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) ولو شاء الله لهداهم قسراً ولكن لم يشأ.

﴿وَلَوْ﴾: شرطية غير امتناعية، ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن لم نشأ فحق القول عليهم.

﴿شِئْنَا﴾: بصيغة الجمع للتعظيم، من المشيئة والمشيئة قبل الإرادة: وهي بدء العزم على الفعل، أما الإرادة: إتمام العزم أو البدء بالفعل، والإرادة قبل القدر، والقدر قبل القضاء، والقضاء قبل الإمضاء (وهو الخلق) وهو: إبراز المعدوم إلى الوجود وتأليفه وتركيبه.

﴿لَآتَيْنَا﴾: السلام لام التوكيد (رابطة لجواب لو)، لآتينا: من الإيتاء وهو: العطاء. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة لمعرفة معنى الإيتاء والعطاء.

﴿كُلَّ﴾: للتوكيد.

﴿نَفْسٍ هُدًى﴾: كما بين ذلك في آية أخرى: ﴿أَنْ لَّوْ شَاءَ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الزَّعْد: ٣١]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [مُود: ١١٨].

لآتينا كل نفس هداها: بالقسر والجبر، ولكن لم يشأ سبحانه وقضت حكمته أن يترك اختيار أمر الإيمان والعمل الصالح بدون إكراه، وأعطى للعبد حرية الاختيار بين الإيمان والكفر والطاعة والعصيان. فمن اختار الهداية وطريق



الإيمان ثم طلب منه المعونة والزيادة في الإيمان والهدى، زاده إيماناً وهدى، ومن اختار طريق الكفر والضلال وابتعد عن ربه، تركه فيما تهواه نفسه وحذره وأنذره على لسان رسله وكتبه.

﴿وَلَكِنْ﴾: للاستدراك والتوكيد.

﴿حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾: ثبت ووقع وسبق ولن يتغير قضائي ووعدتي، وقوله: مني تدل على خطورة وأهمية القول وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: اللام والنون في (لأملأن) للتوكيد، و(أجمعين) للتوكيد أيضاً، لأملأن جهنم من: ﴿الْجِنَّةِ﴾: مجموعة من الجن قد تكون قليلة أو كثيرة. ﴿وَالنَّاسِ﴾: أي: الإنس مجموعة قليلة أو كثيرة.

[١٤] ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِيتُكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

المناسبة: إذن لا رجعة إلى الدنيا فذوقوا العذاب بما نسيتم لقاء يومكم هذا.

﴿فَذُوقُوا﴾: الفاء للمباشرة، ذوقوا: أي العذاب، أي: ذوقوا العذاب بما قدّمت أيديكم وبما نسيتم لقاء يومكم هذا، ذوقوا: واختار حاسة الذوق؛ لأنّ هذه الحاسة أهم الحواس لأنها تختص بالأكل والشّراب وهما من مقومات الحياة الدّنيا، والطّعام والشّراب يؤثّران في كلّ عضو من أعضاء الجسم كما يفعل الجوع والعطش بالإنسان، ثمّ استعمل (ذوقوا العذاب) الذي سيؤثّر في كلّ عضو من أعضاء الجسم كما يفعل الطّعام والشّراب والجوع والعطش.

﴿بِمَا﴾: الباء: باء السّببية، ما: حرف مصدري.



﴿ نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾: أي ذوقوا العذاب بسبب نسيانكم المتعمد للاستعداد لهذا اليوم، نسيانكم أوامر الله وفرائضه ونواهيه وسنة رسوله، وترككم العمل الصالح والإيمان وعدم تصديقكم بالبعث والحساب، لقاء يومكم هذا: أي يوم القيامة، وقدم اليوم للاهتمام ونكره للتهويل والتعظيم.

﴿ إِنَّا نَسِيتَكُمْ ﴾: إِنَّا: للتعظيم والتوكيد، نسيناكم: النسيان من قبل الله تعالى لا يعني عدم التذكر، حاشا لله أن ينسى شيئاً، وإنما النسيان يعني تركهم في العذاب وعدم الالتفات إليهم، وإهمالهم في نار جهنم وعدم النظر إليهم أو تكليمهم.

﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ﴾: تكرر (ذوقوا) للتوكيد والتوبيخ والتفريع والخطاب للمجرمين، عذاب الخلد: عذاب نكرة: يشمل كل أنواع العذاب، الخلد: الدائم الذي لا ينقطع أو يفتر أو يخفف ويبدأ من زمن دخولهم النار.

﴿ بِمَا كُنتُمْ ﴾: الباء: باء السببية، ما: بمعنى الذي أو مصدرية.

﴿ تَعْمَلُونَ ﴾: كنتم في الدنيا تعملون تضمّ الأقوال والأفعال، تعملون من الكفر والشرك والمعاصي والتكذيب، وجاءت بصيغة المضارع لتدلّ على تجدد وتكرار عملهم وأنه لم يتوقف، وماتوا ولم يتوبوا ويرجعوا إلى ربهم.

[١٥] ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾:

﴿ إِنَّمَا ﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ﴾: يؤمن: يصدق ويعمل بها ويتبع ما جاء في آياتنا (آيات



القرآن) والآيات الكونية والآيات الدالة على نبوة محمد ﷺ، بآياتنا: بما جاء من الأدلة.

الباء للإصاق والدوام على الإيمان والثبات.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية وشرطية تفيد حتمية الحدث؛ أي: ما بعدها حتماً سيحدث وبكثرة، وهو هنا: خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم.

﴿ذُكِّرُوا بِهَا﴾: أي تُلِيت عليهم في الصلاة أو قرؤوها وهم يتلون القرآن سجدوا سجود التلاوة أو وعظوا بها (مثل سجود الشكر)

﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾: الخَرَّ: هو أن تهوي إلى الأرض ومن أعلى إلى أسفل ساجداً لله هبوط مع صوت يشبه صوت خرير الماء. ارجع إلى سورة الإسراء الآيتين (١٠٧-١٠٩) لمزيد من البيان.

﴿وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: سَبَّحُوا: أي قَدَّسُوا ونَزَّهُوا ربهم في ذاته وصفاته وأفعاله عما لا يليق به وعن كل نقص وشريك وولد وعيب، سَبَّحُوا بحمد ربهم: أي عند سجودهم بالقول: سبحان ربي الأعلى سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، وسَبَّحُوا بحمد ربهم عقب الصَّلوات وبكرة وعشياً.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: هم: ضمير فصل يفيد التوكيد، لا: النافية، يستكبرون: عن طاعة ربهم والسجود إليه في كل مرة وكل حين خاضعين لله متذللين له باستمرار وتجدد. لا يستكبرون بالامتناع عن قبول الحق والإذعان له بالعبادة.

[١٦] ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله سبحانه حال المجرمين يوم القيامة وكيف نسوا لقاء يوم القيامة وكيف سينسأهم الله، يذكر حال أهل الطاعة والإيمان وما يتقربون إليه به من النوافل والسجود والتَّهَجُّد في الليل والدَّعاء والتضرع إليه فيقول:

﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾: تتجافى: اشتقت من: جفا السَّرج عن الفرس؛ أي: رفع السَّرج عن الفرس وتجافى عن مكانه إذا لم يلزمه؛ أي: يتركوا فُرُش نومهم ليعبدوا الله. وقيل: تتجافى من الجفوة: التَّرك مع كراهية المتروك؛ أي: سُررهم؛ أي: يتركون فُرُشهم بدون تردّد مسرعين ليقوموا إلى لذة أعظم وأبقى وأحب إلى قلوبهم من لذة الفراش؛ وهي لذة قيام الليل والاتصال بالخالق ومناجاته والتَّبتُّل إليه، جنوبهم: جمع جنب وهو: شقّ الإنسان ويراد به الشَّخص.

﴿عَنِ﴾: حرف جر يفيد التَّجاوز والابتعاد؛ أي: يبتعدون بجنوبهم عن مضاجعهم.

﴿الْمَضَاجِعِ﴾: جمع مضجع وهو: مكان النَّوم أو الاتِّكاء.

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾: بالاستغفار والتَّوبة والحمد والشكر، خوفاً مما حدث منهم من تقصير في جنب الله أو مما أخطؤوا بغير عمد أو نسوه خوفاً من عقابه وعذابه، يدعون: جاءت بصيغة المضارع لتدل على التَّجدد والتَّكرار، وطمعاً في رحمة ومغفرة ربهم ورضوانه وجنته.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾: من بعضية؛ أي: ينفقون من بعض أموالهم كالزكاة أو الصدقات. ارجع إلى الآية (٣) من سورة البقرة للبيان.



[١٧] ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ :

﴿ فَلَا ﴾ : الفاء للتوكيد، لا : النافية.

﴿ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ : نفس : نكرة ؛ أي : لا تعلم أي نفس (لا نفس ملك من الملائكة أو نفس رسول ولا نبي ولا أحد)، ما أخفي لهم، ما : اسم موصول بمعنى الذي أو استفهامية، وما أوسع شمولاً من الذي، أخفي : بصيغة المبني للمجهول ؛ أي : ما حُبِّئ لهم ؛ أي : لهؤلاء الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، من : استغراقية، قرّة أعين : قرّة أعين مشتقة من القُرور ؛ أي : السكون، وقرّ في مكانه ؛ أي : استقر فيه، ولا يستقر الإنسان في المكان إلا إذا توفرت فيه مقومات الحياة والراحة، وقرّة أعين مشتقة من : القرّ وهو البرد الشديد، وقيل : العين الباردة هي العين المسرورة، والعين الساخنة هي العين الحزينة، والمراد به قرّة أعين ؛ أي : في جنات النعيم والخلد ما تُسرّ به أعينهم وتفرح به وتطمئن، من المساكن والقصور والطعام والشراب والحدود العيون وغيرها.

وكما جاء في الحديث القدسي كما روى البخاري ومسلم والترمذي قال تعالى : أعددت لعبادي الصّالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ : الجزاء : مقابلة الشيء بالشيء ؛ أي : ثواباً، بما كانوا يعملون في الدنيا، ويعملون تضم الأفعال والأقوال. ارجع إلى الآية (١٤) من السّورة نفسها.

[١٨] ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾:

﴿أَفَمَنْ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري فيه معنى التعجب، من: تأتي للمفرد والجمع والمذكر والمؤنث، من: استفهامية.

﴿كَانَ مُؤْمِنًا﴾: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾: الكاف كاف التشبيه، من: اسم موصول بمعنى الذي كان فاسقاً، الفاسق: من الفسق وهو: الخروج عن الإيمان وطاعة الله تعالى. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٦) لمزيد من البيان.

والمؤمن والفاسق لا يستوون أو لا يستويان؛ لأن هذا مفهوم عند العامة من الناس ولا يحتاج إلى سؤال ولكن الغاية من هذا السؤال هو أن نقرّ نحن بالجواب ونقول: لا يستوون حتى نقيم الحجة على أنفسنا، ولم يقل لا يستويان وقال: لا يستوون: لأن الفاسق صنف والفسق أنواع والفاسقون درجات، والمؤمن صنف والإيمان درجات وأنواع، فالمؤمنون درجات والفاسقون درجات ولذلك قال: لا يستوون بالجمع، ويجوز أن تعني الآية اثنين كلّ منهما يمثل جماعة، ثم ذكر الله سبحانه جزاء الفريقين فقال: أما الذين آمنوا... وأما الذين فسقوا.

[١٩] ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿أَمَّا﴾: حرف تفصيل.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ﴾: الفاء: للتوكيد، لهم: اللام لام الاختصاص والاستحقاق الذين آمنوا بالله إيمان التوحيد إيمان القلب وليس الإيمان باللسان فقط، وعملوا الصالحات: أي: كل ما يرضي الله من عمل يشمل جميع أوجه الحياة بالإضافة إلى العبادات المعروفة.



﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾: فلهم: الفاء: للتوكيد، لهم: خاصة، نوع من أنواع الجنات مثل جنات عدن، جنات النعيم، جنات الفردوس، المأوى: مشتقة من المكان الذي يأوي إليه الكائن الحي ليحفظه من المكروه. والمأوى مكان الإيواء؛ أي: الاستقرار والراحة والطمأنينة.

﴿نَزْلًا﴾: من النزول: وهو ما يُعدّ للضيف من طعام وشراب ومسكن؛ أي: ثواباً.

﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: ارجع إلى الآية (١٤) من السورة نفسها.

بما: الباء السببية، ما: بمعنى الذي كانوا يعملون أو مصدرية، كانوا: في الدنيا يعملون من الأقوال والأفعال الصالحة، ثم ذكر الله سبحانه ثلاث آيات بخصوص الذين فسقوا، الآيات (٢٠-٢٢).

[٢٠] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيَهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: حرف تفصيل.

﴿الَّذِينَ فَسَقُوا﴾: الفسوق: هو الخروج عن طاعة الله وعدم امتثال أوامره ونواهيه. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٦) لمزيد من البيان.

﴿فَمَأْوِيَهُمُ النَّارُ﴾: الفاء: للتوكيد، المأوى: هو المستقر المريح والأمن الذي يصل إليه بعد جهد وسعي، فكيف يصف النار بالمأوى؟ قد يكون الكلام هنا على سبيل السخرية أو التهكم كما يقول: فبشّرهم بعذاب أليم. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٥١) لبيان معنى مئوى والفرق بين مئوى ومأوى.

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾: كلما: مركبة من (كل وما) المصدرية الظرفية، فهي أداة شرط تفيد التكرار.

﴿يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾: من النار أعيدوا فيها، وفي الآية (٢٢) من سورة الحج: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾: من قبل الملائكة خزنة جهنم.

﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾: ارجع إلى الآية (١٤) من السورة نفسها.

﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: الذي كنتم به في الدنيا تكذبون: لا تصدقون، تكذبون: تدل على التجدد والتكرار والاستمرار حتى متم وأنتم كفار. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤٢) من سورة سبأ، وهي قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ نجد أن آية السجدة: جاءت في سياق الذين فسقوا، والفاسق قد يطلق على المؤمن، ويمكن أن يكون كافراً، وهؤلاء يكذبون بالعذاب، وليس بالنار، وأما آية سبأ: جاءت في سياق المشركين والكفار، فهؤلاء يكذبون وينكرون النار نفسها والعذاب.





سُورَةُ الْحَجَرِ ٣٢

الْحَجَرِ ٣٢

وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ
يَأْمُرُوا بِالْمَاصِبِ وَأَوْأَىٰ بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ فَصْلٌ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ
﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا الْأَرْضَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
بِهِ زُرْعَاتٍ كُلٌّ مِّنْهُ أَعْمَهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ
﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الْحَجَرِ ٣٢

٣٢

٣٢



سورة السَّجْدَةِ [الآيات ٢١ - ٣٠]

[٢١] ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ﴾: تعود على الذين فسقوا. السلام: لام التوكيد والنون في (نذيقنهم) لزيادة التوكيد.

﴿مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾: من ابتدائية، العذاب الأدنى: القريب، والعذاب: هو النكال والعقوبة؛ أي: عذاب الدنيا مثل القحط والقتل والأسر والخسارة والهزيمة كما حدث في بدر، والأدنى الأخف (الأقل شدة) دون الأكبر من مصائب الدنيا في الأموال والأولاد وغيرها.

﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾: دون: تعني: قبل العذاب الأكبر عذاب الآخرة؛ لأنه عذاب دائم وبق لا يتغير ولا يخفّف أو يزول. والعذاب الأكبر: عذاب النار بأنواعه المختلفة؛ مثل: عذاب الحريق، والزمهرير، والزقوم، وغسلين، والماء الحميم، والسلاسل، والأغلال... وغيرها.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعل: للتعليل، يرجعون: بإرادتهم يرجعون عن ضلالهم وكفرهم وفسقهم إلى الإيمان بالتوبة والاستقامة قبل أن تزهق أنفسهم وهم كارهون.

[٢٢] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾:

المناسبة: ومن أظلم من هؤلاء الذين فسقوا ثم ذكروا بآيات ربهم مرة بعد أخرى، فاستمروا على فسقهم وإعراضهم رغم الزمن الطويل الذي أعطوه ليتوبوا.

﴿وَمَنْ﴾: الواو استئنافية، من استفهامية.

﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ رَبِّهِ﴾: جاء الخبر في هذه الآية بصورة الاستفهام؛ لتأكيد الكلام، وكأن المخبر بالخبر يدعو المستمع إلى الإقرار ليقم عليه الحجة ولم يأت بالجواب. ليقول أو يقر المستمع: لا أحد أظلم ممن فعل ذلك، أو ليس هناك أظلم من هذا الإنسان الذي ذكر بآيات ربه بالوعظ والإنذار والتبليغ أو سمع آيات الله تتلى عليه (القرآنية) أو شاهد الآيات الكونية ثم أعرض عنها.

﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾: ثم للترتيب والتراخي في الزمن، وعن تفيد المجاوزة والابتعاد، ولم يقل فأعرض عنها كما ورد في سورة الكهف الآية (٥٧): ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، الفاء: تدل على الترتيب والمباشرة فالإعراض في سورة السجدة وقع بعد فاصل زمني بين التذكير وحدوث الإعراض؛ أي: عدم التصديق والرفض، بينما الإعراض في سورة الكهف وقع مباشرة عقب التذكير؛ لأن الذين ذكروا بآيات ربهم في قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقرئ فلذلك أعرضوا مباشرة، فالإعراض في آية الكهف أسرع من الإعراض في سورة السجدة.

فالمذكورون في آية السجدة هم الذين فسقوا وذكروا بآيات ربهم فاستمروا

على فسقهم، وبعد زمن طويل أعرضوا عنها واستمروا على ذلك حتى ماتوا ولم يتوبوا.

﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾: إِنَّا: للتعظيم، من المجرمين: أي هذا الذي ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها بعد مدة يدخل في زمرة المجرمين الذين لم يؤمنوا، واستمروا على كفرهم وشركهم وعصيانهم. ارجع إلى سورة العجاثية آية (٣١)، وسورة الأنعام آية (٥٥) لمزيد من البيان في معنى المجرمين.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أي: قد تحقق إيتاء موسى الكتاب منذ زمن طويل.

﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: أي آتيناه التَّوراة، والإيتاء يختلف عن العطاء، لمعرفة المعنى ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة.

﴿فَلَا تَكُنْ﴾: الفاء للتوكيد، لا الناهية، تكن: الخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ، تكن ولم يقل فلا تك؛ أي: ليس هناك ما يدعو إلى شدة المِرية لاستعمال تُك.

﴿فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ﴾: في ظرفية، مِرية: المِرية هي الجدل بعد ظهور الحق أو تبين الحق، في مِرية من لقائه: لقاء موسى عليه السلام وكان ذلك ليلة الإسراء والمعراج فقد لقيه ﷺ في السماء السادسة.



ومن المفسرين من قالوا: فلا تكن في مِرية من لقائه؛ لقاء موسى يوم القيامة حين الشِّفاعة.

﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: أي وجعلنا التَّوراة أو موسى أو كلاهما، هدى لبني إسرائيل، أو الهدى لبني إسرائيل للوصول إلى الحق والرَّشد وسبل السَّلام والصَّراط المستقيم.

[٢٤] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً﴾: جعلنا؛ أي: من بني إسرائيل، أئمة: أنبياء قدوة وهو المرجَّح، أو هداة صالحين ليسوا بأنبياء.

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾: بأمرنا: بإذننا بإذن منّا، يهدون: يدعون النَّاس إلى طاعة الله وعبادته أو يهدون بالتَّوراة.

﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾: ظرفية زمانية بمعنى: حين صبروا على أذى قومهم وصبروا على الدَّعوة إلى الله ومشاقَّ التَّكليف، وصبروا على فرعون وجنوده، أو لما: اللام للتعليل؛ أي: جعلناهم أئمة لأجل صبرهم.

﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾: الباء للإلصاق والدَّوام، بآياتنا: التَّوراة والآيات الكونية وآيات الأحكام، يوقنون: من اليقين؛ أي: العلم بالحق الذي لا يكون غيره؛ أي: يصدقون ويؤمنون ولا يشكَّون فيها أبداً؛ آيات التَّوحيد والبعث والآخر، يوقنون: بصيغة المضارع تدل على التَّجدد والاستمرار. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لمزيد من البيان في اليقين.

[٢٥] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿رَبَّكَ هُوَ﴾: هو ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: بين الأنبياء وأمهم أو بين المؤمنين والكافرين. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٦٢): لمعرفة الفرق بين الحكم والقضاء والفصل.

﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: بين الأنبياء وأمهم أو بين الأمم أو الملل فيما كانوا في الدنيا فيه يختلفون من أمور الاعتقاد والدين والحساب والثواب والأعمال، والتوحيد والإشراك وأهل الحق والباطل ومن على الحق ومن هو على الباطل، يختلفون باستمرار وتجدد وتكرار في الدنيا.

الفرق بين الخلاف والاختلاف: الاختلاف أمر مشروع، ومنه الاختلاف المذموم والمحمود، أما الخلاف: منبوذ وهو من مظاهر الهوى والعناد. والاختلاف قد يكون بين أفراد الأمة الواحدة، أو الاختلاف بين أمة وأمة، فحين يكون الاختلاف بين أفراد الأمة الواحدة يقول سبحانه: يقضي بينهم، وحين يكون الاختلاف بين الأمم أو الملل المختلفة يقول سبحانه: يفصل بينهم، والفصل يعني: يذهب فريق إلى الجنة وفريق إلى السعير، والفصل يعني: الحكم والفصل معاً، ولذلك الاختلاف بين الأمم أو الملل المختلفة يتطلب حكماً أولاً وفصلاً ثانياً، فالحكم: هو القضاء، وأما الفصل: فهو الحكم، والفصل: هو أشد وأكد،

والفصل: مشتق من جعل بينهما حاجزاً؛ أي: يجعل بينهما مسافة كأن يذهب أحدهم إلى الجنة والآخر إلى النار وينتهي الأمر.

[٢٦] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام، ولم يقل أفلم يهد لهم، ولم يقل أولم يروا، ما هي الفروق؟

١ - الفرق بين أولم يهد لهم وأفلم يهد لهم: الفاء تستعمل عادة إذا كان ما قبلها سبب ما بعدها، والفاء أكثر تأكيداً وتهديداً أو توبيخاً.

٢ - الفرق بين أولم يهد لهم وأولم يروا: أولم يهد لهم تستعمل في سياق الآخرة عادة مثل العقوبات أو الأمور التي تحتاج إلى تفكير وتدبر.

بينما أولم يروا تأتي في سياق عقوبات الدنيا أو الأمور الدنيوية.

﴿يَهْدِ لَهُمْ﴾: لهم: كفار قريش ولغيرهم، لم لا يتفكرون ويتبين لهم.

والهداية تحتاج إلى ثلاثة عوامل: هادٍ ومهديٍّ والشيء المهدى إليه أو الغاية من الهداية، والهداية تحتاج إلى علم وتفكير ورؤية مشتركة (بصرية وقلبية).

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾: كم الخبرية وتفيد الكثير، وكم للسؤال عن العدد.

﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من تفيد ابتداء الغاية، من: تعني من زمن قريب، وفيها تهديد ووعد أشد من قوله: قبلهم بدون إضافة من، (وتحتمل الزمن القريب أو البعيد)، بينما (من قبلهم) للتذكير بإهلاك القريب، فيه تهديد أكبر من التهديد

بإهلاك البعيد (قبلهم)، ولم يقل قبلهم؛ قبلهم: قد تعني الزمن القريب أو البعيد (غير محدد) كما في قوله تعالى: ﴿الْمَيْرَؤُا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾ [يس: ٣١]، ومن قبلهم (القرب) يدل على شدة الإنذار والتخويف.

﴿مِّنَ الْقُرُونِ﴾: جمع قرن والقرن يساوي (١٠٠) عام، وإذا قرن القرن بنبي قد يطول أكثر من (١٠٠) عام مثل قرن نوح دام (١٠٠٠) عام.
أو تعني قوماً عاشوا في زمن واحد.

﴿يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ﴾: أي كفار قريش يمشون في مساكن قوم صالح (مدائن صالح) الحجر أو لوط في فلسطين قرب البحر الميت أو الأحقاف (حضر موت). يمشون: تدل على التجدد والتكرار يمرون عليهم في أسفارهم وتجارتهم حين يذهبون إلى بلاد الشام.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: إن للتوكيد، واللام في كلمة لآيات للتوكيد، ذلك: اسم إشارة واللام للبعد تشير إلى ما حل بالأقوام السابقة من هلاك.

﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾: الهمزة للاستفهام والتوبيخ والتقرير والتعجب، ألا تفيد التنبيه على الاستماع إلى أخبار الأقوام السابقة التي أهلكناها، يسمعون سماع فائدة واتعاظ، واختيار حاسة السمع؛ لأنهم قرون انقضت ولم نعد نراها لذلك لم يقل أفلا يبصرون.

[٢٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا الْأَرْضَ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَّأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: الخطاب ما زال لكفار قريش المكذبين بالبعث أنا قادرون



على إحيائهم وبعثهم من جديد كما يشاهدون كيف نسوق الماء إلى الأرض
الجُرُز، أولم يروا: الهمزة همزة استفهام للتعجب والتقرير، ما: تستعمل في
الأمور الدنيوية أو العقوبات؛ أي: يمكن أن نرى آثارها، بينما (أولم يهد) تستعمل
في أحوال الآخرة أو عقوبات الآخرة من باب التبصر أو البصيرة وليس من باب
الرؤية، والرؤية هنا رؤية بصرية ورؤية تفكر وتبصر (رؤية فكرية) وتعني: أولم
يعلموا.

﴿أَنَا سَوِّقُ الْمَاءَ﴾: أنا للتعظيم، نسوق الماء: أي الرياح تحمل السحاب
والملائكة يسوقون السحاب أو يوجهون السحاب الذي يحمل المطر.
﴿إِلَى﴾: تفيد الغاية.

﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾: أي الأرض قطع نباتها أو تم حصادها، أو أصبحت جُرزاً
بسبب عدم الرّي والماء أو الرعي وهي أرض صالحة للزراعة.
﴿فَخَرَجَ بِهِ زَرْعًا﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، به: بالماء، زرعاً: نباتاً أو حباً
جديداً.

﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾: تأكل منه: من النبات أو الزرع أو الحب
أو التبن أو الورق، أنعامهم: الإبل والبقر والغنم والماعز، وأنفسهم: يأكلون من
الحب والزرع والثمر وغيرها.

﴿أَفَلَا يَبْصُرُونَ﴾: أفلا: الهمزة للاستفهام التقريري والتعجب، أفلا يبصرون:
رؤية بصرية بأعينهم إلى قدرة الله على الخلق والبعث، أفلا يبصرون تلك النعمة
فيهتدون إلى الخالق فيعبدونه ويشكرونه، ويتكرر ويتجدد هذا البصر.

قدّم الأنعام على الزّرع؛ لأنّ الأنعام تحتاجه لتأكل منه فهو قوام حياتها
وقدّم الأنعام على النّاس؛ لأنّ الأنعام هي طعام وقوام حياة النّاس (اللبن واللحم
وغيرها...).

مقارنة أفلا يسمعون وأفلا يبصرون:

أفلا يسمعون: ما يروى لهم ويُقَصّ عليهم من هلاك الظّالمين الذين جاؤوا
من قبلهم أمثال قوم هود وصالح ولوط، وصل إليهم عن طريق السّماع ويرشدتهم
إلى الهداية لعلهم يهتدون ويتعظون ويؤمنون.

أفلا يبصرون: الكلام هنا عن شيء مشاهد بالعين والبصر مثل: السّحاب
والمطر والزّرع والأنعام، فناسبها قوله: أفلا يبصرون ويهتدون إلى قدرة الخالق
وعظمته ويؤمنوا به ويوحّدوه.

[٢٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿وَيَقُولُونَ﴾: كفار قريش ومنكرو البعث، ويتجدد قولهم ويتكرر مرات
كثيرة.

﴿مَتَى﴾: للاستفهام عن الزّمان، واستعمالها يدل على استفهام فيه استبعاد
أو ربما استهزاء وفيه معنى البطء؛ أي: متى سيحدث هذا الأمر أو الفتح المستفهم
عنه فقد تأخر طويلاً.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يفيد القرب.

﴿الْفَتْحُ﴾: له معاني متعدّدة تشمل:



- ١ - الفصل بيننا وبينكم، والقضاء والحكم بين المشركين والمؤمنين.
- ٢ - النصر بدون قتال وحرب مثل فتح مكة وفتح الحديبية.
- ٣ - يوم القيامة يوم يفصل بين المؤمنين وأعدائهم.
- ٤ - غزوة بدر.
- ٥ - النصر بشكل عام.
- ٦ - إظهار الحق ودحر الباطل.

والفتح جاء معرّفاً بأل التعريف؛ يعني: يوم القيامة وهو الأرجح، والفتح قد يكون فتحاً مادياً أو معنوياً، قالوا ذلك ويكررون سؤالهم: متى هذا الفتح؟ إمّا تكذيباً أو استهزاءً به أو بالفصل والحكم وبكل المعاني الأخرى.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: إن: شرطية تفيد الشك أو الاحتمال أو الندرة؛ أي: نشك في كونكم صادقين في إنذاركم أو وعيدكم بالفتح.

[٢٩] ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: قل لكفار مكة ومنكري البعث والحساب ولقاء الله تعالى.

﴿يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ﴾: أي يوم الفتح: يوم القيامة (يوم البعث أو يوم الفصل) لا ينفع الذين كفروا إيمانهم إذا آمنوا حينذاك أو تابوا كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا تَكُنَّ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وإذا كان الفتح يقصد به فتح مكة أو يوم بدر، فكيف يفسر قوله تعالى: (لا

يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ) وقد نفع يوم فتح مكة أو غزوة بدر بعض النَّاسِ وآمنوا بعد ذلك. يمكن القول: أراد بالَّذِينَ كفروا لا يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ؛ أي: المقتولين حال القتل كما حصل لإِيْمَانِ فرعون حين أدركه الغرق لم يَنْفَعَهُ.

﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾: ولا النَّافِيَة، هم للتوكيد، ينظرون: يمهلون أن يتوبون أو يعتذرون أو يؤخر عنهم القتل أو العذاب (عذاب جهنم).

[٣٠] ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَأَنْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾:

﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: الفاء للتوكيد والمباشرة، أعرض عنهم: انصرف عنهم واتركهم في تكذيبهم ولا تجادلهم أكثر من ذلك، عن: تفيد المجاوزة والابتعاد. ﴿وَأَنْتَظِرْ﴾: وعد الله عز وجل بالنصر والغلبة عليهم أو هلاكهم، أو انتظر يوم القيامة أو موتهم.

﴿إِنَّهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿مُنْتَظِرُونَ﴾: بك ريب المنون؛ أي: الموت أو الغلبة عليك، أو القتل أو حادث يمنعك ويكفك عن إتمام دعوتك. (منتظرون): صفة ثابتة لهم؛ أي: منتظرون في كل الأزمنة؛ أي: على الدوام.





سورة الأعراف ٣٣

سورة الأعراف



نصف
الحزب
٤٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ
رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي
جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ النَّسَىٰ تَطْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمّهَتَكُمْ
وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ
يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ أَدْعَوْهُمْ لِأُبَاطِيهِمْ
هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا أَبَاءَهُمْ فَأِخْوَانُكُمْ
فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ
بِهِ ۚ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا
﴿٥﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۚ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ
وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَآئِكُمْ
مَعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

سورة الأحزاب [الآيات ١ - ٦]

ترتيبها في القرآن السّورة (٣٣)، وترتيبها في النزول السّورة (٨٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾: يا أداة نداء للبعد، أيها: الهاء في أيها للتنبيه، النبي: نداء تشريف وتكريم فلم يناده كما نادى نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى، فقال: يا نوح، يا إبراهيم، يا موسى، يا عيسى.

ولم ينادي سبحانه وتعالى نبيه محمد باسمه محمد إلا في أربع آيات لأسباب خاصة، وهي:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَالَّذِينَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَشَدُّ شَرًّا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿وَأَمَّا مُحَمَّدٌ فَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: ٢].

وورد اسم أحمد في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الرَّسُولَ بِأَنْ يَأْتِيَهُ مِنَ بَعْدِ

أَسْمُهُ أَهْمٌ﴾ [الصف: ٦].

وليس في هذه الآيات الأربع نداء أو خطاب إلى رسول الله ﷺ، وإنما إخبار عن شأن من شؤونهم ﷺ.

ففي كافة القرآن لم ينادِ الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ إلا بقوله: يا أيها النبي، أو يا أيها الرسول تشریفاً له.

وفي سياق الرسالة والدعوة والتبليغ يخاطبه أو يناديه: يا أيها الرسول كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وفي سياق الجانب الشخصي أو الفردي أو الاجتماعي يخاطبه أو يناديه يا أيها النبي ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ﴾ [الأحزاب: ٢٨]، وكقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ [الأنفال: ٧٠].

ولنعلم أنه حين ينادي أو يخاطب الله تعالى رسوله ﷺ؛ المقصود بالنداء والخطاب هو أمته؛ لأنه ﷺ هو قائد ورسول هذه الأمة وقودتها.

واعلم أن كل رسول هو نبي، وليس كل نبي رسولاً.

﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾: تعريف التقوى بشكل عام أن تتقي سخط الله وغضبه وناره، بأن تجعل بينك وبينه وقاية، أي: حاجزاً يمنع عنك سخطه وغضبه وناره ويتم ذلك بامثال وإطاعة أوامره وتجنب نواهيه. والسؤال: كيف يأمر الله عز وجل رسوله بالتقوى وهو سيد المتقين؟

وقوله: اتق الله؛ أي: استقم على تقوى الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [مرد: ١١٢]، والتقوى بالنسبة للرسول غير التقوى بالنسبة لسائر الخلق، أو كما قلنا: الخطاب إلى الرسول والمراد به أمته.

تقوى تناسب مقام المخاطب ولا يعني اتق الله، أن رسول الله ﷺ يعصي ربه فيأمره بالتقوى، ومن المفسرين من فسر اتق الله بقضية تبني زيد، أي: ادع زيدا لأبيه وهو ليس ابنك وأنت لست أبا أحد من الرجال، كما سنرى في الآيات (٤-٥).

﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾: حين سأله أن يطرد الذين يدعون ربهم أي: يطرد أتباعه من ضعفاء المسلمين حتى يجلسوا ويستمعوا إليه. أو نزلت في أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور السلمي حين قدموا إلى المدينة، وسألوا رسول الله ﷺ أن يرفض ذكر اللات والعزى ومناة، ويقول: إن لها شفاعة فشق على النبي قولهم. (رواه الواحدي في أسباب النزول).

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: إن للتوكيد، كان تشمل كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، كان ولا زال وسيظل عليمًا حكيمًا. عليمًا: صيغة مبالغة تعني: كثير العلم أحاط علمه سبحانه بجميع خلقه وكونه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وعليم بما يقال في السر والعلن وعليم بنوايا عباده. حكيمًا: أحكم الحكماء، وأحكم الحاكمين، حكيم في تدبير خلقه وكونه وشرعه، حكمته مقرونة بالعلم والقدرة والخبرة.

[٢] ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾:

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: واتبع ما: بمعنى الذي يوحى إليك من



ربك، وما: أوسع شمولاً من الذي؛ أي: القرآن. ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان في معنى يوحى إليك.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾: الباء للإلصاق والدوام دائم العلم بما تعملون، خيراً: أي: يعلم بواطن الأمور وخفاياها، ومن يعلم ذلك من البديهي أن يعلم ظواهرها. صيغة مبالغة من الخبرة.

وقدّم العمل (بما تعملون) على (خيراً)؛ لأنّ السّياق في التّقوى والطّاعة والعمل واتباع الوحي.

[٣] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: أي: رُدّ أمرك إلى القائم بتدبير خلقه وتدبير كلّ الأمور راجياً عونَه وتيسيره وتوفيقه للوصول إلى الغاية بعد اتخاذ كلّ الأسباب المطلوبة. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٩) لمزيد من البيان في التوكل.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: أي: يكفي أو حسبك بالله: الباء للتوكيد، حافظاً ومدبراً ومعيناً.

[٤] ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ النَّسَى تَطْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾:

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾: ما النّافية، جعل: خلق الله، لرجل: اللام لام الاختصاص والتّعليل، من قلبين في جوفه: من استغراقية وليّان الجنس،

والجعل يكون بعد الخلق أي: لم يجعل الله لأحد قلبين في صدره، وهذه حقيقة علمية، وهناك الكثير من التشوهات الخلقية تحدث في القلب، ولكن لم يُعثر على أحد خلق وله قلبان.

وذكر بعض المفسرين أن هذه نزلت في بعض الأفراد من بني فهر أو بني جمح من قريش يُضرب بهم المثل في الحفظ والذاكرة أو الدهاء.

وقيل: ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه هو مثل ضربه الله للذي يُظاهر امرأته والمتبني ولد غيره، أي: كما لم يجعل الله لرجل قلبين في جوفه لم يجعل زوجة لرجل أمأله، ولم يجعل أي ابن بالتبني ابناً حقيقياً للأب المتبني، ولذلك قال تعالى: ادعوهم لأبائهم فقط.

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾: فقد كان شائعاً عند العرب وقريش زمن الجاهلية عادة اجتماعية تسمى الظَّهَار، فحين يحدث بين الرجل وزوجته نشوز أو كره كان يقول لها: أنت كظهر أمي، أي: أنت علي محرمة كحرمة أمي فتصبح عليه محرمة إلى الأبد (تشبه الطلاق)، فلما جاء الإسلام جعل لها كفارة ولم يعتبرها طلاقاً؛ لأنَّ الزَّوجة ليست أمأله كما ادَّعى، وحدد هذه الكفارة إما بعق رقبة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحَرِّرْ رَقَبَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكُمْ تُوَعُّظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ۖ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِينَ مَسْكِينًا ۚ ذَلِكَ لِمَنْ تَوَضَّعُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿[المجادلة: ٣-٤].

واستعمل كلمة اللائي هنا بدلاً من اللاتي؛ لأنّ اللائي بالهمزة أثقل من التاء في اللاتي، واللائي يستعملها فقط في آيات الطّلاق، والظّهار فهو يستعمل أثقل الحروف مع أثقل الحالات وهي الطّلاق والظّهار، وكلمة اللائي مشتقة من اللَّأْي، أي: الاحتباس والشّدة، وهذا ما يناسب حالتي الطّلاق والظّهار اللتين في معناهما حبس النفس والشّدة.

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾: وظاهرة أخرى كانت شائعة في الجاهلية وفي مطلع الإسلام هي التّبني، وأجمع أهل التّفسير على أنّ هذه الآية نزلت في زيد بن حارثة، وروى الأئمة أنّ ابن عمر قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمّد حتّى نزلت ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ رواه البخاري، ورواه الواحدي في أسباب النزول.

الدّعي: هو الذي تدعي أنّه ابن لك بالتّبني، فأراد الله سبحانه أن يبطل ذلك فأنزل هذه الآية، ودعا الله سبحانه رسوله ﷺ والصّحابة وعامة المسلمين أن لا يدعوا أَدْعِيَاءَهُمْ أَبْنَاءَهُمْ، وأن يدعوهم لِأَبَائِهِمْ، وأظهر الله سبحانه أن:

﴿ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾: ذلكم اسم إشارة واللام للبعد والكاف للخطاب، ذلكم تشير إلى الادّعاءات الثلاثة: أن رجلاً له قلبان في جوفه، وأزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمّهاتكم، وأدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ هي مجرّد أقوال باطلة لا حقيقة لها، وما يقوله الله سبحانه هو الحق بعينه، أي: حق اليقين.

ذلكم: ولم يقل ذلك؛ لأنّها تشمل عدة أمور، وليس أمراً واحداً ولأنّها أمور بالغة الأهمية.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾: أي: الصدق والحق هو الأمر أو القول الثابت الذي لا يتغير أو لا يكون غيره.

﴿وَهُوَ﴾: هو ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿يَهْدِي السَّبِيلَ﴾: أي: ادعوهم لأبائهم ولا تدعوا أزواجكم أمهاتكم ذلك هو السبيل: الإسلام الصحيح.

[٥] ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾:

﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾: انسبواهم لأبائهم الذين ولدوهم فلان بن فلان أو هو ابن فلان، لا تقولوا: زيد بن محمد ﷺ قولوا: زيد بن حارثة، لأبائهم: اللام لام التعليل والتوكيد والاختصاص.

﴿هُوَ﴾: ضمير للتوكيد.

﴿أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: على وزن أفعل التفضيل نقول: هذا أقسط وهذا أقسط مثل عدل وأعدل، أي: ما يرشدكم الله سبحانه إليه أقسط وأعدل ولماذا قال تعالى: أقسط وأعدل؟ أقسط من ماذا؟

ما اختاره رسول الله ﷺ حين نسب زيد إليه بقوله: زيد بن محمد يُعَدُّ قِسْطًا وعدلاً بشرياً، ولكن الله سبحانه يبين لنا الأقسط (الأفضل والأعدل) من ذلك بأن ندعوهم لأبائهم، ونقول: زيد بن حارثة.

والفرق بين القسط والعدل: القسط هو العدل البين الظاهر، ولذلك سُمِّيَ



المكيال قسطاً؛ لأنه بيّن، والقسط يعني أيضاً تطبيق العدل وليس فقط الحكم بالعدل، ولا بُدَّ من تطبيق الحكم بالعدل ليدعى قسطاً.

﴿فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، إن شرطية تفيد الشك أو الاحتمال، أي: في حالة احتمال لم يتبيّن لكم من هم آبائهم الذين ولدوهم، ولم للنفي نفي الحال.

﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾: أي: هذا أخي كذا وكذا، هذا أخي زيد ولا تقولوا: هذا ابني زيد على شرط أنهم أسلموا.

والأخوة في الدين: هي الأخوة الحقيقية، وتعتبر أهم وأقوى من أخوة الدّم والتّسب.

﴿وَمَوْلَاكُمْ﴾: أنصاركم (الخدم) ادعوهم بالقول: يا ابن العم وإن كانوا عتقاء محرّرين نادوهم: يا أخي أو يا مولاي.

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾: وليس للنفي أي: ليس عليكم جناح: أي: الإثم أو الذنب، والجناح: أعم من الإثم والذنب ويقتضي العقاب فيما أخطأتم به، في ظرفية، ما: اسم موصول بمعنى الذي أخطأتم به قبل النهي أو نزول هذه الآية أو أخطأ باللسان من دون قصد ظناً أنّه ابنه، وليس عليكم جناح ولم يقل: ولا جناح عليكم: لا جناح أشد وأقوى من قوله ليس عليكم جناح؛ لأنّ لا جناح عليكم جملة اسمية، وليس عليكم جناح جملة فعلية والجملة الاسمية أقوى وأثبت من الفعلية، ولذلك لا جناح عليكم: تأتي في سياق الأمور الهامة، أو الأوامر مثل: العبادات، والحقوق الزوجية، والعقيدة، وتستعمل ليس عليكم: في القضايا أو الأمور الأقل أهمية، والنادرة كما في هذه الآية.

﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: أي: بعد النهي: لكن استدراك يفيد التوكيد، ما تعمدت قلوبكم: أي: التعمد والقصد في مخالفة أوامر الله بعد نزول الحكم عندها يكون عليكم جناح أي: إثم. ارجع إلى سورة النساء آية (١٠١) لبيان معنى جناح.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: كان تشمل كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، غفوراً: صيغة مبالغة، غفوراً لمن تاب وأصلح ورجع عن خطئه، رحيماً: صيغة مبالغة، لم يعجل بالعقوبة لمن عصى وأخطأ لعله يتوب وبعد أن يتوب يقبل توبته ويغفر له. يغفر الذنوب جميعاً إلا الكفر والشرك به.

[٦] ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: أولى: أحق، ولهذه الآية عدة معانٍ، منها:

١ - إذا دعاهم الرسول إلى شيء مثل الخروج في سبيل الله ودعتهم أنفسهم إلى شيء آخر كانت طاعته أولى (أحق) من طاعة أنفسهم، أي: إذا تعارض مراد الرسول مع مراد أحد من الناس أن يقدم مراد الرسول كائناً من كان، وأن يفدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، أي: الرسول أولاً وأنفسهم ثانياً.

٢ - أي: له الحق أن يحكم فيهم بما يشاء أو يقضي بينهم بما يشاء، أي: حق النبي من أعظم الحقوق.



٣ - أولى بالمؤمنين، أي: أرق وأرحم بهم وأعطف عليهم من أنفسهم؛ لأنّ أنفسهم قد تدعوهم إلى الهلاك والنّبي يدعوهم عادة إلى النّجاة؛ لأنّه بالمؤمنين رؤوف رحيم.

٤ - إذا مات المسلم دون أن يؤدّي ما عليه من الدّين كان ﷺ يتحمل الدّين عمن يموت ويؤدّي عنه دينه.

﴿وَأَزْوَاجَهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾: تشبيهه بليغ، أي: مثل أمهاتهم في الاحترام والتّعظيم وحرمة النّكاح، والأم: تعني الوالدة.

فلا يحل لأحد من الخلق أن يتزوج بواحدة من أمّهات المؤمنين (زوجات الرّسول ﷺ) كما لا يحل له أن يتزوج بأمّه.

يجب تعظيمهنّ واحترامهنّ وعدم الطّعن بأي واحدة منهنّ احتراماً للنّبي ﷺ سواء مات عنها النّبي أو لم يمّت.

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾: الأقارب.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾: أولى بميراث بعضهم بعضاً في حق الإرث.

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: في شرع الله أو في القرآن الكريم أو اللوح المحفوظ.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾: بالمؤاخاة أو بالمهاجرة، فالمؤاخاة والمهاجرة لا تعطي حق الإرث للمسلم، كما كان في مطلع الإسلام، إذن الأقارب أحق بالإرث من المؤمنين المهاجرين بالحلف أو المؤاخاة والمهاجرة، فما حدث أنّ المهاجرين لما هاجروا من مكة إلى المدينة تركوا أموالهم وأهلهم وديارهم ولم يشأ الأنصار أن يتركوهم من دون مساعدة أو مال، فكانوا من شدة

إيثارهم لإخوانهم يقدمون لهم نصف أموالهم وممتلكاتهم، وحين ألف وأخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار اقتضت هذه المؤاخاة أن يرث المهاجر أخاه الأنصاري، فلما أعز الله الإسلام والمسلمين وأوجد له طرق العيش أراد الحق سبحانه أن تعود الأمور إلى طبيعتها، ولم يعد هناك ضرورة؛ لأن يرث المهاجر أخاه الأنصاري، فجاءت هذه الآية فقالت: وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض.

﴿لَا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيَّ أَوْلِيَاءَ بِكُمْ مَعْرُوفًا﴾: إلا أداة استثناء، أن تفعلوا: أن تعليلية، تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً: هنا ترك الله سبحانه باب الإحسان مفتوحاً، فقال: أيها الأنصار أو المؤمنین عامة إذا أردتم أن تحسنوا إلى إخوانكم المؤمنين أو المهاجرين بالوصية، فذلك جائز ومسطور في اللوح المحفوظ، أي: مكتوب، والقريب أولى بالوصية من الأجنبي إذا كان القريب لا يرث، وهذا يعرف باسم الولاية بالدين.

﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾: ذلك اسم إشارة على ما ذكر من حق الوراثة والإحسان إلى الإخوان المؤمنين في الدين مكتوباً ومسطوراً في اللوح المحفوظ أو في القرآن الكريم، ومسطوراً: لا يحل تبديله أو تغييره.





سورة الأعراف ٣٣

الجزء الثاني من القرآن

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾
لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
﴿٨﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
زُلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ
مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ
مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا
فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ
لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا
اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ إِلَّا دَبْرًا وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾



سورة الأحزاب [الآيات ٧ - ١٥]

[٧] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾: أي: واذكر إذ أخذنا، أو إذ ظرفية واذكر حين أخذنا، أخذنا: بصيغة الجمع: للتعظيم.

﴿مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾: من ابتدائية واستغرافية، ميثاقهم: الميثاق عهد موثق أو مؤكد باليمين وأوثق الشيء أحكم شدة، ويتم بين اثنين، وهنا تم بين الله سبحانه من طرف وبين النبيين من طرف ثانٍ، ولم يقل: الميثاق، وإنما نسب الميثاق لهم فقال: ميثاقهم؛ لأنّه مهم بالنسبة لهم؛ لأنّ عليهم الالتزام به وتنفيذه وأن يكونوا للناس قدوة.

ما هو الميثاق الذي أخذه الله من النبيين: هو أن يعبدوا الله تعالى وحده ويدعوا إلى توحيده (لا إله إلا الله) وإلى عبادته وإقامة دينه ويبلغوا رسالته، وقيل: هو أن يصدق بعضهم بعضاً وينصر بعضهم بعضاً، كما ورد في الآية (٨١) من سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾، ولم يكن هناك رسول واحد عرضت عليه الرسالة أو الميثاق فرفضها.



والسؤال متى أخذ الله هذا الميثاق من النبيين؟

١ - قيل: حين خرجوا من ظهر آدم كالذر، كما ورد في سورة الأعراف الآية (١٧٢): ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

٢ - وقيل حين اصطفى الله سبحانه رسله وأنبياءه من البشر ليكونوا رسلاً وأنبياءً ويبلغوا رسالته وشرعه، فكانت المسألة مسألة إيجاب وقبول.

﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾: الواو واو الجمع المطلق: أي: أخذنا من هؤلاء ومن غيرهم من الرسل، وهنا عطف الخاص على العام من النبيين (العام) ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم (الخاص)، أي: عطف الخاص على العام للتأكيد على أهمية هؤلاء الرسل الخمسة الذين اختارهم من بين الرسل وسماهم أولو العزم من الرسل.

وقدّم نبينا محمد ﷺ تشريفاً وإكراماً له على بقية الرسل ولفضله عليهم وأنه للناس كافة، ثم ذكر نوحاً ﷺ ولم يذكر آدم ﷺ الأب الأول، وذكر هؤلاء الرسل؛ لأنهم أصحاب الكتب والشرائع ولفضلهم على بقية الرسل والأنبياء فنوح هو أبو البشر وإبراهيم أبو الأنبياء ومحمد ﷺ للناس كافة بشيراً ونذيراً ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾: وأخذنا التكرار للتأكيد، ميثاقاً غليظاً: وهو الميثاق نفسه الذي ذكر سابقاً وغليظاً يدل على اليمين أو القسم المؤكد على الوفاء بما حُمِلوا.

[٨] ﴿لَيْسَ لِلصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

﴿لَيْسَ لَ﴾: اللام لام التعليل.

﴿الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾: أي: الرسل والأنبياء، وهذا السؤال سيكون يوم

القيامة، وسؤالهم هذا لا يقصد به الشك في صدقهم أو عدم تبليغهم ما أرسلوا به، وإنما هو ليقيم الحجة على الصادقين وعلى الذين كذبوا رسلهم.

وما هو السؤال الذي سيسألونه هو: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]، أي: هل بلغتم ما أرسلتم به، فيؤتى بالرَّسُولِ ﷺ وبالرَّسُلِ وأولو العلم كما قال تعالى؛ ليشهدوا على الذين كذبوا رسلهم ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، ﴿وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨]، ليشهدوا على المؤمنين الذين آمنوا برسلهم، وعلى الكافرين الذين كذبوا رسلهم، وإذا قارنا هذه الآية ﴿لَيْسَ لَاصِدِّقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ مع الآية (٢٤) من نفس السورة، وهي قوله تعالى: ﴿لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ نجد ليس بينهما صلة، فالأولى: تتعلق بالسؤال، والثانية: تتعلق بالجزاء، والأولى: جاءت في سياق الكافرين، والثانية: جاءت في سياق المنافقين؛ ارجع إلى كلا الآيتين لمزيد من البيان.

[٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نداء جديد للذين آمنوا بالذكير بنعمة جديدة وهي ما حدث ليلة الأحزاب في السنة الخامسة للهجرة.

﴿أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾: إذ ظرفية فجائية، (في غزوة الخندق وتسمى غزوة الأحزاب)، أي: اشكروا واحمدوا ربكم، إذ جاءتكم وأنتم على ظهر جبل سُلُع، جنود المشركين من قريش بقيادة أبي سفيان وجنود من بني أسد وغطفان وعامر وسليم والنضير وبني قريظة، وقيل: كان عددهم حوالي (١٠ آلاف) مقاتل، وكان عدد جيش المؤمنين (٣ آلاف) مقاتل.



﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾: الريح في القرآن تحمل الشر بينما الرياح تحمل الخير، أي: ريحاً شديدة قوية اقتلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم وأكفأت قدورهم وأذاعت الذعر فيهم.

﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾: أي: الملائكة الذين اقتلعوا أوتادهم وأكفؤوا قدورهم ودبوا الهلع والرعب في جنود المشركين؛ مما اضطرهم إلى الهرب والانسحاب من أرض المعركة بسرعة ومن دون قتال.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾: كان ولا زال وسيظل في المستقبل بما تعملون بصيراً، الباء للإصاق والإلزام، ما اسم موصول بمعنى الذي وقد تكون مصدرية، بما تعملون بصيراً: قَدَمَ العمل على (بصيراً) لأنَّ السَّيَاق في العمل، وتعملون: تضم الأقوال والأفعال، أي: من حفر الخندق والاستعداد للمعركة.

[١٠] ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرفية فجائية، أي: واذكر إذ، أو اذكروا حين.

﴿جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾: من ناحية الشرق من أعلى الوادي وهم غطفان وبنو قريظة وبنو النضير، بقيادة عيينة بن حصن من فوقكم: أي: كأن جيش المشركين هبط على المؤمنين من فوقهم مباشرة.

﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: من أسفل الوادي من ناحية الغرب وهم قريش وكنانة. وأسفل: جاءت منصوبة؛ لأنها ممنوعة من الصرف، وقوله من فوقكم ومن أسفل منكم: لكي يحاصروكم فلا تستطيعوا الفرار، ولم يقل من تحتكم لعدم وجود فاصل يفصل بين الطرفين.

﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾: واذكر إذ زَاغَتِ الأبصار: زاغ البصر مال يمنة

ويسرة، أي: اضطرب من شدة الفزع، وقيل: زاغت الأبصار لم تعد تنظر إلا إلى عدوها لشدة الخوف والرّوع، أو لم تعد تتحرك في الاتجاهات الطبيعية لحركات العين أو محاورها العادية.

﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾: اضطربت القلوب من شدة الفزع حتى أصبحت ضربات القلب كأنّها تخرج أو صادرة عن الحناجر، أي: كأنّ القلوب تحركت وارتفعت إلى أن وصلت الحناجر من شدة النبض القوي الذي يصل إلى الحناجر، وما يسمّى النبض القافر.

﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا﴾: أي: تظنون بالله الظنون المختلفة والكثيرة، الخطاب موجّه للمؤمنين، كلّ حسب ظنه، حسب إيمانه، ظنون مختلفة منكم قوي الإيمان وضعيف الإيمان والمنافق، قوي الإيمان يظن أنّ الله سينصر رسوله والمؤمنين، وضعيف الإيمان يظن أنّ المشركين سيتصرون ويدحرون المؤمنين، وبما أنّ هذه الظنون كثيرة لا حصر لها أطلق كلمة الظنون بدلاً من الظنون؛ لتدل على كثرتها وعدم حصرها، وقال: الظنون جاء بآل التعريف لكونها كثيرة فهي معلومة عند الله وعند الصحابة، فهي معارف؛ لأنّها تدور حول النصر والغلبة، وزيادة الألف زيادة في المبنى، أي: تشير إلى زيادة في المعنى.

[١١] ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾:

﴿هُنَالِكَ﴾: اسم إشارة للمكان البعيد أي: في غزوة الخندق، ولم يقل: هناك اسم إشارة للمكان المتوسط.

﴿ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: بالخوف والجوع وشدة الحصار، ابتلي المؤمنون ليتبين الذين صدقوا في إيمانهم والكاذبين.

﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾: زلزلوا: كلمة مركبة من زل زل، وزل ومعناها سقط



أو وقع من مكانه، وزل الثانية تعني نفس ذلك، أي: سقط أو وقع من مكانه مرة أخرى، فهناك وقوع أول ووقوع ثانٍ، والوقوع الثاني ليس استمراراً للوقوع الأول وإنما هو وقوع جديد.

﴿وَزَلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾: تعني: إصابتهم بالمصائب الكبرى المتكررة والواحدة بعد الأخرى، وهي لا تتكرر على نمط واحد، وإنما يتكرر عددها أصيبوا بكثير من عوامل الزلزلة، ومنها الخوف والذعر من قوة العدو (١٠) آلاف مقابل (٣) آلاف من المسلمين، أي: قلة عددهم وأصيبوا بالمجاعة والبرد الشديد، وما أظهره المنافقون من تخاذل، ونقض بني قريظة عهدهم مع الرسول ﷺ وانضموا إلى الأحزاب.

[١٢] ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾:

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾: ظرفية فجائية، أي: واذكر إذ يقول المنافقون أو اذكر حين قال المنافقون. جمع منافق وهو الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر، أو من لا يوافق قلبه لسانه.

يقول: بصيغة المضارع لتدل على تجدد وتكرر قولهم، ولم يقل: وقال المنافقون والذين في قلوبهم مرض.

﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: الريبة أو الشك.

﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: ما النافية، وعدنا الله ورسوله، بالنصر أو الفتح أو الغلبة على المشركين.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿غُرُورًا﴾: إلا باطلاً أو وهماً لا صحة له، والغرور إيهام الآخر على فعل

شيء يضره إذا فعله مع حجب وجه الصواب عنه، والغرور قد يؤدي إلى هلاك المال والنفس والغرور قد يسمى خداعاً والخدع يسمى غروراً على التوسع.

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَتَأَهَّلِ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾:

﴿وَإِذْ﴾: واذكر إذ قالت طائفة منهم، أو اذكر حين قالت طائفة منهم.

﴿قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾: قالت طائفة: جماعة (قيل: هم بنو حارثة).

والطائفة: يطوفون أو يجتمعون على عقيدة واحدة خير أو شر، وتعني: التعصب والولاء لجماعة معينة.

﴿يَتَأَهَّلِ يَثْرِبَ﴾: يا أهل المدينة (المدينة المنورة كانت تسمى يثرب قديماً) وسماها رسول الله طيبة أيضاً.

﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾: أي: لا إقامة ولا مكان لكم (خاصة) هاهنا في سفح جبل سلع عند الخندق، والمقام بضم الميم مكان الجلوس والإقامة والسكن والبقاء، والمقام بفتح الميم مكان القيام الوقوف مثل المكان الذي وقف عليه إبراهيم بيني الكعبة.

فارجعوا: الفاء للمباشرة الآن ارجعوا: إلى المدينة ارجعوا إلى منازلكم واتركوا محمداً وأتباعه في جبل سلع.

﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾: في الرجوع إلى بيوتهم.

﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾: بحجة أن بيوتنا: إن للتوكيد، عورة: غير حصينة أمام العدو، ذهب عنها الستر أو ليس لها حائط عال، أو محصنة أو خالية من الرجال؛ لأنهم ستر لها ويحفظونها عورة، يعني: لا تمنع من أرادها بسوء.



﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾: ما النّافية، هي بعورة: هذا ردُّ الله عليهم، بل هي حصينة والعلة أو السبب الحقيقي هو.

﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾: إن تفسيرية تعليلية، إلا: أداة حصر، فراراً: الفرار: هو الهرب بسرعة مع الخوف، وبدون محاولة التستر، والهرب: هو الجري بسرعة مع الخوف ومحاولة التستر؛ أي: بالخفاء من القتال مخافة القتل أو الهزيمة.

[١٤] ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوَاهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا﴾: ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ﴾: ولو: شرطية، دخلت عليهم: أن لو أن الأحزاب (قريش) دخلوا المدينة المنورة.

﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾: من جميع الجوانب أو نواحي المدينة من الشرق أو الغرب أو الشمال أو الجنوب، ولو دخل عليهم العدو الغازي المدينة من جميع أقطارها، واستولوا عليها.

﴿ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ﴾: طُلب من هؤلاء الذين يقولون: إن بيوتنا عورة الردّة أو العودة إلى الشّرك، أو مقاتلة المسلمين، ثم: للترتيب الذّكري، وليس الزّمني.

﴿لَآتَوَاهَا﴾: لبادروا في التّخلي عنها وتركها وإعطاء الدّيار للعدو.

﴿وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا﴾: أي: لأعطوهم ما طلبوا وأسرعوا في الإجابة، وما تلبثوا: ما أقاموا فيها إلا الزّمن اليسير، إذن قولهم: عورة، مجرّد حُجّة باطلة.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُؤَلَّفُ أَلَا ذُبْنَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾: قيل: من قبل غزوة الخندق، وكان ذلك يوم غزوة أحد، أو بعد بدر الكبرى قالوا ذلك (أي: من فاتهم بدر): والله لئن شهدنا

قتالاً لنقاتلنَّ معك، وقيل: كان ذلك في بيعة العقبة حين عاهدوا الرسول على النصر والمؤازرة.

﴿لَا يُؤْلَوْنَ أَلَا دُبُرَ﴾: لا النّافية، والنّون في يولون للتوكيد أيضاً.

لا ينهزمون من أرض المعركة، وكنى عن الفرار والانهزام بتولي الأدبار؛ لأنّ المنهزم الفارّ يولي دبره، ولم يقل: ظهره للتوبيخ والتّبكيت الشديد.

﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾: العهد هو وعد مع شرط، أي: مطلوباً من صاحبه بالوفاء ومحاسب على تركه فهم نقضوا عهدهم حين سألوا رسول الله بالاذن لهم بالرجوع إلى بيوتهم بحُجّة أنّ بيوتهم عورة وما هي بعورة.





سورة الأحزاب ٣٣

الحزب ٣٣



قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا
لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ
أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ
لَاخُونَهُمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشْحَاةٌ
عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ
بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَاةٌ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ
اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ
لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ
فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ
مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

سورة الأحزاب [الآيات ١٦ - ٢٢]

[١٦] ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْعَوْنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ.

﴿لَنْ﴾: حرف نفى لنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿يَنْفَعُكُمُ الْفِرَارُ﴾: هو الجري بسرعة مع الخوف وعدم محاولة التستر أو اللواذ بشيء ما. أمّا الهرب فهو الجري بسرعة مع محاولة الخفاء والتستر.

﴿إِنْ فَرَرْتُمْ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال أو الشك في أمر الفرار، ولم يقل: إذا فررتم التي تفيد حتمية الفرار أو بكثرة.

﴿مِنَ الْمَوْتِ﴾: من ابتدائية، الموت العادي، كما قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ أَمَوتَ الَّذِي يَقْرُؤُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾: [الجمعة: ٨].

﴿أَوِ الْقَتْلِ﴾: القتل يؤدي إلى الموت، ولكن في القتل يموت البدن أولاً بسبب القتل مما يلزم ويجبر الروح أن تخرج من البدن الذي أصبح غير صالحاً لبقاء الروح فيه. وأمّا في الموت العادي فتخرج الروح أولاً وبعد خروجها يموت البدن.

﴿وَإِذَا﴾: حرف جواب.

﴿لَا تُنْعَوْنَ﴾: في الحياة أو بالعيش والبقاء إلا قليلاً.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: إلا أداة حصر، أي: زمناً قليلاً بعد الفرار وتموتون وذلك بانقضاء آجالكم.



ولا تمتعون إلا قليلاً: جواب شرط، أي: إن نفعكم الفرار ظاهراً أو كما
تظنون فالفرار لا يزيد في آجالكم والقتل لا ينقص منها شيئاً.

[١٧] ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾:

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله ﷺ.

﴿مَنْ﴾: استفهام تقريرى وتخص العاقل وتشمل المفرد أو الجمع.

﴿ذَا﴾: اسم إشارة يفيد القريب.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التوكيد.

انتبه: كيف جاءت هذه الآية على صورة الاستفهام ولم تأت على صورة
الخبر مثل قوله: قل لا يعصمكم من الله أحد إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم
رحمة؛ لأن الجملة الاستفهامية يقصد بها التوكيد وإن يقرأوا بأنفسهم أي: استفهام
تقريرى والله سبحانه يعلم جوابهم منذ الأزل. وليعلموا أن لا أحد يقدر على أن
يعصمهم من الله لا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾: يجيركم أو يمنعكم، أو يحفظكم أو يحميكم من الله
سبحانه.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية.

﴿إِنْ أَرَادَ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والندرة.

﴿أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾: بكم خاصة سوءاً: كالهلاك والهزيمة والعذاب، أو القتل

أو الضرر والفقر والمرض (السَّوء يعني كل ما يسيء إلى النفس) أي: تكرهه النفس.

﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾: أو للتفصيل، أراد بكم رحمة: نصر غني سلامة والسَّوء أو الرَّحمة جاء بصيغة نكرة ليشملا كل أنواع السَّوء أو الرَّحمة.

﴿وَلَا يَجِدُونَ﴾: النَّون للتوكيد بدلاً من ولا يجدوا: أي: الفارون من أرض المعركة.

﴿لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾: لهم اللام لام الاختصاص من غير الله أو سواه.

﴿وَلِيًّا﴾: القريب المعين المحب القادر على جلب النَّفع لهم.

﴿وَلَا نَصِيرًا﴾: تكرار لا تفيد توكيد النفي، لا ولي لوحده ولا نصير لوحده ولا كلاهما، نصيراً: القادر على نصرهم ودفع السَّوء عنهم.

[١٨] ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق وتوكيد، أي: يعلم الله سبحانه بكل توكيد المعوقين منكم.

﴿يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ﴾: يعلم بصيغة المضارع فالله سبحانه يعلم ما يفعله المعوقين. المعوقين: جمع معوق من عاق يعوقه أي: صرفه عن الوجه الذي يريده، أو المعوق الشخص الذي يضع العوائق أمام شخص آخر كي يشبطه أو يخذله عن تحقيق ما يصبو إليه وقيل: المعوق المشبط.

فقد كان هناك جماعة أو طائفة من المنافقين يشبطون ويضعون العوائق أمام كل من أراد نصرة رسول الله ﷺ، أو الدخول في الإسلام أو أراد القتال معه أو الانضمام إلى صفه.



﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾: القائِلين لإخوانهم من ساكني المدينة: هلمَّ إلينا أقبِلوا إلينا كونوا معنا ولا تسمعوا له، ارجعوا إلينا ودعوا محمداً ولا تخرجوا معه إلى القتال، فإننا نخاف عليكم الهلاك والقتل والهزيمة والأسر.

﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: تعود على المعوقين، البأس: الحرب والقتال، أي: هم أنفسهم لا يحضرون القتال في سبيل الله، إلا: أداة حصر، قليلاً: أي: نادراً، ويحضرون فقط للسمعة والرياء وليس للقتال في سبيل الله، أي: هم لا يقاتلون في سبيل الله ولا يريدون من الآخرين أن يقاتلوا في سبيل الله أيضاً.

[١٩] ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾:

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾: أشحة: من الشح: وهو الحرص على تحصيل ما ليس عنده، والبخل: الامتناع من الإنفاق منه بعد الحصول عليه، وقيل: الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً، كما قال ابن مسعود، وقيل: الشح أكثر ما يكون في النفس؛ أي: مجبول على الشح، وقيل: الشحيح هو الذي يبخل على الغير، وقد يكون كريماً على نفسه وأهله، أمّا البخيل فهو الذي يبخل على نفسه وعلى الغير.

فلذلك قال تعالى: أشحة عليكم وليس على أنفسهم، أي: لا يقدمون لكم أية معونة أو لا ينفقون على الفقراء أو الجهاد في سبيل الله أو لا ينفقون في سبيل الله عامة، ولا يقدمون لكم يد العون في حفر الخندق.

﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾: الفاء للتوكيد أو المباشرة، الخوف: الحرب أو القتال والفرع واختار جاء لتدل على الشدة والصعوبة، ولم يقل: أتى الخوف.

﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾: ونسَمِّي هذا في عالم الطَّب بـ منعكس عيني الدُّمِية الَّذي يراه أطباء العصبية حين يشارف المريض على الموت إذا أدّرت رأسه إلى اليسار ترى عينه تتجه إلى اليمين أو بالعكس: تدور أعينهم كما تدور عينا الَّذي دنا من الموت يمّنة أو يسرة؛ دليلاً على قرب موت الدِّماغ.

﴿كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾: أي: اقترب أجله وليس هناك أملٌ في شفائه، ودوران العين يعني: عدم ثباتها واستقرارها.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾: أي: انتهت الحرب أو انتهى القتال وأصابكم من الغنيمة شيء.

﴿سَلَقَوْكُمْ بِالْسِّنَةِ حَدَادٍ﴾: سلقوكم: خاطبوكم أشد مخاطبة والسلق يعني الضرب. ألسنة حداد: على وزن فعال جمع حاد بمعنى القاطع كحد السيف القاطع.

وسلقوكم بألسنة حداد: أي: آذوكم بالكلام أو الغيبة والتّهمة والسّب للمطالبة بقسم من الغنيمة، أو لما لا تعطونهم أكثر مما تعطونهم أو بأنهم سبب النّصر والفوز الَّذي أصابكم أو بأنهم فعلوا كذا وكذا وقدّموا لكم العون، وكل ذلك كذب وافتراء.

﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾: أي: بخلاء على الغير في كلّ عمل خير حتّى بالقول، وكيف بالفعل أو عندما يتولّون تقسيم الغنائم بأيديهم يصبحون بخلاء أشحاء لا يعطون غيرهم شيئاً من الغنائم أو المال (الخير).

﴿أُولَئِكَ لَمْ يُولُوا﴾: أولئك اسم إشارة تدل على التّحقير، لم يؤمنوا: نفى



عنهم الإيمان الصحيح وإن أظهروا أنهم مؤمنون؛ لأنهم منافقون، أولئك لم يؤمنوا حقيقةً، بل هم منافقون.

﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، أحبط الله أعمالهم: أبطل الله ثواب أعمالهم الصالحة من الحبط مرض يصيب الماشية، فتظن أنها مليئة باللحم، ولكنها مريضة ومصابة بالوذمات واحتباس السوائل في بدنها ولحمها فاسد لا يؤكل؛ لأنها مريضة ومصابة بمرض الحبن أو الكبد، أي: أبطل الله ثواب خروجهم وما أنفقوا مهما كان قليلاً أو كثيراً، وكان ذلك على الله يسيراً، أي: إبطال أعمالهم وإحباطها هين وسهل على الله تعالى.

[٢٠] ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتُ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾: يحسبون من حسب وهو الظن الراجح المبني على التقدير والحساب والتجربة، ويعني الاعتقاد أو لم يصدقوا أن الأحزاب لكثرة عددهم (١٠ آلاف) مقاتل كيف ينصرفون من دون قتال ويولون الأدبار ولم يدحروا المسلمين القلة، فهم يعتقدون أن الأحزاب وهم قريش وغطفان ما زالوا حول المدينة ولم يعودوا بعد إلى ديارهم منهزمين.

يحسبون: فيها نون التوكيد، وجاءت بصيغة المضارع لتدل على حكاية الحال حدث في الماضي يأتي بصيغة الحاضر ليدل على عدم تصديقهم أن الأحزاب انهزموا وتركوا أرض المعركة رغم عددهم الكبير.

﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والندرة، يأت الأحزاب

أي: تتجمع الأحزاب مرة أخرى ضد المسلمين، ويعود لمقاتلة المسلمين على فرض ذهبوا وسيعودون مرة أخرى.

﴿يُودُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوْا فِي الْأَعْرَابِ﴾: أي: يود المنافقون لو أنهم بادون في الأعراب: أي: أنهم مع البدو المقيمون في البادية مع الأعراب، أي: بعيدون عن المدينة أو خرجوا إلى البادية ليكونوا مع البدو، بادون: اسم فاعل جمع بادي من بدا، وأصلها باديون وحذفت الياء لالتقاء الساكنين لكي لا يحاربوا الأحزاب؛ لأنهم غير واثقين بنصر الله تعالى للمسلمين ورسوله، أو لا يحاربوا مع المسلمين فيصرون أعداءً للأحزاب، فالأفضل لهم في كلا الحالتين أن يكونوا في البادية (مع البدو).

﴿يَسْأَلُوْنَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾: يسألون الأعراب وغيرهم ممن قدم إلى زيارة المدينة ورجع ما آل حالكم إليه أو ما جرى لكم. أنباءكم: أخباركم والتبأ هو الخبر العظيم.

﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيْلًا﴾: ولو شرطية، كانوا فيكم: أي: في أرض المعركة وخاضوا المعركة معكم أو كانوا في حزبكم.

﴿مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيْلًا﴾: ما النافية، قاتلوا معكم إلا: أداة حصر، قليلاً: أي: ظاهرياً أو رياء أو سمعة خوفاً أن يلحق بهم عار.

فهم في ريبهم يترددون بين هل الأفضل لهم العيش في البادية مع البدو أو العيش معكم عيشة نفاق، فلا تأس عليهم ولا تحزن.

[٢١] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام لام التوكيد، قد للتحقيق أي: قد تحقق كونه أسوة لكم.

﴿كَانَ لَكُمْ﴾: لكم لام الاختصاص لكم خاصة.

﴿فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: أسوة مصدر الائتساء من يتأسى به؛ أي: الاقتداء، والمؤتسى به: المقتدى به، أسوة حسنة: قدوة حسنة، في أقواله وأفعاله وجميع أحواله لكل من يرجو الله واليوم الآخر.

﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: لمن اللام لام الاختصاص، لم من: للعاقل اسم موصول تعني الذي.

﴿يَرْجُوا اللَّهَ﴾: أي: يرجو ثواب الله ولقائه والبعث والحساب والعزاء، أي: الجنة ونعيمها.

﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: يؤمن باليوم الآخر أو يخشى اليوم وأهواله.

﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾: ولا تتحقق الأسوة الحسنة إلا بذكر الله سبحانه ذكراً كثيراً وبالصلاة وبالتسبيح والتحميد والتهليل والنوافل والشكر والقيام بالتكاليف الإيمانية وغيرها.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾:

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾: الواو عاطفة، لما ظرفية بمعنى حين تتضمن معنى الشرط، رأى المؤمنون الأحزاب: لها احتمالان:

الأول: رأوهم حين جاؤوا من فوقهم ومن أسفل منهم والمؤمنون في سفح جبل سلع، قالوا عندها: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله.

والاحتمال الثاني: رأوا الأحزاب يفرون من أرض المعركة مهزومين قالوا: هذا وما وعدنا الله ورسوله، أو الاحتمالان معاً قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله عند البداية وعند النهاية.

﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: الوعد بالنصر والغلبة كما أخبرهم رسول الله ﷺ أَنَّ الله ناصرهم عليهم أو الوعد بالابتلاء والاختبار، ثم النصر القريب، هذا: الهاء للتنبيه، ما اسم موصول بمعنى الذي وعدنا الله ورسوله.

﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾: وما: النافية، زادهم: تجمع الأحزاب (١٠) آلاف) مقاتل أو ما أصابهم من الزلزلة والشدة يوم الخندق أو ما زادهم النصر على أعدائهم يوم الخندق.

إلا: أداة حصر.

إيماناً وتسليماً: إيماناً بالله وبقضائه وقدره وتسليماً، أي: انقياداً لأمره وقضائه، إيماناً بصدق ما وعد الله ورسوله وتصديقاً برسول الله ﷺ وقوله تعالى: وما زادهم إلا إيماناً: اتخذوا هذه الآية دليلاً على أن الإيمان قد يزيد وينقص.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٣٣

الْبَقَرَةُ الْأُولَى الْخَمْسُونَ

مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُواهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

سورة الأحزاب [الآيات ٢٣ - ٣٠]

[٢٣] ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: من ابتدائية بعضية.

﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾:

أسباب النزول: قيل: نزلت هذه الآية كما روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك في أنس بن النضر فقد عاهد الله تعالى حين فاتته المشاركة في غزوة بدر، عاهد الله لو جاءت معركة أخرى ليلون فيها بلاء حسناً فجاءت معركة أحد، فأبلى فيها بلاء حسناً حتى استشهد فيها، فوجدوا في جسده بضعا وثمانين جرحاً نتيجة ضربه بسيف أو طعنه برمح أو رميه بسهم وليست العبرة بخصوص السبب وإنما بعموم اللفظ.

﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾: أي: أتموا وأوفوا بعهدهم حتى ولو أدى ذلك إلى الشهادة في سبيل الله أو التضحية بنفسه وماله معاً.

﴿مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾: ما: اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية بمعنى صدقوا عهد الله.

﴿عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾: ليخرجن مجاهداً في سبيل الله كما فعل أنس بن النضر.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾: النحب في الأصل النذر، وقضى نحبه، أي: أوفى بنذره أو أتم نذره أو عهده أو يأتي بمعنى الأجل، وقيل: قضى نحبه: انقضى أجله أي: قد قتل: استشهد أو مات في سبيل الله، استُعير النحب مكان الأجل؛ لأن الأجل وقع بالنحب (بالقتل).

ومنهم من قال: نحبه: إرادته ورغبته.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ﴾: تكرر ومنهم يفيد التوكيد، ينتظر: الوفاء بعهده، أي: ساع في ذلك ينتظر الشهادة في سبيل الله واللاحق بمن سبقوه.

﴿وَمَا بَدَلُوا أَبْدِيًّا﴾: أي: استقاموا وثبتوا على عهدهم مع الله ونيتهم ولم يبدلوا أدنى التبديل، أي: تراجعوا عن القتال خوفاً أو دخل أحدهم الحرب رياء وسمعة أو تخاذلوا أبداً.

[٢٤] ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ أَنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾:

﴿لِيَجْزِيَ﴾: اللام لام التعليل والتوكيد. ليجزى: من الجزاء (وهو المماثلة) وهو الثواب.

﴿اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾: الباء باء الإلصاق والسببية بسبب صدقهم على ما عاهدوا الله عليه بوفائهم بعهدهم.

﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ﴾: إن شرطية تعني: الاحتمال أو الشك يعذب المنافقين إذا لم يتوبوا لعدم وفائهم بعهدهم يعذبهم في الدنيا أو في الآخرة أو كلاهما.

﴿أَوْ﴾: للتخيير.

﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾: إذا تابوا وأوفوا وأصلحوا وعملوا الصالحات.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة كان في الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿عَفُورًا رَّحِيمًا﴾: ارجع إلى الآية (٥) للبيان.

[٢٥] ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمَنَآلُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَاتَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾:

بعد أن بين الله مصير الصادقين والمنافقين بين مصير القسم الثالث وهم الذين كفروا من قريش (الأحزاب).

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمَنَآلُوا خَيْرًا﴾: الرد هو العودة أو الرجوع بإكراه وقسر، الذين كفروا من قريش وكنانة وأسد وغطفان (الأحزاب).

ردهم ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾: الغيظ: الحقد والغضب الذي ملأ قلوبهم والباء للإلصاق وتدل على الدوام ردهم خائبين مغتاضين. ارجع إلى سورة التوبة آية (١٥) لمزيد من البيان.

﴿لَمَنَآلُوا خَيْرًا﴾: لم ينالوا أي خير، نكرة تعني أي خير سواء كان نصراً أو غنيمة أو أسراً ورجعوا وهم يشعرون أنهم هم الخاسرون أو المهزومون لم يحققوا أي شيء مما جاؤوا من أجله.

﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾: أي: لم يحتاجوا أن يقاتلوا الكفار حيث سلب الله عليهم الريح التي قلعت خيامهم والملائكة الذين ألقوا الرعب في قلوب الكافرين فولوا مدبرين خائبين.



﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾: كان ولا يزال وسيظل قوياً: لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

عزيز: يَغلب ولا يُغلب ويقهر ولا يُقهر له عزة القوة والغلبة والممتنع لا يضره أحد من خلقه.

[٢٦] ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾:

هذه الآية (٢٦) والآية (٢٧) جاءتا في سياق غزوة بني قريظة بعيد غزوة الخندق في السنة الخامسة للهجرة، فبعد أن رجع الأحزاب مهزومين.

وعاد رسول الله ﷺ والمؤمنون إلى المدينة، وكان بنو قريظة آنذاك قد نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ وانضموا إلى الأحزاب ضد رسول الله ﷺ فما إن وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة جاء جبريل ﷺ ليخبر رسول الله ﷺ بالخروج والسير إلى بني قريظة، فبعث رسول الله ﷺ منادياً ينادي في المدينة بالخروج والسير إلى بني قريظة قائلاً: لا يصلين أحدكم العصر إلا ببني قريظة. رواه البخاري في صحيحه ومسلم عن حديث عبد الله بن عمر، فاجتمع رسول الله ﷺ مع المؤمنين وحاصروا بني قريظة حوالي (٢٥) ليلة، وأجهدهم الحصار وقذف الله الرعب والذعر في قلوب بني قريظة وخير رسول الله ﷺ بني قريظة على أحد أمرين إما أن يقبلوا بحكمه ﷺ أو بحكم سعد بن معاذ، فأبوا حكم رسول الله ﷺ فيهم، وقبلوا بحكم سعد فحكم بأن يقتل الرجال وتسبى الذراري والنساء وتقسم الأموال، فقال له رسول الله: لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل من فوق سبع سموات، وأنزل الله سبحانه في بني قريظة هاتين الآيتين فقال تعالى:

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾: وأنزل الله سبحانه بقدرته الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ أَي: ظاهروا الأحزاب وعاونوهم ضد رسول الله ﷺ وهم يهود بني قريظة.

من صياصِيهِمْ: أنزلهم من حصونهم بعد أن حاصرهم رسول الله ﷺ (٢٥) ليلة، صياصِيهِمْ: جمع صِيصة: وهي كل ما يتحصن به أو يُتَمَنَعُ به، أَي: يلجأ إليه. ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: الخوف الشديد والذعر الذي يظهر على هيئة المرعوب مما سيحل به أدَّى بهم إلى القبول بحكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم بقتل المقاتلين من بني قريظة من الرجال. ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: وهم الرجال.

﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾: وهم النساء والذَّراري (الأطفال) وهم لا يحملون أيّ سلاح، انتبه قَدَّمَ المفعول على الفعل حين قال: فَرِيقًا تَقْتُلُونَ ولم يقل: تَقْتُلُونَ فَرِيقًا التّقديم على الأهم والتّوكيد على أمر القتل العجيب الذي يحل بهم بعد أن ينزلوا من صياصِيهِمْ، بينما قَدَّمَ الفعل على الفاعل كما هو المفروض حين قال: وتأسرون فَرِيقًا وجاء بصيغة المضارع في كلا الفعلين للدلالة على حكاية الحال، رغم أن كلاهما حدث في الزّمن الماضي للدلالة على بشاعة القتل والأسر، وجاء بصيغة المضارع لكي يشعر كأنه يحدث الآن.

[٢٧] ﴿وَأَوْزَكْنَكُمْ أَرْضَهُمْ وَيَبْرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾:

﴿وَأَوْزَكْنَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾: كانت لهم أراضٍ زراعية والتّخيل والبساتين. ﴿وَيَبْرَهُمْ﴾: منازلهم المعمورة والحصون.



﴿وَأَمْوَالُهُمْ﴾: المدخرة وهي الحلي والأثاث والمواشي والسلاح والمال.

﴿وَأَرْضَانَهُمَا تَطْشُوهُمَا﴾: يقصد بها في المستقبل مثل أرض خيبر.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾: كان ولا زال وسيظل سبحانه، كان تستغرق كل الأزمنة، على كل شيء قديرًا: ارجع إلى الآية (٢٠) من سورة البقرة.

[٢٨] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾:

السؤال هنا: ما سرُّ الانتقال من الحديث عن غزوة الأحزاب وغزوة بني قريظة إلى مخاطبة الرسول ﷺ لأزواجه على النِّفقة والحياة الدنيا وزينتها.

السّر هو أنّ رسول الله ﷺ قال بعد غزوة الأحزاب وهزيمة الكفار لن يغزونا بعد عامهم هذا، بل نغزوهم وبعد أن بشر رسول الله ﷺ أصحابه بفتح بلاد كسرى وفارس وكون المسلمين أخذوا من غنائم بني قريظة وأموالهم وأرضهم وديارهم، فزوجاته رضي الله عنهنّ أمّهات المؤمنين طلبن من رسول الله ﷺ أن يوسع عليهن في النِّفقة فجاءت هذه الآيات ردّاً على طلبهنّ.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾: ياء النداء والهاء للتنبيه، قل لأزواجك: اللام لام الاختصاص. يا أيها النبي: نداء عام إلى النبي وبشأن خاص به، ولكنه لا يتعلق بالدعوة والتبليغ لم يقل يا أيها الرسول؛ ارجع إلى الآية (١) من نفس السورة لمعرفة الفرق بين يا أيها النبي ويا أيها الرسول.

﴿إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال أو النّدره بدلاً من قوله: إذا كنتنّ التي تفيد الحتمية والكثرة، الحياة الدنيا: من طعام وشراب وملبس وحلي وزينة ومتاع.



﴿فَتَعَالَىٰ رَبُّكَ﴾: الفاء للمباشرة، أي: تعالين الآن، أي: أقبلن.

﴿أَمَتَّعَكُنَّ﴾: أعطيكُن ما يحق لكن من المهر المؤخر.

﴿وَأَسْرَحَكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: التَّسْرِيحُ، أي: المفارقة ويعني: الطلاق، وسراحاً جميلاً من دون مشادة أو غضب أو انتقام وبكلِّ رأفة ورحمة ومن دون تجريح وبُغض ومشاحنة وخصومة.

واستعمال إن كتتن تردن الحياة الدنيا: إشارة إلى عدم المبالغة في الاهتمام بها فالأمر لا يعدو أن يكون مجرد سؤال نادر، ونساء النبي كنَّ تسعة في ذلك الحين خمس من قريش: عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية، وأربعة من غير قريش صفية بنت حيي بن أخطب، جويرية بنت الحارث من بني المطلق، ميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش من بني أسد.

[٢٩] ﴿وَلِٰنَ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ، وَٱلْدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فِإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾:

﴿وَلِٰنَ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: مقابل قوله: إن كتتن تردن الحياة الدنيا وزينتها هذا يسمَّى في فنون جمال اللغة الطَّبَاق، وإن كتتن: الواو عاطفة، إن شرطية تدل على الاحتمال والافتراض، تردن الله ورسوله؛ أي: رضا الله تعالى ورضا رسوله ﷺ.

﴿وَالْدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾: الجنة، أو ثواب الآخرة.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، إن: للتوكيد.

﴿أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، المحسنات



جمع محسنة، أعد: هيأ، وأعد: أعم من اعتد، وتشمل أمور عديدة منها: الأجر العظيم... وغيره مثل: المتكأ والرزق؛ المحسنة: الزوجة الصالحة التي تجاوزت درجة التقوى في إيمانها وطاعتها ولم يعد إحسانها مقصوراً على نفسها وإنما تجاوز إلى الآخرين، أي: الإحسان إلى رسول الله ﷺ في العشرة.

﴿مِنْكُمْ﴾: من لبيان الجنس جنس المحسنات؛ لأن زوجات النبي أمهات المؤمنين، كن كلهن محسنات.

﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: جنات الفردوس والخلود والتعيم الدائم، والأجر مقابل العمل، والأجر العظيم لا يفوقه أجر آخر.

والعبرة في هذه الآية بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب فالخطاب موجه أيضاً إلى نساء المؤمنين كافة؛ لأن نساء النبي هن قدوة لنساء العالمين.

[٣٠] ﴿يَنْسَاءُ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾:

خطاب موجه من الله سبحانه إلى نساء النبي مباشرة رضي الله عنهن للدلالة على أهمية طاعة الله ورسوله ﷺ.

﴿مَنْ يَأْتِ﴾: من شرطية.

﴿مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ﴾: بفاحشة مبينة: الفاحشة هنا تعني معصية الرسول ﷺ، أو التشوز أو أذية الرسول، أو عدم طاعته التي تحمل في معانيها معنى الكفر، وحذفت أل التعريف من الفاحشة؛ لأن أل التعريف في كلمة الفاحشة تعني: الزنى.

﴿مُبَيَّنَةٍ﴾: أي: في العلن والظاهرة للناس أي: يعلم بها الناس، وحدد

الفاحشة بكونها مبينة، أمّا غير المبينة فهي غير المطلع عليها أحد، أي: ذنب مقصور عليها نفسها فيكون عقابها كعقاب، أي: ذنب أو عقاب الآخرين أما المبينة عقابها ضعفين.

﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾: أي: مرتين مقارنة بعذاب غيرهن؛ لأنهن قدوة لغيرهن من النساء، ولأن ذلك يؤذي رسول الله ﷺ أيضاً، ولكونهن أمهات المؤمنين، فكل ذلك يستوجب مضاعفة العذاب، كما أنها إذا فعلت حسنة يضاعف لها الأجر.

﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾: أي: مضاعفة العذاب أمر سهل يسير عليه سبحانه، ولا نفهم من الآية أنّ هناك شيئاً سهلاً وشيئاً صعباً أو غير يسير على الله سبحانه، وإنما للتهديد والوعيد.

ولم يبدأ سبحانه بالقول: يا نساء النبي من يقنت منكنّ لله ورسوله بدلاً من: يأت منكنّ بفاحشة، بل بدأ بالتحذير؛ لأنّ درء المفسدة مقدّم على جلب المصلحة رغم كون الفاحشة أمراً مستعبداً قدّمها للتوكيد والاهتمام.





سورة الأعراف ٣٣

الجزء الثاني من القرآن

وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَنْسَاءُ النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقِيْتُمْ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيْطْمَعِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكُرْ مَا تَمَلَّكَ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

سورة الأحزاب [الآيات ٣١ - ٣٥]

[٣١] ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو عاطفة، من شرطية وتشمل الواحدة أو الجمع.

﴿يَقْنُتْ﴾: من القنوت قيل: هو الخضوع التام والخشوع المصاحب للطاعة أو (العبادة) المصحوبة بالخضوع والخشوع، قنت: خشع وتذلل لله في دعائه، وكلمة يقنت جاءت بصيغة المذكر ولم يقل: تقنت بصيغة المؤنث، وسرئ بعد قليل السبب.

﴿مِنْكُمْ﴾: خاصة.

﴿لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: لله السلام لام التوكيد والاختصاص خالصة لوجه الله ومرضاة وطاعة لرسوله ﷺ.

﴿وَتَعْمَلْ صَالِحًا﴾: قليلاً أو كثيراً من الفروض والنوافل والذكر وغيرها من الأعمال الصالحة، تعمل صالحاً: جاءت بصيغة المؤنث (التأنيث)، فالسؤال الآن لماذا ذكر كلمة يقنت وأنت كلمة تعمل؟ ولماذا أن التذكير يدل على القلة والتأنيث يدل على الكثرة، فالقنوت يقوم به القلة من النساء فلذلك جاء بصيغة المذكر، مقارنة بالأعمال الصالحة تقوم بها النساء بكثرة، ولذلك أنت.

﴿نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾: الإيتاء: هو العطاء والإيتاء أعم من العطاء، العطاء يستعمل للأشياء المادية الحسية فقط، بينما العطاء يشمل ذلك + المعنوية. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة لمزيد من البيان.



أسند الإيتاء، أي: الفعل إليه سبحانه وبصيغة التعظيم، وهذا شرف لهنَّ ورحمة منه، بينما في الآية (٣٠) قال: يضاعف لها العذاب بنى الفعل للمجهول. نؤتها أجرها مرتين: أي: ضعف ما تستحقه غيرهنَّ من النساء؛ لأنهنَّ مثال للقدوة الصالحة.

﴿وَأَعَدَدْنَا لَهَا﴾: أي: أعددنا لها: اللام لام الاختصاص لها خاصة وأعددنا لها من الآن فهو ينتظرها.

﴿رَزَقًا كَرِيمًا﴾: أي: الجنة فهذه الآية بشارة لنساء النبي ﷺ بالجنة، ووصف الرزق بالكريم: الوافر الذي لا ينقطع أو يقل أو ينقص والكريم؛ لأنه يأتي الإنسان من دون أسباب عليه أن يقدمها كما هو الحال في الدنيا يجب أن يسعى ويكد ويتعب، والرزق الكريم لا يأتي إلا من الرزاق الكريم والرحيم بعباده.

[٣٢] ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾:

نداء ثانٍ مباشر إلى نساء النبي ﷺ من الله سبحانه، وكان النداء الأول في الآية (٣٠) للدلالة على أهمية الخبر أو الأمر المذكور في الآية: النداء الأول بالتحذير من الإيتاء بفاحشة مبينة والنداء الثاني بالتحذير من عدم الخضوع بالقول.

﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ﴾: ليس النافية.

﴿كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾: الكاف كاف التشبيه، أحد من النساء: الأحد تشمل الواحدة والاثنتين والجمع، أي: لستنَّ كأَيِّ امرأة من النساء قاطبة.

ولم يقل: واحدة من النساء: أي: لا مثل لها، لماذا لستنَّ كأحد من النساء؟ أولاً: بحكم أنتنَّ أزواج النبي ﷺ.

ثانياً: بحكم أنتن أمهات المؤمنين.

فأنتن قدوة لغيركن من النساء فهذه ميزة خاصة.

﴿إِنْ أَنْفَيْتَنَّ﴾: إن شرطية، أي: ليست التقوى بكونكن نساء النبي وأمّهات المؤمنين، وإنما التقوى هي امتثال وطاعة أوامر الله ورسوله ﷺ، وتجنب نواهي الله تعالى ورسوله، أي: استقمن على التقوى فلا تخضعن بالقول.

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾: الفاء للتوكيد، لا الناهية، والخضوع بالقول؛ أي: الانقياد والإذعان، وفيه معنى الاستجداء، والخضوع: يكون في البدن، والخشوع: يكون بالصوت والبصر؛ أي: لا تخاطبن الرجال بليونة أو ميوعة أو نبرات غير طبيعية في الكلام من ترخيم وغيره، ولا يعني ذلك التكلم بخشونة وغلظة أيضاً. ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾: مرض الريبة والفجور والفسق والنفاق وضعف الإيمان والظن والخبال.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: معروفاً ما تعارف عليه الناس من القول ليس فيه شبهة أو فتنة بعيداً عن الريبة والأطماع.

[٣٣] ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾: أقمن أو ألزمن بيوتكن من القرار، وهو السكون لا تكثرن الخروج منها.

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾: لا الناهية، تبرجن: من التبرج ويعني: إبداء المرأة للرجل الغريب مفاتن جسمها ومحاسنها مثل إظهار العنق والشعر والساقين والصدر؛ مما يثير الشهوة أو الفتنة، والتبرج مشتقة من البرج وهو الحصن، وكما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾



[الحجر: ١٦]، وبرج المرأة: هو بيتها، وسمي البيت برجاً، وتعني: الخروج من الحصن حصن العفة والزوجية وإبداء الزينة كما كنَّ يفعلن النساء في الجاهلية الأولى: جاهلية الكفر ما قبل الإسلام، أو ما قبل القرآن؛ فقد روى ابن عباس وجريز: أن الجاهلية الأولى: هي التي تمتد في الفترة بين عيسى ﷺ، ومحمد ﷺ، وجاهلية العصر الحديث تنطوي على الجاهلية الأولى وزيادة، وهناك من قال: إنّ الجاهلية الأولى هي التي ولد فيها إبراهيم ﷺ، والجاهلية الآخرة التي ولد فيها محمد ﷺ.

﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ﴾: إقامة الصلاة؛ لأنها أهم العبادات على الإطلاق وإقامتها تعني لأوقاتها وبجميع شروطها وأركانها وسننها والدوام عليها.

﴿وَأَتَيْنَ الزَّكَاةَ﴾: وتعني زكاتها غير زكاة زوجها فهي مكلفة بإيتاء زكاة أموالها الخاصة التي ورثتها مثلاً وكسبتها في تجارة أو عقار أو زكاة الحلي والذهب.

﴿وَأَطَعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: في كل ما أمر به ونهى عنه.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾: إنما كافة مكفوفة تفيد التوكيد بما أمر كنَّ ونها كنَّ عنه من التقوى والصلاة والزكاة وطاعة الله ورسوله أن يذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيراً.

﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾: الالام للتعليل، يذهب: يبعد أو يجنبكم الوقوع في الرجس، الرجس: بالسّين يعني كل ما هو مستقذر تعافه النفوس، وتعني الذنوب بشكل عام والشيطان والمعاصي والآثام والذنوب والشرك من الأمور المعنوية والخمر والميسر والأنصاب والأزلام والميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير من الأمور الحسية، أمّا الرّجز: فهو العذاب، عنكم ولم يقل: عنكنّ. عنكم تشمل: الذكور والإناث، أي: تشمل عنكنّ، ولم يقل عنكن: مراعاة لشعور أزواج النبي ﷺ وحياتهنّ.

﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾: أي: نساء النبي كلّهنّ من أهل البيت وذريته، وتطلق أهل

البيت عادة على الزوجة والأولاد، وقال آخرون: تطلق أيضاً على عشيرة الرجل؛ أي: ذريته من نسل عبد المطلب (بنو هاشم).

﴿وَيُطَهِّرُكُمُ تَطْهِيراً﴾: ولم يقل: يطهركن تطهيراً: أي: تطهيراً كاملاً من الذنوب، والمجيء بصيغة التذكير يشمل الذكور والإناث.

[٣٤] ﴿وَأَذْكُرْتَ مَا تُلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾:

﴿وَأَذْكُرْتَ﴾: من الذكر: يعني: تذكرن واتلين أو أخبرن استحضرن كل معلومة كانت منسية لم تذكر لكي تذكر.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿تُلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾: (آيات القرآن الحكيم) بيوتكن بيوت النبوة.

﴿وَالْحِكْمَةِ﴾: السنة النبوية (أحاديث رسول الله ﷺ) بيوتكن لأنهن مهابط الوحي على رسول الله ﷺ يتلى: بصيغة المضارع لتدل على التجدد والتكرار.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾: ارجع إلى الآية (١٦) من سورة لقمان للبيان.

[٣٥] ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾:

أسباب النزول:

١ - يُروى أن أزواج النبي ﷺ قلن: يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير



- أفما فينا خير نذكر به؟ إنا نخاف أن لا تُقبل منا طاعة. أخرجه الطبراني، وقيل: السائلة هي أم سلمة: في حديث أخرجه النسائي والطبراني والحاكم.
- ٢ - وروى أنه لما نزل في نساء النبي هذه الآيات في سورة الأحزاب وغيرها قال نساء المسلمين: فما نزل فينا شيء (أخرجه الطبراني) فنزلت هذه الآية.
- ٣ - وقيل: نزلت في أسماء بنت عميس زوجة جعفر بن أبي طالب دخلت على نساء النبي ﷺ فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن قلن: لا فأتى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسارة، قال ﷺ: ولم ذلك؟ قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال. فأنزل الله سبحانه هذه الآية التي اشتملت على عشر صفات للرجال والنساء:
- ١ - ﴿الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾: جمع مسلم ومسلمة، والإسلام يعني: الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج.
- ٢ - ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: جمع مؤمن ومؤمنة؛ يعني: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.
- ٣ - ﴿وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ﴾: جمع قانت وقانته، والقنوت: هو الخضوع والخشوع المصحوب بالطاعة أو العبادة.
- ٤ - ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾: جمع صادق وصادقة، الصادق في القول والعمل صادق الإيمان والقول والحديث.
- ٥ - ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾: جمع صابر وصابرة، الصبر على أداء العبادات وترك المعاصي والصبر على المصائب والمحن.
- ٦ - ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾: جمع خاشع وخاشعة، الخشوع: هو السكون والطمأنينة والتواضع لله في العبادات.
- ٧ - ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾: جمع متصدق ومتصدقة بما في ذلك

الزكاة والتصدق على الفقراء والمساكين، ولم يقل: المصدقين كما ورد في سورة الحديد آية (١٨)؛ إن المصدقين والمصدقات: فيها تضعيفان في الصاد، وتضعيف في الدال، أما المتصدقين فيها تضعيف واحد في الدال، المصدقين تعني: المبالغة في التصديق؛ أي: وهم المبالغون في الصدقات، أي: يعطون الكثير، أما المتصدقون حتى ولو بقليل، ولو قال: المصدقين فلم يدخل فيهم من يتصدقون بشيء قليل.

٨ - ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾: الصيام الامتناع عن شهوتي البطن والفرج في أيام الصيام وغيره من آداب الصيام.

٩ - ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾: عن الحرام كالزنى وما شابهه، ولم يقل: والحافظات فروجهن؛ لكي يستر أمر المرأة وشهوة الفرج جعلها الله لحفظ التناسل، وليس لارتكاب الحرام.

١٠ - ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾: بالأسن والقلوب بالتسبيح والتحميد والتهليل والذكر والدعاء والصلاة، والذكر هو أخف العبادات وأيسرها على النفس وأثقلها في الميزان.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾: أعد الله لهم ولم يقل: ولهن؛ لأنها تدخل في لهم من باب التغليب وستر المرأة وصيانتها لا للتقليل من شأنها، قدّم المغفرة على الأجر العظيم، هذه جملة من أعظم العبادات والصفات التي تميز المسلم المؤمن من غيره من الناس.





سورة الأعراف ٣٣

الحجرات العنبر

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَلْعَنُونَ رَسَلَتِ اللَّهُ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

سورة الأحزاب [الآيات ٣٦ - ٤٣]

[٣٦] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله سبحانه لنساء النبي ﷺ التخيير بين الحياة الدنيا وزينتها وبين إن كتنَّ تردن الله ورسوله والدار الآخرة، يذكر بعدها هناك أمور لا اختيار فيها لأحد، وذلك إذا قضى الله ورسوله أمراً، ثم ذكر مثال على ذلك قصة زيد بن حارثة وزينب بنت جحش رضي الله عنها، وزواج النبي ﷺ من زينب تنفيذاً لأمر الله تعالى وإبطال التَّبَنِي في الإسلام.

وسبب نزول هذه الآية: كما روى ابن عباس أن النبي ﷺ خطب زينب بنت جحش لزيد الذي تبناه في مطلع الإسلام، وكانت زينب ابنة عمه رسول الله ﷺ فظنت زينب أنه يريد لها لنفسه، فلما علمت أنه يريد لها لزيد فأبت هي وأخوها عبد الله بن جحش، فنزلت هذه الآية.

﴿وَمَا كَانَ﴾: أي: ما يصح أو يحق له، ما النَّافِيَة، أي: هو أمر مستبعد أن لا يقبل مؤمن بالله ورسوله بما حكم الله ورسوله.

﴿لِمُؤْمِنٍ﴾: اللام لام الاختصاص مثل عبد الله بن جحش (أخي زينب).

﴿وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾: لا النَّافِيَة، تكرار النفي يفيد التوكيد، مثل زينب بنت جحش.

﴿إِذَا﴾: ظرفية بمعنى حين.

﴿قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: حكماً أو أمراً.



﴿أَنْ﴾: للتوكيد.

﴿يَكُونُ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾: على ما قضاه الله تعالى ورسوله.

﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: من شرطية، يعص الله ورسوله: فيما أمر به أو

نهى عنه.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء جواب الشرط، قد للتحقيق والتوكيد.

﴿ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾: هنا ثلاث توكيدات: قد وضلالاً (مفعول مطلق) ومبيناً.

والضلال يعني: عدم الاهتداء إلى الصواب وإلى الصراط المستقيم (دين الإسلام) ابتعد ابتعاداً مبيناً: أي: ضلال بين لكل فرد اطلع عليه، وضلال واضح بين بنفسه لا يحتاج إلى دليل أو برهان، ضلال يصعب معه الهداية مرة أخرى أو يرجى توبته.

وبعد أن نزلت هذه الآية رضيت زينب بالزواج من زيد ورضي أخوها عبد الله بما قضى الله ورسوله.

[٣٧] ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾:

كما أخبرت كتب السيرة اختار زيد البقاء مع رسول الله ﷺ عندما طلب منه أبوه العودة والعيش معه، فسمي زيد بن محمد، ولما بلغ سن الرشد أراد الرسول أن يزوجه من زينب بنت جحش، وهي ابنة عمه رسول الله ﷺ وسيدة من سيدات قريش فرفضت ورفض أخوها عبد الله، فنزلت الآية (٣٦) السابقة، فأذعنوا القدر الله وقضائه وقبلت بالزواج من زيد، وكان هناك عدم تكافؤ اجتماعي

بين زينب وزيد آنذاك، وتعالَت زينب على زيد وحدث نشوز بينهما، وكان حبُّ زيد لرسول الله ﷺ يمنعه أن يطلقها، وكان ﷺ يقول لزيد: أمسك عليك زوجك واتق الله، وجاء الأمر الإلهي بأن يطلقها زيد ويؤمن رسول الله ﷺ بالزواج منها، وإلغاء مبدأ التبني، فخشي رسول الله ﷺ من السنة الكفار؛ كيف يتزوج من امرأة ابنه زيد الذي تبناه خشية استحياء.

﴿وَإِذْ﴾: واذكر إذ ظرفية.

﴿تَقُولُ﴾: (يا محمد ﷺ) للذي أنعم الله عليه (بالإسلام والإيمان).

﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾: بالعنق أولاً، وجعلته ابناً لك بالتبني قبل تحريم التبني، وأنعمت عليه بأن زوجته ابنة عمك زينب:

﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾: تقول لزيد: أمسك عليك زوجك خوفاً من كلام الناس أن يقولوا تزوج من امرأة ابنه الذي تبناه.

﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾: هذا قول رسول الله ﷺ لزيد، واتق الله؛ أي: في أمر طلاقها ولا تطلقها، والله سبحانه يريد من زيد أن يطلق زينب وأن يُنهي عادة التبني، وأن يتزوج رسول الله ﷺ زينب، وكان أمر الله مفعولاً لا رجعة فيه حاصل لا محالة.

﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾: تخفي في نفسك ما أظهره الله لك على أنك ستزوج منها بعد طلاقها من زيد.

﴿وَتُخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾: تخشى من كلام الناس خشية استحياء، والله أحق أن تخشاه.

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾: أي: لم يعد له فيها حاجة ولم يعد بينهما أيُّ رابطة وطلقها زيد.



﴿زَوَّجْنٰكَهَا﴾: الزواج: يدل على الدخول والاقتران، والنكاح: يدل على العقد؛ زوجه الله بها من فوق سبع سموات، وكانت زينب تفتخر على بقية أزواج رسول الله ﷺ فتقول: زوجني ربي، زوجناكها بعد انقضاء عدتها.

وانتبه إلى قوله تعالى: زوجناكها: زوج أي: زوجه غيره من فوق سبع سموات، أمّا تزوج: فتعني تزوج بنفسه وبرغبته بينما زوج: قسراً ومن دون خيرة، والضمير زوجناكها يعود على الله سبحانه والكاف لخطاب رسول الله والهاء تعود على زينب، زوجناكها لكي نرفع الحرج عن المؤمنين في أزواج أديائهم الذين تبنوهم بعد طلاقهنّ التام.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾: كائناً لا محالة لا تبديل ولا تغيير، والأمر يشمل كلّ شيء وزيادة.

وفي هذه الآية كان رسول الله ﷺ قدوة في تطبيق هذه الآية من ناحيتين: الأولى: فقد كان رسول الله ﷺ قدوة في تنفيذ أمر الله حين قال: ما كان لمؤمن إذا قضى الله أمراً أن يكون له الخيرة في أمره.

الثانية: لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أديائهم، فكان رسول الله ﷺ وزيد وزينب هم الذين اختارهم الله سبحانه ليكونوا أول من ينفذ أمر الله سبحانه في هذه القضية وينالوا رضاه وثوابه، ويكونوا قدوة للآخرين، ولذلك ذكر اسم زيد في القرآن كثواب له ولم يذكر اسم زينب سترأ لها.

وإذا انتبهنا إلى كلمة لكي لا يكون في هذه الآية كيف جاءت كلمة لكي مفصولة عن لا، ولم تكتب لكيلا، فالفصل بين الكلمتين (كي) و(لا) لتناسب سياق الآية في الطلاق الذي هو فصل بين الزوج والزوجة لترى أنّ كتابة الكلمة في القرآن بحد ذاته له معناه الخاص ويجاري سياق الكلام.

بينما كلمة لكيلا جاءت متصلة في سورة الحج الآية (٥) وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾. ارجع إلى سورة الحج الآية (٥) للبيان.

[٣٨] ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾:

﴿مَا كَانَ﴾: ما النَّافِيَّة، كان تستعمل للماضي والحاضر والمستقبل.

﴿عَلَى﴾: تفيد العلو والشمقة.

﴿النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾: من استغراقية تشمل أي حرج والحرَج هو الضيق والمشقة أو العيب.

﴿فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾: فيما: ظرفية وما اسم موصول بمعنى الذي، وأوسع شمولاً من الذي. فرض الله له: قَدَّرَ الله له أو قسم الله له، وما فرض الله له ليس أمراً جديداً، وإنما هو سنة الله في الذين خلوا من قبل.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾: السَّنة تعريفها ارجع إلى الآية (٢٦) من سورة النساء، وسورة آل عمران آية (١٣٧) للبيان.

﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾: الَّذِينَ خَلَوْا: أي: مضوا أو جاؤوا من قبل من الرسل والأنبياء؛ أي: فما نفعه لك يا رسول الله ﷺ ليس أمراً جديداً، بل هو سنة قديمة، من قبل: تدل على زمن معين ولم يقل: من قبل، التي لا تدل على زمن محدّد طويل أو قصير.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: كان في الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾: كائنًا أو واقعًا لا محالة؛ لأنّه قدر مقدّر منذ الأزل ولا شيء



يخرج عن تقدير الله، وفي الآية السابقة قال تعالى: وكان أمر الله مفعولاً: أي: واقعاً وهو تزويج رسول الله ﷺ من زينب، إذن هذا الزواج مقدّر منذ الأزل، والآن تم وقوعه من غير تبديل أو تحويل.

[٣٩] ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح والتعظيم ويعود على الرسل والأنبياء.

﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾: التبليغ هو الإيصال مع الإعلام، أي: إيصال الرسالة أي: الخبر أو النبأ إلى الناس ويبلغون رسالات الله (مجموع رسالة وكل رسالة أمر أو نهى، أي: افعل أو لا تفعل) لعباده، ولم يقل: ربهم؛ لأن السياق في الدعوة والتبليغ والله هو المعبود والإله الحق وليس في سياق الرزق أو سبل العيش.

﴿وَيَخْشَوْنَهُ﴾: يخافونه والخشية لا تقتصر على الخوف من الله، بل كذلك التعظيم والعلم بالله وقدره وعظمته، وفيها معنى الأمل.

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا﴾: ولا: لا النافية، يخشون أحداً: تأكيد وإضافة النون لزيادة التوكيد، وأحداً لزيادة التوكيد.

﴿إِلَّا اللَّهَ﴾: إلا أداة حصر، خشية حياء أو استحياء، وليس خشية خوف من تبليغ الرسالات.

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾: يكفي الله وحده أن يكون حافظاً لأعمال العباد ومحاسبهم عليها، وليس حسابهم عليكم ولا حسابكم عليهم (أي: على الرسل).

[٤٠] ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝﴾

المناسبة: بعد أن تزوج رسول الله ﷺ من زينب قال بعض الناس: إنَّ محمّداً تزوج امرأة ابنه فجاءت هذه الآية للرد عليهم، فقال تعالى:

﴿مَا كَانَ ۝﴾: ارجع إلى الآية (٣٨) للبيان.

﴿مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾: السّؤال هنا: ألم يكن محمّد أباً لعبد الله وللقاسم ولإبراهيم؟ الجواب: نعم فهؤلاء الثلاثة أولاده ﷺ، ولكن ماتوا ولم يبلغوا سن الرّجال، ولأنّ الآية قالت: من رجالكم ويقصد به زيد، ولم يقل: أباً أحد منكم؛ لأنّ منكم تشمل الصّغير والكبير والولد الحقيقي والمتبنّى، من: ابتدائية استغراقية. وقد خاطب الله سبحانه نبيه محمد باسمه محمد ﷺ في أربع آيات لأسباب خاصة، ومرة باسمه أحمد؛ ارجع إلى الآية (١) من نفس السورة.

﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾: لكن للاستدراك والتوكيد، رسول الله.

﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾: أي: آخرهم وخاتم الشّيء آخره فلا نبي ولا رسول يأتي بعده إلى قيام الساعة وكلّ بشر يدعي النّبوة بعد رسول الله ﷺ هو كذاب أفاك.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾: كان تشمل كلّ الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، كان ولا زال وسيظل، بكلّ شيء: الباء للإلصاق والالتزام والدوام، شيء عليم: من قول وعمل عليم بأقوال العباد وأعمالهم، وما يجري في كونه ولا تسقط من ورقة إلا يعلمها ويعلم ما في السمّوات وما في الأرض، يعلم من يدّعي النّبوة ومن هو أبو، أو أمّ كلّ جنين ويعلم ما يُشرع لعباده وما هي مصلحتهم.

ولم يقل سبحانه: وخاتم المرسلين: لكان هناك احتمال أن يأتي بعده نبي،



ولكن حين قال: خاتم النبيين (لأن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً) أي: لن يأتي بعده لا نبي ولا رسول.

[٤١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾:

نداء إلى الذين آمنوا وتكليف جديد بذكر الله، فهو أيسر العبادات على المؤمن، ومن أعظمها أجراً، والذكر يشمل التَّحْمِيدَ والتَّهْلِيلَ والتَّقْدِيسَ والتَّكْبِيرَ والأَسْمَاءَ الحَسَنَى، والذكر الكثير هو الدائم والمتواصل، والذكر يشمل كذلك الصَّلَاةَ والعبادات والدَّعَاءَ وحلقات العلم وتلاوة القرآن، والذكر باللسان كالقول سبحان الله، لا إله إلا الله، الله أكبر، الحمد لله، لا حول ولا قوة إلا بالله، وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، والذكر بالقلب.

[٤٢] ﴿وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾:

﴿وَسَبِّحْهُ﴾: التسبيح هو تنزيه الله سبحانه باللسان من كل نقص وعيب في ذاته وأفعاله وصفاته ومن الولد والشريك والند والمثيل، ولم يكن له كفواً أحد، وليس كمثله شيء، والتسبيح: هو القول: سبحان الله وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم والتسبيح قد يعني الصَّلَاةَ.

﴿بُكْرَةً﴾: أول النهار؛ أي: الصباح، أو تعني صلاة الفجر.

﴿وَأَصِيلًا﴾: آخر النهار؛ أي: المغرب، أو تعني صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وبكرة وأصيل تعني: ذكراً دائماً لا ينقطع.

[٤٣] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد، ويعود على الله سبحانه.



﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾: الصلاة من الله تعني: المغفرة والرحمة والرفقة والنجاة وتعني أن يذكركم فيمن عنده، أي: في الملائكة الأعلى، وكقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

﴿وَمَلَئِكْتُهُ﴾: بالدعاء للمؤمنين والاستغفار.

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾: اللام لام التعليل، يخرجكم من الظلمات: جمع ظلمة منها ظلمة الكفر والشرك، والظلم والمعصية، إلى النور: نور الإيمان والتوحيد.

﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾: كان تشمل كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، بالمؤمنين: الباء للإلصاق والدوام، رحيمًا: صيغة مبالغة كثير الرحمة بالمؤمنين في الدنيا والآخرة. ارجع إلى سورة الفاتحة الآية (٢) لمزيد من البيان.





الْبَاءُ الْغَيْنِيَّةُ

سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٣٣

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَأَيُّهَا
النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى اللَّهِ بِآذَنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ
مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ
وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾
يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا
فَمَتِّعُوهُنَّ وَسِرَّحُوهُنَّ سِرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا
أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّتِكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ
وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً
مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا
خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾

سورة الأحزاب [الآيات ٤٤ - ٥٠]

[٤٤] ﴿يَحْيَتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾:

﴿يَحْيَتُهُمْ﴾: تعني: المؤمنين.

﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾: يوم القيامة أو البعث والهاء في يلقونه ترجع إلى الله سبحانه، أي: تحيتهم من الله سبحانه يوم يلقونه (يوم القيامة).

﴿سَلَامٌ﴾: من ربكم سلام تحية السلام عليكم) وسلام من السلام، أي: الأمان والاطمئنان وسلام يعني: من كل مكروه وضرر مثل الموت والمرض وكل ما تكرهه النفس. كقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

وقد تعني تحيتهم من الملائكة يوم يلقونه يقولون لهم: سلام من ربكم سلام تحية وسلام أمان واطمئنان وسلام من كل مكروه وضرر.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾: أعد: هيا وجهز، لهم: اللام لام الاختصاص، أجراً على العمل في الدنيا كريماً: هو الجنة وما فيها من النعيم نعيم المأكل والمشرب والملبس وكل ما تشتهي النفس وتلذ الأعين.

كريماً: الأجر الكريم من الرب الغني الكريم، أي: الأجر الأكثر بكثير مما يستحقه العبد أو يتصوره العقل.

[٤٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾: نداء إلى النبي ﷺ مباشر



يَاءُ النَّدَاءِ، أَيَهَا: الهاءُ للتَّنْبِيهِ، النَّبِيُّ: نداءُ تَكْرِيمٍ وَتَعْظِيمٍ بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ: يَا مُحَمَّدُ
إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ.

﴿إِنَّا﴾: لِلْجَمْعِ وَالتَّعْظِيمِ.

﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾: وَلَمْ يَقُلْ: بَعَثْنَاكَ. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة
للبيان ومعرفة الفرق بينهما.

﴿شَهِدًا﴾: عَلَى أَمْتِكَ وَعَلَى الرِّسْلِ جَمِيعًا.

﴿وَمُبَشِّرًا﴾: بِالْجَنَّةِ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا. ارجع إلى الآية (١١٩) من
سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿وَنَذِيرًا﴾: أَيُّ: مُنْذِرًا لِمَنْ يَخْرُجُ عَنْ مَنَهِجِ رَبِّهِ وَيَعْصِي رَبَّهُ وَيَعْمَلُ
السَّيِّئَاتِ. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

وَلَنَعْلَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هُوَ الرَّسُولُ الْوَحِيدُ الَّذِي أَرْسَلَ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
لِكافة النَّاسِ (الثَّقَلَيْنِ).

[٤٦] ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾:

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾: أَيُّ: دَاعِيًا إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَعِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ
فِيمَا أَمَرَ أَوْ نَهَى عَنْهُ، بِإِذْنِهِ: بِأَمْرِهِ وَإِرَادَتِهِ وَمَشِئَتِهِ، وَكَمَا أَمَرَ.

﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾: هَادِيًا وَدَالًا النَّاسَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ (الْإِسْلَامِ الَّذِي
الْحَقُّ) كَالشَّمْسِ الْمَضِيئَةِ الَّتِي تَهْدِي النَّاسَ بِنُورِهَا وَضَوْئِهَا إِلَى رُؤْيَةِ الْأَشْيَاءِ
وإدراكها.

وَهُوَ تَشْبِيهِهُ بِلَيْعِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْهُدَايَةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ ﷺ الشَّمْسُ

والقرآن العظيم هو السور. كقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ٧٤]،
وكقوله تعالى: ﴿وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨].

[٤٧] ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾:

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: من البشارة وهي الخبر السار. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿بِأَنَّهُ﴾: الباء للتوكيد، أن لزيادة التوكيد.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾: من ابتدائية.

﴿فَضْلًا كَبِيرًا﴾: الفضل هو الزيادة على ما يستحق العبد من الأجر أو الثواب ارجع إلى الآية (٤) من سورة الجمعة للبيان. وفضلاً كبيراً: دخول جنات النعيم ورضوان من الله أكبر.

فضلاً كبيراً على سائر الأمم بالتقوى والعمل الصالح.

[٤٨] ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾:

﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ﴾: أليس هذا تكرار للآية الأولى، والآية (٣) من نفس السورة يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين الجواب: لا.

الآية الأولى كانت في بداية الدعوة والآية (٤٨) كانت في السنة الخامسة من الهجرة، نهى جديد لعدم الاستماع إلى الكفار والمنافقين والاستمرار والثبات على الدعوة إلى الله وعدم التكون إليهم.

﴿وَدَعِ أَذْنَهُمْ﴾: تجاوز عنهم واصفح ولا تجازيهم على إساءتهم ولا تأبه بهم.



﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٩)

للبيان.

[٤٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ فَامْتِعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾:

نداء جديد إلى الذين آمنوا بتكليف أو حكم جديد يتعلق بالنكاح.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد الحتمية.

﴿نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾: النكاح هنا المقصود به عقد النكاح على النساء المؤمنات، والسؤال هنا لماذا خص المؤمنات؟ لأن في ذلك إشارة إلى الحث والحض على الزواج بالمؤمنات، كما قال رسول الله ﷺ اظفر بذات الدين تربت يداك. رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن.

﴿ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾: ثم: لتباين الصفات أو الفضل بين النكاح والطلاق، وليس للترتيب الزمني والتراخي.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾: من قبل: الزمن غير محدد، أن: تفيد التعليل والتوكيد، تمسوهن: أن تدخلوا بهن كناية عن الجماع أو الزواج أو الوطء.

﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، ما النافية، لكم: خاصة، من ابتدائية، عدة: ارجع إلى سورة الطلاق الآية (١) للبيان، تعتدونهن: أي: تستوفون عددها، أي: تنتظرون انتهاء عدد أيامها.

﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾: الفاء للتوكيد، متعهن: ارجع إلى سورة البقرة الآية (٢٣٦) لمعرفة معنى المتعة، قيل: نزلت هذه الآية فيمن لم يفرض لها مهر، والتي فرض لها مهر نصف المهر المفروض، وبعض العلماء قالوا: نصف المفروض +

المتعة، والمتعة بشكل عام هو ما يعطيه الزوج من مال أو كسوة أو حلي أو غيرها إلزاماً لها وتخفيفاً ورحمة.

وقوله: فمتعوهن: قيل: تعني الوجوب، وقيل: تعني النَّدب واختلف العلماء في ذلك، ومنهم من قال: مستحب.

﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: خلوا سبيلهنَّ من غير إضرار أو أذية ولا منع من إعطائهنَّ المتعة.

[٥٠] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾:

لفهم هذه الآية يجب أن نعلم أن هناك أربع فئات من النساء اللاتي أباح الله لنبِيِّه وحده بالزَّواج منهن:

الأولى: الزَّواج بالمهر:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾: ارجع إلى الآية (١) من مطلع سورة الأحزاب لبيان معنى يا أيها النبي.

﴿إِنَّا﴾: للجمع والتَّعظيم.

﴿أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾: أحللنا: من الحلال هو المباح شرعاً، أو ما نصَّ الشارع على حلِّه، أحللنا مشتقة من الحل: أي: انحل من عقد التَّحريم أو عقدة التَّحريم، لك: اللام لام الاختصاص، أزواجك: بصيغة المذكر، ولم يقل: زوجاتك؛ لأنَّ الزَّوج يطلق على الذَّكر والأنثى والزَّوج يعني الجنس،



اللاتي: اسم موصول للجمع المؤنث، أتيت أجورهن: أعطيت مهورهن وسمي المهور: أجور ويعني إيتاء المهر كاملاً دون تأخير شيء منه، كما يحدث الآن.

والسؤال: كيف يسمي المهر أجراً: لأن الأجر يُعطى على منفعة موقوتة وأما النكاح فليس موقوتاً إنما شروطه الدوام، فالإجارة تتنافى مع عقد النكاح، إذ الإجارة عقد مؤقت والنكاح عقد دائم، النكاح ليس عقد تملك وإنما هو عقد استباحة، والمهر في النكاح ليس عوضاً وإنما هو عطية أوجبها الله تعالى.

الفئة الثانية:

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾: وما: اسم موصول بمعنى التي، ملكت يمينك: أي: ما ملكتها يمينك عليك، مما أفاء الله عليك: الفاء هو ما أخذ بغير حرب أو قتال من السبي والغنائم مثل صفية بنت حُيي بن أخطب من سبي خيبر، وجويرية بنت الحارث من سبي بني المصطلق.

الفئة الثالثة:

﴿وَبَنَاتِ عِمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ أَلَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾: أمّا التي لم تهاجر فلا تحل له، ومن الملاحظ أن رسول الله ﷺ لم يتزوج من بنات عمه ولا بنات عماته ولا بنات خاله ولا بنات خالاته والعم والخال اسم جنس يطلق على المفرد والجمع.

انتبه: أفرد في العم والخال يراد به الجنس وجمع في العمات والخالات؛ أي: كل بنات العم، وبنات الخال، وبنات العمات، وبنات الخالات؛ فقد كان لرسول الله ﷺ عم واحد وخال واحد أمّا الخالات والعمات فقد كان لرسول الله ﷺ أكثر من خاله وعمه، ولذلك جاء القرآن يصدع بالحق.

الفئة الرابعة:

﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: وأحللنا لك امرأة مؤمنة؛ أي: شرط أن تكون مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي بدون مهر، وأراد النبي أن يتزوجها فلا بأس، وقوله وهبت نفسها للنبي: فهذه حالة خاصة (خاصة لك) دون المؤمنين فالمؤمن لو وهبت له امرأة نفسها بدون مهر وعقد وولي وشاهدان لم تحل له. وانظر كيف كتبت امرأة بالتاء المربوطة، ولم تكتب بالتاء المفتوحة (أو المبسوطة). ارجع إلى سورة آل عمران آية (٣٠) لمعرفة السبب.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾: قد: للتحقيق والتوكيد، علمنا ما فرضنا عليهم: ما تعني الذي، فرضنا عليهم: على المؤمنين من أحكام وشروط في النكاح مثل العدد والمهر والعقد وغيرها.

ولا يحل لكم الاقتداء برسول الله ﷺ فيما خصّه الله به وحده تكريماً له أو لحكمة ما لا يعلمها إلا الله، فلا يحل لكم الزواج المبني على الهبة.

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: حكمها معطل الآن.

﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: حرج: أي: ضيق أو مشقة فيما يقوله أعداء الدين.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: كان تشمل كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، غفوراً: صيغة مبالغة من الغفر أي: ستر ومحو الإثم ورفع الحرج والضيق، رحيماً: بالتوسعة على عباده وترك العقوبة.





سورة الحجرات ٣٣

الحجرات



﴿٥١﴾ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُعْوَِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْتِغَيْتَ
مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأَ عَيْنَهُنَّ
وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥٢﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ
النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا
﴿٥٣﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ
يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ
فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ
ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا
يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ
وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ
لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ
مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ يُخَفُّوهَ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٥﴾



سورة الأحزاب [الآيات ٥١ - ٥٤]

[٥١] ﴿تُرْجَىٰ مِنْ شَاءِ مِنْهُنَّ وَتُؤَيَّىٰ إِلَيْكَ مِنْ شَاءٍ وَمِنْ ابْنَعْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأَ عَيْنَهُنَّ وَلَا تَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ۝﴾

بالإضافة إلى حل الواهبة نفسها للرسول ﷺ من دون المؤمنين يفوض له الحرية والاختيار في الإيواء والإرجاء ليفعل ما يشاء بالنسبة لأمر القسمة أو التسوية بين أزواجه.

﴿تُرْجَىٰ مِنْ شَاءِ مِنْهُنَّ﴾: أي: تؤخر من تشاء من أزواجك عن ليلتها والإرجاء هو التأخير.

﴿وَتُؤَيَّىٰ إِلَيْكَ مِنْ شَاءٍ﴾: تضم أو تبيت مع من تشاء.

﴿وَمِنْ ابْنَعْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾: ومن طلبت، أي: أردت ممن تجنبت (من العزلة) أي: ممن لا تريد على الإطلاق.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾: الجناح: الإثم، أي: لا إثم عليك. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٥٨) لبيان المعنى، ومعرفة الفرق بين لا جناح عليك، وليس عليك جناح.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد يشير إلى التأخير الذي أباحه الله سبحانه له.

﴿أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأَ عَيْنَهُنَّ﴾: أقرب أن تقر أعينهن: أن حرف مصدر يفيد التعليل والتوكيد، تقر أعينهن: مشتقة من قر بالمكان: أي: أقام وثبت به، أي: عدم دورانها وحيرتها، أي: تسكن أي: ترتاح أعينهن وتسكن (من السرور) إذا علمن أن



هذا أمر من الله سبحانه، وكذلك قرّ مشتقة من القرّ: وهو البرد، أي: لا تحزن وتغضب كالعين الساخنة التي تحزن وتغضب.

﴿وَلَا يَحْزَنْ﴾: من الحزن: ارجع إلى سورة الأنعام الآية (٣٣) للبيان ومعرفة الفرق بين الحزن والحُزن.

﴿وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾: الرّضاء ضده السّخط، الرّضا بما قسمه الله وقدره والرّضا بما حدث من إيواء وإرجاء وتقريب وتأخير، بما: الباء للإصاق والدوام، ما: الذي، وأوسع شمولاً من الذي، آتيتهنّ كلّهنّ: (للتوكيد) آتيتهنّ من الإيتاء، ويشمل التّواحي المادية والمعنوية معاً، يرضين بالقسمة والتّسوية والعدل بينهنّ.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾: من الميل إلى البعض دون البعض، والحب والتّوايا والرّضا والسّخط.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً﴾: كان تستغرق كلّ الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، عليماً: صيغة مبالغة من علم كثير العلم عليماً بخلقه، وما تخفي ذوات الصّدور، من سرائر وعليم بحاجاتهم وميل قلوبهم، حلماً لا يعجل لهم العقوبة ويقبل التّوبة.

[٥٢] ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِنْسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً﴾:

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ﴾: لا النّاهية، يحل لك خاصة.

﴿الْإِنْسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾: هؤلاء التسع اللاتي عندك، اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة أو من بعد الذي أحللنا لك.

﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾: أي: لا يحل له أن



يتجاوز التسع وهو النصاب، ولا يحل له أن يستبدل بهؤلاء التسع أزواجاً آخر بكلهن أو بعضهن، كان ذلك كرامة لهن من الله سبحانه.

أن للتعليل والتوكيد، تبدل: حذف التاء بدلاً من تبدل لأن حكمها مقصور على رسول الله ﷺ وحده، ولو كان حكماً يشمل المسلمين لقال: تبدل، ولو: الواو تفيد التوكيد، لو: شرطية؛ أعجبك حسنهن: الحسن: هو شدة الجمال والمنظر؛ أي: ولو أعجبك حسنهن لا يحق أو يجوز لك أن تبدل.

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾: إلا: أداة استثناء ما ملكت يمينك: من الإماء مثل مارية القبطية التي أنجبت إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، ومات في سن الرضاعة.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾: كان تشمل أو تستغرق كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، على كل شيء: شيء نكرة كل شيء الصغير والكبير ومهما كان نوعه وجنسه، والشيء: هو كل ما يعلم ويخبر عنه سواء أكان حسيّاً أم معنوياً هو أقل القليل، رقيباً: الذي يراك والعالم بأحوالك فلا يخفى عليه فعلك.

[٥٣] ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظْرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا إِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِدِينَ لِلْحَدِيثِ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾

أسباب النزول: جمهور المفسرين قالوا: إن سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب بنت جحش التي طلقها زيد أراد أن يحتفل بذلك بإقامة وليمة (طعام) فدعا الناس فأكلوا، ثم مكث فريق منهم يتحدثون ولم يخرجوا واستحيا رسول الله ﷺ منهم أن يقول لهم: اخرجوا فخرج وظلوا جالسين فعاد إلى مجلسه، ثم انصرفوا.



﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾: نداء جديد إلى الذين آمنوا بتكليف جديد هو عدم دخول بيوت النبي، بيوت: جمع بيت وهو ما أُعد للمبيت، أي: الاستراحة والبيتوتة وبيوت النبي غرف ضيقة ليست معدة للاستقبال. ﴿وَالَا﴾: أداة حصر.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد.

﴿يُؤْذَنُ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ﴾: لا بُدَّ من تحقق شرطين لدخول بيوت النبي أولاً الدعوة والإذن، ثانياً الطعام فالإذن مقيّد بالطعام، والإذن يكون بالكلام أو الإشارة.

﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ﴾: أي: نضجه وإعداده واستواءه.

﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾: لكن للاستدراك والتوكيد، إذا: شرطية تفيد الحتمية، دعيتم: طلب منكم الدخول فادخلوا، وإن لم تدعوا فلا تدخلوا حتى يؤذن لكم، فادخلوا: الفاء للمباشرة، عندما يكون الطعام جاهزاً.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، إذا: شرطية ظرفية تفيد الحتمية.

﴿طَعِمْتُمْ﴾: أي: إذا أكلتم الطعام أو فرغتم من الطعام.

﴿فَأَنْشَرُوا﴾: اخرجوا عائدين إلى بيوتكم أو أعمالكم ولا يبقَ أحد أبداً، الفاء: للمباشرة والتوكيد.

﴿وَلَا مُسْتَعْسِينَ لِحَدِيثٍ﴾: لا النّاهية، تكرر (لا) يفيد توكيد النفي، مستأنسين لحديث: أي: لا تمكثوا بعد الطعام، يحدث بعضكم بعضاً في بيوت النبي.

﴿إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾: إنَّ للتوكيد، ذلكم: اسم إشارة يشير إلى عدة أمور مهمة، ولم يقل: إن ذلك يشير إلى أمر واحد منها المكث والجلوس والحديث بعد الطعام كان يؤذي النبي أو يشق عليه.

﴿فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنْ الْحَقِّ﴾: يستحي أن يقول لكم: اخرجوا من عنده أو قوموا؛ لأن وقت النبي ﷺ ضيق فهو يحتاج إلى الراحة والاستعداد للصلوات والوحي والذكر وغيره من العبادات وشؤون بيته.

﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنْ الْحَقِّ﴾: والله لا يستحي أن يقول الحق ويأمر به، أو يبين ما هو الحق.

ثم تتحدث بقية الآية عن كيفية التعامل مع زوجات النبي ﷺ أمهات المؤمنين.

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد الحتمية.

﴿سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾: المتاع: يشمل أدوات المنزل أو الطعام والشراب، وما تحتاجونه من العلم والفتيا من رسوله ﷺ.

﴿فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾: الفاء: للتوكيد، أسألوهن من خلف ساتر أو جدار أو حاجز، ولم يقل: خلف حجاب؛ لأن وراء قد تكون المسافة من الحجاب قريبة أو بعيدة.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، وذلكم يفيد الجمع، ويعني الأمر المهم والتوكيد.

﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾: أولاً بدأ بالقول: لقلوبكم: اللام للتوكيد ولم يؤكد باللام بالقول: لقلوبهن، وإنما قال: لقلوبهن؛ لأن قلوب أمهات المؤمنين أطهر بكثير من قلوب بقية الناس، أطهر: من خواطر السوء والريبة والشك، وهذه الآية وإن كانت تخص نساء النبي فهي عامة تشمل نساء المؤمنين عامة والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب.

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾: ما النافية، لكم خاصة، أي: لا يحق ولا يجوز لكم، وكان تعني: جميع الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل.



﴿أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾: أن حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد، تؤذوا رسول الله: بأي أذية مهما كانت قولاً أو فعلاً، أو تؤذوا أزواجه أو أهله بأي نوع من الأذى.

﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا﴾: تكرر (لا) يفيد التوكيد توكيد النفسي، أن: حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد، تنكحوا أزواجه ﷺ والعياذ بالله، من بعده أبداً: من بعد موته ﷺ، أبداً: تحريماً مؤبداً كحرمة أمهاتكم عليكم مؤبداً.

﴿إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾: إن للتوكيد، ذلكم: للتوكيد وأهمية الأمر استعمل ذلكم بدلاً من ذلك، ذلكم: ذا اسم إشارة واللام للبعد والكاف للخطاب، ذلكم تدل على الجمع وتشمل: أولاً: السؤال من وراء حجاب.

ثانياً: إيذاء النبي ﷺ.

ثالثاً: نكاح أزواجه من بعده ﷺ، ذلكم يعد إثماً وذنباً عظيماً، كان عند الله عظيماً: أي: ذلكم كان: تشمل كل الأزمنة عند الله: إثماً وذنباً عظيماً في شرعه ودينه أن تنكحوا أزواجه من بعده وعظيماً في الجزاء والحساب.

[٥٤] ﴿إِنْ تَبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَاتِبٌ كُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾:

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الندرة أو الاحتمال.

﴿تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ﴾: تبدوا: أي: تظهروه أو تستتروه أي شيء حسياً أو معنوياً مهما كان صغيراً أو كبيراً، أو الشيء يشمل الكل كل شيء، أو أمر في نساء النبي ﷺ مثل إيذاء النبي أو الرغبة في الزواج من نسائه أو إيذائهن قولاً أو فعلاً. أو تخفوه: في أنفسكم بشأن أزواج النبي ﷺ وخاصة بعد موته ﷺ.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء للتوكيد، وإن لزيادة التوكيد.



﴿اللَّهُ كَاتِبُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: في الماضي والمستقبل والحاضر.

﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾: الباء للإلصاق، والدوام، شيء مهما كان صغيراً أو كبيراً سرّاً أو جهراً قولاً أو فعلاً.

﴿عَلِيماً﴾: عالماً به صيغة مبالغة متى حدث وأين وعالم بباطنه وظاهره لا يخفى على الله سبحانه شيئاً في الأرض ولا في السماء.

لنقارن هذه الآية (٥٤) من سورة الأحزاب: ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تَخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَاتِبُ كُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ مع الآية (١٤٩) من سورة النساء: ﴿إِنْ تُبْدُوا خِيراً أَوْ تَخْفَوْهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيراً﴾:

الاختلاف: في سورة الأحزاب قال: شيئاً، وفي النساء قال: خيراً.

والشيء: أعم من الخير؛ لأنّ الشيء يشمل الخير والشرّ وشيئاً نكرة يشمل أيضاً الصغير والكبير والقول والفعل، والشيء: الأمر الحسي أو المعنوي.

فآية الأحزاب جاءت في الحديث عن نساء النبي ودخول المنازل والسؤال من وراء حجاب وعدم إيذاء النبي ﷺ، فالآية تخاطب الجميع المؤمنين والكفار والمنافقين، ولذلك استعملت شيئاً التي تشمل الخير والشرّ، وانتهت الآية إنّ الله كان بكلّ شيء عليماً للتحذير.

أمّا آية النساء فتخاطب المؤمنين وحدهم فهي تتحدّث عن جانب واحد وهو الخير، ولذلك استعمل كلمة إنّ تبدو خيراً، وانتهت بقوله: إنّ الله كان غفوراً رحيماً للمؤمنين.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٣٣

الْبَقَرَةُ وَالْأَنْعَامُ

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ
إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُنَّ وَآتَقِينَ اللَّهَ إِبْرَاهِيمَ اللَّهُ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا
(٥٥) إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
مُهِينًا (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨)
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ
عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ لَّيْسَ عَلَيْكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ
اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٩) لَّيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ لَّئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ
بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَلْعُونِينَ
أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي
الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)





سورة الأحزاب [الآيات ٥٥ - ٦٢]

[٥٥] ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَآتَيْنَ اللَّهُ إِنَّا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾:

سبب النزول: لما نزلت آية الحجاب اشتكى أقارب أمهات المؤمنين فقالوا: أو نحن أيضاً لا نكلمهن إلا من وراء الحجاب فتزلت لا جناح عليهن كما قال ابن كثير.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾: أي: لا إثم ولا ذنب عليهن؛ ارجع إلى الآية (٥) من نفس السورة، ولم يقل: ليس عليهن جناح: لمعرفة الفرق ارجع إلى الآية (١٥٨) من سورة البقرة للبيان، لا حرج ولا إثم أن يدخل عليهن ويكلمهن من دون حجاب هؤلاء المذكورون في الآية: وهم الآباء والأبناء والإخوان وأبناء إخوانهن وأبنائ أخواتهن.

﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾: اختلف الفقهاء في المراد بنسائهن فقال بعضهم: المسلمات فقط، وهو قول أكثر الفقهاء ومنهم ابن عباس، وقال البعض: جميع النساء المسلمة والكتابية والكافرة، وقوله: نسائهن، ولم يقل: النساء، تعني النساء اللاتي هن ملازمات لهن مثل العاملات أو الخادمات. ارجع إلى كتب الفقه للاطلاع على المزيد من البيان والتحقيق.



﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾: معطلة في عصرنا الحاضر، ولم يذكر الأعمام والأخوال (العم والخال) رغم أن منزلتهما كمنزلة الوالد، بعضهم قال: لا يجوز وبعضهم قال: يجوز. ارجع إلى مصادر الفقه، والطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، وتكرار لا يفيد التوكيد وفصل كل قرابة عن الآخر.

﴿وَأَتَقِينَ اللَّهَ﴾: من التقوى وهي بامثال وطاعة أوامر الله سبحانه وتجنب ما نهى عنه، أي: اتقين سخط الله وغضبه وناره فيما أمر به من الحجاب والعفة والقول والنظر والتبرج.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾: كان تشمل كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، شهيداً: صيغة مبالغة من شاهد وشهيداً تعني: الرقيب والمطلع على كل شيء والمحيط علمه بعباده وما تخفي صدورهم وتفعل جوارحهم وكل سر ونجوى وجهر.

أما الفرق بين إن الله كان بكل شيء عليمًا، إن الله كان على كل شيء شهيداً:

فالشهادة أخص من العلم، العلم = الشهادة وزيادة.

فالعليم يعلم أكثر من الشهيد والشهادة علم يتناول الموجود والعلم يتناول الموجود والمعدوم، والمسموع الغائب والحاضر، وللمقارنة بالرقيب. ارجع إلى الآية (٥٢) من نفس السورة.



[٥٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾:

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾: إِنَّ للتوكيد، الله وملائكته: جمع الله سبحانه بين صلاته وصلاة ملائكته على النبي؛ لأنه سبحانه هو وحده الذي يحق له أن يجمع أو لا يجمع، وأما نحن فلا يحق لنا أن نجمع بين الله سبحانه وأحد من خلقه، ويصلون الضمير يعود على الله والملائكة معاً، الصلاة من الله على النبي تعني: الرحمة العامة المطلقة ورضوانه وثناؤه، والصلاة من الملائكة على النبي تعني: الاستغفار والدعاء له.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد هو الصلاة على النبي والتسليم عليه، فكيف نصلي على النبي ﷺ نصلي عليه ﷺ، كما علمنا حين سُئِلَ: كيف نصلي عليك؟ فقال ﷺ: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد (ارجع إلى كتب الفقه).

واختلف الفقهاء في حكم الصلاة على النبي، فمنهم من قال: فرض ولو كان مرة واحدة، ومنهم من قال: شرط أو واجبة أو مندوبة، والصلاة على النبي ﷺ والتسليم يجب أن تكون مصاحبة لطاعة الرسول وامتنال أوامره وإلا فكيف تصلي عليه وتعصيه.



أما كيف يصلي رسول الله ﷺ على نفسه ويسلم؛ لأن الآية تنادي الذين آمنوا ورسول الله ﷺ إمام المؤمنين؟

فالجواب: هو التحيات حين يقول رسول الله ﷺ: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، فالرسول حين يقول ذلك يعتبر صلاة على نفسه.

﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾: اتباع الفعل سلموا بالمصدر تسليماً يفيد التوكيد. ارجع إلى مصادر الفقه الأخرى للمزيد عن الصلاة على النبي وفضلها والأحاديث التي جاءت في سياقها.

[٥٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾:

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: إن للتوكيد، الذين اسم موصول يفيد الذم.

﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: الإيذاء هو إيقاع الأذى، أي: الضرر بالقول أو الفعل بالموذئ، والإيذاء بحق الله ورسوله، أو أزواجه وأهله قد يعني: فعل ما يكرهه الله ورسوله من الكفر والمعاصي والتكذيب، ومخالفة الشريعة على سبيل المجاز، والإيذاء بحق الله ورسوله له معنى خاص.

فالإيذاء الذي يقع بحق الله تعالى لا يكون بالفعل فلا يستطيع أي مخلوق من خلقه مهما كان شأنه في الأرض أو في السماء أن يفكر أن يؤذي الله سبحانه؛ لأنه سبحانه العزيز القوي القهار الجبار، والإيذاء قد يكون بالقول فقط حين يقولون أو يفترون الكذب على الله عز وجل، مثل قولهم: إن الله فقير ونحن

أغنياء، أو إنَّ الله هو المسيح ابن مريم، أو الملائكة بنات الله، أو يسبون الدهر والله هو الدهر، أو أن يجعلوا بينه وبين الجنة نسباً، والإلحاد في أسمائه وصفاته وذاته.

فقد روى البخاري في صحيحه قال: قال الله تعالى: كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، أمّا إيذاء الرسول ﷺ فقد يحصل بالقول والفعل حين قالوا: ساحر، أو كاهن أو مجنون أو شاعر، وبالفعل حين شجّوا وجهه الشريف وكسروا رباعيته يوم أحد وغيرها، وكلمة يؤذون: جاءت بصيغة المضارع للدلالة على تجدد وتكرّر إيذائهم، وأنّه لم يتوقف.

﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: أي: طردهم وأبعدهم الله تعالى عن رحمته، ومثال على ذلك المعيشة الضنكة والعذاب في الحياة الدنيا بشتى أنواعه. ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾: أعد: هيأ وجهز، لهم: اللام لام الاستحقاق والاختصاص، عذاباً مهيناً: أي: مخزياً لكونه أمام الخلائق يوم القيامة وبذلة، والأليم.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذم.

﴿يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: يؤذون: ارجع إلى الآية السابقة، ويؤذون بصيغة المضارع تدل على التجدد والتكرار، والإيذاء يكون بالقول والفعل، بالقذف والظن السيئ والغيبة والنميمة والكذب والبهتان، وبالفعل



بالظلم والعدوان والقتل والضرب، وغيرها من وسائل الإيذاء والتعذيب، وذكر المؤمنات بعد المؤمنين ذكر الخاص بعد العام؛ لأن المؤمنات يدخلن في كلمة المؤمنين، فقول والمؤمنات: تدل على التوكيد على عدم إيذاء المؤمنات الغافلات.

﴿يَغَيِّرْ مَا كَتَسَبُوا﴾: أي: بغير ذنب أو سبب أو جريمة أو سيئة، والباء للإلصاق والدوام، ما: بمعنى الذي أو مصدرية، اكتسبوا: على وزن افتعلوا ولم يقل: كسبوا: اكتسبوا تدل على تكرار الكسب، أي: لم يفعلوا أي شيء أو سبب لإيذائهم لكي يرموهم بالباطل والكذب.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء للتوكيد، قد للتحقيق والتوكيد.

﴿أَحْتَمَلُوا بُهْتَنَا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾: البهتان هو الكذب المتعمد الذي يبهت ويدهش السامع: أي: يقع عليهم إثم ذلك البهتان، أي: الكذب، وإثماً مبيناً: أي: ظاهراً جليلاً لا يخفى على أحد، ولا يحتاج إلى دليل أو برهان.

[٥٩] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾:

أسباب النزول: كما أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت سودة زوجة النبي ﷺ بعدما ضرب الحجاب لحاجتها فرآها عمر، فقال: يا سودة أما والله تخافين علينا فانظري كيف خرجت، قالت: فانكفأت فأخبرت رسول الله ﷺ بما قال عمر فنزلت هذه الآية.

وقيل: كان بعض المنافقين يتعرضون للنساء في الليل إذا خرجن لحاجتهن،

فنزلت هذه الآية، والمهم هو عموم اللفظ وليس خصوص السَّبب، وهذا ما يحدث في عصرنا الحاضر من تعرض نساء المؤمنين للإيذاء بالأقوال وبالأفعال من قبل ضعاف الإيمان وأولاد الشوارع.

﴿يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ﴾: نداء بياء النداء، أيها: الهاء للتنبيه، نداء تكريم وتشريف.

﴿قُلْ لَا زَوْجَكَ﴾: اللام لام الاختصاص، أزواجك: وكنَّ تسعة حين نزول هذه الآية، وهنَّ: عائشة وحفصة وأم حبيبة وأم سلمة وسودة بنت زمعة وميمونة وزينب وجويرية وصفية.

﴿وَبَنَاتِكَ﴾: وكن أربعة: فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم.

﴿وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: عامة وكلمة نساء جمع لا مفرد لها وليس مثل كلمة أزواج مفردا زوج، إذن كلمة نساء لا يعرف لها مفرد كما أنَّ كلمة امرأة ليس لها جمع فلا تجمع على امرأت مثلاً، وأصل كلمة النساء من النسيء: وهو التأخير؛ لأنَّ المرأة خلقت بعد خلق الرّجل كما قال البعض.

انتبه: إلى قوله: لأزواجك ولم يقل: ولبناتك ونساء المؤمنين، وإنما قال: بناتك ونسائك، أكد باللام على أزواج النبي؛ لأنَّهن هن القدوة لكل النساء وأمّهات المؤمنين، ولم يؤكد على بناته ونساء المؤمنين.

﴿يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ﴾: الإدناء: هو الإرخاء والإسبال على الوجه والبدن أي: يسترن أجسامهنَّ من الرأس إلى القدم، والإدناء أصله التقريب، من جلابيهنَّ: من ابتدائية، والجلباب هو ثوب يُلبس فوق الثياب الداخلية وهو ثوب



يستر جميع الجسم والصدر، وأما الخمار فهو غطاء الرأس تحديداً، وأما الجيب:
فهو فتحة الصدر.

﴿ذَلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد يشير إلى إدناء الجلابيب.

﴿أَدْنَى أَنْ يُعْرَفَ﴾: أدنى: أقرب أو أحرى أن يعرفن: أن حرف مصدري يفيد
التعليل والتوكيد، أي: لكي يعرفن أو أقرب أن يعرفن ويُتَبَيَّنَ أَنَّهُنَّ من الحرائر.

﴿فَلَا يُؤْذِنَ﴾: الفاء للتوكيد، لا النافية، ويؤذِن مبنى للمجهول، أي: من
قبل السفهاء وأهل الرِّبَّة بالتعرض لهنَّ، فكأن لباس الجلباب فيه إشارة أو علامة
على أن المرأة حرة من الحرائر، فالأولى عدم التعرض لها والإساءة لها.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: غفوراً لمن تركت منهنَّ السَّتر قبل نزول هذه
الآية، غفوراً: صيغة مبالغة كثير الغفر هو السَّتر ستر الذَّنوب ومحوها والثواب
على العمل الصَّالح، رحيماً: بعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة يرشدهم إلى ما
فيه الخير والصَّلاح والسَّداد والصَّواب، رحيماً صيغة مبالغة كثير الرَّحمة وصفة
الرَّحمة ثابتة له.

[٦٠] ﴿لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ
لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿لَئِنْ لَّمْ﴾: اللام لام التوكيد، إن: شرطية تفيد النِّدرة أو الاحتمال والشك،
لم: نافية.

﴿الْمُنْفِقُونَ﴾: جمع منافق وهو من يظهر خلاف ما يبطن، أي: من أظهر

الإسلام وأضمر أو أبطن الكفر. ارجع إلى سورة النساء آية (١٣٨) لمزيد من البيان.

﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: الرّيبة والشك والفجور وضعاف الإيمان والفسقة.

﴿وَالْمُرْجَفُونَ﴾: من الإرجاف، جمع مرجف والمرجف الذي يمشي بين الناس لينشر الفتنة وأخبار السوء والأكاذيب والأباطيل وزعزعة النفوس؛ مما يؤدي إلى اضطرابها وتحريكها، والإرجاف: مأخوذة من الرّجفة التي هي الزلزلة الأرضية الشديدة. وهذه الآية قد تكون تحذير ووعيد لمن يخفي أو يبدي شيئاً يؤذي رسول الله ﷺ، أو يطعن في أزواجه (أمهات المؤمنين).

وهناك من المفسرين من يرى أن الصفات الثلاث لجنس واحد هم المنافقون، أي: هناك من المنافقين مرجفون، وقوم يشكّكون المسلمين، الواو هنا تعني عطف صفات مختلفة لشيء واحد، وجاءت الصفات مستقلة؛ لأنها أصبحت صفات واضحة غير مخفية تكاد تكون مستقلة بذاتها.

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: اللام للتوكيد، نغرينك بهم: من الإغراء وهو أن تحمل المخاطب ليفعل أمراً ما أو تُحبب إلى شخص أمر ليفعله، أي: لنغرينك على مواجهتهم والتّصدي لهم وقتالهم وإجلالهم، أي: لنسلطنك عليهم، والنون في نغرينك لزيادة التّوكيد.

﴿ثُمَّ﴾: عطف بها لتباين عظم الجلاء عن الأوطان، فهو أعظم عليهم من جميع ما أصيبوا به.



﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا﴾: أذلاء ملعونين أقلاء في المدينة، ولمدة قليلة من الزمن، ثم يخرجون منها أو يهلكون، إلا تفيد الحصر.

﴿قَلِيلًا﴾: أي: زمناً قليلاً أو القلة منهم والباقي يرحل ويترك.

[٦١] ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخِذُوا وَقَتِّلُوا نَفْتِيلًا﴾:

﴿مَلْعُونِينَ﴾: أي: لا يجاورونك إلا ملعونين، أي: مبعدين عن رحمة الله، أو مطرودين من المدينة بعد أن لعنهم الله سبحانه وفضحهم بسبب غدريهم ونفاقهم.

﴿أَيْنَمَا﴾: وردت في القرآن في أربع آيات هذه واحدة منهن، ظرف مكان فيه معنى العموم والشمول والإبهام.

﴿ثَقِفُوا﴾: أي: وجدوا في أي مكان وزمان على شرط أن تكونوا قادرين عليهم أو تربصوا لهم فإذا تمكنتم من أسرهم وقتلهم فافعلوا.

﴿أَخِذُوا﴾: أي: أسروا: أخذوا أسرى.

﴿وَقَتِّلُوا نَفْتِيلًا﴾: أي: اقتلوهم بعنف وشدة ولا تأخذكم بهم رحمة أو رأفة، قتلوا: فيها مبالغة، ولم يقل: وقتلوا بنشديد التاء، وإتباع الفعل بالمصدر يفيد التوكيد على قتلهم.

[٦٢] ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾:

﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾: هي الطريقة التي يصرف الله سبحانه بها كونه أو خلقه بما يحقق مصلحة ذلك الكون أو الخلق ومصلحة الإنسان أن يسود الحق ويبطل الباطل. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٧٣) والنساء آية (٢٦) لبيان معنى سنة.



ولمقارنة السنة مع العادة: فالعادة مأخوذة من العود والمعاودة بمعنى التكرار، وأمّا العرف: فما ألفه المجتمع واعتاده من قول أو فعل وعادة.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾: أي: أسر المنافقين ولعنهم في كلّ زمان، وقتلهم تقتيلاً وتسليط المؤمنين عليهم وقهرهم هي سنة الله تعالى، وطريقته التي أجراها منذ الأزل، والتي جرت في الذين خلوا من قبل أو مضوا أو جاؤوا من قبل هؤلاء من الأمم السابقة.

﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾: لن: لنفي القريب والبعيد، واللام في كلمة لسنة: لام الاختصاص، تجد لسنة الله تبديلاً: أي: لا تغيير ولا تبديل ولا تحويل ثابتة دائمة على أمثال هؤلاء إلى قيام الساعة. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٣) من سورة الفتح، وهي قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾: نجد أن آية الأحزاب جاءت في سياق المنافقين والذين في قلوبهم مرض والمرجفين، والسنة هي: ﴿أَيِنَّمَا تُقِفُوا أَخَذُوا وَقِيلُوا نَفْتِيلاً﴾، وآية الفتح جاءت في سياق الذين كفروا، والسنة هي: ﴿وَلَوْ قَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.





سورة الأعراف ٣٣

الجزء الثاني من التفسير

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ
وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا
فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ
وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾
يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

سورة الأحزاب [الآيات ٦٣ - ٧٣]

[٦٣] ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾:

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾: يسألك الناس؛ أي: الكل يسأل؛ إما سؤال إنكار من الذين ينكرون الساعة والبعث والحساب أو سؤال استعجال واستهزاء من المشركين أو من اليهود على سبيل الامتحان، أو من أهل العلم من الذين يؤمنون بها للاستعداد لها.

﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾: أي: متى قيام الساعة، أي: عن وقت حدوثها والساعة هي بدء تهدم النظام الكوني الحالي ونهاية الحياة الدنيا، وهي أمر مهم وخطير يهم كل الناس، ويسألك ولم يقل: يسألونك، يسألك: يعني السائل ليس بالضرورة يقف أمامك ويسألك، أما يسألونك: فالسائل يقف أمامك ويسألك بنفسه وعن تفيد المجاوزة والمساعدة.

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد والحصر.

﴿عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: قل لهم: لا يعلمها إلا الله أو استأثر الله بعلمها، فلم يطلع عليه ملكاً ولا رسولاً ولا نبياً، ثم بين سبحانه أنها قريبة الوقوع.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾: وما: الواو عاطفة، ما للاستفهام.

يدريك ولم يقل: أدراك ما هو الفرق بين يدريك وأدراك يستعمل القرآن



الكريم يدريك في سياق الأمر أو الاستفهام الذي لن يظهر أو يُعلم عليه حتى يوم القيامة.

وأما أدراك فيستعملها في سياق الأمر أو الاستفهام الذي سيظهر علمه أو يبدو لك عن قريب.

﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾: لعل للتعليل، السَّاعة تكون قريباً لم يقل: قريبة: قريباً بالتذكير؛ لأنَّ المراد بالسَّاعة ليس السَّاعة الآلة بعينها، وإنما وقت قيامها، أي: الظَّرف أي: زمن قيام قريب، فكل ما ورد في إدراك فقد أداره به، وكل ما جاء في سياق يدريك لم يطلعه الله عليه.

[٦٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾:

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾: طردهم وأبعدهم عن رحمته والكافرين بشكل عام والكافرين بالبعث والسَّاعة خاصة.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾: أعد: هيأً وجهز، لهم: اللام للاختصاص والاستحقاق.

﴿سَعِيرًا﴾: ناراً شديدة الاستعار والاتقاد أو مستعرة.

[٦٥] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾:

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾: الخلود يعني: البقاء الدائم المستمر من دون انقطاع ويبدأ من زمن معيَّن هو دخولهم إياها وإلى ما لا نهاية.

﴿لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: ولم يقل: لا يجدون من دون الله ولياً ولا نصيراً؛ لأنَّ سياق الآية في الآخرة ففي الآخرة انتهى الأمر لا يوجد لله لا شريك

ولا ولي، كما كانوا يزعمون في الدنيا، ولو كان السّياق في الدّنيا لذكر من دون الله.

ولياً: من الولاية والولي هو القريب الذي يتولّى أمرهم والمحب المخلص لهم، ولياً نكرة تعني أيّ وليّ.

ولا نصيراً: الناصر والمدافع القوي يخلصهم من العذاب. نصيراً: نكرة تعني أيّ نصير. ارجع إلى الآية (١٠٧) من سورة البقرة لمزيد من البيان؛ أي: لا يجد لا ولي لوحده، ولا نصير لوحده، ولا كلاهما معاً.

[٦٦] ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: نكرة للتّهويل والتّعظيم، أي: يوم القيامة.

﴿تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾: تعود على الكافرين، تقلب وجوههم: قد تعني مرة على الجانب الأيمن ومرة على الجانب الأيسر.

تقلب وجوههم مثل تلفح وجوههم النار أو لا يكفون عن وجوههم النار. وخصّ الوجه؛ لأنّه أشرف أعضاء الجسم وأهمها.

﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا﴾: يا النداء نداء حسرة، ليت تستعمل لطلب الأشياء المستحيلة الحدوث أو غير الممكنة الحدوث، أو هم يتمنّون المستحيل؛ لأنّ طاعة الله ورسوله انتهت والآخرة ليس فيها تكليف.

﴿أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾: يا ليتنا أي: أطعنا الله سبحانه في الدنيا فيما أمر ونهى وأطعنا الرسول ﷺ فيما فصلّ وبينّ ويا ليتنا لم نعصه، وتكرار أطعنا يفيد التّوكيد وفصل طاعة الله عن طاعة الرسول أو كلاهما معاً.



﴿الرَّسُولَ﴾: فيها زيادة الألف التي تدل على طول الكلمة بدلاً من أطعنا الله والرسول ولتدل على تمنٍّ ممزوج بصراخ وعويل طويل مرير من أهل النار.

[٦٧] ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾:

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا﴾: لم يقولوا: يا ربنا: حذفوا ياء النداء للبعد؛ لأنَّ الموقف في الآخرة والله سبحانه قريب منهم يسمعونهم.

﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾: السادة جمع سيد: وهو الذي يتولَّى تدبير القوم وعليهم طاعته؛ لأنَّه ينظر في أمورهم فهو سيد القوم ورئيسهم.

﴿وَكُبَرَاءَنَا﴾: جمع للصفة كبير وهو الذي يفضلهم في العلم أو السن أو الشرف.

فهم يلقون اللوم على السادة والكبراء، لعلَّ الله يقبل اعتذارهم وسادتنا تدل على الكثرة، أي: أطعناهم فكانوا عوناً لنا على الشرك والكفر والمعاصي. وهناك فرق بين كبراءنا، وأكابر؛ الأكابر: جمع أكبر، وهم أعظم أو أبلغ من كبراء. ﴿فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾: أي: لم يهدونا إلى الصراط المستقيم وساروا بنا في طريق الضلال.

وأضلونا السبيل: مد السبيل فقال السبيل: لأنَّ المقام مقام صراخ وعويل وبكاء، وعدم استقرار ولا سكون.

وإذا قارنا هذه الآية بالآية (٤) من نفس السورة ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾: لم يمد السبيل: لأنَّ هذه السبيل مليئة بالسكون والطمأنينة والاستقرار؛ لأنَّه سبيل الله الحق يختلف عن سبيل السادة والكبراء.

[٦٨] ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾:

﴿رَبَّنَا﴾: ولم يقولوا: يا ربنا: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾: قيل: عذاب مضاعف؛ لأنهم أضلوا أنفسهم وأضلونا معهم، أي: ضلّالهم لم يقتصر على أنفسهم، وإنما تعدّى إلى غيرهم، أي: اجعل عذابهم ضعفي عذابنا.

﴿وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾: طلبوا لهم اللعن، أي: طلبوا من الله أن يطردهم من رحمته، وأن يكون هذا اللعن لعناً كبيراً؛ لأنهم ضلوا وأضلونا وليس لعناً عادياً.

[٦٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله سبحانه الذين آذوا الله وآذوا رسوله ﷺ، ثم الذين آذوا المؤمنين، ثم ينادي الذين آمنوا بنداء جديد بأن لا يكونوا كبني إسرائيل الذين آذوا نبيهم موسى ﷺ الذي جاء لينقذهم من الاستعباد والعذاب.

وهم آذوه مرات عديدة مثال: حين اتهموه بقتل أخيه هارون، أو حين اتهموه بالبرص، وحين اتهموه بالغيب الخلقي، وهو الأدرة وهو انتفاخ بالصفن بسبب كيسه، وحين اتهموه بالزنى بالمرأة البغي بعد أن حرضها قارون على اتهام موسى بالفاحشة.

﴿فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾: أي: أطلعهم الله تعالى على أنه بريء من البرص والغيب الخلقي، وأنه آدر، كما قال ابن عباس: خرج موسى ذات يوم ليغتسل فوضع ثيابه على حجر فجرف الماء الحجر وعليه ثوبه فركض موسى عريانياً يطلب ثيابه، فرآه بنو إسرائيل فقالوا: والله ما به من بأس فبرّاه الله من ذلك وبرّاه الله من الزنى ومن قتل أخيه.



﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِهَاً﴾: ذو جاهٍ، أي: قدر وقربة عند الله، أي: منزلة رفيعة.
[٧٠] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾:

نداء جديد للذين آمنوا بتكليف أو أمر جديد.

﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: التقوى أن تجعل بينك وبين الجبار العزيز القهار وقاية تقيك من غضبه وسخطه وناره، وذلك بامثال أو طاعة أو امره وتجنب ما نهى عنه الله.
﴿وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾: السداد هو القصد إلى الحق، أي: القول الصدق والعدل الذي يفضي إلى الحق القريب من الصواب، والصواب: هو الحق الذي لا يوجد غيره؛ أي: لا تخوضوا في أي حديث غايته غير القصد في الوصول إلى الحق مثل الخوض في حديث زينب وزيد، أو رجل له قلبان في جوفه أو زيد بن محمد، أو أزواجكم أمهاتكم، وغير ذلك من الأقاويل الباطلة، أو تتهموا أحداً بالباطل (بالتزني أو العيوب الخلقية أو غيرها) أي: راقبوا الله في حفظ ألسنتكم ولا تقولوا إلا الحق أو الزموا الصمت.

[٧١] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾:

أي: يعدكم إذا اتقيتم الله وحده وقلتم قولاً سديداً أن:

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾: أي: يزكيها ويقبلها أي: يقبل حسناتكم.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾: (لكم خاصة) ذنوبكم، أي: جميع ذنوبكم ولم يقل: يغفر لكم من ذنوبكم.

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: من شرطية، يطع الله ورسوله فيما أمرا به ونهيا

عنه.



﴿فَقَدْ﴾: الفاء جواب الشرط، قد للتحقيق والتوكيد.

﴿فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: الفوز: النّجاة من النّار ونيل ما يتمناه سعادة الدارين والفوز العظيم ليس هناك فوز أعظم منه، عظيم صيغة مبالغة على وزن فاعِل الفوز العظيم: هو أعظم من الفوز المبين أو الفوز الكبير. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٣) لمزيد من البيان في الفوز وأنواعه أو درجاته.

[٧٢] ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم تعود على الله سبحانه واجب الوجود.

﴿عَرَضْنَا﴾: من العرض يقال: عرضت على فلان الأمر يعني أطلعته عليه لأرى فيه رأيه يقبل أو لا يقبل والعرض يعني فيه تخيير لا إلزام، فله أن يطيع أو أن يعصي يؤمن أو يكفر.

﴿الْأَمَانَةَ﴾:

١ - أمانة الاختيار، وقيل: هي الفرائض الصّلاة والزّكاة وصيام رمضان وحج البيت والعدل في الميزان والمكيال.

٢ - أو سائر التكاليف الشرعية والتي تضم افعل ولا تفعل؛ أي: الفرائض والإخلاص في العبادة والالتزام بشعائر الدين وسنته وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في الميزان والمكيال، وقيل أيضاً: غسل الجنابة وحفظ الفرج والإذن والعين واليد والوفاء بالعهود، وتشمل كلّ ما اتّضمن عليه من مال أو وديعة أو غيرها مثل قضاء الدّين، وقيل: الأمانة الطّاعة طاعة أوامر الله وتجنّب نواهيه.

﴿عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾: على الأجرام العظيمة كالسّموات



والأرض والجبال فلا تظن السموات والأرض والجبال جمادات أو أشياء خلقت عبثاً، بل هي تسبح بحمد ربها وتصلي وتسجد لخالقها.

﴿فَأَيُّكَ أَنْ يَحْمِلَنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾: امتنعت أن تقبل تحمل الأمانة وخافت منها (أن لا تؤذيها) واختارت أن تكون مسخرة لمشیئة الله وإرادته.

﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾: أي: بعد أن خير السموات والأرض والجبال خير الله آدم فاختار أن يحملها وقبل آدم أبو البشر على حملها على الرغم من ضعف قوته مقارنة بتلك الأجرام العظام.

﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾: إنه: للتوكيد، كان ظلوماً: لنفسه لأنه حمل نفسه شيئاً لم يعرف عواقبه (الأمانة) ولم يف بها أو غدر بالعهد ونكث أو لم يلتزم بها، ولم يحملها كما أمر، جهولاً: بما ستصنع به الأغيار أو جهولاً لما يرتكبه من الأخطاء أو حملها بسبب جهله، والجهل هو عدم العلم وكلمة (ظلوماً جهولاً) صيغة مبالغة لظلمه وجهله.

[٧٣] ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾:

﴿لِيُعَذِّبَ﴾: اللام لا التعليل يمكن أن تعود على عرضنا أو حملنا إذا عادت لام التعليل إلى عرضنا: أي: عرضنا الأمانة على الإنسان ليظهر شرك المشرك ونفاق المنافق وإيمان المؤمن، ومن ثم يعذبهم على أعمالهم.

وإذا عادت لام التعليل إلى حملنا: أي: حملنا المنافق والمشرك والعاصي الأمانة فلم يؤدّها، فلذلك يعذب، وأما المؤمن المطيع فيثاب:

١ - وليس المقصود بتحميل الإنسان الأمانة والتكليف بها هو تعذيبه أبداً، وإنما ليثاب على حملها.



٢ - ولم يعطف التوبة على العذاب وفصل بينهما بتكرار الفاعل وهو الله للتوكيد، فقال: ليعذب الله ويتوب الله بدلاً ليعذب الله ويتوب على... إلخ.
﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: كان وما زال وسيبقى غفوراً رحيماً، وكان الله غفوراً رحيماً.

غفوراً: مقابل كلمة الظلوم فالله سبحانه غفور لمن ظلم، ثم بدل حسناً بعد سوء.

رحيماً: مقابل (جهولاً) أي: رحيماً بالجاهل إذا تاب أو أناب إلى ربه.
ومن الجدير بالذكر الانتباه كيف بدأت السورة بقوله: فلا تطع الكافرين والمنافقين، وانتهت السورة بقوله: ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٣٤

الْمِائَةُ وَالْعَشْرُونَ

سُورَةُ النِّسَاءِ

آيَاتُهَا ٥٤

رُكُوعُهَا ٣٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ
فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ
وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ
الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ
قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ
ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ
وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ
الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ
يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلُّ مُمْزِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾



سورة سبأ [الآيات ١ - ٧]

سورة سبأ هي السورة رقم (٣٤) في ترتيب المصحف، أما في النزول فقد كانت السورة (٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: ارجع إلى الآية (٢) من سورة الفاتحة، وسورة الأنعام لبيان معنى الحمد، وسورة سبأ هي إحدى السور الخمسة التي افتتحت بالحمد لله: وهي الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر.

﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: الذي: اسم موصول يفيد المفرد المذكر، والمجيء بالذي هنا يفيد التعظيم؛ لأن له ما في السموات وما في الأرض، لم يقل الحمد لله من له، الذي: أخص من (من)؛ أي: الذي أكثر تحديداً ووضوحاً، فالذي تستعمل للأخص المعلوم، له ما في السموات وما في الأرض: ارجع إلى الآية (٢) من سورة إبراهيم.

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾: تكرر وله الحمد يفيد التوكيد والاستمرار، وأن حمده لا ينقطع في الدنيا ولا في الآخرة، والحمد في الآخرة: أكبر وأعظم، يحمده أولياؤه أصحاب الجنان، أمثلة على ذلك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ﴾ [الزمر: ٧٤] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ



عَنَّا الْحَزَنَ ﴿فَاطِر: ٣٤﴾، له ما في السَّمَوَاتِ وما في الْأَرْضِ؛ أَي: له وحده، اللام لام الاختصاص والملكية.

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾: تقديم الجار والمجرور له يفيد الاختصاص والحصر؛ أَي: له الحمد وحده عز وجل لا لغيره.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿الْحَكِيمُ﴾: مشتقة من الحكم فهو أحكم الحاكمين، ومن الحكمة فهو أحكم الحكماء في خلقه وشرعة وكونه. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

﴿الْخَيْرُ﴾: العليم ببواطن الأمور: مثل السر والنجوى وخائنة الأعين وما تخفي الصدور، الخير بأحوال كونه وعباده وخلقته.

[٢] ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾:

في الآية السابقة قال تعالى: «الخير» ببواطن الأمور وكذلك يعلم:

﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ﴾: يلج من الولوج: وهو الدخول بصعوبة مثل دفن الموتى كقوله: ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً، فكلمة كفاتاً فيها معنى الولوج، إذن يعلم عدد من يدفن فيها وما يخفى فيها تحت الأرض من الكنوز والمعادن والبترول والغازات والمواد النووية والمواد المدمرة، وغيرها من الأشياء التي تلج في الأرض؛ أي تسقط: من السماء كما هو الحال في إنزال الحديد من السماء وتشكيله لب الكرة الأرضية الصلبة والسائلة. في: تفيد الظرفية.

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: من بترول وغازات وبخار ماء ومعادن وكنوز (بواسطة الاستخراج والكشف) وبراكين والمياه، والنبات والزرع، من: ابتدائية ظرفية، وتكرار ما يفيد التوكيد، وفصل الولوج عن الخروج والنزول عن العروج.

﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: من مطر وبقايا الأجرام السماوية المتفككة فقد أشارت وكالة الفضاء الأمريكية أن هناك (١٧٠ مليون) قطعة من بقايا الأجرام السماوية تدور حول الأرض عليها تتراوح أحجامها بين (١ ملم)، وبعضها يقدر بـ (٣٠ ألف) بحجم البرتقالة، وبعضها القليل بحجم الأقمار الاصطناعية، ومعظم هذه البقايا تسقط في البحار والمحيطات التي تشكل (٧٠٪) من حجم اليابسة، وهذا من رحمة الله تعالى، ولو سقطت القطع الكبيرة لسببت الدمار والخراب في الأرض. ارجع إلى سورة الشعراء آية (١٨٧) للبيان، أو ما ينزل من الملائكة وما ينزل من صواعق وبرق وبرد، وأشعة ضارة أو نافعة وغيرها.

﴿وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا﴾: العروج هو الصعود بشكل مائل، ارجع إلى الآية (١٤) من سورة الحجر؛ أي: الملائكة والمركبات الفضائية والطائرات والصواريخ، ورياح وسحب وبخار ماء.

﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾: هذه هي الآية الوحيدة في القرآن التي قدم الرحيم على الغفور وبقية الآيات كلها قدم الغفور على الرحيم؛ قد يكون والله أعلم أن الرحمة عامة تشمل المؤمن وغير المؤمن، ولم يتقدم هذه الآية أي ذكر عن المؤمنين أو غيرهم، وإنما فيها ذكر صفات وأسماء الله، فقدم الرحيم (لعامة الناس) على الغفور؛ لأن الغفران لا يكون إلا (لخاصة الناس) فقدم العام على الخاص، ولأن الرحمة تسبق المغفرة.

الرحيم: بكم يحفظكم من عواقب ما يحدث في الأرض من الولوج



والخروج، وما يحدث في السماء من النزول والعروج، الرحيم: صيغة مبالغة من الرحمة. فلو سقطت هذه القطع الكبيرة والتي تقدر بواحدة كل يوم على مدينة أو منطقة أهلة بالسكان لقتل الكثير، وسببت الحرائق والدمار في البنيان، أو حدثت البراكين والزلازل الكثيرة، وملئت السماء الغازات السامة لما عاش الكثير، ونحن نشاهد الصواعق التي تسبب الحرائق الهائلة في الأرض، وكذلك الفيضانات وغيرها من الظواهر الجوية والأعاصير المدمرة.

الغفور: صيغة مبالغة؛ أي: كثير الغفران؛ أي: يعفو ولا يعاقب ويثيبكم على أعمالكم الصالحة، يعفو عن كثير (كثير من ذنوبكم وسيئاتكم وخطاياكم) فلا يعاقبكم. ارجع إلى سورة الحديد الآية (٤) لمزيد من البيان.

[٣] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بالله ورسوله وأنكروا البعث والحساب والآخره.

﴿لَا تَأْتِيَنَا السَّاعَةُ﴾: لا النافية، تأتينا الساعة: أي ساعة تهدم النظام الكوني الحالي، وسمي بالساعة: الساعة جزء من (٢٤) جزءاً من النهار والليل، وقد يكون معناها إطلاق الجزء على الكل أو الساعة هي آخر ساعة في الحياة الدنيا وبعدها النفخة الأولى ويبدأ تهدم النظام الكوني الحالي والفرع والصعق؛ أي: الذين كفروا زعموا أنه ليس هناك الساعة ولا حساب ولا آخره، ولا بعث، ولا جنة، ولا نار.

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ؛ أي: أقسم لكم بربي لتأتينكم.



﴿بَلَىٰ وَرَبِّي﴾: بلى: حرف جواب يفيد تقرير ما بعد النفي، وما بعد النفي إتيان الساعة؛ أي ستأتين وربّي: الواو واو القسم؛ أي: أداة القسم، والمقسم به ربّي، والمقسم عليه لتأتينكم، والله سبحانه غني عن القسم، ولا يقسم إلا بشيء هام وعظيم، وهو قيام الساعة.

﴿لَتَأْتِيََنَّكُمْ﴾: اللام والنون في تأتينكم للتوكيد: توكيد القسم.

﴿عَلِمَ الْغَيْبِ﴾: الغيب كلّ ما غاب عن عيون البشر في السموات وفي الأرض، وعن كل المدركات كالسمع والبصر وغيرها من الحواس، وعالم السرّ والتجوى وما تخفي الصدور، عالم الغيب هنا يعني الغيب المطلق، ومنه علم قيام الساعة وغيرها، وهناك الغيب النسبي الذي قد يظهره لمن ارتضى من رسله. ارجع إلى سورة الروم آية (١-٤).

﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾: لا يعزب: لا النافية، يعزب من: عزب الشيء؛ أي: غاب وبُعد، أي لا يغيب عن علمه أي شيء مهما دقّ وصغر، وما كان نوعه وشكله وحجمه ولونه، ارجع إلى سورة يونس الآية (٦١) لبيان معنى ذرة.

وهذه الآية من سورة سبأ هي إحدى ثلاث آيات فقط في كلّ القرآن التي أمر الله سبحانه رسوله بأن يقسم بربه على مجيء الساعة، وأمّا الآية الثانية فهي الآية (٥٣) من سورة يونس وهي قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْثِنُكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ القسم في هذه الآية على مجيء العذاب، أمّا الآية الثالثة فهي الآية (٧) من سورة التغابن وهي قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَيُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبُّونَ﴾ والقسم في هذه الآية على مجيء يوم البعث، إذن القسم كان على مجيء الساعة والبعث والعذاب.



ولمقارنة هذه الآية (٣) من سورة سبأ: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ مع الآية (٦١) من سورة يونس: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ ارجع إلى سورة يونس الآية (٦١) للبيان.

[٤] ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾:

﴿لِيَجْزِيَ﴾: اللام لام التعليل؛ أي: لتأتينكم ليجزي الذين آمنوا وليجزي الذين سعوا في آياتنا ويرى الذين أوتوا العلم.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: الذين: اسم موصول، آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وعملوا الصالحات: الفرائض والتوافل، وما أمرهم به ربهم أو نهاهم عنه.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿هُمْ مَغْفِرَةٌ﴾: لهم: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، مغفرة لذنوبهم، والمغفرة تعني: ستر الذنب وبالتالي العفو وإسقاط العقاب وإيجاب الثواب.

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: وصف الرزق ذاته بالكريم، والكريم: هي صفة الرزاق الذي يرزق، فالرزق كريم من الكريم ويشمل جنات الفردوس والخلد وعدن والنعيم، كريم؛ لأنه رزق في الجنة ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: [غافر: ٤٠]، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّعَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، ﴿فَوَكَهَهُمْ مُّكْرُمُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الصافات: ٤٢-٤٣]، ويشمل المأكّل والمشرب والملبس والحدود العين وكل ﴿مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١].

[٥] ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ﴾:

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾: والذين: اسم موصول، سعوا في آياتنا: من السَّعي: هو المشي الحثيث أو الجاد، عملوا جهدهم على صرف النَّاس عن الاستماع لآياتنا والطَّعن فيها وإبطالها، أو صد النَّاس عنها باللغو والتَّكذيب بها، معاجزين: جمع معاجز من: عاجزه وأعجزه؛ أي: غالبه وسبقه؛ أي: يحاولون أن يُعجزوا ويسبقوا من جاء بها أو يدعو إليها فيجعلونه عاجزاً عن تبليغها والكف عنها.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد يفيد الذم والتحقير.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ﴾: الرَّجْز عذابٌ من السَّماء (مثل الطَّاعون أو البرق أو صاعقة) أليم لا ينجون منه، أو كثير الإيلام لا يطيقونه. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٩) للبيان المفصل في معنى رجز، والفرق بين رجز ورجس.

[٦] ﴿وَبَرَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾:

مقابل الكفار الذين سعوا في آياتنا معاجزين بالفساد والصد عن سبيل الله.

﴿وَبَرَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: الذين أوتوا العلم؛ أي: المؤمنون بالله أتباع الرسول ﷺ، والذين أوتوا العلم من أهل الكتاب وغيرهم أوتوا العلم؛ يعني: علم الدين.

يروا ﴿الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: أي القرآن أو من الآيات.



﴿هُوَ الْحَقُّ﴾: هو ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر، الحق: الأمر الثابت الذي لا يتغير أو يتبدل، والذي ليس هناك غيره.

﴿وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾: صراط العزيز الذي لا يُغلب ولا يُقهر، الحميد على نعمه الدائمة الباطنة والظاهرة وعلى ما يعطي من نعم، صراط العزيز الحميد: هو دين الإسلام دين الحق أو الدين القيم. ارجع إلى سورة الحج آية (٢٤) للمقارنة.

[٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مَزَقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بعضهم لبعض، وبما أنه لم يذكر لمن قالوا، فلا يهم والمهم هنا المقولة.

﴿هَلْ﴾: استفهام فيه تعجب وإنكار.

﴿نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾: أي محمد ﷺ، رجل نكرة، ولم يذكروا اسمه ﷺ بل وصفوه بالنكرة؛ للاستهزاء به والسخرية والتقليل من شأنه.

﴿يُنْبِئُكُمْ﴾: من النبأ: وهو الخبر العظيم؛ أي: يخبركم خبراً عظيماً وهو إذا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مَزَقٍ إنكم لفي خلق جديد.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد الحتمية.

وهناك فرق بين التمزق والتقطع، مُزِقْتُمْ كُلٌّ مَزَقٍ أي: مزقت أجسادكم بعد الموت وأصبحت عظاماً ورفاتاً أو في بطون السباع أو البحار أو الطير أو القبور، والتمزق: تعريفه هو إتلاف الشيء بحيث لا يمكن إصلاحه أو إعادته أو جمعه مرة أخرى، أمّا التقطع: هو قطع الشيء إلى كتل: وقطعناهم في الأرض

أممًا، في التَّقَطُّعِ هناك إمكانية الجمع وليس كما هو الحال في التَّمْزِقِ لشدة إنكارهم للنشر والبعث.

﴿إِذَا مَرِئَتْ كُلُّ مَرْقٍ﴾: تعني تقطعت أوصالكم فلم يبق عضو متصل بعضو آخر أو شيء متصل بشيء من أبدانكم، كما في قوله: ﴿ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠] أي: غبنا في متاهة الأرض أو تبعثرت ذرات أجسادكم واختلطت بتراب الأرض. ﴿إِنَّكُمْ لَفِي﴾: إنكم للتوكيد، لفي: اللام للتوكيد، في: ظرفية.

﴿خَلَقَ جَدِيدٍ﴾: أي تخلقون من جديد؛ أي: يؤكد لكم أنه سيتجدد خلقكم، وتخلقون مرة أخرى.





سُورَةُ النِّبَا ٣٤

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ

أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَسْأَنُخَسِفَ بِهِمْ
الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا
يَجِبَالُ أَوَّيٍّ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّالَةُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ
سَبْعَ نَجَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صِلًا حَإِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسَلِمْنَ الرِّيحِ غَدُوًّا شَرُّ رَوَّاحِهَا شَرُّ
وَأَسْلَنَالَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ
رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾
يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ
وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ
إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ فَلَمَّا خِرَّ تَبَيَّنَتْ الْجِنَّ
أَنْ لُّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾





سورة سبأ [الآيات ٨ - ١٤]

[٨] ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾:

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾: الهمزة والإنكار والتعجب، وأفترى: تعني تعمّد الكذب حين زعم أنا سنبعث ولقي خلق جديد؛ أي: لا ندرى أهو مفترٍ على الله أم به جنة (أي مجنون أو به جنون) قالوا ذلك عن الرسول، وهم أنفسهم كانوا يصفون رسول الله بالصّادق الأمين، ثم يردّ الله سبحانه على هؤلاء فيقول بل: الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد.

﴿بَلِ﴾: للإضراب الإبطالي؛ أي: ليس رسول الله هو الكاذب ولا المجنون البتة، بل هم الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم الكذبة الجهلة.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذم والتحقيق.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: لا النافية، لا يؤمنون بالآخرة: لا يصدقون؛ أي: يجحدون بالبعث والحساب ويوم القيامة، بالآخرة: الباء للإلصاق والدوام.

﴿فِي الْعَذَابِ﴾: مقابل اتهامهم رسول الله ﷺ بالافتراء.

﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾: مقابل وصفهم لرسول الله ﷺ بالجنة؛ أي: الجنون،



أي: هم في الضلال البعيد عن الحق أو البعيد في الدنيا والذي من الصعب العودة منه إلى طريق الهدى، وليس هو ﷺ.

[٩] ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءُ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾:

﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتوبيخ والتفريع.

﴿يَرَوْا﴾: رؤية بصرية ورؤية قلبية فكرية، يروا: بصيغة المضارع تفيد التكرار المرة بعد الأخرى أو يجددوا ويعيدوا النظر؟ ارجع إلى سورة السجدة آية (٢٦)، وسورة لقمان آية (٢٠) لمعرفة الفرق بين أفلم، أولم، ألم.

﴿إِلَى مَا﴾: إلى تفيد عموم الغاية، ما بمعنى الذي.

﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أي أمامهم من السماء والأرض، فالسما والأرض محيطة بهم، أو السماء المرفوعة بلا عمد أو الآيات الكونية في السماء والأرض كالشمس والقمر والجبال والبحار.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: أي وراءهم من السماء والأرض.

﴿مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: ما فيهما من آيات كونية تدل على قدرة الخالق وعظمته ووحدانيته، من ابتدائية، السماء تضم السموات السبع.

﴿إِن نَّشَاءُ﴾: إن شرطية تفيد الندرة أو الاحتمال أو الشك.

﴿نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾: نخسف بهم؛ أي: بالكفار المنكرين للبعث والذين يستهزؤون برسول الله ﷺ ويكفرون به؛ أي: كما فعلنا بقارون، أي: الخسف.



﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾: أو: للتخيير، نسقط عليهم كسفاً من السماء: كسفاً جمع كسفة: أي قطعاً. ارجع إلى سورة الشعراء آية (١٨٧) للبيان.
 ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: إن: للتوكيد، في ظرفية، ذلك: اسم إشارة واللام للبعد
 يشير إلى خسف الأرض أو إسقاط كسفٍ من السماء.

﴿لَّآيَةً﴾: اللام للتوكيد، آية: كل من الخسف أو الإسقاط آية عظيمة تدل على قدرة الخالق على البعث والحساب، ويستفيد منها العبد المنيب في زيادة إيمانه و يقينه.

﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: لكل: اللام لام الاختصاص، كل تفيد التوكيد، عبد منيب: عبد منيب كثير الإنابة، والإنابة: السرعة في التوبة والرجوع إلى الله؛ أي: كلما أذنب أعقبها بالتوبة والاستغفار.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوِيٍّ مَّعَهُ، وَالطَّيْرُ وَالنَّالُ لَهُ الْحَدِيدُ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق تحقق وحدث ما نذكره بشأن داود.

﴿آتَيْنَا﴾: الإيتاء هو العطاء، ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة لمعرفة الفرق.

﴿دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾: داود بن ايشا بن عويد، يرجع نسبه إلى يهوذا بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم ﷺ، وتقديم داود على المفعول للاهتمام، منا فضلاً: أي آتيناه النبوة والزبور والملك والصوت الحسن، وصنع السابغات والدروع وتسخير الجبال والطير والنال له الحديد، منّا: تقديمها يفيد القصر أو الاختصاص،



فضلاً: الشيء الزائد على غيره من الأنبياء؛ أي: آتيناه الكثير من النعم التي لم نعطيها لكثير من الأنبياء.

﴿يَجِبَالُ أَوْيَ مَعَهُ﴾: التأويب: التسيب، وأويي: رجعي معه ما يقول (كما يحدث في انعكاس صدى الصوت من الجبال) أي: رددي معه ما يقرأ من الزبور أو الذكر.

﴿وَالطَّيْرَ﴾: منصوب بالعطف على يا جبال، أو مفعول به أو على النداء والتقدير: يا جبال أويي معه ويا طير أويي معه؛ أي: رددي معه؛ أي: يا جبال ويا طيور سبّحي مع داود.

﴿وَأَلَّنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾: جعلناه ليناً بدون حاجة إلى النار أو إلى المطرقة، وهذه من المعجزات الأخرى لداود عليه السلام، فكان الحديد في يده مثل العجين أو الطين الصلصال.

[١١] ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَليحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ﴾: أن تعليلية (مصدرية) أو التقدير: أَلَّنَا لَهُ الحديد لعمل السابغات، أو أمرناه أن اعمل سابغات، أو لأن يعمل سابغات: صفة للدروع؛ أي: اعمل دروعاً سابغات فذكر الصفة وحذف الموصوف؛ لأن الصفة تدل على الموصوف، والسابغات: هي الدروع الواسعة التي تغطي كامل الجسم (تلبس في الحرب).

﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾: السرد: النسج، ويقال لصانع الدروع: سَرَاد؛ أي: انسج الدروع بحيث تكون متناسبة الحلق فلا ضيقة ولا واسعة؛ أي: متنسقة بحيث

تدخل الحلق بعضها في بعض، ولها معنى آخر: أي اعمل من السابغات على قدر ما تحتاج فقط.

أما سبب تعليمه نسج السابغات الدروع قيل: إن داود عليه السلام كان يأكل من بيت المال وينفق على عياله، وانتبه الناس إلى هذه الخصلة فعاب عليه الناس، ف شعر داود بالآلم فسأل الله تعالى أن يعلمه صنعة ليعيش منها. ذكره الحافظ ابن عساكر في ترجمة داود عليه السلام عن طريق إسحاق بن بشر عن وهب عن ابن المنبه. وقيل: كان يبيع الدرع فيأخذ من الأجر له ولعياله ويوزع الباقي على بني إسرائيل. ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾: الخطاب موجّه إلى داود وآل داود (أولاده وأهله) أي: اشكروا الله على منته عليكم بأن علمكم صنع السابغات ورزقكم من فضله واعمِلوا الفرائض والواجبات.

﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ إني: للتوكيد، بما: الباء للإلصاق والدوام، ما: اسم موصول بمعنى الذي تعملون أو مصدرية؛ أي: رقيب ومطلع على ما تعملون (من عمل السابغات وبيعها والأمانة).

وفي سورة الأنبياء الآية (٨٠) قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُخَصِّنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾.

[١٢] ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوْاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَاهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَ مِنْ أَلْجِنِ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾:

المناسبة: بعد ذكر فضل الله تعالى على داود الأب يذكر فضله على ابنه سليمان بن داود.



﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوْاحُها شَهْرٌ﴾: ولسليمان: اللام لام الاختصاص؛ أي: سخرنا لسليمان الرِّيحَ، غدوها: من غدا: السَّيرُ أوَّلُ النَّهارِ (من الصَّباح إلى وقت الظَّهر وقت الزَّوال)، ورواحها: العودة آخر النَّهار (من الظَّهر إلى المغرب وقت الغروب)، ورواحها مصدر: راح يروح، غدوها شهر: أي جريها أو سيرها بالغداة مسيرة شهر، ورواحها شهر: أي جريها بالعشي مسيرة شهر؛ أي: سرعة جريان الرِّيح يساوي مسيرة شهرين أو مسافة ما تقطعه الرِّيح في (٢٤) ساعة يعادل مسيرة شهرين، وكلمة الرِّيح في القرآن تحمل معنى الشَّرِّ وأما الرِّياح فتحمل معنى الخير، وبما أنَّها ريح قوية أعطت سليمان القوة والمنعة والغلبة فهي ريح خاصة به مغايرة لغيرها من الرِّيح يتصرف بها كيف يشاء.

﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْעَيْنَ الْقَطْرِ﴾: أي وسخرنا له عيناً تنبع بالنَّحاس كما ينبع الماء من العين، النَّحاس المذاب ويسمى: القِطر، كما أَلَّنَّا لأبيه الحديد، وقيل: استمر سيلانه ثلاثة أيَّام.

﴿وَمَنْ أَلْجَنَ مِنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾: من: بعضية؛ أي: بعض الجن وليس كلَّ الجن، وهم الشَّياطين كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، ﴿وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصِرٍ﴾ [ص: ٣٧]، يعمل بين يديه بإذن ربه: أي بأمر ربه، بين يديه: أي: ما يطلبه منهم فقط، مثال: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ أي: أمرهم الله بطاعة سليمان وهناك قسم من الجن لم يُسخر له.

﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾: من: شرطية، يزغ منهم عن أمرنا: زاغ عن الأمر:

عدل عنه أو مال؛ أي: من يعدل من الجن عن أمرنا، أي ما يأمر سليمان بعمله مثل المحاريب والتماثيل والغوص وغيره من الأعمال، أي من يعص من الجن أمر سليمان كأنه يعصي أمر الله تعالى.

﴿نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: منهم من قال: عذاب السَّعِيرِ في الآخرة، ومنهم من قال: في الدنيا كان يعذب من يزغ بسوط من نار، كما روى ابن عباس. [١٣] ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾:

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ﴾: أي الجن يعملون لسليمان، له خاصة وليس لغيره، وتقديم له يدل على الحصر والاختصاص.

﴿مَا يَشَاءُ﴾: ما: اسم موصول بمعنى الذي يشاء، و«ما» أوسع وأشمل من الذي.

﴿مِنْ مَّحْرِبٍ﴾: من: ابتدائية بعبية وليان الجنس، محاريب: جمع محراب يطلق على المكان الذي يتخذة الناس للعبادة أو أبنية كالقصور الفخمة العالية المجاورة لأمكنة العبادة.

﴿وَتَمَثِيلٍ﴾: جمع تمثال وهو ما ينحت على هيئة أو صورة إنسان (نبي أو عالم) أو حيوان من حجر أو خشب أو نحاس أو رخام أو غيره من المواد، وقيل: إن هذه التماثيل كانت مباحة في الشرع القديم ولم تصنع بنية الشرك أو العبادة، أو صُنعت على شرط أن لا تُعبد، ثم نسخت الإباحة بعد مجيء رسول الله ﷺ.

﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾: الجفان: جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة: الصواني



الكبيرة يأكل منها العشرة من الناس، كالجواب: الكاف كاف التشبيه، والجواب: الحوض شبه القصعة الكبيرة بالحوض في السعة والضخامة، وهذا كناية عن كرم سليمان وكثرة إطعامه الطعام.

﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾: جمع قدر وهي للطبخ واسعة كبيرة صعب أن تحمل؛ أي: ثابتات لا تتحرك من أماكنها.

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾: أي: أدوا الحقوق التي عليكم فيما آتاكم الله من النعم؛ أي: اعملوا الصالحات شكرًا لله تعالى على ما آتاكم؛ أي: أطيعوا الله ربكم واشكروا الله على نعمه، أو اعملوا شاكرين، والشكر لا يكون فقط باللسان بل بالعمل، ولا يكفي أن يكون باللسان بل بالطاعة والعبادة والإحسان، والنفقة، وأن تؤدي حق الله تعالى في المال والعلم والنعم.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾: أي: العدد قليل من عبادي الذين يشكرون الله وهذا العدد عدد الشاكرين من الناس قليل أو الكمية؛ أي: كمية أو مقدار الشكر الصادر من الناس قليل، وقد تعني كلا الأمرين.

[١٤] ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِن سَائِغِهِ
فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: عاطفة، لما: ظرفية زمانية بمعنى حين متضمنة معنى الشرط.

﴿قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾: قضينا من القضاء وهو ما كتب في اللوح المحفوظ قبل أن يقع، وقيل: حكمنا، وأما القدر فهو: ما وقع تصديقاً لذلك القضاء؛ أي:



حكمنّا على سليمان بالموت، فالموت قضاء كقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، فالموت لا مفر منه وسواء كان الموت بسبب أو بغير سبب أو موتاً عادياً بسبب الكبر أو الموت بمرض أو بكارثة أو كرب كلّ قضاء.

قضينا عليه الموت: على سليمان بأن تقبض روحه وهو قائم يصلي في المحراب ومتوكئ على منسأته (عصاه) ولم تعلم الجن بموته، وبقي الجن يعملون أعمالهم التي بدؤوها وكذلك الإنس لم يعلموا بموته، ولو علم الجن (الشياطين) الغيب؛ أي: علموا بموت سليمان، ما لبثوا في العمل والتعب طوال تلك المدة حتّى أكلت دابة الأرض منسأته فخرّ، وعندها تبينّ الجن موته وتبيّن للجن أنّهم لا يعلمون الغيب، وتبيّن للإنس أيضاً أنّ الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يظنون خطأ. وموته بهذا الشكل كشف كثير من الحقائق للناس والجن عما افتروه على سليمان كما سنرى.

﴿مَادَهُمْ عَلَى مَوْتِهِ﴾: ما: النافية، دلّهم على موته: الضمير يعود على الجن؛ أي: ما دلّ الجن على موت سليمان.
﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾: قيل: هي الحشرة التي تأكل الخشب وتسمى: الأرضة أو العتة.

﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾: أي تقرض منسأته؛ أي: تأكلها شيئاً فشيئاً، والمنسأة: هي العصا، وأمّا لماذا سميت منسأة: مشتقة من: نسا؛ أي: آخر وسميت منسأة وليس عصاه؛ لأنها كانت سبباً لتأخير معرفة الجن بزمن موت سليمان، فقد كان



سليمان ﷺ يعبد الله قائماً؛ أي: واقفاً حتى يتعب فيراوح بين قدميه ويستعين بالعصا متكئاً عليها، وسميت العصا: منسأته؛ لأنه يؤخر بها الغنم أو الإبل؛ أي: تزجر بها أو تساق كي تغير طريقها أو مرعاها فهي آلة الزجر. (تأخير) وسوق، ومنسأة سليمان كانت تسوق الجن للعمل لسليمان ﷺ، وكذلك أخرت الجن من العلم بموت سليمان، ولذلك لبثوا في العذاب المهين مع أن سليمان كان ميتاً.

﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة: خر: سقط على الأرض بشكل غير عادي أو بلا ترتيب مثل الهبوط على ركبتيه والاستعانة يديه، سقط بلا نظام.

﴿بَيَّنَّتِ الْجِنُّ﴾: انكشف وظهر كذب الجن أنهم يعلمون الغيب، وكذلك تبين للأنس أن الجن لا يعلمون الغيب.

﴿أَن لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾: أن للتوكيد، لو: شرطية، يعلمون الغيب: كما زعموا باطلاً، لعلموا بزمن موته مباشرة.

﴿مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾: ما بقوا يعملون الأعمال الشاقة التي فرضت عليهم من سليمان من قبل موته، وهم يظنون حياً وكانوا يظنون أنهم خير من الإنس، وكيف سخرُوا لخدمة سليمان وهو أدنى منهم! فقد خلقوا من نار والإنس خلقت من طين، وأنهم يعلمون الغيب والإنس لا يعلمون.

وقيل: أرادوا أن يعرفوا زمن موته فجاءوا بعصا مشابهة. والأرض (دابة الأرض) فقدروا ما أكلت في زمن معين، فوجدوا أنه قد مات منذ سنة ورغم هذا الملك العظيم مات سليمان ﷺ وكان عمره (٥٣) سنة، وقيل: كان ملكاً وهو ابن

(١٣) عاماً وبقي في ملكه (٤٠) عاماً وبدأ إعادة بناء المسجد الأقصى وهو ابن (٤٠) عاماً.

ولماذا حدث هذا الأمر العجيب: أن تقبض روح سليمان وهو قائم يصلي متكئاً على منسأته ولم يخّر على الأرض بعد موته حتى تأكل دابة الأرض منسأته؟ قيل: كان الناس يظنون أن الجن تعلم الغيب فأراد الله سبحانه أن يثبت للناس أن الجن ولا غيرهم من الإنس يعلمون الغيب وما يزعمونه من علم الغيب هو أمر باطل، فلو كانوا يعلمون الغيب؛ أي: موت سليمان، ما لبثوا في العذاب المهين. وقيل: إن سليمان ﷺ دعا ربه أن يعمي على الجن موته فاستجاب له ربه؛ حتى ينكشف ويعلم الناس أن الجن لا يعلمون الغيب ويظهر كذب الجن وما افتروا على سليمان ما جاء به السحر، ارجع إلى الآية (١٠٢) من سورة البقرة لمزيد من البيان. وقيل: لأنه بقي على عمارة بيت المقدس بقية؛ ولكي يتموا عمارة المسجد الأقصى، والله أعلم.





سُورَةُ نَبَا ٣٤

الْبَلَدِ الْغَيْرِ

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ
كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ
(١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْمَلٍ خُمٌ وَأَثَلٍ وَشَيْءٌ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ
(١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ (١٧)
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً
وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨)
فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ (١٩) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ
اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ (٢٢)

سورة سبأ [الآيات ١٥ - ٢٢]

[١٥] ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾:

المناسبة: بعد ذكر طرف من قصة سليمان، يذكر طرفاً من قصة قوم سبأ الذين بسبب كفرهم وعدم شكرهم أصابهم سيل العرم، وحلّ بهم العذاب ومزقهم كل ممزق.

﴿لَقَدْ﴾: اللام لام التوكيد، قد: للتحقيق؛ أي: قد تحقق وحدث لقوم سبأ ما سنذكره بعد قليل.

﴿كَانَ﴾: للماضي.

﴿لِسَبَإٍ﴾: اللام: لام الاختصاص أو الاستحقاق، سبأ: اسم جد، اسم ابن يشجب بن يعرب بن قحطان، تعدى اسم الجد ليكون اسماً للقبيلة، ثم اسماً للمكان الذي كانوا يسكنونه، إذن سبأ: يدل على اسم الجد، أو اسم القبيلة، أو اسم المكان الذي كانوا يسكنونه.

﴿فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ﴾: في مكان إقامتهم في سبأ أو مأرب، آية: أي شيء عجيب نادر، آية دالة على عظمة الله وقدرته.

﴿آيَةٌ جَنَّتَانِ﴾: أي الآية جنتان، لا يقصد بالآية الجنتين نفسيهما، وإنما قصتهما هي الآية.



﴿عَنْ يَمِينٍ وَشَمَالٍ﴾: عن يمين الوادي وعن شماله، يمين ويسار الوادي كلها فواكه وخضر وكانت أخصب البلاد.

﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ﴾: قيل لهم: كلوا من رزق ربكم واشكروا له؛ تذكيراً لهم: حيث كانت الثمار تتساقط بكثرة وتمتاز بالجودة ومما يطيب أكله وطعمه، والخالية من الإصابة بالحشرات.

﴿وَأَشْكُرُوا لَهُ﴾: الأكل مع الشكر؛ أي: لا تنسوا المنعم وتنشغلوا بالنعمة، اشكروا له باللسان والعمل الصالح والطاعة، اشكروا له ليزيدكم من النعم والفضل.

﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾: بمائها العذب وهوائها العليل، مطمئنة آمنة خالية من الأمراض والفيضانات والسيول والكوارث الجوية.

﴿وَرَبُّ غَفُورٌ﴾: غفور: صيغة مبالغة من غفر؛ أي: يعفو عن سيئاتكم ويشيكم على أعمالكم الصالحة ويمدكم بنعمه.

[١٦] ﴿فَاعْرِضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْلٍ خَطْطٍ وَاتْلُ وَشَىءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾:

﴿فَاعْرِضُوا﴾: الفاء للمباشرة والترتيب، أعرضوا: عن شكر المنعم وجحدوا بنعمه، وكفروا بالله، وقيل: بعث الله سبحانه لهم عدة أنبياء يدعونهم إلى عبادة الله تعالى ويذكرونهم بنعمه، فكذبوهم وأنكروا نعمه، والإعراض هو أن لا تستمع إلى المحدث وتنصرف عنه ولا تؤمن بما يقوله، فماذا كانت النتيجة:

﴿فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، أرسلنا عليهم سيل العرم بعد أن انهار سد مأرب مما أدى إلى سيل العرم: فطافت الأرض والجنان والبيوت، وغرقت البساتين والثمار بسبب سيل العرم الذي لا يطاق؛ لشدة

والمندفع بقوة وغزارة، سيل: هو الماء الذي يسيل على وجه الأرض بعد أن تشرب الأرض منه، العرم: السيل المندفع بشدة لا يطاق لغزارته، يؤدي إلى الفيضان وإتلاف الحصاد والحب والثمار والمنازل والأثاث، وغرق الكثير من الناس.

﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾: بعد أن سبب سيل العرم الدمار والخراب وإهلاك الحرث، تحولت جنتاهم إلى جنتين ذواتي أكلٍ خَمْطٍ مرَّ الطَّعم وحامض.

﴿وَأَقْلَى﴾: شجر لا ثمر له كثير الأغصان.

﴿وَشَقَىٰ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾: شجر النبق قليل الفائدة قليل الثمار، شجر ذو أشواك. وسمي الجنتين ذواتي الأكل الخَمْط والأثل وشيء من سدر قليل: «جنتين» على سبيل التوبيخ والتهكم وكان بإمكان الخالق أن يجعلهما جنتين خاويتين على عروشهما، ولكن يريد أن يذكرهم ويريهن بأم أعينهم قدرته على إهلاك أشجارهم المثمرة وإبدالها بأشجار لا ثمار لها لتكون عليهم حسرة.

[١٧] ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد ويشير إلى السيل العرم والتبديل الذي حدث للجنتين.

﴿جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾: أي جزاء لهم، بما: الباء: باء السببية، وما: اسم موصول أو مصدرية، كفروا؛ أي: بسبب كفرهم بأنعم الله، والإعراض والتكذيب بالرسل والإيمان بالله.

﴿وَهَلْ﴾: استفهامية تفيد التقرير والتوبيخ والنفي؛ أي: وما ناجزي إلا الكفور.



﴿تُجْرَى إِلَّا الْكَفُورَ﴾: الجزاء نوعان: عام وخاص، العام هو للكافر والمؤمن، والجزاء الخاص للكافر وحده، إلا: أداة حصر، الكفور: صيغة مبالغة: كثير الكفر، ولم يقل إلا الكافر، الكافر يعني: من يستر ويجحد بنعم الله تعالى مرة أو مرتين، أمّا الكفور: فهو شديد الكفر المصّر على رفض الشكر والجمود وعدم الاعتراف بالمنعم على الدوام.

[١٨] ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾:

ويعود سبحانه في هذه الآية لذكرهم بالإضافة إلى الجنتين عن يمين وشمال والبلدة الطيبة التي كانوا يعيشون فيها.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ جعلنا بينهم: بين قوم سبأ وبين القرى التي باركنا فيها بالخيرات والماء والثمار وشجر الزيتون؛ ويعني بلاد الشام، القرى: جمع قرية، والقرية اسم لمكان فيه مساكن ومقومات الحياة من طعام وشراب.

﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾: متقاربة متواصلة ظاهرة للعيان لا تبعد عن بعضها البعض كثيراً.

﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾: أي كان المسافر يعلم مقدار المسافات بين هذه القرية وتلك القرية، وكم يحتاج من زمن للوصول إلى الأخرى، وقدرنا فيها السّير؛ أي: البعد أو المسافة والزمن كم كيلو متراً أو كم ساعة.

﴿سَيْرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾: سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار آمنين لا تخافون من جوع أو خوف أو قطع طريق أو القتل والسّرقه، ليالي: جمع ليلة، وأياماً: اليوم يعني النهار (من شروق الشمس إلى غروبها) وليس (٢٤)

ساعة، سيروا فيها عدة أيام وليالي مرتاحين مطمئنين وهذا من فضل الله ورحمته بكم ونعمه التي لم تشكروه عليها.

[١٩] ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾:

لم يكتفوا بأن جحدوا بنعم الله سبحانه بل تمادوا في البطر وملّوا النعم كما حدث لبني إسرائيل طلبوا البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل بدلاً من المن والسلوى، فلم يشكروا نعمة الله على أن قارب بين قراهم، وكأنهم تمنّوا وطلبوا من الله أن يباعد بين أسفارهم؛ أي: أن يباعد بين مسافات أسفارهم؛ أي: قراهم فلا يجعلها قريبة من بعضها حتى يحتكروا التجارة لو حدهم فلا يخرج إليها الكثير؛ لبعد المسافات والمشقة وعدم الأمن.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾: ولها معنى ثانٍ؛ أي: قالوا ربنا باعد بين أسفارنا؛ أي: جعلها بعيدة عن بعضها البعض رغم كونها قريبة من بعضها كأنهم استبعدوا أسفارهم بطراً وتعتناً، وهذا هو الأرجح.

﴿وَزَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بالكفر وجحود النعمة والبطر وعدم التوبة.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة؛ أي: أهلكناهم وجعلناهم أحاديث لمن بعدهم؛ أي: قصة أو حكاية يتحدث بها الناس يتعجبون بما فعل بهم، أحاديث تدل على كثرة الحديث عنهم فالكل يتحدث عنهم ويذكرهم.

﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: مزقناهم في البلاد بحيث لا يمكن جمعهم مرة أخرى. والتّمزيق يعني: يتناول كلّ الأجزاء؛ أي: مزقناهم في متاهات الأرض وقيل: لحقت الأوس والخزرج ببشر (المدينة المنورة) وغسان وجذام ولخم



بالشّام، والأزد بعمان، وخزاعة بتهامة فكانت العرب تضرب بهم المثل في التّفرق والتّشرد فتقول: تفرقوا أيدي سبأ أو أيادي سبأ.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾: إنّ: للتوكيد، في: ظرفية، أي فيما حدث لسبأ، ذلك: اسم إشارة واللام للبعد، وتشير إلى إسباغ النّعمة على سبأ وكفرهم بها وعدم شكر المنعم وبطّهم وظلمهم للفقراء ومحاولتهم احتكار النّعمة لأنفسهم وما فُعل بهم بعد ذلك، لآيات: اللام للتوكيد، آيات وليس آية؛ أي: عبراً كثيرة.

﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: لكل: اللام التّعليل، صبار: صيغة مبالغة: كثير الصّبر على ظلم الطّغاة وتحمل أذاهم، وكثير الصّبر على طاعة الله وعن المعاصي وعلى المصائب، أو مليء بالصّبر كما وكيفاً، شكور: كثير الشّكر صيغة مبالغة من: شكر، شكور لنعم الله فلا يجحد بها مهما قلّت أو كثرت، أو كثير الشّكر لله أن جعله يصبر على الظالمين.

[٢٠] ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

لا زالت الآيات في سياق الحديث عن سبأ وما أصابهم.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، اللام للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أي تحقق ما تتحدث عنه الآية وهو:

﴿صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾: صدّق شدّد الدّال ولم يقل صدّق: أي بذل إبليس قصارى جهده من الوسوسة والإغراء والتّزيين والإضلال لقوم سبأ حتّى تحقّق ظنه عليهم؛ أي: على سبأ، وعلى تفيد العلو والمشقة؛ أي: تغلب عليهم بإغوائه، والظّن: بمعنى الشّك الرّاجح، والشّك هو التّردد بين أمرين النّفي والإثبات، والظّن الذي ترجح فيه كفة الإثبات، وظنه: غايته وهي: أي يتبعوه فاتّبعوه وكفروا بنعم الله وجحدوا بها وأعرضوا عن الإيمان وكان مصيرهم

الْتَمَزِقَ وَالْهَلَكَ وَأَصْبَحُوا عِبْرَةً لِّغَيْرِهِمْ، وَغَايَةُ الشَّيْطَانِ أَنْ يَقُودَ الْإِنْسَانَ لِيَكْفِرَ
بِنِعْمِ اللَّهِ وَيَنْكَرَهَا وَيَكْذِبَ وَيَعْرِضَ عَنِ الْإِيمَانِ بِرَبِّهِ مِمَّا يُؤْدِي بِهِ إِلَى الْهَاطِيَةِ،
وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ حَذَرَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا
يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾: سَارُوا وَرَاءَ الشَّيْطَانِ وَاتَّبَعُوا خَطَوَاتِهِ (فِي الْوَسُوسَةِ وَالتَّزْيِينِ
وَالْإِغْوَاءِ) وَحَقَّقَ الشَّيْطَانُ ظَنَّهُ وَنَالَ غَايَتَهُ مِنْهُمْ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: إِلَّا: أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ، فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: لَمْ يَسْتَطِعْ
إِبْلِيسُ أَنْ يَغْوِيَهُمْ وَيَحَقِّقَ ظَنَّهُ فِيهِمْ، آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبَعُوا الرُّسُلَ وَشَكَرُوا اللَّهَ عَلَى
نِعْمِهِ وَصَبَرُوا عَلَى مَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِهِ.

[٢١] ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَأْخُذُ بِالْآخِرَةِ وَمَنْ هُوَ مِنْهَا فِي
شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِیْظٌ﴾:

﴿وَمَا كَانَ لَهُ﴾: مَا النَّافِيَةِ، كَانَ لِإِبْلِيسَ، لَهُ: اللَّامُ الْاِخْتِصَاصِ،
وَالضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى الشَّيْطَانِ.

﴿عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾: عَلَيْهِمْ: عَلَى سَبَأٍ، مِنْ: اسْتِغْرَاقِيَّةٌ؛ أَيُّ: سُلْطَانٌ مِثْلُ
سُلْطَانِ الْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ أَوْ سُلْطَانِ الْحُجَّةِ وَالْبِرْهَانِ؛ أَيُّ: لَمْ يَجْبِرْهُمْ بِالْقُوَّةِ أَوْ الْقَهْرِ
أَوْ الْحُجَّةِ وَالْإِقْنَاعِ وَإِنَّمَا بِالْوَسُوسَةِ وَالْإِغْوَاءِ وَالتَّزْيِينِ بِالشَّهَوَاتِ وَالْجَشَعِ.
﴿إِلَّا﴾: أَدَاةُ حَصْرِ.

﴿لِنَعْلَمَ مَنْ يَأْخُذُ بِالْآخِرَةِ وَمَنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾: لِنَعْلَمَ: اللَّامُ لِلتَّعْلِيلِ؛ أَيُّ:
مَا تَرَكْنَا، أَوْ أَذْنَا لِإِبْلِيسَ بِإِغْوَائِهِمْ وَإِغْرَائِهِمْ وَالتَّزْيِينِ إِلَّا فَقَطْ لِنَقِيمَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ
فِي الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ لَا حَاجَةَ لَهُ بِهَذَا الْعِلْمِ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مِنْذُ الْأَزَلِّ وَقَبْلَ
خَلْقِهِمْ مَا سَيَعْمَلُونَهُ؛ أَيُّ: لِيَعْلَمُوا هُمْ أَنْفُسَهُمْ مَا عَمَلُوهُ فِي الدُّنْيَا فَتَقَامَ عَلَيْهِمُ



الحجة، فلا يدّعون أن الله لم يتليهم، من يؤمن بالآخرة: الباء للإلصاق والدوام يؤمن: يصدق بالآخرة والبعث والحساب والجزاء والجنة والنار، ممن هو في شك: هو تفيد التوكيد، منها في شك: في تردد، والشك: تساوي كفة النقي وكفة الإثبات؛ أي: ممن يكذب بالآخرة ولا يصدق بها.

﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِیْظٌ﴾: حفيظ: صيغة مبالغة من الحفظ، يحفظ أعمال العباد ليجازيهم عليها من خير أو شر، يحفظ عباده وأوليائه من مكائد الشيطان والوقوع في الذنوب والمعاصي واتباع الشيطان والمهالك، يحفظ خلقه وكونه حتى تنقضي آجالهم.

[٢٢] ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ﴾:

المناسبة: بعد ذكر قصة داود وسليمان وقصة قوم سبأ يعود سبحانه لمخاطبة مشركي قريش فيقول:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ، قل للمشركين من قريش وغيرهم.

﴿أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾: ادعوا: أي نادوا على هؤلاء الأصنام والآلهة أو غيرهم من الذين زعمتم أنهم شركاء، الذين: اسم موصول يفيد الذم والتحقيق، الذين: تفيد المعرفة؛ أي: ادعوا شركاءكم الذين زعمتم: من الزعم وهو القول غير المستند إلى دليل وأكثر ما يقع الزعم في الباطل، من دون الله: من غير الله من الأصنام والآلهة، نادوهم ليكشفوا عنكم الضر أو ينفعوكم أو ادعوهم ليستجيبوا لكم فهم لا يضررون ولا ينفعون، قل ادعوا: وهل دعوا كما قال لهم رسول الله ﷺ؟ طبعاً لا؛ لعلمهم أن هذه الأصنام أو الآلهة لا تسمع ولا تبصر ولا تجيب فهم لم يدعوا، ولنفرض أنهم دعوا آلهتهم واستجابوا وسمعوا

فإنهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ليكونوا شركاء، ارجع إلى سورة يونس الآية (٦١) لبيان معنى ذرة.

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ﴾: لا يملكون ذرة بشكل مستقل (خاص) ولا يملكون ذرة بشكل شراكة مع الله، وتكرار لا: يفيد النفي، وما لهم: تعود على الآلهة والأصنام وما يعبدون من دون الله، فيهما: في السموات والأرض من شرك اسم بمعنى المشارك أو الشريك ولو بأدنى نسبة كالذرة، وما له: أي لله تعالى، له: اللام لام الاختصاص، منهم: من هؤلاء الشركاء.

﴿مَنْ ظَهَرَ﴾: من استغرافية، ظهير: أي معين على أي شيء مهما كان، ظهير: مشتقة من الظهر وهو أقوى الأعضاء للحمل؛ أي: يحمل عنك: يُعينك في حمل الأثقال، من ظهير: معين يحتاج الله سبحانه إليه أو بحكم حاجة الرب إليه يدعوهُ يشفع.

إذن فلم تعبدونهم وهم لا يملكون ذرة في السموات ولا في الأرض؟! وأيضاً ليسوا شركاء وليسوا شفعاء، ولا ينفعوكم ولا يضرون، ولو بمقدار ذرة في السموات والأرض، فمسألة الشركاء مسألة باطلة.





الجزء الثامن والعشرون

سُورَةُ النِّسَاءِ ٣٤



وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٥﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَهَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ لَّكُمْ مِّيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْدِمُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُؤْمِنَ بِهِ هَذَا الْقُرْآنُ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكَبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾

سورة سبأ [الآيات ٢٣ - ٣١]

[٢٣] ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾:

المناسبة: في الآية السابقة ذكر الآلهة وعدم ملكها ذرة في السموات والأرض وليس لها شراكة فيهما.

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾: هذه الآية ردُّ على من يزعمون أن الآلهة تشفع لهم عند الله، الواو: عاطفة، لا: النافية، الشفاعة: ارجع إلى الآية (٨٥) من سورة النساء للبيان. ولا تنفع أو تقبل الشفاعة، يوم القيامة للنفس المشفوع لها (وهي النفس التي تنفعها الشفاعة) عنده: عنده تعالى، إلا: أداة حصر، لمن: اللام لام الاختصاص، من: اسم موصول بمعنى الذي، أذن له: من الملائكة أو النبيين أو الصالحين من الناس، فالإذن هذا هو الشرط الأول من شروط قبول الشفاعة، أن يأذن له الله سبحانه للشافع حتى يشفع للمشفوع له كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والشرط الثاني: أن يأذن للمشفوع له (أو النفس المشفوع لها) بالشفاعة، ومن شروط الإذن أن يكون أو تكون من أهل التوحيد، إذن لا بد من إذن لمن أراد أن يشفع ولا بد من إذن لمن أريد الشفاعة له، الشرط الثالث: هو لمن ارتضى: كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، أي: ارتضى بمعنى: أن



يقبل الله هذه الشفاعة حتى ولو كان الشافع والمشفوع له أهلاً للشفاعة، ويبقى الحكم بالقبول لله تعالى وهذا تأكيد لإبطال شفاعته هذه الآلهة عند الله.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾: حتى: حرف نهاية الغاية، إذا: شرطية تفيد الحتمية، فزع عن قلوبهم؛ أي: كشف وأزيل عن قلوبهم الفزع: الخوف الشديد المفاجئ مع توقع مكروهه، هذا الفزع يحدث حين انتظار الإذن لمن يشفع؛ أي: للشافع وللشفوع له فالكُلُّ قلق أيؤذن للشافع أم ترد شفاعته ولا يشفع، وما نتيجة الشفاعة تقبل أو لا تقبل، والمشفوع له هل هو أهل للشفاعة أم لا، والانتظار والتربص كل ذلك يؤدي إلى فزع الكل حتى تتم الشفاعة وتقبل وعندها يزول الفزع عن قلوبهم يقول بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم في الشفاعة؟

﴿قَالُوا الْحَقَّ﴾: أي وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى: أي اختار.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿أَلَعَلِّيُّ﴾: فوق خلقه وقهره وجبروته. ارجع إلى سورة الحج الآية (٦٢).

﴿أَلَكَبِيرُ﴾: ارجع إلى سورة الرعد الآية (٩).

وبعض المفسرين قالوا: إنَّ الضمير في قوله: «حتى إذا فزع عن قلوبهم» (أي قلوب الملائكة) فقد روى عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجَرِّ (أي سحب) السلسلة على الصفا فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، فإذا جاءهم فزع عن قلوبهم؛ أي: زال الخوف عن قلوبهم، فيقولون: يا جبريل، ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق؛ أي: الصدق، فينادون: الحق الحق. رواه أبو داود والسيوطي والبيهقي وابن جرير.



وفي رواية أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: إذا قضى الله عز وجل الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاعاً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان (حجر أملس) فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: للذي قال الحق (الله) وهو العلي الكبير. رواه البخاري وأبو داود والترمذي.

[٢٤] ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾:

في الآية (٢٢) قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الآلهة المزعومة التي لا تملك لكم الشفاعة.

وفي هذه الآية (٢٤) قال تعالى: ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: والآلهة المزعومة لا ترزقكم أيضاً.

﴿قُلِ﴾: قل يا رسول الله ﷺ للمشركين من أهل مكة وغيرهم عبدة الأصنام والأوثان.

﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: من: للاستفهام والتقرير، ومن: للعاقل وتشمل المفرد والجمع؛ يعني: من يرزقكم المطر والشمس والطاقة والرياح، ومن الأرض: مثل النبات والحب والأرز والمعادن والثمار والبترول والغاز والذهب والفضة وغيرها.

قل الله: أي إذا لم يجيبوا على سؤالك، قل: الله، وإذا أجابوك وقالوا: الله، أقيمت عليهم الحجة فقل لهم: فلم تعبدون سواه، ولا تؤمنون به وحده؟

﴿وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: انتبه هنا قدم إننا على إياكم وقدم الهدى على الضلال، إننا تناسب الهدى، وإننا لعللى هدى أو إياكم وأنتم في



ضلال مبين، والهدى والضلال من المتناقضات والمتناقضان لا يجتمعان أبداً؛ أي: إن كان أحدهما على الهدى فلا بُدَّ أن يكون الآخر في الضلال ولا ثالث لهما. واستعمل لعل على هدى (على) تفيد الاستعلاء؛ لأنَّ الذي على الهدى كأنه راكب على مطية اسمها الهدى لكي توصله إلى غايته، وهو متمكن منها على ظهرها لا يخاف السقوط أو الانحدار، ولم يقل أو على ضلال مبين وإنما قال: في ضلال مبين؛ لأنَّ الضلال هو انحدار وسقوط والضال عادة يكون منغمساً في الظلمات وليس بخارج منها.

والضلال المبين: الضلال الظاهر والواضح لكل فرد يريد أن يطّلع عليه، والمبين يعني: الواضح بنفسه لا يحتاج إلى أحد حتى يظهره.

وهذا من أدب الحوار مع غير المؤمنين لإقناعهم بخطئهم حتى يقرّوا بأنفسهم ويعلموا الحق.

[٢٥] ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا رسول الله؛ أي: للمشركين من قريش.

﴿لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾: لا النافية، تسألون عما أجرمنا: التّون في «تسألون» للتوكيد، عما أجرمنا: عن تفيد المجاوزة والمباعدة، ما بمعنى الذي أو مصدرية، أجرمنا: الإجمام: هو التمرد على أوامر الله ونواهيه، ورفض الخضوع إليها. ارجع إلى الآية (٣٢) من نفس السورة؛ أي أذنبنا، بصيغة الماضي؛ أي: كأن الإجمام حدث أو وقع من قبلنا، والفرق بين أجرمنا وتجرمون: أجرمنا في الماضي ومرة واحدة، تجرمون: ليس إجماماً واحداً بل هو إجمام مستمر يتجدد ويتكرر، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [مرد: ٢٥] أي: أنتم لستم

مسؤولين عن إجرامنا؛ أي: إن كانت عبادتنا وطاعتنا لله تعالى جريمة أو ذنباً
فلستم مسؤولين عنها.

﴿وَلَا تُشْغَلْ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: لا النافية، نُسأل عما تعملون ولم يقل عما
تجرمون مع أنهم هم المجرمون حقاً، وقال بدلاً عنها: عما تعملون بصيغة
المضارع، وهذه الآية تدل على أعلى درجات الارتقاء، والسُّمو في الحوار
والدعوة إلى الله والتلطف بالآخر لعله يتوب إلى الله وينوب إليه، ويستميل
قلبه لقبول الحق والهداية، وإذا قارنا هذه الآية بآية (٣٥) من سورة هود، وهي
قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ، فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُخْتَرِمُونَ﴾ هذه الآية جاءت
في سياق قول نوح لقومه إذا كنت أفترى على الله الكذب فعلي إجرامي، وإذا
كنت بريء من ذلك، أو لست كذلك فأنتم مجرمون بحقي، بينما آية سبأ جاءت
في سياق الدعوة إلى الله.

[٢٦] ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا رسول الله.

﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾: يوم القيامة في أرض المحشر يوم الجمع.

﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾: أي الفصل والحكم بيننا بالحق: بالعدل، والباء
للإلصاق واللزوم، فيثب المطيع ويعاقب العاصي، يدخل المؤمنين الجنة
ويدخل المجرمين النار. ثم: ليست للترتيب والتراخي هنا وإنما للترتيب الذكري
(التسلسلي) وسمى الحكم فتحاً؛ لأنه يفتح شيئاً عن شيء ويحدث بينهما فرج
أو فصل حيث كانا ملتبسين فيفصل بين الحق والباطل والمؤمن والكافر. ارجع
إلى سورة الأنعام آية (٦٢) وسورة السجدة آية (٢٨) للبيان.



﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿الْفَتْحُ﴾: الحاكم بين الخلائق أو الذي يفصل بين الخلائق ويخبر الحق من الباطل، والفتاح والفتاح صيغة مبالغة من فتح، والفتح قد يعني الكشف والتبين وهذه هي المرة الوحيدة التي ذكر هذا الاسم في القرآن الكريم.

﴿الْعَلِيمُ﴾: بكل خلقه وكونه والعليم بما يقضي ويحكم على علم؛ لأنه يعلم ما فعله كل مخلوق سواء كان في السر أو العلن.

ومعنى هذه الآية: لن نطيل معكم الحوار أو الجدل؛ لأننا إما على الحق أو على الباطل، وأنتم كذلك فالله سبحانه يفصل بيننا ويقضي يوم القيامة.

[٢٧] ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿قُلْ﴾: الخطاب إلى رسول الله ﷺ وأمته: قل للمشركين من قريش، قل لهم يا رسول الله.

﴿أَرُونِي﴾: الهمزة للاستفهام التوبيخي والإنكار والتبكي، أروني: لا يقصد بها الرؤية الحقيقية؛ لأن رسول الله ﷺ كان يرى ويعلم ما يعملون، والغاية من السؤال ليريهم خطأهم في إلحاق الشركاء بالله تعالى، والرؤية هنا تعني قلبية فكرية؛ أي: فكروا بما تصفون.

﴿أَلْحَقْتُمْ بِهِ﴾: أي بالله، ألحقتهم؛ أي: أضفتم إليه شركاء: جمع شريك.

﴿كَلَّا﴾: كلمة زجر وردع؛ أي: كفوا عن إلحاق الشريك بالله وتوبوا إلى

ربكم.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي إبطال ما قبلها وإثبات ما بعدها.

﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: هو: ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر، الله: الإله الحق الذي يستحق أن يعبد ويحمد فهو واجب الوجود، العزيز: القوي الذي يقهر ولا يُقهر ويغلب ولا يُغلب له العزة جميعاً وكمال القدرة، الحكيم: أحكم الحاكمين وأحكم الحكماء في تدبيره لخلقه وكونه. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

[٢٨] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

المناسبة: بعد إعلام المشركين بأن الله هو الرزاق وأنه هو الإله الحق ولا شريك له وأن محمداً هو النبي المبعوث إلى الثقلين بشيراً ونذيراً للناس كافة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾: الواو عاطفة، ما النافية، أرسلناك: الخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ، أرسلناك: ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة للبيان ومعرفة الفرق بين أرسلناك وبعثناك.

﴿إِلَّا﴾: للحصر.

﴿كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾: عامة لجميع الناس (الناس يعني الإنس والجن) لقوله تعالى: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۖ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٥-٦] وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، للناس: الكافر والمؤمن والمطيع والعاصي، اللام لام الاختصاص خاص للناس، لكل زمان ولكل مكان.

﴿كَافَّةً﴾: من كفّ، وكفّ الشيء: منع أو كفّ بمعنى جمع، واسم الفاعل كافٍ، وأصل كلمة كافة: كافة فلما اجتمع حرفان متحركان سكن الأول



وأدغم في الثاني، فصار كاف وزيدت تاء التأنيث للمبالغة فأصبحت كافة؛ أي: لتكفّ الناس عن الكفر والشر والشرك وتدعوهم إلى الإسلام، وإذا كانت بمعنى كفّ جمع أي: للناس جميعاً، وقدم كافة على كلمة الناس ولم يقل للناس كافة: للاختصاص والتوكيد.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾: أي مبشراً للذين آمنوا ومنذراً للذين كفروا، ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان المفصل، ولنعلم أن رسول الله ﷺ هو الرسول (النبي ﷺ) الذي وصف بالبشير والنذير.

للتقلين: الإنس والجن معاً.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لكن: حرف استدراك، أكثر الناس لا يعلمون (لا النافية) لا يعلمون أنك أرسلت للناس كافة وأنتك البشير والنذير وأنتك خاتم النبيين، ولا يعلمون الوحداية في الألوهية والربوبية والصفات والأسماء، أكثر الناس لا يعلمون وهناك القلة التي تعلم.

[٢٩] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿وَيَقُولُونَ﴾: أي منكرو البعث من الكفار، ويقولون: بصيغة المضارع ولم يقل وقالوا: للدلالة على تجدد وتكرار هذا السؤال.

﴿مَتَى﴾: للاستفهام عن الزمان (ظرف للزمان) وفيها معنى الإنكار والاستبعاد، أو الاستبطاء والتعجب من كثرة هذا السؤال.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب، ويشير إلى الوعد الذي تعدنا

به.

﴿الْوَعْدُ﴾: البعث قيام الساعة أو يوم القيامة أو الحساب أو العذاب،

والوعد في القرآن عادة يكون للخير والوعيد يكون بالشر، يصفونه بالوعد؛ لأنهم لا يصدقون به وغير مهتمين به بدلاً من قولهم: متى هذا الوعيد.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: إن شرطية، تستعمل في سياق الشك أو الاحتمال؛ أي: هم يشكون في صدق الرسول وفي الوعد، وهم الذين قالوا عنه: الصادق الأمين.

[٣٠] ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾:

﴿قُلْ لَكُمْ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ، لكم: اللام لام الاختصاص لكفار قريش ومن جاء من بعدهم.

﴿مِيعَادُ يَوْمٍ﴾: مشتقة من الوعد، زمن التواعد أو مكان التواعد، إذن ميعاد للزمان والمكان، والميعاد: مصدر ميمي وهو الوقت المحدد أو المعين لحدوث الشيء، يوم: يوم موتكم أو بعثكم أو هلاككم أو يشمل الكل، ويوم: نكرة؛ للتحويل والتعظيم.

﴿لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً﴾: لا النافية، تستأخرون عنه ساعة: إذا جاء لا يؤخر ساعة ولا دقيقة، عن: تفيد المجاوزة والمباعدة.

﴿وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾: أي إذا لم يجيء: لا تستقدمون لا ساعة ولا دقيقة، تكرار لا يفيد تأكيد النفي، ارجع إلى سورة يونس الآية (٤٩) والأعراف (٣٤) للبيان. وردت هذه الآية (٤) مرات في القرآن: في هذه الآية ويونس الآية (٤٩) والأعراف الآية (٣٤) والنحل الآية (٦١).

[٣١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ



الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ
اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾

المناسبة: في الآية السابقة ذكر أن ميعادهم واقع لا محالة، وفي هذه الآية
يذكر حالهم في ذلك اليوم وما يحدث فيه من الحوار بين الرؤساء الذين استكبروا
والأتباع الذين استضعفوا.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من مشركي قريش قالوا لرسول الله ﷺ
والمؤمنين وذلك أن المشركين سألوا بعض مؤمني أهل الكتاب عما ذكر بشأن
محمد ﷺ في كتبهم، فلما أخبرهم بما جاء في ذكر الرسول ﷺ في التوراة
والإنجيل والبعث والجزاء قالوا عندها:

﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: لن: لنفي المستقبل القريب
والبعيد، نؤمن بهذا القرآن: أي لن نصدق بهذا القرآن، ولا النافية (تكرار النفي
يفيد التوكيد) بالذي بين يديه من الكتب السماوية مثل التوراة والإنجيل والزبور؛
أي: جاءت قبله.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ﴾: هنا يبدأ بالحديث عن حالهم يوم القيامة، ولو
ترى: لو شرطية تحتاج إلى جواب والجواب محذوف؛ للتهويل والتذكير لما
يصيبهم في ذلك اليوم من الخزي والهوان والمراء واللوم والعتاب، ولو ترى:
في الآخرة، أو حين ينتظرون الفصل والحساب أو في النار، إذ: ظرفية للزمان
المستقبل، الظالمون: المشركون الكافرون الظالمون لأنفسهم وغيرهم.

﴿مَوْقُوفُونَ﴾: محبسون جمع موقوف من: وقف.

﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: بين يدي الله، ينتظرون حسابهم.



﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾: يرجع من المراجعة، والمراجعة تعني كل واحد يقول كلاماً والآخر يرد على كلامه وينكره، وتعني المراجعة: كل منهم يرمي باللائمة على الآخر، ويتهمه بأنه هو السبب في كل ما يحدث من العذاب.

﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾: أي الأتباع استضعفوا في الدنيا. استضعفوا: جمع مستضعف؛ أي: جرده من عناصر قوته، وأذله وعده ضعيفاً، والضعف: بفتح الضاد يكون في الجسم أو الرأي: والعقل أو ضمها ضد القوة (مختار الصحاح)؛ أي: ضعف في الجسم فقط.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: المتبوعين وهم القادة والرؤساء والكبراء. استكبروا: طلبوا الكبر وليسوا أهله.

﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾: لولا: حرف شرط، لكننا: اللام لام التعليل أو الاختصاص، مؤمنين: مصدقين بالله والرسول واليوم الآخر وما أمر به تعالى، مؤمنين: جملة اسمية تدل على الثبات؛ أي: ذوي إيمان ثابت لا يتغير.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٣٤

الْبَاءُ وَالْعَمَلُونَ

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ
عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بِلْ كُنْتُمْ شَجِرَ مِينِ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا
هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ
مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾
قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا
زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ
بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي
ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ
إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا
أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾



سورة سبأ الآيات [٣٢-٣٩]

[٣٢] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَكُمْ عَنْ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ ثَجْرَيْنَ﴾:

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾: القادة والرؤساء؛ أي: المتبوعون. ارجع إلى الآية السابقة (٣١).

﴿أَنَحْنُ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والنفي والتعجب.

﴿صَدَدْنَكُمْ﴾: أي منعناكم. والصد: هو المنع بقصد ونية، والمنع: قد يكون بقصد أو بغير قصد (نية).

﴿عَنِ الْهُدَىٰ﴾: عن الإيمان بالله وبمحمد وبالقرآن أو عن الإسلام.

﴿بَعْدَ﴾: ظرفية زمانية.

﴿إِذْ﴾: ظرفية بمعنى حين.

﴿جَاءَكُمْ﴾: حين جاءكم الهدى بواسطة محمد ﷺ.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿كُنْتُمْ ثَجْرَيْنَ﴾: كثيري الإجرام والآثام والكفر والشرك؛ جمع مجرم، وهو من تمرد على أوامر الله ونواهيه، ورفض الخضوع إليها، وجرم يعني: قطع؛ أي: قطع كل صلة بالله، وجَرَمَ الرجل: أذنب، وارتكب ذنباً.



[٣٣] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: بل: للإضراب الانتقالي؛ أي: لم يكن إجرامنا الذي صدنا عن الإيمان، بل مكرم بنا في الليل والنهار: والمكر يعني الخديعة والاحتيال، والمكر يعني: التدبير الخفي لإيقاع المكروه بالممكوره من حيث لا يعلم، ارجع إلى سورة الرعد الآية (٣٣) وسورة إبراهيم الآية (٤٦) للبيان.

﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾: أي مكرم بنا في الليل والنهار ودعوتكم المستمرة لنا إلى الكفر بالله وما أنزل، وأن: حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد، هو الذي حملنا على الكفر وأن نجعل له أندادا: جمع نذ وهو النّظير والشّبيه. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٢) لمزيد من البيان.

﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾: الضّمير يعود على الجميع المستضعفين والمستكبرين، أسروا الندامة. الندامة: التلهف على ما فات وعندما يشتد الندم يتحول إلى حسرة، فالحسرة هي أشد الندم؛ مصدر لفعل ندم؛ أخفوا الندامة أضمر كل من الفريقين الندامة على ما فعلوا من الكفر حتّى لا يشمت بهم الفريق الآخر.

﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾: حين انكشف لهم العذاب؛ أي: رأوا العذاب بأمّ



أعينهم، رأوا العذاب المعدَّ أو المهيأ لهم بعد الجدل والخصام الذي دار بينهم وعلموا أنَّ جدالهم لن يجدي ثمَّ يقول الله سبحانه:

﴿وَجَعَلْنَا الْأَعْلَلَ﴾: جمع غل؛ أي: قيد أو طوق من حديد يوضع في عنق المجرم ويشد إلى اليد.

﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: هل للاستفهام يفيد النفي، يجزون: من الجزاء ويكون على العمل أي يجزون على أعمالهم في الدنيا من الكفر والظلم والعصيان، إلا: أداة حصر، ما كانوا: ما بمعنى الذي أو مصدرية، كانوا في الدنيا، يعملون: العمل يشمل القول والفعل فما يحصل لهم في الآخرة هو جزاء لهم على أعمالهم السيئة في الدنيا.

[٣٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾:

المناسبة: بعد ذكر ما قال الذين كفروا من كفار مكة، ومن الذين أوتوا الكتاب أنَّهم لن يؤمنوا بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه من التوراة والإنجيل؛ يخبر الله سبحانه نبيه محمداً ﷺ أنَّ إعراض قومه عنه ليس بالأمر الجديد، فكلَّ قرية بعث الله إليها نبياً نذيراً كذَّبه المترفون في تلك القرية أو الكافرون.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾: الواو استئنافية، أرسلنا: ارجع إلى الآية (٢٥١) للبيان.

﴿فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ﴾: في ظرفية، قرية: أصغر من المدينة، من استغراقية، نذير؛ أي: نبي، والإنذار هو الإعلام والتحذير.

﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾: إلا أداة حصر، قال مترفوها: جمع مترف، وهو من



أهل المال والثروة الذي طغته فتنة المال ونسي شكر المنعم. ارجع إلى سورة الزخرف آية (٢٣) لبيان معنى الترف، والمترف.

﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾: إِنَّا للتوكيد، بما: الباء للإلصاق، ما بمعنى الذي، أُرسلتم به: من التعاليم والآيات والأحكام والنذر كافرون جاحدون: تفيد الثبات على الكفر.

[٣٥] ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: أي: المترفون لرسولهم.

﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾: من المؤمنين واغتروا بالمال والأولاد والمتاع، وظنوا أنهم أعطوا المال والأولاد؛ لأنهم مكرمون من ربهم في الدنيا وما هم بمعذبين في الآخرة.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾: أي لن يعذبنا ربنا في الآخرة، ما: النافية، معذبين: جملة اسمية تفيد الثبوت.

وقولهم: نحن أكثر أموالاً وأولاداً، حُجة عليهم لا لهم وبدلاً من أن يشكروا المنعم ويؤمنوا به قالوا لرسولهم: إِنَّا بما أُرسلتم به كافرون! أي لسنا بحاجة إلى وعظكم وإنذاركم.

وقدّم المال على الأولاد؛ لأن أكثر الناس يملكون المال أكثر ممن عندهم الأولاد.



[٣٦] ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿قُلْ إِنْ رَبِّي﴾: قل لهم يا رسول الله رداً على اغترارهم بكثرة الأموال والأولاد: إِنَّ رَبِّي: إِنَّ: للتوكيد، ربي: أي الرب فهو الرّازق والمغني والمدير والمربي.

﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: يوسع ويغني بكرمه من يشاء، اللام: للتوكيد، من: للابتداء، يشاء: يريد، والمشية قبل الإرادة، والرّزق لا يقتصر على المال والأولاد بل هو كلّ ما ينتفع به ويشمل العلم والأخلاق والصّحة والأمن والطعام والشراب واللباس.

﴿وَيَقْدِرُ﴾: ويضيق على من يشاء. ارجع إلى الآية (٣٩) من نفس السورة للمقارنة بينهما.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن بسط الرّزق ليس دليلاً على رضا الله تعالى، وأن الفقر وعدم بسط الرّزق ليس دليلاً على سخط الله أو عدم رضاه، وأن المال والأولاد فتنة والغنى والفقر فتنة وابتلاء من الله بالخير والشر.

[٣٧] ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾:

هذه الآية ردّ على قولهم: نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾: الواو: استثنائية، ما: النافية، أموالكم ولا أولادكم: تكرار (لا) لتوكيد النفي وفصل كلّ منهما «الأموال والأولاد» على حدة أو معاً؛ أي: لا هذه ولا تلك ولا كلاهما معاً، الكلام مخاطب به الكلّ.



﴿بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾: زلفى؛ أي: قربي إلى الله. زلفى: مصدر زلف.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء منقطع.

﴿مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: من ابتدائية، آمن بالله وعمل صالحاً وأنفق من أمواله في سبيل الله وابتغاء مرضاته، فهذا الإنفاق من أعظم القربات، وكذلك الأولاد لا تقرب إلى الله زلفى ولكن إذا آمنوا وعملوا صالحاً وقالوا: ربنا ارحمنا واغفر لآبائنا وأمهاتنا، فذلك أيضاً من الذي يقرب إلى الله زلفى.

﴿فَأُولَئِكَ﴾: الفاء للتوكيد، أولئك اسم إشارة واللام للبعد تفيد العلو، الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

﴿لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ﴾: لهم: اللام لام الاستحقاق، جزاء الضعف: المضاعف المكرر مرات ومرات حتى يبلغ (٧٠٠) ضعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى (٧٠٠) ضعف أو أكثر.

﴿بِمَا عَمِلُوا﴾: الباء بدلية أو باء السببية؛ أي: بسبب أو بدل ما عملوا في الدنيا من الأعمال الصالحة.

﴿وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾: وهم: للتوكيد والحصر؛ أي: وكأنهم وحدهم لا غيرهم في الغرفات آمنون، في: ظرفية، الغرفات: جمع غرفة، والغرفة: اسم جنس غرف الجنة، آمنون: من الموت ومن كل خوف وضرر وسوء ومرض أو مكروه، آمنون جمع: آمن وآمنون: جملة اسمية تفيد الثبوت. ارجع إلى سورة الفرقان آية (٧٥) لمزيد من البيان.



[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ﴾: ارجع إلى الآية (٥) من السورة نفسها للبيان، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ﴾، فالفرق بين الآيتين: سعوا: فعل ماضٍ، سعوا وانتهى الأمر، وربما تابوا أو لم يُغفر لهم فلهم عذاب من رجز أليم، أما الذين يسعون بصيغة المضارع التي تدل على التجدد والتكرار والاستمرار أولئك في العذاب مُحضرون.

﴿فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾: أي: بذلوا قصارى جهدهم لصرف الناس عن آيات ربهم (آيات القرآن) بالقول: لا تسمعوا لها والغو فيها، وبالتكذيب بها. معاجزين: جمع معاجز: من يحاول أن يعجز غيره، وأعجزه: جعله عاجزاً عن نيل مراده، وأفلت منه، فلم يقدر عليه؛ أي: يحاولون أن يعجزوا من يُبلغها؛ أي: يجعلونه عاجزاً عن تبليغها والكف عنها.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد الذم.

﴿عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ﴾: عذاب أشد وأسوأ من العذاب الأليم، أما الآية (٣٨) يسعون: فعل مضارع يدل على تجدد وتكرار السعي في آياتنا معاجزين، كما شرحنا سابقاً. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٩) لبيان معنى الرجز والرجس والفرق بينهما.

﴿فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾: جمع محضر: اسم فاعل من: حضر يحضر؛ أي: حاضر ضد الغياب، أي يُحضر رغماً عن أنفه، تحضرهم الملائكة قسراً سواء رضوا أم لم يرضوا. وكلمة محضرون لا تأتي إلا في سياق العذاب في



كل القرآن. ومحضرون: لا يغيبون عنه فقوله: محضرون؛ أي: مقيمون في هذا العذاب الأليم.

[٣٩] ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾:

المقصود في هذه الآية رجل يبسط الله له الرزق يوسع عليه ويصبح غنياً ثم يضيق عليه فيصبح فقيراً، أو بالعكس يكون فقيراً ثم يصبح غنياً؛ أي: هو نفسه يتحول من حال إلى حال.

الآية (٣٦) من سورة سبأ: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: المقصود في هذه الآية رجل يُبسط له الرزق؛ أي: يوسع عليه ويصبح غنياً طيلة حياته، ورجل آخر يضيق الله عليه الرزق ويصبح فقيراً طيلة حياته.

أما في سورة القصص الآية (٨٢): ﴿وَيَكَاذِبُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ هذه الآية خاصة بقارون، فالله بسط له الرزق ولم يقل يقدر له، وإنما خسف به وبداره الأرض.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: وما: الواو استئنافية، ما: شرطية، أنفقتم: تصدقتم في سبيل الله سواء كان صدقة أو زكاة أو قرضاً حسناً، من شيء: من ابتدائية استغراقية، تشمل كل شيء من مال أو طعام أو زمن، وشيء: نكرة والشيء أقل القليل.

﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾: الفاء للتوكيد، هو: لزيادة التوكيد، ويعود إلى الله

سبحانه، يخلفه: يعوضه بالمال أو الثَّواب أو بالصَّحة أو طول العمر، يخلفه في الدُّنيا أو في الآخرة.

﴿وَهُوَ﴾: تكرر هو للتوكيد.

﴿خَيْرُ الرِّزْقِ﴾: خير؛ أي: أفضلهم وأعلاهم؛ لأنَّه سبحانه خلق الرِّزق والمرزوق، فلا رازق إلا هو فهو الرِّزاق الحقيقي وأما العباد فهم من تسخير الله سخرهم ليقوموا بذلك، وأضفى عليهم من صفته وكرمه ووصفهم بأنهم من الرَّاقيق. والرِّزق يشمل المال والعلم والسلطان والأهل والصحة والأمن والحرية وغيرها.







سورة سبأ [الآيات ٤٠ - ٤٨]

[٤٠] ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾:

بعد أن ذكر أن الأموال والأولاد لا تقربهم إلى الله زلفى، يذكر في هذه الآية وكذلك الملائكة لا تقربهم عند الله زلفى ولا تشفع لهم، فقد كانوا يزعمون أن الملائكة بنات الله ويمكن أن يشفعوا لهم.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾: يحشر المشركين يوم الحشر يوم القيامة والحساب، ونكر اليوم؛ للتحويل والتعظيم.

﴿جَمِيعًا﴾: الأتباع والمتبعين الرؤساء والقادة (الذين استكبروا) والذين استضعفوا، المعبود والعابد، والملائكة وعيسى وعزير والأولياء والأصنام والأوثان، ثم يقول للملائكة: أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون.

ثم: للترتيب الذكري (التسلسلي) وقد تعني الترتيب والتراخي في الزمن. ثم يسأل الله سبحانه الملائكة (ثم يقول للملائكة): أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ (أي في الدنيا).

﴿أَهْؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾: أهؤلاء استفهام تقرير وتوبيخ للعابدين، هؤلاء: الهاء للتنبيه، أولاء: اسم إشارة للقرب ويفيد الذم والتحقير، يسأل الملائكة بعد أن أنكر الذين أشركوا أنهم كانوا يعبدونهم؛ ليقيم عليهم الحجة



وتشهد الملائكة عليهم أنهم كانوا كاذبين، والله سبحانه يعلم منذ الأزل فيما إذا عبدوهم أم لا، والسؤال ليس ليعلم الله سبحانه ذلك وإنما ليقيم عليهم الحجة والله سبحانه غني عن سؤالهم، وفي السؤال تنزيه للملائكة من أن يسألوا أحداً أن يعبدهم.

[٤١] ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنُونَ﴾:

﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ﴾: أي جاء الرد المباشر من الملائكة على السؤال: أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ بقولهم: سبحانه؛ أي: ننزهك عن الشريك وأن يعبد سواك وننزهك من كل نقص وعيب في ذاتك وأسمائك وأفعالك وصفاتك.

﴿أَنْتَ وَلَيْسَ﴾: أنت للتوكيد، ولينا: وحدك؛ أي: لا ولي لنا سواك، والولي أي المتولي أمورنا ومدبرها، لم نسألهم أن يعبدونا أو يطيعونا.

﴿مِن دُونِهِمْ﴾: أي نتبرأ منهم لا نحن أولياؤهم ولا هم أولياؤنا، ونعتذر إليك ونسألك المغفرة.

﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾: بل للإضراب الانتقالي، يعبدون الجن: أي شياطين الجن (إبليس وجنوده)، انتبه هنا لا تفهم من ظاهر هذه أن الملائكة تخبر الله أن المشركين كانوا يعبدون الجن، أليس الله سبحانه يعلم ذلك، وإنما المقصود بهذه الآية أن المشركين إن كانوا يعبدوننا، فهم كانوا في عبادتهم لنا يطيعون الجن (شياطين الجن إبليس وجنوده بالوسوسة والإغواء والتزيين).

﴿أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنُونَ﴾: أي أكثر المشركين يؤمنون بالجن: أي يصدقون

الجن (شياطين الجن)، ويطيعونهم، وهذا ما ذكره الله سبحانه في الآية (١٢٨) من سورة الأنعام بقوله: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا لِمَعَشَرَ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ط وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ فَخَلِدِينَ فِيهَا﴾، مؤمنون: جمع مؤمن؛ أي: مصدق وجاء بصيغة الجملة الاسمية لتدل على الثبوت، ثبوت الإيمان، ثبوت إيمانهم بالجن؛ لأن الجن كانوا يسترقون السمع ثم يخبرون بها أولياءهم من الإنس، فيظن الناس أن الجن تعلم الغيب. وكما بين الله سبحانه ذلك في قوله في سورة الجن الآية (٦): ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنَّ فَرَّادُوهُمْ رَهَقًا﴾، وهناك القلة من الإنس الذين كانوا لا يعبدون الجن كانوا يشركون بالله بدون تدخل الشيطان.

[٤٢] ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ﴾:

﴿فَالْيَوْمَ﴾: الفاء للتوكيد، اليوم: يوم الحساب أو القيامة.

﴿لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾: لا النافية، يملك: بعضكم لبعض: المعبودون للعابدين أو المتبوعون للتابعين، لبعض: اللام لام الاختصاص.

﴿نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: جاءتا بصيغة النكرة؛ لتشملا كل نفع أو كل ضرر مهما كان نوعه وقدره، لا شفاعاة ولا زلفى ولا نجاة ولا نصراً ولا شيئاً مهما قل وصغر أو كبر، وقدم النفع على الضر؛ لأن سياق الآيات في القربى والزلفى والشفاعة التي تعني الفائدة منها والرزق والأموال والأولاد والإنفاق.

﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: نقول: للتعظيم، للذين: اللام لام الاختصاص،



الَّذِينَ ظَلَمُوا بِالشَّرْكِ وَالْمَعَاصِي وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْخُسْرَانِ وَظَلَمُوا الْآخِرِينَ
بِإِضْلَالِهِمْ.

﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: ارجع إلى الآية (١٤) من سورة
السَّجْدَةِ لبيان معنى: ذوقوا عذاب النار.

ولا بد من مقارنة هذه الآية (٤٢) من سورة سبأ وهي قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا
عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾، والآية (٢٠) من سورة السَّجْدَةِ وهي قوله تعالى:
﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾:

في آية سبأ: الَّذِينَ ظَلَمُوا يَكْذِبُونَ بِوُجُودِ النَّارِ أَصْلًا؛ أي: ينكرون
ويجحدون بوجود النار (أي يكفرون بها وبكل شيء يذكر عنها) فيقال لهم:
ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون.

أما في آية السَّجْدَةِ: الَّذِينَ فَسَقُوا يُقَالُ لَهُمْ: ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا
تَكْذِبُونَ؛ أي: هم يؤمنون بوجود النار ولكنهم ينكرون أنهم من أهلها وسيعذبون
بها، فتكذيبهم ليس للنار بل للعذاب نفسه، ولذلك جاء باسم الموصول الذي
العائد إلى العذاب.

وَالظُّلْمَ أَشَدَّ وَأَعْظَمَ ذَنْبًا وَإِثْمًا مِنَ الْفُسْقِ، فَأَعْلَى الدَّرَجَاتِ هِيَ الْكُفْرُ ثُمَّ
الظُّلْمُ (الشَّرْكَ) ثُمَّ الْفُسْقُ.

[٤٣] ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ أَيْنَمَا يَتَنَتَّيْقَلُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانْتُمْ يَعْبُدُونَ﴾

ءَابَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٤٧﴾

المناسبة: بعد قوله: ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون، ولم تكذبوا بالنار فقط بل كذبتكم كذلك برسولنا محمد ﷺ وكذبتكم بالقرآن وآياته حين كانت تتلى عليكم.

﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾: وإذا: الواو استئنافية، إذا: ظرفية شرطية تفيد الحتمية حتمية حدوث ما يذكر بعدها وهي التلاوة، تتلى: من التلاوة: والتلاوة تخص القرآن وآياته وهي: قراءة الآيات الآية تلو الأخرى، وتتلى بصيغة المضارع تدل على التجدد والتكرار، بينما «تليت عليهم آياته» تعني مرة واحدة، عليهم: على المشركين والكفار، آياتنا: آيات القرآن الحكيم، وقوله: «آياتنا» تفيد الشرف شرف هذه الآيات وقدرها العظيم عند الله تعالى ولم يقل وإذا تتلى عليهم الآيات، بينات: واضحات الدلالة وظاهرات المعنى.

﴿قَالُوا﴾: أي الذين كفروا وأشركوا.

﴿مَا هَذَا﴾: ما: للنفي، وغالباً ما تكون لنفي الحال وقد تنفي غيره وأقوى في النفي من ليس، هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب وتعني النبي رسول الله ﷺ وهم لا يقولون النبي أو الرسول وإنما: رجل.

﴿إِلَّا لَرَجُلٍ﴾: إلا: أداة حصر، رجل: أي محمد ﷺ، رجل: بصيغة النكرة ينكرون نبوته؛ أي: هو رجل كأَيِّ رجل وليس له أيّ مزية خاصة، ونسوا أنهم كانوا يلقبونه: الصادق الأمين.



﴿رُبِّدْ أَنْ يَصُدَّكُمْ﴾: أن: حرف مصدري يفيد التوكيد والتعليل، يصدكم: من الصّد: أي المنع؛ أي يمنعكم أو يصرفكم، والصّد يعني: المنع مع النية والقصد، والمنع قد يكون مع القصد أو بدون قصد.

﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾: عن تفيد المجاوزة والمباعدة، أي يبعدكم عن، ما: للعاقل وغير العاقل، وهي اسم موصول بمعنى الذي يعبد (أنزل الأصنام منزلة العقلاء) لأنهم يعبدونها ويظنون أنها تشفع لهم، كان: للماضي والحاضر، آباؤكم: من الأصنام والأوثان والآلهة واللات والعزى.

﴿وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى﴾: ارجع إلى مطلع الآية، إلا: أداة حصر، إفك مفتري: أي القرآن ما هو إلا كذب متعمد مفتري؛ أي: لا حقيقة له، أي مختلق، والإفك يعني في الأصل: قلب الحقيقة، وقد بين ذلك في آيات أخرى كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤]، ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ، فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾: للقرآن والرسول أو لدين الإسلام، لما: ظرفية زمانية بمعنى: حين جاءهم، للحق: اللام لام التوكيد، والحق هو: الصدق والأمر الثابت الذي لا يتغير، والذي ليس هناك غيره.

﴿إِنْ هَذَا﴾: إن نافية وأشد نفياً من ما وليس ولا.

﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾: إلا أداة حصر؛ أي: القرآن أو الرسول سحر لما رأوا تأثيره القوي في النفوس والقلوب وكانوا يظنون أن كل شيء خارق للعادة سحر كما يؤثر السحر في الأنفس.

سحر مبين: سحر ظاهر بين لكل فرد لا يخفى على أحد، وسحر لا يحتاج إلى برهان لإثبات أنه سحر، ولمعرفة تعريف السحر ارجع إلى الآية (٥٨) من سورة طه للبيان، وتكرار «قالوا» وقال الذين كفروا: يدل على ما في صدورهم من إنكار وإعراض شديد عن الرسول ﷺ والقرآن والدين.

[٤٤] ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾:

﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾: ما للنفي، آتيناهم من كتب يدرسونها: وما أنزلنا على هؤلاء الذين كفروا كتباً سماوية، يدرسونها: من التدريس؛ أي: التعليم، أو يدرسونها تدل على كثرة الدراسة وتكرارها والإمعان فيها وتدبرها، يدرسونها: أي فيها برهان على الإقرار بالشرك وإباحته وما آتيناهم من كتب قبل القرآن يدرسونها كما قال تعالى: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الزوم: ٣٥].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾: تكرار «ما» يفيد تأكيد النفي وفصل الكتب عن النذير، أرسلنا إليهم قبلك من نذير، من: استغراقية أي نذير، دعاهم إلى الشرك أو أباح لهم الشرك أو ينذرهم بالعقاب إذا أشركوا بالله، أو أرسلنا إليهم قبل محمد ﷺ رسولاً يدعوهم إلى الحق وينذرهم بالعذاب، ولم يقل وما أرسلنا إليهم من قبلك من نذير، حذف من وحذفها يدل على أننا لم نرسل إليهم من نذير منذ زمن بعيد.

[٤٥] ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾:

ثم يخبر الله سبحانه أن تكذيب كفار قريش ليس بالأمر الجديد فقد كذب



الذين من قبلهم من الأمم والقرون الماضية، وتكذيب هؤلاء كأنه سنة متبعة في الأمم.

﴿وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾: ما النافية، بلغوا: أي كفار مكة الذين كذبوا رسول الله ﷺ ما بلغوا معشار: أي العشر؛ أي: عشرة في المئة أو (١٠ / ١) مما أتينا الأمم السابقة من القوة وطول العمر وكثرة المال والبنيان، فحين كذبوا رسلي فكيف كان نكير؛ أي:

﴿فَكَيْفَ﴾: استفهام يحمل معنى التعجب والتقرير.

﴿كَانَ نَكِيرٍ﴾: من النكر: ما يجهله الإنسان ويستغربه وينكره؛ لأنه يظنه خطأ مع أنه حقيقة وصواب، وأصلها: فكيف كان نكيري حذفت الياء، ونكير: اسم لشدة الإنكار، والإنكار يستلزم الجزاء على الفعل النكر بالعقاب فيصبح المعنى: ثم أخذت الذين كفروا بعذاب ملائم لإنكارهم، فكيف كان انتقامي منهم أو عقوبتي لهم أو أخذي لهم. ارجع إلى سورة الكهف آية (٧٤) لمزيد من البيان، وبيان الفرق بين نكراً ونكير.

[٤٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِثْلٍ خَفًّى ثُمَّ تُنْفَكُّوا مِمَّا يَصَاحِبُكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾:

بعد أن نبه كفار قريش لما حدث لمن سبقهم من المكذبين من العقاب أو الهلاك، يعود ليخاطبهم عن طريق نبيهم:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ.

﴿إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾: أي بموعظة واحدة، واستعمل (إنما) وهي

كافة مكفوفة تفيد الحصر أو القصر؛ أي: لا أعظكم إلا بواحدة فقط، وما هذه الموعظة؟

﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾: أن للتعليل، تقوموا لله؛ أي: تتجردوا من كل هوى وشهوة واستعلاء وتقوموا مخلصين لله؛ أي: تقوموا بالعدل والقسط، وعند ذلك تعلمون الحق وأنه ليس به جنة؛ أي: برسول الله ﷺ.

﴿مَثْنَى وَفُرْدَى﴾: أي تقوموا من عند رسول الله ﷺ مثنى أو فرادى واحداً واحداً أو اثنين اثنين.

﴿ثُمَّ نَنْفَكُوا﴾: وليتفكر كل واحد منكم وحده، أو ليخلو بغيره اثنين اثنين فيتفكروا ليصلوا إلى الحق، والقيام هنا قيام تفكر، وتفكروا بموضوعية وتجرد من الهوى في أمر محمد ﷺ كيف كان فيكم وسيرته وأخلاقه، وهل علمتم كذباً عليه، وهل كان ساحراً أو كذاباً أو كاهناً أو فيه علامات من الجنون.

﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾: ما: النافية قوله تعالى: ما بصاحبكم، إشارة إلى أنهم صاحبه وعرفوا أحواله وعقله وأمانته بالصَّحبة الطويلة قبل أن يصبح رسولاً إليكم، من جنة: من استغراقية، جنة: أي ما به من أي علامة من علامات الجنون.

﴿إِنْ هُوَ﴾: إن نافية؛ أي: ما هو، هو ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿نَذِيرٌ لَّكُمْ﴾: نذير من الإنذار وهو الإعلام والتحذير؛ أي: منذر لكم محذركم خاصة.



﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: عذاب قادم في الآخرة بين يدي: يدل على قرب العذاب، وقد يعني الساعة أو يوم الحساب كقوله تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

[٤٧] ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾:

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ، ما: شرطية، سألتكم من أجر فهو لكم: أي إن كنت أخذت منكم أي أجر على التبليغ فسوف أعيده لكم، أو سيعود جزاؤه عليكم، أو قل لهم يا محمد ﷺ: لا أسألكم على إنذاري لكم أي أجر أو على تبليغي الرسالة لكم.

﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾: والأجر: هو الجعل أو الثمن مقابل العمل، إن أجري: إن حُرِفَ نفي أشد نفيًا من (ما) كقوله وما أجري.

﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾: إلا أداة حصر، على الله تعالى واجب الوجود الإله الحق المعبود الذي أرسلني إليكم.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: هو ضمير يفيد التوكيد، على كل شيء شهيد: ارجع إلى الآية (١٣٣) من سورة البقرة للبيان، والآية (٦) من سورة المجادلة.

[٤٨] ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَ الْغُيُوبِ﴾:

﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: قل يا رسول الله ﷺ، إن: للتوكيد، إن ربِّي يقذف بالحق: يقذف يعني يُلقِي، يتكلم بالحق مع رسله وأنبيائه أو يُلقِي بالوحي أو بالقرآن أو يقذف بالحق على الباطل فيدمغه (الأنبياء الآية ١٨) ولماذا اختار سبحانه كلمة «يقذف» خاصة؛ لأنها توحى بالقوة والعنف، هذا إذا جاءت من

البشر فكيف إذا كان القاذف هو الله سبحانه العزيز الحكيم، وأمّا المقذوف هو الحق، والحق: هو الشيء الثابت الذي لا يتغير، فالله سبحانه يقذف بالحق ليزيل الباطل، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، والباء في بالحق: تدل على الإلصاق والدوام.

﴿عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾: أي يقذف بالحق فلا يخطئ في قذفه هدفاً أو شيئاً؛ لأنه سبحانه علام الغيوب؛ أي: عالم بكلّ غيب، فوحيه لا يصل إلا لمن اختاره من عباده من الرسل.

وعلام: صيغة مبالغة من علم؛ عالم؛ عليم؛ علام الغيوب: جمع غيب، والغيب: هو ما غاب أو خفي عن العيون والآذان والحواس والمدركات؛ فهو سبحانه يعلم ما غاب عن أسماع خلقه وأبصارهم وحواسهم.





سُورَةُ طه ٣٥

الْبَيْتُ الْخَامِسُ

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ
فَأِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ
مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ءَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَافُثُ مِنْ
مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ
بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مَُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ طه

آيَاتُهَا
٤٥

تَبَيَّنَا
٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ
أَجْنَحَةٍ مِّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا
وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ؕ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَأْتِيهَا
النَّاسُ أَذْكُرٌ وَانْعَمَتَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَىٰ تَوْفُكُونَ ﴿٣﴾

سورة سبأ [الآيات ٤٩ - ٥٤]

[٤٩] ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾:

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ: جاء الحق: دين الإسلام دين الحق والقرآن، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣].

﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾: الباطل: هو الظلم والكفر والشرك والشيطان. الباطل لغة: هو الذاهب الزائل، أو الفاسد، وليس له وجود في الأصل، وما يبدئ الباطل: لا بداية أخرى له.

﴿وَمَا يُعِيدُ﴾: لا عودة له مرة ثانية؛ أي: إذا جاء الحق زهق الباطل (الشرك والكفر) أي: ذهب الباطل اضمحل وزال ولم يبق له أثر لا بداية جديدة ولا عودة. يبدئ: ولم يقل بدأ؛ أي: بدأ لأول مرة، أما يُبدئ تعني: تكرار البداية الأولى. وما يعيد: تكرار الإعادة أو العودة.

أي: إذا زال الباطل واضمحل فليس له بداية جديدة أو عودة، وتكرار «ما» مرتين يفيد تأكيد النفي.

[٥٠] ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾:

﴿قُلْ إِنْ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ، إن شرطية تفيد الافتراض على فرض؛ وهو احتمال غير وارد أو نادر.

﴿ضَلَلْتُ﴾: عن الحق والصواب والصراط المستقيم؛ أي: ابتعدت وأضعت



السَّبِيل فذلك بسبب نفسي وسيئاتي، أي: نسب الضلال الذي هو نتيجة للسيئات التي تقتربها النفس.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء للتوكيد، إنما كافة مكفوفة تفيد الحصر.

﴿أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾: أي إثم ضلالي أو وزر ضلالي يكون على نفسي. نسب الضلال إلى النفس؛ لأن النفس التي تقترب السيئات، والضلال نتيجة السيئات. ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والافتراض. اهتديت إلى الحق والصواب، وبالنسبة للرسول ﷺ: الهداية تكون بالوحي، والإلهام، أما هداية الأمة: تكون بواسطة الرسول والكتاب.

﴿فِيمَا﴾: الفاء للتوكيد، بما: الباء باء السببية.

﴿يُوحَىٰ إِلَىٰ رَيْتٍ﴾: من القرآن والوحي والحكمة والموعظة، نسب الهداية إلى الله سبحانه وتعالى.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿سَمِيعٌ﴾: لكل ما يقال من قول ودعاء وصوت.

﴿قَرِيبٌ﴾: بعلمه من عبده فهو أقرب إليه من جبل الوريد.

[٥١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾: الواو استثنائية، لو شرطية، جواب الشرط محذوف والتقدير: ولو ترى يا رسول الله ﷺ.

﴿إِذْ﴾: ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿فَرَعُوا﴾: من الفرع: وهو الخوف الشديد حين القيام من القبور والبعث والحساب في أرض المحشر وعند الميزان (وقد تشمل ساعة الموت)، فزعوا؛



أي: الذين لم يؤمنوا وكذبوا بالقرآن وبالرَّسول ﷺ وبما جاء من الحق، وجاء بصيغة الماضي «فزعوا» والمراد به الاستقبال؛ أي: كأن الأمر حدث وانتهى.

﴿فَلَا فَوْتَ﴾: الفاء تعليلية، لا النافية، لا فوت: مصدر لفعل فات؛ أي: لا مهرب ولا نجاة لهم؛ لأنَّ الإنسان قد يفزع: يخاف خوفاً شديداً من أمر ما ويستطيع الهرب منه والنجاة أو ينقذه أحد، أمّا هؤلاء فلا مفر ولا ملجأ.

﴿وَأَخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: أخذوا إلى النار سيقوا إلى جهنم مباشرة من مكان الحساب؛ أي: الحشر بدون تأخير. وحذف جواب الشرط وتقديره: لرأيت الشيء العجاب والأمر الهائل الذي يحلُّ بهؤلاء ولينتصّوره كلّ فرد بما يتصوّره. [٥٢] ﴿وَقَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ ءَ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَافُثُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: أي الكفار بعد «إذ فزعوا» ورأوا أن لا ملجأ لهم يومئذ وما لهم من نكير.

﴿ءَأَمَّنَّا بِهِ﴾: به؛ أي بالله وبالبعث والحساب وبمحمّد وبالقرآن وبكلّ ما جاء من الحق، الآن تؤمنوا ولم تؤمنوا في الدنيا؟

﴿وَأَنَّى لَهُمُ﴾: أنى لها أربع معان: كيف تؤمنوا، ومن أين لهم الإيمان، والتعجب، والسّعة في المعنى من كيف، لهم: اللام لام الاختصاص.

﴿التَّنَافُثُ﴾: التناول؛ أي: تناول الإيمان والتّوبة في الآخرة وقد فات الأوان؛ أي: زمن التّوبة والإيمان وبعثت دار الدّنيا دار التّكليف.

التناوش: من: ناشه ينوشه نوشاً؛ أي: تناوله. ويقال: تناوش القوم بالرماح: تناول بعضهم بعضاً بالرماح فهم يريدون أن يتوبوا حينذاك ويؤمنوا (إيماناً سهلاً بدون جهد أو تكليف وفي الدّار الآخرة البعيدة عن الدّنيا).

فمثلكم كمثل الذي رمى رمحاً إلى أبعد ما يمكن ولم يعد يقدر الوصول إليه؛ ليستعمله مرة أخرى، فلن ينفعهم إيمانهم أو توبتهم في الآخرة. وهناك من



قال: التناوش من: ناشت؛ أي: إذا أبطأت وتأخرت؛ أي: تأخر إيمانهم وتوبتهم فلم تعد تقبل.

﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾: أي في الآخرة البعيدة عن الدنيا، ويعين على تفسير معنى المكان البعيد الآية التالية وهي قوله: ويقذفون بالغيب من مكان بعيد، وهو الدنيا.

[٥٣] ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾:

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾: وقد: الواو للتوكيد (حالية)، قد: للتحقيق، قد تحقق كفرهم به، كفروا به: (بالإيمان وبالله وبالبعث وبمحمد وبالقرآن).
﴿مِنْ قَبْلُ﴾: أي في الدنيا، حين عرض عليهم، من: تدل على الزمن القريب.

﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾: العرب تقول لكل من يتكلم بالظن وفيما لا علم له به بأنه: يقذف ويرجم بالغيب؛ أي: يقذفون بألستهم بالغيب: بالظن أو بما لا علم لهم به، يرمون ويقذفون الله تعالى بأن له الولد والشريك والند والمثيل، وأن الملائكة بنات الله والعزير والمسيح ابن الله! وأن هناك نسبا بين الله والجنة! أو يقولون: لا بعث ولا حساب ولا آخرة ولا جنة ولا نار، أو يقولون: ساحر ومجنون وكاهن.

﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾: أي كانوا يقذفون بالغيب حين كانوا في مكان بعيد (أي الدنيا) وهم الآن في الآخرة.

وإذا قارنا هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَمَ الْغُيُوبِ﴾ آية (٤٨) من السورة نفسها، فالله يقذف بالحق (بالأمر الثابت الذي لا يوجد غيره ولا يتغير ولا يتبدل). وهم يقذفون بالباطل.

والله سبحانه يقذف؛ لأنه علام الغيوب فيحق له أن يقذف، أمّا هم يقذفون

بالغيب بدون علم، وإنما مجرد الافتراء والظن والتخمين، فقد فهم لا يصيب الهدف ويرجع قذفهم عليهم حسرات.

[٥٤] ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مَُّرِيبٍ﴾:

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾: حيل: جعل بينهم وبين ما يشتهون حائلاً أو مانعاً أو سداً يمنعهم من الوصول إلى ما يشتهون، ما: بمعنى الذي، يشتهون: من الشهوة شهوة النفس، وماذا يشتهون؟ لم يُبين في هذه الآية ما يشتهون: مثل الإيمان الحقيقي المقبول والتوبة، والنجاة من النار والفوز بالجنة، أو الرجوع إلى الدنيا ليعملوا صالحاً ويتوبوا.

﴿كَمَا﴾: الكاف للتشبيه، ما أيضاً بمعنى الذي.

﴿فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾: الأشياء جمع: شيع، وشيع جمع: شيعة، وشيعة الرجل: أنصاره وأتباعه أو الجماعة المجتمعة على نحلة واحدة أو عقيدة، سواء كانوا على حق أو باطل، وأشياعهم تعني: أمثالهم من الكفار والمشركين والمكذبين أو من كان مذهبه مذهبهم (أي الكفر).

﴿مِّن قَبْلُ﴾: من قبل هؤلاء.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مَُّرِيبٍ﴾: إنهم للتوكيد؛ أي: مشركي وكفار قريش، وقد تعني غيرهم من الكفار كانوا في الدنيا، شك مريب: في شك والشك تساوي كفة النفي والإثبات؛ أي: تردد الذهن بين أمرين على حد سواء، مريب: من الريبة وهي التهمة: في شك مريب في تردد وحيرة، واتهام الغير في أمر الدين والوحدانية والرسل والبعث والحساب، والجنة والنار والعذاب ولقاء الله، مريب: في موقع ريب أو: ذي ريب أودى بهم إلى أن يموتوا على الكفر والشرك، ثم إلى العذاب والهلاك في نار جهنم.





سُورَةُ الْكَافِرَاتِ ٣٥

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ
فَأِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ
مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا أَمَتَّابِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ
مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ
بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مَُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِةِ رُسُلًا أُولَٰئِكَ
أَجْنَحَةٌ مَّتَنَّى وَثَلَّثَ وَرُبَعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا
وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَتَأْتِيهَا
النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفٍ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾



سورة فاطر [الآيات ١ - ٣]

ترتيبها في القرآن (٣٥)، وترتيبها في النزول (٤٢) نزلت بعد سورة الفرقان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّىٰ وَتُلَّتْ وَرُبِعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الحمد أعم من الشكر، والحمد كالحمد على صفاته الذاتية كالعلم، والقدرة، والحمد على تفضله على العالمين حمداً مطلقاً دائماً وتاماً على نعمه الظاهرة والباطنة وأهمها نعمة الإيمان والإسلام والقرآن، نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وسورة فاطر إحدى السور الخمسة التي بدأها سبحانه وتعالى بالحمد، وهذه السور هي: الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر. ارجع إلى سورة الفاتحة الآية (٢) وسورة الكهف الآية (١) لمزيد من البيان. لله: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، الله: الاسم الدال على ذاته سبحانه الدال على واجب الوجود، والجامع لجميع صفاته وأسمائه، والذي تفرد به وحده واختصه لنفسه.

﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: بعد الافتتاح بالحمد يُذكر الله بعظمته وقدرته على فطر السموات والأرض وخلق الملائكة بأجنحة مختلفة العدد، فاطر السموات والأرض: أي: خالق السموات والأرض ابتداءً أي: هو الذي أوجدهما وأظهرهما، على غير مثال سابق وفاطر اسم فاعل من فعل فطر: أي: شق يقال:



تفطر الشجر: إذا تشقق بالورق، والفطر: الإبداع. ارجع إلى سورة الأنعام الآية (١٠) لمزيد من البيان.

فكونه فاطر السموات والأرض فهو يستحق الحمد والعبادة، وكذلك تسخيرهما يعدُّ من أكبر النعم الربانية.

﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا﴾: إلى الأنبياء والرسل، ورسلاً لتدبير أمور الخلق وتصريف الرياح والسحاب وكتابة أعمال الخلق ورعايتهم والدعاء والاستغفار للمؤمنين، وقد خلقهم الله تعالى من نور، فهم مخلوقات نورانية لا تأكل ولا تشرب ولا تنام ومطهرون من الشهوات لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

﴿أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّىٰ وَثَلَاثَ رُجُلٍ﴾: ومن صفاتهم الخلقية التي أخبرنا الله بها أن لهم أجنحة يتفاوتون في أعدادها، أولي: أي: أصحاب أجنحة مثنى، وثلاث، ورباع، ويعني: ذلك جماعة من الملائكة ذوو جناحين، وجماعة ذوو ثلاثة أجنحة، وجماعة ذوو أربعة أجنحة؛ أي: اثنين اثنين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة، ولا يعني: ملك واحد له جناحين، أو ثلاثة، أو أربعة أجنحة.

﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾: يزيد الله في الخلق ما يشاء من أجنحة، يزيد في صور وأشكال خلقه من طول قامة وشعر، وألوان وحواس وقوة وصفات وراثية غير متشابهة.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام وله ستمئة جناح، والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: قدير: صيغة مبالغة على وزن فاعيل، وأبلغ من

قادر. ارجع إلى سورة البقرة الآية (٢٠) للبيان.

[٢] ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿مَا﴾: شرطية.

﴿يَفْتَحُ اللَّهُ﴾: حركت بالكسر لالتقاء الساكنين، يفتح، أي: يمنع أو يعطي أو يؤتي.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام لام الاختصاص أو الاستحقاق، الناس: الثقلين الإنس والجن، وكلمة الناس مشتقة من النّوس، أي: كثرة الحركة.

﴿مِنْ رَحْمَةٍ﴾: من: ابتدائية استغراقية، تستغرق كلّ رحمة مهما كان نوعها من السماء أو الأرض في الدنيا أو في الآخرة، من رحمة: جاءت بصيغة النكرة لتشمل كلّ رحمة مثل النبوة والعلم والمطر والغنى والعافية والأمن، والمطر والطعام والشراب وإرسال الرّسل، وتدل على الكثرة وسواء كانت رحمة حسية أو معنوية، ورحمته سبحانه وصفها بأنها واسعة ﴿ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الأنعام: ٤٧].

﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، لا نافية للجنس، فلا ممسك لها: فلا مانع لها أو حابس لها، أي: لا أحد من الخلق يستطيع أن يمنع وصولها إلى أصحابها.

﴿وَمَا يُمْسِكُ﴾: أي: الله سبحانه ولم يحدّد ما يمسك، وأطلق ما يمسك من



رحمة أو عقوبة أو ضراء أو نعمة أو نقمة أو سراء، بينما في قيد في الأولى (ما يفتح من رحمة).

﴿فَلَا مَرْسَلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾: أي: لا أحد قادر على إرسال وبعث أو إطلاق ما يمنع أو يمسك الله سبحانه.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: هو: ضمير فصل يفيد التوكيد، العزيز: عزة القوة والغلبة والقهر والامتناع، الحكيم: أحكم الحاكمين وأحكم الحكماء في تدبير خلقه وشرعه وكونه. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) للبيان.

[٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنْ تُنْفَكُونَ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: نداء إلى الناس جميعاً (الإنس والجن) الثقيلين استعمل فيها ياء النداء للبعد والهاء في أيها للتنبيه.

﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: باللسان والطاعة وتجنب المعاصي وغيرها من وسائل الذكر أي: الشكر، أي: اشكروا نعمة الله عليكم مثل نعمة الدين والإسلام والأمن والعافية والعلم والأهل والرزق وغيرها من النعم.

﴿هَلْ﴾: استفهام يفيد التقرير والنفي والتحدي، ولم يأت بالآية بصيغة الخبر كقوله تعالى: يا أيها الناس الله الذي خلقكم ويرزقكم من السماء والأرض وإنما استعمل هل للاستفهام؛ لكي يأتي الرد أو الإجابة على السؤال من السامع نفسه، والإجابة تعني الإقرار، والإقرار يعني: إقامة الحجة عليه وتعني النفي أي: ما من خالق غير الله وتعني التحدي، ومن: الاستغراقية.



إِنْ كَانَ لَكُمْ خَالِقٌ غَيْرُ اللَّهِ فَأَيْنَ هُوَ:

﴿مَنْ خَلَقَ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: والجواب لا، فهو وحده الخالق والرازق من السماء والأرض، وبما أنه لا يوجد غيره فهو سبحانه الذي يستحق العبادة والشكر.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: ارجع إلى سورة البقرة الآية (٢٥٥) للبيان.

﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾: أنى لها أربعة معان كيف تؤفكون، من أين تؤفكون، وللتعجب، والاستفهام أقوى من كيف، تؤفكون: مشتقة من أفكه عن الشيء، أي: صرفه عنه أو قلبه، أي: كيف تصرفون عن الإيمان بالله تعالى وتوحيده وطاعته إلى عباده وطاعة غيره بقصد وتعمد، أو كيف تصرفون عن الحق إلى الباطل، تؤفكون من الإفك هو الكذب المتعمد، أو كيف تصرفون خلق الله ورزق الله وتجعلونه لغيره، ثم يحث رسول الله ﷺ بالصبر والتأسي بالرسل الآخرين.





سورة النازعات

سورة النازعات ٣٥

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
 ﴿٤﴾ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
 وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ
 عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
 مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا
 فَإِنْ أَلَّفَ اللَّهُ يَضِلُّ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ
 عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ
 الرِّيحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ الْأَرْضَ بَعْدَ
 مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْغَزَا فَلِلَّهِ الْغَزَا جَمِيعًا
 إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
 يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ
 ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا
 وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ
 وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾



سورة فاطر [الآيات ٤ - ١١]

[٤] ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو استئنافية، إن شرطية تحمل معنى الاحتمال أو الافتراض أو الندرة في أن يكذبوك.

﴿يَكْذِبُوكَ﴾: جاءت بصيغة المضارع لتدل على التجدد والاستمرار.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، قد للتحقيق (أي: قد حدث هذا لمن جاء قبلك من الرسل وتحقق).

﴿كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾: كذبت جاء بتاء التأنيث بدلاً من القول فقد كذب رسل من قبلك لتدل على كثرة الرسل الذين كذبوا.

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: وإلى الله تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر أي: لله وحده فقط ترجع الأمور، ترجع الأمور للفصل والحكم فيها والمجازاة عليها إن كانت خيراً يثاب عليها وإن كانت شراً يعاقب عليها.

وفي هذه الآية حثٌ وحضٌ للرسل ﷺ بالصبر على تكذيب قومه والتأسي بمن جاء قبله من الرسل.

ولمقارنة هذه الآية مع الآية (١٨٤) من سورة آل عمران: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾، والآية (٣٣) من سورة الأنعام: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٨٤) للبيان.



ولمعرفة الفرق بين ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾.

[٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾:

نداء جديد إلى الناس جميعاً بتبليغ جديد وتحذير يا أيها الناس. ارجع إلى الآية (٣) للبيان.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: إن للتوكيد، وعد الله حق: بالبعث والحساب والجزاء بالثواب أو العقاب وبالجنة أو النار، وكل ما وعد الله حق، أي: صدق ثابت لا يتغير أبداً.

والوعد يأخذ حقيقته من الواعد فالواعد هو الله وهو الحق بذاته، ولا يوصف أي وعد بأنه مؤكد إلا وعد الله؛ لأنه سبحانه قادر على الوفاء بالوعد وهو الحي القيوم، أما وعد الإنسان فهو وعد غير مؤكد، وقد يكون باطلاً.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: الفاء فاء السببية أي: تفيد الدلالة على السبب، تغرنكم: التّون في تغرنكم للتوكيد، تغرنكم من الغرور، وانتبه إلى لفظ الغرور.

الغرور: بضم الغين وهو كل ما يغتر به الإنسان من متاع الدنيا والشّهوات والمال والجاه والأنعام والحرث حتّى ثناء الناس عليه وغيرها، وهو نوع من الخداع، ناجم عن غفلة أو نقص في التدبر أو التفكير، وهو زائل وغير باقٍ أو دائم، مقارنة بمتاع الآخرة الدائم الذي لا ينفد.

والغرور بفتح الغين تعني: الشيطان صيغة مبالغة على وزن مفعول، أي: كثير الغرور بالسوسة والتّزين والإغواء والإضلال والنزغ.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: بجمالها وزينتها ومتاعها وشهواتها الفانية.

ولا يغرنكم الشَّيْطَانُ بالوسوسة والأوهام والتزيين والهوى وطول الأمل
وحب الدنيا.

وهناك فرق بين الغرور والخدع: فالغرور إيهام أو تصور يحمل الإنسان
أو يجرُّه إلى فعل شيء هو غافل عنه، مثال: يرى السَّراب فيظنه ماء، أو كما فعل
إبليس بآدم فقال له: هل أدلك على شجرة الخلد ومُلْك لا يبلى، أمَّا الخدع: فهو
ستر الصَّواب ليوقع بالآخر أمراً غير مستحبٍّ، مثال: يخدعه في البيع والشراء أو
يظهر له خلاف الحقيقة.

والغرور قد يسمَّى خدعاً أو الخدع يسمَّى غروراً على سبيل التَّوسُّع في
المعنى، فالغرور له علاقة بالغفلة، والخداع له علاقة بستر الحقيقة.

[٦] ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾:

المناسبة: هذه الآية تنتمي للآية السابقة فقد قال: ولا يغرنكم بالله الغرور،
أي: الشَّيْطَانُ، إن الشَّيْطَانُ لكم عدوٌّ.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ﴾: إن للتوكيد، الشَّيْطَانُ: هو الكافر من الجن أو الإنس وكلمة
الشَّيْطَان مشتقة من شطن، أي: ابتعد عن الحق والخير وتمادى في الشر أو شاط:
احترق والشَّاطن يعني: الخبيث.

أما الشَّيْطَان الرَّجِيم. فارجع إلى الآية (٣٦) من سورة البقرة للبيان.

﴿لَكُمْ عَدُوٌّ﴾: قدم لكم للاهتمام.

﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾: الفاء فاء السَّببية، اتخذوه: اجعلوه عدواً، بمخالفتكم
وساوسه وخطواته؛ لأنه عدو مبين.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد الحصر.



﴿يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾: أتباعه وحزبه جماعته أوليائه، والحزب هم جماعة تعصبوا لفكرة ما، أو رأي أو مبادئ ويعملون من أجلها.

﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: السلام في ليكونوا لام التعليل، من: ابتدائية بعضية، أصحاب السعير: ارجع إلى الآية (١٠) من سورة الملك للبيان، والرعد آية (١٨) لبيان معنى السعير.

[٧] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: المناسبة: بعد التحذير من اتباع الشيطان وطاعته يُبين في هذه الآية جزاء من أطاع الشيطان وجزاء من أطاع الله تعالى.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: الذين اسم موصول يفيد الذم والتحقير، كفروا: جحدوا بوجود الخالق أو آياته أو رسله وكتبه واليوم الآخر.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: مقارنة بالعذاب الأليم والعذاب المهين والعذاب العظيم في الدنيا والآخرة.

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد العلو.

﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وعملوا الصالحات: الفرائض والنوافل وشعب الإيمان.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿مَغْفِرَةٌ﴾: المغفرة تعني: محو الذنوب وترك العقاب وإثابة صاحبها على ما فعله من الحسنات.

﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: الأجر يكون مقابل العمل والأجر قد يوصف بالكبير أو الكريم أو العظيم أو غير الممنون أو الحسن، أي: له درجات حسب درجات أعمالهم وإيمانهم وإحسانهم والمغفرة والأجر الكبير قد يعني: الجنة، ولو قارنا هذه الآية مع الآية (١٢) في سورة الملوك، وهي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: نجد أن خشية الرب وهي صفة من صفات الذين آمنوا وعملوا الصالحات، اقترنت بالمغفرة والأجر الكبير؛ مما يدل على أهمية خشية الله تعالى بالغيب.

[٨] ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

المناسبة: في الآيات السابقة بين الله سبحانه أن الشيطان هو العدو وفي هذه الآية يبين ما يعمل الشيطان هو التزيين للوقوع في الشرك والمعاصي.

﴿أَفَمَنْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، الفاء لتوكيد زيادة الإنكار، من: اسم موصول بمعنى الذي، ومن: للعاقل، وقد تنزل منزلة غير العاقل.

﴿زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾: أي: رأى عمله السيئ القبيح أو الباطل حسناً، فهو يظن مثلاً أن الشركاء يقربونه عند الله زلفى، أو يشفعون له.

﴿فَرَآهُ حَسَنًا﴾: أي: من الأصنام والأوثان سيقبله الله تعالى وله أجره وثوابه وخبره محذوف تقديره أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً كمن لم يُزَيَّنْ له سوء عمله، والحق سبحانه لم يذكر الجواب؛ لأنه معلوم، أي: لا يستويان.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾: أي: هذا الذي زين له سوء عمله فرآه حسناً لا تظن أو تعتقد أن الله سبحانه أضله، ولا تظن أن الذي لم يُزَيَّنْ له سوء عمله



أَنَّ الله هداه؛ لأنَّ الله سبحانه ترك لكلَّ منهما حرية الاختيار، فالَّذي اختلت عنده الموازين والرؤية، وسار في طريق الضلال وأتبع الشيطان وضل عن طريق الهدى وطاعة الله، فالله سبحانه يتركه وشأنه، وإذا ابتعد كثيراً عن الحق واستمر في طريق الضلال فإن الله عندها يختم على قلبه وسمعه وبصره، وأما من اختار طريق الهدى وطاعة الله وطلب العون من الله فالله سبحانه سيكون له عوناً ويزيده هدىً.

﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾: فلا: الفاء للتوكيد، لا: النافية، تذهب أو تهلك نفسك يا رسول الله ﷺ على أمثال من زين له سوء عمله فرآه حسناً بالحسرة عليهم؛ لأنهم ضلوا وكفروا، ولم يؤمنوا، فقد كان ﷺ حريصاً على هداية قومه ويألم الألم الشديد إذا ضل أحدهم حتى وصفه كأنه باخع نفسه (قاتل نفسه) ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

حسرات: جمع حسرة: وهي غم ناشئ عن فوت فائدة، وتعني: فرط التحسر.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾: إن الله: للتوكيد، عليم: صيغة مبالغة من عالم أي: كثير العلم، لا تخفى عليه خافية عليم بظواهر أعمالهم وبواطنها. بما: الباء للإلصاق، ما اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية.

يصنعون: من المنكرات والسيئات والفساد والقتل، واختار يصنعون ولم يقل يعملون: العمل يضم القول والفعل، ويصنعون يعملون بجودة واجتهاد؛ أي: يجتهدون في الأعمال السيئة أو السوء؛ أي: أصبح ارتكابهم للسيئات



والمنكرات والشُّرك والفساد صناعة من كثرة ممارستها والقيام بها والمهارة في إتقانها (شبهها بالصناعة).

[٩] ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فُسَقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾:

المناسبة: ثم يذكر الله سبحانه بعض الآيات الكونية الدالة على نعمه على الخلق والدالة على قدرته على البعث والنشور.

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا﴾: أرسل فعل ماضي فثير سحاباً فعل مضارع، المجيء بالفعل المضارع بدلاً من أثارت سحاباً، تدل على حكاية الحال أي: كأن الأمر يحدث أمام عينيك الآن وأنت تراه للدلالة على قدرته الربانية، ولأن إثارة السحاب يحدث في المستقبل؛ أي: بعد إرسال الرياح، وكذلك للدلالة على أن إرسال الرياح فثير سحاباً، أمر يتكرر ويتجدد باستمرار، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤٨) في سورة الروم، وهي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا﴾: نجد أن يرسل: بصيغة المضارع، وليس بصيغة الماضي كما في الآية فاطر.

﴿فُسَقْنَهُ﴾: الفاء تدل على التعقيب والمباشرة.

سقناه: أي: سقنا السحاب الذي يحمل المطر إلى بلد ميت، ويعني: السحاب الركامي، وانظر كيف تحولت صيغة الغائب ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ إلى صيغة المتكلم (سقناه) و(أحيينا) للدلالة على أهمية السوق والإحياء، وعبر بالفعلين الماضيين (سقناه وأحيينا) بعد المجيء بالفعل المضارع (ثير) للدلالة



على تحقق الفعل؛ لأنه سبحانه خالق الزمان والمكان فاستوى عنده الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾: إلى بلد مقارنة إلى بلدة؛ البلدة: جزء من البلد، والأرض أعم من البلدة، والبلدة وميِّت: بتشديد الياء؛ أي: لم يمت بعد، أي: لا نبات فيها ولا زرع. ارجع إلى الفرقان آية (٤٩) لمعرفة الفرق بين ميِّت بتشديد الياء وميِّت بسكون الياء الذي يعني: مات وانتهى.

﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾: بالماء.

﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: بالحب وبالنبات والعشب والزّرع والثمرات، ولم يقل من بعد موتها، حذف من: يدل على الزمن قد يطول أو يقصر بعد موتها قبل عودة إحيائها.

﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾: أي: كما أن الله سبحانه أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها؛ كذلك يُحيي الموتى بعد موت طويل فيُنزل الله عز وجل ماءً من السماء، فيختلط بتراب الأرض ويخترقها فيصل إلى عجب الذنب المدفون في التراب، والحاوي على خلية، أو خلايا جذعية كاملة القدرات في حالة سبات (أو معطلة) تنتظر هذا الماء لتنمو من جديد بقدرة القادر المقتدر على أن يُعيد الخلق، وينبت الإنسان من جديد، كما ينبت البقل.

وكيف يتم ذلك؟ ارجع إلى سورة الروم آية (١٩)، ومع إضافة الماء تعود الرّوح إليه من جديد وتبدأ عملية نشز العظام وكسوها لحماً (كما بيّن في الآية (٢٥٩) من سورة البقرة).

النشور: عودة الحياة إلى الأموات ومن ثم ظهورهم على الأرض، الحشر: هو السوق والجمع إلى أرض المحشر.

[١٠] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ﴾:

هذه الآية جاءت لتردّ على المشركين الذين ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١].

ولتردّ على المنافقين ﴿الَّذِينَ يَنْخَلِطُونَ الْكَافِرِينَ أَولِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنِئْتُمْ عَنْهُمْ الْعِزَّةُ﴾ [النساء: ١٣٩].

﴿مَنْ﴾: شرطية، تشمل المفرد والمثنى والجمع، ومن للعاقل.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾: من: يطلب ويرجو العزة والشرف، فليعلم أن لله العزة جميعاً والعزة لها أنواع عزة القوة وعزة المنعة وعزة الغلبة والقهر، فليطلبها أو يرجوها من الله سبحانه وحده، ولا يرجوها من صنم أو وثن أو طاغوت؛ لأنّ العزة الحقيقية كلها جميعاً له وحده والعزة الحقيقية هي التي لا تزول ولا تضعف ولا تتحوّل.

﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾: تقديم الجار والمجرور، فله: يفيد الحصر والتوكيد أن العزة له وحده، جميعاً: للتوكيد.

وعزة العبد لا تنال إلا بطاعة الله والقرب منه، وليست بعبادة الآلهة والأصنام والتّقرب منها، وإذا كانت العزة لله جميعاً، فكيف نفسّر قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المناقرون: ٨]؟ هذا من فيض الله عز وجل وكرمه على رسوله وعلى المؤمنين وصفهم بأن لهم عزة، وهي عزة مؤقتة عارضة



ومعرضة للأغيار. وهي نابعة من شرف الإيمان بالله والقرآن واتباع الرسول ﷺ والتوحيد والإخلاص.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾: تقديم إليه يفيد الحصر، أي: إليه وحده، يصعد: من الصعود، ويختلف الصعود من الارتفاع؛ الصعود: لا يحتاج إلى فاعل، أما الرفع: فيحتاج إلى فاعل؛ أي: الكلم الطيب يصعد إليه سبحانه مرة واحدة من قائله دون الانتقال في منازل.

الكلم الطيب: الكلم أوسع وأعم من الكلام، الكلم: قد تعني كلمة أو كلمتين أو ثلاث، أما الكلام: يعني الجمع (أكثر من ثلاث) ولا يشمل الكلمة، والكلمة والكلم قد تكون لا إله إلا الله محمد رسول الله، والصلاة وتوحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، والذكر والتلاوة والدعاء، وكل كلام فيه ثواب أي: يثاب عليه العبد من الله تعالى، والكلم لا يشترط أن يكون له معنى، أما الكلام: له معنى، والكلم: جمع كثرة، وكلمات: جمع قلة.

﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾: الواو: عاطفة، العمل الصالح كأداء الفرائض والنوافل، وذكر الله تعالى والإحسان، واجتناب المحارم، وكل عمل يثاب عليه العبد كالإصلاح بين الناس وإمارة الأذى عن الطريق.

والعمل الصالح يرفعه: الهاء في يرفعه قد تعود إلى العمل الصالح أي: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب؛ أي: إذا وافق القول الفعل قبل العمل الصالح، وإن خالف رد، أو الهاء في يرفعه تعود على الكلم الطيب أي: لا عمل صالح يقبل إلا من موحد، فالتوحيد هو الأصل للقبول فالمشرك بالله لا يقبل منه أي عمل صالح حتى يتوب، ويرجع إلى الله، أو الهاء تعود إلى الله سبحانه أي: والعمل الصالح يقبله الله.



فالإيمان يجب أن يقرن بالعمل الصالح وبالعكس حتى يُقبل.

﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: الذين اسم موصول، يمكرون: من المكر: وهو التدبير الخفي لإيقاع الضرر بالغير من دون علمه، ويمكرون: بصيغة المضارع تدل على التجدد والتكرار والاستمرار، ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [النحل: ٤٥] تدل على الماضي.

أي: يدبرون السيئات: مثل الشرك والمعاصي والفساد أو إيذاء رسول الله ﷺ والمؤمنين، والنيل منهم، كما فعلوا في دار الندوة مثلاً، وفي غيرها من اجتماعات أهل الكفر والنفاق والشرك للنيل من المؤمنين.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: اللام لام الاختصاص لهم خاصة. عذاب شديد: شديد الإيلام.

﴿وَمَكَرُوا لَكَ هُبُورٌ﴾: أولئك اسم إشارة واللام للبعد، ويشير إلى الكفار والمشركين والمنافقين والعصاة، هو: ضمير يفيد التوكيد.

﴿وَمَكَرُوا لَكَ هُبُورٌ﴾: من بائر باطل من البوار: الأرض البوار التي لا تنبت بالزرع أو الثمر ولا تنتج شيئاً، أي: مكر هؤلاء صناديد قريش الذين حاولوا المكر برسول الله ﷺ ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه هو باطل، ولن يتحقق.

[١١] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرَةٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾: أي: خلق أباكم آدم من تراب، لأنكم من آدم وآدم من تراب، وكان خلقه على مراحل: طين، ثم طين لازب، ثم حمأ مسنون، ثم صلصال كالفخار، ثم نفخ فيه الروح.



من تراب: من ابتدائية وقد تكون بعضية وتعني تركيب جسم الإنسان، من تراب: فقد وجد أنّ هناك (١٦) معدناً من معادن الأرض موجودة في تركيب جسم الإنسان منها الكالسيوم والصوديوم والمغنيزيوم والكلوريد والنحاس والزنك والبوتاسيوم والحديد وغيرها. ارجع إلى سورة الروم آية (٢٠) لمزيد من البيان.

﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: ثم للترتيب الذكري العددي، أو التسلسلي، ثم خلقكم من نطفة آدم، ثم بالتزاوج والتكاثر.

﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾: أي: ذكراناً وإناثاً، الذكر يطلق عليه زوج والأنثى يطلق عليها زوج.

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى﴾: ما النّافية، تحمل من أنثى: من استغراقية، من ذكر أو أنثى أو توءم أو أكثر من ذلك من الأجنّة الكاملة الخلق أو غير الكاملة.

﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾: ولا تضع إلا بعلم الله سبحانه، لا: النّافية، إلا: للحصر، بعلمه: أي: يعلم زمن الوضع (الولادة) بالدّقيقة والثّانية، ومنذ الأزل، وكيفية الوضع والولادة وما يتعلّق بها من اختلاطات.

﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾: ما النّافية، يعمر من معمر: المُعَمَّر: الإنسان الذي طعن في السنّ أي: بلغ أقصى العمر أي: يعلم الله سبحانه ما تضع من أنثى ويعلم عمر كلّ معمر وكم سيعيش أو إلى متى سيطول عمره ومتى سيموت باليوم والدّقيقة والثّانية. وقيل ذلك موجود في المحفظة الوراثية في أحد الجينات أو الكروموزوم.

﴿وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾: هاء الضمير في كلمة عمره، إما تعود على المعمر السابق ذكره والذي طال عمره أو تعود على أيّ إنسان آخر.

وهذا النقص له معنيان:

الأول: ينقص من عمره فيموت وهو في سن مبكرة.

الثاني: إنسان مكتوب عمره إذا حج وكان واصلاً لرحمه ومحسناً فسوف يعيش (٩٠) سنة، وإذا حج ولم يكن واصلاً لرحمه ولا محسناً فسوف يعيش (٦٠) سنة، وهكذا.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿فِي كِتَابٍ﴾: أي: اللوح المحفوظ أو في شفرته الوراثية عمر فلان (٩٠) سنة؛ لأنه سيكون واصلاً لرحمه ومحسناً، فالزيادة في عمره داخل في تقدير عمره بصفة نهائية، والطول والقصر كله بقضاء الله سبحانه وحده.

﴿إِنْ ذَلِكَ﴾: إن للتوكيد، ذلك اسم إشارة يشير إلى الطول والقصر في العمر والخلق والتدبير.

﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: أي: هيّن ولا يعني أنّ هناك أموراً أو أشياء عسيرة، أو صعوبة على الله سبحانه، وأمور سهلة، وإنما قوله: يسير فقط لتقريب قدرته إلى أذهان البشر.





البقرة النازلة والخير

سورة النازلة ٣٥

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا
 مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
 حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِيرَ تَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِهِ
 وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ
 النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
 لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ
 تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ
 تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ
 وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ
 ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
 الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَاءُ ذْهَبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾
 وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ
 تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
 إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
 وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾



سورة فاطر [الآيات ١٢ - ١٨]

[١٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاقِرَ لَتَبْنَعُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

ومن مظاهر قدرة الله وعظمته الدالة على أنه الإله الحق الذي يجب أن يُعبد وحده هو تسخير البحرين.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾: الواو: عاطفة، وما: النافية كثيراً ما تنفي الحال، بينما لا كثيراً ما تنفي الاستقبال، وتستعمل لا لنفي الأعمال وما يتعلق بها، بينما ما تنفي الاستواء في الحقائق والثوابت من الأمور، مثل: العمى، والبصير، والظلمات، والنور، والأحياء، والأموات، والفراوات، والأجاج يستوي البحرين: أي: سبحانه لم يسو بينهما في كل الصفات والخصائص لما تنطوي عليه مصلحة البشر والتمكين من العيش؛ لأن الماء هو أصل كل شيء حيٍّ، وقد تعني التسوية أنه لوحظ حين يلتقي الماء العذب بماء البحر نجد الماء العذب الحلو يطفو فوق الماء المالح؛ لأن الماء العذب أقل كثافة من الماء المالح، فيظل مفصلاً بينهما.

البحران: البحر هنا النهر العذب الذي يصبُّ في بحر مالح.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه وذا اسم إشارة للقرب.

﴿عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾: عذب: أي: الحلو اللذيذ الطعم، فورات: الفرات



المزيل للعطش. فرات لأنه يفرط العطش أي: يزيله أو فرات للتوكيد، أي: هو عذب عذوبة بالغة.

سائغ شرابه: سهل الابتلاع (سهل المرور في الحلق والمري).

﴿وهذا﴾: تكرر هذا يفيد التوكيد.

﴿ملح أجاج﴾: أي: شديد الملوحة أو أجاج تعني: مرّ الطعم، أج الماء اشتدت ملوحته وأجاج مشتقة من الأجيح النار الملتهبة. وقيل: ملح أجاج: أي: شديد الملوحة ومرّ الطعم.

وسمي بذلك؛ لأن شرب ماءه يزيد العطش ويصبح الإنسان يشعر كأن في بطنه ناراً مشتعلة يريد أن يشرب أكثر فأكثر

ولم يذكر في هذه الآية قدرته على أن جعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً وذكرها في سورة الفرقان آية (٥٣). ارجع إلى سورة الفرقان آية (٥٣) لمزيد من البيان.

﴿ومن﴾: ابتدائية.

﴿كل﴾: للتوكيد.

﴿تأكلون لحماً طرياً﴾: من البحر العذب والبحر المالح تأكلون لحماً طرياً: لحم السمك بأنواعه المختلفة وغيره من الحيوانات البحرية التي تؤكل لحماً، لحماً: بصيغة التكرار لتشمل كل أنواع اللحوم من الحيوانات المصطادة. ﴿وتستخرجون﴾: للتوكيد جاءت بالنون ولم يقل: وتستخرجوا لتدل على التجدد والتكرار.

﴿حَلِيَّةٌ تَلْبَسُونَهَا﴾: لم يُبين في هذه الآية نوع الحلية وبينها في سورة الرحمن، فقال: ﴿اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، تلبسونها: أي: الرجل والمرأة ومع أن الحلية تلبسها النساء عادة وهي زينة المرأة من أجل زوجها، فكأن الرجل هو أيضاً يستمتع بالحلية. واللؤلؤ والمرجان غير محرّم على الرجال كالذهب والحريّر.

﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ﴾: الفلك تطلق على المفرد والجمع وتسمّى السفن.

﴿فِيهِ﴾: في البحر ظرفية.

﴿مَوَاحِرَ﴾: مواخر من المخر: وهو الشق؛ أي: يقال: السفينة تمخر البحر أي: تشق طريقها بصوت خاص مُميز، مواخر: شواق للمياه بصدورها، قدّم كلمة فيه على مواخر بينما في سورة النحل آية (١٤) قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ﴾ أخطر كلمة (فيه) السبب في تقديم (فيه) في سورة فاطر؛ لأنّ الحديث أو السياق عن البحرين أي: البحار، فقدّم فيه التي تعني البحر، وأمّا في سورة النحل فكان السياق عن وسائل النّقل والأنعام والخيّل والبغال والحمير وليس عن البحر، فأخر كلمة (فيه).

﴿لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: اللام لام التعليل، من فضله: أي: من بعض فضل الله تعالى عليكم، والفضل يعني: الزيادة عما تستحقون من الأجر، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٤) في سورة النحل وهي قوله تعالى: ﴿وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: نجد زيادة الواو في آية النحل؛ لأنّ آية النحل تشير إلى منافع أخرى (لتبتغوا منافع أخرى) لم تذكرها الآية بينما الآية فاطر يقصد بها المنافع التي ذكرت في الآية فقط.



﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: الواو في ولعلكم تشير إلى هذه المنافع المذكورة في الآية وغيرها من منافع أخرى لم يذكرها الله سبحانه في هذه الآية، أما حين يقول: لعلكم تشكرون من دون الواو فتعني فقط النعم المذكورة في الآية.

لعلكم: لعل تفيد التعليل ولا تعني الترجي؛ لأنكم إن شكرتم شكرتم لأنفسكم، وإن لم تشكروا فإن الله غني عن العالمين.

تشكرون المنعم على نعمه باللسان والطاعة والإنفاق في سبيله وغيرها من وسائل الشكر. ارجع إلى سورة الأعراف الآية (١٠) لمزيد من البيان.

[١٣] ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾:

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: ارجع إلى سورة لقمان آية (٢٩) لمزيد من البيان.

يولج: يدخل والولوج أصعب من الدخول، فيه معنى التماس والاختلاط أي: تعاقب الليل والنهار الناتج عن كروية الأرض، وعن كونها تدور حول نفسها وحول الشمس؛ مما يؤدي إلى تبادل الليل والنهار، والنهار والليل الضروري لاستقامة الحياة على هذه الأرض، وقدم الليل على النهار؛ لأنه هو الأصل أي: الظلام.

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: التسخير، أي: التدليل للانتفاع بها فالشمس مصدر للطاقة والدفء، وتعطينا حزمة الطيف المرئي من أشعة الشمس التي تضئ بامتزاجها بالطبقة الغازية المحيطة بالأرض لتعطينا ضوء النهار وأشعة

الشمس المهمة في كثير من الوظائف العضوية، وأمّا القمر فهو يعكس لنا ضوء الشمس وهو يلعب دوراً مهماً في عملية المد والجزر المهمة في تفتيت الصخور وحركة الرياح ودوران الأرض حول محورها، ويستفاد من الشمس والقمر في معرفة الزمن: السنة والشهر واليوم والساعة.

لذلك كلّ آيات التسخير جاءت بصيغة الماضي في كلّ القرآن بينما الإيلاج يتجدّد في كلّ يوم، والتكوير هو تعاقب الليل والنهار.

وفي هذه الآية حذف كلمة لكم ولم يقل: وسخر لكم؛ لأنّ السياق ليس في سياق تعداد النعم، كما هو الحال في سورة النحل آية (١٢) السياق هنا في تعداد الآيات الكونية الدالة على عظمة الله تعالى وقدرته، وأنّه الإله الحقّ الذي يستحقّ أن يعبد وحده.

﴿لَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: اللام تفيد الانتهاء والاختصاص والتعليل، أي: جريان الشمس والقمر سوق مستمر حتّى يبلغا أجلهما المضروب لهما وهو يوم القيامة أو انتهاء زمن التسخير.

أمّا قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ كما في سورة لقمان آية (٢٩) أي: الشمس والقمر تجريان الآن في طريقهما للوصول إلى المنتهى، أي: المستقر.

﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: ذلكم، ولم يقل: ذلك؛ للتعظيم والإشارة إلى فاعل كلّ تلك الأفعال من الخلق والتسخير والإيلاج.

الله ربكم: الله المعبود واجب الوجود، ربكم: الخالق والمدبر والمسخر والمنعم، جمع الألوهية والربوبية معاً.



﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾: له الحكم وله الملك وتقديم له يفيد الحصر والقصر له وحده لا يشاركه أحد.

﴿وَالَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾: والذين اسم موصول وتشمل الأصنام والأوثان والملائكة وعيسى وعزير أو الآلهة المزعومة.

تدعون: تعبدون، من دونه: من غيره أو سواه.

﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾: ما النافية، يملكون: شيئاً من السموات والأرض، وشيئاً نكرة، أي: مهما كان صغيراً (والشيء هو أصغر الأشياء).
من: ابتدائية لبيان الجنس.

قطمير: الغشاء الشفاف الذي يحيط بالنواة نواة التمر.

وفي آية أخرى ذكر الفتيل، فقال سبحانه في سورة النساء آية (٧٧) ﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ والفتيل هو الخيط الذي نجده في بطن النواة.

وفي آية أخرى ذكر النقيير: فقال سبحانه في سورة النساء آية (١٢٤) ﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾: والنقيير هو تجويف صغير أو نقرة في ظهر النواة.

إذن هذه الثلاث: القطمير والفتيل والنقيير تضرب للشيء اليسير المتناهي في القلة، وكلها نجدها في نواة التمرة التي جعلها الله موضعاً للمثل والعبرة.

[١٤] ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ وَلَا يَنْبِتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾:

﴿إِنْ﴾: شرطية تدل على الافتراض.

﴿تَدْعُوهُمْ﴾: أي: تعبدوهم أو تتوسلوا إليهم، أي: الشركاء أو الأوثان.

﴿لَا يَسْمَعُوا﴾: لا النافية، لا يسمعون؛ لأنهم أوثان وأصنام أو جمادات وأحجار.

﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾: لو شرطية، سمعوا على سبيل الافتراض أنهم كانوا ملائكة أو عيسى أو عزيز.

﴿مَا﴾: النافية.

﴿اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾: لعدم قدرتهم لعجزهم أو عدم السماح لهم.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾: يجحدون وينكرون عبادتكم لهم ويتبرؤون منكم، ومن عبادتكم ﴿تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣].

﴿وَلَا يَنْبِتُكَ﴾: لا: النافية، ينبئك: من النبأ وهو الخبر العظيم، والكاف للمخاطب وهو رسول الله ﷺ؛ أي: لا يخبرك يا رسول الله ﷺ مثل أو كما يخبرك به الله عز وجل بما سيكون في المستقبل أو ينبئك ببعض الغيب أي خبير.

﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾: مثل الله تعالى الخبير العالم ببواطن الأمور وظواهرها وأجريت هذه الآية مجرى المثل.



[١٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾:

هذا هو النداء الثالث في هذه السورة إلى الناس. ارجع إلى الآية (٣) لبيان معنى يا أيها الناس.

﴿أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾: أنتم تفيد التوكيد، الفقراء جاء بأل التعريف ليشمل الكل، كل الناس، ولو قال: أنتم فقراء يعني: بعضكم فقراء إلى الله وبعضكم غير فقراء. وعرف الفقراء للمبالغة في فقرهم فهم شديداً الافتقار إلى الله وسائر الخلائق.

أنتم الفقراء: أي: أنتم خاصة المفتقرون إلى الله سبحانه، والله ليس بمفتقر لكم؛ لأنه سبحانه غني عنكم وعمن في الأرض جميعاً.

أنتم الفقراء إلى الله على الإطلاق، أي: المحتاجون إليه في جميع أمور الدين والدنيا. فقراء إليه حتى في تنفسكم الهواء (الأوكسجين)، وماءكم، وطعامكم، ونومكم، وبعثكم، وحياتكم، وإلى شمسهِ وليلهِ ونهارهِ وكل شيء.

﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾: هو تفيد التوكيد والحصر، واستعمال هو حتى لا يظن أحداً أنه يشاركه في الغنى.

الغني: لأن له ما في السموات وما في الأرض، وإن من شيء إلا عنده خزائنه، ولا تنفذ خزائنه، الغني عن خلقه وعن عبادتهم. ارجع إلى سورة الحديد آية (٢٤) للبيان.

الحميد: أي: قرن غناه بكرمه وجوده والحميد، أي: الغني النافع خلقه بغناه؛ فهو يحمد؛ لأنه سبحانه يعطي خلقه ويغني بعضهم حتى ولو عصوه، والحمد من قبل أن يحمده خلقه، فهو المستحق الحمد من عباده لإحسانه إليهم.



[١٦] ﴿إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾:

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الافتراض أو الاحتمال.

﴿يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ﴾: يمتكم أو يسلط عليكم وباءً أو داءً فيقضي عليكم جميعاً.

﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: طائعين لا يعصونه، وهذه الطاعة طاعة رضا واختيار، لا طاعة قهر وقسر وكرامية، وهذا يُعدُّ إنذاراً لمشركي قريش.

[١٧] ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بَعِزٌّ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما نافية.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة للبعد يشير إلى الذهاب بكم، والإتيان بخلق جديد ما هو شيء عزيز، أي: ممتنع أو متعسر على الله عز وجل.

وقد ذكرت هذه الآية، أي: (يشأ يذهبكم) في أربع آيات في القرآن النساء آية (١٣٣)، والأنعام آية (١٣٣)، وفاطر آية (١٦)، وإبراهيم آية (١٩).

[١٨] ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو عاطفة، لا النافية.

﴿وَلَا تَزِرُ﴾: لا تتحمل أو تحمل.

﴿وَازِرَةٌ﴾: أي: نفس وازرة، أي: مذنبه أو آثمه.

﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: الوزر الحمل ويعني: إثماً أو ذنباً أو خطيئة أو جرم نفس



أخرى، فكل إنسان مجزي بعمله سواء كان صالحاً أو سيئاً كقوله تعالى: ﴿كُلُّ

أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

أي: لا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى، ويبدأ ذلك من زمن التكليف (البلوغ) هذا إذا اقتصر ظلمه أو ضلاله على نفسه، أما إذا تعدى إلى غيره فعندها تنطبق عليه آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، أي: تتحمل إثمها وإثم غيرها.

﴿وإن﴾: شرطية تفيد الافتراض والاحتمال.

﴿تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾: وإن تدع نفس مثقلة بذنوبها أحداً إلى حملها؛ كي يحمل عنها، لا يحمل منه شيء ولو كان من تدعوه ذا قربي، أي: صاحب قربي.

﴿إنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾: أي: إنذارك يا محمد ﷺ وتحذيرك لا ينتفع منه، أو لا يستفيد منه إلا الذين آمنوا ويخشون ربهم بالغيب، والإنذار في القرآن يأتي في سياق الذين كفروا أو الذين آمنوا فهو ليس خاصاً للكفار والمنافقين دائماً؛ فهو إنذار قد يعم الكل أو إنذار خاص بفئة معينة.

الخشية: هي الخوف المقرون بالتعظيم والمهابة والعلم بالله تعالى، وتحمل معنى الأمل، وبالغيب: الباء للإلصاق وتعني: الدوام والغيب يعني: عندما يكونوا في منأى عن الناس ولو حدهم ومن يخشاه بالغيب يعني: يخشاه بالعلن ويخشاه بالغيب تعني يخشوا ربهم وما رأوه بأعينهم، وجاءت كلمة

يخشون بصيغة المضارع؛ لأن الخشية ليس لها وقت محدد، بل هي مستمرة أو دائمة.

أَمَّا الْكَافِرُونَ وَالْجَاهِدُونَ فَإِنَّهُمْ لَن يَقْبَلُوا أَوْ يَنْتَفِعُوا بِإِذَارِكَ لَهُمْ.
﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: تعود على الذين يخشون ربهم.

وأقاموا الصلاة بشروطها وأركانها وسنتها ولوقتها من دون تأخير والمحافظة عليها واختار الصلاة من بين العبادات؛ لأنها أهمها، ولأنها العبادة التي تؤدَّى خمس مرات باليوم، وهي عماد الدين، وتمثل كل العبادات الأخرى، وجاءت ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: بصيغة الماضي؛ لأن لها أوقات محددة، وليس مستمرة كما هي الحال في الخشية.

﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾: وهذه حقيقة أخرى بجانب ولا تزر وازرة وزر أخرى.

ومن: شرطية، يتزكى: تطهر من الدنس والكفر والذنوب بالتوبة والإيمان والعمل الصالح وبفعل الطاعات وترك المعاصي، فإنما: الفاء للتوكيد (جواب الشرط). إنما: لزيادة التوكيد والقصر.

يتزكى لنفسه: يتطهر لنفسه حيث يعود الثواب والأجر إليه.

﴿وَالِإِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾: إلى الله تقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة يفيد الحصر، أي: إليه وحده المصير النّهاية، أي: الوقوف بين يديه للمحاسبة أو إليه ينتهي كلّ أمر للنظر فيه؛ أي: الحكم والقضاء.





سُورَةُ طه ٣٥

الجزء الثاني والعشرون

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ
﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ
إِنَّ اللَّهَ يَسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ
أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِّنْ
أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ
الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا
أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا
وَعَرَابٍ سُوْدٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

سورة فاطر [الآيات ١٩ - ٣٠]

[١٩] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما النافية للجنس.

﴿الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾: الأعمى الجاهل أو الكافر، أي: لا يستوي الكافر مع الكافر، أي: مع الذي أشد منه كفراً فالكفر درجات.

والبصير: العالم أو المؤمن، أي: لا يستوي المؤمن مع المؤمن، أي: الذي أشد منه إيماناً والإيمان درجات.

الاستواء هنا يقصد به الاستواء في الجنس، وقد يقصد به غير الجنس ناهيك عن عدم استواء الكافر والمؤمن، فهذا شيء مفهوم لا يحتاج إلى تبيان.

[٢٠] ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾:

﴿وَلَا﴾: النافية لزيادة توكيد المعنى.

﴿الظُّلُمَاتُ﴾: جمع ظلمة مثل (ظلمة الكفر والشرك والمعاصي)، أو الظلمات بعضها أشد من بعض فهي لا تستوي أيضاً.

﴿وَلَا النُّورُ﴾: الإيمان أفرد النور؛ لأنه نور واحد منزل في كتابه أو النور لا يستوي مع النور الأشد منه.

[٢١] ﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ﴾:

وتكرار لا يفيد زيادة النفي.



﴿الْظِّلُّ﴾: الجنة، الظل: كناية عن ظل الجنة ﴿ظِلًّا ظِلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]، فالجنة درجات قيل: مئة درجة.

﴿وَلَا الْحَرُورُ﴾: النار أو جهنم. دركات قيل: هي سبع دركات.

[٢٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ﴾: ما: النافية الأحياء: المؤمنون الذين استجابوا لله ولرسوله حين دعاهم لما يحييهم كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

﴿وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾: الكفار الذين لم يستجيبوا لله وللرسول وتولوا وهم معرضون، وتكرار (لا) وما تؤكد عدم الاستواء كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦].

وإذا نظرنا إلى الآية (١٩) قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ لم يضاف لا كقوله: ولا البصير، لم يؤكد بحرف نفي.

وأما الآية (٢٠) قال تعالى: ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ فأضاف لا.

والآية (٢١) قال تعالى: ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾: أضاف لا.

والآية (٢٢) قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾: أضاف لا.

فقوله: وما يستوي الأعمى والبصير، قد يكون الشخص جاهلاً، ويتعلم دينه أو كافراً فيؤمن فيطراً عليه الوصفان؛ أي: كونه كان أعمى ثم أبصر يجتمع فيه الوصفان.

وأما قوله: ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور، وما يستوي الأحياء والأموات، فهذه الثلاث كلها متقابلات أو متناقضات لا تجتمع أبداً،

فلا بُدَّ أن يكون إما ظلمةً أو نوراً لا ثالث لهما، أو ظلاً (جنة) أو حروراً (جهنم) لا ثالث لهما) أو حياً أو ميتاً لا ثالث لهما، فاستعمل لا للتوكيد على النفي.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾: إن للتوكيد، الله يسمع من يشاء: أي: يسمع من اهتدى بنفسه واختار طريق الهداية، سماع هداية فيزيده هدى وتقوى.

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾: وما النافية، أنت يا محمد ﷺ بمسمع من في القبور، أي: الكفار الأحياء الذين هم كالأموات في نظر الله تعالى. كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِمْ رُجْعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]، أي: أنت يا رسول الله لن تسمع هؤلاء الكفار سماع الهداية المؤدِّي إلى عودتهم إلى الإيمان.

وفي هذه الآية تهديد ووعد للذين كفروا، وتبقى مهمتك هي: إن أنت إلا نذير.

[٢٣] ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾:

﴿إِنْ﴾: نافية تعني: ما، أي: ما أنت إلا نذير.

﴿إِلَّا﴾: إلا حصراً وتوكيداً.

﴿نَذِيرٌ﴾: أي: منذر والإنذار يعني: الإعلام مع التحذير، أما الهداية فله وحده.

[٢٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: الباء للإصاق واللزوم، الحق: هو الشيء الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل والحق دين الإسلام دين الحق، والحق هو القرآن الكريم وهو الهدى أيضاً.



﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾: ارجع إلى الآية (٢٨) من سورة سبأ للبيان.

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ﴾: وإن نافية تعني: وما من أمة، من استغراقية، الأمة جماعة من الناس تجمعها عقيدة أو مقومات بغض النظر عن الحيز الجغرافي والعدد.

﴿إِلَّا﴾: تفيد الحصر والقصر.

﴿خَلَا﴾: مضى أو أرسل إليها أو بعثنا فيها نذير.

﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾: ﴿لَّئَلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

[٢٥] ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزَّبْرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو عاطفة، إن شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض أو الندرة.

﴿يُكَذِّبُوكَ﴾: يا محمد ﷺ، يكذبوك كفار مكة وغيرهم، وجاءت بصيغة المضارع لتدل على التجدد والتكرار أو حكاية الحال، ولم يقل: وإن كذبوك تدل على الماضي وعلى مرة واحدة، وقال: كذب الذين من قبلهم، ولم يقل: كذبت. كذب تدل على القلة (بصيغة التذكير) وكذبت تدل على الكثرة (بصيغة التأنيث). ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٨٤) للبيان، وسورة الأنعام آية (٣٣) للمقارنة.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، قد: حرف تحقيق، أي: قد كذب الذين من قبلهم وحدث ذلك.

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم الماضية كذبوا برسلهم، وبما جاؤوا به من البينات والزبر وبالكتاب المنير. من: تدل على الزمن القريب.

﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾: مقارنة بـ جاءهم رسلهم؛ جاءتهم: تدل على كثرة

الرسل الذين جاءوهم، وجاءهم: تدل على القلة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [آل عمران: ١٨٣].

﴿وَالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجزات والدلائل على النبوة (نبوة رسلهم).

﴿وَالزُّبُرِ﴾: جمع زبور، وهو كل كتاب ذي حكمة وموعظة وسُمِّيَ زبوراً؛ لأنه يزجر عن الباطل وليس فيه أحكام شرعية. ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان.

﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: الكتاب اسم جنس والكتاب المنير الواضح الحاوي على الأحكام مثل القرآن والتوراة والإنجيل.

وتكرار الباء بالبينات وبالزبور وبالكتاب المنير يفيد التوكيد، ويدل على عظم مقاومة الأمم لرسالتها، فالمقام مقام إنذار وتبليغ ودعوة، واستمرار الذين من قبلهم في تكذيب رسلهم، فلذلك أضاف ثلاثة باءات، للدلالة على شدة الموقف والإنذار وكذلك الآيات التي وردت في السياق، وهي قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٩ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ و﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ و﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾، وكذلك المجيء بالباء ثلاث مرات تدل على فصل كل من البينات عن الزبور عن الكتاب المنير أو توزيع ما جاء الرسل من ربهم فمنهم من جاءهم البينات (مثل: صالح وهود... وغيرهم)، ومنهم من جاءهم الزبور (داود)، ومنهم من جاءهم الكتب (محمد ﷺ، وموسى، وعيسى)، أما في قوله تعالى: ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ بدون تكرار الباء: تدل على أن هناك من الرسل من جاءوا بالأنواع الثلاث.

وإذا قارنا هذه الآية بالآية (١٨٤) من سورة آل عمران، وهي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾



التكذيب هنا بصيغة الماضي، ويدل على حادثة معينة وانتهى، ومقام التبليغ والدعوة في بدايته.

[٢٦] ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتعقيب والتراخي؛ لأنه سبحانه حلیم لا يعجل بالعقوبة، مقارنة بقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتُمُ﴾ [غافر: ٥] الفاء: تدل على التعقيب والمباشرة.

﴿أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: والأخذ يدل على قوة الأخذ بالعذاب أو الانتقام، وكما قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظُلُمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٥) في سورة غافر، وهي قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتُمُ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾: نجد أن أخذت: أكثر ذمًا وأكثر توبيخًا.

﴿فَكَيْفَ﴾: استفهام يحمل معنى التعجب والتقرير.

﴿كَانَ نَكِيرِ﴾: من النكر ما يجهله الإنسان ويستغربه وينكره حين يراه أو يعلم به؛ لأنه يظنه لا يمكن أن يكون بهذا الشكل أو الشدة والدمار، مع أنه حقيقة وصواب، وأصلها: فكيف كان نكيري. حذفت الياء.

ونكير: اسم لشدة الإنكار، والإنكار يستلزم الجزاء بالعقاب على فعل إنكارهم، فيصبح المعنى: ثم أخذت الذين كفروا بعذاب ملائم لإنكارهم، فكيف كان انتقامي منهم أو عقوبتي لهم أو أخذي لهم، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٥) في سورة فاطر، وهي قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ جاءت في سياق الأشد كفرًا، مقارنة بـ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ فالعقاب أشد من الإنكار.

[٢٧] ﴿الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾:

بعد أن ذكر الله سبحانه تكذيب كفار قريش لرسول الله ﷺ كما كذبت

الأمم السابقة لرسولهم، رغم البينات والزبر والكتاب المنير، يذكر الله سبحانه دليلاً آخر على عظمته وقدرته جلّ وعلا ووحدانيته، وأنه هو الإله الحق الذي يستحق أن يُعبد، وهو ما يشاهده الناس من الثمرات المختلف ألوانها وأجناسها وطعمها، وما يشاهدونه من الجبال الجدد بيض وحممر المختلف ألوانها، وما يشاهدونه من اختلاف ألوان الناس والدواب والأنعام.

﴿الزَّيْتُونَ﴾: الهمزة همزة استفهام تحمل معنى التقرير والتعجب، تر: رؤية بصرية أو رؤية قلبية فكرية.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾: أي: من السحاب أو السحب الركامية ماء (ماء المطر).

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾: الفاء للتعقيب، فأخرجنا به (بالماء).

﴿ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾: النخيل والأعناب والثمرات الأخرى المختلف ألوانها وطعمها.

﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾: ومن: الواو عاطفة، من بعضية، من الجبال جدد: الجدد من الجبل القطعة منه.

والجدة من الشيء الجزء منه يخالف لونه لون سائره.

أي: من الجبال أجزاء ذات ألوان بيض وحممر أو مخططة بألوان مختلفة.

﴿وَعَرَابِيْبٌ سُودٌ﴾: الغرابيب: وهو شديد السواد الذي يشبه لونه لون الغراب.

غرابيب سود وقيل: سود بدل من غرابيب وهي معطوفة على بيض فهناك سوداء (سود) وشديدة السواد (غرابيب) إذن نوعان من اللون الأسود، أسود وشديد السواد.



[٢٨] ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾:

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: الواو عاطفة، من ابتدائية، الناس: (الإنس والجن).

﴿وَالدَّوَابِّ﴾: جمع دابة؛ كل ما يدب على الأرض عدا الناس.

﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: البقر والغنم والإبل والماعز ومن كل زوجين.

﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، كَذَلِكَ﴾: أي: باختلاف ألوان الثمار والجبال.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد الحصر؛ أي: حصر الخشية بالعلماء (خاصة).

﴿يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾: أي: أن الذين يخشون الله (سبحانه) حق الخشية هم العلماء أو تعني: من المفروض أن يكون العلماء هم أخشى الناس لله تعالى لما يرونه بأعينهم من الحقائق والاكتشافات العلمية والآيات الكونية، وقدّم المفعول به (الله) ليفيد الاختصاص.

﴿مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾: لا يقصد بهؤلاء العلماء الكفرة الملحدين الذين لا يذكرون الله مهما شاهدوا من آيات كونية أو حقائق، فهؤلاء لا يُثني عليهم مهما وصلوا إليه من علوم ومعارف.

والمقصود بهؤلاء العلماء الذين عرفوا الله سبحانه وملأت قلوبهم الخشية تعظيماً لما رأوا من قدرته وعظمته من آيات كونية تدل على أنه الخالق والإله الحق، والخشية هي مزيج من الخوف والتعظيم والعلم بالله وأسمائه وصفاته ووحدانيته، وقال تعالى: ﴿الْعُلَمَاءُ﴾ ولم يقل العالمون، العلماء: هم طلاب العلم عامة، أما العالمون: فهم أساتذة العلم، أو من يعلمون العلماء أو هم قمة العلم أو ليس هناك من هو أعلم منهم.

وهناك قراءة شاذة إنما يخشى الله من عباده العلماء، والخشية: هنا لا تعني

الخوف والتعظيم، وإنما تعني: إنما يمدح أو يُثني ويعظم الله عباده العلماء الذين اكتشفوا بعض الأسرار والآيات الكونية، وكانوا سبباً لهداية غيرهم من الضالين. ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾: وبهذا يكون معنى يخشى يُعظم ويثني وليس يخاف.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾: تعليل لوجوب خشية، أي: خشوه لأنه:

عزيز: قوي لا يُغلب ولا يُقهر وممتنع له العزة جميعاً والشرف عزة القوة والمنعة والقهر والغلبة والقادر على عقوبة العصاة وقهرهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

غفور: لمن تاب وأناب إليه وغفور صيغة مبالغة كثير المغفرة، وتعني: محو الذنوب وترك العقوبة، وغفور: تدل على دوام الغفران أو المغفرة، وغفار: تدل على التجدد والتكرر، وغفار وغفور: صيغ مبالغة تدل على كثرة الغفر أو المغفرة مع قدرته تعالى على منحها أو منعها.

[٢٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ﴾:

بعد ذكر الذين يخشون الله من العلماء يذكر الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾: إن للتوكيد، الذين اسم موصول.

يتلون كتاب الله: من التلاوة أي: تلاوة القرآن أو الآيات والتلاوة هي القراءة الخاصة بالكتاب ولها ثواب، ويتلون بصيغة المضارع تدل على التكرار والتجدد والاستمرار في التلاوة.



﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: بشروطها وأركانها ومواقيتها وخشوعها والدوام عليها وأقاموا بصيغة الماضي؛ لأن إقامة الصلاة لها أوقات محدّدة، وهي عماد الدين، وأعظم العبادات وأجلها.

﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: أنفقوا سرّاً: بعيدين عن الرياء وابتغاء وجه الله، وعلانية: أحياناً في الزكاة المفروضة، كما ذكر بعض الأئمة ليشجع الآخرين على التصدق والإنفاق في سبيل الله وأنفقوا بصيغة الماضي؛ لأنّ الإنفاق غير دائم مثلاً: الزكاة تدفع حين النصاب، وكثير من الآيات الأخرى جاءت في صيغة المضارع ينفقون لتدل على تجدد وتكرار الإنفاق والتذكير به كالصدقات.

ولو نظرنا إلى الحكمة في الإنفاق على الفقير والمسكين كما يراها البعض، فالله سبحانه بين للناس أنّ المال ماله وما ينفقون هو مما جعلهم الله مستخلفين فيه، وكأنّ الغني ينفق على الفقير بدلاً من الله سبحانه، فالله يعطي الغني ويحسبه ويحسبه على أن ينفق على المحتاج بدلاً من الله تعالى كي تسود المحبة بين الناس ويضمحل الحقد والحسد والكراهية، ولنعلم أنّ الله سبحانه قادر على أن يغني الفقير، ويجعل كلّ الفقراء أغنياء، وعندها قد تقل روح التعاطف والتراحم.

﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا لَأَصْدَقْتَ فَنِعْمَ أَهْلُ الْبُورِ﴾ [البقرة: ٢٧١].

﴿يَرْجُونَ تَجَرَّةً﴾: يرجون من الإنفاق في سبيل الله الربح الوافر الكثير، أي: الثواب أو الأجر الكبير، يرجون: من الرجاء وهو الأمل في الخير الذي يعتري صاحبه الشك.

﴿لَنْ تَبُورَ﴾: لن: لنفي المستقبل القريب أو البعيد، لن يبطل ثوابها في المستقبل القريب ولا البعيد، أي: لن تبور في الدنيا ولا في الآخرة، تبور: من

البوار الكساد أو الضياع، أي: تجارة غير خاسرة، والبور أصلها: أرض بوار؛ أي: أرض لا تصلح للزراعة؛ أي: أرض لا خير فيها؛ فالمعنى يكون ﴿يَرْجُونَ تَجَرَّةً﴾ كثيرة الخير والربح.

[٣٠] ﴿لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾:

﴿لِيُوفِيَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، وتعود على الذين يتلون الكتاب وأقاموا الصلاة وأنفقوا. يوفيههم: من وفى والتوفية أخذ الشيء وافيًا، أي: تامًا، أي: يعطيهم أجورهم تامة غير ناقصة.

﴿أَجُورَهُمْ﴾: الأجر يكون مقابل العمل أجورهم على أعمالهم، ويزيدهم أكثر من أجورهم من فضله والفضل هو ما يعطى زيادة على الأجر، أي: الثواب. ﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿غَفُورٌ﴾: صيغة مبالغة لفعل غفر كثير الغفر، والغفر من الستر وهو العفو عن الذنب وترك العقوبة والإثابة على الحسنات.

﴿شَكُورٌ﴾: صيغة مبالغة على وزن فعول من فعل شكر الثلاثي؛ كثير الثواب يثيب العبد على القليل من الطاعة أو النفقة الثواب الكبير، أي: يجازيهم أوفى الجزاء والعطاء، أي: يثيب عباده الصالحين نعيمًا في الآخرة غير محدود. ورد اسم الله الشكور في أربع آيات في القرآن في سورة فاطر آية (٣٠) - (٣٤)، وفي سورة الشورى آية (٢٣)، وفي سورة التغابن آية (١٧).



الْبُرْجُ الْقَادِرُ الْعَزِيزُ

سُورَةُ الْبُرْجِ ٢٥

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ
الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ
مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ
الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ
فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا
فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا الْغُوبُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ
نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ
عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ
فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ
فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

سورة فاطر [الآيات ٣١ - ٣٨]

[٣١] ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾:

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا﴾: من الوحي في اللغة الإعلام بالخفاء والإسرار (الكلام الخفي).

والوحي شرعاً هو ما يُلقى الله تعالى إلى رسله وأنبيائه من آيات وتكاليف وتعاليم. ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان في معنى الوحي.

﴿إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾: إليك تقديمها يفيد الحصر، من استغراقية، الكتاب: القرآن أو اللوح المحفوظ أو الآيات.

﴿هُوَ الْحَقُّ﴾: هو ضمير فصل يفيد التوكيد، الحق: الأمر الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل وليس هناك غيره.

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: شاهداً بصحة التوراة والإنجيل ومقراً لما فيها من التعاليم والتكاليف إذا لم يصبها تحريف أو تغيير.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾: الباء: للإلصاق والمصاحبة؛ لخير: اللام:

للتوكيد؛ خير: عليم ببواطن الأمور، والأمور المتناهية في الصفر، وبصير عليم بالمشاهدات أو المبصرات؛ أي: بظواهر الأمور المبصرة أو الظاهرة؛ أي:



أن الله محيط بأحوال عباده يعلم بواطن أمورهم وظواهرها، فيشرع لهم من الأحكام التي تناسب أحوالهم في كل زمان ومكان فينزل الوحي على رسله بما اقتضت حكمته، وتقديم الخير على البصير؛ لأن الخير أعم وأشمل؛ أي: الخير هو أيضاً بصير، وإضافة اللام للخير للإشارة إلى أهمية الأعمال الباطنة مقارنة بالأعمال الظاهرة، وفي سورة الشورى الآية (٢٧)، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يُعَادُوهُ خَيْرٌ بِصِيرٍ﴾ بدون اللام المؤكدة في خير؛ لأن الآية في سياق الرزق فقط.

[٣٢] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾: ﴿ثُمَّ﴾: تفيد الترتيب والتراخي في الزمن.

﴿أَوْرَثْنَا﴾: التورث عطاء لمن يستحق من غير كد أو تعب، شبه إعطاء الكتاب (القرآن) بتورث الوارث، أورثنا: بصيغة الجمع: للتعظيم؛ أي: عظم المورث وعظم الموروث، فالمورث هو الله سبحانه، الورثة: الذين اصطفينا، والموروث هو القرآن الكريم.

وقدم الكتاب (القرآن) على الذين اصطفينا للأهمية، ولأن سياق الآيات على الكتاب مقارنة بقوله تعالى في سورة غافر آية (٥٣) ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾ فقد قدم بني إسرائيل؛ لأن السياق في بني إسرائيل؛ أي: موسى وهارون ومن حملوا الرسالة إلى بني إسرائيل.

﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾: أي: اختيروا من عبادنا من أفراد أمة محمد ﷺ، وأمة محمد اختيرت من بين الأمم فهذا يعد اصطفاء من أهل الإيمان والتوحيد، ومن قال: لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهو يعتبر مصطفى.



عبادنا: إضافة عباده إليه تشریف لهم وتكریم وقَدَّم الكتاب (القرآن) وهو الأهم على حملة الكتاب (الذين اصطفينا).

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾: اختلف المفسرون في تعريف الظالم لنفسه والمقتصد، فمنهم: الفاء للتفصيل.

الظالم لنفسه: الظالم لنفسه بالتقصير في حق الكتاب (القرآن)، وقيل: الظالم لنفسه: من رجحت سيئاته على حسناته أو المسيء الظالم لنفسه.

﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾: تكرار منهم للتوكيد، المقتصد: الذي يقرأ القرآن ويحفظ شيئاً منه، وقيل: هو من استوت حسناته وسيئاته أو من اعترف بذنبه وخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وقيل: هم بين الخوف والرجاء.

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾: سابق نكرة هناك درجات مختلفة في السبق الحافظ والمتدبر والعامل به والذي يُعلمه، وهناك الحافظ للقرآن فقط والحافظ للقرآن والذي يتدبره أو الحافظ والعامل به، أو الحافظ والذي يعلمه للآخرين، وهناك من يقوم بكل تلك الأعمال، وقيل: هو الذي رجحت حسناته على سيئاته أو المخلص المجتهد.

﴿يَاذِنِ اللَّهُ﴾: بإرادة الله وبتوقيقه، وبإذن الله: في القرآن تأتي غالباً في سياق العمل الذي ليس لنا تدخل أو يد فيه؛ أي: هو بتدبير خارج عن إرادة العبد.

﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾: ذلك: ذا اسم إشارة واللام للبعد ويشير إلى السبق بالخيرات أو يعود على توريث الكتاب أو توقيقه للسبق.

هو: للتوكيد.



﴿الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾: جنات عدن يدخلونها يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير، وهذا الترتيب: تقديم الظالم، ثمّ المقتصد، ثمّ السابق: ترتيب من الأدنى إلى الأعلى أجراً أو حسب المقام أو ترتيب من الأكثر عدداً إلى الأقل عدداً فالظالمون كثرة والسابقون قلة. وقيل: الكلّ في الجنة في نهاية الأمر.

[٣٣] ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾:

﴿جَنَّتُ عَدْنٍ﴾: جمع جَنَّة، وليست جَنَّة واحدة للذين اصطفينا من عبادنا.

عدن: يعني: إقامة دائمة لا تنتهي، عدن الإنسان في المقام، أي: أقام فيه واستقر ولم يتركه أو يسافر.

﴿يَدْخُلُونَهَا﴾: تقديم جنات على يدخلونها: للإخبار مباشرة إلى أين ذاهب حتى يطمئن قلبه، ويؤكد له الوصول إلى جنات عدن، وإعادة ذكرها بهاء الضمير يدخلونها تفيد أيضاً التوكيد.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾: يلبسون فيها، من الحلية والتّحلية في الآخرة تكون من الذهب والفضة، ومن الحرير، ويحلّون: تدل على التّجدّد والتّكرار في المستقبل، أي: عندما يدخلونها بينما قوله تعالى: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١] الآية جاءت في سياق كونهم في الجنة تدل على مرّة أو القلّة.

﴿مَنْ أَسَاوَرَ﴾: من ليست للتبعيض هنا، وإنما لبيان الجنس، والأفضل والكثرة.

﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾: أي: نوع الحلية.

أساور: جمع كثرة، بينما أسورة جمع قلة. كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: ٥٣].

﴿وَلَوْلُوا﴾ اللؤلؤ: حلية من البحر، وهذا يدل على الأجر والثواب أعلى وأعظم من قوله: ﴿وَحُلُواْ أَسَاوِرَ مِّنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١]. ارجع إلى سورة الرحمن الآية (٢٢) لمزيد من البيان.

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾: بنوعية السندس والإستبرق، وذكر لونها فقال تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١].

[٣٤] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: تعود على الذين اصطفينا من عباده والذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾: وقبل ذلك قالوا: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ٧٤] عندما دخلوا الجنة.

وقالوا كذلك: الحمد لله ﴿الَّذِي هَدَىَٰنَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ [الأعراف: ٤٣] والآن يقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾.

وهل في الجنة حمد وتسبيح وسلام نعم، وليس تكليفاً، وإنما من وسائل



متاعهم في الجنة كما يتمتعون بنعيمها والخلود فيها يتمتعون بذكر الله العظيم
وحمده على كل هذه النعم والرضوان.

والحمد لله: على إحسانه وفضله وكرمه.

الذي: اسم إشارة يفيد التعظيم.

أذهب عنا الحزن: أزال وكشف عنا الحزن بكل أنواعه وأسبابه.

الحزن: الألم النفسي الناتج عن ضيق في الصدر فإذا كان دائماً لا ينتهي حتى
يموت الإنسان سُمِّي الحزن بفتح الحاء، أما إذا كان مؤقتاً (في الدنيا) ومحددًا
بزمن وينتهي، سُمِّي الحزن بضم الحاء، وسماه الحزن؛ لأنه استمر حتى دخلوا
الجنة سواء كان في الدنيا أو في مقام أرض المحشر، فقد طال، وقد يعني أذهب
عنا الخوف والحزن الناتج عن ارتكاب الذنوب والتقصير في العمل للآخرة.

﴿إِنَّ رَبَّنَا﴾: إن للتوكيد، ربنا: لأن السياق ليس في ذكر النعم قالوا: ربنا.

﴿لَغُفُورٌ﴾: اللام للتوكيد، غفور صيغة مبالغة من غفر، أي: ستر ذنوبنا ولم
يفضحنا أمام الخلائق، وستر لنا تقصيرنا في العبادة والطاعة.

﴿شَكُورٌ﴾: لأنه يشينا على طاعتنا ويضاعف لنا حسناتنا ويدخلنا بفضله
وإحسانه الجنة، ويعني: الثواب الجزيل على العمل القليل، وشكور صيغة
مبالغة، أي: كثير الشكر، كثير الثواب والإحسان والفضل. ارجع إلى الآية (٣٠)
من نفس السورة.

[٣٥] ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾:

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم ويعود على الله تعالى.



﴿أَحَلَّنَا﴾: أنزلنا من النُّزُل: المكان المعد والمهيأ لإكرام الضَّيف.

﴿دَارَ الْمُقَامَةِ﴾: الجنة وسميت دار المقامة الدَّائمة، (المقامة مصدر من

أقام والتَّاء زائدة للمبالغة).

أَمَّا الدُّنْيَا: فدار إقامة مؤقتة وممر إلى الآخرة.

﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: أي: دخول الجنة، ليس بسبب أعمالنا في الدُّنْيَا وإنما من

فضله وكرمه وإحسانه ورحمته.

﴿لَا يَمَسُّنَا﴾: لا النَّافِيَةُ، يَمَسُّنَا: وهو أخف أو أدنى اللمس.

﴿فِيهَا﴾: في الجنة جنات عدن.

﴿نَضَبٌ﴾: التَّعب البدني.

﴿وَلَا يَمَسُّنَا﴾: تكرار لا يسمنا لزيادة التَّوكيد في عدم مسهم للغوب وفصل

النَّضَب عن اللغوب أو كلاهما معاً.

﴿فِيهَا لُغُوبٌ﴾: قيل: هو الإعياء أو الفتور النَّاتج عن التَّعب البدني النَّاتج

عن كثرة الحركة والعمل بالأيدي أو الأرجل، وقيل: هو التَّعب النَّفسي.

وعادة يحدث النَّضَب أولاً، ثمَّ اللغوب ثانياً.

أي: لا يَمَسُّنَا لا لغوب ولا نصب ولا كلاهما؛ لأنَّ ليس في الجنة حاجة

لكسب الرِّزْق والسَّعي ورائه والجِد والكَد والتَّعب.



[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾:

بعد ذكر الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وذكر الذين اصطفينا وما هو جزاؤهم يذكر بالمقابل الذين كفروا وجزاؤهم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: الذين يحمل معنى الذم كفروا بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر.

﴿لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾: اللام في لهم للاختصاص والاستحقاق، نار جهنم: جهنم. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨).

﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: لا النافية، يقضى عليهم: يُحكم عليهم أو تعني القضاء بمعنى الانتهاء (قضى: انتهى).

﴿فَيَمُوتُوا﴾: أي: موت ثانٍ بعد الموت الأول الذي تلى الحياة الدنيا، فيموتوا: فيتوقف عذابهم في جهنم، فالموت لهم آنذاك يُعد راحة.

﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾: ولا: لا تكررهما يفيد توكيد النفي بالموت أو التخفيف.

﴿مَنْ عَذَابُهَا﴾: من ابتدائية، عذابها: عذاب نار جهنم، وقد ذكر أن هناك أكثر من (٦٤) نوعاً من العذاب وردت في القرآن والأحاديث الشريفة، وبهذا يخبر الله سبحانه أن عذابها دائم ومستمر بلا فتور ولا انقطاع.

وهذا التمني ورد بشكل آخر، وهو النداء على مالك (خازن النار)، ونادوا: يا مالك ﴿لَيَقْضَىٰ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ﴾ [التخرف: ٦٧].

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾: كذلك، أي: مثل ذلك الجزاء يُجزى كل كافر، وجاءت كل بالتَّصَبُّ وليس بالرفع ليشمل كل كفور، ولو جاءت كل بالرفع لكان يعني ذلك بعض الكافرين، وليس الكل وكفور صيغة مبالغة من كفر، أي: كثير الكفر أو دائم الكفر لا يتوب ولا ينوب إلى ربه ويمت وهو كافر. ارجع إلى سورة البقرة آية (٦) لبيان معنى الكفر.

[٣٧] ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾: ﴿وَهُمْ﴾: تنفيذ التوكيد وتعود على الذين كفروا.

﴿يَصْطَرِحُونَ فِيهَا﴾: أي: يصرخون بشدة وبجهد أشد الصراخ المؤلف، يصرخون مستغيثين طالبين الغوث من شدة العذاب، فيها: تعود على نار جهنم، ظرفية زمانية.

﴿رَبَّنَا﴾: يدعون ربنا: ولم يقولوا: يا ربنا (ياء النداء للبعد) لأنهم أدركوا الحقيقة بأنه سميع قريب.

﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾: أخرجنا من النار وردنا إلى الدنيا لكي نعمل صالحاً من الفرائض والنوافل وكل ما أمرتنا.

﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾: من الشرك والكفر والمعاصي وغيرها من الأعمال السيئة، واستعمل الذي: اسم موصول يدل على شيء محدد بعكس (ما)، ولم يقل غير ما كنا نعمل؛ لأنه يشير إلى الكفر والشرك.



﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا يَذْكُرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرُ﴾: كان هذا رد ربهم على سؤالهم السابق.

أولم: الهمزة للاستفهام والتوبيخ والتقرع، الواو لشدة الإنكار والتوبيخ. نعمركم: ألم نمد في أعماركم بما يكفي للتذكر والاعتبار.

﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾: أي: الرسول ينذركم، والإنذار هو الإعلام والتحذير يحذركم من عاقبة غيكم وضلالكم، النذير: بال التعريف، أي: رسول الله ﷺ أو الرسل والأنبياء الآخرين فأعرضتم وأصررتم على شرككم ومعاصيكم. ﴿فَذُوقُوا﴾: أي: العذاب والفاء للتعقيب والترتيب، ذوقوا العذاب. ارجع إلى الآية (١٤) من سورة السجدة للبيان.

﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾: فما الفاء للتوكيد، ما النافية، من استغراقية، للظالمين: للمشركين أو الظالمين لأنفسهم بالكفر وبالمعاصي والذنوب. نصير: مقارنة بالقول من ناصر، جمع ناصر: ناصرين وجمع نصير أنصار، فهذه الآية تنفي النصره عن الظالمين؛ أي: ليس لهم يوم القيامة من يدافع عنهم وينصرهم أو يدفع عنهم العذاب أو يخففه.

[٣٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾:

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: عالم تدل على أن علمه صفة ثابتة لذاته بينما إن الله يعلم غيب السموات والأرض، يعلم يدل على أن علمه يتجدد ويتكرر، أي: مستمر، فهو سبحانه عالم ويعلم.



غيب هو كل ما غاب: الغيب ما غاب في السموات والأرض عن عيون البشر وحواسهم والغيب مصدر غاب يغيب إذا لم يظهر لعيون البشر وحواسهم، وكل ما أخبر به الرسول ﷺ عن طريق الوحي مثل الجنة والنار والصراط والميزان وأشراف الساعة، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٧٨) في سورة التوبة، وهي قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ الْغُيُوبَ﴾ علام: صيغة مبالغة من فعل علم على وزن فعال، والتدرج يكون من عالم، عليم، علام، فهو علام الغيوب؛ لأنه سبحانه خالقها فلا يعلمها إلا هو، وهو كذلك عالم الغيب والشهادة. ارجع إلى سورة التوبة الآية (١٠٥) لمزيد من البيان.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة آل عمران للبيان.

فالله سبحانه يعلم كل ما غاب في السموات والأرض عن أعين الناس ويعلم ما في ذوات الصدور من المعتقدات والأحاسيس والخواطر التي تعيش في قلب الإنسان أو الملازمة لصدوره ويعلم سبحانه لو ردهم إلى الدنيا مرة أخرى لعادوا لما نهوا عنه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].





الجزء الثامن والعشرون

سُورَةُ طه ٣٥

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا
يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ
كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ
أَمْ أَمْنَتْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِنْ يِعِدُّ الظَّالِمُونَ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ
إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ
جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ
مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ
وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ
الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا
﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ
فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾



سورة فاطر [الآيات ٣٩ - ٤٤]

[٣٩] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۖ فَمَنْ كَفَرَ بَعْلَيْهِ كُفْرُهُ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْنًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يعود على الله عالم غيب السموات والأرض.

﴿الَّذِي﴾: يفيد التعظيم.

﴿جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾: خلائف: جمع خليفة، وقيل خلائف جمع خلف، وكذلك: خلفاء: جمع خليفة أو خليف، والخليفة أصله خليف (بغير هاء)؛ لأنه بمعنى الفاعل دخلته الهاء خليفة للمبالغة ليكون وصفاً لرجل بذاته. وتعريف الخليفة: كلٌ يخلفُ الآخر بالزمان والمكان.

وخلائف في الأرض: مطلقة تشمل كل البشر كل فرد يخلف الآخر أو خلائف قد تعني الأمم في الأرض. ارجع إلى سورة الأنعام آية (١٦٥) للبيان ومعرفة الفرق بين خلائف في الأرض، وخلفاء الأرض.

ثم بين عاقبة من يكفر بالنعمة ويسترها أو يكفر بالمنعم ولا يؤدّي حق الله تعالى.

﴿فَمَنْ كَفَرَ﴾: الفاء استئنافية، من شرطية، كفر بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿بَعْلَيْهِ كُفْرُهُ﴾: أي: عاقبة أو وبال أو جزاء كفره راجعٌ عليه وحده.



﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾: أي: من استمر على كفره وازداد في كفره، استحق مقت الله والمقت هو أشد البغض والكرهية.

﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾: وتكرار ولا يزيد الكافرين لتدل على التوكيد.

إلا: أداة حصرًا وقصرًا.

خسارًا: هلاك في الدنيا والآخرة بالإضافة إلى المقت في الدنيا والآخرة
إلا إذا تابوا وأنابوا إلى ربهم.

[٤٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ بَعْدَ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾:

بعد بيان جزاء المؤمنين والكافرين، وذكر أن الظالمين (المشركين) ما لهم من نصير) وهدد الكافرين بالمقت والخسارة يبين للمشركين أن ما يدعون من دون الله لن ينفعهم إلا غروراً والله سبحانه الإله الحق خالق السموات والأرض وحده من غير شريك.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ:

أرأيتم: الهمزة همزة استفهام إنكاري والرؤية رؤية قلبية فكرية، أي: أخبروني بعلم عن حال شركائكم.

﴿الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: تعبدون من غير الله من الأصنام والآلهة وكونوا أنتم أنفسكم حكماً في هذه المسألة.

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾: الهمزة في أروني استفهام إنكاري وتقرير، أي: أروني كيف استحقوا أن يكونوا شركاء.

ماذا: استفهام إنكاري وتقرير أقوى من الاستفهام (بما) فقط.

خلقوا من الأرض: من استغراقية، أي: ما هو الشيء الذي خلقوه من الأرض.

﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾: أم للإضراب الانتقالي، والهمزة همزة للاستفهام التقريري والإنكار والتوبيخ.

لهم: اللام لام الملكية والاختصاص، شرك في السموات، أي: شراكة حقيقية، أي: يملكون جزءاً منها.

﴿أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا﴾: أم للإضراب الانتقالي نفس السابقة.

آتيناهم كتاباً: يُبيح لهم الشرك أو يكون حُجة لهم أن يشركوا أو هم شركاء في السموات.

﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ﴾: أي: لهم مع الله شراكة ذكرها في إحدى كتبه، أو في بيته (بيان).

﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾: بل للإضراب الانتقالي.

إن يعد: إن نافية، أقوى نفيًا من ما، وتعني وما يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً.

الظالمين: المشركين والعاصين والكافرين.

بعضهم بعضاً إلا: أداة حصر.

غروراً: خداع وباطل. ارجع إلى الآية (٥) من نفس السورة للبيان.

أي: ما يعد الظالمون بعضهم بعضاً من شفاعاة الآلهة أو أنهم يقربونهم عند الله زلفى أو نصرتهم إلا باطلاً أو غروراً: الغرور هو إيهام أو تصور خاطئ يحمل الإنسان أو يجره إلى فعل شيئاً هو غافل عنه والإيهام أو التصور الخاطئ هنا أن الأصنام تشفع لهم أو تقربهم عند الله زلفى، أو تنفعهم أو تضرهم.



[٤١] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ۖ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾:

هذه الآية تنتم للآية السابقة إذا كان هناك شركاء وهم لا يشاركون في خلق السموات والأرض، ولم يخلقوا شيئاً نطلب منهم أقل من ذلك، فهل يستطيعون أن يمسكوا السموات والأرض أن تزولا؟ وهذا نوع من التحدي للمشركين وللآلهة التي يعبدونها.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾: يمسك، أي: يمنع السموات والأرض من الزوال أو الاضطراب، وذلك بالمحافظة على القوى الأربع القوة النووية الشديدة والضعيفة والقوة الكهربائية والمغناطيسية وقوة الجاذبية وغيرها، يبقونها ثابتة متوازنة. أن: حرف مصدر يفيد التعليل والتوكيد.

﴿وَلَئِنْ زَالَتَا﴾: الواو عاطفة، لئن: اللام للتوكيد، إن شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض.

﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾: إن نافية بمعنى ما، أمسكهما في مدارهما من أحد: من لتوكيد النفي، من بعده، أي: الله سبحانه.

﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾: إنه للتوكيد، كان تشمل كل الأزمنة كان وما زال وسيظل حلماً غفوراً.

حلماً: لا يعجل العقوبة لعباده العصاة، وإنما يؤخرها عنهم ليتوبون ويرجعون إلى ربهم وحليماً؛ لأنه كان وسيظل يمسك السموات والأرض من الزوال والاهتزاز.

﴿غَفُورًا﴾: صيغة مبالغة، كثير الغفر لمن تاب وأناب إلى ربه يمحو الذنوب ويثيب على الأعمال الصالحة. يغفر الذنوب مهما عظمت أو كثرت.

[٤٢] ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾: أي: كفار مكة. قبل مجيء الرسول ﷺ أو بعثته ﷺ.

والقسم يختلف عن الحلف، القسم في القرآن: يأتي في سياق الذي يقسم وهو صادق النية أو يظن أن قسمه حق وهو على غير حق أو هو مخطئ، أما الحلف فيأتي في سياق النية غير الصادقة أو الحلف بالباطل.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾: أقسموا بالله بأغلظ الأيمان، أي: أكدوا القسم وشدّدوا عليها بأقصى وسعهم، الجهد: الوسع، أي: أغلظ الأيمان.

﴿لَئِنْ﴾: اللام للتوكيد، إن شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض.

﴿جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: رسول أو نبي منذر، والإنذار هو الإعلام مع التحذير.

﴿لَيَكُونُنَّ﴾: اللام للتوكيد، والنون (نون التوكيد الثقيلة: وهي عبارة عن نونين) لزيادة التوكيد على القسم.

﴿أَهْدَىٰ﴾: على وزن أفعل، أي: أكثر هداية.

﴿مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾: تعني: أهدى من أيّ أمة سابقة، أهدى من إحدى الأمم المفضلة مثل اليهود، أهدى من اليهود والنصارى.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: الفاء جواب للشرط، لما: ظرفية بمعنى حين.

جاءهم نذير: هو رسول الله ﷺ محمد منذر لهم ولغيرهم.

﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾: ما النافية، زادهم مجيء رسول الله ﷺ، إلا أداة



حصر، نفوراً: زيادة في الضلال والبغي والبعد عن الحق ونفر عن الشيء: تجافى عنه وابتعد، أي: جافوا وابتعدوا عن رسول الله ﷺ.

[٤٣] ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٤﴾:

فلما جاءهم نذير كما تمنوا وهو رسول الله ﷺ ما زادهم إلا نفوراً (بعداً عن الدين والحق).

﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾: ازدادوا نفوراً بسبب استكبارهم ولم يقبلوه ورفضوا اتباعه والتصديق به. والألف والسين والتاء في استكباراً تفيد الطلب أو تظاهروا بالكبر وعظم شأنهم فوق ما يستحقون.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُتُبُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧].

﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾: هذا هو السبب الثاني، الأول: كان الاستكبار في الأرض، والمكر: هو التدبير الخفي لإيقاع الضرر بالغير من غير أن يعلم الممكور به. وهنا يعني إيقاع الأذى برسول الله ﷺ ومن آمن معه ليردوهم عن دينهم والتأمر عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ومكر السيئ: يدل على تكرار المكر السيئ (أي: ماكرين) جملة اسمية تدل على الثبوت.

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾: يحيط إلا بهم أو تنزل عاقبة المكر السيئ عليهم، كما بين ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ [يونس: ٢٣].
لا: النافية، يحيق: من حاق، أي: أحاط، إلا: أداة حصر، بأهله: بمن يقومون به.



﴿فَهَلْ﴾: الفاء للتوكيد، هل للاستفهام، وتحمل معنى النفي.

﴿يَنْظُرُونَ﴾: النون للتوكيد، بدلاً من فهل ينظروا: وينظرون نظرة فكرية
قلبية (تبصيرة من البصيرة).

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ﴾: السّنة في اللغة: الطّريقة المعتادة المحافظ عليها، أي:
يتكرر الفعل بموجبها، فهناك السّنن الكونية وسنن الله في خلقه وسنن الأنبياء
والصّالحين والسّنن غايتها لتحقيق مصالح النّاس، كما أرادها الله له، ولكي
يسود الحق والثّبات في الكون.

سنت الأولين: وهي إهلاك وتدمير وإنزال العذاب على الذين كذبوا
برسلهم من الأمم السّابقة بعد إنذارهم وإمهالهم وإصرارهم على الضّلال والغى
والكفر والفسوق. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٣٧) وسورة النّساء آية (٢٦)
لمزيد من البيان.

﴿فَلَنْ﴾: الفاء للتوكيد، لن: حرف نفي لنفي الحاضر والمستقبل القريب
والبعيد.

﴿تَجْدِلِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾: تبديل السّنة (أي: العقوبة أو العذاب) بغيرها أو
بعذاب آخر، أو يبدل الهلاك بالعفو والمغفرة.

والإبدال جعل الشّيء مكان الشّيء؛ أي: تغيّر العقوبة بعقوبة أخرى.

ولن تجد لسنت الله تحويلاً: تكرار لن تجد تفيد التّوكيد وفصل كلاً من
التّبديل والتّحويل أو كلاهما معاً.

والتّحويل غير التّبديل؛ فالتّحويل: هو أن يحول العذاب من قوم إلى



قوم آخرين؛ أي: يحول العذاب من الظالمين إلى غيرهم أو المكذبين إلى غير المكذبين، فسنن الله تعالى لا تُبدل ولا تُغيّر ولا تتحوّل.

[٤٤] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتعجب، الواو في أولم تشير إلى جملة أخبار مثل فهل ينظرون، أولم يسيروا في الأرض فينظروا.

ولم يقل: أفلم: يأتي بالفاء، إذا كان ما قبلها هو سبب لما بعدها فيقول: أفلم يسيروا بدلاً من: أولم يسيروا، وكذلك يأتي بالفاء للأمر الأشد تأكيداً أو تهديداً أو توبيخاً، والخبر في أفلم واحد.

﴿يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: جاء بصيغة المضارع الدالة على التجدد والتكرار، أي: فيها حثٌّ وحضٌّ على تكرار السير أو زيارة تلك الأمكنة التي شهدت مهلك الذين كذبوا رسلهم، وكيف دمر الله عليهم.

قال: في الأرض ولم يقل: على الأرض، في ظرفية؛ لأن الطبقة الغازية المحيطة بالأرض تعود على الأرض فهي غلاف الأرض.

﴿فَيَنْظُرُوا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، ينظروا: أي: نظرة عينية بصرية، على دمار وإهلاك الظالمين من قبلهم مثل قوم عاد وثمود ولوط وفرعون.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام الإنكاري.

﴿كَانَ عَاقِبَةُ﴾: تذكير العاقبة بالقول كان عاقبة تدل على العذاب (من خصائص القرآن) وتأنيث العاقبة كما لو قال: كانت عاقبة لدلت على الجنة أو الحسن.

﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: الذين اسم موصول من قبلهم: من تدل على الزمن القريب، أي: من أهلك من قبلهم من زمن أو عهد قريب.



﴿وَكُنُوزًا﴾: الواو للتوكيد، كانوا في الماضي.

﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: أشد من قريش قوة، أي: أكثر عدداً وعدة.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾: وما الواو استثنائية، ما النَّافية.

الله ليعجزه: اللام في ليعجزه للتعليل والتوكيد، ليعجزه: أي: لا يفوته أو يسبقه شيء أو يفلتوا من عقابه.

من شيء: من استغرافية شيء نكرة تعني: أي شيء مهما كان صغره أو كبره أو حاله، والشئ: هو أقل القليل، يفلت من عقابه.

﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: تكرار لا، يفيد التوكيد، لا في السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ولا في كلاهما.

﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾: إنه للتوكيد، كان يشمل كل الأزمنة الماضي الحاضر والمستقبل، كان ولا زال وسيظل سبحانه عليماً قديراً.

وما كان الله ليعجزه من شيء في السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ لأنه سبحانه عليم قدير، فهو قد جمع العلم والقدرة.

(عليماً) صيغة مبالغة من عالم بحال عباده ومخلوقاته وكونه وما يعملون.

لا تخفى عليه خافية، يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا يعلمه.

(قديراً): على الانتقام، والأخذ ولا يعجزه شيء في السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.





سُورَةُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ٣٦

الْبَقَرَةُ الْعِشْرُونَ

وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى
ظَهْرِهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَا كُنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ بَنِي إِسْرَءِيلَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسَّ ﴿١﴾ وَالْقُرْءَانَ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا
أُنْذِرُوا أَبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلًا فَبُهِتَ إِلَى
الْآذِقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنْذِرُ
مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرِ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾



سورة فاطر [الآية ٤٥]

[٤٥] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾:

تدل هذه الآية على أنه سبحانه رحيم بعباده حتى الكافرين والعاصين لأوامره؛ لأنه سبحانه هو ربهم وخالقهم، ويعلم سبحانه أن عباده ضعفاء أمام شهوات أنفسهم وأهوائهم وأمام شياطينهم.

﴿وَلَوْ﴾: الواو استئنافية أو عاطفة لو شرطية.

﴿يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ﴾: أي: يعاقب ويجازي الناس (الإنس والجن).

﴿بِمَا كَسَبُوا﴾: الباء للإلصاق بباء السببية أو البدلية.

ما: اسم موصول بمعنى الذي، وهي أشمل وأوسع من كلمة الذي.

كسبوا: أي: عملوا وبما أن السياق في التجارة والخسارة كقوله: ليوفيهم أجورهم وقوله: ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً.

استعمل كلمة كسبوا بدلاً من عملوا: كسبوا ولم يقل: اكتسبوا، كسبوا تستعمل في كسب الخير، بينما اكتسبوا في أفعال الشر أو السيئات، وهذا من خصائص القرآن. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٨٦) لمزيد من البيان.

﴿مَا تَرَكُوا عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾: أي: لو يعاقب الله سبحانه الناس



جميعاً على ذنوبهم لأهلك أهل الأرض وما ترك على ظهر الأرض من دابة، أي: أهلكهم ودوابهم أيضاً لسوء معاصيهم.

من دابة: من: استغراقية تستغرق كل دابة، وهو ما يدب على الأرض، تشمل الإنس والجن والدواب وكل شيء يمشي في الأرض.

﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك.

﴿يُؤَخِّرُهُمْ﴾: يمهلهم أو يؤجل عقابهم.

﴿إِلَى﴾: حرف غاية.

﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هو إما انقضاء أجلهم أو يوم القيامة أو مجيء عذابهم في الدنيا كما حدث في غزوة بدر.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب إذا ظرفية زمانية شرطية تفيد الحتمية حتمية الحدوث.

﴿جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾: الأجل هو: هو الوقت المضروب لانقضاء الشيء وأجل الإنسان هو الوقت المضروب لانقضاء عمره، والأجل إما الموت أو يوم القيامة أو العذاب.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾: الفاء للتوكيد وإن لزيادة التوكيد.

﴿كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾: بصيراً من البصر وهو أقوى وسائل العلم والإدراك ويأتي بعد حاسة السمع، وحاسة البصر أقوى من السمع، فالبصر يرى على مسافات شاسعة وما تراه يكون حقاً، أما السمع فيكون أقل مسافة وغير متأكد مما تسمع، فالله سبحانه يرى عباده ويرى أعمالهم ولا تخفى عليه خافية.

وقد يسأل سائل ما ذنب الدّواب المسخرة، أي: المذلّة للإنسان؛ لأن هلاك وموت الدّواب التي هي مصدر غذاء الإنسان وقوته يعني: سلب الإنسان نعمة كبيرة تخلُّ براحته حين يبحث عنها فلا يجدها متوافرة.

ولنقارن هذه الآية (٤٥) من سورة فاطر: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾.

مع الآية (٦١) من سورة النحل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَفْهِمُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

في آية فاطر: بما كسبوا، وفي آية النحل: بظلمهم.

الكسب أعم وأشمل من الظلم، والظلم جزء من الكسب.

في آية فاطر: ما ترك على ظهرها، وفي آية النحل: عليها.

على ظهرها يشمل كلّ ظهر الأرض عليها قد يعني: جزءاً من الأرض.

في آية فاطر: فإن الله كان بعباده بصيراً، وفي آية النحل: لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

الإنذار والوعيد أشد في آية فاطر مقارنة بآية النحل.





سُورَةُ يُونُسَ ٣٦

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى
ظَهْرِهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يُسُوفُ ٣٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسُوفُ ﴿١﴾ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا
أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَىٰ
الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنْذِرُ
مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾



سورة يس [الآيات ١ - ١٢]

ترتيبها في القرآن السّورة (٣٦)، وترتيبها في التّزول السّورة (٤٠).

سورة يس يتردد فيها ذكر الموت والإحياء والبعث ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ﴾، ﴿الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْتَهَا﴾، ﴿مَنْ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُوكَ﴾، ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾، ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾، ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾، ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا﴾.

وفيهما تذكير بوحدانية الله وقدرته في تسخير الشمس والقمر، وتسيير الفلك، وتذليل الأنعام وفائدتها، وعدم اتخاذ الأصنام آلهة، وتذكير بيوم القيامة والبعث.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَس﴾.

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

ومن معاني يس الأخرى: يا إنسان، رواه عكرمة عن ابن عباس.

أو: يا رجل، هذا ما رجحه الطبري.

أو: يس اسم للسورة.

أو: معناها يشبه معاني الحروف المقطعة في افتتاح السور.



[٢] ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾:

الواو: واو القسم (الواو حرف من أحرف القسم وهي: الواو والباء والتاء واللام)، والمقسم به: هو القرآن الحكيم، فالقسم يؤكد على أهمية المقسم به وجواب القسم؛ أي: أقسم الله سبحانه وتعالى بالقرآن الحكيم وسبحانه هو غني عن القسم، وجواب القسم: إنك لمن المرسلين.

﴿وَالْقُرْآنِ﴾: مصدر قرأ قراءة، وسمي بالقرآن؛ لأنه مقروء في السطور، ومقروء في الصدور، ومقروء من اللوح المحفوظ، ويسمى الكتاب؛ لأنه مكتوب في السطور وفي اللوح المحفوظ. والتعريف بأل للدلالة على الكمال. فالكتاب والقراءة كلاهما ضروري لحفظ القرآن من النسيان والتغير والتبدل؛ لأن الإنسان الحافظ للقرآن عرضة للنسيان، والخطأ أو الغفلة، فلا بد من مرجع آخر وهو الكتاب.

﴿الْحَكِيمِ﴾: صفة مشتقة من: حكم يحكم، أو مشتقة من الحكمة:

١ - من حكم: أي هو القرآن الحاكم؛ أي: المهيم على غيره من الكتب السماوية يصدقها أو يكذبها، يعلو على جميع الأحكام.

٢ - والحكيم يعني: محكم: أحكمت آياته فهو محكم: لا تناقض فيه فهو محكم (لا يتناقض بعضه مع بعض، أو آية مع آية، أو حكم مع حكم).

٣ - والحكيم يعني: ذو حكمة: لأنه منزل من الله الحكيم: أحكم الحكماء وأحكم الحاكمين، حكيم في حروفه وكلماته ومعانيه وترتيبه، ومن الحكمة التي تكبح جماح الأهواء؛ لكي لا تشرذم أو تميل عن الحق؛ لأنه يميز بين الحق والباطل. ارجع إلى سورة هود آية (١) لمزيد من البيان.

[٣] ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾:

جواب القسم.

بما أن كفار مكة كانوا يشكون في كون الرسول ﷺ رسولاً من الرسل، لذلك جاء الرد من الله على ذلك بالتوكيد فقال:

﴿إِنَّكَ﴾: إن للتوكيد، والكاف للخطاب.

﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: السلام في (لمن) لزيادة التوكيد، إذن أكد بأن واللام؛ ليناسب مقدار إنكار كفار مكة لنبوة رسول الله ﷺ أو غيرهم.

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: الأنبياء والرسل المرسلون من الله تعالى إلى أممهم أو أقوامهم.

[٤] ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾:

﴿عَلَى﴾: تفيد العلو.

﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: الصراط: السبيل أو الطريق الموصل إلى الغاية، الواسع وبأقرب مسافة وأيسرها، مستقيم: أقرب الطرق وأقصرها لا التواء فيه ولا اعوجاج، وتنكير الصراط؛ للتعظيم.

والصراط المستقيم: هو دين الإسلام، صراط الذين أنعم الله عليهم من الأنبياء والرسل والصديقين والشهداء والصالحين.

[٥] ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾:

﴿تَنْزِيلَ﴾: أي القرآن تنزيل أو مُنْزَل من العزيز الرحيم ومن جهة العلو.



﴿الْعَزِيزِ﴾: القوي الذي لا يُغلب ولا يُقهر، والممتنع الذي لا يضره أحد ولا يُنال بأذى ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]. وهذا الاسم يدل على الرهبة والخشية.

﴿الرَّحِيمِ﴾: ذو الرحمة مشتقة من الرحمة، على وزن: فعيل، تدل على ثبوت الرحمة كصفة لذاته، فرحمته دائمة لا تنقطع رحيم بعباده المؤمنين. واختيار العزيز الرحيم ليجمع بين الترهيب والترغيب؛ العزة والرحمة في آن واحد مما يبعث على الأمل في الأنفس.

[٦] ﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾:

﴿لِنُنْذِرَ﴾: اللام لام التعليل، تنذر: من الإنذار وهو الإعلام مع التحذير.

﴿قَوْمًا﴾: أي قريش.

﴿مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾: ما: لها ثلاث احتمالات: إما نافية، أو اسم موصول، أو مصدرية؛ إما نافية؛ أي: لم يأتهم (قريش أو أهل مكة وما حولها) نذير أو رسول من قبلك، و(ما): قد تكون اسم موصول بمعنى الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي؛ أي: لتنذر قوماً بالذي أنذر به آبائهم؛ أي: (إبراهيم وإسماعيل) أو لتنذر قوماً كما أنذر آبائهم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤٤) في سورة سبأ هي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾، وقوله تعالى في الآية (٢٤) في سورة فاطر: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾: نجد آية سبأ تؤكد ما جاء في آية ياسين، وأما آية فاطر فهي تعني مطلق الأمم من آدم إلى بعثة رسول الله ﷺ فقد أرسل الله سبحانه نذيراً إلى كل أمة، والأمة تعريفها: جماعة من الناس بغض النظر عن العدد أو الحيز الجغرافي.

﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾: هم تفيد التوكيد، غافلون: جمع غافل؛ أي: صفة الغفلة

ثابتة عندهم غفلتهم دائمة ومستمرة، والغفلة: عبارة عن عدم حضور الشيء في البال مع بقاء الصورة أو المعنى في الخيال، غافلون عن التوحيد والبعث وغافلون عن الشرائع والأحكام وعاقبة ما هم عليه من الشرك والمعاصي. ارجع إلى سورة البقرة آية (٧٤) لمزيد من البيان في معنى الغفلة.

[٧] ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أي: حق القول على أكثرهم.

﴿حَقَّ الْقَوْلُ﴾: حق: وجب وثبت، القول: العذاب.

وجب وثبت وقوع العذاب عليهم ولكنه لم يقع بعد (سيقع في المستقبل) أي: هم استحقوا وقوع العذاب عليهم بما قدموه أو كسبت أيديهم، ولو قال سبحانه: ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [النمل: ٨٥]، أي: وقع العذاب، تم وقوعه وانتهى، وقيل: القول قيام الساعة، وقيل: هو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]، والقول قد يشمل كل تلك المعاني معاً.

ولا بد من مقارنة هذه الآية مع الآية (٢٥) من سورة فصلت وهي قوله تعالى: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: نجد أنه في آية ياسين قدم القول على أكثرهم (الجار والمجرور)، وفي آية فصلت قدم الجار والمجرور عليهم على القول، والتقديم والتأخير يحمل معنى الاهتمام؛ أي: من الأهم، ففي آية ياسين الاهتمام على العذاب (القول) فقدمه، وفي آية فصلت قدم (عليهم)؛ أي: أعداء الله تعالى والخاسرين.

﴿عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾: على أكثر أهل مكة وغيرهم وليس عليهم جميعاً دليلاً على أن منهم من سيؤمن. وإذا نظرنا في هذه الآية نجد أنه قدم القول على الجار



والمجرور أكثرهم، ولم يقل لقد حق على أكثرهم القول للأهمية أهمية القول؛ أي: العذاب أو الساعة، أو لأملا أن جهنم من الجنة والناس أجمعين، أو لأن السياق في العذاب.

﴿فَهُمْ﴾: الفاء تعليلية، هم ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: لأن الله سبحانه علم من الأزل أنهم سيصرون ويستمرون على كفرهم ويموتون وهم كفار، فأخبر الله تعالى عنهم فقال: لا يؤمنون.

[٨] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلًا فَبِهِ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾:

في الآية السابقة قال تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: سيموتون وهم كفار. وفي هذه الآية يصف لنا الله سبحانه ما سيحدث لهم يوم القيامة وفي النار. ﴿إِنَّا﴾: للتعظيم والتهويل.

﴿جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلًا﴾: في أعناق الذين ماتوا وهم كفار، أغللاً: جمع غل؛ وهو سلسلة من الحديد تشد به اليد إلى العنق.

﴿فَبِهِ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾: بعد شد الغل تحت الذقن يرتفع الرأس، وبالتالي يرتفع النظر فلا يكاد يرى طريقه أو يهتدي إلى موضع قدميه، ولا يستطيع أن يلتفت يمنة أو يسرى فيمشي على حيرة وتردد. ولم تذكر الأيدي؛ لأنه مفهوم أن الغل يقيد اليد والعنق.

﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾: الفاء للتعليل، مقمحون؛ أي: رافعو رؤوسهم لا يستطيعون خفضها من شدة الغل، ورفع الذقن، مأخوذة من: إبل قماح؛ أي: حين ترفع رأسها عن حوض الماء ولا تشرب.

وقيل: هذا تنكيل بهم؛ لأنهم لم يؤمنوا بالله تعالى ولم يصدقوا برسوله ﷺ، واستكبارهم ورفع رؤوسهم في الدنيا وعدم السماع للرسول وآيات الله تعالى والحق.

[٩] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾: أي من أمامهم سداً ومن خلفهم سداً: ولم يقل من بعدهم؛ لأن بعدهم قد تعني الزمان والمكان، وخلفهم تعني فقط المكان؛ سداً: السد: الحاجز أو المانع، واستعمال (من) هنا تفيد القرب أو الالتصاق بالسد من الأمام فهم يقفون مباشرة وراء السد الذي أمامهم فلا يوجد أي مسافة فاصلة، لزيادة عذابهم، وكذلك من ورائهم مباشرة سداً آخر لا فاصل بينهم وبينه لا في الأمام ولا في الخلف؛ كي لا يسمح لهم بالحركة وعدم رؤية أي شيء. وإذا سألك سائل ما هو الفرق بين (ومن خلفهم، أو من بعدهم؟) الجواب: هو أن خلفهم: تستعمل في سياق المكان في الأصل، وبعدهم: تستعمل في سياق الزمان على الغالب وبعد نقيضها قبل.

وتكرار (سداً) للتوكيد.

﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾: الفاء السببية، أغشيناهم: بالإضافة إلى السد من بين أيديهم ومن خلفهم سداً، أغشيناهم؛ أي: جعلنا على أبصارهم غشاوة؛ أي: جعلناهم كالعمي، أو أغشيناهم بالسد الذين بين أيديهم وخلفهم لكونه عالياً أو كلاهما.

﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: فهم الفاء السببية، هم: ضمير فصل يفيد التوكيد، لا يبصرون شيئاً أمامهم ولا خلفهم ولا عن اليمين ولا عن الشمال، وكما قال تعالى: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ [طه: ١٢٥]. والسؤال هنا: إذا كانوا لا



يبصرون فهل يسمعون كما بين ذلك في الآية (١٠٠) من سورة الأنبياء وسواء كان ذلك بسبب السد أو الختم على سمعهم المهم لا يبصرون ولا يسمعون، وفي هذا إنذار ووعد لهم.

وهذا تنكيل بهم ومن أشد أنواع العذاب؛ لأنهم كانوا لا يرون الحق والهدى من أمامهم، وأعرضوا، وجعلوا بينهم وبين الإيمان بالله سداً، وبما أنهم ازدادوا كفراً زدنهم غشاوة جزاء بما كانوا يعملون.

[١٠] ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾: أي استوى عندهم، والاستواء من: السّي وهو المثل كأن بعضه سي بعض؛ أي: مثله، ونقيضه التّفاوت؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (٦) لمقارنة وسواء عليهم، سواء عليهم. وفي هذه الآية قال تعالى: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾: أضاف الواو إلى سواء، بينما في سورة البقرة آية (٦) قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ بدون الواو، وذلك لأن آية ياسين آية مستقلة عن الآية التي سبقتها، وهي معطوفة على ما قبلها بالواو، وآية البقرة هي خبر (إن) لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾.

﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾: الهمزة همزة التّسوية، والإنذار هو الإعلام المصحوب بالتحذير والتخويف.

﴿أَمْ﴾: المتصلة للإضراب الانتقالي، تفيد الاستفهام المصحوب بالإنكار والتوبيخ.

﴿لَمْ﴾: حرف نفي يفيد استمرار النّفي؛ يعني: لن يؤمنوا وسيستمرون على عدم الإيمان.

﴿تُنذِرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي إنذارك لهم أو عدمه سيان عندهم؛ لأنهم اختاروا الكفر على الإيمان وأصروا عليه، فطبع على قلوبهم فهم لا يؤمنون.
﴿لَا﴾: النافية تنفي كل الأزمنة.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: لا يصدقون بالله تعالى وبما أنزل ولا برسوله ﷺ، لا يؤمنون: تدل على التجدد والاستمرار.

ورغم ذلك فإنذارك لهم لإقامة الحجة عليهم، وإنذارك ينتفع منه من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب.

[١١] ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾: الذكر: القرآن. ارجع إلى سورة (ص) آية (١) للبيان.

﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾: خشي الرحمن: الخشية تعني: الخوف المصحوب بالتعظيم والمحبة لمن تخشاه وكذلك العلم؛ أي: إنذارك ينتفع به من يذكر الله ويخافه ويؤمن به وبقدرته وعظمته ويتبع القرآن ويخشى الرحمن.

﴿بِالْغَيْبِ﴾: أي ساعة يكون غائباً عن أعين الناس؛ أي: في السر، ومن يخشاه بالسر حين يخلو مع نفسه يخشاه بالعلن؛ أي: (أمام أعين الناس)، أو يخشاه بالخفاء وفي الظهور، وأما من يخشاه في العلن قد لا يخشاه في السر.

﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾: تعني أيضاً من خشي الرحمن ولم يشاهده؛ أي: آمن به ولم يشاهده أو يراه، وخشي الرحمن: خشي عقابه وعذابه يوم القيامة وفي



البرزخ وفي الدنيا، واختيار اسم الرحمن (المشتق من الرحمة) هنا والرحمن على وزن: فعلان، يرحم الكافر والمؤمن، ومع ذلك لا تظن أن الرحمن المتصف بالرحمة لا يعاقب ولا تغتر برحمته، أو تتكلموا عليها فلا بد من العمل الصالح، وإياك أن تفعل المنكر بقصد أي نية وتقول: سيغفر لي، فمن أطلعك على أنه سبحانه وتعالى سيغفر لك؟

وخشية الرحمن يجب أن تكون مطلقة في كل الأحوال وعامة (أي بالحضور والغيب)، كما ورد في سورة الرعد آية (٢١): ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾؛ أي: خشية مطلقة في السر والعلن، وفي أي حال وشأن.

﴿فَبَشِّرْهُ﴾: الفاء للتوكيد، بشره من البشارة وهي الإخبار بما يسر به المخبر به ولأول مرة. ارجع إلى سورة النحل آية (٨٩) لمزيد من البيان في البشارة.

﴿بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾: الباء للإلصاق والدوام، المغفرة تعني: محو الذنب وترك العقوبة والإثابة على العمل الصالح.

﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾: نوع من أنواع الأجور فهناك أجر عظيم وأجر كبير وأجر غير ممنون وأجر حسن وأجر بغير حساب، والأجر يكون مقابل العمل الصالح، أجر كريم من معطي الأجر وهو الله الكريم، فالأجر الكريم يتناسب مع كرم الكريم، فإيا له من أجر وهو الجنة وما فيها من النعيم، وقيل: المغفرة هي جزاء الإيمان بالله وعدم الشرك به وعدم معصيته.

وقدّم المغفرة على الأجر؛ لأنّ المغفرة لا بدّ أن تكون أولاً ثمّ الأجر والثواب ثانياً.

ولنقارن هذه الآية ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ والآية (٢١) من سورة الرعد ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾.

خشية الله تعالى في آية ياسين مقيدة بالغيب، أما الخشية في آية الرعد مطلقة في السر والعلن.

[١٢] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿إِنَّا﴾: بصيغة الجمع؛ للتعظيم.

﴿نَحْنُ﴾: ضمير فصل يفيد القصر والتوكيد والتعظيم، يعني: لا شريك له سبحانه في شأن الموت والحياة والكتابة والإحصاء.

فهذا الضمير (نحن) يدل على أسماء الله الحسنی وصفاته العلی ففيه معنى العظمة المتكاملة؛ لأن كل فعل من أفعال الله وفضل من أفضاله يحتاج إلى علم كامل وحكمة وقدرة كاملة لا يملكها إلا هو سبحانه.

﴿نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾: نحى الموتى: مرتين كما قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

نحي الموتى: ابتداء وإعادة، ابتداءً لتحيا الحياة الدنيا وللا ابتلاء والكتابة أولاً وإعادة للحياة الأخرى والحساب والجزاء.

والثواب أخيراً، وكيف يتم هذا الإحياء (البعث)؟ ارجع إلى سورة الروم آية (١٩).

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾: كتابة يقوم بها الكرام الكاتبين: الذين يقومون



بتدوين كل ما ينطقه اللسان ويعمله العبد، ووصفهم الله تعالى: ﴿كَرَامًا كُنِينًا يَغَامُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١-١٢].

ونكتب بصيغة الجمع للتعظيم والأهمية، والكتابة لإقامة الحجة عليهم، وجمع الحسنات والسيئات للحساب والجزاء.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي.

﴿قَدَّمُوا﴾: في الدنيا من الأعمال، التي تشمل الأقوال والأفعال.

﴿وَأَثَرَهُمْ﴾: جمع أثر؛ أي: ما خلفوه وراءهم أو ما تركوه من بعد موتهم من آثار الخير مثل علم يُنتفع به أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له، أو آثار الشر من بدعة أو فساد في الأرض أو ضلال.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾: وكل شيء: كل بالنصب بالفتحة ولم يقل وكل شيء بالرفع بالضم؛ النصب بالفتحة: يدل على كل شيء مهما كان نوعه وشكله وصغره وكبره بلا استثناء أحصيناه. وشيء: نكرة يشمل كل شيء. أحصيناه: أي لم نتركه بدون عد وكتابة وحفظ وبالتالي إحصاء، ولو جاءت بالرفع بالضمه لدلت أن هناك أشياء أحصاها وأشياء لم يحصها.

﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾: من الإحصاء، والإحصاء يختلف عن العد، الإحصاء هو العد والجمع والحفظ معاً، فالكتابة لا تكفي فلا بد من الإحصاء لحفظ الكتابة وجمعها في إمام مبين لمعرفة النتائج، ولماذا العد والإحصاء والكتابة ما دام ربنا يعلمها منذ الأزل، ويعلم ما عملنا وما سنعمل وما لم نعمل؛ لإقامة الحجة على الشخص فليس الله بحاجة إلى شيء من الكتابة أو الإحصاء وليقرأ كل صحيفته.

﴿فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾: في ظرفية، إمام مبين: قيل: اللوح المحفوظ، والإمام

هو ما يؤتم به وكما قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿[القمر: ٥٢-٥٣] أي: مسطور مكتوب.

﴿مُبين﴾: أي ما كتب فيه بين واضح لكل ملك يقرأه بين الأحكام والشرائع، ومبين ليس بحاجة إلى من يوضحه بين بنفسه.

لنقارن هذه الآية (١٢) من سورة يس: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ مع الآية (٢٢) من سورة الحجر: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾.

الفرق: في آية الحجر أضاف اللام في كلمة لنحن: وزيادتها تدل على زيادة التوكيد، وذلك لأن آية الحجر مطلقة يحي ويميت الإنس والجن والحيوان أو الأرض أو غيرها، وأما آية يس محدودة بإحياء الموتى فقط وليست مطلقة، ولذلك زاد اللام لزيادة التوكيد.



البقرة الثانية والعشرون

سورة البقرة ٣٦

وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾
 إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا
 إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ
 الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا
 إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾
 قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ
 مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَيَّرْنَاكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ
 بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ
 يَسْعَى قَالَ يَنْقُومُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ
 لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي
 فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ
 يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا
 يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي أَمِنْتُ
 رَبِّي كُمْ فَأَسْمِعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي
 يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

سورة يوس [الآيات ١٣ - ٢٧]

[١٣] ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾:

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا﴾: ضرب المثل: أسلوب لتوضيح أمر ما أو مسألة ما حتّى تتبين الحقيقة؛ أي: بين لهم واذكر لهم، والمخاطب رسول الله ﷺ؛ لهم مثلاً: لكفار مكة، اضرب: لهؤلاء الذين كذبوك وكفروا بالله وتطيروا بك وكذبوك أنّهم مثل أصحاب القرية، قل لهم: مثلكم مثل أصحاب القرية، وصف لهم ما حدث لأصحاب القرية.

﴿الْقَرْيَةِ﴾: تعني أهل القرية والديار معاً ورغم أنّ القرية جاءت معرفةً بال التعريف، لم يبين الله سبحانه اسم القرية والزمن ومن هم المرسلون، فكل ذلك لا يهم والمهم ما حدث بين أصحاب القرية والرسل الثلاثة.

مع العلم أن بعض كتب التفسير ذكرت أنّ القرية كانت أنطاكية وبعد زمن عيسى ﷺ ورفعته إلى السماء وذكرت أسماء المرسلين.

﴿إِذْ جَاءَهَا﴾: ولم يقل أتاها المجيء فيه بعض المشقة والصعوبة؛ لأنّ أهلها معاندون ومكذبون، إذ: ظرفية بمعنى حين.

﴿جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾: ولم يقل جاءهم المرسلون، جاءها تعني جاء إلى القرية، المرسلون: يظهر أنّهم ليسوا من أصحاب القرية، ويظهر أنّها قرية كبيرة؛ لإرسال ثلاثة رسل وليس هناك دليل قاطع على أنّها أنطاكية، وقيل: كانت هذه القصة قبل مجيء أو في زمن عيسى ابن مريم.



جاءها المرسلون ليدعوا أهلها إلى عبادة الله وحده (إلى التوحيد والإخلاص وترك الشرك).

[١٤] ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾:

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾: إذ: حين أرسلنا إليهم اثنين ولم يقل إذ أرسلنا إليها؛ لأن الرسالة تخص أهل القرية فقال: إليهم، وليس إليها.

﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب (المباشرة) كذبوهما: وهذا يدل على أنهم أبلغوا أهل القرية ما أرسلوا به، ودعوهم إلى التوحيد فأعرضوا وكذبوا؛ أي: لم يؤمنوا مباشرة.

﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، عززنا أسند التعزيز إلى نفسه سبحانه وتعالى فقال عززنا من عز يعز؛ أي: قوى يقوي؛ أي: التقوية في الدعوة والإبلاغ والنصرة بثالث: وأرسلنا برسول ثالث بالرسالة نفسها؛ أي: الدعوة إلى توحيد الله والإيمان به.

﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾: فقالوا؛ أي: الثلاثة بعد تكذيب الاثنين، ولم يقل إنا إليكم مرسلون؛ قدم الجار والمجرور للحصر والاهتمام؛ أي: خاصة لكم؛ لتدل على خاصة الإرسال إلى أصحاب القرية، مرسلون: جمع مرسل؛ أي: تدل على ثبوت الإرسال إليهم، مرسلون: من الرحمن؛ لأنهم قالوا: ما أنزل الرحمن من شيء.

[١٥] ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي أصحاب القرية قالوا للمرسلين.

﴿مَا أَنْتُمْ﴾: ما النافية.



﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: بشر مشتقة من البشارة: وهي حسن الهيئة، ولفظ البشر يعني الظهور؛ أي: ما أنتم إلا بشر مثلنا، فما الذي فضلكم أو جعلكم أفضل منا أو خصكم من دوننا؛ نأكل مما تأكلون ونشرب مما تشربون.

﴿وَمَا أُنْزِلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾: وما: ما النافية وتكرارها يفيد تأكيد النفي، أنزل الرحمن من شيء: من استغراقية، شيء نكرة أي شيء لم ينزل كتاباً ولم ينزل وحياً؛ أي: ما أنزل الرحمن من شيء مطلقاً لا الآن ولا سابقاً، يدعونا إلى الإيمان بالله وحده، واختاروا اسم الرحمن بدلاً من الله أو غيره من الأسماء؛ لاستبعاد تنزيل شيئاً رغم كونه الرحمن ذو الرحمة، أو الرحمة الكاملة.

﴿إِنْ﴾: نافية تعني: ما، وهي أشد نفيًا من ما.

﴿أَسْمَرٌ إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿تَكْذِبُونَ﴾ أنكم مرسلون. تكذبون بصيغة المضارع التي تدل على التجدد والتكرار فهم ينكرون نبوة رسلهم وينكرون رسالاتهم.

[١٦] ﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لِنَا إِنَّا لَمُرْسَلُونَ﴾:

﴿قَالُوا رَبَّنَا﴾: أي قال الرسل لأصحاب القرية: ربنا يعلم إننا إليكم لمرسلون، يدل على أن الرسل استمروا في التبليغ ولم يئسوا من إيمان أصحاب القرية وتكذيبهم وعنادهم، ربنا: اختاروا كلمة الرب؛ لأنه هو المربي، والرسالة من سمات الربوبية.

﴿يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ﴾: تقديم (إليكم) أي خاصة إليكم وحدكم.

﴿لَمُرْسَلُونَ﴾: اللام للتوكيد، لما شاهدوا إنكارهم وتكذيبهم لهم، قالوا:



إِنَّا مَرْسَلُونَ فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ أَوِ الدَّعْوَةِ، وَقَالُوا: إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ، أَضَافَ اللَّامَ لِلتَّوَكِيدِ فِي نَهَايَةِ الدَّعْوَةِ وَرَدًّا عَلَى إِنكَارِ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ، وَتَكْذِيبِهِمْ وَرَفْضَ الْاسْتِجَابَةِ لَهُمْ؛ أَي: لَمَّا أَزْدَادَ أَصْحَابُ الْقَرْيَةِ تَكْذِيبًا أَزْدَادَ الرِّسْلَ تَوْكِيدًا.

[١٧] ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلِّغُ الْمُبِينُ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما النافية.

﴿عَلَيْنَا إِلَّا﴾: للحصر.

﴿الْبَلِّغُ الْمُبِينُ﴾: البلاغ: التبليغ؛ أي إيصال الرِّسَالَةِ واضحة كاملة شاملة بدون أي نقص وإلى كل أصحاب القرية بدون استثناء.

[١٨] ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

لم تعد أمام أصحاب القرية من حيلة أو حجة لمواجهة رسلهم إلا اللجوء إلى اتهام رسلهم بالتطير، والتَّهْدِيدِ والوعيد.

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾: تشاءمنا بكم، التطير: التشاؤم، مثل قولهم: انقطع المطر عنا بسببكم، وتغيّرت أو ساءت حالتنا بسببكم، أو ما يصيبنا من شر هو بسببكم أنتم.

﴿لَئِن﴾: اللام للتوكيد، إن شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض.

﴿لَّمْ تَنْتَهُوا﴾: لم النافية، تنتهوا: أي تكفوا عن الدَّعْوَةِ إِلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ وَتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ.

﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾: اللام والنون (نون التوكيد الثقيلة) في (نرجمكم) للتوكيد، وهناك من قال إنها لام القسم، والرجم يكون بالحجارة؛ أي: نقتلكم، أو بالقول والشتم.

﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: واللام والنون (نون التوكيد الثقيلة) في ليمسنكم للتوكيد، وقيل: لام القسم؛ وقالوا: (لنرجمنكم وليمسنكم) ولم يقولوا لنرجمنكم أو ليمسنكم؛ أي: سيحصل لكم أو سيصحبكم الأمران معاً الرجم والمس وليس أحدهما، ولو قالوا: أو؛ أي أحدهما يكفي، وهذا يدل على مدى غيظهم وتصميمهم على الرجم وإلحاق العذاب بهم.

وقولهم: أو ليمسنكم منا: منا نحن وليس من الآلهة والأصنام؛ لأن الآلهة والأصنام غير قادرة على الضرب أو النفع، عذاب أليم: عذاب شديد الإيلام.

لنقارن هذه الآية من سورة يس: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾، مع الآية (٤٧) من سورة النمل: ﴿قَالُوا أَطَيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾.

في سورة النمل (اطيرنا) فيها تضعيفان ياء مشددة والطاء المشددة، أصل اطر: تطير على وزن: تفعل، أبدلت التاء طاء وحدث إدغام في الطائين.

في سورة ياسين تطير فيها تضعيف واحد، واطيرنا بكم في سورة النمل تضعيفان؛ أشد من تطيرنا بكم في سورة ياسين.

والتضعيف يفيد المبالغة والتأكيد، ولو قارنا الآيتين في النمل: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾، إذن في النمل هناك قتل نبي وأهله كلهم، لذلك هو أشد من التهديد بالرجم والعذاب في يس.

[١٩] ﴿قَالُوا طَيَّرْنَاكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾:

﴿قَالُوا طَيَّرْنَاكُمْ مَعَكُمْ﴾: قال المرسلون لأصحاب القرية، طائركم معكم: شؤمكم معكم؛ أي: سبب شؤمكم معكم مصاحب لكم فما يحصل لكم من شر



أو فتنة فإنه منكم ومن أعمالكم (أي: بما عملت أيديكم من الكفر والتكذيب) ملازم لكم وأما نحن فليس سبب شؤمكم.

﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتوبيخ؛ أي: أين وعظناكم وأندرناكم ودعوناكم لعبادة الله وحده، زعمتم أننا سبب شؤمكم وما أصابكم من ضرر، أو أين ذكرتم تطيرتم.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿أَنْتُمْ﴾: للتوكيد.

﴿قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: أي متجاوزون الحد في الكفر والشرك، أو العدوان أو التطير، لم يحدد نوع الإسراف؛ ليشمل كل الأنواع، مسرفون: جمع مسرف، مسرفون جملة اسمية تدل على الثبوت، ثبوت صفة الإسراف عندهم.

والسؤال هنا: ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٣١]، وقوله تعالى: ﴿طَائِفُكُمْ مَّعَكُمْ﴾ [يس: ١٩]؟ آية الأعراف تدل على أن ما يحصل لهم من مصائب هو ابتلاء من عند الله، وآية يس تبين سبب ما يحصل لهم من شؤم وتطير هو منهم؛ أي هم السبب لما قدر الله عز وجل.

[٢٠] ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقَوْمُ آبَعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿وَجَاءَ﴾ ولم يقل وأتى، المجيء فيه معنى المشقة والصعوبة فالرجل جاء بمشقة وصعوبة.

﴿مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾: من ابتدائية؛ أي جاء من أبعد مكان في المدينة؛ أي كان موجوداً في أقصى المدينة؛ أي خرج من بيته الذي كان في أقصى المدينة، قيل: هي أنطاكية، وفي الآية (١٣) سماها القرية وفي هذه الآية سماها المدينة، كيف نفسر ذلك؟ لا تعارض بين الآيتين؛ فقد يكون خبر أصحاب القرية التي جاءها

المرسلون قد انتشر، ووصل إلى المدينة التي كان يسكن فيها الرجل الصالح الذي جاء يسعى، فالقرية المذكورة في الآية (١٣) ليست هي نفس المدينة التي ذكرت في الآية (٢٠). من أقصى: قدم الجار والمجور (من أقصى) على الفاعل (رجل). قيل: أن الرجل كان يسكن في أقصا المدينة، وجاء من المدينة إلى القرية التي جاءها المرسلون؛ أي: هناك اختلاف بين المدينة والقرية، أو أراد الله سبحانه أن يبين للسامع أن القرية كانت متسعة وكبيرة، وأطلق عليها المدينة.

﴿رَجُلٌ﴾: نكرة: والنكرة لتعظيم شأنه؛ أي رجل كامل الرجولة، رجل من الرجال لا يعرفه أهل المدينة ولا يعلمون شيئاً عن إيمانه حتى لا يقال إنهم تواطؤوا معه، قيل: هو حبيب بن النجار.

﴿يَسْعَى﴾: يسرع في مشيه لبعد مكان إقامته واهتمامه على نصرة الحق والجهر بالدعوة إلى الله وتبليغ الناس وإعلان إيمانه بدون خوف وليؤيد الرسل ومخاطراً بنفسه.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ﴾: يا قوم: يا النداء نداء ينبئ عن إشفاقه على قومه، ودعاهم قومه.

﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾: في دعوتهم إلى توحيد الله وعبادته فهذه هي الغاية، ثم بين الأسباب الأخرى الداعية إلى اتباع المرسلين كما سيأتي في الآيات (٢١-٢٣).

لنقارن هذه الآية (٢٠) من سورة يس: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿، مع الآية (٢٠) من سورة القصص: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُْوسَى إِنَّكَ أَلَمَّا يَأْتِمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرِجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾:



أولاً: آية يس قَدَم (من أقصى المدينة) على (رجل)؛ أي هو رجل جاء من أقصى المدينة؛ لأنه يسكن في أقصى المدينة (خرج من بيته الذي هو في أقصى المدينة) وجاء يسعى، أما في آية القصص قَدَم (رجل) على (أقصى المدينة): هو رجل كان في أقصى المدينة حينذاك ولم يكن يسكن في أقصى المدينة وإنما صدفة كان موجوداً في أقصى المدينة فجاء يسعى.

ثانياً: مهمة الرجل في آية يس أهم وأخطر بكثير من مهمة الرجل في آية القصص، في يس جاء لينصر الحق ويجهر بالدعوة إلى الله ويعلن إيمانه ويؤيد الرسل، أما في القصص جاء الرجل ليحذر موسى لكي يخرج من المدينة ولم يكن مهدداً بالخطر، كما هو الحال في آية يس. ارجع إلى سورة القصص آية (٢٠) لمزيد من البيان والمقارنة.

[٢١] ﴿اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾:

هذا هو السبب الثاني لاتباع المرسلين.

﴿اتَّبِعُوا﴾: تكرر للآية اتبعوا المرسلين، والتكرار للتوكيد على اتباع المرسلين.

﴿مَن﴾: للعاقل وتشمل الواحد والاثنين والجمع، وجاء بمن لكونهم ثلاثة أنبياء أو رسل، وقد تعني الذي، ولكن الذي يدل على واحد؛ أي: اتبعوا أي واحد، أو أي رسول يدعوكم إلى الله، ولا يسئلكم أجراً، أو استعمل من التي تدل على المفرد أو المثنى أو الجمع.

والرسل كانوا أكثر من واحد وقد يكون هناك غيرهم من الداعين إلى الله تعالى الذين يجب اتباعهم أيضاً ولذلك استعمل (من).

﴿لَّا﴾: النافية.

﴿سَتَلَكُمْ أَجْرًا﴾: أي هو مخلص لله لا مصلحة له أو لا منفعة كهؤلاء الرسل الثلاثة. أجراً: على إبلاغكم الدعوة إلى الله وهدايتكم إلى الطريق المستقيم.

﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾: هم: ضمير فصل يفيد التوكيد، وهم: تعني الرسل الثلاثة، مهتدون: هذا هو السبب الثالث لاتباع المرسلين أو الأمر الآخر الداعي إلى اتباعهم، مهتدون؛ لأنهم رسل من الله تعالى، هم مهتدون في أنفسهم وهادون لغيرهم ولذلك اختارهم الله من بين الناس، مهتدون صفة الهداية ثابتة عندهم.

[٢٢] ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿وَمَا لِيَ﴾: الواو عاطفة، ما استفهامية تحمل معنى الالتزام.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ أعبد: من العبادة، ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣) للبيان. الذي فطرني: وهو الله بصيغة المفرد ويدل على وحدانيته، فطرني من الفطر: ويعني الخلق والإيجاد، ارجع لمزيد من البيان عن فطرني إلى سورة الأنعام الآية (١٤).

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: قدّم (إليه) للحصر؛ أي: إليه وحده حصراً، تُرجعون: بضم التاء، رغماً وقسراً يوم القيامة للحساب والجزاء، وترجعون فيها تحذير وتهديد، ولم يقل وإليه ترجعون بفتح التاء التي تدل على الرجوع برغبة وإرادة.

ولم يقل وإليه نرجع؛ لأنه استثنى نفسه فهو يريد الرجوع إلى ربه برغبة وهم لا يريدون إلا بالقسر والإكراه.



[٢٣] ﴿أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ۖ إِلَهَةً إِنَّ يُرِيدَنَّ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُون﴾:

﴿أَتَّخِذُ﴾: الهمزة للاستفهام والتعجب والإنكار والتقرير، ﴿أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ۖ إِلَهَةً﴾؛ أي: أتخذ معبوداً غيره فهو ينكر كيف يتخذون من دون الله إلهة وهو الذي خلقهم وخلقها، وهي في الحقيقة ليست إلهة ولا تستحق الذكر، وتفيد التقرير يريد من السامع أن يقرر حتى تقام عليه الحجة.

﴿مِنْ دُونِهِ﴾: من ابتدائية: من غيره ولا معه ولا واسطة (أو وسيط) لأن شفاعتهم لا تغني شيئاً ولا تضر ولا تنفع.

﴿إِلَهَةً﴾: مثل الأصنام والأوثان، والملائكة وغيرهم.

﴿إِنَّ يُرِيدَنَّ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض، يردن: فعل مضارع، وجاء بعد إن الشرطية فهذا يدل على التجدد والتكرار؛ أي: يردن مرة بعد المرة؛ أي: باستمرار، ولم يقل إن أرادني: فعل ماضٍ يعني مرة واحدة، ومجيئه بعد إن الشرطية يفيد الاستقبال وعدم التكرار، وحذف ياء المتكلم من يردن ولم يقل يردني؛ للدلالة على أن الإرادة ولو كانت بضر خفيف أو قليل لا تغني شفاعتهم شيئاً (أي لا عن الكثير ولا عن القليل الضئيل) وتعني: إن يردن (أنا أو غيري) تشمل الكل وهو يعني: مستمر.

﴿الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ﴾: بضر: بضم الضاد؛ الباء: للإلصاق، وتدخل على مدار الاهتمام، وهناك فرق بين الضر والضرر، فالضر: ما يصيب الفرد من سوء الحال والمرض والفقر، والضرر: بفتح الضاد هو ضد النفع؛ لماذا اختار اسم الرحمن مع احتمال إرادة الضر؟ لأن الرحمن مشتق من الرحمة، والضر عكس الرحمة فكيف نجمع بينهما: التفسير الأول: نقول قد يظن الإنسان حسب موازينه أن ما



يحصل له الآن من ضرر بعد أسابيع أو أشهر يجد أن ما حدث له وظنه ضرراً إذا به نفع، والأمراً قد يكون في الظاهر ضرراً وفي الباطن رحمة، فلا يعلم الغيب إلا الله، وكل ما يجري الرحمن من الأقدار هي من منطلق الرحمة.

التفسير الثاني: جاء باسم الرحمن؛ للتذكير باللجوء إلى الرحمن عند الإصابة بالضرر ليكشفه، ولم يقل إن يردن الرحمن بضر أو رحمة، حذف ذكر الرحمة؛ لأن الرحمة مصدرها معروف من الرحمن، والرحمن هو رحمة بذاته ومن صفاته الثابتة الرحمة.

﴿لَا تَغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً﴾: لا النافية، لا تغني عني شفاعتهم: على افتراض أن الآلهة قادرة على الشفاعة فشفاعتها لن تجدي ولن تقبل، وهي أصلاً لا تسمع ولا تبصر ولا تغني شيئاً، فلا تسمع من يدعوها، شيئاً: نكرة أي شيء مهما كان، والشيء هو أقل القليل، شيئاً: تأكيد ويدل على المقدار؛ لا تغني: حذف الياء، ولم يقل: لا تغني؛ لأنها لا تغني ولو الشيء القليل؛ أي: لا تغني شيئاً مهما كانت.

﴿وَلَا يَنْقُذُونَ﴾: لا النافية، ينقذون: لا يستطيعون إنقاذي، ولا ينقذون، وقدم الشفاعة على الإنقاذ؛ لأن الإنقاذ يلجأ إليه بعد عدم نفع الشفاعة؛ مما أرادني به الرحمن من ضرر. ولا ينقذون حذف الياء تعني: حتى من أدنى الإنقاذ أو من الأمر القليل (ولم يقل ينقذوني) أو تعني ينقذون أنا أو غيري تشمل الكل ولو قال ينقذوني تعني: لا ينقذوني أنا وحدي وينقذون غيري وهو نفي مستمر.

[٢٤] ﴿إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد



﴿إِذَا﴾: حرف جواب؛ أي: إني إذا اتخذت من دونه آلهة وعبدتها وطلبت شفاعتها.

﴿لَفِي﴾: اللام للتوكيد، في: ظرفية؛ أي: ضلال يحيط بي من كل جانب ولا أستطيع الخروج منه.

﴿ضَلَلِ مُبِينٍ﴾: ضلال واضح بين لكل من يطلع عليه؛ أي كل فرد، وضلال بين لا يحتاج إلى برهان أو دليل.

[٢٥] ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾:

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ﴾: آمنت بالذي خلقكم. قيل: إنه خاطب الرسل بهذا ليشهدوا له ويشجعهم على الاستمرار في الدعوة لَمَّا هَمَّ قَوْمُهُ عَلَى قَتْلِهِ، أو خطاب إلى قومه، أو قال: بربكم لإقامة الحجة عليهم، قال: ربكم لأن ربه وربهم واحد ولم يقل بربي وربكم؛ لكي لا يظنوا أن هناك أرباباً متعددة.

﴿فَاسْمَعُونِ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، اسمعون: النون للتوكيد، (اسمعون) في بلاغي ودعوتي لكم بالإيمان والتوحيد وتصديق الرسل أو صدقوني أو (اسمعون) فيما أقوله لكم حذف ياء المتكلم؛ أي: ولو شيئاً قليلاً، ولم يقل فاسمعوني: التي تدل على السمع الكثير والطاعة أو تعني فاسمعون أنتم وغيركم؛ أي: الكل ولو قال فاستمعوني تعني: أنتم وحدكم بل أراد أن يشملهم وغيرهم.

[٢٦] ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾:

﴿قِيلَ﴾: مبني للمجهول قد تكون الملائكة التي قالت ذلك، أو يحكي الله

تعالى عن الرجل الذي جاء من أقصى المدينة (حبيب النجار) ما قاله بعد أن استشهد في سبيل الله وفاضت روحه.

﴿أَدْخُلِ الْجَنَّةَ﴾: بعد أن استشهد، ولم يذكر الله سبحانه ما حدث له وكيف قُتل فلما دخلها:

﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾: ليت للتمني وتستعمل للتمني المستحيل الحدوث أو الأمور الصعبة، يعلمون: بمغفرة ربي لي وبالتَّعِيم الذي أنا فيه؛ أي بمكرمه لي.

[٢٧] ﴿يَا غَفَرُ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾:

﴿يَا﴾: الباء للإلصاق، ما اسم موصول بمعنى الذي أو حرف مصدري؛ أي: بغفران الله لي أو بالذي غفر لي به ربي، فيؤمنون كما آمنت وسبقت المغفرة دخول الجنة؛ أي: التطهير من الذنوب أولاً ثم دخول الجنة، والغفران يعني محو الذنب وترك العقوبة، والإثابة على الحسنات؛ أي: الأعمال الصالحة.

﴿مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾: من: ابتدائية. المكرمين: جمع مكرم من كرم، وتفيد الدوام على التكريم والمبالغة فيه؛ أي: زمرة المقربين لله؛ أي: الشهداء.





سُورَةُ النُّورِ ٣٦

الجزء الثاني والعشرون

وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا
كُنَّا مُنْزِلِينَ (٢٨) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِدٌ وَنَ
(٢٩) يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ (٣٠) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ
أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ
(٣٢) وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا
فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّتٍ مِنْ نَخِيلٍ
وَأَعْنَبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ
وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥) سُبْحَانَ الَّذِي
خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ
وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ
فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا
ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى
عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ
الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)



سورة يس [الآيات ٢٨ - ٤٠]

[٢٨] ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾:

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ﴾: الواو استئنافية، ما: النافية أقوى نفيًا من لم. من: ابتدائية، بعده: من بعد قتله، أي لم ننزل على قومه (قوم حبيب النجار) من بعد قتله جنداً من السماء للقضاء عليهم وإهلاكهم، ونسب الإنزال إلى ذاته للتعظيم؛ لأن الأمر هين لا يحتاج إلى إنزال ملائكة، من بعده: من تفيد القرب، أي من بعد قتله مباشرة لم ننزل جنداً ولكن أهلكناهم مباشرة بالصيحة.

﴿مِن جُنْدٍ﴾: من استغراقية أي لم ننزل واحداً ولا اثنين ولا أكثر، جند: اسم جنس، جند: جمع جندي، وتجمع على جنود أيضاً، وجند: تشمل واحداً أو اثنين أو أكثر، أمّا جنود: لا تشمل واحداً أو اثنين إنما هي لأكثر من اثنين، إذاً لنفي إنزال جندي واحد أو اثنين أو ثلاثة أو أكثر أتى بكلمة جند، وجند تعني: من جنس واحد وهدفهم واحد، أمّا جنود قد تكون أهدافهم شتى، أو من أجناس مختلفة؛ مثل: الصيحة، أو الريح، أو النار، أو الرجز، أو الصواعق، أو غيرها من الآيات.

﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: من: ابتدائية، وما أنزلنا على قومه من جند من السماء (ملائكة) كما أنزلنا يوم بدر؛ السماء: تعني: السموات السبع، وكل ما يعلو الإنسان يسمى سماء.

﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾: في الماضي وعلى الأمم السابقة ولا يعني في المستقبل؛ لأنه أنزل في معركة بدر.



[٢٩] ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾:

﴿إِنْ﴾: نافية، أقوى في النفي من ما؛ أي: ما كانت.

﴿كَانَتْ إِلَّا﴾: حصراً.

﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: صيحة واحدة للتأكيد؛ حلت أو نزلت بأهل القرية التي جاءها المرسلون، أو قوم الرجل الصالح (حبيب النجار)، أهلكوا بالصيحة. كما أهلك أصحاب الحجر وغيرهم، ارجع إلى سورة الأعراف آية (٧٨) لبيان معنى الصيحة، وهذه الصيحة لا علاقة لها بنفخة الفزع والصعق؛ النفخة الأولى أو النفخة الثانية تعني البعث والقيام.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، إذا فجائية تشير إلى السرعة سرعة خمودهم.

﴿هُم﴾: للتوكيد.

﴿خَامِدُونَ﴾: شبههم بالنار المشتعلة المتأججة تحمساً لعدم الإيمان برسلهم وتكذيبهم، التي أخمدها الله بسرعة؛ أي: انطفأت، فكلمة (خامدون): تعني: زهقت أرواحهم وانقطعت أصواتهم وحركتهم.

[٣٠] ﴿يَحْشَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾:

﴿يَحْشَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ﴾: يا النداء للبعد، أسلوب نداء يراد به التعجب. والمنادي: هو الله سبحانه أو الملائكة، أو كل مؤمن يتحسر على الذين كذبوا بالرسل.

﴿يَحْشَرُهُ﴾: يا النداء الحسرة أشد الندم مع الشعور بالحزن على نفع قد فات؛ أي يا حسرة احضري هذا زمانك أو أقبلي.

﴿عَلَى الْعِبَادِ﴾: العباد جمع: عابد، وهم الذين اختاروا الإيمان على الكفر
أما عبيد تشمل الكافر والمؤمن؛ أي: يتحسر المؤمن على من لم يؤمن؛ لأن
المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾: ما: النافية؛ يأتيهم: من أتى، والإتيان معناه: المجيء
بسهولة؛ من استغراقية، تستغرق كل رسول؛ أي كل رسول استهزأ به قومه.
﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: قدّم (به) تكريماً للرسول، ومن يستهزأ برسول
فقد استهزأ بكل الرسل، يستهزؤون من الاستهزاء بصيغة المضارع؛ لتدل على
استمرار الاستهزاء وتجده ولم ينقطع حتى يومنا الحاضر. وتعريف الاستهزاء:
هو تصغير قدر الآخر أو الشيء، والتحقير أو الاستخفاف به أو العيب بدون
سبب، بينما السخرية تتميز بوجود سبب، ولا يقتضي وجود سبب للاستهزاء كما
هو الحال في السخرية التي يسبقها فعل من المسحور منه، والاستهزاء عام قد
يكون مثلاً بالله أو آياته أو رسله أو بشيء ما.

[٣١] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتوبيخ، قال: ألم ولم يقل أولم، (ألم) تدل
على شيء غير مرئي وتنكره وقد تعني القلة، و(أولم) تدل على تدل على شيء
مرئي وتنكره وقد تعني كثرة الذين أهلكنا.

﴿يُرَوُّ﴾: رؤية بصرية، يروا: مساكن وآثار هؤلاء المكذبين لرسولهم، يروا
بيوتهم الخاوية على عروشها، ورؤية قلبية فكرية (رؤية علمية) ألم يعلموا (الرؤية
العلمية) ألم يأتيهم أنباء الذين أهلكناهم؟
﴿كَمْ﴾: الخبرية تفيد الكثرة.



﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ﴾: أهلكنا، نسب الهلاك إليه سبحانه؛ ليدل على شدة الهلاك وعظمته ويعني الموت والفناء، وتقدير الظرف يدل على التهديد والوعيد الشديد. ارجع إلى سورة الأعراف الآية (٤) لمزيد من البيان في معنى الهلاك.

لنقارن هذه الآية: ﴿الْمَرِيرُوا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

مع الآية (١٣) من سورة يونس: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾.

في آية يس قدم الظرف قبلهم فقال: قبلهم من القرون.

في سورة يونس آخر الظرف فقال: القرون من قبلكم.

في آية يس وكل آية أخرى في القرآن يقدم فيها الظرف قبلهم أو قبلكم على القرون فيها تهديد أكبر ووعيد أشد وتحذير.

وفي آية يونس وسورة الإسراء فقط آخر الظرف؛ لأنهما ليس فيهما تهديد ووعيد مثال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِّنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧].

﴿قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ﴾: ولم يقل من قبلهم من القرون، مجيء من يدل على القرب.

قبلهم من القرون: تعني القرون الماضية غير القريبة التي جاءت قبلهم؛ أي ينظروا في مصير تلك القرون.

من ابتدائية، القرون: جمع قرن والقرن يقدر بـ (١٠٠ سنة) أو يعني جماعة أو قومًا عاشوا معاً في زمن واحد معين يقدر بقرن (١٠٠ سنة).
﴿أَنَّهُمْ﴾: تفيد التوكيد.

﴿إِلَيْهِمْ﴾: تقديمها يفيد الحصر؛ أي إليهم حصراً.
﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾: لا النافية، يرجعون: يرجعون إلى كفار مكة، فيكونون هادين لهم أو ناصحين واعظين حتى يؤمنوا بالله فينجوا من العذاب فهذا لن يحدث.
لا يَرْجِعُونَ: ولم يقل لا يَرْجِعُونَ؛ أي يَرْجِعُونَ بإرادتهم وليس قسراً وبإكراه، ولو أردنا هذا لفعلناه وعندها يستعمل يَرْجِعُونَ.
لا يَرْجِعُونَ: الفاعل يعود على القرون المهلكة، قيل: لا يرجعون إلى الدنيا ليعظوا هؤلاء: كفار مكة أو غيرهم من الأقوام، وبذلك يتجنبون العذاب.
[٣٢] ﴿وَأَن كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾

﴿وَأَن﴾: الواو استثنائية، إن: (المخففة) تفيد التوكيد.
﴿كُلُّ﴾: تفيد العموم وتدل على كل فرد؛ أي: تعم الأفراد أو الأشياء على انفراد أما جميع تدل على كل الأفراد أو الأشياء في حالة اجتماع كل من القرون الهالكة والقرون الحية والقرون القادمة، كل إليه محضرون يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِلَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مریم: ٩٣].
﴿لَمَّا﴾: للاستثناء، تعني: إلا.

﴿جَمِيعٌ﴾: أي مجموعون في مكان واحد ومجتمعون؛ أي: في أرض المحشر للحساب والجزاء، المسلم وغير المسلم الصالح والطالح المؤمن والكافر وتفيد التوكيد والكثرة.



﴿لَدَيْنَا﴾: تفيد الحصر، لدينا حصرأً، وتفيد القرب مقارنة بقوله: عندنا.

﴿مُحْضَرُونَ﴾: ولم يقل حاضرون، محضرون بغير إرادتهم (جمع مُحْضَر) محضرون قسراً وقهراً، أحضر أي: أجبر على الحضور، بينما حاضرون؛ أي بإرادتهم واختيارهم محضرون؛ أي مجموعون ومحشرون. وكلمة محضرون: لا تأتي إلا في سياق العذاب في كل القرآن. ولدينا محضرون: تفيد التهديد والوعيد.

[٣٣] ﴿وَأَيُّهُمْ أَهْلُ الْأَرْضِ الْمَيِّتَةِ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾:

ثم يذكر الله سبحانه أدلة على قدرته على البعث وإحياء الموتى ويبدأ بآية الأرض الميتة.

﴿وَأَيُّهُمْ أَهْلُ الْأَرْضِ الْمَيِّتَةِ﴾: آية كونية؛ لهم: اللام: لام الاختصاص والملكية لهم خاصة، وليس لغيرهم؛ لهم: تعني لكل الناس، وليست لقوم دون قوم مقارنة بقوله تعالى: ﴿هَذِهِ نَافَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]؛ أي: هذه آية خاصة لكم لا لغيركم. الأرض الميتة: يسكون الياء التي تدل على أن الأرض قد ماتت فعلاً، بينما تشديد الياء: يدل أنها لا زالت على قيد الحياة وستموت إذا لم يصلها الماء؛ أي: الأرض القاحلة الجرداء لا نبات فيها ولا زرع. وبدأ بالأرض؛ لأنها أقرب إليهم ويعيشون فيها.

﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾: بماء المطر، الذي يتكون من تبخر ماء البحار والمحيطات الذي يصعد في السماء فيرسل الله الرياح التي تحمل هذا البخار على شكل سحب وهذه السحب لا تنزل أي مطر حتى يرسل الله سبحانه ريحاً تحمل هباءات الغبار لتلقح ذرات بخار الماء فيتكثف ويشكل السحب الركامية التي تنزل المطر. ودورة الماء على الأرض تقدر بـ (٦٠٠ ألف كم ٣) من الماء سنوياً

تأتي من تبخر مياه البحار والمحيطات وهناك (١٠٠ ألف كم ٣) تأتي من تبخر مياه اليابسة ثم تنزل هذه بزيادة (٦٥ ألف كم ٣) فيصبح ما ينزل على اليابسة (١٦٥ ألف كم ٣) وهذه الزيادة تؤخذ من مياه البحار والمحيطات وما يزيد أو يطفو على الأرض يعود إلى البحار والمحيطات.

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾: بدأ بالحب؛ لأنه أصل القوت، وأهم أنواع الحب: القمح والشعير والرز والذرة، والحب: هو من أهم مقومات القوت على الأرض يصنع منه الخبز.

﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾: قدم الجار والمجور ليدل على الاهتمام؛ لأنه الغذاء الرئيسي وكان الأغذية بدون الحب، ليست غذاء، يأكلون: بصيغة المضارع لتدل على التجدد والتكرار والاستمرار على وجه الدوام، وقدم الحب على الفاكهة في الآية (٣٤) لأن الحب هو الأهم، أهم من الفاكهة (النخيل والأعناب).

[٣٤] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾:

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ﴾: في الأرض، جنات: بساكنة كثيفة الشجر.

﴿مِّنْ نَّخِيلٍ﴾: من لبان الجنس، من نخيل: أي شجر التمر وهو من أهم الفواكه، وقدم شجرة النخيل التي هي مصدر التمر على شجرة العنب.

﴿وَأَعْنَابٍ﴾: جمع عنب، وذكر النخيل والأعناب إشارة إلى تفضيل هذه الثمار على غيرها أو تفضيل بعضها على بعض في الفائدة الصحية.

﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾: فجّرنا: تفيد الكثرة، فيها: في الأرض، ظرفية، من العيون: من ابتدائية بعضية، العيون: عيون الماء هي المياه الجوفية في باطن الأرض، وأما أعين تعني: التي نبصر بها، فبعض ماء المطر يخزن في الأرض بشكل عيون وذلك بفضل الصخور المسامية والعالية النفوذية كالصخور الرملية



التي تخزن هذه المياه خاصة في الأراضي الخالية من الأنهار والبحيرات، والتي تحتاج إلى ماء فيخرجه ربنا على شكل عيون الماء.

[٣٥] ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾:

﴿لِيَأْكُلُوا﴾: اللام لام التعليل، الأكل هنا من الفاكهة، وأكل الفاكهة ليس دائماً متواصلاً كأكل الحب المتواصل الدائم الذي قال عنه: فمنه يأكلون؛ لأننا نحتاج إلى الحب بشكل دائم، أما أكل الفاكهة التي تؤكل أحياناً قال: ليأكلوا.

﴿مِنْ ثَمَرِهِ﴾: أي ثمر النخيل والأعناب.

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾: ما: نافية أو اسم موصول، أي: ما عملته أيديهم ولكن القدرة الإلهية هي التي أخرجته لهم، أو لم تعمله أيديهم بل أيدينا، أو ليأكلوا من ثمره والذي عملته أيديهم؛ أي: هم الذين قاموا برعايته والعناية به، فאלله سبحانه يعطي الإنسان حقه ودوره مهما كان يسيراً، والاحتمالات كلها واردة وكلها صحيحة.

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري على عدم شكرهم، وتوبيخ وتعجب على ترك الشكر، وألا: أداة حث وحض وتحمل معنى الأمر على شكر المنعم.

وإذا قارنا أفلا يشكرون مع ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٠].

في الواقعة فلولا تشكرون فيها حث وحض على الشكر أشد وأقوى من أفلا يشكرون التي فيها تحذير وتهديد أقوى وأشد من أفلا تشكرون. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠) لمزيد من البيان في معنى الشكر.

﴿٣٦﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

﴿سُبْحَنَ﴾: تنزيه لذات الله وصفاته وأفعاله من كل نقص وعيب وشريك وولد. ارجع إلى سورة الإسراء الآية (١) وسورة الحديد آية (١) للبيان.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾: الأزواج: الأصناف: والزواج يعني الشيء الواحد ومعه مثله، فالله سبحانه خلق كل المخلوقات من نبات وحيوان وإنس وجن والجمادات واللبينات الأولية للمواد في زوجية كاملة مثل الذرة المكونة من الكترون السالب وبروتون (الموجب)، وينطوي تحت هذه المادة وأضداد المادة والطاقة وأضداد المادة، فكل شيء خلقه الله سبحانه خلقه في زوجية كاملة حتى يبقى سبحانه متفرداً بالوحدانية المطلقة.

﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾: من بعض (بعضية)؛ ما: اسم موصول أوسع شمولاً من الذي؛ أصناف (أزواج) الحب والجنات والزرع.

﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: ومن: الواو عاطفة؛ من: للعاقل الزوج الذكر والأنثى.

﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾: مما: من لبيان الجنس، لا: النافية، يعلمون: من أزواج الذكور والأنوثة، والسالب والموجب والمادة وأضداد المادة والطاقة التي قد يعلمها علماء النبات فقط، وهناك أزواج ستبقى مخفية لا يعلمها إلا الله قد يصبح بعضها معلوماً في المستقبل.

﴿٣٧﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾

﴿وَآيَةٌ لَهُمْ﴾: الواو: استئنافية، آية أخرى كونية تدل على عظمة الله وقدرته وتدل على الزوجية وهي الليل نسلخ منه النهار، الليل آية والنهار آية.



﴿لَيْلٌ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾: نحن نعلم أنّ هناك طبقة غازية محيطة بالأرض تبلغ (١٠٠-٢٠٠ كم) تسمى الطبقة المضئية حينما تقع عليها أشعة الشمس (في نصف الأرض المقابل للشمس) تضيء وتعطينا ضوء النهار، والكون كله في ظلام والنصف الآخر من الأرض الغير مقابل للشمس يكون في ليل.

فالطبقة الغازية هي النهار شبهها بجلد الذبيحة وأما جسم الذبيحة يتمثل بالظلام أو الأرض، فعندما تدور الأرض وتبدأ الشمس تتحول شيئاً فشيئاً إلى القسم الآخر من الأرض؛ أي: تغيب عن جزء من الأرض؛ أي: تنسلخ عن ذلك الجزء، وتشرق على جزء آخر، فالليل هو الأصل؛ أي: الظلام وشبهه بالشاة، والنهار هو الطبقة المضئية الغازية المحيطة بالأرض تشبه الجلد، فالله سبحانه وحده القادر على سلخ النهار من الليل (أي محو النهار أو إزالة الطبقة الغازية المضئية عن الليل فإذا هم مظلّمون).

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، إذا للفتحة.

﴿مُظْلِمُونَ﴾: أي دخلوا في الظلام، فهذه الآية تدل على نعمة الله من أكبر نعم عليهم؛ لكي يسكنوا فيه؛ أي: في الليل ثم يأتي ضوء النهار في الصباح فيستر ظلمة الليل، وهذا يدل على كروية الأرض أيضاً.

[٣٨] ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾:

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾: تجري: (مشتقة من جري الحصان) تجري كجري الأمواج صعوداً وهبوطاً؛ أي: بشكل متعرج وتذبذب يميناً وشمالاً، تجري لمستقر لها: فسره العلماء قديماً: تحت عرش الرحمن، والتفسير العلمي تجري بزاوية تميل (١٠) درجات جنوب غرب نجم النسر، والشمس والمجموعة الشمسية تجري باتجاه نقطة محددة تسمى مستقر الشمس (صولر

ايبكس) وتجري أيضاً حول مركز المجرة وتستغرق دورتها (٢٥٠) مليون سنة وتجري باتجاه مستقرها الذي هو (صولر ايبكس). كلمة تجري: تدل على سرعة الجري، تجري بسرعة تقدر (٢١٧) كم في الثانية.

وتجري لأجلٍ مسمى، الأجل: هو يوم القيامة؛ أي: ستبقى تجري وتجري حتى يأتي يوم القيامة، اللام لام النهاية عندها تكون قد استنفدت وقودها وتُخمد وتنطفئ ويذهب نورها كما قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١].

﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾: ذلك ما سبق من حركة وجريان يحتاج إلى علم وحساب وتقدير دقيق لا يستطيع القيام به إلا العزيز العليم، العزيز: الذي لا يُغلب ولا يُقهر الذي سنّ القوانين وكلها خاضعة لعظمته، العليم: بكونه وخلقه وجريان الشمس والقمر والنجوم والكواكب والمجرات، والعليم بكلّ حركة وجري في كونه إلى أين ومتى.

[٣٩] ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾:

﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ﴾: قدرنا: من التقدير والحساب الدقيق، قدرنا مسيره (٢٨) منزلاً ينزل القمر كلّ ليلة في واحد منها لا يتخطّاه ولا يتقاصر عنه ويغيب أو يستتر إذا زاد الشهر عن (٢٨) ليلة (أي ليلتين) ومنازل القمر: مواقع تحركه في مداره حول الأرض ومواقعه بين الشمس والأرض، وتبعاً لتغير هذه المواقع تتغير صورته، فالقمر حجمه ثابت والذي يتغير هو ظل الشمس عليه؛ أي: مساحة النور على سطح القمر، فيكبر ويصغر بأشكال مختلفة تسمى منازل القمر وهي الهلال المتزايد وقرناه إلى الأعلى، والتربيع الأول، والأحدب المتزايد، والبدر، والأحدب المتناقص، والربيع الثاني، والهلال المتناقص قرناه إلى الأسفل، والمحاق، ومنازل القمر قد تعني وقوع القمر في الأبراج التي هي تجمعات



نجمية محددة نستطيع أن نحدد منها الشهر، والأقرب إلى الصحة هي مساحة النور على سطح القمر؛ لقوله تعالى: (حتى عاد كالعرجون القديم).

فإذا كبر وبلغ (١٥) ليلة يصبح بدرًا ثم يعود ظل الشمس ينحني ويدق وينحني ويدق حتى يصبح شكله شكل العرجون القديم يشبه الهلال.

والعرجون: هو غصن النخلة بعد زوال الأوراق ومع الأيام يجف وإذا جف اعوجّ، والعرجون مائل فإذا جفّ ونشف زاد اعوجاجاً ودقة، ففي الأيام الأخيرة يدق القمر وينحني حتى يأخذ شكل العرجون القديم.

[٤٠] ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾:

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾: لا النافية، لا ينبغي: لا يمكن أو يصلح لها، أن تدرك: أن مصدرية تعليلية، تدرك القمر؛ لأن الشمس لها مدار فلك يختلف عن مدار القمر، فهما لا يجريان في المدار نفسه (الفلك) حتى تدرك الشمس القمر أو القمر يدرك الشمس ولكل كوكب أو نجم فلكه أو مداره الخاص به. وهذه المدارات ليست في مستوى أفقي فهي حلزونية؛ أي: تجري في هيئة حلزونية حتى تبقى المسافات والعلاقات بينها ثابتة تجري إلى أجل لا يعلمه إلا الله سبحانه.

﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾: لأن الليل والنهار تابع لدوران الأرض حول نفسها وحول الشمس، فلا الشمس تدرك القمر ولا القمر يدرك الشمس، ولا الليل سابق النهار، الأصل في الكون الظلام فالليل سابق النهار وقوله تعالى: (ولا الليل سابق النهار) يدل على كروية الأرض وكونها تجري حول نفسها وحول

الشمس فخطب الله تعالى العرب في زمن نزول القرآن بلغتهم ولم يقل الأرض تجري؛ لأنهم لا يشعرون بجريها وهذا ما أثبتته العلم في السنين الأخيرة.

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: الواو تدل على وجود أشياء أخرى لها فلک مثل الكواكب الأخرى والمجرات الأخرى ولو أراد فقط الشمس والقمر لقال كل في فلک يسبحان وحذف الواو (واو الجمع) واختار كلمة السباحة التي تضم كل الأجرام السماوية كل جرم يسبح في فلک خاص به؛ أي: مدار خاص به والسباحة يقوم بها الإنسان العاقل.

وكأنه شبه الفلك كأن لها عقلاً؛ لكونها لا يتغير مدارها ولا تصطدم ببعضها.

﴿فِي فَلَكٍ﴾: في ظرفية، فلک: المدار وجمعه أفلاك. يسبحون: تفيد العموم فالأرض والشمس والقمر والنجوم والكواكب والمجرات والغبار والغازات وكل ذرة جميعها تتحرك حركة اهتزازية مركبة، أشبه ما يكون بجسم يطفو على سطح الماء، وهذه الأمواج تتحرك في فلکها حركة اهتزازية تعرجية كأنها تسبح على موجة صعوداً وهبوطاً ولذلك لا يستعمل القرآن كلمة تدور وإنما كلمة (يسبحون) ولذلك يشعر رواد الفضاء حين يخرجون عن نطاق الجاذبية الأرضية كأنهم يسبحون في الفضاء أو يطفون على سطح الماء، وهذا الإحساس حقيقي وليس وهمياً؛ لأنهم ليسوا في فراغ كما قد يظن البعض بل في وسط مادي بكثافة منخفضة.





سُورَةُ النُّورِ ٣٦

الْبَيْتُ الْوَاحِدُ الْغَرِيبُ

وَأَيُّهُ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُمْ مِنْ مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ لَوْيْشَاءِ اللَّهِ أَطَعَمَهُمْ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾
مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾
فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾
قَالُوا يَا بُولُوكُنَا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ
وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا صَيْحَةً
وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

سورة يس [الآيات ٤١ - ٥٤]

[٤١] ﴿وَأَيُّ لَهْمٍ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾:

﴿وَأَيُّ لَهْمٍ﴾: الواو: استئنافية، وآية أخرى لهم.

﴿لَهْمٌ﴾: السلام: لام الاختصاص؛ أي: لهم خاصة لأهل مكة ولكل الناس دالة على قدرة الله وعظمته ورحمته وتدعو إلى الإيمان به.

﴿أَنَا﴾: للتعظيم.

﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: ذرية نوح: أولاده سام وحام ويافت. يعتبر نوح وأولاده والذين نجوا معه هم الأصل الثاني للبشرية، وآدم وحواء هما أصل البشرية الأول. والذرية: الابن وابن الابن وتعني ليس فقط أنتم وإنما كذلك أبناءكم والذين في أصلابكم، ويقصد بذلك الشفرة الوراثية التي انتقلت من نوح وذريته إلى أهل مكة والذين سيأتون من بعدهم إلى يوم القيامة.

ذريتهم: تعود على أولاد نوح، الذرية: النسل؛ أي: الأبناء ذرية للأباء والآباء ذرية للأبناء وهذا من الأضداد، وفي هذه الآية جعل الآباء ذرية للأبناء.

﴿فِي الْفُلِّ﴾: في ظرفية، الفلك: تطلق على المفرد والجمع؛ تعني: السفينة والفلك كلمة عامة (مطلقة) أما السفينة خاصة أي: لها أصحاب مثال: (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر).

﴿الْمَشْحُونِ﴾: المملوءة بالركاب والأمتعة.



[٤٢] ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾:

﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ﴾: للناس، من: ابتدائية.

﴿مِثْلِهِ﴾: مثل سفينة نوح، مثل الفلك وتعني: القطارات والسيارات والطائرات والمراكب والزوارق والسفن وغيرها من وسائل المواصلات.

﴿مَا﴾: للإطلاق.

﴿يَرْكَبُونَ﴾: فعل مضارع تفيد التجدد والتكرار والاستمرار.

[٤٣] ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال والافتراض.

﴿نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾: الكلام عن كفار مكة وغيرهم من الناس.

﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾: الفاء جواب شرط، لا: النافية، صريح لهم: فلا يستطيعون الصراخ أصلاً حتى يصرخوا؛ لأن الغريق يحاول أن يصرخ (والصريح الصوت المرتفع العالي) ولا أحد ينقذهم ولا يغيثهم بأي وسيلة.

﴿وَلَا هُمْ﴾: تكرار (لا) يفيد التوكيد، هم: تفيد زيادة التوكيد.

﴿يُنْقَذُونَ﴾: من غرقهم؛ أي: ينجون من الموت.

وقد يقول قائل: أهل مكة بعيدون عن البحر ولا يعرفون البحر فالمعنى: الله سبحانه يستطيع أن يغرقهم وهم في مكة، كأن ينزل عليهم ماء منهمر يسبب الطوفان فيصيبهم كما أصاب قوم نوح.

[٤٤] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾: أي لرحمة منا فلا نغرقهم، وقوله: (رحمة منا)؛ أي: رحمة



عامة تشمل الكل، ولو قال: رحمة من لدنا، أو رحمة من عندنا؛ لكانت رحمة خاصة تعني المقربين والمؤمنين.

﴿وَمَتَّعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾: أي: نتركهم أحياء إلى أن يحل أجلهم، والمتاع والتمتع هو كل ما يُستفاد به ويُتَمَتَّع به من أثاث وأداة ومال وطعام حتّى ينقضي أجلهم.

﴿إِلَىٰ﴾: تفيد عموم الغايات.

﴿حِينٍ﴾: الحين هو الزمن غير المعلوم قد يطول أو يقصر.

[٤٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث، لا بد من وقوع الأمر الذي جاء في سياقها.

﴿قِيلَ لَهُمُ﴾: للكفار وغيرهم، القائل مبني للمجهول، ولا يهم، المهم هي المقولة؛ أي: ننظر إلى المقولة، وقيل لهم تدل على أن هذه المقولة قيلت لهم مراراً وتكراراً؛ أي طلب منهم.

﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: اتقوا: التقوى: هي طاعة أوامر الله، وتجنب نواهيه للوقاية من عذاب الله (عذاب النار)؛ ما: بمعنى الذي، أو مصدرية، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: أي اتقوا الدنيا؛ أي: عذابها ونوازلهآ وآفاتها، والوقاية تكون بامتنال أوامر الله تعالى ورسوله ﷺ.

﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: وهي الآخرة؛ أي: عذابها؛ أي: اجعلوا بينكم وبينها وقاية أو حاجزاً.

وما بين أيديكم: قد تعني أمامكم؛ أي: الآخرة وما خلفكم الدنيا، على الحاليتين اتقاء ما تقدم وما تأخر.



﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لعل: تفيد التعليل؛ أي: لعلكم ترحمون الآن أو في المستقبل أو الماضي؛ أي لعلكم ترحمون مطلقاً في أيّ زمان.

لعلكم ترحمون: إذا اتخذتم الأسباب مع رجاء الرحمة معاً واتخاذ الأسباب لا يكفي فلا بد من دعوة الله ورجائه.

وترحمون بصيغة المضارع تفيد التجدد والتكرار، وحذف جواب إذا للتفخيم والتعظيم، ليشمل كلّ الاحتمالات.

ولمعرفة الفرق بين (لعلكم ترحمون) و(عسى ربكم أن يرحمكم) ارجع إلى الآية (٨) من سورة الإسراء للبيان.

[٤٦] ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استثنائية، ما: نافية تفيد نفى الحال؛ أي الآن مقارنة باستعمال (لا) تنفي كلّ الأزمنة وخاصة المستقبل.

﴿تَأْتِيهِمْ﴾: أي كفار مكة أو غيرهم من الكفار، تأتاهم: فعل مضارع يدل على التجدد والتكرار والاستمرار والدوام على الإعراض عن آيات الله وهي عادة مستمرة عندهم وفي كلّ زمان.

﴿مِنْ آيَةٍ﴾: من استغراقية، آية: قرآنية أو كونية أو معجزات دالة على صدق النبوة أو غيرها من الآيات.

﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: إضافة (ربهم) إلى الآيات تدل على أهمية وخطورة هذه الآيات وشدة عاقبة الإعراض عنها وأهمية الأخذ بها مقارنة بقوله: من الآيات بدون ذكر كلمة: ربهم، لكان الأمر أقل خطورة.

﴿إِلَّا﴾: حصراً.

﴿كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: جمع معرض: اسم فاعل يفيد الثبوت على إعراضهم

الدائم فهم كانوا قبل إتيان الآيات وبعد الإتيان على الحال نفسها من الإعراض عنها، ولو قال أعرضوا؛ أي فعل ماض، لدل على أنه شيء حدث وانتهى؛ أي شيء عارض وزال.

﴿عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: تقديم (عنها) للقصر؛ أي الإعراض خاص بآيات الله ومقصود عليها، أما غيرها من الأمور فكانوا غير معرضين عنها.

[٤٧] ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾:

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٤٥).

﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: أي أمروا أو حضوا على الإنفاق في سبيل الله من مال أو طعام أو غيره، مما: من وما، من ابتدائية بعضية، وما تعني الذي اسم موصول، وأوسع شمولاً من الذي.

﴿رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: أي أنفقوا شيئاً وليس كل ما رزقكم الله؛ أي جزءاً بسيطاً مما رزقكم الله أو مما جعلكم مستخلفين فيه.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ﴾: الهمزة للاستفهام والإنكار والتعجب.

﴿مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾: أي كيف نطعم هؤلاء الذين امتنع الله عن رزقهم؟ فلو شاء الله هو أطعمهم ورزقهم، فلو فعلنا ما تأمروننا لكننا مخالفين لأمر الله ومشيتته، وقالوا: أطعمه، ولم يقولوا لأطعمه، لم يأتوا بلام التوكيد؛ لأن الطعام ميسور ومتوفر لديهم فلا يحتاج إلى توكيد، كما هو الحال مثلاً في أمر الهداية الذي يحتاج إلى توكيد فقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩].

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: إن نافية أقوى نفياً من ما؛ أي: ما أنتم.



﴿إِلَّا﴾: أداة حصرًا.

﴿فِي﴾: ظرفية ولم يقل على ضلال؛ لأن (في) تعني: ساقطين في الضلال أو في ضلال يحيط بهم من كل جانب أو مستمرين في ظلمات الضلال وما هم بخارجين منها.

﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: في ضلال: في بُعد عن الحق وفساد وعصيان، مبين: ظاهر جلي غير خفي على أحد، ولا يحتاج إلى دليل أنه ضلال واضح بين.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿وَيَقُولُونَ﴾: تعود على كفار مكة أو غيرهم من الكفار، (يقولون) تدل على الاستمرار وعدم الانقطاع والتجدد والتكرار في سؤالهم: متى هذا الوعد؟

﴿مَتَى﴾: استفهام إنكاري واستبعاد؛ أي: هم ينكرون البعث والحساب والجزاء والجنة والنار.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقريب.

﴿الْوَعْدُ﴾: يوم القيامة أو العذاب والحساب والجزاء، والوعد عادة يدل على البشارة بالخير، بينما الوعيد يدل على الإنذار والتخويف، فبدلاً من القول: متى هذا الوعيد؟ قالوا: متى هذا الوعد؛ لأنهم لا يصدقون به سواء كان عذاباً أو يوم القيامة.

﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: إن شرطية تفيد الشك والافتراض والاحتمال وأنكم من الصادقين؛ أي: إن كنتم من الصادقين اتوا يوم القيامة أو بالعذاب؟

[٤٩] ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾:

﴿مَا﴾: النافية.

﴿يَنْظُرُونَ﴾: من النظر وهو: وقوع الشيء من غير ترقب له؛ أي: فجأة من



غير توقع حدوثه وبسرعة بعكس ما يتظنون: أن يكون هناك زمن للاستعداد له أو الهروب أو النجاة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ﴾: الصَّيْحَةُ: نفخة إسرائيل الأولى في الصور، نفخة الصعق والموت تأخذهم بغتة وبشدة.

﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾: هم ضمير فصل يفيد التوكيد؛ أي: تفاجئهم الصَّيْحَةُ وهم يتخاصمون في معاملاتهم، أو يجادل بعضهم بعضاً في أمور الدنيا وفي أموالهم وشرابهم وطعامهم وبيعتهم وشرائهم، يَخِصِّمُونَ: أصلها يختصمون، على وزن يفتعلون، بكسر الخاء، ففي هذه الآية إنذار للغافلين عن الموت والبعث والحساب.

[٥٠] ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، لا النَّافِيَةُ.

﴿يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾: لا يستطيعون أن يوصي بعضهم إلى بعض بما له من أملاك وما عليه من ديون أو يوصي بالوصية أو الميراث، أو حتَّى يكلمهم أو يخبرهم بأي وسيلة.

﴿وَلَا﴾: الواو استئنافية، لا النَّافِيَةُ، وتكرار (لا) يفيد التوكيد، توكيد النَّفْيِ.

﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾: أي ولا يستطيعون الرجوع إلى منازلهم وإلى أهلهم فلا يستطيعون التَّوصِيَةَ ولا يستطيعون الرجوع ولا كلاهما؛ أي: لا يرجعون من أماكن عملهم أو مصانعهم أو مزارعهم أو دوائر أعمالهم، من سياراتهم ومن الشوارع والأسواق إذا كان يمشون فيها.

وبعد نفخة الفزع ونفخة الصعق لا يبق على ظهرها من دابة، ويحدث



الانهيار الكوني، وقيام الساعة، وتموت الخلائق، وتبدل الأرض والسماء، وهكذا حتى تحدث النفخة الثانية نفخة البعث والقيام.

[٥١] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾:

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما بين النَّفختين أربعون) قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيتُ (ثم يُنزل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل) قال: وليس من الإنسان شيء إلا يبلَى، إلا عظماً واحداً وهو عَجَب الذَّنْب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة. متفق عليه، واللفظ لمسلم، ومعنى قول أبي هريرة: (أبيتُ) امتنعت عن الجواب لأنِّي لا أدري ما هو الصَّواب، (وعجب الذَّنْب) هو العظم الذي في أسفل العمود الفقري، وهو رأس العُصعص، ويقال له: (عجم) بالميم، وهو أول ما يخلق من الآدمي، وهو الذي يبقى من الإنسان ليعاد تركيب الخلق منه يوم البعث كما بينت الأحاديث النبوية الصحيحة.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: النَّفخة الثانية نفخة البعث أو القيام، والنَّفخة الأولى كانت نفخة الفزع والصَّعق، والنَّفخة علامة للحدث؛ وهو الإحياء والبعث والقيام للحساب والجزاء.

﴿فَإِذَا هُمْ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، إذا: ظرفية تفيد الفجأة، هم الثَّقَلين الإنس والجن.

﴿مِّنَ الْأَجْدَاثِ﴾: من ابتدائية، الأجداث: جمع جدث وهو القبر ساعة خروج الميت منه وما يحدث فيه من حركة سريعة تحدث أصوات وضجة بعد أن كان ساكناً هامداً منقطع الحركة.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد القصر فقط إلى ربهم.

﴿يَنْسِلُونَ﴾: يسرعون إلى أرض المحشر، من النسل، وهو مقاربة الخطوات مع الإسراع، يقال: نسل في مشيته؛ أي: أسرع، أو الثوب ينسل؛ أي: تخرج بعض الخيوط من أماكنها أو تنفلت.

[٥٢] ﴿قَالُوايَوَيْلَنَا مِنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: وهم يخرجون من الأجداث؛ أي الكفار قالوا لأنفسهم يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا، وهم يساقون إلى أرض المحشر.

﴿يَوَيْلَنَا﴾: ويدعون على أنفسهم يا هلاكنا؛ أي: أقبل أو يا حسرتنا أو يا مصيبتنا.

﴿مِنْ﴾: استفهامية تحمل معنى الدهشة والتعجب.

﴿بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾: البعث: هو الإيقاظ بإزعاج والإثارة والحث على الخروج بسرعة، من مرقدنا: ولم يقولوا من قبورنا؛ لأنهم كانوا يظنون أنهم كانوا نائمين وما زالوا في دار الدنيا، وقيل: لأن الله رفع عنهم العذاب ما بين النفتختين، من: ابتدائية، مرقدنا: مكان نومنا والمصدر هو: الرقاد، والبعث يكون من الأرض الجديدة.

﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾: هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب ويشير إلى البعث والحشر وأحوال يوم القيامة.

ما وعد الرحمن: ما اسم موصول بمعنى: الذي وعد الرحمن، أو مصدرية أي: هذا وعد الرحمن.

هذا ما وعد الرحمن: أي هذا يوم البعث هذا هو الجواب على سؤالهم: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين.



واختار اسم الرحمن: المشتق من الرحمة التي بحاجة إليها المؤمن وغير المؤمن والحديث عن دار الآخرة والاستعداد لها رحمة من الله. وصدق المرسلون: حين أخبرونا، عن البعث والحشر والحساب ويوم القيامة.

[٥٣] ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾:

﴿إِنْ﴾: نافية أقوى في النفي من ما، أو إن المخففة تفيد التوكيد.

﴿كَانَتْ إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: واحدة للتأكيد وهي نفخة البعث (النفخة الثانية) النفخ في الصور وهي علامة على البعث.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، إذا الفجائية.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿جَمِيعٌ﴾: تعني الكل مجموعون في مكان واحد ومجتمعون تحت سقف السماء الجديدة، وجميع: تدل على الكثرة مقارنة بكلمة الجم التي تدل على القلة، جميع: توكيد ولم يقل كل؛ لأن الكل تعني مجموعون فقط بينما جميع تعني مجموعون ومجتمعين.

﴿لَدَيْنَا﴾: تدل على القرب وتدل على الحصر والقصر.

﴿مُحْضَرُونَ﴾: جمع مُحْضَر؛ أي أُجبر على الحضور أو أُكره، حاضرون في مكان واحد ومجتمعون في أرض المحشر، للمثول بين يدي الله سبحانه وتعالى، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (١٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (١٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿[مریم: ٩٣-٩٥].



[٥٤] ﴿فَالْيَوْمَ لَا تَظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿فَالْيَوْمَ﴾: الفاء للتوكيد، اليوم: بآل التعريف؛ أي يوم القيامة.

﴿لَا تَظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾: لا النافية، تظلم نفس: ينقص من أجرها شيئاً ولو كان مثقال ذرة أو حسنة، ولا تظلم بزيادة سيئة إلى سيئاتها، والظلم هو نقصان حق الغير، نفس: نكرة تعني: أي نفس مؤمنة أو غير مؤمنة، شيئاً: نكرة تعني: شيئاً من الظلم أو شيئاً من الأشياء مهما كان نوعه وصغره مادياً أو غير مادي، والشيء هو أقل القليل.

﴿وَلَا تُجْزَوْنَ﴾: الواو عاطفة، لا النافية، تجزون: التّون للتوكيد، تجزون: من الجزاء، والجزاء بمقدار العمل؛ أي: بمقدار ما كنت تعمل تجزى والجزاء من جنس العمل إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر، هذا بالنسبة للكافر أمّا المؤمن يجزى أضعافاً مضاعفة ويجزى بأحسن ما كانوا يعملون.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَا كُنْتُمْ﴾: ما بمعنى الذي كنتم: في الدنيا.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: العمل يشمل القول والفعل؛ أي: ما كنتم تقولون وتفعلون.





سُورَةُ الْاِنشَاءِ ٣٦

الْبَيْتُ الْاَلَاخِرُ



اِنْ اَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَاَزْوَاجُهُمْ
 فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِونُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ
 مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَامْتَرُوا الْيَوْمَ
 أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا
 تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي
 هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا
 أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ
 ﴿٦٣﴾ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ
 عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا
 الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ
 عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾
 وَمَنْ تُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾
 وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ
 ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾



سورة يس [الآيات ٥٥ - ٧٠]

[٥٥] ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَّهُونَ﴾:

بعد ذكر الآيات الدالة على البعث، يبين الله ما أعدّه لأصحاب الجنة وما أعدّه للمجرمين فقال تعالى:

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾: إنَّ للتوكيد، أصحاب الجنة: سكانها وأهلها بما قدموا من العمل الصالح والإيمان، وأصحاب من الصَّحبة: تعني عدم المفارقة، فالجنة صاحبة لهم وهم أصحاب لها لا يفارقونها وهي لا تفارقهم في صحبة دائمة لا تنقطع.

﴿الْيَوْمَ﴾: أي يوم القيامة.

﴿فِي شُغْلٍ﴾: في ظرفية، شغل: مشغولون؛ أي: ليس عندهم وقت فراغ، فهم مشغولون بالتَّعِيم الدائم، لا يحدث لهم ملل من الفراغ بل هم في شغل متعة ولذة لا تعب ولا نصب وإعياء.

﴿فَكِّهُونُ﴾: من الفكاهة: وهي طيب العيش والنشاط وقد تعني: فرحون مسرورون ناعمون. فاكهون غير فكِّهون: من الفكِّه والفاكهة، فاكهون: أوسع وأعم ومطلقة في كلِّ الأوقات وغير مقيدة كما هو الحال في فكِّهين. ارجع إلى سورة الطور الآية (١٨) لمزيد من البيان.



[٥٦] ﴿هُم وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونَ﴾:

﴿هُم وَأَزْوَاجُهُمْ﴾: هم للتوكيد، وأزواجهم: نساؤهم (من أهل الدنيا) وحين يذكر الأزواج في القرآن لا يذكر معها الحور العين.

﴿فِي ظِلِّ﴾: جمع ظل، في ظلال لا شمس في الجنة ولا حر ولا برد، بل ظلال، والظل من أحدى نعم الله تعالى على الناس، وفي سورة آية (٥٧) قال وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿والمكان الظليل؛ أي: ذو ظل وظل ظليل؛ أي: دائم الظل، والظل المكان الذي لا تصله أشعة الشمس بسبب حاجز أو مانع، وبالتحديد يكون في الغداة أول النهار، والفياء يكون عادة في العشي (الأصال)؛ فالظل يتحرك أو ينتقل من جهة الغرب إلى جهة الشرق ويتمدد وينقبض. ارجع إلى سورة الفرقان آية (٤٥-٤٦)، والظل له أنواع كما ورد في آيات القرآن منها الغمام البقرة آية (٢١٠) ﴿ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧] ﴿وَزِلْ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]، ﴿ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات: ٣٠] وغيرها... والظل: قد يطلق على الظل النافع أو العذاب (الضار) حسب سياق الآيات. ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: جمع أريكة: وهو السرير؛ أي: أسرة للجلوس عليها؛ أي: المقاعد المريحة بكل أنواعها وأشكالها.

﴿مُتَكُونَ﴾: اتكأ: اضطجع والاتكاء يدل على تمام الراحة والدوام والثبات.

[٥٧] ﴿هُم فِيهَا فَكِكُهُمْ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾:

﴿هُم﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، لهم وحدهم فقط.

﴿فِيهَا﴾: في الجنة ظرفية.

﴿فَكِكُهُمْ﴾: اسم جنس تشمل كل أنواع الفكاهة، فهي أعم وأشمل من فواكه وتشمل الواحدة أو الاثنتين أو الجمع بينما فواكه تقال للأنواع.



﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾: تكرر لهم يدل على التوكيد، يَدْعُونَ: مشتقة من: الدَّعاء؛ أي: كل ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم؛ أي: ما يتمنون، يرغبون، يطلبون، يشتهون. وإذا قارنا ما يدعون في هذه الآية ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ [فصلت: ٣١].

في سورة فصلت: أطلق ما تدعون على كل ما تشتهيهم أنفسهم سواء طلبوه أم لم يطلبوه فأحياناً يشتهى ولا يطلب.

في سورة يس: حدد بالطلب؛ وذلك لأنَّ صنف أهل الجنة في سورة فصلت أعلى درجة ومنزلة من صنف أهل الجنة في سورة يس.

[٥٨] ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾:

﴿سَلَامٌ﴾: مطلق غير محدد، سلام: نكرة وتنكيره للتعظيم ولم يقل السلام: سلام يشتمل على ثلاثة أنواع: سلام تحية وسلام أمن واطمئنان وسلام من كل الآفات والأضرار والمكروهات.

﴿قَوْلًا مِنْ رَبِّ﴾: من ابتدائية، رب رحيم: سلام من رب رحيم: أي الله سبحانه يسلم عليهم بواسطة الملائكة الذين ينقلون سلامه، وسلام من الملائكة عندما يدخلون عليهم، وسلام بعضهم لبعض، سلام خالص لا شوب فيه.

ولو قال السلام، لحدّد السلام بنوع واحد وهو سلام التحية، وقولاً: توكيد، ويعني: سلام يقال لهم قولاً، وهو مُرسلٌ أو آتٍ من رب رحيم. وتنوين (رب) يفيد التعظيم.

[٥٩] ﴿وَأَمَّنُوا أَيَّامَ الْمُجْرِمُونَ﴾:

بعد الحديث عن أصحاب الجنة ينتقل إلى الحديث عن المجرمين.

﴿وَأَمَّنُوا أَيَّامَ﴾: يوم القيامة انفردوا تميّزوا عن المؤمنين.



﴿أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾: نداء إلى المجرمين الكافرين والمشركين والظالمين،
والهاء في أيها للتنبيه، يقال للمجرمين: ابتعدوا عن المؤمنين. ارجع إلى سورة
الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنى المجرمون.
[٦٠] ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام.

﴿أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾: أي أوصيكم أو أمركم، والعهد: قد يكون تكليف أو
وصية أو أمر، وعهد إليه إذا وصّاه.

﴿يَبْنَىءَ آدَمَ﴾: يا النداء للبعد، بني آدم: ولم يقل يا أيها الناس.

ينادي على الناس ببني آدم في سياق مقام التكريم، أو حين يريد أن يذكرهم
بعداوة الشيطان لآدم، ولبني آدم.

﴿أَنْ﴾: مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

﴿لَا﴾: الناهية.

﴿تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾: كل خروج عن الشرع أو المنهج الرباني هو طاعة
للشيطان؛ أي: عبادة له، وعبادة الشيطان تعني طاعته واتباع خطواته ووسوسته
ونزغاته وتزيينه، وعبادته تعني الخضوع له والاستسلام بالأقوال والأفعال.

﴿إِنَّهُ لَكُمْ﴾: إنه للتوكيد، لكم: اللام لام الاختصاص؛ أي: لكم خاصة أو
خاص بكم؛ أي وظيفته عداوتكم.

﴿عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: ظاهرة العداوة؛ لأنّ العداوة قسمان: قسم ظاهر وقسم
خفي (باطن) لا تنسوه بالإضافة إلى القسم الظاهر.

فعدو مبين؛ أي: عداوته ظاهرة وجلية لكل فرد وعداوته غير خفية لا تحتاج إلى برهان أو دليل.

[٦١] ﴿وَأَنْ أَعْبُدُ فِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾:

﴿وَأَنْ﴾: مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

﴿أَعْبُدُ فِي﴾: من العبادة وهي: طاعة العابد للمعبود في أي أمر وفيما نهى عنه: افعل أو لا تفعل، والعبادة لها منهج ولها جزاء ولا تكون إلا للخالق وحده. ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣) لمزيد من البيان في معنى العبادة.

وأن اعبدوني: لم يحذف ياء المتكلم في هذه كما هي الحال في آية الأنبياء (٢٥ أو ٩٢)؛ أي أطيعوني ووحّدوني؛ لأن السياق في آية ياسين في مقام التوحيد وعدم الشرك وتجنب الشيطان والإخلاص لله تعالى فقد أكبر على عبادة الله وحده مقارنة بعبادة الأصنام والأوثان التي لا تفيد ولا تضر.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب؛ ويعني الصراط المستقيم.

﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾: الصراط: هو أوسع السبل المستقيم الموصل للغاية بأقصر مسافة وزمن والخالٍ من العوائق أو المصاعب، والصراط المستقيم يقصد به الدين الحق دين الإسلام؛ أي: عبادة الله وحده.

وقدّم النهي عن عبادة الشيطان على الأمر بعبادة الله وحده؛ لأنّ عبادة الشيطان تفسد عبادة الله ولا تنفع معها؛ أي: عبادة أو طاعة لله تعالى لذلك بدأ بالنهي عن عبادة الشيطان.



[٦٢] ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: عاطفة، لقد: اللام للتوكيد، قد للتحقيق؛ أي: قد أضل منكم جبلاً كثيراً.

﴿أَضَلَّ مِنْكُمْ﴾: ولقد أخرج الكثير منكم عن الصراط المستقيم وأضلهم؛ أي: أغواهم وأبعدهم من الحق وزين لهم الباطل والشرك ومعصية الله، أضل منكم الكثير بالوسوسة والتزيين والإغراء والتزغ.

﴿مِنْكُمْ﴾: خاصة.

﴿جِبِلًّا﴾: خلقاً، وجبلاً مشتقة من كلمة الجبل: الذي يتميز بشدته وصلابته وعلوه منهم كانوا كالجبال قوة وشدة.

﴿كَثِيرًا﴾: خلقاً أو أقواماً كثيرين كانوا أشداء وأقوياء، وكانوا أقوى منكم فأصبحوا جنداً للشيطان وأتباعه.

واختار كلمة جبلاً؛ لأنها تعني الكثرة والشدة والغلظة.

﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾: أفلم استفهام للتوبيخ والإنكار، والفاء: للتوكيد أي: لم لا تفكرون بعاقبة أمركم من اتباع الشيطان؟

أو: لو عقلتم لتوصلتم إلى الحق وتبتم وأنبتم إلى ربكم ولما اتبعتم الشيطان. أو: كيف ضللتكم واتبعتم الشيطان بعد أن حذرناكم منه وقلنا لكم: إنه لكم عدو مبين. ولمعرفة الفرق بين أفلم، أولم، ألم: ارجع إلى سورة السجدة آية (٢٦)، وارجع إلى الآية (٣١) من نفس السورة.



[٦٣] ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾:

تقول لهم خزنة جهنم: هذه النار التي كنتم توعدون، أو ينادي منادٍ أو الله سبحانه بعد أن يقفوا أمامها وعلى شفيرها.

﴿ هَذِهِ ﴾: الهاء للتنبيه، ذه: اسم إشارة للتأنيث والقرب.

﴿ جَهَنَّمُ ﴾: اسم من أسماء النار أو دركة من دركاتها. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان في معنى جهنم.

﴿ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾: كنتم توعدون بها في الدنيا على السنة الرسل، ونحن قد حذرناكم منها ومن شرها في آيات القرآن الحكيم.

﴿ تُوعَدُونَ ﴾: من الوعد، والوعد يأتي في سياق الخير عادة واستعمل هنا للاستهزاء بهم والتوبيخ، توعدون: فعل مضارع يدل على التجدد والتكرار والاستمرار.

[٦٤] ﴿ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾:

﴿ أَصْلَوْهَا ﴾: اصطلوا بها أو احترقوا بها أو ادخلوها وقاسوا حرّها، جواباً للوعد الذي سألتهم عنه مراراً وتكراراً: متى هذا الوعد؟

﴿ الْيَوْمَ ﴾: ادخلوها في هذا اليوم (يوم القيامة).

﴿ بِمَا ﴾: الباء للإصاق بآء البدلية أو السببية.

﴿ كُنْتُمْ ﴾: في الدنيا

﴿ تَكْفُرُونَ ﴾: ولم يقل: بما كفرتم؛ تكفرون: بصيغة المضارع لتدل على تجدد كفرهم، وكأنه مستمر دائم، وأنهم ماتوا وهم كفار؛ أي: تجحدون بالله ولا



تؤمنون به، وتجددون بنعمه: تكفرون من الكفر والكفر نقيض الإيمان، والكفر نقيض الشكر، والكفر: لغةً هو الستر. ارجع إلى سورة البقرة آية (٦) لمزيد من البيان في معنى الكفر.

[٦٥] ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾:

﴿الْيَوْمَ﴾: يوم القيامة.

﴿نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾: نختم: بصيغة الجمع: للتعظيم؛ أي: يختم الله سبحانه على أفواههم في يوم القيامة، كما ختم على قلوبهم في الدنيا فلا يدخلها إيمان، ولا يخرج منها كفر؛ أي: يمنعهم من الكلام حتى لا يعتذروا ولا يستعتبوا، فالمقام مقام حساب فلا جدوى من الاستغفار والاعتذار فقد انتهى زمن التكليف وزمن الكلام وحان زمن الختم على الأفواه، فلم يعد للسان دور، وتقيّد الألسن لتتلق الجوارح.

﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾: تكلمنا أيديهم تطوعاً لا أمراً ولا إكراهاً.

﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾: تتطوع الجوارح بالشهادة مثل الأرجل والسمع والأبصار والجلود والأيدي ومع أنها هي الجوارح نفسها التي فعلت المعاصي والذنوب في الدنيا فهي لا تشهد على ذاتها؛ أي الأيدي لا تشهد على الأيدي نفسها أو الأرجل على الأرجل إنما تشهد على النفس التي أخضعت الجوارح وأمرتها أن تسير حسب هواها وشهواتها، فالجوارح والأعضاء في الآخرة تتحرر من تبعيتها للنفس وتصبح تابعة لله سبحانه وحينذاك الأيدي تتكلم وتشهد الأرجل، ولكن لماذا نسب الكلام إلى الأيدي والشهادة للأرجل؟ لأن معظم



الأعمال تقوم بها الأيدي وما دامت أنّ الأيدي أصبحت المدّعية في محكمة الحق سبحانه فالأيدي تحتاج إلى شاهد فتتطوع الأرجل فتشهد؛ فقد روى مسلم والنسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقول العبد يوم القيامة: لا أجزى علي إلا شاهداً من نفسي فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، فيختم على فيه، ويقال لأركانہ انطفي، فتتطق بعمله، ثم يُخلَى بينه وبين الكلام، فيقول: بعداً لكنّ وسحقاً، فعنكن كنت أناضل». واختار في هذه الآية الأيدي والأرجل، وفي سورة النور آية (٢٤) قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمُ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أضاف الألسنة، وفي سورة فصلت آية (٢٠) قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهُمْ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أضاف السمع والأبصار والجلود، وإذا جمعنا الشهود نجدهم أصبحوا (٦) شهداء، وإذا أضفنا إلى هؤلاء الستة الملائكة الكتبة عن اليمين وعن الشمال والأرض التي يمشي عليها والسماء التي يمشي تحتها يصبح عدد الشهداء (١٠) شهداء، والرسول صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: ٤٣] سبحانه الله ألا يكفي ذلك؟!

أما كيف تنطق الأيدي؟! فلو نظرت إلى اللسان والأيدي الكل يتركب من عضلات ودم وأعصاب فمن أنطق اللسان يمكن أن ينطق الأيدي، والأمر ليس صعباً على الله تعالى.

﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: الباء للإلصاق، وما بمعنى الذي أو مصدرية: بما كسبتم، والكسب: هو الفعل العائد على فاعله بنفع أو ضرر، والكسب يحتاج إلى تدريب وتكرار، والكسب تقوم به الجوارح والجوارح تسمى كواسب وحين يعمل الإنسان المعصية أو السيئة ويفرح بها ويتحدث بها يعتبرها كسباً، ولم يقل



بما كانوا يعملون؛ لأنّ الكسب يحتاج إلى العلم بما يكسب أو يعمل، والعمل: لا يحتاج إلى العلم بما يعمل.

[٦٦] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾:

﴿وَلَوْ نَشَاءُ﴾: الواو حرف عطف، لو شرطية.

﴿لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾: اللام للتوكيد، طمسنا على أعينهم: الطمس إزالة العين كاملة والجفن والشق والمكان، فلا يكون هناك أي أثر يدل على أنه كانت هناك عين، ولنعلم أنّ الطمس هو المحو والإزالة وهو على نوعين:

١ - الطمس على العين كما ورد في هذه الآية؛ يعني إزالة الأصل والأثر والعين كاملاً، فلا حاجب ولا جفن ولا أي أثر للعين.

٢ - والنوع الثاني: هو طمس العين كما ورد في سورة القمر آية (٣٧) ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ بدون كلمة على، فهذا الطمس يعني العمى المؤقت (رغم وجود العين وما حولها) كما حدث لقوم لوط ؑ: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فِي الدُّنْيَا فَأَصْبَحُوا بِدُونِ أَعْيُنٍ﴾. فالطمس في سورة يس أشد وأعظم تهديداً ووعيداً مما في سورة القمر.

﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾: الفاء جواب الشرط، استبقوا الصراط؛ أي: بادروا إلى الإسراع؛ ليسيروا ويتسابقوا للوصول وللسير في شوارعهم وطرقهم المألوفة لهم والسهلة الواسعة لما استطاعوا، ناهيك عن الطرق الضيقة والفرعية.

ولكن لم نفعل ذلك، رحمة بهم لعلمهم يتوبون ويرجعون.

﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾: الفاء للتوكيد، أنى تعني: كيف ومن أين؟ وللتعجب والاستفهام المؤكد، أنى يبصرون: أمامهم أو العودة إلى منازلهم، فيقفون في



أماكنهم لا إلى الأمام ولا الخلف، وهذا تهديد لكفار مكة وتهديد لكل كافر بالطمس على أعينهم حتى يخاف الله سبحانه. ولها معانٍ أخرى منها: ولو نشاء لأعميناهم وأضللناهم عن الهدى؛ أي: عمى البصيرة؛ فأنى يبصرون الحق ولكننا لم نفعل رحمة منا لعلهم يرجعون.

[٦٧] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَهُمْ عَلَىٰ مَكَاتَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾:

وهناك أشد من الطمس على الأعين وهو المسخ.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ﴾: الواو عاطفة، لو: شرطية.

﴿لَمَسَخْنَهُمْ عَلَىٰ مَكَاتَتِهِمْ﴾: اللام للتوكيد، مسخناهم: من المسخ والمسخ تعريفاً: هو تحويل صورة إلى صورة أبشع أو أقبح منها إهانة وإذلالاً.

﴿مَكَاتَتِهِمْ﴾: في أماكنهم، والمكانة قد تعني على حالتهم؛ أي: يجمدهم فلا يستطيعون أي حراك، أو تحويلهم إلى حجارة أو غيرها من الحيوانات الكريهة المنظر.

﴿فَمَا﴾: الفاء جواب الشرط، ما: النافية.

﴿اسْتَطَعُوا مُضِيًّا﴾: المضى هو الابتعاد عن مكان الإقامة أو الذهاب إلى مكان آخر، والمضى هنا مطلق لم يحدد؛ أي: أرادوا المضى إلى أي شيء فلا يستطيعون الذهاب إليه سواء أرادوا أم لم يريدوا، ففي كلا الحالتين لا يستطيعون؛ لكونهم تجمدوا في مكانهم ولا يستطيعون الحركة.

﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾: لا لتوكيد النفي، لا يرجعون: لم يحدد نوع الرجوع إلى أين لا إلى أهلهم ولا إلى غير أهلهم ولا إلى ما كانوا عليه سابقاً، كما ورد في



الآية (٥٠) السابقة وحينما يقول: (ولا إلى أهلهم يرجعون) أسهل وأهون عليهم من القول ولا يرجعون (لأنه لم يحدد الرجوع إلى أي شيء) وهذا تهديد أشد من التهديد الأول لكفار مكة وغيرهم من الكفار.

[٦٨] ﴿وَمَنْ نَعْمَرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾:

المناسبة: ثم يحذر الله سبحانه من إضاعة مرحلة الشباب والفتوة وما قد يحدث له في المستقبل إذا بقي حياً.

﴿وَمَنْ﴾: الواو استئنافية، من بمعنى الذي، ومن تعني: العاقل، وتشمل المفرد والجمع.

﴿نَعْمَرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾: نعمره: أي نمده له أو نطيل له في عمره، نعمره تدل على الحاضر حالة مستمرة إلى الآن، ننكسه في الخلق: نقلبه إلى الأسفل، وقيل: الانتكاس العودة إلى الوراء والرجوع إلى ما كان عليه أولاً؛ أي: ننكس خلقه فنجعل مكان القوة ضعفاً وبدل الشباب الشيخوخة فكأن طول العمر يعود بالإنسان إلى طفولته فيصبح الإنسان هرماً لا يستطيع الحراك بسهولة، وتضعف ذاكرته وأجهزته وقدرته على المشي.

﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾: الهمزة همزة إنكارية على عدم العقل وتوبيخ على أفعالهم، وألاً: أداة حض وتنبيه وتحمل معنى الأمر والتقرير على استعمال العقل، والفاء: تفيد التوكيد والتعقيب؛ أي: بعد كل هذا البيان لا يعقلون؛ أي: لا يدركون الحقيقة أنه لا إله إلا الله، وأنه المعبود الذي يجب أن يعبد ويطاع.

ولها معانٍ أخرى منها أفلا يعقلون: لا حاجة لإطالة عمر الإنسان أكثر مما قدر الله له؛ لأنه كلما طال ازداد ضعفاً وخرفاً، ومن الأفضل له أن يرحل إلى

الآخرة. وقوله أفلا يعقلون؛ أي: يكفي العقل هنا ولا يحتاج إلى سواه ليدرك الحقيقة.

وقد تعني أفلا يعقلون: أي هؤلاء المكذبون بالآخرة والبعث والحساب أن من يفعل هذا التنكيس قادر على أن يبعثهم من قبورهم ليجازيهم على ما عملوا في الدنيا، أفلا يعقلون أن نعمة الصحة والعافية هي أكبر نعم الله على عبده بعد نعمة الإسلام والإيمان والتوحيد، فلا يضيعوا شبابهم.

لنقارن (أفلا يعقلون) وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٢].

أفلا يعقلون: هم ما زالوا على قيد الحياة.

أفلم تكونوا تعقلون: هذا السؤال يوجه إليهم في الآخرة: أفلم تكونوا تعقلون حينما كنتم على قيد الحياة؟!

[٦٩] ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾:

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾: الواو استئنافية، ما النافية لجميع الأزمنة؛ أي: ما علمناه الشعر في الماضي ولا الحاضر ولن يتعلمه في المستقبل، وما علمناه نحن ولا غيرنا، وهاء الضمير تعود على رسول الله محمد ﷺ، وما علمناه الشعر: عن طريق الوحي ولا إرسال معلم بشر.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾: لا يصلح له الشعر ولا يصح له ولا يستقيم أن يكون شاعراً ولا يليق به.

﴿إِنْ﴾: نافية، وأقوى في النفي من ما النافية؛ أي: ما هو.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد يعود على القرآن.



﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، ذكر: سماه ذكراً وقرآناً مبيناً والقرآن الحكيم.

﴿ذِكْرٌ﴾: ذكر نوع من التذكير يذكر قارئه بخالقه وبأوامره ونواهيه، وبما يحتاجه العبد في دنياه وآخرته، وتبياناً لكل شيء، وليس شعراً وسحراً كما يدعي الكافرون. ارجع إلى سورة (ص) آية (١) لمزيد من البيان.

﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾: قرآن بين واضح لكل قارئ يقرأ القرآن أنه ليس من قول البشر أو شعراً، وهو واضح أنه تنزيل العزيز الرحيم.

وقد وردت أربع آيات في القرآن تقول: إن هو إلا ذكر للعالمين؛ يوسف (١٠٤)، يس (٦٩)، ص (٨٦)، التكوير (٥)، ووردت آية واحدة: (وما هو إلا ذكر للعالمين) القلم (٥٢)، إن أقوى نفيًا وتوكيداً من ما، ووردت آية واحدة في كل القرآن تقول: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]. ارجع إلى سورة الأنعام لمعرفة الفرق بين ذكر، وذكرى، ولبيان. ثم يذكر الله سبحانه مهمة هذا الذكر وهذا القرآن المبين في الآية (٧٠).

[٧٠] ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾:

﴿لِيُنذِرَ﴾: اللام للتوكيد، ينذر: من الإنذار وهو الإعلام (التبليغ) مع التحذير والتخويف، لينذر هذا الذكر أو القرآن.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية استغرافية بمعنى الذي، ومن: تشمل المفرد، والجمع، وللعاقل.

﴿كَانَ حَيًّا﴾: حياً: مؤمناً؛ لأن الإيمان حياة والكفر موت؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِمْ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وكما قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ ﴾ [يس: ١١]، وكما قال تعالى:
 ﴿ إِنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٦]، لينذر من
 كان حياً؛ أي: من كان عاقلاً، وقد تعني: كل من هو حي فيه روح من إنس وجان
 (المؤمن والكافر والعاصي والطائع).

﴿ وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾: يحق: يوجب، والقول يعني: العذاب أو
 الحجة؛ أي: يوجب الحجة أو العذاب على الكافرين.

ولو جمعنا آيات الإنذار في هذه السورة نجدها عدة منها:

﴿ لَنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الآية: ٦].

﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الآية: ١٠].

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ ﴾ [الآية: ١١].

﴿ إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ۝ ٦٩ ۝ لِيُنْذِرَ مَنِ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

[الآية: ٧٠].



الجزء الثاني والعشرون

سُورَةُ قُلُوبٍ ٣٦

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا
مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا
مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا
خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ
مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

الأنبياء ٨٤

ترتيباً ٢٧

سورة يس [الآيات ٧١ - ٨٣]

[٧١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾:

المناسبة: يتابع الله سبحانه ذكر الآيات الدالة على قدرته وعظمته ووحدانيته.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: الهمزة للاستفهام، أولم: تستعمل لما هو مشاهدٌ بكثرة، بينما (ألم) تستعمل لما هو مشاهدٌ بقلّة، الواو تدل على الكثرة (عدة أمور) لم: نافية، يروا: رؤية بصرية، أو أولم يتفكروا أو يعلموا. ارجع إلى سورة السجدة آية (٢٦) لمزيد من البيان.

﴿أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾: أَنَا للتعظيم، خلقنا لهم؛ أي: ابتداءً، ولو قال: أنا جعلنا؛ الجعل: يتم بعد الخلق، وقد لوحظ أنّه في مقام أو سياق التذكير بقدرة الله تعالى وآياته يستعمل لهم (بصيغة الغائب) بينما في سياق تعداد النعم وسياق الشكر يستعمل لكم (صيغة المخاطب).

لهم: اللام لام الاختصاص والملكية؛ أي: للناس.

﴿مِمَّا﴾: من بعضية، ما: اسم موصول بمعنى الذي، أو مصدرية، وهي أوسع شمولاً من الذي؛ أي: من عمل أيدينا وتشمل الاثنين؛ أي: من الذي عملته أيدينا أو من عمل أيدينا.

﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾: الأنعام ثمانية أزواج من البقر والغنم والإبل



والماعز، أيدينا: جمع يد، واليد فيها معنى القوة والقدرة، أنعاماً: ذكر الأنعام هنا خاصة؛ لأنها أعزّ الأشياء عند العرب لأنها تستخدم في السفر والأكل واللبن والزينة والانتفاع بها والتجارة، فهي أهم ما يملكون في القديم.

﴿فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾: الفاء للتوكيد، هم: للتوكيد، لها: تقديم لها للاهتمام بالأنعام، مالكون: اسم فاعل يدل على الثبوت، ثبوت الملك لهم، ولم يقل فهم لها يملكون، تدل على التجدد والتكرار.

وإذا قارنا هذه الآية من سورة يس: ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾ وقوله في سورة النحل الآية (٥): ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾: نجد السياق في سورة يس سياق تكريم أكثر مقارنة بسورة النحل التي هي تعداد للنعم.

[٧٢] ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾:

في الآية السابقة قال تعالى: الأنعام خلقها لهم وملكها لهم، وفي هذه الآية يذكر أنه ذللها لهم، إذن من قدرته تعالى أنه خلق وملك وذلل الأنعام.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لاختصاص الناس لخدمة الناس.

التذليل: يحتاج إليه لتصبح الأنعام سهلة يقودها الصغير والكبير، والتذليل يفيد الركوب، ولولا التذليل لكان من الصعب الانتفاع منها.

﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾: الفاء: استئنافية للتفصيل، ومن: للتبويض؛ أي: من الأنعام ما يركب ومنها ما لا يركب.

﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾: منها (من) بعضية، من بعضها تأكلون؛ أي: لا تأكلون كلّ أجزائها، فالجلد والعظام لا تأكلونه، أو: لا تأكلون كلّ الأنعام وإنما قسماً منها،

فمثلاً كثير من الناس لا يأكلون لحم الجمل، (يأكلون) تدل على التجدد والتكرار والاستمرار.

[٧٣] ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾:

﴿وَلَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿فِيهَا مَنَافِعُ﴾: مثل الجلود والأوبار والأشعار التي تستعمل في صناعة الفرش أو الحرث.

﴿وَمَشَارِبٌ﴾: مشارب: تعني: الشراب مثل: اللبن والحليب، ومشارب: قد تعني مما نصنع من جلودها أحياناً أو اني (كالقرب) لحفظ الماء، وقدم الأكل على الشرب؛ لأن الأكل أعم وأهم من الانتفاع من شربها، وفي كل القرآن يقدم الأكل على الشرب؛ لأن الشرب منها محدّد بزمان معين عند الولادة والإرضاع، ولأن الحصول على الطعام أعسر وأصعب.

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ لعدم الشكر، والفاء: هي فاء السببية؛ و(ألا) تفيد الحض والحث على الشكر، شكر المنعم باللسان والعمل الصالح وتحمل معنى الأمر.

وبدلاً من أن يشكروا الله على نعمه أشركوا به فاتخذوا من دونه آلهة فقال:

[٧٤] ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُم يُنصَرُونَ﴾:

فرغم كل تلك النعم: خلق الأنعام، وإحياء الأرض والجنات، والنخيل والأعناب، والشمس والقمر، والفلك وحمل ذريتهم... وغيرها من النعم التي تدل على الخالق، وتوجب عبادته وحده عبدوا غيره واتخذوا من دونه آلهة.



﴿وَاتَّخَذُوا﴾: أي: وعبدوا؛ أي: المشركون من أهل مكة وغيرهم.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله؛ أي: لم يعبدوا معه آلهة، أو اتخذوا الآلهة وسيطاً أو شفيعاً لهم؛ أي: هم لا يعبدون الله وحده، وإنما يعبدون غيره وليس معه، وهنا أسوء؛ أي: بدلاً من أن يشكروه على نعمه عبدوا غيره.

﴿الْأَلِهَةَ﴾: الأصنام وغيرها.

﴿لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾: لعل: للتعليل؛ ينصرون: أي: تدفع عنهم العذاب أو تحميهم من عذاب الله، أو تشفع لهم عند الله بأن لا يعذبهم، أو يخفف عنهم العذاب.

[٧٥] ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ﴾:

﴿لَا﴾: النافية لكل الأزمنة.

﴿يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾: أي هذه الآلهة عاجزة أصلاً عن نصره نفسها وبالتالي هي عاجزة عن نصرتهم، ولنفرض أنها قادرة على النصر، فالله سبحانه لا يسمح لها؛ لأن الشفاعة لا تحصل إلا بإذنه ولمن رضي له قولاً، وهي عاجزة وغير قادرة على نصر أحد، ولو أرادت ذلك على سبيل الفرض.

﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ﴾: هم: ضمير فصل يفيد التوكيد وتعود على الكفار والمشركين أو الذين اتخذوا من دون الله آلهة (عبداء الأصنام)، لهم: للأصنام، جند محضرون: أي هم يدافعون عن الآلهة (الأصنام) فهم كمثابة جنود لها.

لأن الأصنام لا تستطيع أن تدافع عن نفسها إذا اعتدى عليها أحد فهم الذين

يدافعون عنها، فهم يعتبرون جند للآلهة (الأصنام) في الدنيا يدافعون عنها وهم محضرون لها في النار يوم القيامة.

أو عبدة الآلهة يحضرون الآلهة التي كانوا يعبدونها في الدنيا يوم القيامة معهم إلى النار، فالعابد والمعبود محضرون في جهنم قسراً وكرهاً، وكلمة محضرون في كل القرآن جاءت في سياق الشر.

[٧٦] ﴿فَلَا يُحْزِنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء للتوكيد، لا الناهية.

﴿يُحْزِنُكَ قَوْلُهُمْ﴾: الخطاب إلى رسول الله ﷺ فلا يحزنك قولهم: أنك شاعر أو مجنون أو كاهن أو ساحر، والحزن: الغم النفسي المؤقت بعكس الحزن: الدائم المستمر حتى يأتي الأجل، فالله سبحانه ينهي القول أن يحزن رسوله ﷺ وكأنه يقول: يا أيها القول، لا تحزن رسولي، أو لا تحزن يا رسول الله ﷺ لما يقولونه.

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ﴾: ما اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية، نعلم إسرارهم أو ما أسروه وما أعلنوه، وتدل على التجدد والتكرار.

ما يسرون من القول والفعل، يسرون: من السر، وهو القول الخفي الذي لا يعلمه إلا صاحبه.

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: وما يعلنون من القول والفعل، وتكرار (ما) يفيد توكيد القول والفعل من العلن: وهو الإظهار والجهر.



والسرّ مقدّم على العلن؛ لأنّ كلّ قول أو فعل يُسرّ أولاً ثمّ يُعلن ثانياً فمن حيث التّرتيب السرّ أسبق من العلن، ما يسرون من التّفاق أو العقائد الفاسدة والبدع والفواحش والمحرمات، وما يعلنون من الإيمان أو الكفر، والله يعلم منذ الأزل ما يسرون وما يعلنون، وذكر أنّه يعلم ما يسرون وما يعلنون للتهديد والإنذار؛ للتهديد والتّحذير وإقامة الحجة عليهم، وفي هذه الآية تطمينٌ لرسول الله ﷺ أنّ الله يعصمه من مكر وكيد الذين كفروا. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٦٥) في سورة يونس وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: نجد أن آية ياسين نزلت أولاً وآية يونس نزلت بعد ذلك فيكون الجمع بينهما لا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرك وما يعلنون وأن العزة لله جميعاً.

[٧٧] ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾:

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ﴾: الخطاب إلى كلّ إنسان ينكر البعث والحساب والجزاء، وهو أعم وأشمل من قوله: أولم يروا أنّا خلقنا لهم مما علمت أيدينا أنعاماً، أولم: الهمزة للاستفهام، الواو تدل على الكثرة والجمع، وشدة الإنكار إنكار شيء مرئي؛ لم: النافية، ير: الإنسان رؤية قلبية علمية؛ أي: يتفكر كيف خلقناه.

﴿أَنَا﴾: للتعظيم.

﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: نطفة الرّجل وهي الحيوان المنويّ ونطفة المرأة البويضة.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للتّرتيب والتّعقيب والمباشرة؛ أي: مجرد ما أصبح في سن البلوغ أصبح خصيماً؛ أي: تفيد الإسراع في الخصومة، أو تدل على السّبية؛ أي:

فَإِنْ خَلَقَهُ كَانَ سَبَبًا لِلْخُصُومَةِ، أَوْ تَدُلُّ عَلَى الْبَدَلِيَّةِ بَدَلًا مَنْ أَنْ يَكُونَ شَاكِرًا لِرَبِّهِ
أَصْبَحَ خَصِمًا لَهُ، إِذَا: ظَرْفِيَّةُ تَفِيدُ الْفَجْأَةَ.

﴿خَصِيمٌ﴾: خَصِيمٌ شَدِيدُ الْخُصُومَةِ أَوْ شَدِيدُ الْخِصَامِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ،
الْخَصِيمُ: الَّذِي يَجَادِلُ وَيَنْكُرُ الْآيَاتِ وَالْبُعْثَ وَالْحِسَابَ وَالْجَزَاءَ، وَالْمَبَالِغَ فِي
إِظْهَارِ خُصُومَتِهِ وَعَدَاوَتِهِ.

﴿مُبِينٌ﴾: يَبَيِّنُ الْخُصُومَةَ لِمَخْلَقِهِ، خُصُومَتُهُ لَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ وَظَاهِرَةٌ، قَدْ
يَكُونُ الْإِنْسَانُ أحيانًا خَصِمًا لِلْإِنْسَانِ آخَرَ، أَمَا أَنْ يَكُونَ خَصِمًا أَوْ خَصِيمًا لِمَخْلَقِهِ
الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ الْقَهَّارِ، هَذَا شَيْءٌ لَا يَتَصَوَّرُهُ أَيُّ ذِي عَقْلٍ، خَلَقَهُ مِنْ نَظْفَةٍ وَمِنْ مَاءٍ
مُهِينٍ فَيَصْبِحُ خَصِيمًا مُبِينًا!

[٧٨] ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾:

سَبَبُ النَّزُولِ كَمَا رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ وَالْوَاهِدِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُمْ. قِيلَ: إِنَّ أُبَيَّ
ابْنَ خُلْفٍ أَخَذَ عِظْمًا قَدِ بَلِيَ وَرَاحَ يَفْتَتِهِ أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَقُولُ: أَتَزْعَمُ يَا
مُحَمَّدُ أَنَّ رَبَّكَ سِيحِي هَذَا؟ فَرَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: نَعَمْ، يَمِيتُكَ ثُمَّ يَبْعَثُكَ
ثُمَّ يَحْشُرُكَ إِلَى النَّارِ. قَالَهَا فِي وَجْهِهِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ. وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي
الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلُولٍ، أَوْ أُبَيِّ جَهْلٍ، وَالْعَبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ وَلَيْسَ
بِخُصُوصِ السَّبَبِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ جَوَابٌ لِكُلِّ مَكْذَبٍ بِالْبُعْثِ.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾: الْمَثَلُ هُوَ الْعِظَمُ الْبَالِي الَّذِي فَتَتَهُ بِيَدِهِ هَذَا الْكَافِرُ ثُمَّ

ذَرَّاهُ فِي الْهَوَاءِ.

﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾: ونسي هذا الإنسان كيف خلق؛ أي: لو تذكر خلقه (أو كيف خلق) وتأمل في ذاته، لما ضرب هذا المثل أو سأل هذا السؤال.

﴿قَالَ﴾: أبي بن خلف أو غيره.

﴿مَنْ﴾: استفهام مشوب بالتعجب والاستبعاد.

﴿يُحْيِي الْعِظَمَ﴾: يُعيدُها حياة.

﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾: هي للتوكيد، رميم: بالية هشة ميتة، يقال: رمّ العظم إذ بلي.

[٧٩] ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله ﷺ.

﴿يُحْيِيهَا﴾: يُعيدُها حياة مرة ثانية.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم والمدح.

﴿أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: الإنشاء هو إيجاد الشيء بعد أن لم يكن، والإنشاء فيه

معنى النمو والتطور.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد يعود على الله سبحانه.

﴿بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾: عليم صيغة مبالغة، وعليم مطلقة؛ أي: عليم بكلّ

شيء وبكلّ خلق، مقارنة بعالم التي هي خاصة بعالم الغيب والشهادة، وعلام خاصة بالغيوب: علام الغيوب، والباء للإصاق والدوام.

[٨٠] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾:

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.



﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾: أي: صير لكم خاصة.

﴿مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾: هذا دليل آخر على قدرته سبحانه على البعث فإن كنتم تكذبون بالبعث وإحياء الموتى والعظام وهي رميم، انظروا كيف جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً، فقد كانوا في الزمن القديم يأخذون غصناً من شجر المَرْخِ وغصناً من شجر العَفَارِ، ويقدح أحدهما بالآخر فتخرج منهما شرارة من النَّارِ، وأصل النَّبَاتِ ماء كما نعلم فكيف يخرج منه نار (شرر) ونحن نطفئ النَّارَ بالماء.

معنى آخر: خلق الشجر من ماء ثم بعد نموه وتطوره يقطع ويجف ويصبح حطباً توقد به النَّارُ، وكذلك هذا الشجر قد يرسب في قعر البحار أو باطن الأرض ويتحول إلى بترول وغاز أو يتحول إلى فحم حجري، وكلها تستعمل كمصدر للطاقة.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، إذا: ظرفية فجائية.

﴿أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾: توقدون النَّارَ من الشجر الأخضر (الحطب) توقدون: بصيغة المضارع التي تدل على التجدد والتكرار عند الحاجة.

[٨١] ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾:

ثم يذكر الله سبحانه ما هو أعظم من خلق الإنسان وهو خلق السموات والأرض.

﴿أَوَلَيْسَ﴾: الهمزة للاستفهام والتقرير.



﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾: أي من قدر على خلق السموات والأرض هذا الخلق العظيم، والذي هو أعظم بكثير من خلق الإنسان، أغبر قادر على أن يخلق بشراً مثلهم أو يعيدهم! ارجع إلى سورة البقرة الآيات (٢٢-٢٩) والأنبياء آية (٣٠) والأعراف آية (٥٤) للبيان.

﴿بَلَى﴾: حرف جواب لا يقع إلا بعد النفي؛ لكي تنقض هذا النفي.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿الْخَلْقُ﴾: صيغة مبالغة من: خالق، وتشير إلى كمال القدرة على الخلق وأنه كثير الخلق.

﴿الْعَلِيمُ﴾: بخلقه وكونه وملكوت السموات والأرض، العليم بكل شيء.

[٨٢] ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾:

يذكر الله سبحانه في هذه الآية قدرته على خلق أي شيء بكلمة: كن فيكون.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿كُنْ﴾: فعل أمر.

﴿فَيَكُونُ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب فيكون مخلوقاً موجوداً، وهو سبحانه لا يحتاج في خلق أي شيء أن يقول له: كن فيكون، وإنما ذلك القول ليقربه إلى عقولنا. ارجع إلى سورة النحل الآية (٤٠) للبيان.



[٨٣] ﴿فَسُبِّحْنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿فَسُبِّحْنَ﴾: الفاء للتوكيد، سبحان: تنزيهاً له أن يشبهه أحدٌ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، تنزيهاً له عن الولد والشريك والمثيل، تنزيهاً له من كل عيب ونقص، سبحانه لما أولاه من النعم التي ذكرها. ارجع إلى سورة الحديد الآية (١) لمزيد من البيان، وسورة الإسراء آية (١)، وسورة النحل آية (٤).

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿بِيَدِهِ﴾: حصراً؛ أي: المتصرف في ملكه كما يشاء.

﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: ملكوت صيغة مبالغة في الملك مع العزة والعظمة والسلطان؛ أي ملك كل شيء، وزيدت التاء للمبالغة في كبر الملك وعظمته، وملكوت تشمل عالم الغيب؛ أي: كل ما لا يدرك أو غير ظاهر؛ أي: الملك المستور الغير مشاهد أو المرئي، والملكوت أعظم من الملك.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: يوم القيامة إليه حصراً فقط، ترجعون: أي ترجعون قسراً وكرهاً للحساب والعزاء؛ لأنكم لم تخلقوا عبثاً.

وإذا نظرنا إلى هذه الآية العظيمة نجدها جمعت التوحيد والحشر والتنزيه، (فسبحان) تعني التنزيه، (بيده ملكوت كل شيء) تعني التوحيد، (وإليه ترجعون) تعني الحشر والبعث والحساب.



المائدة الطويلة

سورة المائدة الطويلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَاتِ صَفًا ﴿١﴾ فَأَلْزَجَرَتْ زَحْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾
 إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
 الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا
 مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ
 مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خِطَفَ
 الْخُطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ، شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا
 أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ
 وَيَسْحَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا أُرُوا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ
 ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ لَهُ دَامِنَا وَكَانُوا آبَاءَ عَظَمَاءَ
 آءَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ آوَاءُ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ
 ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا
 يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾
 ﴿٢٢﴾ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٣﴾ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٤﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٥﴾



سورة الصّافات [الآيات ١- ٢٤]

ترتيبها في القرآن (٣٧)، وترتيبها في النزول (٥٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾:

الواو: واو القسم، وأحرف القسم هي الواو والباء والتاء واللام، والمقسم به هو الصّافات صفّا، والقسم يؤكد على أهمية المقسم به وهم الملائكة والله سبحانه غني عن القسم.

يقسم سبحانه بالصّافات وهم الملائكة الصّافون في السّماء في صفوفهم للصلاة، أو الملائكة الصّافة أجنحتها في الهواء تنتظر أن يأمرها الله سبحانه، أو الملائكة في الصفوف من حول العرش، والقسم يفيد التوكيد.

والصّف: يعني: الجميع في انسجام وانضباط ومتراصين ويتمون الصّف الأوّل فالأوّل، والصّافون حسب مراتبهم في الفضيلة، كما روى مسلم وغيره عن جابر بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ألا تصفون كما يصف الملائكة عند ربهم، قلنا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال ﷺ: يتمون الصّف الأوّل ويتراصون في الصّف».

وروى مسلم عن حذيفة بن اليمان أنه ﷺ قال: فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلّها مسجداً وجعل لنا ترابها طهوراً إذا لم نجد الماء.



[٢] ﴿فَالزَّجْرَتِ زَجْرًا﴾:

الفاء: عاطفة، والصفات المعطوفة بالفاء تكون لموصوف واحد ولو عطف بالواو، كما لو قال: والزاجرات زجراً بدلاً من فالزاجرات زجراً؛ لدل على تغاير الذات (الصفات) كما ذكر الألوسي.

فالزاجرات زجراً: من زجر. وتعني:

١ - المنع والنهي.

٢ - السوق والحث.

الملائكة التي تزجر السحاب كما قال ابن عباس والجمهور؛ أي: تسوقه حيث يشاء الله، وتزجر الشياطين (أي: تمنع الشياطين) عن استراق السمع. زجر الدابة: صاح بها ليحثها على السير أو يمنعها عن الحركة أي: يوقفها فالزجر له معنيان متضادان السوق والحث والمنع والنهي.

[٣] ﴿فَالْتَلَيْتِ ذِكْرًا﴾:

﴿فَالْتَلَيْتِ﴾: الفاء: عاطفة؛ ارجع إلى الآية السابقة؛ الملائكة التالية: من التلاوة أي: القراءة القارئة؛ أي: التالية للوحي على الرسل أو لكتاب الله كما قال ابن مسعود والجمهور، أو التالية لذكر الله، أي: المسبحون والحامدون والمكبرون وغيرها من الذكر.

﴿ذِكْرًا﴾: كتاب الله (القرآن).

والتاليات: قد تشمل الرسل والبشر التالية لكتاب الله تعالى والذاكرون المسبحون.



[٤] ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾:

هذا هو جواب القسم، يقسم الله بالصّافات والزّاجرات والتّاليات إنّ إلهكم لواحد، وقد أكد جواب القسم بأنّ واللام في قوله: لواحد.

﴿لَوَاحِدٌ﴾: الواحد: الذي لا يكون معه آخر، لا يتجزأ، ولا يتفرق (غير مركب)؛ أي: الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، واحد لا شريك له، لا معبود إلا هو، المتصف بوحداية الإلهية والربوبية والأسماء والصفات. وهناك فرق بين الواحد والأحد: وأما الأحد: يعني ليس له مثل، ليس له ثان مثله، المتفرد بصفات الكمال، فلا نظير له، ولا ند، ولفظ أحد وصف خاص بالله وحده لا يوصف به غيره على الإطلاق. وأحد: أعم في النفي من واحد؛ فهو نفي للجنس؛ أي: لا أحد، ولا اثنان، ولا ثلاثة، ولا أكثر، وحين تقول لا واحد يجوز أن يكون هناك اثنان أو ثلاثة أو أكثر؛ فالله سبحانه أحد واحد في صفاته وأفعاله وأسمائه وعظمته وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته وسمعه وبصره.

وهذه الآية تمثل توحيد الألوهية الموجبة للعبودية والكاف للمخاطب وخاصة المشركون الذين تعجّبوا من كون الآلهة إلهاً واحداً، وقالوا: إنّ هذا لشيء عجاب.

[٥] ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾:

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: إنّ إلهكم لواحد ربّ السّموات والأرض أي: إنّ إلهكم لواحد هو خالق السّموات والأرض وما بينهما ومالك السّموات والأرض وما بينهما من المخلوقات، والرّب هو المدبر، والمحيي والمميت، والرازق، وما بينهما: ارجع إلى سورة الفرقان آية (٥٩) للبيان.

﴿وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾: مشارق الشمس فللشمس كلّ يوم مشرق ومغرب بعدد



أيام السنة، أي: تشرق كل يوم بزاوية محددة، وكل يوم تغرب في زاوية معينة، ولم يذكر المغارب واقتصر على المشارق؛ لأن المشارق تدل على المغارب فحين تشرق لا بُدَّ لها من أن تغرب، لذلك هذا بيّن وواضح، فلا داعي لذكر ذلك.

وفي آية أخرى يقول: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧] ارجع إلى سورة الرحمن الآية (١٧) للبيان.

وآية أخرى يقول: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المزمل: ٩].

[٦] ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم؛ لأن تزئين السماء بالكواكب يحتاج إلى علم وقدرة وحكمة.

﴿زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾: السماء الدنيا هي أقرب السموات إلى الأرض.

﴿بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾: الزينة: ما يُتزين به من الحلي (الذهب والفضة)، والنبات، والزهور، والنجوم... وغيرها من مواد الزينة، وفي هذه الآية زينا السماء الدنيا بضوء الكواكب؛ أي: بالكواكب المضيئة والكوكب هو جسم بارد مستمد حرارته من الشمس والنجوم ويضاء لسقوط الضوء عليه، أي: يعكس الضوء كالقمر مثلاً، وهو ليس مضيئ بنفسه (كالنجم)، والكواكب والنجوم كلها تُزين السماء الدنيا، وكذلك بعض هذه النجوم تتحول إلى شهاب ثاقب لقذف الشياطين والقضاء عليهم.

[٧] ﴿وَحَفِظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾:

بالإضافة إلى تزئين السماء بالكوكب حفظناها من كل شيطان مارد.

حفظناها بالشهاب الثاقبة أو الشهاب المبينة كقوله: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ

﴿فَأَتْبَعَهُ، شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠]، وكقوله: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ، شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ [الحجر: ١٨].

﴿مَنْ﴾: استغراقية تشمل كل شيطان.

﴿كُلِّ شَيْطَانٍ﴾: (الكافر من الجن)، واسم الشيطان مشتق من شطن. ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة البقرة للبيان.

﴿مَارِدٍ﴾: عاق خارج عن طاعة الله (متمرد على طاعة الله) البالغ الغاية في الشر والفساد، وأمرد: أي: يعني: قد مرد في الشر أو متجرّد عن الخير أو شره ظاهر، وأمرد: أملس، كقوله صرح ممرّد: أي: أملس يعني: سريع الانفلات لا تقوى على الإمساك به.

[٨] ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾:

﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِ الْأَعْلَى﴾: لا: النافية، يسمعون: أي: الشياطين، وهناك فرق بين سمع ويسمع: سمع بقصد أو بغير قصد أو نية، أما يسمع: فيعني: بقصد وتكليف وجهد وسواء سمع أو لم يسمع شيئاً أي: يحاول هؤلاء الشياطين أن يسمعون إلى الملائكة الأعلى: الملائكة.

﴿وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾: بالشَّهَب الثَّاقِبَة أو المبينة ويقذفون تدل على التجدد والتكرار، والقذف: الرّجم بالشَّهَب، والقذف فيه معنى البعد والقوة أي: الرّجم بقوة ومن بعيد، من كلّ جانب: من استغراقية، كلّ جانب: من الجهات الستة اليمين والشمال والأمام والوراء والأعلى والأسفل.

[٩] ﴿دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾:

﴿دُحُورًا﴾: الدُّحُور الطُّرد والإبعاد، طرداً وإبعاداً، دَحَره: أبعده، مطرودين مبعدين عن السماء الدنيا.



﴿وَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿عَذَابٌ وَأَصِْبٌ﴾: أي: عذاب دائم وصب الشيء: دام وثبت، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الَّذِينَ وَأَصِيبًا﴾ [النحل: ٥٢]، أي: الطاعة دائماً.

[١٠] ﴿إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخِطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ، شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية.

﴿خِطَفَ﴾: الخطف: أخذ الشيء بسرعة وخفة (اختلاس) وعلى غفلة من صاحبه، ومن دون حق، بل أخذها اعتداءً وظلماً.

﴿الْخِطْفَةَ﴾: على وزن مرة، لا يسمعون (الشياطين) إلا للذي سلب أو خطف الخطفة بخفة وسرعة وعلى غفلة من كلام الملائكة، ويتحدثون عما سيحدث في الأرض قبل أن يعلمه أهل الأرض.

﴿فَاتَّبَعَهُ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة يلحق به.

﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾: نجم مُحرق يخترق وينفذ الأجواء حتى يصل إلى هدفه بأسرع وقت، أي: يصل إلى هذا الشيطان فيقضي عليه قبل أن يوصل الخبر إلى أوليائه وتارة يخبر بها قبل أن يدركه الشهاب ويكذبون معها مئة كذبة، ولا يعني أن النجم بكامله يلحق بالشيطان ليقضي عليه، وإنما تنطلق من النجم بعض الأشعة أو ألسنة النار لتحرق الشيطان المارد الذي يحاول الاستماع إلى الملائكة الأعلى. ارجع إلى سورة الحجر آية (١٨) لمزيد من البيان.

[١١] ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾:

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾: الفاء للتوكيد، استفتهم: الألف والسين والتاء للطلب أي:

سَلَامُهُمْ وَاطْلُبْ مِنْهُمْ الْفَتْوَى، أَيُّ: يُفْتَوِ لَكَ أَوْ يَجِيبُوا هُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَيَقْرُوا وَالْإِقْرَارُ سَيِّدُ الْأَدْلَةِ، أَسْأَلُ هَؤُلَاءِ الْكَفَّارِ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا.

﴿أَهْمُ﴾: الهمزة للاستفهام ويحمل معنى التوبيخ والتقرير.

﴿أَشَدُّ خَلْقًا﴾: أعظم خلقًا.

﴿أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾: أي: السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لقوله: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم تدل على القدرة والعلم والحكمة.

﴿خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾: طين لازب: تراب + ماء، طين لين، لازب أي: يلتصق باليد والطين اللازب غير موصوف بالصلابة والقوة كالإسمنت أو الحديد، فهو يدل على الضعف البنية مقارنة بخلق السموات والأرض فالإنسان يتغذى من النباتات التي تتغذى من تربة الأرض أو يأكل لحم الحيوانات وألبانها، وهي تتغذى من النباتات وكل الخضار والفواكه مستمدة من الأرض أو عناصر أو معادن الأرض كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، وكما قال تعالى: ﴿وَبَدَأْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧]، وقد وجد أن جسم الإنسان يتركب من أكثر (١٧) عنصراً أو معدناً من العناصر أو المعادن التي تتركب منها تربة الأرض، وإذا عرف الإنسان أصله من تراب أو من ماء مهين عليه أن يتواضع ولا يتكبر.

[١٢] ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي، الانتقال من كلام إلى كلام آخر.

﴿عَجِبْتَ﴾: يا رسول الله ﷺ من تكذيبهم إياك وإنكارهم وحدانية الله



والبعث، أو عجبت من كفرهم وإنكارهم لقدرة الله تعالى رغم وجود كل تلك الأدلة.

﴿وَيَسْخَرُونَ﴾: السخرية هي التقليل من حق من يسخر منه والتقليل من قيمته وذلكه. ارجع إلى الآية (٧٩) من سورة التوبة للبيان، يسخرون مما تقوله عن البعث والحشر والعزاء والحساب ويسخرون من دعوتك للإيمان بالله أو من دعوتهم للإيمان بيوم القيامة والبعث، ومن القرآن (أو الآيات القرآنية)، ويسخرون: تدل على التجدد والتكرار، أي: ما زالوا يسخرون.

[١٣] ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: شرطية ظرفية تحتل حتمية الحدوث.

﴿ذُكِّرُوا﴾: وعظوا لا يتعظون، أي: لا ينتفعون بالموعظة أو الذكري أو إذا ذكر لهم شيء مما عرفوه في الماضي لا يبالون، ويستمرون على ما هم عليه من العمى والجهل والعناد.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يَذْكُرُونَ﴾: يتعظون أو يأخذون به أو إليه.

[١٤] ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: شرطية ظرفية تفيد الحتمية.

﴿رَأَوْا﴾: رؤية عينية أو قلبية كونية بأعينهم أو معجزة دالة على قدرة الله سبحانه وعظمته.

﴿آيَةً﴾: نكرة تعني: دليلاً أو آية قرآنية أو كونية أو معجزة على البعث أو التوحيد أو الإيمان أو النبوة.

﴿سَتَسْخَرُونَ﴾: للمبالغة في السّخرية وتعريف السّخرية. ارجع إلى الآية السابقة (١٢) من نفس السّورة. ارجع إلى الآية (٧٩) من سورة التّوبة للبيان، ويستسخرون: يبالغون في السّخرية يستدعي بعضهم بعضاً ليسخر منها أو يحثون غيرهم للسّخرية منها، أو يبالغون في السّخرية منها عناداً واستكباراً.

[١٥] ﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: أي: الكفار والمشركون.

﴿إِن﴾: حرف نفي أشد نفياً من (ما) أي: ما هذا.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير إلى الآية أو البعث أو التّوحيد أو الإيمان أو القرآن.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: أي: سحر صنعه محمّد ليسحرنا به اتهموه بالسّحر؛ لأنّهم رأوا تأثيره القوي في النفوس وكونه خارقاً للعادة، وسحر مبين: واضح بين لكلّ من اطلع عليه ونظر إليه، مبين: لا يحتاج إلى دليل أو برهان يُبين أنّه سحر. ولتعريف السّحر ارجع إلى سورة طه آية (٥٨).

[١٦] ﴿إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّعجب والاستبعاد.

﴿وَمِنَّا وَكَأَنَّا مُرْتَابًا وَعِظًا﴾: تحولت أجسامنا إلى تراب وعظام.

﴿إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّعجب كالسّابقة،

لمبعوثون: اللام للتوكيد، مبعوثون: من البعث: العودة إلى الحياة بعد الموت والخروج من القبور لنحشر ونحاسب.



[١٧] ﴿أَوَّابًا وَأَنَا الْأَوَّلُونَ﴾:

﴿أَوَّابًا وَأَنَا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والاستبعاد.

﴿أَوَّابًا وَأَنَا الْأَوَّلُونَ﴾: أي: أبيعثُ آبأؤنا الأولون أيضاً، أي: الذين ماتوا منذ زمن طويل، فهذا الأمر لا يصدق.

[١٨] ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾:

﴿قُلْ نَعَمْ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ: نعم، أنتم وآبأؤكم تبعثون وأنتم داخرون.

﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾: داخرون: من دَخَرَ، يدخر: صَغُرَ وذُل، منقادون صاغرون أذلاء، وداخرون: صفة ثابتة عندهم، أي: الصغار والذلل.

[١٩] ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾:

أي: البعث أمر سهل جداً مجرد نفخة في الصور يأمر بها الله فإذا الكل من الأجداث ينسلون.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء جواب الشرط إذا، إنما: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿هِيَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾: صيحة واحدة، واحدة: توكيد ويقال: زجر البعير، أي: صاح عليه، زجرة: صيحة للحث على البعث والقيام من القبور، وُسِّمَتْ زجرة لأنها تسوقهم إلى أرض المحشر. ارجع إلى الآية (٢) من نفس السورة.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، إذا: الفجائية.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.



﴿يَنْظُرُونَ﴾: هنا وهناك على وجه السَّاهرة (وجه الأرض) ينظرون إلى الأرض الجديدة غير التي كانوا عليها، منظر جديد لم يروه من قبل، ينظرون ما سيفعل بهم أو أين سيذهبون.

[٢٠] ﴿وَقَالُوا بَوَّيْنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ﴾:

﴿وَقَالُوا بَوَّيْنَا﴾: يا هلاكنا يا عذابنا، يا: أداة نداء للبعد يا هلاكنا أقبل أو

احضر.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب.

﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾: يوم الحساب والجزاء، أي: اليوم الذي تُدان فيه، أي: نجازي على أعمالنا أو لم نكن نصدّق به.

[٢١] ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْذِبُوتٌ﴾:

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾: قيل: هذا كلام الملائكة أو تتمّة لكلام الكفار بعضهم لبعض، هذا: الهاء للتنبيه وذا اسم إشارة للقرب يشير إلى يوم الفصل، يوم الفصل: يوم الفصل بين الرّسل وأقوامهم المكذّبين أو يوم القصاص، والفصل بين الحق والباطل والمؤمن والكافر والمحسن والمسيء، وفريق في الجنة وفريق في السّعير.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد المعرفة.

﴿كُتِبَ بِهِ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الاهتمام، أي: به خاصة تكذبون

لا بغيره.

﴿تَكْذِبُوتٌ﴾: لا تصدّقون أو لا تؤمنون به.



[٢٢] ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾:

﴿أَحْشُرُوا﴾: خطاب إلى الملائكة، والحشر هو الجمع أي: اجمعوا في أرض المحشر، والحشر له غاية لكي يروا أين آلهتهم التي كانوا يعبدونها. ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أشركوا وكفروا وضلوا وظلموا أنفسهم وغيرهم في الدنيا. ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾: لها معانٍ متعددة منها: احشروا الكافر مع الكافر أو الزاني مع الزاني والسارق مع السارق.

أو احشروا الذين ظلموا مع نساءهم أزواجهم الكافرات.

أو احشروا معهم قرنائهم من الشياطين.

عابد الصنم مع عبدة الأصنام.

أو التابع والمتبوع أو الرؤساء والقادة مع التابعين من الذين استضعفوا.

﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾: إذن أصبحوا ثلاثة، احشروا: الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون في الدنيا ويعبدون من الأصنام والشياطين والطواغيت، أمّا عيسى وعزير والملائكة فهؤلاء سبقت لهم الحسنَى وهم استثناء من هذه الآية. ارجع إلى سورة الأنبياء آية (١٠١).

يعبدون: بصيغة المضارع تدل على الاستمرار على عبادة غير الله حتى ماتوا وهم كفار.

[٢٣] ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾:

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله أو سواه أو معه أو أيّ وسيط.

﴿فَاهْدُوهُمْ﴾: الفاء تدل على المباشرة والتعقيب، فاهدوهم: الهداية لا

تكون إلا إلى الصَّراط المستقيم والنَّجاة فاستعمل كلمة فاهدوهم للسخرية والتهمك منهم، أي: دلّوهم على طريق جهنم.

﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّجِيمٍ﴾: الصَّراط: الطريق الواسع السَّهل المؤدي إلى جهنم أو الجحيم أو النَّار، الجحيم: النَّار والجحيم اسم للنار مشتق من التَّأَجُّج والاضطراب فلا تخمد أبداً، وقيل: هي دركة من دركات النَّار، فهناك صراط الجحيم وسواء الجحيم وأصل الجحيم، أمّا سواء الجحيم: فهو وسط الجحيم (النَّار) وسُمِّي السَّواء وسطاً لاستواء المسافة منه إلى الجانب، أمّا أصل الجحيم: فهو قعرها، وصراط الجحيم: الطَّرِيق إليها. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان. [٢٤] ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾:

أي: احبسوهم للسؤال وللحساب (في الموقف أو عند الصَّراط) وتعني: كل هؤلاء الكفرة سيسأل والسؤال ليس سؤال استفهام إنما سؤال توبيخ وتقريع وسؤال تقرير؛ لأنَّه سبحانه عالم بكل أعمالهم.

﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾: عن جميع أعمالهم (الأقوال والأفعال والعقائد) إنهم يسألون عما كانوا يعبدون، وعن لا إله إلا الله، كما روي عن ابن عباس.

إنهم مسؤولون: لقوله سبحانه: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦٠]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٢) ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

وأما في آية المؤمنون (١٠١): ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ فالتوفيق بين هذه الآية والآيات الأخرى أنَّ هناك في يوم القيامة مواطن لا يسألون فيها، ومواطن في يوم القيامة يسألون فيها عما كانوا يعملون.





سُورَةُ الصَّافَّاتِ ٣٧

الْبَيْتُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٣٥﴾ بَلْ هُمْ أَلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٣٧﴾ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾
قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ
بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٤٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰبِقُونَ ﴿٤١﴾
فَآغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوهُنَّ الْهَتِنَا
لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٤٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٤٧﴾ إِنَّا كُنَّا
لَذَٰبِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٤٨﴾ وَمَا يُخْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٤٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٥٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٥١﴾
فَوَٰكِهِ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٥٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ
﴿٥٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿٥٥﴾ بَيضَاءُ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ
﴿٥٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٥٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ
الْطَّرْفِ عِينٌ ﴿٥٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مُكْنُونٌ ﴿٥٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٦١﴾

سورة الصّافات [الآيات ٢٥ - ٥١]

[٢٥] ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾:

﴿مَا﴾: للاستفهام والتوبيخ والتقريع.

﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿لَا تَنَاصَرُونَ﴾: الخطاب إلى المشركين لماذا لا ينصر بعضهم بعضاً اليوم للنجاة من العذاب، كما كنتم تناصرون في الحياة الدنيا، أو تخفيف العذاب ولو يوماً واحداً.

[٢٦] ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿هُمُ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿الْيَوْمَ﴾: يوم القيامة يوم الفصل أو يوم الدين.

﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾: منقادون ذليلون لا حيلة لهم يخذل بعضهم بعضاً، جملة

اسمية تدل على الثبوت، أي: صفة الاستسلام ثابتة.

[٢٧] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾:

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: الواو استئنافية، أقبل بعضهم على بعض، أي: التقى

الأتباع والرؤساء والقادة أو التابع والمتبوع العابد والمعبود.



﴿يَسْأَلُونَ﴾: يسأل بعضهم بعضاً، أي: يتلومون كلُّ يُلقِي المسؤولية على غيره، كما سيأتي في الآيات التالية.

[٢٨] ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾:

﴿قَالُوا﴾: الأتباع للقادة والرؤساء أو الأتباع للمتبعين.

﴿إِنَّكُمْ﴾: إن للتوكيد.

﴿كُنْتُمْ﴾: في الدنيا.

﴿تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾: لها عدة تفسيرات: عن اليمين: مشتقة من اليد اليمنى كناية عن القوة والقهر، أي: تأتوننا بالقوة والجبروت والترويع لكي نشرك بالله ونكفر به.

أو تعني تأتوننا بالأيمن الكاذبة (اليمين: الحلف أو القسم) أي: عن طريق حلف الأيمان الكاذبة واتخاذ الأحزاب والأحلاف.

أو تأتوننا عن طريق الدين وتقولون لنا أن دين محمد باطل وتقليد الآباء أفضل وتخدعوننا.

أو عن جهة اليمين: جهة الخير (من التيمن) البدء باليمين، أي: تأتوننا عن طريق الحق لتصرفونا عنه إلى اتباع الباطل.

وعن اليمين: قد تعني كل ذلك معاً.

[٢٩] ﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: القادة والرؤساء أو المتبعين للاتباع.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾: لم: نافية، تكونوا مؤمنين: أي: كنتم أصلاً كافرين وغير مصدقين بدين محمد أو بمحمد، فلم نضلحكم أصلاً، أي: لم نخرجكم من الإيمان إلى الكفر، مؤمنين: لم تكن صفة الإيمان موجودة عندكم أصلاً، أو على إيمان ثابت راسخ.

[٣٠] ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾:

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ﴾: الواو عاطفة، ما النافية، كان: تشمل كل الأزمنة، لنا: اللام لام الملكية، عليكم: خاصة.

﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾: من استغراقية، سلطان: أي: سلطان سواء كان سلطان القوة والقهر أو سلطان الحجة والإقناع لكي تتبعونا وتسمعوا لنا.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾: طغاة ظلمة متجاوزين الحد في الشرك والظلم والإسراف.

[٣١] ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰئِقُونَ﴾:

هذا تنمة لقول الرؤساء أو المتبوعين للأتباع.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾: وجب، ولكنه لم يقع بعد أو لم يبدأ بعد. قول ربنا: العذاب.

علينا: جميعاً التابع والمتبوع، أي: نحن وإياكم، وقيل: قول ربنا هو: ﴿لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

﴿إِنَّا لَذَٰئِقُونَ﴾: إنا: للتوكيد، لذائقون: اللام للتعليل والتون في (ذائقون)



للتوكيد، ولم يقل: لذائقوا العذاب الأليم، ذائقون: تدل على الإذاقة الدائمة المستمرة و(لذائقوا) تدل على الإذاقة المؤقتة.

[٣٢] ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾:

﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، أغويناكم: من أغوى يغوي. ارجع إلى الآية (٤٢) من سورة الحجر للبيان، أي: أضللناكم عن طريق الحق والهداية أو أفسدنا عقولكم؛ لأننا نحن أصلاً: غاؤون.

﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾: ضالين في الدنيا أو فاسدين فأردنا أن تضلوا معنا وتكونوا شركاء لنا في الغواية والفساد، غاوين: جمع غاؤ، أي: صفة الغواية ثابتة عندهم. [٣٣] ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾:

في هذه الآية يُنهي الله سبحانه هذه المواجهة بين الأتباع والمتبوعين فيقول:

﴿فَإِنَّهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، ولم يخاطبهم مباشرة؛ لأنهم لا يستحقون، إن للتوكيد.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم الفصل يوم الدين.

﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾: الأتباع والمتبوعون كلاهما سيدوقان العذاب، ولن ينجوا أحدهما منه، ولن يُغني بعضهم عن بعض شيئاً.

[٣٤] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿كَذَلِكَ﴾: أي: كما عذبنا التابعين والمتبوعين كذلك نعذب المجرمين.

﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾: الباء للإلصاق والدوام والاستمرار، المجرمين:

جمع مجرم، والمجرم هو مرتكب الجريمة، وهي الذنب الذي يوجب العذاب، والمجرم: هو الكافر والمشرِك والعاصي الذي لا يؤمن بالله وحده؛ ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لمزيد من البيان في المجرمين، ثم يبين العلة في الآية التالية، والسبب في تعذيبهم وهو الشُّرك بالله.

[٣٥] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾:

﴿إِنَّهُمْ﴾: الضمير يعود على المجرمين وإنَّ للتعليل.

﴿كَانُوا﴾: في الدنيا.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تدل على الحتمية.

﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: مبني للمجهول سواء كان القائل الله سبحانه أو رسول الله أو أي مؤمن والمهم هنا المقولة، لهم: اللام لام الاختصاص لهم خاصة، أي: قيل لهم: قولوا: لا إله إلا الله. ارجع إلى الآية (٢٥٥) من سورة البقرة للبيان.

قولوا كلمة التوحيد، أو آمنوا بالله وحده.

﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: يتكبرون بغير حق، أي: يشعروا بعظم شأنهم فوق ما يستحقون، يستكبرون عن الإيمان بالله وحده والقول لا إله إلا الله محمد رسول الله. يستكبرون: يطلبون الكبر، ولا يملكون مؤهلاته.

[٣٦] ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَأْكُوفُ إِلَهَتَنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾:

﴿وَيَقُولُونَ﴾: بصيغة المضارع لتدل على الاستمرار والتجديد.

﴿إِنَّا﴾: الهمزة للاستفهام والإنكار إنا تعود على المجرمين.

﴿لَنَأْكُوفُ إِلَهَتَنَا﴾: اللام للتعليل تاركوا عبادة آلهتنا.



﴿لشاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾: بسبب ما يقوله محمّد الشّاعر المجنون، واللام لام الاختصاص، لكي تتبع عبادة الله وحده.

[٣٧] ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي، أي: دعك عن قولهم الباطل هذا، أو أضرب عن قولهم شاعر ومجنون، ما قاله محمّد ﷺ هو الحق وما جاء به.

﴿جَاءَ بِالْحَقِّ﴾: جاء بالحق: وهو الأمر الثابت الذي لا يتغيّر أو يتبدّل، جاء بالقرآن الكريم وبالدين القيّم ولا إله إلا الله أي: بالتوحيد، والباء للإلصاق والدّوام.

﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: محمّد ﷺ صدق الرّسل الذين جاؤوا قبله بكلمة لا إله إلا الله والإسلام فهو ليس بدعاً من الرّسل.

[٣٨] ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾:

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾: هذه الآية تأكيد للآية السّابقة (٣١) إنا لذائقون، وبيّن ما نوع العذاب وشدته وتبدلت فيها الصّيغة من صيغة الغائب (إنهم) إلى صيغة المخاطب (إنكم) لزيادة الانتباه والتّهديد والتّحذير لكلّ مجرم ومذنّب وعاصي.

﴿الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾: شديد الإيلام لن تطيقوه أو تقدرُوا على تحمّله، ثمّ بيّن أنّ هذا العذاب ليس ظلماً أو عدواناً إنما هو جزاء ما قدّموه من الأعمال فقال:

[٣٩] ﴿وَمَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما النّافية.

﴿تُحْزَنُونَ﴾: من الجزاء، والجزاء يكون للخير أو للشر.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿مَا كُنْتُمْ﴾: في الدنيا. ما: اسم موصول بمعنى الذي، وأوسع شمولاً من الذي.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: الأعمال تضم الأقوال والأفعال ما تعملون من خير وشر ما كنتم تعملون من الشرك والتكذيب والمعاصي، وبعد ذكر ما أعده الله سبحانه للمجرمين المكذبين يذكر بعدها ما أعده الله سبحانه لعباده المؤمنين.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء من قوله: إنكم لذائقوا العذاب الأليم إلا عباد الله المخلصين فإنهم لن يذوقوا العذاب الأليم.

﴿عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: المخلصين بفتح اللام اسم مفعول يعني: الذين أخلصهم الله واصطفاهم لعبادته وطاعته بعد أن أخلصوا أنفسهم أولاً.

إذن هناك فرق بين المخلصين بكسر اللام الذين يخلصون أنفسهم لله والمخلصين بفتح اللام هؤلاء أعلى درجة في الإخلاص.

[٤١] ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد يفيد بعد منزلتهم عند الله تعالى وجزاءهم.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾: الرزق تعريفه: كل ما يُنتفع به، ويشمل الرزق الطيب الحلال ويشمل الطعام والشراب والعلم والجاه والمنزلة، هذا في الدنيا، أما في الجنة: فقد وصف هذا الرزق بالطعام والشراب في جنات النعيم، والسرور والكأس



المعين، والحدور العين وغيره. ووصفه بالمعلوم؛ أي: الجنة، وأما رزق الدنيا فهو ليس معلوماً لا بد من السعي من أجله، أما في الآخرة فهو معلوم رزق خاص بهم. [٤٢] ﴿فَوَكَهَهُمْ مِّكْرُمُونَ﴾:

﴿فَوَكَهَهُ﴾: بالضم بدل من رزق، فسر الرزق بالفواكه وغيرها، وهناك فرق بين فواكه وفاكهة، فواكه جمع لا تشمل الواحدة والاثنتين، ولا تشمل على كل أنواع الفاكهة، أما فاكهة فاسم جنس يشمل الواحدة والاثنتين والجمع ثلاثة أو أكثر، فكلمة فاكهة أعم من فواكه والفاكهة تطلق على النوع الواحد أو الأنواع.

﴿وَهُمْ مِّكْرُمُونَ﴾: وهم: ضمير فصل يفيد التوكيد، مكرمون: وإذا قارنا هذه الآية فواكه وهم مكرمون في الجنة برضوان الله تعالى، وبكل أنواع التكريم والسلام والنعم الذي لهم مع الآية (٢٠) من سورة الواقعة ﴿وَفَكَهَهُمْ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾.

نجد أن آية الواقعة تخاطب السابقين السابقين، أما آية الصافات فتخاطب أصحاب اليمين؛ أي: فاكهة تُقدَّم إلى المقربين وهم السابقون السابقون وفواكه تُقدَّم إلى أصحاب اليمين.

[٤٣] ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾:

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾: جنات النعيم مثل جنات الفردوس جنات عدن، أو تشمل كل الجنات.

[٤٤] ﴿عَلَى سُرُرٍ مُّقَبَّلِينَ﴾:

﴿سُرُرٍ﴾: جمع سرير، أسرة للجلوس عليها.

﴿مُنْقَبِلِينَ﴾: تعني: إذا أردت زيارة أخاً لك تجده أمامك لا تحتاج إلى الانتقال والسير إليه، أو إلى منزله والركوب في طائرة أو سيارة أو غيرها.

[٤٥] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾:

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ﴾: على كلّ منهم، بكأس: الباء للإلصاق والدوام، الكأس: يراد به القدح الذي يوضع به الخمر.

﴿مِّنْ مَّعِينٍ﴾: من الخمر الذي يجري على وجه الأرض في أنهار، أو معين شيء تراه بعينك أي: ظاهر، من: ابتدائية لبيان الجنس، ثم يصف الخمر في الآية (٤٦-٤٧).

[٤٦] ﴿بَيَضَاءٌ لِّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾:

﴿بَيَضَاءٌ﴾: شديدة البياض والبيضاء قيل: هي أصفى أنواع الخمر عند العرب طيبة الرائحة.

﴿لِّذَّةٍ﴾: فيها مبالغة من لذيذة لذة مصدر للمبالغة، أي: ذات لذة مثل لذة الطعم، أو لذة النظر... وغيرها، واللذة: تختص بالمحسوسات التي تظهر آثارها على البدن، بعكس الشهوة التي تختص بالآراء والأفكار والعقائد، وقد تكون مذمومة أو محمودة.

﴿لِلشَّارِبِينَ﴾ اللام لام الاختصاص والاستحقاق، الشاربين: جمع شارب بينما خمر الدنيا كريهة الطعم وكريهة الرائحة.

[٤٧] ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾:

انتبه إلى يُنْزَفُونَ بفتح الزاي في هذه الآية، وإلى كلمة يُنْزَفُونَ بكسر الزاي في سورة الواقعة آية (١٩) كما سنرى.

﴿لَا﴾: النَّافِيَةُ.

﴿فِيهَا غَوْلٌ﴾: أَيُّ: لَا تحتوي على غول وهو المادة المسكرة المذهبة للعقل.

﴿وَلَا هُمْ﴾: تَكَرَّرَ لَا لتوكيد النفي، هم: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿عَنْهَا يُزْفُونَ﴾: بفتح الزاي عن تفيد المباعدة والمجاوزة، أَيُّ: لَا تذهب

بعقولهم، أو يُنزفون: من النزف: وهو نزف الدم من المعدة، أو المري الحاصل بسبب شرب الخمر في الدنيا الذي يؤدي إلى تشمع الكبد، والذي قد يؤدي إلى نزيف حادٍّ وغير مميت أو قاتل، بينما يُنزفون: بكسر الزاي: يدل على النزف المميت القاتل الحاصل بسبب شرب الخمر الذي لا يتوقف حتى بالمعالجة، والله أعلم. ارجع إلى سورة الواقعة لمزيد من البيان.

[٤٨] ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ عَيْنٌ﴾:

وصف لنساء الجنة.

﴿وَعِنْدَهُمْ﴾: في جنات النعيم.

﴿قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ﴾: الحور العين أو نساؤهم في الدنيا، قاصرات الطرف:

يدلُّ ذلك على العفاف - لا تنظر إلى غير زوجها - وأصل القصر الحبس، الطرف: النظر.

﴿عَيْنٌ﴾: حسان العيون مع وسعها، جمع عيناء وهي المرأة الحسنة

الواسعة العين.

[٤٩] ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيَضٌ مَّكُونٌ﴾:

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيَضٌ﴾: أمَّا لون البشرة أو الوجه فهو البياض المخلوط بشيء من

الصفرة (اللون الأصفر) والعرب تشبه النساء بالبياض لصفاء بياضهن، وهذا

يَسْمَى تشبيه مرسل، قيل: كبيض النعام (أبيض مشرب باللون الأصفر) وهو أحسن الألوان على الإطلاق مقارنة بالأبيض كلون اللبن اللون الغير مستساغ كلون للبشرة.

﴿مَكْنُونٌ﴾: مستور لا يصله غبار ولا تلوث.

[٥٠] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾:

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب، أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، هذه الآية جاءت في سياق إقبال أهل الجنة بعضهم على بعض يتساءلون بينما الآية السابقة (٢٧) جاءت في سياق الأتباع والمتبوعين من المجرمين.

وكما دار حوار وتساؤل بين المجرمين يدور تساؤل وحوار بين أهل الجنة مختلف عن السابق، وتبين لنا الآيات القادمة نوع التساؤل.

[٥١] ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾:

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾: أي: من أصحاب جنات النعيم.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ لِي﴾: في الدنيا.

﴿قَرِينٌ﴾: وسمّاه قريناً، ولم يسمّه صاحباً. والقرين: هو رفيق السوء (يضر ولا ينفع) وأيضاً تطلق على الشيطان القرين.

أما الصّاحب: فهو الرفيق الذي ينتفع منه ويحفظ مصالح صاحبه ولا يفرط بها.



سورة النازعات

سورة النازعات ٣٧

يَقُولُ أَهْ نَكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَهْ ذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَهْ نَا
لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءٍ
الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي
لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا
الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلًا أَمْ شَجَرَةُ
الزَّيْتُونِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ
تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ
﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لُتُونِ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حِمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾
إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ
مُنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنِعْمِ
الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾



سورة الصافات [الآيات ٥٢ - ٧٦]

[٥٢] ﴿يَقُولُ أَأَنْتَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ﴾:

﴿يَقُولُ﴾: أي: كان يقول القرين لي في الدنيا يقول:

﴿أَأَنْتَ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتعجب والاستبعاد.

﴿لِمَنِ﴾: اللام للتوكيد، من ابتدائية.

﴿الْمَصْدِقِينَ﴾: أي: أأنت لمن المؤمنين بالبعث والحساب، أي: يُنكر عليّ

ويتعجب من كوني مؤمناً بالبعث والحساب.

[٥٣] ﴿إِذْ ذُنُوبُنَا ذُنُوبُهُمْ وَإِذْ تَبَرَأْنَا مِنْ أَصْغَارَ ذُنُوبِنَا إِذْ يَنْفِرُ الْكَافِرُ الْفَاسِقُ إِلَىٰ سَعِيرٍ﴾:

وكان هذا القرين يسألني أيضاً:

﴿إِذْ ذَا﴾: الهمزة أيضاً للاستفهام الإنكاري والاستبعاد والتعجب، إذا:

ظرفية للاستقبال تفيد حتمية الحدوث.

﴿مِنْنَا﴾: مِنَّا بكسر الميم يدل على الموت الطبيعي، ولو قال: إِذَا مِتْنَا بضم

الميم فتدل على الموت بأسباب أخرى مثل الموت في سبيل الله (في الجهاد).

ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٥٧-١٥٨) للبيان والفرق بين مِتْ ومُتْ.

﴿وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾: أي: تحولت أجسامنا إلى تراب وعظام.



﴿أَيْنَا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والاستبعاد، أي: يسألني مستكراً حين أخبره أنا لمدينون.

﴿لَمَدِينُونَ﴾: اللام للتوكيد، مدينون: من دان ودنئته على ما صنع: أي: جازيته على ما صنع. أي: أنحن مجازون على ما نعمل أو محاسبون أو مسؤولون.

والسؤال لماذا استعمل لمدينون ولم يقل: إنا لمبعوثون: لأن السياق هو في الآخرة ويسأل عن قرينه بعد أن دخل الجنة فالبعث مضى وانقضى والموقف موقف بعد الحساب والجزاء، وإنا لمبعوثون: تأتي في سياق السؤال في الدنيا عن البعث.

[٥٤] ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ﴾:

﴿قَالَ هَلْ﴾: هل: للاستفهام الحقيقي.

﴿أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ﴾: معي للبحث عن ذلك القرين لنظر ما حل به.

[٥٥] ﴿فَاطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾:

﴿فَاطَّلَعَ فَرَأَاهُ﴾: الفاء للمباشرة، فاطلع المؤمن كشف له الحجاب فرأى قرينه في سواء الجحيم، أي: في وسط النار.

﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾: في ظرفية، سواء الجحيم: وسط النار وسُمي الوسط: لاستواء تساوي المسافة إلى الجوانب.

[٥٦] ﴿قَالَ تَأَلَّهْ إِنَّ كِدْتَ لَتُرِيدُنِي﴾:

﴿قَالَ﴾: قال المؤمن الذي في الجنة وكأنه يتحدث مع قرينه مباشرة.

﴿تَاللَّهِ﴾: التَّاء تاء القسم، أي: أقسم بالله، والقسم للتوكيد، وفيه معنى التعجب والتفخيم، والتَّاء أقوى أدوات القسم، أقوى من الواو والباء واللام.
﴿إِنْ﴾: للتوكيد.

﴿كَذَّتْ﴾: من أفعال المقاربة، أي: أوشكت.

﴿لَتُرْدِينَ﴾: اللام لزيادة التوكيد، تردين: أي: لتهلكني معك أو تؤدِّي إلى هلاكي بصدق إياي عن الإيمان بالله وبالبعث، يقال: أرديت فلاناً: أي: أهلكته وقضيت عليه، مشتقة من الرَّدَى: وهو الهلاك وأردى فلان: أي: أهلكه، وقوله تعالى: لتردين وليس لتردينني: لأن المحاولة التي قام بها قرينه كانت مؤقتة ولم تستمر طويلاً.

[٥٧] ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾:

﴿وَلَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود.

﴿نِعْمَةُ رَبِّي﴾: عليّ بالإسلام والإيمان والهداية والتوفيق.

﴿لَكُنْتُ﴾: اللام للتوكيد، كنت: أي: أصبحت.

﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾: من ابتدائية، المحضرين للعذاب أو المحضرين معك في النار، ومحضرين جمع محضر: والمحضر هو الذي أرغم على الحضور أي: من دون إرادته تُحضرهم الملائكة فتدخلهم النار. محضرون: لا تأتي إلا في سياق العذاب في كل آيات القرآن.



[٥٨] ﴿أَفَمَنْ نَحْنُ بِمِيتَيْنِ﴾:

﴿أَفَمَا﴾: الهمزة للاستفهام المشوب بالنفي والتعجب والتقرير، والفاء للتوكيد، ما: النافية.

﴿نَحْنُ بِمِيتَيْنِ﴾: أي: ما نحن بميتين مرة أخرى إلا:

[٥٩] ﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَوْتَنَا الْأُولَى﴾: التي تلت الحياة الدنيا فقط.

﴿وَمَا﴾: لتوكيد النفي.

﴿نَحْنُ﴾: تفيد التوكيد.

﴿بِمُعَذَّبِينَ﴾: الباء للإلصاق، معذبين في النار. أو بأي نوع من أنواع العذاب الأخرى.

[٦٠] ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:

هذا: يمكن أن يكون قول الله تعالى أو الملائكة أو الرجل المؤمن الذي دخل الجنة.

إِنَّ واللام في لهو يفيدان التوكيد.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يفيد القرب، ويشير إلى النجاة من

العذاب، ولن يكون هناك موت ثانٍ.

﴿لَهُوَ﴾: اللام لزيادة التوكيد.



﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: الفوز: النّجاة من النّار وبلوغ الغاية وهي نيل الجنة.

فالفرق بين الفوز والنّجاة: الفوز = النّجاة + الوصول إلى المحبوب (المطلوب).

أمّا النّجاة = فهي الخلاص من المكروه فقط.

والفوز العظيم: ليس هناك فوز أفضل منه أو أعلى منه، فهو أفضل من الفوز الكبير أو الفوز المبين. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٣) لمزيد من البيان.

[٦١] ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾:

﴿لِمِثْلِ هَذَا﴾: اللام في كلمة لمثل: لام التّعليل والتّوكيد.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتّنبية وذا اسم إشارة يشير إلى الفوز العظيم.

﴿فَلْيَعْمَلِ﴾: الفاء للمباشرة، أي: لا يتأخرون عن العمل العظيم واللام في ليعمل لزيادة التّوكيد.

﴿الْعَامِلُونَ﴾: في الدّنيا من الأعمال الصّالحة، والعمل يضم الأقوال والأفعال معاً. عاملون جملة اسمية تفيد الدوام والثبات على القيام بالأعمال الصّالحة.

[٦٢] ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾:

﴿أَذَلِكَ﴾: الهمزة للاستفهام التّقريري والتّهكم بالكفرة، ذلك: اسم إشارة للبعد يشير إلى جنات النّعيم.

﴿خَيْرٌ﴾: أفضل.



﴿نُزُلًا﴾: مكانة نُزُلًا من التُّزُل ما يُعَدُّ للضيف من المأكل والمشرب والمسكن وحسن الضيافة والترحيب.

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام المصحوب بالتوبيخ، أم للإضراب الانتقالي.

﴿شَجَرَةُ الزَّقُومِ﴾: شجرة خبيثة مرة الطعم مُتَتَنة لا يوجد لها مثل في الدنيا، وتسمى الشجرة الملعونة في القرآن. الإسراء آية (٦٠).

وقد ورد ذكرها في ثلاث آيات:

سورة الصافات: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ (٦٣) ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (٦٤) ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٣-٦٥].

وفي سورة الدخان: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ﴾ (٤٣) ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ (٤٤) ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ (٤٥) ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦].

وفي سورة الواقعة: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَتِيهَا الصَّالُونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾ (٥١) ﴿لَا كُوفَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ﴾ (٥٢) ﴿فَالْأُولَئِكَ مِنَ الْبُطُونِ﴾ [الواقعة: ٥١-٥٣].

[٦٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿جَعَلْنَاهَا﴾: أي: شجرة الزقوم.

﴿فِتْنَةً﴾: تعني: للابتلاء: الاختبار في الدنيا، لمن يصدق بها أو يكذبها، وفي الآخرة نوع من أنواع العذاب للظالمين المشركين.

﴿لَظَلَمِينَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٤) لبيان معنى الظالمين.

[٦٤] ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾:

﴿تَخْرُجُ﴾: تنبت.

﴿فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾: في قعر الجحيم، كما قال الحسن، وأغصانها وفروعها تمتد في دركات النار السبع. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) للبيان المفصل.

[٦٥] ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾:

﴿طَلَعَهَا﴾: قيل: هو ثمرها كأنه رؤوس الشياطين وسُمِّيَ طلعا، أو طلعا ما ينمو أو ينبت من أوراقها وأغصانها أو حملها، له صورة رؤوس الشياطين. والعرب تشبه كل شيء قبيح برأس الشيطان.

وهل رأى أحد رؤوس الشياطين؟

وما دام المخبر هو الله سبحانه فقوله الحق، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾

[النساء: ١٢٢].

[٦٦] ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾:

﴿فَإِنَّهُمْ﴾: للتوكيد تعود إلى الظالمين.

﴿لَا يَكُونُونَ مِنْهَا﴾: لا يكونون: اللام للتعليل والتوكيد حيث لا طعام لهم آخر، ولن يأكلوا منها على قدر الضرورة، بل سيؤمروا أن يملؤوا منها البطون.



﴿فَمَالِئُونَ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، أي: يُكْرَهُونَ ويجبرون على الأكل منها حتى تمتلئ بطونهم منها.

[٦٧] ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لا تدل على الترتيب والتراخي، وإنما للترتيب العددي.

﴿إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾: للتوكيد، لهم عليها: اللام لام الاختصاص، عليها: تفيد المشقة والعلو.

﴿لَشَوْبًا﴾: اللام للتعليل، الشوب هو الشيء المخلوط الممزوج، يقال: شاب الطعام أو الشراب، أي: خلطه بشيء آخر.

﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾: الحميم: الماء البالغ غاية أو نهاية الحرارة، يشربونه فيختلط بالمأكول من شجرة الزقوم، أي: أنهم إذا أكلوا الزقوم فملئوا منها البطون عندها يحتاجون الماء ليطفئ لهم العطش، فيذهبون إلى الحميم (قيل: هو خارج جهنم) فيشربون من الحميم فيختلط الحميم في بطونهم مع الزقوم والعياذ بالله.

[٦٨] ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ لِآلِ الْجَحِيمِ﴾:

﴿ثُمَّ إِنَّ﴾: ثم للترتيب العددي، إن للتوكيد.

﴿مَرَجَهُمْ لِآلِ الْجَحِيمِ﴾: بعد الشرب من الحميم يُرْجَعُ بهم إلى الجحيم؛ لأن الحميم خارج جهنم، فيخرجون خارج جهنم ليشربون من الحميم، ثم يُعادون إلى الجحيم، كقوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ إِنِ﴾ [الرحمن: ٤٤].

[٦٩] ﴿إِنَّهُمْ أَلفُوا أَبَاءَهُمْ فَضَالِينَ﴾:

﴿إِنَّهُمْ أَلفُوا أَبَاءَهُمْ﴾: ألفوا: وجدوا وهناك فرق بين ألفوا ووجدوا: ألفوا

من ألقى تستعمل للأمور المحسوسة المشاهدة، وفي الأمور غير المستحبة المذمومة، بينما وجدوا تستعمل في الأمور القلبية المعنوية، ووجدوا أعم وأشمل من ألفوا، ارجع إلى الآية (١٧٠) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿إِذَا بَاءَ مُضَالَيْنَ﴾: وجدوا آباءهم ضالين عن طريق الهدى في الظلمات. ظلمة الشرك والجهل والتقليد والفساد.

[٧٠] ﴿فَهُمْ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾:

﴿فَهُمْ﴾: يحث ويدفع بعضهم بعضاً على الإسراع في اتباع الآباء.

﴿يُهْرَعُونَ﴾: مشتقة من يهرع بالأسير أي: يُسرع به بعد القبض عليه، أي: يسرعون، مندفعين إلى اتباع آبائهم من دون تفكير أو تعقل في الشرك والكفر والضلال.

[٧١] ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق، أي: تحقق ضلال أكثر الأولين.

﴿قَبْلَهُمْ﴾: الضمير يعود إلى قريش من المشركين وتعني: من زمن بعيد أو قريب ولو قال: من قبلهم لكانت تعني من زمناً قريباً.

﴿أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾: الأمم الخالية لقد ضل قبلهم كثير ممن سبقوهم الكثرة ضلت والقلة آمنت.

[٧٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: كالسابقة في الآية (٧١).



﴿أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾: أي: لم نتركهم على غفلتهم، بل أرسلنا إليهم رسلاً منذرين لهم من العذاب والنار، والإنذار يعني: الإعلام والتحذير.

[٧٣] ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾:

﴿فَانْظُرْ﴾: نظرة فكرية قلبية كيف أداة استفهام للسؤال عن الحال كان عاقبة (حين يذكر العاقبة بكلمة كان ولم يقل: كانت) يدل على أن العاقبة معناها العذاب، وحين يؤنث العاقبة فيقول: كانت عاقبة تعني: الجنة، وذلك في كل القرآن الكريم.

﴿كَانَ عَاقِبَةُ﴾: أي: عذابهم وهلاكهم.

﴿الْمُنْذَرِينَ﴾: القوم الذين أُنذروا من رسلهم فأصروا على كفرهم ولم يتعظوا كيف كان عذابهم وهلاكهم.

[٧٤] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾:

أي: فانظر كيف أهلكنا المنذرين إلا عباد الله المخلصين الذين استجابوا لرسولهم أنجيناهم.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: ارجع إلى الآية (٤٠) من نفس السورة للبيان، أي: الموحدين الذين استجابوا للإنذار وانتفعوا به فنجوا من العذاب أو الهلاك.

[٧٥] ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنَعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: ارجع إلى الآية (٧١) للبيان.

﴿نَادَيْنَا نُوحٌ﴾: حين قال: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ [القمر: ١٠] أو حين قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

﴿فَلَنَعْمَ﴾: الفاء للتعقيب المباشرة، واللام في لنعم للتوكيد، ونعم من أفعال المدح العامة؛ نعم المجيبون: تعني: نحن الذين أجبناه، فلنعم تعود لله سبحانه وتعالى، ولم يقل: فلنعم المجيب وجاء الجمع بصيغة الجمع للتعظيم؛ لأن إنقاذ نوح من الكرب تطلب القدرة والعلم والحكمة.

[٧٦] ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾:

﴿وَنَجَّيْنَاهُ﴾: تدل على بقاء النجاة وطول الزمن (بعد ٩٥٠ سنة) ولم يقل: أنجيناه التي تدل على السرعة وقصر الزمن، ونجاته التي تمت بعد صنع الفلك، وتعني: زمن الطوفان.

﴿وَأَهْلَهُ﴾: أولاده الثلاثة سام وحام ويافث وزوجاتهم.

﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾: من ابتدائية، الكرب: من الغرق والطوفان، ووصف ذلك بالكرب، والكرب هو المكروه الذي لا تستطيع دفعه عن نفسك، ولا يدفعه عنك من حولك حين تستغيث بهم، فإن كان لك فيه حيلة للنجاة فلا يسمّى كرباً، فالكرب: المكروه الذي لا يملك أو يستطيع أحد دفعه إلا الله وحده سبحانه، فإنه القادر على ذلك.





الْبُرْجُ الثَّالِثُ الْخَمْسُونَ

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ ٣٧

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ
عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ
عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ مِنْ
شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لَأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَكَاءَ إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرْنَا نَظْرَةً فِي التُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَى إِلَهِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْتَا كُلُّونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا
بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَعْبُدُون مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ
فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾
وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾
فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى قَالَ
يَبْنِيْ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ
يَتَابِتْ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾



سورة الصّافات [الآيات ٧٧-١٠٢]

[٧٧] ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾:

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ﴾: وجعلنا أولاده الثلاثة سام وحام ويافث (ذريته ﷺ) هم أصل الناس عامة، سام أصل العرب والروم وفارس، وحام أصل الأفارقة والقبط والبربر والسودان، ويافث أصل الترك والصين والولايات الواقعة جنوب الاتحاد السوفيتي وأجوج ومأجوج.
﴿هُمُ﴾: للتوكيد والحصر.

﴿لِبَاقِينَ﴾: كلّ الناس الذين من غير ذريته ماتوا وانقرضوا، فالناس كلّهم من ولد نوح ﷺ، أي: هم الذين بقوا وتناسلوا.

[٧٨] ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾:

﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾: أبقينا له الذكر الحسن في الأجيال التي أتت بعده فحين نسمع اسم نوح يُذكر نقول: ﷺ، ويشنون عليه من بين الأنبياء وأنه من أولي العزم، وذكر اسمه في القرآن (٤٣ مرة)، وغيره من الكتب.
الآخرين: الأقوام التي جاءت بعده ولم تعاصره.

[٧٩] ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾:

﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ﴾: أي: تركنا عليه أن يسلم عليه في الذين جاؤوا من بعده، وسلام نكرة يشمل سلام التّحية والأمن والسلام ويشمل السّلامة من كلّ مكروه.
وقال ابن عباس: يُذكر بخير، والسلام الذي يأتي معرفة (بأل التعريف): يدل على



سلام التحية فقط، وجاء السلام في كل القرآن بصيغة النكرة إلا آية واحدة هي قول عيسى ﷺ: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ﴾ [مريم: ٣٣].

﴿فِي الْعَالَمِينَ﴾: في الملائكة والانس والجن، أي: تركنا كل العالمين يسلمون عليه تسليماً ويقولون: ﷺ؛ لأنه كان مُحسناً أو تكريماً له؛ لأنه من أولي العزم من الرسل.

[٨٠] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿كَذَلِكَ﴾: تعني: مثل ذلك وتعني الكاف للتشبيه، ذلك: اسم إشارة، إنا كذلك: أي: مثل ذلك الجزاء وهو سلام عليه حين يُذكر اسمه والثناء والذكر الحسن والسيرة الطيبة التي يتداولها الناس.

﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: نجزي: من الجزاء: وهو الأجر والثواب، المحسنين: جمع مُحسن. ولييان الإحسان ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة.

[٨١] ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾:

إنَّه للتوكيد، من ابتدائية بعضية، عبادنا المؤمنين: وهذا ثناء عليه إضافة نا للتشريف، فقد كان ﷺ محسناً وعبداً مؤمناً.

[٨٢] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لتبيان بعد منزلة المؤمنين من الكافرين.

﴿أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾: أي: الكافرين من قومه بالطوفان، انتبه إلى لفظ الآخرین بفتح الخاء الكافرين الذين عاصروه، وأما الآخرون بكسر الخاء فتعني: الأجيال التي جاءت بعده.

[٨٣] ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾:

﴿وَإِنَّ مِنْ﴾: إِنَّ للتوكيد، من ابتدائية تعليلية.

﴿مِنْ شِيعَتِهِ﴾: أي: إبراهيم من شيعة نوح؛ أي: من أتباع نوح ﷺ، والأشياء: أعم من الأتباع؛ الأتباع: هم فقط كانوا معه في زمنه؛ أي: من سار على ملة ومنهاج نوح، ودعا بدعوته.

﴿لَإِبْرَاهِيمَ﴾: السلام لام الاختصاص والتوكيد، وكان ما بين نوح ﷺ وإبراهيم ﷺ ما يقارب (٢٦٤٠ سنة).

[٨٤] ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرفية بمعنى حين.

﴿جَاءَ رَبُّهُ﴾: أقبل على ربه، ولم ينتظر حتّى يأتيه من يدعوهُ إلى الإيمان والتوحيد.

﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾: بفطرة الإسلام والتوحيد، وقلب سليم من الشرك والشك والتناق، قلب سليم: قلب معافى من كلّ مرض في العقيدة والدين، والباء للإلصاق واللزوم والاستمرار، وفي سورة الشعراء آية (٨٩) قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾. ارجع إلى سورة الشعراء آية (٨٩) لمعرفة الفرق بين الآيتين.

[٨٥] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾:

﴿إِذْ قَالَ﴾: ظرفية بمعنى الماضي حين؛ أي: واذكر إذ قال لأبيه أو حين قال لأبيه وقومه.

﴿لِأَبِيهِ﴾: السلام لام الاختصاص، أبيه أزر أو تعني عمه، وهذا هو الأصح فالقرآن يسمّي العم أبا، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَاكَ



إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴿البقرة: ١٣٣﴾. ارجع إلى سورة الشعراء آية (٧٠) لمعرفة أبيه ومن هو آزر.

﴿وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾: ماذا استفهام توبيخ وإنكار، وماذا أقوى وأشد استفهاماً من (ما) تعبدون، وإبراهيم عليه السلام يعلم ما يعبدون؛ لأنه قال لأبيه آزر كما ورد في سورة الأنعام التي نزلت قبل سورة الصافات: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا إِلَهًا إِنِّي أُرْسِلُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤].

ولكنه عليه السلام يريد أن ينكر على أبيه (أي عمه) وقومه ما يعبدون ويوبخهم على ذلك ويقيم عليهم الحجة، وفي سورة الشعراء آية (٧٠) قال لهم ما تعبدون؟ استفهام في بداية الأمر استفهام حقيقي، ولذلك أجابوه: نعبد أصناماً فنظّل لها عاكفين، أما في سورة الصافات قال: ماذا تعبدون؟ استفهام إنكاري، وتوبيخ؛ لأنه يعلم ماذا يعبدون.

[٨٦] ﴿أَيُّفَكَاءَ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾:

الإفك هو الكذب المتعمّد وهو أقبح الكذب؛ لأنه كذب على الله تعالى، ويكون بقلب الحقيقة أي: أكذباً آلهة دون الله تريدون.

﴿أَيُّفَكَاءَ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري فهو ينكر على عمه وقومه عبادة أو تأليه غير الله تعالى، والاستفهام أقوى من الإخبار؛ لتكون الإجابة منهم فتكون حجة عليهم.

﴿إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ﴾: آلهة أصناماً، دون الله: غير الله أو سواه.

﴿تُرِيدُونَ﴾: تبغون تعبدون، تريدون تدل على التجدد والاستمرار وتقديم المفعول على الفعل (تريدون) للاهتمام والعناية بدلاً من القول أتريدون آلهة من



دون الله إفكاً؛ أي: إنكم على إفك (باطل) في شرككم والآلهة التي تعبدونها هي أيضاً إفك وباطل.

[٨٧] ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء عاطفة، ما استفهام إنكاري وتوبيخ وتحذير.

﴿ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: ما ظنكم برب العالمين حتى عبدتم آلهة غيره، ولم يُبين ما نوع هذا الظن، فقد يعني: ما سوء ظنكم برب العالمين حتى تعبدوا غيره، أو فما ظنكم أن يصنع بكم إذا أشركتم به ألا يعاقبكم ويسخط عليكم، أو ما ظنكم: أليس هو ربكم ويستحق العبادة وحده، والظن: هو الاحتمال الراجح حين ترجح كفة الإثبات على كفة النفي.

[٨٨] ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾:

أراد إبراهيم ﷺ أن يحطم الأصنام التي يعبدها قومه فانتظر قدوم عيد لهم، فلما عزموا إلى الخروج إلى العيد راح ينظر إلى السماء والنجوم، كما يفعل القوم حين يشعرون بقدوم المرض والسقم ينظرون إلى السماء يطلبون العون لكي لا ينكروا عليه عدم خروجه معهم، فلما سألوه أن يخرج معهم أخبرهم أنه سقيم لا يستطيع الخروج؛ لأنه يشعر أنه مريض في بدنه.

[٨٩] ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾:

﴿فَقَالَ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، أي: قال لهم مباشرة: إنه سقيم بعد أن نظر في النجوم.

﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾: مريض، والسقيم: حالة خاصة من المرض، والمرض يشمل السقم، والمرض قد يكون مرضاً عضوياً؛ أي: يصيب البدن، أو نفسياً، والسقم مرض عضوي فقط، وحقاً هو مريض من إقبال قومه على عبادة الأصنام والشرك



بالله، كما كان رسول الله ﷺ يحزن على قومه لعدم إيمانهم فيصفه الله تعالى بقوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ ۖ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ [هود: ١٢]، ﴿ فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ ﴾ [الكهف: ٦].

إني: للتوكيد، أي: اذهبوا وحدكم إلى عيدكم.

[٩٠] ﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾:

﴿ فَتَوَلَّوْا ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، تولوا عنه: انصرفوا عنه، أي: تركوه.

﴿ مُدْبِرِينَ ﴾: ذاهبين إلى عيدهم، وفي سورة الأنبياء الآية (٥٧) قال إبراهيم ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ﴾ قال ذلك في نفسه أو بصوت خافت.

[٩١] ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾:

﴿ فَرَاغَ ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، أي: ذهب إبراهيم مسرعاً وبخفية، أو تسلل إلى الأصنام بخفية كما يتسلل الثعلب المراوغ بحيث لا يراه أحد، وقيل: وضعوا بعض طعامهم عند أصنامهم ليأكلوه بعد عودتهم، فقال إبراهيم للأصنام مباشرة:

﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾: ألا: أداة حُضٍّ وحثٍّ، والهمزة في ألا همزة استفهام إنكاري وتوبيخ، فلم تجب الأصنام على سؤاله طبعاً.

[٩٢] ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴾:

﴿ مَا لَكُمْ ﴾: ما للاستفهام والسخرية والتهكم، لكم: اللام لام الاختصاص، لا النَّافِيَةُ.

﴿ لَا تَنْطِقُونَ ﴾: لا تجيبون.



[٩٣] ﴿فَرَّغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾:

﴿فَرَّغَ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب، راغ: مال على الأصنام ضرباً باليمين، أي: راح يكسرها بيده اليمنى ويحطمها بقوة وشدة واليمين تدل على القوة والشدة غيرة على دين الله.

[٩٤] ﴿فَاقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ﴾:

﴿فَاقْبَلُوا﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب، إليه يزفون: اتجهوا إليه مسرعين، بعد عودتهم من عيدهم، وبعد أن وجدوا آلهتهم جذاذاً إلا كبيراً لهم، وبعد أن تساءلوا عمن فعل هذا بالهتهم وظنوا أنه إبراهيم.

﴿فَاقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ﴾: من زف يزفُ بمعنى أسرع يسرع، أي: اتجهوا إليه أو نحوه مسرعين.

ولم يذكر في هذه السورة ما جرى بين إبراهيم وقومه من الحوار كاملاً وذكر ذلك في سورة الأنبياء آية (٥٩-٦٢).

[٩٥] ﴿قَالَ اتَّعِبُودُ مَا نَنحِتُونَ﴾:

﴿اتَّعِبُودُ﴾: استفهام إنكاري وتقريع، العبادة تعني: امتثال أوامر المعبود وتجنب نواهيه.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية.

﴿نَنحِتُونَ﴾: من النحت الصناعة من حجر أو خشب أو من فضة أو ذهب.

ثم قال لهم: ﴿أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧].



[٩٦] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا﴾: وما بمعنى الذي، أي: الله خلقكم وألهتكم (أصنامكم).

﴿تَعْمَلُونَ﴾: أي: بأيديكم من الأصنام والتماثيل والآلهة، وما تعملون من النحت والتصوير والتجارة.

[٩٧] ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾:

بعدما أصابتهم الحيرة أمام إبراهيم أرادوا به كيداً فقالوا:

﴿ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا﴾: البنيان هو البناء الثابت الأثري، واملأوه بالحطب وأوقدوا النار، ثم ألقوا إبراهيم فيه، له: اللام لام الاختصاص له خاصة.

﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة؛ الجحيم: أي: إذا اضطربت وتأججت ألقوه في النار المستعرة المتأججة.

[٩٨] ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾:

﴿فَارَادُوا بِهِ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، أرادوا به: أي: بإبراهيم.

﴿كَيْدًا﴾: الكيد: هو إيقاع المكروه بالغير قهراً سواء علم أو لا، والكيد أقوى من المكر، والكيد هو إحراقه على مرأى من الناس.

﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾: رداً على قولهم: فألقوه في الجحيم بما أن الإلقاء يكون من الأعلى إلى الأسفل، فجاء الرد على كيدهم كأنهم هم الذين سقطوا في النار بدلاً من إبراهيم.

فكانوا هم الأسفلين وإبراهيم ﷺ لم يُصَبَّ بأيّ أذى.

وإذا قارنا هذه الآية ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾ مع الآية (٦٩) من سورة الأنبياء ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ﴾:

نجد في سورة الأنبياء قالوا: حرقوه وانصروا آلهتكم، فجاء الرد فجعلناهم الأخسرين مقابل انصروا آلهتكم (النصر قابله بالخسارة).

وفي سورة الصافات مقابل الإلقاء (من أعلى إلى أسفل) جعلهم هم الأسفلين.

[٩٩] ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾:

﴿وَقَالَ﴾: إبراهيم ﷺ بعد نجاته من النار وعدم استجابة قومه لدعوته.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾: أي: مهاجر إلى ربي أو إلى حيث أمرني ربي، وهي الهجرة إلى الشام.

﴿سَيِّدِينَ﴾: السنين للاستقبال القريب، سيهدين إلى أين أذهب لإقامة الدعوة والتبليغ وإعلاء كلمته وعبادته، وسيهدين عامة تشمل إبراهيم وغيره فكل من يهاجر إلى الله سبحانه سيهديه، وليست خاصة بإبراهيم وحده ولو كانت تعني: إبراهيم وحده لقال سيهديني.

[١٠٠] ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾:

ثم دعا إبراهيم ﷺ ربه فقال:

﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾: الهبة: العطاء من دون مقابل، ارجع إلى سورة إبراهيم الآية (٣٩) للبيان، أي: ارزقني.



﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: ذرية صالحة أو ولداً صالحاً يحمل الرسالة من بعده ويتحمل مسؤولية النبوة، من ابتدائية بعضية، أي: بعض الصالحين.
[١٠١] ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾:

﴿فَبَشَّرْنَاهُ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب، بشرناه: من البشارة وهي الخبر السار لأول مرة.

﴿بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾: الباء للإلصاق، غلام حلیم: هو إسماعيل، كما قال أكثر المفسرين، وحليم: ذو حلم وصبر وأناة ولا يستفزه الغضب وإسماعيل أكبر من إسحاق بـ(١٣) سنة، ولم يقل: غلام عليم: يعني: إسحاق، كما جاء في سورة الذاريات (٢٨) والذي يؤيد أنه إسماعيل قوله في الآية (١١٢) من نفس السورة: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: بعد ذكر حادثة الذبح جاء ذكر البشارة بإسحاق.

[١٠٢] ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾
قَالَ يَتَأْتِي أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء عاطفة، لما: ظرفية للزمان الماضي بمعنى حين.

﴿بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ﴾: أي: بلغ إسماعيل السن الذي يقدر فيه على السعي؛ أي: العمل كما قال ابن عباس. قيل: (١٣) سنة وهو المرجح، معه: أي: مع أبيه إبراهيم ﷺ، بلغ معه السعي، ولم يقل بلغ السعي بشكل عام؛ لأن إسماعيل في ذلك العمر له قدرته وطاقته على العمل فيقوم بما يقدر عليه ويترك ما لا يقدر عليه لأبيه، وأبوه لن يكلفه إلا على قدر طاقته وقدرته فهذا هو سر بلغ معه.

﴿قَالَ يَبْنَئُ﴾: فيها معنى العطف والحنان ولم يقل: يا ابني.

﴿إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ﴾: إنني للتوكيد، أرى في المنام: ولم يقل: رأيت في

المنام أرى تدل على كثرة الرؤيا والتَّجَدُّد. فقد رأى إبراهيم نفس الرؤيا في كل ليلة لمدة ثلاث ليال، فلو رأى الرؤيا مرة واحدة لقال: رأيت. كما جاء في سورة يوسف آية (٤) حين قال: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾.

﴿إِنِّي أَذْبَحُكَ﴾: أي: لم ير إبراهيم أنه ذبح إسماعيل في منامه بيده، وإنما أمر في المنام بذبحه، ويدل على ذلك قوله: افعل ما تؤمر، أي: ما طلب منك. ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾: أي: فكّر وتدبّر في هذه الرؤيا، ماذا: استفهام أقوى وأكد من حرف ما.

ماذا ترى من الرأي على وجه المشاورة (وهو في سن ١٣ سنة) وشاوره ليعلم إسماعيل ما يقوله أبوه إبراهيم أنه بلاء من الله، ويثبته ويصبره ويعلمه الانقياد إلى أمر الله، فهو أمام أمرين الأمر الأول البرُّ برِّه، والثاني البرُّ بأبيه. ﴿قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمُرُ﴾:

﴿قَالَ﴾: إسماعيل لأبيه إبراهيم: افعل ما تؤمر به.

﴿سَتَجِدُنِي﴾: السّين للاستقبال القريب.

﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾: إن شرطية.

﴿مِنَ الصَّابِرِينَ﴾: من ابتدائية، ولم يقل: صابراً من الصّابرين أفضل من صابر؛ لأن الدّعاء بصيغة الجمع أفضل من الدّعاء بصيغة الأفراد من الصّابرين على قضاء الله وقدره.





الجزء الثاني والعشرون

سورة الصافات ٣٧

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَلِلَّهِ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّيْبِرْهُمَا ﴿١٠٤﴾ قَدْ
صَدَقْتَ الرَّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ
الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي
الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ
الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَرْكُنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى
وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ
﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ
الْمُسْتَتِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرْكُنَا
عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ
﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ
عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِيَّاسَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾
إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾



سورة الصّافات [الآيات ١٠٣-١٢٦]

[١٠٣] ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للترتيب الذكري، لما: ظرفية زمانية للماضي بمعنى حين.

﴿أَسْلَمَا﴾: الابن إسماعيل أسلم نفسه لله، وأسلم الأب إبراهيم ابنه لله وكلاهما رضا بقضاء الله وحكمه وعزما على تنفيذ أمره، أو فَوْضَا أمرهما لله تعالى.

﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾: أصل تَلَّ ألقى به على التَّل (مجمع الرَّمَل)، والجبين هو الجزء الخارجي المجاور للجبهة، وللوجه جبينين وجبهة، وتَلَّ للجبين، أي: أضجعه على جبينه فصار أحد جبينيه على مجمع الرَّمَل كي لا يرى وجهه وهو يتعذّب، وأصبح هذا المكان فيما بعد مكان رمي الجمرات، وقد وصف الله سبحانه إسماعيل بثلاث صفات: الحليم، صادق الوعد، ومن الصالحين، كما ورد في الآية (١٠٠-١٠١) في هذه السورة، والآية (٥٤) من سورة مريم، وللجبين: اللام لام الاختصاص، أي: غائراً أو ملازماً لجبينه.

وقد ذكر الله سبحانه الجبهة في القرآن، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة: ٢٥].

[١٠٤] ﴿وَنَدَيْنَهُ أَنْ يَتَّيِّرَهُمْ﴾:

﴿وَنَدَيْنَهُ﴾: الواو للتوكيد، أن تفيد التعليل، أي: قد صدقت الرؤيا بعد أن



حاول إبراهيم بالفعل ذبح ولده بالسكين، ولكن الله سبحانه نزع منها خاصية القطع أو الذبح وحولها إلى أداة غير حادة.

[١٠٥] ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿قَدْ﴾: للتحقيق، أي: قد حققت المطلوب منك.

﴿صَدَّقْتَ الرُّيَا﴾: الرؤيا: ما يراه النائم في منامه، ورؤيا الأنبياء صدق؛ أي: جعلت الرؤيا المنامية رؤيا صادقة، والرؤيا تختلف عن أضغاث الأحلام المختلطة، والتي قد لا تكون صادقة.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾: إنا للتعظيم، كذلك: الكاف للتشبيه، ذلك: اسم إشارة يشير إلى ما فعله إبراهيم ﷺ بالقيام بما أمره الله به.

أي: كما عفونا إبراهيم عن ذبح ولده وخلصناه من ابتلائه:

﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: أي: نجزي كل محسن على طاعته وامثاله أوامر الله أي: ننجيه من كربته وشدته ومحنته، ونثيبه على صبره وإحسانه وإخلاصه.

[١٠٦] ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ أَلْبَتَأُ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، واللام في كلمة لهو لزيادة التوكيد.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير إلى ما ابتلينا به إبراهيم من ذبح ولده.

﴿لَهُوَ﴾: اللام لزيادة التوكيد، هو للتوكيد أيضاً.

﴿أَلْبَتَأُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: البلاء: هو الاختبار بالمكروه أو الشدة أو الكرب لاستخراج أو معرفة ما عند العبد من الطاعة والصبر، والبلاء قد يكون بالخير والشر، أي: ابتلاء إبراهيم بذبح إسماعيل وصبر إسماعيل على تنفيذ حكم الله



تعالى هو من أشد الابتلاءات على الإطلاق، المبين: الَّذِي يَقْرُبُهُ كُلُّ فَرْدٍ - والمبين الواضح - لا يحتاج إلى دليل أو بَيِّنَةٍ أَنَّهُ أَصْعَبُ وَأَشَدُّ الْإِبْتِلَاءَاتِ.

[١٠٧] ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ﴾:

﴿وَفَدَيْنَهُ﴾: الواو عاطفة، فديناه: من الفداء: هو ما يُجْعَلُ بدل الشيء سواء كان مثله أو أنقص منه، والهاء في فديناه تعود على إسماعيل ؑ، أي: بدلنا ذبح إسماعيل ؑ بذبح كبش عظيم.

والأدلة كثيرة على أَنَّ الذَّبِيحَ كان إسماعيل ؑ منها:

الآية (١١٢) من نفس السَّورة التي جاءت بعد ذكر الذَّبِيحَ لتبشِّرَ بقدوم إسحاق.

كون إسماعيل ابنه الوحيد في تلك الفترة الزمنية وكون إسماعيل عاش في مكة ولم يكن في الشام.

﴿بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ﴾: كبش كبير أملح لا عيب فيه.

[١٠٨] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (٧٨) تركنا عليه في الأجيال التي جاءت بعده بالذكر والثناء الحسن بالقول عند ذكر إبراهيم ؑ عليه وسيرته الحسنة التي يتداولها الناس.

[١٠٩] ﴿سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾:

سلام من الله تعالى على إبراهيم وملائكته، وسلام عليه من كل من يذكر اسمه من الإنس والجن، سلام تحية وسلام وأمن في الآخرة، وسلام من كل مكروه ومن النار.



[١١٠] ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾:

لم يذكر (إنا) في هذه الآية؛ لأنه ذكرها في الآية (١٠٥) فاكتمل بذكرها هناك.

أي: كما جزينا إبراهيم عليه السلام نجزي غيره من المحسنين بالذكر والثناء الحسن سواء في الملاء الأعلى، أو في الأرض، وكما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] نجزي المحسنين الدرجات العلى.

[١١١] ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾:

ثناء وشهادة أخرى لإبراهيم.

ودعوة وحث إلى الإيمان والترغيب فيه.

وكل محسن مؤمن وليس كل مؤمن محسناً.

فالإيمان يسبق الإحسان، وقد تعني: أنه كان من عبادنا المؤمنين قبل أن يكون من المحسنين.

[١١٢] ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾:

﴿وَبَشَّرْنَاهُ﴾: الواو عاطفة، بشرناه: أي: بشرته ملائكتنا حين دخلوا على إبراهيم، وهم في طريقهم إلى قوم لوط بشروا إبراهيم بغلام عليم، كما ورد في سورة الذاريات الآية (٢٨)، وإضافة الله سبحانه للملائكة؛ لأنّ البشري هي أصلها من الله تعالى وتشريفاً لإبراهيم وتكريماً له والبشري هي الخبر السار لأول مرة.

﴿بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا﴾: الباء للإصاق واللزوم، بإسحاق (من امرأته سارة) وبأنّ

هذا الولد سيكون نبياً من الصّالحين، فالبشارة تحمل بشارتين الأولى الولادة والثانية النبوة.

﴿مِنَ الصّٰلِحِيْنَ﴾: من ابتدائية، الصّالحين: ارجع إلى الآية (١٣٠) من سورة البقرة للبيان.

[١١٣] ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾:

﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾: البركة في اللغة هي الزيادة والنماء ومشتقة من البروك وهو اللزوم والثبوت، أي: تعني كلّ خير إلهي ثابت ولازم ولا يسند فعل البركة إلا إلى الله وحده.

وباركنا عليه، أي: على إبراهيم بكثرة الذرية بأن جعل من صلبه أكثر الأنبياء والرسل وباركنا عليه بالنعم والبركات الدنيوية والأخروية، فقد أصبح خليل الرحمن وأولو العزم من الرسل ومن المقربين.

﴿وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾: أي: وباركنا على إسحاق بيعقوب وأولاده الأسباط ويوسف وبنيامين.

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا﴾: من ابتدائية، ذريتهما: أي: إبراهيم وإسحاق، والذرية هم: النسل، أي: الأولاد.

﴿مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾: محسن: المؤمن المتقي الذي لم يقتصر إحسانه على نفسه، وإنما تعداه إلى غيره وأصبح محسناً كمّاً وكيفاً ومراقباً الله تعالى في أعماله. ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة لبيان معنى المحسنين، وظالم لنفسه: إمّا بالشرك أو بالعصيان أو بالتقصير في عبادته، مبين: ظاهر الظلم أو بين العصيان، ظلمه ظاهر لكلّ من يطلع عليه ويعرفه، وظلمه غير خفي ولا يحتاج إلى دليل أو برهان.



ومن هذه الآية وغيرها يتبين أنّ قول إبراهيم عليه السلام حين ابتلاه ربه بكلمات فأتهمهن قال: إني جاعلك للناس إماماً، قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

[١١٤] ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق، أي: قد تحقق وتم ذلك.

﴿مَنَنَّا﴾: بصيغة الجمع للتعظيم، والمن: الإنعام والعطاء.

﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾: على موسى وأخيه هارون بالنبوة والرسالة.

[١١٥] ﴿وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾:

﴿وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا﴾: أي: نجينا موسى وهارون وقومهما، أي: بني إسرائيل، والنّجاة تعريفها: النّجاة من الأمر المكروه فقط، وأمّا الفوز فهو النّجاة من الأمر المكروه، والنيل أو الوصول إلى الأمر المرغوب فيه أو الغاية.

﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾: من ابتدائية، الكرب تعريفه، ارجع إلى الآية (٧٦) من نفس السّورة والكرب العظيم: هو من الغرق والهلاك في البحر، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٥٠]، ولا يجوز خلطه بالنّجاة من البلاء العظيم: وهو النّجاة من آل فرعون ﴿يَسْأَلُونَكَ سَاءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩]، إذن هناك نجاة من البلاء العظيم ببطء (وإذ نجيناكم) ونجاة من الكرب العظيم بسرعة (فأنجيناكم).

[١١٦] ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾:

﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾: الضمير يعود على موسى وهارون وقومهما، نصرناهم: على فرعون وجنوده، نصرناهم: من النصر: هو الغلبة العسكرية المادية بالقوة

والسَّلاح مقارنة بالفتح هو النَّصر من دون قتال أو قوة وسلاح، كما قال تعالى في سورة طه آية (٧٨-٨٠): ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشَّيَهُم مِّنَ اللَّيْلِ مَا غَشَّيَهُمْ ۖ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ۖ﴾ (٧٨) يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكَ مِّنْ عَذُوكَ ۖ

﴿فَكَانُوا لَهُمْ﴾: للتوكيد، والفاء للترتيب والمباشرة.

﴿الْغَالِبِينَ﴾: الغلبة تكون بالقدرة، وقد تكون بالحُجَّة والبرهان والسُّلطان، الغالبين على فرعون وجنوده.

[١١٧] ﴿وَأَيَّنَّهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَيِّنَ﴾:

﴿وَأَيَّنَّهُمَا﴾: أي: موسى وهارون، الإيتاء يختلف من العطاء. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة للبيان.

﴿الْكِتَابَ﴾: التَّوراة الكتاب، جاء بآل التعريف ليدل على الكمال.

﴿الْمُسْتَيِّنَ﴾: الواضح البين الأحكام والشرائع.

[١١٨] ﴿وَهَدَيْنَهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

وهديناهما الصِّرَاطَ المستقيم: هو الإسلام دين الحق الذي جاء به كافة الرِّسل والصِّرَاطَ المستقيم هو الطريق الواسع السَّهل المستقيم الموصل إلى الغاية بأقصر زمن ومسافة.

[١١٩] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ﴾:

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا﴾: أي: خلفنا لهما الذكر والثناء الحسن في الأجيال التي جاءت بعدهم وسلام الآخرين عليهما حين ذكر أسمائهما.

[١٢٠] ﴿سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٠٩) من نفس السَّورة للبيان.



[١٢١] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿كَذَلِكَ﴾: ارجع إلى الآية (٨٠) للبيان.

أي: كما مننا وأنجينا ونصرنا وآتيناه هدينا وتركنا عليهما في الآخرين، فمن
وننجي وننصر ونؤتي ونهدي ونترك الذكر والثناء الحسن، للمحسنين.

وهذه الآيات تدل على أن رسالتهم كانت واحدة.

[١٢٢] ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (١١١) من نفس السورة للبيان.

بعد أن ذكر الله سبحانه نوح وإبراهيم وموسى وهارون يذكر ثلاثة من
الرسل إلياس ولوط ويونس.

[١٢٣] ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾: إن للتوكيد، إلياس: من سبط هارون، وهو إلياس بن
فحاص من العيزار بن هارون بن عمران أخي موسى، وقيل: إلياس أو إلياسين
اسم لمسمّى واحد، وإلياس نبي من أنبياء بني إسرائيل، بعثه الله تعالى إلى قوم
من بني إسرائيل كانوا يعبدون صنماً يقال له بعل في مدينة أو قرية سُميت بعلبك
في أرض الشام فدعاهم إلى التوحيد والإخلاص لله في العبادة، اسم إلياس في
كتب بني إسرائيل إيليا.

[١٢٤] ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَأَنْتُمْ قَوْمٌ﴾:

﴿إِذْ﴾: واذكر إذ قال لقومه أو اذكر حين قال لقومه.

﴿قَالَ لِقَوْمِهِ﴾: فيها شعور بالعطف والحنان.

﴿الَّا تَنْفُونَ﴾: ألا الهمزة همزة استفهام إنكاري ينكر عليهم شركهم، وألا أداة حثٍّ وحضٍّ، تنفون: تنفون الله سبحانه وتعالى، أي: تنفون عذابه أو ناره وتنفون سخطه وغضبه، وذلك بامثال أو امره وطاعته وتجنب نواهيه.

[١٢٥] ﴿أَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾:

﴿أَدْعُونَ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، أدعون، أي: أتعبدون.

﴿بَعْلًا﴾: اسم الصنم، والبعل في اللغة: يعني السيد القائم، وبعل المرأة سيدها، وفيها معنى الاستعلاء؛ أي: يعتبرون هذا الصنم سيدهم وأعلامهم فيعبدونه.

﴿وَتَذَرُونَ﴾: تتركون أو تعرضون عن عبادة الإله الحق المستحق للعبادة وحده.

﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾: ارجع إلى سورة المؤمنون الآية (١٤) وكأنهم سألوه من هو أحسن الخالقين؟ فقال:

[١٢٦] ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾:

جمع في هذه الآية صفتي الألوهية والرّبوبية معاً، وأنه هو الله وهو الرّب وهو رب كل شيء ورب الأولين والآخرين.

فصفة الرّبوبية تدل على الخلق والتربية والرّزق والتدبير، أمّا صفة الألوهية فتدل على العبودية على أنه هو الإله الحق الذي يستحق العبادة، فلا معبود إلا هو، وهو الرّب المحيي والمميت واجب الوجود، وهو الخالق الحقيقي وحده.



سورة النمل

سورة النمل ٣٧

فَكَذَّبُوهُ فَأْتَهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ لَا عِبَادَ إِلَّا لِلَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنْ لَوْطَا
لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ بَحَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا
فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِن كُمْ لَتَمُوتُنَّ عَلَيْهِمْ
مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبَالَيْلٍ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنْ يُونُسَ لَمِنَ
الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ
كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
فَبَدَّنْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَبْنَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾
فَأَمَانُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتَاهُمُ الرَّبُّكَ الْبَنَاتُ
وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ
شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾





سورة الصّافات [الآيات ١٢٧ - ١٥٣]

[١٢٧] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾:

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: الفاء تدل على التعقيب والمباشرة، أي: كذبه قومه مباشرة كذبوا نبوته ورسالته وما دعا إليه من توحيد.

﴿فَإِنَّهُمْ﴾: الفاء للتوكيد.

﴿لَمُحْضَرُونَ﴾: اللام للتوكيد، محضرون: جمع مُحَضَّر، أي: تحضرهم الملائكة قسراً ومن دون إرادتهم يوم القيامة إلى جهنم. ومحضرون لا تأتي إلا في سياق العذاب في كل القرآن.

[١٢٨] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: الذين أخلصوا لله في عبادتهم ووحدوه من قوم إلياس، أولئك ينجون ولا يحضرون إلى العذاب.

[١٢٩] ﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (٧٨) من نفس السورة.

[١٣٠] ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾:

سلام من الله وملائكته على آل الياسين، أي: عليه وعلى آل ياسين (الذين آمنوا معه).



[١٣١] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾:

إنّا: للجمع والتّعظيم، أي: كما أنجينا آل ياسين من العذاب ننجي المحسنين، إنّا للتّعظيم وتحمل معنى التّوكيد والتّعليل. ارجع إلى الآية (٨٠) لمزيد من البيان.

[١٣٢] ﴿إِنَّهُ، مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِنَّهُ﴾: إنّ للتّعليل للإنعام عليه كونه من عبادنا المؤمنين أو علّة الإحسان عليه أنّه من عبادنا المؤمنين. ارجع إلى الآية (١١١) لمزيد من البيان.

[١٣٣] ﴿وَإِنَّ لُوطًا لِّمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: للتّوكيد، لمن: اللام في لمن لزيادة التّوكيد.

﴿لُوطًا﴾: هو ابن هاران أخى إبراهيم، خرج لوط مع عمه إبراهيم ﷺ مهاجراً بعد أن آمن له أي: (صدق إبراهيم) بعد حادثة إلقاء إبراهيم في النار فأرسله الله سبحانه إلى قرى سدوم وعمورة التي سُميت بالمؤتفكات.

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: بالجمع: جمع مرسل رغم أن لوطاً كان أحد المرسلين؛ لأن من يكذب رسولاً فقد كذب كل المرسلين؛ لأن رسالتهم واحدة من الله سبحانه إلى أقوامهم. ولقد ذكر لوط ﷺ في القرآن في (٢٧) آية بينما ذكر عيسى ﷺ في (٢٥) آية؛ مما يدل على أن دعوة لوط كانت دعوة شاقة إلى الذين يعملون الخبائث.

[١٣٤] ﴿إِذْ يَجِئُهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿إِذْ يَجِئُهُ﴾: أي: اذكر إذ نجيناه أو اذكر حين نجيناه وأهله، ونجيناها تدل على طول الزمن في دعوته لقومه.

﴿وَأَهْلُهُ أَجْمَعِينَ﴾: الأهل: تُطلق على الزوجة والأولاد وعشيرة الرجل الأقربين. أهله: ابنتيه، أجمعين توكيد.

[١٣٥] ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء؛ لأن امرأته كانت من أهله.

﴿عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾: أي: امرأة لوط الكافرة لم تكن على دينه، في الغابرين: جمع غابر والغابر تعني: الباقي أو تعني الشيء الذي مضى وانتهى.

في الغابرين: أي: الباقيين في العذاب.

[١٣٦] ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لتباين الصفات أو البعد بين النجاة والدمار.

﴿دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾: دمرنا قومهم بأن جعلنا قراهم عاليها سافلها وأرسل عليهم حجارة من طين، أي: أهلكناهم ودمرنا قراهم تدمير فلم ينجو منهم أحد.

[١٣٧] ﴿وَإِنَّكُمْ لَنُؤْمِنُ عَلَيْهِمْ مَّصْحِينَ﴾:

﴿وَإِنَّكُمْ﴾: للتوكيد، واللام في لتمرون والنون في تمرون كلها للتوكيد.

﴿لَنُؤْمِنُ عَلَيْهِمْ مَّصْحِينَ﴾: تمرون عليهم في قراهم قرئ قوم لوط، في أسفاركم صباحاً ومساءً، مصبحين وقت الصباح أو وقت دخول الصباح.

[١٣٨] ﴿وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

أي: وتمرون عليهم بالليل في أسفاركم.

﴿وَبِالْأَيْلِ﴾: الباء للإلصاق، والباء تعني: أي وقت في الليل غير محدّد ولم يقل: في الليل، وتعني: وقتاً محدّداً بالليل.



﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: الهمزة للاستفهام والتوبيخ لعدم تفكيرهم وتدبرهم والفاء للتوكيد، وألا أداة حُضٍّ وحثٍّ على التفكير، فلو فكروا أو عقلوا لعلموا أن الله الذي أهلك ودمّر قوم لوط قادر على أن يهلك ويدمّر كفار قريش.

ولم يذكر سلام على لوط في العالمين؛ لأنه أُدخل في عداد المرسلين ونال السلام من الله عليه في الآية القادمة (١٨١) حين قال: وسلام على المرسلين.

[١٣٩] ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿يُونُسَ﴾: يونس بن متى الملقب بذي النون.

﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: لمن: اللام للتوكيد، من ابتدائية، المرسلين من ربهم إلى أقوامهم.

[١٤٠] ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾:

﴿إِذْ﴾: واذكر إذ أَبَقَ أو اذكر حين أَبَقَ.

﴿أَبَقَ﴾: تستعمل تحديداً للعبد الذي يهرب بسرعة وخوف من سيده للتخلص من الأذى والمشقة، فشبه خروج يونس ﷺ من بين قومه وترك البلد بغير إذن أو أمر من ربه بهروب العبد من سيده، ولهذا الإباق سبب فسرته الآيات الأخرى، فانظر في سورة الأنبياء الآية (٨٧).

﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: الفلك تستعمل للمفرد والجمع، والمشحون:

المملوء بقوم نوح الذين نجوا معه، وبعض الحيوانات الأليفة والمتاع.

رُوي عن ابن عباس قال: لما أنذر يونس قومه بالعذاب القريب فلما تأخر نزول العذاب خرج يونس متخفياً فقصده البحر فركب السفينة فبعد أن ركب فيها

توقفت حركتها لا تتقدّم ولا تتأخّر، فقال ركاب السفينة: فيها عبد أبق من سيده فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس، وأعادوا ذلك ثلاث مرات، وفي كلّ مرة يخرج اسمه، فقال يونس: أنا العبد الأبق فألقوه في البحر.

[١٤١] ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾:

﴿فَسَاهَمَ﴾: الفاء تدل على المباشرة والتعقيب، ساهم: شارك في القرعة، من المساهمة: مشتقة من السّهام التي واحدا سهم وهي أعواد النّبال، وتسمّى الأزام أيضاً، فساهم: فقارع، فساهم، أي: دخل معهم في القرعة (طريقة للاختيار) وألقى بسهمه مع سهامهم.

﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، من المدحضين: المدحض هو الخاسر أو المغلوب، من المغلوبين في القرعة والدّحض أصله الطّين الذي يزلق القدم، وأدحضه أزاله عن مكانه، وعملية إلقاء السّهام عملية قدرية خالصة لا دخل لها فيها للهوى ودليل على العدالة.

وهلاك واحد من الرّكاب أفضل وخيرٌ من هلاك الجميع، وقيل عندها: ألقوا يونس في البحر والاقتراع مشروع فقد كان رسول الله ﷺ، كما روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد السفر أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه»، ولم يبين الشرع طريقة معينة للقرعة فبأي طريقة تمت فهو جائز.

[١٤٢] ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾:

﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، التقمه الحوت، أي: التقمه الحوت بسرعة من لقم الشّيء تَلَقَّمَهُ، أي: بقي كاللقمة في فم الحوت ولم يبلعه وينزل إلى معدته والحوت قد يكون إحدى الحيتان الزرقاء الضخمة البنيان ذات



الوزن العظيم، وليس له أسنان وبقي يتنفس الهواء، أي: الأوكسجين الموجود في فم الحوت الواسع فترة من الزمن، ثم نبذه الحوت، أي: طرحه وألقاه من فمه، وقيل: كان ذلك في نهر دجلة.

﴿وَهُوَ﴾: هو ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿مُلِيمٌ﴾: أي: فعل يونس عليه السلام أو شيئاً يُلام عليه: أي: يُعاتب عليه من ربه واللوم نوع من العتاب أو ضرب من العتاب والعتاب دليل على المحبة، ولا يصل إلى درجة العقاب، والعتاب يحصل بين الأحبة، فأنت لا تعاتب إلا من تحرص على صحبته.

ومليم: مكتسب أو مستحق أن يُلام لكونه فارق قومه بغير إذن من ربه كما يفعل الهارب من سيده، وألام الرجل: إذا أتى ما يُلام عليه من الأمر وإن لم يُلم، أما الملموم: فهو الذي يُلام سواء أتى بما يستحق أن يلام عليه أم لا.

[١٤٣] ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾:

﴿فَلَوْلَا﴾: الفاء السببية، لولا: حرف امتناع لوجود، أي: تسبيحه في حياته منعه من اللبث والبقاء في بطن الحوت إلى يوم يبعثون.

﴿أَنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾: أي: كان من الذاكرين لله كثيراً والمُسبحين بحمده والتسبيح يعني: الذكر بشكل عام والدعاء، أو المصلين (التسبيح يعني: الصلاة)، من: ابتدائية، المسبحين: جمع مسبِّح: وتدل على أن صفة التسبيح مستمرة عندهم ثابتة. ارجع إلى سورة القلم آيات (٤٨-٥٠) لمزيد من البيان، وسورة الأنبياء آية (٨٧-٨٨).



[١٤٤] ﴿لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾:

﴿لَلْبَيْتِ﴾: اللام للتوكيد، لبث: مكث وأقام، قيل: (٤٠) يوماً، وقيل: (٢٠) يوماً، وقيل: سبعة أيام. اللبث: يقترن بزمن محدّد؛ بينما المكث يدل على زمن غير محدّد.

﴿فِي بَطْنِهِ﴾: في ظرفية، بطنه: تعود على الحوت، ولم يكن يونس في بطن الحوت كما قلنا، بل في فم الحوت، ولكن لو أراد الله أن يقضي على يونس لأماته، ثم نزل في بطن الحوت ومات، ثم بعد أن يميت الله الحوت فينزل إلى قاع البحر أو المحيط ويطمر في رسوبيات البحر مع الطين والرمل ويتحجر الحوت، ويصبح قبراً ليونس، ثم حين يُبعث الخلائق يوم البعث يبعث منه يونس. ﴿إِلَى﴾: حرف غاية.

﴿يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: يوم البعث والقيام لرب العالمين، أي: يصبح بطن الحوت قبراً له إلى يوم البعث (زمن النفخة الثانية).

[١٤٥] ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾:

﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، نبذناه: النبذ هو الطرح والإلقاء للشيء استهانة به، وأمّا الطرح فأعم من النبذ، ويكون للشيء المهم وغير المهم. ﴿بِالْعَرَاءِ﴾: الفضاء الواسع من الأرض أو الأرض العارية من الشجر أو النبات، مشتقة من العري: عدم السترة.

﴿وَهُوَ﴾: هو ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿سَقِيمٌ﴾: مريض عليل أو ضعيف الجسم لما مرّ عليه من الزمن من دون



طعام أو شراب. ارجع إلى الآية (٨٩) من نفس السورة لمعرفة الفرق بين سقيم ومريض.

[١٤٦] ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾:

﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾: أي: الدباء أو القرع، وتمتاز شجرة اليقطين بسرعة النمو وورقها العريض الممتد فوق الأرض وأنه لا يقربها الذباب، وتحتوي على المضادات الحيوية المهمة في ترميم الجروح وتقرحات الجلد، كما دلت الدراسات العلمية.

فكانت الشجرة تضله وتحميه من الذباب والحشرات وهي شجرة لم تكن موجودة سابقاً في هذا المكان، فهي من قدرة الله وعظمته، وكأنها تحمل معها الدواء والغذاء الغني بالأملاح والسكريات، وكل ما يحتاجه للشفاء العاجل للعودة إلى قومه مرة أخرى.

[١٤٧] ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾:

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ﴾: مرة أخرى إلى القوم الذين هرب منهم وعددهم أكثر من مئة ألف، وقوله تعالى: أو يزيدون تعني: بل يزيدون عن مئة ألف، وما جرى لقوم يونس أنهم لما تركهم يونس تضرعوا إلى الله تعالى وآمنوا ورفع عنهم العذاب، كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخَرْبِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَمَتْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

[١٤٨] ﴿فَتَأْمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾:

﴿فَتَأْمَنُوا﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، آمنوا بالله، أي: استمروا على إيمانهم بعد عودة يونس إليهم.

﴿فَمَتَّعْنَهُمْ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، متعناهم: المتاع: من الانتفاع والتمتع بالمأكل والمشرب والمسكن والملبس والحياة.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى: حرف غاية، إلى حين أجلهم المسمى أو منتهى أعمارهم. ثم ينتقل إلى الكلام إلى قريش، ولم يقل: سلام على يونس في العالمين: لأنه أبق إلى الفلك المشحون من دون إذن أو إحياء من الله تعالى، وكانت النهاية فالتقمه الحوت وهو مُلِيم، فلا يناسب بعد اللوم السَّلام، ولكنه دخل في عداد المرسلين حين سَلَّمَ الله تعالى عليهم، وقال: ﴿وَسَلَّمْ عَلَىٰ أُمْرُسَلَيْمَ﴾

[الصافات: ١٨١].

[١٤٩] ﴿فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ أَلْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾:

المناسبة: بعد أن جاءت الآيات السابقة في تقرير البعث والتوحيد بالبراهين والأدلة أراد الله سبحانه إبطال مقولة الذين زعموا أن الملائكة هم بنات الله سبحانه وتعالى، وهم كما قال القرطبي قبائل جهينة وخزاعة وبني سلمة وعبد الدار وغيرهم.

﴿فَاسْتَفْتِهِمُ﴾: الفاء للاستئناف، أي: اطلب الفتوى من مشركي مكة وغيرهم من الأعراب على سبيل التَّهَكُّم والتَّوْيِيخ، أسألهم ما الخبر.

﴿الرِّبَّكَ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري والإبطالي.

﴿أَلْبَنَاتُ﴾: حيث جعلوا الملائكة بنات الله، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩].

﴿وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾: لهم: اللام لام الاختصاص؛ لأنهم كانوا يظنون أن الجنس الأفضل هم الذكور.



ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ۝٥٧﴾
وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَنْزَوِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ
بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩﴾ [النحل: ٥٥-٥٩]، ﴿وَإِذَا بُشِّرَ
أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٦٠﴾ [النحل: ٥٩-٥٩]، ﴿أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي
الْحَلِيلَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۝٦١﴾ [الزخرف: ١٧-١٨].

[١٥٠] ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي، والهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ.
﴿خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾: أي: أحضروا يوم خلقنا
الملائكة وشهدوا كيف خلقناهم، فعرفوا بذلك أنهم إناث أم شهدوا ولادة أحد
الملائكة كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا
خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، أم هذا من وسوسة الشياطين
لهم والتزيين والإضلال ليزعموا أن الملائكة إناثاً، وهم: للتوكيد، شاهدون:
حاضرون.

[١٥١] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ أَفْكِهَمَ يَقُولُونَ﴾:

﴿أَلَا﴾: أداة استفتاح.

﴿إِنَّهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿مِّنْ﴾: ابتدائية.

﴿أَفْكِهَمَ﴾: الإفك هو الكذب المتعمد الناتج عن قلب الحقائق أو الحقيقة،
وهو أشد الكذب.

﴿يَقُولُونَ﴾: اللام للتوكيد، وكذلك النون في كلمة يقولون تفيد زيادة

التوكيد، يقولون: بصيغة المضارع لتدل على التجدد والتكرار، وأنهم استمروا يقولون الإفك: وَلَدَ الله، أو لحكاية الحال ليدل على بشع كذبهم كأنهم يقولونه الآن.

[١٥٢] ﴿وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾:

أي: إفكهم لم يتوقف بأن زعموا الملائكة بنات الله أو أن الملائكة إناثاً، بل طغى إلى قولهم: وَلَدَ الله أن نسبوا لله الولد فقالوا: المسيح ابن الله أو العزيز ابن الله، فردَّ الله عليهم سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (٢) ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٣) ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١-٤).

وقولهم: ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾: أشد سوءاً وطغياناً من قولهم ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦] اتخذ الله ولداً يعني: تبنى الله ولداً وهي أهون من وَلَدَ الله، ورد الله سبحانه عليهم بقوله: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: إنَّ للتوكيد واللام في كلمة لكاذبون لزيادة التوكيد، وكاذبون: تفيد أن صفة الكذب ثابتة عندهم ومستمرة.

[١٥٣] ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾:

﴿أَصْطَفَى﴾: الهمزة للإنكار والتعجب والاستبعاد والتوبيخ، اصطفى: اختار (من نفس الجنس) ثبتت همزة الاستفهام وحذفت همزة الوصل؛ أي: اصطفى أصلها أَصْطَفَى، استفهم مرة أخرى منهم، أربك اصطفى البنات الجنس الأدنى على الجنس الأعلى وهو خالق الجنسين؟، ثم أتبع الله سبحانه ذلك الاستفهام باستفهامين آخرين (ما لكم كيف تحكمون، أفلا تذكرون).





سُورَةُ الصَّافَّاتِ ٣٧

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَرِيمِ

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾
 فَاتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ
 نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا
 يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
 مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَتْنَيْنِ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا
 لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾
 وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا
 عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكْفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ
 سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ
 جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ
 يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفِعْذَابِنَا يُسْتَعْجَلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ
 صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ
 يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
 وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

آيَاتُهَا ٨٨

تَبَسُّطُهَا ٣٨



سورة الصّافات [الآيات ١٥٤ - ١٨٢]

[١٥٤] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾:

﴿مَا﴾: للاستفهام والتوبيخ والإقرار والتعجب.

﴿لَكُمْ﴾: اللام للاختصاص.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام عن الحال وتفيد التوبيخ والتقرير.

﴿تَحْكُمُونَ﴾: أي: كيف تحكمون بعقولكم هذا الحكم الفاسد السيئ الذي لا

يقبله أي عقل لكم ما تشتهون ولله ما تكرهون، أو ماذا أصاب عقولكم لتحكموا
هذا الحكم، فهذا حكم عجيب ما كان يصح أن يصدر من أحد.

[١٥٥] ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾:

يتتابع الاستفهام والتوبيخ لهم.

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة للاستفهام والإنكار والتوبيخ، ألا للحث والحض.

﴿تَذَكَّرُونَ﴾: أنه منزه عن الولد والشريك والند والصاحبة، وليس بحاجة إلى

هؤلاء، وقد أخبرتم بهذا سابقاً المرات الكثيرة، فلم لا تذكرونه: تذكرون: أي: تذكرون بوقت قصير لا تحتاجون إلى الوقت الطويل للتذكر.

[١٥٦] ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ﴾:

ثم ينتقل من الدليل العقلي المعنوي إلى الدليل الحسي.



﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخي والتقرير أم للإضراب الانتقالي.

﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص، أي: لكم خاصة.

﴿سُلْطَنٌ مُّبِينٌ﴾: السُّلْطَانُ إما أن يكون سلطاناً حُجَّةً وبرهاناً على ما تقولون، حقٌّ أو سلطانٌ قوة وقهر.

أي: عندكم حُجَّة وبرهان أن ما تقولونه حق وليس باطلاً إذن: أخرجوا لنا هذا السلطان، أو هل هناك من قهركم وأرغمكم على القول بذلك.

[١٥٧] ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، فأتوا بكتابكم، أي: أحضروا كتابكم الذي فيه السلطان والحُجَّة، أي: هذا الكتاب الذي أنزل عليكم من السماء، يخبركم بأن لله ولداً وبناتٍ وصاحبةً، وبينه وبين الجنة نسباً. الباء للإلصاق والإلزام.

﴿إِنْ﴾: شرطية فيها معنى الشك والافتراض.

﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: في أقوالكم أو أفعالكم أم مجرد إفك وباطل.

[١٥٨] ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾:

﴿وَجَعَلُوا﴾: الجعل، أي: التصيير والضمير يعود على مشركي وكفار مكة وغيرهم. فهم لم يكتفوا بافترائهم بأن له ولداً أو شريكاً، بل ذهبوا أبعد من ذلك في إفكهم وجعلوا ﴿بَيْنَهُ﴾ أي: بين الله سبحانه ﴿وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾: صلةً وارتباطاً ناتجة عن التزاوج والجنة يعني: الملائكة أو الجن وسُمُّوا بالجنة؛ لأنهم لا يرون



أو لاستتارهم عن الأبصار، فقد افتروا على الله الإفك فقالوا: إن الله سبحانه تزوج من صنف من الملائكة يقال لهم: الجنة، فأصبح له بناتٌ من الملائكة. قاله قتادة وابن السائب.

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

وهناك من قال: إِنَّ الْجَنَّةَ هُمُ الْجَنُّ، وَسُمُّوا بِالْجَنِّ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُرَوْنَ أَيْضاً، فَقَدْ جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ قَرِيشاً كَانَتْ تَقُولُ: سُرَوَاتُ الْجَنِّ بَنَاتُ الرَّحْمَنِ وَأَنَّ سُرَوَاتُ الْجَنِّ هُنَّ أُمَهَاتُ الْمَلَائِكَةِ؛ أَيْ: أَنَّ اللَّهَ تَزَوَّجَ مِنَ الْجَنِّ فَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَباً، وَيَكُونُ مَعْنَى وَلَقَدْ عَلِمْتَ الْجَنَّةَ، أَيْ: الْجَنِّ إِنَّهُمْ لَمَحْضُرُونَ، إِنَّهُمْ أَنْفُسُهُمْ لَمَحْضُرُونَ إِلَى الْعَذَابِ.

وقيل هذا ردّاً على زعمهم أن بين الله سبحانه وبين الجنة (الجن نسباً) فلن يعذب الله الجن بالنار فأبطل الله سبحانه ذلك الزعم.

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد قد للتحقيق.

﴿عَلِمْتَ الْجَنَّةَ﴾: أي: الجن.

﴿إِنَّهُمْ لَمَحْضُرُونَ﴾: أي: كل ما يفترى على الله الكذب، لمحضرون: اللام للتوكيد محضرون إلى العذاب.

[١٥٩] ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾:

﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾: يُجِيبُ اللَّهُ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ عَلَيْهِمْ مَنْزَهاً ذَاتَهُ عَنِ الْوَلَدِ وَالشَّرِيكِ وَالنَّدِّ وَمَنْزَهاً صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ أَنْ يَشَارَكَهُ فِيهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ مَنْزَهاً



تنزيهاً مطلقاً. ارجع إلى سورة الإسراء آية (١)، وسورة الحديد آية (١) لبيان معنى سبحان الله.

﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: عن تفيد المجاوزة والمباعدة، ما: اسم موصول بمعنى الذي يصفون أو مصدرية، أي: سبحانه عن وصفهم.

وعما يصفون أن بينه وبين الجنة نسباً، أو أن له ولداً أو شريكاً أو نداً أو صاحبةً، يصفون بصيغة المضارع الدالة على تجدد وتكرار وصفهم أو لحكاية الحال للدلالة على بشاعة وصفهم كأنهم يقولونه الآن؛ فقد جاء في الحديث القدسي الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: كذبتني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي؛ فقلوه: لن يُعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي؛ فقلوه: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد.

[١٦٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾:

قيل: جاءت: سبحان الله عما يصفون اعتراضية، ويكون السياق: ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء منقطع.

﴿عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: أي: عباد الله المخلصين لا يصفون الله بالنقائص كما يصف مشركو مكة وكفارها، أو غيرهم أو عباد الله المخلصين لا يكونون

من المحضرين في النار، كما هو حال الجن أو لا يدخلون النار مع هؤلاء المحضرين.

﴿الْمُخْلِصِينَ﴾: ارجع إلى الآية (٤٠) من نفس السورة للبيان.

[١٦١] ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾:

﴿فَإِنَّكُمْ﴾: الفاء للتوكيد، إنكم: الخطاب موجّه إلى المشركين والكفار الذين يفترون على الله الكذب بالولد أو الشريك أو النسب أو الند أو المثل.

﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾: ما بمعنى الذي (اسم موصول) أو مصدرية وما أوسع شمولاً من الذي، أي: فإنكم وعبادتكم لهذه الأصنام أو أنتم ومعبوداتكم، أو ما تعبدون من آلهة، أو من دون الله، أو غير الله بشكل متكرّر ومستمرّ مثل الأوثان والأصنام وعيسى أو عزيز أو الآلهة أو الطّاغوت.

[١٦٢] ﴿مَا أَنْتَ عَلَيْهِ بِفَتْنَيْنِ﴾:

﴿مَا﴾: النّافية.

﴿أَنْتَ﴾: جميعاً أنتم ومعبوداتكم (الخطاب لعبدة الأصنام).

﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور، وتقديمها يدل على الحصر، وتعود على الله.

﴿بِفَتْنَيْنِ﴾: الباء للإلصاق، فاتنين: من الفتنة الابتلاء، وهي أشد من الابتلاء، وتكون بالخير والشر، بالإغواء والوساوس، والإضلال والتزيين، والتزغ والفساد؛ فاتنين: من أحد من الإنس والجن، أي: لا تستطيعون فتنة أحد عن دينه بأيّ طريقة، أو قادرين على حمل أحد على الفتنة والفساد بين الله وخلقه.



[١٦٣] ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَنْ هُوَ﴾: من ابتدائية هو للتوكيد.

﴿صَالِ الْجَحِيمِ﴾: أي: لا يستطيعون فتنة أحد إلا من هو صال الجحيم: من هو مستحقٌ ومستوجبُ الجحيم، أي: الذي سبق في علم الله سبحانه أنه من أصحاب الجحيم، أي: المصّرُّ على الشّرك والكفر. ارجع إلى الآية (٢٣) من نفس السورة، وسورة الرعد آية (١٨) لبيان معنى الجحيم.

[١٦٤] ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ، مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾:

المناسبة: يخبر الله تعالى عن موقف الملائكة وبراءتهم مما قاله المشركون من إفك وباطل أنّهم بنات الله، أو أنّهم إناث، أو بينهم وبين الله تعالى نسباً وصهرأً، وأن الملائكة لا يبعدون إلا الله وحده وأنهم منزهون عن كل تلك الافتراءات على الله سبحانه.

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما النافية.

﴿مِنَّا﴾: أي: واحد منا (من الملائكة).

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿لَهُ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾: مكان في السموات يقوم فيه للعبادة، أي: يُعبد الله فيه ولا يتعدّاه فمنهم الرّاكع أو السّاجد أو المسبح، وقد يعني: المقام المعلوم درجة أو مرتبة أو مكانته عند الله تعالى.

[١٦٥] ﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾:

﴿وَأَنَّا﴾: ضمير متصل يفيد الجمع، ويعني: الملائكة.

﴿لَنَحْنُ﴾: اللام للتوكيد، ونحن لزيادة التوكيد.

﴿الصَّافُّونَ﴾: للعبادة والصلاة أو الصَّافُّون حول العرش، أو الصَّافُّون لتلقي أوامر الله تعالى، الصَّافُّون صفة ثابتة فيهم.

[١٦٦] ﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾:

﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ﴾: كما في الآية السابقة.

﴿الْمُسَبِّحُونَ﴾: جمع مسبح والتسبيح هو تنزيه ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله من كل عيب ونقص و عما لا يليق به، فكيف نرضى أن نُعبد من دون الله وخلقنا لنسبِّحه ليلاً ونهاراً. والتسبيح يعني: الصلاة.

وكما قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠].

[١٦٧] ﴿وَإِن كَانُوا يَقُولُونَ﴾:

﴿وَإِن﴾: الواو استئنافية، إن: نافية أقوى نفياً من (ما).

﴿كَانُوا يَقُولُونَ﴾: تعود الآيات لتتم الحديث أو الأخبار عن المشركين وما كانوا يتحدثون به قبل بعثة محمد ﷺ.

ليقولون: السلام للتوكيد، والنون في يقولون لزيادة التوكيد، يقولون: في كثير من الأحيان لو أنَّ عندنا ذكراً من الأولين.



[١٦٨] ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿لَوْ﴾: شرطية.

﴿أَنَّ﴾: مصدرية للتعليل والتوكيد.

﴿عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾: ذكرًا: كتاباً مُنْزَلاً مثل ما أنزل على الأولين: من الذين خلوا من قبل من الأمم أو كالذي أنزل على الرسل السابقين أو اليهود والنصارى ذكرًا مثل التوراة أو الإنجيل.

[١٦٩] ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾:

﴿لَكُنَّا﴾: اللام للاختصاص.

﴿عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: أولم يأتيهم أو يرسل إليهم سيد المرسلين وخاتم النبيين ويُنزل إليهم القرآن الكريم، عباد الله المخلصين. ارجع إلى الآية (٤٠) من نفس السورة.

[١٧٠] ﴿فَكْفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾:

فيه اختصار فنزلنا عليك الذكر، بل سيد الأذكار وهو القرآن الكريم كما طلبوا.

﴿فَكْفَرُوا بِهِ ۖ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، فكفروا به: به تعود على القرآن الكريم، كفروا به مباشرة بعد أن جاءهم، جحدوا به وأعرضوا عنه وقالوا سحر مبين، وقالوا أساطير الأولين، وقالوا افتراه وأعانه عليه قوم آخرون، وقالوا إنه لقول شاعر وقول كاهن.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: الفاء للتوكيد، سوف للاستقبال القريب والبعيد.

يعلمون: عاقبة كفرهم إن لم يتوبوا ويرجعوا عن غيِّهم وضلالهم ويؤمنوا بما أنزل الله، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم في الدنيا أو في الآخرة.

[١٧١] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد للتحقيق، أي: قد تحقق وعدنا ونصرنا لعبادنا وجندنا الذين سبقوكم بالإيمان.

﴿سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: لقد تقدّم وعدنا للمرسلين بنصرهم، فهذا ليس بشيء جديد.

﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾: اللام للاختصاص، المرسلين: من الرسل والأنبياء.

وكلمتنا: قيل: هي ﴿لَا غَلَبَ لَنَا أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١].

وقيل: هي ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [١٧٢] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧٢-١٧٣].

وسمّاها كلمة، وهي أكثر من كلمة؛ لأن كلمة قد تعني واحدة أو كلمات.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الزوم: ٤٧].

[١٧٢] ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾:

﴿إِنَّهُمْ﴾: إن للتوكيد.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿الْمَنْصُورُونَ﴾: المنصّرون من الله بالمعونة على الأعداء بالغلبة أو



بالْحُجَّة. والبرهان، والمنصورون: جمع منصور، وتدل على الثبات؛ أي: نصر دائم، وهذه بشرى للرسول.

[١٧٣] ﴿وَإِنْ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: للتوكيد.

﴿جُنَدَنَا﴾: ولم يقل: جنودنا، الفرق بينهما: جند اسم جنس جمع جندي تشمل الواحد والاثنين والثلاثة، جنود تعني: ثلاثة أو أكثر، ولا تشمل الواحد والاثنين. والجند تجمعهم أهداف واحدة، ومن جنس واحد، أمّا الجنود فلهم أهداف مختلفة ومن أجناس مختلفة.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿الْغَالِبُونَ﴾: الغلبة تكون بفضل القدرة وبفضل العلم والذكاء والفطنة، والمعونة والتأييد من الله تعالى أولاً.

[١٧٤] ﴿فَنُؤَلِّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾:

﴿فَنُؤَلِّ عَنْهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، تؤلّى: أعرض عنهم عن المشركين وكفار مكة وصبر على أذاهم؛ لأنّ النصر والعاقبة لك.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: حتّى حرف نهاية الغاية أو حتّى يأتي أمر الله بقتالهم أو أسرهم أو موتهم أو إهلاكهم، وقيل: كان ذلك يوم بدر، والحين الثانية التي جاءت في الآية (١٧٩) من نفس السورة تعني يوم القيامة، وفي الآية تهديد ووعد للمشركين. حين: زمن غير معلوم مدته قد يطول أو يقصر.

[١٧٥] ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾:

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾: أي: ترقّب ما سيحدث، أو انظر إلى عاقبة أمرهم وحالهم وما سيحل بهم من العذاب والنكال والقتل والأسر لمخالفتهم إياك وتكذيبهم.

﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾: الفاء للتوكيد، سوف للاستقبال البعيد.

يبصرون: هم أنفسهم عاقبة كفرهم في الحياة الدنيا.

[١٧٦] ﴿أَفَعَدَّابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾:

رداً على سؤالهم: ﴿فَأَنبَأِ بِمَا تَعَدُّنَا إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٢].

﴿سَأَلُوكَ بِعَذَابٍ وَّاقِعٍ﴾ [المعارج: ١].

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِّنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا

مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

﴿أَفَعَدَّابِنَا﴾: الهمزة: استفهام إنكاري، وتعجب، وتوبيخ؛ بصيغة المضارع

يدل على تكرار الاستعجال والاستمرار عليه، والاستعجال يدل على جهلهم وسفاههم وجرأتهم وكفرهم.

[١٧٧] ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، إذا شرطية، تدل على حتمية الحدوث،

أي: لا بُدَّ أن ينزل العذاب بساحتهم.

﴿نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾: السّاحة في الأصل الفناء الواسع الذي لا يشعر فيه الناس



بالضيق. ساحة القوم: قال الفراء: العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم؛ أي: نزل: حل بهم وفاجأهم.

﴿فَسَاءَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، ساء من أفعال الذم.

﴿صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ﴾: الصبح هو الزمن المفضل والميعاد الحق للمعركة لمفاجأة العدو قبل أن يستعدوا، أي: بئس ذلك الصباح على القوم المنذرين؛ لأنه سيكون يوم هلاكهم ودمارهم.

[١٧٨] ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾:

هذه الآية ليست تكرار للآية (١٧٤) وإنما للتهديد والوعيد ليوم القيامة، وهذه الآية ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾، والآية ﴿وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (١٧٩) هما في سياق الآخرة (يوم القيامة).

[١٧٩] ﴿وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾:

هذه الآية ليست تكراراً للآية (١٧٥)، الآية (١٧٥) تعني في سياق الدنيا (يوم بدر)، والآية (١٧٩) في سياق الآخرة (يوم القيامة)، وإنما تهديد ووعيد في سياق الآخرة (يوم القيامة).

[١٨٠] ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾:

يختتم الله سبحانه السورة بالتسبيح مرة أخرى والسلام والحمد.

﴿سُبْحَنَ﴾: أي: تنزيه الرب والإله الحق عما يشركون وعما يقولون وعما يفترون، وعن كل نقص وعيب وولد وشريك وصاحبة، يشمل الذات والصفات

والأفعال تنزيهاً مطلقاً. ارجع إلى سورة الإسراء آية (١) وسورة الحديد آية (١) للبيان.

﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾: لآله رب العزة: عزة القوة وعزة القهر وعزة الإمتاع وعزة الملك له العزة جميعاً.

﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾: أي: قول هؤلاء المفتريين المعتدين. ارجع إلى الآية (١٥٩).

[١٨١] ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾:

سلامٌ على الرسل والأنبياء كافة، ومنهم: لوط، ويونس الذين لم يخصصهم بسلام كما فعل مع نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإلياس؛ سلام عليهم في الدنيا والآخرة، سلام من الله ومن ملائكته ومن الثقلين، سلام تحية، وسلام أمن وطمأنينة، وسلام من كل مكروه وضرر، سلام مطلق، وسلام نكرة ليشمل كل أنواع السلام؛ ارجع إلى الآية (٧٩) من نفس السورة لمزيد من البيان.

[١٨٢] ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (٢) من سورة الحمد للبيان المفصل.





سورة القصص ٢٨

البقرة القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَّ وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ ١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ٢
 كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَُوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ٣ وَعَجَبُوا
 أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ٤
 أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ٥ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ
 مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ٦
 مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ٧ أَمْ نَزَّلَ
 عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُورُوا فَوْعَآدٍ
 ٨ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ٩ أَمْ لَهُمْ
 مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ١٠
 جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ١١ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
 نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ
 لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ١٣ إِنْ كُلِّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلِ
 فَحَقَّ عِقَابٌ ١٤ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِمَّا هَا
 مِنْ فَوْقٍ ١٥ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ١٦



سورة ص [الآيات ١ - ١٦]

ترتيبها في القرآن (٣٨)، وترتيبها في النزول (٣٧)، نزلت بعد سورة القمر وقبل سورة الأعراف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾:

﴿صَّ﴾: من الحروف المقطعة، ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة للبيان.
﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾: والقرآن: الواو: واو القسم يقسم الله سبحانه بالقرآن والقسم يؤكد على أهمية المقسم به، وجواب القسم قيل: محذوف، وقيل: بل الذين كفروا في عزة وشقاق، وقيل: كم أهلكنا من قبلهم من قرن، وقيل: إن ذلك لحق تخاصم أهل النار، أو: إن كل إلا كذب الرسل، ولم يُبين جواب القسم ليشمل كل الاحتمالات وغيرها من الأجوبة والآيات، أو أن محمداً لرسول الله، أو أن القرآن لحق.

وسمي بالقرآن: لأنه مقروء ومحفوظ في الصدور، ذي الذكر: ذي اسم من الأسماء الخمسة (أب، أخ، حم، فو، ذو) ذي: بمعنى صاحب.

١ - ذي الذكر؛ ذي الشرف: والعرب تقول: فلان له ذكر أو مذكور؛ أي: يتردد اسمه بكثرة لشرفه وشهرته.

٢ - والذكر من التذكير؛ أي: ذي التذكير يُذكر قارئه بما أمره ربه أو نهاه عنه وبما يحتاجه العبد في دنياه وآخرته.



٣ - ذي البيان: كما قال ابن عباس تبياناً لكل شيء؛ أي: ص والقرآن ذي الشرف وذي التذكير وذي البيان، وذي الذكر صفة للقرآن.

[٢] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾:

﴿بَلِ﴾: للإضراب الانتقالي أو للتقرير والتعيين.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: كفار مكة وغيرهم الذين كفروا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبما أنزل الله.

﴿فِي عِزَّةٍ﴾: في ظرفية، عزة: عزة الامتناع عن قبول الحق والإيمان والرسول والقرآن، وهم في حمية وجاهلية وتجبر وعناد وتكبر في قبول ما أنزل الله وأمر به، وفي قراءة أخرى: غرة؛ من الغرور.

﴿وَشِقَاقٍ﴾: في مخالفة لله سبحانه ولرسوله ﷺ وعداء. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٣٧) لمزيد من البيان.

[٣] ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتْ حِينَ مَنَاصٍ﴾:

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾: كم الخبرية وتفيد الكثرة؛ أي أهلكنا الكثير من القرون من قبلهم، ولمعرفة معنى الهلاك ارجع إلى سورة الأعراف آية (٤) للبيان.

﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من تفيد الزمن القريب؛ أي: أهلكنا القرون الكثيرة قبل مجيئهم بزمان قريب.

﴿مِنْ قَرْنٍ﴾: من ابتدائية، قرن: نكرة وتعني جماعة تعيش معاً في زمن واحد (قرن واحد)، والقرن يعادل مائة سنة.

﴿فَنَادَوا﴾: الفاء تدل على الترتيب الذكري، نادوا: تعود على القرون التي أهلكنا من قبلهم؛ النداء هو رفع الصوت طالبين العون، ولم يحدد القرآن من

ينادون فربما كانوا ينادون ربهم؛ لكي ينقذهم، أو نادوا لكل من يستطيع أن ينقذهم من الهلاك.

﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾: ولات: مركبة من (لا) النافية (عموم النفي)، وزيدت فيها التاء للمبالغة والتوكيد، ولات: تستعمل لنفي الحين؛ أي: حين لا مناص، وهي من أخوات ليس مختصة بنفي الزمن كما قال عطاء والفراء: لات بمعنى ليس. حين: يعني زمن غير محدد، مناص: بمعنى الفرار والخلاص يقال: ناص إذا فاته ونجا، فمعنى ولات حين مناص: وليس هناك وقت للهروب والنجاة وليس الزمن زمن فرار ونجاة من عذاب الله عز وجل.

[٤] ﴿وَعَجَّوْا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾:

﴿وَعَجَّوْا﴾: كفار مكة.

﴿أَن﴾: تعليلية.

﴿جَاءَهُمْ﴾: والمجيء فيه نوع من المشقة والصعوبة، مقارنة بأتاهم الذي فيه معنى السهولة.

﴿مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾: أي رسول منذر (من الإنذار وهو الإعلام والتحذير)، منهم: من العرب أو من جنسهم وليس من الملائكة وهو رسول الله محمد ﷺ.

﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا﴾: هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير إلى رسول الله ﷺ، وإذا قارنا هذا بالآية (٢) من سورة (ق) فقال الكافرون: ﴿هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾: جاء بالفاء في سورة (ق) فاء السببية؛ لأن ما قبلها قد يكون سبباً لما بعدها، أو الفاء: تدل على الترتيب والمباشرة؛ أي: في آية (ق) قال الكافرون مباشرة: ﴿هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، بينما في سورة (ص): ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾.



﴿سَجَرٌ﴾: أي سحرنا بأشياء فنراها على غير حقيقتها؛ أي: جاءنا بنوع من السحر؛ لأنه ﷺ أثر في أنفسهم، ولم يستطيعوا الحد من رسالته؛ فاتهموه بالساحر.

﴿كَذَّابٌ﴾: صيغة مبالغة كثير الكذب كأن حرفته الكذب أو دائماً يكذب، مع أنهم قبل البعثة كانوا يصفونه بالصادق الأمين، ولأنه دعاهم إلى عبادة الله وحده وترك ما يعبد آباؤهم وأبطل عبادة الآلهة فاتهموه بالساحر والكذاب والشاعر والمجنون كما اتهم فرعون وهامان وقارون موسى ﷺ ﴿فَقَالُوا سَجَرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٤].

[٥] ﴿أَجْعَلْ لِّلْآلِهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّا هَذَا لَشَيْءٌ مُّجَابٌ﴾:

﴿أَجْعَلْ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتعجب.

﴿لِّلْآلِهَةِ﴾: اللات والعزى ومناة الثالثة وغيرها.

﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾: أي الله وحده لا إله إلا هو: إلهاً واحداً لا شريك له.

﴿إِنَّا هَذَا﴾: إن للتوكيد، هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب ويشير إلى: جعل الآلهة إلهاً واحداً.

﴿لَشَيْءٌ﴾: اللام للتوكيد، شيء: أمر.

﴿مُجَابٌ﴾: مثير للعجب، وعجاب: أشد صيغ المبالغة في العجب وهي أشد من عجيب وعجب، فهم عجبوا أن جاءهم منذر، وبما أنهم وصفوه بالساحر والكذاب فقد أصبحت دواعي العجب كثيرة فلذلك أكد بأن وأكد باللام، فهم عجبوا العجاب الشديد أن جعل آلهتهم إلهاً واحداً.

لمقارنة قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَذَا لَشَيْءٌ مُّجَابٌ﴾، مع قوله تعالى في سورة ق آية

(٢): ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، وقوله تعالى في سورة هود آية (٧٢): ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾:

ففي سورة (ق) قال: ﴿شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾: تدل على شدة العجب.

وفي سورة هود قال: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾: أكد بأن واللام؛ أي: أشد عجباً من عجب.

وفي سورة (ص) قال: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾: أكد بأن واللام، وجاء بكلمة عجاب، فهذا أعجب العجب، وهو جعل الآلهة إلهاً واحداً، فهو أعجب من أن تلد عجوز عقيم، وهذا بدوره أعجب من جاءهم منذر منهم (في سورة ق)؛ ارجع إلى سورة (ق) لمزيد من البيان.

وإذا قارنا قوله تعالى: ﴿عَجَابٌ﴾ مع قوله تعالى في الآية (١) من سورة الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾: نجد أن (عجباً): أقوى وأشد مبالغة من (عجاب)؛ لأن (عجباً): مصدر، والوصف بالمصدر أقوى وأشد من الوصف بالصفة.

[٦] ﴿وَأَنْطَلِقُ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصِيرُوا عَلَىٰ إِلَهِتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾:

المناسبة: اجتمع المشركون مع رسول الله ﷺ في بيت أبي طالب يطلبون منه أن يكف عن عيب آلهتهم، وطلب منهم أن يقولوا: لا إله إلا الله. عندها خرجوا من بيت أبي طالب يقولون: أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب. كما روي عن ابن عباس.

﴿وَأَنْطَلِقُ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ﴾: خرجوا مسرعين، والملائكة أعيان قريش زعماء قريش وصناديدهم، خرجوا مسرعين يقول بعضهم لبعض:

﴿أَنْ أَمْشُوا﴾: أن للتوكيد، امشوا: استمروا على عبادتكم آلهتكم.



﴿وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾: اثبتوا على عبادتها وتحملوا سبها وشتمها وذكر معايها.

﴿إِنَّ هَذَا﴾: إن للتوكيد، هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة، يشير إلى التوحيد، وما جاء به محمد ﷺ.

﴿لَشَيْءٍ﴾: اللام للتوكيد، شيء يعني: أمر.

﴿يُرَادُ﴾: أي أمر مدبر من محمد ليصرفكم عن آلهتكم ومقصود، فلا حيلة لكم إلا الصبر والاستمسك بالآلهة وعدم الاستجابة لدعواه ومطالبه.

[٧] ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ﴾:

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي﴾: ما النافية، سمعنا بهذا: التوحيد، أو لا إله إلا الله الذي يدعو إليه محمد، ولم يخبرنا به أو يحدثنا عنه أحد من النصارى.

﴿فِي آلِةِ الْآخِرَةِ﴾: ملة عيسى أو النصرانية؛ أي: ما سمعناهم يوحّدون الآلهة، بل يقولون: إن الله ثالث ثلاثة.

﴿إِنَّ هَذَا﴾: إن نافية أشد نفياً من ما، هذا التوحيد.

﴿إِلَّا اخْتِلَفُوا﴾: أداة حصر؛ أي: حصراً اختلاق: كذب، اختلاق: ليس حقيقة؛ أي: افتعال وكذب، أو كذب مختلق اصطنعه محمد من نفسه، فهم يحاولون إعادة الثقة بعقيدتهم عقيدة الشرك بعد أن زعزعا محمد ﷺ بما جاء به من دين التوحيد.

[٨] ﴿أَنزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُورُوا عَذَابٍ﴾:

﴿أَنزَلَ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتعجب.

﴿عَلَيْهِ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، وتعني: محمد ﷺ أي عليه خاصة.



﴿الذِّكْرُ﴾: أي القرآن الكريم.

﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾: من ابتدائية، بيننا: أي على محمد بالذات وفينا السادة والقادة لقريش، وهو ليس من سادتنا وأشرافنا، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٥) من سورة القمر وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَلْقَ الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾: نجد أن الآية في سورة (ص) جاءت في سياق الحديث عن كفار مكة، والآية في سورة القمر جاءت في سياق الحديث عن قوم ثمود ونبهم صالح، وأما الفرق بين ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ﴾، و﴿أَلَمْ يَلْقَ الذِّكْرَ عَلَيْهِ﴾:

﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ﴾: لأن الإنزال جاء في سياق القرآن والذكر كما قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]، وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]... وغيرها الكثير من الآيات.

وأما ﴿أَلَمْ يَلْقَ الذِّكْرَ عَلَيْهِ﴾: جاءت في سياق النبي صالح، والإلقاء: قد يكون ليس لكتاب، وإنما لصحف، أو ألواح، أو الوحي، وفي آية (ص): قدم عليه (يعني رسول الله ﷺ) تشريفاً، بينما في آية صالح قدم الذكر على صالح ﷺ، والتقديم يعني: للأهم.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل للتوكيد.

﴿فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي﴾: الشك هو تساوي طرفي الإثبات والتنفي؛ أي: في تردد وحيرة وغير مستيقنين. ذكرى: أي قرآني؛ أي: هم في شك في القرآن وأنه منزل من الله تعالى.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ﴾: لما: ظرف زماني ينفي الحدث في الماضي مع إثبات



حدوثه في المستقبل، يعني: حتى الآن لم ينزل بهم أو يصيبهم العذاب ولكن سوف ينزل بهم في الحاضر أو في المستقبل لا محالة قبل موتهم أو بعد موتهم؛ أي: قد يكون في الدنيا أو في الآخرة- وإذا قارنا هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] إضافة الياء تشير إلى شدة العذاب مقارنة بقوله عذاب.

[٩] ﴿أَمْرُهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾:

المناسبة بعد أن نفى الله سبحانه قدرتهم على أن يقسموا رحمته: أي نبوته على عباده؛ أي: أن يعطوا النبوة لمن يشاؤون، كما قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، ينفي عنهم أن تكون خزائن رحمته بأيديهم.

﴿أَمْرٌ﴾: الهمزة للتسوية، أم:

﴿عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾: النبوة رحمة ورحمة ربك تشمل النبوة وغيرها من أنواع الرحمة، فيعطوا من يشاؤون ويمنعوا من يشاؤون، والرحمة هي كل ما يجلب ما يسر ويدفع ما يضر (الوقاية) وتعني الإنعام على المحتاج.

﴿الْعَزِيزِ﴾: القوي الممتنع لا يحتاج إلى أحد ولا يضره ولا ينفعه أحد، ولا يُقهر ولا يُغلب.

﴿الْوَهَّابِ﴾: صيغة مبالغة من: وهب وتدل على كثرة الوهب: العطاء بدون مقابل، واهب النعم الباطنة والظاهرة دائم الإحسان، شمل بيره وكرمه كل مخلوقاته. في هذه الآية خصص الوهاب بالرحمة وأما في الآية (٣٧) من سورة الطور قال: خزائن ربك لم يخصص أطلق، ولم يحدد ما نوع الخزائن.

[١٠] ﴿أَمْرُهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾:

﴿أَمْرٌ﴾: للإضراب الانتقالي، والهمزة للاستفهام الإنكاري والتقرير.



﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: المُلْك: يعني الحكم والملك معاً، فهو مالك الملك وما بينهما؛ أي: ألهم مُلك السَّموات والأرض وما بينهما فإن كان لهم ذلك:

﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾: الأسباب: جمع سبب: هو كل ما يتوصل به إلى الشيء أو الحدث، والسبب في الأصل الحبل، والأسباب الطرق والمسالك والأبواب التي توصلهم إلى العرش؛ أي: أبواب السَّموات. الفاء للترتيب والتعقيب. ليرتقوا في الأسباب: ليصعدوا سبباً بعد سبب؛ أي باباً بعد باب حتى ينتهوا إلى العرش ويمنعوا الوحي النازل على مُحَمَّد ﷺ من ربه، أو ليتولوا تدبير الخلق والكون بما يريدون ويعطوا ويحكموا بالعطاء والمنع وتدبير شؤون الخلق والكون، واللام في ليرتقوا: للتوكيد، وكما قال تعالى: ﴿يَمْعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ [الرحمن: ٢٣]. ارجع إلى سورة الكهف (٨٤).

[١١] ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾:

﴿جُنْدٌ﴾: نكرة للتحقير، وتعني كفار مكة أو قريش؛ أي: كفار قريش مهزومون كما هزم أحزاب الباطل الذين تحزبوا على أنبيائهم وجأؤوا من قبلهم. ارجع إلى سورة يس آية (٢٨) لمعرفة الفرق بين جند وجنود.

﴿مَا﴾: للتوكيد.

﴿هُنَالِكَ﴾: أي: في بدر، (مهزومون في بدر) أو وضعوا أنفسهم في أمر ليسوا هم أهله.

﴿مَهْزُومٌ﴾: مغلوبون لا محالة.



﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾: كفار قريش ما هم إلا جند أو حزب من أحزاب الباطل مهزومون عما قريب، وقد تكون هذه الآية رداً على قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾، فلا تعجل عليهم فإنني سأسلب عزتهم وأهزم جمعهم.

[١٢] ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾:

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: أي قبل كفار قريش كذبت الأحزاب، وكذبت تدل على الكثرة.

قوم نوح كذبوا نوح ﷺ، قوم عاد كذبوا هوداً ﷺ، وفرعون ذو الأوتاد كذبوا موسى وهارون عليهما السلام.

[١٣] ﴿وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾:

وقوم ثمود كذبوا نبيهم صالحاً ﷺ، وأصحاب الأيكة كذبوا شعيباً ﷺ، وقوم لوط كذبوا لوطاً ﷺ.

﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾: الأحزاب: الجماعات المتحيزة ضد رسلهم، أو المحاربة لرسولهم.

وجاء ذكر تكذيبهم كخبر عام بدون إيضاح سبب التكذيب، ثم بين نوع التكذيب في الآية (١٤) فقال تعالى: ﴿كَذَّبَ الرُّسُلُ﴾.

[١٤] ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ﴾:

﴿إِنْ﴾: نافية تعني: ما من أحد من هؤلاء الأحزاب إلا كذب من أرسل إليهم من الرسل، ولكن لم يقل الرسول وإنما الرسل؛ لأن من كذب واحداً من الرسل كأنما كذب جميع الرسل.

﴿إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾: إلا أداة حصر.

﴿فَحَقَّ عِقَابُ﴾: وجب وثبت عليهم عقاب الله بسبب تكذيبهم للرسل، والعقاب مشتق من كونه يعقب الذنب، والعقاب يتراوح بين الشديد واليسير،

وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٤) من سورة (ق) وهي قوله تعالى: ﴿فَحَقَّ وَعِيدُ﴾: نجد الوعيد يسبق العقاب، والعذاب: وهو يُعد إنذاراً وتهديداً لوقوع العقاب.

[١٥] ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهُمِنْ فَوَاقٍ﴾:

﴿وَمَا﴾: النافية.

﴿يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ﴾: أي ما ينتظر كفار قريش.

﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: إلا أداة حصر، صيحة واحدة، قيل: هي نفخة الفزع كقوله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ (٤٩) ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْصِيَّةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٤٩-٥٠].

﴿مَّا لَهُمِنْ فَوَاقٍ﴾: ما لها من رادٍّ أو دافع؛ أي: من يصرفها أو يمنعها، ولن يعطوا إلا زمناً لا يزيد عن الزمن ما بين حلبي الناقة وهو فواق الناقة؛ أي: حتى يمتلأ الضرع بالحليب مرة أخرى بعد الحلبة الأولى؛ أي: لن ينتظروا طويلاً حتى تقوم الساعة ويحل بهم العذاب.

[١٦] ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: كفار مكة.

﴿رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ﴾: القط: أي نصيبنا من العذاب الذي توعدتنا به ولا تؤخره إلى يوم الحساب. قالوا ذلك استهزاءً فهم لا يؤمنون بالبعث ولا بالآخرة ولا بالوعيد؛ أي: أرسله إلينا الآن قبل يوم الحساب، والقط: قد يعني الكتاب أو صحيفة الأعمال (الحسنات والسيئات) كما قال ابن عباس؛ أي: عجل لنا صحيفة أعمالنا أو الكتاب لنرى ما كتب فيها. وقيل: القط: الحساب أو القضاء.





سورة الأعراف ٢٨

الحمد لله الذي هدانا لهذا

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾
 إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ
 مُحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ
 وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوُ الْخَصِمِ إِذْ تَسَوَّرُوا
 الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ
 خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
 وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً
 وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ
 لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجَّتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخَاطِئِ لَيَبْغِي
 بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ
 مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ
 ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّعَآبٍ
 ﴿٢٥﴾ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
 بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾



سورة ص [الآيات ١٧ - ٢٦]

[١٧] ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾:

﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾: الخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ وإلى أمته على ما يقولون: على ما يقوله كفار مكة عنك بأنك ساحر أو كاهن أو شاعر وغيره من الأباطيل، واصبر على ما يقولون: ربنا عجل لنا قطنًا، استهزاءً، ويقولون: بصيغة المضارع؛ أي: اصبر بشكل متجدد ومتكرر أو دائم الصبر، اصبر كما صبر أولو العزم من الرسل أو كما صبر إخوانك من الرسل.

﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾: اصبر واذكر: صبر داود على العبادة والطاعة فقد ذكر في الصحيحين (البخاري ومسلم) من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: أحب الصيام إلى الله صيام داود؛ كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود؛ كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه. عبدنا: اختار هذه الكلمة تشريفاً له إنه كان عبداً ونبيّاً وملكاً، ذا الأيد: أي ذا القوة في العبادة والطاعة رغم كونه نبياً مكلفاً بأعباء النبوة، والملك: الحكم.

﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: إنه: للتوكيد، أَوَّاب: صيغة مبالغة؛ أي: كثير الرجوع إلى ربه بالتوبة والإنابة، أو سريع التوبة إلى الله، أَوَّاب: صيغة مبالغة من آب الرجل إلى أهله؛ أي: رجع، وإذا قارنا أَوَّاب، وَأَنَاب، كما في الآية (٢٤) من نفس السورة، أَوَّاب: كثير الرجوع إلى الله بالتوبة والاستغفار، وَأَنَاب: سريع التوبة، أو الرجوع إلى الله تعالى؛ أي: الإقبال.



[١٨] ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿سَخَرْنَا﴾: من التسخير: أي التذليل، وسخر: أخضع، سخره: أخضعه وقهره ليفعل ما يريد بدون اختيار من المسخر، وكما قال تعالى في سورة الأعراف آية (٥٤): ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾، أي: مسيرات خاضعات مقهورات بأمر الله وإرادته لا باختيارها، وهي التي اختارت أن تكون مسخرة بعد أن عرض عليها الأمانة فاختارت أن تكون مسخرة.

﴿سَخَرْنَا الْجِبَالَ﴾: أي أخضعنا وقهرنا.

﴿مَعَهُ﴾: أي مع داود.

﴿يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾: يسبحن لله تعالى، وكما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فالجبال والسموات والأرض وكل شيء يسبح تسبيحاً لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، والمعجزة هنا ليست التسبيح بذاته فقط وإنما أن تسبح الجبال مع داود وتردد معه؛ أي: تسبح مع تسبيحه، يسبحن ولم يقل وسخرنا الجبال معه مسبحات، ولكن يسبحن: بصيغة المضارع للدلالة على حكاية الحال والتكرار والتجدد؛ أي: يسبحن الآن وكأننا نسمع تسبيحها وهي تسبح، وإذا أخبرنا هذا الخبر الله سبحانه فهو أصدق من أسمعنا وعيوننا فيما لو كنا نسمعه ونراه.

بالعشي: الباء للإلصاق والدوام، والعشي: من الزوال إلى الغروب (من العصر إلى المغرب) أو من الظهر إلى المغرب، والإشراق: أي شروق الشمس. وقد أخذ بعض الأئمة من هذه الآية دليلاً على مشروعية صلاة الضحى أو



صلاة الشروق، وكونها جاءت بصيغة المعرفة [بالعشي والإشراق] فهذا يدل على الدوام، ولم يقل مثلاً بكرة وعشيّاً التي تدل على وقت محدد.

وإنما تدل على التسبيح الدائم ولكل مكان زمان للعشي وزمان للإشراق.

[١٩] ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾:

﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾: مجتمعة (الحشر هو السوق والجمع) والحشر يعني جملة واحدة وليس جماعة بعد جماعة، وهناك فرق بين الحشر والجمع: الحشر هو السوق، والجمع ويكون للجماعة، محشورة حول داود تسبح معه.

﴿كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾: تعني الجبال والطيور وداود الكل لله أَوَّاب؛ أي: يردد التسبيح، كل له مطيع بالتسبيح أو خاضع له وراجع له، له: لله تعالى، وقد تعني لداود أيضاً؛ أي: مطيعة لداود تأتيه وتسبح معه.

[٢٠] ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ، وَءَايَتْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾:

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾: أي قوينا به بكل أسباب القوة المادية والمعنوية من نصر ومهابة، وقوينا به بالحرس والجنود وإلقاء الرعب في قلوب أعدائه.

﴿وَأَيَّتْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾: النبوة، وقيل: علم الأحكام والشرائع أو الزبور، وقيل: الحكمة كل كلام وافق الحق فهو حكمة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٦٩) لبيان معنى الحكمة.

﴿وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾: القضاء والحكم في الخصومات والدعاوي، والفصل يعني التمييز بين الشئين، وقيل: الكلام البين الذي لا لبس فيه.



[٢١] ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾:

﴿وَهَلْ﴾: الواو عاطفة، هل للاستفهام والتعجب والتشويق إلى الاستماع.
﴿نَبَأُ الْخَصْمِ﴾: النبأ هو الخبر العظيم الذي ينبغي أن يُعلم ويُهتم به وفيه فائدة مهمة، والخصم: يطلق على المفرد والمثنى والجمع، والذكر والأنثى.
﴿إِذْ﴾: ظرف للزمان الماضي.

﴿سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾: السور: الحائط المرتفع؛ أي: علو سور المحراب تسلقوا الحائط ودخلوا من أعلى الحائط، ولم يدخلوا من الباب، وتسوروا: جاءت بصيغة الجمع؛ لأن الخصم يطلق على الواحد أو الاثنين أو الأكثر، والمحراب: مسجده مكان صلاته، فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان.

اختلف في تفسير الخصم الذين تسوروا المحراب: قيل: كانا ملكين، وقيل: كانوا إنساناً من الإنس تسوروا الحائط ودخلوا عليه وهو في غير وقت جلوسه للحكم، ففزع منهم ظاناً أنهم يريدون قتله ظناً خطأ فاستغفر ربه من الظن السيئ وخزّ راعكاً وأتاب، أو عزم أن ينتقم منهم وقتلهم ففكر عندها أن قتلهم غير مبرر ولا يحق له، والعفو أولى وأقرب إلى الصواب.

[٢٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمان الماضي أو بمعنى لما:

﴿دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾: الفاء تدل على التعقيب والمباشرة، فزع منهم: الفزع: الخوف المفاجئ الذي يؤثر في القلب فيؤدي إلى تسرع ضربات القلب فيدل على شدة الخوف والاضطراب في القلب، ففزع منهم؛ لأنهم دخلوا عليه



في غير زمن القضاء أو الحكم بين الناس وبغير إذنه. وانظر كيف قال: ففزع منهم، ولم يقل: منهما، وقد سبق ذلك قوله تعالى: خصمان، وقال الخصم؛ لأن كلمة الخصم - كما قلنا - تأتي في سياق المفرد والمثنى والجمع.

﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾: لا الناهية، لا تخف: حين رأوه في حالة الفزع، وقولهم: لا تخف يدل على أنهم من الملائكة؛ لأن لا أحد يجرو أن يقول لداود: لا تخف ولا يجرو أحد أن يدخل على داود ﷺ لأن الحرس يمنعهم ولكونهم من الملائكة فهم أهل لذلك.

﴿خَصَمَانِ بَغَى بَعْضُهُمَا عَلَى بَعْضٍ﴾: بغى: من البغي وهو التعدي أو أخذ حق الغير بقهر وقوة وتعسف.

﴿فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾: فاحكم: الفاء للمباشرة، احكم: افصل بيننا بالحق: الباء للإلصاق، ولا تشطط: ولا تباعد عن الحق أو لا تجر أو تتجاوز الحد، وهذا الطلب: احكم بالحق ولا تشطط لا يجرو على قوله أحد لنبي وملك إلا الملائكة.

﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾: أي دلنا أو أرشدنا إلى سواء؛ يعني الوسط؛ أي: العدل، والصراط: الطريق المستقيم؛ أي: احكم بالعدل وعدم الجور أو لا تمل عن الحق.

[٢٣] ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير إلى أخيه.



﴿أَخِي﴾: أخوه في الدين أو في الصداقة أو الشراكة، ومن حق الإخوة أن لا يأخذ حق أخيه بقهر أو تعسف.

﴿لَهُ، تَسَعُّوْا وَتَسْعَوْنَ نِعْمَةً وَلِيَّ نِعْمَةٍ وَحِدَةٌ﴾:

﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا﴾: ضمها إليّ فاجعني كافلها: يعولها وينفق عليها.

﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾: غلبني في المحاجة أو الكلام.

[٢٤] ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نِعْمَتِكَ إِلَى تَغَاجِيهِ. وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾:

﴿قَالَ﴾: داود لصاحب النعمة الواحدة.

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نِعْمَتِكَ إِلَى تَغَاجِيهِ﴾: فهو يؤكد ظلم صاحب النعاج (٩٩) بدون أن يستمع له، وهذا خطأ لا يجوز في القضاء. وقيل: أخطأ داود عدة أخطاء.

١ - لم يستمع داود ﷺ للطرف الآخر: لصاحب (٩٩) نعمة.

٢ - حكم داود وهو في حالة الفزع والخوف، وهذا مخالف لأركان الحكم الصحيح أو القواعد الشرعية.

٣ - حكم بدون أي بيئة.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾: وإنّ للتوكيد، كثيراً من الخلفاء: من الشركاء في التجارة أو المال؛ أي: خلطوا أموالهم مع بعضهم البعض.



﴿لَبِغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: اللام للتوكيد، يبغي: من البغي وهو: التعدي؛ وهو أخذ مال أو حق الغير بقهر وتعسف وظلم.
﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: لأن إيمانهم يمنعهم من أن يبغي بعضهم على بعض.

﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾: أي عددهم قليل، قليل: نكرة تفيد التهويل والتعجب من قلتهم، وما: تفيد التوكيد.

﴿وَوَظَنَّ دَاوُدُ﴾: الظن هو الاعتقاد أو الاحتمال الرَّاجح؛ أي: علم داود.

﴿أَنَّمَا فُتِنَهُ﴾: أن مصدرية قد قلب الظن يقيناً، فتناه: ابتليناه.

﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، استغفر ربه: لأنه شعر أو أحس بالذنب أو الخطأ في حكمه.

﴿وَحَرَّ رَاكِعًا﴾: بدلاً من وخرّ ساجداً، وهذه هي الآية الوحيدة التي قيل فيها: خرّ راکعاً، وبقية الآيات: خرّ ساجداً، فكيف نفسر ذلك؟ قيل: أطلق الركوع وأريد به السجود (عبر بالركوع عن السجود) أي: خرّ راکعاً ثم سجد أو خرّ بعد أن كان راکعاً، أو خرّ مطأطئاً رأسه؛ أي: سجد. والركوع يعني: الخضوع، وقد ثبت في السنة أن داود بعد انحناؤه خضوعاً سجد لله بعد ذلك، أسرع بالرجوع إلى الله بالتوبة.

وهناك من قال: إن داود لم يرتكب معصية متعمدة وإنما اجتهد في حكمه، والخطأ في الحكم أقل من المعصية، والمعصية تحتاج إلى سجود والخطأ غير المتعمد يناسبه الركوع الذي هو دون السجود.



[٢٥] ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْن مَّكَابٍ﴾:

﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾: الفاء تدل على التعقيب والمباشرة، غفرنا: أي محونا ذنبه أو الخطأ الذي ارتكبه.

له: اللام لام الاختصاص. ذلك: أي ذنبه أو خطأه.

﴿وَإِنْ﴾: للتوكيد له: لداود.

﴿عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ﴾: اللام للتوكيد، زلفى: قريب، منزلة أو درجة، أو مكانة عالية عند الله من الله تعالى كما قال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣].

﴿وَحُسْن مَّكَابٍ﴾: حسن مرجع أو مآل؛ أي: الدرجات العلى في الجنة كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: ٤].

[٢٦] ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾:

﴿يَدَاوُدُ﴾: نداء بيا النداء للبعد؛ لاسترعاء انتباه المخاطب والاهتمام بما سيقال له.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾: إنا: للتعظيم، خليفة في الأرض: خليفة خلافة عامة، خليفة لمن قبلك وليس خليفة لله تعالى، وقد تعني: خليفة لمن سبقك من الأنبياء، أو حاكماً أو ملكاً.

﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾: الفاء للتوكيد، احكم بين الناس بالحق: أي بالعدل والقسط، والحق هو الشيء الثابت الذي لا يتغير، والباء: للإلصاق والدوام.

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىَّ﴾: الهوى ما تميل إليه النفس باطلاً بما لا ينبغي ولا دليل،
وبعيد عن الحق ويغلب على الهوى الذم.

﴿فِيضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الفاء السببية، يضللك عن سبيل الله: أي عن دين الله
(عن تفيد المجاوزة والمباعدة) أي: يبعدك عن دين الله؛ أي: لا تحكم إلا بما
أمر الله به وبالبينة والشهود وعدم التسرع في الحكم، والاستماع إلى الطرفين.
﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: إن للتوكيد، الذين: اسم موصول.

﴿يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي دين الله؛ أي: ينحرفون ولا يرشدون.
﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: اللام لام الاستحقاق، عذاب شديد في الدنيا
والآخرة.

﴿بِمَا﴾: الباء السببية، ما: اسم موصول بمعنى الذي وهي أوسع شمولاً من
الذي.

﴿نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾: لم يستعدوا له بالتقوى، نسوا: من النسيان المتعمد
بالإهمال وترك الاهتمام به، ويسمى يوم القيامة: يوم الفصل يوم الدين، وسمي
يوم الحساب؛ لما يجري فيه من حساب، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن
يعمل مثقال ذرة شراً يره.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٣٨

الْبَقَرَةُ الْبَالِغَةُ الْعِزَّةِ

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ
﴿٢٨﴾ كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِّدَّبْرُوا أَمْرًا إِلَيْنَا وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو
الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَنَ نَّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ
﴿٣٠﴾ إِذْ عَرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِئَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي
أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾
رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا
سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ
لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ
كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا
عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّا لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ
مَّثَابٍ ﴿٤٠﴾ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ
بِنُصَبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

سورة ص [الآيات ٢٧ - ٤٢]

[٢٧] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾:

وما: الواو استئنافية، ما: النافية، خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً: أي عبثاً لا جدوى منه ولا فائدة، وبلا حكمة، والباطل ضد الحق، فهي تسبح الله وهي تعتبر سقفاً محفوظاً ومصدراً للرزق، وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق؛ أي: بالدقة التامة والقوانين الثابتة التي تحكم السموات وما فيها من أجرام ومجرات ونجوم تجري في أفلاك ثابتة لا تصطدم ببعضها منذ خلقها الله تعالى.

والسماء تعريفها: كل ما علاك، وتشمل السموات السبع والسحب والطبقات الغازية المحيطة بالأرض.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا اسم إشارة، واللام للبعد، والكاف للخطاب، ذلك: إشارة إلى خلقهما عبثاً.

﴿ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ظنوا ذلك باطلاً؛ لأنهم لا يؤمنون أنها تسبح وتسجد وأن لها مهمة كما لهم مهمة، وأنها من الآيات الدالة على وحدانيته وقدرته وعظمته، وظنهم لا يغني من الحق شيئاً.

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: الويل: الهلاك والعذاب، للذين: اللام لام الاختصاص



والاستحقاق، الذين كفروا: الذين لم يؤمنوا بالله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر، تهديد ووعد للذين كفروا حتى يرتدعوا ويرجعوا إلى الإيمان.

﴿مِنَ النَّارِ﴾: من عذاب النار.

[٢٨] ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾:

المناسبة: لو كان خلق السماء والأرض عبثاً أو باطلاً لبطل الجزاء والحساب، ولا ستوت عند الله أحوال المصلحين والمفسدين والمتقين والفجار، وفسدت السموات والأرض وما بينهما، ولكن هذا لا يتفق مع حكمة الله ورحمته.

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والإنكار أم للإضراب الانتقالي (أم المنقطعة)، إنكار التسوية بين الفريقين الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمفسدين؛ أي: من ظن (الظن: هو الاعتقاد أو الاحتمال الرجح، رجحت فيه صفة الإثبات فوق صفة النفي)، إن الله يساوي بين المتقي والفاجر والمؤمن الصالح كالمفسد في الأرض، فقد ظنّ ظناً باطلاً خطأ قبيحاً جديراً بالإنكار.

والفاجر: هو الفاسق الذي يصرّ على المعاصي ويتوسّع فيها، فكأنّها أصبحت تتفجّر منه كالنابيع كالزنى القتل والفساد. والفجار: تدل على الثبات والدوام على المعاصي والمحارم.

[٢٩] ﴿كَتَبَ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءِايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾:

﴿كَتَبَ﴾: أي هذا كتاب: قرآن، وبصيغة النكرة للتعظيم.



﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾: أنزلناه جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، إليك: تفيد النهاية إليك أولاً ثم إلى أمتك.

﴿مُبْرَكٌ﴾: كثير الخير والنفع والبركة سواء المنافع الدنيوية والأخروية يأتي بالخير الكثير الإلهي والثابت، مبارك مشتقة من: البركة وهي النمو والزيادة. ﴿لِيَتَذَكَّرُوا أَيْتَهُ﴾: اللام لام التعليل، وأصلها: ليتدبروا آياته، واختار يدبروا مبالغة في التدبر؛ أي: يحتاج إلى تدبر عميق وفهم بالغ، وأما ليتدبروا؛ أي: يحتاجون إلى طول التدبر (زمن أطول) فهم بحاجة إلى تدبر عميق، ولو قال ليتدبروا؛ يعني طول تدبر وتمعن زمن أطول.

والتدبر: هو النظر في عواقب الأمور وما تؤول إليه، ويكون بالعقل والقلب والنظر في الأمور الخفية والحكمة وليس النظرة السطحية مع الاستفادة والتطبيق. ﴿وَلِيَتَذَكَّرُوا أَلْوَالِيَّ﴾: السلام للتعليل، وليتذكر أولوا الألباب: أي يحتاجون إلى وقت أطول للتذكر والتأمل، أما لو قال وليذكر أولوا الألباب: أي يحتاجون إلى وقت قصير للتذكر، التذكر: يكون لأمر يعرفونه سابقاً، أولوا الألباب: أصحاب العقول النيرة الواعية، والألباب مشتقة من: لب المخ؛ أي: منطقة الإدراك والتفكير والفهم والبصيرة، ولمزيد من البيان ارجع إلى سورة البقرة الآيتين (١٧٩، ١٩٧)، وسورة الزمر آية (١٨).

[٣٠] ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾:

﴿وَوَهَبْنَا﴾: الوهب عطاء بدون مقابل، والوهب لا يكون خاضعاً لقانون



أو أسباب حتى ولو توفرت؛ لأن الأسباب في ذاتها قد تكون هبة، والإنجاب كله يعد هبة من الله تعالى بدون مقابل، في كل القرآن.

﴿لِدَاوُدَ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿سُلَيْمَنَ﴾: ابنه سليمان.

﴿نِعَمَ الْعَبْدُ﴾: يعني سليمان، نعم: من أفعال المدح العامة.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿أَوَّابٌ﴾: كثير الإنابة والرجوع والتوبة إلى الله مع الإسراع، لا ينتظر طويلاً. ارجع إلى الآية (١٧) من نفس السورة.

[٣١] ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمان الماضي.

﴿عَرَضَ عَلَيْهِ﴾: من العرض وهو: الإحضار أمام الرائي للشيء المعروف، وهي الجياد، وعليه: تعود على سليمان ﷺ؛ أي: أحضرت أمامه الجياد في عرض كالعرض العسكري أو الرياضي.

﴿بِالْعَشِيِّ﴾: العشي: ما بين الظهر والمغرب، أو من الزوال إلى الغروب، وقيل: من العصر إلى الغروب، والباء للإلصاق.

﴿الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾: الصافنات: جمع صافن وهو الجواد (الحصان) الأصيل العريق الذي يقف على ثلاث قوائم والرابعة يقف على طرفها؛ أي: على الحافر أهبة واستعداداً للجري والانطلاق، وتعني السكون عند الوقوف فالصافن تعني كلا المعنيين.

الجياد: جمع جواد وهو الفرس القوي السريع (شديد العدو)، وقد تطلق على الإنسان: السريع الكرم.

[٣٢] ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾:

﴿فَقَالَ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب، قال سليمان ﷺ لنفسه.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾: الخير تعني: الصّافنات الجياد؛ أي: أثرت حب الصّافنات الجياد، عن: للمجاورة والإبعاد، ذكر ربي يعني: صلاة العصر أو نسيت ذكر ربي؛ أي: لم أذكره (أسبّحه أو أحمده) طوال ذلك الزمن (زمن العرض).

﴿حَتَّى﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾: حتى غابت الشمس عن أعين الناس أو توارت عن أعين الناس.

فعندها قام يذكر ربه ويصلي وبعد إتمام ذلك قال ردّوها عليّ.

[٣٣] ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾:

﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾: أعيدوها عليّ.

﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾: الفاء: للمباشرة والتعقيب؛ طفق: شرع وبدأ يمسح بيده سُوقَهَا وأعناقها تكريماً لها فقد تبين من الدراسات العلمية أنّ سُوقَهَا وأعناقها هي أكثر المناطق حساسية والمسح عليها من أفضل طرق



ترويض الخيل البري، حيث اتهمها وهي لا ذنب لها بأنها شغلته عن صلاته أو ذكر ربه.

وما ترشد إليه الآية هو: تجنب الانشغال عن الصلاة وعن ذكر الله حين يحين وقتها مهما كان الأمر وترك أمور الدنيا والانتقال من الانشغال بالدنيا (بالكون) إلى الانشغال بالميكن (وهو الله سبحانه).

وأما القول بأنه شرع طففاً بالشوق والأعناق؛ أي: بالسيف، فهذا لا يليق بأخلاق النبوة وهو من الإسرائيليات وغير صحيح.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾: الفتنة: الاختبار والفتنة: ارجع إلى سورة العنكبوت الآية (٢) الفتنة أشد من الاختبار وأصلها عرض الذهب على النار؛ ليتبين درجة جودته من فسادته وتكون في الخير والشر، فتنة سليمان قيل: هي أنه لم يرزقه الله أي ولد. رغم الملك الواسع وتسخير الريح والجن والقصور والمحارِب.

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾: الجسد: بدن مع روح بدون نفس؛ فرغم كل المحاولات لإنجاب الأطفال لم يستطع، وأخيراً ولدت له إحدى نسائه بوليد غير كامل البناء كأنه مشلول غير قادر على الحركة، جاءت به المولدة ووضعتة على كرسية؛ أي: عرشه بعد الولادة، وهناك من قال: إن سليمان مرض مرضاً شديداً وضعف جسده بعد أن كان قوياً مسيطراً على الجن وغيرهم، وأراد الله أن يبتليه بالمرض؛ أي: السقم.



﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾: ارجع إلى الآية (١٧) من نفس السورة. اعتبر سليمان ﷺ عدم رزقه بولد كامل البنية ابتلاء أو عقوبة على ذنب ارتكبه أو بغير ذنب، أو اعتبر مرضه المضني الذي أفقده قوته وعافيته ابتلاء أو عقوبة، ثم أناب: أي أسرع بالتوبة والرجوع إلى الله والاستغفار، ثم: تفيد الترتيب الذكري، وقيل: ثم أناب؛ رجع إلى حالته الأولى صحيحاً معافى، ثم: قد تفيد الترتيب والتراخي في هذه الحالة.

[٣٥] ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾:

﴿قَالَ﴾: سليمان ﷺ.

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾: بدون استعمال ياء النداء؛ لأنه علم أن ربه قريب سميع الدعاء فلم يحتاج إلى ياء النداء الدالة على البعد، اغفر لي: اغفر لي ذنبي أو ذنوبي؛ أي: امحوها واعفو عني وتقبل صالح أعمالي.

﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾: هب: من الهبة. ارجع إلى الآية (٣٠) لمعرفة معنى الهبة، ملكاً: الملك: استفاضة الملك واتساع المقدور؛ أي: ملكاً أعظم من ملكي السابق.

﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾: لا: النافية؛ أي: ملكاً لن تعطي أحداً مثله من بعدي، أو قيل: لا يسلبه أحد مني ولم يكن في ملكه يومئذ الريح والشياطين.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾: أنت: ضمير متصل يفيد الحصر والقصر؛ أي: أنت وحدك الوهاب.

﴿الْوَهَّابُ﴾: صيغة مبالغة تدل على كثرة الوهب: العطاء بدون مقابل وبدون



أسباب، واهب جميع النعم الباطنة والظاهرة، دائم الإحسان الذي شمل بيره وكرمه كل الكائنات.

[٣٦] ﴿فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾:

﴿فَسَحَرْنَا﴾: الفاء تدل على المباشرة والتعقيب، سحرنا: ارجع إلى الآية (١٨) من السورة نفسها لمعرفة معنى التسخير؛ وهو التذليل بصورة عامة، سحرنا: بنون التعظيم.

﴿لَهُ﴾: اللام لام الاختصاص له خاصة.

﴿الرِّيحَ﴾: أي أضفنا الريح إلى ملكه.

﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾: رخاء: لينة هادئة ناعمة أو عاصفة كما في سورة الأنبياء (٨١)؛ أي: لها عدة استعمالات حسب ما يريد من السرعة، أو يأمرها سليمان.

﴿حَيْثُ﴾: ظرف مكاني.

﴿أَصَابَ﴾: من الصواب؛ أي: حيث أراد الصواب، أي السفر أو القصد أي: النية.

[٣٧] ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾:

﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾: جمع شيطان، والشياطين: كفرّة الجن، وسحرنا له الشياطين: بالإضافة إلى الريح استجابة لدعائه: هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي.

﴿كُلَّ بَنَّاءٍ﴾: كل بناء يحتاجه؛ لكي يبنوا له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات.

﴿وَعَوَاصٍ﴾: في البحار؛ لكي يستخر جواله الحلية من اللآلئ والمرجان،
كل بناء وغواص: هؤلاء كانوا من الشياطين المطيعين له.
[٣٨] ﴿وَأَخْرَيْنَ مُقْرَنَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ﴾:

﴿وَأَخْرَيْنَ﴾: أي: شياطين آخرين بالإضافة إلى كل بناء وغواص.
﴿وَأَخْرَيْنَ مُقْرَنَيْنِ﴾: هم مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ غير الصالحين، مقرونين في
الأصفاد، مشدودين في القيود للتأديب والكف عن الفساد.
﴿الْأَصْفَادِ﴾: جمع صفد: السلسلة أو القيد.
[٣٩] ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾:

﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾: هذا: الهاء للتنبيه، وذا اسم إشارة للقرب يشير إلى الريح
والشياطين.

عطاؤنا: العطاء فيه معنى التملك؛ أي: جعلناه ملكاً لسليمان بعكس الإيتاء
ليس فيه تملك؛ أي: يمكن استرداده، وكل الأمور التي أعطيت لسليمان هي من
نوع العطاء.

﴿فَإَمْنُنْ﴾: فأعطِ من تشاء.

﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾: أو امنع وأمسك عمن تشاء.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: لا حساب عليك في ذلك العطاء أو الإمساك، فلن نسألك
كم أعطيت أو منعت.

[٤٠] ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّثَابٍ﴾:

ارجع إلى الآية (٢٥) من السّورة نفسها.

[٤١] ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾:

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾: من سلالة إسحاق عليه السلام أيوب بن أموص بن أروم بن عيص بن إسحاق، واذكر: يا رسول الله لقومك قصة أيوب، أو صبر أيوب على ما ابتلاه الله تعالى، عبدنا أيوب: وصفه بعبدنا تشريفاً له، والعبودية لله تعالى كلها عز وشرف للعبد.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمني للماضي بمعنى: حين نادى ربه.

﴿نَادَىٰ رَبَّهُ﴾: النداء يكون برفع الصّوت، أمّا الدعاء يكون برفع الصّوت أو خفضه.

﴿أَنِّي﴾: للتوكيد.

﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾: المس: هو دون اللمس؛ أي: أدنى درجات اللمس فهو اعتبر الإصابة بالمرض لسنين طويلة لمجرد المسّ، ونسب المرض والنّصب والعذاب الذي يلاقيه إلى الشّيطان تأديباً مع الله سبحانه.

فقد أصابه المرض الشّديد لسنين طويلة، فكان الشّيطان يوسوس له بخواطر السّوء وكيف يحدث له ذلك وهو رسول ونبي ويتركه الله ولا يشفيه! فكانت وساوس الشّيطان تسبب له عذاباً نفسياً شديداً أشد من عذابه البدني، ورغم أنّ الله سبحانه هو ابتلاه بالمرض، فلم يذكر ذلك أبداً تأديباً مع الله تعالى. وفي سورة الأنبياء آية (٨٣) قال: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿يُصِيبُ وَعَذَابٍ﴾: بضَم النُّون والنُّصْب: الضُّر ولم يقل بَنَصْب بفتح النُّون وتعني: التعب والمشقة كُلُّ ما أصابه من عمل الشَّيْطَان ووساوسه، وعذاب: نكرة يشمل خسارة الأولاد والمال والفقر وابتعاد النَّاس عنه خوفاً من العدوى رغم أنَّ مرضه كان غير معدٍ.

[٤٢] ﴿أَرْكَضُ بِرَجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾:

﴿أَرْكَضُ بِرَجْلِكَ﴾: الضَّرْب أي: اضرب برجلك الأرض؛ أي قلنا له: اضرب برجلك، ويقال: ركض الدَّابة: جعلها تركض، إذا ضربها برجليه وهو يركبها ليحثها على السَّريعة، فركَضَ برجله الأرض فخرج الماء: نبع الماء فاغتسل بالماء ثم شرب من النِّبع.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير إلى الماء الذي هو مغتسلٌ لك وشرابٌ.

﴿مُغْتَسِلٌ﴾: أي ماء تغتسل به فتشفى به من مرضك الجلدي، وكان من غير الأمراض المعدية؛ لأنَّ زوجته لم تصب به غير الذي كان يظنه النَّاس.

﴿بَارِدٌ﴾: لماذا بارد؛ لأنَّ مرضه الجلدي كان يشعر معه بحكة وألم كالحرق، والحرق حين تضع عليه شيئاً بارداً كان يخفف الألم.

﴿وَشَرَابٌ﴾: شراب لك تشربه.





سُورَةُ ص ٣٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ
 (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا
 نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤) وَاذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى
 الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (٤٧) وَاذْكُرْ
 إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ (٤٨) هَذَا ذِكْرٌ
 وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتٍ عِدْنٍ مُمْتَحَنَةٍ لَهُمْ الْأَنْبُوبُ
 (٥٠) مُتَكِنِينَ فِيهَا يُدْعُونَ فِيهَا بِفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١)
 * وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ أَثَرَابٌ (٥٢) هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ
 الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَذَا الرِّزْقُ مَالُهُ مِنْ نَفَادٍ (٥٤) هَذَا وَابِتٌ
 لِلطَّغِينِ لَشَرِّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنُفِسُ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا
 فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ (٥٧) وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨)
 هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَاءَ بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩)
 قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَاءَ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَنُفِسُ الْقَرَارُ (٦٠)
 قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١)



تَضَمَّنَتْ
الْحِزْبُ
٤٦

سورة ص [الآيات ٤٣ - ٦١]

[٤٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾:

﴿وَوَهَبْنَا﴾: ارجع إلى الآية (٣٠) من السّورة نفسها للبيان.

﴿لَهُ أَهْلَهُ﴾: تقديم «له» يدل على الحصر، أهله: أولاده.

﴿وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾: عاد إليه أهله بعد شفائه من المرض بعد أن ابتعدوا عنه؛ أي: الذّرية، وعادوا بزيادة الضعف من بنين وحفدة (الذّرية: الآباء والأبناء).

﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾: رحمة عامة للمؤمن وغير المؤمن، وأمّا رحمة من عندنا أو من لدنا: فهي رحمة خاصة فقط بالمؤمنين، منّا: لأنّ هذه الرّحمة لم تخصه وحده بل شملت أولاده فكانت رحمة عامة، وفي سورة الأنبياء قال تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ فهذه الرّحمة خاصة بأيوب، ورحمة منا رحمة له ولذريته.

﴿وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾: تذكرة لذوي العقول النّيرة. ارجع إلى الآية (٢٩) من السّورة نفسها للبيان.

وفي سورة الأنبياء قال تعالى: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ تذكرة للعابدين باللجوء إلى الله والصّبر على ما أصابهم وعدم اليأس، إذن ما حدث لأيوب ذكرى للعابدين بشكل عام وذكرى لأولي الألباب بشكل خاص، أو ذكرى للعابدين، فإن لم يتذكر هؤلاء فعلى الأقل تكون ذكرى لأولي الألباب، ويبدو أنّ الآيات في سورة الأنبياء أخص في سياق تكريم الأنبياء، وسياق الآيات في سورة ص سياق عام.



[٤٤] ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ، وَلَا تَحْنَتْ إِنَّهُ وَجَدْتَهُ صَابِرًا نَعِمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾:

تدل هذه الآية ﴿وَلَا تَحْنَتْ﴾: على أن أيوب حلف يميناً على زوجته؛ لأنها قد فعلت فعلاً وهو مريض أغضب أيوب فدلّه الله سبحانه في هذه الآية كيف يوفي بيمينه ولا يحنث، والحنث: هو الإثم والذنب.

والحنث في اليمين إذا لم يوف بما حلف عليه يَأْثَمُ ويذنب، ولذلك يجب الوفاء باليمين المؤكد أو المعقود.

﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا ﴾: الضَّغْثُ: جمعها: أضغاث، وتعني: التداخل وعدم الوضوح؛ أي: مختلطة؛ أي: حزمة من عيدان يابسة أو قضبان أو القش مختلطة ببعضها.

﴿فَاضْرِبْ بِهِ﴾: أي زوجته، ولم يبين من يضرب به إكراماً لها؛ لأنها كانت زوجة صابرة صالحة، فاضرب به ضربة واحدة وانتهى الأمر ويكون قد برّ بيمينه وخرج من حنثه.

﴿وَلَا تَحْنَتْ﴾: في يمينك؛ أي لكي لا تأثم بعدم الوفاء بما حلفت به، ولتكون قدوة لمن غيرك في الوفاء والبر بالقسم.

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾: على البلاء.

﴿نَعِمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: نعم من أفعال المدح، العبد: أي أيوب، إنه: للتوكيد، أواب: كثير وسريع الرجوع إلى الله بالتوبة والإنابة.

[٤٥] ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ ﴾:

المناسبة: بعد أن وصّى الله سبحانه رسوله بالصبر على ما يقوله كفار مكة وذكره:



أولاً: بصبر داود على طاعة الله وعبادته (صيام يوم وإفطار يوم) وقيام الليل.

وبصبر سليمان على ما ابتلاه ربه، ولم يهبه ولداً رغم ملكه العظيم وتسخير الريح له والجن.

وبصبر أيوب على ما ابتلاه ربه بالمرض والفقر والأهل.
جاء في هذه الآية ليذكره بصبر إبراهيم حين ألقى في النار وحين أمر بذبح ولده.

وبصبر إسحاق في دعوته لبني إسرائيل إلى الإيمان والصلاح.

وبصبر يعقوب حين فقد ولده وذهب بصره.

وبصبر إسماعيل حين تله للجبين (بالذبح).

وبصبر اليسع وذو الكفل على أذى بني إسرائيل.

فقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾: عبادنا: إبراهيم الأب، وإسحاق الابن، ويعقوب ابن الابن (ابن إسحاق) ﷺ.

﴿أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ﴾: أولي: أصحاب، الأيدي: جمع يد؛ وتعني القوة والكرم؛ أي: أصحاب القوة في العبادة وطاعة الله والصبر والإيمان.

والأبصار: أولي البصيرة، أو أصحاب البصائر في الفقه في الدين والعلم ومعرفة الأحكام.

[٤٦] ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.



﴿أَخْلَصْنَاهُمْ﴾: ميّزناهم بشيء خاص بهم، وأخلصناهم قد تعني: الإخلاص؛ أي: اصطفييناهم وجعلناهم من المخلصين: بفتح اللام؛ أي: لنا خالصين.

﴿بِخَالِصَةٍ﴾: الباء للإلصاق والدوام، خالصة: مزية صفة لا شائبة فيها وهي ذكرى الدار؛ أي: دار الآخرة، كثيرو الحديث عن الموت وما بعده والدار الآخرة والجنة ويذكرون الناس بها.

[٤٧] ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾:

﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ﴾: لمن: اللام للتوكيد، من: ابتدائية بعبارة.

﴿الْمُصْطَفَيْنَ﴾: الاصطفاء: هو الاختيار من الأشياء المتشابهة المتناظرة مثل: تختار من نفس الجنس الإنس؛ أي: المختارين من بين الناس أولاً، والمصطفين من بين المرسلين.

﴿الْأَخْيَارِ﴾: أي هم من خير البرية، اخترناهم للنبوة وحمل الرسالة، كانوا من الأخيار بإيمانهم بربهم والاستقامة على دينه وشرعه، وبأخلاقهم ومعاملتهم وصبرهم وطاعتهم المثلّى.

[٤٨] ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾:

﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ﴾: الرّسول النّبيّ الحليم ومن الصّابرين على ابتلاء الله بالدّبح، والذي كان صادق الوعد، وكان من الأخيار يأمر أهله بالصّلاة والزّكاة وكان عند الله مرضياً.

﴿وَالْيَسَعَ﴾: واذكر اليسع من الذين فضّلنا على العالمين ومن الأخيار، وقد ورد ذكره في آيتين فقط الآية (٨٦) من سورة الأنعام: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، وورد ذكره في هذه الآية (٤٨) من سورة

(ص): ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ ولم يذكر القرآن من هو ولا متى بُعث ولا لمن أرسل.

﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾: ورد ذكره في آيتين فقط أيضاً من الصّابرين ومن الصّالحين ومن الأخيار: ﴿وَالْإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلَ كُلٌّ مِنَ الصّٰبِرِينَ﴾ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصّٰلِحِينَ ﴿[الأنبياء: ٨٥-٨٦]، ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلَ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٨].

وهناك من قال: إنّ ذا الكفل هو ابن أيوب ؑ، وهو الوحيد من بين أولاده أصبح نبياً وسمي ذا الكفل؛ أي: الحظ والتّصيب؛ لأنّه اصطفى للنّبوة.

﴿وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾: الواو في كلمة «وكلّ» تدل على هؤلاء وغيرهم؛ أي: كلّ من ذكر داود وسليمان وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل واليسع وذو الكفل وغيرهم من الأنبياء والرّسل من الأخيار، الأخيار: ارجع إلى الآية (٤٧) للبيان.

[٤٩] ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾:

﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾: الهاء للتّنبية، ذا اسم إشارة للقرب، ذكر: أي هذا ذكر بعض الأنبياء والرّسل. أو شرف وثناء جميل لهم يُذكرون في أقوامهم ومن جاء بعدهم. وقد تعني: هذا من الذّكر الحكيم؛ أي: القرآن لما جرى من ذكر هؤلاء الأنبياء. ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾: إنّ للتوكيد، للمتقين: اللام للاختصاص والاستحقاق، خاص بالمتقين.

﴿لَحُسْنَ مَآبٍ﴾: اللام في «لحسن» للتوكيد، مآب: مرجع؛ أي: الجنة، يرجعون إليها بعد البعث والحساب، وهناك فرق بين الإياب والرجوع، الإياب: يستعمل للرجوع إلى منتهى الغاية أو القصد ويسكن بعدها ويستقر.



[٥٠] ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾:

﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ﴾: عدن: إقامة واستقرار، إقامة دائمة بلا زوال أو تحوّل.

﴿مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾: مفتحة: اسم مفعول يدل على المبالغة في فتحها؛ أي: ليلاً ونهاراً دائماً مفتحة، مفتحة لهم: تكريماً لهم مفتحة لا تغلق، ولو قال مفتوحة تعني: تفتح أحياناً وتغلق أحياناً أخرى، وكما جاء في الآية (٧٣) من سورة الزمر: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾؛ أي: وجدوها مفتوحة لهم.

[٥١] ﴿مُتَكِّينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾:

﴿مُتَكِّينَ فِيهَا﴾: متكئين فيها؛ أي: في جنات عدن على الأرائك، المتكى: هو ما بين النائم والجالس، أو ما بين النائم والقاعد، والاتكاء يدل على الوضع الذي يأخذ فيه الإنسان راحته كقوله تعالى: ﴿مُتَكِّينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، ﴿مُتَكِّينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرٍ حَسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦].

﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾: يطلبون فيها (في جنات عدن).

﴿بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾: الباء للإلصاق والدوام، فاكهة: اسم جنس تشمل كل الفواكه مختلفة الأنواع والكثيرة الكمية.

﴿وَشَرَابٍ﴾: من مختلف الأنواع منه ما مزاجه من تسنيم، وشراب مزاجه من كافور، وشراب من عسل مصفى، وشراب من لبن لم يتغير طعمه ومن خمير لذة للشاربين، ولم يذكر الطعام؛ لأنّ الفاكهة والشراب للتلذذ والمتعة أمّا الطعام فلا داعي لذكره؛ لأنّه موجود قبل الفاكهة والشراب.

[٥٢] ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْأَطْرَافِ أَرْابٌ﴾:

﴿وَعِنْدَهُمْ﴾: عند المتقين.

﴿قَصِرَتْ الظُّرُفُ﴾: الظُّرُفُ: أي: العين، وفي سورة الصافات: وصفهن بقاصرات الطرف عين؛ قاصرات الظُّرُف: لا ينظرن إلى غير أزواجهن.

﴿أَنْزَابُ﴾: جمع تَرَب: متساويات في الحسن وفي السِّن كلهن جميلات في سن واحدة، قيل: في سن (٣٠) وحُسن القوام تتقلب في الصُّورة التي يحبها. [٥٣] ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾:

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة ويشير إلى جنات عدن والنعيم، والفاكهة والشراب، وقاصرات الظُّرُف أنراب.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي، أو ما مصدرية.
﴿تُوعَدُونَ﴾: من الوعد الذي يعدكم ربكم يوم القيامة.
﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾: اللام للتوقيت ظرفية زمانية، يوم الحساب: يوم الدين يوم الجزاء.

[٥٤] ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾:

﴿إِنَّ هَذَا﴾: إن للتوكيد، هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يفيد القرب.

﴿لِرِزْقِنَا﴾: اللام للتوكيد، رزقنا: عطاؤنا.

﴿مَا﴾: النافية.

﴿لَهُ﴾: لِرِزْقِنَا.

﴿مِنْ نَفَادٍ﴾: أي انقطاع أو فناء (زوال)، من نفذ: فني وذهب أو زال أو قل.

[٥٥] ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّغْيِينَ لَشَرَّ مَنَاقِبٍ﴾:

﴿هَذَا﴾: تعني الكلام السابق أو المذكور للمتقين.



﴿وَاتَّطَاعِينَ﴾: السواو استثنافية، إن للتوكيد، للطاغين: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، الطاغين: جمع طاغٍ: وهو الذي تعدّى حدود الله وخرج عن طاعة الله تعالى، وتمرد وأصر واستمر بدون أن يتوب، طغوا في الكفر والفساد والضلال.

﴿لَشَرِّ مَثَابٍ﴾: اللام للتوكيد، شر: أسوأ مآب مرجع أو مآل منقلب، ثم فسرهُ بالآية التالية:

[٥٦] ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ اللَّهُ أَصْلَهَا﴾:

﴿جَهَنَّمَ﴾: شر مآب جهنم دركة من دركات النار، ومشتقة من كونها بعيدة القعر، وما يدل على بعد قعر جهنم ما رواه مسلم في صحيحه، عن أنس بن مالك قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذا سمع وجبة (صوت سقوط الشيء) كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [الحج: ٣٦]؛ أي: سقطت؛ قال رسول الله ﷺ: «أندرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم؛ قال: هذا حجر رمي به في جهنم منذ سبعين خريفاً، وهو يهوي فيها الآن حتى انتهى إلى قعرها». ارجع إلى الآية (١٨) من سورة الرعد لمزيد من البيان.

﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يدخلونها يقاسون حرها، يحرقوا بها، من: صَلَّى اللحم يصلية: ألقاه في النار ليشويه

﴿فَيَنْسِفُ﴾: الفاء للتوكيد، ينسف: فعل من أفعال الدّم.

﴿أَهْلَآءُ﴾: الفراش، شبه ما تحتهم من النار بالمهد المريح الذي يُعدّ للوليد ليحميه من الأذى؛ أي: لبس ما مهدوه لأنفسهم في الدنيا.

[٥٧] ﴿هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾:

﴿هَذَا﴾: تستعمل في الانتقال من غرض إلى غرض، أو تشية للغرض الذي قبله.

﴿فَلْيَذُقُوهُ﴾: الفاء للتوكيد، ليدوقوه: اللام للتعليل، والهاء تعود على العذاب المتضمن الحميم والغساق، من الإذاقة والدّوق فليذوقوا العذاب. ﴿حَمِيمٌ﴾: الحميم: الماء البالغ أقصى درجات الغليان.

﴿وَعَسَاقٌ﴾: صديد يسيل من أجسام الطّاغين من أهل النار، غسق الجرح: إذا سال منه ماء أصفر يسمى القيح، غسقت العين: سال دمعها؛ أي: شربهم الحميم والغساق.

[٥٨] ﴿وَأَخْرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾:

﴿وَأَخْرُ﴾: أي وعذاب آخر كالحميم والغساق.

﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾: من ابتدائية، شكله: مثله؛ أي: مثل الحميم والغساق في الشدة والكره.

﴿أَزْوَاجٌ﴾: أصناف وأجناس مثل الزمهرير وعذاب السموم وأكل الزقوم، سأرهقه صعوداً.

[٥٩] ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَأَ بِهِمْ لِمَن صَالُوا النَّارِ﴾:

﴿هَذَا﴾: قد تستعمل للانتقال من غرض إلى غرض، والهاء: للتنبيه، وذا: اسم إشارة يدل على القرب يشير إلى نوح.

﴿فَوْجٌ﴾: الجمع الكثير من الكافرين والضّالّين، وجمعه: أفواج، فوج من



الأتباع. انظر هذا التدرج من القلة إلى الكثرة: نفر رهط شردمة قبيلة عصابة طائفة
ثلة فوج فرقة حزب زمرة فئة جيل.

﴿مُقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾: المقتحم الداخل أو الرامي بنفسه في جهنم، من: أقحم
الفرس في النهر؛ أي: أدخل الفرس بشدة وبعنف.

فهم يرمون بأنفسهم؛ لأنهم يضربون بمقامع من حديد فيلقون بأنفسهم في
النار خوفاً من الضرب بالمقامع من حديد، معكم: أي أيها الرؤساء أو المتبوعون.
﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾: دعاء يقوله الرؤساء أو المتبوعون رداً على قول خزنة
جهنم: هذا فوج مقتحم معكم، فيقولون: لا مرحباً بهم؛ الرحب: هو السعة؛ أي:
لاتسعت بهم أمكتهم ولا رحبت عليهم الأرض أو جهنم، وهذا يدل على انقطاع
الصلة والمودة بين الرؤساء والأتباع.

ودليل على أن جهنم مكان ضيق مطبق غير واسع؛ لكي لا يشعروا بالراحة،
وهذا نوع آخر من أنواع العذاب.

﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾: إنهم للتوكيد، صالوا النار: داخلون في النار ومقاسون
حرّها ولهيبها، من: صلى اللحم، يصليه؛ أي: يلقيه في النار ليشويه.

[٦٠] ﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَسَّ الْقَرَارُ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي الأتباع للرؤساء الذين لم يرحبوا بهم.

﴿بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾: بل للإضراب الإبطالي؛ أي: أنتم أحق بما قلتم،
وعللوا ذلك الرد بأنكم أنتم قدمتموه لنا؛ أي: الكفر والضلال والفساد، أو
دعوتمونا إليه بسبب إغوائكم إيانا وإضلالكم لنا في الدنيا ولولا أنتم لم نقع فيه.

﴿فَيَسِّرْ أَلْقَرَارُ﴾: الفاء للتوكيد، بس: من أفعال الذم، بس المقر والمآب أو المقام.

[٦١] ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي الأتباع.

﴿رَبَّنَا﴾: اعترفوا وآمنوا بأنه ربهم، الآن؟ ويدعوه، فهم يحاولون أن يظهروا بمظهر المظلوم والمغترر به. قالوا ربنا: حذف ياء النداء الدالة على البعد.
﴿مَنْ﴾: شرطية.

﴿قَدَّمَ لَنَا هَذَا﴾: أي من أضلنا وأغوانا ودعانا للكفر والشرك، وبالتالي أوردنا النار وسبب لنا هذا العذاب.

﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، زده عذاباً ضِعْفًا: أي ضاعف له العذاب بأن يصبح ضعفين أو مضاعفاً، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَافُ لَنَا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٨٦].



سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٢٨

الْبَقَرَةُ وَالْأَنْعَامُ

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَخَذْنَاهُمْ
 سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ
 النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
 رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ
 عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى
 إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ
 لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
 مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ
 أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ
 يَبَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ
 مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ
 ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ
 الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
 الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
 لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخَلَصِينَ ﴿٨٣﴾



سورة ص [الآيات ٦٢ - ٨٣]

[٦٢] ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: الرؤساء وقادة الضلال والشرك من كفار قريش ومشركيها، قالوا يوم القيامة.

﴿مَا لَنَا﴾: ما للاستفهام، تحمل معنى الإنكار والتحقير.

﴿لَا نَرَىٰ﴾: في النار بعد أن نظروا حولهم.

﴿رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾: أين هم أصحاب محمد ﷺ أمثال بلال وعمار وصهيب وسليمان وخباب الذين كنا نعدّهم من الأشرار.

من ابتدائية، الأشرار: ضد الأخيار، جمع: أشر. اعتبروهم من الأشرار؛ لأنهم اتبعوا دين محمد ﷺ وخالفوا دين آبائهم.

[٦٣] ﴿أَتُخَذْنَهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾:

﴿أَتُخَذْنَهُمْ﴾: قرأ نافع وحفص والجمهور، الهمزة في «أُتخذناهم» كهزمة استفهام وحذفوا همزة الوصل، أُتخذناهم: الهمزة للاستفهام والإنكار على أنفسهم وتأنيب لها في الاستسغار منهم؛ لأنهم أدركوا أنّ أصحاب محمد في الجنة.

﴿سِخْرِيًّا﴾: من السخرية: وهي استنفاص حق من يسخر منه، وأصلها الدّلة. ارجع إلى الآية (٧٩) من سورة التوبة للبيان، ولمعرفة الفرق بين سخرية: بكسر السين، وسخرية: بضم السين؛ ارجع إلى الآية (٣٢) من سورة الزخرف.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي، الهمزة للتشكيك.



﴿زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾: أي كأنهم ليسوا في النار معنا، أو هم في النار معنا ولكن لا نراهم، زاغت عنهم: مالت عنهم الأبصار لم تعد تراهم، عنهم: تفيد المجاوزة والمباعدة، الأبصار: أي الأعين.

ولمقارنة سخرياً بكسر السين مع سُخْرِيّاً بضم السين ارجع إلى الآية (٣٢) من سورة الزخرف للمقارنة.

[٦٤] ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد

﴿ذَلِكَ﴾: ذا اسم إشارة، واللام للبعد، ويشير على الذي أخبرناك به بما يجري من حوار بين الرؤساء والقادة من أئمة الكفر والضلال، والضعفاء أو الأتباع والمتبوعين في النار.

﴿لَحَقٌّ﴾: اللام للتوكيد، والحق: هو الأمر الثابت الذين لا يتغير ولا يتبدل، وكأنه وقع لا محالة (رغم أن السياق في المستقبل).

﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾: شبه ما جرى بينهم من سؤال وجواب وحجاج أو جدال بالتخاصم؛ أي: شعور بنوع من الكراهية والعداوة بينهم.

[٦٥] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ، قل لكفار مكة والناس عامة.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿أَنَا مُنذِرٌ﴾: منذر: اسم فاعل من: أنذر، والإنذار: هو الإعلام مع التحذير والتخويف من عقاب الله وعذابه، منذر لكل من يكفر بآيات ربه ولقائه وعبادته، منذر لكم من القهار الجبار، والنذير: كثير الإنذار صيغة مبالغة في الإنذار، ولم يقل: بشيراً ونذيراً؛ لأن الآيات جاءت في سياق جهنم، وذكر النار، والحميم والغساق.

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ﴾: الواو عاطفة، ما: النافية المطلقة؛ أي: الشاملة، من: استغراقية لا وجود لأي آلهة إلا الله.

﴿إِلَّا اللَّهُ﴾: إلا: أداة حصر وقصر، الله: الواحد القهار.

﴿الْوَحْدُ﴾: الذي لا شريك له ولا ولد. ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) للبيان ومعرفة الفرق بين أحد وواحد.

﴿الْقَهَّارُ﴾: صيغة مبالغة من القهر، والقهر يعني: الغلبة والقدرة كما وكيفاً؛ أي: القادر على قهر كل شيء بقوته وجبروته وعزته وعلمه، والمسيطر على كل شيء والخاضع له كل شيء، وقد ذكر الاسم الواحد القهار في ست آيات في القرآن.

[٦٦] ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾:

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: أي خالق ومالك وحاكم السموات السبع والأرض وما بينهما.

﴿الْعَزِيزُ﴾: مشتقة من: العزة، عزة القوة والقهر والغلبة والمنعة، القوي الذي لا يُقهر ولا يُغلب، والممتنع لا يحتاج لأحد ولا يضره ولا ينفعه أحد.

﴿الْغَفُورُ﴾: صيغة مبالغة من: غفر، كثير المغفرة، يمحو السيئات ويغفر الذنوب جميعاً مهما كثرت أو تعددت إلا الشرك والكفر، وأما الغفور: أي: دائم المغفرة، ولمعرفة المزيد من الفرق بين غفار وغفور؛ ارجع إلى سورة طه آية (٨٢).

[٦٧] ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ إلى قومك وإلى الناس أجمعين.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد؛ ويعني القرآن الكريم.

﴿نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾: النبأ هو الخبر العظيم، والنبأ: أهم من الخبر، وفيه فائدة



للناس، ويعني النبأ؛ أي: القرآن الكريم وما فيه من الأنباء والآيات والأحكام والوعد والوعيد وأنباء الرسل والغيب والبعث والوحدانية ولا (إله إلا الله الواحد القهار).

[٦٨] ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾:

﴿أَنْتُمْ﴾: للتوكيد، عن: تفيد المجاوزة والابتعاد.

معرضون: أي لا ترغبون في سماعه أو تأبون سماعه ولا تهتدون به ولا تؤمنون به، وفي الآية توبيخ لهم.

﴿مُعْرِضُونَ﴾: تدل على أن الإعراض عندهم أصبح صفة ثابتة فيهم.

[٦٩] ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾:

﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ﴾: ما النافية، ينفي رسول الله ﷺ عنه بهذه الآية علم الغيب، كان: تشمل كل الأزمنة، من علم: استغرافية، أي علم، بالملا الأعلى: أي الملائكة إلا عن طريق الوحي.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمان للماضي.

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾: ولم يقل إذ اختصموا، يختصمون: للدلالة على حكاية الحال؛ أي: يريد أن يضع فعل يختصمون كأنه يحدث الآن وأمام مرأى العين، حين اختصموا بعد أن أخبرهم الله سبحانه أنه جاعل في الأرض خليفة، قالوا: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ سُبْحٌ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وفي شأن السجود لآدم وامتناع إبليس. وبين نوع الخصام في الآية (٧١) القادمة.

[٧٠] ﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنْتَا أَتَا نَذِيرٌ﴾:

﴿إِنْ﴾: تفسيرية أو نافية.

﴿يُوحَىٰ إِلَىٰ﴾: الوحي لغة: إعلام بالخفاء، وفي الشرع: ما يُلقى الله سبحانه

على أنبيائه ورسله من تكاليف وتعاليم دينية وآيات ووعد ووعد. ارجع إلى
سورة النساء آية (١٦٣).

﴿إِلَّا﴾: للحصر.

﴿أَتَمَّا﴾: للقصر.

﴿أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بين واضح الإنذار، نذير: صيغة مبالغة من الإنذار، وهو
الإعلام مع التحذير والتخويف، نذير لكل مسلم ولكل إنسان، وبين الإنذار
واضح لا يخفى على أحد ولا يحتاج إلى دليل أو برهان.

[٧١] ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف تعني: واذكر إذ أو إذ بمعنى حين؛ أي: واذكر حين قال ربك
للملائكة.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾: أي آدم، من ابتدائية، طين: يعني تراب + ماء. ارجع
إلى سورة الحجر آية (٢٦) للبيان. والدراسات العلمية تشير إلى أن تركيب جسم
الإنسان فيه (١٦) عنصراً من عناصر التربة أو أكثر مثل الصوديوم والبوتاسيوم
والحديد والكلورaid والماغنيزيوم والكالسيوم، خالق: بالتثنية ليدل على الحال
أو الاستقبال.

[٧٢] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (٢٩) من سورة الحجر للبيان. والسؤال: ما هو الفرق بين:
(فقعوا له)، أو (اسجدوا) أو (خروا سجداً)؟

فقعوا له: أي: مباشرة اسجدوا وبسرعة وبدون أي تأخير.

خروا سجداً: هبوط فيه صوت يشبه خرير الماء.



وأما السجود: فهو السجود المعتاد سجود الصلاة أو التلاوة.

[٧٣] ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾:

ارجع إلى الآية (٣٠) من سورة الحجر للبيان.

[٧٤] ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾:

﴿ إِلَّا ﴾: أداة استثناء، استثناء منقطع؛ أي: المستثنى ليس من المستثنى منه أي:

﴿إِبْلِيسَ﴾: المستثنى، والمستثنى منه: الملائكة، وهو ليس من جنسهم فهو من الجن وكان مع الملائكة آنذاك، والأمر بالسجود كان للملائكة وله أيضاً.

﴿اسْتَكْبَرَ﴾: أبى أن يسجد بسبب استكباره، ويَبِّن سبب استكباره في الآية (٧٦) القادمة، وارجع إلى الآية (٨٧) من سورة البقرة لبيان معنى استكبر وتكبر.

﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾: كان لا تعني الزمن الماضي، فهي تستعمل للحاضر والمستقبل أيضاً، كان بدءاً من تلك اللحظة من الكافرين ومن قبل لم يكن، من ابتدائية، ولم يقل أول الكافرين؛ لأن هناك من سبقه إلى الكفر من شياطين الجن.

[٧٥] ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾:

﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ﴾: ما للاستفهام، وهل سبحانه لا يعلم ما منع إبليس من السجود ليستفهم؟ طبعاً لا، ولكن هذا نوع من الاستفهام ليظهر للبشر الذي لدى إبليس من التكبر الذي كان سبباً لطرده من الجنة، فلا يفعلوا ما فعل إبليس. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٣٢) من سورة الحجر وهي قوله تعالى: ﴿ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾، والآية (١٢) من سورة الأعراف وهي قوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾؛ ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٢) لبيان الفرق.

﴿أَنْ تَسْجُدَ﴾: أن حرف مصدرى للتعليل والتوكيد، وأصلها أن لا تسجد،

والمانع إما أن يكون من الغير «عامل خارجي» مثل القهر والإكراه، وإما أن يكون عاملاً داخلياً مثل الكبر أو التكبر.

﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَيَّ﴾: لما: للذي خلقت بيدي، بيدي: تكريماً له؛ أي: آدم ﷺ.
 ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾: الألف والسين والتاء تعني: الطلب والهمزة للاستفهام والتوبيخ والتفريع لإبليس. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧).
 ﴿أَمْ﴾ للإضراب الانتقالي.

﴿كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾: قيل: العالين نوع من الملائكة مثل حملة العرش الذين لم يشملهم الأمر بالسجود.
 [٧٦] ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾:

قال إبليس: أنا خير منه؛ أي: من آدم؛ خلقتني من نار وخلقته من طين، كان من الأفضل لإبليس أن يكتفي بالصمت بقوله: أنا خير منه، ولكنه يريد أن يخبر أن النار أفضل من الطين، فهذا كان تصور إبليس وظنه.

[٧٧] ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾:

﴿قَالَ﴾: سبحانه لإبليس.

﴿فَأَخْرِجْ مِنْهَا﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، منها: من الجنة.

﴿فَإِنَّكَ﴾: الفاء تعليلية، إِنَّكَ للتوكيد.

﴿رَجِيمٌ﴾: تعني من المبعدين والمطرودين من رحمة الله ومن كل خير، والرجيم: الملعون والمذموم أو المرجوم بالشَّهَب الثَّاقِبَة [الصفات: ١٠]، أو الشَّهَب المبينة [الحجر: ١٨].

[٧٨] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: الواو عاطفة، إِنَّ للتوكيد.



﴿عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾: على تفيد الاستعلاء والمشقة، واللعنة تعني: الطرد من رحمة الله ومن كل خير، وقوله: لعنتي ولم يقل ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾ [الحجر: ٣٥] لعنتي أقوى تأكيداً وشدة من قوله: وإن عليك اللعنة، ولعنتي تفيد الاستمرار واستبعاد العفو؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (١٦١-١٦٢) لمقارنة آيات اللعن في القرآن.

﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾: يوم الحساب والجزاء، ارجع إلى الآية (١٦١) من سورة البقرة؛ للمقارنة والبيان.

[٧٩] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾:

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾: قال إبليس: رب فأنظرنني: الفاء للتوكيد، أنظرنني: أخرني أو أمهلني، وهذه الآية نفسها ذكرت في سورة الحجر آية (٣٦)، وفي سورة الأعراف آية (١٤)؛ حذف الفاء ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ والسبب في وجود الفاء في آيتي (ص) والحجر: أنها تعيد السبب (أي: فاء السببية)؛ أي: ما قبلها سبب ما بعدها.

﴿إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾: إلى حرف غاية (لعموم الغايات) يوم يبعثون؛ أي: يوم البعث، فهو يريد أن ينجو من نفخة الموت، النفخة الأولى نفخة الصّعق والموت، ويبقى أحياناً إلى النفخة الثانية (نفخة البعث)، ولم يستجيب الله سبحانه له.

[٨٠] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾:

﴿قَالَ فَإِنَّكَ﴾: قال تعالى فإنك: الفاء للمباشرة، إنك للتوكيد.

﴿مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾: من ابتدائية، المؤخرين أو الممهلين إلى يوم الوقت المعلوم حتى النفخة الأولى.

[٨١] ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾:

﴿إِلَى﴾: حرف غاية لعموم الغايات (بداية أو نهاية أو ما بين ذلك).

﴿يَوْمَ أُلْقِيَ الْمَلْعُومُ﴾: أي يوم أو وقت النَّفْخَةِ الأولى نفخة الصَّعَقِ والموت حيث تموت كلُّ الخلائق.

[٨٢] ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾: قال إبليس، فبعزتك: الفاء: للعطف، وتفيد التوكيد، بعزتك يا رب عن خلقك وغناك عنهم وعن طاعتهم، وأنتك تقهر ولا تقهر، وتغلب ولا تغلب، ولا يضررك ولا ينفعك أحد من خلقك، فبعزتك: الباء باء القسم، يقسم بعزة الرب.

﴿لَا أُغْوِيَنَّهُمْ﴾: اللام لام التوكيد، والنون في «أغوينهم» لتأكيد الإغواء، أغوينهم من الإغواء: الإضلال والفساد؛ أي: أغوين عبادك أجمعين. ارجع إلى سورة الحجر آية (٤٢) لمزيد من البيان.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: للتوكيد، فلا ينجو أحدٌ من الغواية لن يُسْتثنى أحدٌ.

[٨٣] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾: أخلصوا دينهم وطاعتهم لله ووحدوا الله تعالى وتقبل الله إخلصهم فجعلهم من المخلصين، فهؤلاء لن أقدر على إغوائهم وإضلالهم. ارجع إلى سورة الصافات آية (٤٠) للبيان.



الجزء الثاني والعشرون

سورة النور ٣٩

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنَّهُ هُوَ الْوَدَّاعُ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمَنَّ بَأْهٖ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ النُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۚ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾

سورة ص [الآيات ٨٤ - ٨٨]

[٨٤] ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾:

الاحتمال الأول:

﴿قَالَ فَالْحَقُّ﴾: قال تعالى: فالحق: لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين.

﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾: أي ولا أقول إلا الحق.

الاحتمال الثاني:

﴿فَالْحَقُّ﴾: قولي، أو الحق مني.

﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾: ولا أقول إلا الحق، أو لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين.

الاحتمال الثالث:

﴿فَالْحَقُّ﴾: أي أنا الحق.

﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾: لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين، والحق هو الشيء الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل.

[٨٥] ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾: اللام للتوكيد، والنون في «أملأن» لزيادة التوكيد.

﴿جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ اسم من أسماء النار أو دركة من دركاتها. ارجع إلى سورة الحجر آية (٤٣) لمزيد من البيان، والآية (٥٦) من نفس السورة لبيان معنى جهنم.



منك: من جنس؛ أي: من الشياطين منك ومن ذريتك.

﴿وَمَنْ تَبِعَكَ﴾: أي مَنْ سار على نهجك واتبع خطواتك ووساوسك وإغواءك.

﴿مِنْهُمْ﴾: من الثقلين الإنس والجن.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: تأكيد لكل من تبعك من ذرية إبليس ومن ذرية آدم.

[٨٦] ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ.

﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾: ما النافية، أسألكم عليه: على تبليغ الوحي أو الرسالة أو القرآن.

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: من استغراقية تعني: أي أجر قليل أو كبير، ولو أدنى الأجر أو أعظم الأجر.

﴿وَمَا أَنَا﴾: تكرار «ما» النافية يفيد تأكيد النفي.

﴿مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾: المتقولين كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ﴾ لا أزيد ولا أنقص من الوحي، ارجع إلى قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام: ٩٠] للمقارنة.

[٨٧] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾:

﴿إِنْ﴾: النافية أقوى نفياً من ما.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد، يعود على القرآن الكريم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾: ذكر من الله تعالى، من: الذكر والتذكير والبيان كقوله تعالى: ﴿سَقَرْتُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [الاعلى: ٦]، فالقرآن يذكر بك كل ما تحتاج إليه في دنياك وآخرتك. ارجع إلى الآية (١) من السورة نفسها.

العالمين: اللام لام الاختصاص، العالمين: عالم الإنس وعالم الجن (الثقلين)، وذكر: أقوى وأشد تأكيداً من قوله: ذكرى، يستعمل «ذكر» في سياق الدعوة والتبليغ والشرف ورفع القرآن، وذكرى تستعمل في سياق النسيان والتذكير العادي، ولا ننسى بداية السورة (ص) وهي قوله تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ وختم السورة قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ مما يدل على أن القرآن كأنه عقد واحد نظمت آياته وسوره على أكمل وجه في الاتصال المحكم الوثيق يدل على عظمة الخالق وقدرته وعلمه وأنه المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة.

[٨٨] ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾:

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾: الواو عاطفة، لتعلمن: اللام التوكيد، والنون في «تعلمن» لزيادة التوكيد.

﴿نَبَأُهُ﴾: صدق أخباره وصدق ما وعد به، وصدق وعيده وما ذكر فيه، وصدق ما جاء به محمد ﷺ.

﴿بَعْدَ حِينٍ﴾: بعد: ظرف للزمان والمكان، حين: ظرف للزمان غير محدد الزمن، وقد يطول أو يقصر.

لتعرفن دلالة هذه الآيات وهذه الألفاظ بعد حين قد يطول أو يقصر، وتعني: لن تعرفوا دلالاتها كاملة في زمن واحد؛ لأن دلالات هذه الآيات قد يتضح معناها شيئاً شيئاً مع اتساع معرفة الإنسان، وليبقى القرآن فوق كل هذه المعرفة مهما اتسعت دوائرها وحتى لا تنقضي عجائبه، ولمعرفة الفرق بين الحين والذهر: الدهر هو أوقات متوالية مختلفة.





فهرس تفسير القرآن الثري الجزء التاسع

الصفحة	السورة ورقمها
٦	سورة لقمان [الآيات ١٢ - ١٩]
٢٥	سورة لقمان [الآيات ٢٠ - ٢٨]
٣٩	سورة لقمان [الآيات ٢٩ - ٣٤]
٥٥	سورة السجدة [الآيات ١ - ١١]
٦٧	سورة السجدة [الآيات ١٢ - ٢٠]
٧٩	سورة السجدة [الآيات ٢١ - ٣٠]
٩١	سورة الأحزاب [الآيات ١ - ٦]
١٠٣	سورة الأحزاب [الآيات ٧ - ١٥]
١١٣	سورة الأحزاب [الآيات ١٦ - ٢٢]
١٢٣	سورة الأحزاب [الآيات ٢٣ - ٣٠]
١٣٣	سورة الأحزاب [الآيات ٣١ - ٣٥]
١٤١	سورة الأحزاب [الآيات ٣٦ - ٤٣]
١٥١	سورة الأحزاب [الآيات ٤٤ - ٥٠]
١٥٩	سورة الأحزاب [الآيات ٥١ - ٥٤]
١٦٧	سورة الأحزاب [الآيات ٥٥ - ٦٢]
١٧٩	سورة الأحزاب [الآيات ٦٣ - ٧٣]
١٨٩	سورة سبأ [الآيات ١ - ٧]
١٩٩	سورة سبأ [الآيات ٨ - ١٤]
٢١١	سورة سبأ [الآيات ١٥ - ٢٢]
٢٢١	سورة سبأ [الآيات ٢٣ - ٣١]
٢٣٣	سورة سبأ [الآيات ٣٢ - ٣٩]
٢٤٣	سورة سبأ [الآيات ٤٠ - ٤٨]
٢٥٥	سورة سبأ [الآيات ٤٩ - ٥٤]
٢٦١	سورة فاطر [الآيات ١ - ٣]



السورة ورقمها	الصفحة
سورة فاطر [الآيات ٤ - ١١].....	٢٦٧
سورة فاطر [الآيات ١٢ - ١٨].....	٢٨١
سورة فاطر [الآيات ١٩ - ٣٠].....	٢٩٣
سورة فاطر [الآيات ٣١ - ٣٨].....	٣٠٥
سورة فاطر [الآيات ٣٩ - ٤٤].....	٣١٧
سورة فاطر [الآية ٤٥].....	٣٢٧
سورة يس [الآيات ١ - ١٢].....	٣٣١
سورة يس [الآيات ١٣ - ٢٧].....	٣٤٥
سورة يس [الآيات ٢٨ - ٤٠].....	٣٥٩
سورة يس [الآيات ٤١ - ٥٤].....	٣٧٣
سورة يس [الآيات ٥٥ - ٧٠].....	٣٨٥
سورة يس [الآيات ٧١ - ٨٣].....	٤٠١
سورة الصافات [الآيات ١ - ٢٤].....	٤١٣
سورة الصافات [الآيات ٢٥ - ٥١].....	٤٢٧
سورة الصافات [الآيات ٥٢ - ٧٦].....	٤٣٩
سورة الصافات [الآيات ٧٧ - ١٠٢].....	٤٥١
سورة الصافات [الآيات ١٠٣ - ١٢٦].....	٤٦٣
سورة الصافات [الآيات ١٢٧ - ١٥٣].....	٤٧٣
سورة الصافات [الآيات ١٥٤ - ١٨٢].....	٤٨٥
سورة ص [الآيات ١ - ١٦].....	٤٩٩
سورة ص [الآيات ١٧ - ٢٦].....	٥١١
سورة ص [الآيات ٢٧ - ٤٢].....	٥٢١
سورة ص [الآيات ٤٣ - ٦١].....	٥٣٣
سورة ص [الآيات ٦٢ - ٨٣].....	٥٤٥
سورة ص [الآيات ٨٤ - ٨٨].....	٥٥٥
فهرس تفسير القرآن الثري الجزء التاسع.....	٥٥٨



نَفْسُ الْقُرْآنِ

الْحَكِيمِ الْخَافِعِ

فِي

الْإِعْجَازِ الْبَيِّنِ وَاللُّغَوِيِّ وَالْعِلْمِيِّ

إِعْدَادُ وَدِرَاسَةُ

الدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ الْحَمِيدِ

تَحْقِيقُ

تَحْقِيقُ



تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء : (١٢)
عدد الصفحات : (٦٧٠٤)
القياس : ٢٤ × ١٧
التنضيد والإخراج الضوئي : محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

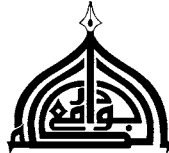


دار المعارف

تلفاكس : +963 11 2247242

ص.ب: 31429 . سورية، دمشق

E-mail: meraj.press@gmail.com



للطباعة والنشر والتوزيع

دار الجوامع الكلام

جوال : +963 933 84 60 60

سورية - دمشق - تلفاكس : +963 11 2216555 - ص.ب 13118

www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الشَّرِيفِ الْجَامِعِ

فِي

الْإِعْجَازِ الْبَيَّانِيِّ وَاللُّغَوِيِّ وَالْعَامِّيِّ

إِعْدَادُ وَدِرَاسَةُ

الدُّكْتُورُ مُحَمَّدٌ الْهَلَالُ

الْجُزْءُ الْعَاشِرُ

كِتَابُ الْمَعْرَاجِ

كِتَابُ الْجَوَامِعِ الْكَلَامِ



سُورَةُ النُّزُورِ ٣٩

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَرِيمِ

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ
﴿٨٦﴾ إِنَّهُ هُوَ الْوَدَّاعُ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ النُّزُورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾



سورة الزمر [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن الكريم رقم (٣٩) أمّا ترتيب نزولها فكان (٥٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾:

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾: التنزيل يدل على النزول على دفعات، تنزيل: والإنزال: يدل على النزول جملة واحدة (دفعة واحدة). ونزل أو أنزل تدل من أعلى إلى أسفل.

وتدل على شرف المنزل، وهو الله وعلو مكانته، وعلى شرف ما أنزل (وهو الكتاب) وعلى شرف المنزل عليه أو إليه (وهو رسول الله ﷺ).

ونزل عليك حين يكون المخاطب رسول الله ﷺ في شأن خاص به ﷺ، ونزل إليك (إلى تفيد عموم الغايات) وتفيد النهاية، أي: أن ينتهي إلى الناس كافة. أي: بداية عليك ونهاية إلى الناس.

وكما قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤﴾.

﴿الْكِتَابِ﴾: أي: القرآن الكريم سُمِّي الكتاب؛ لأنه مكتوب في السطور، وسُمِّي القرآن؛ لأنه مقروء ومحفوظ في الصدور، وجاء بأل التعريف للدلالة على أنه الكتاب الكامل التام. ارجع إلى الآية (٢) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿مِنْ اللَّهِ﴾: الله: اسم علم يدل على واجب الوجود ارجع إلى سورة النمل آية (٢٦) للبيان.

﴿الْعَزِيزِ﴾: مشتقة من العزة عزة القوة والمنعة والقهر والغلبة فهو القوي الممتنع الغني عن خلقه لا يضره أحد ولا ينفعه أحد، القوي الذي يقهر ولا يقهر ويغلب ولا يُغلب.

﴿الْحَكِيمِ﴾: مشتقة من الحكم فهو أحكم الحاكمين، ومن الحكمة فهو أحكم الحكماء، الحكيم في تدبير خلقه وكونه وشرعه. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

[٢] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾: أنزلنا، أي: جملة واحدة دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، إليك: تفيد الانتهاء، إليه تستعمل لعموم الغايات، وتستعمل عادة في الأمور التي لا تختص بالدعوة، وعليك: تفيد المشقة والعلو، وتستعمل في سياق الدعوة والتبليغ. ارجع إلى الآية (٤) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿الْكِتَابَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (١) وارجع إلى الآية (٢) من سورة البقرة لمزيد من البيان والآية (٤١) من نفس السورة.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق، أي: أنزلناه بالحق، الحق هو الشيء الثابت الذي لا يتبدل ولا يتغير وليس هناك غيره، أي: أنزلناه بالحق بداية وظل على الحق لم يتغير ولم يتبدل وسيظل إلى يوم يُرفع من الأرض، والباء تدل على الإلصاق والملازمة كقوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢].

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].



﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾: فاعبد: العبادة طاعة العابد للمعبود (أي: الله سبحانه) فيما أمر به وفيما نهى عنه والعبادة لها منهج ولها جزاء ولا تكون إلا للخالق وحده، وحسب ما أراده وتعني: الخضوع مع المعرفة بالمعبود. ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣) لمزيد من البيان.

﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا﴾: الفاء لبيان العلة (أي: اعبد الله وحده، أو اعبده موحداً إياه لا تشرك به شيئاً).

﴿لَهُ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، له: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر.

﴿الدِّينَ﴾: له وحده العبادة والطاعة والدين ما يطاع به المعبود، ويشمل جملة الشرائع، أو الشرعة (ما ورد في القرآن) ويشمل المنهاج (ما ورد في السنة). ارجع إلى سورة البقرة آية (١٣٢) لمزيد من البيان في معنى الدين.

[٣] ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾:

﴿أَلَا﴾: أداة تنبيه.

﴿لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾: لله الجار والمجرور يفيد الحصر له وحده الدين الخالص من أي شائبة مثل الشرك والولد والند والمثيل والرياء، لله الدين الخالص: لأنه هو وحده الذي شرعه وهو الذي يجزي عليه.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾: والذين عبدوا من دونه: من غيره (من غير الله أولياء: كالأوثان والأصنام والملائكة وعيسى وعزير).

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾: أي: يقولون: ما نعبدهم (ما نعبدهم ما النافية)، أو قائلين ما نعبدهم.

﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾: إلا أداة حصر، ليقرّبونا: اللام للتوكيد يقرّبونا عند الله زلفى: قربي أي: ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله بالشفاعة لنا.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: إن للتوكيد، يحكم بينهم: بين الذين اتخذوا من دونه أولياء والأولياء، أي: بين المشركين وأوليائهم مثل الأصنام والآلهة وعيسى والملائكة وبين الموحدين والمشركين وبين الأمم والخلائق. والحكم أو القضاء يتم بين أفراد الأمة الواحدة، أو الملة الواحدة، بينما الفصل يتم بين الأمم المختلفة أو الملل.

﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: من أمر الدين والتوحيد وعيسى عليه السلام، ولم يقل: فيما كانوا فيه يختلفون؛ لأنه سياق الآية في الدنيا وليس في الآخرة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾: إن الله: للتوكيد، لا يهدي: لا النافية، يهدي، من: ابتدائية استغراقية، من هو: ضمير فصل يفيد التوكيد، كاذب: أي: مفتر على الله الكذب يقول لله ولد أو يتخذ أصناماً آلهة لتشفع له أو تقرّبه عند الله زلفى.

كاذب: أي: الكذب صفة ثابتة فيه دائم الكذب.

كفار: كثير الكفر صيغة مبالغة، وكفار: تدل على الاسم والكثرة، ولو قال: لا يهدي الكافرين؛ الكافرين، أو الكافرون: تدل على الحدث؛ أي: الفعل.

أي: لا يوفق ولا يعين هؤلاء الذين أرادوا الضلالة لأنفسهم وأصروا عليها، على الرجوع عنها، والعودة إلى الهداية والصراط المستقيم.



[٤] ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾:

﴿لَوْ﴾: حرف امتناع لامتناع، امتناع وقوع الجواب لامتناع وقوع الشرط.
 ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾: فالله سبحانه لم يرد أن يتخذ ولداً أصلاً ولا حتى على سبيل الافتراض، ولو أراد ذلك لقال: كن فيكون (أي: وقع ما أراد).
 ﴿لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾: اللام لام التعليل والتوكيد، اصطفي: اختار، مما: من + ما، يخلق ما يشاء. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٤٤) لمزيد من البيان في معنى الاصطفاء، والفرق بين الاصطفاء والاختيار والاجتباء.
 ﴿سُبْحَنَهُ﴾: أي: أنزهه من كل شريك ونذ ومثيل وولد، ومن كل ما لا يليق بذاته وصفاته وأفعاله. ارجع إلى سورة الإسراء آية (١)، وسورة الحديد آية (١) لمزيد من البيان في التسبيح.

﴿هُوَ اللَّهُ﴾: هو ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد، الله: واجب الوجود.
 ﴿الْوَاحِدُ﴾: لا ثاني له ولا شريك له ولا ولد ولا ولي، وكذلك هو أحد، أي: لا مثيل له، ليس كمثله شيء لا مثيل ولا نذ. ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) لمزيد من البيان، ومعرفة الفرق بين أحد وواحد.

﴿الْقَهَّارُ﴾: صيغة مبالغة من قهر؛ أي: ذلت له جميع المخلوقات والكائنات؛ لأنه هو القوي العزيز الجبار؛ فلا يحدث أي شيء في العالمين إلا بإذنه، وجميع الخلائق فقراء إليه. ارجع إلى سورة ص آية (٦٥) لمزيد من البيان.
 [٥] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوَرُ أَلِيلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى أَلِيلٍ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: الحق الشيء الثابت الذي لا يتغير

فالسَّمَوَاتِ والأَرْضِ ثابتة لا تتغير في تركيبها وبعدها ومدارها ودورانها. ارجع إلى سورة إبراهيم آية (١٨) للبيان، وارجع إلى سورة الأنبياء آية (٣٠)، وسورة فصلت آية (٩-١٢)، وسورة الأعراف آية (٥٤) لبيان كيفية كان الخلق.

﴿يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾: وهذه الآية تشير أنَّ الأرض كروية الشكل وتدور حول نفسها وحول الشمس فالنصف المقابل للشمس يضيء بسبب الطبقة الغازية المحيطة بالأرض والتي تضيء بحزمة من أشعة الشمس فتسبب النهار، وتكون طبقة الضياء مكورة لطبقة الظلام بينما النصف غير مقابل للشمس تكون فيه طبقة الظلام مكورة طبقة النهار غير المضيئة بأشعة الشمس (فيكون الليل سائد في ذلك النصف من الكرة الأرضية).

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: ارجع إلى سورة فاطر آية (١٣) للبيان وسورة الأعراف آية (٥٤) وسورة يونس آية (٥).

﴿أَلَا هُوَ﴾: أداة تنبيه وافتتاح.

﴿الْعَزِيزُ﴾: ارجع إلى الآية (٦٦) من سورة (ص) للبيان.

﴿الْقَفَرُ﴾: ارجع إلى الآية (٦٦) من سورة (ص) للبيان.

وقوله تعالى: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إشارة إلى حتمية فناء الكون ونهاية الشمس والقمر، وكل مخلوق له أجل مسمى، ومنها الجمادات والنباتات فكل مخلوق له بداية ونهاية.





سُورَةُ النُّعْمِ ٣٩

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَرِيمِ

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ
مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ
خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ
اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ
لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾
وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ
نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا
لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ
النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ
الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ
لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ
ءَامَنُوا أَنْصُرُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ
وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾





سورة الزمر [الآيات ٦ - ١٠]

[٦] ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: أي: خلق آدم وخلق حواء وخلق كل باقي الإنس من نفس واحدة، أي: من ذات واحدة من أصل واحد. ارجع إلى سورة النساء آية (١) والأعراف آية (١٨٩) للبيان.

﴿ثُمَّ﴾ ليست للترتيب والتراخي، وإنما للتباين في الصفات، أي: رغم أن النفوس متشابهة في الأصل تبقى مختلفة في الطباع والفطرة، مثل تغليب العاطفة على العقل في الأنثى بشكل عام، ومن ناحية الحب والكراهية وغيرها.

﴿جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: الجعل هو مرحلة بعد الخلق؛ أي: خلقه ثم جعله، والجعل من جعل؛ أي: صير.

﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾: وأنزل لكم: أي: خلق لكم من الأنعام ثمانية أزواج، والإنزال يجب أن لا ينظر إليه كجهة فقط فالإنزال قد يأتي بمعنى إنزال الماء (المطر) الذي يسبب النبات والعشب الذي تعيش وتتغذى به الأنعام فهو سبب عيشها، أو بمعنى أنزل الشفرة أو الصفات الوراثية لهذه الأنعام بأن جعل لكل زوج صفاته الخاصة به، وقد تعني: أنزلها من جنة أخرى، ولا تعني: جنة الخلد التي في السماء إنما جنة مثل جنة آدم. (جنة على الأرض)، والله أعلم.



﴿ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ﴾: من الضَّأْنِ اثنين ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين. ارجع إلى سور الأنعام آية (١٤٣).

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾: يخلقكم في بطون أمهاتكم من نقطة، ثم من علقه، ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة، ثم مرحلة العظام، ثم يكسو العظام لحماً.

﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾: قيل ظلمة البطن (جدار البطن)، وظلمة الرحم (جدار الرحم)، وظلمة الأغشية المحيطة بالجنين الغشاء المشيمة، والغشاء الأميوني، وقيل: الظلمات الثلاثة: ظلمة جدار الرحم وظلمة الغشاء الأميوني والغشاء الكريوني، وسُميت ظلمة لعدم وجود النور مثل ظلمة الليل، والظلمة قد تعني: السكون والهدوء (في الرحم).

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: ذلكم: ذا اسم إشارة واللام للبعد والتعظيم والكاف للمخاطب، أي: الذي خلقكم في ظلمات ثلاث وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج هو الله ربكم، فهذا الخلق والقدرة تدل على عظمته ووحدانيته، ولذلك بدأ بقوله: (الله) أي: المعبود والإله الحقيقي الذي يستحق العبادة وحده؛ لأنه خلقكم وأنزل لكم من الأنعام.

﴿رَبُّكُمْ﴾: الذي خلقكم ورزقكم ومربيكم ومدبر أموركم، فجمع الألوهية والربوبية معاً في هذه الآية. وذلكم: تفيد التعظيم، وأوسع معنى للجمع من ذلك وأكد.

﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾: له تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، له: اللام للاختصاص، له الملك: له الحكم والملك (فهو الحاكم والمالك).



﴿فَأَنِّي تُصْرَفُونَ﴾: أنى: تعني كيف ومن أين وتعني الاستفهام الإنكاري والتعجب من انصرافهم عن عبادة الله الإله الحق إلى عبادة غيره أو انصرافهم عن الحق إلى الباطل، ومن التوحيد إلى الشرك، رغم هذه الأدلة والبراهين القاطعة.

[٧] ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾:

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال والتدرة.

﴿تَكْفُرُوا﴾: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط إن الله: للتوكيد. ارجع إلى سورة البقرة آية (٦) لبيان معنى الكفر.

﴿غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾: أي: غني عن إيمانكم وعبادتكم وغني تعني: لا حاجة به إليكم.

﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾: ورغم كونه غنياً عنكم وعن إيمانكم فهو لا يحب أن تكونوا كافرين رحمةً بكم؛ لأنكم من خلقه ولا يريد أن يعذبكم.

لعباده: اللام لام الاختصاص.

الكفر هو السّتر ويعني: الجحود بوجوده والإيمان به أو عبادته أو بنعمه عليكم.

﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾: إن شرطية تفيد القلّة والتدرة.

وإن تؤمنوا بربكم وتطيعوه وتستجيئوا له يرضه لكم، الرضا القبول أن يقبل



منكم، ولم يقل: وإن تؤمنوا بربكم قال: وإن تشكروا؛ لأن الإيمان والطاعة من مظاهر الشكر له، وإن تشكروا الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى وعلى نعمة الإيمان والإسلام يرضه لكم.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾: لا: النافية، ولا تزر: ولا تحمل أو تتحمل، الوزر: الحمل ويعني: الذنب والإثم، ولا النافية.

وازره؛ أي: نفس وازرة آثمة، وزر أخرى: ذنب أو إثم أو جرم نفس أخرى فكل إنسان مجزي بعمله، أي: لا تحمل نفس آثمة ذنب نفس أخرى، ويبدأ ذلك من زمن التكليف، وعلى شرط أن لا تكون سبباً في إضلال النفس الأخرى فعندها يتعدى ظلم النفس إلى ظلم نفس الأخرى عندها تتحمل إثمها وإثم النفس الأخرى، كما قال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣].

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾: وإن لم تؤمنوا بربكم فاعلموا أنكم سترجعون إليه وستجزون على كفركم، ثم: للترتيب والتراخي في الزمن.

إلى ربكم مرجعكم: إلى ربكم تقديمها يفيد الحصر والقصر إليه وحده مرجعكم، وإلى تفيد عموم الغايات، أي: بعد البعث ترجعون إليه للحساب والجزاء.

﴿فَيُنَبِّئُكُمْ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، ينبئكم: يخبركم ويطلعكم على سجل أعمالكم في الدنيا. وينبئكم مشتقة من النبأ وهو الخبر العظيم الذي يعني أعمالكم.

﴿بِمَا كُنْتُمْ﴾: الباء للإلصاق، ما اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية.



﴿تَعْمَلُونَ﴾: في الدُّنْيَا وتعملون تشمل الأقوال والأفعال.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: إنه: إن: تفيد التوكيد، عليم: صيغة مبالغة كثير العلم أن يعلم ما تسرون وما تعلنون وما تبدون وما تكتُمون ويعلم السِّر وأخفى، ويعلم خفايا صدوركم، وما يجول في خواطركم وقلوبكم على الدَّوام وما يسكن فيها من الأسرار.

[٨] ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾: ﴿وَإِذَا﴾: الواو استئنافية، إذا: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث وكثرة الحدوث.

﴿مَسَّ الْإِنْسَانَ﴾: المس يأتي للضرر وغير الضرر، يأتي مع الرحمة ويأتي مع العذاب.

ضُر: بضم الضاد، الضُّر بالضم يعني: الهزال وسوء الصِّحة، أي: المرض وسوء الحال.

أما الضُّر بفتح الضاد فضد النِّفع، أي: ما تضر به غيرك وتنفع به نفسك مع عدم علمه بأنك تضره. ولنتقارن معنى الضُّر مع السَّوء والكرب.

السَّوء: ما يسيء إلى النفس مع العلم به.

والكرب: هو المكروه أو العذاب أو الضُّر الذي لا تملك أو تستطيع دفعه عن نفسك ولا أحد آخر إلا الله وحده. ارجع إلى الصِّافات آية (٧٦) للبيان.

﴿دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾: دعا: من الدَّعاء، دعا ربه خالقه ورازقه ومدبر أمره



ليكشف عنه الضر، وأقبل على ربه وتضرع إليه بذل وانكسار وتاب إليه، ووعد ربه بالاستقامة والرجوع عن ذنبه والإيمان.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾: ثم: تفيد التباين بين موقف دعا ربه منياً إليه وكونه نسي ما كان يدعو إليه من قبل، أو ثم تفيد التراخي في الزمن والترتيب، أي: بعد مدة طويلة.

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث وبكثرة.

﴿خَوَّلَهُ﴾: أعطاه وملّكه نعمه من دون عوض.

﴿نِعْمَةً مِّنْهُ﴾: النعمة هي ما يهبه الله لعبده من خير يجلب له المسرة ويدفع عنه المضرة، نعمة منه: نعمة جاءت بصيغة النكرة لتشمل كل أنواع النعم من الصحة والمال والغنى والأهل والأمن والطعام والشراب وغيرها.

نعمة بالتاء المربوطة، ولم يقل: نعمت بالتاء المفتوحة؛ فتدل على نعمة ظاهرة للعيان، وليست خفية أو عامة للبشر. ولو جاءت بالتاء المفتوحة نعمت لدلت على أنها نعمة خاصة أو لا يمكن إحصائها، وخاصة بالمؤمنين. نعمة منه: أي: نعمة عامة تخص المؤمن أو الكافر، أو الصالح والطالح، ولم يقل نعمة من عندنا، أو من لدنا التي تخص فقط المؤمنين والأولياء الصالحين، أو الأنبياء والرسل.

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾: نسي: تعني: نسي من كشف عنه الضر وأنقذه وهو ما زال يذكر ضره وبليته ولا ينساها، أو نسي ما أصابه من ضر وبلية ونسي من كشف عنه الضر وأنقذه، أي: نسي كل شيء.

﴿مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ﴾: ما للعاقل وغير العاقل، أي: عامة وتعني: الذي أو مصدرية.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: أي: حين أصابه الضر.

فهذا الإنسان ابتلاه ربه فأصابه الضر، فدعا ربه فكشف عنه ضره، ثم خوّله ربه نعمة بعد ضره فنسي ما أصابه من ضر، وفرح بها وراح يشرك بالله بدلاً من أن يشكر ربه ويتوب إليه ويستقيم إيمانه.

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾: بدلاً من شكر النعم والاستقامة اتخذ لله أنداداً، الند: هو المثل والنظير، أي: جعل لله تعالى شركاء، أي: أشرك بالله تعالى. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٢) لمزيد من البيان.

﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾: اللام للتعليل، عن سبيله: عن دين الله وشرعه، يضل: أي: يضل نفسه ويضل غيره عن دين الله وهو الإسلام والتوحيد.

﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾: قل يا رسول الله له: تمتع بكفرك: التمتع: الانتفاع والتلذذ العاجل، بكفرك: الباء للإلصاق واللزوم.

الكفر قد تعني جحود نعمة الله وسترها وعدم شكر المنعم، أو كفر العقيدة والإيمان، أي: تمتع بالشرك وعبادة الأصنام وغيرها.

﴿قَلِيلًا﴾: أي: زمناً قليلاً بقية أجلك (متاع موقوت بالدنيا أو مدة حياته) ومهما طال فهو قليل بالنسبة للآخرة.

﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾: إن للتوكيد، من: ابتدائية.

﴿أَصْحَابِ النَّارِ﴾: أصحاب جمع صاحب، وصاحب مشتقة من الصّحبة



وتعني: الملازمة فهم لا يفارقونها وهي لا تفارقهم. وفي الآية تهديد ووعد لهؤلاء الذين يفعلون مثل ذلك.

[٩] ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾:

﴿أَمَّنْ﴾: أصلها أم + من أدغمت أم في من (اسم موصول) أمن الهمزة للاستفهام والتقدير والتخيير بين أمرين، وأم قد تكون للإضراب الانتقالي والاستفهام جوابه محذوف ليشمل كل الاحتمالات.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿قَنِيتٌ﴾: من القنوت، أي: الطاعة والدعاء، قانت مطيع لله.

وقد تعني دائم الخضوع والعبادة، وتشمل في معناها الخشوع والدعاء والخشوع غير القنوت. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (٢) للبيان.

﴿ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ﴾: آناء جمع إئو، أي: جزء من الليل، أو آناء الليل ساعات الليل ومن حيث التصرف آناء قلبت الهمزة إلى مد والواو إلى همزة فصارت آناء.

﴿سَاجِدًا﴾: في صلاته أو مصلياً، السجود جزء من الصلاة عبّر عن الكل

بالجزء.

﴿وَقَائِمًا﴾: في صلاته يتلو آيات ربه ويدعوه.

﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾: يحذر: يخاف عذاب الآخرة والحذر هو الحيطة.

﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾: مغفرته وجنته، يرجو يأمل ويطلب منه النجاة من النار.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ:



- ﴿هَلْ﴾: للاستفهام وتفيد النفي.
- ﴿يَسْتَوِ﴾: من الاستواء في الجزاء والثواب والعلم والجهل.
- ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾: أي: علماء الدين والفقه والشرع والأحكام.
- ﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: الغافلون الجاهلون عن الآخرة، وإن كانوا يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا علوم الدنيا.
- ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة تفيد التوكيد.
- ﴿تَذَكَّرُ﴾: من التذكر، وتعني: هذا الشيء معلوم في السابق ويتذكره أولو الألباب.
- ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾: أصحاب العقول النيرة المؤمنة الموحدة. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٧٩، ١٩٧).
- [١٠] ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾:
- بعد نفي المساواة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، يعظ الله رسوله بأن يذكر الذين آمنوا بالتقوى والهجرة والصبر.
- ﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ هذا، أو قل لهم: يناديكم ربكم بهذا النداء.
- ﴿يَعِبَادِ﴾: يا أداة نداء للبعد، عباد: أي: الذين آمنوا واختاروا طريق الإيمان، وهناك فرق بين عباد وعبادي وعبيد؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (١٨٦) لمعرفة الاختلاف بينها، والآية (١٧) من نفس السورة.
- ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾: بطاعة وامتثال أوامر ربكم وتجنب نواهيه اتقوا غضب



وسخط ربكم واتقوا القهار الجبار واتقوا ناره واتقوا ربكم: استقيموا على طاعة وامثال أوامر وتجنب نواهيه.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾: اللام لام الاختصاص، الَّذِينَ أَحْسَنُوا: الَّذِينَ تَجَاوَزُوا درجة التَّقْوَى وساروا في طريق الإحسان وأحسنوا العمل بالطَّاعة والعبادة إِحْسَان الكَم وإحسان الكيف وإحسانهم لم يعد مقتصرًا عليهم، بل تعداهم إلى غيرهم وَالَّذِينَ عبدوا الله كَانَتْهم يرونه، وتعريف الإحسان ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة للبيان.

﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: في ظرفية، هذه: الهاء للتنبيه، وذا اسم إشارة يشير إلى دار الدنيا.

حسنة: جاءت بصيغة التَّنْكِير للتعظيم وللدلالة على الكمال ولتشمل أيَّ حسنة، ومنها الصَّحة والعافية والغنى والأمن والأهل والنَّصر والعزة والعلم وغيرها، وحسنة قد تعني: الجنة أو الدار الآخرة، وقد تعني: في الدنيا والآخرة معاً.

ولمعرفة معنى الحسنة ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٠١).

﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾: وما علاقة أرض الله واسعة بالتَّقْوَى، تعني: إذا لم تَمَكَّنُوا من إقامة شعائر الدِّين والتَّقْوَى في بلدكم فهاجروا إلى أرض أخرى فالأرض جميعها هي أرض الله، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧].

وقيل: أرض الله الواسعة: قد تعني أرض الجنة.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.



﴿يُوفَى الصَّابِرُونَ﴾: يوفى: أي أعطوا أجرهم بغير حساب، الصَّابِرُونَ لها معانٍ عدة منها: الصَّابِرُونَ الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه إلا إلى الخالق، والصَّابِرُونَ على مفارقة أوطانهم والهجرة في سبيل الله، أو الصَّابِرُونَ في بلادهم على أذى الكفار والمشركين وعدم تمكُّنهم من الهجرة؛ لأنه سبق هذا ذكر وأرض الله واسعة التي تدل على الهجرة، والصَّابِرُونَ على طاعة الله وتجنب معاصيه مثل الصَّلَاة والصَّيَام والدَّعْوَة إلى الله، والصَّابِرُونَ على البلاء ومنها فتنة الدِّين وإعلاء كلمة الله. والصَّابِرُونَ: جملة اسمية تدل على الثبات؛ أي: صبرهم دائم ومستمر، وتختلف عن الذين صبروا التي تدل على التجدد والتكرار.

فهؤلاء وغيرهم يوفون أجرهم بغير حساب فلا ينصب لهم ميزان ولا يُنشر لهم ديوان، فلم تعد الحسنة بعشر أمثالها ولا بـ (٧٠) ضعفاً أو (٧٠٠) ضعف، بل أكثر من ذلك بكثير ولا يعلم مقدار أجرهم إلا الله الذي أعطاهم إياه، وقد يكونوا من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب.



سورة النمل

٣٩

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ۗ
قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا
ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مَنْ فَوْقَهُمْ ظُلُمٌ مِنَ النَّارِ
وَمَنْ تَحْتَهُمْ ظُلُمٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُونَ ﴿١٦﴾
وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ وَوَلَّيْنَاكَ هُمْ أَوْلُوا ۚ الْأَلْبَابُ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾
لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرَى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنبُيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾



سورة الزمر [الآيات ١١ - ٢١]

[١١] ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله ﷺ لهم، لقومك:

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿أُمِرْتُ﴾: بواسطة الوحي.

﴿أَنْ﴾: تفيد التعليل والتوكيد.

﴿أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾: أي: اعبد عباداة خالصة لله وحده من غير شرك أو

رياء، أو اعبد الله وحده لا شريك له؛ أي: عقيدةً، والآية (١٢) ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ

أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾؛ أي: في الفرائض والتكاليف.

مخلصاً: أي: موحداً، توحيد الألوهية والربوبية والصفات والأسماء له:

تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر له وحده.

الدِّين: يشمل الشريعة والمنهج (الأحكام والكتاب والسنة). ارجع إلى

سورة البقرة آية (١٣٢) للبيان، ومخلصاً له الدين مقارنة بقوله تعالى في الآية

(١٤) في نفس السورة مخلصاً له ديني؛ لأن عبادة الله بإخلاص مأمور بها كل

عبد، أي: وليست خاصة برسول الله ﷺ وحده.



[١٢] ﴿وَأَمَرْتُ لَأَن أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾:

﴿وَأَمَرْتُ﴾: تكرر أمرت للتوكيد ولفصل الأمر الأول عن الثاني، فالأمر الأول بالإخلاص والأمر الثاني بالسبق ليكون أول المسلمين منزلة في الفرائض والتكاليف كالصلاة، والزكاة، والصيام، وغيرها من العبادات (الجوارح).

﴿لَأَن﴾: اللام للتوكيد والاختصاص، أن: للتعليل.

﴿أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾: قد تعني:

١ - أول المسلمين من هذه الأمة.

٢ - أو أول المسلمين من لدن آدم إلى قيام الساعة، أولوية تفوق، أي: أشدهم إسلاماً، وليست أولوية بالزمن؛ لأن هناك الكثير من الرسل الذين أعلنوا إسلامهم قبل مجيء رسول الله ﷺ مثل نوح وإبراهيم وإسماعيل وكل الرسل الآخرين.

ولا توجد آية في القرآن تقول: وأنا أول المؤمنين إلا آية واحدة جاءت في سياق موسى عليه السلام حين طلب الرؤيا فصعق موسى، ولا تعني هذه الآية الإيمان العقدي، وإنما أنا أول المؤمنين بأني غير قادر على رؤيتك يا رب في الدنيا كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. ارجع إليها للبيان.

[١٣] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

﴿قُلْ إِنِّي﴾: ارجع إلى الآية (١١).



﴿أَخَافُ إِنَّ﴾: إن: تعليلية، أخاف: من الخوف وهو توقع الضرر المشكوك في وقوعه.

﴿عَصَيْتُ رَبِّي﴾: بعدم الإخلاص له في العبادة والتوحيد أو عصيته في أي أمور.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: أي: يوم القيامة، عظيم: أشد أنواع العذاب الأليم والمهين والكبير، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخْرِجَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ [الجن: ٢٢]؛ أي: كوني نبياً لن يشفع لي عصيت ربي شيئاً.

[١٤] ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي﴾:

ما الفرق بين هذه الآية والآية (١١): ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾: في الآية (١٤) قَدَّمَ المفعول على الفعل أو المعبود على العبادة، قَدَّمَ كلمة الله على العبادة.

وفي الآية (١١) قَدَّمَ العبادة وأخر المعبود (الله) قَدَّمَ الفعل على الفاعل، فهذه الآية جاءت موافقة للترتيب الطبيعي للجملة الفعل، ثم الفاعل، ثم المفعول. وتدل على أنه مأمور من جهة الله بفعل العبادة والإخلاص.

أما الآية (١٤) فقدَّمَ المفعول على الفعل ليفيد القصر أو الحصر في العبادة على الله وحده دون غيره، فهو يُبَيِّنُ في هذه الآية أَنَّ العبادة والإخلاص تخصُّ الله وحده دون غيره، وتؤكد كذلك أَنَّ العبادة لله تعالى وحده مرة أخرى.

أي: كأنه يقول: أنا لا أعبد إلا الله، وأنتم اعبدوا ما شئتم من دونه، كما جاء في الآية (١٥) التالية، وقوله تعالى: مخلصاً له ديني وليس مخلصاً له الدين؛ لأن



الإخلاص خاص أو أمر يختلف من إنسان إلى آخر. ارجع إلى الآية (١١) في نفس السورة للمقارنة.

[١٥] ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾:

﴿فَاعْبُدُوا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب.

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي﴾: ظاهر هذه الآية التخيير والحقيقة هي تهديد ووعيد وتوبيخ إن فعلوا ذلك ولا تعني الإذن لهم بعبادة غير الله، كقوله تعالى: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ [الكافرون: ٦].

﴿مَا شِئْتُمْ﴾: ما اسم موصول لغير العاقل مثل الأصنام والقمر والنجوم والكواكب والآلهة، وللعاقل مثل عيسى وعزير والأولياء.

﴿مِنْ دُونِي﴾: من غيره أو سواه ثم بين سبحانه عاقبة الشرك والكفر بالله تعالى.

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: أي: إذا عبدوا ما شاؤوا من دون الله يصبحون ظالمين لأنفسهم بالكفر والشرك، فعندها سوف يخسرون أنفسهم يوم القيامة ويصبحون من أصحاب النار.

والسؤال: كيف يخسروا أهلهم أيضاً، ولم يقل أهلهم أهلهم تعني أولادهم وذريتهم وأزواجهم وأقاربهم، فالذرية والأهل تعني: فقط الزوجة والأولاد أمام أمرين: إما أن يؤمنوا فلن يكونوا عندها مع الآباء في النار بل في الجنة، وإما أن يتبعوا آباءهم في الكفر والشرك فيكونوا خاسرين كأبائهم، فالآباء



خاسرون لذريتهم وأهلهم في كلا الحالتين إنَّ ذريتهم دخلوا الجنة أو اتبعوهم؛ أي: يخسروا أهلهم (الذرية والأقارب) بعدم كونهم معاً؛ أي: لن يرونها؛ لأنه سيكون فريق في الجنة وفريق في السعير، أو خاسرين لهم بأن أدخلوهم النار معهم.

﴿أَلَا﴾: أداة افتتاح وتنبية.

﴿ذَلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد، ويفيد الذم ويشير إلى الخسران.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿الْخُسْرَانُ﴾: على وزن فعلان للمبالغة في الخسارة، ولم يكتف بقوله: الخسران، وإنما أضاف إليه المبين. ارجع إلى سورة النساء آية (١١٩)، وسورة هود آية (٢٢) لبيان معنى خسر، خسران، خسارة، الأ خسرون.

﴿الْمُيِّنُ﴾: أي: الظاهر الجلي لكل فرد وإنسان وهو خسران واضح لا يحتاج إلى أدلة أو برهان.

[١٦] ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظِلٌّ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظِلٌّ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُونَ﴾ فَأَنْقُوتُ:

﴿لَهُمْ﴾: اللام للاختصاص والاستحقاق تعود على الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهلهم.

﴿مِّنْ فَوْقِهِمْ ظِلٌّ مِّنَ النَّارِ﴾: كلمة من فوقهم ولم يقل: فوقهم تعني الظلل ملاصقة لهم من فوقهم مباشرة من دون فاصل مكاني، وكذلك ومن تحتهم ولو قال فوقهم يحتمل أن يكون هناك مسافة مكانية بينهم بين الظلل، وقوله: ظلل:



أي: أطباق من النار أو طبقات كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥]، وكقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١].

ظلل: من الظلّ مكان للراحة عادة لا تصله الشمس؛ فاستعمل ظلل جمع ظله، والظلال مفردا ظل، وهو: المكان المظلل الذي يحجب أشعة الشمس كأسلوب للتهكم على الكافرين وتهديد ووعيد وزجر لعلهم يتوبون ويرجعون عن كفرهم. ارجع إلى سورة يس لمزيد من البيان في معنى الظل والظلال.

﴿ذَلِكَ يَخَوْفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾: ذلك اسم إشارة للبعد يشير إلى العذاب الشديد الذي يخوف الله به عباده: لكي ينزجروا عن المعاصي والمحارم ولا يقربوا منها. ﴿يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ﴾: يا أداة نداء فيها استمالة وحنان، فاتقون: الفاء للتوكيد، اتقون: سخطي وغضبي وناري بامثال أوامري واتقون ولم يقل: واتقوني، أي: اتقون بأي وسيلة ولو بأقل وقاية أو درجة.

[١٧] ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح والتعظيم.

﴿اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾: الاجتناب: الابتعاد، الطَّاغُوت: الأصنام والأوثان أو الشياطين، وكل معبود من دون الله وهو راض بهذه العبادة. ارجع إلى الآية (٢٥٦) من سورة البقرة لبيان معنى الطَّاغُوت.

أن: مصدرية تعليلية توكيدية.



يعبدوها: ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣) لبيان معنى العبادة.

﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾: بالإيمان وبه وعبادته وتوحيده، الإنابة سرعة التوبة والرجوع إلى الله. أي: سألهم أمرين الاجتناب والإنابة.

﴿هُمْ الْبَشَرُ﴾: لهم اللام للاختصاص والاستحقاق، البشري: في الحياة الدنيا والآخرة.

البشري الخبر السار لأول مرة لهم البشري في القرآن والتوراة والإنجيل وعلى السنة الرسل وقيل: إن هذه البشري تكون عند الوفاة وفي القبر وعند البعث.

﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾: الفاء للتوكيد، بشر عباد: الخطاب إلى رسول الله ﷺ، بشر عباد: عباد الذين وصفهم الله تعالى بقوله: اجتنبوا الطّاغوت وأنابوا إلى الله والذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. وهناك فرق بين عبيد، وعبادي، وعباد.

١ - عبيد: الكل عبيد الله تعالى المؤمن والكافر والمتقي والعاصي كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢].

٢ - عبادي: أفضل من عبيد هم الذين آمنوا بالله واختاروا أن يكونوا عباد الله تعالى فوصفهم بالقول عبادي، كما قال تعالى: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣].

٣ - وعباد: هم الصفوة المؤمنة الذين جاء وصفهم في هذه الآية، والآية (١٨) القادمة، وأعلى درجة من عبادي، وفي الآخرة الكل يصبح عباد؛ لأنه ليس في الآخرة عبادة، ولا تكليف. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٨٦) لمزيد من البيان.



[١٨] ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح والعلو.

﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾: القرآن الكريم وسنة رسوله ﷺ. أي: كلام الله تعالى وكلام رسوله. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (٦٨) لمزيد في معنى القول والفرق بين القول والقرآن.

﴿يَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾: كلمة أحسنه مشتقة من أحسن، وفيها مبالغة، فأحسن على وزن أفعّل التفضيل، وأحسن قائل هو الله ورسوله وأحسن ما قيل في الدين، أمثلة على ذلك:

﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا﴾ [الشورى: ٤٠] هذا أحسن أو حسن، وأحسن من ذلك ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥]، وأحسن من ذلك: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ ۖ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾: وأحسن من ذلك: ﴿وَلَيْنَ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [التحل: ١٢٦].

وكما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ (هذا أمر حسن وأحسن منه ذلك): ﴿وَلِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ﴾ [البقرة: ٢٧١].

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾: أولئك: اسم إشارة يفيد البعد بعد المنزلة ويشير إلى الذين اجتنبوا الطاغوت وأنابوا إلى الله ويستمعون القول فيتبعون أحسنه.

﴿هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾: هداية: خاصة، أي: زادهم هدى وتوفيق.



وكما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ وَقَوْهُمْ﴾ [محمّد: ١٧].

﴿أُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾: تكرر أولئك يفيد التّوكيد، هم تعني: هم أولو الألباب حقاً وبلغوا أعلى درجاتهم، أولو أصحاب، واللب جزء من الدّماغ تسمّى منطقة الإدراك والفهم كلّ صاحب لب له عقل، وليس كلّ صاحب عقل له لب. أولو الألباب أصحاب العقول النّيرة الصّفوة من المؤمنين الذين يعقلون، يتفكرون، يتدبرون، يتذكرون.

وما هو الفرق بين أولئك الذين هداهم الله وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٠].

الذين هداهم الله: هم المؤمنون الموحّدون الذين وصفهم الله بكونهم اجتنبوا الطّاغوت وأنابوا إلى الله ويستمعون القول فيتبعون أحسنه، أي: هم فئة معينة لهم شريعة واحدة.

الذين هدى الله: تعني: جملة من الرّسل عدد من الرّسل لهم شرائع مختلفة، والرّسل من الذين هداهم الله.

[١٩] ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾:

﴿أَفَمَنْ﴾: استفهام إنكاري.

﴿حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾: وجب وثبت حكم الله عليه في سابق علمه على الدّخول في النّار، أنت قادر على أن تنقذه من النّار، والخطاب موجّه إلى الرّسول وإلى غيره من المؤمنين.



أفأنت تقدر على هدايته بأن تلح عليه فتنقذه من النار، جواب الاستفهام محذوف وتقديره طبعاً لا.

وقيل: كلمة العذاب هي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥]. وقال تعالى: ﴿حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾: تعود على العذاب ولم يقل: حقت، في اللغة يجوز التذكير والتأنيث ولكن ذكرها هنا بصيغة المذكر رغم أن (كلمة ربك) مؤنثة؛ لأن السياق في الآخرة، ولأن كلمة العذاب هي العذاب ذاته أو نفسه.

﴿أَفَأَنْتَ﴾: الهمزة: للاستفهام والتقرير، والفاء تفيد التوكيد أفأنت: أشد توكيداً من قوله: أنت تنقذ من في النار؛ لأن الفاء أقوى من الهمزة؛ الخطاب موجه إلى الرسول وغيره، تنقذ: أي: بالشفاعة أو أي وسيلة.

[٢٠] ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الذين حق عليهم كلمة العذاب يذكر بالمقابل المتقين الذين لهم غرف من فوقها غرف مبنية.

﴿لَكِنَّ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾: الذين اسم موصول يفيد المدح والتعظيم.

اتقوا ربهم: امثلوا أو امره وتجنبوا نواهيه.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾: جمع غرفة والغرفة اسم جنس والغرف



منازل رفيعة عالية في الجنة أو درجات عالية، والغرفة تعني كل بناء عال مرتفع.
ارجع إلى سورة الفرقان آية (٧٥) لمزيد من البيان.

﴿مِنْ فَوْقَهَا عُرْفٌ﴾: منازل ارفع من منازل، فالجنة درجات قيل: مئة درجة.
﴿مَبْنِيَّةٌ﴾: أي: بنيت ومهيأة ومعدة الآن.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي: تنبع الأنهار من تحتها، وهذا يدل على عظمة الخالق.

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾: وعد مصدر لفعل وعد يعد، والوعد: إذا أطلق اختص بالخير،
وقد يستعمل في الشر على سبيل التهكم ويعني: الإخبار بشيء سار قبل أوانه
والوعد يقتضي الإنجاز والوعيد يكون دائماً في الشر.

﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ أَلْمِيعَادَ﴾: لا النافية، يخلف الميعاد: الميعاد مشتقة من الوعد
وتطلق على الزمان والمكان. ارجع إلى الآية (٨٥) من سورة القصص للبيان،
ومقارنة ميعاد مع معاد.

[٢١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا
مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَرَنَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي
الْأَلْبَابِ﴾:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: الهمزة همزة استفهام تحمل معنى التقرير والتعجب، لم حرف
نفي.

تر: الرؤية بصرية عينية حقيقة وما يخبرنا به الله تعالى دائماً أصدق مما تراه
أعيننا.



ألم تر أقوى وأكد من قوله: ألم تعلم: لأن عين اليقين أعلى درجة من علم اليقين، ولكن ألم تعلم: أوسع وأشمل من ألم تر؛ لأن العلم أوسع من الرؤيا وأعلى من عين اليقين حق اليقين.

﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: أن مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾: من السحاب والسَّمَاء تعريفها كل ما علاك والسحاب يعلو الإنسان فالسَّمَاء هنا تعني السحب الركامية ومن ابتدائية.

﴿مَاءٍ﴾: هو ماء المطر.

﴿فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾: الفاء للمباشرة والترتيب، سلكه: ادخله بسهولة في الأرض وجعل له مجاري خاصة به أو مسالك في الأرض كشبكة تحت الأرض، فصار يجري من مكان إلى مكان أو مكان مرتفع إلى منخفض، ويتحول إلى شكل ينابيع أي: عيون (جمع عين) وهي الأمكنة التي ينبع منها الماء.

ارجع إلى سورة المؤمنون آية (١٨) لمزيد من البيان.

﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾: ثم للترتيب والتراخي في الزمن، يخرج به الماء، زرعاً: ما ينبت على غير ساق.

والشجر: ما له ساق وأغصان، والنبات يشمل الجميع.

﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ﴾: أخضر وأبيض وأصفر، قمح، شعير، رز، ذرة، وغيره من أنواع الحبوب.

﴿ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا﴾: ثم للترتيب والتراخي في الزمن، يهيج: من هاج يهيج تحرك، أي: ثار بمعنى يصبح كثيفاً بسبب نموه وكثرته.

فتراه: الفاء تدل على التعقيب والمباشرة.

مصفرأ: ييبس ويصفر بعد الخضرة، فلا بُدَّ له أن يصفر ويجف.

﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا﴾: ثم للترتيب والتراخي، حطاماً: متفتتاً متكسراً، حطم الشيء: كسر الشيء يشبه مرحلة العظام والرفات.

فهذه التغيرات التي تحدث في الزرع أو النبات تحدث في الإنسان فهو يمر بأطوار تشبه الأطوار التي يمر بالنبات، فالنبات كائن حي يشبه الإنسان فالإنسان يكون وليداً، ثم طفلاً، ثم شاباً، ثم كهلاً، ثم شيخاً، ثم يموت ويصبح عظماً ورفاتاً.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: إن للتوكيد، في ظرفية، ذلك: اسم إشارة واللام للبعد يشير إلى ما يحدث للزرع والنبات يحدث للإنسان.

﴿لَذِكْرَى﴾: تذكيراً وتنبهاً واللام للتوكيد، أي: حال ما يحدث للزرع والنبات يحدث لحال الإنسان ولحال الدنيا.

﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: اللام لام الاختصاص، أولي الأبواب: ارجع إلى الآية السابقة (١٨).





الْبُيُوتِ الْمُنَافِقِينَ

سُورَةُ النِّسَاءِ ٣٩

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ
لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مَنْ ذَكَرَ اللَّهُ أَوَّلَ لَيْلٍ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾
اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعُرُّ مِنْهُ
جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ
الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ
﴿٢٤﴾ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَاِذَا قَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي
هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانَا عَرَبِيًّا
غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ
شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا
الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ
﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾



سورة الزمر [الآيات ٢٢ - ٣١]

[٢٢] ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿أَفَمَنْ﴾: الهمزة للاستفهام والتقرير والإثبات وجواب الاستفهام محذوف تقديره لا يستوي مع من لم يشرح الله صدره.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ﴾: أي: يُقبل على طاعة الله تعالى وعبادته بعشق وحب وجد بنفس مطمئنة ويؤدي الفرائض والتكاليف بخشوع وكمال ويكثر من النوافل والذكر وتلاوة القرآن والاستقامة على ذلك.

للإسلام: اللام لام الاختصاص.

﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ﴾: على تفيد الاستعلاء كأنه يسير على نور من ربه، هدى من ربه والنور هو نور القرآن نور معنوي، وليس حسياً فهو يعيش حياته على نور من ربه على نور هدي القرآن وتعاليمه وأوامره وأحكامه.

﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾: الفاء للتوكيد، والويل الهلاك أو العذاب.

للقاسية قلوبهم: اللام لام الاختصاص، أي: الهلاك والعذاب لمن تأبى قلوبهم الإيمان بالقرآن والعمل به، أو ويل لمن يعرضون عن القرآن ولا يتبعونه أو يكذبونه والقساوة: تعني الإعراض أو التكذيب والتفور عن القرآن والدين.

﴿مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾: أي: القرآن ولم يقل: عن ذكر الله، عن تفيد الابتعاد والمجازاة.

فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله تعني: القسوة حصلت من سماع الذكر



أي: بسبب السَّماع، أمّا فويل للقاسية قلوبهم عن ذكر الله فتعني: القسوة حصلت بالإعراض، بعدم السَّماع لآيات الله أو ذكر الله على الإطلاق.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد يفيد الذم.

﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: في ابتعاد عن الحق ظاهر وبين للكل في ابتعاد عن دين الله والهداية وبشكل متعذر معه رجوعهم عن ضلالهم وضلالهم، بين لكل فرد له اتصال بأولئك وهو ضلال بين لا يحتاج إلى دليل أو برهان.

[٢٣] ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

﴿اللَّهُ نَزَّلَ﴾: تقديم الفاعل (الله) على الفعل (نزل) للحصر والقصر والاهتمام، نزل: بشكل تدريجي وعلى دفعات، أي: منجماً.

﴿أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾: وهو القرآن الكريم وأحسن على وزن أفعل التفضيل، أي: أبلغ الحديث وأصدق، وسُمِّي أحسن الحديث وفيه أحسن القصص ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]. لأنّه كلام الله تعالى وقصص الله تعالى، الحديث يعني: الإخبار بما حدث وسيحدث وما هو كائن بالنسبة للكون وللخلق، وأمّا الفرق بين الحديث والقول والقليل، فإنّ الحديث يستدعي أنّ هناك محدثاً ومشاركاً، أي: متكلماً وسامعاً، أمّا القول والقليل فلا يُشترط ذلك.

﴿كِتَابًا﴾: سُمِّي كتاباً لكونه مكتوباً في الأسطر للحفظ من التغير والتبديل.

﴿مُتَشَبِهًا﴾: يشبه بعضه بعضاً في المعاني والألفاظ والبلاغة والإعجاز وحسن النظم. ولا اختلاف فيه ولا تناقض.

﴿مَثَانِي﴾: لأنّ الروايات تُتلى وتكرّر على الدوام، وكذلك الأنبياء والقصص

تُتلى وتكرَّر، مثاني من التَّثنية، أي: الإعادة والتكرار، فهو يُتلى ويكرَّر على مدى (٢٤) ساعة.

﴿نَقْشَعْرُهُ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: ولإيضاح ما يحدث هو أن تلاوة القرآن أو سماع تلاوة القرآن بخشوع وخوف ينبِّه منطقة بالدماغ تسمَّى المنطقة تحت السَّيرير البصري التي تسيطر على الأعصاب المسماة الودَّية.

وهذا يؤدِّي إلى تقبُّض العضلات المسؤولة عن انتصاب الشعر وحدوث القشعريرة والخوف والخشوع.

﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: الخشية تعني: الخوف المصحوب بالعلم ممن تخاف والشَّعور بمهابة وعظمة الخالق، يخشون ربهم، ولم يقل: بالغيب؛ إذ يخشون ربهم خشية مطلقة غير مقيدة بالغيب أو العلن، أي: في كلِّ زمن في الخفاء أو العلن؛ أي: أمام الناس، وهناك فرق بين الخشية والخوف؛ فالخوف: هو توقع الضرر المشكوك في وقوعه، وأما الوجل: فهو الفزع مع اضطراب القلب.

﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾: أي: بعد أن تقشعر جلودهم وتضطرب قلوبهم بالتَّسرع في الضربات من سماع آيات الإنذار والوعيد.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب العددي (وليس الترتيب والترaxي في الزمن) ثم إذا سمعوا آيات الوعد والبشارة يعودون فيتذكرون رحمة الله وعفوه ومغفرته مما يؤدِّي إلى اطمئنان قلوبهم فتهدأ أعصابهم من إثارتها فتعود فتتوقف عن الإثارة؛ مما يؤدِّي إلى أن تليِّن جلودهم وقلوبهم بين سماع آيات القرآن وما أعدّه الله لعباده الصَّالحين.

﴿ذَلِكَ هُدًى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾: ذلك: اسم إشارة واللام للبعد يشير إلى القرآن هدى الله.

يهدي به من يشاء: أي: من اختاروا لأنفسهم طريق الهداية وامتنال أوامر الله تعالى وتجنب نواهيه.



﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾: ومن شرطية تفيد العاقل، يضلل: ينحرف عن طريق الحق والصراط المستقيم والدين ويصر على فجوره. وابتعد بعيداً عن سبيل الله.

فما له من هاد: أي: هاد يهديه مرة أخرى للرجوع إلى الطريق المستقيم.
 فما له: الفاء للتوكيد، ما: النافية، له: اللام لام الاختصاص له حصراً أو خاصة، من: استغراقية تستغرق كل فرد، هاد: يهديه مرة أخرى إلى الطريق المستقيم. فما له من هاد بعد أن تخلّى الله عنه وتركه في غيّه وضلاله.
 [٢٤] ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾:

﴿أَفَمَنْ﴾: الهمزة للاستفهام والتقرير، وجواب الاستفهام محذوف.
 ﴿يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: لأن يديه مغلولتان إلى عنقه يوم القيامة، فلا يجد ما يتقي به سوء العذاب (النار وغيرها) سوى وجهه، وليس هناك أي وسيلة أخرى إلا الوجه وهو أعز وأشرف الأعضاء. الذي يتلّقى به العذاب.
 وحذف الجواب وتقديره: كمن هو آمن يوم القيامة لا يحتاج إلى الاتقاء بأي شيء لا بيده ولا بوجهه.

﴿يَتَّقِ﴾: يصون أو يدفع عنه العذاب.

﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾: القائل مجهول قد يكونون خزنة جهنم، والمهم هنا المقولة، للظالمين: اللام لام الاختصاص أو الاستحقاق، الظالمين: المشركين أو الظالمين لأنفسهم وغيرهم من البشر.

﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾: ذوقوا وبال أو جزاء ما كنتم تكسبون.

﴿ذُوقُوا﴾: أصل الذوق: هو إدراك الطعم بالفم ويستعمل مجازاً في إدراك غيره من الأشياء المعنوية كالرحمة والنعمة. واستعمل حاسة الذوق التي هي

مخصصة للطعام والشراب في الدنيا لتذوق العذاب الشديد والمؤلم يوم القيامة، وكما أن الطعام والشراب يؤثر في كافة أعضاء الجسم، وكذلك العذاب سيكون أثره ووباله على كل الجسم فلا ينجو عضو منه.

﴿مَا﴾: بمعنى الذي أو مصدرية ذوقوا ما كسبتم.

﴿كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾: أنتم في الدنيا تكسبون فلم يقل تكتسبون؛ لأن الكسب يكون في الخير والاكْتِسَاب يكون للشر، واستعمل تكسبون لأنهم اعتادوا على اقتراف المعاصي واستمروا عليها، وأصبحوا ذوي خبرة حتى أصبحت ممارستهم للذنوب والآثام سهلة جداً، كأنهم حين يقومون بها تشبه قيامهم بصالح الأعمال. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٨٦) لمزيد من البيان.

[٢٥] ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْتَهُمْ أَلَعَدَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من، تعني: ليس من زمن بعيد، تفيد القريب، أي: الأمم الماضية الذين كذبوا رسلهم.

﴿قَبْلِهِمْ﴾: أي: كفار مكة.

كذب الذين من قبلهم: كذبوا رسلهم وكذبوا بآيات ربهم.

﴿فَإِنَّهُمْ أَلَعَدَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: العذاب مثل الخسف والقتل والأسر والخزي والجلاء والزلازل والكوارث الطبيعية.

﴿مِنْ حَيْثُ﴾: حيث ظرفية مكانية.

﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾: من حيث لا يحتسبون ولا يعلمون، ولم يخطر لهم ببالهم أن العذاب يأتيهم من هذا المكان أو الجهة أو بهذا الشكل أو غيره.

[٢٦] ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَأَذَاقَهُمُ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، أذاقهم ارجع إلى الآية (٢٤).



﴿الْحَزَى﴾: هو الدَّل مع الفضيحة في الحياة الدُّنيا بالهزيمة والأسر والفقر والتَّشريد ويكون عذاب الخزي أحياناً أشد من القتل.

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾: السلام للتوكيد عذاب الآخرة أكبر، أي: أكبر من الخزي والشَّدة من عذاب الحياة الدُّنيا؛ لكونه عذاباً مقيماً لا يخفف ولا ينقطع. أي: دائم.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: لو: شرطية، كانوا يعلمون: ما كذبوا رسلهم، أو لو كانوا يعلمون شدة العذاب وكبره لانتهوا وآمنوا وما كفروا، لكنهم لا يعلمون لكونهم جهالاً وحمقى.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ﴾

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾: الضَّرب هو إيقاع شيء فوق شيء بقوة ليحدث أثراً.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام لام الاختصاص خاصة للناس، أي: الثقلين الإنس والجن.

﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾: في ظرفية، هذا، الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة القرآن الكريم وسُمِّي قرآناً؛ لأنه مقروء من السَّطور ومقروء في صدور الحفظة.

﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾: ضرب المثل غايته توضيح أو تقريب مسألة ما إلى الأفهام والعقول بضرب شيء معنوي بشيء حسي مثلاً.

من: ابتدائية، كل: للتوكيد من كل مثل يحتاجون إليه في أمر دينهم.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعل للتعليل.

﴿يَنْذَكُرُونَ﴾: لا ينسون ما ذكر لهم سابقاً ويستقيمون على الصَّراط المستقيم، وهذه هي غاية من غايات ضرب المثل وليست الغاية للتسلية والعبث.



[٢٨] ﴿قُرْءَانَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾:

﴿قُرْءَانَا﴾: سُمِّيَ قرآنًا؛ لآنه مقروء يقرأ من الأسطر أو بالتلقي.

﴿عَرَبِيًّا﴾: أنزل بلسان عربي مبين، فلا عذر لهم من عدم فهمه وتدبره، ومعرفة معناه وغايته.

﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾: غير: تفيد المغايرة؛ أي: بريئاً من الاختلاف والتناقض والتضاد واللبس والشك، أي: بريئاً من العوج: العوج بكسر العين مختص بما ليس مرئياً، ويشمل الرأي والقول، والعوج بفتح العين: مختص بما هو مرئي.

﴿لَّعَلَّهُمْ﴾: لعل للتعليل.

﴿يَتَّقُونَ﴾: الشرك والكفر والمعاصي ويطيعون أوامر الله ويتجنبون نواهيه أو يتقون النار، يجعلون بينهم وبينها حاجزاً.

يتقون بصيغة المضارع لتدل على التجدد والتكرار.

[٢٩] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾: ارجع إلى الآية (٢٧) من هذه السورة، وإلى الآية (٧٤) من سورة النحل.

﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾: التشاكس الاختلاف يتنازعون فيه، وقيل: رجل شكس: صعب الخلق شرس الطباع، أي: عبد لعدة أسياد لا يعرف كيف يرضي كلاً منهم؛ لأنهم متشاكسون.

﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾: سَلَمًا، أي: قد سَلِمَ من غير منازع، أي: يأخذ كل الأوامر من سيد ومالك واحد مرتاح يعرف ما يرضي سيده. والسَّلم: الذل والاستسلام الكامل الشامل لله وحده.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾: أي: هل يستوي عبد مملوك لجماعة متشاكسين:



مختلفين. أخلاقهم سيئة فهو في حيرة من أمره أيهم يُرضي، وعلى أيهم يعتمد، وهذا مثل المشرك الذي يعبد عدة آلهة فهو مرهق وظالم لنفسه باتخاذ كل أولئك الآلهة والأولياء، وعبد موحد مملوك خالص لإله واحد ليس له غيره يعرف كيف يرضي سيده.

﴿هَلْ﴾: للاستفهام والتقرير، وهل أكد من الهمزة في الاستفهام، كما لو قال: أيستويان.

﴿يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾: مثلاً: ولم يقل: مثلين؛ لأن كل منهما يكفي عن الآخر، وفي هذا المثل الحث على التوحيد أو ترك الشرك، والأمر الثاني توكيد للمثل الأول فهما مثل واحد.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الذي لم يجعل له شريكاً ولا ولداً، أو الحمد لله على ضرب المثل، وتبين الحق من الباطل وإقامته الحجة عليهم أو الكل.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾: بل للإضراب الانتقالي.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: الحق فيشركون به، ويجعلون له ولداً أو نداً أو شريكاً.

ولا يظن أحد خطأ أن الحمد لله هنا يعود على أن أكثرهم لا يعلمون وقد تكون عائدة إلى الآية القادمة (٣١) بل أكثرهم لا يعلمون أنك ميت وأنهم ميتون. [٣٠] ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾:

هذه الآية قد تكون تنمة للآية: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ وقد يعلمون، ولكنهم يتجاهلون الموت.

﴿إِنَّكَ﴾: للتوكيد الخطاب لرسول الله ﷺ ويجب أن نفرق بين:

﴿مَيِّتٌ﴾: بفتح الميم وتشديد الياء، تعني أن الموت لم يحدث بعد، سيحدث في المستقبل، وأما سكون الياء (لو سُكُنَتِ الياء) كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]؛ فذلك يدل على أن الموت حدث وانقضى.



أي: لا بُدَّ من المسارعة إلى الإيمان، فليس هناك زمن طويل ولا ينتهي الأمر بالموت، بل هناك الاختصام والفصل والحكم عند الرب الحكيم، ولو قارنا هذه الآية مع الآية (١٥) من سورة المؤمنون: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ فقد أكد في سورة المؤمنون بزيادة اللام لام التوكيد؛ ارجع إلى سورة المؤمنون للبيان.

[٣١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿إِنَّكُمْ﴾: أي: إنك وإياهم غلب ضمير المخاطب على ضمير الغائب.

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ﴾: هذا دليل على أن محمداً ﷺ سوف

يخاصم قومه، أي: يحتاجهم بأنه بلغهم الرسالة وأدَّى الأمانة، الاختصام: هو التنازع في الأمر يحدث أمام رب العالمين يستدعي القضاء والفصل.

يوم القيامة: يوم الفصل يوم تصفية المنازعات والقضاء فيه يتخاصم الكافر والمؤمن والظالم والمظلوم حتى أن النفس تجادل عن نفسها كقوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ يُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [التحل: ١١١].





سُورَةُ الزُّمَرِ ٣٩

الْبَيْتُ الرَّابِعُ الْخَمِيسُ

* فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ
 إِذْ جَاءَهُ ۖ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي
 جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾
 لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾
 لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ
 بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ
 عَبْدَهُ ۚ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَمَنْ يُضْلِلِ
 اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ
 أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَٰئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
 السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيهِ
 أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ
 اللَّهُ ۚ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا
 عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ۖ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
 مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾



سورة الزمر [الآيات ٣٢ - ٤٠]

[٣٢] ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۖ﴾

﴿فَمَنْ﴾: استفهام يحمل معنى الإنكار والتعجب.

﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾: الجواب: لا أحد أظلم من هذا الذي يكذب على الله أظلم على وزن أفعّل وأفطع وأعظم الكذب على الله بأن يزعم أن لله ولداً أو شريكاً أو صاحبة، أو يقول: أوحى إليّ ولم يُوحَ إليه شيء وغيرها من أنواع الافتراء والاختلاق.

﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾: بالقرآن والإسلام والنبي والتوحيد والبعث والحساب والجزاء والباء للإلصاق واللزوم، وسُمّي الصّدق؛ لأنه كلام الله سبحانه ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

كذب وكذب: الأولى كذب بالتخفيف والثانية كذب بالتشديد فيها مبالغة في الكذب والكثرة، أي: تكذيبه للقرآن كان أشد وأكثر تنوعاً.

كقوله: سحر وشعر وإفك وأساطير الأولين وافتراء.

﴿إِذْ جَاءَهُ﴾: إذ ظرف للزمان الماضي ويفيد المفاجأة، أي: مجرد أن سمع



آياته كذبها أو فاجأه بالتكذيب مقارنة بمن تريث ونظر وتمعن قبل أن يكذب فما مصير ذلك الظالم الذي لا يوجد أظلم منه.

﴿الْيَسَّ﴾: استفهام تقرير وإثبات وإنكار للتكذيب.

﴿فِي جَهَنَّمَ﴾: في ظرفية، جهنم: كلمة مشتقة من الجِهام: القعر البعيد، وسميت بجهنم لبعدها. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

﴿مَثْوًى﴾: كلمة لا تستعمل في القرآن إلا مع جهنم فقط، ويعني مكان الإقامة الجبرية المؤبدة (كالحبس) ويعني: مكاناً ضيقاً غير متسع ومطبّقاً عليهم. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٥١) لمزيد من البيان، ومعرفة الفرق بين مَثْوًى ومأوى.

﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾: اللام للاختصاص والاستحقاق، الكافرين: جمع كافر تدل على العمل، أي: كفرهم ولم يقل: الكفار، الكفار تدل على المبالغة وكثرة العدد والصنف مقارنة بالكافرين. الكافرين: التي تدل على الحدث أو الفعل.

[٣٣] ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾:

﴿وَالَّذِي﴾: اسم موصول يفيد المدح، أي: رسول الله ﷺ وقد تعني: جبريل عليه السلام، والذي صدق به محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾: بالقرآن والإسلام دين الحق الباء للإلصاق، أي: هو الصّدق بذاته.

﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾: أمثال صحابة رسول الله ﷺ، أمثال أبي بكر وخديجة

رضي الله عنهما وعمر وعثمان وعلي وسائر المؤمنين، وقد تعني: من صدق به أيضاً من الناس.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾: أولئك اسم إشارة واللام للبعد وتفيد المدح وعلو المنزلة.

﴿هُمُ﴾: تفيد التوكيد، أي: هم المتقون حقاً، أو إذا كان هناك متقون فهم المتقون لا غيرهم.

﴿الْمُتَّقُونَ﴾: جملة اسمية تفيد الثبوت ثبوت التقوى كصفة لهم، أي: المطيعون لأوامر الله تعالى والمجتنبون لنواهيه.

[٣٤] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿مَا يَشَاءُونَ﴾: ما اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية ما يشتهونه ويتمنونه أو يحبون، ما: عامة وتعني: تنتهي الغاية والطلب.

﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: عند: ظرف مكان أو زمان هذه العندية في الآخرة هي أفضل وأشرف العنديات على الإطلاق، عندية السلام والأمن والقرار.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة في الآخرة واللام للبعد، ويشير إلى النعم وما يشتهون.

﴿جَزَاءُ﴾: الجزاء يكون من جنس العمل، وفيه معنى المقابلة مقابلة الشيء بالشيء مقابلة الحسنة بعشر أمثالها، أو (٧٠ ضعف)، أو (٧٠٠ ضعف)، أو أكثر من ذلك كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّادِقُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].



﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: ولم يقل: جزاء المتقين، بل رفعهم إلى منزلة المحسنين وجزاهم الله كما يعجزى المحسنين بفضله وكرمه.

المحسنين: جمع محسن صفة الإحسان أصبحت ثابتة لهم، ولمعرفة معنى الإحسان ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة للبيان.

[٣٥] ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ﴾: اللام لام التعليل، يكفر: الكفر هو السّتر ويعني يمحو الله عنهم أسوأ الذي عملوا.

﴿عَنْهُمْ﴾: تعود على المتقين.

﴿أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾: أي: الكبائر (السيئات هي الصغائر) وهذه بشرى من الله تعالى، أي: يغفر الذنوب جميعاً، وهذا من فضل الله تعالى وسعة رحمته.

وهناك أعظم درجة من ذلك، وهي أن يبدل الله سبحانه سيئاتهم حسنات، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: ويجزيهم أجرهم: الأجر مقابل العمل، بأحسن: الباء للإلصاق على وزن أفعل التفضيل.

الذي: اسم موصول معرفة ويعني: الإيمان والتصديق ويعني: ذلك الجزاء جزاء خاص بهم وحدهم.

كانوا يعملون: في الحياة الدنيا من الأعمال الصالحة.



يعملون تضم الأقوال والأفعال.

فآية الزمر هذه وآية العنكبوت (٧) جاءتتا بقوله: ﴿يَا حَسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاء خاص بهم وحدهم.

أما آية النحل آية (٩٧) فجاءت بقوله تعالى: ﴿يَا حَسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. ما: عامة ونكرة فالجزء في آية النحل جزاء عام لكل مؤمن ومؤمنة كقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّثَى﴾. ارجع إلى سورة النحل آية (٩٧) للبيان، ومعرفة الفرق بين الآيتين.

[٣٦] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

﴿أَلَيْسَ﴾: الهمزة همزة استفهام وتقرير وتثبيت والجواب بلى.

﴿اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾: الباء في بكاف للتوكيد، عبده: محمد ﷺ أو أي عبد من عباد، بكاف عبده شر من عاداه من الكافرين والذين حاولوا قتله أو إخراجهم أو تشيته.

وكاف عبده بالرزق والإنعام عليه بالعافية وما يحتاجه في دنياه.

كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾: إضافة النون في يخوفونك بدلاً من يخوفوك تدل على التوكيد ويخوفونك جهلاً وضللاً.

بالذين من دونه: أي: بالآلهة والأوثان والأصنام، من دونه: من غير الله



فلا تخف فإن الله ناصرك وعاصمك من الناس وتخويفهم هو عبثاً وباطلاً
والتخويف بإصابتك بالضّر أو المكروه.

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾: من شرطية.

يضلل الله: الله سبحانه لا يضل أحداً أبداً أي: من يضل ويختار لنفسه
طريق الضلال والفساد ويصر على ذلك بسبب فسقه وظلمه، ويتعد بعيداً عن
دينه، فما له من هاد يهديه.

فما له من هاد: الفاء للتوكيد، ما النافية، له: اللام للاختصاص، من:
استغراقية، هاد: يهديه أو يعيده إلى الطريق الحق والهداية والرّشاد، إلا الله
وحده.

[٣٧] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْقِصَارٍ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: شرطية.

﴿يَهْدِ اللَّهُ﴾: يوفقه للإيمان والإسلام والتقوى والعمل الصالح، أي: هذا
المهتد هو الذي اختار لنفسه طريق الهداية وسار فيها وطلب المساعدة والعون
من الله سبحانه فالله سبحانه وعده بالزيادة في الهدى والتقوى، كما قال تعالى:
﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمّد: ١٧].

﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾: الفاء جواب شرط، ما: النافية، له: اللام للاختصاص،
من استغراقية تستغرق أيّ إنسان أو جنّ. مضل: اسم فاعل يدل على الثبوت.

﴿أَلَيْسَ﴾: الهمزة همزة استفهام تقريرية.



﴿عَزِيزٌ﴾: الباء للتوكيد، عزيز، أي: قوي لا يُغلب ولا يُقهر وممتنع لا يضره ولا ينفعه أحد.

﴿ذِي أَنْفَامٍ﴾: قادر على أن ينتقم ممن عاداه أو عادى رسوله ﷺ وعباده المؤمنين أي: أليس الله بغالب وقاهر لكل شيء الجواب بلى.

[٣٨] ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضَرِّيَ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمَسِّكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿﴾

﴿وَلَيْنَ﴾: اللام للتوكيد، إن شرطية تفيد الاحتمال أو الندرة.

﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾: الخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ وغيره من المؤمنين، اللام للتوكيد والنون في ليقولن لزيادة التوكيد، من: استفهامية، خلق السموات والأرض: ارجع إلى سورة فصلت آية (٩ - ١٢) وسورة الأنبياء آية (٣٠) فهم يعترفون ويقولون بأن الخالق هو الله، ومع ذلك لا يعتبرون ذلك دليلاً على وحدانيته وقدرته، فيلجؤون إلى عبادة الأصنام والآلهة ظانين أنها تشفع لهم أو تقربهم عند الله زلفى، وما لهم بذلك من علم إلا اتباع الظن.

ثم يطلب من رسول الله ﷺ أن يسألهم سؤالاً آخر.

﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أفرأيتم: الهمزة للاستفهام التقريري والإنكار، أ رأيتم: أي: أخبروني بعلم، ما: لغير العاقل وتشمل العاقل.



﴿تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: ما تعبدون من دون الله من الأصنام والآلهة وعيسى وعزير والملائكة.

﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال أو الفرض وتدل على الندرة والقلّة في الحدوث، بضّر: بضم الضاد الباء للإلصاق، بضر بصيغة النكرة لتشمل كل أنواع الضر من مرض وفقر وشدة وخوف. وأما الضر: بفتح الضاد: فصد النفع.

﴿هَلْ﴾: للاستفهام تفيد النفي.

﴿هُنَّ كَشِفَتْ ضُرَّهُ﴾: هل الأصنام والأوثان قادرة على أن تزيل ضره أو ترفعه عنهم.

﴿أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ﴾: من صحة أو غنى أو خير أو أمن أو أي رحمة مهما كانت.

﴿هَلْ هُنَّ مُنْسِكَتٌ رَحْمَتِهِ﴾: أي: مانعات رحمته أن تصل إلى العبد الجواب لا واستعمل صيغة التأنيث؛ لأنهم كانوا يسمون الآلهة باللات والعزة ومناة الأخرى تسمية الأنثى، وتكرار (هل هن مرتين) يفيد التوكيد ونفي كل منهما على حدة كشف الضر أو الإصابة برحمته أو كلاهما.

﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾: الخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ إن أجابوك بقولهم بلا فهم قد أقرّوا بالحق، وإن لم يجيبوك أو امتنعوا عن الإجابة، قل عندها: حسبي الله، أي: يكفيني الله في دفع الضر عني

أو جلب الخير لي أو الرحمة؛ لأنّ هذا الجواب يقيم عليهم الحُجّة وما أنت بحاجة إلى أحد سواه أبداً.

﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾: تقديم الجار والمجرور للدلالة على القصر أي: عليه وحده يتوكل المتوكلون، جمع متوكل، المتوكلون أعلى درجة من المؤمنين، فكل متوكل مؤمن، وليس كل مؤمن متوكلاً.

ويتوكل المتوكلون: بصيغة المضارع؛ لأنّ عملية التوكل مستمرة ودائمة لا تتوقف والتوكل يعني: تقديم كلّ الأسباب أولاً، ثم تفويض الأمر لله حتّى يساعدك على تحقيق الغاية المرجوة. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٩) لبيان المزيد في معنى التوكل.

[٣٩] ﴿قُلْ يَتَقَوَّمِرْ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله ﷺ.

﴿يَتَقَوَّمِرْ﴾: يا أداة نداء ينادي الأعلى الأدنى يا قوم نداء فيه عطف ومحبة.

﴿أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ﴾: أي: ادعوهم إلى الإيمان أولاً والتّصديق بما أنزل الله تعالى، فإن لم يستجيبوا لك ولم تفلح أيّ الحجج معهم والبراهين التي تثبت بطلان عبادتهم لتلك الآلهة، عندها قل لهم: اعملوا على مكانتكم.

﴿مَكَانَتِكُمْ﴾: ولها معانٍ مختلفة، قد تعني: المكان مكان الإقامة أو المكانة الدّرجة والمنزلة الاجتماعية أو الطّريقة العادة والسّنة، أو التّمكن في الأرض: القدرة والطّاقة، وتعني هذه الآية: أي: استمروا وابقوا على حالتكم من



العناد والإعراض وعدم الإيمان والاستكبار والتكذيب، أو اعملوا ما في وسعكم (طاقتكم) من الكفر والعناد أو جهدكم.

﴿إِنِّي عَمِلْتُ﴾: وأنا عامل على مكاتي في تبليغ الرسالة والدعوة إلى الله والحرص على هدايتكم، أو عامل أقصى استطاعتي أو جهدي في تبليغ رسالتي. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: الفاء للتأكيد، سوف للاستقبال البعيد والتراخي في الزمن، أي: سوف تعلمون بعد موتكم أو بعثكم.

وفي الآية تهديد ووعد لكل كافر أو مشرك، ولم يقل: فسوف تنظرون؛ لأن سوف تعلمون أوسع في المعنى؛ لأن العلم أوسع وأعم من النظر أو البصر؛ لأن العلم يأتي من كل جهة ومصدر وكل زمن تنظرون الجهة محددة ومقصورة على الرؤيا والحادثة المعينة.

لنقارن هذه الآية (٣٩) من سورة الزمر وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مع الآية (٩٣) من سورة هود، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَتَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

نلاحظ أنه في آية الزمر استعمل قل يا قوم واستعمل معها في نهاية الآية فسوف تعلمون القائل هو رسول الله ﷺ، والتهديد والوعيد فيها أشد؛ فقد جاءت في سياق الدعوة والتبليغ، ونلاحظ في آية هود استعمل يا قوم (من دون قل) استعمل معها سوف من دون الفاء والسبب قد يعود أنه حين استعمل قل يا قوم ناسب التوكيد بفاء التعقيب والمباشرة فقال فسوف، وعندما لا يستعمل قل لا يؤكد فيأتي بـ(سوف)، والقائل هنا هو شعيب عليه السلام، وليست في سياق الدعوة



والتبليغ؛ فالتهديد والوعيد فيها أقل، وعلى حافظ القرآن أن يتذكر ذلك؛ أي: (قل يقابلها فسوف، بدون قل يقابلها سوف).

[٤٠] ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾:

﴿مَنْ﴾: ابتدائية وهي هنا اسم موصول بمعنى الذي وتشمل المفرد والمثنى والجمع وللعامل، بينما الذي تشمل المفرد فقط؛ فسوف تعلمون الذي يأتيه أو هي اسم استفهام فهي تعني من الذي يأتيه عذاب يُخْزِيهِ.

﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: أي: يفضحه ويُذله الله في الدنيا.

﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: أي: دائم مستمر لا ينقطع ولا يخفف وهو عذاب الآخرة.

ولماذا اختار كلمة يحل عليه بدلاً من يأتيه عذاب مقيم؟

لأن يأتيه تحمل معنى احتمال أن يأتيه ثم يذهب عنه ويزول ولا يستمر أي: غير دائم مثل عذاب الدنيا حتى ولو استمر ينتهي بموته بينما يحل عليه عذاب مقيم يعني: ثابت لا يتغير ولا ينقطع وهو عذاب الآخرة.





الجزء الرابع والعشرون

سورة النجم ٣٩

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ
فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي
لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ
وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفْعَاءَ
قُلُوبَ أَوْلَوُكَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾
قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ
إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ
قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ
دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ
فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فِتْنَةً لَهُمْ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾



سورة الزمر [الآيات ٤١ - ٤٧]

[٤١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَيْهِ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَاِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿أَنْزَلْنَا﴾: ولم يقل: نزلنا، أنزلنا تعني: جملة واحدة أو دفعة واحدة، الكتاب من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ليلة القدر.

ونزلنا تعني: منجماً على دفعات بشكل تدريجي خلال (٢٣) سنة وفقاً للحوادث.

﴿عَلَيْكَ﴾: ولم يقل: إليك، عليك تعني الجهة، أي: من السماء، تفيد العلوية وتفيد الاستعلاء والمشقة، عليك تأتي في سياق الدعوة إلى الله والتبليغ مثلاً.

أمّا إليك من إلى التي تفيد كل الغايات (البداية والنهاية أو ما بينهما)، وإليك تفيد أو تعني الانتهاء. أي: أنزلنا إليك: أنزلنا الكتاب لينتهي أو يصل إلى أمتك. ارجع إلى الآية (٢) من نفس السورة، والآية (٤) من سورة البقرة لمزيد من البيان في أنزلنا عليك وإليك.

﴿الْكِتَابَ﴾: القرآن وجاء بأل التعريف للدلالة على الكمال، أي: الكتاب الكامل التام وسُمِّي الكتاب؛ لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ ومكتوب في السطور ولمزيد من البيان في كلمة الكتاب. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢).



﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام لام الاختصاص أي: للناس كافة والناس مشتقة من النّوس أي: الحركة وتشمل الثقلين الإنس والجن.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق والملازمة أي: هو الحق، والحق هو الكتاب. والحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتغير، أو يتبدل، وليس هناك غيره.

﴿فَمَنْ أَهْتَدَى﴾: الفاء للتوكيد، من قد تكون اسم موصول بمعنى الذي أو استفهامية تعني: من الذي يهتدي.

﴿فَلَنَفْسِهِ﴾: الفاء للتوكيد واللام لام الاستحقاق أو الملكية أي: لصالح نفسه أو يفيد نفسه أي: الهداية تعود عليه بالنفع.

﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾: مثل من اهتدى.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء للتوكيد، إنما للحصر والتوكيد.

﴿يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: على تفيد الاستعلاء، أي: وبال أو عاقبة ضلالة واقع عليه.

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾: ما النافية، أي: ما أنت مكلف بالدفاع عنهم أو مسؤول عنهم وعن هدايتهم، كما في قوله: وما أنت عليهم بجبار، أي: لا تستطيع أن تجبرهم على الإيمان، إنّ عليك إلا البلاغ والبيان.

﴿بِوَكِيلٍ﴾: الباء للتوكيد.

[٤٢] ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمْضِئُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾:

﴿اللَّهُ﴾: قدّم الفاعل على الفعل ليدل على الحصر والقصر، أي: هو وحده القادر على ذلك.

﴿يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾: يتوفى لها معانٍ عدة الاستيفاء والتّمام أي: يسترد الأمر أو الشّيء تاماً ولها معنى الموت.

﴿الْأَنفُسَ﴾: جمع نفس والنفس ليست هي الرّوح كما دلت البراهين والأدلة العلمية، وهذا قاله ابن عباس: إن في ابن آدم نفساً وروحاً بينهما مثل شعاع الشّمس فالنفس التي بها العقل والتّمييز، والرّوح هي التي تبعث الحياة في كلّ الجسم وكلّ عضو؛ العين والبصر والعقل والقلب والرّئين وغيرها.

أمّا النفس: تعني شيء محسوس لها علاقة بالحركة بشكل عام؛ فهي قد تتمثل بمنطقة الوعي والإدراك والذاكرة والتّمييز والأحاسيس والإرادة والنطق (الكلام) والضّحك والبكاء والنّوم. والتي سماها ﴿بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥] وتشير البحوث العلمية أنّها تقع في الفص الجبهي للدماغ، والتي يمكن تعطيلها بالنوم (بما تفرزه الغدد من هرمونات تؤدي إلى النوم)، وعدم الحركة، وكما نراه يحدث حين حقن المادة المخدرة، كما يحدث في عمليات الجراحة فينام المريض ولا يشعر بالألم، وتبقى الروح سارية في الجسم بدون أن تتأثر.

فالله سبحانه في هذه الآية يدلنا على عظّمته وقدرته. فهو يتوفى الأنفس في حالتين حين موتها: عند خروج الرّوح من البدن (بالموت أو القتل) وخروج الرّوح يؤدّي إلى وفاة النّفس، فحين تخرج الرّوح تموت النّفس أو تتعطل وحين تبقى الرّوح وتتعطل النفس (يتوفى الأنفس) كما يحدث في النّوم، وغيره من الحالات، وهناك فرق بين الأنفس والنفوس؛ الأنفس: عادة تدل على جمع قلة، والنفوس: تدل على جمع كثرة، وتشمل كل النفوس، ونحن نعلم أن جمع القلة إذا دخلت عليه أل التعريف، أو الاستغراق يتحول إلى جمع كثرة بمعنى لكل الأنفس، ولماذا لم يستعمل كلمة نفوس التي هي للكثرة ما دامت الأنفس جمع



كثرة، والنفوس جمع كثرة من البداية؟ لأن العرب تختار عادة وتفضل اللفظ الخفيف (الأنفس)، ولا تختار أو تفضل اللفظ الثقيل (النفس).

﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾: أي: الله سبحانه يتوفى النفس عند النوم والروح ما زالت تعمل في البدن، أي: يعطل عمل النفس عند اللزوم ويتم ذلك بإفراز هرمونات خاصة تسري في الدم وتعطل عمل النفس ينام الإنسان في تلك الفترة، وإذا أراد الله سبحانه أن يبعث النفس مرة أخرى في البدن عندها يستيقظ النائم، ويتكرر ذلك كل ليلة إلى أن ينقضي أجله، وإذا أراد أن يمسكها ببقائها إلى فترة طويلة يصاب الإنسان بسبات، أي: فقد الوعي يستمر إلى مرحلة حتى يستيقظ من سباته أو تقبض روحه (تخرج) وتموت معها أو تتعطل معها النفس حتى تبعث في القبر.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: إن: تفيد التوكيد.

﴿فِي ذَلِكَ﴾: في ظرفية، ذلك توفي الأنفس عند الموت وعند النوم.

﴿لَآيَاتٍ﴾: اللام لام التوكيد.

﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، أي: ينتفع بها القوم الذين يتفكرون، التفكر: هو النظر في الدلائل (الآيات) للوصول إلى الحقيقة وهي أن الله هو الإله الحق الذي يجب أن يعبد وحده ولا يشرك به، وأنه الخالق المصور والبديع والفاطر لقوم يتفكرون بقدرته وعظمته في الخلق والتدبير والسيطرة، يتفكرون بخلق الإنسان وما أودع الله سبحانه فيه من أسرار الخلق التي يكتشف بعضها علماء الطب في كل يوم.



[٤٣] ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾:

بعد أن بين الله سبحانه القدرة العجيبة على تَوْفِي الأنفس ما كان يصح أو يُعقل أن يتخذوا شفعا من دونه.

﴿أَمِ﴾: للإضراب الانتقالي والهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ.

﴿اتَّخَذُوا﴾: جعلوا أو صيَّروا، اتخذوا من اتخذ على وزن افتعل فيها معنى التكلف والمشقة.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿شُفَعَاءَ﴾: جمع شفيع، كي يشفعوا لهم عند الله، ولتعريف الشفاعة ارجع إلى سورة النساء آية (٨٥).

أي: بدلاً من أن يسألوا الله المغفرة والعفو سألوا الآلهة والأصنام أن تكون واسطة لهم، وليس هناك داعٍ لذلك إلا قصر عقولهم، وللشفاعة شروط على كل حال:

الأول: هو أن يأذن الله تعالى للشافع أن يشفع ويأذن للمشفوع له.

الثاني: أن يكون المشفوع له من أهل التوحيد ويستحق الشفاعة.

فهذه الشفاعة التي يرجونها باطلة وغير مقبولة عند الله سبحانه وتعالى.

﴿قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾: قل لهم يا رسول الله أُولَئِكَ: الهمزة للاستفهام للتوبيخ والتقريع.

كانوا لا يملكون: لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك.



﴿شَيْئًا﴾: والشيء: هو كل ما يُعلم ويُخبر عنه سواء أكان حسيًّا، أم معنويًّا، والشيء: أقل القليل، وشيئًا: نكرة تشمل أي شيء من مقومات الشفاعة، ومهما كان نوعه.

ولا يعقلون تكرار لا النَّافية تفيد التوكيد وفصل لا يملكون عن لا يعقلون فهم لا يملكون شيئًا ولا يعقلون ولا كلاهما معاً ولا يعقلون؛ لأنهم أصنام وحجارة ليس لها عقول، أو هم ليس لهم عقول حقة يعقلون بها.

[٤٤] ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام لام الاختصاص، وتقديم لله يفيد القصر.

﴿الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾: لتعريف الشفاعة ارجع إلى الآية (٨٥) من سورة النساء.

جميعاً: للتوكيد، أي: هو بيده الشفاعة جميعاً فلا يشفع أحد إلا بإذنه ولمن يشاء الله ويرضى، أي: هو مالك الشفاعة جميعاً.

﴿لَهُ﴾: تقديم الجار والمجرور له يدل على الحصر والقصر له وحده ملك السموات الأرض ولا شريك له.

﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فهو الحاكم والمالك للسموات والأرض والشفاعة لا تتم إلا بإذن من الحاكم والمالك للشفاعة جميعاً.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي الزمني.

﴿إِلَيْهِ﴾: تقديم إليه يفيد الحصر، أي: إليه وحده.



﴿تَرْجِعُونَ﴾: يوم القيامة للحساب والجزاء على شرككم وكفركم ترجعون قسراً من دون اختيار أو إرادة.

[٤٥] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني.

﴿ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾: من دون ذكر آلهتهم، أي: ذكر الله بالتوحيد، أي: قيل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

﴿اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: الشَّمَز: وهو نفور النفس مما تكره أو ضيق في النفس وغم ويظهر أثره على الوجه، اشْمَأَز: انقبض واقشعر أو ذعر والمشمئز: النافر والكاره المدعور.

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: أي: لا يصدقون بالبعث والحساب والجزاء.

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية تفيد حتمية الحدوث وبكثرة.

﴿ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾: أي: الآلهة أو الأصنام والشركاء من دونه من سواه إذا هم يستبشرون.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يشعرون بالسُّرور والفرح والاستبشار هو امتلاء القلوب سروراً يظهر ذلك على بشرة الوجه، يستبشرون: لفرط ارتباطهم بالأصنام وميلهم إلى الشركاء ولا أنهم يظنون أنهم يشفعون لهم أو يقربوهم عند الله زلفى.

[٤٦] ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾:

﴿قُلِ﴾: يا محمد ﷺ.



﴿اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: اللهم عبارة عن لفظ الجلالة (الله) ألحقت به الميم المشددة بدلاً من حرف النداء الياء (يا الله) التي تفيد البعد؛ لأنه سبحانه قريب وأقرب إلينا من حبل الوريد، وتحولت إلى (اللهم).

﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فاطر: الذي أخرج وأظهر للوجود السموات والأرض.

فاطر: اسم فاعل من فعل فطر، شق فظهر وقيل: تفطر الشجرة إذا تشقق بالورق، وفطر السموات والأرض أوجدهما وأظهرهما ولا يقال: فاطر إلا لله وحده.

﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: ارجع إلى الآية (٧٣) من سورة الأنعام للبيان.
﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: أنت: للتوكيد، تحكم: تفصل، ارجع إلى سورة الأنعام آية (٦٢) لبيان معنى تحكم.
فيما: في ظرفية، ما: تعني الذي أو مصدرية.

كانوا فيه يختلفون: أي: في الدنيا. في أمور الدين والعبادات والعقائد ومن كل على الحق أو الصواب أو من كان على الباطل أو الخطأ.

[٤٧] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَأَهُم مِّنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾:

﴿وَلَوْ أَنَّ﴾: لو: شرطية، أن: حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد.

﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: اللام للاختصاص، ظلموا: أشركوا أو ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي أو خرجوا عن منهج الله تعالى؛ مما أدى ظلم أنفسهم وإيقاعها في التهلكة.

﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾: من أموال وملك وذخائر وخزائن وأشياء ثمينة وعلى فرض أنهم يملكون ذلك.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد.

﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾: وعلى فرض أنه مضاعف؛ أي: ضعفين.

﴿لَا فَنَدَ وَابٍ﴾: اللام لام التعليل.

افتدوا به: أي: على فرض قدموه ومثله معه فداءً لهم للنجاة.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية.

﴿سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: أشد العذاب كما ونوعاً وأفظعه ما تقبل منهم.

﴿وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾: بدا لهم: أظهر وبان لهم كثير من

الحقائق لم تكن تختطر على بالهم.

١ - كثيراً من السيئات دون أن يشعروا بها أنها سيئات.

٢ - كثيراً ما عملوا من السيئات نسوها وأحصاها الله.

٣ - كثيراً مما زين لهم الشيطان من السوء فأوه حسناً.

٤ - أن الآلهة والأولياء وعيسى والملائكة وغيرهم لن يشفعوا لهم.

٥ - أن سادتهم وكبرائهم يتبرؤون منهم.

٦ - أن أعمالهم قد حبطت وأصبحت هباءً منثوراً بسبب شركهم وريائهم.

٧ - ظهر لهم من غضب الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا أو يفكروا به.





سُورَةُ النِّسَاءِ ٣٩

الجزء الرابع والعشرون

وَبَدَأَ اللَّهُمَّ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ
نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ
عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا
وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا
وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾
﴿٥٣﴾ قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ
رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ
وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُوا ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ
إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي
عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾



الجزء
٤٧



سورة الزمر الآيات [٤٨ - ٥٦]

[٤٨] ﴿وَبَدَأْ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾:

﴿وَبَدَأْ لَهُمْ﴾: ظهر وبان لهم.

﴿سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا﴾: سيئات جمع سيئة والسيئة هي كل ما يسوء النفس، أي: تظهر لهم كل أعمالهم السيئة القبيحة حين يقرؤون كتبهم، كما قال تعالى: ﴿يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣].

ويظهر لهم بعدها جزاؤها وعقوبتها والجزاء من جنس العمل.

﴿مَا﴾: الذي أو مصدرية.

﴿كَسَبُوا﴾: من الكفر والشرك والفسق والعصيان.

استعمل كسبوا بدلاً من اكتسبوا لتدل على أنهم كانوا يعملون السيئات مثل المعاصي والشرك والكفر من دون مشقة أو افتعال أو حذر أو خوف أن يطلع عليها الناس وأنهم مارسوها دون تكلف فأصبحت سهلة وأمر عادي وأما كسبوا فعادة تستعمل لأفعال الخير والحسنات.

﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾: أحاط بهم أو نزل بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون حيث كانوا لا يظنون أنه واقع بهم أو كانوا يستعجلونه كقولهم: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذَاهُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].



﴿مَا﴾: عامة تشمل كل ما كانوا به يستهزؤون سواء بالله أو آياته أو رسله أو الدار الآخرة أو الجنة أو النار.

والاستهزاء يعني: التصغير والخط من شأن الآخر أو الشيء والعيب والاستخفاف به من دون أن يقوم المستهزئ به أي بعمل سابق يستحق الاستهزاء به، كما هو الحال في السخرية التي يسبقها فعل من المسخور منه، وفيها معنى التذليل.

[٤٩] ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرُّدَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

المناسبة: جاء الله سبحانه بهذه الآية لتبين عمى بصيرة بعض الجاحدين لنعم الله، أو غير الشاكرين لله تعالى.

﴿فَإِذَا﴾: إذا ظرفية زمانية شرطية، تستعمل للشيء المحقق حدوثه.

﴿مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرُّدَعَانَا﴾: ارجع إلى الآية (٨) من نفس السورة (الزمر).

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: ثم: للترتيب الذكري، إذا: ظرفية شرطية تستعمل للشيء المحقق حدوثه.

﴿خَوَّلْنَاهُ﴾: أعطيناه أو آتيناه، ولا تعني: التمليك.

﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾: النعمة تعريفها: هي ما يهبه الله لعبده من خير أو يمنحه نعمة أو منفعة أو يدفع عنه مضرة.

نعمة نكرة للتعظيم، وتشمل كل أنواع النعم الظاهرة والباطنة مثل الصحة

والعافية والغنى والأمن والرخاء، منا: نعمة عامة ولم يقل من لدنا أو عندنا التي تدل على أنها نعمة خاصة.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: زعم الجاحد والمشرِك أن هذه النعمة بسبب علمه أي: قدرته ومعرفته وخبرته كما قال قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]، أو زعم باطلاً أن الله علم أنه يستحق ذلك، وهو أهل لذلك فأعطاه ما دعاه إليه، وهذا ليس بصحيح.

﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾: بل للإضراب الإبطالي.

هي: للتوكيد.

فتنة: ابتلاء؛ أي: ما يجريه رب العزة على عباده لاختبارهم والفتنة أشد من الاختبار وأبلغ، وتكون في الخير والشر، ولا يقصد بالفتنة هنا تغير حاله من الضراء إلى السراء فقط، وإنما المراد بها معرفة شدة كفره وجحده لنعم الله أو شكره للمنع (ليشكر أو يطغى) وكذلك فتنة إذا لم يعطها له ولم يستجب دعائه. ونتيجة الفتنة لتكون حُجَّة عليه أو حُجَّة له، والله سبحانه غني عن أن يفتن العبد لمجرد الفتنة.

﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أكثر الناس لا يعلمون أنها فتنة لتكون حُجَّة عليهم أو حُجَّة لهم، والقليل يعلمون أن ما يصيبهم من ضراء أو سراء أو خير أو شر، فتنة.

[٥٠] ﴿فَدَقَالَمَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾:

﴿فَدَق﴾: للتحقيق والتوكيد.



﴿قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أي: مثل قولهم: إنما أوتيته على علم عندي، قد قالها قارون من قبلهم، أو غيره من الناس.

﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من تفيد الزمن القريب، قبلهم: تعود على كفار قريش، قد قالها: الهاء هنا تعود على الكلمة إنما أوتيته على علم عندي.

﴿فَمَا أَغْنَى﴾: الفاء عاطفة، ما النافية، أغنى عنهم، ما دفع عنهم العذاب أو خففه أو نفعهم.

﴿مَا كَانُوا﴾: تعني: الذي أو مصدرية أي: كسبهم في الدنيا. وما: أوسع شمولاً من الذي. كانوا: في الدنيا.

﴿يَكْسِبُونَ﴾: من متاع ومال وعرض أو عبادة الأصنام أو كفر النعمة والشرك حين يكسبون بصيغة المضارع للدلالة تكرار كسبهم، أو عدم توبتهم، أو على حكاية الحال للدلالة على شنيع كسبهم، وكأنهم يكسبون السيئات الآن. [٥١] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾:

﴿فَأَصَابَهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، أصابهم سيئات ما كسبوا: الضمير هنا يعود على الذين قالوا الكلمة (إنما أوتيته على علم)، أصابهم: حل بهم ونزل.

﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾: أي: جزاء سيئاتهم (أي: العذاب) جزاء الذي كسبوا في الدنيا من الكفر والشرك والظلم والفسق والمعاصي، ومنه ما كان في الدنيا من هزيمة ومرض وشدة وقتل، ومنه ما هو قادم يوم القيامة.

﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ﴾: وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا الظَّلَمَ قَدْ يَعْنِي الشَّرْكَ، أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْخُرُوجِ عَنْ مَنَهِجِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ عَدَمِ الْإِيمَانِ.

﴿مِنْ هَؤُلَاءِ﴾: مَنْ ابْتِدَائِيَّةً اسْتِغْرَاقِيَّةً، هَؤُلَاءِ تَعُودُ عَلَى كُفَارِ مَكَّةَ أَوْ مُشْرِكِيهَا أَوْ غَيْرِهِمْ.

﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾: السَّيِّئَاتُ لِلْإِسْتِقْبَالِ الْقَرِيبِ، يُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا: سَيُصِيبُهُمُ الْعَذَابُ جَزَاءَ مَا كَسَبُوا مِنَ الشَّرْكِ وَالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي وَالْفُسُقِ. ارْجِعْ إِلَى مَطْلَعِ الْآيَةِ.

وَتَكَرَّرَ مَا كَسَبُوا لِلتَّوَكِيدِ، وَقَدْ يَكُونُ اكْتِسَابُ هَؤُلَاءِ لَيْسَ هُوَ نَفْسُ هَؤُلَاءِ؛ لِذَلِكَ فَصَلَ الْأَوَّلَ عَنِ الثَّانِي أَوْ كِلَاهُمَا.

﴿وَمَا هُمْ﴾: مَا النَّافِيَّةُ، هُمْ لِلتَّوَكِيدِ.

﴿بِمُعْجِزَيْنِ﴾: الْبَاءُ لِلإِلْصَاقِ، مُعْجِزَيْنِ: غَالِبَيْنِ أَوْ فَائِظَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ أَوْ نَاجِينَ بِالْهَرَبِ وَالْإِفْلَاتِ مِنَ الْعُقُوبَةِ.

ثُمَّ يَبَيِّنُ لَهُمُ الْحَقَّ سَبْحَانَهُ وَصَحَّحَ لَهُمْ اعْتِقَادَهُمْ فَقَالَ: إِنَّ الرِّزْقَ بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَلَيْسَ كَمَا قَالُوا: إِنَّمَا أُوتِيْتَهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي.

[٥٢] ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا﴾: الْهَمْزَةُ لِلْإِسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيَّ وَالتَّوْبِيخِ.

أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا: هَذَا أَسْلُوبٌ مِنْ أَصَالِيْبِ الْبَيَانِ بَدَلًا مِنْ أَنْ يُخْبِرَكَ اللَّهُ بِالْخَبَرِ



مباشرة يأتي لك بالخبر بصورة استفهام ليكون الجواب من المستمع، ولم يقل: أولم يروا، وإنما قال: أولم يعلموا؛ العلم أوسع من الرؤية.

أي: فليعلموا. ارجع إلى سورة سبأ آية (٣٦) و (٣٩) للبيان.

﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾: يوسع الرزق لمن يشاء سواء كان صالحاً أو طالحاً أو مؤمناً أو كافراً والرزق لا يعني المال فقط، بل يعني العلم والصحة والعافية والأهل والمتاع.

﴿وَيَقْدِرُ﴾: يضيق على من يشاء، والبسط والقبض لحكمة يعلمها الله تتعلق بحال العبد وليس عبثاً.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: إن للتوكيد، في: ظرفية، ذلك: التوسيع والقبض.

﴿لَا يَنْتِ﴾: اللام للتوكيد.

﴿لِقَوْمٍ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: أي: آيات ودلائل يتتبع بها الذين يؤمنون فتزيدهم إيماناً مع إيمانهم. ارجع إلى الآية (٣٦-٣٩) من سورة سبأ للبيان، ولمعرفة الفرق بين ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [العنكبوت: ٦٢].

[٥٣] ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾:

سبب النزول: كما أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أناساً من الذين أشركوا وقتلوا وزنوا كبر عليهم ذلك، وقالوا: نبعث إلى



محمّد نسأله أو هم أتوا محمّداً ﷺ فسألوه: هل من توبة؟ فنزلت هذه الآية، وقد ذكرت أسباب أخرى لنزول هذه الآية والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله يناديكم ربكم ويقول:

﴿يَعْبَادِي﴾: يا النداء للبعد، عبادي: ولم يقل: عبيدي، عبادي تعني: الذين اختاروا الإيمان على الكفر والطاعة على العصيان فشرفهم بإضافتهم إليه فقال: يا عبادي. ارجع إلى الآية (١٧) من نفس السورة، والآية (١٨٦) من سورة البقرة لمعرفة الفرق بين عبيد، وعبادي، وعباد.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد العموم.

﴿أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾: أفرطوا في ارتكاب المعاصي والذنوب والآثام والسيئات والإسراف هو تجاوز الحد في كلّ فعل يفعله الإنسان مما لا يحله الله تعالى.

﴿الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾: ولم يقل: المسرفين (أي: صفة الإسراف عندهم ثابتة).

أسرفوا: أي: يمكنهم الكف عن الإسراف والعودة إلى الاعتدال.

والانتقال من صيغة المخاطب إلى صيغة الغائب للفت الانتباه.

﴿عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾: على تفيد الاستعلاء والمشقة؛ لأنّ وبال الإسراف يعود

على المسرف بالضّر والعذاب.

﴿لَا﴾: النّاهية للجنس ولكافة الأزمنة.

﴿نَفْطُورًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾: القنوط هو أشد اليأس.



﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾: تعليل للنهي عن القنوط من رحمة الله تعالى.

يغفر الذنوب إلا الشرك والكفر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ١٦٦].

أي: إذا مات المشرك أو الكافر، ولم يتب، أمّا إذا تاب فإن الله يتوب عليه إن شاء؛ أي: يقبل توبته.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد.

﴿إِنَّهُ هُوَ﴾: إنه للتوكيد هو للحصر والتوكيد.

﴿الْغَفُورُ﴾: صيغة مبالغة أي: كثير الغفر أو الغفران ويعني: يمحو الذنب ويعفو عنه ومهما عظم أو كثر إذا تاب الإنسان وأتاب إلى ربه.

﴿الرَّحِيمُ﴾: كثير الرحمة صيغة مبالغة على وزن فعيل رحيم؛ لأنه لا يعجل بالعقوبة.

[٥٤] ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾:

المناسبة: بعد ذكر المغفرة قيدها بشروط ثلاثة هي:

١ - الإنابة.

٢ - الإسلام له.

٣ - اتباع القرآن أو السنة.

﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: الإنابة: السرعة في التوبة والرجوع إليه بالكف عن

المعاصي والتّدم وعدم العودة إليها وكثرة التّوافل والإحسان ورد الحقوق إلى أهلها.

فلا مغفرة من دون إنابة وتوبة إلى الله وحده.

﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾: أخلصوا له من الشّرك ظاهراً وباطناً بالتّوحيد توحيد الألوهية لا تعبدوا إلا إياه وتوحيد الرّبوبية والصفّات والأسماء، أسلموا له: عبدوا الله وحده، ولم يقل: له أسلموا.

ارجع إلى سورة الحج آية (٣٤) معرفة الفرق.

﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾: أن يحل عليكم أو ينزل بكم العذاب في الحياة الدّنيا أو في الآخرة (عذاب القبر أو عذاب جهنم). وهناك فرق بين يأتيكم العذاب، ويحل عليكم العذاب، يأتيكم العذاب؛ أي: يمكن أن يأتيكم ثم يزول وينكشف، أما يحل عليكم: تدل على الثبوت والدوام وعدم الزوال.

﴿ثُمَّ لَا تَنْصُرُونَ﴾: ثم للترتيب والتّراخي في الزّمن، ثم يوم القيامة، لا: النّافية، تنصرون: في الآخرة، فتجدون أيّ نصير أو معين يمنع أو يدفع عنكم عذاب الله.

[٥٥] ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾:

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ﴾: أحسن على وزن أفعّل، أفعّل التّفضيل، اتبعوا: امثلوا أو امره وتجنبوا نواهيه، أي: أحلّوا حلاله وحرّموا حرامه.

﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أي: من الآيات والذكر الحكيم، وأحسن



ما أنزل إلينا من ربنا تعني الصلاة لوقتها والفرائض الأخرى والإحسان والعبادات القلبية الخشوع والإنابة والتوكل والخوف والرجاء والنصح وغيرها.

﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿بَعَثَهُ﴾: فجأة فلا يستطيع التوبة أو قد لا تقبل منه.

﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾: غافلون فلا تشعرون بقدومه فبادروا إلى التوبة والإنابة أو الإسراع في القيام بالأعمال الصالحة، وفي الآية تهديد ووعد.

وحين يُطلب منكم الإنابة والتسليم، واتباع أحسن ما أنزل لكي لا تتحسر أنفسكم أو تندم حين لا ينفع الندم وتقول:

[٥٦] ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ﴾:

﴿أَنْ﴾: مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

﴿تَقُولَ نَفْسٌ﴾: نفس جاءت بصيغة النكرة للتهويل أو التأكيد لتشمل كل نفس، ومنها نفس الظالم لنفسه والمقتصد حتى السابق بالخيرات.

﴿بِحَسْرَتِي﴾: يا النداء، حسرتاه: أصلها يا حسرتي أبدلت ياء المتكلم بالألف، والعرب تحول الياء إلى الألف في كل كلام معناه الاستغاثة ليخرج الكلام كالنداء، أي: يا حسرتي فهذا زمك.

والحسرة تعريفها ندم أو غم يصيب النفس بسبب فوت فائدة.

﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ﴾: على تفيد الاستعلاء والمشقة فرطت التفريط التقصير أو

الغلو.

﴿فِي جَنِّبِ اللَّهِ﴾: في طاعة الله تعالى وعبادته وفي حق الله تعالى (واجباته وفرائضه) أو في القرب من الله؛ أي: المكانة أو المنزلة أو الدرجات العلى في الجنة.

﴿وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ﴾: إن للتوكيد، أي: لم يكتف بالتقصير بأن ضيع عبادة الله، بل ذهب أبعد من ذلك أن سخر من أهلها، أي: ممن يعبدون الله، ومن آيات الله وسخر من الفرائض والسنن، وما جاء به الرسول وذهب إلى أبعد من ذلك بأن فرط في سخريته فأصبحت السخرية صفة ثابتة عنده.

﴿السَّخِرِينَ﴾: جمع ساخر والسخرية: التحقير ولا تكون إلا في الأشخاص والأفراد أو أعمالهم، ولا بُدَّ من أن يسبقها فعل قام به المسخور منه.

وَلَمْ قَالَتِ النَّفْسُ: وإن كنت من السَّاخِرِينَ، ولم تقل: من السَّاخِرَاتِ. لأنَّ النَّفْسَ مؤنثة، وقيل: إنَّ النَّفْسَ تشير إلى صاحبها أو تعبر عن صاحبها (الإنسان) أو النَّفْسَ جزء من الإنسان (أي: عبَّر عن الجزء وأريد به الكل).





سُورَةُ الزُّمَرِ ٣٩

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَرِيمِ

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾
أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ
مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَ تَكَءَايَتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا
وَأَسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ
تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا
بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ
خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مُقَالِيدُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ
هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا
الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ
أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ
فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ
وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ
مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾



سورة الزمر [الآيات ٥٧ - ٦٧]

[٥٧] ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾:

﴿أَوْ﴾: ليست للتخيير في هذه الآية، وإنما تقول أيضاً: يا حسرتاه على ما فرطت في جنب الله، وتقول: لو أن الله هداني وتقول: لو أن لي كرة أخرى فهي نفسها تقول كل هذه الأقوال تتمنى ثلاث أمانى.

﴿لَوْ﴾: للتمنى وليست شرطية، فلو كانت شرطية لكان يعني أن قضاء الله سبحانه هو سبب ضلالتهم، وهذا ليس صحيحاً.

﴿أَنْ﴾: مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

﴿اللَّهُ هَدَانِي﴾: إلى الإسلام أو إلى دينه وطاعته.

﴿لَكُنْتُ﴾: اللام لام التوكيد أو التعليل.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية بعضية.

﴿الْمُتَّقِينَ﴾: جمع متقٍ، التقوى: هي طاعة وامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، لكنك من المتقين فأنجو من العذاب ومن سخط الله، أي: ما هداني الله وما كنت من المتقين؛ لأن الله سبحانه لم يشأ، وهذا الادعاء هو كذب وافتراء، فالله سبحانه أرسل أفضل رسله وأحسن كتبه، وبيّن له الحق من الباطل والحلال من الحرام، ولم يترك له حُجّة يحتج بها، وانتبه إلى طمع النفس والارتقاء، فهي لم تكتف بالقول: لكنك من المؤمنين، بل من المتقين الذين هم أعلى درجة من المؤمنين، وفي الآية التالية: لكنك من المحسنين.

انتبه إلى التدرج في الطمع في دار الآخرة تدرجت من كونها من السّاعرين



إلى المتقين إلى المحسنين، والسؤال هنا: لِمَ لَمْ تفعل ذلك وهي في الدنيا (دار التكليف).

[٥٨] ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنِّي كُنتَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿أَوْ﴾: ارجع إلى الآية (٥٧) للبيان.

﴿تَقُولَ حِينَ﴾: ظرفية زمانية.

﴿تَرَى الْعَذَابَ﴾: يوم القيامة رؤية عينية حقيقية حين تعين العذاب. كقوله تعالى: ﴿وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩١].

﴿لَوْ﴾: للتمني وشرطية.

﴿أَنِّي﴾: للتعليل والتوكيد.

﴿لَوْ كُنتَ﴾: لي خاصة، اللام لام الاختصاص، كرة: رجعة أو عودة إلى الدنيا وكرة اسم مرة واحدة.

﴿فَأَكُنتَ﴾: الفاء جواب الشرط، ولم تقل: أكن أو أكن، بل قالت: أكون صيغة مبالغة من أكن للتأكيد.

﴿فَأَكُنتَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: ولم يقل: من المؤمنين أو المتقين، بل ذهب إلى أعلى درجات الإيمان فقال: من المحسنين، ولمعرفة معنى الإحسان ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة، وقد أخبرنا الله سبحانه في سورة الأنعام آية (٢٨) أنه لو استجاب له لعاد لما كان عليه سابقاً، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوا عَادُوا لَمَانُوا وَاعْتَمَرُوا إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

[٥٩] ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ نَكَآئِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾:

﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب لا يأتي إلا بعد نفي، ولو نظرنا في الآيات لا نرى النفي الصريح، ولكن جاء النفي في قوله: لو أن الله هداني، أي: النفس تنفي

الهداية عن نفسها؛ لذلك جاء الجواب: بلى هديناك حين جاءتك آياتي، ولكنك اخترت الضلالة.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿جَاءَ تَكَاءٍ﴾: القرآنية والكونية والمعجزات والدلائل والبراهين والبيانات.

﴿فَكَذَّبَتْ بِهَا﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، أي: كذبت بها مباشرة فوراً بلا تأخير وترث ولم تدرسها أو تتمعن فيها.

﴿وَأَسْتَكْبَرَتْ﴾: الألف والسين والتاء تعني: الطلب، أي: طلبت الكبر وأنت لا تملك مؤهلاته أو مقوماته استكبرت عنها شعرت بعظم نفسك فوق ما تستحقه. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان، والفرق بين استكر، وتكبر، ومتكبر.

﴿وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾: ولم يقل: وكنت أو استكبرت وكذبت؛ لأن الله سبحانه يخاطب الإنسان ولا يخاطب النفس.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية بعضية.

﴿الْكَافِرِينَ﴾: الجاحدين سواء كان كفر عقيدة أو كفر نعمة، لم تشكر الله على آياته القرآنية أو الكونية، انظر إلى تدرجه في الإسراع في التكذيب بالآيات، ثم الاستكبار، ثم الكفر، والثبات عليه (الكافرين جملة اسمية تدل على الثبات).

[٦٠] ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾:

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾: كذبوا على الله بالقول بأن الله لم يهدهم ولم يرسل لهم رسله وكتبه، أو كذبوا على الله بأن زعموا أن له ولداً



أو شريكاً أو صاحبةً أو ولياً، أو كذبوا بأن قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبَّتُوهُ﴾ [المائدة: ١٨]، أو قال أحدهم: ﴿أَوْحَىٰ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحِ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وغيرها من المفتريات، أو كذبوا بآياته.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذم والتحقيق والكذب على رسول الله ﷺ هو كذب على الله سبحانه.

﴿الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾: بأن قالوا: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦]، أو نسبوا إليه الشريك، أو قالوا أحل الله، ولم يحل الله، أو حرم الله ولم يحرم. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى﴾: رؤية بصرية وليست رؤية قلبية.

﴿وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾: كقوله تعالى في سورة آل عمران آية (١٠٦): ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.

مسودة: من السواد والسواد من الظلمة، وهو كناية عن الكآبة والحزن والغيب الذي يصيب الكافر الذي يكذب على الله تعالى، أو كما قال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠-٤١]، أي: تغشاها قشرة من الغبار وهو الهواء الممتلئ بالدخان الأسود الناجم عن الاحتراق في نار جهنم.

﴿أَلَيْسَ﴾: الهمزة للاستفهام والتقرير.

﴿فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مَثْوًى، ارجع إلى الآية (٣٢) من نفس السورة لبيان معنى مَثْوًى، وسورة آل عمران آية (١٥١) لمزيد من البيان، والفرق بين مَثْوًى ومَأْوًى، وسورة الرعد آية (١٨) لمعرفة دركات النار.

﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾: اللام لام الاختصاص أو الاستحقاق، المتكبرين: جمع متكبر وهو الذي يرى الكل أدنى منه ويرى في نفسه الكمال والعظمة وهي رؤية



كاذبة ونظرة باطلة، للمتكبرين: عن الإيمان وطاعة الله تعالى وصفة الكبر عندهم ثابتة مستمرة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان في المتكبرين.

[٦١] ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

في الآية السابقة بين حال المتكبرين على الله يوم القيامة، وفي هذه الآية بين حال المتقين.

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ﴾: من النجاة: من نار جهنم. النجاة: الخلاص.

ولمقارنة النجاة بالفوز: الفوز يعني: النجاة والوصول إلى الغاية أو المطلوب، والنجاة تعني: النجاة من المكروه أو الأذى من دون الوصول إلى الغاية.

﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: الذين اسم موصول يفيد المدح.

اتقوا: أي: أطاعوا أوامر ربهم وتجنبوا نواهيه أو اتقوا النار بإطاعة أوامر ربهم وتجنب نواهيه.

﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾: الباء للإلصاق أو السببية.

المفازة: على وزن مفعلة من الفوز مثل السعادة والمفازة فسرهما قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وسبب مفازتهم الإيمان بالله والعمل الصالح.

بمفازتهم: بسبب فلاحهم. من المفازة. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٨٨) لمزيد من البيان.

﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾: لا النافية للجنس، يمسهم السوء: المس هو أخف اللمس، أي: مجرد التقاء الماس بالميمسوس، ولو كان بأقل الزمن.

السوء: هو ما يسيء إلى النفس أو تكرهه مهما كان، مثل الخوف والحزن والعذاب والغم.



﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: تكرر (لا) لتوكيد النفي وفصل كلاً من السوء عن الحزن، فلا يصابون بأيّ منهما أو كلاهما..

هم: تفيد التوكيد.

يحزنون: من الحزن أشدّ الهم والغم أو غلظ الهم. ارجع إلى الآية (٣٤) من سورة فاطر للبيان.

ولمعرفة الفرق بين الحزن والحُزن ارجع إلى سورة الأنعام آية (٣٣).

[٦٢] ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾:

﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة: الاسم الأعظم الذي تفرد به سبحانه واختصه لنفسه وهو الاسم الجامع لجميع الصفات الإلهية.

﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: كل: تفيد العموم وتدل على كلّ فرد: (ملائكة وجن وإنس) وجنس نبات وحيوان وجماد، وتدل على كلّ شيء على انفراد بعكس جميع تدل على كلّ مجتمعين. وشيء: سواء أكان حسيّاً أم معنوياً.
الله: مبتدأ، خالق: خبر، كلّ: مضاف إليه.

﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ مخلوق؛ أي: الله خالقه، فما الذي صرفهم ألا يؤمنوا بخالقهم وحده.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: وهو تفيد التوكيد، وهو القائم بأمور العباد، والقائم بأمور كونه بحفظ وتدبر وتصريف كلّ ما خلق أو الموكول إليه تدبير وتصريف كلّ شيء.

وهو على كلّ شيء وكيل يدل على إحاطة علمه بكل شيء وبكمال قدرته وبكمال حكمته.



[٦٣] ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أَوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾:

﴿لَهُ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، أي: له وحده مقاليد السموات والأرض.

﴿مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: المقاليد: جمع أقليد من قلد، وقيل: (جمع مقلاد أو مقليد)؛ أي: مالك أمرها وموكل إليه أمر السموات والأرض؛ أي: السيطرة التامة؛ فهو أهل العقد؛ أي: الإلزام، وأهل الحل؛ أي: تدبيرها وتسييرها وحفظها ورعايتها، وقيل: المقاليد المفاتيح والخزائن، والمفتاح يستعمل للإغلاق، والفتح بأن واحد والإغلاق فيه معنى العقد؛ فهو يعقد الأمور ويحلها؛ أي: الربط والحل بيده؛ أي: إليه يرجع الأمر كله للنظر فيه واتخاذ القرار وموكل إليه مقاليد السموات والأرض وهذا تأكيد لقوله: وهو على كل شيء وكيل، ذكر الخاص بعد العام للأهمية.

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ﴾: جحدوا بآيات الله الدالة على وجوده وقدرته وعظمته ووحدانيته، وأنه الإله الذي يجب أن يعبد ويطاع ولم يؤمنوا بها.

﴿أَوْلَئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد الذم والتحقيق.

﴿هُمُ﴾: يفيد التوكيد.

﴿الْخَاسِرُونَ﴾: مقابل قوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثْقَاتِ لَآئِهِمْ يَوْمَ السَّوْءِ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لأنفسهم ولأهلهم في الآخرة. ارجع إلى سورة النساء آية (١١٩)، وسورة هود آية (٢٢) لمعرفة الفرق بين خاسرون والأخسرون والخسران والخسارة.



[٦٤] ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾:

سبب النزول: كما ورد عن ابن عباس أن المشركين دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة آلهتهم وهم يعبدون معه إلهه، فنزلت هذه الآية: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾.

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ:

﴿أَغَيْرَ اللَّهِ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ.

﴿تَأْمُرُونِي﴾: التّون لزيادة التّوكيد أعبد أصلها أن أعبد أيّها الجاهلون.

﴿أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾: جمع جاهل، وصفهم بالجاهلين؛ لأنّ ما دعوا إليه رسول الله أن يعبد آلهتهم يدلّ على جهل.

والجهل: يعني عدم العلم، وهذا هو أصل الجهل، أو بخلاف الحق، وقد يأتي الجهل بمعنى اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه أو الكذب، أو فعل الشيء بخلاف ما كان يجب أن يفعل مثل أن ينكر الصلاة عمداً، أو قد يأتي الهزو بمعنى الجهل كقوله: أتخذنا هزوا؟ قال: عوذ بالله أن أكون من الجاهلين، والجهل: قد يعني السفه كقوله: وإذا خاطبهم الجاهلون؛ أي: السفهاء بالأذى، وقد يأتي في سياق الشذوذ عن الفطرة كما خاطب قوم لوط بالقول: ﴿أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]، أو يأتي في سياق استعجال العذاب، أو عقاب الله تعالى كقوله: ﴿فَأَنبَأْنَا بِمَا تَعْدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرٰنَكُمْ قَوْمًا بٰجِهْلُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٢-٢٣]، أو في سياق طلب عبادة الأوثان كقوله تعالى: ﴿قَالُوا يٰمُوسَىٰ اجْعَلْ لَّنَا إِلٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ بٰجِهْلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، أو رداً على طلبهم بإنزال الآيات والمعجزات لكي يؤمنوا؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلٰهِيْمُ الْمَلٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَسَرْنَآ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوْا إِلَّا أَن يَشَآءَ اللَّهُ وَلٰكِن أَكْثَرُهُمْ بِجِهْلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].



أو: كيف تأمروني أعبد غير الله بعد كل هذه الآيات والدلائل، وهو خالق كل شيء، وعلى كل شيء وكيل، وله مقاليد السموات والأرض. أيها الجاهلون: بعظمة الله وقدرته.

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكَتْ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: والواو عاطفة، لقد: اللام للتوكيد وقد للتحقيق.

﴿أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾: الوحي لغة إعلام بخفاء، وشرعاً ما يُلقى الله على رسله وأنبيائه من التكاليف والتعاليم والآيات عن طريق جبريل الخطاب لرسول الله ﷺ والمقصود به أمته.

ولمعرفة معنى الوحي ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣).

﴿وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾: من الرسل أنه لا إله إلا الله فاتقون.

﴿لَئِن﴾: اللام لام التوكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال والندرة.

﴿أَشْرَكَتْ﴾: بالله من شيء بالقول أن لله ولداً أو صاحبةً أو ولياً أو نداً، أو أشركت بعبادته شيئاً، والخطاب موجه إلى أمته.

﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾: اللام والنون كلاهما للتوكيد، ليحبطن عملك الصالح والإحباط الإبطال وضياع الأجر أو الثواب، وليحبطن مشتقة من حبط الماشية. ارجع إلى الآية (١٧) من سورة التوبة، وسورة البقرة آية (٢١٧) للمزيد من البيان في معنى حبطت أعمالهم.

﴿وَلَتَكُونَنَّ﴾: اللام والنون للتوكيد.

﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: من ابتدائية، الخاسرين لأنفسهم ولأهلهم.



[٦٦] ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾:

﴿بَلِ﴾: للإضراب الإبطالي، أي: أعرض عن دعوتهم الباطلة، واعبد الله وحده مخلصاً له الدين.

﴿اللَّهُ فَاعْبُدْ﴾: تقديم المفعول على الفعل للقصر، أي: اقصر عبادتك لله وحده دون سواه؛ أي: أخلص عبادتك لله؛ أي: اعبد الله وحده لا شريك له، الفاء في كلمة فاعبد للتوكيد.

﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾: لله وحده؛ لأنه لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الدّل، وكن من الشّاكرين على نعمة النّبوة والعظمة والرّسالة، أو الشّاكرين على نعمه، وأعظم هذه النعم الإسلام والتوحيد والإيمان والقرآن، وهذا الرسول ﷺ الشاهد والمبشر والنذير والسراج المنير.

[٦٧] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما النافية.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: ما عظموا الله التعظيم اللائق به وما قدره حق قدره حين أشركوا في عبادته.

ونسبوا إليه الصّاحبة والولد والبنات والشريك والنّد.

﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: والأرض: الواو: واو الحال، وفي هذه الآية إشارة إلى نهاية الكون، ونهاية حياة الإنسان على هذه الأرض عند النفخة الأولى (نفخة الفزع والصعق)، ثم يعود ويخلق مرة أخرى (النشأة الأخرى) عند النفخة الثانية (نفخة البعث أو القيامة). والأرض جميعاً قبضته: تعني أيضاً تحت سيطرته وهيمنته، وتعني: القوة والقدرة على التحكم فيها.

ومراحل الآخرة: المرحلة الأولى: بعد أن تقوم الساعة وتمور السماء وتنفطر وتشقق، وتكون وردة كالدهان، وتسير الجبال وتتفتت، وتتطاير كالعهن المنفوش، والبحار تسجر والشمس تكور.

المرحلة الثانية: مرحلة قبض الأرض وطي السماء (السموات السبع).

المرحلة الثالثة: التبديل يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات. ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ﴾ تدل على أن قدرة الله سبحانه العظيمة على جميع مليارات النجوم، ومليارات الكواكب والمجرات، رغم بعدها عن بعض مليارات السنين الضوئية، ورغم اتساعها كلها تعود كما بدأت إلى نقطة البدء والخلق، وكما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ثم يخلق الله سبحانه سماء جديدة، وأرضاً جديدة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، سبحانه ﴿فَعَالٌ لَّمَّا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

﴿سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: أي: يا رب أصفك بكل كمال وأنزهك تنزيهاً كاملاً مطلقاً عما لا يليق بجلالك وعظيم سلطانك، تنزيهاً لذاتك وصفاتك وأفعالك وأسمائك تنزيهاً عن أي شيء يوجد في البشر، ومن كل نقص أو عيب، ومن الشريك والصاحبة والولد والبنت والنّد والمثيل والولي، ومما يقولون عليك غير الحق، وأنت العلي الأعلى لا يعلوك أحد، وأنت الأعلى على كل واحد علو القدر والصفات والعلم والملك والكبرياء والجلال والمجد والعزة والقهر، العلي عن الأشباه والأمثال والشريك والولد والنّد والنظير.





سُورَةُ الزُّمَرِ ٣٩

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْغَنِيِّ

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ
(٦٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ
بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
(٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠)
وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ
(٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى
الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى
الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣)
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ
نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤)



سورة الزمر [الآيات ٦٨ - ٧٤]

[٦٨] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾:

يذكرُ الله تعالى في هذه الآيات بعض الأحداث التي تقع يوم القيامة وتبدأ بالنفخة الأولى نفخة الصّعق والموت.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: نفخ فعل ماضٍ رغم أنّ النفخ سيقع في المستقبل؛ مما يدل على أنّ الحدث كأنّه قد وقع وانتهى، والزّمن عند الله الماضي والحاضر والمستقبل واحد، فهو خالق الزّمان والمكان.

ونفخ بصيغة المبني للمجهول رغم أنّ النّافخ إسرافيل عليه السّلام كما بينت السّنة النبوية ويكون النفخ يوم الجمعة. والصّور: البوق.

﴿فَصَعِقَ﴾: الفاء تدل على التّرتيب والمباشرة، والصّعق له معنيان: فقدّ الوعي والإغماء، أو الموت والهلاك.

يُصعق كلّ إنسان وحن وحيوان وتموت الخلائق جميعاً.

﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾: من استغراقية تشمل كلّ من في السّموات، وكل من في الأرض. من: تستعمل للعاقل، ويمكن أن تنزل غير العاقل منزلة العاقل، وتشمل كل المخلوقات؛ لأن الصّعق (الموت) والبعث والقيامة لأجل محاسبة العقلاء.



﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾: أي: من شاء الله ألا يصعق ويموت، وهؤلاء لا يعلمهم إلا الله تعالى، ومن تعني: الواحد أو الاثنين أو الجمع، وقيل: هم الملائكة المقربون مثل حملة العرش.

أو الحور العين.

أو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يميتهم الله تعالى بعد ذلك، والله أعلم.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي.

﴿نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾: أي: نفخة البعث (القيام) وما بين النفختين، كما بينت السنة قد يكون (٤٠) يوماً، أو (٤٠) شهراً، أو (٤٠) سنة، فقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون»، وقد سئل أبو هريرة عن معنى الأربعين فأبى أن يحدد هل هي أربعون سنة، أو أربعون شهراً، أو أربعون يوماً.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للتعقيب والترتيب والمباشرة: إذا: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث وتفيد المفاجئة.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾: قيام من قبورهم، ينظرون إلى ما حولهم من الأحداث إلى الأرض الجديدة والسموات الجديدة، أو ينظرون ما يفعل بهم.

لنقارن هذه الآية (٦٨) من سورة الزمر ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي

السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴿٢٦﴾ : مع الآية (٢٦-٢٧) من سورة الرحمن ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٧﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٨﴾﴾.

كل من عليها فان، هذه تعني: كل من على الأرض فان (ميت) أي: أهل الأرض (الجن والإنس) يموتون.

أما آية الزمر: فتشمل كل من في السموات ومن في الأرض، فآية الزمر أوسع وأشمل تشمل العالم العلوي والسفلي.

[٦٩] ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾:

بعد أن تبدل الأرض غير الأرض والسموات، أي: تكون سماء جديدة وأرضاً جديدة، وبعد أن تكون شمس الدنيا قد كورت، أي: انطفأ نورها وضوءها، وليس هناك حاجة لشمس ولا لقمر.

وتشرق الأرض بنور ربها: دون أن ترى مصدر هذا الإشراق.

﴿وُضِعَ الْكِتَابُ﴾: الكتاب اسم جنس، والمراد به صحائف أعمال العباد: سجل الأعمال.

وكما قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

﴿وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾: بالنبيين ليشهد كل نبي على أمته أنه بلغ أمته.

والشهداء: وهم أولو العلم والشهداء من أمة محمد (علماء هذه الأمة) يشهدون على الأنبياء والأمم الأخرى. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٤٣) للبيان. وإلى سورة الحج آية (٧٨) للبيان.



والشهداء قد تعني أيضاً: الذين قتلوا في سبيل الله، والشهداء من الملائكة والشهداء من الجوارح والألسن والأيدي والجلود لإقامة الحجة عليهم وقطع المعذرة، وقد تعني كل ذلك.

﴿وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾: يبين الخلائق بين العباد. والذي يقضي هو الله سبحانه وتعالى ويقضي بالحق الباء للإلصاق، والحق هو العدل. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٦٢) لبيان معنى الحكم والقضاء والفصل.

والقسط، أي: قضاء لا ظلم فيه يقضي الله سبحانه للمظلوم من الظالم. ﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾: لا ينقصون من ثوابهم حسنة ولا يزداد في سيئاتهم سيئة، وكما جاء في آية أخرى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

[٧٠] ﴿وُوفِيَ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾:

﴿وُوفِيَ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾: أي: أعطيت كل نفس جزاءها كاملاً من خير أو شر. ووفيت بصيغة الماضي كأن الأمر قد حدث وانتهى، رغم أنه لم يقع بعد، والزمان الماضي والحاضر والمستقبل عند الله واحد؛ لأنه هو خالق الزمان والمكان.

ما عملت: ما: الذي عملت، العمل يشمل القول والفعل معاً.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير يعود على الله سبحانه يفيد التوكيد.

﴿أَعْلَمُ﴾: على وزن أفعل أو أفضل صيغة مبالغة.

لا يحتاج إلى كتاب أو سجل أعمال، ولا يحتاج إلى شهود في حكمه وقضائه.

﴿بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: الباء للإلصاق، ما: الذي أو مصدرية.

بما يفعلون بقصد، أو بغير قصد، أي: بغير نية.

ولم يقل: بما فعلوا، يفعلون بصيغة المضارع حكاية الحال، أي: كأنه يفعلونه الآن... وهو أعلم بما يفعلون الآن في الدنيا؛ لذلك جاء بصيغة المضارع.

لماذا لم يقل: بما يعملون، واختار يفعلون:

يعملون: العمل يشمل القول والفعل. والعمل يكون غالباً بقصد ونية. والعمل أكثر ما يكون صادر عن الإنسان، وقلما ينسب إلى الحيوان.

يفعلون: الفعل: جزء من العمل ويكون بقصد ونية، أو بغير قصد ونية يصدر عن العاقل وغير العاقل.

فاختار يفعلون: لتضم كل الأفعال بنية (بقصد) أو بغير نية (بغير قصد) وتعم العاقل وغير العاقل.

ولو قال: يعملون: لما تَضَمَّنَت الأفعال بغير قصد (بغير نية).

[٧١] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾:

﴿وَسِيقَ﴾: من السَّوق: وهو الحث على السير بعنف وشدة والسائق هم الملائكة، يسوقون الذين كفروا.



﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ولم يقل: بربهم: حذف ذكر ربهم؛ لأنهم لا يستحقون أن تضاف إليهم كلمة ربهم، وكلمة الرب تحمل معنى المحبة والأمن والتشريف، والربوبية: فيها معنى الرعاية، والرحمة، والتكريم، فهم لا يستحقون ذلك.

﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمرًا﴾: إلى جهنم: ارجع إلى الآية (٣٢) من نفس السورة لبيان معنى جهنم. الزمرة الجماعة القليلة. زمراً: تعني: جماعات بعضها في أثر بعض. يتلو بعضها بعضاً: جماعة المشركين، جماعة الظالمين، جماعة الكافرين، جماعة المجرمين، المنافقين، تاركي الصلاة.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية شرطية.

﴿جَاءُوهَا﴾: وصلوا إلى جهنم أو قدموا إليها.

﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾: جواب الشرط: أي: فتحت بعد أن كانت مغلقة ففتحت ليدخلوها، كما هو الحال في السجن الذي أبوابه مغلقة ثم تفتح لدخول المجرمين.

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾: قال لهم خزنة جهنم: اللام لام الاختصاص، لهم خاصة وليس لغيرهم.

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة همزة استفهام تقرير وتوبيخ.

﴿يَا أَيُّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾: أي: يأتكم رسل من جنسكم تعرفونهم ويعرفونكم.

﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾: يتلون من التلاوة والتلاوة مقيدة بأن تكون

من الكتب المنزلة كالقرآن والتّوراة والإنجيل... وتلا يعني: قرأ، وتكون تلاوة من كتاب أو عن حفظ.

ولم يقل: يقصون عليكم آيات ربكم؛ لأن يقصون تشمل ما أنزل من الكتب، وما لم ينزل من غير كتاب وقصّ أعم من تلا، كما قال تعالى: ﴿يَبَيِّنْـَآدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِى﴾ [الأعراف: ٣٥] وبني آدم تعني الكل الجن والإنس، وكذلك: ﴿يَمْعَشِرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِى﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وتعني الجمع، أما آية الزمر: فتعني قسم قليل من أولئك؛ أي: جماعة من كفرة المسلمين، أو غيرهم من أصحاب الكتب.

﴿وَنُذِرُوكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾: الإنذار يعني: الإعلام مع التحذير والتّخويف من شر يومكم هذا، أي: يوم القيامة ينذرونكم حتّى تستعدوا بالتّقوى بالإيمان والعمل الصالح. وأكد الإنذار بزيادة التّون في ينذرونكم ولم يقل: ينذروكم.

﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾: أي: أتونا وتلوا علينا.

﴿وَلَكِن﴾: للتوكيد والاستدراك.

﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: حقت: وجبت كلمة العذاب على كلّ من كفر وأشرك بالله، وقيل: كلمة العذاب: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

فهم اعترفوا بذنوبهم.



[٧٢] ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْتَسِمْوْا الْمُتَكَبِّرِينَ﴾:

بعد الإقرار والاعتراف بذنوبهم قيل لهم من الملائكة:

﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾: حيث لها سبعة أبواب ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ

مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

وقيل: الأبواب أبواب الدركات أي: أحد الأبواب السبعة. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان، وسورة الحجر آية (٤٤) للبيان، وذكر الأبواب في هذه الآية، ولم يذكر أبواب الجنة قد يشير إلى عدم خروجهم منها كما قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ [الجاثية: ٣٥].

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: الخلود يبدأ من زمن دخولهم جهنم، ويستمر إلى ما شاء الله، ولم يذكر (خالدين فيها أبداً): لعل بعض هؤلاء من أهل التوحيد، ولن يبقوا فيها أبداً.

﴿فِئْتَسِمْ﴾: الفاء للتوكيد بئس فعل من أفعال الذم العامة مثل ساء (من الأفعال الخاصة).

﴿مُتَكَبِّرِينَ﴾: ارجع إلى الآية (٦٠) من نفس السورة للبيان، والآية (١٥١) من سورة آل عمران للبيان، والفرق بين متوئ ومأوى، وارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لبيان معنى المتكبرين.

وقدم سيق (الذين كفروا) على سيق (الذين اتقوا ربهم)؛ لأن سيق هذه الآية قوله تعالى: (وما قدرُوا الله حق قدره) وربما لكثرة عددهم والله أعلم.

[٧٣] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ﴾: سوق بتكريم وعطف، وذكر معهم كلمة ربهم؛ لأنهم يستحقون التشريف والرعاية من ربهم بعكس الذين كفروا لم يذكر معهم كلمة ربهم.

﴿زُمَرًا﴾: جماعات جماعات. انظر في الآية (٧١) من نفس السورة.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا جَاءُوهَا﴾: انظر في لآية (٧١) من نفس السورة.

﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾: أي: أبوابها فتحت لهم من قبل وصولهم تكريماً لهم واستقبلاً، أي: يجدونها مفتوحة لهم، كما قال الله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَهُمْ﴾ [الزُّمَرُ: ٥٠].

بينما أهل النار فتحت لهم (من دون واو) يجدونها مغلقة أمامهم، ثم تفتح لهم.

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: أي: الملائكة الموكلون بالجنة.

قالوا لهم: اللام لام الاختصاص.

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلامٌ: بصيغة النكرة؛ لأنها أعم وأشمل من السلام، فالسلام تعني: سلام التحية فقط، أما سلام (النكرة): هو سلام تحية وسلام من كل آفة ومرض وسلام أمن.

﴿طِبْتُمْ﴾: سعدتم سلمتم نجيتم أو طاب سعيكم.



﴿فَادْخُلُوهَا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة أو السببية والتعليل.

ادخلوها: أي: الجنة.

﴿خَالِدِينَ﴾: الخلود البقاء الدائم المستمر يبدأ من زمن الدخول إليها.. إلى ما لا نهاية.

[٧٤] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾: وهل عندهم أدنى شك في صدق الله لوعده؟

المعنى: الحمد لله الذي وفقنا لأن نكون أهلاً لوعده.

﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾: أرض الجنة الأرض الجديدة كأنهم ورثوها من غيرهم. لأن أهل الجنة يرثوا عن أهل النار مقاعدهم في الجنة، ويرث أهل النار عن أهل الجنة مقاعدهم في النار.

﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾: أي: يتبوأ وينزل ويسكن في جنته حيث يشاء من شدة سعتها، ولا يعني ذلك نسكن حيث نشاء أو كيف نشاء، ولكن فيما خصص الله سبحانه له وحسب درجته. ارجع إلى سورة يونس آية (٨٧)، وآية (٩٣).

﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾: الفاء للتوكيد، نعم: من أفعال المدح.

فنعم أجر العاملين: يعني: الأجر العظيم بزيادة الفاء، وجاءت بزيادة الواو: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦]، وجاءت بدون الفاء أو الواو (نعم أجر العاملين) كما في سورة العنكبوت آية (٥٨)، فما هو الفرق بين تلك الآيات؟

فإذا قارنا قوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ مع قوله تعالى: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦]؛ نجد أن: فنعم (بالفاء) أعظم أجراً من (ونعم)، ونعم (بالواو) أعظم أجراً من (نعم) بدون الفاء والواو؛ إذن: الدرجة الأولى: فنعم، والدرجة الثانية: ونعم، والدرجة الثالثة: نعم.

أمثلة: فنعم بالفاء: تشير إلى أعظم الأجر؛ الأجر العظيم.
ونعم بالواو: تشير إلى الأجر الأقل درجة من الأجر العظيم (قبل الأجر الكبير).
نعم بدون فاء أو واو: تشير إلى الأجر الأقل درجة من الكبير (مثل الأجر الحسن أو الكريم).

ويكون التدرج من الأعلى إلى الأدنى على التالي فنعم، ونعم، نعم.





سُورَةُ غَاثِرٍ ٤٠

الجزء الرابع عشر

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَاثِرٍ

آيَاتُهَا ٨٥

رَتَبَاتُهَا ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَدِّلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَعْرِزُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾



سورة الزمر [الآية ٧٥]

[٧٥] ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ﴾: سادة الملائكة أشرف الملائكة (أي: المقربين).

﴿حَافِينَ﴾: جمع حاف، حَفَّ بالشيء أحاط به والحفاف الجوانب والحفة: الجانب.

﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾: من تعني القرب والإلصاق، أي: ليس هناك فراغ بين العرش والملائكة كأنهم ملتصقين بالعرش.

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: كقوله: ﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ [الصفات: ١٦٥] بمعنى الصلاة، و﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصفات: ١٦٦].

﴿يُسَبِّحُونَ﴾: بالذكر والقول: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

والتسبيح هو تنزيه الله تعالى. ارجع إلى الآية (٦٧) من نفس السورة للبيان، وسورة الإسراء آية (١).

يسبحون: تفيد التكرار التجدد والاستمرار تسبيحاً مصحوباً بالحمد؛ لأنَّ التسبيح ثناء على الله، أمّا الحمد فهو شكر الله على نعمة الظاهرة والباطنة.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: قضى من القضاء وهو الحكم والفصل بينهم، أي: بين



الملائكة كقوله: ﴿وَمِمَّا إِلاَّهٖ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصفات: ١٦٤]، أي: يأخذ كل منهم منزلته وجزاءه الذي يستحقه، أو بين النبيين وأممهم والشهداء والأمم، أو بين أهل الجنة وأهل النار: بإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: (وقيل) مبني للمجهول، القائل إما الملائكة، أو الملائكة وأهل الجنة كلاهما. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٦٢) لمزيد من البيان في معنى الحكم والقضاء والفصل.





الجزء العزیز

سُورَةُ غَافِرٍ ٤٠

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِرٍ

آياتها ٨٥

رقبتها ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرٍ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يَجِدُلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَمْجَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾





سورة غافر [الآيات ١ - ٧]

ترتيبها في القرآن (٤٠) وأما ترتيبها في النزول (٦٠) نزلت بعد سورة الزمر.

سورة غافر: سميت بهذا الاسم؛ لقوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ وتسمى سورة المؤمن (مؤمن آل فرعون).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَم﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة: وهذه أول سور القرآن التي تبدأ بـ(حم) فهناك سبع سور في القرآن متتالية تبدأ بـ(حم) وهي: غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، والأحقاف.

[٢] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾:

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾: ارجع إلى الآية (١) من سورة الزمر للبيان.

العليم: ذكر اسم العليم (١٤٠) مرة في القرآن، وعلماً (٢٢)، وعلام (٤)، والعليم: صيغة مبالغة لعالم؛ أي: كثير العلم.

العليم: المحيط علمه بكل شيء لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا يخفى عليه خافية؛ فهو عالم غيب السموات والأرض، وعلام الغيوب؛ أحاط علمه بالماضي والحاضر والمستقبل، وعنده مفاتيح الغيب، وما

تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا يعلمه.

العليم بمثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وذرات الرمال.

العليم بجميع خلقه وكونه ما يجري فيه من أحداث، العليم بما يعملون ويصنعون ويفعلون، العليم بالمتقين والمفسدين والظالمين، والعليم بكل شيء وبذات الصدور، والمحيط علمه بجميع المخلوقات ذواتها وأوصافها وأفعالها وأمورها ومستقرها ومستودعها، والعليم بالعالم العلوي والسفلي وكل العوالم. وجاء اسم العليم مقترناً مع: السميع العليم، والحكيم العليم، والعزیز العليم، والفتاح العليم، والعليم الخبير، والعليم القدير، والعليم الحليم، والعليم الحكيم.

ثم وصف ذاته بست صفات فقال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾.

[٣] ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾:

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾: يغفر الذنب، فلا يعاقب عليه ويعفو عنه ويمحوه؛ لأنه هو الكريم. والذنب تعريفه: كل فعل تستوخم عقابه، والذنوب قيل: هي الخطايا. وغافر: اسم فاعل يدل على الثبوت والاستمرار، والتجدد.

﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾: زيادة الواو فقط إلى هذه الصفة، أو فصل بالواو بين غافر الذنب وقابل التوب؛ للاهتمام والتوكيد على هذه الصفة والاهتمام بها؛ أي: التوبة عن غيرها فهو سبحانه يغفر الذنب ويقبل التوبة.

وقابل التوب (اسم فاعل) يدل على الثبوت؛ أي: دائم القبول للتوبة فهو



غافر الذنب وقابل التوب. التوب: جمع توبة، والتوب مصدر تاب وهي الرجوع عن الذنب، ولم يقل قابل التوبة (الواحدة) وإنما قابل التوب (جمع توبة) أي: يقبل كل توبة عن عباده. قابل التوب للمؤمنين التائبين للترغيب والحث على الإيمان. ارجع إلى لايتين (١٧-١٨) من سورة النساء لبيان معنى التوبة وأركانها.

والاستغفار يأتي قبل التوبة؛ أي يستغفر ثم يتوب.

والتوبة من أسباب المغفرة، والتائب غير المعتذر. المعتذر يبرر خطاه ويقدم العذر، أما التائب يقول: لا عذر لي ويعترف بذنبه.

﴿شَدِيدَ الْعِقَابِ﴾: العقاب مأخوذ من التعقيب والمعاقبة، وفاعل الذنب يستحق المعاقبة بعد فعل الذنب مباشرة بدون تأخير؛ أي: يستحق العقاب مباشرة في الدنيا، ولكنه سبحانه يؤخره لعله يتوب ويسقط عنه؛ فالعقاب: يقع في الدنيا فقط بينما العذاب قد يؤخر وقد يقع في الدنيا والآخرة، والعذاب أوسع من العقاب. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢١١) لمزيد من البيان، والفرق بين العقاب، والعذاب.

﴿ذِي الطَّوْلِ﴾: ذي الفضل، أو أهل الطول والفضل، الطول: الغنى والسعة، واستعمال (ذي) بدلاً من صاحب أو غيرها؛ لأنّ ذا أو ذي أشرف في اللفظ وأبلغ في الثناء والمعنى من صاحب؛ لأنّ ذا تضاف للتابع مثال: (ذا النون) وصاحب تضاف للمتبوع (صاحب الحوت) والتابع أشرف وأفضل من المتبوع، مثال: له المال، وصاحب المال، فقولك: صاحب المال أدنى من قولك: له المال - وإذا نظرنا إلى السياق نجد أنّ ذا النون جاءت في سياق ذكر النعم، وصاحب الحوت جاءت في سياق النهي عن العجلة فقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾.



﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٥٥) من سورة البقرة للبيان.

﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾: إليه تقديم الجار والمجرور؛ ليدل على الحصر؛ أي حصر إليه مرجع الخلائق كلها، إليه النهاية: أي الوقوف بين يديه هو المصير (للمحاسبة).

[٤] ﴿مَا يَجْدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَعْرِزُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ﴾:

المناسبة: كأنه قيل: ما دام هذا القرآن منزلاً من عند الله العزيز العليم فما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا.
﴿مَا﴾: النافية.

﴿يَجْدِلُ﴾: من الجدل هو: حوار بين طرفين أو أطراف لإثبات حق أو إظهار حجة أو دفع شبهة، يحصل فيه اختلاف في الآراء.

﴿فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾: في الآيات الدالة على البعث والحساب والدار الآخرة ووحدانيته وأنه هو الإله الحق، أو صدق ما جاء به محمد ﷺ أو صدق نبوته.

﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: إلا أداة حصر، الذين كفروا: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث والحساب، وجدال الذين كفروا هو: جدال بالباطل ليدحضوا به الحق كما قال تعالى: ﴿وَيَجْدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦].

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: الناهية.

﴿يَعْرِزُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ﴾: الغرر: هو إيهام يحمل الإنسان على أن يظن شيئاً أو أمراً ما حسناً وهو ضد ذلك، فكأن الغرور يوقع المغرور فيما هو غافل عنه من الضرر، وأصل الغرور الغفلة. والخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ وأمة.



أي: فلا تغتر أنت ومن اتبعك من المؤمنين بتقلب الذين كفروا في البلاد،
بتجارتهم وزراعتهم وصناعاتهم وسعة رزقهم وما هم فيه من رغد العيش.
﴿تَقَلُّبُهُمْ﴾: يعني ضربهم في الأرض؛ أي: سفرهم للتجارة وكسبهم المال،
وغيرها.

لنقارن هذه الآية (٤) من سورة غافر قوله: ﴿فَلَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ مع
الآية (١٩٦) من سورة آل عمران قوله: ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾.
في آية آل عمران أكد النبي بعدم الاغترار بإضافة نون النسوة إلى يغرك؛
لأن السياق في آل عمران في الهجرة والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس.
أما السياق في آية غافر: في الجدال في الآيات.

[٥] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ
لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: أي كذبت قبل قريش قوم نوح، ونوح هو أول رسول
بعث للنهي عن عبادة الأصنام وكذبت، ولم يقل كذب؛ للدلالة على الكثرة (تاء
التأنيث تدل على الكثرة) وكذب تدل على القلة، كذبت قبلهم قوم نوح نوحاً عليه
السلام ولم يؤمنوا به رغم مرور (٩٥٠) سنة على دعوته إياهم.

﴿وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: الأحزاب جمع حزب، من بعدهم: أي من بعد
قوم نوح وهم الأمم الذين تحزبوا على رسلهم وأنبيائهم بالكذب والإعراض
وعدم الإيمان والقتل أمثال: عاد وثمود ومدين وأصحاب الأيكة وقوم لوط وقوم
فرعون.

﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾: وهمت من الهم، والهم نوعان:
ثابت إذا كان معه العزم، وعارض هو حديث النفس ولا عزم.



﴿كُلُّ﴾: للتوكيد.

﴿أَمَّةٌ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾: من الأخذ وهو: الأسر أو الحبس أو القتل والتعذيب، والأخذ وهو الأسير أصلاً، والأخذ قد يكون معناه الهلاك كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٤]. والباء برسولهم: للإلصاق.

﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ﴾: إذن هناك جدال بالحق أو جدال بالباطل.

والجدال بالحق هو جدال حسن، وكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وجدال بالباطل وهو المذموم.

والباطل هو الذّاهب الزّائل، وقيل: ما لا وجود له، وقيل: هو الكذب أيضاً.

والباء للإلصاق والملازمة، فجداهم كان كله باطلاً.

﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾: الالام لام التعليل. ليدحضوا به الحق: الدحض مأخوذ من الطّين الذي يلزق؛ أي تزل القدم في الطّين؛ أي: أرادوا إزالة الحق بالباطل فلم يستطيعوا. فهذه الآية تبين ما هو الهدف أو الغاية من وراء جدالهم.

﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، أخذتهم: أهلكتهم، والأخذ بقوة وشدة؛ يعني:

العقاب.

﴿فَكَيْفَ﴾: استفهام فيه تقرير وتعجب.

﴿كَانَ عِقَابٍ﴾: ارجع إلى الآية (٣) من السّورة نفسها لبيان معنى عقاب.

وعقاب: نكرة للتّهويل والتّعظيم؛ بالصّيحة بالرّجفة بالصّاعقة وبإرسال حجارة من طين، وغيرها من أنواع العقاب؛ أي: انظروا كيف كان عاقبتهم بالسّير في الأرض ورؤية مساكنهم أو آثارهم.



ولمقارنة هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ مع قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ارجع إلى سورة الرعد آية (٣٢).

وانتبه إلى ترابط الآيات السابقة في الآية (٤) قال تعالى: ﴿مَا يُجَدِّلُ فِيْ ءَايَتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تبين من هم الذين يجادلون في آيات الله.

وفي الآية (٥): ﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ تبين ما هو الهدف أو الغاية أو الدافع إلى الجدل في آيات الله هو إبطال الحق وردّ المؤمنين إلى الكفر، أو منع الآخرين من الإيمان أو الدخول في الإسلام واتباع الحق.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَدِّلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج: ٨] [لقمان: ٢٠]. فهي تبين حالة هؤلاء الذين يجادلون في الآيات، يجادلون بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

[٦] ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾:

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ﴾: أي كما وجب أو حكم بالعذاب على الأمم الماضية المكذبة لرسولهم، وجب أو ثبت على الذين كفروا بمحمد من كفار قريش أنهم أصحاب النار.

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: قيل: كلمة ربك هي: كلمة العذاب، أو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]، أو قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٨].

﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: حقت وثبتت على الذين كفروا؛ لأنهم هم الذين كفروا اختاروا ذلك، ولم تحقق عليهم بقهر وجبروت أو ظلم.

﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾: أن للتوكيد، أصحاب النار: ارجع إلى الآية (٣٩) من سورة البقرة للبيان، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٣٣) في سورة يونس وهي

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: نجد أن آية يونس جاءت في سياق الكل (المؤمن والكافر)، فمن خرج عن الحق أو المنهج هو فاسق فهم لا يؤمنون، وآية غافر: جاءت في سياق الذين كفروا فهم أصحاب النار.

[٧] ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾:

المناسبة: مقابل الحكم ووجوب كلمة العذاب على الذين كفروا برسلهم من الأمم الماضية، أوجب الله تعالى لعباده الذين آمنوا أشرف الملائكة المقربين؛ ليستغفروا لهم ويدعوا لهم بالوقاية من السيئات، وأن يرزقوا الجنة ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح والعلو.

﴿يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾: العرش هو أعظم المخلوقات على الإطلاق، أعظم من خلق السموات والأرض ومن خلق الإنسان، العرش الذي تحته جنة الفردوس، العرش الذي لا يحيط بعلمه إلا من خلقه سبحانه، وحملة العرش قيل: هم أربعة ويوم القيامة يصبحوا ثمانية؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾. ارجع إلى سورة هود آية (٧)، وسورة طه آية (٥) لبيان معنى العرش، وارجع إلى سورة الحاقة آية (١٧) لمزيد من البيان في يحمل عرش ربك.

﴿وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: ومن حوله من الملائكة المقربين الحاقين من حول العرش بدون أي مسافة أو فراغ بينهم وبين العرش، وهم سادة الملائكة وأشرافهم يسمون العالين كقوله تعالى: ﴿أَسْتَكَبرَتْ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥].



﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: يسبِّحون ينزهون الله سبحانه.

ارجع إلى الآية (٧٥) من سورة الزمر للبيان، يسبِّحون تسبيحاً مقروناً بالحمد على نعم الله الباطنة والظاهرة، وسورة الإسراء آية (١).

﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: ألم يقل سبحانه: يسبِّحون بحمد ربهم، ألا يدل ذلك على الإيمان به؟ فلماذا عاد وذكر: يؤمنون به؟ هذه الكلمة (يؤمنون به) لها معنى خاص بديع؛ أي: رغم كونهم حملة العرش أو من حول العرش يسبِّحون بحمد ربهم وآتهم العالين أشراف الملائكة، فهم لا يرون ربهم رغم قربهم منه فهم يؤمنون به بالغيب ولا يرونه.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: اللام في الذين لام الاختصاص، يستغفرون خاصة للذين آمنوا، فهؤلاء الذين يحملون العرش ومن حوله يستغفرون للذين آمنوا ويدعون لهم بالنجاة ودخول الجنة، ولم يقل: (يستغفرون لمن في الأرض). كما ورد في الآية (٥) من سورة الشورى وهي قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

فالملائكة المقربون (الخاصة) يستغفرون للذين آمنوا فقط، وعامة أو باقي الملائكة يستغفرون لعامة الناس.

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ حذفت ياء النداء للبعد؛ لأن الله سبحانه سميع قريب، وشيء: نكره يشمل كل شيء، والشيء كل ما يعلم، ويخبر عنه سواء كان حسياً أو معنوياً ويعني أقل القليل.

وذكر الملائكة ثلاث صفات لله تعالى هي: الربوبية والرحمة والعلم، فالربوبية تعني أنت الخالق والمدبر والمسيطر والرزاق، ورحمتك وسعت

وطالت وشملت كل شيء؛ لأن رحمته عامة تشمل المؤمن والكافر، والرحمة من معانيها الوقاية من العذاب، وكذلك وسع علمك أو أحاط علمك بكل شيء فلا يخفى عليك شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾: فاغفر: الفاء للتوكيد، اغفر: الغفر هو السّتر، اغفر: استر. والغفران: أخص من السّتر، ويقتضي الثواب؛ لأن السّتر وحده يعني: عدم فضحه، ويجوز أن يستر على الكافر والفاسق في الدنيا، فاغفر من الغفران، والغفران يعني: إسقاط العقاب، وإيجاب الثواب، فلا يستحق الغفران إلا المؤمن. للذين: اللام لام الاختصاص، الذين اسم موصول يفيد المدح، تابوا: من الشّرك والمعاصي والذنوب وندموا على ما فعلوا ولم يعودوا إلى ذنوبهم.

﴿وَاتَّبِعُوا سَبِيلَكَ﴾: دين الإسلام؛ أي أخلصوا دينهم لك وعبدوك وحدك. ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾: نجّهم من عذاب الجحيم: الجحيم من حجم النّار: أو قدرها فاشتد لهيبها، والجحيم: النّار المتأججة أو شديدة التأجج، وقيل: هي دركة من دركات السّبع.





سُورَةُ غَاثٍ ٤٠

الجزء الرابع والعشرون

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ
مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ
يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ
أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾
قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا
فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ
اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوُمنُوا فَلِلْحُكْمِ لِلَّهِ
الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ
لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾
فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾
رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى
عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

سورة غافر [الآيات ٨ - ١٦]

[٨] ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

المناسبة: قيل: أكمل الدعاء طلب الجنة والنَّجاة من النَّار معاً، وهكذا كان دعاء الملائكة: اشتمل على الأمرين معاً.

﴿رَبَّنَا﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾: عدن تعني إقامة دائمة لا تزول ولا تنتهي.

ارجع إلى سورة ص آية (٥٠) للبيان.

﴿الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾: على لسان رسلهم وفي كتابك العزيز.

﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾: من ابتدائية استغراقية؛

أي: كل من صلح، صلح: أي كان مؤمناً موحداً قد عمل الصالحات.

وأزواجهم: أي الذكور والإناث (الزوج يعني الذكر والأنثى)، وذرياتهم:

(الأولاد والبنات)، وهذا من فضل الله ورحمته على عباده المؤمنين.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾: إنك للتوكيد، أنت للاختصاص والتوكيد.

﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي الغالب الذي لا يُغلب والقاهر الذي لا يُقهر، والممتنع

لا يضره أحد من خلقه ولا يحتاج لأحد من خلقه.



﴿الْحَكِيمُ﴾: في تدبير خلقك وكونك، فأنت أحكم الحاكمين وأحكم الحكماء. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

نظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الطور آية (٢١): ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

[٩] ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾: يا رب، وفقهم للأعمال الصالحة وجنبهم فعل المعاصي أو اصرف عنهم السيئات، وبالتالي جنبهم العذاب الناجم عنها، والسيئات: جمع سيئة وهي: فعل القبيح، والسيئات تشمل الصغائر، وقيل: تشمل الصغائر والكبائر، وهي كلمة خاصة بينما السوء كلمة عامة، والسوء اسم مصدر ويعني: كل ما يُسيء إلى النفس من الأقوال والأفعال.

والوقاية تكون بتجنب السيئات وقبول التوبة.

﴿وَمَنْ﴾: شرطية.

﴿تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ﴾: أي من تقه برحمتك؛ أي: تجنبه عمل السيئات أو تقه جزاء سيئاته يوم القيامة فلم تعاقبه عليها.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، قد للتحقيق والتوكيد.

﴿رَحِمْتَهُ﴾: برحمتك الواسعة؛ أي: سترته وعفوت عنه وأنجيته من النار.

﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: حرف الواو والضمير هو: كلاهما يفيدان

التوكيد، ذلك: اسم إشارة واللام للبعد تشير إلى الوقاية من السيئات، الفوز

العظيم. تعريف الفوز: هو النجاة أو الخلاص من المكروه وبلوغ الغاية أو المحبوب (المطلوب أو المرجو).

والفوز العظيم: هو الفوز الذي لا يعلوه فوز؛ أي: أعظم درجات الفوز وأعظم من الفوز المبين، أو الفوز الكبير. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٣) لمزيد من البيان.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾:

بعد أن ذكر الله سبحانه في الآية (٤): ﴿مَا يَجْدُلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يبين الله سبحانه في هذه الآية أحوال الذين كفروا يوم القيامة واعترافهم بذنوبهم فيقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: إن للتوكيد، الذين كفروا: في الدنيا وماتوا وهم كفار.

﴿يُنَادَوْنَ﴾: أي يوم القيامة، ويُنادون (مبني للمجهول)، تناديهم الملائكة أو خزنة جهنم، وهم يعدّون في النار، ينادون: فيها نون التوكيد على المناداة.

﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: اللام للتعليل، المقت: هو أشد الكره، وأكبر: على وزن أفعّل؛ أي: أشد درجات البغض والكره، ودرجات الكره والبغض بالتدرج من الأدنى إلى الأشد: البغض القلي الشنآن ثم المقت (فقه اللغة).

أي: إن كنتم تمقتون أنفسكم الآن وتكرهونها أشد الكراهية، فاعلموا أن مقت الله لكم في الدنيا كان أشد من مقتكم أنفسكم وأنتم في النار أو الآن؛ لأنكم كنتم تدعون إلى الإيمان فتكفرون.



﴿إِذْ نَدَعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾: إذ ظرفية زمانية بمعنى حين، وشرطية أي: مقت الله لهم في الدنيا كان أشد من مقتهم أنفسهم الآن؛ حيث كانوا يكفرون بالله حين يدعون إلى الإيمان، ولم يقل إذ دُعيتم إلى الإيمان، تدعون تدل على المرات العديدة والتجدد والتكرار في الدعوة، ودُعيتم تدل على القلة أو المرة الواحدة، فتكفرون: الفاء رابطة (جواب الشرط) وتكفرون تفيد التوكيد والتكرار والتجدد في الكفر. وتكفرون: تدل على الحدث؛ أي: فعل الكفر.

[١١] ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾:

تعريف الموت: هو عدم الحياة مطلقاً هو انعدام الحياة (عدم وجود أي أثر للحياة)، ويكون ذلك بخروج الروح من الجسم (الجسد)، أو عدم وجود لا جسم ولا روح؛ فالروح هي التي تبعث الحياة في الجسم، والموت: هو إذهاب الحياة بعد الموت؛ أي: خروج الروح من البدن، فالموت هو العدم المطلق سواء كان قبله حياة أو لم تكن قبله حياة.

﴿أَمَتْنَا أَثْنَيْنِ﴾: أي إماتتين أو موتتين الأولى حين كنا أمواتاً في أصلاب الآباء، والثانية: الموت الذي يحدث بانقضاء الأجل (الموت المعروف) بعد الحياة الدنيا.

﴿وَأَحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ﴾: الأول: حين الولادة والقدوم إلى الحياة الدنيا أو التي بدأت (في أرحام الأمهات) والثاني: حين البعث والنشور.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].



﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب، بذنوبنا: كالشرك والكفر والفساد والعصيان وإنكار البعث والحساب أو الجدل في الآيات.

أما سرّ اعترافهم هذا: هو أنّهم يرجون من وراء الاعتراف الخروج من النار مستعطفين قائلين: فهل إلى خروج من سبيل؟ وقد بين الله سبحانه في آية أخرى أنّ الاعتراف بالذنب في ذلك الوقت يوم القيامة لا ينفع كما قال الله تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَمَسْحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١].

وقولهم: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].
﴿فَهَلْ﴾: الفاء للتوكيد، هل: استفهام للتمني.

﴿إِلَى﴾: تشمل كل الغايات.

﴿خُرُوجٍ﴾: خروج نكرة؛ تعني أي نوع من الخروج: سريع بطيء قريب أو بعيد. أو خروج من أي عذاب مهما كان نوعه أو شكله.

﴿مِنْ﴾: استغراقية تشمل أي سبيل أو طريق أو وسيلة مهما كانت.

﴿سَبِيلٍ﴾: من طريق للخروج والنّجاة؛ سبيل: نكرة؛ أي: هل هناك من أي طريق للخروج من النار والعودة إلى الدنيا أو النّجاة من النار؟

إذن فلا خروج ولا سبيل كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

وقولهم هذا دليل على يأسهم وتحيرهم، وجواب الاستفهام حذف؛ أي: لا سبيل ولا خروج، وعلل ذلك بقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُمْ بِكَادِبُونَ﴾

[الأنعام: ٢٨].



[١٢] ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾:

﴿ذَلِكُمْ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد والكاف للخطاب، ولم يقل ذلك؛ لأن (ذلكم) أهم وأؤكد من ذلك ولأنها تشير إلى أكثر من أمر.

وذلكم: أي الاعتراف بالذنوب لا ينفع الآن ولا سبيل للعودة إلى الدنيا أو الخروج من النار.

﴿بِأَنَّهُ﴾: الباء: للتعليل؛ أن: للتوكيد؛ أي: سبب ذلك أنه إذا دُعي الله وحده كفرتم؛ أي: كفركم وشرككم بالله تعالى.

﴿إِذَا﴾: ظرفية للزمن الماضي بمعنى حين، وشرطية.

﴿دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾: إذا دعاكم أحد في الدنيا إلى الإيمان بالله وحده كفرتم.

﴿كَفَرْتُمْ﴾: أي جحدتم وكذبتهم ولم تؤمنوا. ارجع إلى سورة البقرة آية (٦) لمزيد من البيان في الكفر.

﴿وَإِنْ يُشْرَكَ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والشك، يُشرك بالله: بأن له ولداً أو شريكاً في الملك أو آلهة أو أصناماً.

﴿تُؤْمِنُوا﴾: تصدقوا وتقرؤا بالشرك وتدعوا إليه.

﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾: الفاء للتوكيد، الحكم: القضاء بما أشركتم وكفرتم. لله: اللام لام الاختصاص، الحكم لله وحده يوم القيامة وهو الحكم العدل ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١]. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٦٢) لبيان معنى الحكم والقضاء.



﴿الْعَلَى﴾: علو الجلال والكمال العليّ بسلطانه وقدره، عليّ الذات والصفات والأسماء. ارجع إلى سورة الحج آية (٦٢) لمزيد من البيان في العليّ.

﴿الْكَبِيرِ﴾: العظيم الشأن أكبر من كلّ شيء وأعظم من كلّ شيء، وكلّ شيء بالنسبة له صغير، وأكبر من أن تدركه العقول والحواس.

[١٣] ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾:

﴿هُوَ﴾: تعود على العلي الكبير الصفة الأولى، هو للتوكيد.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾: الصفة الثانية، آياته الكونية بما أودع في سمائه وأرضه من الآيات الدالة على عظمته وقدرته ووحدانيته مثل الشمس والقمر والليل والنهار والنجوم والكواكب والجبال والبحار والسحاب والبرق والرعد والصواعق الدالة على أنه هو الإله الحق واجب الوجود.

الخطاب للناس كافة، يريكم: رؤية بصرية.

﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص (الصفة الثالثة).

﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: من السحاب الركامي، والسماء تعريفها: هي كلّ ما علاك.

﴿رِزْقًا﴾: أي المطر سمي بالرزق (بالمجاز المرسل) المطر الذي هو سبب الرزق لكم كما قال تعالى: ﴿مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ١٠ يُنِيبُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴿[النحل: ١١].

والرزق يشمل الطاقة الشمسية وإنزال الحديد، والنجوم المليئة بالمعادن الثمينة.



﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾: الواو: استثنائية، ما النافية.

يتذكر: هذه الآيات ويتعظ بها ولا ينساها.

إلا: أداة حصر؛ أي: لا يغفل عن آيات الله الذي ينيب إلى الله مراراً وتكراراً.

من: استغراقية.

ينيب: الإنابة: السرعة في التوبة وكل منيب تائب وليس كل تائب منيباً، فالمنيب هو الذي يذنب الذنب فيسارع في التوبة، والمنيب سريع التذكر كلما أذنب أعقبها بتوبة سريعة.

والتذكر والإنابة يوجبان الإخلاص.

[١٤] ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾:

﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾: الفاء: ادعوا الله؛ أي: اعبدوه وحده وتضرعوا له بالدعاء وطلب العون.

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: مخلصين في عباداتكم بدون أي شرك أو رياء، موحدين توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

له: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر والقصر له وحده.

الدِّين: ارجع إلى سورة البقرة آية (١٣٢) لبيان معنى الدين.

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾: الواو للتوكيد، كره: أي يؤلم ويشق على الكافرين توحيدكم وإخلاصكم، فلا تبالوا بهم.



[١٥] ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾:

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾: هذه هي الصِّفَةُ الرَّابِعَةُ، رفيع على وزن: فعيل من الفعل رفع.

رافع الدَّرَجَاتِ لأوليائه الصَّالِحِينَ كقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥] بأن أنزل عليهم كتبه وأرسل إليهم رسله وشرع لهم الإسلام ديناً، فبذلك رفعهم ولم يتركهم بدون منهج.

أو قد تأتي على وزن: مفعول؛ أي: مرتفع الدَّرَجَاتِ في ذاته وصفاته صفات الجلال والكمال، مرتفع عن كل شيء وعلى كل شيء وعلى خلقه بصفاته العلى ودرجاته وقدره وشأنه.

﴿ذُو الْعَرْشِ﴾: الصِّفَةُ الْخَامِسَةُ، ذو: ارجع إلى الآية (٣) للبيان.

ذو العرش: خالقه ومالكه؛ أي: رب العرش العظيم ورب العرش الكريم. ولمزيد من البيان ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة التَّوْبَةِ، وسورة طه آية (٥)، وسورة هود آية (٧).

﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: يُلْقِي الرُّوحَ (أي الوحي) فسمى الوحي روحاً، والوحي يعني: القرآن، والقرآن هو روح، أو غيره من الكتب والصِّحَفِ السَّمَاوِيَةِ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]؛ (أي القرآن الكريم) وسمى روحاً؛ لأنه تحيا به القلوب كما تحيا الأبدان بالأرواح.

﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾: من قضائه أو بأمره ومن أقواله أو من شرائعه.

﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: على من يصطفي من عباده من الرُّسُلِ والأنبياء.



﴿لِنُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾: اللام للتعليل؛ أي: للتبليغ والدعوة والإنذار، والإنذار: هو الإعلام مع التحذير والتخويف، يوم التلاق: يوم القيامة وسمي يوم التلاق؛ لالتقاء أهل السماء بأهل الأرض، والأولين والآخرين والتابع والمتبوع. والظالم والمظلوم يلتقي فيه العباد.

لينذر يوم التلاق: أي للاستعداد لذلك اليوم وتجنب شره.

يوم التلاق: ولم يقل يوم التلاقي؛ حذف ياء المتكلم ليتناسب مع قصر زمن التلاق فلن: يدوم التلاقي بينهم طويلاً كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥].

وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۖ وَصَاحِبَتُهُ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤]-

[٣٦].

[١٦] ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾:

﴿يَوْمَ هُمْ﴾: يوم التلاق، أو يعني يوم البعث، وجاء بصيغة النكرة للتحويل والتعظيم، وهم للتوكيد.

﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ﴾: من البراز، الظهور والانكشاف.

﴿بَرْزُورٌ﴾: خارجون من الأجداث (ظاهرون) لا يسترهم شيء من جبل أو شجر أو أكمة أو بناء أو لباس، يساقون إلى أرض المحشر، وبارزون في أرض المحشر؛ الأرض الجديدة كما وضعها عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ ۝١٦ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨].

عراة لا يسترهم شيء.



﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾: لا النَّافِية، لا يستتر على الله منهم أحد بجبل أو شجر أو منخفض أو مرتفع، أو الكل بارزون لا يخفى عليه منهم شيء في أرض المحشر، وفي هذا تهديد ووعد لهم؛ لأنَّ الله سبحانه لا يخفى عليه منهم شيء لا اليوم ولا يوم الحشر ولا أيَّ يوم، فإذا كانوا يتوهمون أنَّهم يستطيعون أن يستتروا من الله يوم القيامة فالله سبحانه يخبرهم بأنه لن يحدث ذلك.

كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٣].

﴿مِنْهُمْ﴾: قد لا تعني فقط كأفراد بل كذلك أعمالهم أو حتَّى نواياهم وغيرها؛ لأنَّ (من) استغرافية.

﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾: يسأل الله سبحانه هذا السؤال، قيل: بعد نفخة الصَّعق وفناء الخلائق فلا يجيبه أحد، فيجيب نفسه: لله الواحد القهار.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام لام الاختصاص والملكية، فهو المنادي وهو المجيب.

﴿الْوَحْدُ الْقَهَّارِ﴾: الواحد: الذي لا شريك له ولا ولد، ولا آلهة ولا أصنام. ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) لبيان معنى أحد وواحد. القهار: صيغة مبالغة من القهر، والقهر: هو الغلبة والقدرة سواء أكانت طوعاً أم كرهاً، وسواء أكان كماً أم كيفاً؛ أي: الذي يقهر ولا يُقهر، الذي قهر الخلق بالموت والغلبة والقهر الذي ذلَّت له كلُّ مخلوقاته. ارجع إلى سورة (ص) آية (٦٥) لمزيد من البيان.





سُورَةُ الْحَجَرِ ٤٠

الْحَجَرِ ٤٠

الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ
 اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ
 لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَالٍ لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ
 يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾
 وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ
 شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي
 الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ
 كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
 بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ
 قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا
 وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَقَدَرُونَ
 فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ
 عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا
 نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾





سورة غافر [الآيات ١٧ - ٢٥]

[١٧] ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾:

﴿الْيَوْمَ﴾: يعني يوم القيامة يوم الحساب.

﴿تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾: تجزى من الجزاء على العمل، والجزاء يكون بالخير أو الشر.

﴿كُلُّ﴾: للتوكيد.

﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: الباء للإلصاق والتوكيد، ما: بمعنى الذي كسبت أو مصدرية، كسبت من خير أو شر، وكسبت تستعمل في سياق الخير إذا أطلق أو في سياق الشر إذا أصبح ممارسة الشر هيناً أو تدرب عليه المسيء فأصبح يمارسه كما يمارس الخير بدون أي خشية أو خوف واكتسبت تستعمل في سياق الشر عادة.

﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾: توكيد لـ: (تجزى كل نفس بما كسبت).

لا: النافية، ظلم اليوم: بنقص حسنة من ثواب الفرد، أو زيادة سيئة في عقابه. والظلم يعني النقص في إعطاء الحق كاملاً لصاحبه.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: إن للتوكيد، سريع الحساب: قادر على محاسبة خلائقه جميعاً كما يحاسب نفساً واحدة إذا شاء. أو حسب ما يختار من الزمان؛ لأنه سبحانه خالق الزمان.



[١٨] ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾:

﴿وَأَنْذَرَهُمْ﴾: الإنذار هو الإعلام المقترن بالتحذير والتخويف، والمخاطب هو رسول الله ﷺ: أنذر قومك؛ أي أمتك وبالتالي الناس أجمعين. وكما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبا: ٢٨].

﴿يَوْمَ الْأَرْزَاقِ﴾: يوم القيامة، والأرزاق: تعني القربة كقوله: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ ويوم الأرزاق؛ أي: دنا واقترب يوم القيامة، وسميت الأرزاق لقربها، أنذرهم ما سيحدث في ذلك اليوم من الأهوال والحوادث المرعبة؛ لكي يستعدوا له.

﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾: إذ ظرفية بمعنى حين وتعني المفاجأة، فمن شدة الهول والخوف وفضاعة الأمر كل ذلك يؤدي للتأثير في القلب فيؤدي إلى تسرعه وشدة النبض مما يجعل الخائف يشعر ضربات قلبه كأنها صادرة عن حنجرتة أي: كأن القلب تحرك وارتفع من مكانه وأصبح بجوار الحنجرة، دليلاً على شدة الفزع والخوف، وإذا قارنا لدى الحناجر (لدى جاءت بالألف المقصورة) مع الآية (٢٥) في سورة يوسف، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ نجد لدا جاءت في هذه الآية بالألف الممدودة، وقيل: الألف الممدودة جاءت في سياق الأمر المادي والمحسوس، وهو: الباب والألف المقصورة جاءت في سياق الأمر المعنوي كون القلوب لدى الحناجر.

﴿كَظِيمٍ﴾: من الكظم وهو الإمساك عن إظهار الغيظ أو تجرّع الغيظ واحتماله والصبر عليه.

أي: ممسكين غمّهم وغيظهم وحزنهم؛ لثلا يظهر للغير كما يمسك صاحب القربة فمها لثلا يخرج منها الماء، كناية عن شدة الفزع والغم.

﴿مَا لِلظَّالِمِينَ﴾: ما النَّافِيَة، للظالمين: اللام لام الاستحقاق أو الاختصاص.
﴿مِنْ﴾: ابتدائية استغرافية.

﴿حَمِيمٍ﴾: قريب ينفع، يقال: احتم فلان لفلان؛ أي: احتدّ لحمايته وفسر الحميم بالصديق أو المحب.

﴿وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ﴾: ولا شفيع يشفع له فتقبل شفاعته؛ أي حتّى ولو كان يستطيع الشّفاعه؛ أي مؤهل للشفاعة، لا يطاع ولو يطاع لا تقبل شفاعته، نفي الحاليتين معاً.

[١٩] ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾:

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾: الله يعلم كلّ حين تنظر العين إلى ما نُهي عنه؛ أي حين تنظر إلى شيء محرم أو إلى ما لا يحل إليه النّظر؛ أي: مسارقة النّظر إلى الشّيء المحرم ناهيك عن المجاهرة.

الخائنة: الخائنة صفة للنظرة تكون باستراق النّظر أو الاختلاس، والأعين جمع: عين، أداة النّظر، وعين قد تجمع عيون وهي عيون الماء التي تكون تحت الأرض.

﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾: أي القلوب من خير وشر، أو ما تحدّث به النّفس صاحبها من الهم أو العزم على المحرم أو التّخلي عنه، فالله سبحانه لا تخفى عليه خافية، وهذا إنذار وتحذير لكلّ من يرتكب تلك المعاصي ويظن أن الله لا يراه.



[٢٠] ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾:

وبما أن الله سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو قادر على أن يقضي بالحق.

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾: تقديم الفاعل على الفعل للاهتمام.

يقضي: يحكم، بالحق: أي بالعدل وبالقسط، الباء للإلصاق والملازمة؛ أي: دائماً يقضي بالحق يجزي السيئة بالسيئة والحسنة بعشر أمثالها أو أكثر، أو يغفر أو يعفو لمن تاب.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾: الذين اسم موصول يفيد الذم.

يدعون من دونه: يعبدون غيره من الشركاء والأصنام.

﴿لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾: لا النافية، يقضون: يحكمون، بشيء: وشيء نكرة تعني: أي شيء صغيراً أو كبيراً، أو حسياً، أو معنوياً، والشيء: هو أقل القليل.

﴿لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾: لأنهم لا ينطقون ولا يسمعون ولا يبصرون؛ لأنها جمادات.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾: إن: للتوكيد، هو: تفيد التوكيد.

﴿السَّمِيعُ﴾: لأقوالهم ودعائهم وسرهم ونجواهم وما يعلنون.

﴿الْبَصِيرُ﴾: بأعمالهم وعبادتهم وما يجري في معابدهم، وما يحدث في أقطار السموات والأرض.



[٢١] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ۖ﴾:

المناسبة: إذا كان الإنذار والوعيد لا يهز ولا يؤثر في قلوب هؤلاء الكفرة والمشركين، فلم لا يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان هلاك من سبقهم من الأمم الذين كذبوا رسلهم؟!

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾: الهمزة للاستفهام والحث، الواو تدل على الكثرة، ولكون الآية مجرد إخبار، ولو كان قبلها سبباً لما بعدها لجاء بالفاء فقال: ألم يسيروا في الأرض.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾: ولم يقل على الأرض؛ لأن الغلاف الجوي حول الأرض يعدّ من الأرض.

﴿فَيَنْظُرُوا﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب.

أي: يسافروا في الأرض بنية وقصد رؤية الآثار والمساكن الخاوية على عروشها، التي سكنها الذين أهلكهم الله وعذبهم بذنوبهم من الأمم الماضية أمثال عاد وثمود ولوط وفرعون وغيرهم، ولم يقل ثم ينظروا؛ والتي تعني التراخي في الزمن؛ أي: يسيروا في الأرض لأسباب مختلفة وبعدها ينظروا إلى آثار الأمم السابقة التي أهلكها الله سبحانه...

﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: كيف للاستفهام والتحذير.

﴿كَانَ عَاقِبَةُ﴾: حين يذكر العاقبة ويسبقها (كان) تعني العذاب والهلاك، أي: كيف كان هلاك وعذاب الذين (اسم موصول يفيد الدّم).

﴿كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أي جاؤوا من قبلهم أمثال عاد وثمود ولوط وفرعون،



وحين يؤنث العاقبة فيقول: كيف كانت عاقبة بدلاً من فكان؟ تعني: الجنة والعاقبة الحسنة. وهذا من خصائص القرآن الكريم.

﴿كَانُوا هُمْ﴾: تكرر كانوا مرتين للتوكيد على العاقبة أولاً، وعلى شدة قوتهم وأثاراً في الأرض ثانياً، وهم: للتوكيد.

﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: أشد منهم (من كفار قريش وأمثالهم) بعددهم وعدّتهم وكبر الأجسام.

﴿وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾: وبما بنوا وشيّدوا من الحصون والقصور وأقاموا المدن والحضارات القديمة، وأكبر دليل على ذلك الأهرامات في مصر وقوة الآثار تدل على قوة من بناها.

﴿فَأَخَذَهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، فأخذهم الله بذنوبهم؛ أي: عاقبهم بذنوبهم فعذبهم ودمّرهم، والباء بذنوبهم باء السببية؛ أي: بسبب ذنوبهم.

﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ اللَّهِ مِن وَّاقٍ﴾: ما النافية، كان: تشمل كلّ الأزمنة، لهم: اللام لام الاختصاص لهم خاصة.

من الله: من ابتدائية، الله: اسم العلم الدال على واجب الوجود سبحانه. من واق: من استغراقية تستغرق كلّ واق؛ أي: يقيهم من العذاب أو يدفع العذاب، يحميهم وينقذهم أو يخفف العذاب عنهم.

[٢٢] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد؛ أي: ذلك العذاب والأخذ الذي حلّ بهم من الهلاك والدمار.

﴿يَأْتُهُمْ﴾: الباء باء التعليل، أنهم: أن للتوكيد، والضمير (هم) يعود على الكفرة من الأمم الماضية.

﴿كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالحجج الواضحة والمعجزات والآيات الدالة على صدق الرسل، والدالة على وجوب الإيمان بالله وحده.

﴿فَكَفَرُوا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة؛ أي: كفروا مباشرة بالرسل ولم ينتظروا ويفكروا.

﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾: الفاء للتوكيد، أخذهم الله: أي عاقبهم بشدة فعذبهم وأهلكهم. والأخذ فيه معنى الشدة والقوة.

﴿إِنَّهُ﴾: إن للتوكيد.

﴿قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: قوي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

شديد العقاب: العقاب ارجع إلى الآية (٣) من السورة نفسها؛ لمزيد من البيان. قوي شديد العقاب فيها مبالغة في التحذير والإنذار.

وإذا قارنا هاتين الآيتين (٢١ - ٢٢) من سورة غافر مع آيات أخرى مماثلة

مثل:

الآية (٦٩) من سورة التوبة: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

والآية (٩) من سورة الروم: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ



الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾

والآية (٤٤) من سورة فاطر: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانُوا لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

نجد أن هاتين الآيتين من سورة غافر: فيهما الكثير من التوكيدات مثل زيادة (هم) وتكرار (فأخذهم الله) (مرتين) ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾، ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ هذه التوكيدات تدل على شدة الإنذار والتحذير والعاقبة أكثر من الآيات الأخرى.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾:

المناسبة: بعد ذكر أحوال المكذبين برسولهم من الأمم الماضية وما نزل بهم من الهلاك، يذكرنا أيضاً بما فعل فرعون وجنوده بموسى عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أي: قد تحقق ما سنذكره في الآيات القادمة.

﴿أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾: ولم يقل بعثنا. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان.

الباء للإلصاق، آياتنا: التسع ومنها: العصا واليد. وقوله: آياتنا، نسب الآيات إليه سبحانه؛ لأهميتها ولم يقل ولقد أرسلنا موسى بالآيات.

﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: سلطان عطف على (آياتنا) ومبين: نعت للسلطان، وسلطان مبين: هو الحجة القوية التي لا تدحض؛ لقوة دلالتها والدليل القاطع

الَّذِي تَأْكُدُ بِالْحَسِّ وَالْإِدْرَاكِ بِالْحَوَاسِّ فَهُوَ يَشْبَهُ عَيْنَ الْيَقِينِ، وَالسَّلْطَانَ نَوْعَانِ:
إِمَّا سُلْطَانَ الْقُوَّةِ وَالْغَلْبَةِ وَالْقَهْرِ، أَوْ سُلْطَانَ الْبِرْهَانِ وَالْحُجَّةِ.

وَسُلْطَانَ مَبِينٍ: عَطَفَ الْخَاصَّ عَلَى الْعَامِّ؛ لِلتَّوْكِيدِ عَلَى أَهْمِيَّتِهِ.

﴿مُبِينٌ﴾: الْوَاضِحُ لِكُلِّ فَرْدٍ يَطَّلِعُ عَلَيْهِ وَظَاهِرٌ بِنَفْسِهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ
أَوْ تَوْضِيحٍ.

[٢٤] ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَنَّ وَفَرُّوْنَ فَقَالُوا سَحِرٌ كَذَّابٌ﴾:

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾: مَلِكُ مِصْرَ، ذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ (٧٤) مَرَّةً. ارْجِعْ إِلَى سُورَةِ
الْأَعْرَافِ آيَةِ (١٠٣) لِمَعْرِفَةِ مَنْ هُوَ فِرْعَوْنُ.

﴿وَهَمَنَّ﴾: وَزِيرُ فِرْعَوْنَ ذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ (٦) مَرَّاتٍ. ارْجِعْ إِلَى الْآيَةِ (٣٦)
مِنَ السُّورَةِ نَفْسِهَا، وَسُورَةِ الْقَصَصِ آيَةِ (٦) لِلْبَيَانِ الْمَفْصَلِ.

﴿وَفَرُّوْنَ﴾: ارْجِعْ إِلَى سُورَةِ الْقَصَصِ آيَةِ (٧٦) لِلْبَيَانِ، وَذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ
(٤) مَرَّاتٍ. قَدَّمَ فِرْعَوْنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؛ لِأَنَّ مُوسَى ﷺ أُرْسِلَ إِلَى فِرْعَوْنَ أَوَّلًا، بَيْنَمَا
فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ آيَةِ (٣٩): قَدَّمَ قَارُونَ عَلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ؛ لِأَنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ
قَوْمِ مُوسَى، وَعِنْدَهُ عِلْمٌ بِالتَّوْرَةِ فَهُوَ مُقَارَنَةٌ بِفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ يُعَدُّ مِنَ الْمُسْتَبْصِرِينَ
الَّذِينَ جَاءَ ذِكْرُهُمْ فِي الْآيَةِ (٣٨) مِنْ سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ فَيَكُونُ التَّرْتِيبُ: وَكَانُوا مِنْ
الْمُسْتَبْصِرِينَ وَقَارُونَ، أَوْ رُبَّمَا لِأَنَّ الْآيَاتِ فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ جَاءَتْ فِي سِيَاقِ
الْعَذَابِ؛ أَيِ: الْخَسْفِ الَّذِي أَصَابَ قَارُونَ قَبْلَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ الَّذِينَ أَغْرَقُوا فِي
الْيَمِّ.

﴿فَقَالُوا﴾: الْفَاءُ تَدُلُّ عَلَى الْمُبَاشَرَةِ؛ أَيِ: مُجَرَّدُ مَا جَاءَهُمْ مُوسَى كَذَّبُوهُ
وَلَمْ يَصْدُقُوا بِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ: الْمَعْجَزَاتِ.

﴿سَحِرٌ كَذَّابٌ﴾: سَاحِرٌ: اسْمُ فَاعِلٍ؛ أَيِ: الَّذِي يَعْمَلُ السَّحْرَ، أَوْ



يزاوله، أو يجيء به، ولمعرفة معنى السحر ارجع إلى الآية (٥٨) من سورة طه. وأتهموه بالسحر؛ لأن ما جاء به من آية العصا واليد أشياء خارقة للعادة وأثرت في نفوسهم فقالوا: إنها سحر.

كذاب: ساحر كثير الكذب، وكذاب: صيغة مبالغة من كذب؛ أي: كأن حرفته الكذاب، أو دائماً يكذب.

[٢٥] ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۖ ﴾

﴿ فَلَمَّا ﴾: الفاء للترتيب العددي أو الذكري، لما: ظرفية زمانية بمعنى حين. ﴿ جَاءَهُمْ ﴾: لم يقل أتاهاهم؛ المجيء فيه مشقة وصعوبة مقارنة بالإتيان، وجاءهم أي: موسى، جاء فرعون وهامان وقارون.

﴿ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا ﴾: الباء للإلصاق والاستمرار، بالحق: بالصدق، والحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل، وبالحق (قد تعني بالمعجزات التي تدل على صدق نبوته).

﴿ قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾: ارجع إلى سورة البقرة آية (٤٩)، والأعراف آية (١٤١) للبيان. ويجب الانتباه إلى اختلاف الزمن بين هذه الآية من سورة غافر والآية (٤) من سورة القصص:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذِخُّ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۖ ﴾

فآية القصص زمنها عند ولادة موسى، وآية غافر زمنها عندما أصبح موسى نبياً ورسولاً؛ أي: بعد عودته من مدين.



ففرعون أمر بالذبح وقتل الذكور من بني إسرائيل مرتين:
 المرة الأولى: قبل ولادة موسى كما ورد في آية القصص.
 والمرة الثانية: في هذه الآية آية غافر، ففرعون يأمر بذبح أبناء الذين آمنوا
 مع موسى (بالله رب العالمين).

﴿وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾: أي أبقوا نساءهم أحياء للخدمة والإذلال.
 ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: وما: الواو حرف عطف، ما:
 النافية.

كيد فرعون: الكيد هو أقوى من المكر، والكيد: هو إيقاع الضرر أو المكروه
 بالغير قهراً سواء علم الخصم أم لا يعلم.
 وكيد فرعون سواء كان بقتل أبناء الذين آمنوا مع موسى واستحياء نساءهم،
 أو إذابة بني إسرائيل سوء العذاب وغيره من القهر والذل.
 ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: وما كيد فرعون بموسى والذين آمنوا معه، إلا: أداة
 حصر، في ضلال: في ظرفية، ضلال: في خسران وضياع وباطل لا جدوى منه
 ولا فائدة؛ لأن الله سبحانه أعظم كيداً وهو القوي العزيز.





سُورَةُ غَاثِرٍ ٤٠

الجزء الرابع والعشرون

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ
 أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
 وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
 لَا يَوْمُ مِنْ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ
 فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ
 اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا
 فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي
 يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَقَوْمُ
 لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ
 بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا
 أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَقَوْمُ إِنِّي
 أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ
 وَعَادٍ وَثَمُودَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
 وَيَقَوْمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلُّونَ مَدِيرِينَ
 مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾



سورة غافر [الآيات ٢٦ - ٣٣]

[٢٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾: أي دعوني اتركوني، قال ذلك لأنه كان يريد قتل موسى من قبل حين كان موسى وليداً وفرعون كان يخاف من موسى حيث قذف الله في قلبه الرعب من موسى، والآن يبدو أنه أشد تصميمًا على تنفيذ القتل ويبدو أن فرعون بدأ يشعر بتهديد موسى ويخاف على ملكه وهلاكه.

﴿وَلْيَدْعُ﴾: الواو عاطفة، ليدع: اللام لام التوكيد.

﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾: ليدع موسى ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا؛ ليمنعه من القتل أو يدفع عنه القتل.

﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾: إني: للتوكيد، أخاف: أخشى إن لم أقتله، أن: مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

يبدل دينكم: أن يُغيّر دينكم؛ أي: ما أنتم عليه من عبادتكم لآلهتكم لكي تعبدوا إلهه وحده. أو أن يظهر في الأرض الفساد: أو هنا ليست للتخيير وإنما جاءت بمعنى الواو؛ أي: إني أخاف أن يبدّل دينكم وأن يظهر في الأرض الفساد؛ أي: يوقع الفتنة والخلاف بين الناس من وجود فريق يؤمن بفرعون إلهاً وفريق يؤمن بموسى وربه فيكثر الفساد في الأرض فتكثر الخلافات والخصومات والقتل والخراب.



[٢٧] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ
الْحِسَابِ﴾:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾: حين سمع ما قاله فرعون: ذروني أقتل موسى، وأبناء
الذين آمنوا معه.

﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾: إني للتوكيد، عُذت: استجرت بربي وربكم
أو لجأت إلى ربي وربكم من شر فرعون وشر أمثاله، فهو القادر على نصرتي
وحماتي وحماية كل مؤمن.

﴿مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾: من استغراقية، تستغرق كل متكبر
مكذب بالجزاء والحساب؛ ويعني فرعون وأمثاله.

ولكن لم يذكر اسم فرعون حتى لا يجعل فرعون ندأً ومثيلاً لله سبحانه،
أو لكونه تربى في بيت فرعون فراعى موسى حق التربية والرعاية فلم يذكر اسم
فرعون.

جمع بين الاستكبار والتكذيب بيوم الحساب (الجزاء).

ولم يكتف بالقول (ربي) وإنما أضاف إلى ذلك (ربكم) للتوكيد على
ربوبية الله تعالى للكل، وبذلك يخرج فرعون من دائرة الربوبية؛ لأن فرعون
قال: أنا ربكم الأعلى.

[٢٨] ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ
رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ. وَإِنْ يَكُ
صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾:

المناسبة: بعد أن دعا موسى ربه بقوله: إني عُذت بربي وربكم من كل متكبر
لا يؤمن بيوم الحساب، استجاب له ربه فقيض له من بين الأسباب لمساعدته

رجلاً مؤمناً من آل فرعون، قيل: هو ابن عم فرعون من آل فرعون؛ أي: حاشية فرعون.

﴿يَكْفُرُ إِيمَانَهُ﴾: يخفي إيمانه؛ لأنَّ قوَّة طغيان وقهر فرعون وملئه أكبر بكثير من موسى والذين آمنوا معه؛ أي: يكتُم إيمانه خوفاً من بطش فرعون.

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾: قام الرَّجُل مدافعاً عن موسى بعد أن سمع بتهديد فرعون لقتل موسى فقال بجرأة أمام فرعون وملئه: أقتلون: الهمزة همزة استفهام إنكاري.

رجلاً أن يقول ربي الله: رجلاً؛ أي: موسى، أن يقول: أن تفيد التعليل، ربي الله.

(ربي الله جمع الربوبية والألوهية معاً).

أقتلون رجلاً لا ذنب له ولا يستحق القتل بسبب قوله: ربي الله ويجهر بها أمام فرعون الذي قال لقومه: ما علمت لكم من إله غيري؟ ولا شك أن فرعون يستمع ولا تصدق أذناه ما يسمع من قول هذا الرَّجُل.

﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: الواو الحالية تفيد التوكيد، قد للتحقيق؛ أي: تحقق مجيئه بالبينات من ربكم؛ أي: المعجزات أو الآيات التسع وها هو يعيد ويكرر لتسمع آذانهم مرة بعد المرة قول: جاءكم بالبينات ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾، يقول: ﴿رَبِّيَ اللَّهُ﴾..

جاءكم: المجيء يكون عادة شاقاً صعباً.

بالبينات: من عند ربكم فيها حث على الإيمان بطريقة غير مباشرة.



﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾: الواو حالية تفيد التوكيد، إن شرطية تفيد الاحتمال والشك.

يك: ولم يقل يكن، لتدل على: إن يك كاذباً أدنى الكذب أو أقل الكذب. فعلية كذبه: أي جزاء أو وبال كذبه سيقع عليه فلا حاجة لقتله أو لا يضركم كذبه.

﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا﴾: مثل وإن يك كاذباً.

وإن يك صادقاً أقل وأدنى الصدق.

﴿يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾: أي يصيبكم بعض العذاب في الدنيا، الذي يعدكم به على كفركم، أو النجاة إن آمتم به أو ببعض الذي يعدكم من الصدق؛ أي: النجاة وقيل: ذكر البعض ليجب الكل؛ لأنّ الجزء يدل على الكل. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾: إن الله للتوكيد (هذه تنمة لقول الرجل المؤمن).

لا يهدي: لا النافية، يهدي إلى الحق أو إلى سبيله.

من: استغرافية.

هو: للتوكيد.

مصرف: المفرط في فعل أو قول ما لا خير فيه؛ أي: متجاوز حدود الله وقيم على المعاصي أو المكث فيهما.

كذاب: صيغة مبالغة كثير الكذب.

وإذا نظرنا إلى ما قاله الرجل المؤمن في هذه الآية وما سيقوله في الآيات التالية: نجد أنه قد استخدم الكثير من أساليب الدعوة إلى الله رغم أنه يكتنح إيمانه،

فكيف به لو كان يجهر بالدعوة إلى الله، فقد استخدم أسلوب المنطق والعقل حين قال: أقتلون رجلاً؛ أن يقول: ربي الله، وإن يك كاذباً... أو يك صادقاً... إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٣٤) في نفس السورة، وهي قوله: ﴿كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ مِنْهُ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾: نجد في الآية (٢٨) مسرف كذاب سبقها القول فعليه كذبه، وفي الآية (٣٤) مسرف مرتاب سبقها القول: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ ناسبها مسرف مرتاب.

[٢٩] ﴿يَقُومُ لَكُمْ أَلْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾:

ينتقل الرجل المؤمن في دعوته إلى أسلوب العاطفة والحنان وأسلوب الإنذار والتحذير في هذه الآية.

﴿يَقُومُ﴾: نداء فيه العطف والرحمة على قومه.

﴿لَكُمْ أَلْيَوْمَ﴾: اللام في لكم للاختصاص، الملك: لكم ملك مصر الواسع، اليوم؛ أي: في الدنيا أو في هذا الزمن.

﴿ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: غالبين في الأرض متصرين على غيركم، يقال: فلان ظاهر على فلان؛ أي: غالب عليه.

﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾: فمن: الفاء للتوكيد، من استثنائية.

ينصرنا من بأس الله: من عذاب الله، أو يدفع عنا عذاب الله.

إن جاءنا: إن جاءنا بعد قتل هذا الرجل، أو جاءنا بأس الله بسبب قتله فمن سيدفع عنا العذاب؟ أو إن شرطية تفيد الاحتمال والشك، وجواب الشرط محذوف؛ أي: لا أحد ينصرنا أو ينجيننا.



إن جاءنا: أدرج نفسه معهم فلن ينجو أحد منا، فهو يشعرهم أنه معهم وليس مع موسى وهو يخاطبهم مباشرة.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾: ردّ فرعون على سؤال الذي آمن من آل فرعون، حين سأل: فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا، فقال فرعون: ما أريكُم: ما أشير عليكم إلا ما أرى: أي نقتله ونتخلص منه...

﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾: وما النافية، أدلكم عليه هو سبيل الرشاد؛ أي: سبيل الصواب والصّلاح، إلا أداة حصر؛ أي: هو الوحيد والسبيل للصّلاح؛ أي: تكذيب موسى وقته وتصدّيقه هو سبيل الصّلاح أو الصواب.

الرشاد من الرشد بفتح الراء، ويختلف عن الرشد بضم الراء:

الرشد: يستعمل في الأمور الأخروية فقط.

الرشد: يستعمل في الأمور الدنيوية والأخروية، والرشد أعم من الرشد.

[٣٠] ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُومُ إِلَيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾:

يستمر الرجل المؤمن في دعوته ويحذر قومه مرة أخرى ولم يُبال بما قاله فرعون ولم يخف من فرعون.

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُومُ﴾: نادى الذي آمن قومه نداء فيه نوع من الحنان والعطف عليهم.

﴿إِلَيَّ﴾: للتوكيد.

﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: إن كذبتُم موسى ولم تؤمنوا به أو قتلتموه.

﴿مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾: أي أن ينزل بكم العذاب ويحلّ عليكم كما نزل

وحلّ بالأمم المكذبة لرسالتها؛ أي: الأحزاب، وهم قوم: نوح، وعاد، وئمود، والذين من بعدهم.

وقال تعالى: (يوم) (مفرد). ولم يقل أيام: أي وقائع أو ما حدث في تلك الأيام من دمار وخراب. فهو جمع الأحزاب وأفرد اليوم ولم يقل مثل أيام الأحزاب أيام هلاكهم وعذابهم؛ أي: رغم كونهم أحزاباً مختلفة؛ أي: أمماً أو أقواماً مختلفة متعددة، كذبوا برسلمهم ولم يصدقوا بهم ورفضوا الإيمان فما وقع لكل حزب من هلاك ودمار هو نفسه تكرر وتجدد ولذلك وُحِدَ كلمة (يوم) فقال: يوم الأحزاب (لأنهم أحزاب متعددة) فمن يكذب برسوله كأنه يكذب بكل المرسلين عامة؛ لأن رسالتهم واحدة.

[٣١] ﴿مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾:

الدَّابُّ: العادة والشأن، دَابُّ عَلَى الْأَمْرِ: اعتاد عليه وأقام عليه ولم يتركه.

﴿مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ﴾: أي أخاف عليكم أن تقيموا على كفركم وعدم تصديقكم بموسى، كما دَابُّ قوم نوح حين أقاموا على كفرهم وعدم تصديقهم بنوح فحلّ بهم الطوفان، أو دَابُّ قوم عاد حين كذبوا أخاهم هوداً، أو دَابُّ قوم ثمود حين كذبوا نبيهم صالحاً، والذين من بعدهم؛ أي: مثل قوم لوط.

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾: ما النَّافِيَةُ، الله: قَدَّمَ الفاعل للاهتمام، يريد ظُلماً للعباد: أي وما يريد الله تعالى أن يعذبهم بذنب لم يفعلوه ولا يترك الظالم منهم بغير انتقام، للعباد: اللام لام الاختصاص، العباد كافة.

[٣٢] ﴿وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾:

﴿وَيَقَوْمِ﴾: ارجع إلى الآية (٣٠).

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: إنني للتوكيد، أخاف عليكم يوم التناد (في الآخرة)



بينما أخاف عليكم يوم الأحزاب (في الدنيا) فهو يحذرهم أن يحلّ عليهم عذاب أو هلاك في الدنيا أو في الآخرة أو كلاهما معاً.

﴿يَوْمَ النَّادِ﴾: له معنيان: يوم المنادة. ينادي كل إنسان للحساب والجزاء أو ينادي أصحاب الجنة النار، وأصحاب الأعراف أصحاب الجنة. وأصحاب النار أصحاب الجنة، والنداء هو الدعاء والطلب أو الحضور أو للاستغاثة.

ولم يقل يوم التنادي، قال: يوم التناد حذف الياء؛ لأنّ النداء لا يطول فيه زمناً طويلاً.

ويوم التناد قد يعني: يوم التّشرد والبعد كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۖ وَصَدِّيقِهِ ۚ وَبَيْنَهُ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦]. أي: يوم الفرار والهرب.

التناد هنا مشتق من فعل: ندّ؛ أي: بُعد وشرّد ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

[٣٣] ﴿يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ مَالِكُمْ مِنَ اللَّهِ مَنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: يوم نكرة للتهويل والترويع يوم القيامة.

١ - ﴿تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ﴾: منصرفين من الموقف (المحشر) ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١].

٢ - ﴿تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ﴾: تولون: فارّين هاربين حين يؤمر بهم إلى النار...

﴿مَالِكُمْ﴾: ما النافية، لكم: اللام لام الاختصاص.

﴿مِنَ اللَّهِ﴾: من ابتدائية.

﴿مِنَ عَاصِرٍ﴾: من استغراقية تشمل أيّ عاصم؛ أي: يعصمكم من عذاب الله؛ أي: يمنعكم أو يدفع عنكم عذابه، يقال: عصمه الطعام؛ أي: منعه من الجوع، أو ينجيكم منه.



﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾: السَّوَال هل يُضِلُّ الله أحداً؟ الجواب: لا طبعاً، من: شرطية؛ أي: من يختار طريق الضلال والضياح والكفر ويصر على ذلك ويمتنع عن التوبة والإنابة، ويتعد بعيداً عن الدين، يتركه الله يفعل ما يريد، فإذا وصل درجة لا يرجي معها العودة إلى الهداية عندها يطبع الله على قلبه فلا يدخله إيمان ولا يخرج منه كفر، ولن يجد له من هاد يهديه.

﴿فَمَا﴾: الفاء للتوكيد، ما النافية.

﴿لَهُ﴾: الجار والمجرور، تقدم للاختصاص: له خاصة.

﴿هَادٍ﴾: يهديه إلى الصراط المستقيم أو الدين، ولم يقل: فما له من هادي.

لنقارن هذه الآية (٣٣) من سورة غافر: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

مع الآية (١٨٦) من سورة الأعراف: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾.

في آية غافر قال: فما له من هاد، نفى (بما) (تنفي الحال) وقدم له: للحصر، من: استغرافية هاد؛ أي: هاد سواء كان رسولاً هادياً أو عالماً أو صديقاً هادياً واحداً يهديه ولو زمناً قصيراً.

في آية الأعراف: فلا هادي له نفى ب (لا) (تنفي المستقبل وكل الأزمنة) وأخر (له) أي: له ولغيره هاد ولو استغرقت هدايته زمناً طويلاً.

ولو جمعنا الآيتين نقول: من يضل الله لا هادي له الآن ولا في المستقبل، ولن يستطيع أحد أن يهديه ولو صرف زمناً طويلاً أو قصيراً في هدايته.





سُورَةُ غَاثِرٍ ٤٠

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ
مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ
مِنْ بَعْدِهِ ۚ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ
أَتَتْهُمْ كُفْرًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ
يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَهْمَنْ ابْنُ لِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ
السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا
وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي
ءَامَنَ يَتَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَتَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ
دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثَرٍ ۚ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾



سورة غافر [الآيات ٣٤ - ٤٠]

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾:

يتابع الرجل المؤمن النصيح لقومه ويلجأ إلى الاستعانة بالتاريخ فيقول:
﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أي: تحقق
وحدث ذلك.

﴿جَاءَكُمْ﴾: أي جاء وكان مجيئه بمشقة وصعوبة وليس بسهولة،
والمخاطب هو فرعون وقومه؛ أي: جاء آباءكم وأجدادكم.
﴿يُوسُفُ﴾: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل موسى عليه السلام الذي تريدون قتله أو عدم تصديقه.
انتبه حين قال: جاءكم يعني جاء آباءكم وأجدادكم؛ لأنه حين جاء كان الحاكم هو
عزيز مصر ولم يكن هناك أي فرعون، وتفسير ذلك: أن الهكسوس دخلوا مصر
قبل مجيء يوسف وقضوا على حكم الفراعنة وألغوا الفرعونية وجعلوا أنفسهم
ملوكاً، فجاء يوسف في زمن حكم هؤلاء، ثم بعد ذلك عادت الفرعونية إلى مصر
وراحوا يضطهدون بني إسرائيل؛ لأنهم كانوا موالين ومن أنصار الملك العزيز.

فهذا الرجل المؤمن يعلم القصة التاريخية فجاء بها ليذكرهم بما حدث
لعلهم يؤمنوا بموسى.

إذن: جاءكم يوسف: يوسف لم يجئ لهم وإنما جاء لأبائهم فنسب ما للآباء



للأبناء؛ لاشتراكهم جميعاً في الضلال والتكذيب بالرسل فليس هناك فارق بينهم وبين آبائهم وأجدادهم.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالآيات الدالة على وحدانية الله والدالة على صدق نبوته، والبيّنات: هي تأويل الأحلام، ولنذكر قول يوسف حين دعا صاحبي السجن فقال: ﴿ذَلِكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَصْحَبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَيْتُمْ ﴿[يوسف: ٣٧-٤٠].

﴿فَمَازَلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾: الفاء للتوكيد.

زلتم في شك مما جاءكم به؛ أي: كنتم في شك. الشك: هو التردد بين أمرين على حد سواء (أي تساوي طرفي الإثبات والنفي) طوال زمن يوسف؛ أي: كنتم تشكون في صدق رسالته وعبادة الله وحده؛ أي: كفرتم به.

﴿حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ﴾: حتى حرف نهاية الغاية، إذا ظرف زماني للماضي وشرطية تفيد حتمية الحدوث.

هلك: أي مات يوسف.

﴿قُلْتُمْ﴾: القائل قد يكون ممن عاصر يوسف أو ممن جاء بعدهم من أسلافهم.

﴿لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾: لن لنفي المستقبل القريب والبعيد (أي موسى وغير موسى) أي: قلتم ذلك وحكمتم بدون علم ولا برهان وفي نيتكم تكذيب أي رسول سواء كان يوسف من قبل أو موسى الآن.

﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾: كذلك: أي مثل هذا الضلال

يكون حال من يضلّه الله تعالى؛ لإسرافه في المعاصي.

مسرف: متجاوز الحد في المعاصي والشرك والكفر.

مرتاب: من الرّيبة وهي: الشك والتّهمة، وسبقها القول: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ ولذلك جاء بعدها مسرف مرتاب. ارجع إلى الآية (٢٨) في نفس السورة للمقارنة.

أي: هو مسرف في فعل المعاصي ومرتاب في دينه؛ أي: يشك ويتهم الآخرين بالباطل؛ لكي يجد لنفسه مبرراً لعدم إيمانه.

[٣٥] ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كُفْرًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾:

هذا كلام الله سبحانه معترض بين كلام مؤمن آل فرعون وكلام فرعون، هذه الآية تبدو كأنها تنتمه لقوله: (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في آيات الله).

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول تفيد الذم وتعود على المسرفين المرتابين أو الذين كفروا ﴿مَا يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤].

﴿يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾: الجدل نوعان: جدال لإظهار الحق وهو جدال غير مكروه، وجدال بالباطل وهو مكروه.

الذين يجادلون في آيات الله؛ أي: يجادلون بالباطل وفي آيات الله الدّالة على صدق نبوة أنبيائه بأن يقولوا: ساحر أو كاهن أو كذاب، أو يجادلون في آيات الأحكام، أو يجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

أما الآيات الكونية فلا أحد يستطيع أن يجادل فيها؛ لأنّ مبلغ علمهم قليل لا يذكر.



﴿بَعِيرٌ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾: السُّلْطَانُ إما سلطان علم وبرهان وحُجَّة، أو سلطان قوة وقهر، وهم لا يملكون كلاهما ولذلك هم يجادلون بالباطل.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: أي هذا النوع من الجدل هو جدال ممقوت؛ لأنهم يجادلون الحق بالباطل، كبر مقتاً عند الله: أي يبغض الله سبحانه هذا النوع من الجدل خاصة بغضاً شديداً ويبغضه الذين آمنوا الذين يتبعون الحق وإعلاء كلمة الله وإقامة الدين.

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾: أي كما يطبع الله على قلوب هؤلاء المجادلين في آيات الله بغير سلطان آتاهم، يطبع على كل قلب متكبر جبار.

والطَّبع أشد من الختم، والطَّبع على القلب يعني: لا يدخل قلوبهم أيَّ إيمان ولا يخرج منها أيَّ كفر، والطَّبع على قلوبهم هم سببه فهم الذين اختاروا ذلك واستمروا في الجدل والكفر وابتعدوا كثيراً عن سبل الهداية فلم يعد هناك أمل في توبتهم فطبع الله على قلوبهم.

﴿عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾: الكبر هو إظهار عظم الشأن ورفع النفس فوق ما تستحق.

متكبر: عن قبول الإيمان بآيات الله والتوحيد والجدال في آيات الله، متكبر بدون أن يملك أيَّ مؤهلات للكبر.

﴿جَبَّارٍ﴾: صيغة مبالغة وهو القاسي المتكبر، الذي يُكرهه الناس على فعل ما لا يحبون فعله مستخدماً وسيلة الظلم والقوة والقهر، أو يتعاضم بالقهر والقتل، والجبار: أبلغ من المتكبر.

لنقارن هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ ولو قال كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار؛ أي: بتقديم كلمة (كل) على كلمة (قلب) أو تأخيرها.



تقديم كلمة (كل) كقوله: كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار؛
تعني: كل قلوب المتكبرين الجبارين عموماً تصاب بالطبع، وتعني الطبع على
القلب طبعاً تاماً كاملاً يشمل كل جزء من أجزاء القلب.

أما تأخير كلمة (كل) كقوله: كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار؛
تعني: كل قلوب المتكبرين الجبارين تصاب بالطبع، وتعني الطبع على القلب لا
يشمل كل جزء من أجزاء القلب.

[٣٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾:

عاد فرعون مرة ثانية إلى مقاطعة كلام الذي آمن راجياً أن لا يكون نُصْحُ
الذي آمن قد أثر في قلوب المستمعين، فأسرع بسؤال هامان أمام قومه مستخفاً
بعقولهم:

﴿يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرْحًا﴾: هامان: وزيره هامان كان المسؤول على البناء،
بناء المشاريع الكبرى، وبناء المشاريع الكبرى يطلق عليها هامان أي اسمه هامان
ووظيفته هامان (بناء المشاريع الكبرى) وكان مقرباً إلى فرعون. وذكر هامان في
القرآن إعجاز على نبوة رسول الله ﷺ؛ لأن أهل الكتاب ينكرون هامان في كل
قصة موسى؛ أي: لا وجود لهامان مع موسى. ارجع إلى سورة القصص آية (٦)
لمزيد من البيان.

﴿ابْنُ لِي صَرْحًا﴾: الصرح هو البناء الشامخ العالِي الظاهر الذي لا يخفى
على الناظر من بُعد كالأبراج العالية، صرحاً: من صرح الشيء وصرّحه؛ أي: بين
الشيء وأظهره فلم يعد يخفى.

﴿لَّعَلِّي﴾: للتعليل.

﴿أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾: جمع سبب، والسبب: هو ما يتوصل به إلى الشيء
كالجبل أو السلم ويطلق على الطريق.

هذا ليس تكراراً وإنما يسمى الإيضاح بعد الإبهام؛ للتفخيم، فالوصول إلى أسباب السموات ليس بالأمر الهين، بل أمر عظيم يزعم فرعون أنه قادر على فعله؛ ليجعل السامع يتعجب لقدرة فرعون على فعل ذلك.

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ﴾: وكذلك؛ أي: مثل ذلك التزيين ظن أنه سيبلغ السموات ويطلع إلى إله موسى.

﴿زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ﴾: من الشرك والتكذيب، وزين مبني للمجهول والمزين هو الشيطان بوسوسته كما قال الله تعالى: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [النمل: ٢٤].

﴿وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾: أي سبيل الهدى والرشاد، وسبب ذلك كفره وشركه وظلمه، عن: تفيد المجاوزة والمباعدة، وصد عن السبيل هو وقومه.

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾: ما النافية، كيد فرعون: ارجع إلى الآية (٢٥) من السورة نفسها.
إلا: أداة حصر.

في: ظرفية.

تباب: في ضياع وخسران وهلاك من: تب الشيء: قطعه.

[٣٨] ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُومُ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾:

يتابع الذي آمن نصحه إلى قومه ويكرر: يا قوم، وتكرار يا قوم فيها نوع من العطف والحنان مع قومه حتى يتبعوه.

﴿اتَّبِعُونِ﴾: فيما أدعوكم إليه وأنصحكم على فعله.

ولم يقل اتبعوني، حذف ياء المتكلم؛ أي: اتبعوني ولو شيئاً قليلاً أو حاولوا اتباعي في بعض ما أنصحكم، أما اتبعوني فتطلب اتباعاً تاماً في القول والعمل وفيه صبر والتزام.

﴿أَهْدِيكُمْ﴾: أدلكم، انتبه إلى قول الذي آمن: أهدكم، بينما كان قول فرعون في الآية (٢٩): أهديكم، فرعون يؤكد عليهم أن يتبعوه؛ لأنه يعلم أن



القوم في شك مما يقوله لهم ويدعوهم إليه، ويزعم باطلاً أن الهداية بيده، بينما الذي آمن لا يؤكد عليهم؛ لأنه يعلم أن الهداية بيد الله فهو الهادي وحده.

﴿سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾: السبيل هو الطريق الواسع السهل السريع، والصراط أفضل من السبيل.

سبيل الرشاد: شرع الله أو سبيل الصلاح المؤدّي إلى الغاية؛ أي: النجاة والسداد والخير.

[٣٩] ﴿يَقَوْمُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾:

﴿يَقَوْمُ﴾: ارجع إلى الآية السابقة؛ للبيان.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: هذه الهاء للتنبية، ذه اسم إشارة للقرب يشير إلى الحياة الدنيا.

﴿مَتَعٌ﴾: المتاع كل شيء ينتفع به وزائل متاع قليل، ارجع إلى سورة القصص آية (٦٠) للبيان.

﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ﴾: إن للتوكيد، الآخرة: الدار الآخرة.

﴿هِيَ﴾: للتوكيد.

﴿دَارُ الْقَرَارِ﴾: دار البقاء والخلود والدوام؛ أي: الجنة، ومن أسمائها دار السلام، جنات عدن، جنات الفردوس، جنات النعيم، دار الخلد.

[٤٠] ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنتُوْا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾:

﴿مَنْ﴾: شرطية.

﴿عَمِلَ سَيِّئَةً﴾: ارتكب معصية، والسيئة قد تكون صغيرة أو كبيرة (سيئة جاءت بصيغة النكرة؛ لتشمل أي سيئة).

﴿فَلَا﴾: الفاء للتوكيد، لا النافية.

﴿يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾: لأن الزيادة على مقدار جزاء السيئة ظلم.

كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

﴿وَمَنْ﴾: شرطية.

﴿عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: من ابتدائية وتشمل

المفرد والمثنى والجمع، (هو) للتوكيد؛ أي: قرن الإيمان بالعمل الصالح.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء للتوكيد، أولئك: اسم إشارة للبعد ويفيد المدح ويشير

إلى الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغير حساب تعني كثرة الرزق،

والحقيقة هم يرزقون فيها حسب درجات أعمالهم الصالحة كما جاء في سورة

النبا الآية (٣٦) وفي قوله تعالى: ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾. ارجع إلى الآية (٢١٢) من سورة

البقرة لبيان قوله تعالى: ﴿يُرْزَقُ مِنْ شَيْءٍ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.





سُورَةُ غَاثِرٍ ٤٠

الجزء الرابع والعشرون

وَيَقُومُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى
النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ
لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَاجِرَمَ
أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ
وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَبَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ
﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أُمُورِي إِلَى
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ
مَا مَكَّرُوا وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا
عَالِ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي
النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا
لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ
﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ
قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ
جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

سورة غافر [الآيات ٤١ - ٤٩]

[٤١] ﴿وَيَقَوْمٍ مَّا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾:

﴿وَيَقَوْمٍ﴾: انتبه في هذا النداء وهو النداء الثالث حيث أضاف الواو فقال: ويا قوم الواو تدل على الاهتمام وزيادة في التنبيه واليقظة، وبدأ في هذه الآية يصرح بإيمانه بالله وحده بينما في الآيات السابقة نصح عام.

﴿مَّا لِيَ﴾: ما استفهامية فيها معنى التعجب وتفيد معنى كيف.

﴿أَدْعُوكُمْ﴾: أصل الدعاء طلب الفعل، من: دعا يدعو.

﴿إِلَى النَّجْوَةِ﴾: من النار ودخول الجنة (هو دعاهم إلى الجنة في الآية السابقة) ودخول الجنة؛ يعني: النجاة من النار ولا يكون ذلك إلا بالإيمان بالله وحده وتصديق موسى عليه السلام. فهو يؤكد لهم ذلك والسبيل إليها.

﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾: وقد بين كيف يدعونه إلى النار في الآية التالية.

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ﴾، بعدم اتباع موسى وأكد دعوتهم له بزيادة التّون في: تدعونني، ولم يقل تدعوني.

[٤٢] ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَرِ﴾:

﴿تَدْعُونَنِي﴾: تطلبوا مني، وسواء طلبوا منه حقيقة أم لا، دأبهم على الكفر والشرك فيه معنى الدعوة الغير مباشرة.



﴿لَا كُفْرَ بِاللَّهِ﴾: السلام لام التعليل والتوكيد، بالله: الباء للإلصاق والدوام، وهذه الباء تعني كفر العقيدة؛ أي: الجحود بالله تعالى.

﴿وَأَشْرَكَ بِهِ مَا لَيْسَ بِهِ عِلْمٌ﴾: به: بالله، في عبادته؛ أي: إلهيته وربوبيته، أي وكيف أشرك به وما ليس لي به علم.

﴿مَا﴾: النافية.

﴿لَيْسَ﴾: توكيد النفي.

﴿لِي بِهِ عِلْمٌ﴾: أي الآلهة والأصنام.

وتعني: كيف أشرك بالله هذه الآلهة المزعومة (بما فيها فرعون) بدون علم أنها آلهة أو بدون برهان أو دليل، أو كيف أشرك به شيئاً أعلم أنه ليس بآلهة؛ أي: هو نفسه يعلم أنها ليست إلهاً.

﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ﴾: إلى الإيمان بالعزیز الغفار أو لعبادته وتوحيده.

﴿الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾: عدل عن ذكر الله تعالى إلى ذكر صفتين من صفاته توجبان الإقرار بإلهيته والعبودية له وهما:

العزیز: القوي الممتنع الذي يغلب ولا يُغلب ويقهر ولا يُقهر، وحذف وأنتم تدعونني إلى ما لا ينفع ولا يضر ولا يسمع ولا يبصر.

الغفار: صيغة مبالغة من: غفر أي كثير المغفرة أو الغفران، يغفر الذنوب مهما كثرت ومهما كبرت، والمغفرة تعني يستر الذنوب ويمحوها ولا يعاقب عليها ويثيب على العمل الصالح، يغفر الذنوب جميعاً ويغفر لكم أيضاً شرككم وذنوبكم إذا تبتم وأنبتم إليه.

[٤٣] ﴿لَا جَرَمَ أَنْتُمْ تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنْتَ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾:

﴿لَا جَرَمَ﴾: تعني لا بد أو حقاً، أو: لا محالة، وتعني ثبت، ومشتقة من الجرم: جرم اللحم: قطع اللحم، ارجع إلى سورة هود آية (٢٢) لمزيد من البيان. وردت في القرآن في خمس آيات.

﴿لَا جَرَمَ أَنْتُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: ٢٢]، ﴿لَا جَرَمَ أَنْتَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يَسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [التحل: ٢٣]، ﴿لَا جَرَمَ أَنْ هُمْ النَّارِ وَأَنْتُمْ مُفْرَطُونَ﴾ [التحل: ٦٢]، ﴿لَا جَرَمَ أَنْتُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَسِرُونَ﴾ [التحل: ١٠٩]، وآية غافر (٤٣).
﴿أَنْتُمْ﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿تَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾: أي حقاً ما تدعونني إلى عبادته من دون الله من الأصنام أو الآلهة أو فرعون أو غيره.

﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾: ليس حرف نفي، له: اللام لام الاختصاص.

دعوة في الدنيا ولا في الآخرة: أي هو نفسه لا يدعو أحداً إلى عبادته؛ لأنه لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يغني شيئاً، إذن ليس له دعوة توجب عبادته، وإن دعوتهم أنفسكم، لا يسمع دعاءكم حتى ولو سمع ما استجاب لكم؛ لأن الله قادر على منعه.

إذن هو ليس له شفاععة في الدنيا ولا في الآخرة ليشفع لكم أو ليقربكم إلى الله زلفى.



في الدنيا ولا في الآخرة: تكرر (لا) يفيد تأكيد النفي: لا في الدنيا وحدها ولا في الآخرة ولا في كلاهما.

﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾: وأن: الواو استئنافية، أن مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

مردنا إلى الله: أي مرجعنا إلى الله، فالواجب أن نؤمن به وحده، وقدم مردنا بدلاً من القول وإلى الله مردنا؛ للحصر والتوكيد: إلى الله وحده. ولم يقل مرجعنا؛ لأن مردنا تعني الرجوع بدون إرادتنا مكرهين، وأما الرجوع يكون بإرادتنا وبدون كره.

﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾: وأن للتعليل والتوكيد.

المسرفين: جمع مسرف متجاوز الحد في الحرمات؛ ويعني الإفراط في الكفر والشرك. وتعريف المسرف: هو المفرط في فعل أو قول لا خير فيه متجاوز لحدود الله، والمقيم على المعاصي والشرك وغيرهما. وقد تعني الظلم وسفك الدماء. و(المسرفين) جملة اسمية تدل على الثبوت.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد كأنهم هم وحدهم أصحاب النار أو هم أصحاب النار الحقيقيون.

﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾: ارجع إلى الآية (٣٩) من سورة البقرة للبيان.

[٤٤] ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أُمُورِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾:

﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾: الفاء للتوكيد، ستذكرون: السنين للاستقبال القريب؛

أي: عما قريب إذا حلّ بكم عذاب الله عندها ستذكرون ما قلت لكم، أو يُذكر بعضكم بعضاً.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ أي: الذي قلته لكم، أو مصدرية.

﴿أَقُولُ لَكُمْ﴾: أنصحكم، وما أقوله لكم الآن: بالإيمان بالله وحده والكفّ عن الشّرك والمعاصي.

﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾: التفويض: يعني الرد الأمر إلى الله تعالى وحده لكي يعصمني منكم من كلّ سوء، ويبدو أنّه قد شعر بأنّهم غير راضين عنه ويرفضون دعوته وربّما توعدّوه بالسّوء.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِصِيرُكُمْ بِالْعِبَادِ﴾: إن للتوكيد، بصير: مطلق على أعمال عباده ونواياهم دائماً، الباء للإلصاق وتعني: الدّوام والاستمرار؛ أي: مطلق على أعمالكم، وما تدبّروه أو تمكروه بي وبغيري.

[٤٥] ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾:

﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ﴾: الفاء للتوكيد، وقاه: حفظه الله وعصمه.

﴿سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾: سيئات: جمع سيئة، والسيئة: كل فعل قبيح؛ أي ما أرادوا به من قتل أو تعذيب أو حبس موسى ﷺ، ما: اسم موصول بمعنى الذي، أو مصدرية بمعنى سيئات مكرهم أبشع ما مكروا.

مكروا: المكر هو: التّدبير الخفي بتدبّر وتفكّر؛ لإيقاع الضّرر بالغير بدون علم الغير، ولم يقل كيدهم: الكيد هو التّدبر الخفي لإيقاع الضّرر بالغير قهراً



سواء علم أو لم يعلم. وقيل: إنه (أي الرجل المؤمن) نجا مع موسى من الغرق بعد خروجهم من مصر.

﴿وَحَاقَ﴾: نزل، وهناك فرق بين حاق ونزل؛ حاق: لا تأتي إلا في سياق نزول المكروه فقط، والنزول: عام في كل شيء، وحاق بآل فرعون؛ أي: نزل بآل فرعون سوء العذاب، وقيل: أصل حاق: حق، وهناك من قال حاق: نزل ولزم وحق، وهناك من قال: حاق: أحاط.

﴿وَالْفِرْعَوْنَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: آل فرعون: أتباعه وأنصاره؛ سوء العذاب: السوء كلمة عامة تعني: كل ما يسيء إلى النفس؛ سوء العذاب: في الدنيا، السوء هو المكروه يسوء النفس، يعني: الغرق في البحر فلم ينج منهم أحد، وسوء العذاب: في الآخرة هو النار (في البرزخ ويوم القيامة).

[٤٦] ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾:

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: يعني يصلونها أو يحرقون بها؛ أي: آل فرعون.

﴿غُدُوًّا﴾: الغداة: اسم الوقت ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس.

﴿وَعَشِيًّا﴾: من الزوال إلى الغروب.

﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾: صباحاً ومساءً، ولم يقل بالغدو والعشي: التي تدل على

الدوام...

وهذا العرض على النار يكون في عالم البرزخ؛ لقوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ أي: يوم القيامة ﴿أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.



﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾: أي فإذا قامت الساعة يقال لخزنة جهنم:
﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾: أي أشد أنواع عذاب النار؛ أي:
جهنم.

[٤٧] ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا
لَكُمْ بَعَاءً فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾:

انتهى الحديث عن آل فرعون، ويبدأ الحديث عن الكفار عامة يوم القيامة،
بما فيهم آل فرعون.

﴿وَإِذْ﴾: أي واذكر، أو ظرفية بمعنى حين، واذكر حين، حجاج وتخاصم
أهل النار.

﴿يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ﴾: من المحاججة: أو الحجاج، الأصل في الحجاج:
هو إظهار الحجة كل طرف يحاول تقديم حجته للطرف الآخر ويحاول أن يلقي
باللائمة على الآخر وتبرئة نفسه ويحمل الإثم والذنب على الآخر.

هذا الحجاج سيكون بعد دخول آل فرعون النار، وإذا قارنا هذه الآية مع
الآية (٩٦) في سورة الشعراء وهي قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾: نجد
أن يختصمون تتلو مرحلة الحجاج؛ أي: الحجاج أولاً ثم الخصام يحدث بعد
ذلك؛ فالله سبحانه يريد أن يطلعنا على بعض مشاهد يوم القيامة وما يحدث بين
الأتباع والمتبوعين والذين استكبروا والضعفاء فيقول:

﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: الضعفاء التابعون للذين



استكبروا المتبوعين الأقوياء. ارجع إلى سورة إبراهيم آية (٢١) لمعرفة الفرق بين الضعفاء والضعفوا والضعف والضعف سورة البقرة آية (٢٨٢).

﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: إِنَّا للتوكيد، كنا في الدنيا، لكم: اللام لام الاختصاص.

تبعاً: أي نفعل كما تأمروننا ونسير على خطاكم؛ أي في العقيدة والفعل.

﴿فَهَلْ﴾: استفهام للترجي.

﴿أَنْتُمْ﴾: للتوكيد.

﴿مُغْنُونَ عَنَّْا﴾: حاملون من خطايانا شيئاً، أو مدافعون عنا أو مانعون

عنا العذاب.

﴿نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾: قسماً أو شيئاً قليلاً، أو جزءاً، من: ابتدائية من النار.

[٤٨] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾:

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: المتبوعون للتابعين. استكبروا: ارجع إلى

سورة البقرة آية (٨٧) للبيان والفرق بين استكبر ومتكبر.

﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾: إِنَّا كُلٌّ: للتوكيد، فيها: في نار جهنم.

أي: نحن وأنتم جميعاً في جهنم، فكيف نغني عنكم نصيباً من العذاب؛

أي: لو استطعنا لدفعنا عن أنفسنا العذاب.

﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾: إن الله للتوكيد، قد للتحقيق، حكم

بين العباد: أدخل أهل الجنة الجنة وأدخل أهل النار النار، حكم: قضى ولا رادّ

لحكمه ولا مبدل. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٦٢) للبيان والفرق بين الحكم والقضاء.

[٤٩] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ﴾: يعذبون في النار.

﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾: جمع خازن؛ أي: حراس جهنم. ارجع إلى سورة الرعد الآية (١٨) لبيان معنى جهنم.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾: ولم يقولوا ربنا وربكم، فهم لا يزالون على حالهم كما كانوا في الدنيا من الكبر والغباء.

﴿يُخَفِّفْ عَنَّا﴾: أي ادعوا أو اشفعوا لنا عند ربكم، فهم يشعرون أنهم ليسوا أهلاً أن يسألوا الله بأنفسهم أو يدعوه بأنفسهم، وقد يكون قد يئسوا من رحمته تعالى بأنه لن يستجيب لهم.

﴿يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾: يسألون حتى ولو يوماً واحداً لا غير أو قدر يوم من أو أي شيء من العذاب.





سُورَةُ الْكَافِرَاتِ ٤٠

الجزء الرابع عشر

قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا
بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرُهُمْ
وَلَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى
الْهُدَى وَأَوْثَقْنَا بِإِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى
وَذِكْرًا لِلأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ
وَالْإِبْكَرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ
اللَّهِ يَغَيِّرُ سُلْطَانًا أَنَّهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ
مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ
خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾
وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾



سورة غافر [الآيات ٥٠ - ٥٨]

[٥٠] ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾:

هذا ردُّ الملائكة (خزنة جهنم) على أهل النار حين سألوهم أن يسألوا ربهم أن يخفف عنهم يوماً من العذاب.

﴿قَالُوا﴾: أي خزنة جهنم لأهل النار.

﴿أَوَلَمْ تَكُ﴾: الهمزة همزة استفهام وتوبيخ وتقريع، تك: ولم يقل تكن أو تكون؛ أي: أولم تأتكم رسلكم ولو لفترة قليلة أو زمن وجيز.

﴿رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالآيات أو الحجج والبراهين الدالة على وجوب الإيمان بالله وحده وطاعته وترك الشرك.

﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾: أي قد جاءتنا رسلنا بالبينات، وهذا إقرار على أنفسهم.

﴿قَالُوا فَادْعُوا﴾: قالت الملائكة (خزنة جهنم) مادامت قد جاءتكم رسلكم وكفرتهم وكذبتم بهم، فنحن لن ندعو لكم فكيف ندعو ربنا وهو لم يأذن لنا بالدعاء والاستغفار لكم؟! فادعوا بأنفسكم.

﴿وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: ما النَّافِية، دعاء الكافرين إلا: حصراً، في ضلال: باطل في ضياع ولا يجدي ولا ينفع، وهو خسارة ولا يُقبل أصلاً.



[٥١] ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾:

بعد أن ذكر حال آل فرعون في الدنيا والبرزخ ويوم القيامة، وحال الذين كفروا رسلهم، يذكر حال الذين آمنوا، ومنهم الرسل فيقول تعالى:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: اللام: للتوكيد، نصرهم في الحياة الدنيا بالقوة والعدة والغلبة على المكذبين والكافرين، أو نصرهم بالحجة والبرهان أو بأي وسيلة بالقوة والسيوف أو الحرب، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢١) في سورة المجادلة وهي قوله تعالى: ﴿لَا غَلَبَ لَنَا أَنَا وَرُسُلُنَا إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: نجد أن آية غافر تشمل الرسل والذين آمنوا، وآية المجادلة خاصة برسل أمروا بالقتال.

﴿وَيَوْمَ﴾: يوم القيامة. (يوم يقوم الأشهاد) والأشهاد: هم الملائكة يشهدون للأنبياء على أنهم بلّغوا، وعلى الأمم بالتكذيب.

فالأشهاد: هم الرسل والأنبياء يشهدون على أممهم وأمهم تشهد عليهم. والمؤمنون وأولو العلم من الأشهاد.

والأشهاد قد تكون أيضاً: الجلود والألسن والأرجل والأيدي والأعين.

وقد يكون الكل: الملائكة والأنبياء والرسل والمؤمنون، والأشهاد: جمع شاهد، وشاهد تجمع على: شهود وأشهاد. ولتعريف الشاهد، والشهيد: ارجع إلى سورة البقرة آية (١٣٣)، وسورة المجادلة آية (٦) للبيان.



[٥٢] ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: جاء نكرة للتهويل والتعظيم؛ أي: يوم القيامة.

﴿لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ﴾: لا النافية، لا ينفع الظالمين: أي المشركين.

﴿مَعَذِرَتُهُمْ﴾: أي إن اعتذروا لا يقبل أو ينفعهم أي عذر؛ لأنه عذر باطل أو أنه لا يؤذن لهم أصلاً ليعتذروا كما قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿[المرسلات: ٣٥-٣٦].

﴿وَلَهُمْ﴾: السلام لام الاختصاص والاستحقاق، وتقديم لهم؛ أي: كأن اللعنة خاصة بهم.

﴿اللَّعْنَةُ﴾: الطرد والبعد عن رحمة الله.

﴿وَلَهُمْ﴾: تكرر (ولهم) للتوكيد، وفصل اللعنة عن سوء الدار فلهم اللعنة ولهم سوء الدار ولهم كلاهما.

﴿سُوءُ الدَّارِ﴾: دار الآخرة؛ أي: أقبح العذاب.

لنقارن هذه الآية (٥٢) من سورة غافر: ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ مع الآية (٨٧) من سورة آل عمران: ﴿أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق؛ أي: يستحقون اللعنة.

عليهم اللعنة: على تستعمل للأفعال الشاقة الثقيلة التي يقع وبها أو عقابها؛



أي: جزاء الذين كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءتهم البينات. فالآية تتحدث عن الجزاء، والآية في سورة غافر تتحدث عن الاستحقاق.

[٥٣] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْثَرْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، اللام للتوكيد، قد للتحقيق؛ أي: قد حدث ذلك.

﴿آتَيْنَا مُوسَى﴾: آتيناه من الإيتاء: وهو العطاء مع عدم التملك. ارجع إلى

الآية (٢٥١) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿الْهُدَى﴾: التّوراة. والهدى: الدلالة الموصلة إلى البغية؛ أي: يبتأ له

طريق الحق من طريق الباطل.

﴿وَأَوْثَرْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾: أورثنا التّوراة الذين اصطفينا من

بني إسرائيل (بني يعقوب)، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ﴾

[فاطر: ٣٢].

[٥٤] ﴿هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾:

﴿هُدًى﴾: تعود على الكتاب (التّوراة) أو هو هدى يهدي للحق ويهدي

لللغاية.

﴿وَذِكْرَى﴾: تعود على الكتاب (التّوراة) تذكرة أو تذكيراً.

﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: اللام لام الاختصاص، أولي الألباب: ذوي أو أصحاب

العقول المستبصرة. ارجع إلى سورة آل عمران آية (٧) والبقرة الآيتين (١٧٩)،

(١٩٧) للبيان.

[٥٥] ﴿فَاصْبِرْ إِنِّي وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾:

﴿فَاصْبِرْ﴾: الفاء للتوكيد، اصبر: الخطاب إلى رسول الله ﷺ وأُمته، اصبر على طاعة الله، اصبر على ما يقولون، اصبر على أذاهم، اصبر لحكم ربك، واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، واصبر حتى يحكم الله.

﴿إِنِّي وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾: إن للتوكيد، وعد الله: الوعد هو الإخبار بالخبر قبل وقوعه، والوعد يستعمل عادة في الخير إذا كان مطلقاً، والوعيد يستعمل عادة في الشر.

حق: الحق الأمر الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾: لها معان كثيرة، والمهم ألا تظن أن رسول الله ﷺ قد خالف منهج الله سبحانه ووقع في ذنب أو معصية كما نفعل نحن، فالمخاطب رسول الله ﷺ والمقصود أُمته.

فإذا كان الخطاب إلى رسول الله ﷺ؛ أي: استغفر إذا وقع منك خطأ بغير نية أو قصد، مثل: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، ﴿لِمَ تَحْرِمُهُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحریم: ١]، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿١﴾ ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ١-٢]، أو ما وقع منك قبل النبوة والعصمة.

والاستغفار من أنواع الذكر للتقرب إلى الله ولو بدون وقوع صغيرة أو ذنب. وإذا كان الخطاب للمؤمنين؛ أي: استغفروا ربكم لذنوبكم وسيئاتكم مهما كان نوعها وسببها وتوبوا إلى الله عز وجل لعلكم تفلحون. وقد يكون على ما حصل منك قبل النبوة والعصمة.



﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾: أي سَبِّحْ ربك تسبيحاً مقروناً بالحمد، أو موصولاً بالحمد؛ لأنَّ التَّسْبِيحَ: هو ثناء على الله، أمَّا الحمد: فهو شكر الله على نعمه الظاهرة والباطنة، والتَّسْبِيحُ: تنزيه الله تنزيهاً كاملاً مطلقاً عما لا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، تنزيهاً لذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، ومن الشريك والولد والصَّاحِبَة والتَّدَّ.

وقيل: إنَّ معنى سَبِّحَ: صَلَّ، وسَبِّحَ بالعشي والإبكار؛ أي: صَلَّ الصَّلوات الخمس، وقيل: صلاة الفجر وصلاة العصر، وقيل: ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي قبل أن تفرض الصَّلوات الخمس.

﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾: العشي: من صلاة الظهر (أو الزَّوال) إلى المغرب.

والإبكار: من صلاة الفجر إلى الضُّحَى.

وبالعشي والإبكار: معرفة، مقارنة بقوله: بكرة وعشيّاً (نكرة)، بالعشي والإبكار تعني: الدَّوام؛ أي كن دائماً مسَبِّحاً بحمد ربك، وتعني: ليس هناك وقت محدد؛ أي سَبِّحْ في أيِّ وقت، أو في أي يوم فليس هناك أيام محددة أو وقت محدد.

أما بكرة وعشيّاً: تعني في وقت محدد مخصص بعينه، ويوم محدد.

وقرن الصَّبْر مع التَّسْبِيح والحمد والاستغفار؛ لأنَّ مما يساعد على الصَّبْر الصَّلاة والتَّسْبِيح والاستغفار، أو قالوا: من مقومات الصَّبْر الصَّلاة والتَّسْبِيح والاستغفار.

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٥)، والآية (٣٥)، والآية (٦٩) من السورة نفسها للمقارنة.

فالأية (٥) تتحدث عن الدافع أو الغاية من جدالهم وهو إبطال الحق وردّ المؤمنين إلى الكفر.

والآية (٣٥) تتحدث عن منزلتهم عند الله وعند الذين آمنوا: المقت (أشد الكراهية).

الآية (٥٦) تتحدث عن كبرهم، والآية (٦٩) تتحدث عن تكذيبهم بالكتاب والرسل ومصيرهم في الآخرة وما سيحلّ بهم.

إن: للتوكيد، ﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿صُدُورِهِمْ﴾: أي قلوبهم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿كِبْرٌ﴾: أي تكبر عن الإيمان بالله والاستجابة لرسوله، تكبر دفعهم إلى عدم الاستماع لآيات الله وما نزل من الحق، وعدم إيمانهم بالبعث والحساب، وأخذوا يجادلون فيها ويتجدّد ويتكرّر جدالهم.

﴿كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾: ما النافية، هم تفيد التوكيد؛ أي: لن يتحقق أملهم ويصلوا إلى غاياتهم، والباء للتوكيد، وهو كبرٌ كاذب وزائل وإثمه عائد عليهم. والكبر تعريفه لغوياً: إظهار عظم الشأن ورفع النفس فوق ما تستحق، وعدم قبول الحق. ارجع إلى الآية (٨٧) من سورة البقرة لمزيد من البيان.



﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾: الفاء للتوكيد، استعذ بالله: أي الجأ إلى الله واطلب منه العون، من الكِبَر، وكِبَرٌ هؤلاء وشُرهم وكيدهم، واستعذ بالله. لم يذكر ما يستعذ منه؛ ليفيد التعميم.

﴿إِنَّهُ هُوَ﴾: إن للتوكيد، هو لزيادة التوكيد.

﴿السَّمِيعُ﴾: لأقوالهم وأسرارهم ونجواهم وما يسرون وما يعلنون.

﴿الْبَصِيرُ﴾: بأحوالهم وأفعالهم وبما تملأه جوارحهم، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٠٠) في سورة الأعراف وهي قوله تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: جاءت في سياق الاستعاذة من الشيطان، وآية غافر الاستعاذة من كبر الذين يجادلون في آيات الله؛ فالله سبحانه يسمع ويعلم ما يترغه الشيطان (في الأعراف) ويعلم الله ويبصر (يرى) كبر الذين يجادلون في آيات الله.

[٥٧] ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

المناسبة: في الآية السابقة ذكر الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان، وجدالهم ناتج عن الكبر الذي أدى إلى عدم إيمانهم بوحدانية الله تعالى، وعدم إيمانهم بالبعث والحساب والجزاء، فردّ الله عليهم بكثير من الآيات والأدلة والبراهين القاطعة التي تدل على أنه الإله الحق واجب الوجود، وتدل على عظمته وقدرته على البعث والحساب، منها:

١ - خلق السموات والأرض.

٢ - جعل الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً.

٣ - جعل الأرض قراراً والسماء بناءً.



٤ - صَوِّرْكُمْ فَأَحْسِن صُورَكُمْ.

٥ - رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ.

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: اللام لام التوكيد، وهناك من يقول: إنها لام القسم.

﴿أَكْبَرُ﴾: من خلق النَّاس، أكبر على وزن: أفعل وتعني: أعظم.

ومن الأمثلة على ذلك مجرة التبانة التي فيها حوالي (٢٠٠) مليار نجم، والتي هي مجرتنا، وهناك أكثر من ألف مليون مجرة، وهذه النجوم تدور وفي كل ثانية تكون في موقع جديد، والشمس تجري بسرعة (١٩) كم في الثانية نحو مستقرها؛ أي: (صولرايبكس)، وفي الوقت نفسه تجري حول مركز المجرة بسرعة (٢٢٠ كم/ثانية) لتكمل دورتها حول مركز المجرة في (٢٥٠) مليون سنة، والشمس تعتبر نجماً من هذه المليارات النجوم والكون فيه آلاف الملايين من هذه النجوم والكواكب.

والشمس أكبر من الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة، وحرارتها تصل إلى (٢٠) مليون درجة في مركز الشمس، وطول السنة لهابها يصل أكثر من نصف مليون كم، وتبعد عن الأرض (١٥٠) مليون كم والأرض تدور حول الشمس بسرعة (٣٠) كم في الثانية، ولو انطفئت الشمس لتجمدت الأرض ووصلت درجة حرارتها إلى (٢٧٠) درجة تحت الصفر، وتدور الأرض حول نفسها بسرعة تبلغ في خط الاستواء (١٦٠٠) كم بالساعة، ومع ذلك لا نشعر بحركتها، وتصور باقي النجوم والكواكب التي لا يعلمها إلا الله.

﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف استدراك وتوكيد.



﴿أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: آيات الله في الآفاق (والكون) ولا في أنفسهم.

[٥٨] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾:

في الآية السابقة قال تعالى: ﴿أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن خلق السموات والأرض أعظم من خلق الإنسان، وفي هذه الآية قال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾.

﴿الْأَعْمَى﴾: هو الذي لا يعلم أن خلق السموات والأرض أكبر وأعظم من خلق الناس ولا يؤمن بالله وبالبعث وبوحدانيته، فهذا الأعمى لا يستوي مع أعمى آخر يعلم بدرجة قليلة أو بدرجة كبيرة أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، والأعمى الذي لا يريد أن يعلم على الإطلاق أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس.

أو الأعمى: الغافل الذي لا يتفكر ولا يتأمل بآيات خلق السموات والأرض ويبقى غير مؤمن بالله.

﴿وَالْبَصِيرُ﴾: الذي يتفكر بخلق السموات والأرض ويتأملها ويستدل على واجب الوجود والإيمان والوحدانية والبعث.

والنفي قد يكون نفي الجنس. ارجع إلى سورة فاطر الآيتين (١٨ - ٢٢).

وما يستوي الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ أي: لا يستوي كل منهم مع الآخر فهناك السابق بالخيرات وهناك المقتصد.

ولا يستوي المسيء مع المسيء، فهناك من يعمل الكبائر وهناك من يعمل

الصَّغَائِرُ؛ نَاهِيكَ عَنْ اسْتِوَاءِ الَّذِي يَعْمَلُ الصَّالِحَاتِ مَعَ الْمَسِيءِ، أَوِ الْمُؤْمِنِ
وَالْكَافِرِ فَهَذَا أَمْرٌ وَاضِحٌ.

﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾: قَلِيلًا: أَيِ إِمَّا الْعَدَدِ؛ أَيِ: الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ عَدَدَهُمْ
قَلِيلٌ، أَوْ مَقْدَارٌ مَا يَتَذَكَّرُونَ قَلِيلٌ، أَوِ الزَّمَنُ الَّذِي تَقْضُونَهُ فِي التَّذَكُّرِ فِي ذِكْرِ خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَلِيلٌ جَدًّا.
مَا: لِلتَّوَكِيدِ.

تَتَذَكَّرُونَ: التَّذَكُّرُ مِنَ الذِّكْرِ، وَهُوَ الْعِلْمُ بَعْدَ النِّسْيَانِ؛ أَيِ: قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ؛
أَيِ: هَذِهِ الْآيَاتُ الْكُونِيَّةُ مِثْلُ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَغَيْرِهَا، مِثْلُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ
تَدْعُوا إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَعَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ، وَأَنَّهُ إِلَهُ الْحَقِّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ
يُعْبَدَ وَيُطَاعَ. تَتَذَكَّرُونَ: تَعْنِي أَنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى زَمَنٍ أَطْوَلَ وَتَفْكَيرٍ أَعَمِّقُ حَتَّى يَهْتَدُوا
بِهَا وَيُؤْمِنُوا؛ لِجَهْلِهِمْ بِهَا وَعَدَمِ مَعْرِفَتِهَا سَابِقًا، وَلَوْ قَالَ: تَذَكَّرُونَ لَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى
زَمَنٍ أَقَلِّ.





سُورَةُ غَاثِرٍ ٤٠

الجزء الرابع والخمسون

إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِذَا تَوَفَّيْتُمْ كُنَّا كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٢﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٣﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾



رَبِّ
الْحِزْبِ
٤٨

سورة غافر [الآيات ٥٩ - ٦٦]

[٥٩] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهُ لَارِيبَ فِيهَا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

جاءت هذه الآية رداً على الذين يجادلون في البعث والحساب والدار الآخرة وينكرون قيام الساعة، وبعد أن جاء بالدليل على قدرته سبحانه في خلق السموات والأرض الذي هو أكبر من خلق الناس، أخبر بوقوعها لا محالة فقال تعالى:

﴿إِنَّ السَّاعَةَ﴾: إن للتوكيد، الساعة: أو قيام الساعة. وسميت الساعة وهي لحظة بدء تهدم النظام الكوني الحالي.

﴿لَأَيُّهُ﴾: السلام للتوكيد، الخطاب موجه إلى منكري البعث خاصة، والكفار والذين يجادلون في آيات الله، لذلك ناسب التوكيد بإن واللام.

﴿لَارِيبَ فِيهَا﴾: لا النافية، الريب: الشك مع التهمة؛ أي: هم يشكون في الساعة ويكذبون بالآيات التي تخبرهم بقدمها، ويتهمون الرسول ﷺ بالباطيل. ارجع إلى سورة طه الآية (١٥) للمقارنة والبيان.

﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي لا يصدقون بالبعث وبالساعة والقلة يؤمنون بها ويعلمون أنها الحق ولذلك يستعدون لها.

وإذا قارنا هذه الآية (٥٩) من سورة غافر: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهُ لَارِيبَ فِيهَا﴾ مع الآية (١٥) من سورة طه: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَايَةُ أَكَادُخْفِيهَا﴾ نجد أنه في سورة



غافر أكد بأن واللام ولا ريب فيها: ثلاث توكيدات؛ لأن الخطاب موجه لمنكري البعث والساعة، بينما في سورة طه لم يؤكد بشيء؛ ذلك لأن الخطاب لموسى عليه السلام وهو رسول الله ومؤمن بالساعة والبعث فلا يحتاج إلى أي توكيد. ارجع إلى سورة طه آية (١٥) لمزيد من البيان ومقارنة الآيات المماثلة.

[٦٠] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾:

وبعد أن أكد قيام الساعة بين في هذه الآية مصير هؤلاء الذين لا يؤمنون بالساعة ولا يدعون ربهم ويرجعون إليه ويستكبرون عن عبادته فقال:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ﴾: ربكم؛ أي: الذي خلقكم وأمدكم ورباكم ورزقكم.

﴿ادْعُونِي﴾: ادعوني تأتي بمعنى: اعبدونني، الدعاء: العبادة، والدليل هو في تنمة الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ أو تأتي بمعنى الدعاء نفسه.

والعبادة تنطوي على الدعاء، والدعاء باب من أفضل أبواب العبادة، ولتعريف العبادة: ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣) للبيان.

﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾: أعطيتكم ما تسألوني أو أرزقكم، أو أعينكم على حوائجكم، وأستجب لكم: أغفر لكم وأثيبكم على عبادتكم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾: إن للتوكيد، يستكبرون عن عبادتي: أي لا يطيعون أو أمري ولا يتجنبون نواهي؛ ويعني الخضوع والذلة له وتوحيده والتوكل عليه. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لبيان معنى الاستكبار والتكبر.

﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾: السين للاستقبال القريب؛ أي: مهما طالت أعمارهم فأجلهم قريب وبعدها يدخلون جهنم، وتعني: بعيدة القعر، وجهنم اسم من أسماء النار. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) للبيان.



داخرين: صاغيرين أذلاء من دَخِر: صَغُرَ وذَلَّ، وأذخره: أذَلَّهُ.

[٦١] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾:

هذا دليل آخر على قدرته وعظمته سبحانه على الخلق والبعث وفضله على الناس.

ولنعلم أن هذه الآية ذكرت لأهميتها في ثلاث سور من القرآن، وتدل على عظمته وقدرته ورحمته بالناس، وتعتبر من آيات الإعجاز العلمي في القرآن بأن جعل لهم الليل ليسكنوا فيها والنهار مبصراً.

هذه السور هي:

سورة يونس آية (٦٧): ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾.

سورة النمل آية (٨٦): ﴿الْمَرِيرُوا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾.

سورة غافر آية (٦١) ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾.

﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾: الجعل يكون بعد الخلق؛ أي: سبحانه خلق السموات والأرض أولاً ثم جعل الليل والنهار.

﴿لَكُمُ﴾: السلام لام الاختصاص، جعل لكم الليل والنهار؛ أي: جعل لكم الطبقة الغازية المحيطة بالأرض التي تسمى (النهار) وتضيء بأشعة الشمس، ولا



توجد هذه الطبقة الغازية حول أي كوكب إلا الأرض فهذا خاص بكم. ارجع إلى سورة يونس آية (٦٧) لمزيد من البيان.

وجعل لكم ﴿الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾: اللام في كلمة (لتسكنوا) للتعليل، ولتسكنوا فيه: من السكون، الانقطاع عن الحركة؛ أي: الراحة والنوم والسكينة الهدوء، و(تسكنوا) جاء بصيغة المضارع ليدل على التجدد والتكرار (بالنوم) ودلالة على نعمة الراحة في الليل ليكون الإنسان نشيطاً في الصباح ويزاول عمله مرة أخرى.

﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: ارجع إلى الآية (٦٧) من سورة يونس للبيان.

﴿إِنَّا اللَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿لَذُو فَضْلٍ﴾: اللام للتوكيد، ذو: صاحب وذو شرف من صاحب، فضل: الفضل هو الزيادة عما يستحق العبد.

﴿عَلَى النَّاسِ﴾: على تفيد العلوية؛ أي: فضله ينزل على الناس.

﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾: لا يشكرون ربهم على نعمة الليل، ونعمة السكن، ونعمة الضياء، والتقلب في النهار، ولا يشكرونه على نعمه وفضله عليهم؛ بسبب انشغالهم بالنعمة ونسيان المنعم، أو بسبب الشيطان الذي ينسى الإنسان ذكر ربه، أو بسبب الظن أن النعمة تنحصر فقط بالمال وينسى نعمة الصحة والعافية والأهل والأمن والطمأنينة - والعلم - وغيرها.

وتكرار كلمة الناس: للتوكيد على الكفر بنعمة الله؛ أي: سترها وجحدها، أو غفلتهم.



﴿لَا﴾: النَّافِيَةُ.

﴿يَشْكُرُونَ﴾: أي أكثر الناس لا يشكرون والقليل يشكرون، أو كمية الشكر الصادرة عنهم قليلة مقابل النعم الكثيرة.

ولا يشكرون بصيغة المضارع تدل على تجدد وتكرار عدم شكرهم المنعم. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠) لمزيد من البيان.

[٦٢] ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإَن تُوَفَّكُونَ﴾:

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: ذا اسم إشارة، ولم يقل ذلك الله ربكم، ذلكم: فيها تعظيم وتدل على الإشارة لعدة نعم، أو دلائل على قدرة الخلق.

﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: الله: الإله المعبود واجب الوجود، ربكم؛ أي: الخالق المدبر والمربي والرزاق.

فقوله: الله ربكم: جمع صفتي الألوهية والربوبية معاً.

﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: خالق من الخلق: وهو التقدير، كل: للتوكيد، شيء نكرة تعني: أي شيء مهما كان - وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَيْتُمْ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ فكونه خالق كل شيء فهذا يدل على ربوبيته.

﴿لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا النافية، إله: معبود، إلا: أداة حصر، هو: للتوكيد. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥٥) لمزيد من البيان في ﴿لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٠٢) في سورة الأنعام وهي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: نجد آية الأنعام جاءت في سياق الشريك الولد والصاحبة، ولذلك نفى الشريك، وقدم كلمة التوحيد ﴿لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، ثم ذكر الخلق؛ أما في آية غافر الآية جاءت في سياق الخلق وليس الشرك، ولذلك قدم الخلق وآخر ﴿لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.



وكونه لا إله إلا هو، فهذا يدل على وحدانيته.

﴿فَأَن تُوَفَّوْا﴾: الفاء للتوكيد، أنى: تعني كيف ومن أين، وللاستفهام والتعجب والإنكار على إفكهم، وفيها سعة في المعنى (توسع) أكثر من كيف. أي: كيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره مع وجود كل هذه الأدلة والآيات على وحدانيته، أو كيف تصرفون عن الحق إلى الباطل، تؤفكون: الإفك وهو الكذب المتعمد لقلب الحقائق.

[٦٣] ﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾:

﴿كَذَلِكَ﴾: أي مثل إفك هؤلاء وانصرافهم عن عبادة الله وحده إلى عبادة غيره من أصنام وغيرها، كذلك يصرف: يؤفك ﴿الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: كذلك يصرف كل جاحد بآيات الله، والجحد إما عقائدي إنكاري؛ أي: إنكار وجود الله تعالى، أو جحود: ستر لنعمة الله وإنكار لها.

[٦٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾:

هذا دليل آخر على قدرته وعظمته: أنه هو المنعم الذي يستحق العبودية. ﴿اللَّهُ﴾: اسم ذات يحمل في طياته كل صفات الكمال ويدل على الإله الحق واجب الوجود.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد الاختصاص؛ أي: وحده الذي.

﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾: جعل (لكم) خاصة (والسلام لام الاختصاص والملكية) والكاف للخطاب.

قراراً: ساكنة رغم حركتها التي تقدر بـ (٣٠ كم/ ثانية)، ولا تعني: لا تتحرك كما تفسرها كثير من كتب التفسير، هذه الأرض التي تتركب من سبع طبقات تشمل لبّ هذه الأرض كتلة صلبة ضخمة من الحديد والنيكل، تصل نسبة الحديد إلى أكثر من (٩٠٪) هذه الكتلة الصلبة من الحديد هي التي تعين في جعل الأرض قراراً.

وكتلة الأرض تقدر بـ (٦) آلاف مليون مليون طن رغم أنّها معلقة في الفضاء ولا ننسى الجبال (الرواسي) والصفائح تحت القارية كذلك التي تساعد على استقرار الأرض، فالأرض تدور حول نفسها مرة كلّ (٢٤) ساعة وتدور حول الشمس مرة كلّ (٣٦٥) يوماً (سنة) سرعة دورانها حول الشمس (٣٠) كم/ ثانية (١٩) ميل بالثانية.

وسرعة دوران الأرض حول خط الاستواء (٤٦٠) متراً بالثانية، ولماذا لا نشعر بدورانها؟ لأننا كلنا ندور بنفس السرعة كما يحدث عندما نركب سيارة ونسير بسرعة (٦٠) كم داخل السيارة نشعر بقرار وسكون رغم أن السيارة متحركة بسرعة هائلة.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾: السماء تعني السموات السبع: ومنها السماء، السماء الدنيا المبنية من طبقات مثل: تروبوسفير، ستراتوسفير، ميزوسفير، ثرموسفير، اكسفير وكلها يطلق عليها اتموسفير..

سماوات سبع متماسكة كالبناء؛ لما فيها من قوى الجاذبية فهي سماوات يغلف الخارج منها الدّاخل مركزها الأرض.

﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾: في المنظر والشكل واللون؛ أي: ميّز بعضكم على بعض بالصورة أو السّمة بحيث لا يشبه الواحد الآخر بحسب



الشّفة الوراثية لكلّ فرد. ارجع إلى سورة آل عمران آية (٦) وسورة الأعراف آية (١١) للبيان..

﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: الطّيب هو ما كان طاهراً غير نجس ولا مستقذر تعافه النّفس، وكذلك حلالاً.

والحلال ما أذن به الله تعالى.

الطّيبات: تشمل المأكّل والمشرب والملبس والمنكح، وغيرها.
﴿مِّنْ﴾: بعبارة.

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٦٢) للبيان.

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: الفاء للتوكيد، تعالى قدرةً وتعاضم وتنزه وتقديس عن شبه ما سواه، وعظم خيره وعمّت بركته على خلقه ودام وثبت إنعامه وإحسانه. ارجع إلى سورة الملك آية (١) لمزيد من البيان.
[٦٥] ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥٥) للبيان.

﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: أي فاعبدوه وحده لا شريك له: مخلصين له الدّين؛ أي: الطّاعة الخالصة من الشّرك والرّياء. ارجع إلى الآية (١٤) من السّورة نفسها، وسورة الزمر آية (٢) لبيان معنى الإخلاص، وسورة البقرة آية (١٣٢) لبيان معنى الدين.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي احمّدوا الله على نعمه التي أنعم بها عليكم:

نعمة الخلق (الإيجاد) ونعمة الإمداد ونعمة الهداية، ارجع إلى الآية (٢) من سورة الفاتحة.

[٦٦] ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله ﷺ، الخطاب موجّه إلى رسول الله والمقصود به أفراد أمته.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿نُهَيْتُ﴾: النهي: المنع؛ أي مُنعت.

﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أن مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

نهيت أن أعبد هذه الأصنام أو الآلهة التي تدعون: تعبدون من دون الله، من دون الله: من غير الله؛ أي: سواه.

﴿لَمَّا﴾: ظرف زمني بمعنى حين، أو منذ ذلك الزمن: لما جاءني.

﴿جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ﴾: بالتذكير وتعني: الأحكام والأوامر من ربي، ولم يقل جاءتني البينات؛ التأنيث التي تدل على أنها بينات معجزات تدل على صدق نبوة الرسول.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: وأمرت أن: تعليلية، أسلم لرب العالمين؛ أي: إسلام الوجه، ويعني الإخلاص والتوحيد، لرب العالمين: لام التوكيد، ويقصد به الإسلام الذي ارتقى إلى التقوى والإحسان وإسلام الذات.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦٠

الْبَقَرَةُ الْعِشْرُونَ

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلَتَبْلُغُوا أَجْلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصَرَّفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذَا الْأَعْلَىٰ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نتَوَفَيْنَكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾

سورة غافر [الآيات ٦٧ - ٧٧]

[٦٧] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكَونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلٍ وَلِيَبْلُغُوا أَجَلَاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

﴿هُوَ﴾: تعود على رب العالمين.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم والكمال.

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾: وتعني خلق أباكم آدم من تراب وكلكم من ذرية آدم، وقد تعني: أن العناصر التي يتركب منها جسم الإنسان هي نفسها موجودة في التراب حيث وجد أن (١٦) عنصراً مثل الكالسيوم والحديد والصوديوم والمغنيزيوم والكلوريد وغيرها هي نفسها تشكل بعض عناصر التربة وتشكل بعض عناصر الإنسان، أو أن الحيوان المنوي والبويضة منشؤهما مما نأكله من الأغذية النباتية والحيوانية (اللحوم) والنبات والحيوان من التراب. ارجع إلى سورة الروم آية (٢٠) لمزيد من البيان.

﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: أي نطفة الرجل وهي الحيوان المنوي ونطفة البويضة.

﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: سميت علقة؛ لكونها تعلق في جدار الرحم وتنمو. ارجع

إلى سورة الحج آية (٥).

﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾: ولم يذكر مرحلة المضغة ونفخ الروح ومرحلة



العظام والإكساء باللحم كما بينها في سورة المؤمنون الآيات (١٢ - ١٤) والحج آية (٥).

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب العددي أو الذكري، وقد تكون للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾: اللام لام التوكيد، الأشد: قيل ما بين (١٨ - ٣٠) سنة.

﴿ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا﴾: سن الشيخوخة ما بين (٥٠ - ٨٠) سنة، أو من تجاوز الـ (٦٠) سنة.

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ﴾: أي قبل أن يصل إلى مرحلة الشيخوخة أو مرحلة (أشدكم) أو مرحلة الطفولة.

﴿وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى﴾: هو الموت، أو أجلاً مسمى في اللوح المحفوظ، معلوماً، بعد نفخ الروح يؤمر الملك بكتب أجله، وقد يكون أياماً أو شهوراً أو سنين.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لعل: للتعليل، أو لمطلق التوقع.

تعقلون: من عقل الشيء؛ أي: بدليله وفهمه بأسبابه ونتائجه إن الله قادر على بعثكم وإحيائكم بعد الموت، أو أن الله هو الإله الحق الذي يجب أن يُعبد ولا يُشرك به.

[٦٨] ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا فُضِّحَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر: هو المتفرد بذلك.

﴿الَّذِي﴾: للتعظيم.



﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: بشكل متجدد ومتكرر على مرّ الزمن.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للتوكيد، إذا ظرفية زمانية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿فَضَى أَمْرًا﴾: أراد أو حكم.

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: فإنما: الفاء رابطة لجواب الشرط، إنما كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

يقول له: كن فيكون. ارجع إلى سورة النحل آية (٤٠) للبيان.

وردت هذه الآية في ست سور هي:

البقرة آية (١١٧)، آل عمران آية (٤٧)، النحل آية (٤٠)، مريم آية (٣٥)، يس آية (٨٢)، غافر آية (٦٨).

[٦٩] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يُصِرُّونَ﴾:

بعد إيراد الأدلة والآيات الكثيرة على قدرة الله وعظمته، وقدرته على الخلق والإحياء والبعث والآيات الدالة على وحدانيته، وأنه هو الإله الحق الذي يستحق العبادة.

عاد مرة رابعة في السورة نفسها لذكر الذين يجادلون في آيات الله. ارجع إلى الآية (٥٦) من السورة نفسها.

﴿تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾: كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل مع وضوح الأدلة، ويكذبون بالرّسل والكتب السماوية وما أنزل الله، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم.

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة استفهام إنكاري.

﴿تَرَ﴾: ترّ قلبية، أو رؤية فكرية.



﴿إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾: ارجع إلى الآية (٣٥).

﴿أَنِّي يُصْرَفُونَ﴾: أنى: كيف ومن أين، واستفهام إنكاري فيه تعجب. يصرفون: عن توحيد الله إلى الشرك به، عن الحق إلى الباطل، عن الإيمان بالله وحده إلى الجحود به.

[٧٠] ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذم، يعود على الذين يجادلون في آيات الله.

﴿كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾: بالقرآن، الباء للإلصاق، ويدل على الدوام.

﴿وَبِمَا﴾: ما: اسم موصول تعني الذي، وما أوسع شمولاً من الذي، أو

مصدرية.

﴿أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾: الرسل يعني الأنبياء والرسل، وبعضهم أرسلوا إلى أقوامهم بدون كتب يدعون إلى الإيمان بالله وتوحيده والإيمان بالبعث والحساب والجزاء كالأنبياء.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: الفاء للتوكيد، سوف للاستقبال البعيد؛ أي: يوم القيامة، فسوف يعلمون عاقبة تكذيبهم أو وبال كفرهم.

[٧١] ﴿إِذَا الْأَغْلالُ فِي أَعْنَقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾:

﴿إِذَا﴾: ظرف للزمن المستقبل حلت محل إذا، أو إذ الفجائية، يفاجئون بوضع الأغلال في أعناقهم والسلاسل في أرجلهم.

﴿الْأَغْلالُ﴾: جمع غل؛ وهي قيود توضع في الأيدي وتشد إلى الأعناق.

﴿وَالسَّلَاسِلُ﴾: من حديد تقيّد بها الأرجل.

﴿يُسْحَبُونَ﴾: يجرون بالسلاسل.

[٧٢] ﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾:

﴿فِي﴾: ظرفية؛ أي: هم داخل النار أو النار محيطة بهم من كل جانب.

﴿الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾: تملأ بهم النار؛ أي: تصبح مكتظة بهم ثم تسعر بهم النار، أو توقد بهم النار.

في الحميم: أي يشربون. الحميم: الماء المتناهي في الحرارة في غاية الحرارة، ثم تسعر بهم النار فيصبحون وقوداً لجهنم. وقيل: سجر التنور؛ أي: ملأه وقوداً.

يسجرون: بصيغة المضارع يدل على التكرار والاستمرار.

[٧٣] ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الذكري أو العددي.

﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: القائل مبني للمجهول.

﴿أَيْنَ﴾: استفهام توبيخي.

﴿مَا﴾: لغير العاقل أو العاقل.

﴿كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾: أين الأصنام التي كنتم تعبدون في الدنيا، أين شركاءكم؛ أي لم لا يحضرون لإنقاذكم؟!

[٧٤] ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ تَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾:

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾: أي لا نراهم، تاهوا عنا أو غابوا عنا، أو لم يهتدوا إلينا.



﴿بَلْ لَّمْ تَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾: بل للإضراب الإبطالي، لم نافية؛ أي: لم نكن نعبدهم أو ندعوهم أصلاً من قبل في الحياة الدنيا؛ فهم ينكرون أنهم أشركوا بالله أبداً.

﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾: أي مثل ضلال آلهتهم عنهم وضلالهم عن آلهتهم.

يضل الله الكافرين: في الحياة الدنيا عن الهداية للحق؛ لأنهم اختاروا لأنفسهم طريق الضلال واستمروا عليه وابتعدوا كثيراً فلم يعد يؤمل توبتهم فطبع الله على قلوبهم.

[٧٥] ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾:

﴿ذَلِكُمْ﴾: ذا اسم إشارة، واللام للبعد والكاف للخطاب، ويشير إلى ما وقع من أنواع العذاب (السلاسل والأغلال والحميم).

واستعمل (ذلكم) بدلاً من (ذلك) للتوكيد؛ ولأنها تشير إلى عدة أمور وليس أمراً واحداً.

﴿بِمَا﴾: الباء السببية أو البدلية.

﴿كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: كنتم: للتوكيد، تفرحون في الأرض: الفرح نوعان: بالحق وبغير الحق.

الفرح بالحق أو الفرح المحمود: الفرح بمغفرة الله أو رحمة الله، أو الاهتداء للإسلام وإنجاز طاعة الله مثل: صيام رمضان والفرح بالعيد أو إتمام شعيرة الحج، فرح محمود.

الفرح بغير الحق: الفرح المذموم فرح النفس بالمعصية كالزنى وكسب

المال الحرام أو الشُّرك. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٧٠) لمزيد من البيان في معنى الفرح وأنواعه.

﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: تكرر (بما) مرتين يفيد التوكيد، وفصل الفرح عن المرح أو كلاهما معاً، تمرحون: المرح لا يكون إلا بالباطل، قيّد الأول (الفرح) بغير الحق وأطلق المرح، والمرح: شدة الفرح مثل: الغناء والطرب والرقص.

[٧٦] ﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾:

هذه الآية تشبه آية (٧٢) من سورة الزمر وهي قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾. ارجع إلى سورة الزمر للبيان.

﴿أَدْخُلُوا﴾: تعود على الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رُسُلنا، والذين يجادلون في آيات الله.

﴿أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾: لها سبعة أبواب كما ورد في الآية (٤٤) من سورة الحجر وهي قوله: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ وقيل: سبعة أبواب؛ لأن لها سبع دركات وهي:

جهنم، لظى، الحُطمة، السَّعير، سقر، الجحيم، الهاوية، اسم جهنم مشتق من الجهنَّام: القعر البعيد. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: الخلود يبدأ من زمن دخولهم جهنم، والخلود يعني البقاء على حالهم إلى ما لا نهاية.

﴿فِئْسَ﴾: الفاء للتوكيد، بئس: من أفعال الدَّم والتَّحقير.

﴿مَثْوًى﴾: تشمل معانٍ عدة: الإقامة والاستقرار ومكان الإقامة الجبرية



(الحبس) والإقامة الدائمة، وأنها مكان ضيق غير متسع مطبق عليهم وهم عاجزون عن القيام بأي عمل. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٥٥) لبيان معنى المئوى والمأوى.

﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾: عن الإيمان بالله وحده وآياته ورسله، والمتكبر عن قبول الحق. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان.

[٧٧] ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمًا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعُكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ﴾:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: ارجع إلى الآية (٥٥) من السورة نفسها وهي قوله: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ﴾، والآية (٤٦) من سورة يونس وهي قوله: ﴿وَأَمَّا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعُكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ﴾: فاصبر: الفاء للتوكيد، اصبر: حث على الصبر، والصبر في هذه الآية على أذى المشركين، والدعوة وإظهار الدين والغلبة على الكافرين والمشركون.

وأما الصبر في الآية (٥٥) على طاعة الله واجتناب نواهيه والصلاة والتسبيح وعلى ما أصابك.

أو الآية (٧٧) توكيد للآية (٥٥) على الصبر بكل أنواعه، والخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ والمقصود به أيضاً أمته.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: ثابت وقادم لا محالة، بالنصر والغلبة لله ولرسوله ولدينه وللمؤمنين.

﴿فَكَيْمًا﴾: حرف تفصيل وتوكيد، ومركبة من إن الشرطية مدغمة بـ ما للتوكيد، وجواب الشرط محذوف.

﴿نُرِيَنَّكَ﴾: النَّونُ في (نرينك) للتوكيد أيضاً، نرينك يا رسول الله ﷺ، وأنت حي؛ أي: في حياتك.

﴿بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ﴾: قسم أو جزء من الذي نعدهم؛ أي: من العذاب في الدنيا بالقتل والهزيمة والخسارة والفقر والتشريد والعذاب.

﴿أَوْ﴾: للتقسيم والتخيير.

﴿نَتُوفِينَنَّكَ﴾: النَّونُ في (نتوفينك) للتوكيد، والخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ، نتوفينك قبل أن نرينك عذابهم في الدنيا.

﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾: أي يوم القيامة، الفاء للتوكيد، (إلينا) تقديمها يدل على الحصر؛ أي: إلينا وحدنا يُرجعون: بضم الياء، أي قسراً وبدون إرادتهم، يرجعون للحساب أو للثواب أو للعقاب، ولو قال يرجعون بفتح الياء هذا الرجوع يكون بإرادتهم وليس قسراً.





سورة العنكبوت

سورة العنكبوت

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ
بِثَابَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ
لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا
مَنْفَعٌ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
الْفُلكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ
اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرِ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ
قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ
مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا
رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ
مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

سورة غافر [الآيات ٧٨ - ٨٥]

[٧٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَابِتٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد للتحقيق؛ أي: تحقق إرسال الرسل وتم، وقد تفيد التأكيد في هذه الآية.

﴿أَرْسَلْنَا﴾: ولم يقل بعثنا، هناك فرق بين الإرسال والبعث. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة لمعرفة الفرق.

﴿رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾: الخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ، قيل: عددهم كما أخرج الإمام أحمد عن أبي ذر أن رسول الله قال: عدد الأنبياء مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، والرسل من ذلك ثلاث مئة وخمسة عشر.

﴿مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾: أي في القرآن حيث ذكر الله سبحانه بعض الرسل وعددهم (٢٥) رسولاً ونبياً.

﴿وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾: قصصنا: من قصص القصص.

ليس فيها خيال بل هي حق، وليس فيها افتراء أو اختلاق كما هو الحال في القصص بكسر القاف التي قد يخالطها كذب وافتراء.

﴿وَمَا كَانَ﴾: الواو عاطفة، ما النافية، كان: يجوز أو يحق أو يصح، وكان تشمل جميع الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل.



﴿لِرَسُولٍ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿أَنْ يَأْتِيَ بَيِّنَاتٍ﴾: أن للتعليل والتوكيد، يأتي بآية: دلالة أو بينة أو آية معجزة دالة على نبوته، أو أي آية مهما كانت.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: إلا أداة حصر، بإذن الله: بأمر الله وإرادته. والإذن: اسم للكلام الذي يفيد بأخذ فعل أو قول، والإذن: يأتي في سياق العمل الذي ليس لنا تدخل فيه؛ أي: هو خارج عن إرادتنا بينما القول إن شاء الله تستعمل في سياق الأمور التي لنا شأن فيها، أو تدخل، أو نقوم بها.

﴿فَإِذَا﴾: إذا شرطية ظرفية تفيد الحتمية.

﴿جَاءَ﴾: أي وقع الحدث.

﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾: قد يكون: واحد من الأمور الشؤون، أو واحد من الأوامر مثل:

١ - إنزال العذاب والهلاك في الدنيا.

٢ - يوم القيامة.

٣ - قضاءه.

٤ - الفصل بين الرسل وأعدائهم (المكذبين).

﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾: حكم الله بالحق بين الرسل وأقوامهم، بين عباده وبين الأمم. بالحق: الباء للإلصاق والملازمة؛ أي: الملازم للحق، والحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتغير، والذي ليس هناك غيره.

﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾: المبطلون: جمع مبطل: هو المصّر على الباطل ومات مصراً على الباطل، والباطل: هو ما لم يأت به الشرع، والباطل لغة: هو الزائل الذاهب.

والباطل قد يطلق على الكذب والظلم والشرك والإحباط؛ أي: (حبطت أعمالهم). وخسر المبطلون أنفسهم وأهلهم.

[٧٩] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾:

﴿اللَّهُ﴾: اسم ذات واجب الوجود يحمل في طياته كل صفات الكمال المطوية في بقية أسمائه الحسنی.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾: لكم خاصة وليس لغيركم، والجعل مرحلة تتبع الخلق، أو اللام لام التعليل.

﴿الْأَنْعَامَ﴾: وهي ثمانية أزواج: من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن البقر اثنين ومن الإبل اثنين.

﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾: اللام لام التعليل، تركبوا منها: منها هنا بعضية؛ أي: لتركبوا بعضها مثل الإبل، ولا نركب البقر والغنم والمعز.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: منها: استغرافية بعكس الأولى البعضية، تستغرق كل الأنعام؛ أي: تشمل الكل، ومنها تأكلون: نأكل اللحم لحم الغنم والبقر والمعز والإبل، ونأكل من ألبانها.

[٨٠] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَىٰ أَفْئَالِكُمُ تُحْمَلُونَ﴾:

﴿وَلَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص أو التعليل.

﴿فِيهَا﴾: تعود على الأنعام.



﴿فِيهَا مَنَافِعُ﴾: غير الركوب والأكل مثل: الوبر والصوف والشعر وصناعة الملابس والأثاث والمتاع، استعمال جلودها لأغراض مختلفة. ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾: السلام لام التعليل، عليها: تفيد العلوية والمشقة.

والحاجة هو الأمر المهم الذي نحتاجه للسفر للحج والتجارة، وحمل الأثقال من مكان إلى مكان ومن بلد إلى بلد آخر لم تكونوا بالغيه إلا بشقّ الأنفس؛ أي: بالتعب والجهد والمشقة.

﴿وَعَلَيْهَا﴾: أي الإبل.

﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾: السفن وتطلق على الواحدة والجمع.

﴿تَحْمَلُونَ﴾: تركبون في البر والبحر أنتم وأمتعتكم.

ولنقارن هذه الآية (٨٠) من سورة غافر وهي قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾، والآية (٤٠) من سورة هود وهي قوله تعالى: ﴿قُلْنَا أَهْمَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾.

ففي آية غافر استعمل (عليها) واستعمل فيها للركب على الفلك أو في الفلك؛ لأن السفن لها طوابق مختلفة، يركب فيها أو يركب عليها؛ على ظهرها.

انتبه إلى قوله تعالى: لتركبوا منها وتبلغوا عليها حاجة، أدخل لام التوكيد، وتأكلون وتحملون بدون لام التوكيد؛ لأن الأكل والانتفاع منها أقل أهمية من الركوب عليها في الصحارى وبلوغ الحاجة.

[٨١] ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾:

بعد أن ذكر الله خلق السموات والأرض والليل والنهار، وجعل الأرض

قراراً والسماء بناء، وصوركم وأحسن صوركم، فهو سبحانه قادر على أن يريكم آيات أخرى دالة على قدرته وعظمته وإلهيته وربوبيته.

﴿فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾: الفاء للتوكيد؛ أي: استفهام إنكاري للتوبيخ والتعجب؛ أي: هذه الآيات الدالة على كمال قدرته وأنه الإله الحق الذي يستحق أن يعبد وحده، وأنتم تنكرون.

أي: ولم يقل أية، جاء بصيغة الكثرة مع أن الآيات مؤنثة؛ لأن (أي) تدل على الكثرة، وأية تدل على القلة؛ أي قلة آيات الله.

﴿تُنْكِرُونَ﴾: الإنكار: يكون عادة للأشياء الظاهرة والباطنة، ويكون مع العلم وغير العلم به.

أي: كل الآيات واضحة وظاهرة لا يجوز لكم إنكارها لا بشكل ظاهر وعلمي؛ أي: بألستكم وأفعالكم، ولا بشكل باطني؛ أي: بقلوبكم وصدوركم.

ولمعرفة الفرق بين الإنكار والجحد ارجع إلى الآية (١٤) من سورة النمل.

[٨٢] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾:

﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والحث والإنكار على هؤلاء المجادلين في آيات الله والكافرين، والذين يكذبون بالكتاب وبما جاء به الرسل، لم لا يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة ومصير الأمم السابقة التي كذبت وعصت رسلها أمثال قوم عاد وصالح ولوط وفرعون. ارجع إلى الآية (٢١) من السورة نفسها للبيان.

﴿يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ﴾: عدداً؛ أي: كانوا أكثر عدداً من مشركي قريش وأشد قوة: قوة الأجسام



وقوة العدة والعتاد، وآثاراً في الأرض؛ أي: عمروا الأرض أكثر مما عمرها مشركو قريش؛ أي: بإقامة الحصون والقصور والمصانع والمدن والحضارات والسدود ومظاهر العمران والحضارة والغنى.

﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: فما: الفاء للتوكيد، ما: النافية أو قد تكون استئنافية.

أغنى عنهم: أي لم ينفعهم أو يفدهم ما كانوا يكسبون حين حل بهم العذاب في الدنيا من مال وحضارة وحصون وقوة وجاه، ومُلك وجنات وزروع ومقام كريم.

ما كانوا: ما هذه مصدرية، أو بمعنى الذي اسم موصول؛ أي: ما نفعهم كسبهم أو نفعهم الذي كسبوه.

[٨٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَ تَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: ظرف للزمان الماضي بمعنى حين.

﴿جَاءَ تَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: تعود على الذين من قبلهم من الأمم جاءتهم رسلهم (أمثال هود وصالح ولوط وموسى) بالبينات: بالآيات الواضحة الدالة على أن الله هو الإله الحق الواحد، والدالة على وحدانيته وعلى وجوب الإيمان وتصديق الرسل، والدالة على البعث والحساب والجزاء.

﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾: فرحوا: ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٧٠) لبيان معنى الفرح وأنواعه؛ فرحوا بما عندهم من العقائد الباطلة وتقليد الآباء، وما عندهم من علوم الدنيا كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[الزوم: ٧] فقالوا: لسنا بحاجة إلى رسل ولا كتب، وقالوا: نحن نعلم أننا لن نبعث ولن نعذب ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

أي: علومنا تكفيها واستهزؤوا بعلوم الدين وبالرسل، وسموا ذلك علماً؛ لجهلهم، أو سُمي علماً تهكماً بهم وتقريعاً.

﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾: أحاط بهم ونزل بهم؛ أي: بالذين كذبوا بالرسل وكذبوا بوقوع العذاب. ارجع إلى الآية (٤٥) من نفس السورة لمزيد من البيان، والفرق بين حاق ونزل.

﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: أي عاقبة ما كانوا به يستهزؤون، ما: بمعنى الذي؛ أي: حاق بهم استهزاؤهم ولم ينفعهم كسبهم أو قوتهم أو عددهم، أو يمنع أو يدفع عنهم العذاب. ارجع إلى سورة الزمر آية (٤٨) لبيان معنى يستهزؤون.

[٨٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للتوكيد، لما: ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿رَأَوْا بَأْسَنَا﴾: عاينوا بأسنا: عذابنا سيحل بهم أو واقع بهم.

﴿قَالُوا﴾: في تلك الساعة آمنا بالله وحده.

﴿وَكَفَرْنَا بِمَا﴾: جحدنا بما: بما الباء للإلصاق، ما: تعني الذي، أو مصدرية، كفرنا بشركنا؛ أي: تبرأنا وتبنا.

﴿بِهِ﴾: تعود على الأصنام والآلهة والطاغوت وغيرها من المعبودات.

﴿مُشْرِكِينَ﴾: في الدنيا، مشركين: جمع مشرك، وجاءت بصيغة الثبوت؛ أي: كان الشرك صفة ثابتة لهم طوال حياتهم.



[٨٥] ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسًا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾:

﴿فَلَمْ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، لم: للنفي.

﴿يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ﴾: يك ولم يقل يكن؛ أي: لم ينفعهم إيمانهم أدنى أو أقل منفعة يمكن تصورها.

ولو قال فلم ينفعهم إيمانهم، لكان يعني: مهما كان حجم إيمانهم ونوعه وشدته، لم ينفعهم.

﴿لَمَّا رَأَوْا بَاسًا﴾: تكرر هذه في الآيتين (٨٤، ٨٥) ليدل على التوكيد؛ أي: حين ينزل العذاب بقرية أو بقوم فلن ينفعها إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.

﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾: السَّنة العادة والطريقة الَّتِي سَنَّها الله تعالى، وهي من تاب عند معاينة العذاب توبته لا تقبل، كما حدث لفرعون حين أدركه الغرق قال: ﴿ءَاْمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاْمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩٠) ءَاَكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿ [يونس: ٩٠-٩١].

ولابد من ذكر أن الله سبحانه (وله الأمر كله) استثنى من هذه السَّنة قوم يونس فقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَاْمَنْتَ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَاْمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخَرْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾: وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]. ارجع إلى سورة فاطر للبيان.

وفي هذه الآية تحذير وإنذار لكل كافر ومشرِك ولمن يؤخرون توبتهم.



﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾: خسرو: بمعنى هلك، خسرو نفسه.

هنالك: اسم إشارة للمكان البعيد، وقد تعني الزمان؛ أي: خسروا وقت رؤيتهم العذاب، أو خسروا في ذلك المكان.

وكانهم لم يكونوا خاسرين قبل ذلك؛ لكونهم كانوا قادرين على التوبة والإنابة قبل رؤية بأسنا.

﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾: الكافرون؛ لأن الآيات في سياق الإيمان والكفر لقوله تعالى: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ فقال: ﴿هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾.

ولو قارنا هذه الآية (٨٥) بالآية (٧٨) السابقة وهي قوله تعالى: ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ لوجدنا أن هذه الآية جاءت في سياق أو بعد قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ فالحق يقابله الباطل فاختار (المبطلون).

والآية (٨٥) جاءت في سياق الإيمان والكفر، وبما أن إيمانهم جاء متأخراً، وربما جاء قسراً وليس بإرادتهم كييمان فرعون، ولذلك جاء بقوله تعالى ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾.





سُورَةُ الْفُصِّلَاتِ ٤١

الْمِيزَانِ الْعَمِيمِ

سُورَةُ الْفُصِّلَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۞ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ كَذَّبُ فُصِّلَتْ
 آيَاتُهُ، قُرْءَانَا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ
 أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۞ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ
 مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ
 فَأَعْمَلْنَا عَمَلُونَ ۞ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ
 أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۖ وَوَيْلٌ
 لِّلْمُشْرِكِينَ ۞ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
 هُمْ كَافِرُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
 أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۞ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْثَرُكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ
 الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ۚ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞
 وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَىٰ مِّن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي
 أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۞ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ
 فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۞



سورة فصلت [الآيات ١ - ١١]

ترتيبها في القرآن (٤١) وترتيبها في النزول (٦١) نزلت بعد سورة غافر وقبل سورة الشورى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمْدٌ﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة.

[٢] ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾:

﴿تَنْزِيلٌ﴾: قد يكون التقدير: تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته، أو تقديره: هذا تنزيل. وتنزيل نكرة للتعظيم. تنزيل عظيم.

ارجع إلى سورة الزمر آية (١).

﴿مِّنَ﴾: ابتدائية.

﴿الرَّحْمَنِ﴾: من أسماء الله الحسنى مشتق من الرحمة التي هي السمة العامة التي تمثل كثيراً من صفاته.

الرحمن: على وزن فعلان صيغة فعلان تفيد الدلالة على التجدد والتكرار، وهذا الاسم لا يشئ ولا يجمع ولا يطلق إلا على الله سبحانه وتعالى.

﴿الرَّحِيمِ﴾: على وزن فعيل، صيغة تعظيم، صفة تفيد الثبوت. الرحمن والرحيم كلاهما من مشتقات كلمة الرحمة.



فهو سبحانه وصف نفسه بالرحمن الرحيم؛ أي: أن رحمته متجددة ومستمرة، ودائمة لا تنقطع، وكذلك رحمة ثابتة في الدنيا وفي الآخرة.

الرحمن: بعباده المؤمنين والكافر والصالح والطالح بنعمة الإيجاد والإمداد (الإنعام) والهداية العامة.

والرحيم: بعباده المؤمنين يختص برحمته من يشاء ويدخل في رحمته من يشاء.

ارجع إلى سورة الفاتحة الآية (٢) لمزيد من البيان.

[٣] ﴿كَتَبَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿كَتَبَ﴾: سُمِّيَ كتاباً وسُمِّيَ قرآنًا كتاباً؛ لأنه مكتوب في السطور أو اللوح المحفوظ، وسُمِّيَ قرآنًا؛ لأنه مقروء من السطور والتلقي.

﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾: أي: بينت آياته من أبان الشيء وفصله، وكتاب مفصل مقسم إلى فصول في الخلق والكون والوعد والوعيد والبعث والحساب وغيرها.

وبينت آياته الحلال والحرام والحق والباطل. أو بُيِّنَتْ معانيها. ارجع إلى سورة هود آية (١) لمزيد من البيان.

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: اللام لام الاختصاص أي: تنزيل من الرحمن الرحيم لأجل قوم يعلمون أو فصلت آياته لأجلهم أو لهم خاصة يعلمون من العلم. أي: يعلمون معاني الآيات سواء كانت خفية أو جليلة أو خاصة بعد أن فصلت، أي: قرآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ؛ أي: يتفكروا ويتدبروا أولاً، ثم يعلمون في النهاية؛ فتكون المراحل هي التالية: التفكير، ثم التدبر، ثم الفقه، ثم العلم؛ أي: يتفكرون، ثم يتدبرون، ثم يفقهون، ثم يعلمون.

[٤] ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾:

﴿بَشِيرًا﴾: لمن يؤمن بالله ويعمل صالحاً.

﴿وَنَذِيرًا﴾: للجميع خاصة الذين أشركوا أو كفروا وعصوا ربهم. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩) لمزيد من البيان في بشيراً ونذيراً.

﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، أعرض أكثرهم: أي: أعرض أكثر أهل مكة وغيرهم عن الاستماع إلى آياته وتدبرها والانتفاع بها.

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: الفاء للتوكيد. هم: ضمير فصل يفيد التوكيد أيضاً. فهم لا يسمعون سماع التدبر والانتفاع بالآيات، يسمعون تفيد التجدد والتكرار، أي: لا يسمعون بشكل متجدد متكرر.

[٥] ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُوْنَآ إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونُ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: كفار مكة وغيرهم.

﴿قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ﴾: أكنة جمع كنان وهو الغطاء، أي: قلوبنا لا تفقه ما تقول يا محمد صلى الله عليه وسلم، أو مغطاة بأكنة تمنع وصول الفهم إليهم. ارجع إلى سورة الكهف آية (٥٧) لمزيد من البيان.

﴿مِّمَّا نَدْعُوْنَآ إِلَيْهِ﴾: أي: نحن لا نسمع أو نفهم ما تقول، رغم أن الله سبحانه وصفهم بقوم يعلمون.

مما: من ابتدائية، ما: الذي تدعونا إليه من الإيمان والتوحيد والبعث والجزاء والحساب.

﴿وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾: ثقل في السمع: أو وقْرٌ يمنع وصول السمع، ولم يقولوا: نحن صم، أي: مصابون بمرض الصمم منذ الولادة. ارجع إلى سورة لقمان آية (٧) لمزيد من البيان.



﴿وَمِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾: ومن: تفيد القرب، حجاب: ستار أو حاجز أو مانع (قد يكون إنساناً)، أي: رغم قربنا وقربك منا فهناك حجاب يفصل بيننا وبينك. وهذا الحجاب هم أقاموه بنية وقصد.

فالأكنة: في قلوبنا، والوقر: في آذاننا، والحجاب: من بيننا وبينك ثلاثة عوائق تمنعنا من قبول ما تدعونا إليه وللإيمان بك.

﴿فَاعْمَلْ إِنِّي نَحْمِلُكَ﴾: الفاء: للمباشرة والتوكيد، اعمل على طريقتك أو دينك، أي: استمر على ما تقوم به ونحن عاملون على ديننا وطريقتنا.. عاملون: جمع عامل تفيد الثبوت... والعمل يشمل القول والفعل.

[٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۚ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: أي: أخبر يا رسول الله هؤلاء المعرضين عن الإيمان بالله والاستماع إلى آياته، والمشركون به والذين يدعون أن قلوبهم في أكنة وفي آذانهم وقر وبينك وبينهم حجاب، قل لهم بعد أن أعرضوا: ﴿إِنَّمَا أَنَا﴾: إنما كافة ومكفوفة تفيد التوكيد، أنا: للتوكيد.

﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: لا أستطيع أن أجبركم على الإيمان. وليست هذه هي وظيفتي إنما وظيفتي الإبلاغ المبين، أي: إخباركم أن إلهكم إله واحد.

﴿يُوحَىٰ إِلَى﴾: الإيحاء: لغة هو إعلام بخفاء. ويعني شرعاً: إيصال ما أنزل الله سبحانه وشرعه إلى الأنبياء والرسل والناس أجمعين.

ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان.

﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ﴾: إنما: للقصر والحصر، واحد: للتوكيد، واحد: لا شريك له ولا ولد ولا صاحبة.

﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾: أي: استمروا بثباتكم على دينه (الصراط المستقيم)

كما أمركم على لسان رسله وما نهاكم عنه وما أنزل في كتابه وأخلصوا إليه بالتوحيد وعدم الشرك به في العبادة والاستقامة تشمل الأقوال والأفعال والنيات.

ارجع إلى الآية (٣٠) من نفس السورة للبيان.

﴿وَأَسْتَغْفِرُوهُ﴾: من ذنوبكم، الفاء للمباشرة والتعقيب، سارعوا إلى الاستغفار والتوبة والإنابة إليه والاستغفار طلب المغفرة.

﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾: الويل هو الهلاك والعذاب والعرب تستعمل كلمة الويل لكل من وقع في هلكة، وقيل: واد في جهنم. للمشركين: اللام: لام الاختصاص والاستحقاق؛ المشركين: جملة اسمية تدل على الثبوت؛ أي: استمرارهم على الشرك بالله تعالى.

[٧] ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفَرُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: الذين: اسم موصول يفيد الذم.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: الإيتاء؛ أي: لا يدفعون الزكاة، ولم اختار لا يؤتون الزكاة على غيرها من الصفات؛ لأن المال هو من أحب الأشياء إلى الإنسان، ودفع الزكاة دليل على صدق الإيمان، والثبات والاستقامة، وقرن عدم إيتاء الزكاة بالكفر بالآخرة فقال:

﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفَرُونَ﴾: هم: ضمير فصل يفيد الذم. بالآخرة: الباء:

للإلصاق، هم كفرون: هم: تفيد التوكيد، وكافرون: لا يؤمنون بها، وكافرون: جملة اسمية تدل على ثبوت كفرهم، وعدم تصديقهم بها رغم كل الأدلة والبيانات والاستمرار على ذلك.

[٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾:

ومقابل المشركين يذكر الذين آمنوا وعملوا الصالحات.



قيل: نزلت هذه الآية في المرضى والقاعدين إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم من الأجر مثل الذين كانوا يعملون حين كانوا معافين قادرين على العبادة.
﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: قرنوا الإيمان بالعمل الصالح.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: أجر غير مقطوع؛ ممنون: اشتقت من منت الحبل إذا قطعته؛ كقوله تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوذٍ﴾ [مرد: ١٠٨]، أو أجر غير ممنون عليهم؛ أي: يستحقونه، ولا يمن الله عليهم به، لا يذكرهم به، وإنما يمن عليهم بالفضل؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١].

[٩] ﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ كُفْرُوكُمْ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾:

المناسبة: تعود الآيات إلى ذكر المشركين وكيف يشركون بالله الذي خلق لهم الأرض والسماء في ستة أيام فقال:

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ؛ قل لمشركي قريش.

﴿أَنتُمْ كُفْرُوكُمْ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري وتعجب؛ أي: كيف تكفرون.

﴿لَكُمْ كُفْرُوكُمْ﴾: اللام: لام التوكيد؛ توكيد الكفر. ارجع إلى سورة البقرة آية (٦) لبيان معنى الكفر. كفر العقيدة؛ أي: الكفر: الجحود بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿بِالَّذِي﴾: الباء: للإلصاق؛ الذي: اسم موصول يفيد التعظيم، ويختص بالمفرد المذكر.

﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾: ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٢، ٢٩)، وسورة

الأنبياء آية (٣٠)، وسورة الأعراف آية (٥٤) لمزيد من البيان المفصل في خلق السموات والأرض.

ففي حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم وذكره البخاري في تاريخه، ورواه أحمد والنسائي: أن رسول الله ﷺ قال: «يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق، وفي آخر ساعة من ساعات الجمعة فيها بين العصر إلى الليل».

وإذا قارنا هذا الحديث بما توصل إليه العلم يمكن ترتيب الحديث كما يلي: خلق الله الأرض أولاً يوم السبت، وألقى فيها الرواسي (الجبال) يوم الأحد، وخلق التربة يوم الاثنين، وخلق النور يوم الثلاثاء، وخلق النبات (الشجر) يوم الأربعاء، وخلق الدواب يوم الخميس، وخلق الإنسان يوم الجمعة أو بعد العصر من يوم الجمعة؛ هذا يعني: كل دقيقة تساوي ملايين ملايين السنين، وكل يوم يساوي ملايين ملايين السنين من الأيام الستة التي ذكرها الله تعالى، وهذا يفسر قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، خلق أو سوى كل شيء على الأرض، ثم استوى إلى السماء؛ أي: السماء كانت موجودة فسواهن سبع سموات؛ أي: غيرهن سبع سموات؛ أي: حين غير الأرض وخلق فيها كل شيء في نفس الزمن كان يميز السماء ويخلق فيها كل شيء من نجوم وكواكب ومدارات ومجرات وشموس وأقمار.

ومثل رسول الله ﷺ عمر الإنسان على الأرض بيوم واحد.

ونفهم من هذا الحديث لو كان عمر الإنسان على الأرض يوماً واحداً فقد مضى على وجود الإنسان من آدم إلى زمن رسول الله ﷺ (١٢) ساعة، وبقي (٣) ساعات، وهذا ما جاء في حديث آخر رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن



رسول الله ﷺ قال: «إنما أجلكم فيما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس». حديث حسن صحيح.

وعلماء الفلك افترضوا لو أن عمر الكون يوم واحد فالإنسان خلق في آخر عشر دقائق من نهاية الكون؛ أي: من آدم إلى آخر مخلوق على الأرض يمثل (١٠) دقائق مقارنة بعمر الكون لو فرضنا أنه يوم واحد.

ومن آدم حتى زمن رسول الله ﷺ يمثل (٧ دقائق).

ونحن نعيش في آخر ثلاث دقائق من عمر الكون.

وإذا ما قارنا عمر الكون الذي يقدر بمليارات السنين معنى ذلك أن الساعة الواحدة تقدر بملايين السنين والدقيقة الواحدة آلاف السنين، والله أعلم.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ أَنْدَادًا﴾: الند: هو ما كان مثل الشيء يضاده في أموره، ويوم التناد يوم التنافر والتشريد. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٢) لمزيد من البيان.

﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: ذا: اسم إشارة، واللام: للبعد يفيد التعظيم.

الرب: الخالق والمالك والمربي والمنعم والرازق.

العالمين: جمع عالم الملائكة والجن والإنس، أو كل موجود سوى الله تعالى.

[١٠] ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ﴾:

﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾: تعود إلى الأرض.

﴿رَوَاسِيَ﴾: جبال، أي: لثلاث تميم وتضطرب، وكما قال تعالى: ﴿وَالْقَى فِي

الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥].

ارجع إلى سورة النحل آية (١٥) وسورة الحجر آية (١٩) للبيان.



﴿مِنْ فَوْقَهَا﴾: من فوق الأرض.

﴿وَبَرَكْ فِيهَا﴾: أكثر خيرها بأن خلق فيها الأشجار والثمار، وكل أنواع النبات والحيوانات والمياه والخيرات والبركة تعني الخير والزيادة والنمو.
﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾: أرزاق أهلها. والأقوات: جمع قوت: أقوات الناس والحيوانات.

قدر فيها: قيل: قسم الأرزاق بين العباد والحيوانات. قدر كمية الماء واليابسة وقدر نسب وأعداد الكائنات الحية وكل ما يتعلق بها.

﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٍ لِلْسَّائِلِينَ﴾: في تمام أربعة أيام: أي: خلق الأرض، ما في الأرض في تمام أربعة أيام، فالله سبحانه خلق السماء والأرض في ستة أيام أو ست مراحل هي: مرحلة الرق، ثم مرحلة الفتق (الانفجار والدخان) ثم مرحلة التسوية (التميز) ميز الأرض إلى سبع أرضين وميز السماء إلى سبع سموات، ثم مرحلة (الدحو) وتكوين الغلاف المائي والغازي، ثم مرحلة إلقاء الرواسي (الجبال)، ثم مرحلة تقدير الأقوات، ثم خلق آدم.

وهكذا يمكن القول: أن مرحلة تسوية السماء تمت في نفس الزمن الذي تم فيه تسوية الأرض، أي: ميز الأرض إلى سبع أرضين وميز السماء إلى سبع سموات في نفس الزمن، وكذلك مرحلة الإتيان تمت في نفس الزمن، فلا نفهم أن التسوية والإتيان تمت لكل منهما على حدة.

إذن تصبح الأيام الأربعة: الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء.

والقاعدة: كل مجمل يخضع للتفصيل إلا تفصيل العدد فيرجع للمجمل.

فالأربعة أيام هذه تكملة لخلق الأرض في يومين، فاليومان من الأربعة أيام.

وقد يسأل سائل: وهل يحتاج الله سبحانه إلى ٦ أيام وهو قادر على أن

يقول للشيء: كن، فيكون؟ فسبحانه لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون.



﴿سَوَاءٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾: سواء لا زيادة ولا نقصان، أربعة أيام تامات مستويات.

للسائلين: اللام لام الاختصاص أو التعليل، السائلين: أي: من يسأل عنها، وقيل: هي الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة. لا تزيد ولا تنقص.

[١١] ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لا تدل على التراخي في الزمان، وإنما الترتيب الذكري العددي.

﴿أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾: استوى: قصد أو توجه إلى السماء.

﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾: وهي في حال دخان. كتلة غازية، فخلق منها السموات السبع والكواكب والنجوم والأقمار والمجرات وكل الأجرام.

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾: أي: أراد تكوين وخلق السماء والأرض حسب ما يشاء.

﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾: كيف خوطبتا واستجابتا يدخل في علم الغيب، ومسألة التأويل، فيجب الوقوف عنده ولا نخوض فيما لا علم لنا به. ويمكن القول: أن الله سبحانه خاطب السموات والأرض كأن لهما عقلاً وأجابتا على سؤاله سبحانه، قالتا: أتينا طائعين.

وقد يشير هذا أو يعني أنه عرض الأمانة على السموات والأرض فأبين أن يحملنها فسخرها، كما قال تعالى في سورة الأعراف الآية (٥٤): ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى الْيَلَّ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾.

ورغم أن السموات سبع لم يقلن: أتينا طائعات؛ مما يدل على أنه جعلها كياناً واحداً والأرض كياناً واحداً وأراد لكل منهما كيانه الخاص به.



ويمكن القول حسب ما توصل العلم: إن خلق السموات والأرض مر
بمراحل ست هي:

المرحلة الأولى: كان الكون جرمًا واحدًا متناهيًا في صغر الحجم ومتناهيًا
في الطاقة والمادة (يفسر قوله تعالى: ﴿كَانَنَا رَتْقًا﴾ [الأنبياء: ٣٠]).

المرحلة الثانية: مرحلة الدخان: الناتج عن انفجار هذا الجرم (وهذا يفسره
قوله تعالى: ﴿فَفَقَّنْهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]).

المرحلة الثالثة: مرحلة الإتيان: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا
طَائِعِينَ﴾.

المرحلة الرابعة: مرحلة التسوية، التميز (سوى الأرض سبع أرضين وسوى
السماء سبع سموات).

المرحلة الخامسة: مرحلة الدحو: (إخراج الغلاف المائي والغازي)
وإرساء الجبال.

المرحلة السادسة: قدّر فيها أقواتها.

ولا يجوز القول أن الله خلق الأرض أولاً، ثم السماء ثانياً، فهو خلق أرضاً
واحدة وسماء واحدة في زمن واحد، وبعد ذلك ميّزها إلى سبع أرضين وسبع
سموات.





سُورَةُ فَصَّلَاتٍ ٤١

الْجُودِ الرَّحْمَنِ

فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ
عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَ تَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً
فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مَنَاقُوتًا أُولَئِكَ يَرَوْنَ اللَّهَ
الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مُمِيسَاتٍ لِنَذِيقَهُمْ
عَذَابَ الْآخِرَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى
الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ
أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ
عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾



سورة فصلت [الآيات: ١٢ - ٢٠]

[١٢] ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾:

﴿فَقَضَّاهُنَّ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب. قضاهنَّ: من قضى بمعنى خلق أو أمر أو قضى بمعنى انتهى وأتم، أي: أتمهنَّ.

﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾: سبع سموات طباقاً، أي: سبع كرات عظيمة يغلف الخارج منها الداخل مركزها الأرض التي لا تقارن بحجم السموات والتي بدورها، أي: الأرض مكوّنة من سبع أرضين (سبع طبقات) فقضاهنَّ سبع سموات في يومين، أي: سواهنَّ أو ميزهنَّ إلى سبع سموات، ونحن لا نعلم إلا الشيء القليل عن السماء الدنيا، وأما باقي السموات لا يعلمها إلا الله سبحانه.

﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾: خلق في كل سماء خلقها أو ما أراد أن يكون فيها.

﴿وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا﴾: المصباح هي النجوم. وحفظاً: من الشياطين الذي يسترقون السمع. أو حفظناها حفظاً من الشياطين لمنعهم من استراق السمع بالشهب الثاقبة والشهب المبينة التي تحرق الشياطين حين يحاولون أن يخطفوا الخطفة.



ارجع إلى سورة الصافات آية (١٠) للبيان.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد يشير إلى الخلق والتزيين والإيحاء.

﴿تَقْدِيرُ﴾: الخلق هو التقدير. أي: ذلك خلق العزيز العليم.

﴿الْعَزِيزُ﴾: الذي يَغْلِبُ ولا يُغْلَبُ وَيَقْهَرُ ولا يُقْهَرُ، والممتنع لا يضره أحد.

﴿الْعَلِيمِ﴾: في تدبير خلقه وكونه أحاط علمه بجميع خلقه، العليم صيغة

مبالغة تعني: كثير العلم، وهو كذلك عالم الغيب والشهادة وعلام الغيوب.

[١٣] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء عاطفة، إن: شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض والشك.

﴿أَعْرَضُوا﴾: أي: كفار قريش أعرضوا، أي: ابتعدوا أو تولّوا أو انصرفوا عن

الإيمان والتوحيد، أعرضوا عما تدعوهم إليه.

﴿فَقُلْ﴾: لهم الفاء جواب الشرط.

﴿أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾: الإنذار هو الإعلام مع التحذير والتخويف.

﴿صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾: الصاعقة كالبرق الذي يؤدي إلى توليد

طاقة كهربائية بين السحب والأرض، والتي تدوم قليلاً من الزمن، وتحمل في

طياتها شحنات كهربائية تتراوح بين (١٢٠٠٠) و(٢٠٠٠٠) أمبير تؤدي إلى

صعق الإنسان وموته بالتأثير في قلبه حالاً والقضاء عليه.

[١٤] ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾
﴿إِذْ﴾: ظرف زمان للماضي.

﴿جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ﴾: هود وصالح والرسول يمثل الرسل كقوله: كذبت عاد المرسلين، أي: هود. فأما هود عليه السلام فأرسل إلى عاد، وأما صالح عليه السلام فأرسل إلى ثمود.

﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: من تدل على القرب، أي: من دون فاصل زمني.

أيديهم: أي: جاءت آباءهم ومن كان قبلهم.

﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: أي: مباشرة جاءت من خلف الآباء، أي: جاءت الأبناء، أي: أنفسهم أو جاءتهم الرسل يدعونهم مباشرة إلى الإيمان والتوحيد جاءوهم من أمامهم ومن خلفهم قائلين لهم.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾: أي: ألحوا عليهم بالدعوة في كل مكان، ليلاً ونهاراً.

﴿إِلَّا﴾: أن لا، أن: مصدرية تفيد التعليل والتوكيد، لا: ناهية.

تعبدوا إلا: أداة حصر. العبادة: لتعريفها، ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣).

﴿قَالُوا﴾: أي: قوم هود وقوم صالح.

﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا﴾: لو: شرطية، ربنا: أي: خالقنا ومتولي أمورنا، ولم يقولوا: لو شاء الله؛ لأن الله هو المعبود، ويأتي ذكره في سياق العبادة، واختار اسم الرب؛ لأن الرب هو الهادي (بيده الهداية) والمربي.



﴿لَأَنْزِلَ مَلَكًا﴾: لأنزل: اللام: للتوكيد؛ أنزل ملائكة بدلاً من الرسل، أي: ما أنتم إلا بشر مثلنا، وتأكلون مما نأكل وتشربون مما نشرب.

﴿فَإِنَّا﴾: الفاء للتوكيد، إنا: للتوكيد.

﴿يَمَّا﴾: الباء للإلصاق، ما: الذي، أرسلتم به: من الإيمان بالله وحده والبعث والحساب والاستغفار والتوبة.

﴿كَفَرُونَ﴾: جاحدون أو غير مصدقين. كفرون: جملة اسمية تدل على الثبوت والإصرار عليه وعدم التفكير بالتوبة.

[١٥] ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مَنَاقِبَةً أَوْلَتْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْدِثُونَ﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء استئنافية، أما: حرف تفصيل.

﴿عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: أي: أظهروا تكبرهم وعظم شأنهم فوق ما يستحقون، استكبروا: طلبوا الكبر وهم ليسوا أهلاً له؛ استكبروا: بالغوا في الكبر، أو عندهم مقومات الكبر الحقيقية. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان، والفرق بين الاستكبار والتكبر.

﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: بالباطل والعدوان والفساد والظلم والقتل وغيره.

أما الاستكبار في الأرض بالحق: فعندما يتكبر على عدو الله الذي يستهزئ بما أنزل الله أو بالآيات والقرآن وبالرسول، فهذا استكبار بالحق.

﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنْ قُوَّةٍ﴾: من: استفهامية، أشد من قوة: تقديم من الجار والمجرور لتدل على التوكيد. أي: لا أحد أقوى من قوة.

وكانوا ذوي قوة وصلابة في البنية وذوي أجسام قوية فاغثروا بما بنوه من المصانع والجنات وبأجسامهم وقوتهم حين هدّدهم هود عليه السلام بالعذاب. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: الهمزة في أولم للاستفهام، والواو للتوكيد.

﴿أَنْتَ اللَّهُ﴾: أن للتعليل والتوكيد.

﴿الَّذِي خَلَقَهُمْ﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿هُوَ﴾: تفيد التوكيد.

﴿أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: عدّة وعتاد وجنود السموات والأرض.

﴿وَكَاْنُوا يَتَّبِعُونَ﴾: بآيات الله التي جاء بها هود عليه السلام يجحدون والجحد: هو إنكار الشيء الظاهر من الآيات، والجحد هو إنكار متعمّد. ارجع إلى سورة النمل آية (١٤) لمزيد من البيان.

ولم يقل جحدوا: لأنه يريد أن يأتي بصيغة المضارع ليدل على حكاية الحال، أي: إظهار فعل جحدهم الآن ليدل على قبح فعلهم وإنكارهم.

[١٦] ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾:

﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾: الفاء استئنافية، عليهم: على تفيد المشقة والعلو.



﴿رِيحًا صَرَّارًا﴾: الريح في القرآن تستعمل في سياق العذاب والدمار، أما الرياح فتستعمل في سياق الرحمة.

ريحاً صرّاراً: أصل صرّ من الصر وهو البرد الشديد. أي: ريحاً شديدة البرودة ولها صوت عند هبوبها. فهي تجمع صفتين: البرودة الشديدة وعندما تهب لها صوت، فالبرودة الشديدة تؤذي الجسم فتؤدّي إلى انقباض الأوعية الدموية في الجلد. وتؤدّي في النهاية إلى موت الجلد، وبالتالي الحاجة إلى بتر العضو أو الطرف كاليد أو القدم.

﴿فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ﴾: في: ظرفية زمانية، أيام نحسات: لها معانٍ: مشؤومات، وقيل: شداد أو متتابعات أو ذوات شر ونحوس.

﴿لَنَذِقَنَّهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: اللام للتوكيد والاختصاص، نذيقهم عذاب الخزي: الخزي: الذل والفضيحة لنذلهم ونفضحهم في الدنيا أمام الآخرين.

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾: ولعذاب اللام للتوكيد، عذاب الآخرة أخزى: على وزن أفعل، أي: أشد خزيًا وفضيحة.

﴿وَهُمْ لَا يَنْصُرُونَ﴾: هم: للتوكيد، لا: النافية، ينصرون: لا يجدون من ينصرهم أو يعينهم أو يدفع عنهم العذاب.

[١٧] ﴿وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: حرف تفصيل.



﴿ثَمُودُ﴾: قوم ثمود ونبههم صالح عليه السلام (من أنبياء العرب).

﴿فَهَدَيْتَهُمْ﴾: الفاء: للتوكيد، هديناهم: لا تعني حصلت لهم الهداية، وإنما دللناهم وبيننا لهم طريق الهدية أو سبيل الخير وسبيل الشر بعبادة الله وحده وعدم عقر الناقة وعدم مسّها بسوء.

﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾: أي: اختاروا الكفر على الإيمان أو طريق الضلالة على النور. والعمى عمى البصيرة على الهدى والرشاد. وعقروا الناقة وقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين وهموا بقتل صالح وأهله. ارجع إلى سورة النمل آية (٤٩) للبيان.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾: الفاء: للمباشرة والتعقيب، أخذتهم: حلت بهم الصاعقة فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

﴿صَعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾: ارجع إلى الآية (١٣) من نفس السورة.

العذاب الهون: العذاب الأليم المصحوب بالإهانة، الهون: المهين والذلة.

﴿بِمَا﴾: الباء: باء السببية أو البدلية، ما: بمعنى الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي، أو مصدرية.

﴿كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: من الشرك والظلم والكفر والسيئات، ولم يقل: يكتسبون.

ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٨٦) للفرق بين كسبت واكتسبت.



[١٨] ﴿وَنَجِّنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾:

﴿وَنَجِّنَا﴾: تدل على طول الزمن بينما أنجينا: تدل على السرعة أو قصر الزمن.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: أي: صالح والذين آمنوا معه. وكانوا يتقون: يطيعون أوامر الله ويجتنبون نواهيه.

[١٩] ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾:

﴿يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾: الحشر: هو السوق والجمع، أي: يساقون إلى أرض المحشر ويجمعون هناك للحساب والجزاء، وأما النشر فهو الإحياء.

﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾: من الكفار والمشركين أعداء الدين الذين كذبوا بالله وآياته ورسله.

﴿إِلَى النَّارِ﴾: إلى: تفيد كل الغايات.

﴿فَهُمْ﴾: الفاء عاطفة هم للتوكيد.

﴿يُوزَعُونَ﴾: من الوزع: أي: الكف والمنع وزعه عن الأمر: أي: كفه أو منعه، أي: يكف أو يمنع أولهم عن التقدم، وآخرهم عن التأخر حتى يلحق الآخر بالأول، أو يجتمع أولهم وآخرهم، ثم يساقون إلى النار زمراً زمراً.

[٢٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَبِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف لنهاية الغاية وهي الوصول إلى جهنم.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية.



﴿مَا﴾: للتوكيد. (وكانت تسمى: ما الزائدة).

﴿جَاءُوهَا﴾: أي: أعداء الله وصلوا إلى النار بصعوبة ومشقة. المجيء فيه

معنى الصعوبة والمشقة بعكس الإتيان يكون فيه معنى السهولة.

﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾: أي: تشهد عليهم حواسهم تشهد

على أصحابها. ولماذا خص الجلود عن بقية الحواس، وليست الأيدي والأرجل

أو غيرها؟ لأن الجلود هي التي ذكرت من بين الأعضاء، أما الأطراف التي

ستعذب كما قال تعالى في سورة النساء آية (٥٦): ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ

جُلُودًا غَيْرَهَا﴾.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق، ما: بمعنى الذي، ولكنها أعم وأشمل.

﴿كَانُوا﴾: في الدنيا.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: العمل يشمل القول والفعل، أي: ما كانوا يقولون ويفعلون.

ولا ننسى أن هناك شهوداً آخرين؛ الملائكة والأيدي والأرجل والألسن

والأرض والسماء كقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ

أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]، وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ

وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].





سُورَةُ الضُّحَى ٤١

الجزء الرابع والعشرون

وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْ تُمَّ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي
أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤١﴾
وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٤٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ
مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ
يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٤٤﴾ وَقِضْنَا لَهُمْ
قَرْنَاءَ فَرِيقٍ لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ
الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ
كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ
إِنْ أَلْعَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٤٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا
شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ
أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ
وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَاتَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٤٩﴾





سورة فصلت [الآيات ٢١ - ٢٩]

[٢١] ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: أي: قال أعداء الله يوم القيامة.

﴿لَجُلُودِهِمْ﴾: السلام: لام الاختصاص، والجلود تمثل حاسة اللمس. والجلود قيل: الجلود نفسها وقيل: الجلود الجوارح. أو اختار الجلود في هذه الآية من بين الأعضاء الأخرى.

﴿لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾: لم: استفهام إنكاري واستبعاد أن تشهد عليهم جلودهم وتعجب، لم شهدتم علينا (أي: ضدنا) ولم يقل: شهدتم لنا (أي: لصالحنا) أي: كيف شهدتم علينا وكنا ندافع عنكم في الدنيا أو نحميكم.

﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ﴾: القادر على إنطاق كل شيء، وهذا ليس بأمر عجب على قدرة الله سبحانه.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: شيء نكرة تعم الحيوان والنبات والشجر والسماء والأرض والألسن والأيدي وغيرها.

﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: وهو سبحانه خلقكم بداية فهو قادر على إنطاق كل شيء خلقه، وإليه: تقديمها يدل على الحصر والقصر، أي: إليه وحده ترجعون سواء شئتم أم أبيتم، ولم يقل: وترجعون إليه.



[٢٢] ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَمَا كُنْتُمْ﴾: ما: النافية، كنتم في الدنيا حين كنتم ترتكبون الفواحش.
 ﴿تَسْتَرُونَ﴾: خوفاً من ﴿يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾: أي: لم تخافون الآن من جلودكم وسمعكم وأبصاركم أن تشهد عليكم، وحينما كنتم في الدنيا لم تخافوا من ارتكاب الفواحش والآثام، وكنتم تجاهرون بها وما كنتم تستترون آنذاك أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم أو لأنكم غير قادرين على الاستخفاء، أو لأنكم كنتم لا تؤمنون بالبعث والحساب ولا تظنون أنكم إلينا راجعون.

وتكرار (لا) ثلاث مرات تفيد تأكيد نفي التستر. فالأبصار تشهد بما رأت والأذان تشهد بما سمعت والجلود بما لامست.

﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك.

﴿ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾: ظننتم الظن الراجح الذي فيه درجة الإثبات أعلى من درجة النفي.
 أن الله: للتوكيد، لا: النافية.

لا يعلم كثيراً مما (من الذي) تعلمون: أي: في الخفاء أو كثيراً مما تعلمون في الدنيا وتعملون تضم الأقوال والأفعال، ولم يقل: عملتم. تعملون: تدل على حكاية الحال، أي: قبح أعمالهم أو تكرار وتجدد ما عملوا.

[٢٣] ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾:

﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمْ﴾: اسم إشارة يفيد التوكيد، ويشير إلى ظنهم السيئ بعدم العلم. وذلكم، ولم يقل: وذلك؛ لأن ذلكم تستعمل في القرآن في مقام التوكيد والتوسع والجمع، وذلك تستعمل في الأمور الأقل توكيداً والمفردة.

﴿الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾: أي: أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون، ولذلك تجرّأتم على فعل المعاصي.

﴿أَزْدَنْكُمْ﴾: من الرّدئ، أي: الهلاك، أي: أهلككم أو طرحكم في النار جزاءً بما كنتم تكسبون.

﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾: الفاء: للتوكيد، أصبحتم: من فعل أصبح من أفعال الشروع؛ أي: صرتم.

﴿مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾: من ابتدائية بعضية، أي: بعض الخاسرين لأنفسهم وربما لأهلهم.

[٢٤] ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء: للعطف، إن شرطية تفيد الاحتمال أو الشك.

﴿يَصْبِرُوا﴾: فلن ينفعهم الصبر.

﴿فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾: أي: مكان إقامتهم الدائم المؤبد، المكان الضيق المطبق عليهم والمكرهين والمجبرين عليه. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٥).

﴿وَإِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال والشك.

﴿يَسْتَعْتِبُوا﴾: يطلبوا أو يسألوا العتبي أنفسهم لكي يعتذروا إلى الله على ما فعلوا لكي يرضى الله عنهم، والعتاب حوار بلطف للدفاع عن التقصير الذي حصل منهم في الحياة الدنيا.

ويجب الانتباه إلى هذه الآية الوحيدة التي يطلبون فيها العتبي بأنفسهم. بينما الآيات الأخرى يستعتبون بضم الياء، أي: يُطلب منهم العتبي.

كما في سورة النحل آية (٨٤) وسورة الروم آية (٥٧) وسورة الجاثية آية (٣٥).



﴿فَمَاهُمْ مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾: فما: الفاء: جواب الشرط، ما: النافية.

هم: ضمير فصل يفيد التوكيد.

من: ابتدائية بعضية.

المعتبين: أي: لا يسمح لهم بالعتاب أو الاعتذار سواء طلبوا ذلك بأنفسهم أو طلب غيرهم لهم العُتْبَى.

[٢٥] ﴿وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَرَيْنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ حَلَّتْ مِن قَبْلِهِمْ مِّنَ الْحَيِّ وَالْأَنَسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾:

﴿وَقِيضْنَا لَهُمْ﴾: هيأنا وأتحنأ، اللام في لهم لام الاختصاص، أي: خاصة بهم، وتعود على أعداء الله.

﴿قُرْآنًا﴾: جمع قرين والقرين: الصاحب الذي لا فائدة منه ولا منفعة، بل ضرر وخسارة، والقرين: هو الشيطان؛ أي: هيأنا لهم أتباعاً يتبعونهم أينما ذهبوا أو يصاحبونهم. والصاحب غير القرين، الصاحب الذي تنطوي صحبته على محبة ومنفعة.

فرينوا: الفاء للتوكيد.

﴿فَرَيْنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: بالسوسوسة والإغراء والضلال، وزينوا لهم الباطل والشرك والكفر.

زينوا لهم اللَّذَات والشهوات الدنيا المحرمة والمعاصي، والبدع والضلالات، ومحاربة الله ورسوله.

﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما بين أيديهم من أمر الآخرة القادم بالإضلال والتكذيب والشك والريبة بأن ليس هناك آخرة وحساباً وجزاءً.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: من أمور الدنيا زينوا لهم المحرمات والشهوات. أو بالعكس ما بين أيديهم من أمور الدنيا وما خلفهم من أمور الآخرة مثل الجنة

والنار والحساب والبعث. أو ما بين أيديهم، أي: ما فعلوه وما خلفهم، أي: ما عزموا على فعله أو سيفعلونه.

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: وجب أو ثبت عليهم القول: قيل: العذاب أو القول ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٨].

﴿فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: في: ظرفية، قد: للتحقيق، خلت: مضت أو هلكت.

﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾: بتكذيبهم الرسل أو لتكذيبهم الرسل وسوء أفعالهم وعدم إيمانهم، كانوا خاسرين لاستحقاقهم العذاب. وقدم الجن على الإنس حسب القدم في الأرض. ﴿إِنَّهُمْ﴾: أي: هم والأمم، للتوكيد.

﴿كَانُوا خَسِرِينَ﴾: لأنفسهم ولأهلهم أيضاً؛ لأنهم أدخلوهم النار معهم أو إذا أهلهم دخلوا الجنة فلن يروا أهلهم؛ لأنهم سيكونون هم في النار وأهلهم في الجنة.

خاسرين: جمع خاسر تدل على ثبوت صفة الخسارة. ارجع إلى سورة النساء آية (١١٩)، وسورة هود آية (٢٢) لبيان معنى خاسرين، والأخسرون.

[٢٦] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من قريش وغيرهم.

﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾: لا: الناهية، تنصتوا لهذا القرآن إذا قرأه عليكم محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾: ارفعوا أصواتكم حين قراءته وتكلموا مع بعضكم بعضاً كلاماً لغواً لا فائدة فيه، كلاماً: كالصفير والصياح واللهو أو العبث.



﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾: لعل: للتعليل، تغلبون: فيتوقف عن القراءة أو لا يفهم ما يقول.

[٢٧] ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿فَلَنُذِيقَنَّ﴾: الفاء واللام والنون، كلها للتوكيد، أي: يوم القيامة.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا﴾: لصد الناس عن سماع القرآن واللغو فيه وبسبب كفرهم.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾: اللام والنون للتوكيد، ولنجزيههم في الآخرة أسوأ الذي كانوا يعملون، أي: نجزيهم أقبح أعمالهم في الدنيا مثل الشرك. أما بالنسبة للأعمال الصالحة فقد حبطت وذهبت هباءً منبثاً بسبب الشرك.

ولا بد من مقارنة هذه الآية (٢٧) من سورة فصلت مع الآية في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [القصص: ٨٤].

ما: أوسع شمولاً من (الذي) كانوا يعملون: تعني كل شيء كانوا يعملون فيه إطلاقاً بينما الذي كانوا يعملون: الذي، أي: فقط الذي يعملون من اللغو وعدم السماع للقرآن فيه تحديد واختصاص، وما تشمل الذي وغيره مما كانوا يعملون.

[٢٨] ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَأْتِينَ بِمُحَدَّثُونَ﴾:

﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ﴾: ﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد وهو يفيد الذم، ويشير إلى أن العذاب الشديد هو جزاء أعداء الله.

﴿جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ﴾: العذاب الشديد في النار.

﴿لَهُمْ فِيهَا﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، فيها: في النار: في ظرفية.

﴿دَارُ الْخُلْدِ﴾: دار الإقامة الخالدة، ويبدأ الخلود من زمن دخولهم إياها إلى ما لا نهاية.



﴿جَزَاءُ مَا كَانُوا يَأْتَيْنَا بَاحْتَدُونَ﴾: ارجع إلى الآية (١٥) من نفس السورة للبيان.

﴿وَمَا﴾: الباء باء السببية أو البدلية. ما: بمعنى الذي أو مصدرية وما مطلقة

تشمل كل شيء.

[٢٩] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعد أن أُدخلوا النار.

﴿رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ﴾: اللذين اسم موصول للمثنى، ﴿أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾:

أي: شياطين الجن والإنس أو الرؤساء من الجن والإنس الذين زينوا لنا الكفر والشرك والمعصية.

﴿أَرْنَا﴾: أي: أطلعنا على هؤلاء اللذين أضلانا.

﴿أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾: عن طريق الحق، أبعدانا وزينوا لنا طريق الضلال

والباطل.

﴿نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾: في النار انتقاماً منهما.

﴿لِيَكُونَا﴾: اللام لام التوكيد.

﴿مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾: من: ابتدائية بين الأذلين المهانين في الدرك الأسفل

من النار. أرادوا بهذا القول إيقاع اللوم على شياطينهم من الجن والإنس، أو رؤسائهم.



سورة الزمر

سورة الزمر

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
 الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ
 الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ
 وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾
 وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ
 إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ
 ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
 وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُهَا
 إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ
 فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ
 اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ
 وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ
 إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ
 رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾



سورة فصلت [الآيات ٣٠ - ٣٨]

[٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾: إن: للتوكيد، ربنا الله: جمعوا بين وحدانية الربوبية ووحداية الألوهية والأسماء والصفات. أي: آمنوا بالله وحده وهو خالقهم.

﴿ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾: ثم حرف عطف، يدل على تباين منزلة الاستقامة على الإيمان، وليست للترتيب والتراخي في الزمن، وإنما تدل على ما بعدها أعظم مما قبلها.

استقاموا: التزموا بمنهج الله والقرآن والسنة، والدوام على تقوى الله بإطاعة أوامره وتجنب نواهيه، والتزموا بالوسطية، لا إفراط ولا تفريط. وأخلصوا دينهم لله بالتوحيد (الألوهية والربوبية والصفات والأسماء).

والاستقامة: نقيضها: الاعوجاج ومشتقة من السير على طريق مستقيم لا اعوجاج فيه.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾: تنزل على المؤمنين في حالة الاحتضار مرحلة الوفاة التي تسبق الموت، أي: خروج الروح من البدن، ولم يقل: تنزل كما في قوله: ﴿نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤]؛ تنزل: تدل على كثرة التنزل كما هي الحال لقبض الأرواح عند الموت، وهذا يحدث بكثرة، بينما تنزل (تاء واحدة): تدل على قلة التنزل، كما يحدث في ليلة القدر تنزل الملائكة والروح مرة في العام، وليس دائماً، كما نراه حين الوفاة والموت.



﴿أَلَا تَخَافُوا﴾: ألا: مركبة من أن ولا. أن: مصدرية للتعليل والتوكيد، لا: الناهية. تخافوا: من الموت أو البرزخ أو يوم البعث والآخرة. ألا تخافوا: مما هو قادم عليكم والخوف هو الغم الناتج لتوقع مكروه قادم مشكوك في وقوعه.

﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾: وتكرار (لا): يفيد التوكيد، ولا تحزنوا على ما خلفكم من أهل وولد ومال، ولا تخافوا ولا تحزنوا لفصل الخوف عن الحزن كلاً على حدة، أو كلاهما معاً، والحزن: هو الغم الناتج عن أمر وقع أو فوات نفع في الماضي، لا تخافوا ولا تحزنوا من الآن فصاعداً.

وتحزنوا: من الحزن، ولمعرفة الفرق بين الحزن والحزن، ارجع إلى سورة الأنعام آية (٣٣) للبيان.

﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾: الباء: باء الإلصاق، وتدخل على ما هو مدار الكلام، والبشرى: الإخبار بأمر مُسرٍّ لأول مرة بالجنة.

ارجع إلى سورة النحل آية (٨٩) لمزيد من البيان في معنى بشرى.

﴿الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾: كنتم في الحياة الدنيا توعدون على السنة الرسل وفي القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

[٣١] ﴿نَحْنُ أَوْلَىٰ أَوْلِيَّكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا دَشْتُمُوهَا أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾:

﴿نَحْنُ﴾: للتعظيم وتعود على الملائكة.

﴿أَوْلَىٰ أَوْلِيَّكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: الولي المعين، أي: نحن حفظة أعمالكم في الدنيا ونتولى أموركم بأمر من الله كقوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]. أي: هم الحفظة من الملائكة.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾: نشفع لكم ونتولى أموركم، كقوله تعالى: ﴿وَأَلْمَلَتِ كُلُّ يَدٍ خَلْقَهُمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].



﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾: أي: في الجنة.

﴿مَا دَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ﴾، ما: بمعنى الذي، وأوسع شمولاً من الذي.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾: تطلبون وتتمنون من الادعاء وهو التمني والطلب. وما: للشمول بينما الذي خاصة.

[٣٢] ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾:

﴿نُزُلًا﴾: مشتقة من النزل وهو ما يهيا ويعد للضيف من قرى وتكريم وحفاوة يتضمن المسكن ومكان الإقامة والمأكل والمشرب.

﴿مِّنْ﴾: ابتدائية.

﴿غَفُورٍ﴾: صيغة مبالغة كثير الغفران، أي: السائر لذنوب عباده والمتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم، يغفر الذنوب جميعاً، وغفور تعني: يغفر الذنوب العظام والجسام وغفار صيغة مبالغة أيضاً تعني: يغفر الذنوب الكثيرة.

﴿رَّحِيمٍ﴾: بعباده المؤمنين كثير الرحمة، وسعت رحمته كل شيء، وهو أرحم الراحمين. رحيم تدل على ثبوت صفة الرحمة عنده. والرحمن تدل على تجدد وتكرر صفة الرحمة عنده، والرحمن: صفة عامة، والرحيم: صفة خاصة.

[٣٣] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾: من: استفهامية تحمل معنى النفي، أي: لا أحسن ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً، وقال: إنني من المسلمين. والجواب محذوف، ولكنه مفهوم، أي: لا أحد أحسن قولاً وأحسن على وزن أفعل التفضيل، أي: أفضل.

﴿قَوْلًا﴾: تشمل القول والخطابة والكتابة، وأي وسيلة من وسائل النشر.

﴿مِّمَّنْ﴾: من: الأولى ابتدائية ومن الثانية: اسم موصول بمعنى الذي، وتشمل المفرد والمثنى والجمع والذكر والأنثى.



﴿دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾: دعا إلى الإيمان بالله وعبادته وتوحيده والدخول في الإسلام وإعلاء كلمة الله ودينه.

﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: بتأدية الفروض والسنن والنوافل وكل ما فيه خير.

﴿وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: أسلم وجهه لله وحده، أي: أخلص في إسلامه ولا يعني فقط نطق الشهادة، بل لا بُدَّ من اعتناق الإسلام وتطبيقه والتقوى والإحسان، وأول داع من هذه الأمة كان محمداً صلى الله عليه وسلم وترك لأمته أن تحمل أمانة الدعوة من بعده، وقال: إني، ولم يقل: إني؛ إني (زيادة النون) تدل على زيادة التوكيد مقارنة بقوله إني من المسلمين.

[٣٤] ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾:

﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾: الواو استئنافية. أي: لا تستويان في الجزاء والأجر. والاستواء قد يقصد به الاستواء في الجنس، أي: حسنة أعظم من حسنة أو سيئة أكبر من سيئة.

الحسنة: تعريفها لغة: مؤنث حسن، عمل أو قول صالح ضد السيئة، والحسنة: هي الأعلى في الحسن، واصطلاحاً: هي كل عمل خير من قول أو فعل يورث ثواباً. أو هي كل ما يستحسنه الشرع ويتمثل بإطاعة أوامر الله وتجنب نواهيه من قول أو فعل يورث ثواباً. وقال الراغب: الحسنة يعبر بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وماله.

والسيئة لغة: مؤنث سيء ذنب أو خطيئة عكس حسنة، ويعاقب عليها، وقيل: السيئة: الصغير من الذنوب، وقيل: الخطيئة، وقال الراغب: السيئة: الفعلة القبيحة، وهي ضد الحسنة، وقيل: هي ما يكرهها الله ويعاقب عليها.

وتكرار (لا) يفيد التوكيد. كان بالإمكان القول ولا تستوي الحسنة والسيئة، ولكن أضاف ولا السيئة للتوكيد، وفصل كل منهما عن الآخر، أي: لا تستوي

الحسنة مع السيئة ولا تستوي الحسنة مع الحسنة، ولا تستوي سيئة مع سيئة،
فالحسنات درجات والسيئات درجات.

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: الدفع: أي: الرد بقوة.

أما الدرء فهو الرد بسرعة. فدفع (أي: ردُّ) السيئة بالحسنة وبالعفو والصفح
ودفع الذم بالمدح والجهل بالعلم والتسرع بالحلم والصبر.

وقد ورد درء السيئة بالحسنة في آيتين، فقال تعالى: ﴿وَيَذَرُهُنَّ بِالْحَسَنَةِ
الْسَّيِّئَةِ﴾ [الرعد: ٢٢] و[القصص: ٥٤].

والدرء يعني كما قلنا: دفع أو رد السيئة بالحسنة بقوة وبسرعة، ومن دون
تأخير.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب. إذا: ظرفية زمانية تفيد المفاجأة.

﴿الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾: أي: إذا دفعت السيئة بالحسنة
أصبح عدوك أو الذي أساء إليك كالصديق الحميم: أي: القريب في المودة.
صديق مقرب مُعين.

وقد تقوم بدفع السيئة بالحسنة وتفعل ما بوسعك إلى الإحسان إليه، ولا
يجدي فيه العفو والصفح فعندها فوض أمرك إلى الله تعالى.

وإذا حاولت القيام بالدفع فتأكد أن الشيطان سيبدأ يوسوس إليك، ويذكرك
بعداوة الذي وقع إليك بالسيئة، فعندها استعذ بالله وعليك أن تطرد الشيطان
وتقاومه ابتغاء مرضات الله.

[٣٥] ﴿وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُرْحَقٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما: النافية.

﴿يُلْقِهَا﴾: من الإلقاء، ويعني من علو وتدل على علو منزلة الدفع بالتي



هي أحسن. ولا يُعطى أو يوهب هذه المنزلة أو الخصلة أو السجية إلا الذين صبروا.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: ولم يحدد نوع الصبر، ويشمل الصبر على طاعة الله والصبر عن المعصية وعلى القضاء والقدر. الذين: اسم موصول يفيد المدح. وقد وصفهم الله في آية أخرى، فقال: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾: [آل عمران: ١٣٤].

﴿وَمَا يُلْقَاهَا﴾: الإعادة تفيد التوكيد على هذه الخصلة والفضيلة مقابلة السيئة بالحسنة. وما يلقاها: ولا يقبل هذه الوصية أو يؤتى القدرة على القيام والعمل بهذه الخصلة إلا ذو حظ عظيم.

﴿إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: إلا: أداة حصر، ذو: ارجع إلى سورة الأنبياء (٨٧) وغافر (٢) لمعرفة معنى (ذو) ومقارنتها بصاحب.

﴿حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: من الخير والثواب، ويشمل الجنة وبدون الجنة لا يعد الحظ عظيماً.

[٣٦] ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾:

﴿وَمَا﴾: للتفصيل.

﴿يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾: حين الدفع أو الدرء بالتي هي أحسن أو حين تبدأ أو تحاول الدفع بالتي هي أحسن مثل الصبر والحلم والعفو يبدأ الشيطان ينزعك، أي: تصاب بالغضب والجهل والغيظ وحب الانتقام، فعندها استعذ بالله، أي: الجأ إلى الله تعالى بسرعة.

وينزعك من النزغ: وهو الإغواء والإثارة للفساد والغضب، وقيل: النزغ: هو النخس والغرز، وأصله استعمال الإبرة أو طرف العصا أو شيء حاد في الجلد



لحث الدابة على الإسراع في المشي. ويعني ذلك: التهييج والإثارة والحث على الغضب، فإن حدث لك ذلك فاستعد بالله، والنون في ينزغتك للتوكيد.

فالنزغ إحدى وسائل الشيطان، وهناك الوسوسة والتزيين والأز والإغواء والتضليل. ارجع إلى سورة الناس آية (٥) للبيان المفصل، والفرق بين الوسوسة والتزيين، والأز، والإغواء، والتضليل.

﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾: الفاء تدل على المباشرة والتعقيب. استعد بالله: أي: التجأ إلى الله واعتصم به؛ أي: احتمي به حتى يدفع عنك شر الشيطان وكيده، ويمنعك من المحذور.

﴿إِنَّهُ هُوَ﴾: إن: للتوكيد، هو: لزيادة التوكيد.

﴿السَّمِيعُ﴾: لأقوال عباده ويسمع ما يجري في الكون من السر والعلن والنجوى يسمعهم في آن واحد. ويسمع الاستعاذة به.

﴿الْعَلِيمُ﴾: بما يحدث بينك وبين من أساء إليك من العباد أو الشياطين ويعلم كل ما يفعله عباده في السر والعلن والعفو والصفح والغضب، والعليم بكل شيء لا تخفى عليه خافية.

ولمقارنة هذه الآية (٣٦) من سورة فصلت ﴿وَمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ فَاَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ مع الآية (٢٠٠) من سورة الأعراف ﴿وَمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ فَاَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿ ارجع إلى سورة الأعراف آية (٢٠٠) للبيان.

[٣٧] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾:

المناسبة: بعد أن بين الله سبحانه أحسن الأعمال وهي الدعوة إلى الله



وبين أهمية الصبر والصفح والعفو، يذكر بعض الآيات والأدلة على أنه هو الإله الحق الذي يجب أن يُعبد ووحدانيته وكمال قدرته.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾: الواو استئنافية، من: ابتدائية بعضية، أي: بعض آياته الكونية الدالة على عظمته ووحدانيته وكمال قدرته، جعل الليل والنهار آيتين وأضاف هذه الآيات إليه فقال: ومن آياته، أي: نسبها إليه تشريفاً لها ولأهميتها في حياة الناس. واستعمال أل التعريف في الليل والنهار والشمس والقمر تدل على الدوام والكمال.

ارجع إلى سورة يونس آية (٥، ٦٧) وسورة الأنبياء (٣٣) للبيان.

﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾: لا: الناهية، تسجدوا: تعبدوا؛ أي: لا تعبدوا الشمس والقمر أمثال الصابئة وغيرهم.

للشمس: اللام لام الاختصاص وللقمر نفس ذلك.

وتكرار (لا): تفيد التوكيد بعدم فعل ذلك. وفصل كل منهما على حدة، أو كلاهما معاً.

﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾: أي: اعبدوا الله وحده. لله: اللام لام الاستحقاق.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد المدح والتعظيم والإفراد.

﴿خَلَقَهُنَّ﴾: أي: الآيات الليل والنهار والشمس والقمر... وغيرها من الآيات، وليس فقط خلق الشمس والقمر، بل تعود خلقهن إلى كل الآيات المذكورة من قبل هذه الآية، وكذلك الآيات الأربع، والخلق لغّة: هو التقدير، واصطلاحاً: الإيجاد من العدم.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿كُنْتُمْ إِيَّاهُ﴾: وحده. ﴿تَعْبُدُونَ﴾: لتعريف العبادة ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣). وقدم الليل على النهار؛ لأن الليل (الظلام) هو الأصل.

[٣٨] ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: إن شرطية تفيد الشك والاحتمال.

﴿أَسْتَكْبَرُوا﴾: استكبروا أظهروا الكبر، واستكبروا عن الطاعة لله والإيمان به والسجود له والكف عن الشرك به وعبادة الشمس والقمر. فدعهم وشأنهم ليس الله بحُجَّةٍ لسجودهم أو عبادتهم. والكبر يعني إظهار عظم الشأن ورفع النفس فوق ما تستحق. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان.

﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾: الفاء جواب الشرط. الذين: اسم موصول يفيد المدح أي: الملائكة لا يستكبرون عن عبادته والعندية هنا تعني المكانة وليس المكان، تشريف لهم وكرامة.

﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: التسبيح يعني: الصلاة ويعني الذكر مثل الحمد والتسبيح والتكبير الدائم؛ لأن المعرفة (الليل والنهار) تدل على دوام التسبيح.

﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ﴾: وحده سبحانه، اللام لام الاختصاص والتسبيح، يعني تنزيه الله من كل عيب ونقص وشريك.

ارجع إلى سورة الإسراء آية (١) وسور الحديد آية (١) للبيان.

﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: الباء: باء الإلصاق والتوكيد، أي: على الدوام.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾: لا: النافية- يسأمون: يملون عبادته وتسبيحه من السأمة وهي الملالة والضجر مما يُكرَّرُ فعله، وسام الشيء مله.





سُورَةُ هُودٍ ٤١

الجزء الرابع والعشرون

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ
 اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَنَنْ
 يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيءَ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ
 إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ
 وَإِنَّهُمْ لَكَاِبَةٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
 خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
 لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾
 وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَتَعْجَمِي
 وَعَرَبِي ۖ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءَانُهُمْ وَعَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ
 ينادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
 فَأَخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ
 بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا
 فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

سورة فصلت [الآيات ٣٩ - ٤٦]

[٣٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا الْمُحْيِي الْمَوْقِعُ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾: ارجع إلى الآية (٣٧) للبيان.

﴿أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾: ساكنة يابسة هامدة.

﴿فَإِذَا﴾ الفاء: للترتيب والتعقيب. إذا: ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾: ماء المطر.

﴿أَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾: الهز: هو التحريك الشديد، وربت: زاد حجمها وانتفخت من ربا الشيء يربو، أي: زاد ونما.

ولفهم معنى اهتزت وربت لا بُدَّ من اللجوء إلى التفسير العلمي الجيولوجي، ولنعلم أن التربة لها أنواع منها التربة الصلصالية، والرملية السطحية وغيرها، وكل نوع له تفاعلات كيميائية خاصة به. فالطبقة السطحية للأرض أو الغلاف الأرضي يتكون من مواد عضوية تشكل ٣٠٪ مثل أوراق الشجر والأخشاب والمواد المتحللة ومواد غير عضوية من فتات المعادن (تفكك الصخور بواسطة عوامل التعرية يؤدي إلى تكون طبقة رقيقة من فتات المعادن): وهي مواد غير عضوية مثل كربونات الكالسيوم والمغنيزيوم وأكسيد الحديد وأيضاً بكتيريا التربة وحييات الصلصال.



فالاhtزاز يحدث لأن حبيبات التربة المركبة من صفائح بعضها فوق بعض إذا نزل الماء عليها تكونت شحنات كهربائية موجبة وسالبة بينها إذن الماء يسبب التأين بين الشوارد الموجبة والسالبة، والتأين يؤدي إلى اهتزاز الحبيبات بسبب الشحنات الكهربائية التي تتولد بين المعادن المركبة لذرة التراب، ويحدث الاهتزاز بسبب دخول الماء إلى الحبيبات وبين الصفائح ؛ لأن الماء يؤدي إلى إثارتها كهربائياً مما يجعلها تهتز. وإذا دخل الماء إلى الصفائح، ربت: نمت ازداد حجمها، وكذلك يؤدي الماء إلى النشاط في البكتريا.

ارجع إلى سورة الحج آية (٥) للمقارنة والبيان.

﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا﴾: أي: أحيا الأرض بعد موتها، إن للتوكيد.

﴿لَمْحَى الْمَوْتِ﴾: اللام للتوكيد، محيي الموتى يوم البعث. ارجع إلى سورة الروم آية (١٩) وإلى سورة فاطر آية (٩) للبيان المفصل.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٠) للبيان.

[٤٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿يُلْحِدُونَ﴾: من الإلحاد. من ألحد، أي: مال من القصد والاستقامة وألحد

في دين الله، أي: حاد عن دين الله وعدل عنه.

والإلحاد: في اللغة الميل عن الاستقامة.



والإلحاد يشمل الإنكار، إنكار وجود الله أو أسمائه أو صفاته.

﴿يُلْجِدُونَ فِيْءَايَاتِنَا﴾: يميلون عن آياتنا بالتكذيب والطعن والتحريف والتأويل الباطل واللغو فيها.

﴿لَا يَخْشَوْنَ عَلَيْنَا﴾: لا: النافية، يخفون: أي: نحن نعلمهم أين هم وما يعملون، وما يكونون في صدورهم، أو يخفون من المكر والكيد. والإخفاء يكون للأموال المادية والمعنوية.

﴿لَا يَخْشَوْنَ عَلَيْنَا﴾: هذا وعيد لهم. أي: سنجازيهم على إلحادهم بإلقائهم في نار جهنم.

﴿أَفَمَنْ﴾: الهمزة للاستفهام بمعنى التقرير.

﴿يُلْقَى فِي النَّارِ﴾: بسبب كفره وإلحاده وأتباعه الباطل.

﴿خَيْرٌ﴾: أفضل وأحسن.

﴿أَمْ مَنْ﴾: أم: للإضراب الانتقالي، من: للاستفهام.

﴿يَأْتِي آمَنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: أي: غير خائف بسبب إيمانه وتوحيده وعبادته.

قيل: نزلت هذه الآية في:

أبو جهل (يلقى في النار) وأبو بكر الصديق (يأتي آمناً).

أبو جهل (يلقى في النار) وعمار بن ياسر (يأتي آمناً).

الكافر (يلقى في النار) والمؤمن (يأتي آمناً).

ثم أكد سبحانه التهديد للكفرة والملحدين بقوله:



﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾: أي شيء تريدون عمله من خير أو شر ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾ [المدثر: ٣٨]. وقد يظن، أو يستعمل البعض هذه الآية للدلالة على الإباحة، وهي ليست كذلك؛ فالله سبحانه: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، فالآية جاءت للهداية والإنذار.

ما: مصدرية، أو اسم موصول. (ما) تستعمل للشيء غير المحدد وتستعمل للمفرد والمثنى والجمع.

﴿اعْمَلُوا﴾: فعل أمر يراد به هنا التهديد والوعيد، وليس الإباحة كما قلنا، فلا يظن أحد أن الله سبحانه أباح لأي إنسان بأن يعمل ما يشاء ولا يحاسب على عمله، كما قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].
﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: إنه للتوكيد، وهاء الضمير تعود إلى الله سبحانه.
﴿يَمَّا﴾: الباء للإلصاق. ﴿تَعْمَلُونَ﴾: من خير أو شر. ﴿بَصِيرٌ﴾: عالم بأعمالكم ومطلع عليها.

قدّم تعملون على بصير؛ لأن الآية في سياق الأعمال، والجملة بما تعملون جملة تعليلية تتضمن الوعيد والتهديد.

[٤١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيْزٌ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾: بالقرآن لم يصدقوا به وجحدوا أو أَلحدوا في آياته.
﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾: لما: ظرفية زمانية. أي: حين جاءهم.

خبر إن هنا إما محذوف وتقديره: إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم

(سَيَجَازُونَ أَوْ سَوْفَ يَجَازُونَ عَلَى كُفْرِهِمْ) أَوْ هَالِكُونَ أَوْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ. أَوْ
خَبَرَهَا أَوْ لَيْسَ بِهَا مَكَانٌ بَعِيدٌ.

﴿وَأَنَّهُ لَكَتَّابٌ﴾: إنه: توكيد لكتاب، اللام لام الاختصاص، والكتاب هو
القرآن أو الذكر، وسمي كتاباً لأنه مكتوب في الأسطر.

﴿عَزِيزٌ﴾: منيع أو عزيز على الله، أي: له مكانته ومكرّم عند الله تعالى
ومحفوظ لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

[٤٢] ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾:

﴿لَا﴾: النافية لكل الأزمنة. ﴿يَأْتِيهِ﴾: لا يعتريه أو يصيبه أو يلحق به.

﴿الْبَاطِلُ﴾: لغة: ما لا وجود له ولغة هو الزائل أو الذاهب، وهنا في هذه
الآية يعني: الزيادة أو النقصان أو التغيير والتبديل والتحريف، أو ما ليس له دليل.

﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: من ابتدائية بين يديه، أي: لن يصيبه تحريف أو تغيير أو
تبديل لا في الزمن القادم المستقبل (أو بالعكس في الزمن الماضي).

﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾: ولم يصبه تحريف أو تغيير أو تبديل في الزمن الماضي
(أو بالعكس في المستقبل) لأن الله سبحانه قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾: ﴿تَنْزِيلٌ﴾: أي: منزل، من: ابتدائية.

﴿حَكِيمٍ﴾: في أفعاله وتدبيره لخلقه وكونه، فهو أحكم الحكماء وهو
أحكم الحاكمين. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩).



﴿حَمِيدٌ﴾: أي: المحمود على الدوام والمستحق للحمد على الدوام؛ لأنه صاحب الخير والإحسان والإنعام على خلقه.

ارجع إلى آية (١) من نفس السورة وسورة الزمر آية (١) للبيان.

[٤٣] ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدِّيلٌ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾:

﴿مَا﴾: النافية.

﴿يُقَالُ لَكَ﴾: من هؤلاء كفار مكة ومشركيها من تكذيب وأقوال وباطل وجدال، وساحر ومجنون وكاهن، أو شاعر أو القرآن سحر أو شعر، أو افتراء أو اختلاق، أو أساطير الأولين، وغيرها من الأقاويل.

﴿إِلَّا﴾: حصراً وقصراً.

﴿مَا﴾: بمعنى الذي، قيل: و(ما) أكثر شمولاً وعموماً من الذي.

﴿قَدِّيلٌ﴾: للتحقيق والتوكيد.

﴿قَدِّيلٌ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾: اللام للاختصاص.

﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾: من: ابتدائية استغرافية. فإن أقوامهم كانوا يقولون لرسولهم مثلما يقال لك.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾: إن واللام في (لذو) تفيدان التوكيد. ذو: صاحب مغفرة، وذو: أشرف من صاحب. ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٨٧) للبيان.

صاحب مغفرة لمن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً، والمغفرة تشمل ستر الذنب وترك العقاب.



﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾: وذو ولم يقل: ولذو عقاب أليم؛ لأن رحمته غلبت غضبه ووسعت كل شيء.

ذو عقاب أليم: لمن مات كافراً ولم يتب.

لم يقل: ولذو عقاب أليم: لم يؤكد على العقاب الأليم حثاً على التوبة والعودة والإنابة إليه، كما أكد على كونه ذو مغفرة.

[٤٤] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو استئنافية: لو: شرطية.

﴿جَعَلْنَاهُ﴾: أي: لو فرضنا أننا أنزلنا هذا القرآن بلغة غير لغة العرب لحق للعرب أن يقولوا لأنفسهم: ما أنزل إلينا أعجمياً واتخذوا ذلك عذراً لهم في الإعراض عنه.

﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾: بغير لغة العرب. أي: لو جعلنا هذا القرآن، أي: الذكر الذي أنزل عليك أعجمياً؛ والأعجمي: يطلق على الكلام الذي لا يفهمه العربي أو يطلق على الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من أي جنس كان ولو كان عربياً.

﴿لَقَالُوا﴾: اللام للتوكيد. قالوا: تعود على هؤلاء الكفار أو المشركين.

﴿لَوْلَا﴾: أداة حُضٍّ وحثٍّ.



﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾: ارجع إلى الآية (٣) من نفس السورة (فصلت). هلا بيّنت آياته بلغة عربية نفهمها.

﴿أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾: استفهام إنكاري.

أكتاب أعجمي ونبي عربي، أي: لو كان كذلك لكان حجة لتكذيبهم أو مدعاة لتكذيبهم به وعدم تصديقهم به، وهم في الحقيقة لا يريدونه لا عربياً ولا أعجمياً؛ لأنهم ينكرونه أصلاً ولا يؤمنون به. كما قال عز وجل: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ (١٨٨) ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٨-١٩٩].

ثم بيّن الله سبحانه مهما كانت لغته عربية أو أعجمية.

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله لهؤلاء الكفار والمشركين:

﴿هُوَ﴾: أي: القرآن أو الذكر ضمير يفيد التوكيد والحصر.

﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿هُدًى وَشَفَاءً﴾: من الضلال، هدى للذين آمنوا، أي: مصدر هدى أو يهدي الذين آمنوا للحق وللغاية. وهي رضوان الله تعالى والسعادة في الدارين.

﴿وَشَفَاءً﴾: للصدور من الشكوك والريبة وشفاء تعني: كذلك وقاية من أمراض النفاق ومن الأمراض العضوية والنفسية والمعاصي وشفاء من الجهل والريب والشبهة والشك.

وقد تبين أن الأمراض النفسية تؤدي إلى تشييط الجهاز المناعي في الإنسان ؛ مما يؤدي إلى نقص في محاربة البكتيريا والالتهابات ونقص في محاربة



السرطانات وغيرها، وكذلك الأمراض النفسية مثل الغضب والقلق يؤدي إلى تقبض الأوعية الدموية مثل الشرايين القلبية، ويؤدي إلى الإصابة بأمراض القلب وغيرها. فالقرآن شفاء لما في الصدور من الأمراض النفسية والعضوية معاً.

﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر، ولا يؤمنون بالقرآن.

﴿فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾: ثقل أو نقص في السمع مانع يمنعهم عن الاستماع والإنصات إلى القرآن وتدبر معانيه وإذا سمعوه لا ينتفعون به.

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾: على تفيد الاستعلاء، أي: معمي على بصائرهم فهم لا يفهمون معانيه وآياته، ولا ينتفعون بها كأنهم أعموا أبصارهم، فلا يريدون سماعه ولا رؤيته ولا ذكره.

﴿أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾: أولئك اسم إشارة واللام للبعد تعود على الذين لا يؤمنون به.

﴿يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾: أي: هم يشبهون كحال المنادى عليه من مكان بعيد فهو لا يسمع ولا يفهم ما يُنادى به عليه دليل على مدى إعراضهم والبعد عنه.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾:

المناسبة: في هذه الآية يُبين الله سبحانه أن التكذيب بكتب الله أمر ليس



بجديد، فهو عادة قديمة، ومثال على ذلك موسى فما يحدث لك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث لموسى عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية. لقد: اللام للتوكيد قد: للتحقيق، أي: قد حدث وحصل.

﴿ءَايِنَّا مُوسَىٰ الْكِتَابَ﴾: أي: التوراة لمعرفة معنى الإيتاء. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة.

﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾: أي: هناك من صدق بالتوراة من قوم موسى، وهناك من كذب به أو هناك من آمن ببعض وكفر ببعض. كما اختلف قومك في القرآن، فمنهم من قال: سحر أو مفترئ أو أساطير الأولين وغيرها.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: لولا: شرطية، ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: بتأخير الحساب والعذاب لهؤلاء المكذبين إلى يوم القيامة. كلمة ربك تعني كذلك: الحكم.

﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: اللام: للتوكيد، قضى بينهم في الدنيا، أي: لعجل لهم العذاب في الحياة الدنيا بالقتل والأسر والهزيمة أو الهلاك بالطاغية أو الصيحة أو الصاعقة. وانتهى الأمر.

﴿وَإِنَّهُمْ﴾: للتوكيد تعود على كفار قريش، ﴿لَفِي﴾: اللام لزيادة التوكيد. ﴿شَاكَ مِنْهُ مُرِيْبٌ﴾: شك من القرآن أنه منزل من عند الله. وهذا الشك مصحوب باتهام أنه إفك مفترئ، أو أعانه عليه قوم آخرون، أو أساطير الأولين أو شعر أو سحر، وإنما يعلمه بشر، وهكذا.



مريب: مشتقة من الريب وهو الشك والتهمة معاً.

[٤٦] ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝﴾:

﴿مَنْ﴾: شرطية، ﴿عَمِلْ صَالِحًا﴾: العمل يشمل القول والفعل فالقول الطيب أو العمل الصالح مهما كان يعود بالنفع على صاحبه.

﴿فَلِنَفْسِهِ﴾: الفاء: جواب الشرط واللام للتوكيد. لام الاستحقاق والاختصاص. أي: ثواب العمل الصالح يعود بالفائدة على العبد.

﴿وَمَنْ أَسَاءَ﴾: من: شرطية، أساء على نفسه بالقول الفاحش والقبيح والفعل السيئ فوبال وجزاء ذلك يعود عليه ويحمل وزره وحده. واستعمل (اللام) في كلمة فلنفسه التي تدل على الاستحقاق والفائدة، واستعمل (على) التي تفيد المشقة والعلو العقاب في كلمة فعليها.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝﴾: ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٨٢) للبيان.





سُورَةُ قُلُوبٍ ٤١

سُورَةُ قُلُوبٍ ٤١

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ
شُرَكَاءُي قَالُوا أَدْذَنْكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ
عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّخِصٍ ﴿٤٨﴾
لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ
قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ
لَيَقُولَنَّ هَذَا إِلَى وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى
رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا
وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ
أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ
﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ
بِهِ مَنْ أَضِلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ
آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ
أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ
فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخِيطٌ ﴿٥٤﴾

سورة فصلت [الآيات ٤٧ - ٥٤]

[٤٧] ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِهِمْ قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾:

سبب النزول: أن اليهود أو قريشاً سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبرنا عن الساعة إن كنت رسولاً، كما تزعم. فنزلت هذه الآية ردّاً على سؤالهم كما قال مقاتل وروى الطبري.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، أي: إليه وحده يرجع علم الساعة (أي: متى تقوم الساعة).

وعلم الساعة لا يعلمه إلا الله عز وجل، والساعة هي لحظة تهدم النظام الكوني الحالي. وتختلف عن يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين، أي: يوم البعث وخروج الناس من قبورهم.

وليس فقط يعلم الساعة، بل يعلم ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ الأكماء: جمع كم وكم الثوب مخرج اليد، أي: المواضع التي كانت مستترة فيها وغلاف كل شيء كُفّه، أي: يعلم سبحانه كل ثمرة تخرج من وعائها ووقت ظهورها.

﴿مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾: من استغراقية.



﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى﴾: من أنثى: من استغراقية تحمل من ذكر أو أنثى أو توءم أو غيرها.

ويعلم ما تحمل من أنثى: تشمل كل جنس من الإنس والجن والحيوان والنبات، وما تحمل ومتى تضع وشكله وأوصافه ولونه، تام الخلق أم لا.
﴿وَلَا تَضَعُ﴾: زمن الولادة ومكان الولادة ولا تضع إلا بأمره وعلمه.
﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿يَعْلَمُ﴾: الباء للإلصاق واللزوم.

وتكرار (وما) يفيد التوكيد. وما تنفي الحال عادة ولا تنفي الاستقبال. فهذه الأمور الثلاثة يجب ردها إلى الله سبحانه، فهي نوع من علم الغيب.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: يوم مفعول به لفعل محذوف تقديره: واذكر يوم يناديهم.
وقد يسئل سائل: ما مناسبة ذكر هذا الجزء من الآية؟ فيما أن الله سبحانه يُخبر أن علم الساعة لا يعلمه إلا هو. أراد سبحانه أن يذكرهم بما يحدث في ذلك اليوم، فقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾.
﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: أي: يوم القيامة، يناديهم: أي: ينادي المشركين.

﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾: أين: استفهام عن المكان استفهام مجازي، فهو سبحانه يعلم مكانهم حقيقة، وإنما هو للتبكيك والتقريع.

﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: أنهم شركاء لله تعالى تزعمون في الدنيا وتزعمون من زعم: وهو قول بلا دليل، وأكثر ما يقع في الباطل.
﴿قَالُوا أَدْنَاكَ﴾: أعلمناك الآن.

﴿مَا مَنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾: ما: النافية، منا من: استغراقية، أي: لا أحد منا يشهد أن لك شريكاً. وشهيد صيغة مبالغة لشاهد، ولم يقولوا: ما منا من شاهد. الشهيد: هو الذي يعلم بواطن الأمور وظواهرها.

ارجع إلى سورة المجادلة آية (٦) لمزيد من البيان، وسورة البقرة آية (١٣٣) لمعرفة الفرق بين الشاهد والشهيد.

[٤٨] ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾:

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾: أي: غاب عنهم ولم يحضر لنصرتهم أو شفاعتهم.

﴿مَا﴾: للعاقل وغير العاقل نكرة.

﴿كَانُوا يَدْعُونَ﴾: ما كانوا يدعون: يعبدون.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: أي: في الدنيا.

﴿وَظَنُوا﴾: الظن هنا بمعنى اليقين (أو الظنُّ الراجح) أو الظن يراد به العلم، أي: وعلموا ما لهم من محيص.

﴿مَا لَهُمْ﴾: ما: النافية، لهم: خاصة لام الاختصاص، ﴿مِنْ﴾: استغراقية، أي: مخرج أو منفذ يهربون منه أو ملجأ يلجؤون إليه.

﴿نَجِيصٍ﴾: مهرب أو منفذ من حاص يحيص إذا هرب.

[٤٩] ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾:

﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ﴾: لا النافية لجميع الأزمنة. ولا يمل ولا يفتر والسامة: هي الملالة والضجر.



﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾: من: ابتدائية، دعاء الخير: طلب العفو والمغفرة والفوز بالجنة والنجاة من النار والسعة في الرزق والصحة والعافية والعلم والذرية الصالحة.

﴿وَإِنْ﴾: شرطية تدل على الاحتمال والافتراض.

﴿مَسَّهُ الشَّرُّ﴾: المس هو أقل اللمس مجرد المس. أو اللمس الخفيف. والشر: الشدة والمرض أو البلاء أو الفقر.

﴿فَيَتَوَسَّسُ قَنُوطٌ﴾: الفاء: جواب الشرط، يؤوس: منقطع رجاءه من حصول الخير، أي: ظن أن ما أصابه من شر لن يزول وأصابه القنوط: وهو أشد اليأس.

وأما الخيبة: فهي انقطاع نيل الأمل والخائب المنقطع أمله.

[٥٠] ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ تُرْجِعْتُ إِلَى رَفِيقٍ إِنِّي لِي عِنْدَهُ. لِلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّتَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾:

﴿وَلَيْنَ﴾: الواو: عاطفة، لئن: اللام لام التوكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض، بينما لو قال: وإذا التي تدل على حتمية الحدوث وبكثرة.

﴿أَذَقْنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتهُ﴾: ولئن آتيناه أو أنعمنا عليه وفرجنا عنه كرب، أو أغنيناه من بعد فقر، أو شفاء بعد مرض، أو أنزلناه منزل جاء بعد ذل. والفرق بين أذقناه وأنعمنا عليه: الإذاقة تكون في الخير والشر والرحمة والضر، أما أنعمنا فتكون فقط في الخير.

﴿رَحْمَةً﴾: نكرة تشكّل كل أنواع الرحمة، والرحمة تعني: جلب ما يُسرُّ ودفع ما يُضرُّ.

﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾: ولم يقل: رحمة من عندنا، أو من لدنا؛ لأن رحمة منا تعني: رحمة عامة تعم كل المخلوقات، والصالح والطالح، بينما رحمة من عندنا: تخص أو تأتي في سياق المؤمنين، ورحمة من لدنا: تأتي في سياق الرسل والأنبياء والمقربين خاصة إلى الله سبحانه.

﴿مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ﴾: الضراء ما يصيب المجتمعات، وبالتالي الفرد من زلازل وبراكين وأوبئة أو حرائق أو عواصف.

الضَّر: يكون مقصوراً على النفس أو ما يصيب الفرد.
وأما الضَّر: ضد النفع.

﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾: اللام لام التوكيد، والنون في قولنَّ لزيادة التوكيد.
﴿هَذَا لِي﴾: الهاء للتنبيه وذا اسم إشارة، أي: ما حصل من فرج أو تغير في الحالة من فقر إلى غنى، أو مرض إلى صحة وعافية، أو ما حصل له من جاه بعد ذلّ.

﴿هَذَا لِي﴾: أي: هذا شيء أستحقه بسبب ما فعلته بجهدي وتفكيري وقدرتي على كذا وكذا أو ذهابي إلى الطبيب، أو بسبب ما قمت به من وقاية مثل تركت المكان أو التجأت إلى كذا أو هو إكرام من الله لي، ومن بطر النعمة يغفل عن شكر المنعم، وينشغل بالنعمة، ولا يعلم أنه ابتلاء واختبار من الله تعالى.



﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾: ولا يكتفي بالقول هذا لي، بل يتعدى ذلك إلى القول: لا حساب لا جزاء، لا بعث ولا آخرة، أي: ينكر كل ذلك بما فيها الساعة.
 ﴿وَلَيْنَ﴾: اللام للتوكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال والشك. أي: في حال أن هناك حساباً ورجوعاً إلى ربي، ولم يقل: وإذا؛ ارجع إلى مطلع الآية لمعرفة الفرق بين لئن وإذا.

﴿رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيَ إِنَّ لِي﴾: للتوكيد، ﴿عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾: أي: الجنة واللام في للحسنى: لام الاختصاص والاستحقاق، أي: استحق الجنة؛ لأن الله راض عني أو سيعطيني كما أعطاني في الدنيا.

﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: يوم القيامة لننبئ الذين كفروا: لننبئ من النبأ، وهو الخبر العظيم، أي: لنخبرنهم بالخبر العظيم. واللام والنون في لننبئ: للتوكيد وزيادة التوكيد.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق والإلزام، ما: اسم موصول بمعنى الذي عملوا أو مصدرية بأعمالهم وما تفيد العموم والشمول كل شيء عملوه.

﴿عَمِلُوا﴾: في الحياة الدنيا من الآثام والذنوب والسيئات والشرك والكفر.
 ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمُ﴾: السواو عاطفة واللام والنون في لنذيقنهم للتوكيد وزيادة التوكيد.

﴿مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: من: ابتدائية، عذاب غليظ: نوع من أنواع العذاب ومنها الشديد والمهيمن والعظيم والغليظ، وقد يعني المضاعف.



[٥١] ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: الواو عاطفة، إذا شرطية تعني حتمية الحدوث وكثرة الإنعام على

العباد.

﴿أَنْعَمْنَا﴾: عليه برغد العيش أنعمنا عليه بالمال والولد، وبأسباب الخير من

صحة ورزق وجاه، وغيره.

﴿أَعْرَضَ﴾: عن شكر المنعم وتقاعس أو أهمل طاعة الله وعبادته.

ونأى بجانبه كقوله: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ [الحج: ٩]، والعطف هو الجانب والجانب

هو الناحية والمكان. ونأى بجانبه: أي: تكبر عن عبادة الله وابتعد بنفسه قليلاً

قليلاً، ولم يعد يمثل أوامر الله ويتجنب محارمه. بسبب كونه مشغولاً بالنعمة

وناسياً ذكر الله وطاعته.

﴿وَإِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث وكثرته.

﴿مَسَّهُ الشَّرُّ﴾: المس هو أخف اللمس يعني: أصابه الشر إصابة طفيفة لا

تذكر مثل المرض العارض أو نقص في المال أو الأهل.

﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾: ذو: صاحب، دعاء عريض: أي: طويل. والعرب

تستعمل الطول والعرض في الكثرة، في الدعاء تعني: أطال الدعاء وأكثر فيه.

[٥٢] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي

شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾:

﴿قُلْ﴾: له يا رسول الله صلى الله عليه وسلم.



﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: الهمزة همزة استفهام وتقرير. والمخاطب الكفار والمشركون المكذبون بالقرآن.

أرأيتم: الرؤية هنا رؤية قلبية فكرية.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الافتراض، أي: لنفرض أن القرآن كان من عند الله وكفرت به.

﴿كَانَ﴾: أي: القرآن.

﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: أي: منزلاً من عند الله تعالى، أي: تحقق وتبين لكم يقيناً أنه منزل من عند الله.

﴿ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾: بعد العلم اليقين أنه منزل من عند الله، ثم تفيد الاستبعاد.

﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: أي: تبيين لكم أنه الحق من ربكم وكفرت به، من سيكون أضل منكم. من: استفهام للتوبيخ والتهكم، أي: لا أحد أكثر ضلالاً منكم وكفراً وبعداً عن الحق وعداوة ومحاربة لدين الله.

﴿فِي شِقَاقٍ﴾: في مخالفة ومعادة لله تعالى من الشق وهو الجانب؛ لأن كل واحد من الفريقين يكون في شق غير شق الآخر.

ولا بُدَّ من مقارنة هذه الآية (٥٢) من سورة فصلت وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: والآية (١٠) من سورة الأحقاف وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

وَكَفَرْتُمْ بِهِ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ، فَأَمَّا إِنَّا تَكْبَرُ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ لَإِيْهِدَى الْقَوْمَ الْفَٰلِغِينَ ﴿٥٣﴾.

آية فصلت تعني: إذا تبيَّن لكم أن القرآن - علماً يقينياً بعد زمن طويل من التجارب والاكتشافات والآيات الكونية والأدلة والبراهين - أنه منزل من عند الله وكفرتم به، ثم في هذه الآية تعني: التراخي في الزمن.

آية الأحقاف تعني: إذا تبيَّن لكم أن القرآن أنه منزل من عند الله وشهد على ذلك شاهد من بني إسرائيل. قيل: هو عبد الله بن سلام على مثله، فأمن واستكبرتم.

في آية فصلت إذا كفرتم بعد الأدلة والتجارب أنتم أضل الضالين، أي: ليس هناك من هو أضل منكم على الإطلاق.

أما في آية الأحقاف فأنتم من الظالمين لقوله: ﴿إِنَّا تَكْبَرُ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ لَإِيْهِدَى الْقَوْمَ الْفَٰلِغِينَ﴾.

فآية فصلت أشدُّ، أي: درجة كفر الكافرين في آية فصلت أشدُّ بكثير من درجة كفر الظالمين في آية الأحقاف.

[٥٣] ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾:

﴿سَنُرِيهِمْ﴾: السين للاستقبال القريب، أي: سنريهم في الحياة الدنيا والمخاطب في هذه الآية الكل عامة وخاصة الكفار المكذبين بالقرآن وضعاف الإيمان وغير المؤمنين.



﴿إِنَّا إِنَّا﴾: الكونية، ولم يقل: سنريهم الآيات، وإنما قال: آياتنا: لعظمة هذه الآيات وأهميتها نسبها سبحانه إليه واستعمل صيغة الجمع للتعظيم.

﴿فِي الْأَفَاقِ﴾: جمع أفق وتعني: أقطار السموات والأرض، في الكون ونشأته والأرض والسماء وعلوم الفلك وعالم النبات والحيوان.

﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾: أي: في خلق الإنسان وتطوره ونشأته. وسيرونها قبل أن يؤمنوا أو بعد أن يؤمنوا، وسيستمر ذلك إلى يوم القيامة.

﴿حَتَّى﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾: أنه: للتوكيد، الحق: أي: القرآن هو الحق وما دعاكم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم.

والحق هو الأمر الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ﴾: الهمزة همزة استفهام وتعجب وتقرير.

﴿بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: أي: مطلع إلى ظاهرهم وباطنهم وعلى أقوالهم وأفعالهم في السر والعلن، وشهيد على ما يفعلون وكفى بالله شهيداً.

ارجع إلى سورة المجادلة آية (٦) للبيان، والبقرة آية (١٣٣).

لنقارن هذه الآية (٥٣) من سورة فصلت وهي قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ مع الآية (٩٣) من سورة النمل، وهي قوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ إِنِّيهِ فَنَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

آية فصلت سنريهم، آية النمل سيرىكم: سنريهم لمن جاؤوا من قبلكم للأجيال الماضية، وسنريكم أنتم ومن يجيء بعدكم.



في سورة فصلت بيّنت نوع الآيات (في الآفاق وفي أنفسهم) في سورة النمل الآيات بشكل عام (الكونية وفي أنفسهم والقرآنية والمعجزات).

[٥٤] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾:

﴿أَلَا﴾: أداة استفتاح وتنبيه.

﴿إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ﴾: في شك من البعث والحساب ولقاء ربهم ويوم القيامة بعد ما تبين لهم الحق والمراء هو الجدال بعد ظهور الحق.

﴿مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: يوم القيامة.

﴿أَلَا﴾: تكرار ألا تفيد التوكيد.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿بِكُلِّ﴾: الباء للإلصاق، كل: للتوكيد.

﴿شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾: بعلمه وقدرته محيط بخلقه وكونه محيط بكل شيء باطنه وظاهره لا تخفى عليه خافية.





سُورَةُ الشُّورَى ٤٢

سُورَةُ الشُّورَى

سُورَةُ الشُّورَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ عَسَقَ ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ
 الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ
 وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي
 الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
 ۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ
 حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
 السَّعِيرِ ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ
 مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝
 أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ
 إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝



سورة الشُّورَى [الآيات ١ - ١٠]

ترتيبها في القرآن (٤٢) وترتيبها في النزول (٦٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمْدٌ﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

[٢] ﴿عَسَقَ﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

[٣] ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: أي: مثل ما يوحى إليك الله سبحانه وتعالى أوحى إلى الذين من قبلك من الرسل وسائر الأنبياء، ويوحى بصيغة المضارع تدل على التجدد والتكرار، والوحي لغة: الإعلام بخفاء، وشرعاً: هو ما يُلقى الله إلى أنبيائه ورسله من تكاليف وتعاليم دينية وآيات بطريق الوحي جبريل عليه السلام. ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان.

﴿اللَّهُ﴾: الله: الاسم الدال على الذات الإلهية الذي تفرد به الحق سبحانه واختصه لذاته العلية، وهو الاسم الجامع لجميع صفات الكمال والدال على أنه المعبود وحده.

﴿الْعَزِيزُ﴾: الذي يَغْلِب ولا يُغْلَب ويُقهر ولا يُقهر القوي الممتنع.



﴿الْحَكِيمُ﴾: في تدبير خلقه وكونه وشرعه، الحكيم: من الحكمة فهو أحكم الحكماء، والحكيم من الحكم فهو أحكم الحاكمين. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

[٤] ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾:

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: لام لاختصاص أو الملكية، وتقديم له يعني حصراً وقصراً له ما في السموات السبع وما فيهن وما في الأرض نفسها وما فيها، له ما في السموات والأرض مُلكاً وخلقاً، وهذا يدل على أنه لا شريك له في خلق السموات والأرض ولا مُلكهما، وتكرار (ما في) يفيد التوكيد وفصل كل من السموات والأرض على حدة أو كلاهما معاً.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد والحصص.

﴿الْعَلِيُّ﴾: علو الجلال والكمال، العلي بسلطانه وقدرته وعرشه وعلمه، العلي بذاته وصفاته وأسمائه يعلو كل مخلوق وكل شيء تحته.

﴿الْعَظِيمُ﴾: صيغة مبالغة من العظم والعظيم بقدرته وصفاته، والعظم هو الفخامة والعز والمجد والكبرياء، لا يدرك أي عقل عظمته ورفعته وجلاله، رب العرش العظيم، ذكر هذا الاسم (٦) مرات في القرآن العظيم في آية الكرسي، وهذه الآية، والواقعة الآيتين (٧٤-٩٦) والحاقة الآيتين (٣٣-٥٢).

[٥] ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾:

﴿تَكَادُ﴾: من أفعال المقاربة.

﴿السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾: يتشققن أو يتصدعن:



١ - من عظمة وهيبة الله مالکهن ومدبرهن.

٢ - أو من قول المشركين: اتخذ الله ولداً.

٣ - أو لكثرة ما عليهن من الملائكة كما ورد في حديث أبي ذر، والذي رواه الترمذي قال: قال رسول الله ﷺ: «أُطِّتَ السَّمَاءُ وَحَقُّ لَهَا أَنْ تَنْطَ مِنْ مَا فِيهَا مَوْضِعَ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلِكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً لِلَّهِ تَعَالَى»، والمعنى: أطبقت السماء عن عظمة رب العالمين، أو ثقلت السماء من كثرة الملائكة.

﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾: من للابتداء، فوقهن: أي كلّ سماء تنفطر فوق التي تليها، أي يبدأ الانفطار في السماء السابعة فالسابعة فالخامسة وهكذا، أو يتفطرون من فوقهن (أي الأرضين).

﴿وَالْمَلٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: يسبحون بحمد ربهم: ينزهون الله تعالى من كلّ عيب ونقص وشريك وولد، التنزيه: هو الثناء، يسبحون بشكل مستمر متواصل بلا انقطاع، والحمد لله هو الشكر. إرجع إلى الآية (٢) من سورة الفاتحة لبيان معنى الحمد، وسورة الإسراء آية (١)، والحديد آية (١) لبيان معنى يسبحون.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي لعامة المسلمين، وغيرهم من أهل التوحيد ولمن آمن بالله رباً وإلهاً، واللام في لمن: لام الاختصاص، ومن: بعضية بعض من في الأرض وهم المسلمون بالله رباً وإلهاً ولا يستغفرون للمشركين والكافرين.

﴿أَلَا﴾: أداة تنبيه واستفتاح.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: تفيد التوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر.



﴿الْعَفْوُ﴾: صيغة مبالغة على وزن فعول، من: غفر؛ أي كثير الغفر وهو السَّتر؛ أي يستر الذنوب ويمحوها ويعفو عنها، ومهما عمل المكلفون من أعمال صالحة يبقون مقصرين فهم بحاجة إلى مغفرة ورحمة. وغفور للذنوب الكبيرة إذا تاب العبد وأتاب إلى ربه وغفار للذنوب الكثيرة.

﴿الرَّحِيمُ﴾: صيغة مبالغة على وزن فعيل، أي كثير الرحمة لعباده المؤمنين. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٢) لمزيد من البيان.

ولمقارنة هذه الآية (٥) من سورة الشورى وهي قوله: ﴿وَالْمَلَكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ والآية (٧) من سورة غافر وهي قوله: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، ارجع إلى سورة غافر الآية (٧) للبيان والمقارنة.

[٦] ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ بِوَكِيلٍ﴾:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾: من دون الله سبحانه؛ أي: من غير الله، أو سواه. اتخذوا: شركاء لله تعالى. الذين: اسم موصول يفيد العموم، اتخذوا من دونه أولياء: أي يعبدونهم، أو ليقربوهم عند الله زلفى أو ليشفعوا لهم أو لمساعدتهم، من: استغراقية تستغرق كل الأولياء الآلهة والأصنام وعيسى وعزيراً.

﴿اللَّهُ حَفِظٌ عَلَيْهِمْ﴾: أي الله رقيب على أقوالهم وأفعالهم؛ أي: عليم بها يحفظها ويحصيها لهم؛ ليحاسبهم عليها.

﴿وَمَا أَنْتَ﴾: الواو: عاطفة، ما: النافية، والخطاب لرسول الله ﷺ.

أنت: للتوكيد.

﴿عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾: بموكل للدفاع عنهم أو مسؤول عن أعمالهم وهدايتهم،

ارجع إلى سورة الأعراف الآية (٨٩) لبيان معنى الوكيل والتوكل، فقط عليك البلاغ المبين، الباء (بوكيل) للإلصاق والتوكيد. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٩) لمزيد من البيان.

[٧] ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: أي كما أوحينا إليك هذا القرآن أوحينا إلى الرسل من قبلك التوراة والإنجيل والزبور والصّحف، أوحينا: ارجع إلى الآية (٣) للبيان، وسورة النساء آية (١٦٣). أو: كما أنزلنا الكتب السماوية السابقة التوراة والإنجيل والزبور والصّحف أنزلنا إليك قرآنًا عربيًّا.

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾: سمي قرآنًا: لأنه يقرأ من السّطور والتّلقي، عربيًّا: بلغة عربية، بلسان قومك.

﴿لِّنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾: اللام للتعليل، تنذر أم القرى؛ الإنذار: هو الإعلام (والتبليغ) والتحذير والتخويف؛ أي: تنذر أهل مكة من عدم مخالفة أوامر الله وتنذره من النار والعذاب، وسميت أم القرى: لأنها هي الأصل والأم لكل قرية أخرى على الأرض، ولها أسماء مثل بكة والبلد الأمين، وتسميتها بأم القرى؛ لأنها كانت أول جزيرة بركانية ظهرت على قشرة الأرض ثم مدّت الأرض من حولها تدريجيًّا، حتى شكلت القارة الأم التي تشققت إلى القارات الحالية بشبكة من الصدوع التي أزاحت القارات عن بعضها كما نراها الآن. فهي أول قرية تشكلت على اليابسة وهي تقع وسط اليابسة، وكذلك فيها أول بيت وضع للناس فهي أم القرى من حيث النشأة ومن حيث الفضيلة. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٩٢) لمزيد من البيان.



﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: من: استغراقية تشمل كل القرى حولها، الحول هو المحيط، فكلمة (حولها) تشمل كل مكان؛ أي: العرب وسائر الناس، وخصوا بالذكر لأنهم أول المنذرين، والخطاب وإن كان موجهاً إلى رسول الله ﷺ فالمقصود به أمته أيضاً.

﴿وَنُذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾: تكرر (وتنذر) للتوكيد، يوم الجمع: يوم القيامة، وله أسماء كثيرة منها يوم الحشر والجمع والقيامة والتناد، والفصل والخروج والتغابن، والصّاحّة والحاقة والطّامة وغيرها. وسمي يوم الجمع؛ لأن الله سبحانه يجمع فيه الأولين والآخرين من الخلائق كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠]، ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكَ وَالْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ٣٨].

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا: النافية، ريب فيه: الرّيب: الشك والتهمة؛ لأنهم يشكون في قيامه ويكذبون رسول الله ﷺ وآيات الله.

﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾: بعد الجمع يحصل الحساب والجزاء والقضاء، ثم الفصل والتّفرق: يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السّعير. [٨] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: الواو استئنافية، لو شرطية.

﴿لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: اللام لام التّوكيد والتّعليل، لجعل الناس جميعاً على دين واحد وشريعة واحدة.

﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك.

﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: أي يدخل هؤلاء الذين اختاروا طريق الطّاعة



والإيمان بالله وبرسله، في رحمته: في دينه ورحمته ويزيدهم هداية وتوفيقاً لطاعته.

﴿وَالظَّالِمُونَ﴾: المشركون والظالمون لأنفسهم بارتكاب الكفر والشرك والمعاصي والذنوب.

﴿مَا لَهُمْ﴾: ما النّافية، لهم: لام الاختصاص والملكية، ما لهم في الآخرة من ولي ولا نصير.

﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾: من استغرافية تعني: ما لهم أيّ ولي، أيّ قريب يعينهم ويساعدهم ويتولى أمورهم.

﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾: لا النّافية، نصير: ينصرهم من عذاب الله؛ أي ينقذهم أو يدافع عنهم أو يخفف عنهم أو يشفع لهم. وتكرار (لا) يفيد التوكيد وفصل كلّ من ولي ولا نصير أو كلاهما معاً؛ أي لا هذا ولا ذاك ولا كلاهما معاً.

في هذه الآية لا بد أن نذكر بأنّه حين يقول سبحانه: ما لهم من ولي ولا نصير؛ أي في الآخرة؛ لأنّه في الآخرة تنقطع الولاية والنصرة فلا داعي لذكر من دون الله، وحين يقول سبحانه ما لهم من دون الله من ولي ولا نصير هذه تعني في سياق الدّنيا.

وكذلك لا بدّ أن نقارن هذه الآية (٨) وهي قوله: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ ﴿بِالْآيَةِ (٢٥)﴾ من سورة الفتح وهي قوله: ﴿لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: في سورة الشّورى قدّم المشيئة على الرّحمة، وفي سورة الفتح قدّم الرّحمة على المشيئة. ارجع إلى سورة الفتح آية (٢٥) للبيان.

[٩] ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي، والهمزة للاستفهام الإنكاري.



﴿اتَّخِذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (٦) زاعمين أن هذه الآلهة تعينهم أو تنصرهم أو تشفع لهم.

﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾: الفاء للعطف والتوكيد، هو: ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد، الولي: المعين لأوليائه القيم على أمر أوليائه، وتقدير الآية: أي إن أرادوا ولياً فالله هو الولي الحق ولا ولي في الآخرة إلا هو.

﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾: وهو وحده (هو للتوكيد والحصر) الذي يحيي الموتى للحساب والجزاء. ولمعرفة كيف يتم هذا الإحياء ارجع إلى سورة الروم آية (١٩).

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي حصاراً على كل شيء قدير، وتكرار (هو) يفيد التوكيد، ولكونه سبحانه هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير كل هذه الأدلة تدعو إلى الإيمان به وحده وعبادته وطاعته.

ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٠) للبيان.

[١٠] ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما مطلقة للعاقل وغير العاقل.

﴿أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾: أي في أمر من أمور الدين أو الدنيا (أحكام الدين) أو (الخصومات) وغيرها مع بعضكم بعضاً أو مع غيركم من غير المسلمين، من استغرافية، شيء: نكرة تشمل أي شيء مهما كان، وسواء أكان حسياً أم معنوياً.

﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾: أي يجب رد حكمه إلى الله وإلى رسوله (إلى القرآن والسنة)؛ ليفصل بينكم ويحكم بينكم بالحق.



﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي﴾: ذلكم: اسم إشارة يفيد التعظيم واللام للبعد والكاف للمخاطب، الله: أي الإله الحق المعبود واجب الوجود، ربي: الخالق المربّي والولي والرازق.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: تقديم (عليه) للحصر والقصر؛ أي عليه وحده أتوكل: أي أفوض أموري إليه وحده في الدنيا ليساعدني على القيام بها. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٩) للبيان في معنى التوكل.

﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: إليه تفيد الحصر والقصر، أنيب: أرجع في معرفة بيان الحكم؛ وتعني: الإسراع في التوبة، وتعني: أرجع إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ وهديه، وتعني: كثرة الرجوع إليه.





سُورَةُ الشُّورَى ٤٢

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَوْلَى



فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾
﴿١٣﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ
يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٤﴾ وَمَا
تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيَا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ
أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٥﴾
فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ
بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

سورة الشورى [الآيات ١١ - ١٥]

[١١] ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾:

عدد من الصفات الدالة على كمال قدرته وعظمته على الخلق، والموصوف بكل صفات الكمال، وأنه الإله الحق الذي يجب أن يُعبد وحده ويتوكل عليه وأنه وحده الرب الرزاق.

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي ابتداء خلقهما وأظهرهما للوجود، من انفطر: انشق؛ أي المظهر لوجود السموات والأرض، وقيل: فاطر السموات والأرض: خالقهما على غير مثال سابق؛ أي لأول مرة.

﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾: الجعل يكون بعد الخلق، جعل لكم من جنسكم من الجنس البشري أزواجاً ذكوراً وإناثاً.

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾: من ابتدائية، الأنعام (الضأن والماعز والإبل والبقر) أزواجاً ذكراً أو أنثى، أزواجاً للتكاثر.

﴿يَذُرُّكُمْ فِيهِ﴾: الذرء: يعني التزواج بالتكاثر، يذرؤكم: يكثركم بالتزواج فيه: تعود على الذرء؛ أي: التزواج.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: ليس للنفي، كمثل: الكاف لتوكيد النفي والتشبيه فجاء بأداتين لنفي الشبه، أو المثلية هما ليس والكاف؛ أي ليس مثله شيء، لا نظير لا مثيل له في ذاته وصفاته وأفعاله وحكمته وقدرته وعلمه وخلق، فهو



لا يشبه شيئاً من مخلوقاته ولا يشبهه أحد، فهو الواحد الأحد ليس كمثله شيء ولو من شيء بعيد أو قريب أو مهما كان، فهذه الآية تنزه الله سبحانه عن مشابهة المخلوقين؛ أي: خلقه، ولا ننسى قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفص: ٨٨]، وقالوا كل ما يُقال له شيء موجود سبق وجوده عدم والله سبحانه هو الأول والآخر لكل ما سواه بلا بداية وبلا نهاية ولذلك لا يقال لله سبحانه شيء؛ لأنه خالق الأشياء.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾: السميع لأقوال عباده يسمع ما في الكون من قول وسر وعلن ونجوى، البصير: بأعمال عباده وأحوالهم، يبصر كل شيء وإن دق وصغر، أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار السموات والأرض.

[١٢] ﴿لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ، بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

يستمر في ذكر صفات الله الدالة على كمال قدرته وعظمته ووحدانيته.

﴿لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مقاليد: جمع أقليد، وقيل: جمع مقلاد؛ أي: يُسند إليه يفوض إليه تصريف وإدارة وتدير أمور السموات والأرض. ارجع إلى الآية (٦٣) من سورة الزمر. للبيان المفصل في مقاليد السموات والأرض.

﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: أي يوسع الرزق لمن يشاء من خلقه ابتلاءً، ويقدر؛ أي: يضيّق الرزق لمن يشاء من خلقه ابتلاءً. ارجع إلى سورة سبأ الآية (٣٦) والآية (٣٩) لبيان معنى آيات بسط الرزق، كقوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [سبأ: ٣٩]، و﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [سبأ: ٣٦].

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿بِكُلِّ﴾: الباء للإلصاق والإلزام.



﴿شَيْءٌ عَلِيمٌ﴾: بكل ما يحدث في كونه وما يعمل به خلقه، عليم بالغني والفقير، وليم بكل شيء مهما كان نوعه وشكله ولونه وحاله وقدرته. عليم صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم وهو عالم الغيب والشهادة وهو علام الغيوب.

[١٣] ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾:

شرع: أوضح وأظهر الحق من الباطل، أو أوجب، لكم: اللام لام الاختصاص لكم خاصة، من الدين؛ الدين: يعني الإسلام، والدين: هو الطاعة والانقياد والسرعة والعقيدة، ويعني: الجزاء والحساب والخضوع وحكم الله وقضاؤه. ارجع إلى سورة البقرة الآية (١٣٢) لمزيد من البيان في معنى الدين والملة، ما وصينا به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى، استعمل (ما) واستعمل (الذي) فما الفرق بينهما: ما تستعمل للشيء غير المحدد والأكثر شمولاً كالطهارة التي حرفت أو ما وصى به نوحاً وهو غير معروف، وكذلك ما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى غير محدد وأكثر شمولاً، والذي تستعمل للشيء المحدد المعروف؛ أي: القرآن وتختص المفرد المذكر، بينما ما تستعمل للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، استعمل (ما) لما وصى به نوحاً واستعمل (الذي) أوحينا إليك: الخطاب إلى محمد ﷺ؛ ويعني القرآن والتكاليف والتعاليم، ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣) لمعرفة معنى: أوحينا إليك.

﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا﴾: وما وصينا به إبراهيم



وموسى وعيسى أن أقيموا الدين؛ أن: مصدرية تفيد التعليل والتوكيد، والوصية هي: أن أقيموا الدين، ولم يقل وأقيموا الأديان؛ لأن كل الرسل والأنبياء لهم دين واحد وهو الإسلام، وإقامة الدين تعني: تطبيق أحكامه وامتنال أوامره وتجنب نواهيه. ارجع إلى سورة النساء آية (١١) لبيان معنى وصينا. فالدين واحد، ولكن ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

﴿وَلَا تَنفَرُوا فِيهِ﴾: لا تنقسموا إلى مذاهب وشيع وطرائق، ولم يقل ولا تفرقوا، وإنما تفرقوا: إضافة التاء؛ لتدل على الكثرة، كثرة الأمم المخاطبة مثل أمة محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح مقارنة بقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] عندما خاطب أمة محمد ﷺ وحدها، ولكونها جزء من الأمم الأخرى ومن أصغرها.

﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾: أي شق وعظم على المشركين ما تدعوهم إليه من التوحيد وإقامة الدين وترك عبادة الأصنام والإيمان بالبعث والحساب والجزاء.

﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: يجتبي: يصطفي إليه من يشاء من عباده من اختار لنفسه طريق الطاعة والإيمان.

﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾: الإنابة سرعة الرجوع إلى الله والتوبة؛ أي يوفق من يشاء بالرجوع إليه والتوبة.

[١٤] ﴿وَمَا نَفَرُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما النافية.



﴿نَفَرَقُوا﴾: أي قريش أو أهل الكتاب، وأصبحوا مذاهب وشيعاً وطوائف في دين الله، فأمن بعضهم وكفر بعضهم أو آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض. ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ﴾: إلا أداة حصر.

﴿مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾: العلم هو القرآن الكريم والرّسول محمد ﷺ، بغياً بينهم: تفرّقوا بسبب الحسد وحبّ الجاه والسيطرة والحرص على الدنيا. وتعريف البغي: هو أخذ حق الغير بقهر وقوة وتعسف.

﴿وَلَوْلَا﴾: لولا حرف شرط.

﴿كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: بتأخير العقوبة والإمهال وتأخير الحساب ليوم القيامة.

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هو يوم القيامة.

﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾: حكم بينهم أو فصل بينهم بإنزال العذاب على المكذّبين ونجاة المؤمنين.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: من بعدهم؛ أي من بعد اليهود والنصارى (أهل الكتاب) هم العرب، الكتاب: التّوراة أو الإنجيل أو القرآن، من بعدهم: من بعد أنبيائهم، أو من بعد الأولين أو الأمم التي سبقتهم.

﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيَ﴾: اللام في (لفي) للتوكيد، شك منه: منه تعود على القرآن الكريم، إذا كان المقصود هم العرب الذين أورثوا الكتاب فهم في شك من القرآن أنّه منزل من عند الله، وأنهم يتهمون النّبي ﷺ بأنّه افتراه وأعانه عليه قوم آخرون، وإذا كان المقصود هم أهل الكتاب الذين أورثوا الكتاب؛ أي:



التوراة والإنجيل، لفي شك من القرآن أو التوراة أو الإنجيل مريب: والريب: هو الشك والتهمة.

[١٥] ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾:

﴿فَلِذَلِكَ﴾: الفاء استئنافية، لذلك: اللام للتعليل والتوكيد، ذا اسم إشارة يشير إلى منع التفرق ونبذه، والكاف للمخاطب.

﴿فَادْعُ﴾: الفاء للتوكيد، ادْعُ: إلى دين الله الحق وهو الإسلام الدين الحنيف، ادْعُ الناس إلى التوحيد ولا إله إلا الله وطاعته وعبادته وترك عبادة الأصنام والشرك.

﴿وَاسْتَقِمْ﴾: أي الزم منهج القرآن والسنة، وأتم الفرائض وتجنب المحارم، وقيل: الاستقامة: الاعتدال أو الوسطية لا إفراط ولا تفريط في الدين، والتوبة تساعد على الاستقامة، والاستقامة طريق إلى الجنة.

ارجع إلى سورة فصلت آية (٣٠) لمزيد من البيان في معنى الاستقامة.

﴿كَمَا أُمِرْتُ﴾: بطريق الوحي أو كما ورد في القرآن؛ أي: كما أمرك الله سبحانه.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾: لا الناهية، تتبع أهواءهم: جمع هوى والهوى: لتعريفه ارجع إلى سورة الأنعام الآية (٥٦) وتتبع أهواءهم مثل اتباع ملتهم.

﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾: الباء للإلصاق، الخطاب إلى رسول الله ﷺ وأمته، آمنت: صدقت بما أنزل الله: من استغراقية تشمل القرآن

والتّوراة والإنجيل والزبور، وآمنت بكلّ ما أنزل في الكتاب (القرآن) إيماناً كاملاً
فلا أكفر ببعض وأؤمن ببعض.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾: في الحكم والقضاء دون ميل عن الحق.

﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمُ﴾: الله الإله الحق واجب الوجود هو ربنا وربكم؛ أي
خالقنا وخالقكم ورازقنا ورازقكم.

﴿لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾: أي ثوابها أو وزرها.

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾: لا النافية؛ أي لا حاجة إلى الجدل أو المحاجة
والخصومة بيننا وبينكم لإثبات من هو المحقّ ومن هو المبطل بعد الآن؛ لأنّ
الحق قد تبين وظهر وكذلك الباطل.

﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾: أي يوم القيامة أو في أرض المحشر لفصل القضاء
وتقديم الفاعل على الفعل للاهتمام والتوكيد.

﴿وَالِيهِ الْمَصِيرُ﴾: إليه حصراً وقصراً لا إلى غيره، المصير: المنتهى
والمرجع والوقوف بين يديه للحساب والجزاء.





البقرة المائدة العشر

سورة الشورى ٤٢

وَالَّذِينَ يَحَابُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ حَتَّيْ
دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ
أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾
اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ
﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ
كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ
مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ
لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾



سورة الشورى [الآيات ١٦ - ٢٢]

[١٦] ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾:

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾: قال قتادة في مناسبة هذه الآية: إنَّ هناك جماعة من اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين: نبينا خير من نبيكم وكتابنا خير من كتابكم ونحن خير منكم! ليصدوا الناس عن الدخول في دين الله، يحاجون: من الحجاج هو: إظهار حجة كل طرف ومقابلتها بحجة الطرف الآخر، ويحاجون: تدل على التجدد والتكرار والاستمرار، في الله: في دين الله أو آيات الله أو ذات الله تعالى، يشكون الناس بالإسلام أو بالدين أو بآيات الله؛ لعلهم يردونهم كفاراً كما قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ [البقرة: ١٠٩].

﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾: له: تعود إلى دين الله أو رسول الله ﷺ؛ أي: من بعد ما استجاب الناس لدين الله ودخلوا فيه أفواجا، أو استجاب الله لرسوله بنصره على أعدائه وإظهار دينه. راح بعض اليهود والنصارى يحاجون بعض المؤمنين.

﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: حجتهم باطلة زائلة، داحضة مشتقة من: ادحاض القدم، والدحض هو الطين الأملس الذي يؤدي إلى زلق القدم عن موضعها، فالذين يحاجون في الله ويريدون أن يبطلوا الحق بحججهم؛ أي: يزيلوا الحق بالباطل ويأبى الله تعالى ذلك.

﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾: طرد من رحمة الله وإبعاد عنها.



﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: لهم: اللام لام الاستحقاق والاختصاص، عذاب شديد في الدنيا والآخرة.

[١٧] ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾:

﴿اللَّهُ﴾: سبحانه اسم ذات واجب الوجود المعبود. ارجع إلى الآية (٣) من السورة نفسها.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم والسمو.

﴿أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾: أنزل القرآن جملة واحدة، دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ليلة القدر.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق تفيد المصاحبة والملازمة؛ أي: ما فيه هو الحق، والحق هو الأمر الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل، فالقرآن هو الحق والحق هو القرآن ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، والقرآن لن يتغير إلى يوم القيامة.

﴿وَالْمِيزَانَ﴾: هو العدل، العدل الذي يحكم بين الناس، وقيل: هو الميزان الذي يوزن به، ومعنى إنزاله: هو إلهام بعض الناس أن يخترعوا آلة الميزان ويستخدموا الوزن، وحذرهم من التطفيف في الميزان؛ أي: أنزل الكتاب وشرع العدل بين الناس وأمر الناس بإقامة الوزن والكيل في البيع والشراء.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾: وما: الواو عاطفة، ما استفهامية، وما يدريك: ولم يقل وما أدراك، يدريك تفيد الحال والمستقبل، أمّا أدراك تفيد الماضي، وما أدراك: تنفي أن أدراه في الماضي فقد يدريه في الحال أو في المستقبل.

أمّا قوله تعالى: (وما يدريك) تنفي الإدراك في الحال والمستقبل وتبقى غامضة إلى أن تقوم الساعة، وقال ابن عباس: ما قال تعالى فيه وما أدراك، فقد

أدراه، وما قال تعالى فيه وما يدريك ولم يدره به، وما يدريك: جاءت في القرآن في ثلاث آيات كلّها في سياق الغيب والساعة كقوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾: وآية أخرى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣] ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾ التزكية لا يعلمها إلا الله.

وأما (ما أدراك) فقد وردت في (١٣) آية كقوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ ثم شرح ما القارعة: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥﴾ [القارعة: ١-٥].

لعل: تفيد الاستفهام، الساعة قريب: قيام الساعة، بدء الساعة؛ أي: بدء تهديم النظام الكوني الحالي، قريب: ولم يقل قريبة؛ لأنه يجوز التذكير أو التأنيث في سياق الزمن أو المكان وبما أنها جاءت في سياق الزمن فيجوز تذكيرها أو تأنيثها، أما إذا جاءت في سياق النسب والقراة لا بد من أن تؤنث كأن تقول: هذه قريبة لي. وما مناسبة ذكر الساعة بعد ذكر الكتاب والميزان؟ الجواب: أنزل عليكم الكتاب لتعلموا بما جاء به وتقيموا العدل وتستعدوا للساعة قبل أن تأتيكم بغتة.

[١٨] ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾:

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾: كقولهم: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨، الأنبياء: ٣٨، يس: ٤٨]؛ أي: يطالبون بقدمها استهزاء وإنكاراً وتكدياً بها؛ لأنهم لا يصدقون بقيامها وينكرون البعث والحساب ولا يستعدون لها؛ لأنهم لا يخافونها.

لا يؤمنون بها: لا النافية لكل الأزمنة، يؤمنون بها: يصدقون بها.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾: كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ



﴿مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩]، الإشفاق: هو الخوف الممزوج بخشية وحذر من أن تقوم الساعة سواء كانت (القيامة الصغرى أو القيامة الكبرى، وهم مقصرون في حق ربهم من طاعة أو عبادة أو ألا تقبل أعمالهم الصالحة، أو لا يدرون نتيجة أعمالهم)، ومشفقون: جملة اسمية تدل على الثبوت؛ أي: إشفاقهم دائم مستمر لا ينقطع.

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾: أي أنها آتية لا ريب فيها فهم يستعدون لها.

﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ﴾: ألا: أداة تنبيه واستفتاح، إن الذين: للتوكيد، يمارون في الساعة: المرء هو الجدال بعد ظهور وتبين الحق أنها آتية لا محالة، يجادلون في صحة وقوعها بشك وريبة.

﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾: السلام للتوكيد، ضلال بعيد: في تيهه وبُعده عن الحق وطريق الهدى لا يرجئ معه عودتهم إلى الصواب أو التوبة والإيمان.

[١٩] ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾:

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾: يبر عباده ويواصل نعمه عليهم مؤمنهم وكافرهم برهم وفاجرهم، لطيف: صيغة مبالغة على وزن فعيل: كثير اللطف؛ أي: الرفيق بعباده يوفق عباده لفعل الخيرات، والعليم بكل شيء مهما دق وصغر، وبمكانه وصفاته وأحواله؛ لأنه كلما دق الشيء؛ أي: لطيف، أصبح صعب الإيجاد والعثور عليه، فهو يعلم دقائق الأمور وخفاياها مهما دقت وتناهد في الصغر، ويحسن إلى عباده ويكرمهم، بعباده: الباء للإلصاق والملازمة.

﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾: أي يوسع الرزق على من يشاء أو يرزق من يشاء بغير حساب.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر.

﴿الْقَوِيُّ﴾: ذو القوة المتين، القوة له جميعاً، متين القوى؛ أي: شديد القوى، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي الذي يقهر ولا يُقهر ويغلب ولا يُغلب والممتنع ولا يحتاج إلى أحد ولا أحد قادر على ضره أو نفعه؛ لأنه هو الضار النافع والمعطي والمانع.

[٢٠] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾:

﴿مَنْ كَانَ﴾: من شرطية، كان: تشمل كل الأزمنة.

﴿يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾: الحرث يعني بذر الحَبِّ في الأرض؛ ليصبح زرعاً وثماراً كما قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، أي: من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة، نزد له أو نضاعف له ثوابه.

﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾: ومن كان يريد بأعماله ثواب الدنيا، نُؤْتِهِ منها ما نريد وما له في الآخرة من نصيب.

﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾: من استغراقية؛ أي: ما له أي نصيب مهما كان، والنصيب: هو القسم المعين، ويكون في المحبوب والمكروه، أما الحظ يكون عادة في الخير أو المحبوب، وأما القسط: الحصاة العادلة المبنية على العدل.

وتكرار (من كان يريد) مرتين توكيد لفظي غايته تقرير الحكم في أذهان المخاطبين، وقدم حرث الآخرة على حرث الدنيا لأنه هو الأفضل والأهم.



[٢١] ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام ولتوبيخ مشركي قريش، أم للإضراب الانتقالي.

﴿شُرَكَاءُ﴾: جمع شريك، من الآلهة والأوثان والشياطين.

﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾: شرعوا أوجدوا، أو سنوا لهم شرائع جديدة: أي طرائق وبدعاً ومناهج في الدين ما لم يأذن به الله.

﴿وَلَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود (امتنع القضاء بينهم لوجود كلمة الفصل).

﴿كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾: يأمهال الكافرين وتأخير العذاب عنهم حتى يوم القيامة.

﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: بين الكافرين والمؤمنين وبين المشركين وشركائهم، قضى بينهم في الحياة الدنيا بدون تأجيل؛ أي: حكم بينهم أو فصل بينهم بإنزال العذاب على المكذبين وإهلاكهم ونجاة المؤمنين.

﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾: للتوكيد؛ أي: المشركين أو الظالمين لأنفسهم أو لغيرهم.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: اللام لام الاختصاص أو الاستحقاق، عذاب أليم، نوع من أنواع العذاب ومنها: العظيم المهيمن والأليم والشديد.

[٢٢] ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾:

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾: في الآخرة يوم القيامة (المشركين والذين ظلموا أنفسهم بالعصيان)، ترى رؤية بصرية بالعين.

﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين حذرين لا يدرون ما سيفعل بهم.

﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾: من: ابتدائية، ما: اسم موصول بمعنى الذي كسبوا، وما: أوسع شمولاً من الذي، أو مصدرية، مشفقين من كسبهم من جزاء ما كسبوا من السيئات والآثام والشرك والكفر، كسبوا في الدنيا، ولم يقل ما اكتسبوا؛ لأن كسبهم أصبح أمراً عادياً وسهلاً ولا يحتاج إلى جهد. كسبوا عادة تأتي في سياق المباح وأعمال الخير، اكتسبوا عادة تأتي في سياق الأشياء المحرمة وأفعال الشر التي تحتاج إلى جهد ومشقة، ارجع إلى سورة البقرة الآية (٢٨٦) للبيان.

﴿وَهُوَ وَاَقَعُ بِهِمْ﴾: وهو تعود على الجزاء والعقاب، واقع بهم؛ أي: نازل بهم لا محالة محيط بهم.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾: جمع روضة، والروضة: المكان الكثير الخير والعطاء والبهيج والجميل وأحب الأماكن إلى النفس.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: لهم: اللام لام الاختصاص، ما يشاءون عند ربهم: وفيه ما تشتهيهِ الأنفس وتلذُّ الأعين، عند ربهم: عند ظرف مكان.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، يشير إلى روضات الجنات، جنات الفردوس وجنات عدن وجنات النعيم وجنات المأوى.

﴿هُوَ﴾: للتوكيد.

﴿الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾: الفضل الإلهي الكبير، والفضل: هو الزيادة على الأجر أو ما يستحقه العبد زيادة على أجره. والفضل الكبير قيل: هو الدخول في الجنة؛ أي: الفضل الكامل التام.





سُورَةُ الشُّورَى ٤٢

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَرِيمِ

ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ
لَّهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا فَإِن يَشِإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ
بِكَلِمَتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ
عَن عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾
وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ
وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ
لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ
خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِّن بَعْدِ مَا قَنَطُوا
وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِن آيَاتِهِ خَلْقُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ
إِذْ يَأْتِيهِمُ الْقُدِيرُ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فِيمَا
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ
فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾



سورة الشُّورَى [الآيات ٢٣ - ٣١]

[٢٣] ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، يشير إلى الثواب والنعيم (روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم).

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: يُبَشِّرُ من البشارة: وهي الخبر السار، وتكرار (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يدل على التوكيد، ولم يقل يُبَشِّرُ به عباده (به) تعني فقط بشارة واحدة، ولم يقل به؛ لأنَّ البشارة لا تقتصر على هذه البشارة، فهناك بشارات أخرى مختلفة لم تذكر في هذه الآية.

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾: أي أجراً على تبليغ الوحي أو القرآن أو ما أنزل الله، إلا: أداة حصر، المودة في القربى: أي أن تودوا قرابتكم وتصلوا أرحامكم، وقد تعني: ألا تؤذوني في قرابتي؛ أي: تودوا قرابتي حتّى أبلغ رسالتي، أو تكفّوا عني إذاكم وتمنعوني من أذى الناس حتّى أبلغ رسالتي.

﴿وَمَن يَقْرِفْ حَسَنَةً﴾: من: بمعنى الذي، وتشمل المفرد والمثنى والجمع، والذكر والأنثى؛ يقترف: أي: ومن يكتسب حسنة (بالقول أو الفعل). ولتعريف الحسنة: ارجع إلى سورة فصلت آية (٣٤). والافتراف: يعني الاكتساب، ويأتي في سياق الحسنة أو السيئة؛ أي: الحسنات والسيئات.



﴿نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾: أي نضاعفها له. مضاعفة الحسنات: هي الزيادة في حسنها.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿عَفُورٌ﴾: صيغة مبالغة من غافر: من الغفر؛ وهو السّتر، وكلّ شيء ستره فقد غفره؛ أي: يستر الذّنوب ويعفو عنها، كثير المغفرة يغفر الذّنوب مهما عظمت وكثرت إلا الشّرك والكفر المصحوب بغير توبة.

﴿شَكُورٌ﴾: صيغة مبالغة من شكر: شكور؛ يعني: يثيب عباده على طاعتهم، ويقبل العمل القليل ويعطي الثّواب الكبير.

[٢٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ، وأم للإضراب الانتقالي.

﴿يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: أي الذين كفروا من قريش يقولون: إنك تفتري على الله كذباً، كذباً: نكرة لا يدل على شيء معين من الكذب، وإنما تشمل كلّ أنواع الكذب، ولو قال تعالى افترى على الله الكذب، فهذا يشير إلى كذب معين، وكذباً بصيغة التّكثير تشمل كلّ الكذب.

﴿فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: فإن: الفاء للتوكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض أو الشّك، يشأ الله يختم على قلبك، الختم: أقلّ شدة من الطبع، والطبع: يأتي في سياق الشر؛ أي: لو افترت على الله كذباً مهما كان نوعه لختم الله على قلبك بأن ينسيك القرآن أو يجعلك غير قادر على الافتراء، وفي آية أخرى مماثلة: ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ (٤٤) ﴿لَا خَذَانَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ (٤٥) ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ

الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

﴿وَمَحُّهُ مَحْوٌ تَامًا وَإِقَامَةُ الْحَقِّ: أَيُ وَلَوْ افْتَرَيْتُ أَيُّ بَاطِلًا فَإِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى إِزَالَتِهِ وَمَحْوُهُ مَحْوٌ تَامًا وَإِقَامَةُ الْحَقِّ:﴾

﴿وَبُحُّ الْحَقِّ﴾: مكان الباطل؛ أي: يثبت الحق، والحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتغير أو يتبدل.

﴿بِكَلِمَتِهِ﴾: بما يُنزل في القرآن أو بالحجج والبراهين وبآيات.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: إنه للتوكيد، عليم: صيغة مبالغة: كثير العلم.

ذات الصدور: ارجع على سورة آل عمران آية (١١٩) للبيان.

[٢٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: تعود على الله سبحانه واجب الوجود، تفيد الحصر والتوكيد.

﴿الَّذِي﴾: للتعظيم.

﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾: القبول: هو أخذ الشيء برضا؛ أي: يقبل التوبة، وقبول التوبة كأنها صفة خاصة به سبحانه، وهي: الكفُّ عن المعصية وعدم الرجوع إليها، والتَّندُّمُ عليها والإكثار من التَّوَّافِلِ وإرجاع الحقوق إلى أصحابها، عن عباده: ولم يقل من عباده؛ أي: يقبل التوبة الصَّادِرة عن عباده؛ أي: يقبل التوبة نفسها لأنَّه سبحانه قد يقبل التوبة أو يرفضها. وعن: تعني الإبعاد؛ أي: يبعد عنهم سيئاتهم؛ أي: يمحوها ولو قال تعالى يقبل التوبة من عباده لكانت تعني يقبل التوبة من الجهة المصدرة للتوبة؛ أي: من العبد، وحين يقبلها سبحانه يعني يقبلها نفسها، ومن الجهة المصدرة لها؛ أي: من العبد.

﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾: أي: يعفو عن أصحاب السيئات (عفو مطلق)، والسيئات: جاءت معرفة بآل التعريف. قيل: الصَّغَائِرُ، ومنهم من قال: الصَّغَائِرُ



والكبائر، والعفو: ترك العقوبة؛ أي يمحوها ولا يعاقب عليها. وانظر: إلى كيفية كتابة يعفو بالواو في هذه الآية، والآية (٣٠) كذلك من نفس السورة، بينما في الآية (٣٤) من نفس السورة جاءت (يعف) بدون واو، والسبب أنها مجزومة بحذف الواو؛ لأنها جاءت معطوفة على الشرط.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾: من خير وشر. انظر: كيف انتقل من صيغة الغيبة إلى صيغة المخاطب، وقال: ويعلم ما تفعلون للتحذير وللفت الانتباه للتوبة، وعدم العودة إلى فعل السيئات.

[٢٦] ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾:

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: ويستجيب الله سبحانه دعاء الذين آمنوا لما طلبوه ودعوه، وقيل: السّين والتاء في (يستجيب) للتأكيد، بمعنى: أجاب الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتدل على التجدد والتكرار.

﴿وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾: أي يجيب الله الذين آمنوا ويعطيهم ما سألوه ويزيدهم من فضله على ما يستحقونه تفضلاً منه وتكرماً.

﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: لهم: اللام لام الاختصاص والاستحقاق. لهم عذاب شديد: نوع من أنواع العذاب الذي لا يُطاق في جهنم.

[٢٧] ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو استئنافية، لو: شرطية.

﴿بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾: بسط: وسّع ومدّ لعباده: اللام لام الاختصاص، لبغوا في الأرض: اللام لام التعليل والتوكيد، لبغوا: من البغي:

وهو أخذ حق الغير بقهر وقوة وتعسف؛ ويعني: الظلم والفسق والفساد في الأرض والكبر والتبذير.

﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك.

﴿يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾: أي بتقدير حسب ما تقتضيه حكمته الربانية جلّ شأنه، كقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]، وكقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد، بعباده: الباء للإلصاق.

﴿خَيْرٌ﴾: يعلم بواطن أحوالهم، ويعلم ما هو أصلح لهم وأنفع لحياتهم ودنياهم وآخرتهم.

﴿بَصِيرٌ﴾: يعلم ظواهر أحوالهم، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٣١) في سورة فاطر، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ نجد زيادة اللام في لخبير، التي تفيد التوكيد؛ لأن السياق في آية فاطر في الكتاب وإقام الصلاة والإنفاق، أما في آية الشورى: في بسط الرزق.

[٢٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر، يعود على واجب الوجود وحده.

﴿الَّذِي﴾: يفيد التعظيم.

﴿يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾: أي: المطر المنزل من السماء؛ أي: من السحاب، والغيث الماء المنزل الذي يحمل معه الخير والنفع وسمي غيثاً؛ لأنه يغيث الناس من الجذب والقحط، وأما كلمة المطر في القرآن تأتي في سياق العذاب والشر



والفيضانات والغرق، وكلمة الغيث تأتي في سياق الخير والنفع، ينزل: بصيغة المضارع التي تدل على التجدد والتكرار.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾: القنوط هو شدة اليأس، من: ابتدائية، قنطوا من شدة القحط، قنطوا من رحمة الله تعالى.

﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾: الرحمة قيل: هي جلب ما يسر ودفع ما يضر وتشمل الغيث والصحة والغنى والأمن وغيرها.

﴿وَهُوَ﴾: يفيد التوكيد.

﴿الْوَلِيُّ﴾: القيم على أمور الخلائق والمدبر أمورهم، والمعين لأوليائه ومحبتهم.

﴿الْحَمِيدُ﴾: مشتقة من الحمد، المحمود بحق في كل الأحوال من أهل السموات والأرض، مستحق الحمد أهل الثناء له الحمد كله لبره وخيره وإحسانه ورحمته، وله الحمد على خلقه وشرعه ودينه وهدايته وثوابه. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٢).

[٢٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ومن: بعضية، آياته الدالة على أنه الإله الحق، والدالة على كمال قدرته وعظمته، خلق السموات والأرض: ارجع إلى سورة فصلت الآيات (٩-١٢)، وسورة الأنبياء آية (٣٠)، وسورة الأعراف آية (٥٤) للبيان، ونسبة الآيات له تدل على عظمتها وتشريفها وكونها آيات كبرى.

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: (أي السموات والأرض)، بث: نشر ووزع خلقه في كل أقطار الأرض، ونشر الملائكة في كل أقطار السموات، وإذا قارنا هذه مع الآية

(٤) في سورة الجاثية، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُنُ مِنْ دَابَّةٍ﴾ نجد أن ييث: فعل مضارع يدل على التجدد، والتكرار، والاستمرار في البعث، بينما آية الشورى (بث) فعل ماض تدل على الماضي؛ أي: ابتداء الخلق؛ أي: ابتداء البعث.

﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾: من للعاقل، دابة: كل من يدب على الأرض من إنس وحيوان وفي السماء من الملائكة، وهناك من قال فيهما: تعني في إحداهما من دابة؛ أي: الأرض، وهذا يسمى نسبة الشيء إلى الكل والمراد البعض، كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَاتُ﴾ والمقصود يخرج من أحدهما وهو المالح، وهناك من قال: دابة تعني الحيوان فقط ولا تعني الإنس والجن.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد ويعود على الله سبحانه.

﴿عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ﴾: إذا: ظرفية بمعنى حين يشاء؛ أي: في أي زمن أو حين يشاء، يوم الجمع: أي يوم الحشر أو يوم القيامة.

﴿قَدِيرٌ﴾: صيغة مبالغة من قادر؛ أي: ذو القدرة، القادر على كل شيء في السموات وفي الأرض فلا يعجزه شيء، والقادر: أي المسيطر على الكون وعلى مخلوقاته بقدرته المطلقة.

[٣٠] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما شرطية.

﴿أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾: من استغراقية تشمل كل مصيبة؛ أي: مرض أو حادثه طارئة أو بلاء في الدنيا بنقص في الأموال والأنفس والثمرات أو الخوف أو عقوبة.

﴿فِيمَا﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، الباء سببية أو بدلية، ما بمعنى الذي.



﴿كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: أي بسبب السيئات التي اقترفتوها؛ أي: هي كفارات لذنوبكم. ارجع إلى سورة الحديد الآية (٢٢)، وسورة التغابن الآية (١١) لمقارنة الآيات التي وردت في المصائب مع آية الشورى.

﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾: عن كثير من المعاصي فلا يعاقب عليها، وقد يكون: ما أصابكم من مصيبة أيضاً بغير ذنب وإنما لزيادة الأجر ورفع درجاتكم وكل ما يصيب المؤمن من خير أو شر هو خير له في النهاية؛ لكي تحط عنه خطاياهم وترفع درجاته إذا صبر واحتسب.

ولنقارن قوله تعالى: ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ و: ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾ [الشورى: ٤٨]، المصيبة قد تكون نتيجة ما كسبت الأيدي أو قدمت، كسبت تأتي في سياق آيات الكسب؛ لذلك ننظر إلى ما قبلها وما بعدها من الآيات إذا فيها كسب تأتي: كسبت أيديكم، وإذا ليس فيها كسب تأتي: قدمت أيديهم.

[٣١] ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾:

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: السواو عاطفة، ما النافية أقوى نفيًا من ليس وتنفي الحال عادة وقد تنفي الماضي والمستقبل، بمعجزين في الأرض: الباء للتوكيد، معجزين في الأرض: أي بفائتين من العذاب بالهرب أو الاختفاء.

﴿وَمَا لَكُمْ﴾: تكرار (ما) يفيد توكيد النفي، لكم: لام الاختصاص.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله، من سوى الله.

﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾: من استغرافية، ولي: معين وقريب تلقون إليهم بالمودة.

﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾: تكرار (لا) يفيد توكيد النفي، نصير: ينصركم من دون الله بالقوة أو الإمداد أو العدة أو العتاد، أو ينصركم من عذاب الله بالدفع أو الشفاعة.

لا ولي ولا نصير ولا كلاهما معاً. لنقارن هذه الآية (٣١) من سورة الشورى وهو قوله: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، والآية (٢٢) من سورة العنكبوت وهي قوله: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾:

في سورة العنكبوت أضاف السماء؛ لأن التحدي أشد يشمل من في السماء؛ أي: الملائكة. ارجع إلى سورة العنكبوت الآية (٢٢) للمقارنة ومعرفة السبب.

ولنقارن قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٣١] مع قوله تعالى: ﴿وَالْظَالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨].

الفرق هو حين يضيف (من دون الله) تكون الآية في سياق الحياة الدنيا، وحين لا يضيف (من دون الله) تكون الآية في سياق الآخرة؛ لأنه في الآخرة ليس هناك سوى الله تعالى حتى نتخذه ولياً أو نصيراً.





سُورَةُ الشُّورَى ٤٢

الْبَيْتُ الْاَلَاثِنِ الْعَشْرُونَ

وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ
فَيُظِلِّلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِنَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ
يُحَدِّثُونَ فِي ءَايَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبَرًا إِلَّا ثَمَّ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا
غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ
الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ
بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ
يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ
﴿٤٣﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ ۗ وَتَرَى الظَّالِمِينَ
لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾



سورة الشورى [الآيات ٣٢ - ٤٤]

[٣٢] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾: ومن بعضية، بعض آياته الدالة على كمال قدرته وعظمته وخلقها، وإضافة الآيات إليه بقوله: آياته، تدل على عظمته وتشريفها وبديع وصفه.

﴿الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾: أي السفن الكبيرة، وسميت (الجوار) لكونها تجري على الماء، توصف بالجاريات، واسمها: العلم الجوار، وشبهها بالأعلام: أي كالجبال، والجبل سمي علماً؛ لأنه يستعمل كعلامة يهتدى بها على الأرض كما أن العلم يشير إلى الدولة، وها نحن نرى اليوم السفن التي تضم الطوابق العديدة والغرف وتحمل آلاف المسافرين، وتحمل الطائرات الحربية ومدرجاتها كأنها الجبال الشامخات والحاملة لآلاف الأطنان من المتاع.

[٣٣] ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾:

﴿إِنْ يَشَأْ﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال والافتراض، يشأ: إن يرد سبحانه وتعالى. والمشية: هي بدء العزم على الفعل، والإرادة: هي تمام العزم على القيام بالفعل.

﴿يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾: أي يهدئ الريح فلا تهب ولا تعصف، والريح لم ترد في القرآن إلا عذاباً؛ أي: في سياق الشر والأذى، بخلاف الرياح التي تحمل معنى الرحمة والتفجع.



﴿فَيَظْلَلْنَ﴾: الفاء تدل على التعقيب والمباشرة، يظللن: تعود على الجوار

في البحر.

﴿رَوَّاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾: تجري بسكون كأنها لا تتحرك، أو تشعر بحركتها رغم سرعتها العالية، فماء البحر راكد؛ أي: ساكن، والسفن رواكد على ظهر البحر، ولم يقل مستقرات أو ثابتات؛ لأن ذلك يعني أنهن راسيات على الشاطئ.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: إن واللام في كلمة (آيات) تفيدان التوكيد؛ أي: هذه السفن الهائلة الحجم من النعم الكبيرة التي تحتاج لشكر كثير دائم لا ينقطع؛ أي: شكور (مبالغة في الشكر) شكر المنعم على نعمه الكثيرة فالجري وتسكين الريح والسفن نفسها، وما تحمل من بشر ومتاع كلها آيات تحتاج إلى شكر كثير، وكذلك إلى صبر وليس صبر عادي (بل صبار) صبر كثير وذلك حين تعصف الريح أو حين صناعتها. وقدم الصبر على الشكر؛ لأن الصبر على الشدائد والكره يسبق الشكر، والصبر نفسه يحتاج إلى شكر.

[٣٤] ﴿أَوْ يُوبِقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾:

﴿أَوْ يُوبِقَهُنَّ﴾: أو: تعني للتقسيم؛ أي: يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره، أو يوبقهن: مشتقة من أوبقه: حبسه أو أهلكه، يوبقهن: يغرقهن.

﴿بِمَا كَسَبُوا﴾: الباء باء السببية أو البدلية، ما: تعني الذي أو مصدرية؛ أي: يوبقهن بما كسبوا من الذنوب والآثام؛ أي: ارتكبوا من المنكرات وهم على ظهر تلك السفن، أو كسبت أيديهم سابقاً حين كانوا في البر.

﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾: عن تفيد المجاوزة والمباعدة، ويعف: سبحانه فلا

يعاقب على الكثير من الذنوب؛ أي: يعفو عن ذنوبهم وأثامهم فلا يعاقبهم عليها
لعلهم يتوبون، أو يهلك أناساً ويُنجي أناساً بالعفو عنهم.

[٣٥] ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّخِصٍ﴾:

﴿وَيَعْلَمُ﴾: الواو عاطفة، يعلم الذين يجادلون في آياتنا: أي المكذبون أو
المنكرون الجاحدون بالله وآياته.

﴿يُجَادِلُونَ﴾: من الجدل وهو حوار بين طرفين أو أطراف لإثبات حق أو
إظهار حجة، أو دفع شبهة، والجدال أشد من الحوار حدة ومخاصمة.

﴿فِي آيَاتِنَا﴾: الكونية أو المعجزات أو الآيات القرآنية أو الدلائل والبراهين
على البعث والحساب والآخر، وأن الله هو الإله الحق المستحق للعبادة،
ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من مخيص: والسؤال متى يحدث هذا
العلم؟ قيل: هناك احتمالان: الأول: قبل موتهم وغرقهم، والثاني: إذا عفى عنهم
وبقوا أحياء يعلمون قدرة الله وعظمته فيكون هذا تحذيراً لهم وإيقاظاً لهم من
سبائهم والتوبة والرجوع إلى الله، أو إذا استمروا على ما هم عليه من كفر وجحود
يعلمون أن ليس لهم مهرب أو ملجأ إذا يشاء الله أن يهلكهم، سواء كانوا في البر
أو البحر.

﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَّخِصٍ﴾: ما النافية، لهم: اللام لام الاختصاص والاستحقاق،
من: استغراقية، مخيص: مهرب أو ملجأ أو منفذ فمشيئة الله تعالى نافذة لا
محالة، وتكون بهلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين، أو هلاك الكل أو نجاة
الكل حسب ما تقتضي الحكمة الإلهية.



[٣٦] ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمِنَّعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء استئنافية، ما شرطية، وإذا قارنا هذه ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ﴾ مع الآية (٦٠) في سورة القصص، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾ نجد أن الاختلاف في حرف (الفاء) وكلمة الزينة، والسبب يعود إلى أن آية الشورى جاءت في سياق ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فحذف منها وزيتها؛ لأن الذين آمنوا لا يفترون بالزينة، وأضاف حرف الفاء؛ لأن ما قبلها يتعلق بما بعدها، وأما آية القصص جاءت في سياق الذين يفترون بالحياة الدنيا وزيتها، والواو: استثنائية (كلام جديد) أو آية جديدة.

﴿أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمِنَّعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾: أوتيتم من الإتياء؛ وهو العطاء بدون تملّك، ويمكن استرداده، والإتياء أعمّ من العطاء، من: استغراقية تستغرق كلّ شيء من مال ومسكن وملبس ومركب ونكاح، فمتاع الحياة الدنيا: الفاء رابطة لجواب الشرط، متاع الحياة الدنيا: هو ما ينتفع به الإنسان في حياته، وهو متاع مؤقت وزائل أو زهيد بالنسبة لما في الآخرة من نعيم دائم وباقٍ، ارجع إلى سورة القصص الآية (٦٠) للبيان والمقارنة.

﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾: من نعيم، خير وأبقى: لأنّه نعيم دائم لا ينقطع ولا ينفد.

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، الذين: اسم موصول يفيد المدح.

﴿ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: أي ما عند الله خير وأبقى لهؤلاء الذين آمنوا بالله، وملائكته، ورسله، واليوم الآخر وعلى ربهم يتوكلون؛ ارجع إلى سورة

الأعراف الآية (٨٩) لبيان معنى التوكل؛ ثم وصفهم بعشر الصفات التالية في الآيات (٣٦-٣٩) وهي:

- ١ - الإيمان.
 - ٢ - التوكل.
 - ٣ - اجتناب كبائر الإثم.
 - ٤ - الفواحش.
 - ٥ - عدم الغضب والمغفرة لمن أساء إليهم.
 - ٦ - استجابوا لربهم في كل ما دعاهم إليه.
 - ٧ - أقاموا الصلاة.
 - ٨ - أمرهم شورى بينهم.
 - ٩ - مما رزقناهم ينفقون.
 - ١٠ - إذا أصابهم البغي هم ينتصرون.
- آمنوا بربهم وبرسله وملائكته واليوم الآخر.
- ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: التوكل يعني: رد الأمر إلى من يملك تدبير كل الأمور راجياً عونه وتيسيره وتوفيقه للوصول إلى الغاية. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٩) لمزيد من البيان في التوكل.
- [٣٧] ﴿وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كِبْرَ الْأَثَمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾:
- ﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو عاطفة، الذين: اسم موصول.



﴿يَحْتَنِبُونَ﴾: الاجتناب: أشد من التحريم؛ ويعني ليس فقط عدم فعل الكبائر والفواحش بل حتى الاقتراب منها، ويجتنبون: بصيغة المضارع؛ لتدل على تجدد وتكرار تجنبهم وليس فقط مرة واحدة.

﴿كَبَرِ الْأِثْمِ﴾: جمع كبيرة؛ أي: كل ما يوجب الحد كالقتل العمد والسرقة والقدف والشرك.

﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾: كالزنى وشرب الخمر، وقيل: كبائر الإثم تعني الفواحش، وهذا يسمى عطف الخاص على العام.

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني بمعنى حين.

﴿مَا غَضِبُوا﴾: ما للتوكيد، غضبوا من الغضب: هو الانفعال النفسي الناجم عن عدم الرضا عن شيء، أو أمر لحقه من الغير ومعاقبته، ويظهر آثاره على الجوارح.

﴿هُمْ يَغْفِرُونَ﴾: يعفون ويغفرون لمن أساء إليهم وأغضبهم؛ أي هم من الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، ويغفرون بصيغة المضارع؛ لتدل على الاستمرار والتكرار والتجدد.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفقُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (٣٧) وتكرار (الذين) يفيد التوكيد والمدح.

﴿اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾: لما دعاهم إليه من التوحيد والإخلاص وإطاعة أوامره وتجنب نواهيه، استجابوا: فيها السنين والتاء تفيدان التوكيد؛ أي استجابوا بحرص وتلّف واجتهاد.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أدّوها على أوقاتها وخشوعها وأركانها وشروطها وسننها وطهارتها.

﴿وَأَمَرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾: من التشاور وهو تبادل الآراء لمعرفة الصواب والأفضل، وكلمة الشورى مشتقة من فعل: شار، وشار العسل؛ أي: استخرجه من الخلية فكان عملية الشورى عملية لاستخراج أطيب وأفضل النتائج. والشورى عبادة ومنهج تسد باب الخلاف للحفاظ على وحدة الأمة أو المجتمع. ووردت كلمة الشورى في آيتين هذه الآية والآية (١٥٩) من سورة آل عمران.

﴿وَمِمَّا زَوَّجْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: مما (من + ما) من بعضية، ما بمعنى اسم موصول، ينفقون: أي الإخراج من مال الملك ومن الطيب ينفقون في سبيل الله، ونرى قوله تعالى: (استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم) جاء بصيغة الماضي؛ لأن الاستجابة وإقامة الصلاة وأمرهم شورى تحدث في أوقات معينة ومحددة، بينما التوكل واجتناب الإثم والفواحش والغفران والإنفاق أمور تتجدد وتكرر فجاءت بصيغة المضارع.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (٣٧) للبيان، وتكرار (الذين) تفيد التوكيد والمدح.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾: الظلم والجور؛ أي: إذا تعرضوا للظلم والاعتداء كانوا قادرين على استرداد حقوقهم بدون اعتداء على حقوق غيرهم ولا يقبلون الذل والإهانة.



﴿هُم﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿يَنْصَرُونَ﴾: يغلبون باتباعهم الحق وما شرع الله لهم ورسوله وبتأييد الله سبحانه لهم بسلطان القوة أو الحكمة والحلم والصبر.

[٤٠] ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا﴾: الجزاء: العقاب، القصاص وهل جزاء السيئة؛ السيئة في هذه الآية: لا تعني السيئة الشرعية؛ أي: ضد الحسنه، وإنما تعني: جزاء المسيء العقوبة؛ لأنه سبحانه يقول: ادفع بالتي هي أحسن، وجزاء السيئة تكون سيئة بالنسبة لمن وقعت عليه؛ أي من ارتكب سيئة يجب أن يعاقب عليها بسيئة مثلها أو بما أوجبه الله تعالى كما قال: ﴿النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفُ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنُ بِالْأُذُنِ وَاللسن باللسن﴾ [المائدة: ٤٥].

والسيئة كل ما يسيء إلى النفس مثال: السارق حين يسرق يرتكب سيئة تضرب على يديه فذاك يعتبر سيئة على السارق، فهو قام بسيئة وعوقب بسيئة مماثلة فهذه هي المرتبة الأولى مرتبة العدل وأحسن وأفضل من ذلك مرتبة الفضل وهي: فمن عفا وأصلح فأجره على الله.

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾: فمن: الفاء للتوكيد، من شرطية، عفا وأصلح: عفا عن ظالمه؛ أي: سامحه فأجره إلى الله، فالله سبحانه يعفو عن سيئاته ويشبهه على عفوه عن أخيه، وأصلح: ما بينه وبين ظالمه بالدفع بالتي هي أحسن ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] وغيرها من وسائل الإصلاح.

﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾: الفاء جواب الشرط، أجره على الله: ثواب عمله على الله

حتماً، وهذا وعد فيه خير وقد يكون الأجر محو سيئاته أو كبائره أو النجاة من النار والفوز بالجنة، فالعفو والإصلاح خير له وأبقى من مرتبة العدل والانتقام وشفاء لما في الصدور.

ويجب الانتباه إلى هذه الملاحظة وهي: إذا كان الظالم أو الجاني لا يستحق العفو؛ لأنه فعل ذلك سابقاً مراراً وتكراراً وكانت المصلحة العامة والشرعية تفضل ذلك، فعندها لا يعفو عنه والأفضل القصاص منه والعقاب.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: إنه للتوكيد، والهاء تعود على الله سبحانه، لا: النافية، يحب الظالمين: أي لا يعاقبون الجاني أو الظالم بأكثر من جنايته أو بأكثر مما أوجبه الله، فالزيادة ظلم والله سبحانه لا يحب الظالمين.

[٤١] ﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَاعَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾:

﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾: اللام في (لمن) للتوكيد، من: اسم موصول بمعنى الذي أو شرطية؛ أي إذا كان الظالم لا يستحق العفو أو لا ينفع العفو عنه؛ لأنه لم يتب في السابق ويتكرر ظلمه وفساده عندها يعاقب الظالم بمثل ما فعل أو قبل الظالم بمثل فعله.

والسؤال هنا: لماذا سمي ذلك انتصاراً ومدح المنتصرين؟ لأن معاقبة الظالم والمتكبر والمفسد الذي يخاف منه الناس وردعه عن ظلمه أو الانتقام منه يعتبر نصراً، وأفضل من أن يسمى عفواً.

﴿فَأُولَئِكَ﴾: الفاء للتوكيد، أولئك: اسم إشارة واللام للبعد والكاف للخطاب؛ أي: للذين انتصروا بعد ظلمهم ولمن ينصرونهم.



﴿مَاعَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾: أي ما عليهم من حرج أو إثم أو مؤاخذة أو لوم على ما فعلوه.

[٤٢] ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾: إنما الإثم والمؤاخذة أو اللوم أو العقوبة تقع على الذين يبدؤون بالظلم.

﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: البغي هو مجاوزة الحدّ ظلماً أو كبراً أو فساداً، والبغي: هو أخذ حق الآخرين بالقوة والتعسف والقهر وبغير الحق، وهل هناك بغي بحق؟ نقول: نعم إذا كنت وكيلاً أو وصياً على سفيه يبذر وينفق أمواله في المحرمات، عندها تأخذ أموال السفيه منه وتمنعه من التبذير. ففي الظاهر تأخذها بغير الحق وفي الباطن أخذها بحق؛ لأنه يصبّ في مصلحة السفيه أو الذين يفسدون في الأرض بالإجرام والظلم والشرك، يظلمون ويبغون بصيغة المضارع؛ أي: أن أفعالهم هذه تتكرر وتتجدد ولا يكفون عن فعل ذلك.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد وتفيد الذم.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي شديد الإيلام لا يطاق يوم القيامة أو في النار، إذن نفى في الآية (٤١) السبيل عن المنتصر وأثبت السبيل؛ أي: الإثم والذنب والعقاب في هذه الآية على نوعين من الناس الذين يظلمون الناس والذين يبغون في الأرض بغير الحق.



[٤٣] ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾:

﴿وَلَمَن﴾: اللام للتوكيد، من شرطية.

﴿صَبَرَ﴾: على الظلم ولم يؤذ أخاه المسلم، ولم ينتصر وهو قادر على أن ينتصر لنفسه.

﴿وَغَفَرَ﴾: ستر الظالم ولم يفضحه ابتغاء وجه الله، وفوض أمره إلى الله محتسباً إلى الله تعالى لعل الظالم يرتدع ويعود إلى صوابه ويتوقف عن غيّه وفساده وظلمه بمعاملتك له بالحسنى.

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: إن: للتوكيد، ذلك: اسم إشارة واللام للبعد، ذلك الصبر والغفر.

﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: أي من الأمور العظيمة التي تحتاج إلى عزم وإرادة وقوة (عزيمة قوية لا تنفذ) ولا يستطيع القيام بها إلا أولو العزم وأولو الألباب، والتدرج يكون من الأدنى إلى الأعلى كما يلي: من أساء إليك وظلمك كيف تقابله:
١ - تغفو عنه.

٢ - وتصبر على أذاه.

٣ - تصفح عنه ولا تذكره بما فعل.

٤ - تدعوله بالإصلاح والهداية.

لنقارن هذه الآية (٤٣) من سورة الشورى وهي قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ مع الآية (١٧) من سورة لقمان وهي قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۚ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ



الْأُمُورِ ﴿: في آية الشورى ذكر صفتين مطلوبتين: الصبر والغفران (ولمن صبر وغفر)، في آية لقمان ذكر صفة واحدة مطلوبة وهي: الصبر (واصبر على ما أصابك). وكذلك في آية الشورى ذكر فيها الإساءة والأذى والظلم الحاصل من الظالم أو الجاني، بينما في آية لقمان وهي عبارة عن وصية أب لابنه لم يذكر فيها أي أذى أو إساءة، ولذلك أكد في آية الشورى فقال: إن ذلك لمن عزم الأمور (أكد باللام) بينما في آية لقمان لم يؤكد فقال: إن ذلك من عزم الأمور.

[٤٤] ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو استئنافية، من شرطية.

﴿يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾: أي من اختار لنفسه طريق الضلالة وسعى إليها واستمر على ذلك، وفرح بها ولم يتب ولم يعد هناك أمل في عودته إلى طريق الرشاد والتوبة، فما له: الفاء للتوكيد، له: اللام لام الاختصاص، من ولي من بعده: من استغراقية، ولي من بعده: أي من بعد الله، قادر على هدايته؛ أي: لن يجد أي ولي يتولاه، يتولى أمره من قريب أو بعيد ويُعينه على العودة والإنابة إلا الله.

﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ﴾: رؤية بصرية يوم القيامة، الظالمين: المشركين الكافرين بالله، والمكذبين بالبعث والآخرة والظالمين أنفسهم بالمعاصي والفساد وصدّ الناس عن دين الله، ومحاربة دين الله.

﴿لَمَّا﴾: ظرف زماني بمعنى حين.

﴿رَأَوْا الْعَذَابَ﴾: رأوا بصيغة الماضي بدلاً من المستقبل، كأنّ العذاب حدث وانتهى.

﴿يَقُولُونَ﴾: عند رؤية العذاب وجهنم.

﴿هَلْ﴾: استفهام يحمل معنى الاستبعاد والنفي.

﴿إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾: هل إلى مردّ إلى الدّنيا من سبيل، من استغراقية؛ أي: أليس هناك طريق أو وسيلة نسلكها للعودة للدنيا لنؤمن بالله ونعمل صالحاً من سبيل تشمل: الملجأ أو سبيل إلى الهداية، كقولهم: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧] وكقولهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ ذُقُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْسَٰ نَا نَرُدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِمَا كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأنعام: ٢٧].





سُورَةُ الشُّرُوحِ ٤٢

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَرِيمِ

وَتَرَبُّهُمْ يُعَرِّضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدَّلِيلِ يَنْظُرُونَ
 مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ
 خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلاَ إِنَّ الظَّالِمِينَ
 فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا
 لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ
 مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا
 فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا
 أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرَحَّ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ
 بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً
 وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِشَاءً
 وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ
 لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
 رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ ﴿٥١﴾



سورة الشُّورى [الآيات ٤٥ - ٥١]

[٤٥] ﴿وَتَرْتَبُّهُمْ يَعْزُّونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾:

﴿وَتَرْتَبُّهُمْ﴾: تعود على الظالمين والمشركين والكافرين، وغيرهم من المكذبين بالبعث والحساب.

﴿يَعْزُّونَ عَلَيْهَا﴾: على النار، والعرض نوعان: هم يعرضون عليها كما في هذه الآية، أو هي تعرض عليهم كما في قوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا﴾ [الكهف: ١٠٠]، والعرض من عرض: أي ظهر، وعرضته له: أظهرته له وأبرزته إليه، فهم يعرضون كالسلعة التي تعرض وجهنم المشتري، أو بالعكس جهنم هي السلعة وهم المشترون.

﴿خَشِيعَاتٍ مِنَ الدُّلِّ﴾: الخشوع هو الخضوع من الدل والانكسار والضعف أو العجز.

﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾: الطَّرْف: العين، ويعني كذلك تحريك الجفن عن الجفن بالانفتاح؛ أي يسترقون النظر ويحاولون عدم النظر إلى النار بملء أعينهم من شدة خوفهم وذللهم؛ أي: كأنهم لا يريدون أن يعرف أحد أنهم ينظرون إلى النار، من: ابتدائية.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: أي: وقال الذين آمنوا يوم القيامة حين يرون الظالمين في تلك الحالة



من الذّل والهوان، وهم يعرضون على النار: إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ؛
بأن أوردوها النار بسبب كفرهم وشركهم وأهليهم يوم القيامة فإن كان أهلهم من
أصحاب الجنة، فلم يعودوا يرونهم وحُرموا منهم، فذلك خسارة لكلا الطرفين،
وإن كان أهلهم من أصحاب النار؛ فلا تُهم اتبعوهم واقتدوا واهتدوا بهديهم،
فالكل سواء في النار.

﴿الآ﴾: أداة تنبيه واستفتاح، وهذا الجزء من الآية هو تمة كلام المؤمنين
أو تصديق من الله لهم.

﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾: إن للتوكيد، الظالمين: المشركين والظالمين لأنفسهم
بكسب المعاصي وظلم الآخرين. والخروج عن منهج الله.

﴿عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾: عذاب دائم لا ينتهي ولا يخفّف.

[٤٦] ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾:

﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ﴾: الواو استئنافية، ما النافية، كان: تشمل كلّ الأزمنة، لهم
اللام لام الاختصاص.

﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ﴾: من استغراقية، أولياء: جمع ولي معين يمنعهم من
عذاب الله أو ينقذهم أو يشفع لهم.

﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله سبحانه.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾: من شرطية، يضلّل الله: الله لا يضلّ أحداً أبداً، وتعني:
إذا هم اختاروا طريق الضلال والابتعاد عن دين الله واستمروا في ذلك وتمادوا
في ضلالهم، ولم يعد هناك أمل في توبتهم، فعندها لن يجدوا لهم من سبيل
يسلكونه إلى التوبة أو الرجعة والنّجاة من النار.



﴿فَالَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾: الفاء جواب الشرط، ما النافية، من استغراقية، سبيل: ملجأ أو هاد يهديه أو طريق يوصله إلى الغاية (الهداية أو الجنة).

[٤٧] ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِّنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكَيرٍ﴾:

﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾: أي أذوا أو أطيعوا ما أمركم ربكم به ورسوله بالقول والفعل، أطيعوا الله وأطيعوا رسوله، استجيبوا: السّين والتاء للتوكيد، واستجيبوا ليس فيها معنى الاختيار (القبول أو الرّفص).

كما لو قال: أجيّبوا؛ فيها معنى القبول أو الرّفص، فالاستجابة فيها معنى القبول فقط؛ أي: يجيبك من طلبت منه ما طلبته ويحقّقه لك؛ أي: استجيبوا لربكم لما طلب منكم وحقّقه، لربكم: اللام لام التّوكيد والاستحقاق؛ أي الاختصاص.

﴿مِّن قَبْلِ﴾: من ظرفية زمانية، قبل: كسر اللام لا تدلّ على زمن معين، ولو قال من قبل بضم اللام تدلّ على زمن معين.

﴿أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِّنَ اللَّهِ﴾: أن للتوكيد، يأتي يوم لا مردّ له من الله: أي هو يوم القيامة الكبرى، أو قد يكون يوم الموت يوم القيامة الصّغرى، لا مردّ له من الله: لا النّافية للجنس، أي لا يردّه الله بعد أن حكم به؛ أي: إذا أتى لا يُردّ، لا يُلغيه، ولا يُوقف، أو لا يقدر أحد على ردّه؛ أي: منعه.

﴿مَا لَكُم﴾: ما: النّافية، لكم: اللام لام الاختصاص، تكرار (ما) لتوكيد النّفي.

﴿مِّن مَّلْجَأٍ﴾: من استغراقية، ملجأ: اسم مكان يُلجأ إليه عند الحاجة



والضرورة ملجأ للأمن أو ملاذ أو حصن، ما لكم من مكان كالنفق أو المغارة أو المدخل تفرون إليه للنجاة والخلاص من العذاب.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة (يوم البعث) أو يوم القيامة الصغرى.

﴿وَمَالَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾: كالسابقة، من: استغراقية تشمل كل نكير، نكير: كالقناع الذي يوضع على الوجه فلا يُعرف الفرد الذي يلبسه؛ أي: لا تجدوا شيئاً تتنكرون فيه أو تختفوا خلفه مهما كان لا في السموات ولا في الأرض، أو قادرون على إنكار أي ذنب اقترفتموه أو سيئة.

[٤٨] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِلَّا أَلْبَلَعُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبًا وَإِنْ نَضْبُهُمْ سَيِّئَةً يَمَا قَدَمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء عاطفة، إن شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض.

﴿أَعْرَضُوا﴾: عن الاستجابة لله وللرسول، أعرضوا عن الإيمان بالله واختاروا طريق الضلال، أعرضوا عن طاعة الله ورسوله.

﴿فَمَا﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، ما: النافية.

﴿أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾: أو موكلاً بهم ومسؤولاً عنهم وعن إيمانهم وهدايتهم، أو تحفظ أعمالهم وتحصيها عليهم؛ لتحاسبهم عليها.

﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا أَلْبَلَعُ﴾: إن نافية بمعنى: ما عليك إلا البلاغ، و(إن) أقوى نفيًا من (ما)، إلا: أداة حصر. البلاغ: يعني إيصال الرسالة؛ أي تبليغهم ما أنزل إليهم من ربهم وتبيين ذلك؛ لكي يفهموه كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، ثم يضرب لنا

مثلاً على إعراض الإنسان عن ربّه وكفره لمجرد الابتلاء، وينسى كلّ النعم التي أنعمها الله عليه.

﴿وَإِنَّا إِذَا﴾: إنّنا للتعظيم، إذ: شرطية تفيد حتمية الحدوث؛ أي لا بدّ أن يحدث هذا الأمر: هو الابتلاء وتفيد الكثرة؛ أي: حدوثه بكثرة.

﴿أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مَتَارَحِمَةً﴾: الإنسان: اسم جنس يشمل المفرد والمثنى والجمع؛ الإذاقة تكون في الخير والشر، وأنعمنا تكون في الخير فقط، والإصابة: تكون في الحسنه أو السيئة، رحمة: نكرة تشمل أيّ رحمة، والرّحمة تعريفها: جلب ما يسرّ ودفع ما يضرّ، مثل الصّحة والغنى والأمن والأهل والعجاء. وتقديم متّاً: للاهتمام، متّاً رحمة: هنا الرّحمة تشمل المؤمن والكافر، ولو قال من لدنّا أو من عندنا، لكانت تعني فقط المؤمن أو المقرّبين، (هذا من خصائص القرآن).

﴿فَرِحَ بِهَا﴾: ونسي شكر المنعم، وانشغل بها. ارجع إلى سورة هود آيتين (٩-١٠) لمزيد من البيان. وهذا الآية جاءت في سياق الإنسان (حالة فردية) بينما أذقنا الناس (حالة عامة)، ويستعمل إذا الحتمية الحدوث والكثرة، ويستعمل إن للاحتمال أو الشك في الحدوث كما رأينا في سورة هود آية (٩) ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مَتَارَحِمَةً﴾.

﴿وَإِنْ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض والندرة.

﴿تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: سيئة من بلاء وفقر ومرض وجذب، وخسارة أو خوف أو جوع، سيئة؛ أي: تسيء إلى أنفسهم، يكرهونها ولا يطبقونها، بما: الباء سببية أو بدلية ما بمعنى الذي، قدّمت أيديهم من الذنوب والخطايا.

﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، إنّ: للتوكيد، الإنسان كفور: اسم فاعل من كفر، وصيغة مبالغة في الكفر؛ أي: كثير الكفر، والجحود



بالنعم، وينسى كلَّ النعم السابقة، ومقارنة كفور بكفار، كفار: تفيد التجدد والتكرار، وكفور: تعني الثبات والدوام، وليس بعد كفور أشد من ذلك.

انتبه إلى هذا التدرج في الكفر والظلم: ففي هذه الآية (٤٨) من سورة الشورى قال سبحانه: ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ في سياق الإصاغة بالسيئة، وفي سورة إبراهيم الآية (٣٤) قال سبحانه: ﴿وَلَنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾: إِنَّ الإنسان لظَلُومٌ كَفَّارٌ جاءت في سياق الجحد بنعم الله الكثيرة، وكفار أبلغ من الكفور.

وفي سورة الزخرف الآية (١٥) قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ جاءت في سياق الإشراف بالله، وفي سورة الإسراء الآية (٦٧) قال سبحانه: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ جاءت في سياق النجاة من الغرق والإعراض عن الله تعالى، فهو سبحانه يؤكد في بعض الآيات بآن وأحياناً بآن واللام، وكفور وكفار حسب السياق.

ولمقارنة قوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ ارجع إلى الآية السابقة (٣٠) من سورة الشورى. [٤٩] ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾:

المناسبة: إذاقة الإنسان بالرحمة أو الإصاغة بالسيئة هو ابتلاء من الله حاكم السموات والأرض، ومن مظاهر عظمتة وكمال قدرته أنه يخلق ما يشاء يهب الإناث والذكور.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام لام الاختصاص والملكية.

﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: الملْك: يعني الحكم والملْك معاً فهو

الحاكم والمالك للسموات والأرض وما فيهن؛ أي: ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾: حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية، وذكر مثلاً على ذلك كيف يهب الإناث والذكور.

﴿يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثًا﴾: الهبة عطاء بدون مقابل، ارجع إلى سورة ص الآية (٣٠) للبيان، لمن يشاء: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، إناثاً: يخص بعض عباده بالإناث فقط.

﴿وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾: يخص بعض عباده بالذكور فقط.

[٥٠] ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾:

أي: يهب لبعض عباده الذكور والإناث معاً الجنسين في حمل واحد، وهو حمل التوأم أو الحمل الثلاثي أو الرباعي والخماسي.

وما هو الفرق بين: ذُكراناً والذكور؟.

﴿ذُكْرَانًا﴾: تدلّ على القلة، أمّا الذكور تدلّ على الكثرة، تشمل الشيوخ والشباب والأطفال.

﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾: فلا يهب لهم أيّ ولد مهما كان سواء كان ذكراً أو أنثى.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾: أنّه للتوكيد، عليم: صيغة مبالغة: كثير العلم، عليم بخلقه من هو عقيم ومن له أولاد، وعددهم، وذكوراً وإناثاً، عليم بما يصلح عباده من الأولاد، قدير: أن يهب أو يمنع الأولاد لمن يشاء، قدير على أن يرزق عباده



بالتوأم أو الحمل الثلاثي والرباعي أو الأكثر من ذلك، قد ير أن يجعل المرأة عاقراً أو عقيماً أو قادرة على الإنجاب.

وسرّ تقديم الأنثى على الذكر في هذه الآيات قد يكون عائداً إلى كثرة عدد الإناث مقارنة بالذكور، أو للاهتمام بالأنثى لكونهم كانوا في الجاهلية يفضلون الذكر على الأنثى، فجاءت آيات الله لترفع من شأن الأنثى وتبطل تلك الأعراف البائدة.

[٥١] ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾:

سبب نزول هذه الآية كما قال كثير من المفسرين أمثال ابن حجر وذكره الواحدي في (أسباب النزول): أَنَّ اليهود قالوا للنبي ﷺ: أَلَا تَكَلِّمُ اللَّهَ وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا صَادِقًا كَمَا كَلَّمَهُ مُوسَىٰ وَنَظَرَ إِلَيْهِ؟! فَرَدَّ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّ مُوسَىٰ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى اللَّهِ وَلَمْ يَرَهُ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾: الواو استئنافية، ما: النافية، كان: تشمل كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، لبشر: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، وسواء كان نبياً أو رسولاً أو أي بشر؛ أي: ما صح وما حق لبشر أو استقام.

﴿أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ﴾: أن حرف مصدر يفيد التعليل والتوكيد.

﴿إِلَّا وَحِيًّا﴾: إلا أداة حصر.

الأول: وحياً: الوحي لغة: هو الإعلام بالخفاء، شرعاً: هو ما يُلقى الله سبحانه إلى أنبيائه ورسله من التكاليف والتعاليم الشرعية، والآيات والوعد والوعيد.

الثاني: من وراء حجاب؛ أي: يكلمه من وراء حجاب كما كلم الله سبحانه

رسول الله ﷺ ليلة المعراج من وراء حجاب، وكما كلم الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام.

الثالث: أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء: يرسل رسولاً مثل جبريل عليه السلام (الروح الأمين)، في صورة إنسان، أو بالخفاء فيوحي بإذنه: فيلقي جبريل ما أرسله الله سبحانه به على رسوله من تكاليف وآيات فيوحي ما يشاء أن يوحي بإذن الله. ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان.

﴿إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾: إنه للتوكيد، عليّ: علوّ الجلال والكمال، علوّ الذات والصفات والأفعال، علوّ القدر، العليّ على خلقه، حكيم: فهو أحكم الحكماء، وأحكم الحاكمين، الحكيم في تدبير شؤون خلقه وكونه. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

وقيل: إن الوحي الأوّل غير الوحي الثاني:

الوحي الأوّل: هو الإلهام: مثل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَ مُوسَىٰ﴾ ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ آلِ تَمِيمٍ﴾ ..

الوحي الثاني: هو الإيحاء إلى الرّسل بطريق جبريل.



سُورَةُ الْخُرُوفِ ٤٣

الجزء الثاني من القرآن

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ لَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الْخُرُوفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا
لَعَلٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَّبِيِّ فِي
الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَّبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ
﴿٨﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾



سورة الشُّورَى [الآيات ٥٢ - ٥٣]

[٥٢] ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

﴿وَكَذَلِكَ﴾: أي كما أوحينا إليك سائر الرسل من قبلك، أوحينا إليك. ولمعرفة معنى (أوحينا إليك): ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣).

﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾: أوحينا إليك قرآنًا بأمرنا من شأننا سمّاه (روحاً) فهو الروح الحقيقة أو الروح الثانية للإنسان، ويمكن القول: إنَّ للإنسان روحين: روح تسري في بدنه وتنفخ فيه حين تشكّله في الرحم، وروح تحيي القلوب وتهدي إلى خالقها ومبدعها، هذه الروح التي يغفل عنها كثير من الناس وتمثل في القرآن الكريم.

﴿مَا كُنتَ﴾: ما: النافية، كنت: قبل الإيحاء إليك، تدري ما الكتاب: تعرف ما القرآن.

﴿تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾: ما استفهامية، ما القرآن، وسمّي الكتاب؛ لأنّه مكتوب في الأسطر. تدري: من درى؛ بمعنى: علم، وهناك فرق بين الدراية، والعلم؛ العلم: أعم من الدراية، فالدراية: تكون بمنزلة الإخبار، وتكون بعد الجهل بالشيء، ولذلك لا تستعمل في حق الله تعالى، أما علم أو العلم: يستعمل في حق الله وغيره.

﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾: لا النافية للجنس؛ أي: ولا تدري؛ أي: تعلم الإيمان بالقول والفعل؛ أي: الشرائع والتوحيد والأحكام الربانية.



﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك للتوكيد.

﴿جَعَلْتَهُ﴾: أي القرآن الكريم.

﴿تُورَا تَهْدِي بِهِ مَن شَاءَ مِّنْ عِبَادِنَا﴾: به: أي القرآن؛ لأنه يهدي من الظلمات إلى النور، من نشاء: من ابتدائية؛ أي: من نريد والمشية تأتي قبل الإرادة، من عبادنا: المؤمنين، من بعضية.

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾: إنك، واللام للتوكيد، الخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ، تهدي هداية عامة؛ أي: ترشدهم إلى، وتبين لهم طريق الهداية أو الحق والخير، هداية دعوة أو هداية دلالة، أمّا هداية الله سبحانه فهي هداية خاصة هداية عون؛ أي: هو سبحانه يدخل الإيمان في قلوبهم، ولست أنت، وهذا يفسر لنا قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَن أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [الفصل: ٥٦].

﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: أي تهدي إلى دين الله الإسلام، الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج له. ارجع إلى سورة الفاتحة الآية (٦) والآية (٧) لمزيد من البيان.

[٥٣] ﴿صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾:

في الآية السابقة قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وفي هذه الآية عرف الصراط المستقيم بالقول الذي هو: ﴿صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿صِرَاطَ اللَّهِ﴾: دين الله، الصراط المستقيم الذي هو الإسلام، الصراط الموصل إلى الغاية العظمى بأقصر زمن ومسافة وبدون عائق.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.



﴿لَهُ﴾: اللام لام الاختصاص والملكية، له حصراً؛ أي: لله وحده.

﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾: وله ما في السموات خلقاً وملكاً، وما في السموات ذاتها وكل شيء فيها له وحده.

﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: وله ما في الأرض خلقاً وملكاً، وكل شيء، وما في الأرض ذاتها وما فيها.

﴿أَلَا﴾: أداة تنبيه.

﴿إِلَى اللَّهِ﴾: وحده لا إلى أحد غيره.

﴿تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾: أي ترجع وتنتهي جميع الأمور للقضاء فيها والحكم والفصل.



سُورَةُ الْأَنْعَامِ

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ لَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا
لَعَلِّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَّبِيِّ فِي
الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَّبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ
﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾



سورة الزّخرف [الآيات ١ - ١٠]

ترتيبها في القرآن (٤٣)، وترتيبها في النزول (٦٣).

وهذه رابع سورة تبدأ بـ حم، فهناك سبع سور متتالية تبدأ بـ حم، وتسمّى الحواميم، أولها سورة غافر، وآخرها الأحقاف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمّ﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة.

[٢] ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾:

﴿وَالْكِتَابِ﴾: الواو: واو القسم، يقسم الله سبحانه، والله غني عن القسم يقسم بالكتاب لعلو شأنه ومكانته عند الله سبحانه، والكتاب: هو القرآن الحكيم، وسمي الكتاب؛ لأنه مكتوب في السطور واللوح المحفوظ. ارجع إلى الآية (٢) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

﴿الْمُبِينِ﴾: الواضح لكل فرد يقرأه ويطلع عليه، وقادر على فهم معناه، والواضح في أحكامه وشرائعه ووعدته ووعيده.



[٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾: أي: صيرناه، وهذه الآية تذكرنا بآية أخرى مشابهة في سورة يوسف وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٢٠]، جعلناه قرآنًا عربيًّا: هناك فرق بين الإنزال والجعل، جعلناه؛ أي: صيرناه قرآنًا عربيًّا قبل إنزاله، ثم أنزلناه قرآنًا عربيًّا، والسياق لا يذكر أي وحي حتى يذكر الإنزال، وإنما هو ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾، وفي سورة يوسف آية (٢) قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ لأنها جاءت في سياق الوحي ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفْلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، وإنزال قصة يوسف، وفي كلا الآيتين قال تعالى: (لعلكم تعقلون) للتوكيد.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لعل: تفيد التعليل، تعقلون: تفهمون معانيه، وما تؤمرون به وما تنهون عنه وتعملون آياته وتعملون بما فيه، تعقلون: من عقل الشيء عرفه بدليله، وفهمه بأسبابه ونتائجه، أي: تصلون إلى الحقيقة وهي أن الله سبحانه هو أنزل هذا القرآن، وأنه هو الإله الحق الذي يجب أن يطاع ويُعبد.

[٤] ﴿وإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾:

﴿وإِنَّهُ﴾: أن القرآن مثبت مكتوب.

﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾: في اللوح المحفوظ لقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ﴾ (١١) في لَوْحٍ مَحْفُوظٍ [البروج: ٢١-٢٢]. وسمي أم الكتاب؛ لأنه مصدر لكل الكتب السماوية.



أو أم الكتاب الأصل وهناك اللوح المحفوظ فهو في كلاهما.

﴿لَدَيْنَا﴾: عندنا.

﴿لَعَلِّي﴾: اللام للتوكيد، لذو علو شأن ومكانة على الكتب السابقة ورفيع المنزلة والقدر.

﴿حَكِيمٌ﴾: محكم لا تناقض فيه، ذو حكمة محكم لا يتعارض بعضه مع بعض. ارجع إلى سورة هود آية (١).

[٥] ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾:

﴿أَفَنَضْرِبُ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ، ونضرب عنكم الذكر، أي: أننحيه ونبعده عنكم.

﴿عَنْكُمْ﴾: خاصة.

﴿الذِّكْرَ﴾: القرآن.

﴿صَفْحًا﴾: الصفح: مشتقة من صفحة الوجه، أي: جانبه والإعراض بصفح الوجه يعني: أشد الإعراض، ويقال: صفحت عنه، أي: أعرضت عنه وصافحين معرضين، أي: أنمستك إنزال القرآن عليكم أو نعرض عنكم فلا ننزل عليكم شيئاً فلا توعظون ولا تؤمرون أو نهملكم، فلا ننزل عليكم شيئاً أو نترككم في كفركم.

﴿أَنْ﴾: أن مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

﴿كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾: مشركين مسرفين بالذنوب والآثام وفي



الضلالة والجهالة أو بالإعراض وعدم الطاعة، أم ننزله عليكم ونوضح لكم ما فيه فإن أمتهم فهو خير لكم، وإن توليتم فقد قامت عليكم الحجة.

مسرفين: جملة اسمية تدل على صفة الإسراف ثابتة عندهم لا تتغير.

ثم يخبر الله سبحانه رسوله ﷺ بأنه قد أرسل الكثير من الرسل من قبله فاستهزأ بهم قومهم فأهلكهم الله.

[٦] ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿وَكَمْ﴾: الواو استئنافية، كم الخبرية تفيد أو تدل على الكثرة، أي: ما أكثر ما أرسلنا من الأنبياء في الأمم الماضية.

[٧] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما النافية.

﴿يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ﴾: من ابتدائية استغراقية.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: الاستهزاء: هو تصغير قدر الآخر أو الشيء والتحقير أو الاستخفاف به، أو إلحاق العيب به يستهزئون: تدل على التجدد والتكرار أو حكاية الحال بدلاً من استهزؤوا به، يستهزئون كأنه تقع الآن للدلالة على عظم الاستهزاء بالأنبياء أو كلاهما معاً.

وفي سورة الحجر آية (١١) قال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ



يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١﴾ أَي: الرّسل لم يكونوا أفضل حظاً من الأنبياء، فالكل استهزأ بهم قومهم. ولنعلم أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً.

ولمعرفة الفرق بين الرّسول والنبي ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٤).

[٨] ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿فَأَهْلَكْنَا﴾: الفاء تدل على المباشرة والتعقيب.

﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾: أي: من هو أشد من قومك.

ولمعرفة معنى الهلاك ارجع إلى سورة الأعراف آية (٤).

﴿بَطْشًا﴾: أي: قوة وسطوة وعنفاً من قريش من بطش يبطش، أي: أخذه؛

أي: عاقبه بقوة وعنف.

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾: ومضى: سبق في الآيات القرآنية صفة هلاكهم

وعذابهم مثل قوم نوح عاد وثمود المؤتفكات وفرعون، أي: ذكرت قصصهم التي يمكن اعتبارها مثل للآخرين.

[٩] ﴿وَلَيْنَ سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾:

﴿وَلَيْنَ﴾: الواو استئنافية، لئن: اللام للتوكيد، إن شرطية.

﴿سَأَلْنَهُمْ﴾: سألت قومك، أي: هؤلاء المشركين.

﴿مَنْ﴾: استفهامية تفيد التقرير.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: الخلق: الإيجاد والتقدير.



ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٣٠) وفصلت آية (١٠-١١) لمزيد من البيان في خلق السموات، وسورة الأعراف آية (٥٤).

﴿لَيَقُولَنَّ﴾: اللام والنون في يقولَنَّ للتوكيد.

﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾: أي: هم لا ينكرون أن الله العزيز العليم الذي خلق السموات والأرض، العزيز: القوي الغالب الذي لا يُغلب والقاهر الذي لا يُقهر الممتنع على كل شيء.

العليم: بأحوال الكون وأحوال خلقه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض. ورغم اعترافهم بأن خالق السموات والأرض هو الله، فهم بربهم يعدلون ويشركون، وينسون أنه أيضاً الذي أنعم عليهم بأن جعل لهم الأرض مهدياً وسلك لهم فيها سبلاً، وأنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها، وخلق الأزواج كلها والفلك والأنعام، وكل ما يركبونه، وبدلاً من أن يشكروه يشركوا به، ويجعلون له الولد والبنت، وغيرها، كما سنرى في الآيات القادمة.

[١٠] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾:

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾: بعد أن خلق الأرض جعلها مهدياً (تشبيهه بليغ) المهد هو فراش الطفل (المهاد) كي تستقروا فيها، فلا تشعرون بحركتها،

فهى تدور حول الشمس بحركة تقدر بـ (٣٠) كم بالثانية، ولكن لا نشعر بذلك؛ لأننا ندور مع الأرض بنفس السرعة.

﴿مَهْدًا﴾: بساطاً وفراشاً. مريحاً رغم أن الأرض كروية الشكل.

﴿وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا﴾: طرقاً، السبل أفضل من الطرق من حيث السير عليها، وأوسع سبلاً (جمع سبيل) تسلكونها إلى حيث تريدون.

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: إلى مقاصدكم وأسفاركم، ولعل: للتعليل، تهتدون: تفيد التكرار والتجدد في الهداية للوصول إلى غايتكم.





سُورَةُ الرَّحْمَنِ ٤٣

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَرِيمِ

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا
كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ
الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا
لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّا لِلْإِنْسَانِ
لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ أُنْخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بِنَاتٍ وَأَصْفَانَا
يَالْبَيْنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي
الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ
الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ
شَهَادَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ
مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَتَيْنَهُمْ
كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا
إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُهُتَدُونَ ﴿٢٢﴾



سورة الزخرف [الآيات ١١ - ٢٢]

[١١] ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَنْشَرَنَا بِهِ، بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾:

انتهت الآية (٩) بقوله: ﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴿.

تكرار الذي يفيد التوكيد وتدل على التعظيم.

﴿نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: نزل من السماء: أي: من السحاب (السحاب الركامي)، وتعريف السماء: هي كل ما علاك؛ فالسحاب هو من السماء. ماءً: له أسماء أخرى الغيث، المطر، الودق، الطل، نزل تعني: المرات العديدة بينما أنزل من السماء تعني: مرة واحدة.

بقدر: بكميات معينة مقدرة كبيرة أو قليلة قد تسبب الفيضانات أو قليلة تسبب الجفاف أو معتدلة حسب الحاجة.

فقد قدر العلماء أن كمية الماء على الأرض لا تتغير في الكمية فهناك (١،٤٠٠ مليون كم^٣) يتبخر منها كل عام (٦٠٠،٠٠٠ كم^٣) من الماء، و(٥٠٠،٠٠٠ كم^٣) يتبخر من مياه البحار والمحيطات، و(١٠٠،٠٠٠ كم^٣) يتبخر من اليابسة، وتنفس الحيوانات والناس والآثوار والبحيرات، ويعيد الله سبحانه على اليابسة (١٦٥،٠٠٠) بزيادة (٦٥،٠٠٠ كم^٣) يأخذها من البحار والمحيطات، فيعيد على البحار والمحيطات (٤٣٥،٠٠٠) بدلاً من (٥٠٠،٠٠٠) تلعب هذه الزيادة دوراً مهماً في تعرية الجبال، وتفتيت الصخور وإعادة تركيز



المعادن وإغناء التربة بالمعادن الضرورية في عملية الإنبات وغذاء الحيوان والإنسان وتلطيف المناخ، فهذا من رحمة الله وكرمه.

﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ الفاء تفيد المباشرة، أنشرنا به: أحيينا به، أي: بالماء وتقديم به يفيد التوكيد والحصر.

بلدة ميتاً: بلدة مجدبة (لا نبات فيها ولا زرع) المراد به بالماء إحياء الأرض بالنبات والزرع. وانبه إلى الفرق بين:

ميتاً: بسكون الياء التي تدل على بلدة ماتت بالفعل منذ زمن. وأما لو جاءت الياء مشددة فهي تدل على بلدة ما زالت فيها حياة، وستموت قريباً إذا لم يصلها الماء، كما في سورة فاطر آية (٩)، أو أرض غير قابلة للزراعة على الإطلاق، وهو سبحانه قادر على إحياء كلا النوعين من الأرض.

﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾: ارجع إلى سورة الروم آية (١٩)، أي: مثل هذا الإحياء للأرض الميتة بالماء تحيون وتخرجون من القبور.

[١٢] ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلُكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾:

﴿وَالَّذِي﴾: تعود على العزيز العليم، الواو عاطفة.

﴿خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾: الزوج هو الصنف، أي: خلق الأصناف كلها في زوجية (زوجين) وتشمل الإنسان والحيوان والنبات، والزوج: الذكر والأنثى والسالب والموجب، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]، وكقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [النجم: ٤٥] ليبقى سبحانه وحده المتفرد بالوحدانية في هذا الكون.

﴿كُلَّهَا﴾: للتوكيد.



﴿وَجَعَلَ لَكُمُ: اللام لام الاختصاص.

﴿مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾: من بعضية، بعض الأنعام مثل الإبل ما تركبون بينما الغنم والماعز لا نركبها.

الفلك: تطلق على المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، أي: السفن.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي تركبون، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿تَرْكَبُونَ﴾: تدل على التجدد والتكرار.

[١٣] ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾:

﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾: السلام للتعليل والاختصاص، الاستواء: يعني الاستقرار من استوى: استقر وقعد على كرسيه أو مقعده في السيارة أو الطائرة أو المركبة أو السفينة، على ظهوره ولم يقل: على ظهورها.

﴿عَلَى ظُهُورِهِ﴾: التذكير يفيد القلة فالأنعام التي تركب (أي: الإبل) قلة بالنسبة لعدد الأنعام جميعاً الغنم والبقر والماعز (هذا في القديم) وعلى الاستعلاء الحقيقي أو المجازي والاستقرار، يعني: أيضاً التمكن من القيادة قيادة السيارة أو الطائرة أو المركبة.

﴿ثُمَّ﴾: لا تعني هنا التراخي من الزمن، وإنما تعني التباين بين الاستواء وذكر الله والدعاء دعاء السفر والتسمية الذي هو أهم من الاستواء، أي: تقولوا بسم الله مثلاً سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين عند الركوب والاستواء، أو عند الإقلاع.

﴿تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾: نعمة التسخير والاستواء.



﴿إِذَا أَسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾: إذا ظرفية تفيد الحتمية، استويتم عليه: إعادة ذكر الاستواء مرة ثانية تفيد التوكيد.

﴿وَقُولُوا سُبْحَانَ﴾: أي: تنزهوا الله بالتسبيح والقول سبحان الله عن كل ما لا يليق به من نقص أو عيب في ذاته وصفاته وأفعاله وبديع صنعه وخلقه. ارجع إلى سورة الإسراء آية (١) والحديد آية (١) لمزيد من البيان.

﴿الَّذِي﴾: للتعظيم.

﴿سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾: ذلل لنا هذا المركب الصعب أو الدابة أو الطائرة أو المركبة.

﴿وَمَا كُنَّا﴾: الواو واو الحالية تفيد التوكيد، ما: النافية.

﴿لَهُ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر والتوكيد.

﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّنِينَ﴾: أي: ما كنا بقوتنا وطاقتنا قادرين على توجيهه والتحكم به حيث نريد والسيطرة عليه كي نقوده، أو نستوي عليه إلا بتسخير الله لنا هذه المراكب.

من أقرن الشيء: أطاقه وقوي عليه وفلان قرن لقرن: إذا كان مثله في الشدة والقوة.

[١٤] ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾:

﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا﴾: إنا: للجمع، إلى ربنا: تقديم إلى ربنا لتدل على الحصر والتوكيد، أي: إليه وحده، لمنقلبون: عائدون إليه، المصير بعد البعث والقيام.

﴿لَمُنْقَلِبُونَ﴾: راجعون، ولكنه لم يقل: راجعون؛ لأن هناك فرقاً بين الرجوع

والانقلاب، الرجوع يعني: العودة إلى المكان الذي خرج منه وبنفس الحالة من غير تغير.

الانقلاب: الخروج من المكان والرجوع إليه بغير الحال الذي كان عليها زمن الخروج أو عدم العودة إلى نفس المكان، فاختار كلمة الانقلاب؛ لأنَّ المسافر أو الراكب في السيارة أو الطائرة أو غيرها من الوسائل قد تغرق به السفينة أو تتحطم به الطائرة أو يحدث له حادث ولا يرجع إلى داره أو لا يرجع حتى إلى الدنيا وإنما ينتقل إلى الآخرة. وذكّرنا بأننا في الدنيا في حالة سفر دائم إلى الآخرة.

ولم يقل: منقلبون كما في الآية (٥٠) في سورة الشعراء وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾، وإنما قال: لمنقلبون: جاء بلام التوكيد حتى لا ينسى الراكب أو المسافر ذكر الله وأنّه في رحمة الله تعالى حتى يعود، وأنّه غير منفلت من قضاء الله، وحتى يكون مستعداً بقلبه ولسانه للقاء ربه، سواء عاد إلى بيته سالماً أم لا، وأما الآية (٥٠) في سورة الشعراء فهي آية خاصة جاءت في سياق سحرة قوم فرعون حين هددهم فرعون بالقتل والصلب، بينما آية الزخرف فهي آية عامة لكل من ركب في الفلك أو دابة.

[١٥] ﴿وَجَعَلُوا اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ إِلَّا نَسْنَكْ لَكُفُورٌ مُّبِينٌ﴾:

المناسبة: رغم اعترافهم بأنّ الله هو الخالق العزيز العليم فهم يشركون به ويفترون على الله سبحانه الكذب بأشكال شتى منها أنهم جعلوا له من عباده جزءاً، أي: المشركون والمسرّفون جعلوا له، أي: لله سبحانه وتعالى، أي: زعموا باطلاً.

﴿لَهُ﴾: اللام لام الاختصاص.



﴿ مِنْ ﴾: بعضية، بعض عباده وهم الملائكة.

﴿ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾: جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن، جزءاً: المراد بالجزء في هذه الآية الولد، أي: بنات الله؛ لأن الفرع جزء من أصله، أي: الولد جزء من الوالد أو الولد جزء من أبيه.

﴿ إِنْ أَنْفَسَ ﴾: للتوكيد.

﴿ لَكُفُورٌ ﴾: اللام للتوكيد والتعليل، كفور: صيغة مبالغة كثير الكفر والجحود والإشراك بالله أو جاحد لنعم الله.

﴿ مُبِينٌ ﴾: ظاهر كفره وجحوده لكل فرد أو كفره بين واضح لا يحتاج إلى دليل أو بيّنة وشرح.

[١٦] ﴿ أَرَأَيْتَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴾:

﴿ أَر ﴾: الهمزة للاستفهام والتوبيخ، أم للإضراب الانتقالي، أي: أنكر على المشركين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله سبحانه وزعموا زعماً آخر هو أن البنات أدنى من البنين درجة وجعلوا لأنفسهم البنين، ويجعلون لله البنات.

﴿ اتَّخَذَ ﴾: من أفعال التحويل والتصيير، أي: صير.

﴿ مِمَّا ﴾: (من + ما) من ابتدائية، ما بمعنى الذي، وهي أوسع شمولاً من الذي.

﴿ يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾: أي: صير لنفسه البنات (حيث زعموا أن الملائكة بنات الله).

﴿ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴾: وآثركم ربكم على نفسه فخصّكم بالبنين.

﴿ بِالْبَنِينَ ﴾: باء الإلصاق والملازمة، أي: أن الله فضلكم على نفسه بأن



أصفاكم بالبنين، واكتفى لنفسه بالبنات، أو أنتم فضلتم أنفسكم على الله فزعمتم أن لكم البنين وله البنات؟ ارجع إلى سورة الصافات آية (١٥٣-١٥٩) للبيان.

[١٧] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: هذا تنمة الإنكار والتوبيخ.

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد الحتمية.

﴿بُشِّرَ أَحَدُهُمْ﴾: بما ضرب الرحمن مثلاً، أي: بالأنثى، أي: بُشِّرَ أَنَّ وَلَدَتْ له بنت أصيب بالغم والكآبة، والبشارة: هي الخبر السار ولأول مرة تسمعه، واستعمل البشارة على سبيل التهكم والسخرية.

﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: تغيّر وجهه واغتاظ من شدة الحزن على سوء ما بُشِّرَ به.

﴿وَهُوَ﴾: الواو حالية، هو: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿كَظِيمٌ﴾: ممتلئ غيظاً وغمماً؛ لأنه لا يريد ذلك أو خوفاً من أن يلحق به العار أو كما كان يزعم أهل الجاهلية باطلاً.

وهذه الآية تشبه آية أخرى هي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ﴿٥٨﴾ يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴿٥٩﴾. ارجع إلى آية النحل لمزيد من البيان.

[١٨] ﴿أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾:

﴿أَوْ مَنْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، من: اسم موصول تشمل المفرد والمثنى والجمع.

﴿يُنْشِئُ﴾: أي: أجعلوا لله البنات (اللواتي ينشأن أو يتربين في الحلية



والزينة)، وينشؤا فيها مبالغة في النشأة مقارنة بالقول أو من ينشؤا، وتعني المرور بمراحل مختلفة.

﴿فِي الْحِلْيَةِ﴾: ظرفية، أي: يُربى في الحلية؛ أي: في الزينة وتضم الذهب والفضة، والزينة أعم من الحلية، وتشمل كل أنواع الزينة الخارجية والداخلية.

﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾: وإذا اشتركت أو دعيت إلى الخصام والجدال والحوار فقد تكون غير قادرة أن تبين وتشرح أفكارها وتوضح ما تريده. وهذا كان سببه الجاهلية (جهل الأمم السابقة) وظنهم الخاطيء بشأن الأنثى وحرمانها حقوقها.

وقد يكون سبب كونها في الخصام والجدال غير مبين هو حيائها وعفتها ووقوفها بين الرجال يجعلها تشعر بعدم الارتياح في هذا الموقف، فتحاول أن لا تبدي رأيها أو تناقش وتجادل، ولنعلم أن هناك كثيراً من النساء تفوق الكثير من الرجال في الحوار والجدال والأعمال التقنية والعلوم والاكتشافات، أما كونها تنشأ في الحلية فهذا شيء أباحه الله لها وليس عيباً.

[١٩] ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكُنُّنَّ شَهِدَاتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾:

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ﴾: أي: المشركين، جعلوا: زعموا باطلاً أن الملائكة إناث من دون أي علم أو دليل.

﴿إِنثًا﴾: جمع أنثى أو بنات الله.

فردَّ الله سبحانه عليهم بقوله تعالى: ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾: للاستفهام الإنكاري، والجواب طبعاً: لا لم يشهدوا أي: لم يحضروا خلقهم حين خلق الله الملائكة فرأوا أن الله خلقهم إناثاً.

ومع ذلك ﴿سَتَكُنُّ شَهِدَتُهُمْ﴾: السَّيْنُ للاستقبال القريب، سنكتب شهادتهم، شهادة الزور في صحائف أعمالهم.

﴿وَيُسْأَلُونَ﴾: يوم القيامة عما زعموا من شهادة الزور بأن الملائكة إناث. ارجع إلى سورة الصافات آية (١٥٠) لمزيد من البيان.

[٢٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: أي: الذين أشركوا للذين أنكروا عليهم عبادة الملائكة أو الأصنام.

﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾: أي: لو شاء الله ما عبدنا الملائكة، أي: مُنَعْنَا من عبادتهم، أو أنزل علينا الرحمن شيئاً يخبرنا بذلك، وهو كلام حق يُراد به باطل، أي: حُجَّة باطلة.

﴿مَا﴾: النافية، تنفي الحال غالباً.

﴿مَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾: ما النافية، لهم: اللام لام الاختصاص، بذلك اسم إشارة يشير على زعمهم الباطل.

﴿مِنْ عِلْمٍ﴾: من استغراقية تستغرق أي علم نُقل إليهم أو نُزل عليهم أو سمعوه من رسلهم بطريقة الوحي أو الإلهام.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: إن نافية أقوى نفيّاً من (ما)، هم: تفيد التوكيد، إلا: أداة حصر.

﴿يَخْرُصُونَ﴾: الخرص هو الحزر والخرص من دون تحقيق يشبه الكذب، يخرصون في أقوالهم أن الملائكة إناث، أو بنات الله، أو لو شاء الرحمن ما عبدناهم.



ما هو الفرق بين ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

الآية: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ جاءت في سياق زعمهم أن الملائكة بنات الله.
أما الآية: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: فجاءت في سياق إنكارهم للبعث.

ولنعلم أن (إن هم إلا يخرصون) أسوأ وأقبح من (إن هم إلا يظنون)؛ لأنَّ
الخرص هو حزر وكذب والظن هو أعلى درجة من الشك.
[٢١] ﴿أَمْ أَلَيْسَ لَهُمْ كِتَابٌ مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي والهمزة للاستفهام الإنكاري ينكر عليهم إيتاء
أي كتاب مهما كان نوعه (كتاباً: نكرة تشمل أي صحيفة أو كتاب).

﴿أَلَيْسَ لَهُمْ﴾: من الإيتاء وهو يشمل الأشياء الحسية والمعنوية، ويختلف
الإيتاء عن العطاء. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة لمعرفة الفرق.

﴿كَتَبًا﴾: مكتوب فيه اعبدوا الملائكة أو اعبدوا غير الله، أو أن الملائكة
إناث وبنات الله، أو الأصنام أو الأولياء أو آتيناهاهم تشمل أي حُجَّة ودليل يحلُّ
لهم الشُّرك بالله سبحانه وتعالى.

﴿مِّن قَبْلِهِ﴾: من قبل القرآن العظيم.

﴿فَهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، وهم للحصر والتوكيد.

﴿بِهِ﴾: تقديم به يدل على الحصر، أي: فقط به.

﴿مُسْتَمْسِكُونَ﴾: كدليل لهم أو حُجَّة يحتجون بها على صحة أفعالهم
وصدق أقوالهم، مستمسكون جمع مستمسك اسم فاعل تدل على الثبوت،
ثبوت صفة الإمساك به، وكذلك على شدة الإمساك به.



[٢٢] ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿قَالُوا﴾: تعود على قريش الذين بعث الله إليهم رسول الله ﷺ الذين قالوا: الملائكة بنات الله أو إناث، ولو شاء الله ما عبدناهم، ورد الله عليهم بقوله: ما لهم بذلك من علم؛ لأنهم لم يشهدوا خلقهم ولم ينزل عليهم كتاب من قبل القرآن يدعوهم إلى عبادة الملائكة، أو يكون دليلاً لهم، وكل أقوالهم مجرد حرص وكذب، فبعد أن ردَّ الله على كل أكاذيبهم لم يجدوا ملجأ يلجؤون إليه أو مبرراً يبرر عبادتهم إلا القول: إنما نحن نقلد آباءنا.

﴿وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾: على ملَّة أو طريقة أو مذهب، أمة: مشتقة من الطريق التي تؤم، أي: تقصد، يمشي الناس عليها بكثرة، على: تفيد الاستعلاء.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾: وإننا للتوكيد، على آثارهم: على هديهم أو سنتهم سائرون، وكان الرد عليهم: ﴿أَوَلَوْ جِئْتَكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ [الآية: ٢٤] من نفس السورة.

﴿مُّهْتَدُونَ﴾: أي: هم يزعمون أن آباءهم على هدى، وبالتالي هم على هدى حين قالوا: إنَّ الملائكة إناث، وهم بنات الله وعبادتهم قام بها الآباء والأجداد، ونحن فقط نسير على سيرهم، وهذا اعتراف صريح وحُجَّة عليهم وليس حُجَّة لهم.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلفُوا آبَاءَهُمْ صَالِينَ﴾ ﴿٦١﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٦٢﴾

[الضافات: ٦٩ - ٧٠].





سُورَةُ الشُّرُوحِ ٤٣

الْمِيقَاتُ الْوَحْدَانُ



وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا
إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٢﴾
﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ حُتُّوا بَاهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا
إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُ كَيْفَ
كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ
﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ
مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءَ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾
وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا
لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهَمْ
يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا سَخِرَ يَا رَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا
أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ
لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾



سورة الزخرف [الآيات ٢٣ - ٣٣]

[٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾

لا بُدَّ من العلم أنَّ الآية السابقة (٢٢) تتحدث عن مشركي قريش، الذين زعموا أنَّ الملائكة إناث، وأنَّهم بنات الله، وأنَّهم يعبدونهم كما عبدهم آبائهم، وهذه الآية (٢٣) تتحدث عن الأمم السابقة والمترفين الذين كانوا قبل معجىء مشركي قريش.

﴿وَكَذَلِكَ﴾: أي: مثل ما قال مشركو قريش أو مكة: إنا وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون، قال المشركون والمترفون السابقون لرسولهم: إنا وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون.

فما هو الفرق بين الذين قالوا: إنا على آثارهم مهتدون؛ أي: مشركي قريش والعرب، والذين قالوا: إنا على آثارهم مقتدون من جاء قبلهم من الكفار والمقربين.

الذين قالوا: إنا وجدنا آبائنا على أمة، وإنا على آثارهم مقتدون، أي: المشركون والمترفون من جاءوا قبل قريش، هؤلاء لا يدعون الهداية لأنفسهم ولا لأبائهم، ولا تهمهم الهداية، وإنما يهتمهم إلا الترف والشهوات والمعاصي بسبب ضلالتهم وشركهم، أما مشركو قريش أو مكة هم ومن جاء من آبائهم فهم يدعون باطلاً الهداية لأنفسهم وأبائهم، أي: أنَّ آبائهم كانوا مهتدين، وهم يقلدونهم، فهم أسوأ وأشدَّ ضلالاً من المترفين الكافرين أو المشركين الذين قالوا: إنَّهم على آثار آبائهم مقتدون.



﴿مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾: ما النافية، أرسلنا من قبلك: يا رسول الله ﷺ.

﴿فِي قَرْيَةٍ﴾: في ظرفية قرية.

﴿مِنْ نَذِيرٍ﴾: من استغراقية، نذير: الإنذار الإعلام مع التحذير، أي: يبلغها ما أرسل إليهم به ويحذرها.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿قَالَ مَرْتُفُوهاً﴾: جمع مترف، والترف: هو التوسع في ملذات الدنيا، وشهواتها والإسراف؛ أي: تجاوز حد الاعتدال، والمترف: هو الغني الذي أطغته النعمة أو الغنى، والمنغمس في ملاذ الدنيا وشهواتها بالتبذير، والإسراف الذي يؤدي إلى فساد. إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون. أي: بشرائعهم وبسننهم نعمل.

[٢٤] ﴿قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: تعني: كل نذير، أي: رسول قال لأهل قريته بما فيهم رسول الله ﷺ قال لمشركي مكة:

﴿أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾: أولو: الهمزة للاستفهام الإنكاري، جئتكم بشريعة أو ملة أهدى من ملة آبائكم وأهدى من شرككم وضلالكم كان هذا رداً على مشركي قريش.

﴿قَالُوا﴾: أي: مشركو قريش والعرب.

﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾: إنا للجمع والتوكيد، بما: الباء باء الإلصاق، ما تعني: الذي وهي أوسع شمولاً من الذي.

أرسلتم به كافرون: أي: لا نؤمن ولا نصدق بأي شيء جئتمونا به، كافرون: صفة تدل على الثبوت.



[٢٥] ﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾:

﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ﴾: الفاء السببية تربط السبب بالمسبب، انتقمنا منهم: تعود على الكل؛ أي: عاقبناهم على كفرهم بأنواع مختلفة من العذاب، فمنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أرسلنا عليه حاصباً، ومنهم من أخذته الرجفة ومنهم من أغرقنا.

﴿فَانْظُرْ﴾: الفاء جواب شرط مقدر تقديره: إن كذبت قومك فانظر كيف كان عاقبة المكذبين، انظر: نظرة قلبية فكرية، نظرة تمعن واعتبار.

﴿كَيْفَ﴾: استفهام وتحذير.

﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾: كيف كان عذاب المكذبين، وتذكير كلمة العاقبة في القرآن كقوله: ﴿كَانَ عَاقِبَةُ﴾ يعني: العذاب، وتأنيث كلمة العاقبة في القرآن تأتي في سياق العاقبة الحسنة كالجنة.

[٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾:

المناسبة: كان أجدر بهؤلاء مشركي مكة الذين قالوا: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون، أن يقلدوا ويتبعوا إبراهيم عليه السلام وليس آباءهم وأجدادهم.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾: الواو استئنافية، إذ: أي: اذكر، إذ قال إبراهيم: أو اذكر حين قال إبراهيم لأبيه.

﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾: اللام لام الاختصاص، أبيه: أزر، أو قيل: عمه. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٧٤) للبيان.

﴿إِنِّي﴾: لم يقل: إني، قال: إني للتوكيد (نون التوكيد).



﴿بَرَاءٌ﴾: من برأ منه، أي: تخلص منه وتباعد عنه وتبرأت من الأمر أي: تخليت عنه، براءً، أي: لا أعبد الذي تعبدون.

براءٌ: مصدر بريء على وزن فعال، وتقال للواحد والاثنين والجمع، إنا براء منك أو منكما أو منكم.

في سورة الأنعام آية (٧٨) ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

في سورة الزخرف هذه الآية (٢٦) قال: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾.

براءٌ مصدر بريء أو براءة مصدر لفعل برأ يبرأ.

في سورة الممتحنة آية (٤) ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ جمع بريء. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٧٨) لمعرفة الفرق والبيان.

﴿مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾: من ابتدائية استغراقية، ما: اسم موصول بمعنى الذي وما عامة تشمل كل ما يعبدون إلا الله، كما سيرد في الآية التالية. ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣) لتعريف العبادة، تعبدون: بصيغة المضارع تفيد التكرار والتجدد.

[٢٧] ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾:

﴿إِلَّا الَّذِي﴾: أداة استثناء أو حصر، الذي: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿فَطَرَنِي﴾: خلقني، أي: الذي أخرجني للوجود، والفطر هو الإبداع والإيجاد من غير سبق وأصله الشق، وفطر: طلع وظهر.

﴿فَإِنَّهُ﴾: الفاء تعليلية، إنه: للتوكيد.

﴿سَيَهْدِينِ﴾: السنين تدل على الاستقبال القريب، وهل يعني أن إبراهيم عليه السلام لم يكن مهدياً (من قبل) الجواب: كلا، كان مهدياً، والدليل في سورة الشعراء آية (٧٨) قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ فلا بد من الجمع بين الآيتين يهدين وسيهدين أي: يهدين للحال

وسيهدين للاستقبال، أي: الاستمرار على الهداية والاستقامة عليها، وحذف الياء؛ لأن الهداية لن تخصه وحده بل الهداية تكون له ولغيره من الناس ولو كانت خاصة به وحده لقال سيهديني.

[٢٨] ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾:

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً﴾: أي: جعل كلمة التوحيد لا إله إلا الله، أو ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٣٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي.

﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾: في ذريته أو خلفه، أو فيمن يأتي من بعده إلى يوم القيامة، والعقب الولد وولد الولد.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعل: للتعليل، يَرْجِعُونَ بفتح الياء ولم يقل يُرْجِعُونَ، يرجعون برغبتهم وإرادتهم بالتوبة إلى عبادة الله وحده، بينما يُرْجِعُونَ: بالقسر وبغير إرادتهم، لعلهم يَرْجِعُونَ: إلى ربهم بالإجابة والتوبة وإليه وحده والإخلاص له، يرجعون إلى توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

[٢٩] ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾:

المناسبة: يعود الله سبحانه ليتحدث عن مشركي مكة كيف أمهلهم ولم يعجل لهم بالعقوبة، ومتَّعهم بالنعيم وطول العمر، وأنزل عليهم القرآن وجاءهم رسولٌ مبين، وماذا فعلوا عندها قالوا: هذا سحرٌ، وإنا به كافرون.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ﴾: أي: مشركي مكة وآباءهم، متعت: من المتاع؛ وهو كل ما ينتفع به ويرغب في اقتنائه ويتمتع به من أثاث وسلعة وأداة وهو متاع زائل، متعتهم بطول العمر والسعة في الرزق والأمن، فاغتروا بالنعم وأسرفوا في شهواتهم وعبادتهم لأوثانهم.



﴿حَقَّ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾: وهو القرآن العظيم.

﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾: أي: محمد ﷺ بين الرسالة أو الدين، مبين: ظاهر لكل فرد منهم أنه رسول الله وليس بكاهن ولا بشاعر ولا مجنون ولا يحتاج إلى بيّنة أو حُجّة، مبين: للحق وما جاءهم من الأحكام والشرائع.

[٣٠] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾ الواو عاطفة، لما: ظرف زمني بمعنى حين، أي: وحين جاءهم الحق: القرآن العظيم.

﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ﴾: قالوا: أي: كفار قريش، هذا: اسم إشارة للقرب والهاء للتنبيه إشارة إلى القرآن، سحر: اتهموا القرآن بالسحر لما رأوا تأثيره القوي في القلوب والأنفس، وكانوا يظنون كل شيء خارق للعادة سحراً. ارجع إلى سورة طه الآية (٥٨) لتعريف السحر، وسورة البقرة (١٠٢) لمزيد من البيان.

﴿وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾: ضمير الجمع، به: بالقرآن، وقدم به للحصر والقصر، كافرون: لا تؤمن به ولا نصدقه، أي: جاحدون، كافرون: جملة اسمية تدل على الثبوت، أي: صفة الكفر عندهم ثابتة لا تتغير أو تتبدل.

[٣١] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: الواو عاطفة، قالوا: أي: كفار مكة.

﴿لَوْلَا﴾: أداة حُضٍّ وحثٍّ.

﴿نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾: نُزِّلَ، أي: بشكل منجم، أي: على دفعات ولو قالوا: أنزل لكان يعني ذلك على دفعة واحدة، هذا القرآن: كما في الآية السابقة.

﴿عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾: على تفيد الاستعلاء، ولم يقل: إلى رجل

التي تفيد الانتهاء، نُزل من اللوح المحفوظ، أي: هم استنكروا أن يُنزل القرآن على محمد ﷺ وهو ليس من زعمائهم وساداتهم، رجل من (ابتدائية) القريتين عظيم: رجل من القريتين مكة أو الطائف. كما قال ابن عباس والرجل العظيم من مكة هو الوليد بن المغيرة القرشي، وقيل: عتبة بن ربيعة والرجل العظيم من الطائف، قيل: هو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي، وقيل: غيره من الأسماء مثل مسعود بن عمرو، رجل عظيم: يعني: ذا جاه ومال وسيد في قومه.

[٣٢] ﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

المناسبة: يرد الله سبحانه على اعتراضهم بإنزال النبوة على رسول الله ﷺ بقوله: أهم يقسمون رحمة ربك.

﴿أَهْمُ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري وتحمل معنى التعجب والضمير يعود على كفار قريش، أهم يقسمون رحمة ربك أهم الذين يختارون من يكون رسولا أو نبيا لهم؟

﴿يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾: أي: النبوة، وكما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: نحن: للتعظيم، قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا: أي: قسمنا: وزعنا أرزاقهم بينهم في الحياة الدنيا فمنهم الغني ومنهم الفقير ومنهم التاجر ومنهم المزارع ومنهم الطبيب ومنهم الصانع.

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾: في الرزق والغنى والفقر والعلم والجاه والصحة والعافية والقوة والمهن والحرف والوظائف وغيرها.



﴿لَيْسَ خَذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾: اللام لام التعليل، سُخْرِيًّا: أي: ليساعد بعضهم بعضاً في سُبُل العيش والخدمة، هذا بماله وهذا بعمله، فالطبيب يحتاج إلى الخباز، والخباز يحتاج إلى الطبيب، فلو تساوى الناس في الغنى وفي الحرف ولم يحتاج بعضهم إلى بعض لتعطّلت سبل معاشهم وحاجتهم لغيرهم، وهناك فرق بين سُخْرِيًّا بضم السين، وسُخْرِيًّا بكسر السين، كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا﴾ [المؤمنون: ١١٠] التي تعني: السخرية والاستهزاء، وأما سُخْرِيًّا بضم السين: من التسخير؛ أي: يخدم بعضهم بعضاً، والتسخير له معنى آخر هو التذليل كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا سَخَّرَ اللَّهُ لَهُمُ الْأَرْضَ﴾ [الحج: ٦٥].

﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: رحمة ربك، أي: النبوة أو الهداية والقرآن ونعمة الإسلام والإيمان أو الجنة، خير: أي: أفضل من، ما: ابتدائية استغرافية، ما (الذي) يجمعون من المال ومتاع الدنيا، يجمعون بصيغة المضارع لتدل على التكرار والتجدد.

[٣٣] ﴿وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾:

﴿وَلَوْ لَا﴾: لولا: حرف امتناع لامتناع.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد.

﴿يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: أمة واحدة: على ملة واحدة هي ملة الكفر، أي: لولا الخوف أن ينقلب كل الناس كفاراً.

لجعلنا (لحقارة الدنيا) لكل كافر بيوتاً سقّفها من فضة ومعارج عليها يظهرون ومساعد عليها يرتقون وأبواباً من فضة وسرراً وزخرفاً في الدنيا؛ لأنّ ليس لهم في الآخرة من نصيب؛ لأنّ الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة؛ كما

ورد في الحديث عن سهل بن سعد الساعدي والذي رواه الترمذي، وهي عارية زائلة مهما طال الأجل.

﴿لَجَعَلْنَا﴾: اللام لام التعليل، جعلنا: الجعل بعد الخلق والجعل يعني: صيرنا.

﴿لُبُيُوتِهِمْ﴾: اللام لام الاختصاص، سقفاً من فضة والبيت كل بناء يتشكل من أربع جدران وعليها سقف قائم والبيت وهو مأوى الإنسان بالليل سواء نائم فيه أو لم ينم.

﴿سُقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾: فقد تبين من الدراسات الحديثة: أن الفضة هي أفضل العناصر الكيميائية كلها في القدرة على نقل الحرارة وتوصيلها، وهي أفضل من الذهب لصنع السقف؛ لأنَّ السقف الفضية توفر جواً من الدَّفء، وخاصة في المناطق الباردة، فيمكن للصحائف الفضية امتصاص حرارة الشمس وتوصيل الحرارة إلى الماء المستخدم في تدفئة المنازل وغيرها أو طهي الطعام وأقل مقاومة لمرور التيار الكهربائي وعدم إصدار شرر وتفيد في منع التلوث بكونها تساعد على قتل البكتريا.

وهذه من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الدالة على أن هذا القرآن مُنزل من الإله الحق.

﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾: أي: مصاعد كهربائية يصعدون بها إلى أعالي المباني وسطوحها.



سُورَةُ النُّجُورِ ٤٣

الجزء الثاني من القرآن

وَلَبِئْسَ أَتُوبًا وَسُرُّرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ
كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا
فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ نَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
بُعْدُ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْقَرِينَ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ
إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ
الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾
فَأَمَّا نَذْرٌ هَبَنَّا بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي
وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ
إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ
وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا
أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يَعْبدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾



سورة الزَّخْرَفِ [الآيات ٣٤ - ٤٧]

[٣٤] ﴿وَلْيُسْوِيهِمْ أَتُونَا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكُونَ﴾:

﴿وَلْيُسْوِيهِمْ﴾: اللام لام الاختصاص، البيت: مأوى الإنسان بالليل، وبات: أقام بالليل سواء نام أم لم ينم.

﴿أَتُونَا﴾: من فضة أو من ذهب وفضة.

﴿وَسُرُرًا﴾: من فضة أو من ذهب وفضة، وسُرُرًا: جمع سرير.

﴿عَلَيْهَا يَتَكُونَ﴾: يجلسون، أو الاضطجاع قليلاً.

[٣٥] ﴿وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿وَزُخْرُفًا﴾: الزَّخْرَف: هو الذهب والزينة، أي: لجعلنا لهم زخرفاً ذهباً وزينةً في تلك السَّقْفِ والسرر والأبواب، وليست فقط فضة، بل نزينها بالذهب والنقوش والحلي.

﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: الواو استئنافية، إن: نافية تعني ما كل ذلك، ذلك: اسم إشارة إلى السَّقْفِ والأبواب والسرر والمعارج والذهب والحلي، لما: للحرص بمعنى إلا متاع الحياة الدنيا، متاع الحياة الدنيا: ما يمتع به وينتفع به من أثاث ومسكن وأدوات وغيرها من متاع الحياة الدنيا: متاع زائل وفانٍ.



﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ﴾: الواو عاطفة، الآخرة عند (ظرف مكاني) أو

زمانى.

﴿رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

[٣٦] ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: الواو استئنافية، من شرطية.

﴿يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾: يَعِشْ: من مرض العشى: هو ضعف البصر أو عدم الرؤية الجيدة في الليل، والأعشى: هو الذي لا يبصر جيداً بالليل، أي: يُعرض أو يتغافل ويتعامى عن ذكر الرحمن، ذكر الرحمن: هو القرآن أي: يعرض عن القرآن، ولا يتعظ به، ولا يعمل به، ولا يتدبره، ولا يخاف وعيده.

﴿نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾: هيناً له أو أعددنا له شيطاناً (نكرة) وجواب الشرط، شيطاناً تعني: عموم الشياطين، وليس واحداً، أي: نقض له شياطين كثيراً؛ لأن النكرة الواقعة بعد الشرط (ومن) تفيد العموم، والدليل على ذلك جاء بعدها وإنهم (بالجمع) ليصدونهم عن السبيل.

﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾: الفاء للتوكيد، هو: لزيادة التوكيد، قرين: مصاحب له يلزمه ولا يفارقه يوسوس ويزين له ويغويه ويضله، والفرق بين القرين والصاحب: الصاحب يمكن الانتفاع منه، أما القرين فلا فائدة منه ولا منفعة منه، بل ضرر.

[٣٧] ﴿وَلِيَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾:

﴿وَلِيَنَّهُمْ﴾: أي: الشياطين.

﴿لَيَصُدُّوهُمْ﴾: اللام لام التعليل والتوكيد، يصدون: يمنعون والصد هو المنع عن بلوغ الغاية بسبب الوسوسة والتزيين والإغواء والإضلال.
 ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾: عن: للمجاوزة والمباعدة، السبيل: هو دين الله تعالى والهدى والحق.

﴿وَيَحْسُبُونَ﴾: من حسب: أي: اعتقد، أي: يعتقدون اعتقاداً راجحاً.
 ﴿أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾: أنهم: للتوكيد أنهم على طريق الحق والصواب، مهتدون: جملة اسمية تدل على الثبوت، أي: صفة الهداية ثابتة عندهم.
 [٣٨] ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسَ الْقَرِينُ﴾:
 ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث.
 ﴿جَاءَنَا﴾: يوم القيامة، والمجيء فيه معنى المشقة والجهد، ولم يقل: أتانا، أتى فيها معنى السهولة، والضمير يعود على العاشي عن ذكر ربه، وفي قراءة: جاءنا: أي: كلاهما العاشي والقرين.

قال: ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾: يقول العاشي للقرين: يا ليت: يا: للنداء البعيد والتوبيخ، ليت: أداة تمنى للأمور المستحيلة الحصول أو الحدوث، يتمنى لو أن بينه وبين قرينه أقصى مسافة بحيث لا يعد يراه أو يلتقي به أبداً. قرينه: (الشيطان) بعد المشرقين، أي: بُعد ما بين المشرق والمغرب وغلب المشرق على المغرب، فقال بعد المشرقين كما نقول الأبوين (الأب والأم ونغلب الأب)



أو بعد مشرق الشمس في أقصر يوم من السنة ومشرقها في أطول يوم، وتعني أنه يحاول أن يتبرأ من قرينه الذي أضله في الدنيا وأغواه.

﴿فَيَسَّ الْقَرَيْنُ﴾: الفاء للتوكيد، بس: من أفعال الدّم، أي: بسّ القرين، القرين: ارجع إلى الآية (٣٦) من نفس السّورة لبيان معنى القرين.

[٣٩] ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾:

يقال لهم يوم القيامة توبيخاً لهم أو لبث القنوط في أنفسهم:

﴿وَلَنْ﴾: الواو استئنافية، لن: لنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿يَنْفَعَكُمْ﴾: ندمكم أو تمنّيكم أو تبرؤكم ولا الاعتذار ولا الشّفاة ولا

الصّديق الحميم ولا أنسابكم.

﴿الْيَوْمَ﴾: يوم القيامة.

﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾: إذ: ظرف للزمن الماضي، أي: إذ تبين ظلمكم، ظلمتم:

أنفسكم بالخروج عن منهج الله بالشّرك والكفر والمعاصي والصّد عن سبيل الله وعن ذكر الله.

﴿أَنْتُمْ﴾: أن: للتوكيد، أي: أنتم وقرناءكم.

﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾: أي: كونكم في العذاب مشتركين لا يعني: تخفيف

العذاب عن أيّ منكم، ولن ينفّعكم أن يواسي أحدكم الآخر ظناً أن ذلك يخفف عنه من العذاب، كما يحدث في حال الدّنيا، فلا مواساة بينكم ولا يسئل حميم حميماً.

[٤٠] ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿أَفَأَنْتَ﴾: الهمزة: للاستفهام التعجبي والإنكار، والفاء للتوكيد،
والخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ.

﴿تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾: (استعارة) شبه الكفار بالصُّم والعمي؛ لأن آلة السَّمْع والبصر معطلة عندهم فأذاّنهم لا تعي ولا تنتفع بما تسمع من الآيات والموعظة والوعد والوعيد، وأعينهم لا ترى الحق ولا طريق الهداية، فهم قد فقدوا البصيرة ولا يرون إلا الباطل، فيسيرون وراءه، فبعد أن وصفهم بالعشي المصابين بمرض العشى، ووصفهم بالصُّم والعمي وفي ضلال مبين، فإنك يا أُوَرسول الله ﷺ لن تستطيع أن تُسمع هؤلاء الكفار أو تهديهم مهما حاولت وأجهدت نفسك؛ لأنهم قد ضلوا ضلالاً بعيداً من الصَّعب أن يرجعوا منه.

﴿وَمَنْ﴾: بمعنى الذي تشمل المفرد والمثنى والجمع، والذكر والأنثى.

﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: في: ظرفية، ضلال مبين: ضلال بين واضح لكل فرد وضلال غير خفي ولا يحتاج إلى تبيان.

[٤١] ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾:

﴿فَإِمَّا﴾: الفاء استثنائية، إما (إن + ما) إن: شرطية تفيد الاحتمال والافتراض والشك، ما للتوكيد.

﴿نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾: أي: نذهبنَّ بك من بينهم بالهجرة، أو الانتقال إلى الرفيق الأعلى والنون في نذهبنَّ للتوكيد، والخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ، نذهبنَّ بك قبل الانتقام منهم وإنزال العذاب بهم.



﴿فَإِنَّا﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، إنا: للتعظيم.

﴿مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾: أي: سنتقم منهم بعد الذهاب بك من بينهم، فوجودك بينهم رحمة بهم، ويؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣].

[٤٢] ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾:

﴿أَوْ﴾: للتقسيم أو الاختيار.

﴿نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾: نرينك: نون التوكيد، الذي وعدناك بالنصر عليهم وأنت على قيد الحياة وهزيمتهم.

﴿فَإِنَّا﴾: للتعظيم، الفاء رابطة لجواب الشرط.

﴿عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾: مقتدر على وزن مُفْتَعِلٌ أبلغ من قادر، مقتدرون أبلغ وأعظم من قادرون، مقتدرون على عذابهم وإهلاكهم.

[٤٣] ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾:

﴿فَاسْتَمْسِكْ﴾: الفاء للتوكيد، استمسك: ولم يقل: فأمسك، استمسك: السَّين والتاء للطلب والتوكيد والحض، أي: ابذل قصارى جهدك أو ما بوسعك بالتمسك بالقرآن.

﴿بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾: الباء للإلصاق والملازمة، الذي: للتعظيم، أوحى إليك: أي: بالقرآن أوحى إليك من ربك. ولمعرفة معنى أوحى إليك ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣).

﴿إِنَّكَ﴾: إن للتوكيد، والكاف للخطاب: إِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.



﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: على تفيد الاستعلاء والمشقة، صراط مستقيم هو دين الإسلام الحق، الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه والموصل إلى الغاية القصوى، والصراط: هو الطريق الواسع السهل المستقيم الموصل إلى الغاية بأقصر مسافة وأقل زمن.

[٤٤] ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾:

﴿وَإِنَّهُ﴾: تعود على الذي أوحى إليك، أي: القرآن وتفيد التوكيد.

﴿لَذِكْرٌ لَّكَ﴾: اللام للتعليل والتوكيد، ذكر لك: شرف عظيم لك ولقومك أنه نزل إليكم وبلغتكم وعلى رسولكم، وذكر تعني: تذكرة لك ولقومك بالآخرة بالاستعداد لها.

﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿وَسَوْفَ﴾: للاستقبال البعيد (فيه تراخ في الزمن).

﴿تُسْأَلُونَ﴾: عنه يوم القيامة عن العمل به وتطبيق شرائعه وأحكامه وإبلاغه، وتدبره، وعن حقه وشكره.

[٤٥] ﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾:

السؤال وإن كان المخاطب رسول الله ﷺ، وإنما المقصود به خطاب أمته؛ لأن رسول الله ﷺ غني عن مثل هذا السؤال ولم يشك ولم يسأل.

والرسل قد ماتوا وقد يعني: اسئل أتباع من أرسلنا من قبلك من رسلنا أي: مؤمني أهل الكتاب، سؤال غايته التقرير ليكون عليهم حجة أو حجة لهم.



ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤].

﴿أَجْعَلْنَا﴾: الهمزة استفهام إنكاري ونفي، الجعل: أي: صيرنا.

﴿مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾: من غير الرحمن.

﴿إِلَهَ يَعْبُدُونَ﴾: أي: هل أذن الرحمن بعبادة أحد غيره، أو سوغ ذلك لأحد من البشر.

[٤٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

المناسبة: بعد بيان موقف كفار قريش لما جاءهم الحق قالوا: هذا سحر وإنما به كافرون، يقص الله سبحانه على نبيه أن ما يحدث له من قومه حدث لموسى وعيسى عليهما السلام من قبله، ويبيّن ذلك في عدد من الآيات فقال:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، واللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾: الباء للإلصاق، بآياتنا: أي: التسع آيات ومنها العصا واليد، والتي تدل على عظمة الله وقدرته تعالى وعلى وحدانيته وتدعو إلى الإيمان، ومنها الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين والثمار.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾: فرعون ملك مصر. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون. والملاهم وجهاء القوم والأعيان الذين يمثلون القوم. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٧٥) لمزيد من البيان.

﴿فَقَالَ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد، رسول رب العالمين. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٢)

ليبان معنى رب العالمين.

﴿رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: وفي سورة الشعراء آية (١٦) قال تعالى: ﴿فَأْتِيَا

فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ كيف نفسر ذلك؟ بالقول أن كلمة رسول

في اللغة يمكن أن تطلق على المفرد والمثنى، وعلى الجمع؛ لأن الرسول يمثل

الرسل، أو الرسل يمثلهم رسول واحد.

[٤٧] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء عاطفة، لما: ظرف زماني بمعنى حين.

﴿جَاءَهُمْ﴾: موسى بآياتنا التسع.

﴿إِذَا﴾: الفجائية.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿يَضْحَكُونَ﴾: جاء بصيغة المضارع لتدل على حكاية الحال كأنهم أمامك

يضحكون للدلالة على قبح ضحكهم، فبدلاً من أن يؤمنوا بها وبالله وحده

استهزؤوا بها وسمّوها سحراً.





سُورَةُ الْحَجَرِ ٤٣

الْحَجَرِ ٤٣

وَمَا نُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِمَّنْ أَخْتَهَا وَأَخَذَتْهُمْ
بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ ادْعُ لَنَا
رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ
الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ
قَالَ يَبْنَؤُمْ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن
تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ
وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ
مَعَهُ الْمَلَكُ مَقْتَرِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ
فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا عَاسَفُونَا
أَتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ
سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ
مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا يَا أَلِٰهِنَا
خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾
إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ
﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَّلَآئِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾





سورة الزخرف [الآيات ٤٨ - ٦٠]

[٤٨] ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما: النافية لنفي الحال.

﴿نُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ﴾: أي: معجزة من المعجزات التسع، أو الآيات التسع.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر (لوقوعها بعد النفي).

﴿هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾: أي: هي أكبر من الآية التي قبلها، أي: سبقتها أو كل آية حين تحدث يشعرون بعظمتها وتبهر عقولهم، ويظنون أن كل آية حصلت في السابق دونها، أي: يذهلون بعظمتها ولا يستطيعون التمييز بينها، بل هي أشد من الأخرى.

﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾: ولم يبين نوع العذاب هنا، وقيل: بالسنين ونقص من الثمرات، كما بيّنته آية أخرى. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٣٠) للبيان.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعل للتعليل، يرجعون: إلى ربهم بإرادتهم واختيارهم بالتوبة والإنابة إليه، يرجعون إلى الإيمان والتوحيد وترك الشرك.

[٤٩] ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾:

السؤال كيف يسمون موسى السّاحر ويطلبون منه أن يدعو ربه بما فضله الله عليهم أن يكشف عنهم العذاب، ووعدوه بأن يهتدوا ويرجعوا عن



غيّهم وضلالهم؛ لأنهم كانوا يطلقون على العالم الماهر أو البارع ساحر؛ لأنه جاء بأمر خارقة للعادة مثل العصا واليد، وكل أمر خارق للعادة ومؤثر في أنفسهم كانوا يشبهونه بالسحر، وكان السحرة لهم مكانتهم وسلطانهم آنذاك فقولهم: يا أيها الساحر فيه معنى المدح وليس العيب بالنسبة لهم.

﴿أَدْعُ لِنَارِكَ﴾: أن يكشف عنا العذاب.

﴿بِمَا﴾: الباء للإصاق والمصاحبة أو باء السببية، ما: مصدرية أو اسم موصول.

﴿عَهْدَ عِنْدَكَ﴾: من الإيمان والطاعة والنبوة أو الدعوة المستجابة أو عهد عندك أنه يكشف العذاب عمن آمن أو بما أوصاك أن تدعوه به.

﴿إِنَّا﴾: للتوكيد.

﴿لَمُهْتَدُونَ﴾: اللام للتوكيد، لمهتدون بشرط أن يكشف عنها العذاب، مهتدون: جمع مهتد، جملة اسمية تدل على ثبات صفة الهداية، أي: إذا اهتدوا لن يتخلوا عن الهداية أبداً بعدها.

[٥٠] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾:

الله سبحانه هو يعلم منذ الأزل أنهم سوف ينكثون، فلماذا كشف عنهم العذاب واستجاب لهم الجواب؛ ليقيم عليه الحجة وينكثون بعهدهم ويزدادوا غيًّا وضلالاً وعذاباً في نار جهنم.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، لما: ظرف زمني بمعنى حين متضمن معنى الشرط.

﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ﴾: رفعنا أو أزلنا عنهم خاصة العذاب، وسَمَّاهُ الرَّجَزُ،
كما ورد في سورة الأعراف آية (١٣٥).

﴿إِذَا هُمْ﴾: إذا الفجائية، هم للتوكيد.

﴿يَنْكُثُونَ﴾: ينقضون عهدهم ويستمرون على كفرهم لا يوفون بعهدهم،
ورجعوا عن عهدهم وتخلوا عنه.

[٥١] ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُورِ الْيَسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾:

بعد أن كشف الله سبحانه الرّجز عن فرعون وقومه بدعوة موسى ونكث
فرعون وقومه العهد وهو إننا لمهتدون، خاف فرعون أن يتبع قومه موسى ويؤمنوا
له فنادى فيهم فقال:

﴿قَالَ يَنْقُورِ﴾: نداء فيه حنان واستعطاف حتى يجلب أنظارهم إليه.

﴿الْيَسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾: الهمزة همزة للتقرير، أي: أقرؤا بذلك، لي: تقديم
لي، أي: لو حدي لا يشاركني فيه أحد، لام الاختصاص والملكية أو الاستحقاق،
ملك مصر: مصر، أي: بلاد مصر.

﴿وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾: نهر النيل بفروعه العديدة، من تحتي:
أي: تحت قصوره أو قصوره المطلة على نهر النيل.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: الهمزة همزة استفهام وتقرير، والفاء للتوكيد، ألا أداة
تنبيه وحثّ على الإبصار (الرؤية بالعين).



[٥٢] ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام التقريري، أم للإضراب الانتقالي.

﴿أَنَا خَيْرٌ﴾: أنا أفضل.

﴿مِّنْ هَذَا﴾: من ابتدائية، هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب ويشير إلى موسى عليه السلام.

﴿الَّذِي هُوَ﴾: الذي: اسم موصول يفيد الذم، ذم موسى، هو: للتوكيد.

﴿مَهِينٌ﴾: ذليل ضعيف حقير.

﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾: أي: لا يفصح بلسانه، ويبين ما يريده بكلامه. ارجع إلى سورة طه آية (٢٧ - ٢٨).

[٥٣] ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾:

﴿فَلَوْلَا﴾: الفاء للتوكيد، لولا: أداة حثٍّ وحضٍّ.

﴿أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾: أسورة جمع سوار، أسورة جمع قلة بينما أساور جمع كثرة، كما ورد في سورة الحج آية (٢٣) والكهف آية (٣١) وفاطر آية (٣٣) والإنسان آية (٢١).

وقدّم عليه؛ لأنّ سياق الكلام على موسى، أي: إذا كان رسولاً حقاً لم لا يُلقَى عليه أسورة من السماء من ذهب: من اسم جنس، كما قالوا الرسول الله ﷺ: ﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ [الفرقان: ٨].

﴿أَوْ﴾: تعني: وجاء معه الملائكة مقترنين أو للتخيير.

﴿مُقْتَرِنِينَ﴾: جمع مقترن اسم فاعل من فعل اقترن على وزن مفتعل:

متتابعين يعينونه على رسالته أو يشهدون له بالرسالة ويشهدون أنه نبي مرسل.

[٥٤] ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا فَاسِقِينَ﴾:

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾: الفاء عاطفة، استخف: استصغر عقول قومه واستهان

بها وظن أنه قادر على حملهم على طاعته والاستجابة لما دعاهم إليه من الضلالة وعدم اتباع موسى.

﴿قَوْمَهُ﴾: أي: القبط أو الأقباط.

﴿فَأَطَاعُوهُ﴾: الفاء للتوكيد، أطاعوه: فرعون في تكذيب موسى وعدم

الإيمان له.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾: إنهم للتوكيد، كانوا فاسقين خارجين عن

طاعة الله ورسوله أو أطاعوه لكونهم قوماً فاسقين، فقوم فرعون لهم ميزتان الأولى: خفة في عقولهم وضعف، والثانية: فاسقون، فاسقون: أي: صفة الفسق ثابتة عندهم لا تتغير.

[٥٥] ﴿فَلَمَّا أَسَفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء عاطفة تفيد التوكيد، لما: ظرف زمان بمعنى حين أسفونا.

﴿أَسَفُونَا﴾: أسفَ عليه غضب عليه وأسفَه أغضبه، الأسف يعني أيضاً:

شدة الحزن، ويمكن القول: الأسف حسرة + غضب (أو غيظ) أو الأسف معناها غضبان على شيء ومتلهف عليه. أسفونا قد تعني: طردناهم من رحمتنا وانتقمنا منهم.



﴿أَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ﴾: الانتقام نقيض الإنعام، أي: سلب النعمة بالعذاب، كانوا في نعمة فأغرقناهم.

﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ﴾: الفاء: للترتيب والمباشرة، أغرقناهم في اليم (البحر الأحمر).

﴿أَجْمَعِينَ﴾: للتوكيد، فرعون وجنوده، لم ينجُ منهم أحد.

[٥٦]. ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾:

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ﴾: الفاء عاطفة.

﴿سَلَفًا﴾: من سَلَفَ: أي: تقدّم ومضى، أي: سبق غيره في الوجود، والأسلاف: المتقدمون.

﴿وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾: أي: عبرة ومثلاً لغيرهم، أي: لمن جاء من بعدهم، لكي لا يقوموا بما قاموا أو يسيروا على دربهم فينتقم الله منهم، فصار يضرب بهم المثل كيف أهلكهم ودمّرهم الله سبحانه بسبب عصيانهم وفسقهم فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، للآخرين: اللام لام الاختصاص، الآخرين: بكسر الخاء الأجيال التي جاءت من بعدهم.

[٥٧] ﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو استئنافية، لما: ظرف زماني بمعنى حين.

﴿ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾: أي: عيسى ابن مريم، والسؤال: لماذا لم يُذكر المسيح عيسى ابن مريم، وقال ابن مريم؟ لأن المسيح ليس اسماً، بل لقب، وعيسى اسم يأتي في سياق التكليف والثناء، وعامة، وابن مريم (كنيته) لا تأتي

في سياق التكليف؛ لا بُدَّ من معرفة سبب نزول هذه الآية لتساعد على فهم هذه الآية:

روي عن ابن عباس، وجاء في أسباب النزول للواحدي أنه لما نزلت الآية (٩٨) من سورة الأنبياء، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ شق ذلك على قريش وقالوا: شتم آلهتنا فجاء ابن الزبعرى إلى رسول الله ﷺ فقال: أهذا لآلهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله قال ﷺ: لا بل لكل من عبد من دون الله، فقال ابن الزبعرى: خصمتك ورب الكعبة ألسنت تزعم أن الملائكة عباد صالحون، وأن عيسى عبد صالح وأن عزيزاً عبد صالح، فهذه بنو مليح تعبد الملائكة وهذه النصارى تعبد عيسى وهذه اليهود تعبد عزيزاً، فإن كان كل هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم فضج مشركو مكة فرحاً وصخباً.

ضرب ابن مريم مثلاً: أي: ضرب كفار قريش ابن مريم مثلاً لما يُعبد من دون الله، فإذا كان في جهنم فلا مانع أن يكونوا هم وآلهتهم معه، أي: مع عيسى في جهنم.

﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾: إذا الفجائية، قومك: الذين أشركوا، قومك منه يصدون: انتبه إلى كلمة يصدون، هناك من يقرأ يصدون بكسر الصاد وهناك من يقرأ يصدون بضم الصاد، يصدون: بكسر الصاد تعني يصخبون يضجون، أي: الصخب والضجيج، يصدون: بضم الصاد تعني: يُعرضون ويعدلون عن عيسى أو عن القرآن، ويقولون في القرآن تناقض، آية تقول: عيسى في النار وآية تقول: عيسى مستثنى من النار، قومك منه: هاء الضمير قد تعود على عيسى عليه السلام، وقد تعود على القرآن ويجوز كلا التفسيرين معاً.



[٥٨] ﴿وَقَالُوا أَلَهْتْنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: أي: الذين أشركوا.

﴿أَلَهْتْنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾: الهمزة همزة استفهام وفيها معنى التسوية: أي: آلهتنا ليست خيراً من عيسى، فإذا كان عيسى في النار فقد رضىنا أن نكون معه بمنزلته، أي: نرضى أن نكون معه سواء.

﴿أَمْ هُوَ﴾: أم للإضراب الإبطالي طبعاً هو أفضل من آلهتنا. هو: للتوكيد فإذا عيسى سيكون في النار فأمر آلهتنا هو أمر هين.

﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾: ما النافية، أي: ما ضربوا ذلك المثل لك يا محمد ﷺ.

﴿إِلَّا جَدَلًا﴾: إلا أداة حصر، جدلاً: يجادلونك بالباطل، الجدل: هو الحوار الذي يحدث فيه اختلاف في الآراء ومشادة في الحوار لدفع شبهة أو إثبات حق. ﴿بَلْ هُمْ﴾: للإضراب الانتقالي، هم: ضمير فصل للتوكيد.

﴿قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾: شديداً الخصام، أي: الجدل والعداوة وصفة الخصام صفة ثابتة عندهم.

[٥٩] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾:

﴿إِنْ هُوَ﴾: إن: نافية وأشد نفياً من ما، هو: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾: أي: عيسى ابن مريم أنعمنا عليه بالنعم الكثيرة، ومنها النبوة والقرب، أي: من المقربين والحكمة والعلم والصلاح.

﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: مثلاً: آية أو أمراً غريباً نادراً من كونه خلق

من غير أب، دليلاً على قدرة الله إذا أراد شيئاً، فإنما يقول: كن فيكون، مثلاً لبني إسرائيل: اللام لام الاختصاص. ثم خاطب كفار مكة بقوله:

[٦٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: شرطية.

﴿نَشَاءُ﴾: للتعظيم.

﴿لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾: نشاء لجعلنا بدلاً منكم ملائكة.

﴿يَخْلُفُونَ﴾: لها عدة معانٍ:

١ - يخلف بعضهم بعضاً كما قال ابن عباس.

٢ - يخلفونكم ليكونوا بدلاً منكم.

٣ - يخلفون الرسل فيكونون رسلاً إليكم بدلاً منهم.

٤ - أو من يموت منكم نأتي بمَلَكٍ بدلاً منه.

ولمعرفة الفرق بين يخلفون (الخلافة) والاستبدال، ارجع إلى سورة التوبة آية (٣٩) والأنعام آية (١٣٣).





سُورَةُ النِّحْلِ ٤٣

الْبَيْتُ الْخَامِسُ

وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلْسَاعَةِ فَلَا تَمْتَرُ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ
مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ
﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ
وَلَأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْ عَذَابٍ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن
تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ
عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بَايَعْتَنَا
وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

سورة الزخرف [الآيات ٦١ - ٧٣]

[٦١] ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾:

﴿وَإِنَّهُ﴾: أي: عيسى ابن مريم.

﴿لَعَلَّمَ﴾: اللام لام التوقيت.

﴿لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي: شرط من أشراف الساعة، أي: تُعلم الساعة بنزوله فهو علامة من علامات وقوع الساعة والساعة تعني: ساعة تهدم النظام الكوني.

﴿فَلَا تَمُوتُ بِهَا﴾: الفاء للتوكيد، لا الناهية، تمترن بها: من المراء وهو الجدل بعد ظهور أو معرفة الحق.

﴿وَاتَّبِعُونْ﴾: اتبعوا هداي وشرعي.

﴿هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾: أي: هذا الدين القيم، أي: الإسلام هو الصراط المستقيم. ارجع إلى الآية (٤٣) من نفس السورة.

[٦٢] ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو استئنافية، لا الناهية.

﴿يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ﴾: الصَّدُّ هو المنع من الوصول إلى الغاية أو القصد يصدنكم بوساوسه وإغوائه وتزيينه عن اتباع دين الله تعالى وعن التوحيد، ويصدنكم: النون للتوكيد.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.



﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص لكم خاصة.

﴿عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: عدو ظاهر العداوة لكل إنسان، عدواته ظاهرة بنفسها لا يخفيها ولا تحتاج إلى من يظهرها.

[٦٣] ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو استئنافية، لما: ظرف زمان بمعنى حين.

﴿جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾: الباء للإلصاق والملازمة، البيئات: المعجزات مثل إحياء الموتى، ويرى الأكمه والأبرص، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً وينبئهم بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم.

﴿قَالَ قَدْ﴾: للتحقيق.

﴿جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾: بالنبوة، وقد تعني: الإنجيل والشرائع والأحكام.

﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ﴾: اللام للتوكيد والتعليل، لكم: اللام لام الاختصاص لكم خاصة.

﴿بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾: بعض تعني: جزءاً: أي: بعض الذي تسألون عنه، وقد تعني البعض: الكل لأن البعض يشير إلى الكل أو الكل يشير إلى البعض، أي: لأبين كل ما تختلفون فيه من أمور دنياكم وآخرتكم؛ أي: الاختلاف في الآراء في أمور العقيدة بين أهل الملل المختلفة أو أهل الملة الواحدة.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط المقدر، اتقوا الله: أطيعوا أوامره وتجنبوا نواهيه، وأطيعون: أي: عيسى عليه السلام، وأطيعون ولم يقل:

وأطيعوني لقلة عدد الطّائفين أو أطيعون بالإيمان أولاً والدّخول في الإسلام أو أطيعون، ولو بعض الطّاعة أو كل ما تستطيعون.

[٦٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾:

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إنّ للتوكيد.

﴿هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾: هو ضمير فصل يفيد التّوكيد والحصر، ربي وربكم: أي: الّذي خلّقني وخلقكم ورزقني ورزقكم هو ربي وربكم، وإضافة هو بدلاً من القول: (إن الله ربي وربكم): جاءت في سياق الحديث عن عبادة عيسى، واتخاذه إلهاً، ولذلك أضاف هو ضمير الفصل الدال على التوكيد والحصر كما قلنا.

﴿فَأَعْبُدُوهُ﴾: الفاء للتوكيد، اعبدوه وحده وهذه صفة الألوهية فإنّه الإله الحق المعبود الذي أعبدته ولا أشرك به شيئاً.

﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾: هذا سبيل ثابت وبيّن لا عوج فيه أن الإله الحق هو ربي وربكم، وأني عبدُ الله ورسوله ولست بربكم، وأن اتقوا الله واعبدوه ذلك هو الصّراط المستقيم الموصول إلى الغاية.

ولنقارن هذه الآية (٦٤) من سورة الزّحرف مع آية آل عمران (٥١) وآية (٣٦) من سورة مريم، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ نرى زيادة كلمة هو في آية الزّحرف التي تدل على التوكيد. ارجع إلى سورة مريم آية (٣٦) لمعرفة الفرق.

[٦٥] ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلَهِ﴾:

﴿فَاخْتَلَفَ﴾: الفاء عاطفة، وتدل على الترتيب والمباشرة.



﴿الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾: جمع حزب: الأحزاب مثل الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس والحزب جماعة تتحزب على أمر ما، أي: تتعاون، فيما بينهم: من ابتدائية، بينهم: النصارى حيث اختلفوا في شأن عيسى فمنهم من قال أنه إله أو ابن الإله أو ثالث ثلاثة، اختلفوا في عقائدهم وشرائعهم.

﴿فَوَيْلٌ﴾: الفاء عاطفة، ويل: تعني الهلاك أو العذاب. وتعني: تهديد ووعد للذين ظلموا.

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام لام الاستحقاق والإخلاص.

﴿ظَلَمُوا﴾: أشركوا بالله وصدقوا أن المسيح هو ابن الله، أو ثالث ثلاثة أو هو الإله.

﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾: يوم القيامة.

لنقارن هذه الآية (٦٥) من سورة الزخرف وهي قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾ مع الآية (٣٧) من سورة مريم، وهي قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

آية الزخرف تحذر الذين ظلموا (أشركوا) من العذاب وآية مريم تحذر الذين كفروا من المشهد (يوم القيامة)، والكفر أشد من الظلم حيث في آية مريم جاءت في سياق اتخاذ الولد، وفي آية الزخرف اختلف الأحزاب فمنهم من أشرك ومنهم من لم يشرك فوصفهم بالظلم لاختلافهم.

[٦٦] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿هَلْ﴾: للاستفهام تفيد النفي، أي: ما ينظرون.



﴿يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾: الضمير هنا عائد للأحزاب (الذين ظلموا) وقد يعود لقريش، ينظرون إلا: حصراً وقصراً، والسَّاعة: لحظة تهدم النظام الكوني.

﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾: أن للتعليل، تأتيهم بغتة: فجأة.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: لا يشعرون بوقت مجيئها وهم غافلون منشغلون بأمور دنياهم أو بغتة وهم نائمون أو وهم يخصمون.

[٦٧] ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾:

﴿الْأَخِلَاءُ﴾: جمع خليل، أي: الأحياء وهو الصديق الحميم في الدنيا خلة قائمة على الكفر ومعصية الله. ارجع إلى سورة النساء آية (١٢٥) لمزيد من البيان في معنى الخليل.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة.

﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: تنقطع الخلة بينهم ويصبحون أعداء.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿الْمُتَّقِينَ﴾: أي: الذين امتثلوا أوامر الله وتجنبوا نواهيه فهو لاء مودتهم وخلتهم تستمر ولا تنقطع؛ لأنّ خلّتهم كانت قائمة لوجه الله تعالى وتقوى الله سبحانه ومرضاته.

[٦٨] ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾:

﴿يَعْبَادِ﴾: ينادي الله سبحانه عباده المتقين بيا النداء يوم القيامة، وفيها معنى الحنان والرّحمة. يا عباد: الكل يطلق عليه عباد في الآخرة بعد أن كانوا في



الدنيا يطلق عليهم عبيد، عبادي، عباد. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٨٦)، وسورة الزمر آية (١٧) للبيان.

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾: لا النافية، خوف: الخوف أن تتوقع شراً مقبلاً أو ضرراً مشكوك فيه، لا خوفٌ بالتثوين: أي: لا خوف واقع عليكم الآن ولا في المستقبل، لا خوف عليكم: أي: أثبت لهم عدم الخوف ولم ينفِ عن الآخرين عدم الخوف. ﴿الْيَوْمَ﴾: يوم القيامة.

﴿وَلَا أَنْتُمْ﴾: تكرار النفي يفيد التوكيد.

﴿تَحْزَنُونَ﴾: الحزن: هو أن يفوتك شيء تحبه وتتمناه، يكون لأمرٍ ماضٍ فهو قد نفى الخوف ونفى عنهم الحزن، ونفى عنهم كليهما معاً، ولا أنتم تحزنون: نفى عنهم الحزن ولم ينفِ عن غيرهم الحزن. [٦٩] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح.

﴿آمَنُوا بِآيَاتِنَا﴾: أي: صدقوا بآياتنا أي: بآيات القرآن، والآيات الكونية والأدلة والمعجزات على وحدانيته.

﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾: كانوا في الدنيا مخلصين موحددين.

[٧٠] ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾:

﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾: أنتم: للتوكيد، وأزواجكم: أي: نساءكم المؤمنات.

﴿تُحْبَرُونَ﴾: تنعمون في الجنة، ويسمى السرور حبوراً، وقيل: الحبور

الكرامة أو النعمة الحسنة، والحبور: قيل: هو السرور الذي يظهر أثره على الوجه فهو أشد السرور تحبسون تدل على التجدد والتكرار.

[٧١] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾: أي: تُقدَّم لهم الأطعمة في أوانٍ من ذهب. وإذا قارنا يطاف بكلمة يطوف نجد أن كلمة يطاف يقصد بها الآنية أو المشروب، وأما يطوف تأتي في سياق الغلمان أو الولدان المخلدون الذين يقدمون الشراب.

﴿بِصِحَافٍ﴾: الباء للإلصاق، صحاف: جمع صحفة كالقصة إناء يوضع فيه الأكل يكفي خمسة أشخاص.

﴿مِّنْ ذَهَبٍ﴾: من ابتدائية لبيان الجنس وهو الذهب.

﴿وَأَكْوَابٍ﴾: جمع كوب وهو إناء لا عروة له يشرب منه الشارب حيث يشاء، أما الكوز: فله عروة تحدّد جهة الشرب.

﴿وَفِيهَا﴾: أي: في الجنة.

﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ﴾: الشهوة تتعلق بما يلذ بالحواس والشهوة ميل النفس إلى ما يلذ ويسر.

﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾: برؤيته ومشاهدته واللذة تعريفها هي: توقّان النفس أي: ميلها إلى نيل ما تحب رؤياه ومشاهدته، الأعين جمع عين: أي: آلة البصر.

﴿وَأَنْتُمْ﴾: للتوكيد.

﴿فِيهَا﴾: ظرفية، أي: في الجنة.

﴿خَالِدُونَ﴾: البقاء والاستمرار إلى ما لا نهاية ويبدأ من وقت محدد هو

زمن دخولهم الجنة بعد الحساب والعرض، خالدون تدل على صفة الخلد الثابتة عندهم.

[٧٢] ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَتِلْكَ﴾: الواو عاطفة، تلك: اسم إشارة واللام للبعد وتحمل معنى المدح.

﴿الْجَنَّةُ﴾: معرفة بأل التعريف، أي: جنات عدن أو الفردوس أو النعيم أو المأوى ودار السلام.

﴿الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾: الميراث: لغة: هو البقاء: أي: بقية الشيء الذي يتركه المورث وراءه، هو ما يأخذه الفرد من دون عوض أو ما يستحقه الوارث من مورثه أو خلافة الحي للميت في ماله أو ما تركه من عقار أو متاع. فكيف نوفق بين قول رسول الله ﷺ: (لا يدخل أحدكم الجنة بعمله) وقوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

الأعمال الصالحة: هي سبب من أسباب دخول الجنة، والجنة لن تكون عوضاً عن أي عمل صالح أو أعمال صالحة مهما عظمت؛ لأن العوض لا بُدَّ أن يكون مساوياً للمعوض، فالأعمال الصالحة وحدها لا تكفي للدخول، ولكنها سبب من الأسباب.

أما الأسباب الحقيقية فهي رحمة الله تعالى. أو الأعمال الصالحة توصل إلى رحمة الله ورحمة الله توصل إلى الجنة، أما وراثة الجنة؛ فالمقصود بها كما قال ابن عباس: يرث المؤمن مقعد من أدخل النار ويرث الكافر مقعد من أدخل الجنة؛ لأن لكل منهما مقعداً في الجنة ومقعداً في النار، فالمؤمن تصبح له جنتان

والكافر يصبح له مقعدان في النار، الجنة الأولى أو المقعد الأول بسبب عمله، والثاني ما ورثه من غيره.

﴿بِمَا كُنْتُمْ﴾: الباء للإلصاق، باء السببية أو التعليل، ما: اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: كنتم في الحياة الدنيا، تعملون: العمل يضم الأقوال والأفعال.

[٧٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾:

﴿لَكُمْ فِيهَا﴾: اللام لام الاختصاص لكم خاصة، فيها: يعود إلى الجنة.

﴿فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾: فاكهة: اسم جنس اسم عام يشمل المفرد والمؤنث والجمع، بينما فواكه: تعني الجمع فقط، فاكهة أعم من فواكه، والفاكهة في الجنة فقط للأكل، وليس لصنع الأشياء الأخرى، فاكهة كثيرة: متعددة ومتنوعة.

﴿مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: ولم يقل: ومنها تأكلون، كما ورد في سورة المؤمنون آية (١٩)؛ أي: لا حاجة بها إلا إلى الأكل وليس لغرض آخر، ولذلك قال منها تأكلون؛ أما في سياق الدنيا قال تعالى: منها تأكلون؛ أي: تأكلون منها وتصنعون من الفاكهة مأكولات أخرى، وتأكلون تدل على التجدد والتكرار.



سورة النازعات

سورة النازعات ٤٣

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ
 فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾
 وَنَادَوْا أَيْمَنَكَ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ
 جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا
 فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى
 وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتَئِبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ
 الْعَبِيدِ ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ
 عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُونُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلْقُوا يَوْمَهُمُ
 الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ
 إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾
 وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ
 شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ
 لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ
 لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

سورة الزَّخْرَفِ [الآيات ٧٤ - ٨٩]

[٧٤] ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾:

المناسبة: بعد ذكر المتقين وما أعد الله لهم في جنات النعيم يذكر المجرمين وما أعد الله لهم في الجحيم.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾: إن للتوكيد، المجرمين: تشمل الكفرة والمشركين والعصاة، والجرم أصله القطع، ويعني: الذنب العظيم، والمجرم هو من قطع كل الصلات بالله تعالى. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، والجاثية آية (٣١) لبيان معنى المجرمين.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾: جهنم: ارجع إلى سورة الرعد الآية (١٨) لبيان معنى جهنم. خالدون: باقون باستمرار بلا انقطاع يبدأ من زمن دخولها.

[٧٥] ﴿لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾:

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يَفْتَرُ عَنْهُمْ﴾: من فتر يفتّر سكن بعد حدة وفتر الماء: سكن حره فهو فاتر، أي: لا يسكن عنهم العذاب ولا يخفف والضمير يعود إلى المجرمين.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿فِيهِ﴾: ظرفية.



﴿مُبْلِسُونَ﴾: جمع مبلس والإبلاس هو شدة اليأس المختلط بالحزن والسكوت، واليأس الناشئ من انقطاع رجائهم في النجاة، والإبلاس: أصبح صفة ثابتة عندهم، ارجع إلى الآية (٧٧) من سورة المؤمنون لمزيد من البيان.

[٧٦] ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما النافية لنفي الحال.

﴿ظَلَمْنَاهُمْ﴾: بإنقاص حسنة أو زيادة سيئة.

﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾: لأنفسهم بما ارتكبوا من الشرك والكفر والمعاصي، وخرجوا عن منهج الله. هم: ضمير فصل يفيد التوكيد.

[٧٧] ﴿وَنَادَوْا بِمَلَائِكَةٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْهِمُ النَّارُ بِمَا رَكَّبُوا﴾:

﴿وَنَادَوْا﴾: أي: نادى المجرمون.

﴿بِمَلَائِكَةٍ﴾: خازن النار، يا: النداء للبعد نداء استغاثة.

﴿لِّيَقْضِيَ عَلَيْهِمُ النَّارُ بِمَا رَكَّبُوا﴾: اللام للتوكيد، يقضي علينا ربك: قضى عليه: أي: أماته لكي يتخلصوا من العذاب المطبق عليهم الدائم الذي لا يفتر لعلهم يرتاحون، إذا أماتهم الله تعالى.

﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ﴾: قال مالك رداً على ندائهم إنكم: التوكيد، ماكثون: مقيمون منتظرون، المكث: يعني: الإقامة والانتظار غير المحدد بزمان أو أمد، ماكثون: تدل على الثبوت في العذاب.

[٧٨] ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَذِبُونَ﴾:

هذا من كلام الله تعالى:

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق، أي: تحقيق مجيئكم بالحق.

﴿جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ﴾: لقد أرسلنا إليكم رسولنا بالحق: بالدين الحق وبالقرآن والتوحيد وبما ينجيكم من عذاب الله تعالى، الباء للإلصاق والملازمة، والحق: هو الشيء الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل كالقرآن، وكما قال تعالى: ﴿لَا يَبْدِيلُ لَخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الزوم: ٣٠].

﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف الاستدراك وتوكيد، أي: علة إقامتكم في النار أنكم كرهتم دين الله وأعرضتم عنه.

﴿أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَذِبُونَ﴾: أكثركم لدين الله تعالى، أي: للإسلام وأحكامه وشرعه كارهون، تفيد الثبوت على الكراهية، للحق: لام الاختصاص، والكراهية ضد الإرادة وقد تستعمل في نفور الطبع، وأما الأقلية فيريدون الحق ويميلون إليه.

[٧٩] ﴿أَمْ أَتَرْمُونَ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾:

المناسبة: أي: هم لم يكتفوا بالإعراض عن دين الله وكراهيته، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فأبرموا أمراً في دار الندوة بمكة ليقتلوا رسول الله ﷺ أو يحبسوه أو ينفوه بعيداً في الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي والهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ.

﴿أَتَرْمُونَ أَمْرًا﴾: الإبرام: الإتيان والإحكام مشتق من القتل المحكم، يقال:

أبرم الحبل إذا أتقن قتله، أي: اتخذوا قرارهم وعقدوا العزم للتخلص من رسول الله، أمراً: مكرراً أو كيداً.

﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾: فإننا للتعظيم، أي: ونحن كذلك محكمون كيدنا ومكرنا بهم، وكان مثال ذلك يوم بدر باستئصال صناديد قريش.

[٨٠] ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي والهمزة للاستفهام الإنكاري.

﴿يَحْسَبُونَ﴾: من حسب: اعتقد وتعني: الظن الرجح أو الرأي الرجح وتشمل حساب حسي وحساب قلبي قائم على النظر والتجربة والحساب. ﴿أَنَّا﴾: للتعظيم.

﴿لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾: لا: نافية للجنس تنفي كل الأزمنة، نسمع سرهم: أي: ما يسرونه من قول أو شر أو كيد أو مكر أو نجوى للضرر بالرسول ﷺ، أو بالمؤمنين أو للصد عن دين الله تعالى.

سرهم: أي: ما حدثوا به أنفسهم وأخفوه حتى لا يطلع عليه أحد غيرهم. ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾: النجوى: لا تكون إلا كلاماً سرّاً بين اثنين أو أكثر بحيث لا يسمعه غيرهم.

﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب للاستفهام المنفي، أي: بلَى نحن نسمع ما يسرون وما يعلنون ونعلم سرهم ونجواهم، وليس فقط ذلك بلَى ورسلنا لديهم أيضاً يكتبون ويسمعون، أي: الملائكة الحفظة الكرام الكاتبين لكل ما يصدر منهم من قول أو فعل، كما قال تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿[ق: ١٧-١٨].



﴿لَدَيْهِمْ﴾: معهم.

﴿يَكْتُبُونَ﴾: أقوالهم وأفعالهم، يكتبون تدل على التجدد والتكرار والاستمرار.

[٨١] ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾:

المرجح هنا ﴿إِنْ﴾: ليست شرطية ولا تعني: الافتراض أو الاحتمال؛ لأن الافتراض والاحتمال لا يجوز بحق الله تعالى، وإنما تعني النفي، أي: قل ما كان للرحمن ولد؛ فأَنْ يكون للرحمن ولد هذا مستحيل وممتنع في حقه؛ لأن الولد فيه معنى العجز والحاجة لغيره، أو مهما كانت غايته، وإذا قلنا على سبيل الفرض أن له ولداً، فهذا فرض محال والمعلق على المحال محال.

﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾: الفاء للتوكيد أنا أول العابدين: أي: الموحدين، أي: ما كان للرحمن ولد، وأنا أول العابدين على يقين أنه ليس له ولد.

[٨٢] ﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾:

﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: أنزه الله تنزيهاً عن كونه له ولد أو نقص أو عيب في ذاته أو صفاته أو أفعاله، رب السموات والأرض: خالق ومالك السموات والأرض ومدبرهما.

﴿رَبِّ الْعَرْشِ﴾: الذي هو أعظم من خلق السموات والأرض.

﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: عما: عن + ما، عن: تفيد المجاوزة والبعد، ما: تشمل العاقل وغير العاقل وأوسع من الذي، يصفون: بأن له ولداً أو شريكاً أو نداً أو مثيلاً أو صاحبة أو ولياً.



[٨٣] ﴿فَذَرَّهُمْ يُخَوِّضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾:

﴿فَذَرَّهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، ذرهم: اتركهم دعهم.

﴿يُخَوِّضُوا وَيَلْعَبُوا﴾: الخوض في الباطل بأن يقولوا: اتخذ الله ولداً أو شريكاً أو نداءً أو ولياً ويخوضوا في ضلالاتهم وغيهم، والخوض: أصله هو الدّخول في الماء دون معرفة عمق الماء أو فيما ستزل قدمه أو لا، ويلعبوا: في دنياهم بإضاعة الزمن، وعدم امتثال أوامر الله، وتجنب نواهيه، واللعب هو شغل لا يلهي عن واجب ويتحول إلى لهو إذا أشغل الإنسان عن واجبه، أو ما هو مطلوب منه، فأئى أمر أو فعل يشغل الإنسان عن الصّلاة مثلاً فلا يؤديها يعتبر لعباً بحقه، والخوض واللعب في الدنيا من باب الغفلة والجهل.

﴿حَتَّى﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾: أي: يوم القيامة يوعدون فيه بالعذاب وفي الآية تهديد ووعد للخائضين في الباطل، وفي دين الله عبثاً.

[٨٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: الواو استئنافية، هو: ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾: أي: هو الإله المعبود الموحد بحق في السماء، وهو الله الإله المعبود الموحد بحق في الأرض، ولو قال: وهو في السماء والأرض إله لكان يعني: هو إله فقط في الأرض، ولو قال: وهو الذي في الأرض والسماء إله لكان يعني: هو إله فقط في السماء فلا بُدَّ من إعادة القول (إله)؛ أي: لا إله إلا هو في السماء، ولا إله إلا هو في الأرض.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير للتوكيد.

﴿الْحَكِيمُ﴾: في صنعه وتدبيره لخلقه وكونه، فهو أحكم الحاكمين وهو أحكم الحكماء. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

﴿الْعَلِيمُ﴾: بأحوال خلقه وكونه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.

وقدّم في هذه الآية الحكيم على العليم أي: قدّم الحكمة على العلم؛ لأن السياق في التشريع، والحكم؛ لأنه الإله في السماء والإله في الأرض، وفي آيات أخرى يقدّم العلم على الحكمة، فيقول: العليم الحكيم، والسياق هو الذي يحدد التقديم والتأخير، فإذا كان السياق في التشريع والجزاء يقدّم الحكمة، وإذا كان السياق في العلم يقدّم العلم على الحكمة، ولنعلم أن ليس كل عالم هو حكيماً، أو ليس كل حكيم هو عالماً (علماً).

[٨٥] ﴿وَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿وَبَارَكَ﴾: تعالى قدره وتعظيم وتنزّه وتقديس عن شبه ما سواه، ودام خيره وعمّ إحسانه لخلقه وثبت إنعامه. ارجع إلى سورة الملوك (تبارك) آية (١) لمزيد من البيان.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: الحكم فهو الحاكم حاكم السموات والأرض وما فيهنّ، وهو مالك من الملوك، أي: له ما في السموات والأرض.

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: من مخلوقات.



﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾: قَدَّمَ الظَّرْفَ (عنده) ليفيد الحصر، أي: يعلم أيان مرساها زمن حدوثها، ولا يعلم ذلك ملك ولا نبي ولا رسول ولا أحد من خلقه.
﴿وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: قَدَّمَ إِلَيْهِ لِلْحَصْرِ، أي: إليه وحده ترجعون، إليه تُرجعون بضم التاء، أي: قسراً وقهراً، ومن دون إرادة ترجعون يوم البعث للحساب والجزاء.

[٨٦] ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾:
﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ﴾: ولا: الواو استئنافية، لا: النافية لكل الأزمنة، يملك الذين يدعون: يعبدون، من دونه: من غير الله أمثال الأصنام والأولياء والطّاغوت وأمثال عيسى والعزیز والملائكة، لا يملكون الشفاعة: تعريف الشفاعة: هي التوسط بالقول أو الفعل للوصول إلى منفعة دنيوية أو أخروية أو الخلاص من مضرة، ومن دون أجر أو عوض. ارجع إلى الآية (٨٥) من سورة النساء لمزيد من البيان.

وللشفاعة شرطان: الأول: الإذن من الله، للشافع والمشفوع له، والثاني: أن يكون المشفوع له من أهل التوحيد يشهد لا إله إلا الله (يرضى له قولاً).

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر أو استثناء.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية.

﴿شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾: بأن الله واحد لا إله إلا هو، أي: شهد بوحداية الله ألوهيته وربوبيته وصفاته وأسمائه، وشهد لرسله بالنبوة، وشهد بأن القرآن حق والبعث والآخرة حق والجنة والنار.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: معنى الوجدانية، ولا إله إلا الله بقلوبهم وألسنتهم، ويعلمون أن الله هو الذي خلق عيسى ابن مريم والعزير والملائكة وما يعبدون. [٨٧] ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾:

﴿وَلَيْنَ﴾: الواو استئنافية، لئن: اللام للتوكيد، إن شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض.

﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ﴾: سألت المشركين من: ابتدائية، خلقهم: لأقروا أنه وحده الخالق.

﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾: اللام لام التوكيد والنون في يقولنَّ لزيادة التوكيد.

﴿فَأَنَّى﴾: الفاء جواب الشرط، أنى: تعني: كيف ومن أين، وللاستفهام الإنكاري والتعجب من شركهم.

﴿يُؤْفَكُونَ﴾: أي: كيف يصرفون عن عبادة الله إلى عبادة غيره، يصرفون عن توحيدهِ إلى الشرك به، يؤفكون مشتقة من إفكه عن الشيء، أي: صرفه وقلبه. والإفك هو الكذب المتعمد من دون دليل أو سلطان.

[٨٨] ﴿وَقِيلَهُ: يَرْبِّ إِنَّا هَنُؤَلَاءُ قَوْمٌ لَا يُمْنُونَ﴾:

وقيلهُ: بكسر القاف واللام والهاء، قيل: مصدر قال والضمير في قيلهُ يعود إلى النبي ﷺ لطول ما دعا النبي ﷺ قومه إلى الإيمان، وهم معرضون عن الحق، ومكذبون بالقرآن وبالرسول. فقال ابن عباس: شكَا النبي ﷺ قومه عن الإيمان إلى ربه بقوله: قيلهُ يا رب.

﴿إِنَّا هَنُؤَلَاءُ﴾: إن: للتوكيد، هؤلاء: الهاء للتنبيه، أولاء: اسم إشارة تشير إلى قومه وتفيد الذم.



﴿قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا: النافية لجميع الأزمنة، لا يؤمنون: بالله ورسوله وكتبه والبعث والآخره وقيله.

اختلف المفسرون في قيله: فمنهم من عطف (قيله) على الساعة: أي: عنده علم الساعة وعلم قيله، ومنهم من عطف (قيله) على سرهم ونجواهم: أي: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله.

ومنهم من اعتبر (قيله) مصدر قال: أي: وعنده علم الساعة وعلم قول الرسول ﷺ: يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون.

ومنهم من اعتبر (وقيله): الواو واو القسم وجواب القسم: إن هؤلاء قوم لا يؤمنون.

ويمكن قراءتها بالحركات الثلاث:

١ - نصب اللام وتكتب وقيله: فتصبح مرتبطة بالآيات السابقة، كما يلي:

- أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله.

- وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما، وعنده علم الساعة، ويعلم قيله.

٢ - بكسر اللام والهاء قيله فتصبح وعنده علم الساعة وعلم قيله.

٣ - برفع اللام قيله: أي: نداؤه: يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون.

فجاء الجواب من الحق سبحانه بقوله: فاصفح عنهم وقل: سلام.

[٨٩] ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَاصْفَحْ﴾: الفاء للتوكيد، اصفح: ترك اللوم ترك التثريب كقوله تعالى

على لسان يوسف: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢]، الصّفح هو أبلغ من العفو فالصّفح: العفو وترك اللوم، وأما العفو هو ترك العقوبة على الذّنّب.
﴿عَنَّهُمْ﴾: عن هؤلاء الذين لا يؤمنون عن أقوالهم وأفعالهم التي يؤذونك بها.

﴿وَقُلْ سَلَمٌ﴾: سلام مفارقة، أي: ترك (لا سلام تحية)، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].
﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء للتوكيد، سوف: للاستقبال البعيد (للتراخي والترتيب).
﴿يَعْلَمُونَ﴾: عاقبة كفرهم وعدم إيمانهم ووبال إعراضهم وجرمهم.





سُورَةُ الدُّجَانِ ٤٤

سُورَةُ الدُّجَانِ ٤٤

سُورَةُ الدُّجَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ① وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ② إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ③ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ④ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ⑤ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ⑥ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ⑦ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ⑧ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ⑨ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ⑩ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ⑪ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ⑫ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ⑬ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ⑭ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا ⑮ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ⑯ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ⑰ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ⑱ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ⑲

تفسير
العزب
٥٠



سورة الدخان [الآيات ١ - ١٨]

ترتيبها في القرآن (٤٤)، وترتيبها في النزول (٦٤). نزلت بعد سورة الزخرف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمَّ﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

[٢] ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾:

﴿وَالْكِتَابِ﴾: الواو: واو القسم، يقسم الله سبحانه بالكتاب، والله غني عن القسم، ولا يقسم إلا بالأمر العظيم؛ أي: بالقرآن لعظمته ورفعته، وسمي كتاباً؛ لأنه مكتوب في الأسطر وفي اللوح المحفوظ. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢) لمزيد من البيان.

﴿الْمُبِينِ﴾: الواضح لكل من يقرأه، المبين للأحكام ولكل ما يحتاجه الإنسان من أمور الدنيا والدين، والمظهر للحق والباطل والحلال والحرام، وافعل ولا تفعل، ارجع إلى سورة النمل الآية (١) لمزيد من البيان.

[٣] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: جمع التعظيم.

﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: دفعة واحدة؛ أي: كاملاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى



السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ولو قال نزلناه، لكان يعني: نزلناه منجماً؛ أي: مفرقاً على دفعات وخلال (٢٣) سنة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لمزيد من البيان.

﴿فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾: ليلة: مفرد جمعها ليالي، وفي اللغة: من غروب الشمس إلى طلوع الفجر التالي. في: ظرفية، ليلة مباركة: هي ليلة القدر؛ أي: التي ابتدأ فيها إنزال القرآن، مباركة؛ لأن القيام فيها لرب العالمين بالعبادة الذكر والدعاء خير من عبادة ألف شهر، وتنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر، تنزل بالرحمة والبركات، ولأن الله سبحانه اختارها من بين الليالي، ومن قامها إيماناً واحتساباً غفر الله ما تقدم من ذنبه (رواه البخاري ومسلم).

﴿إِنَّا﴾: تكرار إننا للتوكيد.

﴿كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾: من الإنذار وهو الإعلام مع التحذير والترهيب، منذرين من عدم طاعة الله سبحانه واتباع أوامره ومخالفة آياته، منذرين الناس من الشرك والكفر والمعاصي.

[٤] ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾:

﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾: فيها: تعود على ليلة القدر المباركة، يفرق: يفصل أو يقدر فيها الأرزاق والآجال والمقادير والأحداث في الكون من زلازل وخسوف وفيضانات وصواعق، وغيرها من الأمور، فهي ليلة القضاء والحكم يوزع على الملائكة تدبير العام القادم من موت ورزق وإحياء وخير وشر.

﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾: كل أمر صادر عن الله سبحانه هو أمر حكيم، مبني على الحكمة، هناك أمور محكمة لا تبدل فيها ولا تغيّر، وهناك أمور يمكن أن تتغير وتبدل.



[٥] ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾:

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾: بما يجب أن يفعل؛ أي: كما اقتضاه علمنا وحكمتنا.

﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾: أي محمد ﷺ ومن جاء قبله من الرسل بالكتب والرسالات إلى عبادنا؛ لأجل أن ندلّهم ونهديهم إلى ما يصلح شؤون حياتهم الدنيوية والأخروية، مرسلين: تدل على الثبوت والاستمرار، مرسلين بالرسل وبالكتب وبالوحي.

فكل أمر صادر عن السميع العليم هو أمر حكيم، ولا بد أن يتم ويطبّق، وهو نوع من رحمة الله بعباده ولتستقيم الخلافة في الأرض.

[٦] ﴿رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾:

﴿رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ﴾: هذا الإرسال بالرسل والوحي والقرآن والكتب السماوية هو نوع من رحمة ربك بعباده، والرحمة تعريفها: هي كل ما يجلب ما يسر ويدفع ما يضر بالوقاية.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿السَّمِيعُ﴾: لأقوال عباده، وسميع لدعواهم ونجواهم وسرهم وعلنهم.

﴿الْعَلِيمُ﴾: بحال عباده وكونه وما يجري فيه، فلا تغيب عليه غائبة، والعليم بأعمال عباده وخفايا صدورهم وحاجاتهم ونواياهم، والعليم: صفة مبالغة مشتقة من علم؛ أي: كثير العلم.



[٧] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾:

رحمة من ربك ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: أي خالقهما ومبدعهما ومالكهما وحاكمهما.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال والافتراض، وجواب الشرط محذوف؛ ليتضمن كل ما يخطر على الفكر.

﴿كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾: جمع موقن، موقنين: من اليقين، واليقين هو: العلم بالحق الذي لا يتغير ولا يتبدل، ومصدق في عالم الواقع وبالقلب، ولا يحتاج إلى تفكير من جديد أو لينظر فيه مرة أخرى.

إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ: بأنه رب السموات والأرض وما بينهما؛ أي: خالق ومدبر السموات والأرض، إذن فآمنوا به وحده واعبدوه وأطيعوه واشكروه، وكونوا موقنين بالبعث والحساب.

[٨] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا: النافية للجنس، إله: لا معبود بحق في الوجود إلا هو.

إلا: أداة حصر وقصر، هو: ضمير فصل يفيد التوكيد، لا إله إلا هو تفيد النفي وتفيد الإثبات، فقلوه: (لا إله) تفيد النفي، (إلا هو): تفيد الإثبات أو تؤكد النفي. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥٥) لمزيد من البيان.

﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: هو وحده الذي يحيي ويميت لا يشاركه أحد في الإحياء والإماتة.

﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾: فهو رب السموات والأرض وما بينهما،



وهو ربكم ورب آبائكم الأولين؛ أي: هو خالق السموات والأرض وخالقكم وخالق آبائكم الأولين ورازقكم ومدبر أموركم والمنعم عليكم، فهو المستحق للعبادة لا غيره.

[٩] ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾:

هذا جواب سؤاله: إن كنتم موقنين؛ أي: هم غير موقنين بل هم في شكٍّ يلعبون.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد، والضمير يعود على الغير موقنين بالبعث والحساب.

﴿فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾: فبدلاً من الإيمان به وتوحيده وطاعته والإيمان بالبعث والحساب، هم في شكٍّ: الشك هو تساوي طرفي الإثبات والنفي، فهم لا زالوا في تردد وحيرة بين التصديق والتكذيب في ربوبية الله تعالى وألوهيته وتوحيده، يلعبون: اللعب هو اللهو الذي يصرف العبد عن واجباته؛ أي: يلعبون بدنياهم ويلعبون بدينهم وعقيدتهم ويقلدون آباءهم، أو حسب ما تقتضيه شهواتهم وأهواءهم.

[١٠] ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿فَارْتَقِبْ﴾: الرقيب هو الذي ينتظر ويراقب بكل الوسائل؛ لكي لا يخفى عليه أي عمل من أعمال المراقب أو المراقبة، والخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ.

ارتقب السماء ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾: اختلف في هذا الدخان فقد قيل: إنه لم يحدث بعد وأنه من أشراط الساعة كما بينت الأحاديث الصحيحة والحسنة، ويمكث في الأرض (٤٠) يوماً فيصاب المؤمنون منه كهية الزكام



ويصاب الكافرون منه بعذاب أليم، كما ورد في الآية التالية رقم (١١)، وقيل: إنَّ الدّخان قد حدث حين دعا النبي على كفار ومشركي مكة بعد أن رأى منهم إدباراً عن دين الله تعالى فقال: اللهم اعني عليهم بسنين كسني يوسف، فأصيبوا بالجوع حتّى أكلوا الجلود والميتة، وصاروا يرون بين السّماء والأرض كهية الدّخان وليس بدخان، ولكنه من شدة نقص التغذية والفيتامينات.

إذن هو ليس بدخان حقيقةً، ويحتمل أن يكون قد وقع أو لم يقع بعد ويمكن الجمع بين الحديثين والقول: إنَّ كلاهما صحيح دخان قد حدث زمن الرّسول ﷺ وكان يشبه الدّخان من شدة الفقر والمجاعة، ودخان آخر قادم من أشرط السّاعة.

﴿بَدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾: دخان ظاهر وبين لكل فرد، وإنّه لا يخفى على كلّ أحد يصاب به، ظاهر بنفسه لا يحتاج إلى دليل.

[١١] ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾: أي الدّخان يحيط بهم ويغطي النّاس.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة يشير إلى الدّخان.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: لكونه يسبّب لهم ضيقاً في التّنفس كالذي يتنفس غاز أول أكسيد الكربون فيشعر بالألم شديد.

[١٢] ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾:

يقول النّاس عندما يتنفسون الدّخان ويشعرون بالألم الشديد:

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ﴾: أي ارفع عنا العذاب أو أزلّه عنا.



﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾: إِنَّا مُصَدِّقُونَ بِكَ وَبِرَسُولِكَ، وَمُؤْمِنُونَ بِمَا أُرْسِلْتَ إِلَيْنَا؛ أَي: نَعِدُكَ بِالْإِيمَانِ إِذَا رَفَعْتَ عَنَّا الدَّخَانَ.

[١٣] ﴿أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾:

﴿أَنِّي﴾: كَيْفَ لَهُمُ الذِّكْرَى؛ أَي: أَنْ يَتَذَكَّرُوا وَيَتَعَذَّبُوا وَلَا يَنْسُوا مَا حَلَّ بِهِمْ، وَكَيْفَ يَكْشِفُ اللَّهُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، وَمَنْ أَيْنَ لَهُمُ الذِّكْرَى، يَرَادُ بِهِ الْمَوْضِعُ؛ أَي: مَنْ الَّذِي سَيَذَكِّرُهُمْ، أَوْ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي لَهُمُ الذِّكْرَى؟ وَكِلَاهُمَا اسْتَفْهَامٌ وَتَعْجَبٌ.

﴿وَقَدْ﴾: لِلتَّحْقِيقِ وَالتَّوَكِيدِ.

﴿جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾: جَاءَهُمْ: جَاءَ أَهْلَ مَكَّةَ، رَسُولٌ مُبِينٌ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ظَاهِرُ الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ لِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ، وَمُبِينٌ: فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ اسْمُهُ وَصِفَاتُهُ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وَرَسُولٌ مُبِينٌ: كَامِلُ الرِّسَالَةِ وَرِسَالَتُهُ بَيِّنَةٌ وَاضِحَةٌ لِكُلِّ فَرْدٍ.

[١٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لِلتَّرْتِيبِ الذِّكْرِيِّ أَوْ الْعَدَدِيِّ.

﴿تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾: ابْتَعَدُوا عَنْهُ وَأَعْرَضُوا عَنْهُ.

﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾: أَيَّ يَعْلِّمُهُ بَشَرٌ.

﴿مَجْنُونٌ﴾: لَا عَقْلَ لَهُ فِيمَا يَدَّعِي مِنَ النَّبُوَّةِ، وَأَنْ الْإِلَهَ وَاحِدًا وَابْعَثِ وَالْحِسَابَ.

[١٥] ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: بِصِغَةِ الْجَمْعِ لِلتَّعْظِيمِ.



﴿كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا﴾: أي رافعو العذاب عنهم زمنًا قليلًا لعلهم يتوبوا ويرجعوا إلى صوابهم.

﴿إِنَّا نَكُفِّرُ﴾: للتوكيد.

﴿عَائِدُونَ﴾: إلى الشرك والكفر، عائدون إليه كالسابق، عائدون: تدل على الثبوت والاستمرار، وما كشف العذاب إلا لإقامة الحجة عليهم فهو سبحانه يعلم سابقاً أنهم عائدون.

[١٦] ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: نكرة؛ للتحويل والتعظيم، قيل: يوم القيامة، وهناك من قال: إنه يوم بدر.

﴿نَبْطِشُ﴾: من بطش يبطش؛ أي: نعاقبهم ونتقم منهم؛ أي: نأخذهم بشدة وقوة.

﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ﴾: يوم القيامة أو يوم بدر.

﴿إِنَّا﴾: للجمع والتعظيم.

﴿مُنْقِمُونَ﴾: إنا معاقبوهم أشد العقاب بسلب النعمة منهم، أو الهلاك أو القتل. منتقمون: تدل على الثبوت.

[١٧] ﴿وَلَقَدْ قَتَلْنَا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾:

بعد أن بين الله سبحانه حالة المشركين في مكة وإصرارهم على الكفر والشرك والتكذيب، يخبر الله تعالى رسوله ﷺ ويذكره بحالة موسى عليه السلام وما فعل به قوم فرعون، فنصره الله عليهم وأغرقهم باليمّ وجعلهم عبرة لغيرهم.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أي: حدث ذلك وتحقق.

﴿فَنَّا﴾: من الفتنة، ارجع إلى سورة العنكبوت الآية (٢) للبيان.

﴿قَبْلَهُمْ﴾: الضمير على كفار ومشركي قريش.

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾: الأقباط.

﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾: هو موسى ﷺ ووصفه بالرسول الكريم: كريم حسن الخلق، أو كريم على ربه أو كلاهما.

[١٨] ﴿أَنْ أَدْعُوا إِلَىٰ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾:

﴿أَنْ﴾: مصدرية تفيد التعليل.

﴿أَدْعُوا إِلَىٰ عِبَادَ اللَّهِ﴾: أي أرسلوا معي بني إسرائيل، وصفهم بعباد الله، أو ادفعوا إلي بني إسرائيل وأطلقوا سراحهم، أو أدّوا: ارجعوا إليّ وآمنوا بي واتّبعوا سبيلي.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾: على الرسالة والآيات والتّوراة أو على الوحي.



الجزء الثاني من القرآن

سورة البقرة

وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُدْتُ
بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا إِلَيَّ فَأَعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا
رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَاسْرِ عِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ
مُتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ
تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً
كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأُورَثْنَاهَا قَوْمَاءَ آخَرِينَ ﴿٢٨﴾
فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ
نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾
إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِن هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا
نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَتَوْا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهْمُ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْتَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْنِ ﴿٣٨﴾
مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

سورة الدخان [الآيات ١٩ - ٣٩]

[١٩] ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿وَأَن﴾: الواو عاطفة، أن: مصدرية تفيد التعليل.

﴿لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾: أي: لا تستكبروا عن عبادته أو ألا تقبلوا الحق، وما أنزل إليكم وتؤمنوا به، والعلو: هو الغرور بالقوة أو القدرة.
﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: السلطان: هو البرهان ويمثل أعلى درجات الإثبات: إما أن يكون سلطان قوة وقهر، أو سلطان حجة ودليل، والسلطان هنا سلطان حجة وبيان، ويعني: آية العصا واليد وغيرهما، سلطان مبين: سلطان ظاهر لكل فرد، ومبين لا يخفي نفسه، وعندما قال ذلك توعدوه بالقتل ولذلك قال: وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون.

[٢٠] ﴿وَإِنِّي عَذْتُ رَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾:

﴿وَإِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿عَذْتُ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾: اعتصمت بربي وربكم (خالقي وخالقكم) والتجأت إليه من كيدكم، وعياذ موسى بالله: إنما هو عياذ في الحقيقة من أذى فرعون وملئه.

﴿أَن﴾: حرف مصدرية يفيد التعليل.

﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾: أن تقتلونني بالرجم أو القتل والرجم بالحجارة كان نوعاً



سائداً من أنواع القتل، والرّجم قد يكون بالقول أو يكون بالقتل أن ترجمون ولم يقل ترجموني؛ لأن الرجم إذا حديث سيحدث من قلة من الأفراد وليس من الكل والتعود مؤقت من فرعون وقومه حتى يهلك فرعون وقومه بالفرق وليس دائم.

[٢١] ﴿وَإِنْ لَّمْ تُوْمِنُوا لِي فَأَعْرِضُوا﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو عاطفة، إن: شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض أو الشك.

﴿لَّمْ تُوْمِنُوا لِي﴾: لم: للنفي، تؤمنوا لي: تصدّقوا أنّي رسول الله إليكم.

﴿فَأَعْرِضُوا﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، اعزلون: خلّوا سبيلي واتركوني: اتركوا أذاي أو الوقوف في طريقي، أو لا تتعرّضوا لي بسوء، أو لا تقربوا مني ولا أقرب منكم، واقطعوا أسباب الصّلة معي.

[٢٢] ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾:

﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾: الفاء عاطفة، دعا موسى ربه:

﴿أَنَّ﴾: للتعليل، والتوكيد، هؤلاء: الهاء للتنبيه والقرب، أولاء: اسم إشارة للجمع.

﴿قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾: مشركون كافرون ظالمون يستحقون الهلاك، دعا موسى ربه حين كذبوه وهمّوا بقتله، دعا ربه: ربّنا اطّمس على أموالهم، واشدّد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتّى يروا العذاب الأليم، فردّ الله تعالى عليه: قد أُجيبَت دعوتكما [يونس: ٨٨-٨٩]، وارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، والجاثية آية (٣١) لبيان معنى المجرمون.

[٢٣] ﴿فَأَسْرِ بِعَبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾:

أي: أجاب الله سبحانه دعاءه وأمره أن يسري بقومه ليلاً، وفي الآيات

الأخرى قال تعالى: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ [طه: ٧٧]، وفي الشعراء آية (٥٢) قال تعالى: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ ولم يقل ليلاً.

﴿فَأَسْرِ﴾: من السرى؛ وهو السير ليلاً، مبني على السّر والخفاء؛ فلماذا أضاف ليلاً في هذه الآية؟ لأن في آية طه والشعراء لم يحدد أي ليلة، أو تلك الليلة، وفي آية الدخان حدد تلك الليلة بعينها.

﴿لَيْلاً﴾: تعني في تلك الليلة المحددة المعينة، وثانياً: في جزء من الليل ولا تعني كل الليل، ولو قال فأسر بعبادي الليل؛ يعني: كل الليل، ولو قال فأسر بعبادي فقط فهو لم يحدد ليلة معينة؛ أي: أسر بعبادي في المستقبل، كما في قوله تعالى في سورة طه آية (٧٧) وسورة الشعراء آية (٥٢) حين خاطب الله سبحانه موسى ﷺ فقال: أن أسر بعبادي، فقط ولم يقل ليلاً إلا في سورة الدخان آية (٢٣).

﴿إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾: ولم يُبين في هذه الآية بمن يتبعهم، ولكنه بينه في آية أخرى في سورة طه الآية (٧٨): ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾، وفي آية أخرى سورة يونس الآية (٩٠): ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾.

إذن: أسر بعبادي ليلاً: أي أسر ليلاً في هذه الليلة المحددة، بينما أسر بعبادي تعني: في المستقبل، وفيها متسع من الوقت حتى يجهز نفسه وقومه للخروج.

[٢٤] ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوًّا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾:

﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوًّا﴾: ساكناً على هيئته التي هو عليها بعد أن ضربته بعصاك فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم:

١ - اتركه رهوّاً ساكناً حتى يدخله فرعون وجنوده، فقد أراد موسى ﷺ لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه حتى يرجع البحر كما كان قبل أن ينفلق، فلا يستطيع



فرعون وجنوده أن يلحق بهم، ولكن الله سبحانه طلب من موسى أن يتركه قاراً على حاله؛ حتى يدخله فرعون وجنوده، فإذا دخلوا فيه أطبقه الله عليهم حتى يهلكهم بالغرق.

٢ - وقيل الرَّهْو: هو الفجوة الواسعة أو الفرجة بين القدمين، أو الرَّهْو: الفجوة بين سنامين، من رها: إذا فتح، (فرج بين رجله).

﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ﴾: للتوكيد، جند: اسم جنس تشمل المفرد والمثنى والجمع. ارجع إلى سورة يس آية (٢٨) لمعرفة الفرق بين جند وجنود.

﴿مُغْرَقُونَ﴾: محكوم عليهم بإغراقهم، جملة اسمية تعليلية، أخبر الله سبحانه موسى بهذا الخبر ليطمئن قلبه في ترك البحر على حاله؛ لأنه كان خائفاً أن يُدْرَك.

[٢٥] ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾:

﴿كَمْ﴾: الخبرية تفيد التأكيد؛ أي: كم تركوا الكثير من الجنات والعيون.

﴿تَرَكُوا﴾: أي فرعون وجنوده تركوا بعد أن أهلكوا بالغرق.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية.

﴿جَنَّاتٍ﴾: بساتين وحدائق غناء.

﴿وَعُيُونٍ﴾: ينابيع جارية، عين جمعها: أعين وعيون، أعين: جمع عين؛ أي: آلة البصر، أما عيون جمع عين: عين الماء.

[٢٦] ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾:

﴿وَزُرُوعٍ﴾: جمع زرع: وهو ما ينبت على غير ساق والشجر ما له ساق، والنبات يطلق على الجميع.



﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: مجالس ومنازل مريحة فاخرة، وفي سورة الشعراء آية (٥٧-٥٨) قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّن جَنَّتٍ وَعَيْنٍ ۖ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ بدل الزروع بكلمة الكنوز؛ قيل: الكنوز ما كانوا يدخرونه من الأموال والذهب والفضة، ولأن ما تركوه كلا الأمرين الزروع والكنوز؛ لذلك أخبر في الآيتين ما تركوه، وليس هناك تعارض فضلاً عن الجنات والعيون والمقام الكريم في كلا الآيتين.

[٢٧] ﴿وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ﴾:

﴿وَنِعْمَةً﴾: انتبه إلى لفظ النِّعْمَة ولم يقل نعمة، نعمة بفتح النون في هذه الآية، وكما جاء في سورة المزمّل آية (١١) وهي قوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا﴾ هذه النعمة تعني: نعمة لا تحمل معنى الخير، بل هي نعمة مذمومة فيها شر لهم، وتشمل: سعة العيش والرّخاء والبطر والتّرف، وتحمل معنى الذّم أو: بئس النِّعْمَة.

نعمة بكسر النون: كما في قوله تعالى: ﴿وَأَن نَّعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ تعني: سعة العيش والشكر وعدم الإسراف والبطر، تحمل معنى المدح؛ أي: نِعَم النِّعْمَة نعمة تحمل معنى الخير والبركة.

﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدّنيا.

﴿فَكَاهِينَ﴾: مترفين متنعمين مستلذين بأكل الفاكهة. ارجع إلى سورة الطّور آية (١٨) وسورة يس لمعرفة الفرق بين فاكهين وفاكهون.

[٢٨] ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾:

أي: كما تركوا الجنات والعيون والزّروع والمقام الكريم؛ أي: كذلك وأورثناها قوماً آخرين.



اختلف في هؤلاء: القوم الآخرين (بعد هلاك فرعون وجنوده)، قيل: هم بني إسرائيل الذين لم يخرجوا مع موسى، وقيل: هم من الأقباط من أهل مصر.

وقيل: القوم الآخرين هم بنو إسرائيل من بعد موسى بعد انتصارهم على العمالقة دخلوا مصر مرة ثانية وحكموها، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩]. ارجع إلى سورة الشعراء آية (٥٩) للبيان المفصل.

[٢٩] ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء للتوكيد، ما: النافية.

﴿بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾: استعارة؛ أي: لم تحزن أو تبك السماء والأرض على هلاكهم وموتهم.

أي: لم تكثرث السماء والأرض لموتهم، ولم نقم لهم وزناً؛ لهوانهم على الله بسبب كفرهم وظلمهم.

شبه السماء والأرض بالإنسان وأسند إليهما البكاء، وقال علي وابن عباس رضي الله عنهما بما معناه: إن مصلى العبد ومصعد عمله يبكي عليه بعد موته.

﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾: ممهلين أو مؤخرين إلى أن يتوبوا أو إلى يوم القيامة، بل عجل لهم العذاب في الدنيا بإغراقهم.

[٣٠] ﴿وَلَقَدْ جِئْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق، وقد حصل ذلك.

﴿جِئْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: ولم يقل أنجينا، نجينا؛ أي: زمن نجاتهم استغرق زمناً طويلاً من فرعون وقومه نجيناهم.



﴿مِنَ الْعَذَابِ أَلْمِهينَ﴾: أي العذاب الأليم الذي قام به فرعون وجنوده المختلط بالإهانة؛ لأنه كان يخالطه المذلة، وكان يتم أمام أعين الناس أو على مرأى منهم حيث كان يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم ويسومهم سوء العذاب.

[٣١] ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾:

﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾: نجينا بني إسرائيل من فرعون الطاغية الذي يأمر جنوده بالقيام بعذاب بني إسرائيل.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾: من المستكبرين ومن المسرفين في العذاب؛ لإفراطه في تعذيبهم وإهانتهم.

[٣٢] ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: ارجع إلى الآية (٣٠) للبيان.

﴿اخْتَرْنَهُمْ﴾: الاختيار: من بين الأمم التي كانت في ذلك الزمن فقد كانوا أفضل أمم زمانهم، ولم يستمر ذلك طويلاً فقد انقلب أكثرهم إلى فاسقين، وضربت عليه الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله.

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: أي لم يكن اختيارهم منا أمراً سرّياً أو مخفياً الكل يعلم به من عالمي زمانهم، أو اخترناهم على علم؛ لأنهم كانوا أفضل من غيرهم في ذلك الزمان.

﴿عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾: عالمي زمانهم؛ أي: على الناس جميعاً وهم الإنس والجن في ذلك الزمن وليس كل الأزمنة، وقيل: اختيارهم على الناس؛ لكثرة الأنبياء منهم.



[٣٣] ﴿وَأَيِّنَّاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَتْوَأُْمِيَتْ﴾:

﴿وَأَيِّنَّاهُمْ﴾: أرسلنا الآيات إليهم؛ أي: المعجزات الخارقة مثل فلق البحر والغمام والمنّ والسلوى وانفجار الحجر.

﴿مِّنَ الْآيَاتِ﴾: من المعجزات، ومن التكاليف الشرعية القاسية، والسيئات والحسنات.

﴿مَا فِيهِ بَلَتْوَأُْمِيَتْ﴾: أي بلوناهم ما فيه الكفاية بالخير والشر والابتلاءات المبينة؛ أي: الظاهرة الجلية مثل: رفع الجبل فوقهم كأنه ظلّة، والقرية التي كانت حاضرة البحر، واتخاذ العجل، والمنّ والسلوى، ودخول القرية وغيرها، وتشريدهم في الأرض، وجعل قلوبهم قاسية كالحجارة أو أشد.

[٣٤] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ﴾:

المناسبة: بعد ذكر قصة فرعون وقومه مع موسى؛ ليتعظ بها كفار قريش، يعود الآن ليتّم الحديث عن كفار قريش وأنّهم في شك من البعث والقيامة، وهم في إصرارهم على الكفر مثل قوم فرعون الذين أهلكهم الله وأنجى بني إسرائيل، فيذكر الله سبحانه أنّه قادر على بعثهم، ثمّ توّعدهم بالهلاك كما أهلك قوم تُبّع وفرعون وقومه.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿هَؤُلَاءِ﴾: الهاء للتنبيه، أولاء: اسم إشارة للقرب؛ تعني: كفار قريش.

﴿لَيَقُولُونَ﴾: اللام للتوكيد.

[٣٥] ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾: إن: نافية بمعنى ما؛ أي: ما هي إلا موتتنا



الأولى، إلا: أداة حصر؛ أي: نهاية الأمر بعد الحياة الدنيا الموت، وليس هناك بعد الموت حياة أو نشور مرة أخرى. وإذا قارنا هذه الآية بقوله تعالى في الآية (٥٨) - (٥٩) من سورة الصافات: ﴿أَفَمَنْ حُنِئَ بِمِيتَتِهِ﴾ (٥٨) ﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى﴾ جاءت (موتنا) في آية الدخان مرفوعة، وفي آية الصافات منصوبة؛ لأن (موتنا) في آية الصافات استثناء، و(موتنا) في آية الدخان خبر، وإذا نظرنا إلى السياق نجد (موتنا) في آية الدخان جاءت في سياق الدنيا؛ أي: الذين قالوها وهم لا زالوا أحياء، و(موتنا) في آية الصافات كانت في سياق الآخرة من قالها كان من أهل الجنة.

﴿مُنْشَرِينَ﴾: بمبعوثين أحياء بعد الموتة الأولى، أنشر الله الميت؛ أي: أحياه أو بعثه حياً، وما نحن بمنشّرين: بمبعوثين أحياء، كقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عبس: ٢٢]، أنشره: أي أحياه.

[٣٦] ﴿فَأَنؤُا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

سؤال من المكذّبين بالبعث والحساب إلى رسلهم وأنبيائهم.

﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أحيوا لنا من مات من آبائنا وأجدادنا.

إن: شرطية تفيد الاحتمال والافتراض، إن كنتم صادقين في وعدكم بالبعث والحساب، وحذف جواب الشرط؛ أي: نشك أنكم صادقون، أو أنتم لستم صادقين.

[٣٧] ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾:

﴿أَهُمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ.

﴿خَيْرٌ﴾: أي أفضل. أم: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ.

﴿أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ﴾: يعني في القوة والمنعة، وليس في العمل الصالح وعمل



الخير والطاعة؛ لأن الكل كان كافراً، قوم تبع وكفار قريش. انتبه الذم يخص قوم تبع.

أهم: كفار قريش أقوى وأشد من قوم تبع الحميري: أحد ملوك التبابعة كانوا في بلاد اليمن، يطلق عليهم قوم تبع، وتبع لقب لملوك اليمن. أقوام تبع، سموا التبابعة؛ أي: الأقيال، ينمون يتقيلون في الظل الذي هو تبعاً يتبع الشمس.

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم الكافرة مثل عاد وثمود.

﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾: قضينا عليهم بكفرهم ودمرناهم. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٤) لمزيد من البيان.

﴿وَأَنَّهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾: بالكفر والشرك والمعاصي والابتعاد عن الله. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، والجاثية آية (٣١) لبيان معنى مجرمين.

[٣٨] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما النافية.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾: لا عين: أي عبثاً أو باطلاً؛ أي: لا فائدة منهما ولا نفع لمجرد اللعب.

[٣٩] ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: ما: النافية، خلقناهما إلا بالحق: إلا تفيد الحصر، والحق هو الأمر الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل؛ أي: خلقهما دليل وبرهان لإظهار عظمة الله وقدرته، وأنه الإله الحق الذي يجب أن يُعبد وحده



بلا شريك أو ندًّا أو مثيل، وخلقهما بالحق: أي دورانهما وجريهما وعدم تغييرهما
 دليل على الحق وعلى قدرته على البعث والتَّشْور، والباء (بالحق) تدل على
 الإلصاق؛ أي: الحق لا ينفصل عنهما أبداً.
 ﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف استدراك.

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ما يجري في السَّمَوَاتِ والأَرْضِ من حقائق
 علمية خارقة لعقل البشر، وإنَّ هذا يدل على قدرة الله تعالى وعظمته، ويدل على
 حكمته وعلمه، أو: لا يعلمون عاقبة أمرهم وكفرهم وشركهم.



سُورَةُ الْجَانَّةِ ٤٤

الجزء الثاني من السورة

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى
 عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ
 إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾
 طَعَامٌ لِالْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي
 الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
 صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
 أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ
 ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
 ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾
 كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ
 فَكْهَةٍ أَمِينٍ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ
 إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابِ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا
 مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ
 لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سُورَةُ الْجَانَّةِ

آياتها ٥٩

رقبها ٤٥



سورة الدخان [الآيات ٤٠ - ٥٩]

[٤٠] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾: إنَّ للتوكيد، يوم الفصل: أي يوم القيامة، وسمي يوم الفصل؛ لأنَّ الله سبحانه يفصل فيه بين العباد، بين المؤمن والكافر، يفصل بينهم فيما كانوا فيه يختلفون من التوحيد والشرك والحق والباطل، ويوم القيامة له أسماء كثيرة نذكر منها: يوم الفصل يوم الدين اليوم الآخر يوم البعث يوم الحشر يوم الجمع يوم التغابن يوم الآزفة وغيرها من الأسماء.

﴿مِيقَتُهُمْ﴾: ميقاتهم الزماني والمكاني، والميقات: ظرف، ظرف زمان أو ظرف مكان. معادهم للحشر والحساب والجزاء (زمن حسابهم وزمن عرضهم على ربهم).

﴿أَجْمَعِينَ﴾: للتوكيد؛ أي: الكل حاضر في أرض المحشر وزمن واحد، أجمعين: الجميع الكل حاضرون ومجتمعون.

[٤١] ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: نكرة؛ للتهويل والتعظيم؛ أي: يوم الفصل يوم الحساب.

﴿لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا﴾: لا النافية، يغني: ينفع، مولى: يطلق على القريب كابن العم وغيره: لا ينفع القريب قريبه، شيئاً: نكرة؛ أي: شيئاً قليلاً أو كثيراً من شفاعاة أو مساعدة، تفيد المجاوزة والمباعدة، والشيء: هو أقل القليل، وسواء أكان حسياً أم معنوياً.

﴿وَلَا﴾: تكرار لا يفيد توكيد النفي.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.



﴿يُنْصَرُونَ﴾: لا القريب ينصر قريبه أو يساعده ولا البعيد، ولو بزيادة حسنة أو دفع سيئة أو ينصره من العذاب بأي شيء مهما كان.

[٤٢] ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء أو حصر.

﴿مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾: من ابتدائية استغرافية، وتشمل المفرد والمثنى والجمع، رحم الله: بالإذن له بالشفاعة، وأن يكون كفؤاً لذلك، ويشفع بعضهم في بعض؛ لأن رحمة الله واسعة، أو من رحم الله فلا يحتاج إلى مولى ولا إلى نصير؛ لأنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير، فهو غني عن شفاعة الآخرين، وتكفي رحمة الله فهي حسبه.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد

﴿هُوَ﴾: للتوكيد.

﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي الذي لا يُغلب ولا يُقهر، وممتنع على عباده.

﴿الرَّحِيمُ﴾: بعباده المؤمنين المتقين.

[٤٣] ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾:

شجرة خبيثة مرة الطعم مُنتنة لا يوجد لها مثيل في الدنيا، وليست شجرة واحدة، بل ﴿شَجَرَيْنِ زَقُومٍ﴾ [الواقعة: ٥٢].

﴿الزَّقُومِ﴾: مشتقة من التزقّم: وهو البلع بصعوبة؛ لكرهية الطعم وتنن الرائحة.

لماذا خلقت؟ فتنة للظالمين (سورة الصافات الآية ٦٣) وطعام الأثيم.

أين تنبت؟ في أصل الجحيم؛ أي: قعر الجحيم (سورة الصافات الآية ٦٤).

ماذا تشبه؟ تشبه رؤوس الشياطين (سورة الصافات الآية ٦٥).



وتسمى الشجرة ملعونة، ذكر اسم هذه الشجرة ثلاث مرات في:

سورة الصافات الآية (٦٢): ﴿أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾.

وفي سورة الدخان الآية (٤٣): ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾.

وفي سورة الواقعة الآية (٥٦): ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ مِنْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥٦﴾ لَا كُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ﴾.

[٤٤] ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾:

الأثيم: كثير الإثم، صيغة مبالغة، المبالغ في ارتكاب الآثام والذنوب؛ أي: الكافر والمجرم، الأثيم: مثل أبي جهل وغيره، فقد كان يأتي بالزبد والتمر ويقول لأولاده وغيرهم: ترقموا فهذا هو الزقوم الذي يعدكم به محمد ﷺ.

[٤٥] ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾:

﴿كَالْمُهْلِ﴾: الكاف للتشبيه؛ أي: طعامها يشبه المهل: هو دردي الزيت الأسود؛ أي: عكر الزيت الرديء، وقيل: هو النحاس المذاب أو القطران أو ما ذاب من معادن الأرض. وقيل: المهل مشتقة من الأشياء التي تمهل في النار لتذوب.

[٤٦] ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾:

يغلي في البطون: بطون الكفار، كغلي الحميم: الماء الحار المتناهي في الحرارة؛ أي: وصل درجة الغليان.

[٤٧] ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾:

يقال للملائكة: خذوا هذا الأثيم.

﴿فَاعْتِلُوهُ﴾: الفاء للمباشرة، جرّوه أو احملوه بشدة وعنف، العتل: هو الأخذ بمجامع الشيء وجرّه بقهر وعنف.



﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾: وسط الجحيم، الجحيم: اسم من أسماء النار أو دركة من دركاتها، مشتقة من الجحوم: وهو التآجج فلا تخمد. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

[٤٨] ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لا تعني التراخي في الزمن، وإنما لتباين الصفات أو الدرجة بين الأخذ بعنف والعتل وصبّ الحميم فوق رأسه، أو للترتيب الذكري أو العددي.

﴿صُبُّوا﴾: من الصب؛ أي: سكب العذاب فوق رأسه؛ حذف من فوق رأسه؛ لأن (من) تعني القريب؛ أي: هو واقف مباشرة تحت الماء الحميم، أما حذف (من) تحتمل البعيد والقريب.

﴿الْحَمِيمِ﴾: هو المصبوب فإذا صبّ عليه الحميم فقد صبّ عليه عذابه، فهو شبه العذاب بالشيء السائل (الحميم) الذي يصبّ عليه، ويدل على شدة وكثرة الصبّ؛ أي: الصبّ الكثير المتواصل بلا انقطاع.

وصبّ العذاب: يعني بكلّ أنواعه، ومنها: صبّ الحميم؛ وهو نوع واحد من أنواع كثيرة من العذاب كالزّمهرير والحريق.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية استغرافية: من كلّ أنواع العذاب.

ولنقارن هذه الآية (٤٨) من سورة الدّخان وهي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ والآية (١٩) من سورة الحجّ وهي قوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۖ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾.

سورة الحجّ الآية (١٩) يُصَبُّ من فوق رؤوسهم الحميم من فوق رؤوسهم مباشرة ليس هناك فاصل بين الرأس والصبّ، من ابتداء الغاية، من فوق يعني: حتّى لا تضع درجة حرارته؛ لأنه يراد به أن يصهر ما في بطونهم.

سورة الدّخان الآية (٤٨): ثُمَّ صُبُّوا فوق رأسه من عذاب الحميم، فوق

رأسه يتحمّل القريب والبعيد، الغاية هنا التّحقير والاستهزاء والسّخرية من الذي ادّعى أنّه هو العزيز الكريم؛ أي: أبي جهل أو غيره.

[٤٩] ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾:

أي قولوا له:

﴿ذُقْ﴾: للتوبيخ والإهانة والسّخرية لكلّ من يستتكف عن عبادة ربه ويستكبر.

وقيل: نزلت هذه الآية كما أخرج الطّبريّ عن قتادة: في أبي جهل؛ حيث كان يظن أنّه لا أكرم منه ولا أعزّ وأمنع ما بين جبلي مكة، فقتله الله سبحانه يوم بدر وعيّر به بكلمته فقال: ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السّبب، ذُق: العذاب.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾: أنت للتوكيد.

﴿الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾: بزعمك؛ وتعني: ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الدّليل الحقيق يا من كنت تظن أنّك أنت العزيز الكريم.

[٥٠] ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾:

﴿إِنَّ هَذَا﴾: إنّ: للتوكيد، هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب يشير للعذاب.

﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ﴾: ما: اسم موصول بمعنى الذي، كنتم به؛ أي: الدّنيا، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿تَمْتَرُونَ﴾: مشتقة من: المراء وهو الجدال بالباطل بعد تبيّن وظهور الحق؛ أي: ما كنتم تجادلون به، وتستبعدون وتشكّون في حدوثه بعدما بيّناه لكم وحذّرناكم منه في الكتاب وعلى لسان رسوله ﷺ.



[٥١] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾: إنَّ: للتوكيد، المتقين: الذين امثلوا أوامر الله فأطاعوه وتجنبوا نواهيه.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿مَقَامٍ أَمِينٍ﴾: بفتح الميم؛ تعني: المنزل والمكانة الآمنة يأمن صاحبها من كل المخاوف، وبضمّ الميم تعني: المكان، مكان الإقامة، ارجع إلى سورة البقرة الآية (١٢٥) للمقارنة بين مَقَام ومُقَام، ومقام أمين: من كل المخاوف بما فيها الموت والتغيرات والطوارئ والمرض.

[٥٢] ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾:

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿جَنَّاتٍ﴾: منها الفردوس وعدن والنعيم والمأوى ودار السلام وغيرها.
﴿وُعُيُونٍ﴾: جمع عين، عيون: الكافور والسلسيل والزنجبيل والتسنيم: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦]. وعيون تختلف عن أعين (أعين تعني: أدوات البصر).

[٥٣] ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَلِّبِينَ﴾:

﴿يَلْبَسُونَ مِنْ﴾: أي لباسهم، من: ابتدائية للجنس.

﴿سُندُسٍ﴾: هو ما رقّ من الحرير (الحرير الرقيق الناعم).

﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: ما غلظ من الحرير.

﴿مُتَقَلِّبِينَ﴾: على مجالسهم أو سررهم؛ ليستأنس بعضهم ببعض ولينظر بعضهم إلى بعض.



[٥٤] ﴿كَذَلِكَ زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾:

أي كما ألبسناهم السُّندس والإستبرق، أو كما أكرمناهم بدخول الجنة كذلك وزَّوجناهم بحور عِين، أو: كما زَّوجناهم في الدُّنيا نَزَّوجهم في الآخرة بالهور العين.

﴿بِحُورٍ﴾: الباء للإلصاق، الحور العين: زوجات غير زوجاتهم في الدُّنيا، الحور: جمع حوراء، وهي التي يكون بياض عينيها شديد البياض وسواده شديد السَّواد. والعَيْن: جمع عِيناء؛ أي: واسعات الأعين يحار الطَّرف بجمالهن، وفي آيات أخرى وصفهن: ﴿وَكَوَّعَبْ أَرْبَابًا﴾ [النَّابِ: ٣٣]، ﴿أَبْكَارًا﴾ (٣٦) ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٦-٣٧].

[٥٥] ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ أَمِينٍ﴾:

﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾: في الجنة يطلبون أو يأمرون بإحضار ما يشتهون من الفاكهة؛ أي: تقدِّم لهم كلَّ أنواع الفاكهة، فاكهة: اسم جنس يشمل كلَّ أنواع الفاكهة.

﴿أَمِينٍ﴾: في سلام وأمن كامل من الموت، ومن كلِّ مرض وضرر وأذى وهمٍّ وغمٍّ، وفقر ومطعم ومشرب وملبس وماوى، آمين من تغيُّر أحوالهم ومن أيِّ خوف أو حذر أو إنذار.

[٥٦] ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾:

﴿لَا يَذُوقُونَ﴾: لا النَّافِية.

﴿يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾: فيها: في الجنة لا يذوقون أو يذاقون الموت، خلود بلا موت، إلا: أداة حصر واستثناء، الموتة الأولى: التي كانت في الدُّنيا وانتهى أمرها، والموتة الأولى: توكيد للنفي؛ أي: لا يذوقون في الجنة الموت سوى الموتة التي ذاقوها في الدُّنيا.

﴿وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾: ووقاهم ربهم عذاب الجحيم: اسم من أسماء



النَّار، والجحيم من الجحوم: هو التَّأَجُّج بلا خمود أو انقطاع. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

[٥٧] ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:

أي: ما أعطى المتقين من جنات وعيون وسندس وإستبرق وهور عين وغيرها من نعيم الجنة والوقاية من عذاب الجحيم كله، تفضلاً من ربك وليس بما عملوه من الأعمال الصالحة والحسنات.

والفضل: هو الزيادة عما يستحق العبد من الأجر أو حقه، والفضل لا يكون واجباً وإنما هو تفضل من الله سبحانه بغير سبب.

﴿ذَلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة، واللام للبعد، ويفيد التعظيم والمدح.

﴿هُوَ﴾: للتوكيد.

﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: الفوز الذي لا يعلوه فوز، مقارنةً بالفوز المبين أو الفوز الكبير مقارنة بقوله تعالى في الآية (١٢) من سور الصف ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ بدون إضافة هو؛ لأن الفوز العظيم درجات أعظمها: ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وأوسطها: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وأدناها: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، والفوز العظيم أعلى درجة من الفوز الكبير، والفوز الكبير أعلى درجة من الفوز المبين، والله أعلم؛ ارجع إلى سورة النساء آية (٧٣) لمزيد من البيان في معنى الفوز وأنواعه ودرجاته.

[٥٨] ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾:

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء للتوكيد استثنائية، إنما: كافة مكفوفة تفيد زيادة التوكيد.

﴿يَسَّرْنَاهُ﴾: هاء الضمير تعود للقرآن العظيم، يسرناه للحفظ والفهم والتدبر

والقراءة.



﴿بَلْسَانَكَ﴾: الباء للإلصاق والمصاحبة، بلسانك: بلغتك العربية ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨].

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعل للتعليل، لعلهم يتذكرونه ولا ينسونه.

﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: خالقهم ورازقهم ووليهم، يتذكرون نعمه وإحسانه وفضله، ويتذكرون وعده ووعيده، ويتذكرون آياته وأحكامه وحدوده.

يتذكرون: ولو لزمهم الزمن الطويل أو احتاجوا إلى زمن طويل مقارنة بقوله: يذكرون؛ أي: تذكّرهم لا يحتاج إلى زمن طويل.

[٥٩] ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾:

﴿فَارْتَقِبْ﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدر؛ أي: إن كفروا وأعرضوا فارتقب هلاكهم، ارتقب: من الارتقاب: وهو الانتظار مع المراقبة (بكل الوسائل) حتى لا يفوته أي شيء مما يفعله المراقب، أو ارتقب: ما وعدناك من النصر والفوز عليهم.

﴿إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾: إن: للتوكيد، مرتقبون؛ أي: وهم كذلك مرتقبون ما يحلّ بك من الدوائر، ومرتقبون: جمع مرتقب: اسم فاعل من الفعل الخماسي: ارتقب.





سُورَةُ الرِّحِّمِ ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ١ تَزِيلُ الْكَتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَةٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٤ وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنْ رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَةٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ٥ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ
اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ٦ وَيَلْ لَّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ٧ يَسْمَعُ آيَاتُ
اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ٩ مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا
وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠ هَذَا
هُدًى وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّنْ رِّجْزٍ أَلِيمٌ ١١
اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١٣





سورة الجاثية [الآيات ١ - ١٣]

ترتيبها في القرآن (٤٥)، وترتيبها في النزول (٦٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمَّ﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

[٢] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة الزمر للبيان.

[٣] ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِنَّ فِي﴾: إِنَّ: للتوكيد، في ظرفية.

﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ﴾: اللام كونية كثيرة تدل على عظمة الخالق ووحدانيته وحكمته وقدرته، وأنه الإله الحق الذي يستحق أن يعبد وحده.

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، للمؤمنين، أي: تنفع المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ويزدادوا هدى وتقوى مع تقواهم.

[٤] ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾:

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾: أي: في خلق الإنسان وأطوار خلقه وتسويته وتصويره وتركيبه. ارجع إلى سورة الحج آية (٥)، وسورة المؤمنون آية (١٢-١٤) للبيان.

﴿وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ﴾: البث هو النشر والتفرق في الأرض والعيش في الجبال



أو الصحارى أو الوديان والسهول والمدن والقرى والأرياف، من دابة: من استغراقية، دابة: كل ما يدب على الأرض من إنسان وحيوان وجن.

﴿آيَاتٌ﴾: في الخلق والنشر والتفرق والعيش آيات، أي: دلائل وبيانات على عظمة الله وقدرته وحكمته ووحدانيته، وأنه هو الإله الحق الذي يجب أن يُعبد.

﴿لَقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، قوم يوقنون: اليقين لا يوجد إلا بعد الإيمان والإيمان حين يزداد يرتقي إلى اليقين، واليقين: هو العلم بالحق الذي ليس هناك غيره لا يتغير ولا يتبدل، والمستقر في القلب ولا يحتاج إلى مراجعة أو تفكير به من جديد. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لمزيد من البيان.

فهذه الآيات الكونية وآيات الخلق إذا فكر الإنسان بها وتدبرها وعقلها تكفي للإيمان، وأن يرتقي الإيمان بالله إلى درجة اليقين، لقوم يوقنون: بأن الذي خلق الخلق وبثهم ونشرهم لا يقدر عليه إلا الله سبحانه واجب الوجود، وأنه الحق له وحده الألوهية والربوبية والصفات والأسماء الحسنى، يوقنون تدل على تجدد وتكرار يقينهم كلما شاهدوا ورأوا تلك الآيات.

[٥] ﴿وَخَلِيفَ آيَلٍ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَآحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَخَلِيفَ آيَلٍ وَالنَّهَارِ﴾: الدال على كروية الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس الذي ينتج عنه تبادل الليل والنهار والولوج والتكوير من أعظم الآيات الدالة على قدرة الخالق. ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٣٣) للبيان.

﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾: أي: الغيث والطاقة الحرارية والرياح والمعادن كالحديد وغيره وبعض الأشعة وغيرها من مصادر الطاقة.



أنزل: تعني: مرة واحدة، نزل: تعني مرات كثيرة.

﴿فَأَحْيَا بِهِ﴾: بالماء، وهذه الآية تشير إلى دورة الماء على الأرض. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (١٨).

﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: بزمن قصير أو طويل، ولم يقل: من بعد موتها: أي: مباشرة من بعد موتها، كما يحدث في كل عام. ارجع إلى سورة الحج آية (٥)، (٦٣)، وسورة فصلت آية (٣٩) وسورة الأنعام آية (٩٩) لمزيد من البيان.

﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾: تغييرها من حال إلى حال، يحولها من ريح طيبة لينة إلى ريح عاصفة مدمرة، ومن ريح حارة إلى باردة إلى سامة (ريح السموم)، ومن ريح باردة إلى ريح صرصر عاتية، وتصريفها باتجاهات مختلفة تحمل معها السحاب أو الغبار، والرياح في القرآن تأتي في سياق الخير، وأما الريح تأتي في سياق الضر أو الشر والدمار.

﴿ءَايَتٌ﴾: كونية.

﴿لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، قوم يعقلون: إذا فكروا بهذه الآيات لأدركوا الحقيقة أن الذي أنزل من السماء رزقاً وصرف الرياح وبث فيها من كل دابة هو الإله الحق الخالق المدبر الواحد الذي يجب أن يُعبد ويُطاع.

[٦] ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾: تلك: اسم إشارة، واللام للبعد للدلالة على علو شأنها وعظمتها، وتشير على الآيات المتقدمة التي ذكرها في الآية (٣، ٤، ٥).

﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾: نتلوها: من التلاوة أصل التلاوة اتباع الشيء بالشيء نتلوها آية بعد آية: والتلاوة لا تكون إلا من كتاب الله، والتلاوة قراءة وليس كل قراءة تلاوة، والتلاوة لا تكون إلا بكلمتين بالحق: الحق هو الشيء الثابت



الذي لا يتغير، بالحق: الباء للإلصاق والمصاحبة، بالحق: بالصدق يتلوها عليك جبريل ﷺ.

﴿فَأَيُّ﴾: الفاء رابطة لجواب مقدر، بأيّ: استفهام إنكاري.

﴿حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَأَيْنَهُ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: إذا لم يصدقوا بالقرآن وهو الحق، ولم يصدقوا بآيات الله الكونية أو المعجزات التي تشير إلى نبوة الرسل. لم يصدقوا بالله تعالى وآياته فمن سيصدقون، وإذا لم يصدقوا بتلك الآيات فأَيُّ آيات الله الأخرى سيصدقون بها، ومن لم يؤمن بكلام الله تعالى ويصدق بآياته، فلن يؤمن من بعد القرآن بأيّ شيء، ولن يصدق بأيّ آية أخرى.

[٧] ﴿وَيَلْ كُلُّ أَفَّاكٍ أَثِيمٌ﴾:

هذا تهديد ووعد لكل من كذب بالله وآياته، ثم أصر على كفره.

﴿وَيَلْ﴾: كلمة عذاب، أو الهلاك والعذاب.

﴿لِكُلِّ﴾: اللام لام الاستحقاق، والاختصاص، كلّ: للتوكيد.

﴿أَفَّاكٍ﴾: كثير الإفك صيغة مبالغة، والإفك هو الصّرف عن الحق إلى الباطل، أي: قلب الحقائق والإفك نوع من الكذب.

وقيل: نزلت هذه الآية في النّضر بن الحارث، كان يشتري من أحاديث العجم، ويشغل الناس عن الاستماع إلى القرآن، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السّبب.

﴿أَثِيمٌ﴾: كثير الإثم والذنوب، قدمه راسخة في الإثم.



[٨] ﴿يَسْمَعُ آيَاتَ اللَّهِ تَنْتَلِي عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾:

﴿يَسْمَعُ آيَاتَ اللَّهِ تَنْتَلِي عَلَيْهِ﴾: أي: يسمع هذا الأفك الأثيم: هذه الآيات التي تدعوه إلى الإيمان والتوبة.

﴿ثُمَّ﴾: ثم لا تعني الترتيب والتراخي في الزمن، وإنما للترتيب العددي، أو تباين الدرجة بين الاستماع والإصرار على الكفر.

﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾: يستمر ويقوم على كفره وضلاله ويلزمه ويقال: صر الفرس أذنيه، أي: ضمها إلى رأسه.

﴿مُسْتَكْبِرًا﴾: عن الإيمان والتوبة، معجباً بنفسه ومظهراً عظم شأنه رغم أنه لا يملك مقومات الكبر. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) للبيان.

﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾: كأن من أفعال المقاربة، متظاهراً بعدم سماع تلك الآيات، فهو لا يذكرها أبداً أو يسأل عما تعني؛ أي: يتجاهلها أمام الناس كأنه أصم أو في أذنيه وقرأ مع العلم أن آلة السمع (أذنيه) غير معطلة.

﴿فَبَشِيرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: الفاء عاطفة تربط السبب بالمسبب، والبشارة إذا أطلقت عادة لا تكون إلا في الخير والخبر بشيء سار، فإذا استعملت البشارة لشيء سيئ فهي تعني: التهكم والسخرية، بعذاب أليم: مؤلم لا يستطيع أن يتحملة أحد.

[٩] ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾:

﴿عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا﴾: أي: إذا بلغه شيئاً من آياتنا عن طريق الآخرين، أي: لم تُتْلَ عليه مباشرة، وإنما سمع تلك الآيات من أناس آخرين.

﴿أَخَذَهَا هُزُوًا﴾: أخذ يستهزئ بها أي: يستخف بها ويعيب عليها ويحط من شأنها، ولم يقل: اتخذها هزواً الهاء تعود على العلم، وإنما اتخذها: أي: لم



يقتصر استهزاؤه بما سمع، بل راح يستهزئ بكل الآيات التي سمعها والتي علم بها. والاستهزاء: قد يكون بالأشخاص أيضاً، أو بغير الأشخاص كالاستهزاء بالآيات، والاستهزاء عام أعم من السخرية؛ لأن السخرية خاصة بالأشخاص.

كما فعل أبو جهل حين نزلت آية ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٣٦﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٤] دعا بتمر وزُبد وقال: تزقموا فما يعدكم محمد إلا هذا.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد يفيد التحقير، وتشير إلى الأفاكين.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاستحقاق (الاختصاص).

﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: هو العذاب الأليم مع الإهانة، عذاب على مرأى الناس وفيه إذلال وتصغير.

[١٠] ﴿مَنْ وَرَّاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿مَنْ وَرَّاهُمْ جَهَنَّمُ﴾: من ابتدائية، ورَّاهم: أي: أمامهم جهنم ولفظ الورا هنا يقصد به الأمام، فهي من الألفاظ المشتركة في معنيين أو أكثر، أو الكلمات المتضادة.

﴿وَلَا يُغْنِي﴾: الواو عاطفة، لا النافية، أي: لا ينفعهم، الغنى هنا يعني النفع، وهناك الغنى: ضد الفقر.

﴿مَا﴾: حرف مصدرى أو اسم موصول بمعنى الذي و(ما) أوسع شمولاً، وللعاقل وغير العاقل.

﴿كَسَبُوا شَيْئاً﴾: من الأموال والأولاد والمتاع الدنيوي، يوم القيامة لا



يجلب لهم نفعاً ولا يدفع عنهم ضرراً؛ أي: ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً﴾ [آل عمران: ١٠].

﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا﴾: الواو عاطفة، لا للتوكيد توكيد النفي، ما اتخذوا: ما بمعنى الذي أو مصدرية.

﴿مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾: من الأوثان أو الآلهة والأولياء جمع ولي، وهو القريب، أي: لا يشفعون لهم ولا يقربونهم زلفى ولا ينصرونهم ولا يخففون عنهم من العذاب شيئاً.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، عذاب عظيم: أشد أنواع العذاب على الإطلاق، يشمل كل أنواع العذاب من حيث الكم والكيف والدوام، ويشمل الأليم والمهين والشديد.

[١١] ﴿هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ﴾:

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب يشير إلى القرآن ويفيد التعظيم. ﴿هُدًى﴾: مصدر هدى أو سبب للهداية يهدي للحق ويهدي للغاية أو هو الهدى نفسه يهدي إلى الصراط المستقيم وسعادة الدارين.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص، أي: الاستحقاق. ﴿عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ﴾: الرَّجْز في اللغة تتابع الحركات والقلقلة أو الاضطراب.

عذاب من رجز أليم: الرّجْز: هو العذاب، كما قال ابن عباس، وقيل: العقاب، وقيل: الطاعون، أو أيُّ عذاب كالريح والطاعون، وقيل: الغضب ووساوس الشيطان وشره.



وهناك فرق بين الرّجز والرّجس: الرّجس هو القذارة والنّجاسة، كما قال ابن منظور في لسان العرب، وقيل: الرّجس إظهار الفساد أو أمر مستقبّح شرعاً مثل الخمر والأصنام والأزلام، وقيل: الذّنب والإثم والفسق والشّرك. عذاب من رجز أليم: أي: عذاب من السّماء أليم متتابع. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٩) للبيان المفصل.

[١٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

﴿الله﴾: تقديم الفاعل على الفعل يفيد الاهتمام.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التّعظيم.

﴿سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾: التّسخير هذا التّذليل، سخر البحر اسم جنس، لكم: اللام لام الاختصاص.

﴿لِتَجْرِيَ﴾: اللام لام التّعليل.

﴿الْفُلُكُ﴾: السّفن وتطلق على المفرد والمثنى والجمع.

﴿فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾: فيه ظرفية، بأمره: الباء للإلصاق والمصاحبة، بأمره: بإذنه، وقدّم فيه؛ لأنّ الكلام عن البحر. ارجع إلى سورة لقمان آية (٣١) لمزيد من البيان.

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: الواو هنا تشير إلى منافع أخرى لم تذكرها الآية، واللام في لتبتغوا: للتّعليل، لتبتغوا من فضله: لتسافروا في طلب الرّزق من مكان إلى آخر وتستخرجوا منه حلية تلبسوها وتأكلوها منه لحماً طرياً، من ابتدائية، فضله: أي: زيادة على ما تستحقون من كلّ هذه النّعم التي هي من كرمه وإحسانه لكم، وليست بقوتكم أو ما أوتيتم من العلم.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لعلكم تفيد التّعليل، تشكرون المنعم على ما أنعم عليكم من الرّكوب وأكل لحمه واللؤلؤ والمرجان، وغيره من الفوائد.



لنقارن هذه الآية (١٢) من سورة الجاثية، وهي قوله: ﴿وَلْيَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾، مع الآية (١٢) من سورة فاطر، وهي قوله: ﴿وَلْيَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾:

في سورة فاطر من دون واو، أي: ليس في هذه تعداد أو تذكّر بالنعم الأخرى
فقط يريد في هذه الآية الإشارة على النعم المذكورة في هذه الآية وحدها. وأما
في سورة الجاثية يراد بها كل النعم المذكورة في الآية وغيرها مما لم يذكر.
[١٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ﴾:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم﴾: لكم اللام لام الاختصاص، أي: لكم خاصة.

﴿مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: ما للعاقل وغير العاقل، ما في السموات:
الشمس والقمر والنجوم والكواكب والسحاب والرياح، وما في الأرض: الجبال
والأنهار والبحار والفلك والأنعام ووسائل النقل.

﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾: جميعاً للتوكيد منه لا من غيره، أي: من فضله سبحانه
وتعالى.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾: إنّ واللام في كلمة آيات للتوكيد.

﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، قوم يتفكرون في هذه الآيات،
فإذا نظرنا فيها توصلنا إلى عظمة قدرة الخالق وعلمه، وأنّ الله هو الإله الحق،
وما من إله غيره ولا شريك له، له الملك، أي: الحكم وهو الإله الذي يستحق
العبادة والطاعة.





سُورَةُ الْكَافِرَاتِ ٤٥

الجزء الثاني من القرآن

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيْنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَبِغْتُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتِي لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾



سورة الجاثية [الآيات ١٤ - ٢٢]

[١٤] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: قل يا رسول الله ﷺ للذين آمنوا، اللام لام الاختصاص. ﴿يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾: قيل: نزلت هذه الآية في جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ في مكة يعانون من أذى المشركين، وكانوا في حالة ضعف قبل أن يؤمروا بالجهاد، فنزلت هذه الآية، وقال ابن عباس: نزلت في غزوة بني المصطلق حين اختلاف غلام عمر مع غلام عبد الله بن أبيّ، وقال عبد الله بن أبيّ تلك المقولة الشهيرة: سَمَنْ كَلَبَكَ يَأْكُلُكَ، فنزلت هذه الآية تطلب من الصحابة أن يغفروا لهؤلاء الذين لا يرجون أيام الله.

وهناك من المفسرين من قال: نسخت هذه الآية بآية الجهاد.

﴿يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾: يتجاوزوا ويعفوا ولا يعاقبوا، للذين: اللام لام الاختصاص، لا يرجون أيام الله: لا النافية، لا يؤمنون ببلقائه أو بالبعث أو الحساب والجزاء، أو لا يرجون أيام الله: أي: لا يصدقون ولا يؤمنون بما وقع وما حدث للأمم السابقة مثل قوم نوح وعاد وثمود، أن يحدث لهم أو يصيبهم مثل ما أصاب غيرهم من المشركين.

وقيل: لا يرجون أيام الله: لا يدرون أو يعلمون كثرة أنعم الله عليهم ولا يشكرون الله عليها.



وقال تعالى: يغفروا ولم يقل: ليغفروا: لم يجئ بلام التوكيد، أي: لا تردوا السيئة بالسيئة، وإنما ادفعوا السيئة بالتي هي أحسن.

﴿لِيَجْزِيَ﴾: اللام لام التعليل، الجزاء: أعم من الأجر ويكون مقابل العمل الصالح أو السيئ.

﴿قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: فالأجر يأتي في سياق العمل الصالح والخير والجزاء يأتي في سياق العمل الصالح أو السيئ، قوماً بما كانوا يكسبون: بما: الباء سببية أو للتعليل، ما: اسم موصول بمعنى الذي، قوماً: أي: ليجزي كلاً من الفريقين، أي: الذين غفروا والذين لا يرجون أيام الله، بما كانوا: في الحياة الدنيا، يكسبون: من الأعمال الصالحة أو الأعمال السيئة.

ولمعرفة الفرق بين يكسبوا أو اكتسبوا: ارجع إلى الآية (٢٨٦) من سورة البقرة.

[١٥] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾: من شرطية، عمل صالحاً: نكرة لتشمل أي عمل صالح مهما كان، فلنفسه: الفاء رابطة لجواب الشرط، واللام في نفسه لام الاختصاص والاستحقاق، أي: أجر أو ثواب ذلك العمل الصالح يرجع بالفائدة إليه ولا يذهب إلى غيره.

﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾: ومن أساء فعاقبة ذلك العمل السيئ والذنب يقع على نفسه ليدوق وبال أمره، على تفيد الاستعلاء، استخدم اللام فلنفسه في سياق الثواب، واستخدم على في سياق الإثم والذنب والعقاب.

﴿ثُمَّ﴾: تفيد التراخي في الزمن، أي: يوم القيامة.

﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾: للحساب والجزاء، تُرجعون: بضم التاء التي تدل

على القسر والقهر، أي: سواء رضيتم أم أبيتم، ولم يقل: ترجعون بفتح التاء التي تدل على الرجوع بإرادتهم ورغبتهم، وتقديم إلى تفيد الحصر، أي: إلى ربكم وحده ترجعون.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾:

المناسبة: بعد أن عدد الله نعمه العامة على عباده يذكر عدداً من نعمه الخاصة على بني إسرائيل، وكيف اختلفوا بينهم، وسوف يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد اللام للتوكيد، قد للتحقيق (أي: حدث ذلك وتم).

﴿آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: الإيتاء هو العطاء من دون تملك، ويمكن استرداد ما أعطي، والإيتاء أعم من العطاء يشمل الأشياء الحسية والمعنوية، بني إسرائيل: أي: بني يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ؑ.

﴿الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾: التوراة، والحكم: الفقه في الدين والفصل في الخصومات بين الناس والفتوى.

﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾: لموسى وهارون وكثير من الأنبياء أمثال يوسف وداود وسليمان.

﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: من: البعضية، الطيبات: الطيب هو الحلال والطاهر. ارجع إلى سورة الأنفال آية (٦٩) لمزيد من البيان.

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: عالمي زمانهم من الأمم المعاصرة لهم أمثال



الفراغة والأم التي كانت تسكن بلاد الشام، ولا يعني التفضيل الأبدي، وإنما كان مقصوراً على تلك الفترة من الزمن.

[١٧] ﴿وَأَتَيْنَهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ إِن رَّبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾:

﴿وَأَتَيْنَهُمْ﴾: ارجع إلى الآية السابقة، والواو عاطفة.

﴿بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾: جمع بيّنة: أحكام وشرائع في الحلال والحرام مثلاً، وفي المعاملات والعبادات والعلم بمبعث النبي ﷺ وشواهد نبوته، وبما في التوراة من آيات بينات.

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: الفاء عاطفة، ما النافية، اختلفوا في الأحكام والشرائع والتحريم والتحليل وأمور الدين والعقيدة وفي عيسى ﷺ وفي محمد ﷺ وأنبيائهم، إلا: أداة حصر، من بعد: من تفيد القرب أي مباشرة من بعد، ما جاءهم العلم: ما بمعنى الذي جاءهم من العلم عن طريق الإنجيل والقرآن وبعثة عيسى ومحمد ﷺ، بغياً بينهم: من البغي: مجاوزة الحد في الظلم والفساد وأخذ حق الغير بالقهر والقوة والتعسف، بينهم: بني إسرائيل.

﴿إِن رَّبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: إن للتوكيد، ربك يقضي: يفصل بينهم أي: بين بني إسرائيل يوم القيامة. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٦٤)، وسورة السجدة آية (٢٨) لبيان معنى القضاء والحكم والفصل.

﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: في الدنيا، يختلفون: من أمور الدين والعقيدة والأحكام والحلال والحرام وطاعة الرسل وأمر محمد ﷺ وعيسى.



[١٨] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لتباين الصفات، صفات الشريعة الإسلامية عما سبقها من الشرائع.

﴿جَعَلْنَاكَ﴾: الخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ.

﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾: على تفيد العلو والسّمو والمشقة، شريعة: جملة الشرائع التي تشمل العقائد والعبادات والأحكام، والتي تختلف باختلاف الأمم، شريعة محمد ﷺ الإسلام وشريعة عيسى ﷺ النصرانية، وشريعة موسى ﷺ اليهودية، شريعة إبراهيم ﷺ الحنفية السّمحة، وأما الذين فهو واحد وهو الإسلام، أما الشرائع، أي: الديانات فمختلفة، وكما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٨]، ارجع إلى سورة المائدة الآية (٤٨) لمزيد من البيان.

﴿شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾: أي: من أمرنا، أي: مما شرعناه لكم، والأمر هو إما واحد من الأمور أو الشؤون أو واحد من الأوامر.

﴿فَاتَّبِعْهَا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، اتّبعها كاملة، أي: خذ بها والتزم بها.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ﴾: لا النّاهية، أهواء: جمع هوى: والهوى: هو ما تميل إليه النفس باطلاً بما لا ينبغي ولا دليل، والهوى يغلب عليه الذّم ويختص بالأداء والمعتقدات.

﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أهواء الجّاهل من قريش أو أهل الكتاب الذين لا يعلمون أمور الدين أو الذين لا يعلمون التّوراة والإنجيل والقرآن وما أنزل الله على رسله.



[١٩] ﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِنَّهُمْ﴾: تعود على الذين لا يعلمون.

﴿لَن﴾: لنفي المستقبل القريب أو البعيد.

﴿يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: أي: لن ينفعوك من الله: من عذاب الله شيئاً أو يشفعوا لك أو يدفعوا عنك من عذاب الله شيئاً أو يعطوك حسنة من حسناتهم، والخطاب موجه إلى الرسول ﷺ، وإلى أمته وشيئاً نكرة تعني: أي شيء مهما كان نوعه وجنسه، والشيء هو أقل القليل، وسواء أكان حسيماً أم مادياً.

﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾: إن للتوكيد، الظالمين: المشركين والكافرين والظالمين أنفسهم بالمعاصي، والظلم يعني: الخروج عن المنهج الرباني، وإن أعظم الظلم هو الشرك بالله.

وعبادة غير الخالق والرازق ومدبر الأمر هي أبشع أنواع الظلم، وكثر في القرآن إطلاق الظلم على الشرك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: أولياء جمع ولي، والموالاتة تعني المودة والنصرة بينهم، المودة: المحبة واتخاذ بعضهم لبعض بطانة، وتعني: يسرون إلى بعضهم بعضاً الأخبار، والنصرة: تعني: هم أعوان لبعضهم بعضاً وينصرون بعضهم بعضاً بالعدة والعتاد.

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: والله المحب والمعين لأوليائه المتقين يواليهم بالمعونة والنصر والرحمة ويحفظهم والمتولي أمورهم، ولا يكلفهم إلى غيره، المتقين: جمع متقٍ وهو الذي يطيع أوامر الله ويتجنب نواهيه.



[٢٠] ﴿هَذَا بَصِيرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾:

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب يشير إلى القرآن العظيم.

﴿بَصِيرٌ لِلنَّاسِ﴾: جمع بصيرة: والبصائر تشمل الآيات والبراهين والحجج والشواهد والبيانات والمعجزات والحجج التي لا لبس فيها من الله وهي ما يتضح بها الحق وتميز بين الحق والباطل، والخطأ والصواب، والرشاد والغي، وسميت بصائر؛ لأنه لا يمكن الرؤية بدونها، والقرآن كله بصائر وليس بصيرة واحدة؛ فهذه البصائر هي التي تنير لنا الطريق في الدنيا طريق الهداية والوصول إلى الغاية العظمى، وهي رضوان الله تعالى، والسعادة في الدارين.

﴿وَهُدًى﴾: هدى: نكرة يشمل كل أنواع الهدى، فهو مصدر للهدى أو هو هدى يهدي للحق ويهدي للغاية والصراط المستقيم. والهدى الكامل التام.

﴿وَرَحْمَةٌ﴾: يجلب ما يسر ويدفع ما يضر (أي: وقاية) ونعمة من أعظم النعم.

﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: السلام لام الاختصاص، يوقنون: أن القرآن بصائر وهدى ورحمة لقوم يوقنون لكي يستقر اليقين في قلوبهم وتنكشف لهم الحقائق الربانية، ويوقنون من اليقين هو العلم بالحق ولا يكون غيره والراسخ في القلب. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لمزيد من البيان.

[٢١] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مِّمَّنْهُمْ وَمَنْهُمْ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي، الهمزة للاستفهام الإنكاري إنكار.

﴿حَسِبَ﴾: اعتقد أو حسب يعني: الظن الراجح، أي: ظن الذين اجترحوا



السَّيِّئَاتِ ظَنًّا رَاجِحًا أَنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سِوَا
مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ.

﴿أَجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾: أي: اكتسبوا السَّيِّئَاتِ أي: فعلوها عمداً، السَّيِّئَاتِ
منها الكفر والشُّرك والمعاصي، أي: قاموا بالسَّيِّئَاتِ بجوارحهم (كالعين واليد
والرَّجل والأذن) كقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠].
﴿أَنْ﴾: للتعليل والتوكيد.

﴿يَجْعَلُهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أي: نسوي بينهم في الدُّنْيَا أو
في الآخرة مع الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، نسوي بينهم في الجزاء والثَّواب
والابتلاء.

﴿سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ﴾: أي: في حياتهم الدُّنْيَا.

﴿وَمَمَاتُهُمْ﴾: أو في الآخرة، نسوي بينهم في الجنة والنَّار.

﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: ساء: من أفعال الذَّم العامة؛ أي: بُس ما يحكمون:
يقضون به ويصدر عن عقولهم من أحكام، ما: اسم موصول بمعنى الذي أو
مصدرية أو ساء حكمهم.

[٢٢] ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ﴾:

الواو: استثنائية، أي: وجعلناك على شريعة من الأمر وأيضاً خلق الله
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ: بالأمر الثَّابِت الذي لا يتغيَّر ولا يتبدَّل، أي: بقوة
وإحكام وبالقوانين الفائقة، الثَّابِتة التي لا تتغيَّر، والتي تحكم الأجرام والمجرات
والنَّجوم منذ (١٤ ألف مليون سنة).



ولتجزئ كل نفس: الواو حرف عطف أي: معطوف على الحق أي:
ولتجزئ الجزاء من جنس العمل كل نفس بالعدل، أو بالحق (من هؤلاء الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وهؤلاء الذين اجترحوا السيئات).

﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: فسبحانه خلق لكم
السموات والأرض لتمكنوا من العيش فيها وسخر لكم ما في السموات
والأرض، وأنزل لكم شرائعه ورسله وبيّن لكم الحق من الباطل، ولم يخلق كل
ذلك عبثاً، فلا بُدَّ من أن تجزئ كل نفس بما كسبت.

لتجزئ: اللام لام التعليل، كل نفس بما: الباء للإلصاق والمصاحبة، ما
اسم موصول بمعنى الذي كسبت أو مصدرية، كسبت: من خير أو شر، وهم:
للتوكيد، لا النافية، يظلمون: مقدار ذرة من خير أو شر.





سُورَةُ الْاَنْعَامِ ٤٥

الْاَنْعَامِ

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ
وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يَهْدِكُنَا
إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تَلَى
عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَوْنَا بَابِنَا إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْخَسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِئَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ
مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا
الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَى عَلَيْهِمْ فَأَسْتَكَبرَ ثُمَّ وَكُنْتُمْ قَوْمًا
مُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ
مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾



سورة الجاثية [الآيات ٢٣ - ٣٢]

[٢٣] ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾:

المناسبة: فكيف بعد أن جعلنا لكل أمة منكم شرعة ومنهاجاً وسخرنا لكم السموات والأرض وما فيهما منكم ما زال يريد أن يتخذ إلهه هواه.

﴿أَفَرَأَيْتَ﴾: الهمزة للاستفهام والتعجب والإنكار، والفاء للتوكيد، رأيت: الرؤية هنا قلبية فكرية بمعنى: أخبروني بعلم ويقين.

﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾: أي: من جعل هواه معبوده، أي: يعبد هواه ويطيعه كما يخضع العابد للمعبود والهوى، لتعريفه ارجع إلى الآية (١٨) من نفس السورة.

﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: أي: الذي اتخذ إلهه هواه على علم أنه على ضلال حين اتبع هواه وبما أنه استمر على ضلاله ولم يتب ويرجع عن ذنبه وأصر على ضلاله، ولم يعد هناك أملاً في هدايته فالله سبحانه تعالى يتركه وشأنه ويزيده ضلالاً؛ لأنه اختار لنفسه طريق الضلال.

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾: ثم إذا تمادى في ضلاله يختم الله على سمعه فيصبح كأنه أصم ويختم على قلبه. فلا يدخله إيمان أو يخرج منه كفر.

﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾: فلا يعد يبصر طريق الحق أو الهداية.

﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾: فمن: الفاء: للتوكيد؛ من: للاستفهام، وتفيد



التقرير؛ أي: لا أحد يستطيع أن يهديه من بعد أن ختم الله سبحانه، على سمعه وقلبه.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: الهمزة للاستفهام التوبيخي والإنكار، فالفاء لزيادة الإنكار على عدم التذكر، إلا: أداة تنبيه وحض وتحمل معنى الأمر، أي: تذكرون تتعظون وتتبعوا ما أمر الله، وتتجنبوا ما نهى الله عنه، وتتجنبوا الهوى والشهوات، وهذا التذكر لا يحتاج إلى زمن طويل، كما لو قال: أفلا تتذكرون وأنه لا الذي يحتاج إلى زمن طويل أحد يستطيع هدايته من بعد الله.

[٢٤] ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: تعود على الذين اجترحوا السيئات واتخذوا إلههم هواهم وختم على سمعهم وقلوبهم وزيادة على ذلك فهم ينكرون البعث والحساب وقالوا. ﴿مَا هِيَ﴾: ما النافية تنفي الحال غالباً، هي: ضمير فصل للتوكيد تعود على الحياة الدنيا.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾: أي: الحياة محصورة ومقصورة على الحياة الدنيا التي نحياها فليس هناك حياة أخرى أو دار الآخرة، وُسِّمَتْ بالحياة الدنيا السفلى لكونها زائلة وحقيرة.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾: أي: بعضنا يموت وبعضنا يُخلق أو يولد، ولا تعني: نموت، ثم نحيا نبعث من جديد؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث أصلاً.



﴿وَمَا يَهْدِيكُمْ إِلَّا الدَّهْرُ﴾: ما النَّافِية، يهلكنا إلا الدهر: إلا: أداة حصر، أي: ما نفنى ونموت إلا بسبب مرور الدهر: الزمن الطويل أو توالي الأيام. وهذا غير صحيح؛ لأن هناك من يموت في سن مبكرة في سن الطفولة أو الشباب.

﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾: من استغراقية، أي: ما لهم: ما النَّافِية، لهم بذلك: اسم إشارة يشير إلى الدهر هو سبب هلاكهم، فما لهم بذلك من دليل علمي أو كتاب إلهي أو وحي أو حتى عقل صحيح يوافق ذلك.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: إن نافية وأقوى نفيًا من (ما)، هم إلا: هم ضمير فصل يفيد التوكيد، إلا أداة حصر، يظنون: من الظن هو الاحتمال الراجح عندهم أو هو الشك مع رجحان كفة الإثبات على كفة النفي، قالوا ذلك بناء على تقليد آبائهم.

لنقارن هذه الآية (٢٤) من سورة الجاثية، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ والآية (٧١) من سورة الحج، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾:

ما لهم بذلك من علم: من هنا استغراقية تستغرق أدنى علم.

ما ليس لهم به علم: هؤلاء عندهم بعض العلم وأفضل من المذكورين في آية الجاثية.

ولنقارن هذه الآية (٢٤) من سورة الجاثية، وهي قوله تعالى: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ والآية (٣٧) من سورة المؤمنون، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾:

(إن) أشد نفيًا من (ما)، فالذين قالوا: إن هي إلا حياتنا الدنيا أشد تكذيبًا بالبعث، والدار الآخرة من الذين قالوا: ما هي إلا حياتنا الدنيا أشد تكذيبًا بالبعث



والدار الآخرة من الذين قالوا: ما هي إلا حياتنا الدنيا، أي: من الناس من ينكر البعث والحساب بدرجة (اليقين) مطلقة، ومنهم من ينكر البعث والحساب بشكل نسبي أو شك.

[٢٥] ﴿وَإِذَا تَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا يَنبَغْ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية شرطية تدل على حتمية الحدوث.

﴿تُنَزَّلُ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا يَنبَغْ﴾: عليهم تعود على الذين اجتروحوا السيئات والمكذبين بالبعث، تنزل عليهم آياتنا: آيات القرآن، بينات: الواضحات الدالة على قدرة الله على البعث والإحياء، ولمعرفة معنى التلاوة. ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة.

﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾: ما النافية، إلا أداة حصر، أن قالوا: أن تعليلية.

﴿اتَّبُوا بِآبَائِنَا﴾: أي: أعيدوا إلينا آباءنا أحياء حتى نراهم ونكلمهم أو نسألهم.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: على أننا سنبعث ونحاسب، إن شرطية تفيد الشك أو الاحتمال في كونهم صادقين.

انتبه: إلى قوله: ما كان حجتهم: بدلاً من القول: ما كان قولهم إلا أن قالوا اتبوا بآبائنا، وهذه الحجة ليست بحجة مقبولة، وإنما ساقوا قولهم مساق الحجة على سبيل المستحيل؛ لأنهم يعلمون ما من أحد مات، ثم أعيد إلى الحياة مرة أخرى.

كذلك انتبه إلى قوله تعالى: حُجَّتُهُمْ بفتح التاء تدل على أنهم هم الوحيدون



الَّذِينَ جَاءُوا بِهَذِهِ الْحُجَّةِ، مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، بَيْنَمَا إِذَا قُرَأَتْ حُجَّتُهُمْ بَظْمِ النَّاءِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حُجَّةٌ غَيْرُهَا فَقَطَّ حُجَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَهَنَّاكَ فَرْقٌ وَاضِحٌ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ.

[٢٦] ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿قُلِ﴾: قل يا رسول الله ﷺ لهؤلاء منكري البعث، والَّذِينَ قالوا: ائْتُوا بِآبَاتِنَا: أَلَمْ يَحْيِيكُمْ اللَّهُ، ثُمَّ يَمِيتُكُمْ.

﴿اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾: بعد أن كنتم أمواتاً في أصلاب آبائكم وأمّهاتكم، يحييكم حين تتشكلون أجنةً في بطون أمّهاتكم، ثم تخرجون إلى هذه الحياة الدنيا.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: ثم للترتيب والتراخي في الزمن، يَمِيتُكُمْ حين تنقضي آجالكم بالموت.

﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾: ثم للترتيب والتراخي، تبعثون أحياء مرة ثانية من جديد يوم القيامة (يوم البعث) وتحشرون وتجمعون في أرض المحشر، إلى تفيد الانتهاء.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا النافية، لا شك ولا جدال فيه، وفيه تعود إلى يوم القيامة.

﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن للكون نهاية، والقلّة يعلمون ذلك مثل علماء الفلك والفضاء، أو لا يعلمون أن الله سبحانه قادر على إعادة الخلق، وهو أهون عليه، أو أنهم سيُبعثون وينبؤون بما عملوا، وذلك على الله يسير.



[٢٧] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾:

هذا دليل آخر على قدرته سبحانه وعظمته على البعث والإحياء.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ولله: الواو استئنافية، لله: السلام لام الاختصاص والملكية له وحده سبحانه، ملك: حكم، السموات والأرض: أي: هو حاكم السموات والأرض وحده، وملك: تعني: المالك فهو الحاكم والمالك للسموات والأرض، أي: له ملك السموات والأرض خلقاً وملكاً وحكماً، فمن يملك السموات والأرض قادر على البعث والإحياء.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾: الساعة جزء من اليوم، فالساعة تعني: يوماً، واليوم يعني: الساعة، أي: يوم تهدم النظام الكوني الحالي، يوم: ظرف زمان، وقدم كلمة يوم للاهتمام بدلاً من القول: يخسر المبطلون يوم تقوم الساعة.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: أصلها يوم + إذ (ظرف أضيف إلى ظرف للتوكيد) أو يوم ذاك.

﴿يُخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾: يخسروا أنفسهم ويخسروا أهلهم، المبطلون: جمع

مبطل: وهو من مات مصراً على الباطل، والباطل هو الزائل، وما لم يُشرع، أو ما لا وجود له.

مثال على المبطلين: المنكرون للبعث أو المفترون على الله الكذب

بأن الله غير قادر على بعثهم، والذين قالوا: وما يهلكنا إلا الدهر، وتشمل الكافرين والمشركين وغيرهم.



[٢٨] ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَتَرَىٰ﴾: الخطاب عام، ترى يومئذ رؤية عينية، عين اليقين، أمّا الآن فهي رؤية قلبية.

﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾: أمة: جماعة من الناس تجمعهم عقيدة واحدة بغض النظر عن الكم أو الحيز الجغرافي.

﴿جَائِيَةً﴾: من الجئي: يعني: البارك على ركبتيه من دون القدرة على القيام، وأمّا السّجود أو السّاجد: فيعني البارك على ركبتيه مع القدرة على القيام، وأمّا الجثم أو الجاثم: فمن لزم مكانه وتجمّد على ما هو عليه، أمّا الجذو: فهو البارك على مقدّم قدميه، أي: أصابع قدميه.

﴿كُلُّ﴾: تكرار كل: يفيد التوكيد.

﴿أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾: الأمة: جماعة من الناس بغض النظر عن الحيز الجغرافي أو العدد؛ يا أهل القرآن يا أهل التّوراة يا أهل الإنجيل، أو كتابها: والكتاب اسم جنس كتاب أعمالها الذي فيه حسناتها وسيئاتها، كما قال ابن عباس، أي: السّجل الحفيظ لأعمال البشر. ودليل ذلك قوله تعالى في الآية القادمة (٢٩): هذا كتابنا: أضاف الكتاب إليه سبحانه وإليهم؛ لأنّه سبحانه يملك كتاب أعمالهم فهو كتابه، وما كتب فيه هو كتابهم، فجاء بقوله: كتابنا.

﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾: تجزون: من الجزاء يكون بالثواب أو العقاب، أو من جنس العمل.

﴿مَا كُنتُمْ﴾: ما بمعنى الذي أو مصدرية، وهي أوسع شمولاً من الذي.



﴿تَعْمَلُونَ﴾: تشمل الأقوال والأفعال، تعملون في الدنيا.

[٢٩] ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنَاطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب يشير إلى الكتاب، كتاب أعمالهم.

﴿كِتَابُنَا﴾: كتاب الأعمال الذي تكتبه الحفظة أو صحائف أعمالكم، ارجع إلى الآية السابقة للبيان.

﴿يُنَاطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾: أي: يشهد عليكم بالحق: الباء للإلصاق والملازمة بلا زيادة أو نقصان.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: إنا: للتعظيم، أي: الله سبحانه وملائكته، كنا: في الحياة الدنيا، نستنسخ: أي: نكتب ما كنتم تعملون (تعني: الأقوال والأفعال) أي: أمرنا ملائكتنا بكتابة أعمالكم وتثبيتها، والنسخ يعني: النقل ومنه نسخ الكتاب، أي: نقل الصورة إلى كتاب آخر، والنسخ في اللغة: معناه إزالة شيء بشيء آخر كنسخ الشمس للظل أو نسخ الريح لآثار الأقدام، أي: إزالتها.

[٣٠] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: أمّا: حرف شرط وتفصيل.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾: الفاء في فیدخلهم تدل على جواب الشرط، في رحمته: في ظرفية، رحمته: وتعني جنته في الآخرة،



وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا الرَّحْمَةُ فَتَعْنِي: الْإِنْعَامُ عَلَيْهِمْ بِسَعَةِ الْعَيْشِ وَالْخَيْرِ وَالصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ
وَالْأَمْنِ وَدَفْعِ الضَّرِّ عَنْهُمْ، أَيُّ: وَقَايَتِهِمْ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ.

﴿ذَلِكَ﴾: ذَا اسْمٍ إِشَارَةً وَاللَّامُ لِلْبَعْدِ.

﴿الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾: الْفَوْزُ الظَّاهِرُ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَخْفَى نَفْسَهُ. ارجع
إِلَى سُورَةِ النَّسَاءِ آيَةِ (٧٣) لِبَيَانِ مَعْنَى الْفَوْزِ وَأَنْوَاعِهِ أَوْ دَرَجَاتِهِ.

[٣١] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: حَرْفُ شَرْطٍ وَتَفْصِيلٍ.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بَلَقَاءُ اللَّهِ وَالْآخِرَةِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

﴿أَفَلَمْ﴾: أَفَلَمْ: الِهْمْزَةُ لِلِاسْتِفْهَامِ وَالتَّقْرِيرِ وَالتَّوْبِيخِ، وَتَعْنِي: لَقَدْ تَلَيْتُ
عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَالْفَاءُ لِلتَّوَكِيدِ.

﴿تَكُنْ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: قَدَّمَ آيَاتِي الْمَفْعُولَ عَلَى الْفِعْلِ لِلاِهْتِمَامِ، أَيُّ: أَفَلَمْ
تَكُنْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتِي، آيَاتِي: أَيُّ: آيَاتِ الْقُرْآنِ، التَّلَاوَةُ: تَكُونُ مِنْ إِحْدَى الْكُتُبِ
السَّمَاوِيَةِ، وَالتَّلَاوَةُ تَكُونُ لِأَكْثَرِ مِنْ كَلِمَةٍ وَلَهَا أَجْرٌ، آيَاتِي وَلَمْ يَقُلْ: الْآيَاتِ؛ لِأَنَّهَا
آيَاتٌ خَاصَّةٌ لَهَا أَهْمِيَّةٌ وَدَلَالَةٌ أَكْثَرُ مِنَ الْآيَاتِ الْآخَرَى.

﴿فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾: الْفَاءُ رَابِطَةٌ لْجَوَابِ الشَّرْطِ، اسْتَكْبَرْتُمْ: عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا
وَتَصْدِيقِهَا. ارجع إِلَى الْآيَةِ (٨) مِنْ نَفْسِ السُّورَةِ لِمَزِيدِ مِنَ الْبَيَانِ. ارجع إِلَى
سُورَةِ الْبَقَرَةِ آيَةِ (٨٧) لِبَيَانِ مَعْنَى الْاسْتِكْبَارِ وَالْكِبَرِ وَالْمُتَكَبَّرِ.

﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾: مُّجْرِمِينَ: بِسَبَبِ اسْتِكْبَارِكُمْ وَعَدَمِ إِيمَانِكُمْ بِهَا،
مُّجْرِمِينَ: كَافِرِينَ مُشْرِكِينَ، وَمُّجْرِمِينَ: مُشْتَقَّةٌ مِنْ جَرَمٍ، وَجَرَمُ الشَّيْءِ قَطْعُهُ



فهم قطعوا صلتهم بالله أو بمنهج الله، فتركوا ما أمرهم به وفعلوا ما نهاهم عنه، وجرم: أذنب وجنى جناية وفعلوا القبيح من الأفعال مثل الكفر والشرك والظلم فأصبحوا بذلك مجرمين. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥) لمزيد من البيان.

وإضافة كلمة (قوماً) إلى مجرمين، أي: قوماً مجرمين بدلاً من مجرمين تعني: أشد إجراماً من المجرمين؛ لأن الإجرام عم الكل، كل واحد أصبح مجرمًا والإجرام خُلِقَهم، ويضرب بهم المثل، أما (مجرمين) فأقل حالاً وقبحاً من القوم المجرمين.

[٣٢] ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زمان بمعنى حين.

﴿قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: إنَّ للتوكيد، وعد الله حق بالبعث والجمع والحساب، والجزاء والجنة والنار، وعد الله حق في كل ما يعدكم به.

﴿وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: أي: لا شك فيها قادمة لا محالة ولا جدال ولا إنكار، لا: النافية، ريب: الشك + التهمة. ارجع إلى سورة طه آية (١٥) لمقارنة الآيات المتشابهة.

﴿قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾: ما ندري: ما النافية، ندري: من الدراية: أي: العلم بعد الجهل، والدراية أخص من العلم، أي: لا نعلم الساعة من أي مصدر أو خبر أو نبأ، ما الساعة: ما استفهامية فيها معنى التعجب واستبعاد حدوثها أو وجود الساعة.



﴿إِنْ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾: إن للنفي أقوى نفيًا من ما، الظن: الرأي الرَّاجح عندهم، وهو الشك والتردد الذي ترجح فيه كفة الإثبات على كفة النفي، إلا: أداة حصر، ظناً: للتوكيد.

أي: نظن، وهذا الظن الوحيد، ولا يوجد سواه (نفي ما سواه)، أي: ما جاءنا عن الساعة أو علمنا بالساعة إلا من طريق الظن فقط، وليس هناك إثبات آخر إلا الظن.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾: ما النافية، ما نحن بمستيقنين لها نفس معنى إن نظن إلا ظناً، ولذلك فهي توكيد لها، فالكافرون بالبعث صنفان: الأوّل جاحد له مع الإصرار، والثاني جاحد له مع الشك كما هو الحال في هؤلاء المذكورين في هذه الآية.





سُورَةُ الْحَقِّ ٤٦

سُورَةُ الْحَقِّ ٤٦

وَبَدَّ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾
 وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا
 لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَخَذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوا وَغَرَّتْكُمُ
 الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾
 فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ
 الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الْحَقِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ
 أَتُؤْتِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ
 لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾





سورة الجاثية [الآيات ٣٣ - ٣٧]

[٣٣] ﴿وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾:

﴿وَبَدَأَهُمْ﴾: ظهر لهم، وتبين لهم في الآخرة، تدل على الفجأة، أي: يفاجئون بسيئات أعمالهم.

﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾: ما حرف مصدري أو اسم موصول بمعنى الذي عملوا، أي: ظهر لهم وتبين لهم قبيح أعمالهم أو جزاء أعمالهم السيئة.

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: نزل بهم وأحاط بهم. ارجع إلى سورة غافر آية (٤٥) لمزيد من البيان، والفرق بين حاق ونزل.

﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: ما اسم موصول بمعنى الذي كانوا به يستهزئون: أي: نزل وأحاط بهم العذاب الذي كانوا في الدنيا يستهزئون به ويستبعدون حدوثه، كالاستهزاء بالله وآياته ورسوله، والاستهزاء يعني: العيب والتحقير والتصغير بشأن المستهزأ به.

[٣٤] ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾:

﴿وَقِيلَ﴾: مبني للمجهول، أي: القائل غير معلوم قد يكون الله سبحانه أو الملائكة، المهم هنا هي المقالة.



﴿أَيُّومٌ﴾: هو يوم القيامة يوم الحساب.

﴿نَسَنُكُمْ﴾: أي: نترككم في العذاب في النار، أو نترككم تنتظرون حسابكم، كما قال تعالى ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، أو لا نبالي بكم، والله سبحانه لا ينسى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، والنسيان يعني: نترككم ونهملكم.

﴿كَأَنِّي سَتَرْتُ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾: الكاف كاف التشبيه، نسيتم: النسيان (بقصد) والمتعمد، أي: أعرضتم وتركتم الاستعداد لهذا اليوم ولم تصدقوا به، ارجع إلى سورة السجدة الآية (١٤) لمزيد من البيان.

﴿وَمَا أَوْنَكُمُ النَّارُ﴾: المأوى: المكان الذي تأوي إليه للاستقرار والإقامة.

﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾: ما النافية، لكم: اللام لام الاختصاص، أي: لكم خاصة، من استغرافية تشمل أي ناصر، ناصرين: يدفعون عنكم العذاب أو يمنعونه عنكم، أو من يخلصكم أو ينقذكم.

[٣٥] ﴿ذَلِكُمْ بِأَنكُمُ اخْتَدْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَلَيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾:

﴿ذَلِكُمْ﴾: ذا اسم إشارة، اللام للبعد، وتشير إلى عدة أمور، وللمبالغة مقارنة بذلك التي تشير إلى أمر واحد، وأشد تأكيداً من ذلك، وتشير إلى النسيان والدخول في النار سببه:

بأنكم: الباء السببية.



﴿اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾: اتخذ من أفعال التصيير، آيات الله هزواً: الاستخفاف والعبث بآيات الله ولم تقيموا لها وزناً. ارجع إلى الآية السابقة (٣٣) من نفس السورة، وسورة الزمر آية (٤٨) لمزيد من البيان في الاستهزاء.

﴿وَعَرَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: بجمالها وزينتها ومتاعها وشهواتها وطول الأمل وخذعتم بها والغرور يوقع المغرور فيما هو غافل عنه من الضرر. ارجع إلى سورة فاطر الآية (٥) لمزيد من البيان، ولمعرفة الفرق بين الغرور والغرور.

﴿فَالْيَوْمَ﴾: الفاء استئنافية.

﴿لَا يُخْرِجُونَهَا﴾: لا النافية، يخرجون منها (من النار).

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: تكرر (لا) يفيد تأكيد النفي، هم: يفيد التوكيد، ولا يستعتبون: لا يطلب منهم العتبي وإذا هم طلبوا العتبي بأنفسهم لا يستعتبون، لا يطلب منهم وإذا طلبوا العتبي لا يؤذن لهم.

يُستعتبون: من العتاب والعتاب مأخوذ من العتب، وأصله الغضب على رجل آخر صدر منه إساءة، أو شيء لم يكن متوقعاً منه، وبعد أن يهدأ الغضب إما أن تعتب على من أساء إليك، وتوضح له ما أغضبك، فربما له عذر أو أساء لك من غير قصد، فإن أوضح لك الأسباب وأرضاك فقد أعتبك. ارجع إلى سورة الروم آية (٧٥)، وارجع إلى سورة فصلت آية (٢٤) لمزيد من البيان.

[٣٦] ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿فَلِلَّهِ﴾: الفاء استئنافية وتوكيد، لله: جار ومجرور يفيد الحصر، أي: له، له



وحده الحمد، واللام لام الاختصاص والاستحقاق والحصر؛ لأن سياق الآية في الآخرة، وإذا قارنا هذه الآية بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] هذه الآية في سياق الدنيا.

﴿الْحَمْدُ﴾: حمداً مطلقاً غير مقيد بزمن؛ لأنه هو وحده المستحق للحمد على الدوام بسبب فضله وإنعامه، له الحمد لذاته وصفاته، ولأنه رب السموات ورب الأرض رب العالمين. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٢) لمزيد من البيان في الحمد.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾: خالق السموات ومدبرها.

﴿وَرَبِّ الْأَرْضِ﴾: خالق الأرض ومدبرها، عطف الشيء على مرادفه يفيد التوكيد، رب كل منهما على حدة وربهما معاً، وهو رب العالمين.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: خالق عالم الملائكة والثقّلين عالم الجن وعالم الإنس. ورب كل شيء، وحذف الواو ولم يقل: (ورب العالمين) طرح الواو لتجنب جمع صفة رب العالمين مع رب السموات ورب الأرض.

[٣٧] ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿وَلَهُ﴾: الواو عاطفة، له وحده، تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر والاختصاص والاستحقاق.

﴿الْكِبْرِيَاءُ﴾: له العظمة والجلال والكمال والسلطان له الكبرياء؛ لأن له



ملك حكم السموات والأرض وله ما فيهما، فهو الإله الحق واجب الوجود الذي
ظهرت آثار عظمته وكبريائه في كل أقطار السموات والأرض.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿الْعَزِيزُ﴾: له العزة جميعاً عزة القوة وعزة الغلبة وعزة القهر والامتناع.

﴿الْحَكِيمُ﴾: الحكيم في شرعه، وتدبير خلقه وكونه فهو أحكم الحاكمين
وأحكم الحكماء لا يخلق عبثاً سبحانه وتعالى. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩)
لمزيد من البيان.





سُورَةُ الْحَقِّ ٤٦

الجزء الثاني من القرآن

وَبَدَّ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾
 وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ وَمَا
 لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ
 الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾
 فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ
 الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الْحَقِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ
 أَتُنْتَوِي بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن
 لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾





سورة الأحقاف [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (٤٦)، و ترتيبها في النزول (٦٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمَّ﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

[٢] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾:

ارجع إلى الآية (١) من سورة الزمر للبيان.

انظر كيف انتهت السّورة السّابقة، سورة الجاثية، بقوله: وهو العزيز الحكيم، ولتبدأ هذه السّورة بقوله: تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم؛ مما يدل على الترابط الوثيق بين نهاية السورة السابقة مع بداية السورة التالية، وكذلك الترابط بين بداية هذه السورة كقوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ آية (٣)، مع نهاية هذه السورة، وهي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُمُ غَمًّا مِنْ شَيْءٍ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سِجِّينٌ﴾ الآية (٣٣).



[٣] ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذَرُوا مُّعْرِضُونَ﴾:

﴿مَا خَلَقْنَا﴾: ما النافية، خلقنا: بصيغة الجمع والتعظيم والخلق: هو الإيجاد من العدم والخلق هو التقدير. ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٣٠) وسورة فصلت آية (١٠-١١) وسورة الأعراف آية (٥٤) للبيان.

﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: السموات السبع والأرض وما بينهما: قيل: هي الطبقة الغازية التي لا تعد من مكونات السماء ولا الأرض. ارجع إلى سورة الفرقان آية (٥٩).

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: إلا للحصر، بالحق الباء للإلصاق والمصاحبة أو الملازمة، بالحق، والحق هو الشيء الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل، أي: تسير على نظام ثابت لا يتغير ولا تتبدل في دورانها وحركتها في فلكها، رغم هذه المليارات من المجرات والنجوم والكواكب التي تجري بسرعات مختلفة وتدور حول مركز مجراتها.

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هو يوم القيامة بعد هذا الأجل تتغير وتزول، وتنتهي كما في قوله: ﴿تَبْدُلُ الْأَرْضَ عَنِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذَرُوا مُّعْرِضُونَ﴾: أي: رغم هذه الأدلة القاطعة على قدرة الله وعظمته ووحدانيته، وأنه الإله الحق الذي يستحق أن يعبد ورغم إرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية، الذين كفروا عما: عن تفيد المجاوزة والمباعدة، ما: اسم موصول بمعنى الذي، أي: الذين كفروا عن الذي أُنذروا به معرضون أو عن إنذارهم معرضون.



معرضون: لا يؤمنون به ولا يصدقونه والإنذار يعني: الإعلام مع التحذير والتخويف، والذين كفروا عما أنذروا معرضون: إخبار فيه تعجب من إعراض الكافرين عن دعوة الحق إلى الإيمان والعمل الصالح والنجاة من العذاب وعدم الاستجابة لها.

[٤] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنْفِئُونَ بِكُتُبٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

رغم هذه الأدلة القاطعة على قدرة الله تعالى وعظمته ووحدانيته مثل خلق السموات والأرض وما بينهما وأنه الإله الحق الذي يجب أن يُعبد وحده، ها هم يشركون بالله ويجعلون له أنداداً؛ لذلك أخبر الله تعالى النبي ﷺ: أن يسألهم.

﴿قُلْ﴾: لهؤلاء الذين أشركوا بالله تعالى.

﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتقرير والتعجب، الرؤية رؤية قلبية، أي: أخبروني إخبار من له علم ودراية، أي: بالتوكيد.

﴿مَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: ما لغير العاقل (أو صفات العاقل) اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية، تدعون: تعبدون، من دون الله: من غير الله من الآلهة والأصنام.

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾: أروني توكيد لقوله: أرايتم، ماذا للاستفهام أقوى في الاستفهام والتوكيد من ما، ومن ابتدائية استغرافية، ماذا خلقوا: أي شيء خلقوا من الأرض.



﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾: أم للإضراب الانتقالي، شرك: نصيب ومشاركة في خلق أو ملك السموات.

﴿أَتُؤْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا﴾: أي هلّم بكتاب منزل من قبل القرآن فيه آية تشهد على ما تدعون أن الأصنام والآلهة شركاء لله.

﴿وَأَنْتَرَوْنَا عَلَيْهِ﴾: أي: بقية من علم السابقين؛ السابقين تشهد بصحة عبادة الآلهة أو شيء ماثور من كتب الأولين بصحة عبادة الأصنام.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: إن شرطية تفيد الشك، كنتم: في دعوكم، صادقين: أن هذه الآلهة تستحق أن تعبد، وجواب الشرط محذوف، وتقديره: أنتم غير صادقين.

[٥] ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾:

في الآية السابقة نفى الله سبحانه عن الآلهة والأصنام القدرة على الخلق أو الشراكة في السموات وفي الأرض، وفي هذه الآية ينفي عنها العلم:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ من الاستفهامية تحمل معنى النفي والإنكار والتعجب، أي: لا أحد أشد ضللاً وأعجب حالاً.

﴿مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ﴾: أي: يعبد غير الله أو يدعو معبوداً لا يستجيب له لدعائه أو قضاء حاجته، ولو انتظر إلى يوم القيامة؛ لأن هذه الآلهة لا تبصر ولا تسمع ولا تعقل لكونها حجارة أو معادن منحوتة بأيديكم.

﴿وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾: وصفهم بضمير العاقل تهكماً وتقريعاً لهم، عن:



تفيد المجاوزة والمباعدة، عن دعائهم غافلون: أي: عبادتهم لا تجدي لهم نفعاً
ولا ضرراً؛ لأنها أصناماً لا تشعر بهم ولا تعقل ولا تدرك من أفعالهم شيئاً.
غافلون: جمع غافل تدل على الثبوت والاستمرار. ارجع إلى سورة البقرة
آية (٧٤) لمزيد من البيان في معنى الغفلة.





الجزء الثاني من التفسير

سورة الأحقاف ٤٦

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا
تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا
سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ
لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ
وَمَا أَدْرِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا
إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ
فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ
إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا
اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾



سورة الأحقاف [الآيات ٦ - ١٤]

[٦] ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾:

المناسبة: بعد نفي الخلق أو الشراكة في السموات والأرض ونفي العلم عن تلك الآلهة التي يعبدونها في الآيات السابقة، يذكر في هذه الآية موقف هذه الأصنام من عبادها يوم القيامة.

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿حُشِرَ النَّاسُ﴾: يوم القيامة حشر العابدون والمعبودين أو التابعون والمتبوعين والسادة والرؤساء والضعفاء.

﴿كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ﴾: كانت الأصنام لهم، لمن عبدها في الدنيا أعداء جمع عدو، أعداء في كثير من الأمور أو العبادات والطاعات، ولم يقل: عدوٌ التي تعني: عدوًّا في أمر واحد.

﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾: أي: الأصنام والآلهة تكفر وتكذب وتجدد بعبادتهم لها، أي: يتبرأ كلٌّ من الآخر.

[٧] ﴿وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾:

المناسبة: بعد نفي الشركاء وإثبات عقيدة التوحيد ينفي في الآيات التالية الشبهات حول القرآن الكريم ونبوة رسوله محمد ﷺ.



﴿وَإِذَا﴾: ظرف زمان بمعنى حين وشرطية وتفيد حتمية الحدوث، وإذا سمع الذين كفروا آيات القرآن:

﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾: واضحة المعنى والدلالة على أن القرآن حق والرسول ﷺ حق.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾: السلام لام الاختصاص للحق؛ أي: للقرآن حين أنزل عليهم قالوا هذا سحر مبين؛ أي: افتراء وباطلًا.

﴿لَمَّا﴾: ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿جَاءَهُمْ﴾: أي: أنزل عليهم.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يفيد القرب، ويشير إلى القرآن.

﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: اتهموا القرآن بالسحر لشدة تأثيره في القلوب والأنفس، وكونه خارقاً للعادة، وسحراً واضحاً لا يخفى على أحد، أو سحراً ظاهراً لا يحتاج إلى بيّنة أو دليل، ولتعريف السحر ارجع إلى سورة طه آية (٥٨) للبيان.

[٨] ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنْ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾:

لم يكتفوا بالقول أو بوصف القرآن بأنه سحر مبين، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، وقالوا أنه مفترئ والافتراء هو الكذب المختلق المتعمد:

﴿أَمْ﴾: المنقطعة أو للإضراب الانتقالي والهمزة للاستفهام والإنكار، وقد تأتي بمعنى: بل يقولون افتراه.



﴿يَقُولُونَ أَفَرَأَيْنَاهُ قُلٌ﴾: أي: هو كذب اختلقه أو اخترعه محمد ﷺ، فردَّ الله عليهم بقوله تعالى: قل يا رسول الله لهؤلاء الكفرة:

﴿إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ﴾: إن شرطية تفيد الشك. افتريته: جئت به من عندي.

﴿فَلَا﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، لا النافية.

﴿تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: أي: لا تقدرُوا أن تردُّوا عني عذابه، أو سيعذبني وحدي وأنتم لا تملكون أي وسيلة أو حيلة لدفع العذاب عني، من استغراقية، شيئاً: نكرة، أي شيء لمساعدتي، ومهما كان حسياً أو معنوياً، والشيء: هو أقل القليل.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: هو للتوكيد تعود إلى الله سبحانه، أعلم على وزن أفعل للمبالغة، بما: الباء للإصاق، ما: أي: الذي أو مصدرية، تفيضون فيه: مشتقة من فاض الماء أي: سال منصباً، مندفعين بقول الباطل والخوض فيه والطعن في القرآن وأنه سحر وأنه مفترئ.

﴿كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: أي: كفى بالله سبحانه وتعالى شهيداً، ولم يقل: شاهداً، شهيداً صيغة مبالغة، أي: عالماً بما نخفي وما نعلن وبما هو ظاهر وباطن، أي: يكفي أن يشهد أن القرآن منزل من عنده وليس من عندي.

وتقديم شهيداً على بيني وبينكم: جاء على الأصل، وإذا جاء الشيء على الأصل لا يُسأل عنه، وقد يؤخر كما في قوله تعالى في سورة العنكبوت آية (٥٢): ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾، وهذه الآية الوحيدة في القرآن آخر فيها شهيداً على بيني وبينكم. ارجع إلى سورة العنكبوت لبيان السبب في التأخير.



﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾: هو للتوكيد، الغفور: صيغة مبالغة كثير الغفر، أي: ستر الذنوب ومحوها، الغفور لمن تاب من بعد ظلمه، الرحيم بتأخير العذاب عن عباده لعلهم يدركون الحقيقة بالتدبر والتفكر ويتوبون إليه وينيبون.

[٩] ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنِ أَنِيعُ إِلَّا مَا يُوْحِي إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله للذين كفروا:

﴿مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾: ما النَّافِية، وانظر كيف تكررت ما النافية في هذه الآية ثلاث مرات لتوكيد النفي، والإشارة أن رسول الله ﷺ هو رسول قد خلت من قبله الرسل، وأنه لا يعلم الغيب، وما هو إلا وحي يوحى، والأمر كله لله سبحانه؛ بدعاً من الرسل: رسولاً جديداً أو مخترعاً شيئاً جديداً، أي: النبوة، فقد سبقني الكثير من الرسل إليها، ورسالتي هي إحدى الرسالات.

﴿وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾: وما النَّافِية لتوكيد النفي، أدري، ما: اسم موصول أو استفهامية، أي: وما أعلم الغيب إلا ما يوحى إلي، وما أدري: أعلم بأي وسيلة ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا ولا في الآخرة، وما أدري ما سيحل بي أو بكم هل أبقى في مكة أو أخرج منها أو أقتل أو أموت، وهل ستعجل لكم العقوبة أو تمهلون.

﴿إِنِ أَنِيعُ إِلَّا مَا يُوْحِي إِلَيَّ﴾: إن النَّافِية أقوى نفيّاً من ما، أي: ما أتبع إلا ما يوحى إليّ إلا تفيد الحصر، أي: أتبع فقط ما يوحى إليّ من ربي، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٤: ١٠٥)، ولمعرفة معنى الوحي ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣).



﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: ما النَّافِية، أنا إلا أداة حصر، نذير مبين: الإنذار هو الإعلام من التحذير والتخويف إعلان مقترن بتهديد، نذير مبين: منذر لكل فرد منكم، مبين: تام الإنذار لا أخفي منه شيئاً، نذير صيغة مبالغة، أي: وكثير الإنذار، نذير لأمتي وللناس كافة ونذير لمن خالف منهج الله تعالى.

لنقارن هذه الآية (٩) من سورة الأحقاف وهي قوله: ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، والآية (١١٥) من سورة الشعراء وهي قوله: ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾:

آية الأحقاف جاءت في سياق الدَّعوة والحوار، وآية الشعراء جاءت في سياق التحدي والمحاربة والتكذيب للرسول، ولذلك استعمل (إن) الأشد نفياً من (ما) في سورة الشعراء.

[١٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ، فَتَأْمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٤) من نفس السورة للبيان والخطاب موجه إلى الذين كفروا وكذبوا بالرسول ﷺ وبالقرآن.

﴿إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾: إن شرطية، كان من عند الله: أي: القرآن على سبيل الحقيقة وليس الاحتمال والافتراض؛ أي: هو حق من عند الله تعالى. ﴿وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾: أي: واستمررتم وأصررتم على كفركم، جواب الشرط محذوف، وتعني: من سيكون أشد منكم كفراً.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ، فَتَأْمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾: قيل: هو عبد الله بن سلام، شهد على مثله: مثل القرآن شهد على مثل ما في القرآن في التوراة،



أي: نفس ما في التوراة من علامات وبيانات وحقائق في القرآن أو شهد أن القرآن منزل من عند الله تعالى، فأمن: الشاهد عبد الله بن سلام أو غيره، واستكبرتم: أن تؤمنوا وتصدقوا به ألستم بظالمين. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٥٢) وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾. ارجع إلى سورة فصلت للبيان.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: لا النافية، يهدي القوم الظالمين: الذين اختاروا طريق الشرك والضلال وأصروا على ضلالهم وابتعادهم عن الدين، ولم يعد هناك أمل في توبتهم وعودتهم إلى الإيمان، فهو لاء انتهى أمرهم ولن يهديهم الله بعد ذلك. ارجع إلى سورة الجمعة آية (٥) لمزيد من البيان في معنى إن الله لا يهدي القوم الظالمين.

[١١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْ فُكَّ قَدِيمٌ﴾:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: الذين كفروا؛ قيل: هم قريش، وقيل: بنو عامر وأسد وأشجع وغطفان، والعبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب، أو يهود المدينة.

﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: اللام لام الاختصاص، أي: أسلموا مثل قبائل جهينة ومزينة وأسلم وغفار.

﴿لَوْ﴾: شرطية كان هذا القرآن أو الإيمان أو الإسلام.



﴿كَانَ خَيْرًا﴾: شيئاً مفضلاً.

﴿مَاسَبُقُونَا إِلَيْهِ﴾: أي: ما سبقنا إلى القرآن والإيمان والإسلام، هؤلاء أمثال بلال وعمار وصهيب وخباب وغيره من ضعفاء المسلمين.

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا﴾: ظرف للزمن الماضي، لم: النافية، يهتدوا بالقرآن العظيم.

﴿فَسَيَقُولُونَ﴾: الفاء عاطفة تربط السبب بالمسبب، السنين للاستقبال القريب، أي: سيقولون عن قريب والنون في يقولون للتوكيد.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب تشير إلى القرآن العظيم.

﴿إِنِّكَ قَدِيمٌ﴾: كذب متعمد قديم أفكّه أناس غير محمد، وجاءوا به ومحمد ﷺ عشر على ذلك الإفك أو تعلمه من غيره.

[١٢] ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيٍّ لِّنَذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾: الواو استئنافية، من ابتدائية، قبله: أي: قبل إنزال القرآن أنزلنا كتاب موسى، أي: التوراة.

﴿إِمَامًا﴾: قدوة يؤتم به في دين الله كما يؤتم بالإمام.

﴿وَرَحْمَةً﴾: يجلب ما يسر ويدفع ما يضر، والرحمة تعني: دفع الضر (أي: الوقاية) من المعاصي والآثام.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ﴾: هذا: الهاء للتنبيه ذا اسم إشارة للقرب والتعظيم ويشير إلى القرآن، هذا كتاب: أي: القرآن، وجاء بالنكرة للتعظيم.



﴿مُصَدِّقٌ﴾: لكتاب موسى أو لما بين يديه من الكتب السماوية السابقة.
ولم يقل: مصدقاً، وإنما مصدق؛ لأنها نعت الكتاب، أو خبر ثان؛ أما لساناً:
تعرب حال.

﴿لِسَانًا﴾: أي: بلغة.

﴿عَرَبِيًّا﴾: بلغة عربية توكيداً.

﴿لِيُنْذِرَ﴾: اللام لام التعليل والتوكيد، وينذر من الإنذار وهو الإعلام مع
التحذير والتخويف.

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: الذين أشركوا وظلموا أنفسهم بالمعاصي وخرجوا عن
منهج الله تعالى لينذرهم من عذاب عظيم.

﴿وَبُشِّرَى﴾: من البشارة وهي الخبر السار لأول مرة، بشرى لأهل الإحسان
والتقوى والإيمان.

﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾: اللام لام الاستحقاق والاختصاص، المحسنين جمع
محسن، ولمعرفة الإحسان وتبينه، ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة،
المحسنين: جملة اسمية تدل على ثبوت صفة الإحسان لهم.

[١٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾: ارجع إلى الآية (٣٠) من سورة
فصلت للبيان.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٣٨) من سورة البقرة.



[١٤] ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد تشير إلى علو منزلتهم.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾: من المصاحبة، أي: الملازمة.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: من الخلود: هو استمرار البقاء من وقت دخولهم إياها.

﴿جَزَاءٌ﴾: يكون مقابل العمل الصالح أو السيئ، أي: يأتي في سياق النفع والضر، وهو أعم من الأجر والأجر يكون مقابل عمل، ولا يستخدم إلا في النفع.

﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: الباء باء السببية أو تعليلية، ما اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية، كانوا في الدنيا يعملون (تضم الأقوال والأفعال).



وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي
ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
نَنْقِبُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ
الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ
لِوَلَدَيْهِ أَفِ لَكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أَخْرُجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ
قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَأَمِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ
مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا
خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلُهُمْ وَهُمْ
لَا يُظَامُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذَهَبْتُمْ طِبَّتِكُمْ
فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ
بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

سورة الأحقاف [الآيات ١٥ - ٢٠]

[١٥] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾:

﴿وَوَصَّيْنَا﴾: كلفنا أمرنا من وصَّى فيها حث واهتمام.

الفرق بين وصَّى وأوصى: وصَّى تستعمل لما هو أهم مثل أمور الدين والأمر المعنوية، وأوصى تستعمل للأمور المادية عادة، أي: طألب وأوصاه: طلب منه. ارجع إلى سورة النساء آية (١١) للبيان المفصل.

﴿بِوَلَدَيْهِ﴾: الباء للإلصاق والملازمة، الوالدان: تطلق على الأب والأم بحكم الإنجاب؛ أي: الوالدة: من الولادة التي تقوم بها الأم، والوالد من الولادة، أما الأبوان: الأب والأم بحكم التربية.

﴿إِحْسَانًا﴾: أعلى درجات البر والحسن إحساناً: أمكن وأفضل من (حسناً) وتعني المعاملة الحسنة وزيادة، (حسناً): كلمة تجمع كل معاني الحسن وأقل درجة من (إحساناً). ارجع إلى سورة النساء آية (٣٦)، وسورة البقرة آية (١١٢) لمزيد من البيان في معنى الإحسان.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾: كُرْهًا: بضم الكاف: ما أكرهت نفسك عليه؛ لأنك راغب في القيام به رغم أنه شاق ومضن، فالمرأة تفرح بالحمل وبولادة الولد رغم مشاق الحمل والآلام، ولا تمنع في الحمل فهو محبوب



لديها، أمّا الكره: بفتح الكاف فهو ما أكرهك غيرك على فعله، أي: تقوم به وأنت كاره له حقيقة وقسراً؛ أي: الكره الحقيقي كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ [محمد: ٩].

﴿وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾: الحمل والرّضاة (٣٠) شهراً، والرّضاة: حولين (٢٤) شهراً لقوله تعالى: ﴿وَالْوِلْدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] أي: (٢٤) شهراً، فإذا طرحنا (٢٤) شهراً من (٣٠) شهراً تبين لنا أن الحمل (٦-٩) أشهر، ومن هذه الآية نعلم أن الوليد الخديج يمكن أن يعيش إذا ولد بعد ٦ أشهر. وهذا من الإعجاز العلمي الطبي للقرآن الكريم.

﴿حَتَّى﴾: حرف نهاية الغاية، إذا عاش وبلغ أشده.

﴿إِذَا﴾: ظرف زماني.

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: كمال القوة البدنية وهي (٣٠) سنة أو (٣٣) سنة.

﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾: كمال القوة العقلية وهو سن النبوة عند الجمهور، ولم يبنئ نبي قبل الأربعين إلا عيسى ويحيى ﷺ.

﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾: رب أوزعني تعريف الوزع: هو الكف والمنع، أي: كفني أو امنعني عن كل ما يؤدّي إلى كفران نعمتك، وقيل: الوزع: الإلهام، أي: ألهمني أن اشكر نعمتك، وقيل: الوزع الإغراء، أي: الولوع بشكر النعمة، أي: لا أنفك عن شكر نعمتك والدوام على ذلك أو اجعلني ملازماً ذاكراً أن أشكر نعمتك.

﴿الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي﴾: نعمة الإيمان والتّوحيد ونعمة الإسلام والهداية والرّشد والصّحة والعافية وسعة العيش، النّعمة: لا تعدُّ ولا تحصى، وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها، وعلى والدي: الوالد والوالدة المؤمنين.



﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا﴾: الواو للعطف، أن للتوكيد، أعمل صالحاً: الفرائض والسنن وكل ما يحقق رضا الله عز وجل.

﴿تَرْضَاهُ﴾: تتقبله.

﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾: الذرية: هم الأولاد أو النسل، وقيل: الذرية: النساء والأولاد، والذرية قد تعني أيضاً: الآباء والأجداد؛ أي: وفقهم للعمل الصالح، وفي تفيد الاستمرار في العمل الصالح، أي: زدهم علماً في الدين وصلاً ورشداً وهداية.

﴿إِنِّي بَبْتُ إِلَيْكَ﴾: إني للتوكيد، تبت إليك: من ارتكاب السيئات وعدم العودة إليها والندم عليها. ارجع إلى سورة النساء آية (١٧-١٨) لمزيد من البيان في أركان التوبة.

﴿وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: وإني للتوكيد، من ابتدائية، المسلمين: المخلصين الموحدين لك والمطيعين الخاضعين لأمرك ونهيك.

[١٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد يشير إلى التعظيم وعلو المنزلة.

﴿نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾: نتقبل عنهم، ولم يقل: نتقبل منهم أعمالهم الصالحة، فما هو الفرق بين نتقبل عنهم ونتقبل منهم؟

نتقبل عنهم: أي: نتقبل العمل الصالح نفسه أو العمل الصادر عن العبد كالصلاة والصدقة والصوم.

نتقبل منهم: أي: نتقبل من الجهة القائمة بالعمل الصالح، أي: من العبد نفسه.



مثال: الصّلاة عبادة هي عمل صالح، ولكن لا يقبلها الله من المنافق أو المبدع أو المحدث هنا تقول: لا نقبل منهم.

مثال: إنسان مؤمن موحد يعمل صالحاً نتقبل عنه عمله الصّالح ونتقبل منه؛ لأنه مؤمن.

مثال آخر: إنسان مؤمن يتصدق رياء لا نقبل صدقته الصّادرة عنه ونتقبل منه صلاته، وقد يسأل سائل أحسن ما عملوا: أحسن على وزن أفعال التّفصيل فما بال العمل الحسن ألا يتقبل منه، نقول له: الأحسن يشمل الحسن والأحسن.

﴿وَنَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: أي: نغفو عنها ولا نعاقبهم عليها بعد التّوبة والإنابة إلى الله تعالى، حتّى لا تتلاشى حسناتهم فلا نطبق فرضية إنّ السيّئات يذهبن الحسنات، ولو طبقت هذه الفرضية لكان كلّ واحد منا مفلساً يوم القيامة.

﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾: ولم يقل: مع أصحاب الجنة: أي: هو من المكرمين فهو أحد منهم وليس معهم؛ لأنّ معهم قد يكون معهم وليس فيهم منعزلاً لو حده، وهو موجود معهم.

﴿وَعَدَ الصّٰدِقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾: في الدّنيا، وقيل: الوعد: هو قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [التّوبة: ٧٢] وعد الصّديق: أي: وعد الحقّ الذي لا يتغيّر ولا يتبدّل، وعد: مصدر مؤكّد لفعل وعد وقوله تعالى: نتقبل ونتجاوز، فهذا وعد من الله سبحانه.

[١٧] ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَنْعَدَانِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَبَلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾:

سبب النزول: ذكر في بعض كتب التّفسير أنّها نزلت في عبد الرّحمن بن أبي بكر، ولكن عائشة رضي الله عنها نفت ذلك، وقالت: إنّها نزلت في رجل



آخر، ولنعلم أنّ عبد الرحمن بن أبي بكر أسلم وحسن إسلامه، والمهم هو عموم اللفظ وليس بخصوص السبب، فهي تمثل العاق لوالديه، والمكذب بالبعث.

﴿وَالَّذِي﴾: اسم موصول يفيد الذم في هذه الآية.

﴿قَالَ لَوْلَايَهُ أَفِي لَكُمْ﴾: ارجع إلى الآية (١٥) من نفس السورة. أف: فعل مضارع بمعنى التضجر، أي: لا أطيق ما تقولانه لي، أو يكفي ما تقولانه.

﴿أَتَعْدَانِي﴾: أني سأبعث من جديد، وأخرج من قبري بعد أن مضت القرون (الأجيال) من قبلي، ولم يخرج من قبره أحد ممن مات.

والقرن: الجماعة من الناس الذين يعيشون في زمن واحد (قرن)، والقرن: يقارب (١٠٠) عام، الهمزة في أتعداني للاستفهام والاستنكار.

﴿أَن أَخْرَجَ﴾: أن للتعليل والتوكيد، أخرج من القبر.

﴿وَهُمَا﴾: تعود على والديه.

﴿يَسْتَعِينَانِ اللَّهَ وَيَلْكَ أَمِنْ﴾: يطلبان من الله أن يوفقه للإيمان ويرده إلى سبيل الهدى والرّشاد، ويقولان له ويلك: يا هلاكك إن لم تؤمن بالله وبالبعث وبما أنزل والويل دعاء بالهلاك والشّبور.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: إن للتوكيد، وعد الله بالبعث والرجوع إليه والحساب والجزاء حق، أي: أمر ثابت لا يتغيّر ولا يتبدّل.

﴿فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: فيقول الولد مكذباً بالبعث، ما: النافية، هذا: الهاء للتنبيه، وذا اسم إشارة يفيد القرب، ويشير إلى الوعد والخروج من القبر، إلا: أداة حصر، أساطير الأولين: أكاذيب الأقدمين التي سطروها في كتبهم أو أباطيل الأولين، أساطير: جمع أسطورة: وتعني حكاية أو قصة قديمة.



[١٨] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد (دنو المنزلة).

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الدّم.

﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: وجب وثبت لهم العذاب، ولم يقع بعد أو حق عليهم القول لأنهم من الجنّة والنّاس أجمعين. وقيل القول: العذاب.

﴿فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾: أي: منضمون إلى أمم قد مضت وسبقتهم في الكفر والإلحاد، أنّهم من أهل النّار.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾: إنّهم للتوكيد، كانوا خاسرين لأنفسهم ولأهلهم.

[١٩] ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلُهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾:

﴿وَلِكُلِّ﴾: الواو استئنافية، لكلّ: اللام لام الاختصاص، لكلّ من الفريقين المؤمنين والكافرين من الجن والإنس.

﴿دَرَجَتٌ﴾: في الجنة أو في النّار، في الجنة درجات، وفي النّار درجات. وبالنسبة للذين آمنوا لهم درجات عند ربهم، ولا ننسى قوله تعالى أيضاً: ﴿هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣]؛ لهم درجات في الجنة كما قيل مئة درجة وأكبر من ذلك؛ هم درجات عند ربهم: وتعني القرب الحقيقي؛ أي: قرب المنزل والمكانة من الله سبحانه.

﴿مِّمَّا عَمِلُوا﴾: جزاء ما عملوا من الخير والشر في الدنيا.

﴿وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلُهُمْ﴾: السلام لام التعليل يوفيههم: من وفى: أعطاه حقه، أي: أعطاهم جزاء ما عملوا من خير، أو شرّ.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿لَا يَظْلَمُونَ﴾: لا النّافية، يظلمون: الظلم: أخذ حق الغير أو حرمانه منه؛ أي: لا يظلمون في الآخرة أو يوم الحساب مثقال ذرة أو بنقص حسنة أو زيادة سيئة.

[٢٠] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طِبْنَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْنَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾:

﴿وَيَوْمَ﴾: الواو استئنافية، يوم: ظرف زمان، يعني: يوم القيامة.

﴿يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾: العرض يتم بطريقتين الذين كفروا هم يعرضون على النار، وفي آية أخرى هي تعرض عليهم ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف: ١٠٠]، ارجع إلى الآية (٤٥) من سورة الشورى للبيان، والعرض يعني: أظهر له أو أبرز إليه، أو الكشف، يعرض الذين كفروا على النار، أي: يجيء بهم إليها فيكشف لهم عنها، أو تظهر لهم وتبين ويروها بأمر أعينهم.

﴿أَذْهَبْتُمْ طِبْنَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾: الهمزة للتوبيخ والتقريع، أي: لم يبق لكم شيء من الطيبات اليوم، فقد استوفيتم وأخذتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وتمتعتم بها، أي: لم يبق لكم اليوم شيء حتى تتمتعوا فيه.

﴿فَالْيَوْمَ﴾: الفاء للتوكيد، اليوم: يوم القيامة.

﴿يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾: عذاب الهوان، أي: الخزي والذل.

﴿وَبِمَا﴾: الباء للتعليل أو السببية، ما اسم موصول أو تعليلية.

﴿كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: كنتم في الأرض، ارجع إلى الآية (٨٧) من سورة البقرة للبيان.

﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾: وبما كنتم: تكرار بما كنتم يفيد التوكيد، كنتم تفسقون: تخرجون عن طاعة الله ورسوله وتعصونه، الفسق هو الخروج عن طاعة الله تعالى ومخالفة أوامره، تفسقون: فعل مضارع يدل على التجدد والتكرار والاستمرار، ارجع إلى الآية (٢٦) من سورة البقرة لمزيد من البيان.





سورة الأحقاف ٤٦

سورة الأحقاف



وَأَذْكُرْ أَخَاعِدٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِأَلْحَقَافٍ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ۚ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُفَكِّكَ عَنْ إِلَهِنَا فَأْتِنَا
بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٧﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ
وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٤٨﴾
فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا
بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٩﴾ تَدْمِرُ كُلَّ
شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي
الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيْمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ
وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَفُؤَادَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ
وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْعَادُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَمْجَدُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ
أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً
بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾



سورة الأحقاف [الآيات ٢١ - ٢٨]

[٢١] ﴿وَأَذْكُرْ أَهْلَ عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ الْبُيُوتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

المناسبة: بعد ذكر الذين كفروا من قريش وكيف يستكبرون في الأرض بغير الحق ويفسقون، يذكر قصة قوم عاد الذين كانوا أكثر أموالاً وقوة من مشركي قريش أهلكهم الله سبحانه بسبب كفرهم.

﴿وَأَذْكُرْ﴾: إذ أو اذكر حين.

﴿أَهْلَ عَادٍ﴾: هو هود عليه السلام أخو عاد أخوهم في النسب، لا في الدين، أي: من قبيلتهم.

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي.

﴿أَنْذَرَ﴾: من الإنذار وهو الإعلام مع التحذير والتخويف أنذرهم ألا يعبدوا إلا الله.

﴿بِالْأَحْقَافِ﴾: جمع حقف وهو الهضبة من الرمل العظيم المستطيل المرتفع المعوج مع الانحناء، والأحقاف في شمال حضرموت في شمالها المسمى الربع الخالي، وفي شرقها عُمان، وهي الآن عبارة عن تلال من الرمال الخالية.



﴿وَقَدْ﴾: الواو حالية، قد للتحقيق والتوكيد.

﴿خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: خلت: مضت، النذر: جمع نذير وهم الرسل، من بين يديه: من قبل مجيء هود ومن بعده، الكل فعلوا ذلك، أي: أنذروا أقوامهم كما أنذر هود قومه عاد بأن لا يشركوا بالله شيئاً، هناك من قال أن هذه جملة اعتراضية وأصل الآية: أنذر قومه بالأحقاف ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم.

﴿أَلَا﴾: أصلها أن لا: أن تعليلية، لا الناهية

﴿تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾: إلا أداة حصر، أي: لا تعبدوا إلا الله وحده، والعبادة هي طاعة المعبود فيما أمر به أو نهى عنه ولها أجر ومنهج وثواب. ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣) لبيان معنى العبادة.

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: إن عبدتم غير الله أن يحل عليكم أو ينزل بكم.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: بسبب شرككم، عذاب عظيم لا ينجو منه أحد، وهو يوم القيامة ونكره للتهويل والتعظيم. وعظيم قد تكون صفة أو نعت للعذاب نفسه أو لليوم يوم عظيم يوم القيامة.

[٢٢] ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَفِكَأَنَّ عَنْ هَٰؤُلَاءِ مَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: قال قوم عاد لهود.

﴿أَجِئْنَا﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري.



﴿لِتَأْفِكُنَا﴾: السلام لام التعليل لتأفكنا: لتصرفنا عن عبادة آلهتنا، الإفك: الصّرف، والإفك هو الكذب المتممّ وقلب الحقائق، أي: لتكذب علينا ولتصرفنا عن عبادة آلهتنا إلى عبادة الله وحده.

﴿عَنْ آلهَتِنَا﴾: عن تفيد المجاوزة والمباعدة، أي: عن عبادتها.

﴿فَأَنبَأْنَا﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط المقدّر.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق، ما بمعنى الذي أو مصدرية.

﴿تَعْدُنَا﴾: من العذاب، أي: هم يستعجلون بالعذاب وحين يقع لا يصدقون بحدوثه، فيرد الله عليهم بقوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الآية (٢٤) من نفس السّورة.

﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾: إن شرطية تفيد الشك والاحتمال، أي: نشك أن تكون من الصّٰدقين، الصّٰدقين في إنذارك ووعيدك ودعوتك.

[٢٣] ﴿قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِيتُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: هود رداً عليهم حين قالوا: ائتنا بما تعدنا إن كنت من

الصّٰدقين:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: متى سيحل عليكم العذاب أو يأتيكم لا أحد يعلم

بذلك إلا الله سبحانه وحده.



﴿وَأَبْلَغُكُمْ مَا أُزِيلَتْ بِهِ﴾: أي: ما عليّ إلا البلاغ: أي: إيصال الرّسالة إليكم كقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، ما: بمعنى الذي أو مصدرية، أبلغكم ما أوحى إليّ هذه مهمتي، وليس مهمتي أن آتيكم بعذاب أو أخبركم متى سيحل عليكم.

﴿وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾: أراكم رؤية قلبية جهلاء حين لا تؤمنوا بالله وحده، وحين تستعجلون بالعذاب، وتجهلون عاقبة أمركم ومصيركم إذا حلّ عليكم العذاب تجهلون ما ينفعكم وما يضركم. ارجع إلى سورة الفرقان آية (٦٣) لمزيد من البيان في تجهلون.

[٢٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء عاطفة، لما: ظرف بمعنى حين متضمن معنى الشرط.

﴿رَأَوْهُ﴾: الهاء تعود إلى العذاب.

﴿عَارِضًا﴾: العارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء، يعترض جو السماء، أي: يظهر أو يبرز.

﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾: متوجّهاً، الاستقبال: التوجّه نحو الشيء ليكون قبالة، مستقبل: اسم فاعل من الفعل السداسي استقبال؛ أي: متجه نحو أوديتهم: جمع وادٍ.

﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾: هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب، ويشير

إلى العارض، عارض ممطرنا: سحب سيأتينا بالمطر، ممطر أرضنا المصابة بالجفاف، ممطر: اسم فاعل من الفعل الرباعي أمطر.

﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾: القائل هو هود عليه السلام، أو الله سبحانه وتعالى، بل: للإضراب الإبطالي، أي: ليس بالسحاب الممطر كما تظنونه، بل هو العذاب القادم على شكل ريح لا تحمل الخير كما هو الحال في سياق الرياح.

﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: ريح مدمرة تظهر بشكل سحب مظلم تهب بسرعة شديدة (ريح عقيم). وكلمة ريح في القرآن تأتي في سياق الشر والعذاب.

[٢٥] ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾:

﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾: تدمر كل شيء تمر به أو تأتي عليه، كل شيء من بشر وحيوان وشجر وسكن، فهي لا تبقى ولا تذر، وقد تصل سرعتها إلى أكثر من (٢٠٠ كم) بالساعة.

﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾: بإذنه وإرادته ومشيئته، وقد أتت على قوم عاد فأهلكتهم.

﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾: أي: آثارها وبعض الجدران القائمة، لا يرى الرائي إذا نظر إلى مساكنهم إلا مساكن خالية من أهلها هامدة، الفاء تدل على المباشرة، حتى جثثهم تطايرت وتشتت أشلاؤهم.

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾: أي: كما جزيناهم بهذه الرياح المدمرة نجزي كل مجرم لا يؤمن بربه ويشرك به، ويهلك الحرث والنسل، ويسبب في الأرض



الفساد، ولمعرفة معنى القوم المجرمين. ارجع إلى سورة الجاثية آية (٣١) للبيان، وسورة الأنعام آية (٥٥).

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْعِدَّةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعِدَّتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق، أي: قد تحقق ذلك.

﴿مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾: أي: مكنا قوم عاد في الأرض بالقوة والسلطة والغنى التي لم نمكنكم أنتم يا قريش من مثلها، فكانوا أشد منكم قوة في الأرض، ولقد مكناهم فيما: في + ما: في ظرفية ما بمعنى الذي، إن مكناهم فيه: إن لها احتمالين بمعنى ما النافية، أو ما زائدة للتوكيد، أي: ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه، أو نافية وتعني: ولقد مكناهم فيما لم نمكنكم فيه.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْعِدَّةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعِدَّتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾:

﴿وَجَعَلْنَا﴾: الجعل يكون بعد الخلق؛ أي: مرحلة تالية للخلق.

﴿سَمْعًا﴾: السمع مصدر، والمصدر بحد ذاته لا يجمع إلا إذ تعدد مصدر السمع.

﴿وَأَبْصَرًا﴾: أي الأعين التي نبصر بها، ولمعرفة لماذا قدم السمع على



البصر، وأفرد السمع وجمع البصر؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (٧)، وسورة الملك آية (٢٣).

﴿وَأَفْعِدَةً﴾: الأفئدة: جمع فؤاد، وقيل: الفؤاد القلب، أو خلايا القلب المميزة التي تختص بالعاطفة والذاكرة. ارجع إلى سورة الحج آية (٤٦) لمزيد من البيان؛ إذ لم يستفيدوا منها من شيء، من استغراقية، شيء نكرة تعني: لم يستفيدوا من سمعهم وأبصارهم وأفئدتهم أي فائدة مهما كانت قليلة أو كثيرة، ومهما كان نوعها من سماع الآيات والنذر، وما حل بالكفار من قبلهم، ومن رؤية آثار الأقوام الهالكة، أو من التفكير والتدبر بما سيحل بهم أو بعاقبة أمرهم، والشيء هو أقل القليل، وتكرار (لا) يفيد نفي التوكيد وفصل كلاً على حدة، فما أغنى: ما النافية أو ما استفهامية.

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي وفيه معنى التعليل.

﴿بِمَحْذُوتِ بَيَّاتِ اللَّهِ﴾: الجحد هو إنكار الشيء الظاهر والآيات شيء ظاهر، وتشمل الآيات القرآنية والكونية الدالة على قدرة الله وعظمته والمعجزات والبراهين الدالة على أنه الإله الحق.

﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾: أحاط بهم ونزل. ارجع إلى سورة غافر آية (٤٥) لمزيد من

البيان.

﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: أي: أحاط بهم العذاب أو العقاب بسبب



استهزائهم وإعراضهم. والاستهزاء: هو تصغير قدر أو شأن الآخر أو الشيء والتحقير والعيب والاستهزاء بالله وآياته ورسوله.

لماذا أفرد السَّمع وجمع الأبصار والأفئدة: ولماذا قَدَّم السَّمع على البصر: ارجع إلى الآية (٧) من سورة البقرة، وسورة الملك آية (٢٣).

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو عاطفة، لقد: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ﴾: (قرى عاد و ثمود ولوط ومدين)، من القرى

تعني: أهل القرى، والقرية تعني البناء، أي: السَّكن والأفراد، والمخاطب هم كفار قريش.

﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾: التصريف؛ أي: بيَّناها؛ يعني: آية واحدة تأتي بها بأشكال

وأساليب متعددة مختلفة. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٦٤) للبيان.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: إلى الإيمان والتوحيد أو إلى ربهم بالتوبة لعل: هنا تفيد

التعليل، ولا تعني الرجاء.

[٢٨] ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ وَذَلِكِ

إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْرُتُونَ﴾:

﴿فَلَوْلَا﴾: الفاء عاطفة، لولا: ليست أداة حُصٍّ، وإنما للتوبيخ.

﴿نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ﴾: فهلا منعتهم من العذاب والهلاك آلهتهم

التي اتخذوها قرباناً آلهة، أي: اتخذوها آلهة يتقربون بها إلى الله.



﴿قُرْبَانَاءَ إِلَهَةٍ﴾: قربان مصدر واسم لما يتقرب به إلى الله سبحانه وجمعه قرابين، أي: لولا نصرتهم هذه الأوثان التي اتخذوها آلهة يتقربون بها إلى الله تعالى بأي وسيلة مثل الشفاعة أو دفع العذاب أو تخفيفه.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾: أي: غابوا عن نصرتهم عند نزول العذاب عليهم ولم يحضروا ليدافعوا عنهم أو يشفعوا لهم.

﴿وَذَلِكَ﴾: الواو للتوكيد، ذلك اسم إشارة واللام للبعد، ويشير إلى الضياع والإفك.

﴿إِفْكُهُمْ﴾: وذلك كذبهم، والإفك قلب الحقائق والكذب.

﴿وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: الواو استئنافية، ما: اسم موصول بمعنى الذي، يفترون: الافتراء هو اختلاق الكذب، ويفترون بصيغة المضارع لتدل على التكرار والتجديد، أو حكاية الحال وما كانوا يفترون قبل إهلاكهم بأنها آلهة حقة تشفع لهم ويستفاد منها.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٦٦

الْأَنْعَامُ ٦٦

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا
حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ
(٦٦) قَالُوا يَتَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ
(٦٧) يَتَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن
ذُنُوبِكُمْ وَيُجْرِكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (٦٨) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ
فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ
فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٦٩) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ
إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٠) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ
أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا
كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٧١) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ
وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا
سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلُغٌ فَمَهْلُ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ (٧٢)

سُورَةُ الْمُحَمَّدِ

مُحَمَّدٌ ٤٧

مُحَمَّدٌ ٤٧

سورة الأحقاف [الآيات ٢٩ - ٣٥]

[٢٩] ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ﴾:

المناسبة: بعد أن وبَّخ الله تعالى كفار قريش وذكرهم بقوم عاد، يذكرهم هنا بالجن، فهم أفضل من كفار قريش؛ لأنهم آمنوا بمجرد سماع القرآن، وسبب نزول هذه الآيات، كما ورد في الصحيحين البخاري ومسلم من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ بعد رجوعه من الطائف إلى مكة بعد أن عومل شر معاملته من ثقيف، وحين كان يقرأ سورة الرحمن في صلاة الفجر ببطن نخلة جاء نفر من الجن يستمعون القرآن من دون أن يعلم رسول الله ﷺ أنهم يستمعون إلى قراءته، فلما حضروه قالوا: أنصتوا، فلما قُضي ولو إلى قومهم منذرين.

﴿وَإِذْ﴾: تعني: واذكر، أو اذكر حين صرفنا إليك نفرًا من الجن، وإذ: الواو عاطفة، أي: واذكر أخا عادٍ، واذكر إذ صرفنا إليك نفرًا من الجن.

﴿صَرَفْنَا إِلَيْكَ﴾: وجَّهنا نحوك أو أرسلنا إليك. المخاطب هنا رسول الله ﷺ.

﴿نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾: النفر جماعة دون العشر قيل: (٧-٩) من الجن، جن نصيبين، وكانوا سبعة أو تسعة وقيل من جن نينوى قرب الموصل، وقيل: من أشراف الجن وساداتهم.

﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾: وأنت تقرؤه في صلاة الفجر ببطن نخلة، يستمعون: سماع بنية وقصد، ولم يقل: يسمعون سماع عادي غير مقصود، فهم أرسلوا إليك لهذه الغاية. وفي سورة الجن قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ



مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾؛ لنعلم أن سورة الجن نزلت قبل نزول سورة الأحقاف التي أشارت خاصة إلى القرآن بينما سورة الجن تحدثت عن أحوال الجن وعلاقتهم بالإنس وأفعالهم ومنهم المؤمن ومنهم الكافر ومصيرهم في الآخرة.

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾: الفاء عاطفة، فلما حضروه: حضروا استماعه كان ﷺ يصلي الفجر، وقيل: كان يقرأ بسورة الرحمن، لما: ظرف زماني يتضمن معنى الشرط.

﴿قَالُوا أَنْصِتُوا﴾: أمر بعضهم بعضاً بالإنصات وهو: السكوت والاستماع في نفس الوقت.

﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، لما: ظرف زماني يتضمن معنى الشرط، فلما قضى: فرغ من تلاوته.

﴿وَلَوْ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾: ولي: انصرف قاصداً؛ أي: انصرفوا قاصدين إلى (من ورائهم) من قومهم منذرين: من الإنذار وهو الإعلام مع التحذير والتخويف، وكما قلنا، لم يعلم رسول الله ﷺ بحضورهم والاستماع إليه إلا فيما بعد. ارجع إلى سورة الجن للبيان، منذرين: أي: أبلغوا قومهم ما سمعوه وحذروهم من مخالفة القرآن، وتبين هذه الآية أن رسول الله ﷺ بُعث للجن والإنس (للتقلين).

[٣٠] ﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾:

﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا﴾: ياء النداء فيها معنى الحنان واللفظ إلى قومهم.

﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا﴾: إنا للتوكيد، وبالجمع سمعنا كتاباً: أي: قرأنا كتاباً.

﴿أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾: أي: هم لا يعرفون إلا كتاب موسى ﷺ أو هم على



دين اليهودية، والله أعلم. والسؤال: ماذا عن الإنجيل الذي أنزل من بعد موسى؟ قيل: هؤلاء من الجن الذين لا يؤمنون أو يعترفون بالإنجيل أو بعيسى ﷺ، وربما هناك من الجن من يؤمن بالإنجيل وعيسى لم يكونوا من بين هؤلاء، والله أعلم.

﴿أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾: على محمد ﷺ.

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي: موافقاً لما تقدّمه من الكتب السماوية التّوراة والإنجيل.

﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾: أي: الإسلام أو العقائد الصحيحة والحق هو الشيء الثّابت الذي لا يتغيّر ولا يتبدّل. وفي سورة الجن آية (٢) قال تعالى: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾، ما هو الفرق بين يهدي إلى الحق، ويهدي إلى الرشد؟

الحق: أعم من الرشد، والرشد من الحق، والحق: يوصف به العاقل وغير العاقل مثل الجنة حق، القتل بحق، أما الرشد: فهو خاص بالعاقل فقط.

﴿وَالْإِلَّهِ طَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ﴾: ولم يقل إلى صراط مستقيم؛ الطريق: هو السبيل الذي يسار عليه ليس بالواسع أو السهل؛ أما الصراط: الطريق الواسع السهل الذي يوصل إلى الغاية بأقل زمن ومسافة؛ والمستقيم: الذي لا اعوجاج فيه. [٣١] ﴿يَقُومَنَّ أَجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾:

﴿يَقُومَنَّ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿أَجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾: داعي الله وهو محمد ﷺ، أجيبوا داعي الله (رسول الله ﷺ) إلى ما يدعو إليه من طاعة الله سبحانه وتوحيده.

﴿وَأَمِنُوا بِهِ﴾: آمنوا بالله وبرسوله ﷺ.

﴿يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾: من للتبعض بعض ذنوبكم، بينما لو قال: يغفر لكم ذنوبكم: أي: جميع ذنوبكم، وهذه فقط خاصة بالمؤمنين من أمة محمد.



﴿وَيُحَرِّمُ مَنَ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أي: يحميكم من عذاب أليم، الإجارة: الحماية والوقاية، من: ابتدائية بعضية، وأغلب المفسرين يقولون: إنَّ للجن من الثواب والعقاب كما هو الحال لبني آدم.

[٣٢] ﴿وَمَن لَّا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿وَمَن لَّا﴾: الواو عاطفة، من شرطية، لا النافية.

﴿يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ﴾: أي: رسوله ويصدقه؛ أي: ويعصي الله ولا يؤمن به، ولا يتمثل أوامر.

﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾: الفاء جواب الشرط، ليس للنفي، الباء للإلصاق والتوكيد، معجز: لا يعجز الله أي: لا يفوت الله ولا يسبقه ولا يقدر على الهرب منه أحد، وإن هرب فهو سيقى في الأرض ولا سبيل للخروج منها. ولم يقل: في السماء؛ لأن السماء ملئت حرساً وشهباً.

﴿وَلَيْسَ لَهُ﴾: تكرر ليس لتأكيد النفي للذي لا يجب داعي الله، اللام للاختصاص أو الاستحقاق.

﴿مِن دُونِهِ﴾: من غير الله أو سواه.

﴿أَوْلِيَاءُ﴾: جمع ولي وهو القريب، أو المعين القائم بأمره والحليف الذي ولاه أو وكله أمره، ولم يقل: من أولياء من الاستغراقية؛ لأنَّ هناك أولياء يُستفاد منهم.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلى الذين لا يستجيبون للرسول وإلى دنو منزلتهم.

﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: في: بعد عن الحق والهدى والصواب وبعده عن الصراط



المستقيم ظاهر جلي لا يخفى على أحد، وضلال مبين واضح لا يحتاج إلى من يكشفه ويوضحه.

[٣٣] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام التوبيخي وإنكاري، وجواب بلى إنه على كل شيء قدير، والواو في أولم للتوكيد.

﴿يَرَوْا﴾: رؤية قلبية فكرية، وبمعنى العلم (هؤلاء المنكرون للبعث والقيامة والحساب) أولم يعلموا أن الله خلق السموات والأرض.
﴿أَنَّ﴾: للتعليل والتوكيد.

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ﴾: ولم يعي: العي: التعب وانقطاع الحيلة والقوة.

﴿بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾: الباء للإلصاق والمصاحبة لمعرفة كيفية إحياء الموتى. ارجع إلى سورة الروم آية (١٩).

﴿بَلَىٰ﴾: هو قادر على إحياء الموتى، وبلى جواب للاستفهام المنفي ولا يجوز القول بنعم؛ لأنه لو قال: نعم، لكان المعنى نعم هو غير قادر على أن يحيي الموتى.
﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ارجع إلى الآية (٢٠) من سورة البقرة للبيان.

[٣٤] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾:

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾: ارجع إلى الآية (٢٠) من نفس السورة للبيان.
﴿أَلَيْسَ﴾: الهمزة للاستفهام التقريري.

﴿هَذَا بِالْحَقِّ﴾: هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب ويشير إلى العذاب، ليس هذا العذاب بالحق: جواباً لقولهم وما نحن بمعذبين، القائل غير معلوم، المهم المقولة.

﴿قَالُوا بَلَى﴾: بلى لا تكون إلا جواباً لما كان فيه جحد والجحد هنا كان للعذاب، ولا يجوز القول بنعم بدلاً من بلى (فهو جواب للاستفهام في النفي).
﴿وَرَبِّنَا﴾: واو القسم، أي: أقسموا بربهم تأكيداً أنه الحق.

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: قال: فذوقوا: الفاء للمباشرة والتعقيب، ذوقوا العذاب بما: الباء بدلية أو سببية أو تفيد التعليل، ما كنتم: في الحياة الدنيا، تكفرون: بالله وآياته ورسله وكتبه، تكفرون تدل على التجدد والتكرار والاستمرار.

[٣٥] ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فُهِلَ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾:

بعد تقرير البعث والتوحيد يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بالصبر فيقول له:

﴿فَاصْبِرْ﴾: الفاء للتوكيد.

﴿كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ﴾: الكاف للتشبيه، ما اسم موصول كما صبر أصحاب العزم والثبات والحزم وهم أصحاب الشرائع أمثال نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة أجمعين، وقد ذكرهم الله سبحانه في سورة الأحزاب الآية (٧) فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ وهذا هو الأرجح، من الرسل: من للتبعيض، ولا ننسى غيرهم من الرسل، وهناك من قال: من للتبيين لا للتبعيض، تعني: كل الرسل.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾: لا الناهية، لهم: اللام الاختصاص لهم خاصة، أي: لكفار قريش وغيرهم؛ أي: لا تظن أن تأخير العذاب عنهم هو خير لهم.



﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾: من العذاب، ما تعني: الذي يوعدون.

﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾: لم النافية، يلبثوا: من اللبث: الإقامة لزمان محدد (أي: كأنهم حين يرون ما يوعدون في الآخرة من العذاب يشعرون أنهم لم يقيموا في الدنيا أو يلبثوا فيها إلا ساعة واحدة من نهار.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ﴾: ساعة، تعني: أي ساعة من نهار، ليست ساعة محددة.

﴿بَلَّغٌ﴾: أي: هذا القرآن وما فيه من الآيات والنذر والتعاليم بلاغ من الله تعالى إلى خلقه، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَذَا بَلَّغًا لِّقَوْمٍ عَكِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٦]، والبلاغ مصدر بمعنى التبليغ، والتبليغ: هو إيصال الرسالة وإفهام النص إلى الذين أرسل إليهم.

﴿فَهَلْ﴾: الفاء للتوكيد، هل: للاستفهام ويفيد النفي.

﴿يُهْلَكُ﴾: الهلاك نقض البنية والموت. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٤)

ليبين معنى الهلاك.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾: الخارجون عن طاعة الله العاصون مع الإصرار على

الكفر والشرك، القوم: اسم للجنس يشمل كل من فسق. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٦) لمزيد من البيان في معنى الفاسقين.





سورة الحديد ٤٧

الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّى
إِذَا انْخَضْتُمْوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَمَا مِمَّا بَعْدَ وَمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ
أَوَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْتُمْ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ
بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيِّدِيهِمْ
وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا اللَّهُ ﴿٦﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِنْ تَضَرُّوا اللَّهُ يَضُرَّكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
فَتَعَسَّ أَلَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾
ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾



تتمت
الجزء
٥١



سورة محمد ﷺ [الآيات ١ - ١١]

ترتيبها في القرآن (٤٧) وترتيبها في النزول (٩٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَاهُمْ﴾:

المناسبة: انتهت سورة الأحقاف بقوله تعالى: ﴿بَلَّغْ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وابتدأت سورة محمد ﷺ بقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يدل على تطابق نهاية السورة مع بداية السورة التالية لها.

أسباب النزول: كما روي عن ابن عباس نزلت في كفار مكة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ (هم الأنصار) وقيل في رواية: نزلت في كفار مكة الذين خرجوا لغزوة بدر، وسموا المطعمين.

والمهم بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب؛ فالحديث عن الكفار عامة، وعن الذين آمنوا عامة.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: جحدوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.
﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: صرفوا ومنعوا غيرهم من الدخول في الإسلام، أو حاربوا دين الله لكي يشوهوا صورته أو سمعته للآخرين.



وسبيل الله: دين الله (وهو الإسلام)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾: من معاني الضلال النسيان والضياع والهلاك والإبطال أي: أبطل أعمالهم وأحبطها فلا ثواب لها ولا جزاء، أو جعلها ضالة، أي: لا ثواب لها ولا جزاء أو أجز. بسبب كفرهم بالله تعالى والكفر من محبطات العمل الصالح.

وقد تعني: أبطل كيد الذين كفروا وصدوا الناس عن الدّخول في الإسلام. وأضل أعمالهم: أصلها الغيبة والاضمحلال، أي: أضاع أعمالهم. [٢] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾:

مقابل الذين كفروا ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾: أي: آمنوا وعملوا الصالحات. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥) للبيان. وآمنوا بالقرآن العظيم؛ أي: صدقوا وأطاعوا واتبعوا أو امره واجتنبوا نواهيه، وآمنوا بالقرآن العظيم (وهو الحق من ربهم)، والحق هو الأمر الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: أي: محا أو غفر لهم ذنوبهم وكفر بمعنى ستر، والستر يعني: العفو وعدم العقاب عليها. والسيئات قيل: هي الصغائر والكبائر، جمع سيئة وقيل: السيئات هي الصغائر فقط.

﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾: البال يطلق على الحال والشأن، ويعني: التوفيق في الدين



وَالدُّنْيَا، أَي: أَرَشَدَهُمْ وَدَلَّهُمْ عَلَى أَعْمَالِ الْخَيْرِ، فَلَمْ يَشْرِكُوا أَوْ يَكْفُرُوا أَوْ يَفْسُدُوا، وَالْبَالُ قَدْ يُطْلَقُ عَلَى الْعَقْلِ وَالتَّفَكِيرِ.

[٣] ﴿ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، ويشير إلى إضلال أعمال الكافرين.

﴿يَأْنٍ﴾: الباء للتعليل أو باء السببية.

أَي: سببه أَنَّ الْكَافِرِينَ اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَالْبَاطِلُ: وَهُوَ مَا لَمْ يَشْرَعْ اللَّهُ، وَلَيْسَ لَهُ دَلِيلٌ أَوْ سُلْطَانٌ وَضَدَ الْحَقَّ.

﴿وَأَنَّ﴾: للتعليل والتوكيد.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾: أَي: الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَالْوَحْيَ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ.

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾: أَي: مِثْلَ هَذَا الْبَيَانِ.

﴿يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾: أَي: يَضْرِبُ اللَّهُ تَعَالَى الْأَمْثَالَ لِإِزَالَةِ أَيِّ غَمُوضٍ؛ لِأَنَّ الْأَمْثَالَ دَائِمًا تَكُونُ مِنْ بَابِ الْمَبِينِ (الظَّاهِرِ أَوْ الْوَاضِحِ).

﴿يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾: أَمْثَالُهُمْ تَعُودُ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

فَالْأَمْثَالُ هِيَ كُلٌّ مِنْ يَتَّبِعُ الْبَاطِلَ فِي عَمَلِهِ فَعَمَلُهُ يَشْبَهُ عَمَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَكُلٌّ مِنْ يَتَّبِعُ الْحَقَّ فِي عَمَلٍ فَعَمَلُهُ يَشْبَهُ عَمَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا، وَعَمَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا نَتِيجَةُ الضَّلَالِ وَعَمَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا نَتِيجَةُ الْفَوْزِ الْمَبِينِ.



[٤] ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَّيَسْلُبُوا بِعُصْبِكُمُ يَبْغِضُ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾:

بعد ذكر حال الذين كفروا وحال الذين آمنوا يذكر في هذه الآيات واجب المؤمنين إذا نشبت بينهم وبين الذين كفروا حرب.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء فاء السببية، إذا: ظرف للزمن المستقبل وتفيد حتمية الحدوث متضمن معنى الشرط.

﴿لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: اللقاء هنا يعني: الحرب أو القتال.

﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾: الفاء رابطة للجواب، ضرب الرقاب: أي: فاضربوا رقابهم ضرباً (مجازاً عن القتل) جاء بالمصدر ضرب للتوكيد؛ لأن ضرب الرقبة يعني: القتل بسرعة أو الإسراع في القتل، والقتل بأبشع صورة، ونصب الضرب ولم يأت بالرفع كقوله: فضرب الرقاب؛ لأن الضرب موقوف بالمعركة بزمان المعركة وليس أمراً دائماً.

﴿حَتَّى﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ﴾: إذا: ظرفية شرطية. أتختمهم: أي: أكثرتم فيهم القتل أتختمهم بالجراح، والإثخان هو الإكثار من قتل العدو حتى يضعف ويوهن ولا يقدر على النهوض والوقوف أمامكم.

﴿فَشُدُّوا الْوَتَاقَ﴾: أي: فأسروهم، وأحكموا القيد قيد من أسرتهم حتى لا يفلتوا منكم، والوثاق بفتح الواو: اسم لما يوثق به كالقيد والحبل، الإसार ما



يوضع في يد الأسير، ليقاد به، والشَّد: الرِّبط، الوثاق: بفتح الواو تعني: الأسر، ومنهم من قال: الوثاق: بكسر الواو تعني: القيد أو الحبل أو الإِسار الذي يوضع في يد الأسير، والأسر بعد الإِثخان المبالغة في القتل والإصابة بالجراح.

﴿فَأَمَّا مَنْ بَعْدُ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، إما للتخيير، منّا: تطلقوا سراحهم بعد الأسر بغير عوض أو فدية؛ أي: العفو والصفح عنهم.

﴿وَأَمَّا فِدَاءٌ﴾: أي: المفاضة أي: إطلاق الأسير في مقابل مال أو مبادلة الأسرى.

﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾: حتى حرف نهاية الغاية، أي: لا منّا ولا فداءً حتى تضع الحرب أوزارها، بعدها لكم الخيار في المن أو الفداء.

الأوزار: آلات الحرب كالسلاح.

حتى: تنقضي الحرب وتتوقف بهزيمة العدو.

﴿ذَلِكَ﴾: أي: افعلوا بهم ما ذكر.

﴿وَلَوْ يَشَاءُ﴾: لو شرطية.

﴿لَأَنْصَرَنَّهُمْ﴾: اللام لام التعليل، انتصر منهم: بغير قتال ولو شاء انتقم منهم بالرعب أو الريح أو بالخسف والغرق والرَّجفة وأهلكهم بشتى الوسائل.

﴿وَلَكِنْ لَّيَبْلُوْا﴾: لكن للاستدراك والتوكيد، اللام في ليبلوكم للتعليل. والبلاء: يعني: استخراج ما عند المبتلى من طاعة أو معصية بتحمُّله التكليف.

﴿بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾: أي: ليبلو المؤمنين بالكافرين، يعلم المجاهدين في سبيله والصّابرين على ابتلائه ويعلم نواياهم ويعلم المنافقين أو العاصين بعدم



الخروج للجهاد في سبيل الله ويعلم الصادق من الكاذب؛ لإقامة الحجة عليهم يوم القيامة، فهو سبحانه يعلم نواياهم وحالهم قبل أن يخلقهم.

﴿وَالَّذِينَ قُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾: الذين: استشهدوا في سبيل الله أثناء المعركة، فلن: الفاء للتوكيد، لن لنفي المستقبل القريب والمستقبل البعيد، يضل أعمالهم: لن يضيع أجرهم وثوابهم.

[٥] ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾:

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾: السين للاستقبال القريب، سيهديهم بعد القتل والشهادة، أو الموت في سبيل الله في حياة البرزخ، أما غير الشهيد يهديه في الدنيا لما فيه سعادة الدارين.

﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾: شأنهم وحالهم بالرضا والطمأنينة، ويرتاحوا من عناء الدنيا وما فيها.

[٦] ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾:

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾: بعد البعث ويوم القيامة.

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ﴾: في الآخرة.

﴿عَرَفَهَا هُمْ﴾: لهم السلام لام الاختصاص، عرفها لهم: وصفها لهم في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ.

[٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا﴾: ياء النداء للبعد والهاء للتنبيه.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نداء جديد بتكليف أو حكم جديد.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض.

﴿نُصِرُوا بِاللَّهِ﴾: بالقول والفعل، تنصروا دينه وبإعلاء كلمته وتنصروا رسوله، وبالدعوة بشتى الوسائل، بكل أنواع النصرة والجهاد أو القلم أو المحاجة بالقول أو المساعدة. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقول الحق.

﴿يُنْصَرُّكُمْ﴾: بالمقابل على عدوكم بالغلبة وبالسلطان، وبالتمكن وبالقول والرأي.

﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾: في مواطن الحرب بالصبر والثبات. والتمكن في الأرض بالقوة والطمأنينة والحُجَّة والسلطان، وهذا وعد من الله العزيز الحكيم.

[٨] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّاهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾:

﴿فَتَعَسَّاهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، تعسا لهم: هلاكاً لهم، اللام لام الاستحقاق، أي: أتعسهم الله، وتعساً تعني: الشقاء والخيبة وقبحاً لهم. فتعساً لهم: دعاء عليهم بالتعس غير مقيد بفاعل، وغير مقيد بزمن معين؛ فهو دعاء عام.

﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾: أبطلها وأحبط ثوابها، فلا تقبل ولا جزاء لها.

[٩] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلى التعس والخيبة وإضلال أعمالهم.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء تعليلية أو سببية، أنهم للتوكيد.



﴿كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: أي: كرهوا القرآن وآياته، كرهوا أحكامه وشرعه، كرهوا وعده ووعيده. ووحيه.

﴿مَا﴾: تعني: الذي أنزل جملة واحدة.

﴿فَأَحْطَ أَغْمَلُهُمْ﴾: الفاء للمباشرة والتوكيد، أحبط أعمالهم: أبطل ثوابها وأصبحت هباءً منبثاً. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢١٧) لمزيد من البيان.

[١٠] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْتَلُهَا﴾:

﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام التقريري والتوبيخ، الفاء للتوكيد، لم النافية.

﴿يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾: يخرجوا من منازلهم ويسافروا في الأرض.

فينظروا: الفاء للمباشرة والتوكيد، ينظروا: رؤية عينية وقلبية، ينظروا إلى كيف كان عاقبة الذين من قبلهم؛ أي: آثارهم وما خلفوه وراءهم.

﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: قاعدة في القرآن: حين يُذكر العاقبة، فيقول:

كان بدلاً من كانت تدل على العذاب، وحين يؤنث العاقبة فيقول: كانت عاقبة، فهي تدل على الجنة والمغفرة.

عاقبة: مصير وقال الذين من قبلهم مثل قوم عاد وثمود ولوط وفرعون.

﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: التدمير يشمل الأنفس والمساكن والحيوانات والشجر

والدواب، أي: أهلكهم الله وأهلك أموالهم وممتلكاتهم. ارجع إلى سورة الإسراء آية (١٦) لمزيد من البيان.



﴿وَالْكَافِرِينَ أَهْمُهَا﴾: وللكافرين أمثال تلك العاقبة والدمار والخزي والهلاك، واللام في كلمة (وللكافرين) لام الاختصاص والاستحقاق.

[١١] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: ذا اسم إشارة، اللام للبعد ويشير إلى نصر المؤمنين، أو ما أصاب الكافرين من التدمير والهلاك.

﴿بِأَنَّ﴾: الباء للإلصاق والمصاحبة، أن: تعليلية وللتوكيد.

ما أصاب المشركين من الدمار والهلاك سببه أن الله.

﴿مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي: ولي الذين آمنوا متولي أمورهم وناصرهم والقائم عليهم، والمولى: المعين والمحب.

﴿وَأَنَّ﴾: تكرارها يفيد التوكيد، وأن للتعليل، والتوكيد.

﴿الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾: لا النافية، لا مولى لهم: لا ناصر لهم ولا معين.





الْبَيْتُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

سُورَةُ الْحَجَّاتِ ٤٧

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ
وَالنَّارُ مَشْجُورَةٌ لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةَ مِنْ قَرْيَتِكَ
الَّتِي أَخْرَجْتَكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَدَيْهِ
مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ
الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ
يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى
وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ
وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ
حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنْفَاءً
أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ
أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا
السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا فَتَأْتِيهِمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ
ذَكَرْنَاهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾



سورة محمد [الآيات ١٢ - ١٩]

[١٢] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾:

المناسبة: بعد ذكر بعض صفات الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومنها:

١ - آمنوا بما نزل على محمد.

٢ - واتبعوا الحق من ربهم.

٣ - وأنهم ينصرون الله ويقاتلون في سبيله.

٤ - وأن الله هو مولاهم.

يذكر في هذه الآية جزاءهم وهو جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، وأما الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله واتبعوا الباطل، وكرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم.

يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، وجزاءهم النار هي مثوى لهم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ﴾: منشغلون بمتاع الدنيا الزائل من طعام وشراب ولباس وأثاث ومساكن ومراكب همهم اللهو واللعب والفرح والمرح والأكل والشرب لا تهمهم الآخرة.

﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾: المثوى: مكان الإقامة الجبرية الدائم والضيق المطبق عليهم. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٥١) لبيان معنى مثوى.



[١٣] ﴿وَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾:

سبب النزول: نزلت هذه الآية، كما قال ابن عباس، حين خرج رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة التفت إلى مكة، وقال: « ما أطيبك من بلدٍ وأحبك إليَّ ولولا أنَّ قومي أخرجوني منك ما سكنتُ غيرك ».

﴿وَكَانَ﴾: قيل: مركبة من كاف التشبيه وأي الاستفهامية المنونة.

وقيل: هي اسم بسيط غير مركب وهي تفيد التكثير والتفخيم.

﴿مِنْ﴾: للتوكيد.

﴿قَرْيَةٍ﴾: أي: أهل قرية والقرية تطلق على ساكني أهل القرية من الناس، وعلى البناء (المساكن).

﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيِكَ﴾: قريتك، أي: مكة، وتسمَّى أم القرى، أضافها إليه تشريفاً لها وتكريماً، أي: وكم من قوم هم أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أهلكناهم.

أخرجوك: أي: كانوا سبياً في خروجك.

﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾: بالخسف أو الصيحة أو الريح أو الحاصب.

﴿فَلَا﴾: الفاء عاطفة، لا النافية للجنس.

﴿نَاصِرَهُمْ﴾: ينصرهم من الهلاك أو ينقذهم من عذاب الله إذا حلَّ بهم.

[١٤] ﴿أَفَنُكَانَ عَلَى يَدَيْهِ مَنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾:

﴿أَفَنُ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، الفاء للتوكيد، من اسم موصول

بمعنى الذي.



﴿كَانَ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِنَ رَبِّهِ﴾: البينة: أي: القرآن العظيم، أي: كان على حُجَّة وبرهان من ربه ويعبد الله على علم. ويعني: رسول الله ﷺ.

﴿كَمَن﴾: الكاف للتشبيه، من اسم موصول بمعنى الذي، ومن: تشمل المفرد والمثنى والجمع.

﴿زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ﴾: وهم مشركو مكة، زين لهم الشيطان أعمالهم مثل الشرك والصد عن سبيل الله والكفر والمعاصي.

﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾: الهوى تعريفه ارجع إلى الآية (٥٦) من سورة الأنعام. وجواب الاستفهام محذوف؛ لأنه واضح وبيّن.

[١٥] ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾:

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾: مثل الجنة: يضرب المثل لإزالة غموض الاجمال أو أمر ما.

﴿وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾: من الوعد المطلق هو عادة يأتي في سياق الخير وعد المتقون في الآخرة.

﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾: فيها أنهار من ماء فرات (ماء غدق). ماء لم يتغير طعمه أو رائحته لطول مكثه.

﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ﴾: وفيها أنهار من لبن خالصاً سائغاً للشاربين. أي: لم يتغير طعمه كالحامض، أو الفاسد.

﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾: للشاربين اللام لام الاختصاص لا يسبب شربها ذهاب عقل أو صداع أو نزف.



﴿وَأَنْهَرُمْ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾: منقّى خالٍ من الشَّمع والقذى والفضلات. أربعة
أنهار للشرب والطعام (اللبن) والمتعة واللذة.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: من استغراقية، كل الثمرات: من سائر أنواع الثمار
والفاكهة.

﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾: لسائر ذنوبهم والمغفرة تعني: العفو وعدم العقوبة
والإثابة على الحسنات.

﴿كَانَ هُوَ﴾: الكاف للتشبيه، من: تفيد المفرد أو الجمع وما بينهما وتشمل
الواحد والاثنين والجمع، هو ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿خَلَدٌ فِي النَّارِ﴾: لا يخرج منها من زمن دخولها.

﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾: ماء متناهٍ في حرارة الغليان، واليحموم: الدخان الشديد
السواد كما في قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْمُلُونَ﴾ [الواقعة: ٤٣].

﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾: الفاء للمباشرة، من شدة حرارته والأمعاء الدقيقة
والغليظة. وفي آية أخرى ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

[١٦] ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾:

﴿وَمِنْهُمْ﴾: ومن الذين كفروا أو نافقوا.

﴿مَّنْ﴾: بعضية، يستمع ولم يقل: يسمع إليك، ومن: أي: بدون نية أو
قصد، ومن: تأتي للمفرد والمثنى والجمع.

﴿يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: في مجلس أو خطبة جمعة أو أي مناسبة.

يستمع إليك، أي: بقصد ونية واهتمام، فهم يقومون بذلك يتظاهرون



بالاستماع، يستمعون عبثاً من دون نفع أو فائدة، يستمعون نفاقاً بلا وعي، ولو سمعوا حقيقة لوعوا ما قاله لهم ﷺ.

﴿مَنْ يَسْتَمِعْ إِلَيْكَ﴾: من: تأتي للمفرد والمثنى والجمع، وبما أن الجميع يسمعون نفس الكلام فهم يمثلون في الاستماع مستمعاً واحداً، أما حين يخرجون أو يقولون فكل واحد يمثل نفسه.

ولذلك أفرد يستمع وجمع خرجوا وقالوا.

﴿حَتَّى﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾: إذا ظرفية، أي: بمجرد ما يخرجون من عندك من مجلسك، قالوا للذين أوتوا العلم.

﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: سألوا الذين أوتوا العلم؛ العلم الشرعي والمعرفة بالدين؛ أي: العلماء المتقون ومخاطبتهم بأولي العلم فيها مدح وثناء أمثال: عبد الله بن مسعود وأبو الدرداء أو غيرهم من أصحاب رسول الله الذين أوتوا العلم.

﴿مَاذَا قَالُوا أَنْفًا﴾: استخفافاً واستهزاءً: ماذا قال سابقاً؛ لأنهم لم يعوا كلام الرسول ﷺ، ولم يقولوا: ماذا قال رسول الله ﷺ احتراماً وتوقيراً له. أو حتى يذكروا اسمه ﷺ.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد والتحقير.

﴿الَّذِينَ طَعَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: طبع الله عليها بسبب كفرهم وصددهم عن سبيل الله كثيراً، فلا يدخلها إيمان، ولا يخرج منها كفر. والطبع أشد من الختم.

﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾: بدلاً من اتباع ما أنزل الله تعالى، اتبعوا أهواءهم، أي: الباطل. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٦) لبيان معنى الهوى.



[١٧] ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَتْهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح.

﴿اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾: اهتدوا إلى الإيمان والعمل الصالح، اهتدوا إلى الطريق المستقيم (الإسلام)، زادهم هدى: بالتوفيق والإرشاد والطاعة لمزيد من العمل الصالح.

﴿وَأَنْتَهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾: أعانهم على تقواهم، بالتوفيق والتقوى، طاعة أوامر الله وتجنب نواهيه.

[١٨] ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾:

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾: الفاء استئنافية، هل استفهامية تفيد النفي، أي: ما ينتظرون إلا الساعة وتعود على الكافرين والمنافقين. وينظرون تدل على قصر الزمن أو قرب وقوعها، ولم يقل: ينتظرون التي تدل على طول الزمن، زمن الانتظار.

﴿إِلَّا السَّاعَةَ﴾: إلا أداة حصر الساعة: الساعة: تعني: آخر ساعة من عمر الأرض. عندها يبدأ تهدم النظام الكوني الحالي.

﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾: أن تعليلية، تأتيمهم: وهم غافلون.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء استئنافية، قد للتحقيق.

﴿جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾: أمارتها وعلاماتها، شرط وهو العلامة. وقيل: من أشراطها مجيء النبي ﷺ وانشقاق القمر والدخان.

﴿فَأَنَّى لَهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، أنى: كيف لهم أو من أين لهم التذكر، الاستفهام بأنى أقوى من كيف، وفيها معنى التعجب، أشراطها: أي: ظهرت معظم علاماتها الصغرى.



﴿إِذَا جَاءَهُمْ﴾: إذا ظرفية للمستقبل، جاءتهم، أي: لا ينفعهم حينئذ بأن يتوبوا أو تنفعهم توبتهم أو ينفعهم إيمانهم إذا لم يؤمنوا قبل مجيء العلامات الكبرى.

[١٩] ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾:

فاستقم واثبت واستمر على ما أنت عليه من التوحيد ومراقبة النفس واستمر على تقوى الله، الخطاب موجّه إلى الرسول وأمتة عليه الصلاة والسلام.

فاعلم أنه لا إله إلا الله: (كلمة التوحيد). ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥٥) لمزيد من البيان.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾: تب إلى الله واطلب منه العفو والغفران لك وللمؤمنين والمؤمنات. فقد روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: إنه ليغان على قلبي وإنني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة. ليغان: أفتّر عن الذكر.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: بالنهار، أي: يعلم أشغالكم بالنهار والتقلب والتصرف في أمور دنياكم. وقيل: متقلبكم في أصلاب آباءكم.

﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾: مأواكم بالليل، أي: نومكم أو مثواكم في القبور أو مثواكم في الآخرة.





سورة النحل ٤٧

الجزء الثاني من المجلد

وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ
مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ
طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ
لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا
فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ
فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ
أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ
مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ
لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ
اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ
﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ
وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ﴿٢٩﴾

سورة محمد [آيات ٢٠ - ٢٩]

[٢٠] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ

بعد أن ذكر حالة من يستمع إلى رسول الله ﷺ عبثاً أو استهزاءً، وبعد أن يخرج من عنده يسئل الذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً فكأنهم لا يسمعون.
يذكر نوع آخر من الذين في قلوبهم مرض حين يسمعون آيات الجهاد وكيف يكون شأنهم وحالهم.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: من صحابة رسول الله ﷺ.

يقول: بصيغة المضارع تدل على تجدد قولهم وتكراره.

﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾: لولا: للتمني والحصر، أي: يتمنى المؤمنون حقاً أن يشرع الله الجهاد حتى يدافعوا عن أنفسهم وأهليهم وعن دين الله وإعلاء كلمة الله.

نزلت سورة تبيح لنا الجهاد أو القتال في سبيل الله، نزلت سورة: أي: سورة خاصة بنا، نزلت علينا.

﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾: إذا: ظرفية شرطية، أنزلت ولم يقل: نزلت فما هو الفرق بين نزلت وأنزلت، أنزل: أي: بشكل عام، أي: يفرض فيها القتال على



جميع المؤمنين بينما نزلت: بشكل خاص بهم فقط، أي: من يتمنون الجهاد فئة خاصة.

ونزلت: تدل على تكرار دعواهم وطلبهم بإنزال سورة، وأما أنزلت: فتدل على مرة واحدة أنزلت وانتهى الأمر بفرض الجهاد.

إذا ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿تُحَكِّمُ ۖ وَذُكِّرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾: محكمة: واضحة لا شبهة فيها ولا احتمال، ومحكمة وتعني: غير منسوخة، وذكر فيها القتال: أي: أمر أو فرض فيها القتال أو دعت إلى الجهاد في سبيل الله تعالى.

﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: أي: مرض النفاق أو الشك أو ضعف الإيمان.

﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾: أي: خافوا وزلزلوا ودب الرعب في قلوبهم وأصبحت أعينهم تنظر إليك تدور كعيون المحتضر الذي لا أمل له في الشفاء. ونظر المغشي عليه من الموت، أي: الذي يفارق الحياة تراه لا يتحكم بحركة عينيه، فإذا أدرت رأسه إلى اليمين ترى عينيه تتحرك إلى اليسار، وإذا أدرت رأسه إلى اليسار ترى عينيه تتحرك إلى اليمين، أي: إلى الجهة المعاكسة، ويقال لهذا في عالم الطب منعكس عيني الدمية ويدل على إصابة جذع النخاع الشوكي للدماغ.

وهذه آية من آيات الإعجاز العلمي في القرآن.

﴿فَأَوَّلَىٰ لَهُمْ﴾: أي: أجدر بهم وأحرى لهؤلاء الذين في قلوبهم مرض،



وأفضل لهم بدلاً من أن ينظرون نظر المغشي عليه من الموت، أي: من الخوف من القتل أن يقولوا: سمعنا وأطعنا.

[٢١] ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾:

أي: أجدر بهم وأفضل لهم أن يطيعوا أمر الله والرسول بالجهاد وبالإخلاص له.

وأجدر بهم أن يقولوا قولاً معروفاً، قولاً حسناً يدل على الرضا بما كتب الله وقدر.

﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾: الفاء للتوكيد، إذا شرطية تفيد حتمية الحدث، عزم الأمر: أي: عزم الأمر على الجهاد في سبيل الله.

﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾: فلو: الفاء للتوكيد، لو شرطية، صدقوا الله وأخلصوا له النية وعزموا على الوفاء بما فرض الله وكتب عليهم.

﴿لَكَانَ﴾: اللام لام التوكيد، كان تشمل كل الأزمنة.

﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾: أفضل لهم وأزكى من مخالفة ومعصية الله سبحانه ورسوله.

[٢٢] ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾:

﴿فَهَلْ﴾: الفاء للتوكيد، هل للاستفهام والتوبيخ.

﴿عَسَيْتُمْ﴾: عسى من أفعال الرجاء والمتوقع حدوثها، وعسى ليست

منسوبة إلى الله تعالى؛ لأنه سبحانه يعلم منذ الأزل ما سيكون وما كان وإنما ليتم الحجة على الذين في قلوبهم مرض.



﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال والافتراض.

﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: أي: أعرضتم عن القتال في سبيل الله أو توليتم عن طاعة الله ورسوله بالجهاد وتنفيذ أحكامه.

﴿أَنْ﴾: للتعليل والتوكيد.

﴿تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾: أي: إن أعرضتم عن الجهاد في سبيل الله ولم تحاربوا أهل الباطل والظلم والبغي وتدافعوا عن أهليكم وأموالكم ودياركم، فهذا سيؤدي إلى انتشار الفساد في الأرض وقتل أهليكم وتقطع أرحامكم وانتشار الظلم والبغي والسلب والنهب وأكل أموال الناس بالباطل والخوف.

﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾: الكلام بصيغة الغائب.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: الكلام بصيغة المخاطب.

والانتقال من صيغة الغائب إلى المخاطب يدل على المبالغة والتوكيد في التوبيخ والتقريع لعدم الجهاد في سبيل الله.

[٢٣] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ﴾: أولئك اسم إشارة والام للبعد، للتحقير والذم.

وتشير إلى الذين فسدوا في الأرض بإعراضهم عن الجهاد في سبيل الله وقطعوا أرحامهم.

﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: طردهم من رحمته وأبعدهم عنها.



﴿فَأَصْمَهُمْ﴾: عن سماع الحق ؛ لأنهم هم الذين اختاروا لأنفسهم ذلك أي لا يريدون الاستماع إلى آيات الله والانتفاع بها، والإذعان لها والعمل بها والجهاد وغيره.

﴿وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾: عن رؤية الحق واتباعه فالبصيرة معطلة عندهم رغم أنهم يرون ويبصرون ما يحبون وليسوا عمين بعمى النظر فاستحقوا أن يُعمي الله أبصارهم (بصيرتهم).

[٢٤] ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾:

بعد بيان إعراض المنافقين عن الاستماع للقرآن فإنه من الأفضل لهؤلاء المعرضون عن كتاب الله أن يتدبرونه ويتأملونه ليعلموا الحق من الباطل. وما هو خير لهم وما هو شر لهم.

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ ؛ لعدم تدبر القرآن والتعجب، ألا: أداة تنبيه وحض وتحمل معنى الأمر (أن تدبروا القرآن).

﴿يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾: التدبر: يعني الفهم والتأمل والتفكير في آيات القرآن، والتدبر يعني: النظر في المعنى ومدلول اللفظ ظاهره وباطنه ومعانيه. وتطبيق أوامره والعمل به والتدبر في فضيلة الجهاد في سبيل الله.

﴿أَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام؛ أم: منهم من قال: أم المنقطعة، ومنهم من قال: أم المتصلة للإضراب الانتقالي، أو الإبطالي (يعني: هم ليسوا متدبرين للقرآن)؛ لأن قلوبهم مقفلة.



﴿عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾: الأقفال هي العوائق التي تحول بين الإنسان وتدبر القرآن، والأقفال مثل المعاصي والمنكرات كل واحدة هي قفل وهي مكتسبة. وكلمة قلوب: نكرة لتشمل قلوبهم وقلوب غيرهم، وشبه القلوب بالأبواب المقفلة فهي لا تفهم ولا تتأمل ولا تتفكر بالقرآن.

[٢٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾:

بعد أن نهى الله عن الإعراض عن القرآن وأمر بتدبر القرآن وتفهمه، ينذر الذين ارتدوا عن دينهم إلى الكفر بإحباط أعمالهم وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند الاحتضار، أو في يوم القيامة.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾: قيل: هم الذين كفروا بعد إسلامهم وإيمانهم، وقيل: هم اليهود الذين كانوا يؤمنون بالنبي القادم، فلما تحققوا أنه هو الموصوف في كتبهم كفروا به، وقيل: هم المنافقون الذين ارتدوا بسبب الشيطان سَوَّلَ الذي لهم وأملى لهم.

﴿مِّن بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾: أي: كفروا بمحمد ﷺ بعد ما تبين أنه هو النبي الموصوف. والهدى يعني الإسلام، أي: بعد ما تبين لهم الدين الحق.

﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾: زين لهم الكفر (الباطل) وحسنه وحببه إليهم ليفعلوه.



﴿وَأَمْلَى لَهُمْ﴾: من الإملاء والتأخير، أي: الإبقاء، منّاهم بطول العمر والأمل وسعة العيش، ولن يحاسبوا أو يعذبوا يوم القيامة.

[٢٦] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: الارتداد، ذا اسم إشارة واللام للبعد، ويشير إلى الارتداد والإضلال.

﴿وَأَنَّهُمْ﴾: الباء باء السببية، وأنهم تعود على المنافقين.

﴿قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾: أي: قالوا لليهود أو المشركين.

﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾: في محاربة الرسول ﷺ وعداوته ومخالفة أمره، أو ما جاء به وعدم قتالكم قالوا ذلك سراً.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾: أي: ما تآمروا به سراً على رسول الله ﷺ والمؤمنين.

تعريف السر: هو ما تسره في نفسك، أي: تخفيه في نفسك أو يسرون إلى بعضهم بعضاً.

[٢٧] ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾:

﴿فَكَيْفَ﴾: الفاء استئنافية، كيف: للاستفهام والتعجب والإنذار، أي:

كيف يكون حالهم وشأنهم.

﴿إِذَا﴾: ظرفية للمستقبل.

﴿تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾: توفتهم ملائكة الموت



والوفاة أو الاحتضار: هي المرحلة السابقة للموت وخروج الروح، يضربون وجوههم وأدبارهم.

وجاء هذا موضحاً في آيات أخرى مثل سورة الأنفال آية (٥٠).

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾.
والأنعام آية (٩٣): ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾.

[٢٨] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد والكاف للخطاب، ويشير إلى الضرب على الوجوه والأدبار.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء تعليلية أو السببية تعود على المنافقين والذين في قلوبهم مرض.

﴿اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ﴾: اتبعوا ما تعني الذي أو مصدرية، وما: أوسع شمولاً من الذي. أسخط الله من الكفر وكتمان صفات النبي ﷺ، وعصيانه ورسوله وتآمرهم مع أعداء الرسول على محاربة النبي وعدم تصديقه.

والإسقاط استجلاب السخط وهو الغضب، والسخط لا يكون إلا من الكبير على الصغير، بينما الغضب يكون من الصغير على الكبير، ومن الكبير على الصغير، والسخط خلاف الرضا.

وكرهوا رضوانه: الرضا يتضمن التسليم لله — وطاعته والقيام بما أمر به



أو نهى عنه، والرضا يتضمن قبول العطاء أو المنع. أي: هم كرهوا التسليم لله وعصوا الله وجحدوا أو أنكروا ما آتاهم الله ورسوله من فضله.

﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾: أبطل ثوابها لم تعد تُجدي وليس لها أجرٌ.

[٢٩] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ﴾:

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي والهمزة للاستفهام المصحوب بالإنكار.

﴿حَسِبَ﴾: هو الظن الرَّاجح، وتعني: أعتقد وحسب مشتقة من الحساب

وتشمل الحساب الحسي والقلبي القائم على التجربة والنظر في الحساب.

﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: الشك والنفاق والريبة والحسد والعداوة أطلق

عليه مرض، وهو عدة أمراض؛ لأنها كلها أمراض نفسية متشابهة.

﴿أَنْ﴾: تعليلية.

﴿لَنْ﴾: لنفي المستقبل القريب والبعيد.

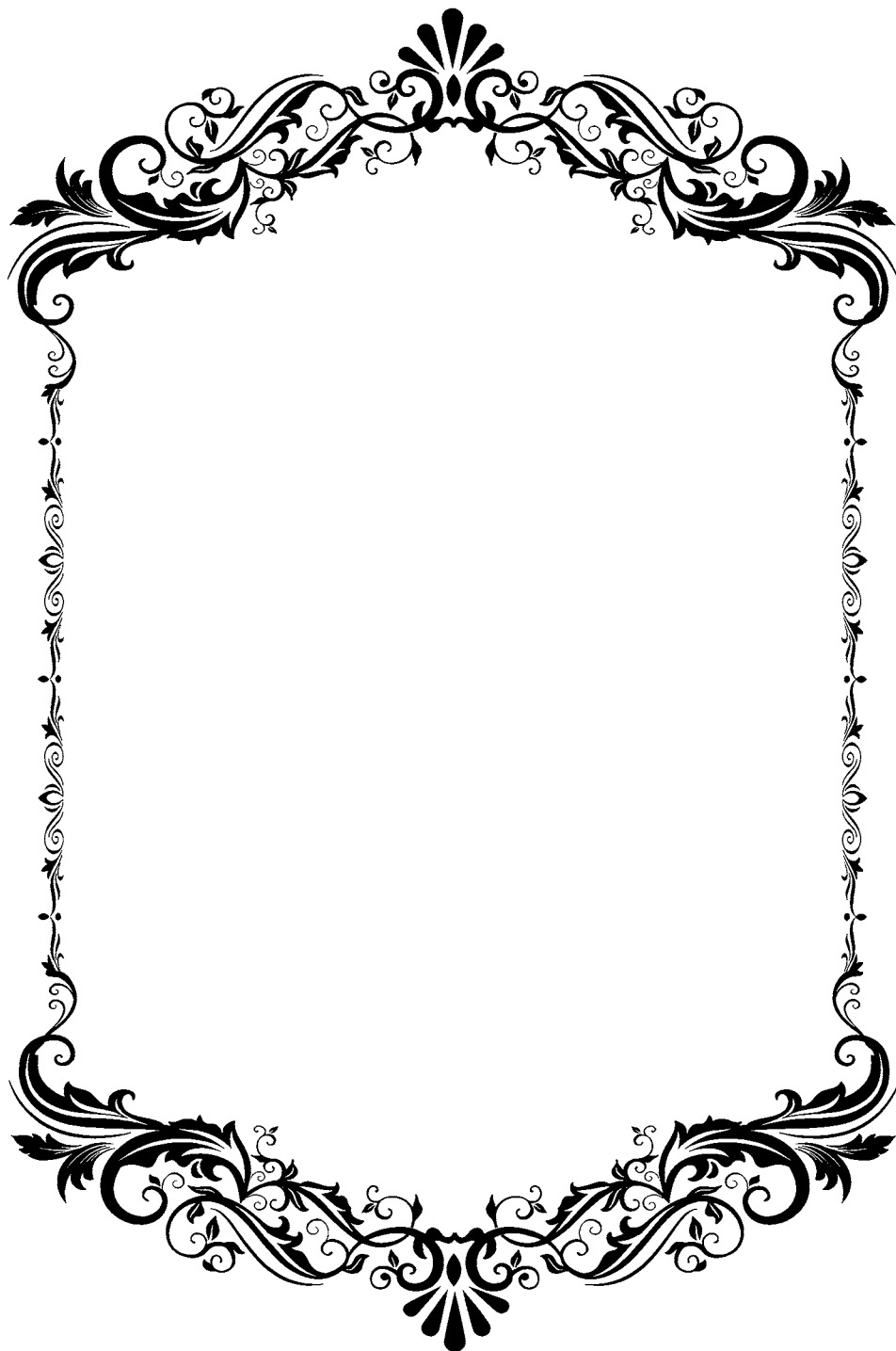
﴿يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ﴾: الضغن: الحقد الشديد وأضغانهم جمع ضغن،

أحسبوا أن الله لن يكشف لرسوله وللمؤمنين، من هم هؤلاء الذين في قلوبهم

مرض؛ أي: يفضح الله سرهم وشأنهم وحقدهم وعداوتهم للمؤمنين عاجلاً أم

أجلاً.







فهرس تفسير القرآن الشري الجامع الجزء العاشر

السورة ورقمها	الصفحة
سورة الزّمر [الآيات ١ - ٥].....	٦
سورة الزّمر [الآيات ٦ - ١٠].....	١٣
سورة الزّمر [الآيات ١١ - ٢١].....	٢٥
سورة الزّمر [الآيات ٢٢ - ٣١].....	٣٩
سورة الزّمر [الآيات ٣٢ - ٤٠].....	٤٩
سورة الزّمر [الآيات ٤١ - ٤٧].....	٦١
سورة الزّمر الآيات [٤٨ - ٥٦].....	٧١
سورة الزّمر [الآيات ٥٧ - ٦٧].....	٨٣
سورة الزّمر [الآيات ٦٨ - ٧٤].....	٩٥
سورة الزمر [الآية ٧٥].....	١٠٧
سورة غافر [الآيات ١ - ٧].....	١١٠
سورة غافر [الآيات ٨ - ١٦].....	١٢١
سورة غافر [الآيات ١٧ - ٢٥].....	١٣٣
سورة غافر [الآيات ٢٦ - ٣٣].....	١٤٥
سورة غافر [الآيات ٣٤ - ٤٠].....	١٥٥
سورة غافر [الآيات ٤١ - ٤٩].....	١٦٥
سورة غافر [الآيات ٥٠ - ٥٨].....	١٧٥
سورة غافر [الآيات ٥٩ - ٦٦].....	١٨٧



السورة ورقمها	الصفحة
سورة غافر [الآيات ٦٧ - ٧٧].....	١٩٧
سورة غافر [الآيات ٧٨ - ٨٥].....	٢٠٧
سورة فصلت [الآيات ١ - ١١].....	٢١٧
سورة فصلت [الآيات: ١٢ - ٢٠].....	٢٢٩
سورة فصلت [الآيات ٢١ - ٢٩].....	٢٣٩
سورة فصلت [الآيات ٣٠ - ٣٨].....	٢٤٧
سورة فصلت [الآيات ٣٩ - ٤٦].....	٢٥٧
سورة فصلت [الآيات ٤٧ - ٥٤].....	٢٦٩
سورة الشورى [الآيات ١ - ١٠].....	٢٨١
سورة الشورى [الآيات ١١ - ١٥].....	٢٩١
سورة الشورى [الآيات ١٦ - ٢٢].....	٢٩٩
سورة الشورى [الآيات ٢٣ - ٣١].....	٣٠٧
سورة الشورى [الآيات ٣٢ - ٤٤].....	٣١٧
سورة الشورى [الآيات ٤٥ - ٥١].....	٣٣١
سورة الشورى [الآيات ٥٢ - ٥٣].....	٣٤١
سورة الزخرف [الآيات ١ - ١٠].....	٣٤٥
سورة الزخرف [الآيات ١١ - ٢٢].....	٣٥٣
سورة الزخرف [الآيات ٢٣ - ٣٣].....	٣٦٥
سورة الزخرف [الآيات ٣٤ - ٤٧].....	٣٧٥
سورة الزخرف [الآيات ٤٨ - ٦٠].....	٣٨٥
سورة الزخرف [الآيات ٦١ - ٧٣].....	٣٩٥



الصفحة	السورة ورقمها
٤٠٥.....	سورة الزخرف [الآيات ٧٤ - ٨٩]
٤١٧.....	سورة الدخان [الآيات ١ - ١٨]
٤٢٧.....	سورة الدخان [الآيات ١٩ - ٣٩]
٤٣٩.....	سورة الدخان [الآيات ٤٠ - ٥٩]
٤٤٩.....	سورة الجاثية [الآيات ١ - ١٣]
٤٥٩.....	سورة الجاثية [الآيات ١٤ - ٢٢]
٤٦٩.....	سورة الجاثية [الآيات ٢٣ - ٣٢]
٤٨١.....	سورة الجاثية [الآيات ٣٣ - ٣٧]
٤٨٧.....	سورة الأحقاف [الآيات ١ - ٥]
٤٩٣.....	سورة الأحقاف [الآيات ٦ - ١٤]
٥٠٣.....	سورة الأحقاف [الآيات ١٥ - ٢٠]
٥١١.....	سورة الأحقاف [الآيات ٢١ - ٢٨]
٥٢١.....	سورة الأحقاف [الآيات ٢٩ - ٣٥]
٥٢٩.....	سورة محمد ﷺ [الآيات ١ - ١١]
٥٣٩.....	سورة محمد [الآيات ١٢ - ١٩]
٥٤٧.....	سورة محمد [الآيات ٢٠ - ٢٩]
٥٥٧.....	فهرس تفسير القرآن الثري الجامع الجزء العاشر



نَفْسِ الْقُرْآنِ

الْحِكْمِ الْخَافِعِ

فِي

الْإِعْجَازِ الْبَيِّنِ وَاللُّغَوِيِّ وَالْعِلْمِيِّ

إِعْدَادُ وَدِرَاسَةُ

الدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ الْحَمِيدِ

تَحْقِيقُ

تَحْقِيقُ



تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الشَّرِيفِ الْجَامِعِ

فِي

الْإِعْجَازِ الْبَيَانِيِّ وَاللُّغَوِيِّ وَالْعَامِّيِّ

الْجُزْءُ الْحَادِي عَشَرَ

تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء : (١٢)
عدد الصفحات : (٦٧٠٤)
القياس : ٢٤ × ١٧
التنفيذ والإخراج الضوئي : محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م



دار المعارف

تلفاكس : 963 11 2247242 +

ص.ب. : 31429 . سورية . دمشق

E-mail: meraj.press@gmail.com



للطباعة والنشر والتوزيع

دار جلال



تنفيذ وإخراج ضوئي



جوال : 963 933 84 60 60 +

سورية - دمشق - تلفاكس : 963 11 2216555 + - ص . ب 13118

www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5

تفسير القرآن الشريفي الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهدال

الجزء الحادي عشر

كتاب المعراج

كتاب الجامع الكبير

الْمَاءِ الطَّيِّبِ الْغَيْرِ

سُورَةُ مُحَمَّدٍ ٤٧

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي
لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣١﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ
الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُ أَعْمَالُهُمْ ﴿٣٣﴾
﴿٣٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا
أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا
وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٦﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ
وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتْرُكَنَّ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٧﴾ إِنَّمَا
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ إِنْ تَوَّعْتُمْ أَنْ تَتَّقُوا يَوْمَ تُؤْخَذُكُمْ
أُجُورُكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ ﴿٣٨﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ
تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٩﴾ هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ
لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ
فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ
تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٤٠﴾

٥١٠





سورة محمد [الآيات ٣٠ - ٣٨]

[٣٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو عاطفة، لو: حرف امتناع لامتناع.

﴿نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾: اللام للتوكيد، أريناكَهم: الرؤية رؤية عينية بصرية.

﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ﴾: أي: لو نشاء لجعلنا لهم علامات فارقة مميزة خاصة بهم تعرفهم بها حين تراهم، ولكنه لم يشأ ستراً لخلقهم ومن رحمته ولطفه أخفى ذلك.

﴿بِسِمَتِهِمْ﴾: الباء للإلصاق، السمة علامة خاصة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٧٣) من البيان.

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾: الواو عاطفة، واللام للتوكيد، والنون في تعرفنهم لزيادة التوكيد. أي: رغم أننا لن نبين لك من هم فهم لن يخفوا عليك فستعرفنهم في لحن القول، أي: في أسلوب القول أو طريقة كلامهم ومغزاه حين يطعنون بالمسلمين ويتحدثون على المسلمين بطريقة التورية والتعريض، أي: يعرضون عن التصريح إلى التعريض والإبهام: أو يستعملون ألفاظاً معينة أو إشارات خاصة بهم متعارفون عليها.

ويقال: لحنْتُ له: إذا قلت له قولاً يفهم عنك ويخفى على غيره.



﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ﴾: أي: أقوالكم وأفعالكم وسيجازيكم عليها.

[٣١] ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: الواو استئنافية، لنبلونكم: اللام والنون كلاهما للتوكيد، فهذا الابتلاء كائن لا محالة والابتلاء أشد من الاختبار، ويكون في الخير والشر والابتلاء هنا يعني الجهاد بالمال والنفس وبالتكاليف.

﴿حَتَّى﴾: حرف نهاية الغاية، وهي العلم من سيخرج في سبيل الله ومن يتخلف عن الجهاد، ومن الصابر أو غير الصابر والمرائي من المخلص.

﴿نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ﴾: وهل الله سبحانه بحاجة إلى هذا العلم طبعاً لا فهو يعلم منذ الأزل، وقبل خلق الإنسان ما سيعمل أو ما لا يعمل وغاية العلم لإقامة الحُجَّة على العبد أولاً، وحتى يعلم من حوله، أي: أنتم وغيركم شأنه وصدقه وكذبه وتكونوا شهوداً عليه.

والجهاد نوعان: الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر، مجاهدة النفس ومجاهدة العدو. ارجع إلى سورة العنكبوت آية (٦) لبيان معنى الجهاد.

﴿وَالصَّادِقِينَ﴾: على الطاعات واجتناب النواهي والقضاء والقدر.

﴿نَعْلَمَ﴾: الصابرين من غير الصابرين ودرجات صبرهم.

﴿وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾: في القرآن الخبر: هو النبا العادي، والنبأ: هو الخبر العظيم؛ أي: نكشف أخباركم أو نبلوكم بشتى الابتلاءات بالزيادة في الخبر



أو النقصان منه أو الإخبار عنه بخلاف ما هو عليه أو نطلع على أخباركم هل تصدقون أم لا، أو هل تتبينوا صدق الأنباء قبل الإعلان بها.

الفرق بين الابتلاء والاختبار:

الابتلاء: لا يكون إلا بتحمل المكاره والمشاق، ويكون في الخير والشر وغاية الابتلاء، هو معرفة أو استخراج ما عند المبتلى من الطاعة والصبر أو المعصية من جراء المشقة، والابتلاء قد يؤدي إلى كشف الأسرار أو الفضيحة، وليس الغاية من الابتلاء ليعلم الله؛ لأن الله سبحانه يعلم نتيجة ابتلائهم.

الاختبار: يكون بفعل المحبوب أو المكروه وغاية الاختبار وقوع الخبر والخبر هو العلم بكنه الشيء وحقيقته.

[٣٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَالُهُمْ﴾:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: إن للتوكيد، الذين: اسم موصول يفيد الذم.

﴿كَفَرُوا﴾: بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً، أو كفروا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: صرفوا أو منعوا غيرهم من الدخول في الإسلام، أو فعل الخيرات والأعمال الصالحة، أو حاربوا الإسلام، أو إعلاء كلمة الله بشتى الوسائل.

﴿وَشَاقُوا الرَّسُولَ﴾: أي: خالفوا الرسول وعادوه وحاربوه، وأصل المشاقة أن تصير في شق غير شق عدوك.

والشق هو الذي يفصل بين الشيئين ويعني: الخلاف من جراء الاستهزاء بالدين، أو الآيات، أو رسول الله ﷺ.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾: أي: من بعد أن تبين لهم في كتبهم صدق نبوة محمد ﷺ وأنه حق والإسلام حق، والمرجح أن هذه الآية نزلت في يهود بني قريظة والنضير؛ لأن إضافة وشاقوا الرسول تدل على اليهود، وخاصة أنه قد سبق ذكر المشركين والكفار والمنافقين في الآيات السابقة.

﴿لَنْ﴾: أداة نفى تنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿يُضْرُوا اللَّهَ﴾: أي: بكفرهم وصداهم عن سبيل الله تعالى دين الله وإصرارهم على الكفر، لن يضروا الله الآن ولا في المستقبل القريب والبعيد ولا في أي زمن.

﴿شَيْئًا﴾: نكرة، أي: مهما كان نوع أو شكل هذا الضرر ومقداره وجهته، والشيء هو أقل القليل، وسواء أكان حسياً أم مادياً.

وشقاق الرسول ﷺ أو شقاق المؤمنين هو شقاق لله تعالى ومعاداة الرسول أو معاداة المؤمنين هي معاداة لله تعالى.

وفي هذه الآية تهديد لهؤلاء الكفار.

﴿وَسَيَحِطُّ أَعْمَلَهُمْ﴾: السين للاستقبال القريب، أي: في الدنيا ناهيك



عن الآخرة، إذن نفهم من هذه الآية أن معاداة الرسول من محبطات العمل الصالح.

[٣٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا بتكليف أو حكم أو أمر وهو طاعة الله تعالى وطاعة رسوله. ارجع إلى سورة النساء آية (٥٩)، وسورة آل عمران آية (٣٢) للبيان والفرق.

﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾: تحبطوا أعمالكم الصالحة بمحبطات العمل كالشرك والكفر والبدع، ومشاقة الرسول ﷺ والمن والكبرياء وغيرها. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢١٧) لمزيد من البيان.

[٣٤]: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (٣٢).

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾: ماتوا ولم يتوبوا من الكفر أو الشرك، ماتوا على ملة الكفر، وهم ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾: الفاء: للتوكيد؛ لن: أداة نفي تنفي المستقبل القريب

والبعيد معاً.

لن يغفر الله لهم كفرهم وشركهم في الدنيا.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨ و ١١٦].

[٣٥] ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدر هو إذا لقيتم الذين كفروا فلا تهنوا أو نودي للجهد فلا تهنوا: لا الناهية.

﴿تَهِنُوا﴾: من الوهن وهو الشعور بالضعف والخور، وأن يفعل الإنسان فعل الضعيف، وهو قوي والضعف هو نقصان القوة، فالوهن ليس هو الضعف حقيقة، أي: لا تفعلوا فعل الضعفاء وأنتم أقوياء.

﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾: بكسر السين وفتحها، أي: الصلح أو المسالمة، أي: لا تدعوا إليها وأنتم الأعلى.

﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾: أي: الغالبون والقاهرون.

﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾: بالعون والنصر، أي: ناصركم وممدكم بحاجاتكم.

﴿وَلَنْ﴾: أداة نفي للمستقبل القريب والبعيد.

﴿يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾: أي: لن ينقصكم أجور أعمالكم، أي: ثوابها ولو بحسنة، لا الآن ولا في المستقبل يقال: وتره حقّه: أي: نقصه حقّه، أو سأله ماله من دون حقّ.



[٣٦] ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ وَلَئِنْ تَوَضَّعُوا وَتَنَفَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلَكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد الحصر.

﴿الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ﴾: اللعب هو شغل لا يُلهي عن واجب، واللَّهُ هو شغل يُلهي عن واجب.

فاللعب قد يصبح لهواً إذا شغل الإنسان عن واجبه، واللَّهُ أسوأ من اللعب، وهو أعم من اللعب، والحياة الدنيا مليئة باللعب واللَّهُ. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٣٢) للبيان. وقدم اللعب على اللُّهُ في ثلاث آيات: في سورة الأنعام آية (٣٢)، وفي هذه السورة (محمد ﷺ)، وفي سورة الحديد آية (٢٠)، وقدم اللُّهُ على اللعب في سورة العنكبوت آية (٦٤)؛ ارجع إلى سورة العنكبوت للمقارنة.

﴿وَإِنْ تَوَضَّعُوا وَتَنَفَّقُوا﴾: إن شرطية.

تَوَضَّعُوا: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

وتَنَفَّقُوا: أي: تطيعوا أوامر الله وتجنبوا نواهيه، أي: تعملوا عملاً صالحاً.

﴿يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ﴾: أي: ثواب أعمالكم ثواب إيمانكم وتقواكم، الإيتاء هو العطاء ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) لمعرفة الفرق بينهما، والأجر يكون مقابل العمل.

﴿وَلَا يَسْأَلَكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾: لا يطلب منكم جميع أموالكم، بل زكاة أموالكم، وما ترغبون أن تتصدقوا به وعدم ذكر الزكاة أو الصدقات؛ لأن نسبتها قليلة جداً

(٢،٥٪)، فهي نسبة ضئيلة لا تذكر قليلة جداً مقارنة بما عندكم من الأموال، وما تنفقوا منها فكأنه لا يستحق ذكرها أو إذا أخرجت الزكاة أو الصدقات، فكأن الأموال تبقى نفسها ولا تنقص، ولذلك قال: ولا يسألكم أموالكم في الحقيقة، وإنما هي أمواله.

[٣٧] ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخْلُكُمْ أَصْغَنَكُمْ﴾:

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الافتراض والاحتمال والندرة.

﴿يَسْأَلْكُمُوهَا﴾: أي: يسألكم الزكاة والصدقات، وجاءت بصيغة المضارع لتكرار الزكاة والصدقات.

﴿يُحْفِكُمْ﴾: الفاء للتوكيد، يحفكم: ألح في طلب أموالكم أو بالغ أو كرّر عليكم لوجدكم تبخلوا أحفى في المسألة ألح فيها أو ألح في طلبها، والإنسان يكره أن يلح عليه آخر مرة بعد الأخرى.

﴿تَبَخَّلُوا﴾: يجدكم تبخلوا جواب الشرط.

﴿وَبُخْلُكُمْ أَصْغَنَكُمْ﴾: أحقادكم وبغضكم وكراهيتكم للسؤال.

[٣٨] ﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤَآ تَدْعُونَ لِئَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَّفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ ۖ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾:

﴿هَآأَنْتُمْ﴾: الهاء للتنبيه، أنتم للتوكيد.

﴿هَؤُلَاءِ﴾: تكرار الهاء للتوكيد على التنبية والاستماع، أولاء اسم إشارة، هؤلاء بمعنى الذين.

﴿تَدْعُونَ﴾: أي: أنتم أيها المخاطبون تدعون الآن أو في المستقبل لتنفقوا.

﴿لَتُنْفِقُوا﴾: السلام لام التعليل جزءاً من أموالكم كالزكاة والصدقات والقرض الحسن.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: ابتغاء مرضاة الله كالجهاد أو مساعدة الفقراء والمساكين وابن السبيل وفي سبيل الله قد تشمل الدعوة إلى الله وغيرها.

﴿فَمِنْكُمْ مَّنْ يَبْخُلُ﴾: الفاء للتوكيد، منكم من بمعنى الذي، يبخل: يكره أن ينفق ولا يخرج زكاة أمواله.

﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ﴾: الواو استئنافية من شرطية، وإنما: الفاء رابطة لجواب الشرط، إنما كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

يبخل عن نفسه: يحرم نفسه رضا الله أو عن الثواب والأجر، وعن تفيد المجاوزة والمباعدة، أي: يبعد نفسه عن مصلحتها أو عن الخير.

أما لو قال: إنما يبخل على نفسه: أي: فعاقبة بخله تعود على نفسه كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣].

أو بخله يعود عليه، أي: هو يبخل على نفسه.

﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾: عنكم وعن أموالكم وعن العالمين، هو الغني الذي يعطيكم المال وكل ما سألتموه ولا ييخل عليكم.

﴿وَأَنْشُرُ الْفُقَرَاءَ﴾: إليه في كل حاجة من حوائجكم.

﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والافتراض تقولوا عن الإيمان والتقوى وعن الإنفاق في سبيله والبخل أو ترجعوا كفاراً، وتولوا قد تكون معطوفة على (وإن تؤمنوا وتتقوا... وإن تولوا...).

﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: أي: يذهبكم ويأتِ بآخرين أفضل منكم.

﴿ثُمَّ﴾: للتبائن في الصفات، وليس للبعد الزمني.

﴿لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾: في الطاعة والعبادة والإنفاق في سبيل الله.

بل أفضل منكم وأطوع وأكرم، وأسرع امتثالاً لأوامر الله تعالى.





سُورَةُ الْفَتْحَةِ ٤٨

الجزء الثاني من القرآن

سُورَةُ الْفَتْحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾
وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدَّهُمْ إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ
يَا لَلَّهِ ظَنُّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
شَهِدًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتُعَزِّرُوهُ وَتُقِرُّوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

سورة الفتح [الآيات ١ - ٩]

ترتيبها في القرآن (٤٨) وترتيبها في النزول (١١١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أسباب النزول: قيل: نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة بعد صلح الحديبية بعد أن شعر الصحابة بالحزن والألم؛ لأنه حيل بينهم وبين دخول مكة للعمرة فقال رسول الله ﷺ: (نزلت عليّ آية أحب إليّ من الدنيا وما فيها وهي: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾

[الفتح: ٢].

[١] ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿فَتَحْنَا لَكَ﴾: الخطاب إلى رسول الله ﷺ.

فتحنا: من الفتح، في اللغة يعني: إزالة الإغلاق، والفتح شرعاً: هو النصر والغلبة بدون استخدام القوة أو الدخول في حرب، وفتحنا جاءت بصيغة الجمع للتعظيم.

وأما النصر: فهو الغلبة أو الظفر باستخدام القوة والسلاح أو الحرب.

والفتح هنا في رأي الجمهور: هو صلح الحديبية في السنة السادسة



للهمجرة، وهناك من قال: إنه فتح مكة، وكما قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] فهناك فرق بين النصر والفتح.

فتحنا لك: ولم يقل فتحنا عليك، لك: السلام لام الاختصاص؛ أي: لك خاصة.

فتحنا لك: إذا كان الفتح فيه خير ولصالح المفتوح له يقال: فتحنا لك.

فتحنا عليك: إذا كان الفتح فيه ضرر وشر ولغير صالح المفتوح له.

كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾

[المؤمنون: ٧٧].

وسمّي صلح الحديبية فتحاً مبيناً؛ لأنه لم يكن هناك فتح أعظم منه؛ لما حققه من فتح مكة وانتشار الإسلام.

[٢] ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾:

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

أي: مع هذا الفتح نبشرك بآنا غفرنا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر.

ليغفر لك: المغفرة الشاملة ما تقدم وما تأخر، ما تقدم؛ أي: قبل الرسالة (النّبوة)، وما تأخر؛ أي: بعد الرسالة (النّبوة)، ولا يعني أنّ رسول الله ارتكب ذنباً؛ لأنّ الأنبياء معصومون عن الذنوب والكبائر.

وقدّم (لك) أي: لك خاصة أو حصراً.

﴿وَيُنَزِّلُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾: بالإضافة إلى النبوة يتم نعمته عليك بالنصر والفتح أيضاً، ودخول الناس في دين الله أفواجاً وبعد ذلك فتح مكة وخيبر وانتشار الإسلام، وإرسالك للثقلين بشيراً ونذيراً أو للناس كافة ورفع ذكرك في العالمين. وكلمة (نعمته) الضمير يعود على الله سبحانه نعمته تشمل سائر النعم (نكرة) التي لا تعد ولا تحصى.

﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾: أي يرشدك ويثبتك على الاستقامة على دين الإسلام للوصول إلى الغاية العظمى وهي رضوان الله تعالى.

[٣] ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾:

﴿نَصْرًا عَظِيمًا﴾: نصراً منيعاً قوياً، لا ذل بعده، ينصرك على أعدائك. والنصر يكون بالقوة والسلاح والجهاد - كما قلنا سابقاً - أو الفتح يكون بالغلبة بدون قتال وسلاح؛ أي: بالحجة والسلطان وإظهار الإسلام على الدين كله.

[٤] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۖ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم والوحدانية يعود على الله سبحانه.

﴿أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: السكينة: من سكون النفس، والسكينة أشد من الطمأنينة والشعور بالأمن، والسكينة قد تكون عامة تشمل كل المؤمنين أو خاصة تخص الرسول ﷺ أو الصحابة أو فئة معينة، وعندها بدلاً من أن يقول



السكينة يقول تعالى: سكنته، يضيف إليها هاء التشريف؛ أي: سكينة خاصة. ارجع إلى الآية (١٨) من السورة نفسها لمعرفة الفرق بين السكينة وسكنته والمقارنة.

﴿لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾: اللام لام التعليل والتوكيد، إيماناً مع إيمانهم ليزدادوا إيماناً بالكم والكيف، مع إيمانهم؛ أي: يزدادوا يقيناً واستقامة؛ أي: كلما نزلت فريضة أو آية زادتهم إيماناً مع إيمانهم السابق.

وفي هذه الآية دليل أن الإيمان يزيد وقد ينقص.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: جنود تشمل الملائكة والرياح والسحاب والرعد والبرق والصواعق والنار والقوى الكونية. ارجع إلى الآية (٧) من السورة نفسها لبيان الفرق بين جنود السموات والأرض في كلا الآيتين.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: اختار عليمًا حكيماً؛ لأنه سبق ذلك ذكر الفتح، وازدياد الإيمان والهداية، وجنود السموات والأرض، وإنزال السكينة؛ فالسياق سياق علم وحكمة؛ عليمًا بأفعال وأقوال خلقه وأحوالهم في الأمن والخوف والسكينة والرعب، ويعلم مصالح عباده وما ينفعهم وما يضرهم. وعليمًا: صيغة مبالغة كثير العلم.

حكيماً: من الحكمة، حكيماً في تدبير شؤون خلقه وكونه، فهو أحكم الحاكمين وأحكم الحكماء، (كان) تشمل كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩).

[٥] ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾:

﴿لِيَدْخُلَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، يدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار.

﴿جَنَّاتٍ﴾: جمع جنة جنات الفردوس، جنات النعيم، جنات عدن، دار السلام.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: تنبع من تحتها الأنهار، خالدين فيها خلوداً يبدأ من وقت دخولهم إلى ما لا النهاية.

﴿وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: يستر عليهم سيئاتهم ويمحوها ويعفو عنها فلا يعاقبهم عليها، والسيئات: قيل هي الصغائر، وهناك من قال هي الصغائر والكبائر، والكبائر لا بد لها من توبة.

﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾: التكفير عن السيئات وإدخال الجنات يُعَدُّ عند الله تعالى فوزاً عظيماً.

﴿عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: الفوز العظيم هو أعظم فوز، لا يعلوه فوز. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٣) لبيان معنى الفوز وأنواعه أو درجاته والمقارنة بينها.

[٦] ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّكَ
السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾:

قدّم المنافقين على المشركين؛ لأنّ المنافقين خطرهم أشد وأسوأ على
المؤمنين من الكافرين.

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾: في الدنيا والآخرة
بشتى أنواع العذاب.

﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّكَ السَّوْءَ﴾: أنّ الله لن ينصر رسوله، وأنّ الرسول ﷺ
سيُهزم أو يُقتل، وأنّ المؤمنين سوف يهلكوا أو يقتلوا، أو الظالمين بالله أن له
شريكاً أو ولداً.

ظن السوء: تشمل كل ظن سيئ بالله سبحانه.

﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾: أي ما يظنون بالمؤمنين من ظن السوء هو دائر
عليهم؛ أي: محيط بهم وواقع عليهم جميعاً من كل جانب كما تحيط الدائرة بما
كائن فيها.

﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾:

﴿وَلَعَنَهُمْ﴾: طردهم وأبعدهم عن رحمته.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾: وهيباً وجهز لهم جهنم، لهم: اللام لام الاختصاص؛
أي: لهم خاصة، جهنم: اسم للنار مشتق من كونها بعيدة القعر؛ أي: شدة التآجج
بالنار؛ أي: شديد الاحتراق. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾: المصير: المنتهى. المصير: هو انقلاب الشيء إلى خلاف الحال التي كان عليها.

وأما المرجع فهو انقلاب الشيء إلى الحال التي كان عليها.

[٧] ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَرِيظًا حَكِيمًا﴾:

﴿وَلِلَّهِ﴾: وحده، تقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة يفيد الحصر.

﴿جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: إعادة هذه الآية لا تعني التكرار، ولكن الآية (٤) تعني جنود الرحمة المختصين بإنزال السكينة والرحمة، وأما الآية (٧) تعني جنود العذاب، وكذلك أعقبها بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَرِيظًا حَكِيمًا﴾، ولكون الجنود من أجناس مختلفة قال تعالى: (جنود) ولم يقل جند (جند) يدل على أنهم من جنس واحد وغايتهم أو مهمتهم واحدة.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَرِيظًا حَكِيمًا﴾: اختار عزيزاً حكيماً؛ لأنه سبق ذلك ذكر إدخال المؤمنين والمؤمنات الجنات، وعذاب المنافقين والمشركين، وجنود السموات والأرض، فالسياق سياق عزة؛ أي: قدرة، وحكمة في الجزاء والثواب.

﴿غَرِيظًا﴾: قوياً لا يُغلب ولا يُقهر وممتنع لا يضره أحد من عباده، له العزة جميعاً؛ عزة القهر وعزة القوة والقهر وعزة الامتناع، وذكر العزة يتناسب مع العقاب والتهديد.

﴿حَكِيمًا﴾: مشتقة من الحكم ومن الحكمة، فهو حاكم السماوات والأرض، وهو كذلك مالك السموات والأرض فهو أحكم الحاكمين وهو أحكم الحكماء

في شرعه وتدابير شؤون كونه وخلقه، وإدخال المؤمنين الجنة وطرد المشركين والكفار من رحمته وإعداد جهنم لهم مصيراً، ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩).
[٨] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾:

﴿إِنَّا﴾: للجمع والتعظيم.

﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾: يا رسول الله، أرسلناك بالحق للناس كافة، ولمعرفة الفرق بين (أرسلناك وبعثناك) ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة للبيان.
﴿شَهِيدًا﴾: على أمتك يوم القيامة بتبليغ الرسالة؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿وَمُبَشِّرًا﴾: بالثواب بالفوز والجنة مبشراً للمتقين وللمؤمنين الذين يعملون الصالحات.

﴿وَنَذِيرًا﴾: من الإنذار وهو الإعلام مع التحذير والتخويف منذراً للكافرين والمشركين والمعجمين والمكذبين، منذراً بالعذاب والنار، نذيراً: كثير الإنذار، وقدم مبشراً على نذيراً؛ لأن المخاطب هو رسول الله ﷺ تكريماً له ولقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، والبشارة: هي رحمة.

[٩] ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾:

﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾: اللام لام التعليل، بالله: الباء للإلصاق، إيمان العقيدة والتوحيد والألوهية والربوبية والأسماء والصفات.



﴿وَرَسُولِهِ﴾: تصدقوا برسوله ﷺ.

﴿وَتُعْزِّرُوهُ﴾: تعود على (رسوله)، وقد تعود على الله؛ التعزير: هو الإعانة، والنصرة تكون بالقوة، وتعزير الرسول: هو تعزير لله ولم يقل وتعزروهما، توقير الرسول هو توقير لله تعالى.

﴿وَتُوقِرُوهُ﴾: تعود على الله ورسوله، التوقير هو الاحترام مع التعظيم.

﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: تعود على الله وحده سبحانه، وقد تكون كل الضمائر السابقة تعزروه، وتوقروه، وتسبحوه: تعود على الله سبحانه، وهناك من قال: أن تعزروه، وتوقروه تعود على الرسول ﷺ، أو قد تكون مشتركة تعود على الله تعالى ورسوله ﷺ، أما التسبيح: فلا يكون إلا لله وحده عز وجل؛ التسبيح: هو تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص وعيب وشريك وولد ونذ ومثل. والتسبيح لا يكون إلا لله وحده ولا يشمل الرسول ﷺ.

البكرة: أول النهار، الأصيل: آخر النهار، ارجع إلى سورة مريم آية (١١) لمزيد من البيان.

والتسبيح قد يعني الصلاة، وبكرةً وأصيلًا يعني: طول النهار.



سورة الفتح

سورة الفتح ٤٨

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ
فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ
اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ
مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ
بِالْسِّنِّتِ هُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى
أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا
وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا
أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى
مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا
كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَّنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ
فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

سورة الفتح [الآيات ١٠ - ١٥]

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُورَتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾
﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح.

﴿يُبَايِعُونَكَ﴾: الخطاب إلى رسول الله ﷺ، والبيعة: هي العهد على الطاعة لولي الأمر، وبشكل عام: هي أخذ العهد على فعل ما، وإذا بايعوا الولي جعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعهد فأشبه ذلك البائع والمشتري، ولذلك سميت بيعة، وهي بيعة الرضوان بالحديبية في السنة السادسة من الهجرة. والحديبية: قرية صغيرة قرب مكة تدخل في حدود الحرم، وكانوا (١٤٠٠) مسلم.

بايع المسلمون رسول الله ﷺ على قتال أهل مكة؛ لأنهم منعوهم من دخول الحرم للعمرة فبايعوه على الموت في سبيل الله وعدم الفرار.

يبايعونك: مشتقة من البيع؛ أي: هم باعوا أنفسهم في سبيل الله بالجنة.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة تفيد التوكيد.

﴿يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾: أي جعل الله سبحانه مبايعة النبي ﷺ بمنزلة مبايعتهم له

سبحانه.



أي: من يبايعونك إنما يبايعون الله، وهذا تشريف عظيم له ﷺ.

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾: لتأكيد البيعة، فقد كان كل صحابي يأخذ بيد رسول الله ﷺ يبايعه، يد الله فوق أيديهم هذا مجاز لغوي؛ يعني: الله سبحانه حاضر وشاهد على البيعة.

﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾: الفاء للتوكيد، من: شرطية، نكث: نقض العهد أو البيعة فلم يقاتل وينصر رسول الله ﷺ.

﴿فَأَنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾: أي عاقبة أو وبال نقضه العهد يرجع عليه وحده ولا يتجاوز به إلى غيره.

فإنما: الفاء للتوكيد، إنما كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

ينكث على نفسه: أي وقع عقاب النقض أو النكث على نفسه وحده.

﴿وَمَنْ أَوْفَى﴾: من شرطية، أوفى: أي أتم عهده ولم ينكث، وحافظ على عهده.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق والملازمة، ما: بمعنى الذي عاهد عليه الله.

﴿عَلَّهْدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾: عليه جاء بالضمة بدلاً من الكسرة ولم يقل عليه؛ لأنّ الضمة أثقل الحركات (من الفتح أو الكسر) جاء بها لتدل على أنّ هذا العهد هو أثقل العهود؛ أي: استعمل أثقل الحركات وهي الضمة لأثقل العهود أو البيعات. وهناك من قال ببناء الضمير (عليه) بالضم لغة الحجاز، أو البناء على الضم يدل على التفخيم لكي يفخم هذا العهد.

﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط تفيد التوكيد.

فسؤيته: السّين للاستقبال القريب، الإيتاء هو العطاء وهناك فرق بينهما.
ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة للبيان.

أجرًا عظيمًا: أي الجنة.

وقيل: لم ينكث من الصحابة أحدٌ غير رجلٍ واحدٍ هو الجدُّ بن قيس وكان من المنافقين.

[١١] ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنَةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾:

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾: سيقول: السّين للاستقبال القريب
أو سيقول لك قريباً.

المخلفون من الأعراب: الذين تخلّفوا عن الخروج معك إلى الحديبية؛
فقد خرج رسول الله معتمراً وطلب من الأعراب الذين كانوا حول المدينة
الخروج معه للعمرة، وساق معه الهدى؛ ليُعلم أهل مكة أنّه لا يريد حرباً، فتناقل
أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع عن الخروج خوفاً من القتل أو الموت
وقالوا: كيف يخرج لملاقاة قوم غزوه في عقر داره؟ أي: بالمدينة وقتلوا أصحابه
في أحد، وظن هؤلاء أنّه سيهلك هو ومن خرج معه ولن يرجعوا إلى المدينة
أحياء، واعتذروا لعدم الخروج بالشّغل في أموالهم وأهليهم؛ أي: ليس هناك من



يقوم بالشغل بدلاً منهم، وأنهم خافوا على أهلهم وديارهم من الغزو، وهم في الحقيقة تخلّفوا مخافة القتل، وليس صحيحاً ما زعموه.

﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾: للتكثير والمبالغة، ولم يقولوا شغلنا.

﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾: الفاء السببية ربط السبب بالمسبب، استغفر لنا الله من التخلّف وعدم الخروج معك. وطلبهم الاستغفار هو طلب رياء وليس حقيقة أو جادين في طلب الاستغفار؛ والدليل على ذلك: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾. وهذا من علامات النفاق؛ أي: يقولون كذباً.

ولم يقل يقولون بأفواههم كما ورد في آل عمران آية (١٦٧) القول بالأفواه أقوى وأكد من القول باللسان؛ لأنّ اللسان جزء من الفم فإذا كان القول فيه مبالغة أو تأكيد، ذكرت الأفواه، ولو نظرنا في هذه الآية من سورة الفتح والآية (١٦٧) من سورة آل عمران لوجدنا: (يقولون بألسنتهم) جاءت على لسان الذين تخلّفوا عن الحديبية والخروج مع الرسول ﷺ للعمرة، وزعموا أنهم مشغولون بأموالهم وأهلهم.

أما (يقولون بأفواههم): جاءت على لسان الذين تخلّفوا عن معركة أحد والقتال فيها فقد قالوا: لو نعلم قتالاً لاّ تبغناكم. فهو سبحانه استعمل كلمة أفواههم في غزوة أحد التي حدث فيها قتال كبير، واستعمل ألسنتهم في صلح الحديبية الذي لم يحدث فيه قتال.

﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ، لهؤلاء الذين

تخلفوا عن الخروج معك للحديبية، فمن: الفاء رابطة لجواب شرط مقدّر، من: استفهامية.

لكم: اللام لام الاختصاص، فالخطاب هنا خطاب خاص موجّه لهؤلاء فقط؛ أي: المخلفون من الأعراب الذين تخلفوا عن الخروج إلى الحديبية، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٧) من سورة المائدة وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: نجد أنه لم يذكر (لكم) في هذه الآية؛ لأن الآية عامة، وليست خاصة بفئة معينة، كما هو الحال في آية الفتح.

شيئاً: نكرة تشمل أيّ شيء مهما كان صغيراً أو كبيراً، والشيء هو أقلّ القليل نفعاً أو ضرراً، وسواء أكان حسياً أم معنوياً.

﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال، أراد بكم ضراً: قدّم بكم الجار والمجرور للحصر، (بكم) وحدكم، ضراً: بفتح الضاد، وهو خلاف النفع مثل: الفقر والقتل والهزيمة والخوف وعدم الأمن وضياع الأموال والموت، ضراً: بضم الضاد هو سوء الحال في النفس مثل: المرض والهم والغم.

والضر: هو الأذى إذا اشتد فالضرر أشدّ من الأذى وتكون له آثار بعد ذلك، وقدّم الضر على النفع في هذه الآية؛ لكون السياق في التخلف عن الجهاد الذي يعتبر ضراً؛ لكونه يؤدي إلى القتل والسبي.

﴿أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾: من ظفر ونصر وغنيمة وأمن.



﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: بل للإضراب الانتقالي.

كان الله: (كان) تشمل كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، كان ولا يزال وسيبقى خبيراً.

بما: الباء للإلصاق والملازمة، ما: تعني الذي أو مصدرية.

تعملون: العمل يشمل الأقوال والأفعال.

خبيراً: أي عليمًا ببواطن أموركم وما تخفي صدوركم من الصدق أو الكذب والتفاق والرياء.

وقدّم (تعلمون) على (خبيراً) ولم يقل وكان الله خبيراً بما تعلمون؛ لأن الآيات في سياق عمل المخلفين (أي أقوالهم بألسنتهم).

[١٢] ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾:

﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ﴾: بل للإضراب الانتقالي، ظننتم: من الظن: هو الشك مع رجحان كفة الإثبات على النفي. أي: كان رأيهم الراجح.

﴿أَنْ لَّنْ﴾: أن للتعليل والتوكيد، لن: لنفي المستقبل القريب والبعيد؛ أي: أن الرسول والمؤمنين لن يرجعوا سالمين بعد الذهاب للعمرة؛ أي: سيهلكون قريباً أو بعيداً.

﴿يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾: الانقلاب؛ أي: الرجوع أو



العودة إلى منازلهم أو ديارهم، والانقلاب يختلف عن الرجوع، الرجوع: هو العودة إلى المكان الذي خرج منه وبدون تغيير.

الانقلاب: هو الرجوع إلى غير الحالة التي خرج فيها، فقد يرجع أو لا يرجع وإذا رجع لن تكون حالته كما في السابق.

﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾: ولم يقل إلى أهلهم، أهلهم: تضمّ الزوجة والأولاد والعشيرة والأقارب، وأما أهلهم: تعني الزوجة والأولاد فقط.

﴿أَبَدًا﴾: للتوكيد؛ أي: سيقتلون حتماً على يد قريش ولن يرجعوا إلى أهلهم بل ينقلبوا إلى القبور.

﴿وَرُبَّ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾: رُبَّن: مبني للمجهول، وغالباً من يفعل ذلك هو الشيطان.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي عدم الانقلاب والعودة إلى أهلهم.

﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾: خاصة.

﴿وَوَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾: ظننتم من الظن هو الاحتمال الراجح، ارجع إلى مطلع الآية.

ظن السوء: الظن السيء، والسوء: مصدر ساءه، والسوء: هو الاسم، والظن السيء: هو أن الرسول والمؤمنين سيقتلون ولن ينقلب أحد منهم إلى أهلهم.

﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾: بور: جمع بائر، وبار الشيء: فسد وهلك، بوراً



مصدر للمفرد والمؤنث والجمع؛ أي: لا خير فيكم مستوجبين سخط الله وعقابه؛ أي: هالكين أو فاسدين. مشتقة من: أرض بور أي جدداء لا خير فيها.

[١٣] ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾:

﴿وَمَنْ لَمْ﴾: الواو عاطفة، من: شرطية، لم: للنفي.

﴿يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾: إيمان عقيدة وتوحيد، والباء للإلصاق والملازمة.

﴿وَرَسُولِهِ﴾: إيمان تصديق وطاعة، انتبه إلى كونه جمع بين الإيمان بالله

تعالى ورسوله، وهذا مغاير لمن يظن أن الإيمان بالله تعالى أو بالقرآن وحده يكفي.

﴿فَإِنَّا﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، إِنَّا: للجمع والتعظيم.

﴿أَعْتَدْنَا﴾: هيأنا وحضرنا.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، الكافرين: الذين لم

يؤمنوا بالله ورسوله.

﴿سَعِيرًا﴾: اسم للنار، سعير (نكرة) للتهويل والتعظيم، والسَّعِير: شدة

الالتهاب، فمن لم يؤمن بالله ورسوله فهو يستحق السَّعِير. ارجع إلى سورة

الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

[١٤] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ولله حصرأ ملك السموات والأرض الحكم، والملك لا يشاركه فيه أحد.

﴿يَعْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾: ومشيتته تابعة لحكمته، يغفر للتائب المنيب.

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾: ويعذب المنافق والكافر والمشرك أو العاصي لأوامر الله ورسوله إذا لم يتب ويرجع عن ضلاله.

ورحمته سبحانه سبقت غضبه (عذابه)، ولذلك قدّم المغفرة على العذاب. وقد يكون هذا الكلام معطوفاً على قوله تعالى: ﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: الذي له ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء، انتقال من الإنذار والتخويف إلى الإطماع في المغفرة والرحمة.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾: كان: تشمل جميع الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل؛ أي: كان ولا يزال وسيبقى غفوراً لمن تاب وأصلح وأناب إلى ربه وأخلص دينه لله. غفوراً: صيغة مبالغة من غفر؛ أي: يغفر الذنوب العظام والكثيرة.

﴿رَّحِيمًا﴾: بالمؤمنين يستر ذنوبهم ويمحوها ولا يعاقبهم عليها، ويشيهم على حسناتهم وقد يبدل سيئاتهم حسنات، فهذا يدل على أقصى درجات الرحمة. رحيماً: صيغة مبالغة: كثير الرحمة بعباده المؤمنين.

[١٥] ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ



يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦﴾

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾: سيقول: السَّين للاستقبال القريب؛ أي: سيقول لكم المخلفون من الأعراب؛ قبائل غفار وجهينة ومزينة وأشجع بعد رجوعكم من الحديبية، وأردتم الخروج إلى غزوة خيبر: ذرونا نتبعكم. ﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية، تفيد الحتمية.

﴿أَنْطَلَقْتُمْ﴾: أي: إذا خرجتم لفتح خيبر (مغانم خيبر) حيث وعدهم الله سبحانه بها عند رجوعهم من الحديبية في ذي الحجة من السنة (٦) للهجرة. ﴿إِلَى مَغَانِمَ لِنَأْخُذُوهَا﴾: أي: بعد الانتهاء من فتح خيبر وجلاء اليهود عنها، لنأخذوها: لام التعليل.

﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾: أي دعونا نخرج معكم لخيبر.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾: يريدون ولم يقل يريدوا؛ أضاف نون التوكيد.

يبدلوا كلام الله: هو أن مغانم خيبر خاصة لمن خرج للحديبية مع الرسول ﷺ، وأن لا يسمح لمن تخلف عن الخروج للحديبية بالخروج معه إلى خيبر.

﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ، لن: للنفي القريب أو البعيد، لن تخرجوا معنا ولن تتبعونا إلى خيبر.



﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾: كذلك ولم يقل كذلك بلفظ الجمع خطاب لهؤلاء الذين قل لهم لن تتبعونا، ويفيد التوكيد.

قال الله من قبل: أي أخبرنا بالوحي قبل عودتنا إلى المدينة بعد الحديبية لن تخرجوا معنا ولن تتبعونا.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾: أي الذين تخلّفوا عن الحديبية سيقولون للذين خرجوا لغزوة خيبر بل تحسدوننا، وفعلاً قالوا ذلك (ليس هذا أمراً من الله) إنما هو ذريعة وحُجّة باطلة، من عند أنفسهم؛ أي: تحسدوننا على نصيبنا من الغنائم ولذلك لا تريدوننا أن نخرج معكم.

﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: بل للإضراب الانتقالي.

كانوا لا يفقهون: لا يفهمون؛ الفقه لغة: الفهم، واصطلاحاً: هو معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية القرآن والسنة والإجماع والقياس وغيرها. إلا أداة حصر، قليلاً: أي قلة الفقه في الدين، وصفهم الله بالجهل وعدم الفهم. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٨) لمزيد من البيان.

﴿لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: أي عدد الذين يفقهون قليلٌ والأكثرية جهّالٌ، أو مقدار فقههم قليلٌ.

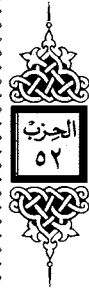




سُورَةُ الْفَتْحِ ٤٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ
تُقْتَلُونَهُمْ أَوْ يَسْلَمُونَ فإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا
وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ
عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ
وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ * لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ
كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ
مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ
النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوْ لَوْ الْأَدْبَرُ ثُمَّ لَا يُجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾





سورة الفتح [الآيات ١٦ - ٢٣]

[١٦] ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأَسِ شَدِيدٍ يُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: ﴿قُلْ﴾: يا رسول الله ﷺ.

﴿لِلْمُخَلَّفِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، المخلفين: أي الذين تخلّفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ إلى الحديبية، وطالبوا بالخروج معك إلى خير؛ ليأخذوا من مغانمها، ومنعهم الله من ذلك.

﴿سُدُّعُونَ إِلَيَّ﴾ وعدهم الله سبحانه بأنّه سيدعوهم للخروج في المستقبل. ﴿إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأَسِ شَدِيدٍ﴾: لقتال قوم أولي بأس: أصحاب قوة وشدة في الحرب أو القتال، قيل: هم هوازن وغطفان يوم حنين في السنة الثامنة للهجرة أو بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب، وكان قتالهم في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

﴿يُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾: تقاتلونهم أو يسلمون بدون حاجة إلى القتال. ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا﴾: الفاء للتوكيد، إن: شرطية تفيد الافتراض أو الاحتمال، تطيعوا: الداعي؛ أي: تنفروا للجهاد.

﴿يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾: أي الجنة.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: إن شرطية، تتولّوا: تُعرضوا وترفضوا الجهاد في سبيل الله.

﴿كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾: أي عام الحديبية، لم تخرجوا للحديبية مع رسول الله ﷺ.



﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: في الدنيا بالقتل والإذلال والكوارث والبلاء وغيرها من أنواع العذاب، وفي الآخرة بعذاب النار، ثم يستثنى من هذا العذاب الأعمى والأعرج والمريض.

[١٧] ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

الأعمى والأعرج والمريض، ليس على هؤلاء حرج في عدم الخروج، أو حرج في التخلف عن الجهاد أو قتال القوم أولي البأس الشديد، لأن هؤلاء لما نزلت الآية (١٦) وقال تعالى: ﴿وَلِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

قال أهل الأمراض المزمنة مثل الأعمى والأعرج والمريض: كيف بنا يا رسول الله؟ فنزلت هذه الآية (١٧).

لا حرج عليكم ولا إثم ولا ذنب في التخلف وعدم الخروج والجهاد أو قتال هؤلاء القوم.

وتكرار لا يفيد تأكيد النفي، وفصل كل طائفة عن الأخرى أو الكل معاً.

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: من شرطية، تشمل المفرد والمثنى والجمع، يطع الله ورسوله فيما أمراه ونهيا عنه. وجمع بين طاعة الله ورسوله؛ لأن طاعة الرسول ﷺ هي طاعة لله تعالى. ارجع إلى سورة النساء آية (٥٩) للبيان المفصل. يطع الله ورسوله بالخروج للجهاد في سبيل الله.

﴿يُدْخِلْهُ﴾: جواب الشرط.

﴿جَنَّاتٍ﴾: جمع جنة، هناك جنات الفردوس وعدن والتعيم، ودار الخلد والسلام، جنات المأوى.

﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي تنبع من تحتها الأنهار، وهذا وعد صدق من الله تعالى وترغيب في الجهاد في سبيل الله.



﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾: يعرض ويرفض الخروج إلى الجهاد في سبيل الله.

﴿يُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: هذا وعيد من الله تعالى لمن يعصي أوامر الله ويترك ويتخلف عن فريضة الجهاد إذا توفرت شروط الجهاد.

[١٨] ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي الذين خرجوا معه للعمرة وحضروا صلح الحديبية وكان عددهم (١٤٠٠) رضي الله عنهم إلا المنافق جدّ بن قيس لم يبايع رسول الله ﷺ. رضي الله تعالى عن عملهم (البيعة) على الموت في سبيل الله.
﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي.

﴿يُبَايِعُونَكَ﴾: ولم يقل بايعوك بالماضي وإنما جاء بصيغة الحاضر؛ للدلالة على حكاية الحال؛ أي: كأن البيعة تحدث الآن لعظم شأنها، واستحضار صورتها الجليلة. والنون في (يبايعونك) للتوكيد على أهمية البيعة.

يبايعونك على الموت وعدم الفرار، يبايعونك على قتال قريش، وكما روى البخاري ومسلم عن يزيد بن عبيد قال: قلت لسلمة بن الأكوع: على أي شيء بايعتم رسول الله؟ قال: على الموت، وسميت بيعة الرضوان؛ لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾: اسمها سَمُرَة، وجاء بأل التعريف (الشجرة)؛ لأنها معروفة.

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: الفاء للتوكيد، علم ما في قلوبهم: من الصدق والإخلاص والوفاء للقتال في سبيل الله.

﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾: الفاء للمباشرة، السكينة؛ أي:



الطَّمَأْنِينَةُ وَالْأَمْنُ وَالسَّكُونُ وَالرَّضَى، عليهم: على الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (١٤٠٠) إِلَّا جَدَّ بْنَ قَيْسٍ.

قال: السَّكِينَةُ، ولم يقل سَكِينَتَهُ، السَّكِينَةُ هَذِهِ عَامَةٌ تَنْزِلُ عَلَى الصَّحَابَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ إِذَا شَاءَ اللَّهُ، وَأَمَّا سَكِينَتُهُ تَشْرِيفُ السَّكِينَةِ بِإِضَافَتِهَا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، هَذِهِ سَكِينَةٌ خَاصَّةٌ تَخْصُ الرَّسُولَ ﷺ أَوِ الرُّسُلَ الْآخَرِينَ أَوْ فِتَّةً خَاصَّةً مِنَ الْمُقَرَّبِينَ. ﴿وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾: أَثَابَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ: هُوَ الْجَزَاءُ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، فَتْحًا قَرِيبًا: هُوَ فَتْحٌ خَيْرٌ.

[١٩] ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾:

فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هُوَ فَتْحٌ خَيْرٌ، وَمَغَانِمُ كَثِيرَةٌ يَأْخُذُونَهَا: مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ الْفَتْحِ.

فَقَدْ كَانَتْ خَيْرٌ ذَاتُ بَسَاتِينَ وَمَزَارِعَ وَنَخِيلٍ وَثَمَرٍ وَحِصُونٍ وَمَالٍ.

﴿وَمَغَانِمَ﴾: جَمْعُ غَنِيمَةٍ، وَهُوَ مَا يُؤْخَذُ مِنْ أَمْوَالِ الْمُشْرِكِينَ أَوِ الْكَافِرِينَ بِقِتَالٍ.

أَمَّا الْفِيءُ: هُوَ مَا يُؤْخَذُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْغَنِيمَةِ بِدُونِ قِتَالٍ، أَمَّا الْأَنْفَالُ: ارْجِعْ إِلَى الْآيَةِ (١) مِنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ لِلْبَيَانِ.

﴿يَأْخُذُونَهَا﴾: فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَهَذَا بَشَارَةٌ لَهُمْ بِالنَّصْرِ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُهُمْ بَعْدَ مَا حَدَّثَ لَهُمُ فِي الْحَدِيثِ.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾: ارْجِعْ إِلَى الْآيَةِ (٧) مِنَ السُّورَةِ نَفْسُهَا لِلْبَيَانِ.

[٢٠] ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾:

﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ﴾: الْوَعْدُ يَأْتِي فِي سِيَاقِ الْخَيْرِ عَادَةً إِذَا أُطْلِقَ وَإِذَا قِيدَ قَدْ يَأْتِي فِي سِيَاقِ الشَّرِّ لِلتَّوْبِيخِ أَوِ التَّقْرِيعِ، وَالْوَعْدُ يَأْتِي فِي سِيَاقِ الشَّرِّ.



﴿مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾: أي في الفتوحات القادمة.

﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾: الفاء للمباشرة، عَجَّلَ لكم هذه؛ أي: مغنم خيبر.

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾: الكفّ: الامتناع عن القيام بالفعل أو موالاة

الفعل، أي: أيدي اليهود من أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاؤوا لنصرتهم، فقذف الله في قلوبهم الرعب فولّوا هاربين.

ولم اختار كفّ أيدي الناس عنكم؟ الكفّ يحدث حين يأتي العدو ويباشر أول خطوة ويحشد قواته ويتحرك تجاه أرض المعركة، فتأتي قوة تمنعه من التحرك، وهذا ما حدث في خيبر حيث كفّ أيدي العدو اليهود وحلفائهم، وقذف في قلوبهم الرعب فلم يصمدوا طويلاً أمامهم. أو ما حدث في الحديبية من عدم القتال.

﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: الواو عاطفة، اللام لام الاختصاص؛ أي: أخذ

المغانم المعجّلة، أو كفّ أيدي الناس عنكم بالصلح في الحديبية، أو منع أهل خيبر وحلفاءهم من الوصول إليكم، كل ذلك آية للمؤمنين وعبرة.

أي: علامة تسبق فتح مكة؛ أي: كان فتح خيبر أو صلح الحديبية آية للمؤمنين (دلالة وعلامة) على فتح مكة القادم.

وقدّم الآية على المؤمنين؛ لأهميتها ودلالاتها لكونها فريدة وخاصة. ارجع إلى سورة مريم آية (٢١) للبيان.

﴿وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾: هو دين الإسلام الموصل للغاية بأقصر

مسافة وزمن وبلا مشاق. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٦) لمزيد من البيان.

[٢١] ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾:

﴿وَأُخْرَى﴾: أي مغنم أخرى، وأخرى قيل: هي مغنم هوازن في غزوة

حنين وفتوحات فارس والروم.



﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾: في حالتكم الرّاهنة أو عددكم وعدتكم.
 ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾: علماً أنّها ستكون لكم وتأخذونها في المستقبل.
 ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾: ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٠) للبيان.
 [٢٢] ﴿وَلَوْ قَتَلْتَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَرُثَمَ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾:
 ﴿وَلَوْ﴾: لو شرطية.

﴿قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: مشركو مكة بالحديبية ولم يصالحوكم، لَوَلَّوْا الأدبار،
 أو قيل: أهل خيبر وحلفاؤهم يوم خيبر، لَوَلَّوْا الأدبار وقد تعني كلاهما.
 ﴿ثُمَّ﴾: لتباين الأهمية بين الهزيمة (لَوَلَّوْا الأدبار) وبين (لا يجدون ولياً
 ولا نصيراً) لأن التولي أمر مؤقت وينتهي، بينما: لا يجدون ولياً ولا نصيراً: أمر
 دائم.

ولياً: مُعيناً أو مُحبباً من يلجؤون إليه في الدنيا أو الآخرة.
 ﴿نَصِيرًا﴾: من ينصرهم بأي وسيلة بالأيدي أو العدة والعتاد، أو يدفع
 عنهم العذاب أو يخففه في الدنيا والآخرة.
 وتكرار لا يفيد تأكيد النفي، وفصل الولاية عن النصرة أو كلاهما معاً.
 [٢٣] ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْدِلَ سُنَّةَ اللَّهِ بَدِيلًا﴾:

﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾: تعريف السنة: طريقته وعادته سبحانه تكون على مثال
 سابق أجراه الله على خلقه وكونه سابقاً.
 ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾: مضت من قبل: بالضم وتدل على زمن معين. ولم
 يقل من قبل بالكسر التي تدل على زمن بعيد أو قريب؛ أي: في أي زمن غير
 محدد.

﴿وَلَنْ﴾: نافية للاستقبال القريب والبعيد.



﴿يَحْدِلْ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾: أي يبدل الهلاك بالعفو مثلاً، أو العذاب بعذاب آخر.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْدِلْ سُنَّتَنَا تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]؛ تعني: يحول العذاب من قوم إلى قوم، فسُنن الله سبحانه لا تُبدل ولا تتغير ولا تتحول، ارجع إلى سورة النساء آية (٢٦) لمزيد من البيان، وإلى سورة فاطر آية (٤٣).

ما الفرق بين السُّنة والعرف والعادة؟

السُّنة كما ذكرنا في مطلع الآية.

العادة: مأخوذة من العود أو المعاودة؛ أي: التكرار، العادة تتحقق بتكرار العمل، والعادة تطلق على ما يعتاده الإنسان بنفسه (عادات في الأكل والشرب والحديث) العادة إذن فردية.

أما العادات التي تعتادها الجماهير أو الجماعات وتقوم بها يطلق عليها: العرف.

العرف: ما تعارف عليه الناس من قول أو فعل أو ترك، وتواصوا به في شؤونهم الحياتية، حيث ألفوه واطمأنوا إليه فأصبح أمراً معروفاً.

أي: هو ما اعتاده وألفه الناس وتعارفوا عليه، واستقرّ في نفوسهم وساروا عليه من قول أو فعل أو العرف (العادة الجارية المشتركة بين الناس).

والتقليد: أن يقلد الإنسان من سبقه من الآباء والأجداد، أو أن يفعل ما فعلوه بدون تفكير أو استعمال العقل، فالتقليد: هو إلغاء للفكر والعقل، وهو مذموم، وهناك تقليدٌ مستحبٌ مثل تقليد الصحابة.





سُورَةُ الْفَتْحِ ٤٨

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَرِيمِ

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ
بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٤٤﴾ هُمْ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ
مَعَكُمْ أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ، وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ
لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بَغِيرَ عِلْمٍ
لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٤٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا
فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى
وَكَانُوا أَتَقَىٰ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٦﴾
لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ
الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ
فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٤٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٤٨﴾



سورة الفتح [الآيات ٢٤ - ٢٨]

[٢٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾:

وهذه منة أخرى من الله تعالى على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين حين حاول ثمانون من المشركين المتسلحين الغدر بالمؤمنين يوم الحديبية، فأسرهم أصحاب رسول الله وأتوا بهم رسول الله ﷺ فعفا عنهم، فكان سبب صلح الحديبية. وفي حديث آخر قيل: ثلاثون.

﴿وَهُوَ الَّذِي﴾: وهو سبحانه وتعالى، الذي للتعظيم.

﴿كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾: في الحديبية وسمى الحديبية (بطن مكة) وقيل: بطن مكة وادي مكة، وقيل: بطن مكة التنعيم.

﴿كَفَّ أَيْدِيَهُمْ﴾: أي كف أيدي أهل مكة من الكفار والمشركين.

﴿عَنْكُمْ﴾: عن الرسول وأصحابه الذين خرجوا للعمرة.

﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾: حين أسروا (٣٠) أو (٨٠) رجلاً من أهل مكة أرادوا غرة رسول الله وأصحابه؛ أي: المفاجأة والنيل منكم.

﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾: بأسر هؤلاء الـ (٨٠) أو (٣٠) منهم. وهناك

فرق بين: ظفرت بفلان وظفرت عليه، ظفرت عليه؛ أي: تغلبت عليه وقهرته أو أسرته، وظفرت به؛ أي: ثقفته أو وجدته وأنت قادرٌ ومتمكِّنٌ منه.



﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾: أي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار السموات والأرض، يبصر ويرى كل شيء يجري في كونه سواء كان ظاهراً أو باطناً؛ أي: مطلع على أعمالكم (الأقوال والأفعال).

وقدّم (تعملون) على (بصيراً)؛ لأن سياق الآيات في الأعمال وليس السياق في صفات الله تعالى أو أعمال القلوب والنوايا.

[٢٥] ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ، وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّزِلْتُمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَو تَزَلَّيْنَا لَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

﴿هُمُ﴾: للتأكيد، وتعود على كفار مكة؛ كفروا بالله وبرسوله وما فعلوه من منعكم وصدّكم يستحقون أن يقاتلوا، ولكن الله سبحانه لم يسمح بذلك؛ لأنه كان هناك بين المشركين رجال مؤمنون ونساء مؤمنات.

﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أي منعوكم من الوصول إليه والدخول إليه للعمرة والزيارة.

﴿وَالْهَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾: الهدى: كل ما يهتدى للبيت من البدن والغنم؛ حيث ساقوا معهم (٧٠) بدنة، معكوفاً: محبوساً عن أن يبلغ مَحَلَّهُ: مكان نحره أو حيث نحره؛ أي: مكان منى، أن: حرف مصدري يفيد التعليل.

﴿وَلَوْلَا﴾: حرف امتناع لامتناع.

﴿رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾: هذا هو المانع لعدم قتالهم؛ أي: وجود هؤلاء أهل الإيمان بين كفار مكة؛ أي: مختلطون بالمشركين.

﴿لَّزِلْتُمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾: من هم، أو غير عارفين بهم.

﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾: أن للتعليل، تطوهم: أي أن تطوهم غير عالمين بهم والوطء: الدوس؛ أي: القتل، أن تطوهم؛ أي: أن تقتلوهم خطأ.

﴿فَتُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾: معرة: عيب أو مساءة بقتل من هو على دينكم أو إثم بالتقصير في البحث عنهم، وتعيير الكفار لكم من إصابة إخوانكم بالأذى أو القتل.

﴿بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أنكم قد آذيتموهم أو أسأتم لهم.

﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: ليدخل: اللام لام التعليل.

﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: قَدَّمَ الرَّحْمَةَ عَلَى الْمَشِيئَةِ؛ لِأَنَّ الْآيَاتِ جَاءَتْ فِي سِيَاقِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ خَيْرَ الْقُرُونِ، بَيْنَمَا فِي سُورَةِ الْإِنْسَانِ آيَةُ (٣١) قَالَ تَعَالَى: ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾، قَدَّمَ الْمَشِيئَةَ عَلَى الرَّحْمَةِ؛ لِأَنَّ السِّيَاقَ فِي عَامَةِ الْخَلْقِ.

﴿لَوْ تَرَبَّلُوا﴾: لو حرف امتناع لامتناع.

تريلوا: أي لو تميزوا أو انفردوا عن الكفار أو تفرقوا عنهم؛ أي: خرجوا من بينهم.

من زيّله: فرّقه.

﴿لَعَذَابُنَا﴾: اللام للتوكيد.

﴿لَعَذَابُنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: بالقتل والهزيمة في الدنيا أو الكوارث أو الابتلاءات.

[٢٦] ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ



عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ النَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١٠﴾

﴿إِذْ﴾: معناها: واذكر.

﴿جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أو بمعنى حين، واذكر حين جعل الذين كفروا.

﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ﴾: الحمية حمية الجاهلية؛ أي: الأنفة والتعظيم والتكبر عن قول الحق، وبمنع دخول الرسول والصحابة لزيارة البيت الحرام والطواف به، وقولهم: كيف نسمح لهم بدخول ديارنا ومنازلنا وهم عدو لنا؟ أو كيف يدخلوها رغم أنوفنا؛ أي: بالقوة والقهر. وكذلك حين رفضوا كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم وأن محمدًا رسول الله) في عقد الصلح.

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: فأنزل: الفاء للمباشرة، أنزل الله سكينته: ولم يقل السكينة بل قال: سكينته، أضاف السكينة إليه سبحانه تشريفًا لها، أنزلها على رسوله وعلى المؤمنين (الصحابة) حين هم أو عزم المؤمنون عدم قبول الصلح، فأنزل سكينته سبحانه؛ أي: الطمأنينة والرضى والصبر والتسليم لأمر الله سبحانه رغم ما أصابهم من القهر والأذى.

﴿وَالزَّمَهُمْ﴾: أي المؤمنين.

﴿كَلِمَةَ النَّقْوَى﴾: وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله، ألزمهم بحملها والدعوة إليها، وقيل: بسم الله الرحمن الرحيم، وقيل: الوفاء بالعهد. ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾: أولى بها وأجدر بهذه الكلمة كلمة التوحيد. ﴿وَأَهْلَهَا﴾: أهلاً لحمل هذه الكلمة والدعوة إليها.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾: بأقوال وأفعال ونوايا كل من الفريقين المؤمنين والكفار.

[٢٧] ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾:

المناسبة: كما قال قتادة ومجاهد: كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه دخل مكة وأصحابه، وطاف بالبيت وحلقوا رؤوسهم وقصروا، وأخبر ﷺ أصحابه بتلك الرؤيا وهم في المدينة قبل الخروج إلى الحديبية، فلما رجعوا بدون دخول مكة ولم يعتمروا ويطوفوا بالبيت، شقَّ عليهم ذلك وكانت أكبر فتنة يومها، وقال المنافقون: أين رؤياه التي رآها؟ والحقيقة: أن رسول الله ﷺ لم يخبرهم بالعام أو الزمن؛ أي: متى سيدخل مكة.

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق والتوكيد.

﴿صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾: أي جعل رؤيا الرسول ﷺ حقاً، أو صدقاً.

الرُّؤْيَا: هنا الرؤيا المناميّة؛ أي: ما يراه النائم وليست الرؤية البصريّة. والحق: الأمر الثابت الذي لم يتغير أو يتبدل، والحق نقيض الباطل، والريا بالحق: أي: الصدق.

﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾: اللام والنون للتوكيد، تدخُلَنَّ المسجد الحرام: للعمرة والزّيارة في العام القادم.



﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال، شاء الله: بإذن الله تعالى ومشيتته.

﴿مُحَقِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾: حلق الشعر أو التقصير جزء من مناسك العمرة (والجزء يدل على الكل)؛ أي: آمنين يقومون بأعمال أو مناسك العمرة كاملة لا تخافون، وحلق الرأس والتقصير يكون بعد إتمام العمرة، وهذا يدل على أنهم سيدخلون، ويتمون العمرة بأمن وطمأنينة، وعدم الخوف.

﴿لَا تَخَافُوكَ﴾: لا النافية، عدواً، تخافون: أحداً، والنون للتوكيد بدلاً من القول لا تخافوا.

﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾: أي: علم سبحانه ما لم تعلموا من الحكمة والمصلحة والمنفعة في تأخير العمرة وعدم دخول مكة هذا العام وما في الصلح من خير للمسلمين. وكذلك علم ما لم تعلموا من أنكم ستفتحون خيبر وأنتم لا تعلمون ذلك.

﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾: أي جعل من دون فتح مكة أو فتح الحديبية.

﴿فَتَحَاقَرِيبًا﴾: هو فتح خيبر.

[٢٨] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل يفيد الحصر والتوكيد؛ أي الله الذي أرسل رسوله.

﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ﴾: بالهدى؛ أي: بالقرآن.

﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾: دين الإسلام. الحق؛ أي: الثابت الذي لا يتغير أو يتبدل.

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: اللام للتوكيد والتّعليل، وهاء الضّمير في (يظهره) تعود على الإسلام، وإظهاره لا يعني بالقوة فحسب، وإنما بالحجج والبراهين للناس، ولا يعني أنّ كل إنسان سيدخل في الإسلام ويصبح مسلماً أو أنّه يمحو الشرائع أو الديانات الأخرى. وقيل: ليظهره على الدين كلّّه عند نزول عيسى ويحكم بالإسلام ويصبح الدين الظاهر على بقية الديانات أو الشرائع.

﴿وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا﴾: الباء للتوكيد، شهيداً: صيغة مبالغة من: شاهد، والشّاهد: العليم بظاهر الأمور، والخبير: هو الشّاهد ببواطن الأمور، والشّهادة تعني: العلم مع الحضور.

فيكفي أن يكون الله شهيداً على نبوة محمّد أو شهيداً على ما وعده، أو شهيداً أنّه سيظهر دينه. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٣٣) لمزيد من البيان في معنى شهيداً.





سُورَةُ الْحَجَرَاتِ ٤٩

سُورَةُ الْحَجَرَاتِ

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَبُّهُمْ رُكْعًا سَجَدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ
فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى
عَلَى سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٩﴾

سُورَةُ الْحَجَرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ
قُلُوبَهُمْ فَلَا تَقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِّنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾



سورة الفتح [الآيات ٢٩]

[٢٩] ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾:

الآية السابقة انتهت بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ وبدأت هذه الآية: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ فضلاً من الله ورضواناً؛ أي كفى بالله شهيداً محمداً رسول الله. ﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول للمدح.

﴿مَعَهُ﴾: ولم يقل والذين آمنوا معه؛ لأنَّ (معه) تعني: الصحابة الكرام والصحبة، وهل يصاحب رسول الله إلا مؤمناً؟ إذن لا داعي لذكر: الذين آمنوا معه.

﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾: أشداء على الكفار، ولم يقل شداد؛ أشداء تعني: في الناحية العاطفية والمعنوية؛ أي:، رحماء فيما بينهم؛ أي: يعاملون إخوانهم أو بعضهم بعضاً بالبر والرحمة، ولو قال: شداد؛ تعني: في القوة المادية أو الحسية.

﴿تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا﴾: منشغلين أو مهتمين بالصلاة أو كثرة الصلاة.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾: يطلبون ثواب الله ورضاه ورضواناً: من الرضوان؛ صيغة مبالغة: كثير الرضا، فرضاه سبحانه أعظم الرضا.

﴿سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾: سيماهم: علامتهم، السِّما هي العلامة، السِّماء: العلامة التي تحدث في الجبهة من كثرة السجود، أو النور الذي يحدث في وجوههم من أثر الإيمان، تشعُّ وجوههم بالنور، وقيل: هو صفرة الوجه من خشية الله. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٧٣) لمزيد من البيان.

﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾: ذلك: الوصف السابق لأصحاب رسول الله مذكور في التوراة؛ أي: تلك صفاتهم التي ذكرت في التوراة قبل تحريفها وهي: أشداء على الكفار، رحماء بينهم، تراهم ركعاً سجداً، سيماهم في وجوههم.

﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾: ووصفهم في الإنجيل.

﴿كَزَرَ عَ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾: الشَّطْء: ما يتفرع على جانب الزرع من فروع، فالشَّطْء تعني: الأغصان الجانبية، جمعه: أشطاء؛ أي جوانب؛ أي هم كزرع.

يقال: أشطأ الزرع: إذا فرخ؛ أي ظهرت له أغصان جديدة.

فآزره: من المؤازرة؛ أي المساعدة؛ أي يشد بعضهم أزر بعض - آزره على وزن: أفعّل.

﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾: تحوّل من الرقة إلى الغلظة؛ أي: نما وازداد حجماً أو غلظ وقوي، وهذا يمثل ازدياد عدد الصحابة والمؤمنين وازدياد قوتهم وشدتهم.

﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ﴾: استقام أو قام.

وقيل الزرع: هو رسول الله ﷺ.

والشَّطْء: أصحاب رسول الله ﷺ، كانوا قليلاً ثم كثروا وأصبحوا أقوياء؛ أي: هم ينبتون كالنبات في الزيادة والقوة.

﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾: لقوامه وغلظته وحسن هيئته؛ أي: يعجب زارعيه (من زرعه) وإذا عجب من زرعه أعجب غيرهم. الزُّرَّاع: جمع زارع جمع تكسير، ويدل على الاسم أكثر مما يدل على الفعل، أو الحدث كما لو قال يعجب الزارعون، وفي سورة الحديد آية (٢٠) قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ﴾ ثم يهيج فتردهم مضطراً؛ الكفار: تعني الزراع، ولذلك لم يقل في سورة الفتح يعجب الكفار ليغيظ بهم الكفار، وإنما استبدل الكفار بالزراع؛ لأن الزارع يحاول إخفاء البذرة في الأرض، والكافر يحاول إخفاء كفره، والزارع لا يزرع إلا ما

ينتفع به، وله فائدة، وأما المطر أو الغيث قد يؤدي إلى إخراج نباتات لا فائدة منها، والزراع في آية الفتح هم صحابة رسول الله ﷺ، فهم لا يزرعون إلا الخير لغيرهم من الأجيال القادمة، وتحمل الآية معنى المدح والثناء عليهم.

﴿لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾: اللام في (ليغيط) لام التعليل، والغيط: هو غضب كامن في نفس العاجز عن الانتقام، وهو نوع من الغم أو مرحلة من مراحل الغضب وهو أشد من الغضب... ارجع إلى سورة التوبة آية (١٥) لمزيد من البيان.

والآية تعني: كثّرهم وقوّاهم؛ ليغيط بهم الكفار حتى يقيموا لهم وزن ويخافوا منهم، أو يشبهوا الزرع في نمائهم في الزيادة والقوة.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾.

منهم: أي من أصحاب الرسول ﷺ، منهم خاصة؛ أي: وهذا وعد خاص للصحابة رضي الله عنهم، من شهد صلح الحديبية.

وإذا قارنا هذه الآية (٢٩) من سورة الفتح، وهي قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. والآية (٩) من سورة المائدة وهي قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

فالآية في سورة الفتح تتحدث عن صحابة رسول الله ﷺ فقال: منهم (فقط).

والآية من سورة المائدة تتحدث عن المؤمنين والمؤمنات عامة فقال: لهم.

والمغفرة: هي محو الذنوب وترك العقاب.

وأجرًا عظيمًا: هو الجنة.





سُورَةُ الْحَجَرَاتِ ٤٩

سُورَةُ الْحَجَرَاتِ

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجَدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلُهُمْ
فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى
عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٩﴾

سُورَةُ الْحَجَرَاتِ ٤٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ
قُلُوبَهُمْ فَلَتَقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾





سورة الحجرات [الآيات ١ - ٤]

ترتيبها في القرآن (٤٩)، وترتيبها في النزول (١٠٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانْفُوا لِلَّهِ إِنَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۖ﴾

أسباب النزول:

١ - روى البخاري والترمذي أنها نزلت حين اختلف أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في تأمير القعقاع بن معبد أو الأقرع بن حابس.

٢ - وروي عن الحسن البصري أن أناساً ذبحوا قبل رسول الله ﷺ يوم النحر.

٣ - وأخرج الطبراني عن عائشة رضي الله عنها أن أناساً كانوا يتقدمون الشهر فيصومون قبل النبي ﷺ. والمهم هو عموم اللفظ وليس بخصوص السبب.

نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد أو أمر أو حكم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: يا النداء للبعد والهاء للتنبيه

﴿لَا﴾: الناهية.

﴿تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: لا تتعجلوا بقول أو فعل أو فتوى أو إصدار

حكم أو تحليل أو تحريم أو تشريع بغير علم أو إذن من الله ورسوله أو أمر،



وَاتَّبِعُوا مَا شَرَعَ اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ، وَلَا تَقْدَمُوا بِأَرْائِكُمْ عَلَى مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ
أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ أَي: الزموا الكتاب والسنة.

﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾: أَي أَطِيعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ تَعَالَى وَتَجَنَّبُوا نَوَاهِيهِ، وَقُوا أَنْفُسَكُمْ
غَضَبَ اللَّهِ وَسَخَطَهُ أَوْ النَّارَ.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: إِنَّ لِلتَّوَكِيدِ، سَمِيعٌ لِكُلِّ أَقْوَالِكُمْ فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ، وَمَا
فِي الْكُونِ مِنْ سِرٍّ وَعَلَنِ، عَلِيمٌ بِكُلِّ الْأَفْعَالِ وَالنَّوَايَا وَذَوَاتِ الصُّدُورِ، وَأَحَاطَ
عِلْمُهُ بِخَلْقِهِ وَكَوْنِهِ فَلَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ.

[٢٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾:

سبب النزول: نزلت في ثابت بن قيس كان جهوري الصوت إذا كلم أي
إنسان جهر بصوته فربما كلمه رسول الله ﷺ فتأذى منه رسول الله ﷺ، فنزلت
الآية. رواه الواحدي في أسباب النزول.

نداء جديد وتكليف جديد أو أمر أو حكم.

﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾: لَا النَّافِيَةُ، ترفعوا أصواتكم فوق
صوت النبي: أي حين تكلموه إياكم أن ترفعوا أصواتكم فوق صوته، فهذا
يدل على عدم توقير واحترام للنبي ﷺ؛ أَي: اخفضوا أصواتكم إذا تحدثتم مع
رسول الله ﷺ.

﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾: أَي لَا تَنَادُوهُ يَا مُحَمَّدُ،

ولكن نادوه: يا رسول الله، يا نبي الله، وباحترام وتوقير وعدم التسرع والعجلة،
والحيطة والحذر حين الحديث معه.

﴿أَنْ﴾: مصدرية تفيد التعليل.

﴿تَحَبَّطَ أَعْمَالُكُمْ﴾: أي خشية أو لثلاً تحبط أعمالكم؛ أي: يبطل ثوابها من
جرّاء رفع أصواتكم، أو معاملته بدون توقير واحترام وتعظيم كما يعامل أحدكم
الآخر.

﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾: أنها بطلت وحبطت وذهب ثوابها، ارجع إلى سورة
البقرة الآية (٢١٧) لبيان معنى الحبط.

[٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ
لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾: يخفضون أصواتهم عند
رسول الله ﷺ عند الحديث معه أو تكليمه، والخفض يعني: القريب من
الهمس، ويدل على تعظيم وتوقير واحترام رسول الله ﷺ.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد البعد.

﴿الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾: امتحن: اختبر، والامتحان هو للذين في
قلوبهم تقوى، والاختبار: هو الطلب منهم القيام وأداء بعض التكاليف الشرعية
ومنها: أن يغضوا أصواتهم عند رسول الله ﷺ لكي يخرج ما في قلوبهم من
التقوى والإخلاص لما يوصيهم به ربهم، ولكي يعلموا أنفسهم مدى صبرهم



على الالتزام والأخذ واتباع ما أمر الله به، وهذا الامتحان يعلم الله سبحانه مسبقاً نتيجه ولكن ليكون حُجَّةً لهم أو حُجَّةً عليهم.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاستحقاق.

﴿مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: أي أن يستر ذنوبهم ويمحوها، ويثيبهم على أعمالهم الصالحة، وأجر عظيم: هو الجنة.

[٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾:

سبب نزول هذه الآية: قدم وفد من بني تميم على رسول الله ﷺ وهو في المدينة، وقيل: كانوا (٧٠) رجلاً فلما وصلوا إلى مسجد رسول الله ﷺ راخوا ينادون رسول الله ﷺ من وراء الحجرات؛ ليخرج إليهم. كما روى محمد بن إسحاق وغيره، وذكره الواحدي في أسباب النزول.

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: إن للتوكيد، الذين: اسم موصول.

﴿يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾: جمع حجرة: وهي الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها، وتعني: الغرفة، وقد تكون الحجرة أصغر رقعة من الغرفة، والمراد بالحجرات: حجرات نساء رسول الله ﷺ فكان لكل واحدة منهن حجرة، ولم يقل نسائك ولا حجراتك؛ وإنما استعمل الصيغة العامة (حجرات) وهذا من الأدب الرباني؛ لكي يتعلم أصحاب رسول الله ﷺ كيف ينادونه.

من وراء الحجرات، ولم يقل من خلف الحجرات؛ ما معنى من وراء؟ من: ابتدائية، وراء: أوسع معنى من خلف من حيث البعد المكاني الذي قد يكون



طويلاً أو قصيراً، وقد تعني من أمام الدّار أو الحجرة ولا من خلفها، وإنما هم نادوا وهم لا زالوا بعيدين؛ وتعني: من وراء الجُدُر (جمع جدار) وهو الحائط (أي الحجرات)، فنادوا مناداة بغلظة. ولا يعني أنّ الكلّ اشتركوا بالنداء، والاحتمال أنّ بعضهم نادوا والباقيين كانوا راضين عن ذلك، فكأنّ الكلّ اشترك في النداء، وقد يحتمل أنّهم تفرّقوا فبعضهم نادى من هذه الجهة أو تلك.

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: أي هناك أقلية يعقلون، والأكثرية وصفهم بالجهل والسّفه؛ لأن هذه المناداة ليست ضرورية، أو مناداته بهذا الشكل لا تدل على توقير واحترام لرسول الله ﷺ.





سُورَةُ الْحَجَرِ ٤٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
 رَحِيمٌ ﴿٥﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا
 أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾
 وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ
 وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ
 الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾
 فَضَلَا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ
 مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا
 عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ
 فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
 ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
 لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَكُم مِّن قَوْمٍ
 عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا
 مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ
 الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾



سورة الحجرات [الآيات ٥ - ١١]

[٥] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: شرطية.

﴿أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾: أي انتظروا، حَتَّى: حرف نهاية الغاية، تخرج إليهم: أي لتلقاهم.

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾: اللام للتوكيد، لكان أفضل لهم من ذلك النداء بأعلى أصواتهم، وخيراً لهم وأصلح من الاستعجال، ولما فيه من الثواب والأجر.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾: لمن تاب وأناب إلى الله من بعد ظلمه.

﴿رَحِيمٌ﴾: حيث لا يعاجلهم بذنوبهم لعلمهم يستغفروه ويتوبوا إليه من ذنوبهم.

[٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾:

نداء جديد بتكليف جديد للذين آمنوا.

﴿إِن﴾: شرطية تستعمل في الأمور النادرة؛ أي: قليلة الحدوث أو احتمال أن جاءكم فاسق، أو على سبيل الافتراض، ولم يستعمل إذا التي تدل على حتمية الحدوث وكثرته.

﴿جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ﴾: قيل: فيما رواه الإمام أحمد وغيره، وكثير من المفسرين، وقيل: حديث فيه ضعف. نزلت هذه الآية



في عقبة بن أبي المعيط أرسله رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق من خزاعة؛ ليأتيهم بصدقات أموالهم، فلما سمعوا بقدومه خرجوا لاستقباله، فخاف منهم أن يقتلوه حيث كان بينهم وبين عقبة عداوة في الجاهلية، فرجع بعد أن سار بعض الطريق وأخبر رسول الله ﷺ أنهم منعوه من الصدقة وأرادوا قتله، وكان هذا غير صحيح! وغضب رسول الله ﷺ وهم بغزوهم، فقدم وفد من بني المصطلق إلى النبي فأخبروه بكذب عقبة، ونزلت هذه الآية، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

جاءكم فاسق نبأ: جاءكم من المجيء، والمجيء فيه مشقة، ولم يقل أتاكم؛ لأن عقبة رجع وأخبر النبي بخبر غير صحيح وأتهم بني المصطلق، فاسق: نكرة والفاسق: هو الخارج عن طاعة الله ورسوله؛ وتعني: إن جاءكم أي فاسق من الآن وصاعداً بأي نبأ، والنبأ: هو الخبر العظيم أو الخبر الهام.

فتبينوا: فتبينوا من صحته: أي انظروا في الخبر وتحققوا من صدقه أو كذبه ولا تتعجلوا بالحكم أو اتخاذ أي قرار.

أن تصيوا: أن حرف مصدر يفيد التعليل؛ أي: كراهة أن تتهموا قوماً، والإصابة أشد من المس، ولم يقل أن تمسوا.

قوماً بجهالة: بجهالة: الباء للإلصاق؛ أي: تتهموا قوماً جاهلين بحقيقة الأمر، أو تقوموا بعمل سيئ بسبب الجهالة وعدم التريث، والطيش وعدم التدبر في إصدار الأحكام وبدون دليل وإثبات. ارجع إلى سورة النساء آية (١٧) لمعرفة الفرق بين بجهل وجهالة.

﴿فَنُصِخُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْنَا نَذِيرًا﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، على ما: على تفيد العلو والمشقة، ما: اسم موصول بمعنى الذي (ولكنها أعم وأشمل) أو

مصدرية، فعلتم: من الخطأ واتّهام الغير بغير الحق أو الإساءة لهم، نادمين: من الندم وهو الشعور بالغم والأسى على وقوع شيء مع تمنّي لو أنّه لم يقع.

[٧] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾:

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾: أن للتوكيد، فيكم رسول الله: قدّم فيكم؛ للتوبيخ، توبيخ بعض المؤمنين لجعل رأي رسول الله ﷺ تابعا لرأيهم، والواجب والمطلوب تقديم رأي رسول الله ﷺ، واعملوا إن كذبتهم على رسول الله ﷺ فالله سبحانه سيطلعه على ذلك فلا تقولوا إلا الحق والصدق، وهذا إنذار وتهديد لكل من يفترى على رسول الله ﷺ سواء في محياه أو بعد مماته.

﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾: لو: حرف امتناع لا امتناع، امتنعت طاعته لكم فامتنع العنت عنكم.

﴿فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾: أي فيما تخبرونه أو تطلبون منه القيام به، وكلّ ما يحلو لكم، كما حدث حين أشار بعض الصحابة لرسول الله ﷺ بمحاربة بني المصطلق بعد سماعهم الخبر الكاذب، ولكنه ﷺ لا يُطيعكم غالباً قبل أن يتبيّن له الحق والصدق، وقوله: (في كثير من الأمر): ولم يقل كلّ الأمور فلم ينسب جميع ما يقولونه بالخطأ والكذب، فهناك بعض ما يقولونه صدق وحق.

وقوله: لو يطيعكم: عبر بصيغة المضارع ولم يقل لو أطاعكم؛ لدلالة التكرار والتجدد في أن يُطيعهم في بعض الأمر (وهناك فرق بين الطاعة والاستماع) ولو يطيعكم في كثير من الأمر.

﴿لَعَنِتُمْ﴾: اللام للتوكيد، والعنت: هو المشقة والضرر والشدة؛ أي: لوقعتم في المشقة والضرر والإثم بسبب عدم سداد رأيكم أو معرفتكم.



﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾: حرف استدراك وتوكيد؛ أي: هناك طائفة مستثناة من هؤلاء المذكورين سابقاً: هم الذين حَبَّبَ الله إليهم الإيمان.

﴿وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾: وأمدَّهم الله بالإيمان والتوفيق والهداية. وزينه في قلوبهم: أي حسَّنه وحبَّبه إلى قلوبهم؛ كلمة الزينة: تشمل الزينة الخارجية أو الداخلية؛ أي: الباطنة التي تشمل الاعتقادات الحسنة، وزينة الإيمان والطهارة... وغيرها؛ وكره إليهم الكفر والفسوق: الخروج عن طاعة الله ورسوله وعن الدين، والعصيان: مخالفة أوامر الله ورسوله، فلم يتَّهموا بني المصطلق ويحثُّوا على محاربتهم من غير تحقيق في الخبر.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾: أولئك اسم إشارة واللام للبعد وتفيد المدح وإشارة إلى منزلتهم العالية، هم: تفيد التوكيد، الراشدون: الرِّشَاد هو إصابة الحق واتباع طريق الاستقامة؛ أي: الرُّشد الاستقامة على طريق الحق. وهناك فرق بين الرُّشد بضم الراء ويستعمل في سياق الأمور الدنيوية والأخروية، والرُّشد: بفتح الراء يستعمل في سياق الأمور الأخروية (الآخرة) فقط. ارجع إلى سورة النساء آية (٦) لمزيد من البيان.

والرِّشَاد، قيل: هو الصِّلاح ويعني حبَّ الإيمان. والراشدون: تدلُّ على صفة الرُّشد صفة ثابتة عندهم لا تتغير.

[٨] ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾: أي هدايتهم وكونهم راشدين هو فضلٌ من الله ونعمة، أو رشدهم وتحبيب الإيمان لهم وتزيينه في قلوبهم، وكرهية الكفر والفسوق والعصيان هو كُله فضلٌ من الله: والفضل هو الزيادة على ما يستحقون

من الأجر، وليس بواجب على الله تعالى وإنما هو فضل منه، ونعمة: وتعريف النعمة: هي ما يهبه الله تعالى لعبده من خير يجلب له المسرة أو يدفع عنه المضرة. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بما يفعلونه ويقولونه ويكتمونه، عليم بذات الصدور، وعليم: صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم.

﴿حَكِيمٌ﴾: في تدبير شؤون خلقه وكونه، فهو الحاكم وهو أحكم الحاكمين وهو أحكم الحكماء، وحكيم فيما يشرعه ويأمر به أو ينهى عنه. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

[٩] ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَاقْتُلُوا الَّتِي بَغَتْ حَتَّىٰ تَقَىٰ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال والندرة.

﴿طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: مثلى طائفة، والطائفة: جماعة من الناس، والطائفة: جماعة تطوف حول عقيدة أو مبدأ أو فكرة ما تجمعها.

﴿اقْتَتَلُوا﴾: هموا بالقتال أو باشروا القتال؛ أي: أفراد كل طائفة اقتتلوا مع أفراد الطائفة الأخرى، ولم يقل وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلتا بالتشنية؛ لأن الأفراد هم الذين يقاتلون، والطائفة: اسم للجماعة التي تقاتل.

﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط. أصلحوا بينهما: بالوعظ والإرشاد والتحكيم، أصلحوا ما فسد بالنصح والدعوة إلى حكم الله والعفو والغفران، وافعلوا ما تروه مناسباً لوقف القتال بإزالة الشبهة وأسباب الخصام.

﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، بغت إحداهما على الأخرى: أي تعدت؛ أي: تجاوزت الحد أو رفضت الصلح ولم تدعن



لحكم الله والنصيحة، والبغي في الأصل: هو أخذ حق الغير بالقوة والقهر والتعسف.

﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى﴾: أي قاتلوا الطائفة الباغية المعتدية بشتى الوسائل حتى الوصول إلى الغاية وهي وقف القتال.

﴿حَتَّى﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿نَفَى إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾: نفى: ترجع إلى حكم الله تعالى إلى الحق والرشد والصواب، أو إلى طاعة الله ورسوله وكف القتال.

﴿فَإِنْ فَاءَتْ﴾: فإن شرطية تفيد الاحتمال والندرة، فاءت: رجعت إلى حكم الله ورضيت به.

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾: بالحق؛ أي: احكموا بين الطائفتين بالعدل وتحروا حكم الله تعالى ورسوله.

﴿وَأَقْسِطُوا﴾: القسط هو الحكم بالعدل وتطبيق الحكم، فمجرد الحكم بالعدل لا يكفي؛ أي: القول باللسان فلا بد من تنفيذ الحكم وتطبيقه (أي رفع الظلم وتنفيذ الحكم).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: إن للتوكيد، يحب المقسطين: الذين يحكمون بالعدل وينفذون العدل برفع الظلم والجور عن الناس. المقسطين: جمع مقسط، وصفة القسط فيهم ثابتة.

[١٠] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾: الإخوة إما تكون مبنية على النسب والدم، وإما تكون

مبنية على الإيمان والعقيدة والدين؛ أي: إخوة الدين والإيمان، فأخوة الدين والعقيدة أقوى وأدوم من أخوة النسب والدم.

وتعني: إنما المؤمنون كالأخوة في التراحم والدين أو الدم والنسب.

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾: إذا تنازعا أو اختصما.

﴿أَخَوَيْكُمْ﴾: خصّ الاثنين بالذكر؛ لأنهما أقل ما يقع بينهما الشقاق.

﴿فَأَصْلِحُوا﴾: بالجمع؛ لأن الكل مسؤول عن الاشتراك في الصلح بين الاثنين؛ لأن صلاح الجماعة أو القوم مبني على صلاح الفرد، ولم يقل فأصلحها بينهما، وتخاصم الاثنين قد يجرّ إلى اتساع رقعة الخصام لتشمل العائلة والقبيلة والطائفة.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أطيعوا أوامر الله تعالى وتجنّبوا نواهيه وخافوا غضبه وسخطه وناره.

﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾: لعل للتعليل، ترحمون: إذا قدّمتم الأسباب مع تقواكم. ارجع إلى سورة الإسراء آية (٨) للفرق بين لعلكم ترحمون ولترحموا وعسى ربكم أن يرحمكم.

وهل هناك فرق بين إخوة وإخوان:

كلمة أخ جمعها: إخوة وإخوان، فمن الناحية اللغوية قيل: لا فرق بينهما، أما في المعنى يبدو أن كلمة إخوة غالباً تستعمل في سياق النسب (الولادة) أو الدين أخوة في الدين. أما كلمة إخوان: تطلق على الأصدقاء أو قوم يجمعهم مبدأ واحد، وقيل: إن الكلمتين مترادفتان في المعنى، وقيل: إن كلمة إخوان: أعم وأشمل من إخوة، فتشمل الولادة والدين والصدقة معاً.



[١١] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾:

نداء جديد إلى الذين آمنوا بتكليف جديد وهو عدم السخرية والتنازع بالالقاب.

﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾: لا الناهية، يسخر قوم من قوم: من السخرية، هي الازدراء والتصغير والاحتقار، والعيب بالقول والفعل في وجه المسخور منه أو في حال غيابه، والسخرية: خاصة بالأشخاص، وأما الاستهزاء عام في الأشخاص وغير الأشخاص.

قوم من قوم: القوم في هذه الآية هم الرجال دون النساء، والقوم: الجماعة الكثيرة التي قد تكون بينها نوع من القربات؛ قوم من قوم: نكر القوم؛ لتشمل أي قوم مهما كانوا أغنياء أو فقراء أو أقوياء أو ضعفاء.

﴿عَسَىٰ﴾: من أفعال الرجاء للفعل المرجو حصوله في المستقبل البعيد أو القريب.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التعليل.

﴿يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾: عند الله منزلة ودرجة في التقوى أو الصلاح أو الإيمان أو الأخلاق والدين، وقوله: (لا يسخر قوم من قوم) ولم يقل رجل من رجل؛ لأنّ السّاخر لا يكون وحيداً فهناك من يشاركه في سخريته بالضحك أو التلّهّي واللغو والإشاعة، فلا يكاد يكون منفرداً في سخريته إلا نادراً بل يشاركه الكثير من الناس وعليهم من الإثم والذنب ما عليه.

﴿وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ﴾: ولا الناهية، نساء من نساء: نكرة أي نسوة، فالنساء والرجال هم سواء في حكم تحريم السخرية، فلا يحلّ للمؤمنة أن تسخر من أختها المؤمنة.

﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾: كما ورد في مطلع الآية عسى أن يكون خيراً عند الله منزلة، وحين خاطب الذين آمنوا فهو يشمل الرجال والنساء ولكنه عاد وأكد بذكرهن.

﴿وَلَا﴾: تكرر حرف (لا) يفيد تأكيد النفي، وفصل السخرية عن اللمز. ﴿نَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: اللمز العيب أو الطعن فلا يعب بعضكم بعضاً بالقول أو الإشارة أو الفعل، ويتميز اللمز بالعلن أو الحضور بعكس الهمز الذي يتميز بالطعن بالغيب، أو عدم حضور المطعون فيه.

﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾: سواء كان اللقب محبوباً أو مكروهاً، التنابر: التعاير والتداعي كأن يقول: يا فاسق أو يا كافر، أو يا قصير أو يا طويل.

﴿بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾: بئس: من أفعال الذم؛ أي: بئس أن يلقب المسلم المؤمن بقلب الفسق كأن يقال له: يا منافق أو يا يهودي أو يا فاسق. ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: ومن لم: من شرطية، لم النافية، يتب: يكف ويتوقف عن السخرية من المؤمنين ومخاطبتهم بألقاب لا تليق بالمؤمن وعمّا نهى الله عنه.

فأولئك: الفاء للتوكيد، أولئك: اسم إشارة واللام للبعد.

هم: ضمير فصل يفيد التوكيد.

الظالمون: لأنفسهم بتعريضها للعذاب. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٤) لمعرفة معنى الظلم.





سُورَةُ الْحَجَرِ ٤٩

الْحَجَرِ ٤٩

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ
وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بََعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن
قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ
يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾





سورة الحجرات [الآيات ١٢ - ١٨]

[١٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد أو حكم آخر.

﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾: الاجتناب هو الابتعاد، والاجتناب أشد من التحريم وهو عدم الاقتراب من الأمر المحرم؛ أي: ابتعدوا عن سوء الظن بأي مؤمن أو بأهل الخير، والظن السيئ يعدّ إثماً ويجب تجنبه مثل حديث الإفك والظن السيئ بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهو الظن الذي لا يستند إلى دليل وبرهان.

﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾: هناك القليل من الظن المباح أو الغير محرم أو الظن الحسن، وقوله: (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ): البعض هنا يعني: الكثير المأمور باجتنابه.

أما أهل السوء والفسق فإذا ظهر منهم القبيح والسوء والفسق، فلا يدخل ذلك تحت الظن المحظور.

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾: التجسس: هو البحث في الخفاء والتستر لكشف أمراً ما غالباً ما يكون في الشر مثل: تتبّع عورات المسلمين أو البحث عن عيوبهم ثم كشفها للآخرين أو الحديث عنها، أو التجسس على العدو لمعرفة عدده وعدته... وغيرها.



﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: الواو عاطفة، لا الناهية.

يغتَب: من الغيبة وهي كما عرّفها رسول الله ﷺ في حديث رواه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة (قيل: يا رسول الله، ما الغيبة؟ قال ﷺ: ذكرُك أخاك بما يكره).

قال: وإن كان في أخي ما أقول؟ قال: وإن كان فيه ما تقول فقد اغتبتَه، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتَه (أي قلت فيه بهتاناً؛ وهو الكذب والباطل المثير للدهشة).

﴿أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾: أوجب: الهمزة للاستفهام الإنكاري، أحدكم: أي منكم.

﴿يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾: استعارة أو تشبيه المغتاب الذي يغتَاب أخاه بمن يأكل لحم الإنسان الميت، مما يدل على بشاعة عمله. وميتاً: جاءت بسكون الياء التي تدل على الموت الحقيقي قد حصل، والميت مات فعلاً، ولو جاءت بتشديد الياء: لدلت على أن الميت لم يمت بعد لا زالت روحه لم تغادر جسمه. ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدر.

أي: كما يمتنع أحدكم ويكره أن يأكل لحم أخيه ميتاً، كذلك يجب أن يمتنع عن غيبة أخيه سواء كان حياً أو ميتاً.

﴿وَأَنفَقُوا لِلَّهِ﴾: أي امثلوا أو امره وتجنبوا نواهيهِ؛ لكي تتجنبوا غضبه وسخطه وناره.

﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾: إن الله: للتوكيد.

﴿تَوَّابٌ﴾: أي كثير قبول التَّوبَةِ، يقبل توبة كل عبد من خلقه من آدم إلى آخر مخلوق، ومهما كان عددهم وعدد توباتهم فلا يردّ توبة تائب إذا آمن به وتوفرت أركان التَّوبَةِ.

﴿رَّحِيمٌ﴾: لكونه لا يعاقب على الذنب والإثم مباشرة، ولكن يؤخر العقاب؛ لعلّ العاصي يتوب وبالتالي يعفو عنه ويغفر له.

[١٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾:

نداء عام إلى الناس كافة استعمل فيها ياء النداء، والهاء للتنبيه، وكلمة (الناس) مشتقة من النّوس؛ أي: كثرة الحركة.

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿خَلَقْنَاكُمْ مِنْ﴾: ابتدائية استغرافية.

﴿مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾: أي من آدم وحواء، أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم ليبقى الله سبحانه متفرداً بالوحدانية، فالكل سواء في الأصل (في الخلق) فلا داعي للتفاخر بالأنساب والألقاب، أو العرق أو اللون.

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ﴾: الجعل يتم بعد الخلق.

﴿شُعُوبًا﴾: جمع شعب، والشَّعب: جمع قبائل أو جمع عظيم تجمعه وحدة الوطن (الأرض أو اللغة والتَّاريخ) بغير النظر إلى العدد والحيز الجغرافي.

﴿لِتَعَارَفُوا﴾: اللام لام التعليل.



لتعارفوا: والتعارف يؤدي إلى التعاون التجاري والصناعي والسياحي وكل مجالات التعاون.

﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ﴾: إن للتوكيد، أكرمكم عند الله: أي أرفعكم عند الله منزلة أو أشرفكم، اتقاكم: والتقوى تكون بامثال أوامر الله سبحانه وتجنب النواهي، وليس أكرمكم بالأحساب أو الأنساب فالفقير إذا كان تقياً قد يكون أكرم وأفضل عند الله من أغنى الأغنياء على الأرض إذا لم يكن الغني تقياً. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾: إن للتوكيد، عليم: بما تفعلونه وتقولونه، عليم بتقواكم وعلیم بظواهركم، وعلیم صيغة مبالغة: كثير العلم.

خبير: ببواطن الأمور والأسرار.

[١٤] ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلٌّ لَّهُمْ تَزِمُونَا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

أسباب النزول: قيل: نزلت هذه الآية في أعراب بني أسد الذين قدموا المدينة بأولادهم ونسائهم في سنة مُجدبة، فأظهروا الإسلام طمعاً في الصدقات أو المغانم ولم يكونوا مؤمنين حقاً وكانوا يمتنون على رسول الله ﷺ بعدم قتاله. وقيل: نزلت هذه الآية في أعراب مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار، الذين قالوا: آمنا بالله؛ ليأمنوا على أنفسهم، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية تخلّوا عنه ولم يخرجوا معه، وهم الذين قالوا: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح: ١١].

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلٌّ لَّهُمْ تَزِمُونَا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾: أنت كلمة (قال) بإضافة تاء التانيث التي تدل على

الكثرة؛ أي كثرة الأعراب الذين أسلموا؛ أي: دخلوا في الإسلام وادّعوا الإيمان، ولم يقل قال الأعراب التي تدل على القلة.

فردّ الله تعالى عليهم: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ: لم تؤمنوا؛ أي: لا يكفي القول باللسان: آمناً؛ لأن الإيمان لم يصل بعد ويستقر في قلوبكم أو يتمكّن الإيمان في قلوبكم.

﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾: ولكن حرف استدراك وتوكيد.

قولوا أسلمنا: أسلمنا لها معانٍ عدّة: الشهادة: القول لا إله إلا الله محمد رسول الله، أو أسلمنا: معناه الاستسلام والخضوع خوفاً من القتل أو الإسلام باللسان (بالقول) فقط وعدم موافقة القلب كما يفعل المنافقون.

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾: لما حرف نفي تدل على استمرار النفي إلى زمن نزول هذه الآية أو وقت هذا الكلام.

ومن أسلم بلسانه ولم يؤمن بقلبه فهو منافق، وقد بيّن في الآية (١٥) حقيقة الإيمان ومعنى الصدق في الإيمان.

﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: وإن شرطية تفيد الاحتمال أو الندرة، تطيعوا الله ورسوله: وخذ طاعة الله تعالى وطاعة رسوله. ارجع إلى سورة النساء آية (٥٩) للبيان.

﴿لَا يَلْبِسْكُمْ﴾: لا النافية، يلتكم: من ألت يألت: أنقص: لا ينقصكم.

﴿مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾: من ابتدائية؛ أي: لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً ولو كان مقدار حسنة، وأما النفاق فهو يحبط أعمالكم.



﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿غُفُورٌ﴾ صفة مبالغة من غفر، وغفر: ستر، والستر يؤدي إلى المحو وعدم المعاقبة على الذنب، وغفور يغفر الذنوب العظام مهما عظمت، وأما الغفار: يغفر الذنوب مهما كثرت وتعددت.

﴿رَحِيمٌ﴾: على وزن فعيل: كثير الرحمة لعباده المؤمنين ودائم الرحمة، وأما رحمان: فهو متجدد الرحمة لا يعجل بالعقوبة أو بالعذاب. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٣).

[١٥] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: إيماناً خالصاً هو الإيمان بالله ورسوله ﷺ إيماناً لا ريب فيه.

﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾: ثم للتوكيد، لم النافية، يرتابوا: من الريبة وهو الشك والتهمة؛ أي: لم يشكوا في دينهم أو يتهموا أحداً.

﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: والجهاد هو محاربة العدو لإعلاء كلمة الله تعالى ونصر دينه ويكون بالأموال والأنفس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد، أي إذا كان هناك صادقون فهم الصادقون حقاً.

﴿الصَّادِقُونَ﴾: في إيمانهم ودعواهم. الصادقون: جملة اسمية تدل على ثبوت صدق إيمانهم.

[١٦] ﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ.

﴿أَتَعْلَمُونَ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ.

﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾: أتعلمون مشتقة من: عَلمَ وأعلم؛ أي: عرف أو أخبر؛ أي: أتنبؤن الله بإيمانكم؟! أي هو سبحانه يعلم ما أنتم عليه من الإيمان والإسلام، وما نوع إسلامكم ونواياكم.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾: واللّه: تقديم الفاعل (اللّه) على الفعل (يعلم) للاهتمام. يعلم ما: ما أوسع شمولاً من (الذي)؛ تشمل كل شيء العاقل وغير العاقل. في: ظرفية.

﴿السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: من مخلوقات، وأحداث ونوايا، وأقوال وأفعال وتطورات وموت وحياة وكل شيء وحركة وتحول.

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: لا يخفى عليه شيء ولا يعزب عن علمه شيء.

[١٧] ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ﴾: يعدّون إسلامهم منّي على رسول الله ﷺ؛ أي: يمتنون



عليك إسلامهم؛ أي: يذكرون لك أنهم أسلموا على وجه التفضل عليك أو الصدقة عليك؛ أي: كأنهم يتصدقون عليك بإسلامهم.

﴿قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ﴾: قل لهم يا محمد: لا تتفضلوا عليّ بإسلامكم؛ لأن نفع وفائدة إسلامكم يعود عليكم وليس عليّ؛ أي: على رسول الله ﷺ. ﴿بَلِ اللَّهَ يَمْنُ عَلَيْكُمْ﴾: بل للإضراب الانتقالي؛ أي: والله وحده له المنّة والفضل.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد على إسلامهم. ﴿هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾: وفقكم وأرشدكم إلى الإيمان كما تزعمون وتقولون: آمناً.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: إن شرطية، كنتم صادقين في ادعائكم الإيمان، فله المنّة جميعاً، وقد تعني: إنكم غير صادقين في دعواكم. [١٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: للتوكيد. الله: الاسم الأعظم الدال على الذات الإلهية الذي تفرّد به الحق واختصّه لذاته وقدمه على سائر الأسماء، وهو الاسم الجامع لجميع الصفات الإلهية.

﴿يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: الغيب: مصدر غاب، الغيب: كل ما لا يظهر ويُرَى للعيان ولا يُدرك بالحواس؛ أي: سبحانه يعلم بكل ما يجري في السموات والأرض من السر والعلن من قول وفعل، ويعلم الذين آمنوا ويعلم الكاذبين،

وعليم بذات الصدور، وكل النوايا والمقاصد والدوافع والأطماع، يعلم بذلك قبل أن تقع ومنذ الأزل.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: والله مطلع ويرى كل أعمالكم.

بما: الباء للإلصاق والملازمة، ما: بمعنى الذي أو مصدرية، و(ما) أوسع شمولاً من (الذي)؛ تشمل كل شيء.

تعملون: في الدنيا، وتعملون: تضم الأقوال والأفعال، تعملون من خير أو شر. وقدم كلمة (بصير) على كلمة (تعملون) ولم يقل والله بما تعملون بصير؛ لأن السياق عن الغيب وصفات الله تعالى وقدرته سبحانه.





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٥٠

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ١ بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ
فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ٢ أَمْ دَامَتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ
رَجَعُكُمْ بَعِيدٌ ٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ
حَفِیْظٌ ٤ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِیْجٍ
٥ أَفَأَمَرَ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا
وَمَالَهَا مِنْ فُرُوجٍ ٦ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ
وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِیْجٍ ٧ تَبَصَّرَ وَذَكَرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ
مُنِيبٍ ٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ
وَحَبَّ الْحَصِيدِ ٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ١٠
رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ١١ كَذَبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ
لُوطٍ ١٣ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
١٤ أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ فِي لُبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ١٥



سورة ق [الآيات ١ - ١٥]

ترتيبها في القرآن (٥٠) وترتيبها في النزول (٣٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾:

﴿قَ﴾: ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة للبيان.

﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾: الواو: واو القسم، يقسم الله سبحانه بالقرآن المجيد (المقسم به)، والله سبحانه لا يقسم إلا بشيء عظيم، وهو سبحانه غني عن القسم، ويشير إلى أهمية الأمر المقسم به وجواب القسم.

﴿الْمَجِيدِ﴾: الرفيع القدر والشأن والشرف لا يعلوه شيء، والمجيد، يعني: السعة في المعاني والأوصاف والمجيد، يعني: كذلك كثير الخير والكرم والبركة، قراءة حرف واحد بعشر حسنات، وجواب القسم محذوف للتوسع في المعنى والتعظيم، ويشمل على كل ما يدور في الفكر مثل البعث والحساب، وقيل: جوابه ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ (الآية: ٤)، وقيل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾ [آية: ٣٧].

[٢] ﴿بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ فقال الكافرون هذا شيء عجيب:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي، من القسم بالقرآن المجيد إلى العجب. أو بل إضراب إيطالي: لم يقبلوا (أبطلوا) كونك منذراً لهم، بل عجبوا.



﴿عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾: عجبوا من عجب والعجب استعظام الشيء
لخفاء سببه. والعجيب: الطريف.

أن: حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد.

جاءهم منذر منهم: من قريش أو من العرب هو رسول الله ﷺ، منذر: من
الإنذار هو الإعلام والتخويف والتحذير، ينذرهم بالبعث والحساب والجزاء،
ينذر المكذبين بدين الله والقرآن وبرسوله ﷺ.

﴿فَقَالَ﴾: الفاء: قد تكون فاء السببية؛ أي: ما قبلها يصلح لأن يكون لما
بعدها، وقد تدل على المباشرة والتعقيب.

﴿الْكَافِرُونَ﴾: كفار قريش.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يفيد القرب. ويشير إلى مجيء المنذر
منهم.

﴿شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾: هذا شيء عجيب.

لنقارن هذه الآية (٢) من سورة ق، وهي قوله تعالى: ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، مع
الآية (٧٢) من سورة هود، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، مع الآية
(٥) من سورة (ص)، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾.

سورة (ق) قال: ﴿شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، وفي هود قال: ﴿لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، وفي
(ص) قال: ﴿لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾.

سورة هود قال: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾: أكد بإضافة إن واللام.

سورة (ص) قال: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾: أكد بإضافة إن واللام، وبدل كلمة
عجيب بعجاب.



السَّبَب: أَنَّ آيَةَ (ق) جاءت في سياق ﴿أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ فهذا أمر عجيب فلم يؤكد، أما في آية هود فجاءت في سياق الولادة، وهي عجوز وبعلمها شيخ؛ فهذا أكثر عجباً من مجيء المنذر، فلذلك أكد بأن واللام: ﴿أَلِدْتُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾، أما آية (ص) فجاءت في سياق الإشراف بالله والآلهة، وهذا منتهى العجب، وهي اتخاذ الأصنام آلهة، فقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ فأكد بأن واللام، وأبدل كلمة عجيب بعجاب.

[٣] ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾:

﴿أَءِذَا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتعجب، إذا ظرفية تفيد الحتمية. ﴿مِتْنَا﴾: بكسر الميم، أي: موت عادي طبيعي. ولو ضم الميم فقال: إذا مُتْنَا: لكان موتاً غير عادي مثل الموت في سبيل الله، وهذا من خصائص القرآن. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٥٧) للبيان.

﴿وَكُنَّا تُرَابًا﴾: بعد الموت والتحول إلى تراب في القبور. ولم يقل: تراباً وعظاماً حذف العظام، واكتفى بذكر التراب الدال على كلاهما.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، ويشير إلى التحول إلى تراب.

﴿رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾: رَجْعُ: مصدر لفعل رجع؛ أي: رجوع مستبعد بعيد عن التصديق والإدراك والفهم أن يعاد الإنسان إلى الحياة مرة ثانية للحساب والجزاء بعد أن تحول إلى تراب.

[٤] ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ﴾:

﴿قَدْ﴾: للتحقيق والتوكيد.



﴿عَلِمْنَا مَا أَنْقَضَ الْأَرْضَ مِنْهُمْ﴾: أي: علمنا ما يموت منهم ويدفن في الأرض على مر الأيام والسنين أو الدهر.

﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ﴾: قيل: هو اللوح المحفوظ: حفيظ يحفظ عددهم وأسماءهم وأعمالهم سواء كانوا أحياء أو أمواتاً، محفوظ من التغيير والتبديل وتنكير الكتاب (كتاب) للتعظيم.

[٥] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾: بالقرآن، وقيل: بنبوة محمد ﷺ، أو كلاهما، والباء للإلصاق والملازمة أو المصاحبة.

﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾: لما ظرفية زمانية أو مكانية؛ أي: كذبوا لما جاءهم مباشرة بمجرد تبليغهم من غير تفكير ولا تدبر.

﴿فَهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، هم لزيادة التوكيد.

﴿فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾: مضطرب مختلط عليهم مرة يقولون: ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون، ثم يذكر الله سبحانه أدلة قدرته وعظمته على الخلق والبعث.

[٦] ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا هِيَ مِنْ ذُرُوجٍ﴾:

﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، الفاء للتوكيد، لم للنفي.

﴿يَنْظُرُوا﴾: نظرة بصرية (عينية) وفكرية، ينظروا بصيغة المضارع لكي تحثهم على إعادة النظر إلى السماء المرات الكثيرة وليس مرة واحدة.

﴿إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾: فوقهم: تحتمل المسافة بينهم وبين السماء؛ فوقهم قريبة أو بعيدة، ولو قال: من فوقهم يعني: ليس هناك بينهم وبين

السماء فوقهم أي فاصل؛ كيف: للاستفهام؛ أي: السؤال عن الحال؛ بينهاها: أي: رفعناها بغير عمد يرونها. ارجع إلى سورة الرعد آية (٢)، وسورة الذاريات آية (٤٧) للبيان.

﴿وَرَبَّنَّهَا﴾: بالكواكب والنجوم والشمس والقمر. ارجع إلى سورة فصلت آية (١٢)، وسورة الصافات آية (٦)، وسورة الملك آية (٥) للبيان.

﴿وَمَا هَا مِنْ فُرُوجٍ﴾: ما النافية، لها: أي: للسماء، من استغراقية، فروج: شقوق، جمع فرج وهو الشق بين الشيئين، والمراد بالآية سلامة السماء من كل عيب. ارجع إلى سورة الملك (تبارك) آية (٣) للبيان.

فالكون ليس فيه فراغ بين أجرامه، فكل طبقاته مليئة بالمادة والطاقة والغازات، فلا يوجد فيه منطقة فراغ، أي: فروج فوقهم سواء كان الفاصل قريباً أو بعيداً.

[٧] ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾:

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾: بسطناها طويلاً وعرضاً إلى ما يُرى منتهاه رغم أن الأرض كروية (بيضاوية).

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: الجبال وما تحت البحار من الألواح القارية وغيره. ارجع إلى سورة النحل آية (١٥) لمزيد من البيان، وسورة الحجر آية (١٩)، وذكرت الرواسي في تسع آيات في القرآن هي: الرعد، والحجر، والنحل، والأنبياء، والنمل، ولقمان، وفصلت، وق، والمرسلات.

﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ﴾: أنبتنا: للتعظيم أو الجمع لأن البعض يشارك في عملية الزرع والحرث والسقي. فيها: في الأرض، من: استغراقية.

﴿كُلِّ﴾: للتوكيد.



﴿زَوْجٌ بِهِيجٌ﴾: زوج صنف من أصناف النباتات، بهيج: حسن المنظر يسر الناظرين كالأزهار والورود، وأما حين يقول: الزوج الكريم فهو الصنف البالغ في الجودة وكثير النفع والبركة. فهناك من النباتات ما هو للمنظر ومنها ما هو للأكل مثل الفواكه.

ووردت زوج بهيج في آيتين من هذه الآية، والآية (٥) من سورة الحج.

ووردت زوج كريم في آيتين الشعراء الآية (٧) ولقمان الآية (١٠).

[٨] ﴿بَصْرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾:

أي: الأرض مددناها وألقينا فيها وراسي وأنبأ فيها من كل زوج بهيج كل ذلك.

﴿بَصْرَةٌ﴾: أي: لنري عبادنا قدرتنا على الخلق والبعث، يبصرها كل مؤمن وكل كافر وكل جاهل بعظمة الله وقدرته أو من عنده بصيرة.

﴿وَذِكْرَىٰ﴾: تذكرة أو تذكير.

﴿لِكُلِّ﴾: اللام لام الاختصاص، كل للتوكيد، أي: ينتفع بهذه التبصرة والتذكرة كل عبد منيب.

﴿عَبْدٌ مُّنِيبٌ﴾: عبد كثير الإنابة، والإنابة السرعة في التوبة والرجوع إلى الله تعالى والاستغفار لكل عبد يفكر في قدرة الله، ويرجع إليه ويشكره ويحمده ويعبده ولا يشرك به.

[٩] ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾:

﴿وَنَزَّلْنَا﴾: للتعظيم وتدل على كثرة النزول. أما لو قال: أنزلنا فتدل على الإفراد.

﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: أي: من السحاب، والسحاب تسمّى السماء؛ لأن تعريف السماء هو كلّ ما علاك والسحب تعلونا، فيمكن تسميته بالسماء؛ أي: (السحب الركامية).

﴿مَاءٌ مُّبْرَكًا﴾: أي: ماء المطر (الغيث) كثير المنافع والبركة. فالله سبحانه يبخر كل سنة حوالي (٥٠٠،٠٠٠) كم ٣ من ماء البحار والمحيطات ويبخر (١٠٠،٠٠٠) كم ٣ من اليابسة؛ لكي ينقي ويطهر هذه الكميات من الماء؛ لأنها لو بقيت راكدة على سطح الأرض لفسدت، وامتلات بالجراثيم والطين والقاذورات، فحين يبخرها ويحركها فهو يطهرها وينقيها من الأملاح والبكتريا بأشعة الشمس، ثم يعيدها إلى الأرض. أكثر من (١٦٥،٠٠٠) كم ٣ بزيادة (٦٥،٠٠٠) تلعب دوراً مهماً في السقي وتلطيف المناخ، وتركيز المعادن وفي الإنبات والزائد منها يفيض إلى البحار والمحيطات.

﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾: ارجع إلى الآية (٧)، به: بماء المطر.

جنان: حدائق وبساتين ذات ثمر وبهجة.

وحب الحصيد: الحصيد؛ أي: المحصول مثل القمح والذرة والرز والشعير وغيرها.

[١٠] ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّمَا طَلْعُ نَضِيدٍ﴾:

﴿وَالنَّخْلَ﴾: اسم جنس، وأنبتنا النخل.

﴿بَاسِقَاتٍ﴾: جمع باسقة، وأنث باسق من فعل بسق، والبسوق هو الطول، أي: طوالاً في السماء.

﴿لِّمَا طَلْعُ نَضِيدٍ﴾: منضود مركب بعضه فوق بعض، والمراد به كثرة ثمره. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٩٩) لمزيد من البيان.



[١١] ﴿رَزَقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَاهُ بِلَدَّةٍ مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾:

﴿رَزَقًا لِلْعِبَادِ﴾: إنزال الماء وإنبات الجنت وحب الحصيد والنخل وغيره؛ ليكون رزقاً وقوتاً للعباد.

﴿وَأَحْيَيْنَاهُ﴾: للتعظيم بالماء، الماء المبارك.

﴿بِلَدَّةٍ مَيِّتًا﴾: بتشديد الميم تدل على الأرض أنها كانت حية فماتت، بسبب انقطاع الماء، أي: هي أرض صالحة للزراعة إذا توافر لها الماء من جديد. وأما إذا جاءت الميم بالفتح بدون تشديد: تدل على الأرض التي ماتت منذ زمن طويل، وأعيد أحيائها من جديد.

﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾: أي: كما يحيي الأرض بعد موتها كذلك تخرجون من القبور. ارجع إلى الآية (١٩) من سورة الروم للبيان.

والفرق بين الخروج وتخرجون: الخروج: مصدر يدل على اسم الحدث، والإخراج أو تخرجون هو الحدث.

[١٢] ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَنُوحٌ﴾:

﴿كَذَبَتْ﴾: ولم يقل: كذب قبلهم، كذبت (تاء التأنيث) تدل على الكثرة، وكذب تدل على القلة، أي: كثرة الأمم التي كذبت رسلها.

﴿قَبْلَهُمْ﴾: أي: كفار مكة.

﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾: كذبوا نبيهم نوح عليه السلام.

﴿وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾: أصحاب البئر، اختلفت الروايات فيها وأفضل ما قيل فيهم أن نبيهم هو حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه. وقيل: هم قوم باليمامة. ارجع إلى سورة الفرقان آية (٣٨) لمزيد من البيان.

﴿وَتَمُودُ﴾: قوم صالح كانوا يسكنون الحجر، كذبوا نبيهم صالحاً عليه السلام. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٧٣-٧٩) وسورة هود آية (٦١-٦٨).
[١٣] ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنٌ وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾:

﴿وَعَادٌ﴾: وكذبت قوم عاد نبيهم هوداً. ارجع إلى سورة هود آية (٥٠-٦٠).

﴿وَفِرْعَوْنٌ﴾: كذبوا رسولهم ونبيهم وهو موسى عليه السلام. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) للبيان.

﴿وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾: كلمة أخ تجمع على إخوة وإخوان، إخوة تأتي أو تستعمل في النسب، وتأتي في سياق إخوة في الدين أو الإيمان، وأخوة الدين أقوى من أخوة النسب، وإخوان تدل على قوم اجتمعوا على مبدأ واحد خيراً كان أو شراً، وإخوان لوط، ولم يقل: قوم لوط؛ لأن كلمة القوم قد تعني: الذكور والإناث، أما إخوان لوط؛ أي: الذكور؛ أي: خاصة بالذكور الذين يأتون الذكور (أي: الفاحشة). ارجع إلى سورة الحجرات آية (١٠) للمزيد في معنى إخوة وإخوان.
[١٤] ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ﴾:

﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾: الغيضة الكثيفة الملتفة الشجر وهم قوم شعيب كذبوا شعبياً عليه السلام. ارجع إلى سورة الحجر آية (٧٨-٧٩) للبيان.

﴿وَقَوْمُ تَبَّعٍ﴾: تبع الحميري من ملوك اليمن أسلم ودعا قومه للإسلام فكذبوه. ارجع إلى سورة الدخان آية (٣٧) للبيان.

﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾: أي: كل واحد على حدة من هؤلاء كذب الرسل، ولم يقل: كذبوا رسولهم؛ لأنهم حين يكذبوا رسولهم كأنهم يكذبون كل الرسل، فمن يكذب برسول كأنه يكذب بكل الرسل؛ لأن كل الرسل يحملون نفس الرسالة

وهي الإيمان بالله وحده وامتنال أوامره وتجنب نواهيه، ولم يقل: كل كذبوا الرسل، وقال: كل كذب؛ لأنهم لم يكونوا مجتمعين معاً، وكان كل قوم على حدة، وفي أزمان مختلفة.

﴿حَقَّ وَعِيدٌ﴾: الفاء للتوكيد، حق: وجب وحل وعيد: بنزل العذاب بمن كذبوا رسلهم.

وإذا قارنا هذه الآية (١٤) من سورة (ق) وهي قوله: ﴿كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلَ حَقَّ وَعِيدٍ﴾ والآية (١٤) من سورة (ص) وهي قوله: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ﴾، العقاب أشد من الوعيد فالمخاطبون في حق عقاب أشد كفراً وعصياناً وإنذاراً من المخاطبين في حق وعيد، وإذا كان المخاطبون في الآيتين هم كفار قريش، فيدل على أن آية (ق) جاءت بالوعيد، فلما ازداد كفرهم وعصيانهم نزلت آية (ص) حق عقاب، وهذا يدل على أن سورة (ق) نزلت قبل سورة (ص)، ولو نظرنا في ترتيب نزول السور لوجدنا أن سورة (ق) ترتيبها في النزول (٣٤) وسورة (ص) ترتيبها في النزول (٣٨).

[١٥] ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾:

﴿أَفَعَيْنَا﴾: الهمزة للاستفهام التوبيخي لمنكري البعث والحساب، أفعينا من الإعياء، أي: العجز وهو انقطاع أو ضعف القوة.

﴿بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾: أفعجزنا عن بدء الخلق حتى نعجز عن إعادته. وما دمننا لم نعي في بدء الخلق، فلن نعي في إعادة الخلق، بل هو أهون علينا، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

﴿بَلْ هُمْ﴾: بل: للإضراب الإبطالي، أي: لم نعي أو ما عيننا بالخلق الأول:



أَيُّ: كما خلقناهم أول مرة قادرين على إعادة خلقهم مرة ثانية. ضمير فصل يفيد التوكيد ترجع إلى منكري البعث والحساب.

﴿فِي لَبْسٍ﴾: لبس: حيرة وشك أو خلط، لا داعي له؛ لأنَّ الإعادة هي أهون من الابتداء إن كانوا يعقلون. والله سبحانه ليس عنده أمر صعب وأمر هين، إنما يخاطب الناس على قدر عقولهم فالكل عنده هيِّن.

﴿مَنْ خَلَقَ جَدِيدٍ﴾: أي: هم في حيرة وشك من خلق جديد، وهو البعث وليس الخلق الأول؛ لأنه سبحانه قال: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾

[الزخرف: ٨٧].





سُورَةُ قُلُوبٍ ٥٠

الجزء الثاني من القرآن

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَنْتَلَقِي الْمَتَلَقَّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ
﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ
الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ
يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ
كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ
﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَى عَتِيدٍ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ
وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ
إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾
يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأَرْلَفْتَ
الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرِ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ
﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا
بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾





سورة ق [الآيات ١٦ - ٣٥]

[١٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، اللام للتوكيد، قد للتحقيق أي تحقق ذلك.

﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾: بصيغة الجمع للتعظيم، الإنسان: اشتق هذا الاسم من الأنس: الألفة: خلاف النفور، أي: يأنس به بنو جنسه أو يأنس بصاحبه ومن كونه يُرى أو ظاهر بخلاف الجن.

﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾: أي: نعلم ما تحدثه به نفسه ما يخطر على باله والوسوسة هي الصّوت الخفي، ما: بمعنى الذي وما أوسع وأشمل من الذي تشمل كل شيء وأمر، أو ما مصدرية.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾: أي: نحن أقرب إليه من حبل الوريد: الوريد الوداجي في العنق (في كل جانب)، ولكل إنسان وريدان، والقرب يكون بعلمنا.

[١٧] ﴿إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَفِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾:

مع علم الله سبحانه بما توسوس به كل نفس وكلّ به ملكين من الملائكة يكتبان كل ما يقوله ويعمله، ويحفظان أعماله لإقامة الحُجّة عليه يوم الحساب ويشهدان عليه أو له يوم القيامة.

﴿إِذْ﴾: ظرف زماني ومكاني.

﴿يَتَلَفَّى الْمُتَلَفِّيَانِ﴾: مثني المتلقي، أي: الملكان، يتلقى: كل منهما ما يقول وما يفعل الإنسان الموكلان به بالكتابة والحفظ في سجل أعماله.



﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾: قعيد على وزن فعيل وقعيد صفة مبالغة، أي: ملازم مكانه لا يفارقه، ولم يقل: قاعدان، حذف الثاني لدلالة الأول عليه. قعيد واحد عن اليمن وواحد عن الشمال.

[١٨] ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾:

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ﴾: ما النافية، من استغراقية تشمل أي قول.

﴿قَوْلٍ﴾: قيل: يكتبان ما يؤجر عليه أو يؤزر عليه، أي: فقط الحسنات والسيئات. أو يكتبان كل ما يقوله أو يلفظه بلسانه من خير وشر.
﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾: لديه: ظرف مكاني، رقيب: يراقب قوله وعمله ويكتب ذلك ويمتاز بالعلم والإحاطة ولا يخفى عليه شيء، عتيد: عتيد بمعنى حاضر مهياً للكتابة سواء كانت خيراً أو شراً، ولا يغيب عنه إلا حين قضاء الحاجة أو الجماع أو العري.

رقيب عتيد: صفة لكل ملك، أي: كلاهما رقيب عتيد، ولا يعني أن أحدهما رقيب والآخر عتيد، كما يظن البعض؛ أحدهما موكل بكتابة الحسنات، والآخر موكل بكتابة السيئات.

[١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾:

المناسبة: بعد كتابة أقواله وأفعاله والاستمرار في ذلك حتى تأتي سكرة الموت.

﴿وَجَاءَتْ﴾: الواو استثنائية، جاءت: بصيغة الماضي كأنها جاءت وانتهت؛

لأنَّ الزَّمن عند الله سبحانه واحد الماضي والحاضر والمستقبل؛ لأنه سبحانه خالق الزمان والمكان.

﴿سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾: شدته وهوله التي تذهب بالعقل.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق والملازمة، والحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل. وهو ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة تعود على الموت واللام للبعد.

﴿مَا كُنْتُ مِنْهُ نَجِيذٌ﴾: المخاطب غير معين، أو الخطاب لكل سامع؛ كنت في الدنيا، تحيد: تفر منه وتهرب وتتجنب سماعه كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨].

[٢٠] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾:

وبعد سكرة الموت والبرزخ يأتي زمن النفخ في الصور، النفخة الثانية نفخة البعث والقيام.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: النافخ هو إسرافيل عليه السلام وينفخ في الصور: وهو القرن.

﴿ذَلِكَ﴾: النفخ في الصور يشير إلى يوم الوعيد يوم البعث يوم القيامة الوعيد الذي كانوا يوعدون.

﴿يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾: يوم العذاب الذي وعد الله الكفار به.

[٢١] ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾:

﴿وَجَاءَتْ﴾: من المجيء وفيه معنى المشقة والصعوبة وجاءت كل نفس في ذلك اليوم الذي: ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧].



﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾: مؤمنة أو كافرة.

﴿مَعَهَا سَائِقٌ﴾: الملك، قيل: هو الذي يكتب السيئات يسوقها إلى أرض المحشر.

﴿وَشَهِيدٌ﴾: قيل: الذي يكتب الحسنات، أو هو ملك واحد يسوقها ويشهد عليها. شهيد: صيغة مبالغة، أي: يعلم ظواهر وبواطن الأمور الخاصة بمن يشهد له أو عليه، ولم يقل شاهد؛ الذي هو أقل شهادة من الشهيد.

[٢٢] ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾: كنت في الدنيا المخاطب هنا المؤمن والكافر والفاجر والصالح كنت مشغولاً عن هذا اليوم أو غير مستعد له منهمكاً في ملذات الدنيا وشهواتها.

قال تعالى: في غفلة من هذا، ولم يقل: عن هذا، جاء بمن ابتدائية، أي: كان غافلاً من نفسه فهو مبدأ الغفلة، ولم يكن هناك ما يُغفله عن الموت؛ لأنه يرى الأموات كل يوم.

﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾: الفاء عاطفة تفيد المباشرة، فكشفنا لك عملك لتراه، أو أزلنا عنك الغفلة التي غطت عينيك في الدنيا. شبه الغفلة كأنها غطاء غطى بها حواسه. ارجع إلى سورة البقرة آية (٧٤) لمزيد من البيان في الغفلة.

﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: اليوم: يوم القيامة، لم تعد غافلاً، فهذا بصرك اليوم قوي وحاد تبصر به كل شيء كنت غافلاً عنه في الدنيا أو تنكره أو لا تصدقه. أي: يرفع ويكشف ذلك الغطاء غطاء الغفلة، كما يُرفع غطاء النوم عن الإنسان.

[٢٣] ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي﴾:

﴿وَقَالَ﴾: الواو واو الحالية للتوكيد.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾: القرين: يعني المصاحب، كما ورد في سورة الصافات آية (٥١) وهي قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ هذا من الإنس، وأما في سورة الزخرف آية (٣٦) وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الظَّالِمَاتِ لَعَنَ اللَّهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ فهذا القرين من الجن؛ أي: شيطانه في الدنيا الذي يُفِضُ له، والقرين: هو الصاحب الضار الذي لا خير فيه. وقد يكون من الجن أو من الإنس كما قلنا.

فيقول الشيطان:

﴿هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي﴾: هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب، ويشير إلى الكافر الذي أضله وأغواه، هذا ما أعددت له جهنم، وهيأته لها.

[٢٤] ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾:

الخطاب إلى الشاهد والسائق ألقيا (ألف التثنية).

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ﴾: هذا الكافر العنيد وأمثاله من الكفار، أو الخطاب إلى ملائكة النار، بإلقاء في النار كل للتوكيد.

﴿كَفَّارٍ﴾: صيغة مبالغة كثير الكفر أو شديد الكفر سواء كان كفر عقيدة أو جحوداً بالنعم.

﴿عَنِيدٍ﴾: صيغة مبالغة على وزن فاعيل كثير العناد معاند لا يقبل الحق وآيات ربه رافضاً له ومجادلاً بالباطل.



[٢٥] ﴿مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٌ﴾:

﴿مَنَاعٌ﴾: صيغة مبالغة من فعل منع على وزن فعال، أي: كثير المنع للخير وهو الشيء الحسن النافع من قول أو فعل، مثل: مناع للزكاة أو الصدقة أو المعروف.

﴿مُعْتَدٍ﴾: ظالم متجاوز حدود الله أو معتد على حقوق الآخرين أو عباد الله بيده ولسانه.

﴿مُرِيبٌ﴾: يشك في دين الله أو الحق ذي ريب، أي: شك وتهمة. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٢) وهي قوله تعالى: ﴿مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ﴾: نجد أن معتد مريب حالة تسبق معتد أثيم؛ أي: المعتد المريب يتحول إلى المعتد الأثيم.

[٢٦] ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾:

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد الذم والتحقير، ويعود على الكفار العنيد المناع للخير.

﴿جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾: أي: أشرك بالله بالإضافة إلى كل تلك الصفات الخمس الكفر والعناد والمناع والمعتد والمريب.

﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾: تكرار ألقياه تفيد التوكيد، والفاء للمباشرة، ألقياه في جهنم وفي العذاب الشديد.

﴿فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾: وهو نوع من أنواع العذاب في جهنم منها الشديد والعظيم والأليم والمهيمن.

[٢٧] ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ لَوْلَا كُنَّا فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾:

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ﴾: ولم يقل: وقال قرينه: حذف الواو تشير إلى أن



هناك مقالة محذوفة، وأن الكافر قال لما قال: ألقياه في العذاب الشديد قال: رب هو أظغاني وأضلني، فهو يحاول أن يجد له عذراً أو مبرراً لعدم إلقائه في النار، فيتهم قرينه الشيطان، فأجاب الشيطان (القرين) ربنا ما أظغيته ما النافية، أظغيته، أي: ما أوقعه في الطغيان (الكفر والشرك والعصيان).

﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾: في بعد عن الحق يصعب الرجوع عنه، أو تمادى في طغيانه وفساده وبعد عن الحق بنفسه، واستمر على ذلك حتى مات من دون توبة.

[٢٨] ﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾:

قال الرب سبحانه وتعالى عندما رأى كلاً من الكافر والقرين (الشيطان) يختصمان.

﴿قَالَ لَا﴾: لا الناهية.

﴿تَخْصِمُوا لَدَيَّ﴾: أي: عندي الآن، أو لا فائدة في اختصاصكم الآن.

﴿وَقَدْ﴾: الواو حالية تفيد التوكيد، قد للتحقيق والتوكيد.

﴿قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾: أي: أنذرتكم ذلك في الدنيا بإرسال الرسل وإنزال الكتب، الوعيد يكون بالعذاب غالباً مثال على الوعيد، فأما من طغى وأثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى، الوعيد: دائماً يكون في الشر، أما الوعد: فقد يكون في الخير أو الشر، الوعد المطلق يدل على الخير الوعد المقيّد قد يدل على الشر.

[٢٩] ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾:

﴿مَا﴾: النافية.



﴿يُبَدِّلُ الْقَوْلَ﴾: أي: يتغيّر أو يتحوّل، والقول هو لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين، أو ما يبدّل القول: أي: ما يبدّل ما قضيت أو حكمت أو يتغيّر وعدي.

﴿وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ﴾: ارجع إلى الآية (١٨٢) من سورة آل عمران.

[٣٠] ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾:

المناسبة: ما يبدّل القول لديّ في ذلك اليوم يوم نقول لجهنم: هل امتلأت، ونقول: هل من مزيد، أو اذكر لقومك الغافلين يوم نقول لجهنم: هل امتلأت، ونقول: هل من مزيد.

﴿يَوْمَ﴾: نكرة للتهويل والتّعظيم.

﴿نَقُولُ﴾: نون الجمع الدّالة على العظمة.

﴿لِجَهَنَّمَ﴾: اللام لام الاختصاص، جهنم: اسم من أسماء النّار مشتق من بُعد قعرها أو دركة من دركاتها، ارجع إلى سورة الرعد الآية (١٨).
﴿هَلِ﴾: للاستفهام.

﴿امْتَلَأَتْ﴾: والله سبحانه يعلم هل امتلأت أم لم تمتلئ، وإنما يذكر ذلك للتحذير والترهيب والإنذار من جهنم التي وقودها النّاس والحجارة.

﴿وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾: هذا السّؤال يطرح على جهنم بعد أن يدخلها أهلها من الإنس والجن، فننطق جهنم وتجبب السّائل هل: استفهام فيه معنى التّهويل والتّعظيم، هل من مزيد لها ثلاثة معانٍ: لم أمتلئ بعد، هل من مزيد أو هل هناك أكثر من هؤلاء الذين دخلوا فيها لفرط كثرتهم، أو تعني امتلأت وانتهى الأمر.

[٣١] ﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾:

﴿وَأَزَلَّتْ﴾: الواو استئنافية، أزلفت: أدنيت وقُربت.

﴿الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، أي: قُربت الجنة للمتقين حتى يرونها قبل أن يدخلوها.

﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: وينظرون إليها من قُرب، ينتظرون دخولها بشوق وتلهف.

[٣٢] ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ﴾:

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب يشير إلى الجنة التي أزلفت لهم.

﴿مَا﴾: الذي توعدون أو مصدرية.

﴿تُوْعَدُونَ﴾: أي: وعدتم أو وعدناكم وأنتم في الدنيا، والوعد يكون غالباً في الخير، توعدون بصيغة المضارع حكاية الحال لاستحضار الحالة أمام السامع، فكانه يراها لعظم المشهد.

ارجع إلى الآية (٢٨) من نفس السورة.

﴿لِكُلِّ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، كل تفيد التوكيد.

﴿أَوَّابٍ﴾: من أب؛ أي: رجع إلى ربه، أو رجع عن المعصية، وأواب تعني: كثير الرجوع إلى الله والتوبة أو سريع التوبة والإنابة إلى الله تعالى في كل الأوقات سواء أكانت الإنابة صادرة عن ذنب، أم بغير ذنب، وتعني: سرعة الإقبال على الله بعد كل قول وفعل.

﴿حَفِيفٍ﴾: محافظ على حدود الله وشرائعه وأوامره ونواهيه. والممسك عما حرم الله تعالى.



[٣٣] ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾:

تتمة للآية السابقة الأواب الحفيظ من خشي الرحمن بالغيب، وجاء بقلب منيب.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية للمفرد والمثنى والجمع وللعاقل، وهي اسم موصول بمعنى الذي.

﴿خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾: الخشية هي الخوف مع التعظيم والتوقير.

الرحمن: ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٣) وسورة الفرقان آية (٢٦) للبيان. بالغيب: الباء للإلصاق والملازمة بالغيب، أي: إذا غاب عن أعين الناس، أو خلا بنفسه، ويخشى الله تعالى في العلن أمام الناس أيضاً؛ ارجع إلى سورة ياسين آية (١١) لمزيد من البيان في الغيب.

﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾: قلب سريع التوبة، وكثير الرجوع إلى طاعة الله (كثير الإنابة) أي: المقبل على الله تعالى جاء بقلبه المنيب يوم القيامة لملاقاة ربه، وهناك فرق بين القلب المنيب، والقلب السليم؛ السليم: هو المطيع الخالي من كل مرض مثل الشك والنفاق والريبة والتردد.

[٣٤] ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾:

﴿أَدْخُلُوهَا﴾: أي: الجنة.

﴿بِسَلَامٍ﴾: أي: تحية من الله وملائكته وعباده المؤمنين، وبسلام تعني: من العذاب ومن زوال النعم ومن كل خوف وحزن وموت، وسلام يعني: الأمن والطمأنينة.

بسلام: الباء للإلصاق: أي: الملازمة ملازمة السلام فلا ينفك عنهم.

﴿ذَلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد والتعظيم ويشير إلى يوم الخلود.

﴿يَوْمَ الْخُلُودِ﴾: الخلود هو استمرار البقاء من وقت مبتدأ، أي: من زمن دخولها، أما الفرق بين الخلود والدوام، فالدوام استمرار البقاء في كل الأوقات ليس هناك بداية أو نهاية، أما الخلود فيعني الدوام، ولكن فيه بداية تبدأ من زمن الدخول وليس له نهاية.

[٣٥] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾:

﴿لَهُمْ﴾: لأهل الجنة، اللام لام الاختصاص والاستحقاق لهم خاصة.

﴿مَا﴾: بمعنى الذي أو مصدرية. وهي أعم وأشمل من الذي.

﴿يَشَاءُونَ فِيهَا﴾: أي: لهم في الجنة ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين من النعيم والخيرات وكل ما يخطر على البال.

﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: لدينا من النعيم والخيرات ما لم يخطر على البال والعقل أيضاً، ومن أعظم المزيّد هو رضوان الله تعالى، ومن أعظم النعيم لذة النظر إلى وجهه الكريم سبحانه وتعالى.

لنقارن هذه الآية (٣٥) من سورة (ق) وهي قوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ آخر (فيها).

والآية (١٦) من سورة الفرقان، وهي قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾: قدّم (فيها).

فيها تعني الجنة قدّم (فيها) في آية الفرقان؛ لأنّ الحديث أو السياق عن الجنة، وليس أهل الجنة، أما السياق في آية (ق) في أهل الجنة أنفسهم، وليس الجنة بحدّ ذاتها، ولذلك أخرها.





سُورَةُ الدَّارِ الْآخِرَةِ ٥١

الجزء الثاني من التفسير

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي
الْبَلَدِ هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن كَانَ
لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِنْ لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَادْبُرَ النُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ
﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ
عَنَّهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْنَا الْقُرْءَانِ مِن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الدَّارِ الْآخِرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِبِ ذَرَأًا ﴿١﴾ فَالْحَمَلِ وَاقْرَأَ ﴿٢﴾ فَالْجَرِيدِ يُسْرًا ﴿٣﴾
فَالْمُقْسِمِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوْ فُقِعُ ﴿٦﴾

سورة ق [الآيات ٣٦ - ٤٥]

[٣٦] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْإِلْدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾: الواو استئنافية، كم الخبرية تفيد الكثير، أي: أهلكنا الكثير من القرون.

﴿قَبْلَهُمْ﴾: قبل كفار قريش، ولم يقل: من قبلهم: أي: قريباً. أما قبلهم فلا تحدد زمن فقد يكون قريباً أو بعيداً.

﴿مِّنْ قَرْنٍ﴾: من استغراقية، القرن: أهل كل عصر، والقرن يقدر بـ (١٠٠) عام.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾: البطش: الأخذ بقوة وعنف، أي: أهلكنا قبل كفار قريش من هم أشد منهم قوة مثل قوم عاد وثمود.

﴿فَنَقَّبُوا فِي الْإِلْدِ﴾: طافوا وفتشوا في البلاد كثيراً بحثاً عن نقب أو نقوبها للهروب من عذاب الله فلم يجدوا، ونقب: أحدث خرقاً أو نقباً أو للدخول فيه والنجاة، الفاء: فاء السببية.

﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾: هل للاستفهام الإنكاري، من استغراقية، محيص:



مهرب، هل وجدوا لهم مهرباً أو ملجأ الجواب لا، محيىص: من حاص، أي: عدل عن الطريق وهرب.

[٣٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾:

هناك من قال أن هذه الآية هي جواب القسم لقوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنُ الْمَجِيدُ﴾ [آية: ١]، ومنهم من قال غير ذلك؛ ارجع إلى الآية (١) لمزيد من البيان. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: إن للتوكيد، في ذلك: اسم إشارة يشير إلى إهلاك الأمم السابقة القوية قبلهم.

﴿لَذِكْرٍ﴾: اللام لام التوكيد، ذكرى: تذكرة.

﴿لِمَنْ﴾: اللام للتوكيد، من: اسم موصول بمعنى الذي، من: للمفرد والمثنى والجمع والعامل. أي: الذي يأتي بعدهم. ﴿كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾: أي: عقل يفقه به ويتفكر.

﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾: أي: استمع سماع هداية، أي: أصغى بعناية إلى ما ينفعه ويستفيد منه.

﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: وهو: يفيد التوكيد، وهو شهيد: حاضر القلب والعقل.

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾:

سبب نزول هذه الآية: قالت اليهود: خلق الله السموات والأرض في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة، ثم استراح في اليوم السابع، ويسمونه يوم الراحة، فأنزل الله تكذيبهم فيما قالوه.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: ولقد: الواو استئنافية، لقد: اللام لام التوكيد، قد للتحقيق، خلقنا السموات والأرض وما بينهما: ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٣٠) وسورة فصلت آية (٩-١٢) لبيان معنى خلق السموات والأرض.

﴿وَمَا مَسَّنَا﴾: ما: النافية؛ المس: أقلّ اللمس.

﴿مِنْ لُغُوبٍ﴾: من استغراقية، لغوب: الشّعور بالفتور الذي يكون نتيجة النَّصب، النَّصب: التعب البدني، وقيل: اللغوب الإعياء النفسي؛ للدلالة على عظمة قدرته تعالى.

[٣٩] ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾: الفاء للتوكيد، اصبر على ما يقولون: الخطاب إلى رسول الله ﷺ، على ما يقولون إنك ساحر أو إنك كاهن أو إنك مجنون. وغيره من الافتراءات.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: سبّح: التسبيح هو تنزيه الخالق عما لا يليق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله من كل نقص وعيب وشريك وولد والتسبيح قد يعني: الصلاة، أي: صلّ لله تعالى حامداً إياه قبل طلوع الشمس وقبل الغروب أو صلّ لله تعالى ولا تنس حمده.

﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: قيل: صلاة الفجر.

﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾: قيل: صلاة الظهر وصلاة العصر. والتسبيح: قد يكون



ذكر الله والقول: سبحانه الله، أو سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم، وفي سورة طه آية (١٣٠) قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾. [٤٠] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ﴾:

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾: أي: صلّ صلاة المغرب والعشاء (صلّ العشاءين) أو سبحه التسبيح العادي، الفاء للتوكيد.

﴿وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ﴾: أي: سبحه عقب الصلوات، أي: عقب أو بعد أو دبر كل صلاة أي: بعد انقضائها.

وفي سورة الطور آية (٤٩) قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ أي: عقب أو دبر أو بعد اختفاء النجوم. ارجع إلى سورة الطور آية (٤٩) لمزيد من البيان.

[٤١] ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾:

﴿وَأَسْمِعْ﴾: ولم يقل: واسمع استمع تعني: بقصد نية واهتمام وجند كل حواسك وعقلك لما تسمع في ذلك اليوم، واستمع فيها معنى التشويق لما سيسمع.

يوم ينادي المناد: يوم نكرة للتهويل والتعظيم والمناد نكرة أيضاً، قيل: هو إسرافيل، واليوم هو يوم البعث أو القيامة.

والنداء لم يذكر ما هو.

من مكان قريب: والمكان مجهول أيضاً، للتهويل ويسمعه كل واحد.



[٤٢] ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾:

حتى يسمعوها الصيحة لا بُدَّ أن تبعث الحياة فيهم مرة أخرى وهم في القبور
ويصبح القبر حينذاك جدثاً، وبعد ذلك يخرجون من قبورهم، يوم: نكرة للتعظيم
والتهويل، ويعني: يوم البعث.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ﴾: أي: النفخة الثانية نفخة البعث. حين ينفخ إسرافيل
في الصور.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء للإصاق بالحق الأمر الثابت الذي لا يتغير.

ذلك: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾: الخروج من الأجداث، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ
سِرَاعاً أَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِصُونَ﴾: [المعارج: ٤٣].

وكقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُم تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥].

وكما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ
يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ
مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ».

في حديث رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وغيره، عن أوس بن أوس
قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ
وَفِيهِ الصَّعْقَةُ».

[٤٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.



﴿نَحْنُ﴾: للتوكيد، توكيد العظمة والقدرة.

﴿نَحْيٍ وَنُيُتٍ﴾: في الحياة الدنيا.

﴿وَالْيَنَّا﴾: تقديم إلينا تفيد الحصر.

﴿الْمَصِيرُ﴾: مصدر ميمي لفعل صار، ومعنى صار يعني: الانتقال والتحول من حال إلى حال، أي: إلى الله المنتهى والمآل.

[٤٤] ﴿يَوْمَ تَشَقُّوْا الْأَرْضُ عَنْهُمْ سَرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾:

﴿يَوْمَ تَشَقُّوْا الْأَرْضُ﴾: يوم ظرف زمان وجاء بصيغة النكرة: للتهويل والتعظيم، ويعني: يوم البعث. يوم الخروج من الأجداث، تشقق الأرض: الأرض الجديدة: تنتفخ وتتصدع عنهم، تشقق بفتح التاء وتشديد الشين وأصلها تشقق أدغمت التاء الثانية في الشين وقلبت إلى شين.

﴿سَرَاعًا﴾: أي: يخرجون سراعاً، أي: مسرعين إلى الداع. سراعاً: جمع

سريع.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد.

﴿حَشْرٌ﴾: هو السوق والجمع.

﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾: تقديم علينا للحصر، يسير: هين.

[٤٥] ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾:

في الآية (٣٩) من نفس السورة قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾. وفي هذه الآية يقول تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ كفار قريش وغيرهم من الأقاويل سراً

وعلناً مثل قولهم شاعر، ساحر، كاهن مجنون مفتر، يعلمه بشر أساطير الأولين. يقولون، ولم يقل: قالوا؛ لتدل على تكرار قولهم وتجذده واستمراره وفيها تهديد ووعد.

﴿يَمَّا﴾: الباء للإلصاق، (ما) تعني: الذي و(ما) أوسع شمولاً.

﴿وَمَا أَنْتَ﴾: (ما) النافية، أنت: الخطاب إلى رسول الله ﷺ.

﴿عَلَيْهِمْ يَجْبَارُ﴾: جبار صيغة مبالغة من جبر: وجبره على الأمر: قهره عليه، أي: أنت لم تبعث لتجبرهم على الإسلام أو الإيمان. كقوله تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢]. ارجع إلى سورة مريم آية (١٤) لمزيد من البيان في جبار.

﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾: أي: إنما أنت مذكر فقط، فذكر بالقرآن:

الفاء لربط السبب بالمسبب؛ فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي من المؤمنين.

من: ابتدائية، يخاف وعيد: ارجع إلى الآية (٢٨) من نفس السورة.





سُورَةُ الدَّارِ الْآخِرَةِ ٥١

سُورَةُ الدَّارِ الْآخِرَةِ

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي
الْبَلَدِ هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ
لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَادْبِرَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ
﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ مُخِيٍّ وَنُخِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ
عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ ﴿٤٤﴾ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ أَنْ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الدَّارِ الْآخِرَةِ
أَنبَأَهَا ٥١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ ذَرَوْا ﴿١﴾ فَأَلْحَمَلَتْ وَقَرَأَ ﴿٢﴾ فَأَلْجَرِيَتْ يُسْرًا ﴿٣﴾
فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوْ فُقِئُ ﴿٦﴾

سورة الذاريات [الآيات ١ - ٦]

ترتيبها في القرآن (٥١) في النزول (٦٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالَّذَرِيَّتِ ذَرَّوْا﴾:

الواو واو القسم. والله سبحانه لا يقسم إلا بشيء مهم وعظيم، وهو سبحانه غني عن القسم، ويشير القسم عادة إلى أهمية الأمر المقسم به وجواب القسم. ﴿وَالَّذَرِيَّتِ﴾: أي: الرياح جمع ذارية مؤنث الذاري اسم فاعل من ذرا. تشمل الرياح أو الريح، وهي جند من جنود السموات والأرض، فالرياح (الريح اللينة) في القرآن تأتي في سياق الخير والرحمة، وأما الريح في القرآن فتأتي في سياق الهلاك والدمار والشر، وتسمى أحياناً الريح العقيم أو العاصفة أو الصرصر، وسميت بالذاريات؛ لأنها تذر التراب والرمل، وكما قال تعالى: ﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ (٤١) مَا نَذِرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿[الذاريات: ٤١ - ٤٢] (ذرواً) مصدر يفيد التوكيد من فعل ذرا: فرق أو انتشر.

[٢] ﴿فَالْحَمِيلَاتِ وَقَرَأَ﴾:

الفاء: عاطفة، والصفات المعطوفة بالفاء تكون لموصوف واحد، وأما العطف بالواو كما لو قال تعالى: والحاملات وقراء؛ لدل ذلك على تغاير الذات (الصفات)؛ أي: الذاريات غير الحاملات كما ذكر الألوسي؛ الحاملات وقراء: الحاملات: أي: الرياح التي تحمل السحب الركامية التي قد تمتد وترتفع في السماء عشرات، بل مئات الكيلو مترات، وقراء: الحمل الثقيل (وهي السحب الركامية) التي تحمل ماء المطر، وهو الوقر: بكسر الواو، وسكون القاف: هو الحمل الثقيل من الماء المقدر بمئات وآلاف الأطنان، وهناك الوقر: بفتح الواو، وسكون القاف: وهو الثقل في السمع أو الأذن.



والحاملات وقرأ: آية أخرى من آيات الله تعالى أو جند من جنود السموات والأرض يقسم الله بها لأهميتها في حياة الناس. وهذه هي الوظيفة الثانية للرياح حمل السحب الركامية.

[٣] ﴿فَالْجُرَيْدَتِ يُسْرًا﴾:

وهذه هي الوظيفة الثالثة للرياح.

الفاء عاطفة تعود على الرياح. ارجع إلى الآية السابقة.

الجاريات: جمع جارية: أي: الفلك، أي: السفن التي تجري على سطح الماء في البحار والمحيطات، وفي الآية (٢٤) من سورة الرحمن قال تعالى: ﴿الْجَوَارِ الْتُنَشَّاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾، وفي الآية (٣٢) من سورة الشورى قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾، فما الفرق بين الجاريات والجوار؟ فالجاريات من حيث اللغة: يراد بها الوصف، والجوار: يراد بها الاسم؛ ارجع إلى سورة إبراهيم آية (٣٢) للتعليل العلمي لجريان الفلك على سطح الماء. وتوربينات الرياح التي تولد الطاقة الكهربائية.

يسراً: جرياً بسهولة أي: يسر ومن دون كلفة. وكما قال تعالى: ﴿رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٦٦].

[٤] ﴿فَالْمُقَسَّمَتِ أَمْرًا﴾:

وهذه هي الوظيفة الرابعة للرياح.

الفاء عاطفة تعود على الرياح المقسمات جمع المقسمة اسم فاعل من الفعل الرباعي قَسَمَ.

الرياح المقسمة للأرزاق مثل الرياح اللواقح التي تحمل هباءات الغبار لتلقح بها السحب التي تسبب المطر الذي نشرب منه، والذي ينبت به الزرع والزيتون والنخيل، ومن كل الثمرات.

وقيل: المقسمات أمراً: الملائكة: لأنها تقسم الأرزاق، أو تقسم المطر أو الرزق بين العباد.

[٥] ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾:

جواب القسم.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿تُوعَدُونَ﴾: البعث وكل ما وعد الله به من خير وشرٍّ وثواب وعقاب وجنة

ونار.

﴿لَصَادِقٌ﴾: السلام لام التوكيد. صادق: حق والحق هو الأمر الذي لا يتغير ولا يتبدل. وفي الآية (٧) من المرسلات قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾، وفي الآية (١٣٤) من سورة الأنعام قال تعالى: ﴿إِنَّ مَاتُوا وَعَدُونَ لَأَنَّا﴾، فآية الذاريات: جاءت في سياق الآخرة والحساب لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَوَاقِعٌ﴾، وأما آية المرسلات جاءت أيضاً في سياق الحساب والآخرة، وأما آية الأنعام فقد جاءت في سياق الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا اللَّهَ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ [آية: ١٣٦] في سياق الدنيا، ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ (في الآخرة) في سياق الآخرة، وإذا نظرنا إلى كلمة (وإن ما) في آية الأنعام: نجدها مركبة من (إن+ ما)، أو فصلت (إن) عن (ما)، بينما في آية الذاريات والمرسلات نجدها كلمة واحدة (إنما).

[٦] ﴿وَالَّذِينَ لَوَاقِعٌ﴾:

معطوفة على جواب القسم السابق.

﴿وَالَّذِينَ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ﴾: الجزاء والحساب.

﴿لَوَاقِعٌ﴾: اللام لام التوكيد، واقع حاصل لا محالة.



سورة الحديد

سورة الحديد ٥١

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۖ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَن
 أَفَكَ ﴿٩﴾ قَتَلَ الْخَرَّصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾
 يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۖ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٢﴾ ذُوقُوا
 فَتَنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
 وَعُيُونٍ ﴿١٤﴾ ءَاخِذِينَ مَاءً اتَّهَمُ بِهِمُ أَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ
 ﴿١٥﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٦﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ
 ﴿١٧﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٨﴾ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ
 لِّلْمُوقِنِينَ ﴿١٩﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ
 وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢١﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ
 تَنْطِقُونَ ﴿٢٢﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٣﴾
 إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَرَاغَ إِلَى
 أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٥﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ
 ﴿٢٦﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ
 ﴿٢٧﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَةٍ فَفَصَّكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجْزٌ عَقِيمٌ
 ﴿٢٨﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٢٩﴾

سورة الذاريات [الآيات ٧ - ٣٠]

[٧] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾:

الواو واو القسم. ولا يقسم الله سبحانه إلا بشيء عظيم وهي السماء ذات الحبك.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾: أي: السماء ذات البنيان المحكم. ذات الترابط الشديد والانضباط الدقيق، والمتباعدة الكثافات بسبب تعدد الأجرام السماوية كالنجوم المختلفة في الكثافة والطاقة والكواكب والأقمار، فهذه الأجرام مرتبطة بقوة الجاذبية التي تشد الجرم الصغير إلى الجرم الكبير، وكذلك بقوة الطرد المركزي التي تدفع الجرم الصغير بعيداً عن النجم الكبير. فالسماء ذات الحبك تعني ذات الشموخ لاختلاف الكثافات والقوى الجاذبة وقوى الطرد.

[٨] ﴿إِنكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾:

﴿إِنكُمْ﴾: للتوكيد والخطاب أهل مكة وغيرهم.

﴿لَفِي﴾: اللام للتوكيد، في: ظرفية.

﴿قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾: متناقض متضارب بشأن رسول الله ﷺ ساحر شاعر مجنون كاهن مفتر، أو بشأن القرآن تقولون: هو سحر أو شعر أو افتراء، أو أساطير الأولين، أو ليس هناك حشر ولا حساب ولا بعث أو تقولون أن الله هو الذي خلق السموات والأرض وخلقكم، ثم تعبدون غيره، أو تقولون: إن محمداً الصادق الأمين، ثم تكذبون به ولا تصدقونه.



[٩] ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ﴾:

﴿يُؤْفِكُ﴾: يصرف عنه من أفك: صرف فالأفك نوع من الصرف والتحويل؛ أي: الكذب، وهاء الضمير تعود للقرآن أو الرسول أو الدين. إذن الإفك هو صرف الشيء عن مساره الذي يجب أن يكون عليه. والإفك: نوع من الكذب.

﴿مَنْ أَفَكَ﴾: من أفك (كذب) من قريش أو غيرهم من الكفار أو يصرف عنه من كذب من قريش أو الناس أو من هو أفاك كذاب.

[١٠] ﴿قُتِلَ الْخَرَّصُونَ﴾:

﴿قُتِلَ﴾: دعاء عليهم باللعن؛ أي: لعن الخراصون: ومن لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك.

﴿الْخَرَّصُونَ﴾: جمع خراص من الفعل خرص بمعنى خمن أو حزر، الخرص هو التخمين والحزر من دون علم ودليل وحقيقة، وقد يعني: الكذب. أي: لعن الكاذبون الذين قالوا: إن القرآن سحر أو محمد ساحر أو افتراه، أو هو أساطير الأولين، وغيرها من الأكاذيب.

[١١] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد دنو منزلتهم.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾: في ظرفية مكانية، غمرة: ما ستره الشيء وغطاه وغمرة، السهو: عدم تذكر الشيء مع أن صورته موجودة في منطقة التذكر. فالسهو عدم التفطن للشيء بسبب انشغال النفس، وأما الغفلة فهي أعم من السهو.

﴿سَاهُونَ﴾: عما أمروا به، ساهون تدل على أن صفة السهو ثابتة عندهم
 لن تتغير، أي: هم في عمى وجهالة بأمر الآخرة وساهون عنها.
 [١٢] ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾:

﴿يَسْأَلُونَ﴾: سؤال استهزاء واستنكار، أيان: ظرف زمان مبهم، ويستعمل في
 الأمور العظام والتفخيم، ويستعمل في الاستفهام بالمستقبل، ويوحى بالتراخي
 في الزمن بخلاف متى: التي تستعمل في الماضي والمستقبل والأمور العامة.
 يسألون: بصيغة المضارع التي تدل على التكرار والتجدد.

﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾: متى يوم الحساب أو قيام الساعة وجواب السؤال محذوف
 للتعظيم والتهويل.

[١٣] ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارٍ يُفْتَنُونَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان تقديره يوم يأتي.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد على النار.

﴿يُفْتَنُونَ﴾: مشتق من الفتنة وأصلها عرض الذهب على النار للتخلص
 من الشوائب إذن يفتنون يحرقون ويعذبون ويفتنون تدل على التكرار والتجدد
 والاستمرار.

[١٤] ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾:

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾: أي: ذوقوا عذاب الحريق: (النار).

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب ويشير إلى العذاب.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يدل على شيء محدد وهو العذاب.

﴿كُنْتُمْ بِهِ﴾: أي: في الدنيا.

﴿سَتَعْلَمُونَ﴾: تقولون ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ أَلْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَةً مِنَ السَّمَاءِ وَأَثْنًا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] في هذه الآية شبه العذاب بطعام يؤكل، وحذف كلمة الطعام وأبدلها بكلمة الذوق، التي تفيد أن العذاب سوف يطول كل عضو من أعضائه كما يصل الغذاء إلى كل عضو.

[١٥] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الْمُتَّقِينَ﴾: جمع متقٍ، وهو الذي أطاع أوامر الله وتجنب نواهيه.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿جَنَّاتٍ﴾: جمع جنة، وهي البساتين والحدائق الغناء، جنات الفردوس والنعيم وعدن وجنات المأوى ودار السلام والخلد.

﴿وَعُيُونٍ﴾: جمع عين وتعني: عيون الماء والتسليم والكافور والسلسيل والزنجبيل، وعين قد تجمع على أعين، وتعني التي نبصر بها.

إذن عيون في القرآن تعني: عيون الجنة وأعين تعني: التي نبصر بها وترى الأشياء، وفي الآية (١٧) من سورة الطور قال تعالى: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾: هذا جاء في سياق المتقين، وجنات وعيون في سورة الذاريات جاءت في سياق المحسنين، وهم أعلى درجة من المتقين.

[١٦] ﴿ءَاخِذِينَ مَاءَ أَنْهَامِ رَبِّهِمْ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾:

﴿ءَاخِذِينَ﴾: راضين.

﴿مَاءَ أَنْهَامِ رَبِّهِمْ﴾: ما اسم موصول بمعنى الذي، أتاهاهم ربهم: من الجنات والقصور والحدور العين والطعام والشراب. و(ما) أوسع شمولاً من (الذي)

وأكثر إيهاماً تقع على كل شيء، وفي الآية (١٧) من سورة الطور قال تعالى: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾، وهذا ليس بتكرار ما جاء في آية الذاريات يدل على السبب وهو أنهم كانوا قبل ذلك محسنين، وما جاء في آية الطور يدل على الثواب الذي ينالوه في الآخرة.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾: أول صفة.

﴿إِنَّهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾: أي: في الدنيا.

﴿مُحْسِنِينَ﴾: جمع مُحسن. تعليل لاستحقاقهم هذا الإتياء الجنت والعون هو إحسانهم في الدنيا.

ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٢) لبيان معنى الإحسان.

[١٧] ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾:

هذه ثاني صفة للمحسنين.

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾: كانوا: في الدنيا وخص الليل؛ لأنه وقت الراحة والسبات.

﴿مَا﴾: للتوكيد.

﴿يَهْجَعُونَ﴾: ينامون، الهجوع النوم القليل.

[١٨] ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾:

هذه هي الصفة الثالثة للمحسنين.

﴿وَبِالْأَسْحَارِ﴾: الباء ظرفية زمانية، جمع سحر، وهو الجزء الأخير من الليل.



وتخصيص الأسحار بالاستغفار؛ لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة، والعبادة فيها أصفى وأشق.

﴿هُم﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾: من الاستغفار لذنوبهم والمغفرة تعني: ستر الذنب وترك العقوبة والثواب على العمل الصالح سواء كان استغفار إنابة (من دون ذنب)، أو استغفار لذنب؛ يستغفرون بصيغة المضارع لتدل على التجدد والتكرار.

[١٩] ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾:

وهذه هي الصفة الرابعة للمحسنين.

﴿وَفِي﴾: الواو عاطفة، في الظرفية.

﴿أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾: قيل: ليست الزكاة المفروضة، وإنما الصدقات والنوافل؛ لأن هذه الآية مكية نزلت قبل فرض الزكاة بالمدينة، والحق هنا قد يعني: زيادة عن الزكاة، ولم يقل سبحانه في هذه الآية: (حق معلوم)، كما ورد في سورة المعارج آية (٧٩) والحق المعلوم يعني: الزكاة.

﴿حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾: تقرباً إلى الله تعالى، للسائل: اللام لام الاختصاص والاستحقاق والسائل من يسأل الناس لفاقة، أي: لفقره، والمحروم: الذي يتعفف عن السؤال يظنه الناس غنياً، وسُمي المحروم، أو لأنه يُحرم الصدقة من كثير من الناس.

ثم يذكر الله سبحانه عدد من الآيات الكونية وآيات خلق الإنسان الدالة على عظمته وقدرته، وأن الله هو الإله الحق الواحد الأحد الذي يجب أن يُعبد.

[٢٠] ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾:

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾: دلائل كونية وبراهين دالة على قدرته ووحدانيته،
ومنها:

خلق الأرض، وإخراج الماء والمرعى منها. ودورانها حول الشمس،
ونسبة اليابسة إلى الماء.

وإحياء الأرض بعد موتها وكيف تهتز وترى بعد نزول المطر بعد ما كانت
خاشعة أو ميتة.

والحدائق والأشجار والنخيل والأعقاب وكل الثمرات.

والزلازل والبراكين ودوران الأرض بسرعة تقدر بـ (٣٠ كيلو متر/ بالثانية)،
وعدم الشعور بذلك الدوران، وجعلها كالمهد.

﴿لِلْمُوقِنِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، أي: آيات تنفع الموقنين ليزدادوا
إيماناً مع إيمانهم.

أو يقيناً مع يقينهم، والموقنون: جمع موقن. والموقن اسم فاعل من فعل
أيقن.

ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لبيان معنى اليقين ودرجاته.

[٢١] ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾:

من آيات الخلق والنشأة والتطور والحركة والسمع والبصر والأفئدة وعمل
الجوارح والنوم واليقظة والحركة وغيرها.

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتقريري، والفاء تدل على التوكيد،
ألا: أداة حصر وتنبيه وأمر، أي: أبصروا ذلك.



﴿بُصِرُونَ﴾: تنظرون في الدلائل والآيات بصيغة المضارع لتدل على ضرورة إعادة البصر والتجدد والتكرار، تبصرون: رؤية فكرية قلبية (رؤية بصيرة).
[٢٢] ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾:

﴿وَفِي﴾: ظرفية.

﴿السَّمَاءِ﴾: تعريفها: هي كل ما علاك تشمل السحاب والسموات السبع وما فيهن.

﴿رِزْقُكُمْ﴾: لنعلم أن كل ما نحتاجه من صور المادة والطاقة يخلقه لنا ربنا في صفحة السماء، وينزله إلى الأرض بالقدر المعلوم، فدورة الماء حول الأرض بخار، سحاب، ثم مطر من أنواع الرزق، والطاقة الحرارية الآتية من الشمس رزق، والحديد الذي أنزل من السماء عن طريق تفجّر الشهب والنيازك رزق، وكذلك غاز الهيدروجين الداخِل في تشكيل نويات كثيراً من الأطعمة والأشربة من الرزق والرياح من الرزق، والجنة وما فيها رزق للمؤمنين في الآخرة.

﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾: ما: اسم موصول أوسع شمولاً من الذي ويشمل كل شيء. توعدون من البعث والجزاء والثواب (الجنة) أو العقاب (النار) وكذلك ما توعدون من الخير والشر من الصواعق والرعد والبرق، والرزق.

[٢٣] ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مَثَلِ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾:

﴿فَوَرَبِّ﴾: الفاء عاطفة، ورب: واو القسم. ويقسم الله سبحانه بربوبيته ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: خالق السماء والأرض ومدبرهما ومالكهما وحاكمهما، السماء: تشمل السموات السبع وكل ما يعلو الإنسان.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿لَحَقُّ﴾: اللام لزيادة التوكيد، أي: ما ذكر من الآيات والرِّزق وما توعدون من البعث والحساب والجزاء حق وصدق ثابت لا يتغيَّر، أي: لا يكون غير ذلك. ﴿مَا﴾: لزيادة التوكيد.

فانظر إلى توكيد هذا القسم باستعمال (إن) و(اللام) و(ما) كلها أدوات تؤكِّد هذا الخبر الذي ينكره الإنسان.

﴿إِنَّهُ، لَحَقُّ مَثَلِ مَا أَنْتُمْ نَطِقُونَ﴾: وكل ما ذكر وما يذكره الله سبحانه هو حق فلا تكونوا من الممترين، تنطقون: تدل على التَّجَدُّد والتَّكرار.

﴿مَثَلِ مَا أَنْتُمْ نَطِقُونَ﴾: أي: إن كل ما توعدون من البعث والحساب والجزاء وغيره حق مثل ما تنطقون أو مثل نطقكم الذي لا تنكرونه أبداً، أو إنه لحق كما حق أن يكون الإنسان خلقاً ناطقاً.

[٢٤] ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾:

﴿هَلْ﴾: للاستفهام والتشويق.

﴿أَنْتَ﴾: يا محمد ﷺ خطاب للنبي ﷺ.

﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾: ضيف مصدر يطلق على الواحد والاثنين والجماعة؛ أي: ضيوف إبراهيم، وسَمَّاهم ضيفاً؛ لأنهم جاؤوا في صورة الضيف أو نزلوا ضيفاً على إبراهيم، وقيل: كانوا ثلاثة من الملائكة أو أكثر، والله أعلم بذلك، ومما يدل على أنهم أكثر من واحد (قيل: كانوا ثلاثة) قوله تعالى: (المكرمين) الدالة على الجمع.

﴿الْمُكْرَمِينَ﴾: أي: هم مكرمون عند الله تعالى، بالجاه والشرف والقرب



من الله مكانة، وكان من بينهم جبريل ﷺ، أضياف مكرمون: لأن إبراهيم وامرأته بأنفسهما أكرم موهم. والمكرمون تعني: الأعراف.

[٢٥] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرفية زمانية بمعنى: واذكر حين دخلوا على إبراهيم في داره.

﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾: الفاء للمباشرة، سلاماً جملة فعلية تفيد التجدد والتكرار.

﴿قَالَ سَلَّمَ﴾: جملة اسمية تفيد الثبوت. أي: وعليكم سلام أو أجابهم بقوله: سلام. والجملة الاسمية أقوى من الجملة الفعلية وهذا يناسب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَةٍ فَمَحْيَا أَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦] أي: رد إبراهيم على تحيتهم بتحية أحسن من تحيتهم.

﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾: أي: قال إبراهيم سلام، قوم منكرون: تعني من أنتم حياكم الله أو من أين أنتم حياكم الله، أو قال في نفسه: هؤلاء قوم غرباء لا نعرفهم.

[٢٦] ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾:

﴿فَرَاغَ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، راغ: ذهب بخفيه وبحيله حتى يكرمهم، وأراد أن لا يظهر لهم أنه سيقوم بذلك، وهذا من مظاهر الكرم عند العرب أن يبادر المضيف بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذراً من أن يكفه ويعذره من تحضير الطعام.

فراغ: مشتقة من راغ الثعلب روغاً وروغاناً ذهب يمته ويسرة في سرعة وخديعة، فهو لا يستقر في جهة واحدة.

﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾: لم يذكر مراحل الذبح والشوي؛ أي: التحضير.

﴿فَجَاءَ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب.

﴿يَعْجَلِ﴾: الباء للإلصاق.

﴿سَمِينَ﴾: بينما في سورة هود ﴿فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيزٍ﴾ [هود: ٦٩] مشوي الذي يقطر الدهن منه، سمين: ممتلئ لحماً وشحماً (يدل على كرم إبراهيم ﷺ). أما حنيز: فيدل على كيفية تحضيره.

[٢٧] ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾:

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾: الفاء للتعقيب والترتيب، قربه إليهم: قدمه إليهم ليأكلوا منه.

﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾: ألا: أداة حصر وحث، أي: تفضلوا وكلوا، والهمزة استفهام إنكاري لما لا تأكلون؛ حيث رأى أيديهم لا تصله إليه: أي: لا تمتد إليه لتأكل منه؛ لأنهم ملائكة لا يأكلون، وهو إلى الآن لا يعرف أنهم ملائكة ولم يشروه بعد، ويخبروه من هم.

[٢٨] ﴿فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾:

﴿فَأَوْحَسَ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، أوحس: أضمر أو أحس وشعر بالخوف منهم، فقد حاول إبراهيم أن لا يطلعهم على خوفه، ولكن الخوف سرعان ما ظهر على وجهه.

وخاف منهم؛ لأن العرف أن الضيف إذا نزل بقوم وقدموا له الطعام ليأكل منه فامتنع، فيسألونه عندها إذا كان له طلب حتى يستجيبوا له، فإذا استجابوا له أكل بعدها، وإذا رفضوا الاستجابة له لا يأكل، ويغادر ونادراً جداً أن لا يأكل الضيف، فعندما رأى الملائكة الخوف على وجه إبراهيم، قالوا لإبراهيم: لا تخف إنا رسل ربك إنا أرسلنا إلى قوم لوط. وإذا قارنا هذه الآية وهي قوله تعالى:



﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ مع الآية (٦٧) من سورة طه وهي قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾: نجد أن هناك اختلافاً في الآيتين؛ ارجع إلى سورة طه آية (٦٧) لمعرفة الاختلاف.

﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾: البشري الإخبار بخبر سار لأول مرة، بشروا إبراهيم بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب.

﴿بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾: الباء للإلصاق والملازمة، عليم: ذي علم كثير، غلام هو الولد الذي سيبليغ الحلم ويصبح كثير العلم؛ أي: إسحاق ﷺ، كما أشارت الآيات الأخرى في سورة الصافات آية (١١٢).

فالبشارة تضمنت أمرين الأول كونه غلاماً ذكراً، والثاني كونه عليمًا والعلم من أكمل الصفات، وفي سورة الصافات آية (١٠١) قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، ويعني: إسماعيل ﷺ.

[٢٩] ﴿فَأَقْبَلَ كَأَنَّهُ فِي سَرَاقَةٍ وَجْهًا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾:

﴿فَأَقْبَلَ كَأَنَّهُ﴾: امرأة إبراهيم ﷺ، الفاء للمباشرة، أي: اتجهت إلى الملائكة، أي: لما سمعت بشارتهم، وهناك فرق بين امرأته وزوجه؛ ارجع إلى سورة القصص آية (٩) لمعرفة الفرق بين الزوجة والمرأة.

﴿فِي سَرَاقَةٍ﴾: صيحة وضجة. من الصرير: وهو الصوت، صرير الباب صوته.

﴿فَصَكَتَ وَجْهَهَا﴾: لطمت وجهها بيديها عجباً والصك هو الضرب.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾: عجوز كبيرة السن، العجوز: يشترك فيه الذكر والأنثى يقال رجل عجوز وامرأة عجوز، كما بينت الآيات الأخرى كقوله تعالى: ﴿يُونِثَىٰ ۚ إِنَّهُ لَبَنٌ عَلِيمٌ﴾ [هود: ٧٢].

﴿عَقِيمٌ﴾: أي: لا تلد والعقيم ليست كالعاقرة هناك فرق بين العقيم والعاقرة.
ارجع إلى سورة آل عمران آية (٤٠) للبيان.

[٣٠] ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾:

رد الملائكة على امرأة إبراهيم.

﴿كَذَلِكَ﴾: أي: كما أخبرناك وبشرناك بسلام عليم.

﴿قَالَ رَبُّكَ﴾: أي: قضى ربك بذلك فلا تعجبي ولا تخافي.

﴿إِنَّهُ هُوَ﴾: إن للتوكيد، هو لزيادة التوكيد.

﴿الْحَكِيمُ﴾: في حكمه وقضائه وأقواله وأفعاله وتدبير شؤون خلقه
وأحوال كونه. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

﴿الْعَلِيمُ﴾: بخلقهم وما يصلحهم ويضرهم كثير العلم أحاط علمه بخلقهم
وكونه، فلا تخفى عليه خافية.





سورة الدخان ٥١

الجزء ٢٧

* قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ
 مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ
 لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا
 فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ
 الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ
 مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَحَرًا أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ
 فَبَدَّدَتْهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ
 الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾
 وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ
 فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ
 وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
 فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ
 فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ
 لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾
 وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾



سورة الذاريات [الآيات ٣١ - ٥١]

[٣١] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾:

بعد أن علم إبراهيم أنهم ملائكة وأنهم رسل من الله تعالى.

﴿قَالَ﴾: إبراهيم ﷺ للملائكة.

﴿فَمَا﴾: الفاء للتوكيد، ما الاستفهامية.

﴿خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾: الخطب الأمر العظيم أو الحدث الجلل الذي يشغل بال السائل، وسُمِّي خطباً؛ لأنَّ النَّاسَ يتخاطبون به، ويتحدثون عنه كلما اجتمعوا فشغل بالهم، أي: ما سبب إرسالكم أو ما هي مهمتكم أو لماذا أرسلتم. ارجع إلى سورة الحجر آية (٥٧) لمزيد من البيان.

[٣٢] ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ ثَجَرِمِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: الملائكة.

﴿إِنَّا﴾: للتوكيد.

﴿أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ ثَجَرِمِينَ﴾: قوم مجرمين: أي: قوم لوط، مجرمين: أي: أجرموا بالكفر وارتكاب الفاحشة وعصوا أمر ربهم.

وفي سورة الأعراف آية (٨١) وصفهم بالمسرفين.

وفي سورة الشعراء آية (١٦٦) وصفهم بالعادين.

وفي سورة النمل آية (٥٥) وصفهم بالجاهلين.



﴿مُجْرِمِينَ﴾: جمع مجرم تدل على أن صفة الإجرام ثابتة لهم ولا تتغير. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وإلى سورة الجاثية آية (٣١) للبيان المفصل في مجرمين.

[٣٣] ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾:

﴿لَنُرْسِلَ﴾: اللام لام التعليل.

﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾: أي: من سجيل. ارجع إلى الآية (٧٤) من سورة الحجر للبيان.

﴿طِينٍ﴾: هو الماء والتراب وقالوا: طين متحجر كالآجر، من شظايا إحدى الكواكب التي انفجرت، كما بينت الدراسات العلمية على هذه الحجارة التي لا يزال أجزاء منها في آثار قرى قوم لوط.

[٣٤] ﴿مُسَوَّمَةٌ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾:

﴿مُسَوَّمَةٌ﴾: مُعلمه من السَّومة، أي: العلامة. معلومة عند ربك من أي نوع، أو ممّ تتركب من المواد.

﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: أي: معدة في السماء مصنوعة لرجم من قضى الله تعالى بالرجم.

﴿الْمُسْرِفِينَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، المسرفين: المجاوزين الحد في الفجور والآثام.

[٣٥] ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿فَأَخْرَجْنَا﴾: الفاء تدل على المباشرة.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: أخرجنا من قرى قوم لوط.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية اسم موصول بمعنى الذي ومن للمفرد والجمع وللعاقل، وأما الذي تشير إلى المفرد.

﴿كَانَ فِيهَا﴾: ساكن فيها في قرية أو قرى لوط.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: من استغراقية.

[٣٦] ﴿فَمَا وَحَدَّنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء للتوكيد، ما النافية.

﴿وَحَدَّنَا فِيهَا﴾: في قرى لوط.

﴿غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: غير للمغايرة والاستثناء، بيت واحد من المسلمين: هو بيت لوط.

وصفهم الله سبحانه بالمؤمنين في الآية (٣٥) وبالمسلمين في الآية (٣٦) وقيل: هم لوط وابنتاه.

وبما أن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً ذكر العام بعد الخاص للتوكيد، وسبب نجاتهم لا شك هي إيمانهم.

[٣٧] ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾:

﴿وَتَرَكْنَا﴾: نون العظمة للدلالة على الشدة والتحذير.

﴿فِيهَا﴾: ظرفية الضمير يعود على قرى قوم لوط المؤتفكات، أي: بعد تدميرها وإهلاكهم.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾: علامة أو دلالة بينة هي (الحجارة من سجل منضود).

﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾: اللام لام الاختصاص، يخافون العذاب الأليم:



عذاب الله تعالى شديد الإيلام، انتبه إلى تكرار كلمة (فيها) ثلاث مرات للتوكيد (في ثلاث آيات) وهي الآيات (٣٥، ٣٦، ٣٧) فيها الضمير يعود إلى قرى لوط (المؤتفكات).

[٣٨] ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾:

بعد بيان ما حدث لقوم لوط من دمار وهلاك، ينتقل الحق سبحانه لبيان ما حدث لموسى ﷺ الذي أرسل إلى فرعون وقومه.

﴿وَفِي﴾: الواو عاطفة وفي موسى وما حدث لفرعون وقومه آية أخرى.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمني بمعنى: حين، أي: اذكر إذا أرسلناه، أو اذكر حين أرسلناه.

﴿أَرْسَلْنَاهُ﴾: ارجع إلى آية (١١٩) من سورة البقرة للبيان.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: إلى فرعون: ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون. الباء: للإلصاق، سلطان: بسلطان الحجة والدليل وهي العصا واليد، وقيل: التسع آيات.

﴿مُبِينٍ﴾: السلطان الواضح والظاهر لكل فرد رأى تلك الآيات والمبين الذي لا يحتاج معها إلى برهان أو دليل آخر.

[٣٩] ﴿فَتَوَلَّىٰ بَرْكِيهَ وَقَالَ سَحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾:

﴿فَتَوَلَّى﴾: الفاء للمباشرة.

﴿فَتَوَلَّىٰ بَرْكِيهَ﴾: انصرف وابتعد، أي: أعرض بركنه: بجنده أو أعوانه. والركن وما يُركن إليه الشيء ويُتقوى به أو الركن يعني: جانب البدن الأقوى، والركن يعني: العزة والمنعة، أي: أعرض عن الآيات وجحد بها هو وجنوده.

﴿وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾: اتهم فرعون وموسى بأنه ساحر وما جاء به السحر، أو مجنون: أي: موسى ساحر ومجنون معاً أو ساحر أحياناً ومجنون أحياناً أخرى.

انظر إلى كيفية كتابة كلمة ساحر في هذه الآية وقارنها بكتابة كلمة ساحر أو مجنون التي وردت في الآية (٥٢) من نفس السورة تجد أن الألف مقصورة في آية (٣٩) التي تخص موسى، وأن الألف ممدودة في الآية (٥٢) التي جاءت في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ وقد تعلل بما أن الآية (٥٢) قيلت في رسل كثيرين، فلما ازدادوا في العدد زيد في رسم الكلمة بالألف الممدودة الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى.

[٤٠] ﴿فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ، فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾:

﴿فَأَخَذَتْهُ﴾: الفاء عاطفة، أخذناه: أهلكناه وجنوده.

﴿فَنَبَذْنَاهُمْ﴾: النبذ هو إلقاء الشيء، استهانة به وأنه غير مهم، أي: أغرقناهم في اليم.

﴿فِي الْيَمِّ﴾: في البحر (الأحمر).

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: وهو يفيد التوكيد، وتعود لفرعون، ملِيم: أتى بما يُلام عليه من الكفر والتكذيب وادعاء الربوبية والشرك بالله، فهذه آية أخرى تدل على قدرة الله وعظمته، وهي قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢].

[٤١] ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾:

في إهلاك عاد الأولى بالريح العقيم آية أخرى تدل على عظمة الله وقدرته في الانتقام ممن كذب بآياته ورسله، الريح الصرصر العاتية التي ﴿سَخَّرَهَا



عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَحْلٍ خَاوِيَةٌ ﴿٤١﴾

[الحاقة: ٧].

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾: إذ: ظرف زمان للماضي بمعنى: حين، أو اذكر إذ أرسلنا عليهم؛ على: فيها معنى الاستعلاء والشدة والقوة؛ الرِّيحُ العقيم الرِّيح التي لا خير فيها ولا فائدة، وُسِّمَتِ الرِّيحُ العقيم؛ لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم كما يحدث في عقم النساء التي لا تلد، وقال تعالى: (أرسلنا): التي تدل على استمرار الإرسال الذي دام سبع ليال وثمانية أيام حسوماً.

[٤٢] ﴿مَا نَذُرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّمِيمِ﴾:

﴿مَا﴾: النافية.

﴿نَذُرُ مِنْ شَيْءٍ﴾: تذر: تترك أو تدع، من: استغراقية تستغرق كل شيء وشيء نكرة يعني: أي شيء والشئ هو أقل القليل.

﴿أَنْتَ عَلَيْهِ﴾: أي: أصابته.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿جَعَلْتَهُ كَالرِّمِيمِ﴾: الرِّيمُ رم العظم أو النبات أو غير ذلك بلي وتفتت.

وتفتت.

[٤٣] ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ﴾:

وفي إهلاك ثمود آية أخرى تدل على قدرة الله سبحانه وعظمته وثمرود قوم صالح نبيهم صالح وهم أصحاب الحجر.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمان بمعنى حين أو اذكر إذ...

﴿قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾: قيل لهم بعد أن عقروا الناقة: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥].

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿حِينٍ﴾: الحين زمن غير محدد، وحين: نهاية أجلكم الذي هو قادم في ثلاثة أيام، أي: تمتعوا إلى زمن هلاككم.

[٤٤] ﴿فَعَتَوَاعَنَ أَمْرٍ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾:

﴿فَعَتَوَاعَنَ أَمْرٍ رَبِّهِمْ﴾: فعتوا من العتو: هو النبؤ، أي: الارتفاع عن الطاعة والتكبر بغير الحق، أي: بدلاً من أن يندموا أو يسلموا أو يخافوا ويتضرعوا إلى الله، أرادوا المكر بصالح وقتله وأهله، كما قال تعالى: ﴿وَكَاثِبِينَ فِي الْمَدِينَةِ تَسْعَةً رَّهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (٤٨) ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٤٩) ﴿وَمَكْرُؤٌ مَكْرُوءٌ مَكْرُوءٌ وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ﴾ (٥٠) ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَاقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٤٨ - ٥١].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ﴾: حلت بهم نازلة من السماء أهلكتهم مثل الغيوم الكثيفة التي تصاحب بالرعد والبرق الذي أدّى إلى تفريغ الشحنات الكهربائية عالية الفولتاج في أجسامهم؛ مما أدّى إلى صعقهم وموتهم في الحال.

﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾: وهم ينظرون كيف يصعق كل منهم أمام عيني الآخر.

[٤٥] ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء للتعقيب والترتيب، ما: النافية.



﴿أَسْتَطْعُمُوا مِنْ قِيَامٍ﴾: على أرجلهم أو على الوقوف، أي: ما قدروا على النهوض من أماكنهم.

﴿وَمَا﴾: تكرار ما يفيد تأكيد النفي.

﴿كَانُوا مُنْصَرِّينَ﴾: ناجين من العذاب. بالهرب أو اللجوء إلى مكان آمن يقيهم من البرق أو الصيحة.

[٤٦] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾:

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾: آية أخرى لهم قوم نوح أهلكتهم بالطوفان. وقوم: جاءت منصوبة تقديرها وأهلها قوم نوح، أو أخذنا قوم نوح.

﴿مِّنْ قَبْلُ﴾: من قبل عاد وثمود ولوط وفرعون.

﴿إِنَّهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾: خارجين عن طاعة الله تعالى متجاوزين لحدوده لأكثر من ألف سنة إلا خمسين عاماً.

[٤٧] ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾:

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾: بقوة، أي: بقوة وإحكام دقيق متماسك مترابط وليست فراغاً، كما كان يظن الناس في القديم، فبين الأجرام السماوية والمجرات غلالة من الغازات (طبقة غازية) يغلب عليها الهيدروجين، وهناك ذرات من بخار الماء والأمونيا والفورمالدهيد وذرات من الكالسيوم والصوديوم والبوتاسيوم والحديد.

هناك القوى والروابط الكهرومغناطيسية المتجاذبة وقوانين الجاذبية بين كل جرم وآخر.



﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: نظرية اتساع الكون حقيقة لم يدركها الإنسان أو العلماء إلا حديثاً، وهي أن الكون في اتساع مستمرٍّ يسمَّى الكون المتسع، فقد اكتشف علم الفلك والفضاء والفيزياء أن المسافات بين أجرام السماء تتباعد عن بعضها وتتباعد عنا، واكتشف مجرات جديدة، فقد رصد أكبر مرصد جوي على الأرض أكثر من مئتي ألف مليون مجرة، ولكننا لا نرى بالعين المجردة إلا ثلاث منها فقط هي مجرة التبانة، (وهي مجرتنا التي في كوكب الأرض)، ومجرة ماجلان الصغرى، ومجرة ماجلان الكبرى.

أما ماذا بعد هذا التوسع في الكون، فقد أثبتت الدراسات العلمية أن هذا التوسع سوف يتوقف، وتأتي مرحلة ثبوت الكون. ثم يتلوها مرحلة التقلص، أي: يعود الكون كما بدأ، كما قال الحق سبحانه: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

[٤٨] ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ﴾:

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾: أي: بسطانها ومددناها ومهدناها وجعلنا كالفرش لتصلح للاستقرار والعيش عليها. رغم أنها كروية الشكل (بيضاوية) ورغم كونها متحركة.

فالأرض تقطع في كل ثانية ٣٠ كيلومتراً، ومع تلك السرعة الأرض تبقى كأنها لا تتحرك ومستقرة، وتعليل ذلك لأننا نحن ندور معها وسرعتنا هي سرعة الأرض.

بفضل قوانين الجاذبية وقوانين الطرد والكهرومغناطيسية بين الأرض وبين الأجرام الأخرى، وبفضل الجبال الرواسي والألواح القارية وكتلة الأرض



ذاتها تبقى مستقرة، فإذا اهتزت الأرض بمقدار (٦-٨) درجات في ميزان ريختر تحدث زلازل عظيمة.

[٤٩] ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾:

﴿وَمِنْ﴾: استغرافية تشمل النبات والحيوان والجماد والإنسان والجن.

﴿كُلِّ﴾: للتوكيد.

﴿شَيْءٍ﴾: مهما كان نوعه وشكله وحجمه ووزنه، شيء نكرة تشمل كل شيء: إنسان حيوان نبات جماد.

﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾: زوجين صنفين ذكر وأنثى، موجب وسالب، ليقبض الله سبحانه متفرداً بالوحدانية لوحده لا يشاركه في هذه الصفة أحد.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل للتعليل والكاف للمخاطب.

﴿تَذَكَّرُونَ﴾: أن خالق هذه الأزواج هو الإله الحق الذي يجب أن يعبد وهو الواحد الأحد لعلكم تذكروا قدرة وعظمة الخالق فتعبده.

[٥٠] ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾:

﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾: الفاء للتوكيد أو رابطة لجواب الشرط مقدر تقديره إذا علم الإنسان أو العالم هذه صفات الله ففروا إليه، فروا: الفرار سارعوا إليه بخوف وجل وبالسري والعلن، ومن دون تأخير.

ففروا إلى الله: أي: سارعوا إليه بالتوبة والمغفرة والإنابة؛ ففروا: تعني اللجوء إلى الله بسرعة مع الخوف وبدون تستر؛ أي: على مرأى الناس.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد والضمير يعود للرسول ﷺ.

﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص أيها المسلمون المؤمنون.

﴿مَنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: منه الضمير يعود إلى الله، نذير: من الإنذار وهو الإبلاغ مع التحذير والتخويف، مبين: واضح التبليغ والإنذار، فلا يخفى على أحد منكم، ولا يحتاج هذا الإنذار إلى تبين وتوضيح فهو واضح بذاته بامثال أوامر الله وتجنب نواهيه، وعدم الخروج عن منهج الله تعالى وعصيانها؛ أي: هذا الإنذار الأول لهؤلاء الذين يعصون ربهم، وأما الإنذار التالي في الآية (٥١) لهؤلاء الذين يشركون بالله تعالى.

[٥١] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾:

﴿وَلَا تَجْعَلُوا﴾: الواو عاطفة، لا: الناهية، تجعلوا: الجعل، أي: التصيير. ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾: بالإشراك به بأن تقولوا: له ولد أو نِدٌّ أو مثيل أو تتخذوا أولياء من دونه أو طاغوت أو وليًّا.

﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (٥٠) للبيان.

وتكرار هذا الجزء من الآية يفيد التوكيد على عدم الإشراك بالله تعالى. ويُعد إنذاراً آخر، أي: (إنذار ثانٍ) غير الإنذار الأول.





سُورَةُ الطُّورِ ٥٢

الجزء الثاني من القرآن

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَصَّوْنَهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَقَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

سورة الذاريات [الآيات ٥٢ - ٦٠]

[٥٢] ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّنٌ﴾:

﴿كَذَلِكَ﴾: أي: كما كذبك قومك قالوا عنك: ساحر أو مجنون كذب الذين من قبلهم رسلهم وقالوا عنهم ساحر أو مجنون، فأمر التكذيب والافتراء على الرسل أمر قديم متعارف عليه.

﴿مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾: ما النافية، ما أتى الذين من قبلهم (الضمير يعود لكفار مكة) ومن تدل على القرب، أي: ليس من زمن بعيد، من رسول: من استغرافية تشمل كل رسول.

﴿إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّنٌ﴾: إلا أداة حصر، ساحر: يتعاطى السحر. ولتعريف السحر ارجع إلى الآية (٥٨) من سورة طه، أو مجنون: (أو) تعني: (و) أي: ساحر ومجنون معاً، وقد تعني تارة: ساحراً وتارة: مجنوناً.

واتهموهم بالسحر والجنون؛ لأن ما جاء به الرسل من الوحي لم يسمعوا به من قبل، أو لكونه أثر في عقولهم، أو لكونه خارقاً للعادة شبّهوه بالسحر، أو الجنون.

[٥٣] ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾:

﴿أَتَوَصَّوْا بِهِمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتعجبي وتعني: أتواصوا



به تعود على القول، أي: أوصى الأولون الآخرين أو أوصى بعضهم بعضاً بأن يقولوا هذا القول لرسلمهم: ساحر أو مجنون.

أي: من كثرة هذا الفعل أو (القول) كأن الأولين أوصوا الآخرين، أوصى بعضهم بعضاً بأن يتهموا أنبياءهم ورسلمهم بهذا.

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: بل للإضراب الإبطالي، هم: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: أي: الصحيح لم يتواصوا بذلك لتباعد أزمانهم، فهم لم يتلاقوا حتى يوصي بعضهم بعضاً، ولكنهم قوم طاغون، أي: طغاة، أي: تجاوزوا الحد في الكفر والفساد، وقالوا: ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨].

طاغون: جملة اسمية تدل على الثبوت، ثبوت صفة الطغيان عندهم. فالطغيان هو ما حملهم على القول بذلك.

[٥٤] ﴿فَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾:

﴿فَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدّر تقديره، أي: إن لم يستجيبوا لك فتولّ عنهم وتفيد المباشرة والتوكيد، أي: أبعد عن هؤلاء خاصة؛ لأن عن تفيد المجاوزة والابتعاد. أي: اتركهم وليس أعرض عنهم هناك فرق بين تولّى وأعرض، أي: أبعد أو ابتعد عن هؤلاء الطغاة من قومك، ولا يعني: تولّ عن الكل بل عن هؤلاء فقط، وقد تعني: لا تجادلهم ولا تتصدّ لهم.

﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾: الفاء تعليلية، ما النافية تعمل عمل ليس، ولكن (ما) أقوى في النفي من (ليس)، وما لنفي الحال والمستقبل، وليس تنفي الحال، وقد تنفي المستقبل إذا قيدت، أنت: ضمير متصل يفيد التوكيد.

بملوم: الباء للإلصاق، اللوم: هو عدم الرضا عن فعل لم يكن متوقعاً من فاعله، أي: لن تلام على عدم استجابتهم لك أو عدم إيمانهم وهدايتهم إن عليك إلا البلاغ.

[٥٥] ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

تولّ عن الطّاغين وداوم واستمر في تذكير المؤمنين والنّاس.

﴿وَذَكِّرْ﴾: بالقرآن وبآيات الله وبنعمت ربك.

﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: الفاء تعليلية (توكيد)، الذكري: أي: التذكير رجاء الانتفاع ينتفع بها المؤمنون.

[٥٦] ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾:

﴿وَمَا﴾: النافية للحال والمستقبل.

﴿خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: إلا أداة حصر. من خصوصيات القرآن يستعمل الجن مقابل الإنس، والناس مقابل الجنة، والجن: اسم جنس، وكذلك الإنس، والإنسان واحد من الناس، فالجنة: مجموعة من الجن غير محددة العدد كما في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦]، وقدم الجن على الإنس في هذه الآية؛ لأن الجن أسبق من الإنس في القدم في الخلق.

﴿لِيَعْبُدُونِ﴾: اللام لام التعليل والتوكيد، يعبدون من العبادة، وهي طاعة الخالق فيما أمر به أو نهى عنه على حسب ما أَرَادَهُ، وتعني: الخضوع والانقياد، ولا تكون إلا للخالق وحده، ويثاب عليها، والنون في يعبدون لزيادة التوكيد، ويعبدون تدل على التجدّد والتكرار. ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣) للبيان



المفصل، وحذف الياء في يعبدون (بدلاً ليعبدوني) تدل على أنها عبادة مؤقتة مدة حياتهم من سن البلوغ إلى انتهاء أجلهم وعبادة قدر استطاعتهم. ارجع إلى سورة ياسين آية (٦١) لمزيد من البيان.

وتقديم الجن على الإنس في هذه الآية؛ لأن الحديث أو السياق في الخلق وبما أن الله سبحانه خلق الجن قبل خلق الإنس فقدّم الجن على الإنس.

وفي آيات أخرى قد يقدّم الإنس على الجن، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨].

ففي هذه الآية قدّم الإنس على الجن؛ لأنهم هم المقصودون بالتحدي أولاً.

[٥٧] ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾:

﴿مَا﴾: للنفي تنفي الحال والمستقبل.

﴿أُرِيدُ مِنْهُمْ﴾: منهم، أي: الجن والإنس، أي: لا أطلب منهم.

﴿مِنْ رِزْقٍ﴾: من استغرافية، أي: رزق مهما كان نوعه من طعام أو شراب أو مال أو متاع أو أي شيء.

﴿وَمَا أُرِيدُ﴾: تكرار ما لتوكيد النفي، وفصل كلاً من الرزق عن الإطعام أو كلاهما معاً.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد.

﴿يُطْعَمُونَ﴾: يقصد بها يطعمون أحداً من خلقي، أي: وما أريد أن يطعموا

أحداً من خلقي؛ لأنني أنا الخالق الرزاق. والرزق قد يشمل الطعام والشراب، ويطعمون تعني: ذكر الخاص الطعام بعد ذكر العام وهو الرزق للتوكيد.

فالآية (٥٦-٥٧) تعني: ما أريد أن يرزقوا أحداً من خلقي ولا يرزقوا حتى أنفسهم؛ لأنني أنا الرزاق، ولا أريد منهم أن يطعموا أحداً من خلقي ولا حتى أنفسهم؛ لأنه هو الذي يُطعم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُّطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]، أو لا أطلب منهم رزقاً ولا طعاماً، ولكن عليهم بعبادتي وحدي وطاعتي.

ويطعمون: وحذف ياء المتكلم لتدل على ما أريد أن يطعمون أدنى أو أقل الطعام لعبادي أو يرزقوهم أدنى أو أقل الرزق.

[٥٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾:

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر هو لا سواه الرزاق الحقيقي.

وأما قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَّاقِينَ﴾ [المؤمنون: ٧٢] فلا يتعارض مع كونه الرزاق الحقيقي، فقد أسبغ على بعض عباده صفة الرزق تكملاً منه وفضلاً، وقال ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَّاقِينَ﴾.

﴿الرَّزَّاقُ﴾: أي: الذي خلق الأرزاق وأعطى كل الخلائق أرزاقها ولم ينس أحداً، وذكر اسم الله الرزاق في القرآن الكريم مرة واحدة في هذه الآية فقط، الرزاق صيغة مبالغة؛ أي: كثير الرزق من فعل رزق يرزق، والرزق يشمل المال والطعام والشراب والعلم والأهل، وكل ما ينتفع به ويرزق المؤمن والكافر والمطيع والعاصي، ويرزق الإنسان والجن والحيوان.



﴿ذُو﴾: بمعنى صاحب، اسم من الأسماء الخمسة، ذو: أشرف وأبلغ من كلمة صاحب. ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٨٧) وسورة غافر آية (٢) لمزيد من البيان.

﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾: كامل القوة، عظيم القدرة، شديد القوة والقدرة، لا تنقص قوته ولا قدرته شيئاً.

﴿الْمَتِينُ﴾: من المتانة والتمن وهو الظهر (والظهر مكوّن من فقرات العمود الفقري، وتحيط به العضلات القوية) بمعنى: القوي الصلب. جميع نواصي المخلوقات بيده لا يحدث أو يتحرك شيء إلا بحوله وقوته وإذنه. وذكر اسم المتين مرة واحدة في القرآن.

[٥٩] ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾:

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدر، أي: إن كان للأمم السابقة نصيب من العذاب، فإن للذين ظلموا من كفار مكة أيضاً نصيباً من العذاب، إن للتوكيد. ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: اللام لام الاختصاص، الذين اسم موصول يفيد التحقير، ظلموا: بالشرك والكفر أو التكذيب والمعاصي.

﴿ذُنُوبًا﴾: نصيباً والذّنوب: الدلو المملوءة بالماء. انتبه إلى فتح الذال وضم التّون، وليس ذُنُوباً بضم الذال وضم التّون، ذُنُوب: تعني: النصيب والحظ، والذّنوب: الدلو المملوءة بالماء. حيث كان السقاة يتقاسمون الماء فيأخذ هذا دلوّاً مملوءة بماء، وهذا دلوّاً أخرى، وهكذا، ثم فسرت الذنوب بالنصيب.

﴿مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾: أي: إن للذين ظلموا من كفار مكة نصيباً من العذاب

والعقاب مثل نصيب من سبقهم من القرون الأولى. مثال على ذلك ما حدث لهم يوم بدر من القتل والأسر

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾: الفاء للتوكيد، لا الناهية.

يستعجلون: العذاب، فالعذاب آتٍ لا محالة، وفي وقته المحدد والمكان المحدد في الدنيا أو في القبر أو في النار.

[٦٠] ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾:

﴿فَوَيْلٌ﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدر تقديره: إن جاء يوم عذابهم فويل لهم.

الويل: هو الهلاك والعذاب.

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق كفروا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. ارجع إلى سورة البقرة آية (٦) لمزيد من البيان في معنى كفروا.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية عذاب يومهم.

﴿يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: أي: يوم القيامة، أو يوم تنزع أرواحهم (القيامة الصغرى).

وقيل: يوم بدر، وقد يكون الكل؛ أي: يوم بدر، أو يوم يحل بهم العذاب، أو يوم تقبض أرواحهم، أو يوم القيامة.



سورة الطور

سورة الطور ٥٢

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾
 اتَّوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ
 بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا
 خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ
 وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ
 ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ
 ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سورة الطور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍ مَنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ
 الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ
 عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ
 مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ
 ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ
 جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

سورة الطور [الآيات ١ - ١٤]

ترتيبها في القرآن (٥٢) وترتيبها في النزول (٧٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالطُّورِ﴾:

﴿وَالطُّورِ﴾: واو القسم، الطور: هو طور سيناء الذي كلم الله سبحانه عليه موسى ﷺ.

والطور: هو جبل، ولكنه أقل ارتفاعاً وحجماً من الجبل والطور باللغة السريانية الجبل.

أقسم الله تعالى بالطور تشريعاً له، ولا يقسم إلا بشيء عظيم رغم أنه سبحانه عنه غني عن القسم، والقسم يشير إلى أهمية المقسم به؛ أي: الطور، وجواب القسم، وهو: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [آية: ٧].

[٢] ﴿وَكُتُبٍ مَّسْطُورٍ﴾:

يقسم الله تعالى أيضاً بكتاب مسطور: أي: مكتوب في أسطر.

قيل: هو القرآن أو اللوح المحفوظ.

وجاء بصيغة النكرة ولم يقل: الكتاب للدلالة على جنس الكتاب وقد يعني: الكتب السماوية.

وقد يشمل كتاب أعمال العبد، كما قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

[٣] ﴿فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ﴾:

الرق بفتح الراء هو مارق من الجلد أو الورق الذي يكتب فيه رق منشور، نكرة لتشمل الورق وغيره.

﴿مَّنْشُورٍ﴾: مبسوط (مفتوح غير مطوي) يستطيع كل ناظر أن يقرأه، وقد يعني أيضاً: آلة الحاسوب (الكمبيوتر)، والله أعلم.

[٤] ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾:

وهذا هو القسم الثالث، وهو البيت المعمور.

قيل: هو في السماء السابعة بيت تطوف به الملائكة كل يوم (٧٠) ألفاً؛ أي: المعمور بالملائكة، والمعمور بالعبادة والذكر.

وقيل: الكعبة المعمورة بالحجاج والعمار.

[٥] ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾:

ويقسم بالسماء (وتضم السموات السبع) السماء السقف المرفوع فوق الأرض، وكما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]. ليحفظها من الإشعاعات الضارة وغيرها. ارجع إلى الآية (٣٢) من سورة الأنبياء للبيان وسماها أيضاً ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ ارجع إلى سورة الطارق آية (١١) للبيان.

فالسماء وحدها مظهر من مظاهر طلاقة القدرة الإلهية التي ترسخ الإيمان في القلب واليقين على عظمة الخالق.

[٦] ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾:

وهذا هو القسم الخامس.

البحر: الموقد والمملوء ناراً، من سجر الشيء: أوقد عليه حتى أحماه (جعله ناراً حامية) وهناك من المفسرين من قالوا: هذا يحدث في الآخرة تشتعل

البحار بالنيران، والحقيقة العلمية تثبت لنا أن البحر المسجور هو أمر قائم الآن في حياتنا وطبقات الأرض السبعة: الطبقة الأولى: وتسمى لب الأرض، وهي طبقة صلبة مكونة من حديد جامد وغيره من المعادن مثل الرصاص، والنحاس والطبقة الثانية المحيطة باللب، وهي طبقة مكونة من حديد بشكل سائل وغيره من المعادن، ويحيط بهذه الطبقة الثانية ثلاثة أوشحة، ثم الصفيحة القارية، ثم القشرة الأرضية.

فتحت مياه البحار نار مستعرة، أي: تحت الماء نار، وتحت النار ماء، فالماء لا يطفى النار ولا النار تبخر الماء، ولولا هذه الوسيلة من التدفئة لقيعان البحار لما استطاعت الحيوانات البحرية العيش ساعات، فهذا التوازن بين الماء والنار آية من أروع الآيات الكونية الدالة على عظمة الخالق وقدرته على الإبداع، حيث الماء والنار من الأضداد، ولذلك سماه البحر المسجور. ارجع إلى سورة التكوين آية (٦) لمزيد من البيان.

[٧] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾:

هذا هو جواب القسم، إن: للتوكيد.

﴿عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾: اللام لام التوكيد. لواقع: لكائن أو حاصل لا محالة في الآخرة.

[٨] ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾:

لتنفي الحال والمستقبل. له: الضمير يعود إلى العذاب. من: استغراقية تستغرق كل دافع. وما له من دافع: جملة اسمية تدل على الثبوت والاستمرار.

دافع: يمنعه أو يرده سواء كان ملكاً أو إنساناً أو جنّاً. ولنقارن هذه الآية مع قوله تعالى في سورة المعارج آية (٢): ﴿لَا كَفِيرَ لِّسَرِّهِ دَافِعٌ﴾: هذه الجملة جملة فعلية تدل على التجدد والتكرار، وبما أن الجملة الاسمية فيها تأكيد أقوى من الفعلية فأية الطور أكد من آية المعارج؛ لأن سورة الطور بدأت بخمسة أنواع



من القسم؛ لذلك جاء جواب القسم مؤكداً للقسم، بينما آية المعارج جاءت في سياق الذي دعا على نفسه وقومه بالعذاب فقال تعالى: ﴿سَأَلَسَّائِلُ بِعَذَابٍ وَقَعِ﴾.

[٩] ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾:

﴿يَوْمَ﴾: نكرة للتعظيم، ويعني: الساعة، أو يوم القيامة؛ ﴿تَمُورُ السَّمَاءُ﴾: المور هو: التحرك في تموج تتحرك وتضطرب، أي: تختل قواها الكهرمغناطيسية وقوى الجاذبية؛ مما يؤدي إلى الهول والفرع. ﴿مَوْرًا﴾: توكيد.

[١٠] ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾:

وفي ذلك اليوم تسير الجبال سيراً بعد أن تحمل وتدك مع الأرض، كقوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤]. ثم ترجف وتنسف وبست كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيًّا مَهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤].

﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ [الواقعة: ٥-٦].

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

[١١] ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾:

﴿فَوَيْلٌ﴾: الفاء للتوكيد، ويل: هلاك وعذاب، يومئذ: مركبة من يوم (ظرف) وإذا اسم ظرف.

﴿لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، المكذبين بالرسول وبما أنزل الله والمكذبين بالبعث والآخرة والحساب. والمكذبين بعذاب الله.

[١٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذم والتحقير.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾: أصل الخوض المشي في الماء والخوض فيه من دون أن يعلم إذا كانت هناك حفرة أمام قدميه سترل فيها قدماء ويقع على وجهه، والخوض يعني: الاندفاع في الباطل.

﴿يَلْعَبُونَ﴾: أي: ينشغلون بالباطل ويهملون واجباتهم وفرائضهم.

[١٣] ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾:

﴿يَوْمَ﴾: أي: يوم القيامة ونُكِّر للتهويل.

﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ﴾: يُدْعَوْنَ: من الدع وهو الدفع بعنف وغلظة وجفاء ومن دون أي رحمة.

دعا: للتوكيد. أي: يدفعون دفعاً. أو يُدْعَوْنَ دعاً من قبل الملائكة الغلاظ الشداد القائمين على جهنم. وتقول لهم الملائكة:

[١٤] ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾:

هذه: الهاء للتنبيه وذا: اسم إشارة للقرب، ويشير إلى النار القريبة منهم.

﴿الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: أي: في الدنيا. تكذبون: لا تصدقون.

وتكذبون تدل على تجدد وتكرار التكذيب المرات العديدة. ولم يقل: التي كذبتُم بها.





سورة الطور ٥٢

الطور

أَفَسِحْرَ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا
أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكِهِينَ بِمَاءٍ أَنْتَهُمْ رُبُّهُمْ
وَوَقَّهَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُّوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا
بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ
رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَزَّعُونَ
فِيهَا كَأَسَا لَا لُغُوفٍ فِيهَا وَلَا تَأْسِمُ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ
لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ
﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ أَلَّاهُ
عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ
نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ
رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ
الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾



الجزء
٥٣

سورة الطور [الآيات ١٥ - ٣١]

[١٥] ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾:

﴿أَفَسِحْرٌ﴾: الهمزة استفهام إنكاري وتوبيخ، الفاء للتوكيد.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب يشير إلى العذاب، أي: أهذا العذاب الذي ترونه سحر أم حق.

﴿أَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام والتوبيخ والتقرير. أم: للإضراب الانتقالي.

﴿أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾: أم أنتم عمي الآن، كما كنتم عمياً في الدنيا لا تعقلون ولا تبصرون.

[١٦] ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿أَصْلَوْهَا﴾: ادخلوها وقاسوا حرها وشدتها، وصليت اللحم أي: شويته. وأصلاه النار: أدخله النار.

﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾: فالأمران سواء، أي: اصبروا أو اجزعوا (لا تصبروا) الصبر أو عدمه سواء في عدم النفع.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

تجزون من الجزاء مقابل العمل سواء كان حسناً أو سيئاً.

﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: كنتم في الدنيا تعملون تضم (الأقوال والأفعال).

بعد ذكر المكذبين ومصيرهم يذكر المتقين ومصيرهم.



[١٧] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الْمُتَّقِينَ﴾: أي: الذي أطاعوا وأمر الله واجتنبوا نواهيه.

﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾: في ظرفية. ﴿جَنَّاتٍ﴾: جمع جنة جنات الفردوس أو عدن أو الخلد أو جنات المأوى. دار السلام. وغيرها.

﴿وَنَعِيمٍ﴾: هو ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين من الخيرات والمأكلات والمشرب والملبس والمسكن والمتاع.

[١٨] ﴿فَكَهِينٍ بِمَاءٍ أَنَّهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾:

وردت فاكهين في القرآن بصيغ مختلفة منها فكهين (سورة المطففين آية ٣١)، فاكهون (سورة يس آية ٥٥).

فالأولى: فاكهين (سورة الطور آية ١٨، سورة الدخان آية ٢٧) فهي مشتقة من الفكاهة: طيب العيش، والتلذذ بالنعم، فيقال رجل فاكه: يتلذذ بالفكاهة، رجل فكه: طيب النفس.

أما فاكهون: سورة يس آية (٥٥) فهي أوسع وأعم من فاكهين، ولها معاني أربعة: فرحون معجبون ذوو فكاهة وناعمون، فكهون: يتفكّه بالطعام أو بالفكاهة أو فرحين، وأما فكهين: كما في سورة المطففين فتعني: فرحين. والسياق هو الذي يحدد المعنى (طيب العيش أو يتفكّه بالفكاهة؛ أي: الطعام، أو فرحين، أو معجبون).

﴿وَوَقَّهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾: أي: جنبهم وأبعدهم ربهم عن عذاب الجحيم: اسم من أسماء النار أو دركة من دركاتها مشتقة من الجموح وهو (من التاجج) فلا تخمد أبداً. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

[١٩] ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾: كلوا واشربوا في الجنة مما تشتهون ومما تتخبرون.

﴿هَنِيئًا﴾: كلوا واشربوا هنيئاً لكم؛ سهل وسريع الهضم، أما المريء؛ أي: حميد العواقب، ليس له اختلاطات هضمية مهما كانت.

﴿بِمَا﴾: بآء السَّيبِيَّةِ أو البدلية أو تعليلية، ما: اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية، وما أوسع شمولاً

﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: تضم الأقوال والأفعال، بما كنتم تعملون: تدل على الزيادة والمضاعفة والمبالغة في جزاء المتقين، والدلالة على الدوام وعدم انقطاع الأكل والشرب.

[٢٠] ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾.

﴿مُتَّكِئِينَ﴾: من الاتكاء هو الجلوس على السرر: وهي الأرائك المصفوفة بجانب بعضها والاتكاء يعني: الجلوس بشكل مريح يدل على الراحة والسعادة؛ لأنه لا نوم في الجنة، وورد هذا الاتكاء بعدة أوصاف منها: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيِّ حَسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]، ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: ٥١]، ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ [الواقعة: ١٦].

﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾: زوجناهم بزوجات من الحور العين، حور عين: جمع حوراء وهي التي يغلب بياض عيناها على سوادها، والعين جمع عينا، وهي الواسعة العينين.

[٢١] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾: الذرية: الأولاد والزوجة أو النسل.



فإن كان إيمانهم لا يؤهلهم ليكونوا بدرجة آبائهم في الجنة، فلا بُدَّ للذرية أن يكونوا من الموحدين ودرجة إيمانهم تؤهلهم الدّخول الجنة، وبرحمة الله وفضله يلحقهم ربهم بآبائهم.

أما إذا كان إيمانهم محبطاً أو غير مقبول، فلن يدخلوا الجنة ولن يلحقوا بآبائهم.

﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: بفضل من الله على الآباء والأبناء لتقر أعينهم وتطيب نفوسهم.

﴿وَمَا أَلْنَتْهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي: جزيناهم أجرهم أو ثواب أعمالهم كاملاً من دون أي نقص في حقهم من ألتة حقه: أي: نقصه حقه، أي: ما نقصنا من ثواب الآباء بما أعطينا ذريتهم.

﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾: أي: كلّ نفس مرهونة بعملها فإن كسبت خيراً فلها، وإن كسبت شراً فعليها، فالعمل الصّالح يفك النّفس من الرّهان والعمل السيّئ يبقّيها في الأسر. فإن كان عمله صالحاً فك نفسه وخلصها من عذابها وهلاكها كما يفك المرهون من يد مرتهنه.

[٢٢] ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾.

﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ﴾: الضّمير يعود للآباء والأبناء، وأمددناهم: المد وهو الزّيادة والإمداد يكون في الخير، وقيل: هناك فرق بين الإمداد والمد.

الإمداد: يكون في الخير وإعانة الغير.

المد: يستعمل في الشر. أو الإعانة على الشر.

﴿بِفِكَهَةٍ﴾: الباء للإلصاق، فاكهة: اسم جنس ولم يقل: فواكه. فاكهة تشمل كل الفواكه.

﴿وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾: لأنّ اللحم يشبه بعضه، والذي يميزه الطّعم، واللحم

ليس أمامهم، وكل ما يشتهونه من اللحم يقدم لهم، والفاكهة مما يتخيرون؛ لأنها أمام أعينهم على مرأى من أعينهم وهي أنواع فيختار ما يشاء.

[٢٣] ﴿يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾:

﴿يَنْزِعُونَ فِيهَا﴾: أي: يتداولون فيها (في الجنة)، ويعني: يتعاطون أو يتبادلون، ولا تعني: يتخاصمون.

﴿كَأْسًا﴾: هو إناء يشرب منه، وتسمي كأساً إذا كانت مملوءة، فإن كانت فارغة فلا تسمي كأساً.

﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا﴾: أي: ليس في الجنة لغو: هو الكلام الذي لا فائدة منه أو شرب خمر الجنة لا يذهب بالعقل، ويؤدي إلى اللغو والكلام الساقط الخبيث الناتج عن شرب خمر الدنيا وذهاب العقل.

﴿وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾: تكرار لا تفيد التوكيد، تأثيم: من فعل إثم، أي: لا يأثم شاربها، فهي مباحة وليست محرمة، كما كانت في الدنيا فليس في الجنة لغو ولا تأثيم، ولا هذا ولا ذلك ولا لغو وتأثيم معاً.

[٢٤] ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكُونٌ﴾:

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾: الطواف ويعني: الدوران، للخدمة عدة مرات، أي: يدور عليهم.

عليهم: الضمير يعود على الذين آمنوا.

﴿غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾: شباب خدم، غلمان جمع غلام؛ لهم: اللام: لام الاختصاص؛ أي: غلمان مختصين بهم وبخدمتهم، وليسوا لغيرهم؛ ارجع إلى سورة مريم الآية (٧) لمعرفة معنى الغلام، وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنْ مُخَلَّدُونَ﴾ (١٧) ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ كما بينت ذلك سورة الواقعة الآية (١٧-١٨). والفرق بين الولدان والغلمان: الولدان: أقل من الغلمان سناً،

والغلام: هو الشاب الذي أوشك على البلوغ، والفرق الثاني: في سورة الطور آية (٢٤) قال تعالى: ﴿غُلَامَانِ لَّهُمْ﴾، وفي سورة الواقعة آية (١٧): ﴿وَلَدَنْ مُخَلَّدُونَ﴾ ولم يقل: لهم.

﴿كَانَهُمْ لَوْلَوْ مَكُونٌ﴾: مصون لم تمسه الأيدي، من كن الشيء، أي: ستره وحفظه. أي: في صفائهم وبياضهم.
[٢٥] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ﴾:

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾: الإقبال هو الإتيان من الأمام أو جهة الوجه، والمجيء هو الإتيان من أي جهة أو ناحية.

﴿عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ﴾: أي: توجه بعضهم على بعض يتساءلون: أي: يسأل بعضهم بعضاً في الجنة، والضّمير يعود على الذين آمنوا: يتذكرون ما كانوا عليه في الدنيا من خوف من عذاب الله تعالى، وما كانوا عليه من عبادة وتوحيد.
[٢٦] ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: قال بعضهم لبعض.
﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ﴾: أي: في الحياة الدنيا.
﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾: في الدنيا في أهلنا؛ الأهل: الذرية، والزوجة، والأقارب؛ مشفقين: جمع مشفق من الإشفاق وهو الخوف مع الحذر وعدم الاطمئنان مما سيحل بنا في الآخرة. مشفقين من عدم قبول عملهم الصالح.
[٢٧] ﴿فَمَنْ أَلَّهْ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾:

﴿فَمَنْ﴾: الفاء للتوكيد، من: أنعم أو تفضل الله علينا.
﴿وَوَقَّعْنَا﴾: جنبنا وحمانا في الآخرة من عذاب السّموم عذاب النار



المحرقة الحارة التي تتخلل مسام الجلد وتؤثر فيه، كما يؤثر السم في الجلد، وكما يحدث في حرق الجلد من الدرجة الثانية. الذي يصيب نهايات الأعصاب الذي يؤدي إلى الألم الشديد.

[٢٨] ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾:

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾: إنا للتوكيد، كنا من قبل: أي: في الحياة الدنيا.

﴿نَدْعُوهُ﴾: نوحده ونعبده ونخلص له، أو نسأله وندعوه النجاة والوقاية من عذاب النار والفوز بالجنة.

﴿إِنَّهُ هُوَ﴾: إنه للتوكيد، هو للحصر والتوكيد كأنه هو الوحيد البر الرحيم. ﴿الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾: بفتح الباء معناه فاعل البر. والبرُّ هو الصادق في وعده. كثير الإحسان والخير والمغفرة والرحيم بعباده. لا يعجل لهم العقاب لعلمهم يتوبوا إليه ويستغفروه فيصفح عنهم.

أما البرُّ: بكسر الباء فهو كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من إيمان وعمل صالح واعتقاد وأخلاق ومعاملات.

[٢٩] ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾:

﴿فَذَكِّرْ﴾: الفاء للتوكيد، ذكر: من التذكير فذكر بالقرآن، كما قال الله تعالى في سورة الذاريات آية (٥٥-٥٦): ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، ذكر وعظ واستمر على ذلك في تذكير المؤمنين بالآخرة وبآيات القرآن، ولا تأبه لأقوالهم لك: كاهن أو مجنون أو ساحر، وغيرها من الاتهامات الباطلة.

﴿فَمَا أَنْتَ﴾: الفاء للتوكيد، ما النافية لنفي الحال والمستقبل.

﴿بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾: أي: بالنبوة، نعمت: التاء مفتوحة تعني: نعمة خاصة أو



نعم كثيرة لا تحصى، بينما نعمة بالتاء المربوطة نعمة عامة لكل البشر أو ظاهرة للعيان.

﴿بَكَاهِنٍ﴾: الباء للإصاق والملازمة، الكاهن: هو الذي يدعي أنه يعلم الغيب. بمساعدة من الجن.

﴿وَلَا﴾: تكرار النفي بـ(لا): يفيد التوكيد، وهي تنفي كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿مَجْنُونٍ﴾: ولا مصاب باضطراب عقلي أو خبل، كما يزعم الذين كفروا باطلاً، وإضافة (لا) لفصل كل منهما عن الآخر؛ أي: لا كاهن، ولا مجنون، ولا كلاهما.

[٣٠] ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَّيْنَاهُ رِيبَ الْمَنُونِ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، أم منقطعة للإضراب الانتقالي، وردت أم في هذه السورة خمس عشرة مرة.

﴿يَقُولُونَ﴾: ولم يقل: قالوا، بصيغة المضارع لتدل على تجدد قولهم وتكراره، وأنه لم يتوقف. وتدل على بشاعته، وكأنه يحدث الآن (حكاية الحال).
﴿شَاعِرٌ﴾: أي: ما جاء به هو شعر وليس وحياً من الله.

والشعر: هو الكلام الموزون المقفى، الموزون بأشكال وأبنية موسيقية بالغة الضبط تعرف ببحور الشعر والمقفى في أشكال من التوافق الموسيقي الدقيق أبدعها أهل العربية منذ عصر قبل الإسلام واستخلصها وبينها الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٦٠ هـ) فيما عرف باسم علم عروض القافية أو أوزان الشعر.

﴿نَبَّيْنَاهُ رِيبَ الْمَنُونِ﴾: التربص هو طول الانتظار وبحذر ويقظة ومراقبة المتربص في كل حركة مع الصبر وتشوق لما يحدث، ريب: أحداث، المنون،

والريب؛ أي: النزول من راب عليه الدهر؛ أي: نزل به الهلاك، والمنون: قيل: الموت، وقيل: الدهر من المن؛ أي: القطع؛ لأنه يقطع أعمار الناس؛ أي: تتربص به حوادث الدهر التي تؤدي به إلى الموت، أي: ننتظر هلاكه كما هلك غيره فيمضي أمره وما جاء به من شعر.

[٣١] ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ:

﴿تَرَبَّصُوا﴾: انتظروا وراقبوا بحذر وبقظة وتابعوا ما يحدث.

﴿فَإِنِّي﴾: الفاء للتوكيد، إني: لزيادة التوكيد بدلاً من: وأنا معكم من

المتربصين.

﴿مَعَكُمْ﴾: وليس فيكم؛ لأن كلاً يتربص بعدوه. ولو قال: تربصوا فإنني

من المتربصين: فقد يعني هو وإياهم يتربصون أمراً واحداً، أما قوله: ﴿فَإِنِّي

مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أي: أتربص ما ينزل أو يحل بكم من هلاك ودمار، وأنتم

تتربصون ما ينزل ويحل بي من هلاك أو مصائب.



الجزء الثاني العيون

سورة النجم ٥٢

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ
 بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ
 ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ
 رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمَصِيطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ مَسِينٌ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾
 أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ
 يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾
 أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا
 مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا
 يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يَغْنَى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا
 وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ
 أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ
 بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

سورة النجم

الآيات
٢٢الآيات
٢٢

سورة الطور [الآيات ٣٢ - ٤٩]

[٣٢] ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ أم منقطعة للإضراب الانتقالي.

﴿تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ﴾: أي: عقولهم جمع حلم وهو العقل؛ لأن الحِلْم يعني: ضبط النفس، والصبر، وعدم الغضب، ويكون بالعقل فكنتى به.

﴿بِهَذَا﴾: التكذيب بالتوحيد والقول كاهن ومجنون وشاعر لرسول الله ﷺ، فبئس تلك العقول التي جعلت أكمل الخلق وهو رسول الله ﷺ مجنوناً.

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ، وأم للإضراب الانتقالي.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: أي: تجاوزوا الحد في العصيان والعناد الذي أصبح صفة ثابتة لهم، وجواب أم: هو لم تأمرهم عقولهم لكي يقولوا شاعر، أو ساحر، أو مجنون، أو كاهن، وإنما هم قوم طاغون؛ أي: طغيانهم هو الذي يأمرهم، والركون إلى العقل أحياناً قد يؤدي إلى اتباع الباطل والهلاك؛ ارجع إلى سورة القلم الآية (٣١) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ﴾ للمقارنة لمعرفة الفرق.

[٣٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ، أم للإضراب الانتقالي.



﴿يَقُولُونَ نَقُولُهُ﴾: هاء الضمير تعود إلى القرآن، أي: تقول القرآن، أي: افتعله اختلقه من تلقاء نفسه، والتقول يعني: التكلفة ويعني: الكذب.

﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بالقرآن بسبب استكبارهم وعنادهم، بل للإضراب الانتقالي، لا النافية لكل الأزمنة.

[٣٤] ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾:

﴿فَلْيَأْتُوا﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدر تقديره: إن كانوا صادقين بقولهم أنه تقول (اختلقه) فليأتوا بمثله، ليأتوا: اللام لام التعليل والتوكيد، يأتوا بحديث مثله، أي: بمثل هذا القرآن وسُمِّي حديثاً. ارجع إلى سورة الزمر الآية (٢٣) للبيان.

﴿بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾: بقرآن مثله، فهذا التحدي من أكبر التحديات.

﴿وإن﴾: شرطية تفيد الشك والاحتمال.

﴿كَانُوا صَادِقِينَ﴾: أن محمداً تقول، والجواب محذوف وواضح أنهم لن يأتوا فهم من الكاذبين؛ لأن محمداً لم يتقوله.

[٣٥] ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: كالسابقة في الآية (٣٢).

﴿خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾: أم خلقوا من غير خالق أو رب.

أو هل خلقوا من غير آباء ولا أمهات، وهذا عين المحال.

﴿أَمْ﴾: كالسابقة في الآية (٣٢).

﴿هُمُ﴾: للتوكيد.

﴿هُمْ الْخَالِقُونَ﴾: لأنفسهم وهذا مستحيل أيضاً أو لغيرهم.

[٣٦] ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والنفي؛ أي: وما خلقوا السموات والأرض التي هي أعظم من خلقهم، كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: أي: لم يخلقوا السموات والأرض ولم يخلقوا أنفسهم ولم يخلقوا أي شيء.

﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾: بأن الله هو الإله الحق الذي يستحق أن يعبد، ولذلك عبدوا غيره، وكذبوا برسوله. ارجع إلى سورة البقرة الآية (٤) لبيان معنى اليقين.

[٣٧] ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والنفي.

﴿عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ﴾: خزائن كل شيء من الأرزاق وما تحتاجه الحياة على الأرض. ارجع إلى سورة الحجر الآية (٢١) للبيان.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿الْمُصَيِّطُونَ﴾: أي: أهم أرباب تلك الخزائن خزائن السماء والقادرون على أن يفعلوا ما يشاؤون من دون إذن من الله ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ﴾: (بالسين) على خزائن الأرض.

أم هم المسيطرون على الماء والغذاء والهواء أو الشمس أو القمر أو أي كوكب أو نجم أو أي شيء.



[٣٨] ﴿أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾:

﴿أَمْ﴾: للاستفهام الإنكاري والتعجب.

﴿لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾: أي: لهم سلم يصعدون به إلى السماء كي يستمعوا إلى الملائكة، وما يوحى الله إليهم من الغيب، أو أمر السماء أو الأرض، فيطلعوا على الغيب، إذا كان هذا صحيحاً وحقاً إذن فلَيَأْتِ مستمعهم بما استمع من الغيب.

﴿فَلَيَأْتِ﴾: الفاء السببية واللام لام التعليل والتوكيد.

﴿مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: بحُجَّة واضحة أو دليل على صدق استماعهم، سلطان مبين: أي: واضح لكل فرد ولا يحتاج إلى دليل.

[٣٩] ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾:

هذا إنكار ونفي لزعمهم أَنَّ الملائكة بنات الله وإنكار لزعمهم أَنَّ لهم البنين، فالله سبحانه هو الذي يهب لهم البنين أو البنات. ارجع إلى سورة النحل (٥٧) لمزيد من البيان.

إذا كان هذا ما تأمركم به أحلامكم فلكم الويل مما تصفون.

[٤٠] ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والنفي، أم للإضراب الانتقالي.

﴿تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾: على تبليغهم الرسالة أو هدايتهم.

﴿فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ﴾: من استغراقية، مغرم: ما يلزم دفعه من المال أو الدين على التبليغ أو الهداية. والغريم الذي عليه الدين.

﴿مُثْقَلُونَ﴾: أي: أثقلهم ذلك المغرم الذي تطلبه منهم فمنعهم ذلك من

الدَّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ أَوِ الْإِسْتِجَابَةَ لَكَ أَوْ لَا يَسْتَطِيعُونَ دَفْعَ مَا تَسْأَلُهُمْ مِنْ مَالٍ أَوْ أَجْرٍ فَهُمْ مَعْرُضُونَ عَنِ الْإِيمَانِ. وَفِي هَذَا تَوْبِيخٌ وَتَقْرِيعٌ لَهُمْ.

[٤١] ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتنفي والتعجب، أم للإضراب الانتقالي.

﴿عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾: إمّا ردّاً على قولهم: نتربص به ريب المنون، أي: أعندهم الغيب حتّى يقولوا ذلك، أم عند الله علم الغيب، وهذا من دلائل عظمته وقدرته، وأنّه الإله الحق الذي يستحق أن يعبد، وأنّ عنده علم الغيب المطلق أو هل هم يعلمون ما في اللوح المحفوظ.

﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: الفاء لربط المسبب بالسبب فهم يكتبون: قيل: الكتاب، الحكم فيكون معناها: أم هم قادرون على الحكم؛ لأنهم يعلمون الغيب، أو ما في اللوح المحفوظ، ثم يقومون بتنفيذه وقضائه.

[٤٢] ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، وأم للإضراب الانتقالي.

﴿يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾: أيريدون الكيد بك وإيقاع الأذى بك، كما فعلوا في دار الندوة؛ لكي يصدّوا النّاس عن اتّباعك والدّخول في الإسلام، ويحدّوا من انتشاره.

﴿فَالَّذِينَ﴾: الفاء استئنافية (للتوكيد).

﴿كَفَرُوا هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿الْمَكِيدُونَ﴾: جمع مكيد اسم مفعول من الفعل: كاد يكيد والكيد: هو



إيقاع المكروه بالغير قهراً، سواء علم أو لا يعلم، والكيد أقوى من المكر، أي: كيدهم في نحرهم وعائد عليهم، وسينصرك الله نصراً عزيزاً كما حدث لك في غزوة بدر.

[٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: للاستفهام الإنكاري والتوبيخ أم للإضراب الانتقالي.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص لهم خاصة.

﴿إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾: أي: معبود يعبدونه غير الله أو يستحق العبادة، ويرجى نفعه ويخاف ضرره، والجواب: لا.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: سبحان: التسبيح نوع من أنواع الذكر، وقيل: من معانيه الصلاة، وسبحان مصدر لفعل سبح يسبح، والتسبيح هو تنزيه الله تعالى عن الشرك والعجز والنقص، وعما لا يليق بجلاله وعظمته.

تنزيهاً كاملاً لذاته، فلا ذات مثل ذات الله، ولا صفة مثل صفاته ولا فعل مثل أفعاله، تنزيهاً عن الولد والنَد والمثل، وتنزيهاً مطلقاً لا مرتبطاً بزمان أو مكان أو بفاعل معين، تسبيحاً بالقلوب والألسنة والجوارح. ارجع إلى سورة الإسراء الآية (١) لمزيد من البيان.

[٤٤] ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو استئنافية، إن شرطية تفيد الاحتمال أو الافتراض والتدرة.

﴿يَرَوْا كِسْفًا﴾: انتبه إلى سكون السين؛ قيل: كِسْفًا جمع كِسْفَة، وتظهر بمظهر قطعة واحدة من السحاب، وهي في الحقيقة سحاب متراكم بينما في سورة الشعراء الآية (١٨٧) قال تعالى: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بفتح

السَّيْنِ، كِسْفًا قِطْعًا عَدِيدَةً كِسْفًا بِسَكُونِ السَّيْنِ قِطْعَةً وَاحِدَةً مَهْمَا كَانَ حَجْمُهَا صَغِيرَةً أَوْ كَبِيرَةً (وهي مركبة من سحب متراكم).

﴿سَاقِطًا﴾: قطعة من عذاب السماء من النيازك المتفجرة، أو بقايا أو شظايا النجوم والكواكب المتفجرة التي تدور حول الأرض بأحجام مختلفة، أو ما يسقط من الصواعق والبرق تنزل بهم لا يقولون: هذا من عذاب ربنا وسخطه علينا، وإنما: هذا سحب مركوم.

﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾: مجرد سحب متراكب بعضه فوق بعض؛ أي: ما نسميه السحب الركامية، فهم لا يبالون به ولا يعتبرون بها، أو يقولون بلغتهم: ما هي إلا ظواهر طبيعية تحدث بين الحين والآخر.

[٤٥] ﴿فَذَرَّهُمْ حَتَّى يَلْتَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾:

﴿فَذَرَّهُمْ﴾: أي: دعهم واطرکہم لحالهم يجحدون ويكفرون ويفعلون ما يشاؤون.

﴿حَتَّى﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿يَلْتَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾: يوم موتهم، وفي الآية إنذار ووعد.

[٤٦] ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: نكرة للتهويل والتعظيم يوم يعود لليوم الذي فيه يصعقون.

﴿لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾: لا النافية، يغني: ينفعهم فيه، كيدهم الذي كادوا به رسول الله ﷺ ولا يمنع عنهم العذاب مانع.

﴿شَيْئًا﴾: لا قليلاً ولا كثيراً.



﴿وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾: هم للتوكيد، لا ينصرون: أي: لا ينصرهم أي ناصر، وتكرار (لا) يفيد توكيد النفي، لا نافية لكل الأزمنة في الدنيا ولا في الآخرة. [٤٧] ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ﴾: إن للتوكيد، للذين: اللام لام الاختصاص والاستحقاق. الذين: اسم موصول يفيد التّحقير.

﴿ظَلَمُوا﴾: أنفسهم بالكفر والشّرك والتّكذيب وكيد النّبي. ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾: أي: عذاباً قبل عذاب الآخرة أو يوم القيامة أي: عذاباً في الدنيا قيل: كان عذاب القحط والجوع سبع سنين، وقيل: يوم بدر، وقد يكون عذاب القبر أو غيره من الابتلاءات. ﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن عذاب الدنيا نازل بهم قبل عذاب يوم القيامة. لا يعلمون ما ينتظرهم من العذاب.

[٤٨] ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: واصبر على أذاهم واصبر حتّى يحكم الله فيهم بحكمه القدري، أي: ينزل العذاب بهم، والمخاطب هو رسول الله ﷺ، وأيضاً كل مؤمن ومؤمنة بالصبر على قضاء الله تعالى وحكمه.

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: الفاء للتوكيد، أي: تحت رعايتنا وحفظنا وعصمتنا فلن يضرّك كيدهم شيئاً، بينما قال عن موسى عليه السلام: ﴿وَلِصْنَعِ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]؛ لأن موسى كان يحتاج إلى رعاية خاصة في طفولته،

ويحتاج إلى مكان لينشئ كما قدر الله تعالى له في قصر فرعون، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: أبلغ وأشدَّ قرباً ورعاية من ﴿وَلِصْنَعِ عَلَى عَيْنِي﴾.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: سبِّح من التَّسْبِيح: هو تنزيه الله سبحانه عن كل شريك أو عيب أو نقص أو ما لا يليق به. ارجع إلى الآية (٤٣) من نفس السورة، تسييحاً مصحوباً بالحمد، والتَّسْبِيح يعني: الصَّلَاة والذِّكْر، أي: استعن بالصَّبر وبالذِّكْر والعبادة.

﴿حِينَ نَقُومُ﴾: من الليل أو من منامك لصلاة الفجر، أو أيِّ صلاة أو مكان قمت، قل: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أو سبحان الله. [٤٩] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾:

﴿فَسَبِّحْهُ﴾: الفاء للتوكيد، سبِّحه: بالذِّكْر أو الصَّلَاة.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾: من ظرفية، الليل: أي: صلاة المغرب والعشاء أو داوم على ذكره.

﴿وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾: إدبار: مصدر لفعل أدبر، إدبار النُّجُوم: من أدبرت، أي: غُرِبَتْ؛ أي: غابت بضوء الصباح، وقيل: إدبار النُّجُوم تعني: آخر الليل؛ أي: صلاة التَّهَجُّد أو صلاة الفجر، وعكس الإدبار الإقبال.

وفي سورة ق الآية (٤٠) ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾، أدبار السُّجُود؛ أي: عقب الصَّلوات.





سُورَةُ النَّجْمِ ٥٣

النَّجْمُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ (٢) وَمَا يَنْطِقُ
عَنِ الْمَوَىٰ ۝ (٣) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ (٥)
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ (٨)
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝ (١٠)
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝ (١١) أَفَتَمْرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ
نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝ (١٤) عِنْدَ هَاجِئَةِ الْمَأْوَىٰ ۝ (١٥)
إِذِغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ
مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝ (١٨) أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝ (١٩) وَمَنُوءَ
الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝ (٢١) تِلْكَ إِذْ أَوَّسَمَهُ
ضَبْرَىٰ ۝ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ۝ (٢٣) أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ۝ (٢٤) فَلِلَّهِ
الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ۝ (٢٥) * وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي
شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرْضَىٰ ۝ (٢٦)

سورة النجم [الآيات ١ - ٢٦]

ترتيبها في القرآن (٥٣) ترتيبها في النزول (٢٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾:

والواو: واو القسم، والله سبحانه لا يقسم إلا بشيء عظيم، وهو سبحانه غني عن القسم، والقسم يشير إلى أهمية المقسم به وجواب القسم.

النجم: اسم جنس شامل لكل النجوم، والنجوم تقدر بالمليارات المليارات من النجوم التي تخص كل مجرة وهناك مليارات المجرات، والنجوم عبارة عن أفران نووية مشتعلة عملاقة يخلق لنا ربنا فيها ما تحتاجه الحياة على الأرض من عناصر ومركبات كالحديد وغيره من المعادن، ولهذه النجوم مواقع أقسم الله بها كذلك فقال تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥] ارجع إلى تلك الآية للبيان.

إذا: ظرفية للزمن المستقبل وتدل على حتمية الحدوث.

﴿هَوَىٰ﴾: سقط أو انتشر كما نرى من النيازك التي تنفجر وتسقط على

الأرض. ارجع إلى سورة الحجر آية (٢١) للبيان.



وهوى قد تعني أيضاً: إذا خرج منه ألسنة اللهب؛ لتمنع الشياطين من استراق السمع كالشهاب الثاقب، وقد تعني: غاب واختفى.

[٢] ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾:

هذا جواب القسم، والخطاب لقريش وغيرهم.

﴿مَا ضَلَّ﴾: ما النافية، ضل: تاه، أو ابتعد عن طريق الهدى والحق والصواب في أقواله وأفعاله.

﴿وَمَا﴾: تكرار (ما) النافية للتوكيد، وما تنفي الحال والمستقبل وتنفي كلاً من الضلال والغواية على حده، أو كلاهما معاً.

﴿وَمَا غَوَى﴾: ما فسد وما خاب في مطلبه، والغى: هو الفساد والجهل في الرأي والاعتقاد والدين، وما فجر أو أثم، والغواية: أشد من الضلال.

أي: هو متبع الوحي ولم يعدل عنه أبداً.

والفرق بين الضلالة والغى: الضلال يكون في الدين وفي غير الدين، أما الغي فيكون في الدين فقط، فالضلال أعم من الغي والغى أخص، ارجع إلى الحجر آية (٤٢) لمزيد من البيان في معنى الغواية.

[٣] ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما: النافية.

﴿يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾: الهوى: هو ميل النفس إلى شيء تحبه وتهواه بغض النظر عما أمر الله تعالى أو نهى عنه، وما يتكلم برأي شخصي أو بدون دليل أو حجة. الهوى: ما يدور في العقل وما تريده النفس أو تميل إليه باطلاً، أو بما

لا ينبغي بعيداً عن الحق، ولا دليل له في الشرع، والهوى يغلب عليه صفة الدم، ويختص بالأداء والاعتقادات، والشهوة تختص بنيل الملذات.

[٤] ﴿إِنَّهُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾:

﴿إِنْ﴾: حرف نفي؛ أي (ما) و(إن) أقوى نفيّاً من (ما).

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر وقصر.

﴿وَحْيٌ يُوحَى﴾: الوحي في اللغة: الإعلام بالخفاء؛ أي: الكلام الخفي. وفي الشرع: هو ما يُلقى الله على أنبيائه ورسله من تكاليف وتعاليم دينية أو آيات ووعد ووعيد؛ أي: كلامه في الدين إن هو إلا وحي من الله تعالى يوحيه إليه عن طريق جبريل عليه السلام فهو المعصوم. ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣) للمزيد في معنى الوحي.

[٥] ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾:

علّمه: أي: جبريل ﷺ علّم رسول الله ﷺ الوحي والقرآن والعبادات وما شرع الله؛ أي: (الدين)؛ علمه: تدل على المداومة والكثير، بينما أعلمه: تدل على القلة، شديد القوى: وهو جبريل عليه السلام، كامل القوى بكل أنواعها العقلية والجسمية؛ فهو الروح الأمين، أو روح القدس؛ فقد اقتلع قرى قوم لوط ورفعها إلى السماء ثم قلبها (لذلك سميت المؤتفكات)، وفي نزوله من السماء وعروجه إليها ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥]، وله (٦٠٠ جناح) كما في حديث عبد الله بن مسعود، والذي أخرجه البخاري ومسلم.



[٦] ﴿ذُومِرَةً فَاسْتَوَى﴾:

﴿ذُو﴾: بمعنى صاحب (اسم من الأسماء الخمسة) وذو أشرف وأفضل وأبلغ من كلمة صاحب، ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٨٧) وغافر آية (٢) لمزيد من البيان.

﴿مِرَّةً﴾: القوة والشدة والسلامة في الخلق والعقل والرأي.

﴿فَاسْتَوَى﴾: الفاء تعليلية، استوى: تعود لجبريل عليه السلام، استوى: استقام على صورته الحقيقة التي خلقه الله عليها؛ أي: ظهر على صورة الملائكة بأجنحته لرسول الله ﷺ، فاستوى جبريل ﷺ بالأفق الأعلى.

[٧] ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾:

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل تفيد التوكيد، وتعود على جبريل عليه السلام.

﴿بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾: أي: السموات العلى حين العروج (ليلة الإسراء والمعراج)؛ أفق السماء؛ أي: الجهة العليا من السماء، أو كما قال تعالى في الآية (٢٣) من سورة التكوين: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾، وقيل: لقد رأى رسول الله ﷺ جبريل ﷺ مرتين الأولى بعد حادثة غار حراء، والأخرى ليلة الإسراء والمعراج.

[٨] ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الذكري أو العددي.

﴿دَنَا﴾: جبريل عليه السلام؛ أي: اقترب من الأرض، أو دنا من رسول الله ﷺ.

﴿فَتَدَلَّى﴾: تعلق في الأفق أو هبط من أعلى الأفق، أو نزل ليكون قاب

قوسين أو أدنى من رسول الله ﷺ، ويمكن القول: فتدلى فدنا، يجوز تقديم أي الفعلين، الفاء للمباشرة والترتيب.

[٩] ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾:

﴿فَكَانَ﴾: الفاء للمباشرة، كان جبريل عليه السلام.

﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾: القاب: القدر، قوسين: مُثنى قوس؛ أي: قدر قوسين، القوس: طوله يقارب طول الذراع؛ أي: قدر ذراعين.

﴿أَوْ أَدْنَى﴾: أو أقرب من ذراعين.

[١٠] ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾:

﴿فَأَوْحَىٰ﴾: أبلغ جبريل عليه السلام النبي ﷺ.

﴿مَا أَوْحَىٰ﴾: (ما أوحاه الله إلى رسوله). وما اسم موصول بمعنى الذي، وما أوسع شمولاً من الذي، فهي تشمل كل شيء مما أوحاه إليه ربه، أوحى: ولم يبين الحق ما أوحاه آنذاك لرسوله ﷺ بواسطة جبريل ﷺ؛ للتعظيم والتفخيم.

[١١] ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾:

﴿مَا﴾: النافية.

﴿كَذَّبَ الْفُؤَادُ﴾: القلب، وليس كل القلب، وإنما الخلايا القلبية المتميزة التي تمتاز ببعض صفات الخلايا العصبية التي تخص الذاكرة والعاطفة؛ أي: ما كذب قلب محمد ﷺ ما رأى من صورة جبريل في المرة الأولى بعد حادثة غار حراء؛ أي: لم يكن هناك شك في رؤية رسول الله ﷺ جبريل في صورته الحقيقية؛



رأى: من الرؤية التي هي أشد أو أعلى من النظر. ارجع إلى سورة القصص آية (١٠) لمزيد من البيان في معنى الفؤاد، وسورة الحج آية (٤٦).

[١٢] ﴿أَفْتَمْرُؤُهُ عَلَى مَا يَرَى﴾:

﴿أَفْتَمْرُؤُهُ﴾: المماراة: الجدل بالباطل بعد تبين أو ظهور الحق؛ أي: أتجادلون رسول الله ﷺ بالباطل بعد أن تبين الحق على ما رأى لعله الإسراء والمعراج، وصدق ما يقوله في الإسراء والمعراج!

﴿عَلَى مَا﴾: (ما) الذي يرى، وما: أوسع شمولاً من الذي، ولم يقل على ما رأى؛ لحكاية الحال: لاستحضار تلك الرؤية؛ لعظمتها أمام عيني السامع، أو لتجدد وتكرار ما يرى وهو الحق.

[١٣] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، اللام للتوكيد، لقد للتحقيق.

﴿نَزْلَةً أُخْرَى﴾: نزلة: مصدر لفعل نزل، نزلة أخرى: مرة أخرى؛ أي: رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام مرة أخرى على صورته الحقيقية بأجنحة عند سدرة المنتهى، كما رآوه في المرة الأولى. ارجع إلى الآية (٨-١٠)، أو نزل جبريل على رسول الله ﷺ في صورته الحقيقة مرة ثانية، وذلك ليلة المعراج عند سدرة المنتهى.

[١٤] ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾:

﴿عِنْدَ﴾: ظرف مكاني.

﴿سِدْرَةٌ﴾: قيل: شجرة بَقِيَ في السَّمَاء السَّابِعَةِ يسير الرَّاكِب تحتها (٧٠)
عاماً لا يقطعها.

﴿الْمُنْتَهَى﴾: اسم مكان من الفعل الخماسي: انتهى، أو يعني المنتهى إليه.
﴿سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى﴾: أي المكان الذي ينتهي إليه كل ما يصعد به من الأرض؛
أي: يتوقف عندها كل الملائكة فلا يجاوزها أحد لا رسول ولا ملك، ولا يعلم
ما وراءها إلا الله الواحد القهار. أو ينتهي عندها علم كل الخلائق (الملائكة
وغيرهم) فلا يعلم ما بعدها أيُّ خلق.
[١٥] ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾:

إحدى الجنات، وهناك: جنات الفردوس، وجنات عدن، ودار السلام،
وجنات النعيم، والمأوى. اسم مكان من أوى يأوي وهو المكان أو المنزل الذي
يأوي إليه للراحة أو الإقامة.

[١٦] ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرفية.

﴿يَغْشَى﴾: يغطي ويستر سدرة المنتهى.

﴿السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾: الإبهام هنا للتعظيم والتّهويل؛ أي: لا يعلم ما يغطي
السِّترة أو ما ورآها أو ما يغشاها إلا الله سبحانه وتعالى. قيل: نور الله سبحانه،
وقيل: لا يستطيع أحد أن يصفها من حسننها، كما روي عن أنس بن مالك وأخرجه
مسلم في صحيحه.



[١٧] ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾:

﴿مَا﴾: النافية.

﴿زَاغَ﴾: هناك فرق بين الزَّيغ والميل، زاغ: من الزَّيغ، والزَّيغ المطلق يكون عن الحق، والزَّيغ المقيد هو الميل المكروه.

والميل عام يكون في المحبوب والمكروه. ارجع إلى سورة آل عمران آية (٧-٨) لمزيد من البيان في الزَّيغ.

﴿مَا﴾: النافية؛ أي: ما مال بصره ﷺ إلى أبعد مما أذن الله له ووقعت عليه عيناه من الرؤيا.

﴿وَمَا طَغَى﴾: تكرر (ما) يفيد تأكيد النفي (نفي الزَّيغ والطَّغْيَانِ كُلِّ عَلَى حدة أو كلاهما معاً)، طغى: من الطَّغْيَان وهو تجاوز الحد؛ أي: لم يتجاوز بصره يمنة أو يسرة أبعد مما وقعت عليه عيناه أو أتيح له، أو راح ينظر إلى كل شيء أو جانب.

[١٨] ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾: رأى: من الرؤية؛ رؤية حقيقية يقينية؛ من: بعض (بعضه)؛ آيات ربه: مبهمة للتعظيم. قيل: أي السدرة والبيت المعمور، وقيل: بعض مشاهد من الجنة والنَّار، وقيل: رأى جبريل في صورته الحقيقية، من آيات ربه الكبرى؛ أي: الآيات العظيمة التي لا يعلمها إلا الله، والتي تدل على عظمة الخالق وقدرته سبحانه.

[١٩] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّىٰ﴾:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ﴾: الهمزة للاستفهام التوبيخي، أُرأيتم: الرؤية قلبية وقد تكون بصرية؛ أي: أخبروني بعلم لم تعبدون هذه الأصنام اللات والعزى ومناة الثالثة وغيرها التي ليست أهلاً للعبادة؟!

﴿اللَّتَ﴾: مشتقة من الإله، وكانت لثقيف بالطائف.

﴿وَالْعُزَّىٰ﴾: مشتقة من العزيز تأنيث الأعز، وكانت لغطفان.

[٢٠] ﴿وَمَنْوَةُ الثَّالِثَةِ الْآخَرَىٰ﴾:

﴿وَمَنْوَةُ﴾: قيل: كانت صخرة لهذيل وخزاعة تُراق دماء النسائك (الذبائح) عندها، وقيل: حجارة كانوا يعبدونها في جوف الكعبة.

﴿الثَّالِثَةِ﴾: مؤنث الثالث؛ أي: الصنم الثالث، فالات الصنم الأولى، والعزى الصنم الثانية، ومناة الصنم الثالثة.

﴿الْآخَرَىٰ﴾: صفة توكيد مؤنث الآخر.

[٢١] ﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾:

﴿الْكُمُ﴾: الهمزة همزة استفهام توبيخي وإنكاري، قدّم (لكم)؛ أي: خاصة، أو حصراً لكم الذكر، وله الأنثى.

﴿الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾: أي كيف تجعلون هذه الآلهة إناثاً وتعبدونها، وأنتم تكرهون الإناث وتجعلون الإناث لله ولكم الذكور! ارجع إلى سورة الصافات آية (١٤٩-١٥٩) لمزيد من البيان.



[٢٢] ﴿تِلْكَ إِذْ أَسْمَةُ ضَيْرَى﴾:

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة إلى القسمة: الذكر لهم ولله الأنثى.

﴿إِذَا﴾: حرف جواب يفيد التوكيد.

﴿قِسْمَةُ ضَيْرَى﴾: قسمة غير عادلة؛ أي: هي قسمة جائرة، من: ضاز في حكمه؛ أي: جار، وضاز حقه؛ أي: نقصه وبخسه، مثل: منعه حقه. وقيل: ضاز: مضغ الشيء، وخلطه؛ أي: هي قسمة لا قيمة لها أو غريبة.

ولابد من الوقوف على هذه الكلمة الغريبة الغير مستساغة النطق، فقد جاءت هذه الكلمة احتجاجاً على قسمتهم الجائرة والتشنيع بتلك القسمة، فاختيرت هذه الكلمة التي تحمل في معناها الخسّة والبشاعة؛ لتناسب مع شركهم وتطابق عقولهم (الألفاظ المناسبة لمقتضى الحال).

[٢٣] ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾:

﴿إِنْ﴾: للتوكيد وتفيد النفي؛ أي: ما هي إلا أسماء سميتموها.

﴿هِيَ﴾: تعود على الأصنام اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا﴾: أي حجارة سميتموها بهذه الأسماء أنتم وآباؤكم

(وتعني الأجداد أيضاً).

﴿أَنْتُمْ﴾: للتوكيد.

﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾: ما النافية، (أنزل) ولم يقل نزل؛ أنزل: أقل
توكيداً وأهمية للمنزل من نزل، وتعني جملة واحدة، ونزل تعني منجماً وأكثر
أهمية؛ ارجع إلى سورة الأعراف آية (٧١) لمزيد من البيان، وهي تسميات باطلة
لا حقيقة لها ولا قيمة لها وما أخبركم الله تعالى بها على لسان رسله أو في كتبه
أن تعبدوها أو أنزل أي حجة أو برهان أو وحي.

من سلطان: من استغرافية تستغرق كل سلطان، والسلطان هو إما سلطان
حجة ودليل أو سلطان قهر وقوة، فالله سبحانه لم ينزل أي سلطان لا هذا ولا
ذاك. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٧١) للمزيد في معنى سلطان.

﴿إِنْ﴾: تعني ما، وإن أقوى نفيًا من ما.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: ما يتبعون في عبادتها إلا (أداة حصر)، الظن: ضرب
من الاعتقاد أو شكّ راجح؛ أي: ترجّح فيه طرف الإثبات على النفي. وإذا قارنا
هذه الآية مع الآية (٢٨) من نفس السورة وهي قوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾: نجد أن الآية (٢٨) ليس تكراراً للآية (٢٣)، فالآية
(٢٣): الظن فيها متعلق باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، والآية (٢٨): الظن
فيها متعلق بعبادة الملائكة.

﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾: أي ما تميل إليها الأنفس بدون أي دليل شرعي.
ارجع إلى الآية (٣) من نفس السورة، وسورة الأنعام آية (١١٩).

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾: ولقد: اللام لتوكيد، قد: لزيادة التوكيد،
القرآن والوحي والدين الحق والرسول ﷺ، وجاءهم الهدى: البرهان الواضح
أن هذه ليست آلهة.



[٢٤] ﴿أَمَّ لِلإِنْسَنِ مَاتَمَنَّى﴾:

﴿أَمَّ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتعجب، أم المنقطعة.

﴿لِلإِنْسَنِ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿مَاتَمَنَّى﴾: بمعنى الذي أو مصدرية؛ أي: ليس له كل ما يتمناه. ما أوسع شمولاً من الذي، تشمل كل شيء.

﴿تَمَنَّى﴾: مثل أن تشفع لهم الآلهة أو أن لهم الحسنَى، والتمني: معنى في النفس يتعلق بما يلد وما يكره، وقد يتعلق بالماضي أو المستقبل، والتمني يختلف عن المحبة والشهوة والإرادة، وإن كان معناها متقارباً.

[٢٥] ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾:

﴿فَلِلَّهِ﴾: الفاء للتوكيد، لله: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، لله وحده، يفيد الحصر.

﴿الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾: الملك والحكم في الأولى (الدنيا) والآخرة لله وحده وليس لأحد، وليس للأصنام أو الآلهة التي يعبدونها فهي لا تنفع ولا تضر ولا تشفع ولا تقرب، ولا تسمع ولا ترى ولا تجيب. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٣) من سورة الليل وهي قوله تعالى: ﴿وَلَنَا الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾: نجد أن آية سورة الليل: جاءت في سياق المال والغنى والصدقة، وآية النجم: في سياق الحكم والملك.

[٢٦] ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَبَرَّضَى﴾:

﴿وَكَمْ﴾ الخبرية وتفيد التّكثير؛ أي: كثير من الملائكة الكرام في السموات رغم قربهم من الله ومنزلتهم عنده لا تشفع لأحد من البشر أو الجن، أو لا تغني؛ أي: لا تنفع شفاعتهم أو تجدي.

﴿شَيْئًا﴾: نكرة؛ أي: مهما كانت شفاعتهم قليلة أو كثيرة، أو مهما كان نوعها أو قيمتها.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مِنْ بَعْدِ﴾: من ابتدائية.

﴿أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَبَرَّضَى﴾: فالشّفاة تحتاج إلى مؤهلات:

١ - الإذن من الله تعالى للشافع أن يشفع.

٢ - ولا بد لمن يشفع أن يكون أهلاً للشفاة؛ أي: من أهل الإيمان والتّوحيد والعمل الصّالح.

٣ - المشفوع له من أهل التّوحيد أيضاً.

لمن: اللام للتوكيد، من: اسم موصول للعاقل.





سُورَةُ النِّجْمِ ٥٣

الْبَيِّنَاتُ الْعَزِيزَةُ

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى (٢٧)
وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ
الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ
إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ اتَّقَى (٣٢) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى
(٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ
مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَا تَذَكَّرُ وَأَنْتَ أُخْرَى
(٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنْ سَعْيَهُ سَوْفَ
يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١) وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى
(٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤)

سورة النجم [الآيات ٢٧ - ٤٤]

[٢٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوكَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ:﴾

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا النافية، لا يؤمنون: بالآخرة، بالبعث والحساب.

﴿لَيَسْمُوكَ﴾: اللام لام التوكيد.

﴿بِالْآخِرَةِ﴾: الباء للإلصاق.

﴿لَيَسْمُوكَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ﴾: وذلك حين زعموا أن الملائكة بنات الله سبحانه؛ أي: سموا كل ملك بنتاً وهي تسمية الأنثى. ارجع إلى سورة الصفات آية (١٤٩-١٥٩)، وسورة الزخرف آية (١٩) لمزيد من البيان.

[٢٨] ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾

﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾: ما: النافية. من علم: من استغراقية؛ تعني: ما لهم بذلك أي علم مهما كان من كتاب أو وحي، أو أخبر بذلك من أحد أو شهدوا خلقهم، حتى يزعموا باطلاً أن الملائكة إناث.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ﴾: إن نافية؛ أي: ما يتبعون.

﴿إِلَّا﴾: أداة للحصر والقصر.

﴿الظَّنَّ﴾: الشك: وهو الاحتمال الراجح في عقولهم، ارجع إلى الآية

(٢٣) السابقة.



﴿وَإِنَّ الظَّنَّ﴾: إن للتوكيد.

﴿لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾: أي الظن لا يمكن أن يقوم مقام الحق، ولا ينوب عنه، والظن لا يجدي شيئاً ولا اعتبار له؛ لأن الحق هو الأمر الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل، والعلم الذي ليس هناك غيره.

[٢٩] ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾:

﴿فَأَعْرِضْ﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدر هو: إن استمروا على ظنهم الباطل وأصروا على ذلك، فأعرض عنهم.

أعرض عنهم: أي لا تكلمهم ولا تقابلهم.

﴿عَنْ﴾: تفيد المبالغة والمجانبة.

﴿مَنْ﴾: استغراقية؛ أي: أعرض وتولّى عن ذكرنا.

﴿تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾: أي ابتعد وأهمل، ذكرنا؛ أي: القرآن وذكر ربه والصلاة والإيمان والدين.

﴿وَلَمْ يُرِدْ﴾: نافية للحال والمستقبل.

﴿يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: يرد: من الإرادة: وهي العزم على فعل أو ترك أمر ما، وهي ميل اختياري؛ أي: أصبح كل همه فقط الحياة الدنيا وشهواتها.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد، ويشير إلى قصر إرادتهم على الحياة الدنيا وثوابها.

﴿مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾: منتهى علمهم وأملهم وطمعهم الحياة الدنيا؛ أي: كل

ما يعلمونه في دنياهم الأكل والشرب واللهو واللعب والتناسل. من: استغراقية؛ من كل العلم فلا يعلمون شيئاً عن الآخرة. وتعاموا قصداً وعمداً عنها فلا يريدون إلا العاجلة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾: للتوكيد.

﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾: هو: ضمير يفيد التوكيد والحصص.

﴿بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾: الباء للإلصاق، من: اسم موصول بمعنى الذي، ضل: تاه وضاع وانحرف، عن سبيله: عن دينه.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾: وهو للتوكيد والحصص، أعلم: على وزن أفعل للمبالغة، بمن: الباء للتوكيد، من: للعاقل المفرد والجمع. اهتدى: استجاب لربه واختار لنفسه طريق الهداية والسير عليه.

[٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَفُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾:

﴿وَلِلَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة؛ ليدل على الحصر والقصر.

أي: لله ما في السموات والأرض وحده لا يشاركه فيهما أحد ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: ملكاً وحكماً وتديراً وتصريفاً.

ما: تشمل كل شيء العاقل وغير العاقل في السموات وحدها وفي الأرض وحدها أو في كلاهما معاً.

﴿لِيَجْزِيَ﴾: اللام لام التعليل، يجزي: من الجزاء، والجزاء من جنس العمل، وهو أعم من الأجر والجزاء يستخدم من النفع والضّر، أما الأجر يستخدم مع النفع فقط.



﴿الَّذِينَ اسْتَوْا بِمَا عَمِلُوا﴾: الباء السببية أو البدلية، عملوا: (تشمل الأقوال والأفعال) بما عملوا من الكفر والشرك والمعاصي في الدنيا.

﴿وَيَجْزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾: الذين أحسنوا في إيمانهم وتقواهم وتوحيدهم إحسان الكم والكيف. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٢) لمزيد من البيان.

ووصفهم بالآية التالية (٣٢) بالذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم.

﴿بِالْحُسْنَى﴾: مؤنث الأحسن، والحسنى: الجنة، وقدم الذين أساءوا على الذين أحسنوا؛ لأنهم هم الأكثرية.

[٣٢] ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يعود على الذين أحسنوا.

﴿يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾: الاجتناب هو الابتعاد كليةً وعدم الاقتراب، والاجتناب أشد من التحريم، كبائر الإثم: ومنها الشرك وعقوق الوالدين وقتل النفس وقذف المحصنات، وأكل الربا، والخمر والميسر والأنصاب والأزلام، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم.

الكبيرة: كل ذنب يؤدي إلى النار يعتبر كبيرة.

والفواحش: ما اشتد قبحه من الأفعال والأقوال ومنها الزنى، وقيل: الفواحش كل ذنب يقام في الحد.

﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾: إلا أداة حصر، اللمم: صفائر الذنوب تحتاج إلى ستر.

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾: يغفر الذنوب جميعاً إلا الشرك به والكفر إذا لم يتوب العبد، ولولا مغفرته ما ترك على ظهرها من دابة، وكما قال تعالى: ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾: أي هو سبحانه أعلم بأحوالكم وأعمالكم وبذوات صدوركم وما يخطر على عقولكم ونواياكم.

إذ: ظرفية، أنشأكم من الأرض: أي ابتداء خلقكم بخلق أبيكم؛ أي: خلقكم من آدم وادم من طين، أو أنشأكم من الأرض حيث تأكلون من زرعها وحبها وثمرها نخيلها وأعنابها.

فالنبات يمتص الماء والأملاح من الأرض والغذاء أصله من الأرض، والنشأة وتطور الإنسان يحتاج إلى هذه التغذية، ولقد اكتشف أن جسم الإنسان فيه أكثر من (١٨) عنصراً من عناصر أو معادن الأرض.

وقيل: الإنشاء قبل الخلق، فالإنشاء هو البداية (بداية الخلق).

﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾: وإذ: ظرف بمعنى حين، أنتم أجنة: جمع جنين والجنين: اسم للطفل في رحم أمه، وسمي جنيناً؛ لاستتاره في الرحم.

يعلم ما حدث لكم من تطورات خلقية، ويعلم مكونات كل مخلوق من الجينات والحموض النووية المركبة لكل جسم والحقائب الوراثية لكل مخلوقاته والطفرة وما توارث عن أبيه وأمه ومن سبقهم من الآباء والأمهات، وما سيصيبه من أمراض وراثية وغير وراثية في أي طور من أطوار حياته.



﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾: أي ويعلم ما تكسب كل نفس من آثام وخطايا ولمم وذنوب وكبائر، وما كسبت في إيمانها من خير وصلاح.

فلا: الفاء رابطة لجواب مقدر؛ أي: إن كان هذا هو حالكم فلا تزكوا أنفسكم، والتركية تعني تبرئة النفس من الذنوب والآثام والعيوب، وادعاء الفضيلة والتقوى، فلا تمدحوا أنفسكم أو تشهدوا لأنفسكم وتشنوا عليها فالله سبحانه هو وحده أعلم وأدرى بدرجة تقواكم وإيمانكم، وبدلاً من التركية اسألوا الله مغفرته ورحمته وأن يصلح شأنكم وأحوالكم، وتختلف هذه التركية عن التركية التي ورد ذكرها في الآية (٩) في سورة الشمس وهي قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، فالتركية في هذه الآية مستحبة ومطلوبة، وتعني: تطهير النفس؛ أي: تجنب الآثام والمعاصي.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾: هو ضمير فصل يفيد التوكيد؛ أي: هو سبحانه.

أعلم: على وزن أفعّل للمبالغة، بمن: الباء للإلصاق والملازمة ومن استغراقية؛ أي: يعلم بكل من اتقى منكم؛ أي: أطاع أو امره وتجنب نواهيه.

[٣٣] ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾:

قال مجاهد: نزلت هذه الآيات في الوليد بن المغيرة الذي كاد قلبه يلين ويدخل في الإسلام بعد أن استمع إلى تلاوة رسول الله ﷺ، فجاءه أحد المشركين فغيره بترك دين آبائه، فقال له الوليد: خفت من عذاب الله، فقال المشرك للوليد الذي كان غنياً: أعطني كذا من المال في كل مدة من الزمن وأنا أتحمل عنك العذاب الذي تخاف منه! فوافق الوليد على العرض وراح يعطيه

كل مدة، وقيل: نزلت في النضر بن الحارث، أو أبو جهل، أو العاص بن وائل السهمي.

ثم أكدى: أي أعطى ثم توقف عن العطاء ولم يتم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

﴿أَفَرَأَيْتَ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتعجب، رأيت: رؤية قلبية فكرية.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد الدّم في هذه الآية.

﴿تَوَلَّى﴾: ابتعد وأعرض عن اتباع الحق والإيمان والدّخول في الإسلام. والتولّى المطلق غير المقيّد في القرآن يعني: عدم الإيمان.

[٣٤] ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾:

﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا﴾: من ماله للذي وعده أن يتحمّل عنه العذاب يوم القيامة.

﴿وَأَكْدَى﴾: قطع العطاء أو أعطى ولم يتمّ العطاء، مشتق من الكدية: شيء صلب كالصخرة وغيره، وأصل هذه الكلمة جاء من قصة الذي حفر بئراً ثم توقف عن الحفر بعد أن أتى على أرض صلبة فيها صخر، توقف عن إتمام الحفر ولم يبلغ غايته؛ أي: شبّه من يعطي قليلاً ثم يمسك عن العطاء بمن يكدي؛ أي: يمسك عن الحفر بعد أن وجد صخرة صلبة.

[٣٥] ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بِرَأْيِهِ﴾:

﴿أَعِنْدَهُ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري، والضّمير يعود على الذي تولّى عن الإسلام وأعطى قليلاً وأكدى.



أعنده ﴿عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾: أي كيف علم أن غيره يُسمح له أو يحق له أن يتحمل عنه العذاب في الآخرة، أو هل نبئ بالغيب فهو يعلم ما ستكون عليه حاله في الآخرة؟!

[٣٦] ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والإنكار، ومعنى أم: بل؛ أي: بل لم يُنبأ بما: الباء للإلصاق، ما: بمعنى الذي جاء في صحف موسى وإبراهيم، والنبأ: هو ألا تزر وازرة وزر أخرى.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿صُحُفِ مُوسَى﴾: قيل هي عشر صحف التي أنزلت على موسى عليه السلام قبل إنزال التوراة.

[٣٧] ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾:

﴿وَابْرَاهِيمَ﴾: أي وصحف إبراهيم، وقيل: إن الله سبحانه وتعالى أنزل على إبراهيم عشر صحف كما ورد في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، كم أنزل الله من كتاب؟ قال: (مائة صحيفة وأربعة كتب: أنزل على شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف). رواه ابن حبان في صحيحه. وهناك من علماء الحديث من ضعف هذا الحديث.

﴿الَّذِي وَفَّى﴾: بكل ما عهد إليه ربه مثل ذبح ولده وبناء البيت، والهجرة وإتمام التكاليف الشرعية وغيرها.

[٣٨] ﴿أَلَا نُنْزِرُ وَازِرَةً وَّزَرَ أُخْرَىٰ﴾:

﴿أَلَا﴾: أصلها أن: المخففة تفيد التوكيد، لا: النافية.

﴿نُنْزِرُ﴾: تحمل.

﴿وَازِرَةً﴾: نفس آثمة أو نفس وازرة مذنبه محملة بالآثام.

﴿وَزَرَ﴾: أي ذنب أو إثم نفس أخرى.

والمعنى العام: لا تحمل نفس ذنب نفسٍ أخرى؛ أي: لا تحمل نفسٌ إلا ذنبها، أما إذا كانت هذه النفس الآثمة هي سبباً لإضلال غيرها ومنعها من الهداية، عندها سوف تحمل وزها ووزر التي أضلتها عن سبيل الله كما قال تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَاهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣].

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ

عِلْمٍ﴾: [النحل: ٢٥].

[٣٩] ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾:

﴿وَأَنْ﴾: المخففة، أو حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد.

﴿لَّيْسَ﴾: للنفي.

﴿لِلْإِنْسَانِ﴾: اللام لام الاختصاص أو الاستحقاق.

﴿إِلَّا﴾: تفيد الحصر.

﴿مَا﴾: بمعنى الذي، أو حرف مصدري. و(ما) أوسع شمولاً من الذي،

وتشمل كل شيء.



﴿سَعَى﴾: عمل من خير أو شر، والسَّعي: العمل؛ أي: ليس له إلا جزاء عمله فقط.

[٤٠] ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾:

﴿وَأَنَّ﴾: للتوكيد، سعيه: عمله من خير وشر في الدنيا.

﴿سَوْفَ﴾: أداة للاستقبال البعيد؛ أي: في الآخرة سوف..

﴿يُرَى﴾: في الآخرة، سواء كان خيراً أو شراً. يُرى: يرى بنفسه أو قد يُرى من غيره. كما قال تعالى: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُ وَأَكْتَبُ﴾ [الحاقة: ١٩]، ﴿أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

[٤١] ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلَى﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي؛ أي: في الآخرة.

﴿يُجْزَاهُ﴾: أي يجزئ العبد على سعيه أو يجزيه الله على علمه.

الجزاء: في اللغة هو الثواب، ولكن الجزاء يكون في الخير، والشر والثواب يكون عادة في سياق الخير.

﴿الْجَزَاءُ الْأَوَّلَى﴾: التام الكامل غير المنقوص ولو حسنة واحدة.

[٤٢] ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾:

﴿وَأَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: تقديم (إلى ربك) يفيد الحصر والقصر؛ أي: إلى ربك وحده المنتهى.

﴿الْمُنْتَهَى﴾: المصير والمرجع للحكم وللحساب والجزاء، إليه الانتهاء للعرض عليه كقوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٨].
[٤٣] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾:

﴿وَأَنَّهُ﴾: الواو عاطفة، أن: للتوكيد، وهاء الضمير تعود على (ربك).
﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد ويفيد الحصر، فلا يقدر على ذلك إلا ربك سبحانه.

﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾: أضحك من شاء في الدنيا وأبكى من شاء، وقد يقول قائل: الضحك والبكاء ناتجان عن إرادة العبد، فالضحك أو البكاء ناتجان عن مؤثرات خارجية تؤثر في أعصاب الفرد مما يؤدي إلى تراخي أو تقلص عضلات الوجه. هذا صحيح هذه آلية الضحك والبكاء، والسؤال هنا: من خلق هذه العضلات والأعصاب وجعلها تتأثر بالعواطف الداخلية؛ كي تظهر إما على شكل ضحك أو على مظهر البكاء؟ هو الله سبحانه وحده.
[٤٤] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾:

﴿وَأَنَّهُ﴾: الواو عاطفة، أن: للتوكيد، وهاء الضمير تعود على (ربك).
﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد ويفيد الحصر.
﴿أَمَاتَ﴾: من انتهى أجله في الدنيا من الإنس والجن والنبات والحيوان.
﴿وَأَحْيَا﴾: من الأجنة، وأحيا الأرض بعد موتها، وأحيا النبات والحيوان.





سُورَةُ الْقَمَرِ ٥٤

الْمَاءِ الْغَائِيَةِ

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۚ (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ۚ (٤٦) وَأَنَّهُ
عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْآخَرَى ۚ (٤٧) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۚ (٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ
السَّعَرَى ۚ (٤٩) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۚ (٥٠) وَثَمُودَ إِذْ تَبَقَّى (٥١)
وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ ۚ (٥٢) وَالْمُؤْتَفِكَةَ
أَهْوَىٰ ۚ (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ (٥٥)
هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَىٰ ۚ (٥٦) أَزِفَتِ الْأَافِقَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ
دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۚ (٥٨) أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ
وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۖ (٦٢)



سُورَةُ الْقَمَرِ ٥٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ ۖ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ۚ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا
وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۚ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ
وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ
مَا فِيهِ مِزْجَجٌ ۚ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذِرُ
(٥) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ ۚ (٦)

سورة النجم [الآيات ٤٥ - ٦٢]

[٤٥] ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾:

﴿وَأَنَّهُ﴾: كما في الآية (٤٣).

﴿خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾: الصّنفين الذّكر والأنثى في كل شيء في الإنسان والحيوان والنبات، والموجب والسّالب في المعادن والذّرات، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩].

خلق كل شيء في الوجود من زوجين؛ ليقبّل سبحانه متفرداً بالوحدانية لا يشاركه فيها أحد مما خلق.

[٤٦] ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾:

﴿مِنْ﴾: ابتدائية.

﴿نُطْفَةٍ﴾: الذّكر والأنثى من الإنس والجن والحيوان.

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد الحتمية.

﴿تُمْنَىٰ﴾: تشكّلت وقُدّر لها أن تحيا بعد تشكّلها فهي تحوي على (٥٠-٢٤٠) مليون حيوان منوي، وأن تلتقي ويتمّ التزاوج واللقاح، فكلّ ذلك يحتاج إلى قدرة الإله الخالق سبحانه.

[٤٧] ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْآخِرَىٰ﴾:

﴿وَأَنَّ﴾: للتعليل والتوكيد عليه سبحانه.

﴿النَّشْأَةَ الْآخِرَىٰ﴾: إعادة الإحياء والخلق؛ أي: البعث بعد الإماتة الأولى،

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].



[٤٨] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾:

﴿وَأَنَّهُ﴾: ارجع إلى الآية (٤٣) السابقة.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر.

﴿أَغْنَىٰ﴾: من شاء من عباده بالمال وغيره، وقيل: أغنى بالقناعة.

﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أفقر من شاء حسب ما تقتضيه حكمته ومصلحة خلائقه. وقيل:

أقنى: أَرْضَى، وأقناه؛ أي: أَرْضَاه. والقنى: الرضى. وتقول العرب (كما ورد في مختار الصحاح): من أعطي مائة من المعز فقد أعطي القنى، ومن أعطي مائة من الضأن فقد أعطي الغنى، ومن أعطي مائة من الإبل فقد أعطي المنى. فهو سبحانه يعطي القليل والكثير ما يكفي وما يزيد على الكفاية.

[٤٩] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ﴾:

﴿وَأَنَّهُ﴾: ارجع إلى الآية (٤٣) السابقة للبيان.

﴿رَبُّ الشَّعْرَىٰ﴾: أي خالق الكواكب جميعها أو الكوكب الذي عبده خزاعة، وقيل: حمير أيضاً، وتسمى: الشعريّ العبور أو اليمانية، وخصّها بالذكر من بين الكواكب؛ لأنها كانت تعبد وكان المنجمون يستعملونها في سحرهم ينسبون إليها أشياء خاصة باطلاً، وقيل: هو الكوكب الذي يظهر بعد ظهور كوكب الجوزاء.

[٥٠] ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾:

﴿وَأَنَّهُ﴾: الواو عاطفة، أنه: للتوكيد وتعود على (ربك).

﴿أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾: أي قوم هود سكنوا الأحقاف، والذين قالوا: من أشدّ منا قوة؟ أهلكهم الله ﴿بِرِيحٍ صَّارِصٍ عَاتِيَةٍ﴾^(٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَينَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴿[الحاقة: ٦-٧].

[٥١] ﴿وَتُمُودًا أَفْئَىٰ﴾:

وأهلك تمود قوم صالح الذين سكنوا الحجر وعقروا الناقة، وقالوا: يا

صَالِحِ اثْنَيْنِ بِمَا تَعَدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ، ﴿فَمَا أَسْتَطْعَمُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِّينَ﴾ [الذاريات: ٤٥].

[٥٢] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾:

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾: وأهلك قوم نوح بالطوفان.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل عاد وثمود.

﴿إِنَّهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿كَانُوا هُمْ﴾: لزيادة التوكيد.

﴿أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾: من غيرهم من الأقوام دام ظلمهم وطغيانهم (٩٥٠) سنة.

[٥٣] ﴿وَالْمُؤْنِفَكَةِ أَهْوَى﴾:

قرئ قوم لوط التي انتفكت؛ أي: انقلبت بعد أن رفعها جبريل عليه السلام إلى عنان السماء ثم قلبها.

﴿وَالْمُؤْنِفَكَةِ﴾: المنقلبة.

﴿أَهْوَى﴾: من الإهواء؛ وهو الإسقاط، أهوى بها إلى الأرض؛ أي: أسقطها على الأرض.

[٥٤] ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾:

﴿فَغَشَّاهَا﴾: غطاها بالحجارة، أو غشيها من العذاب ما غشى بعد أن انقلبت عاليها سافلها.

﴿مَا غَشَّى﴾: للتهويل والتعظيم لما صب عليها من العذاب أو المطر المكوّن من حجارة من سجيل منضود.

[٥٥] ﴿فَيَأْتِيْكَ الْآءُ رِيكٌ تَمَارِيْ﴾:

﴿فَيَأْتِي﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدر تقديره: إن كانت قدرة الله على إهلاك قوم لوط بهذا الشكل، فبأي آء ريك تماري؟ بأي: الباء للإلصاق، أي: استفهام.



﴿أَلَا أَرْبِكُ﴾: أنعم ربك، أو نعم ربك الدالة على قدرته وعظمته ووحدانيته.
 ﴿تَمَارَى﴾: من المراء: تشكّ وتجادل بالباطل، تمارى: تشكّ وتجادل
 بالمراء، والمراء: وهو الجدال بالباطل، والكذب بعد ظهور الحق.
 [٥٦] ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾:

﴿هَذَا﴾: الهاء للتببيه، ذا: اسم إشارة للقرب ويشير إلى القرآن أو
 رسول الله ﷺ.

﴿نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾: أي هذا القرآن نذير من النذر الأولى؛ أي: من
 الكتب السماوية السابقة أو هذا النبي محمد ﷺ من النذر الأولى؛ أي: رسول
 مثل الرسل الأولى؛ أي: ليس هو ببدع من الرسل.
 [٥٧] ﴿أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ﴾:

﴿أَزِفَتْ﴾: دنت وقربت.

﴿الْأَرْفَةُ﴾: السّاعة؛ أي: قربت السّاعة ودنت، وسميت بهذا الاسم؛
 لاقتربها، وكما قال تعالى: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨].
 يوم الأرفة: يوم القيامة، وله أسماء كثيرة جداً منها: الحاقة، والطامة، والصاخة،
 والقارعة، والواقعة... وغيرها.

[٥٨] ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾:

﴿لَيْسَ لَهَا﴾: ليس: نافية للحال ويمكن أن تكون للماضي والمستقبل
 والاستمرار في النفي. (لها) تعود على الأرفة: السّاعة.

﴿مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾: أي ليس هناك من هو قادر على كشفها أو مظهر
 لوقتها، أو يعلم متى ستحدث حتّى يخبر بها، أو يمنعها من الحدوث.
 [٥٩] ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾:

﴿أَفَمِنْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء للتوكيد.

﴿هَذَا الْحَدِيثُ﴾: هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب، ويشير إلى القرآن الكريم. ارجع إلى سورة الزمر آية (٢٣) لبيان معنى هذا الحديث.

﴿تَعْجَبُونَ﴾: فلا تصدّقون بآياته وتكفرونه؛ لأنه مخالف لما أنتم عليه من الشرك أو عبادة الأصنام، ولأنّه يدعو إلى التّوحيد والبعث والحساب، والحق أن تعجبوا من سفاهة عقولكم التي أعرضت عنه ولم تؤمن به.

[٦٠] ﴿وَصَحَّحُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾:

﴿وَصَحَّحُونَ﴾: أي استهزاءً منه ومن آياته.

﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾: خشوعاً وخوفاً من وعيده، ولا تبكون على ما فرطتم في حقه وفي جنب الله، وعلى سيئاتكم وذنوبكم، أو لا تبكون على خسارتكم لأنفسكم وأهلكم.

[٦١] ﴿وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ﴾:

﴿سَمِدُونَ﴾: جمع سَامِد: متكبرون، أو رافعون رؤوسكم تكبراً. وقيل: كلّ رافع رأسه: سَامِد؛ أي: متكبر، وقيل: سَامِدُونَ: لاهون عن تدبّر هذا القرآن، والسّمود بلغة أهل اليمن: الغناء، سَامِدُونَ تدلّ على أنّ هذه الصّفة ثابتة عندهم، فالسّمود قد يعني: الاستكبار واللّهو والإعراض والخمول معاً.

[٦٢] ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا﴾:

الفاء رابطة لجواب مقدّر: إن أردتم التّوبة والإنابة والرّجوع إلى الله فاسجدوا له سجود الشّكر وسجود العبادة؛ أي: الصّلاة، واعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، وأطيعوا أوامره وتجنّبوا نواهيه؛ أي: أطيعوا المعبود في كلّ ما أمر أو نهى عنه.





سُورَةُ الْقَمَرِ ٥٤

الْقَمَرِ

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۖ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تَمَنَّى (٤٦) وَأَنَّ
عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْآخَرَى (٤٧) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ
الشَّعَرَى (٤٩) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَ إِثْمَىٰ (٥١)
وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ (٥٢) وَالْمُؤَنَفَكَةَ
أَهْوَىٰ (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ (٥٥)
هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ (٥٦) أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن
دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) أَفِينْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ
وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۖ (٦٢)



سَجْدَةٌ

سُورَةُ الْقَمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ ۖ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا
وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ
وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ
مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ
(٥) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ (٦)

سورة القمر [الآيات ١ - ٦]

ترتيبها في القرآن (٥٤) وترتيبها في النزول (٣٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَفْتَرَبِ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ﴾:

سبب النزول: أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية تدل على صدق نبوته فأراهم القمر شقتين حتى رأوا جبل حراء بينهما.

وفي رواية ابن عباس قال: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين، فقال لهم رسول الله ﷺ: إن فعلت تؤمنون؟ قالوا: نعم، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما قالوا فانشق القمر شقين أو نصفين، ورسول الله ﷺ ينادي: يا فلان ويا فلان اشهدوا. وذلك بمكة قبل الهجرة. رواه البخاري، وذكره السيوطي في الدر.

﴿أَفْتَرَبِ السَّاعَةَ﴾: الساعة تعني: ساعة: هي لحظة تهدم ودمار النظام الكوني الحالي وزوال السموات والأرض، والذي يعقبه البعث، والحشر للحساب، والجزاء، وقد عدها الإمام الغزالي والقرطبي فبلغت حوالي خمسين اسماً، كما قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري منها: الحاقة، الطامة، الصاخة، الواقعة، الحسرة، الغاشية، الأزفة.... وغيرها.



﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾: ارجع إلى سورة إبراهيم آية (٣٣) وسورة يونس آية (٥) للتعريف بالقمر. وبما أن القمر انشق على زمن الرسول ﷺ فقد اكتشفت الدراسات الجيولوجية الحديثة أن هناك شقوق على سطح القمر يبلغ طولها أحياناً (١٢٥) كم، وعمقها (٤٠٠) متر على شكل قنوات لا زالت الأبحاث تدرس هذه الآيات الكونية التي تدل على عظمة الله وقدرته وصدق نبوة محمد ﷺ، فانشقاق القمر من أهم معجزات الرسول ﷺ، وكذلك من أشراط الساعة أو (الأمارات أو العلامات) والدالة على قرب وقوعها رغم مضي أكثر من ألف وأربعمئة عام، والجواب على ذلك لأن الباقي من أمر الدنيا قليل بالنسبة لما مضى فيها واقتراب الساعة بتقدير علم الله سبحانه وليس بتقدير البشر.

[٢] ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: شرطية تفيد الشك والاحتمال.

﴿يَرَوْا آيَةً﴾: أي: معجزة دالة على صدق نبوة الرسول ﷺ مثل انشقاق القمر.

﴿يُعْرِضُوا﴾: هذا هو جواب الشرط، يعرضوا عن الإيمان والتصديق بالآيات.

﴿وَيَقُولُوا﴾: معطوفة على يعرضوا ويقولوا عن الآيات أو المعجزات سحر مستمر.

﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾: سحر دائم، سحرنا به محمد وسحرنا غيره من قبل لما رأوا تتابع الآيات، أي: المعجزات، أو سحر زائل ذاهب أو سحر شديد قوي. مستمر: من مر الشيء: أي: ذهب.

ويقولوا سحر مستمر؛ ويقولوا: بصيغة المضارع لتدل على تجدد أقوالهم وتكرارها. أو حكاية الحال التي تدل على شناعة كذبهم، ولتعريف السحر ارجع إلى سورة طه الآية (٥٨) للبيان.

[٣] ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾:

﴿وَكَذَّبُوا﴾: رسول الله ﷺ أو كذبوا بالآيات.

﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾: أهواءهم جمع هوى. ارجع إلى سورة النجم آية (٣)، وسورة النساء الآية (١٣٥) لبيان معنى الهوى.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾: أي: إلى الآن هذا الأمر لم يبلغ غايته (أي: أمر الدين والإسلام) لا زال في بدايته، ولا بُدَّ لكل أمر يريده الله أن يبلغ غايته ومتناه ويتحقق.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

ولكل أمر حقيقة وبداية ونهاية، وبما أن (كل) جاءت بالضم وليس بالفتح، ولم يقل: وكل، فتدل على أن هناك أموراً لها مستقر وأموراً ليس لها مستقر، أي: مستمرة، ولو قال: كل أمر بالفتح لدل ذلك على كل أمر له مستقر.

[٤] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية واللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿جَاءَهُمْ﴾: أي: قريش أو أهل مكة والمجيء فيه معنى المشقة.

﴿مِنْ﴾: بعضية.



﴿الْأَنْبَاءَ﴾: جمع نبأ، النبأ هو الخبر العظيم أو المهم. أي: أنباء الأمم السابقة المكذبة رسلها وما أصابها من الهلاك والدمار.

﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾: ما فيه: الكفاية والموعظة والنهي لكي يجرهم، أي: ينهاهم أو يكفهم ويمنعهم عن غيهم وضلالهم وكفرهم وشركهم.

﴿مُزْدَجَرٌ﴾: مصدر للفعل ازدجر أو زجر، أي: نهره (من الانتهاز) أو محاولة المنع.

[٥] ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْتُذُرُ﴾:

﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ﴾: أي: هذا القرآن حكمة تامة بما فيه من الأنباء والمواعظ والهداية.

﴿بَلِغَةٌ﴾: كاملة تامة بلغت منتهى البيان ليس فيها نقص أو خلل بلغت الغاية التامة في الزجر والردع، وما فيه الكفاية لتزجر الكافر والضال، حكمة بالغة: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

﴿فَمَا﴾: الفاء للتوكيد، ما: نافية أو استفهامية.

﴿تُغْنِ الْتُذُرُ﴾: أي: من لم ينزجر ويرتدع ويكف عن غيّه وضلاله بما في هذا القرآن من إنذار، وبما جاء به الرسول ﷺ، فلن ينفعه أي إنذار بعده أو غيره.

﴿الْتُذُرُ﴾: جمع نذير أو منذر أو الإنذارات.

[٦] ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نَّكُرٍ﴾:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: ابتعد عنهم، عن هؤلاء الكفار والمشركين والمكذابين؛ لأن الإنذار لا ينفع معهم، واستمر في دعوتك إلى الله تعالى، وانتظر يوم يدع

الداعي وهو إسرافيل عليه السلام يوم ينفخ في الصور نفخة البعث يسمعها كل حي، يسمعها من في القبور بعد النشْر (الإحياء).

﴿إِلَى شَيْءٍ نُّكِّرُ﴾: شيء: عظيم مروع لا تصدقه؛ أي: العقول وتكرهه النفوس لم يروا مثله في حياتهم قط، وهو يوم القيامة والبعث والحساب، وهناك فرق بين نُكِّرَ ونُكِّرَ كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤].

نُكِّرَ: بضم الكاف أبلغ وأشد في الإنكار نُكْرًا بتسكين الكاف، وهناك فرق بين المنادي والداعي.

المنادي: ينادي برفع الصوت فقط والمنادي ليس بالضرورة يطلب شيئاً.

الداعي: إما أن يرفع صوته أو يخفضه، والداعي يطلب شيئاً.

وهناك فرق بين الدَّعاء والنِّداء والرَّجاء.

الدَّعاء: يكون من الأدنى إلى الأعلى، أي: الأعلى شأناً أو عظمة وقدرة.

النِّداء: يكون من أعلى إلى أسفل.

الرَّجاء: يكون مساوٍ للمرجو منه.





سُورَةُ الْفَجْرِ ٥٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾
 مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ كَذَبَتْ
 قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
 رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ
 ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾
 وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ
 كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ
 عَذَابِي وَنُذُرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ
 ﴿١٧﴾ كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
 رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ
 نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ
 لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا
 مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَلٍ وَسُعْرٍ ﴿٢٤﴾ أَهُ لَقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ
 مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشَرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ
 الْأَشَرُّ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

سورة القمر [الآيات ٧ - ٢٧]

[٧] ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾:

﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ﴾: جمع خاشع اسم فاعل من فعل خشع، والخشوع هو الانكسار والذلة، ويظهر ذلك في عينيه، وصوته أو وجهه، وقلبه.

﴿خُشَعًا﴾: على وزن فُعْل يفيد التكثير والمبالغة والعدد الكبير، فحين يخرجون من الأحداث يخرجون خُشَعًا أبصارهم، ثم من طول الموقف يوم الحساب تخف شدة الخشوع، وتصبح أبصارهم خاشعة، كما في قوله: ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفَهُمْ ذَلَّةٌ﴾ [القلم: ٤٣]. ليس فيها مبالغة ولا تكثير كما كان سابقاً، فهناك فرق بين خُشَعًا أبصارهم وخاشعة أبصارهم، والخضوع: يظهر أثره في البدن.

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾: الأجداث جمع جدث وهو القبر، والقبر يسمَّى جدثاً، أو يتحول إلى جدث بعد أن يُبعث الميت من جديد، ويتحرك ليخرج من القبر، فهذه الحركة والانتفاض يحول القبر من قبر هادئ لا حركة فيه إلى قبر فيه حياة ونشاط للخروج منه، وحيثُ يُسمَّى القبر جدثاً؛ أي: في مرحلة أو زمن الخروج.

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾: يخرج الأموات، أي: يبعث الأموات من أجدانهم للذهاب إلى أرض المحشر.

كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ: أي: جماعات جماعات في الكثرة والانتشار، ويبلغ عدد سرب الجراد عشرات الملايين، وهكذا سيكون الناس يوم خروجهم من

الأحداث جماعات جماعات عشرات الملايين والجراد يطير عارياً إلا من غطاء على قرنه، وهكذا يكون الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرلاً لا تغطيهم إلا جلودهم. وبعد الوصول إلى أرض المحشر تحدث فوضى واختلاط وحيرة وتنقلب حالهم فيصبحون كالفراش المبتوث، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤].

[٨] ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾:

﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾: مسرعين بخوف إلى الداعي مع مدّ أعناقهم إلى الأمام. الإهطاع، أهطع: أسرع في مشيه مع مدّ العنق إلى الأمام لكي يحاول أن يرى ما الخطب أو الأمر.

﴿إِلَى الدَّاعِ﴾: وهو إسرافيل: يحاولون تلبية دعوته ويسرعون إلى إجابته.

ارجع إلى سورة إبراهيم آية (٤٣) لمزيد من البيان في مهطعين، وكلمة الإهطاع كما وردت في القرآن في ثلاث سور، هذه الآية، وإبراهيم آية (٤٣): والمعارج آية (٣٦).

﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾: حين يرون أهوال يوم البعث والحشر ويتوقعون سوء العاقبة.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب يشير إلى يوم القيامة.

﴿يَوْمٌ عَسِرٌ﴾: صعب شديد.

والسؤال: لماذا قالوا يوم عسر وليس يوم عسير، الجواب: يوم عسر: لأنه

عسر على طائفة معينة وهم الكفار، أما يوم عسير: فيوم شديد صعب على المؤمن والكافر والكبير والصغير على (الكل) وليس على فئة معينة.

كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تُقْرِفَى الْتَأْوِيرُ﴾ (٨) ﴿فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٨-٩].

أي: عسير على الكل، ولذلك أتبع ذلك بقوله: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ١٠] أما على المؤمنين فهو يسير.

[٩] ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾:

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: أي: قبل كفار مكة، كذبت قوم نوح.

﴿فَكَذَّبُوا﴾: الفاء تدل على المباشرة، أي: كذبوه مباشرة بعد أن أبلغهم أنه رسول من رب العالمين، وتكرار كذبوا للتوكيد، كذبوه لما دعاهم إلى التوحيد وعبادة الله وحده كذبوا تكديماً بعد تكذيب؛ أي: مستمراً دام (٩٥٠ سنة).

﴿عَبَدْنَا﴾: نوح وإضافة (نا) الجمع للتشريف.

﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾: فاقد العقل، لا يعلم ما يقول؛ أي: هو مجنون.

﴿وَازْدُجِرَ﴾: أي: قومه زجروه ومنعوه عن تبليغ رسالة ربه أو زجره قومه بالشتم والوعيد، وبالقول البذيء، وأنذروه بالرجم، حين قالوا له ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْتَوْحَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦].

[١٠] ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾:

﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾: دعا نوح ربه.

﴿أَنِّي﴾: للتوكيد بدلاً من أنا.



﴿مَغْلُوبٌ﴾: غلبني قومي، أي: لم يصدقوني أو يؤمنوا لي، مغلوب: اسم مفعول من الفعل الثلاثي، غلب ومغلوب يدل على صفة الغلب ثابتة لن تتغير. دعا ربه بعد أن أوحى إليه ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، دعا ربه حين قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

﴿فَأَنْصَرَّ﴾: انتصر لدينك وانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم، والفاء تدل على التعقيب والمباشر انتصر الآن، ولا تؤخر عذابهم.

[١١] ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾:

﴿فَفَتَحْنَا﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب والسرعة لإجابة دعاء نوح.

﴿أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾: المنهمر: الهمر الصب المنصب كالوابل استعارة تمثيلية شبه تدفق المطر (الوابل) من السماء بانصباب أنهار انفتحت بها أبواب السماء، ولم يذكر منهمر من السحاب؛ أي: بدون رؤية؛ أي: سحاب، وقيل: استمر أياماً عديدة، حتى أصبح ﴿مَوْجٌ كَالْجِبَالِ﴾ [هود: ٤٢].

[١٢] ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾:

﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾: تدل على الكثرة والمبالغة ولم يقل وفجرنا عيون الأرض، بل الأرض كلها صارت عيوناً، جمع عين وعين تجمع على عيون، أي: عيون للماء أو أعين، أي: أعين نبصر بها، كما تأتي في سياق القرآن الكريم.

﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾: أي: اختلط ماء السماء وماء الأرض التقيا على أمر قد قدره الله سبحانه لإهلاك قوم بالطوفان.

﴿عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾: أي: على مقدار معين أحدهما نازل من السماء، والآخر متفجر من الأرض، وإلا ما استطاع نوح ومن آمن معه أن يركبوا في الفلك وتعني

أيضاً: من القضاء والقدر، أي: أمرُّ قدره الله على قوم نوح وقضاه أزلاً في سابق علمه.

[١٣] ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾:

﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾: أي: نوح ومن آمن معه.

﴿عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾: الفلك المصنوعة من ألواح خشبية عريضة، ودر: جمع دسار وهو المسمار ودره: دق المسمار ودفعه، وأصل الدسر: الدّفع الشديد بقهر فالمسمار يدق ويدفع بقوة، ولم يقل: وحملناه على الفلك أو السفينة وإنما استعمل الصّفات التي تقوم مقام المواصفات، أي: إطلاق الجزء وإرادة الكل؛ لأنّ الجو مخيف ومُرعب، وأنّ الله سبحانه هو المنجي، فالسّفينة مركبة من ألواح خشبية عديدة ومسامير.

وشبّه الأمواج كالجبال فهي تجري بقدرة الله تعالى تجري بأعيننا بمرأى منا، وهذه هي المعجزة وهي صمود هذه السفينة المكونة من ألواح ودر وعدم تسرب الماء إليها وغرقها، والتي صنعت من قبل نوح الذي لم يصنع سفينة قط في حياته ولأول مرة، ولم يركب سفينة قط فسبحان من سيرها وحفظها من الغرق في هذه الأمواج التي كالجبال.

[١٤] ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَن كَانَ كُفْرًا﴾:

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾: بمرأى منا أو تجري برعايتنا وحفظنا وحراستنا، وهذه هي المعجزة الحقّة، وليست المواد المصنوعة منها سواء كانت من خشب أو من حديد، وسواء كانت هناك آلات تحركها وتديرها أم لا.

﴿جَزَاءَ لِمَن كَانَ كُفْرًا﴾: ثواباً أو فعلنا ذلك جزاءً لنوح عليه السلام. لمن:



اللام للتوكيد. من: اسم موصول بمعنى الذي، كفر: وهو نوح عليه السلام وجاء بصيغة المبني للمجهول.

كُفِرَ: جُحِدَ به، وكان نوحاً أرسل إليهم كنعمة فكفروا بها أو لنوح الذي كفره قومه ولم يؤمنوا له.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو عاطفة، اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿تَرَكْنَهَا﴾: أي: السفينة ذات الألواح والدّسر أبقيناها.

﴿آيَةً﴾: علامة ودليلاً أو عبرة وعظة للأجيال القادمة على كمال قدرة الله وعظمته وعنايته برسله وبالمؤمنين. ارجع إلى سورة العنكبوت آية (١٥) لبيان معنى آية للعالمين.

﴿فَهَلْ﴾: الفاء للتوكيد، هل: استفهام يفيد الأمر، أي: احفظوه عن ظهر قلب.

﴿مِنْ﴾: استغراقية.

﴿مُدَكِّرٍ﴾: متعظ أو معتبر أصلها مُدْتَكِر: حدث فيها إبدلان الأول: إبدال التاء دالاً، والثاني: إبدال الذال دالاً، ثم أدغمت الدالان فأصبحت مدّكر، من الذّكر. ومدكر: اسم فاعل من الفعل الخماسي ادّكر. مدكر: متذكر بعد النسيان للآيات. وجملة (من مدّكر) هي جواب شرط مقدر، أي: إذا كان القرآن ميسراً فهل من مدّكر.



[١٦] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾:

﴿فَكَيْفَ﴾: الفاء للتوكيد، كيف: للاستفهام الذي يحمل معنى التهويل والتعجب.

﴿كَانَ عَذَابِي﴾: بالطوفان والغرق.

﴿وَنُذْرِي﴾: مصدر الفعل أنذر أو جمع نذير على لسان نوح المرات العديدة بمعنى أليس هذا ما يستحقونه.

[١٧] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: ارجع إلى الآية (١٥).

﴿يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾: سهّلنا القرآن للحفظ والقراءة، أو يسرنا تلاوته ومعناه وتدبره، للذكر اللام لام الاختصاص.

﴿فَهَلْ﴾: استفهام فيه معنى الحثّ والحضّ على حفظ القرآن وتلاوته وتدبر معانيه.

﴿مِنْ﴾: استغرافية.

﴿مُدَكِّرٍ﴾: ذاكر يذكره أو قارئ يقرؤه أو يرتّله. ارجع إلى الآية (١٥) لبيان كيف اشتقت مدكر.

[١٨] ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾:

﴿كَذَّبَتْ﴾: من قبلهم عاد، أي: قوم عاد كذبوا نبيهم هوداً عليه السلام، ولم يؤمنوا بالله ووحدانيته وبما دعاهم إليه هود.



﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾: فكيف الفاء للتوكيد، فكيف للاستفهام الذي يحمل معنى التهويل والتعجب والتعظيم.

كان عذابى لهم: وصف هذا العذاب في الآية التالية آية (١٩) هو الريح الصّصر العاتية.

نذر: مصدر أنذر ونذر جمع على لسان هود أنذرهم المرات العديدة، وإذا نظرنا في الآية (٢١) في نفس السورة نجد مرة ثانية يقول تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ فالأولى: قد تعني قبل أن يجعلهم كأنهم أعجاز منقعر (قبل وقوع العذاب)، والآية (٢١) بعد وقوع العذاب، وقيل: الأولى لتحذيرهم وما أصابهم، والآية (٢١) لتحذير غيرهم والاعتاظ بما أصاب قوم عاد، وقد تكون للتهويل، والتوريع، والترهيب أيضاً، وكذلك زمن تقديم العذاب على النذر.

[١٩] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَّوْرًا فِي يَوْمٍ نَخْسِ مُسْتَمِرٍّ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم عظمة ما أرسل إليهم.

﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾: أي: الريح الصّصر العاتية، أي: على قوم عاد.

﴿رِيحًا صَّوْرًا﴾: ريح في القرآن تحمل معنى العذاب والشر بشكل عام إلا مع سليمان ﷺ؛ فقد سخرها الله تعالى له ليتصرف بها كيف يشاء في الخير أو الشر بعكس الرياح تحمل معنى الخير والمنفعة، وهذه من خصوصيات القرآن.

ريحاً صرراً: ريح شديدة البرودة المهلكة، ولها صوت الصّير من الصّر وهو شدة البرد الذي يصير الجلد، أي: يُقبض أوعية الجلد الدّموية الدقيقة؛ مما يؤدي إلى نقص تروية الجلد والألام الشديدة، وبالتالي موت الجلد وبترا الأصابع

والأطراف أو هبوط درجة حرارة الجسم؛ مما يؤدي إلى الإضرار بالقلب، ثم توقّفه.

﴿فِي يَوْمٍ نَخَسُ مُسْتَمِرًّا﴾: في يوم: وفي سورة الحاقة، قال تعالى: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧]؛ لأن العرب تعبر باليوم عن الأيام؛ أي: في يوم شؤم مستمر دام شؤمه سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً يوم استمر عليهم ودام حتى أهلكهم وقضى عليهم. ارجع إلى سورة الحاقة آية (٧) للبيان.

[٢٠] ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾:

﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾: أي: تقلع الناس فيسقطون على الأرض، كما تنقلع النخلة من جذورها من شدة الريح الصرصر، وقيل: تنزع الناس من البيوت أو الخيام أو من أماكنهم.

يقال: قعر النخلة: قلعها من أصولها، أي: جذورها فتسقط على الأرض.

﴿أَعْجَازُ﴾: جمع عجز اسم المؤخر كل شيء وعجز النخل أصولها، أي: من الجذر.

﴿مُنْقَعِرٍ﴾: منقطع من جذوره أو مغارسه.

فقد كانت الريح الصرصر الشديدة الهبوب ترفعهم عن الأرض وتهوي به أمواتاً، وكانوا طوال القامة فكانوا حين يسقطون على الأرض كانت جثثهم بعد هلاكهم تشبه سقوط إعجاز النخل المنقعر، أي: المقطوع بسبب الريح الصرصر التي كانت تؤدي إلى سقوط إعجاز النخل على الأرض بسبب برودتها وقطع التغذية عنها كما كان الناس الذين يسقطون على الأرض في نفس الزمن فترى الناس والنخل كلاهما ساقط على الأرض.



لنقارن هذه الآية (٢٠) من سورة القمر، وهي قوله تعالى: ﴿تَنَزَّعُ النَّاسُ كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ والآية (٧) من سورة الحاقة، وهي قوله تعالى: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾: شبه قوم عاد في سورة القمر بالنخل المنقعر، وفي سورة الحاقة بالنخل الخاوية، أي: الفارغة من داخلها، ولنعلم أن كل منقعر خاوي، والخواوي: أعم يشمل المنقعر وغير المنقعر، وكلاهما يؤدي إلى موت وسقوط النخلة. ارجع إلى سورة الحاقة لمزيد من البيان.

[٢١] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾:

﴿فَكَيْفَ﴾: استفهام فيه معنى التهويل والتعظيم.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي﴾: بالريح الصرصر العاتية.

﴿وَنُذْرِي﴾: مصدر، أو جمع نذير، أو جمع إنذار؛ أي: النذر العديدة على لسان هود حين قال لهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَنْتُمْ بِكُمْ مُّفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠].

﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٥٢].

﴿فَأَنفِقُوا لِلَّهِ وَأَطِيعُوا﴾ [الشعراء: ١٢٦].

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٣٥]. ارجع إلى الآية (١٨) في نفس السورة للبيان ومقارنة الآيتين.

[٢٢] ﴿وَلَقَدْ سَرَّنا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ﴾:

ارجع إلى الآية (١٧) في نفس السورة. وتكرار هذه الآية ٤ مرات للتوكيد، والحث، والحض على حفظ القرآن، وتدبره، والعمل به، والاتعاظ.

[٢٣] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنَّدْرِ﴾:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾: قبيلة ثمود قوم صالح عليه السلام بالنذر وهم الذين سكنوا الحجر، وأرسل الله إليهم رسوله صالحاً عليه السلام فدعاهم إلى التوحيد فكذبوه، وقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين.

﴿بِالنَّدْرِ﴾: أي: الرّسل جمع نذير أو جمع أنذار واحدهم منذر والباء للإلصاق والملازمة، كذبوا بالرّسل، أي: برسولهم صالح، وجاءت بصيغة الجمع؛ لأنّ من يكذب رسولا إنما يكذب كل الرّسل أو النّذر؛ لأنّ الكل يحملون نفس الرّسالة: لا إله إلا لله، أو النذر هي واحدة.

[٢٤] ﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّنِيعُهُ إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾:

﴿فَقَالُوا﴾: الفاء للتوكيد، قالوا: أي: قوم ثمود قال بعضهم لبعض:

﴿أَبَشْرًا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتّعجب.

﴿مِّنَّا﴾: من جنسنا من بيتنا ليس بأشرفنا وأفضلنا هم يريدون من جنس الملائكة.

﴿وَاحِدًا نَّنِيعُهُ﴾: أي: نحن جمع أو عدد كبير من النّاس وهو واحد، فليس من المعقول أن يتبعه الكل فإذا فعلنا ذلك إنا لفي ضلال وسعر.

﴿وَاحِدًا﴾: تفيد التوكيد.

﴿لَفِيَ ضَلَالٍ﴾: اللام للتوكيد، أي: ظرفية. ضلال: أي: في خطأ وبُعد عن الصّواب أو أشقياء، أو نكون منغمسين في الضلال أو سيحيط الضلال بنا من كل جانب، أو ستقع في الضلال.



﴿وَسُعُرٌ﴾: جنون، ومنه ناقة مسعورة أو مجنونة تسير بسرعة من دون أن تستجيب لصاحبها.

[٢٥] ﴿أَلَمْ نَقُلِ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾:

﴿أَلَمْ نَقُلِ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتعجب.

﴿الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾: الذكر: الوحي أو الرسالة، من استغراقية، بيننا: أي: وفينا من أحق منه للاختيار، أو كيف خُص بالذكر بالوحي أو النبوة وفينا من هو أفضل منه وأحق أن يُختار، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٨) في سورة ص، وهي قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾؛ ارجع إلى سورة ص الآية (٨) لمعرفة الفروق بين الآيتين.

﴿بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾: بل للإضراب الإنكاري.

﴿كَذَابٌ أَشْرٌ﴾: كذاب: صفة مبالغة من كاذب كثير الكذب كأن حرفته الكذب، أو دائماً يكذب، أشر: صفة أي: بطر متكبر والأشر: أشد من البطر فهو إنسان يسيء التصرف بالنعمة بالتبذير والكبر والعجب بنفسه والزهو، ويبالغ في ذلك.

[٢٦] ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ﴾:

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾: السَّيْنُ للاستقبال القريب، غداً: لا يعني غداً بالضرورة إنما للتقريب، غداً: عند نزول العذاب بهم في الدنيا، أو يمكن أن يكون يوم القيامة أو كلاهما.

﴿مِّنَ﴾: استفهامية.

﴿الْكَذَّابِ الْأَشْرِ﴾: أي: سيعلمون أنهم هم الكاذبون الأشرون.



الأشر: ارجع إلى الآية السابقة (٢٥).

[٢٧] ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فَمَنَ لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم من شأن الناقة.

﴿مُرْسِلُوا النَّاقَةَ﴾: مخرجو الناقة لهم كما طلبوا.

﴿فَمَنَ لَّهُمْ﴾: ابتلاء وامتحاناً لهم على كفرهم أو إيمانهم، لهم: اللام لام الاختصاص لهم خاصة وليس لغيرهم، ولمعرفة معنى الفتنة ارجع إلى سورة العنكبوت آية (٢).

﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾: المخاطب النبي صالح واتباعه، والفاء عاطفة لربط المسبب بالسبب (فاء السببية)، ارتقبهم: الترقب الانتظار والمراقبة عن كذب حتى لا يفوته شيء.

﴿وَاصْطَبِرْ﴾: ولم يقل: اصبر، اصطبر، أي: داوم واستمر على الصبر وليس مجرد صبر عادي.





سُورَةُ الْعَنْكَرِ

سُورَةُ الْعَنْكَرِ ٥٤

وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلٌّ شَرِبَ مِمَّا قَدَرْنَا ۖ فَادَّوْا صَاحِبَهُمْ
فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۖ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ۖ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ۖ (٣١) وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ۖ (٣٢) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ ۖ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ۖ إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ۖ (٣٤) نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا
كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ۖ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا
بِالنُّذْرِ ۖ (٣٦) وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ۖ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا
عَذَابِي وَنُذْرٍ ۖ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ ۖ (٣٨)
فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ ۖ (٣٩) وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ
ۖ (٤٠) وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذْرُ ۖ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَآخَذْنَاهُمْ
أَخْذًا عَزِيزًا مُّقْتَدِرٍ ۖ (٤٢) أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ
فِي الزُّبُرِ ۖ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرُونَ ۖ (٤٤) سَيَهْرِمُ الْجَمْعُ
وَيُؤْلُونَ الدُّبُرَ ۖ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدهَىٰ وَأَمْرٌ
ۖ (٤٦) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ۖ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۖ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۖ (٤٩)

سورة القمر [الآيات ٢٨ - ٤٩]

[٢٨] ﴿وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّحَضَّرٌ﴾:

﴿وَنَبِّئُهُمْ﴾: الخطاب إلى صالح عليه السلام، نبئهم نبأ قومك بخبر مهمٍّ أو أمر مهمٍّ هو ﴿أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾: أن: للتعليل والتوكيد، قسمة بينهم: أي: مقسوم بينهم وبين الناقة، انتبه إلى قوله بينهم مع أن الناقة غير عاقلة، ولكن الله سبحانه أدخلها في العقلاء، فقال: ﴿لَهَا شَرَبٌ وَلَكُمْ شَرَبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥]، لها شرب يوم ولهم شرب يوم لا يشاركونها في الشرب في يومها ولا تشاركهم في الشرب في يومهم.

﴿كُلُّ شَرْبٍ مُّحَضَّرٌ﴾: كل: التوكيد، شرب: يعني الكمية من الماء أو النصب من الماء، محتضر: يحضره من كان يومه أو دوره فكان الناقة من عظمة الله وقدرته موحى إليها أن لا تشاركهم في يومهم.

ومُحتضر: اسم مفعول من الفعل الخماسي احتضر، أي: مُحَضَّرٌ ومهيأ.

[٢٩] ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾:

﴿فَنَادَوْا﴾: الفاء عاطفة للتوكيد، نادوا: صاحبه، أي: نادى قوم ثمود صاحبه، قيل: هو قدار بن سالف يحثونه على عقر الناقة.

﴿فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾: تعاطى قيل: تعاطى معهم بالكلام على قتل الناقة، وقيل: انقاد لما طلبوا منه. ارجع إلى سورة الشعراء آية (١٥٥) لمزيد من البيان.



فتعاطى: من عطا يعطو، أي: تناول السيف، فكانهم كانوا مترددين في عقر الناقة، فكل واحد يريد إعطاء غيره آلة العقر (السيف) حتى أخذه قدار بن سالف. فعقر الناقة: الفاء للمباشرة والتعقيب، والعقر: هو الذبح أو الجرح أو قطع عضو من أعضاء الناقة؛ مما أدّى إلى أن تنزف حتى الموت.

[٣٠] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾:

﴿فَكَيْفَ﴾: للاستفهام والتّهويل والتّعظيم.

﴿كَانَ عَذَابِي﴾: بالصيغة الواحدة كانوا كهشيم المحتظر.

﴿وَنُذْرِي﴾: مصدر إنذار أو جمع نذير أو جمع إنذار على لسان صالح حين قال لهم: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥].

[٣١] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم ولتعظيم ما أرسله سبحانه عليهم.

﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾: على ثمود قوم صالح.

﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: الصيحة عذاب من السماء، واحدة للتوكيد. ارجع إلى

سورة الأعراف آية (٧٨) لمزيد من البيان في معنى الصيحة.

﴿فَكَانُوا﴾: أي: ثمود، الفاء للسببية.

﴿كَهَشِيمٍ﴾: الكاف للتشبيه، هشيم المحتظر: هو النبات وورق الشجر

اليابس والعشب والحشيش الذي جف ويبس وتحطم وتكسر، المتهشم: أي:

المتكسر المستعمل لطعام الحيوانات أو تدوس عليه الحيوانات، المحتظر: بكسر الظاء، أي: الذي أحضر للحظيرة لتأكله الماشية.

أو تقرأ المحتظر: بفتح الظاء، أي: الذي في الحظيرة، وسواء أحضر أو كان في أرض الحظيرة من السابق.

فكانوا كهشيم المحتظر: أي: شبه جثث قوم ثمود بعد أن أخذتهم الصيحة بالحشيش اليابس المتكسر الذي جمعه صاحبه في الحظيرة لماشيته.

[٣٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿يَسَّرْنَا﴾: سهلنا وأعنا وهيأنا.

﴿الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾: للحفظ والتلاوة (القراءة) وللتذكر والاتعاظ والتدبر والتعلم.

﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾: فهل استفهام فيه معنى الحث والحض على حفظ القرآن وتلاوته وتدبره، من: استغراقية، مذكر: ذاكر يذكره أو حافظ يحفظه أو قارئ يقرؤه.

ارجع إلى الآية (١٧) من نفس السورة لمزيد من البيان.

[٣٣] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِي﴾:

كذبت قوم لوط بالنذر حين دعاهم لوط عليه السلام إلى عبادة الله وحده والكف عن الفاحشة، وهي إتيان الذكران من العالمين، والكف عن الفساد وإتيان



المنكر في ناديمهم، كذبوا بكل إنذار كذبت، ولم يقل: كذب قوم لوط: كذبت: تدل على كثرة التكذيب. ارجع إلى الآية (٢٣) من نفس السورة لمزيد من البيان.

[٣٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾: عليهم حجارة من سجيل منضود هذا كان جزءاً من العذاب. ارجع إلى سورة الحجر آية (٧٤) لمزيد من البيان.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿آلَ لُوطٍ﴾: أي: ذريته، ابتناه.

﴿نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾: قيل: الجزء الأخير من الليل قبيل طلوع الفجر. (بقطع من الليل)، بسحر: الباء ظرفية زمانية، أي: وقت السحر.

﴿نَّجَّيْنَاهُمْ﴾: ولم يقل: أنجيناهم: نجيناهم يدل على نجاتهم استغرق زمن طويل وببطء؛ أي: من قوموط، أما أنجيناهم فيدل على السرعة.

[٣٥] ﴿نِعْمَةٌ مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾:

﴿نِعْمَةٌ﴾: أي: نجاتهم كان نعمة من الله تعالى.

﴿مِّنْ عِندِنَا﴾: أي: نعمة خاصة به (بلوط)، من عندنا: ولم يقل: منا التي تدل على نعمة عامة للكافر والمؤمن، من عندنا: تخص المؤمنين (لوط وابنتيه).

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾: أي: مثل ذلك الجزاء بالنجاة، كما أنجينا لوط وذريته ننجي كل مؤمن شاكر لله مطيع لأوامره ومتجنب لنواهيه، ومن شكر نعمة

الأزواج كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل: ٧٢]، شكر نعمة السكن إلى الأزواج، والمودة، والرحمة.

من: استغراقية، شكر: نعمة ربه والشكر يكون بالإيمان به باللسان والعمل الصالح وطاعته وعدم جحد نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ومنها نعمة (ما خلق لنا ربنا من أزواجنا)، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٤) في نفس السورة، نجد الآية (١٤) جاءت في سياق نوح الذي كفر به قومه فأنجاه الله على ذات ألواح ودسر، والآية (٣٥) جاءت في سياق لوط الذي أنجاه الله وأهله من الحاصب؛ أي: المطر من سجيل منضود.

[٣٦] ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿أَنْذَرَهُمْ﴾: انظر كيف قدم ذكر نجاة لوط أولاً ثم عاد ليذكر كيف أنذرهم، وما فعلوه بعد الإنذار، وكيف أخذهم أخذ عزيز مقتدر كما أخذ آل فرعون؛ أي: نبيههم لوط، أنذر قومه والإنذار هو الإبلاغ مع التحذير والتخويف بطشتنا إضافة نون الجمع، نون العظمة للدلالة على شدتها وهولها. بطشتنا، أي: أنذرهم بأخذهم بالعذاب والهلاك بقوة وشدة.

﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾: الفاء على الترتيب والتعقيب، تماروا: جادلوا بالباطل

بعد أن بين لهم لوط الحق والصواب، وكذبوا بالنذر وشكوا بوقوعها. فتماروا: من المراء وهو الجدال بعد تبين الحق وظهوره.



[٣٧] ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ، فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: كما في الآية السابقة وتفيد التوكيد.

﴿رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾: المراودة المطالبة بالرفق واللين، وأن لا يفصحهم، والمراودة تفضي إلى رفض الطلب أو الاستجابة له، أي: طلبوا من لوط أن لا يمنعهم عن ضيفه، وضيفه: الضيف قد تأتي في سياق المفرد، والمثنى، والجمع، وهنا تعني: الجمع؛ أي: يمكنهم من ضيفه ليفعلوا الفاحشة بهم. ورفض لوط عليه السلام، وقال لهم: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨].

﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾: أذهبنا نور أبصارهم فلم يروا الرسل، أي: أعميناهم عمى مؤقتاً مع بقاء العين في مكانها، وأما الطمس على الأعين كما ورد في سورة ياسين آية (٦٦) فيختلف عن الطمس في آية القمر، فالطمس في سورة ياسين يعني: العمى مع المسح على العين، فلا يرى لها مكان أو أثر مع الذهاب بالعين كاملاً والجفن والحاجب، فلا أثر لوجود العين.

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، ذوقوا عذابي ونذري الواقع وقت الشروق وما أنذرتكم به.

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: ارجع إلى الآية (٣٦).

﴿صَبَحَهُمْ بُكْرَةً﴾: جاءهم العذاب في الصباح وتحديداً ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر: ٧٣]، بكرة: هنا للتوكيد والبكرة أو النهار.

﴿عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾: أي: عذاب دائم لم يفارقهم أو ينفك عنهم حتى قضى

عليهم جميعاً، وقيل: عذاب يستمر ويدوم من ذلك الصّباح إلى أن يقذف بهم في جهنم، وبعدها خالدين فيه أبداً.

[٣٩] ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرٌ﴾:

توكيد لشدة ما حل بقوم لوط، أي: لا حسرة ولا أسف عليهم، وفي هذا إنذار لكفار مكة.

[٤٠] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾:

ارجع إلى الآية (٣٢) السابقة للبيان.

[٤١] ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: ارجع إلى الآية (٣٦) للبيان.

﴿النُّذُرُ﴾: موسى وهارون والآيات التسع ومنها العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والسنين. ارجع إلى الآية (٢٣) للبيان.

[٤٢] ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾:

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: التسع.

﴿كُلِّهَا﴾: توكيد بالتكذيب.

﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾: الفاء: تدخل على التعقيب والمباشرة، أخذناهم: الأخذ يدل على الانتقام بشدة وقوة؛ أي: عقبناهم أو انتقمنا منهم بإغراقهم في اليم عن بكرة أبيهم بما فيهم فرعون الطاغية وجنوده.

﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾: أخذ العزيز، أي: الذي لا يقهر لا يغلب، مقتدر: لا



يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو على كل شيء قدير، مقتدر صيغة مبالغة من القدرة والسيطرة كثير القدرة والقدرة صفة ثابتة له.

[٤٣] ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾:

﴿ أَكْفَارُكُمْ ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري يقصد به النفي.

﴿ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ ﴾: أي: ما كفاركم يا أهل مكة خير أو أفضل من كفار من تقدمكم من الأمم السابقة مثل قوم نوح أو عاد أو ثمود، وغيرهم الذين أهلكوا بسبب تكذيبهم برسولهم، فأنتم ليس أقل منهم كفراً وعناداً حتى يكون ذلك سبباً لشعوركم بالأمن من نزول العذاب بكم كما نزل بمن سبقكم من الأمم.

﴿ أَمْ لَكُمْ ﴾: أم للإضراب الانتقالي والهمزة همزة استفهام إنكاري.

﴿ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾: في الكتب السماوية المتقدمة أنه من كفر وكذب بالرسل من أهل قريش كان آمناً من عذاب الله.

ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان في معنى الزبر.

[٤٤] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْصَرُونَ ﴾:

﴿ أَمْ ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري وأم للإضراب الانتقالي.

﴿ يَقُولُونَ ﴾: أي: كفار مكة وجاء بصيغة المضارع لتدل على التجدد والتكرار.

﴿ نَحْنُ ﴾: للتوكيد.

﴿ جَمِيعٌ ﴾: للتوكيد.

﴿مُنْصَرٌّ﴾: نحن جمع منتصر على محمد وأصحابه، أي: لا تغلب ولا نقهر.

منتصر: اسم فاعل من فعل انتصر الخماسي على وزن مفتعل.

[٤٥] فرد الله عليهم بقوله: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ﴾:

﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ﴾: السَّيْنُ للاستقبال القريب، وكان ذلك بعد عدة سنوات (٣-٤) بعد نزول هذه الآية في غزوة بدر الكبرى، فهذه الآية نزلت في مكة قبل الهجرة، وقبل فرض الجهاد تخبر بما سيحدث في بدر، وهي دليل على صدق القرآن، وأنه منزل من رب العالمين وصدق رسالة محمد ﷺ، فقد قتل أكثر من (٧٠) من صناديد كفار قريش وأسر (٧٠).

﴿وَيُولُونَ الدُّبْرَ﴾: وولى هارباً من بقي حياً من هؤلاء الكفار.

ويولون الدبر: ولم يقل: ويولون الأدبار؛ كما جاء في سورة الأنفال آية (١٥) ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾: يولون الدبر بدلاً من الأدبار، أي: وحّد الأدبار؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى جعل هزيمتهم كهزيمة رجل واحد لتهويل هزيمتهم والاستخفاف بهم. ويولون الدبر أسوأ وأبشع من تولوهم الأدبار؛ لأنّ لكل واحد منهم مقاومة واعتبار وشأن.

[٤٦] ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ﴾:

﴿بَلِ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿السَّاعَةُ﴾: أي: يوم تهدم النظام الكوني ويختلف عن يوم القيامة: يوم



القيامة: يوم البعث وقيام الناس من قبورهم للحساب والجزاء. ارجع إلى الآية (١) من نفس السورة.

﴿وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾: والساعة: الواو الحالية للتوكيد. أذهى: من الداهية من الفعل دهى، وأذهى اسم تفضيل على وزن أفعل. وهي الأمر الفظيع الذي لا يصدق عقل، وأمر: أشد مرارة وألماً من عذاب الدنيا، وأصعب على النفس من القتل والأسر في الدنيا، تكرار لفظ السَّاعَة للتوكيد والإنذار والتخويف. وأمر: اسم تفضيل من مرّ.

[٤٧] ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾:

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾: إن للتوكيد، المجرمين: المشركين الكافرين وأصحاب الكبائر. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لمزيد من البيان في معنى المجرمين.

﴿فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾: في ضلال: في ضياع وبعد عن الحق في الدنيا، ويوم القيامة في هلاك، وسعر: نيران متأججة مستعرة بهم.

[٤٨] ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: القيامة، والتنكير للتهويل والتعظيم.

﴿يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾: أي: يُجْرُونَ في النار على وجوههم.

﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾: سقر قيل: اسم علم من أسماء النار أو دركة من دركاتها السبع، المس: أخف اللمس أو مجرد المس الخفيف، ذوقوا حرها وعذابها،

وُسُمِّيتْ بِسَقَرٍ؛ لِأَنَّهَا تَذِيبُ الْأَجْسَامَ، مُشْتَقَّةٌ مِنْ سَقَرْتِهِ الشَّمْسُ: أَيُّ: أَذَابَتْهُ.
ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

[٤٩] ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾:

﴿إِنَّا﴾: لِلتَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ.

﴿كُلُّ﴾: بِالنَّصْبِ، لَمْ يَقُلْ: (كُلُّ) بِالرَّفْعِ، بِالنَّصْبِ تَعْنِي: كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ بِقَدَرٍ مَهْمَا كَانَ نَوْعُهُ وَشَكْلُهُ وَلَوْنُهُ وَحَجْمُهُ وَوِزْنُهُ، أَوْ أَيُّ شَيْءٍ، وَلَوْ قَالَ:
كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ؛ لَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ عَلَى قَسْمَيْنِ قَسَمِ
خَلْقِهِ اللَّهُ بِقَدَرٍ، وَقَسَمِ خَلْقِهِ بِلا قَدَرٍ.

انظر الآية (٥٢، ٥٣) القادمة للمقارنة، وهي قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ

فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ﴾ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ: بِقِيَاسٍ وَحَجْمٍ

وَوِزْنٍ وَمَسَاحَةٍ وَطُولٍ وَعَرْضٍ، وَمُحَدَّدٍ بِحُدُودٍ، وَبِقَدَرٍ: أَيُّ: بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ

مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، أَيُّ: مُقَدَّرٌ مُحْكَمٌ، وَكَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى

وَضَعَ يَدَكَ عَلَى خَدِّكَ.





سُورَةُ الرَّحْمَنِ ٥٥

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ
فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ
فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾
عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ
وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾
أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ
وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾
فِيهَا فَكْهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ
وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ
مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾



سورة القمر [الآيات ٥٠ - ٥٥]

[٥٠] ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما: النافية.

﴿أَمْرُنَا﴾: إذا أردنا أي أمر خلقه، مهما كان خلقه أو إحضاره أو تغييره أو تبديله أو فناؤه أو إحيائه أو المجيء بالساعة وقيام القيامة. إلا كلمح البصر كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾: واحدة، أي: مرة واحد كلمح بالبصر، أي: إذا أراد الله سبحانه شيئاً أو قضى أمراً في الخلق قال له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾: كلمح البصر، أو مجيء الساعة وانهايار الكون.

[٥١] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَدَكِرٍ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾: الأشياء: أعم من الأتباع، والأتباع: هم أنصار الرجل أو الرسول، والأتباع من كانوا معه فقط، ولا تضم المتأخرين الذين جاءوا بعده. الأشياء: كل من جاء بعد رسول الله ﷺ من غير الصحابة هم أشياعه: وهي عامة، واتباعه من كانوا معه مثل الصحابة، وقد تعني أشياعكم؛ أي: أمثالكم في الكفر من الأمم السابقة أو من يشابهكم في التكذيب والشرك والمعاصي، وأشياع تضم المتقدمين والمتأخرين.

﴿فَهَلْ﴾: الفاء للتوكيد، هل: استفهام بمعنى الأمر أو الحُصّ والحَثّ، أي: اذكروا واتعظوا وآمنوا خيراً لكم.



﴿مِنْ مَذَكِّرٍ﴾: من ابتدائية، مذكر: متذكر متعظ. ارجع إلى الآية (١٧) من نفس السورة.

انتبه: إلى الفرق بين أتباع الرجل وأشياء الرجل.

الأتباع: من كان معه في زمنه من أنصاره. الأشياع: هم الأتباع الذين جاؤوا بعد فترة من الزمن، والأشياع أعم من الأتباع.

[٥٢] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾:

﴿وَكُلُّ﴾: بالرفع مما يدل على أن كل أعمالهم مدونة في كتب الحفظ (أعمال العبد) يعلمها الكرام الكاتبين، وهناك أعمال أخرى لا يعلمها الحفظ (الملائكة) لكي يكتبوها، والله سبحانه يعلمها كأعمال القلوب وذوات الصدور.

بخلاف قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

كل جاءت في سياق اللوح المحفوظ فكل شيء مدون في اللوح المحفوظ. أو قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾: فالنصب هنا دال على عموم الخلق فليس هناك ثمة شيء لم يخلقه الله بقدر.

﴿الزُّبُرِ﴾: جمع زبور وهو كل كتاب ذي حكمة يزبر، أي: يزجر عن الباطل، ويدعو إلى الحق، والزبر قد تعني: الكتب السماوية. ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣) لمزيد من البيان..

[٥٣] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾:

﴿وَكُلُّ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (٥٢)، وجاءت بالضم؛ لأن هناك أعمال أو نوايا لا تعلمها الملائكة الكرام الكاتبين، ولكن الله يعلمها ويحصيها لهم ليوم القيامة.

﴿صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾: من الأعمال (الأقوال والأفعال).

﴿مُسْتَطَرٌّ﴾: مكتوب مستطر: اسم مفعول من استطر؛ أي: تكتبه الملائكة الموكلين بالعبد؛ أي: الكرام الكاتبين، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧].

[٥٤] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾: إن للتوكيد.

﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾: جمع الجنات وحدّ النهر، بينما في الآيات الأخرى في جنات تجري من تحتها الأنهار. فلماذا جمع الجنات وأفرد النهر؛ لأن:

﴿وَنَهَرٍ﴾: اسم جنس يعني: النهر الواحد أو الاثنين أو الثلاثة أو أكثر. وفسر ابن عباس ونهر: قد تكون مشتقة من النهار: أي: الضياء، أي: هم في جنات ونور، وقد تعني السعة: سعة المنازل، والرزق، والعيش، وقد تعني: كل ذلك؛ فهذه الكلمة نهر: قد جمعت كل تلك المعاني.

[٥٥] ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾:

﴿فِي﴾: ظرفية مكانية.

﴿مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾: في مكان مرضيٍّ حقٌّ ثابت لا يزول ولا يتغيّر، ويعني الخير: وهو الجنة؛ فهي المقام الوحيد الصدق الذي لا يزول.

﴿عِنْدَ﴾: العندية هنا لا مثيل لها، عندية القربى والزلفى والدرجة الرفيعة.

﴿مَلِكٍ﴾: أي: الملك العظيم الحاكم؛ بل هو: أعظم الملوك ذو الملك الواسع الذي له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وليس ملك، ملك أبلغ من ملك على وزن فعيل، وتدل على الثبوت عند ملك عظيم القدرة سبحانه وتعالى.

﴿مُقْتَدِرٍ﴾: القدرة: البالغة التي لا يحدها والتي لا نهاية لها، تفيد المبالغة في القدرة لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء عظيم القدرة والعتاء والجزاء والكرم شديد القدرة، ومقتدر أبلغ من قدير.



سُورَةُ الرَّحْمَنِ ٥٥

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
 أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥٦﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ
 فِي الزُّبُرِ ﴿٥٧﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٨﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ
 فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٩﴾ فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾
 عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ
 وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾
 أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ
 وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾
 فِيهَا فَكِكْهُةٌ وَالتَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ
 وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ
 الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ
 مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿١٦﴾

٥٣١



سورة الرحمن [الآيات ١ - ١٦]

ترتيبها في القرآن (٥٥) وترتيبها في النزول (٩٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّحْمَنُ﴾:

انتهت سورة القمر بقوله: ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ﴾ هو الرَّحْمَنُ أو ملك مقدر، الرَّحْمَنُ، وابتدأت هذه السورة باسم من أسماء الله الحسنى (الرحمن)، وختمت باسم آخر من أسمائه الحسنى (ذي الجلال والإكرام).

من أسماء الله الحسنى المشتقة من الرّحمة صيغة مبالغة على وزن فعلان كثير الرّحمة لا أرحم منه لخلقه، ويدل على التجدد والتكرار أي رحمته تعالى في تجدد وتكرار واستمرار وقد قيل أنه رحمان الدنيا رحمته تشمل المؤمن والكافر. وأما الرَّحِيمُ فهو خاص بالمؤمنين. ارجع إلى سورة الفاتحة آية (١) لمزيد من البيان.

[٢] ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾:

يستهل الله سبحانه سورة الرحمن بذكر أعظم النعم الإلهية على عبده وأجلها على الإطلاق نعمة تعلم القرآن.

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾: أي: علم تلاوته ومعانيه وحفظه وتدبره، وتم ذلك عن طريق جبريل ﷺ لرسول الله ﷺ، ثم بالتواتر عن رسول الله ﷺ إلى الصحابة، ثم الصحابة إلى التابعين، وهكذا حتى وصل إلينا.

فبدأ باسم الرَّحْمَنِ المشتق من الرّحمة، ومن أجل وأعظم مظاهر رحمته



تعالى أَنَّهُ عَلَّمَ عِبَادَهُ الْقُرْآنَ، ويسره عليهم، فقد قال في أربع آيات في سورة القمر:
﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]؛ ليؤكد على هذا الأمر العظيم.
[٣] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾:

لطاقته ولعبادته، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وعبادته سبحانه لا تتم إلا بتعلم القرآن، فكيف نصلي من دون القرآن، وقدم علم القرآن على خلق الإنسان؛ لأن القرآن العظيم أسبق في الوجود من خلق الإنسان، وكأن إحدى العلل لخلق الإنسان هي تعلم القرآن.
وكلمة الإنسان مشتقة من الإنس خلاف النّفور، أي: يأنس بغيره أو مشتقة من الإيناس؛ أي: كونه يُرى وظاهر، وليس كالجن مختفياً عن الأبصار.
الإنسان: اسم جنس.

[٤] ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾:

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾: هاء الضمير تعود على الرحمن، فالرحمن علم آدم الأسماء كلها، فهو أول الأنبياء وعلم الرسل والأنبياء عن طريق الوحي، ثم تعلم جيل عن جيل.

﴿الْبَيَانَ﴾: يعني: القدرة على التعبير عما يجول في النفس؛ أي: النطق والكتابة والفهم والقول، والقدرة على التعلم والتعبير، والبيان في الحقيقة: إظهار المعنى للنفس كائناً ما كان؛ فهو في الحقيقة من قبيل القول. (معجم الفروق اللغوية).

[٥] ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾:

﴿حُسْبَانٍ﴾: الباء للإلصاق؛ بحسبان: (للاستعانة بها على حساب الزمن)، حسبان: على وزن فعلان صيغة مبالغة في الحساب والدقة للزمن، فهو ليس مجرد

حساب، ولكنه حسابان لا يحتمل أدنى خطأ أو زلل نحسب اليوم والشهر والسنة والساعة والدقيقة والثانية، وأقل من ذلك.

الشمس بحسبان قد تعني: بحساب دقيق معلوم كم تبعد بُعداً ثابتاً لا يتغير عن الأرض، وعن غيرها من الكواكب وعن القمر، وكم سرعة دورانها وجاذبيتها ودورانها حول مركز المجرة، والقمر كذلك بحساب دقيق كم يبعد عن الأرض وعن الشمس وغيره من الكواكب وسرعة دورانه حول نفسه وحول الأرض وحول الشمس، فلو اقترب القمر قليلاً من الأرض لجذبت الأرض وارطم بها، ولو ابتعد قليلاً عن الأرض لانعدم المد والجزر في البحار، ولجذبت كواكب أخرى.

الشمس بحسبان: أي: نحسب بها الساعات، ونعرف بها وقت الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، ونحسب بها اليوم والسنة الشمسية. والقمر: نحسب به الشهر والسنة القمرية.

إذن لحساب الزمن، أي: الأيام والساعات والشهور والسنين نعتد على نظامين.

النظام الشمسي والنظام القمري. فدورة الأرض حول محورها تحدّد اليوم ووقوع الشمس في أحد الأبراج الاثني عشر يحدّد لنا الشهر الشمسي. ودورة الأرض في مدارها حول الشمس تحدد السنة.

ودورة القمر حول الأرض يحدد الشهر القمري. ارجع إلى سورة الإسراء آية (١٢) للبيان المفصل في السنة الشمسية والسنة القمرية.

وثبات بعض الأجرام عن بعضها البعض بما فيها الشمس والقمر والأرض والنجوم وغيرها من أعظم دلالات قدرة الله وعظمته.



[٦] ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾:

﴿وَالنَّجْمُ﴾: النبات الذي لا ساق له، وُسْمِي النبات بالنجم؛ لأنه يظهر ويطلع من الأرض، أو ينجم من الأرض.
﴿وَالشَّجَرُ﴾: الذي له ساق.

﴿يَسْجُدَانِ﴾: لله تعالى - سجود لا يعلم كهنه إلا الله - كما قال تعالى:
﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [النحل: ٤٩].

وقيل: السجود هو الخضوع والسجود لا يكون إلا لله وحده.
والشمس والقمر آيتان في السماء والنجم والشجر آيتان في الأرض والكل يسجد ويسبح لخالقه ويخضع له.

يسجدان: بصيغة المضارع تدل على التجدد والتكرار.

[٧] ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾: بعمدٍ لا نراها وبنائها بأيدي (بقوة وتماسك) بالقوى الكهر ومغناطيسية وقوى الجاذبية والنوية؛ مما يدل على عظمته وقدرته.
ارجع إلى سورة الرعد آية (٢) لمزيد من البيان..

﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾: خلق الميزان، أي: أوجد الآلة التي نزن بها الأشياء ليتحقق العدل والقسط، وهذا من أكبر النعم حتى يقام القسط.

[٨] ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾:

﴿أَلَّا﴾: أصلها (أن): التعليلية و(لا): الناهية.

لكي لا تجوروا في الميزان بالتطفيف في الكيل والوزن، كما قال تعالى:
﴿إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ ٢ ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٢-٣].

﴿أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾: أي: تأخذوا ما ليس لكم به حق. ارجع إلى سورة المطففين آية (١-٣).

[٩] ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾:

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾: القسط في اللغة: النصيب والحصة، واصطلاحاً: العدل مع التنفيذ، أي: زنوا بالقسطاس المستقيم والقسط، يعني: عدم الجور والظلم حين البيع أو الشراء، فإذا ابتعتم أو اشتريتم فلا تأخذوا أكثر من حقكم ونصيبكم، وإذا بعتم لا تخسروا الميزان؛ أي: تنقصوا الميزان، وقوله تعالى: ﴿أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾، ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ للتأكيد على إيفاء الحقوق لأصحابها، وكذلك الحكم بالعدل كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، ثم بعد الحكم عليكم بتطبيق الحكم وليس مجرد الحكم.

والباء للإلصاق والإلزام، فقد يكون الإنسان عادلاً، وليس بالضرورة مقسطاً، وفي القرآن الكريم نجد أن الوزن يأتي مقروناً بالقسط، والقسطاس هو الميزان، كما قال تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: ٣٥].

[١٠] ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾:

﴿وَالْأَرْضَ﴾: هذه الأرض التي تكونت منذ (٤،٥٤ بليون سنة).

﴿وَضَعَهَا﴾: أعدها وهياها؛ أي: ﴿دَحَلَهَا﴾ (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَهَا [النازعات: ٣٠-٣٢]، وتم إعدادها الذي استغرق ملايين السنين لنراها اليوم كما هي، ونتمتع ونتمتع بها فهي من أكبر النعم.

﴿لِلْأَنَامِ﴾: اللام: لام الاختصاص للخلق الجن والإنس، فالأنام يشمل الإنس والجن، وأما البشر تعني: الإنس (الإنسان).



[١١] ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾:

﴿فِيهَا﴾: أي: في الأرض ظرفية.

﴿فَكْهَةٌ﴾: اسم جنس، وتشمل الفواكه والثمار فهو أعم من فواكه؛ أي: يشمل المفرد والمثنى والجمع، وأما فواكه فهي للجمع.

﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾: الأكمام جمع كم، أي: النخل ذات الأوعية التي يكون فيها الثمر، كم: أو الطلع قبل أن يتفتق.

[١٢] ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾:

﴿وَالْحَبُّ﴾: كل ما يقتات به من الحبوب مثل البر والشعير والقمح والأرز والذرة وسائر ما يتغذى به من الحب.

﴿ذُو الْعَصْفِ﴾: ذو التبن والقشر سُمِّيَ عصفاً؛ لأن الرياح تعصفه فيطير لخفته.

﴿وَالرَّيْحَانُ﴾: كل مشموم طيب الرائحة من النباتات والزهور للتلذذ بطيب رائحته.

[١٣] ﴿فَيَايَ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

﴿فَيَايَ﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدر، أي: إذا كانت هذه كلها من نعم الله تعالى، فبأي النعم تكذبون، أي: استفهام تقريرى وجوابه هو: ويل يومئذ للمكذبين.

﴿آءِ الْآءِ﴾: النعم مفرداً إليها.

﴿رَبِّكُمَا﴾: الخطاب موجه إلى الثقلين الإنس والجن.

﴿تُكَذِّبَانِ﴾: تجحدان أو تكفران: الكفر لغة هو الستر.

وقد كرّر سبحانه هذه الآية (٣١) مرة في السورة للتذكير بنعم الله والتوكيد



عليها والتي لا تعد ولا تحصى، فكلما ذكر سبحانه نعمة أنعم بها على الثقلين سألهم أن يشكروا الله تعالى عليها وأن لا يكذبوها ولا ينكرونها.

[١٤] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾:

لفهم هذه المرحلة من خلق آدم لا بُدَّ من ذكر المراحل التي مرَّ فيها خلق آدم عليه السلام.

فالمرحلة الأولى: من تراب.

والمرحلة الثانية: من طين: تراب + ماء، ووصفه بأنه طين لازب، أي يلتصق باليد.

المرحلة الثالثة: مرحلة الحمأ المسنون، أي: ترك الطين اللازب ليَجفَّ ويصيبه العفن نتيجة تفاعل البكتريا في التراب، ثم يصبح الطين مسوداً نتناً وتغيَّر رائحته، المسنون: المتغيَّر بسبب مكثه فترة طويلة.

المرحلة الرابعة: الصلصال فالطين الذي جف وتغنن (نتن) واسودَّ بعد تركه زمناً طويلاً يصبح له صوت إذا نقر عليه يشبه صوت الصلصال، أي: الفخار أو الخزف.

المرحلة الخامسة: مرحلة نفخ الروح. ارجع إلى سورة الحجر آية (٢٦) لمزيد من البيان.

[١٥] ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ﴾:

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾: أي: إبليس أبا الجن من مارج.

﴿مَّارِجٍ﴾: لهب النار الصافي، أي: الخالي من الدخان، من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر، وقيل: المختلط بسواد النار من مرج إذا اختلط واضطرب.

[١٦] ﴿فَبَإِذَا لَآءَ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.





سورة النجم ٥٥

الجزء الثاني من القرآن

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾
 مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ
 رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ
 آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾
 فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى
 وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾
 يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ
 آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ
 آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ
 أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ
 إِلَّا بِسُلْطَنِ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ
 شَوَاطِئَ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾
 فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ
 إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾



سورة الرحمن [الآيات ١٧ - ٤٠]

[١٧] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾:

أولاً: إذا نظرنا في هذه الآية نجد أنها تختلف عن الآيات الأخرى وهي قوله:

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء: ٢٧].

﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠].

فقد تكرر ذكر (رب) مرتين في هذه الآية، وصيغة المشرق والمغرب بالثنائية، وتكرار كلمة (رب) تدل على أن هناك مشرقين ومغربين مختلفين في الزمان والمكان.

عند خط الاستواء يصبح للأرض نهايتين أقصى اليمين وهو الشرق. وأقصى اليسار وهو الغرب، فعندما تدور الأرض حول محورها يتبدلان ويصبح هناك مشرقان للأرض ومغربان.

وأما قوله تعالى: رب المشارق والمغارب، فيعني: لو تحركنا مع خطوط الطول والعرض لوجدنا ملايين المشارق والمغارب للشمس على الأرض.

وأما قوله تعالى: رب المشرق والمغرب، فالأرض لها شمال حقيقي واحد ودائم يحدده لنا ربنا بالقطب الشمالي، ورغم حركة الأرض أو الكون يبقى القطب الشمالي يشير إلى الشمال ومقابل الشمال الجنوب، وبمعرفة الشمال والجنوب نحدد الشرق والغرب الحقيقي.



[١٨] ﴿فَبَآئِيَآءَآلَآءٍ رَّيْكُمْ أَتُكْذِبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) لليبان.

[١٩] ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾:

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾: من المروج وهو الاختلاط مرج خلط، ولم يحدد في هذه الآية: ﴿هَذَا عَذَبٌ فَرَأَتْ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ كما جاء في الفرقان آية (٥٣) يعني: أيّ بحرین في العالم، لم يحدّد مثل البحر الأحمر، والبحر المتوسط، أو البحر العذب مع البحر المالح الأجاج؛ أي: يوجد برزخ بين أي بحرین.

[٢٠] ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾:

البرزخ: حاجز فاصل.

﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾: أي: كل منهما لا يطغى على الآخر، فرغم وجود المرج (الاختلاط) الذي يظهر للعيان (العين) فإنّ مائهما لا يختلطان حقيقة، فلكل منهما تركيبة من حيث الشوارد المعدنية، ومن حيث الملوحة والكثافة وحيواناته الخاصة به وحرارته، فهناك برزخ، أي: حاجز فاصل مكاني حقيقي بينهما يمنعهما من الاختلاط، أو أن يطغى أحدهما على الآخر.

وتفسير ذلك أن الأملاح تتأين تتفكك إلى ذراتها الحاملة لشحنات موجبة وسالبة، وتقف هذه الشحنات على حواف كل ماء لتتنافر مع الشحنات المتشابهة في الماء المجاور، وتجعل هذا الحاجز مانعاً حقيقياً يحول دون اختلاط المائین اختلاطاً كاملاً وتجعل البيئة بيئة حقيقية مغلقة على ما فيها من أنماط الحياة ووجد العلماء أن مياه البحار كما تتمايز أفقياً وتتمايز رأسياً، أي: إذا أخذنا عموداً من الماء نجد فيه ماء من بيئات مختلفة (استوائية، ومعتدلة، وباردة...).

ووجد العلماء أن الماء في البحر الواحد له ألوان متعددة مختلفة متجاورة

تمتد لمساحات كبيرة، فكل بحر له ألوان خاصة به. ويتجلى ذلك لكل من يركب الطائرة، وينظر إلى ملتقى البحرين من الأعلى..

وقد دلت الأبحاث والتجارب العلمية على هذه الحقيقة العلمية التي ذكرت في القرآن منذ أكثر من ١٤٠٠ عام؛ مما يدل على أن القرآن تنزيل من العزيز الحكيم.

[٢١] ﴿فَبِأَيِّ آيَاتِنَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٢٢] ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾:

يخرج بالغوص والعثور على اللؤلؤ والمرجان.

وهي أحجار تسمى أحجار كريمة تستخدم للحلي والزينة، ونصنع منها العقود والأساور والخواتم، فاللؤلؤ يتكون داخل حيوان المحار والمرجان يتكون من حيوان المرجان. وكلاهما من الحيوانات لا فقارية، وكلاهما له ألوان مختلفة وكلاهما يشكل مصدراً للرزق.

﴿اللُّؤْلُؤُ﴾: الدر يخرج من المياه العذبة. والمياه المالحة.

﴿وَالْمَرْجَانُ﴾: الخرز الأحمر. لا يخرج، أو لا يحيا إلا في الماء المالح

فقط.

[٢٣] ﴿فَبِأَيِّ آيَاتِنَا يُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٢٤] ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾:

﴿وَلَهُ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، له وحده.



﴿الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ﴾: الجوار: السفن (الفلك)، المنشآت: الإنشاء هو الإحداث، أي: المصنوعات، ويطلق على الجوار الجريات أحياناً من حيث وصفها.

﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾: جمع علم وهو الجبل الطويل، أي: شبه السفن التي تمخر البحار بالجمال الشاهقة الطويلة التي تحمل على ظهرها ما لا يتصوره عقل من البشر والمتاع والحاجات، وأحياناً الطائرات والمدركات والصواريخ.

[٢٥] ﴿فَإَيُّ آيَةٍ رَّبِّكَ مَا تُكْذِبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٢٦] ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾:

﴿كُلُّ﴾: للتوكيد.

﴿مَنْ﴾: استغراقية، وتشمل المذكر والمؤنث والمفرد والجمع، من إنس وحن وحيوان وسائر المخلوقات، ومن للعاقل وغلب العقلاء، والمراد الثقلان الإنس والجن.

﴿عَلَيْهَا﴾: على الأرض.

﴿فَانٍ﴾: ميت أو هالك.

[٢٧] ﴿وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾:

﴿وَجْهٌ﴾: يقصد به الذات ذات الله سبحانه، ويطلق على هذا في بديع اللغة: المجاز المرسل، وهو إطلاق الجزء وإرادة الكل، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [النقص: ٨٨] أي: ذاته، ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [لقمان: ٢٢] أي: ذاته.

(ذو) نعت للوجه مرفوع وعلامة رفعه الواو، فذو تعود على الوجه وبالتالي على الذات.

﴿الْجَلَلُ وَالْإِكْرَامُ﴾: الجلال: ذو العظمة من جل الشيء، أي: عَظُمَ إشارة إلى صفات الكمال، ذو المجد والكبرياء، والإكرام: ذو الفضل التام والإحسان والإنعام والجود والكرم على عباده، وقيل: الجلال صفة ذاته والإكرام صفة فعله. [٢٨] ﴿فَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكْذِبُوا﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٢٩] ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾:

﴿يَسْأَلُهُ﴾: يدعو ويطلب منه جميع خلقه ما يحتاجون إليه في كل شأن من شؤون حياتهم، وحال من أحوالهم.

﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾: من للعاقل واستغرافية، تعني: للجميع، في السموات: أي: الملائكة يسألونه أن يغفر للذين آمنوا، ولمن في الأرض كقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ [غافر: ٧-٩] ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥٠].

﴿الْأَرْضِ﴾: أي: الإنس والجن، يسألونه الرزق والصحة والعافية والأمن والمتاع والأولاد والأهل وكل شيء.

﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: كل: تفيد التوكيد. واليوم: قد يعني يومنا (٢٤ ساعة)،



أو اليوم في القرآن يعني: مقابل النهار، مع شأنه لا ينتهي ليلاً ولا نهاراً؛ فهو في شأن دائماً، وكل لحظة يبدأ فيها يوم تسمى آن؛ أي: كل آن في شأن.

الشأن: لا يقال إلا فيما يعظم من الأحوال والأمور، فكلّ حال شأن وليس كلّ شأن حال، الشأن أعم والحال أو الأمر الأخص.

أي: كلّ وقت ولحظة يحدث أموراً ويجدد أحوالاً حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكمة البالغة، فيغفر ذنباً ويُفرج كرباً ويرفع أقواماً ويضع آخرين، يحيي ويميت، يعز ويذل يُغني ويفقر ويجيب داعياً، ويعطي سائلاً ويخلق ويرزق ويشفي ويمرض ويعافي ويبتلي.

[٣٠] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٣١] ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَ الثَّقَلَانِ﴾:

﴿سَنَفْرُغُ﴾: السّين للاستقبال القريب، سنفرغ: الفراغ هنا هو القصد إلى الشيء والإقبال عليه كمن تفرّغ وتهيأ واستعد للحساب والجزاء، ولم يشغله شاغل، أي: سنفرغ لحسابكم ومجازاتكم على أعمالكم عن القريب، أي: يوم القيامة، وفي هذا تهديد ووعد للثقلين الجن والإنس.

[٣٢] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٣٣] ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ أَسْطَعْتُمْ أَنْ تَفْذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾:

﴿يَمَعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾: ياء النداء للبعد، معشر الجن والإنس: أي: الثقلين.



﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال والشك.

﴿أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ﴾: أن: حرف مصدري يفيد التعليل.

﴿تَفْذُوا﴾: تخرقوا يقال: نفذ المسمار في الخشب، أي: خرق إلى الجهة الأخرى، أي: خرق الخشب وظهر من الجهة المقابلة.

﴿مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: القطر هو الخط الواصل من أحد الأطراف إلى الطرف المقابل مروراً بالمركز، أقطار السموات: لنفرض فقط أننا نتحدث عن مجرتنا التي يطلق عليها مجرة التبانة، فقطرها الأكبر يقدر بحوالي مئة ألف سنة ضوئية على أقل تقدير، ويقدر قطرها الأصغر بـ (١٠) آلاف سنة ضوئية على أقل تقدير، فإذا فرضنا أن الإنسان عنده مركبة فضائية بسرعة الضوء ويركب فيها ليقطع أقصر قطر لمجرة التبانة التي هي واحدة من مليارات المجرات. فهو يحتاج إلى مدة تصل (١٠) آلاف سنة من سنيننا، وهي تجري بسرعة الضوء.

وهذا مستحيل؛ لأن عمر الإنسان مهما طال (٨٠-١٠٠ سنة)، مثال: صعوده إلى القمر لم يتجاوز ثانية ضوئية واحدة، فلكي يخرج الإنسان من أقرب الأقطار إلى الأرض، فإنه يحتاج على الأقل إلى (٢٠) ألف سنة، وهو يتحرك بسرعة الضوء كي يخرج من أقطار مجرتنا، وهل يمكن للإنسان أن يحيا (٢٠) ألف سنة، حتى ولو كانت سنة غير ضوئية، حتى عالم الجن الذي هو أقوى من عالم الإنس يستحيل عليه التفكير بذلك لوجود الأشعة القاتلة للخلايا الحية، وهي بمثابة النار التي لا دخان لها.

أما بالنسبة لأقطار الأرض وبما أن الأرض بيضاوية الشكل متوسط قطرها الاستوائي (١٢٧١٣ كم)، ورغم التطور في أجهزة الحفر بحثاً عن النفط والغاز، فإن الإنسان حتى اليوم لم يتجاوز عمق (١٣ كم) من قطرها (١٢٧١٣ كم)، وهذا



يمثل (١٪) من قطرها، وكلما ازداد الحفر يقابله ازدياد في الضغط وارتفاع درجات الحرارة إلى درجات عالية قد تؤدي إلى صهر تلك الأدوات وإثارة البراكين وخروج الحديد ومعادن الأرض السائلة في طبقاتها القريبة من المركز. إذن هذه الاكتشافات العلمية تدل على استحالة النفاذ من أقطار السموات والأرض، وتؤيد ما جاء في هذه الآية الكريمة التي تتحدّى كلاً من الجن والإنس بالنفاذ من أقطار السموات والأرض.

﴿فَانْفُذُوا لَا نَنْفُذُكَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾.

﴿فَانْفُذُوا﴾: فيها تحدّ للإنسان ودعوة من الله سبحانه للإنس والجن أن ينفذوا إن استطاعوا ليتعرفوا إلى قدرة الله سبحانه، وذلك بغزو الفضاء والوصول إلى القمر أو إلى المريخ أو الدوران حول الأرض والوصول إلى الكواكب الأخرى.

وهذا النفاذ البسيط الجزئي الذي لا قيمة له عند الله، ولن يتحقق إلا بسلطان.

﴿سُلْطَانٍ﴾: الباء للإلصاق، أي: الإلزام والسلطان: هو الله سبحانه؛ لأنه العليم القدير مصدر السلطان وحده، لا تنفذون إلا بسلطان، وليس السلطان هو سلطان العلم فقط، وإنما الله وحده الذي يوفّق ويعلم عباده ما يشاء، وهذا النفاذ هو نفاذ من جزء ضئيل جداً جداً ومحدود لا يتعدّى ولا يقترب حتى من السماء الأولى، فما بالك بأقطار السموات والأرض، فنصف قطر الأرض كما قلنا يقدر بحوالي (١٣٠٠٠ كم) لم يخترق الإنسان منه إلا (١٣ كم) فقط، أي: ما يساوي أقل من (١٪)، ويحتاج إلى (٢٤) ألف مليون سنة ضوئية ليصل إلى أبعد نقطة في السماء الدنيا فقط، فما بالك بالسموات السبع؟!

[٣٤] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٣٥] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ﴾:

علمنا من الآية (٣٣) أَنَّ النَّفوذَ المطلق من أقطار السَّموات والأرض أمر مستحيل، والنَّفوذ المحدود يمكن أن يحدث بإذن من الله وبسلطان منه، وتقدّم الاكتشافات الفضائية، وهذه الآية تتحدث عن الأخطار التي ستحل بكلّ من يحاول اختراق طبقات السَّموات والأرض؛ لأنّ الفضاء الكوني مليء بالأشعة الحمراء أو فوق البنفسجية أو الأشعة القاتلة لخلايا الإنسان، والتي شبهها القرآن بمثابة شواظ من نار أو إذا حاول الإنسان اختراق قشرة الأرض اليابسة التي يبلغ سمكها (٦٠) كم قد يؤدّي إلى انفجار وبراكين وتصادم المواد المنصهرة أو السائلة في طبقات الباطنة للأرض والمشكلة من الحديد والنحاس.

وتشكيل براكين ناتجة بشواظ النَّار المتولدة عن الغاز والبتروول والمواد المذابة مثل الحديد والنحاس هذه البراكين التي لن يستطيع الإنس والجن على التغلب عليها وإيقافها من التدفق والتّطير وإهلاك الحرث والنّسل.

[٣٦] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

والسؤال هنا: هل إرسال الشواظ والنحاس من النّعم؟

الجواب: نعم لأنّ التذكير بها والتّحذير منها والإنذار من النّعم حتى لا يغفل عنها العبد، ويهمل الاستعداد لها حتّى ينجو من النَّار والبراكين وتلوّث البيئة الذي قد يجلب الويلات للبشر.



[٣٧] ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾:

بعد ذكر عدد من النعم والآلاء ينتقل إلى التذكير بيوم القيامة وبعض أهواله وأحداثه.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء استئنافية، إذا: ظرفية زمانية للمستقبل تدل على حتمية الحدوث.

﴿انْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾: تحمل عدة معانٍ، منها: انفطرت فرجت فتحت انفجرت، انشقت السماء: أي: تنفجر، السماء المليئة بالنجوم والكواكب ولكثرة عدد النجوم والكواكب التي تقدر بالمليارات تصبح السماء ذات ألوان كألوان الطيف، ويغلب عليها اللون الأحمر، وتبدو حينذاك لمن يراها كأنها بصورة وردة حمراء كالدهان. مصبوغة باللون الأصفر والأخضر وغيرها من الألوان.

[٣٨] ﴿فَإِذَا آتَاكُمُ الْمَوْتُ تَوَلَّوْا بِلُحُوفِكُمْ فَتُؤَذَّنُكُمْ وَأَنْتُمْ بِلُحُوفِكُمْ تُكَذَّبُونَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) لليان.

[٣٩] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾:

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾: الفاء عاطفة أو استئنافية، يومئذ مركبة من يوم (ظرف زمان) إذ: اسم ظرفي.

﴿لَا﴾: لا النافية.

لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جان: قيل: يحدث هذا أول ما تبعث الخلائق، كما قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٢٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْنِدُونَ ﴿[المرسلات: ٣٥].
ثم بعد ذلك يؤذن لهم فيتكلمون. كما وردت في الآيات الأخرى.

﴿فَرَرْتُكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣] وفي آية أخرى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤].

وإذا سُئِلُوا فالسؤال لا يكون سؤال استفهام؛ لأن الله سبحانه يعلم بحالهم، وبكل شيء عملوه وما عملوه أيضاً مكتوب في صحائف أعمالهم.

وقد يسألون سؤال تقرير أو توبيخ وتقريع لإقامة الحجة عليهم أو ليشهدوا على أنفسهم.

ويوم القيامة يوم طويل ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. وفيه مواطن كثيرة أو مواقف.

قد يسألون في مواطن ولا يسألون في مواطن وحسب الذنب، فهناك من لا يسئل أبداً ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧]. وهناك: من ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٧٤].

[٤٠] ﴿فَإِيَّاءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَنْتَ كَذَبَان﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.





سُورَةُ التَّحْوِيمِ ٥٥

سُورَةُ التَّحْوِيمِ

يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ
 ءَالٍ رَبِّكُمُ تُكْذِبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ
 ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمُ تُكْذِبَانِ
 ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمُ تُكْذِبَانِ
 ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمُ تُكْذِبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ
 تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمُ تُكْذِبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ
 زَوَّجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمُ تُكْذِبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ
 بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا
 تُكْذِبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَصَصَاتُ الطَّرَفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ
 وَلَا جَانٌ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٧﴾ كَانَهُنَّ أَلْيَاقُوتٌ
 وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ
 الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ
 ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ
 ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَاتٍ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا
 عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٧﴾

سورة الرحمن [الآيات ٤١ - ٦٧]

[٤١] ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾:

﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ﴾: يوم القيامة.

﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ﴾: الكافرون، المشركون، العصاة. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لمزيد في معنى المجرمين.

﴿بِسِيمَاهُمْ﴾: الباء للإلصاق والملازمة، السِّمة: العلامة، بسيماهم: أي: تعرفهم الملائكة بعلاماتهم المميزة، وهذه العلامات ذكرت في آيات أخرى، ومنها:

سود الوجوه: كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. [آل عمران: ١٠٦].

يعلوهم الحزن والكآبة كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعَانِ آتِلٍ مُّظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. [يونس: ٢٧].

زرق العيون: ﴿وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾. [طه: ١٠٢].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ (٤١) ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ (٤١) ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْفَجَرَةُ﴾. [عبس: ٤٠-٤٢].

﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾: الفاء عاطفة، يؤخذ: يقبض على نواصيهم، تقبض الملائكة بعنف وشدة على نواصيهم: جمع ناصية وهي مقدم شعر الرأس

أو مقدم الرأس، والأقدام: وهي القدم المعروفة، أي: يُضم أو يجمع مقدم رأسه إلى قدميه ويؤخذ ويلقى في النار.

[٤٢] ﴿فَإِيَّاءَ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

والسؤال هنا: هل معرفة أحوال المجرمين يوم القيامة نعمة؟

حتى يسأل الحق، ويقول: ﴿فَإِيَّاءَ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ﴾.

نقول: نعم؛ لأنّ التذكير بأحوالهم للتحذير والإنذار من أعمالهم نعمة؛ لأنّ اتقاء النار وتجنبها من أكبر النعم والتذكير بطاعة أوامر الله وتجنب نواهيه من النعم.

[٤٣] ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾:

يقال لهم توبيخاً وتقريعاً:

﴿هَذِهِ﴾: الهاء للتنبيه، ذه: اسم إشارة للقرب.

﴿جَهَنَّمُ﴾: من أسماء النار أو دركة من دركاتهما مشتقة من الشيء الكريه المنظر والمرعب وبعيدة القعر. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

﴿الَّتِي﴾: اسم موصول يفيد الدّم.

﴿يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾: أي: لا يصدق بها المجرمون، جمع مجرم. ارجع إلى سورة الأنعام الآية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لمزيد من البيان.

كقوله تعالى: ﴿ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ ١٤ ﴿ أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الطور: ١٤-١٥].

يكذب، ولم يقل: كذب للدلالة على الاستمرار في التكذيب حتى تلك اللحظة.

[٤٤] ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾:

﴿ يَطُوفُونَ ﴾: الطَّوْفُ: البدء من مكان، ثم العودة إليه أو التردد.

﴿ بَيْنَهَا ﴾: تعود على جهنم.

﴿ وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾: الحميم: ماء حار، آن: اشتدت حرارته وبلغ أقصى درجات الغليان، أي: بلغ غايته في الحرارة، أي: تارة يُحرقون في جهنم وتارة يسقون من الحميم إذا عطشوا.

[٤٥] ﴿ فَيَأْتِيَهُمْ الْآلَاءُ رَكِيكًا تَكْدِبَانِ ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٤٦] ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾:

يعود الله سبحانه بعد الإنذار والتحذير إلى ذكر أكبر وأعظم النعم في الآخرة وهي الجنة.

﴿ وَلَمَنْ ﴾: الواو استئنافية، لمن: اللام لام الاستحقاق (الاختصاص) من: اسم موصول تشمل المفرد والجمع والمثنى والذكر والأنثى، وتستعمل للعاقل.



﴿خَافَ﴾: الخوف: هو الشعور بعدم الأمن والراحة. خوف مقرون بالإيمان والعمل الصالح والتعظيم والرجاء.

﴿مَقَامَ رَبِّهِ﴾: أي: عظمته وجلاله أو القيام (الوقوف) بين يدي ربه للحساب والجزاء، والاطلاع على سجل أعماله.

﴿جَنَّانٍ﴾: وكيف يخاف مقام ربه بأن ينهى النفس عن الهوى، كقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾. [النازعات: ٤٠-٤١].

جنتان: التفسير الأول: بأن الله سبحانه أعد لكل عبد مقعدين مقعداً في الجنة ومقعداً في النار. فإذا أدخل العبد مقعده في الجنة ترك مقعده في النار فارغاً، وإذا أدخل العبد مقعده في النار ترك مقعده في الجنة فارغاً، فعندها يرث كل عبد المقعد الآخر الذي تركه الآخر في الجنة أو النار، فيصبح للمؤمن مقعدان في الجنة.

ويصبح للكافر مقعدان في النار.

التفسير الثاني: ولمن خاف مقام ربه من (الإنس) له جنة، ومن الجن له جنة، أي: ولمن خاف مقام ربه من (الجن والإنس) لكل واحد جنة.

[٤٧] ﴿فَيَأْتِيَهُمْ آلاَءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٤٨] ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾:

هذا وصف للجنتين.



﴿ذَوَاتَا﴾: مثنئ ذوات.

﴿أَفْنَانٍ﴾: أغصان: جمع فنن: أي: غصن وهي التي تحمل الورق والثمر، وقيل: كثير الورق والثمر، وقيل: أفنان: ألوان، وفنن: لون، ذواتا ألوان أو ذواتا أغصان أو كلاهما. أي: أغصان ملونة.

[٤٩] ﴿فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٥٠] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾:

﴿عَيْنَانِ﴾: مثنئ عين، أي: عين الماء.

﴿تَجْرِيَانِ﴾: بالماء الفرات العذب أو عين السلسبيل وعين التسنيم، وعين تجمع على أعين أو عيون، أعين: التي نبصر بها، وعيون: أي: عيون الماء.

[٥١] ﴿فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٥٢] ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَنَكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾:

﴿فَنَكِهَةٍ﴾: اسم جنس يشمل كل أنواع الفاكهة والثمار.

﴿زَوْجَانِ﴾: صنفان قيل: صنف معروف وصنف غريب.

[٥٣] ﴿فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.



[٥٤] ﴿مُتَكِينٍ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾:

﴿مُتَكِينٍ﴾: من الاتكاء وهو الجلوس أو الاضطجاع.

﴿عَلَىٰ فُرُشٍ﴾: جمع فراش.

﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾: بطائنها: جمع بطانة وهي تحت الظهارة التي هي الأقرب إلى البدن مصنوعة من الإستربق، وهو ما غلظ من الحرير، ولم يذكر الظهارة التي قد تكون مصنوعة من السندس؛ أي: ما رق من الحرير، أو من غير الحرير لا يعلمها إلا الله.

﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾: الجنى: هو الثمر المستوي، أي: وثمر هاتين الجنتين دان، أي: قريب من الدنو، وهو القرب، أي: قريب من الجاني يستطيع أن يقطفها القائم والقاعد والمضطجع من دون جهد أو عناء، أي: ثمارها دانية لا يحتاج معها إلى سلم أو جهد ومشقة، وكما قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣] ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤].

[٥٥] ﴿فَيَأْتِيهِمْ آيَاتُ رَبِّهِمْ كَذِبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٥٦] ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْظُرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْفُسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾:

﴿فِيهِنَّ﴾: تعود على الجنتين.

﴿قَصِيرَاتُ الْظُرْفِ﴾: قيل: هن الحور العين، وقيل: من نساء الدنيا؛ قاصرات

من القصر وهو الحبس والطَّرَف: العين، أي: قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم لا ترى إلا زوجها.

﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾: لم: النافية، يطمئنهن: أصل الطمئ الجماع المؤدّي إلى خروج دم البكر، ثم أطلق على كل جماع، وإن لم يكن معه دم، إنس قبلهم ولا جان: أي: هن أبكار لم يمسنهن أحد من الخلق لا إنس ولا جن. (لا) يفيد توكيد النفي، وتعني: لا إنس ولا جان ولا كلاهما؛ لأنهن خلقهن في الجنة.

[٥٧] ﴿فَيَأْتِيَهُنَّ الْآيَةُ رَيْكُمَا تَكْذِبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٥٨] ﴿كَانَتْهُنَّ أَلْيَافُوتٌ وَالْمَرْجَانُ﴾:

﴿كَانَتْهُنَّ﴾: الكاف للتشبيه، إنهن: للتوكيد.

﴿أَلْيَافُوتٌ﴾: في الصفاء. والياقوت واللؤلؤ من الأحجار الثمينة.

﴿وَالْمَرْجَانُ﴾: في بياضهن، وقيل: المرجان الخرز الأحمر.

ارجع إلى الآية (٢٢) من نفس السورة.

[٥٩] ﴿فَيَأْتِيَهُنَّ الْآيَةُ رَيْكُمَا تَكْذِبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٦٠] ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾:

﴿هَلْ﴾: استفهام يفيد النفي، أي: وما جزاء الإحسان إلا الإحسان.



﴿جَزَاءٌ﴾: الثَّوَاب والأجر.

﴿الْإِحْسَنِ﴾: مصدر للفعل الرباعي أحسن، وأما حُسْنًا فمصدر الفعل حسن والإحسان جودة الإيمان والطاعة والتقوى والعمل الصالح، كمًّا وكيفًا، ارجع إلى سورة البقرة الآية (١١٢) للبيان.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿الْإِحْسَنُ﴾: في الثَّوَاب والارتقاء في درجات الجنة والزيادة في النعيم.

[٦١] ﴿فَيَأَيَّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

﴿فَيَأَيَّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٦٢] ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾:

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾: في الجزاء والثَّوَاب أو المنزلة والقدر أو المرتبة والدرجة.

﴿جَنَّتَانِ﴾: جتان أخريان لأصحاب اليمين، وأما الجتان السابقتان،

فللسابقين السابقين، أي: المقربين.

[٦٣] ﴿فَيَأَيَّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

﴿فَيَأَيَّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٦٤] ﴿مُدَّاهِمَتَانِ﴾:

مثنى مدهامة، ومدهامة مؤنث مدهام: اسم فاعل أو مفعول من الفعل

السداسي ادهام.

مشتقة من الدَّهْمَة: وهي في الأصل سواد الليل.

مدهامتان: شديدتا الخضرة، والخضرة إذا اشتدت مالت إلى السّواد من كثرة الرّي أو الماء، أو سوداوان من شدة الخضرة من الرّي.

[٦٥] ﴿فَيَايَآءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

﴿فَيَايَآءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٦٦] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ﴾:

﴿نَضَّخَتَانِ﴾: مثني نضاحه، ونضاحه مؤنث نضاخ.

﴿نَضَّخَتَانِ﴾: فوارتان بالماء العذب وأقل فواراناً بالماء من العينين اللتين

تجريان الآية (٥٠) أي: تجريان أشدّ وأقوى من النّضاختين.

[٦٧] ﴿فَيَايَآءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

﴿فَيَايَآءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.





سُورَةُ الْوَاقِعَةِ ٥٦

الجزء الثاني

فِيهِمَا فَكِهُةٌ وَنَحْلٌ وَرُمَانٌ ﴿٦٨﴾ فَيَايَا آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾
فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَيَايَا آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ
مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَيَايَا آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾
لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٧٤﴾ فَيَايَا آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧٥﴾ مُتَكِينِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِي حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَيَايَا
آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْمَلَكِلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ
﴿٣﴾ إِذَا رَجَّحَتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾
فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ
الْمِيمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمِيمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ
الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّيْفُونا السَّيْفُونَ ﴿١٠﴾ وَأُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ
﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَكِينِينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ ﴿١٦﴾

سورة الرحمن [الآيات ٦٨ - ٧٨]

[٦٨] ﴿فِيهِمَا فَكِّهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾:

﴿فِيهِمَا فَكِّهَةٌ﴾: فاكهة: اسم جنس يشمل كل أنواع الفاكهة بما فيها النخل والرمان.

﴿وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾: والنخل والرمان من الفاكهة، ويمكن اعتبار ذلك من عطف الخاص على العام للتوكيد على الأهمية، وبياناً لفضلهما، وهناك من المفسرين من قال: إن النخل والرمان ليستا من الفاكهة.

[٦٩] ﴿فَيَأْتِيَا الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

﴿فَيَأْتِيَا الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٧٠] ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾:

﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ﴾: أي: في الجنات. خيرات: جمع خيرة: بفتح الخاء وسكون الياء أو بفتح الخاء وكسر الياء مخففة من خيرة بفتح الخاء وتشديد الياء، وهذا هو الأصل.

﴿خَيْرَاتٌ﴾: الخلق أو الأخلاق.

﴿حِسَانٌ﴾: جمع حسناء صفة مشبهة من حسن. أي: جميلات الهيئة الوجه والجسم والطول.



[٧١] ﴿فَيَأَيَّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

﴿فَيَأَيَّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٧٢] ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾:

﴿حُورٌ﴾: جمع حوراء وهي البيضاء، والحوراء قيل: التي يغلب بياض عينيها سوادهما.

﴿مَّقْصُورَاتٌ﴾: جمع مقصورة مؤنث مقصور، قصر بمعنى ستر، أي: ملازمات لقصورهن وخيامهن لا ينظرن إلا لأزواجهن.

﴿فِي الْخِيَامِ﴾: خيام الجنة، أي: لا تشبه خيام الدنيا، فهي من اللؤلؤ المجوف الصافي. قيل: يصل طولها إلى ٦٠ ميلاً.

[٧٣] ﴿فَيَأَيَّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

﴿فَيَأَيَّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٧٤] ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾:

ارجع إلى الآية (٥٦) السابقة.

[٧٥] ﴿فَيَأَيَّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٧٦] ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيٍّ حَسَانٍ﴾:

﴿مُتَّكِئِينَ﴾: جالسين أو مضطجعين.

﴿عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ﴾: وسائد خضر ومفردها رفرفة أو غطاء يوضع على ظهر الفراش. ويتدلى من الأسرّة.

﴿وَعَبْقَرِيَّ حَسَّانٍ﴾: البسوط أو السَّجَاد التي فيها الأصباغ والنقوش الجليلة الفاخرة، وعبقري اسم جنس جمعي، مفردة: عبقرية والعبقر كل جليل فاخر.
وقيل: العبقرى منسوب، أو مصنوع في بلد للجن، اسم البلد عبقر، فكانت العرب تطلق على كل شيء جليل وفريد من صنع عبقر، وكذلك يطلق على الرجل الذكي عبقرى.

[٧٧] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

ارجع إلى الآية (١٣) للبيان.

[٧٨] ﴿نَبِّرْكَ أَتَمُّ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾:

﴿نَبِّرْكَ أَتَمُّ رَبِّكَ ذِي﴾: ذي: تعود على الاسم، أي: اسم ربك، أي: نعت للاسم. ولو كانت تعود على الذات (ربك) لجاء بـ(ذو) بدلاً من (ذي)، كما هو في الآية (٢٧) من نفس السورة.

تبارك اسم ربك: تعالى قدره وتعظيم وتنزه وتقديس عن شبه ما سواه، ودام خيره وعم إحسانه وثبت إنعامه، ارجع إلى سورة الملك الآية (١) لمزيد من البيان.

﴿الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾: ارجع إلى الآية (٢٧) من نفس السورة وهي قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾؛ أي: تبارك وجهه وتبارك اسمه.



سورة الواقعة ٥٦

سورة الواقعة

فِيهِمَا فَكِهَةٌ وَنَحْلٌ وَرُمَانٌ ﴿٦٨﴾ فَيَأْيَءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾
 فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَيَأْيَءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ
 مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَيَأْيَءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾
 لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٧٤﴾ فَيَأْيَءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٧٥﴾ مُتَكِينِينَ عَلَى رَقَرٍ خَضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَيَأْيَءَ
 الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾
 إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾
 فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ
 الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ
 الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
 فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ
 ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَكِينِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾

٥٣٤

سورة الواقعة [الآيات ١ - ١٦]

ترتيبها في القرآن (٥٦) وترتيبها في النزول (٤٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾:

﴿إِذَا﴾: شرطية تدل على حتمية الحدوث وظرفية للزمن المستقبل.

﴿وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾: أي: إذا قامت الساعة (النفخة الأولى نفخة الفزع أو الصعق)؛ بدأ انهيار معالم الكون الحالي ودماره؛ وقعت: وأصل وقع في اللغة: كان ووجد، ووقعت: بصيغة الماضي لتدل على وقوعها لا محالة، وكأنها وقعت وانتهت، ولأنَّ الزَّمن كله واحد عند الله تعالى الماضي والحاضر والمستقبل؛ لأنه سبحانه خالق الزمان والمكان، وقيل: الواقعة اسم من أسماء يوم القيامة مثل القارعة، الحاقة، الطامة، الصاخة، وتاء التأنيث للمبالغة، ووقعت الواقعة: تفيد تأكيد وقوعها أو حلولها.

[٢] ﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾:

﴿لَيْسَ﴾: للنفي.

﴿لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾: اللام للتوكيد، لوقعتها كاذبة: لن تجد نفساً مكذبة لها كما كانت تكذب بها في الدنيا، أو إذا وقعت لا مردَّ لها ولا رجوع عنها.

[٣] ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾:

تشير إلى صوت النفخة في الصور (الصيحة) قد تبدأ منخفضة، ثم ترتفع شدتها كي تذهل العقول، ويسمعها القريب والبعيد، كما روى ابن عباس، أو



خافضة لأقوام، الخفض يعني: الذل والإهانة؛ أي: خافضة للكفرة والمشركين والعاصين والظالمين في الدركات السفلى من النار.

﴿رَافِعَةٌ﴾: لأقوام، الرفع يعني: الرفعة والعزة، أي: رافعة للمؤمنين الموحدين في الدرجات العلى في الجنة. كما قال ابن عباس.

[٤] ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾:

﴿إِذَا﴾: ارجع إلى الآية الأولى للبيان.

﴿رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾: اضطربت الأرض أو تحركت تحريكاً شديداً، رجاً: للتوكيد، وقد بيّنت الآيات الأخرى ما سيحدث لهذه الأرض الحالية يوم القيامة من الزلزلة والاضطراب كقوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، والدك ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤]. وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ﴾ [المزمل: ١٤].

[٥] ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾:

البس: التفتت، أي: فتتت الجبال تفتيتاً.

فهذه مرحلة من المراحل التي تمر بها الجبال يوم القيامة. فالجبال ترجف ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٤].

وتنسف ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ﴾ [المرسلات: ١٢].

وتصبح كثيراً مهيلاً ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤]، ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبا: ١٤].

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [الفارقة: ٥].

[٦] ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾:

﴿فَكَانَتْ﴾: أي: صارت.

﴿هَبَاءٌ﴾: أي: غباراً دقيقاً قلماً يُرى بالعين لا قيمة له ولا فائدة.

﴿مُبْنًأً﴾: أي: متفرقاً متطائراً.

الهباء: هو ما يثور مع شعاع الشمس حين يدخل كوة أو ما يلوح في خيوط شعاع الشمس من دقيق الغبار، وهذه هي نهاية الجبال الشامخة التي كانت الأوتاد والرواسي لهذه الأرض.

فكل هذه التغيرات ستحدث للأرض الحالية لكي تتبدل إلى أرض جديدة.

[٧] ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾:

في يوم القيامة.

﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾: أصنافاً ثلاثة؛ المقربين وأصحاب اليمين وأصحاب

الشمال.

[٨] ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾:

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: الفاء للتقسيم، أصحاب الميمنة: الذين يؤتون

صحائف أعمالهم بأيمانهم كقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْلِبَتُهُ يُبَيِّنُهُ﴾ [الحاقة: ١٩] الميمنة: مصدر ميمي منتبه بقاء المبالغة من فعل يمن على وزن مفعلة.

﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: ما: استفهام فيها معنى التعظيم، أي: من هم أو ما هم

أصحاب الميمنة، وسيبدأ بوصف حالهم وأنواع النعيم الذي ينتظرهم في الآية (٢٧) القادمة، وكان العرب قديماً يظنون أن اليمين، أي: الخير يأتي عن جهة اليمين.

[٩] ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾:

﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾: أي: الذين يؤتون صحائف أعمالهم بشمائلهم،

والمشئمة: جهة الشمال وتفيد الشؤم، والعرب تسمي اليد اليسرى الشؤمى،



وكان الشؤم يأتي عن الشمال، وسُمِّي الذين كفروا وأشركوا وأجرموا بأصحاب المشئمة، المشئمة: مصدر ميمي منته بقاء المبالغة من فعل شأم.

﴿مَا أَصْحَبُ الْمُشْئِمَةَ﴾: ما: للاستفهام والتَّهْوِيل والتَّعْظِيم والتَّعْجَب وفيها معنى الذم والتحقير.

[١٠] ﴿وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ﴾:

﴿وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ﴾: أي: الصنف الأول، والسَّابِقُونَ: الواو عاطفة، السَّابِقُونَ في الدنيا إلى الإيمان والطاعة وفعل الخيرات والتقوى والإحسان وإسلام الوجه، السَّابِقُونَ إلى مرضاة الله تعالى وحبه والقرب منه، السَّابِقُونَ: التكرار للتوكيد والتعظيم، أو السَّابِقُونَ في الدنيا هم السَّابِقُونَ في الآخرة إلى دخول جنات النعيم، ونجد حذف حرف (ما) كالقول: السَّابِقُونَ ما السَّابِقُونَ؛ لأنه ذكر (ما) مرتين في أصحاب الميمنة، وأصحاب المشئمة فحذف (ما) لدلالة ما قبله عليه.

[١١] ﴿أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ﴾:

وهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون وغيرهم.
﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، وتدل على عظم شأنهم، وعلو منزلتهم عند الله تعالى.

﴿الْمَقَرُّونَ﴾: عند الله تعالى كما قال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣] بالنسبة للقرب منه، منزلة وكما قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: ٤] بالنسبة للجنة.

[١٢] ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾:

﴿فِي﴾: ظرفية.
﴿جَنَّاتٍ﴾: جمع جنة. ومنها جنات الفردوس، وعدن، وجنات المأوى وغيرها.

﴿النَّعِيمِ﴾: السرور، وفيها كلّ ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين مع الخلود والرضوان.

[١٣] ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿ثَلَاثَةٌ﴾: جماعة كثيرة.

﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾: من الأمم الماضية ومن الأولين من أمة محمد كالصّحابة والأنبياء والرسل والصديقين والشهداء والصالحين.

[١٤] ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾:

أي: من أمة محمد وغيرهم، الذين جاؤوا من بعد جيل الصّحابة الكرام، وهذا يدل على فضل الله تعالى أنّه ترك أمام أيّ عبد مسلم الفرصة للمسابقة مع الأولين، ولكن يا حسرة على العباد أين هؤلاء.

[١٥] ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾:

منسوجة بالذهب وغيره من الحلي.

﴿مَوْضُونَةٍ﴾: من وُضِنَ الغزل؛ أي: نسجه.

[١٦] ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَدِّمِينَ﴾:

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا﴾: جالسين أو مستقرين أو مضطجعين عليها.

﴿مُتَقَدِّمِينَ﴾: من حسن أدبهم وعشرتهم وجّه كلّ منهم وجهه إلى وجه صاحبه، فلا يرى ظهر صاحبه. فهم يرون أو يزور بعضهم بعضاً، ولو كانوا في درجات مختلفة في الجنة.





سُورَةُ الْفَجْرِ ٥٦

الجزء الثاني من القرآن

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ
 ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهْهَ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ
 ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ
 الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
 تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ
 الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ
 ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَكَهْهَ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا
 مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُشٍّ مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ
 أَجْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ
 الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ
 الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِنْ يَحُمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ
 وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ
 عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
 وَعِظْمًا إِئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَّءَا أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنِ
 الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

سورة الواقعة [الآيات ١٧ - ٥٠]

[١٧] ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾:

﴿يَطُوفُ﴾: من الطواف: الدوران أو المرور بين أيديهم بشكل متكرر.
 ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾: وفي سورة الطّور ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكَوْنٌ﴾ [الطور: ٢٤].

اختلف في الولدان المخلدون والغلمان: الولدان أقل أعماراً من الغلمان، الغلمان: من يقارب سن البلوغ أو الحلم، و غلام تعني: خادم وقيل: إنّ الولدان هم خلق من خلق الجنة، وليسوا من أبناء الدّنيا، والله أعلم.
 ارجع إلى سورة الطّور آية (٢٤).

﴿مُخَلَّدُونَ﴾: لا تزيد أعمارهم عن تلك السّن.. على سن واحدة لا يهرمون.
 [١٨] ﴿يَا كُوبٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ﴾:

﴿يَا كُوبٍ﴾: أقداح جمع كوب.

﴿وَأَبَارِيقٍ﴾: لها عُرَى، جمع إبريق.

﴿وَكأْسٍ﴾: لشرب الخمر.

﴿مِنْ مَّعِينٍ﴾: خمر جارية في أنهار ظاهرة للعيون جارية على وجه أرض الجنة، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ حَمْرِ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ [محمد: ١٥].

وكأس من معين: قيل: كأس من شراب معين نابع من عيون الجنة، عيون التّسنيم أو السّلسبيل أو الكافور.



[١٩] ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾:

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يُصَدِّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾: لا يصابون بصداع بسبب الشرب من الكأس كما يحدث في الدنيا، ولا ينزفون: تكرر (لا) يفيد التوكيد، ينزفون: لها عدة تفسيرات لا تذهب عقولهم من شربها يقال: أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو يصابون بنزف من شربها، كما يحدث في الدنيا حيث شرب الخمر المتواصل يؤدي إلى تشمع الكبد وارتفاع الضغط في الأوردة الدموية حول المعدة، وأحياناً يؤدي إلى نزف دموي مميت من الجزء العلوي من المعدة أو منطقة المري.

يُنْزِفُونَ: مبالغة من النزف، أي: نزف شديد حاد مميت (بكسر الزاي) بينما في سورة الصافات يُنْزِفُونَ بفتح الزاي تعني: تذهب عقولهم أو يصابون باختلاطات أقل شدة مثل النزف غير الحاد أو المميت كما يحدث في الدنيا.

[٢٠] ﴿وَفَكَهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾:

﴿وَفَكَهَةٍ﴾: اسم جنس يشمل الفواكه، وهي أنواع كثيرة.

﴿مِّمَّا﴾: من ابتدائية، ما بمعنى النوع الذي يتخيرون.

﴿يَتَخَيَّرُونَ﴾: التخيير يكون من بين أنواع مختلفة من الفاكهة، يتخيرون تفيد التجدد والتكرار.

[٢١] ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾:

الشَّهِيَّة: توقان النفس وميل الطَّبَاع إلى ما يلد ويسر.

بما أن اللحم متشابه في المنظر والذي يميِّز بينها هو الطَّعم والشَّهِيَّة واختار لحم الطَّيْرِ؛ لأنه أفضل اللحوم وألذها، فهم يُسألون عما يشتهون من أنواع اللحم، لحم غنم أو طير أو غيرها.

[٢٢] ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾:

﴿وَحُورٌ﴾: جمع حوراء: حوراء بيضاء من الحور، أي: البياض.

﴿عِينٌ﴾: جمع عيناء، أي: واسعة العينين.

[٢٣] ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوفِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ﴾:

﴿كَأَمْثَلِ﴾: الكاف للمبالغة في التشبيه.

﴿اللَّوْلُوفِ﴾: الأبيض اللون.

﴿الَّتِي لَمْ تَكُنْ﴾: المصبان الذي لم يغير صفاء لونه ضوء الشمس، ولا عبث الأيدي، وفي سورة الرحمن الآية (٥) شبههن بالياقوت والمرجان الأحجار الكريمة الثمينة.

[٢٤] ﴿جَزَاءً يَمْكُنُ أَنْ يَكُونُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿جَزَاءً﴾: الجزاء بمعنى الثواب، أو مقابل العمل.

﴿يَمْكُنُ﴾: الباء للتعليل أو سببية أو بدلية، ما: اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية.

﴿يَكُونُوا يَعْمَلُونَ﴾: كانوا في الدنيا، يعملون: يقولون ويفعلون؛ لأنّ العمل يضم القول والفعل.

[٢٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً وَلَا تَأْتِيًا﴾:

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾: لا النافية، يسمعون فيها: في جنات النعيم.

﴿لِقَاءً﴾: كلاماً عبثاً أو لا فائدة منه. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (٣) لمزيد من البيان.

﴿وَلَا﴾: تكرار لا يفيد النفي ويفيد فصل اللغو عن التأييم ولا كلاهما.

﴿تَأْتِيًا﴾: من الإثم: أي: كلاماً قبيحاً أو فاحشاً. تأيماً: مصدر من إثم.



[٢٦] ﴿إِلَّا قِيلاً سَلَمًا سَلَمًا﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء أو حضر: استثناء منقطع، أي: المستثنى ليس بعضاً من المستثنى منه، أي: قِيلاً سلاماً سلاماً ليس من اللغو ولا من التأثيم.

﴿قِيلاً﴾: مصدر لفعل (قال ويقول)، ومنهم من قال: هي اسم؛ أي: لا يسمعون إلا القول ﴿سَلَمًا سَلَمًا﴾: السلام على بعضهم بعضاً أو السلام من الرب الرحيم أو السلام من الملائكة، سلاماً: بصيغة النكرة ليشمل على سلام التحية وسلام الأمن والطمأنينة وسلام من كل الآفات والأمراض، ومن كل مكروه وللتوكيد (توكيد لفظي).

[٢٧] ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾:

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾: أي: الذين يؤتون صحائف أعمالهم بأيمانهم.

﴿مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾: ما: للاستفهام والتعظيم والتفخيم، وللسؤال عن ذوات ما لا يعقل ولصفات من يعقل، ارجع إلى الآية (٨) للبيان.

[٢٨] ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾:

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾: السدر شجر النبق المخضود: لا شوك له، أي: خضد شوكه أي: قطع ونزع. كما روى ابن عباس وقيل: الموقر حملاً: أي: تثنت أغصانه من خضدت الغصن: أي: ثنيته.

[٢٩] ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾:

الطلح: شجر الموز.

منضود: الموز المتراكب بعضه فوق بعض، موز واحدتها تسمى طلحة.

وقيل: ليس بالموز، وإنما شجر لها ظل بارد ورطب شجر طيب الرائحة يشبه طلح الدنيا المنضود المتراكم من النضد متراكب على بعضه.

[٣٠] ﴿وَزُلْزِلَ زُلْزُلًا﴾:

ظل دائم ممتد لا يزول، كما قال رسول الله ﷺ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّائِبُ فِي ظِلِّهَا مِثَّةَ عَامٍ لَا يَفْطَعُهَا. كما روى البخاري ومسلم في حديث أبي هريرة.

[٣١] ﴿وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ﴾:

ماء دائم الجري بغزارة لا ينقطع مصبوب لا يحتاج أن يصبه بيده، فهو مهياً للشرب في أكواب يحملها الغلمان أو الولدان إليهم.

[٣٢] ﴿وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾:

فاكهة اسم جنس يشمل كل أنواع الفاكهة المتنوعة.

[٣٣] ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾:

﴿لَا﴾: النافية.

﴿مَقْطُوعَةٍ﴾: لا تنقطع في فصول كما هي الحال في فواكه الصيف وفواكه الشتاء فهي دائمة الوجود.

﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾: لا تمنع عن أحد إذا أراد تناولها، أي: مُطلقة لمن أرادها، ليس لها ثمن يجب دفعه، وتكرار (لا) لتوكيد النفي، نفي كلاً على حدة، ونفي كلاهما معاً.

[٣٤] ﴿وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾:

وفرش مرفوعة، أي: منضدة على الأسرة، وهي ﴿فُرْشٌ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾

[الرحمن: ٥٤].



[٣٥] ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنْشَاءً﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿أَنشَأْنَهُنَّ إِنْشَاءً﴾: يعني: الحور العين، أي: الحور العين خلق من خلق الجنة، وليس من نساء الدنيا، وحين يُذكر الحور العين لا يُذكر نساء أهل الدنيا، الإنشاء: الإيجاد والتربية والتنشئة، وهي توكيد لفظي.

[٣٦] ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾:

﴿فَجَعَلْنَهُنَّ﴾: الفاء للتوكيد، الجعل بعد النشأة.

﴿أَبْكَارًا﴾: عذارى جمع عذراء.

[٣٧] ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾:

﴿عُرُبًا﴾: متحبيات لأزواجهن. جمع عروب بفتح العين فهو اسم للمرأة المتحبة إلى زوجها.

﴿أَتْرَابًا﴾: متساويات في العمر قيل: سن (٣٣).

[٣٨] ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾:

اللام لام الاختصاص والاستحقاق، أصحاب اليمين. ارجع إلى الآية (٢٧).

[٣٩] ﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾:

الثلة الجماعة الكثيرة من الأولين من زمن آدم إلى زمن نبينا ﷺ والصحابة.

[٤٠] ﴿وَتِلْكَ مِنْ الْآخِرِينَ﴾:

الجماعة الكثيرة من الآخرين من التابعين، ومن جاء بعدهم إلى يوم الدين، ومن كل الأمم الأخرى.



[٤١] ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾:

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾: الذين يأخذون صحائف أعمالهم بشمالهم وهم أهل الكفر والشرك والمعاصي.

﴿مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾: ما للاستفهام، والتعجب من حالهم، أي: ما أعد الله لهم يوم القيامة أو ما هي حالهم يوم القيامة.

[٤٢] ﴿فِي سُورٍ وَحَمِيرٍ﴾:

﴿فِي سُورٍ﴾: ظرفية في جهنم تهب عليهم ريح حارة، تنفذ في مسام جلودهم وتفعل فيها فعل السم الذي يسري في جسم الإنسان بعد اللدغ بالعقرب أو الأفعى.

﴿وَحَمِيرٍ﴾: ماء شديد الحرارة في حالة الغليان يقطع أمعاءهم عند الشرب منه. كما قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۖ﴾ ١٩ يَصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ [الحج: ١٩-٢٠].

[٤٣] ﴿وَظِلٍّ مِّنْ يَحْتُمِرٍ﴾:

﴿وَظِلٍّ﴾: ظل من دخان أسود.

﴿مِّنْ يَحْتُمِرٍ﴾: الدخان الأسود، وتسميته ظلاً على سبيل التهكم.

[٤٤] ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾:

﴿لَّا بَارِدٍ﴾: لا النافية، بارد كسائر الظلال.

﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾: ولا نافع يحمي من حر جهنم لمن يأوي إليه، وتكرار (لا) النافية يفيد تأكيد النفي لكل منهما على حدة أو معاً.



[٤٥] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾:

﴿إِنَّهُمْ﴾: للتوكيد، كانوا قبل ذلك: ذلك اسم إشارة واللام للبعد، أي: في الحياة الدنيا قبل السموم والحميم والظل من يحموم.

﴿مُتْرَفِينَ﴾: متنعمين، الترف: التمتع منهمكين في الشهوات والبطر والهوى والتبذير.

[٤٦] ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾:

﴿وَكَانُوا﴾: كانوا في الحياة الدنيا.

﴿يُصِرُّونَ﴾: يعكفون يقيمون.

﴿عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾: الحنث: الذنب العظيم وهو الشرك والكفر، وقيل: القسم على إنكار البعث، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

[٤٧] ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَا لَمَبْعُوثُونَ﴾:

﴿وَكَانُوا﴾: في الحياة الدنيا وتعود على أصحاب الشمال.

﴿يَقُولُونَ﴾: بصيغة المضارع لتدل على حكاية الحال أو التجدد والتكرار.

﴿إِذَا﴾: الهمزة الأولى للاستفهام والإنكار للبعث والحساب، والهمزة الثانية للدلالة على الشدة والتوكيد على إنكارهم للبعث.

﴿مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَا لَمَبْعُوثُونَ﴾: متنا: السنين الطويلة، وتحولت

أجسادنا إلى تراب وعظام، انبعث من جديد؟ اللام في (مبعوثون) للتوكيد. مبعوثون من قبورنا من جديد.

[٤٨] ﴿أَوَّابًا وَأَنَا الْأَوَّلُونَ﴾:

الهمزة للاستفهام الإنكاري والاستبعاد؛ أي: وأبأؤنا الذين ماتوا وصاروا تراباً وعظاماً منذ قرون طويلة لمبعوثون أيضاً.

[٤٩] ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾:

قل لهم يا رسول الله ﷺ: أنتم ومن مات من قبلكم من عهد آدم ومن سيأتي من بعدكم إلى يوم القيامة.

[٥٠] ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾:

﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾: اللام لتوكيد، مجموعون: الكل الأولين والآخرين مجتمعون في مكان واحد وزمن واحد.

﴿إِلَى﴾: حرف يستعمل لعموم الغايات.

﴿مِيقَاتٍ﴾: ميقات زمني (يوم البعث والحشر، ومكاني أرض المحشر).

﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾: يوم القيامة يوم الحشر يوم الجمع، معلوم: عند الله وحده ومحدد بالساعة والدقيقة والثانية من الزمان.

لنقارن بين هذه الآية (٥٠) من سورة الواقعة (إلى ميقات يوم معلوم). والآية ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ٣٨].

إلى ميقات: الميقات في هذه الآية قادم؛ أي: في المستقبل وسيجمعون في ذلك الميقات (اليوم والمكان).

لميقات يوم معلوم: الميقات في هذه الآية الآن؛ أي: جيء بالسحرة عند حلول ذلك اليوم واجتمعوا لعارض سحرهم للناس. اللام التوقيت: دخول الزمن.





سُورَةُ الرَّحْمَنِ ٥٦

الْحَمْدُ لِلَّهِ

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَا كُؤُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾
فَمَا تَكُونُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُونَ
شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَزْلُهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا
تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ
الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلَّمْتُ الْنَّشَاءَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ
﴿٦٣﴾ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ
حُطًا مَافُظِلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ
﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ
أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ
﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ
نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ
﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * فَلَا أُقْسِمُ
بِمَوْقِعِ الْجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

سورة الواقعة [الآيات ٥١ - ٧٦]

[٥١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الذكري.

﴿إِنَّكُمْ﴾: للتوكيد والكاف للمخاطب، أي: إنكم يا أصحاب الشمال.

﴿أَنْتُمُ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾: أيها: أداة نداء والهاء للتنبيه، الضالون: عن الهدى أو الحق، المكذبون: بالبعث والحساب والآخر.

وفي الآية (٩٢) من نفس السورة (الواقعة) قال تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ عكس الترتيب؛ لأن الآية (٥١) جاءت في سياق الحديث عن الضلال والإعراض عن الإيمان والدخول في الإسلام، فقدّم الضلال على التكذيب.

أما الآية (٩٢) في سياق التكذيب بآيات الله تعالى، فقدّم التكذيب على الضلال.

[٥٢] ﴿لَا تَكُونُوا مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُفُورٍ﴾:

﴿لَا تَكُونُوا﴾: اللام والنون للتعليل والتوكيد.

﴿مِنْ﴾: ابتداء الغاية.

﴿شَجَرٍ مِنْ زُفُورٍ﴾: ارجع إلى سورة الصافات الآية (٦٢ - ٦٧).



[٥٣] ﴿فَالْتَوَيْنَاهَا الْبُطُونَ﴾:

ارجع إلى سورة الصافات الآية (٦٦) أي: يُكرهون على أكلها قسراً حتى تمتلئ منها بطونهم.

[٥٤] ﴿فَشَرِبُونَا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾:

﴿فَشَرِبُونَا عَلَيْهِ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، شاربون: على الطعام أو الزقوم. ﴿مِنْ﴾: ابتدائية.

﴿الْحَمِيمِ﴾: الماء الحار الذي بلغ غاية الحرارة (الغليان).

[٥٥] ﴿فَشَرِبُونَا شَرِبَ الْهَمِيمِ﴾:

﴿فَشَرِبُونَا﴾: شاربون شرب الهميم الإبل العطاش، تشرب فلا ترتوي وتشرب وتشرب، وذلك حين تصاب بداء الهيام يشبه داء الكبد، ويسمى الاستسقاء أو الحبن حتى تموت في النهاية.

﴿الْهَمِيمِ﴾: وهناك من قال: الهميم: الأرض الرملية العطشى التي لا ترتوي من الماء مهما أسقيتها.

[٥٦] ﴿هَذَا نَزْلُكُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾:

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب.

﴿نَزْلُكُمْ﴾: النزول: ما يُعدُّ ويهيأ لإكرام الضيف أول نزوله من الطعام والمبيت، وتسميته بالنزل: للتهكم والتوبيخ.

﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾: يوم الحساب.

ثم يذكر الله سبحانه الأدلة والبراهين على قدرته وعظمته ووحدانيته ونعمه عليهم.

[٥٧] ﴿نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ﴾:

﴿نَحْنُ﴾: ضمير للتعظيم يفيد الاختصاص.

﴿خَلَقْنَكُمْ﴾: من ذكر وأنثى الخلق الأول من بطون أمهاتكم.

﴿فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ﴾: الفاء للتوكيد، لولا أداة حُضَّ وحثٌ، تصدقون: بالبعث والحساب أو النشأة الأخرى، كما أقررتم بالخلق الأول، فلا تصدقون بما جاءكم من الحق من ربكم. أو أنزل عليكم..

[٥٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾:

﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾: الهمزة للاستفهام والإقرار والفاء للتوكيد، رأيتم: الرؤية رؤية بصرية ورؤية قلبية بمعنى العلم، أي: أخبروني بعلم أو بتأكيد أو بعلم من له دراية.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية.

﴿تُمْنُونَ﴾: من المني الذي يتدفق في كل مرة بمقدار (٢-٥ سم) وعدد الحيوانات المنوية يصل إلى (٢٠٠) مليون حيوانٍ منويٍّ، ولكل حيوانٍ منويٍّ رأس وعنق وجسم وحركة ويسبح في سائل خاص تفرزه الخصية، وواحد فقط من هذه الحيوانات المنوية يلحق البيضة لتبدأ بالانقسام وتشكل العلقه، ثم المضغة والجنين.

[٥٩] ﴿أَن تَقُولُوا هَٰءَانَا خُلِقْنَا ۖ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾:

﴿هَٰءَانَا﴾: للاستفهام والتقرير، الجواب المقدر: لا.



﴿تَخْلُقُونَهُ﴾: أي: المني أو تخلقون من المني بشراً.
 ﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي، وتعني: بل نحن الخالقون.
 ﴿نَحْنُ﴾: للتعظيم.

﴿الْخَالِقُونَ﴾: المقدرون والخلق هو التقدير والإيجاد، فقدرته وعظمته في هذه الآية هي في خلقه هذا الماء المهيّن بشراً، الخالقون تدل على الثبوت والاستمرار في الخلق؛ ففي هذه الآية: ذكر سبحانه نعمة الخلق، وفي الآية (٦٣-٦٤): ذكر نعمة الحرث والزراعة؛ أي: الحب؛ أي: الطعام، وفي الآية (٦٨): ذكر نعمة الماء والشرب، وفي الآية (٧١): ذكر نعمة النار للدفع وطهي الطعام، وعلامة للضال، والتذكرة بالآخرة... وغيرها.

[٦٠] ﴿فَنَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾:

﴿نَحْنُ﴾: للتعظيم والاختصاص.

﴿قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾: أي: حكمنا أو قضينا أو كتبنا عليكم الموت وقدرنا من التقدير، وهو الحساب كم تعيشون ومتى وكيف تموتون، وقدرنا لكم أجالاً مختلفة أي: جعلنا لكل فرد أجلاً معيناً لا يتعداه.

﴿وَمَا نَحْنُ﴾: الواو عاطفة، ما النافية، نحن للتعظيم والاختصاص.

﴿بِمَسْبُوقِينَ﴾: الباء للإلصاق والمصاحبة، مسبوقين: بعاجزين أو لا يسبقنا أحد فينجو من الموت.

[٦١] ﴿عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنْشِئَ لَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

هذه الآية لها صلة بالآية السابقة، وهي: وما نحن بمسبوقين أيضاً:

﴿عَلَىٰ أَنْ﴾: على تفيد العلو والمشقة، أن: حرف مصدري يفيد التعليل.

﴿نَبْدِلْ أَمْثَلَكُمْ﴾: أي: نحلق خلقاً بدلاً منكم.

﴿وَنُنَشِّئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: من النشأة والتربية، أو ننشئكم أنتم أنفسكم في خلق جديد غير الذي تعلمونه بأن نشؤه خلقكم، وفي هذه الآية تهديد لهم بالمسخ والتبديل، وتدل على عظمة الله سبحانه وقدرته على التبديل والبعث والإماتة والإحياء.

[٦٢] ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾: علمتم: من العلم وهو الإدراك سواء كان خفياً أو جلياً (ظاهراً) النشأة الأولى: في أرحام أمهاتكم من نطفة، ثم علقه، ثم مضغة ثم نخرجكم طفلاً. ارجع إلى سورة الحج آية (٥) للبيان.

﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾: الفاء للتوكيد، لولا: أداة حثٍّ وحضٍّ، تذكرون: النشأة الأولى، ولا تغفلون عنها أو تنسونها، وتذكرون الذي خلقكم أول مرة قادر على أن يبعثكم ويعيدكم مرة أخرى وهو أهون عليه؛ تذكرون الخلق، ولم يقل فلولا تذكرون؛ لأن الكل يعلم هذه الحقيقة كيف خلقه الله فلا تحتاج إلى طول زمن للتذكر، وبالنسبة للحرث والزرع والماء والنار فلولا تشكرون.

[٦٣] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾:

بعد ذكر النطفة المني (ما تمنون) وتحويلها إلى جنين بعد زرعها في أرحام الأمهات يذكرنا بعملية أخرى مشابهة لها، وهي زراعة الأرض.



﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٥٨) للبيان.

﴿مَا﴾: بمعنى الذي تحرثونه أو مصدرية بمعنى حراثتكم، و(ما) أوسع شمولاً تشمل كل أنواع الحرث.

﴿تَحْرُثُونَ﴾: أي: تزرعون في الأرض والحراثة تسبق عملية بذر الحب، وهي جزء من مراحل الزراعة وعبر عن الكل بذكر الجزء.

وفي هذه الآية تذكير بقوله: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]. أي: تزرعون في أرحام أزواجكم. أو غيرها من الزراعات.

[٦٤] ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾:

﴿أَنْتُمْ﴾: استفهام تقرير استنكاري، الجواب محذوف تقديره: لا تزرعونه.

﴿تَزْرَعُونَهُ﴾: الزراعة تشمل الحرث والبذر والسقي والنمو، ثم الحصاد. أو تطور الجنين يمر بمراحل في رحم أمه.

﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾: أم للإضراب الانتقالي، نحن: للتعظيم والاختصاص، الزارعون: المنبتون؛ لأن الله سبحانه هو المنبت الزرع، والزارعون: تدل على الفعل؛ أي: الحدث نفسه مقارنة بقوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ [الفن: ٢٩]؛ الزراع: تدل على الاسم؛ أي: من مهنته الزراعة.

[٦٥] ﴿لَوْ شَاءَ لَجَعَلْنَاهُ حُطًا مَّا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾:

﴿لَوْ﴾: حرف امتناع لامتناع.

﴿شَاءَ لَجَعَلْنَاهُ﴾: اللام لام التوكيد، لجعلناه: والضّمير يعود على الزرع.

﴿حُطَّمَا﴾: لا نفع منه بالكلية؛ لا حب فيه فارغ من الحب، متحطماً:
متكسراً عقوبة لكم على شرككم وتكذيبكم بآيات الله.

﴿فَطَلَّتُمْ تَفْكَهُونَ﴾: أصلها فطللتم: حذف اللام لقصر الزمن: أي: لم يمض
زمناً طويلاً حتى صرتم تفكهون: تعجبون لما حل بزرعكم من هلاك ودمار،
وقيل: تفكهون تندمون أو تتلاومون أو تتفجعون.

ارجع إلى سورة الطور آية (١٨)، وسورة ياسين آية (٥٥)، وسورة المطففين
آية (٣١) للمقارنة ومزيد من البيان.

[٦٦] ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتوكيد.

﴿لَمُغْرَمُونَ﴾: السلام: للتوكيد، مغرمون: جمع مغرم والمغرم: من الغرم، أو
الغرامة: ما يلزم أدائه، والغريم: الذي عليه الدين، والمغرم أيضاً: هو الذي ذهب
ماله من دون عوض أو مقابل، أي: ما أنفق على حرثه وبذره وزرعه كأنه غُرم
غرامة دفعها كعقوبة على ما ارتكبه من الآثام والمعاصي والغرامة: المبلغ المالي
الذي يدفعه العبد على مخالفة القانون الوضعي.

أي: إنا لمعذبون؛ لأن الغرام عند العرب العذاب، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ
عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] أي: إنا لمعذبون بنقص الحرث، أي: الرزق؛
ومغرمون: جملة اسمية تدل على الثبوت والاستمرار.

[٦٧] ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.



﴿نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: من الرزق، أي: حُرمانا ما كنا نطمع به من الزرع والرزق بشكل كامل أو الولد وغيرها.

[٦٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ﴾: ارجع إلى الآية (٥٨).

﴿الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾: هذه الآية تذكير بنعمة الله على عباده، وهي الماء العذب الذي يشربونه.

[٦٩] ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾:

﴿ءَأَنْتُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٥٩).

﴿أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾: المزن السحاب الأبيض الذي يحمل الماء.

﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾: أم: للإضراب الانتقالي، نحن: للتعظيم والاختصاص، المنزلون: الله هو وحده المنزل والمنزلون جملة اسمية تدل على الثبوت. المنزلون من السحب الماء العذب.

[٧٠] ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾:

﴿لَوْ﴾: شرطية.

﴿جَعَلْنَاهُ﴾: أي: الماء الذي تشربون (الماء العذب).

﴿جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾: مالحاً مرّاً (أي: جمع بين الملوحة والمرارة) لأصبح غير صالحاً للشرب وغير مستساغ، ولكن يمكن استعماله في أغراض أخرى مثل الغسل وري الأرض وغيرها، فإذا قارنا (حطاماً) بقوله (أجاجاً) لوجدنا (حطاماً)

أشد عقوبة من (أجاجاً)، ولذلك أضاف اللام في (لجعلناه حطاماً) للتوكيد، وحذف اللام في (جعلناه أجاجاً).

﴿فَلَوْلَا﴾: الفاء للتوكيد، لولا: أداة حُضٍّ وحثٍّ.

﴿تَشْكُرُونَ﴾: الله تعالى على نعمة الماء العذب باللسان والطاعة والإيمان به، تشكرون: بصيغة المضارع تدل على التجدد والتكرار؛ ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠) لمزيد في معنى تشكرون. ولو قارنا هذه الآية: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا﴾ [الواقعة: ٧٠] مع الآية، وهي: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ [الواقعة: ٦٥] لوجدنا أنه أضاف لام التوكيد للزرع، ولم يضيف اللام للماء؛ لأنّ الزرع إذا تحول إلى حطام لا يستفاد منه مطلقاً في أيّ غرض أو مجال فالتهديد والوعيد أشد، أمّا الماء العذب إذا تحول إلى ماء أجاجاً فيمكن أن يستفاد منه في بعض الأحيان، في غسل الأواني والأدوات أو في الري كما ذكرنا سابقاً.

[٧١] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ﴾: ارجع إلى الآية (٥٥).

﴿النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾: تشعلون أو توقدون.

[٧٢] ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾:

﴿ءَأَنْتُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٥٩).

﴿أَنْشَأْتُمْ﴾: الإنشاء يعني: الإيجاد والنمو والتطور.

﴿شَجَرَتَهَا﴾: التي تشكل الحطب والبترول أو الغازات الطبيعية المستعملة

في إيقاد النار والطاقة والمحركات والتدفئة، فهذه النباتات والشجر عندما تموت



وتدفن في الأرض قد تتحول إلى الفحم الحجري، هذا الفحم إذا ازداد الضغط عليه يشكل غاز الفحم... وإذا نزلت هذه الأشجار أو الحيوانات البحرية المليئة بالزيوت بعد موتها إلى قيعان البحار وطمرت بالرسوبيات، فقد تتحلل وتشكل لنا البترول والغازات الطبيعية التي أصبحت من مصادر الطاقة الكبرى.

فكل مصادر الطاقة ما عدا النووية مصدرها الشجر الأخضر والنباتات والحيوانات التي خلقت من الأرض، ثم ماتت وعادت إلى الأرض، وهكذا مصير كل كائن حي... وجواب الاستفهام: لا.

﴿أَمْ نَحْنُ﴾: ارجع إلى الآية (٥٩).

﴿الْمُنْشُوتِ﴾: للشجر والنار والبترول والغاز الطبيعي والزيت.

[٧٣] ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾:

﴿نَحْنُ﴾: للتعظيم والاختصاص.

﴿جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾: أي: جعلنا نار الدنيا تذكرة بنار الآخرة، وتذكرة لكل عاص وكافر ومشرِك، ولكل إنسان لكي يتقي منها.

﴿وَمَتَاعًا﴾: المتاع هو كل ما يتنفع منه في الحياة الدنيا، متاعاً: يتنفع منها المقويين (جمع مقوٍ).

﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، المقويين لها عدة معانٍ:

١ - للمسافرين.

٢ - الجائعين: المقوي الجائع الذي خلت بطنه من الطعام لكي يطبخ طعامه.

٣ - أهل البادية والصحراء أهل القفر الأرض الخالية من العمران. فكل هؤلاء بحاجة إلى النار للطبخ وتحضير الطعام والاهتداء والتدفئة والإنارة ورؤية ما حولهم وتجنب الأذى.

[٧٤] ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾:

﴿فَسَبِّحْ﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدر هو بما أن الله سبحانه أنعم عليك كل هذه النعم، فعليك أن تسبحه، والتسبيح هو تنزيه الله سبحانه عن الولد والشريك والتد والمثل، وتنزيه الله عما لا يليق بذاته وصفاته وأسمائه الحسنى، ولمعرفة المزيد ارجع إلى الآية (١) من سورة الحديد. وسورة الإسراء آية (١).
﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾: الباء للتوكيد، اسم ربك: هو الله تعالى الإله المعبود واجب الوجود.

﴿الْعَظِيمِ﴾: صيغة مشبهة من عظم: أي: الموصوف بصفات الكمال والكبرياء والجلال والعلو والمجد المستحق التعظيم من عباده بالطاعة والشكر والذكر والتنزيه والتقديس.

وقيل: لما نزلت هذه الآية: فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله ﷺ: اجعلوها في ركوعكم، كما أخرج الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وغيره، أي: قولوا: سبحان ربي العظيم ثلاثاً.

[٧٥] ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾:

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾: الفاء استئنافية، لا أقسم؛ أي: أقسم قسماً مؤكداً، والقسم: يأتي في القرآن في سياق الصدق، وأما الحلف: فيأتي في سياق الكذب، أو



إضمار الكذب، واليمين: يطلق على القسم المؤكد، أو الموثق باليمين؛ ارجع إلى سورة القيامة الآية (١) للبيان، ولا يقسم الله سبحانه إلا بشيء عظيم، وهو سبحانه غني عن القسم.

﴿بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾: النجوم: أجرام سماوية تقدر بأكثر من تريليون نجم في مجرتنا مجرة التبانة وحدها، وهي أجرام مضيئة بذاتها متماسكة بقوى الجاذبية والقوى الكهرومغناطيسية، وتبدو لنا النجوم، وكأنها ثابتة في السماء، ولكنها في الحقيقة تدور وتتحرك، ولكن بعدها عن الأرض تجعلنا نراها، وكأنها ثابتة، وكذلك الكواكب الأخرى تتحرك حركة مستمرة من لحظة إلى أخرى والضوء المنطلق منها يخرج بشكل متعرج بسبب البيئة الفلكية، فكل كوكب بيئة فلكية مختلفة، ويبدو لنا غير متعرج لبعدها عنا وتنزل مواقع أو منازل جديدة، وتختلف في أحجامها ودرجات حرارتها والشمس تعد إحدى هذه النجوم، وتبعد عنا (١٥٠) مليون كم، وضوءها يصل إلينا بعد (٨،٣) دقيقة (ثمان دقائق وثلاث أجزاء الدقيقة).

وكذلك هذه النجوم البعيدة جداً عن الأرض فإننا حين نراها نظن أننا نراها بذاتها، والحقيقة العلمية أننا لا نرى النجوم أبداً، وإنما نرى مواقعها التي شعت منها وكانت فيها أو مرت عليها وتركها منذ أزمان قصيرة أو طويلة؛ لأنها تتحرك بسرعات هائلة وتنتقل من موقع إلى موقع جديد، وبعض هذه النجوم التي نرى أشعتها التي شعت منها منذ زمن طويل أو قصير ربما خبت أو اختفت وتفجرت عنا، ولم تعد تُرى أين هي فلكل نجم مواقع كثيرة، وبما أن عدد النجوم الهائل فمواقعها أكثر من عددها، وكيف تتحرك ولا تصطدم ببعضها وتختفي، ثم تظهر

بعد السنين الطويلة كل ذلك يدل على عظمته وقدرته سبحانه وأنه الإله الحق الذي لا إله إلا هو، ويجب عدم الخلط بين مواقع النجوم ومنازل القمر.

[٧٦] ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّتَوْعَّلَمُونَ عَظِيمٌ﴾:

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ﴾: الواو للتوكيد، إنه كذلك للتوكيد، لقسم: اللام لزيادة التوكيد والتّهويل وتعظيم هذا القسم، والهاء تعود على مواقع النجوم وعددها وحركتها ونظامها.

﴿لِّتَوْعَّلَمُونَ عَظِيمٌ﴾: لو شرطية، أي: لو كنتم من أهل العلم لعلمتم عظم هذا القسم، وجواب لو محذوف أريد به نفي العلم عن الناس أجمعين عن إدراك حقيقة ما يقوله رب العالمين عن مواقع النجوم، ولا يستثنى منه أحداً، تعلمون تدل على التجدد والتكرار.





سُورَةُ الزُّنْدَلِكِ ٥٧

الجزء الثاني من القرآن

إِنَّهُ لَقَرُّءٌ أَنْ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا
الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ
أَنْتُمْ مُدَّهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا
إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ
﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ
﴿٨٨﴾ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتٌ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ
الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ
الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزْلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٍ
﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الْحَادِثِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾
هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

سورة الواقعة [الآيات ٧٧ - ٩٦]

[٧٧] ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾:

جواب القسم.

﴿إِنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾: الالام للتوكيد أيضاً، كريم: بمصدره وكريم بذاته وكريم بعبثائه، كريم على الله تعالى كرمه الله؛ أي: أعزه ورفع منزلته على سائر الكتب السماوية كثير النفع والفائدة لا ينفد نفعه من الهداية والرحمة والشفاء والأجر والشفاعة والحكمة والموعظة، قراءة كل حرف يقابلها (١٠) حسنات مثل ألم يقابلها (٣٠) حسنة.

والسؤال: ما علاقة القسم بالنجوم والمقسم عليه، وهو القرآن الكريم أو لماذا اختار الله سبحانه القسم بالنجوم للقول بأن القرآن كريم، فلعل ذلك يرجع إلى كون النجوم مصدر للهداية من ظلمات البر والبحر التي هي ظلمات حسية، والقرآن الكريم هو مصدر للهداية من ظلمات الجهل والضلال (ظلمات معنوية) فالقسم جمع بين الهدايتين.

[٧٨] ﴿فِي كَنْبٍ مَّكْنُونٍ﴾:

﴿فِي﴾: ظرفية.



﴿كُتِبَ﴾: هو اللوح المحفوظ.

﴿مَكْنُونٍ﴾: مصون، أو مستور عن الخلق والشياطين والجن لا يصلون إليه.

[٧٩] ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾:

كقوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بَأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾

[عبس: ١٣-١٦].

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يَمْسُهُ﴾: مشتقة من المس وهو أخف درجات اللمس: لا يصل إليه أو يقرؤه إلا المطهرون.

﴿إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾: إلا أداة حصر، المطهرون: الملائكة، المطهرون: من الجنابة والبول والغائط، أي: من النجاسة ومطهرون من الذنوب والآثام خلقهم الله تعالى مطهرون، وأما قوله المتطهرون، فالمتطهر هو الذي يكتسب الطهارة بالوضوء والغسل كالإنسان.

ارجع إلى سورة التوبة آية (١٠٨) وسورة البقرة آية (٢٢٢) للمقارنة والبيان.

[٨٠] ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿تَنْزِيلٌ﴾: أي: القرآن الكريم؛ تنزيل؛ لأنه منزل من عند الله تعالى نزل به جبريل (الروح الأمين) ﷺ.

وصف الله سبحانه كتابه بأربع صفات:

الصفة الأولى: قرآن كريم.

الثانية: هي كتاب مكنون.

الثالثة: لا يمسه إلا المطهرون.

الرابعة: تنزيل من رب العالمين، أي: نزل تنزيلاً، أي: مقسطاً منجماً من رب العالمين، كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾

[الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤].

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: الرب هو الخالق والمالك والحاكم والقيم والمربي والرزاق والمنعم، العالمين: البشر أو العقلاء أو المكلفين بما فيهم ذوو العلم، ورب الخلق كلهم أجمعين، (رب عالم الملائكة، وعالم الإنس والجن، وعالم الحيوان والنبات والجماد).

[٨١] ﴿أَفِيْهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُّذْهِبُونَ﴾:

﴿أَفِيْهَذَا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء للتوكيد، والباء للإلصاق والملازمة، هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير إلى القرآن الكريم (الحديث).

﴿الْحَدِيثِ﴾: أي: القرآن الكريم، وسُمِّي الحديث: لأنه يُحَدَّث بما كان، وما هو كائن، وما سيكون في المستقبل من أحداث مثل يوم القيامة والجنة والنار وما سيحدث للسموات والأرض والخلق.



والحديث: يعني: الخبر أو الأخبار، ويستدعي أن هناك محدثاً ومشاركاً
وسُمّي بالحديث؛ لأنّ الناس يتحدثون به دائماً وما يتجدّد ويتكرّر.

﴿أَنْتُمْ﴾: للتوكيد.

﴿مُدْهُونٌ﴾: من الإدهان وهو في الأصل دهن الجلد بالدهن أو ما يشابه
ذلك ليلين، ومنه اشتقت المداينة: أي: التهاون في الأمر، أي: يلين جانبه مما
يؤدّي إلى التنازل والتلاين أو المداراة في أمر الدين لأجل شيء من دنياه، وقد
تشدد المداينة، وتصل إلى درجة النفاق فقليل: المدهن الذي ظاهره خلاف
باطنه؛ أي: تليّن القول للمكذّبين به أو متهاونون به (غير مباليين) بمن كذب به.

[٨٢] ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ﴾:

كلمة رزقكم تعني: شكركم؛ لأنّ شكر الرزق سبباً لزيادته فأطلق السبب،
وأريد به المسبب وهو الشكر، أي: وتجعلون شكركم لله بإنزال القرآن عليكم
أنكم تكذبون به وتعرضون عنه، فماذا أنتم فاعلون حين تبلغ أرواحكم الحلقوم،
أو تجعلون شكر رزقكم المطر من السماء أن تقولوا مطرنا بسبب كذا. أي: الشرك
بالله. وتكذبون بصيغة المضارع لتدل على التجدّد والتكرار.

[٨٣] ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾:

﴿فَلَوْلَا﴾: الفاء للتوكيد، لولا: أداة حصّ وحثّ، كلّها تعني التحدي.

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد الحتمية.

﴿بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾: أي: بلغت روح المريض أو المحتضر، وهي تنتزع من

جسمه منطقة الحلقوم، وهي المنطقة بين البلعوم والحنجرة (على مستوى قاعدة اللسان).

[٨٤] ﴿وَأَنْتُمْ جُنُودٌ تَنْظُرُونَ﴾:

﴿وَأَنْتُمْ جُنُودٌ﴾: حين: ظرف أضيف إلى ظرف هو إذن للتمكين والتوكيد بجوار المتحضر تنظرون إليه وهو غمرات الموت (سكرات الموت) وليس باستطاعتكم ردّ روحه إليه.

﴿تَنْظُرُونَ﴾: تنظرون إليه وأنتم عاجزون عن فعل أي شيء.

[٨٥] ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُدٌّ لَهُ مِنْهُ﴾:

﴿وَنَحْنُ﴾: للتعظيم، الله سبحانه بعلمه وملك الموت وملائكة الموت (الذين يتزعجون روحه والذين ينتظرون لحمل روحه إلى عليين أو سجين).

﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾: بالعلم والمكان والنظر.

نحن أقرب إليه منكم رغم أنكم جالسون بقربه تنظرون إليه.

﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ﴾: لا النافية، تبصرون: أي: لا ترون الملائكة وملك الموت وما يفعلون به.

[٨٦] ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾:

﴿فَلَوْلَا﴾: الفاء للتوكيد، لولا: أداة حُصّ وحثّ يفيد التحذير والإعجاز.



﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال أو الشك.

﴿كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: أي: إن كنتم غير محاسبين بعد الموت أو غير مبعوثين للحساب أو مجزين على أعمالكم في الدنيا.

[٨٧] ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿تَرْجِعُونَهَا﴾: ترجعون أو تمنعون خروج تلك الروح التي انتزعت من صاحبها المحتضر، والتي بلغت الحلقوم تبقونها في جسمه، أي: تبقونه حياً.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الشك والندرة.

﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: في زعمكم أنكم غير محاسبين أو مدنين، انتبه إلى أن التَّحْدِيَّ والروح ما زالت لم تفارق الجسم بعد، ولم يتحدَّهم بعد تمام خروجها وقبضها.

[٨٨] ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء استئنافية، أما: حرف تفصيل.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال والندرة.

﴿كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾: كان المحتضر أو المتوفى من السابقين السابقين. ارجع إلى الآية (١١) من نفس السورة.

[٨٩] ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيرٍ﴾:

﴿فَرَوْحٌ﴾: الفاء: للتوكيد، روح: الفرح والراحة كما قال ابن عباس؛ أي: راحة وسرور من تعب الدنيا واستراحة، وقيل: حياة دائمة بلا موت.

﴿وَرَيْحَانٌ﴾: الطيب، والريحان: شجر لورقه رائحة طيبة، وقيل: الرزق.

﴿وَجَنَّتٌ نَّعِيمٍ﴾: نعيم: من النعيم، وهو ما ينعمُ الله به على عباده المؤمنين في الآخرة، والنعيم يدل على النعم الكثيرة التي أعدت للمتقين؛ ارجع إلى الآية (١٢) من نفس السورة.

[٩٠] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: حرف شرط وتفصيل.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿كَانَ﴾: المتوفى.

﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾: ارجع إلى الآية (٢٧) من نفس السورة.

[٩١] ﴿فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾:

﴿فَسَلَّمَ لَكَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، سلام: نكرة يشمل سلام التحية والسلام من كل آفة ومرض ومكروه، وسلام: أمن وطمأنينة، سلام لك: من إخوانك أصحاب اليمين.

[٩٢] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: حرف شرط وتفصيل.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال أو الفرض.

﴿كَانَ﴾: المتوفى في الدنيا.



﴿مِنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾: بالله وآياته ورسله وكتبه والبعث والآخره.

﴿الضَّالِّينَ﴾: عن دين الحق أو الصُّراط المستقيم (الإسلام).

[٩٣] ﴿فَنُزِّلُ مِنْ حَمِيمٍ﴾:

﴿فَنُزِّلُ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، نزل: ما يعد للضيف من القرى والكرم من المأكَل والمشرب والمبيت والراحة، واستعملت هنا للتهكم والتفريع. أي: نزله أو إكرامه سيكون من حميم ونار معدة لحرقه.

﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾: من ابتدائية، حميم: ماء حميم في منتهى الحرارة والغليان.

[٩٤] ﴿وَنَصْلَةٍ حَمِيمٍ﴾:

﴿وَنَصْلَةٍ﴾: النَّصْلية مصدر صلاه: إذا أحرقه وشواه.

﴿حَمِيمٍ﴾: النَّار المؤجَّجة اسم من أسماء النَّار. ارجع إلى سورة الرعد آية

(١٨) لمزيد من البيان.

[٩٥] ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾:

في هذه الآية أربع تأكيدات: إن واللام في كلمة لهو وضمير الفصل هو وإضافة الشيء إلى مرادفه للتوكيد مثل إضافة الحق إلى اليقين.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب ويشير إلى الوعد والوعيد

والبعث والحساب، وما ذكر عن أصحاب اليمين والشمال والمقربين ويوم القيامة.

﴿لَهُوَ﴾: اللام للتوكيد، هو ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾: الحق هو الأمر الثابت الذي لا يتغير أو يتبدل واليقين هو العلم الذي ليس هناك غيره.

ودرجات اليقين في القرآن هي ثلاث:

- ١ - علم اليقين: وهو أعلى وأصدق درجات العلم على الإطلاق.
- ٢ - عين اليقين: وهي أعلى وأصدق درجات الرؤيا على الإطلاق.
- ٣ - حق اليقين: ويشمل العلم والعين، ولا يوجد هناك درجة أعلى من هذه الدرجة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لمزيد من البيان.

[٩٦] ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾:

ارجع إلى الآية (٧٤) للبيان.





سُورَةُ الْحَٰكِمِ ٥٧

سُورَةُ الْحَٰكِمِ

إِنَّهُ لَقَرَّءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا
الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ
أَنْتُمْ مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا
إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ
﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ
﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ
الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ
الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنَزْلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٍ
﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الْحَٰكِمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾
هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

سورة الحديد [الآيات ١ - ٣]

ترتيبها في القرآن (٥٧) وترتيبها في النزول (٩٤) ومن المعجزات العددية أن رقم سورة الحديد في القرآن (٥٧) والوزن الذري لمعدن الحديد هو (٥٧) أيضاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾: التسبيح هو تنزيه الله تعالى تنزيهاً كاملاً من كل نقص وعجز وعيب وولد وشريك وند ومثيل تنزيهاً لذاته فلا ذاتاً مثل ذاته، ولصفاته فلا صفة مثل صفاته، ولأفعاله فلا فعلاً مثل أفعاله، تنزيهاً مطلقاً ليس مرتبطاً بزمان ولا مكان.

والتسبيح لا يكون إلا لله وحده فلا يوجد غيره تعالى يُسَبَّحُ، والتسبيح أمر ثابت لله تعالى في الماضي والحاضر والمستقبل، والتسبيح هو نوع من أنواع الذكر، فكل تسبيح هو ذكر وليس كل ذكر تسبيحاً.

وجاء التسبيح بكل الصبغ الماضي والحاضر والأمر؛ ليدل على أن تسبيحه مستمر منذ الأزل إلى أن تقوم الساعة لا ينقطع أبداً ودائم بدوام ذاته وصفاته؛ تسبَّح له السموات السبع والأرض ومن فيهن، وسواء شارك الإنسان أم لم يشارك، فجاء بصيغة الماضي في سورة الحديد والحشر والصف قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١]، ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ



الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿[الحشر: ١] و[الصف: ١]﴾، وبصيغة المضارع في سورتي الجمعة والتغابن:
﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١] و[التغابن: ١] ليدل على أن التسبيح
يتجدد ويتكرر ومستمر، وبصيغة الأمر في سورة الأعلى والواقعة والحاقة:
﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤-٩٦] وسورة الحاقة
(٥٢)، وجاء بصيغة المصدر ﴿سُبِّحْنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، ﴿فَسُبِّحْنَ
اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧]، ﴿سُبِّحْ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ
وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور (لله) يفيد الحصر.

﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾: ما لغير العاقل والعاقل الكل سَبَّحَ وَيُسَبِّحُ وسيبقى يسبِّح
لله تعالى من ملائكة ومن شمس وقمر ونجوم وكواكب ورياح ورعد وبرق
ومجرات وغيرها، وبما أن هناك مخلوقات موجودة في السماء، وليست موجودة
على الأرض مثل الملائكة الصّافّين من حول العرش والمقرّبين وغيرهم،
ومخلوقات موجودة في الأرض غير موجودة في السموات ولذلك كرر (ما في)
لذكر كلّ منهما على حدة أو كلاهما معاً، لا يشاركه فيهما أحد، وقيل: تكرار (ما
في) يصاحب الكلام عن أهل الأرض، أو يصاحب التفصيل في الآيات.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿الْعَزِيزُ﴾: القوي والقاهر الذي يقهر ولا يُقهر والغالب الذي يغلب ولا
يُغلب، الممتنع لا يناله أحد بسوء.

﴿الْحَكِيمُ﴾: الحكيم في تدبير شؤون خلقه وكونه وشرعه، فهو أحكم
الحاكمين وهو أحكم الحكماء.

ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان. فالله سبحانه وتعالى

يستحق أن يعبد ويُسَبَّح لعظمته وقدرته ونعمه وخلقه، ولأنه العزيز الحكيم،
ولأنه مالك السماوات والأرض وله المُلْك؛ أي: الحكم.

[٢] ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿لَهُ﴾: تقديم (له) يفيد الحصر؛ أي: له وحده لا يشاركه أحد في الملك.

﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: له الحكم التام المطلق يحكم ما يشاء، ولا معقَّب
لحكمه، وسبحانه هو المالك والحاكم يتصرف كيف يشاء في ملكه.

﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: يُحْيِي من يشاء ويميت من يشاء من إنس وجن وحيوان
ونبات وجماد.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: تام القدرة لا يعجزه شيء في الأرض ولا في
السَّماء.

ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٠) لمزيد من البيان.

[٣] ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر.

﴿الْأَوَّلُ﴾: على الإطلاق والقصر، واجب الوجود ليس كمثله شيء ولا
يشاركه في هذه الصفات أحد؛ وله سبحانه أن يصف ذاته بما يشاء، ولا يجوز
وصفه بالقول: هو السابق أو بالشيء، بل نصفه كما وصف ذاته سبحانه بدون
تحريف أو تبديل؛ لأنَّ ذلك يوهم أنَّ معه أشياء موجودة قد سبقها، ولا يجوز
القول: هو الأول قبل كل شيء؛ لأنَّ الله سبحانه ليس شيئاً، ولا يجوز القول:
هو قبل الأشياء أو بعدها، ولا يجوز القول: قبل أو بعد؛ لأنَّه سبحانه غير محدد



بزمن قبل أو بعد فالله سبحانه تفرّد بالكمال المطلق والإحاطة المطلقة الزمانية والمكانية؛ لأنه خالق الزمان والمكان.

﴿وَالْآخِرُ﴾: على الإطلاق والقصر.

﴿وَالظَّاهِرُ﴾: للوجود بكثرة آياته والأدلة والبراهين.

﴿وَالْبَاطِنُ﴾: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ولا تحيط به العقول، يعلم ما ظهر وما بطن، يعلم السر وأخفى، والنجوى وذوات الصدور، والواو: هنا جاءت للاهتمام ولتقريب أو جمع الصفات المتباعدة: الأول والآخر والظاهر والباطن.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: (وهو) ضمير فصل يفيد التوكيد، بكلّ: الباء للإلصاق وكلّ للتوكيد، شيء علیم: علیم صيغة مبالغة، أحاط علمه المطلق بكلّ شيء في السموات والأرض، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ [يونس: ٦١].





سُورَةُ الْحَٰكِمِ ٥٧

الْحَٰكِمِ

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ
 عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ
 السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
 ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ ﴿٦﴾ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ
 مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾
 وَمَالَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ
 أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ
 آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ
 لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَالَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ
 وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا
 وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَنْ ذَا
 الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ ۖ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾



سورة الحديد [الآيات ٤ - ١١]

[٤] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾: ارجع إلى سورة فصلت الآيات (٩-١٢) وسورة الفرقان الآية (٥٩) وسورة الأنبياء آية (٣٠)، وسورة الأعراف آية (٥٤).

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾: يلج من الولوج: هو الدخول بصعوبة وشدة فالدخول أوسع من الولوج، يلج في الأرض من كنوز ومعادن وبذور وماء وأموات. ارجع إلى سورة سبأ آية (٢) للبيان.

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: من نباتات ومعادن وبتروول وغازات وأبخرة.

﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: من مطر وعذاب وثلج وصواعق، وملائكة ومواد منفجرة من كواكب أخرى. ارجع إلى سورة سبأ آية (٢) لمزيد من البيان.

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾: من أبخرة وأعمال وملائكة، وغيرها من مركبات فضائية وأقمار صناعية. والعروج: هو الصعود بشكل مائل. ارجع إلى سورة الحجر الآية (١٤) للبيان، ارجع إلى سورة سبأ الآية (٢) لمزيد من البيان.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير يعود على الله سبحانه الذي خلق السموات والأرض.

﴿مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾: في الأرض أو البحار أو تحت البحار أو في السماء؛ أي: الله سبحانه معكم بعلمه وببصره وهو أقرب إليكم من حبل الوريد فلا تخفى عليه خافية، وهذه المعية عامة لجميع الخلق معهم بالعلم والقدرة والرؤية وهناك المعية الخاصة للمتقين والمحسنين كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] ولا تعني المعية بنوعها المعية بالذات أبداً.

﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: بما: الباء للإلصاق والدوام، ما: تعني الذي، وما أوسع شمولاً من الذي أو مصدرية، بصير؛ أي: يرى أعمالكم (الأقوال والأفعال) الظاهرة والباطنة فلا يخفى عليه شيء.

[٥] ﴿لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾:

﴿لَهُ﴾: تقديم الجار والمجرور (له) يفيد التوكيد والحصص؛ أي: له وحده ملك السموات والأرض.

﴿مُلْكُ﴾: أي الحكم والملك فهو الحاكم ومالك السموات والأرض.

﴿لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: قد تكون هذه الآية تكراراً للآية (٢)، والتكرار يفيد التوكيد من جهة، وقد لا يكون ذلك وإنما يعني:

له ملك السموات والأرض؛ أي: الحكم في الدنيا؛ لقوله: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وله ملك السموات والأرض؛ أي: الحكم في الآخرة؛ لقوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: تقديم الجار والمجرور (إلى الله) بدلاً من القول ترجع الأمور إلى الله، يفيد الحصر: إليه وحده ترجع الأمور كلها؛ للنظر فيها وإصدار الحكم.



[٦] ﴿يُولِجُ آلِيلٌ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي آلِيلٍ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾:

ارجع إلى سورة آل عمران الآية (٢٧) للبيان.

﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: وردت (عليم بذات الصدور) (١٢) مرة في

القرآن، ارجع إلى سورة آل عمران الآية (١١٩) للبيان.

[٧] ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾:

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: صدقوا بالوحيته وربوبيته، بوحدانيته وصفاته وأفعاله وبما أنزل عليكم وبرسوله؛ أي: بما أتاكم به أو نهاكم عنه وأتبعوه.

﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾: أنفقوا في سبيل الله، مما: مركبة (من ما): من البعضية، ما: بمعنى الذي، وما أكثر شمولاً وعموماً أو مصدرية؛ أي: أنفقوا من بعض (وليس كل) ما جعلكم مستخلفين فيه من الرزق (المال والمتاع وغيره).

﴿مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾: جمع مستخلف: تدل على أن الملك الحقيقي هو لله تعالى وحده.

﴿فَالَّذِينَ﴾: الفاء للتوكيد، الذين: اسم موصول يفيد المدح.

﴿ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا﴾: خاصة.

﴿هُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: الأجر على طاعتهم وعبادتهم بالقول والفعل والأجر الكبير.

قيل: هو الجنة.

[٨] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَمَا لَكُمْ﴾: ما استفهام، فيها معنى التوبيخ على عدم إيمانهم رغم كل هذه الآيات الدالة على عظمة الخالق، وأنه الإله الحق الذي يستحق أن يُعبد.

﴿لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾: لا النافية، تؤمنون بالله: إيمان العقيدة، والباء للإلصاق، تصدقون بوحدانيته وألوهيته وربوبيته.

﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾: أي جاءكم بالحجج والبراهين (الآيات) التي تبعث على الإيمان، فبادروا إلى الإيمان واتركوا الكفر.

﴿لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾: اللام لام التعليل، بربكم: خالقكم ومربيكم ورازقكم. ﴿وَقَدْ﴾: قد للتحقيق والتوكيد.

﴿أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾: الميثاق: هو العهد الموثق؛ أي: المؤكد بأدلة أو شهود أو أيمان (باليمين).

قد يكون ذلك ميثاق الذرّ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢].
﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الشك أو الاحتمال والندرة.

﴿كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: أي إن كنتم صادقين في إيمانكم فقد جاءتكم كل الدواعي والأسباب للإيمان بإرسال رسوله إليكم وإنزال أعظم كتبه عليكم، وأبان لكم طريق الخير من الشر.

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر، ويعود على: الله ربكم.



﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد المدح والتعظيم.

﴿يُنْزِلُ عَلَى عَبْدِهِ﴾: ينزل بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد والتكرار، ينزل على دفعات، عبده: محمد ﷺ، وإضافة الهاء تدل على التشريف والتكريم. ﴿ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: أي آيات قرآنية أو معجزات أو بينات أو دلائل وبراهين كافية وواضحة.

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾: اللام لام التعليل، يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال والشرك، والكفر والمعاصي والهوى.

﴿إِلَى النُّورِ﴾: نور الإيمان والهدى، وهو القرآن والسنة والإسلام، وبين أن النور واحد أما الظلمات فهي متعددة.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿بِكُمْ﴾: الباء للإلصاق، بكم خاصة أيها المؤمنون، ولم يقل بالناس.

﴿لَرَّءَوْفٌ﴾: اللام للتوكيد، الرأفة أشد من الرحمة، والرأفة أخص من الرحمة، والرحمة عامة تعم المؤمن وغير المؤمن، أما الرأفة: خاصة بعبادة المؤمنين، فهو لا يحمل عباده ما لا يطيقون، وما جعل عليهم في الدين من حرج، وشرع لهم الرخص في السفر والمرض وغيرها.

﴿رَحِيمٌ﴾: من الرحمة على وزن فعيل: كثير الرحمة، وخاصة بعبادة المؤمنين، دائم الرحمة، والرحمة هي الوقاية من السيئات والضّر وجلب ما يسر. وإذا قارنا هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءَوْفٌ رَّحِيمٌ﴾ مع الآية (٧) في سورة النحل وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ لَرَّءَوْفٌ رَّحِيمٌ﴾: نجد أن الآية في الحديد خاصة بالمؤمنين، والآية في سورة النحل عامة بالكل وفي سياق تعداد النعم على العباد عامة، والآية في سورة الحديد جاءت في سياق العبادة والإيمان

والإنفاق ولذلك ذكر الله تعالى المعبود، وآية النحل جاءت في سياق تعداد النعم التي هي من الرب جللى وعلا.

[١٠] ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولِيكُمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾:

﴿وَمَا لَكُمْ﴾: ما: الاستفهامية، وفيها معنى التعجب والتوبيخ؛ أي: ما لكم من حجة أو عذر من عدم الإنفاق.

﴿أَلَّا تُنْفِقُوا﴾: ألا: أصلها أن المصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي لوجه الله أو ابتغاء مرضات الله.

وإذا قارنا هذه الآية ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا﴾ مع قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ نجده شدد على التوبيخ على عدم الإيمان بالله أكثر من التوبيخ على عدم الإنفاق بإضافة نون التوكيد؛ لأن الإنفاق لا جدوى منه ويحبط ثوابه إذا كان المنفق غير مؤمن، والإيمان يحب أن يؤخذ به مباشرة بدون تأخير، بينما الإنفاق يمكن أن يؤخر.

﴿وَلِلَّهِ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر.

﴿مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: بعد فناء خلقه إليه يرجع كل الملك في السموات والأرض.

﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ﴾: لا: النافية، يستوي منكم: من أنفق من قبل الفتح وقاتل؛ أي: الاستواء في الأجر أو الثواب، منكم: (من) تحمل معنى الأفراد والتثنية والجمع، وسواء كان ذكراً أو أنثى، منكم خاصة.

﴿مَنْ أَنْفَقَ﴾: من الابتدائية، من للعاقل تحمل معنى العدد القليل أو القلة، بينما استعمال (الذين) يدل على الكثرة، أنفق من المال بشكل عام.



﴿مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾: أي فتح مكة.

﴿وَقَتْلَ﴾: في سبيل الله الكفار وأعداء الإسلام، ولم يذكر من بعد الفتح وقاتل؛ لوضوح المعنى، ولم يقل من قبل وقاتل: ضمّ اللام يدل على زمن محدد أو مكان محدد، أمّا كسرهما يدل على زمن غير محدد قريب أو بعيد من قبل الفتح.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد؛ يفيد المدح والعلو.

﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقْتِنَا﴾: أي من بعد فتح مكة؛ لأنّ حاجة الناس قبل فتح مكة للمال والإنفاق كانت أشد، وكذلك العدد عدد المسلمين كان أقل وأضعف، أمّا بعد فتح مكة فقد دخل في الإسلام العدد الكبير من الناس وغنموا من غنائم خيبر وغيرها.. فكانت حالتهم المادية أفضل.

﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنِ﴾: أي وكلا الفريقين من أنفق وقاتل من قبل الفتح ومن أنفق وقاتل من بعد الفتح كلاهما وعد الله الحسيني: وهي الجنة، مع تفاوت درجاتهم.

﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾: خير: أي يعلم بواطن الأمور ومن يعلم بواطن الأمور فهو بالأحرى يعلم ظواهرها؛ أي: يعلم كلاهما، وقدّم تعملون على خير؛ لأنّ السياق في الأعمال والإيمان والإنفاق.

[١١] ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾:

﴿مَنْ﴾: اسم استفهام يحمل معنى التشويق والترغيب، والخطاب موجّه إلى كلّ فرد.

﴿ذَا﴾: اسم إشارة، وحذف الهاء التي تفيد التنبيه.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد المدح. وإذا قارنا قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي﴾ مع قوله تعالى: ﴿هَذَا الَّذِي﴾ تستعمل الهاء (هاء التنبيه) للأمر التي تحتاج تنبيهاً أشد.

﴿يَقْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا﴾: القرض من باب التَّطَوُّع وليس الإلزام، والقرض الحسن لا بد أن تتوفر فيه الشروط التالية:

١ - بنية حسنة وابتغاء وجه الله.

٢ - بحبٍّ لا بكرهية.

٣ - لا يُتَّبَع بالمنِّ والأذى.

٤ - ومن مال حلال طيب.

٥ - عن طيب نفس.

٦ - وأن يتحرَّى الجهات فيعطي القرض لأشد الناس حاجة.

ويجب الانتباه إلى أن القرآن وصف القرض بالحسن في جميع الآيات في القرآن في سورة البقرة الآية (٢٤٥) وسورة المائدة الآية (١٢) وسورة الحديد الآية (١١) وسورة التغابن الآية (١٧) وسورة المزمل الآية (٢٠).

﴿فِيضْعَفُهُ لَهٗ﴾: وعد الله بمضاعفة الأجر أضعافاً كثيرة؛ أي: الحسنة بعشر أمثالها إلى (٧٠٠) ضعف أو أكثر من ذلك باختلاف الأشخاص والأحوال والأوقات، ومضاعفة الأجر تعني مضاعفة الكم.

﴿وَلَهٗ﴾: له: اللام لام الاستحقاق (الاختصاص).

﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾: كريم: يعني: الكيف، والأجر الكريم نوع من أنواع الأجر؛ فهناك الأجر العظيم، والحسن، والممنون، والكبير، والمبين؛ يعني: الجنة، فيبين في هذه الآية الكم والكيف ومضاعفة الجر كما قلنا مضاعفة الكم؛ ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٤٥) لمزيد من البيان في القرض الحسن.





سُورَةُ الْكَافِرَاتِ ٥٧

الْحَبَرُ الْخَبِيرُ

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ
بُشِّرَكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا انْظُرُوا نَفَقَتِمْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا
فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ
الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم
أنفسكم وترى صُتْمَ وَارْتَبَتُمْ وَغَرَّتْكُمْ الْأَمَانِي حَتَّى جَاءَ أَمْرُ
اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا
مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا وَدَّكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
﴿١٥﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ
وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ
فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾
أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا
اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾



سورة الحديد [الآيات ١٢ - ١٨]

[١٢] ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ تُشْرِكُمْ يَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: نكرة: للتهويل والتعظيم؛ ويعني يوم القيامة.

﴿تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: رؤية العين؛ أي: الرؤية رؤية عينية، والمخاطب أيُّ إنسان، والمخبر بذلك هو الله سبحانه وما يخبرنا به الله سبحانه أصدق وأفضل مما تراه عيوننا.

المؤمنين والمؤمنات: المؤمنين (تشمل الرجال والنساء) والمؤمنات: قسم من المؤمنين، جاء بذكر الخاص بعد العام؛ للتوكيد.

﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾: يسعى: من السَّعى هو أسرع من المشي ولا يصل إلى درجة الركض؛ أي نورهم يسعى: يُسرِع بين أيديهم، نورهم: الذي يخرج من وجوههم وأيديهم من آثار الوضوء، فينور أمامهم ولا يعني أمامهم قادم نحوهم، وإنما هو نور صادر منهم ويضيء أمامهم فقد يكون أمامهم وبعيداً عنهم ولا يضيء لهم أو يُنتفع منه. وقوله: يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، ويدل ذلك على الإسراع بهم إلى الجنة؛ أي: نور يشعّ منهم ومحدّد بين أيديهم وبأيمانهم؛ أي: يتقدّمهم لا ينفصل عنهم بحيث إذا سعوا (سعى) معهم وإذا وقفوا توقّف فأسند السعي إلى النور، ولم يقل يسعون ليدل ذلك على الجهد أو التعب يلاقوه أو يعانوه. وبأيمانهم: ذكر الأيمان؛ للتشريف: والباء للإلصاق والملازمة. والمراد به في جميع الجهات.



﴿بُشِّرْكُمْ الْيَوْمَ﴾: تبشّرهم الملائكة، والبشرى إذا أطلقت عادة لا تكون إلا بخبر يسرّ صاحبه إلا إذا استعملت على سبيل التهكم أو بشكل مقيد؛ وانظر كيف تحول الكلام من صيغة الغائب: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿بُشِّرْكُمْ﴾ بصيغة المخاطب مباشرة، وكان المشهد مشهد البشرى أمامك، وهذا يبعث الفرح والسرور أكثر مما لو قيل بشراهم، وقوله تعالى: ﴿بُشِّرْكُمْ الْيَوْمَ﴾: اليوم بصيغة المعرفة للدلالة على التوكيد والكمال في ذلك اليوم.

﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: جناتٌ مثل: جنات الفردوس أو عدن أو جنات النعيم أو الخلد، تجري من تحتها الأنهار: أي تنبع من تحتها الأنهار.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: الخلود: الاستمرار والبقاء إلى ما لا نهاية ولكن له نقطة بداية هي زمن دخولهم تلك الجنات.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: أعظم أنواع الفوز، أعظم من الفوز الكبير أو المبين. وإذا قارنا هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ مع قوله تعالى في الآية (١١١) من سورة التوبة وهي قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ بزيادة الواو التي تدل على الفوز العظيم في آية التوبة أقوى وأكد من الفوز العظيم في آية الحديد.

[١٣] ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقَسٌ مِنْ نَّوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: تعود على: يوم القيامة، أو على: يوم ترى المؤمنين والمؤمنات.

﴿يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: المنافقون هم الذين قالوا آمنا

بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم (أظهروا الإسلام أخفوا الكفر) يقولون للذين آمنوا: (الذين نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم).

﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾: وهذا يدل على أنهم في ظلمة؛ أي: أمهلونا أو اصبروا قليلاً حتى نلحق بكم ونقتبس من نوركم (انظرونا: اصبروا قليلاً) أو انظرونا قليلاً ولم يقولوا انتظرونا؛ لأن الانتظار فيه تمهل وإبطاء، فهم يطلبون من المؤمنين والمؤمنات أقل وقت أو زمن حتى يتمكنوا من استخدام نور المؤمنين في رؤية طريقهم أو ما حولهم؛ لأنهم لا نور لهم. وهناك احتمال قليل أن يكون معنى انظرونا: أي انظروا إلينا قليلاً بوجوهكم أو نوروا علينا بنوركم، نقتبس من نوركم: جمع نور؛ نور كل مؤمن ومؤمنة، ونوركم: يدل على عظم هذا النور (نقتبس) صيغة مبالغة من القبس على وزن نفتعل، القبس: أي نأخذ من نوركم أو نستفيد منه، والقبس يعني شيئاً قليلاً: واقتبس منه ناراً أو علماً؛ أي: استفاد منه.

﴿قِيلَ﴾: مبني للمجهول؛ لأنه ليس مهماً معرفة القائل والمهم المقولة، وقيل: القائل هم الملائكة.

﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾: أي استديروا وارجعوا إلى ورائكم باحثين عن نور آخر، وهذا نوع من التوبيخ والتّهكّم، فليس هناك نور آخر. أو: ارجعوا وراءكم إلى الدنيا فالتمسوا نوراً: الفاء للمباشرة والتّعقيب، الالتماس: هو الطلب، والتماس هذا النور، وطلبه كان يجب أن يكون بالإيمان والعمل الصّالح في الدنيا وليس الآن.

فيرجعون باحثين عن ذلك النور، فيضرب بينهم وبين المؤمنين بسور؛ أي: حاجز أو حائط. ومنهم من قال: هو السور الذي ذكر في سورة الأعراف: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ [الأعراف: ٤٦].



﴿لَهُدَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾: أي داخله أو باطنه فيه الرحمة (أي جانب المؤمنين).

﴿وَنَظَاهَرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾: أو خارج السور أو ظاهره العذاب؛ أي: حيث يوجد المنافقون.

[١٤] ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾:

﴿يُنَادُونَهُمْ﴾: ينادي المنافقون المؤمنين من وراء السور، والنداء لا يكون إلا برفع الصوت، وأضاف النون بدلاً من ينادوهم للتوكيد، وينادونهم تدل على تجدد وتكرار النداء، فلم ينادوهم مرة أو اثنتين، ينادونهم لعلهم يمدون إليهم يد العون بأي شيء ممكن أو يساعدونهم على ما حل بهم.

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتعجب والتقدير.

﴿نَكُنْ مَعَكُمْ﴾: نكون معكم في الدنيا. أي: إخوانكم نمدّ لكم يد العون أو نساعدكم، معكم: ولم يقولوا منكم: هناك فرق كبير بين منكم أو معكم، منكم: أي من المؤمنين فهم يعلمون حقيقة إيمانهم في أنفسهم أنهم اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله وكما قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ [التوبة: ٥٦].

﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾: أي قال المؤمنون: بلى، ردّاً على استفهام النفي. ارجع إلى سورة الأحقاف الآية (٣٤) لمزيد من البيان.

﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: لكن حرف استدراك وتوكيد والكاف للمخاطب

خاصة، فتنتم أنفسكم: الفتنة هي أشد التّكليف؛ أي: أثقلتُموها وحملتُموها بالنّفاق أو أضللتُم أنفسكم في ظلمات المعاصي والشّهوات.

﴿وَرَبَّضْتُمْ﴾: تربضتم بمحمّد ﷺ وأصحابه الدّوائر أو نوائب الدّهر، والتّربّص: هو الانتظار والمراقبة مع السّؤال والتّفتيش عن الأنباء والأخبار، وأنّ محمداً سيُغلب ويقهر أو يفشل في رسالته، وأنّ الإسلام سيندحر، وقدم التربص (الانتظار) على الرّيبة؛ لأن طول الانتظار يؤدي إلى الرّيبة.

﴿وَأَرْبَبْتُمْ﴾: الرّيبة هي الشّك والتهمة، ارتبتم في دين الله تعالى وفي القرآن وفي نبوة محمّد ﷺ، والبعث والحساب والآخرة.

﴿وَعَرَّيْتُمْ الْأَمَانِي﴾: أي خدعتكم الأمانى الكاذبة أو الباطلة (جمع أمنية، والتّمني: هو أن يقول القائل: ليت الأمر كذا وكذا) والتّمني: معنى في النّفس يقع عند فوات فعل كان للتّمني في وقوعه نفع أو في زواله ضرر في الماضي أو المستقبل، وعرّيتكم الأمانى أنّ النصر والغلبة ستكون لكم. أو أن الله لن ينصر رسوله ﷺ، أو أن الله سيغفر لكم وغيرها...

﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: وهو إمّا الموت أو نصر الله لدينه ورسوله ودخول الناس في دين الله أفواجا.

﴿وَعَزَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾: أي الشّيطان الذي زيّن لكم الكفر والشّرك والنّفاق وسعة رحمة الله لكم والنّجاة من عذاب الله، ولن يؤخذكم الله على فسادكم وصدّكم عن سبيل الله تعالى. ارجع إلى سورة فاطر الآية (٥) لمزيد من البيان، والفرق بين الغرور والغرور.



[١٥] ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ وَبِئْسَ

الْمَصِيرُ﴾:

﴿فَالْيَوْمَ﴾: الفاء استئنافية، يوم القيامة يوم الحساب.

﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾: الخطاب موجه إلى المنافقين؛ لا النّافية، يؤخذ منكم فدية: الفدية: هو ما يدفع من المال لحفظ النفس من الهلاك أو النّجاة من النار أو فك الأسر أو غيرها، والفدية ليست مختصة بالمال فقط فهناك فدية من صيام أو صدقة أو نسك، وبما أنّه قال: (لا يؤخذ منكم فدية)، فمعنى ذلك: المال، ولو قال تعالى لا تقبل منكم فدية، فقد يعني المال أو الصّيام أو الصدقة أو النسك، منكم: أيها المنافقون، فدية: نكرة؛ أي: مهما كان نوعها لن تؤخذ منكم. حتى ولو كانت ملء الأرض ذهباً أو ما في الأرض جميعاً ومثله معه.

﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: لا النّافية، وتكرارها يفيد تأكيد النّفي: عدم الأخذ؛ أي: لا منكم أيها المنافقون ولا من الذين كفروا ولا منكم معاً.

﴿مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ﴾: المأوى: دار الإقامة. ارجع إلى سورة الرعد الآية (١٨) لمزيد من البيان، الخطاب للكفار والمنافقين.

﴿هِيَ مَوْلَانَكُمْ﴾: أولى بكم أو تتولّى أموركم، مولاكم من: المولى، والمولى؛ أي: المعين والناصر؛ فالنار مأواهم ومولاهم معاً، وفي هذا إهانة شديدة لهم؛ أي: النار كل شيء بالنسبة لهم.

﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: بئس: من أفعال الدّم، المصير: النّهاية والمآل.

[١٦] ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ :
﴿أَلَمْ﴾ : الهمزة للاستفهام وفيها معنى الاستبطاء والتقرير.

﴿يَأْنِ﴾ : يحين الوقت، من أنى الوقت، والأين: الحين.

﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ : السلام لام الاختصاص، أن مصدرية تفيد التعليل والتوكيد، تخشع قلوبهم لذكر الله: ترق وتلين قلوبهم، الخشوع: هو أن تخضع قلوبهم وتذل، ويظهر ذلك الخشوع على الصوت والبصر.

﴿لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ : آيات الله ووعدته ووعيدته وعموم الذكر والموعظة.

﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ : وهو القرآن، ذكر الخاص بعد العام للتوكيد والاهتمام بالقرآن، نزل بشكل منجم أو على دفعات من الآيات والذكر الحكيم، الحق: هو القرآن الحكيم الذي لا يتبدل أو يتغير، والذي ليس هناك غيره.

﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ : لا النافية، الذين أوتوا الكتاب: ولم يقل لا يكونوا كالذين آتيناهم الكتاب، أو كأهل الكتاب. أوتوا الكتاب أو أوتوا نصيباً من الكتاب تستعمل في سياق الذم حين يُبنى للمجهول، والذين أوتوا الكتاب؛ أي: اليهود والنصارى بشكل عام وأهل الكتاب؛ أي: (التوراة والإنجيل).

﴿مَنْ قَبْلُ﴾ : من قبل نزول القرآن، وضّم اللام يدل على زمن محدد معلوم؛ أي: لا يكونوا كاليهود والنصارى في الغفلة أو الإعراض عن ذكر الله، أو عدم الاستجابة له أو في قسوة القلوب وعدم الخشوع.

﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ : أي الزمن البعيد؛ أي: بينهم وبين أنبيائهم.



﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: الفاء السببية، لم تعد تلين وتخضع قلوبهم لذكر الله من وعد ووعد أو آيات الله؛ أي: تنفعل وتسمع لها وتأخذ بها.

﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارجون عن طاعة الله تعالى أو دينه، الفرق بين (كثير منهم فاسقون) وأكثرهم فاسقون: أكثرهم تعني العدد أو النسبة أكثر من قوله: كثير منهم فاسقون.

[١٧] ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

المناسبة: كما يحيي الله القلوب القاسية بذكر الله وبآياته، يحيي الله الأرض بعد موتها بماء المطر أو الغيث، وفي هذا دلالة وبرهان على البعث بعد الموت.

﴿اعْلَمُوا﴾: مشتقة من العلم.

﴿أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: ولم يقل من بعد موتها؛ أي: مباشرة من بعد موتها، وإنما ماتت منذ زمن طويل أو بعيد.

ولمعرفة كيف يحيي الأرض: ارجع إلى سورة الحج آيتين (٥، ٦٣) وسورة فصلت آية (٣٩)، وسورة الأنعام آية (٩٩).

﴿قَدْ﴾: للتحقيق.

﴿بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾: أوضحنا لكم الآيات، جمع آية سواء كانت آيات القرآن، أو الآيات الكونية والبراهين والدلائل.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعل تفيد التعليل.

﴿تَعْقِلُونَ﴾: تصلون إلى الحقيقة، من عقل الشيء: عرفه بدليله وفهمه

بأسبابه ونتائجه. ولعلكم تفهمون معنى تلك الآيات. وإذا قارنا ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ بقوله في الآية (٦٠) من سورة القصص: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، وقوله تعالى في الآية (١١٨) من سورة آل عمران: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: نجد أشدها توبيخاً (إن كنتم تعقلون)، ثم تليها (أفلا تعقلون)، و(لعلكم تعقلون) أخفها.

[١٨] ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾:

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾: إن للتوكيد، المصدقين والمصدقات فيها مبالغة أكثر من المتصدقين والمتصدقات؛ أي: بالغوا في تقديم الصدقات للفقراء والمساكين؛ أي: المكثرون في إعطاء الصدقات؛ تضم الزكاة وصدقة التطوع والإنفاق في سبيل الله وغيرها، وعلى الفقراء والمساكين وإعلاء كلمة الله ودينه.

﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: لتعريف القرض الحسن: ارجع إلى الآية السابقة (١١)، بالنفقة في سبيله، وفيها ندب ومن باب الترغيب وليس الإلزام. ﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾: ارجع إلى الآية (١١) للبيان.





سورة النازعات

سورة النازعات

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ
عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِعَايَتِنَا ۖ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ
مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ
مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾
سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ
مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مِّن قَبْلٍ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا
تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۚ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

سورة الحديد [الآيات ١٩ - ٢٤]

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ وَالشَّٰهَدَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۖ﴾

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ﴾: والذين آمنوا بالله ورسوله: ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٨٥) للبيان. أولئك اسم إشارة واللام للبعد يفيد المدح والتعظيم، هم: للتوكيد، الصَّٰدِقُونَ: أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحزمة وطلحة والزبير وسعد وزيد وغيرهم؛ أي: من سبقوا بالإيمان أو حازوا على درجة الصَّٰدِقِينَ، والتي تلي درجة النبوة كما قال تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّٰدِقِينَ وَالشَّٰهَدَةِ وَالصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

﴿وَالشَّٰهَدَةُ﴾: الواو استئنافية، وللاهتمام: الشَّٰهَدَةُ عند ربهم لهم أجرهم ونورهم، الشَّٰهَدَةُ جمع شهيد: وهو من قُتل في سبيل الله.

﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: العندية الخاصة عندية الشرف، لهم درجات منه ومغفرة ورحمة ولهم الحسنَى وهم: ﴿أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ارجع إلى سورة البقرة آية (٣٩) للبيان.

[٢٠] ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُمْ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۖ﴾

﴿أَعْلَمُوا﴾: للوعظ والإرشاد، المخاطب كل إنسان.

﴿أَنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد الحصر أو القصر.



﴿الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾: الدُّنيا: صفة، والدُّنيا مشتقة من الدَّنو والقرب؛ أي: القرية أو الحياة السَّفلى، وقد تسمى العاجلة.

﴿لَعِبٌ﴾: اللعب: هو شغل لا يُلهي عن واجب فإذا صرف الإنسان عن واجب؛ أي: انشغل باللعب عن الصَّلَاة يسمى اللعب لهواً.

﴿وَلَهْوٌ﴾: هو شغل يُلهي عن واجب وهو أسوأ من اللعب، وهو أعم من اللعب. وقدم اللعب على اللهو في هذه الآية؛ ارجع إلى سورة العنكبوت آية (٦٤) للمقارنة حيث قدم اللهو على اللعب.

واللعب بالنسبة للأطفال أمر طبيعي وعادي، وأمّا بالنسبة للكبار فهو مذموم إن شغل صاحبه عن فرض أو واجب، واللعب إذا كان يتمثل بالرياضة والسَّباحة أو غايته بناء الجسم أو نقص الوزن ومكافحة السَّمنة فهو أمر جيد، شرط أن لا يشغل العبد عن صلاته أو واجبه.

﴿وَزِينَةٌ﴾: باللباس والجواهر والحليّ والذهب والفضة والمتاع وغيره. ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾: بالألقاب والأنساب، بالقوة والصَّورة، واللباس والزَّينة، والمساكن والقصور والمراكب كالسيارات والخيول.. والجاه والسُّلطان.. أطلق التَّفَاخُرَ ولم يحدد؛ لتشمل كلَّ أمر.

﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾: وانتبه إلى قوله: (في الأموال والأولاد)، ولم يقل بالأموال وبالأولاد، في: ظرفية، استعمل في لكي لا يحدد المبلغ وإنما تركه مفتوحاً الآلاف أو الملايين أو أكثر، ولو استعمل الباء لحدّد كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالتَّهَارِ﴾ [البقرة: ٢٧٤] فهو حدّد، والتَّكاثر في الأموال والأولاد قد يكون للتفاخر بينكم، وقدّم الأموال على الأولاد؛ لأنَّ الأموال أعمّ فكلّ فرد عنده المال وأمّا الأولاد فهناك الكثير ممن ليس له ولد.

﴿كَمَثَلٍ غَيْثٍ﴾: الكاف للتشبيه، غيث: ولم يقل مطر؛ لأنَّ الغيث فيه معنى

النَّفْعَ وَالرَّحْمَةَ، والمطر فيه معنى الضَّرَر والفيضانات وغيره (من خصائص لغة القرآن).

﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَافِهِ﴾: الكفار: الزُّرَّاع أو الفلاحين، سمووا كفاراً من الكفر: وهو السَّتر لَغَةً؛ لسترهم البذر في التُّراب بعد حرث الأرض وإلقاء البذر فيها؛ أي: أعجب الزُّراع بعد نموّه واستبشروا وفرحوا به.

﴿ثُمَّ يَسْجُ فَرَنَهُمْ مَصْفَرًا﴾: ثمَّ للترتيب والتراخي؛ أي: آن حصاده، بلغ النِّبات أَشَدَّهُ.

﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾: ثمَّ يتكسَّر ويفتَّت؛ ليخرج منه الحب ويبقى القش التَّن؛ لتدوسه الحيوانات وتأكُل منه، وهكذا حال الدُّنيا وسرعة زوالها بعد خضارتها ونضارتها التي تمثِّل مرحلة الشَّباب تأتي مرحلة الكهولة ثمَّ الشيخوخة والموت.

وإذا قارنا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ مع قوله تعالى في الآية (٢١) من سورة الزمر: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا﴾: نجد في الفعل يكون حطاماً يعدُّ إلى النِّبات، وأما الفعل في يجعله حطاماً يعود إلى الله سبحانه.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: للذين كفروا وكذبوا بآيات الله، ولم يقل من الله؛ لأنه لا يجوز أن ينسب السوء إلى الله تعالى؛ لأنه بما قدت أو كسبت أيديهم.

﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾: مغفرة: إسقاط العقاب، وإيجاب الثواب، والرضوان: كثير الرضا؛ الرضا من الله تعالى للذين آمنوا بالله ورسوله.

في هذه الآية قدَّم العذاب على المغفرة والمغفرة على رضوان الله، المغفرة: يُحتاج إليها لدخول الجنة، والرضوان: يكون بعد الدَّخول إلى الجنة ولا يكون إلا من الله تعالى وحده.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾: ارجع إلى سورة آل عمران الآية (١٨٥) وسورة فاطر آية (٥).



[٢١] ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾:

﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾: أي بدلاً وأفضل لكم من التسابق إلى الدنيا ولعبها ولهوها وزينتها وتفاخرها، وما فيها من أموال وأولاد: أن تتسابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنته، فهذا هو التسابق الحقيقي والأفضل والدائم، والتسابق عادة يحتاج إلى أكثر من واحد أو فرد، فلا بدّ من اثنين أو أكثر، وهناك فرق بين سابقوا وسارعوا، كما ورد في سورة آل عمران الآية (١٣٣)، ارجع إلى آية آل عمران للبيان.

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: وفي آية آل عمران (١٣٣) قال تعالى: ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ففي آية الحديد استعمل كاف التشبيه (عرضها كعرض السماء والأرض) وتعريف السماء: هي كلّ ما علاك، فالسّماء تشمل السموات السبع وغيرها.

وقوله: كعرض وليس عرض السّماء والأرض؛ تعني الإطلاق؛ أي: بلا تحديد، فقوله: (كعرض السّماء والأرض)؛ أي: أكبر وأوسع وأشمل من عرضها السموات والأرض، هذا بالنسبة للعرض فما بالك بالطول! فلم يحدّده أبداً، إذن الجنة غير منتهية وغير محدودة.

﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾: بينما في آية آل عمران (أُعِدَّتْ للمتقين)، للذين: اللام الاختصاص والاستحقاق، للمتقين: اللام لام الاختصاص والاستحقاق أيضاً، ففي آية الحديد (للذين آمنوا بالله ورسله) وهم أكثر عدداً من المتقين؛ ولذلك ناسبهم (جنة عرضها كعرض السّماء والأرض)، وأمّا المتقين فهم أقل عدداً من الذين آمنوا بالله ورسله فناسبهم (جنة عرضها السماوات والأرض) أي: الأقل سعة من جنة عرضها كعرض السّماء والأرض.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: ذلك اسم إشارة واللام للبعد، يشير إلى المغفرة ودخول الجنة، فضل الله: الفضل هو الزيادة على ما يستحق العبد من الأجر وما يتفضل به الله سبحانه من غير سبب يوجب أو يقدمه العبد، يؤتيه: من الإيتاء: وهو العطاء، وهناك فرق بين الإيتاء والعطاء، ارجع إلى سورة البقرة الآية (٢٥١) للبيان. من يشاء: من ابتدائية، وهو ذو الفضل المطلق يعطيه من يشاء من عباده، وأعظم الفضل هو فضل النبوة والتقوى والعلم والخير بكل أشكاله.

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: والله واسع الفضل والإحسان، فالملك ملكه والخلق خلقه، وكما قال تعالى: ﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

[٢٢] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ﴾: ما النافية، أصاب من: استغراقية تستغرق كل مصيبة مهما كانت صغيرة أو كبيرة، ومهما كان نوعها.

﴿أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾: المصيبة: في اللغة هي كل ما يصيب الإنسان من خير أو شر وتستعمل غالباً في الشر، مصيبة في الأرض: من حرائق أو فيضانات أو قحط أو جذب، أو كوارث جوية ورياح عاصفة وغيرها.

﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: بالمرض وفقد الولد أو المال أو الموت، تكرار (لا) يفيد تأكيد النفي وفصل كل منهما على حدة أو كلاهما معاً، أنفسكم: ولم يقل نفوسكم، أنفسكم لا تعني كل نفس، ونفوسكم تعني كل نفس ذكر أو أنثى.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿فِي كِتَابٍ﴾: في ظرفية، مكتوبة في اللوح المحفوظ منذ الأزل من قبل أن نبرأها.



﴿مِّن قَبْلٍ﴾: تعني زمناً غير معين.

﴿أَن نَّبْرَاهَا﴾: أن حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد، نبرأها: تعود على الأنفس. برأ الخلق: أوجدهم على غير مثال سابق، أو نخلقها ونصورها على أشكالها المختلفة، وقوله نبرأها: بصيغة الجمع للتعظيم وعظم البرء.

﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: إن للتوكيد، ذلك: اسم إشارة يشير إلى البرء، على الله: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، يسير: هينٌ سهلٌ، والله سبحانه ليس عنده صعب أو هين، وإنما يذكر ذلك للتقريب لعقول البشر.

انتبه إلى هذه الملاحظة: دائماً في القرآن كلمة (أصاب) تصاحب مصيبة، مصيبة أصلها من: الإصابة، والإصابة ضد الخطأ؛ أي: أصاب فلان الهدف؛ أي: لم يخطئ.

قدّم (في الأرض) على (في أنفسكم)؛ لأنّ ما يقع في الأرض بشكل عام من كوارث أكثر من المصائب التي تصيب الأنفس، أو لأنّ المصائب تصيب الأرض أولاً ثمّ تؤثر في الأنفس ثانياً.

[٢٣] ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾:

﴿لِكَيْلَا﴾: اللام لام التعليل، وكي حرف مصدري وتشير إلى السبب الحقيقي، ولا النافية.

﴿تَأْسَوْا﴾: من الأسى: الحزن الشديد، وفيه نوع من الجزع والندم، وقد تطول، والحزن أشد من الأسى.

﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾: على ما لم تحصلوا عليه من متاع أو خلاق الدنيا،

ونعيمها؛ لأنه ليس مقدراً لكم أو ليس من نصيبكم، أو لأنكم لم تقدّموا الأسباب الكافية للحصول عليه.

﴿وَلَا﴾: لا التّافية، تكرارها يفيد تأكيد النّفي وفصل كل منهما على حدة أو كلاهما معاً.

﴿تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾: فالفرح إذا بلغ حدّ الإعجاب بالنفس يصبح مصيبة وقد يتحول إلى الاختيال والكبر، فالفرح بالأولاد والأموال من جملة الإنسان والفرح غير مذموم، فهذا هبة من الله، ولكن المصيبة لماذا تتفاخر وتتكبر؟!

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾: تقديم الله: الفاعل على الفعل يفيد القصر وإزالة الوهم من ذهن المخاطب. كلّ: للتوكيد، مختال: مشتقة من خال: تكبر، والكلمة مأخوذة من حركة الحصان حين يتخايل في حركاته عندما يركبه فارسه للسباق أو العرض، والحصان سمي خيلاً؛ لأنّه يتخايل، فخور: الذي يفخر بالقول أو بالشعر، أو الأجداد والأنساب، أو بماله وجاهه. ارجع إلى سورة لقمان آية (١٨) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لمزيد في معنى مختال فخور.

لنقارن هذه الآية مع الآية (١٥٣) من سورة آل عمران.

آية الحديد: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾

وآية آل عمران: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَافَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ يِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣] الحزن أشد وأصعب وأبلغ من الأسى في آية الحديد؛ لأن آية آل عمران نزلت بعد غزوة أحد والحزن كان على أمرين:



١ - ما فاتهم من الغنائم.

٢ - ما أصابهم من الهزيمة والجراح.

أما آية الحديد: الأسى عامة على ما فاتهم من متاع الدنيا وخلاقتها أو نعيمها؛ أي: أمر واحد.

وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٣٠) من سورة الشورى وهي قوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] فهي تبين سبب المصائب: هو بما كسبت أيدي الناس.

وإذا قارنا هذه الآية من سورة الحديد وهي قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ مع الآية (١٨) من سورة لقمان وهي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

نجد أن الفرق بينهما يرجع إلى زيادة (إن) في آية لقمان، وإن تدل على التوكيد، في لقمان يرجع ذلك إلى أنه ذكر عدداً كثيراً من الصفات التي تدعو إلى الفخر والاختيال مثل: رفع الصوت والمشي في الأرض مرحاً والمشي بسرعة. فناسب ذلك زيادة أداة التوكيد (إن)، ولا ننسى قوله تعالى في سورة البقرة آية (٢٧٦): ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾: نزلت في سياق آكل الربا، والآية (٣٦) في سورة النساء وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾: في سياق العبادة والإحسان والطاعة، وأما الآية (١٠٧) في سورة النساء وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾: جاءت في سياق طعمة بن أبيرق. [٢٤] ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾:

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾: تعود على كل مختال فخور، فالمختال غالباً ما يكون بخيلاً؛ لأنه لا يرى لغيره حقاً عليه، والفخور يشعر بعظم نفسه ويفرح بالنعمة وينسى شكر المنعم، فهو لاء يبخلون بأداء حق الله (الزكاة)

وبالصدقة على الفقراء والمساكين، ولا يكتفون بذلك فهم يطلبون من الناس الكفّ عن الإنفاق والصدقة على الفقراء والمساكين، وفي الحقيقة هم يخلون عن أنفسهم ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَحْمِلْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [محمد: ٣٨].

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾: من شرطية، يتولّى: أي يتعد ويعرض عن الإنفاق في سبيل الله.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، إنّ للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: تفيد التوكيد.

﴿الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾: الغني عن خلقه وعن إنفاقهم.

فهو الكامل الغني، والغني عن العالمين، وقد ذكر هذا الاسم (الغني) ثمان عشرة مرة. وهو الغني المغني عباده وكلّ الغنى من غناه، الحميد المحمود في الأرض والسّماء؛ لما أنعم على خلقه، الحميد: له الحمد كلّهُ؛ لأنّه يستحق الحمد كلّهُ في السّراء والضّراء، وله الحمد في الأولى والآخرة، له الحمد لذاته وأفعاله وصفاته، ولفضله وإحسانه وخلقه، وشرعه وأحكامه ورحمته، وقد ذكر هذا الاسم الحميد في القرآن سبع عشرة مرة.

وقد اقترن اسم الغني بالحميد في عشر مرات؛ لأنّه سبحانه هو الغني عن عباده وعن عبادتهم، والغني في ملكه يعطي عباده فيُحمد، ويحمد للأسباب التي ذكرناها.





سُورَةُ الْحَٰرِيقَةِ ٥٧

الْحَاقَّةُ

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ
وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ عِثْرِهِمْ
بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً
أَبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا
رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَءَامِنُوا بِرُسُلِهِ ۚ يُؤْتِكُمْ كَفْلًا مِّن رَّحْمَتِهِ ۚ وَبِمَجْعَلٍ لَّكُمْ
نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ۚ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّئَلَّا يَعْلَمَ
أَهْلُ الْأَكْتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ
الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

سورة الحديد [الآيات ٢٥ - ٢٩]

[٢٥] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ نِصْرِهِ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق؛ أي: تحقق وتم ذلك. وجاءت لقد بدون واو كقوله: ولقد؛ لأن الآية بدء لخبر جديد؛ انظر إلى الآية القادمة (آية: ٢٦)، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾ فقد تقدم لقد الواو الدالة على العطف.

﴿أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾: أرسلنا رسلنا، لمعرفة معنى (أرسلنا) والفرق بين أرسلنا وبعثنا: ارجع إلى سورة البقرة الآية (١١٩)، رسلنا: الأنبياء والرسل، وإضافة الرسل له سبحانه للتشريف.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: الباء للإلصاق والملازمة، البيّنات: جمع بينة: وهي الدليل والبرهان والمعجزة الدالة على أنه الإله الحق المعبود، وأنه الواحد الأحد خالق كل شيء ومليكه، والدالة على صدق نبوتهم ودعوتهم إلى الله تعالى.

﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾: أي الكتب السماوية والأحكام والشرائع والصّحائف.

الكتاب: اسم جنس يشمل كل الكتب والشرائع.

﴿وَالْمِيزَانَ﴾: يعني العدل، أو أمر بالعدل، وقد يعني: الميزان الحقيقي العادي (آلة الوزن). والعدل موجود في الكتاب وفي الميزان وما يتضمن الكتاب



(القرآن) من أحكام وشرائع هي العدل؛ أي: لنقيم العدل يجب تطبيق الكتاب والميزان.

﴿لَيَقُومَنَّ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾: اللام لام التعليل؛ أي: أنزلنا الكتاب والميزان؛ لكي يقوم الناس بالقسط، ولم يقل بالعدل؛ لأنّ القسط هو تطبيق العدل وتنفيذ الحكم مثل: رفع الظلم والجور، وانتبه إلى الفرق بين قسط: جار وظلم، وقسط: رفع الجور والظلم؛ أي: ليتعاملوا بينهم بالقسط.

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾: شبه إنزال الحديد على الأرض بإنزال الكتب السماوية أو الرسائل السماوية، فهو إنزال حقيقي لا ريب فيه، فقد أثبتت الدراسات العلمية أنّ عدداً من النجوم تتحوّل في مرحلة احتضارها (قبل انفجارها) إلى كتلة حرارية هائلة تقدر بمليارات الدرجات المئوية، ويتحوّل النجم إلى ما يسمى العملاق الأحمر، عندها يتحوّل لبّ النجم بالكامل إلى حديد ثم ينفجر النجم فتتناثر أجزاؤه في صفحة الكون، ويدخل الحديد عندها في مجال جاذبية أجرام سماوية تحتاج إليه كما حدث للأرض عندما كانت في مرحلة الخلق والتميز، حيث كانت مكوّنة من رماد، فنزلت ذرات الحديد من تفجّر تلك النيازك واخترقت طبقات الأرض؛ لتستقرّ في مركزها على شكل حديد صلب، وتسمى الطبقة المركزية؛ أي: اللب، وطبقة أخرى محيطة بالطبقة السابقة من الحديد المذاب وتسمى الطبقة الخارجية. انظر في الصورة الملحقة.

وأصبح من الحقائق العلمية أنّ حديد الأرض قد أنزل من السماء، وتصل نسبة الحديد في تكوين الأرض ما يقارب (٤٠٪) من كتلة الأرض المقدرة بحوالي (٦٠٠٠) مليون مليون طن، وعلى هذا تكون كمية الحديد هي حوالي (٢٠٠٠) مليون مليون طن. ويستقر في مركز الأرض بشكل حديد صلب وبشكل حديد منصهر في الطبقة المحيطة بالمركز، وله دور هائل في توليد المجال المغناطيسي للأرض الذي يمسك للأرض بغلافها المائي والغازي

والحيوي، والغلاف الكهرومغناطيسي يمثل سقفاً محفوظاً للأرض من الأشعة الكونية والأشعة الشمسية القاتلة للحياة، مما يجعل الأرض كوكباً صالحاً للحياة. ومن المذهل أن يكون رقم سورة الحديد في ترتيب القرآن (٥٧) وهو الوزن الذري نفسه لمعدن الحديد.

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾: فقد وجد أن تلاحم ذرات الحديد داخل النواة الحديد يفوق تلاحم ذرات كل العناصر أو المعادن التي يفوق وزنها الذري الوزن الذري للحديد، فهو أشد تلاحماً من الذهب والفضة والنحاس وغيرها من المعادن، وتحتاج نواة ذرة الحديد إلى كمية هائلة من الطاقة للانصهار والذوبان.

﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾: أي تصنع منه الآلات الحربية والآلات الزراعية والسيارات وأدوات النقل والعمارة والبناء والأدوات مثل: أدوات الحفر، فلا تكاد تقوم أي صناعة مدنية على غير الحديد.

﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾: وليعلم: الواو عطف، ليعلم: اللام لام التعليل، ليعلم الله: العلم هنا لا يعني لإعلام الله ما لا يعلم، وإنما لإقامة الحجة على الناس أو لإظهار إخلاصهم؛ ليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب: أي ليعلم أن من يجاهد في سبيله كي ينصره؛ أي: ينصر دين الله أو يُعلي كلمة الله في الأرض، ورسله: من ينصر ويؤيد رسله في الدعوة والإبلاغ بالغيب بالخفاء أو بالجهر، ومعناه: أفعالوا ذلك لوجه الله تعالى وحده وليس لحظ دنوي.

﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: إن للتوكيد، قوي: لا يحتاج إلى نصره أحد؛ لأنه هو الناصر ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ووردت كلمة (قوي) في تسع آيات في القرآن الكريم، عزيز: القوي الذي لا يُغلب ولا يُقهر ولا يناله أحد بسوء، وترددت كلمة (العزيز) في القرآن ثماني وثمانين مرة.



[٢٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾: ارجع إلى الآية السابقة (٢٥).

﴿نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾: نوحٌ يعتبر أبا البشر، وإبراهيم هو أبو الأنبياء والرسل.

﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾: فكل الأنبياء والرسل الذين جاؤوا هم من ذريتهما، وكل الكتب المنزلة الزبور والتوراة والإنجيل والقرآن منزلة على ذريتهما، وقدم النبوة على الكتاب فلا بد من بعث وإرسال الرسل والأنبياء أولاً ثم ينزل الكتب ثانياً.

﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ﴾: أي من الذرية، الفاء للتوكيد، من بعضية، مهتد: ولم يقل مهتدي، وإنما قال: مهتد تعني: هدايته لا تحتاج إلى زمن طويل، أما المهتدي يحتاج إلى زمن طويل.

﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾: خارجون عن طاعة الله ورسوله ودينه؛ أي: عاصون، ولم يقل وأكثرهم فاسقون: أكثر على وزن أفعل، وأكثر تعني: أكثر عدداً من كثير، ولكي يوصف بالفسق لابد من تبليغه أولاً والعلم؛ لأن هناك من الفسق الذي يكون عن قصد وعلم والفسق الذي لا يكون عن قصد وعلم.

[٢٧] ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: تفيد التراخي في الزمن.

﴿قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم﴾: قفينا: مشتقة من القفا: وهو الظهر، من قفى على

أثره؛ أي: أتبعه بدون فاصل زمني طويل، فالأثر لا يزال يُرى؛ أي: أرسلنا الواحد تلو الآخر بدون فاصل زمني طويل، على آثارهم: على آثار نوح وإبراهيم بزمان قصير.

﴿بُرْسُلُنَا﴾: إسماعيل إسحاق يعقوب يوسف.. وموسى.

﴿وَقَفَّيْنَا﴾: للتوكيد.

﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾: ولم يقل على آثارهم حين ذكر عيسى؛ لأن بين عيسى وآخر نبي أكثر من (٨٠٠) عام، ولذلك حذف كلمة (آثارهم).

﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾: آتينا عيسى ابن مريم الإنجيل.

﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾: من الحواريين وأتباعهم وغيرهم.

﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾: رأفة: شفقة وليناً، والرأفة أخص من الرحمة؛ أي: أشد من الرحمة، ورحمة للناس؛ أي: متوآدين بينهم، والرحمة قد تعني تجنب الوقوع في الذنوب، وتعني جلب ما يسر ودفع ما يضر.

﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾: الرهبانية: هي الانقطاع للعبادة بعيداً عن الناس في الصوامع والجبال، والزهد في لذيذ الطعام والشراب والزواج، رهبانية: نسبة إلى الراهب: الخائف من الله، والأصل في الكلمة: الراهبية.

﴿أَبْتَدَعُوهَا﴾: لم نأمرهم أو نفرضها أو نكتبها عليهم، لم يشرعها الله لهم، ابتدعوها: من الإبداع: وهو الخلق أو الإيجاد؛ على الخلق: على غير مثال سابق، ومنها: البدعة، اختلقوها بأنفسهم لإرضاء الله أو نيل رضوان الله.

﴿فَمَا﴾: الفاء للتوكيد، ما النافية.

﴿رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾: لم يوفوا بما ألزموا به أنفسهم، أو لم يوفوا بما عاهدوا عليه الله عز وجل.



﴿فَتَأْتِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾: آتينا الذين صدّقوا بعيسى وآمنوا بالله تعالى أجرهم على عملهم الصالح.

﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٦) للبيان.

[٢٨] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

أسباب النزول: هناك من المفسرين من يقول: إنّ هذه الآية نزلت تحضّ الذين آمنوا من أهل الكتاب، وتحضّ الذين آمنوا من المسلمين على التقوى والإيمان بالرسول ﷺ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد أو أمر جديد. ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: من التقوى: وهي امتثال أوامر الله وطاعته، وتجنّب نواهيه؛ لكي نتجنّب غضبه وسخطه وناره، أو استقيموا على تقوى الله والإيمان بوحدانيته.

﴿وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾: محمّد ﷺ؛ أي: صدّقوا رسوله. وقيل: الخطاب إلى مؤمني أهل الكتاب (اليهود والنصارى) للإيمان بمحمّد ﷺ.

﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: الكفل: هو المثل أو النصيب وقد يكون في الخير أو الشر، كفلين: نصيبين.

﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾: (في الآخرة) ولم يقل تمشون به في الناس؛ لأنّ ذلك يعني في الدنيا كما في قوله تعالى في الآية (١٢٢) في سورة الأنعام: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: ذنوبكم كاملة، ولم يقل من ذنوبكم؛ أي: بعض ذنوبكم أو ما أسلفتم من الذنوب، والغفر؛ أي: الستر (ترك العقاب).

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: غفور: صيغة مبالغة (كثير المغفرة) ورحيم صيغة مبالغة؛ أي: كثير الرحمة لعباده المؤمنين. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٦٨) لبيان معنى الغفور، وارجع إلى سورة الحمد آية (٣) لبيان معنى الرحيم.

[٢٩] ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: مبنية من (أن) و (لا)، أن المخففة، لا النافية، أو لا للتوكيد، فيكون معناها: أي أن يعلم، أو لأن يعلم، وزيدت لا للتوكيد.

أي: ليعلم أهل الكتاب (اليهود والنصارى) الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ. ﴿أَلَّا﴾: أداة استفتاح.

﴿يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾: أي: لكي يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرُونَ على حصر فضل الله يعني: النبوة في بني إسرائيل ومنع غيرهم، ولذلك جحدوا بالإيمان برسالة محمد ﷺ.

﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾: وأن للتوكيد، الفضل كله بيد الله: في ملكه وتصرفه. ولتعريف الفضل: ارجع إلى سورة الجمعة آية (٤).

﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾: من يستحقه من عباده كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: ارجع إلى الآية (٢١) من نفس السورة للبيان.





سُورَةُ الْحَجَّاتِ ٥٨

الجزء الثامن والعشرون

سُورَةُ الْحَجَّاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ
مِنْكُمْ مَنْ نَسَاءِ بِهِمْ مَا هِيَ أُمَّهَتُهُمْ إِنْ أُمَّهَتُهُمْ إِلَّا الَّتِي
وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ كُمْ تَوْعَظُونَ
بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبُورًا
كَمَكِيتٍ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا
عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾



سورة المجادلة [الآيات ١ - ٦]

ترتيبها في القرآن (٥٨) وترتيبها في النزول (١٠٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾:

أسباب النزول: قيل: نزلت هذه الآية في خولة بنت ثعلبة الأنصارية، وزوجها أوس بن الصّامت، جاءت إلى رسول الله ﷺ تشكو إليه ما فعله زوجها فقد قال لها: أنت عليّ كظهر أمي، وكان الظّهار يومئذ طلاقاً، فراحت تشكو وتقول: يا رسول الله، أكل شبابي ونثرتُ له بطني حتّى كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني! وكانت أم المؤمنين عائشة في الحجرة نفسها، فلما نزل الحكم قالت عائشة رضي الله عنها فيما معناه: تبارك الذي وسع كلّ شيء، لقد كنت بجوار رسول الله ﷺ فلم أسمع ما تقول وسمعتها الله من فوق سبع سموات طباقاً! كما أخرج الحاكم والإمام أحمد والبخاري.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق؛ أي: للتوكيد إذا دخلت على الماضي تفيد تحقيق وقوعه.

﴿سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾: أي خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس ابن



الصّامت تشكو إلى الله تعالى حيث قالت: إنّ لي صبية صغاراً إنّ ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليّ جاعوا، تجادلك في زوجها: حيث قال لها رسول الله: قد حرمت عليه، وتقول له: ما ذكر طلاقاً، وفي رواية أخرى قالت: والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً، أو قال لها ﷺ: ما أراك إلا حرمت عليه، وتقول: إنما هو أبو ولدي وأحبّ الناس إليّ.

الجدال: هو حوار بين طرفين أو أكثر؛ لإثبات حق أو إظهار حجة أو دفع شبهة، وهو أشد من الحوار حدة ومخاصمة.

﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾: تحاوركما: أي: خولة بنت ثعلبة ورسول الله ﷺ؛ تحاوركما: من التحوار: وهو الحوار بين طرفين، ويتميز بالهدوء، والحوار غير الجدال؛ الجدال - كما قلنا - يتميز بالشدة، والمخاصمة، ورفع الأصوات؛ يؤكد سبحانه أنّه يسمع تحاورهما، ثم نزل جبريل عليه السلام بالحكم كما ورد في الآيات القادمة.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إنّ للتوكيد.

﴿سَمِيعٌ﴾: لأقوال الرسول ﷺ وأقوال خولة وما قاله أوس ابن الصّامت، وسميع لكل ما يقوله عباده في أيّ زمان أو مكان.

﴿بَصِيرٌ﴾: يرى كلّ المبصرات أو الأمور المشاهدة؛ أي: عالم بظواهر الأمور، وخبير عالم ببواطن الأمور.

[٢] ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَاءِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ﴾:

تعريف الظَّهَار: أصله: مقابلة الظَّهر بالظَّهر؛ ويعني: تحريم وطء الزَّوجة بجعلها محرمةً كظهر أمه أو أخته.

اصطلاحاً: أن يشبه الزوج زوجته في الحرمة بإحدى محارمه مثل: أمه أو أخته، وكانت العرب تعتبر ذلك من أساليب الطَّلَاق والظَّهَار له كفارته، كما سنرى في الآيات القادمة.

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَاءِهِمْ﴾: أي يقولون لنسائهم: أنت عليّ كظهر أمي، يعني تحريم وطء الزَّوجة بجعلها محرمةً عليه كحرمة أمه وما يشبهها من العبارات؛ منكم: أي: من الصحابة خاصة، والسؤال هنا: ما هو الفرق بين نسائهم وأزواجهم؟ الزوج: يطلق على الرجل والمرأة كقوله تعالى: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، والزوج: يعني المثل، أو المماثلة، وفي القرآن لا يطلق على المرأة زوجة إلا إذا كانت مماثلة لزوجها في الدين، والعادات والصحة والعافية والأخلاق، وإذا كانت مخالفة لزوجها يطلق عليها امرأة كقوله تعالى: ﴿أَمْرَاتٍ نُوحٍ وَأَمْرَاتٍ لُوطٍ﴾ [التحريم: ١٠].

﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾: (ما) أقوى نفيًا من ليس، ما هنَّ أمهاتهم؛ أي: مخطؤون يحلفون أو يزعمون هنَّ أمهاتهم.

﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾: إن: للتوكيد، إلا: أداة حصر، اللائي ولدنهم: ولم يقل اللاتي، وهذا من خصوصيات القرآن يستعمل اللائي في سياق الطَّلَاق



والظَّهَار، وبما أنَّ الطَّلَاق والظَّهَار حالتان نادرتان استعمل في سياق ذكرهما الهمزة بدلاً من التَّاء (اللاتي) لأنَّ الهمزة من الحروف الثَّقيلة النَّادرة الاستعمال، فاستعملها لتناسب حالتي الظَّهَار والطلاق النَّادرتين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى: اللاتي من اللَّائِي: وهو الحبس، والمُطَلَّق والمُظَاهِر تحبس عنه امرأته شرعاً حتَّى يقوم بالكفارة أو ما هو مطلوب منه شرعاً.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾: إنَّ للتوكيد، واللام في ليقولون: تعود على العرب في الجاهلية؛ لزيادة التوكيد، منكرًا من القول وزورًا: منكرًا قولاً وزورًا، منكرًا من القول؛ أي: قولاً ينكره الشَّرع والعرف والعقل، وزورًا: كذباً وباطلاً (أي منحرفاً عن الحق).

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾: إنَّ للتوكيد، واللام في (لعفو) لزيادة التوكيد، عفوّ: حيث شرع الكفارة ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يفعلونه في الجاهلية، غفور: صيغة مبالغة كثير الغفران مهما ثقلت ذنوبه إذا تاب وأناب إلى الله تعالى.

[٣] ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾:

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾: الخطاب في هذه الآية للمسلمين عامة يبين لهم أحكام الظهار، بينما الخطاب في الآية (٢) للصحابه خاصة؛ ارجع إلى الآية السابقة لبيان معنى الظهار.

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾: لما قالوا: يرجعون عما قالوا ويريدون وطء أزواجهم بعد أن

حرموهن على أنفسهم، أو يعودون إلى تحليل ما حرموه على أنفسهم من وطء الزوجة، فعليهم كفارة قبل الوطء هي تحرير رقبة.

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا﴾: الفاء للتوكيد؛ أي: بإعتاق رقبة مملوكة. وجاءت (رقبة) بصيغة النكرة؛ أي: سواء كانت مؤمنة أو كافرة، أو ذكراً أو أنثى، وبعض العلماء اشترطوا أن تكون رقبة مؤمنة فقط ولا يصلح عتق رقبة غير مؤمنة؛ وتحرير رقبة: تقال في الرق الذي لم يعد موجوداً الآن، وأما في قضية الأسرى، أو تبادل الأسرى فذلك يعد فك رقبة من الأسر، ولا يزال موجوداً، وبما أن تحرير رقبة ليست موجودة نطبق حكم صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكيناً؛ من قبل أن يتماسا: المراد بالتماس: هو الجماع؛ أي: لا يجوز وطء الزوجة حتى تتم الكفارة التي ذكرت؛ وهي تحرير رقبة، وهناك فرق بين تحرير رقبة، وفك رقبة؛ تحرير رقبة: يعني: عتق رقبة بالفداء، أما فك رقبة: قد يعني: تخليصها من الأسر، أو السجن، أو من دين، أو عُسر، أو مغرمة.

﴿ذَلِكُمْ تُوَعُّظُونَ بِهِ﴾: ذلكم الحكم المذكور، وذلكم ولم يقل وذلك؛ للتوكيد وعظم الكفارة وعظّة لكم حتى تتركوا الظّهار؛ بينما في الآية (١٢) من نفس السورة قال ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾: أي خير ببواطن الأمور والنّوايا وما تخفون في أنفسكم، وقدّم تعلمون على خير؛ لأنّ السّياق في العمل.



[٤] ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامَ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿فَمَنْ لَمْ﴾: الفاء استئنافية، من شرطية، لم للنفي.

﴿فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾: فمن لم يجد الرقبة لتحريرها، أو لم يجد ثمنها:

فصيام شهرين متتابعين.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾: تكرر (ذلك) للتوكيد، فلا يجوز أو يحل لمن ظاهر زوجته وطؤها حتى يؤدي الكفارة، فمن لم يستطيع الصيام لمرض أو عجز فإطعام (٦٠) مسكيناً، واختلف العلماء في مقدار الطعام.

﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: ذلك: اسم إشارة واللام للبعد يشير إلى التخفيف في الكفارة أو حكمنا، لتؤمنوا: اللام التعليل، أي: لتصدقوا بالله ورسوله.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾: أي أحكام الله في الظهار، فلا تعتدوها أو محارمه، حدود: جمع حد، والحد: عقوبة مقررة لأجل حق الله وليس لولي الأمر أو للوالي التدخل أو العفو، ولا يجوز تعدي هذه الحدود.

﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: الواو عاطفة، وللكافرين: اللام الاستحقاق، الذين يتعدون حدود الله عذاب أليم في الدنيا أو الآخرة. وفي الآية (٥) التالية قال تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾؛ أي: للكافرين عذاب أليم مهين معاً، وعذاب أليم: جاء في سياق الكفر بالإيمان بالله ورسوله، وعذاب مهين: جاء في سياق

الذين يحادّون الله ورسوله؛ فهؤلاء كبتوا، والكبت يعني: الذل والإهانة فناسبهم العذاب المهين، فهذا وعيد للكافرين عذاب أليم ومهين.

[٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾:

المناسبة: بعد ذكر الظهار وأحكامه يُبين وعيده للذين يحادّون الله سبحانه ورسوله ﷺ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: للتوكيد، الذين: اسم موصول يفيد الذم والتحقير.

﴿يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: يكون في حدّ والله ورسوله في حدّ يخالف الحد الآخر؛ أي: يعادون دين الله وشرعه، وسنة رسوله، ويخالفون أوامر الله ورسوله، وكذلك يحادّون المؤمنين وأولياء الله تعالى، ويحادّون: فيها نون التوكيد وبصيغة المضارع: لتدلّ على التجدد والتكرار.

﴿كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أي الكبت هو الإذلال والإهانة؛ أي: خذلوا، ولها معانٍ أخرى مثل: الخزي والذل والهزيمة، وأن يُصرعوا على وجوههم وهم ما زالوا في الدنيا، وأصلها: أن يصابوا في أكبادهم بالحزن والغيط، كما كبت الذين كفروا من قبلهم من الأمم السابقة، وجاء بصيغة الماضي (كبتوا): لتحقيق وقوع الكبت، وكأنه حدث وانتهى.

﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: الواو الحالية تفيد التوكيد، قد للتحقيق، أنزلنا آيات بينات: أي آيات القرآن الدالة على صدق الرسول ﷺ وما جاء به؛ أنزلنا:



تدل على نزول الآيات دفعة واحدة، أو في زمن واحد؛ آيات بينات: أي: واضحات لا تحتاج إلى توضيح وتبيان؛ آيات: أي: أحكام الظهار وغيرها.

﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، وللکافرين بآيات الله عذاب مهين، العذاب المهين: المذل الذي يكون على مرأى الناس؛ عذاب مهين مقابل مخالفة حدود الله ومعادة الرسول ﷺ والمؤمنين.

[٦] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾:

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾: يوم يبعثهم الله (أي: الكفار) من قبورهم يوم البعث، لا يفوته أحد من الأولين والآخرين، وفي الآية (١٨) القادمة في نفس السورة يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾: هذه الآية تختلف عن الآية (٦)؛ الآية (١٨): جاءت في سياق المنافقين، والآية (٦): جاءت في سياق الكفار.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد، وجميعاً تعني: كلهم، وتعني: مجتمعين في مكان واحد.

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾: الفاء للتوكيد، ينبئهم بما عملوا: ينبئهم: يخبرهم بأعمالهم؛ أي: أقوالهم وأفعالهم (التي عملوها في الدنيا)، ويطلعهم عليها ويطلب منهم أن يقرؤوا كتبهم بأنفسهم؛ لإقامة الحجة عليهم.

﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾: أي حفظ الله أعمالهم وعدّها لهم ولم يغب عليه شيء، وهم قد نسوا تلك الأعمال.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: شهيد صيغة مبالغة؛ أي: مطلع على ظواهر

أعمالهم وبواطنها، وعلى أقوالهم ونواياهم. والشهادة تعني: العلم مع الحضور، فهو سبحانه شهيدٌ على أقوالهم وأفعالهم؛ لأنَّ علمه أحاط بكلِّ ما يجري في السموات والأرض وما تخفي الصدور، وكفى بالله شهيداً، ولا يُحتاج إلى شهادة غيره، وتكرر اسم الشهيد في القرآن في (١٩) آية.



سُورَةُ النَّازِعَاتِ

سُورَةُ النَّازِعَاتِ ٥٨

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ
 مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
 وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهُهُمْ
 بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
 نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ
 وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
 بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ
 جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيُفْسَسُ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا
 تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّوْا
 بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى
 مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُبَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا
 إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ
 اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾



سورة المجادلة [الآيات ٧ - ١١]

[٧] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتقرير.

﴿تَرَ﴾: الرؤية هنا رؤية فكرية عقلية، وهذا أسلوب من أساليب البيان، فالله سبحانه يخبرك أو يُعلمك بذلك، ولكنه سبحانه يريد أن تكون الإجابة من العبد؛ أي: إقراراً من العبد لإقامة الحجة عليه، ولا يريد أن تكون بصيغة الخبر والإنشاء، ولكن بصيغة الاستفهام؛ لأنها أكد وأقوى في النفس، وإذا قال سبحانه لنا: أَلَمْ تَرَ، أو: أولم تروا ذلك الشيء، وكان ذلك الشيء معنوياً غير حسياً؛ يعني: أَلَمْ تفكر أو تفكروا، والرؤية هنا فكرية قلبية، وأما إذا كان الشيء حسياً فتكون الرؤية حسية بصرية، وتكون رؤية الله سبحانه أفضل من رؤية أعيننا، وهي تعتبر رؤية بعين اليقين، فلا نحتاج نحن أنفسنا إلى رؤية ذلك؛ لأننا نؤمن بالله وما يخبرنا حق وصدق ورؤيته سبحانه تكفيننا، وإذا رأينا ذلك نراها كما أخبر الله سبحانه بها.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: أن: للتوكيد.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾: السبع. (ما): تشمل من العاقل وغير العاقل، وما في السموات ذاتها وما فيها؛ أي: وما تحويه.

﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: وما في الأرض ذاتها وما تحويه، وتكرار (ما) في



للتوكيد وفصل كل منهما عن الآخر أو كلاهما معاً، ومن الأشياء التي يعلمها سبحانه السرّ والنجوى.

﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى﴾: ما النّافية، يكون من نجوى: من استغراقية، نجوى: تعريفها: هي حديث السرّ أو الخفي بين اثنين أو أكثر بحيث لا يسمعهم البقية ممن هم حاضرو مجلسهم، مثال: هناك ثلاثة أفراد يتناجى اثنان دون الثالث؛ أي: ألغوه من المشاركة فكأنك ترفع من تناجي عن غيره، لأنّ النجوى أصلها الرّفعة ومشتقة من النّجوة من الأرض (أي الأرض المرتفعة) أو أصلها البعد؛ لأنّ القريب يصعب عليه سماع الكلام فكأنّه صار بعيداً. ولنعلم أن السرّ أعم من النجوى، وأشدّ خفاء من النجوى؛ لأنّ النجوى قد يطلع عليها عدة أفراد، أما السرّ لا يعلم به إلا صاحبه، والله يعلم بكل شيء النجوى والسرّ وما هو أخفى من السرّ.

﴿ثَلَاثَةٌ إِلَّا لَهُمُ رَابِعُهُمْ﴾: والنّجوى لكي تحصل لابدّ من ثلاثة على الأقل، اثنان يتناجيان والثالث محروم من النّجوى، (المشاركة في الحديث) أو سماعه، إلا: أداة حصر، هو: تعود على الله سبحانه واجب الوجود، وهو رابعهم، يسمع ويرى كل ما يحدث.

﴿وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا لَهُمُ سَادِسُهُمْ﴾.

﴿وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ﴾: أدنى من ثلاثة اثنين ولا أدنى من خمسة؛ أي: ثلاثة أو أربعة.

﴿وَلَا أَكْثَرَ﴾: من ثلاثة؛ أي: أربعة أو خمسة أو أكثر.

﴿إِلَّا لَهُمُ مَعَهُمْ﴾: سبحانه معهم بعلمه وقدرته، ولا تعني بذاته، أينما كانوا.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتّراخي.

﴿يَنْتَهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: بما عملوا في الدنيا من النجوى وغيرها من الأقوال والأفعال.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: إن للتوكيد، بكل: الباء للإلصاق، شيء عليم: عليم: صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم؛ أي: سبحانه مطلع على بواطن الأمور وظواهرها لا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض، أحاط علمه بخلقه وكونه فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.

وأما الفرق بين النجوى والسر: فالسر هو تكتمه في نفسك ولا تطلع عليه أحداً.

[٨] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَسْنَجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فِئْتَسَ الْمَصِيرُ﴾:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة للبيان.

﴿إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾: قيل: هم اليهود والمنافقون فقد كانوا يتناجون بينهم سرّاً للتأمر على المسلمين؛ لإيقاع الريبة في قلوبهم، فنهاهم رسول الله ﷺ عن النجوى.

﴿ثُمَّ﴾: ثم لتباين الدرجة لمن نهي عن النجوى لأول مرة وبين من نهي عنها، ثم عاد إلى التناجي ولم يطع الله ورسوله ﷺ فالإثم أكبر.

﴿يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾: يعودون عمداً إلى التناجي وعدم السماع لأمر رسول الله ﷺ بعدم التناجي، ويعودون: تدل على التكرار والتجدد.

﴿وَيَسْنَجُونَ بِالْإِثْمِ﴾: الإثم في اللغة: التقصير، والإثم: هو الذنب الذي



يستحق العقوبة؛ أي: يتناجون بما هو إثم، والإثم: هو ما يكون بتعمد مثل التناجي بالكذب والظن والغيبة والكيد والمكر، أو الاستهزاء والسخرية.

﴿وَالْعُدُونِ﴾: التجاوز في الحدود والظلم والمعاداة وعداوة الرسول والمؤمنين.

﴿وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾: يتناجون بمعصية الرسول، عدم طاعة الرسول ﷺ أو مخالفته.

﴿وَإِذَا﴾: شرطية ظرفية تفيد حتمية الحدوث.

﴿جَاءُوكَ﴾: اليهود أو المنافقون.

﴿حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾: حيّوك: من التّحية وقالوا: السّام عليك؛ أي: الموت عليك بدلاً من: السّلام عليك أو راعنا.

﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: يحدثون أنفسهم أو فيما بينهم.

﴿لَوْلَا يَعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾: لولا: أداة حَضّ وحثّ، يعذبنا الله بما نقول؛ أي: لو كان نبياً حقاً لعذبنا الله بنا نقول.

﴿حَسِبُهُمْ جَهَنَّمَ﴾: أي يكفيهم جهنم، جهنم: اسم من أسماء النار، ارجع إلى سورة الرعد الآية (١٨)، حسبهم عذابها.

﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يحرقون بها أو يقاسون حرّها.

﴿فَيَنْتَسِلُ الْمَصِيرُ﴾: الفاء للتوكيد، بئس: من أفعال الدّم، المصير: المنتهى والمآل.

[٩] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَجُوا بِالْإِثْرِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالنَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد إلى الذين آمنوا بتكليف جديد يتعلق بالنجوى.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿تَنَجَّيْتُمْ﴾: من النجوى، ارجع إلى الآية (٧) لتعريف النجوى.

﴿فَلَا﴾: الفاء للتوكيد، لا الناهية.

﴿تَلْتَجُوا بِالْإِثْرِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾: ارجع إلى الآية (٨) للبيان.

﴿وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالنَّقْوَىٰ﴾: البر: هو كل ما يتقرب به إلى الله من إيمان وعمل صالح واعتقاد وأخلاق ومعاملات، التقوى: طاعة الله ورسوله وامتنال أوامرهما وتجنب ما نهى الله عنه ورسوله.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: واتقوا الله: استقيموا على طاعة الله وامتنال أوامره وتجنب نواهيه، اتقوا غضبه وسخطه وناره وذلك بطاعة أوامره وتجنب نواهيه، الذي: اسم موصول يفيد المدح. إليه: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أي: إليه وحده تحشرون، تحشرون: الحشر هو السوق والجمع يوم البعث للحساب والجزاء.

[١٠] ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة تفيد التوكيد والحصر.



﴿النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾: أي: النجوى بالاثم والعدوان ومعصية الرسول من تزوين الشيطان لهم ووساوسه.

﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: السلام لام التعليل؛ أي: ليوقع الذين آمنوا في الحزن وهو الألم النفسي الناتج عن ضيق في الصدر وهو مؤقت أو محدد بزمن وينتهي مهما طال، بعكس الحزن - بفتح الزاي - الذي يدوم حتى الموت، فقد كانوا يتناجون ويوهمون المؤمنين أن عدوهم هو أقوى منهم ويطربص بهم الدوائر؛ ليؤدي ذلك إلى حزن المؤمنين والغم.

﴿وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْئًا﴾: ليس: للنفي، بضارهم شيئاً: الباء للإصاق؛ أي: النجوى أو التناجي أو الشيطان ليس بضار الذين آمنوا شيئاً. ضار: من الضر وهو ضد النفع، شيئاً: نكرة تعني: ليس بضارهم أي شيء مهما كان مقداره أو نوعه، والشيء هو أقل القليل، سواء أكان حسياً (مادياً)، أم معنوياً.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: إلا: أداة حصر، أو استثناء، بإرادة الله أو مشيئته.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: وعلى الله: تقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة يدل على الحصر؛ أي: على الله وحده فليتوكل المؤمنون؛ أي: يقدمون كل الأسباب ما بوسعهم، ويستعيذون بالله من الشيطان الرجيم ولا يبالون، بنجوى غيرهم ويفوضون أمرهم إلى الله لمساعدتهم.

[١١]: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد يتعلق بأداب المجالس.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾: إذا: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث، قيل: القائل مبني للمجهول، والمهم المقولة، لكم: اللام لام

الاختصاص؛ أي: لكم خاصة، تفسحوا في المجالس: إذا طلب منكم التوسع في المجالس، مجالس العلم أو المساجد وغيرها، فليوسع أحدكم للآخر، وتفسحوا فيها معنى الجهد والمشقة والتكلف، وليس مجرد الفسح؛ أي: لا يشغل أحدكم مكان اثنين أو أكثر مما يحتاجه ليوسع لأخيه حتى يصلي أو يجلس، فافسحوا: الفاء رابطة لجواب الشرط.

﴿يَفْسَحُ اللَّهُ لَكُمْ﴾: في الرزق أو صدوركم؛ أي: يوسع صبركم أو في العلم وأبواب الخير، فالمكان ليس ملكاً له وإنما لكم، ويجلس حيث انتهى به المجلس، ولا يترك بينه وبين جاره فسحة.

﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُرُوا فَانْشُرُوا﴾: وإذا: شرطية ظرفية تفيد حتمية الحدوث.

انشروا: أي طلب من أحد أو بعض الجالسين في المجلس بأن ينهضوا من أماكنهم ليجلس أهل الفضل والدين والعلم، فليقوموا.

انشروا: أي انهضوا من أماكنكم أو تقدّموا قليلاً أو غيروا أماكنكم أو قوموا من أماكنكم حتى يجلس غيركم بعد انتهاء الدرس أو الجمعة للتوسعة على الآخرين.

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾: في الدنيا بالنصر والمنزلة والكرامة والعزة، وفي الآخرة يرفعهم درجات في الجنة، وفي الآية حث وترغيب في طلب العلم الشرعي.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: خبير؛ أي: عليم ببواطن الأمور وما تخفي الصدور والنوايا، وما تقولوا في السر والنجوى والعلن، وما تفعلوه في السر والعلن من الإيمان والبر والإثم والعدوان.





سورة النور

سورة النور

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِ مُوَابِّينَ يَدَى نَجْوَتِكُمْ
صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
(١٢) ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى نَجْوَتِكُمْ صَدَقَتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا
وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا
غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَآهُمْ مِّنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّنْ نُّغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِّنَ اللَّهِ
شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ
اللَّهُ جَمِيعًا فِي حُلُوفٍ لَهُ، كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ءَلَا
إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ
اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ءَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ
(١٩) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾
كُتِبَ اللَّهُ لَا غَلْبَ أَنا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾



سورة المجادلة [الآيات ١٢ - ٢١]

[١٢] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَتِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَظْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

سبب النزول: عن ابن عباس قال: إن المسلمين أكثروا الأسئلة على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله تعالى أن يخفف عن نبيه فأنزل هذه الآية، فلما نزلت كفَّ بعض الناس عن سؤاله. وقيل: نزلت هذه الآية في الأغنياء الذين كانوا يكثرُونَ الأسئلة على رسول الله ويطلون الجلوس بين يديه، وكان ﷺ يصاب بحرج من ذلك.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ﴾: نداء جديد إلى الذين آمنوا بتكليف جديد هو: إذا أردتم الحديث مع رسول الله أو مسارَّته في أمر من الأمور الخاصة بكم.

﴿إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ﴾: إذا شرطية ظرفية.

ناجيتهم: ارجع إلى الآية (٤) لمعرفة معنى النجوى.

﴿فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَتِكُمْ صَدَقَةٌ﴾: فقدّموا قبل المناجاة صدقة للفقراء؛ لتعظيم رسول الله ﷺ وانتفاع الفقراء والنهي عن الإفراط في الأسئلة، ولم يُبين مقدار هذه الصدقة.



﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾: ذلك: اسم إشارة، والمشار إليه أو المخاطب واحد، ولم يقل (ذلك)؛ لأنه للجمع، أو التوكيد في الحكم، كما في الظهار والطلاق في الآية (٣)؛ أي تقديم الصدقة قبل النجوى، خير لكم: لما فيه طاعة الله وامتنال أوامره في الدين، وأطهر: لأن الصدقة طهرة، أو لعل الصدقة تطهر مساراتكم أو نجواكم إذا حدث خلل أو مضايقة، وأطهر لأنفسكم من البخل والشح وحب المال.

﴿فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط؛ إن: تفيد الاحتمال أو القلة؛ لم: نافية؛ تجدوا صدقة.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لا حرج ولا جناح عليكم وبدون صدقة؛ لأن المأمور بتقديم الصدقة هو الغني القادر، ثم رفع الحكم في الآية (١٣) من نفس السورة، فإن: للتوكيد، غفور: لمن تاب وآمن وعمل صالحاً مهما كانت ذنوبه عددها ونوعها، رحيم: بتأخير العذاب عنه وكثير المغفرة، رحيم بعباده المؤمنين.

[١٣] ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَتِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾: الهمزة همزة استفهام تقريرية وتعجب.

الإشفاق: الخوف مع الحذر والشعور بالعطف والتعظيم.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدرية يفيد التعليل، وأن تفيد الاستقبال.

﴿تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَتِكُمْ صَدَقَاتٍ﴾: أي أخفتم أو حذرتم أن تتصدقوا قبل

مناجاة الرسول.



﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾: إذ حرف زمانى للماضى أو المستقبل وشرطية، لم: للنفي، تفعلوا: ما أمرتم به وشق عليكم تقديم الصدقات أو فعل ما أمركم الله تعالى به، وهذا يعتبر نوعاً من مخالفة الأمر ويحتاج إلى توبة.

﴿فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ﴾: الفاء للتوكيد، أقيموا الصلاة: أي أدوها في أوقاتها وأركانها وشروطها، وطهارتها وسننها وآدابها والمداومة عليها.

﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾: الواجبة في أموالكم.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: فيما أمرا به أو نهاها عنه، فذلك يكفي عوضاً عن الصدقة؛ ارجع إلى سورة آل عمران آية (٣٢)، وسورة النساء آية (٥٩) لمعرفة الفرق بين أطيعوا الله ورسوله، وبين أطيعوا الله وأطيعوا الرسول.

﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ يِمَّا تَعْمَلُونَ﴾: أي يعلم بواطن الأمور ما تخفي الصدور فيما يتعلق بالإشفاق في تقديم الصدقات وغيرها، وخبير بما تقولون وتفعلون، وقدم خبير على ما تعلمون؛ لأن السياق في تقديم الصدقات، والإشفاق: هو عمل قلبي والله وحده يعلم به وبما تكن الصدور.

وقيل: كان بين نزول الآية (١٢) وهي قوله: ﴿إِذَا نَجَّيْتُ الرَّسُولَ فَقَدْ مَوَّاهُ بَيْنَ يَدَيَّ نَجَوْنَكُم مِّنْ صَدَقَةٍ﴾، وبين نزول الآية (١٣) وهي: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ عشر ليال.

وقال مجاهد: لما نهوا عن المناجاة، فلم يناجيه إلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه تصدق بدينار وناجاه، ثم نزلت الرخصة فكان علي يقول: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولم يعمل بها أحد بعدي وهي آية المناجاة.



[١٤] ﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: ارجع إلى الآية (٧) السابقة.

﴿إِلَى الَّذِينَ﴾: اسم موصول تفيد الذم، وتعني المنافقين.

﴿تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: قوماً: أي اليهود، تولَّوا: من الموالاة وتعني: المودة والمحبة والعون والنصرة؛ أي: أحببهم ومددوا إليهم يد العون والنصرة ونقل أسرار المؤمنين إليهم.

﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾: ما النافية، هم: (أي المنافقين)، منكم: (من المؤمنين) ولا: للنفي، منهم؛ أي: من اليهود، وتكرار أداة النفي (لا) يفيد التوكيد.

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾: من خصوصيات القرآن هناك فرق بين: يحلفون بالله وأقسموا بالله، الحلف يأتي في سياق الكذب، والقسم يأتي في سياق الصدق، أو يقسم على أمر يظنه صحيحاً وهو خطأ، ويصدق فيما يظنه، أو يحلفه أو يقوله لو كان على غير الحق. ارجع إلى سورة التوبة آية (٥٦) لمزيد من البيان. أي يحلفون على الكذب: أنهم مسلمون أو مؤمنون، أو أنهم معكم ولم ينقلوا أسرار المؤمنين إلى اليهود.

يحلفون على الكذب: على تفيد الاستعلاء والمشقة، فكانهم جعلوا الكذب مطية لهم فاستقروا واستقروا عليها، أو الكذب أصبح من سماتهم التي تعلقوا على وجوههم واستمروا عليه.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: أنهم كاذبون في أيمانهم.

[١٥] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿أَعَدَّ اللَّهُ﴾: هيأ وجّهز.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، وتقديم (لهم) يفيد الحصر، لهم تعني: المنافقين.

﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾: في الدرك الأسفل من النار.

﴿إِنَّهُمْ سَاءَ﴾: إنهم للتوكيد، ساء: من أفعال الذم والتقييح.

﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: ما: اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية، ولكنها أكثر شمولاً، ساء ما كانوا في الدنيا يعملون: (تشمل الأقوال والأفعال).

[١٦] ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾:

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾: جعلوا، صيروا، أيمانهم: (جمع يمين) هو الحلف أو

القسم.

جنة: وقاية وسترة على أنفسهم من المؤاخذه، أو وقاية من القتل والنّبذ ووقاية على أموالهم وأهلهم من العقاب؛ أي: يستترون وراء أيمانهم من العقاب وأذى المسلمين.

﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الفاء للتوكيد، صدوا: الناس عن الدخول في

دين الله تعالى، أو الهداية إلى الصراط المستقيم.



﴿فَلَهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، لهم: خاصة، اللام لام الاختصاص والاستحقاق.
 ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: توكيد آخر ووعيد ثان، في الآية (١٥): عذاب شديد، وفي
 هذه: عذاب مهين؛ أي: هو عذاب فيه ذلّة وفضيحة على مرآى من الناس.

[١٧] ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ﴾:

﴿لَنْ﴾: أداة نفى للمستقبل القريب أو البعيد في الدنيا والآخرة.
 ﴿تُغْنِي عَنْهُمْ﴾: أي لن تنفعهم أو تدفع عنهم العذاب.
 ﴿أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾: تكرار (لا) يفيد التوكيد، توكيد النفي ونفي كل على
 حدة لا الأموال وحدها ولا الأولاد ولا كلاهما معاً.
 ﴿مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾: من استغرافية، شيئاً: ولو أقل القليل، شيئاً: نكرة، أي
 شيء مهما كان قليلاً أو كثيراً أو مهما كان نوعه.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد ويفيد التحقير والذم.
 ﴿أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: أي ملازمون لها لا يفارقونها ولا تفارقهم.
 ارجع إلى الآية (٣٩) من سورة البقرة.

[١٨] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْطِفُونَ لَهُ، كَمَا يَحْطِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ
 الْكَذِبُونَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: البعث أو القيامة، والتنكير يفيد التعظيم والتهويل.

﴿يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾: من قبورهم؛ أي: المنافقين ويحشرهم يوم القيامة أولهم وآخرهم.

﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾: لله تعالى في الآخرة على أنهم ما كانوا منافقين، أو ما ينسب إليهم من إثم وسيئات.

﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾: الكاف للتشبيه، لكم أيها المؤمنون الآن في دار الدنيا: أنهم لمنكم وماهم منكم، أو ما قالوا كلمة الكفر، وما كفروا بعد إسلامهم... وغيرها.

﴿وَيَحْسُبُونَ﴾: من حسب: وهو الظن الرجح؛ أي: يعتقدون.

﴿أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾: على شيء من الإيمان أو شيء من الحق، أو يعتقدون أن أيمانهم لكم تنفعهم عند الله تعالى كما كانت تنفعهم في الدنيا، شيء: نكرة، تعني: أي شيء مهما كان نوعه، والشيء: هو أقل القليل سواء أكان حسياً (مادياً)، أم معنوياً.

﴿أَلَا﴾: أداة للتنبيه والتوبيخ.

﴿إِنَّهُمْ هُمُ﴾: للتوكيد، وهم: لزيادة التوكيد.

﴿الْكَاذِبُونَ﴾: أي صفة الكذب أصبحت ثابتة عندهم لا تتغير.

[١٩] ﴿أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾:

﴿أَسْتَحْوِذَ﴾: من الحوذ، حاذ البعير؛ أي: ساقه سوقاً عنيفاً.



﴿أَسْتَحْذَرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ﴾: استولى عليهم الشيطان وأحاط بهم، وغلب على عقولهم فتركوا أوامر الله تعالى وأطاعوا الشيطان.

﴿فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾: أنساهم أن يذكروا الله بجميع الطرق وشتى الوسائل، بألسنتهم وبقلوبهم وبأعمالهم، وأنساهم الصلاة والقرآن والخوف من الله.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، ويفيد الذم والتحقير.

﴿حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾: الحزب يعني الجماعة من الناس اجتمعوا على منهج أو مبدأ فيه مصلحتهم أو فائدة لهم.

﴿أَلَا﴾: للتنبيه والتوبيخ.

﴿إِنْ﴾: للتوكيد.

﴿حِزْبَ الشَّيْطَانِ﴾: أتباعه وأولياءه وأنصاره.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿الْخَسِرُونَ﴾: لأنفسهم ولأهلهم، الخاسرون في الدنيا والآخرة. ارجع إلى سورة النساء آية (١١٩) لمزيد من البيان.

[٢٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ﴾: ارجع إلى الآية (٥) من السورة نفسها؛ للبيان.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، ويفيد الذم والتحقير.



﴿فِي الْأَذْلَيْنِ﴾: في ظرفية، الأذلين: جمع الأذل: وهو الأكثر ذلاً من كل ذليل، والأذل: الصغار والمهانة؛ أي: هم أذل خلق الله.

[٢١] ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَا غَلِبَ إِلَّا أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾:

﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾: قضى وحكم، أو كتب الله في اللوح المحفوظ أو أم الكتاب.

﴿لَا غَلِبَ﴾: بالحجة وبالقوة وكل أنواع الغلبة، واللام للتوكيد والنون لزيادة التوكيد؛ أي: لأغلبن الكفار (حذف ذكرهم استحقاراً لهم) أو لا يريد ذكرهم؛ لأنهم لا يستحقون الذكر.

﴿أَنَا وَرُسُلِي﴾: أنا: ضمير الشأن يفيد التفخيم، ورسلي: الأنبياء والرسل.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: ارجع إلى سورة الحديد آية (٢٥).



الجزء الثاني والعشرون

سورة الحشر ٥٩

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ
حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٩﴾

سورة الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ
لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ
حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ
فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ
فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ
الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾



سورة المجادلة [الآية ٢٢]

[٢٢] ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾:

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾: (هذا هو المفروض).

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ﴾: ارجع إلى سورة البقرة آية (٨) لمزيد من البيان. (يحبون ويوالون).

﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: حاد؛ أي: من عادى الله ورسوله وشاقهما ولو كانوا أقرباءهم مثل آبائهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، وهذا الزجر والنهي عن موالاته أعداء الله ورسوله ورد بلفظ الخبر.

﴿أُولَئِكَ﴾: تعود على الذين يؤمنون بالله ورسوله ولم يوادوا من حاد الله ورسوله، كتب في قلوبهم الإيمان: أي أثبتته وأقره في قلوبهم.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾: أي بالقرآن، وسمّاه روحاً وسمّى من نزل به الروح الأمين (أي جبريل)، كما قال تعالى في سورة الشورى آية (٥٢): ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾.

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي تنبع من تحتها الأنهار.



﴿خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾: ورضوان الله عليهم أعلى درجة من دخولهم الجنات.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد، تفيد المدح والتعظيم.

﴿حِزْبُ اللَّهِ﴾: حزب: ارجع إلى آية (١٩) من السورة نفسها؛ أي: أولياء الله وأنصاره.

﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾: ألا: للتنبيه والتوكيد.

﴿هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾: هم: ضمير فصل يفيد التوكيد، المفلحون: الناجون من النار والفائزون بالجنة، الفلاح: هو النفع الباقي ويُل الخير الدائم. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥) لمزيد من البيان في معنى (المفلحون).



الجزء الثاني والعشرون

سورة الحشر ٥٩

لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ
حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٩﴾

سورة الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾
هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ
لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ
حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ
فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِ الْمُؤْمِنِينَ
فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ
الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾



سورة الحشر [الآيات ١ - ٣]

ترتيبها في القرآن (٥٩) وترتيبها في النزول (١٠١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أسباب النزول: بعد أن انتصر المسلمون في غزوة بدر وعادوا إلى المدينة جاء بنو النضير (من يهود المدينة) رسول الله وعاهدوه على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه ويقيموا على الحياد، وبعد غزوة أحد أظهروا العداوة لرسول الله ﷺ، ونقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ بعد أن ذهب وفد من بني النضير إلى قريش في مكة، وكان كعب بن الأشرف رئيس الوفد، واجتمع كعب بزعيم قريش أبي سفيان، وعاد كعب إلى المدينة فأخبر الله سبحانه نبيه بما حصل، وأمر النبي بقتل كعب بن الأشرف، وأمر الرسول ﷺ المؤمنين بالمسير إلى بني النضير بعد أن قُتل كعب بن الأشرف، وأمرهم بالخروج والجلء عن المدينة المنورة فرفضوا، وانحاز المنافقون إلى جانب بني النضير وشجعوهم على ألا يخرجوا من ديارهم وعاهدوهم إن قاتلكم محمد وأصحابه لننصرنكم وإن خرجتم للقتال لنخرجن معكم، وحاولوا الغدر برسول الله ﷺ برئاسة عبد الله بن أبي بن سلول.

وحاصر الرسول ﷺ وأصحابه بني النضير (٢١) يوماً خلالها قذف الله سبحانه الرعب في قلوب بني النضير، ويئسوا من مساعدة المنافقين لهم، وسألوا رسول الله ﷺ الصلح، فقبل على شرط جلائهم عن المدينة بلا رجعة، فنزلت هذه الآيات تصف ما حدث.

[١] ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

ارجع إلى سورة الحديد الآية (١) للبيان في معنى سبّح لله ما في السموات... وهناك اختلاف بين الآيتين هو تكرار (ما في) مرتين، ففي سورة الصف والحشر قال تعالى: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بينما في سورة الحديد قال تعالى: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فقد تبين من مقارنة هذه الآيات إفادة ذكر (ما في) اسم الموصول وفي الظرفية قد يكون للتوكيد، أو هذا التكرار لوحظ أنه يصحبه عادة الكلام عن أهل الأرض كالجهاد أو القتال في سبيل الله مثلاً، أو يأتي في مقام التفصيل في البيان والآيات والشمول والاستغراق مثل الفرع والصعق والسجود الذي يشمل أهل الأرض والسموات، وعدم إعادة (ما) اسم الموصول يكون في مواطن الإجمال، أو للتخصيص لأن هناك أشياء ومخلوقات في السموات، ليست موجودة على الأرض أو بالعكس كالملائكة المقربين أو الحافين من حول العرش، حرف (ما) يشمل العاقل وغير العاقل، وهذا التحليل ينطبق للإعادة (ما في) أو إعادة (من في) في كل آيات القرآن.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنْهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنذَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾

﴿هو﴾: ضمير فصل يعود على الله سبحانه واجب الوجود.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: أي: بني النضير (من اليهود).

﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾: قرب المدينة على مسافة (٢) ميل من المدينة.

﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾: سُمِّيَ هذا الجلاء بأول حشر، أي: الحشر الأول، وأما

الحشر الثاني فقد قيل: كان بعد غزوة خيبر، أو ربما يكون يوم القيامة، واللام في كلمة لأول للتوقيت، كقوله تعالى: ﴿لَذُلُّوكَ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾: أيها المسلمون أن بني النضير يخرجون ويتركون ديارهم لغزتهم ومنعتهم، فقد كانوا أهل حصون ونخيل ومال.

﴿أَنْ يَخْرُجُوا﴾: أن للتعليل والتوكيد.

﴿وَطَنُوا أَنَّهُمْ مَانَعَتْهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾: وظنوا، أي: بنو النضير أن حصونهم تحميهم أو تقيهم من الله، أي: من بأس الله تعالى ونقمته؛ فتقدم الخبر (مانعتهم) على المبتدأ (حصونهم) يدل على شدة اعتمادهم حماية حصونهم لهم ونصرهم على المؤمنين.

﴿فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾: أي: جاءهم بأسه أو عذابه من حيث لم يخطر على بالهم لقوتهم أن يأتيهم من جهة محمد ﷺ وصحابته المؤمنين، وأنهم قادرون على حصارهم لمدة (٢١) يوماً.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: القذف الإلقاء بقوة، أي: ملأ قلوبهم رعباً، وخاصة بعد قتل سيدهم كعب بن الأشرف؛ والرعب: الاضطراب النفسي الناشئ عن أمر لم يكن متوقع أو منتظر، ويتمثل بمزيج من الخوف والشدة، ومحاولة الفرار، وإيجاد مخرج أو ملجأ.

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: لما أيقنوا بالجلاء، فقد كانوا يقلعون العمد والأبواب فيأخذونها معهم لكونها ثمينة، ولكي لا يسكن ديارهم أحد من المسلمين أو المؤمنين، فحاولوا تخريب منازلهم من الداخل وخرب المؤمنون ما تبقى من ديار بني النضير.

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾: اعتبروا مشتقة من العبرة، وهي الدلالة الموصلة إلى الحق والعبرة، الحالة التي يُعبر منها من منزلة الجهل إلى منزلة العلم بمقارنة

أو مساواة شيء مشاهد أو محسوس إلى الوصول إلى أمر لم يكن متوقع أو منتظر؛ يا أولي الأبصار، يا أصحاب العقول، أي: البصائر أو ذوي البصيرة، كيف أخرج الله سبحانه بني النضير من ديارهم وهزمهم على يد المؤمنين الذين لا زلت جراحهم تنزف دماً من الهزيمة في معركة أحد. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٣) لمزيد من البيان في أولي الأبصار.

[٣] ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُهمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾:

﴿وَلَوْلَا﴾: الواو استئنافية، لولا شرطية.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد.

﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾: كتب: قضى وحكم أو فرض، وكتب أبلغ من فرض عليهم الجلاء من المدينة، أي: الخروج الجماعي من المدينة مع الأهل والولد خوفاً، وهناك فرق بين الجلاء والإخراج؛ أما الإخراج: فهو الخروج الذي قد يكون لواحد أو جماعة مع بقاء الأهل والولد. والجلاء: يشمل الأهل والأولاد، والجلاء: مصدر لفعل جلا.

﴿لَعَذَّبُهمْ﴾: اللام لام التعليل والتوكيد واقعة في جواب الشرط.

﴿فِي الدُّنْيَا﴾: بالقتل والسبي والفقر والمرض أو غيرها.

﴿وَلَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾: أي: وإن نجوا من عذاب الدنيا بأن أجلوا من ديارهم من دون قتل وتشريد، فلن ينجوا في الآخرة من عذاب النار بسبب نقضهم ميثاقهم وعهودهم ومحاربتهم لرسول الله ﷺ.





سُورَةُ الْكَافِرَاتِ ٥٩

الْبَيْتُ الثَّانِي الْخَبِيرُ

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ^ط وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
 الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمْوهَا قَائِمَةً
 عَلَى أَصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ
 عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
 وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
 وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ
 دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا
 نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾
 لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
 يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ
 هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
 مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ
 وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

سورة الحشر [الآيات ٤ - ٩]

[٤] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، يشير إلى الجلاء الذي كتب عليهم والعذاب بأنهم شاقوا الله ورسوله.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء للإلصاق والتعليل.

﴿شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: شاقوا من المشاقة والمشتقة من الشق، أي: بني النضير في شق ورسول الله ﷺ والمؤمنين في شق آخر، خالفوا الله وعادوا الله ورسوله.

﴿وَمَنْ﴾: شرطية استغراقية.

﴿يُشَاقِ اللَّهَ﴾: يعادي ويخالف الله سبحانه، يشاق ولم يقل: ورسوله؛ لأن مشاقة الرسول هي مشاقة لله، ولم يفك إدغام يشاق ويقل: يشاق؛ لأنه سبحانه لم يذكر الرسول مرة أخرى ولو ذكره لفك الإدغام. ارجع إلى الأنفال آية (١٣) للبيان والمقارنة.

﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة إن للتوكيد، العقاب: هو الجزاء على العمل عقيب فعله.



[٥] ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ﴾:

أسباب النزول: كما أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر في أثناء حصار بني النضير قام بعض الصحابة بقطع بعض شجر النخل وإحراقه لإغاظة بني النضير، فقال بنو النضير: كيف ينهى محمد عن الفساد في الأرض، ثم يأمر قومه بحرق النخل وقطعه. فنزلت هذه الآية تُبيح عمل بعض الصحابة، ولا إثم عليهم وكل شيء قطعوه أم لم يقطعوه كان بإذن الله.

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾: ما: النافية، قطعتم: قطع كامل أو بعض الأغصان.

من: ابتدائية بعضية، لينة: نخلة شجرة نخل وجمعها أليان، واختيار لينة بدلاً من نخلة؛ لأن لينة تعني: كرام النخل أو نوع من النخل غنية بثمرها ولثمرها ألوان مختلفة واحداها لون أو لينة.

﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾: أي: لم تقطعوها وتركتموها قائمة على سوقها وجذورها.

﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾: فبأمر الله تعالى.

﴿وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ﴾: أي: الإذن بالقطع، ليخزي: اللام للتعليل، الفاسقين على فسقهم، والخزي هو ذل لهم وفضيحة، أخبر جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ بذلك الحكم، أي: لا إثم عليه ولا على المؤمنين. والفاسقين: جمع فاسق، وهو الخارج عن الدين، أو متعدي لحدود الله ورسوله. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٦) لمزيد من البيان.

[٦] ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾: وما: الواو: عاطفة على ما قطعتم من لينة؛ ما: شرطية، أفاء: أي: ما أعطى الله رسوله ﷺ من فيء بني النضير (غنائم بني النضير) هو خاص به، ولا شيء لكم منه، فالأمر لله تعالى يعطي أو يقسم الفيء، كما يشاء الله، فهذه أموال لم تأخذونها بالقتال أو الحرب.

أما الفرق بين الفيء والأنفال: فالفيء هي الغنائم التي تؤخذ من العدو من دون قتال؛ كأن يفر العدو من أرض المعركة تاركاً وراءه غنائم أو أسلحة أو أموال أو كان نتيجة عقد صلح وسلام، أما الأنفال: فهي الغنائم التي تؤخذ من العدو بقتال وحرب. ارجع إلى سورة الأنفال آية (١) للبيان.

﴿فَمَا﴾: الفاء للتوكيد.

﴿أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾: الإيجاف الإسراع في السير، أي: ما أسرعتم بالمشير إليه بالركوب، الركاب: ما يُركب من الإبل أو السيارات أو وسائل النقل الحديثة. أي: لم تقاتلوا عدواً من أجله أو تبدلوا جهداً للحصول عليه.

﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿اللَّهُ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾: رسله محمد ﷺ على من يشاء من أعدائه، ورسله قد تعني أيضاً ملائكته فيقذفون الرعب في قلوب أعداء الله تعالى.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي: يمنح هذه الغنائم لمن يشاء تارة بحرب،



وتارة من دون حرب، فهو على كل شيء قدير. ارجع إلى الآية (١) من سورة التغابن للبيان.

أي: هذه الغنائم من بني النضير أخذت منهم قهراً وعنوة، ومن دون قتال فلم يعط الأنصار نصيباً منها حيث طلبوا قسمة تلك الغنائم، ولكن رسول الله ﷺ أعطى هذه الأموال للمهاجرين، وقسمها حسب ما أوحى إليه ربه، ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة نفر منهم.

[٧] ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِرَسُولٍ فَتُخَذُوا بِمَوَاهِبِكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾:

﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ ﴾: ما: اسم شرط جازم، ولم يسبقها واواً كما في الآية السابقة (٦)؛ لأن الكلام استئناف، أو هذه الآية ليس لها علاقة بما سبق؛ فهي حكم جديد في أمر النبي؛ فقد كان البيان الأول: ما أفاء الله على رسوله منهم (هذا أمر خاص ببني النضير).

أما البيان الثاني: فهو بيان عام يشمل كل الكفار والأعداء وهو ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى كافة التي تفتح من دون قتال أو حرب (قرى الكفار عامة).

فهي توزع كما يلي (١/ ٥) خمس هذه الغنائم هي لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل.

أما الأربعة أحماس الأخرى (٥ / ٤) فللفقراء الذين أخرجوا من ديارهم وأبنائهم؛ تعني: المهاجرين وبعض الفقراء خاصة.

﴿فَلِلَّهِ﴾: تعني: رسول الله ﷺ، وقيل: سهم الله للتعظيم أو يعني للرسول، ويصرف سهم الرسول بعد موته ﷺ على الإمام أو الجيش أو مصالح المسلمين، وسهم ذي القربى: يوزع على بني هاشم وبني عبد المطلب.

وسهم اليتامى: أطفال المسلمين الذين فقدوا آباءهم وهم فقراء.

وسهم المساكين: ذوي الحاجة من المسلمين.

وابن السبيل: المنقطع في سفره من المسلمين، وليس معه مال يرده إلى بلده.

﴿كَئِنْ لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾: دُولَة: بضم الدال وليس دُولَة، دُولَة: هي الحكومة أو الوطن، أما دُولَة فلكيلا يتداولها الأغنياء بينهم، أي: تقع في أيديهم.

﴿كَئِنْ﴾: للتعليل الحقيقي.

﴿لَا﴾: النافية.

كي لا يكون: الفاء أو الغنيمة، غنيمة للأغنياء منكم وهم ليسوا بحاجة إليه.

﴿مِنْكُمْ﴾: خاصة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ الرُّسُولَ فَتُخَذَّوْهُ﴾: من مال أو غنيمة أو فية، وما أمركم به الرسول فافعلوه.



﴿وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأَنهَوْا﴾: وما أمركم بتركه والابتعاد عنه فاجتنبوه؛ لأنه ﷺ
﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

وطاعته ﷺ هي طاعة لله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

يتبين أن رسول الله ﷺ أعطي حق التشريع.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: امثلوا أوامر الله وتجنبوا نواهيه، فبذلك تتقوا سخطه
وغضبه وناره.

﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: إن للتوكيد، شديد العقاب: لمن عصاه وتعدي
حدوده.

[٨] ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾: اللام لام الاستحقاق والملكية، للفقراء المهاجرين:
الأربعة أخماس الباقية من الغنائم.

وتبدو هذه الآية إجابة على سؤال حين سُئل بما أن الخمس (١/٥) يصرف
لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فلمن تصرف
الأربعة أخماس الباقية من الغنائم، فجاء الرد الإلهي للفقراء والمهاجرين.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾: أي: أخرجوهم كفار مكة وأخذوا
أموالهم وتركوا ديارهم ومتاعهم حين خرجوا من مكة إلى المدينة مهاجرين.

﴿أُخْرِجُوا﴾: رغماً عن إرادتهم وقسراً وقهراً، ولم يقل: خرجوا: أي:
بإرادتهم ورغبتهم.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾: يطلبون أو يلتمسون فضلاً من الله: الفضل هو الزيادة عما يستحق العبد من الأجر والثواب على ما يقدمه من أعمال صالحة، والفضل ليس بواجب لأحد، ولكن الله يتفضل على من يشاء من دون سبب وأعظم الفضل التوفيق ورؤية وجهه الكريم في الجنة.

﴿وَرِضْوَانًا﴾: رضوان الله هو أكبر من الجنة والمساكن الطيبة والنعيم كما قال تعالى في سورة التوبة آية (٧٢): ﴿فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾. والرضا هو اطمئنان القلب إلى أمر فيه نفع. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٥) لمزيد من البيان في الرضوان.

﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: من النصرة، وهي تقديم المعونة الخاصة للأنبياء والرسل للنصرة على أعدائهم ولنصرة هذا الدين وإعلاء كلمة الله تعالى.

أما الفرق بين المعونة والنصرة، فالمعونة عامة والنصرة خاصة تكون بالجهاد والمال، وغيرها من الوسائل.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾: أولئك اسم إشارة واللام للبعد تفيد المدح. هم: ضمير فصل يفيد التوكيد.

الصادقون: في أقوالهم وأفعالهم وإيمانهم ونصرتهم لله ورسوله قرنوا الإيمان بالعمل الصالح، والصادقون صفة ثابتة لا تتغير فيهم.

وإذا قارنا هذه الآية (٨) من سورة الحشر ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾: والآية (٢٧٣) من سورة البقرة ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾.



نجد أن آية الحشر جاءت في سياق الفيء وتقسيم الغنيمة، وأما آية البقرة فجاءت في سياق الصدقة.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: الذين: أي: الأنصار الذين سكنوا المدينة من قبل المهاجرين، تبوءوا الدار: سكنوا المدينة، والإيمان: الإيمان ليس بمكان يتبوء فكيف عطف الإيمان على الدار؛ لأن الإيمان هو اعتقاد أو عقيدة فكأنه شبه الإيمان بمنزل أو مسكن آخر لهم فأصبح لهم منزلين وفي هذا مدح للأنصار فهم سكنوا المدينة والإيمان سكن في قلوبهم بعد إسلامهم. ارجع إلى سورة يونس آية (٨٧) لمزيد من البيان في معنى تبوء.

﴿يُحْجُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾: من مكة أو غيرها من سائر المدن، ومن هاجر إليهم من المؤمنين.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾: ولا يجدون في صدورهم في أنفسهم حاجة، أي: حسداً ولا غيظاً مما أعطي المهاجرون من الفيء أو الغنيمة. ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾: من الإيثار وهو تقديم مصلحة الغير على النفس بأموالهم ومنازلهم، أي: يقدمون المهاجرين على أنفسهم أو يؤثرون المهاجرين على أنفسهم في المال والمتاع.

﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾: الخصاصة الفقر والحاجة وسوء الحال.



﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾: من شرطية، يوق شح نفسه: يحمي نفسه من الشح، والشح: هو أشد البخل مع الحرص الشديد على المال ومنع الخير وكأنه جُبِلَ عليه.

فمن كفاه الله البخل والإفراط في الحرص على المال، فأدَّى ما أوجبه الشرع عليه من زكاة وصدقة.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿الْمُفْلِحُونَ﴾: أي: هؤلاء في طليعة المفلحين يوم القيامة، المفلحون: المدركون أمانيتهم، أي: الفائزون بالجنة والناجون من النار والمدركون لأمانيتهم. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥) لمزيد من البيان في معنى الفلاح.



سورة النازعات

سورة النازعات ٥٩



وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا
غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى
الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ
أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ
وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾
لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُوْنَ ﴿١٣﴾ لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ
مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ
جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾
كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ
قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

سورة الحشر [الآيات ١٠ - ١٦]

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: أي: من بعد المهاجرين والأنصار في الزمان وهم التابعون، أو قد تعني: ليس فقط التابعون لهم في حقبة معينة من الزمن، بل الإيمان أي: من آمن بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا﴾: اغفر لنا ذنوبنا ويقولون تدل على التجدد والتكرار.

﴿وَلِإِخْوَانِنَا﴾: واغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان (من المهاجرين والأنصار).

﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾: حقدًا أو حسدًا لما أتاهم الله سبحانه في المنزلة والحظ في الآخرة.

﴿رَبَّنَا﴾: تكرر ربنا يفيد التوكيد والتقرب من الله تعالى.

﴿إِنَّكَ﴾: للتوكيد.

﴿رَءُوفٌ﴾: الرأفة أخص من الرحمة وأشد، وتكون للمؤمنين خاصة.



﴿رَجِمَ﴾: بعباده المؤمنين - دائم الرحمة - وقيهم السيئات والضّر ويجلب لهم ما يسر.

[١١] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أَخْرَجَتُمُ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتعجب.

﴿تَرَ﴾ رؤية قلبية فكرية.

﴿إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾: من قريش، أي: أظهروا الإيمان بألسنتهم وأخفوا كفرهم في قلوبهم أمثال عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه.

ارجع إلى سورة المنافقون آية (١) لمزيد من البيان.

﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: (اليهود من بني النضير وقرينة).

﴿لَئِنْ﴾: اللام للتوكيد، إن أخرجتم: من المدينة، إن شرطية تفيد الاحتمال أو الشك.

﴿لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ﴾: اللام والنون في يخرجن للتوكيد، أي: لنن أخرجتم من المدينة لنخرجن معكم.

﴿وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾: ولا نطيع في قتالكم أحداً أبداً مثل رسول الله ﷺ

والمسلمين، أو لا نطيع في خذلانكم أحداً أو مخالفة ما وعدناكم من الولاء والنصرة.

﴿وَأِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾: إن شرطية، تفيد ندرة الحدوث، أو الاحتمال، أو الشك، قوتلتهم: قاتلكم أحد لننصرنكم، واللام والنون في لننصرنكم للتوكيد. ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: إن واللام في لكاذبون للتوكيد، إنهم لكاذبون في وعودهم لبني النضير بالخروج معهم أو القتال معهم ونصرتهم.

[١٢] ﴿لَيْنَ أَخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَيْنَ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَيْنَ نَصْرُوهُمْ لِيُوَلِّيَنَّكَ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصْرَبْ﴾:

﴿لَيْنَ﴾: اللام للتوكيد، إن شرطية تفيد الشك أو الاحتمال.

﴿أَخْرِجُوا﴾: من ديارهم أو أجلوا عن المدينة أو غيرها من المدن، أو القرى.

﴿لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾: لا النافية يخرجون معهم كما وعدوهم.

﴿وَلَيْنَ﴾: مثل السابقة.

﴿وَلَيْنَ قُوتِلُوا﴾: من قبل المسلمين أو غيرهم لا ينصرونهم كما وعدوهم.

﴿وَلَيْنَ نَصْرُوهُمْ﴾: يعني: ولئن نصرنا بني النضير.

﴿لِيُوَلِّيَنَّكَ الْأَدْبَرَ﴾: ليفرّون هاربين مهزومين معهم، وتكرار لئن للتوكيد

ولفصل كل واحد من هذه الاحتمالات على حدة.



﴿ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾: ثم للتراخي من الزمن، أي: لا ينصرون الآن، ولا في المستقبل مهما طال، وفي هذا وعد للمؤمنين بالنصر على الكافرين والمنافقين.

[١٣] ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنْهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾:

﴿لَأَنْتُمْ﴾: اللام لام الاختصاص للتوكيد، أنتم أيها المؤمنون.

﴿أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾: أشد رهبة في صدورهم (أي: في قلوب المنافقين) من الله، والرهبة: هي الخوف والحذر، أي: يخافونكم ويخشونكم ويحذرونكم أكثر مما يخافون الله ويحذرونه ويخشونه.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلى الرهبة.

﴿بِأَنْهُمْ﴾: الباء للإلصاق والملازمة.

﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾: الفقه: الفهم لا يفهمون. والفقه اصطلاحاً: معرفة الأحكام الشرعية، وإدراك المعاني والأسرار الخفية في كلام الله تعالى؛ فهم لا يفقهون؛ لأنهم خافوا منكم لشعورهم بالضعف، ولم يخافوا الله سبحانه القهار والجبار؛ أي: خافوا الظاهر، ولم يخافوا ما وراءه وهو الله سبحانه؛ ارجع إلى سورة النساء آية (٧٨) لمزيد من البيان في يفقهون.

ووصفهم في الآية (١١) ﴿كَكَاذِبُونَ﴾.

ووصفهم في الآية (١٤) ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾.

فهم لا يفقهون ولا يعقلون إضافة إلى كونهم يكذبون.

[١٤] ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾:

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾: لا: النافية، يقاتلونكم: أضاف النون للتوكيد أصلها لا يقاتلوكم، أي: اليهود والمنافقون.

﴿جَمِيعًا﴾: أي: لا يقاتلونكم حين تكونون مجتمعين موحدين تحت راية واحدة، ولكن يقاتلونكم حين تكونون متفرقين.

﴿إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ﴾: إلا: أداة حصر، في قرى محصنة: أي: حين يكونوا قد تحصنوا في حصونهم وقلاعهم وخنادقهم، أو قرى محصنة بنوع جديد من التحصن، وهو زرع البطاريات المضادة للصواريخ أو القبة الحديدية.

﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾: ببناء الجدر العازلة بين المدن أو على الحدود.

﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾: البأس الحرب بينهم، شديد: أي: إذا قاتلوا بعضهم بعضاً يقاتلون بشدة.

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾: تحسبهم من الحسب، وهو الظن الرَّاجح، تظنون ظناً راجحاً أنهم موحدون متفقون في الظاهر.

﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾: قلوبهم متفرقة لاختلاف عقائدهم ونواياهم ومقاصدهم، أي: في الباطن متفرقون ومختلفون، وفي الظاهر أو العلن موحدون.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة إلى تفرقهم وبأسهم بينهم شديد.



﴿يَأْتُهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾: الباء: للإلصاق والملازمة، لا يعقلون: لا يفكرون فيما فيه صلاحهم وعاقبة أمرهم ولا يدركون الحق؛ لا يعقلون: لأن قلوبهم متفرقة (شتى)، ولو عقلوا وأدركوا الحق لما قاتلوكم، وأصابهم ما أصابهم.

[١٥] ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: الكاف للتشبيه، الذين: اسم موصول، من قبلهم: من تدل على الزمن القريب (أي: من زمن قريب).

أي: مثل بني النضير والمناققين كمثل الذين من قبلهم قد يكونون بني قريظة أو بني قينقاع أو كفار قريش يوم بدر في خيانة اليهود ومحاربة الرسول ﷺ والغدر وعدم الإيمان.

﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ﴾: ذاقوا سوء عاقبة كفرهم وتخاذلهم وعدم الوفاء بعهودهم، والوبال: في الأصل: من البول، ويعني: الشدة والثقل والوخامة، ثم استعير ليمثل سوء عاقبتهم ووبل المرتع وبالاً: كثر فيه البول ووخم فيه الرائحة الوسخة. وذكرت كلمة وَبَالَ في القرآن في (٤) سور: المائدة آية (٩٥) والحشر آية (١٥) والتغابن آية (٥) والطلاق آية (٩).

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الآخرة.

[١٦] ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ
اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾: الكاف للتشبيه، كمثل الشيطان: أي: مثل المنافقين فيما
صنعوا، مع بني النضير في إغرائهم على القتال معهم ونصرتهم والخروج معهم.
﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ﴾: أي: أغراه ووسوس إليه وزين له
الكفر.

﴿فَلَمَّا كَفَرَ﴾: أي: استجاب للشيطان.

﴿قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾: تبرؤ الشيطان فيه مخافة أن يشاركه في العذاب.
﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾: جمع خوفين خوف من الألوهية، وخوف من
الربوبية. ارجع إلى سورة الأنفال آية (٤٨) لمزيد من البيان.



سورة النازعات

سورة النازعات

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ
 الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ
 نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
 ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ
 هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ
 الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَاهَا
 الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ
 اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
 ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
 هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ
 الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
 ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ
 يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سورة النازعات

النازعات

النازعات

سورة الحشر [الآيات ١٧ - ٢٤]

[١٧] ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿فَكَانَ﴾ الفاء استئنافية، كان: تشمل كل الأزمنة ومنها المستقبل.

﴿عَاقِبَتُهُمَا﴾: الشيطان والإنسان.

﴿أَنَّهُمَا﴾: للتوكيد.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: خلود يبدأ من زمن دخولهم إليها وبلا نهاية.

﴿وَذَلِكَ﴾: الواو للتوكيد، ذلك: اسم إشارة يشير إلى العذاب والخلود في

النار.

﴿جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾: الجزاء على العمل والجزاء يكون في الخير والشر

وأما الأجر يكون عادة في الخير، الظالمين: الكافرين والمشركين.

[١٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا بتكليف وأمر جديد بتقوى الله.

﴿يَا أَيُّهَا﴾: الياء النداء وللبعد والهاء للتنبيه.



﴿الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾: التَّقَوَّى هي امتثال أوامر الله وطاعته، وتجنب نواهيه؛ لكي نتقي سخطه وغضبه وناره.

﴿وَلَتَنْظُرَنَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾: الواو عاطفة، واللام لام الأمر أو التوكيد.
﴿نَفْسٌ﴾: ١ - جاءت بصيغة التَّنْكِير تعني: أي نفس مثقلة بالذنوب أو زكية أو مطمئنة أو غيرها.

ونفس تشير إلى القلة، أي: الأنفس النواظر لغد قلة.
﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾: ما بمعنى الذي أو مصدرية، (وما) أوسع شمولاً من الذي.
قَدَّمَتْ: أحضرت أو عملت من الأعمال الصالحة ليوم حسابها.
﴿لِغَدٍ﴾: اللام لام التوقيت وغد يعني: يوم القيامة وجاء بصيغة التَّنْكِير للتهويل والتعظيم، ولقرب يوم القيامة، وتحقيق وقوعه اعتبره الغد، أي: اليوم الذي يلي اليوم الذي نحن فيه، أو أي: يوم في المستقبل قريباً أو بعيداً.
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: تكرار ذلك يعني: التَّوَكُّدَ والحُضَّصَ على التَّقَوَّى والاستقامة عليها.

﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: إن للتوكيد، خير: بواطن الأمور، ومخفيات الصدور، وقَدَّمْ خير على ما تعملون؛ لأنَّ السَّيَاق في التَّقَوَّى والتَّقَوَّى عمل قلبي لا يعلمه إلا الله تعالى. ولم يقل: إن الله بما تعملون خير.

[١٩] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو حرف عطف، لا: الناهية.

﴿تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾: نسوا طاعة الله وذكر الله، ونسوا الصلاة أو عبادة الله أو نسوا امتثال أوامره وتجنب نواهيه، أو نسوا حق الله عليهم.

﴿فَأَنسَهُمْ﴾: الفاء فاء السببية، أي: أنساهم أن يقدموا خيراً لأنفسهم وتركهم في شهواتهم وغيهم وضلالهم يعمهون، كما نسوا الله سبحانه وتعالى أنساهم أنفسهم باللهو واللعب وإضاعة الزمن والانشغال بتوافه الأمور والجدال أحياناً مع الناس من دون علم والتمتع والأكل كما تأكل الأنعام.

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلى الذين نسوا الله.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿الْفَاسِقُونَ﴾: أي: إذا كان هناك فاسقون فهم في المقدمة، والفسق هو الخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله.

ارجع إلى الآية (٢٦) من سورة البقرة لمزيد من البيان.

[٢٠] ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾:

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يَسْتَوِي﴾: في المنزلة والدرجة والفضل كل من أصحاب النار وأصحاب الجنة.

والآية تعني: لا يستوي أصحاب النار فهم في درجات مختلفة قيل: سبع دركات والدرك الأسفل للمنافقين، وقيل: هي جحيم وجهنم ولظى وسعير وسقر والحطمة والهاوية.



وأصحاب الجنة هم درجات، فقد قيل: إن الجنة (١٠٠) درجة وبين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض بُعداً.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾: إعادة كلمة أصحاب الجنة للتأكيد، وكلمة أصحاب مشتقة من الصَّحبة: الملازمة وعدم الفرقة والصداقة والمودة.

وقدَّم أصحاب النار على أصحاب الجنة؛ لأنَّ سياق الآيات في الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أو قدَّمها للتنبيه والتحذير، أو لكثرة عددهم.

[٢١] ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾:

﴿لَوْ﴾: حرف امتناع لامتناع، امتنع نزول القرآن على جبل لامتناع رؤية الجبل خاشعاً متصدعاً.

﴿أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾: ولو أنزل هذا القرآن على جبل وحصل ذلك لرأيت خاشعاً؛ الخشوع والذل والانكسار، وتظهر آثاره في القلب والسمع والبصر والصوت متصدعاً من خشية الله تعالى، أو من خشية القرآن، والخشية: هي الخوف المقرون بالتعظيم، والعلم فيمن تخشاه؛ لأنَّ القرآن كلام الله تعالى أو يتصدع من كلام الله فإذا تصدع من كلام الله، فكيف إذا تجلَّى الرَّبَّ سبحانه للجبل، كما حصل حين طلب موسى ذلك، فقد جعله دكاً وخرَّ موسى صعقاً؟

وأنت أيها الإنسان أنزل إليك القرآن، فلا يخشع له قلبك، ولا يقشعر له جلدك، ولا تتأثر به حين يُتلى عليك أو تتلوه بنفسك.



فلو أنزل هذا القرآن على الجبل الجامد الذي يزن ملايين الأطنان يلين ويتصدع وأنت هجرته وراء ظهره وهذا توبيخ لهؤلاء الذين لا يقرؤون ولا يتأثرون به؛ مما يدل على أن قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة.

﴿وَتِلْكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿الْأَمْثَلُ نُصْرِهَا لِلنَّاسِ﴾: مثل إنزال القرآن على جبل.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعل للتعليل.

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: ينظرون في الآيات والدلائل، فإذا تفكروا وتدبروا فسوف يصلون إلى النتيجة أن الله هو الإله الحق واجب الوجود المستحق للعبادة وحده. وقيل: ضرب الأمثال لإزالة الغموض.

[٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر.

﴿اللَّهُ﴾: هو علم على الذات الواجب الوجود، الإله الحق لا إله إلا هو المستحق العبودية وحده، لا شريك له في الملك، والخلق، فهو مالك الملك وإليه يرجع الأمر كله في الأولى والآخرة، والله: الاسم الجامع لجميع صفات الكمال والجامع للأسماء الحسنى تفرّد به سبحانه واختصه لنفسه، وقدمه على سائر الأسماء الحسنى، ليس كمثله شيء لا مثيل ولا نظير ولا صاحبة ولا ولد ولا شريك.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد الكمال والتعظيم.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا إله: تفيد النفي، إلا هو: تفيد الإثبات أو توكيد النفي.



ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥٥) لمزيد من البيان.

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: عالم الغيب: أي: عالم ما غاب عن المدركات والحواس واستتر، عنده علم الساعة ويعلم ما في السموات والأرض والبر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس إلا يعلمها، وما يعزب عنه من مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، يعلم ما في الأرحام وما تخفي الصدور ويعلم ما تكسب كل نفس وبأي أرض تموت والسر والتجوى.

﴿وَالشَّهَادَةِ﴾: عالم ما يشاهد بالمدركات والحواس، وما يجري في كونه وما يعلمه خلقه وهو اللطيف الخبير.

﴿هُوَ﴾: تكرر هو للتوكيد والحصر.

﴿الرَّحْمَنُ﴾: هو من شملت رحمته جميع الكائنات في الدنيا بما في ذلك المؤمن والكافر والمطيع والعاصي والحيوان والنبات، صيغة مبالغة من الرحمة على وزن فعلان تفيد التجدد والتكرار.

﴿الرَّحِيمُ﴾: رحيم بعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، على وزن فعيل تفيد الثبوت، فالله سبحانه جمع بين الصفتين حتى يظن أحد أن رحمته قد تزول أو تنقطع، فهي رحمة ثابتة ومتجددة ومتكررة في الدنيا.

ارجع إلى سورة الفاتحة الآية (٢) لمزيد من البيان.

[٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ
الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:
﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿الْمَلِكُ﴾: الحاكم ومشتقة من التملك، أي: المالك فهو يملك السموات والأرض، ومن فيهن، وهو ملك الملوك فهو الملك الحقيقي؛ لأنه مالك الملك له ما في السموات وما في الأرض، له وحده، وما يملكه البشر وغيرهم هو استخلاف ومُلك مؤقت زائل.

﴿الْقُدُّوسُ﴾: الطاهر المنزه من العيوب وكل ما لا يليق به، المبالغ في التنزيه والكمال، منزه عن كل ما تحيط به العقول أو يتصوره الخيال ومنزه عن كل وصف يدركه الحس، وتقديس في اللغة تطهّر، والتقديس هو التطهير والقدس الطهر، ويعني: التطهير والبركة وأعظم تقديس قدس الله سبحانه ذاته عن اتخاذ الصاحبة والولد والشريك والند والتقديس يتم بطريقتين: تنزيه الله عما لا يليق به، ومدح الله تعالى بما هو أهله، ولم ترد القدوس إلا مع الملك وذكرت في سورة الحشر وسورة الجمعة.

﴿السَّلَامُ﴾: من العيوب والنقائص، السلام: من السلامة والأمن، السلامة من الظلم وهو مصدر السلام والأمن في الدنيا والآخرة والسلامة في الوجود والوقاية من الآفات والمصائب والشر والضّر وكل مكروه.

﴿الْمُؤْمِنُ﴾: واهب الأمن والطمأنينة، أمّن عباده الظلم أو الجور، وأمّن أوليائه عذابه وسخطه، والمصدق لنفسه ورساله.



والشاهد على أنه لا إله إلا هو، شهد لنفسه بالوحدانية قبل شهادة خلقه وإليه يُعزى الأمن والأمان.

﴿الْمُهَيِّمُ﴾: القوي الخاضع لسلطانه كل شيء والمسيطر والمدبر لكل شيء الرقيب والقائم والشاهد على أعمال خلقه ورزقهم وآجالهم، والهيمنة تعني كذلك: الرعاية، أي: راعي كل شيء في كونه وخلق.

﴿الْعَزِيزُ﴾: العزيز القوي عظيم القدرة له العزة جميعاً، عزة القوة وعزة القهر والغلبة وعزة الامتناع، فهو الغني عن خلقه لا يحتاج إلى أحد من خلقه ولا يضره أحد من خلقه، وورد هذا الاسم (٨٨) مرة في القرآن الكريم.

﴿الْجَبَّارُ﴾: قهر خلقه وكونه ونفذت مشيئته وإرادته في عبده إذا بطش إن بطش ربك لشديد، وإذا أخذ إن أخذه أليم شديد والجبار صفة تعظيم وتعني: القدرة مع كل شيء، صيغة مبالغة من جبر، ورغم أنه هو الجبار لكن لم يجبر عباده على عبادته وطاعته وترك لهم الخيار.

﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾: ذو الكبرياء والعظمة، عن كل من سواه والمتعالي عن صفات الخلق والغني عن خلقه.

وذكر هذا الاسم مرة واحدة في هذه الآية فقط.

﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: ارجع إلى سورة النحل آية (١) للبيان.

[٢٤] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿هُوَ اللَّهُ﴾: ارجع الآية (٢٢).



﴿الْخَلْقُ﴾: أصل الخلق هو التقدير وإيجاد الشيء من العدم.

﴿الْبَارِئُ﴾: المظهر والقادر على إيجاد أو إظهار ما خلق إلى الوجود.

﴿الْمُصَوِّرُ﴾: أعطى لكل مخلوق أو شيء حقيقته الوراثية؛ صورته وشكله ولونه وأبعاده وهيئته ليميّز بها عن غيره رغم كثرتها وتعددها وصور خلقه كيف يشاء وأحسن صورهم.

﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾: تقديم له تفيد الحصر، الأسماء الحسنی: ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٨٠) للبيان في الأسماء الحسنی.

﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: ارجع إلى الآية (١) من نفس السورة، وإلى سورة الجمعة آية (١).

وانظر كيف بدأت سورة الحشر بقوله: سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم، وكيف انتهت بقوله: يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم؛ مما يدل على توافق بداية السورة مع نهايتها.





سورة النازعات

سورة النازعات ٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ
إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي
وَأَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ
يَشْقُوَكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ
بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ
كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا الْقَوْمِ
إِنَّا بَرَاءُكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا
قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
رَبَّنَا عَلَيْنَا تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾

سورة الممتحنة [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (٦٠) وترتيبها في النزول (٩١).

المتحنة بكسر الحاء: أي: المرأة التي تعطي الامتحان مثل المديرية أو المعلمة.

المتحنة بفتح الحاء: أي: المرأة التي تأخذ الامتحان (تُمتحن) كما رجع الحافظ ابن حجر، وقال ابن عباس، والواحدي في أسباب النزول: نزلت في سبيعة بنت الحارث الأسلمية بعد الفراغ من كتابة صلح الحديبية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۖ﴾

أسباب النزول: نزلت هذه الآية بسبب كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة بعد صلح الحديبية بعد أن نكثت قريش العهد مع رسول الله ﷺ، استشار رسول الله بعض الصحابة بالخروج إلى قريش وطلب منهم ألا يخبروا أحداً بذلك، ولكن حاطب بن بلتعة رضي الله عنه - ممن شهد بدر وهاجر مع رسول الله - كتب رسالة يخبر بها قريشاً بما ينوي به رسول الله ﷺ، وأعطى الرسالة إلى امرأة هي سارة مولاة لبني عبد المطلب أتت المدينة في حاجة، فدفعت إليها حاطب بالرسالة، وأخبر الله سبحانه رسوله بما فعل حاطب بن أبي بلتعة، فبعث رسول الله ﷺ علياً والزبير والمقداد لملاقاة تلك المرأة وأخذ الرسالة منها،



وحصل ذلك ودعا رسول الله حاطب بن أبي بلتعة وسأله عما حدث، فاعترف بذنبه، وبيّن سبب فعلته هذه أنّ له بين أظهرهم (قريش) ولد وأهل، وأراد عمر بن الخطاب ضرب عنق حاطب بن أبي بلتعة، ولكن رسول الله ﷺ عفا عن حاطب بن أبي بلتعة، ونزلت هذه الآية. كما ذكر الواحدي في أسباب النزول.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد، والهاء للتنبيه.

﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾: لا الناهية، تتخذوا: تجعلوا أو تصيروا، عدوي: (أي: عدو الله) وهو من لم يؤمن بالله وما أنزل وبرسوله، أي: الكفار والمشركين.

وعدوكم: من قاتلكم وخانكم أو ظاهر عليكم، أولياء: جمع وليّ، أي: أعوان ونصراء.

﴿تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ﴾: الإلقاء هنا بمعنى الإرسال: ترسلون إليهم لتخبروهم بأسرار المسلمين وأخبار النبي ﷺ، بالمودة: الباء للإلصاق والمودة: هي المحبة والإخلاص والوفاء، وكل مودة محبة، وليس كل محبة مودة، فالمودة تبدأ بالمحبة، ثم تتحول إلى مودة، أي: تتخذونهم بطانة وأولياء وتسرون إليهم وتنصحونهم.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾: وقد: الواو للتوكيد، قد للتحقيق، كفروا بما جاءكم من الحق: أي: كفروا بالقرآن الكريم وآياته وأحكامه وما جاءكم من ربكم، ولم يؤمنوا به أو يصدّقوه، أي: جحدوا به وكذبوه، والباء للإلصاق والملازمة، ما اسم موصول بمعنى الذي جاءكم أو مصدرية. و(ما) أوسع شمولاً من (الذي).

﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾: من مكة بالتضييق عليكم ومحاربتكم وجاءت بصيغة المضارع للدلالة على حكاية الحال، أي: وكأن الإخراج يحدث الآن أمام الأعين.

﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾: أن مصدرية تفيد التعليل والتوكيد، أي: لأجل أو بسبب أنكم آمنتم بالله ربكم.

﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال والشك والندرة؛ كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي: لا تفعلوا ذلك؛ أي: تلقوا إليهم بالمودة؛ أي: تخبروهم بأسراكم؛ لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء؛ أي: إن كنتم خرجتم من أوطانكم للجهاد في سبيلي وطلباً لمرضاتي لا تتخذوهم أولياء أو لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي.

﴿تَسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾: تسرون إليهم بالإخبار بسبب مودتكم إياهم.

﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾: من المودة للكفار، من إرسال الرسائل أو النوايا والأعمال والحيل والمكر، وما أعلنتم: بالستكم من الصدق والكذب والحق والباطل، وما أخبرتم رسول الله ﷺ من الأسباب والباء للإلصاق، وما: اسم موصول أو مصدرية ومن شرطية.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ﴾: يعود على الاتخاذ، أي: يوادد أعداء الله ورسوله ويفشي إليهم بالإسرار أو يسر إليهم بالمودة.

﴿مِنْكُمْ﴾: خاصة، وليس من غيركم.

﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: فقد: الفاء للتوكيد، قد: للتحقيق، أخطأ طريق الصواب والحق، السواء هو في الأصل الوسط والسبيل هو الطريق المستقيم.

[٢] ﴿إِنْ يَتَفَقَّهْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾:

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الافتراض واحتمال الحدث أو الندرة.

﴿يَتَفَقَّهْكُمْ﴾: أي: إذا ذهبتم إليهم وتمكنوا منكم أو ظفروا بكم.

﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾: تقديم لكم تفيد الحصر أو لكم خاصة ليس لغيركم،



قال: أعداء، ولم يقل: عدو: أعداء تعني في كثير من الأمور وليس أمراً واحداً، ولو كان في أمر واحد لقال: عدو.

﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: يبسطوا: من البسط: وهو المد، والبسط: قد يكون بالسوء، أو بالخير، والسياق هو الذي يحدد كقوله تعالى: ﴿لِيَنْبَسِطَ إِلَيْ يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: ٢٨]، وكقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وتعني: بالخير والعطاء، وبالسوء يعني: بالقتل والأسر والأذى وقدّم إليكم للحصر أو خاصة.

﴿يَا لَسَوْءَ﴾: الباء: للإلصاق والدوام، والسوء: اسم مصدر لا يجمع، والسوء: كل ما يسيء إلى النفس، وله معان كثيرة جداً؛ منها: القتل، والعذاب، والشرك، والمرض، والذنب، والإثم، والقيح، والظلم، والأذى.

﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾: تمنوا لو تكفرون، لو: حرف تمنٍّ وترجٍّ، أي: ودوا كفركم، أي: تمنوا لو ترتدون إلى الكفر عن الإيمان فتكونون سواءً.

[٣] ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿لَنْ﴾: حرف للنفي، تنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿تَنفَعُكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾: أي: لن تفيدكم قراباتكم الذين عصيتم الله لأجلهم يوم القيامة أو في الآخرة، أي: لن ينفعوكم حتى توالوا لأجلهم الكفار، بل ينفعكم اتباع أوامر الله ورسوله وعدم اتخاذهم أولياء أو ترك مواليتهم هذا الذي ينفعكم.

﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾: الواو: عاطفة، لا: للنفي تفيد تأكيد النفي، أي: لن تنفعكم أرحامكم وحدها لو ظننتم ذلك، ولن تنفعكم أولادكم وحدها إن ظننتم ذلك، ولن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم معاً.

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: ظرف زماني.

﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾: يفرق بينكم، أي: يحكم بينكم بأن تكونوا في الجنة لإيمانكم بالله ورسوله، بينما أرحامكم وأولادكم الذين ماتوا على الكفر في النار، فما فائدة المعصية لأجلهم واتخاذهم أولياء.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: والله سبحانه يرى كل ما تعملونه في الظاهر والباطن ومحيط بكل شيء من أقوالكم وأفعالكم لا تخفى عليه خافية، وقدّم تعملون على بصير؛ لأن الآية في سياق الأعمال.

[٤] ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ﴾: قد: للتحقيق، كانت لكم: أيها المؤمنون (المسلمون).
﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾: أسوة: قدوة صالحة في إبراهيم عليه السلام قولاً وفعلاً، والقدوة: المثل الأعلى الذي يُقتدى به في البراءة من الكفار والمشرّكين.
﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾: والذين: تدل على الكثرة، والذين معه: من المؤمنين فتأسوا بهم؛ إذ أعلنوا براءتهم من الكفار ومن الشرك بالله تعالى.

﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾: إذ: ظرف زمني بمعنى حين قالوا لقومهم: إنا بُرَءُؤُا منكم وأنتم عليكم أن تقولوا لأهلكم من الكفار والمشرّكين.
﴿إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ﴾: بُرَءُؤُا: جمع بريء: من يبرأ وبراءة، أي: لا صلة بيننا وبينكم ولا تقربونا ولا نقرّبكم كذلك.

﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله، من الأصنام والآلهة.
﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾: أي: لا نصدقكم ولا نقرّ بأنكم أولياء لنا أو أقارب لنا.
﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: أي: وظهر جلياً بيننا وبينكم ولم يعد خافياً.



﴿الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾: أي: الكراهية والبغض والعداوة.

﴿أَبَدًا﴾: دائماً.

﴿حَتَّى﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾: عندها، أي: إذا أمتتم بالله وحده عندها تكونون لنا أولياء، فالإيمان بالله وحده هو الجامع المشترك بيننا وبينكم.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾: ارجع إلى سورة الأنعام آية (٧٤) للبيان؛ أي: عليكم التأسّي بإبراهيم إلا قوله لأبيه (لعمه أزر): لأستغفرن لك، فليس لكم التأسّي بإبراهيم في ذلك (بأن تستغفروا للكفار)، ولو كانوا آباءكم أو إخوانكم.

﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾: قالها إبراهيم عليه السلام لعمه قبل أن يتبين له أنّه عدو لله تعالى ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما النافية.

﴿أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي: لا أملك القدرة على الشفاعة لك أو النجاة، ولا أستطيع أن أدفع عنك من عذاب الله من شيء، وكان ذلك كما قال تعالى قبل: عن موعدة وعدّها إياه، فلما تبين أنّه عدو لله تبرأ منه.

﴿رَبَّنَا عَلَيكَ تَوَكَّلْنَا﴾: ربنا: ولم يقل: يا ربنا حذف ياء النداء للدلالة على قربته من الله تعالى، ربنا عليك توكلنا: التوكل يعني: الاعتماد على الله والتفويض له بعد تقديم كلّ الأسباب للوصول إلى المرجو، وتقديم عليك: للحصر لا نتوكل إلا عليك وحدك. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٩) لبيان معنى التوكل.

﴿وَإِلَيْكَ أُنَبِّئُكَ﴾: الإنابة: الرجوع وسرعة التوبة والعودة إلى الله تعالى، تقديم إليك يفيد الحصر والقصر؛ أي: الإنابة لله وحده.

﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾: إليك وحدك المصير: المنتهى والمآل.

وَلَا بُدَّ مِنْ مَقَارَنَةِ إِنَّا بُرَّاءُ مِنْكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَعَ قَوْلِهِ: بُرَّاءُ ﴿إِنِّي بُرَّاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦]. ارجع إلى سورة الزخرف للبيان.

[٥] ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿رَبَّنَا﴾: ولم يقل: يا ربنا حذف ياء النداء الدالة على البعد لقرب الله تعالى من عبده، فهو أقرب إليه من حبل الوريد بعلمه وقدرته.

﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: لا: الناهية، تجعلنا فتنة: أي: لا تعذبنا بأيدي الذين كفروا أو تظهرهم علينا أو تسلطهم علينا يفتنوننا عن ديننا.

﴿وَاعْفِرْ لَنَا﴾: ذنوبنا وتقصيرنا في طاعتنا.

﴿إِنَّكَ﴾: للتوكيد والحصر.

﴿أَنْتَ﴾: للتوكيد.

﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: العزيز: القوي القاهر الذي يقهر ولا يُقهر، والغالب الذي لا يُغلب، والممتنع لا يناله أحد بسوء، الحكيم: في تدبير شؤون خلقه وكونه وشرعه وأنت أحكم الحاكمين وأحكم الحكماء. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.





سورة النازعات ٦٠

سورة النازعات

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةَ وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٧﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم
مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ
مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ ۚ إِنَّهُنَّ عَلِمْتُمُوهُنَّ مَوَدَّةً
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَنَّهُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ
مَا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُم أَن تَكَحُّوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
وَلَا تَمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ وَسَأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمُ مَا أَنفَقُوا
ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ
شَيْءٌ مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَرْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

سورة الممتحنة [الآيات ٦ - ١١]

[٦] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾:

هذه الآية ليست تكراراً للآية (٤)، فالآية الرابعة جاءت في سياق اتخاذ إبراهيم أسوة حسنة، ومثال للقدوة في التبرؤ من الشرك والمشركين والتبرؤ من أبيه (عمه آزر وقومه)، وأما الآية السادسة هذه فجاءت في سياق اتخاذ إبراهيم أسوة حسنة وقدوة صالحة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، أي: أسوة حسنة في الإيمان والطاعة والاستعداد لليوم الآخر وتجنب المعاصي، والآية (٦) أشد تأكيداً على أهمية اتخاذ إبراهيم عليه السلام والذين آمنوا معه، ولذلك قدم إبراهيم والذين آمنوا معه على الأسوة؛ لأن إبراهيم ومن معه هم الأهم والأسوة تابعة لهم أو ملحقة بهم؛ بينما في الآية (٤) قدم الأسوة على إبراهيم والذين معه، واستخدم للتوكيد (لقد) بدلاً من (قد)، وكان بدلاً من كانت.

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿كَانَ لَكُمْ﴾: كان تشمل كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، وكان (بالتذكير) أقوى من القول كانت (بالتأنيث) لكم: اللام لام الاختصاص، أي: لكم خاصة.

﴿فِيهِمْ﴾: أي: إبراهيم والذين معه.



﴿أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: قدوة صالحة مثالية ومثل أعلى.

﴿لَمَن﴾: اللام للتوكيد.

﴿كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: يؤمن بالله ويرجو لقاء ربه وحسابه وثوابه ومغفرته ويخاف ويخشى عذاب الآخرة وأهوال يوم القيامة.

﴿وَمَن يَنُوكْ﴾: من شرطية، يتول: أي: يذهب بعيداً ويصد عن الإيمان ويكفر بالله.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾: الفاء للتوكيد، إن: أيضاً لزيادة التوكيد، هو: للحصر والتوكيد، وأل التعريف في الغني الحميد للتوكيد فجاءت الآية بأربع أدوات للتوكيد: الفاء وإن وهو وأل التعريف، الغني: عن خلقه وعبادة خلقه لا يحتاج إلى غيره، بل هو المغني غيره، عنده خزائن السموات والأرض التي لا تنقص ولا تنفذ، غناه هو الغنى المطلق التام ويرزق من غناه من يشاء بغير حساب، له ما في السموات وما في الأرض، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، الحميد: أي: المحمود من خلقه، أهل الثناء والحمد له الحمد كله؛ لأنه يستحق أن يحمد لنعمه وفضله وإحسانه وكرمه ورزقه لعباده وخلقه، تحمده مخلوقاته حمداً دائماً لا ينقطع.

الحميد منذ الأزل على ذاته وصفاته وأفعاله وتدبيره ورحمته.

[٧] ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

المناسبة: بعد أن نزلت الآية (٤) قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه في التبرؤ من أقاربهم المشركين عندها تبرأ بعض المؤمنين من



الصَّحابة من أقاربهم المشركين في مكة وأظهروا لهم العداوة، وكان ذلك صعباً على المسلمين، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقيل: نزلت في خزاعة وبني مدلج حين صالحوا رسول الله ﷺ على ألا يقاتلوه، كما رُوِيَ عن ابن عباس.

﴿عَسَى اللَّهُ﴾: من أفعال الرجاء؛ أي: الترجي المتحقق حدوثها؛ ولعل: من أفعال الترجي أيضاً تفيد الإشفاق؛ أي: راجين الله تعالى أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم مودة.

﴿أَنْ﴾: هنا تفيد للدلالة على الاستقبال.

﴿يَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ﴾: أي: من كفار مكة منهم (خاصة) أو غيرهم.

﴿مَوَدَّةً﴾: أي: يسلموا ويصبحوا إخوانكم ومواليكم وتتحول العداوة إلى مودة والفرقة إلى ألفة.

﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾: على كل شيء، صيغة مبالغة على القدرة، ولم يقل: قادر لا يعجزه شيء في الأرض ولا السماء، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: إعادة كلمة الله تدل على التوكيد على أنه قدير، وعلى أنه غفور رحيم وأنه قدير وغفور رحيم معاً، وغفور صيغة مبالغة من غفر، غفر لمن أخطأ، ثم تاب وأناب، ويغفر الذنوب جميعاً إلا الشرك، رحيم: لا يعجل لهم العقاب ولا يعذبهم بعد التوبة والإنابة إليه، رحيم بعباده المؤمنين ورحمته دائمة ثابتة.



[٨] ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾:

﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ﴾: لا: النّاهية، لا ينهاكم الله: أي: لا يمنعكم الله عن مبرّة، أي: المعاملة الحسنة أو الإحسان... إلخ. إلى الذين لم يقاتلوكم في الدّين. ﴿عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾: (من أجل الدّين) ولم يخرجوكم من دياركم بالحرب أو القسر أو القوة. ﴿أَنْ﴾: للتعليل والتوكيد.

﴿تَبَرُّوهُمْ﴾: تحسنوا إليهم كصلة الرّحم وحسن الجوار والضيافة. وسعة الفضل واللين، وقيل: البر: هو الخير الواصل إلى الغير مع القصد، أي: النية. ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾: لا تظلموهم أو تجوروا عليهم، بل تعاملوهم بالعدل مع التنفيذ والوفاء لهم بالوعود والأمانة. ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: جمع مقسط، أي: الذي يرفع الظلم عن العباد ولا يجور عليهم.

[٩] ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾: أي: يمنعكم الله أيها المؤمنون عن الموالاة والقرب من هؤلاء الذين قاتلوكم

في الدين، وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم: مثل زعماء قريش وكفارها أو غيرهم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾: أن: حرف مصدرى للتعليل والتوكيد، تولوهم: تتخذوهم أولياء تمدوا إليهم بالعون والنصرة والمحبة والمصرة.

﴿وَمَنْ﴾: شرطية ومن تفيد الواحد والاثنين والجمع والذكر والأنثى.

﴿تَوَلَّوْهُمْ﴾: منكم.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء للتوكيد، أولئك: اسم إشارة واللام للبعد يفيد التحقير والذم.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿الظَّالِمُونَ﴾: الظلم: هو الجور والتعدي، والإنسان يظلم نفسه بالخروج عن منهج الله تعالى.

ويعصي الله ورسوله، وبفعل المعاصي والذنوب، أو يظلم غيره بالتعدي على حقوقه.

[١٠] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجُرَاتٍ فَاَمْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَايَتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُواذِلْكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد، والهاء للتنبيه.

سبب النزول: كما أخرج الشيخان البخاري والمسلم أن رسول الله ﷺ لما



عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات يردن الهجرة، فأنزل الله فيهن هذه الآية.

﴿إِذَا﴾: شرطية ظرفية تدل على حتمية الحدث، أي: سيأتيكم المؤمنات.

﴿جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾: الهجرة في اللغة: الخروج من أرض إلى أرض، وفي الشرع: الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام، أو الهجرة من أرض السوء إلى أرض الصلاح.

﴿فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾: الامتحان: الاختبار لمعرفة سبب هجرتهن، امتحنوا إيمانهن: لتعلموا هل هن راغبات في الإسلام وحباً في الله تعالى ورسوله أم هن هاربات من أزواجهن طمعاً في دنيا أو غيره من النوايا.

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾: جملة اعتراضية، أي: اعلّموا أنه يكفي لكم العلم الظاهر، أما العلم الحقيقي أو الباطن أو النوايا فليس مطلوباً منكم أن تعلموا أسرارهن ونواياهن.

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾: الكفار جمع كافر (الكفر المضاد للإيمان) وفيها مبالغة والكفار أكثر من الكافرين، وتعني: عموم الكافرين وتعني: الحدث أو الاسم (الكفر) والكافرين يغلب عليها فعل الكفر. وعلل عدم رجوعهن إلى أزواجهن الكفار لاهن حِلٌّ لهن ولا هم يحلّون لهن.

والسؤال: لماذا غير صيغة من ﴿لَأَهُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ (حين ذكر النساء)، وقال

تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ (حين ذكر الرجال)، ولم يقل: ولا هم حلٌ لهنَّ أو لا هنَّ يحلّ لهن ولا هم يحلّون لهن؟

الجواب: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ﴾ جملة اسمية تدل على الثبوت، أي: من النادر أن تتغير حالة إيمانهن وتصبح المؤمنة كافرة بينما جاء بالصيغة الفعلية ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ التي تدل على التجدد والتكرار حين ذكر الرجال؛ لأن الكافر قد يصبح مؤمن إذا أسلم وآمن.

﴿وَأَتَوْهُم مَّا أَنْفَقُوا﴾: أعطوا أزواجهن الكفار مثل ما دفعوا إليهن من المهور هذا إذا تزوجها مسلم، فإن لم يتزوجها أحد فليس لزوجها الكافر شيء، وأما إذا كان زوجها من أهل العهد فعليه رد الصداق أو المهر. ارجع إلى المصادر الفقهية لمزيد من البيان.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ﴾: أجورهن، أي: مهرهن، لا: النافية، جناح: إثم أو حرج عليكم، إن: للتعليل، تنكحوهن: تتزوجوهن بعقد ومهر.

﴿وَلَا تَنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَافِرِ﴾: لا: الناهية، أي: من كانت له امرأة كافرة لم تهجر مع زوجها، فقد زالت عصمة النكاح؛ أي: حكم الزواج، وهو العصم أو الحبل الذي يربطهما، أي: تخلوا عن عقد النكاح بينكم وبين الكوافر، الكوافر: جمع كافرة على وزن فواعل جمع تكسير جمع كثرة، والكوافر أكثر عدداً من الكافرات، فالكوافر جمع كثرة، أما الكافرات فجمع قلة، ولم يذكر الكافرات في القرآن، وذكرت الكوافر مرة واحدة في القرآن في هذه الآية.



﴿وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾: أي: إن لحقت امرأة منكم بالكفار مرتدة فاسألوهم ما أنفقتم من المهر.

﴿وَلَيْسَ لَكُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾: أي: ليسأل المشركون أو الكفار الذين لحقت أزواجهم بكم مؤنات إذا تزوجن منكم فادفعوا إليهم ما أنفقوا.

﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ﴾: ولم يقل: ذلك؛ لأن ذلكم: تدل على التوكيد والأهمية، ولأنه يشمل عدة أحكام مهمة، وليس حكماً واحداً.

﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾: يقضي بينكم.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: عليم بأحوالكم وأقوالكم وأفعالكم ونواياكم وأسراركم.

﴿حَكِيمٌ﴾: مشتقة من الحكم فهو أحكم الحاكمين أو الحكمة فهو أحكم الحكماء حكيم في شرعه، وما يفرض عليكم من أحكام. ارجع إلى سورة البقرة الآية (١١٩) لمزيد من البيان.

[١١] ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابَقْتُمْ فَذَٰلِكَ الَّذِي ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾:

أسباب النزول: قيل: نزلت هذه الآية في أم الحكم بنت أبي سفيان ارتدت وتركت زوجها ولم ترتد غيرها، ثم عادت إلى الإسلام. كما روي عن ابن عباس.

﴿وَإِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال والندرة.

﴿فَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾: أي: إن ذهبت إحدى الزوجات وارتدت

عن الإسلام، أو ارتدت إحدى أزواجكم إلى الكفار ولم يدفعوا إليهم ما دفع من المهر.

﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾: أي: غزوتهم هؤلاء الكفار وغنمتم بعض المغانم من جراء الحرب والقتال معهم.

﴿فَاتَّوْا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾: أي: أعطوهم من الغنائم ما يعادل المهور التي دفعوها لأزواجهم اللاتي ذهبن إلى الكفار.

﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾: وأطيعوا أوامر الله وتجنبوا نواهيه بتنفيذ حكمه وشرعه.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾: جمع مؤمن، ويعني: إيمان العقيدة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ هذا يدل على أن الإيمان يبعث على التقوى، مؤمنون صفة ثابتة فيهم.





سُورَةُ الصَّفِّ ٦١

الجزء الثامن والعشرون

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكَنَّ
بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ
فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
قَدْ يَدْسُوا مِنْ الْآخِرَةِ كَمَا يَدْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ
نُفُثًا ٦١ آيَاتُهَا ١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾
كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ
بُنِينَ مَرْصُوصٍ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ لِمَ
تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا
زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾



سورة الممتحنة [الآيات ١٢ - ١٣]

[١٢] ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

المناسبة: حدثت هذه البيعة في فتح مكة ومكانها كان على الصفا، وسميت بيعة النساء على الصفا، وقد أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجرن إليه بهذه الآية، فمن قبلت بهذه الشروط من المؤمنات، قال لها رسول الله ﷺ: قد بايعتك كلاماً، ولم يصافح في البيعة امرأة، وإنما بايعهن بالكلام.

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾: نداء جديد إلى النبي ﷺ بحكم جديد، والهاء للتنبيه.

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدث.

﴿جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾: البيعة: العهد على الإسلام والطاعة. ارجع إلى

سورة الفتح آية (١٠) لمزيد من البيان في معنى البيعة.

﴿عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾: أن: حرف مصدر يفيد التعليل.

لا: الناهية، يشركن بالله شيئاً: أي: مهما كان من صنم أو بشر أو غيره.

بالله: الباء للإلصاق، أي: إشراك عقيدة أو عبادة أو أي شيء مهما كان.

﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾: تكرار (لا) الناهية تفيد التوكيد، وفصل كلاً من هذه الأمور

المحرمة على حدة.



﴿وَلَا يَزِينَنَّ﴾: من الزنى (الفاحشة) الجماع من غير عقد شرعي.

﴿وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ﴾: يعني: بالوَاد، وأد البنات أو إسقاط الجنين.

﴿وَلَا يَأْتِينَ بَبْهَتَيْنِ يَفْتَرِيَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلَيْهِنَّ﴾: البهتان: الكذب المتعمد الذي يبهت سامعه أو يدهشه، يفترينه: الافتراء: الاختلاق، أي: اختلاق الكذب المتعمد الذي يبهت سامعه، بين أيديهنَّ وأرجلهنَّ: كناية عن الولد؛ لأنَّ الولد إذا وضعت، أي: ولدت أمه سقط بين يديها ورجليها، مثال: تزني وتقول لزوجها: هذا ولدي منك.

﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾: أي: لا يعصينك في حكم من الأحكام أو في جميع ما أمرتهنَّ من شرائع الإسلام.

﴿فَبَايَعُهُنَّ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، بايعهنَّ: أي: اقبل بيعتهنَّ على تلك الشروط معاً.

﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ﴾: اطلب لهنَّ المغفرة لكل ما فعلن من هذه الأمور المذكورة قبل هذه البيعة، أو ما سلف من ذنوبهنَّ.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: إنَّ للتوكيد، غفور رحيم: ارجع إلى الآية (٧) من نفس السورة.

[١٣] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتْلُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْأَرُونَ الْآخِرَةَ كَمَا يَسْأَرُونَ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد إلى الذين آمنوا بتكليف جديد، والهاء للتنبيه.

﴿لَا تَتْلُوا﴾: لا: الناهية، تتولوا: من الولاية وهي المحبة والتقرب والعون

أو النصح لأعدائكم ونقل أخبار المسلمين إليهم ولا تتولوهم بالنصرة أيضاً أو لكي يصيبكم منهم منفعة أو عرض دنيوي.

﴿فَوَمَا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: اليهود وغيرهم.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ﴾: اليأس: هو انقطاع أو فقدان الرجاء من الشيء أو الأمر، واليأس: محله القلب، والقنوط: أشد من اليأس، والقنوط حالة خاصة من اليأس، فحين يشتد اليأس وتظهر آثاره على الفرد يصبح قانطاً من رحمة الله وتنقطع به السبل، (ونقيض اليأس: الرجاء)، إما لكونهم لا يؤمنون بالبعث والحساب أو يؤمنون بالحساب ولكن يسأوا من ثواب الآخرة؛ لكثرة معاصيهم وبعدهم عن الله سبحانه.

﴿كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾: كما: الكاف للتشبيه، أي: لا تتولوا هؤلاء اليهود الذين غضب الله عليهم الذين يسأوا من ثواب الآخرة، كما يسأل الكفار من عودة أصحاب القبور إلى الدنيا مرة أخرى ليحدثوهم بما حلّ بهم.

ومن الجدير بالانتباه إلى نهاية السورة، وهي قوله: يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم، تشبه بداية السورة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء؛ مما يدل على توافق بداية السور مع نهايتها.



الميزان

سورة الصافات

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ
بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِيَنَّ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْ لَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِيَنَّ
بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ
فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
قَدْ يَسُؤُا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّافَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ يَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾
كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ
بُنِينَ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ
تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا
زَاغُوا زَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

سورة الصف [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (٦١) وترتيبها في النزول (١٠٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

ابتدأت هذه السورة بنفس الآية التي ابتدأت بها سورة الحشر آية (١) ارجع إلى سورة الحشر للبيان، ومن الملاحظ أيضاً ذكر القتال في سبيل الله في كلا الآيتين بعد ذكر التسبيح.

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد، وتحذير واستعمل يا النداء والهاء الدالة على التنبيه.

﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: لم: ما الاستفهامية حذفت ألفها وتفيد الاستفهام الإنكاري والتوبيخي والتعجب، تقولون: جاء بصيغة المضارع بدلاً من صيغة الماضي (فهذا يُسَمَّى حكاية الحال) وهو أن يعبر عن الحدث الماضي بصيغة المضارع لاستحضار ما قالوه وكأنه يقال الآن ويجب النظر فيه وعدم تكراره. أو لأنه يدل على التجدد والتكرار؛ أي: ما قالوه لا يزال يحدث الآن قول بلا فعل.

تعال ننظر ما قالوا: هم قالوا قبل أن يفرض الجهاد: لو نعلم أحب الأعمال



إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَعْمَلَنَاهُ، فَأَخْبِرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهٖ أَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ إِيْمَانُ بِاللَّهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ، وَلَمَّا فَرَضَ الْجِهَادَ تَقَاعَسَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْخُرُوجِ، فَتَنَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: لَمْ تَقُولُوا أَنْكُمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ لَا تَفْعَلُونَهُ، أَوْ تَقُولُونَ: لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى الْجِهَادِ لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ، ثُمَّ لَا تَخْرُجُونَ أَوْ لَوْ أَمَرْتَنَا لِأَطْعَمَاكَ، ثُمَّ يَأْمُرُهُمْ، ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ وَهُمْ مَعْرُضُونَ.

[٣] ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾:

﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾: عَظُمَ وَقَبِحَ، مَقْتًا: الْمَقْتُ أَشَدُّ الْبَغْضِ وَأَبْلَغُهُ.

﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: عِنْدَ ظَرْفِيَّةٍ مَكَانِيَّةٍ، أَيُّ: أَنَّ اللَّهَ يَمَقْتُ مَنْ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ أَوْ إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ.

﴿أَنْ﴾: مُصَدَّرِيَّةٌ تَفِيدُ التَّعْلِيلَ وَالتَّوَكِيدَ.

﴿تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: تَكَرَّرَ مَا لَا تَفْعَلُونَ مَرَّتَيْنِ لِلتَّهْوِيلِ وَتَعْظِيمِ الْأَمْرِ وَالتَّعَجُّبِ.

[٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُم بَيْنَيْنَ مَرَضُوصٍ﴾:

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إِنَّ لِلتَّوَكِيدِ.

﴿يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾: الْحُبُّ لِمَا فِيهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ الْعَظِيمِ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَيُّ: ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ وَمَرْضَاتِهِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْجِهَادَ أَمْرٌ مَحْبُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَرَكَهُ أَمْرٌ مَمْقُوتٌ.

﴿صَفًّا﴾: أَيُّ: صَافِينَ صَفًّا وَاحِدًا.

﴿كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرَّضُونَ﴾: كأنهم في اتحادهم وقتالهم في سبيل الله بنیان محكم لا فرج فيه ولا خلل، مرصوص من التراص والتلاصق والثبات في الجهاد. يشد بعضه بعضاً.

[٥] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله تعالى أنه يحب الذين يقاتلون في سبيله كأنهم بنیان مرصوص يذكر الله طرفاً من قصة موسى عليه السلام مع قومه حين دعاهم إلى قتال القوم الجبارين ودخول الأرض المقدسة فخالفوه وعصوه، وقالوا له: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون.

﴿وَإِذْ﴾: تعني: واذكر إذ قال موسى لقومه.

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ﴾: ياء النداء نداء فيه التؤدد والتحبب والاستعطاف، واللام في كلمة لقومه للاختصاص.

﴿لَمْ تُؤْذُونَنِي﴾: لم: استفهام تعجبي واستنكاري، تؤذونني: بأقوالكم وأفعالكم، كما ذكر ذلك في سورة الأحزاب الآية (٦٩): ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾، أو تؤذونني بالعصيان ومخالفة أوامر الله سبحانه. وعبادة العجل والتكذيب بآيات الله وعدم دخول الأرض المقدسة أو اتهامه بعيوب غير حقيقية وقذفه بالباطل.

﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ﴾: قد للتحقيق والتوكيد.

﴿تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾: من خلال كل هذه الآيات



والمعجزات كانفلاق البحر والغمام والمن والسّلوئ وانفجار الحجر ورفع الطّور ومن خلال التّوراة والألواح، أنّي: للتوكيد، رسول الله إليكم: خاصة (أي: لبني إسرائيل).

﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، زاغوا: من الزّيف وهو الميل عن اتّباع الحق إلى اتّباع الباطل، زاغوا عن الإيمان وانصرفوا عنه إلى ارتكاب المعاصي والآثام وقتل الكثير من الأنبياء. وزاغوا مأخوذة من زيف الأسنان أي: ميل بعضها عن بعض والحاجة إلى تقويمها.

﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: أي: تركهم في ريبهم يتردّدون ولم يهدهم.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: جمع فاسق وهو الخارج عن طاعة الله والدين، واتّباع طريق الفسق والضّلال والثّبات عليه بدلاً من طريق الطّاعة والهداية والتّزام منهج الله والذهاب بعيداً في طريق الضلال، ولم يعد هناك أي أمل في عودته، فالله سبحانه يتركه وشأنه، وما اختار لنفسه من الفسق، والزّيف ارجع إلى الآية (٢٦) من سورة البقرة لمزيد من البيان.





الْبَيْتُ الْخَامِسُ

سُورَةُ الصَّفِّ ٦١

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أُسَمُّهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا
جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى
عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ
عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُنُكُمْ
عَلَى بَحْرَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾
يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ
طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ
مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا
أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ
قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا مَنْ تَطَافَفَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَكَفَرَتْ طَافِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

سورة الصف [الآيات ٦ - ١٤]

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ :

المناسبة: كما أنَّ بني إسرائيل عصوا موسى عليه السلام، وزاغوا كذلك
عصوا عيسى عليه السلام، وقالوا للبنات، أي: المعجزات ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ
فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۖ﴾.

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكر إذ قال عيسى أو اذكر حين قال عيسى ابن مريم: ﴿يَبْنَىٰ
إِسْرَءِيلَ﴾: ولم يقل: يا قوم كما قال موسى عليه السلام: يا قوم؛ لأنه لا نسب له
فيهم وهم ليسوا منه. أي: ليسوا قومه.

﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾: إني للتوكيد، رسول الله إليكم خاصة.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾: مؤيداً ومقراً بالتّوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام من قبلي قولاً وعملاً.

﴿وَمُبَشِّرًا رَسُولًا يُاتِي مِنْ بَعْدِي﴾: مبشراً من البشارة: الخبر السار لأول مرة والذي يولد السرور على وجه المبشر.

﴿اِسْمُهُ اَحْمَدُ﴾: أي: مُحَمَّدٌ ﷺ واسم أحمد أو محمد كلاهما مشتق من صفة الحمد، وأحمد، أي: أحمد خلق الله له تعالى، ومحمد المحمود من

الكلّ أو ذات يقع عليها الحمد من غيرها أو يحمده الكثير من الخلق، وله أسماء أخرى منها الماحي الذي يمحو الله به الكفر، والحاشر الذي يحشر الناس بعده والعاقب (المقضي) أي: الآخر الذي يأتي آخر الأنبياء أو نبي الرحمة. وخاتم النبيين.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للتوكيد، لما: ظرفية بمعنى حين.

﴿جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: أي: جاءهم عيسى عليه السلام والضّمير في جاءهم تعود على بني إسرائيل، أي: جاء عيسى عليه السلام بني إسرائيل بالبينات: بالمعجزات الدّالة على صدق نبوته وعلى عظمة الله وقدرته مثل إحياء الموتى وخلق الطّير من الطّين وإبراء الأكمه والأبرص وإخبارهم بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم.

﴿قَالُوا﴾: أي: بني إسرائيل قالوا معاندين مكذّبين.

﴿هَذَا سِحْرٌ مُّثِينٌ﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة ويشير إلى ما جاء به عيسى، سحر: ارجع إلى سورة طه الآية (٥٨) للبيان، مبين: واضح لكل فرد ولا يحتاج إلى برهان أو دليل أنّه سحر وأطلقوا عليه سحر؛ لأنه كان خارقاً للعادة أو لأنه أثر في أنفسهم.

[٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: الواو استئنافية، مَنْ: استفهام يفيد التّفني والتّوبيخ والتّقرير، استفهام بصيغة السّؤال كي يشارك المخاطب في الإجابة بدلاً من القول: لا أظلم ممن افترى على الله الكذب (جملة إنشائية)، والمعنى: لا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب، وافتري: من الافتراء وهو الكذب



المتعمّد المخلّوق، والكذب جاء بصيغة المعرفة بينما في كثير من الآيات يأتي الكذب بصيغة النكرة، فيقول: فمن أظلم ممن افترى الله كذباً أو كذب بآياته، والكذب هنا يقصد به ما تقدم من قول اليهود وجعل البيّنات سحراً، والتكذيب بنبوّة محمد ﷺ، وما ورد في صفاته في التّوراة والإنجيل.

﴿وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾: وهو ضمير فصل يفيد التّوكيد، يدعى إلى الإسلام: أي: إلى التّوحيد والدّين الحق. من أهل الكتاب أو المشركين.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: ارجع إلى سورة الجمعة الآية (٥) للبيان، والظالمين: المشركين، وسورة البقرة آية (٥٤) للبيان.

[٨] ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾:

﴿يُرِيدُونَ﴾: اليهود وغيرهم من الذين أشركوا والكفار، ليطفئوا نور الله ويريدون تدل على التّجدّد والتكرار.

﴿لِيُطْفِئُوا﴾: اللام لام التّوكيد والتّعليل؛ أي: لأجل ان يطفئوا.

﴿نُورَ اللَّهِ﴾: هو دين الإسلام والقرآن.

﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: الباء للإلصاق وتدل على الملازمة، بأفواههم: أي: بتحريفهم للتّوراة والإنجيل وأقوالهم وكتبهم وإذاعاتهم وإعلامهم ومحاضراتهم. أن يطفئوا نور الله.

﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾: أي: والله مظهر دينه وشرعه في الآفاق، وناصر رسله وأوليائه، ومُعَلِّي كلمته لا محالة، مثلهم كمثل الذي يريد أن يطفى أشعة الشّمس بفيه، وهيئات أن يتم ذلك.



﴿وَلَوْ﴾: الواو للتوكيد، لو: شرطية.

﴿كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾: الكافرون: تدل على الفعل أو الحدث، ولم يقل: الكفار، الكفار تدل على الاسم وتشمل كل كافر، الكافرون أقل عدداً من الكفار. ولا بُدَّ من مقارنة هذه الآية (٨) من سورة الصف: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾، مع الآية (٣٢) من سورة التوبة: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾:

أولاً: والله متم نوره: جملة اسمية أقوى وأكد، وتدل على الثبات من الجملة الفعلية، وهي قوله: أن يتم نوره، التي تدل على المستقبل والتجدد والتكرار، والله متم نوره: يعني: الأمر واقع لا محالة والأمر متته، لا تبديل لحكم الله بينما أن يتم نوره: أي: الأمر يقع الآن، ولا بُدَّ من إتمام في المستقبل.

ثانياً: ليطفئوا: في آية الصف أن يطفئوا، في آية التوبة: اللام في ليطفئوا تدل على التوكيد والتعليل بينما أن يطفئوا أن تفيد الاستقبال.

وإذا رجعنا إلى السياق نجد أن آية التوبة جاءت في سياق اليهود والنصارى الذين يقولون عزيز ابن الله أو المسيح ابن الله والذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وهم الذين حرفوا الكلم عن مواضعه، وبدلوا دين الله وأحلوا الحرام وحرّموا الحلال، فهم يريدون بكلّ هذه الأفعال وغيرها أن يطفئوا دين الله بأفواههم، الآن وفي المستقبل بالزيادة والنقصان والتّحريف والتّزوير والتّبديل.

وأما السياق في آية الصف فجاء في سياق كفرهم برسالة محمد ﷺ ونبوته وحربهم على رسول الله ﷺ، فهم لم يكتفوا بما فعلوه بالتّحريف والتّبديل



والزيادة والتقصان في دينهم وفي التوراة. بل يريدون التصدي لدين الإسلام ومحاربة رسوله، ولذلك أكد بالجملة الاسمية (متم اسم فاعل.) واللام في كلمة ليطفئوا نور الله، ارجع إلى سورة التوبة الآية (٣٢) لمزيد من البيان.

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾:

﴿هُوَ الَّذِي﴾: ضمير منفصل يفيد الاختصاص والتوكيد تعود على الله سبحانه وتعالى، والذي: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾: محمداً ﷺ.

﴿بِالْهُدَىٰ﴾: الباء للتوكيد والإلصاق، بالهدى: بالقرآن.

﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾: دين الإسلام.

﴿لِيُظْهِرَهُ﴾: اللام لام التعليل والتوكيد، وهاء الضمير تعود على الرسول ﷺ أو تعود على الدين أو كلاهما.

﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: على سائر الملل والشرائع ولم يقل: على الأديان؛ لأنه ليس هناك إلا دين الإسلام، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ أي: ليظهر الإسلام، إظهار حجة وبرهان، أي: يجعله مهيمناً هيمنة برهان وحجة وثبات، ولا يعني: أنه يلغي الديانات الأخرى، ولا يعني: ظهور أتباع بحيث يصبح كل واحد مسلم، وهناك من قال أنه إظهار يشمل كل فرد، وهذا سيحدث بعد نزول عيسى عليه السلام قبل قيام الساعة، وإظهار الحجة والبيان يتمثل في تطبيق المبادئ الإسلامية السّميحة في معاملاتهم وحل مشاكلهم الدنيوية، ولا

يعني أن الناس كلهم سيدخلون في الإسلام، وكما قال تعالى: ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ
الْبَاطِلَ وَلِيَؤَكِّدَ الْفُتُورَ﴾ [الأفقال: ٨].

[١٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَحْرِيقِ نُجُحِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نداء جديد للذين آمنوا بتكليف، أو موعظة، أو أمر جديد.

﴿أَدُلُّكُمْ﴾: بالبيان والتعريف والدلالة قد تكون في الخير أو الشر وبقصد وبغير قصد وهنا الدلالة تعني إلى الخير وتحمل معنى الإشفاق والحنان.
﴿هَلْ﴾: للاستفهام وتفيد العرض والترغيب والتشويق.

﴿أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَحْرِيقِ نُجُحِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾: ما نوع هذه التجارة، فسرتها الآية التي بعدها (١١) وهي قوله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾
إذن هي تجارة إيمان وجهاد، وجاءت التجارة بصيغة النكرة للتحويل والتعظيم،
من عذاب أليم: في الدنيا والآخرة.

[١١] ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

في الآية السابقة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في هذه الآية قال: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾
فكيف خاطبهم بالذين آمنوا، ثم قال: تؤمنون، وهم مؤمنون سابقاً.

تفسير تؤمنون: كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾
[النساء: ١٣٦]، أي: استقيموا واستمروا على إيمانكم بالله ورسوله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر، تؤمنون: بصيغة المضارع لتدل على التجدد والتكرار.



﴿وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: في سبيل إعلاء كلمة الدين والحق وابتغاء مرضاته.

﴿بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾: قدّم الأموال على الأنفس؛ لأنها الأكدر والأعم والجهد يبدأ بالإنفاق والاستعداد والباء بأموالكم للإصاق، وتعني: ببعض أموالكم، وقدّم في سبيل الله: للحصر والقصر.

﴿ذَلِكَ﴾: ولم يقل: ذلك؛ لأنّ هناك عدة أمور مطلوبة منها الإيمان والجهد وغيره وللمبالغة والاهتمام والتوكيد.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أي: أفضل لكم.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والندرة، كنتم تعلمون: إن كنتم أهل دراية ووعي وعلم، أو كنتم تعلمون ما هي مصلحتكم وخيركم.

[١٢] ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:

يُبيّن في هذه الآية والآية التي تليها ثمرة الإيمان والجهد والاستقامة في سبيل الله ومنها:

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾: أي: يغفر لكم كلّ ذنوبكم، ولم يقل: يغفر لكم من ذنوبكم، من تعني: بعض ذنوبكم، كما هي الحال حين يخاطب غير لمؤمنين كما في الآية (٣١) في سورة الاحقاف وهي قوله تعالى: ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، والغفران يعني: السّتر والمحو والعفو والإثابة على الحسنات.

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: دخول هذه الجنات هو برحمته وفضله وليس بسبب أعمالكم، جنات: منها جنات الفردوس والنَّعيم وعدن والخلد، تجري من تحتها الأنهار: أي: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ﴾: مريحة جميلة حسنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾: أي: جنات إقامة دائمة.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: أعظم من الفوز المبين والفوز الكبير، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١١١) في سورة التوبة وهي قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: نجد في آية التوبة زيادة (الواو) وضمير الفصل (هو) لزيادة التوكيد؛ ارجع إلى سورة التوبة لمزيد من البيان، وارجع إلى سورة النساء آية (٧٣) لبيان معنى الفوز وأنواعه أو درجاته.

[١٣] ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾:

هذه الآية تتعلق بالثواب الدنيوي، أي: يؤتكم تجارة أخرى في الدنيا تحبونها (لأنها عاجلة..). هي نصر من الله وفتح قريب. وهناك فرق بين الفتح والنصر.

﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾: النصر: الغلبة بالقوة والعتاد والحرب والقتال بينما الفتح يكون بالنصر من دون قتال أو حرب.

﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾: قيل: فتح مكة، وقيل: فتح بلاد فارس والروم.



﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: برضوان من الله وجنات النعيم والبشارة تعني: الخبر السار لأول مرة. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩)، وسورة النحل آية (٨٩) لمزيد من البيان.

[١٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا مَنْ تَطَافَعُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَافِعَةٌ فَأَيُّدُنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد، أو موعظة، أو أمر، أو حكم.

﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾: أي: كونوا أنصار دينه ونبيه كونوا جند الله، أنصار: جمع نصير فيه مبالغة في النصر نصره الله ورسوله، وتدل على ثبات الصفة، بينما ناصرين: جمع ناصر ليس فيه مبالغة، وتأتي في سياق النصر على الظالمين، والنصرة تعني: المعونة والتأييد والمد بالمال والأنفس، وكل الوسائل.

﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ﴾: الحواريون: هم أصفياؤه وهم أول من آمن به، وقيل: كانوا اثني عشر رجلاً، وحواري الرجل صفيه وخالصته، الحواريون مشتقة من الحور: هو البياض الخالص، وقيل: كانوا يحورون الثياب، أي: يبيضونها. ارجع إلى سورة آل عمران آية (٥٢) لمزيد من البيان.

﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾: من استفهامية، أنصاري إلى الله: جمع نصير أي: من يكون معي في نصره دين الله تعالى؟

﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾: الحواريون: جمع أنصار دينه ورسله؛ ارجع إلى سورة آل عمران آية (٥٢) لبيان معنى الحواريون.

﴿فَأَمَّنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾: فأمنت: الفاء للترتيب والتعقيب، أمنت طائفة بعمسى أنه عبد الله ورسوله، وكفرت طائفة: أي: ضلت طائفة وكفرت به، وبنبوتهم، واتهموا أمه بالفاحشة، وطائفة أخرى تغالت ووصفوا عيسى ابن مريم بأنه ابن الله، أو هو الله، أو ثالث ثلاثة.

﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾: أيدنا: من التأييد مشتق من اليد، وتعني: القوة والنصرة، فأيدنا الذين آمنوا بأن عيسى هو رسول الله وعبداه على عدوهم الذين زعموا أن عيسى ابن الله، أو ثالث ثلاثة، أو هو الإله.

﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾: الفاء: للترتيب والتعقيب؛ أصبحوا ظاهرين: أي: غالبين عدوهم من الفرق النصرانية الأخرى بالحجة والبينة.



سورة الحجرات ٦٢

الحجرات ٥٦

سورة الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو
عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا
مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾
قُلْ يَتَايَأُ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ
دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ
أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ
الْمَوْتُ الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾



سورة الجمعة [الآيات ١ - ٨]

ترتيبها في القرآن (٦٢) ترتيبها في النزول (١١٠).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾:

﴿يُسَبِّحُ﴾: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على أن تسبيح الله سبحانه هو دائم ومستمر ولا ينقطع في الماضي والحاضر والمستقبل كقوله: (سَبِّحْ)، وكقوله: (يُسَبِّحْ). والتسبيح: تنزيه ذات الله من كل ولد وشريك وندٍّ ومثيل، ومن كل عيب أو نقص؛ ارجع إلى سورة الإسراء الآية (١)، وسورة الحديد آية (١)، وسورة الحشر آية (١) لبيان معنى التسبيح، ومقارنة آيات التسبيح.

﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: تكرر (ما في) مرتين؛ للتوكيد وفصل كل منهما عن الآخر، فهناك مخلوقات أو أشياء في السماء لا توجد في الأرض وبالعكس، والسموات وما فيهن والأرض وما فيهن الكل يسبح الخالق. ولمزيد من البيان ارجع إلى سورة الحشر آية (١).

﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾: ارجع إلى سورة الحشر آيتين (٢٣-٢٤) لبيان معنى الملك القدوس العزيز الحكيم.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾:

﴿هُوَ﴾ ضمير فصل تفيد التوكيد والحصر.



﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يشير إلى الله الملك القدوس العزيز الحكيم.

﴿بَعَثَ﴾: ولم يقل أرسل؛ البعث فيه إثارة وحض، وهو أعم من الإرسال وأقوى؛ هناك فرق بين البعث والإرسال. ارجع إلى سورة [البقرة: ١١٩] لمعرفة معنى بعث والفرق بين بعث وأرسل.

﴿فِي الْأُمِّيِّينَ﴾: في ولم يقل إلى؛ لأن رسول الله ﷺ كان موجوداً فيهم قبل بعثته (٤٠) عاماً.

﴿الْأُمِّيِّينَ﴾: جمع أميٍّ: هو الذي لا يكتب وباستطاعته القراءة، فالرسول كان يقرأ على جبريل أو يتلو عن سماع، وأحسن من قرأ كتاب الله الأميون، وقيل: الأميون: تعني العرب، وأطلق عليهم (الأميين) لأنهم لم يكونوا أهل كتاب في ذلك الزمن، وقيل: الأميون مشتقة من كلمة (الأم) التي ولدته والتي لا تعرف القراءة ولا الكتابة، وبقي على ذلك.

﴿رَسُولًا﴾: كل رسول هو نبي وليس كل نبي هو رسولاً. ارجع إلى سورة النساء الآية (١٦٤) للبيان ومعرفة الفرق بين الرسول والنبي.

﴿مِنْهُمْ﴾: ولم يقل من أنفسهم، منهم؛ أي: من العرب الأميين أو قريش، أما قوله: من أنفسهم: قد تعني من المؤمنين خاصة.

﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾: التلاوة هي القراءة من كتاب الله، وتعني: تلاوة الآية بعد الأخرى، والتلاوة تكون لأكثر من كلمة ولها أجر.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: التزكية التطهير من الشرك والأوثان، والخبائث والرجس وعبادة الأصنام.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾: القرآن، قراءته وأحكامه وتفسيره.

﴿وَالْحِكْمَةُ﴾: قيل: هي السّنة النبوية، وقيل: الأحكام الشرعية. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٦٩) لمعرفة معنى الحكمة.

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾: قبل: مجيء محمد ﷺ؛ أي: من قبل بعثته بزمان بعيد أو قريب.

﴿لَفِي﴾: اللام للتوكيد.

﴿ضَلَّالٍ مُبِينٍ﴾: في ضلالٍ ويُعِدُّ عن الحق، والصواب مبين: يعني ظاهر واضح لكل فرد يعرف قريش أو العرب آنذاك وضلال لا يحتاج إلى تبين واضح بنفسه أو مظهر لنفسه، وفي هذه الآية قدم التزكية على يعلمهم الكتاب والحكمة، بينما في الآية (١٢٩) في سورة البقرة وعلى لسان إبراهيم قدم يعلمهم الكتاب والحكمة على يزكيهم (أي: آخر التزكية)؛ أرجع إلى آية البقرة للمقارنة ومزيد من البيان.

[٣] ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾: أي من العرب وغيرهم من التابعين وتابعوا التابعين إلى يوم القيامة.

﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾: لَمَّا تفيد التّفي إلى زمن التّكلم؛ أي: لم يلحقوا بهم بعد؛ أي: سيلحقون بهم في المستقبل وهم الذين سيأتون من بعدهم إلى يوم القيامة (أي الذين جاؤوا من بعدهم).

هناك فرق بين أَخْرَيْنَ وَأَخْرَيْنَ بفتح الخاء أو كسر الخاء.

أَخْرَيْنَ بكسر الخاء تعني: من غيرهم؛ أي: هناك انقطاع في الأجيال.



وكلمة آخرين: بفتح الخاء؛ أي: من الأميين الذين كانوا على عهده وزمن بعثته (غير الأميين).

أو بعثه الله سبحانه وتعالى ليعلم الأميين الكتاب والحكمة ويعلم الذين سيلحقون بهم، أو تعني كل يعلم الآخر.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: ارجع إلى سورة الحشر آية (٢٤) للبيان.

[٤] ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد، ويشير إلى فضل الله على رسوله وعلى الأميين، وعلى الذين لم يلحقوا بهم بعد بالإسلام والقرآن والوحي وبعثة محمد، وبالتركية وتلاوة الآيات وتعليمهم الكتاب والحكمة.

﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾: الفضل هو الزيادة على الأجر والثواب، والفضل له أنواع منها: العظيم والمبين والكبير.

﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: الإيتاء أعم من العطاء، ولمعرفة الفرق بين الإيتاء والعطاء: ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١).

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: ذو تعني: صاحب، وذو أفضل وأشرف من قول: صاحب، ذو الفضل العظيم: في الدنيا والآخرة حيث يضاعف الجزاء والحسنات أضعافاً كثيرة.

﴿أَفْضَلُ الْعَظِيمِ﴾: هو الفضل الذي لا يعلوه فضل أو يساويه فضل، والفضل العظيم لا يكون إلا من الله تعالى يؤتيه بعض عباده تفضلاً منه دون شرط.

وقد يكون مالاً أو عافية أو أهلاً، أو متاعاً وأكبر وأعظم فضل هو فضل الإيمان والإسلام والقرآن ومعرفة الله سبحانه ووحدانيته.

[٥] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾:

المناسبة: بعد أن أنكر اليهود بعثة نبوة محمد ﷺ وأنكروا ما جاء فيها من البشارة بمحمد، ولم يؤمنوا به أو ينتفعوا بتوراتهم، شبههم الله بالحمار الذي يحمل أسفاراً، فضرب المثل غاية توضيح الغموض المجمل فحاملو التوراة يماثلون أو يشبهون الحمار في صفة واحدة هي الحمل.

﴿الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ﴾: أي كُلفوا أو أمروا بتعلم التوراة والعمل بها، ولم يقل الذين آتيناهم الكتاب أو أهل الكتاب؛ لأن في ذلك مدح لهم، وإنما الذين حملوا التوراة فيها معنى الذم وخاصة حين شبهوا بالحمار الذي يحمل أسفاراً.

﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾: أي لم يتعلموها ولم يعملوا بها، أو تعلموا التوراة ولكنهم لم يعملوا بها؛ أي: يطبقوها حيث كانت تصف لهم صفات هذا النبي (محمد) المبشر به، والذي كانوا ينتظرونه، فلم يؤمنوا به ولم ينتفعوا بما في التوراة كمثال الحمار يحمل أسفاراً.

فالتوراة تشبه الأسفار: والأسفار جمع سفر، والسفر: الكتاب الكبير أو الكتب الكبار الجامعة للعلوم النافعة، والمعنى الثاني: الأسفار تعني الكتب الواضحة المعاني من السفر، والقول: أسفر الصبح؛ أي: انكشف بنوره؛ أي: يكشف لهم الطريق المستقيم، وسفرت المرأة: إذا كشفت عن وجهها، والمعنى الثالث: سفرت البيت: كنسته وأزلت عنه التراب حتى تنكشف أرضه، فهو يكشف لهم ما يحتاجونه من علوم الدين والمنهج.



والذين حملوا التوراة: أي اليهود حملوا التوراة كمنهج ودرسوا التوراة ولكنهم لم يطبقوها أو يستفيدوا منها، لم يعملوا بالأمانة ولم يوفوا بعهدهم، فشبّههم الله تعالى بالحمار الذي يحمل على ظهره الكتب، فهو لا يعلم ما فيها ولا يستفيد منها، أو لا يفهم ما يحمل على ظهره من صخر أو متاع أو كتب أو حاجات أخرى.

ولندرك أنّ الله سبحانه خلق الحمار للحمل وليس عليه واجب أن يدرك ما على ظهره من أحمال، فهم يشبهون الحمار في خاصية الحمل وليس بخاصية الغباء، والله سبحانه لا يطعن فيما خلق.

﴿بئس﴾: من أفعال الذم.

﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ﴾: أي كذبوا بآيات الله عز وجل الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ، ولم يؤمنوا به أو يفعلوا ما أمرهم الله به، أو كذبوا بآيات الله؛ أي: آيات القرآن وآيات التوراة، وتكذيب أحدهما يكفي، فالذي يكذب القرآن يكذب التوراة ولا يؤمن بها.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: أي المشركين الظالمين أنفسهم بتكذيب الأنبياء والرسل وقتلهم الأنبياء بغير حق؛ أي: لا يهدي الله هؤلاء الذين اختاروا بأنفسهم طريق الضلال والغواية والشرك، فالله لا يهدي الظالم ولا الفاسق وإنما يهدي المؤمن المتقي ومن سلك طريق الهداية، ولمعرفة معنى الظلم ارجع إلى سورة [البقرة: ٥٤].

[٦] ﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنكُم مَّوَالِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: خطاب إلى النبي ﷺ.



﴿قُلْ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾: هم اليهود، ومعنى (هادوا)؛ أي: رجعوا بالتوبة إلى الله من عبادة العجل، واشتقت من قولهم: إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ.

﴿وَأَن زَعَمْتُمْ أَنكُمُ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾: إن شرطية تفيد الشك والندرة.

أي: إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم أولياء الله أبناء الله وأحبائه دون غيركم من الناس، وأن (الدار الآخرة خاصة لكم).

﴿فَتَمَنَّوْاُ الْمَوْتَ﴾: الفاء: رابطة جواب الشرط؛ تمنوا: التمني: هو قول القائل ليت كان كذا، وليت لم يكن، ويقع على الماضي والمستقبل، والتمني في قوله: (فتمنوا الموت): هو تمنى بالقول فقط أو بالقلب، فتمنوا الموت؛ لأن ولي الله حقاً يتمنى لقاءه والإسراع إلى ما أعدَّ له من النعيم المقيم؛ أي: أن يميتكم وينقلكم إلى دار الآخرة.

﴿وَأَن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: إن شرطية فيها معنى الاحتمال والندرة؛ أي: إنكم غير صادقين.

[٧] ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَلَا﴾: النافية.

﴿يَتَمَنَّوْنَهُ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (٦) لبيان معنى التمني، وإضافة النون في يتمنونه للتأكيد.

﴿أَبَدًا﴾: لزيادة التوكيد.

﴿بِمَا﴾: الباء: السببية أو للتعليل؛ ما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: أي: عملت أو كسبت أيديهم من المعاصي والآثام.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: عليم: صيغة مبالغة من علم؛ أي: كثير العلم؛



بالظالمين: الباء: للإطلاق؛ الظالمين: جمع ظالم وهو كل من خرج عن منهج الله تعالى، ولا بد من مقارنة هذه الآية مع الآية (٩٥) في سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ لو جدنا الاختلافات التالية:

١ - (لا): النافية في آية الجمعة: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾، (لن) في آية البقرة.

لن: أقوى نفياً، من: (لا) تنفي المستقبل القريب البعيد.

(لا): جاءت في سياق الذين زعموا أنهم أولياء الله، بينما (لن) جاءت في سياق الذين زعموا أن الدار الآخرة خاصة بهم وحدهم، هذا الزعم أشد وأبلغ من الزعم بأنهم أولياء الله، لذلك استعمل (لن).

٢ - يتمنونه: تدل على كثرة الذين زعموا أنهم أولياء الله مقارنة بآية البقرة (يتمنوه) تدل على قلة عدد الذين يزعمون أن الدار الآخرة (الجنة) خاصة بهم، بما قدمت أيديهم: الباء سببية تعليلية، ما: اسم موصول أو مصدرية بسبب ما اقترفوا من الكفر والمعاصي، ومن ذلك كفرهم برسول الله ﷺ.

ولا يتمنونه أبداً (بسبب ما قدموا من الكفر). ولأنهم أحرص الناس على حياة، كما قال تعالى: ﴿يُودُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]، فالنفي في آية البقرة أشد وأقوى وأكثر تأكيداً من النفي في آية الجمعة؛ ارجع إلى آية البقرة لمزيد من البيان.

[٨] ﴿قُلْ إِنْ أَلَمْتُ أَلَدَىٰ تَفْرِوتَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَقِيبُكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالَمِ
وَالشَّهَادَةُ فَيُنْتِشِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾: الفرار هو الخوف والهروب بسرعة بدون محاولة التستر والخفاء.

﴿مُلَقِّعِكُمْ﴾: مدرككم وجهاً لوجهه، لاحقٌ بكم لا تفوتونه.

ثم: للتراخي في الزمن والترتيب.

﴿تُرْذَوْنَ﴾: الرّد ولم يقل ترجعون، الرّد يكون بدون اختيار لكم.

ارجع إلى سورة القصص آية (٧) لمعرفة الفرق بين الرجوع والرد.

﴿إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: عالم الغيب: عالم ما غاب واستتر من الغيب بكل أنواعه، والشهادة: عالم يشاهد بالمدركات (العيون والأذان) والحواس، فهو عالم كل مخلوقاته بغيها وظاهرها لا يعزّب عنه شيء في الأرض ولا في السماء. ارجع إلى سورة التوبة آية (١٠٥) لمزيد من البيان.

﴿فَيَنْبِئُكُمْ﴾: الفاء: للترتيب والتعقيب، ينبئكم: يخبركم.

﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: الباء للإلصاق، ما: اسم موصول أو مصدرية، كنتم: في الدنيا، تعملون: العمل يشمل القول والفعل؛ أي: تقولون وتفعلون.





سُورَةُ الْحَجَرِ ٦٢

سُورَةُ الْحَجَرِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُسْتَدَدٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوٌّ فَاحْذَرْهُمْ فَهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾



سُورَةُ الْحَجَرِ ٥٦

سورة الجمعة [الآيات ٩ - ١١]

[٩] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نداء للذين آمنوا بيا النداء والهاء للتنبيه، نداء جديد بتكليف جديد بتكليف جديد للذين آمنوا.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية شرطية تفيد حتمية الحدوث وكثرته.

﴿نُودِيَ﴾: أي أذن لصلاة الجمعة، والنداء هو الأذان وهو الإعلام برفع الصوت.

﴿لِلصَّلَاةِ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿مِنْ﴾: ظرفية، يوم الجمعة: هو اليوم المعروف من أيام الأسبوع، والجمعة بضم الميم: صفة لليوم؛ أي: يوم تجمّع الناس.

﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾: السعي يعني المشي بجهد وعزم وقصد، ويعني: المضي إليها أو الإسراع والاشتغال بها، أو التحضير لها بالوضوء والخروج إلى المسجد بشكل مبكر والتفرغ لها، إلى ذكر الله: أي الخطبة والصلاة، فالخطبة تعدّ ذكراً لله وكذلك الصلاة.



﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾: توقفوا عن البيع وسائر الأعمال الدنيوية من بيع وشراء، أو شغل يشغلكم عن الصلاة، وذروا البيع: مجاز مرسل، يعني: كل أنواع الأعمال والتجارة وغيرها وتفرغوا للصلاة.

﴿ذَلِكُمْ﴾: أي إشارة إلى السعي إلى ذكر الله والصلاة والخطبة خير لكم من البيع والتجارة والربح، ذلكم: خير لكم وأبقى من أعمالكم الدنيوية. ولم يقل ذلك؛ لأن (ذلكم) للتعظيم والتأكيد وتشمل عدة أمور.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والندرة، كنتم تعلمون: ما هو الأفضل والأصلح لكم، أو ما ينفعكم وما يضركم، وما في صلاة الجمعة من ثواب وخير.

[١٠] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، إذا: ظرف زماني.

﴿قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾: انتهت الصلاة، أُدِّيت الصلاة.

﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: أي تفرقوا لقضاء حوائجكم.

﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾: اطلبوا الرزق من الله، أو عودوا إلى بيعكم وشرائكم، والفضل لا يقتصر على طلب الرزق فقط، وإنما يشمل طلب العلم، أو زيارة مرضاكم وإخوانكم، وامشوا في الجنايز وساعدوا إخوانكم، وغيرها من



الأعمال الصالحة التي تورث الزيادة في الأجر والفضل من الله الكريم واسع العطاء.

﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾: بالتهليل والتكبير والحمد والشكر، والصلاة والتسليم على النبي ﷺ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾: لعل: تفيد التعليل، تفلحون: الفوز بالدارين، ارجع إلى سورة البقرة آية (٥).

[١١] ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ الْجَعْرِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾:

سبب نزول هذه الآية: كما أخرج البخاري ومسلم وغيرهما، عن جابر قال: كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة إذا أقبلت غير؛ أي: إبل، محملة طعاماً ودقيقاً وغيره من المتاع، قدمت من الشام، فخرجوا إليها حتى لم يبق معه ﷺ إلا (١٢) رجلاً، فأنزل الله سبحانه هذه الآيات.

وكان من عادة أهل المدينة إذا جاءت قافلة تجارية تحمل الميرة؛ أي: الطعام والحاجيات، يستقبلونها باللهو وضرب الطبول والمزامير، فخرج الناس يتسللون حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا (١٢) رجلاً، فنزلت هذه الآيات.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا﴾: وإذا: ظرفية زمانية. رأوا تجارة قادمة إليهم.

﴿أَوْ لَهْوًا﴾: أي خرجوا إليها، من: الفَض وهو: كسر الشيء والتفريق بين أجزائه؛ أي: خرجوا متفرقين لمجرد سماع الطبل، منهم من خرج



للانتفاع من التجارة ومنهم من خرج للهو. والضمير في كلمة (إليها) يعود على التجارة أو اللهو، اللهو هنا هو استقبال العير بالطبول والتصفيق والمزامير والغناء، أو تركهم الجمعة (الخطبة والصلاة) يعتبر عملاً يُلهي عن واجب، فهو يعتبر لهواً بحد ذاته، ولم يقل إليهما؛ لأن خبر أحدهما يغني عن الآخر.

﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾: أي على المنبر تخطب.

﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ الْجَنَّةِ﴾: تكرار (من) مرتين؛ لفصل أحدهما عن الآخر: فصل اللهو من التجارة وكلاهما معاً.

﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: من الثواب والجزاء كالجنة والنعيم المقيم.

﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ الْجَنَّةِ﴾: وما عند الله خير؛ أي: أفضل من اللهو، وتعريفه: هو ما يشغل الإنسان عن واجب أو ما يهمله، أو هو لعب يشغل عن واجب؛ أي: أفضل من سماع الطبول والمزامير والغناء، التي شغلتهم عن الصلاة إذا شغلتهم عن ذكر الله وعن الصلاة، وأفضل من التجارة (البيع والشراء).

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾: والله سبحانه هو الرزاق الحقيقي وغيره ليسوا رازقين حقيقة؛ لأنهم عرضة للموت والأغيار، ولكنه سبحانه من كرمه وفضله أطلق عليهم هذه الصفة التي هي صفة حقيقية ثابتة من صفاته.

وإذا نظرنا إلى الآية (١١) نجده في مطلع الآية قدم التجارة على اللهو فقال: (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا لها)؛ لأن التجارة كانت هي السبب الحقيقي للخروج من صلاة الجمعة لنزول الآية وليس اللهو.



وفي نهاية الآية: (قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة) قدّم اللهو على التجارة، فكيف نفسر ذلك؟ لأن اللهو أعم من التجارة؛ أي قدّم الأعم على الأخص؛ لأنّ اللهو أعمّ من التجارة بالنسبة للناس فليس كل إنسان تاجراً، والمهم العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، الإلهاء في ما لا خير فيه مذموم.





سُورَةُ الصَّحْه ٦٢

سُورَةُ الصَّحْه

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ
فَأَسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ
وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ
مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا أَنشَهِدْ إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
إِنَّكَ لِرَسُولِهِ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾
أَتُخَذُوا أَيْمَنُهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ
وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسَدَّدٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ
صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَتِلْكَ جُمُوعٌ لَمْ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾



سورة المنافقون [الآيات ١ - ٤]

ترتيبها في القرآن (٦٣) ترتيبها في النزول (١٠٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا أَتَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ
الْمُتَنَفِقِينَ لَكَذِبُونَ﴾:

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿جَاءَكَ﴾: من المجيء، والمجيء فيه الصعوبة والمشقة؛ لأنهم يأتون بغير
رغبة؛ أي: وهم كارهون، أو يخافون أن يظهر نفاقهم أمام الناس بعكس الإتيان
فيه معنى السهولة؛ أي: الحضور بسهولة.

﴿الْمُتَنَفِقُونَ﴾: جمع منافق، والمنافق هو من يظهر الإسلام والإيمان ويبطن
الكفر، فقلبه لا يوافق لسانه، وكلمة منافق مشتقة من نفق اليربوع وهو حيوان
يشبه الفأر ويسكن في الصحراء ويحفر لنفسه نفقاً في الأرض له بابان أو أكثر إن
ترصده عند أحدهما يخرج من الثاني، كالمنافق له وجهان.

﴿قَالُوا أَتَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾: قالوا: بألسنتهم فقط وتأبى قلوبهم تصديق
ذلك، واللام في كلمة (لرسول الله) تفيد التوكيد.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾: ولم يقل والله يشهد أنك لرسوله، فما هو الفرق
بين يعلم ويشهد؟ الذي يشهد يعلم فهو لا يشهد إذا لم يعلم (فهو حاضر ويعلم ما



يحدث)، والذي يعلم ليس بالضروري أن يكون شهيداً (حاضراً) فهو يعلم بدون حضور بأن يخبره غيره.

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾: إن للتوكيد، واللام في (لكاذبون) لزيادة التوكيد، وفي هذه الآية تساؤلان:

السؤال الأول: ما غاية إدخال جملة (والله يعلم إنك لرسوله)؟ الجواب: لو حذف هذا الجزء من الآية وقال تعالى: إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون: لكان ظاهر القول أن المنافقين يشهدون إنك لرسول الله، والله سبحانه لا يشهد بذلك، وحاشا لله ذلك.

السؤال الثاني: متى يستعمل كلمة يشهد ومتى يستعمل كلمة يعلم؟ إذا كان الأمر المطروح يعلمه المؤمنون والله يعلمه، عندئذ يستعمل يشهد فالله يشهد على الكل، وأما إذا كان الأمر المطروح عملاً قلبياً كالنفاق والإسرار عندئذ يعلمه الله وحده فقط ولا يعلمه المؤمنون، فيستعمل يعلم.

مثال: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ سورة التوبة الآية [٤٢] هذا عمل قلبي لا يعلمه إلا الله فقال: يعلم، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفَرِّقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ سورة التوبة الآية [١٠٧] هذا الحلف (ليحلفن) حدث أمامهم ويعلمونه والله يعلم ذلك ولذلك استعمل: يشهد.

[٢] ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿اتَّخَذُوا﴾: من الاتخاذ وهو التصيير والجعل، والضمير يعود على المنافقين.

﴿أَيْمَنَهُمْ﴾ جمع يمين، وهو القسم أو الحلف.

﴿جُنَّةٌ﴾: ستر ووقاية لهم من القتل والأذى؛ أي: استتروا وراء أيمانهم الكاذبة حتى لا تكشف حقيقتهم فكلما ظهر شيء يوجب معاقبتهم حلفوا الأيمان الكاذبة.

﴿فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الفاء للتوكيد، صدّوا الناس عن دين الله وعن إطاعة أوامره مثل الخروج في سبيل الله أو الجهاد أو غيرهما.

﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: إنهم: للتوكيد، ساء: من أفعال الذم والقبح؛ أي: بئس، ما: اسم موصول بمعنى الذي أو مصدرية، وما: أوسع شمولاً من الذي؛ كانوا: في الدنيا، يعملون: تشمل الأقوال والأفعال، وتعني: ما كانوا يعملون من النفاق وصد الناس عن سبيل الله واتخاذ أيمانهم جنة وغيرها.

[٣] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة واللام للبعد ويشير إلى الكذب والنفاق والصدّ عن سبيل الله واتخاذ أيمانهم جنة.

﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾: الباء للإلصاق بآء السببية، آمنوا: في الظاهر آمنوا بالاستتھم.

﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾: ثم للترتيب الإخباري، كفروا: ولم يصدقوا بما أنزل الله تعالى.

﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: بسبب ما كانوا يعملون، فلا يدخلها إيمان ولا يخرج منها كفر، والطبع أشد من الختم؛ الختم قد يفك، وأما الطبع لا يفك أبداً.
﴿فَهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾: لا النافية، يفقهون: لا يفهمون أو لا يعرفون معنى الإيمان.



والفقه لغة: هو الفهم، واصطلاحاً: هو معرفة الأحكام الشرعية. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٨) لمزيد من البيان.

[٤] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مُمْسِكَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاذْرَهُمْ فَتِلْكَ لَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَقُولُوا﴾:

﴿وَإِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث وبكثرة.

﴿رَأَيْتَهُمْ﴾: رؤية بصرية عينية.

﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾: الجسم: يشمل البدن + الروح + النفس، ويمتاز بالحياة، وأما الجسد: يشمل البدن + الروح بدون النفس لضخامتها وهيئتها وحسن صورها.

﴿وَإِنْ يَقُولُوا﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال والندرة، يقولوا: يتحدثوا بأمر ما.

﴿تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾: لفصاحتهم وحلاوة كلامهم وتحسب ما يقولوه صدقاً وحقاً لحسن منطقهم.

﴿كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مُمْسِكَةٌ﴾: شبه جلوسهم في مجالس رسول الله ﷺ كأنهم خُشْبٌ مُمْسِكَةٌ إلى الجدار أو الحائط؛ أي: منصوبة مستندة بشكل مائل إلى الحائط، وخُشْبٌ: جمع خشب، والخشباء هي التي فسد جوفها ونخرها السوس فأصبحت فارغة، خُشْبٌ مستندة لا تتحرك ولا تسمع ولا تعقل، ولا تبصر ولا تحس، ولو كانت خشباً مفيدة لاستعملت في السُّقُف والحيطان، أو شبهوا لضخامة أجسامهم وحسن صورها بالأصنام المنحوتة من الخشب المستندة؛ أي: المعلقة على الجدران.

﴿يَحْسِبُونَ﴾: من خوفهم ورعبهم يحسبون: من الحسب وهو الاعتقاد أو

الظن الراجح.



﴿كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾: كلّ نازلة، كلّ واقعة أو حديث أو قول يخصهم أو موجّهاً إليهم؛ وذلك لما في قلوبهم من الخوف والرّعب والدُّعر أن يكشف الله أسرارهم ويبيح دماءهم، صيحة: نكرة، مهما كانت شدتها ونوعها وتشمل كلّ أنواع الصّيحات.

﴿هُرُّ الْعَدُوِّ﴾: هم: ضمير فصل يفيد التّوكيد؛ أي: أعدى الأعداء أو الكاملوا العداوة.

﴿فَأَحْذَرُهمُ﴾: الفاء للتوكيد، احذرهم: أي لا تأمنهم ولا تطلعهم على أسرارك، واحذرهم أن يتمكّنوا منك، أو احذر مؤامراتهم ولا تغترّ بظاهرهم وأقوالهم.

﴿فَتَلَهُمُ اللَّهُ﴾: دعاء عليهم بالطرد من رحمة الله، أو عاداهم الله.

﴿أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾: أنى للاستفهام الإنكاري وتعني: كيف يصرفون عن الحق ويميلون إلى الكفر والباطل؟ أو: من أين أو بأيّ سبب يصرفون عن الحق؟! للتعجب من جهلهم وضلالهم، والإفك: هو الكذب المتعمد، والصّرف عن الحق وقلب الحقائق.





سُورَةُ النَّازِعَاتِ ٦٣

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّارُءٌ وَسَهُمٌ
وَرَأَيْتَهُمْ يُصْذُونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ
خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
﴿٧﴾ يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ
مِنْهَا أَلَا ذَلَّ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ
أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ
مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي
إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ
يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

أَنبَا ٦٨

مَنْبَا ٦٦

سورة المنافقون [الآيات ٥ - ١١]

[٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾ ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: مبني للمجهول المهم هنا المقولة أو قيمة القول وليس القائل.

﴿تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾: قيل: نزلت هذه الآية في المنافقين ومنهم عبد الله بن أبي حين افتضح أمرهم بالنفاق وقال: ليخرجن الأعز منها الأذل، وقال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، قيل لهم: اذهبوا إلى رسول الله ﷺ فاسألوه أن يستغفر لكم، فأبوا ذلك. ارجع إلى الآية (٧) من السورة نفسها؛ لمزيد من البيان.

﴿تَعَالَوْا﴾: أي أقبلوا إلى رسول الله ﷺ، أقدموا إليه واطلبوا منه أن يستغفر لكم؛ لكي يعفو الله عنكم.

﴿لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ﴾: عطفوها إلى الأعلى؛ بمعنى (لا) كناية عن الإعراض، ولو عطفوها إلى الأسفل أو ناحية الصدر لكانت تعني (نعم) ولكان أفضل لهم.

﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾: الصّد: الإعراض المصحوب بشيء من الغضب.

﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾: هم تفيد التوكيد، مستكبرون: في أكمل مظاهر الاستكبار، ومستكبرون: جمع مستكبر: وهو الذي لا يملك مقومات التكبر



أو ليس أهلاً للتكبر، مستكبرون: أن يتوبوا إلى الله وينيبوا إليه، ويأتوا إلى رسوله ﷺ ليستغفر لهم.

ومستكبرون: جملة اسمية تدل على أن صفة الكبر ثابتة عندهم ولن تتغير، وليست مجرد عرض زائل. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان في مستكبرون.

[٦] ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾:

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾: المساواة: المعادلة، واستوى الشئان تساويًا؛ أي: ساوى أحدهما الآخر، وسواء: مأخوذة من التساوي.

﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾: الهمزة همزة تسوية؛ لكونها واقعة بعد كلمة سواء؛ أي: الأمران متساويان عند الله تعالى سواء أَسْتَغْفَرْتَ أم لم تستغفر لهم النتيجة واحدة: لن يغفر الله لهم.

والمغفرة: تعني ستر الذنوب ومحوها، وبالتالي العفو.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد.

﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: ارجع إلى سورة الصف الآية (٥) للبيان. والبقرة الآية (٢٦) وللمربط بين هذه الآية (٦) من سورة المنافقون وهي قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ مع الآية (٨٠) من سورة التوبة وهي قوله: ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾.

قيل: نزلت آية التوبة: قبل نزول آية المنافقون، وعندما نزلت آية سورة

التوبة:

﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾
قال النبي ﷺ: (لأزيدنَّ على السَّبعين) فأنزل الله: بعد ذلك الآية (٦) من سورة
المنافقون: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وروي عن ابن
عبَّاس قال: لما نزلت آية براءة قال النبي ﷺ: (وأنا أسمع، إنِّي قد رخص لي
فيهم، فو الله لأستغفرنَّ أكثر من سبعين مرة، لعل الله أن يغفر لهم) فنزلت الآية:
﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾.

[٧] ﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾:

أسباب نزول هذه الآية (٧) والآية (٨) كما روى البخاري ومسلم وغيرهما:

في غزوة بني المصطلق ازدحم رجل من المهاجرين مع رجل من الأنصار
على ماء المُرَيْسِع وضرب أحدهما الآخر، مما أثار الفتنة بين المهاجرين والأنصار
وعلى رأسهم عبد الله بن أبيّ الذي قال: أوقد فعلوها! والله ما مثُلنا ومثلهم إلا
كما قيل: سَمَّنْ كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز
منها الأذل؛ يعني محمداً ﷺ! وقال لقومه الأنصار: كفّوا طعامكم عن محمد
وأصحابه ولا تنفقوا على من عنده؛ حتّى ينفضّوا ويتركوه، وأنكر عبد الله بن
أبيّ أنّه قال ذلك، وقيل له: اذهب إلى رسول الله واستغفره، فأبى ولوى رأسه،
ونزلت هذه الآيات.



﴿هُمُ الَّذِينَ﴾: هم: ضمير فصل للتوكيد، تعود على عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه من المنافقين، الذين: ضمير متصل يفيد الذم ويفيد الكثرة.
﴿يَقُولُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد والتكرار، وحكاية الحال: يقولون للأنصار.

﴿لَا تُنْفِقُوا﴾: لا الناهية، تنفقوا: المال وغيره من الطعام والشراب؛ حتى يجوعوا ثم ينفصوا عنه.

﴿عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾: أي على المهاجرين.

﴿حَتَّى﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿يَنْفَعُوا﴾: يفرقوا عن رسول الله ولا يبقوا حوله، من الفض: وهو التفريق بين الشيء المجمع، أو كسر الشيء والتفريق بين أجزائه.

﴿وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: الواو للتوكيد، لله: تقديم الجار والمجرور يدل على الحصر؛ أي: لله وحده، خزائن: جمع خزينة، خزائن الأرزاق والمال والخيرات والطعام والشراب، والمعادن والذهب والفضة والحديد وكل ما يتصوره الإنسان ويحتاجه في حياته على الأرض، هذه الخزائن هي النجوم التي لا تحصى ولا تعد ويقدر عددها بالمليارات، وهي أفران نووية تصنع فيها كل المواد والمعادن والذهب والفضة والحديد وغيرها. ارجع إلى سورة الحجر آية (٢١) وسورة الأنعام آية (٥٠) لمزيد من البيان.

﴿وَلَكِنْ﴾: لكن حرف استدراك وتوكيد.

﴿الْمُتَفَقِّهِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾: الفقه: وهو الفهم للحقائق أن الله سبحانه وحده

هو الرزاق، ومنعهم الإنفاق على رسول الله، أو صحابته لا يضر، وذلك لجهلهم بعظمته وقدرته، وإن الله قادر على أن يرزق من يشاء بغير حساب.

والفقه اصطلاحاً: معرفة الأحكام الشرعية. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٨) لمزيد من البيان.

[٨] ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿يَقُولُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ لتدل على حكاية الحال والتجدد والتكرار؛ أي: عبد الله بن أبي المنافقون يقولون.

﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾: من غزوة بني المصطلق، لئن: اللام لام التوكيد، إن شرطية تفيد الاحتمال والشك.

﴿لَيُخْرِجَنَّ﴾: اللام لام التوكيد، وكذلك التّون في (يخرجن) لزيادة التوكيد على أنهم سيخرجون المهاجرين ومحمداً ﷺ من المدينة.

﴿الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ﴾: الأعز حسب زعمهم: هو أمثال عبد الله بن أبي بن سلول، والأذل: يعني رسول الله ﷺ وأصحابه المهاجرين.

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾: السواو عاطفة تفيد التوكيد، لله: جار ومجرور والتقديم يفيد الحصر؛ أي: لله وحده العزة فهو مالك العزة وصاحبها.

﴿وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾: والعزة هي عزة الغلبة والقهر والقوة والامتناع، وعزة الرسول والمؤمنين نابعة من عزة الله تعالى وفضله وإحسانه على رسوله وعلى المؤمنين.



﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿الْمُتَفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يعلمون أن العزة لله وحده، وهو معز لرسوله ولأوليائه، وانتبه إلى التدرج كيف يكون: أولاً التفكير (بالعقل بالمعطيات) ثم التدبر (النظر في عواقب الأمور، والتدبر يكون بالعقل والقلب) ثم الفقه ثالثاً، ورابعاً يكون العلم، فالذي قال: ليخرجن الأعز منها الأذل هو عبد الله بن أبي بن سلول جاهل لا يعلم حقائق الأمور أن العزة لله جميعاً.

وهناك تفسير ثانٍ لنهاية هذه الآية (٨) وهي قوله: ﴿وَلَكِنَّ الْمُتَفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مع نهاية الآية (٧) وهي قوله: ﴿وَلَكِنَّ الْمُتَفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾: فقوله تعالى: لا يعلمون (أن العزة لله جميعاً، والعزة أمر معنوي)، ولا تنفقوا: الإنفاق أمر ظاهر حسي، فقال: لا يفقهون.

أن العزة لله جميعاً: وهذا أمر يجهله الكثير ويجهله المنافقون ولا يعلمونه فقال: لا يعلمون. وبما أن الكثير يعلمون أن الرزق من عند الله تعالى فلا يحتاج هذا الأمر إلا القليل من الفهم والفقه، ولذلك قال: لا يفقهون، ووصفهم بأنهم (لا يفقهون) أسوأ وأقبح من وصفهم (لا يعلمون).

[٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نداء جديد بتكليف جديد أو موعظة أو بيان، والهاء

للتنبية.

﴿لَا﴾: الناهية.



﴿تَلْهَكُمْ﴾: من اللهو، وتعريف اللهو: هو شغل يُلهي عن واجب أو العبث بشيء بقصد تضييع الوقت أو بشيء لا جدوى منه ولا فائدة، واللعب إذا شغل الإنسان عن واجب أو فريضة يعتبر لهواً، والإلهاء: يكون عادة في ما لا خير فيه، وهو مذموم.

﴿أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾: تكرر (لا) الناهية يفيد التوكيد؛ لأن كلاً من الأموال والأولاد سبب من أسباب اللهو؛ أي: تلهكم أموالكم بمفردها، ولا تلهكم أولادكم بمفردها، أو لا تلهكم أموالكم وأولادكم معاً، وقدم الأموال على الأولاد؛ لأن الأموال هي الأعم فالكل يملك المال وليس الكل عندهم أولاد، وكان الخطاب في هذه الآية للأموال، وخاطبها كأنها تعقل؛ أي: لها عقل، ونهاها، ونهى الأولاد عن إلهاء المؤمن، ووجه الخطاب للأموال والأولاد للمبالغة، والأصل لا تلتها بأموالكم وأولادكم.

﴿عَنْ﴾: تفيد المجاوزة والمباعدة.

﴿ذِكْرَ اللَّهِ﴾: أي الصلاة وكل أنواع الذكر مثل: التسبيح والتكبير والتلهيل، وتلاوة القرآن وحضور مجالس العلم والدين، وأداء العبادات والفرائض في المساجد.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾: ومن: شرطية، يفعل: بصيغة المضارع؛ للدلالة على الاستمرار والتجدد في النهي عن اللهو بالأموال والأولاد.

﴿فَأُولَئِكَ﴾: الفاء للتوكيد، أولئك: اسم إشارة للتصغير والتحقير.

﴿هُمْ الْخَسِرُونَ﴾: هم للتوكيد، الخاسرون؛ أي: إذا كان هناك خاسرون



فهم في مقدمة هؤلاء؛ أي: هم الخاسرون حقاً لأنفسهم ولأهلهم. ارجع إلى سورة النساء آية (١١٩) لمزيد من البيان.

[١٠] ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾:

﴿وَأَنْفِقُوا﴾: الإنفاق: هو إخراج المال من الملك فلا يعد ملكه.

﴿مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾: من ابتدائية تدل على التبعض؛ أي: من بعض (ما) بمعنى: الذي رزقناكم؛ أي: المال وغيره، و(ما) أوسع شمولاً من (الذي) ولو قال تعالى أنفقوا ما رزقناكم، لكان يعني: كل ما رزقناكم، وهذا مستحيل ولن تقدروا عليه، أنفقوا من ما رزقناكم؛ أي: من مال الله الذي رزقكم وفي هذا حثٌ على الإنفاق والصدقة.

﴿مِنْ قَبْلِ﴾: ولم يقل من قبل: من قبل بكسر الهمزة: الزمن غير محدد قد يطول أو يقصر؛ أي: في أي زمن. ولو قال من قبل: تدل على تعيين زمن محدد، ومن قبل تشير أيضاً إلى قرب الموت من أحدكم؛ أي: لا فاصل زمني بين الإنسان وأجله، كأن الموت ملتصق به.

﴿أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾: أن حرف مصدري للتعليل والتوكيد.

يأتي أحدكم الموت: ولم يقل من قبل أن يأتي الموت أحدكم، تقديم المفعول به (أحدكم) على الفاعل وهو الموت؛ للمبالغة والاهتمام بالنفس (أحدكم) للاستعداد والتحضير للموت، أو آخر ذكر الموت؛ لأن الموت شيء مكروه للنفوس ولا تحب سماعه.



وفائدة أخرى في التأخير: لتجنب المفاجأة؛ أي: مجيء الموت؛ لأنَّ الإنسان يخاف من الموت ولذلك أخره وحتَّى لا يفاجأ به، واختار كلمة (يأتي) ولم يقل من قبل أن يجيء أحدكم الموت؛ لأنَّ المجيء فيه صعوبة ومشقة على النفس، والموت لم تبدأ سكراته بعد فلو بدأت سكراته لاستعمل جاء، وبما أنَّه سيحدث في المستقبل ولم يجيء بعد اختار (يأتي).

﴿فَيَقُولَ﴾: الفاء تدل على الترتيب والتعقيب، والنصب لكلمة (يقول) ليدل على أنَّ القول سيكون في المستقبل أو الحال، ولو حدث في الماضي لاستعمل: فيقول.

﴿رَبِّ﴾: ولم يقل يا رب. رب؛ لأنَّ الرَّب قريب من العبد فلا يحتاج إلى ياء النداء التي تدل على البعد، أو لأنَّ الوقت قصير وليس هناك متسع في الزمن حين يحضر الموت، لذلك حذف الياء.

﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي﴾: أخرتني: أشد في الطلب والحث من لو أخرتني وجواب الطلب: (فأصِّدق).

﴿أَخَّرْتَنِي﴾: استعمل ياء المتكلم ولم يقل لولا أخرتن بدون ياء؛ لأنَّه طلب لمصلحة العبد وهو طلب تام وصريح ليس فيه شك مقارنة بقول إبليس في سورة الإسراء آية (٦٢): ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فطلب إبليس التأخير ليس فيه النفع لنفسه، وإنما ليضل ذرية آدم. ارجع إلى سورة الإسراء آية (٦٢) لمزيد من البيان.

﴿إِلَى﴾: حرف يمكن استعماله لكل الغايات.



﴿أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: طلب تأخير الموت فقط إلى أجل قريب، أي زمن أو وقت قريب قصير.

﴿فَأَصَّدَّقَ﴾: الفاء فاء السببية، وهي جواب الطلب (أَصَّدَّقَ) ولم يقل أتصدق، (أَصَّدَّقَ) أقل حروفاً من أتصدق، اختار الكلمة المناسبة لقصر الوقت الذي يرجوه طمعاً في تأخير الموت عنه.

وكلمة فَأَصَّدَّقَ: فيها تضعيفان: الأول في الصاد والآخر في الدال؛ للمبالغة والتكثير في الصدقة؛ أي: ينوي أن يكثر من الصدقة، أي الإنفاق؛ لأنَّ الأجل قريب وليس هناك زمن طويل وحتى يكون من الصالحين.

ونصب (أَصَّدَّقَ) بأن المضمرة؛ أي: أن أَصَّدَّقَ.

﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: الواو هنا واو المعية؛ أي: أقوم بكلا الفعلين أَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ معاً، وأكن: أصلها: وأكون مِنَ الصَّالِحِينَ حذف الواو؛ ليناسب عدم وجود متسع من الزمن، وقدم الصدقة على الصلاح: مع أنَّ الصلاح أهم من الصدقة؛ لأنَّ التقديم هنا والتأخير ليس مبنياً على الأفضل وإنما التقديم والتأخير مبني على السياق، والسياق في الآيات على الإنفاق والأموال فقدَّم الصدقة.

[١١] ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَلَنْ﴾: الواو استئنافية، لن حرف نفي ينفي المستقبل القريب والبعيد، وهي أقوى حروف النفي.

﴿يُؤَخِّرُ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾: نفساً: نكرة تعني: أي نفس مهما كانت زكية أو مسيئة.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية بمعنى: حين يجيء أجلها، وشرطية، وإذا تدل على حتمية الحدوث.

﴿جَاءَ﴾: المجيء فيه معنى المشقة والصعوبة.

﴿أَجْلُهَا﴾: الأجل: الوقت المضروب لانقضاء أو انتهاء الشيء، وأجل الإنسان: هو الوقت لانقضاء عمره.

﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ لِّمَا تَعْمَلُونَ﴾: الله خير؛ أي: عليم ببواطن الأمور، بما: الباء للإلصاق، (ما) بمعنى الذي أو مصدرية، ما أوسع شمولاً من الذي، تشمل كل شيء: ما عملتم.

تعملون: العمل يضم القول والفعل، عليم بما تقولون وتفعلون في الدنيا، وقدم كلمة (خير) على (تعملون)؛ لأن سياق الآيات في الموت والغيب وهذا من اختصاص وصفات الله سبحانه وتعالى، فلذلك قدم (خير).





سورة النور

سورة النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ
وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمُ بَذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ الْمُرَايَاتُ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ
فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى
اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثَ قُلْ بَلَى وَرَبِّي
لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤَنَّ بِمَا عَمَلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ
وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ
يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمِلْ
صَالِحًا يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

سورة التغابن [الآيات ١ - ٩]

ترتيبها في القرآن (٦٤) ترتيبها في النزول (١٠٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ارجع إلى سورة الحديد آية (١)،
والحشر آية (١)، والصف آية (١) لبيان معنى سبح، وارجع إلى سورة الجمعة
(١) لبيان معنى يسبح، وبدأت سورة التغابن آية (١) كذلك بقوله تعالى: (يسبح)،
وبدأت سورة الإسراء آية (١) بقوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده)، وبدأت
سورة الأعلى آية (١) بقوله تعالى: (سبح أسمى ربك الأعلى).

﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾: له: اللام لام الاختصاص والملكية، له وحده سبحانه الملك،
وتقديم (له) للدلالة على الحصر.

﴿الْمُلْكُ﴾: الحكم المطلق على ما في السموات وما في الأرض.

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾: له: يفيد الاختصاص والحصر؛ أي: له وحده الحمد المطلق
حصراً.

له الحمد: على الخلق والتدبير والتصريف. ارجع إلى سورة الفاتحة آية
(١) لمزيد من البيان.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: وهو: الواو عطف، هو: ضمير فصل يفيد التوكيد
ويعود على واجب الوجود: وهو الله، على كل شيء قدير: قدير صيغة مبالغة



لقادر، قادر إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل،قدير تعني كذلك: القوي العظيم الشأن القادر على خلق كل شيء وتصويره وإبداعه وذريته ونشره وملكه، والعلم به والقدرة عليه، لا يعجزه شيء في سماواته وأرضه، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كن فيكون.

فكونه جمع الملك والقدرة على كل شيء، فهذا يدل على كماله وعظمته.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِّمُكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر ويعود على واجب الوجود الذي له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وهو الخالق أيضاً، فهذه من كمال صفات الألوهية والربوبية.

﴿خَلَقَكُمْ﴾: الخلق هو التقدير والإيجاد، والخلق من العدم خلقكم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة.

﴿فَنُكِّمُكُمْ﴾: الفاء: للتفصيل أو التفريغ منكم: خاصة من جنسكم (من الإنس).

﴿كَافِرٌ﴾: من اختار لنفسه طريق الكفر، فالكفر من فعل الإنسان وكسبه.

﴿وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾: وتكرار منكم يفيد التوكيد، ومن جنسكم الإنس من هو مؤمن؛ أي: اختار لنفسه طريق الإيمان، فالإيمان من فعله وكسبه، وقدّم (كافر) على (مؤمن)؛ لأن الكفر هو الأعم والأكثر.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: والله بما تعملون من الكفر أو الإيمان بصير؛ أي:



يرى أعمالكم، والعالم بها والمدرك والمحيط بكل ما يبصر، وقدم تعملون على بصير؛ لأن سياق الآيات في عمل الإنسان.

[٣] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: ارجع إلى سورة فصلت آيات (٩ - ١٢) للبيان وسورة الأنبياء آية (٣٠).

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء للإلصاق وتعني: بالشيء الثابت الذي لا يتغير، فالسماوات والأرض وما فيها من كواكب وأقمار وشموس وأفلاك ومجرات تسير على نظام ثابت وقوانين ثابتة، وأبعاد وأحجام وقوى جاذبة وكهرومغناطيسية لا تتبدل، و(بالحق) تعني: لم يخلقها عبثاً بغير حكمة وفائدة.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾: صوّركم: صور كل إنسان بصورته وهيئته بحسب الشفرة الوراثية، وميّز كلاً عن الآخر فلا يشبه إنسان إنساناً آخر. ارجع إلى سورة آل عمران آية (٦) والأعراف آية (١١) للبيان المفصل.

﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾: إليه المنتهى؛ أي: الوقوف بين يديه للمحاسبة والجزاء. وتقديم (إليه) يفيد الحصر؛ أي: إليه وحده المصير.

[٤] ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾:

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: (ما) تشمل العاقل وغير العاقل، ما في السموات والأرض من خلق أو مخلوقات وأشياء، وأحياء وأموات ومن نبات وحيوان وجماد، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس، ولا تخفى عليه خافية أو غائبة أو حركة.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾: ما: أوسع شمولاً من الذي؛ تسرون: السر هو ما يخفي الإنسان في نفسه ولا يطلعه على أحد، وما تعلنون من الأقوال والأفعال



وما تسرون من دعاء ونداء ونجوى وشكوى، والنوايا والأفكار والخير والشر، وتكرار (ما) للتوكيد، وفصل ما تسرون عن ما تعلنون أو كلاهما معاً.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: عليم صفة مبالغة من: عالم، الصدور؛ أي: القلوب، عليم بكل المعتقدات والخواطر والنوايا التي تعيش في قلب الإنسان وتصاحبه ولا تفارقه، وتجول وتعيش فيه ولم تخرج إلى الناس. ارجع إلى سورة الحج آية (٤٦) لمزيد من البيان.

[٥] ﴿الْمُرْيَاتِكُمْ نَبُوءَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿الْمُرْيَاتِكُمْ﴾: الهمزة استفهام تقريرية.

﴿نَبُوءَ﴾: الخبر العظيم.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾: مثل قوم نوح وعاد وثمود وفرعون وقوم لوط وأصحاب الأيكة وغيرهم.

﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ﴾: ذاقوا عاقبة كفرهم في الدنيا بالقتل والتدمير، وبال: تعني الشدة في الوحامة في سوء العاقبة. ارجع إلى سورة الحشر آية (١٥) لمزيد من البيان.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: السلام للاختصاص والملكية، عذاب أليم في الدنيا أو الآخرة، أو في الدنيا والآخرة معاً.

[٦] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشِّرْهُدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَفِيٌّ حَمِيدٌ﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد، ويشير إلى العذاب (ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم).



﴿بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بأنه: الباء باء السببية؛ أي: ذلك العذاب الأليم سببه: بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات (بالحجج والبراهين والمعجزات والآيات) الدالة على وجوب الإيمان وتوحيد الله، ولم يقل بأنهم؛ كما في الآية (٢٢) في سورة غافر وهي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ بأنه: تفيد تعظيم الأمر: وهو الكفر والشمول سواء صدر منهم أو من غيرهم. ولو قال بأنهم، لكان خاصاً بهم؛ أي: (أنه) تعني العموم، (أنهم) تفيد الخصوص.

﴿فَقَالُوا أَبَشِّرْ يَهُودَنَا﴾: أبشّر: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتعجب (أبشر يهدوننا): أنكروا أن يكون الرسل بشراً.

﴿فَكَفَرُوا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب بالترسل، لم يصدّقوا رسلهم وأنكروا عليهم رسائلهم.

﴿وَتَوَلَّوْا﴾: ابتعدوا عن الرسل وأعرضوا عن الإيمان والتدبر في البينات.

﴿وَأَسْتَعَى اللَّهُ﴾: عنهم وعن إيمانهم وطاعتهم، ولم يجبرهم على الإيمان قسراً، بل أهلكهم وقطع دابرهم.

﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾: غني عن عباده وغني عن عبادتهم وعمّا في السموات وما في الأرض، ومن غناه يرزق من يشاء بغير حساب، وغني يرزق المطيع والعاصي والبارّ والفاجر.

﴿حَمِيدٌ﴾: محمود في الأرض والسماء بما أنعم على خلقه، حميد لنعمه وفضله وإحسانه وكرمه، حمداً دائماً لا ينقطع؛ وهو الحميد منذ الأزل له الحمد على ذاته وأفعاله وتدبيره ورحمته، ارجع إلى سورة الحديد آية (٢٤) للبيان.



[٧] ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾:

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: الزَّعم هو القول غير المستند إلى دليل أو ادعاء العلم، وأكثر ما يستعمل في الباطل؛ أي: ادَّعى الذين كفروا باطلاً بدون دليل أو علم، أو قد يطلق على الظن والكذب، والزعم في القرآن كله فيه ذمٌّ.

﴿أَنْ لَّنْ﴾: أن: للتوكيد، لن: لنفي المستقبل القريب والبعيد؛ أي: لن يبعثوا قريباً أو بعد زمن بعيد من قبورهم.

﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي﴾: قل: لهم يا رسول الله ﷺ: بلَى وربي. الواو واو القسم.

﴿لَتُبْعَثُنَّ﴾: السلام لام التوكيد، تبعثن: والتَّون لزيادة التوكيد؛ أي: لتخرجن من قبوركم أحياء للحساب والجزاء.

﴿ثُمَّ لَتُنَبَّيَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾: ثم للترتيب العددي أو الإخباري، لتنبئن: اللام لام التوكيد والتَّون لزيادة التوكيد.

﴿بِمَا﴾: الباء للإلصاق، ما بمعنى: الذي عملتم في الحياة الدُّنيا، وعملتم: تشمل الأقوال والأفعال.

﴿وَذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلى البعث.

﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: سهل، ولنعلم: ليس عند الله ما هو يسير وما هو صعب، وإنما ذكر ذلك لتقريب المعنى إلى أذهان السامعين.

وهذه الآية هي ثالث آية أمر الله سبحانه رسول الله ﷺ أن يقسم بالله ربه عز وجل.

أما الآيتان الأخريان: فهما في سورة يونس آية (٥٣) وهي قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَدِثُّونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.

وفي سورة سبأ آية (٣): ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾.

وإذا نظرنا إلى هذه الآيات الثلاث نجد: أن آية التغابن جاءت في سياق البعث، وآية يونس جاءت في سياق عذاب الآخرة، وآية سبأ جاءت في سياق الساعة.

[٨] ﴿فَاتَّبِعُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾:

﴿فَاتَّبِعُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: الفاء للتوكيد، آمنوا بالله ورسوله: صدقوا بعظمته وقدرته ووحدانيته، وبنبوة رسوله محمد ﷺ إيمان عقيدة وإخلاص.

﴿وَالنُّورَ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾: أي القرآن الكريم، أنزلنا: دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، أنزلناه على عبدنا محمد ﷺ، و(أنزلنا) للتعظيم، وشبه القرآن بالنور الذي يحتاجه الناس في الدنيا؛ ليخرجهم من الظلمات والشبهات إلى النور كما يحتاجون النور الحسي في ظلمات الليل. ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾: خير ببواطن الأمور، خير بما تعملون؛ أي: بأقوالكم وأفعالكم وإيمانكم وما تكن صدوركم.

وقدّم (بما تعملون) على (خير) ولم يقل خير بما تعملون؛ لأن سياق الآيات في الأعمال.

[٩] ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾: أي اذكروا يوم يجمعكم: يوم القيامة والبعث والحشر والجمع.

﴿لَيَوْمِ الْجَمْعِ﴾: اللام لام التوقيت، يوم الجمع: اسم من أسماء يوم القيامة، يجمع الله فيه الأولين والآخرين في أرض المحشر، وكما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠].

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ تَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣].

﴿ذَلِكَ﴾: ذا اسم إشارة واللام للبعد.

﴿يَوْمُ النَّعَابِ﴾: اسم آخر من أسماء يوم القيامة، سمي يوم التغابن: والتغابن في الأصل مأخوذ من: الغبن وهو فوت الحظ أو أخذ الشيء من صاحبه بأقل من قيمته، أو يبيع البائع بأقل من القيمة، أو يشتري المشتري بأكثر من الثمن؛ أي: هو ضرر يلحق الفرد لخداع في عقد البيع والشراء. وفي هذه الآية يعني هو اليوم الذي يظهر فيه غبن الكافر (بعدم الإيمان) وغبن المؤمن (بتقصيره في العمل الصالح والإحسان). وسمي كذلك؛ لأن أهل الجنة يغبنون أهل النار؛ لأن أهل الجنة يأخذون مقاعدهم في الجنة ويرثون مقاعد الكفار في الجنة.

﴿وَمَنْ﴾: شرطية.

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلُ صَالِحًا﴾: الإيمان هو الاعتقاد الجازم بأن الله واجب الوجود، وأنه رب كل شيء وخالقه ومليكه، وأنه الإله الحق الذي يستحق العبودية والمنزه عن كل نقص وتوحيده.

﴿يُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾: والتكفير يعني: يسترها عليه في الدنيا ولا يعاقبه عليها في الآخرة. والسيئات قيل: صغائر الذنوب.

﴿وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾: الخلود استمرار البقاء إلى ما لا نهاية، يبدأ من وقت دخولهم الجنة.

ولم يقل يدخله بلفظ المفرد وإنما قال: (خالدين فيها) بلفظ الجمع؛ لأن في الصحبة استثناساً بعكس الوحدة.

﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: ذلك اسم إشارة يشير إلى تكفير السيئات ودخول الجنات والخلود الأبدي، هو الفوز العظيم الذي لا يعلوه فوز، ولمقارنة هذه الآية مع الآية (١١) في سورة الطلاق وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾؛ ارجع إلى سورة الطلاق للبيان، ومعرفة الاختلاف بين الآيتين. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٣) لبيان معنى الفوز وأنواعه أو درجاته.





سُورَةُ النِّجْمِ ٦٤

الجزء الثاني والعشرون

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ
مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنِ
تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَأَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا
لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ
يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تَقَرَّبُوا
إِلَى اللَّهِ قَرَضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ

آياتها ١٢

آياتها ١٥



سورة التغابن [الآيات ١٠ - ١٨]

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾:

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: يبدأ خلودهم في النار من وقت دخولهم إياها ويستمر إلى ما لا نهاية، ولم يقل أبداً؛ لأن كلمة أصحاب تدل على أنهم ملازمون لها أبداً لا تفارقهم ولا يفارقونها. ارجع إلى الآية (٣٩) من سورة البقرة؛ للبيان المفصل.

﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: بئس من أفعال الذم والتقيح، المصير: المنتهى والمآل.

[١١] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

هذه الآية: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ والآية (٢٢) من سورة الحديد: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾، والآية (٣٠) من سورة الشورى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، أو: ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ [القصص: ٤٧].

هذه الآيات تشير إلى أن كل مصيبة مكتوبة في كتاب (اللوح المحفوظ) وتحدث بما كسبت أيديكم ولا تحدث إلا بإذن الله؛ أي: بعلمه وتقديره، وهذه



المصائب تصيب الأرض أو تصيب الأنفس مما تسمى الكوارث الطبيعية أو الأوبئة والأمراض وقلة الغذاء والحروب والويلات.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾: ما النّافية، أصاب: حدث ووقع، من: استغراقية تستغرق كل ما يصيب الإنسان من خير أو شر، في النفس أو الولد أو المال أو الأهل، أو الكون أو البيت أو المركب (السيارة والطائرة أو الفلك).

﴿إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ﴾: إلا أداة حصر، بإذن الله: بإرادته ومشئته وبعلمه وتقديره، وكلمة بإذن الله: تأتي في القرآن في سياق الأعمال التي لا دخل لنا فيها؛ أي هي بتدبير من الله تعالى مقارنة بقوله تعالى إلا ما شاء الله التي تأتي في سياق الأعمال التي لنا دخل فيها، أو نقوم بها بأنفسنا.

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾: من: شرطية، يؤمن بالله: ارجع إلى الآية (٩) من السورة نفسها، يؤمن بالله ويصبر عند المصيبة ولا يجزع أو لا يسخط، ويرضى بقضاء الله وقدره.

﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾: يطمئن قلبه ويثبتته؛ ليزداد صبراً ويعلم أن هذا ابتلاء من الله تعالى، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: بأحوال العبد وما يصيبه من ألم وحزن ومرض وحمى وهم وغم، وما يقع في كونه من عواصف ودمار وتخريب وكوارث جوية أو بيئية، فلا تخفى عليه خافية.

وإذا قارنا الآية (١١) من هذه السورة: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

مع الآية (٢٢) من سورة الحديد: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾
 نرى: أنه فصل، وبيّن في آية الحديد أين تقع المصيبة، وفي آية التغابن أجمل.
 [١٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾:
 ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾: فيما أمركم ونهاكم عنه، أو ما شرع لكم فيما أجمل من
 الأحكام.

﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: الطاعة: هي الانقياد لمطلوب الشارع (وهو الله
 سبحانه) بما أمر به واجباً ومستحباً فيما أمركم ونهاكم عنه وما فصل لكم من
 الأحكام والشرائع. ارجع إلى سورة آل عمران آية (٣٢) لمزيد من البيان، وسورة
 النساء آية (٥٩)، ومعرفة الفرق بين أطيعوا الله ورسوله، وأطيعوا الله وأطيعوا
 الرسول.

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: الفاء للتوكيد، إن شرطية تفيد الاحتمال أو الشك أو
 النّدر، توليتم: التولي: هو أشد من الإعراض؛ ابتعدتم؛ أي: أعرضتم ورفضتم
 طاعة الله وطاعة رسوله، فإنما بغيكم وإثمكم على أنفسكم.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء جواب الشرط، إنما: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾: إنما مهمة رسولنا فقط التبليغ وإيصال
 الرسالة إليكم، وقوله تعالى رسولنا بدلاً على الرسول: فيه تشريف وتعظيم
 لرسول الله ﷺ، والمبين تعني: أن تصل إلى كل فرد، تصل كاملة بدون نقصان
 وواضحة لا تحتاج إلى دليل أو بيّنة.



لنقارن بين هذه الآية (١٢) من سورة التغابن وهي قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾، مع الآية (٩٢) من سورة المائدة وهي قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾.

ففي آية المائدة زاد كلمتين (واحدروا) (فاعلموا)؛ لأن آية المائدة مسبوقة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ فناسب ذلك ذكر التحذير والعلم، بينما آية التغابن لم يسبقها نهى عن محرمات (كما في المائدة).

[١٣] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: الله: هو الاسم الأعظم الذي تفرد به الحق سبحانه واختصه لنفسه الدال على واجب الوجود، وقدمه على سائر الأسماء، وهو الاسم الجامع لكل صفات الكمال الإلهية، فهو المعبود ولا معبود إلا هو.

﴿لَا إِلَهَ﴾: لا النافية للجنس، إله: معبود في الوجود إلا هو.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

لا إله إلا هو: تفيد النفي وتفيد الإثبات، فقوله: (لا إله) تفيد النفي.

(إلا هو): تفيد الإثبات أو تؤكد النفي. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥٥)

للبيان.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: (وعلى الله) تقديم الجار والمجرور

يدل على الحصر؛ أي: حصر التوكل على الله وحده لا غيره.

فليتوكل: الفاء للتوكيد، يتوكل: التوكل هو الاعتماد على الله تعالى في تدبير الأمور الدنيوية والدنيوية، وهو عمل قلبي، ويعني: تفويض الأمر لصاحب الأمر وهو الله تعالى، والاستعانة به للقيام وإتمام أي عمل بعد تقديم الأسباب كافة؛ لأن قدرة العبد محدودة لا تكفي مهما كانت وتحتاج إلى الاستعانة بقدرة العليم القدير، ومن يعلم الغيب. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٩) لمزيد من البيان.

[١٤] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِتٍ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عِدُّوا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداء جديد بتحذير جديد إلى الذين آمنوا، والهاء

للتنبية.

﴿إِتٍ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾: إن للتوكيد، من ابتدائية بعضية؛ أي: بعض أزواجكم،

ولا تعني الشمول أو العموم.

﴿وَأَوْلَادِكُمْ﴾: وبعض أولادكم وليس الكل، والأولاد تشمل الذكور

والإناث.

﴿عِدُّوا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾: إذا كانوا سبباً للانشغال عن طاعة الله وذكره

أو الدخول في الإسلام، أو التقصير في المجيء لصلاة الجماعة أو في الهجرة



من مكة إلى المدينة، أو الخروج للجهاد في سبيل الله، أو عقوق الوالدين، أو الإنفاق في سبيل الله، أو في قطع الأرحام بسبب التفريق بين الزوج وأهله.

﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾: الفاء السببية (ربط السبب بالمسبب) أي: لا تطيعوهم واحذروا أن يكون سبباً لكم في المعاصي أو عدم طاعة الله.

﴿وَإِنْ﴾: شرطية.

﴿تَعَفَّوْا﴾: العفو ترك العقوبة (التجاوز عن الذنب).

﴿وَتَصَفَّحُوا﴾: الصَّفْح هو العفو وترك اللوم.

﴿وَتَغَفَّرُوا﴾: من الغفر وهو السَّتر وعدم الفضيحة.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾: إن للتوكيد، والفاء جواب الشرط.

﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: غفور كثير المغفرة؛ أي: يستر الذنوب ويعفو عنها،

الذنوب العظام والذنوب الكثيرة ولو تكررت وتعددت، ولو كانت مثل زبد البحر.

رحيم: بعباده لا يؤاخذهم إذا نسوا أو أخطؤوا، رحيم بعباده المؤمنين؛ لأنه

لا يعجل لهم العقوبة لعلهم يتوبون إليه، ورحمته وسعت كل شيء، ورحمته ثابتة دائمة دوام ذاته.

[١٥] ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد، وليس الحصر.



﴿أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: أي: ابتلاء واختبار، والفتنة: أشد الاختبار وأبلغه وتكون في الخير والشر؛ أي: لنرى هل تشغلكم عن العبادة والطاعة وعن الآخرة أم لا؟ وأموالكم كيف تجمعونها وتنفقونها؟ وقدم الأموال على الأولاد؛ لأنها هي الأعم، فكل الناس عندهم أموال، وليس كل الناس عندهم أولاد.

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: لمن أثر طاعة الله ورسوله وعلى ماله وولده، والأجر العظيم: أعظم الأجور، فهناك الأجر الكبير، والأجر المبين، والأجر العظيم هو الجنة.

[١٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾: أي اتقوا الله حق ثقاته، ما استطعتم؛ أي: ما في وسعكم وجهدكم وطاقتم.

والذي يحدّد الاستطاعة هو الله؛ أي: المشرّع، فلا يصح للعبد أن يحدّد الاستطاعة بنفسه، وهناك من المفسرين من يظن أن: (اتقوا الله ما استطعتم) نسخت قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾.

﴿وَأَسْمِعُوا﴾: ما توعظون به أو يدعوكم الله ورسوله إليه.

﴿وَأَطِيعُوا﴾: الله ورسوله في كل ما أمروا به ونهوا عنه.

﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾: أنفقوا في سبيل الله وإعلاء كلمته ودينه؛

أي: المال وغيره.



﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾: الشُّحُّ هو البخل مع الحرص، وهو أسوأ من البخل، الحرص الشديد على المال والحفاظ عليه وعدم إنفاقه، والوقاية تكون بالإنفاق أكثر فأكثر أو قليلاً حتى يحصل الشفاء من هذا المرض.

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: أي من شُفي أو وُقي من مرض الشُّح فأولئك: من المفلحين.

الفاء رابطة لجواب الشرط؛ أي: أصبح في عداد المفلحين الفائزين بالجنة والناجين من النار، هم: تفيد التوكيد؛ أي: المفلحون حقاً أو في مقدمة المفلحين. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥) لمزيد من البيان.

[١٧] ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾:

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال أو الندرة.

﴿تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: ارجع إلى سورة الحديد آية (١١) للبيان. (معنى القرض الحسن).

﴿يُّضْعِفْهُ لَكُمْ﴾: تعني الكم، لكم خاصة، اللام لام الاختصاص؛ أي: يضاعفه لكم أضعافاً كثيرة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٤٥) لمزيد من البيان.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: تعني الكيف، لكم خاصة، وتكرار (لكم) يفيد التوكيد؛ أي: يستر لكم ذنوبكم، وبالتالي يعفو عنها.

﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾: لأنه يثيب على الطاعة ويضاعف الحسنات، ويجازي بالثواب الجزيل على العمل القليل.

﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعجل بالعقوبة لعباده على ذنوبهم، وينعم على خلقه رغم كثرة معاصيهم، يصفح ويعفو ويغفر، ويمهل العاصي؛ ليتوب، وذكر (الحليم) إحدى عشرة مرة في القرآن.

[١٨] ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ﴾:

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾: أي عالم ما غاب واستتر عن العيون، عالم الغيب المطلق والغيب النسبي والساعة، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وما في الأرحام، ويعلم ما تكسب كل نفس، والسر والنجوى وذات الصدور.

﴿وَالشَّهَادَةِ﴾: يعلم كل ما يشاهد ويدرك بالحواس والمدركات.

وما يلج في الأرض وما يخرج منها.

﴿الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ﴾: ارجع إلى سورة الحشر آية (٢٤) للبيان.





سورة الطلاق

سورة الطلاق ٦٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا
 الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ
 وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ
 اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ
 اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ
 بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ
 وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمُ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ
 مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ
 بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّتِي يَلْسَنُ
 مِنَ الْمَحِيضِ مِّنْ نِّسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ
 وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ
 وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ
 إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾



سورة الطلاق [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (٦٥) ترتيبها في النزول (٩٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾: نداء تشريف وتعظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل فيها (يا) أداة النداء والهاء للتنبيه، والنداء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والمراد به أمته لقوله تعالى بعد ذلك: ﴿إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ ولم يقل: إذا طلقت النساء؛ لأن الحكم ليس خاص برسول الله ﷺ وحده، وكذلك حين يخاطب الله سبحانه رسوله ﷺ، أو يا أيها النبي يجب على الكل أن يتنبه ويستمع للنداء.

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث وكثرته.

﴿طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾: إذا أردتم الطلاق، الخطاب للأزواج فقد كان الرجل يطلق امرأته، ثم يرجعها قبل انقضاء عدتها، ثم يطلقها ويفعل ذلك تكراراً ليضارها، فنزلت هذه الآية.

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾: الفاء جواب الشرط، أي: طلقوهن وقت الطهر،



لا يجوز تطليق المرأة زمن الحيض؛ أي: يطلقها في طهر لم يجامعها فيه، فإذا جامعها، أي: مسها لا يجوز له أن يطلقها حينذاك، ويجب أن ينتظر إلى أن تأتي الحيضة القادمة، وتنتهي وتعود طاهراً لم يمسه في زمن طهرها ويطلقها حينذاك. فقد روى البخاري أن عبد الله بن عمر طلق امرأة له وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله ﷺ فتغيظ رسول الله ﷺ ثم قال: «ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسه فتلك العدة التي أمر الله عز وجل»، والحكمة من وراء ذلك والله أعلم لعل النفوس تهدأ وتعود الأمور إلى ما كانت عليه، ويبقى البيت قائماً.

﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾: الخطاب للأزواج والعدة هي ثلاثة قروء كاملة، أي: أكملوا ثلاثة قروء واحفظوا مدتها، احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق حتى يتبين متى تنتهي العدة. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٢٨) للبيان.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾: أي: أطيعوا أوامر الله ربكم وتجنبوا نواهيه فلا تعصوه والتزموا حدوده. وانظر كيف جمع في هذه الآية بين الإلوهية والربوبية، اتقوا غضب الله وسخطه فهو الذي يركبكم ويحفظكم ويربيكم التربية الإسلامية بتعاليمه وآياته.

﴿لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾: وحذفت الواو من قوله تعالى: (ولا تخرجوهن)؛ لأن هذا حكم أو كلام جديد؛ لا الناهية، أي: اتركوهن في بيوتهن التي كنَّ فيها قبل الطلاق ما دُمْنَ في العدة حتى تنقضي العدة، وأضاف البيوت إليهنَّ لبيان استحقاتهنَّ للسكن في مدة العدة. مع أن البيت للرجل.

﴿وَلَا يَخْرُجَنَّ﴾: التكرار للتوكيد وتحذير للأزواج والزوجات، لا الناهية، أو النافية، والنون في يخرجن لزيادة التوكيد، أي: لا تخرج المرأة المطلقة

في زمن عدتها إلا لضرورة ظاهرة، ولعل في البقاء في البيت يثير أهمية المعاشرة والاهتمام والتفكير بعواقب الأمور؛ ارجع إلى المصادر الفقهية لبيان الشروط.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ﴾: أن المخففة للتوكيد وتدل على المستقبل، أي: لا تخرجوهن من بيوتهن إلا إذا فعلن فاحشة الزنى عندها يخرجن لإقامة الحد عليهن، وقيل: الفاحشة قد تعني بذاءة اللسان والتكبر على الزوج أو على من تسكن عندهم والنشوز على الزوج.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾: الواو عاطفة، تلك: اسم إشارة واللام للبعد والإشارة إلى حدود الله مثل الطلاق في حالة الطهر وإحصاء العدة وعدم إخراج المطلقة من بيتها تلك أحكام الله تعالى لا يحل لكم أن تتجاوزها أو تتعدوها.

﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾: أي: ومن لم يلتزم بما أمر الله سبحانه ونهى عنه، فقد: الفاء للتوكيد، قد للتحقيق، ظلم نفسه: بأن عرضها للعقاب عاجلاً أو آجلاً؛ لأنه ارتكب إثماً في حق نفسه بالخروج عن حدود الله.

﴿لَا تَدْرِي﴾: لا النافية، للحال والاستقبال تدري: من درى بمعنى علم وهناك فرق بين علم ودري، فالدرية تكون بعد جهل والدرية أخص من العلم والعلم أعم، لا تدري: لا تعلم.

﴿لَعَلَّ﴾: أداة رجاء لشيء محبوب يطمع أو يرجو حدوثه.

﴿اللَّهُ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾: لعل الله إذا بقيت في بيتها أن يؤلف بين قلوبهما فيترجعا أو يحن كل للآخر، ويندم بعد الطلقة أو الطلقتين وتجنب الطلاق للمرة الثالثة.

[٢] ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ



مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كَمَا يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿١٢٧﴾

﴿فَإِذَا﴾: الفاء استئنافية، إذا: ظرفية شرطية تفيد الحتمية.

﴿بَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أي: قاربن على انقضاء العدة وهي ثلاثة قروء.

(القرء في اللغة: يطلق على الحيض وعلى الطهر) فمنهم من قال: ثلاثة أطهار أو ثلاثة حيضات.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: فأنتم بالخيار إن شئتم الرجعة فأمسكوهنَّ بمعروف، أي: من دون أي قصد أو نية للإضرار بهنَّ، والفاء في فأمسكوهنَّ جواب الشرط.

﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: اتركوهنَّ حتى تنقضي عدتهنَّ، ثم فارقوهنَّ بمعروف، الباء للإلصاق والملازمة. أي: من دون الإساءة لهنَّ أو القذف والسب أو الإيذاء بكل أشكاله.

﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾: وأشهدوا على الطلاق أو المراجعة بعداً عن الريبة وتجنباً للخصومة والأمر للندب، أي: افعلوا ذلك، أي: أشهدوا ذوي عدل: أي: شاهدين اثنين من ذوي العدل والأمانة، منكم: من المسلمين ولا يجوز شهادة الكفار.

﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾: أي: أتموا الشهادة لوجه الله تعالى وليس لمنفعة دنيوية أو غرض ما أو مصلحة، أي: أدوا الشهادة بالصدق والعدل ولو كان ذا قربى.

﴿ذَلِكَ كَمَا يُوعِظُ بِهِ﴾: ذلكم ولم يقل ذلك: استعمل ذلكم؛ لأن الأمر يشمل عدة أحكام وكونها أحكاماً مهمة وللحث على إقامة الشهادة.



﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: من استغراقية، يؤمن بالله واليوم الآخر: أي: يؤمن: يصدق ويعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله خالق كل شيء ومليكه، وإنه المستحق للعبادة وحده ولا شريك له، وكذلك يصدق باليوم الآخر بلا ريبة أو تردد.

ولم يذكر كلمة منكم؛ لأن الخطاب إلى النبي وأمته، فلا حاجة إلى ذكر كلمة منكم، كما هي الحال في سورة البقرة الآية (٢٣٢) ارجع إليها للبيان.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾: من: شرطية، يتق الله: يطع أوامر الله في الطلاق والعدة والرجعة ولا يخالف أحكامه وسنة رسوله، يجعل له: له اللام لام الاختصاص، مخرجاً: أي فرجاً من الضيق والكرب الذي وقع فيه. ومخرجاً من الحرام إلى الحلال ومن الفقر إلى الغنى ومن الذل إلى العزة ومن المرض إلى العافية، ومن اليأس إلى الأمل وغيرها.

وسر ذكر التقوى في سياق آيات الطلاق أن التقوى تحث على الصبر، ولو اتقى الإنسان وصبر في هذه الظروف العصيبة، ولم يستعجل لعل الله تعالى يهديه إلى مخرج من هذه الأزمة، والناس في هذه الأيام أنهم يريدون المخرج أولاً، ثم التقوى أو الصبر ثانياً بعكس ما أمر الله.

[٣] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾:

هذه الآية تنمى للآية السابقة، أي: ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، فالتقوى والصبر: أي: إطاعة أوامر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وتطبيق أحكامه وعدم مخالفة شرعه في الطلاق والعدة



والرجعة وغيرها، والصبر يهدي إلى الفرج والخروج من الضيق، ويؤدي إلى الرزق، أي: يهيئ إلى أسباب الرزق.

﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾: لا يحتسب من الحساب، أي: لا يدخل ذلك في تقديره وحسابه ذلك المصدر للرزق أو يهيئ له من أسباب الرزق؛ مما لا يخطر على باله، وهناك رزق منظور ورزق خفي كأن يدفع عنه ضرراً كان سيقع، ويؤدي إلى خسارة المال الكثير.

أي: من يطع الله ويؤدي ما عليه من حقوق الطلاق أو المهر أو العقد الجديد، ويدفع المهر المتأخر ويؤدي الحقوق والنفقات، فالله سبحانه سيرزقه ويعوض كل ما خسره.

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: ومن: شرطية، يتوكل على الله: أي: يقدم الأسباب المطلوبة منه، ثم يفوض أمره إلى الله ويطلب منه العون فهو سبحانه كافيه؛ ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٩) لمزيد من البيان في معنى التوكل.

﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، هو للتوكيد، حسبه: كافية ولا يحتاج إلى أحد غير الله تعالى.

﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾: إن للتوكيد، بالغ أمره: لا يعجزه ولا يفوته أي شيء أو أمر، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن، فيكون.

﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾: قد للتحقيق، قدراً: زمناً أو توقيتاً أو ميقاتاً وحجماً ووزناً، جعل لكل شيء قدراً: أجلاً ومنتهاً بما فيها الشدة والكرب والرخاء والشقاء والمرض والألم والحزن والفقر والغنى والصحة، وتقديم الجار والمجرور (لكل) يفيد الاختصاص، أي: لكل شيء، سواء أكان حسياً أم معنوياً.

[٤] ﴿وَالَّتِي يَأْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾:

سبب النزول: بعد نزول آيات سورة البقرة في الطلاق سأل بعض الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدة التي لم تحض وعدة التي كبر سنهما، وانقطع حيضها وعدة الحامل، فنزلت هذه الآية.

﴿وَالَّتِي﴾: ارجع إلى سورة المجادلة الآية (٢) لبيان معنى اللاتي ولم يقل اللاتي.

﴿يَأْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾: لكبر السن أو انقطع رجاءهن من الحمل، والميئوس منه في هذه الآية هو الحيض، من نسائكم: أي: أزواجكم.

﴿إِنْ أَرْبَبْتُمْ﴾: أهو دم الحيض أو دم لا علاقة له بالحيض، إن: شرطية، اربتم: من الريب وهو الشك والتهمة معاً. أو اربتم في مدة العدة ثلاثة أشهر.

﴿وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ﴾: لصغرهن، أي: اللاتي لم يبلغن سن الحيض عدتهن ثلاثة أشهر.

﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾: أشهر: جمع قلة (أقل من ١٠ يعتبر جمع قلة)، وأما شهور جمع كثرة (أكثر من ١٠)، وكان يكفي شهراً واحداً، ولكنه سبحانه لنفي الريب والشك جعلهن ثلاثة أشهر.

﴿وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: أي: النساء الحوامل سواء كنّ مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن أجلهن، أن: للتعليل، يضعن حملهن، أي: متى ولدت ما في بطنها فقط انقضت عدتها، ولو وضعته قبل تسعة أشهر، أو إذا أسقطت الحمل ولو كانت مضغة تعني: وضعن حملهن، ويحق لها الزواج بعدها.



﴿وَمَنْ﴾: شرطية.

﴿يَنْقُ اللَّهُ﴾: ومن يطع أوامر الله، ويتجنب نواهيه في هذه الأحكام المتعلقة

بالحمل.

﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾: يسهل عليه ويُيسر أمره في الدنيا والآخرة إذا حافظ على ما وصَّى به الله من السكن والتفقه وعدم التعدي على الزوجة وحقوقها.

ما هو الفرق بين أولات الأحمال في هذه الآية (٤)، وقوله: وإن كنَّ أولات حمل في الآية (٦).

١ - أولات الأحمال في الآية (٤) جمع كثرة بينما أولات حمل في الآية (٦) جمع قلة أو أولات الأحمال في الآية (٤) أكثر عدداً بالنسبة للأولات حمل آية (٦).

٢ - أولات الأحمال عامة وأشمل، وتشمل أولات حمل.

٣ - أولات الأحمال لا تختلف واحدة عن أخرى الكل يسري عليهن حكم واحد.

بينما أولات حمل الحكم يختلف فيهن بالنسبة للإنفاق حسب سعة الزوج. ومن حيث الإرضاع ففيها أكثر من حكم؛ بينما آية (٤) حكم واحد يسري على الجميع.

[٥] ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَنْقُ اللَّهُ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾:

﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا﴾: المذكور من جميع الأحكام المتقدمة في



الطلاق والعدة والرجعة وأحكام الإنفاق والسكن وغيرها، هو أمر الله الذي أمر به عباده، أي: أمركم الله به في القرآن.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾: أي: ومن يطع أوامر الله تعالى ويتجنب نواهيه.

﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾: يستر عليه سيئاته ولا يعاقبه أو يؤاخذة عليها.

﴿وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا﴾: يضاعف له حسناته في الآخرة، أي: ثوابه. ويدخله فسيح جناته، وإذا قارنا آيات ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ في هذه السورة: نجد لها ثلاثة آيات وعد الله سبحانه عباده في كل آية نوعاً من العون أو التيسير ويختلف عن الآخر؛ ففي الأولى: وعد الله تعالى من يتق الله يجعل مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب (في الدنيا)، وفي الثانية: وعد الله تعالى من يتق الله يجعل من أمره يسراً (في الدنيا)، وفي الثالثة: وعد الله تعالى من يتق الله بأن يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً وهذا هو أفضل الجزاء في الآخرة.



الجزء الثاني والعشرون

سورة الطلاق ٦٥

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا
 عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ
 فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتِمُّوا إِلَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ
 تَعَاَسَرْتُمْ فَسَرِّضْهُ لَهٗ أُخْرَى ﴿٦﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ
 وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا
 إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيِّجَعُلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
 عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيدًا أَوْ عَذَابَهَا
 عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾
 أَعِدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ
 لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
 وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
 سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ
 اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

سورة الطلاق [الآيات ٦ - ١٢]

[٦] ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارِزُوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَمْرُهُمْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَمَنْزَعُهُنَّ لِأُخْرَى﴾:

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾: أسكنوا المطلقات من نساكنكم المعتدات، من حيث: من للتبعيض، أي: بعض سكنكم.

﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾: الوجد السعة والقدرة، أي: أسكنوهن مكاناً من مسكنكم مما تجدونه في وسعكم مما تطيقونه، أي: حسب القدرة وحسب وسعكم وطاقتمكم. ﴿وَلَا تُضَارِزُوهُنَّ﴾: الواو استئنافية، لا الناهية، تضاروهن: من الضرر، أي: في النفقة والسكن.

﴿لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾: حتى تضطروهن إلى الخروج من مساكنهن، واللام لام التعليل.

﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى﴾: حتى: حرف نهاية الغاية. ارجع إلى الآية (٤) السابقة لمعرفة معنى أولات حمل والمقارنة.

﴿يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: فيخرجن من عدتهن. ارجع إلى الآية (٤) السابقة للمقارنة.

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: بعد الطلاق أو انتهاء رابطة الزواج فآتوهن أجورهن على الإرضاع.

﴿وَأَمْرُهُمْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾: الخطاب للزوجين المطلقين بأن لا يبخل بإعطائها ما تستحق من الأجر على الإرضاع، وهي لا تطلب مبلغاً لا يستطيع تحمله



فعليهما أن يتشاورا على أجرة الإرضاع بمعروف، وأتمروا: من الأمر، أي: ليأمر بعضكم بعضاً والخطاب للآباء والأمهات، بمعروف: بالمسامحة والإشفاق على الولد والاهتمام به وعدم جعله سلعة كل يطمع في الآخر.

﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمُ﴾: إن شرطية تفيد الاحتمال، وإن لم يتفقا على الأجرة أو يصلا إلى نتيجة ترضي الطرفان.

﴿فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى﴾: فليسترضع الوالد غير والدته المولود، أي: امرأة أخرى، الفاء جواب الشرط، ولا تكره الأم على الإرضاع.

[٧] ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾:

﴿لِيُنْفِقْ﴾: اللام لام التعليل والتوكيد.

﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾: ذو: صاحب أو أهل السعة، أي: الغني والموسر من سعته. من ماله وغناه.

﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾: أي: ضيق عليه رزقه، أي: كان فقيراً فلينفق على قدر استطاعته، ومما آتاه الله تعالى.

﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا﴾: إلا أداة حصر.

﴿مَاءً﴾: اسم موصول بمعنى الذي.

﴿ءَاتَاهَا﴾: أعطاهما من رزق، أي: على قدر استطاعتها.

﴿سَيَجْعَلُ﴾: السين للاستقبال القريب، أي: عن قريب.

﴿اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾: بعد الضيق والشدة فرجاً وسعة في الرزق، أو يفتح لهم أبواب الرزق، للزوج والزوجة. وإذا قارنا قوله تعالى: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً ءَاتَاهَا﴾ مع قوله تعالى في الآية (٢٨٦) في سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿لَا

يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿٨﴾: نجد أن آية ما أتاها تعني: من المال أو الرزق، وأما وسعها في آية البقرة تعني: من التكاليف الشرعية.

[٨] ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ عَنَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا ثَكْرًا﴾:

﴿وَكَايْنٍ﴾: مركبة من كاف التشبيه وأي الاستفهامية المنونة، فصارت كلمة واحدة بمعنى كم الخبرية المفيدة للتكثير، أي: كثيراً من القرى عنت عن أمر ربها. ﴿مِّنْ قَرْيَةٍ﴾: من ابتدائية، القرية: المراد بها أهل القرية والقرية إذا اتسعت تصبح مدينة.

﴿عَنَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾: عصت وطغت وفسدت، وقيل: كفرت وأعرضت عن أمر ربها، أو كفرت به، والعتو يعني: التجبر والفساد والتكبر أي: لم تدعن وتطع أوامر ربها ورسله.

﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾: الفاء السببية، حاسبناها: جاء بصيغة الماضي بدلاً من المستقبل للدلالة كأن الأمر تحقق وانتهى، أي: الحساب ولا ننسى أن الزمن متساو وواحد عند الله تعالى، سواء كان في الماضي أو الحاضر أو المستقبل؛ لأنه سبحانه خالق الزمان والمكان.

حاسبناها: جازيناها جزاء شديداً.

﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا ثَكْرًا﴾: نُكْرًا: ينكره المرء من هوله وشدته ولا يصدق العقل في الدنيا بالجوع والفقر والمرض والقحط والخوف والرعب والهزيمة أو في الآخرة بعذاب السعير.

[٩] ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُشْرًا﴾:

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾: الفاء للتوكيد، ذاقَتْ وبَالَ أمرها: بسبب العتو عن



أمر ربها، وبإل أمرها: ذاقت سوء عاقبة كفرها وعتوها، وشبه ذلك بذوق الوبال: مشتق من البول. ارجع إلى سورة الحشر الآية (١٥) للبيان.

﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾: قاعدة في القرآن إذا ذكر العاقبة كما في هذه الآية فإنَّ العاقبة تعني: العذاب والهلاك، وإذا أنث العاقبة فقال: فكانت عاقبة أمرها تعني: الجنة والحسنى، أي: كان عاقبة أمرها في الدنيا والآخرة الخسر، أي: الهلاك والدمار والخسر والخسارة تدل على لا ربح أصلاً وخسارة رأس المال أيضاً.

[١٠] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: تعود على أهل القرية الذين عتوا عن أمر ربهم ورسله، بالكفر والشرك والفساد والظلم وتكرار الوعيد يفيد التوكيد، أعد الله: هياً لهم: خاصة، عذاباً شديداً: عذاب يوم القيامة أو عذاب النار.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: الفاء للتوكيد أو جواب شرط مقدر إن أعد الله العذاب لهؤلاء، أما أنتم فاتقوا الله: أطيعوا أو أومره وتجنبوا نواهيه ولا تكونوا أمثالهم، يا أولي الألباب: يا أصحاب العقول النيرة وفيها حثٌ على الإيمان والتقوى والتحذير من الوقوع في المعاصي.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: بدل من أولي الألباب أو عطف بيان على أولي الألباب.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾: أنزل جملة واحدة أو دفعة واحدة إليكم، ولم يقل: عليكم. ارجع إلى سورة البقرة الآية (٤) للبيان، إليكم: خاصة، ذكراً: أي: القرآن الحكيم.

[١١] ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ



إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿٩﴾:

﴿رَسُولًا﴾: منصوب، وتقديره: قد أنزل الله إليكم ذكراً، وأرسل رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبینات.

﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: أي: آيات القرآن. والتلاوة تعني: آية تلو آية ولا تكون إلا من كتاب الله.

﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾: موضحات للأحكام والشرائع أو مبینات للناس ما نزل إليهم من ربهم.

ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات: اللام لام التعليل.

من الظلمات إلى النور: أي: من ظلمات الكفر والشرك والجهل والفساد إلى النور نور الإسلام والقرآن والتوحيد والعمل الصالح. (الظلمات متعددة بصيغة الجمع والنور واحد بصيغة المفرد).

﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾: من شرطية.

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: ارجع إلى الآية (٩) من سورة التغابن للبيان، وهناك اختلاف بين الآيتين ففي آية الطلاق آية (١١) لم يذكر يكفر عن سيئاته، أما في آية التغابن آية (٩) ذكر تعالى يكفر عنه سيئاته، وقد يعود ذلك إلى أنه في سورة الطلاق قد ذكر الله يكفر عنه سيئاته في الآية (٥) فيكفي ذلك ولا داعي إلى التكرار، أو قد يرجع إلى أنه في سورة التغابن تقدم ذكر الذين كفروا والكافر إذا أمن هو بحاجة إلى أن يكفر عن سيئاته، وأما في آية الطلاق فلم يرد ذكر الذين كفروا في السياق.

﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿خَالِدِينَ﴾: الخلود يبدأ من زمن الدخول ولا نهاية له، وخالدين بصيغة



الجمع وليس الأفراد؛ لأن الأفراد نوع من أنواع العزلة، والعزلة تعد من أنواع العذاب، ولذلك تأتي دائماً خالدين فيها (بالجمع).

﴿أَبَدًا﴾: للتوكيد.

﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾: قد حرف تحقيق وتوكيد.

﴿أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ﴾: أحسن: أبلغ من أعد أو هيأ الإحسان لا يكون إلا بعد الإعداد، وفي سورة التغابن قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿لَهُ﴾: اللام لام الاستحقاق.

﴿رِزْقًا﴾: وهو رزق الجنة: الذي لا ينفد ولا ينقطع ولا ينقص، وهذا وعد الله سبحانه للمؤمن إن الله لا يخلف الميعاد، وفي سورة التغابن وصف هذا الرزق الحسن بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾:

﴿اللَّهُ﴾: ارجع إلى سورة التغابن آية (١٣) للبيان، وتقديم الله تفيد الحصر والقصر.

﴿الَّذِي خَلَقَ﴾: اسم موصول يفيد التعظيم ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٣٠) وسورة الأعراف آية (٥٤) وفصلت آية (١٠-١١) للبيان. ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾: أي: وخلق سبع أرضين، وقيل: سبع أرضين، أي: سبع طبقات.

١ - الطبقة المركزية: (اللب) مكون من الحديد الجامد ومعدن النيكل الجامد.

٢ - الطبقة خارج المركزية: مكونة من الحديد السائل والنيكل السائل.



٣ - ثلاثة أوشحة السفلي والمتوسط والعلوي.

٤ - الصفيحة القارية تحت البحار.

٥ - القشرة الأرضية.

وهذا هو أرجح التفاسير العلمية، وهناك من قال: سبع أرضين، أي: سبع بيئات مختلفة على سطح الأرض تختلف كل بيئة عن غيرها بالرطوبة والنباتات والمعادن، وغيرها، وهناك من قال مثلهم ليس المقصود به العدد، وإنما أمور أخرى في مراحل الخلق والتسخير والإعداد.

﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾: أي: ينفذ قضاؤه وحكمه سبحانه فيهنَّ، أو ينزل الوحي أو الأمر بين السموات والأرض، والأمر هو أمر الله تعالى من وحي أو أمر أو نهى أو ما يدبره الله من شأن وموت وحياة وعطاء ومنع.

﴿لِنَعْلَمُوا﴾: اللام لام التعليل والتوكيد.

﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أن: لزيادة التوكيد، على كل شيء قدير: ارجع إلى سورة البقرة الآية (٢٠) للبيان.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: وأن الله: للتوكيد، قد: لزيادة التوكيد، أحاط بكل شيء علماً: أي: وسع كل شيء علماً، بكل: الباء للتوكيد، كل لزيادة التوكيد، علماً: يتناول الموجود والمعدوم.

وختمت هذه السورة بقوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ لأن كثيراً من آيات هذه السورة مرتبطة بعلم الله تعالى وقدرته فجاءت الخاتمة لتؤكد على ذلك.





سُورَةُ التَّحِيَّتِ ٦٦

الجزء الثاني

سُورَةُ التَّحِيَّتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ
 وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا
 فَلَمَّا بَيَّنَّاتُ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ
 فَلَمَّا بَيَّنَّاهَا بِهِ قَالَ مَنْ أَبْأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأُنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ
 ﴿٣﴾ إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ
 فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ
 بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا
 خَيْرًا مِنْكَ مِثْلَ مُسَلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطَتٍ تَحِبُّنَّ عِبَادَاتٍ سَيِّحَاتٍ
 تَتَّبِعْنَ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
 نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ
 لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾



سورة التحريم [الآيات ١ - ٧]

ترتيبها في القرآن (٦٦) ترتيبها في النزول (١٠٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَنَّىٰ مَرْصَاتٍ أَوْ لِحِكِّكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

أسباب النزول: أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين عن عائشة أنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يحب الحُلُوءَ والعسل، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه، يمكث عند زينب بنت جحش، فيشرب عندها عسلاً، فتواطأت أنا؛ أي: عائشة وحفصة أن آيتنا دخل النبي ﷺ عليها، فلتقل له: إني أجد منك ريح مغاير؛ أي: تزعم أنها تشم منه رائحة كريهة؛ فدخل على حفصة فقالت ذلك له فحرم رسول الله ﷺ فقال لها بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود إليه، وسألها أن لا تخبر بذلك أحداً).

والمغاير: نبات كرية الرائحة، أي صمغ حلو له رائحة كريهة من شجر العُرْفُط في الحجاز.

وأما ما ذكرته كتب التفسير في قصة مارية القبطية: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه، فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله ﷺ في زيارة أبيها فأذن لها، فلما خرجت أرسل رسول الله ﷺ إلى مارية القبطية فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها، فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقاً فجلست عند الباب، فخرج رسول الله ﷺ ووجهه يقطر عرقاً، وبكت حفصة وسألها: ما يبكيك؟ فقالت: إنما أذنت لي من أجل هذا، أدخلت أمتك بيتي ثم وقعت عليها



في يومي وعلى فراشي، أما رأيت لي حرمة حقاً! فطلب منها أن لا تخبر أحداً بهذا وقال: هي عليّ حرام، فلما ذهب رسول الله من عند حفصة أخبرت حفصة عائشة بأن رسول الله ﷺ حرم مارية القبطية. وهذه رواية عطية العوفي عن ابن عباس، وهي رواية ضعيفة السند. والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب. ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ﴾: نداء تشريف إلى النبي ﷺ، فيه أداة النداء الياء والهاء للتنبيه. ولمعرفة متى ينادى يأياها النبي، أو يأياها الرسول، والفرق بينهما ومتى يذكر اسمه الشريف محمد بدون يا أيها؛ ارجع إلى سورة المائدة آية (٤١)، وسورة الأحزاب آية (١) للبيان المفصل.

لَمْ: اللام حرف جر، ما: الاستفهامية حذفت ألفها؛ لدخول حرف الجر عليها.

﴿تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾: سواء كان العسل أو مارية القبطية، لَمْ تحرم ما أحل الله لك من الحلال أو الطيبات.

﴿تَبْنِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾: الابتغاء هو الاجتهاد في الطلب؛ أي: تقصد أو تطلب بذلك التحريم مرضات أزواجك. وماذا قال النبي ﷺ في لفظ التحريم؟ الله سبحانه أعلم به، والفرق بين رضوان الله ومرضات الله تعالى أن رضوان الله؛ أي: أعظم الهنا، وأعظم من مرضات، والرضوان خاص به تعالى، وأكبر من الجنة، والمرضات عامة، قد تأتي في سياق الله سبحانه وسياق غيره كما في هذه الآية.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: غفور صيغة مبالغة من غفر، غفور لمن تاب وأصلح وأناب إلى الله، غفور لما حدث منك من تحريم الطيبات أو الحلال على نفسك.

﴿رَحِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من رحم، رحيم بعباده المؤمنين، يرشدهم إلى طريق الصواب.



ورحيم صفة ثابتة له؛ أي: دائم الرحمة.

[٢] ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾: أي قد شرع الله لكم ما تتحللون به من إيمانكم، وذلك بالكفارة (كفارة اليمين)، ارجع إلى سورة المائدة آية (٨٩).
﴿فَكَفَّرْنَاهُ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرِ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾.

﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾: والله متولي أموركم ومدبرها ومصرّفها كيف يشاء وناصركم.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿الْعَلِيمُ﴾: بما تقولون وتفعلون وبما يصلحكم. صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم لا تخفى عليه خافية في السماء ولا في الأرض.

﴿الْحَكِيمُ﴾: في أحكامه وشرعه، فهو أحكم الحكماء وأحكم الحاكمين. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

[٣] ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

﴿وَإِذْ﴾: أي واذكر إذ أسرّ النبي، أو: واذكر حين أسرّ النبي إلى بعض؛ البعض في اللغة: قد تعني الواحدة، أو الواحد، وقد تعني الجماعة كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَثِيرًا مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [ص: ٢٤]، أزواجه حديثاً (أي حفصة بنت عمر رضي الله عنها).



﴿حَدِيثًا﴾: حديث تحريم العسل على نفسه، وطلب منها أن لا تخبر بذلك السر إلى أحد.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾: (أي لم تستجب حفصة لطلب الرسول ﷺ بعدم إفشاء السر، وأخبرت عائشة رضي الله عنها بذلك)، ولكن هذا الإفشاء أو إخبار حفصة لعائشة كان بعد تردد وتريث وزمن طويل، ولو قال فلما أنبات به لكان يعني بدون تردد وبسرعة.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، لما: ظرف للزمان بمعنى حين نبأت: حفصة عائشة؛ أي: أخبرتها الخبر.

﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾: أي أخبر أو أطلع الله تعالى نبيه ﷺ أن حفصة أخبرت عائشة بما حدث، فغضب رسول الله ودعا حفصة للحضور.

﴿عَرَفَ بَعْضُهُ﴾: أي ذكر بعضه لحفصة وأعرض عن ذكر البعض الآخر لها.

﴿عَرَفَ بَعْضُهُ﴾: أخبرها أن الله أطلعه عما قالت لعائشة (وإفشاءها السر)، وأعرض عن بعض: عن ذكر تحريم العسل.

وهناك من المفسرين من قال في تفسير أعرض عن بعض: يعني خلافة أبي بكر أو خلافة أبي بكر وعمر من بعد رسول الله، وفيها ضعف والله أعلم.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ﴾: أي أخبر رسول الله ﷺ عائشة الخبر؛ أي: قال رسول الله ﷺ لحفصة: أنت أفشيت السر إلى عائشة، فقالت حفصة:

﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾: أي من أخبرك بهذا الخبر؟ أي: النبأ حيث ظنت حفصة أن عائشة أخبرت رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: ﴿نَبَّأَنِي﴾: بالتوكيد: العليم الخبير.

الفرق بين نَبَأني وأنبأني، أنبأني المنبئ هنا يعني بشراً، بينما: نَبَأني المنبئ هنا هو الله العليم الخبير. قال: نَبَأني (من فعل نبأ): أبلغ تنبيهاً وأكد من أنبأني. وأنباك أو أنبأني من أنبأ، وأنبأ: فيها معنى في وقت قصير، ونَبَأ: فيها معنى وقت أطول مقارنة بـ(أنبأ).

﴿الْعَلِيمُ﴾: بكل الأقوال والأفعال والسر والعلن والنوايا وذات الصدور، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿الْخَبِيرُ﴾: ببواطن الأمور ومخفيات الأمور والسر والنجوى.

ثم خاطب حفصة وعائشة:

[٤] ﴿إِنْ نُّوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾:

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال أو القلة، والجواب محذوف تقديره: كان خيراً لكما.

﴿نُّوبَا﴾: الخطاب إلى عائشة وحفصة: تتوبا من التعاون على إيذاء رسول الله ﷺ بالقول والفعل. والقائل: إن تتوبا؛ هو الله سبحانه وتعالى.

وشروط قبول التوبة: التوبة تكون بالعودة إلى الله، والإنابة إليه، والإقلاع عن الذنب. ارجع إلى سورة النساء آية (١٨) لمزيد من البيان في معنى التوبة.

﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: فقد: الفاء للتوكيد، قد للتحقيق، صغت قلوبكما: زاغت قلوبكما عن الإخلاص لله ولرسوله وانحرفت أو مالت (من الميل) عن الحق.

ولم يقل قلبكما بالثنائية؛ لأن كل قلبين جماعة؛ لأن كل اثنين فما فوقهما جماعة كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، وكما قال تعالى:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] (جمع يد) بدلاً من يديهما (مثنى)، ولا ننسى القاعدة النحوية إذا أضيف المثنى إلى متضمنه فالأفصح جمع المضاف.

﴿وَإِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال والندرة.

﴿تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾: الخطاب لحفصة وعائشة؛ أي: تتعاوننا على إيذاء النبي ﷺ أو فعل ما يسوء إليه، وحذفت إحدى التاءين؛ أي: تتظاهرا عليه؛ أي: ولو بأقل أو أخف التظاهر أو التعاون.

﴿فَإِنْ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، إن: للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل لزيادة التوكيد.

﴿اللَّهُ هُوَ مَوْلَاهُ﴾: مولاه: أي وليه ومعينه ومساعدته.

﴿وَجَبْرِيلَ﴾: عليه السلام.

﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أمثال أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة، وقيل: تشمل كل من آمن وعمل صالحاً.

حذف الواو ولم يقل وصالحوا المؤمنين، صالحوا المؤمنين: تعني فقط الجمع ولا تشمل الأفراد والثنية.

أما: صالح المؤمنين: تعني الواحد والاثنين والجمع وأكثر (عامة). أو يعني واحداً أريد به الجمع؛ لأن الصالح يمثل الجمع، والجمع يمثل الواحد، وهناك من قال أنها ترجع إلى رسم المصحف.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾: أي أعوان لرسول الله ﷺ، وظهير بالأفراد والجمع: ظهراء؛ أي: كل واحد ليشمل الكل؛ لأن ما كان على وزن فاعيل يستوي فيه الواحد والجمع.



ودخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ابنته حفصة بعد أن سمع ما حدث وأن رسول الله ﷺ حرم ما حرم، فقال عمر: والله لتنتهي أو ليبدلن الله أزواجاً خيراً منك، فنزلت هذه الآية. كما أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه.

[٥] ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنَاطَاتٍ تَزِينْنَ لِجَنَّتِ تَزِينُ عِيدَاتٍ سَيَّحَتِ تَزِينُ وَأَبْكَارًا﴾:

﴿عَسَىٰ رَبُّهُ﴾: عسى عادة من أفعال الرجاء المتوقع حصولها في المستقبل إلا هذه الآية هي الواحدة التي لم تتحقق، واستعملت عسى للتهديد فقط وليس للرجاء.

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال أو الشك.

﴿طَلَّقَكُنَّ﴾: الخطاب إلى نساء النبي.

﴿أَنْ﴾: أن للدلالة على الاستقبال.

﴿يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾: خيراً؛ أي: أفضل منك. ارجع إلى سورة الأحزاب آية (٥٢) لمزيد من البيان.

﴿مُسْلِمَاتٍ﴾: مقيمات للصلاة والزكاة والصيام والحج واليوم الآخر.

﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾: مصدقات بالتوحيد والإيمان والإخلاص لله وحده.

﴿قَنَاطَاتٍ﴾: طائعات خاضعات لله تعالى.

﴿تَزِينْنَ لِجَنَّتِ تَزِينُ عِيدَاتٍ﴾: كثيرات التوبة.

﴿عِيدَاتٍ﴾: كثيرات العبادة.



﴿سَيَحْتَبِئُ﴾: مهاجرات، أو الصائمات، والسائح: الذي لا يصحب معه طعاماً.

﴿ثَيِّبَتٍ﴾: من ثاب؛ أي: رجع، وسميت الثيب ثيباً؛ لأنها ترجع إلى بيت أبيها بعد طلاقها من زوجها وأصبحت بغير زوج.

﴿وَأَبْكَارًا﴾: عذارى. الواو: واو العطف، وعطف الأبكاراً على الثيبات؛ لأن المرأة إما أن تكون ثيباً أو بكراً، أو لأن الواو واو الفصل لكون الثيبات تختلف عن الأبكار، أو واو الاهتمام؛ لأن الأبكار أحب من الثيبات.

[٦] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَ أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد أو أمر جديد هو:

﴿فَوْأَ أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾: اجعلوا بينكم وبين النار وقاية وحاجزاً أو مانعاً، وذلك بامثال أوامر الله تعالى وتجنب نواهيه وترك المعاصي.

﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾: أي وأمرؤ أهليكم بطاعة الله وتجنب نواهيه ومعاصيه أيضاً بالنصح والتأديب، وعلموهم دينهم الحق.

﴿نَارًا﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ للتهويل والتعظيم.

﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾: الوقود ما توقده به كي تشتعل، وقودها: الناس الكفرة الذين ماتوا وهم كفار، والحجارة: الأصنام التي عبدوها واتخذوها آلهة كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ﴾: غلاظ ليس عندهم رحمة أو رأفة أو شفقة يضربون بالمقامع من الحديد، شداد: أقوياء الأبدان يقال لهم: الزبانية. شداد

جمع شديد من ناحية القوة المادية، ويعني: الناحية الجسمية، بينما أشداء تعني: جمع شديد من الناحية المعنوية العاطفية، كما قال تعالى: ﴿أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءُ يَلَيِّنُهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾: لا: النافية؛ أي: يؤذون أوامر الله ويلتزمون بها، ولا يعصون بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد والتكرار والدوام.
﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾: يؤذون ما يؤمرون به (تعني التنفيذ).
[٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْنِزُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تَجَزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

نداء للذين كفروا، والهاء للتنبيه، ينادي عليهم يوم القيامة أو عند دخولهم النار.

﴿لَا تَعْنِزُوا﴾: أي لا عذر لكم أو لا ينفعكم أي اعتذار أو توبة اليوم، مما يبعث اليأس في نفوسهم.
﴿الْيَوْمَ﴾: يوم القيامة.
﴿إِنَّمَا تَجَزُونَ﴾: إنما كافة مكفوفة تفيد التوكيد، تجزون: من الجزاء، والجزاء من جنس العمل.

﴿مَا كُنْتُمْ﴾: ما: الذي كنتم في الدنيا.
﴿تَعْمَلُونَ﴾: العمل يضم القول والفعل؛ أي: ما كنتم تقولون وتفعلون.





سُورَةُ التَّحْوِيمِ ٦٦

الْجَنَّةُ النَّارُ وَالْخَيْرُ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ
 أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
 مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
 أَتَمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفُ رَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ
 وَمَأْوَاهُمُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ
 عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا
 مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾
 وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ
 قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ
 وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ
 عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا
 وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾

سورة التحريم [الآيات ٨ - ١٢]

[٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا بتكليف أو أمر جديد هو التوبة النصوح، التوبة الصادقة الخالصة لوجه الله لها شروط منها:

الندم على الذنب أو المعصية، وعدم الرجوع إليه (الإقلاع عن الذنب)، والإكثار من الطاعة والنوافل، وردُّ المظالم إلى أهلها.

﴿نَّصُوحًا﴾: صيغة مبالغة من: نصح.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾: عسى من أفعال الرجاء التي يتحقق حدوثها.

﴿أَن﴾ حرف مصدر يفيد التعليل والتوكيد.

﴿يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ التكفير يعني: السَّتر والمحو ورفع العقاب، والسيئات: قيل: الصَّغائر.

﴿وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي تنبع من تحتها الأنهار.



﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾: يوم ظرف زماني، لا يخزي: لا يفضح الله المؤمنين أمام الكفار. يوم: نكرة؛ ليدل على التعظيم.

﴿ثَوْرُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَيِّمَنِهِمْ﴾: يوم القيامة نورهم نور الإيمان والوضوء، يسعى: يسير أمامهم وعلى أيمانهم وهم على الصراط أو في أرض المحشر.

ارجع إلى سورة الحديد آية (١٢) لمزيد من البيان.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾: أي أبقه لنا، فلا ينطفئ حتى يتجاوزوا الصراط وينجوا من السقوط في جهنم، أو يقولون ذلك تقرباً إلى الله، أو يقولون: أتمم علينا نورنا تفضلاً منك؛ لأن النور على قدر الأعمال، أو أكثر لنا من النور.

﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾: ما قدمنا من الذنوب والكبائر.

﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: دعاء توسل بقدرة: القوي العزيز الذي لا يعجزه شيء. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٠).

[٩] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾:

نداء تشریف إلى النبي، والهاء للتنبيه.

﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾: جاهد بالقول والحجة والقوة والبرهان وأي وسيلة أخرى.

الكفار: جمع كافر، والكفار صيغة مبالغة ولم يقل الكافرين، الكفار جمع تكسير، فهي تدل على أن الكفار أكثر عدداً من الكافرين، وكلمة الكفار تشير إلى عقيدة الكفر (الحدث)، والكافرين تشير إلى فعل الكفر أو عمل الكفر.

﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾: جمع منافق: وهو الذي يظهر الإيمان والإسلام ويبطن الكفر. ارجع إلى سورة المنافقون آية (١) لمزيد من البيان.

﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾: الغلظة الشدة بالإنذار وخشونة الجانب، وعدم المعاملة باللين والرافة.

﴿وَمَا أُولَئِكَ لَهُمْ جَهَنَّمُ﴾: المأوى مكان الإقامة والاستقرار في الآخرة، والضمير يعود على الكفار والمنافقين، جهنم: اسم من أسماء النار، ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان في معنى المأوى وجهنم، ولو قارنا هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُئْسَ الْمِهَادُ﴾ ثم: تعني التراخي في الزمن، فهذه الآية جاءت في سياق الدنيا، بينما آية التحريم جاءت في سياق الحديث عن الآخرة، وليس هناك فاصل زمني.

﴿وَيُئْسَ الْمَصِيرُ﴾: بئس من أفعال الذم والقبح، المصير: المتهى، وقدم الكفار على المنافقين من حيث الزمن فالكفار جاؤوا قبل المنافقين، وهم أكثر عدداً، وإذا قارنا هذه الآية (٩) من سورة التحريم وهي قوله:

﴿وَمَا أُولَئِكَ لَهُمْ جَهَنَّمُ وَيُئْسَ الْمَصِيرُ﴾ مع الآية (١٩٧) من سورة آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿مَتَعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُئْسَ الْمِهَادُ﴾ نجده استعمل ثم بدلاً من الواو؛ لأن ثم تدل على التراخي في الزمن؛ لأنهم لا زالوا في الدنيا، بينما آية التحريم في سياق الآخرة فاستعمل الواو.

[١٠] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ



مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتْهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿٤﴾:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾: المثل: هو قول موجز أو تشبيه حال بحال يراد به المقارنة والموازنة أو المفاضلة بين أمرين؛ لكي يتضح الأمر ويزول الغموض.

المناسبة: في مطلع السورة رأينا كيف حفصة وعائشة دفعتا رسول الله ﷺ إلى تحريم ما أحل الله له، وجاء التحذير لهما بتوقيع رسول الله ﷺ وعدم مخالفته وبالتوبة فقال: ﴿إِنْ تُؤْيَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [الآية: ٤].

وضرب المثل بامرأة نوح أو لوط بعد ذكر عائشة وحفصة يبين لنا أن امرأة نوح ولوط كانت كل واحدة منهما تحت نبي رسول، فلم ينفعها قربتها من كونها امرأة لنبي إذا لم تصدقه وتطع أو امره.

﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: اللام لام الاختصاص، مثل خاص لهم.

﴿أَمْرَاتٍ نُّوحٍ وَأَمْرَاتٍ لُّوطٍ﴾: وقوله: امرأة، ولم يقل زوجة؛ لأن امرأة في القرآن تطلق على كل من تخالف زوجها في الدين أو الأخلاق أو العقيدة، أو فيها خلل في الحياة الزوجية مثل كونها لا تنجب أو عاقراً أو بها عيب خلقي.

أما إذا كانت توافق زوجها في الدين والعقيدة والأخلاق وليس بها عيب بدني، ومساوية لزوجها، عندها يطلق عليها زوجة، وكذلك انظر كيف كتبت ﴿وَأَمْرَاتٍ﴾ بالتاء المفتوحة (المبسوطة)، وليس بالتاء المربوطة. ارجع إلى سورة آل عمران آية (٣٠) للبيان.



﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ﴾: كانتا في عصمة نوح ولوط
(عليهما الصلاة والسلام).

﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾: بسبب النفاق أو إفشاء السر وعدم التصديق برسالتهما،
ولست خيانة جنسية أو الإحصان. قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط.

وقيل: كانت امرأة نوح تتهم نوحاً عليه السلام بأنه مجنون، ولم تصدق
برسالته، وأما امرأة لوط كانت تشجع على الفاحشة ولا تنكرها، وتفشي أخبار
لوط إلى قومه.

وهذان رسولان لم يستطيعا التأثير في امرأتهما، فلكل إنسان سواء كان
ذكراً أو أنثى حرية الإيمان والعقيدة: ولا تزر وازرة وزر أخرى.

﴿فَلَمْ﴾: الفاء للتوكيد، لم للنفي.

﴿يُعْنِيَانَهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: أي لم يفيداهما أو ينفعهما لا نوح ولا لوط
من عذاب الله شيئاً، والشيء: وهو أقل القليل أو أي نوع من الغنى.

﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾: مع الداخلين: من أهل الكفر
والمعاصي إلى النار.

[١١] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ
بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبَنِّحْنِي مَعَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبَنِّحْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾:

كما قلنا: ضرب الله تعالى المثل الأول؛ ليحذر به حفصة وعائشة أن تكونا
مثل امرأة نوح أو امرأة لوط، ثم ضرب الله تعالى المثل الثاني؛ ليحضر ويحث
حفصة وعائشة أن تكونا مثل امرأة فرعون ومريم بنت عمران، ويحضر كل مؤمنة



على الصبر والثبات في الشدة والابتلاء، وتكون مثل مريم بنت عمران وامرأة فرعون.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: ارجع إلى الآية السابقة (١٠).

﴿أَمْرَاتِ فِرْعَوْنَ﴾: قيل: هي آسية بنت مزاحم؛ ربّت موسى ﷺ وآمنت بموسى وتعرّضت لعذاب فرعون الشديد بسبب إيمانها، ولم يقل زوجة فرعون؛ لأنها تخالف زوجها في الدين.

﴿إِذْ﴾: واذكر إذ، أو اذكر حين قالت وهي تتلقى شتى أنواع العذاب.

﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾: دعت بذلك الدعاء، وعندما اشتد عذاب فرعون لها ورأت قرب أجلها.

﴿وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾: من طغيانه وفساده وظلمه وكفره، ونجّني من هذا الطاغية وتعذّبيه.

﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: تكرر (نَجِّنِي) للتوكيد، من القوم الظالمين: قوم فرعون وملئه الأقباط الوثنيين.

[١٢] ﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَنِينِ﴾:

﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ﴾: أم عيسى ﷺ.

﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: حفظته وصانته، كناية عن عفتها فلم تتزوج ولم يمسها بشر.

﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾: (فيه) تعني الجنين عيسى ﷺ، نفخنا: نا

الضمير تعود على جبريل ﷺ بأمر من الله سبحانه، من: ابتدائية، روحنا: روحٌ من الأرواح، ولا تعني من روح الله، فجبريل الذي نفخ (فيه) في عيسى عليه السلام، بينما الله سبحانه الذي نفخ في آدم.

وهناك من المفسرين من يقول: إن الضمير في كلمة (فيه) تعود على الفرج مكان النفخ، وقيل: (فيه) تعني جيب درعها، والله أعلم. ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٩١) للمقارنة ولمزيد من البيان.

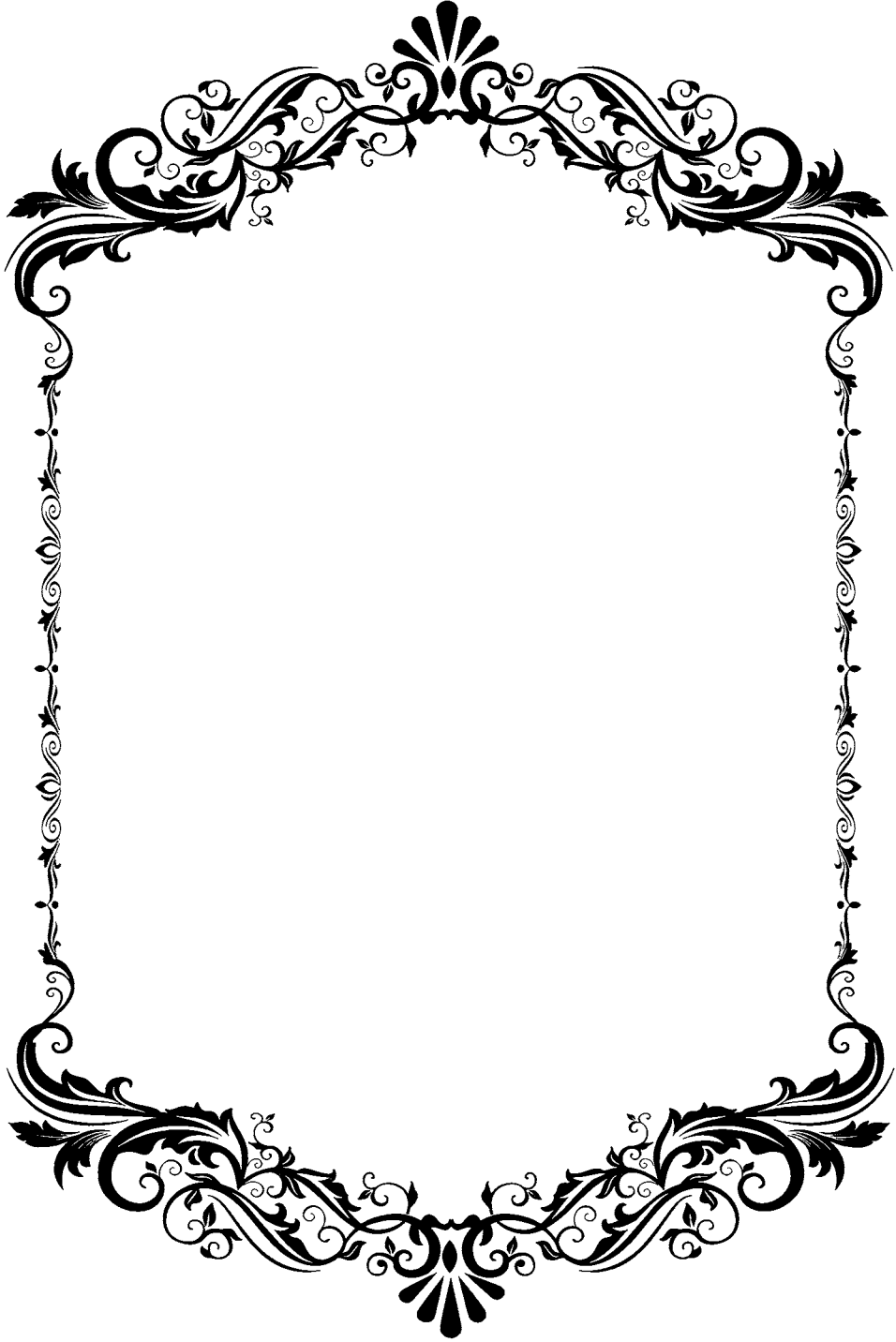
﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾: حينما قال لها جبريل: (إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً)، و: (يشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين). صدقت بما أوحى إلى عيسى عليه السلام.

﴿وَكُتِبَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾: كلمات ربها التي في التوراة والإنجيل.

﴿وَكَانَتْ مِنْ﴾: من للتبويض ولا ابتداء الغاية.

﴿الْقَانِنِينَ﴾: ولم يقل من القانتات المطيعات لله، القانتين: غلب الذكورة على الإناث؛ لأن القانتين من الرجال أكثر من النساء، أو لأن مريم كانت تقوم بأعمال الطاعة والعبادة والقنوت تضاهي أعمال الرجال، أو لكونها من نسل القانتين.







فهرس تفسير القرآن الثري الجامع الجزء الحادي عشر

السورة ورقمها	الصفحة
سورة محمد [الآيات ٣٠ - ٣٨].....	٦
سورة الفتح [الآيات ١ - ٩].....	١٧
سورة الفتح [الآيات ١٠ - ١٥].....	٢٧
سورة الفتح [الآيات ١٦ - ٢٣].....	٣٩
سورة الفتح [الآيات ٢٤ - ٢٨].....	٤٧
سورة الفتح [الآيات ٢٩].....	٥٥
سورة الحجرات [الآيات ١ - ٤].....	٥٩
سورة الحجرات [الآيات ٥ - ١١].....	٦٥
سورة الحجرات [الآيات ١٢ - ١٨].....	٧٥
سورة ق [الآيات ١ - ١٥].....	٨٥
سورة ق [الآيات ١٦ - ٣٥].....	٩٧
سورة ق [الآيات ٣٦ - ٤٥].....	١٠٩
سورة الذاريات [الآيات ١ - ٦].....	١١٧
سورة الذاريات [الآيات ٧ - ٣٠].....	١٢١
سورة الذاريات [الآيات ٣١ - ٥١].....	١٣٥
سورة الذاريات [الآيات ٥٢ - ٦٠].....	١٤٧
سورة الطور [الآيات ١ - ١٤].....	١٥٥
سورة الطور [الآيات ١٥ - ٣١].....	١٦١
سورة الطور [الآيات ٣٢ - ٤٩].....	١٧١
سورة النجم [الآيات ١ - ٢٦].....	١٨١



السورة ورقمها	الصفحة
سورة النجم [الآيات ٢٧ - ٤٤].....	١٩٥
سورة النجم [الآيات ٤٥ - ٦٢].....	٢٠٧
سورة القمر [الآيات ١ - ٦].....	٢١٣
سورة القمر [الآيات ٧ - ٢٧].....	٢١٩
سورة القمر [الآيات ٢٨ - ٤٩].....	٢٣٣
سورة القمر [الآيات ٥٠ - ٥٥].....	٢٤٥
سورة الرحمن [الآيات ١ - ١٦].....	٢٤٩
سورة الرحمن [الآيات ١٧ - ٤٠].....	٢٥٧
سورة الرحمن [الآيات ٤١ - ٦٧].....	٢٦٩
سورة الرحمن [الآيات ٦٨ - ٧٨].....	٢٧٩
سورة الواقعة [الآيات ١ - ١٦].....	٢٨٣
سورة الواقعة [الآيات ١٧ - ٥٠].....	٢٨٩
سورة الواقعة [الآيات ٥١ - ٧٦].....	٢٩٩
سورة الواقعة [الآيات ٧٧ - ٩٦].....	٣١٣
سورة الحديد [الآيات ١ - ٣].....	٣٢٣
سورة الحديد [الآيات ٤ - ١١].....	٣٢٨
سورة الحديد [الآيات ١٢ - ١٨].....	٣٣٧
سورة الحديد [الآيات ١٩ - ٢٤].....	٣٤٧
سورة الحديد [الآيات ٢٥ - ٢٩].....	٣٥٧

جزء قد سمع

سورة المجادلة [الآيات ١ - ٦].....	٣٦٥
سورة المجادلة [الآيات ٧ - ١١].....	٣٧٥
سورة المجادلة [الآيات ١٢ - ٢١].....	٣٨٣



الصفحة	السورة ورقمها
٣٩٣	سورة المجادلة [الآية ٢٢].....
٣٩٦	سورة الحشر [الآيات ١ - ٣].....
٤٠١	سورة الحشر [الآيات ٤ - ٩].....
٤١١	سورة الحشر [الآيات ١٠ - ١٦].....
٤١٩	سورة الحشر [الآيات ١٧ - ٢٤].....
٤٢٩	سورة الممتحنة [الآيات ١ - ٥].....
٤٣٧	سورة الممتحنة [الآيات ٦ - ١١].....
٤٤٧	سورة الممتحنة [الآيات ١٢ - ١٣].....
٤٥١	سورة الصف [الآيات ١ - ٥].....
٤٥٦	سورة الصف [الآيات ٦ - ١٤].....
٤٦٧	سورة الجمعة [الآيات ١ - ٨].....
٤٧٧	سورة الجمعة [الآيات ٩ - ١١].....
٤٨٣	سورة المنافقون [الآيات ١ - ٤].....
٤٨٩	سورة المنافقون [الآيات ٥ - ١١].....
٥٠١	سورة التغابن [الآيات ١ - ٩].....
٥١١	سورة التغابن [الآيات ١٠ - ١٨].....
٥٢١	سورة الطلاق [الآيات ١ - ٥].....
٥٣١	سورة الطلاق [الآيات ٦ - ١٢].....
٥٣٩	سورة التحريم [الآيات ١ - ٧].....
٥٤٩	سورة التحريم [الآيات ٨ - ١٢].....
٥٥٧	فهرس تفسير القرآن الثري الجامع الجزء الحادي عشر.....



نَفْسُ الْقُرْآنِ

الْحَكِيمِ الْخَافِعِ

فِي

الْإِعْجَازِ الْبَيِّنِيِّ وَاللُّغَوِيِّ وَالْعِلْمِيِّ

إِعْدَادُ وَدِرَاسَةُ

الدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ سَالِحِ

تَحْقِيقُ

تَحْقِيقُ



تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الشَّرِيفِ الْجَامِعِ

في

الْإِعْجَازِ الْبَيَانِيِّ وَاللُّغَوِيِّ وَالْعَامِيِّ

الْجُزْءُ الثَّانِي عَشَرَ



تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء : (١٢)
عدد الصفحات : (٦٧٠٤)
القياس : ٢٤ × ١٧
التنضيد والإخراج الضوئي : محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

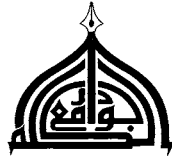


مرآة المعراج

تلفاكس : 963 11 2247242 +

ص.ب: 31429 . سورية . دمشق

E-mail: meraj.press@gmail.com



للطباعة والنشر والتوزيع



تنضيد وإخراج ضوئي

دار جامع الكلم



جوال : 963 933 84 60 60 +

سورية - دمشق - تلفاكس : 963 11 2216555 + - ص . ب 13118

www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الشَّرِيفِ الْجَامِعِ

فِي

الْإِعْجَازِ الْبَيَانِيِّ وَاللُّغَوِيِّ وَالْعِلْمِيِّ

إِعْدَادُ وَدِرَاسَةُ

الدُّكْتُورُ مُحَمَّدٌ د. الْهَلَالُ

الْجُزْءُ الثَّانِي عَشَرَ

كِتَابُ الْمَعْرَاجِ

كِتَابُ الْجَمَاعَةِ وَالْإِكْلَامِ



سُورَةُ الْمُلْكِ ٦٧

الجزء الثاني عشر

سُورَةُ الْمُلْكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ
 الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾
 الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ
 تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
 يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ
 الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ
 السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ السَّعِيرِ
 ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ
 مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾
 قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ
 إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
 السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾
 إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

٥٦٢





سورة الملك [الآيات ١ - ١٢]

ترتيبها في القرآن (٦٧)، وترتيبها في النزول (٧٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وتسمى الواقعة المنجية من عذاب القبر، كما أخرج الترمذي عن ابن عباس،
قال رسول الله ﷺ: هي المانعة هي المنجية من عذاب القبر.

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (إن سورة في
القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غفر له)، قال الترمذي: حديث حسن، وما
أخرجه الطبراني والحافظ المقدسي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:
(سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة).

تحدث سورة تبارك عن عظمة الله سبحانه وقدرته ووحدانيته، ونعمه
وعلمه وإنذاره، والسمة التعبيرية فيها الرحمة مثل قوله: العزيز الغفور، لهم
مغفرة وأجر كبير، جعل لكم الأرض ذلولاً وغيرها، وتشير إلى البعث والتوكل
على الله.

وذكر اسم الرحمن فيها (٣) مرات.



[١] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿تَبَارَكَ﴾: اختلف العلماء في معنى تبارك، قيل: تبارك: تعالى وتعظيم قدره وتنزّه وتقدّس عن شبه ما سواه.

تبارك: من البركة والبركة تعن: الكثرة والزيادة تكاثرت بركته وعمت الخلائق وعظم خيره وإحسانه، فكل البركة من الله تعالى الذي أبدع هذا الكون وأودع بركته فيه.

وقيل: تبارك: اشتقت من برك الجمل: دام وثبت بمعنى الثبوت، أي: دام خيره وإحسانه لخلقه.

وردت كلمة تبارك في تسع آيات في القرآن منها:

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ [الفرقان: ١٠].

﴿نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزخرف: ٨٥].

﴿نُبَرِّكَ اسْمَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].



وكلمة تبارك أو سبحانه لا تستعمل إلا لله تعالى وحده، وردت تبارك في سبع آيات بالألف الممدودة، وتبارك الخنجرية في سورة الرحمن والملك؛ مما يدل على أن كتابة القرآن أمر توقيفي.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يدل على التعظيم.

﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾: بضم الميم، أي: الحكم فهو الحاكم، حاكم السموات والأرض وما فيهن ولا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل، بيده: أي: هو المتصرف بملكه كيف يشاء يُعز من يشاء ويُذل من يشاء يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء.

وهناك كلمة ملك بكسر الميم: تعني: الملكية؛ أي: ما يملك، وكل ما يملك فهو ملك؛ فهو سبحانه يملك السموات وما فيهن والأرض وما فيها، فكل شيء هو ملكه وحده وما نحن إلا مستخلفين في بعض هذا الملك كما قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، فهو مالك الملك: المالك الحقيقي والحاكم الدائم لا شريك له، له الخلق وله الأمر الحي القيوم.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: هو: ضمير فصل يفيد التوكيد، شيء: نكرة تشمل كل شيء مهما كان نوعه وشكله وحجمه ووزنه ولونه وجنسه، قدير: التام القدرة لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فإذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كن، فيكون، قدير: صيغة مبالغة لقادر، قادر على أن يخلق ما يشاء ويفعل ما يشاء، قدير؛ لأنه هو الحاكم ومالك الملك والعليم والحكيم.

[٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾:

﴿الَّذِي﴾: تفيد التعظيم.

﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾: خلق: أصل الخلق التقدير، والخلق يعني: الإيجاد، أي: أوجد الموت وهو نقص البنية لجسم الإنسان بخروج الروح الباعثة للحياة من جسد الإنسان، أي: انفصال الروح عن الجسد وإذا انفصلت الروح توفيت النفس أيضاً وتحول الجسد إلى بدن، فالبدن جسد بلا روح ولا نفس، كما قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نَنفِخُكَ بِدَنِكَ﴾ [يونس: ٩٢]، والحياة تبدأ بنفخ الروح في البدن. ارجع إلى سورة الزمر آية (٤٢) لمزيد من البيان، وقدم الموت على الحياة؛ لأن الموت مقدّر في المحفظة الوراثية المكونة من الجينات، والتي يسبق خلقها نفخ الروح في البدن، أو التقديم قد يكون للاهتمام؛ لأن أكثر الناس يغفلون عن الموت، وأما الحياة فهي شغلهم الشاغل، فالتقديم قد يكون للاهتمام والاستعداد للموت، وقيل: تقديم الموت على الحياة؛ لأن الموت يسبق الحياة في مرحلة الأصلاب كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: اللام للتعليل، يبلوكم: من الابتلاء والابتلاء يكون في الخير والشر، والابتلاء هو استخراج ما عند المبتلى من طاعة أو معصية، ولا يكون إلا بتحمّل المشاق والمكاره.

﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: ولم يقل: أيكم أكثر عملاً، وإنما قال: أحسن عملاً، أي: أخلص عملاً لوجه الله تعالى وأصوب، أي: على هدي القرآن والسنة.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.



﴿الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾: العزيز: مشتق من عزة القوة والامتناع والغلبة والقهر وذكر العزيز (٩٢) مرة في القرآن، ويعني: القوي الذي لا يعجزه شيء، الغالب الذي لا يُغلب والقاهر الذي لا يُقهر، والممتنع لا يحتاج إلى أحد من عباده، ولا ينفعه أحد ولا يضره أحد، الغفور: كثير المغفرة لمن تاب وأناب، والمغفرة: تعني بستر عليه ذنبه ولا يفضحه، أي: لا يعاقبه عليه ويعطيه ثواب حسناته كاملة أي: لا يطرح سيئاته من حسناته، الغفور: صيغة مبالغة لغافر، أي: كثير المغفرة كما ونوعاً، وقيل: الغفار: يغفر الذنوب الكثيرة. والغفور يغفر الذنوب الكبيرة أو الكبائر مهما تنوعت وكبرت إذا تاب العبد وأناب إلى ربه.

[٣] ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَنذِرْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾:

ومن مظاهر عظمته وقدرته:

﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾: طباقاً: بعضها فوق بعض، أي: سبع سموات حول مركز واحد هو الأرض يغلف الخارج منها الداخل أو سبع كرات عظيمة سمكها متساوٍ، والمسافات بينها متساوية ومركزها واحد هو الأرض، وقيل: بنية السموات السبع تشبه بنية الأرض المشكلة من سبع أرضين.

﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾: التفاوت: من الفوت وهو الفرجة أو التباعد يعني: التباين والتناقض أو عدم التناسب فلا ترى أي عيب ولا نقص في خلقها.

من: استغراقية، أي: تفاوت، أي: هي مبنية بناء محكم متماسك من دون فراغ كما كان يظن سابقاً، مملوءة بغازات التي يغلب عليها غاز الإيدروجين



وذرات الكالسيوم والصوديوم والبوتاسيوم وبخار الماء وغيرها، وترتبط بينها قوانين الجاذبية المختلفة المغنطيسية والكهربائية التي لا تتغير ولا تتبدل أو تضعف أو تزيد.

﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾: أي: كرّر النظر أو أعد البصر المرة تلو الأخرى إن كنت في شك، أو تعني: التوكيد، هل: استفهام فيه معنى التقرير والجواب: لا تجد فيها أي فطور: شقوق وصدوع، فطور: مشتقة من فطر: شق. [٤] ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي. ارجع البصر: انظر، ثم أعد النظر المرة تلو المرة في السماء.

﴿ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾: كرتين: لا تعني: مرتين، وإنما المرة بعد الأخرى، أي: المرات العديدة.

﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ﴾: من الانقلاب: هو الرجوع ولكن إلى حالة مخالفة للحالة التي بدأ منها، بينما الرجوع يكون للحالة نفسها التي بدأ منها.

﴿خَاسِئًا﴾: صاغراً ذليلاً عاجزاً عن رؤية، أي: خلل أو عيب في التركيب أو فاشلاً مهزوماً.

﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾: هو: ضمير فصل يفيد التوكيد، حسير كما فسّره القدامى كليل متعب، أما التفسير العلمي فالحسير هو: أن الضوء المنبعث من الجسم المرئي مفروض أن يشكل بؤرة تصل إلى شبكة العين، ثم تنتقل بواسطة العصب العيني إلى المخ، ومن ثم يُرى الجسم المرئي، ففي حالة كون البصر حسيراً



يعني: لا تصل بؤرة الجسم المرئي إلى شبكية العين، بل تتوقف بمسافة قريبة أو بعيدة عن الشبكية، ولذلك لا يُرى الجسم المرئي بشكل صحيح حقيقي واضح بسبب حسر البصر أو العجز البصري.

[٥] ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو استئنافية، لقد: اللام للتوكيد، قد للتحقيق.

﴿زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾: أي: بالنجوم، التي تشبه المصابيح، والنجوم هي أفران نووية مشتعلة عملاقة تضيء بنفسها والشمس هي إحدى هذه النجوم، فمن وظائف النجوم تزيين السماء، ومن وظائفها أيضاً: رجوماً للشياطين.

﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾: رجوماً للشياطين: بما يصدر عنها من شهب تنطلق لترجم الشياطين هذا في الدنيا. ارجع إلى سورة الصافات آية (١٠)، واللام في كلمة للشياطين تدل على الاختصاص والاستحقاق والشياطين هم كفر الجن، والشياطين جمع شيطان، وكلمة شيطان مشتقة من شطن: أي: ابتعد عن الحق وتمادى في الشر والضلال أو تمرد على الحق، أو شاط: أي: احترق أو الشاطن: أي: الخبيث.

وقد أثبتت الدراسات العلمية أن النجم يمر بمراحل مختلفة في دورة حياته مرحلة الولادة، ثم الطفولة والكهولة والشيخوخة، ثم الاحتضار وعندها تتكرر الطاقة بداخله باتحاد الإلكترونات والبروتونات، وتشكل نجم نتروني ذو كثافة عالية قد تبلغ مليون طن بالسهم ٣، وقد ينفجر ويتحول إلى كتلة جامدة تشكل الشهب أو النيازك التي تترجم أو تقذف بها الشياطين.

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾: أي: هيأنا لهم: أي: للشياطين، عذاب السَّعِير في الآخرة، السَّعِير: النَّار الملتهبة أو المستعمرة. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

[٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾: أي: كفر العقيدة: ووجدوا بألوهيته وربوبيته، والباء للإلصاق سواء كانوا من شياطين الجن أو الإنس.

﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾: في الآخرة، جهنم: تعني بعيدة القعر. ارجع إلى سورة الزمر آية (٣٢) لمزيد من البيان.

﴿وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾: بس: فعل من أفعال الدَّم، أي: بس المال والنهاية.

[٧] ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾:

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿أُلْقُوا فِيهَا﴾: أي: ألقى الكافرون في جهنم، وتعني: الدَّفع بقوة للدخول فيها كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ [الطور: ١٣].

﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾: وهي: للتوكيد، تفور: تغلي غلي الحميم، أي: يخرج من النَّار التي تغلي أصوات تشبه أصوات الشَّهيق عند الإنسان أو الحيوان، والشَّهيق ابتلاع الهواء ليدخل الرئتين.

وفي سورة الفرقان الآية (١٢) قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا



تَغِيْظًا وَزَفِيْرًا ﴿١٤﴾ والزفير هو إخراج الهواء من الرئتين، والغيط: الغضب الشديد الكامن في نفس العاجز عن التشفي، والغيط: يعبر عن شدة درجة اشتعال النار.

[٨] ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾:

﴿تَكَادُ﴾: من أفعال المقاربة.

﴿تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾: تتقطع عليهم إرباً إرباً من الغيظ والذي هو أشد من الغضب، والغيط يمثل شدة الغليان، ففي هذه الآية شبهت جهنم في شدة غليانها ولهيبها بإنسان شديد الغضب على عدوه يكاد يتمزق وينفجر وتخرج أحشاؤه. ارجع إلى سورة التوبة آية (١٥) لمزيد من البيان ومعرفة مراحل الغضب.

﴿كُلَّمَا﴾: مركبة من كل وما المصدرية الظرفية، فهي أداة شرط تفيد التكرار.

﴿أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾: جماعة من الكفار أو زمرة.

﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾: مالك وأعوانه من الملائكة.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾: ألم: استفهام توبيخي وإنكاري، نذير: من الإنذار وهو

الإعلام والتحذير، أي: ألم يأتكم رسل منكم ينذرونكم لقاء يومكم هذا.

[٩] ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾:

﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾: أي: الكافرون قالوا للملائكة:

﴿قَدْ﴾: للتحقيق والتوكيد.

﴿جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾: أي: رسول.

﴿فَكَذَّبْنَا﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، فكذبنا: أي: لم نصدق بالرسل.

﴿وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾: من استغرافية، شيء: نكرة، أي: ما جئتم بأي شيء من شرائع أو وحي أو آيات ولم ينزل الله من شيء، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٥) في سورة يس، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾؛ لأن السياق في سورة الملك في تهديد وتحذير الكافرين وما أعدّه الله تعالى لعذابهم، ولم يقل الرحمن في هذه الآية رغم أن اسم الرحمن تكرر (٤ مرات) في هذه السورة.

﴿إِنْ أَنْتُمْ﴾: إن: نافية أشد نفياً من ما، أو للتوكيد: هذا هو قول الملائكة للكفار حين اعترفوا بتكذيبهم للرسل وهو الراجح، أو قول الكفار لرسولهم المنذرين، أو قول الرسل لقومهم حين أنذروهم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾: بُعد كبير عن الحق والصواب.

[١٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: أي: الكفار.

﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾: لو: شرطية، كنا نسمع في الدنيا سماع فهم وتدبر، نسمع ما جاءت به رسلنا أو نذرنا من آيات ووعد ووعد.

﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: ما: النافية، كنا: أي: الآن، في: ظرفي مكانية.

ولو قالوا: ما كنا من أصحاب السعير، وليس في أصحاب السعير فقد يعني: أنهم ليسوا الآن في داخل جهنم، ويمكن أن يلحقوا بأصحاب السعير بعد زمن، فهناك اختلاف كبير بين حرف من وفي، مثال: فلان في المدينة: أي: هو الآن في المدينة، فلان من المدينة: أي: هو من أهل المدينة وهو الآن خارج المدينة، أو



نعقل: أو هنا بمعنى واو (العطف) أي: لو كنا نسمع ونعقل ولا تعني التّخيير؛ لأنّ السّمع من دون العقل لا فائدة منه، والعقل يحتاج إلى السّمع، نعقل: نفهم أو نتدبّر أو نفكّر، فهم نفوا عن أنفسهم وسائل الهداية؛ السّمع والعقل معاً.

في أصحاب السّعير: أصحاب السّعير: سُمُوا أصحاب السّعير (النّار الملتهبة، أي: المسعرة) لصحبته الدّائمة لها كأنهم أصبحوا أصحابها ملازمين لها، أي: مالكوها كما نقول: أين صاحب الدّار، وقَدّم السّمع على العقل: لأنّ المدعو إلى الشّيء يسمع كلام الدّاعية أولاً، ثم يفكّر فيه.

[١١] ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾:

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾: الفاء للترتيب والتّعقيب، اعترفوا: أقرّوا وشهدوا على أنفسهم، بذنبهم: الباء للإلصاق، ولم يقل: بذنوبهم؛ لأنّ ذنبهم هو تكذيب الرّسل، وما أنزل الله، أمّا ذنوبهم: فتعني: الصّغائر والكبائر التي ارتكبوها فهم لا يتحدثون عنها الآن.

﴿فَسُحْقًا﴾: الفاء للتوكيد، سُحْقًا: أي: بُعداً، والسّحيق: البعيد ويقال: أسحقهم الله: أبعدهم الله عن رحمته، أي: بُعداً لهم ودماراً.

﴿لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: اللام: لام الاستحقاق والاختصاص، أصحاب السّعير: ارجع إلى الآية (١٠) السابقة.

[١٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾:

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: للتوكيد، الذين: اسم موصول يفيد المدح.

﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾: الخشية تعني: الخوف من ربهم، والتّعظيم



والمهابة له، والعلم، (أي: تعلم الذي تخشاه ما هو صفاته)، يخشون عقابه وغضبه
وسخطه، بالغيب: قيد الخشية بالغيب ولم يطلق الخشية، ويقول ﴿وَيَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ﴾ كما في سورة الرعد الآية (٢١)، الغيب: كل ما غاب عن البصر، أي:
يخشونه ولم يروه، يخشونه في السر والعلن، أي: يخشونه أمام الناس، ويخشونه
في خلواتهم وغيابهم عن أعين الناس، أي: إذا خلوا بأنفسهم، والباء (بالغيب):
باء الظرفية والمصاحبة.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، لهم: تعني: عامة المؤمنين.
﴿مَغْفِرَةٌ﴾: المغفرة تعني: السّتر والمحو وترك العقاب والإثابة على
الأعمال الصّالحة.

﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: الأجر يكون بعد العمل، والأجر الكبير هو الجنة ونعيمها.



الجزء التاسع والعشرون

سورة النازعات ٦٧

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ
﴿١٥﴾ أَمِ اتُّمَّ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ
تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ اتُّمَّ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا
فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ
كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفًّا وَيَقْبِضْنَ مَا
يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي
هُوَ جُنْدُكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ
﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَّجُوا فِي عُتُوٍّ
وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا
عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ
فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

سورة الملك [الآيات ١٣ - ٢٦]

[١٣] ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾:

﴿أَوْ﴾: تعني: للخيار أو السواء، أي: يستوي عند الله إسراركم أو جهركم بالقول أو الفعل.

سبب النزول: كما قال ابن عباس أن المشركين كانوا يتكلمون على رسول الله ﷺ وينالون منه، فيخبره جبريل بما قالوا ونالوا منه فقال بعضهم لبعض: أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد فيخبره.

بل هو يعلم السر وأخفى: أي: ما هو أخفى من السر، أي: حديث النفس وخواطرها، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

﴿إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: إنه للتوكيد، علیم: صيغة مبالغة من علم، أي: كثير العلم أي: مطلع ورقيب ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والصدور: تعني القلوب التي مركز المشاعر والأحاسيس المعنوية مثل الإيمان والكفر والخيانة والاستقامة والتوحيد أو النفاق بما فيه من الخلايا العصبية، فهو سيد الأعضاء ويتصل بالدمغ بالدم والأعصاب. ارجع إلى سورة الحج آية (٤٦) لمزيد من البيان.

﴿بِذَاتِ﴾: كل شيء ذات، وكل ذات شيء، وذات: تعني كل المعتقدات والخواطر والسرائر والأحاسيس من حسد ومكر وكراهية وحب، ولأنها تعيش



وتصاحب الإنسان وتلازمه وتجول وتعيش في صدره؛ أي: قلبه سمّيت ذات أو ذوات الصدور.

وقدّم السر على الجهر؛ لأنّ العلم به أصعب من العلم بالجهر، ولأنّ كلّ عمل يبدأ سرّاً، ثمّ يجهر به وفي الآية تحذير من الغيبة والنميمة.

[١٤] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾:

ثمّ بيّن الحجّة والدليل على علمه بكلّ شيء؛ لأنّه سبحانه هو الذي خلق كلّ شيء.

﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾: ألا: الهمزة همزة استفهام إنكاري وتقرير.

﴿مَنْ خَلَقَ﴾: من: اسم موصول بمعنى الذي، وتعني: ألا يعلم الخالق وهو اللطيف الخبير، أي: ألا يعلم الخالق مخلوقاته أو ما خلق.

﴿وَهُوَ﴾: الواو تفيد التوكيد، هو: ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد.

﴿اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾: اسمان من أسماء الله الحسنی، اللطيف: لغة أي: الشيء الدقيق جداً الذي لا تراه أو يصعب رؤيته بالعين، أي: لا تدركه الأبصار واصطلاحاً: اللطيف الذي يعلم دقائق الأمور وخفاياها ومواقعها.

الخبير: العليم ببواطن الأمور وأحاط علمه بالأسرار والبواطن والخفايا وذوات الصدور، أي: يصل علمه إلى كلّ خفي، ومن يعلم بواطن الأمور فهو يعلم ظواهرها أيضاً.

[١٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾: ذلولاً: مسخرة لكم أي: ذللها

وسخرها لكم وجعلها قراراً لا تميد ولا تضطرب مسخرة لكم للحرث والزرع والبناء والعمارة. وهياها لكم للعيش عليها وخلق الجبال وجعل عوامل التعرية واختلاف درجات الحرارة وشق لكم الفجاج والسبل.

﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾: المناكب: الجوانب والمنكب في الإنسان ما بين الكتف والعضد، وتطلق على الطرقات، أي: طرقاتها، فامشوا في طرقاتها لطلب الرزق والعلم والإصلاح.

﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾: الرزق: هو كل ما يُنتفع به وليس حراماً، أي: لا يكون إلا حلالاً، وتعني مما رزقكم وخلق لكم ما في الأرض من الزرع والثمار وكل ما خلقه الله تعالى في الأرض هو رزق للعباد، ثم وزعه بعلمه وحكمته على خلقه.

﴿وَالِإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾: النشور: هو إحياء الموتى، يلي النشور الحشر وهو إخراج الموتى من قبورهم وسوقهم إلى أرض المحشر وجمعهم للحساب، وتقديم إليه: لتدل على الحصر أي: إلى الله وحده النشور.

[١٦] ﴿ءَأَمْنُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾:

﴿ءَأَمْنُمْ﴾: الهمزة للاستفهام التحذيري، أمتم: من الأمن وهو الطمأنينة الكاملة مع زوال أسباب الخوف بينما الأمنة: فهي الطمأنينة الغير كاملة مع بقاء سبب أو بعض أسباب الخوف.

﴿مَنْ فِي﴾: من: اسم موصول تعني الذي وتفيد التعظيم، في: السماء هو الله تعالى.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدر يفيد التعليل والتوكيد.

﴿يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾: الخسف: يعين الانهيار والتشقق الذي يحدث من



اصطدام الألواح تحت القارات الأرضية، وقدم الخسف على حاصباً؛ لأنه سبق ذكر الأرض حين قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ فناسب تقديم الخسف.

﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب، إذا: ظرفية زمانية تفيد الفجأة، هي تمور: أي: تتحرك وتضطرب والمور في الأصل الحركة المضطربة غير المستقرة من الأعلى إلى الأسفل.

[١٧] ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾:

﴿أَمْ﴾: المنقطعة للإضراب الانتقالي والهمزة للاستفهام الإنكاري والتحذير.

﴿أَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ أَنْ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: الحاصب: الرّيح العقيم التي إذا أتت على شيء جعلته كالرّميم، وسمّيت حاصباً؛ لأنها تحمل الحصباء والحجارة وتدمر كلّ شيء بأمر ربها.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب والسين للاستقبال القريب والتوكيد مثل حينذاك.

﴿كَيْفَ نَذِيرٌ﴾: كيف: للاستفهام وللإنذار والتّهويل، نذير، أي: كيف كان خطر الإنذار وأهميته أو عاقبته.

[١٨] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق، والواو استئنافية.

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من قبلهم: الضمير يعود على كفار مكة الذين من قبلهم أمثال قوم نوح وعاد وثمود ولوط وفرعون ومدين، من: تفيد القرب أي: من زمن قريب.

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: كيف: للاستفهام والتَّهْوِيل والتَّحْذِير والتَّعْجِب، أي: كيف كان عاقبة (قوم نوح وعاد وثمود وفرعون) لإنكارهم وتكذيبهم لرسولهم، فقد أهلكهم الله بذنوبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم.

[١٩] ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: الهمزة للاستفهام والتَّقْرِيع، والواو في أولم: لمطلق الجمع وتدل على المبالغة في إنكارهم.

﴿إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾: جنس الطير، فوقهم: في جو السماء.

﴿صَفَاتٍ﴾: من الصَّف أي: صف الأجنحة وهو الأصل في الطَّيْران أي: تبسط أجنحتها للطيران أي: تمدها فتحملها الرِّيح وجاء بالصَّيْغَة الاسمية (صافات) التي تدل على الثبوت، وتستطيع اختراق كتلة الهواء إلى الأمام وإلى الأعلى بصف الأجنحة.

﴿وَيَقِضْنَ﴾: من قبض الأجنحة للاحتفاظ بالتوازن، والقبض عرض طارئ عبَّر عنه بالفعل المضارع الذي يدل على التكرار والتجدُّد حتَّى يتمكن الطير من التوازن والصعود والارتفاع إلى أماكن أعلى.

﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾: ما: النافية، يمسكهن: في كلا الحالتين الصَّف والقبض والوقوع على الأرض، إلا الرَّحْمَن: إلا أداة حصر، الرَّحْمَن: الذي



سخر لهنّ ما يحتجن للطيران ويمسكنّ من الوقوع على الأرض، فهذا من مظاهر رحمة الرحمن، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٧٩) في سورة النحل وهي قوله تعالى: ﴿الْمَيْرُوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾: نجد أن آية النحل جاءت في سياق التسخير (لقوله تعالى مسخرات)، والتسخير: يعني التذليل والقهر، فذكر اسم الله تعالى الجامع لجميع صفاته، وفي آية المُلْك ذكر فعل الطيران، وعدم سقوطها فهذا من الرحمة فذكر اسم الرحمن مع ذلك.

﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾: إنّه: للتوكيد، بكلّ: الباء للإلصاق والمصاحبة.

كل شيء بصير: شيء نكرة تعني: أي شيء مهما كان وأينما كان أحاط بصره بكلّ شيء في السموات والأرض وما بينهما.

فهذه البراهين الدالة على قدرة الله تعالى من أنّه عليم بذات الصدور، وجعل الأرض لكم ذلولاً، وسخر للطير ما يحتاجه للطيران، ويمسكها أن تقع على الأرض، وأنّه بكلّ شيء بصير تكفي وتؤكد أنّ الله قادر على خسف الأرض أو إرسال حاصباً أو إرسال عذاباً عليكم من فوقكم أو من تحت أرجلكم.

[٢٠] ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾:

بعد ذكر البراهين على قدرته تعالى يوبخ المشركين الذين يظنون أنّ هناك من ينصرهم من غير الله أو الرحمن، فيقول:

﴿أَمَنْ﴾: أصلها أم + من، أم: المنقطعة للإضراب الانتقالي، ومن: للاستفهام الإنكاري والتوبيخ أن يكون لهم ناصر سوى الله إذا أراد أن يخسف بهم الأرض أو يعذبهم، فليس هناك من يمنع عذابه.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب ويفيد الدّم والتحقير.



﴿الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ﴾: ولم يقل: جنود لكم، الذي: اسم موصول هو يفيد التوكيد، جند لكم: جند اسم جنس أوسع شمولاً من جنود ويتضمن أو يشمل الواحد والاثنين أو أكثر، جنود: تعني فقط (٣) أو أكثر وتنفي الواحد والاثنين، لكم: اللام لام الاختصاص ولكم خاصة.

﴿يَضُرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾: أي: يدفع عنكم أو يمنعكم من عذاب الله عز وجل إذا حل بكم، وذكر الرحمن هنا: لأن السياق في ذكر نعم الله تعالى، ولتذكركم أن لا تعتروا برحمته فالرحمن يعاقب.

﴿إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾: إن: للتعليل والتوكيد، إلا: أداة حصر، في: ظرفية في حالة غرور دائم، غرور: الوقوع في الشر بسبب غفلة المغرور وقلة وعيه، والغرور: إيهام يحمل الإنسان على فعل ما يضره أو يعني الغفلة ويعني الخداع، حين يظنوا أنهم ليسوا بحاجة على الاعتماد على الرحمن.

[٢١] ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ، بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾:

﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي﴾: ارجع إلى الآية السابقة، والاستفهام هنا جوابه محذوف أي: لا رازق لكم غيره.

﴿يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾: أو من هذا الذي سيرزقكم غير الله تعالى إن أمسك الله رزقه عنكم مثل عدم إنزال المطر. أو جعل رزقكم حطاماً بإرسال الأعاصير أو الريح العقيم أو الفيضانات وغيرها من الكوارث الطبيعية.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿لَجُوا﴾: من اللجاج وهو التماسي والاستمرار. مشتقة من لَجَّة البحر أي:



تردّد أمواجه وعودتها إلى الاصطدام بالشاطئ أو الصخر المرة بعد الأخرى بلا انقطاع، ويعني الاستمرار في فعل الأمر المنهي عنه والمواظبة عليه.

﴿فَعُتُوْهُنَّ﴾: في: ظرفية في حالة عتو: في عناد واستكبار وقسوة، ونفور: تباعد عن الحق والإيمان والإذعان.

[٢٢] ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

ثم يخبرنا بصورة الاستفهام التقريري: أيهما أهدى المؤمن الموحد الذي يمشي سويًّا على صراط مستقيم؛ أي: على دين الإسلام أم الكافر المشرك الذي يمشي مكبًّا على وجهه فيقول:

﴿أَمَّنْ﴾: الهمزة استفهام تقريرية، من: اسم موصول بمعنى الذي:

﴿يَمْشِي مَكْبًا عَلَى وَجْهِهِ﴾: المكب على وجهه أي: الساقط على وجهه، من كبه: صرعه على وجهه أي: لا يرى أمامه فهو يتعثّر في ضلاله وجهله ومعاصيه.

﴿أَهْدَىٰ﴾: أكثر هداية واستقامة على وزن أفعل أي: أفضل.

﴿أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: أمَّن: للاستفهام التقريري، أي: يمشي على هدي من ربه وعلى دين الإسلام، يمشي على صراط مستقيم: يوصله إلى غايته بأقصر زمن ومن دون حائل.

[٢٣] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾:

ثم يخبرنا عن برهان آخر يدل على عظّمته وقدرته سبحانه:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد الحصر والتوكيد، أي: الله سبحانه.

﴿الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾: من الإنشاء وهو البداية في الخلق، والخلق يكون بعد الإنشاء أوجدكم من العدم.

﴿وَجَعَلْ لَكُمْ﴾: الجعل يتم بعد الخلق لكم: السلام لام الاختصاص لكم خاصة.

﴿السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾: قدّم السَّمْع على البصر في حوالي (١٧) آية في القرآن، وقدّم البصر على السَّمْع في سورة الكهف والسجدة في آيتين فقط جاءا في سياق الآخرة، أمّا في سياق الحياة الدنيا فيقدّم السَّمْع على البصر لأسباب منها:

- ١ - السَّمْع يفوق البصر في الأهمية في التبليغ والتكليف.
 - ٢ - يقدّم السَّمْع؛ لأن السَّمْع لا ينقطع ليلاً أو نهاراً في النور أو الظلام.
 - ٣ - السَّمْع ينشأ أو يخلق قبل البصر ومركز السمع يقع أمام مركز البصر.
- وانتبه أيضاً أن الله سبحانه قدّم كلمة العين على الأذن في كلّ القرآن، وأفرد السَّمْع وجمع البصر فقال: والأبصار. ارجع إلى الآية (٧) من سورة البقرة للبيان.
- ﴿فَلَيْلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾: ما: النافية وللتعليل والتوكيد، على قلة شكركم المنعم، قليلاً ما تشكرون: أي: مقدار شكركم قليل أو عدد الشاكرين قليل، قليل: نكرة تفيد التقليل، ما: لتوكيد القلة. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠) لمزيد من البيان في معنى الشكر.

[٢٤] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾:

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي﴾: ارجع إلى الآية السابقة.



﴿ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: ذرأكم: من ذرأ: والذرء هو النشر والتكاثر والانتشار في الأرض وأصل الذرة: الإظهار أي: أظهركم بالتوالد والتكاثر، في الأرض: في: ظرفية مكانية.

﴿وَالْيَوْمُ تُحْشَرُونَ﴾: إليه، تقديمها يعني: الحصر أي: إليه خاصة لا لغيره، تحشرون: من الحشر وهو الإخراج من القبور، ثم السوق والجمع في أرض المحشر للحساب والجزاء، وفي آيات أخرى يقول تعالى: ﴿وَالْيَوْمَ تُرْجَعُونَ﴾ فذكر الحشر مع الذرة للدلالة على عظمة قدرته، فهو قادر على جمعكم أينما كنتم.

[٢٥] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿وَيَقُولُونَ﴾: أي: الكافرون يقولون: بصيغة المضارع للدلالة على تكرار وتجدد سؤالهم لرسول الله ﷺ ولم يقل وقالوا.

﴿مَتَى﴾: استفهام يحمل معنى الاستهزاء والاستبعاد، متى ظرفية زمانية.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة يشير إلى يوم القيامة أي: متى يوم القيامة أو متى هذا الحشر والحساب.

﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: إن: شرطية تفيد الشك وقلة الحدوث، صادقين في وعدكم، أي: نشك في كونكم صادقين بما تخبرونا عن يوم الحساب والبعث والنشر.

[٢٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ أي: للكافرين.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿أَلَعَلَّكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: لا أعلم الغيب، والله وحده الذي يعلم متى سيقع.

﴿وَإِنَّمَا﴾: مثل السابقة، تكرارها يفيد التوكيد وتفيد الحصر.

﴿أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: نذير: من الإنذار وهو الإعلام والتحذير والتخويف،

نذير: صيغة مبالغة من أنذر، نذير مبين: أن الساعة واقعة لا محالة. ومبين تعني

نذير لكل فرد، وإنذاري واضح وبين بالرجوع إلى الله وبالتوبة إليه والإيمان به

واتباع رسوله ﷺ والذي أنزل إليه أي: القرآن.





سُورَةُ الْقَلَمِ ٦٨

سُورَةُ الْقَلَمِ

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي
كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ
أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ
الرَّحْمَنُ أَمَّا بِيَدِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الْقَلَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾
وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾
فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تَطْعِ
الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهَنُ فِيدِ هَنُوتٍ ﴿٩﴾ وَلَا تَطْعُ كُلَّ
حَلَاظٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَّاعٍ لِلْخِزْيِ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ
﴿١٤﴾ إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ أَيْسُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾



سورة الملك [الآيات ٢٧ - ٣٠]

[٢٧] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: لما: ظرف بمعنى حين متضمن معنى الشرط.

﴿رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾: الهاء في رأوه تعود على الوعد وهو يوم القيامة والعذاب الذي يستبعدون حدوثه كأنه قد حدث وانتهى، رأوه فعل ماض مع كونه لم يحدث بعد؛ لأن الله سبحانه خالق الزمن، ويوم القيامة قريب جداً، يصف لنا الرب سبحانه حالتهم عند رؤية العذاب يوم القيامة.

﴿زُلْفَةً﴾: اسم مصدر للفعل أزلف أي: قرب، وزلفى: قري.

﴿سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: سيئت وجوه الذي كفروا من رؤية العذاب بأن ظهر عليها الكآبة والدلة وتغير لونها، ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ﴾ [القلم: ٤٣].

﴿وَقِيلَ﴾: القائل مبني للمجهول، ولا يهم.

﴿هَذَا الَّذِي﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير إلى العذاب أو يوم البعث.

﴿كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾: تدعون أنكم لا تبعثون أو هذا هو العذاب الذي كنتم تطلبون أن يحل بكم في الدنيا أو تنكرون حدوثه وتستهزؤون به، تدعون مشتقة من الدعاء وهو الطلب أو مشتقة من الدعوى أنكم لا تبعثون.

[٢٨] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ.



﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: أي: أخبروني بعلم ودراية أيها الكفار، والهمزة: للاستفهام والتقرير، أرايتم من الرؤية وهي رؤية قلبية ورؤية بصرية.

﴿إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا﴾: إن: شرطية، أهلكني الله ومن معي من المؤمنين بالموت أو بحرب أو بمصيبة أو كارثة أو أي سبب، أو رحمنا: أو للتخير، رحمنا: بتأخير الأجل أو الإهلاك أو العذاب.

﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ﴾: من استفهامية بمعنى التقرير أي: لا أحد.

﴿مَنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: يجير الكافرين أي: يمنعهم أو ينجيهم من عذاب أليم: شديد الإيلام لا يقوى على تحمله أحد.

[٢٩] ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾:

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ﴾: قل لهم يا محمد ﷺ لهؤلاء الكفار وغيرهم.

﴿هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ﴾: هو: ضمير فصل يفيد الحصر: الرحمن اسم من أسماء الله الحسنى مشتق من الرحمة التي هي صفة عامة تشمل باقي صفات الرحمة، آمنّا به: وحده ولا نشرك به شيئاً، انظر كيف آخر (به)، ولم يقدم (به) على (آمنّا)؛ لأنّ الإيمان بالله لا يكفي وحده، بل لا بدّ من الإيمان بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر. وانظر إلى قوله تعالى: وعليه توكّلنا كيف قدّم عليه وآخر توكّلنا ولم يقل توكّلنا عليه ليفيد الحصر حصر التوكّل على الله تعالى وحده، أما الإيمان فلا ينحصر بالله وإنما يشمل الإيمان بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٩) لمزيد من البيان عن التوكّل.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾: الفاء للتوكيد، ستعلمون: السّين للاستقبال القريب أي: ستعلمون قريباً.

﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: من: اسم موصول بمعنى الذي، هو: ضمير فصل



يفيد التوكيد، في: ظرفية، ضلال مبين: ضلال. ارجع إلى الآية (٩) من نفس السورة، ومبين أي:

١ - ضلال بين لكل مخلوق.

٢ - وضلال بين بنفسه ظاهر للعيان لا يحتاج إلى برهان أو دليل.

[٣٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ﴾: ارجع إلى الآية (٢٨).

﴿أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾: ذاهباً في الأرض؛ أي: غائراً لا تصله الدلاء أو نضب، أو قل ماء الآبار أو غار في الأرض، وكانوا يشربون من بئر زمزم أو غيرها.

﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾: فمن: للاستفهام، يأتيكم بماء معين أي: ظاهر تراه العيون أو يمكنكم الوصول إليه واستخراجه، الجواب الله سبحانه وحده القادر على الإتياء به.





سُورَةُ الْقَبَلَةِ ٦٨

سُورَةُ الْقَبَلَةِ

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي
كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكِنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ
أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ
الرَّحْمَنُ أَمَّنَّابِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الْقَبَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾
وَإِنْ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾
فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ ﴿٦﴾ إِنْ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ
الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَذُوا لَوْتُدَّهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعِ كُلَّ
حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَّاعٍ لِلْخِيرِ مُعْتَدٍ
أَشِيمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ
﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾



سورة القلم [الآيات ١ - ١٥]

وتسمّى سورة (ن) ترتيبها في القرآن (٦٨) وترتيبها في النزول من أوائل السّور، قيل: نزلت بعد سورة العلق (اقرأ) وسورة المزمل والمدثر أي: ترتيبها في النزول (٤).

وروي عن ابن عباس أنها نزلت بعد سورة اقرأ (العلق) أي: ثاني سورة نزلت، ثم نزل بعدها المزمل والمدثر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾:

﴿ت﴾: من الحروف المتقطعة التي وردت في أوائل السّور وهذه الحروف التي عددها (١٤) حرفاً من حروف الهجاء التسع والعشرون والتي جمعت في جملة (نص حكيم قاطع له سر) أو (نص حكيم له سر قاطع) استأثر الله سبحانه بعلمها ارجع إلى الآية (١) من سورة البقرة للبيان. وقيل: (ن) الدّواة (المحبرة) والدّواة في عالمنا الحاضر قد تشمل الآلة الكاتبة والكمبيوتر وكلّ أدوات الطباعة. وقيل: (ن) الحوت الأزرق الذي التقم يونس وبقي في فمه. ارجع إلى سورة الصافات آية (٤٢) للبيان.

وروي عن ابن عباس: إنّ أول شيء خلقه الله القلم، ثم قال: اكتب ما هو كائن من الأقدار والأعمال والآثار والأرزاق والآجال، وما سيجري في الكون والخلق، فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى يوم القيامة أو إلى أن تقوم الساعة.



﴿وَالْقَلَمِ﴾: الواو واو القسم ولا يقسم الله سبحانه إلا بشيء عظيم وهو غني عن القسم والقسم يشير إلى أهمية المقسم به وأهمية جواب القسم، أقسم الله تعالى بالقلم والقلم اسم جنس، القلم الذي يكتب به وهو أول شيء خلقه الله تعالى والقلم يشمل آلات الكتابة والطباعة والكمبيوتر، وما يخط به وما يخرج لنا العلم في كل يوم من مخترعات حلت محل القلم.

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: ما لغير العاقل، يسطرون: يخطون ويكتبون، ما تكتبه الملائكة الحفظة من أعمال بني آدم، أو كل ما يكتبه العباد؛ لأنهم مسؤولون عما يسطرون.

ما: اسم موصول بمعنى الذي يسطرونه أو مصدرية بمعنى مسطورهم.

وفي هذه الآية إشارة إلى عظم نعمة القلم وانتشار العلم والمعارف بين الأفراد والأمم ووسيلة من هم وسائل البيان، كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۙ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۖ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۖ﴾ [الرحمن: ١-٤].

وجواب القسم قيل: ما أنت بنعمة ربك بمجنون، وقيل: الثلاث آيات (٢) ما أنت بنعمة ربك بمجنون، (٣) وإن لك أجراً غير ممنون، (٤) وإنك لعلی خلق عظيم.

[٢] ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾:

﴿مَا﴾: النافية.

﴿أَنْتَ﴾: يا محمد ﷺ.

﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾: بنعمة ربك الباء باء الإلصاق والمصاحبة وقيل: باء السببية، أي: بسبب ما أوحى إليك بسبب النبوة أصبحت مجنون كما يزعمون أو هو رد على افتراء كفار مكة أمثال الوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة بن ربيعة

وغيرهم؛ حين قالوا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، أو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١].

﴿مَجْنُونٌ﴾: الباء للتوكيد أي: نفي الجنون عنه ﷺ.

[٣] ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: الواو عاطفة، إن للتوكيد.

﴿لَكَ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق والكاف للخطاب، لك يا محمد.

﴿لَأَجْرًا﴾: اللام للتوكيد، أجراً: الأجر هو جزاء العمل، لأجر ما تحملت من أعباء النبوة وإبلاغ الرسالة.

﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: غير: تفيد النفي، غير ممنون: غير مقطوع، بل هو مستمر يقال: مَنَنْتُ الجبل إذا قطعته، وغير ممنون: من المن كقوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صِدْقَتَكُمْ بِالْمِنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤] أي: غير ممنون به عليك أي: هذا الأجر تستحقه ولا نمنه عليك.

[٤] ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾:

﴿وَإِنَّكَ﴾: الواو عاطفة، إنك للتوكيد.

﴿لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾: اللام للتوكيد، على: تفيد العلو أو الاستعلاء أي: التمكن بدلاً من قوله: ذو خلق عظيم، كأن الخلق مطية وهو مستعل عليها.

خلق عظيم: كما فسرته عائشة رضي الله عنها حين سُئِلَتْ عن خلقه فقالت: كان خلقه القرآن، فقد أجملت الخلق العظيم لرسول الله ﷺ بقولها خلقه القرآن أي: أنه ياتمر بأمره ربه وينتهي بنواحيه، فكان رسول الله ﷺ أحسن



النَّاسُ خُلِقَافًا فَكَانَ أَوْسَعُ النَّاسِ صَدْرًا وَأَوْفَاهُمْ ذِمَّةً وَأَكْرَمَهُمْ عَشْرَةَ لَمْ يَكُنْ ﷺ فَاحْشَاءً وَلَا سَبَابًا وَلَا لَعْنًا كَانَ عَظِيمَ الْحِلْمِ وَالْعَفْوِ شَدِيدَ الصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ مَا أَذَى أَوْ ضَرَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ لَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا، وَكَانَ رَفِيقًا بِالنَّاسِ مَتَوَاضِعًا وَأَجُودَ النَّاسِ، وَكَانَ شَدِيدَ الْحَيَاءِ شَجَاعًا وَأَزْهَدَ النَّاسِ وَأَعْدَلَهُمْ وَأَشَدَّ النَّاسِ وَقَارًا وَمَهَابَةً.

[٥] ﴿فَسَتْبِرْ وَيُبْصِرُونَ﴾:

﴿فَسَتْبِرْ﴾: الفاء: للتوكيد، ستبصر: السَّيْنُ للاستقبال القريب أي: ستعلم وسترى يا محمد ﷺ عن قريب.

﴿وَيُبْصِرُونَ﴾: ولم يقل: سيبصرون إنما يبصرون أي: يعلمون اليوم وغداً ويوم القيامة من المجنون، وفي الآية تهديد ووعد، وتدل على التجدد والتكرار.

[٦] ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾:

﴿الْمَفْتُونُ﴾: المجنون، والمفتون الذي أصيب بفتنة أدت إلى ذهاب عقله وأصبح مختل العقل وقيل: المفتون الضَّال.

﴿بِأَيِّكُمْ﴾: الباء: للتوكيد، أيكم: أي استفهامية، أيكم: أي الفريقين المفتون (المجنون) أنت أو هم، أي: هؤلاء الذين يتهمونك بالجنون.

[٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ﴾: إن للتوكيد، ربك: خالقك المتولي أمورك ومريك، هو تفيد التوكيد.

﴿أَعْلَمُ﴾: على وزن أفعل صيغة مبالغة من علم يعلم عالم.

﴿يَمِّنْ﴾: الباء للإلصاق والتوكيد، من: اسم موصول بمعنى الذي أو استفهامية.

﴿ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾: ضل: انحرف وعدل عن الصراط المستقيم أو الحق والصواب، عن سبيله: عن دينه، أي: إن ربك يعلم من هو الضال المفتون منكم. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾: وهو للتوكيد، أعلم بالمهتدين: جمع مهتد أي: السائر على دينه والمتبع هديه، وفي هذه الآية إنذار لكل من يضل عن دين الله وبشرى لمن يسير على الصراط المستقيم.

[٨] ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْمُكْذِبِينَ﴾:

بعد أن وصف الله سبحانه رسوله بالخلق العظيم ينتقل سبحانه ليصف هؤلاء المشركين الذين اتهموه بالجنون بعشر صفات.

﴿فَلَا﴾: الفاء للتوكيد، لا الناهية.

﴿تَطْعَمُ الْمُكْذِبِينَ﴾: رؤساء قريش من المشركين أمثال الوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة بن ربيعة والأخنس بن شريق والأسود بن عبد يغوث وغيرهم، المكذبين: بآيات الله والقرآن والوحي، أي: الضالين والمكذبين بنبوتك.

[٩] ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾:

﴿وَدُّوا﴾: من الود: تمنوا.

﴿لَوْ تُدْهِنُ﴾: لو: للتمني، لو تلين وتستجيب لمطالبهم بأن لا تعيب على ألهتهم أو تذكرها بسوء، والمدهن: هو الذي يتنازل عن شيء من دينه ليحفظ شيئاً



من دنياه، والمداري من المداراة: هو من يتنازل عن شيء من دنياه ليحفظ شيئاً من دينه، فالمداينة محرمة والمداراة جائزة.

﴿فَذَهُنَّوْكَ﴾: أي: لو تلين فيلينون لك؛ أي: لو تعبد آلهمتهم فيعبدوا الله، وجاء الرد بعدم الاستجابة لهم والإعراض عنهم.

[١٠] ﴿وَلَا تُطْعَ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾:

بعد النهي عن إطاعة المكذبين بشكل عام يعود الحق سبحانه وينهى رسوله عن إطاعة بعض الأفراد وصفهم بصفات معينة من أمثال الوليد بن المغيرة فقال: ﴿وَلَا تُطْعَ﴾: ارجع إلى الآية (٨).

﴿كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾: حلاف: كثير الحلف بالباطل، حلاف: صيغة مبالغة من اسم الفاعل على وزن فعال، مهين: تحمل معاني كثيرة، كذاب، حقير، رديء، دنيء، ذليل، ضعيف الرأي، مهين مشتقة من المهانة: الحقارة والذلة.

[١١] ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بَنَمِيمٍ﴾:

﴿هَمَّازٍ﴾: عياب طعان مغتاب يعيب على الناس ويطعن فيهم وبحضورهم، اللماز: هو الذي يعيب ويطعن في الناس في غيابهم.

﴿مَّشَّاءٍ بَنَمِيمٍ﴾: من النَّميمة أي: يمشي بين الناس بالنميمة وهي نقل الكلام للإفساد بين الناس وإثارة الفتن.

[١٢] ﴿مَّنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾:

﴿مَّنَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾: بخيل، والخير: المال أو الإسلام والخير هو الشيء الحسن النافع ومناع للخير: يمنع الناس من الإنفاق والدخول في الإسلام والعمل الصالح.

﴿مُعْتَدٍ أَيْمٍ﴾: معتد على الناس بالظلم والطغيان متجاوز حدوده في ظلم الناس في أموالهم وأعراضهم ودمائهم، أئيم: كثير الإثم وارتكاب الفواحش والذنوب.

[١٣] ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْنِمْ﴾:

﴿عُتِلَ﴾: غليظ جاف، عتل: مشتقة من عَتَلَهُ يَعْتَلُهُ: إذا جره بعنف وغلظة. ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: وبعد كل هذه الصفات الرذيلة الرديئة.

﴿زَيْنِمْ﴾: ليس له أهل أي: لا يُعرف أباه أو ليس من القوم يعرف بالشَّر والسَّوء كما تعرف الشَّاةُ بزَنمتها، وهي قبضة الشعر المتدلّية من عنق المَعز: أو لحيتها.

[١٤] ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾:

﴿أَنْ﴾: مصدرية للتعليل والتوكيد.

﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾: أي: دفعه كثرة ماله وكثرة ولده للإعراض عن آيات الله والتكذيب بها، قيل: كان للوليد بن المغيرة (١٠) أولاد.

[١٥] ﴿إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ إِيْنُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث وزمانية بمعنى حين.

﴿تَنَلَّ عَلَيْهِ إِيْنُنَا﴾: تقرأ عليه آيات القرآن أو يسمع بها يقول:

﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: جمع أسطورة: أي: أكذوبة من أكاذيب الأولين أو أباطيلهم.



سورة النجم

سورة النجم ٦٨

سَنَسِمْهُ عَلَى الْخَرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا
لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ
اغْدُوا عَلَيَّ حَرْثَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿٢٣﴾
أَن لَّا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَا عَلَى حَرْدٍ قَدِيرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا
رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ
لَكُمْ لَوْلَا تَسْبِيحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يُؤَيَّلْنَا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٣١﴾ عَسَى
رَبَّنَا أَن يُدْخِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ
﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ
لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخِيرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ
عَلَيْنَا بَلَاغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ
بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فُلْيَا تُوْأَشِرُكَاهُمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾
يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾



سورة القلم [الآيات ١٦ - ٤٢]

[١٦] ﴿سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾:

الخرطوم يعني: الأنف، سنسمه: السين للاستقبال القريب، سنسمه: مشتقة من السمة وهي العلامة الفارقة كل من رآه عرفه.

والوجه أكرم موضع في الجسد والأنف أكرم موضع في الوجه والعرب تجعل الأنف مكان الحمية والعز واشتقوا منه الأنفة، ويقال للذليل: جدع أنفه أو رغم أنفه، والسمة العلامة التي لا يمحو أثرها، والوسم يكون عادة بالنار.

﴿سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾: أي: بالسيف على أنفه، مما يؤدي إلى جرح يترك تليف في الأنسجة وتبقى آثاره إلى الممات، وقيل: وقع ذلك في معركة بدر وبقي مخطوماً على أنفه حتى مات.

[١٧] ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿بَلَوْنَهُمْ﴾: بلونا هم من الابتلاء والابتلاء قد يكون في الخير أو الشر وغايته لاستخراج ما عند المبتلى من طاعة أو معصية، بلونا هم أي: أهل مكة، بلونا هم بالقحط والجوع حتى أكلوا الجيف والفقر لعلهم يتوبون ويرجعون إلى طاعة الله ورسوله.

﴿كَمَا﴾: الكاف للتشبيه.

﴿بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾: الجنة (بستان) قيل: كانت بأرض اليمن وكانت لرجل مؤمن يؤدي حق الله تعالى فيه بالصدقة والزكاة، فلما مات ورثها أولاده فعزموا على أن يمنعوا حق الله منها.



﴿إِذْ﴾: ظرف للزمان الماضي بمعنى حين.

﴿أَفْتُمُوا﴾: أقسموا بالله، ولم يقل: حلفوا بالله، الحلف: في القرآن يأتي في سياق الكذب وعدم الوفاء بما حلف، فهو لاء كانت نيتهم صادقة على قطف ثمار الجنة مصبحين، ومن دون أن يعلم بها الفقراء. ارجع إلى سور التوبة آية (٥٦) لمزيد من البيان في الفرق بين القسم والحلف.

﴿يَصْرُمْنَهَا﴾: السلام لام التوكيد، والنون في يصرمنها لزيادة التوكيد، أي: يقطعن ثمارها من الصرم: وهو القطع.

﴿مُصْبِحِينَ﴾: حين دخول وقت الصباح، أي: يقطعن ثمارها بدخول الصباح قبل أن يستيقظ المساكين الفقراء ويأتوا لطلب المساعدة أو الصدقة.
[١٨] ﴿وَلَا يَسْتَنُونَ﴾:

حصة المساكين كما كان يفعل أبوههم أي: يخرجون الزكاة حق الله في أموالهم، وهناك من فسر (ولا يستنون) أي: لم يقولوا: إن شاء الله (وهو الراجح).

[١٩] ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾:

﴿فَطَافَ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب.

﴿عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾: عليها وحدها حصراً بها، لم يحدد سبحانه ما هو الطائف أو البلاء والطائف لا يكون إلا ليلاً ويكون شراً. قيل: كانت نار فاحترقت مثل إعصار فيه نار أو صاعقة من السماء.

﴿مِّن رَّبِّكَ﴾: يدل على شدة عقابه وسخطه.

﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾: أي: ليلاً وأصحاب الجنة والمساكين، كل أهل القرية الكل كان نائماً لم يشعروا بما حدث.

[٢٠] ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾:

﴿فَأَصْبَحَتْ﴾: الفاء للتعقيب، أصبحت: تحولت الجنة.

﴿كَالصَّرِيمِ﴾: أصبحت كالرماد الأسود أو الليل الأسود، أو أصبحت قد صرم (قطع) ثمارها أي: قطفت ثمارها، أي: لم يبق من ثمارها شيء يقطع أو يُحصَد أي: أتلفت ثمارها عن بكرة أبيها.

[٢١] ﴿فَنَادَاؤُا مُصْبِحِينَ﴾:

﴿فَنَادَاؤُا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، نادوا: أي: نادى أصحاب الجنة (أي: الإخوة) بعضهم بعضاً أو أيقظ بعضهم بعضاً.

﴿مُصْبِحِينَ﴾: حين دخل وقت الصبح نادوا قائلين وهم لا يعلمون أن جنتهم قد احترقت أو دُمرت.

[٢٢] ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَرِيمِينَ﴾:

﴿أَنِ اغْدُوا﴾: أن للتوكيد، اغدوا؛ أي: اخرجوا (امضوا) مبكرين إلى جنتكم.

﴿عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾: ثماركم وزرعكم.

﴿إِن كُنتُمْ﴾: إن شرطية تفيد الشك أو الندرة.

﴿صَرِيمِينَ﴾: جادين في قطف ثمارها وحصدها.

[٢٣] ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ﴾:

﴿فَانْطَلَقُوا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، انطلقوا إلى جنتهم لقطف ثمارها أي: ساروا إلى جنتهم.

﴿وَهُمْ يَخْفَوْنَ﴾: هم للتوكيد، يحدث بعضهم بعضاً بشكل الهمس حتى لا يسمعهم أحد، ولا يشعر بهم، وهم في طريقهم لجني ثمار جنتهم.



[٢٤] ﴿أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا أَلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾:

﴿أَنْ لَا﴾: للتعليل والتوكيد، لا النافية.

﴿يَدْخُلْنَهَا﴾: التَّوْنُ في يدخلنها للتوكيد والهاء يعود إلى الجنة.

﴿أَلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾: أي: لا يدخلها اليوم عليكم ولا مسكين واحد كما كانوا يدخلونها على أبيكم عندما كان حياً أي: يحضرون لأخذ الصدقة أو الزكاة. والمسكين: هو من يملك ما لا يكفيه.

[٢٥] ﴿وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَدِيرِينَ﴾:

﴿وَعَدُوا﴾: خرجوا مبكرين.

﴿عَلَىٰ حَرْدٍ قَدِيرِينَ﴾: الحَرْدُ: القصد أي: ساروا مبكرين وهم قاصدون حرمان أي مسكين، والحدرد: يعني المشي بسرعة ونشاط، والحدرد: من حَرَدَ إذا تنَحَّى عن قومه وانفرد عنهم ورجل حريد: وحيد والحدرد: الزعل والانتقام.

فكلمة الحرج جمعت المعاني الثلاث، أي: خرجوا منفردين لا يعلم بهم أحد، وخرجوا مسرعين بجِد ونشاط ومصممين أو عازمين أو ناقلين على حرمان أي مسكين من ثمرها.

قادرين: أي: لن يحول بينهم وبين جنتهم أحد يمنعهم ظنوا أنهم قادرون تنفيذ ما عزموا عليه.

[٢٦] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، لما: ظرفية زمانية بمعنى حين رَأَوْهَا.

﴿رَأَوْهَا﴾: كالصَّريم الليل الأسود أي: محترقة كالرماد الأسود.

﴿قَالُوا﴾: ما هذه جنتنا.

﴿إِنَّا لَضَالُونَ﴾: اللام في لضالون للتوكيد، أي: إنا ضللنا الطريق أو أخطأنا

الطريق، ضالون: جملة اسمية تفيد الثبوت حقاً إنا قد أخطأنا الطريق من شدة الصدمة.

[٢٧] ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾:

﴿بَلْ﴾: بل للإضراب الانتقالي.

أي: لما أدركوا وتبينوا أنها جنتهم قد تحولت إلى رماد أسود واستيقنتها أنفسهم.

قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾: محرومون منها أي: من خيرها وثمرها؛ لأننا حرمانا (منعنا) المساكين والفقراء من نصيبهم. عندما قالوا ذلك، عندها قال أو تكلم أوسطهم فقال:

[٢٨] ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْزَأْ قُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾:

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾: أي: أفضلهم وأرجحهم عقلاً أو أقربهم للتقوى (أعدلهم).

﴿أَلْزَأْ﴾: الهمزة للاستفهام التقريري.

﴿أَلْزَأْ لَكُمْ﴾: لكم خاصة أي: عندما عزموا ليصر منها مصبحين، هلا تستثنون أي: تقولون: إن شاء الله.

﴿لَوْلَا﴾: للحث والحض.

﴿تُسَبِّحُونَ﴾: تخافون الله أو أطلق لفظ التسبيح على الاستثناء؛ أي: القول

(إن شاء الله) والاستثناء جزء من التسبيح، أو تسبحون: تنزيه لله عن الشرك والعيب والنقص، أو أنه سبحانه بحاجة على زمانكم أو أموالكم، وبما أنهم لم يقولوا: إن شاء الله فهم ظنوا أن قدرتهم تكفي، لولا تسبحون، تستغفرونه على ما عزمتم عليه.



[٢٩] ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾:

﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا﴾: أي: ننزه ربنا أن نشرك به أو سبحانه ربنا فيما صنع بجلتنا.
﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: أي: اعترفوا عندها بذنبهم إننا كنا ظالمين حين منعنا أو حرمانا المساكين حقهم الذي فرض الله لهم.

[٣٠] ﴿فَاقْبَلْ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ﴾:

بدأ بعضهم يلوم بعضاً على خطئهم ونيتهم السيئة في حرمان المساكين حقهم وعدم الاستثناء (عدم قولهم: إن شاء الله)، واللوم: يعني عدم الرضا عما فعلوا، واللوم: هو تنبيه الفاعل على ما وقع في فعله من ضرر أو أمر غير مستحسن.

[٣١] ﴿قَالُوا يُؤْتِلْنَا إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾:

﴿يُؤْتِلْنَا﴾: الويل الهلاك والعذاب، والعرب تستعمل كلمة الويل لكل من وقع في هلكة أو فضيحة أو حسرة، والويل مصدر لا فعل له لا يثنى ولا يجمع، والقول: يا ويلنا تستعمل للتحسر على غفلة وقيل: واد في جهنم.

﴿إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾: طاغين من طغى: جاوز الحد وأسرف في الظلم أو المعاصي أو الكفر، كما في قوله: إنها لما طغى الماء حملناكم في الجارية: ارتفع الماء وتجاوز الحد المعين وسبب الفيضان.

فهناك منهج رباني هو الغني يعطي الفقير حقه زكاته أو صدقة ماله والقوي يساعد الضعيف والعالم يعلم الجاهل وهكذا.

وهناك المنهج الطغياني: أن تأتي إلى الفقير وتأكل أو تأخذ من أجرته أو لا تعطيه حقه؛ لكي تزداد غنى، وهو يزداد فقراً، والمصيبة أحياناً أنك لم تتركه بحاله لا بل تحاول أن تأخذ من الضعيف أو الفقير حقه ويا ليت تركته على حاله وضعفه فهنا أصبح الظلم ظالمين أولاً لم تعطه أجرته أو حقه، كما هو المفروض،

أو طلبت منه أن يعمل لك زمناً من دون أجر لتغني أنت، وهذا ظلم آخر أي: ظلم مركب.

إنا كنا طاغين: أي: حين منعنا المساكين من حقهم وحاولنا أخذه ولم نشكر نعمة الله علينا فقد كنا طاغين.

[٣٢] ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾:

﴿عَسَىٰ رَبُّنَا﴾: عسى: فعل رجاء والأمر المرجو بعدها مضموع في حصوله عن قريب أو بعد مدة قد تطول وعسى أداة ترجي سواء كان الأمر محبوباً أو مكروهاً.

﴿أَن﴾: تدل على الاستقبال أو مؤذنة بمجيء الفعل.

﴿يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾: بعد الاعتراف بذنبهم رجعوا إلى ربهم ويبدو أنهم تابوا وأخلصوا نيتهم ودعوا الله أن يبدلهم خيراً منها أي: من جنتهم. يبدلنا: الإبدال: هو رفع الشيء ووضع شيئاً آخر مكانه.

﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾: جمع راغب: طالب العفو والخير يقال: رغب إلى فلان في كذا، أي: سأله إياه، أي: سألون إياه العفو وأن يبدلنا خيراً منها. وقيل: إن الله سبحانه أبدلهم بها خيراً منها، كما روي عن مجاهد وابن مسعود.

[٣٣] ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَٰعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿كَذَٰلِكَ﴾: تعني مثل ذلك أو أيضاً أو هي كذلك، كذلك: الكاف كاف التشبيه، ذلك: اسم إشارة يشير إلى العذاب الذي أصاب أصحاب الجنة، وأهل مكة، مثل ذلك العذاب سيصيب كل من طغى وعصى أمر الله تعالى.

﴿وَلَٰعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾: اللام للتوكيد، عذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا على



وزن أفعّل، أكبر أي: أشد وأدوم (لأنّ عذاب الدّنيا محدود بالأجل) وعذاب الآخرة أبدي لا يحول ولا يُبدل ولا يخفّف.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: لو: شرطية، كان يعلمون: أي: الكفار أو المشركين أو الظّالمين والطّاعين أو تعني لو كانوا يعلمون ذلك لعادوا إلى رشدهم وتابوا. [٣٤] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾:

ثمّ ذكر الله سبحانه ما للمتقين عند ربهم فقال:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾: إنّ للتوكيد، للمتقين: اللام لام الاختصاص والاستحقاق. ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: في الآخرة.

﴿جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾: نوع من الجنات، مثل جنات الفردوس، جنات عدن، أو تعني وصفاً عاماً لكلّ الجنات. [٣٥] ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾:

المناسبة: كان زعماء قريش حين يسمعون الآيات التي تتحدث عن الآخرة وما وعد الله سبحانه المسلمين والمؤمنين يقولون: لنُعْطَى في الآخرة أفضل مما يُعطينا ربنا في الدنيا أو على الأقل مثل ما نُعْطَى في الدنيا.

﴿أَفَنَجْعَلُ﴾: الهمزة همزة استفهام وتوبيخ وتقرير، أي: إنكار التسوية بين المسلمين والمجرمين، أي: كيف نساوي بين المسلمين والمجرمين في الأجر والثواب.

﴿الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾: كيف نساوي بين المطيع والعاصي، ثمّ يذكر الله سبحانه سبع استفهامات إنكارية توبيخية تنفي أيّ دليل أو برهان على التسوية بين المجرمين والمسلمين وقدّم المسلمين على المجرمين. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، والجاثية آية (٣١) لبيان معنى المجرمين.

وأصل الكلام: أفجعل المجرمين كالمسلمين، تشبيهه مقلوب وحين يقلب التشبيه فهو للفت الانتباه ويكون أبلغ.

[٣٦] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾:

﴿مَا لَكُمْ﴾: ما: للاستفهام الإنكاري، لكم: اللام لام الاختصاص.

﴿كَيْفَ﴾: استفهام للتعجب، والسؤال عن الحال.

﴿تَحْكُمُونَ﴾: هذا الحكم غير العادل أو الدليل العقلي لا يقبل بذلك الحكم أيضاً.

[٣٧] ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ، وأم المنقطعة: أي: للإضراب الانتقالي.

﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾: كتاب منزل من السماء، تدرسون: أي: تقرأون وفيه حكم مؤكد بالتسوية بين المطيع المسلم والعاصي المشرك الكافر.

[٣٨] ﴿إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا خَيْرٌ﴾:

﴿إِنْ﴾: للتوكيد.

﴿لَكُمْ فِيهِ﴾: أي: وذكر لكم فيه أن لكم في الآخرة ما تشتهون وما تختارون.

﴿لَمَّا خَيْرٌ﴾: من تخير الشيء: أي: أخذ خيره.

[٣٩] ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري أم: للإضراب الانتقالي

﴿لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص لكم خاصة وليس لغيركم.



﴿أَيُّنَّا عَلَيْنَا﴾: أي: أقسمنا لكم أو لكم عهود مؤكدة عند الله موثقة أو حلف لكم الله تعالى أو أقسم لكم: إن لكم لما تحكمون أي: تقضون لأنفسكم أو تختارون لأنفسكم الحكم الذي تريدونه.

﴿بَلَعَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾: أي: سارية المفعول أو ثابتة إلى يوم القيامة.

﴿إِنْ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ﴾: إن تفسيرية تفيد التوكيد أي: سننفذ الحكم الذي تصدرونه لأنفسكم من الخير والكرامة، فيها توبيخ وتهكم لما يزعمونه.

[٤٠] ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾:

﴿سَلِّمُوا﴾: يا محمد، أي: سلِّ الكفار.

﴿إِلَيْهِمْ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ.

﴿بِذَلِكَ﴾: الباء للإلصاق، ذلك: اسم إشارة يعود إلى الحكم أو أن لهم ما يحكمون.

﴿زَعِيمٌ﴾: أي: المتكفل بأمورهم الضامن أو المتكلم نيابة عن القوم بأن لهم ما للمسلمين من ثواب وأجر.

[٤١] ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾:

﴿أَمْ لَهُمْ﴾: للإضراب الانتقالي والهمزة للاستفهام والإنكار والتوبيخ، لهم: لام الاختصاص لهم خاصة.

﴿شُرَكَاءُ﴾: شركاء لله بزعمهم مثل الأصنام والأنداد والآلهة أعطوهم الوعد أو العهد أن يحققوا ذلك لهم ويعطوهم ما سيعطى للمسلمين أو تعني: هل هناك أناس يشاركونهم في هذه الدعوى ويشهدون لهم بذلك.

﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾: الفاء للمباشرة والترتيب.

﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾: إن: شرطية تستعمل للأمر الذي فيه شك.

كانوا صادقين: في زعمهم وشهادتهم وإضافة الشركاء لهم فقال: بشركائهم
لادعائهم بأنهم شركاء (وهم ليسوا بشركاء)؛ أي: هم كاذبون.

[٤٢] ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾:

أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت
النبي ﷺ يقول: (يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من
كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً) أي:
غير قادر على السجود.

هذا تأويل أول، أما التفسير الثاني: يوم يكشف عن ساق: فتعني يوم يشتد
الأمر والخطب أي: يوم القيامة (أي: البعث).

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ هذه استعارة تمثيلية كشف الساق والتشمير عنها
يحدث إما لخوض لجة ماء أو نهر أو للجري بسرعة، فحين يشتد الخطب يوم
القيامة ويعظم الأمر يسجد كل مؤمن ومؤمنة لله تعالى، وكما قال تعالى: ﴿وَتَرَى
كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ﴾ [الباقية: ٢٨]، عندها يحاول المشركون والمنافقون السجود أيضاً مع
المؤمنين فلا يستطيعون حيث تصبح ظهورهم متصلبة كأنها عظم واحد فلا
يقدرون على السجود، وإن قيل: لماذا يدعون إلى السجود في الآخرة، الجواب:
يدعون توبيخاً وتعنيفاً وتذكيراً لهم على تركهم السجود في الدنيا وعندها يتمنون
الاستطاعة على السجود فلا يستطيعون، والله أعلم بهذا الأمر.





سُورَةُ الْقَمَارِ ٦٨

الجزء الثاني من القرآن

خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّعْرُومٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَأَصْبَرَ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ نُوَلِّ لَا أَنْ تَدْرِكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبْذِلَ الْعِرَاءَ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

سورة القلم [الآيات ٤٣ - ٥٢]

[٤٣] ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾:

وتراهم حينذاك: ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾: الخشوع يكون في الأبصار والأصوات، والخشوع يعني: الخوف والتعظيم، وأما الخضوع يكون في الجسم أو البدن، والخشوع يمكن أن يبدأ في القلب، وقيل: الخشوع هو خوف الخاشع للمخشوع له وليس تكلفاً، وقيل: هو النظر إلى الأرض وخفض الصوت.

﴿تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ﴾: تغشاهم ذلة، ذل الندامة والحسرة.

﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾: في دار الدنيا يدعون إلى الصلاة بالآذان وغيره إلى الصلوات المفروضة.

﴿وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾: هم: للتوكيد، سالمون: من الأمراض معافون أصحاء لا مانع يمنعهم.

ولا بُدَّ من مقارنة هذه الآية ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾ مع الآية (٧) من سورة القمر: ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾:

خشعاً تفيد المبالغة والتكثير في الخشوع الذي يصيب جوارحهم ويعني: الذل والانكسار، وشدة التنكير؛ ينكرون ما يرون؛ أي: لا يصدقون ما ترى أعينهم من شدة الهول والمقام.

هناك فرق بين الموقفين في الزمن والناس: الموقف الأول: خشعاً أبصارهم يحدث بعد الخروج من الأحداث وكأنهم جرد منتشر، الموقف الثاني: خاشعة أبصارهم يحدث في أرض المحشر، وقيل: خشعاً أبصارهم تعني كل الناس، أما خاشعة أبصارهم تعني: المنافقين.

[٤٤] ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ هَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَذَرْنِي﴾: الفاء للتوكيد، ذرني: دعني خلي بيني وبينهم أو اترك أمر هؤلاء المكذبين بهذا الحديث أي: القرآن، إليّ ولا تشغل بالك بهم.
﴿وَمَنْ﴾: من: ابتدائية اسم موصول للعاقل؛ من: تشمل المفرد والمثنى والجمع، والذكر والأنثى.

﴿يُكَذِّبُ هَذَا الْحَدِيثِ﴾: أي: القرآن الكريم وسمّي بالحديث كقوله ﴿أَفِيْهِذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُّدْهِنُونَ﴾ [الواقعة: ٨١]، ولمعرفة لماذا سمي القرآن بالحديث ارجع إلى سورة الزمر آية (٢٣).

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: الاستدراج من الدرج وهو السلم للصعود أو النزول، والاستدراج: أي: نملي عليهم بالنعم الواحدة تلو الأخرى مثل الغنى والصحة وغيرها، ويظنون أن الله راض عنهم فيزدادون كفرًا وطغيانًا وبعداً عن الله، فالاستدراج هو نوع من الكيد ويقربهم للهلاك، وهم لا يشعرون، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

﴿مَنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يعلمون بما يُدبر لهم من انتقام.

[٤٥] ﴿وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾:

﴿وَأَمْلِي﴾: من الإملاء وهو الإمهال والتأخير في العقوبة أو العذاب.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص، لهم خاصة.

﴿إِنَّ كَيْدِي﴾: إن للتوكيد، كيدي: من الكيد: التدبير الخفي لإيقاع المكروه والمشقة بالغير قهراً سواء علم به أو لم يعلم والكيد أقوى من المكر، إن كيدي: أي: تدبيري وأخذي.

﴿مَتِينٌ﴾: قوي شديد لا يطاق كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

[٤٦] ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: الهمزة استفهام إنكاري أم للإضراب الانتقالي.

﴿تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ على تبليغ الرسالة، أي: أطلبت منهم أجراً لكي تبلغهم رسالة ربك، أو أجراً على هدايتك لهم فأعرضوا ولم يستجيبوا لك، أو سألتهم أجراً عظيماً أثقلهم ومنعهم من الدخول في الإسلام والإيمان أو ثقل عليهم الحمل أو ذلك الأجر مما منعهم من الإيمان.

﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾: فهم خاصة، من: ابتدائية، مغرم: من الغرامة والغرم



ما يلزم أدائه أو ما يدفع من المال كغرامة لمخالفة القانون أو عقوبة، أو شرع الله سبحانه.

[٤٧] ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾:

﴿أَمْ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾: اللوح المحفوظ أو ما كتب فيه من الغيب فهم مطلعون عليه ويقرؤون ما فيه.

﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: لا يحتاجون إليك لتبلغهم ما في القرآن؛ لأنهم يعلمون الغيب أو يعلمون ما في اللوح المحفوظ ويكتبون منه ما يعلمونه.

[٤٨] ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾:

﴿فَاصْبِرْ﴾: الفاء للتوكيد.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: اصبر: على أذى قومك وعنادهم وإعراضهم، واصبر على تبليغهم ودعوتهم إلى الإيمان، واصبر حتى يأتي أمر الله أو عذابه.

﴿وَلَا تَكُنْ﴾: الواو عاطفة، لا الناهية، تكن: مثل صاحب الحوت في عدم الصبر والصبر والغضب إذ ذهب مغاضباً.

﴿كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾: يونس عليه السلام، الحوت: يطلق على السمك الكبير مثل الحيتان الزرقاء ذات الوزن العظيم والحجم الهائل، وليس لها أسنان حادة وتتغذى الأوكسجين، وفي سورة الأنبياء وصفه بذي النون. ارجع إلى سورة الأنبياء الآية (٨٧) للبيان، وسورة الصافات آية (١٤٦) للبيان.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمانى بمعنى حين.

﴿نَادَى﴾: دعا ربه وهو فى فم الحوت.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿مَكْطُومٌ﴾: اسم مفعول من كظم مملوء غماً وغيظاً على قومه؛ لأنهم لم

يؤمنوا، مأخوذة من الكظم. ارجع إلى الآية (١٣٤) من سورة آل عمران للبيان.

[٤٩] ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُكُمْ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُمْ مَذْمُومٌ﴾:

﴿لَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود لولا وجود نعمة ربك لنبذ بالعراء.

﴿أَنْ﴾: مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

﴿تَدَارَكُكُمْ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: تداركه جاءت بصيغة التذكير ولم يقل: تداركته نعمة

من ربه، وقيل: هذه النعمة هي توفيقه للتسبيح وللتوبة وقبول توبته أي: تاب الله عليه.

﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ﴾: النبذ هو الطرح والإلقاء واللام للتوكيد، طرح من فم الحوت

بالعراء: بالأرض الخالية من الشجر والزرع أو الخالية من النبات، ولكن الله سبحانه وتعالى أنبت عليه شجرة من يقطين، كما بين ذلك فى سورة الصافات آية

(١٤٢) ارجع إلى تلك الآية للبيان.

﴿وَهُوَ﴾: الواو للتوكيد، هو ضمير فصل يفيد التوكيد.



﴿مَذْمُومٌ﴾: من الذم، من ذم الشخص؛ أي: عابه ولامه وانتقصه، والذم يستحق العقاب على فعله.

[٥٠] ﴿فَأَجْنِبْهُ رَبُّهُ، فَجَعَلَهُ مِنْ الصَّالِحِينَ﴾:

﴿فَأَجْنِبْهُ رَبُّهُ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، اجتباؤه: اختاره واصطفاه ربه ورد إليه الوحي والنبوة.

﴿فَجَعَلَهُ﴾: الفاء: للتوكيد، والمباشرة؛ جعله: الجعل: التصيير.

﴿مِنْ الصَّالِحِينَ﴾: من: ابتدائية؛ ارجع إلى الآية (١٣٠) من سورة البقرة.

[٥١] ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو استئنافية، إن: للتوكيد.

﴿يَكَادُ﴾: من أفعال المقاربة من كاد أي: قرب أو أوشك.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ﴾: اللام والتون للتوكيد، ليزلقونك: من الزلق زلة القدم أي: يكادون ليزلون قدمك (يزلونك بأبصارهم) من شدة الغيظ والعداوة حتى تزل قدمك أي: تسقط على الأرض أي: تصرع أو يصيبوا رسول الله ﷺ بأعينهم (عيون الحسد).

﴿لَمَّا﴾: ظرفية زمانية أي: حين.

﴿سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾: سمعوا القرآن أو سمعوك تتلو آيات القرآن.

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾: يقولون: بصيغة المضارع لاستمرار قولهم ذلك



وتجدده وتكرره، إنه لمجنون: للتوكيد، اللام للتوكيد، مجنون: مصاب بالجنون
والخبل بسبب الوحي أو القرآن.

[٥٢] ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾:

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا﴾: الواو حالية تفيد التوكيد، هو: ضمير فصل يفيد التوكيد، إلا:
حصراً.

﴿ذِكْرٌ﴾: أي: القرآن ذي الذكر؛ أي: فيه تذكير للعالمين.

﴿لِلْعَالَمِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، العالمين: الجن والإنس والملائكة،
ولم يقل: ذكرى للعالمين. ارجع إلى الآية (٩٠) من سورة الأنعام لمعرفة الفرق
بين الآيتين.





سُورَةُ الْقَمَارِ ٦٨

سُورَةُ الْقَمَارِ

خَشَعَةً أَبْصَرَهُمْ تَرْهَقَهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ وَلَا أَنْ تَذَرَهُ نِعْمَةً مِنْ رَبِّهِ لَئِنِ دُيَّا الْعِرَاءَ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبِهْ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الْحَقِّ ٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَقَّ ١ مَا الْحَقَّ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَقَّ ٣ كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ٨

سورة الحاقة [الآيات ١ - ٨]

ترتيبها في القرآن (٦٩) وترتيبها في النزول (٧٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَاقَّةُ﴾:

القيامة أو اسم من أسماء يوم القيامة أي: يوم تعرف الأمور على حقيقتها، أو تظهر فيه الحقائق من حساب وثواب، وينال كل إنسان حقه من خير وشر، ويتحقق فيه كل وعد ووعد، ومن أسماء يوم القيامة الطامة، القارعة، الصاخة، الواقعة، الأزفة.

[٢] ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾:

ما استفهام فيها معنى التّفخيم والتّهويل أي: ما هي الحاقة؟ أو هل تدرون ما حقيقة القيامة؟

[٣] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾:

تكرار ما للتوكيد والاستفهام والتّهويل والتعظيم.

﴿أَدْرَاكَ﴾: أعلمك أو أخبرك ما الحاقة، أي: أنت لأعلم لك بكنهها



ومدى عظمها وكيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك، والخطاب موجّه إلى الرسول ﷺ، وأيضاً إلى أمته.

الفرق بين ما أدراك وما يدريك: كل آية وكل شيء أو أمر أو خبر ذكر معه ما أدراك: فقد أدراه إياه، أي: أخبر الله به رسوله ﷺ وأعلمه ما هو، وبينه له، وكل آية شيء أو أمر أو خبر ذكر معه يدريك لم يدره، أو يخبره الله به بعد مثل الساعة. [٤] ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾:

﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ﴾: قبيلة ثمود أو قوم صالح ﷺ ومنازلهم بالحجر بين الشام والحجاز (مدائن صالح) وثمود هم عاد الثانية، وهم أتباع، أو من ذرية عاد الأولى.

﴿وَعَادٌ﴾: قبيلة عاد أو قوم هود ﷺ، ومنازلهم بالأحقاف ما بين عُمان وحضرموت باليمن، وهم عاد الأولى وهم بقية من ذرية نوح.

﴿بِالْقَارِعَةِ﴾: بيوم القيامة، القارعة اسم من أسماء يوم القيامة، وسميت بالقارعة: من القرع وهو الضرب بشدة، تفرع القلوب بالفزع والأهوال، والباء للإلصاق. ارجع إلى سورة القارعة آية (١-٥) لمزيد من البيان.

وبالقارعة: تعني: كذبت ثمود وعاد بالقارعة بأهوال القيامة والبعث والحساب.

بالقارعة التي حلّت بهم في الدنيا، والقارعة التي ستحل بهم في الآخرة. وتقديم قوم ثمود على عاد مخالفة للترتيب الزمني، فقد جاء قوم عاد قبل

قوم ثمود، وقد يكون التقديم للأقرب زمنًا بالنسبة لزمان المتكلم أو لأنّ تكذيب ثمود بالنّاقة كمعجزة أشد من تكذيب قوم عاد، أو تكذيب ثمود بالقارعة أشد من تكذيب عاد بها.

[٥] ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُ إِذِ ابْتَلَىٰ كُوزًا يَاطَّاعِيَةً﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء تفرعية، أمّا: حرف شرط وتفصيل.

﴿ثَمُودُ فَاهْلِكُوهُ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب.

﴿يَاطَّاعِيَةً﴾: الباء للإلصاق، الطّاعية: العقاب بالصيحة التي تعقبها الرجفة أو الزلزلة الشديدة فالأذن تتحمل شدة معينة من الصوت أعلاها (٧٠ ديسيل) عندها يبدأ بالانزعاج، وعندما تصل شدة الصوت إلى (١٠٠ ديسيل) أو أكثر واستمرت لفترة طويلة تؤدي شدة الصوت لإتلاف الخلايا العصبية في الأذن الداخلية ويصاب الإنسان بالصمم العصبي.

والانفجارات الشديدة أعلى من (١٤٠ ديسيل) قد تؤدي إلى سكتة قلبية أو اضطرابات في نظم القلب، وبالتالي إلى توقفه، وخاصة أن قوم ثمود كانوا يعيشون في بيوت منحوتة من الصخر فكان صدئ الصوت شديداً ورهيباً.

[٦] ﴿وَأَمَّا عَادُ فَهَبْنَاهُمْ رِيحًا صَرْصَرًا عَاتِيَةً﴾:

﴿رِيحًا﴾: الرّيح في القرآن تحمل معنى العذاب والرياح تحمل معنى الرّحمة.

﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾: ريح شديدة البرودة تؤدي إلى انقباض الأوعية الدموية



وعدم وصول الدّم إلى أصابع اليدين والقدمين، وبالتالي إلى موت الجلد والألم الشديد، ثم إلى اضطراب القلب وتوقفه بسبب هبوط حرارة الجسم، صرصر: لها صوت الصّفير، الصّر: قد يعني البرد الشديد أو شدة الصّوت.

﴿عَاتِيَةٍ﴾: متجاوزة كلّ حدود الطّاقة والسرعة على تحملها شديدة البرودة برودتها تجاوزت في حدتها وزمنها وسرعتها كلّ المعايير السابقة.

[٧] ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ﴾:

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾: سلّطها عليهم أو قدّرها عليهم.

﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾: حُسُومًا متتابعات أو تباعاً أو من الحسم: الاستئصال والقطع أي: تستأصل استئصلاً. وذكر سبع ليالٍ وثمانية أيام ليؤكد لنا أن العقاب بالريح بدأ بالنهار وانتهى بالنهار؛ لكي يروه بأعينهم ولو جاء بالليل لكان أهون، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٩) في سورة القمر وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ يمكن الجمع بين الآيتين بالقول: إن العرب تعبر عن اليوم بالأيام كقولهم: (يوم بعث)، و(في يوم نحس مستمر): يعني اليوم الذي بدأت به الريح تهب ثم استمرت ثمانية أيام حُسُومًا.

﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾: فتري القوم في تلك الأيام والليالي صرعى: موتى ساقطين على الأرض، جمع صريع.

﴿كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ﴾: جذوع نخل خالية الأجواف أو ساقطة، شبههم

بالنخل الساقطة بلا رؤوس وقيل: كانوا طويلي القامة يشبهون النخل المنقعر:
 المنقلع والفارغ من داخله، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٠) في سورة القمر
 وهي قوله تعالى: ﴿تَزَعُّ النَّاسَ عَنْهُمْ أَغْجَازُ نَخْلٍ مَّنْقَعِرٍ﴾: نجد أن كل منقعر خاوي،
 والخواوي: يشمل المنقعر وغير المنقعر. ارجع إلى سورة القمر آية (٢٠) لمزيد
 من البيان والفرق بين الآيتين.

[٨] ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾:

﴿فَهَلْ﴾: الفاء للتوكيد، هل: للاستفهام يفيد النفي.

﴿تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾: من: الابتدائية باقية من البقاء أو هل ترى لهم من أثر
 أي: هللكوا أو استأصلوا أجمعين.





سورة القصص ٦٩

سورة القصص

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَاطِعَا الْمَاءِ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أُمِّ أَقْرَأُ وَكِتَابِيهِ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ ﴿٢٦﴾ يَلَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةٌ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾

سورة القصص
على ما
سأله

سورة الحاقة [الآيات ٩ - ٣٤]

[٩] ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾:

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾: ثم جاء فرعون ومن قبله؛ أي: من الأمم الكافرة.
 ﴿وَالْمُؤْتَفِكَتُ﴾: المنقلبات، مشتقة من اتفتك انقلب، والمراد بالمؤتفكات: هي قرى قوم لوط. قيل: كانت خمس قرى: هي سدوم، وعمورية، ودرما، ومنع، وصعر، اقتلعها جبريل ﷺ، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها، والإفك هو الكذب المتعمد والانحطاط في السلوك.

﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾: بالأفعال الخاطئة ذات الخطأ وأسند الخطأ إلى القرى على سبيل المجاز، والمراد بها أصحابها مثل الشرك والمعاصي والمنكر وإتيان الرجال شهوة.

[١٠] ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾:

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾: عصت كل أمة رسولها أو كذبوا رسلهم ولم يقل: فعصوا رسل ربهم، وإنما قال: رسول ربهم؛ لأن الرسل رسالتهم واحدة فالرسل يمثلون الرسول والرسول يمثل الرسل.

﴿فَأَخَذَهُمْ﴾: الفاء فاء السببية بصيغة المجهول وهو الله سبحانه، من الأخذ: وهو الانتقام أي: انتقم منهم فأهلكهم.

﴿أَخْذَةً رَابِيَةً﴾: أخذة شديدة زائدة في الشدة من ربا الشيء يربو زاد وتضاعف.



[١١] ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾:

﴿إِنَّا لَمَّا﴾: إنا: للتعظيم، لما: ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿طَغَا الْمَاءُ﴾: حدث الطوفان طوفان نوح طغا الماء: جاوز حده المعتاد في الارتفاع، كما قال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۝۱۱ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝۱۲ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوُجْهِ وَدُسِّرَ﴾ [القمر: ١١-١٣].

﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ أي: حملنا أجدادكم أو آباءكم نوح وذريته، وكما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧]، في: ظرف، الجارية: الفلك أو السفينة، والخطاب إلى كفار مكة وغيرهم وقيل: حملناكم؛ لأنهم كانوا في أصلاب الذين نجوا من ذرية قوم نوح، كما أن كل البشرية كانت في صلب آدم وحواء.

[١٢] ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾:

﴿لِنَجْعَلَهَا﴾: اللام للتوكيد، والضمير يعود على الجارية (الفلك) أو عملية الإنقاذ أو إنجاء السفينة وإغراق الكافرين أو تشمل كل ما حدث.

﴿لَكُمْ﴾: اللام الاختصاص لكم خاصة أيها المسلمون.

﴿تَذْكِرَةً﴾: عبرة وموعظة أي: ذكرى تذكرونها فتشكرون نعمة ربكم عليكم. ارجع إلى سورة العنكبوت آية (١٥) لمزيد من البيان.

﴿وَتَعِيًا﴾: من الوعي: وهو الفهم والإدراك للحقيقة والغاية أو النتيجة والعبرة بعد سماع القصة أو الآيات فتذكرها وتقصها مراراً.

﴿أُذُنٌ﴾: جاءت بصيغة الإفراد والتذكير للدلالة على قلة الأذان الواعية الحافظة لهذه الوقائع أو التي تعظ الناس بقصة نوح.

﴿وَعِيَةٌ﴾: أي: كل ما تحفظه في الذاكرة أو في نفسك وتذكره فقد وعيته والأذن الواحدة الواعية أهم بكثير من الأذان الكثيرة غير الواعية للحوادث

والأذن الواعية التي تؤمن بالله وتشهد بصدق محمد ﷺ وبصدق القرآن، فكان العثور على هذه السفينة من أعظم الدلائل على قدرة الله تعالى وعظمته.

[١٣] ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء استئنافية، إذا: ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾: النفخة قيل: النفخة الأولى، وجاءت بصيغة التنكير للتهويل والتعظيم، والنافخ هو إسرئيل عليه السلام، واحدة: للتوكيد.

[١٤] ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾:

﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾: أي: يوم تقوم الساعة أي: يبدأ التهدم الكوني فتحمل الأرض بما فيها الجبال وتلك دكة واحدة أي: تدق وتتكرر وتتفتت بعد الزلزلة والرجفة والرج والجبال تدك أي: تتفتت بعد أن ترجف مع الأرض وتسير وتنسف وتصبح كثيباً مهيلاً بعد مرحلة (وبست الجبال بساً) أي: فتت، ثم تكون كالعهن، ثم كالسراب وتزول، وأما الأرض فيقبضها بيمينه سبحانه كل ذلك يحدث قبل خلق الأرض الجديدة والسموات، والتي تحوي بقايا الأرض القديمة بما فيها القبور والأشلاء والعظام.

أي: سيخلق الله سبحانه أرضاً جديدة وسماء جديدة، والله سبحانه سيديك الأرض ليوسعها ويدك الجبال فيزيلها لكي تتسع هذه الأرض الجديدة للبالين من البشر من زمن آدم إلى آخر من يخلق.

[١٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾:

فيومئذ: قامت القيامة أو الساعة أي: حين تدك الأرض والجبال وتتفتت وقعت الواقعة: اسم للقيامة أو للساعة.

[١٦] ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾:

وأما ما يحدث للسماء حين تقوم الساعة، فهو المور ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ



﴿مَوْرًا﴾ [الطور: ٩]، ثم الانشقاق والانفطار، كقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]، وقوله: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ [المرسلات: ٩]، ثم تصبح واهية، ثم وردة كالدهان، وتطوى كما قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، ثم يخلق سبحانه سموات جديدة.

﴿وَاهِيَةً﴾: ضعيفة غير متماسكة بعد أن فقدت قواها الجاذبية والمغناطيسية والكهربائية بعد أن كانت محكمة كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا يَأْتِيَدُ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، ولذلك سبحانه ذكر كلمة انشقت في عدة آيات ليدل على شدة تماسك وبناء السموات بقوة التي وصفها سبحانه ﴿وَمَالَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت أو فطور، ويومئذ تفتح السماء فتكون أبواباً، كما قال تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النبا: ١٩]، أي: طرقاتاً ومسالك لنزول الملائكة.

[١٧] ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾:

﴿وَالْمَلَكُ﴾: المراد به اسم الجنس جنس الملائكة.

﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾: أطرافها جمع رجا أي: جانب أي: جوانبها وحافاتهما فبعد أن كانت السماء مكانهم ومستقرهم انشقت وانفطرت صاروا إلى أطرافها وجوانبها ينتظرون الأمر بالنزول إلى أرض المحشر ليحيطوا بالمخلوقات أو ينتظرون أمر ربهم.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾: حمل العرش مجاز، ولا يعلم به إلا الله، فوقهم: أي: يرى الناس عرش ربهم فوقهم يحمله ﴿ثَمَنِيَّةٌ﴾: نكرة ثمانية من الملائكة أو ثمانية صفوف أو ثمانية آلاف أو ملايين من الملائكة، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

[١٨] ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم ظرف أضيف إلى ظرف إذ.

﴿تُعْرَضُونَ﴾: من العرض وأصل العرض: إظهار الشيء إلى من يريد التأمل فيه مثل عرض السلعة على المشتري حتى يتأملها، عرض العباد على الله سبحانه للحساب: أي: المثول والحضور بين يدي الله سبحانه. صفاً صفاً كما قال تعالى: ﴿وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨].

﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾: لا: النافية، تخفى منكم خافية: من ذواتكم وأقوالكم وأفعالكم.

[١٩] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُ وَأَكْتَبُ﴾

يكون ذلك بعد الحساب والمسائلة وإطلاع العباد على ما قدموه من أعمال وإقامة الشهود والمعاتبة، ثم إتياء العباد كتبهم.

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء استئنافية، أما: حرف تفصيل.

﴿مَنْ﴾: لا ابتداء الغاية.

﴿أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾: أوتي: أعطي كتابه: كتاب أعماله أو سجله، بيمينه: بيده اليمنى.

﴿فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُ وَأَكْتَبُ﴾: هاؤم: هاكم (بالعامية) وهاؤم تقولها للجمع أو للجماعة ها: هاء الممدودة خُذْ، هاؤم فعل أمر بمعنى خذوا والفاعل ضمير تقديره: أنتم.

اقرأوا كتابيه: تفاخراً وسروراً، كتاب أعماله بعد أن يطلع على ما فيه.

[٢٠] ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.



﴿ظَنَنْتُ﴾: علمت وأيقنت، الظن هنا يصل إلى درجة اليقين أو العلم الثابت.

﴿أَنْفٍ﴾: للتوكيد.

﴿مُلَقِّ حِسَابِيَّةٍ﴾: أي: أيقنت أنني سيحاسبني الله في الآخرة، أي: سأبعث وأحاسب في الآخرة، ملاق حسابيه: شبه الحساب بصديق سيجتمع به لا محالة يوم القيامة، ملاق: بدلاً من ملاقي: ملاقي تدل على أنه ظن أن حسابه سيكون قصيراً ويسيراً ولن يطول وبعدها يذهب إلى الجنة. ولو قال: ملاقي، فهي تدل على حساب طويل.

[٢١] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾:

﴿فَهُوَ﴾: الفاء استئنافية، هو ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾: عيشة: مصدر للفعل الثلاثي عاش، أي: عيشة صاحبها راض عنها أي: عيشة رفيعة لم تخطر على بال بشر مليئة بالنعيم وخالية من الخوف والجوع والمرض والموت، وأيِّ مكروه، فهي خالية من شوائب الدنيا وكدرها.

[٢٢] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾:

عالية الدرجات أو مرتفعة في السماء أو رفيعة القصور والمباني والغرف.

[٢٣] ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾:

﴿قُطُوفُهَا﴾: من القطف: ما يجنى من الثمار.

﴿دَانِيَةٌ﴾: قريبة جداً يتناولها كيف يشاء حتى وهو متكئ.

[٢٤] ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾:

يقال لهم في الجنة:



- ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾: من طعام الجنة وشرابها.
- ﴿هَيِّنًا﴾: أي: سائغاً مستلذاً طيباً عند أكله سهل الهضم أي: خال من أيّ صعوبة في الهضم أو اختلاطات هضمية كما في أطعمة الدنيا.
- ﴿يَمًا﴾: الباء للإلصاق والتعليل أو سببه، ما: بمعنى الذي.
- ﴿أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾: قدّمتم من الأعمال الصالحة في أيام الدنيا الماضية. وقدّر البقاء في الأرض بالأيام رغم أننا نظنها سنيناً طويلة.
- [٢٥] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنِي لَأُوتِيَ كِتَابَهُ﴾:
- ﴿وَأَمَّا﴾: الواو استئنافية، أمّا: للتفصيل.
- ﴿مَنْ﴾: لا ابتداء الغاية.
- ﴿أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ﴾: أُعطي كتابه (سجل أعماله) بشماله: الباء للإلصاق، بيده الشمال أو اليسرى أو من وراء ظهره.
- ﴿فَيَقُولُ يَلَيِّنِي﴾: يا ليت: تستعمل للتمني المستحيل حدوثه.
- ﴿لَأُوتِيَ﴾: حرف نفي.
- ﴿أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾: أُعطي كتابه لما فيه من السيئات، أوت: حذفت الياء: لأنه لا يريد أن يطلع على كتابه ولو نظرة واحدة.
- [٢٦] ﴿وَلَمْ أَذَرِ مَا حِسَابِي﴾:
- ﴿وَلَمْ﴾: للنفي، وتكرار لم تفيد التوكيد وفصل كلاً من إيتاء الكتاب والدراية بنتيجة أعماله على حدة، أو كلاهما معاً.
- ﴿أَذَرِ﴾: أُخبرت والإخبار هنا يكون بعد جهل.
- ﴿مَا﴾: استفهام.
- ﴿حِسَابِي﴾: ما محصلة أعمالي أو جزاء أعمالي.



[٢٧] ﴿يَلَيِّنَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾:

﴿يَلَيِّنَهَا﴾: يا: أداة نداء، ليت: من أدوات التمني المستحيل حدوثها.

﴿كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾: الهاء تعود على الموتة التي ماتها في الدنيا، كانت القاضية: أي: يتمنى دوام الموت ولم يبعث مرة أخرى ليحاسب على أعماله.

[٢٨] ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ﴾:

﴿مَا﴾: النافية، أي: لم ينفعني أو يدفع عني مالي عذاب الله.

﴿مَالِيَّةٌ﴾: الذي جمعته في الدنيا، وكيف يأتيه ماله ليدفعه، أو أين هو ماله وهل هو كاف، فقد أخبر الله سبحانه لو أن لهم ما في الأرض ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم.

[٢٩] ﴿هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾:

زال عني مُلكي وقوتي وسلطاني ومكانتي بين القوم وعزي وجاهي ومنصبي.

[٣٠] ﴿خَذُوهُ فَعْلُوهُ﴾:

أي: يأمر الله سبحانه الملائكة: خذوه فغلوه: اجمعوا يده إلى عنقه بالأغلال.

[٣١] ﴿ثُمَّ أَلْجَحِيمَ صَلَّوهُ﴾:

ثم أدخلوه الجحيم ليحرق ويصلى في نارها، ثم لتباين الدرجة بين الغل والتصلية بالنار.

[٣٢] ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للدلالة على التفاوت بين ربطه بالسلاسل والتصلية في الجحيم.

﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا﴾: طولها (٧٠) ذراعاً، وقد يكون الطول للمبالغة في ضخامة السلسلة.

﴿فَأَسْلُكُوهُ﴾: قيّدوه كي يسحب بها في الجحيم ويسجر في النار.
[٣٣] ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾:

ثم بيّن أسباب العذاب الشديد والجحيم والاصطلاء في نارها.
﴿إِنَّهُ كَانَ لَا﴾: كان في الدنيا، لا: النافية.

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: كان لا يؤمن بالله ووجدانيته، كان كافراً جاحداً لا يصدق بوجود الله سبحانه.

[٣٤] ﴿وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو عاطفة عطف حرمان المسكين على عدم الإيمان بالله حد من شدة أهميته (ولم يقل: الفقير)، والمسكين من يملك ما لا يكفيه.

﴿يَحْضُرُ﴾: يحث على طعام المسكين والفقير، وذكر الحَضُّ دون الفعل أي: هو لا يطعم المسكين أو الفقير، ولا حتى يحث الآخرين على فعل ذلك، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [النساء: ٣٧].





سُورَةُ الْقَمَرِ ٦٩

سُورَةُ الْقَمَرِ

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تَبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الْمَعَارِجِ ٧٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا ﴿١٠﴾



سورة الحاقة [الآيات ٣٥ - ٥٢]

[٣٥] ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾:

﴿فَلَيْسَ﴾: الفاء للتوكيد، ليس: حرف نفي.

﴿لَهُ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، له خاصة.

﴿الْيَوْمَ﴾: يوم القيامة.

﴿هُنَا﴾: أي: في جهنم.

﴿حَمِيمٌ﴾: صديق مشفق ينفعه أو يشفع له، أو يدفع عنه العذاب، صديق مخلص حميم من احتّم، ويقال: احتّم فلان لفلان: أي: احتد أو تعصب له كما يحتد القريب لحماية ذويه.

[٣٦] ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ﴾:

﴿وَلَا﴾: لزيادة توكيد النفي.

﴿طَعَامٌ إِلَّا﴾: حصراً.

﴿مِنْ﴾: لا ابتداء الغاية.

﴿غَسَلِينَ﴾: قيل: قيع أهل النار أو دم القيع أو شجر تسمّى غسلين خاص لإطعام أهل النار أو طعام سيئ للغاية لا يعلمه إلا الله والغسلين قيل: هو الغساق وطعام أهل النار أيضاً الضريع والزقوم وشرابهم قيل: الحميم والغسلين والغساق.



[٣٧] ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾:

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يَأْكُلُهُ إِلَّا﴾: حصراً.

﴿الْخَاطِئُونَ﴾: الآثمون أصحاب الخطايا، الخاطئون: من تعمد الخطأ وأقدم على المعصية أو الذنب بتعمد، ويعلم أنه ذنب أو معصية ومات ولم يتب بينما المخطئون: من يرتكب الخطأ من دون تعمد. ارجع إلى سورة البقرة الآية (٢٨٦) لمزيد من البيان في أخطأنا.

[٣٨] ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾:

﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾: الفاء استئنافية، لا أقسم: ارجع إلى الآية (١) من سورة القيامة للبيان، والقسم لا يكون إلا بشيء عظيم لينبه الناس إلى عظمتهم وعظمة جواب القسم.

﴿بِمَا﴾: الباء للإصاق، ما: بمعنى الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي).

﴿تُبْصِرُونَ﴾: أي: المشاهدات، وقيل: ما تبصرون تشكل (١)٪ واحد في المئة).

[٣٩] ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾: وقيل: تشكل ٩٩٪ تسع وتسعون في المئة.

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة. ما: الذي وما أوسع شمولاً من الذي تشمل كل شيء وتكرار ما للتوكيد وفصل ما نبصر عما لا نبصر.

﴿لَا تُبْصِرُونَ﴾: لا: النافية، تبصرون: من ملكوت السموات والأرض (المغيبات) فكل ما نراه في صفحة السماء هو (١)٪ من مليارات المجرات ومئات المليارات من النجوم والكواكب والأقمار، فقد قيل، أو قُدِّر أن مجرة درب التبانة تحوي ما يقارب من (٤٠٠ مليار نجم) وحدها.

[٤٠] ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾:

﴿إِنَّهُ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لَقَوْلُ﴾: اللام: للتوكيد، ثلاث توكيدات: القسم، وإن، واللام، إنه لقول رسول كريم هو جواب القسم.

﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: قيل: رسول كريم هو جبريل ﷺ وقيل: محمد ﷺ، وقد يكون المقصود كلاهما جبريل ﷺ ورسول الله ﷺ، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٣) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿الشعراء: ١٩٢-١٩٤﴾.

[٤١] ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَمَا هُوَ﴾: الواو عاطفة، ما النافية، هو ضمير فصل يفيد التوكيد ويعود على القرآن الكريم.

﴿بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾: أي: القرآن ليس بقول شاعر، كما تزعمون؛ لأن نظم الشعر معروفة عند الشعراء، وعلماء النحو والبلاغة، والقرآن مخالف لنظم الشعر فمن قال أنه شعر، أو أن محمداً شاعر قد كفر وليس بمؤمن.

﴿قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾: (ما) هنا للتوكيد، أصلها قليلاً تؤمنون. وقليلاً ما تؤمنون لها عدة معانٍ:

١ - العدد قليل أو كمية الإيمان قليلة أي: عدد المؤمنين قليل جداً وكمية إيمانهم قليلة كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

٢ - أي: القرآن ليس بقول شاعر قليلاً ما تصدقون ذلك.

٣ - قليلاً ما تؤمنون أن القرآن منزل من عند الله العزيز الحكيم.



ونفي الشعر عن القرآن أي: إذا قرأه بعض الشعراء الذين يعلمون الشعر ونظمه وأوزانه يعلمون أنه ليس بشعر.

[٤٢] ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو عاطفة، لا: النافية.

﴿يَقُولُ كَاهِنٌ﴾: الكاهن هو الذي يزعم معرفة الغيب أو يتحدث بالغيب من دون دليل أو سلطان، وبما أن كلام القرآن يخالف أقوال الكهنة وهذا لا يحتاج إلى كثير من التذكير بل قليل، ولذلك قال تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ﴾.

﴿قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ﴾: ما: للتوكيد، أي: قليلاً تذكرون وأصلها تتذكرون أي: لو تذكرتم لعلمتم أن القرآن ليس بكلام الكهان أيضاً.

[٤٣] ﴿نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿نَزِيلٌ﴾: أي: من عند الله تعالى، نزل به جبريل ﷺ، حتى يبلغه إلى النبي ﷺ. ارجع إلى سورة الواقعة الآية (٨٠) للبيان، وسورة الشعراء آية (١٩٢).

[٤٤] ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾:

أي: لو افترى محمد شيئاً ولو آية من القرآن وجاء بها من عند نفسه.

وقيل: هذه الآية ردٌ على الآية (٣٣) من سورة الطور ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ﴾ [الطور: ٣٣]: أي: نقول القرآن أي: افعله أو اختلقه من تلقاء نفسه والتقول يعني: التكلف والكذب، فجاء الرد على ذلك بهذه الآية.

﴿وَلَوْ﴾: لو شرطية.

﴿نَقُولُ﴾: افترى وتكلف وافعل أو نقل بعض الأقاويل والتقول هو نسبه القول إلى من لم يقله.

﴿عَلَيْنَا﴾: أي: لو قال محمد قولاً من عنده ونسبه إلينا، أي: إلى الله سبحانه وجاء بصيغة التعظيم.

﴿بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾: الأقاويل: جمع أقوال والأقوال جمع قول فهو جمع الجمع ولم يقل: بعض الأقوال؛ لأن الأقوال جمع قول حق، والأقاويل جمع قول مفترى وكذب، والأقاويل فيها معنى التحقير والتصغير. والأقاويل ذكرت مرة واحدة في القرآن في هذه الآية.

[٤٥] ﴿لَاخِذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾:

﴿لَاخِذْنَا مِنْهُ﴾: اللام لام التوكيد، أخذنا منه: أي: انتقمنا منه بشدة وقوة. ﴿بِالْيَمِينِ﴾: اليمين تعني: القوة وقوة الإنسان عادة تكون في يده اليمنى واليمين: يعني: بالحق أي: لأخذناه بشدة وعنف، الباء للإلصاق؛ أي: بشكل تام وكامل.

[٤٦] ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: تدل على تفاوت الصفات بين الأخذ باليمين وقطع الوتين ولا تدل (ثم) على التراخي في الزمن، ومنه: تعود على الرسول محمد ﷺ فقطع الوتين وهو الشريان الأبهر الخارج من القلب قطعه يؤدي إلى الموت حالاً.

[٤٧] ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾:

﴿فَمَا مِنْكُمْ﴾: الفاء عاطفة تفيد التوكيد، ما: النافية، منكم: خاصة أنتم يا قريش.

﴿مَنْ أَحَدٍ﴾: استغراقية تشمل الواحد والاثنين أو الجماعة.

﴿عَنْهُ﴾: تعود إلى رسول الله ﷺ أو تعود على قطع الوتين.



﴿حَاجِرِينَ﴾: دافعين عنه أو مانعين عنه القطع، جاءت بصيغة الجمع أي: مهما كان عددكم لن تقدرُوا على ذلك.

[٤٨] ﴿وَإِنَّهُ لَنَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿وَإِنَّهُ﴾: الواو: عاطفة وإنه للتوكيد، والضَّمير يعود على القرآن الكريم. ﴿لَنَذِكْرٌ﴾: اللام لام التوكيد، تذكرة: شيء يذكركم بخالفكم وربكم وبالأخرة.

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: اللام لام الاختصاص، المتقين: أي: الذين أطاعوا وأمر الله تعالى وتجنبوا نواهيه وأصبحت صفة التقوى عندهم ثابتة أي: تذكرة تنفع المتقين خاصة.

[٤٩] ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مَّكَذِبِينَ﴾:

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ﴾: وإنا: للتعظيم، لنعلم: اللام للتوكيد. ﴿أَنَّ﴾: تفيد الاستقبال أي: لنعلم أن منكم مكذبين بالقرآن الآن، وفي المستقبل.

﴿مِّنكُم﴾: من للتبعيض والكاف للخطاب، مكذبين: بالقرآن ومنكم مصدقين.

﴿مَّكَذِبِينَ﴾: جملة اسمية تدل على الثبوت أي: صفة التكذيب عندهم ثابتة.

[٥٠] ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾:

﴿وَإِنَّهُ﴾: للتوكيد، والضَّمير يعود على القرآن يكون سبباً لحسرتهم يوم القيامة والندم؛ لأنهم كذبوا به.

﴿لَحَسْرَةٌ﴾: اللام للتوكيد، الحسرة: أشد الندم.

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: على تفيد المشقة والصعوبة أي: إذا رأى الكفار ثواب المصدقين بالقرآن يوم القيامة سيشعرون بحسرة وندم شديد على ما فرطوا بحق القرآن.

[٥١] ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾:

﴿وَإِنَّهُ﴾: للتوكيد والضمير يعود على القرآن.

﴿لَحَقُّ﴾: اللام للتوكيد.

﴿الْيَقِينِ﴾: هو العلم بالحق العلم الذي ليس هناك غيره حق اليقين: أعلى درجات اليقين، فاليقين ثلاث درجات هي: علم اليقين، ثم عين اليقين وأعلىها حق اليقين، والحق هو الشيء الثابت الذي لا يتغير أو يزول، وإضافة الحق إلى اليقين للتوكيد، وفي هذا نفي للقرآن عن كل باطل أو هو من عند غير الله سبحانه. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لمزيد من البيان.

[٥٢] ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾:

﴿فَسَبِّحْ﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدر أي: إن كان تنزيل من رب العالمين. فسبح: نزه وبرئ: الله تعالى والقرآن عما يقولونه أو يدعونه باطلاً، وسبحه لذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه تسييحاً مطلقاً وشكراً على نعمه.

﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾: الباء للإلصاق، اسم ربك: وهو الله تعالى الإله المعبود واجب الوجود.

﴿الْعَظِيمِ﴾: ارجع إلى سورة الواقعة الآية (٧٤) للبيان.





سُورَةُ الْكَافِرِينَ ٦٩

الجزء التاسع والعشرون

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الْمَعَارِجِ ٧٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَنَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْئَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا ﴿١٠﴾



سورة المعارج [الآيات ١ - ١٠]

ترتيبها في القرآن (٧٠) وترتيبها في النزول (٧٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾:

سبب النزول: كما ذكر الجمهور وابن عباس ومجاهد: نزلت هذه الآية ردّاً على النضر بن الحارث حين دعا استهزاءً وتعتاً قائلاً: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ اقْتِنَا بِعَذَابٍ إِلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾: دعا داع مثل النضر بن الحارث.

﴿بِعَذَابٍ﴾: الباء للإلصاق، دعا داع بالعذاب لنفسه، أو أن يحل به العذاب، ولو قال: سأل سائل عن عذاب واقِع، لكان سؤال استفهام ولا يدعو بالعذاب لنفسه مثلاً يسأل على نوعه أو زمنه وغير ذلك.

﴿وَاقِعٍ﴾: لا محالة حتماً حادث؛ أي: نازل بشدة لا محالة.

[٢] ﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾:

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾: السلام لام الاختصاص والاستحقاق، نازل بالكافرين لا محالة.

﴿لَيْسَ لَهُ﴾: ليس للنفي، له: أي: العذاب.

﴿دَافِعٌ﴾: أي: لا أحد يستطيع منعه أو رده إذا وقع أو حلّ.



[٣] ﴿مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾:

﴿مِنْ اللَّهِ﴾: لا ابتداء الغاية، أي: مُنْزَلٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾: ذي: صاحب وذي أسمى وأشرف من صاحب المعارج، المعارج: من العروج، والعروج لغة: هو سير الجسم في خط منعطف منحني، أي: الصعود مع الميلان، أي: لا يتحرك أو يصعد في خط مستقيم، والعروج علمياً: هو كل جرم متحرك أو يتحرك في السماء يخضع لقوتين متعارضتين، الأولى: قوة الجاذبية أي: قوة التجاذب التي تربط الأجرام السماوية ببعضها ومنها الأرض، والثانية: القوة الدافعة أو الطاردة.

ويخضع كل جرم سماوي متحرك لقانون العروج أو التحرك الزاوي، أي: بشكل خط منحني يمثل محصلة كل من القوتين الجذب والطرْد المؤثرة فيه، فالعروج سببه اختلاف جاذبية الأجرام السماوية المختلفة من النجوم والكواكب والأقمار والمذنبات.

ذي المعارج: أي: سبحانه هو المتحكم أو المتصرف أو المدبّر لهذه الأجرام السماوية المتحركة في السماء من دون أن تصطدم ببعضها البعض، أو تعني الصعود إليه لا يكون إلا بالعروج لوجود هذه الأجرام السماوية المختلفة القوى والطاقة.

[٤] ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾:

﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾: تعرج الملائكة والروح أي: جبريل ﷺ، تعرج: العروج كما بينا سابقاً هو الصعود مع الميلان أي: بخط منحني غير مستقيم، وهذا ما اكتشف حديثاً من أبحاث غزو الفضاء، تعرج الملائكة والروح.

﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله تعالى لتتلقى الأوامر الإلهية منه تعالى مباشرة، ومن دون رؤيته عز وجل.

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: أفضل ما قيل في تفسير خمسين ألف سنة هو مقدار يوم القيامة لما فيه من الأحوال، والأحداث الجسام، وأما قوله تعالى في: الآية (٥) في سورة السجدة ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ يعني: العروج من الأرض إلى سدرة المنتهى يحتاج إلى ألف سنة مما نعد، وأما قوله تعالى في الآية (٤٧) في سورة الحج ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ يعني: العذاب في جهنم يوماً واحداً يعادل ألف سنة، وهناك من قال الزمن المحتاج للعروج في أقطار السموات والوصول إلى سدرة المنتهى لتلقي الأوامر الإلهية هو (٥٠ ألف سنة) من سني الدنيا، وقيل: ألف سنة للوصول إلى السماء الدنيا، و(٤٩ ألف سنة) للوصول إلى سدرة المنتهى بعد الوصول إلى السماء الدنيا، ويعرج إليه سبحانه الروح والملائكة بسرعة قدرت بـ (١٥ مليون كم/ بالثانية)، والله أعلم.

وكما قال ابن عباس وبعض المفسرين: المراد باليوم هنا هو يوم القيامة تهويلاً وتخويفاً وطوله (٥٠ ألف سنة) من سني الدنيا هذا بالنسبة للكافر، أما بالنسبة للمؤمن فيختلف حسب عمله.

[٥] ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾:

المخاطب في هذه الآية رسول الله ﷺ، وبالتالي أمته.

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدر أي: إن سأل سائل بعذاب واقع، فاصبر.



صبراً جميلاً: الصبر الجميل هو الصبر الذي لا يصاحبه جزع ولا شكوى إلى غير الله تعالى وهو صبر غير دائم.

وهناك فرق بين (صبرٌ جميلٌ) و(صبراً جميلاً)، صبر جميل: أي: اصبر صبراً دائماً مهما طال (جملة اسمية) أما صبراً جميلاً: أي: صبر غير دائم فهو (جملة فعلية).

[٦] ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾:

﴿إِنَّهُمْ﴾: تعود على الكفار.

﴿يَرَوْنَهُ﴾: يوم القيامة (العذاب).

﴿بَعِيدًا﴾: مستحيل الوقوع أو لا يؤمنون بيوم الحساب أصلاً، أو بعيداً عن الوقوع؛ أي: يحتاج إلى زمن طويل، أو يرون مقدار القيامة (٥٠ ألف سنة) أمر بعيد عن التصديق.

[٧] ﴿وَنَرَنَاهُ قَرِيبًا﴾:

ونراه: للتعظيم؛ أي: سبحانه يراه وأي يوم القيامة أو العذاب، قريب الوقوع كقوله: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]، أو ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

[٨] ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: القيامة.

﴿تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾: المهل: كخليط المعادن المختلفة المذابة أو المنصهرة (النحاس والرصاص والذهب) بعد أن كانت زرقاء صافية يصبح لونها

كعكر الزيت المتشكل من إذابة معادن مختلفة، وفي مرحلة أخرى تكون وردة كالدهان. ارجع إلى سورة الرحمن آية (٣٧).

[٩] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾:

ويوم القيامة تكون الجبال كالعهن: الصوف المصبوغ ألواناً مختلفة، وذلك لكون الجبال ذات ألوان مختلفة، ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

فالجبال تمر بمراحل متعددة منها السّير والدّك والنّسف، ثم تصبح كثيباً مهيلاً، ثمّ عنها منقوشاً، ثمّ هباءً منبثاً، وفي آية أخرى ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] الصّوف المندوف.

[١٠] ﴿وَلَا يَسْتَلْ حِمِيمٌ حَمِيمًا﴾:

﴿وَلَا﴾: النّافية.

﴿يَسْتَلْ حِمِيمٌ حَمِيمًا﴾: بفتح الياء، أي: لا يسأل قريب قريبه، أو صديق صديقه، أو خليل خليله من شدة الأهوال والخوف والرّعب. ارجع إلى سورة الحاقة آية (٣٥) للبيان.

الكل يقول: اللهم نفسي نفسي، ورب قائل يقول: لا يسأل حميم حميمًا؛ لأنهم لا يرونهم أو يبصرونهم، فجاء الرّد على هذا التساؤل بقوله: يبصرونهم، أي: يشاهدونهم بأعينهم ومع ذلك لا يسألونهم.





سُورَةُ النِّعَمِ ٧٠

سُورَةُ النِّعَمِ ٧٠

يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ
وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝ (١٢) وَفَصَّلَتِ أَلَّتِي تُوِيهِ ۝ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۝ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَى ۝ (١٥) نَزَاعَةً لِلشَّوَى ۝ (١٦) تَدْعُوا
مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ۝ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۝ (١٨) * إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا
۝ (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ (٢١) إِلَّا
الْمُصْلِينَ ۝ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي
أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
بِیَوْمِ الدِّينِ ۝ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۝ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ
رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ (٢٩) إِلَّا عَلَى
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ (٣٠) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ
۝ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ۝ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
۝ (٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ۝ (٣٥) فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مَهْطِعِينَ
۝ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ۝ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ
أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ۝ (٣٩)



سورة المعارج [الآيات ١١ - ٣٩]

[١١] ﴿يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَنِيهِ﴾:

﴿يُبْصِرُونَهُمْ﴾: ولم يقل: يبصرونهم بتشديد الصاد من بصرته بالشئ أي: أوضحته له حتى يبصره، أو يحضر الله سبحانه القريب أو الحميم أمام حميمه عمداً، فلا يسأله عن شيء، يُبْصِرُونَهُمْ: تعني بقصد وتعمد، بينما يبصرونهم من دون تشديد الصاد أي: بغير قصد أو نية وتعمد أي: يشاهدونهم ويتعرفون عليهم أنهم أقرباؤهم، ولكنهم كأنهم لا يعرفونهم.

﴿يَوْمَ الْمُجْرِمِ﴾: يتمنى المجرم: أي: الكافر أو المشرك والذي أذنب ذنباً يستحق به النار.

﴿لَوْ﴾: حرف مصدري.

﴿يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾: لو يفتدي يوم القيامة بأقرب شيء إليه يفدي نفسه أي: يدفع فدية ليخلص نفسه من عذاب ذلك اليوم، أو يتمنى لو قبل منه الفداء يومئذ حتى ولو كان المرء يصل إلى أن يفدي نفسه ببنيه.

﴿بَنِيهِ﴾: أي: أولاده.

[١٢] ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾:

زوجته وأخيه، وسماها صاحبة بدلاً من زوجته؛ لأن صاحبتة تعني نصحبته إلى مدة حتى يكون منها ولد.

[١٣] ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّبُ﴾:

أي: عشيرته أو قبيلته التي تضمه إليها وتحميه.



[١٤] ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾:

ومن: لا ابتداء الغاية واستغراقية تستغرق كل من في الأرض بشكل مفرد أو جمع.

لم يذكر أنه يفتدي بأمه ولا بأبيه، فكيف يفدي نفسه بأمه وأبيه، والله سبحانه قال: وبوالدين إحساناً، فهذا لا يجوز أو يصح، ولكن المجرم لو استطاع أن يقدم أباه وأمّه إلى النار بدلاً منه لفعل ذلك، ولكنه في سورة عبس الآية (٣٤) - (٣٥) ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمِّهِ ۖ وَأَبِيهِ ۖ الْفِرَارُ مِنَ الْأُمِّ وَالْأَبِ قَدْ يَحْصُلُ، أَوْ يَجُوزُ بَيْنَمَا الْفِدَاءُ لَا يَجُوزُ.

ولو قارنا هاتين الآيتين من سورة المعارج، وهي قوله تعالى: ﴿يُودُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِنَفْسِهِ ۖ وَصَاحِبَتُهُ وَأَخِيهِ ۖ وَفَصِيلَتُهُ الَّتِي تُتَوَبَعُ ۖ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ [٣٥-٣٤] من سورة عبس، وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمِّهِ ۖ وَأَبِيهِ ۖ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۖ﴾:

في حالة الفداء: يقدم أقرب الناس إليه وهم أولاده أولاً.

وفي حالة الفرار: آخر من يفر منهم وهم أولاده.

هذا الترتيب الإلهي له دلالاته، ففي مقام الفرار يفر الإنسان من الأبعد أولاً، ثم ينتهي بأقرب الناس إليه فيكونون آخر من يفر منهم وهم الأبناء بعكس الفداء؛ حيث يفتدي بأقرب الناس؛ لأن شدة العذاب دعت للاهتمام بنفسه ونسي أقرب الناس إليه.

[١٥] ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَىٰ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وإبطال لما سبق من الكلام أي: كلا لا قرابة يومئذ تنفع ولا فداء يقبل.

﴿إِنَّمَا لَظَى﴾: اسم دركة من دركات النار، فهي سبع دركات هي الجحيم، جهنم، لظى وسقر والسعير والهاوية والحطمة، واللظى: اللهب الخالص. [١٦] ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾:

﴿نَزَّاعَةً﴾: قلاعة تقلع بشدة.

﴿لِّلشَّوَى﴾: اللام لام الاختصاص، الشَّوَى: هي جلدة الرأس وقيل أيضاً: جلدة أطراف البدن كاليد والرجل. [١٧] ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾:

﴿تَدْعُوا﴾: أي: لظى تنادي: إِلَيَّ إِلَيَّ يَا مَنْ:

﴿أَدْبَرَ﴾: أدبر عن طاعة الله ورسوله أو عن الإيمان أي: أدار ظهره ولم يلتفت أو أعرض.

﴿وَتَوَلَّى﴾: ابتعد عن الحق.

[١٨] ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾:

﴿وَجَمَعَ﴾: المال، جمع المال.

﴿فَأَوْعَى﴾: جعله في أوعية من كثرته أو أودعه في البنوك، ولم يؤدّ زكاته أو ينفقه أو كنزه.

[١٩] ﴿إِنَّا الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾:

﴿إِنَّا الْإِنْسَانَ﴾: إن للتوكيد.

﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾: خُلِقَ لا يعني: أن الله خلقه هلوياً؛ لأن الهلع يحدث بعد الخلق، وبعد أن يبلغ مرحلة البلوغ أو الشباب، فقد قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]؛ أي: الإنسان انتحل هذه الصفة ومارسها فأصبحت صفة مكتسبة راسخة ملتصقة به كأنها خلقت معه،



أو كَأَنَّهُ مَجْبُولٌ عَلَيْهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] وهَلُوعًا: من الهلع، وهَلُوعًا: صفة مشبهة من الفعل؛ هلع: بمعنى شدة الجزع، وعدم الصبر على المصائب الذي فسرتة الآيتان التاليتان: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ ٢٠ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ وناقه هَلُوعًا: سريعة السير.

[٢٠] ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾:

﴿إِذَا﴾: شرطية ظرفية تدل على حتمية الحدوث وكثرته.

﴿مَسَّهُ الشَّرُّ﴾: أصابه الشر مثل المرض أو الفقر أو فقد مال أو ولد أو أهل أو حادثة طارئة، ولو كانت إصابة خفيفة غير شديدة، تراه عديم الصبر كثير الضجر قليل الرضا بما قضى الله، مَسَّهُ: تعني: أقل المس أو اللمس.

[٢١] ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾:

﴿وَإِذَا﴾: شرطية ظرفية تدل على حتمية الحدوث.

﴿مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾: منوعًا: من الفعل الثلاثي منع إذا أصابه الخير كالغنى والعافية والخيرات تراه مبالغاً في الإمساك والبخل والشح لا ينفق مما أتاه الله، ولا يشكر الله على نعمه.

[٢٢] ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، استثناء من الهلع والجزع أو المنع.

﴿الْمُصَلِّينَ﴾: جمع المصلي الذين وصفهم الله سبحانه في الآيات التالية في ثمانين صفات ثابتة دائمة جاء بصيغة الجملة الاسمية، مثل على صلاتهم دائمين حافظين مشفقين، فهؤلاء إيمانهم وصلاتهم من المفروض أن تمنعهم من الهلع أو الجزع أو المنع والبخل والشح.



[٢٣] ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ هُمْ﴾: الذين: اسم موصول يفيد المدح، هم: تفيد التوكيد وتكرار الذين هم في عدة آيات لزيادة التوكيد، وفصل كل صفة عن الأخرى.

﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾: الدوام يعني: الاستمرار بلا انقطاع على المواظبة على صلاتهم خمس مرات باليوم حتى يجيء الأجل، ودائمون على الصلاة في الصحة والمرض والسفر والإقامة، وتقديم الصلاة أولاً والتذكير بها آخراً في الآية (٣٤) للدلالة على فضلها العظيم، وتقديمها على سائر العبادات، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة في حديث أبي هريرة الذي رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

[٢٤] ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: كالسابقة.

﴿فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾: هو الزكاة (نصيب معين معلوم) وكذلك الصدقة، معلوم له ولغيره من كافة المسلمين المؤمنين.

[٢٥] ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾:

﴿لِلسَّائِلِ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، والسائل هو الفقير الذي يسأل الناس الصدقة، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٩) في سورة الذاريات وهي قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾: نجد في هذه الآية (آية الذاريات) لم يذكر كلمة معلوم، وقالوا: إن آية الذاريات جاءت في سياق الصدقات، وآية المعارج (حق معلوم) في سياق الزكاة؛ لأن الزكاة معلومة المقدار.

﴿وَالْمَحْرُومِ﴾: الفقير المتعفف الذي لا يسأل، فيظن أنه غني فيُحرم الصدقة أو العطاء.



[٢٦] ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ﴾:

﴿وَالَّذِينَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٣).

﴿يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ﴾: يؤمنون بالبعث والحساب والجزاء والآخر، ويوم القيامة تصديقاً بالقلب والعمل أي: يستعدون له بالعبادة والطاعة والعمل الصالح.

[٢٧] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ﴾: ارجع إلى الآية (٢٣).

﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾: من لا ابتداء الغاية عذاب ربهم مشفقون: خائفون وحذرون وحريصون، يشعرون أن أعمالهم الصالحة ربما لن تقبل منهم، وما عملوا من الخيرات؛ لأنها لا تليق بحق الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

[٢٨] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا مُنِ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا مُنِ﴾: لأنهم لا يعلمون هل ستقبل أعمالهم الصالحة أم لا، فهم في حالة بين الخوف والرجاء، كقول إبراهيم عليه السلام ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢].

[٢٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٢٣).

﴿لِفُرُوجِهِمْ﴾: اللام لام الاختصاص والفرج: هو سوءة الرجل أو المرأة.

﴿حَافِظُونَ﴾: من الزنى والفواحش وما حرم الله تعالى.

[٣٠] ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.



﴿عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ﴾: لأن الله سبحانه أحل لهم ذلك بعقد الزواج.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: هذا لم يعد موجوداً، فلم يعد هناك إماء، ويعتبر هذا الحكم الآن حكماً معطلاً، وغير مُلغى؛ لأنه لا يستطيع أحد أن يلغي حكم الله تعالى.

[٣١] ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾:

﴿فَمَنْ﴾: الفاء للتوكيد، من شرطية.

﴿ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾: ابتغى: طلب أو التمس وراء ذلك أي: غير ذلك الزواج أو ما ملكت أيماهم أي: علاقة جنسية.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، أولئك: اسم إشارة واللام للبعد تفيد التحقير والذم.

﴿هُمُ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿الْعَادُونَ﴾: المتجاوزون لما شرع الله تعالى سواء ما أحل أو ما حرم، وهو تحذير لمن يحاول أن يتعدى حدود الله تعالى أو يقربها.

[٣٢] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٢٣).

﴿لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾: السلام لام التوكيد والاختصاص، لأماناتهم: من الأمانة ما ائتمنوا عليه من التكاليف الشرعية والأموال والأمانات المودعة عندهم، وعهدهم: العهد يضم العقود والوعود والمعاهدات والميثاق العادي والغليظ، وهو ما يلتزم به الإنسان سواء مع الله تعالى أو إنسان آخر، وسواء كان تكليفاً أو وصية أو أمراً، راعون: من الرعي: وهو الحفظ: أي: حافظون لأماناتهم وموفون لعهودهم لا ينقضونها ولا يغدرون ولا يخونون.



[٣٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَشْهَدَتُهُمْ قَائِمُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٢٣).

﴿يَشْهَدَتُهُمْ قَائِمُونَ﴾: الباء للإلصاق والمداومة، الشَّهادة: اسم جنس، شهادتهم: جمع شهادة والشَّهادة مختلفة الأنواع، قائمون: مؤدون: يؤدون شهاداتهم ولا يكتمونها ولا يغيرونها ويتموا الشَّهادة الله، ولو على أنفسهم، أو الوالدين والأقربين، وإقامة الشهادة جاء بعد قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لَا مَنَنْتَهُمْ وَعَهْدَهُمْ رَاعُونَ﴾ لئذكرنا أن إقامة الشهادة نوع من الأمانة يجب أن يؤديها إذا احتيج لها.

[٣٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ﴾: ارجع إلى الآية (٢٣).

﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: يؤدُّون صلاتهم في أوقاتها محافظين على شروطها وأركانها وسننها ووضوئها لا يشغلهم شاغل، وتكرار ذكر الصَّلاة للدلالة على توكيد أهميتها وفضلها، يحافظون: جاءت بصيغة الجملة الفعلية؛ لأنَّ الصَّلاة تتجدَّد وتتكرَّر.

[٣٥] ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد والمدح، ويشير إلى المصلين الذين اتصفوا بتلك الصِّفات الثمانية.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾: جنات جمع جنة منها جنات الفردوس والنعيم وعدن من التكريم والنعيم بألوان الملاذ والطيبات وما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين، مكرمون تدل على الثبوت، مكرمون دائماً.

[٣٦] ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾:

﴿قَالَ﴾: الفاء استئنافية، ما: استفهام إنكاري.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِكَ﴾: حوالك أو أمامك أو عن يمينك أو شمالك.

﴿مُهْطِعِينَ﴾: جمع مهطع: اسم فاعل من أھطع يھطع فهو مهطع، أي: المسرع في المشي والرافع رأسه. ارجع إلى سورة إبراهيم الآية (٤٣) لمزيد من البيان، وسورة القمر الآية (٨).

[٣٧] ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾:

عن يمينك وعن شمالك عزين: جماعات متفرقة، عزين: جمع عزة أي: في حالة تفرقة أي: جماعة هنا وجماعة هناك عن يمين الرسول ﷺ وعن شماله.

[٣٨] ﴿أَيُّطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةً نَّعِيمٍ﴾:

﴿أَيُّطَعُ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ.

﴿كُلُّ امْرِئٍ﴾: كل واحد من هؤلاء الذين كفروا.

﴿مِّنْهُمْ﴾: خاصة.

﴿أَن يُدْخَلَ جَنَّةً نَّعِيمٍ﴾: حرف مصدري يفيد التعليل، يدخل جنة نعيم.

[٣٩] ﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع لهم بعدم الطمع في الجنة أي: ليس الأمر كما يأملون

أو يتمنون بأن يدخل كل منهم جنة نعيم.

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾: إنا للتعظيم، خلقناهم: من ماء مهين أو من

تراب أو نقطة إذا تُمنى، فهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فكيف يكفرون ويجحدون، ثم يطمعون أن يدخلوا جنة نعيم.





سُورَةُ النُّورِ ٧١

سُورَةُ النُّورِ

فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ ﴿٤١﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ
وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنْ أَجْذَاثِ سُرْعَاكَانَهُمْ إِلَى نَصَبٍ يُوَفُّضُونَ
﴿٤٤﴾ خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهَقُهُمْ ذَلَّةُ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ النُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا
اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ
إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْصِعَهُمْ
فِيءَ إِذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾



سورة المعارج [الآيات ٤٠ - ٤٤]

[٤٠] ﴿فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ﴾:

﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾: ارجع إلى سورة القيامة الآية (١) للبيان، والله غني عن القسم ولا يقسم إلا بشيء عظيم.

﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾: فقد تبين أن الشمس تشرق كل يوم أو تطلع بزاوية تختلف عن زاوية اليوم الآخر، وتبين أن للشمس ملايين المشارق والمغارب ولكل كوكب وقمر مشرق ومغرب، فالله سبحانه يقسم بمشارق ومغارب الشمس، وللشمس مشرق حقيقي أساسي واحد، ولها مغرب أساسي واحد (رب المشرق والمغرب) ولها مشرقان ولها مغربان. ارجع إلى سورة الرحمن آية (١٧) للبيان.

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿لَقَدِرُونَ﴾: اللام للتعظيم، قادرون: على أن نبدل خيراً منهم بأن نهلكهم، ونأتي بخير منهم وما نحن بمسبوقين.

[٤١] ﴿عَلَىٰ أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾:

﴿عَلَىٰ أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ﴾: أي: نخلق خيراً منهم: أي: أمثل وأفضل طاعة وعبادة.

﴿وَمَا نَحْنُ﴾: ما النافية، نحن: للتعظيم.

﴿بِمَسْبُوقِينَ﴾: بعاجزين أو مغلوبين، جمع مسبوق والذي يسبق: يُغلب.



[٤٢] ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾:

﴿فَذَرَهُمْ﴾: أي: دعهم أو اتركهم.

﴿يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: ارجع إلى سورة الزخرف الآية

(٨٣) للبيان.

[٤٣] ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَّاءَ كَانَتْهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: نكرة للتحويل والتعظيم أي: يوم البعث.

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾: الأجداث: جمع جدث، والجدث هو القبر، فالقبر يتحول إلى جدث حين خروج الميت منه، حيث يكون القبر ساكناً هامداً ليس فيه حركة ولا صوت إلى قبر يخرج منه صوت خافت يشبه صوت الحافر أو الخف عندما يسرع الإنسان في السير أو يركض، فيسمى القبر في تلك المرحلة جدث. ﴿سِرَّاءَ﴾: مسرعين إلى إجابة الداع مسرعين إلى أرض المحشر أو موقف الحساب.

﴿كَانَتْهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾: كأنهم إلى نصب: إلى راية أو علم أو صنم منصوب (كوثن يعبدونه) يوفضون: يسرعون ويتسابقون.

[٤٤] ﴿خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾:

الخشوع: يكون في الصوت والبصر وأما الخضوع يكون في الجسم.

﴿خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾: الخشوع: هو الخضوع + الخوف + النظر إلى الأرض، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٧) في سورة القمر، وهي قوله تعالى: ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ﴾: نجد أن خشعاً تفيد المبالغة والتأكيد، وكثرة العدد؛ مبالغة في خشوع



أبصارهم، والخشوع يصيب الأبصار والقلوب والسمع؛ فأية القمر زمنها بعد الخروج من الأحداث، وآية المعارج حالة متأخرة.

﴿نَرَهْفُهُمْ ذَلَّةً﴾: تغشاهم ذلة من الذل وهو الانقياد كرهاً ضد العزة والشعور بالهون والاستخفاف؛ أي: الشعور بأن ليس لهم قيمة، والذل يعني: اللين والانقياد.

ذلك: اسم إشارة والكاف للبعد.

اليوم: يوم البعث.

الذي كانوا يُوعدون: كانوا يوعدون: من الوعد، يوعدون في الدنيا أنه قادم.





سُورَةُ نُوحٍ ٧١

الجزء الثالث والعشرون

فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ ﴿١﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ
وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿٣﴾ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصَبٍ يُوفِضُونَ
﴿٤﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٥﴾

سُورَةُ نُوحٍ
نُوحٍ ٧١
أَنبِيَاءُ ٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا
اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ
إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَاعَهُمْ
فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

سورة نوح [الآيات ١ - ١٠]

ترتيبها في القرآن (٧١) وترتيبها في النزول (٧١). تشمل هذه السورة طرفاً من دعوة نوح لقومه وأساليب دعوته وعدم استجابة قومه له ودعوة نوح على الكافرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا﴾: إنا للتعظيم، أرسلنا: لمعرفة معنى الإرسال والفرق بين البعث والإرسال ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩).

﴿نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾: نوح من سلالة إدريس وإدريس هو أب جد نوح وجاء في صحيح البخاري عن ابن عباس كان بين آدم ونوح ما يقارب عشرة قرون، أي: حوالي (١٠٠٠ سنة).

﴿أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾: أن تفيد التعليل، أنذر: من الإنذار وهو الإعلام المقترن بالتحذير والتخويف.

﴿مِنْ قَبْلِ﴾: من: لا ابتداء الغاية، قبل: بكسر اللام ليس فيها تحديد للزمن أي: لم يحدد متى سيأتيهم العذاب الأليم القادم، ولو قال من قبل: فيها تحديد: فيها تحديد للزمن بعد كذا زمن سيأتيهم سواء كان قصيراً أم طويلاً.

﴿أَنْ﴾: للتعليل.

﴿يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: هو الطوفان في الدنيا أو عذاب الجحيم في الآخرة.



وعذاب الجحيم في الآخرة.

[٢] ﴿قَالَ يَقَوْمُ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾:

﴿يَقَوْمُ﴾: نوح عليه السلام.

﴿يَقَوْمُ﴾: ياء النداء نداء فيه حنان واستعطاف وبرفق ولين؛ ليجلب قلوب قومه إليه حتى يؤمنوا به.

﴿إِنِّي لَكُمْ﴾: إني للتوكيد، لكم خاصة.

﴿نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: نذير (ارجع إلى الآية السابقة نذير من الإنذار) وهو الإعلام مع التحذير والتخويف.

مبين: واضح الإنذار لكل واحد منكم لكل فرد، ومبين إنذار كامل تام من دون ترك أي شيء، ولا يحتاج إلى من يبينه واضح بنفسه، والإنذار هو اعبدوا الله واتقوه وأطيعون.

[٣] ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾:

﴿أَنِ﴾: تعليلية.

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: من العبادة وهي طاعة العابد للمعبود فيما أمر به ونهى عنه والخضوع، ولها منهج وجزاء ولا تكون إلا للخالق وحده. ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣) لمزيد من البيان.

﴿وَاتَّقُوهُ﴾: امثلوا أوامر ربكم وتجنبوا نواهيه، اتقوا غضب الله وسخطه وناره.

﴿وَأَطِيعُوا﴾: أي: أطيعوا الله وأطيعوا رسولكم، ولم يقل: وأطيعوني. الفرق بينهما:

أطيعون: لأن نوح ﷺ يعلم أن من يطيعه هم قلة ولو كانوا كثرة لربما قال:
وأطيعوني.

وأطيعون: ولو بقليل من الطاعة، أما أطيعوني فتعني: الكثير من الطاعة.
[٤] ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ﴾:

من ثمرات عبادة الله وحده وتقواه وطاعتي كرسول لكم:
أولاً: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾: الغفر هو السّتر ومحو الذنب وترك العقاب،
من: للتبعيض، من ذنوبكم: أي: يغفر لكم بعض ذنوبكم ولو قال: يغفر لكم
ذنوبكم لكان يعني كل أو جميع ذنوبكم، ولا تأتي آية ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [١١٤]
عمران: ٣١] إلا في سياق المؤمنين دائماً، ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾: لا تأتي إلا في
سياق غير المؤمنين.

ثانياً: ﴿وَيُخْرِجْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: لا يعجل لكم العذاب في دنياكم حتى
تنقضي آجالكم.

والأجل الأول: هو الموت، وهو الوقت المضروب لانقضاء الشيء وأجل
الإنسان هو الوقت لانقضاء عمره.

﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾: الأجل الثاني: هو أجلهم جميعاً حين
يستأصلهم العذاب أو يحل بهم؛ إن: للتوكيد، أجل الله هو الموت أو البعث أو
العذاب أو الكل.

إذا: ظرف للزمن المستقبل فيه معنى الشرط وتفيد حتمية الحدوث.

﴿جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾: لا النّافية، لا يؤخر.



﴿لَوْ﴾: شرطية جوابها محذوف تقديره: لأمتم.

﴿كُنْتُمْ﴾: في الدنيا.

﴿تَعْلَمُونَ﴾: أن الأجل لا يؤخر.

[٥] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾:

هذه الآيات تبين لنا أساليب دعوة نوح لقومه وعدم استجابتهم لدعوته.
﴿قَالَ رَبِّ﴾: حذف أداة النداء ولم يقل: قال نوح: يا رب لكون نوح يعلم
أن الله قريب منه.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿دَعَوْتُ قَوْمِي﴾: للإيمان بك.

﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾: يعني: في كل الأوقات من غير فتور.

[٦] ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾:

﴿فَلَمْ﴾: الفاء للتوكيد، لم للنفي.

﴿يَزِدْهُمْ دُعَائِي﴾: إلى الإيمان ولم يقل: يزيدهم، حذف الياء في كلمة
(يزدهم) لتناسب قلة عدد الذين استمعوا إليه.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿فِرَارًا﴾: الفرار هو الجري بسرعة والخوف والانكشاف (من دون خفية)

أي: كلما رأوني هربوا مني بعيداً وتعني: تباعدوا عن الإيمان.

[٧] ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا
وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾:

﴿وَإِنِّي﴾: تكرر إني للتوكيد.

﴿كُلَّمَا﴾: مركبة من كل الظرفية، ما المصدرية فهي أداة شرطية تفيد التكرار.

﴿دَعَوْتُهُمْ﴾: إلى الإيمان وعبادة الله وحده (التوحيد).

﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾: السلام لام التعليل، تغفر: تستر وتمحو أو تحط عنهم خطاياهم.

﴿جَعَلُوا أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾: (مجاز مرسل) إطلاق الكل وإرادة الجزء عادة يجعل الإنسان طرف إصبعه أي: إصبع واحدة في أذنه لكي لا يسمع إلى ما يُقال فهم لم يستعملوا طرف إصبع واحدة وإنما أدخلوا أصابعهم العشرة كاملة في آذانهم لثلاث يسمعون ولو كلمة واحدة تتسرب إلى آذانهم.

وهذا دليل على المبالغة في رفضهم للاستماع إليه أو كراهية الاستماع إليه، وهو يدعوهم إلى الإيمان والتوحيد ولم يكتفوا بذلك، بل استغشوا ثيابهم.

﴿وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾: أي: تغطوا بها كراهية النظر إلى من ينصحهم ويعظمهم للإيمان بربهم، ولكي لا يستمعون إليه، ولكي لا يعرفهم ويكون شهاداً عليهم.

﴿وَأَصْرُوا﴾: استمروا على كفرهم وشركهم.

﴿وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾: استكبروا عن الإيمان، استكبروا: الألف والسين والتاء للطلب أي: تكبروا وهم ليس عندهم مؤهلات الكبر، استكباراً: مصدر استكبر للتأكيد. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان.



[٨] ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزمن أي: بعد زمن طويل من دعوتهم بالسر دعوتهم بالجهر.
﴿إِنِّي﴾: للتأكيد.

﴿دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا﴾: أي: مجاهرًا بالدعوة والجهر هو رفع الصوت مع الإعلان جهاراً أي: بأعلى صوتي أو مبالغة في الإظهار أي: دعوتهم بالعلن بعد أن دعوتهم بالسر والخفاء.

[٩] ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للدلالة على البعد والتباين بين صفة الدعوة في السر والعلن.
﴿إِنِّي﴾: لتكرار التوكيد وأنه استعمل أسلوبَي الدعوة الإسرار والإعلان (الجهر) معاً.

﴿لَهُمْ﴾: وتكرار لهم تفيد التوكيد.

﴿وَأَسْرَرْتُ﴾: تفيد التوكيد.

[١٠] ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾:

﴿فَقُلْتُ﴾: الفاء للتوكيد.

قلت: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾: اطلبوا منه المغفرة والاستغفار، من الغفر هو ستر الذنب، وبالتالي محوه وترك العقاب، والاستغفار يعني: التوبة من الكفر والشرك وترك المعاصي وعدم العودة إليها.

﴿إِنَّهُ﴾: للتأكيد، تعود على الله سبحانه في واجب الوجود.

﴿كَانَ غَفَّارًا﴾: كان: تشمل كل الأزمنة وليس الزمن الماضي فقط، بل الحاضر والمستقبل أي: كل زمان، غفاراً: صيغة مبالغة من الغفر أي: كثير الغفران لمن تاب وأقلع عن ذنبه، وتفيد تكرار مغفرته وتجدها، والغفور تعني: داوم مغفرته وكثرتها.

﴿غَفَّارًا﴾: يغفر الذنوب الكبار. ارجع إلى سورة طه آية (٨٢) للمزيد ومعرفة الفرق بين غفور وغفَّار.



سورة النور

سورة النور ٧١

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ
لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ
طَبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾
وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا
سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمُ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ
مَالَهُ وَوْلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا
لَا تَذَرْنَا إِلَٰهَتَكُمْ وَلَا تَذَرْنِ وِدَاوَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾
مِمَّا خَطِئْتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ
دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا
كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي
مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

سورة نوح [الآيات ١١ - ٢٨]

[١١] ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾:

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾: أي: السحاب؛ لأنَّ تعريف السَّماء هي كل ما علاك والسحاب يعلونا والسحاب يشكل السحب الركامية التي تنزل المطر.

﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾: مدراراً صيغة مبالغة وأصلها الدر سيلان اللبن وكثرته، ثم استعير للمطر الغزير المتتابع.

[١٢] ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيْكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾:

﴿وَيُمْدِدْكُمْ﴾: من الإمداد والإمداد في القرآن يأتي في سياق الخير (بالقوة والعون).

أما المد: فيأتي في سياق الشر، كقوله تعالى: ﴿وَيُثَبِّتُكُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

[البقرة: ١٥].

أو كقوله: ﴿وَنُمَدُّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩].

﴿بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيْكُمْ﴾: الباء للإلصاق، وقُدِّم المال على الولد؛ لأنَّ الكل بحاجة إلى المال وليس الكل بحاجة إلى الولد، أو قُدِّم الأكثر على الأقل.

﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص، لكم خاصة.

﴿جَنَّاتٍ﴾: بساتين وحدائق.

﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾: تكرر لكم تفيد التوكيد وفصل كلاً على حدة، الجنات



والأنهار أو كلاهما معاً، ولمعرفة كيف تشكل هذه الأنهار، ارجع إلى سورة إبراهيم آية (٣٢) والرعء آية (٣).

[١٣] ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾:

﴿مَّا لَكُمْ﴾: ما الاستفهامية تفيد الحث وإنكار ما هم عليه من العناد والاستكبار، لكم: اللام لام الاختصاص.

﴿لَا تَرْجُونَ﴾: الرجاء: هو توقع الخير، والأمل، ويقوم على الظن الراجح؛ لا النافية، ترجون: أو لا تبدون لله وقاراً، لا تقدرون الله حق قدره في قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

﴿وَقَارًا﴾: تعظيماً ويوقرونه، يعظمونه.

[١٤] ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾:

﴿وَقَدْ﴾: الواو عاطفة، قد للتحقيق.

﴿خَلَقَكُمْ﴾: من الخلق وهو التقدير والإيجاد.

﴿أَطْوَارًا﴾: أي: مراحل جمع طور: نطفة علقة مضغة جنين وليد وطفل، غلام شاب كهل شيخ.

[١٥] ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتقرير والتعجب.

﴿تَرَوْا﴾: رؤية بصرية عينية ورؤية فكرية، أي: ألم تعلموا.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام والتعظيم.

﴿خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾: أي: ليس معناها طبقات مسطحة، وإنما سبع

كرات متطابقة حول مركز واحد يغلف الخارج منها الداخل سبع كرات متساوية والمسافات بينها متساوية هذه الكرات السبع مركزها الأرض والأرض بدورها تتكون من سبع كرات صغيرة مقارنة بكرات السماء، فالكون يتكون من (١٤) كرة، سبع تمثل السموات السبع وسبع تمثل الأرض، والعلماء لا يعلمون إلا جزءاً ضئيلاً عن السماء الدنيا وعن الأرض.

[١٦] ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾:

﴿وَجَعَلَ﴾: الواو عاطفة، جعل: الجعل يكون بعد الخلق أي: مرحلة بعد مرحلة الخلق.

﴿الْقَمَرَ فِيهِ نُورًا﴾: القمر كما نعلم من الأبحاث العلمية، نوره هو ناتج من انعكاس نور الشمس عليه، فهو بحد ذاته كتلة غير مشتعلة كما هو الحال في الشمس فأشعة الشمس التي تسقط على القمر تنعكس عنه فيظهر لنا كأنه مضيء وله نور. ارجع إلى سورة يونس آية (٥) لمزيد من البيان.

﴿فِيهِ﴾: في السموات السبع.

﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾: ضياء أو سراجاً أي: هي جسم مشتعل بحد ذاته يرسل الضوء والحرارة، بينما القمر كوكب بارد يستمد حرارته من الشمس وتبلغ حرارة سطح الشمس (٦٠٠٠ درجة مئوية) بينما مركز الشمس حرارته تبلغ حوالي (٢٠ مليون درجة مئوية).

واللهب المرتفع من الشمس قد يصل إلى نصف مليون كيلومتر، ولا يصل إلى الأرض إلا أقل من جزء من مليون من حرارة الشمس وشمسنا واحدة من بلايين الشُّموس التي خلقها الله سبحانه، فكل نجم هو كالشمس جسم مشتعل بحد ذاته. ارجع إلى سورة يونس آية (٥) لمزيد من البيان.



[١٧] ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾:

﴿وَاللَّهُ﴾: تقديم الفاعل على الفعل يفيد التعظيم والاهتمام.

﴿أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾: قد يعني ذلك مبدأ الخلق حيث خلق آدم من تراب (من الأرض) والناس من ذرية آدم.

﴿أَنْبَتَكُمْ﴾: أنشأكم وفيه معنى التطور والنمو، فالله سبحانه يغذيكم من حبوب الأرض وثمارها وخيراتها، وكذلك ما تأكلون من اللحوم والألبان من الأنعام كلها تستمد غذائها من النبات الذي يستمد غذاءه من تربة الأرض عن طريق جذوره وساقه، فيمتص عناصر الأرض فيخرج منها الخضار والثمار، فهي عملية إنبات من تراب الأرض، ثم في النهاية عودة إلى التراب سواء كان إنساناً أو حيواناً أو نباتاً. وفعل أنبت مصدره إنبات بينما فعل نبت مصدره نبات.

﴿أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾: للتوكيد، بالتدرج في النمو طفل ولد غلام شاب كهل.

[١٨] ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾: بعد الموت إلى القبور والتحول إلى التراب والعظام والرفات، فيها تعني: الأرض الحالية.

﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾: ويخرجكم يوم البعث (بالنشور) من القبور (الأجداث).

ويخرجكم منها بالنشور، يخرجكم من الأرض الجديدة كما قال تعالى في سورة إبراهيم آية (٤٨): ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾؛ يخرجكم

منها دفعة واحدة بعد النفخ في الصور، كما قال تعالى: ﴿فِيهَا نَحْيُونَ وَفِيهَا نَمُوتُونَ وَمِنْهَا نُخْرِجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥].

﴿إِخْرَاجًا﴾: مصدر للتأكيد. ارجع إلى سورة الروم آية (١٩) للبيان.

[١٩] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾:

﴿وَاللَّهُ﴾: تقديم الفاعل على الفعل للتعظيم والاحترام.

﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾: اللام لام الاختصاص، لكم خاصة.

﴿بِسَاطًا﴾: كالفراش المبسوط للاستقرار عليها وبسطها: ومدّها وثبتها بالرواسي لتستقروا عليها رغم حركتها ودورانها السريع يقارب (٣٠ كيلومتراً/ بالثانية) وفي آية (٥٣) من سورة طه ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ أي: كمهد الطفل المريح اللين ذي الحرارة المعتدلة.

[٢٠] ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾:

﴿لِتَسْلُكُوا﴾: اللام لام التعليل، لتسلكوا: من سلك أي: أدخل وسلك الطريق أي: سار فيه وذهب فيه، السّلك: الذهاب والسير فيها أي: لتسيروا وتمشوا فيها أي: على طرقها السهلة الواسعة وتسافروا بين مدنها وقراها.

﴿سُبُلًا﴾: طرق واسعة ممهدة. سبلاً: جمع سبيل؛ أي: طريق.

﴿فِجَاجًا﴾: الفجج هو الطريق في الجبل أو بين جبلين، وقدّم سبلاً على (فججاً) في هذه الآية، بينما في سورة الأنبياء قدّم فججاً على (سبلاً) ارجع إلى سورة الأنبياء آية (٣١) للمقارنة والبيان.



[٢١] ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾:

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾: أي: إن قومه عصوه، ولم يقل: وقال نوح بالواو؛ لأن قال تعني: كلام مستأنف جديد.

﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾: من ابتدائية بمعنى الذي، لم للنفي.

﴿يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا﴾: إلا: أداة حصر، خساراً: في الدنيا والآخرة أي: ضللاً وخسراناً، أي: قومه عصوه واتبعوا أصحاب الأموال والأولاد المكذبين بآيات الله أولي النعمة (المال والبنين) أي: الجاحدين بآيات الله تعالى.

[٢٢] ﴿وَمَكْرُؤٌ كُبَرًا﴾:

﴿وَمَكْرُؤٌ﴾: أي: قوم نوح.

﴿مَكْرًا﴾: المكر هو التدبير الخفي لإلحاق الضرر بالغير، ولا يعلم ذلك الممكور به؛ فهم قد مكروا بنوح، وسخروا منه، وسعوا في الأرض فساداً بالشرك والتكذيب.

﴿كُبَرًا﴾: صيغة مبالغة من الفعل الثلاثي كبر، فهناك كبير وأكبر وكبار والكبار: أكبر من الكبير.

كباراً: على وزن فعّال أي: مكروا مكرأ ليس هناك أكبر منه، وهو قتل نوح ﷺ وأتباعه ونشر الفساد في الأرض.

[٢٣] ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: أي: المملأ الذين كفروا من قومه قالوا للاتباع أو لقومهم.

﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾: لا الناهية، لا تدعن أو تتركن عبادة آلهتكم وأصنامكم من أجل نوح والنون في تذرن للتوكيد.

﴿وَلَا تَذَرُنَّ﴾: تكرر لا تذرُن: تفيد التوكيد وعدم ترك عبادة الآلهة أو هؤلاء

الأصنام.

﴿وَدَّأْ وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾: هذه الأسماء هي أسماء رجال

صالحين من قوم نوح، كما روى البخاري عن ابن عباس، ولما هلكوا اتخذوا لهم أصناماً بعد موتهم فعبدوها، رغم تحذير نوح لهم، كانت هذه أعظم أصنام قوم نوح، ثم انتقلت هذه الأصنام إلى العرب، فكان لقبيلة كلب الصنم ودُّ بدومة الجندل، وأما الصنم سواع فكان لقبيلة هذيل.

وأما يغوث فكان لغطفان عند سبأ.

ويعوق لهمدان.

ونسر: لحمير، لآل ذي القلاع.

وقيل: كان الصنم ودُّ على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر، وقوله: لا تذرُن آلهتكم تشمل كل الآلهة، ثم جاء بعدها وأكد على خمسة من هذه الآلهة، ففيه عطف الخاص على العام للاهتمام والتوكيد.

[٢٤] ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾:

هذا تنمة لقول نوح: رب إنهم عصوني.

﴿وَقَدْ﴾: الواو عاطفة، قد للتحقيق والتوكيد.

﴿أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾: تعود على قادة ورؤساء الكفر من قوم نوح أضلوا بأقوالهم

وأفعالهم بالأصنام كثيراً من الناس وصدوهم عن أتباع نوح ﷺ.



﴿وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾: دعا نوح على الظالمين من قومه بعد أن أوحى إليه ربه: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦].

﴿وَلَا﴾: الواو عاطفة، لا: الناهية.

﴿نَزِدُ الظَّالِمِينَ﴾: المشركين الكافرين.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿ضَلَالًا﴾: بُعداً عن طريق الهدى والحق أو خسراناً، وتناسب ما سبقها من القول وقد أضلوا.

[٢٥] ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾:

﴿مِمَّا﴾: أصلها من الابتدائية أو تعليلية أو سببية، ما: تفيد التوكيد.

﴿خَطِيئَتُهُمْ﴾: أي: بسبب خطيئاتهم في العقيدة وخطيئاتهم جمع قلة تعني: الكبائر كبائر الذنوب، ومنها الشرك بالله بينما خطاياهم تعني: الذنوب الصغيرة والكبيرة.

﴿أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾: أغرقوا بالطوفان.

﴿فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾: الفاء للترتيب والتعقيب بعد غرقهم أدخلوا ناراً نار البرزخ، ثم نار جهنم.

﴿فَلَمْ﴾: الفاء للتوكيد.

﴿يَجِدُوا لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: من غير الله تعالى.

﴿أَنْصَارًا﴾: جمع نصير، أعوان يشفعون لهم أو يدفعون عنهم العذاب.

[٢٦] ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾:

دعا نوح بهذا الدعاء بعد أن أوحى إليه ربه: ﴿أَنْتَهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦].

﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ﴾: لا النّاهية لا تترك على وجه الأرض.

﴿مِنْ﴾: استغراقية تشمل كل كافر.

﴿الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾: أي: لا تبق من الكافرين على وجه الأرض حياً يسكن الديار، أو يمشي في الأرض، دياراً: مشتقة من الدّار أي: نازل داراً أو مشتقة من الدوران هو التحرك أي: يمشي.

[٢٧] ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾:

هذا تعليل أو تفسير لدعائه وطلبه من الله تعالى أن يهلك الكافرين.

﴿إِنَّكَ إِنْ﴾: تعليلية وتفيد الاستقبال.

﴿تَذَرَهُمْ﴾: تبقيهم أحياء ولا تهلكم بعذاب.

﴿يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾: يزيدوا عبادك ضلالاً وحيرة وبعداً عن طريق الحق والصواب والهدى.

﴿وَلَا﴾: الواو عاطفة، لا: النافية.

﴿يَلِدُوا إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿فَاجِرًا﴾: اسم فاعل من الثلاثي فجر، والفجور: يعني: التماذي في المعاصي والفواحش والفسوق، وقيل: هو فساد القول والفعل والكفر هو فساد العقيدة أي: الاعتقاد أو الفساد والميل عن الحق إلى الباطل.



﴿كَفَّارًا﴾: صيغة مبالغة أي: كثير الكفر، وتفيد التكرار، والتجدد، والاستمرار على الكفر، وبارع في ممارسة الكفر ومدمن عليه، وكفاراً تضم كل الكافرين . ارجع إلى سورة الممتحنة آية (١٠) للبيان.

السؤال هنا: كيف علم نوح أنهم لن يلدوا إلا فاجراً كفاراً، الجواب: لأن الله سبحانه أخبره أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن وأنهم لن يلدوا إلا فاجراً كفاراً.

[٢٨] ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا يُزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَارًا﴾:

هذه دعوة نوح الثانية والأولى كانت رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً أو هي تنمة دعاء نوح الذي دعا فيه رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً، ثم قال: رب اغفر لي ولوالدي.

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾: الغفر هو السّتر أي: استر ذنوبي وسيئاتي وامحوها ولا تعاقبني عليها؛ أي: بدأ بنفسه.

﴿وَلِوَالِدَيَّ﴾: قيل: كانا مؤمنين بدأ بنفسه، ثم بالدعاء لوالديه، ثم لولده وعائلته، ثم استغفر لوالديه.

﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾: أي: داره أي: ولده وعائلته. وقيل: بيتي: مسجدي، ثم استغفر لمن دخل بيته مؤمناً؛ أي: من أسلم أو آمن من أهل بيته؛ لأن امرأته لم تكن مؤمنة.

ولا تعني كل من دخله من البشر؛ لأنه قال بعد ذلك وللمؤمنين والمؤمنات أي: لكل مؤمن ومؤمنة.

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: والمؤمنين تضم الذكور والإناث كلا الجنسين،

ثم عاد وذكر المؤمنات أي: عطف الخاص على العام للاهتمام والتوكيد، فهو بدأ بالاستغفار من الأقرب إلى الأبعد.

﴿وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾: الواو عاطفة، لا الناهية.

﴿نَزِدُ الظَّالِمِينَ﴾: المشركون.

﴿إِلَّا تَبَارًا﴾: إلا أداة حصر، تباراً: هلاكاً من تَبَرَه إذا أهلكه فاستجاب له ربه فأهلكهم بالطوفان فلم يبق من الكافرين أحداً؛ تباراً: تناسب مع سبقها من القول وهو: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [الآية: ٢٦].





سورة الجن ٧٢

الجزء الثاني

سورة الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوْحِي إِلَى أَنَّهُ أُسْمِعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا
عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ رَبَّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾
وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ
يَقُولُ سَفِينَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ تَقُولَ الْإِنسُ
وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالِ
مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ
اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن
يَسْمِعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ
بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ
وَمِنَادُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقَ قَدَدَا ﴿١١﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَعْجِزَ
اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَا لَّمَّا سَمِعْنَا الْهَدْيَ
ءَامَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

٥٧٢

الجزء
٥٨



سورة الجن [الآيات ١ - ١٣]

ترتيبها في القرآن (٧٢)، وترتيبها في النزول (٤٠).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: يا رسول الله ﷺ للذين آمنوا معك أنه أوحى إلي: الوحي لغة: الإعلام بالخفاء، ولمعرفة معنى الوحي ارجع إلى سورة النساء آية (١٦٣).

﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾: أي: أخبرت عن طريق جبريل أن نفراً من الجن ذكور ما بين (٧-٩) كانوا يستمعون إلى تلاوتي للقرآن. وقيل: كان ذلك في صلاة الفجر في بطن نخلة بعد رجوعه من الطائف وقيل: في طريقه إلى سوق عكاظ، والقول: (استمع نفر من الجن) مقارنة بالقول: (استمع إلي)، أو (يستمع إليك): هو أن السياق في القرآن، وليس في رسول الله ﷺ.

﴿فَقَالُوا﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب. قال بعضهم لبعض، أو قالوا ذلك إلى قومهم من الجن بعد رجوعهم إليهم.

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾: قرأنا عجباً: عجباً مصدر يفيد المبالغة في العجب أكثر من عجيب لآياته ولبلاغته وحكمته. ارجع إلى سورة ق الآية (٢) لمقارنة عجيب عجاب وعجباً.



[٢] ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾:

﴿يَهْدِي﴾: أي: القرآن إلى الرُّشد بضم الرّاء: أي: الصّلاح والاستقامة في أمور الدنيا والدّين والصّواب والتّوحيد والإيمان الصّحيح والرُّشد يقابله الغي. ارجع إلى سورة النساء آية (٦) لمقارنة الرُّشد مع الرُّشد.

﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾: الفاء للتّعقيب والمباشرة، آمنا به: صدقنا به مجرد استماعنا له.

﴿وَلَنْ﴾: لنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾: الباء للإلصاق، برّبنا أحدًا: من الشّركاء أو الأصنام أو البشر.

[٣] ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾:

﴿وَأَنَّهُ﴾: الواو عاطفة، أنه للتوكيد.

﴿جَدُّ﴾: الجدُّ: العظمة.

﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾: تعالت عظمته خالقنا عن أن يتخذ صاحبة ولا ولدًا.

﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾: ما النّافية، اتخذ: صير أو جعل له صاحبة،

الصاحبة: الزّوجة المصاحبة لزوجها حتى يكون لها ولد كقوله تعالى: ﴿أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ [الأنعام: ١٠١].

وتكرار لا النّافية تفيد التّوكيد توكيد النّفي نفي كلّ على حدّة، نفي الصّاحبة

ونفي الولد ونفي كليهما معاً، وقَدَّم الصَّاحِبَةُ على الولد؛ لأنَّ الولد يأتي من الصَّاحِبَةِ فالصَّاحِبَةُ هي الأصل.

ما اتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يقل: لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ما اتخذ هذه الصَّيْغَةُ تستعمل في الغالب، أو الأصل للرد على قول أو سؤال، أما صيغة لم يتخذ صاحبة ولا ولداً فهذه الصَّيْغَةُ تستعمل في سياق الأخبار أو التعليل، وليس رداً على قول أو سؤال.

[٤] ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾:

﴿وَأَنَّهُ﴾: الواو عاطفة، أنه: للتوكيد.

﴿كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾: أي: إبليس، السففيه: هو الجاهل، والسفه: الخفة في العقل والسفه نقيض الحكمة؛ أي: غير الحكيم.

﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾: الشَّطَطُ: الجور والكذب من شط يشط: أي: بُعد عن الحق والصواب، أي: كأن يقول على الله سبحانه قولاً بعيداً عن الحق والصواب، وشط عليه في الحكم؛ أي: جار وتجاوز الحد.

[٥] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾:

﴿وَأَنَّا﴾: الضمير يعود على نفر من الجن.

﴿ظَنَنَّا﴾: من الظن الاحتمال الراجح وهو رجحان كفة الإثبات على كفة النفي، والظن ضرب من الاعتقاد أو الحساب أي: حسبنا.

﴿أَن﴾: للتوكيد.



﴿لَنْ﴾: لنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿نَقُولُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: بنسبة الزوجة والولد إليه سبحانه وتعالى أو الشريك والند والمثيل وقدم الإنس على الجن؛ لأن الإنس أبعد عن الكذب على الله من الجن، والأنس أقرب إلى الرشد فقدم الأفضل.

كذباً: جاء بصيغة النكرة ليشمل كل أنواع الكذب المطلق، أو غير المحدد أي: لم يخطر على بالنا أن أحداً يجترئ على الله أي نوع من الكذب؛ أي: سمعنا هذا القرآن فعلمنا بطلان ما كنا نظنه من اتخاذ الصاحبة والولد.

[٦] ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾:

﴿وَأَنَّهُ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾: أي: رجال من الإنس يعوذون: يلجؤون ويطلبون الحماية والعون والشفاء وغيرها برجال من الجن يلجؤون إليهم مما يحاذرونه ويظنون أن الجن يستطيعون أن يقدموا لهم العون أو الحماية أو الشفاء، وقيل: يعوذون: أعاذ مما يخاف، ولاذ فيما يؤمل.

﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾: الرهق قيل: الضلال وارتكاب المحرمات، وأصل الرهق: غشيان المحذور، وقيل: التعب والدعر والخوف وزادهم رهقاً أن كلاهما الجن والإنس ازدادوا رهقاً من وراء هذا اللجوء، وطلب العون، ولا تعني الإنس وحدهم.

فلما جاء الإسلام منع ذلك وأمرهم بالاستعاذة بالله وحده، وذم المستعيزين بغير الله تعالى، وبين أن الاستعاذة بغير الله نوع من الشرك.

﴿يُعْذِرُونَ﴾: جاءت بصيغة المضارع لتدل على حكاية الحال والتجدد والاستمرار؛ مما يدل أن هذه الاستعاذة لا زالت قائمة.

[٧] ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾:

﴿وَأَنَّهُمْ﴾: أن للتوكيد وأنهم قد تعود على الجن أو تعود على كفار مكة أو كلاهما؛ أي: الجن ظنوا؛ الظن: هو الاحتمال الراجح، كما ظننتم يا كفار مكة أو بالعكس أنه لا بعث ولا جزاء بعد الموت أو لن يبعث الله تعالى رسولاً مثل محمد ﷺ ينذر الناس من عذاب الله ويدعوا إلى التوحيد.

﴿أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾: أن: للتوكيد، لن: لنفي المستقبل القريب والبعيد، يبعث الله أحداً: بعد الموت للحساب والجزاء أو لن يبعث الله سبحانه رسولاً فأخطؤوا كما أخطأتم أو قد تشمل كلا المعنيين.

[٨] ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مِلْئًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا﴾:

﴿وَأَنَّا﴾: تعود على الجن.

﴿لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾: لمسنا: لمس فعل ثلاثي معناها طلب والتمس معناها وكرّر في الطلب أي: فيه مزيد من الطلب والجهد مثل جهد واجتهد، لمسنا السماء: طلبنا الخبر أو قصدنا كالعادة بلوغ السماء الدنيا والاستماع إلى الملائكة لمعرفة خبر السماء أي: بعض ما تقوله الملائكة.

فقد كان الجن يسترقون السمع من الملائكة الأعلى (الملائكة) لكي يخبروا بها الكهان وأولياءهم إضلالاً للناس.



﴿فَوَجَدْنَهَا﴾: الفاء للمبادرة والتعقيب وجدناها: ملئت حرصاً شديداً وشهياً.

﴿حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾: جمع حارس: وهم من الملائكة الأقوياء، وشهباً: جمع شهاب والشهاب: نار محرقة تمتد من النجم المشتعل نحو من أراد أن يسترق السمع من الشياطين، وليس كما كان يظن الناس أن النجم نفسه ينقض خلف الشيطان.

[٩] ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْمِعْ أَلاَّنْ يَحْدِلْهُ شِهَابًا بَارِصًا﴾:

﴿وَأَنَّا﴾: مرادة الجن (من الشياطين).

﴿كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ﴾: أي: أنا كنا نقعد في أماكن أو مواضع في السماء معينة لاستراق السمع سماع ما تقوله الملائكة من أخبار تخص أهل الأرض.

﴿فَمَن﴾: الفاء للتوكيد، من شرطية.

﴿يَسْمِعْ أَلاَّنْ﴾: بعد بعثة محمد ﷺ.

﴿يَحْدِلْهُ شِهَابًا بَارِصًا﴾: الشهاب: نار محرقة تمتد من النجم (جزء منفصل من النجم قوي ثاقب) أو نافذ، رصداً: مهياً ومعد لينقض على كل من يسترق السمع ليحرقه.

اختلف العلماء: هل انقطع استراق السمع بعد بعثة رسول الله ﷺ إلى الأبد، أم كان أمراً مؤقتاً؟ منهم من قال: إنهم انقطعوا في زمن بعثته ﷺ أي: زمن

نزول القرآن حتى لا يلتبس الوحي بقول الكهان، ومنهم من قال: لا يزال قائماً، والله أعلم.

[١٠] ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرَأُرِيدُ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾:

﴿وَأَنَا﴾: تعود على الجن.

﴿لَا نَدْرِي﴾: لا النافية، ندري من الدراية: وهي أخص من العلم والدراية تكون بعد الجهل بالشيء وبمنزلة الأخبار. أي: لا نعلم.

﴿أَشْرَأُرِيدُ﴾: مبني للمجهول؛ لأنه لا يجوز إسناد أي شر أو عيب إلى الله تعالى سبحانه من باب التأدب مع الله تعالى، ولأن ما يصيب أهل الأرض من شر هو بما كسبت أيديهم ويعفر عن كثير.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾: خيراً أو صلاحاً. رَشَدًا من الرشد: بفتح الراء أي: الهداية اتباع الحق والصراط المستقيم (الدين).

[١١] ﴿وَأَنَا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَادُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَائِفًا قَدَدًا﴾:

﴿وَأَنَا﴾: تعود على الجن.

﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: المؤمنون المقيمون على الإيمان والطاعة، والتوحيد.

﴿مِنَّا﴾: تكرار منا يفيد التوكيد وفصل كلاً من الطرفين عن الآخر أو كلاهما

معاً.

﴿دُونَ ذَلِكَ﴾: الأقل في الصلاح والإيمان والطاعة.



﴿كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا﴾: طرائق: مذاهب، قددًا: جمع قدة وقد: أي: قطع أي: كنا مذاهب متعددة مختلفة متفرقة في الاعتقاد غير ملتقية؛ أي: تفرقوا أو اختلفوا وكانوا شيعاً.

[١٢] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾:

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾: أي: أيقنا الآن بعد أن رأينا السماء ملئت حرساً شديداً وشهباً. ﴿أَن﴾: للتوكيد.

﴿لَّن﴾: للنفي، المستقبل القريب والبعيد.

﴿نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾: إن أراد بنا الله ضرراً أو عذاباً فلن نستطيع النجاة. ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُ﴾: التكرار يفيد توكيد النفي.

﴿هَرَبًا﴾: من الهروب وهو الجري بسرعة مع الخوف ومحاولة التخفي والتستر، والفرار لا يكون بالتخفي والتستر، وإنما يكون بالانكشاف.

[١٣] ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ ؕ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ۖ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ وَلَا رَهَقًا﴾:

﴿وَأَنَّا﴾: تعود على النفر من الجن.

﴿لَمَّا﴾: ظرفية زمانية بمعنى حين.

﴿سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾: أي: القرآن أو آيات القرآن تتلى من رسول الله ﷺ.

﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾: به تعود على القرآن أي: صدقنا به، أو تعود على ربنا أو تعود

على محمد ﷺ أو الكل.



﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ﴾: الفاء للتوكيد، من شرطية. بربه: إيمان عقيدة أنه هو الإله الحق الذي يستحق العبادة والتوحيد.

﴿فَلَا﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، لا النافية.

﴿يَخَافُ بَخْسًا﴾: من البخس: نقص الشيء على سبيل الظلم أي: لا يخاف نقصاناً من حسناته ولو حسنة أي: يعطيه حقه كاملاً يوم القيامة.

﴿وَلَا رَهَقًا﴾: تكرار (لا) يفيد توكيد النفي وفصل كلاً على حدة أو كلاهما معاً.

رهقاً: القهر والظلم أي: لا يخاف نقصاً من ثوابه وحقه، ولا يخاف الظلم والقهر ولا يخاف كلاهما، أو رهقاً يعني: أن نظلمه ونضيف إلى سيئاته ولو سيئة أو نعاقبه على شيء لم يعمله في الدنيا.



سورة النازعات

سورة النازعات ٧٢

وَأَنَا مِمَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ
تَحَرَّوْا رَشْدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾
وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِنَفْتِنَهُمْ
فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ
الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوْا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ
بِهِ ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي
لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا
مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتٍ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ
مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا
يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ
يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا
رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

سورة الجن [الآيات ١٤ - ٢٨]

[١٤] ﴿وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾:

﴿وَأَنَا﴾: الواو عاطفة، أن للتوكيد.

﴿وَمِنَّا﴾: من الجن.

﴿الْمُسْلِمُونَ﴾: جمع مسلم، والإسلام هو العدل أي: القسط (بكسر القاف) أي: العادلون والموحدون المخلصون.

﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾: بفتح القاف جمع قاسط أي: جائر وظالم والقسط هو الجور والظلم أي: الجائرون عن طريق الإسلام طريق الحق إلى طريق الشرك والكفر وأقسط تعني: أزال أو رفع القسط أي: الجور والظلم.

﴿فَمَنْ﴾: الفاء للتوكيد، من شرطية.

﴿أَسْلَمَ﴾: أقام العدل أو حكم بالعدل، وأقامه أو أسلم لربه ووحده وأخلصه له.

﴿فَأُولَئِكَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، أولئك اسم إشارة واللام للبعد وتفيد المدح.

﴿تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾: أصابوا الرشد أو بحثوا عن الرشد أو التمسوه حتى وقفوا



عليه والرَّشْد الصَّواب والحق والصَّلاح. ارجع إلى الآية (١٠) للبيان، وسورة النساء آية (٦) لمزيد من البيان، والفرق بين الرُّشد والرَّشد.

[١٥] ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: الواو عاطفة، أما: حرف شرط وتفصيل.

﴿الْقَاسِطُونَ﴾: الجائرون الذين حادوا عن طريق الحق والصَّواب، وساروا في طريق الضلال والظلم والكفر، أو الجائرون والظالمون.

﴿فَكَانُوا﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط.

﴿لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾: اللام لام الاختصاص، كانوا وقوداً لجهنم. ارجع إلى سورة الزمر آية (٣٢) لبيان معنى جهنم.

وفي هذه الآية تحذير لكل ظالم جائر، ولم يذكر في هذه الآية ما مصير المسلمين الذين تحرَّوا رشداً أي: أخفى الجزاء ربما لأنَّ سياق الآيات في العذاب، أو لأنَّ الجزاء والثواب مفهوم وهو الجنة.

[١٦] ﴿وَالْوِاسِقُونَ أَعْلَى الطَّرِيقَةِ لَا سَقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾:

القائل مجهول، وإنما المهم المقولة وهي:

﴿وَالْوِاسِقُونَ﴾: الواو استئنافية، أصلها وأن: المخففة تفيد التوكيد، لو شرطية.

ولم يقل: ولو أنَّهم استقاموا: لكانت تعني هم فقط ولا تشمل غيرهم من الذين يسقون ماء غدقاً.

﴿أَسَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾: تعني: الثبات والصبر الاستمرار على الإسلام أي:

الإيمان والتوحيد وطاعة الله ورسله، الطريقة: طريق الإسلام واستقاموا تشمل
الإنس والجن.

﴿لَأَسْقِيَنَّهُمْ﴾: اللام لام التوكيد والتعليل.

﴿مَاءً عَذَقًا﴾: ماء كثيراً، غزيراً من غدقت العين كثر ماؤها ماءً عذباً مباركاً.

كقوله تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقوله: ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦].

[١٧] ﴿لَنُفْنِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَدًا﴾:

﴿لَنُفْنِنَهُمْ فِيهِ﴾: اللام لام التعليل، نفتنهم فيه: في الماء الغدق أي: نوسع

لهم في الخيرات لنفتنهم فيه؛ أي: نختبرهم فيه فننظر أيشكرون أم يكفرون.

﴿وَمَنْ﴾: الواو استئنافية، من شرطية.

﴿يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾: عن عبادة ربه أو القرآن أو الإيمان.

﴿يَسْلُكْهُ﴾: يُدخله، من سلك: دخل، وسلك فيها معنى الدخول بسهولة

الدخول بحد ذاته فيه معنى المشقة والصعوبة.

﴿عَذَاباً صَعَدًا﴾: عذاباً شاقاً صعباً، مشتق من الصعود الذي يؤدي بعد فترة

إلى التعب وعدم القدرة على الحركة وضيق النفس، وقيل: يطلب منه أو يكلفه

بصعود جبل في جهنم كلما انتهى من صعوده هوى به إلى القاع، ثم يطلب منه

الصعود مرة أخرى، وهكذا بلا انقطاع.



[١٨] ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾:

﴿وَأَنَّ﴾: الواو عاطفة أن للتوكيد.

﴿الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾: اللام لام الاختصاص والملكية؛ المساجد: بكسر الجيم؛ أي: المساجد بيوت الله التي نصلي فيها والمساجد: قد تعني البقاع كلها، كما روى البخاري ومسلم عن جابر عن رسول الله ﷺ قال: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً».

والمساجد: بفتح الجيم تعني: الأعضاء السبعة التي نسجد عليها: الجبهة والأنف واليدان والركبتان وأصابع القدمين.

﴿فَلَا﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدر، لا الناهية.

فإذا دخلتم بيوت الله ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾: أي: فلا تشركوا به شيئاً ولا تعبدوا إلا إياه فيها فلا تذهبوا إلى قبور الأولياء أو غيرها وتقرّبوا إليهم، وإذا كان المعنى الأعضاء التي نسجد عليها، فذلك يعني: لا تسجدوا بهذه الأعضاء السبعة إلا الله وحده، وإذا كان المعنى: الأرض مسجداً أي: لا تسجدوا عليها إلا لخالقها: ولم يقل: فلا تدعوا فيها لو قال ذلك، لكان يعني لا تدعوا فيها إلا الله، وفي غيرها يمكن لكم أن تدعوا معه، وهذا لا يصح؛ لأن عدم الشرك به والإخلاص له يكون في المساجد، وفي غيرها من الأماكن.

[١٩] ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾:

﴿وَأَنَّهُ﴾: الواو عاطفة، أنه للتوكيد.

﴿لَمَّا﴾: ظرفية بمعنى حين ومتضمن معنى الشرط.

﴿قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾: أي: محمّد ﷺ يُصلي له ويعبده قام بين يدي الله يصلي إليه ويدعوه في بطن النخلة، واختار عبد الله بدلاً من رسول الله ﷺ أو نبي الله؛ لأنّ الجن حديثو عهد بالإسلام وعبد الله أفضل الألقاب؛ لأنّه يحمل شرف العبودية والطاعة لله، ويحمل معنى التواضع والتذلل والإخلاص لله وحده.

﴿كَادُوا﴾: من أفعال المقاربة (وهي كاد أي: أوشك، قرب) تدل على أنّ الفعل المذكور كاد يحدث أو يقع.

﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾: لبداً بكسر اللام جمع لبدة: اللبدة: هو الشعر الذي فوق رقبة الأسد المتلبد بفضه فوق بعض أي: المتراص من كثرتّه، وشبهت جماعة الجن أو قريش التي ازدحمت على رسول الله ﷺ بالشعر المتلبد من شدة الازدحام حرصاً على سماع القرآن الكريم.

[٢٠] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾:

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله ﷺ.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿أَدْعُوا رَبِّي﴾: أي: أعبد الله وحده مخلصاً له الدين.

﴿وَلَا﴾: الواو عاطفة، لا: النافية.

﴿أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾: مهما كان من ولد أو صاحبة أو طاغوت أو رسول أو

ملائكته، وقدم (به) على (أحدًا): للحصر والتوكيد.



[٢١] ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿لَا أَمْلِكُ لَكُمْ﴾: لكفار قريش لا أملك لكم، لا: النافية، لا أملك القدرة ولا الملكية على النفع أو الضرر.

﴿ضَرًّا﴾: بفتح الضاد مقابل النفع وتعني: الضلال، وأما الضر بضم الضاد فتعني المرض والسوء.

﴿وَلَا رَشَدًا﴾: تكرار لا تفيد النفي، وفصل كلاً على حدة أي: لا الضر ولا الرشد ولا كلاهما، رشداً: هداية، وقيل: الرشد: الصواب والإيمان والهدى ويقابل النفي. ارجع إلى الآية (١٠) وقدم الضر على الرشد؛ لأن سياق الآيات في العذاب.

[٢٢] ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾:

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله ﷺ.

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿لَنْ﴾: للنفي المستقبل القريب أو البعيد.

﴿لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾: أي: إن أرادني الله بضر أو عذاب فلن يدفع عني أو يحميني من عذاب الله من أحد من خلقه، من: استغراقية تستغرق كل أحد.

﴿وَلَنْ﴾: تكرار لن تفيد توكيد النفي نفي المستقبل القريب أو البعيد.



﴿أَجِدْ مِنْ دُونِهِ﴾: من غير الله.

﴿مُلْتَحِداً﴾: أي: المكان أو الملجأ الذي أميل إليه أو أركن إليه لكي يحميني من الله سبحانه، ملتحداً من الالتحاد بمعنى الميل، وألحد مال، فالإنسان حين يجد نفسه أمام عذاب أو شر قادم يحاول أن يلجأ أو يستجير بأحد كي يحميه أو يدافع عنه أو يجد مكاناً يلجأ إليه، والحقيقة أنه لا يجد أحداً يلجأ إليه ليحميه ولا ملجأً يلجأ إليه إلا الله وحده.

[٢٣] ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾:

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً﴾: إلا أداة استثناء، إما من الضر والرشد، أو من (لن) يجبرني من الله أحداً).

أي: قل: لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً إلا البلاغ أو لا أملك لكم نفعاً ولا ضرراً إلا تبليغكم رسالات ربكم وما أمرني به أو نهاني عنه هذا كل ما أملكه، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه.

أو لن يجبرني من عذاب الله أحداً أو أجد من دونه ملتحداً إلا إذا بلغتكم رسالاته فقد أدت الأمانة.

﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: الواو استئنافية، من شرطية تفيد المفرد والجمع والمثنى.

﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾: الخلود يبدأ من زمن دخولهم إياها ويستمر إلى ما لا نهاية.



[٢٤] ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقْلُ عَدَدًا﴾:

أي: لا يزالون على كفرهم وعصيان الله ورسوله حتى يرون.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدث.

﴿رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾: (ما): بمعنى الذي ما أوسع شمولاً، يوعدون: من العذاب بالهزيمة أو القتل في الدنيا مثل يوم بدر أو العذاب يوم القيامة.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، سيعلمون: السنين للاستقبال القريب.

﴿مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا﴾: أضعف قوة أو عدة وعتاد، الكفار أم الذين آمنوا.

﴿وَأَقْلُ عَدَدًا﴾: الكفار أم الذين آمنوا.

[٢٥] ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾:

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله لكفار قريش.

﴿إِنْ أَدْرِي﴾: إن: نافية، أي: ما أدري (إن أقوى نفيًا من ما).

﴿أَقْرَبُ﴾: الهمزة للاستفهام التقريري.

﴿مَا تُوعَدُونَ﴾: ما أدري الذي أو كل ما توعدون من العذاب هل سيكون

قريباً.

﴿أَمْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾: أي: يؤخره لزمن بعيد، وقَدَّم (له) الجار والمجرور للحصر.

والأمد أما أن يكون ظرفاً للزمان أو المكان، وهنا في هذه الآية هو للزمان؛ أي: هو: الزمن، أي: ما توعدون يحتمل أن يكون قريباً أو بعيداً فأنا لا أدري. لنقارن هذه الآية ﴿أَقْرِبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ مع الآية (١٠٩) من سورة الأنبياء وهي قوله: ﴿أَقْرِبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾.

ففي آية الجن لم يقابل القريب بالبعيد لم يقل أقرب أم بعيد؛ لأن السياق في آية الجن في الدنيا، وأما السياق في آية الأنبياء فهو في الآخرة لقوله: ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أما في آية الجن فالعذاب يحتمل أن يكون قريباً في الدنيا (مثل بدر) أو بعيداً (يوم القيامة) بينما في آية الأنبياء محصور في يوم القيامة.

[٢٦] ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾:

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾: الغيب تعريفه: ما غاب عن العباد واستتر عن العيون.

والغيب أنواع: منه الغيب المطلق مثل علم الساعة، فهذا الغيب استأثر به الله وحده لا يطلع عليه أحد والغيب النسبي هذا النوع من الغيب يمكن أن يطلع الله سبحانه بعض رسله، كما نرى في قوله ﴿إِلَّا مَن أَرْزَقْنِي مِن رَّسُولٍ﴾ آية (٢٧) وهناك غيب يمكن أن يطلعه الله على بعض خلقه مثل الرؤى الصالحة أو اكتشاف شيء جديد كان غيباً. ارجع إلى سورة الأنعام الآية (٧٣) للبيان في عالم وعلام وعليم.



﴿فَلَا يُظْهَرُ﴾: الفاء للتوكيد، لا النافية.

﴿عَلَىٰ غَيْبِهِ﴾: ولم يقل: عليه (تعني: الرسول) لأنه سيرى في الآية القادمة أنه يظهر بعض رسله على غيبه.

﴿أَحَدًا﴾: هذا بالنسبة للغيب المطلق.

ما هو الفرق بين ﴿عَلِمَ الْغَيْبُ فَلَا يُظْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] ما هو الفرق بين يظهر ويطلع، يظهر من الإظهار، ويكون عدة مرات، كما حدث لرسول الله ﷺ، أما الاطلاع فيكون فقد لمرة واحدة.

[٢٧] ﴿إِلَّا مَنْ أَرْضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء أي: لا يطلع على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول.

﴿مِنْ﴾: لا ابتداء الغاية.

﴿أَرْضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾: أي: اختار من رسول أي: من ارتضاه أن يكون رسولا.

﴿فَإِنَّهُ﴾: الفاء تعليلية إنه للتوكيد.

يظهره على ما يشاء من غيبه ليكون معجزة دالة على صدق نبوته أو ليخبر الناس ببعض أمور الآخرة والحساب والجزاء.

﴿يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾: يسلك: يقيم من بين يديه: من بين

الرسول المرتضى الرصد: حفظه: أي: ملائكة يحرسونه من بين يديه أي: من أمامه ومن خلفه من مرده الجن أو الشياطين حتى يمنعوهم من استراق السمع لما يدور بين جبريل وأبي رسول، وحتى لا يتشبهوا بصورة ملك من الملائكة أو

ليلبسوا عليهم دينهم حتى يتمكن الرسول من تبليغ رسالة ربه، وحفظ ما ينزل من الوحي.

[٢٨] ﴿لَيَعْلَمَنَّ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾:

﴿لَيَعْلَمَنَّ﴾: اللام لام التعليل، ليعلم الرسل أو الرسول مثل محمد ﷺ أو غيره فيكون عليه حجة ودليلاً، أو لإقامة الحجة على الناس أيضاً أن الكل بلغ، أو ليعلم كل الرسل أي: يكون عليهم حجة يوم القيامة، أو على أممهم ولا يقصد ليعلم الله فالله سبحانه يعلم ذلك منذ الأزل.

﴿أَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿قَدْ﴾: للتحقيق والتوكيد.

﴿أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾: من دون تحريف أو نقص أو زيادة.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: بما لديهم أي: الرسل والملائكة والناس أجمعين من العلم وبما لديهم من الأدلة والحجج والأعذار والأقوال والأفعال.

﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾: الإحصاء هو العد والحفظ معاً، أي: لم يفته شيء من قول وفعل أو إنس أو جن أو شيء أو أمر.





سُورَةُ الْمَزْمَلِ ٧٣

الْمَزْمَلِ ٧٣

سُورَةُ الْمَزْمَلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ (١) قُرِ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نَضْفُهُ أَوْ أَنْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا
(٣) أَوْزِدَ عَلَيْهِ وَرَتِلَ الْقُرْآنُ أَنْ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا
ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي
النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧) وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨)
رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) وَأَصْبِرْ
عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ
أُولِي النِّعْمَةِ وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا (١٢)
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا (١٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِيدًا
عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ
فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ
الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مِنْفِطْرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (١٨)
إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (١٩)

سورة المزمّل [الآيات ١ - ١٩]

ترتيبها في القرآن (٧٣) وترتيبها في النزول (٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾: يا: النداء والهاء للتنبيه، والمخاطب هو رسول الله ﷺ.

﴿الْمَزْمَلُ﴾: وأصلها المزمّل أبدلت التاء زايًا، وأدغمت الزاي في الزاي من المزمّل من زمّل الفعل الخماسي بمعنى تلفف بثوبه (أيها النبي أو أيها الرسول ﷺ) المزمّل أي: المتلفف بثيابه أو بغطاء النوم، والعرب كانت تخاطب أحياناً الفرد بالهيئة التي يكون عليها، وهذا من قبيل التودّد والتحبّب.

[٢] ﴿قُرْآنٌ لَّيْلًا قَلِيلًا﴾:

﴿قُرْ﴾: للصلاة وذكر ربك.

﴿الَّيْلَ﴾: من غروب الشمس إلى طلوع الفجر؛ أي: قم والقيام من أفعال الصّلاة فعبّر بالجزء وهو القيام، وأراد الكل وهو الصّلاة، فهذا يسمّى المجاز المرسل. وقيام الليل جاء قبل فرض الصّلاة المكتوبة الذي حصل في ليلة الإسراء والمعراج؛ حيث قام رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين يصلون سنة كاملة حتى ورمّت أقدامهم، كما أخرج الحاكم عن عائشة.

[٣] ﴿نِصْفُهُ أَوْ تَقْصُ مِنْهُ قَلِيلًا﴾:

﴿نِصْفُهُ﴾: صلّ نصف الليل.



﴿أَوْ﴾: للتخيير.

﴿انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾: أي: انقص من النصف قليلاً أي: صلّ أقل من النصف.

[٤] ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾:

﴿أَوْ﴾: للتخيير أو تعني: وزد على النصف أي: صلّ أكثر من النصف إذا كنت قادراً على ذلك.

﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾: الترتيل إخراج الحروف من مخارجها، وقيل: الترتيل التجويد أو قراءة القرآن على مهل وفهم، والقيام كان قبل فرض الصلوات الخمس، وكان واجباً على النبي ﷺ وأمه في بداية الإسلام وكان الرسول ﷺ والصّحابة يقومون أغلب الليل خشية الإخلال بهذا الواجب، وفوات الوقت حيث كان ضبط الوقت عليهم أمراً صعباً، فلم تكن عندهم الساعات والحسابات الفلكية لحساب زمن الفجر أو حساب الساعة أو النصف أو غيره فاشتد ذلك على الصّحابة.

[٥] ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿سَنُلْقِي عَلَيْكَ﴾: سننزل عليك، ولم يقل: إليك، المخاطب هو رسول الله ﷺ، على تفيد العلو والمشقة وتستعمل في سياق الأمور الثقيلة والشاقة من التكاليف والأوامر والنواهي والفرائض والحدود.

﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾: قولاً: أي: القرآن، ثقيلاً: بسبب نزول الوحي به (جبريل) قالت عائشة: لقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه يتفصد عرقاً كما روى البخاري في صحيحه.

أو ثقيلاً: بسبب ما فيه من الأحكام والفروض والعمل بها.

أو ثقيلًا: له وزن أي: ورصيناً ومهيّباً، أو له أجر ثقيل في الميزان يوم القيامة لمن يقرؤه ويعمل به.

[٦] ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْكَ وَأَفْوَمُ قِيلًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾: عبادة الليل أو الصلاة أو قيام الليل (التهجد) وقيل: الناشئة: هي النفس المتهجدة التي تنشأ من مضجعها أي: تنهض إلى العبادة.

﴿نَاشِئَةَ﴾: اسم فاعل من الثلاثي نشأ أو مصدر أو جمع ناشئ، وقيل: نشأ من مكانه إذا نهض من نومه للصلاة والعبادة أو ناشئة ما ينشأ في الليل، ويحدث فيه من أحداث، وقيل: الناشئة القيام في آخر الليل أو وقت معين خاص من الليل، وقيل: الليل كله ناشئة أو ناشئة الليل: ساعات الليل والمعنى يحتمل الكل.

﴿هِيَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿أَشَدُّ وَطْكَ﴾: أشد ثباتاً في القلب ورسوخاً بحضور القلب والسكون وعدم الانشغال بأمور الدنيا، وطئاً مشتقة من ضرب الأرض بالرجل لكي تستقر، أو وطئاً تعني: أشد، ومواطأة: موافقة أي: يتواطأ فيها قلب المصلي ولسانه وسمعه على تفهم القرآن.

﴿وَأَفْوَمُ قِيلًا﴾: أصوب وأبين قراءة مقارنة بعبادة النهار وأحضر للسمع والقلب على تفهم القرآن.

وقيلاً: مصدر لفعل قال يقول أصلها قول، أو قيل: اسم وليس بمصدر عند البعض.

[٧] ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.



﴿لَكَ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿فِي النَّهَارِ﴾: ظرفية.

﴿سَبَّحًا طَوِيلًا﴾: انشغالاً بحوائجك وأعمالك.

وسبحاً: مصدر الفعل الثلاثي، سبَح أي: تقلب في الماء والسبح هو المر السَّريع في الماء، واستعار ذلك للقيام بالمهام والحوائج والتقلب في النهار وإذا ربطنا الآية (٦) مع الآية (٧) تكون النتيجة:

إن عبادة الليل أو قيام الليل أشد وطئاً وأقوم قبلاً؛ لأنك في النهار ستكون في سبَح في حوائجك وأعمالك أي: مشغولاً بأعمالك فلا تستطيع التفرغ للعبادة، فعليك بها في الليل، والجملة تعليلية لاختيار الليل للقيام دون النهار.

[٨] ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾:

﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾: أي: داوم على ذكر ربك بكل أنواع الذكر مثل التسبيح والتحميد والتكبير والتلهيل والصلاة وقراءة القرآن ودروس العلم، رغم انشغالك بأمور الدنيا.

﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾: التبتل قيل: الإخلاص لله تعالى، وقيل: التبتل هو الانقطاع إلى عبادته عز وجل انقطاعاً كاملاً مشتقة من بتلت الحبل أي: قطعته، وللوصول إلى هذا الانقطاع الكامل يجب أن يكون بالتدرج والزيادة (الإكثار منه) في آن واحد لقوله تعالى: تبتيلاً، الذي هو مصدر لفعل تبتل وبتل معاً.

والأصل أن مصدر الفعل تبتل هو تبتلاً ولم يقل سبحانه: وتبتل إليه تبتلاً، وإنما تبتيلاً الذي هو مصدر لفعل بتل، فجاء بالمصدر تبتيلاً ليجمع بين بتل وتبتل من باب الإيجاز (من بديع اللغة).

إذن تبتيلاً تعني: التدرج في التبتل والزيادة في آن واحد حتى تصل إلى

درجة البتل: أي: الانقطاع الكامل للعبادة حتى تصبح صفة ثابتة عند العبد ولا ننسى الإخلاص لوجه الله والإحسان بالعبادة والرضا بقضاء الله.

[٩] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾:

لربط هذه الآية بالآية السابقة يكون كما يلي:

واذكر اسم ربك رب المشرق والمغرب. ارجع إلى سورة الرحمن آية (١٧) للبيان.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٥٥) من سورة البقرة للبيان.

﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾: الفاء للتوكيد، أي: استعن به في تدبير أمورك كلها راجياً عونَه وتيسيره وتوفيقه للوصول إلى ما ترجوه مع تقديم كل الأسباب المطلوبة منك. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٨٩) لمزيد من البيان في معنى التوكل.

[١٠] ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾:

﴿وَأَصْبِرْ﴾: يا رسول الله ﷺ.

﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾: يقول كفار قريش وغيرهم: إنك شاعر أو كاهن أو ساحر أو كاذب، ما: بمعنى الذي وما أوسع شمولاً من الذي أو مصدرية، يقولون: ولم يقل: على ما قالوا: للدلالة على تجدد قولهم واستمراره وحكاية الحال أي: بشاعة ما قالوا كأنه يقال الآن.

﴿وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾: الهجر: الترك أي: تجنبهم ولا تتعرض لهم، والهجر الجميل الهجر من دون عتاب أو لوم لهم ولا تغلق كل الأبواب بينك وبينهم.

[١١] ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا﴾:

﴿وَذَرْنِي﴾: ودعني ولا تهتم بهؤلاء المكذبين، فأنا أكفيهم.



﴿وَالْمُكَذِّبِينَ﴾: من زعماء وكفار قريش المكذبين بنبوتك، وبما أنزل الله، وغيرهم من المكذبين، والمكذبون جملة اسمية تدل على صفة الكذب ثابتة عندهم ولا أمل في إيمانهم.

﴿أُولَى﴾: أصحاب.

﴿أُولَى النِّعَمَةِ﴾: جاءت النعمة هنا بفتح النون ولم يقل: النعمة بكسر النون، والتي تأتي في سياق الخير، وقال: النعمة بفتح النون التي تأتي عادة في سياق النعمة المذمومة غير المباركة، نعمة تشير إلى رفاهية ورخاء وبطر مذموم أي: أرباب الغنى والسعة وترف العيش. الذين لا يشكرون الله تعالى على ما أنعم عليهم.

﴿وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا﴾: أي: لا تستعجل لهم أو انتظرهم قليلاً في الزمن حتى يهلكوا إما بانقضاء أجلهم أو قتلهم في الدنيا، كما حدث في بدر.

[١٢] ﴿إِن لَّدَيْنَا أَنْكَالٌ وَحَجِيمًا﴾:

﴿إِن لَّدَيْنَا﴾: إن للتوكيد، لدينا: ولم يقل: عندنا، أي: لدينا لهم، أي: لهم خاصة. ﴿أَنْكَالًا﴾: جمع نكل: القيد الثقيل أي: القيود الثقيلة التي توضع في الأقدام لمنع حركة أقدامهم، وسميت أنكالا؛ لأنه يُنكل بها أي: يُمنع بها حركة القدمين. ﴿وَحَجِيمًا﴾: نار محرقة شديدة الحر والأتقاد تنتظرهم.

[١٣] ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾:

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾: غير مستساغ يتوقف بالحلق أو البلعوم ولا يستطيع بلعه وهضمه مثل الضريع والزقوم وغيرها.

﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾: شديد الإيلام لا يقدر على تحمله من نار جهنم.

[١٤] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾:

﴿يَوْمَ﴾: أي: يوم تقوم الساعة وجاء بصيغة التكرار للتهويل والتعظيم.

﴿تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾: أي: تهتز وتضطرب الأرض والجبال والرجف هو أشد من الزلزلة فالأرض والجبال كل يتزلزل ويتحرك بعد الدك والنسف وتزول الجبال، وتبدل الأرض إلى الأرض الجديدة التي سنبعث منها، وهي أرض ستكون ﴿فَاعَاصِفْصَفًا﴾ (١٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿[طه: ١٠٧].

﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا﴾: أي: بعد الدك والنسف تتحول الجبال إلى كتبان رمل (تلال رملية) مهيلًا أي: رملاً هائلاً أي: إذا أخذت شيئاً منه أو كمية من الرمل انهال أعلاه، أو إذا تحرك أسفله انهال أعلاه (غير مترابط أو متماسك).
[١٥] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾: إنا: للتعظيم، أرسلنا إليكم: ارجع إلى سورة البقرة (١١٩) للبيان، ولمعرفة الفرق بين الإرسال والبعث، رسولاً: هو محمد ﷺ، إليكم: خاصة يا مشركين، ويا كفار قريش، وإلى الناس كافة (عامة).

﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾: يوم القيامة أنه قد بلغ الرسالة أو شاهداً على أعمالكم هل أطعتم أم عصيتم على إيمانكم، أو كفركم، شاهداً على من أجاب دعوته ومن أعرض عنها.

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾: كما: الكاف كاف التشبيه، أرسلنا موسى ﷺ إلى فرعون رسولاً، وهذا تحذير لأهل مكة وغيرها.

[١٦] ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾:

﴿فَعَصَى﴾: الفاء للترتيب والتعقيب.

﴿فِرْعَوْنُ الرَّسُولُ﴾: الرسول: هو موسى ﷺ. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لبيان من هو فرعون.



﴿فَأَخَذَتْهُ﴾: أي: فرعون أخذناه: أي: أهلكناه بالغرق، أدخلت لام التعريف على الرسول موسى بعينه.

﴿أَخَذَ أَوِيلًا﴾: الأخذ الويل: أي: الغرق في البحر، الويل: الوخيم شديد الوخام. ارجع إلى سورة الحشر آية (١٥) للبيان، وهذا تهديد لكفار مكة أن ينزل بهم العذاب، كما نزل بفرعون فهم أولى بالهلاك والدمار إن كذبوا رسول الله محمداً ﷺ.

[١٧] ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾:

﴿فَكَيْفَ﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدر معناه: إن جحدتم بيوم القيامة وكفرتم به، فكيف تتقون عذاب الله، كيف للاستفهام.

﴿تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا﴾: أي: كيف تقون أنفسكم، إن شرطية تفيد الشك جواب الشرط محذوف للتعظيم والتهويل.

﴿كَفَرْتُمْ﴾: إن ثبتم على الكفر والشرك بالله ولم تتوبوا إلى الله.

﴿يَوْمًا﴾: يوم القيامة، أي: كيف تقون أنفسكم عذاب يوم القيامة.

﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ﴾: الولدان: جمع وليد أي: حديثي الولادة، الولدان: تشمل الذكور والإناث والولدان جمع قلة مقارنة بالأولاد جمع كثرة.

﴿شِيبًا﴾: أي: يتحول لون شعرهم الأسود إلى أبيض أو رمادي دلالة على شدة الخوف والرعب من أهوال ذلك اليوم، وقيل: من طوله، وقيل: قد يبلغون عمر الشيخوخة وهم ما زالوا فيه.

[١٨] ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾:

﴿السَّمَاءُ﴾: تعريفها لغة كل ما علاك، وتضم السموات السبع، وهي تذكر أو تؤنث يجوز كلا الحالين.

﴿مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾: السَّماء وعظمتها تنفطر في ذلك اليوم، منفطر به: من الفطر، وهو الشَّق، أي: تتشقق وتنفطر. ارجع إلى سورة الانفطار آية (١) لمزيد من البيان.

به: الباء للإصاق وبه قد تكون ظرفية أو سببية بسببه.

﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾: كان: تشمل كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، وعده: كل ما وعد سبحانه ومنها مجيء يوم القيامة.

﴿مَفْعُولًا﴾: كائناً أو واقعاً لا محالة.

[١٩] ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾:

﴿إِنَّ هَذِهِ﴾: إن للتوكيد، هذه: الهاء للتنبيه، ذه اسم إشارة للقريب تشير إلى آيات القرآن، أو القرآن أو أهوال يوم القيامة أو ما حدث لفرعون وغيره من الأمم المكذبة برسُلها.

﴿تَذْكِرَةٌ﴾: أي: هذه الآيات إذا قرأتموها تذكركم بالآخرة وما سيصيبكم يوم القيامة.

﴿فَمَنْ شَاءَ﴾: الفاء عاطفة، من شرطية، شاء: النِّجاة من أهوال يوم القيامة وعذابه.

﴿اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾: سبيلاً: طريقاً أي: من شاء النِّجاة من عذاب يوم القيامة سلك وسار في طريق الإيمان والتقوى، والتَّقَرُّب إلى الله تعالى، بامتثال أوامره وتجنُّب نواهيه.





سُورَةُ التَّوْبَةِ ٧٣

سُورَةُ التَّوْبَةِ



﴿١﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلَاثَهُ وَطَائِفَةَ
 مَنِ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ
 عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ
 وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ
 يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
 الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ
 عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الْمَدِّثَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الْمَدِّثَرُ ﴿٢﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٣﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٤﴾ وَيَا بَاكٍ فَطَهِّرْ ﴿٥﴾
 وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٦﴾ وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَسْتَكْبِرَ ﴿٧﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٨﴾
 فَإِذَا نَقَرْنَا فِي النَّاقُورِ ﴿٩﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿١٠﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ
 غَيْرُ سِيرٍ ﴿١١﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَا
 مَمْدُودًا ﴿١٣﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٤﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٥﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ
 أَنْ أَزِيدَ ﴿١٦﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٧﴾ سَأَرْهُقَهُ صَعُودًا ﴿١٨﴾



سورة المزمّل [الآية ٢٠]

[٢٠] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَّنْ نَّخْصُوهُ فَنَابَّ عَلَيْكُمُ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ مِّجْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾: إن للتوكيد.

﴿يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾: للصلاة والقيام أو التهجد، أدنى من ثلثي الليل أي: أقل من ثلثي الليل أو تقوم نصفه، أو تقوم ثلثه.

﴿وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾: أي: وطائفة جماعة من أصحابك تقوم الليل معك: لا تعني صلاة جماعة، معك تعني: من الذين آمنوا يصلون في بيوتهم.

والله يقدر: تقديم الله تعالى للاهتمام والاختصاص يقدر طول زمن الليل والنهار في الربيع يتساوى الليل والنهار وفي الصيف يطول النهار ويقصر الليل، وفي الشتاء يطول الليل ويقصر النهار.

﴿يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: أي: القادر على تقدير ساعات الليل والنهار أي: معرفة مقاديرها؛ لأنهم رضي الله عنهم لم تكن عندهم ساعات تضبط لهم الزمن والوقت، ومتى نصف الليل أو ثلثه الأخير، ومتى ينتهي، وكذلك ساعات النهار. ﴿عَلِمَ أَنْ لَّنْ نَّخْصُوهُ﴾: تأكيداً لقول الله يقدر الليل والنهار، علم الله سبحانه



أنكم لن تستطيعوا ضبط الأوقات أي: ساعات الليل والنهار لتقوموا ثلثيه أو نصفه وثلثه، ولذلك كانوا يقومون معظم الليل مخافة أن يخطئوا.

﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾: أي: تقبل منكم القيام الممكن، وتاب عليكم بالتيسير والتخفيف.

﴿فَأَقْرَأُوا مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾:

﴿فَأَقْرَأُوا مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾: هناك فرق بين التلاوة والقراءة؛ ارجع إلى سورة يونس الآية (٧١) للبيان؛ أي: فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل (صلاة القيام) وعبر عن الصلاة بالقراءة (إطلاق الجزء على الكل وإرادة الكل)، وسميت الصلاة قرآناً، كما في قوله تعالى ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ أي: صلاة الفجر كما سميت الصلاة باسم أحد أركانها كالركوع والسجود، ثم بين ثلاثة أسباب أو أعذار تدعو إلى الترخيص ورفع واجب أو فرض التهجد منها:

١ - المرض.

٢ - والجهد في سبيل الله.

٣ - والضرب في الأرض للتجارة والابتغاء من فضل الله.

﴿فَأَقْرَأُوا مَا يَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾:

﴿فَأَقْرَأُوا مَا يَسَّرَ مِنْهُ﴾: تكرار ذلك للتأكيد، أي: صلوا صلاة القيام واقرؤوا ما تيسر من القرآن خارج الصلاة.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: صلوا الصلاة المفروضة (الخمس صلوات) أدوها بأركانها وأوقاتها وشروطها وخشوعها.

﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: المفروضة بمقاديرها وخالصة لوجه الله ومن مال طيب وتبئناً من النفس.

﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: ارجع إلى سورة الحديد آية (١١) للبيان المفصل في معنى القرض الحسن.

﴿وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما: شرطية.

﴿نُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾: من استغرافية تستغرق كل خير، وخير نكرة تشمل كل أنواع الخيرات من الصدقات والأعمال الصالحة من صلاة وصيام وحج وزكاة ورعاية اليتيم وغيرها.

﴿يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: تجدوا ثوابه عند الله.

﴿هُوَ خَيْرٌ﴾: هو: للتوكيد، خيراً: أفضل مما أنفقتم أو أفضل مما قدمتم من الأعمال.

﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾: الحسنة بعشرة أمثالها، أو قد تمتد إلى (٧٠) ضعفاً أو (٧٠٠) أو أكثر.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ﴾: داوموا على الاستغفار والإكثار منه؛ لأنَّ الإنسان لا يخلو من التقصير وفعل السيئات.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: ارجع إلى سورة البقرة آية (١٧٣) للبيان.





سورة النازعات ٧٣

سورة النازعات



١ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ
 ٢ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ
 ٣ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ
 ٤ وَءَاخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخِرُونَ
 ٥ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
 ٦ الزَّكَاةَ وَاقْرَءُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ
 ٧ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٠

سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ يَأَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ قُمْ فَأَنْذِرْ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤
 ٥ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ٦ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ٧ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ٨
 ٩ فَإِذَا نَقَرْنَا فِي النَّاقُورِ ١٠ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ١١ عَلَى الْكَافِرِينَ
 ١٢ غَيْرِيسٍ ١٣ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ١٤ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا
 ١٥ مَمْدُودًا ١٦ وَبَنِينَ شُهُودًا ١٧ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ١٨ ثُمَّ يَطْمَعُ
 ١٩ أَنَّا زَيْدٌ ٢٠ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِأَيْتِنَا عَيْنِدَا ٢١ سَاءَ رَهَقُهُ صَعُودًا ٢٢

سورة المدثر [الآيات ١ - ١٧]

ترتيبها في القرآن (٧٤)، وترتيبها في النزول (٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾:

﴿يَا أَيُّهَا﴾: النداء والهاء للتنبيه، والمنادى هو رسول الله ﷺ.

﴿الْمُدَّثِّرُ﴾: المتلفف بثيابه من تدثر: أي: لبس الدثار وهو اللباس الخارجي الذي يستر ما تحته من الثياب، وأصل المدثر المتدثر وأدغمت التاء في الدال لتقارب المخارج، وهو إدغام الحرف الأضعف في الحرف الأقوى، وفي هذا النداء ملاطفة وعطف، وهو من أول النداءات، وأما قوله: يا أيها المزمّل: أي: المتدفى بغطاء النوم أو الفراش.

[٢] ﴿فَإَنْذِرْ﴾:

﴿فَإَنْذِرْ﴾: انهض وقم من مضجعك.

﴿فَإَنْذِرْ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب، وهي كذلك في كل الآيات التالية

(٧-٢).

أنذر من الإنذار وهو الإعلام مع التحذير والتخويف، وأنذر الكفار والمشرّكين والعاصين.



[٣] ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾:

الواو حرف عطف.

﴿وَرَبَّكَ﴾: وعظم ربك بالتكبير والتوحيد عظم الله تعالى فوق خلقه
بالقول الله أكبر.

﴿فَكَبِّرْ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب.

[٤] ﴿وِثْيَاكَ فَطَهِّرْ﴾:

الواو حرف عطف، وثيابك: الثياب الخارجية التي تستر أو تغطي الجسم،
وأما اللباس فهو الذي يستر العورة، ويكون بتماس مع جسم الإنسان.

وطهّر: فاغسلها وطهرها من كلّ النجاسات استعداداً للصلاة والفاء
للمباشرة والتعقيب أي: والتزم بالطهارة المادية والمعنوية ولا تنس طهارة القلب.

[٥] ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾:

الواو عاطفة.

﴿وَالرُّجْزَ﴾: الرجز: العذاب، والرجس الأوثان والأصنام، واسم لما يقتدر
وبدلاً من القول: فالرجس فاهجر قال: الرجز؛ لأن العذاب الشديد مسبب عن
عبادة الأصنام والأوثان، وهناك من قال: الرجز يشمل الشيطان والأعمال الخبيثة
كالخمر والميسر وعبادة الأصنام والأوثان والإثم والعذاب واللعنة. ارجع إلى
سورة البقرة الآية (٥٩) للبيان المفصل في معنى الرجز والرجس والفرق بينهما.

﴿فَاهْجُرْ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب، داوم على هجرها: تركها والبراءة

منها، وتعني: اهجر كل عمل أو إثم يستوجب.

[٦] ﴿وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْثِرُ﴾:

الواو عاطفة.

﴿وَلَا﴾: الناهية.

﴿تَمَنَّ﴾: من المن، وهو أن تذكر الناس بما أسديت إليهم من نعمة أي:

ولا تمنّ على أحدٍ بما تقوم به من معروف أو مساعدة أو صدقة أو إحسان.

﴿تَسْتَكْثِرُ﴾: ولا تستكثر ما تعطيه رائيًا ما تعطيه كثيرًا، ولا تمن بعبادتك

وطاعتك مهما كانت أو تستكثر عملاً قمت به، وإذا قدّمت معروفًا فلا تتوقع عنه

العوض.

[٧] ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾:

﴿وَلِرَبِّكَ﴾: الواو عاطفة، لربك: اللام لام الاختصاص، أي: ابتغاء وجه

ومرضاة الله فاصبر.

﴿فَاصْبِرْ﴾: على طاعته وعبادته، وتجنّب معاصيه، اصبر على إبلاغ الرسالة،

اصبر على ما أصابك من قضاء وقدر، واصبر على ما يقولون والكلام موجّه إلى

المؤمنين بالله ورسوله.



[٨] ﴿فَإِذَا نَفَرْنَا فِي نَاقُورٍ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء استئنافية، إذا: ظرفية شرطية حتمية الحدوث أي: تستعمل للشيء المحقق حدوثه.

﴿نَفَرْنَا فِي نَاقُورٍ﴾: الناقور: هو الصّور أو البوق وأصل الناقور الصّوت، والمراد به النفخة الثانية.

[٩] ﴿فَذَلِكَ يَوْمٌ مِّمَّ يَوْمٍ عَسِيرٍ﴾:

﴿فَذَلِكَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط إذا، ذلك: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿يَوْمٌ مِّمَّ﴾: مركبة من يوم ظرف + إذ ظرف (أضيف إلى ظرف).

﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾: صعب شديد على المؤمن والكافر لا يطاق لكثرة أهواله وشدائده، وقيل: يوم عسير فقط على الكافرين.

[١٠] ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾:

﴿عَلَى﴾: تفيد الاستعلاء والمشقة.

وقوله في الآية السابقة: يوم عسير تعني غير يسير، ولكنه عاد وكرّر للتأكيد على عسرة ذلك اليوم على الكافرين ولا يرجى تيسيره، وعلى المؤمنين يسير إن شاء الله برحمته وفضله.

ثم ينتقل للحديث عن أحد الطغاة المشركين وهو الوليد بن المغيرة، أو غيره.



[١١] ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾:

المناسبة: بعد أن أخبر سبحانه أنه يوم عسير على الكافرين غير يسير، أمثال: الوليد بن المغيرة، وأمثاله من زعماء الكفر والشرك والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب.

﴿ذَرْنِي﴾: دعني، أو لا تشغل بالك به، أو اتركه إليّ سأتولى أمره.

﴿وَمَنْ﴾: اسم موصول بمعنى الذي، ويفيد الذم والتحقير.

﴿خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾: أي: خلقت لا مال ولا ولد ولا زوجة ولا عشيرة، وقال

ابن عباس: كان الوليد بن المغيرة يقول: أنا الوحيد بن الوحيد.

ما هو الفرق بين الوحيد وفرداً: الوحيد لم يكن معه أصلاً أحد لا ولد ولا

زوجة ولا أنيس، ثم قد يصبح غير وحيد بعد أن يتزوج، أما الفرد: هو الذي تخلّى عن غيره أو غيره تخلوا عنه.

[١٢] ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾:

﴿مَمْدُودًا﴾: كثيراً، أو دائماً غير منقطع، أو ممدوداً على أرض واسعة ويأتيه

من الزرع والتجارة والضرع.

[١٣] ﴿وَبَيْنَ شُهودًا﴾:

قيل: كان له حوالي (١٠) أولاد، يساعدونه في تجارته وتصريف أعماله.

﴿شُهودًا﴾: لها عدة معانٍ: أي: حضور لا يغيبون عنه، أو مقيمون حوله في

مكة لعدم حاجتهم للضرب في الأرض، شهوداً يتمتع بمشاهدتهم ورؤيتهم،



شهوداً تُسمع شهادتهم، أو الكلّ يراهم في المجالس والمحافل وأسواق التجارة وقيل: أسلم منهم ثلاثة.

[١٤] ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾:

﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ﴾: مكنت له في قومه ليكون من زعماء القوم ورؤسائهم حتى لقب بريحانة قريش ومهدت من التمهيد، كما يمهد السرير للطفل أي: في الحياة وسعة العيش والحصول على كل ما يشتهي من الغنى والجاه والسلطان.

﴿تَمْهِيدًا﴾: للتأكيد.

[١٥] ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للتباين بين طمع الدنيا عن طمع الآخرة.

﴿يَطْمَعُ أَنْ﴾: الطمع: الحرص على طلب المزيد والزيادة.

أن: مصدر يفيد التعليل والتوكيد.

﴿يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾: له في نعيم الدنيا بزيادة ماله وجاهه، أو أزيد له بنيل الدار الآخرة (الجنة) أو أزيد له بكل شيء.

[١٦] ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَاعِنَا عِنْدًا﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر، كلا لن أزيده بعد اليوم، وعلل سبحانه لمنعه في

الزيادة:

﴿إِنَّهُ﴾: إن للتوكيد، وهاء الضمير تعود على الوليد بن المغيرة، أو غيره.

﴿كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿لَا يَبْتَئَانَا﴾: اللام لام التعليل، آياتنا: آيات القرآن، وإضافة الآيات له سبحانه للتشريف والتعظيم.

﴿عَنِيدًا﴾: معانداً جاحداً معرضاً مخالفاً.

[١٧] ﴿سَأَرْهُقُهُ، صَعُودًا﴾:

﴿سَأَرْهُقُهُ﴾: السَّيْنُ للاستقبال القريب، أرهقه: من الإرهاق هو الشَّعُور الذي يحدث للإنسان بعد حمل الشيء الثقيل الذي لا يطاق مثل التعب والإعياء واللغوب، وقيل: الرَّهَقُ الغشيان رَهَقَهُ الأمر: غشيه الأمر أو قهره.

﴿صَعُودًا﴾: بفتح الصاد من الصَّعد: المشقة فلان في صعد: أي: في مشقة العذاب، وقيل: جبل في جهنم يكلف بالصُّعود عليه، وكلما وصل أعلاه سقط مرة أخرى وهكذا، أي: سأكلفه وأحملة عذاباً شاقاً لا يطاق في نار جهنم.





الجزء التاسع والعشرون

سورة النازعات ٧٤

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُنِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُنِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَاحِةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرِ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ (٣١) كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمَسْكِينِ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧)

سورة المدثر [الآيات ١٨ - ٤٧]

[١٨] ﴿إِنَّهُ فَعَّرَ قَدَرًا﴾:

﴿إِنَّهُ﴾: للتأكيد وتعود على الوليد بن المغيرة.

﴿فَعَّرَ﴾: بعدما قرأ عليه الرسول ﷺ القرآن، فكأنه رق قلبه فجاءه أبو جهل وكلمه وطلب منه أن يقول قولاً يدل على أنه كاره ومنكر للقرآن حتى يرضى عنه قومه، فقال: دعني حتى أفكر.

﴿وَقَدَرًا﴾ في نفسه ماذا يمكنه أن يقول في القرآن.

[١٩] ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرًا﴾:

﴿فَقِيلَ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، قتل: لعن وأبعد، أو طُرد من رحمة الله، قُتل: هذا دعاء أول عليه في الدنيا.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام الإنكاري والتوبيخ.

﴿قَدَرًا﴾: ماذا سيقوله.

[٢٠] ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرًا﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزمن؛ أي: استغرق زمناً وهو يفكر ما يقوله بشأن القرآن.

كُرِّرَ الدَّعَاءُ بِالْقَتْلِ أَوِ اللَّعْنِ وَالطُّرْدِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّأْكِدِ،



وتعني: الوليد بن المغيرة، وهذا هو الدعاء الثاني عليه باللعن والطرد في الآخرة والتأكيد على خسارته.

وقيل: كرر (قدر) ثلاث مرات الأولى: قدر ما يريد قوله الرسول الله ﷺ، والثانية: قدر أن ما قاله رسول الله هو شعر، والثالثة: قدر أن ما قاله لرسول الله ﷺ هو قول كاهن.

[٢١] ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي؛ أي: أمعن واستغرق زمناً وهو يتمهل ولم يسرع. ﴿نَظَرَ﴾: تمهل فيما سيقوله وتروى.

[٢٢] ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي؛ أي: بعد زمن طويل من التفكير والنظر فيما يقوله بشأن القرآن.

﴿عَبَسَ﴾: قطب جبهته بين الحاجبين.

﴿وَبَسَ﴾: كلع وجهه واسودَّ وظهرت عليه علامات الكراهية، والتجهم.

[٢٣] ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾:

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾: ثم أدبر عن الإيمان أي: دار ظهره بعد التريث والانتظار.

﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾: أن يؤمن بالقرآن، ويتبع رسول الله ﷺ وأظهر عظم شأن نفسه ورفع نفسه فوق ما تستحق.

[٢٤] ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّؤْتَرٌ﴾:

﴿فَقَالَ﴾: الفاء للتعقيب والترتيب والمباشرة، ولم يقل ثم قال إن هذا



إلا سحر يؤثر وجاء بالفاء، وهذا يدل على قوله إن هذا إلا سحر يؤثر صدر منه مباشرة دون تريث وتفكر كما حدث في الأمور الأربع السابقة، وكأنه قال ذلك على عجل، وعدم نظر ويقين وولى مدبراً من شدة الحرب النفسية التي حلت به.

﴿إِنْ هَذَا﴾: إن: نافية تعني: ما، هذا: القرآن أو الآيات أو ما يتلوه محمد ﷺ.

﴿إِلَّا﴾: للحصر.

﴿يُتْرَى﴾: اتهموه بالسحر لما رأوا تأثيره القوي في القلوب والنفوس وشبهوه بالسحر الذي كان خارقاً للعادة، ويؤثر في أنفسهم، ولتعريف السحر ارجع إلى سورة طه الآية (٥٨) وسورة البقرة آية (١٠٢).

[٢٥] ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾:

﴿إِنْ هَذَا﴾: إن نافية، هذا: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة يشير إلى القرآن.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿قَوْلُ الْبَشَرِ﴾: أي: ليس من كلام الله تعالى، بل هو قول البشر، وهذه الآية تأكيد للآية السابقة، ما هذا القرآن وآياته إلا سحر يؤثر (يروى عن السحرة) أي: هو سحر وقول البشر وليس كلام الله كقولهم: إنما يعلمه بشر.

[٢٦] ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾:

السَّيْن للاستقبال القريب، سأدخله وسأحرقه في سقر، وهي دركة من دركات النار السبع، وهي جهنم ولظى والسَّعِير والحطمة وسقر والجحيم والهاوية أو اسم من أسماء النار.

[٢٧] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ﴾:

﴿وَمَا﴾: الاستفهامية.



﴿أَذْرَبَكَ مَا سَقَرُ﴾: وما أعلمك أو نبأك ما هي سقر، فلا يعلم كنهها وعظمتها إلا الله، ومهما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك، وسنطالعك على بعض شأنها الآن، فهي لا تبقي ولا تذر، ولمعرفة الفرق بين ما أدراك وما يدريك ارجع إلى سورة الحاقة آية (٣).

[٢٨] ﴿لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ﴾:

﴿لَا تَبْقَى﴾: لا تبقي شيئاً حياً يلقى فيها إلا أهلكته وقضت عليه.

﴿وَلَا تَذَرُ﴾: ولا تذر من أهلكته يبقى ميتاً من دون عودة ثانية للحياة لكي يعذب ويموت، وهكذا كقوله تعالى: ﴿كَلَّمَآ نَضِجَتْ جُلُودُهُم بِدَلَّتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٧].

[٢٩] ﴿لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾:

﴿لَوَاحَةٌ﴾: تلوح وتظهر للعيان من مسافات بعيدة، فلا تخفى على أحد من البشر، أو لواحة من لوحته الشمس: أي: أحرقتة حرقاً كاملاً أي: مغيرة للون البشرة بالسواد بعد أن كانت بشرة حسنة الهيئة. ولواحة للبشر قد تعني كلا المعنيين معاً.

﴿لِلْبَشَرِ﴾: اللام لام الاختصاص، البشر: الإنس من أهل النار وُسُمو بشراً من البشرة بشرة جلد الإنسان المكشوفة وتعني: حسن الهيئة والظهور وعدم الاختفاء كالجن.

[٣٠] ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾:

قيل: خزنة جهنم (١٩) من الملائكة.

لما نزلت هذه الآية ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال أبو جهل: يخوفكم محمد بتسعة

عشر، أما له من جنود إلا هؤلاء؟ أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم؟ قال كلدة بن خلف الجمحي: يا معشر قريش أنا أمشي بينكم أدفع (١٠) منهم بمنكبي الأيمن، و(٩) بمنكبي الأيسر، فندخل الجنة .

ويجب العلم أن عددهم تسعة عشر مذكور في التوراة والإنجيل ويعتبرون (١٩) عدة ناقصة واحد من عقد العشرين، ولم يقل: تسعة عشر ملكاً؛ لأن ذلك مفهوم من سياق الآية.

[٣١] ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْثَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾:

﴿وَمَا﴾: ما النافية.

﴿جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ﴾: خزنة جهنم.

﴿إِلَّا مَلَائِكَةً﴾: إلا أداة حصر وفي المواضع الأربعة المذكورة في هذه الآية.

﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾: تكرر (وما جعلنا) للتأكيد.

﴿عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: عددهم القليل عدة (قلة) لأجل فتنة الذين كفروا: أمثال أبي جهل وأصحابه.

فتنة: ابتلاء، للذين: السلام لام الاختصاص، إلا ابتلاء لهم أي: ضلال لهم لإقامة الحجة عليهم وعلى إيمانهم.

﴿لِيَسْتَيَقِنَ﴾: اللام لام التعليل: يستيقن: أي: يزداد تصديقاً وعلماً.

﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: (اليهود والنصارى) لأنه مكتوب عندهم في التوراة



والإنجيل أنهم (١٩) تسعة عشر، فيصدقون بالقرآن وبنبوة محمد ﷺ؛ لأنهم وجدوا ما يوافق ما في كتبهم.

﴿وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾: من أهل الكتاب ومن غيرهم من الذين آمنوا، إيماناً بمحمد ﷺ وأن القرآن حق ومن عند الله تعالى.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾: لا: النافية، يرتاب: من الريبة وهي الشك والتهمة في عدد أصحاب النار أو ما جاء في القرآن.

﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ﴾: السلام لام التعليل، الذين في قلوبهم مرض أي: المنافقون، والكافرون: أي: كفار مكة وغيرهم.

﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾: أي: ما الغاية أو الحكمة في هذا العدد، أو يريدون أن ينفوا أن يكون هذا العدد من عند الله تعالى، وبالتالي ينفوا أن يكون القرآن من عند الله تعالى، وأن محمداً ليس هو النبي المنتظر، ماذا: أداة استفهام أشد وأقوى استفهاماً من (ما).

﴿كَذَلِكَ﴾: أي: بمثل هذه الأمثال وذكر الأعداد تسعة عشر أو يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، أو إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها، يفتن الذين آمنوا والذين في قلوبهم مرض والكافرون وغيرهم، فأما الذين آمنوا فيزدادون إيماناً ويعلمون أنه الحق من ربهم، وأما الذين في قلوبهم مرض فيترزل إيمانهم ويميلون إلى الباطل وتتحول قلوبهم إلى مواطن الريبة والكفر، وليس المهم هو العدد، وإنما إيمان العبد بما يقوله الرب سبحانه.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾: ما النافية، يعلم جنود ربك: الملائكة عددهم وكيفيتهم وعدتهم وقوتهم أو غيرهم من الجنود. ارجع إلى سورة الفتح آية (٤) للبيان.

﴿إِلَّا أَهْوَى﴾: إلا أداة حصر، وهو: للتأكيد، أي: الذي خلقهم وبعثهم بالحق.



﴿وَمَا هِيَ﴾: هي تعود على سقر.

﴿إِلَّا ذِكْرِي لِلْبَشَرِ﴾: إلا أداة حصر، ذكرى: تذكرة للناس تذكرهم بالحساب والاستعداد ليوم القيامة.

[٣٢] ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾:

﴿كَلَّا﴾: تعني: حقاً أو كلمة ردع وإبطال لما يزعم المشركون أو الكافرون أنهم قادرون على الملائكة التسعة عشر.

﴿وَالْقَمَرِ﴾: الواو واو القسم، يقسم الله سبحانه بالقمر لأهميته، والله سبحانه غني عن القسم، فالقمر هو أقرب جرم سماوي إلى الأرض يبعد حوالي (٤٠٠ ألف كم) عن الأرض ويلعب دوراً مهماً في استقامة الحياة على الأرض، وتحديد الزمن والشهر واليوم ويلعب دوراً في المد والجزر، وتفتيت الصخور وتلطيف المناخ والفصول الأربعة والإنارة في الليل والشهر القمري أدق من الشهر الشمسي وغيرها من الوظائف.

[٣٣] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا دُبِرَ﴾:

﴿وَاللَّيْلِ﴾: ويقسم بالليل إذا ولي ذاهباً أو مدبراً.

﴿إِذَا﴾: ظرف للزمن الماضي.

[٣٤] ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾:

﴿وَالصُّبْحِ﴾: الواو واو القسم، يقسم كذلك بالصُّبح أي: تبادل الليل والنهار أو النور والظلام من أعظم آيات الله سبحانه الكونية الدالة على كروية الأرض.

﴿إِذَا﴾: ظرف للزمن المستقبل.



﴿أَشْفَر﴾: أضاء وانكشف، تقسيم ساعات الليل هي: الشفق، ثم الغسق ثم العتمة، ثم السحر، ثم الفجر، ثم الصبح، ثم الصباح.
وتقسم ساعات النهار هي: الشروق، ثم البكور، ثم الغدوة، ثم الضحى، ثم الهاجرة، ثم الظهيرة، ثم الرواح، ثم العصر، ثم القصر، ثم الأصيل، ثم العشي، ثم الغروب (فقه اللغة للثعالبي).

[٣٥] ﴿إِنَّمَا لِاحْدَى الْكُبَرِ﴾:

جواب القسم.

﴿إِنَّمَا﴾: إن للتوكيد، وهاء الضمير تعود على سقر.

﴿لِاحْدَى﴾: اللام لام التوكيد.

﴿لِاحْدَى الْكُبَرِ﴾: الكُبر: جمع كبرى أي: سقر هي إحدى البلايا أو الدواهي، الكُبر: أي: الأمور العظام، وقيل: إحدى الكُبر السبع وهي دركات جهنم وهي: جهنم، لظى، الحطمة، السعير، سقر، الجحيم، الهاوية.

[٣٦] ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾:

﴿نَذِيرًا﴾: من الإنذار وهو الإعلام مع التهديد والتخويف.

﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾: أي: الإنس البشر مشتقة من البشرة التي تشكل طبقة الجلد المميزة للبشر أو من البشارة وهي حسن الهيئة، أو تعني الظهور بعكس الجن.
نذيراً: ولم يقل: نذيرة جاءت بصيغة المذكر أي: عذاب سقر أو عذاب النار أعظم الكُبر المنذرة.

[٣٧] ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾:

إذا ربطنا بين هذه الآية والتي قبلها يمكن القول: نذيراً للبشر لمن شاء أن يتقدم أو يتأخر.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدر يفيد التعليل.

لمن شاء أن يسبق إلى الإيمان والطاعة والخير أو يتخلف عن الإيمان والعمل الصالح إلى الشر والكفر لمن شاء أن يكون سابقاً للخيرات أو مقتصداً أو ظالماً لنفسه.

[٣٨] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾:

أي: كل نفس يوم القيامة مرهونة بعملها أي: إيمانها وعملها الذي يفكها ويخلصها من العذاب.

﴿رَهِينَةٌ﴾: من الرهن لغة: هو الثبوت والدوام أي: الحبس أي: كل نفس محبوسة بعملها، وشرعاً: هو ما جعل وثيقة للدين (القرض) كي يصبح رد الدين مضموناً بالعين المرهونة؛ أي: نفوسهم مرهونة حتى يسددوا الدين (التكاليف الشرعية وما أمروا به من الفروض).

﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: الباء السببية أو البدلية، كسبت: من خير أو شر؛ فإذا لم يؤدوا الفروض أو ما كلفوا به عندها تؤخذ النفوس المرهنة (وتعاقب) لأنهم لم يقوموا بالفرائض.

[٣٩] ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.



﴿أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾: أي: الذين يأخذون سجل أعمالهم أو صحائفهم يوم القيامة بأيمانهم، فهو لاء لا يطلب منهم أي رهان أي: لا تؤخذ أنفسهم كرهان.

[٤٠] ﴿فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ﴾:

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿جَنَّاتٍ﴾: جمع جنة، جنات الفردوس، وجنات عدن والمأوى، وجنات الخلد والنعيم، وغيرها.

﴿يَسَاءَلُونَ﴾: يسأل بعضهم بعضاً ماذا حل بالمجرمين أو أين هم؟

[٤١] ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾:

الكافرين والمشركين والعاصين وعن تفيد المجاوزة والمباعدة. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، والجاثية آية (٣١) لمزيد من البيان عن المجرمين.

[٤٢] ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾:

﴿مَا﴾: استفهامية للإنكار والتوبيخ.

﴿سَلَكَكُمْ﴾: أدخلكم، وسلك: دخل بسهولة والدخول إما أن يكون بمشقة وصعوبة أو بسهولة، فإذا كان بسهولة يستعمل سلك.

﴿فِي سَقَرٍ﴾: أي: ما أدخلكم في سقر. ارجع إلى الآية (٢٦) للبيان.

[٣٤] ﴿قَالُوا لَئِنْ كُنَّا مِنْ الْمُصَلِّينَ﴾:

قالوا: أي: المجرمون.

﴿لَئِنْ كُنَّا﴾: لم نك ولم يقولوا: نكن أو نكون، نك: حذف النون هنا يدل على سبب بلاغي مقصود هو نفي الصلاة عنهم أي: لم نك البتة من المصلين أي: لم

نصل أبدأ ولا صلاة واحدة، أو حذف النون إشارة إلى عدم الرغبة في الكلام أو الحديث عن الصلاة لشعورهم بالخزي والعار؛ لأنهم لم يك من المصلين.

[٤٤] ﴿وَلَوْ نَكَ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ﴾:

حذف النون هنا أيضاً ولم نطعم أي مسكين أي شيء، أو أقل شيء، أو لا يريدون الحديث والكلام عن الصدقة والزكاة.

[٤٥] ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾:

وكنا في الدنيا نخوض مع الخائضين: نخوض بالباطل نخوض من خاض الماء أي: مشى في الماء من دون العلم بعمق الماء الذي يخوضه، أو فيما إذا كانت هناك حفرة ستزل قدمه فيها كالخوض في الحديث عن القرآن يعلمه بشر، أساطير الأولين، قول ساحر أو شاعر.

[٤٦] ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ﴾:

تكرار كنا للتأكيد، كنا في الدنيا نكذب بيوم الدين، أي: لا نؤمن أو نصدق بيوم الحساب ويوم القيامة والبعث والجزاء.

[٤٧] ﴿حَقَّ أَتْنَا الْيَقِينَ﴾:

﴿حَقَّ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿أَتْنَا الْيَقِينَ﴾: اليقين الموت واختار أتنا بدلاً من جاءنا؛ لأن الموت أو اليقين لم يأت بعد، وإنما سيأتيهم في المستقبل (حيث يتحدثون عن حالهم عندما كانوا في الدنيا)، واليقين درجات: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، وهو أعلاها.





سُورَةُ الْقِيَامَةِ ٧٥

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفِيعَةُ الشَّفِيعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ حُمُومٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلْ قَدَرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُبْثَوُا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾



سورة المدثر [الآيات ٤٨ - ٥٦]

[٤٨] ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدر أي: إذا كان هذا حالهم لم يكونوا من المصلين ولم يطعموا المسكين وكانوا يخوضون مع الخائضين، وكانوا يكذبون بيوم الدين، فلن تنفعهم شفاعاة الشافعين.

﴿نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾: مهما كانوا من الملائكة أو النبيين أو الصالحين أي: لو وجد من يريد أن يشفع لهم فلن تقبل شفاعتهم؛ لأن الشفاعة لا تتم إلا برضا وإذن من الله، والشفاعة لا تكون إلا لمن رضي له قولاً، أي: يكون المشفوع له من الموحددين مثلاً، أي: لا شفاعاة لهم.

[٤٩] ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾:

﴿فَمَا لَهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، ما للاستفهام الإنكاري، لهم: اللام لام الاختصاص.

﴿عَنِ﴾: حرف مجاوزة وإبعاد.

﴿التَّذْكِرَةِ﴾: القرآن الكريم أو غيره من المواعظ.

﴿مُعْرِضِينَ﴾: لا يريدون الاستماع إليها أو صادّين عنها.

[٥٠] ﴿كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾:

كانتهم في إعراضهم عن الاستماع إلى القرآن الكريم أو التذكرة أو الدين يفرّون كالحمر الوحشية.



﴿حُمْرٌ﴾: جمع حمار، وحمار تجمع على حمير، والقرآن يستعمل كلمة حُمْرٌ: للحمار الوحشي، وحمير كما قال تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾ [النحل: ٨] يستعملها للأهلية المستخدمة.

﴿مُسْتَنْفِرَةٌ﴾: مذعورة لا يمكن ركوبها أو الاستفادة منها.

[٥١] ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾:

﴿فَرَّتْ﴾: هربت.

﴿من﴾: ابتدائية.

﴿قَسْوَرَةٍ﴾: من الأسد، تشبيه قبيح لحالهم وفرارهم خوفاً من الاستماع إلى القرآن أو إلى رسول الله ﷺ وقيل: من الصياد.

[٥٢] ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشَرَةً﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾: امرئ: تطلق على الرجل رجال الجن والإنس وتشمل الكبار والصغار، وكلمة امرئ أعم وأشمل من كلمة إنسان، منهم: خاصة من كفار قريش.

﴿يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشَرَةً﴾: أي: يريد كل واحد منهم أو يطلب منك أن تنزل عليه كتاباً من السماء منشوراً يدلُّ على أنك رسول الله ﷺ، أو يدعوهم إلى الإيمان بالله والتصديق بالقرآن.

منشرة: مفتوحة غير مطوية الكل قادر على قراءتها.



[٥٣] ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وإبطال أي: لن ننزل عليهم صحفاً منشرة ولن نستجيب لمطالبهم.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾: لا النافية لكل الأزمنة أي: هم لا يؤمنون بالبعث والحساب أصلاً، ولو خافوا الآخرة لما طلبوا منك ذلك، والنون في يخافون للتوكيد.

[٥٤] ﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذَكَّرٌ﴾:

﴿كَلاَّ﴾: أي: حقاً.

﴿وإنَّهُ﴾: إن للتوكيد والهاء ضمير يعود على القرآن الكريم.

﴿تَذَكَّرٌ﴾: أي: خير تذكيرة بالآخرة والاستعداد لها، وفي سورة عبس الآية (١١) قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذَكِّرٌ﴾، آية المدثر: ﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذَكَّرٌ﴾: المراد به القرآن، وآية عبس: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذَكِّرٌ﴾: المراد بها الآيات التي وردت في سياق ابن أم مكتوم أو السورة.

[٥٥] ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾:

﴿فَمَنْ﴾: الفاء عاطفة، من شرطية.

﴿شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾: أراد قراءته، قرأه واتعظ به والمشية تسبق الإرادة.

[٥٦] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما النافية.



﴿يَذْكُرُونَ﴾: أي: يتعظون أو يؤمنون أو يقرؤونه.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: أن: للتوكيد؛ يشاء الله: ولم يقل بإذن الله تعالى؛ إن شاء الله: تأتي في سياق الأعمال التي نقوم بها، أو نتدخل بها، وبإذن الله: تأتي في سياق الأعمال التي ليس لنا دخل أو يد؛ أي: خارجة عن إرادتنا.

﴿هُوَ﴾: ضمير يفيد التوكيد والحصر.

﴿أَهْلُ النَّقْوَى﴾: أي: هو المستحق للعبادة والتقوى وحده والذي يخاف عقابه أو أهل ليهب التقوى لمن يشاء.

﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾: تكرر أهل للتوكيد، وأهل المغفرة: الذي بيده ملكية المغفرة يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، وهو وحده القادر على أن يغفر الذنوب مهما كانت ولا يعاقب عليها، ويثيب على الحسنات، وأهل لأن يهب المغفرة لمن يتقيه.





سُورَةُ الْقِيَامَةِ ٧٥

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفِيعَةُ الشَّفِيعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ
 ﴿٤٩﴾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يَرِيدُ
 كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مَنَشْرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ
 الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ﴿٥٥﴾
 وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَعْفَرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيْحَسِبُ
 الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلْ قَدَرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ
 يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾
 وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ
 أَئِنِّ الْمَفْرُجُ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ
 يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ
 مَعَادِيرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تَحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ
 وَقَرْنَاهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾

٥٧٧

تمت
الحزب
٥٨



سورة القيامة [الآيات ١ - ١٩]

ترتيبها في القرآن (٧٥) وترتيبها في النزول (٣١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾:

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾: لنعلم أن الله سبحانه وتعالى غني عن القسم، والقسم إنما يشير إلى عظمة وأهمية المقسم به وجواب القسم: كما قال تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥].

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١].

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ [المعارج: ٤٠].

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨].

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالسَّمَاءِ﴾ [الانشقاق: ١٦].

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ﴾ [التكوير: ١٥].

ويوم القيامة: يوم يقوم الناس لرب العالمين؛ أي: يعيشوا من قبورهم للحساب والجزاء، ويوم القيامة له أسماء كثيرة منها: يوم الحشر، يوم الجمع، يوم التلاق... وغيرها.

فقد جاءت (لا) أقسم في ثماني آيات، وجاءت لا قبل فعل القسم (أقسم) في كل هذه الآيات واختلف علماء النحو في إعراب (لا)، فمنهم من قال: (لا)

زائدة يمكن حذفها، وتفيد زيادة توكيد القسم فمعنى لا أقسم بيوم القيامة؛ أي: أقسم بيوم القيامة بالتوكيد.

ومنهم من قال: (لا) النافية لما قبلها أي: نافية لأمر ذكر قبل القسم مثل إنكارهم للبعث والحساب والحشر أي: (لا) ليس الأمر كما تنكرونه وأقسم بما تنكرونه. أو لا أقسم بذلك الأمر إلا إعظماً له.

أو للتأكيد عن طريق النفي كقولك: لا أحتاج أن أوصيك بفلان.

ومنهم من قال: (لا) النافية لما بعدها: مثل قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾

[البلد: ١].

﴿يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾: يوم: ظرف زمان، القيامة: يوم البعث من القبور والبعث سيكون من الأرض الجديدة مصدر قام يقوم وأدخل عليها التاء للمبالغة، وسميت بذلك لقيام الناس لرب العالمين، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] أو لما يقوم فيها من الأهوال والأحداث العظام، وورد هذا الاسم يوم القيامة في سبعين آية من آيات القرآن الحكيم.

[٢] ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾:

﴿وَلَا أَقْسِمُ﴾: الواو عاطفة، لا أقسم: ارجع إلى الآية السابقة.

أي: أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة: أي: النفس التي تلوم صاحبها على تقصيره: إن أحسنت لامت صاحبها على عدم الزيادة في الإحسان والعمل الصالح، وإن أساءت لامت صاحبها على ذنوبه وتقصيره.

والنفس اللوامة قد يكون صاحبها مؤمناً تقيّاً أو ظالماً أو غيره، واللوامة: أي: الدائمة اللوم أو المبالغة، أي: كثرة اللوم ولنعلم أن النفس الواحدة تتقلب



أو تمر بمراحل، أو أزمة فيطلق عليها تارة النفس الأمارة بالسوء أو اللوامة أو النفس المطمئنة.

أو هناك من الأنفس طبيعتها الأمر بالسوء، وأخرى لوامة، أو مطمئنة وجواب القسم محذوف، وجوابه أن يوم القيامة حق وواقع لا محالة أي: لتبعثن ولتنبئن بما عملتم.

[٣] ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجْمَعَ عَظَامُهُ﴾:

﴿أَيَحْسَبُ﴾: الهمزة للاستفهام والتوبيخ والتقريع، حسب ويعني: يظن الظن الراجح، وحسب من الحسابان المبني على الحساب والمعرفة.
﴿الْإِنْسَانُ﴾: الكافر أو المنكر للبعث أو يوم القيامة.
﴿أَنْ﴾: أصلها أن: للتوكيد، لا النافية.

﴿يُجْمَعُ عَظَامُهُ﴾: أي: تُنشزها ونكسوها لحماً ونعيدها كما كانت في الخلق الأول أو نجتمعها بعد أن تفرقت وكانت تراباً ورفاتاً.

هذه الآية قيل: هي جواب القسم المحذوف وتقديره: لتبعثن ولنجمعن عظامه.

[٤] ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾:

﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب.

﴿قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ﴾: أن حرف مصدر يفيد التعليل والتوكيد.

﴿نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾: أي: لسنا نحن فقط قادرين على أن نجتمع عظامه، بل قادرين أن نرد بنانه أي: أصابعه وأنامله التي في يديه وقدميه، والسر في اختيار هذه العظام لكونها تحمل بصمات أصابع يديه ورجليه التي تحمل هويته الخاصة به.

والتي تختلف من إنسان إلى إنسان وتميزه عن غيره من طلاقة القدرة الإلهية أنه لا توجد بصمة تشابه الأخرى حتى التوائم، وكذلك هناك (٨) عظام في الرسغ، وكل أصبع ثلاث سلاميات ما عدا الإبهام فهو سلاميتان، هذه العظام الصغيرة والقادرة على حمل الأوزان الثقيلة، وكذلك عظام القدمين (٨) عظام إضافة إلى عظام الأصابع ثلاث عظام في كل أصبع أو سلامة، أي: قادرين على أن نعيد بناء جسمه المركب من هذه العظام الصغيرة وغيرها.

[٥] ﴿بَلْ يَرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾:

﴿بَلْ﴾ للإضراب الانتقالي.

﴿يَرِيدُ الْإِنْسَانُ﴾: الإنسان الظالم أو الكافر.

﴿لِيَفْجُرَ﴾: اللام لام التوكيد على إرادته الفجور، والفجور هو الإسراف في الكفر والإلحاد والعصيان وعدم التصديق بالبعث والحساب أو يقوم الذنوب ولا يتوب.

﴿أَمَامَهُ﴾: في حياته، أو المستقبل، وهذا يدل على أنه يريد المداومة على شهواته وفجوره والعجلة في الوصول إليها إلى ذلك.

[٦] ﴿يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾:

﴿يَسْئَلُ أَيَّانَ﴾: أيان: للاستفهام على الزمان وتعني: (متى) وفيها معنى الاستبعاد لقيام يوم القيامة، يسأل سؤال إنكار وتكذيب أو استهزاء، كقوله لغيره: أتصدق أن هناك يوم قيامة، أو من قال لك أن هناك يوم قيامة.

[٧] ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾:

برق البصر: أي: زاغ البصر.



هذه الآية والآيات القادمة هي جواب للسائل المنكر أو المستبعد أيان يوم القيامة، أي: ما على السائل إلا أن ينتظر قليلاً حتى يرى بصره يزيغ ويتحير إما عند موته، والأرجح يوم القيامة حين يرى الأهوال والعجائب التي كذب بها في الدنيا أمام عينيه؛ مما يؤدي إلى تحيره فزعاً ودهشة.

[٨] ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾:

ذهب نوره أي: أظلم لم يعد يعكس الضوء وتعطل أو خرج عن فلكه.

[٩] ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾:

فقد تبين للعلماء أن القمر يبتعد عن الأرض (٣-٤ سم) كل سنة، فلا بُدَّ أن تأتي لحظة أو زمن سيخرج القمر عن نطاق جاذبية الأرض وتبتلعه الشمس.

[١٠] ﴿يَقُولُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْمَفْرُ﴾:

وفي ذلك اليوم؛ أي: يوم القيامة الذي يبرق فيه البصر ويخسف القمر ويجمع الشمس والقمر يقول الإنسان أين المفر.

﴿أَيْنَ الْمَفْرُ﴾: استفهام حقيقي عن المكان.

﴿الْمَفْرُ﴾: اسم مكان، مكان للفرار أو أين الملجأ أو المفر من عذاب الله.

[١١] ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر له عن طلب الفرار أو الملجأ.

﴿لَا وَزَرَ﴾: لا النافية، وزر: ملجأ مثل الجبل أو الحصن لكي يأوي إليه أو

يعتصم به.

هناك فرق بين الوزر والوزر: الوزر: الملجأ أو الحصن، الوزر: جمعه

أوزار: أي: أثام وذنوب.



لنفسه يعلم ما قدّمت يده، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُّجْدِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١].

[١٥] ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: لو: شرطية.

﴿أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ﴾: جمع معذرة: جاء بكل معذرة ليعتذر بها أو يجادل بها عن نفسه جواب الشرط محذوف تقديره ما قبلت منه أو لن تنفعه أو لا يؤذن له ليعتذر. [١٦] ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾:

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾: لا النّاهية، به: تعود على القرآن.

كان ﷺ خوفاً من أن يتفلت منه القرآن وحرصاً على حفظه يسارع جبريل ﷺ ولا يصبر حتى يتم جبريل التلاوة أو القراءة عليه فينازع جبريل القراءة، أي: يبدأ يقرأ، ولم يتم جبريل قراءته فأوصاه الله تعالى في هذه الآية أن ينصت ويستمع إلى جبريل بقلبه وسمعه حتى ينتهي جبريل من التلاوة أو القراءة، لتعجل به: اللام لام التعليل أي: لا تقرأ وجبريل يقرأ.

[١٧] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد علل النّهي عن العجلة بقوله: إنا علينا جمعه وقرآنه.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾: أي: تعهد الله سبحانه وتكفل أن يجمع القرآن في صدر رسوله ﷺ سواء بالحفظ أو النطق الصحيح وبحفظه مكتوباً أو بحفظه في صدور الناس.

[١٨] ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأُنشِئْهُ فَأَتْلُوهُ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: إذا ظرفية شرطية تستعمل للأمر المتحقق وقوعها.



﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَآتِ بِهُ قُرْآنَهُ﴾: أي: إذا قرأه جبريل عليك فاتبع قراءة جبريل واستمع وأنصت إليه حتى يتم، وقيل: فاتبع قرآنه أي: اعمل به وأحل حلاله وحرم حرامه.

[١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الذكري.

﴿بَيَانَهُ﴾: بيان ما فيه من أحكام وشرائع وحلال وحرام وحدود أو بيان ما اشتبه عليك من معانيه أو أحكامه، المبين هو جبريل ﷺ، والمبين له هو رسول الله ﷺ، وتقديم علينا (الجار والمجرور) يفيد الاختصاص، فالله سبحانه مختص ببيانه، أو بيانه تعني تتلوه، كما يتلوه جبريل ﷺ، وبلسان عربي مبين.





سورة الفاتحة ٧٥

سورة الفاتحة

سكنة
لطفة
علاتون

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾
كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ لَهَا مِمَّن رَاقِي ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالتَّفَتَّى
السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾
وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ
فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيْحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾
أَلَمْ يَكُنْ نَظْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ
الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدَرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الْإِنشَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾
إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا
بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾
إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ
الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

سورة القيامة [الآيات ٢٠ - ٤٠]

[٢٠] ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾:

﴿كَلَّا﴾: قد تعني حقاً أي: حقاً، أو كلا: كلمة ردع لا تعجل به يا محمد وتحرك به لسانك وعليك بالأناة والصبر، وكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١١٤].

﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾: بل: للإضراب الانتقالي؛ تحبون العاجلة؛ أي: الحياة الدنيا القريبة مقارنة بالآخرة البعيدة؛ لكي لا يغتر بالحياة الدنيا العاجلة لقوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، ولا يعني ذلك: أن الله خلقه عجولاً، وإنما كثرة عجلته والدوام عليها يظن من ينظر إليه كأنه خلق عجولاً.

[٢١] ﴿وَيَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾:

﴿وَيَذَرُونَ﴾: من فعل ذر: أي: ترك بسرعة وعجلة أي: لا تستعدون لها ولا تهتمون بها.

﴿الْآخِرَةَ﴾: أي: دار الآخرة دار القرار التي تحول الوجوه إلى وجوه ناضرة أو وجوه باسرة.

[٢٢] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾:

﴿وُجُوهٌ﴾: مجاز مرسل أطلق الجزء وأراد به الكل؛ أي: الذات أو النفس.



﴿نَاضِرَةٌ﴾: من النضارة وهي الحسن أي: وجوه مشرقة دلالة على رضى وسرور النفس ومضيئة بنور الإيمان والأعمال الصالحة.

تقديم ﴿يَوْمِئِذٍ﴾: يفيد الاختصاص أي: في ذلك اليوم خاصة.

[٢٣] ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾:

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾: تقديم الجار والمجرور إلى يفيد الحصر أو الاختصاص أي: لا تلتفت يمنة أو يسرة إلا إليه وتمعن النظر إليه سبحانه.

﴿نَاطِرَةٌ﴾: وهذا هو أعظم النعيم والغاية العظمى والدرجة العليا في الآخرة، وناظرة: مؤنث ناظر اسم فاعل من نظر، والنظر إلى الله سبحانه من الغيب، نظر يليق بجلاله وعظمته.

[٢٤] ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾:

﴿بَاسِرَةٌ﴾: مؤنث باسر والباسر اسم فاعل من بسر والباسر: شديد العبوس، باسرة من البسر: وهو تقبض عضلات الجبين وما بين العينين، أي: عابسة بشدة، فالانقباض يؤدي إلى قلة التروية الدموية في الوجه؛ مما يؤدي إلى تغير لون الوجه والزرقاة أو اللون الشاحب والبسر.

﴿يَوْمِئِذٍ﴾: وتقديم يومئذ يفيد الاختصاص أي: في ذلك اليوم خاصة تراها باسرة.

[٢٥] ﴿تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾:

﴿تَنْظُرُ﴾: من الظن التردد الراجح وهو الذي ترجح فيه كفة الإثبات والعلم على النفي، تظن أي: تعلم علم اليقين أو تتوقع.



﴿أَنْ﴾: للتعليل.

﴿يُفَعِّلُهَا﴾: الفاعل مبني للمجهول، ولا يجوز نسب الضر والسوء إلى الله سبحانه الغني عن ذلك.

﴿يُفَعِّلُهَا فَاقِرَةً﴾: فاقرة مأخوذة من الفقار وهي عظام الظهر المركب من فقرات، وفاقرة داهية عظيمة أو مصيبة ستحل به وتقصم ظهره؛ أي: تكسر فقار ظهره، أو فاقرة مأخوذة من الفقر، أو الفاقرة الحدث الجلل الذي يؤدي إلى شلل كامل في العمود الفقري فلا يقوى بعدها على الوقوف.

[٢٦] ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾:

﴿كَلَّا﴾: حقاً، أو كلمة ردع وزجر.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية حتمية الحدوث.

﴿بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾: أي: الروح إذا انتزعت من أي إنسان وبلغت أي: وصلت التراقي: جمع ترقوة أي: عظم الترقوة، ولكل إنسان عظامان، كل منهما يسمّى عظم الترقوة على مستوى أسفل العنق، أو أعلى الصدر، وفي آية أخرى ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣]، ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٧]، وموقع الحلقوم أعلى من موقع عظم الترقوة. ترجعونها؛ أي: هل أنتم قادرون على إرجاعها إلى الجسم بعد انتزاعها منه.

[٢٧] ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾:

﴿وَقِيلَ﴾: مبني للمجهول (ليس المهم معرفة القائل وإنما المقولة).

﴿مَنْ﴾: استفهامية استغراقية.



﴿رَاقٍ﴾: راق: اسم فاعل من فعل رقى بمعنى يرقيه أي: يقرأ عليه الرقية كي يشفى ويُعيد إليه روحه بعد انتزاعها أو من يصعد أو يرقى بروحه إلى السماء؛ أي: هل من رجل صالح أو طبيب يشفيه أو ملك يصعد بروحه إلى السماء.

[٢٨] ﴿وَلَنْ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾:

﴿وَلَنْ﴾: أي: تيقن وعلم أنه الفراق.

﴿الْفِرَاقُ﴾: فراق الدنيا والأهل والمال.

[٢٩] ﴿وَالْفَتَى السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾:

﴿السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾: عند العرب كناية عن الشدة أي: اجتمعت الشدائد وصعب الكرب لمفارقة الأهل والمال والدار والإخلاء أو جاءت سكرات الموت.

﴿وَالْفَتَى﴾: فعل ماض أي: انتهى الأمر والتفت الساق بالساق بالكفن أو تيسستا ولم تتحركا كأنه أصابهما شلل ولم يعد فيهما فائدة أو حركة.

[٣٠] ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾:

﴿إِلَى رَبِّكَ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، الأصل يومئذ إلى ربك المساق.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة الصغرى، أو يوم تلتف الساق بالساق.

﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾: إليه وحده فقط المساق، المساق مصدر ميمي من فعل ساق، المساق: أي: السوق إلى أرض المحشر للحساب والجزاء.

[٣١] ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾:

تعود على الإنسان المكذب بالحساب والبعث.

وقيل: نزلت هذه الآية في أبي جهل والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص

السبب.

﴿فَلَا صَدَقَ﴾: الفاء استئنافية، لا النافية، صدق: بالله وملائكته وكتبه ورسله

واليوم الآخر، ولا صدق بالقرآن والبعث والحساب أو برسول الله ﷺ.

﴿وَلَا صَلَّى﴾: تكرر (لا) يفيد تأكيد النفي وفصل التصديق عن الصلاة أو

كلاهما معاً لم يصدق، ولم يصل معاً لم يصل لربه الصلاة المفروضة التي هي أهم العبادات، وقدم التصديق على الصلاة؛ لأن الإيمان بالله هو الأساس وهو أكبر جرماً وضللاً من ترك الصلاة.

[٣٢] ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾:

﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿كَذَّبَ﴾: بالله وآياته (القرآن) وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث

والحساب.

﴿وَتَوَلَّى﴾: ابتعد وأعرض عن عبادة ربه وتولى عن الصلاة والزكاة والصيام

والحج.

[٣٣] ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾:

﴿ثُمَّ﴾: قد تفيد الترتيب العددي أو التوكيد.



﴿ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمُتُّ﴾: أي: لم يكتف بعدم التصديق والإيمان وعدم الصلاة وعبادة الله وطاعته، بل زاد على ذلك أنه ذهب إلى أهل يتمطي يمد خطاه، وقيل: المطا: الظهر أي: يختال ويتبختر معجباً بنفسه مسروراً أنه آذى رسول الله ﷺ أو أصحاب رسول الله ﷺ أو تمادى في كفره وفجوره.

[٣٤] ﴿أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ﴾:

﴿أَوَّلَىٰ لَكَ﴾: أي: الويل لك يا من لم تصدق وتصلي وكذبت وتوليت وتعاليت، فأولى للتوكيد، وقيل: أولى لك فأولى: دعاء عليه بالهلاك والشر العاجل أو تهديد ووعيد.

﴿أَوَّلَىٰ﴾: مشتقة من الولي: وهو القرب قرب وقوع الهلاك أي: يا هلاكك يا مصيبتك، أو ويلك الويل أو أولاك عجل الله لك الهلاك أو العذاب المرة بعد المرة.

أولى لك: حياً؛ أي: في الدنيا، أي: الويل لك في حياتك الدنيا والويل لك عند موتك.

﴿فَأَوَّلَىٰ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، فأولى؛ أي: الويل لك في حياة البرزخ والويل لك عند البعث.

[٣٥] ﴿ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: تفيد الترتيب والتراخي في الزمن.

﴿أَوَّلَىٰ لَكَ﴾: يا هلاكك ومصيبتك يوم البعث والحشر أو ويل لك يوم البعث والحشر، أو في يوم القيامة.

﴿فَأُولَئِكَ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، فأولئ أي: في النار أي: ويل لك أو يا هلاكك في النار.

[٣٦] ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾:

﴿أَيَحْسَبُ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾: من حسب أي: ظن الظن الراجح القائم على حساب ونظر وتجربة أنه خلق عبثاً أو سدى، ولذلك فهو ينكر البعث والحساب.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدر يفيد التعليل والتوكيد.

﴿يُتْرَكَ سُدًى﴾: أي: أن يترك مهملاً فلا يكلف في الدنيا ولا يجزئ في الآخرة ولا يؤمر ولا ينهى وأسدئ الشيء: أي: أهمله، وإبل سدى أي: إبل مهمة بلا راع؛ أي: يترك بلا مراقبة أو رعاية ومحاسبة في الآخرة.

[٣٧] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَنِيَّ يَمُنُّ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: الهمزة للاستفهام.

﴿يَكُ﴾: ولم يقل: يكن أو يكون، يك تدل على مبدأ الشيء ولم يتطور بعد أو دور التكوين لم يكتمل بعد؛ لأن يك تمثل بداية تطور الجنين.

﴿نُطْفَةٍ مِّن مَّنِيٍّ﴾: أي: من نطفة الرجل أي: الحيوان المنوي والذي يحتاج إلى البويضة ليلقحها، فالنطفة غير كاملة حتى يندمج الحيوان المنوي مع البويضة، من: ابتدائية أي: ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب يُمنى: يُخصب.



[٣٨] ﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾:

﴿ثُمَّ﴾: تدل على التباين بين مرحلة النطفة ومرحلة العلقة، أو تدل على الترتيب العددي.

﴿فَخَلَقَ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، خلق: الخلق هو التقدير والإيجاد.

﴿فَسَوَّى﴾: فصار خلقاً سوياً سليم الأعضاء.

[٣٩] ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾:

﴿فَجَعَلَ﴾: الفاء تدل على الترتيب والتعقيب.

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾: منه تعود على المني، جعل: الجعل يكون بعد الخلق، الخلق يكون من المني أي: النطفة، والمني المكون من أكثر من (١٠٠ مليون) حيوان منوي، وفقط واحد من هذه يكون قادراً على اختراق البويضة للإخصاب.

ومن المني (ماء الرجل) يتكون (الذكر والأنثى) أي: الزوجان وليس للأنثى دخل في تشكّل الذكر أو الأنثى؛ إذ الذي يحدد جنس المولود ذكر أو أنثى هو مني الرجل وليس المرأة؛ مني الرجل الحاوي على (كروموزومات) منها واحد هو يحدد كون المولود ذكراً أو أنثى، وهذا من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الدالة على القرآن منزل من الخالق، ولنعلم أنه في المراحل الأولية من تطور الجنين لا تعرف هويته ذكر أو أنثى إلا بعد مرور فترة من الزمن تقدر بـ (١٤) أسبوعاً في غالب الأحيان.

[٤٠] ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾:

﴿أَلَيْسَ﴾: الهمزة للاستفهام التقريري من يخلق ذلك اسم إشارة إلى من يخلق المني ويجعله نطفة ويجعل منه الزوجين الذكر والأنثى.

﴿بِقَدِيرٍ عَلَىٰ﴾: الباء للإلصاق والتوكيد، قادر من القدرة والاستطاعة على: على تفيد المشقة والعلوية؛ أي: قادر على أن يفعل ما يشاء، وفي آيات أخرى وصف الله سبحانه ذاته بالقدير للمبالغة في قدرته، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وكذلك وصف ذاته بالمقتدر كما في سورة القمر الآية (٥٥) ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد.

﴿يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾: أي: يبعث الموتى من جديد وينشئهم أي: يحييهم كالنشأة الأولى؟ الجواب: بلى سبحانه قادر على كل شيء إثبات عن طريق التقرير.





سورة النازعات ٧٥

سورة النازعات

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾
كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ لَهَا رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَطَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالتَّقَبُّ
السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صُلَىٰ
﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ
فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾
أَلَمْ يَكُنْ نَظْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَحَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَعَلَ مِنْهُ
الرَّجُلَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سورة
النازعات
علائق

سورة النازعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾
إِنَّا خَلَقْنَاهُ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا
بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾
إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ
الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾



سورة الإنسان [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (٧٦) ترتيبها في النزول (٩٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾:

﴿هَلْ﴾: استفهام يفيد أو بمعنى التقرير جاءت بصيغة السؤال بدلاً من صيغة الخبر، وطلب من القارئ أن يجيب بنفسه على هذا السؤال، ولا يجوز القول: هل معناها قد كما قال البعض؛ لأن ذلك يعني: أن المتكلم قرّر ذلك، وأخبر بنفسه وغير القصد من المعنى بينما الحقيقة السائل يريد من المستمع أن يجيب على السؤال ويقر بذلك.

﴿أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾: أتى: تعني المجيء بسهولة بعكس جاء على الإنسان: اسم جنس يعني: ولد آدم ومشتقة من الأنس يأنس بغيره، أو لآته غير مختلف كالجن فهو يُبصر ويُرى، حين: الحين هو زمن غير محدّد مهما كان طوله أو قصره.

﴿لَمْ﴾: للنفي.



﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾: هنا احتمالان: يحتمل أنه لم يكن شيئاً، ويحتمل أنه كان شيئاً ولم يكن مذكوراً.

وقيل: الإنسان هنا يعني: آدم ﷺ، والحين الذي مرَّ عليه (٤٠) سنة كان مصوراً من طين، ثم من حمأ مسنون، ثم صلصال كالْفَخَارِ، لا يذكر ولا يعرف ولا يُدْرَى ما اسمه، إلى أن نفخ فيه الروح، وقيل: الإنسان حين يكون في أصلاّب الآباء، وقبل أن يصبح نطفة، ثم علقه، ثم مضغه.

لم يكن شيئاً مذكوراً، وجاءت سورة الإنسان لتذكر الإنسان بخلقه، ثم بتزويده بطاقات السَّمْع والبصر، ثم هدايته السَّبِيل، ثم جزاء الكافرين وجزاء الأبرار والنَّعيم الذي ينتظرهم ونددت بحب الدنيا وحشت على الصبر وأن القرآن تذكرة ومنزل من الله رب العالمين. ارجع إلى سورة مريم آية (٦٧) لمعرفة الفرق بين قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٧].

[٢] ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾: إِنَّا للتعظيم، الخلق: التقدير الإنسان. ارجع إلى الآية السابقة.

﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾: من مني الرجل والمرأة.

﴿أَمْشَاجٍ﴾: أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة (من المنى والبويضة) تتطور طوراً بعد طور لتكون الجنين، وأما الأضغاث: جمع ضغث كما في سورة ص

الآية (٤٤): ﴿وَحُذِّبِكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ﴾، أو قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَنْتُ أَحْظِرَ﴾ [يوسف: ٤٤]، والتي تدل على اختلاط وتداخل وغير واضحة، وأما الأمشاج: فهي واضحة، ومميزة رغم اختلاطها.

﴿بَنَاتِي﴾: لكي نختبره بالتكاليف الشرعية بعد سن البلوغ.

﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾: جعلنا له حاسة السمع وحاسة البصر والفاء فاء السببية، وقدم السمع على البصر. ارجع إلى سورة الملك الآية (٢٣) للبيان.

[٣] ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾: إِنَّا للتعظيم، هديناه: بينا له الطريق وأرشدناه إلى طريق الهدى والصلاح والصراط المستقيم (الدين)، وبيننا له طريق الضلال والفساد بشتى الوسائل بالعقل والرسل والأنبياء والكتب المنزلة والآيات الكونية، هديناه السبيل؛ لنرى هل يكون شاكرًا أم يكون كفورًا.

﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾: إمّا حرف تفصيل، شاكرًا: اسم فاعل من شكر ويدل على الأعم؛ أي: من شكر أكثر من شكور بعكس شكور تدل على كثرة الشكر، فكل شكور شاكر، وليس كل شاكر شكور.

﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾: تكرار إمّا للتوكيد، كفورًا: صيغة مبالغة تدل على كثرة الكفر والوقوع فيه ولم يقل: إمّا شكورًا وإمّا كفورًا، للمبالغة في الكفر مقارنة بالشكر، وكما قال تعالى: في سورة سبأ الآية (١٣): ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾.



[٤] ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَلْنَا وَسَعِيرًا﴾:

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾: إنا للتعظيم، أعددنا: هيأنا للكافرين اللام لام الاختصاص والاستحقاق. الكافرين: الغير مؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿سَلَاسِلًا﴾: جمع سلسلة كقوله تعالى: ﴿إِذَا الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَقِهِمْ وَالسَّالْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر: ٧١]، وقوله: ﴿تَمْرٌ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢].

﴿وَأَغْلَلْنَا﴾: جمع غل تجمع أيديهم إلى أعناقهم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَقِهِمْ أَغْلًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ [يس: ٨].

﴿وَسَعِيرًا﴾: ناراً مستعرة متوقدة، وفي الآية تهديد ووعد للكافرين.

[٥] ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾:

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾: إن للتوكيد، الأبرار: جمع بر والبار يجمع على بررة وأبرار وبررة أبلغ وأعظم من أبرار، والبررة: صفة للملائكة، والأبرار صفة للآدميين، وعباد الله منهم المقربون ومنهم الأبرار، والمقربون أبلغ وأعلى درجة من الأبرار، والبررة: جمع كثرة، وأما الأبرار: جمع قلة مقارنة بالفجار.

﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾: من ابتدائية، كأس: قدح فيها خمر مختلط بالكافور وكأس تعني: ملأى. ارجع إلى سورة الواقعة آية (١٨) لمزيد من البيان.

﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾: المزاج ما يُمزج به وتعني: الخمر الممزوج بالكافور، والكافور: مادة بيضاء ذات رائحة طيبة فيها برودة ينبع من عين في

الجنة تنبع بالكافور وكافور الدنيا هو مجرد اسم لكافور الآخرة، ولا يقارن هذا بذلك، وكافور الآخرة ليس له مثل في الدنيا إلا الاسم، وأما الزنجبيل: فيمتاز طيب الطعم واللذة.

فالأبرار يشربون من كأس تُحضر إليهم بواسطة الولدان المخلدين أو الغلمان في الجنة، بينما المقربون يشربون بها أي: مباشرة من العين نفسها أي: هم يقفون أمامها يتمتعون بالنظر والشرب معاً.





سورة الإسراء ٧٦

الجزء التاسع عشر

عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالْأَنْزَارِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَتْ شُرُهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشْكُونًا
وَبَيْمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ
الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا
﴿١٢﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ
مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنَا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا
﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ
خَضِرٌ مُّسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوهُمُ الْأَسَاوِرُ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ
مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

سورة الإنسان [الآيات ٦ - ٢٥]

[٦] ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾:

﴿عَيْنًا﴾: نكرة من عيون الجنة، وعين تجمع على عيون وأعين، وأعين تعني التي نبصر بها، أما عيون فهي التي تنبع بالماء.

﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾: أي: المقربون وربما الأبرار يشرب بها: الباء للإلصاق ويشرب بها أي: هم حاضرون موجودون على العين يتمتعون بلذة النظر ولذة الشرب، وكما قلنا في الآية السابقة: يشرب منها أي: تنقل إليهم فيشربون منها، بينما يشربون بها: يشربون من العين مباشرة.

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾: تنبع بغزارة وقوة ويدل ذلك على التكريم.

[٧] ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾:

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾: أي: الأبرار الذين يؤدون نذورهم والنذر في الشرع ما أوجبه المكلف على نفسه لله تعالى مما لم يكن عليه ملزماً، ويوفون جاءت بصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار والتجدد في الوفاء، عباد الله الذين كانوا يوفون بعهودهم ونذورهم في الدنيا.

﴿وَيَخَافُونَ﴾: بصيغة المضارع كما في يوفون تدل على الاستمرار والتجدد وحكاية الحالة.

﴿يَوْمًا﴾: أي: يوم القيامة أو الحساب.



﴿كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾: منتشر أ يقال: استطار الحريق إذا انتشر أو استطار الغبار أي: انتشر، شره: عذابه شدائده وأهواله منتشرة كما ينتشر الحريق.

[٨] ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾:

﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾: الواو: واو العطف ويطعمون: أي: الأبرار عباد الله، يطعمون: بصيغة المضارع التي تدل على التجدد والتكرار، ولم يقل: وأطعموا الطعام على حبه: الهاء على حبه تعود إما على حب الله تعالى رجاء في ثوابه، أو على حب الطعام رغم حاجتهم إلى الطعام وحبهم إليه وشهوتهم والأرجح على حب الطعام ولا مانع من المعنيين.

يطعمون الطعام:

﴿مِسْكِينًا﴾: المحتاج الذي ليس عنده ما يكفيه.

﴿وَيَتِيمًا﴾: من لا أب له قبل سن البلوغ.

﴿وَأَسِيرًا﴾: الذي أخذه العدو رهينة، وقد يشمل المسجون أو الغريم وغيره.

[٩] ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد الحصر والتوكيد.

﴿لَوَجْهِ اللَّهِ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾: هذا قول عباد الله الذين يطعمون الطعام على حبه يقولون للذين يطعمونهم؛ نطعمكم: ابتغاء مرضات الله؛ أي: يحدثون أنفسهم بذلك أو نيتهم ابتغاء وجه الله، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

﴿لَا تُدْمِنُكُمْ جَزَاءُ وَلَا شُكْرًا﴾: أي: لا نسألکم أجراً أو شكراً عليه.

[١٠] ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا﴾:

هذا هو السبب للإطعام هو أننا نخاف من ربنا، ونطعمكم لوجه الله هو الغاية من الإطعام.

﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾: وصف اليوم بالعبوس بدلاً من الوجوه التي تكون عابسة من عذابه وشدة أهواله وشره، أو يشبه اليوم (يوم القيامة) بالأسد العبوس.

﴿قَطَطِيرًا﴾: غليظاً شديداً كريهاً يقال: اقمطر يومنا إذا اشتد عذابه وطال بلاؤه كما يحدث في يوم القيامة.

[١١] ﴿فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾:

﴿فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾: الفاء عاطفة، وقاهم الله شر ذلك اليوم أي: دفع عنهم عذابه، وأنجاهم شر ذلك اليوم العبوس القمطرير بسبب خوفهم منه وإطعامهم لوجه الله تعالى.

﴿وَلَقَّعَهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾: أي: أكرمهم وجعل أو صير في وجوههم نظرة: بهاء وبهجة وسروراً، بدلاً من العبوس.

[١٢] ﴿وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾:

﴿وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا﴾: وجزاهم: أثابهم، بما: الباء السببية أو البدلية، وما المصدرية.

﴿صَبَرُوا﴾: صبروا على طاعة الله واجتناب نواهيه وعلى قدره وقضائه وصبروا على الجوع وابتغاء وجه الله تعالى.



﴿جَنَّةٌ وَحَرِيرًا﴾: أثابهم على صبرهم جنة: اسم جنس (تعني: جنات النعيم) واللباس المصنوع من الحرير (السندس والإستبرق).

[١٣] ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾:

﴿مُتَّكِئِينَ﴾: جالسين من الاتكاء جالسين براحة وطمأنينة.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: أي: السرر أو الفرش المزينة.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾: فيها في الجنة حر الشمس الشديد ولا الخفيف.

﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾: (لا) لتوكيد النفي، زمهريراً: البرد الشديد، ولا البرد الخفيف.

[١٤] ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾:

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ﴾: قريبة منهم أو تدنو عليهم ظلالها.

﴿ظِلُّهَا﴾: ظلال أشجار الجنة.

﴿وَذُلَّتْ﴾: سخرت وسهلت لهم قطوف ثمار الجنة أو مذللة قطوفها لهم

فينالها القائم والقاعد والمضطجع.

﴿قُطُوفُهَا﴾: ثمارها.

﴿نَذِيلًا﴾: للتوكيد. مصدر للفعل الرباعي ذلّل.

[١٥] ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾:

يطاف: لم يسم الفاعل في هذه الآية، وسماهم في سورة الواقعة الآية

(١٧) فقال: ﴿يُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾، وفي سورة الطور الآية (٢٤) قال تعالى:

﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ غُلَامَانِ لَّهُمْ﴾؛ أي: يُحضر لهم الولدان والغلمان بشكل متكرّر

الشراب والطعام في الأواني والأكواب المصنوعة من الفضة، ويطاف يقصد به الآنية، والمشروب، وأما يطوف تأتي في سياق المناول للشراب؛ أي: وصف للطائف، ويطاف وصف للشراب أو الآنية.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾: أوانٍ من فضة وأكواب من أقداح بلا عُرَى (لا عروة لها) زجاجية.

﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾: كانت زجاجية، القوارير: جمع قارورة والقارورة تطلق على إناء الزجاج.

[١٦] ﴿قَوَارِيرًا مِّن فِضَّةٍ قَدَرُهَا نَقِيرًا﴾:

﴿قَوَارِيرًا مِّن فِضَّةٍ﴾: قوارير من فضة في صفاء الزجاج أي: مصنوعة من زجاج وفضة.

﴿قَدَرُهَا نَقِيرًا﴾: لها مقادير أو مقاييس مختلفة حسب ما يختارون أو على قدر حاجة الشارب من غير زيادة أو نقصان.

[١٧] ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾:

﴿وَيُسْقَوْنَ﴾: أي: هم يعطون الكأس ليشربوا منها أو يشربون بأنفسهم وهذا أفضل من يُسْقَوْنَ فيها في الجنة.

﴿كَأْسًا﴾: القدح يسمّى كأساً أو الشراب نفسه يسمّى كأساً، كأس من معين: كأس من خمر، كأس دهاقاً: كأس ممتلئة (ملأى).

﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾: أي: الشراب الذي يمزج بالزنجبيل أو يمزج بالكافور، كما رأينا في مطلع السورة، الزنجبيل نبات معروف بطيب الرائحة، فإذا شرب



الشَّراب الممزوج بالكافور، ثمَّ بالزَّنجبيل بعد الكافور أحدهما على أثر الآخر أكمل وأطيب وألذ أو يشرب كلاً على حِدَةٍ، أمَّا شراب المقربين، فقيل: لا يمزج فهو شراب خالص.

[١٨] ﴿عَيْنَا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلاً﴾:

﴿سَلْسِيلاً﴾: من سلسل وسلسال وأضيفت الباء للمبالغة والدلالة على غاية السَّلاسة.

﴿عَيْنَا فِيهَا﴾: هي عين السَّلسيل تنبع بالماء أو الشَّراب اللذيذ السَّهل البلع.

[١٩] ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا﴾:

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾: ولم يقل: أولاد وفي آية أخرى يطوف عليهم غلمان لهم، الغلمان: الولدان: جمع قلة فقط الغلمان؛ الولدان: جمع قلة فقط الذكور الصَّغار في السَّن، الأولاد: جمع كثرة تشمل الذكور والإناث.

﴿مُخَلَّدُونَ﴾: لا يهرمون ولا يموتون حالهم دائماً لا تتغير حالة الولدان.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾: إذا: ظرفية شرطية تفيد حتمية التحقق.

﴿حَسِبْتَهُمْ﴾: من حسب وهو الظن الرَّاجح.

﴿لُؤْلُؤًا﴾: في صفاء ألوانهم ونضارة وإشراق وجوههم وحسنهم.

﴿مَّنثورًا﴾: المنثور المنتشر منتشرون هنا وهناك كاللآلئ ليدل على الإسراع

في الخدمة.

[٢٠] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ﴾: ثمّ: ظرف مكان تعني هناك، وإذا رأيت الجنة رأيت نعيمًا لا يوصف وملكاً كبيراً لا يقدر، أو أينما وقع بصرك رأيت نعيمًا وملكاً كبيراً. ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾: من الجنات والمساكن الطيبة والخيام والغرف المبنية فوق بعضها البعض.

[٢١] ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوءٌ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾:

﴿عَلَيْهِمْ﴾: فوقهم أي: لباسهم الخارجي أو الظاهر البارز ثياب أهل الجنة السندس الأخضر والإستبرق.

﴿ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضَرٌ﴾: الحرير الأخضر الرقيق، والثياب: هي التي تغطي أو تستر جميع البدن، وأما اللباس: يأتي في سياق ستر العورة، وهذه الثياب متعددة، ومتنوعة.

﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾: الحرير الغليظ أو ما غلظ من الحرير.

﴿وَحُلُوءٌ أَسَاوِرَ﴾: ألبسوا: ألبسوا بشكل دائم ولم يقل يحلون التي تدل على التجدد والتكرار، أساور: جمع كثرة، ولم يقل: أسورة التي تدل على جمع قلة، ومن فضة، وفي آية أخرى من ذهب ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١] أي: تارة يلبسون الفضة وتارة الذهب حسب ما يشاؤون، أو هناك من الناس من يفضل الذهب على الفضة أو بالعكس فالكمل متوفر لهم.



﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾: الطهور: صيغة مبالغة في الطهارة والنظافة وهذا نوع آخر من الشراب: أي: لم تمسه الأيدي.

[٢٢] ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾:

﴿إِنَّ هَذَا﴾: إن: للتوكيد، هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير إلى النعيم والملك الكبير.

﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾: الجزاء أعم من الأجر ويستخدم في النفع والضرر.

﴿وَكَانَ﴾: للتوكيد.

﴿سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾: سعيكم: عملكم في الدنيا والسعي يشمل الإيمان والتقوى والعمل الصالح، مشكوراً: مقبولاً، ومثابون عليه بأفضل الجزاء والثواب.

[٢٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم، نحن لزيادة التعظيم والتوكيد.

﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ﴾: نزلنا منجماً أي: مفرقاً على دفعات، عليك: ولم يقل: إليك.

ارجع إلى سورة البقرة الآية (٤) للبيان.

﴿الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾: تنزيلاً مصدر يفيد التوكيد.

[٢٤] ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾:

﴿فَاصْبِرْ﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدر، إن جاء قدر الله فاصبر.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: أي: اصبر على مشاق تحمل الرسالة وداوم عليها
واصبر على أذاهم وعداوتهم.

﴿وَلَا تَطْعَمْ مِنْهُمْ﴾: لا: النّاهية، تطعم منهم: قريشاً وغيرهم.
﴿إِنَّمَا﴾: كثير الإثم.

﴿أَوْ﴾: لا تعني التّخير، وإنما تعني واو الجمع أي: لا تطعم منهم أثماً
وكفوراً.

﴿كَفُورًا﴾: صيغة مبالغة في الكفر أي: كثير الكفر.

[٢٥] ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾:

﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾: أي: داوم على ذكره بكلّ أنواع الذّكر من صلاة وتسبيح
وتحميد وتهليل وقراءة قرآن.

﴿بُكْرَةً﴾: أوّل النّهار، وقيل: صلاة الفجر.

﴿وَأَصِيلًا﴾: آخره، قيل: صلاة الظهر والعصر، وقيل: طوال النّهار اذكر
ربك أي: صلّ الصّلوات الخمس.





سُورَةُ الزُّمَرِ

الزُّمَرِ

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ
هَؤُلَاءِ يَحْبُونُ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ
خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا
﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾
وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾
يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَأَلْصَقَتْ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّشْرَتِ نَشْرًا ﴿٣﴾
فَالْفَرَقَتِ فَرَقًا ﴿٤﴾ فَأَلْمَلِقَتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُدْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾
وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرَّسُلُ أُنْقَتَ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ
﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَنْهَكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ
﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

سورة الإنسان [الآيات ٢٦ - ٣١]

[٢٦] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾:

﴿وَمِنَ﴾: ابتدائية بعبضية أي: بعض الليل.

﴿الَّيْلِ﴾: تعني: أي ليل، أما لو قال: ليلًا أي: تلك الليلة بعينها.

﴿فَاسْجُدْ لَهُ﴾: السجود يعني: الصلاة أي: صلّ لله تعالى صلاة المغرب والعشاء.

﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾: سبّحه تعني: صلاة التهجد أو القيام، التسبيح: يعني: الصلاة والتسبيح والذكر العادي، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، وطويلاً أي: وقتاً طويلاً والخطاب لرسول الله ﷺ وأُمَّته.

[٢٧] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾:

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾: إن: للتوكيد، هؤلاء: الهاء للتنبيه، أولاء: اسم إشارة إلى كفار قريش وغيرهم.

﴿يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾: الحياة الدنيا، وسمّيت بالعاجلة: أي: القربة أي: الدنيا أو لأنها تزول بسرعة.

﴿وَيَذَرُونَ﴾: مشتقة من ذرو: أي: ترك يذرون أي: لا يستعدون ولا يعبؤون أو يهتمون بما وراءهم.

﴿وَرَاءَهُمْ﴾: بما هو قادم أو أمامهم.

﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾: يوم القيامة، يوم عسير طويل، ثقیل لشدة أهواله وتنكيره ليدل على شدته.



[٢٨] ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْنَهُمْ تَبْدِيلًا﴾:

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ﴾: نحن للتعظيم، خلقناهم: الخلق يعني: التقدير والإيجاد، خلقناهم من نقطة، ثم من علقه، ثم من مضغة أو من ماء مهين، أو من تراب. ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾: مأخوذة من الأسر ويعني: الربط بقوة، شددنا وأحكامنا خلقهم وقوانينهم بأن خلقنا لهم العضلات والمفاصل والأربطة والأعصاب، أي: قوة في الخلق والبنیان، ولها معنى ثان شددنا وثاقهم أي: السيطرة عليهم (كالأسير) فلا يفلت منهم أحد من قبضتنا أي: من الحساب والجزاء، وقد تعني كلا المعنيين.

﴿وَإِذَا شِئْنَا﴾: إذا: شرطية، شئنا: من المشيئة التي تسبق الإرادة.

﴿بَدَّلْنَا أَمْنَهُمْ تَبْدِيلًا﴾: أي: قضينا عليهم بالموت أو الهلاك وبدلناهم بقوم آخرين أفضل منهم، تبديلاً: للتوكيد.

[٢٩] ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾:

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾: أي: الآيات أو السورة فقط تذكرة لما سيحصل في الآخرة من النعيم المقيم. ارجع إلى سورة المزمل الآية (١٩) للبيان.

[٣٠] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾:

قالوا: المشيئة تسبق الإرادة، والإرادة قبل القدر، والقدر قبل القضاء، فيكون الترتيب كما يلي: العلم بالشئ المراد أو العلم بالعلة، ثم المشيئة فالإرادة فالقدر فالقضاء والإمضاء.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾: وما: الواو عاطفة، ما: نافية، تشاءون: شيئاً أو أمراً،

والمشيئة هي الميل لحصول شيء بعد العلم به.

﴿وَلَا﴾: أداة حصر، أن يشاء الله.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدر يفيد التعليل والتوكيد.

أي: مشيئة الله أو الرب سبحانه مقدمة وسابقة ومهيمنة على مشيئة العبد؛ لأن مشيئة الله مقرونة بالعلم والحكمة والقدرة.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾: إن للتوكيد، كان: تشمل كل الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، كان ولا يزال وسيظل.

﴿عَلِيمًا﴾: بأحوال وأفعال وأقوال خلقه وما يصلحهم وما ينفعهم وما يضرهم ونواياهم ومشيتاتهم وإرادتهم.

﴿حَكِيمًا﴾: في تدبير شؤون خلقه وكونه فهو أحكم الحاكمين وأحكم الحكماء. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩) لمزيد من البيان.

[٣١] ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: أي: يدخل من المؤمنين في رحمته، الرحمة: تعني الإنعام على العبد والوقاية من المعاصي، والرحمة هي جلب ما يسر ودفع ما يضر ومن رحمته الجنة أيضاً.

﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ﴾: جمع ظالم من ظلم نفسه وغيره بكل أنواع الظلم والظلم قد يعني الشرك، والخروج عن منهج الله سبحانه. أعد: هيا، وحضر.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص، لهم خاصة.

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: شديد الإيلام لا يقدر على تحمله.

ولمقارنة هذه الآية (٣١) وهي قوله: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾، والآية (٢٥) من سورة الفتح، وهي قوله: ﴿يُدْخِلُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ ارجع إلى سورة الفتح الآية (٢٥) لمعرفة الفرق.



سورة النازعات ٧٧

الحمد لله الذي

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٦٦﴾ إِنَّ
هَؤُلَاءِ يَجْعَلُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٦٧﴾ نَحْنُ
خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا
﴿٦٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٦٩﴾
وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٧٠﴾
يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٧١﴾

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّشْرِتِ نَشْرًا ﴿٣﴾
فَالْفَرِيقَتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُدْرًا أَوْ نَذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾
وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ
﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَنْهَكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ
﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

سورة المرسلات [الآيات ١ - ١٩]

ترتيبها في القرآن (٧٧) ترتيبها في النزول (٣٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾:

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾: الواو واو القسم، يقسم الله سبحانه بالرياح فهي جند من جنود السموات والأرض لتعمير الأرض، والله سبحانه غني عن القسم والقسم بالشيء لأهمية، وكذلك لأهمية جواب القسم.

المرسلات: الرياح الطيبة والمرسلة بأمر ربها.

عرفاً: أي: المتتالية يتبع بعضها بعضاً، والتي تسيرها الملائكة لتحمل السحاب وتبسطه في السماء كما يشاء رب العالمين.

عرفاً: متتالية تشبه عرف الفرس (شعر الفرس فوق الرقبة).

المرسلات: جمع مرسل، اسم مفعول من الفعل الرباعي أرسل.

[٢] ﴿فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا﴾:

﴿فَالْعَصْفَاتِ﴾: الريح الشديدة الهبوب المدمرة.

﴿عَصْفًا﴾: العصف: قوة هبوب الريح، عصفاً: مصدر للفعل عصف.

[٣] ﴿وَالنَّشِيرَاتِ شَرْا﴾:

الواو واو القسم. ارجع إلى الآية (١٩) من نفس السورة.



﴿وَالنَّشِيرَ﴾: الرياح التي تنشر السحاب (أي: المطر) في السماء كما يشاء الله والنشر عكس الطي، والناشرات: قد تكون الملائكة تنشر السحاب في السماء، أو تنشر أجنتها للهبوط أو الصعود في السماء بالوحي، فهذه الآية قد تعني الملائكة والرياح، وأما الآية الأولى والثانية فتخص الرياح، وأما الآية الرابعة والخامسة، ففيل: تخص الملائكة.

[٤] ﴿فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا﴾:

الملائكة تفرق أرزاق العباد والمطر أو الغيث..،

والفارقات: جمع فارقة مؤنث الفارق اسم فاعل من الفعل فرق.

[٥] ﴿فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا﴾:

الملقيات: جمع ملقية من الفعل ألقى، الملائكة تلقي بالوحي على الرسل والأنبياء، وهو إما أن يكون عذراً أو نذراً.

[٦] ﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾:

عذراً: ﴿ثَلَاثًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

عذراً: جمع عذر.

نذراً: من الإنذار وهو الإعلام مع التحذير والتخويف والإنذار بالانتقام والعذاب.

نذراً: جمع نذير.

[٧] ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾:

جواب القسم.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد.

﴿تَوَعَّدُونَ لَوْ قَعُ﴾: من البعث والحساب ويوم القيامة والجنة والنار، لواقع: اللام لام التوكيد، واقع: كائن لا محالة أو واقع كأنه وقع وحدث، ثم بين أحداث الساعة وأحوالها والتغيرات الكونية التي ستحدث فيها.

[٨] ﴿وَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾: والتي تقدر بـ (٢٠٠ مليار نجم) في مجرتنا فقط، انطفأت وذهب نورها لم تعد مضيئة (ملتهبة) أي: انطفأ لمعانها ودرجة لمعان النجم وسيلة من وسائل معرفة درجة حرارته، وكتلته وبعده عنا وسرعة جريانه، وهذا الطمس يحدث.

[٩] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُجِّرَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: كالسابقة في الآية (٨).

﴿السَّمَاءُ فُجِّرَتْ﴾: انفطرت انشقت الفرجة: الشق بين الشئين. ارجع إلى سورة الحاقة آية (١٦) فالسماء تمور، ثم تنفطر وتنشق وتصبح كالعهن، ثم تكون ورده كالدهان، ثم تكشط وتبدل بسمااء جديدة.

[١٠] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: كالسابقة في الآية (٨).

﴿الْجِبَالُ سُفَّتْ﴾: السّف هو الدك بعد الرجف والافتلاع، ثم البس ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ [الواقعة: ٥]، ثم تكون ﴿كَيْبًا مَّهِيلاً﴾ [المزمل: ١٤]، ثم تكون كالعهن المنفوش، ثم السير والسراب ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبا: ١٤]، ثم الزوال.

[١١] ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُنْقَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: كالسابقة في الآية (٨).



﴿الرُّسُلُ أَقْنَتْ﴾: مشتقة من الوقت أي: حُدِّد لها وقت معين لتحضر فيه، لتجتمع فيه مع أممها للشهادة على أممها أو للفصل بين الرسل والأمم، وهو يوم الفصل أو أقنت بلغت ميقاتها الذي تنتظره.

[١٢] ﴿لَا أَيْ يَوْمٍ أُحِلَّتْ﴾:

﴿لَا أَيْ﴾: اللام لام التوقيت، أي: للاستفهام.

﴿يَوْمٍ أُحِلَّتْ﴾: أي: أُخِّرَت ليوم الفصل.

[١٣] ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾:

يوم الفصل بين أهل الجنة وأهل النار.

﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾: اللام للتوقيت، يوم الفصل: يفصل الله فيه بين الخلائق الظالم والمظلوم والمؤمن والكافر، وفريق في الجنة وفريق في السعير.

[١٤] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾:

والسؤال إلى رسول الله ﷺ وبالتالي إلى أمته.

﴿وَمَا﴾: استفهامية للتهويل والتعظيم من شأن ذلك اليوم، أي: وما تعلم عن يوم الفصل، وللفرق بين ما أدراك وما يدريك ارجع إلى الآية (٣) من سورة الحاقة.

[١٥] ﴿وَلِيَوْمِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾:

﴿وَلِيَوْمِذٍ﴾: الويل العذاب، أو الهلاك.

﴿يَوْمِذٍ﴾: يوم الفصل يوم القيامة ويل لهم إذا جاء يوم القيامة أو يوم الفصل ويومئذ: مركبة من يوم + إذ أضيف ظرف إلى ظرف.

﴿لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: اللام لام الاستحقاق والاختصاص، المكذبين بالله والإيمان والرسل والبعث والحساب والجزاء والغيب، تكررت هذه الآية عشر



مرات في هذه السورة في عقب كل آية للزيادة في الترهيب والترغيب، ثم يذكر ثلاثة أمور للتهديد، وتدُلُّ على قدرته وعظمته، وهي:

[٦] ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام التقريري والتوبيخ للمكذبين بالبعث والجزاء.

﴿نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾: أمثال قوم نوح وعاد وثمود ومدين والمؤتفكات.

نهلك: ارجع إلى سورة الأعراف آية (٤) لمزيد من البيان في معنى الهلاك.

[١٧] ﴿ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ﴾: أي: الذين جاؤوا من بعدهم قوم فرعون وكفار مكة

يوم بدر، أو غيرهم من الذين جاؤوا قبل مجيء رسول الله ﷺ.

[١٨] ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾:

أي: بمثل ذلك الهلاك والأخذ بالصيحة والرّجفة والغرق نهلك أو نعاقب

وندمر المجرمين أي: المشركين والكافرين والمكذبين والعاصين. ارجع إلى

سورة الأنعام آية (٥٥)، والجاثية آية (٣١) لمزيد من البيان في معنى المجرمين.

[١٩] ﴿وَيَلْزُمِيذِلِّلْمُكْذِبِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٥) للبيان، تكرار هذه الآية عشر مرات في هذه السورة

للتهديد والإنذار والزّجر لمن يكذب بالله وبالإيمان والرسول والكتب والغيب،

وبالبعث والحساب والجزاء ويوم القيامة والآخرة.



سورة النجم

سورة النجم ٧٧

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٤٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٤١﴾ إِلَى قَدَرٍ
 مَّعْلُومٍ ﴿٤٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِرُونَ ﴿٤٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٤﴾
 أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٤٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٤٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَاسِيَ
 شِمَخٍ وَاسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٤٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٨﴾
 أَنْظِلُّوا إِلَى مَا كُتِبَ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٤٩﴾ أَنْظِلُّوا إِلَى ظِلِّ ذِي تِلْكَ
 شُعَبٍ ﴿٥٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ ﴿٥١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ
 كَالْقَصْرِ ﴿٥٢﴾ كَأَنَّهُ جُمُلٌ صَفَرٌ ﴿٥٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٤﴾
 هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٧﴾ هَذَا يَوْمٌ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٥٨﴾ فَإِنْ كَانَ
 لَكُمْ كَيْدٌ فَيَكِيدُونَ ﴿٥٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٦٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي
 ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٦١﴾ وَفَوَكَهٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٦٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا
 بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٦٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ جُحْرٌ مُؤْمٍ ﴿٦٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٦٨﴾ وَيْلٌ
 يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٦٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٠﴾

سورة المرسلات [الآيات ٢٠ - ٥٠]

[٢٠] ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام التقريري.

﴿نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾: أي: المنى (الماء الدافق) وما يخرج معه من المفرزات من البروستات والتي تمر بالمجاري البولية، مهين: نجس أو حقير من المهانة، أو هو إشارة إلى ضعف خلق الإنسان (من ماء الرجل وماء المرأة) من حيوان منوي وبيضة.

[٢١] ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾:

﴿فَجَعَلْنَاهُ﴾: الفاء تدل على المباشرة، وهاء الضمير تعود على الماء المهين الذي يشكل الجنين أو على الجنين نفسه.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿قَرَارٍ مَكِينٍ﴾: مستقر حصين وهو الرحم، داخل حوض المرأة، وله أربطة كثيرة ويستطيع التمدد كلما نما الجنين ومحاط بأغشية وسوائل تقيه من الصدمات.

[٢٢] ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾:

إلى: تفيد عموم الغايات.



قدر معلوم: هو مدّة الحمل إلى زمن الولادة ما بين (٦) أشهر و(٩) أشهر أو أكثر من ذلك أو دون ذلك قدر معلوم قدره الله سبحانه وتعالى.

[٢٣] ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾:

﴿فَقَدَرْنَا﴾: الفاء عاطف، قدرنا: من التقدير وهو الخلق أو قدرنا كيف يخرج بولادة أو بعملية جراحية أو قدرنا صفاته وطوله وعرضه ولونه وشكله وصفاته الوراثية، أو قدرنا وقت خروجه من الرحم والانفصال عن المشيمة وقد تعني الكل.

﴿فَنِعْمَ﴾: الفاء للتوكيد، نعم: من أفعال المدح، أي: نعم المقدر وهو الله سبحانه وحده.

﴿الْقَادِرُونَ﴾: على كلّ شيء على الخلق والتقدير والتصوير والإحياء والإماتة لا يعجزنا شيء.

[٢٤] ﴿وَلَا يُؤْمِدُ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٥) والآية (١٩) للبيان.

[٢٥] ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام التّقريري، وفيه نوع من التّوبيخ للمكذّبين بالله ورسله والإيمان وبالبعث والحساب.

﴿تَجْعَلِ﴾: الجعل يكون بعد الخلق.

﴿الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾: الكفت الضّم والجمع بقوة مأخوذ من كفت الشيء إذا ضم بعضه إلى بعض، ومن معاني كفاتاً أيضاً الكفت الجاذبية الأرضية تجذب، وتبقي



الأحياء على ظهرها والأموات في بطنها، وكفاتها: جمع كافت، فالأرض: اسم مكان تشبه الرعاء الذي يكفت فيه.

[٢٦] ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾:

بصيغة التنكير للتعظيم.

أحياء تضم كل الأحياء من الناس والدواب والحيوانات البحرية والبرية والمخلوقات بكافة أنواعها على ظهرها كأنها تحملهم، وأمواتاً: وتضم كل الأموات من الناس والدواب وكل المخلوقات التي تموت في باطنها، فهي تكفت الأحياء والأموات من كل المخلوقات التي لا يعلم عددها إلا الله وحده.

[٢٧] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسًا شِمَخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾:

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾: في الأرض.

﴿رُوسًا شِمَخَاتٍ﴾: الرواسي: بمعنى الجبال (الصفة حلت بدلاً من الموصوف) والرسو: هو الثبات، والاستقرار؛ شامخات: جمع شامخة من شمخ أي: علا وارتفع، أي: الجبال العاليات، وقد قُدر طول هذه الجبال داخل الأرض بأضعاف مضاعفة طولها فوق الأرض.

ارجع إلى سورة النبأ آية (٧) لمعرفة كيف تشكلت الجبال من البراكين، وتكونت الجبال بعد أن دحا الله الأرض، وأخرج منها مائها ومرعاها أي: غلافها المائي والغازي، فلولا الجبال لما أمكنا أن نعيش على سطح الأرض؛ لأن قشرة الأرض ممزقة بشبكة من الصدوع أي: عدد من الألواح تسمى ألواح



الغلاف الصخري للأرض هذه الألواح تطفوا على نطاق شبه منصهر، لين عال الكثافة أي: الزوجة.

وكانت هذه الألواح تجري بسرعة فائقة، فخلق الله الجبال التي أبطأت سرعة هذه الألواح وجعلتها ترسي في أماكنها، وهذه السرعات مسجلة في صخور الأرض، والأرض لا زالت تجري وتدور حول نفسها وحول الشمس.

وهذا الإبطاء في هذه السرعة سمح للتربة بالتجمع، وللماء أن يخزن وأن تقام الأبنية والطرق، فمن نعم الله علينا أن أرسل الأرض بالجبال.

﴿وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾: ماء عذباً حلواً هو من ماء السماء الذي يخزن في الصخور والجبال، ويشكل الأودية والأنهار والعيون. ارجع إلى سورة (ق) آية (٩) لمزيد من البيان.

[٢٨] ﴿وَلَّيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٥) والآية (١٩) للبيان.

[٢٩] ﴿أَنطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾:

يقال لهم يوم القيامة (في الآخرة) حين يكونوا في سموم وحميم ويسألون: أين المفر، فيقال لهم:

﴿أَنطَلِقُوا﴾: اذهبوا مسرعين إلى جهنم التي كنتم بها تكذبون.

﴿إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: ما بمعنى الذي أو مصدرية ما أوسع شمولاً وعموماً من الذي، كنتم: في الدنيا، به: تعود على جهنم، تكذبون: لا تصدقون، تكذبون بصيغة المضارع لتدل على التجدد والتكرار في التكذيب.



[٣٠] ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾:

﴿أَنْطَلِقُوا﴾: مرة أخرى للتوكيد والتهكم بهم، أي: هيا وأسرعوا إلى جهنم ذات الدخان (الظل).

﴿إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾: ظل: من دخان نار جهنم إذا علا وارتفع يتشعب إلى ثلاث شعب، وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَزِلْ مِنْ يَحْتُمِرِ ۖ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٤٣-٤٤].

[٣١] ﴿لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْلَّهَبِ﴾:

لا: النافية، ظليل: أي: ليس ظلاً حقيقياً كغيره من الظلال، وإنما كالسراب لا فائدة منه.

﴿وَلَا﴾: تكرار لا لتوكيد النفي.

﴿يُغْنِي مِنَ الْلَّهَبِ﴾: لا برودة فيه تدفع عنهم حرَّ جهنم ولا يفيد أو ينفع.

[٣٢] ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَكْرٍ كَالْقَصْرِ﴾:

﴿إِنَّهَا﴾: للتوكيد تعود على جهنم.

﴿تَرْمِي بِشَكْرٍ كَالْقَصْرِ﴾: كل شرارة في حجمها كالقصر كالبنا العالي الكبير.

[٣٣] ﴿كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ﴾:

﴿جِمَلَتٌ﴾: جمع جمل (أي: الإبل).

﴿صُفْرٌ﴾: لونها الأصلي أسود، وقيل لها صُفر؛ لأنَّ سواد لونها يضرب أو

مائل إلى الصَّفرة أو مشرب بالصَّفرة أي: شبه الشر الذي يتطاير من جهنم في



حجمه وكبره كالبناء العالي (القصر) وشبه العدد ولون الشرر بالجماليات الصّفر
المنتشرة في الصحراء والجارية بكل اتجاه.

والتشبيه الثاني (جماليات صفر) بيان للتشبيه الأول (كالقصر).

[٣٤] ﴿وَلِئَلَّيْؤَمِّدَ لِّلْمُكْذِبِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٥) والآية (١٩) للبيان.

[٣٥] ﴿هَٰذَا يَوْمٌ لَا يَنطِقُونَ﴾:

﴿هَٰذَا﴾: الهاء للتثنية، ذا اسم إشارة يشير إلى يوم القيامة.

﴿يَوْمٌ لَا يَنطِقُونَ﴾: يوم: نكرة للتهويل والتعظيم؛ أي: هذا يوم القيامة لا
يسمح لهم فيه بالكلام؛ لا: النافية، ينطقون: لا يتكلمون ولا يتساءلون لا يسمح
لهم ولا هم قادرون على النطق، وهناك آيات أخرى تشير إلى أنّهم يُسألون
ويجادلون ويتكلمون ويحاولون الاعتذار؛ لأنّ يوم القيامة مواطن متعددة أي:
مواقف متعددة موقف عند الميزان، موقف عند الصّراط، وعند الحوض، موطن
يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا سؤال ولا كلام، وقد يسألون سؤال تقرّيع
وتوبيخ، وليس سؤال استفهام حقيقي.

[٣٦] ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْنِدُونَ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو عاطفة، لا النافية.

﴿فَيَعْنِدُونَ﴾: أي: لا يسمح لهم بالتكلم والاعتذار، نفى الاعتذار لانتفاء

الإذن أي: نفى الثاني لانتفاء الأول.



[٣٧] ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ الْمَكْذِبِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٥) والآية (١٩) للبيان.

[٣٨] ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾:

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة يشير إلى قرب يوم الفصل.

﴿يَوْمُ الْفَصْلِ﴾: الفصل بين الخلائق فيما كانوا فيه يختلفون، أو يختصمون.

ارجع إلى الآية (١٣) من نفس السورة، وتكرر يوم الفصل للتأكيد على وقوعه ولتوبيخهم على إنكاره.

﴿جَمَعْتُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾: أي: المكذبين الأولين والمكذبين الآخرين من الكفار.

[٣٩] ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِدُونْ﴾:

﴿فَإِنْ﴾: الفاء عاطفة، إن شرطية تفيد الاحتمال.

﴿كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾: الكيد هو اسم لإيقاع المكروه بالغير قهراً، سواء علم أو لم

يعلم، وأصل الكيد المشقة، أي: إن كان لكم كيد أو حيلة فهيّا احتالوا أو كيدوا لإنقاذ أنفسكم واتقاء العذاب.

[٤٠] ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ الْمَكْذِبِينَ﴾:

التكرار للتهديد والوعيد. ارجع إلى الآية (١٥) والآية (١٩) للبيان.

[٤١] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونْ﴾:

بعد ذكر المكذبين ومصيرهم ينتقل إلى ذكر المتقين ومصيرهم.



﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾: إنَّ للتوكيد، المتقين: جمع متَّقٍ: وهو من أطاع الله وامتثل أوامره وتجنَّب نواهيه، فيكون بذلك قد اتَّقَى غضب الله تعالى وناره.

﴿فِي ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ﴾: في ظرفية، في ظلال: أشجار الجنات مقارنة بقوله: ﴿ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ﴾ وعيون: عيون الجنة: الكثيرة المختلفة منها عين الكافور عين التَّسْنِيم وعين السَّلسَبِيل.

[٤٢] ﴿وَفَوَكَهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾:

الشهوة: أمر نفسي تعني الحب والرغبة، وتأتي في سياق المحسوسات من الأطعمة، والأشربة، والمال، والأولاد، والخيال المسومة، والأنعام، والحرث، وقد تكون الشهوة مذمومة أو محمودة.

كقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٣].

﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٩].

﴿وَطَلَّحَ مَنْضُورٍ﴾ [الواقعة: ٢٩].

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: ٥١].

[٤٣] ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

ارجع إلى سورة الطور الآية (١٩) للبيان.

هذا يدل على الإيمان والعمل الصالح في الدنيا هو سبب تمتعهم بنعيم الجنة في الآخرة رغم أن دخول الجنة لا يكون إلا برحمة الله تعالى وبفضل الله، وتكون الدرجات حسب الأعمال، ويكون التمتع بسبب الأعمال.

[٤٤] ﴿إِنَّا كَذَّابُكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿كَذَّابُكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: أي: كهذا الجزاء نجزي المحسنين، ولم يقل: العاملين أو المتقين، بل رفع المتقين وجزاهم كما يجزي المحسنين، فالجزاء هو على الإحسان في العمل لا مجرد العمل، الإحسان في الكيفية والكمية، ارجع إلى سورة البقرة الآية (١١٢) لمزيد من البيان.

[٤٥] ﴿وَلِيُؤْمِدَ الْمُكَذِّبِينَ﴾:

التكرار للتهديد والوعيد. ارجع إلى الآية (١٥) والآية (١٩) لمزيد من البيان.

[٤٦] ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾:

كما يقال للمتقين في الجنة: كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعلمون، يقال للكفار والمشركين في الدنيا: كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾: باللذات والشهوات الدنيوية الزائلة.

﴿قَلِيلًا﴾: زمناً قصيراً حين تحين آجالكم. وبعدها لن يكون هناك تمتع وأكل إلا من شجر الزقوم والحميم وغسلين.

﴿إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾: إنكم للتوكيد، مجرمون: كافرون مشركون عاصون.

الخطاب موجّه لكفار مكة.

هذا قول الله تعالى لمشركي قريش وكفارها وغيرهم من الكفار تهديداً



لهم في الدنيا. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنى مجرمون.

[٤٧] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾:

التكرار للتهديد والوعيد. ارجع إلى الآية (١٥) والآية (١٩) من نفس السورة للبيان.

[٤٨] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث، أي: تحقق الحصول.

﴿قِيلَ لَهُمُ﴾: القائل مبني للمجهول المهم المقولة: اركعوا لا يركعون.

﴿ارْكَعُوا﴾: صلوا، هذا يسمّى إطلاق البعض على الكل، والصلاة أشرف العبادات وعماد الدين.

﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾: لا يصلون.

وقد عبّر عن الصلاة في هذه بالركوع، فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾.

وقد عبّر عنها بالسجود كقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ [الإنسان: ٢٦].

أو بالتسبيح كقوله: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦].

أو بالذكر كقوله: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٥].

أو بالقيام كقوله: ﴿قُمِ اللَّيْلَ أَقِيلًا﴾ [المزمل: ٢].

أو بالقراءة كقوله: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ [الإسراء: ٧٨].



اركعوا: أي: صلوا، هذا يسمَّى إطلاق البعض على الكل، لكفار مكة وغيرهم من الكفار.

[٤٩] ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾:

ارجع إلى الآية (١٥) و(١٩) للبيان.

[٥٠] ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿فَبِأَيِّ﴾: الفاء للتوكيد، أي الاستفهامية وللتعجب.

﴿حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: إن لم يصدّقوا بالقرآن، وبما جاء فيه فبأيّ كتاب آخر بعد القرآن يؤمنون: يصدّقون، فهو معجزة كلّ زمان وكلّ قرن، بما جاء فيه من آيات ودلائل وبراهين ومعجزات.

وهو أحسن الحديث ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]. ارجع إلى سورة الزمر آية (٢٣) لمعرفة الفرق بين الحديث والقرآن.





سُورَةُ النَّبَا ٧٨

الْبَيِّنَاتِ

سُورَةُ النَّبَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣)
كَلَّا سِعَامُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سِعَامُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا (٦)
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩)
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا
مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ
أَلْفَافًا (١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا (١٧) يَوْمَ يُفْعَلُ فِي الصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ
مَنَابًا (٢٢) لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤)
إِلَّا أَحْمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وَفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُقُوا فَلَن تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)





سورة النبأ [الآيات ١ - ٢]

ترتيبها في القرآن (٧٨)، وترتيبها في النزول (٨٠).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾:

أصلها: عن ما يتساءلون، أدغمت التّون في الميم وأصبحت: عما، ثم حذفت الألف؛ لتعظيم الأمر الذي يُسأل عنه.

ما: استفهام يحمل معنى التعجب والتّفخيم.

﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾: بصيغة المضارع لتدل على التّجدد والتّكرار، والضمير في يتساءلون يعود على الكفار، وقيل: يعود على الكلّ؛ أي يسأل بعضهم بعضاً، أو يسألون المؤمنين أو رسول الله ﷺ.

[٢] ﴿عَنِ النَّبِئِ الْعَظِيمِ﴾:

﴿النَّبِئِ﴾: النبأ: أعظم من الخبر؛ أي الخبر العظيم المهم الذي يجب الاستماع إليه لما فيه من الفائدة، واختلف في هذا النبأ العظيم منهم من قال: هو البعث، ومنهم من قال: القرآن لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [ص: ٦٧]، أو نبوة محمّد أو التّوحيد، وقد يكون الكل.

[٣] ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْلِفُونَ﴾:

فمنهم من يؤمن بالبعث أو القرآن أو أمر النبي، ويصدّق به ومنهم من يكفر



ويكذب به، أو بخصوص القرآن كقولهم: سحر أو شعر أو يعلمه بشر أو أساطير الأولين.

[٤] ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر أو تعني: حقاً.

﴿سَيَعْلَمُونَ﴾: السَّيْن للاستقبال القريب، أو: قريباً سيعلمون عاقبة تكذيبهم وسيعلمون أن ما يكذبون به ويستهزؤون هو حق لا ريب فيه، أو سيعلمون: حين تأتيتهم سكرات الموت والاحتضار أنه حق وأنهم أخطؤوا.

[٥] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للتراخي في الزمن؛ أي: يوم القيامة أو يوم البعث سيعلمون للمرة الثانية عين اليقين أنه الحق بعد أن علموا عند الاحتضار والموت للمرة الأولى أنه الحق، وتكرار كلمة كلا للردع والوعيد، والتوكيد.

ثم ذكر الله تعالى بعض العلامات الدالة على عظمته وقدرته على التوحيد والبعث والخلق وأنه هو الحق الذي يجب أن يُعبد ويُطاع.

[٦] ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام التقريري.

﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾: الأرض التي تزن (٦ بليون تريليون طن) أي: ممهدة كمهد الطفل المريح، فلا يشعر الإنسان بحركتها رغم أنها تدور حول نفسها بسرعة (٢٦ كم في الدقيقة)، وتدور حول الشمس بسرعة (٣٠ كم بالثانية).

فقد كانت قشرة الأرض تمتاز بتضاريس معقدة تجعل الحياة عليها صعبة أو شبه مستحيلة، فسخر الله سبحانه عوامل التعرية المتعددة مثل الرياح واختلاف درجات الحرارة وتبادل الليل والنهار والمطر والسيول الجارفة والرطوبة



والحرارة، وظلت هذه العوامل تمهد الأرض لمدة (٨٠٠ مليون سنة) حتى هيا لنا ربنا الأرض لتكون صالحة للحياة فشق الفجاج والسبل والتربة، وتركيز المعادن وتكوين السهول المنبسطة، فهذا التمهيد للأرض دليل على طلاقة القدرة الإلهية على الخلق والبعث.

[٧] ﴿وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا﴾:

جعل الجبال رواسي كالأوتاد تثبت الأرض؛ لكي لا تميد ولا تضطرب كما تثبت الخيمة بالأوتاد، حذف كاف التشبيه ليكون التشبيه بليغاً.

هذه الجبال التي تكونت من ثورة البراكين من قاع المحيطات والبحار بعد اصطدام الألواح تحت القارات مع بعضها، والتي ألقت بباطنها فوق سطح الأرض ثم نزلت هذه الحمم والبراكين على الأرض واخترقت نطاق الضعف الأرضي فأزاحت من كتلة الأرض إلى أعلى والحركة إلى أعلى وظهرت الجبال على سطح الأرض بشكل أوتاد تحتوي العناصر المعدنية الثقيلة وكل ارتفاع للجبل فوق الأرض له امتداد داخل الأرض يساوي (١٠-١٥) ضعفاً، وكلما قامت عوامل التعرية بإزالة شيء من الجبل تشكل في منطقة أخرى ما تكافئ كتلة الجبل الذي زال بالتعرية وغيرها من الظواهر الجوية.

[٨] ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾:

أي ذكوراً وإناثاً، والزَّوج هو الصنف، وسبحانه خلق كل شيء من زوجين حتى الغازات والنباتات والحيوانات حتى غاز الهيدروجين أقل الغازات بناء وأبسطها مركب من بروتون موجب والكترون سالب، وشاءت قدرته أن تستمر الحياة عن طريق التزاوج، ويبقى سبحانه الواحد الأحد المتفرد بالوحدانية المطلقة لا يشاركه فيها أحد من خلقه ولا نبات ولا حيوان ولا جماد.



[٩] ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾:

﴿وَجَعَلْنَا﴾: بصيغة التعظيم لعظمة آية النوم والسبات وغيره من الآيات القادمة.

﴿سُبَاتًا﴾: السبات: الانقطاع عن الحركة والسكون مما يؤدي إلى راحة البدن بعد العمل والتعب والتقلب في النهار ساعات طويلة، ويستجد بذلك نشاط البدن فالنوم آية من آيات الله تعالى الدالة على عظمته وقدرته، ارجع إلى سورة الفرقان الآية (٤٧) لمزيد من البيان.

[١٠] ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾:

أي جعل الليل على الأرض بمنزلة اللباس الذي يستر الأرض بظلمته وهذا ما يراه رواد الفضاء، يرون طبقة سوداء تحيط بالأرض وكأنما كسيت الأرض بلباس أسود لا ترى معه الأرض، ارجع إلى سورة الفرقان الآية (٤٧) لمزيد من البيان.

[١١] ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾:

وجعلنا النهار زمناً أو وقتاً للسعي وللعيش والتقلب وكسب الرزق، ولولا تبادل الليل والنهار لما استقامت الحياة على هذه الأرض، وتبادل الليل والنهار دليل على كروية الأرض.

[١٢] ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾:

سبع سموات شداداً؛ أي: قوية محكمة البنيان بقوى الكهرمغناطيسية وقوى الجاذبية لكي تبقى في مدارها ولا تتغير، يغلف الخارج منها الداخل ومركز هذه السموات السبع هي الأرض والأرض تمثل سبع أرضين فعندنا ما يشبه (١٤) كرة سبع كرات عملاقة تمثل السبع سموات وفي مركزها سبع كرات صغيرة

تمثل الأرض (سبع أرضين) ونحن لا نعلم إلا الشيء الضئيل جداً عن السماء الدنيا ولا نعلم أي شيء عن بقية السموات، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (أي بقوة مترابطة) [الذاريات: ٤٧]، وقيل: المسافة بين كل سماء والتي تليها مسيرة (٥٠٠) عام، والسماء اسم جنس يشمل السبع سموات.

[١٣] ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾:

﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾: أي الشمس، فالشمس هي السراج والتي تحتوي على ألوان الطيف السبعة التي تضيء الطبقة الغازية الموجودة حول الأرض. ارجع إلى سورة يونس آية (٦٧) لمزيد من البيان.

وهاجاً: الوهج هو الحرارة الصادرة عن الشمس والتي تجعلنا نشعر بالدفع، فالشمس مصدر للنور ومصدر للدفع، والشمس أقرب نجم إلينا وتبعد عنا حوالي (١٥٠ مليون كم)، وهي عبارة عن فرن نووي عملاق تتشكل من غاز الهيدروجين بنسبة (٧٥٪) وغاز الهيليوم بنسبة (٢٤٪) وكثير من أشعة الشمس لا تراها العين مثل أشعة غاما والأشعة السينية والأشعة الحمراء وفوق البنفسجية، والذي يُرى من أشعة الشمس هي حزمة الضوء المرئي هذه الحزمة المؤلفة من ألوان الطيف السبعة وهي لا ترى في صفحة السماء، وعندما تقع على الطبقة الغازية المحيطة بالأرض تعطينا الضوء الأبيض الجميل، فهي مصدر الضوء والطاقة لو حُجبت عنا الشمس لثوان فقط لانتهد الحياة على الأرض، وتبلغ درجة حرارتها في وسطها أكثر من (١٥ مليون درجة) وعلى سطحها (٦٠٠٠ درجة مئوية) وتمتد منها ألسنة اللهب بدرجة تفوق مليون درجة ولولا نُطق الحماية لأحرقتنا الشمس بهذه الأشعة الضارة ولكن نُطق الحماية تحمي الأرض مثل نطاق الأوزون، والنطاق المتأين والمغناطيسي وغيرها تبقى الحياة قائمة.



[١٤] ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾:

﴿وَأَنْزَلْنَا﴾: بصيغة الجمع للتعظيم.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية.

﴿الْمُعْصِرَاتِ﴾: جمع معصرة، والمعصرة اسم للسحابة التي حان وقت إمطارها، أو المملوءة، أو المشبعة ببخار الماء كالثوب الذي يعصر بعد الغسل فيخرج منه الماء الغزير.

﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾: ماء: أي ماء المطر، ثجاجاً: المنصب بكثرة، كثير الهطول، ارجع إلى سورة النور الآية (٤٣) لمزيد من البيان.

[١٥] ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾:

﴿لِنُخْرِجَ بِهِ﴾: اللام لام التعليل، به: تعود على الماء الثجاج.

﴿حَبًّا﴾: يُقْتَات به الناس والدواب كالقمح والشعير والرز والذرة وغيرها.

﴿وَنَبَاتًا﴾: هناك أكثر من (٤٠٠ ألف) نوع من أنواع النباتات كل نبتة لها دورها على الأرض منها ما تأكله الدواب من الحشيش وسائر النبات، وقدم الحب لأنه هو الأصل في الغذاء.

[١٦] ﴿وَجَنَّتٍ أَلْفَافًا﴾:

﴿وَجَنَّتٍ﴾: بساتين وحدائق.

﴿أَلْفَافًا﴾: ملتفة الأشجار والأغصان على بعضها، كناية عن وفرة الماء والري.

[١٧] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾:

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾: إن: للتوكيد، يوم الفصل: يوم القيامة، وسمي يوم الفصل

لأن الله سبحانه يفصل بين الخلائق فيما كانوا فيه يختلفون، يفصل بين أهل الجنة وأهل النار. ارجع إلى سورة المرسلات الآية (١٣) للبيان.

﴿كَانَ مِيقَتًا﴾: الميقات: الزماني والمكاني، ميقاتاً: وقتاً محدداً لا يتغير، أو موعداً لجمع الأولين والآخرين، أو ميقاتاً للحساب والجزاء.

[١٨] ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾:

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ﴾: البعث أو القيام من القبور يُنفخ في الصور النفخة الثانية، (نفخة البعث أو القيام) والنفاخ إسرافيل ﷺ.

﴿الصُّور﴾: البوق أو القرن.

﴿فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾: الفاء: للتوكيد؛ تبعثون؛ أي: تخرجون من قبوركم إلى مكان الحشر أو أرض المحشر، أفواجا: جمع فوج، والفوج هو الجماعة الكثيرة، وسوف نبعث من الأرض الجديدة التي تحتوي على الأرض الحالية.

[١٩] ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾:

وفتح السماء: الجديدة ﴿يَوْمَ بُدِّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، والسماء: تشمل السموات السبع وكل ما يعلو الإنسان، فكانت أبواباً لنزول الملائكة إلى أرض المحشر كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزِلَ الْمَلَائِكَةُ نَزِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٥]. أبواباً؛ أي: ذات أبواب.

[٢٠] ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾:

بعد أن تصاب بالرجف والنسف والسير وتصبح كثيراً مهياً ثم كالعهن المنفوش ثم السراب والزوال، ذلك بإزالة القوى التي تربط الصخور المكونة من المعادن المكونة من الجزيئات والذرات، بإزالة هذه القوى التي تربط هذه الذرات مثل قوى الجاذبية والنووية الشديدة والضعيفة والكهرومغناطيسية التي



تجعل هذه الذرات تطير كهباءات الغبار في الجو أو كالعهن المنفوش، وستكون الأرض الجديدة خالية من الجبال. ارجع إلى سورة الحاقة آية (١٤) لمزيد من البيان، وسورة طه آية (١٠٧).

﴿سَرَابًا﴾: من السراب. ارجع إلى سورة النور آية (٣٩) للبيان.

[٢١] ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾:

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ﴾: إن للتوكيد، جهنم: اسم علم للنار، وقيل: دركة من دركات النار، وجهنم: اسم مشتق من جهنم؛ أي: بعيدة القعر ومنظرها المخيف المرعب. ﴿كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: مكان رصد وترقب، ترصد وترقب من يدخلها من الكفار، أو يقصد بذلك خزنتها الذين يرصدون ويراقبون الكفار؛ أي: أصحاب النار تحت رقابة دائمة ومستمرة.

[٢٢] ﴿لِلطَّغْيِينِ مَثَابًا﴾:

﴿لِلطَّغْيِينِ﴾: اللام لام الاختصاص أو الاستحقاق، الطَّغْيِين: جمع طاغ، وهو الذي تجاوز الحد، والطَّغْيَان: مجاوزة الحد، تجاوز حدود الله أو حقوق العباد بالعدوان عليهم وعلى أموالهم ودمائهم وأعراضهم، أو تجاوز الحد بالتفريط في الواجبات أو التعدي على المحرمات.

﴿مَثَابًا﴾: المآب: المرجع والمستقر أو المصير، من أبواب: رجّاع، والأوب في الأصل: الرجوع.

[٢٣] ﴿لَيْسِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾:

﴿لَيْسِينَ﴾: اللبث: هو المكث والإقامة والانتظار المحدد بزمان وحدده بقوله تعالى أحقاباً مقارنة بالمكث الغير محدد بزمان.

﴿فِيهَا﴾: ظرف مكان تعود على جهنم.



﴿أَحْقَابًا﴾: ظرف زمان، أحقاباً: دهوراً طويلة متتابعة لا نهاية لها، مشتقة من: حقية الراكب الملازمة له، أحقاباً: جمع حقب والحقب هو الدهر، أحقاباً: دهوراً لا نهاية لها، وأحقاباً تحمل الكثرة مثل سنين وأعواماً، أو تدل على أنه كلما مضى حقب تبعه آخر، ولم يحدد عددها، وقيل: الحقب (٨٠) عاماً أو أكثر.

[٢٤] ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾:

﴿لَا يَذُوقُونَ﴾: لا: النافية، يذوقون: يشعرون، ويذوقون: بصيغة المضارع تدل على التجدد والتكرار والاستمرار.

﴿فِيهَا﴾: في جهنم.

﴿بَرْدًا﴾: له معنيان: الهواء البارد الذي يطفئ حرارة جهنم المحرقة ونسميه برودة الطقس كالهواء البارد الذي تفعله مكيفات التبريد، والمعنى الثاني: النوم.

﴿وَلَا شَرَابًا﴾: تكرر (لا) يفيد تأكيد النفي وفصل كل منهما على حدة لا البرد ولا الشراب ولا كلاهما، شراباً: ما يشرب من السوائل كالماء واللبن والعصير أو ما يسكن العطش.

[٢٥] ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿حَمِيمًا﴾: أي لا يذوقون في جهنم إلا الماء الحميم كقوله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ﴾ [محمد: ١٥] أو: ﴿يَمَاءٌ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾

[الكهف: ٢٩].

﴿وَعَسَّاقًا﴾: القيح أو المادة الصفراء التي تسيل من الجرح الممتن، أو شراب نتن الرائحة، وقيل: صديد أهل النار، أو هو غسلين.



[٢٦] ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾:

﴿جَزَاءً﴾: الجزاء في الأصل المماثلة أو المقابلة، مقابلة الشيء بالشيء والجزاء من جنس العمل.

﴿وَفَاقًا﴾: جزاءً عادلاً موافقاً لذنوبهم أو مماثلاً لأعمالهم، كقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] فيها وفاق.

[٢٧] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾: إن: للتوكيد، كانوا: في الدنيا.

﴿لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾: لا: النافية، يرجون: لا يأملون أن يحاسبوا في الآخرة والرجاء هو الظن بوقوع الخير الذي يعتري صاحبه الشك فيه، أو لا يؤمنون بالبعث والحساب والجزاء، أو لا يرجون ثواباً لأعمالهم الحسنة بعشر أمثالها أو أكثر.

[٢٨] ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾:

﴿بِآيَاتِنَا﴾: الآيات القرآنية والكونية والأدلة والبراهين الدالة على البعث والحساب، الدالة على وحدانية الله تعالى وصدق نبوة محمد ﷺ.

﴿كَذَّابًا﴾: أي كذبوا بآياتنا كذباً وتكذيباً، وبدلاً من القول كذباً وتكذيباً جمع بينهما بالقول كذاباً: أي التكذيب المفرط والمبالغ فيه، وكذاباً مصدر للفعل الرباعي: كذب، ارجع إلى الآية (٣٥) من السورة نفسها لمزيد من البيان.

[٢٩] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾:

﴿وَكُلُّ﴾: ولم يقل وكل بالرفع؛ كل بالنصب تعني كل شيء ولا يستثنى شيء إلا أحصاه، ولو جاءت بالضم لكانت تعني بعض الأشياء أحصاها والبعض الآخر لم يحصه.



﴿شَيْءٌ﴾: الشيء: كل ما يعلم ويخبر عنه سواء أكان حسيّاً أم معنوياً،
وشيء: نكرة تشمل كلّ شيء مهما كان نوعه وشكله وحجمه، ويشمل العمل
والأمر والخلق ويعني: أقل القليل.

﴿أَحْصَيْنَتْهُ﴾: الإحصاء هو العدّ والحفظ.

﴿كِتَابًا﴾: أي كتبه بالكتاب (اللوّح المحفوظ) كما في قوله: ﴿وَكُلَّ
شَيْءٍ أَحْصَيْنَتْهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، أو ما تكتبه الملائكة في سجل أعمالهم مما
يعملونه من حسنات وسيئات.

[٣٠] ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾:

﴿فَذُوقُوا﴾: الفاء: رابطة لجواب شرط مقدر، يعني: إن كذبتُم في الدنيا
فذوقوا؛ أي: العذاب، والمخاطب الكافرون والمكذبون والمشركون والعاصون،
وفي الآية تهديد ووعد.

﴿فَلَنْ﴾: للتوكيد، لن: تنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾: إلا: أداة حصر، عذاباً: أي عذاباً فوق العذاب، كقوله

تعالى: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].



سورة النازعات

سورة النازعات ٧٨

إِنَّ لِّلْمُتَّقِينَ مَفَارِجًا (٣١) حُدَاقٍ وَاعْتِبَاءَ (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا
دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا (٣٥) جزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً
حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ
مِنهُ خُطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَن أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن
شَاءَ اخْتِذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا (٣٩) إِنَّا أَنذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ ثَرِيًّا (٤٠)

سورة النازعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّيْحَاتِ سَبْحًا (٣)
فَالسَّيْقَتِ سَبَقًا (٤) فَاَلْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦)
تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يُومِذُ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَرُهَا
خَشِيعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَيْنَا لِمَرَدُّوْنَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَيْنَا ذَا كُنَّا
عِظَمًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ
وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥)

سورة النبأ [الآيات ٣١ - ٤٠]

[٣١] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾:

بعد أن ذكر ما ينتظر الطّاعين من العقاب، يذكر المتقين وما ينتظرهم من الثّواب.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾: إنّ: للتوكيد، للمتقين: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، المتقين: جمع (متقي) وهو الذي أطاع أوامر الله تعالى وتجنب نواهيه فدرأ عن نفسه غضب الله وسخطه وناره.

﴿مَفَازًا﴾: المفاز: مصدر من فعل: فاز، هو مكان الفوز وزمان الفوز: هو النجاة من النار وبلوغ الغاية؛ أي: كل ما يتمناه هو الجنة وزمان الفوز يوم القيامة أو الآخرة، ويبيّن بعض مظاهر الفوز العظيم في الآيات التّالية.

[٣٢] ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾:

﴿حَدَائِقَ﴾: بساتين عظيمة الشجر والثمر.

﴿وَأَعْنَابًا﴾: نوع من الثمار الخاصة.

[٣٣] ﴿وَكَوَاعِبَ أَرْبَابًا﴾:

﴿وَكَوَاعِبَ﴾: جمع كاعب، وهي الفتاة التي بلغت سن البلوغ، يقال: كعبت الجارية؛ أي: بلغت سن البلوغ، وقيل: نهوض وارتفاع ثدي الفتاة حين تبلغ سن البلوغ.



﴿أَزَابًا﴾: القرينة في السن، جمع تَرَب وهي التي تماثل في سنّها سن صاحبها؛ أي: الكلّ في سن واحدة، وهذه المماثلة في السن تزيد في التفاهم بينهم وعدم الاختلاف.

[٣٤] ﴿وَكَأْسَادِهَا قَا﴾:

كأساً مملوءة من دَهَق الحوض: ملأه، وتأتي في سياق شرب الخمر الممزوج بالكافور والزنجبيل وغيره من الشراب.

[٣٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغَوًا وَلَا كِذَّابًا﴾:

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغَوًا﴾: لا: النافية، يسمعون فيها لغوًا: اللغو هو ما لا خير فيه ولا فائدة من الكلام، ناهيك عن الكلام القبيح والباطل والكذب والشرك والشتم؛ فهذا غير وارد أصلاً.

﴿وَلَا كِذَّابًا﴾: تكرر لا يفيد تأكيد النفي، كذاباً: لا يكذبون ولا يكذبون، لا يسمعون فيها كذباً ولا تكديباً، الكذب (العادي)، والتكذيب (كثرة الكذب)، وبدل من لا يسمعون فيها كذباً ولا تكديباً جمعها في قوله: كِذَّابًا.

[٣٦] ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾:

﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٦) من السّورة نفسها لبيان معنى الجزاء، جزاءً: ثواباً من ربك.

وعطاء: هبة وفضلاً من الله.

﴿حِسَابًا﴾: أي كافياً من: حسبك؛ أي: يكفيك؛ أي: عطاء كافياً، الحسنه بعشر أمثالها أو أكثر من ذلك بـ (٧٠) إلى (٧٠٠) ضعف أو أكثر من ذلك، وحساباً تعني أيضاً: يحاسبون حسب أعمالهم كلّ حسب عمله الصالح، وإذا قارنا هذه

الآية مع الآية (٤٠) في سورة غافر وهي قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: نجد أن هذه الآية تعني: كثرة الرزق في الجنة مهما كانت درجة أعمالهم.

[٣٧] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾:

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: جزاء من ربك رب السموات والأرض وما بينهما، وما بينهما: يشير إلى كون الأرض هي المركز وهناك طبقة غازية بين الغلاف الغازي للأرض والغلاف الغازي للسماء مغايرة في صفاتها، فهي لا تخص الأرض ولا السماء، أو جزاء من ربك الذي هو رب السموات والأرض وما بينهما، أي: الخالق والمالك والحاكم والمدبر والمتصرف بهما.

﴿الرَّحْمَنُ﴾: ارجع إلى سورة الفاتحة الآية (٣) للبيان، وسورة الرحمن الآية (١).

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾: أي لا يقدر أحد من أهل السموات والأرض أن يخاطبه سبحانه في ذلك اليوم إلا بإذنه (يوم يقوم الروح والملائكة).

[٣٨] ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾:

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾: يوم القيامة، يوم يقوم الروح (جبريل ﷺ).

﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾: صفاء بعد صف، أو صفوفاً أو مصطفين.

﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾: لا: النافية، أي: لا جبريل ﷺ، ولا الملائكة ولا العباد

ولا أحد.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.



﴿مَنْ أَدْنَلَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾: من أذن له الرحمن، والشرط الثاني: قال صواباً؛ أي: في الدنيا، والصواب: أي الحق: الذي لا يعتريه الخطأ، وشهد بالتوحيد (لا إله إلا الله)، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤) في سورة المعارج وهي قوله تعالى: ﴿تَقْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ قدم الملائكة على الروح في آية النبا قدم الروح على الملائكة، وذلك لأن السياق مختلف؛ ففي آية النبا الموقف يوم القيامة، والكل قيام أمام الرب، وجبريل أكثر الملائكة مقاماً، وأما السياق في آية المعارج في العروج والملائكة هم الذين يرجون دائماً فقدمهم لكثرة العروج والعدد.

[٣٩] ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اخْذِلْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَتَابًا﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد ويشير إلى يوم يقوم الروح والملائكة صفاً.

﴿الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾: يوم القيامة، يوم الحق: الحق هو الأمر الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل.

﴿فَمَنْ﴾: الفاء: رابط لجواب شرط مقدر، من: استفهامية.

﴿شَاءَ اخْذِلْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَتَابًا﴾: أي فمن شاء عمل عملاً صالحاً، يؤوب أو يرجع به إلى ربه مخلصاً له بالطاعة والإيمان وابتغاء مرضاته.

[٤٠] ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْبَسْنِي كُتٌّ تَرْبًا﴾:

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَكُمْ﴾: إنا: للتعظيم، أنذرناكم: الإنذار هو الإعلام مع التحذير والتخويف.

﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾: قادماً أو آتٍ قريباً، قيل: هو عذاب القبر والبرزخ أو عذاب يوم القيامة.

في ذلك اليوم ﴿يَوْمَ يُنْظَرُ أَلَمْزُهُمَا قَدَمَتَ يَدَاهُ﴾: المرء يشمل الذكر والأنثى والمؤمن والكافر والصغير والكبير، ما قدّمت يده: من خير وشر، ومن حسنات وسيئات.

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ بَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾: يا ليت: أداة تمنّ تستعمل للأمر المستحيلة الحدوث، يا ليتني كنت تراباً: حين يرى أنّ الله قد حكم على الحيوانات بأن تكون تراباً يتمنى الكافر لو يجعله الله في عداد هذه الحيوانات التي تتحول إلى تراب؛ حتّى يتوقف عذابه ويرتاح، أو يتمنى لو لم يبعثه الله من موته وقبره أو لو لم يخلق البتّة.





سُورَةُ النَّازِعَاتِ ٧٨

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا
دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا (٣٥) جزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً
حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ
مِنَهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَن أِذْنُ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن
شَاءَ أَخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا (٣٩) إِنَّا أَنذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٤٠)

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣)
فَالسَّيِّقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦)
تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَرُهَا
خَشِيعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَيْنَا ذَا كُنَّا
عِظْمًا نَّخْرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ
وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥)

سورة النازعات [الآيات ١ - ١٥]

ترتيبها في القرآن (٧٩) وترتيبها في النزول (٨١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾:

الواو واو القسم، والقسم يشير إلى أهمية المقسم به وجواب القسم، والله سبحانه غني عن القسم، ويقسم الله في هذه الآيات بعدد من الملائكة ومهماتهم كنزع أرواح الكفار وأرواح المؤمنين.

النازعات: جمع نازعة مؤنث النازع: اسم فاعل من الثلاثي نزع، غرقًا: الملائكة الموكلون بنزع وقبض أرواح الكفار، غرقًا: نزعاً شديداً بعنف تصاحبه آلام شديدة، مشتقة من أغرق في الشيء: أوغل وبلغ أقصى غايته.

[٢] ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾:

الواو واو القسم. الناشطات: جمع ناشطة مؤنث الناشط، من الفعل نشط، يقسم بطائفة أخرى من الملائكة الموكلين بنزع أرواح المؤمنين.

﴿نَشْطًا﴾: برفق ولين، من النشط وهو الإخراج برفق وسهولة.

[٣] ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾:

الواو واو القسم، السابحات: جمع سابحة مؤنث سابح، من فعل سبح. وهذا قسم آخر بطائفة أخرى من الملائكة تسبح في السموات صعوداً ونزولاً لتؤدي وظائفها، أو تسبح بالأرواح التي قبضتها إلى عليين، أو ساجدين



ثم تنزل بها، وهناك من فسر السّابحات سبحاً: بالمجرات والكواكب والأجرام السماوية التي تجري كلّ في فلك يسبحون.

انظر إلى جواب القسم بعد الآية (١٤).

[٤] ﴿فَالسَّيِّدَاتِ سَبَقًا﴾:

الفاء: فاء العطف، والعطف بالفاء يكون لموصوف واحد؛ لأن هذه الأحداث يقع بعضها على أثر بعض.

السابقات: جمع سابقة مؤنث السابق من فعل: سبق.

هذه طائفة من الملائكة أو الأجرام السماوية أو غيرها من المخلوقات أو الكائنات ذات السرعة الهائلة العظيمة التي تسبق غيرها، قد تكون نوعاً من السّابحات لها القدرة على السّبق؛ أي: لها قدرة فائقة في الجري تفوق الطوائف الأخرى.

[٥] ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾:

﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ﴾: الفاء: عاطفة، والعطف بالفاء يكون لموصوف واحد.

المدبرات: جمع المدبرة، مؤنث المدبر، من فعل دبر.

هذه طائفة متفرعة من الملائكة السّابحات وهي موكلة بتصرف الرياح والأمطار والأرزاق وتدبير الخلائق، أمراً: هو اسم جنس يشمل المفرد والمثنى والجمع.

أقسم الله سبحانه بهذه الأنواع الخمسة من الملائكة أو غيرها من المخلوقات أو الكائنات التي لها هذه الصفات، وجواب القسم مضمّر تقديره: لتبعثن ولتنبئن ولتحاسبن، أو جواب القسم هو: يوم ترجف الرّاجفة.

[٦] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾:

يوم: القيامة أو البعث نكرة للتعظيم والتهويل.

﴿الرَّاجِفَةُ﴾: الراجفة: مؤنث الراجف اسم فاعل من: رجف، والراجفة: الزلزلة الشديدة التي تصيب الأرض والتي تؤدي إلى تبعثر القبور وانشقاق الأرض والخروج من الأجداث، وهناك من المفسرين من يقول: إن هذه الرجفة ستصيب الأرض الجديدة وليست الأرض التي نعرفها والتي تحتوي كل مكونات الأرض القديمة ومعالمها والموتى وغيرها...

[٧] ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾:

أي الرجفة أو الرجفات التي تتلو الرجفة الأولى. ارجع إلى سورة الحج آية (١) للبيان المفصل، وبعدها يخرج الناس من قبورهم (من الأجداث).

وهناك من قال: الراجفة (النفخة الأولى) وما يحدث فيها من الصعق، والرادفة النفخة الثانية (نفخة القيام أو البعث).

[٨] ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾:

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة يوم البعث.

﴿وَاجِفَةٌ﴾: مؤنث واجف، اسم فاعل من فعل: وجف؛ أي: خائفة مضطربة شديدة الخوف الفزع والهلع، ومسرعة لا تدري أين تذهب، وأهوال يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿إِذَا الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨].

[٩] ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةً﴾:

أبصارها ذليلة منكسرة تنظر إلى الأرض لهوانها وذلها، نسب الأبصار إلى القلوب ولم يقل أبصارهم خاشعة، أو ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾ [القلم: ٤٣]، أو ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ [القمر: ٧]. ارجع إلى سورة القمر، والقلم للبيان والمقارنة؛ فالقلب حين يوجف ويضطرب ويقلق يسري القلق إلى كل الجسم أو الذات؛ أي: كل ذواتهم مضطربة قلقة وليس القلوب فقط.



[١٠] ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾:

﴿يَقُولُونَ﴾: منكرو البعث والكفار، وغيرهم من الناس.

﴿أَءِنَّا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والاستبعاد والتعجب.

﴿لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾: الدنيا (أو أرض الدنيا).

﴿لَمَرْدُودُونَ﴾: أنردُّ إلى الحياة الدُّنيا التي كنا فيها؛ أي: أنرجع إليها مرة ثانية، واللام في لمردودون: للتوكيد، و«الحافرة»: مأخوذة من الإنسان حين يمشي على الأرض برجليه يحفر الأرض ويترك أثر قدميه، أو من كثرة سيره على الأرض يحفر فيها طريقاً كما نرى حين نسير على أرض رملية أو ترابية كيف نحفر الأرض بأقدامنا بالسير عليها.

[١١] ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا خِشْرَةً﴾:

﴿أَءِذَا﴾: الهمزة همزة استفهام تحمل معنى الاستبعاد والإنكار للبعث، والعودة إلى الحياة بعد أن كنّا عظاماً نخرة: عظاماً بالية بحيث تتفتت إن أمسكها بيده، أو جوفها منخور وصارت مجوّفة من مرور الزمن.

[١٢] ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي منكرو البعث، وغيرهم من الكفار.

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد وتشير إلى العودة في الحافرة (العودة إلى الحياة الدُّنيا)، إذًا: حرف جواب؛ أي: إذا رددنا إلى الحافرة وصحّ ذلك، فهي كَرَّةٌ خاسرة.

﴿كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾: رجعة خائبة أو عودة خاسرة، والكرة من الكر؛ أي: الرجوع وجمعها كرات، فهم يعلمون حقيقة أنفسهم أنّهم لو عادوا إلى الدُّنيا لعملوا العمل السابق نفسه، وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُمْ عَنْهُمْ لَكَادُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

خاسرة: مؤنث خاسر من فعل: خسر.

[١٣] ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾:

﴿فَإِنَّمَا﴾: للحصر والتوكيد.

﴿هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾: صيحة واحدة أو نفخة واحدة وهي النفخة الثانية نفخة

البعث، زجر: صاح.

[١٤] ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾:

﴿فَإِذَا هُمْ﴾: الفاء: استئنافية، إذا: ظرفية فجائية، هم للتوكيد.

﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾: بأرض المحشر؛ أي: حضور في أرض المحشر أرض أكبر

بكثير من الأرض التي نعيش عليها تتسع للبلايين من البشر من زمن آدم إلى آخر

مخلوق على الأرض والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات، فالسَّاهرة:

الأرض الجديدة كقوله: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

السَّاهرة: مؤنث ساهر، صفة للأرض أو الفلاة؛ لأن ساكنيها لا ينامون من

الخوف والفرع والاضطراب والأحوال.

السؤال: أين جواب القسم؟ قيل: محذوف وتقديره لتبعثن، أو محذوف

للتهويل والترويع، ويمكن أن يكون كل ما يخطر على عقل القارئ أو السامع.

[١٥] ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾:

﴿هَلْ﴾: للاستفهام وتفيد معنى التشويق للسامع.

﴿أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾: حديث خبر موسى بن عمران.



سورة النازعات

سورة النازعات ٧٩

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِاللَّوَادِ الْمَقْدَسِ طُؤَى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾
 فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَبَ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ
 آيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ
 فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى
 ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٢٦﴾ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا
 ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾
 وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾
 وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَنَّاعُ الْكُرُومِ لَا تَنْعِمُكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ
 الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ
 لِمَنْ يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ
 هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ
 ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا
 ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ
 مَنْ يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا لَعِشَةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

سورة العنكبوت

آياتها ٤٤

ترتيبها ٨٠

سورة النازعات [الآيات ١٦ - ٤٦]

[١٦] ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي، إذ: بمعنى حين ناداه ربه بقوله تعالى: ﴿أَنْ يَمْسُقَ إِفْتٍ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، ﴿يَمْسُقُ﴾: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢].

﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾: الباء للإلصاق، ظرفية، الواد المقدس: الطاهر المبارك.
﴿طُوًى﴾: اسم للوادي، وهو واقع بأسفل جبل طور سيناء.

[١٧] ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾:

﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: ملك مصر وكان يسمى: فرعون. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لمزيد من البيان في فرعون.

﴿إِنَّهُ طَغَىٰ﴾: إنه للتوكيد، طغى: تجاوز الحد في الكفر والشرك والضلال والتكبر والظلم والعصيان. «إلى فرعون» الذي قال: أنا ربكم الأعلى.
[١٨] ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبَهُ﴾:

﴿فَقُلْ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب؛ أي: قل له مباشرة بعد وصولك إليه.

﴿هَلْ لَكَ﴾: استفهام يفيد العرض والطلب.

﴿إِلَّا أَن﴾: إلى حرف للغاية، أن: حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد.

﴿تَرْكَبَهُ﴾: التطهر من الشرك والكفر، سؤال فيه لطف وليونة.



[١٩] ﴿وَاهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾:

وأدلك أو أرشدك.

﴿إِلَى رَبِّكَ﴾: عبادته وتوحيده ومعرفته.

﴿فَتَخْشَى﴾: الفاء للتعليل، تخشى: الخشية: هي الخوف المقترن بالعلم بالذي تخشاه والتعظيم أو المهابة.

[٢٠] ﴿فَارْتَهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾:

الفاء للتعقيب والمباشرة.

﴿الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾: وهي العصا واليد ﴿فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (٣٢) ونزع يده فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿[الشعراء: ٣٢-٣٣]، الآية هنا تعني المعجزة الكبرى (العصا واليد)، والآية الواحدة والآيتان تكفي عن الآية الأخرى، وقد تكون الآية الكبرى هي العصا فقط.

[٢١] ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾:

الفاء للترتيب والتعقيب والمباشرة.

﴿فَكَذَّبَ﴾: فرعون بموسى وبآية الكبرى ولم يصدقه؛ أي: لم يؤمن له.

﴿وَعَصَى﴾: فرعون الله عز وجل ولم يؤمن بالله تعالى، أو عصى أمر

موسى ﷺ.

[٢٢] ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ سَعَى﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للتعقيب المجازي؛ لأن الكلام يقتضي تطويل المدة.

﴿أَذْبَرَ﴾: فرعون عن الإيمان والتصديق بموسى، وأدار ظهره ولم يستمع لموسى.

﴿يَسْعَى﴾: يجتهد في جمع السحرة والتصدي لموسى والفساد في الأرض.
[٢٣] ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾:

﴿فَحَشَرَ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة؛ أي: المقام يقتضي قصر المدة الطويلة.

الحشر: السَّوق والجمع للسحرة كقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١١]، أو للناس كقوله: ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٩]، أو جنوده.

﴿فَنَادَى﴾: الفاء للتعقيب.

[٢٤] ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾:

﴿فَقَالَ﴾: الفاء للترتيب الذكري، قال فرعون:

﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾: أي لا رب غيري وأنا ربكم الأعلى.

[٢٥] ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾:

﴿فَأَخَذَهُ﴾: الفاء للترتيب الذكري، أخذه: أهلكه الله أو انتقم الله ليجعله عبرة لغيره، والأخذ فيها معنى: الشدة والقوة، كما قال تعالى: ﴿أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾: نكالا: أي: صنع به صنيعاً (أو جعل عقوبته) يخاف منها غيره صنع به صنيعاً يحذر به غيره.



والنَّكَال هو القيد ويستعمل للعقوبة وجمعه: أنكال. ارجع إلى سورة البقرة الآية (٦٦) لمزيد من البيان.

[٢٦] ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿فِي ذَلِكَ﴾: لما جرى لفرعون وعدم إيمانه وأخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

﴿لَعِبْرَةً﴾: اللام للتوكيد، عبرة: دلالة أو بينة تعبر بها من الجهل إلى العلم وعظة لمن يخشى ربه؛ أي: يخافه على علم به مع التعظيم.

﴿لَمَن﴾: اللام الاختصاص؛ أي: عبرة لهؤلاء الذين يخشون ربهم. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٣) لمزيد من البيان عن العبرة.

[٢٧] ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾:

﴿أَأَنتُمْ﴾: الهمزة للاستفهام التقريري، والمخاطب كل الناس وخاصة منكرو البعث والقرآن والألوهية والإيمان.

﴿أَشَدُّ خَلْقًا﴾: أي أعظم خلقاً أو أكبر خلقاً.

﴿أَمِ السَّمَاءُ﴾: أم الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ أو استفهام حقيقي.

أم للإضراب الانتقالي، والسَّماء: هي كل ما علاك تشمل السَّمَوَات السَّبع وما فيهن، والجواب معلوم في قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٧٥]، فهذه السموات تحتوي على مليارات المجرات والتي تحوي داخلها مليارات المجموعات الشمسية المشابهة لمجموعة درب التبانة التي تسبح في السماء الدُّنيا. وماذا عن السماء الثانية أو الثالثة أو السابعة؟ لا علم لنا وكل ما نعلمه لا يتجاوز النذر اليسير من

السماء الدُّنيا فقط وكل سماء تغلف الأخرى وأكبر من الأخرى، هذه السموات المبنية بناءً عظيمًا وشديدًا وكما قال تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبا: ١٢]، ومحبوكة بالحبك ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧]، وما لها من فروع.

﴿بَنَيْنَا﴾: أي ربطها وجعلها محكمة البناء بقوى الجاذبية والتنافر والقوى الكهرومغناطيسية المتولدة عن الأجرام السماوية حولها، وجعلها متوازنة وكما قال تعالى: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾ [الملك: ٣]، وبناء السماء من أعظم دلائل القدرة الإلهية فهناك أكثر من (٢٠٠ ألف مليون) مجرة فيها ملايين النجوم والكواكب والمذنبات والشهب والتوابع ولم يحط الإنسان بها علماً حتى الآن إلا بجزء أو طرف من السماء الدنيا، فما بالك بالسموات الأخرى!

[٢٨] ﴿رَفَعَ سَنَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا﴾:

السَّمَك هو البعد الارتفاعي؛ أي: مقدار الارتفاع من الأسفل إلى الأعلى، يعني: رفعها عالياً أو زاد عرضها من جراء التوسع كقوله: (وإنا لموسعون) فهذه النجوم التي نراها تُزين السماء الدنيا تبعد بعضها عنا مليوني سنة ضوئية كما بينت الدراسات بالتلسكوب.

﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾: جعلها متوازنة تامة كاملة البناء، لا تفاوت فيها ولا اعوجاج ولا فطور ولا شقوق رغم الاتساع والتّمدد، فسوّاها تعني: بالاستقرار والكمال.

[٢٩] ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾:

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾: أي أظلم ليلها: جعله مظلماً؛ أي سترها بالليل كاللباس بدوران الأرض وكرويتها، فحال دون وصول أي ضوء إلا ضوء القمر في الليل.

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾: ضوءها ونهارها، وعبر عن النهار بالضحي، والضحي



يبدأ بطلوع الشمس بسقوط أشعة الشمس على الطبقة الغازية حول الأرض مما يجعلها تضییء. ارجع إلى سورة یونس آية (٦٧) للبيان كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [غافر: ٦١].

[٣٠] ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾:

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾: أي بعد خلق السماء.

﴿دَحَاهَا﴾: في التّعابير القديمة تعني: بسطها ومهدّها؛ أي: هيّاها لعيش الإنسان عليها وذلك بتكوين قشرة الأرض من جرّاء ثورة البراكين التي ألقت بحممها لتشكّل أول جزيرة بركانية التي كانت أرض مكة، ثم دُحيت الأرض من حولها؛ أي: مدّت وبسطت وتشكّلت القارة الأم التي تصدعت فيما بعد إلى سبع قارات وتباعدت هذه القارات، وأثناء عملية الدّحو:

[٣١] ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَهَا﴾:

أي: أخرج منها من جوفها الغلاف المائي والغازي؛ أي: غلافها المائي والغازي.

أخرج منها؛ أي: من الأرض، ماءها حيث كان يخرج مع ثوران البراكين الهائلة كميات كبيرة جداً من بخار الماء والتي كانت تخرج من أكثر من (١٢٠٠) فوهة بركانية على سطح الأرض والتي شكّلت أكثر من (١٠٤) مليون كيلو متر مكعب) من الماء الذي شكّل (٧٠٪) من القشرة الأرضية، فبخار الماء الذي يصعد في السماء وتحمله الرياح ثم يصعد حتّى يلاقي طبقة باردة يتكثف فيها بخار الماء فينزل على شكل مطر، فكل ماء الأرض أخرجّه الله من داخل الأرض، ثم تأتي أشعة الشمس لتساعد على تبخر الماء من البحار والمحيطات وغيرها فتكون السحب ثم تتلخّح السحب فينزل الماء، فهذه الدورة دورة الماء حول الأرض

لكي لا يبقى الماء راكداً، فلا يفسد أو يصبح ماء أسناً ويبقى صالحاً للحياة، وكان الماء في البداية حلواً ثم أصبح مالحاً بسبب السيول وعوامل التعرية، فكل ما يصعد في السماء من بخار الماء يرجع إلى الأرض كمطر وبرحمة من الله جعل ماء المطر يزيد على المياه المتبخرة، وأثبت العلم أن أكثر من (٦٠٠ ألف كم مكعب) يتبخر من البحار والمحيطات وغيرها وينزل على اليابسة كمية أكبر من ذلك بفضل الله ورحمته.

ومرعاها: أخرج منها غلافها الغازي الذي يشمل غاز ثاني أكسيد الكربون الأساسي الذي تمتصه الأوراق الخضراء للشجر وتطلق الأوكسجين الصالح لتنفس الإنسان، وبالتالي يشكل الشجر والثمر وكونه غذاء للحيوانات التي تحتاج إلى مرعى، ومنها نأكل اللحم واللبن والدهن وغيرها.

[٣٢] ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾:

الهاء تعود على الأرض؛ أي: أرسى الأرض بالجبال.

﴿أَرْسَاهَا﴾: أي ثبتها ونشرها في الأرض هنا وهناك؛ كي تكون كالأوتاد للأرض فلا تضطرب وتتحرك أو تميل، ولولا ذلك لما استطعنا أن نعيش عليها.

أرساها: خلال مرحلة الدَّحو، أي بثورة البراكين وخروج الحمم المنصهرة من البحار التي ارتفعت فوق القشرة الأرضية ثم سقطت واخترقتها وشكلت الجبال الرواسي كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْ فِيهَا رَوْسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكْ فِيهَا وَقَدَّرْ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيُنْذِرَ﴾ [فصلت: ١٠].

وكقوله: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥].

وأثبتت الدراسات العلمية أن ما تراه من ارتفاع للجبل على سطح الأرض



له امتداد داخل قشرة الأرض يترواح إلى (١٠-١٥) ضعف ارتفاعه فوق سطح الأرض.

ويطلق على الجبال «رواسي» في الدنيا فقط، ويوم القيامة يطلق عليها اسم الجبال ولا تعد رواسي؛ لأنها ستزول وتقتلع وتنسف ومصيرها أن تكون كالعهن المنفوش.

[٣٣] ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ﴾:

﴿مَنْعًا﴾: من المتاع: وتعريف المتاع: هو كل ما ينتفع به ويرغب في اقتنائه ثم يفنى في النهاية من طعام وشراب وأثاث وسلعة وأداة ومال وأولاد وزوجة وحرث وأنعام، والمتاع يطلق على القليل والكثير.

﴿لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ﴾: لكم اللام لام الاختصاص، وأنعامكم: مثل البقر والغنم والإبل والماعز.

فكيف تكون الجبال متاعاً لنا ولأنعامنا؟ قيل: إنَّ العوامل المناخية والطبيعية من حرارة وبرودة ورطوبة وتقلص وتمدد تؤدي إلى تعرية الجبل؛ أي يحدث تفتت سطحي، وبعد نزول المطر يجرف الأشياء المفتتة حتى تنزل على الأرض والوديان والبحار لتشكل مادة الغرين الخصبة التي تنبت الزرع والحب والنبات الذي هو طعام لنا ولأنعامنا.

[٣٤] ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء استئنافية، إذا ظرفية تفيد حتمية الحدث؛ أي: حدوثها محقق.

﴿جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾: الطامة اسم من أسماء يوم القيامة الكثيرة، ومنها: يوم القيامة، الغاشية، الصاخة، القارعة، الحاقة، الأزفة، يوم الدين، يوم البعث،

يوم الخروج... وغيرها، وقد عدها الغزالي والقرطبي فبلغت خمسين اسماً كما قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، ويقول القرطبي: كل ما عظم شأنه تعددت صفاته، وكثرت أسماؤه، وقيل: النفخة الثانية، وقيل: حين يساق أهل النار إلى النار.

والطامة من طم الشيء؛ أي: علا وغلب؛ أي: الحدث العظيم المروع الذي يُنسى كل ما حدث قبله، أو الداهية العظمى التي تطم أو تعلو كل الأحداث الجسام قبلها.

﴿الْكُبْرَى﴾: صفة للطامة.

[٣٥] ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾:

﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان؛ أي: يوم تجيء الطامة الكبرى يتذكر الإنسان ما سعى.

﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا﴾: مصدرية أو اسم موصول (بمعنى الذي) وما: أوسع شمولاً من «الذي».

﴿سَعَى﴾: ما عمل في الدنيا من خير وشر.

وكيف يتذكر الإنسان ما سعى: أي يقرأه في سجل أعماله في كتابه كقوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

[٣٦] ﴿وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾:

﴿وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ﴾: الجحيم اسم علم للنار، أو دركة من دركاتها مشتق من الجحيم، وهو التأجج فلا تخمد أبداً.



برزت: أصبحت بارزة للعيان؛ أي: ظاهرة لكل من يرى، وظاهرة لمن كان يكذب بها ولا يصدق بآيات الله تعالى.

﴿لَمَن يَرَى﴾: اللام لام الاختصاص، من ابتدائية؛ أي: لا تخفى على أحد، المؤمن والكافر والعاصي والفاجر والتقي والعاصي.

[٣٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء عاطفة، أما: حرف تفصيل وشرط.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية لابتداء الغاية.

﴿طَغَى﴾: تجاوز الحد في عدم طاعة الله، وتجاوز الحد في الكفر والشرك بالله والضلال والتكبر والظلم والفساد والعصيان.

[٣٨] ﴿وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾:

﴿وَأَثَرٌ﴾: الإيثار: هو تقديم الشيء على غيره سواء أيستحق التقديم أم لا يستحق؛ أي: تقديم الحياة الدنيا على الآخرة وسعى لها ولم يستعد للآخرة ولم يبال بها، أو نسيها واتبع شهواته وتجراً على المعاصي والكبائر.

[٣٩] ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾:

﴿فَإِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الْجَحِيمَ﴾: ارجع إلى الآية (١٨) في سورة الرعد.

﴿هِيَ﴾: للتوكيد.

﴿الْمَأْوَى﴾: المستقر والمسكن الدائم أو المثلوى.

[٤٠] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: حرف شرط وتفصيل.

﴿مَنْ﴾: لا ابتداء الغاية.

﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾: آمن بالله وعمل صالحاً، وآمن بالبعث والحساب وخاف الوقوف بين يدي ربه يوم القيامة.

﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾: ونهى: أي زجرها وكفها ومنعها عن الهوى، والهوى: هو ما تميل إليه النفس باطلاً مما لا ينبغي وبلا دليل وبعيد عن الحق والهوى يغلب عليه الذم ويختص بالأداء والاعتقادات، ونهى نفسه عن اتباع الشهوات والحرام وما يبغضه الله تعالى.

[٤١] ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾:

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء تعليلية، إن: للتوكيد.

﴿الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾: هي للتوكيد، المأوى: المستقر والمسكن الدائم.

[٤٢] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾:

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: ولم يقل ويسألونك: حذف الواو يدل على أن السؤال لم يسبقه أسئلة أخرى؛ يسألونك: تعني السائل يقف أمام المسؤول ويسأله عن شيء لا يعرفه، أما يسألك: ليس بالضرورة أن السائل يقف أمام المسؤول ليسأله.

﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾: متى قيام الساعة؟ أي بداية تهدم النظام الكوني وزواله وانتهاء الحياة على الأرض.

﴿أَيَّانَ﴾: أداة استفهام يسأل عن الزمن المستقبل بمعنى: متى.



والفرق بين أيان ومتى: أيان للمستقبل فقط تختص بالاستقبال، ومتى: تستعمل للماضي والحاضر.

وأيان تستعمل في الأمور الجسام أو التي يراد تعظيمها مثل يوم الدين يوم القيامة أو الساعة.

﴿أَيَّانَ مَرْسَهَا﴾: سؤال استفهام قد يكون للاستعداد لها؛ لأنه يؤمن بها ويريد معرفتها، أو يسأل عن أماراتها، أو سؤال إنكار واستبعاد واستهزاء؛ لأنه لا يؤمن بالبعث والآخر.

مرساها: يعني وقوعها أو حدوثها أو قيامها، والأصل في مرساها: من أرساه؛ أي: أثبتته وأقره.

[٤٣] ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾:

﴿فِيمَ﴾: أصلها: في ظرفية، ما استفهام حذف ألفها بسبب الجر، فيه معنى الإنكار والتعجب من إلحاح المشركين على رسول الله ﷺ أن يبين لهم وقتها (زمن وقوعها).

﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾: أي فيما أو لماذا هذا السؤال المتكرر والحديث عنها، وأنت لا تعلمها، أو ليس عندك علمها فتذكرها لهم.

[٤٤] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَنًا﴾:

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر والاختصاص.

﴿مُنْهَنًا﴾: زمن حدوثها أو متى ستقع لا يعلمها إلا هو، كقوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْفِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، أو منتهى علمها عند الله.

[٤٥] ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد التوكيد والحصر.

﴿أَنْتَ مُنذِرٌ﴾: الإنذار: الإعلام مع التحذير والتخويف.

﴿مَنْ يَخْشَاهَا﴾: من لا ابتداء الغاية، يخشاها: يخافها ويعظمها.

أي رغم أنك لا تعلم متنهاها فأنت لا زلت مكلفاً بالإنذار، من يخشاها: من المؤمنين.

[٤٦] ﴿كَانَ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾:

﴿كَانَ يَوْمَ﴾: للتشبيه المؤكد.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾: يوم يرون الساعة؛ أي: يرون تهدم النظام الكوني أو الكون.

﴿لَمْ يَلْبِسُوا﴾: في الدنيا.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾: عشية من زوال الشمس إلى الغروب؛ أي: من الظهر إلى

غروب الشمس (ساعات)، أو ضحاها: من طلوع الشمس إلى زوال الشمس؛ أي: نصف يوم، أو: للتخيير.





سُورَةُ النِّازِعَاتِ ٨٠

الجزء ٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يُزَكِّي (٣) أَوْ
يَذْكُرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِكْرَى (٤) أَمَّا مَنْ أَسْتَعْنَى (٥) فَانْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦)
وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَانْتَ
عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ
(١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) قُلِ الْإِنْسَنُ
مَا أَكْفَرُهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ
السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أُنْشِرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا
يَقُضْ مَا أَمَرَهُ (٢٣) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَنُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا
(٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَبْنَيْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَبْنَا وَقَضْبًا (٢٨)
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفِكَهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَعَالَى كُفُّ
وَلَا تَعْمِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤)
وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ
يُعْنِيهِ (٣٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)

سورة عبس [الآيات ١ - ٤٢]

ترتيبها في القرآن (٨٠) ترتيبها في النزول (٢٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾:

سبب النزول: كما أخرج الترمذي والحاكم: كان النبي ﷺ قبل الهجرة يتحدث مع بعض سادة قريش ويطمع في إسلامهم، فجاء ابن أم مكتوم وكان قد حرم البصر فقال: علّمني يا رسول الله مما علمك الله، وجعل يناديه ويكرر النداء، ولا يدري ابن أم مكتوم أن رسول الله ﷺ مشغول مع زعماء المشركين من قريش طمعاً في دخولهم في الإسلام، فكره رسول الله ﷺ نداء ابن أم مكتوم وأعرض وعبس في وجهه فنزلت هذه السورة.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾: عبس رسول الله ﷺ قطب جبينه، وتولى: ابتعد وأعرض بوجهه عن عبد الله بن عمرو بن أم مكتوم.

انتبه إلى تحول الصيغة من صيغة المخاطب إلى صيغة الغائب، ولم يقل عبست وتوليت بصيغة المخاطب وإنما استعمل صيغة الغائب فقال: عبس وتولى؛ إكراماً لرسول الله ﷺ.

[٢] ﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾:

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التعليل والتوكيد.



﴿جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾: الأعمى: أي: المصاب بفقد حاسة البصر، وليس العمه: أي عمى البصيرة، عبد الله بن عمرو بن أم مكتوم أحد المهاجرين ابن خال خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها، جاء رسول الله ﷺ ورسول الله يدعو ويخاطب عتبة بن ربيعة وأبا جهل والعبّاس وأمّية بن خلف من عظماء قريش، لعلهم يدخلون في الإسلام.

[٣] ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾:

﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾: ما للاستفهام، يدريك: من درى: أي علم بعد جهل، درى حالة خاصة من علم، علم أوسع من درى.

﴿لَعَلَّهُ﴾: لعل للتعليل، والهاء تعود على ابن أم مكتوم.

﴿يَزَكِّي﴾: أصلها يتزكى: يتطهر ويتوب من ذنوبه أو يتزكى بما يتعلمه من الشرائع ويتطهر من الجهل.

[٤] ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِكْرُ﴾:

أو لعله نسي شيئاً من تعاليم دينه فيسألك عنه، فيتذكره ويعمل به أو يتعظ فتنفعه موعظتك.

[٥] ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَفْنَى﴾:

﴿أَمَّا مَنْ﴾: حرف شرط وتفصيل، من: اسم موصول بمعنى الذي.

﴿أَسْتَفْنَى﴾: بماله وجاهه وقوته أمثال هؤلاء سادة قريش عتبة وشيبة وربيعة وغيرهم، أو استغنى عن عبادة الله بعبادة الأوثان.



[٦] ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾:

أصلها تتصدى: أي تُقبل عليه بوجهك، أو تتعرض له تحاول محادثته وتلح على دعوته.

[٧] ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكَى﴾:

﴿وَمَا﴾: النافية.

﴿عَلَيْكَ﴾: من وزر أو إثم أو مسؤولية أو جناح في عدم إسلامهم، ما عليك إلا البلاغ.

﴿أَلَّا﴾: أصلها: أن حرف مصدري للتعليل ولا النافية.

يزكى: أي يتطهر أو يتوب، أو يؤمن ويدخل في الإسلام أو يهتدي.

[٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾:

﴿وَأَمَّا مَنْ﴾: أما حرف شرط وتفصيل، من: اسم موصول بمعنى الذي.

﴿جَاءَكَ يَسْعَى﴾: يمشي بجهد وعزم طالباً العلم وحضور مجلسك أو سائلاً

عن أمر يهمه.

[٩] ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾:

﴿وَهُوَ﴾: للتوكيد.

﴿يَخْشَى﴾: أي يخشى الله تعالى؛ يخافه خوفاً مقروناً بالعلم والتعظيم.

[١٠] ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾:

﴿فَأَنْتَ﴾: الفاء للتوكيد.



﴿عَنْهُ لِّلْهَى﴾: منصرف أو مشغول أو غافل عنه بسبب هؤلاء كفار قريش.

[١١] ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر، وقد تعني حقاً، كلا: لا تفعل مثل ما فعلت مع ابن أم مكتوم، ثم ينتقل سبحانه وتعالى للحديث عن القرآن وآياته.

﴿إِنَّهَا﴾: تعود على الآيات القرآنية التي أنزلها الله في كتابه العزيز، أو السورة نفسها وما جاء فيها من تذكرة لمن ينسى، أو تذكرة لمن يريد الانتفاع بها الغاية منها النجاة من النار والفوز بالجنة.

[١٢] ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾:

﴿فَمَنْ﴾: الفاء عاطفة، من شرطية.

﴿شَاءَ ذَكَرْهُ﴾: فمن شاء الله ذكر الله فزاده خشية، أو ذكر القرآن: قرأه وتدبره وأتعت به، ولم يقل ومن شاء لم يذكره؛ لأن هذا ليس وارداً شرعاً.

[١٣] ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾:

تذكرة: أي القرآن أو آياته مكتوبة في صحف مكرمة.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿صُحُفٍ﴾: جمع صحائف وهي ما يكتب فيه القول.

﴿مُكْرَمَةٍ﴾: مؤنث مكرم، مكرمة: مباركة عظيمة القدر والشأن عند الله

تعالى وعند الملائكة.

[١٤] ﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾:

﴿مَرْفُوعَةٍ﴾: رفيعة القدر والمنزلة أو مرفوعة في اللوح المحفوظ.



﴿مُطَهَّرَةً﴾: لا يمسها إلا المطهرون؛ أي: الملائكة، ومنزّهة عن الشياطين.

[١٥] ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾:

﴿سَفَرَةٍ﴾: السّفرة: الملائكة، والسّفرة جمع سفير: وهو الواسطة بين الله ورسله؛ أي: بالوحي، والسّفرة من السّفر (وهو الكتاب)؛ أي: الكتبة؛ لأنهم يكتبون أعمال العباد.

[١٦] ﴿كَرَامٍ بَرَرَةٍ﴾:

﴿كَرَامٍ﴾: كرام على الله؛ أي: أعزّاء وكرام في أخلاقهم وخلقهم وعلى أحسن خلق وخلق صادقين.

﴿بَرَرَةٍ﴾: وصفاً للملائكة؛ لأنهم جميعاً بررة؛ وبررة: جمع كثرة، بينما وأبرار جمع قلة وهو وصف للمؤمنين، وبررة: جمع بار؛ أي: أتقياء مطيعين بارّين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، بررة من الآثام والعيوب.

[١٧] ﴿قُتِلَ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرُهُ﴾:

﴿قُتِلَ الْإِنْسَنُ﴾: قُتِلَ: قيل معناها: لعن، وقُتِلَ: هو أسلوب يستعمله العرب في تقييح فعل ما؛ أي: ما أسوأه.

وقيل: قُتِلَ: دعاء على الإنسان بأشدّ الدعاء، الإنسان: أي الإنسان الكافر وليس كلّ إنسان.

﴿مَا أَكْفَرُهُ﴾: ما: قيل: هي استفهامية تفيد أيضاً معنى التوبيخ؛ أي: ما الذي حملته على الكفر أو يجعله يكفر بربه؟ أو: أي شيء أكفره؟ أي: دعاه أو أجبره على الكفر.



وقيل ما: للتعجب؛ أي: ما أعظم كفره، أو أشد كفره مع كثرة الإحسان إليه! أو أتعجب من فرط كفره، فقد أعطاه العقل وأرسل إليه رسله وأنزل عليه كتبه وبيّن له ما أمره به ونهاه عنه.

والكفر: هنا يعني كلّ أنواع الكفر ومنه كفر الجحود بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث، وكفر النعمة والإحسان إليه، وبالتالي قتل الإنسان: هلك الكافر، فليس هناك مبرر وداع إلى كفره فليُنظر كيف خلقه ربه.

[١٨] ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾:

﴿مِنْ﴾: استفهامية تفيد معنى التقرير.

﴿أَيِّ﴾: أي أنت أيها الإنسان الكافر كيف تكفر، ألم تُخلق من تراب أو من

نطفة من ماء مهين!

[١٩] ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾:

﴿مِنْ نُّطْفَةٍ﴾: من ابتدائية، نطفة الأب والأم (الذكر والأنثى) أي: بداية خلقه

من نطفة.

﴿فَقَدَرَهُ﴾: أي قدر أعضائه رأسه وعينه ويديه ورجليه وسائر الأعضاء

والحواس، فقدّره نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ عظاماً.

والتقدير يعني: أعطاه من الصفات الوراثية ما يميزه عن غيره وكانت بداية

خلقه من نطفة آدم وحواء، والشّفرة الوراثية لا يحددها إلا الله سبحانه، فقدّره

التقدير وقد يعني: التحكم في الصفات الوراثية لكل فرد من ذرية آدم.

[٢٠] ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرُهُ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿السَّبِيلَ يَسَّرُهُ﴾: في خروجه من بطن أمه، أو بينا له طريق الخير وطريق الشر، وأعطاه الوسائل الكافية والمعرفة والهداية الربانية كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وأعطيناه العقل الراجح الذي يميز به بين الخير والشر، وأرسل له الأنبياء والرسل والكتب، وغرس الإيمان الفطري في كل خلية من خلاياه حين خلق آدم.

[٢١] ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ، فَأَقْبَرَهُ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿أَمَانَهُ﴾: بعد انقضاء أجله، والموت هو مفارقة الروح للبدن، فهذا الأجل مدوّن في السّفرة الوراثية، فأجله محدد في كل خلية من خلايا جسمه، وسوف يمر في مرحلة الولادة ثم الطفولة ثم الشباب ثم الكهولة والشيخوخة والاحتضار فالموت.

﴿فَأَقْبَرَهُ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، أقبره: أكرمه بالدفن.

[٢٢] ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿إِذَا﴾: شرطية ظرفية حتمية الحدوث.

﴿شَاءَ أَنشَرَهُ﴾: شاء سبحانه، أنشره: أحياه من جديد بعد موته وتحوله إلى عظام ورفات، ثم بيعته ليحاسبه ويجزيه على عمله.



[٢٣] ﴿كَلَّا لَمَاقِضٌ مَّا أَمَرُهُ﴾:

﴿كَلَّا﴾: حقاً، أو كلا: كلمة ردع وزجر عما عليه الإنسان من الكفر، أو ليكف الإنسان عن كفره.
﴿لَمَّا﴾: حرف نفي.

﴿يَقِضُ مَّا أَمَرُهُ﴾: لم يؤدِّ ما فرض الله عليه أو كلفه به من الفروض والعبادات.
ما: اسم موصول بمعنى: الذي أمره من الأوامر، و«ما» أوسع شمولاً من «الذي».

[٢٤] ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾:

﴿فَلْيَنْظُرِ﴾: الفاء للتوكيد أو جواب شرط مقدر تقديره: إن أردتم معرفة الله وقدرته، فلينظر الإنسان إلى طعامه نظرة تأمل وتفكر.

﴿الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾: من أين توفر له أو من أين جاء، ومن هيأه وجهزه له، أو من جاء به أو كيف خلقه وجعله سبباً لحياته؟ وتركيب هذا الطعام من مختلف المواد البروتينية والنشوية والدهنية والسكرية، والمعادن والأملاح، وكيف يتم تحضيره بماء المطر وشق الأرض وإخراج مختلف النباتات!

[٢٥] ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾:

﴿أَنَا﴾: للتعظيم.

﴿صَبَبْنَا الْمَاءَ﴾: أنزلنا ماء المطر على الأرض بغزارة وكثرة حتى تغني الأرض وتخرج حبها وثمرها، ويتوفر للإنسان الطعام.

﴿صَبَّأً﴾: للتوكيد، وبدون المطر فلن يكون هناك طعامٌ، ففي هذه الآية إشارة ضمنية إلى دورة الأرض.

وكيف تم صب هذا الماء بالتبخير، ثم تشكل السحاب ثم تلقيح السحاب ثم سقوط المطر وكون كمية الماء ثابتة على الأرض، ولكن كيفية توزيعها غير ثابتة، ولا أحد يستطيع التحكم بهذا المطر إلا رب العالمين.

[٢٦] ﴿ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿شَفَقْنَا الْأَرْضَ﴾: بالنباتات والحب والزرع.

وكيف يتم هذا الشق: ليسمح للبذرة أن تنمو وتخرج السويقة ثم الأوراق والحب والثمار، فماء المطر ينزل على التربة المكونة من معادن بشكل صفائح رقيقة تحمل على سطحها شحنات إيجابية وسلبية، فيؤدي وصول الماء إليها إلى تبادل الشحنات والاهتزاز والانشقاق.

﴿شَقًّا﴾: للتوكيد. شقاً: مصدر لفعل شق، ثم ذكر ثمانية أنواع من النباتات التي تخرجها الأرض.

[٢٧] ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾:

الحب: مثل الحنطة (القمح) والشعير والرز والذرة وغيرها من أنواع الحبوب.

[٢٨] ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾:

عنباً: العنب بأنواعه.



قضباً: قيل: هي النباتات المستخدمة لإطعام الحيوانات مثل العلف والبرسيم والعشب.

[٣٩] ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾:

شجر الزيتون وشجر النخيل بأنواعه المختلفة، واختار الزيتون والعنب؛ لأنها تمثل أهم الثمار.

[٣٠] ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾:

حدائق جمع حديقة: كل بستان له سور أو محاط بشجر كثيف. غُلْبًا: كثيفة الأشجار؛ أي: الملتفة.

[٣١] ﴿وَفِكْهَةً أَبًا﴾:

فاكهة: اسم جنس يشمل كل أنواع الفواكه.

أبًا: ما تأكله الحيوانات من التبن والعشب اليابس والنبات.

[٣٢] ﴿مَنَّاعًا لِّكُرٍّ وَلَآئِعِمَّكُرٍّ﴾:

طعاماً لكم (خاصة) ولأنعامكم. ارجع إلى سورة النازعات الآية (٣٣) للبيان.

[٣٣] ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ﴾:

الفاء استثنائية، إذا: شرطية تدل على حتمية الوقوع.

﴿جَاءَتِ﴾: من المجيء، والمجيء في القرآن: يستعمل في الصعوبة والمشقة، وأتى: تستعمل في الأمر السهل.

الصاخة: قيل: الصيحة أو النفخة الثانية، وسميت بالصاخة؛ لأنها تصم الأذان أي: تكاد تصمها لشدتها، ويقال: صَخَّ فلان فلاناً، إذا أصممه، ولها أسماء أخرى منها: الحاقة، القارعة، الطامة، الساعة، الراجفة، الرادفة، الأزفة، وقد عدها الغزالي والقرطبي فبلغت خمسين اسماً، كما قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، وقال القرطبي: كل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه.

[٣٤] ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرءُ مِنْ أَخِيهِ﴾:

ولم يقل سبحانه يوم يقر الإنسان؛ لأن كلمة الإنسان تشمل الذكر والأنثى؛ أي: يوم تجيء الصاخة (النفخة الثانية) أو يوم البعث يقر المرء: الرجل، والفرار: هو الجري بسرعة، المصحوب بالخوف وعدم التستر.

من أخيه: من ابتدائية، أخيه في النسب.

[٣٥] ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾:

[٣٦] ﴿وَصَاحِبِيهِ وَبَنِيهِ﴾:

﴿وَصَاحِبِيهِ﴾: زوجته، والزوجة لا تسمى صاحبة إلا إذا كان له ولد منها؛ تعني: الصحبة دامت حتى ولدت له.

﴿وَبَنِيهِ﴾: الأبناء والأولاد: وبنيه تدل على الكثرة، وفيها تصغير يدل على الرأفة والشفقة، والأبناء تدل على القلة.

[٣٧] ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَ يُدْرَسُ أَنْ يُعْنِيَهُ﴾:

﴿لِكُلِّ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿أَمْرٍ مِنْهُمْ﴾: من الإنس والجن.



﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم ظرف أضيف إلى ظرف إذ؛ أي: يوم القيامة. ويوم: نكرة للتهويل والتعظيم.

﴿شَأْنُ يُغْنِيهِ﴾: لكل منهم شاغل يشغله عن أقرب الناس وهم أهله، ويقول: اللهم نفسي نفسي.

وهذا الفرار سببه هول ذلك اليوم والخوف والرعب الذي يؤدي بالإنسان إلى نسيان أهله وأولاده وأقاربه، وإذا رآهم لا يتوقف ويستمر في جريه بحثاً عن الملجأ والمنجأ.

ويبدأ الفرار من الأبعد إلى الأقرب، من الأخ ثم الأب والأم ثم الزوجة والأولاد، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١١-١٤) في سورة المعارج وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِنِيعِهِ ۝١١ وَصَحْبَتِهِ ۝١٢ وَأَخِيهِ ۝١٣ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَبُّ عَلَىٰ أَنْ يَدْعُوا بِهِمْ ۝١٤﴾ نجد أن النداء يبدأ بالأقرب فالأبعد بعكس الفرار. ارجع إلى سورة المعارج لمزيد من البيان ومعرفة السبب، والاختلاف بين الآيتين.

[٣٨] ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾:

﴿مُسْفِرَةٌ﴾: من أسفر الصّبح؛ أي: أضواء؛ أي: وجوه المؤمنين يومئذ مضيئة نيرة تضيء وتنير من آثار الإيمان والوضوء.

[٣٩] ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾:

﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾: مؤنث مستبشر من الفعل: استبشر؛ أي: تظهر على وجوههم علامات البشر والفرح والبهجة والحبور؛ لأنهم بشرّوا بالجنة ونعيمها.

[٤٠] ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾:

ووجوه الأشقياء الكفار يومئذ: يوم البعث والحشر:



﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾: كناية عن تغييرها بسبب الغم والحزن والقنوط، أو تعني: عليها التراب.

[٤١] ﴿رَهَقَهَا فَزَرَةٌ﴾:

﴿رَهَقَهَا﴾: تغشاها.

﴿فَزَرَةٌ﴾: يقال: رهقه: غشيه بقهر، قتره: من القطار؛ الهواء الممتلئ بدخان الدَّهْن المحترق (دخان أسود) من دخان جهنم.

[٤٢] ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد تفيد الدَّم.

﴿هُمُ﴾: للتوكيد.

﴿الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾: الكفرة: جمع كافر جمع كثرة غير محددين بعدد، بينما الكافرون أقل نسبة من الكفرة، كل من لا يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

والفجرة: جمع فاجر: وهم كثرة، وقيل الفاجر: من عمل الكبائر ومات ولم يتب، والفجور: الخروج عن حدود الله وطاعة الله، وارتكاب المحرمات كالربا والزنى وسفك الدماء، والدوام على ذلك.

هم الكفرة الفجرة؛ أي: الكفار هم الفجَّار، أو هناك كفره وفجرة، أو هناك من اشترك في الصِّفتين الكفر والفجور، أو الكفرة خبر أول والفجرة خبر ثان.





سُورَةُ التَّكْوِيْنِ ٨١

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤
وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا
الْمَوءُ دَسَّيِلَتْ ⑧ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ⑨ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ
⑩ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ⑫ وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ⑬ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ⑭ فَلَا أَقْسِمُ بِالْخَنَسِ ⑮
الْجَوَارِ الْكُنَسِ ⑯ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ⑰ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ⑱
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ⑲ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ⑳ مُطَاعٍ
ثَمَّ ㉑ أَمِينٍ ㉒ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ㉓ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ㉔
㉕ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ㉖ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ㉗
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ㉘ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ㉙ لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ
يَسْتَقِيمَ ㉚ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ㉛

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

سورة التكوير [الآيات ١ - ٢٩]

ترتيبها في القرآن (٨١) وترتيبها في النزول (٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾:

الشمس هي إحدى النجوم، وهي فرن نووي هائل مركب من غاز الهيدروجين بنسبة (٧٣٪) والهيليوم بنسبة (٢٤٪) وغازات أخرى مثل الأوكسجين والكربون وغيرها من الغازات.

وتبعد الشمس عن الأرض حوالي (٩٢،٩٠٠،٠٠٠ مليون ميل) أي: حوالي (١٤٩،٦٠٠،٠٠٠ كم).

وقطر الشمس حوالي (١،٣٩ مليون كم) أو ما يعادل (٨٦٤،٠٠٠ ميلاً) أو ما يعادل (١٠٩) ضعف قطر الأرض.

أما كتلة الشمس فهي تساوي (٣٣٠،٠٠٠) كتلة الأرض.

وهي تسبح حول مركز مجرة درب التبانة بسرعة تقدر (٢٢٠ كم/ثانية) لتكمل دورة واحدة كل حوالي (٢٢٦ مليون سنة) حول مركز المجرة.

والشمس والقمر والأرض تجري بسرعة (١٩ كم/ثانية).

والشمس تعتبر أهم مصدر للطاقة على الأرض؛ فهي مصدر للضوء



والحرارة، ودرجة حرارة الشمس في مركزها يصل إلى حوالي (١٥ مليون درجة مئوية)، وعلى سطحها حوالي (٦ آلاف درجة مئوية).

﴿إِذَا﴾: شرطية ظرفية تستعمل للأمر الحتمية الحدوث.

﴿الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: وتقديم الفاعل (الشمس) على الفعل المحذوف يفيد التهويل والتعظيم وهذا ما نراه في الآيات (١) إلى الآية (١٣) تقديم الفاعل على الفعل؛ الشمس هذه الكتلة الملتهبة التي تمتد منها السنة اللهب عشرات الآلاف من الكيلومترات، وقد يصل بعضها إلى أكثر من نصف مليون كم.

وتكور الشمس: يحدث عندما يخبو النشاط النووي داخل الشمس ويبدأ بالنقص، مما يؤدي إلى انسحاب ألسنة اللهب، ويقل نورها تدريجياً وتظلم، وهذه من علامات الساعة؛ أي: بداية تهدم النظام الكوني.

[٢] ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾:

هذه علامة أخرى من أحداث الساعة؛ أي: تهدم النظام الكوني.

﴿وَإِذَا﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿النُّجُومُ﴾: أجرام سماوية مركبة في معظمها من مادة غازية ملتهبة يغلب على تركيبها مادة الإيدروجين الذين يشكل حوالي (٧٥٪) من المادة الغازية، هذا التفاعل يجعلها شديدة الحرارة مضيئة، والنجوم تمر بدور حياة تتحول من نجوم عادية إلى نجوم حمراء عملاقة، ثم تنقلص بعد تمددها وتصبح نجوماً بيضاء ثم سوداء ثم ثقباً سوداء، ثم تنفجر وتنكمش على نفسها وتقل حجماً وتزداد جاذبية واختفاء إلى الأبد.

ويقدر عددها في مجرتنا وحدها بأكثر من (١٠٠-٤٠٠ مليار نجم).



﴿أَنكَدَرْتُ﴾: من الكدر: أصبحت غير صافية الضوء كان فيها عكر، وقيل: انطمس ضوءها؛ أي: نقص لمعانها وتضاءل، ولا يعني زواله كاملاً.

[٣] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: شرطية ظرفية تدل على حتمية الوقوع، وتكرارها يفيد التوكيد.

﴿الْجِبَالُ﴾: مكونة من صخور، والصخور مكونة من المعادن، والمعادن مكونة من جزيئات والجزيئات من ذرات، والذرات مرتبطة ببعضها بقوى الجاذبية فإذا زالت الجاذبية عندها ستسير الجبال.

فمعنى ﴿الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾: أزيلت واقتلعت من أماكنها، وكما بينت الآيات الأخرى: تدكّ وتنسف وتتحول إلى كثيب مهيل، ثم تكون كالعهن المنفوش والسراب، ثم تزول من الأرض ولن يكون هناك جبال على الأرض الجديدة.

[٤] ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾:

ومن أحداث الساعة أيضاً:

﴿الْعِشَارُ﴾: جمع عشراء، وهي الناقة الحامل التي مرّ على حملها (١٠) أشهر وهي عند مالكيها أثمن وأفضل من الأموال.

﴿عُطِّلَتْ﴾: أي أهملت فلا راع يرعاها؛ لذهول صاحبها، ولم تعد لها قيمة في نظره.

[٥] ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ارجع إلى الآية (١) من السورة نفسها.

﴿الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: جمع وحش: هو الحيوان البري المفترس، وهنا يقصد به سائر الحيوانات، والحشر: هو السّوق والجمع. فالوحوش تحشر؛ أي: تخرج



من جحورها وأوكارها حين تحدث الزلازل وتمور الأرض، وقد تبين أن هذه الحيوانات تشعر بالهزات الأرضية قبل أن يشعر بها الإنسان، ولذلك تحاول النجاة فتخرج باحثة عن ملجأ لها.

[٦] ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾:

التسجير: هو الإحماء إلى درجة الاحمرار.

﴿سُجِّرَتْ﴾: اشتعلت ناراً بسبب الانفجارات وتلاطم الصفائح القارية تحت البحار والمحيطات، مما يؤدي إلى اختلاط طبقات الأرض الحديد والنحاس المذاب بغيره من المواد البترولية المخزونة في أعماق البحار والغازات المشتعلة. ارجع إلى سورة الطور آية (٦) لمزيد من البيان، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٣) في سورة الانفطار وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ نجد أن مرحلة الانفجار تسبق مرحلة الاشتعال.

﴿سُجِّرَتْ﴾: أي: صارت ناراً، والانفجار قد يؤدي إلى الاشتعال وإلى الفيضانات على وجه الأرض، وإذا قارنا البحار مع الأبحر في القرآن نجد البحار تعني: جمع كثرة، والأبحر: جمع قلة.

هذه الأحداث الستة تحدث في الدنيا عند النفخة الأولى.

ثم يذكر الله سبحانه ستة أحداث تحدث بعد النفخة الثانية يوم القيامة في الآخرة.

[٧] ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ارجع إلى الآية الأولى من السورة نفسها.

﴿النُّفُوسُ﴾: أعيدت إلى الأجساد؛ أي: ردت النفوس إلى الأجساد، بعد

أن ترد الأرواح أولاً، ويخرج العبد من القبر ويساق إلى أرض المحشر للحساب والجزاء، وقد تعني أيضاً: يقرن كل إنسان بشكله؛ أي: العاصون معاً والمحسنون معاً وهكذا.

[٨] ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ﴾:

ومن أحداث يوم القيامة.

﴿وَإِذَا﴾: ارجع إلى الآية الأولى من السورة نفسها.

﴿الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ﴾: هي الأنثى التي دفنت حية كما كانوا يفعلون في الجاهلية من وأد البنات: تطمر بالرمل أو التراب حية؛ خوفاً من العار أو الفقر! فجاء الإسلام فحرم ذلك، تسئل هذه الموءودة التي قتلت: بأيّ ذنب قتلت؟

[٩] ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾:

﴿بِأَيِّ﴾: الباء تعليلية أو باء السببية، أي: استفهام فيه توبيخ لقاتل الموءودة.

﴿ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾: ما سبب قتلها وما هو الذنب والجرم الذي ارتكبه حتى تُؤاد؟ وفي هذه الآية تهديد ووعد لكل قاتل.

[١٠] ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾:

ومن أحداث يوم القيامة:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية تستعمل للأمر الحتمية الحدوث.

﴿الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾: الصحف: جمع صحيفة: التي تكتب فيها أعمال العبد، نشرت: فتحت وأعدت للقراءة بعد أن كانت مطوية، ثم توزع على أصحابها؛ ليقروها كما قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣]. أو تطايرت الصحف.



[١١] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ارجع إلى الآية الأولى من السورة نفسها.

﴿السَّمَاءُ﴾: أي السموات السبع طويت.

﴿كُشِطَتْ﴾: اقتلعت وأزيلت وبدلت بسماء جديدة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ
تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

[١٢] ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ارجع إلى الآية الأولى من السورة نفسها.

﴿الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾: سَعَّر النَّارَ: أوقدها أو ألهبها، الجحيم: اسم علم للنار،
وقيل: دركة من دركات النار، الجحيم: مشتقة من الجحوم: التَّاجِجُ فلا تخمد
أبدًا.

[١٣] ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ارجع إلى الآية الأولى من السورة نفسها؛ للبيان.

﴿الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾: قُرِّبَتْ وَأُدْنِيَتْ مِنَ الْمُتَّقِينَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ
لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١].

[١٤] ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾:

علمت كل نفس ما أحضرت من أعمال خير وحسنات أو شر وسيئات،
كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾
[آل عمران: ٣٠].

﴿نَفْسٌ﴾: نكرة والتذكير يفيد العموم، ومن المفسرين من قال: علمت نفس



ما أحضرت؛ تعني: ما أحضرت من عمل صالح كثمن يدخل الجنة؛ لأنه سبقها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [آية: ١٣].

لنقارن بين قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ وقوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الأنفطار: ٥].

علمت نفس ما قدمت وأخرت: موقف يحدث قبل بدء الحساب عندما تتبعثر القبور ويساق إلى أرض المحشر.

وأما عندما تُقرب إليه الجنة (وإذا الجنة أزلفت) ويراهها، فيعلم عندها ما أحضر ثمنًا لها من العمل الصالح، فهو موقف آخر موقف متأخر عن الأول. [١٥] ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ﴾:

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾: ارجع إلى سورة القيامة الآية (١).

﴿بِالْخَنَسِ﴾: الخنس أو الخنوس يعني: الاختفاء الكامل؛ أي: لا تُرى بالكامل وعدم عودة ظهورها مرة أخرى وتسمى الثقوب السوداء، أكبر من الشمس بعشرين مرة، ولها صفات مميزة بالإضافة إلى الخنس: وهو الاختفاء كاملاً.

﴿الْجَوَارِ الْكُنَسِ﴾: الجوار: أي التي تجري بسرعات كبيرة ثانياً، والكنس: أي التي لها وظيفة الكنس ثالثاً.

﴿الْجَوَارِ﴾: جمع جارية تجري في أفلاكها، وتجري بسرعة هائلة تقدر بـ (٣٠ مليون كم / بالساعة).

﴿الْكُنَسِ﴾: تكنس وتنظف السموات والكواكب والمجرات والفضاء والكون بجاذبيتها التي تشبه وظيفة المكنسة الكهربائية، وسميت بالثقوب



السوداء؛ لقدرتها على امتصاص وابتلاع بقايا التفاعلات الكونية والكواكب والغازات السامة والضارة والطاقة، أو المواد العاطلة، أو الناجمة عن التفاعلات الكونية، وهذه الثقوب السوداء تمثل المرحلة الأخيرة في دورة النجوم الحياتية كمرحلة الشيخوخة عند الإنسان، ثم تنفجر وتعود إلى دخان كما بدأت من دخان، كما يموت الإنسان ويتحول إلى تراب كما خلق من تراب.

والخلاصة: يقسم الله سبحانه بالخنس الجوار الكنس بهذه النجوم العملاقة المخفية اختفاءً كاملاً، والتي تجري بسرعات هائلة في مداراتها لتكنس صفحة السماء، وعندما تصل إلى كثافة شديدة تنفجر وتتحول إلى دخان، فهي آية من الآيات الكبرى الدالة على عظمة الخالق وقدرته، وأن القرآن الكريم هو تنزيل من رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين..

[١٧] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾:

﴿وَاللَّيْلِ﴾: الواو واو القسم، يقسم الله بالليل إذا عسعس، وجواب القسم: إنه لقول رسول كريم.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا﴾: ظرفية شرطية تدل على حتمية الحدوث.

﴿عَسَسَ﴾: قيل: تعني أقبل، وقيل: أدبر، لها معنيان متضادان؛ أي: عسعس من ألفاظ الأضداد: أي والليل إذا أقبل بظلامه، أو الليل إذا أدبر ظلامه، وقيل: العسعسة رقة الظلام؛ أي: انخفاض درجة سواد الليل في بدئه وفي نهايته، فالليل لا يكون حالك السواد في بدايته أو نهايته، فالعسعسة بداية الليل وآخره، وتبادل الليل والنهار من الأمور الفريدة لجعل كوكب الأرض صالحاً للحياة؛ لأن الغالبية

الساحقة من الكائنات الحية لا تستطيع أن تحيا في ظلام (٢٤ ساعة) أو نور كامل (٢٤ ساعة).

[١٨] ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ﴾:

﴿وَالصُّبْحُ﴾: واو القسم، يقسم الله بالصُّبْحِ إذا تنَفَسَ، وجواب القسم: إنه لقول رسول كريم.

﴿وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ﴾: شبه الله سبحانه الصبح بالإنسان حين يتنَفَسُ، شبه الصبح حين طلوعه بالإنسان الذي يأخذ الهواء ليمدّد رثيته (بالشهيق)، وهذا ما يحدث حول الأرض حين طلوع الصبح، حيث للأرض خمسة نُطُقٍ حماية منها نطاق الأوزون والمغناطيسي والمناخ والشعاعي وغيرها، هذه النُّطُقُ حين تطلع الشمس وتصل أشعتها إلى الأرض، تتمدّد وتبتعد عن الأرض وكأنها تقوم بشهيق، وعندما يأتي الليل تنكمش هذه النُّطُقُ وكأنها تقوم بعملية إخراج الهواء (الزفير).

[١٩] ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾:

هذا هو جواب القسم: فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس والصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ: إنه لقول رسول كريم.

إنّ واللام في كلمة «لقول» تفيدان التوكيد.

﴿إِنَّهُ﴾: أي القرآن الكريم لقول رسول كريم؛ أي: جبريل ﷺ كريم عزيز على الله تعالى وأمين، ونسب القول إلى جبريل؛ لأنّه هو الواسطة في تبليغ الوحي.

﴿كَرِيمٍ﴾: عزيز على الله وأمين، وكريم يؤدي ما طُلب منه، وكريم لكرم أخلاقه وخصاله فهو أفضل الملائكة وأعظم درجة عند ربه.



لنقارن هذه الآية (١٩) في سورة التكوين وهي قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾
مع الآية (٤٠) في سورة الحاقة وهي قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾.

ففي آية التكوين الرسول هو جبريل ﷺ لقوله: «ذي قوة عند ذي العرش
مكين»، وأما آية الحاقة الرسول هو محمد ﷺ لقوله: «وما هو بقول شاعر ولا
بقول كاهن» وكلاهما جبريل ﷺ ومحمد ﷺ وصف بالرسول الكريم.

[٢٠] ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾:

﴿ذِي﴾: بمعنى صاحب، ووقوله تعالى: (ذي) أشرف وأبلغ من قوله:
صاحب.

﴿قُوَّةٍ﴾: شديد القوى، قيل: له (٦٠٠) جناح، اقتلع قرى قوم لوط، يهبط
ويعرج إلى السماء في يوم مقداره (١٠٠٠ سنة) مما تعدون، وشديد القوى في
الحفظ والتبليغ.

﴿عِنْدَ﴾: لا تعني المكان وإنما عنديّة المنزلة والتّشريف والتّعظيم.

﴿ذِي الْعَرْشِ﴾: عند الله سبحانه، ذي العرش: صاحب العرش جل وعلا.

﴿مَكِينٍ﴾: ذو مكانة وشرف وقرب تفوق منازل الملائكة كلّهم.

[٢١] ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾:

﴿مُطَاعٍ﴾: في الملأ الأعلى.

﴿ثَمَّ﴾: ظرف مكان؛ أي: مطاع هناك.

﴿أَمِينٍ﴾: على الوحي أو رسالات ربه، لا يزيد ولا ينقص.

[٢٢] ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾:

هذا أيضاً من جواب القسم.

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما النافية.

﴿صَاحِبُكُمْ﴾: محمّد رسول الله ﷺ مشتقة من: الصّحبة، فقد صاحبكم منذ الولادة ولمدة (٤٠) سنة قبل نبوته وتعرفون رجاحة عقله بالصّحبة وصدقه وأمانته وتسمونه الأمين، وإضافته إليهم ليكونوا أشدّ لوماً وتوبيخاً لهم على ما يقولون.

﴿بِمَجْنُونٍ﴾: الباء للإلصاق، وناداه بصاحبهم ولم يناده بالنّبي والرّسول؛ لإقامة الحجة عليهم لكونهم يعرفونه لأكثر من (٤٠) عاماً فكيف تزعمون أنّه مجنون وهو أكملكم عقلاً؟!

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو عاطفة، لقد: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿رَآهُ﴾: أي رأى محمّد ﷺ جبريل ﷺ في صورة الحقيقة وله (٦٠٠) جناح.

﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾: الأفق البين في مطلع أو أفق الشّمس؛ أي: الأفق الأعلى، والمراد بها الرّؤية الأولى: بعد غار حراء، وأمّا الرّؤية الثّانية فكانت لما عرج به عليه الصّلاة والسّلام إلى السّماء ليلة الإسراء والمعراج. ارجع إلى سورة النجم الآية (١٣-١٤) للمقارنة ومزيد من البيان.



[٢٤] ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾:

﴿وَمَا هُوَ﴾ الواو عاطفة ما النافية، هو: ضمير فصل يفيد التوكيد؛ أي: محمد ﷺ رسول الله.

﴿عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾: من فعل ضنّ: بمعنى يخل بالشئ؛ أي: بخيل؛ أي: يكتُم أو يشحّ بشيء مما أوحاه الله تعالى إليه من الوحي فلم يبلغه للناس، وإذا قرأها قارئ بالطّاء اختلف المعنى وأصبح معناها: لا يخبر شيئاً عن ربه بطريق الظن بل هو صادق في كلّ ما يخبر عن ربه كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤].

[٢٥] ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾:

﴿وَمَا هُوَ﴾: ما النافية، هو: القرآن الكريم.

﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾: أي ما تنزلت به الشياطين باستراق السمع من الملاء الأعلى حتّى تقولوا: إنه قول شيطان ألقاه على كاهن. ارجع إلى سورة البقرة الآية (٣٦) لبيان معنى الشيطان الرجيم.

[٢٦] ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾:

﴿فَأَيْنَ﴾: جواب لسؤال مقدر هو: إن تبين لكم أنّ محمّداً حق والقرآن حق، أين: اسم استفهام للتوبيخ والتعجب.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾: إن ضللتكم الطريق، أو أين تذهبون من سخط الله وانتقامه.

[٢٧] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾:

﴿إِنْ﴾: حرف نفى أشدّ نفياً من ما؛ أي: ما هو إلا ذكر للعالمين.

﴿هُوَ﴾: للتوكيد، تعود على القرآن.

﴿إِلَّا﴾: للحصر.

﴿ذَكَرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾: أي ما هو إلا ذكرٌ لكم وللعالمين أيضاً (الإنس والجن).
ارجع إلى سورة يوسف الآية (١٠٤)، وسورة ص الآية (٨٧) للبيان والمقارنة.
تذكركم بواجبكم وبالأخرة والاستعداد لها، وذكر: يعني فيه شرفكم
واستقامة حياتكم ومعاشكم.

[٢٨] ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾:

﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾: أي: هو ذكر لمن شاء منكم أن يستقيم بطلب الاستقامة
على منهاج ربه (دينه وصراطه المستقيم).

وهذه المشيئة لا تكون إلا بتوفيق من الله سبحانه وهي تتطلب منكم ابتداء
العزم على فعل الاستقامة (والمشيئة تسبق الإرادة: والإرادة هي العزم على
الفعل).

[٢٩] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية ما النافية.

﴿تَشَاءُونَ﴾: شيئاً أو أمراً ما كالأستقامة على الطريق المستقيم.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿أَنْ﴾: للتوكيد.

﴿يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: أي لا تقدرون على الاستقامة على الصراط، أو
أن تفعلوا شيئاً لا بمشيئة الله وتوفيقه، فمشيئة الله تسبق مشيئة العبد، أو مشيئة
العبد تابعة لمشيئة الله إذا شاء الله أولاً ثم الأمر سواء شئتم أم أبيتم.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: ارجع إلى سورة الحمد آية (٢).





سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٨٦

الْبَقَرَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ
 فُجِرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ
 وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي
 خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾
 كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا
 كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ
 الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾ وَمَاهُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ
 ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الَّذِينَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الَّذِينَ
 ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا كَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
 وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ
 مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾



سورة الانفطار [الآيات ١ - ١٩]

ترتيبها في القرآن (٨٢) وترتيبها في النزول (٨٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾:

﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾: تبدأ السورة بالحديث عن أربعة أحداث تحدث يوم تقوم الساعة؛ أي: بداية تغيير معالم الكون وانتهاء الحياة على هذه الأرض بكل أشكالها.

﴿إِذَا﴾: ظرف للاستقبال تتضمن معنى الشرط وتفيد حتمية الوقوع.

﴿السَّمَاءُ﴾: أي السموات السبع. تقديم الفاعل (السما) على الفعل المحذوف يفيد التهويل والتعظيم مقارنة بقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ليس فيها تقديم؛ لأن زلزلت الأرض شيء يحدث ونراه، أما انتظار السماء وانتشار الكواكب وانفجار البحار لم نره أبداً.

﴿أَنْفَطَرَتْ﴾: من الفطر: وهو الشق؛ أي: انشقت بعد أن كانت ﴿سَبْعًا﴾ شِداداً [النبا: ١٢].

كما قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أُنشِقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]، فكانت وردة كالدهان، وتكون كالمهل كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٨]، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ [المرسلات: ٩]، ﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَاهِيَةٍ﴾ (١٦) وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ [الحاقة: ١٦-١٧].



[٢] ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: كالسابقة.

﴿الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾: تساقطت وتهافت بسبب اختلال القوى المغناطيسية أو القوى الجاذبة، تركت مداراتها اختل نظامها المحكم، أو انفجرت وتحولت إلى أشلاء متناثرة صغيرة وكبيرة تسقط على الأرض أو في البحار والمحيطات.

[٣] ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: كالسابقة.

﴿الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾: انفجرت حدثت انفجارات داخلها بسبب تصادم الصفائح القارية تحت البحار، مما يؤدي إلى اختلاط الطبقات السائلة والمعدنية والغازية والبترو، مما يؤدي بالتالي لحرائق واشتعال النيران كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦].

ففي قيعان البحار يلتقي بخار الماء بالنيران مما يؤدي إلى تبخر قسم من الماء من البحار والمحيطات والبحيرات والأنهار، ثم يصعد بخار الماء في السماء وحين يلتقي بطبقة باردة مما يؤدي إلى نزوله كماء مرة أخرى، أو يخرج من فوهات البراكين، وهكذا فلا الماء يطفئ النيران كاملاً ولا النيران تبخر الماء كاملاً، وهكذا يبقى التوازن إلى أن تقوم الساعة وعندها يختل هذا التوازن تنشب النيران في البحار.

[٤] ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾:

وهذا يحدث عند النفخة الثانية (نفخة القيام).

﴿وَإِذَا﴾: كالسابقة.

﴿الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾: بعث الشيء: قلب بعضه على بعض وجعل أعلاه أسفله، تنقض وينقلب التراب في القبور حتى يخرج منه الميت، وفي تلك الفترة يسمى

القبر جدثاً، ولنعلم أن بعثرة القبور يصيب الأرض الجديدة التي ستحتوي كل ذرات الأرض القديمة أو الحالية بما فيها بقايا البشر (عظامهم ورفاتهم) بما في ذلك عجب الذنب الحاوي على خلايا جذعية كاملة القدرات والقادرة على تكوين كل إنسان من جديد بشفرته الوراثية وحموضه النووية.

[٥] ﴿عِلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾:

ارجع إلى سورة التَّكْوِيرِ الآية (١٤) للبيان والمقارنة.

﴿مَّا﴾: اسم موصول بمعنى الذي قدمت من أعمال خير أو شر، وما أخرت من صدقة جارية أو سنة حسنة أو سيئة أو ما قدمت في أول عمرها وآخره.

[٦] ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ رَبُّكَ الْكَرِيمُ﴾:

﴿يَأْتِيهَا﴾: يا: النداء للبعد والهاء للتنبيه: نداء إلى المؤمن والكافر والمطيع والعاصي.

﴿مَا غَرَّكَ رَبُّكَ الْكَرِيمُ﴾: ما: استفهامية، ما حملك على الجرأة على معصية ربك، وعدم طاعته أو جعلك تأمن عقابه أو تغفل عنه أو تنساه، أو ما أطمعك في هذا الإله الكريم وجعلك تظن أنه سيغفر لك ذنوبك.

ولا شك أن الطَّمَع في مغفرة الله تعالى أمر مباح كما قال إبراهيم ؑ ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]، والطَّمَع فيه؛ لأنه سبحانه كريم ﴿فَإِنْ رَبِّي غَفِي كَرِيمٌ﴾ [النحل: ٤٠]، فالمؤمن يحق له أن يغره كرم ربه، ولكن عليه أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب، أو يزن أعماله قبل أن توزن عليه.

[٧] ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ﴾:

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد التعظيم.

﴿خَلَقَكَ﴾: من تراب أو من نطفة أو ماء مهين، والخلق يعني: التقدير، والخلق بالنسبة لله تعالى يكون من العدم، وبكلمة «كن» فيكون.



﴿فَسَوِّكَ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب، سَوَّاكَ بشراً رجلاً أو امرأة تسمع وتبصر وتفكر، والتسوية تعني: اختار لك صفاتك الوراثية الظاهرة والباطنة من الجينات المستترة والسائدة.

﴿فَعَدَّلَكَ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب، معتدلاً قائماً في أحسن صورة تمشي على رجلين، لا تفاوت في خلقك أو أعضائك.
[٨] ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾:

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿أَيِّ﴾: اسم شرط.

﴿صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾: طويل قصير أبيض أسود ذكر أو أنثى، سمين نحيف حسب الشفرة الوراثية. ارجع إلى سورة آل عمران آية (٦)، والأعراف آية (١١) للبيان.

[٩] ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر، أو: حقاً؛ أي: لا تغترّ بكرم ربك كثيراً، وجعله ذريعة للكفر.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي أو الانتقالي.

﴿تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾: أي ليس السبب هو الطمع في كرمه، بل هو تكذيبكم بالدين؛ بالحساب والجزاء والبعث.

[١٠] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد، عليكم يا أيها الناس «على» تفيد العلو والمشقة.

﴿لَحَافِظِينَ﴾: السلام لام الاختصاص، حافِظين جمع حافظ أو مراقب، وحافظين: جمع قلة مقارنة بقوله تعالى: «يرسل عليكم حفظة» (جمع كثرة) غير

محدودين بعدد؛ أي: الملائكة الذين يحفظونكم بأمر الله كما قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].
[١١] ﴿كَرَامًا كَثِيرِينَ﴾:

وصفهم الله تعالى بالبررة فقال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ ﴿كَرَامًا بَرَقَ﴾ [عبس: ١٥-١٦].
﴿كَرَامًا﴾: على ربهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون
يسبحون الليل والنهار، لا يفترون من أكرم الخلق على الله تعالى فهو سبحانه
كريم وأرسل أو جعل علينا كراماً كاتبين.
﴿كُتِّبِينَ﴾: يكتبون أعمالكم ويحصونها لكم.
[١٢] ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾:

يعلمون ظواهر الأمور ما تقولون وتفعلون فيكتبون ذلك، ولكنهم لا
يعلمون بواطن الأمور مثل ذوات الصدور أو نوايا العبد.
بعد هذا التحذير ينتقل إلى الحديث عن مقام الأبرار ومقام الفجار فيقول
تعالى:

[١٣] ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾:
﴿إِنَّ﴾: إن واللام في كلمة «لفي» تفيدان التوكيد.
﴿الْأَبْرَارَ﴾: جمع «بارّ» ارجع إلى سورة الإنسان الآية (٥) للبيان، ولمقارنة
أبرار وبررة.

﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾: لفي اللام للتوكيد، في ظرفية، جنات النعيم الحاوية على كل
أنواع النعيم.
[١٤] ﴿وَالْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾:

﴿وإن﴾: إن واللام في «لفي» للتوكيد.



﴿الْفَجَارُ﴾: جمع فاجر: وهو الكافر أو المشرك والمصرُّ على معصية الله ورسوله والكبائر ومات بدون توبة، والفجرة: جمع فاجر، جمع كثرة، والفجار جمع قلة بالمقارنة بالفجرة.

﴿لَفِي حَجِيرٍ﴾: اللام للتوكيد، حجير بصيغة التثنية للتهويل، والجحيم اسم علم للنار، وقيل: دركة من دركات النار، والجحيم مشتق من الجحوم: وهو التآجج.

[١٥] ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾:

﴿يَصَلُّونَهَا﴾: يدخلونها، يقال: صليت الرجل النار: إذا أدخلته فيها، وتعني: يحرقون فيها يوم الدين، من صل اللحم؛ أي: شواه، يوم الدين: يوم الحساب والجزاء.

[١٦] ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما النافية.

﴿هُمْ﴾: ضمير فصل للتوكيد.

﴿بَغَائِبِينَ﴾: الباء للإلصاق والملازمة، غائبين: لا يفارقونها فهم ملازمون لها أبداً.

[١٧] ﴿وَمَا أَذْرَنَّا مَا يَوْمُ الَّذِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما: استفهامية فيها معنى التهويل والتفخيم.

﴿أَذْرَنَّا﴾: أعلمك: درى: علم بعد جهل، وتكون أو تتم بإخبار.

﴿مَا﴾: استفهام آخر لزيادة التهويل والتفخيم.

﴿يَوْمُ الَّذِينَ﴾: يوم القيامة وسمي يوم الدين؛ أي: يوم الحساب والجزاء.

[١٨] ﴿ثُمَّ مَا أَذْرَنَّا مَا يَوْمُ الَّذِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للإيغال في التوكيد.

﴿مَا أَذْرَنَّا مَا يَوْمُ الَّذِينَ﴾: للتوكيد، فمهما وصلك من الأخبار ومهما

تصورته وقدرته فهو أعظم وأعظم بكثير، فتكرار السؤال للتهويل والتعظيم والتوكيد. والفرق بين ما أدراك وما يدريك: إن كل ما أدراك فقد أدراه الله به؛ أي: أخبره وأعلمه، وكل ما يدريك لم يخبره ويعلمه به مثل الساعة والبعث والقيامة.

[١٩] ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: أي يوم الدين.

﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾: لا: النافية، لا تستطيع أي نفس مهما كانت صالحة أو تقية أن تنفع أو تشفع أو تقدم فدية لنفس آثمة، أو تنصرها أو تدفع عنها العذاب ﴿لَا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦]، ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩].

﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾: فهو وحده الذي يأمر في ذلك اليوم أو لا يأمر فيه فهو الملك، ملك يوم الدين يحكم بين عباده ﴿لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].

والأمر قد يكون واحداً من الأوامر، أو واحداً من الأمور (الأحوال أو الشؤون)، أي لا يأمر فيه إلا الله، وله الشأن وحده في ذلك اليوم وفي غيره.

وانتبه إلى عدم تقديم الله: الجار والمجرور للحصر، ولم يقل ولله الأمر يومئذ، وإنما قال: (والأمر يومئذ لله)، ولو قال تعالى: ولله الأمر يومئذ لحصر الأمر في ذلك اليوم لله وحده، وفي غيره من الأيام ليس له الأمر، وهذا غير صحيح؛ لأن الأمر لله وحده في ذلك اليوم وفي غيره من الأيام.





سُورَةُ الْفَجْرِ ٨٢

الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ② وَإِذَا الْبِحَارُ
فُجِرَتْ ③ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ④ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ
وَآخَرَتْ ⑤ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ⑥ لَذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ⑦ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ⑧
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ ⑨ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ⑩ كِرَامًا
كَتَبِينَ ⑪ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ⑫ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ⑬ وَإِنَّ
الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ⑭ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الذِّينِ ⑮ وَمَاهُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ
⑯ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الذِّينِ ⑰ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الذِّينِ
⑱ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ⑲ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ⑳

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ②
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوَّزَوْهُمْ يَخْسِرُونَ ③ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ
مَبْعُوثُونَ ④ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ⑤ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ⑥

سورة المطففين [الآيات ١ - ٦]

ترتيبها في القرآن (٨٣) وترتيبها في النزول (٨٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾:

﴿وَيْلٌ﴾: دعاء عليهم بالويل، والويل: هو الهلاك والعذاب، أو تهديد ووعيد للمطففين.

﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾: اللام لام الاستحقاق والاختصاص.

المطففين: جمع مطفف: وهم الذي إذا اکتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون؛ أي: يتلاعبون بالمكيال والميزان بالتطفيف أو التّخسير كما سنرى، والطفيف: القليل مهما كان.

والمطففين: مأخوذة من: طفّ الشيء وسال على جانب المكيال.

وقيل: المطفف الذي يسرق الشيء القليل الطفيف في الميزان والمكيال، وقيل: إناء طقّان: أي غير مملوء.

[٢] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حدوث هذا التلاعب بالمكيال والميزان.



﴿كَانُوا عَلَى النَّاسِ﴾: اشتروا من الناس من المواد أو السلع الشرائية التي تكال أو توزن.

﴿يَسْتَوْفُونَ﴾: استوفوا حقهم كاملاً أو أخذوا أكثر مما يستحقون، وقوله: «على الناس» ولم يقل من الناس، «على» تفيد الاستعلاء، والاستيلاء؛ أي: اكتيال ضار بالناس، وهذا يدل على تسلطهم على الناس بالاكتيال، ولو قال من الناس، تدل على الشراء العدل، «يستوفون» بصيغة المضارع تدل على التجدد والتكرار في التلاعب وليس مجرد مرة واحدة.

[٣] ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد الحتمية.

﴿كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾: أي إذا باعوههم شيئاً، يخسرون: أو ينقصون الميزان والمكيال؛ ليحققوا لأنفسهم ربحاً أكثر، ولم يقل كالوا لهم أو وزنوا لهم، حذف لام الاختصاص أو الاستحقاق: لم يعطوهم حقهم؛ أي: إذا كال أو وزن للناس أنقص من الوزن والمكيال، وإذا كال أو وزن لنفسه أخذ أكثر مما يستحق.

[٤] ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾:

﴿أَلَا﴾: الهمزة استفهام وإنكار وتوبيخ من جهلهم.

﴿يَظُنُّ﴾: الظن: التردد الراجح هو رجحان نسبة الإثبات على نسبة النفي؛ أي: الظن وحده كان يكفي ليردعهم عن التلاعب بالمكيال والميزان، فما بالك باليقين.

ويبدو أن الذي شجعهم على التطفيف هو عدم ظنهم أن هناك بعثاً وحساباً وجزاء وجنة وناراً، أو أن الله سبحانه لا يراهم أو يراقبهم.



﴿أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾: من البعث: الإحياء بعد الموت والحساب والجزاء.

[٥] ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

اللام لام الاختصاص أو لام التوقيت؛ ويعني يوم القيامة يوم الدين والحساب والجزاء، عظيم لأهواله وأحداثه.

[٦] ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

يوم البعث يوم يقوم الناس من قبورهم ويساقون إلى أرض المحشر؛ للقيام بين يدي رب العالمين للحساب والجزاء، ولذلك سمي بيوم القيامة.



سورة النمل

سورة النمل ٨٣

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ
 مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١١﴾
 وَمَا يُكْذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ
 الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ
 عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمْ حُجُّوْا ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّمَا لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ
 هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾
 وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾
 إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي
 وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾
 خِتَمُهُمْ مِنْ مَّسْكٍ وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتِنَافِسِ الْمُتَنَفِّسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِنْ أَجْلِ
 مَنْ تَسْنِمِ ﴿٢٧﴾ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 أَجْرُمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ
 يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾
 وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
 حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

سورة المطففين [الآيات ٧ - ٣١]

[٧] ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِّينٍ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر ليس كما يظن المطففين أنهم غير مبعوثين ليوم عظيم، وليتبهوا عن التطفيف في المكيال والميزان.

﴿إِنَّ﴾: إن واللام في كلمة «لفي» تفيدان التوكيد.

﴿كِتَابَ الْفُجَارِ﴾: الكتاب الذي تكتب فيه أعمالهم وأسماءهم، الفجار جمع فاجر: المنغمس في المحارم والمعاصي والمداوم عليها، أو المستمر على المعاصي والكبائر بدون توبة.

﴿لَفِي سَجِّينٍ﴾: في: ظرفية، سَجِّين: اسم علم مشتق من السَّجَن وهو الحبس، سَجِّين: مكان، (ديوان) في جهنم تحفظ فيه سجلات أو كتب الكفرة الفجرة وأسماءهم.

[٨] ﴿وَمَا أَذْرَنَّا مَا سَجِّينٍ﴾:

﴿وَمَا﴾: للاستفهام والتَّهْوِيل والتَّعْظِيم.

﴿أَذْرَنَّا﴾: من: درى؛ أي علم بعد جهل؛ وتعني: الإخبار بأي وسيلة، والدَّراية أخص من العلم، وهل تعلم شيئاً عن سجين. ارجع إلى سورة الانفطار آية (١٧-١٨) للبيان، والفرق بين ما أدراك وما يدريك.

[٩] ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾:

أي: كتاب الفجار في سجين.



﴿كُتِبَ مَرْقُومٌ﴾: كتاب واضح بين الحروف أو الكتابة والأسماء لا تمحى حروفه أو تنسخ ومُعلم لا يخفى على أحد من الملائكة أنه كتاب الأشقياء ومرقم بالأعداد.

[١٠] ﴿وَلِئَلَّيْئَمَ لِلْمُكْذِبِينَ﴾:

ارجع إلى سورة المرسلات الآية (١٥) والآية (١٩).

[١١] ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول، يكذبون: لا يؤمنون ولا يصدقون.

﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾: الباء للإلصاق، والدوام، الدين: يوم الحساب والجزاء.

ولم يقل كذبوا وإنما «يكذبون»: لتدل على التجدد والاستمرار في التكذيب وماتوا وهم يكذبون، أو لتدل على (حكاية الحال) لنقل صورة كذبهم إلى الزمن الحاضر لتدل على بشاعة كذبهم.

[١٢] ﴿وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما: النافية.

﴿يَكْذِبُ بِهِ﴾: لا يؤمن أو يصدق به (بيوم الحساب).

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾: معتد: لحدود الله تعالى، أو معتد في أفعاله متجاوز حد الظلم لنفسه أو لغيره، ائيم: كثير الآثام والذنوب والمعاصي، صيغة مبالغة.

[١٣] ﴿إِذَا نُنْزِلُ عَلَيْهِ أَنْشَأَ أَلْأَسْطِرُّ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية التحقق.

﴿ثُمَّ لِي عَلَيْهِ إِشْنَاءٌ﴾: ولم يقل وإذا ثلثت عليه آياتنا، الفرق بينهما: تتلى: أي بشكل متكرر ومرات عديدة، أما ثلثت تعني مرة واحدة.

﴿قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: جمع أسطورة: أكذوبة أو أخبار أو أباطيل وخرافات الأولين.

[١٤] ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر، «كلا» ليس الآيات أو القرآن كما يزعمون أساطير الأولين.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: أي ليس القرآن أساطير الأولين، وإنما أو حقاً، لقد ران على قلوبهم: غطى وغشى قلوبهم وغلب عليها، الرّين، أو الران: كالصدأ تراكم الذنب على الذنب؛ أي الذنوب حتى اسودت بها قلوبهم.

قيل: تبطن القلب خلايا عصبية كثيرة تلعب دوراً في العواطف والأحاسيس والذاكرة والأمور المعنوية مثل الإيمان والكفر وغيرها فالقلب ليس مجرد مضخة للدم، بل هو مقر للمشاعر المعنوية، كما هو الحال في الدماغ في المنطقة تحت السريية، هي مركز الذاكرة والأحاسيس المادية.

ما: بمعنى الذي، كانوا يكسبون: من الآثام والمعاصي والذنوب، يكسبون: بصيغة المضارع؛ لتدل على الاستمرار والتجدد وحكاية الحال.

[١٥] ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾:

﴿كَلَّا﴾: لزيادة التوكيد.

﴿إِنَّهُمْ﴾: إن واللام في «لمحجوبون» تفيدان التوكيد.



﴿عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ مَنَحُوبُونَ﴾: لا ينظر الله إليهم ولا يكلمهم يوم القيامة أو يوم العرض، أو محجوبون: عن رؤية ربهم وتكليمه أو الاعتذار، بخلاف المؤمنين، ويعتبر هذا أكبر عقوبة وعذاب لهم.

[١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لتباين عقوبة الحجب عن ربهم التي هي أشد من الاصطلاء في الجحيم.

﴿إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾: إنَّ واللام في كلمة «لصالوا» تفيدان التوكيد، لصالوا: لداخلون ومصطلون فيها، محترقون فيها، الجحيم: اسم علم للنار، أو دركة من دركاتها مشتق من الجحوم هو التَّاجج.

[١٧] ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: ثم للترتيب الذكري.

﴿يُقَالُ﴾: مبني للمجهول المهم المقولة، وقد يكون من قبل خزنة جهنم.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب ويشير إلى العذاب أو يوم الدين.

﴿الَّذِي﴾: أي العذاب، أو يعني يوم الدين.

﴿كُنتُمْ بِهِ﴾: في الدنيا.

﴿تُكَذِّبُونَ﴾: لا تصدقون. ارجع إلى الآية (١٠) للبيان.

[١٨] ﴿كَلَّا إِنَّ كُتُبَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر؛ أي: لِمَ لا يكفّوا عن التكذيب بيوم الدين ويكفّوا عن التّطفيّف، ويكونوا من بين الأبرار الذي سجل أعمالهم أو كتبهم لفي عليين.



﴿الْأَبْرَارِ﴾: وصف للبشر، والبررة: وصف للملائكة، والأبرار: جمع قلة، والبررة: جمع كثرة؛ منهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]، والمقربون أعلى من الأبرار. ارجع إلى سورة الواقعة الآية (١١-٢٦) للبيان، وارجع إلى سورة الإنسان الآية (٥) لمزيد من البيان.

﴿إِنْ كُنْتُمْ الْأَبْرَارِ﴾: إن واللام في «لفي» تفيدان التوكيد.

﴿عَلِيِّنَ﴾: مكان في الجنة أو ديوان في الجنة تحفظ فيه كتب أعمال الأبرار ويكتب فيه سجل أسمائهم.

[١٩] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: يراد بها التّفخيم والتّشويق والتّعظيم.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: ارجع إلى سورة الانفطار آيتين (١٧-١٨) للبيان.

﴿مَا عَلِيُّونَ﴾: ارجع إلى الآية السابقة (١٨) من السورة نفسها.

[٢٠] ﴿كُتِبَ مَرْقُومٌ﴾:

كتاب واضح وبين الحروف لا تمحى حروفه أو تنسخ، ومعلوم يعلم من يراه أنه كتاب للأبرار كتاب خير ومرقم بالأرقام. وتكرار ﴿كُتِبَ مَرْقُومٌ﴾ في الآية (٩) والآية (٢٠) يدل على توكيد وأهمية الكتاب والترقيم والوضوح.

[٢١] ﴿يَشْهَدُهُ الْمُفَرَّقُونَ﴾:

يراه ويحضره ويطلع عليه الملائكة المقربون أو المقربون من الإنس؛ أي:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ٩-١١].

[٢٢] ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾:

﴿إِنَّ﴾: إن واللام في «لفي» تفيدان التوكيد.



﴿الْأَبْرَارَ﴾: ارجع إلى سورة الإنسان الآية (٥) للبيان.

﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾: لفي: ظرفية، نعيم: أي جنات النعيم الحاوية على كل أنواع النعيم.

[٢٣] ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾:

﴿الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾: السّرر المزينة التي يجلس عليها أهل الجنة، أي أنواع فاخرة من الفرش للجلوس عليها وأحياناً للاتكاء.

﴿يَنْظُرُونَ﴾: إلى أي شيء يريدون الاطلاع عليه، أو ينظرون إلى ما أعطاهم الله من خيرات وفضل ومُلك، وأحياناً ينظرون أين هم إخوانهم؟ في أي مكان هم فيه؟

[٢٤] ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾:

ترى في وجوههم نضرة النعم والسرور، كأن النعمة ناضجة على بشرتهم بحيث إذا رأيتهم تدرك أن هؤلاء في نعيم كقوله تعالى: ﴿وُجُوهُ يَوْمٍ مُّسْفَرَةٌ﴾ (٣٨) ضاحكة مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿[عبس: ٣٨-٣٩]، أي: وجوههم تتلألأ بالنور والحسن والبياض والبهجة من شدة نعيمهم.

[٢٥] ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾:

رحيق: شراب مصفى خالص، قيل: خمر أو المسك مختوم لم يشرب منه أحد، مختوم على إنائه.

[٢٦] ﴿خَتَمُهُمْ مِّسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾:

الشراب له صفتين الأولى من رحيق مختوم والثانية ختامه آخره يفوح

برائحة المسك، أو طعمه مسك، أو طعمه وريحه مسك، أو مخلوط بالمسك،
القسم الأول من الشراب خمر وآخره مسك والله أعلم.

﴿وَفِي ذَلِكَ﴾: في التعليل؛ أي: لأجل الحصول على ذلك فليتنافس
المتنافسون في الدنيا؛ أي: إذا كانوا يرغبون في الشرب من الرحيق المختوم الذي
ختامه مسك.

﴿فَلْيَتَنَافَسِ﴾: الفاء للتوكيد، واللام لزيادة التوكيد، والتنافس: مشتقة من
المنافسة: أي السباق والمغالبة للحصول على الشيء النفيس أو ليجدوا في طلبه
ويجتهدوا في ذلك: في مثل ذلك وأمثاله من أنواع النعيم ليتسابق المتسابقون في
الدنيا بالأعمال الصالحة والنوافل والطاعات والتقرب من الله تعالى، وكما قال
تعالى: ﴿لِيُمَثِّلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

[٢٧] ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾:

أي يسقون من رحيق مختوم، ختامه مسك، ومزاجه من تسنيم؛ أي: ممزوج
من عين تسنيم ولعله أعلى شراب في الجنة وخاص بالمقربين.

﴿وَمَزَاجُهُ﴾: أي مخلوط أو ممزوج بما ينبع من عين التسنيم.

[٢٨] ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾:

أصحاب أو أهل الجنة: هم درجات عند ربهم بالنسبة للقرب منه تعالى
ولهم درجات في الجنة ومنهم:

﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾: هم السابقون السابقون ثلة من الأولين وقليل من الآخرين،
أو المقربون إلى الله تعالى، وفي طليعة هؤلاء: الأنبياء والصديقون والشهداء
والصالحون ومنهم الأبرار، لهم عين في الجنة تسمى تسنيم.



﴿عَيْنًا﴾: تعني التّسليم يشرب بها المقربون، ولم يقل يشرب منها بل «يشرب بها المقربون» أي: يشربون منها مباشرة حتى الارتواء وحتى يبلغوا مرامهم أو غايتهم، يشربون من العين مباشرة؛ أي: هم يرون العين نفسها فهم يتمتعون بلذة الشّرب ولذة النّظر معاً.

وماذا عن الأبرار؟ ارجع إلى سورة الإنسان الآية (٥) للبيان.

ولتعلم أنّ الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً، ولنعلم أيضاً أنّ الشّرب في الجنة هو للتلذذ وليس نابعاً عن الحاجة كما هو الحال في الدّنيا.

[٢٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر المكذبين الذين يكذبون بيوم الدّين يذكر في الآيات الخمس التالية بعضاً من أعمالهم وصفاتهم الأخرى في الدّنيا بالإضافة إلى التّكذيب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾: إنّ للتوكيد، الذين أجمروا: كفروا وتمادوا في الشّرك والعصيان ولم يتوبوا أمثال أبي جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل وغيرهم من الكفار ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنى الذين أجمروا.

﴿كَانُوا﴾: في الدّنيا.

﴿مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: أمثال عمار وصهيب وبلال وغيرهم من فقراء المسلمين في بداية الإسلام أو من جاء بعدهم.

﴿يَضْحَكُونَ﴾: من حال المؤمنين المادية وفقرهم ورثاة ثيابهم وقوتهم، وترك دين الأجداد واتباع محمد ﷺ، وقدّم «الذين آمنوا» على «يضحكون» بدلاً

من القول كانوا يضحكون من الذين آمنوا؛ لتدل على الاهتمام والاختصاص، يضحكون خاصة من الذين آمنوا على فقرهم وضعفهم وورثاة حالتهم وغيرها.

يضحكون: يضحكون بصيغة المضارع تدل على أن الضحك من المؤمنين أصبح عادة ومتكرراً ومتجدداً، ولم يقل ضحكوا من الذين آمنوا؛ أي: ضحكوا وانتهى الأمر، ويضحكون لتدل على حكاية الحال وبشاعة ضحكهم وكأنه يحدث الآن وأنه أمر مزعج.

[٣٠] ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾:

هذه هي الصفة الثانية: الغمز، وأما الأولى فكانت: الضحك منهم.

﴿وَإِذَا﴾: شرطية ظرفية تدل على حتمية الحدوث.

﴿مَرُّوا بِهِمْ﴾: أي مروا قريباً من المؤمنين (بهم تعني قريباً منهم).

﴿يَتَغَامَزُونَ﴾: الغمز هو إرخاء الجفن أو الحاجب إلى الأعلى أو السفلى استهزاءً بالآخرين، وهو نوع من أنواع الخبث يستعمله المتكبر أو المستهزئ ليشعر من هو من صنفه أو أمثاله أنه يهزأ بشخص آخر.

[٣١] ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾:

هذه هي الصفة الثالثة ﴿فَكِهِينَ﴾: مسرورين ملتذين وفرحين بالسخرية والاستهزاء من المؤمنين.

﴿وَإِذَا﴾: ارجع إلى الآية (٣٠) من السورة نفسها.

﴿انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾: أي رجعوا إلى أهلهم، وهناك فرق بين الانقلاب والرجوع، الانقلاب: هو الرجوع ولكن ليس إلى الحالة نفسها أو الوضع الذي بدأ منه. ارجع إلى سورة التوبة الآية (٩٥) لمزيد من البيان في معنى الانقلاب.



﴿انْقَلَبُوا﴾: تكرار الكلمة «انقلبوا» للتوكيد، إلى أهلهم فكهين: أي راحوا يسخرون ويهزلون مع أهلهم ويضحكون من شأن المؤمنين وبما قاموا به من الأذى والضرر بهم، وفكهين؛ أي: مسرورين مغتبطين مع أهلهم. ارجع إلى سورة الطور الآية (١٨) للمقارنة.

[٣٢] ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ارجع إلى الآية (٣٠) من السورة نفسها.

﴿رَأَوْهُمْ﴾: أي رأى الذين أجرموا الذين آمنوا.

﴿قَالُوا إِنَّ﴾: للتوكيد، واللام في «الضالون» لزيادة التوكيد.

﴿هَؤُلَاءِ﴾: الهاء للتنبيه، أو لاء: اسم إشارة يشير إلى الذين آمنوا.

﴿لَضَالُّونَ﴾: اللام لام التوكيد، ضالون: لأنهم تركوا دين آبائهم وأجدادهم واتبعوا دين محمد ﷺ وما جاء به، فهم كانوا يعتقدون باطلاً أنهم على الهدى ومحمد ﷺ وأصحابه في ضلال مبين، ضالون: جملة اسمية تفيد الثبوت؛ أي: على ضلال ثابت مستمر.

[٣٣] ﴿وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو حالية أو للتوكيد.

﴿وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾: هذا قد يكون من قول الله تعالى، ويعني «وما أرسلوا»: أي ما أرسل الله سبحانه الذين كفروا على الذين آمنوا، حافظين: موكلين بهم حافظين لأعمالهم؛ ليشهدوا عليهم بالضلال أو الرشد وقد يكون «وما أرسلوا عليهم حافظين» من قول الذين أجرموا؛ أي: قال الذين أجرموا: وما



أرسلوا عليهم (على الذين آمنوا) حافظين؛ أي: رسل مثل محمد ﷺ وموكلين ومكلفين بهم.

[٣٤] ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾:

﴿فَالْيَوْمَ﴾: الفاء للتوكيد، اليوم: أي يوم القيامة.

تقديم الظرف «اليوم» للاهتمام به بدلاً من القول الذين آمنوا من الكفار اليوم يضحكون. فاليوم (يوم القيامة) الذين آمنوا يضحكون من الكفار كما كان يفعل الكفار من الذين آمنوا في الدنيا، ويضحكون بصيغة المضارع: تدل على التجدد والتكرار والاستمرار، وأن ضحكهم لم يتوقف.





سورة الانشقاق ٨٤

سورة الانشقاق

عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثَوَابَ الْكِفَارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الْإِنْشِقَاقِ

آياتها ٣٥

آياتها ٨٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ
﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأَيَّهَا
الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَامْلَيْتَ بِهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ
كِتَابَهُ يَمِينًا ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنَقْلَبُ
إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ
يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أُقْسِمُ
بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾





سورة المطففين [الآيات ٣٥ - ٣٦]

[٣٥] ﴿عَلَى الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ﴾:

﴿عَلَى الْأَرْيَافِ﴾: ارجع إلى الآية (٢٣) للبيان.

﴿يَنْظُرُونَ﴾: إلى الكفار وما حل بهم في الآخرة من العذاب، وكيف يعذبون في النار ويصطرخون فيها كما قال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ أُنتُمْ مُّظْلِمُونَ﴾ ٥٤ ﴿فَأُطْلِعَ قَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ ٥٥ ﴿قَالَ تَأَلَّهْ إِنَّ كِدْتَ لَتُرِيدُنِ﴾ [الصافات: ٥٤-٥٦].

[٣٦] ﴿هَلْ تُؤْبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾:

﴿هَلْ﴾: استفهام تقرير.

﴿تُؤْبَ الْكُفَّارُ﴾: من الثوب والإثابة: المجازاة؛ أي: الذين آمنوا ينظرون هل جُوزي الكفار على أفعالهم يوم القيامة؟ وثوب من الثواب، والثواب: يستعمل في الخير عادة، وإذا استعمل في الشر أو العذاب أو العقاب يكون للتهكم والتوبيخ.

﴿مَا﴾: بمعنى الذي، أو مصدرية، وما أوسع شمولاً.

﴿كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾: من الكفر والإجرام والاستهزاء بالمؤمنين والسخرية منهم.





سُورَةُ الْأَنْشُقِ ٨٤

سُورَةُ الْأَنْشُقِ

عَلَى الْأَرْأْيِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤْبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الْأَنْشُقِ ٨٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأَيُّهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًا فَمَنْ لَقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنَقْلَبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾



سورة الانشقاق [الآيات ١ - ٢٥]

ترتيبها في القرآن (٨٤) وترتيبها في النزول (٨٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾:

أي: السماء الجديدة أو المستقبلية وليست السماء الحالية، تنشق أو تشقق بالغمام؛ لنزول الملائكة.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث في يوم القيامة.

﴿السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزِلَ الْمَلَكُ كَمُنْزِيلًا﴾ [الفرقان: ١٢٥] وتقديم الاسم على الفعل يفيد التهويل والتعظيم.

[٢] ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾:

﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾: سمعت أو استمعت لربها، من الإذن: الاستماع.

﴿وَحُقَّتْ﴾: انقادت وأذعنت؛ أي: استجابت وحق لها أن تطيع؛ فهي مسخرة مكلفة.

[٣] ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾:

اتسعت كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]،

أي: الأرض المستقبلية تكون أرضاً ضخمة جداً أكبر من الكون الحالي بأجمعه،



والمقصود بالأرض قشرة الأرض، فنحن سنبعث من الأرض الجديدة كما ورد في سورة إبراهيم آية (٤٨).

وهذه الأرض ستحتوي كل ذرات الأرض الحالية بما فيها كل بقاياها من رفات وعظام، بما فيها عظم عجب الذنب الحاوي على المحفظة الوراثية الحاوية على خلايا جذعية كاملة القدرات والحمض النووي المميز لكل إنسان. [٤] ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾:

ألقت: طرحت ما في باطنها من الموتى بعد النشور والبعث. [٥] ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾:

واستمعت لأمر ربها وأطاعت واستجابت.

[٦] ﴿يَتَأْتِيَهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَمُلْقِيهِ﴾:

﴿يَتَأْتِيَهَا الْإِنْسَنُ﴾: نداء إلى كل إنسان، الإنسان: اسم جنس يشمل المؤمن والكافر والمطيع والعاصي، والهاء للتنبيه.

﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ﴾: الكدح: شدة الاجتهاد في السعي والجمع، والكدح المجاهدة والعمل الشاق؛ أي: يا أيها الإنسان الساعي إلى لقاء ربك بعملك بجهد وعزم واجتهاد.

﴿كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ﴾: للتوكيد.

﴿كَدًّا فَمُلْقِيهِ﴾: الفاء: للتعليل؛ ملاقيه: أي: ملاق ربك فلا محالة أنك ملاقيه للحساب والجزاء ونتيجة هذا الكدح. الضمير في «ملاقيه» يعود على الذات الإلهية أو يعود على الكدح؛ أي: ملاق الحساب أو ملاق نتيجة ما كدحت وكلا المعنيين صحيح.

[٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء عاطفة، أمّا: حرف شرط وتفصيل.

﴿مَنْ﴾: لا ابتداء الغاية.

﴿أُوتِيَ﴾: أُعطي كتاب أعماله بعد البعث يوم الحساب.

﴿بِيَمِينِهِ﴾: بيده اليمنى.

[٨] ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾:

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء للتوكيد، سوف: للاستقبال البعيد.

﴿يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾: أي يعرض على ربه ويعترف بذنوبه ويتجاوز الله سبحانه عنها، ويغفرها له إذا شاء سبحانه، وفي الصحيحين من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «من نوقش الحساب هلك، فقلت: يا رسول الله، فإن الله يقول: (فسوف يحاسب حساباً يسيراً) قال: ذلك العرض».

[٩] ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾:

﴿وَيَنقَلِبُ﴾: يرجع إلى أهله، والانقلاب يختلف عن الرجوع، ارجع إلى سورة التوبة الآية (٩٥) للبيان.

﴿إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾: في الجنة أهله من الحور العين أو ذريته الصالحة ينقلب بعد أن يدخله الجنة وتلحق به ذريته كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]، أو كلما عاد إلى أهله في الجنة عاد مسروراً.

[١٠] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾:

وفي الآيات الأخرى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ [الحاقة: ٢٥]، سواء أوتي كتابه وراء ظهره أو بشماله، النتيجة واحدة أو نفسها.



وسبب إيتائه كتابه وراء ظهره؛ لأن البعض قد يحاول عدم أخذ كتابه بالشمال فيحاول وضعها وراء ظهره؛ لتجنب أخذها بالشمال، فتعطى إليه من وراء ظهره، والبعض الآخر يأخذها بالشمال.

أو قد تكون يده اليمنى مغلولة إلى عنقه فيجعل يسراه وراء ظهره، أو يحاول إخفاء النتيجة لكونه يستحي فيحاول إخفاءها وراء ظهره، والله أعلم.

[١١] ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾:

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء للتوكيد، سوف: للاستقبال البعيد.

﴿يَدْعُوا ثُبُورًا﴾: بعد أن يقرأ كتابه، الثُّبُور: أي الهلاك؛ أي: يدعو على نفسه بالهلاك يا هلاكي أحضر أو كالقول يا ويلتاه.

[١٢] ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾:

﴿وَيَصْلَى﴾: يدخل ناراً شديدة الالتهاب.

﴿سَعِيرًا﴾: مستعرة.

[١٣] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِمْ مَسْرُورًا﴾:

﴿إِنَّهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿كَانُوا فِي أَهْلِهِمْ مَسْرُورًا﴾: في الدنيا، مسروراً: مترفاً أو مسروراً منشغلاً عن الآخرة لا صلاة ولا عبادة، منشغلاً باتباع شهواته وأهوائه، في أهله: هو وأهله كانوا في الحال نفسه من الكفر والإعراض عن دين الله تعالى.

[١٤] ﴿إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ لَنْ يَحُورَ﴾:

﴿إِنَّهُمْ﴾: للتوكيد.

﴿ظَنَّ﴾: اعتقد أو ظن ظناً راجحاً والظن: هو التردد الراجح.

﴿أَنَّ﴾: للتعليل.

﴿لَنْ﴾: حرف نفي للمستقبل القريب أو البعيد.

﴿يَحُورُ﴾: لن يرجع إلى ربه ليحاسب على عمله، أو لن يبعث من بعد موته،

من: حار يحور؛ أي: رجع؛ أي: أنكر الآخرة والجنة والنار والبعث.

[١٥] ﴿بَلَّغَ إِنْ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾:

﴿بَلَّغَ﴾: سيحور؛ أي: يرجع إلى ربه، وسيحاسب على أعماله.

﴿إِنْ﴾: للتوكيد.

﴿رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾: بأعماله بأقواله وأفعاله وأحواله، كان رقيباً عليه، ثم

يقسم الله بثلاث آيات كونية تدل على قدرته وعظمته وألوهيته وربوبيته، وتدعو إلى الإيمان وهي التغيرات الكونية التي تحدث في الليل، تقابل التغيرات الكونية التي تحدث في النهار.

[١٦] ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾:

والقسم يفيد أو يشير إلى أهمية وعظمة المقسم به وجواب القسم، والله

غني عن القسم.

﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾: الفاء: استئنافية، ارجع إلى سورة القيامة الآية (١) للبيان.

﴿بِالشَّفَقِ﴾: قيل: هو الحمرة التي تظهر بعد الغروب (غروب الشمس) أو

زمن اختلاط ضوء النهار بسواد الليل بعد الغروب والمؤدي إلى لون الحمرة، هذا ما قاله المفسرون القدماء، أما التفسير العلمي فهو: حين غروب الشمس ويصبح قرص الشمس بين (٦-١٨) درجة تحت أفق الأرض، فما يصل إلينا من



ضوء الشمس الغير مباشر في ذلك الزمن يسمى الشفق، فالشفق جزء أو شيء من ضوء الشمس غير مباشر نتيجة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، والشفق يحدث نتيجة تحلل النور الأبيض الذي نراه في النهار إلى أطيافه السبعة: الأحمر والأخضر والأزرق والبرتقالي والأصفر والنيلى والبنفسجي، والطيف الأحمر هو أطول هذه الأمواج أو الأطياف، وعلامة دخول العشاء غياب الشفق الأحمر، والشفق نوعان: شفق عند الغروب، وشفق عند طلوع الفجر؛ شفق عند الغروب أحمر (بقية الأطياف أثرها ضئيل) وعندما يغيب الشفق الأحمر يدل على دخول وقت العشاء وأول ما يصلنا الطيف الأحمر يدل على طلوع الفجر، ولكنه من الصعب إدراك علامة دخول الفجر به، ولذلك من رحمة الله بنا أن أبدله بالطيف الأبيض. ارجع إلى سورة البقرة آية (١٨٧) لمزيد من البيان.

[١٧] ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾:

﴿وَاللَّيْلِ﴾: الواو واو القسم، القسم بالليل.

﴿وَمَا وَسَقَ﴾: أي ما ضم وستر أو جمع وسكن، فالنهار يسوده التفرق والتقلب، وأما الليل يسوده الاجتماع والسكون. وسق: مأخوذة من وسق الشيء يسقه فاتسق؛ أي: جمعه فاجتمع، وأمر متسق: مجتمع من الكائنات الحية والحيوانات الليلية التي تخرج ليلاً لتبحث عن رزقها، وتنام نهاراً.

[١٨] ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا اتَّسَقَ﴾:

اتسق من الوسق وهو: الجمع والضم؛ أي: اكتمل نوره وأصبح بدرًا وذلك في منتصف الشهر القمري بعد أن كان كالعرجون القديم يصبح كالبدري؛ ليدل على الزمان والشهور والسنين.

فالقمر يبدأ بالهلال ثم التربع الأول ثم الأحدب الأول ثم البدر يستمر



(٢-٣) أيام، ثم يبدأ بالتراجع حتى يصبح كالعرجون، فدورة القمر وسيلة من وسائل تحديد الزمن لأهل الأرض. ارجع إلى سورة الرحمن الآية (٥) لمزيد من البيان.

[١٩] ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾:

جواب القسم.

﴿لَتَرْكَبَنَّ﴾: اللام لام التوكيد، الطبق: هو الشدة، وتركبن تعني: المرور، في هذه الشدائد الواحدة بعد الأخرى.

﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾: حالاً بعد حال؛ أي: كما تغير حال النهار إلى حال الليل وحال القمر من الهلال إلى البدر وحال النور إلى حال الظلام، أيضاً أنتم لن تستقروا أو تبقوا على حال واحدة فسوف يصيبكم الفقر بعد الغنى أو الغنى بعد الفقر والمرض بعد الصحة أو الصحة بعد المرض أو الشدة بعد الرخاء، أو التقلب في أحوال أشد من أحوال أو التغير في الحال من شدة إلى أشد، وهذه سنة من السنن الكونية.

وهناك من فسر هذه الآية تفسيراً آخر: لتركبن طبقاً عن طبق: الطبق: السماء، أو تعني السفينة أو المركبات الفضائية ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [نوح: ١٥] دلالة على صعود الإنسان إلى الفضاء في المركبات الفضائية؛ أي: لتركبن السفن الفضائية وتصدعن في طبقات الفضاء والسماء.

[٢٠] ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء للتوكيد، ما الاستفهامية فيها معنى الإنكار والتعجب من عدم إيمان هؤلاء الجاحدين المنكرين المشركين الكافرين بعد رؤية كل هذه الأدلة والبراهين الدالة على الإيمان بالله العظيم وبرسوله وبالقرآن وبالبعث.



[٢١] ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث وتحققه.

﴿قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ﴾: يتلى عليهم أو سمعوه بأنفسهم.

﴿لَا يَسْجُدُونَ﴾: يخرون ساجدين لله تعالى خشوعاً وتعظيماً لقدرته وعظمته وجلاله، يسجدون باستمرار وتكرار.

[٢٢] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾:

﴿بَلِ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾: بآيات الله القرآنية والكونية والدلائل والبراهين، يكذبون بالبعث والحساب والآخرة، يكذبون بالرسول وبمحمد ﷺ، والوحي، يكذبون: بصيغة المضارع للدلالة على استمرارهم في التكذيب.

[٢٣] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾:

﴿أَعْلَمُ بِمَا﴾: الباء للإلصاق، ما: بمعنى الذي، وهي أوسع شمولاً من الذي.

﴿يُوعُونَ﴾: من الإيعاء، يقال: أوعى الزاد؛ أي: جعله في الوعاء.

وأوعى الشيء؛ أي: وضعه في الوعاء؛ أي: الله أعلم بما يوعون: يجمعون من المال والعلم وعرض الدنيا، أو يضمرونه أو يخفونه في صدورهم وقلوبهم من التكذيب والكفر والتفارق والكبر والحسد والغل. وأعلم: على وزن أفعل؛ للمبالغة في العلم.

[٢٤] ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾:

الفاء: للترتيب والتعقيب والمباشرة.

﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾: البشارة: هي الإخبار بما يسر ولأول مرة، وظهور علامات البشارة كالسرور على وجوههم، واستعمل كلمة البشارة؛ للتهكم بهم والاستهزاء، كقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨].

﴿عَذَابٍ﴾: الباء للإلصاق والملازمة؛ أي: الدوام.

﴿أَلِيمٍ﴾: شديد الإيلام لا يقدر على تحمله.

[٢٥] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، والاستثناء هنا استثناء منقطع بمعنى: أن المستثنى ليس بعضاً من المستثنى منه، فالذين آمنوا ليسوا بعضاً من الذين كفروا.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ﴾: اللام لام الاستحقاق.

﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: الأجر مقابل العمل، أجر لا يمنّ عليهم به؛ لأنه فضل من الله وتكرم، أجر غير مقطوع، أو منقوص، مستمر لا يفنى ولا يبلى، غير ممنون: نكرة؛ للتعظيم والتكثير.



سُورَةُ الْبُرُوجِ

سُورَةُ الْبُرُوجِ ٨٥

سُورَةُ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ
 ﴿٣﴾ قَتَلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا
 قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا
 مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
 عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
 جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ
 رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾
 ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِمَا يَرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ
 ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنُ وَثَمُودُ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ
 وَرَاءِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قَرِئٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الطَّارِقِ

سُورَةُ الطَّارِقِ ٨٦

سُورَةُ الطَّارِقِ ٨٦

سورة البروج [الآيات ١ - ٢٢]

ترتيبها في القرآن (٨٥) وترتيبها في النزول (٢٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾:

﴿وَالسَّمَاءِ﴾: الواو واو القسم، أقسم الله عز وجل - والله سبحانه غني عن القسم ولا يقسم إلا بشيء عظيم، وفيه إشارة إلى أهمية المقسم به وجواب القسم - بالسَّماء ذات البروج، وأقسم باليوم الموعود، وأقسم بالشَّاهد والمشهود؛ لأهمية هذه الأمور الدالة على عظمة القدرة الإلهية وطلاقتها والتي تثبت الإيمان في القلب.

﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾: البروج جمع برج، والبروج هو المرتفع البين من كل شيء، برج: ظهر وارتفع، فالسَّماء ذات البروج؛ أي: ذات النجوم المرتفعة الواضحة للناس، فالبروج هي النجوم البعيدة عنا والتي ترى في دائرة حول الأرض أودع الله فيها كمًّا هائلاً من النجوم، وهذه النجوم ترى كأنها في تجمعات تعطي أشكالاً مختلفة سماها البشر: برج الثور أو السرطان أو العقرب أو الدلو أو غيرها. وهي ليست تجمعات حقيقية بينها مسافات شاسعة، وهي تجمعات على شكل دائرة حول الأرض، وهناك (٨٨) برجاً؛ أي: تجمع وهي تدور بحركة معاكسة لحركة دوران الأرض، وفي كل شهر من الشهور الشمسية ترى الشمس تقع في تجمع من هذه التجمعات، فالبروج أصبحت وسيلة لتحديد الشهر الشمسي، ويكون تحديد اليوم القمري بدوران القمر حول الأرض، وهذه الدائرة التي تبدو كأنها

ثابتة قسمت إلى (١٢) زاوية فكل زاوية تمثل (٣٠ يوماً) (أي شهراً من الشهور الشمسية).

[٢] ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾:

وأقسم الله سبحانه بيوم القيامة الذي ينكره الكثير من الناس.

الموعود: اسم مفعول من فعل: وعد.

[٣] ﴿وَشَهِدِ مَشْهُودٍ﴾:

الشَّاهد هو الذي يشهد على المشهود، اختلف في الشَّاهد والمشهود في أكثر من (٢٤) تفسيراً، وقيل: الشَّاهد محمَّد ﷺ والمشهود عليهم أمته، أو الشَّاهد هو الله تعالى والمشهود عليهم بنو آدم كافة، أو الشَّاهد الكرام الكاتبون والمشهود عليهم بنو آدم، وكذلك قيل: الشَّاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وغيرها من التفسيرات. وجواب القسم محذوف. ورغم أن الآيات جاءت في سياق أصحاب الأخدود فهي تشمل في معناها كل من يفعل فعل أصحاب الأخدود مثل: كفار قريش وغيرهم، وتحذرهم.

[٤] ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾:

منهم من قال: هذا جواب القسم وتقديره: لقد قتل (لعن) أصحاب الأخدود، ومنهم من قال: جواب القسم محذوف تقديره: لتبعثن مثلاً، أو قوله: إن بطش ربك لشديد.

﴿قُلْ﴾: لعن أصحاب الأخدود: دعاء بالإبعاد والطرد من رحمة الله تعالى أو الهلاك.

﴿أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾: الأخدود: الشق المستطيل في الأرض كالخندق. أصحاب: لم يُبين الله من هم وما فعلوه ومنهم، وقد قيل: كانوا قومًا كافرين حفروا أخدوداً وأوقدوا فيه النار، وكانوا من أهل نجران، وقيل: كان ملكهم

ذو النواس قبل بعثة النبي بـ (٥٠ سنة) وصلت دعوة عيسى إليهم بالتوحيد وبدأ الناس يدخلون في دين عيسى ﷺ فأصبح ملكهم وحاشيته يعذبون أهل التوحيد، ثم حفروا الأخدود فأتوا بالمؤمنين المخالفين لدينهم فراودوهم على الكفر والدخول في دينهم أو الإلقاء في النار، فاختاروا الإلقاء في النار، وكان من بينهم امرأة ترضع وليدها فامتنعت عن إلقاء نفسها مع وليدها في النار، فأنطق الله الطفل الرضيع وطلب من أمه أن تلقي بنفسها في النار وهو معها ففعلت.

[٥] ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُودِ﴾:

أي: الأخدود الحاوي على النار، ذات الوقود: ذات الحطب والاتقاد الشديد، وقوله: «ذات الوقود» تبيان لعظمة النار وارتفاعها.

[٦] ﴿إِذْ هَرَعَلَيْهَا قُودٌ﴾:

﴿إِذْ﴾: الفجائية.

﴿هَرَعٌ﴾: تعود على الكفرة المجرمين أصحاب الأخدود.

﴿عَلَيْهَا قُودٌ﴾: جمع قاعد، وقاعد تجمع على قعود وقاعدون، وقاعدون: تدل على الفعل أو الحدث، وقعود: مصدر يدل على المعنى؛ أي: قاعدون جالسون على القرب منها أو على ضفاف الأخدود، يشاهدون عملية إلقاء المؤمنين في النار.

[٧] ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾:

﴿وَهُمْ﴾: للتوكيد تعود على أصحاب الأخدود.

﴿عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾: تعذيب المؤمنين وإحراقهم: بالإلقاء في النار كل من آمن بالله ولم يرجع عن دينه.

﴿شُهُودٌ﴾: حضور: يشاهدون إحراق المؤمنين الواحد تلو الآخر، شهود جمع: شاهد.



[٨] ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما النافية.

﴿نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾: بالقاءهم في النار.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿أَنْ﴾: مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

﴿يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾: أي لم يكن هناك سبب آخر لتعذيبهم وإحراقهم لهؤلاء الأبرياء المؤمنين بالنار إلا إيمانهم بالله وحده، ولم يقل آمنوا وإنما: «أَنْ يُؤْمِنُوا» لأنهم استمروا على إيمانهم ولم يتخلوا عنه رغم التهديد والوعيد، وألقوا في النار وهم على دين التوحيد.

﴿الْعَزِيزِ﴾: الذي يَغلب ولا يُغلب ويقهر ولا يُقهر، القوي الجبار الممتنع لا يناله أحد بسوء مهما كان.

﴿الْحَمِيدِ﴾: له الحمد المطلق المستحق الحمد في السراء والضراء، وله الحمد كله لإحسانه إلى عباده. ارجع إلى سورة الحديد آية (٢٤) لمزيد من البيان.

[٩] ﴿الَّذِي لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾:

العزيز الحميد ﴿الَّذِي لَهُ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق، وتقديم له يفيد الحصر؛ أي: له وحده.

﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: حكم السموات والأرض فهو الحاكم والمالك.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: شهيد: صيغة مبالغة من شاهد، والشهادة تعني: الحضور مع العلم، فالله سبحانه عليم بظواهر الأشياء والخبر ببواطن الأمور فكفى به شهيداً على كل شيء. ارجع إلى سورة البقرة الآية (١٣٣) لمزيد من البيان في معنى شهيد.



[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنَوْا الْمُؤْمِنِينَ وَتُؤْمِنُوا لَهُمْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾:

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: إن للتوكيد، الذين: اسم موصول يفيد الذم.

﴿فَنَوْا الْمُؤْمِنِينَ وَتُؤْمِنُوا لَهُمْ﴾: فتنوا: من الفتنة: وهي الابتلاء بالخير أو الشر، ولكن الفتنة أشد من الابتلاء وأخص، والفتنة لها أشكال كثيرة قد تكون بالأموال والأولاد والمحن والهلاك أو العذاب أو في الدين؛ فهم فتنوهم بالرجوع عن دينهم أو بإلقاءهم في النار وإحراقهم.

﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾: ثم للتباين بين التوبة وفتنة الذين آمنوا، ارجع إلى سورة النساء الآية (١٧) لمعرفة التوبة وأركانها وأنواعها.

﴿فَلَهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، لهم: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾: أي لهم عذابان: عذاب على كفرهم وعذاب على قتلهم وإحراقهم المؤمنين، عذاب جهنم المتعدد الصور مثل: عذاب الحميم والزّمهرير وغسلين وطعام الزقوم.

عذاب جهنم: ارجع إلى سورة الرعد الآية (١٨) للبيان.

﴿وَلَهُمْ﴾: تكرر لهم للتوكيد.

﴿عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾: كما أحرقوا المؤمنين والمؤمنات لا بد من إحراقهم في نار جهنم فالعذاب من جنس العمل.

وهذه الآية عامة وليست خاصة بأصحاب الأخدود أو كفار مكة، تشمل كل من يفتن المؤمنين والمؤمنات في دينهم، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب.



[١١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾:

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: إن للتوكيد، الذين: اسم موصول يفيد المدح، الذين آمنوا: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وعملوا الصالحات: الفروض والسنن وذكر الله وغيرها.

﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: جنات: جمع جنة، فهناك: جنات الفردوس و جنات عدن و جنات النعيم جنات المأوى تجري من تحتها الأنهار، قيل: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة واللام للبعد.

﴿الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾: الفوز: النجاة من المكروه والوصول إلى المرغوب أو الغاية أو الخير، والفوز: أنواع منها: الفوز العظيم أعلى درجات الفوز، وهناك الفوز الكبير وهو درجة ثانية بعد الفوز العظيم، وهناك الفوز المبين.

[١٢] ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، وكذلك اللام في: «لشديد» للتوكيد.

﴿بَطْشٌ﴾: البطش الانتقام والأخذ بقوة وعنف، من بطش يبطش: إذا أخذه بعنف وقوة؛ أي: إذا أخذ الله الكافر فإن أخذه شديد، ويرى بعضهم أن قوله: «إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ» هو جواب القسم.

﴿بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾: في الدنيا أو في الآخرة لكل ظالم وعاص وكافر ومجرم، ولأهل القرى إذا ظلموا ولم يتوبوا، سواء كان عذاباً قريباً أو بعيداً.

[١٣] ﴿إِنَّهُ هُوَ يُدْئِي وَيُعِيدُ﴾:

إِنَّهُ: تعود على ربك.

﴿إِنَّهُ هُوَ﴾: تفيدان التوكيد لمن ينكر البعث والآخره والحساب والجزاء؛
يبدئ: الخلق ويعيد. ارجع إلى سورة الروم الآية (٢٧)، وسورة العنكبوت آية
(١٩) لبيان معنى يُبدئ ويعيد.

[١٤] ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾:

﴿وَهُوَ﴾: للتوكيد.

﴿الْغَفُورُ﴾: صيغة مبالغة من غفر؛ أي: كثير الغفر فيغفر الذنوب العظام
مهما كان نوعها إذا تاب العبد وأناب إلى ربه، وأما الغفار: هو كثير الغفر من
جهة الكمية؛ أي: يغفر الذنوب الكثيرة، والغفر يعني: ستر الذنب ومحوه وترك
العقوبة والإثابة على فعل الخيرات (الحسنات).

﴿الْوَدُودُ﴾: الود هو الحب مع الإخلاص والوفاء، وقيل: المودة لا تكون إلا
نتيجة المحبة أو هي المحبة الشديدة.

الودود صيغة مبالغة على وزن فعول؛ أي: كثير المحبة لأوليائه فهو يرحمهم
ويرزقهم ويكفر عنهم سيئاتهم، وهو المحبوب في قلوب أوليائه لإحسانه وغفرانه
فهم يودونه ويحبونه.

[١٥] ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾:

﴿ذُو﴾: تعني صاحب العرش، ذو: أبلغ وأشرف من «صاحب» العرش؛
فهو رب العرش.

﴿الْعَرْشِ﴾: قيل: صفة له سبحانه، وعرش الرحمن أعظم من السموات
السبع والأرض وما فيهن. ارجع إلى سورة هود آية (٧)، وسورة طه آية (٥).

﴿ذُو الْعَرْشِ﴾: أي العظيم في ذاته وصفاته، التأم الشرف الرفيع القدر عظيم
الكرم، فالمجيد بضم الدال: وصف لله تعالى، ولو قال المجيد بكسر الدال لكان
وصفاً للعرش.



[١٦] ﴿فَعَالَ لَمَّا يُرِيدُ﴾:

فَعَالَ: صيغة مبالغة لفاعل، تعني: ما يريد فعله في غاية الكثرة، فهو صاحب القدرة المطلقة لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يُسأل عما يفعل؛ لعظمته وحكمته وعدله، ولا يقف أمام أمره عائق أو مانع.

[١٧] ﴿هَلْ أَنتَكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾:

﴿هَلْ﴾: للاستفهام والتشويق.

﴿أَنتَكَ﴾: أي سمعت أو أخبرت؛ أي: وصلك خبر.

﴿حَدِيثُ﴾: يدل على أمر تحدث الناس فيه وتناقلته السير والأخبار، ويعني كلاماً ليس جديداً، وحديثهم هو ما وقع منهم من الكفر والعناد وما حل بهم من العذاب.

﴿الْجُنُودِ﴾: فرعون وثمرود، وقد بيّنتهم الآية التالية (١٨).

[١٨] ﴿فِرْعَوْنُ وَثَمُودُ﴾:

﴿فِرْعَوْنُ﴾: لم يقل قوم فرعون، يراد به فرعون نفسه الذي قال لهم: أنا ربكم الأعلى، أو قوم فرعون وجنوده وملئه. ارجع إلى سورة الأعراف آية (١٠٣) لمعرفة من هو فرعون.

﴿وَتَمُودُ﴾: اسم قبيلة وهم قوم صالح، فكفار مكة لم يبلغوا المبلغ الذي بلغه فرعون، أو المبلغ الحضاري الذي بلغته قبيلة ثمود الذين جابوا الصخر بالواد، والذين سكنوا الحجر (مدائن صالح).

[١٩] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾:

﴿بَلِ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي كفار قريش أشد تكديماً من فرعون وثمرود وغيرهم.

﴿فِي﴾: ظرفية، تكذيب: صيغة مبالغة؛ أي: كثير والكذب، والكذب محيط بهم جميعاً من كل مكان.

﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾: في تكذيب دائم بكل ما أنزل الله وبالأخرة والبعث والحساب وتكذيب بآيات الله ورسله. ارجع إلى سورة النبأ الآية (٣٥) للمقارنة. [٢٠] ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾:

والله أعلم بأحوالهم وأعمالهم، وقادر عليهم وعلى الإحاطة بهم بعلمه وقوته كما فعل بمن قبلهم، وما دام محيطاً بهم من كل الجوانب كناية على عدم قدرتهم على الهرب والنجاة من قبضته، أو هو سبحانه محيط بهم بعلمه يعلم ما يعملون وكذلك الملائكة الكرام الكاتبون يكتبون كل كلمة وفعل وحركة. [٢١] ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الإبطالي؛ للرد على المشركين الذين زعموا أن القرآن شعر وكهانة أو سحر أو أساطير الأولين. ﴿هُوَ﴾: للتوكيد.

﴿قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾: قرآن عظيم الشرف والرفعة والبركة والخير والعطاء.

[٢٢] ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾:

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾: أي القرآن المجيد محفوظ عند الله تعالى من التبديل والتغيير والتحرif، محفوظ مكنون ومصون على مر الأيام والذهور في صدور الذين أوتوا العلم وفي اللوح المحفوظ.





سُورَةُ الطَّارِقِ

سُورَةُ الطَّارِقِ ٨٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنَّ كُلَّ
نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فليَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ
دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨)
يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١)
وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّالِعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ (١٣) وَمَا هُوَ إِلَّا هَزْلٌ (١٤) إِنَّمَا
يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهْلٍ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُودًا (١٧)

سُورَةُ الْأَعْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ أَسْمَرَ بَكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣)
وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) سَنُقَرِّبُكَ
فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَى (٨) فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠)
وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلِي النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ أَسْمَرَ رَبَّهُ فَضَلَّى (١٥)



سورة الطارق [الآيات ١ - ١٧]

ترتيبها في القرآن (٨٦) وترتيبها في النزول (٣٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه السورة تمثل جزءاً من روائع الإعجاز العلمي في القرآن والتقدم في العلم الذي يدل دلالة الشمس على أن القرآن هو كلام الله عز وجل، وتدل على عظمة الخالق الباري المصور فاطر السموات والأرض.

[١] ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾:

الواو واو القسم، يقسم الله عز وجل بالسماء، والله لا يقسم إلا بشيء عظيم، والله سبحانه غني عن القسم، والقسم يشير إلى أهمية وعظمة المقسم به وجواب القسم.

يقسم الله سبحانه بالسماء: اسم جنس يشمل السموات السبع، والسماء الدنيا إحداهن، والتي تحوي مليارات المجرات التي تحوي بداخلها مليارات المجموعات الشمسية، فمجرة درب التبانة تحوي (٢٠٠ إلى ٤٠٠ مليار نجم)، والعلم لم يتوصل إلا لمعرفة وإدراك النذر اليسير عن السماء الدنيا، فما بالك بالسموات السبع التي تغلف كل واحدة الأخرى.

والطارق: قيل: كل ما يطرق ليلاً، أو النجوم التي تظهر ليلاً وتغيب نهاراً،



أو القادم ليلاً أو يبدو ليلاً، ثم قالوا: الطارق هو النجم الثاقب؛ لقوله تعالى: «وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب».

وما أدراك ما الطارق: ما: استفهامية للتعظيم.

أدراك: أعلمك أو أخبرك ما الطارق.

وما أدراك: فيها معنى التهويل والتعظيم. ارجع إلى سورة الحاقة الآية (٣) للبيان، والفرق بين أدراك وما يدريك.

[٣] ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾:

فالطارق هو النجم الثاقب.

فالنجوم تتشكل من ذرات وكل ذرة مركبة من البروتونات والإلكترونات، البروتونات ذات شحنة موجبة، والإلكترونات ذات شحنة سالبة، فعندما تتحد هذه البروتونات مع الإلكترونات (تنصهر) فيؤدي إلى توليد طاقة حرارية هائلة تقدر بملايين الدرجات، ونتيجة الاتحاد بين البروتونات والإلكترونات تتشكل النجوم النيوترونية الناجمة عن تحول النجم الهائل الحجم إلى نجم صغير قطره بالكيلومترات بعد أن كان قطره ملايين الكيلومترات، وهي نجوم ثقيلة جداً قد تزن ملايين الأطنان مثل (١٠٠) مليون طن، ولها جاذبية عظيمة أكبر من جاذبية الأرض بملايين المرات.

هذه النجوم النيوترونية تصدر أمواج راديوية كهريطيسية تتحول إلى أصوات تشبه طرقات المطرقة أو السندان أو دقات الساعة، قد يسمعونها رواد الفضاء باستعمال أجهزة خاصة، وهذا هو تفسير الطارق. أما تفسير النجم الثاقب: فقد

اكتشف الباحثون أنّ هذه النجوم النيوترونية تصدر أشعة كونية سميت النيوتريـنو تصل إلى الأرض بعد أن تخترق الغلاف الجوي والسّموات وتخترق أجسامنا، وقد تصل إلى أعماق البحار وهذا هو تفسير النجم الثاقب.

[٤] ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾:

أي: ما من نفس إلا عليها حافظ.

هذا هو جواب القسم نظير هذه الآية: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

﴿إِنْ كُلُّ﴾: إن: تفيد النفي بمعنى: ما؛ كل: لتوكيد النفي.

﴿نَفْسٍ﴾: أي نفس كافرة مؤمنة مطيعة أو عاصية.

﴿لَّمَّا﴾: تفيد الحصر بمعنى: إلا وعليها حافظ (ومنهم من فسر لما بالاستثنائية؛ أي: حرف استثناء).

﴿حَافِظٌ﴾: أي ملك من الملائكة؛ أي: كل إنسان موكل به ملائكة يكتبون أعماله (أفعاله وأقواله) من حسنات وسيئات، وكما قال تعالى في سورة ق الآية (١٨): ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

وهذه الكتابة لتكون عليه حجة يوم القيامة، رغم أنّ الله سبحانه غني عن ذلك؛ لأنّه سبحانه يعلم ما توسوس به نفس الإنسان وهو سبحانه أقرب للإنسان من حبل الوريد؛ أي: كل نفس سوف تبعث يوم القيامة وتحاسب على عملها وتجازى به.



[٥] ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾:

﴿فَلْيَنْظُرِ﴾: الفاء للتوكيد، واللام لزيادة التوكيد، ينظر الإنسان مم خلق، أصلها من + ما، من: لا ابتداء الغاية، ما: الاستفهامية، وحذفت الألف لتقدم حرف الجر.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾: نظرة بصرية ونظرة قلبية فكرية؛ أي: نظرة تأمل في كيفية خلقه ليعلم قدرة الله سبحانه وعظمته على بدء الخلق وإعادته.

[٦] ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾:

﴿مَّاءٍ﴾: ماء الرجل (هو المنى) وماء المرأة.

﴿دَافِقٍ﴾: منصب بدفع وسرعة من الرجل.

[٧] ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾:

هذه الآية تتحدث عن المنشأ الأصلي الأساسي في الجنين والمسمى الحيد التناسلي، والذي يتطور إلى تشكيل الخصية أو المبيض مصدر الماء الدافق في الرجل والمرأة.

وهذه الآية تشير أن الماء الدافق يخرج من بين الصلب والترائب؛ أي: أن الخصية والمبيض تتشكل من بين الصلب الذي يعني القسم الصلب من العظم والذي يسمى قشرة العظم الموجودة في كل عظم، وليس كما كان يظن المفسرون القدامى: الصلب هو عظام الفقار فقط.

وأما ﴿والتَّرَائِبِ﴾: وهو القسم الرخو المسمى مخ العظم أو نقي العظم

الموجود في كل عظم، وليس كما كان يظن المفسرون أن الترائب هي عظام الصدر في الأنثى (الأضلاع).

فكل عظم يتكون من قسمين: القسم الصلب والقسم الرّخو، وقد تبين من الأبحاث في علم الجنين وعلم الخلايا والنسج أنّ كلاً من الخصية والمبيض تتشكل من الوريقة الوسطى الواقعة بين الوريقة الخارجية المكونة لمخ العظم (نخاع العظم)، والوريقة الداخلية المكونة للقشرة الصلبة من العظم، فالخصية والمبيض منشأهما من بين قسمي العظم.

[٨] ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾:

﴿إِنَّهُ﴾: إن واللام في «لقادر» تفيدان التوكيد.

﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾: حياً؛ أي: على بعثه بعد موته لقادر.

﴿لَقَادِرٌ﴾: على إرجاعه كما كان.

[٩] ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: أي يوم القيامة.

﴿تُبْلَى﴾: تبدو وتظهر وتفضح؛ أي: تكشف سرائر وخفايا كلّ إنسان، وما

كان عليه من عقيدة أو مذهب أو بدعة أو شرك أو نفاق أو طاعة أو عصيان.

[١٠] ﴿فَأَلْهَمْنَاهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾:

﴿فَأَلْهَمْنَاهُ﴾: الفاء للتوكيد، ما النافية: له: جار ومجرور للحصر.

﴿مِنْ﴾: استغرافية.



﴿قُوَّةٌ﴾: يدافع بها عن نفسه من عذاب الله تعالى.

﴿وَلَا﴾: لا لتوكيد النفي.

﴿نَاصِرٍ﴾: ينصره من الله تعالى؛ أي: من عذاب الله، أو يشفع له، كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا﴾ [الكهف: ٤٣].

[١١] ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾:

الواو: واو القسم. ارجع إلى الآية (١) من السورة نفسها، وجواب القسم. قيل: إنه لقول فصل.

يقسم الله تعالى بهذه المعجزة العلمية الثالثة في هذه السورة بالسماء ذات الرجوع، ويقسم بالأرض ذات الصّدع.

﴿ذَاتِ الرَّجْعِ﴾: الرجوع له أنواع كثيرة وتسمى: نُطق الحماية، فيها النطاق الخارجي والمغناطيسي والإشعاعي والمتأين والأوزون والمناخي.

١ - منها الرّجع المائي، فالبخار يتحول إلى سحب والسحب يتحول إلى مطر ويعود إلى الأرض.

٢ - الرّجع الحراري إلى الأرض فالسحب تحمي من تسرب الحرارة إلى الفضاء وبرودة الأرض، فالسحب ترد أو ترجع إلى الأرض (٤١٪) من حرارة الشمس، ولولا هذا الرجوع لتجمدت الأرض.

٣ - الرّجع الغازي: للأشعة فوق البنفسجية بواسطة طبقة الأوزون.

٤ - ورجع الموجات الراديوية.

٥ - والرجع الاهتزازي للهواء.

٦ - الرجع الغباري.

٧ - الرجع اللاسلكي: فكل وسائل الاتصال بما فيها التلفونات والإذاعات ترسل موجاتها إلى النطاق المتأين المحيط بالأرض ليعود لنا بشكل صورة أو كلام أو رسالة.

[١٢] ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾:

﴿الصَّدْعِ﴾: هو: شق + حركة، هناك شبكة كثيرة من الصدوع تمزق قاع البحار والمحيطات؛ أي: تمزق الغلاف الصخري للأرض وتمتد لآلاف الكيلومترات وفي كل الاتجاهات ومتصلة ببعضها وتحيط بالأرض كاملة كأنها صدع واحد. وهناك صدع أو شق اكتشفه العلماء والموجود في قاع المحيط الهادي ويمتد على طول الساحل الغربي لأمريكا ويمر باليابان والفلبين وإندونيسيا، هذا الصدع يبلغ أكثر من (٤٠) ألف كيلومتر، يسمى الصدع أو الشق الأكبر الذي يؤدي إلى كثير من الزلازل في اليابان وجزر المحيط الهادي و(٨٠٪) من الزلازل والبراكين تتركز حول هذا الشق أو الصدع.

وهذه الصدوع هي صمام الأمان للحياة على الأرض؛ فلولا هذه الصدوع لتفجرت الأرض كقنبلة نووية هائلة ولما بقي على الأرض من دابة، فهذه الصدوع تسمح للحمم البركانية بالخروج من باطن الأرض، وهي وسيلة لتشكل قيعان البحار والمحيطات والسلاسل الجبلية والقارات.



[١٣] ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾:

جواب القسم.

﴿إِنَّهُ﴾: إنَّ للتوكيد، والهاء تعود إلى القرآن الكريم.

﴿لَقَوْلٍ﴾: اللام لزيادة التوكيد.

﴿فَصْلٍ﴾: أي يفصل بين الحق والباطل والحلال والحرام والهدى والضلال، فالقرآن هو القول الفصل.

[١٤] ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾:

﴿وَمَا هُوَ﴾: الواو عاطفة، ما النافية، هو للتوكيد.

﴿بِالْهَزْلِ﴾: الباء للإلصاق، تعود على القرآن؛ أي: ما هو باللعب أو بالباطل بل إنه جدٌ وحقٌ في وعده ووعيده وكل ما جاء به.

[١٥] ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾:

﴿إِنَّهُمْ﴾: تعود إلى كفار قريش وأمثالهم.

﴿يَكِيدُونَ﴾: يعملون المكائد والحيل والشبهات لإطفاء نور الله؛ أي: دين الإسلام أو الوقوف أمام الدعوة إلى الإسلام، يكيدون: فعل مضارع يفيد التكرار والتجدد.

﴿كَيْدًا﴾: يفيد التوكيد.



[١٦] ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾:

الله سبحانه ليس بحاجة إلى الكيد، وإنما هو من قبيل المشاكلة والمقابلة؛
مثل: استدراجهم من حيث لا يعلمون، أو أُملي لهم إنَّ كيدي متين.

[١٧] ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُودًا﴾:

﴿فَهَلْ﴾: الفاء للتوكيد، مهْل: انظر؛ أي: أنظرهم يا رسول الله ﷺ فلا
تستعجل لهم، أو لا تستعجل بإهلاكهم.

﴿أَهْلُهُمْ رُودًا﴾: إمهالاً يسيراً؛ أي: لن يطول؛ رويداً: من فعل أراد، وفلان
يمشي على رُود؛ أي: على مهل، وتكرار الفعل «أهلهم» للمبالغة في الوعيد.



سورة الطارق

سورة الطارق ٨٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ② النَّجْمُ الثَّاقِبُ ③ إِنَّ كُلَّ
نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ④ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ⑤ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ
دَافِقٍ ⑥ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ⑦ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ⑧
يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ⑨ فَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ⑩ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ⑪
وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ⑫ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ⑬ وَمَا هُوَ إِلَّا هَزْلٌ ⑭ إِنَّهُمْ
يَكِيدُونَ كَيْدًا ⑮ وَأَكِيدُ كَيْدًا ⑯ فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْمُ لَهُمْ رَوْيدًا ⑰

سورة الأعلى

الأنبياء ٩١

الأنبياء ٩١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ① الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③
وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ④ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ⑤ سَنُقَرِّثُكَ
فَلَا تَنْسَى ⑥ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ⑦ وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَى ⑧ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ⑨ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ⑩
وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ⑪ الَّذِي يَصْلِي النَّارَ الْكُبْرَى ⑫ ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَى ⑬ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ⑭ وَذَكَرَ أَسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ⑮



سورة الأعلى [الآيات ١ - ١٥]

ترتيبها في القرآن (٨٧) وترتيبها في النزول (٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾:

﴿سَبِّحْ﴾: نزه وعظم اسم ربك؛ أي: أسماؤه تعالى الحسنى عن كل ما لا يليق بها، ولا تسم بها غيره، أو تلحد فيها بالتأويلات الباطلة.

التسبيح هو تنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه عما لا يليق به من أي نقص وعجز وعيب، وتنزيه الله من الشريك والولد والصاحبة والند والمثيل. ارجع إلى سورة الحديد آية (١) لمزيد من البيان. وسبح اسم ربك: كأن تقول: سبحان ربي الأعلى.

[٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾:

﴿خَلَقَ﴾: الخلق يعني التقدير والإيجاد من العدم وكل ما نراه في الوجود من خلق الله تعالى.

﴿فَسَوَّى﴾: سَوَّى كُلَّ مَخْلُوقٍ عَلَى أَحْسَنِ هَيْئَةٍ وَنَاسِبٍ بَيْنَ أَعْضَائِهِ فَجَعَلَهَا مُتَنَاسِقَةً، سواء كان إنساناً أو حيواناً أو نباتاً كما قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [السجدة: ٧].

والتسوية هي اختيار الصفات الوراثية المميزة لكل فرد من الإنس والجن والملائكة، وكل حيوان ونبات وجماد بحيث لا يشبه مخلوق الآخر.

[٣] ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾:

قَدَّرَ كُلَّ أَمْرٍ أَوْ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا دَقِيقًا لِنَتْظِيمِ الْحَيَاةِ.



﴿قَدَّرَ﴾: له أجله ومعيشته ورزقه، وعلمه، وأهله، وأولاده ومهنته وأجله، وأين يحيا وأين يموت.

﴿فَهَدَى﴾: يبين له طريق الخير وطريق الشر والحق والباطل، والحلال والحرام وما ينفعه وما يضره، أو هداه إلى معيشته.

[٤] ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾:

الذي أخرج: الذي أنبت العشب أو الحشيش وما ترعاه وتأكله الدواب من الأخضر الرطب.

[٥] ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾:

فجعله: الفاء للتعقيب والمباشرة، جَعَلَهُ: صيَّره.

غُثَاءً: والغُثَاءُ اليابس من النَّبَات والعشب، وهو الزِّبْد الذي يطفو على وجه الماء.

﴿أَحْوَى﴾: الموصوف بالحوة وهي السَّمرة التي تقترب من السَّواد بسبب القدم ومرور الزَّمن؛ أي: سواد + خضرة: بني اللون أو حمرة تضرب إلى السَّواد؛ أي: هو الذي أخرج المرعى؛ أي: العشب الأخضر الرطب الذي انقلب إلى غُثَاء أَحْوَى إلى عشب يابس أسود أو بني اللون تأكله الدواب في الشَّتاء والخريف.

بعد هذه الآيات الأربع الدَّالة على قدرة الخالق وعظمته وأنَّه أهل التَّسييح والحمد يبشِّرُ رسوله ﷺ بأمرين:

[٦] ﴿سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾:

﴿سَنُقَرِّئُكَ﴾: السَّيْن للاستقبال القريب والخطاب لرسول الله ﷺ وأُمَّته، نقرئُك: نعلِّمُك القرآن أو التَّلاوة على لسان جبريل ؑ.

﴿فَلَا تَنْسَى﴾: أي نجتمع في قلبك فلا تنساه، أمَّا إذا كان الخطاب موجهاً إلى أفراد أُمَّته سنعلِّمُكم تلاوته على لسان من سبقوكم من الحفاظ بالتواتر فلا تنسوه بعد أن جمعه الله تعالى في قلوبكم.

[٧] ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: ما اسم موصول بمعنى الذي، وما أوسع شمولاً من الذي؛ أي: ما شاء الله أن تنساه مما نسخه الله تعالى أو ما شاء الله أن ينساه العبد من حفظ القرآن إذا لم يتعاهده بالمراجعة المتكررة.

إِنَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾: أي ما تجهر به من التلاوة؛ أي: ترفع به صوتك، وما يجهر به كل امرئ من قراءة القرآن وغيرها.

﴿وَمَا يَخْفَى﴾: تكرار ما للتوكيد، وما تملوه همساً أو يملوه غيرك وما يخفى من الأمور والأشياء بشكل عام كقوله: ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

﴿الْجَهْرَ﴾: أصله رفع الصوت يقال: جهر بالقراءة، إذا رفع صوته بها.

وكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتُ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنْ عَلَيْنَا جُمُوعُهُ وَقُرْءَانُهُ﴾ [القيامة: ١٦-١٧]، تأكيد للنبي ﷺ على عدم نسيانه.

[٨] ﴿وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى﴾:

اليسرئ مؤنث الأيسر بمعنى: أي سنوفقك ونهديك للطريقة الأيسر والأسهل لحفظ القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القم: ١٧]، ونيسرك ونهديك إلى الشريعة الإسلامية السمحة وعمل الخير، والعمل اليسير والسهل، فكان رسول الله يختار الأمر الأيسر والسهل.

﴿لِلْيُسْرَى﴾: اللام لام التعليل، وقال بعض المفسرين: ونيسرك لليسرئ معطوفة على «سنقرئك» فلا تنسى؛ أي: سنقرئك فلا تنسى ونيسرك لليسرئ. وجملة «إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى» جملة اعتراضية.



[٩] ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾:

الخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ وإلى كل مؤمن.

﴿فَذَكِّرْ﴾: الفاء للتوكيد، ذكّر بالقرآن وذكر الناس بربهم وبيدّينهم وبما عليهم من الفرائض والسنن والواجبات كقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥]، فذكر: من التذكير وهو تنبيه الإنسان بالحسنى والحكمة والموعظة إلى شيء أو أمر قد غفل عنه.

فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾: أي ذكر بالقرآن الكل، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها، وذكر ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

[١٠] ﴿سَيَذَكِّرْهُم مِّنْ يَّخْشَى﴾:

﴿سَيَذَكِّرْهُم﴾: من يخشى الله، السّين للاستقبال القريب، يذكّر: سيتعظ ويتبع الهدى ويتذكر ويزداد إيماناً وذكرًا.

﴿مِّنْ يَّخْشَى﴾: من استغراقية، يخشى: الله؛ أي: يخافه ويعظمه، والخشية: هي الخوف المقترن بالعلم والعظمة ممن تخافه.

[١١] ﴿وَيَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾:

﴿وَيَجَنَّبُهَا﴾: ويتجنب الذكرى: أي الموعظة والقرآن أو الاستماع إلى ما أنزل الله تعالى من الوحي.

﴿الْأَشْقَى﴾: الكافر والمشرّك والعاصي المصّر على المعصية، ومن غفل قلبه وأعرض عن ذكر ربه ورضي بالحياة الدّنيا عن الآخرة واتبع هواه وكان أمره فرطاً، والأشقى اسم تفضيل على وزن أفعل.

[١٢] ﴿الَّذِي يَصِلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾:

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد الدّم.

﴿يَصَلَّى النَّارَ الْكُبْرَى﴾: يدخل يوم القيامة ويشوى في النار الكبرى نار جهنم،
وقيل: الدركات السفلى من النار هي الأشد والكبرى، والنار الصغرى نار الدنيا.
[١٣] ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لتباين الدرجة بين يصلّى ولا يموت فيها ولا يحيى، فكونه لا
يموت فيها ولا يحيى أشد وأفظع من الصلّى؛ أي: لا يموت فيستريح من عذاب
جهنم ولا يحيى حياة بدون عذاب الحريق والحميم. وتكرار (لا) يفيد التوكيد،
لا يموت ولا يحيى لا هذه ولا تلك ولا كلاهما معاً.
[١٤] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾:

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق وتوكيد.

﴿أَفْلَحَ﴾: فاز بالجنة ونجا من النار.

﴿مَنْ تَزَكَّى﴾: من تطهر من الكفر والشرك والمعاصي، تطهر بالإيمان
والتقوى، من: بمعنى الذي، ومن: تشمل المفرد والمثنى والجمع، والذكر
والأنثى.

[١٥] ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾:

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾: بلسانه وقلبه بالتهليل والتسبيح والاستغفار والحمد.

﴿فَصَلَّى﴾: الفاء للتوكيد والمباشرة، صلى الصلوات المفروضة والنوافل،
ثم وبّخ وذم الذين يؤثرون الحياة الدنيا.



سُورَةُ الْغَاشِيَةِ ٨٨

الجزء الثامن

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ
هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ ﴿٨٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾
عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ ﴿٥﴾
لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾
وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾
لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾
وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَارٍ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾
أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ
رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ
بِمُصِيطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ
الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾



سورة الأعلى [الآيات ١٦ - ١٩]

[١٦] ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾:

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿تُؤْثِرُونَ﴾: من الإيثار، وهو التقديم؛ أي: تقدمون الحياة الدنيا على الآخرة، والإيثار: يختلف عن التفضيل، التفضيل: يعني الزيادة في العطاء، وتقديم الأعلى على الأدنى.

[١٧] ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾:

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾: أي أفضل في كل شيء من الدنيا.

﴿وَأَبْقَى﴾: أدام، لا تزول.

[١٨] ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾:

﴿إِنَّ﴾: إن واللام في كلمة «لفي» تفيدان التوكيد.

﴿هَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة يشير إلى كل ما ذكر من الآيات: ﴿قَدْ

أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٢) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (١٦) ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾

أي: هذا الوعظ والتعليم

جاء أو ورد في الصحف الأولى، وتشمل صحف شيث إدريس وإبراهيم

وموسى.



[١٩] ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾:

الصُّحُفُ الأولى تشمل صحف إبراهيم وموسى، فذكر صحف إبراهيم وموسى مرة أخرى هي من قبيل ذكر الخاص بعد العام للتوكيد والاهتمام وشهرتها، فهي أولى الشرائع.

﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ﴾: قيل: كانت عشر صحف.

﴿وَمُوسَى﴾: وصحف موسى وهي غير التّوراة، وقيل: كانت عشر صحف أنزلت قبل التّوراة، وأنزل الله سبحانه الكتب الأربعة الزّبور والتّوراة والإنجيل والقرآن.



الجزء الثاني

سورة الغاشية ٨٨

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌُ يُومِذُ خَشِيعَةً ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يَسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وَجُوهٌُ يُومِذُ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لَسَعِيَهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لُغِيَّةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَارٍ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾



سورة الغاشية [الآيات ١ - ٢٦]

ترتيبها في القرآن (٨٨) وترتيبها في النزول (٦٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾:

﴿هَلْ﴾: استفهام تحمل معنى التشويق ولفت النظر إلى حديث الغاشية والاستماع إليه، واستعمل صيغة الاستفهام بدلاً من الخبر والقول سأخبرك بحديث الغاشية؛ للتشويق والتهويل ولفت النظر إلى حديث الغاشية والتهويل.

وكان رد الرسول ﷺ على الفور: نعم يا رب، قد جاءني حديث الغاشية.

﴿أَتَاكَ حَدِيثُ﴾: ألم يصل إليك خبر أو حديث الغاشية بعد أو تسمعه من أحد؟ وإذا قارنا بين أتاك وجاءك: نجد أتاك: تأتي في سياق السهولة، وجاءك: في سياق المشقة والصعوبة، وبما أن السياق في الحديث عن الغاشية، وليس الغاشية نفسها ولكونها لم تأت بعد فقد استعملت أتاك بدلاً من جاءك.

﴿الْغَاشِيَةِ﴾: اسم من أسماء يوم القيامة كالقارعة والحاقة والطامة والصاخة، وقيل: الغاشية هي النار التي تغطي الكفار يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥]، فلا يجدون لهم ملجأ ولا منفذاً يلجؤون إليه.

[٢] ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾:

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾: في ذلك اليوم ترى وجوه الكفار والمشركين والعاصين.
 ﴿خَاشِعَةٌ﴾: ذليلة من أثر الشعور بالذل والهوان واليأس والندم، والخشوع
 تظهر آثاره على البصر والصوت كقوله: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾ [الفلم: ٤٣]. ورؤوسهم
 منكسة كما قال تعالى: ﴿إِذَا الْمُؤْمِنُونَ كَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٧].
 وهناك فرق بين هذا النوع من الخشوع وخشوع التقوى والإيمان؛ ويعني
 الذلة لله تعالى فهذا النوع من الخشوع هو خشوع عز ورفعة، أما خشوع أهل النار
 هو ذلة وهوان.

[٣] ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾:

﴿عَامِلَةٌ﴾: في ذلك اليوم مشغولة بمحاولة الفرار أو الجثي والجزر والسحب
 في السلاسل.

﴿نَاصِبَةٌ﴾: من النصب؛ وهو التعب والإعياء؛ أي: متعبة مرهقة بجرجر
 السلاسل والأغلال ومن الهول والرعب.

[٤] ﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾:

وَجُوهٌ تَدْخُلُ وَتَشَوَّى فِي نَارٍ حَامِيَةٍ.

[٥] ﴿تُشْفَى مِنْ عَيْنٍ آيَةٍ﴾:

﴿تُشْفَى﴾: هذه الوجوه من عين آية، عين جمعها عيون ولا يقصد بها عين
 الإنسان؛ فتلك تجمع على أعين، أما عيون تشير إلى منابع الماء.

﴿عَيْنٍ آيَةٍ﴾: عين تنبع بالماء الحار وآية من آن، وأن: يعني بالغ أقصى

الحرارة؛ أي: يسقون من حميم آن، ينبع من عين أية تنبع بالماء الحميم الذي بلغ أقصى درجات غليانه، وليست كدرجات حرارة الدنيا وإنما درجات الآخرة.

[٦] ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾:

﴿لَيْسَ﴾: للنفي.

﴿لَهُمْ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق لهم خاصة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مِنْ ضَرِيعٍ﴾: طعام من ضريع: الضريع نوع من الشوك الطري كانت قریش تطلق عليه اسم: الشبرق، وإذا يبس الضريع لا تأكله حتى الدواب.

[٧] ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾:

﴿لَا يُسْمِنُ﴾: يعني لا يوفر الطاقة الحرورية الضرورية للحركة والنشاط لمن أكل منه.

﴿وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾: الجوع: هو الشعور بخلو المعدة من الطعام، وطعام أهل النار من الزقوم وغيره، ولا يسد رمق الجوعان ويشعر بالشبع، إذا أكل منه فهو طعام بلا أي فائدة من جهة، وجهة أخرى كرهه الطعم يتجرعه ولا يكاد يُسيغه. وتكرار (لا) يفيد تأكيد النفي لا هذه ولا تلك ولا كلاهما معاً.

[٨] ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾:

وفي ذلك اليوم ترى وجوه المؤمنين والمتقين ناعمة؛ أي: ذات بهجة ونضرة

وحسن كما قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ (٣٨) ضاحكة مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿[عبس: ٣٨-٣٩].

[٩] ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾:

﴿لَسَعِيهَا﴾: اللام لام التعليل، سعيها: السعي: العمل بجهد ودأب.

﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾: لعملها الذي عملته في الدنيا وسعت لإنجازه راضية على

ثوابه، أو مسرورة بما أحضرت أو قدمت.

[١٠] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾:

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: منازل عالية رفيعة الدرجة والقدر، جنة عالية لها (١٠٠)

درجة).

[١١] ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾:

﴿لَا﴾: النافية.

﴿تَسْمَعُ﴾: في الجنة.

﴿فِيهَا لَغِيَةً﴾: لاغية: من يلغو. واللغو: وهو الكلام الذي لا فائدة ولا نفع

منه، ناهيك عن كلام الباطل والكذب والغيبة، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاً وَلَا تَأْتِيماً﴾ (٢٥) إِلَّا

قِيلَا سَلَامًا سَلَامًا ﴿[الواقعة: ٢٥-٢٦].

[١٢] ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾:

﴿عَيْنٌ﴾: اسم جنس تشمل الواحدة والاثنتين والجمع؛ أي: فيها عيون

كثيرة: عين التسنيم وعين الكافور والزنجبيل والسلسبيل.

﴿جَارِيَةٌ﴾: تجري على وجه أرض الجنة.



[١٣] ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾:

﴿فِيهَا﴾: في الجنة.

﴿سُرُرٌ﴾: جمع سرير: وهو ما يجلس عليه أو ينام عليه.

﴿مَرْفُوعَةٌ﴾: ثمينة ذات قدر مرفوعة مكاناً كقوله: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤].

[١٤] ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾:

﴿وَأَكْوَابٌ﴾: جمع كوب: إناء لا عروة له.

﴿مَوْضُوعَةٌ﴾: متوفرة بين أيديهم يشربون منها أو على حافات العيون وفي كل مكان لا يبحثون عنها، ومختلفة الألوان والأحجام.

[١٥] ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾:

﴿وَنَمَارِقُ﴾: جمع نمرقة: أي وسادة، نمارق: وسائد.

﴿مَصْفُوفَةٌ﴾: بجانب بعضها بعضاً للاتكاء عليها.

[١٦] ﴿وَزَرَائِي مَبْثُوثَةٌ﴾:

﴿وَزَرَائِي﴾: بسط أو سجاجيد مفروشة وممدودة.

﴿مَبْثُوثَةٌ﴾: مفرقة في كل مكان، من بثّ؛ أي: فرق.

ثم يذكر سبحانه عدداً من الآيات الكونية الدالة على قدرته وعظمته ووحدانيتها التي تدعو إلى الإيمان به وحده وأنه على كل شيء قدير.

[١٧] ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾:

﴿أَفَلَا﴾: استفهام فيه حث على النظر والتأمل والتفكير.

﴿يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾: الإبل: الجمل أو الناقة من الحيوانات الثديية المجترّة التي تمتاز بضخامة حجمها، وطول عنقها، وارتفاع قامتها قد يصل إلى أكثر من مترين ووزنها حوالي (٤٥٠-٦٥٠ كيلوغرام)، ولها أرجل طويلة قوية تساعد على اتساع خطواتها، وترفع جسمها عن حرارة الرمال وكلّ رجل تشبه الخف، وهو عبارة عن طبقة سميكة من الجلد مبطنة بالدهن والألياف تساعد على السير بسهولة فوق الرمال دون أن تغوص في الرمال، كما تستطيع أن تسير فوق الصّخور والجبال بواسطة هذا الخف الذي تقل فيه الأعصاب الحسية، وأعينها وأنوفها المغطاة بأشعار كثيفة تحميها من دخول الرمال والأتربة والغبار إلى أعينها وآذانها وأنوفها، وهي قادرة على إغلاق أعينها وآذانها وفتحها الأنف في العواصف الرملية، ورقبتها الطويلة تساعد على الوصول إلى النباتات القصيرة وأوراق الأشجار العالية، وجسمها المغطى بجلد سميك مكسو بالوبر يحفظه من حرارة الشّمس، وسانم الجمل يعتبر مخزناً كبيراً للدهن الذي يحتاجه حين يقلّ غذاؤه ومأواه فهو قادر على تحمل الجوع والعطش لفترة طويلة قد تصل إلى عشرة أيام في أيام الحر الشّديد دون ماء، وربما أكثر قد تصل إلى أسبوعين أو أكثر، وحين يشرب يشرب كميات كبيرة من الماء ولا يتوقف عن الأكل حين يجد المرعى، وله القدرة على الاحتفاظ بماء جسمه عن طريق الكليتين وكمية البول القليلة وقلة عرقه فهو قلما يعرق حتّى في أشد درجات الحرارة، ولا يلهث ولا يتنفس من فمه، وله وسادتان دهنيّتان فوق ركبتيه تحمي جسده حين يترك على الرمل الحار أو البارد.

ويتغذى بالحشائش وأوراق الشّجر والشّوك والأعشاب الجافة ونباتات الصّحراء، ويتغذى بالشّوك والقدرة على ذلك بما أعطاه الله تعالى من أسنان



قوية وفم وشفتين غليظتين قويتين السفلى مشقوقة تمكنه من جمع الأشواك ثم مضغها، وهو من الحيوانات المجترة القادرة على ترجيع بعض الطعام الذي تناولته سابقاً من معدتها إلى فمها؛ لتمضغه جيداً مرة أخرى ويسهل هضمه.

فهذا الحيوان الأليف رغم حجمه الهائل وقدرته ينقاد للطفل الصغير أو الكبير حيث يشاء، والجمل قادر على حمل الأثقال الكبيرة ويسمى سفينة الصحراء، وهناك من يشرب لبنها ويأكل من لحمها الذي فيه من الفيتامينات ما يزيد على ما في ألبان البقر والغنم (١٥ ضعفاً)، وقيل: له (٣) أمعاء حتى يهضم الطعام ولا يبقى للسموم أثر أو مسببات الأمراض، وقيل: إن في ألبانه وبوله كمية كبيرة من المضادات الحيوية الطبيعية لا نظير لها، وهي أكثر مقاومة للبكتريا ولا تسبب تشكل سلالات مقاومة، ويستفاد من وبرها وجلدها في صنع الملابس، ولا ننسى أنه يتأثر بصوت الحادي؛ أي: الراكب فوقه ويتأثر بالغناء فيسرع أو يبطئ، فسبحان الخالق البارئ المصور فهو آية كافية تدل على عظمة وقدره الخالق.

[١٨] ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾:

رفعت بأعمدة لا نراها، وهي عبارة عن القوى النووية الشديدة والضعيفة، والقوى الكهربائية المغناطيسية وقوى الجاذبية الداخلية وموجات الجاذبية الخارجية التي تتشكل بين الكواكب والنجوم والأجرام السماوية الأخرى والمجرات، هذه القوى التي تجعل كل جرم سماوي يسير في مداره وفلكه فلا يصطدم بالآخر، ويبقى في مداره السنين يجري ويجري إلى أجل مسمى.



[١٩] ﴿وَالِىَ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾:

كيف نصبت كرواسي في الأرض؛ كي لا تميد وتضطرب فهي كالأوتاد تثبت الأرض اليابسة وتحفظ توازنها بالإضافة إلى القوى الأخرى، وقد دلت الدراسات والأبحاث الجيولوجية أن ما نراه ظاهراً من الجبل فوق الأرض لا يمثل إلا الجزء الضئيل وما هو خفي تحت الأرض يمثل الجزء الأعظم من الجبل.

[٢٠] ﴿وَالِىَ الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾:

﴿سُطِحَتْ﴾: بسطت رغم كونها كروية الشكل (بيضاوية) وتدور حول نفسها وحول الشمس بسرعة (٣٠ كيلومتراً بالثانية)، ومع ذلك لا نشعر بذلك الدوران فهي كالمهد، وفي بداية خلقها كانت تضاريسها صعبة ولا تصلح للحياة عليها، ثم سخر الله لها عوامل التعرية من الرياح والمياه الجارية والجليد وتباين درجات الحرارة بين الليل والنهار وبين الفصول مما ساعد على بري هذه الجبال بعوامل التعرية، ثم جرفت المياه هذا البري وخلقت السهول والأودية والطرق، وأصبحت الأرض سهلة وممهدة للحياة.

فمن نظر إلى هذه المخلوقات الأربعة يتبين له قدرة الله وعظمته على الخلق وعلى البعث وأنه على كل شيء قدير، وأنه هو الإله الحق الذي يستحق أن يُعبد ويطاع.

[٢١] ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾:

المناسبة: أي إن لم ينظروا في هذه المخلوقات ويتعظوا بدلائل قدرته وعظمته فذكرهم بها.



﴿فَذَكِّرْ﴾: الفاء للتوكيد؛ أي: ذكر الناس بدلائل قدرته ووحدانيته ونعمه، ذكرهم بربهم وبالأخرة والبعث والحساب، ذكرهم بالقرآن ويوم القيامة، فذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين، ذكرهم بما نسوه وعظهم وأنذرهم وبشرهم.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة تفيد الحصر.

﴿أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾: أي ما عليك إلا البلاغ، مذكر: اسم فاعل من الفعل الرباعي ذكر، إنما أنت مذكر: جملة تعليلية.

[٢٢] ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾:

﴿لَسْتَ﴾: من أخوات كان تفيد النفي، والتاء اسم ليس.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: على كفار مكة.

﴿عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾: لست مسؤولاً على إجبارهم على الإيمان كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥].

[٢٣] ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء منقطع: بمعنى المستثنى ليس بعضاً من المستثنى منه، فقوله: إلا من تولى وكفر، ليس استثناء من: لست عليهم بمصيطر وجاءت بمعنى لكن، أي لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر.

﴿تَوَلَّى﴾: التولي: التباعد وهو أشد من الإعراض؛ أي: ابتعد وأعرض عن طاعة ربه والإيمان بما أنزل الله تعالى.

﴿وَكَفَرَ﴾: ولم يؤمن ويصدق بآيات ربه ورسله وملائكته واليوم الآخر.



[٢٤] ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾:

﴿فَيُعَذِّبُهُ﴾: الفاء للتوكيد.

﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾: العذاب الأكبر: هو عذاب جهنم الذي وصف بالعذاب العظيم والأليم والمهين، وأما العذاب الأدنى أو العذاب الأصغر هو عذاب الدنيا، وقوله: يعذبه العذاب الأكبر؛ لا يعني أنه لا يعذبه العذاب الأصغر أو الأدنى فذاك يدخل في العذاب الأكبر.

[٢٥] ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿إِلَيْنَا﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر: إلينا وتفيد شدة الوعيد.

﴿إِيَابَهُمْ﴾: مرجعهم بعد النشر والبعث من القبور للحساب والجزاء.

[٢٦] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لشدة التباين بين الإياب والحساب فالحساب هو أعظم وأشد من الإياب (الرجوع) وفي هذا تهديد ووعيد للكفار.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا﴾: إن: للتوكيد، تقديم «علينا» تفيد الحصر؛ أي: حسابهم علينا وحدنا فلا يشاركنا فيه أحد، وعلى تفيد المشقة؛ أي: سيكون حساباً شاقاً ليس سهلاً كما يتصورونه.





سُورَةُ الْفَجْرِ ٨٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣ وَالْيَلِّ إِذَا يسَّرِ ٤
هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦
إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ٨
وَتُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ١٠
الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ ١٣
عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوَاطِلَ عَذَابٍ ١٤ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ١٥ فَأَمَّا ١٦
الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ١٧
وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ١٨
كَلَّا بَلْ لَّا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ١٩ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ ٢٠
الْمَسْكِينِ ٢١ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ٢٢ وَتُحِبُّونَ ٢٣
الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ٢٤ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا ٢٥
دَكًّا ٢٦ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ٢٧ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ ٢٨
بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ٢٩

سورة الفجر [الآيات ١ - ٢٣]

ترتيبها في القرآن (٨٩) وترتيبها في النزول (١٠).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقسم الله سبحانه بعدد من الآيات الكونية والأيام والليالي الفضيلة في الإسلام للانتباه إليها واغتنام فضيلتها.

[١] ﴿وَالْفَجْرِ﴾:

الواو واو القسم، يقسم الله سبحانه وتعالى بالفجر والله لا يقسم إلا بشيء عظيم.

والله سبحانه غني عن القسم، والقسم من قبيل التنبيه إلى أهمية المقسم به، وجواب القسم، والفجر آية من آيات الله الكونية العظيمة الدالة على عظمته وقدرته في الخلق.

وقد بينت الدراسات العلمية أن الفجر فجران: الفجر الكاذب والفجر الصادق.

والفجر الكاذب: هو ناتج عن تفاعل أشعة الشمس مع نطق الحماية المحيطة بالأرض فعندما تصل هذه الأشعة إلى الأرض تنحني وتسبب ظهور



الفجر الكاذب الذي يرى واضحاً عند القطبين وهو عبارة عن ستائر من الضوء تحوي ألوان الطيف المتعددة السبعة.

وأما الفجر الصادق: فهو ناتج عن أشعة الشمس التي تصل إلينا بصورة غير مباشرة من الشمس والمتضمنة ألوان الطيف السبعة ومنها اللون الأحمر وهو أطول الموجات وعلامة ظهور الفجر الصادق هو ظهور الشفق الأحمر ولأنه من الصعب رؤية الشفق الأحمر بالعين البشرية بسهولة فالله سبحانه هون علينا ذلك وأبدله بالشفق الأبيض أو النور الأبيض الذي نراه في بداية الفجر.

ويقسم الله بالفجر لأن نطق الحماية المحيطة بالأرض ومنها نطاق الأوزون ونطاق التاين والنطاق المغنطيسي والخارجي وغيرها.

هذه النطق بما فيها نطاق الأوزون تقترب من الأرض في زمن الفجر كي تعقم الجو وتقضي على كثير من مسببات الأمراض فزمن الفجر زمن مطهر مُعقم يشعر فيه الإنسان بالنشاط والطمأنينة وزمن مبارك أيضاً وتقع فيه صلاة التهجد والفجر.

[٢] ﴿وَلَيْالٍ عَشْرِ﴾:

أي الأيام العشر من ذي الحجة وأطلق على الأيام الليالي لأن اللغة تسمح بذلك أو بالعكس فهي أيام فضيلة وفيها يوم عرفة وفيها يتم الطواف والسعي وقيل هي الليالي العشر الأخيرة من رمضان وفيها ليلة القدر وتنكير الليالي للتعظيم.

[٣] ﴿وَالشَّفَعِ وَالْوَرِّ﴾:

قيل: الشفع: يوم النحر يوم عيد الأضحى اليوم العاشر من ذي الحجة.

والوتر: اليوم التاسع من ذي الحجة؛ أي: يوم عرفة.

وقيل الشفع: الخلق جميعاً كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾، والوتر: هو الله تعالى الخالق فسبحانه خلق من كل شيء زوجين ليبقى متفرداً بالوحدانية. وقيل: الوتر الصلاة ثلاث ركعات التي فيها ركعتا الشفع وركعة الوتر. [٤] ﴿وَأَتْلُ إِذَا يَسَّرَ﴾:

﴿إِذَا﴾: شرطية ظرفية تفيد حتمية الحدوث.

﴿يَسَّرَ﴾: يسري ذاهباً كقوله: ﴿وَأَتْلُ إِذَا أَذْبَرَ﴾ وقيل: يسر يعني: أقبل ثم ذهب وأدبر، وقيل: يسر من السري: وهو السير بالليل، والليل يبدأ بالمغرب وينتهي بالفجر أو بطلوع الفجر، والليل فيه صلاة المغرب والعشاء والتّهجد والوتر والفجر، وفيه ينزل سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، وقد يتضمن التفسير كل هذه الأمور.

[٥] ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾:

﴿هَلْ﴾: للاستفهام التّقريري، جوابه محذوف وتقديره: نعم، وحذفه ليكون الجواب يشمل كلّ ما يجول في الذهن.

﴿فِي ذَلِكَ﴾: في ذلك القسم بهذه الآيات الكونية والأيام والليالي الفضيلة.

﴿قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾: قسم مقنع وكافٍ لكل ذي عقل، أو هذا القسم كاف لأصحاب العقول، وسمي العقل حجراً؛ لأنه يمنع صاحبه من الوقوع فيما لا ينبغي، أو العقل ينهى أو يُحل، فإذا لم يفهم هذا القسم فلا عقول لهم ولا هم يبصرون.



[٦] ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام.

﴿تَرَ﴾: رؤية قلبية فكرية؛ أي: تعلم علم اليقين.

﴿كَيْفَ﴾: استفهام تقرير يراد به التعظيم والتفخيم: فعل ربك بعاد.

﴿فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾: أي قوم عاد، عاد الأولى نبهم هو هود ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح الذين سكنوا الأحقاف وشيدوا فيها حضارة لم يعرف التاريخ مثلها، ولكنهم عصوا رسول ربهم فأرسل عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات، أو سماها الريح العقيم سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، فطمرت حضارتهم بالرمال وتحولت إلى تلال من الرمال كما نراها الآن.

[٧] ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾:

إرم: أولاد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، سمووا باسم جدهم كقبيلة إرم، (وإرم هو جد عاد) وقيل إرم اسم قبيلة.

وقيل: إرم: اسم البلدة التي كانوا يسكنونها، وقيل إرم اسم أمة من الأمم، ومعنى إرم القديمة.

﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾: أهل العمد سكنوا الخيام ذات البناء المحكم المتميز بالقوة والشدة والسعة والطول، أو المساكن ذات القواعد (الأسس) المتينة المحكمة.

[٨] ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾:

لم يكن هناك من يشبههم في عظم الأجسام والقوة، ولم تكن هناك حضارة



تشبه حضارتهم أو تضاهيها من حيث البناء والعمران والأعمدة والحضارة والزراعة في ذلك الزمان، ولا تزال الحفريات وفرق التنقيب تبحث عن تلك الحضارة المدفونة تحت الرمال.

[٩] ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾:

وهم عاد الثانية وهم من بقايا قوم هود الذين آمنوا ونجوا إلى مكة بعد هلاك قوم هود، ثم هاجروا إلى الحجر أو شمال الحجاز وهي من أغنى أرض الجزيرة العربية بالماء والأنهار.

أي: ألم تر أيضاً إلى ما فعل الله بتمود قوم صالح، ومساكنهم في الحجر، فهم الذين جابوا الصخر بالواد: قطعوا الصخر ونحتوه واتخذوا من الجبال بيوتاً وقصوراً كقوله: ﴿وَنَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف: ٧٤].

﴿جَابُوا﴾: من الجَوَب؛ أي: نحتوا الجبال والصخر بيوتاً.

[١٠] ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾:

﴿ذِي﴾: أي صاحب الأوتاد.

﴿الْأَوْتَادِ﴾: قيل في تفسيرها عدة أقوال منها:

١ - كان يعذب بأوتاد يضعها في أيدي الناس وأرجلهم، وقيل:

٢ - الأوتاد المباني الضخمة، وقيل:

٣ - ذي الجنود والأعوان والقوة.



[١١] ﴿الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبَلَدِ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: تعود على عاد وثمود وفرعون هؤلاء الثلاثة.

﴿الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبَلَدِ﴾: استكبروا وتجاوز الحد في الظلم والقهر. في البلاد:

جمع بلدة.

[١٢] ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾:

«فأكثرُوا» تعود على عاد وثمود وفرعون، فأكثرُوا فيها القتل والتعذيب والشرك بالله والتكذيب بآياته ورسله، وأكثرُوا فيها المعاصي والمنكرات. ارجع إلى سورة البقرة الآية (٢٥١) لبيان معنى الفساد.

[١٣] ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾:

﴿فَصَبَّ﴾: الصَّب يعني: الكثرة والشدة والاستمرار، فشبه نزول العذاب بهم بالمطر المنهمر عليهم من كل جانب.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر عليهم خاصة، «عليهم» تعود على عاد وثمود وفرعون.

﴿رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾: كناية عن شدة وكثرة أشكال من العذاب مثل الرياح الصرصر العاتية والصيحة والرجفة والسنين والطوفان والجراد والقمل والغرق.

وسمى ضروب العذاب النازلة بهم سوطاً؛ تسمية للشيء باسم آفته، وقيل: سوط عذاب؛ لأن التعذيب في ذلك الزمان كان بالسوط.

[١٤] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾:

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾: إن للتوكيد.

﴿لِبِالْمِرْصَادِ﴾: اللام لام التوكيد والتعليل، بالمرصاد: الباء للإلصاق والملازمة، المرصاد: يرصد الأمور؛ أي: يرصد أعمالكم ويراقبها فلا يفوته شيء من أعمالكم ليجازيكم عليها، والمرصاد: يمكن أن يطلق على المكان مكان الرصد الذي يقف فيه الراصد، وفي هذه الآية تهديد ووعد لمن استكبر وكذب بآيات ربه.

[١٥] ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَنُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء استئنافية، أمّا: حرف شرط وتفصيل.

﴿الْإِنْسَنُ﴾: اسم جنس الإنسان الكافر، أو أحياناً الإنسان المؤمن أو المسلم.

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث والتحقق.

﴿مَا﴾: تفيد التوكيد.

﴿ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾: الابتلاء لا يكون إلا بتحمل المكاره والمشاق؛ أي: بالشر ويمكن أن يكون بالخير، وهنا يقصد به الخير.

﴿فَأَكْرَمَهُ﴾: بالغنى واليسر والسعة في الرزق والمال والعافية والذرية والجاه وغيره.

﴿وَنَعَّمَهُ﴾: أنعم عليه من فضله وإحسانه بالنعم الظاهرة أو الباطنة.



﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَن﴾: أي يظن هذا الإكرام له بالمال أو بغيره من النعم أنه أهل له ويستحقه، أو لأنه مفضل من ربه على غيره من الناس، وهو ظن خاطئ. وانبته إلى اختيار كلمة «أَكْرَمَن» من أَكْرَمَ، لا تعني إكراماً دائماً وإنما مؤقت أو قليل أو إكرام عادي، ولم يقل كَرَّمَ من كَرَّمَ، تعني كرم دائم، وفيه مبالغة في الكرم، وأكرم تشير إلى أنه يطمع في الزيادة في الإكرام.

ولم يقل أكرمني: حذف ياء المتكلم فقال: أَكْرَمَن؛ لأن الإكرام بالمال وغيره من متاع الدنيا ليس هو الإكرام الحقيقي وإنما هو جزء من الإكرام. [١٦] ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلُهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهَنَن﴾: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلُهُ﴾: أما حرف شرط وتفصيل.

﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾: أي ضيق عليه رزقه، وتقدير «عليه»: عليه خاصة. يظن هذا الإنسان أن هذا التضييق إهانة له من الله له وذلة، وهذا غير صحيح وخاطئ، وإنما هو ابتلاء من الله تعالى ليختبره أيصبر أم يكفر.

﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَنَن﴾: ولم يقل أهانني، أهانن؛ أي: إهانة مؤقتة وأهانني تعني إهانة دائمة؛ فهو يعلم أن الله سيغير حاله لقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩].

[١٧] ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر؛ أي: ليس المال أو النعمة أو الغطاء دلالة على الإكرام من الله، وليس الفقر إهانة وذلاً كما تظنون خطأ، وإنما الغنى والفقر ابتلاء

من الله للعبد ليقم عليه الحجة أي شكر أم يكفر، أو يصبر أو لا يصبر، والابتلاء هو طهارة من الذنوب أو لرفع الدرجات.

«أهانن»: حذف ياء النداء؛ لأن الفقر ليس هو السبب الحقيقي للإهانة والذل، كالطرد من رحمة الله.

﴿بل﴾: حرف إضراب انتقالي.

﴿لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾: فهو رغم إكرامه لهذا الإنسان فهذا الإنسان لا يؤدي حق الله في ماله سواء بأداء زكاة أمواله أو بإكرام اليتيم أو إطعام المسكين، و«اليتيم» في اللغة: من فقد أباه قبل سن البلوغ من ذكر أو أنثى.

[١٨] ﴿وَلَا تَحْضُوتْ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾:

﴿وَلَا﴾: لا النافية.

﴿تَحْضُوتْ﴾: يحث بعضكم بعضاً، أو يوصي بعضكم بعضاً، وتحاضون: أصلها تتحاضون.

﴿عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾: على مساعدة المسكين المحتاج الذي ليس عنده ما يكفيه لسد حاجته، لا إكرام لليتيم ولا إطعام للمسكين ولا كلاهما، والانتقال من الغائب إلى المخاطب كقوله: «كلا بل لا تكرموا اليتيم» بدلاً من القول كلا بل لا يكرموا ولا يحاضون على طعام المسكين يدل على زيادة التوبيخ والعتاب.

[١٩] ﴿وَتَأْكُلُوا التَّرَاثَ أَكْلًا لِّمًا﴾:

﴿وَتَأْكُلُوا﴾: أي تأخذون.

﴿التَّرَاثَ﴾: اسم (لما يتركه الميت من الإرث) أي: الميراث.



﴿أَكْلًا لَّمَّا﴾: أي تأكلون نصيبكم ونصيب غيركم من الميراث، حيث كانوا لا يورثون النساء والصبيان؛ أي: تأخذون الحلال والحرام، أكلاً: مصدر أكل؛ للمبالغة، لمّا: مصدر للفعل الثلاثي، لمّ بمعنى: جمع المال سواء كان حلالاً أو حراماً وتفيد المبالغة، تأكلون: بصيغة المضارع تدل على التجدد والتكرار والاستمرار.

[٢٠] ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾:

وتحبون المال حباً كثيراً، من الجم: أي الكثير، وجم الشيء: كثرة، وجمّاً للمبالغة والشدة، وتحبون: بصيغة المضارع تدل على التكرار والتجدد والاستمرار، وتشير إلى المبالغة في حب المال وشدته.

[٢١] ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر لمن جمع المال الحرام، أو بخل بالتصدق والزكاة أو أكل حق الآخرين في الميراث وخاصة اليتيم.

﴿إِذَا﴾: ظرفية تفيد حتمية الحدوث وتحقيق ذلك يوم القيامة.

﴿دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾: الدك هو الهدم والتسوية الناتج عن زلزلة الأرض يوم القيامة، والذي يؤدي إلى دك الجبال والأبنية وكل ما ارتفع فوق الأرض، كي تبدل الأرض غير الأرض، وتبدل بأرض جديدة واسعة للبلايين من الناس هي أرض المحشر استعداداً للحساب والقضاء.

﴿دَكًّا﴾: للتوكيد.

[٢٢] ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾:

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾: المجيء: مجيء حقيقي، للقضاء بين الناس وحسابهم

وجزائهم كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمْ وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ
تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥].

﴿صَفًّا صَفًّا﴾: قيل: محيطين بالخلق صفًّا صفًّا، أو مصطفىين صفًّا صفًّا
حسب منزلتهم ومراتبهم، أو ينزلون من السماء صفًّا صفًّا.
[٢٣] ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذَرُ الْإِنْسَانَ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾:

وقد وصف رسول الله ﷺ مجيء النار في يوم القيامة في حديث رواه
مسلم عن عبد الله بن مسعود: يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل
زمام سبعون ألف ملك.

ولا ننسى هذا العدد الكبير، ولا ننسى قوة وشدة هؤلاء الملائكة.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: تكرر «يومئذ» للتوكيد، في ذلك اليوم يتذكر الإنسان ما قدم
وأخر أو ما عمل في دنياه.

﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾: أتى لها عدة معان: تحمل معنى كيف يتذكر، أو من أين
تأتي له الذكرى، وللاستفهام والتعجب، وماذا يتذكر من الكم الهائل الذي عمله،
وما فائدة تذكره؟ لن تنفعه الذكرى إلا حسرة وندماً على ما فرط في جنب الله
سبحانه وتعالى.





سُورَةُ الْبَلَدِ ٩٠

الجزء الثاني

يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢٥﴾
وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجَعِي
إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عَبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الْبَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾
يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا ﴿٦﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾
أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ
النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾
فَكْرَةٌ أَوْ كَرَةٌ ﴿١٣﴾ أَوِ اطَّعِمْنِي يَوْمَئِذٍ مَسْغَبَةً ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾
أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارُ مُؤَصَّدَةٍ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الشَّمْسِ ٩١





سورة الضجر [الآيات ٢٤ - ٣٠]

[٢٤] ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾:

﴿يَقُولُ﴾: حين يرى أهوال يوم القيامة والعذاب.

﴿يَلَيْتَنِي﴾: الياء للتنبيه، ليتني: ليت أداة رجاء تستعمل للأمور المستحيلة الحدوث أو النادرة.

﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾: السلام لام التعليل، قَدَّمْتُ لحياتي: أي حياة الآخرة، وجاء بياء المتكلم؛ لأنها هي الحياة الحقيقية الكاملة التامة لا موت بعدها، يا ليتني: قدمت الكثير من الأعمال الصالحة والتقوى والإيمان، وهذا التمني لن يحصل ويتحقق أبداً.

[٢٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا﴾:

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾: الفاء للتوكيد، يومئذ: ظرف أضيف إلى ظرف آخر، وأصلها يوم (ظرف) إذ (ظرف).

﴿لَا﴾: النافية

﴿يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا﴾: بكسر الدال، الضمير يعود إلى الله سبحانه؛ أي: لا يعذب كعذاب الله تعالى أحد.

وفي قراءة بفتح الدال، والضمير يعود إلى الإنسان الموصوف الذي يقول: يا



ليتني قدمت لحياتي! أي: لا يُعَذَّبُ أحدٌ مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والأغلال أحد مثله حسب درجة كفره وتكذيبه، والضّمير قد يعود إلى كلاهما، والله أعلم.
[٣٦] ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾:

﴿وَلَا﴾: تكرار لا يفيد التوكيد تأكيد النفي.

﴿يُوثِقُ﴾: أي لا يشد ويربط بالسلاسل والأغلال مثله أحد، والضّمير يعود إلى الله سبحانه أو إلى الإنسان أو كلاهما معاً، كما في الآية (٢٥).
[٢٧] ﴿يَأْتِيَنَّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾:

﴿يَأْتِيَنَّهَا﴾: ياء النداء، والهاء للتنبيه.

﴿يَأْتِيَنَّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾: أي: النفس الآمنة الساكنة المؤمنة المطمئنة بالإيمان، والراضية بقضاء الله والموقنة بما وعده.
[٢٨] ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾:

يقال للنفس المطمئنة: ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾: يقال لها هذا عند الموت وخروجها من الدنيا أو يوم القيامة بعد الحساب.

﴿رَاضِيَةً﴾: بالثواب كقوله: رضي الله عنهم ورضوا عنه.

﴿مَّرْضِيَّةً﴾: مؤنث مرضي؛ مرضي: اسم مفعول من فعل رضي؛ أي: رضي الله عنها (مرضية عند الله تعالى) أي: رضي عنها وأرضاها، مرضية بالثواب وبما أعده الله تعالى لها من النعيم الدائم، وكل ما تشتهيه، وأكبر من ذلك رضوان الله ورؤية وجهه الكريم.



[٢٩] ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾:

الفاء للترتيب الذكري (عاطفة)، «في عبادي» ولم يقل مع عبادي؛ «في»
تعني أصبح منهم، بينما «مع» أي دخل مصاحباً لهم وليس منهم.

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾: أي في عبادي الصالحين أو المتقين أو الشهداء أو
الصديقين حسب درجتها.

[٣٠] ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾:

يقال لها ذلك يوم القيامة وإضافة الجنة له سبحانه تشريفاً للجنة وهي جنته،
اسم جنس تشمل كل الجنات: الفردوس وعدن والخلد والمأوى، وادخلي جنتي
برحمتي وفضلي وكرمي.



البقرة السابعة

سورة البقرة

يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢٥﴾
وَلَا يُؤْتِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجَعِي
إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾
يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا ﴿٦﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾
أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ
النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾
فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾
أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَصَّوْا
بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ



سورة البلد [الآيات ١ - ٢٠]

ترتيبها في القرآن (٩٠) ترتيبها في النزول (٣٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾:

﴿لَا أَقْسِمُ﴾: ارجع إلى سورة القيامة الآية (١) للبيان.

﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾: الباء باء القسم، هذا: الهاء للتنبيه، ذا اسم إشارة للقرب، البلد: مكة المكرمة، ومن أسمائها: أم القرى، والبلد الأمين، وبكة، وأقسم بها لشرفها وعظمتها وحرمتها عند الله تعالى وأحبها إليه، ففيها البيت الحرام الذي هو أول بيت وضع للناس وفيه آيات بينات مقام إبراهيم، وأما من الناحية العلمية فعلمنا أن نعلم أن أرض مكة هي أول أرض تشكلت على اليابسة، وهي تعتبر وسط اليابسة. ارجع إلى سورة الشورى آية (٧) للبيان.

[٢] ﴿وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾:

﴿وَأَنْتَ﴾: المخاطب هنا هو رسول الله ﷺ.

﴿حَلٌّ﴾: أي الحال؛ أي: المقيم بهذا البلد، أو حلٌّ: مشتقة من الحلّ: ضد الحرام؛ أي: غير محرّمة عليك، كما حدث يوم فتح مكة كما قال رسول الله ﷺ في حديث ذكر في صحيح البخاري وسيرة ابن هشام، وهذا بعض ما قاله ﷺ: «أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا، ولا يعضد فيها شجرًا، ولم تحل لأحد كان قبلي، ولا تحل لأحد يكون بعدي، ولم



تحل لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها ألا ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس
فليبلغ الشاهد منكم الغائب» إلى نهاية الحديث، وتكرار «بهذا البلد» مرتين
للتوكيد والتعظيم.

[٣] ﴿وَوَالِدٍ وَمَوْلَدٍ﴾:

﴿وَوَالِدٍ﴾: الواو واو القسم.

﴿وَوَالِدٍ وَمَوْلَدٍ﴾: ولم يقل ووالد ومن ولد، «ما» أوسع تشمل الكلّ الناس
والجن والحيوان، ووالد تعني:

١ - آدم، وما ولد: بنو آدم، أي ذريته.

٢ - ووالد تعني: كل والد وما ولد من الأولاد، وتشمل الناس والجن
والحيوان، ونكر والد وما ولد: للإبهام والمدح والتعجب.

[٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾:

جواب القسم.

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد للتحقيق والتوكيد أيضاً.

﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾: في: ظرفية؛ كبد: مشتقة من أوجعته كبده؛ أي:
مصاب بوجع الكبد، والكبد: المشقة والتعب؛ أي: خلق الإنسان ليكابد ويتحمل
المشاق والمصاعب والشدائد في الدنيا، فعليه أن يصبر ولا يجزع ولا يكون
هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً.

[٥] ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَفْعَرَعَلَيْهِ أَحَدٌ﴾:

﴿أَيَحْسَبُ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري والتوبيخ، هذا الإنسان المغترّ
بقوته وشدته ومكابדתه وتحمله البأساء والضراء.

يحسب: من حسب؛ أي: يظن ظناً راجحاً أو يعتقد.

﴿أَنْ﴾: للتوكيد.

﴿لَنْ﴾: لنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾: أيحسب هذا الإنسان لشدة وقوته وكونه مكابداً للمشاق والمصاعب أن لا يقاومه أحد من الناس، أو لا يقدر على الانتقام منه أحد؟ وبمعنى آخر: لن يحاسبه على عمله أحد ويدخله جهنم وساءت مصيراً.

[٦] ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لِبْدًا﴾:

﴿يَقُولُ﴾: بصيغة المضارع؛ لتدل على تكرار القول والتجدد «يقول» مفتخراً ومتباهياً بما أنفقه من المال الكثير.

﴿أَهْلَكْتُ﴾: أنفقت.

﴿مَا لَا لِبْدًا﴾: اللبد الكثير من: تلبّد الشيء إذا اجتمع بعضه فوق بعض على شكل طيات، يقول مفاخراً أو نادماً: أنفقت ما لا كثيراً في عداوة ومحاربة الله ورسوله والإسلام أو أهلك ما لا لبداً على شهواته ومعاصيه.

[٧] ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾:

﴿أَيَحْسَبُ﴾: ارجع إلى الآية: «أيحسب أن يقدر عليه أحد».

﴿أَنْ لَمْ﴾: أن: للتوكيد، لم: للنفي.

﴿يَرَهُ أَحَدٌ﴾: حين أنفق ماله في محاربة الله ورسوله، أو رياء أو في شهواته ومعاصيه، أحسب أن الله سبحانه لم يره أو كان مطلعاً عليه أو ملائكته الكرام الكاتبين الشاهدين على أفعاله.



[٨] ﴿أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام التقريري وفيها معنى التوبيخ.

﴿عَيْنَيْنِ﴾: ليُبصر بهما.

[٩] ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾:

﴿وَلِسَانًا﴾: ينطق به ويعبر عما يجول في مراده.

﴿وَشَفَتَيْنِ﴾: يستعين بهما على النطق والأكل.

[١٠] ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾:

﴿وَهَدَيْنَاهُ﴾: بالفطرة وإرسال الرّسل وإنزال الكتب والآيات والبيّنات، بينّا له طريق الهدى وطريق الضلال طريق الخير وطريق الشر، وبينّا له الحق من الباطل والحلال والحرام، وهديناه إلى كل ما يحتاجه من الهداية في حياته.

﴿النَّجْدَيْنِ﴾: والنّجد: هو الطّريق العالي المرتفع، النّجدين مثلى نجد، شبه طريق الخير والهدى بالطريق المرتفع العالي الموصل للغاية.

[١١] ﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعُقْبَةَ﴾:

لها معان عدة كلها محتملة:

١ - فلا: أصلها أفلا حذفت الهمزة، «أفلا» تعني الاستفهام والتّقرير؛ أي: «أفلا» للحض والحث؛ أي: أفلا سلك طريق النّجاة والخير وجاهد نفسه في الطّاعات للوصول إلى الغاية الكبرى، وهي رضوان الله والنّجاة من النار والفوز بالجنة.

٢ - أو: فلا الفاء عاطفة لا النّافية لكل الأزمنة الماضي والحاضر

والمستقبل؛ أي: لم يقتحم العقبة في الماضي (فيما مضى من عمره) وأنه لن يقتحمها في المستقبل.

٣ - فلا اقتحم العقبة: تحتل أن تكون دعاء عليه بأن لا يقتحم العقبة مثل قوله: لا نصرك الله.

٤ - استفهام يراد به التوبيخ، أو خبر.

﴿فَلَا أَقْتَحِمُ الْعَقْبَةَ﴾: الاقتحام: الدّخول بشدة وبسرعة أو المجاوزة وصعوبة، والقحمة هي الشّدة والمهلكة، العقبة: الطّريق الوعر في الجبل صعب السّلك، واستعير بدل الأعمال الصّالحة الشّاقة على الأنفس.

ثم سئل إذا كان يدري: ما معنى العقبة وكيف يقتحم العقبة؟ في الآيات (١٢-١٦) ليكون من أصحاب الميمنة.

[١٢] ﴿وَمَا أَدْرَنكَ مَا الْعَقْبَةُ﴾:

﴿وَمَا﴾: للاستفهام والتّفخيم والتّعظيم والتّهويل.

﴿أَدْرَنَكَ﴾: من درى؛ أي: علم بعد جهل، واستخدم أو استعمل كلّ الأساليب للوصول إلى الدّراية؛ أي: من أخبرك وأعلمك وبين لك ما العقبة، ومهما أخبرك أو أطلعك عليه من علم فلن تعلمها علم اليقين حتّى تراها بعينيك. ارجع إلى سورة الحاقة لمعرفة الفرق بين أدراك ويدريك.

[١٣] ﴿فَكَرَبَةٍ﴾:

من الأسر أو السجن أو الظلم والاضطهاد.

فكّ ربة يعني: تخليصها أو المساهمة في التخليص والتحرير (كصدقة).

والفك: مشتق من حلّ القيد، ويختلف فك ربة عن تحرير ربة من الرّق والعبودية الذي لم يُعد يوجد اليوم، وسمي المرقوق ربة؛ لأنّ الرّقيق كالأسير



المربوط في رقبته، وجاء الإسلام ليخلص الناس من الرّق والعبودية ويحررهم من براثن الجاهلية، أو تحرير رقبة شراؤها بالكامل أو فكّها بالكامل، وتحرير رقبة جاءت في سياق الكفارة.

[١٤] ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾:

﴿أَوْ﴾: أو تفيد أحد الأمرين، ولو جاء بالواو لكان عليه فعل كلا الأمرين، وهذا أكثر صعوبة.

﴿مَسْغَبَةٍ﴾: السَّغْبُ: الجوع، المسغبة: مصدر من فعل سغب وزيادة التاء للمبالغة؛ أي المجاعة العامة التي تشمل الجميع (المجتمع) وليس الفرد وحده والتي يرافقها الإصابة بالتعب والإرهاق، وأما المخصصة: فهي المجاعة التي تصيب الفرد لوحده وليس الجماعة.

والمخصصة: الجوع الذي يرافق ضمور البطن، فهي أشد من المسغبة.

وقوله ﴿إِطْعَمٌ﴾: أي إطعام الفقراء والمساكين في زمن الطّعام فيه مفقود وغير متوفر وقليل، وقد يكون ثمنه غالياً فإطعام الطّعام في المسغبة لليتيم ذي المقربة أو للمسكين ذي المتربة هو نوع أو مثال على اقتحام للعقبة.

مراتب الحاجة إلى الطّعام هي: الجوع ثمّ السَّغْب ثمّ الفرث ثمّ الطّوى ثمّ المخصصة ثمّ الضّرم ثمّ السّعار، والجوع: هو الإحساس الذي يتولد عن خلو المعدة من الطعام.

مراتب الحاجة إلى الماء هي: العطش ثمّ الظّمأ ثمّ الصّدئ.

[١٥] ﴿بَيْنَمَا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾:

اليتيم القريب في النسب: واليتيم هو من فقد أباه قبل سن البلوغ، وذا مقربة: أي قريب في النسب.

[١٦] ﴿أَوْ مَسْكِنًا ذَا مَرَبٍ﴾:

﴿أَوْ﴾: تفيد التخيير في أحد الأمرين.

﴿ذَا مَرَبٍ﴾: مشتقة من كلمة تَرَب: أي افتقر، ومعناه: التصق بالتراب؛ أي: بيت على التراب، أو يعيش قرب المزابل لبحث عن الفضلات وبقايا الطعام. وذو متربة: أو مأواه ومسكنه الطريق (أي التراب) لا بيت له إلا قارة الطريق، وظهر على وجهه وجسده علامات شدة الجوع والفقر بأن أصبح وجهه شاحباً يشبه لون التراب.

[١٧] ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: لتباين درجة أو رتبة الإيمان مقارنة بدرجة الصبر والرحمة، فالأصل هو الإيمان وهو شرط لقبول العمل الصالح مثل: (فك رقبة أو الإطعام) والالتزام (التواصي) بالصبر وبالرحمة.

﴿كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: الإيمان أولاً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾: الباء للإلصاق والدوام؛ أي: وصى بعضهم بعضاً بالصبر والثبات على الإيمان والصبر على الشدائد.

والصبر على تجنب المعاصي، وقرن الصبر بالرحمة؛ فلا بد أن يكون إطعام الفقير مصحوباً بالرحمة.

فقال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾: التعامل بالرحمة والتعاطف، وقدم التواصي بالصبر على التواصي بالرحمة؛ لأن الصبر يدخل في كل العبادات وفعل الأعمال الصالحة والمعاملات.

وتكرار كلمة «تواصوا» والباء مرتين «تواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة»



يعتبر من أقوى وأشد الأقوال والتوصيات على الإطلاق، فهو لم يقل وتواصوا بالصبر وبالمرحمة فهذا أقل شدة وقوة من القول الأول، ولم يقل تواصوا بالصبر والمرحمة وهذا أقل شدة وقوة من القول الثاني.

وإذا قارنا هذه الآية (١٧) من سورة البلد ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ مع الآية (٣) من سورة العصر ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾: السياق في سورة العصر مختلف تماماً عن السياق في سورة البلد.

السياق في سورة البلد عن المسغبة والتواصي بالصبر والتراحم وإطعام القريب والفقير.

أما السياق في سورة العصر فهو عن الإنسان الخاسر بشكل عام، واستثنى من هؤلاء الذين تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر؛ أي: بالالتزام بالدين والإيمان والصبر. [١٨] ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلى الذين فكوا رقة وأطعموا في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة، وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة.

﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: الذين يؤتون أو يعطون كتبهم بأيمانهم يوم القيامة؛ أي: السعداء أصحاب الجنة، ولم يقل أصحاب اليمين وقال: «أصحاب الميمنة»؛ لأن أصحاب الميمنة: تجمع أصحاب اليمين هؤلاء وفئات أخرى من الذين تواصوا بالحق وتواصوا بالجهاد وتواصوا بالدعوة، وهم كذلك أصحاب اليمين: الخير والبركة.

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾: أي جحدوا وأعرضوا ولم يؤمنوا بآيات القرآن والآيات الكونية، والبيانات الدالة على وجوب الإيمان بالله وحده وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿هُم﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد.

﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَةِ﴾: أصحاب النار، والمشأة: من الشأم أو الشؤم وتعني: الشقاء والضلال؛ أي: الذين يعطون كتبهم بشمائلهم؛ أي: بأيديهم اليسرى، ولم يقل أصحاب الشمال؛ لأن أصحاب المشأة تضم أصحاب الشمال وغيرهم من الطوائف الأخرى الكافرة.

[٢٠] ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾:

﴿عَلَيْهِمْ﴾: على تفيد المشقة والصعوبة والجهة.

﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾: مطبقة عليهم ومغلقة: مؤصدة: اسم مفعول من فعل أصد: بمعنى أطبق؛ أي: كآتها جاءت من أعلى وأطبقت عليهم، فهي ليست مرتفعة كثيراً عن رؤوسهم.

وقدّم كلمة عليهم: التي تفيد الحصر؛ أي: عليهم وحدهم مؤصدة فهم من الخالدين فيها أبداً، فهناك من عصاة المؤمنين الذين سيخرجون منها بعد عقابهم فيها.

وقال: مؤصدة، بالهمزة ولم يقل موصدة؛ لأن الهمزة على حرف الواو أثقل وأشدّ وهذا يناسب الموقف والشدة التي هم فيها.

ولم يقل في عمد ممددة: فربما هناك أماكن من النار تكون مؤصدة وأماكن موصدة في عمد ممددة حسب نوع الكفر والمعاصي والسخرية والتكبر، كلّ طبقة أو فئة لها مكانها المحدد، والله أعلم. ارجع إلى سورة الهمزة الآية (٩) للبيان.





سُورَةُ الْقَمَرِ ٩١

سُورَةُ الْقَمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ② وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ③
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا ⑥
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧ قَدْ
أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ⑩ كَذَبَتْ ثُمُودُ
بِطْعُونِهَا ⑪ إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا ⑫ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ⑬ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ⑭ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ⑮

سُورَةُ الْبَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ① وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ② وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ③
إِنْ سَعَيْكُمْ لَشِقَى ④ فَاِمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ⑥
فَسَنِّيَسِرُهُ لِلْعُسْرَى ⑦ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ⑧ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ⑨
فَسَنِّيَسِرُهُ لِلْعُسْرَى ⑩ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ⑪ إِنَّ عَلَيْنَا
لَلْهُدَى ⑫ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ⑬ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ⑭

سورة الشمس [الآيات ١ - ١٥]

ترتيبها في القرآن (٩١) وترتيبها في النزول (٢٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾:

أقسم الله سبحانه بست آيات من أعظم الآيات الكونية، التي تدل على عظمته وقدرته خلقه، والدالة على وحدانيته وأنه الإله الحق الذي سخر هذه الآيات لمصلحة الإنسان وفائدته.

﴿وَالشَّمْسُ﴾: الواو واو القسم، والله غني عن القسم، والقسم غاية تنبيه السامع إلى أهمية المقسم به وجواب القسم.

يقسم الله سبحانه بالشمس وهي أقرب نجم إلينا، وهي عبارة عن فرن نووي درجة الحرارة في داخله تزيد على (١٥ مليون درجة) وعلى سطح الشمس (٦٠٠٠ درجة) وألسنة اللهب التي تمتد إلى ملايين الكيلومترات، ولولا نطق الحماية المتعددة حول الأرض لا احترقنا بألسنة اللهب، فالشمس هي مصدر الطاقة لكوكب الأرض وطعامنا وأجسامنا تعتمد على طاقة الشمس، فهي من أعظم القدرات الإلهية.

﴿وَضُحَاهَا﴾: الضحى: ضوء الشمس إذا أشرقت (عند الشروق)، هذا الضوء الذي يسير بسرعة تصل إلى (٣٠٠ ألف كيلو متر في الثانية)، ومن المفسرين من قال: الضحى الزمن ما بين طلوع الشمس وزوالها؛ أي: وقت الظهيرة.



ومنهم من قال: الضحى يطلق على طول النهار؛ أي: زمن ظهور الشمس.
وما يحدث في النهار من الكدح والسعي لطلب الرزق والعمل في أول
النهار.

[٢] ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا﴾:

﴿إِذَا﴾: ظرفية.

﴿وَالْقَمَرَ﴾: الواو واو القسم، يقسم الله تعالى بالقمر الذي يبعد عن
الأرض (٢٣٨،٨٥٥ ميلاً)، وحجمه يعادل (٢٧٪) من حجم الأرض، وقطر
القمر (١،٧٣٧،٥ كم)، والقمر دائماً يقابل الأرض بنفس الوجه ويعكس أشعة
الشمس في الليل فيبدو منيراً، مع العلم أن سطح القمر مظلم، وقد تشكل القمر
قبل (٤،٥) بليون سنة) والقمر لا يدور حول نفسه، لذلك نرى سطح القمر المقابل
للأرض دائماً ولا نرى السطح الآخر، والقمر يدور حول الأرض دورة في كل
(٢٧،٣ يوماً) ويأخذ في دورانه أشكال مختلفة تسمى منازل (منازل القمر).

﴿إِذَا نَلَّهَا﴾: إذا تلا الشمس؛ أي: طلع بعد غروب الشمس ليعكس نور
الشمس الواقعة عليه، يعكسه على كوكب الأرض فينورها خلال الليل، والشمس
تنور نصف الكرة الأرضية المقابل لها خلال النهار.

[٣] ﴿وَالنَّهَارَ إِذَا جَلَّهَا﴾:

﴿وَالنَّهَارَ إِذَا﴾: الواو واو القسم، النهار إذا: ظرفية.

﴿جَلَّهَا﴾: الضمير في «جلاها» حقيقة يعود إلى الشمس وإلى الأرض معاً
وليس كما يُظن يعود إلى أحدهما.

النهار: هو الطبقة الغازية المحيطة بالأرض والتي تضيء حين تقع عليها



أشعة الشمس مما يجعل كوكب الأرض في حالة النهار، ارجع إلى سورة يونس آية (٦٧)، لمزيد من البيان.

جلاها: كشفها، من الجلاء وهو: الظهور، فالنهار يكشف ويظهر لنا كلاً من الشمس منبع الضوء والنور، ويكشف ويظهر لنا الأرض أيضاً فتراها، ولولا النهار لما رأينا الشمس ولما رأينا الأرض.

[٤] ﴿وَأَنبَلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾:

﴿وَأَنبَلِ﴾: الواو واو القسم.

﴿إِذَا﴾: ظرفية.

﴿يَغْشَاهَا﴾: أي يغشى الأرض؛ أي: يغطيها بظلامه ليسمح للإنسان بالسكون والراحة، يغشاها: فهو لا يغشى كل كوكب الأرض وإنما يغشى نصف كوكب الأرض، بينما النصف الآخر يكون في حالة النهار، فالأرض تتحرك أمام الشمس، فحين يأتي نصفها البعيد أو الغير مقابل لقرص الشمس يشكّل ظلمة الليل وتلتقي ظلمة الليل مع ظلمة الكون (لأن الكون في الأصل ظلام).

[٥] ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾:

﴿وَالسَّمَاءَ﴾: اسم جنس تشمل السموات السبع كسبع كرات تغلف الواحدة الأخرى، وما نراه فقط السماء الدنيا.

﴿وَمَا﴾: ما الاستفهامية للتعظيم والتعجب.

﴿بَنَاهَا﴾: ركبها وجعلها طبقات، بناها بلا أعمدة نراها، بناها بالقوى النووية والكهربائية والمغناطيسية وقوى الجاذبية، بناها بقوة متماسكة، وما بناها يقصد به عظمة بنائها وعظمة الخالق الذي بناها، فما نراه هو جزء ضئيل من السماء



الدنيا فما بالك بالسموات السبع، والمجرة الشمسية التي فيها البلايين من النجوم كشمسنا، ومجرتنا جزء من التجمّع المجريّ الأعظم والأعظم فقد قدر العلماء أن هناك ما يقارب (٥٠٠،٠٠٠ مليون مجرة) تتحرك بحيث يظل كل جرم فيها يتحرك بنظام ثابت لا يتغير أبداً.

[٦] ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا﴾:

﴿وَالْأَرْضَ﴾: كوكب الأرض.

﴿وَمَا﴾: ما استفهامية تفيد التعظيم والتعجب.

﴿طَحَّهَا﴾: بسطها ومدّها وجعلها كروية، وجعلها مستقرة لا يشعر الإنسان بحركتها رغم كونها تدور (٣٠) كيلو متراً بالثانية.

وأما الفرق بين دحاها وطحاها: دحاها أي: أخرج منها غلافها المائي والغازي من جوفها، بثورة البراكين وقذف الحمم الغازية وبخار الماء. وطحاها كما بينا: بسطها ومدّها وجعلها مستقرة.

[٧] ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾:

﴿وَنَفْسٍ﴾: نكرة أيّ نفس، والنفس ليس هي الروح كما ظن البعض، والنفس كما تشير الأبحاث العلمية المقرونة بهدي الشريعة الإسلامية، أن النفس قد تكون هي منطقة في الدماغ الذي يسمى جهاز لمبك الذي يتحكّم بالتفكير والذاكرة والأحاسيس والتميز والاختيار وغيرها.

﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾: ما أبدعها، وخصّها بالصفات الوراثية الخاصة بها.

[٨] ﴿فَأَلَّهَمَّهَا نُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾:

﴿فَأَلَّهَمَّهَا﴾: بيّن لها طريق الهدى والرشد والخير (طريق التقوى) عن طريق



الإيمان الفطري منذ كانت في صلب آدم كما قال تعالى في سورة الأعراف آية (١٧٢): ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وأيضاً بإرسال رسله وكتبه.

﴿فُجُورَهَا﴾: يبين لها فجورها كيف يحصل أو يتم بالإدمان على المعصية والإصرار عليها والكفر والشرك وعدم التوبة، والسير في طريق الضلال والكفر. [٩] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾:

قيل: هذا جواب القسم، بالإضافة إلى: «وقد خاب من دساها»، وهناك من قال: جواب القسم محذوف ليشمل كل الاحتمالات المقدرة.

﴿قَدْ﴾: حرف للتحقيق يفيد التوكيد.

﴿أَفْلَحَ﴾: فاز ونجا، فاز بالجنة ونجا من النار.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية.

﴿زَكَّهَا﴾: طهرها من الذنوب مثل الكفر والشرك والآثام والمعاصي، زكّاها: نمّاها بالتقوى والعمل الصالح.

[١٠] ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾:

﴿وَقَدْ﴾: حرف للتحقيق والتوكيد.

﴿خَابَ﴾: الخائب: المنقطع أمله، أو الذي منع من أن ينال ما أمل؛ أي:

خسر وانقطع أمله في النجاة.

﴿مَنْ﴾: بمعنى الذي.

﴿دَسَّهَا﴾: أصلها من التدسيس: وهو إخفاء الشيء في الشيء، دسّ

الشيء إذا أخفاه بين شيئين حتى لا يظهر؛ أي: طمر نفسه وغمرها وأثقلها



بالذنوب والمعاصي والشرك والكفر والضلال حتى لم تعد ظاهرة، أو لها أي وزن أو قيمة.

[١١] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَنِهَا﴾:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾: كذبت قبيلة ثمود بنبيهم صالح وبما أرسل به من ربه، وثمرود هم عاد الثانية جاؤوا بعد عاد الأولى وسكنوا الحجر أو مدائن صالح شمالي الحجاز. وجاء بصيغة الكثرة كذبت، مع أنها كذبت بصالح؛ لأن من يكذب رسولا فقد كذب كل الرسل.

﴿بَطَغَوْنَهَا﴾: الباء: باء السببية أو التعليلية؛ طغواها: مصدر من فعل طغى يطفئ؛ أي: بسبب طغواها، طغواها: إفراطها في الكفر والطغيان والبغي والظلم؛ أي: كذبت ثمود بصالح بسبب طغيانها وتمرداها.

[١٢] ﴿إِذْ أُنْبِثَتْ أَشْقَنِهَا﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرفية بمعنى حين وتفيد الفجائية.

﴿أُنْبِثَتْ﴾: انبعثت: من قبيلته؛ أي: أرسل متهيجا ثائرا، وقام مسرعا بعد أن حثه وحرّضه قومه على عقر الناقة.

﴿أَشْقَنِهَا﴾: الشقاوة: التولي عن الإيمان والانغماس في الكفر والضلال وانتهاك حرّامات الله، والبعد عن الحق، والشقاوة مكتسبة، وتؤدي إلى خسارة الدارين القبيلة وهو قدار بن سالف.

[١٣] ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾:

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾: الفاء للترتيب والمباشرة، قال لهم؛ أي: قال لهم نبيهم صالح رسول الله.

﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾: سماها ناقة الله تشريفا لها، وحذّروهم منها سابقا وقال لهم: إياكم بأن تمسوها بسوء.

﴿وَسُقِيَهَا﴾: أي ذروها تشرب كما تشاء في يومها، وقال لهم سابقاً: ﴿لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمَّ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥].

[١٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾:

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، كذَّبوه: أي كذبوا نبينهم صالحاً ولم يصدقوا ما حذَّره من العذاب، ولم يصدقوا برسالات ربهم، وقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب، عقروا الناقة: نحروها ذبحوها.

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾: أطبق عليهم العذاب؛ من دمدم القبر: أي أطبق القبر أو ردم القبر، بذنبهم: الباء السببية، بسبب ذنبهم.

﴿فَسَوَّاهَا﴾: أطبق أو أحاط؛ أي: بهم العذاب لم يفلت أو ينج منهم أحدٌ إلا صالح والذين آمنوا معه، أو سَوَّاهَا: من التسوية؛ أي: نالهم العقاب الذي يستحقونه.

[١٥] ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾:

﴿وَلَا يَخَافُ﴾: ولا يخاف الله سبحانه عقبي الدممة أو تبعة إهلاكهم واستئصالهم، فليس هناك من سيسأل الله تعالى: لمَ فعل ذلك بهم؟ حيث جعلهم كهشيم المحتظر.

عقباها: اسم بمعنى عاقبة ما يفعل سبحانه؛ أي: لا يخاف الله سبحانه عاقبة ما يفعل.



سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ٩١

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ② وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ③
وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا ⑥
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧ قَدْ
أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ⑩ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطَغْوَاهَا ⑪ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ⑫ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ⑬ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ فذَّيَّبَهُمْ فَسَوَّاهَا ⑭ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ⑮

سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ① وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ② وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ③
إِنْ سَعَيْكُمْ لَشِقَى ④ فَاِمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ⑥
فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْعُسْرَى ⑦ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ⑧ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ⑨
فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْعُسْرَى ⑩ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ⑪ إِنَّ عَلَيْنَا
لَلْهُدَى ⑫ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ⑬ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ⑭

سورة الليل [الآيات ١ - ١٤]

ترتيبها في القرآن (٩٢) وترتيبها في النزول (٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقسم الله بآيتين من الآيات الكونية العظيمة الدالة على قدرته وعظمته وهما الليل والنهار.

[١] ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾:

﴿وَاللَّيْلُ﴾: الواو واو القسم، والله غني عن القسم، والقسم يدل على أهمية المقسم به وجواب القسم.

﴿إِذَا﴾: ظرفية بمعنى حين.

﴿يَغْشَى﴾: يقسم الله سبحانه بالليل إذا يغشى؛ أي: يغطي بظلامه نصف الكرة الأرضية، بينما النصف الآخر يكون مضيئاً بنور الشمس، وهذا يدل على كروية الأرض ودورانها حول محورها ودوران القمر حول الأرض.

[٢] ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى﴾:

﴿وَالنَّهَارُ﴾: هو الطبقة الغازية المحيطة بالأرض التي تضيء عندما تقع عليها أشعة الشمس. ارجع إلى سورة يونس آية (٦٧) للبيان المفصل.

﴿إِذَا﴾: إذا انكشف وظهر بزوال ظلمة الليل.



﴿تَجَلَّى﴾: من الجلاء بمعنى الظهور، والليل والنهار آيتان من آيات الله الكونية الدالة على عظمته وقدرته سبحانه.

[٣] ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو واو القسم، ما: بمعنى (الذي) أي: والذي خلق الذكر والأنثى، وهذا القسم من أعظم القسم يقسم الرب بذاته، وما أوسع شمولاً من الذي.

﴿خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾: ليس فقط من جنس الإنسان بل كذلك في عالم الحيوان والنبات، فكل خلق مهما كان خلقه في زوجية؛ ليققى سبحانه منفرداً بالوحدانية.

[٤] ﴿إِنْ سَعَيْكُمْ لَسْتُمْ﴾:

هو جواب القسم.

﴿إِنْ﴾: إنَّ واللام في كلمة «لست» تفيدان التوكيد.

﴿سَعَيْكُمْ﴾: السعي: هو العمل والكسب بجهد واجتهاد؛ أي: عملكم في الدنيا (ويشمل القول والفعل) وكسبكم.

﴿لَسْتُمْ﴾: اللام: للتوكيد، شتى يعني: مختلف أو غير متقارب؛ أي: شتان بين العمل الصالح والعمل السيئ، ثم يبين شتى بثلاثة أنواع من الأعمال الصالحة.

[٥] ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّ﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء استئنافية، أمّا: حرف شرط وتفصيل.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية بمعنى: الذي (للمفرد والمذكر) ومن (تشمل المفرد والمثنى والجمع للمذكر والمؤنث معاً).



﴿أَعْطَى﴾: تضم الزكاة والصدقة والإنفاق في سبيل الله، وتضم كل أنواع العطاء الأخرى مثل الإطعام... وغيره.

﴿وَأَقْنَى﴾: أي امتثل وأطاع أوامر الله تعالى وتجنب نواهيه، وتشمل كل أعمال التقوى.

[٦] ﴿وَصَدَقَ بِالْحَسَنِ﴾:

﴿بِالْحَسَنِ﴾: الحسنى مؤنث الأحسن: بالجنة، وبلا إله إلا الله والغيث وبالبعث والثواب وغيرها، والباء للإلصاق والتوكيد.

[٧] ﴿فَسَيِّئَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾:

﴿فَسَيِّئَرُهُ﴾: الفاء للتوكيد، والسّين للاستقبال القريب، نيسره لعمل الخير والعمل الصالح وطاعة ربه، سنوفقه وسنسهل عليه ما كلف به.

﴿لِلْيُسْرَى﴾: اللام للتوكيد، لليسرى: للجنة، أو نيسره لأيسر الأمور وأهونها ونشرح صدره للإسلام.

[٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ يَخَلْ وَاسْتَفْتَى﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: الواو عاطفة، أما حرف شرط وتفصيل.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية. اسم موصول تستعمل للمفرد والمثنى والجمع (المذكر والمؤنث) بعكس «الذي» تستعمل فقط للمفرد والمذكر.

﴿يَخَلْ﴾: أمسك ماله ولم يؤدّ حق الله فيه ولم يتصدق، وبخل أن ينفق في سبيل الله.

﴿وَاسْتَفْتَى﴾: بالغ في طلب الغنى بماله وولده ومتاعه ولم يرغب في أن يسأل ربه من فضله أو يطلب ثواب ربه؛ أي: أثر الحياة الدنيا على الآخرة.



[٩] ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَسَنِ﴾:

﴿وَكَذَّبَ﴾: لم يصدق ويؤمن بالحسنى بالجنة وبدار الآخرة.

﴿بِالْحَسَنِ﴾: ارجع إلى الآية (٥) السابقة لمعرفة معنى الحسنى.

[١٠] ﴿فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾:

﴿فَسَنِّيَرُهُ﴾: ارجع إلى الآية (٧) السابقة.

﴿لِلْعُسْرَى﴾: اللام لام التوكيد، العسرى: النار، أو نجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء، نجعل معيشته ضنكاً شديدة وصعبة.

[١١] ﴿وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما: النافية.

﴿يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾: أي لا ينفعه ماله الذي بخل به واستغنى حفاظاً عليه.

﴿إِذَا﴾: ظرفية.

﴿تَرَدَّى﴾: ألقى به في نار جهنم أو سقط في عذاب النار، والتَرَدَّى: هو السقوط من أعلى إلى أسفل المؤدي إلى الهلاك.

[١٢] ﴿إِنَّا عَلَيْنَا لِلْهُدَى﴾:

﴿إِنَّا﴾: إن واللام في «للهدى» للتوكيد.

﴿عَلَيْنَا لِلْهُدَى﴾: أي علينا بيان طريق الهدى من طريق الضلال والحلال من الحرام، والحق من الباطل والخير من الشر؛ أي: نبين له معالم دينه.

[١٣] ﴿وَإِنَّا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾:

﴿وَإِنَّا﴾: للتوكيد.



﴿لَنَا﴾: اللام لام الاختصاص: لنا وحدنا.

﴿لِلْآخِرَةِ﴾: اللام للتوكيد، أكد على الآخرة وقدمها على الأولى، ولم يؤكد على الأولى الفانية الزائلة؛ لأن الآخرة هي الأهم وأنها الأدوم.

﴿وَالْأُولَى﴾: الدنيا؛ أي: لنا ملك ما في الدنيا والآخرة؛ أي: ليعلم الإنسان أن علينا أن نبين له طريق الهدى وأن لنا ملك الدنيا والآخرة؛ أي: الحكم.

[١٤] ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلْتَظِي﴾:

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ﴾: الفاء عاطفة، أنذرتكم: من الإنذار وهو الإعلام مع التحذير والتخويف، والإنذار صادر من الله ذاته يدل على عظم هذا الإنذار، والخطاب للجميع.

﴿نَارًا تَلْتَظِي﴾: أصلها تلتظي؛ أي: تلتهب، أو ملتبهة، واللتظي هو اللهب، ونكر النار؛ للتهويل والترويع.





سورة الضحى ٩٣

سورة الضحى

لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا
الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ
نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)

سُورَةُ الضُّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى (٣)
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا
فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَاتَقْهَرْ (٩)
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَاتَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)

سُورَةُ الشُّرَحِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي
أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)



سورة الليل [الآيات ١٥ - ٢١]

[١٥] ﴿لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾:

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يَصْلَحُهَا﴾: لا يدخلها ولا يحرق بها إلا الأشقى، من: صليت اللحم؛ أي: شويته، والتصلية أشد أنواع الإحراق بالنار.

﴿لَا﴾: أداة حصر، كأن النار لم تخلق إلا فقط للأشقى.

﴿الْأَشْقَى﴾: ارجع إلى سورة الشمس الآية (١٢) لبيان معنى الشقاوة والأشقى الشقي على وزن أفعّل للمبالغة في الشقاء؛ أي: الكافر أو المشرك والمصرّ على المعاصي بلا توبة، والأشقى هو: الذي كذب وتولى.

[١٦] ﴿الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾:

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد الذم.

﴿كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾: كذب بآيات ربه ورسله وكتبه واليوم الآخر، تولى: ابتعد وأعرض عن الإيمان واتباع ما أنزل الله تعالى من الشرائع والأحكام.

[١٧] ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾:

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾: الواو عاطفة، والسّين للاستقبال القريب، يجنبها: الهاء تعود إلى النار التي تلظى؛ أي: يبتعد عنها ولا يقربها.

﴿الْأَتْقَى﴾: الذي يطيع أوامر ربه ويجتنب نواهيه؛ أي: المؤمن الفائز الذي



لا يدخل النار، وهناك المؤمن أو التقي الذي يعصي ربه، الفاسق أو العاصي الذي يعذب في النار على قدر عمله السيئ وهو يعتبر شقياً مقارنة بالكافر أو المشرك المدمن على المعصية.

والمؤمن قد يرتقي بإيمانه لدرجة التقي أو الأتقى حسب عمله.

[١٨] ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾:

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد المدح.

﴿يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾: أي ينفق ماله في سبيل الله، ويتزكى من الزكاة، يتزكى: يتطهر بماله من الذنوب والآثام، ويتطهر به من الشح والبخل، ويتزكى: يطلب من الله أن يكون زاكياً ليس فيه رياء ولا سمعة ولا منة، وقيل: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب، يؤتي: من الإيتاء: ولم يقل يعطي من العطاء، الإيتاء أعم وأشمل من العطاء.

[١٩] ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾:

﴿وَمَا لِأَحَدٍ﴾: الواو استئنافية، ما: النافية، لأحد: اللام للتوكيد.

﴿لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾: أي ينفق ماله ابتغاء وجه الله ومرضاته، ولا ينفق ماله على أحد من الخلق؛ لأنه أسدى إليه معروفاً أو قدّم له فضلاً أو عوناً أو يكافئه على أمر ما، من: استغراقية تعني أيّ نعمة: والنعمة؛ أي: جلب له مسرة أو دفع عنه مضرة، نعمة تجزى: يُكافأ عليها.

[٢٠] ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، منقطع بمعنى: لكن، والمنقطع: وتعني حصراً.

﴿ابْنِغَاءَ وَجْهِهِ الْأَعْلَى﴾: إلا طلباً لثواب الله لا لمكافأة على نعمة أسداها إليه

أحد ما.

[٢١] ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾:

﴿وَلَسَوْفَ﴾: الواو استئنافية واللام للتوكيد، سوف: أداة للاستقبال في المستقبل مع التراخي في الزمن؛ أي: في الآخرة.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾: بثواب الله له وفضله وكرمه، ويرضى: الضمير فيها يعود على الأتقى.





سُورَةُ الضُّحَى ٩٣

الْبَيْتُ الْخَامِسُ

لَا يَصْلُحُهَا إِلَّا الْآشَقُ ⑮ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ⑯ وَسَيُجَنَّبُهَا
الْآتَقَى ⑰ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ⑱ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ
نِعْمَةٍ تُجْزَى ⑲ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ⑳ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ㉑

سُورَةُ الضُّحَى ٩٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى ③
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ④ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَى ⑤ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ⑥ وَوَجَدَكَ ضَالًّا
فَهَدَى ⑦ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ⑧ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَاتَقْهَرْ ⑨
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَاتَنْهَرْ ⑩ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ⑪

سُورَةُ الشَّرْحِ ٩٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ① وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ② الَّذِي
أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ③ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤ إِنَّ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑥ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ⑦ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ⑧



سورة الضحى [الآيات ١ - ١١]

ترتيبها في القرآن (٩٣) وترتيبها في النزول (١١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالضُّحَىٰ﴾:

الواو واو القسم، والله غني عن القسم.

ويقسم الله ليبيّن أهمية المقسم به وجواب القسم، والضحى: هو أول النهار يبدأ لحظة بزوغ الشمس أو ظهور أشعة الشمس أو بداية النهار، ومنهم من يقول: الضحى كل النهار؛ ففي الآية (١) في سورة الليل أقسم الله بالليل، وفي هذه الآية يقسم بالضحى؛ أي: النهار لدلالة على كروية الأرض ودورانها وأهمية الليل والنهار.

[٢] ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَىٰ﴾:

ويقسم الله بالليل أيضاً للدلالة على أهمية الليل.

﴿إِذَا﴾: ظرفية تفيد حتمية الحدث.

﴿سَجَىٰ﴾: أظلم أو سكن، أو حين يغمر نصف الكرة الأرضية الغير مقابلة للشمس بظلامه وما يصاحبه من سكون وهدوء، والقسم بالضحى وبالليل إشارة إلى دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، حتى يتبادل على سطحها الليل والنهار (الضحى) وتبادل الليل والنهار ظاهرة لازمة لاستقامة الحياة على



الأرض؛ لأن غالبية الأحياء لا تستطيع العيش بوضوح النهار باستمرار ولا بظلمة الليل باستمرار.

[٣] ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾:

هذا هو جواب القسم.

سبب النزول: كما روى البخاري قيل: لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ عندها قالت امرأة من قريش (قيل هي: أم جميل امرأة أبي لهب) للنبي ﷺ: ما أرى شيطانك إلا ودَّعَكَ.

وفي حديث عن جندب قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ فقال المشركون: إنَّ محمداً ودَّعه ربه وقلاه، فنزلت هذه الآية.

﴿مَا وَدَّعَكَ﴾: ما النَّافِيَّة، ودَّعَكَ ربك: ما تخلَّى عنك ربك، ودَّعَكَ من: التَّوَدَّيع ويكون بين المتحابين.

﴿وَمَا قَلَىٰ﴾: تكرر (ما) لتوكيد النفي، وفصل كلاً على حدة؛ أي: ما ودَّعَكَ وما قَلَى، والقلَى: البغض الشديد مع النفور.

ودَّعَكَ: بصيغة المخاطب، وقلَى: بصيغة الغائب.

ولم يقل قلاك؛ إكراماً لرسول الله ﷺ.

[٤] ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾:

﴿وَلِلْآخِرَةِ﴾: اللام للتوكيد، الآخرة: الدار الآخرة.

﴿خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾: أي ما أعدَّ الله تعالى لك في الدار الآخرة؛ أي: الجنة

خير لك مما آتاك الله في الدنيا، لك: المخاطب هو رسول الله ﷺ وحده، اللام لام الاختصاص.

[٥] ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾:

﴿وَلَسَوْفَ﴾: اللام لام التوكيد، سوف: أداة الاستقبال البعيد؛ أي: في الآخرة.

﴿يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾: العطاء فيه معنى التملّك بعكس الإيتاء، يعطيك كل ما تطلبه وتتمناه في الآخرة مثل: الكوثر والشفاعة والحوض والكرامة والجنة والمقام المحمود وغيرها. ارجع إلى سورة البقرة الآية (٢٥١) لمعرفة الفرق بين الإيتاء والعطاء.

﴿فَتَرْضَىٰ﴾: الفاء للمباشرة والتعقيب، ترضى: من الرضا: القبول المؤدي إلى اطمئنان القلب أو النفس واستقرارها، ولم يقل لترضى؛ لأن رضى الرسول ﷺ دائم عن ربه ومستمر سواء تحقق ما يطلبه أو لم يتحقق.

[٦] ﴿أَلَمْ يَحْذَرِكْ يَتِيمًا فَاَوَىٰ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام التقريري.

﴿يَحْذَرِكْ يَتِيمًا﴾: حين مات أبوه وهو جنين في بطن أمه، وماتت أمه وهو ابن (٦) سنوات، ثم كفله جده عبد المطلب حتى بلغ (٨) سنين، ثم كفله عمه أبو طالب، واليتيم: هو الذي فقد أباه قبل سن البلوغ.

﴿فَاَوَىٰ﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة، جعل لك مأوى تأوي إليه حيث ضمك إلى جدك ثم عمك، والذي تكفل له ذلك هو الله سبحانه، فرعايته سبحانه هي أهم من رعاية الأهل والأقارب.

[٧] ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾:

﴿ضَالًّا﴾: الضلال هنا يعني ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلِكْتُ وَلَا أَلَيْمُنُ﴾ [الشورى: ٥٢]؛

أي: هو الحيرة في وسط بيئة مشرقة، ولا يعني ضلال العقيدة كالكفر والشرك بالله تعالى.



﴿فَهَدَى﴾: الفاء للتعقيب والمباشرة؛ هداك الله إلى الإيمان والكتاب واختارك للنبوّة وأنزل عليك الكتاب للناس بالحق، وهداك إلى الإسلام والحنيفية السمحة ملة إبراهيم ﷺ.

[٨] ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾:

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾: ذا عيال، ولم يقل فقيراً.

﴿فَأَغْنَى﴾: بما يسّر لك وفتح عليك من أبواب الرزق مثل التجارة في مال خديجة، وبالغنائم والفيء وبما يسّر لك من المال، ثم أوصاه بثلاث وصايا وهي في الحقيقة وصايا للمسلمين كافة وهي:

[٩] ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾:

ودعانيه إلى الإحسان إلى اليتيم والسائل فقال تعالى:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء رابطة لجواب شرط مقدّر تقديره: بما أن الله آواك وهداك وأغناك فلا تقهر اليتيم، أما: حرف شرط وتفصيل.

﴿الْيَتِيمَ﴾: الذي مات أبوه قبل سن البلوغ.

﴿فَلَا﴾: الفاء للتوكيد، لا: الناهية، الخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ وبالتالي إلى أفراد أمته.

﴿تَقْهَرْ﴾: ادفع إليه حقه كاملاً ولا تأكل ماله إلى مالك ولا تقهره، بأخذ ماله أو حقه لضعفه، أو تأكل ماله إسرافاً وبداراً، وأكد رسول الله ﷺ على هذه الآية فوصّى فقال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين» وأشار بالسبابة والوسطى. رواه البخاري وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[١٠] ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: الواو عاطفة، أما: حرف شرط وتفصيل.

﴿السَّائِلَ﴾: لها احتمالان الأول: أي الفقير أو المحتاج (ذو الحاجة) فلا بد أن تعطيه ولا ترده صفر اليدين، وإذا لم تستطع، قل له قولاً معروفاً. الثاني: السائل عن علم ينتفع به أو السائل عن أمور دينه، فأجبه وعلمه برضى وبدون جفاء وليتسع صدرك له، وقد تشمل السائل عن الماعون أيضاً.

[١١] ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: الواو عاطفة، أما: حرف شرط وتفصيل.

﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾: بنعمة ربك؛ أي: النبوة ونعمة الإيمان والقرآن ونعمة الإسلام ونعمة العلم والغنى والصحة والأهل وغيرها.

﴿فَحَدِّثْ﴾: فاشكر أو حدِّث عنها ولا تخفيها، وحدِّث تعني: تكرر الحديث؛ أي: حدِّث مرات عديدة.

وما يلفت النظر في هذه السورة ترتيب أو تقابل آياتها أمثلة: الآية (٦) ﴿أَلَمْ يَحْدِكْ يَتِيمًا فَآوَى﴾ يقابلها الآية (٩) ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾.

الآية (٨) ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ يقابلها الآية (١١) ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

الآية (٦) ﴿أَلَمْ يَحْدِكْ يَتِيمًا فَآوَى﴾ تقابل الآية (٣) ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى﴾.

الآية (١٠) ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ تقابل الآية (٥) ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

ترتيب آخر حسب مراحل الحياة طفلاً يتيماً فأوى، شاباً ضالاً فهدى، كهلاً عائلاً فأغنى.



الحجرات

سورة الحجرات ٩٣

لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا
الْأَتَقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ
نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)

سُورَةُ الضُّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى (٣)
وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا
فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَاتَقْهَرْ
(٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَاتَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)

سُورَةُ الشُّرَحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي
أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)

سورة الشرح [الآيات ١ - ٨]

ترتيبها في القرآن (٩٤)، ترتيبها في النزول (١٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾:

يتابع الله سبحانه وتعالى في تعداد النعم التي أنعمها على رسوله ﷺ والتي بدأها في سورة الضحى ويقول تعالى:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتقرير.

﴿نَشْرَحْ﴾: من الشرح: وهو التوسعة، شرح الشيء وسعه.

﴿لَكَ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿صَدْرَكَ﴾: يعني قلبك، فالقلب هو مركز العواطف والمشاعر والإحساس والإيمان، والكفر والحب والكره، فخلايا القلب خلايا مميزة جداً تشبه خلايا الدماغ من حيث الوظيفة والبنية في بعض الأمور.

وشرح الصدر أو سعة الصدر كناية عن الحلم والصبر والرضى والسعادة والسرور، والقبول بكل ما أنزل الله تعالى وأمر وبكل موعظة، والسماح والعفو عند الحاجة وعدم الشعور بالضيق والخرج.

أي شرحنا لك صدرك: جعلناه رحيباً فسيحاً سمحاً سهلاً ليتسع للوحي والقرآن وأعباء النبوة، وما استلقاه من قومك من التكذيب والإعراض والعسر، ونورناه بنور الإيمان والهدى والحكمة والفضيلة والمحبة والسكينة.



[٢] ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾:

أي: لم نكلفك ما لا تطيقه من التكاليف الشرعية وأعباء الرسالة، حططنا عنك وزرك، الوزر: الحمل الثقيل.

شبه أعباء الرسالة والتبليغ بالحمل الثقيل الذي يرهق حامله أو يكاد يسقط من ثقل حمله. ارجع إلى سورة النحل آية (٢٥) لمزيد من البيان.

[٣] ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾:

الذي: اسم موصول يستعمل للعاقل وغير العاقل أحياناً.

﴿الَّذِي﴾: تعود على «وزرك»؛ أي: الحمل الثقيل الناتج عن التبليغ وأعباء النبوة والرسالة وحرصه على إسلام سادة قريش وقادتها.

﴿الَّذِي أَنْقَضَ﴾: أثقل ظهره حتى أصبح يسمع له نقيض؛ أي: صرير كالذي يصدر من ثقل الحمل على ظهر البعير.

كقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

[٤] ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾:

في الدنيا والآخرة، فالله وملائكته يصلون عليك، ووصينا الذين آمنوا بالصلاة والتسليم عليك وطاعتك وبالنبوة وذكرك في الشهادة: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وفي الأذان والإقامة.

والشفاعة العظمى.

جعلناذكرك واسمك على كل لسان.



[٥] ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾:

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء للتوكيد، إن: لزيادة التوكيد.

﴿مَعَ الْعُسْرِ﴾: الضيق والشدة أو ما تقاسي من قومك من الإعراض والعناد والشدائد.

﴿يُسْرًا﴾: فرج ويسر؛ أي: انكشاف وزوال للضر والعسر مهما طال، فكل عسر يردفه يسر لا محالة.

[٦] ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾:

توكيد للآية السابقة فكل عسر متبوع ليس بيسر واحد وإنما بيسرين قد يكونان في الدنيا وقد يكون يسر في الدنيا ويسر في الآخرة. وتنكير اليسر للتفخيم والتعظيم؛ أي: إن مع العسر يسراً عظيماً، فلا يغلب عسرٌ يسرين.

[٧] ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾:

إذا ظرفية شرطية، جواب الشرط: فانصب.

﴿فَرَغْتَ﴾: من المسؤوليات الدنيوية «فانصب»؛ أي: ما استطعتم، وتعني الدأب على العبادة والعمل الصالح والذكر وقيام الليل، والنصب يعني: التعب وجهاد النفس.

[٨] ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾:

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾: لها معان عدة:

أي: اجعل جميع أعمالك خالصة لوجه الله تعالى.

واجتهد في العبادات والتقرب إلى الله والدوام على ذلك.

والتضرع إلى الله والدعاء والتسبيح والذكر.

وارغب بما عنده من الثواب والفضل وجنات النعيم.





سُورَةُ التِّينِ ٩٥

الجزء الثامن

سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْعَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ
الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴿٦﴾ أَن رَّاهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ
بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ
لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فليدع ناديه ﴿١٧﴾
سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تَطَّعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾



سورة التين [الآيات ١ - ٨]

ترتيبها في القرآن (٩٥)، ترتيبها في النزول (٢٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالزَّيْتُونَ﴾:

و: الواو للقسام، ولا يقسم الله سبحانه إلا بشيء عظيم؛ لأنه سبحانه غني عن القسم، وفيه إشارة إلى أهمية المقسم به وجواب القسم. وأقسم الله سبحانه بثلاث:

- ١ - التين والزيتون، أو إشارة إلى الأرض المقدسة مكان مبعث عيسى ﷺ.
- ٢ - طور سينين: جبل الطور وما حوله إشارة إلى مكان مبعث موسى ﷺ.
- ٣ - والبلد الأمين: مكة المكرمة مكان مبعث رسول الله ﷺ؛ أي: أقسم الله بشرف هؤلاء الأنبياء، أو بشرف هذه البقاع المقدسة على الأرض أو بأهمية التين والزيتون نفسه (شجرة الزيتون) وطور سينين والبلد الأمين والمعنى يحتمل الكل، والله أعلم.

﴿وَالزَّيْتُونَ﴾: وقيل: شجرة التين والزيتون؛ لما فيهما من فوائد غذائية جمّة، وفوائد طبيّة منها: الحماية من البكتيريا والأمراض السرطانية، وزيت الزيتون يخفض كolesterol الدم، ويخفف الإصابة بأمراض تصلّب الشرايين وارتفاع الضغط، وغني بالفيتامين؛ أي: ويفيد في علاج التهاب المفاصل وضعف الذاكرة وغيرها.



وقيل: التين والزيتون: كناية عن الأرض المباركة، أو البقاع المباركة ومنها فلسطين وبلاد الشام أرض الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿الْأَرْضَ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١]، التي سكنها إبراهيم ﷺ وموسى وعيسى ونوح ومحمد ﷺ في البلد الأمين.

[٢] ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾:

قيل: هو نفسه طور سيناء، ويسمى جبل المنجاة، وهو الجبل المبارك الذي كلم الله تعالى عنده موسى ﷺ وهو غير معروف تماماً ويظن أنه يقع في الثلث الجنوبي من جزيرة سيناء كما تشير الدراسات العلمية.

[٣] ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾:

﴿وَهَذَا﴾: الهاء للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقرب.

﴿الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾: مكة المكرمة، التي فيها البيت الحرام أول بيت وضع للناس. الأمين: على وزن فعيل للمبالغة بمعنى الأمن، ولم يقل البلد الأمن؛ لأن أمين تتضمن معنى الأمن والمأمون والأمين معاً، والأمين فيها معنى الأمن والأمانة؛ فهو أفضل مكان لأداء الأمانة الصلاة، والحج وغيرها من العبادات، وهي مكان مولد الرسول ﷺ وأفضل بقاع الأرض على الإطلاق، وموطن رسالة الإسلام، ومكة هي أول ما ظهر من اليابسة على الإطلاق كجزيرة بركانية على ظهر الماء، ثم مَدَّت الأرض من حولها حتى شَكَلَت القارة الأم التي تشَقَّت بشبكة من الصدوع إلى القارات الحالية، وبقيت مكة المكرمة وسط اليابسة حتى اليوم.

الأمين: الذي حَرَّمه الله تعالى منذ خلق السموات والأرض، ولهذا البلد الأمين أسماء أخرى منها: أم القرى، ومكة، وبكة... وغيرها، من الأسماء.

والأمين: لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمَاءَ آمِنًا﴾ [الفصل: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمَاءَ آمِنًا وَيُوْخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

[٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾:

قيل: هذا هو جواب القسم.

﴿لَقَدْ﴾: اللام للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: خلقنا: الخلق هو الإيجاد والتقدير . الإنسان: اسم جنس مشتق من الأنس؛ أي: الألفة والمحبة ضد النفور، ومشتقة من الظهور عدم الاختفاء (كالجن)؛ أي: على أحسن صورة منتصب القامة جميل الخلقة (أجمل الخلق) متناسب الأعضاء؛ أي: الأطراف والأيدي أو الصدر والرأس، ومنها: العقل والحكمة والقدرة والتدبير، وهذه من صور التكريم، وأسند الخلق إليه سبحانه وحده وبصيغة التعظيم.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿أَحْسَنِ﴾: على وزن أفعل للتفضيل.

﴿تَقْوِيمٍ﴾: أحسن صورة.

[٥] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب والتراخي في الزمن.

﴿رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾: قيل المخاطب في هذه الآية الكافر والمنافق والمشرک والمجرم؛ أي بعد أن كان في أحسن تقويم، رددناه، والرّد يعني: الرجوع قسراً بدون إرادته ورغماً عنه، وإلى حالة غير حالته التي كان عليها سابقاً خلقاً



وتركيباً إلى أسفل سافلين؛ أي: إلى أرذل العمر الذي يتمثل بضعف الذاكرة، أو فقدها، وعدم القدرة على الحركة والعجز والحاجة إلى مساعدة الآخرين.

ومن المفسرين من فسر «أسفل سافلين»؛ أي: في الدرك الأسفل من النار ويقصد بها المنافق كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]، والكافر والمشرک الذي جحد كل نعم الله وعبودية الله تعالى بعد أن أخذ عليه العهد منذ أن كان في صلب آدم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢] لأنه لم يشكر الله تعالى على نعمه وعلى خلقه، ولم يتق الله تعالى وإنما انشغل بالباطل والكذب والنفاق وأرذل الأخلاق، فردّه الله تعالى إلى أسفل السافلين في الجزاء.

[٦] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾:

لها معاني عدة منها:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء متصل، ومنهم من قال: منقطع بمعنى لكن:

- ١ - أي: لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون.
- ٢ - إلا الذين آمنوا مستثنى من السافلين الذين ردّوا إلى أسفل العمر؛ لأنّ المتقي قليلاً ما يردّ إلى أرذل العمر، وإنما يحفظه الله سبحانه لتقواه وحفظه للقرآن.
- ٣ - إلا الذين آمنوا مستثنى من أسفل السافلين (الذين في الدرك الأسفل من النار).

أو لكن الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وعملوا الصالحات الفرائض والنوافل.

﴿فَلَهُمْ﴾: الفاء للتوكيد، لهم: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَقْطُوعٍ﴾: أجر غير مقطوع، ثواب دائم غير منقطع؛ أي: يعطيهم من الأجر والثواب في كبرهم كما كان يعطيهم من الأجر والثواب زمن شبابهم، أو ثوابهم في الجنة دائم غير منقطع.

[٧] ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ بِالْذِّينِ﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء استئنافية، ما: استفهام إنكاري.

﴿يَكْذِبُكَ﴾: أيها الإنسان.

﴿بِالْذِّينِ﴾: بالجزاء والحساب أو بالإسلام؛ فكلمة الدين لها معنيان: الشريعة والملة (دين الإسلام)، ومعنى الجزاء والحساب، فما الذي جعلك تكذب بصحة دين الله تعالى وبالحساب والجزاء.

الانتقال من الغيبة «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون» إلى صيغة الخطاب «فما يكذبك»؛ ليدل على تشديد التوبيخ والتقريع.

[٨] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾:

﴿أَلَيْسَ﴾: استفهام تقرير، ولم يجعله أسلوباً إخبارياً بالقول إن الله أحكم الحاكمين؛ ليشرك المخاطب في إصدار الحكم، وجواب أليس: بلى هو أحكم الحاكمين.

﴿بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾: الباء للإلصاق والتوكيد، أحكم: مشتقة من الحكم أي القضاء فهو أفضى القضاة؛ أي: أعدلهم وأقسطهم، وأحكم: مشتقة من الحكمة، فهو أحكم الحكماء وأحكم القضاة، ارجع إلى سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.



سُورَةُ التِّينِ ٩٥

سُورَةُ التِّينِ ٩٥

سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ③
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ⑤
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ⑥
فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الْإِيمَانِ ⑦ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ⑧

سُورَةُ الْعَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَفَرَأَيْتُمْ
الْأَكْرَمَ ③ الَّذِي عَلَّمَهُ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ كَلَّا إِنَّ
الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ⑥ أَلَمْ يَرَأَهُ اسْتَفْعَى ⑦ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى ⑧ أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَنْهَى ⑨ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ⑩ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ⑪ أَوْ أَمَرَ
بِالتَّقْوَى ⑫ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ⑬ أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ ⑭ كَلَّا لَئِنْ
لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ⑮ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ⑯ فليدْعُ نَادِيَهُ ⑰
سَدِّدْ الرِّبَانِيَةَ ⑱ كَلَّا لَا تَطَعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ⑲





سورة العلق [الآيات ١ - ١٩]

وتسمى سورة اقرأ.

ترتيبها في القرآن (٩٦) وترتيبها في النزول (١) الأولى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾:

أسباب النزول: أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم المقرئ، قال: أخبرنا عبد الله بن حامد الأصفهاني، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ، قال: حدثني محمد بن يحيى، قال: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن شهاب الزهري، قال: أخبرني عروة، عن عائشة أنها قالت: «أول ما بدأ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يأتي حرًا فيتحنّث فيه، وهو التَّعبّد، الليالي ذوات العدد، ويتزوّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال رسول الله ﷺ: فقلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثالثة حتى بلغ مني الجهد فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حتى بلغ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فرجع بها يرجف فواده حتى دخل على خديجة، فقال: زمّلوني، فزمّلوه حتى ذهب عنه الرّوع، فقال: يا خديجة، مالي؟ وأخبرها الخبر، وقال: قد خشيت عليّ، فقالت له: كلا أبشر، فوالله لا



يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» رواه البخاري، عن يحيى بن بكير، ورواه مسلم، عن محمد ابن رافع.

[١] ﴿أَفَرَأَيْتَ مَا يَلْقَى الَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

أي قل: بسم الله الرحمن الرحيم، أو ابتدئ قراءة القرآن أو ما يوحى إليك باسم ربك؛ أي: مستعيناً به.

﴿الَّذِي﴾: يفيد التعظيم والكمال.

﴿خَلَقَ﴾: الخلق هو التقدير، والخلق من الله تعالى: الإيجاد من العدم، الذي بدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين.

[٢] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾:

يمكن أن نقسم مراحل تكوين الجنين إلى مرحلتين هما:

أولاً: (مرحلة الخلق الأولى) وتسمى بمرحلة المضغة، وتبدأ بالأسبوع الأول وتنتهي بنهاية الأسبوع الثامن وتضم:

مرحلة النطفة.

مرحلة العلق.

مرحلة المضغة.

مرحلة تشكل العظام.

مرحلة كسو العظام باللحم (العضلات).

ثانياً: مرحلة الجنين وتبدأ ببداية الأسبوع التاسع حتى نهاية الحمل وتسمى بمرحلة الجنين، لندرس الآن كل مرحلة من هذه المراحل وما يحدث فيها من



تغيرات وتشكلات في جسم الجنين، وننظر إلى الزّمن بشكل خاص، ونبدأ هذه الدّراسة بذكر ما جاء في القرآن الكريم في سورة المؤمنون آيات (١٢-١٤) يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٤﴾.

مرحلة المضغة وتضم:

أ- مرحلة النّطفة: ما إن تبدأ عملية الإخصاب بالتقاء ماء الرجل بماء المرأة يخترق إحدى هذه الحيوانات المنوية التي تقدر بالملايين البيوضة فقط ولا يسمح لغيره بالدّخول، عندها تبدأ المرحلة المسماة بمرحلة النّطفة وتبدأ بالانقسامات الخلوية إلى اثنين ثم أربع ثم ثمان ثم (١٦ خلية) وهكذا، وإذا دخلت يومها الخامس أصبح عدد هذه الخلايا ما بين (١٠٠-١٥٠ خلية) وعندها تشكل ما يسمى البلاستوست.

يمكن تعريف البلاستوست بأنها: المرحلة الأولى من تطور المضغة عندما تكون بشكل كروي مركبة من طبقتين من الخلايا: الطبقة الأولى وتسمى كتلة الخلايا الدّاخلية والتي تنمو وتتطور لتشكل الجنين، وأما الطبقة المحيطة أو الخارجية التي تشبه حلقة الخاتم فهي تشكل المشيمة.

وفي اليوم السادس تشق النّطفة طريقها إلى سطح بطانة الرّحم؛ كي تنغرس فيه.

وفي اليوم السّابع يبدأ تشكل المشيمة من خلايا الطبقة الخارجية للبلاستوست.

وفي اليوم الثالث عشر يبدأ تشكل الدّم والأوعية الدّموية.

وفي اليوم الرّابع عشر (أي أسبوعين) تكتمل بذلك مرحلة النّطفة.



إذن مرحلة تشكل النطفة تستغرق أسبوعين من بداية التلقيح.

ب - مرحلة العلقه: يقول سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون: ١٤]، وتستغرق هذه المرحلة من اليوم (١٤) حتى اليوم (٢٤-٢٥) من التلقيح، وسميت بهذا الاسم لكونها تعلق بجدار الرحم وتشبه قطعة من الدم الجامد، والله سبحانه ذكر هذه المرحلة فقط من بين المراحل الأخرى لأهميتها. ارجع إلى سورة المؤمنون الآيات (١٢-١٤)، وسورة الحج الآية (٥) لمزيد من البيان.

[٣] ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾:

﴿اقْرَأْ﴾: كررها للتأكيد؛ أي: اقرأ ما يوحى إليك من الآيات

﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾: على وزن أفعل التفضيل؛ للمبالغة في الكرم؛ أي: هو أكرم الأكرمين، كثير الكرم يزيد كرمه على أي كرم، وقوله: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾: يدل على كمال كرمه أنه علّم عباده العلوم والكتابة بالقلم وعلّمهم ما لم يعلموا، وذلك يعدّ من أعظم الكرم بعد كرم الهدى والإيمان والإسلام، فلو لا كرم العلم لما قرأنا القرآن واستقامت أمور حياتنا.

[٤] ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾:

﴿الَّذِي﴾: تفيد التعظيم، علّم الإنسان بالقلم: الباء للإلصاق.

﴿بِالْقَلَمِ﴾: ارجع إلى سورة القلم (ن) آية (١) للبيان.

[٥] ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾:

من علوم الدين، علوم القرآن والحديث والفقه والسيرة والتخريج وعلم الأصول والمواريث والاقتصاد، وعلوم الدنيا ومنها علوم الذرة والتكنولوجيا والصناعة والفضاء والطب والزراعة والنبات والحيوان.

[٦] ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾:

﴿كَلَّا﴾: تعني حقاً، و«كلا» تعني كلمة ردع وزجر، أو تفيد التنبيه؛ أي: حقاً
إنَّ الإنسان ليطغى، أو: «كلا» ردع وزجر لمن استغنى بماله وطمع ونسي نعمة
الخلق ونعمة العلم.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿لَطَغَى﴾: السلام في لطغى: تفيد التوكيد؛ أي: يتجاوز الحد في الكفر
والطغيان بنعم ربه لجهله وضلاله إذا رأى نفسه غنياً طغى وبغى أو ذو قوة أو جاه
ومنصب.

[٧] ﴿أَن رَّاهُ أَشْفَى﴾:

﴿أَن﴾: حرف مصدر يفيد التعليل والتوكيد.

﴿رَّاهُ﴾: أي: رأى الإنسان نفسه قوياً، أو رأى ماله قد كثر، رؤية قلبية
وبصرية.

﴿أَشْفَى﴾: استكبر على ربه وكفر به واستغنى عن عبادته، واستغنى بغيره
من البشر. ومن المفسرين من قال: إنَّ هذه الآية نزلت في أبي جهل وأمثاله،
والمهم عموم اللفظ وليس خصوص السبب.

[٨] ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿إِلَىٰ﴾: حصراً وقصراً.

﴿رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾: أي نسي الإنسان الذي طغى واستغنى، أن إلى ربه الرجعى؛
أي: العودة والمصير للحساب والجزاء. والانتقال من صيغة الغيبة إلى صيغة
المخاطب يحمل في طياته التحذير والتهديد.



[٩] ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾:

﴿أَرَأَيْتَ﴾: الهمزة همزة استفهام وإنكار وتعجب من حال هذا الذي ينهى.

أرأيت: رؤية قلبية فكرية؛ أي: أخبرني بعلم بحال هذا الذي ينهى.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد الذم.

﴿يَنْهَى﴾: قيل نزلت هذه الآية في أبي جهل الذي نهى رسول الله ﷺ أي:

منع رسول الله ﷺ من الصلاة، كما روى مسلم والإمام أحمد والنسائي وغيره عن أبي هريرة.

«ينهى» جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على تكرار النهي وتجده واستمراره على فعل النهي أو حكاية الحال؛ لتدل على عظم وبشاعة هذا الفعل كأنه يحدث أمامك الآن، والعبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب؛ فهي لكل من ينهى غيره ويمنعه عن طاعة الله وامثال أوامره.

وجواب الاستفهام: ألم يعلم بأن الله يرى: نهيه ومحاربتة لله تعالى ورسوله والصد عن سبيل الله تعالى.

[١٠] ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾:

﴿عَبْدًا﴾: العبد هو رسول الله ﷺ أو أي إنسان آخر، وجاءت بصيغة

التنكير للتهويل والتعظيم وتشمل أي إنسان.

﴿إِذَا﴾: ظرف زماني.

﴿صَلَّى﴾: صلى في المسجد الحرام أو غيره من الأماكن.

[١١] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾:

﴿أَرَأَيْتَ﴾: التكرار يفيد التوكيد، ارجع إلى الآية (٩).

﴿إِنْ﴾: شرطية، جواب الشرط تقديره: ألم يعلم بأن الله يرى.
﴿كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة الماضي والمضارع والمستقبل.
﴿عَلَى الْمُدَى﴾: على تفيد الاستعلاء؛ أي: مستقراً على طريق الهدى والعلم
بالحق؛ أي: الصراط المستقيم (الدين).
[١٢] ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾:

﴿أَوْ﴾: للاختيار، أو تعني: وأمر غيره بالتقوى؛ أي: دعاه إلى الإسلام
وامتنال أو امر ربه وتجنب نواهيه.
[١٣] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾:

﴿أَرَأَيْتَ﴾: ارجع إلى الآية (٩).
﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال.
﴿كَذَّبَ﴾: بالرسول ﷺ أو كذب بآيات ربه وبالقرآن وبالحق.
﴿وَتَوَلَّى﴾: ابتعد وأعرض عن الإيمان والتّصديق بمحمد وبالقرآن.
[١٤] ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتعجب.
﴿يَعْلَمُ بِأَنَّ﴾: الباء للتوكيد.
﴿أَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾: يرى ما يقوم به من النهي والمنع والصد عن سبيل الله، يرى
ظلمه وفساده وطغيانه، وفي هذا تهديد ووعد له يوم القيامة.
[١٥] ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر، أو: حقاً لأبي جهل وغيره من الطّغاة الذين
يصدون عن سبيل الله تعالى لئن لم ينته عن ذلك.



﴿لَيْن﴾: اللام لام التوكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿لَتَنْتَه﴾: عما يفعل من معاداة الرسول ﷺ والذين آمنوا ويتوقف عن الصّد عن سبيل الله.

﴿لَتَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾: اللام لام التوكيد، نسفعن: السّفع هو القبض على الشيء بشدة أو الجذب بشدة، وقيل: السّفع الحرق، أو الاحتراق؛ أي: أحرقنا ناصيته. ناصيته: مقدم شعر الرأس؛ أي: مقدم الرأس مقدّم جبهته؛ وتعني مقدّم الدماغ الذي يسمى الفصّ الجبهي المسؤول عن السّمع والأكل والتّكلم وغيرها من الوظائف الحساسة، والأخذ بالناصية يعني: الإذلال والإهانة قبل تعذيبه، ويعني: عدم القدرة على الهرب أو النجاة من عذابنا.

﴿بِالنَّاصِيَةِ﴾: الباء: للإلصاق والملازمة، والسّفع كما قلنا لنحرقن ناصيته (مقدمة دماغه)، وهو كناية عن القهر والإهانة.

[١٦] ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾:

﴿نَاصِيَةٍ﴾: أي هذا الرأس أو الدماغ المستكبر الكاذب والخطأى سنحرقه في جهنم.

﴿كَذِبَةٍ﴾: في أقوالها؛ أي: صاحبها كاذب.

﴿خَاطِئَةٍ﴾: في أفعالها، الخطأى: الذي يرتكب الذّنب والإثم عمداً؛ أي: بقصد ونية ويعلم عقوبته، أسند الكذب والخطأ إلى النّاصية مجازاً؛ أي: صاحبها لأنّه السّبب.

[١٧] ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾:

﴿فَلْيَدْعُ﴾: الفاء للتوكيد، واللام لزيادة التوكيد.

﴿نَادِيَهُ﴾: مشتقة من نادي: وهو المجلس الذي يجلس فيه القوم للحديث،

ويعني: ليدع أبو جهل أو غيره من الطّغاة والذين يصدون عن سبيل الله ليدعُ أهله وعشيرته وأصحابه لإعانتته ودفع العذاب عنه يوم القيامة.

[١٨] ﴿سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ﴾:

﴿سَدَّعُ﴾: السّين للاستقبال القريب؛ أي: عن قريب سندعو له الزّبانية؛ أي: خزنة جهنم.

﴿الزَّبَانِيَةَ﴾: الملائكة الغلاظ الشّداد ليأخذوا بمقدّم رأسه (ناصيته)، ويلقوه في السّعير، والزّبانية تعني: الشرطة بلغة العصر الحاضر، أو القائمون على تدبير السجون.

[١٩] ﴿كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر ومنع.

﴿لَا تُطَعُّهُ﴾: لا النّاهية، تطعه؛ أي: لا تطع يا محمد ﷺ هذا الطّاغية (أبا جهل) أو غيره أو تسمع إليه.

﴿وَأَسْجُدْ﴾: وصلّ لله تعالى ولا تخف أو تأبه بهذا الضّالّ عن سبيل الله.

﴿وَاقْتَرِبْ﴾: إلى الله سبحانه بالعبادة وكثرة السّجود.





سُورَةُ الْقَدَرِ ٩٧

الْبَيِّنَةُ ٩٨

سُورَةُ الْقَدَرِ

أَيَّاهَا

تَرْبِيهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدَرِ ﴿٢﴾
لَيْلَةُ الْقَدَرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ الْكَوْثُ وَالرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

أَيَّاهَا

تَرْبِيهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ
حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾
فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ
الْقِيمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ
فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

سورة القدر [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (٩٧) وترتيبها في النزول (٢٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾:

﴿إِنَّا﴾: ضمير التعظيم للمنزل وهو الله.

﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: تعني جملة واحدة دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، والهاء تعود إلى القرآن العظيم المنزل.

﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾: واللييلة عند الله وملائكته تبدأ من صلاة العصر إلى صلاة الفجر، واللييلة في اللغة من غروب الشمس إلى طلوع الفجر؛ أي: ابتداء إنزاله فيها على نبيه محمد ﷺ وفي شهر رمضان كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وفي ليلة مباركة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ

﴿٢﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤-٣].

أي: أنزل القرآن في ساعة أو جزء من اللييلة، ولا يعني طوال اللييلة وإنما ساعة مخفية لا نعرف في أولها أو آخرها.

١ - أنزلناه؛ أي: القرآن: أضمر ذكر كلمة القرآن؛ لأنه غني عن التصريح والتعريف.



٢ - وقد عظم القرآن العظيم بإسناد إنزاله إليه سبحانه.

٣ - وعظم الليلة التي أنزل فيها بالقول ليلة القدر.

والقدر: القدر مصدر مشتق من قدر يقدر قدرًا، والقدر يعني: التقدير.

وقدر: قد يعني من ضيق يضيق كقوله تعالى: ﴿فَطَنَّا أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾

[الأنبياء: ٨٧]، وتعني ليلة تضيق بالملائكة لكثرة الذين ينزلون إلى الأرض. وقد يعني

القدر: المكانة، فلان ذو قدر؛ أي: مكانة عظيمة كقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ

قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

والقدر: يطلق على التقدير الذي هو: فعل الله تعالى سبحانه وقدر الله؛ أي:

مقدوره، والإرادة: هي وقوع المراد، ومنها: الإرادة الشرعية، والإرادة الكونية؛

ففي هذه الليلة المباركة كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

[٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾:

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: ما استفهامية للتعظيم والتفخيم من شأنها، وما أدراك ولم

يقل ما يدريك، ارجع إلى سورة الحاقة الآية (٣) للبيان.

وسميت ليلة القدر:

١ - لأنه فيها يقدر ما يكون في السنة من الأمور والأحكام، تقدر فيها الآجال

والأرزاق.

٢ - من القدر: وهو الشرف.

٣ - لأن العبادة فيها خير من ألف شهر.

٤ - وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه.

٥ - تنزل الملائكة والروح فيها إلى كوكب الأرض.

٦ - لأنها كلها سلام؛ أي: يسودها السلام والأمن.

[٣] ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾:

العبادة والقيام والطاعة فيها أفضل أو خير من العبادة ألف شهر؛ أي: أكثر من (٨٣) سنة، وتكرار كلمة ليلة القدر ثلاث مرات في سورة عدد آياتها خمس آيات يدل على التعظيم والتفخيم والعناية بها والحرص على تحرّيها.

[٤] ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾:

﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾: ولم يقل تنزل الملائكة والروح فيها، تنزل: تدل على القلة؛ لأنها تنزل مرة واحدة في السنة، أما تنزل: تدل على الكثرة كما نرى تنزل الملائكة في سياق الموت كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [فصلت: ٣٠]، تنزل الملائكة أفواجاً أفواجاً من السماء إلى الأرض ليلة القدر، والروح: جبريل ﷺ والروح من الملائكة، وذكر الخاص بعد العام كما نرى هنا يدل على الاهتمام والتعظيم لجبريل، فيها: تعود إلى ليلة القدر.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: أي بأمر ربهم.

﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾: من تعليلية تنزل من أجل كلّ أمر قضاه سبحانه لتلك السنة.

[٥] ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾:

﴿سَلَامٌ﴾: نكرة تشمل كلّ أنواع السلام: سلام: تحية من الملائكة وسلام لا شرّ فيها ولا سوء، بل كلها خير وسلامة، وبركة وفضل.

﴿هِيَ حَتَّى﴾: هي للتوكيد، حتّى: حرف نهاية الغاية (هي) قيل: هي الكلمة



السابعة والعشرون في السورة، واستدل البعض من هذا أنها هي الليلة السابعة والعشرون، والله أعلم.

﴿مَطْلَعُ الْفَجْرِ﴾: وقت طلوعه؛ أي: سلام يمتد حتى مطلع الفجر أو ليلة تمتد حتى مطلع الفجر.

فهي ليلة إكرام للنبي ﷺ وإكرام لهذه الأمة التي أعمارها بين (٦٠ - ٧٠ سنة).

وأفضل ليلة في العام كله على الإطلاق.

وأفضل الأعمال فيها الصلاة والقيام بين يدي رب العالمين وتلاوة القرآن، والدعاء، والصدقة، والاعتكاف والذكر والتسبيح والاستغفار، والعفو والصفح.



سُورَةُ الْقَدَرِ ٩٧

الجزء الثاني

سُورَةُ الْقَدَرِ

آياتها ٥

ترتيبها ٩٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدَرِ ﴿٢﴾
 لَيْلَةُ الْقَدَرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ
 فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

آياتها ٨

ترتيبها ٩٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ
 حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾
 فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ
 بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
 لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ
 الْقِيمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ
 فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ
 الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾



سورة البينة [الآيات ١ - ٧]

ترتيبها في القرآن (٩٨) وترتيبها في النزول (١٠٠).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾:

﴿لَمْ﴾: أداة نفي.

﴿يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾: الذين كفروا من أهل الكتاب؛ أي: الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركون (من عبدة الأصنام والأوثان من مشركي العرب)، ولنعلم أن أهل الكتاب أعلى درجة من الذين أتيناهم الكتاب أو الذين أوتوا الكتاب وأقل درجة من هؤلاء الكل الذين أوتوا نصيباً من الكتاب.

﴿مُنْفَكِينَ﴾: من فككت الشيء فانفك؛ أي: انفصل.

منفكين: أي لم يكونوا منقسمين على أنفسهم، بل الكل ينتظر النبي المبعوث والذي ذكر في كتبهم للإيمان به واتباعه.

﴿حَتَّى﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾: الحجة الواضحة أو البرهان الساطع.

حتى تأتيهم: أي حتى أتتهم البينة فأصبحوا منقسمين على أنفسهم منهم من آمن به وصدقه ومنهم من صد عنه.

والبينة: هي محمد ﷺ وما أنزل عليه من ربه من القرآن أو الآيات كما
فسرته الآية (٢).

[٢] ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾:

﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾: هو محمد ﷺ من الله: أي مبعوث أو مرسل من الله.
﴿يَتْلُو﴾: التلاوة: هي القراءة والتلاوة لا تكون إلا من الصّحف (القرآن)،
والتلاوة لها أجر، والتلاوة قد تكون عن ظهر قلب.
﴿صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾: يتلو عليهم آيات الله (آيات القرآن)، المطهرة من الباطل
والزيف.

[٣] ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾:

﴿فِيهَا﴾: أي الصّحف المطهرة، صحف القرآن (جمع صحيفة).
﴿كُتِبَ قِيمَةٌ﴾: فيها أحكام، فرائض، شرائع، قيّم: مستقيمة عادلة تبين
لهم طريق الهدى والحق من الباطل والضلال. وقيل: كتب قيمة لما شملت من
الأمر العظيمة التي فيها سعادة الدارين.
[٤] ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِمَّا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾:

﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: ما: النافية، تفرّق الذين أوتوا الكتاب (أي
اليهود والنصارى) تفرّقوا في نبوة محمد أو التصديق به والإيمان بما جاء به،
ووصفهم بالذين أوتوا الكتاب وليس أهل الكتاب يأتي في سياق الذم.
﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَّا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾: أي بعدما بعث فيهم رسول الله ﷺ اختلفوا وتفرّقوا،
أمّا قبل مجيئه الكلّ ينتظره، فلم يعجبهم كون الرسول اختير من الأميين أو قريش،



فاستمروا في كفرهم وتكذيبهم به ولم يتوبوا ويعودوا إلى رشدهم، وهذه الآية تأكيد للآية (١).

[٥] ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾: ما النافية، أمروا: في كتبهم، إلا: أداة حصر، ليعبدوا الله: اللام لام التوكيد.

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: أي موحدين مخلصين مطيعين.

﴿حُنَفَاءَ﴾: على ملة الحنيفية السمحة (ملة التوحيد) أي: مائلين عن الممل الباطلة إلى دين الحق.

﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾: يقيموا الصلاة: بأركانها وشروطها وأوقاتها، ويؤتوا الزكاة المفروضة عليهم.

﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾: ذلك: اسم إشارة واللام للبعد، يشير إلى الإخلاص والتوحيد وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ذلك دين القيمة؛ أي: الإسلام.

[٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: من اليهود والنصارى، وكفروا بالإسلام وبمحمد ﷺ وبالقرآن.

﴿وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾: من قريش عبدة الأصنام والأوثان: مصيرهم في نار جهنم.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: الخلود والبقاء والدوام بدون انقطاع، ويبدأ من نقطة بدء (زمن دخولهم فيها)، ونجد في هذه الآية عدم ذكر أبداً مقارنة بالآيات الأخرى، ولعل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ قد يكون دليلاً على ذلك أو المقام مقام إيجاز وليس تفصيل، والله أعلم.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد تفيد الذم.

﴿شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾: البرية: اسم جمع بمعنى الخلق، مشتقة من برأ الخلق؛ أي: خلقهم من تراب، والبرئى: التراب، شرّ البرية، شر الخليفة، شرّ الناس.

[٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: الفرائض وما أمر الله تعالى.

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة يفيد المدح.

﴿خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾: خير الناس أو خير الخلق؛ أي: أفضلهم منزلة عند الله

تعالى.





سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ ٩٩

الْمِيقَاتُ

جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ ﴿٩٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْعَنَادِ بَيَاتٍ ﴿٩٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَّتِ صَبَحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَّتِ قَدَحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَتِ صَبَحًا ﴿٣﴾ فَاتْرَنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾



سورة البينة [الآية ٨]

[٨] ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾:

﴿جَزَاؤُهُمْ﴾: الجزاء على العمل، ويعني: ثوابهم يوم القيامة.

﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: عند خالقهم ورازقهم.

﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ﴾: جنات الإقامة الدائمة، ذكرت جنات عدن في القرآن (١١) مرة.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي تنبع من تحتها الأنهار.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾: الخلود: البقاء والدوام بلا انقطاع، ويبدأ من وقت

دخولهم، أبداً: تأكيد.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾: بما قدموه من إيمان وتقوى.

﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾: لثوابه وفضله وكرمه عليهم.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام للبعد، ويشير إلى الجزاء والثواب والخلود

والجنات والرضوان.

﴿لِمَنْ﴾: اللام للتوكيد. من: اسم موصول للمفرد والمثنى والجمع

والمذكر والمؤنث.

﴿خَشِيَ رَبَّهُ﴾: في الدنيا الخشية تعني الخوف من رب العالمين، مع التعظيم

والعلم في الدنيا.

الخشية المقرونة بالطاعة والتقوى والعمل الصالح وليس مجرد الخشية.

خشي ربه: في السر والعلن.





سُورَةُ الزُّلْزَلَةِ ٩٩

سُورَةُ الزُّلْزَلَةِ

جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزُّلْزَلَةِ ﴿٩٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْإِنشَاءِ ١١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَّتِ صُبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمَغِيرَتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَالْمُورِيَّتِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَالْمُورِيَّتِ نَقْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾



سورة الزلزلة [الآيات ١ - ٨]

ترتيبها في القرآن (٩٩) وترتيبها في النزول (٩٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾:

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿زُلْزِلَتِ﴾: أصلها زل زل، زل الأولى وزل الثانية.

﴿زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾: الزلزلة: زُلْزِلَتِ الأرض؛ أي: الأرض الجديدة وليست الأرض القديمة؛ أي: التي نحيا عليها الآن، هذه الأرض التي ستكون أكبر بكثير من الأرض القديمة وأكبر من السموات والأرض الحاليتين؛ كي تتسع إلى بلايين بلايين البشر من آدم إلى آخر مخلوق، هذه الأرض الجديدة التي ستحوي كل ذرات الأرض القديمة وتحوي بقايانا، وهذه الزلزلة تختلف عن الزلزلة الأولى التي تحدث عند قيام الساعة وانهار النظام الكوني التي ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ١-٢].

والتي تحدث نتيجة تصادم الألواح تحت القارية (تحت البحار) والتي تؤدي إلى البراكين وتسجير البحار وغيرها من الأحداث عند النفخة الأولى.

[٢] ﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾:

أثقالها: أي ما فيها من الموتى؛ أي: الأرض الجديدة أثقالها موتاها.



[٣] ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾:

﴿مَا﴾: للاستفهام والتَّهْوِيل والتعجُّب.

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ﴾: أي يتساءل الإنسان: ماذا حدث للأرض؟

و(قال) بصيغة الماضي بدلاً من يقول الإنسان بصيغة المستقبل؛ لأنَّ الأمر كأنه حدث وانتهى.

[٤] ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾:

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: أي: يوم القيامة.

﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾: جمع خبر والخبر هو أعم من النبأ.

بعد أن يوحى لها خالقها ومدبرها: حدَّثني أخبارك، وقيل: أخبارها أن تشهد على كلِّ عبد أو أمة بما عمل على ظهرها فتقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا.

[٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَوْحَىٰ إِلَيْهَا﴾:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: الباء للإلصاق والتوكيد، أن لزيادة التوكيد.

﴿أَوْحَىٰ إِلَيْهَا﴾: أشار إليها بأن تحدث أخبارها، وكما ذكر في قصة زكريا ؑ:

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]، أو أذن لها بأن تحدث أخبارها؛ أي: تشهد على الناس بما عملوا على ظهرها من خير وشر أو فساد.

[٦] ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ﴾:

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة أو البعث.

﴿يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْنَاءً﴾: يَصْدُرُ: يرجع أو ينصرف الناس من قبورهم إلى أرض المحشر.

﴿أَشْنَاءً﴾: فرقاً فرقاً؛ أي: جماعات جماعات إلى موقف الحساب.

﴿لَيُرَوَّا أَعْمَالَهُمْ﴾: أي ما قدموه من صالح الأعمال أو طالحها وخيرها وشرها في الدنيا؛ ليروا كتب أعمالهم. ومنهم من قال: ليروا أعمالهم: جزاء أعمالهم (الجنة أو النار).

[٧] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾:

﴿فَمَنْ﴾: الفاء عاطفة للتفريع، من: شرطية.

﴿يَعْمَلْ﴾: في الدنيا.

﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا﴾: مثقال ذرة من الخير، ولمعرفة مقدار الذرة ارجع إلى سورة النساء الآية (٤٠) للبيان، الخير: هو العمل أو الشيء الحسن النافع، وجاء بصيغة المضارع «يعمل» بدلاً من عمل؛ للدلالة تكرار وتجدد العمل وعلى أهمية ما عملوا وكانهم يعملونه الآن، وهذا ما يسمى حكاية الحال.

﴿يَرَهُ﴾: يرى جزاءه؛ أي: ثوابه.

[٨] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾:

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: ارجع إلى الآية السابقة.

﴿شَرًّا يَرَهُ﴾: شراً؛ الشر: ضد الخير؛ أي: سوءاً يرى جزاء عمله.





سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ ٩٩

الجزء الثامن

جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ ﴿٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْإِعْجَازِ بَيَاتٍ ﴿١٣﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَّتِ صُبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَّتِ قَدَحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَاتْرَنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾



سورة العاديات [الآيات ١ - ٩]

ترتيبها في القرآن (١٠٠) وترتيبها في النزول (١٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْعَدِيَّتِ صَبْحًا﴾:

﴿وَالْعَدِيَّتِ﴾: الواو: واو القسم، العاديات: جمع عادية مؤنث العادي اسم فاعل من عدا بمعنى: ركض؛ الخيل التي تخرج مع أصحابها في سبيل الله، هكذا قال ابن عباس وعامة المفسرين، من العدو: وهو الجري بسرعة.

﴿صَبْحًا﴾: صوت أنفاس الخيل الذي نسمعه حين تجري مسرعة، والخارج من مناخرها والناجم عن تنفسها بشدة.

[٢] ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا﴾:

﴿فَالْمُورِبَتِ﴾: الفاء عاطفة وتفيد الترتيب والتعقيب في الآيات الأربع، الموريات: من أورى: إذا أخرج النار.

﴿فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا﴾: أي الخيل الغازية في سبيل الله وهي تقدح قدحاً بحوافرها فتخرج الشرر حين تصدم حوافرها بالحجارة، أو الصخور، والقدح: الضرب، والقداحة: الآلة المستعملة لإشعال النار.

[٣] ﴿فَالْمُغِيرَتِ صَبْحًا﴾:

﴿فَالْمُغِيرَتِ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، المغيرات جمع مغيرة؛ أي: الخيل التي تغزو (تغير) على العدو وقت الصباح، فكانوا إذا أرادوا الغارة سَرَوْا ليلاً حين غفلة الناس ونومهم وباغتوا العدو صباحاً والعدو على غير استعداد.



﴿صَبَحًا﴾: وقت دخول الصُّبَّاح، طلوع الصُّبَّاح، والصُّبْح أفضل الأوقات للهجوم والقتال والغارة.

[٤] ﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا﴾:

﴿فَأَثَرُنَ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، أثرن: هيَّجن؛ أي: أثارت الخيل الغازية الغبار بحوافرها في وجه العدو فلا يعود يراها.

﴿بِهِ﴾: بالجري.

﴿نَقْعًا﴾: النقع هو الغبار الدقيق أو التراب الحادث من سرعة جري الخيل.

[٥] ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾:

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾: الفاء للترتيب والتعقيب، وسطن به: فدخلن للقتال وسط جمع العدو، به: بالجري.

﴿جَمْعًا﴾: جمع العدو.

[٦] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾:

هذا جواب القسم، والإنسان هنا يعني الكافر.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، واللام في «لكنود» لزيادة التوكيد.

﴿الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾: لكنود: لكفور كما قال ابن عباس أو لعاصي أو قليل الخير أو البخيل: الذي يأكل وحده ويمنع رِفْدَه؛ أي: يمنع العطاء، وقيل: كنود صيغة مبالغة من: كند النعمة؛ كفر بها أو الجحود بنعم ربه. وقيل: الكنود من يَعُدُّ المصائب أو يذكرها وينسى النعم ويلوم ربه؛ أي: اللوام، وقيل الأرض الكنود: التي لا تنبت شيئاً، والمعنى يحتمل الكل.

[٧] ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾:

﴿وَإِنَّهُ﴾: إنه: للتوكيد، والهاء تعود على الإنسان.

﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾: على كونه لربّه لكنود.

﴿لَشَهِيدٌ﴾: اللام للتوكيد؛ أي: يشهد على نفسه بالجحد والكفر والعصيان؛ أي: أنه كنود كقوله تعالى: ﴿شَهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]، وروي القولان عن ابن عباس، ومنهم من قال هاء الضمير تعود على الله؛ أي: الله سبحانه على كفر الإنسان أو بخله أو جحده شهيد.

[٨] ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾:

﴿وَإِنَّهُ﴾: وإنه: الواو: عاطفة، إنه: للتوكيد، والهاء: تعود إلى الإنسان، واللام في «لحب» للتوكيد، وتكرار «إنه» لزيادة التوكيد.

﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾: المال.

﴿لَشَدِيدٌ﴾: اللام: للتوكيد، حتّى أنه يمنع دفع زكاته وصدقته، والدليل على تسمية المال خيراً قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ﴾ [البقرة: ١٨٠].

[٩] ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾:

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري، لا النافية.

﴿يَعْلَمُ إِذَا﴾: يعلم: ذلك الإنسان؛ إذا: ظرفية شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿بُعثَ﴾: أُثير وأُخرج أو أُثيرت فجعل أعلاها أسفلها، وهذا يدل على العنف وشدة الأمر، ليخرج منها البشر للحساب والجزاء، وفي هذا تهديد ووعد بالبعث والحساب.



سُورَةُ الْقَارِعَةِ

سُورَةُ الْقَارِعَةِ ١٠١

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝

سُورَةُ الْقَارِعَةِ ۝

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۝ فَأَمَّا

مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ۝ نَارُ حَامِيَةٍ ۝

سُورَةُ الْبَكَاةِ ۝

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَنُكُمُ الْبَكَاءُ ۝ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ

تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ

عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا

عَيْنَ الْيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝

سورة العاديات [الآيات ١٠ - ١١]

[١٠] ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾:

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾: الصدور: القلوب؛ ما: أوسع شمولاً من الذي، جمع في الصّحف، والتّحصيل: هو إخراج اللب من القشر، ظهر وبان ما استقر في الصُّدور؛ أي: أبرز أو استخرج ما تسره الصدور؛ أي: ظهر مكتوباً في الصّحائف ما فيها من خير وشر، أو استخرج ما فيها من خير وشر أحقاد وأمراض أو جمع ما في القلوب من خير وشر مما يظن أنه سرٌّ لا يعلمه أحد.

[١١] ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾:

﴿إِنَّ﴾: واللام في لخبير للتوكيد.

﴿رَبَّهُمْ بِهِمْ﴾: تقديم بهم للدلالة على الأهمية خاصة.

ربهم خالقهم ومدبر أمورهم ومحاسبهم.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة أو يوم الحساب والجزاء.

﴿لَّخَبِيرٌ﴾: اللام: للتوكيد، خير؛ أي: يعلم بواطن أعمالهم ومن يعلم

بواطن الأمور يعلم ظواهرها فلا داعي لذكر ذلك، ويعلم ما كسبت كلّ نفس،

كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ كَارِهُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ [غافر: ١٦].





سُورَةُ الْقَارِعَةِ ١٠١

الجزء الثلاثون

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪

سُورَةُ الْقَارِعَةِ ⑪

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ③
يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ④
وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ⑤ فَأَمَّا
مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ⑥ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ⑦
وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ⑧ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ⑨
وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ⑩ نَارُ حَامِيَةٍ ⑪

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ ١٠٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَنُكُمُ التَّكْوِيْنُ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ
عِلْمَ الْيَقِيْنِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيْمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا
عَيْنَ الْيَقِيْنِ ⑦ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ النَّعِيْمَ ⑧



سورة القارعة [الآيات ١ - ١١]

ترتيبها في القرآن (١٠١) وترتيبها في النزول (٣٠).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْقَارِعَةُ﴾:

اسم من أسماء يوم القيامة الكثيرة ومنها: يوم القيامة، يوم البعث، يوم الخروج، يوم الفصل، يوم الدين، يوم الخروج، الصاخة، الطامة، الواقعة، الحاقة، الأزفة، وقد عدها الغزالي والقرطبي وقيل: بلغت خمسين اسماً، ويقول القرطبي: وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه، والقارعة: شيء مبهم لم يطلع أو يره أحد.

مشتقة من القرع؛ وهو: الضرب بشدة كأن تضرب شيئاً صلباً بشيء أصلب وبشدة فتحدث صوتاً مزعجاً.

وسمي بذلك؛ لما يحدث فيه من الأهوال والترويع الذي يهزّ ويقرع كلّ سمع وكلّ قلب.

ثم يلحق ذلك بسؤال آخر: ما القارعة.

[٢] ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾:

﴿مَا﴾: للاستفهام والتّهويل والتّعظيم والترّيب، والأصل: أن يختصر كلّ ذلك: ما هي القارعة؟ ولكنه سبحانه يُسهب في الاستفهام والسؤال.



[٣] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾:

ثم سئل للمرة الثالثة، ولا أحد يجيب.

﴿وَمَا﴾: لتوكيد الاستفهام والترهيب والتّهويل والتّعظيم والتّعجيز.

﴿أَدْرَاكَ﴾: من درى: وهو العلم بعد الجهل، العلم بشتى الوسائل أو بأي وسيلة، وأدرى حالة خاصة من علم.

أي: ما أعلمك وأخبرك ما القارعة، والجواب: لا أحد؛ لأنها أمر غيبي لا يعلمه إلا الله وحده سبحانه، وتبقى مسألة القارعة مبهمة مهولة عظيمة حتى يجيب الله سبحانه وحده على ذلك فيقول: «يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش».

فقوله: «القارعة» فيها إبهام، «ما القارعة» فيها تهويل وتعظيم وتخويف، «وما أدراك ما القارعة» فيها تعجيز؛ لا أحد يعلم الجواب، فيجيب الله سبحانه، والغاية من الإبهام والتّهويل والتّخويف هو الاستعداد لها والتّحذير منها، «وما أدراك ما القارعة»: ولم يقل ما يدريك ما القارعة.

ما أدراك: نفي للماضي، وما يدريك نفي في الحال والمستقبل، وقد وردت ما أدراك (١٣) مرة في القرآن، وأما ما يدريك وردت ثلاث مرات (ثلاث آيات) وتبين حين يستعمل ما أدراك في الماضي (من خصائص القرآن) ينتهي الأمر أو المسألة بأن الله سبحانه يطلع ويخبر رسوله على المعنى فلا يبقى غامضاً ويُعرف الجواب، أما حين يستعمل وما يدريك (في الحال أو المستقبل) تبقى المسألة أو الأمر غامضاً مبهماً ولا يطلعه الله على الجواب.

وقد وردت وما يدريك في ثلاث آيات:

الآية الأولى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾.

الثانية: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾.

الثالثة: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾.

إذن ما يتعلق بعلم الساعة أو التزكية (أمر غيبي) لا يعلمه إلا عالم الغيب والشهادة وحده، وسوف نعلمه عند قيام الساعة وعند البعث والحساب.

[٤] ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾:

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ﴾: يوم القيامة يكون الناس (الثقلان الإنس والجن):

﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾: الفراش المتطاير المنتشر على غير انتظام هنا وهناك، أو يشبه الفراش في الكثرة والانتشار والضعف.

وفي آية أخرى يقول: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]، لمعرفة الفرق بين الآيتين ارجع إلى سورة القمر للبيان.

[٥] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾:

في الآية السابقة يكون الناس كالفرش المبثوث، وفي هذه الآية الجبال أيضاً تكون كالعهن المنفوش؛ كل ذلك يدل على هول الموقف وشدته.

شبه الجبال بالعهن: الصّوف الملون (المصبوغ بألوان مختلفة)؛ لأنّ الجبال فيها جُدد بيض وحمرة وغلابة سود، لها ألوان مختلفة.

﴿الْمَنْفُوشِ﴾: المندوف بالمندف في تفرّق أجزائها، وتطايرت بعد أن دكّت ونسفت وكانت كثيباً مهيلاً، ثم أصبحت كالعهن المنفوش بعد أن كانت الرواسي والأوتاد.

وقد يحتمل المعنى بالإضافة إلى كونها كالعهن المنفوش: فهي ضعيفة خفيفة ضعف وخفة الصّوف، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٩) في سورة المعارج



وهي قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾، ويمكن القول أن الجبال تكون في مرحلة تليها تكون في مرحلة من المراحل كالعهن، ثم مرحلة تليها تكون كالعهن المنفوش المتطاير ذو الألوان.

[٦] ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾:

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء استئنافية، أمّا: حرف شرط وتفصيل.

﴿مَنْ﴾: ابتدائية استغرافية، تشمل الذكر والأنثى، وتشمل المفرد والمثنى والجمع.

﴿ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: أي رجحت موازينه بالحسنات بعد أن توزن أعماله، وموازنه جمع ميزان، ومنهم من قال: لكل عمل ميزانٌ يوزن به، مثلاً أفعال القلوب لها ميزان، وأفعال الجوارح لها ميزان، ومنهم من قال: الميزان واحد، وإنما جمع لاختلاف الموزونات أو كثرة الموزون، والله أعلم.

والأرجح: أن موازين يوم القيامة ليست ميزاناً واحداً؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وهي موازين حقيقية كما رجح أكثر المفسرين، ومن المفسرين من فسّر الميزان بالعدل؛ لقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧] أي: أمر بالعدل.

[٧] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾:

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾: العيشة تشمل المسكن والمشرّب والمأكل والمتاع وغيرها.

﴿رَاضِيَةٍ﴾: والسؤال هل العيشة التي ترضى أم هو الراضي؟.

راضية تعني: صاحبها راضٍ ومسرور.

راضية: لا تزول أو تنقطع، سعادة أبدية خالية من أسباب القلق الذي سببه الموت والزوال، ارجع إلى سورة الحاقة الآيتين (٢٢-٢٣) لمزيد من البيان.



[٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾:

﴿وَأَمَّا مَنْ﴾: ارجع إلى الآية (٦).

﴿خَفَّتْ﴾: أي خَفَّتْ موازينه؛ أي: رجحت سيئاته على حسناته، (وأما من تساوت حسناته وسيئاته، يصبح من أصحاب الأعراف) ولم يذكر ذلك؛ لأن أصحاب الأعراف في النهاية هم من أصحاب العيشة الرّاضية.

[٩] ﴿فَأَمُّهُ هَكَوِيَّةٌ﴾:

أمه: ليس معناها أمه التي ولدته وإنما عبّر عن المأوى (النار) بالأم، أو شبه المأوى بالأم التي يأوي إليها حين كان طفلاً كلما فزع وخاف، وشبه المأوى (النار) بالأم؛ لأنها تحيط به وتحضنه، أو كإحاطة رحم الأم بولدها، تشبيهه يحمل معنى التقرّيع.

وهاوية: لبعد عمقها أو مقرّها، هاوية فيها إبهام، غير معروفة، ثم يسأل من يعلم أو يعرف ما هي.

[١٠] ﴿وَمَا أَدْرَنكَ مَا هِيَ﴾:

فيها تفخيم وتهويل وتخويف وتعجيز، ارجع إلى الآية (٢) من السّورة نفسها للبيان، ثم يبين ما هي فيقول: نار حامية.

[١١] ﴿نَارُ حَامِيَةٍ﴾:

بالغة الحرارة.

أي: فأمه (مأواه) الهاوية، وما الهاوية (نار حامية).





سُورَةُ الْقَارِعَةِ ١٠١

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪

سُورَةُ الْقَارِعَةِ ⑪

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ③

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ④

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ⑤ فَأَمَّا

مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ⑥ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ⑦

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ⑧ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ⑨

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ⑩ نَارُ حَامِيَةٍ ⑪

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ ⑪

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ

تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ

عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا

عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧

سورة التكاثر [الآيات ١ - ٨]

ترتيبها في القرآن (١٠٢) وترتيبها في النزول (١٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾:

﴿أَلْهَنَكُمْ﴾: من اللهو، واللهو: ذهول بقصد وإعراض، وهو أن يترك واجباً أو شيئاً مطلوباً أو مهماً، ويشغل بشيء غير مهم أو مطلوب، ألهاكم: لها معنى أول؛ أي: أشغلكم، وألهاكم التكاثر وأشغلكم أبلغ في الذم من شغلكم، والمعنى الثاني: كل واحد يكاثّر الآخر؛ أي: يتفاخر ويباهي الآخر بكثرة جمعه.

﴿التَّكَاثُرُ﴾: لم يحدد ما نوع التكاثر ليشمل كل ما يدخل في أنواع التكاثر مثل: في الأموال والأولاد والمساكن والقصور والزينة والمراكب، والنساء والتجارة والتشاغل بالمعاش واللهو واللعب وغيرها.

ألهاكم التكاثر: أي حب الدنيا عن تقوى الله وطلب الآخرة والاستعداد ليوم الرّحيل، وهناك من قرأ «ألهاكم» بهمزين؛ أي: ألهاكم التكاثر؟ ومنهم من قرأها بهمزة واحدة «ألهاكم التكاثر» كقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠].

[٢] ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾:

أي: ظللتُم سادرين في هذا اللهو والغفلة حتى زرتُم المقابر؛ أي: متم ودفنتم في المقابر.



﴿حَتَّى﴾: يعني نهاية الغاية.

﴿زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾: كأن الموت ليس هو النهاية، وإنما هي مرحلة يأتي بعدها البعث والحساب والجزاء وإما إلى الجنة وإما إلى النار، وكأن الدفن في القبور (أو حياة البرزخ) عبارة عن زيارة فقط لن تدوم طويلاً، ترجعون بعدها إلى منازلكم في الجنة أو النار، أو ألهاكم التكاثر حتى فوجئتم بالموت وأنتم على تلك الحال من الانشغال.

[٣] ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر: أي ليس هذا سلوك العاقل، أو كلا إن هذا سلوك معيب، كلا لا تكن الدنيا أكبر همكم ومبلغ علمكم، أو تعني: حقاً سوف تعلمون عاقبة انشغالكم بالتكاثر إذا دخلتم مقابركم، وعلمتم خطأكُم هذا، أو سوف تعلمون عاقبة أمركم هذا حين الموت والاحتضار ونزع أرواحكم.

﴿سَوْفَ﴾: تدل على الاستقبال والتراخي في الزمن؛ يعني زمن الموت.

[٤] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: تدل على التراخي في الزمن والترتيب.

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر أو حقاً، والتكرار للتوكيد والتهويل والتعظيم.

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: سوف: تدل على التراخي في الزمن، تعلمون: ذكرت

للمرة الثانية.

تعلمون: العلم الثاني سيكون في البرزخ (القبر) أو يوم القيامة، والعلم الأول كان زمن الاحتضار كما قلنا سابقاً.

سوف تعلمون عاقبة عبثكم وانشغالكم في الدنيا، وما أخبركم به الله سبحانه من وعد ووعد وثواب وعقاب أنه الحق.

[٥] ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر للمرة الثالثة.

﴿لَوْ﴾: حرف امتناع لامتناع.

﴿تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾: علم اليقين: هو العلم الوحيد الذي ليس هناك غيره؛ أي: الحق الثابت الذي لا يتغير، أو يتبدل والعلم الثابت القاطع، ولليقين درجات: الأولى علم اليقين، والثانية عين اليقين، والثالثة حق اليقين.

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾: أي لو صدقتم وأمتتم بما أخبركم الله عن الجحيم في قرآنه وعن طريق رسله، لكنتم كمن رأى الجحيم بأم عينيه، وأنتم لا زلتم في الدنيا؛ أي: لترونها قبل الدخول فهذه هي الرؤية الأولى، ولربما منعك ذلك من انشغالكم بالتكاثر، وما أخبركم الله به عن الجحيم يمكن أن يُعدّ كالرؤية الأولى للجحيم؛ أي: ترون الجحيم وأنتم في الدنيا، والنون في «لترون» للتوكيد.

[٧] ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾:

هذه هي الرؤية الثانية والتي تسمى رؤية عين اليقين.

ثم يوم القيامة (ثم للتراخي في الزمن) واللام في لترونها: للتوكيد؛ أي: لترونها يوم القيامة عين اليقين؛ أي: بأم أعينكم حين تبرز لكم أو تردوها ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مریم: ٧١].

[٨] ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للتباين بين السؤال عن النعيم ورؤية الجحيم المروّع.



﴿لَتُسْأَلُنَّ﴾: اللام والنون في «تسألن» للتوكيد، والسؤال هنا لماذا نسأل عما أباحه الله تعالى وقال لنا: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]، وغيرها من الآيات؛ السؤال قد يكون عن الشكر، وعن تأدية الزكاة، والصدقات، والإسراف، والتبذير... وغيرها.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة. مركبة من: يوم أضيف إليه ظرف آخر هو إذ.

﴿عَنِ النَّعِيمِ﴾: من النعمة، والنعمة: تعني نعم الدنيا الظاهرة والباطنة، وهي نعم زائلة، وكلمة النعيم وردت في (١٥) آية معرفة بأل التعريف وكلها تعني نعيم الآخرة؛ أي: الجنة، وفي آية واحدة وردت النعيم التي تعني نعيم الدنيا من مسكن ومطعم ومشرب وملبس وفراغ ومال وجاه؛ أي: لتسألن عن التكاثر الذي ألهاكم، أو عن ذلك النعيم الزائل الذي شغلكم عن ربكم، أو قد تعني نعيم الآخرة نعيم الجنة؛ لأن السياق في الكفار سوف يسألون سؤال تقرير وتأنيب، وفي الآية تهديد ووعيد شديد للكفار.



سُورَةُ الْعَصْرِ

سُورَةُ الْعَصْرِ ١٠٣

سُورَةُ الْعَصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَدَ لَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدرَكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

سُورَةُ الْفَيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفَيْلِ ﴿١﴾ الِّمَ يَجْعَلُ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

٦٠١



سورة العصر [الآيات ١ - ٣]

ترتيبها في القرآن (١٠٣) وترتيبها في النزول (١٣).

وقيل: هذه السورة القصيرة تمثل دستور حياة المسلم على الأرض، هذا الدستور الحاوي: على أربع مبادئ الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْعَصْرِ﴾:

الواو: واو القسم، والله سبحانه غني عن القسم، وإذا أقسم الله سبحانه بشيء فيراد بذلك تنبيه الناس إلى أهمية الأمر المقسم به وجواب القسم، يقسم الله بالعصر، العصر: لغة: الدهر أو الزمن، الزمن المطلق أو وقت العصر: ما بين زوال الشمس وغروبها.

وقد يعني الكل، لماذا أقسم الله بالعصر؟ قالوا: لأن الدهر شاهد على الإنسان فالله سبحانه خلق الزمان والمكان ليحكم بهما خلقه حتى يبقى سبحانه فوق الزمان والمكان وفوق المادة والطاقة، فالمكان لا يحدّ الله سبحانه ولا الزمان يحدّ الله سبحانه وتعالى، والمخلوق لا يحدّ خالقه، فالله هو الذي خلق الزمان والمكان والمادة والطاقة ليحدّ بهذه الأمور أو الأشياء خلقه ويبقى سبحانه فوق كل ذلك لا يحدّه زمان ولا مكان، ونحن لا نعلم الزمن الحقيقي أو المطلق

والله وحده يعلم ذلك، وإنما نعلم الزمن النسبي المقدر، المقدر باليوم واللييلة والشهر والسنة والساعة عن طريق الشمس والقمر وما وصل لنا من العلم.

[٢] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾:

هذا هو جواب القسم.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، واللام في «لفي» لزيادة التوكيد.

﴿الْإِنْسَانَ﴾: اسم جنس يشمل المسلم والكافر والصالح والطالح.

﴿لَفِي﴾: في ظرفية، واللام للتوكيد.

﴿خُسْرٍ﴾: في ضياع دائم أو واقع في الخسر إلا من استثناهم ربهم، ولم يقل لخاسر: يعني في زمن معين أو في تجارة أو عمل معين، لفي خسر: ضياع مطلق قليل أو كثير، أو لفي خسر كل حياته من زمن بلوغه إلى مماته، أي: دائماً في خسر، خسر نكرة؛ للتعظيم وتشمل كل أنواع الخسر أو الخسارة في الدنيا والآخرة، وأشد أنواع الخسر يكون في الآخرة.

[٣] ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، استثناء من الخسر يشمل:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: الإيمان هو الشرط الأساسي للنجاة، والإيمان لغة: هو التصديق، وشرعاً: هو اليقين بأركان الإيمان الستة وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدرة خيره وشره، والإيمان بضع وستون شعبة، ويشمل الإيمان بالغيب بالبعث ويوم القيامة والحساب والجنة والنار والعرض والإيمان لا يكون إلا بما نزل به الوحي فلا يصنع الإنسان إيماناً آخر من صنعه وتفكيره؛ لأن الكون مليء بالغيوب المطلقة التي لا يعلمها إلا الله، فالله



سبحانه وهب الإنسان إيماناً بالفطرة وأعطاه عقلاً قادراً على الحكمة والتمييز بين الحق والباطل، ثم أرسل رسله إليه وكتبه، وبين له طريق الخير وطريق الشر وتركه يختار أحدهما.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: الفرائض والسنن والنوافل وغيرها، والعمل الصالح هو نتيجة الإيمان الصادق وهو شرط لقبول الإيمان، فلا بد من العمل الصالح مع الإيمان، وأن يكون العمل الصالح موافقاً للقرآن والسنة خالصاً لوجه الله تعالى.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾: وصّى كل الآخر بالحق: وهو الأمر الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل، والحق هو الوحي السماوي الذي لم يتغير أو يتبدل، والحق يحتاج إلى من يدافع عنه سواء كانوا رجالاً أو نساءً، ولا يكفي التواصي به ولا بد من الصبر.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾: أي: الصبر المطلق يشمل كل أنواع الصبر، يوصي بعضهم بعضاً، أو كل واحد يوصي غيره، والوصية تحمل في طياتها معنى التأكيد والإشفاق والاهتمام وإرادة الخير للموصي له.

وقوله: (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ولم يقل وتواصوا بالحق وبالصبر؛ كرر تواصوا مرتين، وكرر الباء مرتين ليدل على أعلى درجات الاهتمام والتوصية، ولم يقل أيضاً تواصوا بالحق والصبر.



الجزء الثاني

سورة العصر ١٠٣

سُورَةُ الْعَصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يُحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَذْرَبَكُمْ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْعَدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

سُورَةُ الْفَيْيَكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾



سورة الهمزة [الآيات ١ - ٩]

ترتيبها في القرآن (١٠٤) وترتيبها في النزول (٣٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾:

﴿وَيْلٌ﴾: وعيد بالعذاب، والويل قد يعني: الهلاك أو وادٍ في جهنم، ويُلُّ بالرفع والتثنية تدل على جملة اسمية وتدل على الثبوت، ثبوت العذاب؛ أي: هو عذاب دائم لا ينقطع، وأما لو قال: ويلاً بالنصب، فذلك يدل على جملة فعلية تدل على أن العذاب غير دائم ومتجدد ومتكرر.

﴿لِّكُلِّ﴾: اللام لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿هُمَزَةٍ﴾: هو الذي يعيب الناس أو يطعن في الناس أو يظهر عيوبهم في أخلاقهم أو وضعهم الاجتماعي في حالة غيابهم، والتاء المربوطة تدل على المبالغة، وأصلها هُمَزٌ، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١١) في سورة القلم وهي قوله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَاءٍ نَمِيمٍ﴾: نجد هماز هي أيضاً صيغة مبالغة لكثير الهمز، ولكن هناك فرق بين (هماز) و(همزة)؛ هماز: تدل على الفاعل الذي يفعل أو يقوم بالهمز، وهمزة: تدل على ما فعله؛ أي: محصلة فعله، وما ارتكبه يسمى هو الهمزة، وعاقبة ذلك الويل له.

﴿لُّمَزَةٍ﴾: هو الذي يعيب أو يطعن فيهم ويظهر عيوبهم في حالة حضورهم،

يغتاب في الوجه وقد يستعمل الحاجب أو العين أو اليد أو الرأس، وهناك من قال الهمزة: الذي يعيب الناس في غيابهم، واللمزة: الذي يعيب الناس في حضورهم. [٢] ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾:

هذا وصف آخر للهمزة لللمزة.

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا﴾: سواء كان حلالاً أو حراماً.

﴿وَعَدَّدَهُ﴾: عدّه مرة بعد الأخرى حباً في المال؛ أي: أحصاه وحافظ عليه أو حرص عليه.

[٣] ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾:

﴿يَحْسَبُ﴾: من حسب؛ أي: اعتقد؛ أي: ظن ظناً راجحاً أو أقام حسابه على حساب قلبي وتجربة ونظر، وهنا تعني: يحسب لجهله وعدم الفقه في الدين أن ماله أخلده.

﴿أَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾: الخلد يعني البقاء والدوام، يحسب أن ماله يمنعه من الموت أو يطيل في عمره، أو يعمل عمل من يظن أنه لا يموت ويخلد في الدنيا. [٤] ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾:

﴿كَلَّا﴾: كلمة ردع وزجر، كلا ليس الأمر كما يحسبه فماله لن يخلده في الدنيا مهما طال أجله، ولن يمنعه من أن ينبذ في الحطمة.

﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾: اللام والنون في كلمة «لينبذن» للتوكيد.

لينبذن: من النبذ وهو الطرح والقذف مع الكراهية؛ أي: بلا اهتمام؛ أي: ليطرحن بذل وإهانة وغير اهتمام به.



﴿فِي الْحُطْمَةِ﴾: (نار الله الموقدة)، وقيل: الحطمة دركة من دركاتها،
والحطمة مشتقة من الحطم: وهو الكسر؛ أي: تحطم عظام كل من يلقى فيها.
[٥] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾:

﴿وَمَا﴾: للاستفهام والتعظيم والتهويل، وتكرار (ما) للتوكيد.
﴿أَدْرَاكَ﴾: أعلمك، أي شيء أخبرك ما الحطمة؟ أي: أنت لا علم لك
بعظمتها ومهما تصوّرتها فهي أعظم من ذلك. ارجع إلى سورة القارة آيتين (٢-
٣) لبيان معنى وما أدراك وما يدريك.
﴿مَا الْحُطْمَةُ﴾: الحطمة: اسم علم للنار، وهناك من قال: إنها دركة من
دركات النار.

[٦] ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ﴾:

أي: الحطمة نار الله الموقدة المشتعلة، وتسميتها بنار الله للتعظيم
والترهيب.
﴿الْمَوْقِدَةُ﴾: الشديدة اللمب أو المستعرة المتأججة، وسماها نار الله وما
دام قال: «نار الله» فلا يمكن أن تضاهيها نار أخرى، وفي هذا إنذار ووعد لكل
همزة ولمزة.

[٧] ﴿الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْتَدَةِ﴾:

﴿تَطْلُعُ﴾: تبلغ أو تصل الأفتدة؛ أي: التي تعرف كيف تصل إلى القلوب أو
تطلع عليها؛ أي: تغشاها.

﴿الْأَفْتَدَةُ﴾: القلوب؛ جمع فؤاد وهو جزء من القلب الذي يختص بالذاكرة

والأحاسيس؛ أي: تحرق كل طبقات الجلد وما تحته حتى تصل إلى القلب ذاته، واختيرت القلوب؛ لأنها محل العقائد الباطلة والنوايا والكفر والنفاق والبدع.

[٨] ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾:

إن: للتوكيد والهاء تعود على «نار الله الموقدة».

مطبقة من أصدت الباب؛ أي: أغلقته فلا يستطيعون الخروج منها والنجاة، وتعني: ليس هناك متسع أو مسافة فوق رؤوسهم أو بين بعضهم بعضاً كأنها جاءت من أعلى لتطبق عليهم.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: على: تدل على المشقة والصعوبة والدوام.

[٩] ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾:

موثقين: أي مربوطين ومشدودين إلى أعمدة في داخل النار بالسلاسل والأغلال.

﴿عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾: ارجع إلى سورة البلد، آية (٢٠) لمزيد من البيان.





سورة العنكبوت ١٠٣

سورة العنكبوت

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ٣

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ١ الَّذِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَّدُهُ ٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُهُ ٣ كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّا فِي الْحُمَةِ ٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُمَةُ ٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ٩

سُورَةُ الْفَيْثِيكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِي تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ٥



سورة الفيل [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (١٠٥) وترتيبها في النزول (١٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾:

﴿الَمْ﴾: الهمزة للاستفهام والتقرير والتعجب، لم: حرف نفي.

﴿تَرَ﴾: الرؤية هنا فكرية عقلية؛ لأنَّ حادثة الفيل وقعت قبل ميلاد

رسول الله ﷺ.

الَمْ تر: تعني: الَمْ تعلم علم دراية، أو الَمْ ينته علمك إلى ما فعل ربك سبحانه بأصحاب الفيل، واعلم علماً مؤكداً أو يقيناً أن ما يخبرك الله تعالى به هو أصدق مما لو رآته عينك.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام والتحذير والتعجب.

﴿فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾: هم أبرهة بن الأشرم والي اليمن وجيشه ومعهم (١٣) فيلاً ومن بينها فيلٌ يدعى محموداً وهو أكبر الفيلة، جاؤوا لهدم الكعبة (البيت الحرام).

وخلاصة القصة: أنَّ أبرهة بن الصَّباح الأشرم والي اليمن رأى أن يبنِي كنيسه في صنعاء وسمّاها القليس تضاهي البيت الحرام، ويدعو العرب لزيارتها



بدلاً من الحج إلى مكة؛ قاصداً من وراء ذلك تحويل بعض التجارة إلى اليمن أو غيرها من النوايا.

ولما قام بذلك وبنى الكنيسة قيل: جاء رجل من قريش ونجسها، وقيل في بعض الروايات: أحرقت، فغضب أبرهة وجهّز جيشه وجاء لهدم الكعبة وغزو مكة.

ارجع إلى كتب السيرة لمزيد من البيان وما حدث بين أبرهة وعبد المطلب.

[٢] ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة للاستفهام التقريري.

﴿يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾: كيدهم من الكيد: وهو التدبير الخفي لتخريب وهدم الكعبة، والكيد أقوى من المكر. ارجع إلى سورة يوسف آية (٥) لمزيد من البيان. ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾: في ضياع وخسارة؛ أي: لم يجد مكرهم أو كيدهم، أو لم ينفعهم أو يفض إلى نتيجة فقد أهلكوا جميعاً.

[٣] ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾:

أبابيل: جماعات جماعات متتابعة بعضها في أثر بعض، أبابيل: اسم جمع لا مفرد له.

[٤] ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾:

تشبه الحجارة التي أمطرت على قوم لوط. ارجع إلى سورة هود آية (٨٢) والحجر آية (٧٤) للبيان.



[٥] ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾:

﴿فَجَعَلَهُمْ﴾: الفاء للمباشرة والترتيب؛ أي: جعل أبرهة وجيشه.

﴿كَعَصْفٍ﴾: العصف: قشر حب القمح أو التبن؛ أي: أخذ ما فيه من الحب وبقي القشر.

﴿مَّأْكُولٍ﴾: أي شبه تقطع أو صالهم وتطايروا بالعصف الذي أكلته البهائم.

المأكول: الذي وقع فيه الأكل؛ أي: الأكل، أو فضلات الدواب التي أكلت العصف، ولا يزال يُرى بعضه المأكول في فضلاتها.





سُورَةُ قُرَيْشٍ ١٠٦

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ ①
إِلَّا لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ ②
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③
الَّذِي أَطْعَمَهُمْ ④
مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ⑤

سُورَةُ الْمَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ①
فَذَلِكَ الَّذِي ②
يَدْعُ الْإِيْمَ ③
وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ④
فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ⑤
الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑥
الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ⑦
وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ⑧

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ①
فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ②
إِنَّكَ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ③



سورة قريش [الآيات ١ - ٤]

ترتيبها في القرآن (١٠٦)، ترتيبها في النزول (٢٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ﴾:

من المفسرين من قال: هذه السورة تنمة للسورة السابقة سورة الفيل، فربط بينهما بالقول فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش.

﴿لَا يَلْفُ﴾: اللام لام الاختصاص أو لام التعليل، إيلاف: مصدر أَلَفَ الشيء إذا اعتاده وألفه، والإيلاف: الالتئام والتجمع والمحبة كقوله تعالى: ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: كانت حماية الله سبحانه وتعالى للكعبة (البيت الحرام) بجعل أبرهة وجيشه كعصف مأكول تكريماً للبيت الحرام وحرمة، ودوامه، وسبباً لدوام قريش على التألف والمحبة بين القبائل والتجمع حول الكعبة، وعدم التفور والتفرق، وكذلك سبباً لدوام رحلتي الشتاء والصيف اللتين هما مصدر العيش لقريش في هذه الصحراء، فأبقى الله لهم رحلة الشتاء إلى اليمن لجلب السلع أو المتاع الواردة من الهند والخليج، ورحلة الصيف إلى الشام لجلب أو شراء الحبوب والمواد الزراعية والغذائية، حيث كانت مكة تعيش على التجارة وعلى القيام بخدمة البيت الحرام الذي كان مصدر فخرهم ومجدهم، أو قد تعني لإيلاف قريش: من أجل إيلاف قريش لتعبد قريش رب هذا البيت.



﴿قُرَيْشٌ﴾: مجموعة من القبائل من ولد النضر بن كنانة، وقيل: قريش لقب الجد وهو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، أو قريش هو النضر بن كنانة، وسمّوا بقريش من التقريش؛ أي: الاكتساب أو التجمع والالتزام.

فقد جمعهم قصي بن كلاب في مكة في الحرم بعد تفرّقهم، أو قيل: الاسم مشتق من سمكة القرش، أو شبهوا بسمكة القرش الخطيرة فكانوا يعلنون ولا يُعلَى عليهم.

[٢] ﴿إِذْ لَفِيفَةٌ رَّحَلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾:

﴿إِذْ لَفِيفَةٌ﴾: توكيد الإيلاف - وقدّم إيلافهم تذكيراً بالنعمة - وقد تكون إيلاف الأولى للبقاء على الألفة والمحبة والتّجمع حول الكعبة في وادٍ غير ذي زرع.

وأما الإيلاف الثانية فهي البقاء والعكوف على ممارسة رحلتي الشتاء والصّيف وجلب الأرزاق لهذه المنطقة، وجعل أفئدة الناس تهوي إليهم.

[٣] ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾:

﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾: الفاء للتوكيد، واللام لزيادة التّوكيد أو الأمر أو للتعليل.

أي: أهلك الله أبرهة وجيشه وفعل ما فعل بإرسال طير الأبابيل للمحافظة على ائتلاف قبائل قريش وبقائها مجتمعة حول الكعبة البيت الحرام، وخدمة الحجيج وتولّي سدنة الكعبة وسقاية الحاج، والمحافظة على رحلتي الشتاء والصّيف مصدر الرّزق الوحيد (أي التجارة) لقريش.

فهاتان النّعمتان: نعمة الائتلاف ونعمة الرّحلتين (الرّزق) وغيرها من النّعم مثل الأمن وعدم الخوف وعدم الجوع كلّ منها يوجب أو يستحق عبادة الله تعالى.

[٤] ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾:

﴿الَّذِي﴾: يفيد التعظيم، تعود إلى «رب هذا البيت».

﴿أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾: أي كانوا جائعين فأطعمهم، والجوع: هو الشعور أو الإحساس الناجم عن خلو المعدة من الطعام.

﴿وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾: من ابتدائية، خوف نكرة تشمل كل أنواع الخوف، فأزال عنهم كل أنواع الخوف، وكما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَفِّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [المنكوت: ٦٧]. وقدّم الجوع على الخوف؛ لأنّ الجوع الشديد قد يؤدي إلى السرقة والقتل أحياناً، وبالتالي انتشار الخوف وعدم الأمن.

وقد يكون المعنى: أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف؛ أي: من أجل البيت الحرام. ومنهم من قال: هي استجابة لدعوة إبراهيم ﷺ حين دعا: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٢٦].





سُورَةُ قُرَيْشٍ ١٠٦

البقرة

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ ① إِلَّا فِيهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ
② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ
مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ④

سُورَةُ الْمَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ① فَذَلِكَ الَّذِي
يَدْعُ الْيَتِيمَ ② وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ③
فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
⑤ الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ⑦

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ②
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ③



سورة الماعون [الآيات ١ - ٧]

ترتيبها في القرآن (١٠٧) وترتيبها في النزول (١٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ﴾:

﴿أَرَأَيْتَ﴾: الهمزة للاستفهام والتقرير والتعجب والتشويق، رأيت: الرؤية هنا رؤية بصرية أو فكرية بمعنى العلم.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول للمفرد المذكر (للعاقل الحقيقي وغيره)، وقيل: الآية نزلت في الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل أو أبي جهل أو غيرهم، والمهم عموم اللفظ وليس خصوص السبب.

﴿يُكَذِّبُ بِالْدينِ﴾: يكذب: لا يصدق ويجحد، بالدين: الباء للإلصاق والدوام، بالدين: بالحساب والجزاء، أو الدين الذي جاء به رسول الله (دين الإسلام) والآخرة والبعث، ثم ذكر صفات الذي يكذب بالدين فقال:

[٢] ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾:

﴿فَذَلِكَ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط المقدر هو: إن سألت عن الذي يكذب بالدين، فذلك: اسم إشارة واللام للبعد، ويفيد الذم.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد الذم.



﴿يَدْعُ﴾: الدَّع: هو الدَّفْع الشَّدِيد، أو يدفع اليتيم عن حقه وماله، أو يظلمه أو يأكل ماله أو يمنع من ميراثه.

﴿الْيَتِيمَ﴾: من فقد أباه قبل سن البلوغ.

[٣] ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾:

﴿وَلَا﴾: النَّافِيَةُ.

﴿يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾: ولا يطعم المسكين أو الفقير أو لا يتصدق عليهم، ولا يحث غيره من أولي السَّعة على إطعام المسكين أو الإنفاق على المسكين.

[٤] ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾:

أي: المنافقين، وقيل: إن هذه الآيات نزلت في المنافقين بالمدينة.

﴿فَوَيْلٌ﴾: الفاء للتوكيد، ويل: العذاب أو الهلاك، أو وعيد بالعذاب أو الخزي أو الفضيحة.

﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾: اللام لام الاختصاص أو الاستحقاق. المصلين: قيل المنافقين الذين يصلون أمام الناس ولا يصلون في الغيب، أو التاركون للصلاة عمداً، أو يؤخرونها عمداً.

[٥] ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذم.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: «عن» تفيد المبالغة والمجازة؛ أي: لا يصلون أبداً (تاركوا الصلاة عمداً).

ولم يقل في صلاتهم ساهون؛ لأنَّ ما ممَّا إلا يسهو في صلاته بغير عمد أو قصد، وهذا يمكن أن يتجاوز عنه بالاستغفار والتوبة.

ومن المفسرين من قال: لا تعني تركها كاملاً وإلا لكانوا كفاراً، ولم يصفهم بالمصلين، وقد تعني المنافقين، الذين لا يحافظون على صلاتهم وبراءون الناس، ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، وقد تضمَّن من يؤخِّرونها عن أوقاتها عمداً، والآية تحمل في معناها شدة التحذير والإنذار والوعيد من ترك الصلاة مهما كان السبب.

[٦] ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤْنَ﴾:

﴿هُمْ يُرَآؤْنَ﴾: للتوكيد.

﴿يُرَآؤْنَ﴾: من المراءة: هي فعل العباداة لغير وجه الله أو مرضاته، وإنما للشهرة أو السمعة ومرضاة الناس.

[٧] ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾:

﴿وَيَمْنَعُونَ﴾: بالزجر أو الحث أو التحريض أو الوصية كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [النساء: ٣٧].

﴿الْمَاعُونَ﴾: اسم للحاجة ينتفع بها في البيت ولو كانت قليلة القيمة، أو تعني عدم مساعدة الآخرين المحتاجين.

مشتقة من المَعْن: وهو الشيء القليل.

وقيل: الماعون: الزكاة أو الصدقة.

أو لا يساعدون الفقير أو المحتاج بسبب الشحِّ والبخل.





سُورَةُ قُرَيْشٍ ١٠٦

سُورَةُ الْمَاعُونِ

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ ① إِلَهَ لَهُمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ② الَّذِي أَطْعَمَهُمْ
مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ④

سُورَةُ الْمَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ① فَذَلِكَ الَّذِي
يَدْعُ آلِيهِ ② وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ③
فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
⑤ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ⑦

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ②
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ③

سورة الكوثر [الآيات ١ - ٣]

ترتيبها في القرآن (١٠٨) ترتيبها في النزول (١٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾: ولم يقل آتيناك؛ العطاء فيه تملّك، والإيتاء عطاء ليس فيه تملك؛ أي: يمكن استرداده متى شاء، والإيتاء أعمّ من العطاء يشمل الأمور المادية والمعنوية، ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١) للبيان.

﴿الْكَوْثَرَ﴾: نهر من أنهار الجنة أعطاه الله سبحانه لرسوله ﷺ كما روى البخاري ومسلم، وقيل: الكوثر الخير الكثير مثل النبوة والعلم والحكمة وغيرها وقد تعني الكل.

[٢] ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾:

﴿فَصَلِّ﴾: الفاء للتوكيد.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾: الصلوات المفروضة والنوافل، واللام: لام الاختصاص والاستحقاق.

﴿وَأَنْحَرْ﴾: اذبح يوم النحر كما قال ابن عباس، ومن العلماء من استدل من هذه الآية على وجوب تقديم صلاة العيد على النحر.



[٣] ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾:

العداوة لها درجات: تبدأ بالبغض ثم القلي ثم الشنآن ثم المقت.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿شَانِئَكَ﴾: من الشنآن: وهو البغض الشديد والتجنب؛ الشانئ المبغض أو العدو.

﴿هُوَ﴾: تفيد التوكيد.

﴿الْأَبْتَرُ﴾: قد تعني: الذي لا ولد له من الرجال، أو المنقطع ذكره عن الخير.

وكما قال ابن عباس: إن العاص بن وائل السهمي وصف رسول الله ﷺ بالأبتر بعد أن توفي عبد الله ابن رسول الله ﷺ وكانوا يسمون من ليس له ابن أبترًا، فأنزل الله هذه الآية ردًا على العاص بأنه هو الأبتر وليس رسول الله ﷺ. وقيل: ليس العاص بن وائل وإنما أبو جهل وأبو لهب، أو عقبة بن أبي معيط، والمهم عموم اللفظ وليس خصوص السبب.





سُورَةُ الْكَافُرُونَ ١٠٩

سُورَةُ الْكَافُرُونَ

سُورَةُ الْكَافُرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

سُورَةُ النَّصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

سُورَةُ الْمَسَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا
كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ
حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

٦٠٣



سورة الكافرون [الآيات ١ - ٦]

وتسمى سورة الإخلاص الثانية وقل هو الله أحد سورة الإخلاص الأولى.
ترتيبها في القرآن (١٠٩) ترتيبها في النزول (١٨).
ومما يلفت الانتباه أن الزمن الفاصل بينها وبين سورة النصر التي تليها ما
يزيد عن (١٥ عاماً).

رغم أن سورة النصر تلي سورة الكافرون في القرآن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ يَتَّيْنَاهَا الْكَافِرُونَ﴾:

أسباب النزول: كما ذكر الواحدي: أنها نزلت في رهط من قريش قالوا:
يا محمد، هلمّ اتبع ديننا ونتبع دينك، تعبد آلهمتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فإن كان
الذي جئت به خيراً مما في أيدينا، قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان
الذي بأيدينا خيراً مما في يدك تكون قد شاركت في أمرنا وأخذت بحظك. فقال:
معاذ الله أن أشرك به! فأنزل الله تعالى هذه السورة.

فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه ملأ من قريش، فقرأها عليهم
فيئسوا منه عند ذلك.

﴿قُلْ﴾: يا رسول الله ﷺ، يا: أداة نداء للبعد.

﴿يَتَّيْنَاهَا﴾: الهاء للتنبيه.

﴿الْكَافِرُونَ﴾: ولم يقل الذين كفروا، والكافرون: جملة اسمية تدل على أن صفة الكفر ثابتة فيهم، ولو قال الذين كفروا: جملة فعلية تدل على التجدد والتكرار.

الخطاب للكافرين عامة في كل زمان ومكان.

[٢] ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾:

﴿لَا﴾: النافية للجنس تنفي كل الأزمنة الماضي والحال أو الحاضر والمستقبل، و«لا» أوسع نفياً من «لن».

﴿أَعْبُدُ﴾: والعبادة تشمل كل قول وفعل ولا تكون إلا لله وحده، وتعني: الخضوع والطاعة فيما أمر به ونهى عنه، أعبد: فعل مضارع يدل على التجدد والتكرار؛ أي: لا أعبد أي صنم أو وثن أو ملك. ارجع إلى سورة النحل آية (٧٣) لمزيد من البيان.

﴿مَا﴾: للعاقل وغير العاقل، أو مصدرية؛ أي: لا أعبد ما تعبدون.

﴿تَعْبُدُونَ﴾: فعل مضارع يدل على التجدد والتكرار.

وإذا نظرنا إلى الآية (٤) ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ فهي جملة اسمية تدل على الثبوت.

فإذا جمعنا الآية الثانية (الجملة الفعلية)، والآية الرابعة (الجملة الاسمية) فيكون الرسول ﷺ نفى عن نفسه عبادة ما يعبدون من دون الله بشكل متجدد ومتكرر، وبالشكل الدائم؛ أي: لا هذا ولا ذاك؛ أي: نفى لكل الأزمنة. انتبه إلى تكرار «لا» في أربع آيات؛ يفيد تأكيد النفي نفى العبادة.



[٣] ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا النافية؛ أي: أنتم في الحال لستم عابدين ما أعبد؛ أي: الله سبحانه وتعالى.

﴿مَا أَعْبُدُ﴾: بمعنى ولا أنتم عابدون الذي أعبد، وهو الله سبحانه.

[٤] ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾:

﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾: الواو عاطفة، لا: النافية لكل الأزمنة؛ أي: ما كنت في الماضي ولا في الحال ولا في المستقبل عابداً ألهمتكم أو ما تعبدون.

هذه الآية تؤكد للآية: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وكما قلنا: تعتبر جملة اسمية جاءت لتدل على ثبوت نفي العبادة في كل الأوقات: نفي العبادة الدائم أو المتقطع (المتجدد والمتكرر).

[٥] ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾:

هذه الآية تكرر للآية (٣).

وجاءت في الآيتين بصيغة الجملة الاسمية؛ لتدل على الثبوت والتأكيد على عبادة مشركي قريش للأصنام والأوثان، وأنهم لا يعبدون الله وحده.

[٦] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾:

﴿لَكُمْ﴾: اللام الاختصاص، والكاف للخطاب (يخاطب مشركي قريش).

﴿دِينُكُمْ﴾: سمي ما يعبدون من دون الله ديناً؛ توبيخاً أو تهكماً حيث كانوا يزعمون أنهم على دين آبائهم أو يقلدون آباءهم، وهم ليس لهم دين.

﴿وَلِيَ﴾: اللام الاختصاص، لي: المتكلم رسول الله ﷺ.

﴿دين﴾: هو دين الإسلام، دين التوحيد وليس هناك إلا دين واحد منذ خلق الله الأرض هو دين الإسلام فقط، أما اليهودية والنصرانية فهي ديانات أو شرائع، والإسلام للناس كافة وللمسلمين خاصة. ارجع إلى سورة البقرة الآية (١٣٢) لمزيد من البيان في معنى الدين.

ولا تعني هذه الآية الإذن لهم بالشرك أو الكفر، بل تعني الوعيد والتهديد. وأما تقديم «لكم دينكم» على «ولي دين» راجع لكونهم أكثر عدداً؛ أي: تقديم الأكثر على الأقل.

وحذف الباء من دين ولم يقل من ديني؛ أي: ديني ودين غيري من المسلمين؛ أي: دين ليس خاص به، ودين مستمر إلى يوم القيامة مقارنة بقوله تعالى في سورة يونس آية (١٠٤) (إن كنتم في شك من ديني) فهذا رد على الكافرين أو الشاكين في دين الله في ذلك الزمن وأنهى أمرهم.





سُورَةُ الْكَافُرُونَ ١٠٩

الجزء الثاني

سُورَةُ الْكَافُرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَتَّيِّبُهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

سُورَةُ النَّصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

سُورَةُ الْمَسَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا
كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ
حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

سورة النصر [الآيات ١ - ٣]

ترتيبها في القرآن (١١٠) وترتيبها في النزول (١١٤) وسميت سورة التوديع.

معرفة زمن نزول هذه السورة مهم فقد قيل: إنها نزلت سنة عشر للهجرة، وروي أن رسول الله ﷺ عاش ﷺ بعدها (٧٠ يوماً) وقيل: نزلت في حجة الوداع وعاش بعدها النبي ﷺ (٨٠ يوماً) وعندما سمعها رسول الله ﷺ قال ﷺ: نُعِيتَ إِلَيَّ نَفْسِي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾:

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تدل على حتمية الحدوث.

﴿جَاءَ﴾: ولم يقل أتى؛ لأن المجيء أكثر صعوبة ومشقة من الإتيان؛ لأن نصر الله والفتح يرافقهما صعوبة ومشقة.

﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾: النصر يعني الغلبة المادية أو الغلبة العسكرية الحربية باستعمال القوة والسلاح، والتحام الفريقين، والنصر أعم وأشمل يتضمن معنى الفتح.

﴿وَالْفَتْحُ﴾: يتم بدون قتال أو قوة، يحصل بالصلح وبالمفاوضات والبرهان والحجة كما حصل في فتح مكة. إذن هناك فرق بين النصر والفتح.



وهناك فرق بين النجاة والفوز؛ الفوز يعني: الخلاص من المكروه أو الشدة والوصول إلى الغاية أو المطلوب، فالفوز: النجاة + الوصول إلى الغاية.
وأما النجاة: هي الخلاص من المكروه أو الشدة فقط بدون الوصول إلى الغاية.

[٢] ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾:

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾: المخاطب هو رسول الله ﷺ وغيره من المؤمنين.

رأيت الناس: رؤية بصرية وفكرية (علمت).

﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾: يدخلون بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد والتكرار واستمرار دخول الناس في هذا الدين إلى يوم القيامة.

﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾: وهو الإسلام دين الحق. ارجع إلى سورة البقرة الآية (١٣٢) لمزيد من البيان في معنى دين الله.

﴿أَفْوَاجًا﴾: جماعات جماعات، ودخول الناس في دين الإسلام أفواجاً أفواجاً يدل على أنك بلغت الرسالة ومهمتك قد تحققت، وتقديم: «في دين الله» على: «أفواجاً» للاهتمام.

[٣] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾:

﴿فَسَبِّحْ﴾: الفاء رابطة لجواب الشرط، سبِّح: من التسبيح: وهو تنزيه الله عن كل شريك وولد وعيب ونقص، تنزيه الذات والصفات والأسماء. ارجع إلى سورة الإسراء آية (١) والتسبيح سببه: تعجباً لدخول الناس أفواجاً في دين الله، فحين ترى أمراً عجباً من المفروض أن تسبح.



﴿يَحْمَدُ رَبَّكَ﴾: تسبيح مصحوب بالحمد، والشكر لله؛ لأنه سبحانه نصر عبده وأعزّ جنده ودينه، وحقّق التّمكن للمؤمنين في الأرض بعد فتح مكة.

﴿وَأَسْتَغْفِرُ﴾: الاستغفار هنا استغفار إنابة وكثرة الرجوع إلى الله، واستغفار النّبي ﷺ أو الطلب منه الاستغفار لا يدل على ذنب، وإنما هو تقرب من الله وتواضع وذكر لله تعالى.

أي: رغم الفوز والنّصر ودخول الناس أفواجاً في دين الله على العبد أن يبقى متواضعاً لله تعالى، والاستغفار عبادة قلبية ولو لم يذنب العبد، وانتبه إلى قوله تعالى: «إنّه كان تواباً» ولم يقل إنّّه كان غفاراً.

لأنّ غفاراً صيغة مبالغة؛ أي: كثير الغفر والغفران: وهو ستر الذّنب وترك العقوبة عليه والإثابة على الحسنات، وتواباً صيغة مبالغة تدل على كثرة قبول التّوبة.

وكلمة تواباً: تتضمن غفاراً؛ لأنّه سبحانه حين يقبل التّوبة يعني قبل الاستغفار، فتكون الآية فاستغفره إنّّه كان تواباً (أي: تواباً وغفاراً) والاستغفار يسبق التّوبة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣].



سورة الكافرون

سورة الكافرون ١٠٩

سُورَةُ الْكَافِرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

سُورَةُ النَّصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

سُورَةُ الْمَسَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا
كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَأَمْرَأَتُهُ
حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

سورة المسد [الآيات ١ - ٥]

ولها تسميات أخرى منها: تَبَّتْ، أو سورة الذهب.
ترتيبها في القرآن (١١١) وترتيبها في النزول (٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾:

أسباب النزول: ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا وقال: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش فقال: يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني عبد مناف، أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جرّبنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبّاً لك ألهذا دعوتنا، ثم قام فنزلت هذه السورة.

لما قال أبو لهب: تبّاً لك ألهذا دعوتنا، فهو يدعو على رسول الله ﷺ بالهلاك، فردّ الله سبحانه عليه لا بل: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، فالله سبحانه هو القادر على التّبّ، وأمّا دعاء أبي لهب لغوّ ولا قيمة له.

التّبّ: الهلاك والقطع.

وعبّر عن هلاك وبوار أبي لهب بهلاك يديه؛ ويعني ذاته (عبّر عن الجزء والمراد به الكل)؛ لأن أغلب الأعمال تراول باليدين.



أبي لهب: اسمه عبد العزى، وسمي بهذا الاسم؛ لكون وجهه أحمر يشبه
الذهب، وهو عم النبي ﷺ وكان من سدنة الكعبة من بني هاشم.

وتبّ: تعني قد حصل المراد التبّ (الهلاك) وتحقق، وتبّ تفيد التوكيد.

[٢] ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ﴾:

﴿مَا﴾: النافية.

﴿أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾: لن ينفعه ماله يوم القيامة.

﴿وَمَا﴾: حرف مصدري يفيد التعليل، أو اسم موصول للمفرد والمثنى
والجمع وغير العاقل والعاقل.

﴿كَسَبَ﴾: أي من الولد أو المال الذي ورثه من أبيه، أو الإبل والغنم
التي كثر نسلها.

[٣] ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾:

﴿سَيَصْلَىٰ﴾: السّين للاستقبال القريب، يصلّى: يدخل النار، يلهب
ويشوى بها.

[٤] ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾:

أي: وستصلّى امرأته أيضاً؛ وهي أم جميل بنت أخت أبي سفيان، وهذا
إشارة إلى أنه وزوجته سيموتان على الكفر ولن يسلما.

حمّالة الحطب: لها عدّة معانٍ، وكلها واردة في حقّها:

١ - أنّها كانت تحمل حزم الشوك والذي فيه الحسك وتنثرها بالليل في

طريق رسول الله ﷺ لتؤذيه.

٢ - أنها كانت تمشي بالنميمة بين الناس، وإثارة الفتنة وحث الناس على خصومة رسول الله ﷺ، فشبهت النميمة التي توقدها بالحطب.

٣ - قيل: حمالة الخطايا والأوزار؛ أي: الآثام.

[٥] ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾:

﴿في﴾: ظرفية.

﴿جِيدِهَا﴾: أي في عنقها حبل من مسد، والجيد: هو العنق الطويل الجميل المرصع بالزينة والحلي.

والمسد: هو الليف الخشن الذي قُتِلَ حتى أصبح حبلاً محكماً.

أي: بدلاً من أن يكون جيداً جميل مرصع بالذهب والمجوهرات واللؤلؤ والمرجان يوم القيامة سيلفّ حوله حبل من مسد، بل سلاسل من النار، وبدلاً من حمل الشوك أو الحطب على ظهرها ستحمل الزقوم والضريع في بطنها، وفي هذا إذلال وإهانة لهذه المرأة القرشية التي تشارك زوجها في محاربة الله تعالى ورسوله ﷺ، ووعد لا يطيقه عقل بشر.



سُورَةُ الْإِخْلَاصِ ١١٢

الجزء الثامن

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَكِدْ
وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④

سُورَةُ الْفَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ
شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي
الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ
النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي
يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤
مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥

سورة الإخلاص [الآيات ١ - ٤]

سميت بذلك؛ لأنها تهدي إلى التوحيد الخالص لله عز وجل.

ترتيبها في القرآن (١١٢) وترتيبها في النزول (٢٢).

فضلها: روى البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن».

وروى مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إنها تعدل ثلث القرآن».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾:

أسباب النزول: أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك! فأنزل الله تعالى هذه السورة، أو أن قوماً من أحبار اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: صف لنا ربك، فإن الله أنزل نفسه في التوراة، فأخبرنا من أي شيء هو، أذهب هو أم نحاس أم فضة؟ وهل هو يأكل ويشرب؟!

وممن ورث الدنيا ومن يورثها؟! فأنزل الله تعالى هذه السورة.

﴿قُلْ﴾: الخطاب إلى رسول الله ﷺ وبالتالي إلى أمته؛ أي: قل يا رسول الله ﷺ لمن سألك عن الله (تبارك وتعالى).

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر.



﴿اللَّهُ﴾: الاسم الدال على واجب الوجود الإله الحق، اسم ذات الله يحمل في طبيّاته كل صفات الكمال تفرّد به سبحانه وقدمه على جميع أسمائه.

﴿أَحَدٌ﴾: لا شبه له ولا نظير ولا مثيل، ليس كمثله شيء في ذاته وصفاته وأفعاله، وهناك فرق بين (أحد) و(واحد)؛ الواحد: هو الذي لا يتجزأ؛ أي: ليس له ولد، وغير مركب، وأحد أعم في النفي من واحد فهو نفي للجنس؛ أي: لا أحد ولا اثنان ولا ثلاثة ولا أكثر، ولكن حين تقول لا واحد يجوز أن يكون هناك اثنان أو ثلاثة أو أكثر؛ فالله سبحانه أحد وواحد؛ ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) لمزيد من البيان.

[٢] ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾:

الصَّمَد: السّيد الذي يُصمّد إليه في الحوائج، والسّيد الذي كمل سؤدده كما روي عن ابن عباس؛ أي: تصمّد إليه الأمور ويقصد إليه في كل وجميع الحوائج على الدوام، فإن أصل الصمّد: القصد، والمستغني عن كل ما سواه، والصّمّد الذي لا جوف له؛ أي: لا يأكل ولا يشرب.

[٣] ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾:

﴿لَمْ﴾: حرف نفي يفيد الاستمرار.

﴿يَكِدْ﴾: أي لا ولد له سواء كان ذكراً أو أنثى، فلا المسيح ابن الله ولا العزير ولا الملائكة بنات الله، سبحانه وتعالى عما يشركون.

﴿وَلَمْ﴾: تكرار لم يفيد توكيد النفي.

﴿يُولَدْ﴾: أي ليس بمولود فهو الأول والآخر.



[٤] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾:

﴿وَلَمْ﴾: حرف نفي يفيد الاستمرار.

﴿يَكُنْ لَهُ كُفُوًا﴾: الكفء: المثل المكافئ؛ أي: لا شبه له ولا مثل لا من وجه واحد ولا من جميع الوجوه، أو لا شبيه له ولا عدل ولا مثيل ولا نظير، ليس كمثل شيء.

ولم يقل ولم يكن له أحداً كفواً، وقدم كُفُوًا على أحد؛ أي: سبق نفي المكافأة المادة عن ذات الباري؛ لأنها من أهم الأمور.





سُورَةُ الْاِخْلَاصِ ١١٢

الْبَيِّنَاتِ

سُورَةُ الْاِخْلَاصِ ١١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَكِدْ
وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④

سُورَةُ الْفَلَقِ ١١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ
شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي
الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤

سُورَةُ النَّاسِ ١١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ
النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي
يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥

سورة الفلق [الآيات ١ - ٥]

ترتيبها في القرآن (١١٣) وترتيبها في النزول (٢٠).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾:

﴿قُلْ﴾: الخطاب إلى رسول الله ﷺ وأُمته.

﴿أَعُوذُ﴾: أي أستجير وأعتصم أو ألجأ.

﴿بِرَبِّ﴾: الباء للإلصاق والدوام، ربّ: الخالق المدبّر.

﴿الْفَلَقِ﴾: لها معانٍ متعددة منها:

١ - الصبح.

٢ - الخلق كلّهُ.

٣ - كل ما انفلق.

والفلق: الصبح، كما روي عن ابن عباس وغيره؛ أي: فلق الصبح.

والفلق: تعني الخلق كلّهُ.

والفلق: ما انفلق، فهو سبحانه فلق الإصباح وفلق الحبّ والنوى.

والفلق: إحدى طرق التكاثر وخاصة في النباتات والسُّحب وغيرها.

[٢] ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾:

﴿مِنْ﴾: بعضية؛ أي: من شرّ بعض ما خلق؛ لأنّ ما خلق بعضه مفيد

وبعضه شر، فنحن نستعيذ من القسم الذي يجلب أو يسبّب الشر والأذى والألم

والمكروه والمرض.



﴿مَآخَلَقَ﴾: من شرٍّ؛ أي: إنسان متجبر طاغ أو جانّ أو حيوان أو جرثوم أو فيروس أو حمى أو نبات أو كوارث طبيعية كرعْد وبرق ونار وبرد، والريّح العقيم والمطر الذي يسبب الفيضانات.

ما: تشمل العاقل وغير العاقل، وتشمل كل شيء في الوجود.

خلق: الخلق، التقدير والإيجاد.

[٣] ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾:

﴿وَمِنْ شَرِّ﴾: الواو: حرف عطف، تكرار من شر أربع مرات يمكن أن يفسر على ذكر الخاص بعد ذكر العام، وكذلك للتأكيد على أهمية هذه المختلفة الشرور الأربع والاستعاذة بالرب منها، والشر ضد الخير.

﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾:

﴿غَاسِقٍ﴾: لها معان عدة:

منها: الليل إذا أظلم أو اشتد ظلامه، إذا وقب: إذا دخل في كل شيء حيث تخرج الهوامّ من أماكنها بالليل والحيوانات المفترسة، وينبعث أهل الشر والسرقة والزنى والقتل لممارسة أعمالهم.

ومنها: الغاسق؛ أي: القمر إذا غاب أو دخل في الكسوف.

ومنها: الغاسق البارد شديد البرودة، الضارّ بالإنسان والحيوان والنبات،

كقوله تعالى: ﴿هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾ [ص: ٥٧].

بعد أن وصّى بالاستعاذة من شرّ جميع ما خلق، عاد ليؤكد على ثلاثة أنواع من الشرور وهي: الغاسق إذا وقب، والسحر والحسد.

[٤] ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾:

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ﴾: النساء السّاحرات اللاتي يقمن بالنّفث: وهو النفث، النفخ من الفم الذي يخرج معه شيء من الرّيق القليل، فقد كانوا يستعينون

على أعمال السحر بنفث أنفاسهم الخبيثة، أو ينفثن في عُقد الخيوط حيث السواحر كنَّ يعقدن العُقد في الخيوط.

﴿فِي الْعُقَدِ﴾: جمع عُقدة، فالسحر قد يؤذي الإنسان ولكن بإذن الله تعالى. والتفسير العلمي للعقد: قيل هي العقد الدماغية (التي تتشكل من الخلايا الدماغية والنورونات المتشابكة المترابطة بإحكام) التي تقدر بالملايين والتي تتأثر بالوساوس والأفكار والعوامل الداخلية والخارجية، وسواء كانت نفسية أو عضوية، وتدل على عظمة الخالق وقدرته.

[٥] ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾:

﴿وَمِنْ﴾: ابتدائية.

﴿شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: الحسد هو تمني زوال النعمة عن الغير لتحصل له؛ أي: تكون له أو لا تكون.

والحسد: حقيقة واقعة لا يجوز إنكارها وهو من الكبائر.

أي قل: أعوذ بالله من شر السّاحر إذا سحر، وأعوذ بالله من شر الحاسد إذا حسد.

وإذا نظرنا إلى هذه الشرور الأربعة المذكورة في سورة الفلق، نجدها ضروراً خارجية تصيب الإنسان وتؤثر في البدن وسلامة النفس، ويجب أن نستعيذ بالله من هذه الشرور الأربعة.

وإذا نظرنا إلى سورة الناس التالية لسورة الفلق، نجدها تتحدث عن شر واحد هو شر الشيطان الوسواس الخناس، والوسوسة: أمر داخلي، ويجب أن نستعيذ من هذا الشر العظيم.





سُورَةُ الْاِخْلَاصِ ١١٢

سُورَةُ الْاِخْلَاصِ

سُورَةُ الْاِخْلَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④

سُورَةُ الْفَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥

سورة الناس [الآيات ١ - ٦]

ترتيبها في القرآن (١١٤) وترتيبها في النزول (٢١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾:

﴿قُلْ﴾: الخطاب موجّه إلى رسول الله ﷺ وأُمته من بعده.

﴿أَعُوذُ﴾: أي أستجير وأعتصم وألجأ.

﴿رَبِّ النَّاسِ﴾، ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾، ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾:

ربّ: الباء للإلصاق والدوام، ثلاث صفات لله تعالى من صفات العظمة والكمال، والقدرة والعلم، تشمل الربوبية والألوهية والملكية التي يجب الاستعاذة بها.

وبدأ بالاستعاذة «ربّ الناس»: أي ألجأ وأعتصم بالربّ بالخالق والمربّي والمدبّر والرّزاق، والمحبي والمميت والحفيظ والشّافي والسّلام، فالربوبية تستوجب العبادة: عبادة الله وحده وعدم الإشراك به.

ربّ النَّاسِ: اختار أو خصّ الناس ولم يقل ربّ العالمين، أو رب كل شيء ربّ عالم الملائكة وعالم الإنس، وعالم الجن وعالم الحيوان والنبات والجماد؛ لأنّ ربّ النَّاسِ خاصة؛ لأنهم المتميزون بحمل التكليف والعبادة والحساب والجزاء كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].



[٢] ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾:

الحاكم والمالك؛ أي: ألتجأ وأعتصم وأستجير بملك الناس: أي الحاكم والمالك.

﴿النَّاسِ﴾: اسم يشير إلى بني آدم أو البشر. ارجع إلى سورة البقرة الآية (٢٠) لمزيد من البيان.

[٣] ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾:

أي: الإله المعبود الحق: أي ألتجئ وأعتصم بهذا الإله الحق الذي يستحق العبادة وحده.

فحينما يستعيز بالربوبية والملكية والإلهية؛ فهو يستعيز بثلاث: برب الناس، ملك الناس، إله الناس، من شر واحد وهو: الوسوسة، بينما في سورة الفلق استعاذ برب الفلق منه أربع شروء؛ فيكون قد أقر بنفسه بالوحدانية: وحدانية الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، ويكون قد وصل إلى الغاية الكبرى والنّهاية العظمى في التصديق والإيمان، ونلاحظ ذكر كلمة الناس خمس مرات في سورة الناس. ارجع إلى سورة البقرة الآية (٢١) لبيان معنى الناس، ونلاحظ أيضاً أنه لم يأت بواو العطف في أي آية في هذه السورة.

[٤] ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾:

﴿مِنْ﴾: لا ابتداء الغاية.

﴿شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾: الوسواس: هو الشيطان الذي هو من الجن. شرّ: أذى الشيطان ذي الوسواس، الذي يوسوس؛ أي: له خاصة الوسوسة.

يقال: وسوس إليه الشيطان: كلمه كلاماً خفياً، وهو عبارة عن الأفكار

والخواطر وحديث النفس والخيالات التي تمرّ أو تعصر بفكر الإنسان، وقد تؤدّي إلى المعصية والابتعاد عن الحق.

﴿الْخَنَاسِ﴾: اسم فاعل من الفعل الثلاثي خنس؛ أي: توارى واختفى من الخنس وهو الاستخفاء والتستر؛ أي: الشيطان المختفي عن الأبصار؛ أي: لا تراه وهو يراك، أو إذا ذكر الله. خنس؛ أي: استتر، أو كف شره؛ فإذا غفل العبد عن ذكر ربه عاد يوسوس إليه.

[٥] ﴿الَّذِي يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾:

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد الذم.

﴿يُوسُوسُ﴾: في صدور الناس: في قلوبهم؛ أي: عقولهم، ولم يقل يوسوس إلى صدور الناس، بل قال: «يوسوس في صدور الناس»؛ أي: في داخلها.

يوسوس فعل مضارع يفيد التجدد والتكرار والاستمرار.

الناس: من ألفاظ الجموع التي ليس لها مفرد، وكلمة الناس مشتقة من النوس: وهو الحركة، والناس قد يكون من الإنس ومن الجن، وأصله أناس حذفت الهمزة للتخفيف.

ولا يكتفي الشيطان بالوسوسة بل له أساليب أخرى كما بينت الآيات الأخرى منها: التزيين حيث يزين له الشبهات والمنكرات، ويجعل المعروف منكراً والمنكر معروفاً، ومنها الأذى: ﴿تَوَزُّؤُهُمْ أَذًى﴾ [مريم: ٨٣] أي: تثيره على فعل المعصية وتهيجها فلا يفكر إلا بها، فيشتد غليانه لفعلها، ومنها مرحلة التزغ كأن الشيطان بألة حادة بحربة ويركضه برجله؛ ليسرع به على ارتكاب المعصية، ثم تأتي مرحلة المسّ المباشرة بالمعصية.



[٦] ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾:

لها معنيان: الأول: يوسوس في صدور الجن والإنس، والمعنى الثاني: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ﴾: أي الذي يوسوس: هو شيطان من الجنة؛ أي: من شياطين الجن، وكما قال تعالى: ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

﴿وَالنَّاسِ﴾: أو هو شيطان من الناس (الإنس) وهو أشدُّ ضرراً من شيطان الجن.

وهل شيطان الإنس قادر على الوسوسة في الصدور؟

الجواب: لا، ولكنهم يقومون بالوسوسة علانية حين يقومون بالفساد، وحين يزينون للناس الشر والقبيح والمعاصي، ويشيرون بالشبهات، ولذلك يجب الاستعاذة من شياطين الإنس والجن.





فهرس تفسير القرآن الثري الجامع الجزء الثاني عشر

السورة ورقمها	الصفحة
جزء تبارك	
سورة الملك [الآيات ١ - ١٢].....	٦
سورة الملك [الآيات ١٣ - ٢٦].....	١٩
سورة الملك [الآيات ٢٧ - ٣٠].....	٣١
سورة القلم [الآيات ١ - ١٥].....	٣٥
سورة القلم [الآيات ١٦ - ٤٢].....	٤٣
سورة القلم [الآيات ٤٣ - ٥٢].....	٥٥
سورة الحاقة [الآيات ١ - ٨].....	٦٣
سورة الحاقة [الآيات ٩ - ٣٤].....	٦٩
سورة الحاقة [الآيات ٣٥ - ٥٢].....	٧٩
سورة المعارج [الآيات ١ - ١٠].....	٨٧
سورة المعارج [الآيات ١١ - ٣٩].....	٩٣
سورة المعارج [الآيات ٤٠ - ٤٤].....	١٠٣
سورة نوح [الآيات ١ - ١٠].....	١٠٧
سورة نوح [الآيات ١١ - ٢٨].....	١١٥
سورة الجن [الآيات ١ - ١٣].....	١٢٧
سورة الجن [الآيات ١٤ - ٢٨].....	١٣٧
سورة المزمل [الآيات ١ - ١٩].....	١٤٩



السورة ورقمها	الصفحة
سورة المزمل [الآية ٢٠].....	١٥٩
سورة المدثر [الآيات ١ - ١٧].....	١٦٣
سورة المدثر [الآيات ١٨ - ٤٧].....	١٧١
سورة المدثر [الآيات ٤٨ - ٥٦].....	١٨٣
سورة القيامة [الآيات ١ - ١٩].....	١٨٨
سورة القيامة [الآيات ٢٠ - ٤٠].....	١٩٧
سورة الإنسان [الآيات ١ - ٥].....	٢٠٧
سورة الإنسان [الآيات ٦ - ٢٥].....	٢١٣
سورة الإنسان [الآيات ٢٦ - ٣١].....	٢٢٣
سورة المرسلات [الآيات ١ - ١٩].....	٢٢٧
سورة المرسلات [الآيات ٢٠ - ٥٠].....	٢٣٣

جزء عم

سورة النبأ [الآيات ١ - ٢].....	٢٤٥
سورة النبأ [الآيات ٣١ - ٤٠].....	٢٥٧
سورة النازعات [الآيات ١ - ١٥].....	٢٦٣
سورة النازعات [الآيات ١٦ - ٤٦].....	٢٦٩
سورة عبس [الآيات ١ - ٤٢].....	٢٨٣
سورة التكوير [الآيات ١ - ٢٩].....	٢٩٧
سورة الانفطار [الآيات ١ - ١٩].....	٣١١
سورة المطففين [الآيات ١ - ٦].....	٣١٩
سورة المطففين [الآيات ٧ - ٣١].....	٣٢٣



السورة ورقمها	الصفحة
سورة المطففين [الآيات ٣٥ - ٣٦].....	٣٣٥
سورة الانشقاق [الآيات ١ - ٢٥].....	٣٣٧
سورة البروج [الآيات ١ - ٢٢].....	٣٤٧
سورة الطارق [الآيات ١ - ١٧].....	٣٥٧
سورة الأعلى [الآيات ١ - ١٥].....	٣٦٧
سورة الأعلى [الآيات ١٦ - ١٩].....	٣٧٣
سورة الغاشية [الآيات ١ - ٢٦].....	٣٧٦
سورة الفجر [الآيات ١ - ٢٣].....	٣٨٧
سورة الفجر [الآيات ٢٤ - ٣٠].....	٣٩٩
سورة البلد [الآيات ١ - ٢٠].....	٤٠٣
سورة الشمس [الآيات ١ - ١٥].....	٤١٣
سورة الليل [الآيات ١ - ١٤].....	٤٢١
سورة الليل [الآيات ١٥ - ٢١].....	٤٢٧
سورة الضحى [الآيات ١ - ١١].....	٤٣١
سورة الشرح [الآيات ١ - ٨].....	٤٣٧
سورة التين [الآيات ١ - ٨].....	٤٤١
سورة العلق [الآيات ١ - ١٩].....	٤٤٧
سورة القدر [الآيات ١ - ٥].....	٤٥٧
سورة البينة [الآيات ١ - ٧].....	٤٦٢
سورة البينة [الآية ٨].....	٤٦٧
سورة الزلزلة [الآيات ١ - ٨].....	٤٦٩



السورة ورقمها	الصفحة
سورة العاديات [الآيات ١ - ٩].....	٤٧٣
سورة العاديات [الآيات ١٠ - ١١].....	٤٧٧
سورة القارعة [الآيات ١ - ١١].....	٤٧٩
سورة التكاثر [الآيات ١ - ٨].....	٤٨٥
سورة العصر [الآيات ١ - ٣].....	٤٩٠
سورة الهمزة [الآيات ١ - ٩].....	٤٩٤
سورة الفيل [الآيات ١ - ٥].....	٤٩٩
سورة قريش [الآيات ١ - ٤].....	٥٠٣
سورة الماعون [الآيات ١ - ٧].....	٥٠٧
سورة الكوثر [الآيات ١ - ٣].....	٥١١
سورة الكافرون [الآيات ١ - ٦].....	٥١٤
سورة النصر [الآيات ١ - ٣].....	٥١٩
سورة المسد [الآيات ١ - ٥].....	٥٢٣
سورة الإخلاص [الآيات ١ - ٤].....	٥٢٧
سورة الفلق [الآيات ١ - ٥].....	٥٣١
سورة الناس [الآيات ١ - ٦].....	٥٣٥
فهرس تفسير القرآن الشري الجامع الجزء الثاني عشر.....	٥٣٩

